الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
في مطلع كل شهر عربي

المراسلات باسم
مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / ج.م.ع
ت: ٢٦٣٨٥٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

داخل العدد

الاشتراك السنوى

- داخل مصر ـــــ ١٨ جنيها مصريا
- الدول العربية ـــــ ٥٠ دولارا أمريكيا
- أوربا وأمريكا ـــــ ٨٥ دولارا أمريكيا
- اليابان وشرق آسيا ـــــ ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة
☎ ٥٧٨٦١٠٠ - ٨٥٧٦٢٠٠

المحرم ١٤٢٣هـ - ابريل ٢٠٠٢م - الجزء الأول - السنة الخامسة والسبعون

افتتاحية العدد

من الجديد عن حـ

-١-

منذ قررت مصر الاحتفال رسميا بعيد الهجرة المحمدية في أول المحرم من كل عام، والصحف اليومية، والمجلات الدورية تمنح هذه المناسبة الكريمة قسطها الأوفى من التحليل والتفسير، بحيث لو جُمع ما كُتب في الصحف لكان مكتبة مستقلة، ولا أكتم القارئ، أن أدباء الجيل الماضي كانوا أكثر اهتماما بهذه المناسبة من أدباء اليوم، إذ كانت لدينا حينئذ مجلات أدبية، «كالرسالة» و«الثقافة» تصدر كل عام عدداً مستقلا بذكريات الهجرة وما يجرى مجراها من أمجاد الإسلام على مدّ عصوره المتلاحقة، ويكل عدد نوابغُ الفكر العربي من كبار الأدباء يبسطون ويحللون، ويؤيدون ويدفعون، مما يجعل المناسبة الكريمة ذات صدى فكرىّ يتجاوب في أرقى مستوياته، فيحيى الشعور، ويفسح طريق الأمل، ويزيد المؤمنين يقينا واعتصاماً، ولا أنكر أن الإذاعات المختلفة تتجاوب بهذه الذكرى محتفلة محتشدة، ولكن الثمرة غير الثمرة، والأريج غير الأريج، لقد كان من عجائب الصدف أنى في بعض هذه المناسبات، قد استمعت إلى حديث تقليدى عن الهجرة في إذاعة ما، ثم أدرتُ المفتاح لأستمع إلى حديث مماثل في إذاعة ثانية وثالثة ورابعة، وكانت النتيجة أن المتحدثين جميعا يتشابهون ويتماثلون، فما فتح الله على أحد بطريف يدل على شخصيته! وكان الموقف لا يتطلب إلا السّرد التاريخي محوطاً ببعض الآيات والأحاديث، مما يعرفه طلبة المدارس في الصفوف الأولى! أين هذا كله من عدد ممتاز من مجلة شهيرة «كالرسالة» تسطع على القراء بما يخلب ويروع.

ـادث الهجرة النبوية

حديث مشتهر

وقد رأيتُ أن أتحدث هذا العام عن بعض مواقف الهجرة التى تداولتها المصادر المتعددة فى القديم، والمراجعُ المتداولة فى الحديث، هذا الموقفُ هو موقف الشيخ النجدىّ فى دار الندوة حين اجتمع المشركون للتآمر على حياة رسول الله ﷺ بعد أن انتقل المهاجرون من المسلمين إلى المدينة المنوّرة، فاستعاضوا أهلاً بأهل، والتفّ حول الإسلام من تعهّدُوا على نصرته ليلة العقبة مسترخصين دماءهم فى ذات الله! وسيلحق رسول الله بهم فيصبحُ ذا شوكة حربيّة تقف للمشركين بالمرصاد، وإذنْ فلا مفرّ من مُواجهة الموقف فى اجتماع دار الندوة، لتجتمعَ الكلمةُ المشركةُ على أمر حاسم يُدفعُ النذر الغاشية! وهو ما سجله الله فى كتابه حين قال:

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾(1).

قُلنا إن حديث الندوة ذائع مشتهر، ومع ذُيوعه المدوّى، نجدهُ يحتاج إلى تعقيب مفيد، يبدّد ما غشيهُ من ضباب ساعدت الكتب المتعاقبة على انتشاره، فكيف رُوِى هذا الحديث فى أوائل مصادره من كتب التراث.

إننا نرجعُ إلى ابن إسحاق فى «سيرته» فنجده يقول ببعض التصرف:

«إن قُريشاً اجتمعت فى دار الندوة يتشاورون فيما يصنعون من أمر النبى ﷺ حين

(1) سورة الأنفال آية ٣٠

خافوه، فغدَوا في اليوم الذى اتَّعدوا له، وكان يُسمَّى يوم الزَّحمة، فاعترضهم إبليس على هيئة شيخٍ جليل، فوقف على باب الدار، فقالوا: مَن الشيخُ؟ قال: شيخٌ من أهل نجد، سمع بالذى اتعدتم له، فحضرَ معكم ليسمع ما تقولون، وعسَى ألاَّ يَعدمكم منه رأىٌ ونُصح، قالوا: أجل، فادخلْ، فدخل معهم، وقد اجتمع فيها أشرافُ قريش من كلِّ قبيلة، من بنى عبد شمس شيبة وعتبة وأبوسفيان، ومن بنى نوفل طعيمة ابن عدى، وجبير بن مطعم، والحارث بن عامر، ومن بنى عبدالدار النضر بن الحارث ومن بنى أسد البخترى بن هشام وزمعة بن الأسود، وحكيم بن حزام، ومن بنى مخزوم أبوجهل ومن بطونٍ آخرين كلها من قريش!

فقال بعضهم: إنَّ هذا الرجل قد كان أمره ما كان، ومارأيتمْ، ومانأمنُه أن يثب علينا بمن اتَّبعه من غيرنا، فاجمعُوا فيه رأيا، قال: فتشاوروا، فمنْ قائلٍ: احبسوه فى الحديد، وأغلقوا عليه بابا، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه!

فقال الشيخ النجدىُّ: لا والله ما هذا برأىٍ، فلو حبستموه لخرجَ أمرهُ من وراء الباب الذى أغلقتموه دونَه إلى أصحابه فلأوْشكوا أن يثبُوا عليكم فينزعوه من أيديكم.

ثم تشاوروا، فقال قائل، نُخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلدنا، فإذا خرج عنا، فلا والله ما نبالى أين ذهب، ولا حيث وقع!

فقال الشيخ النجدى: لا والله ما هذا برأى، أما رأيتُم حسن حديثه، وحلاوة منطقه، وغلبتَهُ على قلوب الرجال، ولا نأمنُ أن يحلَّ على حيٍّ من العرب فيغلب عليهم، ثم يسير بهم إليكم، حتى يطأكم بهم.

فقال أبوجهل: والله إنَّ لى فيه لرأياً، هو أن تأخذُوا من كلِّ قبيلة، فتىً شابا جلداً، نسيبا وسيطاً، ومع كل فتى سيفٌ، ثم يعمدون إليه فيضربونه ضربة رجلٍ واحد، فيقتلونه فنستريح ويتفرَّق دمه فى القبائل كلها، فلاً يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا.

فقال الشيخ النجدى: القولُ ما قال الرجل، ولا رأىَ غيره، فتفرَّقوا وهم مجمعون على ذلك».

هذا مـا جـاءَ في المصـدر الأول، ومـا رددتْه الكتب إلى يومنا هذا، ونحنُ لا ننكر الاجتماع، فقد ثبتَ بنصِّ القرآن الكريم، ولا ننكرُ أنهم انتهوْا إلى وجُوب اغتيال رسول الله! ﷺ وقد مكروا ومكرَ الله، والله خير الماكرين! ولكننا نتساءل عن إبليس، وعن الشيخ النجدى الذى تراءى فى صورته، وهلْ كان ماجاء فى الرِّواية بشأنه، مما يعقل أن يتردَّد دون تعقيب.

٢- مـــؤرخ ناقـــد

كان المؤرخ الإسلامي الكبير الأستاذ عبدالوهاب النجار ذا فكر صوّال دءوب، فهو يقف أمام كثير من المسلمات ليعصف بقرارها المطمئن، عن براهين دامغة، وأدلة حاسمة، إذ كان كما قال الأستاذ علي الجارم في رثائه:

لهُ حججٌ يُسمّيها كلاما وما هي غير أسياف تُسَلّ

وآراءٌ ترى فيها ابن بحرٍ يقول كما يشاء ويستدل

وابنُ بحرٍ هو الجاحظ، وحسبكَ أن يقرنَ الجارمُ صديقه النجار بالجاحظ، وقد وقفَ الأستاذ النجار أمام حديث الشيخ النجدى موقف المرتاب، فذكر في بحثٍ ضافٍ نشره مُسلسلاً «بمجلة الإسلام» سنة ١٣٥٧هـ أنه يستريب في هذا الأمر، إذ لا يُعقَل أن تُدخِلَ قريشٌ في أمرها إنساناً لا تعلم عنه شيئا إلا أنه نجدى، ولمَ لا يكون هذا النجدىّ عينا للمسلمين ماداموا لم يعرفوا شيئا من أمره فكيفَ أجازُوا له التصدّر دون احتياط، ثم إذا كانَ إبليس قد تزيّا بزيّ الشيخ النّجدى، فمنْ أنبأ القوم أنه إبليس، ولم لا يكون آدميّاً حقّا، مع أنّ رؤية إبليس مُستبعدةٌ، لأنّ الله ـ عز وجل ـ يقولُ عنه:

﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾(٢) ثم إن الله ـ عز وجل ـ قد سمّى مؤامرة المشركين مكرا، والمكرُ هو: التدبير في الخفاء، فهل يكونُ منه أن يجتمع ممثلو القبائل جميعا ماعدا بني عبد مناف، وفيهم أصهارهم وأصدقاؤهم الذين يُسارعون في نقل ماائتمروا به، فيفسد المراد، وهل يجوز أن يحضر في مثل هذا الأمر الخطير شخص غريب لايدرون عنه شيئا؟

هذا لبابُ ما قاله الأستاذ النجار، وأنا أضيف إليه، أنّ الثابت أنّ الاجتماع كان في دار الندوة، وهي المنتدىَ العامّ الذى أنشأه قصيٌّ بن كلاب تجاه البيت الحرام، لتُرسمَ فيها خطط قريش التجاريّة، ومايكونُ من عقود الزواج، أو إعلان الحرب، أو عقد التحالف، وكان من شروط روّادها، أن يتجاوزَ الواحدُ منهم سنّ الشباب إلى الكهولة، بحيثُ لا يَحضر غير المجربين من ذوي الحنكة والدهاء، فهل يعقل أن تُشترط الشروط الدقيقة في أصحاب الندوة ثم يطرقها شيخ لايعرف من أين جاء ليتصدّر المجتمعين، وليكونَ صاحبَ الترجيح فيما يُقال، فهو يعترض على الرأي الأوّل، ويخالف الرأى الثاني، ويختار رأى أبي جهل، فيكون اختياره موضع الحسم الصريح، وهو بعدُ، غريبٌ دخيل!!

---

(٢) سورة الأعراف آية: ٢٧

إن حديث الشيخ النجدي لايَثبتُ لنقاش، وأذكرُ أن الأستاذ محمد لطفي جمعة قد قال متهكما بصدده في كتابه (ثورة الإسلام) : يظهر أنَّ حضور الندوة كان مُباحاً للإنس والجنّ، حتى غشيها إبليس نفسه، وإذا كانَ شعراء أوروبا قد أشخصُوا إبليس في قصة فاوست لجيته، وهاملت لشكسبير بعدَ المسيح بسبعة عشر قرنا، فلا عجب إذا سبقهم العرب إلى ذلك، وفى اعتقادنا أنها خرافة تدل على أن زعيم القوم كان شيطانا.

ومن الحق أن نقول : إن تعقيب الأستاذ النجار، قد استغلّه كاتبٌ لاحق، دون أن يُشير إليه، وكأنه قد اهتدى إليه من ذات نفسه! وهذا مما يجبُ أن يكونَ موضع المؤاخذة إذ يلزمُ اللأحقَ أن يعترف بما نقل عن السابق، وهو اعترافٌ يَصفُهُ بالدقة والأمانة اللّتين ترفعانِ من قدره، أكثر مما يرفعه اختلاسٌ مشبوه.

ومن الطريف أن نذكر أنَّ بعض كتَّاب السيرة، وهو الصالحى صاحب (سبل الهدى والرشاد) قد ذكر فى الجزء الثانى من كتابه فى حديثه عن بناء قريش للكعبة، حين حكّمت رسول الله فى وضع الركن قبلَ مبعثه الشريف، ما خلاصته أنَّ إبليس قد تصوّر فى هيكل شيخ نجدىّ لينهيَ قريشا عن تحكيم محمد بن عبدالله! وإذنْ فلإبليسَ سابقةٌ أولى فى زيّه النجدى! عند بعض المؤرخين. وهذا ما يُستبعدُ تماما، إذ لو كان له من الحقيقة أصل ثابت، لتداوله كُتَّاب السيرة من قبل الصالحى ومن بعده وهم كثيرون.

-٣-

ونشير إلى ناحية أخرى مما سجّله الكاتبون عن حادث الهجرة، فقد عمد بعض أصحاب الروايات القصصية إلى أسلوب خيالى فى وصف الرحلة الشاقة التى قام بها رسول الله ﷺ مع صديقه أبى بكر فى أشد ضروب الكيد والحيطة من قريش، إذ تحدثوا عن هذه الرحلة المضنية وكأنها نزهةٌ ترفيهيّة، حيثُ إن عناية الله فى تصورهم قد مهدت الطريق دون عقبات، وأنا أعلم أن عناية الله قد حاطت نبيّه الكريم فى شتى المواقف، ولكنّ هذه العناية قد امتحنته بشتى الصعاب المرهقة، ليكون مثلا يحتذى عند الشدائد، فإذا كان الرسول قد تعرض للمحن فى مواقف كثيرة كيوم الهجرة ويوم أحد، ومطلع غزوة حنين، فذلك مما أراده الله لقائد الأمّة المحتذى، ودليلها البصير فى حالك الأزمات! وهذا ماغفل عنه من جعلوا رحلة الهجرة نائية عن المشاق، بعيدة عن العقبات، لقد كان هناك طريقان يسلكهما السائر من مكة إلى المدينة، الطريق الشرقى المحاذى لنجد، ويجاوز طوله ثلاثمائة ميل والطريق الغربى

المحاذى للبحر الأحمر ويبلغ مائتين وخمسين ميلاً، وطبيعى أن يكون الطريق القصير نسبيا هو المختار، ولكن الدليل لم يسر على سنته بالمهاجرين، فأخذ ينحرف عن الاتجاه المباشر يمنة ويسرة، كلما أحس بتربص المتابعين من قريش، وقد عينوا الأرصاد فى أماكن شتى، فكان هذا الانحراف المتكرر فى صحراء مرهقة، وجبال صماء، وقيظ محرق، ورياح تذرو الرمال، مما أمدَّ أجل الرحلة القاسية، فوصل الصاحبان إلى مشارف المدينة بعد ثمانية أيام لم تخلُ لحظةٌ فيها من عناء، ثم تلبثا ثلاثة أيام فى قباء، ينشدان الراحة من عناء مطبق، ليستقلا بعد ذلك إلى المدينة، فعلى الذين يكتبون السيرة بالأسلوب الروائى ألا يتجاوزوا هذه الحقائق لما تحمل من عبر ساطعات، ثم إن الاستقبال الحار للرسول بالمدينة لم يمنع بعد فترة قصيرة أن يضيق المهاجرون بجو المدينة الذى لم يألفوه فكان ممّن اشتد بهم المرض أبوبكر وبلال، وعامر ابن فهيرة، حتى أنشد الصديق فى مرضه:

كل امرئٍ مُصبَّح فى أهله والموت أدنى من شراك نعله

وقد تألم الرسول لما نزل بأصحابه فرفع يده إلى السماء قائلاً: «اللهم طيِّب لنا المدينة كما طيَّبت لنا مكة وبارك لنا فى مدّها وصاعها».

إن الهجرة درس من دروس الأخلاق العملية، ذات المشاق الجسام، وعلى الكاتبين أن يبرزوا هذه المشاق ليكون للمسلمين فى رسولهم بالغ الأسوة، وأى مشقة أقسى من هجرة فردٍ أعزل، تبذل قريش المتغطرسة مائة ناقة لمن يأتى به حيًا أو ميّتا! وهناك عشرات من خابرى الدروب، وعارفى منعرجات الطرق قد بهرهم الجزاء الضخم، فحدثتهم الأمانى أن ينهضوا فى كل فج، وأن يرصدوا كل مكمن، ليفوزوا بالغنم الهائل؛ وقد فعلوا، ولكن الله الذى أعمى أبصارهم، وهم أمام حجرة الرسول ليلة هجرته، قد أعمى أبصارهم، فعادوا خاسرين.

هذا بعض ما يقال فى حديث الهجرة، وخواطر المؤمنين حول حادثها السعيد، لا تقف عند حد، فلعلّى أعود إليها من جديد.

د./ محمد رجب البيومى

من وحى الهجرة

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

بمناسبة ذكرى هجرة رسول الله ﷺ نقدم هذه الآيات من تفسير فضيلة الإمام الأكبر لسورة التوبة بدءاً من الآية رقم ٣٨ إلى الآية رقم ٤٠.

وقد بدأت الآيات حديثها عن غزوة تبوك بتوجيه نداء إلى المؤمنين نعت فيها على المتثاقلين عن الجهاد، وحرضت عليه بشتى ألوان التحريض.

قال الله - تعالى -: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ
إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ
فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (٣٨)
إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا
غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ (٣٩) إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ
الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ
يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ
اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا
وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ
وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

التوبة: ٣٨ - ٤٠

قال الإمام ابن كثير: هذا شروع في عتاب من تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، حين طابت الثمار والظلال في شدة الحر، وحمارة القيظ[1].

وتبوك: اسم لمكان معروف في أقصى بلاد الشام من ناحية الجنوب، ويبعد عن المدينة المنورة من الجهة الشمالية بحوالي ستمائة كيلو متر.

وكانت غزوة تبوك في شهر رجب من السنة التاسعة، وهي آخر غزوة لرسول الله ﷺ.

وكان السبب فيها أن الرسول ﷺ بلغه أن الروم قد جمعوا له جموعا كثيرة على أطراف الشام، وأنهم يريدون أن يتجهوا إلى الجنوب لمهاجمة المدينة.

فاستنفر ﷺ الناس إلى قتال الروم، وكان ﷺ قلما يخرج إلى غزوة إلا ورى بغيرها حتى يبقى الأمر سرا.

ولكنه في هذه الغزوة صرح للمسلمين بوجهته وهي قتال الروم، وذلك لبعد المسافة، وضيق الحال، وشدة الحر، وكثرة العدو.

وقد لبى المؤمنون دعوة رسولهم ﷺ لقتال الروم، وصبروا على الشدائد، والمتاعب وبذلوا الكثير من أموالهم، ولم يتخلف منهم إلا القليل.

أما المنافقون وكثير من الأعراب، فقد تخلفوا عنها، وحرضوا غيرهم على ذلك، وحكت السورة – في كثير من آياتها – ما كان منهم من جبن ومن تخذيل الناس عن القتال، ومن تحريض لهم على القعود وعدم الخروج.

«وبعد أن وصل الرسول ﷺ والمؤمنون إلى تبوك، لم يجدوا جموعا للروم. فأقاموا هناك بضع عشرة ليلة، ثم عادوا إلى المدينة»[2].

وقوله – سبحانه –: ﴿ٱنفِرُواْ﴾ من النفر وهو التنقل بسرعة من مكان إلى مكان لسبب من الأسباب الداعية لذلك.

يقال: نفر فلان إلى الحرب ينفر، وينفر نفراً ونفوراً، إذا خرج بسرعة ويقال: استنفر الإمام الناس، إذا حرضهم على الخروج للجهاد. ومنه قوله ﷺ:

«وإذا استنفرتم فانفروا» أي: وإذا دعاكم الإمام معه للجهاد فاخرجوا معه بدون تثاقل.

واسم القوم الذين يخرجون للجهاد: النفير والنفرة والنفر.

ويقال: نفر فلان من الشيء، إذا فزع منه، وأدبر عنه، ومنه قوله – تعالى –:

﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾[3]

وقوله: ﴿ٱثَّاقَلْتُمْ﴾: من الثقل ضد الخفة. يقال: تثاقل فلان عن الشيء، إذا تباطأ عنه ولم يهتم به.. ويقال: تثاقل القوم: إذا لم ينهضوا

---

(١) تفسير ابن كثير (٣٩/٢) بتصرف وتلخيص.

(٢) لمعرفة تفاصيل غزوة تبوك راجع «سيرة ابن هشام» (١٥٩/٤) طبعة الحلبي.

(٣) سورة الإسراء، الآية (٤٦).

لنجدة المستجير بهم. وأصل ﴿ اثَّاقَلْتُمْ ﴾ تثاقلتم، فأبدلت التاء ثاء ثم أدغمت فيها، ثم اجتلبت همزة الوصل من أجل التوصل للنطق بالساكن.

والمعنى: يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله:

﴿ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ﴾

أي: ما الذي جعلكم تباطأتم عن الخروج إلى الجهاد، حين دعاكم رسولكم ﷺ إلى قتال الروم، وإلى النهوض لإعلاء كلمة الله، ونصرة دينه؟

وقد ناداهم - سبحانه - بصفة الإيمان، لتحريك حرارة العقيدة في قلوبهم، وتوجيه عقولهم إلى ما يستدعيه الإيمان الصادق من طاعة لله ولرسوله. والاستفهام في قوله:

﴿ مَا لَكُمْ ﴾ لإنكار واستبعاد صدور هذا التثاقل منهم، مع أن هذا يتنافى مع الإيمان والطاعة.

قال الجمل: و﴿ مَا ﴾ مبتدأ، و﴿ لَكُمْ ﴾ خبره، وقوله: ﴿ اثَّاقَلْتُمْ ﴾ حال. وقوله:

﴿ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ﴾ ظرف لهذه الحال مقدم عليها. والتقدير: أي شيء ثبت لكم من الأعذار. حال كونكم متثاقلين في وقت قول الرسول لكم: انفروا في سبيل الله[1].

وقوله: ﴿ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ متعلق بقوله:

﴿ اثَّاقَلْتُمْ ﴾ على تضمينه معنى الميل إلى الراحة، والإخلاد إلى الأرض، ولذا عدي بإلى. أي: اثاقلتم مائلين إلى الراحة وإلى شهوات الدنيا الفانية، وإلى الإقامة بأرضكم ودياركم، وكرهتم الجهاد مع أنه ذروة سنام الإسلام.

وإن التعبير بقوله - سبحانه -:

﴿ اثَّاقَلْتُمْ ﴾ لفي أسمى درجات البلاغة، وأعلى مراتب التصوير الصادق، لأنه بلفظه وجرسه يمثل الجسم المسترخي الثقيل الذي استقر على الأرض.. والذي كلما حاول الرافعون أن يرفعوه عاد إليه ثقله فسقط من بين أيديهم، وأخلد إلى الأرض.

وذلك لأن ما استولى عليه من حب للذائذ الدنيا وشهواتها، أثقل بكثير من حبه لنعيم الآخرة وخيراتها.

وقوله سبحانه -:

﴿ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ﴾

إنكار آخر لتباطئهم عن الجهاد، وتعجب من ركونهم إلى الدنيا مع أن إيمانهم يتنافى مع ذلك.

وقوله:

﴿ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾

بيان لحقارة متاع الدنيا بالنسبة لنعيم الآخرة الدائم.

والمعنى: أي شيء حال بينكم، أيها المؤمنون، وبين المسارعة إلى الجهاد عندما دعاكم رسولكم ﷺ إليه. أرضيتم براحة الحياة الدنيا ولذائذها الناقصة.

---

(1) حاشية الجمل على الجلالين (٢/٢٨٢).

إن كان أمركم كذلك، فقد أخطأتم الصواب، لأن متاع الحياة الدنيا مهما كثر فهو قليل مستحقر بجانب متاع الآخرة الباقي، ونعيمها الخالد.

قال الآلوسي ما ملخصه: ﴿ فِي ﴾ من قوله:

﴿ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْءَاخِرَةِ ﴾.

تسمى بفى القياسية. لأن المقيس يوضع في جنب ما يقاس به. وفى ترشيح الحياة الدنيا بما يؤذن بنفاستها، ويستدعى الرغبة فيها، وتجريد الآخرة عن مثل ذلك مبالغة في بيان حقارة الدنيا ودناءتها وعظم شأن الآخرة ورفعتها.

وقد أخرج أحمد ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم عن المستورد، أخى بنى فهر، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم إصبعه هذه في اليم، فلينظر بم ترجع»[٥].

وقال الفخر الرازي: اعلم أن هذه الآية تدل على وجوب الجهاد في كل حال، لأنه سبحانه نص على أن تثاقلهم عن الجهاد أمر منكر، ولو لم يكن الجهاد واجبا لما كان هذا التثاقل منكرا. وليس لقائل أن يقول: الجهاد إنما يجب في الوقت الذي يخاف هجوم الكفار فيه، لأنه ﷺ، ما كان يخاف الروم عليه، ومع ذلك فقد أوجب الجهاد معهم.. وأيضا هو واجب على الكفاية، فإذا قام به البعض سقط عن الباقين. والخطاب في الآية للمؤمنين الذين تقاعسوا في الخروج إلى غزوة تبوك مع رسول الله ﷺ[٦].

ثم هددهم - سبحانه - بالعذاب الأليم، إن لم ينفروا للجهاد في سبيله فقال:

﴿ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ﴾

أى: ﴿ إِلَّا تَنفِرُوا۟ ﴾، أيها المؤمنون، للجهاد كما أمركم رسولكم ﴿ يُعَذِّبْكُمْ ﴾ الله ﴿ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ في الدنيا بإنزال المصائب، بكم، وفى الآخرة بنار جهنم.

وقوله: ﴿ وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ أى: ويستبدل بكم قوما يطيعون رسوله في العسر واليسر، والمنشط والمكره.. كما قال:

﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴾[٧].

قال صاحب المنار: قيل المراد بهؤلاء القوم: أهل اليمن، وقيل: أهل فارس وليس في محله، فإن الكلام للتهديد، والله يعلم أنه لا يقع الشرط ولا جزاؤه.

وإنما المراد يطيعونه - سبحانه - ويطيعون رسوله، لأنه قد وعده بالنصر وإظهار دينه، فإن لم يكن هذا الإظهار بأيديكم. فلابد أن يكون بأيدى غيركم ﴿ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ﴾[٨].

وقد مضت سنته تعالى بأنه لا بقاء للأمم التي تتثاقل عن الدفاع عن نفسها وحفظ حقيقتها

---

(٥) تفسير الآلوسي (١٠/٨٥).

(٦) تفسير الفخر الرازي (بتصرف وتلخيص) (١٦/٦٠).

(٧) سورة محمد الآية (٣٨).

(٨) سورة الحج (٤٧).

وسيادتها، ولا تتم فائدة القوة الدفاعية والهجومية إلا بطاعة الإمام، فكيف إذا كان الإمام والقائد هو النبي الموعود من ربه بالنصر[9].

والضمير في قوله: ﴿ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ﴾ يعود إلى الله تعالى -.

أي: إن تباطأتم أيها المؤمنون عن الجهاد، يعذبكم الله عذاباً أليماً ويستبدل بكم قوماً سواكم لنصرة نبيه، ولن تضروا الله شيئاً من الضرر بسبب تقاعسكم. لأنكم أنتم الفقراء إليه، وهو سبحانه الغني الحميد.

وقيل: الضمير يعود للرسول ﷺ أي: ولا تضروا الرسول شيئاً ما من الضرر بسبب تثاقلكم عن الجهاد، لأن الله قد وعده بالنصر ووعده كائن لا محالة.

وقوله: ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

تذييل مؤكداً لما قبله.

أي: والله تعالى -: على كل شيء من الأشياء قدير، ولا يعجزه أمره، ولا يحول دون نفاذ مشيئته حائل، فامتثلوا أمره لتفوزوا برضوانه.

فأنت ترى أن هذه الآية وسابقتها قد اشتملت على أقوى الأساليب التي ترغب في الجهاد، وترهب من النكوص عنه، وتبعث على الطاعة لله ولرسوله.

ثم ذكرهم - سبحانه - بما يعرفونه من حال الرسول ﷺ حيث نصره الله تعالى على أعدائه بدون عون منهم، وأيده بجنود لم يروها فقال:

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ ﴾.

قال ابن جرير: هذا إعلام من الله لأصحاب رسوله ﷺ أنه المتوكل بنصر رسوله على أعداء دينه، وإظهاره عليهم دونهم، أعانوه أو لم يعينوه، وتذكير منه لهم بأنه فعل ذلك به، وهو من العدد في قلة، والعدو في كثرة فكيف به وهو من العدد في كثرة والعدو في قلة[10].

والمعنى: إنكم أيها المؤمنون، إن آثرتم القعود والراحة على الجهاد وشدائده، ولم تنصروا رسولكم الذي استنفركم للخروج معه. فاعلموا أن الله سينصره بقدرته النافذة، كما نصره، وأنتم تعلمون ذلك، وقت أن أخرجه الذين كفروا من مكة ﴿ ثَانِيَ اثْنَيْنِ ﴾ أي: أحد اثنين.

والثاني: أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

يقال: فلان ثالث ثلاثة، أو رابع أربعة. أي: هو واحد من الثلاثة أو من الأربعة.

فإذا قيل: فلان رابع ثلاثة أو خامس أربعة، فمعناه أنه صير الثلاثة أربعة بإضافة ذاته إليهم، أو صير الأربعة خمسة.

وأسند - سبحانه - الإخراج إلى المشركين مع أن الرسول ﷺ قد خرج بنفسه بإذن من الله - تعالى - لأنهم السبب في هذا الخروج حيث اضطروه إلى ذلك، بعد أن تآمروا على قتله.

قيل: وجواب الشرط في قوله:

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ ﴾ محذوف وقوله:

﴿ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ ﴾ تعليل لهذا المحذوف.

---

(9) تفسير المنار (10/595) بتصرف وتلخيص.

(10) تفسير ابن جرير (10/135).

والتقدير: إلا تنصروه ينصره الله في كل حال.

﴿ فَقَدْ نَصَرَهُ ﴾ سبحانه وقت أن أخرجه الكافرون من بلده ولم يكن معه سوى رجل واحد.

وقال صاحب الكشاف: فإن قلت: كيف يكون قوله: ﴿ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ جوابا للشرط؟.

قلت: «فيه وجهان» أحدهما: إلا تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه إلا رجل واحد. ولا أقل من الواحد، فدل بقوله:

﴿ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ على أنه ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت.

والثاني: أنه أوجب له النصرة وجعله منصورا في ذلك الوقت. فلن يخذل من بعده(١١).

وقوله: ﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ ﴾ حال من الهاء في قوله ﴿ أَخْرَجَهُ ﴾ أى أخرجه الذين كفروا حال كونه منفرداً عن جميع الناس إلا أبا بكر الصديق - رضي الله عنه -.

وقوله: ﴿ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ ﴾ بدل من قوله: ﴿ إِذْ أَخْرَجَهُ ﴾.

والغار: النقب العظيم يكون في الجبل. والمراد به هنا: غار جبل ثور. وهو جبل في الجهة الجنوبية لمكة، وقد مكثا فيه ثلاثة أيام.

وقوله:

﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾

بدل ثان من قوله: ﴿ إِذْ أَخْرَجَهُ ﴾.

أى: إلا تنصروه فقد نصره الله وقت أن أخرجه الذين كفروا من مكة، ووقت أن كان هو وصاحبه أبو بكر في الغار، ووقت أن كان ﷺ يقول لصاحبه الصديق: «لا تحزن إن الله معنا بتأييده ونصره وحمايته».

وذلك أن أبا بكر وهو مع النبي ﷺ في الغار، أحس بحركة المشركين من فوق الغار، فخاف خوفا شديدا لا على حياته هو، وإنما على حياة النبي ﷺ فلما رأى النبي ﷺ منه ذلك، أخذ في تسكين روعه وجزعه وجعل يقول له:

﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾.

أخرج الشيخان عن أبي بكر قال: نظرت إلى أقدام المشركين ونحن في الغار، وهم على رءوسنا فقلت. يارسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه، فقال: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما، لا تحزن إن الله معنا»(١٢).

وقوله:

﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾

بيان لما أحاط الله به نبيه ﷺ من مظاهر الحفظ والرعاية.

---

(١١) تفسير الكشاف (٢/٢٧٢).

(١٢) أخرجه البخاري في تفسير سورة التوبة (٦/٨٣) وأخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة (٧/١٠٨).

والسكينة: من السكون، وهو ثبوت الشيء؛ بعد التحرك. أو من السكن بالتحريك وهو كل ما سكنت إليه نفسك، واطمأنت به من أهل وغيرهم.

والمراد بها هنا: الطمأنينة التي استقرت في قلب النبي ﷺ فجعلته لا يبالي بجموع المشركين المحيطين بالغار، لأنه واثق بأنهم لن يصلوا إليه.

والمراد بالجنود المؤيدين له. الملائكة الذين أرسلهم سبحانه لهذا الغرض: والضمير في قوله: ﴿عَلَيْهِ﴾ يعود إلى النبي ﷺ.

أي: فأنزل الله سكينته وطمأنينته وأمنه على رسوله ﷺ وأيده وقواه بجنوده من الملائكة لم تروها أنتم، كان من وظيفتهم حراسته وصرف أبصار المشركين عنه.

ويرى بعضهم أن الضمير في قوله:

﴿عَلَيْهِ﴾ يعود إلى أبي بكر الصديق، لأن الأصل في الضمير أن يعود إلى أقرب مذكور، وأقرب مذكور هنا هو الصاحب ولأن الرسول لم يكن في حاجة إلى السكينة. وإنما الذي كان في حاجة إليها هو أبو بكر، بسبب ما اعتراه من فزع وخوف.

وقد رد أصحاب الرأي الأول على ذلك بأن قوله: ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ الضمير فيه لا يصح إلا للنبي ﷺ وهو معطوف على ما قبله فوجب أن يكون الضمير في قوله: ﴿عَلَيْهِ﴾ عائدا إلى النبي ﷺ حتى لا يحصل تفكك في الكلام.

أما نزول السكينة فلا يلزم منه أن يكون لدفع الفزع والخوف، بل يصح أن يكون لزيادة الاطمئنان، وللدلالة على علو شأنه ﷺ.

قال ابن كثير قوله:

﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾ أي. تأييده ونصره عليه أي. على الرسول ﷺ في أشهر القولين. وقيل. على أبي بكر.

قالوا: لأن الرسول ﷺ لم تزل معه سكينة، وهذا لا ينافي تجدد سكينة خاصة بتلك الحال، ولهذا قال: ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ أي: الملائكة[١٣].

وقوله:

﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾

بيان لما ترتب على إنزال السكينة والتأييد بالملائكة.

وقوله بكلمة ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾. كلمة الشرك، أو كلمتهم التي اجتمعوا عليها في دار الندوة وهي اتفاقهم على قتل رسول الله ﷺ.

والمراد بكلمة الله: دينه الذي ارتضاه لعباده، وهو دين الإسلام، وما يترتب على اتباع هذا الدين من نصر وحسن عاقبة، أي: كانت نتيجة إنزال السكينة والتأييد بالملائكة، أن جعل كلمة

(١٣) تفسير ابن كثير (٢/٣٥٨).

الشرك هي السفلى، أي. المقهورة الذليلة. وكلمة الحق والتوحيد المتمثلة في دين الإسلام هي العليا أي: هي الثابتة الغالبة النافذة.

وقراءة الجمهور برفع ﴿كَلِمَةُ﴾ على الابتداء. وقوله: ﴿هِيَ﴾ مبتدأ ثان: وقوله: ﴿ٱلۡعُلۡيَا﴾ خبرها، والجملة خبر المبتدأ الأول.

ويجوز أن يكون الضمير ﴿هِيَ﴾ ضمير فصل، وقوله: ﴿ٱلۡعُلۡيَا﴾ هو الخبر وقرأ الأعمش ويعقوب ﴿وَكَلِمَةَ ٱللَّهِ﴾ بالنصب عطفا على مفعول جعل وهو:

﴿كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾.

أي: وجعل كلمة الذين كفروا السفلى، وجعل كلمة الله هي العليا.

قالوا: وقراءة الرفع أبلغ وأوجه، لأن الجملة الأسمية تدل على الدوام والثبوت، ولأن الجعل لم يتطرق إلى الجملة الثانية وهي قوله:

﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَا﴾ لأنها في ذاتها عالية ثابتة، بدون جعلها كذلك في حادثة معينة. بخلاف علو غيرها فهو غير ذاتي، وإنما هو علو مؤقت في حال معينة، ثم مصيرها إلى الزوال والخذلان بعد ذلك.

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ تذييل مقرر لمضمون ما قبله.

أي: والله تعالى: ﴿عَزِيزٌ﴾ لا يغلبه غالب، ولا يقهره قاهر، ولا ينصر من عاقبه ناصره ﴿حَكِيمٌ﴾ في تصريفه شأن خلقه، لا قصور في تدبيره، ولا نقص في أفعاله.

هذا، ومن الأحكام التي أخذها العلماء من هذه الآية: الدلالة على فضل أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - وعلى علو منزلته، وقوة إيمانه، وشدة إخلاصه لله تعالى ولرسوله ﷺ.

ومما يشهد لذلك، أن الرسول ﷺ عندما أذن الله له بالهجرة، لم يخبر أحدا غيره لصحبته في طريق هجرته إلى المدينة.

ولقد أظهر الصديق - رضي الله عنه - خلال مصاحبته للرسول ﷺ الكثير من ألوان الوفاء والإخلاص وصدق العقيدة(١٤).

قال الآلوسي ما ملخصه: واستدل بالآية على فضل أبي بكر. فإنها خرجت مخرج العتاب للمؤمنين ما عدا أبا بكر. فعن الحسن قال: عاتب الله جميع أهل الأرض غير أبي بكر فقال:

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ الآية.

ولأن فيها النص على صحبته للرسول ﷺ ولم يثبت ذلك لأحد من الصحابة: لأنه هو المراد بالصاحب في قوله: ﴿إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ وهذا مما وقع عليه الإجماع.

---

(١٤) راجع قصة الهجرة في كتاب السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٨٠) طبعة مصطفى الحلبي سنة ١٩٥٥.

هجرة الرسول والطبع العربي (*)

للأستاذ الدكتور / علي عبد الواحد وافي

إعداد الشيخ / علي حامد عبد الرحيم

زود الله الشعب العربي المجيد بصفتين كريمتين لعلهما لم يتوافرا في أي شعب آخر بمقدار توافرهما لديه: إحداهما شدة التعلق بالوطن الأصلي؛ والأخرى شدة الميل إلى التنقل والهجرة. وشاءت قدرة البارىء الحكيم ـ وقد كرم هذا الشعب، وفضله على كثير من خلقه تفضيلا، وخصه في سلم الرقي الاجتماعي واللغوي بأمور تعد من قبيل المعجزات ـ أن يخصه بمعجزة أخرى في ميوله النفسية، فزوده بهذين الميلين المتضادين المتنافرين (التعلق بالوطن والميل إلى الهجرة)، ولكنه ألف بينهما في نفوس أفراده، فأصبحا بنعمته منسجمين تمام الانسجام، يشد كلاهما أزر الآخر ويكمل نقصه ويخفف من غلوائه.

فما كان العربي لتنسيه هجرته حقوق وطنه الأول، ولا لتنال من مكانته عنده، أو تنقص من حبه له أو حنينه إليه.

وما كان تعلقه بوطنه الأول ليحول بينه وبين الهجرة منه إذا كان في هجرته رفع لشأن بلاده، أو توسيع لرقعة ملكها، أو مد لنفوذها وسلطانها، أو تخفيف من أعبائها، أو دفاع عن مذهب يقتنع به، أو فرار من ضيم أصابه، أو ابتغاء للرزق، أو سعي لبغية المكارم والمجد. وفي هذا يقول الشنفرى شاعرهم الجاهلي:

وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى
وفيها لمن خاف القلى متحول
لعمرك ما بالأرض ضيق على امرىء
سرى راغباً أو راهباً وهو يعقل

ويقول أدباء العرب: إن أقذع ذم وُجّه إلى عربي هو قول الحطيئة يهجو الزبرقان بن بدر ويناضل عن بغيض بن لأي:

(*) مجلة الرسالة (العدد الممتاز) ٦ يناير سنة ١٩٤٧.

دع المكارم لاترحل لبـغـيـتـهـا
واقـعـد فـإنك أنت الطاعم الكاسي

اما حبهم لاوطانهم الاولى، وشدة حنينهم إليها، فلا أدل على ذلك من حنين الرسول ﷺ إلى مكة بعد هجرته منها، مع أن أهلها قد أخرجوه منها وناوءوه وشيعته سوء العذاب، ومع أنه قد كان في هجرته منها نشر للإسلام وتوطيد لدعائمه. فقد روى أن أصيلا الغفارى قدم المدينة على رسول الله ﷺ من مكة قبل أن يضرب الحجاب؛ فقالت له عائشة: «كيف تركت مكة؟»؛ فقال: «اخضرت جنباتها، وابيضت بطحاؤها، وأحجن ثمامها، وأغدق إذخرها، وانشر سلمها[1]»؛ فقال رسول الله ﷺ وقد أثار هذا حنينه إلى وطنه الأصلي: (حسبك يا أصيل لاتحزني» وفي رواية: «إيهاً يا أصيل! تدع القلوب تقر»[2]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ في مكة: «ما أطيبك من بلد وأحبك إليّ ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك». وعن الضحاك رضي الله عنه أنه قال: «لما خرج النبي ﷺ من مكة فبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة، فأنزل -الله تعالى- عليه:

﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ﴾[3]

(قال إلى مكة)[4]، ولا أدل كذلك على حب العرب لأوطانهم الأولى وشدة حنينهم إليها من عنايتهم في وثنيتهم بالحج إلى مكة، حتى لقد ارتقت هذه الشعيرة لديهم إلى مصاف الفرائض الدينية الهامة. وما الحج في نشأته الأولى إلا مظهر من مظاهر حنين العرب إلى وطنهم الأول ومنشأ أجدادهم الأولين وهو الحجاز. فمن المحقق أن الحجاز كان المهد الأصلي للشعب العربي، ومنه انتشر هذا الشعب الكريم في جميع أنحاء الجزيرة العربية وغيرها من بلاد العالم.

وأما شدة ميلهم إلى الهجرة كلما دعاهم إلى ذلك داع جدى فلا أدل عليه من هجراتهم المتوالية في فجر تاريخهم وفي عصور جاهليتهم وإسلامهم.

فمن الحجاز واليمن اتجهت في فجر التاريخ موجات الهجرة العربية إلى مختلف أنحاء الجزيرة العربية وإلى غيرها من بلاد العالم.

فمن هذا القسم نزح الساميون إلى العراق وغزوا بلاد السومريين وغلبوهم على أمرهم وأنشأوا مملكة بابل - ومن هذا القسم كذلك نزح

---

(١) أحجن أي بدا ورقه. والثمام على وزن غراب نبت يسد به خصاص البيوت الواحدة ثمامة. وأغدق أي أزهر. والإذخر حشيشة طيبة الرائحة تسقف بها البيوت فوق الخشب. وانشر أي خرج ورقه واكتسى. والسلم والطلح واحد. والحديث مروى عن الخطابي في غريب الحديث عن الزهري.

(٢) أخرجه الترمذي. (٣) القصص (٨٥).

(٤) رواه الإمام أحمد، قال أخبرنا أبوسلمة بن عبدالرحمن أن عبدالله بن عدى بن الحمراء أخبره أنه سمع النبي ﷺ ... إلخ

الساميون إلى الشمال فتكونت من سلالاتهم الشعوب التي عرفت باسم الشعوب الكنعانية وهي التي تفرع منها الفينيقيون والعبريون - ومن هذا القسم كذلك هاجر بعض قبائل الإسماعيليين (أي أولاد إسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام -) إلى خليج العقبة حيث تكون من سلالاتهم الشعب النبطي وهو مخترع الخط النبطي المتصل الحروف الذي انشعب منه خطنا العربي الحالي - ومن هذا القسم كذلك هاجر عرب الرعاة أو الهكسوس إلى مصر حيث أنشئوا ملكا كبيراً ونشروا حضارتهم العربية على ضفاف النيل - ومن هذا القسم كذلك هاجر في أقدم العصور قبائل عربية كثيرة إلى الهند والحبشة والسودان وشمال أفريقيا وشرقها - ومن هذا القسم كذلك هاجر في أوائل التاريخ الميلادي بعض القبائل المعدية (أولاد معد) التي كانت تقطن الحجاز إلى الشام، وبعض القبائل القحطانية التي كان موطنها اليمن إلى الشمال والشرق. فنزلت منها غسان بالشام والأوس والخزرج بالمدينة (وهاتان القبيلتان الأخيرتان قحطانيتان هاجرتا من اليمن إلى المدينة وإليهما هاجر الرسول ﷺ وفيهما تكون الأنصار رحمة - الله عليهم ورضوانه -).

وكذلك كان شأن العرب في عصورهم التاريخية السابقة للإسلام مباشرة، والتي اشتهرت باسم العهد الجاهلي. وقد جمعت لنا كتب الأدب طائفة كبيرة من أخبار هجراتهم وتنقلاتهم إلى مختلف أرجاء الجزيرة العربية وإلى غيرها من بلاد العالم؛ حتى إننا لانكاد نجد قبيلة استقرت في موطنها الأصلي. وقد ساعد على تتابع هجراتهم وكثرة تنقلاتهم عدم خصوبة أرضهم، واشتغال معظمهم بمهنة الرعي، وسعيهم وراء الكلأ والماء وساعد على ذلك أيضا كثرة حروبهم الأهلية التي لم يكد يخمد لها سعير في هذه العصور؛ فكانت القبيلة التي تكون في موطنها عرضة للعدوان أو تغلب على أمرها تنزح في الغالب عن ديارها؛ كما حدث لمعظم بطون تغلب بعد أن هزمتها بكر في حرب البسوس.

أما هجراتهم بعد الإسلام فحدث عنها ولا حرج؛ فقد انتشروا في جميع بلاد العالم المتحضر في ذلك العصر من الصين شرقا إلى الأندلس غرباً، ومن أقاصي السودان جنوبا إلى آسيا الصغرى والبلقان وفرنسا وإسبانيا شمالاً، فنشروا في هذه البلاد دينهم وأخلاقهم وتقاليدهم ودمهم العربي، وأسسوا بنيان ملكهم فيها على تقوى من الله ورضوان وفي هذا يقول شاعرهم الرحالة أبودلف (وهو خزرجي من سلالة الأنصار الكرام):

فنحن الناس كل الناس في البر وفي البحر
أخذنا جزية الخلق ... من الصين إلى مصر
إلى طنجة بل في كل أرض خيلنا تسرى
إذا ضاق بنا قطر ... نزل عنه إلى قطر
لنا الدنيا بما فيها ... من الإسلام والكفر

فلم يكن إذن حادث هجرة الرسول ﷺ وجماعة من أصحابه من مكة إلى المدينة غريبا على الطبع العربي؛ بل كان هذا الطبع يحتمه تحتيما في مثل الظروف التي تمت فيها هذه الهجرة، كما حتم من قبل ذلك في ظروف مشابهة لهذه الظروف هجرة نفر إلى

بلاد الحبشة وإلى المدينة نفسها من السابقين الأولين إلى الإسلام. فقد أشرنا فيما سبق إلى أن العربي كان يندفع بطبعه إلى الهجرة من بلاده إذا دعاه إلى ذلك داع من مصلحة عامة أو خاصة أو أصابه ضيم بين عشيرته وهذه الأسباب جميعا كانت متوافرة في هجرة الرسول ﷺ.

ومع أن أهل المدينة كانوا يتألفون حينئذ من قبائل قحطانية تختلف في أصولها الشعبية عن القبائل العدنانية التي ينتمي إليها الرسول ﷺ فقد آثر الهجرة إليهم دون غيرهم لأسباب كثيرة أهمها في نظري ثلاثة أسباب:

أحدها: أن أخوال أبيه - عليه السلام - كانوا قحطانيين من أهل المدينة فكان طبيعيا، حسب مألوف العرب، وقد خذله عصبيته وساموه سوء العذاب ووقفوا في سبيل دعوته، أن يلجأ إلى بعض فروع خئولته يلتمس منهم العون والحماية فالخئولة أقرب الناس إلى العربي بعد عمومته. بل يظهر أن العرب في مرحلة ما من أقدم مراحل تاريخهم كانت لحمة نسبهم بخئولتهم أوثق من لحمة نسبهم بعمومتهم.

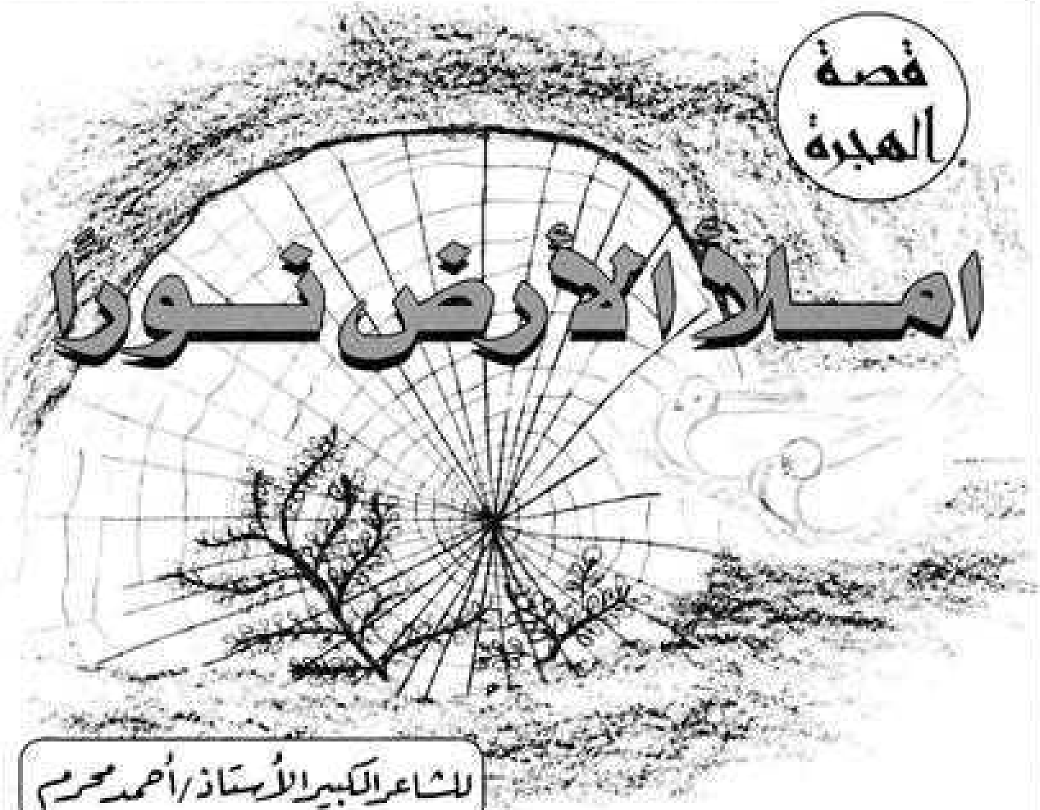
وثانيها: أنه قد آمن به قبل هجرته عدد كبير من أهل المدينة وبايعوه على الدفاع عن دينه فكان طبيعيا أن يؤثرهم على غيرهم بهجرته ويتخذ منهم أنصاراً لنشر رسالته:

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(٥)

وثالثها: أن أهل المدينة وضواحيها كانوا أكثر استعداداً لقبول فكرة التوحيد التي جاء بها الدين الإسلامي من بقية أهل الحجاز ولعل السبب في ذلك يرجع إلى كثرة احتكاكهم بالموحدين من اليهود والنصارى الذين كانت تتألف منهم حينئذ جاليات كبيرة عربية وغير عربية في المدينة نفسها وفيما يتاخمها من مواطن، صحيح أنه قد ظهرت بمكة قبيل الإسلام مدرسة الحنيفيين الموحدين الذين انحرفوا عن الشرك والوثنية (ومن أجل ذلك سموا بالحنيفيين أي المنحرفين) وعبدوا الله وحده على ملة إبراهيم وأقاموا الصلاة وصاموا رمضان وكان من هؤلاء محمد بن عبدالله نفسه قبل أن يبعث رسولا، كما كان منهم نفر من قريش، ولكن أعضاء هذه المدرسة كانوا يتألفون من بعض النابهين والمتفلسفين من سكان مكة، أما دهماء الشعب نفسه فكانت شديدة التعلق بدينها الوثني، سادرة في ضلالها القديم، تقتفي آثار آبائها فيما كانوا يعبدون وهذا هو عكس ما كان عليه الأمر في المدينة فمع أنه لم ينشأ في الأوس والخزرج مدرسة متفلسفة كمدرسة الحنيفيين بمكة فإن السواد الأعظم من الشعب نفسه كان مهيئا تهيئة كبيرة لعقيدة التوحيد.

---

(٥) الحشر (٩)



قصة الهجرة

املأ الأرض نورا

للشاعر الكبير الأستاذ/ أحمد محرم

املأ الأرض يا (محمد) نورا ... واغمر الناس حكمة والدهورا
حجبتك الغيوب سرا تجلى ... يكشف الحجب كلها والستورا
عبّ سيلُ الفساد في كل واد ... فتدفق عليه حتى يغورا
جئت ترمي غُثاءه بعباب ... راح يطوي سُيوله والبحورا
ينقذ العالم الغريق ويحمي ... أمم الأرض أن تذوق الثبورا
زاخر يشمل البسيطة مدا ... ويعم السبع الطباق هديرا
ولدتك الكواكب الزهر فجراً ... هاشميّ السنا، وصبحا منيرا

يصدع الغيهب المجلّل بالوحي الملقى ويكشف الديجورا

أنكر الناس ربهم وتولوا　　يحسبون الحياة إفكا وزورا
أين من شرعة الحياة أناس　　جعلوا البغي شرعة والفجورا؟
تلك أربابهم، أتملك أن تنـ　　ـفع مثقال ذرة أو نقيرا؟
قهروها صناعة، أعجبْ الأر　　باب ما كان عاجزًا مقهورا
ما لدى (اللات) أو (مناة) أو (العزى) غناءٌ لمن يقيس الأمورا
جاءدين الهدى وهبَّ (رسول الله) يحمي لواءه المنشورا
ضرب الكفر ضربة زلزلته　　فتداعى، وكان خطبًا عسيرا
جثمتْ حوله الحصونُ وظن الـقومُ ظن الغباء أن لن تطيرا
هدَّها ذو الجلال حصنًا فحصنًا　　بالحصون العلى، وسورًا فسورا
بالرسول الهادي وبالصفوة الأمـ　　ـجاد يقضون حقه الموفورا
يهرقون النفوس، تلقى الردى المهـ　　ـراق مثل الغدير يلقى الغديرا
إن في القتل للشعوب حياة　　وارفًا ظلها، وخيرًا كثيرا
ليس من يركب الدنية يخشى　　مركب الموت بالحياة جديرا

***

أمن الحق أن تصدَّ قريشٌ　　عن فتاها وأن تُطيل النكيرا؟
سل (أبا جهلها) وقومًا دعاهم　　فاستجابوا جهالة وغرورا؟
أولعوا بالأذى فألفوا رسول الله جلدًا على البلاء صبورا
كلما أحدثوا الذنوب كبارًا　　وجدوه لكل ذنب غفورا
ما به نفسُه فيغضبُ يرضيها وترضيه ناعمًا مسرورا
إنه الله لا سواه، ودينٌ　　ملك النفس، واسترق الشعورا
يجدُ الناس والمقادير فيه　　ويرى ما عداه شيئًا يسيرا
أجمعوا أمرهم وقالوا هو القتلُ يميط الأذى ويشفي الصدورا
كذبوا، ما دمُ الهزبر أماني مهازير يكثرون الهريرا
إنَّ نفس الرسول أمنعُ جارًا　　من طواغيتهم وأقوى مجيرا

رَبُّ آتيتَه على القوم نصرا ... فتباركتَ حافظا ونصيرا

أنت نجَّيته فهاجر يقضي الـ ... ـحق لا خائفا ولا مذعورا

يومَ ضجَّت جبال (مكة) ذعرًا ... وتمنت هضابها أن تمورا

تتنزّى أسى وتمسكها تمـ ... ـنعها من ورائه أن تسيرا

هي لولاك لارتمت تقذف الصخـ ... ـر وتزجي هباءها المنثورا

هاجها من جوى الفراق وحر الـ ... ـوجد ما هاج بيتك المعمورا

كاد يهفو فزدته منك روحا ... فانثنى راجحَ الجلال وقورا

يالها من (محمد) نظرات ... زخرت رحمةً وجاشت سعيرا

نظرات شجية لا تعُد الـ ... ـأهل أهلا ولا ترى الدور دورا

قال: ما في البلاد أكرم من مكـ ... ـة أرضا ولا أحبَّ عشيرا

فاسكُني يا هموم نفسي إن اللـ ... ـه أمضى قضاءه المقدورا

وتولى وللأمور مصير ... يشترى ربّه، ويرجو المصيرا

يوم يمشي (الصديقُ) في ثوره الز ... اهي، يوالي رواحه والبكورا

لا يرى دونه حياةً ولا ير ... هب في الله لائما أو نذيرا

ينصر الحق ثائرا يمنع البا ... طل أن يستقر أو أن يثورا

دائمَ الكرِّ والصراع مُلحًّا ... لا يطيق القرار حتى يبورا

أقبلَ القومُ يسألون: أتحت الـ ... ـأرض أم جاور الطريدُ النسورا

نفضوا الهضب والجبال وشقوا الـ ... ـأرض طرًا رمالها والصخورا

ويح (أسماء) إذ يشد (أبو جهل) على خدرها الصون مغيرا

صاح: أسماءُ أين غاب (أبو بكر) أجيبي، فقد سألنا الخبيرا

قالت: العلم عنده، ما عهدنا ... أجَمَ الأُسْد تستشير الخدورا

فرماها بلطمة تُعرض الأجيالُ عن ذكرها صوادف صُورا

قذفت قرطها بعيدًا، ورضّت ... من وجوه النبي وجهًا نضيرا

(غارُ ثور) أعطاك ربك ما لم ... يعط من روعة الجلال القصورا

أنت أطلعت للممالك دنيا ... ساطعا نورها، ودينا خطيرا
صنته من ذخائر الله كنزا ... كان من قبلُ عنده مذخورا
مخفرُ الحق لاجئا يتوقى ... قام فيه (الروح الأمين) خفيرا
وقفتْ حوله الشعوب حيارى ... من وراء العصور تدعو العصورا
اهدئى أيها الشعوب فإن الـ ... ـحق أعلى يدا وأقوى ظهيرا
لا تراعي فتلك دولته العظمى تناديك أن أعدى السريرا

***

(صاحب القائم) المتوج بالعز ... فان: بوركتَ صاحبًا ووزيرا
أنت واليته وعاديت فيه ... من توخى الأذى وأبدى النفورا
ليت شعرى: أصبت حية واد ... تنفث السمَّ، أم أصبت حريرا؟
نفثت سمها فما هز (رضوى) ... من وقار، ولا استخف (ثبيرا)
خفت أن توقظ النبي فما ير ... ضيك أن تضعف القوى أو تخورا
أكرم الله ركبتيك لقد أعـ ... ـطاك سبحانه فأعطى شكورا
أىّ رأس حملت يا حامل الإيـ ... ـمان سمحا والبر صفوا طهورا

***

اتق الله يا (سراقة) وانظر ... إنما الرأى أن تكون بصيرا
أتظن الجواد قد خرق الأر ... ض بحابيك أم تظنه مسحورا
أم هو الله ذو الجلال رماه ... يمسك الشر واكفها مستطيرا
غرك القوم فانطلقت ترجيـ ... ـه خسيسا من الجزاء حقيرا
وضح الحق فاعتذرت وأولا ... ك الرسول الأمين حظا وفيرا
فزت بالعهد فاغتنمه وأبشر ... (بسوارىْ كسرى) فديتُ (البشيرا)
قل لأهل (النياق) أوتيتُ أجرى ... جللا، فابتغوا سواى أجيرا
ليس من رام رفعة أو سناء ... مثل من رام ناقة أو بعيرا

الهجرة حدث تاريخي عظيم

لفضيلة الشيخ / عبد المنصف محمود عبد الفتاح*

عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت في المنام، أني أهاجر من مكة، إلى أرض بها نخل، فذهب وهلي (أي وهمي وظني) إلى أنها اليمامة أو هجر. فإذا هي المدينة يثرب»(١) لقد كانت الهجرة من مكة إلى يثرب، حدثا فذا من الأحداث الإسلامية الكبرى التي يجب أن تظل معانيها ماثلة في قلوب المؤمنين، تحمل إليهم سمات المجد والعظمة والبطولة. حقا إنها تجدد الإيمان، وتبعث اليقين، وتشد العزم، وتقوى الأمل، وتنير السبيل أمام المكافحين الذين يطلبون بكفاحهم ونضالهم العزة والشرف، ويطلبون بجهادهم الله، والدار الآخرة، لا يبتغون مالا أو جاها، وإنما يبتغون للعالم صلاحا وإصلاحا، وأمنا واطمئنانا، وسلاما ووئاما..

وإننا إذا ذكرنا الهجرة فلنذكر الإيمان القوي، والجهاد المرير، والكفاح الشاق، والصبر الطويل، أمام أعداء الداء، وفجرة كفرة أشداء، يريدون أن يبقى عهد الشرك، وأن يطول ليل الباطل !! والمسلمون يومئذ قلة: في ضعف ومسكنة وذلة، يتخطفهم الناس من حولهم، ومالتهم البأساء والضراء، وزلزلوا، حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ؟ حتى رأى النبي ﷺ: أن يشير على أصحابه بالهجرة: إلى بلاد الحبشة، ليتنعموا في جوها الطليق بالحريات الكاملة: حرية العقيدة، وحرية الرأى، وحرية الاستعلان بشعائر الدين، قائلا لهم: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة؛ فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم مخرجا مما أنتم فيه» فهاجر

(*) المدير العام الأسبق للدعوة والإعلام الديني بالأزهر.

(١) أخرجه البخاري

إليها جماعة من المسلمين، وكان من بينهم: عثمان بن عفان، وزوجه رقية بنت رسول الله ﷺ، وتتابع المسلمون حتى كان جملة من هاجر إليها منهم غير صغارهم: ثلاثة وثمانين شخصا، فأمنهم النجاشي وأكرم وفادتهم، ثم كانت الهجرة إلى يثرب، حيث استقبلت النبي ﷺ: استقبالا رائعا، لم تشهد له مثيلا من قبل.. وتقع يثرب في سهل خصب شمالي مكة، قرب سلسلة الجبال التي تفصل قطاع نجد عن تهامة، وهي أرض تكثر فيها الحدائق والبساتين، والحقول المزروعة، وتتناثر فيها أشجار النخيل.. وكانت السيادة في هذه الواحة الخضراء الناضرة لقبيلتي الأوس والخزرج وقد شرفهما النبي ﷺ فيما بعد بلقب «الأنصار» وزاد في تكريمهم فقال: «لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار»(٢).. وكانت القبيلتان في صراع دائم داخلي: أفضى إلى تقسيم يثرب إلى معسكرين متناحرين كانت الحرب بينهما سجالاً، حتى لقد أصبح الرجل من كلا المعسكرين لا يستطيع أن يخرج في حاجة له، دون أن يعرض نفسه للخطر، ولاشك أن كلا الفريقين قد ضاق ذرعا بهذه الحال التي لا يمكن أن تطاق طويلا، ولم يكن هناك أحد من أفرادهما يملك من النفوذ الأدبي قدرا كافيا لجمع الصفوف وتقريب وجهات النظر، فكان لابد لهذه الحال من رجل عظيم بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى ومدلول يأتي من خارج يثرب، فكان ذلكم الرجل العظيم هو محمد ﷺ، وكانت الهجرة إليها.. فقد فطن رسول الله ﷺ إلى أن دعوته خليقة بأن تلقى في يثرب من حسن الإصغاء، وطيب القبول مالا تظفر بمثله في مكان آخر ومن ثم كانت الهجرة التي غيرت مجرى التاريخ، كيف لا وهي نموذج حي متجدد على مر العصور، قادر على الإلهام بأعظم الأعمال، مقدم أروع القيم والمثل، وأحكم التدابير التي تكفل نجاح من يلتزمها، فهي عمل بطولي فذ..

إن هجرة نبينا من مكة إلى المدينة لم تكن فراراً ولا خوفا ولكن تنفيذا لخطة محكمة مرسومة، وضعت وأخذت عليها البيعة والميثاق، فلم يهاجر رسول الله ﷺ خوفا من بطش قريش وجبروتها، بل تنفيذاً لوعد أبرم من قبل مع بعض الوافدين من يثرب إلى مكة في موسم الحج، لم يهاجر رسول الله ﷺ في سبيل مال أو جاه، أو تطلعا لمجد يتطاول به على خلق الله، لم يهاجر حقداً على ظالميه من أهل مكة، أو حبا إلى منصفيه من أهل المدينة، بل كان دعاؤه: «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون» كانت هجرته حبا للبشرية كلها، وإيمانا بالحرية وتأمينا لها، وحفاظا عليها..

لقد كانت الهجرة بحق عملا بطوليا قام على أساس من التخطيط، وما يتطلبه من

---

(٢) أخرجه البخاري عن عبدالله بن زيد وأبي هريرة - رضي الله عنهما.

تدبير وإحكام وبعد نظر، لذا نجد القرآن الكريم سجل الهجرة على أنها نصر من الله – تعالى – لنبيه، قال الله – تعالى – :

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(٣).

لقد حدد رسول الله ﷺ هدفه من الهجرة، وكان الأسلوب الذى اتبعه فى رحلته كفيلا بتحقيق هذا الهدف، فقد أعد من الوسائل البشرية والمادية ما يلائم الظروف القائمة، ويتفق مع الظروف المحتملة، ونظم هذه الوسائل تنظيما محكما، ثم نفذها بأسلوب واقعى سديد، فنجحت خطته وأدرك غايته، وكان من أهم هذه العوامل إسناد الدور المناسب إلى الفرد المناسب، بمعنى وضع كل فرد من أفراد الجماعة التى وقع عليها الاختيار فى الموضع الذى يتفق مع موهبته وقدرته.. فأبو بكر الصديق، لمرافقة الطريق والتمويل، وعلى بن أبى طالب، لرد الودائع، وللنوم على فراش رسول الله ﷺ للتعمية على الكفار، وعبد الله بن أبى بكر، للأخبار (قلم مخابرات).. وأسماء للتموين، تساعدها أختها عائشة، وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر للإعفاء على آثار الأقدام بغنمه، وليطعمهما: اللحم واللبن، وعبد الله ابن أريقط، لإخفاء النوق عنده، ثقة بأخلاقه وأمانته، وإن كان مشركا، وما سبق ذلك من حلف مع الأنصار فى بيعة العقبة ثم إرساله مصعب بن عمير إلى المدينة بين يديه واعظا لتمهيد الطريق، حتى دخل فى الإسلام كثير من البيوت.. حقا إن قصة الهجرة تبعث فى النفوس الأمل، وتوحى بأنه ما من محنة إلا فى طيها منحة، وما من بلاء إلا ويعقبه هناء.. إنها رهيبة فى بدايتها، ولكنها جليلة فى نهايتها، فقد مهدت للدعوة الإسلامية أن تأخذ طريقها إلى القلوب والآذان، ومكنت للمسلمين أن يعلنوا عقيدتهم فى حرية وأمان، وكانت بخيرها وآثارها بردا وسلاما على الإنسانية أخرجتها من ظلمتها، وأنقذتها من وهدتها، وهدتها من حيرتها، ودفعت بها إلى طريق الخير والصلاح..

وهكذا كانت الهجرة نصرا للمؤمنين، ونورا للمجاهدين، فتمتعوا بالحرية بعد التضييق عليهم من المشركين، وبالكرامة بعد الهوان.

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾(٤)

وصلى الله على سيدنا محمد إمام المجاهدين وسيد المهاجرين وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(٣) التوبة (٤٠).

(٤) العنكبوت (٦٩).

من
قصص الهجرة

محنة مؤمن

للأستاذ / شوقي محمود أبو ناجي

كسما يمرق السهم، اندفع عياش بن أبي ربيعة نحو الحارث بن يزيد عندما رآه يسير بظهر قباء وهو يصيح :

- لم أترك الهدى يا ابن يزيد .

وقبل أن يتنبه أحد إلى المفاجأة الخاطفة كان الحارث بن يزيد في الغابرين، وتعالت الأصوات :

- جُنَّ عياش .. قتل رجلا مسلماً .

- أي شيء صنعت يا عياش ؟ .. إنه رجل مسلم .!

- يا عياش .. أنت امرؤ لاتزال فيك خصال الجاهلية !

- أيقتل المسلم أخاه يا عياش ؟

- اذهبوا به إلى رسول الله ﷺ ليحكم فيه بما أنزل الله .

والتف جماعة حول عياش الذي وقف واجماً فاغر الفم من الدهشة، وكأنما أصاب تفكيره الجمود فلا يحير جواباً ولا يجد ما يقول، وشده أحدهم من ذراعه وتبعه آخرون إلى المسجد وهو يقول بصوت حزين واهن :

- يا رسول الله .. كان من أمري وأمر الحارث ما علمت، وإنني لم أشعر بإسلامه حين قتلته .

أطرق النبي ﷺ وشق على عياش أن يكون أول مسلم يرفع سيفه في وجه أخيه في مجتمع تتجسد فيه مشاعر المودة والإخاء، مجتمع جعله النبي ﷺ مثاليا في الحب والمودة والإيثار، وكل ما هو طيب يقرب الإنسان من ربه، ويوطد علاقته بأخيه الإنسان .

جلس عياش في المسجد لا يبرحه .. يفكر في جرمه الذي لا يعتقد أن تقديم نفسه لسيف القصاص كاف لمحوه .. وقرر أن يعتزل الناس منزويا في ركن من أركان المسجد .

وبينما كان عياش في ركنه يجتر همه ويقلب عينيه في السماء، والدموع تترقرق فيهما، والندم يرسم خطوطه وألوانه على وجهه، والكلمات في حلقه مشرذمة الحروف لا يستطيع الجمع بينها

وكأن الندم يقف في حلقه ليحول بينه وبين همس الدعاء، وبينما هو على هذه الحال إذ يصله من قبل النبي ﷺ من يبلغه حكم الله في فعلته:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[1].

استراح عياش إلى حكم الله، وإن كانت الحادثة التي أحفظته على يزيد لا تزال بين الحين والآخر تتراءى في أفق خياله كلما نظر إلى عمر ابن الخطاب صديقه ورفيقه في رحلة الهجرة، وناصحه الذي لم يطعه.

شق على أسماء بنت مخربة - سيدة نساء بني مخزوم، وصاحبة الكلمة المسموعة فيها والمنافسة الوحيدة - لأبي طالب بن عبدالمطلب في تجارة العطور والتي تعد من أغنى أغنياء قريش - شق عليها أن يخرج على طاعتها أحب أبنائها إلى قلبها «عياش» وهي التي كانت تعده - مع إخوته: أبي جهل بن هشام، والحارث بن هشام، وعبدالله، وعياش ابني ربيعة، ليكون أحدهم سيد قريش، ومع أنها لم تكن مخزومية، إلا أنها تحب أن تكون سيادة قريش في أحد أبنائها المخزوميين ولم يعوذها الجاه ولا المال لتحقيق هذا الهدف الذي بدأت منذ حين تعد له العدة وتعمل جاهدة على تحقيقه، ولهذا كان إسلام أحد أبنائها «عياش» صدمة قاسية قوضت آمال هذه الداهية الطموح، فدعت ابنيها أبا جهل والحارث ابني هشام، وجعلت تستثير فيهما النخوة، وتذكرهما بمكانة عمهما عمرو أبي ربيعة والد عياش، صاحب الرمحين في حرب الفجار، وابنه العدل عبدالله بن أبي ربيعة الذي كان يكسو الكعبة من ماله عاما وتكسوها قريش عاما، فهو عدل لقريش كلها. وأقسمت بالآلهة جميعا ألا يمس رأسها مشط، وألا تستظل من شمس حتى ترى عياشا.

لم يمض على وصول عياش وعمر بن الخطاب إلى المدينة غير يومين حتى وصل الأخوان أبو جهل والحارث ابني هشام، أخوا عياش لأمه وابنا عمه، وجعلا يزينان له العودة، ويذكرانه أن دينه الذي اتبعه يدعو إلى بر الوالدين، وأخبراه بقسم أمه، وتعهدا ألا يحولا بينه وبين العودة إلى المدينة مرة أخرى. وظهر من عياش ميل إلى تصديقهما، فقال له عمر ابن الخطاب ناصحا:

- يا عياش.. إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم فوالله لوقد آذى أمك القمل لامتشطت، ولو اشتد عليها حر مكة لاستظلت.

فقال عياش وقد نمت نبرات صوته عن ضعف ورقة:

---

(١) النساء: (٩٢).

– أبو قسم أمي ولي مال هناك فآخذه.

– والله إنك لتعلم أني من أكثر قريش مالاً، فلك نصف مالي ولا تذهب معهما ولما رأى إصرار عياش على مخالفته واتباعهما قال له:

– أما إذ فعلت ما فعلت فخذ ناقتي هذه فإنها نجيبة ذلول، فالزم ظهرها، فإن رابك من القوم ريب فانج عليها، فخرج عليها معهما.

مضى ثلاثة الأخوة إلى مكة، وعياش مطمئن إلى وعد أخويه، ولم يدر بخلده أن يكونا قد خدعاه، حتى إذا كان بينهم وبين مكة بضعة أميال قال أبو جهل لعياش:

– والله يا أخي لقد استغلظت بعيري هذا، أفلا تعقبني على ناقتك هذه؟

وأناخ وأناخا ليتحول عليها، فلما استووا بالأرض عدوا عليه وربطاه. كان شعور الزهو يرسم قسمات أبي جهل عند دخولهم مكة نهارا وهو يشير إلى عياش المربوط فوق ناقته ويصيح:

– هكذا فافعلوا بسفهائكم كما فعلنا بسفيهنا هذا.

لم يكن الألم النفسي الذي عاناه عياش بأقل من ألم السياط التي كانت تهوي على ظهره من أبي جهل وصديقه الحارث بن يزيد من كنانة، والذي لم يكتف بالمساهمة في جلد عياش، بل سخر منه وبكته بقوله:

– يا عياش.. لئن كان الذي كنت عليه الهدى، لقد تركت الهدى.. وإن كان ضلالة لقد كنت عليها. فنظر إليه عياش وقال متوعدا:

– والله لا ألقاك خاليا إلا قتلتك يا حارث بن يزيد.

كان عمر يجلس واجما في المسجد وهو يستعيد أحداث رحلته مع عياش وكيف احتمله أخواه ليفتناه، وإن ذلك ليضيف حزنا إلى حزنه على هشام بن العاص الرفيق الثالث الذي كان مفروضا أن يهاجر معهما وحُبس في مكة، ولكنه تنبه على صوت النبي ﷺ يقول:

– من لي بعياش بن أبي ربيعة وسلمة بن هشام؟

فنهض الوليد بن الوليد خفيفا يقول:

– أنا لك بهما يارسول الله.

طالت غيبة الوليد بن الوليد حتى كان الرسول ﷺ إذا رفع رأسه من الركعة الأخيرة من وتره دعا:

«اللهم أنج سلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة، والوليد بن الوليد» كان الوليد بن الوليد في مكة يتظاهر بالاهتمام بوالده الوليد ابن المغيرة الذي يعاني سكرات الموت، ولكنه ظل دائب البحث عن المحبوسين حتى رأى امرأة تحمل طعاما فقال لها:

– أين تريدين يا أمة الله؟

– أريد دينك المحبوسين.

فأدرك أنها تريد عياشا وصاحبه، فتبعها حتى عرف محبسهما، وكانا محبوسين في بيت لا سقف له. فلما كان المساء، تسور الجدار ووضع مروة «حجراً» تحت قيدهما وضربه بسيفه فقطعه، وانطلق بهما إلى المدينة.

الهجرة تذكير وإيناس

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدي

فى مثل هذا اليوم من ١٤٢٢ عاما أو تزيد أضاءت طلعته البهية ﷺ على أرض ذات نخل كانت تسمى «يثرب» فتحول اسمها إلى «المدينة المنورة».

وطاب هواؤها ونقلت حماها إلى «الجحفة» واستضاءت بنوره ﷺ الذى شاهده أهلها فرددوا بتلقائية وحب ترحيبا بالكريم الحبيب المنتظر:

طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ... ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا ... جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة ... مرحبا يا خير داع

وواجب علينا أن نروى القلوب الظمأى فى زمن القيظ المميت برحيق السيرة العطرة والسلسبيل العذب والقدوة الحسنة لنجدد الإمداد بالنور المحمدى ونحيى ما ذبل من صلتنا بالله - سبحانه وتعالى - فتحيل دنيانا من الجدب إلى النماء، ومن الظلمة إلى النور، ومن القسوة إلى الرحمة ومن الضلال إلى الهدى.

وفى الحديث عن الهجرة تذكير وإيناس للمسلمين، تذكير لهم بحقائق الدين الذى هوجم فى مكة وعودى أهله بما هو فوق طاقة البشر. وإيناس لهم بتأييد الله للمؤمنين الصادقين الصابرين فى كل وقت وما أدراك ما تأييد الله للمؤمنين من عباده:

﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾(١).

قاطعنى صاحبى كأنه يتوسل إلىَّ فى رجاء ومودة قائلا: هل من الممكن أن تترك الحديث عن الهجرة اليوم وتجيبنى عن أسئلة - لا أكتمك سرا إن قلت - ألحت علىَّ وأقضت مضجعى، ثم أردف يقول: ولعل فى الإجابة عنها تذكيرا وإيناسا

(١) المدثر (٣١).

للمسلمين! قلت: عافاك الله يا صاحبي، هات ما عندك، أسأل الله أن يجعل في الإجابة إيناسا وتذكيرا. قال: كيف يجوز مسلم أن ينكر حديثا صحيحا ذكره الإمام مسلم في صحيحه؟

قلت: ما هكذا يا صاحبي تؤخذ الأمور ولا تناقش مسائل العلم! قلت: لعل الرجل أنكر صحة ثبوت الحديث فهو ينكر نسبته إلى رسول الله ﷺ فهو لم ينكر ما ورد عن النبي، إنما أنكر ثبوت الحديث للنبي. وفرق بين القولين بين رجل يثبت عنده قول النبي ﷺ وهو يرفضه وبين آخر يزعم أن النبي ﷺ لم يقل هذا الكلام الذي هو منسوب إليه ويصبح الأمر في الحالة الأخيرة محصورا في الإمام مسلم وفي تثبته ومنهجه وضبطه في إخراج مسنده ثم لا يخلو الأمر إما أن يكون المعترض على الإمام مسلم من أهل العلم والمعرفة بالحديث وعلومه، أو يكون صاحب هوى يهرف بما لا يعرف فإن كانت الأخرى فلا تقم لكلامه وزنا لأنه جاهل فيما يتكلم فيه متكبر يتنكب طريق العلم السوي والله - سبحانه وتعالى - يقول:

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٢).

فهو ليس من أهل الذكر ولا يريد أن يسأل أهل الذكر وكما يقولون: «شفاء العي السؤال»

وتلك هي المصيبة الكبرى وهي أكبر آفة تصيب أمة، أن يتصدى للرأي فيها من لا يعرف، لأنه إن كان من أهل العلم لا يمكن أن يقلل من شأن الإمام مسلم أو يرفض حديثا رواه. فالإمام مسلم لم يكتسب هذه الثقة بين أهل العلم لمنصب أو جاه، إنما اكتسب هذه الثقة من منهجه وعلمه ورسوخه وزهده وورعه. وما أدراك ما الورع والزهد في حياة علماء الحديث وصاحبك لا يرقى إلى معرفة منهج المحدثين فضلا عن معالجة هذا العلم والإفتاء فيه. ورفض أو قبول أحد من أهل الحديث فكيف بربك تلغي عقلك لتستمع إلى كلام دعي في غير مجاله وغير تخصصه.

إن العالم اليوم يحترم التخصص الدقيق فلا يمكن في عالم اليوم - مثلا - أن أترك جراحا ماهرا في عالم المخ والأعصاب وأستمع إلى كلام مشعوذ دعي، فضلا عن أن العاقل لا يمكن أن يقبل كلام طبيب عيون في جراحات المخ والأعصاب، وهكذا في كل التخصصات وكما يقولون: «أهل مكة أدرى بشعابها».

قال صاحبي: اسمح لي أن أقول لك: إنك شديد التعصب للإمام مسلم وأهل الحديث! قلت: لن أقول لك إنها تهمة لا أرفضها وشرف لا أدعيه. بل أقول إنه شرف أحاول أن أصل إليه طول حياتي وأن أحشر في زمرتهم بعد مماتي.

إن منهج علماء الحديث وما تركوه لنا من تراث في التحري والتدقيق والورع والزهد والخوف من الله منهج تفرد به قومنا يا صاحبي.

وإن كل أمة على وجه الأرض تأخذ من تاريخها وتدع لأن الرواية عندهم مفقودة والورع عندهم لا وجود له. وعلماء الحديث يتعاملون مع النصوص بالأمانة؛ لأنه دين فليس منهجهم من منطلق إحراز السبق في الدنيا أو المحمدة عند الناس، وهناك فرق بين من يسعى للدنيا ومن

---

(٢) النحل (٤٣)

يرجو الآخرة، الذي يسعى في الدنيا ولها يرجو محمدة الناس والذي يسعى للآخرة لله وفي الله.

إن منهج أهل الحديث مؤسس على رجاء أن تصيبهم رحمة الله استجابة لدعوة النبي ﷺ حيث قال: «رحم الله امرءا سمع مني حديثا فبلغه كما سمعه»[٣].

وما تركه القوم - والحمد لله مسطر في كتبهم - خير شاهد على ما قلت وأسوق لك واقعة تدرك منها دقة هذا العلم وأمانة أصحابه.

وأيضا لا بأس أن تهدى هذه الواقعة لأصحاب اللافتات البراقة «حقوق الإنسان»، و«جمعيات الرفق بالحيوان» إذ لا معنى للرفق بالحيوان مع إهدار رفق أوجب. ألا وهو الرفق بالإنسان.

والواقعة مع هذا ترتبط برواية الحديث.

قال صاحبي: ما علاقة الرفق بالحيوان وحقوق الإنسان بالحديث وعلومه؟

قلت: إن جماعات «الرفق بالحيوان»، و«حقوق الإنسان»، و«سفراء النوايا الحسنة» وما شاكل ذلك هي لافتات براقة جميلة في مظهرها ومظاهرها، أما الرفق عند علمائنا فهو أمانة، وحقوق الإنسان عندهم دين، والنوايا الحسنة فرض في كل قول وعمل، لا يحتاج في ديننا إلى كاميرات وصحف وقنوات أرضية وفضائية، ولا إلى بدلات أو دعاية، والواقعة تقول: إن رجلا ذهب وسافر ليأخذ حديثا ممن سمعه ليثبت سماعه منه فرآه منصرفا عنه متجها إلى كلب يعالج يده، فهم أن يرجع ظنا منه أن صاحبه ليس أهلا للرواية فلما فرغ من معالجة الكلب أقبل إلى صاحبه كأنه يعتذر إليه قائلا: إنا ببلاد لا تكثر فيها الكلاب ورأيت هذا الحيوان أقبل عليَّ رافعا يده كأنه يرجوني أن أعالجها فما أحببت أن أقطع رجاءه فيَّ لأني سمعت أن رسول الله ﷺ قال: «قطع الله رجاء من قطع رجاء من رجاه» فقال الآخر: جزاك الله خيرا على فعلك وقولك، أنا ما جئت إلا عن هذا الحديث أسمعه منك وشكر صاحبه وقفل راجعا.

أما الواقعة الثانية فهي أن رجلا نفرت ناقته فأراد أن يتالفها فأومأ إليها كأنه يقدم إليها علفا فلما جاءت أمسكها ولم يكن ثمة علف ولا طعام ورآه رجل جاء ليأخذ منه حديثا فرجع ولم يأخذ منه شيئا وقال: إنه رجل لا يؤتمن على حديث رسول الله ﷺ.

قلت لصاحبي: تأمل هذه الوقائع ذات الدلالة البليغة المؤثرة، حيث إنها صادقة فطريّة فلم تحتج إلى دعاية أو إعلان أو تحضير حتى يتم التصوير والبث وذلك شيء أصيل في الدين وفي الناس!!

ثم أردفت قائلا: إن الإنكار للسنة يأخذ أشكالا عديدة وليس شكلا واحدا فتارة يكون بالطعن في رواة الحديث وتارة بالطعن في أصحاب الأسانيد والجوامع. وتارة بالزعم أنه يدافع عن الدين نفسه وأنه يريد تنقية الدين ويرفض أحاديث بزعم أنها تخالف القرآن وهي خدعة رديئة لا تنطلي على بصير ولو علم هؤلاء جُهد علماء الحديث في علمهم وبحثهم لما

---

(٣) أخرجه ابن حبان

تفوهوا بما قالوا ولولا ضيق المجال لسردت لك التراث الطيب الذى خلفوه لنا من المؤلفات.

وهذا الاحتماء المزيف بالقرآن الكريم خدعة «رديئة» كما قلت، فإن الشيطان يسول لهم ذلك ويلهمهم بالمعرفة وهم مخدوعون. على أنهم فى رفضهم للأحاديث وطلب الاحتكام للقرآن هنا زعم نتوقعه بل وننتظره فى شوق.

لعلك تقول: كيف تنتظره فى شوق؟ أن نتوقعه معقول ومقبول لضعف الاستعداد العلمى ولسوء البضاعة التى يتاجرون فيها، أما أننا ننتظره فى شوق فذلك فى حاجة إلى بيان.

وإليك البيان قلتُ: إن سيدنا محمداً مرسل من عند الله - تعالى - مؤيد بالمعجزات الباهرة وبعض هذه المعجزات حدثت فى حياته الشريفة ﷺ وبعضها أخبر بأنها ستحدث ونحن نتلهف ونتشوق إلى وقوعها كما أخبر ﷺ فذلك من دلائل نبوته التى يظهرها الله كل يوم فمنها ما أخرجه أبوداود والحاكم وأحمد قال: «يوشك أن يقعد الرجل متكئا على أريكته يحدث بحديث من حديثى فيقول بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ألا وإن ما حرم رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله». فالنبى ﷺ أخبر بأنه سوف يجيء أناس يرفضون حديثه بزعمه أنهم يحتكمون للقرآن وحده فهى إذن نبوءة نحن ننتظر تحققها ووقوعها فلو لم تحدث لكانت خبرا كاذبا، أما وإنها قد وقعت وخرج أناس يرفضون حديثه ﷺ فلا يغرك منهم ادعاء أنهم يحتكمون للقرآن وحده فهذا باطل يلقونه فى وجوه الناس يتوارون به من سوء ما أضمروا فإنهم لايريدون الدين أصلا

ففى حجية السنة سطر العلماء - وأنا أقول العلماء - كتبا شافية ضافية لن أحيل المتكلمين برفض السنة عليها لأنهم يبغون أهدافا لن تجدى معها كتابة العلماء.

قال صاحبى: أرحتنى جزاك الله خيرا وعندى سؤال آخر!!

قلت مقاطعا مهلا: أنا لم أفرغ مما أريد!

إن الذين يزعمون أنهم يحتكمون إلى القرآن وحده مخادعون ماكرون فهم يجعلون إنكار السنة مرحلة يقفزون بعدها إلى مرحلة أخرى، إلى القرآن نفسه، انتفض صاحبى كأنه قد لُدغ قائلا: هل ينكرون القرآن قلت: إنهم أخبث من هذا إنه يلجأون إلى طريق آخر، فالواقع أنهم لا يريدون قرآنا ولا سنة لكنهم يبغون مواجهة القرآن بالرفض والتشكيك فيلجأون للحيلة والتضليل فمثلا يزعمون أن سيدنا عمر بن الخطاب أوقف حد السرقة وألغى سهم المؤلفة قلوبهم وما دام ثانى الخلفاء فعل ذلك - كما يزعمون - فهم على آثار عمر مقتفون فلا بأس إذن أن يتناولوا نصوص القرآن بالإلغاء أو الوقف أو التقييد.

قال صاحبى متسائلا فى نزع كأنه يسمع لأول مرة هذا الزعم بأن عمر أوقف حد السرقة وألغى سهم المؤلفة قلوبهم: هل يملك أحدا كائنا من كان أن يلغى نصا من كتاب الله أو يوقف عمله؟.

قلت على الفور مبادرا: دع أسئلتك وتداعياتها الآن واسمع منى فلعلك تجد الإجابة فيما أقوله لك؟

قال: لك ما تريد.

قلت: هذه أكذوبة قديمة وحيلة رديئة كما قلت وصاحبك قليل البضاعة ضحل المعلومات حديث عهد بملاعب المفترين والشياطين فلما طالع هذه الفرية خيل إليه أنه عثر على ضالته، فلا بأس بأن يستعملها ويلقيها في ملاعب الرأي والجدال يبرر بها ما يريد أن يفعله مع القرآن الكريم لكن هيهات هيهات فلن يصلوا إلى هدفهم، إن أغلب هؤلاء عندهم رغبة مدفونة في حب الظهور لم يحققوها في مجالهم فبعد أن لفظتهم الدنيا التي يلهثون وراءها ولم ينالوا منها أخذوا يبحثون عن مجال يظهرون فيه فسولت لهم أنفسهم أمرا فصبر جميل والله المستعان. على أن هناك آخرين يمارسون هذا اللون لكنهم والحق يقال أكثر اطلاعا وأكثر دربة وأكثر مكرا نشأوا على هذا المنهج وليسوا طارئين عليه كمن يبحثون عن عمل يمارسون وشغل يسدون به فراغا في نفوسهم بعد أن انصرف الناس عنهم يقول هؤلاء يبغون تعطيل النصوص القرآنية والعبث بها بزعم أن هذا هو واجب التفاعل مع النصوص داعين الناس إلى التفاعل الإيجابي — هكذا — مع نصوص القرآن!!! أليست هذه خدعة رائجة في هذا العصر، لا أنكر أنهم يملكون ذكاء فطريا دون شك لكنه شيطاني وأصحاب اطلاع وافر أشهد به لا يقدر عليه صاحبك الكهل الآن حيث ذهب أكثر عمره. ومع الذكاء والاطلاع لا تخطىء العين فيهم ظلالا ماركسية. يقولون مثلا: لقد كان هناك «ديالكتيك» صاعد بين القرآن والمجتمع في عصر النبوة، أما الآن، فثمة ديالكتيك هابط بفعل — ما زعموه — من تخلف أدى إلى تقديس النص — هكذا — ولعلك تعلم أن من مصطلحات الماركسية المشهورة — «الديالكتيك»، «والجدلية» — فهذه مسلمات لا تقبل الجدل ولا النقاش ولا حتى السؤال عن معناها في الفقه الماركسي.

فهو يقول: إن القرآن كان ينزل على الرسول ﷺ بحكم من الأحكام ثم ينزل بعد ذلك تخفيف للحكم أو تدرج فيه — فصاحبنا الخليط من الماركسية والتغريب — يزعم أن هذه تفاعل بين القرآن والمجتمع أو الناس مع النص فكان التغيير إلى الأحسن والأيسر، أما الآن فلا، ولنا أن نسأل ما الذي يريده الآن بعد انتقال النبي ﷺ وبعد انقطاع الوحي؟

إنه يريد تحوير النصوص بفعل ما يسميه «ديالكتيك» صاعدا لصرفها عن معناها، تأمل هي نفس الدعوة ونفس الهدف لكن صاحبنا أكثر دربة واطلاعا كما قلت من المتقاعد العجوز!! لكن هل يملك أحد أن يعطل نصا في كتاب الله؟ — أبدا..

هم ينسبون ذلك لعمر ولا يمكن لشخص كائنا من كان أن يلغي نصا من كتاب الله. كذلك يزعمون مع سهم المؤلفة قلوبهم، صاحبنا الشاب الماركسي المطلع يفهم ذلك جيدا ويعرفه ويعرف الرد عليه تماما أما صاحبك المتقاعد العجوز فهو مسكين لا يعلم شيئا ولا يستطيع ولا هو قادر على أن يفعل بعد فوات العمر إنما رأى الشبهة ولقلة اطلاعه تصور أنها جديدة وطازجة فقدمها فرحا بها مبهورا دون أن يدرك أنها منتهية الصلاحية فهو قليل الخبرة حديث عهد بمجال الشبهات الفاسدة طامع إلى الشهرة بغير حدود.

قلت لصاحبي: سوف أفرد بإذن الله مقالا لهذه الشبهات القديمة البالية. أبادر فأقول: إنه ليس من عندي لكن من التراث بأقلام الأساتذة العلماء أهل التخصص، حتى أريك أنها شبه فاسدة منتهية الصلاحية ضبطتها أجهزة الفحص الرشيدة في حينها والقت بها في محرقة المخلفات صونا للمجتمع والناس. لكني أقول لك باختصار: إن أي حد من حدود الله - تعالى - مثل الزنا والخمر والسرقة له شروط فليست المسألة اعتباطا للانتقام من البشر بل هو عدل ينبغي أن يسود وتقويم وعلاج يقدم لمرضى وليس شهوة انتقام مرذولة، فثمة شروط في الشيء المسروق والمكان الذي سرق منه، فإذا لم تنطبق الشروط فهل تقطع يد الرجل الذي أخذ المال بزعم أنه سارق.

فإذا قال حاكم عادل وفقيه مستقيم الفقه سليم الصدر لا تقيموا الحد، فواقعة السرقة لم تتحقق وهل يُلقى في وجهه المتعطشين للدم أو الراغبين في التحلل على السواء أنه يعطل النص ولا يقيم الحد؟!!

إن الأمر في الإسلام جد مختلف عما يشيع المرجفون ويتلهف المتشددون فليس الإسلام متعطشا للدم ولا لقطع الرقاب والأيدي فعلماء الحديث وعلماء الفقه أيضا عندما يتكلمون في «أبواب الحدود» يصدرون الباب بحديث النبي ﷺ «ادرأوا الحدود بالشبهات»[٤] كلهم يفعل ذلك بلا استثناء من غير اتفاق مدبر أو مفتعل، إنما هي سماحة الدين نفسه تنساب من قلوبهم وأفكارهم وتسطر أقلامهم ما نطق به الصادق المصدوق الرحمة المهداة ﷺ فشعار المسلمين لأن يخطىء الإمام في العفو خير من أن يخطىء في العقوبة فهل لو أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - طبق شروط القطع ووجدها لم تتوافر في المختلس أو خائن الأمانة يلام من جهة المتشددين ويتهم من جهة المتسيبين المفسدين أما من وسط عاقل أليس منكم رجل رشيد يقول إن عمر أعمل النص بشروطه التي أظهرتها رحمة الدين نفسه كما أن سهم المؤلفة قلوبهم معلول لعلة وكما يقولون: المعلول يدور مع العلة وجوداً وعدما كما وردت في حيثيات الإلغاء لو كلف نفسه بالاطلاع على سيرة عمر وهذا ما تقتضيه أمانة البحث وأظن أن في ذلك كفاية.

بادرني صاحبي قائلا: مهلا ثمة أسئلة أخرى.

قلت لصاحبي: مرحبا بالأسئلة، لكنه قد يتملكنا العجب عندما نجد أناسا في موكب تجديد الخطاب الديني يهرولون ويسرعون دون وعي أو إخلاص، لقد فاجأهم الزعيم بهذه الدعوة الرشيدة، فهم يهتفون دون وعي بموقفهم، أين كانوا يقفون بالأمس، ولمن يهتفون؟ فلهؤلاء وهؤلاء نستعير كلمة للعقاد نختم بها، قالها لمن شغبوا عليه في ميدان السياسة، قال رحمه الله: «إيه يا خفافيش السياسة، اعشيتم نفوسنا، أعشى الله نفوسكم الضئيلة، لا هوادة بعد اليوم، السوط في اليد وجلودكم لمثل هذا السوط خلقت، وسنفرغ لكم أيها الثقلان».

---

(٤) أخرجه ابن سعد.

دلائل القدرة الإلهية

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

إن دلائل القدرة الإلهية فى السموات والأرض على خالق الكون وعلى وحدانيته وأنه المحيى والمميت دلائل تفحم كل الملحدين والوجوديين وأرباب المذاهب الهدامة قال تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾(١).

إن قدرة الله ـ تعالى ـ على كل شىء واضحة لدى كل مؤمن، فإن الله ـ سبحانه ـ هو الذى خلق السموات والأرض، وبيده مقاليد كل شىء، وهو المحيى والمميت وهو على كل شىء قدير، وهو الذى يبعثنا بعد الموت، وأدلة البعث كثيرة وواضحة تمام الوضوح، ولاينكرها إلا جاحد ومعاند، فالله ـ سبحانه ـ خلق الإنسان من العدم، وهو الذى يحييه ويبعثه، وفى هذه الآيات الكريمة، رد على من أنكر البعث واستدلال قوى ببدء الخلق على إعادته فإن الله ـ تعالى ـ الذى خلق الإنسان من سلالة من ماء مهين، ومن نطفة ضعيفة، قادر على إعادته بعد موته ولقد جاء أبى بن خلف إلى رسول الله ﷺ وفى يده عظم رميم، وهو يفته، ويذروه فى الهواء، وهو يقول: يا محمد أتزعم أن الله يبعث هذا؟ قال ﷺ: «نعم يميتك الله ـ تعالى ـ ثم يبعثك ثم يحشرك إلى النار».

(١) يس (٧٧ : ٨٠).

ونزلت هذه الآيات من آخر سورة «يس»:

﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾

والآية عامة في كل من أنكر البعث، والألف واللام في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ﴾ للجنس يعم كل منكر للبعث ولقد مات أبي ابن خلف على الكفر والضلالة كما أخبر الرسول ﷺ.

وإن الله ـ تعالى ـ الذى أنشأ تلك العظام البالية أول مرة هو الذى يحييها ويبعثها وهو بكل خلق عليم، يعلم العظام في سائر أقطار الأرض وأرجائها، أين ذهبت وأين تفرقت وتمزقت وفيها ما رواه الإمام أحمد بسنده: قال عقبة بن عمرو لحذيفة رضى الله عنهما: ألا تحدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ؟.

فقال: سمعته ﷺ يقول: «إن رجلا حضره الموت فلما أيس من الحياة أوصى أهله إذا أنا مت فاجمعوا لى حطبا كثيرا جزلا، ثم أوقدوا فيه نارا حتى إذا أكلت لحمي وخلصت إلى عظمي، فامتحشت ـ أى احترقت فخذوها فدقوها فذروها في اليم، ففعلوا فجمعه الله ـ تعالى ـ إليه ثم قال له: لم فعلت ذلك؟ قال: من خشيتك، فغفر الله عز وجل له».

وهذا الحديث رواه الإمام أحمد، وهو فى الصحيحين بلفظ: «إنه أمر بنيه أن يحرقوه ثم يسحقوه ثم يذروا نصفه فى البر ونصفه فى البحر فى يوم رائح أى كثير الهواء ففعلوا ذلك فأمر الله ـ تعالى ـ البحر فجمع ما فيه، وأمر البر فجمع ما فيه، ثم قال له: كن فإذا هو رجل قائم، فقال له: ما حملك على ما صنعت، قال: مخافتك، وأنت أعلم، فما تلافاه أن غفر له» ثم أوردت الآيات الكريمة دليلا آخر على قدرة الله ـ تعالى ـ وعظمته وعلى الموت والحياة وعلى البعث، وذلك بما فى الكون من مخلوقات وبما أنبته الله ـ تعالى ـ فى الأرض من أشجار، فهو ـ سبحانه ـ قد بدأ خلق الشجر أخضر نضرا مثمرا ثم هو ـ سبحانه ـ الذى يعيد الشجر حطبا يابسا توقد به النار.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾

وقال قتادة فى هذه الآية: يقول الذى أخرج هذه النار من هذا الشجر قادر على أن يبعثه، وقيل المراد بذلك: شجر المرخ والعفار يأتى من أراد قدح النار وليس معه زناد فيأخذ منه عودين أخضرين ويقدح أحدهما بالآخر فتتولد النار من بينهما كالزناد.

إنها قدرة الله ـ تعالى ـ الذي يفعل ما يشاء، ويخلق ما يشاء فهو الفعال لما يريد لا يعجزه شيء فى الأرض ولا فى السماء، فكيف ساغ لأولئك الجاحدين والمعاندين أن ينكروا البعث؟ وشواهده من الوضوح بمكان بحيث لا ينكره صاحب عقل، ولكن إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور.

لقد اتضح دليل البعث من خلق الإنسان ووجوده بعد العدم وبعد أن لم يكن شيئا

مذكورا وهذا دليل على أن البدء من العدم أكبر والقادر على خلق الإنسان من العدم وعلى خلقه أول مرة قادر على إعادته وعلى البعث والنشور والحساب والعقاب، وهذا دليل من نفس الإنسان ومن خلق الإنسان.

وهناك دليل آخر كونى، يتضح من هذه الأشجار التى خلقها الله - تعالى - وجعل من شجرها الأخضر نارا يوقدون منها، وأنها أدلة قوية وشواهد ناطقة بأن الله - سبحانه - قادر على البعث والإعادة، قادر على الحياة والموت، قادر على كل شيء، لأنه خالق كل شيء، فلا معبود غيره ولا رب سواه، تبارك الله رب العالمين.

﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

وفى هذه الآيات الكريمة استدلال على البعث، وعلى إعادة خلق الأجساد، وذلك بالتنبيه والإشارة إلى خلق السموات والأرض، فالسموات السبع بما فيها من الكواكب السيارة والأرض وما فيها من جبال وبحار، وقفار وأشجار وأنهار فى خلق هذا الكون الفسيح، والملكوت الكبير أكبر دليل على البعث والنشور، وعلى إعادة الناس، لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس، فخالق هذه المخلوقات وهو الله - سبحانه وتعالى - قادر على خلق الناس، وإعادتهم وبعثهم بعد موتهم، فهو الذى بدأ الخلق وهو الذى يعيده وهو على كل شيء قدير.

وقال - تعالى - فى آية:

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٣).

فهو - سبحانه - لا يعجزه شيء فى الأرض ولا فى السماء وهو سبحانه الخلاق العليم، لا خالق سواه فهو الواحد الأحد القادر العظيم الذى يعلم السر وأخفى، ويعلم ما تبدون وما تكتمون، لا يخفى عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء.. وأمره تعالى نافذ، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه إذا أراد نفذ المراد وأمره واحد لا يحتاج إلى تكرار:

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾.

وهو - سبحانه - المنزه عن الخلق، الملك القدوس إليه يرجع الأمر كله، له الخلق والأمر وله المرجع والمآب، وهو العادل الذى يجازى كل إنسان بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر، له كل شيء وإليه ترجعون.

وتنزيه الله - تعالى - وتسبيحه من أهم ما ينبغى أن تشتمل عليه عبادة المسلم آناء الليل وأطراف النهار فى عمله وسيره وعبادته، ولقد ضرب رسول الله ﷺ أروع الأمثلة فى العبادة، وفى تسبيح الله وحمده وشكره، روى الإمام أحمد - بسنده - عن

---

(٢) يس (٨١ : ٨٣).

(٣) الأحقاف (٣٣)

حذيفة وهو ابن اليمان ـ رضي الله عنه ـ قال: قمت مع رسول الله ﷺ ذات ليلة فقرأ السبع الطوال في ركعات وكان ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع قال: سمع الله لمن حمده، ثم قال: «الحمد لله ذي الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة، وكان ركوعه مثل قيامه، وسجوده مثل ركوعه، فانصرف وقد كادت تنكسر رجلاي».

وفيما رواه أبوداود بسنده عن عوف بن مالك الأشجعي ـ رضي الله عنه ـ قال: قمت مع رسول الله ﷺ ليلة فقرأ سورة البقرة لا يمر بآية رحمة إلا وقف وسأل ولا يمر بآية عذاب إلا وقف وتعوذ قال: ثم ركع بقدر قيامه يقول في ركوعه: «سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة» ثم سجد بقدر قيامه، ثم قال في سجوده مثل ذلك، ثم قام فقرأ بآل عمران ثم قرأ سورة سورة.

والآيات الكريمة، تؤكد وتوضح الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة على قدرة الله العزيز الحكيم، وعلى البعث، وإعادة الناس.

والإيمان بالبعث أو اليوم الآخر من صميم العقيدة الإسلامية، ومن أركان الإيمان بالله ـ تعالى ـ ففي حديث جبريل حين سأل الرسول ﷺ عن الإيمان قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»، وفي رواية قال: إن تؤمن بالله وملائكته وكتابه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث الآخر[4].

واختلف في المراد بالجمع بين الإيمان بلقاء الله ـ تعالى ـ والبعث، فقيل: اللقاء يحصل بالانتقال إلى دار الجزاء والبعث بعده عند قيام الساعة، وقيل: اللقاء ما يكون بعد البعث عند الحساب.

وقال الإمام النووي، وأما وصف البعث بالآخر، فقيل هو مبالغة في البيان والإيضاح وذلك لشدة الاهتمام به، وقيل سببه أن خروج الإنسان إلى الدنيا بعث من الأرحام وخروجه من القبر للحشر بعث من الأرض، فقيد البعث بالآخر ليتميز.

هذا، الإيمان بالبعث أعظم دافع للإنسان ليأخذ من حياته زادا لآخرته كي يفوز برضا ربه ـ سبحانه وتعالى ـ في اليوم الآخر.

وكما ثبتت أدلة البعث والإعادة عن طريق خلق الإنسان وخلق الأكوان فقد ثبت كذلك عن طريق الإيمان بأن الله ـ تعالى ـ حكيم وعادل.

فمادام الخالق حكيما وعادلا فيستحيل عليه العبث والظلم، كما قال سبحانه:

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾[5].

---

(4) أخرجه البخاري ١/٢٠، ٦/١٤٤.

(5) المؤمنون (١١٥، ١١٦).

من آيات الله فى السماء



٢

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا[*]

السماء ذات الحبك

يقول الله - تعالى - فى قرآنه الكريم: ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴾[١]. وقد جاء فى التفسير أن الحبك جمع حبيكة، أى مسير النجم، وقيل حبكها صفاقها، يقال فى الثوب الصفيق حسن الحبك، وقال ابن عباس: ذات الجمال والبهاء، والحسن والاستواء، فإنها من حسنها مرتفعة شفافة صفيقة، شديدة البناء، متسعة الأرجاء، أنيقة البهاء، ويقال: حبك الشئ: أحكمه. فتبارك الله العلى القدير الذى أوجد هذا الكون بإرادته المباشرة المطلقة، وجعل بناءه آية فى الروعة والكمال، ليس فيه اختلاف ولا تنافر، ولا نقص ولا عيب ولا خلل، ولا شقوق ولا خروق ولا صدوع. وتمجد الله الخالق الواحد الذى أخبر عن عظيم سلطانه وآثار قدرته.

(*) نائب رئيس جامعة القاهرة.

(١) الذاريات (٧، ٨).

وبيّن غاية الإحكام والإتقان في بديع خلقه وباهر صنعته، فقال عز من قائل:

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ۖ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾[٢].

قال ابن عباس ومجاهد: «هل ترى من فطور» أى شقوق، وقال السدى: «أى من خروق»، وقال قتادة: أى هل ترى خللا يابن آدم؟

وقال الإمام الفخر فى تفسيره الكبير: المعنى إنك إذا كررت نظرك لم يرجع إليك بصرك بما طلبته من وجود الخلل والعيب، بل رجع خاسئا مبعدا لم ير ما يهوى من الكلال والإعياء.

وقد أكد القرآن الكريم هذا المعنى فى مواضع مختلفة، ونبه العباد إلى الحكمة السامية وراء التناسق والإبداع فى خلق هذا الكون وبنائه، وذلك فى مثل قوله – تعالى:

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾[٣].

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾[٤]. وجاء فى تفسير قوله – تعالى:

﴿ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴾[٥].

إن الله – سبحانه وتعالى – جعل كل كوكب من الكواكب فى الكون بمنزلة لبنة (طوبة) من بناء سقف أو قبة أو جدران تحيط بك، وشدّ هذه الكواكب – وغيرها من الأجرام السماوية – إلى بعضها البعض برباط الجاذبية مثلما تربط أجزاء البناء الواحد بما يوضع بينها من مواد تتماسك بها. والتشبيه بالمبانى أحد الصور البيانية الرائعة التى استخدمت كثيرا فى القرآن والسنة، مثال ذلك قوله – تعالى – فى سورة التوبة:

﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[٦].

وقول الرسول ﷺ فى المقارنة بينه وبين الأنبياء الأولين فى حديثه الشريف: «إن مثلى ومثل الأنبياء من قبل كمثل رجل بنى بيتا فأجمله وأحسنه إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»[٧].

---

(٢) الملك (١-٤).

(٣) ق (٦).

(٤) القمر (٤٩).

(٥) الشمس (٥).

(٦) التوبة (١٠٩).

(٧) إتحاف السادة المتقين ٢/٢٠٢.

ونبه الله - تعالى - فى مواضع عدة من القرآن الكريم إلى بالغ قدرته فى إحكام بناء السماء وجعلها مكللة بالكواكب والنجوم وغيرها من الأجرام التى لا تحصى دون تفاوت أو خلل فى هذا البناء. قال تعالى:

﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ۝٢٧ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴾(٨).

وجاءت الإشارة إلى حدوث الانفطار أو الانشقاق فى الكون عندما أخبر الله - سبحانه وتعالى - عن علامات الساعة وأهوال يوم القيامة، وذلك فى مثل قوله:

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴾(٩).

وقوله:

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾(١٠)

وقوله:

﴿ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴾(١١)

أما مايقول به علماء الطبيعيات عن وجود ثقوب فى الكون، فهو وصف غير دقيق، وتسمية على غير مسمى لبعض الظواهر الفيزيائية والفلكية، أو الأجرام السماوية، التى جذبت انتباه الباحثين حديثا، ولكنهم لم يتوصلوا بعد إلى نظرية علمية محددة بشأنها.

وكلمة «الثقب»، وجمعها: أثقب وثقوب، هى الترجمة العربية الشائعة للكلمة الأجنبية Hole التى أطلقها العلماء على تلك الظواهر أو الأجرام، وهى تعنى لغة: الخرق النافذ، لكنها تأخذ فى قاموس العلم الطبيعى معنى اصطلاحيا مستقلا يختلف من ظاهرة لأخرى. فهناك الثقب الأوزونى Ozone hole فى إحدى طبقات الغلاف الجوى، ويقصد به نقص، أو نضوب، نسبة الأوزون المعتادة فوق منطقة القارة القطبية الجنوبية. وهناك الثقب الكهربى Electric hole الذى اصطلح العلماء عليه اتفاقا لكى يعبر عن تصورهم لما يمكن أن يكون عليه سلوك المواد شبه الموصلة كهربيا. وهناك الثقوب السوداء Black holes فى أعماق الفضاء الخارجى، وهى ليست بالثقوب التى تعنيها لغتنا العربية، ولا هى سوداء كما يدل اللفظ الذى نتداوله فى حياتنا، ولكنها تسمية أطلقت على أجرام سماوية لا تراها عيوننا ولا تكشفها حواسنا وأجهزتنا.. ومن ثم لايصح أبداً أن ينصرف الذهن إلى الربط التام بين ما يعنيه لفظ «الثقب» كمصطلح

(٨) النازعات (٢٧-٢٨).
(٩) الانفطار (١).
(١٠) الانشقاق (١، ٢).
(١١) الحاقة (١٦).

علمى ذى دلالات خاصة، وبين ما يعنيه فى لغتنا العربية من أنه والخرق النافذ».

فسبحان الذى أحكم بناء السماء ذات الحبك، وجعل جميع الأجرام السماوية تتحرك بسرعات محددة لتلك مساراتها المحددة التى قدرها الله - تعالى - لها فى فضاء السموات، لتكون من دلائل القدرة على وحدانيته.

القمر إذا اتسق

ما أكثر ما أقسم الحق - جل وعلا - بمخلوقاته فى القرآن الكريم ليخبر بما تحتوى عليه هذه المخلوقات من أسرار عديدة وإعجازات مبهرة لا حصر لها. ويكشف العلم تدريجيا عن هذه الأسرار والمعجزات الدالة على عظمة القسم الإلهى وقدرة الخالق الواحد - سبحانه وتعالى.

ولما كانت الأرض تتمتع بميزة وجود قمر واحد تابع أمين لها، يرافقها طوال رحلة المجموعة الشمسية، فإن هذا القمر بدوره لابد أن يتمتع بميزات فريدة تستدعى عظمة القسم الإلهى فى قوله تعالى:

﴿ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ۝١٨ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾(١٢)

قال ابن عباس: إذا اجتمع واستوى، وقال الحسن: إذا اجتمع وامتلأ، وقال قتادة: إذا استدار، ومعنى كلامهم أنه إذا تكامل نوره وأبدر جعله مقابلا لليل وما وسعه، أى أصبح بدراً كامل الاستدارة لينعكس للناس أقصى استضاءة ممكنة. ويحدث الاتساق عندما يكون القمر فى جهة من الأرض والشمس فى الجهة الأخرى، حيث تقل العواصف والزوابع والأنواء الكهربية.

ولقد ساعد التقدم العلمى والتقنى فى عصر الفضاء على كشف الكثير من الحقائق الجديدة عن القمر، من ذلك ما كشفت عنه التجربة - باستخدام أشعة الليزر - من حدوث تغير طفيف جدا فى المسافة بين الأرض والقمر، حيث وجد أن تصحيحا يقدر بحوالى مائة متر يجب إدخاله على القيمة المعروفة حاليا لمتوسط بعد الأرض عن القمر، والتى تساوى ٣٨٤ ألف كيلو متر. ومتابعة تحليل ودراسة هذا التغير مع مرور الشهور والأعوام من شأنه أن يساعد على فهم أفضل لطبيعة حركة كل من الأرض والقمر فى الفضاء الكونى.

وعندما قامت رحلة السفينة الفضائية (أبوللو-١٧) إلى القمر فى عام ١٩٧٢ تمكن رائدا الفضاء الأمريكيان من قيادة «مركبة قمرية» لمسافة ٨٠ كيلو مترا فوق سطح القمر، وقاما بجمع عينات من الصخور والأتربة القمرية وتم تحليلها فى معامل

---

(١٢) الانشقاق (١٨-١٩).

الأبحاث الأرضية، واستدل العلماء من نتائج التحليل على تجانس كثافة مادة القمر والاعتقاد بعدم وجود «نواة» معينة سائلة له على غرار نواة الأرض، أو منطقة «اللب»، والتي تحتوي على الحديد والنيكل كمصدرين رئيسيين لمجالها المغناطيسي.

من ناحية أخرى، قام علماء السفينة الفضائية أبوللو بوضع أجهزة لتسجيل الزلازل على سطح القمر وإرسال بياناتها بصورة مستمرة إلى مراكز الاستقبال الأرضية، وقد تم تسجيل العديد من «الزلازل القمرية» التي تحدث على هيئة هزات شدتها أقل من الهزات الزلزالية الأرضية، ويعتقد أن يكون بعض هذه الهزات ناشئا عن سقوط النيازك الهائمة في الفضاء الكوني واصطدامها العنيف بسطح القمر. أما البعض الآخر من الهزات القمرية فيحدث بسبب شقوق داخلية في القمر يبلغ عمقها ٨٠٠ كيلو متر تقريبا، وتدل السجلات الزلزالية على أن هذه الهزات استمرت فترة زمنية تتراوح بين ٦٠ و ١٠٠ دقيقة. وهناك أيضا اعتقاد بأن قوى المد والجزر ربما تكون لها علاقة وثيقة بحدوث الهزات الناشئة عن زيادة نشاط الشقوق وتحركاتها عندما يقترب القمر في مساره من الأرض.

ولعل أكثر المظاهر وضوحا على سطح القمر هي الفوهات التي تنتج عن نشاط بركاني أو بسبب اصطدام الصخور المتنقلة بين الكواكب مع سطح القمر، ولقد ساعدت الصور الفوتوغرافية التي التقطها ملاحو الفضاء على معرفة المزيد عن خصائص هذه الفوهات.

ولاشك أن هذه الحقائق العلمية عن القمر لا تتعارض مع كونه أجمل الأجرام في السماء بالنسبة لنا لما يمدنا به من نور تبلغ شدته أقصاها كلما اكتمل وأبدر، فضلا عن أهميته القصوى في تحديد الزمن وحسابه. ولسوف يواصل الإنسان سيره على القمر، وربما سيمشي ذات يوم على غيره من الأجرام السماوية، مصححا تصوراته الخاطئة عن هيئة الكون وساعيا في الوقت نفسه إلى معرفة المزيد عن آيات الله المبثة في السماء.

***

مواقف إسلامية

أمومة من صنع الإيمان

للأستاذ الدكتور / محمود عمارة

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: « دخلت على امرأة ومعها ابنتان لها، تسأل فلم تجد عندي غير تمرة واحدة فأعطيتها إياها، فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها، ثم قامت فخرجت، فدخل النبي ﷺ علينا فأخبرته، فقال: من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن، كن له سترا من النار»[1].

وفي رواية: « .. فأطعمتها ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة منهما تمرة، ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها، فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبني شأنها، فذكرت الذي صنعت فقال: إن الله أوجب لها بها - بالتمرة - الجنة»[2].

تمهيد :

تأخذ العبادة خطها الرأسي .. تعظيماً لله - تعالى - ثم خطها الأفقي .. شفقة على عباده .. وإذا كانت البنت بحكم تكوينها أضعف من أخيها .. فهي أحوج إلى مزيد من الشفقة .. لتعتدل كفتا الميزان .. وذلك: بالإنفاق عليهن .. والصبر على تصرفاتهن .. من حيث كانت البنت « ابتلاء » .. يكره الناس في العادة استقبالها .. ولا يكفي الإنفاق، وطيب الأخلاق .. وإنما يتم ذلك كله وهي حاضرة في بؤرة الشعور .. كما يفهم من قوله ﷺ: (من عال جاريتين)، والعول هو: القرب .. بمعنى أن تربية البنت لا تتم « بالمراسلة » .. وإنما تكون معنا .. وفي دفء العواطف تتنامى شخصيتها .. ثم تنضج في حرارتها لتكون أما بعد أمها .. وامتدادا لحياتها.

وتمام الحديث السابق :

(من عال جاريتين حتى تبلغا .. جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين) وضم أصابعه[3]، وواضح أن صحبة الرسول ﷺ

(1) مسلم: باب البر والصلة ج١٦/١٧٩.

(2) مسلم ج١٦ فضل الإحسان إلى البنات/ ١٨٠.

(3) نفس المرجع والموضع

في الجنة سلعة غالية.. وإذن.. فهي لمن يدفع الثمن، والثمن هو كما يفهم من مجموع الأحاديث الواردة في هذا الشأن هو:

أ- أن يضم البنت إليه.. وفي بيته.. ينشر عليها من رحمته.

ب- ألا يضيق ذرعا بالبنات.. مهما كان عددهن ومهما تعقدت مشكلاتهن.

جـ- أن يظل معها وفيا.. يزاملها حتى تتجاوز أخطر مراحل العمر.. (حتى تبلغ).

الجـــزاء

والجزاء بعد ذلك هو:

١- تكون البنت سترا من النار.. تزحزحه عنها.

٢- ثم لتدخله الجنة بعد ذلك.

٣- ليكون في صحبة رسول الله ﷺ والصحبة في ذاته منزل لو تعلمون عظيم، إن مجرد الرعاية.. والاستشعار عن بعد.. لا يكفي من قبل أم تخلت.. أو أب مشغول، وإنما هي الرعاية المباشرة والشاملة:

أ- غذاء للجسم.

ب- وغذاء للعقل بالعلم.

جـ- والإرادة بالصقل.

د- والقلب بالملاطفة والتكريم.

ويعني ذلك: أن يدخر الوالدان للبنت أفضل أوقاتهما.. وأعدلها مزاجا.

دور الأم

ولأن الجنس للجنس أميل.. وبه آنس.. فإن للأم هنا دورها المرموق في تربية البنت.. بل وفي تربيتها على أوفى معاني الإحسان كما يشير الحديث الشريف: (فأحسن إليهن)، وإذا كان هناك من يبخس البنات حقهن قائلاً:

(إنهن يلدن الأعداء، ويورثن الشحناء ويثرن البغضاء)، إذا كان هناك من يقول ذلك.. فإن موقف الأم يشجب هذا الاتجاه مؤكداً أن البنت:

(تفاحة القلب.. وريحانة العين.. يُعِنّ على الزمان.. ويذهبن جيش الأحزان)

لولا بنيات كزغب القطا
وددن من بعض إلى بعض
لكان لي مضطرب واسع
في الأرض ذات الطول والعرض
إن هبت الريح على بعضهم
امتنعت عيني عن الغمض

وقال بعضهم:

أحب البنات.. وحب البنات
فرض على كل نفس كريمه
فإن شعيبا لإحدى ابنتيه
أخدمه الله موسى كليمه

مغزى موقف الأم

وقد كانت هذه الأم تحب بناتها.. وبهذا الحب احتلت مكانتها بين الكرماء: لكنها دفعت الثمن أولاً.. فاستحقت هذا التكريم: ذلك بأن الرسول ﷺ يقول: (من ابتلي من هذه البنات بشيء..)، وليس المقصود البلاء بالشر.. ولكن المقصود هو: من قدر الله له.. بدليل أنه - تعالى - يبتلي بالخير كما يبتلي بالشر:

﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾(١).

أهميــة تربيــة البنــت

وإنه لحق أن يقال: إن تربية البنت أصعب منالاً.. لحساسية وضعها تحت سقف البيت..

ومن مظاهر هذه الصعوبة:

قد تخطب الصغرى.. قبل الكبرى

وقد يخطىء الابن.. ثم يخرج من البيت مغاضبا

أما أخته.. فهي لا تستطيع ذلك.

وإذن.. فإن تربيتها تحتاج إلى ربان ماهر.. يتحلى بمزيد من الصبر.. والصبر جميل.. وفاء لحق هذا الكائن الضعيف في رقابنا.

ماذا فعلت الأم؟

ونتأمل موقف الأم الرءوم من خلال الحديث الشريف.. وكيف تحملت مسئولياتها تجاه بناتها.. فيطالعنا الموقف بما يلي:

١ لقد تعلمت الأم من «العصفور» درساً:

إن العصفور يحب الغناء.. ولكن مهمته الأولى هي:

١- بناء العش أولاً.

٢- ثم البحث عن غذاء لصغاره!.

وها هي ذي تبحث عن الحب.. لزغب الحواصل، لا مكان للرفاهية.. ولابد من لقمة الخبز.. أولاً.. ذلك بأن جمال البيت «صحة» وليس هو ذلك التزويق أو تلك المساحيق!

ولقد كان «ابن سينا» يكتب بعض وصفاته للمرضى.. بالشعر!.. لقد كان مكفول الحاجة.. معتدل المزاج.. مباركا.. فكان بيت الشعر سبيله إلى مرضاه.. فكان في نفس الوقت لونا من الرفاهية.. التي ينبغي تأجيلها.. حتى يستوفي البيت حاجاته الملحة.

٢ ولقد أدركت الأم بحسها البصير أن طعام «العزة» أغلى وأعلى، لقد كان من الممكن أن ترسل البنتين إلى أية دار في المدينة تسألان الناس: أعطوهما.. أو منعوهما.. لكنها رأت أن بناتها أحوج إلى معنى العزة.. منهن إلى لقمة الخبز، فكان تصرفها ماضيا لتحقيق ذلك: لقد مدت يدها هي ولم تمد يد ابنتها وامتدت إلى أمها أم المؤمنين..

وإذن.. فلا هي.. ولا ابنتها حملت منة من أحد!!

وما أكثر الفارغين والفارغات.. الذين يعيرون البنت بأنها كانت خادمة.. أو كانت سائلة.. ولكن حكمة الأم هنا حمت البنات من هذا المصير.. بهذا القلب الكبير!

ومن أجل هذا قررت ما يلي:

أ- أن تذهب - بالذات - إلى الرائد الذي

---

(١) الأنبياء (٣٥).

لا يكذب أهله.. إلى رب العائلة الكبير.. تفاديا للإحراج لو سألت غيره! منطلقة من عقيدة تؤكد: أنه ﷺ ولى من لا ولى له.. ومن ترك دينا فعليه قضاؤه.. ومن كان جائعا فعليه غذاؤه!.

ب- ثم إنها تصون كرامة البنتين.. وتستبقى حياءهما حين تذهب معهما.. لتنوب عنهما فى السؤال.. إبقاء على مشاعر الكرامة أن تطير شعاعا.. حتى إذا صارت البنت بعد ذلك زوجة.. لم تجد من يمن عليها بمعونة.. أو يؤذيها بكلمة نابية.

٣ لقد صارت الأم قدوة تجسد معنى العدل.. بل ومعنى الإيثار، لقد أعطت الأم كل واحدة.. تمرة، وتلك هى قيمة العدل والمساواة.. والتى بمقتضاها تحب الأخت أختها، والتى عززتها الأم.. بشق التمرة الباقية نصفين.. وفى شق هذا الجرم الصغير: تحرٌ التسوية.. التى يجىء النصفان بها متعادلين تماما.. تعادلا لا يبقى فى نفس البنت أثراً.. لأثره!.

ومع ذلك كله تبدو وقيمة الإيثار.. الذى ترقت به الأم فى سلم الكمال صاعدة: الإيثار الذى خرج من بيت النبوة عملا.. لا حديثا يروى.. لقد آثرتها عائشة - رضى الله عنها - وابنتيها بكل ما فى البيت.. فكيف لا تؤثر هى.. ابنتيها.. فلذة كبدها؟!! إنه الإيثار المشتق من إيثار بيت النبوة.. والذى جاء على أوفى معانيه، ذلك بأن الثمرة التى تخصها لم تكن فى جيبها ولا فى خزانتها أو فى حجرها، ولو كان الأمر كذلك.. لكان الجود بها ممكنا.. ولكنها رفعتها فعلاً إلى فيها.. ثم سال لها لعابها.. وتهيأت المعدة الخاوية لاستقبالها.. ولم يمنعها ذلك من انتزاعها من نفسها.. وردها إلى ابنتيها.. اللتين سوف يحييانها.. لهذا الإيثار.. حبا يدعم الحب بين الأخوات كلهن.. ليكون الإيثار شرعة البيت ومنهاجه.

العـــــود الحميـــــد

وتعود الأم إلى بيتها قريرة العين بما رأت وما سمعت.. وإذا كانت قد عادت بثمرة واحدة.. أو ثلاث.. فقد كان ذلك هو كل ما فى بيت النبوة.

ولا يعنينا فى الإحسان حجمه.. وإنما القلب الكبير من ورائه.. والذى يسع المحاويج.. تأتيه من كل فج عميق.. ويكفى أن يشعر المحتاج أن بجانبه قلبا كبيرا.. يقف معه فى الملمات.. وما أكثر المرائين الذين يملأون الجيوب.. ثم يأخذون من القلوب كرامتها.. ولكن الأسرة تعود بكرامتها.. وعزتها.. وما فاتها من الدنيا شىء تبكى عليه!.

من ملامـــح بيـــت النبــوة

ولكن ماذا عن بيت النبوة من خلال هذا الموقف؟

أ- ليس فى بيت النبوة إلا تمرة واحدة!!، ومع ذلك كان أسعد البيوت على الإطلاق، إنه البيت الذى تبرع بآخر ما يملك.. ليحس

بأقصى ما يملك إنسان من الرضا.. حين آثر به القيمة.. على متاع زهرة الحياة الدنيا.

ب- وإذا كانوا يقولون اليوم: إنه إذا كان الزوج بحرا.. فيجب أن تكون الزوجة «سدا» حتى يضع حداً لإنفاق الرجل.

إذا كانوا يقولون ذلك.. فقد كانت عائشة - رضي الله عنها - بحرا إلى جانب البحر.. وكانت - وهي التي تربت في بيت تاجر غني هو الصديق - كانت نعم الزوجة التي رضيت من الحياة الزوجية بصحبة رسول الله ﷺ حتى تبرعت بكل ما في البيت غير عابئة بما يترتب على ذلك من آثار.

جـ- ثم هي تقف إلى جانب الزوج العظيم، تنقل إليه خبر هذه الأم.. أي تنقل إليه.. «نبض الشعب» بآلامه.. وآماله.. صادرة في كل ذلك عن إحساسها العميق بمسئولياتها كأم للمؤمنين، ترعاهم.. وتأسوا جراحاتهم.. وتحل المعقد من مشكلاتهم.

د- ثم تأمل إعجابها بما فعلت الأم:

إن مشاعر الإعجاب هنا.. تذكرنا بنماذج للغرور في دنيا الناس تأبى أن يسبقها إلى الفضل غيرها.. من تلك القوى الشعبية الصاعدة.. لتظل الفضيلة حكرا على القمة العالية.. ولكن المتقين.. يتجهون إلى هدف واحد.. ومن ثم فهم لا يختلفون.. ما دام الكل يصب في هذا الهدف.. وإذا اختلفوا يوما.. فإنهم يختلفون أيهم يقدم للحياة أكثر من غيره.. تماما كهؤلاء الذين رفض كل واحد منهم أن يشرب قبل أخيه جرعة ماء..

حتى ماتوا جميعاً شهداء الوفاء.. قبل أن يموتوا شهداء المعركة!.

مسك الختام

ومسك الختام هنا:

ما كان من تقديره ﷺ لعمل العاملين.. وتنويهه بما يحرزون من سبق في مجال القيم.. مما يسعد الحاكم الذي يرى أثر دعوته في سلوك أمته، وما يترتب عليه من تفتح المواهب في هذا المناخ الصحي.. وفي زحام الحياة وضجيجها قد لا يسمع أحد صوت أحد.. ولكن اليد الحانية تمتد بالعطاء إلى المحروم.. ومن خلال هذا الزحام.. تنتشله من وهدة الهوان.. ليظل أبدا هو الإنسان.. الإنسان.. الذي هو أغلى من كل ما تحفل به الأكوان.

وإذا كانوا هناك.. يقولون: إذا اشتعلت النار في حجرة بها طفل.. وتمثال جميل.. ولم يكن إلا إنقاذ واحد منهما.. فأنقذ التمثال.. لأنه لا يعوض؟! إذا كان من مقررات بعض الفلسفات فإن الإسلام لا يهمه إلا الإنسان.. الذي هو أثمن درة في تاج الوجود.. فإذا كان هذا الإنسان بنتاً.. سوف تكون غداً.. أماً.. إذن.. فما أخطر المهمة.

فالأم مدرسة إذا أعددتها

أعددت شعبا طيب الأعراق

وإذ يقول «فورد» ملك السيارات عن زوجته:

إنها «المؤمنة».. لأنها كافحت معه حتى

وصل إلى ما وصل إليه.. ولو لم تكن هذه السيدة لما حققت بعض ما أنجزت.. فما أجدرنا أن نغالي.. بأمنا التي لم تسهم مع زوجها في بناء مصنع، وإنما أسهمت معه في بناء الإنسان!!.

الموقف.. بلغة العصر

بعد الفراغ من كتابة هذه الصفحات.. قرأت ما أسعدني.. مما يؤكد أن نهر العطاء مازال يقطع رحلة الحياة.. وأن الأم العربية المسلمة مازالت تحتفظ بهذه الروح الكادحة المجاهدة.. وقد يغيب العائل.. ويرحل الرفيق.. ثم يترك من بعده ذرية ضعافا.. لكن الأم.. تحمل الراية من بعده.. راضية بقدرها:

تقول واحدة من الأمهات المجاهدات:

كانت دائماً سعادتي لا حدود لها وأنا أرى نظرات الدهشة الشديدة وعدم التصديق عندما يعلم الناس أنني «أم ابنتي» الشابة ولست أختها كما اعتقدوا.. وكان قلبي لا يتسع لكل ضحكاتي السعيدة بذلك فتنطلق منه إلى شفتي مهللة.. حتى كان الأسبوع الماضي حيث نظرت إلى ابنتي – وهي تعبث بشعري – وفي عينيها البريئتين هول مفاجأة، وقالت: يا ماما.. يا.. كل هذا الشعر الأبيض؟ وضحكت هذه المرة أيضاً، ولكن ضحكة عتاب، ألا تعرف هذه الجميلة سبب هذه الشعيرات البيضاء.. إنه أنتم يا أحباب القلب.. وحبات العين، وروح الحياة.. إنه أنتم يا أولادي وفلذة كبدي.. أنا لا ألوم ولا أعتب ولا أشكو – بل على عكس ذلك فأنا بقلبي وعقلي وروحي مدينة لكم بالشكر، نعم.. شكراً على كل سهر احترقت به وأنا أنتظر عودتكم من شوارعنا المجنونة، شكراً على كل أرق اعتصرني ليالي طوالا وأنا أبحث عن حل لمشاكلكم المعقدة، شكراً على كل نبضة قلب طائشة فقدت صوابها خوفاً من أخطائكم المتهورة، شكراً على كل شوق اشتعل في قلبي لغيابكم في سفر طويل، شكراً على كل دمعة أدفأت وسادتي وأنا أدع الله لكم بالنجاح وأخشى عليكم الفشل، شكراً لكل ذلك، فإن أيديكم الحبيبة الصغيرة التي أعطتني هذه الهموم والآلام.. هي نفسها التي تحملني لبداية طريقي إلى الجنة فالقلق والأرق والسهر ينفتح لي هذا الطريق، وبالرعاية والهداية والعطاء تضاء لي جوانبه، وعساني بكل ذلك أن أنال غاية الغايات، وأن أكون أنا عند أقدام هذه الجنة الموعودة التي قال عنها رسولنا الكريم: «إنها تحت أقدام الأمهات».

وما أكثر الأمهات الكريمات اليوم.. واللاتي آد ظهورهن ثقل حملهن.. وإنهن ليلتفتن يميناً وشمالاً.. باحثات عن يد تمتد إليهن من خلال زحام الحياة..

ومازالت الأم الشريفة مع حاجتها كما يقول شيخنا الغزالي:

حافظة للود..

حامية للعرض

فهي في عبوديتها أشرف من كل: حرّ.. أبيض.. يسوّد بخيانته بياض الحياة!

من الإرهابي؟

٢

للأستاذ الدكتور / عبد العظيم المطعني

الرجوع إلى القرآن والسنة

وقد أخطأ الغرب في اتهامه الإسلام بالإرهاب، لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، هكذا يقول علماء المنطق العقليون، وعلماء الأصول الإسلاميون والذين يتهمون الإسلام والمسلمين الآن بالإرهاب عليهم أن يتصوروا حقيقة الإسلام، الذي يدين به الآن مليار ونصف مليار من المسلمين يفترشون مساحات واسعة فوق سطح الكرة الأرضية، ومفتاح الإسلام الأول هو القرآن الكريم، فهل إذا رجعنا إلى القرآن لكي نتصور الإسلام كما وضع أسسه القرآن نجد هذا الإسلام إرهابياً كما يزعمون، وأن المسلمين إرهابيون تبعاً للإسلام؟!

ومع الرجوع إلى القرآن، ينبغي الرجوع إلى السُّنَّة النبوية، ثم إلى الواقع التاريخي للدولة الإسلامية في عصر النبوّة، والخلافة الراشدة، وهي الفترة التي تأسس فيها الإسلام منهجاً وسيرة وسلوكاً، إذن كان ينبغي على من يتهمون الإسلام والمسلمين بالإرهاب أن يؤسسوا أحكامهم بالوقوف على المصادر التي أشرنا إليها لو كانوا طلاب حق يريدون أن يكون لما يقولون احترام وتقدير عند الناس.

وقبل أن نستعرض موقف القرآن في هذا الصدد نشير إلى فريّة افتراها خصوم الإسلام، ثم انطلقوا منها بلا ضوابط يكيلون للإسلام التُّهم في كل اتجاه، تلك الفريّة هي قولهم: إن الإسلام انتشر بالسيف وسفك الدماء وأن الأيديولوجية التي حكمت تصرفاته تتلخص في هذا الخطاب الإسلامي الصامت لغير المسلم: أسلم أو تُقتل، والإسلام بريء من هذا كل البراءة.

فهذا هو القرآن (دستور الإسلام الأول) ينادي جماعة المؤمنين (المسلمين) هذا النداء الخالد:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾(١)

---

(١) البقرة (٢٠٨).

إنه نداء عام ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ وقد أكد هذا العموم بقوله –تعالى–:

﴿ كَآفَّةً ﴾ أى لا يشذ منكم أحد عن الدخول فى السلم (السلام) وأن الشذوذ عن هذا المبدأ العام اتباع لخطوات الشيطان، والشيطان عدو المؤمنين.

والأمر هنا ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ﴾ للوجوب والإلزام، وفى آية أخرى يقرر الإسلام حُرمة الدماء لجميع الأحياء دون تفرقة بينهم فى العقيدة والدين والمذهب، ومما وقع الاتفاق عليه بين فقهاء الأمة أن دم كل إنسان مصون باعتباره إنساناً دون اشتراط أى وصف آخر، وأن صون دمه يتحقق بولادته حياً.

وقد أخذ الفقهاء هذا المبدأ من قوله –تعالى–:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾(٢)

وقد تكرر هذا النهى مرة أخرى:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾(٣)

ثم هوّل القرآن من قتل النفس ظلماً وعدواناً، وجعله مساوياً فى الشناعة لقتل الناس جميعاً، فقال –عز وجل–:

﴿ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾(٤).

وليس فى الإسلام نص واحد فى كتاب الله، أو سُنّة رسوله يبيح قتل إنسان بسبب عدم دخوله فى الإسلام، أو لأنه يعتنق عقيدة وديناً غير عقيدة الإسلام ودين الإسلام.

والدعوة إلى الله كانت تخلو من الإكراه والضغط وأساسها هو البلاغ الواضح، وبعد البلاغ يُترك الناس وشأنهم، وقد تقرر هذا المبدأ فى قوله –تعالى–:

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾(٥)

كما يحصر القرآن مهمة الرسالة فى مجرد البلاغ وينفى أن يكون للرسول حق الضغط على من يدعوهم إلى الإسلام وفى ذلك ورد قوله –تعالى–:

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾(٦)

وفى قوله تعالى:

﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴾(٧)

تأكيد لحصر مهمة الرسول ﷺ فى البلاغ دونما سواه، بل إننا نجده يقرر حرية الاعتقاد بعد البلاغ فى عبارات شديدة الوضوح على المراد منها، ترى ذلك فى قوله – جل وعلا–:

---

(٢) الإسراء (٣٣).

(٣) الأنعام (١٥١).

(٤) المائدة (٣٢).

(٥) البقرة (٢٥٦).

(٦) الغاشية (٢١، ٢٢).

(٧) الرعد (٤٠).

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا ﴾(٨).

هذا هو فى إيجاز منهج القرآن فى الدعوة إلى الله، لا ترى فيه سيفا ولا رمحاً، وإنما هو بيان قولى يمهد طريق الإيمان للراغبين، ويقيم الحجة لله على المعرضين، ويقطع أمامهم الأعذار.

إن استقرار الأمن العام والخاص من أولويات الإسلام للمسلم، ولغير المسلم.. وإذا تعرض هذا الأمن للخلل فإن القرآن يحاصر الذين يشيعون الإرهاب والتخويف وترويع الآمنين أياً كانت عقائدهم وانتماءاتهم، ويضع بين يدى ولاة الأمر مجموعة من العقوبات الرادعة للإرجاف والمرجفين، وفى ذلك ورد قوله - جل شأنه -:

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(٩)

إن كل عقوبة من هذه العقوبات الأربع تناسب جريمة من جرائم هؤلاء المحاربين (الإرهابيين) وأخف هذه العقوبات هى (النفى) من الأرض، وقد نص العلماء على أنها عقوبة للتخويف والترويع، وهو أخف الجرائم.

كما فسروا النفى بالإبعاد من الوطن، أى: التغريب. أما إذا قتلوا ونهبوا، فالعقوبة القتل. وإذا مثلوا وقتلوا، فالعقوبة هى القتل والتصليب، وإذا اقتصروا على التخويف ونهب الأموال، فالعقوبة هى تقطيع الأيدى والأرجل.

وبهذه الإجراءات الحاسمة يحارب الإسلام الإرهاب والمحاربين، بلا رحمة، لأنهم يعبثون بالأمن ويعيثون فى الأرض فساداً.

فكيف يكون الإسلام دين إرهاب وعنف؟!.. وها هو ذا يكافح الإرهاب بقوة لا هوادة فيها.

وتشريعات الإسلام فى ما يتعلق بنظام المجتمع فى الحياة الدنيا ليست وقفاً على المسلمين، وإنما هى واحة مُظِلّة لكل فرد من أفراد المجتمع.

فعرض غير المسلم حرام مثل حُرْمة عرض المسلم.

ومال غير المسلم حرام كحُرْمة مال المسلم.

ودم غير المسلم حرام كحُرْمة دم المسلم.

وأمن غير المسلم مصون مثل صون أمن المسلم.

فأين تجد - يا ترى - رائحة للإرهاب عالقة بالإسلام فى الجانب الذى تقدم ذكره.

آيات يخطئون فى فهمها

ولكن فى القرآن الكريم آيات، قد يتمسك بها مَنْ يتهمون الإسلام بالإرهاب، وأنه لا يرى لمن يخالفه فى العقيدة إلا القتل والقتال، كما

---

(٨) الكهف (٢٩).

(٩) المائدة (٣٣).

قد يتمسكون بحديث واحد صحيح النسبة لرسول الإسلام ﷺ.

وليس لهم لا في الآيات القرآنية، ولا في الحديث أي دليل على ما يقولون. بل إن القرآن الكريم، والسُّنّة النبوية - قولاً وعملاً - يدحضان هذه الفرية التي روجها خصوم الإسلام قديماً، ويروجها الغرب الصليبي حديثاً، وبيان ذلك ميسور لمن أراد.

فمن الآيات التي قد يتمسكون بها قول الله - تعالى -:

﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١٠).

يفهمون من هذه الآية أنها تحرض على قتل المشركين وتضييق الخناق عليهم، وأنهم - أي المشركين - لا ينجون من سيف المسلمين إلا إذا دخلوا في الإسلام، لأن الآية جعلت توبة المشركين من الكفر، وإقامتهم للصلاة شرطاً في كف القتل عنهم.

وهذا الذي يفهمونه لا أساس له من الصحة، ولم يكن الكفر والإشراك سبباً قط في قتل المشركين ومطاردتهم. وإنما تتحدث هذه الآية عن مشركي العرب في بدء الدعوة إلى الإسلام، لأنهم وقفوا لها بالمرصاد في ذلك الوقت، واضطهدوا الذين سارعوا بالدخول في الإسلام، وأخذوا يعذبون من استطاعوا تعذيبه منهم، حتى اضطر المسلمون إلى الهجرة ثلاث مرات: مرتين إلى الحبشة، ومرة إلى المدينة، وحتى بعد هجرة الرسول وأصحابه إلى المدينة، لم يتوقف عداؤهم للإسلام وكيدهم للمسلمين، واستمرت مؤامراتهم ضد الإسلام والمسلمين ثماني سنين بعد هجرة المسلمين إلى المدينة وبذلوا كل ما في وسعهم للقضاء على الإسلام، ومن أبرز ما قاموا به تجييش الجيوش لغزو المدينة في غزوات بدر الكبرى، وأحد، والأحزاب. حتى عقد الهدنة الذي تم في صلح الحديبية لم يوفوا به ونقضوه.

إذن، فإن هذه الآية تتحدث عن قوم قد أضرموا نار العداوة، وأزكوها، وألقوا فيها بكل ما يملكون من ثقل حربي.

ومع هذا حرّم الله القتال في أربعة أشهر سماها أشهر حُرُماً، وحذر المسلمين من القتال فيها، وهي هدنة استفاد منها المشركون، كما استفاد منها المسلمون، حيث حُقِنَتْ دماء الطرفين.

وبعد انتهاء الهدنة، أمر الله المسلمين أن يستأنفوا قتال هذا العدو اللدود، الذي ظل يطارد الدعوة طوال عهديها المكي والمدني، فهذا الأمر كان استئنافاً لجهاد العدو، الذي لم يتغير موقفه من الدعوة.

فالقتال المأمور به في هذه الآية لم يكن موجبه شرك المشركين، بل كان موجبه دفع خطر المشركين على الدعوة، ولو أنهم بقوا على شركهم دون الوقوف في طريق الدعوة

---

(١٠) التوبة (٥)

واعتداءاتهم على المؤمنين بها، وإيذائهم إياهم في أنفسهم وأموالهم، لما أهدر الإسلام دماءهم، ولما أمرهم بقتالهم، فلا دليل -إذن- في هذه الآية على اتهام الإسلام بالإرهاب والعنف.

وقريب من هذه الآية قوله -تعالى-:

﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ﴾(١١).

وهي -كذلك- لا دليل فيها على اتهام الإسلام بالإرهاب. وتركيب الآية يدل على براءتها مما يريدون منها، لأنها تأمر المسلمين بأن يقاتلوا المشركين مجموعين كما يقاتلهم المشركون مجموعين، ففيها أمر بقتال في مواجهة قتال فعلاً.

وباختصار فإن معنى هذه الآية تُوجِزُه في هذه العبارة:

«قاتلوا من يقاتلكم» وليس في هذا عنف ولا إرهاب، لأن كف أي إنسان الخطر عن نفسه حق له مشروع، حتى في النظم الوضعية الحديثة، التي يندرج فيها هذا المعنى تحت مبدأ:

«المعاملة بالمثل» وحتى ما يسمى بـ«القانون الطبيعي» يقر بهذا المبدأ.

ومن أشهر ما يؤيدون به دعواهم: أن الإسلام دين إرهاب، وأنه يرى القتل مصيراً محتوماً لكل من يخالفه في العقيدة: قول الله -تعالى-:

﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾(١٢)

ولو أن هؤلاء المتحاملين على الإسلام، دققوا النظر في صيغة الآية، لظهر لهم فساد المعنى الذي فهموه لها، وهو أن الإسلام دين دموي إرهابي، لا يرى لمخالفيه إلا القتل.

حاشا لله أن يكون هذا هو المراد من هذه الآية، لأنها تتحدث عن ظرف خاص وطائفة خاصة من أهل الكتاب، هم اليهود. ولم يكن سبب الأمر بقتالهم كونهم يهوداً، ولا كونهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا كونهم لا يحرمون ما حرّم الله ورسوله، ولا كونهم لا يدينون دين الحق.

هذه الأوصاف لم تكن هي الأسباب المنشئة للأمر بقتالهم، والذي يدل دلالة قاطعة على أن تلك الأوصاف لم تكن هي الموجب لقتالهم ما ورد في الآية نفسها:

﴿ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾.

لأن القرآن جعل إعطاء الجزية منهياً لقتالهم، ولم يجعل دخولهم في الإسلام هو المنهي لقتالهم.

بل كان الموجب لقتالهم جرائم بشعة اقترفوها ضد الإسلام والمسلمين، منها:

نقض العهود التي أخذها عليهم المسلمون،

---

(١١) التوبة (٣٦)

(١٢) التوبة (٢٩)

وقد نصت تلك العهود على أن اليهود يكونون أمة مع المسلمين، ولكنهم نقضوها وتآمروا فيما بينهم، ومع مشركي العرب على ضرب الإسلام والمسلمين.

هذا هو السبب، فهو قتال لدفع خطر واقع فعلاً من اليهود على الدولة الإسلامية الناشئة، حيث كانوا يمثلون عصبية محترمة داخل الدولة، التي أقرتهم على عقيدتهم، ومنحتهم الحرية الدينية التامة في أداء شعائرهم، والحرية التامة في العمل للحياة الدنيا، في الزراعة والتجارة والصناعة.

فقابلوا الإحسان بالإساءة والجميل بالقبيح، والإخلاص بالمكر والخداع.

ومن الآيات التي أساءوا فهمها ليشوهوا حقائق الإسلام قوله -تعالى-:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗ﴾(١٣).

يفهمون أن هذه الآية تحرض كل مجتمع إسلامي على قتال كل من يجاورهم، وهذا خطأ شنيع، وحقيقة المراد من هذه الآية أن المسلمين كانوا قد علموا أن الفرس والروم يريدون غزو عاصمة الدولة الإسلامية الناشئة (المدينة المنورة) وعزموا على مبادأة الدولتين بالقتال، ولكنهم اختلفوا حول بمن يبدأون؟!.. أيبدأون بالروم وهم أقرب مكاناً إلى المسلمين؟!.

أم يبدأون بالفرس، وهم أبعد مكاناً؟!.

فنزلت هذه الآية ترشدهم إلى قتال الأقرب إليهم مكاناً، وهم الروم.

فأنت ترى أن المراد من هذه الآية أمر خاص وليس عاماً، وبذلك تبرأ الآية من الفهم القاصد الذي تمسك به من يصفون الإسلام بالإرهاب والدموية والعنف.

أما الحديث فهو:

«أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله...»(١٤).

هذا الحديث أجمع أهل العلم على أنه خاص بمشركي العرب، لا يتعداهم إلى غيرهم.

فالعرب لا عذر لهم في البقاء على الكفر، لأنهم يعرفون رسول الإسلام معرفة عميقة، فهو بينهم نشأ، يعرفون صدقه، وأمانته، والقرآن بلغتهم نزل، فهم أقدر الناس على فهم مراميه، لذلك لم يقبل الإسلام منهم أي بديل، مثل الجزية، عن الإسلام.

هذا هو التوجيه الحق في فهم هذه النصوص الشرعية، فليس فيها أدنى شبهة على اتهام الإسلام بالإرهاب أو التشرم بمخالفيه في العقيدة، وكيف يكون الإسلام إرهابياً وهو دين السماحة والعدل والحرية والمساواة.

***

(١٣) التوبة (١٢٣).

(١٤) البخاري ومسلم: كتاب الإيمان.



الهجمات المغرضة على التاريخ الإسلامى

تأليف

د / محمد ياسين مظهر صديقى

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوضين

تاريخ كل أمة هو ذاكرتها التى تمدها بأسباب الحياة، فهو يماثل من الشجرة جذرها الذى ينبث فى شتى مناحى التربة، حاملاً لأغصانها خلاصة الأغذية الحيوية، فكما أن أطراف الجذور ليست مجرد أطراف من الشجرة مُغَيّبة فى الأرض، لم يعد للجذع حاجة إليها، ولا ارتباط بها. فكذلك تاريخ كل أمة لا يمكن لأى قطاع منها أن يستغنى عنه، أو يواصل مسيرة الحياة دون الاعتماد عليه؛ أى أن الإنسان لا يمكن أن يعيش بمعزل عن تاريخه، ولا أن يستعير تاريخ غيره ليعتمد عليه؛ فهو عمدة الحياة وعصبها، وليس ترفاً يمكن لفظه وعدم الالتفات إليه.

وحاجة الإنسان إلى تاريخه لا تعنى أن يسجن الإنسان نفسه فيه، ولا أن يلغى نشاطه الخاص اعتماداً على جذوره، فالتطور والنمو يلزمان الإنسان أن يستعين بما فيه ليتلاءم مع حاضره، ويضفر من هذين مستقبله، كى تظل الحلقات الحيوية الثلاثة متواصلة حية، مثمرة؛ فهو من أبرز خصائص الإنسان التى تميزه من بين الكائنات الحية.

ولما كان للتاريخ هذا الدور الفعال فى حياة كل أمة.. رأى فيه المغتصبون من بنى البشر أفضل الوسائل التى تُهَيِّء لهم فرصة اغتصاب الغير، وما له من خصوصيات، مع الاطمئنان إلى أنه لن يثور على مغتصبه، ولن يسعى لاسترداد حقوقه؛ فما على المغتصب إلا أن يفصل فريسته عن تاريخها ليصبح كالشجرة المقطوعة الجذور.

وفصل الإنسان عن تاريخه يتحقق بوسائل كثيرة، من بينها: خداعه بأن واقعه الحيوى يقتضيه أن ينصرف عن ماضيه، ويشتغل بحاضره، فالماضى كان له ناسه بظروفهم وحاجاتهم، ومادامت الحاجات والظروف تتغير، فلا يصح لشىء من الماضى أن يشغل عن الحاضر.

فإذا لم يستجب الإنسان لتلك الخدعة، لجأ المخادع إلى تشويه هذا الماضى، بحيث يصبح عبئاً عليه فى مسيرته، لا يملك إلا أن يتجاهله، أو يتبرأ منه، أو لا يستمد منه إلا الغذاء الفاسد، والقدوة الشاذة.

التاريخ الإسلامى ميدان رحيب

ومن يتجرد من المؤثرات، ويتأمل تاريخ البشرية، يلاحظ أن مصدر الخداع إما مواطن متمذهب، يدفعه تعصبه الأعمى لمذهبه، وحرصه على تسيده إلى تشويه الحقيقة، ليفرض مذهبه. وإما مغتصب غريب، تدفعه رغبته فى الاغتصاب والتسلط إلى هذا التشويه ليخضع الفريسة، ويتم له احتواؤها.

كما يلاحظ أن التاريخ الإسلامى كان من أرحب الميادين - إن لم يكن أرحبها - التى اتسعت لتشويه المخادعين من هاتين الفئتين - المتمذهبين من المواطنين، والمتسلطين من الغزاة الأغراب - وذلك لشمولية الإسلام، وما تعنيه تلك الشمولية من امتداد فكرى، وسلوكى، واتساع لشتى ميادين الحياة، وانفتاح على كل نشاط حيوى، وتسخير لجميع الإمكانات البشرية فى اقتحام الكون بكل أبعاده وأغواره، من كل ما سمح لتعدد الرؤى، ونشوء الأفكار المتباينة، والاختلاف فيها، والتحاور حولها، والتمذهب بها، والتعصب لها.

ثم ما تعنيه شمولية الإسلام تلك، من تطلع الآخرين إلى الوقوف فى وجه انتشاره، والعمل على صده، والصد عنه، بل والسعى إلى غزو أرضه، واغتصابها، وقهر أبنائه، حتى لا تقوم لهم قائمة.

ومن هنا... تشابه ما يصنعه بعض المسلمين

بالتاريخ الإسلامي مع ما يصنعه هؤلاء الآخرون المعادون بهذا التاريخ، حتى بدا في بعض الأحيان كأنه يخرج من مشكاة واحدة، وبدا في أحيان أخرى أن هناك التقاء متعاوناً بين هؤلاء وأولئك.

ومن هنا... أصبح على كل مسلم أن يلم بما أصاب تاريخ أمته، وأن يعمل القادر منهم على تنقية هذا التاريخ مما أصابه من تشويه وتزييف، فإن لم يستطع كان عليه أن يكشف ما نزل بهذا التاريخ من مصائب، التزوير، وويلاته على أيدى هؤلاء المؤرخين المسلمين الذين أعمتهم العصبية، فزيفوا تاريخ أمتهم، وأيدى المؤرخين الغزاة ـ من الأوروبيين وغيرهم ـ الذين دفعهم الغرض الجاهل إلى التوسل بالتزييف والتضليل في سطوهم الغازي.

ولقد تصدى لكشف هذا الزيف كثير من المفكرين والمؤرخين المسلمين وغير المسلمين الذين استنارت بصائرهم وأبصارهم بنور الحقيقة، وتحرروا من ربقة التعصب الأعمى، والغرض الحقود، كما نرى في الكتاب الذي نقدمه هذا الشهر.

الكاتب والكتاب

أما الكاتب فهو الهندي المسلم، الدكتور محمد ياسين مظهر صديقي، الأستاذ بجامعة عليكرة الإسلامية، قسم الدراسات الإسلامية، وأما الكتاب فهو واحد من منشورات رابطة الجامعات الإسلامية، ترجمة الدكتور سمير عبدالحميد إبراهيم، من اللغة الأوردية، وقدم له الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي ـ رئيس رابطة الجامعات الإسلامية، وصدرت الطبعة الأولى باللغة العربية سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، في أربع وخمسين ومائة صفحة من القطع المتوسط ـ نشر هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان بالجيزة ـ مصر.

والكتاب غير مفصل ولا مبوب، فقد اكتفى فيه بعناوين الموضوعات، مسبوقة بتمهيد، ومذيلة بخاتمة، مع إبراز بعض العناوين في الفهرس، فبدت كأنها رءوس فصول، أو عناوينها.

وقد استعرض المؤلف في أثناء ذلك أكثر من ثلاثين قضية تاريخية تعرضت لهجمات المغرضين، وتزييف المزيفين.

التاريخ الإسلامي بين حجرى الرحى

والمؤلف في التمهيد (المؤرخون القدامى: القرن الأول والثاني الهجرى) يذكر أن من بين مؤرخي هذين القرنين من توافرت فيهم الثقة، من أمثال: عروة بن الزبير المتوفى سنة ٩٤هـ/ ٧١٢م، وأبان بن عثمان المتوفى سنة ١٠٠هـ/ ٧١٩م، وعاصم بن عمر بن قتادة المتوفى سنة ١١٩هـ/ ٧٣٦م، ومحمد بن شهاب الزهري المتوفى سنة ١٢٤هـ/ سنة ٧٤١م، وعبد الله بن أبي بكر بن عمر بن حزم المتوفى سنة ١٣٠هـ/ ٧٤٧م، وموسى بن عطية المتوفى سنة ١٤١هـ/ ٧٥٩م، ومعمر بن راشد المتوفى سنة ١٥٤هـ/ ٧٦٢م، وأن منهم من يوجه لهم النقد، لما شاب كتاباتهم من إفراط وتفريط، مثل: وهب بن منبه، المتوفى سنة ١١٠هـ/ ٧٢٨م، وشرحبيل بن سعد المتوفى سنة ١٣٣هـ/ ٧٤٠م، وابن إسحاق المتوفى سنة ١٥٠هـ/٧٦٨م، وأبي معشر السندي المتوفى سنة ١٧٠هـ/٧٨٨م.. حيث تأثروا ـ فيما سجلوه ـ بما أملته عليهم توجهاتهم السياسية، وميولهم المذهبية، وعصبياتهم القبلية.

بل إن مؤرخاً مثل على بن محمد المدائنى، المتوفى سنة ٢٢٥هـ/ ٨٤٠م. لم تسلم بعض رواياته من الضعف، ولا خلت من الميول المذهبية والفكرية، على الرغم من أن جميع المؤرخين، وكُتّاب السِيَر يتفقون - بصورة عامة- على الثقة فى رواياته، والاطمئنان إلى قيامها - فى جملتها - على منهج تاريخى صحيح، وإلى أنها تتفق مع العقل والقياس.

ويضيف المؤلف إلى ذلك تقويمه مؤرخى القرنين التاليين - الثالث والرابع الهجرى - فيشير إلى أن منهم من تأثر بالعوامل الشخصية، برغم حرصه على الاحتياط الكامل، والدقة فى النقل والتحليل، مثل عبدالملك بن هشام، المتوفى سنة ٢١٨هـ/ ٨٣٣م. ومنهم من قصر نفسه على رواية الأخبار مع إسنادها إسناداً صحيحاً، دون دراسة أو تحليل كاشف، مثل محمد بن جرير الطبرى، المتوفى سنة ٣١٠هـ/ سنة ٩٢٣م. حتى وصفه النقاد «بأنه جامع للروايات أكثر منه مؤرخاً»، وأن منهم من التزم الحيدة، مثل أحمد ابن يحيى البلاذرى، المتوفى سنة ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م، حيث وضع الروايات العراقية جنباً إلى جنب مع الروايات الشامية.

رحلة المستشرقين مع الإسلام

ويذكر المؤلف أن معظم مؤلفى القرن الرابع، حتى السادس الهجرى (العاشر حتى الثانى عشر الميلادى) يتمتعون بإحساس ناضج بالتاريخ، وإن قصروا توجههم الأساسى على عصرهم، دون غيره، واكتفوا بالأخذ عن شيوخهم الكبار السابقين.

ثم يجمل القول فيهم، مقرراً أن بعض من لم يبرأ - من هؤلاء المؤرخين - من العصبيات الاجتماعية، والمحاباة القبلية، والميول السياسية، والخلافات الفقهية، والنزاعات المذهبية.. قد صدر عن نقص فى المعرفة، وأن كثيرين منهم قد صدروا عن قصد وعمد، فكان هؤلاء وأولئك عوناً لمعارضى الإسلام من المستشرقين فى هجومهم الفكرى المتواصل على الإسلام، استجابة لما امتزجت به نفوسهم من الكراهية للإسلام، والحقد عليه.

فمنذ فشلت قوة السيف والمدفع فى إطفاء نور الإسلام تحت عنوان «الحروب الصليبية»، لجأ العالم الغربى إلى استخدام حركة الاستشراق الخادعة، فتعرض الإسلام لحرب من لون جديد، مع نهايات القرن الحادى عشر الميلادى، بقيادة (جربر دى أرالياك)، و(قسطنطين الأفريقى)، و(أدلرد باغ)، و(روجر بيكن)، وغير هؤلاء ممن مهدوا الطريق بعد ذلك أمام (فولتير)، و(اليكسندروس)، و(هيلبيرت)، و(دانتى)، و(غوليوم بوستل)، و(جوزيف اسكاليه)، وغيرهم ممن قاموا بطبع أبحاث تطفح بالعداوة للإسلام، لتغرى بعد ذلك بالتوجه إلى وضع خطط عملية محكمة، يسير عليها المستشرقون بداية من القرن السادس عشر إلى وقتنا الحالى، وكان من أشهر قادتها: (وليم بدويل)، و(ب. فاتيه)، و(هاتينجر) الذين دفعتهم العصبية الدينية إلى تركيز جهودهم على تشويه السيرة النبوية، ثم قامت جماعة أخرى منهم بالهجوم على الإسلام نفسه، يحدوهم - فى كل تحركاتهم - التعصب الدينى الأعمى، والغرور الغربى الجاهل، مثل: (جان جاك سيدلو)، و(ديفرجيه)، و(بيرون)، و(جوزيف وايت)،

و(وليم موير)، و(جولد تزهير)، و(فان كريمر) وغيرهم كثير.

وفي الفترة الأخيرة ارتدى الهجوم على التاريخ الإسلامي من رداء الفكر العلمي، القائم على البحث، وأسس التحليل النقدي، مبالغة منهم في إخفاء مقاصدهم، وبلوغ مآربهم، تحت ستار العلم والبحث المنهجي، فترك المستشرقون أسلوب الكراهية المكشوفة، والعداء المعلن، ولجأوا إلى التخفي وراء طريقة العرض العلمي المعتمدة على إثارة الشبهات والشكوك في التاريخ الإسلامي بطريقة خبيثة، ظاهرها المنهج العلمي، وباطنها التعصب والحقد والكراهية، وطعن الإسلام، فاستطاعوا أن يخدعوا كثيراً من البسطاء والغافلين، ممن فتنوا بالألفاظ البراقة، والنعوت الطنانة.

الحداثة وتزييف التاريخ الإسلامي

وتحت عنوان: (الاتجاهات الجديدة في كتابة السيرة والتاريخ) رصد المؤلف أربعة اتجاهات حديثة، سيطرت على كتابة السيرة والتاريخ الإسلامي، لا يخلو اتجاه منها عن الخطأ أو الزيف وقصد التضليل..

١- فذكر أن من هذه الاتجاهات ما قام على إخضاع التاريخ الإسلامي لنظرية التفسير الاجتماعي والاقتصادي للتاريخ؛ فقد أغفل المؤرخون الاشتراكيون الدوافع الروحية، وتتبعوا العوامل والحركات الاجتماعية والاقتصادية، مستجيبين لنظرية الصراع الطبقي والجدلي التي أفرزتها النظريات المادية؛ بحيث لا يرون الأحداث إلا في ضوء دافع مادي؛ إذ الدوافع المادية وحدها - في تقديرهم - هي المسئولة عن حركة التاريخ الإسلامي، وهذا يعني أنه لا وجود لتأثير العوامل الدينية والأخلاقية، في التاريخ.



وكان من نتائج هذا... أن هؤلاء المؤرخين صاغوا التاريخ الإسلامي على أساس أنه تاريخ للصراع الطبقي، كما وضح فيما كتبه المستشرقون (هوبرت كرايم)، و(د.س. مارجليوث)، و(برنس لون كتان)، و(برنارد لويس)، ومكسيم رودنسن)، وما كتبه عبدالحي شعبان، وأحمد عباس صالح، ومحمود أمين العالم، ومحمود إسماعيل، وعبدالمنعم حامد، وغيرهم من الكُتّاب والمؤلفين المسلمين الاشتراكيين والماركسيين.

٢- وأن منها ما قام به أولئك الذين قصدوا إلى تجريح التاريخ الإسلامي، والطعن فيه، متوسلين إلى ذلك بالبحث في روايات التاريخ الإسلامي ومصادره، لينتقوا من بينها الروايات التي تخدم أهدافهم، وتصدّق مزاعمهم التي يريدون أن يقرروها.

فإذا لم يجد هؤلاء في الروايات ما يفيدون منه، أطلقوا العنان لخيالاتهم، فافترضوا أحداثاً ومواقف لا أساس لها في الواقع، اللهم إلا في خيالهم المريض، ليقرروا ما يريدون تقريره، ويبرزوا النتائج التي تحقق أهدافهم، مغمضين أعينهم وعقولهم عما يشوبها من الخطأ البيّن؛ فهم لا يهتمون بتوثيق بياناتهم بالمصادر المعتمدة، بل قد يطعنون في تلك المصادر، أو يتجاهلونها تماماً.

ولعل من أبرز من يمثل هذا الاتجاه ... المؤرخ الهندي (خورشيد أحمد فاروق)، والمؤرخان العربيان : (جورجي زيدان، وفيليب حتي).

وغالباً ما يلجأ هؤلاء إلى تقديم كتاباتهم في هيئة خادعة، حتى يقدمونها في هيئة علمية، مما يرهب القارئ، ويؤثر فيه، بحيث ينخدع عن الحقيقة، ولا يستطيع الوقوف عليها، ولا إدراك ما وراء كتاباتهم.

٣- وأن من هذه الاتجاهات المغرضة اتجاهاً يضم بعض العلماء والمفكرين المسلمين الجدد غير المؤهلين تربوياً وعلمياً ليكونوا مؤرخين، ولكنهم تصدوا لبحث التاريخ الإسلامي في بعض مراحله أو عصوره، فجاءت كتاباتهم خالية تماماً من الإدراك التاريخي السليم، مفتقرة إلى الأصالة المنهجية، وعمق التفكير، وبدلاً من ذلك ... أقاموا بعض نظرياتهم بناءً على أفكارهم وميولهم ومزاعمهم التي اعتنقوها وآمنوا بها سلفاً، فهم لا يقفون على الحدث من مختلف أبعاده، ولكنهم يكتفون بمشاهدته من جانب واحد، فقبلوا الأخبار والروايات التي تتفق مع نظرياتهم وأفكارهم، وغفلوا - أو أغفلوا - عن جميع الروايات والأخبار التي تتعارض مع وجهتهم، أو يمرون عليها مروراً سريعاً، وذلك لجهلهم بالمعلومات الحديثة.

٤- والاتجاه الرابع هو ذلك الاتجاه غير الإسلامي، الذي يقوم على نظرية التفريق بين الدنيا والدين - أو بين الدولة والدين - الناتجة عن الرهبانية النصرانية، وقد ظهر هذا الاتجاه بوضوح تام في التاريخ الإسلامي بُعَيْد النصف الثاني من القرن الأول الهجري، حيث جاءت جهود العلماء الانتهازيين ونظائرهم من المفكرين والمؤرخين ناقصة وخاطئة؛


جورجي زيدان

إذ استغلوا الحيل الشرعية، والخدع الفقهية، فأفادوا منها في تحقيق أهدافهم، وجعلوا يشرحونها بطرق عكسية أحياناً، وملتوية أحياناً أخرى، فأخطأوا في كتابة التاريخ، وكان الواجب عليهم أن يتبعوا الأسلوب العلمي الصحيح؛ فيثبتوا خطأ ما هو خطأ، وينقدوه بموضوعية محايدة، ثم يبرزوا ما هو صحيح، ويؤيدوه، وفقاً لما يجب على المؤرخ؛ من تنقيح الروايات، وتحليل الأحداث والوقائع.

بدايات تزييف التاريخ الإسلامي والخطأ فيه

وبعد هذا العرض النظري لما أصاب التاريخ الإسلامي - من تشويه وتزييف وخطأ - بدأ المؤلف في دعم ما استعرض من وقائع التاريخ الإسلامي، ابتداء من منشأ سيدنا محمد ﷺ بعد أن نبه إلى ما بين السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي من تلازم، بحيث لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، كما نبه إلى أن الكتابة عما قبل البعثة النبوية لا يمكن فصله عن التاريخ الإسلامي كذلك؛ لأنه يتضمن خلفية هامة للكتابة عن الإسلام، ولا يفهم التاريخ الإسلامي بدون الوقوف عليها.

ومن هنا بدأ المؤلف - تحت عنوان (العهد النبوي) - باستعراض مواقف المستشرقين ومن احتذاهم من المؤرخين من اسم محمد ﷺ ونسبه.

فذكر أن (مرجليوث) ومن تبعه راحوا يحطون من قدر نسبه ﷺ ويقللون من قدر حسبه،

ويقولون: بأنه من أسرة اجتماعية متواضعة، مستندين إلى أن حالته المالية بعد وفاة والده (عبدالله) كانت غير طيبة، مما اضطره إلى احتراف رعي أغنام أهل مكة في طفولته، مما يدل على تدني المستوى الاجتماعي له ولأسرته.

وذكر المؤلف أن هؤلاء- في سبيلهم إلى تقرير ذلك- أغفلوا الشواهد التاريخية التي تثبت أنه ﷺ أحد أفراد أسرة بني هاشم التي تتمتع بأشرف نسب، والتي كان لها شرف السيادة في الأشهر الحرم على قريش مكة، حتى كان لها شرف تحمل مسئولية السقاية بين أشراف قريش، طبقا لأصول تقسيم المسئوليات بين القبائل، فكان ينظر إلى أسرة بني هاشم نظرة إعزاز واحترام في جميع أنحاء شبه الجزيرة العربية.

وأغفلوا ما كان منتشرا في العرب آنذاك من أن يقوم أبناء الشرفاء والأحرار برعي ماشية الأسرة، لأن الرعي كان حرفتهم، وكان دليلا على ثراء العديد من القبائل.

كما أغفلوا العلاقة الحميمة بين أسرتي هاشم وأمية اللتين تنتميان إلى عمومة واحدة من بطن بني عبد مناف... وافترضوا أن بين الأسرتين تنافسا، جعل بني أمية يعارضون بني هاشم، ويواجهونهم، بل ويناصبونهم العداء، الذي امتد بهم إلى معارضة الإسلام والتآمر ضدهم، منطلقين ـ في هذا الافتراض ـ من خلفية ما كان بعد ذلك من اختلافات الفتنة الكبرى.

والحقيقة أنه لم تكن هناك منافسة بهذه الصورة بين هاتين الأسرتين، لا في الجاهلية، ولا في عهد الرسالة، إذ هما كلتاهما لم تكونا فقط من أهم أعضاء بني عبد مناف، بل كان بينهما صلة قرابة متينة لا تنفصم عراها، وصلة محبة وانسجام لا تنقطع أوصالها بأي حال.

هذا... فضلا عما كان بينهما من صلة مصاهرة ظلت سلسلتها مستمرة بين هاتين الأسرتين.. برزت في زواج عثمان بن عفان من ابنتي محمد ﷺ وفي زواجه ﷺ من أم حبيبة بنت أبي سفيان، وما كان بينهما من روابط تجارية واجتماعية، تمثلت في العلاقة المتينة بين أبي سفيان الأموي، والعباس بن عبدالمطلب الهاشمي.

ولقد استغل المؤرخون الجدد من (الماركسيين) وغيرهم، ممن حاولوا تفسير التاريخ ـ وفقا لمعتقدهم الماركسي ـ على أساس فكرة الصراع بين الطبقات، حيث وجدوا في تلك الروايات الخاطئة مأربهم، فراحوا يصيغون التاريخ الإسلامي على أساس فكرهم الشيوعي، ليجعلوه تاريخ صراع بين الطبقات.

قصد التزييف يقود إلى التاريخ الانتقائي

وعلى الرغم من أن المستشرقين المزيفين ومن حذا حذوهم من المؤرخين لم يضعوا وقائع ولادته ﷺ وطفولته، ومرحلة شبابه الأولى على محك التاريخ الموضوعي المحايد، حيث اعتبروا جميع أحداث سيرة محمد ﷺ قبل بعثته روايات غير تاريخية، أو مجرد حكايات.

على الرغم من ذلك... تراهم يحرصون على إثبات قصة بحيرا الراهب بكل الوسائل، مع أن أكثر المؤرخين المسلمين، ونقاد الحديث، وعلماء الجرح والتعديل ينفون هذه القصة، ويرونها ـ من حيث أصول الرواية والدراية ـ قصة موضوعة.

عمر بن الخطاب والقدس



للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومي

في عصر الخلافة الإسلامية واصل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب سياسة الفتح الإسلامي وتوالت الفتوحات الإسلامية تقدمها في فلسطين وفي ٢٠ من أغسطس ٦٣٦م هزم المسلمون القوات البيزنطية في معركة اليرموك وأمام النصر الإسلامي ترك هرقل بلاد الشام إلى غير رجعه.

ثم جرت المفاوضات بين القادة المسلمين وبين البطريرك ، صفرونيوس ، واشترط تسليم المدينة المقدسة لعمر بن الخطاب نفسه واستجابت القيادة الإسلامية لذلك وقبل عمر بن الخطاب.

وتقول الرواية : إن صفرونيوس ركب إلى خارج المدينة للقاء عمر ثم اصطحبه عائدا إلى أورشليم. ولابد وأن مظهر عمر الزاهد مقارنة بالبيزنطيين الذين كانوا يرتدون ملابسهم الفخمة، فقد دخل المدينة على ظهر بعير أبيض مرتدياً ملابسه المعتادة، والتى رفض أن يستبدلها احتفاء بتلك المناسبة . وقد شعر بعض المسيحيين أن الخليفة لابد وأن يكون على درجة عظيمة من الزهد بعد أن لاحظوا أن الخليفة المسلم قد جسد المثل المسيحى «للفقر المقدس» بدرجة من الإخلاص تفوق إخلاص مسؤوليهم.

عبر عمر أيضا عن مبدأ التراحم التوحيد أكثر من أى ممن فتحوا أورشليم قبله، وربما باستثناء الملك داود فقد أشرف على أكثر من غزوة للمدينة سلاماً، ودون أى إراقة للدماء لقد كان فتحا لم تشهد مثله المدينة فى تاريخها الطويل والمأساوى فى غالب الأحوال

فبمجرد أن استلم المسيحيون لم يحدث قتل أو تدمير للممتلكات، أو محاولة لإجبار السكان على اعتناق الإسلام ولو أخذنا احترام سكان المدينة السابقين معياراً لسلامة وقوة العقيدة التوحيدية يمكننا القول هنا: إن الإسلام قد بدأ ولايته الطويلة هناك بداية حسنة جداً.

وكان عمر قد طلب مشاهدة الأماكن المقدسة واصطحبه صفرونيوس من فوره إلى كنيسة القيامة، وفي هذا الصدد يجب ذكر أن القرآن يبجل المسيح كأحد أعظم الأنبياء، غير أنه ينفي أنه صلب، كما أن محمداً ﷺ قد حقق في حياته نجاحاً مؤزراً خلافاً لنبي الله عيسى ومن ثم يرى المسلمون أنه من الصعب الاعتقاد أن يموت أحد أنبياء الله بذلك الأسلوب المخزي ويبدو أن العرب كانوا قد سمعوا أيضا بأفكار الدوسيين والمانويين والتي كانت منتشرة في أنحاء كثيرة من الشرق الأدنى وتقول: إن المسيح بدا تخيلاً وأنه توفي؛ إذ أن الجسد الذي كان على الصليب كان مجرد وهم، أو صورة زائفة (ينص القرآن الكريم على أن المسيح لم يقتل أو يصلب).

﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾(١).

بيد أن عمر لم يبد شيئا من تلك الشوفونية حتى أثناء الحماس المبدئي الذي صاحب ذلك النصر الهام فبينما كان واقفاً إلى جوار المقبرة حان موعد الصلاة فدعا صفرونيوس الخليفة للصلاة حيث كان واقفاً، لكن عمر رفض رفضاً مهذباً، كما رفض أيضاً الصلاة في مبنى كنيسة الشهيد القسطنطين وبدلاً من ذلك توجه إلى الخارج وصلى على الدرجات إلى جانب طريق كاردو ماكسيموس المزدحم. وفيما بعد وضح عمر الأمر للبطريرك قائلا: إنه لو صلى داخل الأماكن المسيحية المقدسة، لصادرها المسلمون وحولوها إلى مساجد. وبعد ذلك مباشرة كتب عمر صكا منع المسلمين من الصلاة على تلك الدرجات أو بناء مساجد هناك وقام بعد ذلك بالصلاة في كنيسة النيا، ومرة أخرى أكد على أن يظل المكان في أيد مسيحية.

بيد أن المسلمين كانوا يحتاجون إلى موقع يقيمون فيه مسجداً دون ضم أملاك مسيحية كما كانوا أيضاً متشوقين لرؤية معبد سليمان الشهير وطبقا للمؤرخ الوليد بن مسلم فقد حاول البطريرك إيهام عمر أن كنيسة الشهداء وباسيلقا صهيون المقدسة هما «مسجد داود» إلا أنه في النهاية قاد عمر ومرافقيه إلى جبل المعبد.

وكما يقول المؤرخ الإسلامي مجير الدين فإن عمر حينما وصل إلى بوابات المعبد القديمة المتهالكة انتابه الفزع لدى رؤية القاذورات التي كانت تحيط بذلك الحرم المقدس إحاطة تامة، والتي استقرت على

---

(١) النساء: (١٥٧).

درجات البوابات حتى أنها فاضت من المبنى إلى الطريق التى كانت البوابات تفتح عليه، وكانت تلك القمامة قد تراكمت إلى أن وصلت تقريباً إلى سقف المدخل.

وتقدم صفرونيوس وتبعه المسلمون بصعوبة شديدة وحينما وصلوا للقمة فلابد وأنهم قد حملقوا مرتاعين عبر الأتساع الموحش لدكة هيرود والتى كانت مازالت مغطاة بالأنقاض والقمامة. ولم ينس المسلمون قط تلك الصدمة التى تلقوها عند لقائهم بذلك المكان المقدس الذى كان صيته قد وصلهم فى بلاد العرب النائية، ومن ثم فإن بعض المسلمين قد قالوا إنهم أطلقوا على كنيسة القيامة كنيسة «القمامة» انتقاماً لسلوك المسيحيين غير الورع تجاه جبل المعبد.

وبعد أن استوعب صدمة الموقف أخذ يحمل حفنات من الروث وكسارات الحجارة فى عباءته ثم أطاح بالقمامة إلى وادى هنوم وسرعان ما اتبعه مرافقوه إعلاناً لسياسته التطهيرية.

وبمجرد إزاحة القاذورات عن الدكة استدعى عمر كعب الأحبار وهو خبير يهودى فى الإسرائيليات كان قد اعتنق الإسلام وكان أمراً طبيعيا للمسلمين أن يأخذوا بمشورة اليهود بشأن التنظيمات الخاصة بموقع كان مقدساً لأسلافهم، وتوضح المصادر اليهودية والإسلامية أن اليهود شاركوا فى تطهير الجبل ويقال إن عمر كان قد سافر إلى بيت المقدس مع مجموعة من حاخامات طبرية كما يقول أبو جعفر الطبرى المؤرخ المتميز الذى عاش فى القرن العاشر: إن عمر بدأ لقاءه بكعب بتلاوة سورتى الأسراء والكهف اللتين تحويان سرداً لقصص سليمان والمعبد بينما لا يرد فى سورتى الإسراء والكهف أى ذكر لداود وسليمان ـ عليهما السلام ـ لكن تروى المصادر العربية أن عمر تقدم فصلى بالناس وقرأ بهم سورة «ص» وهى السورة «٣٨» وسجد فيها ثم قام وقرأ بهم مرة أخرى سورة «بنى إسرائيل أى سورة الإسراء» ثم ركع ثم انصرف، وبعد ذلك طلب من كعب أن يشير إلى أفضل مكان للصلاة على الجبل وانتقى كعب موقعاً شمال الصخرة. إذ رفض عمر اقتراح كعب وقرر بناء المسجد عند الحافة الجنوبية للدكة فى موقع رواق هيرود الملكى حيث يقع المسجد الأقصى الآن ويمكن للمسلمين من ذلك الموقع التوجه إلى مكة وكان مبنى المسجد خشبياً متواضعاً يتماشى مع مبدأ التقشف للمسلمين الأوائل وكان أول من وصف المسجد هو الحاج المسيحى أركولف الذى زار بيت المقدس حوالى ٦٧٠م وأذهله التباين بينه وبين فخامة المعبد الذى كان هناك فكتب قائلا إن «المسلمين الآن يترددون على بناء خشبى متواضع للصلاة أقاموه دون تشذيب بواسطة ألواح وعوارض كبيرة ثم رفعها على أنقاض بعض المبانى القديمة المتهدمة غير أن المسجد كان متسعاً يستوعب نحو ثلاثة آلاف مصل وكانت القبائل العربية هناك والتى اعتنقت الإسلام تؤم مسجد عمر لصلاة الجمعة.

حريـــة المواطـــن والمعتقـــد

لم يجبر الفاتحون أحدا من مسيحيي بيت المقدس على اعتناق الإسلام وفي الواقع فإن اعتناق بعض الأهالي الإسلام لم يلق تشجيعاً حتى القرن الثامن، كما يورد الطبري وثيقة العهد الذي تم إنجازه بين عمر ومسيحيي أورشليم فإنها تعبر بدقة عن السياسة الإسلامية تجاه الشعوب المهزومة، ونص الوثيقة وهي تسمى العهد العمرية هو:

«هذا ما أعطى عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء «القدس» من الأمان أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها أنه لا يسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينقص منها ولا من حيزها ولا من شئ من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيلياء من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبانهم فإنهم آمنون على أنفسهم حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بهم من أهل الأرض، فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله لا يؤخذ منهم شئ حتى يحصد حصادهم وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذى عليهم من الجزية.

شهد على ذلك: خالد بن الوليد، عمرو ابن العاص، عبد الرحمن بن عوف، معاوية ابن أبي سفيان، عمربن الخطاب، كتب وحضر سنة ١٥ هـ. «النص من كتاب «إتحاف الإخصا بفضائل المسجد الأقصى» تأليف محمد بن شهاب الدين شمس الدين السيوطي ج٢».

ومثل غيرهم من رعايا الإمبراطورية الإسلامية أصبح يهود ومسيحيو بيت المقدس أقلية محمية «ذميين» وكان عليهم أن يتخلوا عن جميع وسائل الدفاع عن النفس وعن حمل السلاح وبدلاً من ذلك وفر لهم المسلمون الحماية العسكرية ونظير ذلك كان الذميون يدفعون الجزية وكان على الحجاج المسيحيين دفع رسم دخول قدره دينار إذا هم أتوا من خارج الإمبراطورية الإسلامية وبذلك يصبحون ذميين أثناء إقامتهم.

ولم يكن نظام الذميين نظاماً كاملاً فقد طورت فيما بعد بعض التشريعات الإسلامية أن النظام سمح للناس من مختلف العقائد أن يتعايشوا في تناغم نسبي، وضمن بشكل أساسي أن تعامل الأقليات معاملة شرعية كريمة ومن المؤكد أن النظام يعتبر تحسيناً هائلاً على القانون البيزنطي الذى كان يضطهد بشكل متزايد الأقليات مثل اضطهاده لأتباع العقيدة الواحدة والسامريين واليهود.

وهكذا فلم يكن من المستغرب إذا أن يرحب أناس مثل النسطوريين والمسيحيين من أتباع الطبيعة الواحدة بالمسلمين وأن يجدوا الإسلام أفضل من بيزنطة وفي هذا الصدد يكتب مؤرخ القرن الثاني عشر ميخائيل السرياني قائلا: إن المسلمين لم يستعلموا عن عقائد الناس المعلنة ولم يضطهدوا أحداً بسبب إعلانه عن عقيدته وذلك خلافاً لما فعله اليونانيون الذين هم أمة من الهراطقة.

أما الأماكن المقدسة للمسيحيين فكانت تتركز جميعها تقريبا على التل الغربي وعلى هذا ظلت تلك المنطقة بالكامل منطقة مسيحية ولم يستوطن الفاتحون المسلمون ذلك الجزء من المدينة برغم أنه كان ذا مناخ ملائم وأكثر برودة من منطقتهم أسفل الحرم ومنع المسلمون أيضا من ارتياد الكنائس الواقعة على جبل الزيتون ووادى قدرون وخاصة كنيسة الصعود وقبر العذراء حيث كانت هذه الأماكن تحدد مواقع وأحداثا هى موضع تبجيل من قبل المسلمين كذلك وسمح للمسيحيين ببناء وترميم كنائسهم دون قيود وفى الواقع فقد كان هناك فيض من تشييد الكنائس فى فلسطين والشام فى القرنين السابع والثامن الميلاديين، كما سمح أيضا للمسيحيين بتسيير مواكبهم وإقامة صلواتهم أما المكان الوحيد الذى كان المسلمون يتعبدون فيه بأعداد كبيرة فهو حرمهم الخاص بهم أى جبل المعبد الذى لم يكن قد شهد مشهداً لأى من الطقوس المسيحية.

وبعد الفتح مباشرة وافق عمر صفرونيوس على عدم السماح لليهود بسكنى بيت المقدس، غير أن عمر قام بإلغاء ذلك الترتيب فيما بعد فلم يكن هناك سبب وجيه لأن ينكر على اليهود حق سكنى مدينة داود، ولذا قام عمر بدعوة سبعين عائلة من طبرية للاستيطان فى بيت المقدس وخصصت لهم المنطقة الواقعة حول بركة سلوام فى الركن الجنوبى الغربى من الحرم. وقام اليهود بتنظيف المكان واستعملوا أحجار الانقاض لبناء مساكنهم الجديدة وسمح لهم أيضا بتشييد معبد عرف «بالكهف» قرب الجدار المساند الذى يعتقد أنه كان موجودا فى الأقبية أسفل الدكة، وتقول بعض المصادر: إنه كما سمح للمسيحيين بالصلاة فى مسجد المدينة فقد سمح أيضا لليهود بالصلاة على الدكة نفسها وكانت قد تم توظيف بعض الذميين من اليهود والمسيحيين حراساً وخدماً فى الحرم وقد أتاح لهم ذلك الأمتياز الإعفاء من دفع الجزية ومن المحتمل أن اليهود كانوا على استعداد للقيام بتلك الأعمال عن طيب خاطر حيث منحهم الفتح الإسلامى أملاً جديداً فقد كان الأباطرة البيزنطيون قد جرموا الديانة اليهودية كما أوشك هرقل على إجبار اليهود على أن يُعَمَّدُوا مسيحيين، لذا كان اليهود على استعداد لمؤازرة المسلمين خاصة وأن عقيدة المسلمين التوحيدية أكثر قربا لليهودية منها للمسيحية.

كما أن المسلمين لم يحرروهم فقط من ظلم بيزنطة، لكنهم أيضا منحوهم حق الإقامة الدائمة فى المدينة المقدسة، ولا يثير الدهشة إذن أن يتسبب هذا التغيير فى إلهام اليهود ببعض الأحلام الرؤياوية خاصة وأن المسلمين حاولوا تطهير المعبد، وأصبح هناك تساؤل عما إذا كان ذلك يعنى التمهيد لتشييد المعبد النهائى الذى سيقيمه المسيح المنتظر وهكذا ظهرت قصيدة عبرية قرب نهاية القرن السابع ترحب بالعرب المبشرين بالمسيح المنتظر وتترقب، آملة أن يجتمع شمل يهود الشتات، وأن يعاد بناء المعبد، وحينما لم يصل المسيح المنتظر استمرت نظرة اليهود الراضية عن الحكم الإسلامى فى أورشليم ففى خطاب كتبه حاخامات أورشليم فى القرن الحادى عشر تذكر هؤلاء الرحمة التى أظهرها الإله لشعبه حينما سمح «لمملكة إسماعيل» أن تفتح فلسطين وعبروا عن غبطتهم لوصول المسلمين إلى أورشليم حيث كان فى صحبتهم أناس من أبناء إسرائيل أرشدوهم إلى موقع المعبد وتوطنوا هناك معهم إلى ذلك الحين.

فقد ظل شعب فلسطين خليطاً عرقياً كما كان دائماً ولم يسمح للفاتحين المسلمين باستيطان المناطق الجديدة فقد سمح لهم فقط بالبقاء كحامية عسكرية صغيرة كانت تعيش بمعزل عن السكان المحليين فى مجمعات عسكرية خاصة كما سمح لبعض القادة بامتلاك الضيعات فى الأراضى غير المسكونة وكما رأينا فإن المسلمين لم يحاولوا الاستيطان فى الجزء المعتدل المناخ ببيت المقدس بل أقاموا فى منطقة أسفل قاعدة الحرم بجانب الحى اليهودى وظل بيت المقدس مدينة مسيحية إلى حد كبير. بها منطقة إسلامية مقدسة واحدة وقد روى أن النبى محمداً ﷺ قد قال ما معناه: إن من تكلم العربية فهو عربى وبالمثل فإن من يتكلم اليونانية يدعى هيلنستى وكان من الطبيعى أن يتخذ سكان فلسطين الأصليون العربية لغة رئيسية لهم بمرور الوقت.

واستمر العرب يدعون المدينة المقدسة إما بيت المقدس أو إيلياء ويتجلى تقدير المسلمين للمدينة فى نوعية الأشخاص الذين اختيروا لحكمها فقد وقع الاختيار على معاوية بن أبى سفيان حاكما لبلاد الشام أى فلسطين وسوريا، وأوكل إلى عمير بن سعد أحد قادة جيش المسلمين المسيطر. أمر جند فلسطين وعرف عنه معاملته الكريمة للذميين وأصبح عبادة بن الصامت وهو أحد خمسة من أهم المتخصصين فى علوم القرآن قاضى بيت المقدس وأقام بعض صحابة النبى المرموقين مثل: فيروز الديلمى وشداد بن أوس فى بيت المقدس بعد أن جذبتهم قداستها.

***

اغتيال إسلامية فيلسوف!

هل كان ابن رشد فيلسوفا ماديًا ؟!

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

كان ابن رشد - أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد [٥٢٠ - ٥٩٤هـ ١١٢٦ - ١١٩٨م]- فيلسوفا حكيما. ومتكلما مسلما.. وفقيها مالكيا.. وقاضيا للقضاة.. وطبيبا عظيما.. وأديبا.. ولغويا.. أبدع في ميادين هذه الفنون والعلوم آثارا خالدة، تشهد على «التخصص - العميق» مع «الموسوعية» التي أحاطت بكل هذه الميادين.

فله في علم الكلام: [مناهج الأدلة في عقائد الملة] وفي المنهج: [فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال].. وفي الفقه: [بداية المجتهد ونهاية المقتصد].. وفي اللغة والأدب والنحو: [تلخيص كتاب الشعر] و[الضروري في النحو] و[كلام على الكلمة والاسم المشتق].. وله في الطب أكثر من عشرين كتابا، أشهرها: [كتاب الكليات].. أما في الفلسفة - التي صارت أشهر ميادين إبداعاته - فله من الشروح والتآليف مايزيد على التسعين كتابا.

وإذا كانت الشهرة بالفلسفة قد غلبت على ابن رشد، فإن مرجع ذلك لم يكن فقط إمامته لهذا الفن في عصره، وإنما لغلبة ملكة التفلسف عليه في كل فن أو علم كتب فيه.. فهو قد فلسف علم الكلام الإسلامي، فارتفع ببراهينه عن جدل المتكلمين الذي غلب على الاحتجاج فيه.. وفلسف علم الفقه، عندما جعل كتابه [بداية المجتهد] موسوعة في فلسفة اختلاف الفقهاء فيما اختلفوا فيه.. وكذلك كان [فصل المقال] و[تهافت التهافت] كتابين في فلسفة المنهج، وحكمة الاختلاف بين الفلاسفة والمتكلمين.

تلك حقائق لا يختلف فيها العارفون بأبي الوليد.

وإذا كان «ابن الأبّار» [٥٩٥ - ٦٥٨هـ/١١٩٩ - ١٢٦٠م] قد أجاد التصوير لمكانة ابن رشد بين علماء عصره، وفي سياق العلم الإسلامي والعالمي، عندما تحدث عنه فقال: «كانت الدراية أغلب عليه من الرواية: درس الفقه والأصول وعلم الكلام، وغير ذلك. ولم ينشأ بالأندلس مثله كمالا وعلما وفضلا. وكان، على شرفه، أشد الناس تواضعا وأخفضهم جناحا. عُني بالعلم من صغره إلى كبره، حتى حكى عنه أنه لم يدع النظر ولا القراءة منذ عقل إلا ليلة وفاة أبيه وليلة بنائه على أهله، وأنه سوّد في ما صنف وقيّد وألّف واختصر نحوا من عشرة آلاف ورقة. ومال إلى علوم الأوائل، فكانت له فيها الإمامة دون أهل عصره. وكان يُفْزَعُ إلى فتواه في الطب كما يُفْزَعُ إلى فتواه في الفقه، مع الحظ الوافر من الإعراب والآداب، حتى حكى عنه أبوالقاسم بن الطيلسان: أنه كان يحفظ شعرى حبيب والمتنبي، ويكثر التمثيل بهما في مجلسه، ويورد ذلك أحسن إيراد»[1].

فإن أهمية هذا الوصف تتعدى تصوير «الموسوعية - المتخصصة» لابن رشد، إلى الإشارة إلى كماله العلمي، وفضله الخلقي، والتواضع الذي زان شرف مكانته الاجتماعية والعلمية، فجعله جامعا إلى العلم العدالة الجامعة التي اشترطها الإسلام وحضارته في العلماء قبل الأمراء!.

فابن رشد، الذي كانت حياته الفكرية تجسيدا للصراع الفكري بين تيارات الفلاسفة وفرق المتكلمين، هو الذي يضع ضوابط العدالة لهذا الصراع فيقول: «إن العالم، بما هو عالم، إنما قصده: طلب الحق، لا إيقاع الشكوك وتحيير العقول»[2]. وهو الداعي إلى أن تكون «حياة» العالم تجسيدا «لفكره»، وذلك حتى يجد فكره طريقا ممهدة إلى القلوب والعقول «فإنما تكون الأقاويل التي يُحَثُّ بها على السنن مقنعة، إذا كان المشيرون بها ذوى صلاح وحُسن فعل، حتى تكون هذه الأشياء المذكورة ها هنا معلومة لنا وموجودة فينا، فإنه إذا وُجد فينا الخُلق الذي نحث عليه كان قولنا في الحث عليه أشد إقناعا»[3].

أما العدالة الجامعة بين إنصاف «الآخرين» وبين الاعتصام بالحق الذي نؤمن به كمسلمين، فإن ابن رشد يحدد منهاجها، فيقول: «فقد يجب علينا إن ألفينا لمن تقدم من الأمم السالفة نظر في الموجودات، واعتبار لها، بحسب ما اقتضته شرائط البرهان، أن ننظر في الذي قالوه من ذلك، وما أثبتوه في كتبهم، فما كان منها موافقا للحق قبلناه منهم، وسررنا به، وشكرناهم عليه. وما كان منها غير موافق للحق، نبهنا عليه، وحذرنا منه، وعذرناهم»[4]!.

وإذا كانت الأرض ممهدة لدارسي «ابن رشد الفيلسوف».. أو «ابن رشد الفقيه».. أو «ابن

---

(١) أرنست رينان [ابن رشد والرشدية] ص٣٥، ٣٦ ترجمة عادل زعيتر. طبعة القاهرة سنة ١٩٥٧م.

(٢) [تهافت التهافت] ص٦٧ طبعة القاهرة سنة ١٣٢١هـ.

(٣) [تلخيص الخطابة] ص، ١٤٠، ١٤١، تحقيق: د. محمد سليم سالم. طبعة القاهرة سنة ١٩٦٧م.

(٤) [فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال] ص٢٨. دراسة وتحقيق: دكتور محمد عمارة. طبعة القاهرة سنة ١٩٨٣م.

رشد الطبيب».. فإنها ليست كذلك بالنسبة لدارسيه «مفكرا».. أى دارسي موقعه الفكرى بين تيارات الفكر ومذاهب النظر والخيارات المطروحة على الأمم فى التقدم والنهوض.. ففى هذا الميدان احتدم الخلاف حول موقع ابن رشد، منذ عصره.. وحتى كتابة هذه الصفحات!.

ولم يكن «سوء الظن» أو «الاختلاف فى موقع ابن رشد من مذاهب النظر وألوان الفكر ومذاهب التقدم» نابعًا من غموض فى منهاج فيلسوفنا، أو نقص فى وضوح فكره، بقدر ما كان نابعا من «الهوى» حينا، ومن النظرة الجزئية وحيدة الجانب إلى قطاع معزول من فكره ـ عن بقية القطاعات ـ فى أغلب الأحايين!.. فالذين رأوه شارحا لأرسطو [٣٨٤ ـ ٣٢٢ق.م] قد حمّلوه احمال فيلسوف اليونان!، والذين رأوه ناقداً لفرق المتكلمين الإسلاميين، حملوه على الفلسفة بالمعنى اليونانى وعلى «العقلانية» التى لا «نقل» فيها.. فخلت هذه النظرات الجزئية لقطاعات مبتورة من أعمال أبى الوليد خلت من المنهاج الذى حدّده الرجل للناظرين فى مذاهب النظر وتيارات الفكر.. وهو المنهاج الذى لم يبتدعه، وإنما استخلصه من معيار النظر الإسلامى، وهو: عرض «الحكمة» ـ التى هى «الإصابة فى غير النبوة».. أى الصواب الذى يصل إليه «العقل البشرى» ـ بصرف النظر عن دين صاحبه واتجاه مذهبه ـ على «الحكمة» التى نزل بها الكتاب العزيز ـ أى الإصابة التى جاءت بها الرسالة السماوية الخاتمة ـ فما اتفقا فيه ـ العقل.. والنقل ـ كان هو الحكمة بإطلاق، لأنهما هدايتان من الخالق الواحد ـ الذى أنزل الكتاب والحكمة ـ لهداية خليفته الإنسان.

فإذا كان الرسول ﷺ قد بعث إلى الناس ليعلمهم الكتاب والحكمة: «ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم»[٥].. وإذا كانت «الحكمة» ـ كما عرفها الحديث النبوى ـ هى «الإصابة فى غير النبوة»[٦].. فإن النظر العقلى فريضة إلهية، والإصابة العقلية التى يثمرها هذا النظر ضرورة دعت إليها آيات الوحى والتنزيل، ليتزامل الكتاب والحكمة فى هداية الإنسان.

«فالحكمة ـ [عند ابن رشد] ـ هى النظر فى الأشياء بحسب ما تقتضيه طبيعة البرهان»[٧].. والبرهان هو: «النظر بالعقل فى الموجودات»[٨].. فإن هذا النظر فى الموجودات بالعقل هو السبيل الإسلامى لمعرفة الصانع الواحد لهذه الموجودات ـ وفى ذلك جوهر الدين وأولى فرائضه ـ لأن ذلك هو سبيل «الاعتبار فى الموجودات، ودلالة الصنعة فيها. فإن من لا يعرف الصنعة لا يعرف المصنوع، ومن لا يعرف المصنوع لا يعرف الصانع»[٩]، ولذلك جاء الكتاب بإيجاب هذه الحكمة ـ النظر العقلى والبرهانى فى الموجودات ـ فلقد «أوجبه الشرع.

﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾[١٠].

---

(٥) البقرة: ١٢٩.

(٦) رواه البخارى.

(٧) [تهافت التهافت] ص١٠٦.

(٨) [فصل المقال] ص٢٢.

(٩) المصدر السابق ص٣٦.

(١٠) الحشر: ٢.

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾(١١).

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴾(١٢).

﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾(١٣)، (١٤)

فالنظر العقلي، والفحص في الموجودات بالبرهان: «حكمة.. إسلامية» أوجبها الشرع، لأنها هي طريق الوصول إلى جوهر الدين والتدين ـ معرفة الذات الإلهية ـ.. ومن هنا تأتي علاقة المؤاخاة بين هذه «الحكمة» وبين «الشريعة» في المنهاج الإسلامي، الذي صاغه ابن رشد.. ويأتي ضبطه، الذي يميز إسلامية الحكمة، إذا هي التزمت العدالة الإسلامية في النظر، والفضيلة والخلق الإسلاميين في صناعة البرهان.. وبعبارة ابن رشد «فمن كان أهلاً للنظر.. هو الذي جمع بين أمرين:

أحدهما: ذكاء الفطرة.

والثاني: العدالة الشرعية، والفضيلة العلمية والخلقية..»(١٥).

لكن..... ومع كل هذا الوضوح والتحديد في المنهاج الرشدي للنظر العقلي ـ الذي بلور فيه منهاج الإسلام ـ في جعل الحكمة العقلية فريضة إلهية، والأخت الرضيعة للشريعة السماوية، وهو المنهاج الذي شهدت إبداعاته الفكرية لدقة تطبيقه له وشدة



فرح انطون



د. مراد وهبه

التزامه به.. فقد اختلف الناس في الموقع الفكري لابن رشد اختلافاً شديداً.. فوقف به البعض عند «ذكاء الفطرة»، دون العدالة الشرعية، عندما رأوا في «حكمته» الفلسفة التي لا تلتزم بالشريعة، ولا تعرض «إصابة العقل» على «إصابة النبوة».. بل واشتط البعض فرآه داعية لإقامة الفلسفة ـ اللاإسلامية ـ على أنقاض الدين؟!

● فرح أنطون [١٢٩١ ـ ١٣٤٠هـ / ١٨٧٤ ـ ١٩٢٢م] ـ وهو علماني ماروني ـ يقول: «إن فلسفة ابن رشد عبارة عن مذهب مادي قاعدته العلم»(١٦).

● والقس يوحنا قمير، يقول: «إن ابن رشد هو أبعد فلاسفة العرب، بعد المعري، عن الإسلام»(١٧).

● والدكتور مراد وهبه ـ وهو «ماركسي.. وأستاذ للفلسفة الغربية» ـ يقول: «إن ابن رشد يُخضع الدين للعقل.. وداعية لفصل الدين عن

---

(١١) الأعراف: ١٨٥.

(١٢) الغاشية: ١٧، ١٨.

(١٣) آل عمران: ١٩١.

(١٤) [فصل المقال] ص٢٢، ٢٣.

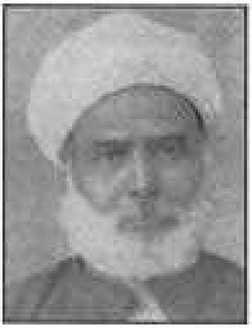
(١٥) المصدر السابق: ص٢٨.

(١٦) [ابن رشد وفلسفته] ص٣٣، ٣٧. طبعة الإسكندرية سنة ١٩٠٣م.

(١٧) [ابن رشد] ج٢ ص٣١. طبعة بيروت. المطبعة الكاثوليكية.

الدولة.. ومؤسس للتنوير الغربي والعلمانية الغربية»[18].

ولقد جاءت هذه الأحكام ـ مع افتراض حُسن النية وسلامة الطوية ـ من أن هؤلاء الباحثين قد انطلقوا للحكم على ابن رشد من دراستهم لتيار «الرشديين اللاتين»، الذي صارع الكنيسة الكاثوليكية في أوروبا إبان بدايات النهضة الأوروبية ـ والذي لعب دورا ملحوظا في التأسيس للتنوير والعلمانية ـ فحسبوا مقالات «الرشديين اللاتين» على فيلسوف قرطبة المسلم.. غير ناظرين إلى الدراسات الجادة والكثيرة التي قوّمت فلسفة ابن رشد، وحددت موقعه الفكري انطلاقا من إبداعاته الفكرية وإضافاته وانتقاداته المبثوثة في شروحه على أرسطو، وفي ضوء مقارنة هذه الإبداعات بمقولات «الرشديين اللاتين».. وهي الدراسات التي جعلت «رينان» [1823 ـ 1892م] ـ وهو أبرز دارسي ابن رشد من فلاسفة الغرب المحدثين ـ يقول: «إن القدر قد جرى بأن يكون ابن رشد ذريعة لانطلاق أشد الأحقاد اختلاقا، وأشد ضروب الصراع العقلي عنفا، كما جرى بأن يكون اسمه علما يخفق على تلك الآراء التي لم يفكر فيها مطلقا على وجه التأكيد»![19]



الإمام محمد عبده

وجعلت «آسين بلاسيوس» [1871 ـ 1944م] ـ وهو من أبرز المستشرقين الغربيين، وأخبرهم بتراث الإسلام، وأعدلهم أحكاما ـ يقول: «إن من الواجب أن نشير إلى تلك الفكرة الوهمية التي كان جميع المؤرخين ضحية لها، وهي أنهم متى وجدوا جماعة من «المدرسيين» الذين نطلق عليهم في العصور الوسطى، وفي عصر النهضة، اسم «الرشديين»، فإنهم لايترددون أن يلقوا على رأس ابن رشد كل النظريات التي تتميز بها هذه الجماعة»![20]

كما جعلت الإمام محمد عبده [1295 ـ 1323هـ 1849 ـ 1905م] وهو من أفقه الناس بإبداعات ابن رشد ـ يقول ـ في ختام نقده لآراء فرح أنطون ـ وبعد عرض فلسفي لمذهب ابن رشد ـ: «فهل بعد هذا يُعد الفيلسوف ماديا، ومذهبه مذهبا ماديا قاعدته العلم؟!.. لا.. بل إلهي، ومذهبه مذهب إلهي قاعدته العلم، قائل بخلود النفس، وسعادتها وشقائها وعذابها ونعيمها..»[21].

(18) [مدخل إلى التنوير] ص141، 156، 159. طبعة القاهرة والكويت سنة 1994م

(19) د. محمود قاسم [نظرية المعرفة عند ابن رشد وتأويلها لدى توما الإكويني] ص41. طبعة مكتبة الأنجلو ـ القاهرة.

(20) المرجع السابق. ص20، 21.

(21) [الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده] ج3 ص427. دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة القاهرة سنة 1993م

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾

الأحزاب (٢٣).

من قادة الفتوحات الإسلامية

النعمان بن مقرن المزنى

بطل نهاوند

إعداد الأستاذ / أحمد السيد تقى الدين

فى جمادى الأولى أو الثانية من عام (١١) للهجرة بدأ نجم بطلنا يبزغ فقد فجع المسلمون بانتقال رسول الله ﷺ إلى جوار ربه، وظن الكثيرون أن الإسلام قد مات بموت رسول الله ﷺ ففشت الردة فى قبائل العرب، ووقف خليفة رسول الله أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - موقفا صلباً لا يلين وأصر على محاربة المرتدين، وظل منتظرا فى المدينة عودة أسامة بن زيد وجيشه من حرب الروم ليبدأ فى حرب المرتدين، ولكن قبائل عبس وذبيان لم تمهله إذ خرجت زاحفة نحو المدينة، لضرب دولة الإسلام فى مركزها الرئيسى ومن ثم محوها، ولكن هيهات.

أخذ أبو بكر يعد العدة للمواجهة ونظر حوله ينتقى قادته، فوقع بصره على ثلاثة أشقاء هم: النعمان، وعبدالله، وسويد، أبناء عمرو بن مقرن المزنى.

وخرج أبو بكر على رأس الجيش على ميمنته النعمان، وعلى ميسرته عبدالله، وعلى الساقة[1] سويد وخرجوا في آخر الليل فما طلع الفجر إلا وقد وضعوا السيف على رقاب المرتدين من عبس وذبيان، وتتبع النعمان فلولهم فقتل من قتل وأسر من أسر.

وبعد الفراغ من حروب الردة بدأت معارك من نوع جديد إذا اصطدمت الدولة الإسلامية الوليدة بأطماع الروم والفرس، ورغبتهما في السيادة والسيطرة على القبائل العربية المتاخمة لحدودهما مما كان يعني تهديدا مباشرا وخطيرا، يزيد من خطورته أنه يأتي من القوتين العظميين الوحيدتين في العالم آنذاك، ولم يكن هناك بديل آخر سوى الحرب.

فأرسل الصديق الجيوش إلى العراق الواقعة تحت الاحتلال الفارسي وإلى الشام الواقعة تحت الاحتلال الروماني، وتتابع الانتصارات وتهتز الأرض من تحت المارقين، ففي الشام أنهت معركة اليرموك الوجود الروماني تماما في بلاد الشام حتى أن قيصر هرقل قال يومها وهو يغادر سوريا: «سلام عليك يا سوريا.. سلام لا لقاء بعده».

وفي الجبهة الشرقية اندحرت جحافل الفرس الجرارة تحت سنابك خيل جيش سعد بن أبي وقاص في القادسية، وكان لبطلنا (النعمان بن عمرو بن مقرن المزني) دوره الفعال في كل أيامها، بل إنه عندما طلب الفرس إرسال وفد من المسلمين إليهم ليتعرفوا على مطالب المسلمين كان النعمان بن مقرن هو أمير هذا الوفد الذي ضم أربعة عشر رجلا فيهم عاصم بن عمرو، والمثنى بن حارثة، والمغيرة بن شعبة، والأشعث بن قيس.. وغيرهم.

وبعد انكسارهم في القادسية حشد الفرس جموعهم في نهاوند، وعلم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بذلك، فأمر من ينادي في الناس: «الصلاة جامعة»، فاجتمع الناس، وقام عمر على المنبر فأخبرهم بأمر حشود الفرس في نهاوند وسألهم المشورة، فأشار عليه البعض بأن يجمع الحشود ويخرج على رأسها ليدحر جموع الفرس، في حين تحفظ البعض الآخر على هذا الرأي الذي يخلق فراغا سياسيا كبيرا بمقر الحكم في المدينة المنورة فالدولة قد اتسعت رقعتها وهي بعد لاتزال وليدة في حاجة إلى من يسير بها وسط ما تمر به من مصاعب وأخطار.

وهكذا كانت المشكلة الرئيسية هي اختيار قائد هذا الجيش.

واستمر النقاش وعمر حائر يقلب في وجوه القوم بصره علّه يظفر ببغيته فأبصر رجلا يصلي في خشوع، فأخذ يتأمله، وسأل عنه، فقيل له: هذا النعمان بن مقرن المزني.

ويمعن عمر التفكير، فالنعمان بطل من أبطال حروب القادسية شهد إلى جوار سعد بن أبي وقاص جميع الوقائع فيها وأبلى فيها البلاء كله، حتى أن سعد ولاه على خراج (كسكر) مكافأة له على بلائه، وهو قبل ذلك كان من الفئة القليلة التي ثبتت على الإسلام في مواجهة طوفان الردة.

وكان النعمان قد كتب إليه يشكو من استعماله على خراج (كسكر) وكيف أنه يرغب في الجهاد: «مثلي ومثل كسكر كمثل رجل شاب إلى جنبه مومسة تلون له وتعطر، فأنشدك الله لما عزلتني عن

(1) المؤخرة

كسكر، وبعثتني إلى جيش من جيوش المسلمين[٢].

وما أن فرغ النعمان من صلاته حتى ابتدره عمر قائلاً: «لقد انتدبتك لأمر عظيم»!

فقال له النعمان: «يا أمير المؤمنين إن كنت تريدني لجمع الصدقات فإني لا أصلح لذلك، وإن كنت تريدني للجهاد والاستشهاد في سبيل الله فإني أصلح له».

فقال له عمر: «بل أريدك للجهاد والاستشهاد»[٣].

وانتهى الحوار بين الرجلين، وعاد عمر بن الخطاب إلى موقعه فوق المنبر وقال: «لأولين الحرب رجلاً يكون غداً لأسنة القوم جزراً[٤]»[٥].

ودعا عمر بن الخطاب السائب بن الأقرع، فدفع إليه عهد النعمان بن مقرن، وقال له: إن قُتل النعمان فولِيُّ الأمر حذيفة بن اليمان، وإن قُتل حذيفة فولِيُّ الأمر جرير بن عبدالله البجلي، وإن قُتل جرير، فالأمير المغيرة بن شعبة، وإن قُتل المغيرة فالأمير الأشعث بن قيس.

وأوصى أمير المؤمنين عمر، النعمان بقوله: «إن قِبَلَكَ رجلين هما فارسا العرب: عمرو بن معدى كَرِب، وطليحة بن خويلد الأسدي، فشاورهما في الحرب ولا تولهما شيئاً من الأمر»[٦].

وسار النعمان قائداً لجيش يضم وجوه الصحابة وفرسان العرب إذ كان فيهم: عبدالله بن عمر بن الخطاب، وجرير بن عبدالله البجلي، والقعقاع بن عمرو التميمي، ومجاشع بن مسعود، وبشير بن الخصاصية، وحنظلة الكاتب بن الربيع، وابن الهوبر، وربعي بن عامر، والمغيرة بن شعبة، وعمرو بن معدى كرب، وطليحة بن خويلد، وقيس بن مكشوح المرادي[٧]، فإذا كان هؤلاء هم رجال النعمان، فكيف بالنعمان نفسه؟!.

وشق النعمان طريقه تجاه نهاوند حيث حشد الفرس جموعاً بلغت مائة وخمسين ألفاً، في حين كانت جموعهم يوم القادسية تبلغ مائة وعشرين ألفاً، فقد قرر الفرس أن معركة نهاوند هي فرصتهم الأخيرة فإما الانتصار وإما الاندحار.

وفي ذلك أورد الطبري رواية عن زياد بن جبير عن أبيه: «لم أر والله مثل ذلك اليوم، إنهم (الفرس) كأنهم جبال حديد قد تواثقوا أن لا يفروا من العرب، وقد قرن[٨] بعضهم بعضاً سبعة في قران، وألقوا حسك الحديد[٩] خلفهم، وقالوا: من فر منا عقره حسك الحديد»[١٠].

واحتشدت هذه الجموع الفارسية خلف خنادق منيعة تحول بين المسلمين وبينهم، فجمع النعمان وجوه الصحابة وكبار قادته من حوله يستشيرهم ويأخذ آراءهم فيما هم مقدمون عليه، وانتظر النعمان أن يسمع من اللذين عينهما له عمر بن الخطاب وهما: عمرو بن معدى كرب، وطليحة بن خويلد.

(٢) الطبري ١٢٦/٤.

(٣) الكامل في التاريخ ٨/٣، ٩. البداية والنهاية ١١٩/٧.

(٤) الجزر: القطع والاستئصال.

(٥) الأخبار الطوال صـ ١٣٥.

(٦) المصدر السابق صـ ١٣٥.

(٧) الطبري ١١٥/٤.

(٨) قيد.

(٩) قطع قاتلة من الحديد الدبب.

(١٠) الطبري ١١٩/٤.

وقد أشارا وأحسنا فأما عمرو بن معدى كرب فقد أشار على النعمان أن يشيع بأن أمير المؤمنين توفى ثم ينسحب بجميع الجيش حتى إذا علم الفرس بذلك خرجوا من وراء خنادقهم يطلبون المسلمين.

أما طليحة فقد أشار بأن تتقدم إلى العجم فرقة من الفرسان تتحرش بهم وتغريهم على الالتحام بها مبارزة بالكر والفر، بينما يترصد سائر الجيش فى أماكن إلى الخلف، فإذا التحموا بها تظاهرت بالانكسار وظلت تتراجع وتتراجع وخلفها جموع العجم ثم تستدير فرقة الفرسان للمواجهة الحقيقية انقضاضا على جموع الفرس فإذا التمسوا الفرار وجدوا النعمان بباقى الجيش يقطع عليهم الطريق.

ولقى رأى طليحة القبول فى نفس النعمان وأوكل إلى قائد فرسانه القعقاع بن عمرو التميمى مهمة التحرش بالفرس، وهى مهمة نفذها القعقاع بدقة ومهارة حيث ظل يتراجع ويتراجع ساحبا القسم الأعظم من جيوش الفرس خلفه حتى حانت لحظة الحسم.

وتجمع المسلمون فى صدر النهار صبيحة يوم الجمعة، وعهد النعمان إلى المسلمين عهده، وأمرهم أن يلزموا أماكنهم، ولا يقاتلوا حتى يأذن لهم، ففعلوا. فى حين أخذ الفرس يرمون جموع المسلمين بالنبل، والمسلمون لا يتحركون وإنما يستترون من السهام حتى كثرت فيهم الجراح، فصاح بعضهم قائلين للنعمان: «ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما لقى الناس، فما تنتظر؟ إئذن للناس فى قتالهم». ولكن النعمان يكتفى بأن يقول لهم: «رويدا.. رويدا» فأعادوا عليه القول فكرر عليهم مقولته: «رويدا.. رويدا».

ولكن الجراحات كثرت وتتابعت فاستشاط المغيرة بن شعبة غضباً فقال للنعمان: «لم أر كاليوم فشلا، إن عدونا يتركون يتأهبون، ولا يُعجلون، أما والله لو أن الأمر إليَّ قد أعجلتهم وعلمت ما أصنع، ولو كنت بمنزلتك بأكرتهم القتال».

ابتسم النعمان فى مواجهة غضب الصحابى الجليل، وأجابه بإجابة القائد الورع المتبع لسنة رسول الله ﷺ: «رويدا ترى أمرك وقد كنت تلى الأمر فتحسن، فلا يخذلنا الله ولا إياك، ونحن نرجو فى المكث مثل الذى ترجو فى الحث، ربما باكرت القتال، ثم لم يسود الله وجهك، فالله - عز وجل - يشهدك أمثالها، فلا يحزنك ولا يعيبك موقفك.

إنه والله ما منعنى من أن أناجزهم إلا شىء شهدته من رسول الله ﷺ ذلك أن رسول الله كان إذا غزا فلم يقاتل أول النهار لم يعجل حتى تحضر الصلاة[11] وتهب الأرواح[12] ويطيب القتال، فما منعنى إلا ذلك».

وظل النعمان منتظرا حتى زالت الشمس عن كبد السماء وبدأ الظل يميل، ثم قال: «نصلى إن شاء الله، ثم نلقى عدونا دبر الصلاة»[13].

«لقد علمتم ما أعزكم الله به من هذا الدين، وما وعدكم من الظهور، وقد أنجز لكم هو أدى ما وعدكم وصدوره، وإنما بقيت أعجازه وأكارعه. والله منجز وعده ومتبع آخر ذلك أوله. واذكروا ما

(١١) يقصد صلاة الظهر. (١٢) الرياح. (١٣) الطبرى ٤/١١٥.

مضى إذ كنتم أذلة، وما استقبلتم من هذا الأمر وأنتم أعزة. فأنتم اليوم عباد الله حقا وأولياؤه.

وقد علمتم انقطاعكم من إخوانكم من أهل الكوفة، والذى لهم فى ظفركم وعزكم، والذى عليهم فى هزيمتكم وذُلكم.

وقد ترون ما أنتم بإزائه من عدوكم وما أخطرتم وما أخطروا لكم. فأما ما أخطروا لكم فهذه الرثة وما ترون من هذا السواد، وأما ما أخطرتم لهم فدينكم وبيضتكم، ولا سواء ما أخطرتم وما أخطروا. فلا يكونن على دنياهم أحمى منكم على دينكم واتقى الله عبد صدق الله وأبلى نفسه فأحسن البلاء، فإنكم بين خيرين منتظرين إحدى الحسنيين من بين شهيد حى مرزوق أو فتح قريب وظفر يسير. فكفى كل رجل ما يليه ولم يكل قرنه إلى أخيه فيجتمع عليه قرنه وقرن نفسه، وذلك من الملامة وقد يقاتل الكلب عن صاحبه فكل رجل منكم مسلط على ما يليه.

فإذا قضيت أمرى فاستعدوا فإنى مكبر ثلاثا. فإذا كبرت التكبيرة الأولى فشد الرجل شسعه[14] فاصلح من شانه، وليتهيأ من لم يكن تهيأ. فإذا كبرت الثانية فشد الرجل إزاره، وليشد عليه سلاحه، وليتأهب للنهوض ويتهيأ لوجه حملته فإذا كبرت الثالثة فإنى حامل إن شاء الله فاحملوا معا.

اللهم إنى أسالك أن تقر عينى اليوم بفتح يكون فيه عز الإسلام، وذل يُذَل به الكفار، ثم اقبضنى إليك بعد ذلك على الشهادة، واجعل النعمان أول شهيد اليوم على إعزاز دينك ونصر عبادك.

وأمنوا يرحمكم الله»[15].

فأمن المسلمون وقد اغرورقت أعينهم بالدمع من كلمات قائدهم.

واصطفت جيوش المسلمين فى مواجهة جيوش الفرس الذين ربطهم قادتهم بالسلاسل حتى لا يفروا، وأخذ النعمان موقعه فى قلب جيش المسلمين تحت راية التوحيد فكبر التكبيرة الأولى ثم الثانية، فالثالثة، حيث اندفع النعمان بالجيش حاملا رايته، والمسلمون من خلفه يكبرون، وراح النعمان يصول فوق فرسه يمينا ويسارا مخترقا صفوف الفرس غير هياب حتى رُمِىَ بسهم فسقط من فوق فرسه، ويبصر سويد بن مقرن شقيقه وهو يسقط من فوق فرسه فيسحبه إلى فسطاطه دون أن يدع أحدا من المسلمين يعلم بمصابهم فى قائدهم، ويستبدل سويد ثيابه بثياب النعمان ويمتطى فرسه حاملا سيف النعمان مكبراً وسط الجنود يحضهم على عدو الله وعدوهم حتى كتب لهم النصر.

وبعد المعركة التمس المسلمون قائدهم ليهنئونه بالنصر فلم يجدوه فتساءلوا: أين الأمير؟، وذهب بعضهم يلتمسه فى فسطاطه وكان أول من دخل عليه معقل بن يسار الذى يروى هذا المشهد فيقول: «أتيت النعمان وبه رمق فغسلت وجهه من إداوة ماء كانت معى. فقال: من أنت؟ قلت: معقل. قال: ما صنع المسلمون؟ قلت: أبشر بفتح الله ونصره. قال: الحمد لله، اكتبوا إلى عمر»[16].

ثم فاضت روحه إلى بارئها.

---

(14) رباط النعل.

(15) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك ٤/١١٩.

(16) تاريخ الأمم والملوك (٤/ ١٢٦)، الكامل فى التاريخ لابن الأثير (٣/ ١٩، ٢٠)، فتوح البلدان ٧٦.

طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

الظلمات.. وسراجها

قال سيدنا أبوبكر الصديق - رضي الله عنه:- الظلمات خمس، ولكل واحدة سراج:

الذنوب ظلمة وسراجها: التوبة، والقبر ظلمة وسراجه: الصلاة، والميزان ظلمة وسراجه: لا إله إلا الله، والصراط ظلمة وسراجه: اليقين، والآخرة ظلمة، وسراجها: العمل الصالح.

الخوف من النفاق

جاء رجل إلى حذيفة - رضي الله عنه - فقال له: يا أبا عبدالله، إني أخشى أن أكون منافقا، فقال: تصلي إذا خلوت، وتستغفر إذا أذنبت؟ قال: نعم، قال: اذهب فما جعلك الله منافقا.

في زيادة البر.. زيادة للحب

دخل معن بن زائدة على أبي جعفر فقال له: كبرت يا معن، قال: في طاعتك يا أمير المؤمنين، قال: وإنك لجلد، قال: على أعدائك يا أمير المؤمنين، قال: وإن فيك لبقية، قال: هي لك يا أمير المؤمنين، قال: أي الدولتين أحب إليك أو أبغض دولتنا أو دولة بني أمية، قال: ذلك إليك يا أمير المؤمنين إن زاد برك على برهم كانت دولتك أحب إليّ، وإن زاد برهم على برك كانت دولتهم أحب إليّ، قال: صدقت.

الهروب من الضيف

نزل بمروان بن أبي حفصة ضيف، فأخلى له المنزل ثم هرب منه مخافة أن يلزمه قراه تلك الليلة، فخرج الضيف فاشترى ما

بحتاجه ثم رجع وكتب إليه :

يأيهـــا الخـــارج من بيتــــه

وهاربا من شــــدة الخـــوف

ضيــــفك قــد جــاء يزاد له

فـارجع تكن ضيـفـا على الضيف

أفرأيت إن وقف وحرك رأسه

وقف معاوية بن مروان على باب طحان، فرأى حمارا يدور بالرحى فى عنقه جلجل، فقال للطحان: لم جعلت الجلجل فى عنق الحمار، فقال: ربما أدركتنى سآمة أو نعاس، فإذا لم أسمع صوت الجلجل علمت أنه واقف فصحت به فانبعث، قال: أفرأيت إن وقف وحرك رأسه بالجلجل هكذا وهكذا وحرك رأسه، فقال له: ومن لى بحمار يكون عقله مثل عقل الأمير وهو القائل: وقد ضاع له باز: أغلقوا أبواب المدينة حتى لا يخرج البازى.

قيــل

قريبك من قرب منك خيره، وابن عمك من عمك نفعه، وعشيرتك من أحسن عشرتك، وأهدى الناس إلى مــودتك من أهدى بره إليك.

حقــا

إذا كنت فى إدبار، والموت فى إقبال فما أسرع الملتقى.

غلت الأسعار

قيل لأبى حازم: غلت الأسعار، فقال: ما يهمكم من ذلك إن الذى يرزقنا فى الرخص هو الذى يرزقنا فى الغلاء.

دعــاء

«اللهم اجعلنا هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين حربا لأعدائك، وسلما لأوليائك نحب بحبك الناس ونعادى بعداوتك من خالفك من خلقك».

الشباب.. والفراغ!!

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

عن الفراغ الزمنى.. والفراغ الفكرى.. والفراغ الروحى.. والفراغ الحضارى.. يدور هذا الحوار فى هذه السطور.

ولسنا نزعم بالطبع أننا يمكن أن نضع كل الحلول لكل هذه التعقيدات فى مثل هذه الإطلالة الكاشفة، لأن وضع هذه الحلول يحتاج إلى تعبئة شاملة فى كل الاتجاهات: نفسيا، واجتماعيا، ودينيا، وفكريا. وما لم نفطن إلى حتمية هذه التعبئة الشاملة، فإن مستقبل الشباب المسلم يمكن أن يصاب بكثير من ارتباك الشكل، وبكثير من ارتباك المضمون.

إن حسن النية فى هذا الصدد قد يصبح جريمة فادحة حين يسلبنا التطور التقنى المعاصر هذه الأجيال من شبابنا المسلم، لأنه ليس بحسن النوايا يصاغ مستقبل الأجيال.. فلنكن على وعى حقيقى بطبائع المرحلة، وليكن تخطيطنا لواقع الشباب ومستقبله جميعا من خلال فهم المعادلة الحضارية الراهنة، فإنه بدون هذا الفهم يمكن أن نضيع كل شىء، حتى أمل البقاء.

وإذا كان الفراغ الزمنى حقيقة واقعة فى حياة شبابنا المسلم ـ وهو كذلك للأسف ـ فإننا لا نستطيع أن ندين الشباب وحده فى هذا المجال، لأن الإدانة تمتد فتشمل المسئولين عن هذا الشباب وعن تمكينه من أداء دوره الفاعل، والخروج بطاقاته وإمكاناته من دائرة التمزق أو التسيب أو الإحباط، إلى دوائر التحقق الرائع الذى يملأ الحياة حركة متجددة، ويحيل الزمن التاريخى إلى ساحة جدل فاعل يحرك من حوله كل محاور الأشياء.

ولسنا نطالب ـ كالآخرين ـ بأن توضع لهذا الشباب برامج فوقية تتعلق بالمثال الذى يصعب على المراحل السنية للشباب أن تتجاوب معه، أو أن تعيشه واقعا معشوقا لها بالفعل، لأن هذه البرامج محكومة بالبوار فى نهاية الأمر.. ولكننا نطالب بأن توضع لهذا الشباب نوعيات من البرامج المدروسة الفاحصة، التى تستوعب اهتماماته الشبابية، وتستثير خياله وطاقاته معا، وتحقق له نوعا من المتعة الروحية والمادية إلى جوار تحقيقها لغايات اجتماعية ودينية معينة.

فقد لا نفلح مع الشباب إذا أردناه على الجد الخالص، ولكننا نفلح معه إذا سددناه فى طريق الهواية الهادفة، التى يمكن أن تملأ إطارها الخارجى بآلاف المعطيات الفكرية والعقائدية.

إن الرياضة البدنية -مثلا- يمكن أن تحيل الإنسان إلى حيوان فاره القدرات ثم لا شىء.. ولكن الرياضة يمكن كذلك أن تجعل من الإنسان طاقة عضلية وطاقة روحية، يتعلم الشباب من خلالها كيف يتعامل مع الآخرين، وكيف يتعاون على تحقيق الهدف، وكيف ينضبط سلوكيا، وكيف يفتح صدره للهزائم على أنها مدخل إلى تعلم النصر، وللانتصارات على أنها حصاد قوى متعاونة، وليس مجرد مغالبات عشوائية قد لا تفضى إلى قرار!!

وإذا كانت الرياضة البدنية جزءا من معادلة استيعاب الشباب كطاقة نحرص على أن نحميها من التبدد، لنحقق من خلالها وجود المؤمن القوى، الذى هو خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف.

فإن التكوين الفكرى والعقائدى هو كل المعادلة التى تضىء واقع الشباب ومستقبل الشباب كذلك على السواء.

وفى هذا الصدد، ينبغى أن نحرص على انتخاب القيادات الشبابية القادرة والمؤمنة، إن القيادة المثقفة ثقافة مادية فحسب يمكن أن تجرف جيلا إلى بحار الخواء العقيدى، الذى يعصف فى النهاية بكل شىء: بالثقافة. وبالشخصية.. وبالحاضر.. وبالمستقبل.. وبكل الأشياء.

وكذلك القيادة المؤمنة فحسب، أى التى قطعت صلتها بواقع الفكر، وواقع كل العصور.. إن مثل هذه القيادة تجر الشباب إلى ظلام الانغلاق ومن ثم إلى التبرم بواقع كل ما فيه يصادم الواقع المعاصر.

نحن إذن فى حاجة إلى قيادة تقبض على حركتى: الإيمان الصميم.. والثقافة الشاملة.. لأن هذه القيادة وحدها هى التى تنقل إلى الشباب وعيها الفاهم وإيمانها الركين، وتشكل منه فيلقا عقائديا يمكن أن يفتح العالم بكلمة الحق وسيف الاعتقاد.

وبديهى أننا -هنا- لا نريد أن ننزل إلى رصد جزئيات هذه المحاور الكلية، من ضرورة فتح أبواب النوادى الرياضية والثقافية وربط الشباب بالمسجد كمنطلق إيمانى وفكرى، وعقد لقاءات إسلامية للشباب المسلم فى كل الأصقاع، وزرع المكتبات حتى على أرصفة الشوارع واستراحات الطريق، إلى آخر ما يمكن رصده فى هذا الاتجاه، لأن كل أولئك مفردات الظاهرة التى إن تحققت تحققت معها مفرداتها، وهى بداهات أو ينبغى أن تكون كذلك فى وعى الجميع.

ولنتذكر دائما أن هذا الشباب أمانة فى أعناقنا، وأن مواجهته بمنطق الإدانة قد تفضى إلى البوار وليس إلى الانتصار، فلنضع البديل قبل الاتهام، فالشباب نصف الحاضر وكل المستقبل كما يقولون.

ولا يفوتنا هنا أن نؤكد أن الفراغ الزمنى فى حياة الشباب المسلم ظاهرة ناشئة من انسحاب هذا الشباب من تبعاته العقيدية، لأنه لو تصدى

لحمل هذه التبعات لاعجزه حتى أن يجد الزمان التاريخي الذي يحقق فيه رسالته ودوره، لا أن يجد الفراغ الذي يلتهم زمانه ودوره على السواء.. أي أن عقائدية الشباب يمكن أن تستقطب كل زمانه وطاقاته، وما يقدر على تحقيقه من فعل، ولا تدع له أن يتسكع في فراغ الزمان باحثا عن دور، وعن هوية وحتى عن مكان في المكان.

والفراغ الفكرى ظاهرة من الظواهر اللافتة في حياة شبابنا المسلم المعاصر ولكنها ليست ظاهرة شاملة والحق يقال، فإن من شبابنا المسلم من يأخذ نفسه في قضية الثقافة مأخذ الجد، فهو يلتهم ما يتاح له من حصاد فكرى وثقافي وديني واجتماعي على كل المستويات، ومن هنا فنحن لا ننظر إلى المستقبل هذه النظرة السوداوية المتشائمة، وإن كنا لا نغفل جوانب السلب وعناصر القصور في هذا الاتجاه.

فليس يكفى مثلا أن يكون بين شبابنا من يقرأ، لأن طموحنا يمتد إلى أن يقرأ كل الشباب.. وإذا كانت الأديان الأخرى -غير- الإسلام- يمكن أن تفرط قليلا أو كثيرا في قضية القراءة، فإن الإسلام الذى كانت أول كلماته إلى الأرض: (اقرأ) لا يمكن أن يفرط، لا قليلا ولا كثيرا، في قضية القراءة.

والقراءة -في الإسلام- محكومة بشروط معينة، فهي قراءة شاملة من جهة، (الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها)[1]، وهي قراءة هادفة من جهة أخرى: (مثل ما بعثني الله به كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا، فكانت منه طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله به الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به، فعلم وعمل، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا، ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به)[2] ومتى استوت القراءة على هذين الأفقين: الشمول.. وترجمة المثال إلى واقع، فقد أخذت اتجاهها الصحيح إلى تشكيل مستقبل حضارى راشد الحركة.

وإذا كان عالمنا المعاصر يموج بتيارات الفكر، ويتمخض كل يوم عن جديد، ويدل كل شعب بما ينجب من حركات بازغة، في الفكر، والفن، والحياة، فلماذا لا ندخل نحن هذا الجدل العالمي مسلحين؟ لماذا لا يمتلىء شبابنا المسلم بكل فكر العالم شرقه وغربه على السواء، قديمه وحديثه معا، يتمثل هذا الحصاد تمثلا ذاتيا ليبدعه بعد، حركة فكرية مسلمة، لها منظورها الخاص، الذى تدخل به حوار العصر غير جبانة ولا راعشة؟ لماذا لا يكون لنا أدبنا الخاص القادر على عبور القارات؟ وفكر قادر على حوار كل الفلسفات؟ وإيماننا المبثوث حتى في الكلمة الشاعرة والفكرة الخاطرة، والاستقصاء العميق؟ لماذا لا نتوجه بكل الطاقة إلى صناعة هذا الشباب المسلم المتمرس؟

(١) كشف الخفاء ١/٤٣٥، ابن كثير ٦/٣٥.

(٢) الترغيب والترهيب ١/٩٩.

ولماذا لا نطرح أمام وعيه كل الاختيارات الثقافية والفكرية، حتى يصبح قادرا على التمييز والفقه، محصنا ضد عوامل التفتيت والتذويب؟؟؟

قد يحسن أن يقرأ شبابنا فى مرحلة سنية وثقافية معينة، نوعية من القراءة بذاتها، ولكن لا يمكن أن يستمر كذلك، لأنه مطالب- فى هذا العصر بأن يكون صوت إسلامه المفكر، يجادل عن مقولاته، ويقتحم الأسوار على أعدائه، ويضع راياته على ربوات الفكر العالمى بلا مبالاة.. ولن يستطيع هذا الفعل التاريخى إلا إذا قرأ العالم كله: شرقه وغربه، قديمه وحديثه، منطقه الراشد ومنطقه غير المنطقى، من خلال هذه الوضعية وحدها يستطيع أن يدخل حوار الفكر وأن يفتح بإسلامه الأرض، وأن يمكن لصوت التوحيد أن يتعالى على لجب الأصوات المنكرة.

إن الذين يقولون بحصار الفكر الشبابى، فى الموروث من جهة، وفى الفكر الصديق من جهة أخرى، يهملون أولوية بادهة، وهى أن الموروث الحى هو الذى يخوض كل بحار المغامرة المعاصر الحى، وأن الفكر النقيض له من أولوية القراءة ما للفكر الصديق، وربما كان أولى، لأن صدامنا التاريخى الفادح ليس مع الأصدقاء وإنما هو مع الأعداء، وأول أصوات الهزيمة صوت الهروب من منطق الواقع الآنى فلماذا نحكم على أنفسنا هكذا عبثا بقدر الهروب؟؟؟

وحين يقال: إن الشباب المسلم المعاصر يعانى من فراغ روحى، يصبح البديل الحتمى هو ضرورة الامتلاء الروحى.. ولكن هذا الامتلاء الروحى لايتحقق بقانون، ولا يتحقق بالتمنى أن يتحقق، ولا يتحقق بانتظار أى معجز خارجى يحيل الفراغ الفارغ إلى امتلاء ملىء.. هذه سذاجات فكرية تمر العائشين عليها إلى مزيد من التخبط القائط، وإلى مزيد من الإحباط الرهيب، لأن تصنيع أية حضارة لا يمكن أن يتحقق من خلال أى أسلوب مصدم للحضارة، والحضارة المنشودة -فى مستواها الروحى- ليست مجرد خيالات واهمة، وليست مجرد كل تاريخى كسول يرمى أعباءه على الأغيار ثم ينام.. إن الحضارة الروحية مكابدة كادحة، ومجاهدة، حتى يتحقق عالم روحى حقيقى يفرض حلوله بثقة فى قلب حركة التاريخ، وهذا يعنى أن حضارة الإسلام الروحية ليست حضارة هامشية، وإنما هى امتداد لمعنى خلافة الله فى الأرض ينبغى -من خلال وعيه بهذه الوضعية القمة أن يحيل جدبها إلى خصب، وخواءها إلى امتلاء، وكنودها الكافر إلى إشراق إيمانى يتهلل به وله ومعه وجه الحياة.

ولسنا نميل إلى شىء من المبالغة حين نؤكد أن شبابنا المسلم فى طريق امتلائه الروحى ينبغى أن يمر بمناطق المعاناة الحقيقية، فلا تفرش له الساحة بالورود، ولا تخيل إليه أنها رحلة على ضفاف شاطىء وديع، وإنما ينبغى أن تملأ وعيه الشبابى بأن وضعيته القيادية تفرض عليه تاريخا من المعاناة التى لا تهدأ، والعمل الذى لا ينتهى، وأن إيمانه الحقيقى لا يتم إلا بالمكابدة فى سبيل تطويع الآخرين لهذا الإيمان، وأن كل القيم المجردة تبقى مجرد قيم مجردة ما لم يترجمها الواقع الإيمانى إلى حركة حياتية حية.

شكر النعمة وجحودها

١

لفضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف

نعم الله على الإنسان لا تعد ولا تحصى، وفضل الله عليه دائم ومستمر، يقول الله ـ تعالى ـ:

﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾(١). والمراد بالنعمة جنس النعمة سواء أكانت فى النفس أو المال أو الولد. أو فيما سخره الله للإنسان فى الكون برا وبحرا وجوا، فهى من كثرتها وتنوعها لا يستطيع الإنسان حصرها..

والنفس الإنسانية تتطلع دائما إلى المزيد من النعم والفضل والخير، وحبها فى التمتع بالصحة والعافية والسلامة من المرض والعاهات لا حدود له، ورغبتها فى الغنى والثروة واكتناز المال ملحة وقوية..

ومن كرم الله ـ سبحانه وتعالى ـ على عباده أنه يستجيب لدعائهم وسؤالهم النِّعم التى يطلبونها، مع أنه ـ عز شأنه وجلت قدرته ـ أسبغ على عباده النِّعم المتنوعة التى تدل على كمال قدرته وعظمته.. فخلق السموات وما حوت من أجرام، والأرض وما ضمت من خيرات، وأنزل الماء من السماء فأخرج به الثمرات المتعددة الأنواع والأصناف، المختلفة فى الطعم والمذاق ليتمتع بها الإنسان، وسخر وذلل وطوّع السفن لتجرى فى البحر ـ بقدرته وأمره ـ ليستخدمها الإنسان حسب ما يريد ويقصد، وسخر الأنهار بمائها العذب لينتفع الإنسان بمائها فى الشرب وسقى الدواب والزرع، وسخر الشمس والقمر دائبين فى مسارهما ومدارهما بلا انقطاع وبدون اضطراب ولا خلل، وسخر الليل والنهار بأن جعلهما متعاقبين يأتى أحدهما فى أعقاب الآخر لينتفع الإنسان بكل منهما: فالليل ينتفع به فى الراحة والنوم، والنهار ينتفع به فى المعاش وطلب الرزق:

(١) النحل (١٨)

﴿ وجعلنا الليل لباسا (١٠) وجعلنا النهار معاشا (١١) وبنينا فوقكم سبعا شدادا (١٢) وجعلنا سراجا وهاجا (١٣) وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا (١٤) لنخرج به حبا ونباتا (١٥) وجنات ألفافا ﴾(٢).

ومع كل هذه النعم المتعددة التى أنعم الله بها على عباده، والتى لا يستطيعون حصرها وعدها لكثرتها وتنوعها، فإنه يعطى العباد - بفضله- ما يسألون زيادة على ذلك.. وهذا العطاء يستوجب شكر الله وطاعته والالتزام بعبادته.. ولكن الإنسان -إلا مَنْ عصم الله- لا يقابل هذه النعم بالشكر والامتثال!! بل يقابلها بالكفر والجحود والنكران!! فالإنسان شديد الظلم لنفسه، يقول الله - تعالى -:

﴿ الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار (٣٢) وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار (٣٣) وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار ﴾(٣).

ويشير الله - تعالى - فى آيات أخرى إلى بعض نعم الله على الإنسان على وجه التحديد، ويقرر - سبحانه - أن هؤلاء الجاحدين الكافرين يعرفون هذه النعم التى أنعم الله بها عليهم، والتى ذكرها وعدها على وجه التحديد، ومع ذلك ينكرون هذه النعم ولا يعترفون بفضل الله عليهم، يقول الله - تعالى -:

﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون (٧٨) ألم يروا إلى الطير مسخرات فى جو السماء ما يمسكهن إلا الله إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون (٧٩) والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين (٨٠) والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون (٨١) فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين (٨٢) يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون ﴾(٤).

هذا الإنسان الجاحد الكافر تراه وتشاهده فى حالة ضعفه وفقره ومرضه وحاجته يدعو الله كى يكشف عنه ما لحق به من ضر، وما نزل به من بلاء.. فإذا استجاب الله لهذا الدعاء، وكشف عن هذا الإنسان الضر، وأعطاه الله -بفضله وإحسانه- النعم تمرد هذا الإنسان على خالقه، وادعى أنه أوتى

(٢) النبأ (١٠ : ١٦).
(٣) إبراهيم (٣٢ : ٣٤).
(٤) النحل (٧٨ : ٨٣).

هذه النعم بكسبه هو وسعيه هو، وانه لا فضل لله عليه!! ولكن ليعلم هذا الجاحد انه أعطى هذه النعم على سبيل الابتلاء والاختبار ليتبين ويتميز الشاكر من الجاحد، ولكن أكثر الناس لا يعلمون هذه الحقائق، ولا يدركها ويفطن إليها إلا من استنارت بصيرته، وشرح الله صدره، وسكن الإيمان قلبه، يقول الله ـ تعالى ـ:

﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٥).

وهكذا الإنسان دائما في حالة فزعه القوى، وخوفه الشديد، وإحاطة الغم والكرب به، وتوقعه الهلاك المحقق يلجأ إلى الله بالدعاء في السر والعلانية ويتضرع إليه في ذلة وخضوع وانكسار، راجيا النجاة من هذه الشدائد والدواهي المظلمة، معلنا انه سيكون من الشاكرين المعترفين بفضل الله، فإذا ما استجاب الله للدعاء فكشف الغمة، وأزال البلاء، وفرج الكرب، ويسر العسير، عاد الإنسان لكفره وشركه وجحوده وعصيانه، حانثا لوعده، مخلفا لعهده، يقول الله ـ تعالى ـ:

﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٦٣) قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾(٦).

ونعم الله على الناس اختبار وابتلاء لهم، فمنهم من يرسب في الامتحان بأن يجحد هذه النعم وينكر فضل الله عليه، ويتطاول بتلك النعم على قومه، ويتجاوز الحدود في ظلمهم والاعتداء عليهم والاستخفاف بهم، وفي استعمال نعم الله في المعاصي واقتراف السيئات، وينسب تملك تلك النعم إلى اجتهاده هو، وإلى علمه هو، وإلى ذكائه هو، فيحل عليه غضب الله ونقمته، ويسلب الله منه نعمه . . .

ومنهم من ينجح في الاختبار بأن يعترف بأن هذه النعم من فضل ـ الله تعالى ـ ومن كرمه وإحسانه، فيؤدي حقوقها، ويشكر الله عليه، ولا يتكبر ولا يتعالى ولا يغتر، فيفوز برضاء الله ورحمته، ويضاعف له نعمه.

وقد ضرب الله لنا أمثلة للفريقين في القرآن الكريم كي نتعظ ونعتبر.. يقول الله ـ تعالى ـ:

﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا

---

(٥) الزمر (٤٩)

(٦) الأنعام (٦٣، ٦٤)

﴿ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون ﴿٧٨﴾ فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم ﴿٧٩﴾ وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون ﴿٨٠﴾ فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين ﴿٨١﴾ وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون﴾(٧).

ويقول الله ـ تعالى ـ:

﴿قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم﴾(٨).

والله ـ سبحانه وتعالى ـ غني عن خلقه، فلا تضره معصيتهم ولا تنفعه طاعتهم، فضرر المعصية يعود على العاصي، ونفع الطاعة يعود على المطيع، يقول الله ـ تعالى ـ:

﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد﴾(٩).

إذن فإن جحود النعمة ونكرانها، وعدم شكر الله عليها يكون سببا لزوال هذه النعمة، ونزول عقاب الله وغضبه على المنكرين الجاحدين، فيذيقهم الله عذاب الجوع والحرمان بعد اتساع الرزق ورغد العيش، ويلبسهم ثوب الخوف والفزع بعد الأمن والأمان والاطمئنان، يقول الله تعالى:

﴿وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾(١٠).

وهذه سنة من سنن الله في خلقه، التي تقضي بسلب النعم من العصاة الجاحدين الظالمين لأنفسهم، الذين ينكرون نعم الله ويغيرونها ويبدلونها بارتكابهم الذنوب واجتراحهم السيئات، وعصيانهم أوامر الله، وعدم استعمالهم نعم الله في الطاعة والعبادة والشكر، يقول الله ـ جل وعلا ـ:

﴿ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم﴾(١١).

يتبع

***

(٧) القصص (٧٦ : ٨٢).

(٨) النمل (٤٠).

(٩) لقمان (١٢).

(١٠) النحل (١١٢).

(١١) الأنفال (٥٣).

القدرة الإلهية وإلهام الحيوان

للدكتور / حسين عباس الأنصارى (*)

إلهـام الأحيـاء

لا شك أن إلهام الأحياء من أكبر الأدلة على وجود الخالق الملهم سبحانه وتعالى.

فالحيوان يتصرف عن طريق الإلهام تصرفات لا تحكم له فيها مثل الإنسان المفكر.

بل إن الإنسان أحياناً يتصرف بقوة الإلهام والعاطفة بعيداً عن العقل ويتجلى ذلك أكثر ما يتجلى فى عاطفة الأمومة. ونحن نسمع دائماً عن أم ألقت بنفسها فى اليم وراء وليدها الذى جرفه التيار، ظناً منها أنها ستنقذ حياته. وتنسى فى غمرات تلك العاطفة الجياشة أنها لا تجيد من قواعد السباحة شيئاً، وبعد قليل تلفظ أنفاسها بين الأمواج العاتية مستشهدة فى سبيل أنبل عاطفة.

ومن أمثلة الإلهام فى الكائن الحى ما يفعله حيوان (الأكسيلوكوب) الذى يعيش منفرداً فى فصل الربيع ومتى باض مات، فالأمهات لا ترى صغارها حتى تساعدها فى غذائها، لذلك فإن الأم تعمد إلى قطعة من الخشب فتحفر فيها حفرة مستطيلة، ثم تجلب أطلع الأزهار وبعض الأوراق السكرية، وتحشو بها ذلك السرداب ثم تبيض بيضة، ثم تأتى بنشارة خشب وتجعلها عجينة لتكون سقفاً لذلك السرداب وتضع بعد ذلك سرداباً آخر لبيضة أخرى، فمتى فقست البيضة وخرجت الدودة، كفاها الطعام المدخر سنة!!..

إن هذا مثلاً فذاً يدحض شبهة القائلين بأن الضرورة هى الموجدة للأشياء، فلو كانت الضرورة تستطيع أن تحنو على مثل هذا المخلوق الضعيف

(*) طبيب بالتأمين الصحى.

وتقدم له كل ما يحتاج إليه من غذاء ومأوى لما تحملت هذه الأم كل تلك المشقات في سبيل ضمان الحياة لصغيرها الذي لم ير النور بعد.

ويتحدث الجاحظ ـ عالم الحيوان العربي الشهير ـ عن إلهام بعض المخلوقات فيقول: إذا دنا الصياد من عش القبجة ولها فراخ مرت بين يديه مراً غير مفيت وأطمعته في نفسها ليتبعها فتمر الفراخ في رجوعها إلى موضع عشها... فإذا أمعن الصائد خلفها وقد خرجت الفراخ من موضعها، طارت وقد نحته إلى حيث لا يهتدي الرجوع منه إلى موضع عشها.

والنعجة ترى الفيل والجاموس والبعير فلا يهزها ذلك، وترى الضبع وهي لم تره من قبل ذلك، وعضو من أعضاء تلك البهائم أعظم، وهي أهول في العين وأشنع، ثم ترى الأسد فتخافه، وكذلك النمر والنمر. فإن رأت الذئب وحده اعتراها منه وحده مثل ما اعتراها من تلك الأجناس لو كانت مجموعة في مكان واحد، وليس ذلك عن تجربة ولا لأن منظره أشنع وأعظم، وليس في ذلك علة إلا ما طبعت عليه من تميز الحيوان عندها.

أما الخيل فقد ضربت أمثلة رائعة على الحنان والحب نحو وليدها حيرت العقول، وكثيراً ما نرى مُهر الخيل مربوطاً بجوار أمه وهي تجر عربات النقل لأنها لا تتحرك خطوة واحدة دون أن يكون وليدها بجانبها.

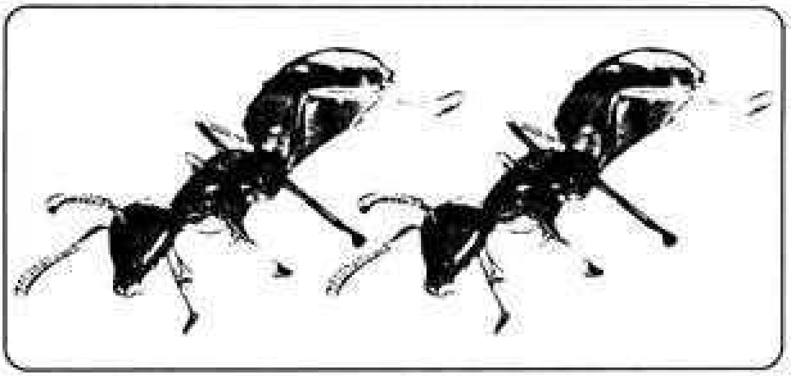
وقد رأيت بنفسي مشهداً رائعاً لأنثى الخيل وكان نهر النيل في بداية فيضانه وتيار الماء جارفاً، حيث نزلت الفرس إلى المياه وسط هذه الأمواج العاتية تغالبها وتتغلب عليها لتلحق بوليدها الذي حمل في مركب إلى جزيرة وسط النيل. وبالفعل غالبت كل هذه الأمواج في دقائق معدودات ولحقت بوليدها تشمه وتتمسح فيه على الرغم من أنها كانت في غاية الإنهاك والتعب وكأنها تقول له الحمد لله الذي جمعني وإياك ياقرة عيني.

والفرس إذا مات صغير لها تهتهت بصوت مسموع، وقد تنزل الدموع من عينيها منهمرة وهي تودعه الوداع الأخير.

سبحان الرحيم الرحمن الذي وضع جزءاً من مائة جزء من رحمته في الأرض تتراحم به الخلائق.

ثعبان السمك يعيش في الأنهار وعندما يكتمل نموه ببلوغ العاشرة من عمره يهاجر من البرك والأنهار في مختلف أنحاء العالم في رحلة تقطع فيها آلاف الأميال قاصدة إلى الأعماق السحيقة في جزر الهند الغربية جنوبي برمودا، حيث تتزاوج وتضع البيض وتنتهي بذلك حياتها حيث تموت. وبعد مدة تخرج الصغار من البيض فتكون مخلوقات صلبة شفافة كأنها خيوط صغيرة لها عيون بارزة وتتهيأ للعودة إلى مواطن آبائها في رحلة تستغرق أكثر من ثلاث سنوات في بعض الجهات لتصل إلى مصاب الأنهار التي عاش فيها آباؤها!!.. سواء كانت أنهاراً في أوروبا أم ترعاً في أواسط إفريقيا أم بحيرات في آسيا، ولم يحدث قط أن صيد ثعبان ماء أمريكي في المياه الأوروبية أو ثعبان أوروبي في المياه الأمريكية!!.. ما أعظم تدبير الخالق، فأي هاد هدى تلك الصغار التي خرجت من البيض بعد موت آبائها، حيث إنها لم

تُرها حتى تخبرها بلغتها الخاصة عن عنوان مسكنهم الأصلي؟!.. لاشك أنه الدليل الرائع على إلهام الملهم سبحانه وتعالى.



الإلهام في النمل

من أعجب ممالك الحشرات مملكة النمل، التي تكاد تكون أروع مملكة تتجلى فيها عناية الخالق وعجيب صنعه. فالنمل يعيش عيشة جماعية تعاونية إلى أبعد الحدود، ضارباً المثل الأعلى في إنكار الذات. وكثيراً ما نشاهد جماعة من النمل تحمل حشرة من الحشرات أضعاف وزنها عشرات المرات وبفضل تعاونها تستطيع حمل تلك الكتلة الثقيلة إلى مساكنها لتكون غذاء لها جميعا وقت الحاجة.

والنمل يتكلم بلغة خاصة فيما بينه، ونحن نلاحظ ذلك جليا حينما نراقب نملة قد وجدت طعاماً لا تقدر على حمله بمفردها فتذهب على التو مسرعة إلى جحرها، وبعد برهة قصيرة نجدها قد عادت ومعها عدد كاف من النمل لحمل هذا الطعام سويا. إنها لا تخطىء موضع الطعام على بعد المسافة.

والقرآن الكريم يحدثنا عن لغة النمل وذلك في سورة سميت باسم النمل. يقول تبارك وتعالى:

﴿وَحُشِرَ
لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾
حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ
مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ
﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾(١).

وعن عجائب صنع النمل يقول العالم رويال ديكنسون «إن النمل قد زرع مساحة قد بلغت خمسة عشر متراً مربعاً من الأرض»!!.. وأنه وجد جماعة من النمل تقوم بحرث الأرض على أحسن ما يقضي به علم الزراعة، فبعضها زرع الأرز، وجماعة أزالت الأعشاب، وغيرها قامت لحراسة الزراعة من الديدان.

ولما بلغت عيدان الأرز نضجها كان يرى صفاً من الشغالة لا ينقطع يتجه إلى العيدان فيتسلقها إلى حب الأرز، فتنزع كل شغالة من النمل حبة وتنزل بها سريعاً إلى مخزن

---

(١) النمل (١٧: ١٩)

تحت الأرض، وقد ظلي العالم أفراد النمل بالألوان فوجد أن الفريق الواحد من النمل يذهب دائماً إلى العود الواحد حتى يفرغ ما عليه من الأرز، ولما فرغ النمل من حصاد الزرع هطل المطر أياماً، وما أن انقطع المطر حتى أسرع إلى مزرعة النمل ليتعرف أحواله فوجد البيوت تحت الأرض مزدحمة بالعمل والعمال، ووجد كل نملة تخرج من البيت وهي تحمل حبة من الأرز فتذهب بها إلى العراء في جانب مائل من الأرض مُعَرَّض للشمس، وما أن جف الأرز حتى عادت به الشغالة إلى المخازن تحت الأرض مرة أخرى.

الإنسان آية الإبداع

على قمة المخلوقات يتربع الإنسان، وهو الآية العظمى على إبداع الخالق. فهو المخلوق الصغير الحجم، الضعيف الجسم، القوى التفكير، ذو العقل السامي، والبديهة الحاضرة، الذى استطاع أن يسخر كل شيء في هذا الوجود بما نفخ الله فيه من روحه.

يقول الدكتور كريس موريسون: «إن الإنسان وحده هو الذى أوتى عقلاً بلغ من التطور أنه يستطيع أن يفكر به تفكيراً عالياً. والغريزة ليست إلا كنغمة واحدة من الناى، نغمة جميلة، ولكنها محدودة، بينما العقل البشرى يحتوى على كل الأنغام التي لكل الآلات الموسيقية في أوركسترا، والإنسان يمكنه أن يوفق بين تلك الأنغام جميعاً».

ويقول الدكتور روبرت هورتون كاميرون: «إننى أعتقد بوجود الله لأنه وهبنى التمييز الأخلاقى، فالجنس البشرى لديه إحساس فطرى بما هو خطأ، وما هو صواب.. ويختلف الإنسان في جميع الصفات والمزايا عن سائر الكائنات الأرضية الأخرى، فهو خليفة الخالق على الأرض».. وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾(٢).

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾(٣)

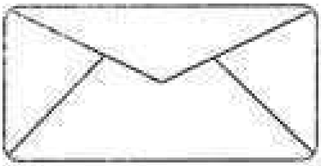
سبحانك ربى.. ما أعظم رحمتك، وما أكرم إحسانك، وما أكثر نعمك علينا. خلقتنا ورزقتنا، وفضلتنا على كثير ممن خلقت تفضيلاً.. لكننا لم نقدرك حق قدرك، بما ران على قلوبنا من المعاصى، وما غاب عن بصائرنا من حسن فضلك، فاهدنا ربنا سواء السبيل، وأخرجنا من ظلمات الضلالة إلى نور الهدى.

---

(٢) البلد (٨: ١٠).

(٣) البقرة (٣٠).

رسالة .. و .. رد



لفضيلة الشيخ/ عبد الفتاح سيد جمعان

رسالة هذا العدد وردت من القارىء الذى رمز لاسمه غ. خ. ن جاء بها سؤالان: الأول عن حكم قراءة القرآن مع الحدث الأصغر أى من غير وضوء.

والثاني يقول فيه: متى نسجد سجدة السهو ولماذا؟ ومتى تكون سجدة واحدة؟ ومتى تكون سجدتين؟

● وفى البداية أقول للأخ السائل: إن القرآن الكريم كلام الله القديم الذى ليس بحس ولا صوت، المنزل على محمد ﷺ المعجز، المتعبد بتلاوته وهو الذى تحدى الله ورسوله به العرب أن يأتوا بمثله أو بعشر سورة مثله أو بأقصر سورة منه فعجزوا، وهو ما بين دفتى المصحف الشريف قال تعالى:

﴿إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾[١].

قال العلماء: معنى كونه كريماً أى: جامعاً لصفات المدح فالكريم ما كان طاهر الأصل ظاهر الفضل فصيح اللفظ صحيح المعنى، ولأنه قرآن أى مقروء باستمرار لا يُمل ولا يُسأم بكثرة التلاوة، والقرآن لأنه كريم يظل أبد الدهر مهما كرر كالكلام الغض والحديث الطرى فهو مع قدمه المستمد من قدم قائله يسمعه السامعون كأنه كلام الساعة وما قرع سمعَ أحد من قبل ولذلك فإن الملائكة الذين علموه قبل النبى ﷺ بألوف السنين حين يسمعونه من المسلم يتلذذون به تلذذ السامع لكلام يقرع سمعه لأول مرة[٢]، قال القرطبى فى تفسيره: (قرآن كريم أى: ليس بسحر ولا كهانة ولا مفترى بل هو كريم محمود جعله الله معجزة لنبيه ﷺ وهو كريم على المؤمنين لأنه كلام ربهم وشفاء لما فى صدورهم، كريم على أهل السماء، لأنه تنزيل ربهم ووحيه، وقيل كريم أى غير مخلوق، وقيل كريم لما تضمن من كريم الأخلاق ومعانى الأمور، وقيل لأنه يُكرِّم حافظه ويُعظِّم قارئه[٣].

والكتاب المكنون هو كتاب فى السماء كما قال ابن عباس - رضى الله عنهما - أو هو اللوح المحفوظ أو الكتب السابقة كالتوراة والإنجيل

---

(١) الواقعة [٧٧-٧٩].

(٢) مفاتيح الغيب للفخر الرازى مجلد ١٥ صـ ٣٢٣ ط دار الغد العربى بتصرف.

(٣) تفسير القرطبى جـ ٧ صـ ٦٣٩٤ ط كتاب الشعب.

والزبور لأن فيها ذكر القرآن الكريم ومن ينزل عليه ﷺ وقيل هو المصحف الذي جُمع القرآن فيه من عهد عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه[٤].

أما قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ فعلى جعل الكتاب المكنون اللوح المحفوظ، فالمراد بالمطهرين الملائكة فهو إخبار من الله ـ سبحانه وتعالى ـ أي لا يمس ذلك الكتاب المكنون إلا المطهرون من الذنوب والآثام، وهم الملائكة ومن كان مطهراً من الذنوب كالرسل من الملائكة والرسل من بني آدم، فهو كقوله تعالى:

﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾[٥].

وفي هذا رد على الكفار الذين كانوا يقولون إن الجن تنزل به من السماء فتلقيه على محمد كالكهنة.

أما على جعل الكتاب المكنون هو المصحف الذي بأيدينا كما جاء في كتاب رسول الله ﷺ إلى عمرو بن حزم وفيه: لا يمس القرآن إلا طاهر، ولقول الرسول ﷺ فيما رواه ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: (لا تمس القرآن إلا وأنت طاهر) ولقول فاطمة بنت الخطاب لأخيها عمر ـ رضي الله عنهما ـ عندما أراد أن يأخذ الصحيفة التي بها القرآن: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ فقام واغتسل وأسلم، وقيل:

﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ أي لا يقرؤه إلا الموحدون، ولذا كان ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ينهى أن يُمكن أحد الكفار من قراءة القرآن الكريم، وقال بعضهم: لا يجد طعمه وبركته إلا المؤمنون به فهو كقوله ﷺ: (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً) وقيل لا يوفق للعمل به إلا السعداء ولا يجد ثوابه إلا المؤمنون.

هذا كله على أن الآية خبر لا إنشاء، إما على جعلها انشاء ولا ناهية أو على جعلها خبراً بمعنى الإنشاء فتكون نهياً عن مس المصحف بلا طهارة ويكون المراد بالمس المس بالجارحة وهذا رأي جمهور العلماء مستدلين بحديث ابن عمر السابق وما كتبه الرسول ﷺ إلى عمرو بن حزم وما روي عن فاطمة بنت الخطاب لأخيها عمر ـ رضي الله عنهما ـ وروي عن أبي حنيفة ـ رضي الله عنه ـ وجماعة من السلف أن المحدث يجوز له أن يمس المصحف ظاهره وحواشيه والخالي من الكتابة، أما المكتوب فلا يمسه إلا طاهر.

هذا عن حكم مس المصحف بلا قراءة. أما القراءة فتجوز باتفاق العلماء للمحدث حدثاً أصغر أي لغير المتوضيء أن يقرأ القرآن الكريم بلا مس أي يقرأ من محفوظه أو يقرأ من المصحف من غير أن يمسه أو يمسه بحائل.

وعليه فنجيب السائل بأن قراءة القرآن من غير وضوء جائزة. والله أعلم.

●● أما عن السؤال الثاني وهو عن سجود السهو فنجيبه بما يلي:

لقد شرع سجود السهو جبراً للصلاة عند ترك ماليس بركن على سبيل السهو أما ترك الركن فلا

---

(٤) المصدر السابق بتصرف.

(٥) عبس (١٣ : ١٦).

يجبر بسجود السهو بل يجبره الإتيان به وإلا بطلت الصلاة وقد صح أن الرسول ﷺ سها في صلاته فجبر هذا السهو بالسجود، قال بعض العلماء: إن سهوه ﷺ كان للتشريع وإلا فالرسول قرة عينه في الصلاة فكيف يسهو مالم يكن للتشريع؟!

أما عن سؤاله متى يسجد المصلي للسهو؟ فقد جاء في فقه السنة مايلي:

يشرع سجود السهو في الأحوال الآتية: -

١) إذا سلم قبل إتمام الصلاة لما روى عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: صلى بنا رسول الله ﷺ إحدى صلاتي العشي أي الظهر أو العصر فصلى ركعتين ثم سلم، فقام إلى خشبة معروضة في المسجد فاتكأ عليها كأنه غضبان ووضع يده اليمنى على اليسرى وشبك بين أصابعه ووضع خده على ظهر كفه اليسرى وخرجت السُرعان من أبواب المسجد - أي خرج المتسرعون - فقالوا قصرت الصلاة وفي القوم أبو بكر وعمر فهابا أن يكلماه وفي القوم رجل يقال له ذو اليدين، فقال: يا رسول الله أنسيت أم قصرت الصلاة فقال: لم أنس ولم تقصر فقال: «أكما يقول ذو اليدين؟» قالوا: نعم فتقدم فصلى ما ترك ثم سلم ثم كبر وسجد مثل سجوده أو أطول ثم رفع رأسه وكبر ثم كبر وسجد مثل سجوده أو أطول ثم رفع رأسه»[٨].

٢) الزيادة على الصلاة لما رواه الجماعة عن ابن مسعود أن النبي ﷺ صلى خمساً فقيل له: أزيد في الصلاة فقال: وماذاك فقالوا: صليت خمساً فسجد سجدتين بعدما سلم.

٣) عند نسيان التشهد الأول أو نسيان سنة من سنن الصلاة لما روى أن النبي ﷺ صلى فقام في الركعتين فسبحوا به فمضى فلما فرغ من صلاته سجد سجدتين ثم سلم.

٤) عند الشك في الصلاة لحديث «إذا شك أحدكم في صلاته فلم يدر أواحدة صلى أم اثنتين فليجعلها واحدا، وإذا لم يدر اثنتين صلى أم ثلاثا فليجعلها ثنتين، وإذا لم يدر أثلاثاً صلى أم أربعا فليجعلها ثلاثا، ثم يسجد إذا فرغ من صلاته وهو جالس قبل أن يسلم سجدتين»[٩] وهذا الحديث يدل أن المصلي يبني على الأقل وهذا مذهب الجمهور ليرغم الشيطان.

من كل ماسبق يُعلم أن محل سجود السهو بعد التشهد الأخير لكن هل قبل السلام أو بعده خلاف بين المذاهب فقال الشافعية يسجد قبل السلام ولا يتشهد. وقال الحنفية: بعد السلام ويتشهد بعد سجدتي السهو، وقال المالكية: إن كان السهو عن نقص في الصلاة سجد قبل السلام وإن كان عن زيادة سجد بعد السلام وفي الحالتين يتشهد بعد سجدتي السهو.

هذا وسجود السهو في كل الأحوال السابقة وعند كل المذاهب سجدتان لا سجدة واحدة كما جاء في السؤال ولعل الأخ السائل التبس عليه سجود السهو مع سجود التلاوة فسجود التلاوة سجدة واحدة ويكون عقب قراءة آية من آيات السجدة الخمس عشرة ثم يعود للقراءة بعد السجدة.

وكل من سجود السهو وسجود التلاوة سنة إلا إذا كان الإنسان مأموماً وسجدها الإمام فيجب على المأموم أن يتابعه، ومعنى كونهما سنة أي من تركهما فصلاته صحيحة، والله أعلم.

---

(٦) رواه البخاري، مسلم

(٧) رواه أحمد

كيف نقدم إسلامنا للغرب؟!

أجرى الحوار / إسماعيل أبو الهيثم

نشرنا في العدد السابق إجابات للدكتور أحمد كمال أبو المجد، والدكتور محمد عمارة في معرض الإجابة عن هذا التساؤل، وفي هذا العدد نواصل تقديم إجابات علماء الإسلام.

يرى الدكتور أحمد هيكل وزير الثقافة الأسبق: أنه لابد من تكاتف جميع المؤسسات الإسلامية الرسمية وغير الرسمية بالتوجه بالخطاب للغرب بأسلوب علمي وتقديم الإسلام الصحيح والتركيز على المبادئ الإنسانية التي في مقدمتها الديمقراطية والحرية واحترام الآخرين وحرمة الاعتداء عليهم، على أن يثبت هذا التصور من خلال التقنيات الحديثة، مع استخدام السفارات والملحقين الثقافيين بها بتقديم هذا الخطاب للآخرين. خصوصا وأن الصورة لديهم عن الإسلام سيئة للغاية بفضل السياسة الصهيونية التي رسمها اليهود ومن لا يحبون الإسلام والمسلمين، على أن تكون هذه الرسالة وهذا التوجه الإعلامي تحت إشراف الأزهر ومجمع البحوث الإسلامية والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ووزارة الأوقاف وما يشابه ذلك في الدول الإسلامية.

الدكتور مصطفى الشكعة يرى أن مسألة تصحيح صورة الإسلام في الغرب أصبحت مسألة عويصة. لأن الولد الغربي تعلم كره الإسلام في دراسته الأولى، فشب على معرفة مشوهة للإسلام. وشب يكره الإسلام نتيجة للصورة القبيحة التي قدم بها من قبل المدارس والمناهج الغربية التي تتفنن في إلصاق التهم بالإسلام ظلما وعدوانا. وهذا ولا شك تخطيط مجرم وغير أمين ولابد أن يقدم العلم بشكل أمين وتزييف العلم جريمة كبرى.

لذا يطالب الدكتور الشكعة أن تعقد المعاهدات الحكومية التي تفرض على الجميع أن يقدم علوم الآخر بشكل أمين ومنضبط، فما جدوى أن تعقد المؤتمرات والندوات لشباب تعلموا منذ صغرهم أن الإسلام دين قبيح ودين كله شرور ودين كله مثالب، لن يقتنع هؤلاء الشباب وإذا اقتنع البعض منهم فستكون النسبة قليلة جداً. فإذا كنا جادين في تصحيح صورة الإسلام في الغرب فلا مناص من الاهتمام الحكومي بذلك عن طريق المعاهدات التي تنقي المناهج الدراسية مما يشوب الأديان.

واستبعد الدكتور الشكعة أن تجعل الحكومات الإسلامية ذلك في جدول أعمالهم مستدلاً على عدم تحركهم تجاه وأد بلد بلد إسلامي (أفغانستان) لم يسء لبلد ما، أحرقت أرضه وسماءه، فهل تحركهم المناهج الدراسية المليئة بأقطع الاتهامات للإسلام؟! مع العلم أن الدور سيصيبهم جميعا!!

واقترح الدكتور الشكعة أن تستغل البعثات الدراسية للخارج في تصحيح صورة الإسلام. وهذا يستدعي تزويد هؤلاء ببعض المراجع التي تبين سماحة الإسلام ورأيه في كافة القضايا المعاصرة خصوصاً وأن أغلب هؤلاء الدارسين من النابهين وأغلبهم تستهويه الإقامة في الغرب ومن ثم يتبوأ مركزا اجتماعيا يؤهله - إذا كان على دراية كافية بالإسلام - من تصحيح

هذه الصورة المغلوطة عنه.

وأضاف الدكتور الشكعة أن سبب إسلام بعض الغربيين خصوصاً في أمريكا يرجع إلى جيل الستينيات الذين فرضت عليهم الظروف السياسية آنذاك البقاء في الغرب من تكوين لوبي إسلامي في أمريكا.

وطالب الدكتور الشكعة بفتح فرع لجامعة الأزهر في كل من الولايات المتحدة وفرنسا وألمانيا وانجلترا أسوة بإقامة فروع لجامعاتهم عندنا. الأمر الذي سيؤدي إلى أحد أمرين. إما أن تسوء سمعة جامعاتهم التي تقدم عن عمد تشويهاً وتزييفاً للإسلام، وإما أن تصلح هذه الجامعات من شأنها.

وتعجب الدكتور الشكعة من تأخر إنشاء فروع لجامعة الأزهر بالخارج خصوصاً وأنه كتب تقريراً هو وفضيلة المرحوم الشيخ محمد الغزالي أثناء وجودهما في احتفال الأمم المتحدة بمرور ٥٠ عاماً على انشائها عام ١٩٩٥ ومازال الموضوع قيد البحث. وأرجع الدكتور الشكعة تأخر هذا القرار إلى أن الأمور لا تمشي إلا إذا تدخل رئيس الدولة وكثيراً ما حلت أمور مستعصية بعد تدخل الرئيس ومن هنا ناشد الدكتور الشكعة الرئيس محمد حسني مبارك إنشاء فروع لجامعة الأزهر بالغرب وهو رجل فاعل وقادر ومقبول.

كما طالب الدكتور الشكعة المسلمين المغتربين بأن يكونوا قدوة وأن يكونوا من حسن المنظر وحسن السلوك بحيث يقال عنهم إن دينهم مثالاً للأمانة والأدب. خصوصاً وأن السلوك يعتبر عاملاً قوياً جداً في التأثير على الغير. ولنا في انتشار الإسلام في شرق آسيا من خلال التجار الأمناء الدليل على ذلك.

وضرب الدكتور الشكعة مثالاً على ذلك بقوله في أول حضور له في المحافل الدولية: كان اجتماع لاتحاد الجمعيات الإسلامية في الولايات المتحدة وكندا عقد في كندا. وكان البروتوكول يستدعي أن يفتتح حاكم المدينة الاجتماع. وعندما طلب منه ذلك. طلب مهلة لإعداد نفسه حيث إنه لا يعرف شيئاً عن الإسلام. وفي الغد حضر الاجتماع، وقال للحضور: لقد فعلت شيئاً قبل مجيئي إليكم. استدعيت قائد السجون في المدينة وسألته كم مسلم عندكم في السجون، فأجاب: لا يوجد فرد واحد مسلم في السجون، فقلت: إذن هو دين عظيم، ويشرفني كثيراً أن أفتتح مؤتمره.

الدكتور طه أبو كريشة نائب رئيس جامعة الأزهر يرى أن صورة الإسلام الحقيقية واضحة تماماً للغرب على الوجه الذي أراده رب العالمين. لأنهم درسوا ذلك جيداً على مدى القرون الماضية وقد اتصلوا بالحضارة الإسلامية اتصالاً مباشراً عن طريق الأندلس، وعرفوه معرفة جيدة من خلال الاتصال بأهله في بلاد المسلمين ولكن الصورة التي يصورون الإسلام بها هي من خلق عقولهم وخيالهم وأهدافهم المشبوهة للتنفيث عن أحقاد تملأ قلوبهم نحو الإسلام، ولا شأن لنا بإزالة هذه الأحقاد من القلوب لأنها أحقاد أزلية، لابد وأن توجد بين الحق والباطل والخير والشر والخطأ والصواب. وتلك معركة مستمرة إلى أن تقوم الساعة، مادام هناك من يتربص للخير والحق والصواب. وواجبنا في هذا المقام لابد وأن يسير في اتجاهين متوازيين:

أولهما: تقديم المزيد من التعريف بالإسلام، ليس لتوضيح الصورة الصحيحة فحسب وإنما للاستمرار في واجب تبليغ الدعوة الاسلامية إلى قيام الساعة.

ثانيهما: عن طريق تصحيح الإسلام في سلوكنا نحن قبل كل شيء. بمعنى أن نطبقه تطبيقاً صحيحاً بحيث يتوافق السلوك مع ما ندعوا إليه غيرنا. لأن من الخطر أن يتخلف التطبيق عن الدعوة النظرية لأن ذلك من شأنه أن يسيء إلى المسلمين والإسلام، على أساس أن الاسلام غير ممكن التطبيق، ولو كان ممكن التطبيق لطبقه المسلمون على أنفسهم قبل أن يدعوا الآخرين إليه.

ولقد اتفق فضيلة الشيخ السيد وفا أبو عجور الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية مع الاتجاه الذى أشار إليه الدكتور أبو كريشة حيث قال: إننا كي نقدم الإسلام للغرب علينا أولاً أن نكون كتاباً حياً، ومثالاً يمشى على قدمين، ولن نكون كذلك إلا إذا بدأنا فى مراجعة أنفسنا كاملة، وأدركنا لماذا لا يبقى فينا من الكتاب إلا رسمه ومن الدين إلا شكله!! إننا نحتاج لأكثر من الكلمات والأحرف، نحتاج إلى بعث الروح فى هذه الكلمات لتكون طاقة دافعة وقوة خلاقة، وهذا لا يأتى تصنعاً وتكلفاً، ولا يأتى بالقانون غريب أن يتحول الدين نفسه الذى جاء لتحرير الإنسان من التجمد والموت الفكرى والروحى والضميرى، ليصبح تناول الناس له نوعاً جديداً من التقليد والعادات والتجمد والموت. لابد من التفاعل مع المستجدات، ولابد من تجديد المفاهيم، ولابد من تطوير الأدوات دوماً لإبداع حياة جديدة ومتجددة، جوهرها دائم ومظهرها متجدد. إن المسلمين بحاجة إلى إعادة الفهم وتجديد المدخل لمعنى الدين ودوره فى الحياة، بعد أن اختزل معنى الدين إلى (فتوى) يحتاجها المسلم من العالم حول شرعية أو عدم شرعية أجزاء من المناسك، أو تعامل مالى، أو زواج وطلاق. فهذه الأمور على أهميتها وضرورتها إلا أنها ليست كل الدين. فالدين اتجاه كلى نحو الحياة يقوم على فهم الإنسان لمعنى الحياة، ومعنى إنسانيته، والرسالة التى هو مكلف بها على هذه الأرض.

واختتم الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية حديثه قائلاً: إن الإسلام حين وصل لأوروبا وكان أحد أسباب إخراجها من جهالة العصور الوسطى المظلمة لم يكن ذلك من خلال وعظ وإرشاد من علماء الدين؛ بل كان طاقة من الإستنارة وصلت من خلال أشخاص عاشوا معانى الدين، وتحولوا إلى أمثلة حية فى أعمالهم. كان كل عمل فى مجال الفلسفة أو الكيمياء أو الطب أو الفلك أو الرياضة أو الفن والمعمار نموذجاً لإنسان أعرب عنه الإسلام كيفما استوعبه ربما تردد الكلمات مئات وآلاف المرات ولكنها لا تؤثر فى أى مخلوق لأنها خالية من الحياة ومن الطاقة، أما حين تكون كلمة واحدة صادرة من تجربة حية وعمل صادق فإنها قادرة على أن تغير العالم. إننا إن أردنا أن نقدم الإسلام للغرب فعلينا أن نكون أحياء أولاً لتصل كلمة الحق ويحيا بها من هو حى يسمع ويبصر.

أما الدكتور جودة المهدى عميد كلية القرآن الكريم بطنطا فيرى أن مفهوم الدعوة الإسلامية الحقة إنما هو دعوة غير المسلمين إلى الإسلام. وأن ما يحدث عندنا هو من قبيل الوعظ والإرشاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، أما الدعوة الإسلامية فلابد لها من استراتيجية شاملة ترتكز على ركائز متينة.

الركيزة الأولى: وضع الصورة الصحيحة للإ
أمام الغرب من خلال قنوات الإعلام الم
والدراسات الأكاديمية وترجمة الفكر الإسلامي
لغات العالم.

وأرجع الدكتور جودة الحالة غير الجيدة للإسلام لدى الغرب إلى عدم عرضه من خلال الاكتفاء من أهله أو عرضه من غير أهله. ولذلك يجب أن نعتنى بالمراكز الإسلامية بالخارج وإمدادها بالكوادر المؤهلة لعرض الإسلام بصورته الحقيقية، حتى تكون مراكز إشعاع. ولابد من تخريج الكوادر القادرة على مخاطبة الآخرين مزودة بالتضاريس وجغرافية وسيكولوجية البلد الموفد إليه، بحيث يذهب الداعى إلى بلد ما وهو يعرف هذا البلد كواحد منهم. وأكد الدكتور جودة على أنه إذا كنا جادين فى تصحيح صورة الإسلام فى الغرب فلابد من رصد ميزانية خاصة ويكون ذلك وفق استراتيجية منظمة خصوصاً وأن الموساد وأجهزة أخرى تنفق مليارات الدولارات للقضاء على الإسلام.

خطبة الجمعة

مَصْدَرُ الْعِزَّة

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصي

الحمد لله عز وجل، هو خالق الخلق، وواهب الرزق، ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾(١).

أشهد أن لا إله إلا الله، هو صاحب الأمر، ومصدر البر ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾(٢).

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، اعتصم بحبل ربه، واستضاء بنور كتابه، فكان خير المرشدين وزينة المفلحين، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحابته، وحزبه وجماعته، ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه وإلى الله المصير.

يا أتباع محمد ﷺ:

لا تخافوا، فلن أحدثكم عن الوفاة والفداء، ولا عن الاستشهاد والشهداء، فلقد أظن أنكم مللتم هذا اللون من الحديث، وكأننا قد رضينا بالواقع، على الرغم من احتلال الدار وضياع الثأر وثقل العار، وكأننا قد ألفنا أن توطأ الوجوه والأعناق بالنعال والأقدام. ولكني سأحدثكم عن آية من كتاب ربكم المجيد، في سورة فاطر، تقول:

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾(٣).

إن الآية تتكون من خمسة مقاطع كل مقطع منها فيه عظة وبلاغ لقوم يعقلون. المقطع الأول يقول:

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾.

(١) الفرقان (٢).
(٢) الأعراف (٥٤).
(٣) فاطر (١٠).

والعزة هي: الرفعة والمنعة والاستعلاء، وفي الكلمة أيضاً معنى القوة والشدة، والعزيز هو: الغالب لسواه، ولقد كان جبابرة المشركين يخافون إذا دخلوا في الإسلام أن تزول عنهم زعامتهم وقيادتهم لغيرهم، ولذلك حاولوا الاعتزاز بالعناد والكفران، فأفهمهم القرآن أن العزة الحقيقية لا تكون إلا من الله، لأنه هو الذي خلق كل شيء، وأعطى كل شيء، وإليه يرد كل شيء، فمن أراد أن ينال العزة فليطلبها من مصدرها ومنبعها، ومالكها وواهبها، ومن كان يحب أن يصير عزيزاً في الدنيا والآخرة، فليلزم طاعة الله، حتى يشمله برضاه وهداه، وبذلك يصبح عزيزاً، لأن الله جل جلاله هو مالك الدنيا و الآخرة، وله العزة جميعاً:

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٤).

وإذا أيقن الإنسان أن العزة لله وحده، أنف أن يخضع لغير الله أو يذل أمام سواه فلا يتضعضع أمام فقر، ولا يهون أمام قهر، بل لعلنا نسمعه يردد قول الشاعر الرامز الواعظ:

أيدركني ضيم وأنت ذخيرتي
وأظلم في الدنيا وأنت نصيري
عار على راعي الحمى وهو قادر
إذا ضاع في البيدا عقال بعير

ولقد يتعزز الإنسان بقوة البدن فيأتيه المرض فيهده هدا، ولقد يتعزز بالمال، فإذا المال غول قاتل وشيطان مائل، ولقد يتعزز بالنسب والحسب، فيأتيه الضياع من كل مكان، ولقد يتعزز بالعلم ويغتر به فلا يزيده العلم إلا انحرافا وضلالا، ولقد يتعزز بالمنصب والجاه فتدور عليه الدوائر فيصبح أذل من الكلاب؛ أما الاعتزاز بالله فباق دائم، يهون معه كل عسير، ولذلك قال القرآن:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٥).

ولا تناقض بين كون العزة لله وحده، وكونها للرسول وللمؤمنين، لأن الله هو العزيز في الحقيقة والواقع، وكل عز سوى عزه فهو فيض من عزته، والعزة كانت للرسول بواسطة قربه من الله العزيز، والعزة للمؤمنين كانت بواسطة إتباعهم للمعتز بالله سيدنا رسول الله، ولذلك يقول القرآن:

﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾(٦).

وصلوات الله وسلامه على رسوله حين قال: «اطلبوا الحوائج بعزة النفوس فإن الأمور تجري بالمقادير»(٧). وقال: «من أعطى الذلة من نفسه طائعاً غير مكره فليس منا»(٨). والحديث عن العزة مفصل مبسوط في كتاب «أخلاق القرآن».

﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ ولقد قال السابقون: إن الكلام الطيب هنا هو التوحيد أو الذكر أو التلاوة أو النصيحة أو العلم أن تقول: إن الكلم الطيب هو كل ما وافق القرآن والسنة، وكل ما كان حقاً متجرداً لوجه الحق، وما فيه إخلاص وإرادة خير للمسلمين وكل ما كان دالا على هدى أو محذراً من ردى، أو داعياً إلى

---

(٤) آل عمران (٢٦). (٥) المنافقون (٨). (٦) النساء (١٣٨، ١٣٩).
(٧) كشف الخفا ١/١٥٥. (٨) الترغيب والترهيب ٤/١٧٩، مجمع الزوائد ١٠/٢٤٨.

خيراً، أو آمراً بمعروف، أو ناهياً عن منكر والتمسك بالكلام الطيب هو أول خطوة نحو اكتساب العزة من الله، وانظر كيف يخبرنا أن الكلم الطيب كأنه شئ أعطى قوة الصعود بنفسه إلى مكان الرضى والقبول، ولا عجب فالنطق بالكلمة الطيبة منة عظيمة من الله على الإنسان، ولذلك يقول القرآن :

﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾(٩)

ولقد تستطيع الكلمة الطيبة أن تحقق خيراً كثيراً، أو تمنع شراً مستطيراً، ومن هنا قال رسول الله : «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»(١٠)، ولقد جاء في السنة أن العبد إذا قال: «سبحان الله وبحمده، الحمد لله ، لا إله إلا الله، والله أكبر تبارك الله، أخذهن ملك، فجعلهن تحت جناحيه، ثم صعد بهن إلى السماء، فلا يمر بهن على جمع من الملائكة، إلا استغفروا لقائلهن، حتى يحيى بهن وجه الرحمن».

﴿ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ ﴾ وهذه هي الخطوة الثانية نحو اكتساب العزة من الله، والعمل الصالح هو العمل المستقيم النافع، وقمة هذا العمل هو أداء الفرائض، لأن الحديث القدسي يخبرنا بأنه «ليس في التقرب إلى الله أفضل من تنفيذ ما افترضه الله على عبده». ولننظر جيداً كيف جعل القرآن الكلام الطيب يصعد بنفسه، والعمل الصالح يرتفع برفع سواه، وليس ذلك استخفافاً بشأن العمل، وإنما هو تمجيد لقيمة الكلمة الطيبة، كي لا يستخف الناس بشأنها، والإنسان الحيوان في العمل، ولكنه يتميز أول ما يتميز بالنطق والكلام، والعمل الصالح في الإسلام، يبدأ بكلمة لابد منها هي كلمة التوحيد : لا إله إلا الله محمد رسول الله فكان أساس العمل أو مقدمته هو الكلمة الطيبة. ولنتذكر هنا أن القرآن في هذه الآية - كما في غيرها - يحثنا على الرفعة والصعود والتسامي . فالعزة التي يحدثنا عنها رفعة . والكلم الطيب يصعد، والصعود سمو ورفعة، والعمل الصالح تعلو به إرادة الله ، والعلو رفعة ، فكان شأن أبناء الإسلام أن يكونوا على الدوام في رفعة وصعود واعتلاء.

﴿ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ ﴾ .

أي الذين يقترفون الآثام ويكتسبونها ويتوسعون فيها بمكرهم ووقاحتهم، لهم عذاب مؤلم موجع، وهذه هي الصورة المقابلة لصورة الفائزين أصحاب الكلم الطيب والعمل الصالح والسيئات تشمل السئ من القول والسئ من العمل، فكأن السيئات هنا هي النقيض المعارض للكلم الطيب والعمل الصالح.

﴿ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾ أي يفسد ويبطل، وبذلك لا يثمر ولا ينفع، بل ويظهر الله زيف الماكرين الآثمين لأصحاب البصائر والعقول، لو ستروه لأنه ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله - ولو بعد حين - على صفحات وجهه، وفلتات لسانه، ولفظة ﴿ يَبُورُ ﴾ لها دلالتها المصورة المعبرة في العاقبة الوخيمة التي يصير إليها أهل الإجرام والفساد. وهكذا عدل الجزاء:

﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴾(١١) .

● ألقيت بمسجد التليفزيون في يوم الجمعة (٢) من ذي القعدة سنة ١٣٩٢هـ. يناير سنة ١٩٧٢م.

---

(٩) الحج (٢٤).

(١٠) الترغيب والترهيب ٣/٢٢٥.

(١١) الزلزلة (٧، ٨).

﴿ فَسْئَلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الشيخ/معوض مبروك عباس

● السؤال من الطالب حمدى محمد محمود - بهندسة الزقازيق يقول:

أرجو من سيادتكم الإجابة عن سؤالي الذى يحيرني منذ فترة طويلة وان يتولى أحد العلماء الافاضل الإجابة عليه.

حتى أوفر على أسرتى بعض نفقات الدراسة فى الكلية أعمل فى مجال إصلاح التليفزيونات والتسجيلات الكهربائية وقد نبهنى بعض الاخوة إلى ضرورة التثبت من هذه الشغلة. هل هى حرام أم حلال؟ وهل إصلاح التليفزيونات يعين أصحابها على المعصية؟ وبالتالي أنا مشارك لهم فى هذه المعصية؟ وهل هناك فرق فى الحكم بين اصلاح التليفزيونات وإصلاح التسجيلات؟ أم هو حكم واحد؟ وهذه المسألة تحيرنى كثيرا فهل ما أكسبه من هذه المهنة حلال أم حرام؟ واذا كانت مشاهدة التليفزيونات بها جدل حول الحل والحرمة (الحل بالطبع للبرامج التى تلتزم بالقيم الاسلامية والشرعية) فهل لو تأكد ان صاحب تليفزيون ما يستخدمه فيما أحل الله فقط فهل يجوز لى ان أصلحه له؟

وهذه المسألة تحيرنى جداً بكل ما فيها من تساؤلات فارجو من سيادتكم مشكورين اجابتى وإزالة حيرتى.

جزاكم الله عنى وعن كافة المسلمين خيراً.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

●● الجواب:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن ولاه وبعد فنفيد أولا باننا نحيى هذا الطالب المجد الذى يعمل ويشارك أسرته تكاليف الحياة الصعبة فى هذه الأيام ليوفر

لنفسه نفقته في أيام الدراسة وللإجابة عن سؤاله نقول له بأن التليفزيون سلاح ذو حدين إذا استعمله صاحبه في المعرفة والبرامج الدينية والأحاديث التي تعلم الناس أمور دينهم ودنياهم فهذا جائز شرعا ولا شئ فيه وأما اذا استعمله صاحبه لرؤية البرامج الخليعة والأفلام الهابطة التي تثير الغرائز فهذا حرام .

والحرمة خاصة بمن يستعمله في هذه المحرمات أما انت إذا قمت باصلاح التليفزيون أو التسجيل فلا شئ عليك ولا حرمة في الأجر الذي تأخذه ويجوز لك ان تصلحه وأنت مطمئن القلب وإنما الإثم على صاحبه الذي يستعمله فيما يغضب الله هذا والله أعلم

● **السؤال من أبي أنس سامي عبدالرحمن - الشرقية :**

الأستاذ / مدير تحرير مجلة الأزهر

بعد السلام عليكم

أود القيام بسنة العقيقة لمولودي - الذكر - ويتاح لذلك مبلغ ٣٠٠ جنيه وعلمت ان ثمن الشاة الواحدة والتي تصلح للعقيقة يتراوح بين ٢٥٠ : ٣٠٠ جنيه وأنى أستطيع شراء لحماً بالكيلو من الجزار وبنفس المبلغ ولكن ثلاثة أضعاف ما يمكن الحصول عليه من الشاة .

وأنا متردد بين إختيار تطبيق السنة بإراقة الدماء « دماء الشاة » وهو سوف يترتب عليه عدد قليل من المدعوين للعقيقة أو شراء اللحم جاهز وإحضار عدد كبير من الفقراء والأغنياء .

أرجو إفادتي

●● **الجــــواب :**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد

فنفيد بأن الأصل في العقيقة ان تكون ذبيحة تذبح في اليوم السابع للمولود بأن يذبح شاة للمولود وتجهز ويطعم منها الأصدقاء والجيران والفقراء والمساكين احتفالا وشكرا بنعمة الله بهذا المولود ولكن إحضار اللحم بثمن الذبيحة فلا يعتبر عقيقة وإنما يعتبر وليمة للأهل والأصدقاء والجيران فالأفضل اتباع السنة التي أمر بها الرسول ﷺ بإراقة دماء شاة عقيقة عن المولود وليس لنا ان نبدل ما أمرنا به الرسول ﷺ وإنما نتبع أوامره ولا نبتدع من عند أنفسنا ولو كان فيه إطعام أكثر هذا والله أعلم

● **ومن القارىء حسن على حسن ورد هذا السؤال :**

وصيتي : أقر أنا حسن على حسن بأنني امتلك شهادات استثمار مجموعة (ب) البنك الأهلي المصرى مسجلة باسم الغير قيمتها الإسمية (٢٥٠٠٠) خمسة وعشرين ألف جنيه يستطيع ابنى سحب قيمتها الحالية من البنك وهى أقل من القيمة الإسمية في حالة وفاتى أوصى ابنائى وبناتى بسداد نصيب كل منهم عند استلامه في مصارف زكاة المال حيث لم أقم بسداد زكاة المال عن هذا المبلغ وأبرئ ذمتي من هذا المبلغ الذى كنت اعتمد على عائده في معيشتي أثناء حياتي .

ويبقى لابنائي وبناتي المنزل الكائن بشرا

والله على ما أقول شهيد .

●● الجـــواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد فنفيد بأن على السائل ان يسارع باخراج الزكاة عن هذا المال قبل وفاته حتى لا يحاسب على ذلك يوم القيامة أما إذا أوصى أولاده بأنه يخرج كل منهم زكاته عن نصيبه فى الميراث من هذا المال فيجب على أولاده تنفيذ وصيته وإخراج الزكاة ولو خص كل منهم أقل من نصاب الزكاة وكان الواجب على هذا السائل ان يخرج زكاة ماله عن السنوات السابقة والله أعلم.

● **يسأل السيد / خليل مجودة خليل فرغل من أطفيح - جيزة :**

ما رأى الدين فى مدفن قديم به رفات أحد المسلمين ونظراً للمبانى السكنية التى أحاطت به من كل الجهات وتأثير الصرف الصحى على ذلك المدفن فهل يصح نقله لجبانه اخرى بعيداً عن المساكن أم يتنافى مع الدين أفيدونا أفادكم الله.

●● الجـــواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وبعد، فنفيد بأن لو تحققنا بأن مياه الصرف الصحى وصلت إلى داخل المدفن فلا مانع من نقل رفات الميت إلى مدفن آخر ويجمع فى كيس ويحافظ على العظام حتى لا تكسر وتدفن فى مدفن آخر لأن فى ذلك تكريم للميت والله أعلم.

● **السؤال من م.ع.ع يقول :**

برجاء التكرم بافادتنا نحو مشروع التكافل الاجتماعي للعاملين بالهيئة العامة للرقابة على الصادرات والواردات حيث انني من ضمن المشتركين فى هذا المشروع وملأ الشك قلبى من حيث هل المشروع حرام أم حلال وهذه الأصول المتداولة للمشروع كالتالى :

١- جارى البنك الأهلى ١٧٠٧٥٤,١٨

٢- شهادات البنك الأهلى ٨٣٧٩٠٠٠,٠٠

٣- سلف للعاملين نقدا بفائدة ٨٪ سنويا ٥١٥٧٨٣,٥٧

٤- استثمار بنك الأهلى ٨٠٠٠٠٠٠,٠٠

٥- شهادات ذات عائد شهرى ٥٠٠٠٠٠٠,٠٠

برجاء التكرم بفتوانا حتى تطمئن قلوبنا

●● الجـــواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد :

فنفيد بأن مشروع التكافل الاجتماعى بأن يخصم من مرتب العامل جزء معلوم ليسترده بعد خروجه إلى المعاش أو الورثة لو توفى حسب القواعد والقوانين المعروفة هذا العمل لاشئ فيه لانه يعتبر من نوع التعاون بين (الموظفين) فى هذه الهيئة ونوع من أنواع البر والتعاون :

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾

المائدة / ٢

أما الأرقام التى ذكرها السائل فى سؤاله فلا شئ فيها سوى رقم ٣ ثلاثة وهى السلف للعاملين بفائدة ٨٪ فإنها حرام وتعتبر ربا لأن كل قرض جر نفعا فهو ربا فهذه السلف حرام والله أعلم

صرخة فى وادٍ

للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

مع بزوغ شمس عام هجرى جديد نبتهل إلى الله ـ تعالى ـ مخلصين أن يكون عام وبركة وازدهار يطيب لكل مسلم أن يحدث بنعم الله التى تغمر كل جوانب حياته وتعم بالنماء شتى شئونه صغيرها وكبيرها، دقيقها وجليلها. أقول هذا وأنا أطلع على إحدى رسائل القراء فى مجلة لاتقرؤها الكثرة من الناس. ومالفت انتباهى فى الرسالة أمران غالباً ما يغيبان عن بال الجمهرة الغفيرة من البشر ولا يهمنى هنا اسم المجلة ولا اسم القارئ كل مايعنينى هو أنه امريكى ومن هنا يكتسب كلامه شيئاً من الأهمية.

أما الأمر الأول فهو التحدث بنعم الله سبحانه والإقرار بالآلاء التى تطرى فتغمر حياة الذين اختصهم الرسول ﷺ بالثناء من توجيه يقول فيه «من أصبح آمناً فى سربه، معافا فى بدنه، عنده قوت يومه فكأنى حيزت له الدنيا بحذافيرها». إنهم الذين أشاد الشاعر بقناعتهم تعليما لنا فقال:

إذا مـــا كـنـت ذا قـلـب قـنـوع

فـأنت ومـالك الدنـيـا سـواء

واسمع معى بأذن قلبك واقرأ بعين بصيرتك هذه الكلمات التى ربما احسست فيها شيئا فى المبالغة لكنها المبالغة المحمودة التى تذكر الانسان الذى كثيراً ما ينسى نعم الله عليه وتدعوه إلى النأى بنفسه عن الجحود وان يكون على الدوام شاكراً نعم الله التى لا تحصى.

يقول القارئ: «إذا كانت الحظوظ الدنيوية مواتية والنعم سابغة بحيث اننا نجد من الطعام أطايبه ومن الشراب لذيذه فنأكل ونشرب فى وارف ظلال صحة وعافية وإذا كنا نلبس من الهندام أبسطه وعندما يقبل الليل نجد مكاناً آمنا يؤوينا وسقفاً يظلنا فننام هانئين فعلينا أن نذكر أن ثلاثة ارباع سكان الكرة الأرضية لاتتوافر لهم هذه النعم مجتمعة فمن وجد المطعم والمشرب قد لايتوفر له الملبس وقد لايتيسر له المسكن والمركب وتزداد نعم الله علينا وتتوالى فيصل الأمر ببعضنا أن يتوفر فى حافظته من النقود مايريد وقتما يريد بل يحتفظ فى البنوك بما يفيض عن حاجته فهو محظوظ لاشك بل هو من جماعة لاتزيد نسبتهم على ٨٪ من سكان العالم».

ولا ينسى القارئ الدور الخطير والجوهرى للعبادة التى تعود على الإنسان بالأمن النفسى والسلام القلبى والطمأنينة الروحية فيقول: «فإذا كان بإمكانى أن أعبد ربى دون خوف من اضطهاد وقد امنت بفضل الله من أن يتحرش بى أحد إذا كان ذلك يتوفر لى فحالى أفضل من

حال الكثيرين» بل ان القارئ يوجه كلامه إلى طائفة اقتضت حكمة الله ان لا ينعم عليهم بنعمة البصر مذكراً إياهم بماهم فيه من نعمة عظيمة هي نعمة العلم والقراءة فيقول «ان أولئك الذين وهبوا القدرة على القراءة اما باللمس او عن طريق الاستماع لهم اكثر حظاً من ثلث هذا العالم من البشر الذين لا يزالون يتخبطون في ظلام الجهل والامية» ثم يستطرد القارئ في تعداد نعم الله على كثير من عباده الذين اغفلوها وتناسوها وجحدوها ويدلي ببعض الحقائق التي لنا عليها بعض التحفظات فيقول «انه على الرغم من الاحداث المأساوية التي شهدتها الولايات المتحدة فاننا اوفر البشر حظاً في الولايات المتحدة فالفرد عندنا اكثر الناس تمتعا بالحرية الشخصية» وهو قول مردود عليه لان الحرية مسئولية وحريتك تنتهي عندما تبدأ حرية الآخرين ثم يقول «انهم اكثر الشعوب وفرة في الموارد وارقى الشعوب ديمقراطية» وهو ايضاً ادعاء في حاجة إلى نظر فمن الذي قال إنهم اكثر الشعوب ديمقراطية وماهي الا ديمقراطية تستند اولاً وقبل كل شئ إلى سلطة المال ثم من الذي قال إن الديمقراطية أفضل من الشورى الاسلامية التي تهتم بالكيف لا بالكم وبالرأي السديد الصائب لا بالكثرة الغوغائية وبعد ان يعبر القارئ عما يداخله من حزن واسى ينتقل إلى النقطة الثانية التي جعلتني اهتم برسالته وأحس انها صرخة في واد سحيق ونداء في اذن صماء لاتريد الاقرار بالوقع ولا الاعتراف بالحقيقة ولا لشئ إلا تمادياً في الحماقة وسدوراً في الغي ونفوراً من صوت الحق.

ثم يتطرق القارئ إلى نقطة جوهرية لم يدل فيها بكثير من التفصيل فيقول: «إننا في امريكا نعتقد جازمين أن كل البشر لهم الحق غير المشروط في ادارة شئون حياتهم بانفسهم وبناء مجتمعاتهم بالطريقة التي تمكن ابناءه ذكورا وإناثا من استثمار امكانياتهم وتكريس كل قدراتهم وتوظيف مواردهم لهدف سام هو حياة مزدهرة لكل من يعيش في تلك المجتمعات» ثم يثير قضية بديهية فيقول «ان البشر بطبيعتهم ذوو مصالح مشتركة ومنافع متبادلة تتداخل وتتشابك بحيث لايستطيع احدهم ان يعيش بمعزل عن صاحبه»

ويضيف القارئ «ان الفرد والأسرة والمجتمع والكون كل ذلك يشكل سلسلة متداخلة الحلقات وثيقة العرى ينجذب بعضها لبعض بكثير من الوشائج والصلات فمسئوليتنا اذن متكاملة لاتنحصر في اسرنا وذواتنا الضيقة انما تتعداها إلى كل ماحولنا وإلى البيئة المحيطة بنا ثم يؤكد القارئ على المسئولية الشخصية والمبادرة الايجابية للفرد التي جعلها الإسلام الحنيف جوهر التقدم يقول القارئ «ان الامر بيد كل واحد منا فهو يمكن ان يختار طريق اللامبالاة وهو إذ ذاك يحفر قبره بيده ويدق بنفسه أول مسمار في نعشه وإما إن أصر على أن يكون إمعة وصمم على انتهاج طريق الخير فهو إنما يبني جنته بنفسه ويبذر ماسيجنيه خيراً عميماً وحصاداً نافعاً - إن شاء الله - إن التقوى والضمير الحي تدفعنا وتحفزنا إلى النهوض بحياتنا وتحديث اساليب عيشنا بما لايتعارض مع القيم والمبادئ والمثل الراسخة من الدين والخلق الكريم والارتقاء بالنفس.

من الأدب العبرى

للدكتور / محمد حسن عبد الخالق

الأدب مرآة الشعوب، يعكس المكنونات الدفينة لها.
وفى محاولة لسبر أغوار هذه الجماعة الصهيونية سنتعرض لبعض ما كتبوه فى أدبهم.

بعد أن نعم اليهود فى بلاد المشرق الإسلامى بالأمن والأمان، وحققوا الكثير مما يصبون إليه فى البلاد التى احتضنتهم ثم هاجروا تحت دعاوى صهيونية زائفة راحوا يجترون ذكرياتهم عن هذه البلاد وكيف كانوا يخدعون أهلها وكتبوا بإسهاب للأجيال اليهودية القادمة تاريخ وجودهم فى هذه البلاد كى يأخذ الخلف عن السلف دروساً فى الغش والخداع تحت مسميات مختلفة ظاهرها الرحمة وباطنها الخداع.

ومن القصص الشائعة عن يهود مصر قصة الربى (موسى بن ميمون)(١) والتى تحمل عنواناً فى غاية الغرابة هو: كيف انتصر ابن ميمون على عدوه.

وموسى بن ميمون حجة الدين اليهودى لدى يهود العالم بالإضافة لكونه عالماً فى الفلسفة وطبيباً ماهراً مما جعل سلطان مصر فى ذلك الحين يختاره طبيباً خاصاً له، مما أزعج المقربين للسلطان وقد حاول كثير من الأطباء إبعاده عن هذا المنصب العالى، وكان هناك طبيب اسمه كمون على صلة بكبار رجال البلاط حيث ذهبوا إليه يستفسرون كيف يسمح السلطان أن يضع حياته تحت يد يهودى فابتسم السلطان ثم قال:

لو قدر لى أن أموت فسوف أموت بإحدى ثلاث:

الأولى: أن يميتنى الله من غير سبب ظاهر وليس لى دخل فى هذه الحالة.

والثانية: أن أطعن بخنجر من الخلف وليس لى أيضاً أى حيلة.

أما الثالثة: أن يُدسَّ السُّم فى طعامى أو شرابى وهذا ما أحاول أن أتجنبه، وموسى بن ميمون ضليع فى السُّميات وهذا ما دعانى إلى اختياره طبيباً خاصاً لى.

فرجع العلماء حائرين يبحثون عن خبير مسلم فى السُّميات يحل محل هذا اليهودى المشكوك فيه وبعد عناء توصلوا إلى طبيب مسلم خبير فى السُّميات

(١) S. D. Goitein: The Land of Shaba PP. 97-100.

اسمه « كمون ».

فأحضروه وذهبوا به إلى السلطان يعرضون عليه أن يبقى معه بالإضافة إلى ميمون اليهودى. فرفض السلطان قائلاً:

إن وجود طبيبين فيه خطر على حياتي ولست في حاجة إلا لطبيب واحد. وسأعقد لهما امتحان ومن يتفوق على زميله يصبح طبيبي الخاص، وجمعهما وأمر بأن يقيم كل منهما في جناح خاص به، وأمر بأن الطعام الذي يأكله أي منهما لابد وأن يمر على زميله، حيث يضع فيه السُّم وعلى الآخر أن يكتشف نوع السُّم ويفسده ثم يأكله بعد ذلك، ومن يبقى منهما على قيد الحياة فهو المتفوق في علمه وسيكون طبيبي الخاص ففرح كمون لأنه خبير في السُّميات وترياقها، وقال « ميمون »: سمعاً وطاعة أيها السلطان المفدى.

وكان « كمون » يضع السُّم في أكل ميمون بانتظام ولكن بلا فائدة، لأن « ميمون » كان يفسد السُّم بالمضادات ويأكل الطعام كله.

أما « كمون » الذي كان يجرب كل أنواع المضادات كي يكتشف نوع السُّم ولكنه لم يقدر، فتوجس في نفسه بأن اليهودى يعرف نوعاً من السُّم لم يهتدى إليه، فامتنع عن أكل الطعام نهائياً، وعاش على لبن بقرة السلطان حيث كان يتسلل مع كل فجر يحلب من لبنها ويشرب، واعتلت صحته وأصبح لا يقوى على السير.

واعترت الدهشة كل من بالقصر في كل مرة يظهر فيها ميمون اليهودى ويرونه حياً معافى. فكان يضحك كلما التقى بكمون ويقول له.. سنشرب السُّم اليوم يا كمون!

وأصبح « كمون » شاحب الوجه ضعيف البنية، وذات فجر وبينما يشرب « كمون » كوبا من اللبن حلبه لتوه من البقرة نزل إليه ميمون واحتضنه وبكى، وقال له سامحنى، أنت الذى حضرت كى تقطع عيشى من هذا القصر، وإنك شربت السُّم وستموت حالاً، إنها النهاية إن الحليب مسموم، والبقرة مسمومة.

فاهتز كمون وحرص « ميمون » على الإمساك بكوب اللبن الذى شرب نصفه، ووقع « كمون » على الأرض وقد فارق الحياة وعيون رجال السلطان لا تنام.

فقد هرعوا إلى مخدع السلطان وأخبروه أن اليهودى قد سمم البقرة وشرب من لبنها المسلم، ثم فارق الحياة وعلى الفور استل السلطان سيفه وخرج إليهم وهو يصيح:

والله لو فعل هذا (ابن ميمون) لحرقت جميع اليهود فى مملكتى.

وعلى الفور بادره ميمون قائلاً: لك الحق يا سلطان هذه هي كوب اللبن التي كان يشرب منها، احضروا طفلاً رضيعاً يشرب ما تبقى منها، فإن مات، إفعلوا بى وباليهود ما تشاءون.

وفعلاً أمر السلطان واحضروا طفلاً رضيعاً لإحدى العاملات بالقصر وشرب اللبن ولم يصب بسوء ففرح السلطان فاقتنع كل الموجودين بأن ميمون انتصر بالسحر وفي إحدى المناسبات الخاصة باليهود سألوه كيف انتصرت على « كمون » هل استخدمت السحر فقال لهم ميمون.. لا سحر عند يعقوب لقد زرعت الوهم فى نفسه فقتله.

ولما عرف السلطان ذلك قال له:

« إنك خبير ليس فقط فى الجسد بل فى أمراض النفس ».

● إذا تأمل القارىء هذه القصة فإنه لا يحتاج إلى كثير عناء أو سابق خبرة أو حنكة حتى يعلم مدى ما

بها من تلفيق وأن ما بها من وقائع ما هو إلا كذب صراح.

فانظر معى وتأمل.. كيف يصور الكاتب السلطان العربى وقد ملأه الخوف مما يحيط به من أعداء فهذا يريد أن يدس السم فى الطعام وهذا مستعد أن يطعنه بخنجر لو أتيح له ذلك.. وهو يعد سلطان أبله حصر أسباب الموت فى هذه الحالات الثلاثة.

- ثم ما حيرة العلماء مع طبيب يهودى يعمل فى القصر؟

ومتى كان المسلمون يخشون أن يتعاملوا مع غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى؟ والتاريخ يشهد بعكس ذلك..

وتشهد بذلك سماحة الدين الإسلامى.

ولكن صاحب القصة لا يهمه إلا أن يمحو كل ما هو جميل فى الإسلام بل ويأتى بنقيضه.

ثم نجد السلطان يختار طبيباً ماهراً فيجعله طبيبه الخاص، وعندما يطلب منه كبار رجال البلاط المقربون أن يستعين بطبيب مسلم إلى جوار الطبيب اليهودى تراه يداخله الشك ويخشى المؤامرة!!

ثم هو بعدُ رجل غليظ القلب لا يعبا إلا بحياته ولا يهمه كثيراً أن يموت أحد الطبيبين ليتأكد أن الذى بقى على قيد الحياة هو الأكثر حنكة؟! هل هذا سلطان مسلم؟!

ثم هذا الطبيب المسلم كمون يضع السم لزميله الطبيب كى ينجو هو.. وميمون (الطبيب اليهودى) يفسد عليه صنعيه.

وهذا الطبيب المسلم وقد خاب سعيه يتسلل مع كل فجر (لا ليصلى لله ويطلب منه العون ولكن) ليسرق لبن بقرة السلطان.

ثم يموت كمون بعد أن شرب كوباً من اللبن لا من أثر سم وضعه له الطبيب اليهودى ولكن من أثر الوهم.. فاليهودى طاهر اليد لم يدنس يده بوضع السم للمسلم ولو فعل لم يُلم لأن المسلم كان البادىء فى وضع السم له كما تقول القصة.

واليهودى لا يخطو خطوة لا يعرف ما بعدها، فبعد أن يسقط الطبيب الأبله (كمون) يحرص الطبيب اليهودى على أن يمسك بدليل براءته، وهو المتبقى من اللبن.

وأى سم هذا الذى يصل إلى ضرع البقرة فيسمم اللبن بدرجة تكفى لقتل رجل ولا يؤثر فى البقرة!

ثم يصل الكاتب سريعا إلى ما يحب أن يلصقه فى المسلمين وحكامهم، فيتوعد السلطان المسلم الطبيب اليهودى أن يحرق جميع اليهود فى المملكة إذا ثبت أنه وضع السم للبقرة!

وهذا السلطان مرة أخرى يأمر بإعطاء ما تبقى من اللبن لطفل رضيع ولا يعبأ لو مات الطفل فهو طفل رضيع وفى نفس الوقت ابن لإحدى العاملات بالقصر فمتى نظر الإسلام والمسلمون إلى العاملين عندهم نظرة دونية أو أنهم أناس من الدرجة الثانية!

ثم انظر إلى كل هذا الفرح الذى عم كل القصر وأولهم السلطان وتأمل قوله: اقتنع كل الموجودين بأن ميمون انتصر بالسحر!!

سحرٌ فى قصر سلطان مسلم فى بلد مسلم هو (مصر).

ثم انظر إلى هذه الخاتمة التى تضع ميمون فى مصاف الأولياء: «لا سحر عند يعقوب» هذا ما تنطق به كلمات القصة ولا أقول سطورها بضع كلمات كاذبة جمع بينها الافتراء فأفرزت هذا الأدب اليهودى المغرض!!

بين الصحف والمجلات

اعداد الأستاذ / محمود الفشني

لقد صم العالم وبكم وعمي عن تطبيق الشرعية الدولية والقوانين التي تحرص على مصلحة العالم وسيادة كل دولة على حدة.

فكيف وصل العالم إلى درجة الإعاقة وأصبح صامتاً وصُمت أذنيه والأكثر من هذا تدخل الولايات المتحدة في الشئون الداخلية والتعدي على سيادة كل دولة ينصبون حكامهم ويقتلون حكاماً آخرين بل يقتلونهم والعالم الإسلامي كغثاء السيل.

وفي هذه الأيام وصل بهم الجرم إلى التدخل في السياسة التعليمية والتربوية للدول وخاصة الدول الإسلامية.

وهذا ما لخصه لنا الكاتب الكبير أحمد رجب في نصف كلمة ولكنها كلمات كبيرة يعبر بها عن قضايا أمة بحالها وهذه الكلمات في جريدة الأخبار في عددها الصادر في ١٩ / ٢ / ٢٠٠٢ قال فيها ردا على المتسائلين :

لا أعرف على وجه التحديد الأسلوب الذي تريده أمريكا لتدريس الدين في البلاد الإسلامية، يجوز أنها ستحذف الصلوات من المناهج وأن يقتصر المسلم على صلاة الصبح، ويجوز أنها لا تريد مسلماً شافعياً أو حنفياً بل تفضل المذهب العولمي.

ويجوز أنها ستقدم معونات سخية لإنشاء مدارس دين تيك أواى

إعـــــدام؟؟

المسجد الأقصى.. على المقصلة!!

تحت هذا العنوان في جريدة الوفد في عددها الصادر في ٣١ / ١ / ٢٠٠٢ للأستاذ عبدالعزيز محمد الحامي قال فيه:

اذا كان شارون، قد صرح بأنه سيسمح للإسرائيليين وقطان المستعمرين بالصلاة في القدس ومن حول المسجد الأقصى وقبة الصخرة، دون تحسب لرد الفعل لهذا العدوان على المقدسات، فإن في ثنايا ذلك وفي خفاياه أن يقوم شارون وعصاباته، أن يدس جماعات، تقوم بتلغيم الأقصى وتفجيره، والخلاص منه في ضربة واحدة وإلي الأبد!! وهذا الذي نقوله ليس تطيراً ولا تشاؤماً إنما هو مخطط مرسوم ينتظر اللحظة المناسبة لتنفيذه!! وليس أكثر من هذه الفترة مناسبة لتنفيذ ذلك كله في ضربة واحدة!! وهو يعلم أن الفلسطينيين والعرب والمسلمين، لا يملكون الآن وإلا الدموع يذرفونها مدراراً، وإلا بيانات الشجب والادانة، وإلا الصرخات واللعنات يتبارون ويتسابقون فيها!!

في عام ١٩٨٩ نشرت مجلة التايم الأمريكية،

تحقيقاً مطولاً، أبرزت فيه بوضوح أن: التراث الدينى اليهودى يؤكد أن أمر الله فى العهد القديم ببناء الهيكل أمر لا رجعة فيه!! وأشارت هذه المجلة فى تحقيقها أيضاً: أن إعادة بناء الهيكل فى موقعه الأصلى يمثل فكرة مستسلطة لدى المتدينين فى الولايات المتحدة، والذين يأخذون بحرفيه العهد القديم، يعتبرون أن اقامة الهيكل الجديد، هى شرط أساسى ليتحقق المجئ الثانى للمسيح!! ولم يكن هذا الكلام، تعبيراً عن التمنى فحسب، ولكن جرت المحاولات فى أعوام ١٩٧٩ و ١٩٨٠ و١٩٨٤ و١٩٨٥ لنسف المسجد الأقصى، ومن بعد وضعت خطط عسكرية كاملة، وضع أحدها الضابط الإسرائيلى ميناحيم ليفنى وهو قائد كتيبة مهندسين فى الجيش، بعد أن تمكن من الحصول على صور استطلاع جوى للموقع، واتفق مع أحد الطيارين العسكريين على قصف المسجد من الجو، ولكن السلطات الإسرائيلية أوقفت التنفيذ لأن اشتراك طائرة وطيار عسكرى قد يكشف الاشتراك الحكومى فى العملية!! لكن هذا الضابط لم يسكت وأعد خطة بديلة، بقيام وحدات عسكرية مسلحة ومزودة بالرشاشات وكميات من المتفجرات تكفى لنسف المسجد كله!! بل إن هؤلاء قد صنعوا نموذجاً للهيكل الذى سيتم اقامته على انقاض المسجد فى احدى قاعات فندق الأراضى المقدسة فى القدس!! وكذلك فإن كبير الحاخامات فى إسرائيل وهو شولوموريين قال علناً فى احتماع حاشد إنه لا يستطيع أن يغادر هذا العالم دون أن يؤمن لليهود الصلاة من جديد على تل الهيكل!! وجاء المؤرخ اليهودى ديفيد سولومون ليقول إن كل يوم يمر على اليهود دون أن يبدأوا فى بناء الهيكل هو وصمة عار فى جبين الأمة اليهودية!.

وأخذ كل الرؤساء الأمريكيين يرددون ذات الكلمات والأفكار، فى عبارات مبهمة وصريحة فى كثير من الأحيان. فالرئيس كارتر لم يتردد فى الكشف عن هويته الحقيقية والكامنة فى كل أعماله المطلية بالكلمات الطيبة وقال: إن المسيحيين من كل الطوائف يشعرون بالقرابة التى تربط ما بينهم وبين إسرائيل من خلال الدين!! فالمواطنون الذين يشكلون قلب أمريكا مقتنعون تمام الاقتناع بأن الصلات الدينية والأخلاقية والعلاقات السياسية والالتزامات الاستراتيجية للأمتين الأمريكية والإسرائيلية مترابطة ومتشابكة بشكل حميم لا انفكاك له! فكارتر الرئيس المؤمن، فى أدائه لواجبه الدينى!! جعل دوره فى تأمين المشروع الصهيونى نحو تحقيق سيادة إسرائيل وحيازتها لكل الأرض المتعاقد عليها مع الإله يهوه من النيل إلى الفرات!! ولاشك أن هذا الفكر اللا عقلانى، قد تسلل إلى المجتمع الأمريكى حتى وصل إلى رؤوس الرؤساء الأمريكيين، وبات موجهاً لسياساتهم وخاصة فى منطقة الشرق الأوسط!! الأمر الذى يتبين من ثناياه، تلك المؤامرات والمخططات، التى تؤكد أن هدم المسجد الأقصى وتدميره، وإقامة الهيكل الثالث فوق أنقاضه بات وارداً فى ظل ظروف الهيمنة الأمريكية، وسعار شارون وزمرته الحاكمة، العنصرية التى تفعل كل شئ ولا أحد يقف فى مواجهته ولا يضع سقفاً لجموحه!! وهو يعرف أن الثمن لن يكون إلا بكاء وعويلاً، وبيانات الشجب والتنديد، والمزيد من الانسحاق أمام القوة والغطرسة الإسرائيلية والأمريكية التى تسيدت العالم ووقفت على قمته.

● نكتفى بما قاله الكاتب فى مقاله معبراً عن حال أولى القبلتين وثالث الحرمين.

بين المجلة.. والقارئ

إعداد وتقديم / عادل رفاعي خفاجة

هـــذا الصـــعيد الصـــابر

امتلأت نفسي بالأسى أسفاً على إخواننا في الجنوب مرتين: مرة حين قرأت لعبد الرحمن الأبنودي هذه الكلمات حيث يقول:

«في كنوسوفا تجد الحرائق مندلعة من الدور «الجميلة» وترى الشوارع الواسعة (المسفلتة) برغم مرور الدبابات والقنجار الألغام، وتكتشف كم هي رائعة تلك البلاد المحترقة التي لم تبخل حكومتها المعادية في أن تجعل منها أماكن جميلة، على عكس بلادنا وقرانا.. بعد أن تغادر القاهرة بثلاثة أمتار إلى الجنوب سوف تكتشف أنك انتقلت إلى قطر آخر وعالم مهمل لا يمت بصلة إلى مصر كأن القاهرة وبعض مدن الشمال هي سكنى الصرب وكأن صعيد مصر مأهول بالألبان تشن عليهم حرب الإبادة»[1].

يا إلهي.. هل يعاني أبناء الصعيد.. إلى الدرجة التي أحس فيها كاتب كبير من أبناء الجنوب مثل الأبنودي أن أبناء الوطن الواحد ضربتهم التفرقة حتى صاروا مثل الألبان والصرب؟!

يومها قلت: لك الله أيها الجنوب.

أما المرة الثانية.. فقد كان الأسى والحزن شديداً، اجتاحني مثلما اجتاح أبناء وطني جميعاً.

حيث كنا ننتظر أن ننال من العيد فرحة، بعد كل هذا الشحن النفسي الأليم، منذ أحداث سبتمبر وما تبعه من تداعيات.

حتى جاء حادث قطار الصعيد ليخطف هذه الفرحة المنتظرة فمع احتراق هذه العربات السبع واحتراق ثلاثمائة واثنين وسبعين من أبناء الصعيد بالإضافة إلى من لم يتم التعرف عليهم.

قلت للمرة الثانية.. لك الله أيها الجنوب.

ولنا الله جميعاً وليلهمنا ربنا الصبر على ما حل بهذا الوطن الصبور.

---

(١) عبدالرحمن الأبنودي .. الأحفاد المقصودة، ص ١٥٦، طبعة مكتبة الأسرة ٢٠٠٠ (الهيئة المصرية العامة للكتاب).

وجاءت كلمات الرئيس مبارك تدعو الجميع للتحمل بالصبر والإيمان حيث إنها:

«إرادة الله ولا راد لقضائه».

وفي نفس الوقت أمر بإجراء تحقيق شامل للوقوف على الأسباب ومجازاة المتسبب، وللوقوف على أوجه القصور وعلاجها لمنع تكرار مثل هذا الحادث الأليم حيث قال:

«لن أسمح بأى محاولة لإخفاء الحقيقة»

«طلبت تحقيقاً شاملاً لحادث قطار الصعيد لتحديد المسئولية ومحاسبة من قصر فى أداء واجبه».

وتوالت الأخبار عبر الصحف الكل يحاول تجلية الموقف:

جريدة الأخبار قالت: انفجار موقد بوتاجاز فى القطار وراء الكارثة.

الأحرار قالت: عربات قطار الموت انتهى عمرها الافتراضى منذ عشر سنوات.

الوفد: ٣٧٢ مواطنا لقوا مصرعهم فى أسوأ كارثة قطارات.

وعلى أية حال، وأيا كانت الأسباب- حتى تظهر النتائج النهائية للتحقيق - فهناك نقاط لابد أن نطرحها، ولابد أن يتعهدها كل صاحب قلم أمين وكل صوت يجهر بالحق، لأنها تتعلق بالحقوق والواجبات، وتتعلق بسلوكنا كأفراد ولأننا جميعا - أفرادا وجماعات، ومواطنين ومسئولين - مسئولون أمام ربنا - تبارك وتعالى - حافظنا أم فرطنا؟

لأجل ذلك لابد لنا أن نحاسب أنفسنا جميعا ونشير إلى نقاط التقصير عند كل منا حتى نعلم مواقفنا إيجاباً وسلباً.

أولا: محصل القطار... أهم رجل فى هذا الموضوع غير أنه لا يعنيه غير تحصيل قيمة التذكرة ومع أهمية هذا العمل وصعوبته إلا أن على عاتقه الكثير من الواجبات.

- فواحدة من واجباته.. أن يبلغ سائق القطار عن حدوث مثل هذه الكارثة.. أو يبلغ شرطة السكك الحديدية. فهل سأل أحد من المحصلين نفسه ماذا يفعل وكيف يتصل بقائد القطار إذا حدث أمر خطير مثل ما حدث؟! وهل تلقى العاملون فى هذا المرفق الحيوى التدريبات والدورات الجادة اللازمة لمثل هذه الأمور؟ أم أنها مجرد دورات تدريبية لزوم الترقى فقط؟

- وواحدة من واجباته - أيضا- أن يعرف ماذا يفعل فى الحالات الحرجة: كتعرض أحد الركاب لغيبوبة مثلا.. هل يتركه يموت أم ماذا يفعل؟!

ومن واجباته - أيضا - أن يعرف ماذا يفعل تجاه راكب يحمل مواداً قابلة للاشتعال، معرضا حياة الآخرين للخطر فليس التواكل من الدين فى شئ.

* **أما القائمون على الصيانة:**

فعليهم، بالاضافة إلى التأكد من صلاحية العربات للسير، عليهم - أيضا - أن يتأكدوا من صلاحية هذه العربات - وما بها من دورات مياه - للاستخدام الآدمى. والأمر ليس ترفا بل ضرورى للغاية حيث تحتاج الرحلة إلى الصعيد الساعات الطويلة بالاضافة إلى وجود أصحاب الأعذار ويكفى أن نقول: إن كل عربة قد يكون فيها راكب أو اكثر يعانى مرض السكر.

هذا ما يجب أن يهتم به القائمون على الصيانة وليس تحصيل جنيه من الراكب الذى يتسلل إلى المخزن ليحصل على مقعد قبل ازدحام القطار!!

أما الراكب .. فعليه مسئولية الحفاظ على هذا المال العام وهذه المركبة التي تقله، فلا يجب، أن يعتدي عليها بالتخريب قل ذلك أو كثر.. وفي رأيي أن حفر الأسماء «**لذكرى الخالدة**» نوع من التخريب.

وعلى الراكب - أيضا - مسئولية الحفاظ على دورات المياه نظيفة بعد استخدامه لها، فعليه أن يتركها كما يحب أن يراها.

وعلى الراكب أيضا أن يحرص على دفع التذكرة حتى ولو لم يأته المحصل.

وقد كنا نحرص على ذلك صغارا، ورحم الله صديقا لنا كان حريصا - وهو على فراش الموت - أن يدفع قيمة تذكرة لم يأت المحصل ليحصلها منه، ولم يتسع وقته حينئذ أن يشترى تذكرة من شباك التذاكر بمجرد نزوله من القطار.. ظل هذا المبلغ يؤرقه حتى زرناه في مرضه فدفعه لأحدنا، ليقوم بهذا الواجب.

ولكننا - للأسف - نسمع عن شباب في الجامعة يتباهى بأنه «زاغ» من المحصل. وإن كانوا قلة إلا أن ذلك يدل على غياب الوعي الديني اللازم لمثل هؤلاء الشباب.

أيضا نسمع من يلقى النكات في الحفلات العامة، ويكون المثير للضحك فيها (الزوغان) مرة أو أكثر من المحصل!!

فيبدو الأمر كما لو كان شيئا عاديا!

وهذا يدفعنا إلى الكلام عن دور أجهزة الأعلام المختلفة وأهمية التأكيد على انتقاء الكلمة.

ودور رجال الوعظ وهو الأكثر أهمية، فالقانون أى قانون.. لا يخلو من ثغرات ينفذ منها المتلاعبون.

إلا قانون الله، لا تعرف الثغرات إليه سبيلا فعلينا مخاطبة الوازع الديني لدى أفراد المجتمع.

- نعود مرة أخرى لدور الراكب.

فبرغم انتشار أجهزة التليفون المحمول في أيدى الكثير من الركاب لم يدر بخلد أحد منهم أن يتصل بالشرطة أو المطافىء.

- جميعنا رأى ذلك المربع الزجاجي في عربات القطار، وقرأ عبارة: «في حالة الخطر اكسر هذا الزجاج وشد جزرة الفرامل».

ولكن لم يقم أحد من الركاب بفعل ذلك، بل قفز بعض الركاب من نوافذ القطار أثناء سيره!!

ولعل السبب في ذلك أن المعلومات التي يستعان بها في الأزمات لابد أن تكون ثابتة في الأعماق وواضحة ووضوحا كبيرا.

ومن هنا يبرز دور الإعلام وبخاصة التليفزيون، في رسم سلوك المواطن في الأزمات وفي مثل هذه المواقف الحرجة.

ونذكر له ما قدم من قبل:

- تنبيه عن خطورة عبور الطريق من أمام الأتوبيس أو الشاحنات الكبيرة، لما في ذلك من حجب الرؤية وما يتبع ذلك من خطر.

- التأكيد على أهمية حزام الأمان لقائد السيارة ومن بجواره.

- إلى غير ذلك من نصائح تفيد المجتمع نتمنى أن يهتم بها القائمون على تخطيط برامج التليفزيون، فهي أنفع للفرد والمجتمع من كثير من هذا الغثاء الذي يتمثل في برامج المسابقات التي هدفها الأول أن يحفظ المشاهد أسماء الأفلام وأسماء أبطالها ومخرجيها... الخ

وبعد... فإذا كانت النار قد أكلت منا أرواحا،

فلابد أن نعي الدرس حتى لا تتكرر هذه المأساة.

وإذا كانت التحقيقات تدور بشكل جاد ودءوب فلابد أن نعي أن الهدف ليس مجرد ايقاع عقوبة بقدر ما هو أسلوب للوصول إلى معرفة الأسباب الحقيقية للمأساة لتلافيها مستقبلا..

ولا يجب أن يغلق الملف بمجرد مجازاة المتسبب، وإنما علينا أن نجعلها دائماً في الذاكرة وعلينا أن نتكاتف لإصلاح الخطأ فليس في التحمل وتغطية أخطائنا أى سبيل لأن نكون دولة متحضرة.

وإذا كانت هذه النار قد أبانت عن نقاء العنصر المصرى بما قدم من مساعدات مالية كبيرة قدمها أفراد المجتمع وهيئاته إلا أن الجهود التي بذلت أثناء الحريق أوضحت غياب عنصر هام هو النظام، وأسلوب العمل.

وقد أظهر الحريق وجود نظام يعني بالأمن بدليل وجود خمس طفايات في القطار لكنه أبان عن قصور ذلك النظام بدليل أن هذه الطفايات «عهدة السائق» فهي معه في الجرار!!

نسأل الله العلي القدير أن يلهمنا رشدنا فنعي الدروس المستفادة من هذه المحنة فنزداد بها قوة وليس في قضاء الله للمؤمنين إلا كل الخير.

وإلى رسائل القراء.

الهجـــرة الدائمـــة

● **أرسل القارىء خيرى محمد إبراهيم أبو الروس ـ كفر الشيخ هذه الكلمة بمناسبة الهجرة.. يقول فيها :**

أخرج البخاري في صحيحه عن ـ عبدالله بن عمر (رضي الله عنه) أنه قال: قال رسول الله ﷺ «لاهجرة بعد الفتح ولكن جهادٌ ونيةٌ». والهجرة الدائمةُ هي الجهاد والنيه ولقد بيّن ـ النبي الأكرم ـ والرسول الأعظم ﷺ السبيل إلى الهجرة الدائمة الباقية المستمرة المتواصلة إلى يوم الدين فقال «المهاجرُ من هَجَرَ ما نهى الله عنه» «رواه مسلم».

فمَنْ هَجَرَ المعاصي فهو مهاجرٌ وله ثوابُ المهاجرين.

وَمَنْ هَجَرَ قُرناء السوء إلى صُحبة الأبرار والأخيار فهو مهاجرٌ له ثواب المهاجرين.

وَمَنْ هَجَرَ اتباع الهوى والتزم بأوامر الله ونواهيه فهو مهاجرٌ له ثواب المهاجرين.

وَمَنْ هَجَرَ الجهل إلى العلم فهو مهاجرٌ له ثواب المهاجرين.

وَمَنْ هَجَرَ الكسل إلى العمل فهو مهاجرٌ له ثواب المهاجرين.

وَمَنْ هَجَرَ سُوء الخُلق وتخلق بأخلاق الإسلام فهو مهاجرٌ له ثواب المهاجرين.

وَمَنْ هَجَرَ القُعود وقام لنصرة دين الله فهو مهاجرٌ له ثواب المهاجرين.

فياليت كل مسلم بدأ بنفسه في الهجرة الدائمة التي توصله إلى بر الأمان ودخول جنّة المولى العدنان ـ حيث يكون بذلك رفيق خير الأنام ـ سيدنا ـ محمد ﷺ في الجنان.

الهجرة النبوية بين العقيدة والعاطفة

واحتفاءً بمطلع العام الهجرى الجديد أرسل القارىء حاتم ابراهيم سلامه - خريج كلية أصول الدين يقول :

كما يعز على الانسان أن يفارق بيته الذى تربى فى ظلاله وبين جدرانه فإنه كذلك يعز عليه أن يفارق وطنه الذى تنسم عبيره، ونشأ فى أكنافه صغيراً وكبيراً، وذلك لأن الذكريات قد تغلغلت فى قلبه فصارت حباً كبيراً قال فيها الشاعر :

وحبب أوطان الرجال إليهمو
مآرب قضاها الشباب هنالكا

وحينما يتصفح متأمل آيات القرآن، تستلفت نظره صورة قرآنية لاتؤكد تلك الغريزة فقط، بل تؤكد أهميتها، وخطورتها، وهى صورة من مكر فرعون الخبيث الذى استغل تلك الغريزة جاعلاً منها، سلاحاً يواجه به دعوة الحق والنور، وليستنفرهم ضد موسى عليه السلام قال - تعالى - على لسانه :

﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ (٣٤) يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾

الشعراء ٣٤، ٣٥.

وكذلك قوله :

﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا﴾

طه / ٦٣

* ولكن كيف بهذا الحب الذى يمثل غريزة فى الإنسان، كيف به لو اصطدم بمبادىء يؤمن بها ويعتقدفيها .. بل ويوقن تمام اليقين أن هذه المبادىء لاصلاح للبشر بدونها، ولا كرامة للعيش بغيرها، ان الإنسان قد يحب أشياء ويتمناها وفيها هلكته، ولايعلم أن البعد عنها فيه نجاته وسلامته.

إن رسول الله ﷺ حينما خرج مهاجراً من وطنه، نظر إليه وقال قولته الشريفة «والله يامكة إنك لأحب بلاد الله إلىّ، ولولا أن أهلك أخرجونى منك ماخرجت» .. ولنتأمل معاً هذا القول الناصع فى مفهوم الوطن.

* يقول د. محمود عمارة : «وإذا كان للوطن بمفهومه القومى هذه المنزلة .. فإن وطن الروح أعز وأبقى!! وإذا اصطرعت فى النفس محبة المكان .. ومسئولية الإيمان فلا خيار للمسلم ولا مفر من ركوب الأهوال ومقارعة الرجال .. ولن يتردد أبداً فى هجرة وطنه، انتصاراً لمبادئه التى هى حياته، ولقد كانت هذه واحدة من أبدع الفضائل التى أخذ الرسول ﷺ أصحابه بها».

مطعم ومقهى فى بيت المتوفى

ويرسل فضيلة الشيخ عثمان ابراهيم عامر عميد معهد الوسطاني الاعدادى للبنين ـ بمنطقة دمياط الأزهرية هذه الرسالة ينشد فيها اصلاح بعض سلوكيات المجتمع يقول فيها :

روى ابن هشام فى سيرته عن أم جعفر بنت محمد بن أبى طالب قال : لما أصيب جعفر وأصحابه دخل عليّ رسول الله ﷺ فقال لى : ائتنى ببنى جعفر قالت : فأتيته بهم فتشممهم وذرفت عيناه فقلت يارسول الله : بأبى أنت وأمى مايبكيك؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء؟ قال : نعم أصيبوا هذا اليوم!! قالت : فقمت أصيح، واجتمعت إليّ النساء، وخرج رسول الله ﷺ إلى أهله فقال : لاتغفلوا من أن تصنعوا لهم طعاماً فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم!! ص ٢٩٠ ج٤ السيرة النبوية لابن هشام.

فنحن نرى فى هذا الهدى النبوى الشريف أنه من الواجب على المعزين ـ وبخاصة أقارب المتوفى ـ تجاه أهله وذويه أن يصنعوا لهم طعاماً وشراباً ـ ولو كان ذلك فى اليوم الاول فقط! حيث الحزن ثقيل، والمصاب فادح، والفراق مازال حياً فى النفوس لم يزل أثره بعد.

ولكننا ويا للأسف!! نلاحظ العكس من ذلك تماماً!!

فى هذه الايام : نرى جلوس الاقارب من المعزين عند أهل الميت اليوم واليومين يُقدمُ لهم الطعام والشراب من أهل الميت ليأكلوا ويشربوا ويتحول بيت المتوفى إلى مطعم لتقديم كافة الاطعمة للمعزين ومقهى لتقديم كافة الأشربة الخاصة بهذه المناسبة.

وربما تحول بيت الميت إلى فندق للمبيت اليوم واليومين وربما الاسبوع، وينسى هؤلاء أو يتناسون أنهم عبء ثقيل على بيت المتوفى والواجب عليهم أن يخففوا عن أهل المتوفى ويعينوهم على الصبر والتحمل لا أن يكونوا ضيوفاً ثقلاء عليهم. ليتهم يقرءون ما قاله أحد الشعراء فى المتثاقلين فى الضيافة :

لاتكن ضيفاً ثقيلاً
يكره الناس لقاءك
فعساه مستمداً
لك من قوم عشاءك
وعساه مستعيراً
لك من جار غطاءك
إن فى الفندق مأواك
وفى السوق غذاءك
رب من يلقاك هاشاً
كسر (الزير) وراءك!!!

من إبداعات القراء :

فى مدح خير البرية

شعر/جابر عبدالعليم مصطفى - المدرس بمعهد الزوازية الإعدادى الثانوى

سل غصبة وقفت بالباب راصدة ... خير البرية فى غيظ وفى غشم
لكن عناية ربى لاتفارقه ... حتى أتى الغار والصديق فى الظلم
فالتف حولهما جند تحفظهما ... جند من الله مثل الأسد فى الأجم
باض الحمام على باب وقد نسجت ... هذى الخيوط وقد أغنت من الأطم
والجمع ينظر فى جد وفى عجب ... وسيد الرسل يدعو الله من أمم
فيحفظ الله خير الخلق من خطر ... ويرجع القوم بالإحباط والندم

● المحرر .. ننشر هذه الأبيات من قصيدتكم «الدرر البهية» التى زادت أبياتها عن مائة وستين بيتاً ونأمل أن تتقبل اعتذارنا عن عدم نشر القصيدة كاملة حتى تتاح الفرصة لقراء آخرين.

فى رثاء شهداء قطار الصعيد

١ ـ فزع الجميع تألما بمرارة ... هب الأنام بحرقة الإيلام
٢ ـ حل القضاء إرادة من خالق ... وبقدرة القهار والعلام
٣ ـ هب الجميع بلهفة وتآلف ... لإغاثة المكلوم فى إقدام
٤ ـ بمشاعر الإحساس من وجداننا ... دعت القلوب برحمة بسلام
٥ ـ فارحم إله العالمين أحبة ... فى جنة الفردوس والإنعام



أنباء العالم الإسلامي

من أنباء مجمع البحوث الإسلامية

فى إطار حرص مجمع البحوث الإسلامية على نشر الوعى الدينى لدى المسلمين، وإيمانا منه بوجوب تبليغ رسالة الإسلام فى شتى بقاع الأرض لذا قامت الإدارة العامة للمطبوعات بمجمع البحوث الإسلامية بإصدار عدد من الكتب الإسلامية خلال الفترة من شهر مارس ٢٠٠١م وحتى فبراير ٢٠٠٢م وهذه الكتب هى:

- **«الإسلام والشباب»** ...

للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم.

- **«نافذة على الإيمان»** ...

للأستاذ الشيخ / محمد مصطفى الطير.

- **«قصة البيت الحرام»** ...

للأستاذ الدكتور / عبدالعزيز غنيم.

- **«الأزهر وعلوم اللغة العربية فى ألف عام - جزءان»** ...

للأستاذ الشيخ / محمد محمد الحسينى.

- **«ردود هادئة»** ...

للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى.

- **«رياض الصالحين» شرح وتحقيق - «ثلاثة أجزاء»** ...

لفضيلة المرحوم الشيخ / الحسينى هاشم.

- **«من أنوار الصحابة»** ...

لفضيلة الأستاذ الشيخ / محمود عاشور - وكيل الأزهر.

- هذا وستقوم الإدارة العامة للمطبوعات - إن شاء الله تعالى - تباعا بإصدار بعض أمهات كتب التراث وكذلك بعض كتب كبار العلماء حتى تتم الفائدة المرجوة من هذا العمل.

للأستاذ / محمد الشرقاوى

مسابقة الدكتور محمد شوقى الفنجرى للبحــوث الإســلامية

تشجيعا للبحث العلمى وخاصة فى مجال قضايا الإسلام والمسلمين فقد قررت اللجنة المشكلة بموجب حجة وقف المستشار الدكتور / محمد شوقى الفنجرى لصالح جائزة خدمة الدعوة والفقه الاسلامى بجلستها المنعقدة فى أول يناير ٢٠٠٢م لمسابقة عام ٢٠٠٣م ما يلى :

أولا : تخصيص مبلغ « ٣٠٠٠٠ » جم « ثلاثون ألف جنيه » جوائز أصلية لأحسن البحوث فى أحد الموضوعين التاليين :

١ـ التحديات التى تواجه العالم الإسلامى .

٢ـ الحل الإسلامى لمشكلة البطالة « دراسة مقارنة » .

وذلك بحد أدنى قدر ٢٠٠٠ جم « ألفى جنيه » لكل فائز .

ثانيا : تخصيص مبلغ ٢٠٠٠٠ جم « عشرين ألف جنيه » جوائز تشجيعية للبحوث الجيدة غير الفائزة بالجوائز الأصلية فى أحد الموضوعين سالفى الذكر وذلك فى حدود مبلغ « ١٠٠٠ »جم « ألف جنيه » لكل فائز ويقدم البحث بموجب إيصال فى ميعاد غايته ٣١ مارس عام ٢٠٠٣م الى مكتب ناظر الوقف الأستاذ المستشار رئيس هيئة قضايا الدولة بالدور العاشر بمجمع التحرير بالقاهرة وذلك من عدد ثلاث نسخ بما لا يقل عن « مائة صفحة » ولا يتجاوز « مائتين » مع ملخص له من عـدد ٣ « ثلاث » نسخ بما لا يقل عن عشر صفحات ولا يتجاوز عشرين صفحة .

ويشترط فى البحث ان يكون « معداً » للمسابقة ولم يسبق نشره او تقديمه لأية جهة أخرى وأن يكون متميزا ويتضمن اضافات واجتهادات جديدة تنفع الإسلام والمسلمين والا يكون صاحبه قد سبق له الحصول على جائزة أصلية فى المسابقة خلال ثلاث سنوات سابقة لإتاحة الفرصة لغيره .

هذا وللجنة شئون الوقف طبع أى بحث فائز متى قدرت ذلك ، دون أى حق فيها ، ويقام حفل توزيع الجوائز كالمعتاد بالنادى النهرى لهيئة قضايا الدولة بشارع أبوالفدا بالزمالك يوم الخميس الأخير من شهر يونيو من كل عام .

تحسن أوضاع التعليم الإسلامى بهولندا

أثرت تداعيات تفجيرات ١١ سبتمبر ـ خلافا لما هو متوقع بشكل إيجابى على أوضاع التعليم الإسلامى فى هولندا حيث لفتت أنظار المسئولين السياسيين إلى ضرورة الانفتاح بشكل أكبر على الأقلية المسلمة والاصغاء لمطالبها بالحفاظ على هويتها الإسلامية .

وأكد « بلقاسم الناعس » مؤسس ورئيس أول مدرسة ثانوية إسلامية فى أوروبا أن مدرسة « ابن خلدون » الإسلامية الثانوية قد تم افتتاح مقر ثان لها بعد ١١ سبتمبر وأنها حصلت على مساعدات ومنح من السلطات المحلية ووزارة التربية والتعليم لأداء مهامها وانشاء بعض المرافق العلمية التى لم تتمكن من انشائها العام الماضى نتيجة عجز الإمكانيات .

وان المسئولين الهولنديين ادركوا عقب هذه الأحداث ان التعليم الإسلامى هو خير وسيلة لحماية الأجيال المسلمة الناشئة من خطر التطرف والعنف خصوصاً بعد ان اثبتت الأيام ان المدارس الهولندية « العلمانية والمسيحية » لم تنجح بدرجة كافية فى تربية أبناء المسلمين نتيجة قصورها فى معالجة العلاقة بين المناهج التعليمية المقررة ومتطلبات الهوية الخاصة .

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية

اجتمع مجلس مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف برئاسة فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف، وقرر عقد مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، وذلك فى النصف الثانى من شهر أبريل سنة ٢٠٠٢م وسيكون المؤتمر تحت عنوان «هذا هو الإسلام» ويهدف المؤتمر إلى ما يأتى:

أولاً: ترسيخ الفهم الصحيح للإسلام

ثانيا: تنشئة أجيال جديدة واعية بمبادئ الإسلام.

ثالثا: تحصين المسلم من أية أفكار دخيلة

رابعا: إيجاد آليات جديدة للتعامل مع الآخر المختلف معنا فكرا ومعتقدا وسلوكا وثقافة.

خامسا: الاتفاق على صورة جديدة للخطاب الدينى تتناسب مع معطيات المرحلة

وستدور المحاور والموضوعات حول الآتى:

١ - الإسلام دين السلام.

٢ - الإسلام يحارب الغلو والتطرف.

٣ - الإسلام والتنمية.

٤ - الإسلام والتقدم العلمى.

٥ - الإسلام والعلاقات الدولية

٦ - الإسلام والمتغيرات العالمية فى القرن القادم.

وسيدعى لهذا المؤتمر كبار علماء المسلمين من مصر وخارجها إلى جانب السادة أصحاب الفضيلة أعضاء مجمع البحوث الإسلامية:

الظروف الراهنة استدعت عقد هذا المؤتمر لتجلية حقائق الإسلام وتبصير الأمة الإسلامية والعالم الخارجى بسماحة الإسلام، وأنه دين السلام والأمان والعدل ورعاية الحقوق، وتوضيح أنه لا يقبل الاعتداء على النفس أو العرض أو المال أو الأرض، ولا يقبل الظلم بكافة صوره وأشكاله، وأن الله -عز وجل- من أسمائه العدل والحق والسلام.

الإمام الأكبر يؤكد:

الفتوى يجب أن تكون صادقة وناصحة لخدمة الدين ورعاية مصالح الأمة

● التقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بوفد من السادة الضباط العرب العاملين في مكافحة المخدرات أعضاء البرنامج العربي السابع لمكافحة المخدرات الذي ينظمه صندوق مكافحة وعلاج الإدمان بمجلس الوزراء وعددهم ٢٧ دارسا يرافقهم الدكتورة/ سهير لطفي رئيس مجلس إدارة صندوق مكافحة المخدرات وذلك في إطار فاعليات البرنامج التدريبي العربي الذي ينظمه صندوق مكافحة وعلاج الإدمان.

تحدث فضيلته للسادة الضيوف عن أن الله - عز وجل - خلق الناس في هذه الحياة ليحيوا حياة طيبة سعيدة وأنزل لهم الرسل والكتب لهدايتهم وإرشادهم إلى الطريق المستقيم، وأنزل التشريعات لتبين للناس الحلال الطيب وتأمرهم باتباعه، وتبين لهم الحرام الخبيث ليجتنبوه ويبتعدوا عنه، وهذه التشريعات أنزلها الله لسعادة البشر وليس لشقائهم، وقد أحل الله -عز وجل- التمتع بالطيبات من المأكل والمشرب والملبس وهي نعم أنعم الله -تعالى- بها على عباده واستدل على ذلك بآيات القرآن الكريم وأحاديث سيدنا رسول الله ﷺ كما حرم الله -عز وجل- الخبائث بكل أنواعها وأشكالها وذلك لما فيها من أضرار بالغة بعقل الإنسان وصحته وجسمه وما يتعلق بحياته لأن الله خلق الإنسان وهو يعلم ما ينفعه وما يضره فما ينفعه أباحه له، وما يضره نهاه عنه وآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية المطهرة واضحة في ذلك، وأشار فضيلته إلى أن الإسراف في الحلال أمر غير مطلوب بدليل قول الله -تعالى- لنا:

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ الأعراف (٣١).

فمن باب أولى الابتعاد عن المحرمات بكل أنواعها وأشكالها وقال: على العلماء المتخصصين أن يوضحوا ذلك ويبينوه للناس كل في مجال تخصصه.

وأجاب فضيلته عن أسئلة واستفسارات السادة الحضور والتي دارت حول مكافحة المخدرات بكل أشكالها وألوانها وعن الرخص التي وردت في الشرع حول قصر الصلاة وجمعها بالنسبة للمسافر، وحول زكاة المال وموعد إخراجها وتقديمها أو تأخيرها عن ميعاد الحول، وحول ترك طواف الوداع في الحج لظروف قاهرة حالت دون أدائه، وحول الشروط الواجب توافرها في إقامة صلاة الجمعة، وحول الشروط المطلوبة في الفتوى، وقد أوضح فضيلته بأن الفتوى يجب أن تكون صادقة وعادلة وناصحة لخدمة الدين ورعاية مصالح الأمة، وأما أن تكون الفتوى لخدمة فرد أو مجموعة معين حسب الأهواء والرغبات فهذا ما لا تقره شريعة الإسلام.

وأكد فضيلته على أن شريعة الإسلام واضحة كل الوضوح وأنها جاءت لمصلحة الناس فكل ما يفيد الإنسان ويحفظ عليه حياته أحلته شريعة الإسلام وكل ما يؤدي إلى الضرر بها حرمته شريعة الإسلام.

الإمام الأكبر

الأزهر يضم الآن ستة آلاف وخمسمائة معهد

قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر واللواء عثمان شاهين محافظ المنوفية يرافقهما الحاج محمود العربى بافتتاح معهد العربى الابتدائي النموذجي بقرية أبو رقبة مركز أشمون، ويضم المعهد عشرين فصلا دراسيا وصالة كمبيوتر، ومركزا لتحفيظ القرآن الكريم أقيم على مساحة ١٠٠٠م٢ ومكون من ستة طوابق ويضم ثلاثين فصلا ويقبل الطلاب من سن أربع سنوات وتكلف أكثر من مليون جنيه كما تفقدوا مجمع العربى الأزهرى والذى يضم معاهد ابتدائية وإعدادية وثانوية وقراءات بتكلفة أكثر من سبعة ملايين جنيه وكلها على نفقة الحاج محمود العربى.

شكر فضيلة الإمام الأكبر القائمين على بناء المعاهد الأزهرية بالجهود الذاتية وقال: إن عدد المعاهد الآن بلغ ستة الاف وخمسمائة معهد تم إمداد عدد منها بأجهزة كمبيوتر، وبإذن الله هناك خطة لإدخال الكمبيوتر لجميع المعاهد الأزهرية، وأعلن فضيلته أن الأزهر الشريف سيظل قلعة صامدة ومنارة للعلم والإشعاع لخدمة الإسلام والمسلمين بمصر وخارجها، وأشار فضيلته إلى أنه تم البدء فى تطوير المناهج، وإنشاء معاهد نموذجية تقبل التلاميذ والتلميذات من سن أربع سنوات، وتدرس فيها اللغة الأجنبية.

الإمام الأكبر يستقبل رئيس جامعة أم درمان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف الدكتور/محمد عثمان صالح رئيس جامعة أم درمان بالسودان، والدكتور/ إبراهيم عبد الباسط المستشار الثقافى بسفارة السودان بالقاهرة والوفد المرافق.

رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى الأزهر حيث دار الحديث حول استعراض أوجه التعاون بين مصر وأزهرها الشريف وجامعة أم درمان بالسودان، وأعرب الضيف عن سبب زيارته للأزهر الشريف وذلك لتجديد التعاون والمحبة وأن زيارته هى تبركا وتقربا لتجديد العهد بالأزهر وشيخه وعلماء المسلمين الذين يذخر بهم الأزهر الشريف، وتقديراً لما يقدمه الأزهر الشريف للعالم الإسلامى كله من علم نافع حيث يوضح أسس التعامل الإسلامى الصحيح بين الناس، لأن العلم رحم بين أهله ونحن نحترم شيوخنا ونجلهم فالعلماء ورثة الأنبياء، كما أعرب الضيف عن أن زيارته أيضا من أجل دعوة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف لزيارة السودان الشقيق، وجامعة أم درمان وأشار إلى أن الدعوة الرسمية ستأتى من السيد الرئيس / عمر حسن البشير رئيس جمهورية السودان تقديرا لمكانة شيخ الأزهر الشريف وأوضح الضيف بأنه يتابع جولات فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر التى تهتم بشرح وتوضيح المفاهيم الصحيحة للإسلام وأن جولات فضيلته فى دول الغرب لتوضيح مبادىء الإسلام وحقيقته السمحة أمر محمود ومشكور ومطلوب

في الوقت نفسه كما شرح فضيلة الإمام الأكبر زيارته الأخيرة للمملكة المتحدة (بريطانيا) والتي التقى فيها بالسيد / تونى بلير رئيس وزراء انجلترا وكيف أن التفاهم كان إيجابيا بينهما وأوضح فيها فضيلته الفرق بين الجهاد في الإسلام وبين الإرهاب حيث يقومُ الغرب بالخلط بينهما.

السفير العمانى بالقاهرة يؤكد على أهمية التعاون العلمى مع الأزهر

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف معالي السفير/ عبد العزيز الهنائي سفير سلطنة عمان بالقاهرة يرافقه السيد/ افلح بن سليمان الطائي المستشار التعليمي بالسفارة، ورحب فضيلته بالضيف الكريم وصحبه، ودار الحديث حول تبادل العلاقات الثقافية والعلمية بين السلطنة والأزهر الشريف والتأكيد على التعاون العلمي الصادق وخاصة في العلوم الدينية والعربية، وشرح فضيلته أهمية دور الأزهر الشريف في تعليم أبناء المسلمين من شتى بقاع الدنيا حيث يستقبل الأزهر أبناء المسلمين من ٩٥ دولة على منح للدراسة، حيث يتلقون العلم في معاهد الأزهر وكلياته الجامعية جنبا إلى جنب مع الطلاب المصريين وبعد تخرجهم في الأزهر يعــودون إلى بلادهم يعلمــون أبناء بلادهم ويبصرونهم وينقلون إليهم ما تعلموه في الأزهر الشريف.

وأشاد الضيف بالأزهر وعلمائه والرسالة التي يضطلع بها منذ القدم وحتى اليوم في توضيح وتصحيح مفاهيم الإسلام وقيمه العظيمة التي تمتاز بالتوسط والاعتدال ودراسة المذاهب الإسلامية، وأشار إلى أن الأزهر الشريف هو المرجعية العلمية التي يرجع إليها العلماء في كل الدنيا في الأمور الدينية وأن الأزهر لا يدخر وسعا في إرسال البعثات من العلماء إلى دول العالم لتبصير الناس بأمور الدين والإجابة الصحيحة عن الأسئلة التي تؤرقهم.

قدم الضيف الشكر لفضيلة الإمام الأكبر على التعاون بين الأزهر الشريف وبين السلطنة وبخاصة اللجان المشكَّلة لبحث المناهج التعليمية والدينية لتدريس هذه المناهج بالسلطنة حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر.

سفير اليمن بالقاهرة يشيد بدور الأزهر في بيــان ســماحة الإســلام

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف معالي السفير/ عبد العزيز ناصر الكميم سفير الجمهورية اليمنية بالقاهرة يرافقه الدكتور / جمال على ناصر العنسى المستشار الثقافي المساعد لشئون الجامعات بسفارة اليمن.

رحب فضيلته بالضيفين الكريمين في الأزهر الشريف ودار الحديث حول طلب زيادة أعداد الطلبة من اليمن للدراسة بالأزهر الشريف وجامعته العريقة، وأعرب فضيلته عن أن الأزهر الشريف لا يدخر وسعا في تقديم العون والمساعدة العلمية لأبناء اليمن الشقيق.

وأشاد الضيف بدور الأزهر الشريف ومكانته العلمية لدى حكومة وشعب اليمن لما تمتاز الدراسة فيه بالحكمة والوسطية والاعتدال والسماحة والبعد عن العصبية أو الانحياز

لمذهب معين وقال: إننا نحرص على تواجد الأزهر الشريف دائما في اليمن وعلى تطوير العلاقات بين بلدينا، والأزهر الشريف بالنسبة لنا هو منارة لكل المسلمين على مدار السنين والأعوام يقدم العلم النافع ويصحح المفاهيم ويوضح للمسلمين أمور دينهم.

شكر فضيلة شيخ الأزهر السيد السفير على حديثه الطيب مؤكدا على دور الأزهر الشريف في تصحيح المفاهيم الإسلامية وفي بيان الوجه السمح للإسلام ثم أشار فضيلته إلى أن العالم اليوم يشهد تطورات كثيرة وهناك خلط في المفاهيم وبدورنا نقوم بتصحيحها حتى لا يتم الخلط بين الجهاد والإرهاب، فالإرهاب هو اعتداء على الآمنين وعدوان على الأرواح والأموال والممتلكات وهو ما تحاربه شريعة الإسلام، وأما الجهاد في الإسلام فشُرع لرد العدوان والتصدي للظلم والدفاع عن الأرض والعرض والمال، ونصرة المظلوم، وشريعة الإسلام تمد يدها بالسلام لمن يمد يده بالسلام.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ محمد سيد أبو العلا رئيس قطاع المعاهد الأزهرية.

الإمام الأكبر يؤكد:

لسنا مع صراع الحضارات ومن يفهم غير ذلك ففهمه سقيم وغير صحيح

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد/ جوردي بوجول رئيس وزراء مقاطعة كتالونيا الأسبانية والسيد/ انطوني سوبيرا وزير الصناعة، والسيد/ انطوني نجرة رئيس الغرفة التجارية ببرشلونة والسيد/ بدرو لوند سفير أسبانيا بالقاهرة.

رحب فضيلته بالسادة الضيوف في مصر وأزهرها الشريف وألقى الضوء على أن مناهج التعليم بالأزهر الشريف تقوم على الوسطية والاعتدال وأن التعليم يبدأ في الأزهر منذ الحضانة وسن الطفل أو الطفلة أربع سنوات ومدة الدراسة به سنتان ثم يليه التعليم الابتدائي ومدة الدراسة به ست سنوات، والتعليم الإعدادي ومدة الدراسة به ثلاث سنوات، ثم التعليم الثانوي ومدة الدراسة به ثلاث سنوات وبه تخصص الأدبي والعلمي ثم التعليم الجامعي وبه حوالي سبعين كلية، بها مختلف التخصصات من هندسة وطب وزراعة ولغات وترجمة ورياضة بدنية وعلوم وتجارة وهذه الكليات منتشرة في القاهرة وفي محافظات الجمهورية إلى جانب كليات: الشريعة والقانون، واللغة العربية، وأصول الدين، والدراسات الإسلامية، والدعوة كما توجد كليات خاصة بالبنات.

كما أشاد فضيلته بحضارة أسبانيا العريقة وحضارة مصر والصلة القديمة بين الحضارتين.

شكر الضيوف فضيلته على حسن اللقاء والحفاوة والشرف الذي حظوا به بتواجدهم في مشيخة الأزهر الشريف، وقالوا: إن الهدف من الزيارة هو إقامة علاقة مع المسئولين السياسيين والدينيين في مصر، لأن مصر تلعب دورا هاما ومحوريا في حوض البحر المتوسط، ولأسبانيا أيضا دورها، وتطرق الحديث للمشكلة

الفلسطينية التي تشغل بال الأسبان وأن الجانب الديني له مكانة كبيرة لدى دولة أسبانيا والمسلمين المقيمين بها، وأن الإسلام يحتل مكانة كبيرة في أسبانيا وينتشر بها.

وأوضح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف أننا من الناحية الدينية نرى أن إخواننا في فلسطين قد وقع عليهم ظلم كبير وفاحش من قتل وحصار وهدم للمنازل والمصانع، والأراضي الزراعية بما فيها من محاصيل وزراعات مختلفة، والعدوان من إسرائيل هو أقبح أنواع العدوان، وعلى العالم بأسره أن يقف بجانب الحق الفلسطيني، وأن تتخذ من الإجراءات ما يكفل لهم الحماية من القتل والظلم والعدوان، ولابد من تطبيق قرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن لإعطاء كل ذي حق حقه، ونحن بجانب إخوتنا في فلسطين في المطالبة بعودة المفاوضات، والمطالبة بحقوقهم التي كفلها لهم الخالق -عز وجل- وهذا موقفنا بالنسبة للقضية الفلسطينية حتى يعود السلام والأمان إلى هذه البقعة المقدسة، وتكون القرارات ملزمة للطرفين، ومن الواجب على مجلس الأمن أن يرسل قوة دولية تفصل بين الطرفين، ولكن أن تظل الأمور هكذا فليس هذا من الدين، وليس من العدالة ترك المعتدي يقتل ويعذب ويعتدي، وعلى الولايات المتحدة الأمريكية مواصلة العمل على تنفيذ ذلك.

وأوضح الضيوف أن الإسلام في أوروبا يتزايد يوما بعد يوم، والتعاون هناك سهل طالما وجد التسامح وربما فهم الغرب خطأ النظرة الإسلامية حول التسامح، ونحن نقف إلى جانب القضية الفلسطينية ولكن إمكانياتنا ضعيفة لذلك يصعب التدخل دون مساعدة الولايات المتحدة الأمريكية، ولكننا كإتحاد أوروبي لا نستطيع أن نفعل ذلك بمفردنا.

وحول سؤال عن الحوار بين الأديان، قال فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف: إن بالأزهر لجنة للحوار، وقد قام بابا الفاتيكان بزيارة الأزهر الشريف وأصدرنا بيانا مشتركا بأن الأديان السماوية تدعو إلى التسامح والتعاون، وقد أوضحت أن القرآن الكريم يبين في آياته أن الناس جميعا كلهم من أب واحد وأم واحدة، والأديان السماوية أنزلها الله -عز وجل- لسعادة البشر وليس لشقائهم، ونحن على استعداد للتعاون في هذا الشأن من خلال التحاور وقد أوضحت أنه لا تحاور في العقائد، فلكل إنسان عقيدته والذي يحاسب على العقائد هو الله -عز وجل- وإنما الحوار يكون من أجل إظهار سماحة الأديان ونصرة المظلوم وتقديم العون والمساعدة للمحتاج، وحول سؤال عن صراع الحضارات، قال فضيلته إن الحوار عند العقلاء هو للتقارب والتعاون والتفاهم والتلاؤم، والحضارات يأخذ بعضها من بعض ولكل دولة حضارتها فالشرق له حضارته، والغرب أيضا له حضارته، ومن أجل ذلك تأخذ الحضارات وتستفيد من بعضها فلسنا مع صراع الحضارات، ومن يفهم غير ذلك ففهمه سقيم وغير صحيح، ونحن نرحب بالحوار، وأبوابنا مفتوحة.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف.

الفهرس

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

● ● ●

رئيس التحرير

أ. د. محمد رجب البيومي

مدير التحرير

الطاهر محمد الطاهر الحامدي

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / م. نصر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

إسرائيل تجرنا لحرب أمريكا

هذا الغيظ المحزن الذى ملأ القلوب حسرة على ما يجرى فى فلسطين من توحش العصابة الصهيونية بقيادة السفاح شارون يرجع فى أساسه إلى شعورنا المحض بأننا لا نحارب إسرائيل وحدها، فإسرائيل في حرب سنة ١٩٧٣ كانت ستلقى حتفها المدمّر حين عبر الجيش المصرى مسلحا بالثقة فى النصر، وقد ظلت الأيام الأربعة الأولى تصرخ وتستغيث حين أبصرت خاتمتها المروّعة، وحينئذ أدركتها أمريكا بجسرها الجوى الذى يحمل معدات الدولة العظمى وعقول قادتها لتمنع سقوط الدولة الباغية، وقام وزير الخارجية اليهودى «كسينجر» إذ ذاك بألاعيبه الماكرة. حتى خرجت من الحرب بما حفظ وجهها أمام من لا يعرف خبايا الأمر، أما الذين تأملوا الموقف بدراسة الفاحص المتمرس فقد عرفوا أن إسرائيل ليست بشىء، وإنما هى أمريكا!

كذلك نجد الآن إسرائيل تتغطرس فى كبرياء متوحش، وهى تعلم كل العلم أن أمريكا من ورائها، ستدفع عنها كل مقاومة تجتاحها، وبهذه الثقة المفرطة أخذت تسلط نيرانها الوحشية على الآمنين فى القرى والمدن، ولها من تصريحات

أبواق الصهيونية في أمريكا ما يزيدها تكبرا واستعلاء، بل إن مندوبي الخارجية الأمريكية ورسل بوش الابن الذين يظهرون الحياد الكاذب يسرون ما لا يعلنون، وإذا أرادوا وقف هذا الدمار فكلمة واحدة من الرأس القابع في البيت الأبيض تكفي لمنع هذا الفجور الآثم، وترد الذيل على عقبه خائرا منكس الرأس. ولكن المأساة الحقيقية ترجع إلى النيات الخبيثة التي توجه هؤلاء المبعوثين. وهم أمام كل فاحص لا يحاولون منع الحريق، بل يصبون الزيت على النار، فتزداد اشتعالا لذلك نكون صادقين إذا واجهنا الموقف في وضعه المكشوف. فقررنا أننا في هذه المعركة الضروس لا نحارب إسرائيل. ولكننا نحارب أمريكا بجبروتها الهائل، وطغيانها الرهيب.

وشيء آخر تريده إسرائيل، تريد أن تندفع مصر إلى الحرب، لتواجه السلاح الأمريكي، والقادة من جنرالات الدولة الحاكمة في العالم بأمرها. وإذ ذاك تأذن لذيلها أن يندفع في الأرض العربية من جديد ليحتل أماكن شريفة في سيناء ولبنان يتحسر غيظا على أنه فقدها بإرادة مصر ولبنان وقوة مصر ولبنان لذلك كان الصوت العاقل يحول دون هذه الإرادة المستترة التي يخطط الأعداء لتحقيقها، وقد كشفت أمريكا عن وجهها الدميم حين أيدت الباطل تأييدا سافرا لا يحتاج إلى دليل، وأكبر ما يبعث على الأسف أن حلفاءها في أوربا يعرفون حقيقة موقفها وقد خالفوه صراحة في هيئة الأمم وفي مجلس الأمن ثم هم لا يقومون بدور حاسم في إحقاق الحق وتعرية الباطل عن ثيابه الخادعة، بل يكتفون بتصريحات لا تقدم ولا تؤخر. وليس لهم من الجراءة ما يجعلهم يقفون أمام الطغيان موقف النظير من النظير، ونحن لا ننكر أن الشرفاء من كتاب الصحف قد لمسوا هذا الخزي الشنيع في موقف أمريكا تجاه إسرائيل وعبروا عنه، ولكن أبواق الصهيونية من ناحية أخرى تحاول أن تسكت هذه الأصوات، ولكن يطول الوقت بهم، إذ لابد أن ينجلي الليل، وأن يتحقق قول الله في إسرائيل:

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١).

إن نقطة الضعف لدى بعض العرب أنهم يصدقون أمريكا حين تبتسم ابتسامة الغدر ويظنونها تسعى لإنصافهم من العدو الغادر على حين أنها مع العدو في خندق واحد، منذ ظهرت مأساة فلسطين، فقد كانت المشجع الأول على إنشاء هذه الدولة البغيضة في عهد ترومان، وهي التي أجهضت انتصار العرب على العصابات الصهيونية إذ ذاك سنة ١٩٤٨ حتى نكصوا على أعقابهم بعد أن لاحت تباشير النجاح، ثم أخذت تمدها بالأسلحة الجهنمية إلى الآن، وقد ظهر

(١) الأعراف (١٦٧).

للعيان تناقضها الفاضح في موقفها من العراق حين جعلت تصمم على التفتيش الفورى على ما تظنه مخزنا للأسلحة النووية على حين أنها تحرم هذا التفتيش على إسرائيل وتحمى وجوده دون حياء، وإذا اعترضها معترض من الحياديين، قالت إن إسرائيل لابد أن تحمى نفسها! فماذا تقول الآن، وإسرائيل بفضل ما أمدتها به من الأسلحة الفتاكة والأدوات الماحقة، هى التى تشعل النار فى ديار الآمنين!! إن للسياسة الأمريكية منطقا لا يعرف الحياء، إذ لو سلكت عن صدق سبيل الحق لما تورطت فى هذا النفاق الخادع، وأقول الخادع بالنسبة للأغرار الذين تغرهم ابتسامات السياسيين من تجار الكلام، أما الشعب العربى نفسه فقد تأكد عن يقين خطر السياسة الأمريكية، وأنها الباعث الأول على امتداد الاضطراب فى العالم العربى، إن لم يكن فى العالم كله، حين أصبحت صاحبة الكلمة الأولى بعد سقوط الاتحاد السوفيتى وهو وضع خطير للإنسانية جمعاء، ولعل الأصوات التى ارتفعت فى اليابان والصين والهند وكوريا وإيران تندد بهذا الجبروت الطاغى تمتد إلى جميع أنحاء العالم فتوقظ المخدوعين فى أوربا، والنائمين عن إدراك هذا الخطر الذى امتدت خيوطه العنكبوتية إلى شتى البقاع، بل إن للباطل جولة لابد أن تنتهى، وستنكشف الحقائق لكل ذى عينين من هؤلاء المخدوعين الغافلين.

لقد اشتعلت المظاهرات الغاضبة في شتى نواحي العالم العربى، بل تجاوزتها إلى العالم الأوروبى نفسه، حين اندفعت المظاهرات إلى السفارات الأمريكية معلنة احتجاجها على هذا العدوان البغيض، وانطلاق المظاهرات إلى السفارات الأمريكية يدل دلالة واضحة على أن العالم قد فهم اللعبة التى تقوم بها أمريكا وأنها لم تعد تعبث وراء الستار بل تؤدى جريمتها السافرة واضحة أمام العيان، وقد أصبحت بجيوشها المنتشرة في كل مكان مصدر رعب للعالم جميعه، بل إنها تركت المنطق الواضح، وهاجمت دولة صغيرة هى دولة الأفغان، هاجمتها بكل أدوات التدمير لتبحث عن فرد واحد!! وهو وضع لا يكاد يصدق! إذ ليس من المعقول أن يسكن فرد يقال أنه اعتدى على أمريكا فى ١١ سبتمبر فى بلد ما لا صلة لمواطنيه به ثم تساق الدبابات والطائرات لتنسف هذا البلد الأعزل نسفا، ولعل الأرواح البريئة التى صعدت إلى الله شهيدة معذبة تكون دليل الاتهام الصارخ لهذه الوحشية الطاغية، ونحن نثق أن عدالة السماء لابد أن تأتى وأن الله ـ عز وجل ـ يملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته.

﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾(٢)

المحرر

---

(٢) الشعراء (٢٢٧)

افتتاحية العدد

قدّموا النّور

نحرص على تقدم الدراسات الاجتماعية، ونرى فى كثرة المؤلفات الدائرة حولها مايفيد وينفع، لأن كل دراسة جادة تعود بالخير على الإنسان، وقد ظهرت من المؤلفات الجامعية أمثلة جادة تتوخى البحث الهادف، ومن حقنا أن ندلى ببعض انطباعاتنا الخاصة حول هذه المؤلفات، ولن نتعرض لأسماء الكتب والمؤلفين، لأننا لانريد التجريح والنقد، ولكن نلفت النظر إلى ناحية هامة يتجاهلها أكثر هؤلاء، وهى من الأهمية بالمكان الأول.

يتلقى الطالب الجامعى فى الدراسات الإنسانية مذكرات أساتذته فيفهمها فهماً جيداً يساعده على النجاح آخر العام، ويراها من وجهة نظره المبتدئة صواباً عين الصواب، إذ لايمكن أن يتصور أن أستاذاً كبيراً فى هيئة التدريس الجامعى يطبع كتاباً فى تخصصه ويقوم بتدريس أبوابه، ثم يكون هذا الكتاب محدود النظرة، يعرض وجهة نظر معينة دون أن يعرض مايخالفها وقد تكون الوجهة المعروضة ذات خطأ يستلزم أن تعرض الوجهة المهملة بإزائه لتكتمل جوانب الرؤية الدقيقة الشاملة ولكن الذى نقرؤه فى المذكرات الجامعية لايقدم الوجهة الصائبة فى بعض مايتناول من الدراسات، فيخرج الطالب آخر العام بمعارف ذات نقص ملموس، وقد تكون ذات تقصير فادح إذا مست جانباً خطيراً من تاريخ العقيدة الدينية دون أن تهتدى إلى الوجه الصحيح!

وقبل كل شىء يجب أن نجهر بالحق دون مهابة، فنقرر أن أكثر الذين يكتبون فى آفاق الدراسات الإنسانية من تربية واجتماع وعلم نفس وتاريخ حضارة وأخلاق، أكثر هؤلاء الأساتذة الكاتبين قد اقتصرت معلوماتهم الإسلامية على ما أخذوه فى المرحلة الثانوية وحدها، فهم لايعرفون من حقائق الإسلام غير ماألم به طالب المدرسة الثانوية فى البلاد العربية وهو مقدار لايسمح بإعطاء فكرة صادقة عن الإسلام، فإذا أضيف إلى ذلك أن أكثر هؤلاء لم يمتحنوا فى الدين فى الشهادة الثانوية، إذ تقضى بعض اللوائح فى كثير من الدول أن يقتصر الامتحان فى التربية الدينية على ما قبل الشهادة العامة فحسب، فلك أن تحكم

ص القرآنى

بأن طالب المدرسة الثانوية يذهب إلى الجامعة وهو فى معارفه الدينية لايكاد يختلف عن الشاب الذى لم يتلق دراسة دينية ما، إذ أن هذا الشاب يعرف بحكم بيئته الإسلامية مايلزم من أمور العبادات والأخلاق على وجه عام شائع لايستند إلى تحصيل ولا ينتفع بتوجيه.

هذا الطالب الذى عرف القشور السطحية عن دينه يتوجه إلى الجامعة ليدرس العلوم الإنسانية كما حذقها أساتذته الذين جعلوا كتب أوربا مرجعهم الأوحد، فإذا قضى سنواته الجامعية وتفوق فى الليسانس فقد يبعث إلى كلية أوربية، وقد يلتحق بالدراسات العليا بجامعته ثم ينال الدكتوراه فى موضوع تخصصه، وقد ألم بكلامه ونظرياته ومراجعه فى نطاق أجنبى تام لا يتصل بالإسلام فى شىء، ثم يعين بعد ذلك مدرساً فأستاذاً مساعداً، فأستاذاً بالجامعة، ليشرح مادته كما جاءت بها أوربا المادية دون أن يستعين برأى الإسلام فيما يشرح للطلاب المسلمين من مسائل! وهنا تكون الكارثة الطامة، إذ يتعرض صاحب هذه الدراسة مثلاً إلى نشأة الدين، فيجده فى رأى من ينقل عنهم من رجال الاجتماع وليد أساطير وخرافات فرضتها سلطات خاصة ليكون فى النهاية طقوساً وعبادات وصفحات وقوانين!

لايظن القارىء أنى أبالغ أو أتهكم، ولكنى أتحدث عن واقع ملموس مؤلم، فقد قرأت مذكرات جامعية مختلفة، بعضها خاص بتاريخ التربية، وبعضها خاص بمادة الاجتماع، وبعضها يؤرخ للقانون، هذه المذكرات المختلفة فى علوم مختلفة، تتحدث عن شىء فى تاريخ الإنسان تسميه المرحلة الدينية! وتقول فى توضيح هذه المرحلة: إن الإنسان بعد الطوفان أخذ يستعمر الأرض، وقد رأى من مظاهر الطبيعة ما أفزعه، فهو يسمع الرعد ويرى البرق ويشهد فعل النار وتدمير السيول فيعتقد بقوة جبارة تفزعه وتخيفه، وإذ ذاك يستكين ويخاف ويجعل من هذه القوة المخوّفة الراهبة آلهة، فيكون

الرعد والبرق والشمس والقمر والبحر آلهة ذات سلطان ثم تأتي شخصيات آدمية لتدعى النسبة لهذه الآلهة، فتأخذ رياسة كالتي كانت للسحرة والكهان، ويظل الحاكم يملك الناس بالتشابه للآلهة وبتخدير العقيدة الدينية (وقد انبثقت هذه العقيدة منذ فطامها من تلك العوامل النفسية و القدرية التي عاشت في ذات الإنسان من الدهشة والخوف والتطلع صوب الأمل القريب والبعيد، إذ من ذات الإنسان تسللت أشعته الفكرية ناظرة نظرتها الأولى في جنبات الكون المحيطة به، وسبر بفكره الثاقب أغوارها، وصنع من هذا الفكر طريقه إلى الطمأنينة وتبدد خوفه حينما ارتكز بعقيدته الوليدة على وجود ما صنعه إلهام فكره من آلهة).

ثم تنتهي المرحلة الدينية لتحل المرحلة العلمية القائمة على التجربة والاستقراء والاستنباط، وهي المشاهدة في عصر النهضة وماتلاه، هذا الكلام يتردد في صفحات وفصول تزدحم بالمراجع المحتشدة وكلها لأساطين في الغرب وللمشاهير من علماء الاجتماع والتربية دون أن تجد جواره ما يوضح الفكرة الإسلامية في هداية الناس وبعث الرسل، وأول مايدهشنا أن الحديث هنا عن مرحلة مابعد الطوفان، أي عن مرحلة بعد نوح -عليه السلام- فإن الطوفان إذا أطلق بمفهومه العام لاينصرف إلى غير طوفان نوح الذي تداول ذكره في الكتب السماوية المقدسة.

وإذا وجد اليوم فيما اكتشف من الآثار مايدل على تعدد الطوفان في أزمنة مختلفة، فذلك كله وليد اكتشافات حديثة لاتختلط بهذا الحدث التاريخي الذي سجلته التوراة وذكره القرآن، ونحن نعلم علم اليقين أن أتباع نوح ممن نجوا من الطوفان كانوا ذوي عقيدة دينية هي عقيدة التوحيد، مصداقاً لقول الله -عز وجل- في كتابه العزيز:

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾(١).

فالذين عاشوا بعد الطوفان كانوا يعرفون التوحيد، ويؤمنون بالله وحده، ولم يكونوا جميعاً يتخذون من البرق والرعد والنار والشمس آلهة، إذ أن الإنسان قد ولد مزوداً بغريزته

(١) الشورى (١٣، ١٤).

الدينية التي تهديه إلى عبادة رب واحد لاشريك له، وماحصل من انتكاس في العبادة كان خطأ يتطلب التصحيح، لذلك توالت الأنبياء وتتابعت الرسل ليصححوا هذه الأخطاء، وإن رسالة نوح قد جاءت لتنهي عن عبادة الأصنام، ولتعيد الوحدانية ساطعة واضحة، كما أشرقت في قلب آدم ـ عليه السلام ـ ومن تبعه من المؤمنين.

اسمع قول الله ـ عز وجل ـ على لسان نوح ـ عليه السلام ـ :

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل
لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا (١٢) مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤) أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ
طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا (١٦) وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ
إِخْرَاجًا (١٨) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا (١٩) لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا (٢٠) قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ
مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا (٢١) وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا (٢٢) وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ
وَنَسْرًا (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا (٢٤) مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ
اللَّهِ أَنصَارًا﴾[٢].

فمن هذا النص الكريم وأمثاله الكثيرة في كتاب الله نعلم أن التوحيد الخالص كان ذا أنصار وأشياع قبل الطوفان وبعده، وأن القول بأن تأليه البرق والرعد والشمس كان مظهراً عاماً للحياة الدنيا في سيرها بعد الطوفان، وخطوة في طريق القول بإله واحد. هذا القول مخالف للفكرة الإسلامية التي تؤكد أن الإنسان قد فطر على التوحيد الخالص، وأن ما ارتكست فيه الإنسانية من شرك كان خطأ فاحشاً استوجب بعثة الرسل في آماد مختلفة لتؤدى رسالة السماء نقية خالصة! حتى جاء محمد ﷺ فاكتملت على يديه الرسالة الصحيحة وأعاد الحنيفية السمحة كما نطق بها نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وجميع من سبقه من المرسلين، وبرسالة محمد وضعت أتم الشرائع الإصلاحية، وأقيمت المعاملات الإنسانية على نهج خلقي قويم!

نقول ذلك ونؤكده لأن أكثر أصحاب المذكرات الجامعية يتحدثون عن الأخلاق الفاضلة وعن قوانين المعاملات ووسائل الارتباطات الإنسانية كأشياء منفصلة عن الدين، ولئن صح ذلك لدى بعض الأديان المعاصرة فإن الإسلام منبع الأخلاق ومصدرها لدى المسلمين، وليس الخلق الإسلامي اصطلاحاً اجتماعياً يتغير في زمن، ويرجع إلى صورته الأولى في زمن آخر،

(٢) نوح (١٠: ٢٥).

كما يتوهم الذين يظنون أن أساليب الحضارة ترتفع ببعض الأخلاق وتنحدر ببعضها الآخر وفق الظروف والملابسات، لأن الأخلاق في الإسلام دوائر عامة تشمل الجزئيات، هذه الدوائر تتسع للفضائل وتضيق عن الرذائل، معتمدة على التكوين النفي للإنسان ومقدرة تغيير الأحوال وتبدل الظروف، فهي تتسع وتشمل حتى تحتضن كل خير ومعروف، كما تقف موقفها الصارم من دعوات التحلل والانحدار، ولن تجد لسنة الله تبديلا.

لقد كان على الأساتذة الذين يشرحون ويكتبون ويناقشون، أن يعرفوا أن أكثرية تلاميذهم مسلمون، وأن أمانة دينهم تلزمهم أن يعرضوا رأى الإسلام في كل ما يدرسون، ونحن نعرف أن الدراسات الإنسانية بعيدة الجذور في حقل التأليف العلمي، فهناك من علماء الشرق من أسهموا بنصيبهم الكبير في هذه الدراسات، فلماذا تغفل كتبهم الذائعة وترتكز كل الارتكاز على ما قيل في أوساط بعضها يناوىء الإسلام علانية، وبعضها الآخر يناوئه في استتار، وقل أن تجد من يحايده، وأقل من القليل من يسلك مسلك الإنصاف! وقد رأيت أحد هؤلاء يضع في مذكراته تحت العنوان مباشرة في مطلع فصل من الفصول قول برجسون: (إن الدين كما يبدو ليس أساساً للأخلاق، ولكنه عون لها، إذ من الممكن تصوّر أخلاق بغير دين).

ثم أخذ الكاتب يبني فصله الطويل على هذا القول، دون أن يخالفه في شيء، ولسنا بصدد مكانة الفيلسوف الكبير (هنرى برجسون) ولكننا لانستطيع أن نتصور أخلاقاً تعيش بغير دين كما يتصور، لأن الدين هو الذى يجعل المعيار الأخلاقي ثابتاً لاتميل به العواطف والأهواء ولاتجترئ الأقلام المغرضة على تفسيره تفسيراً ينحرف به من النقيض إلى النقيض كما رأينا لدى من يزيفون النصوص الواضحة تزييفاً ماهراً دقيقاً لينطقوها بغير ما جاءت به، ولو كان لديهم دين حى قوى لوقف أمامهم حائلا دون التمويه الخادع، والتأويل المتعسف، وهم في قرارة أنفسهم يعرفون أنهم يحرفون الكلم عن مواضعه، ثم يظهرون تمسكهم بالنصوص.

ونحن بعد ذلك ندعو أصحاب الدراسات الإنسانية في كل مجال من مجالاتها المتعددة أن يدرسوا الإسلام في كتبه الصحيحة ثم يعرضوا رأيه جوار مايعرضون من الآراء، كما يجب أن يكون حكم القرآن واضحاً بارزاً أمام المسلمين من الطلاب، إذ أنه كتابهم الذى لايأتيه الباطل، ولابد أن يردوا مورده الصحيح.

د./ محمد رجب البيومي

تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال الله - تعالى - :

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ
لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ فَإِنْ أَرَادَا
فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم
مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

سورة البقرة : ٢٣٣

والمراد بالوالدات الأمهات سواء أكن فى عصمة أزواجهن أم مطلقات لأن اللفظ عام فى الكل ولا يوجد ما يقتضى تخصيصه بنوع من الأمهات. ويرى بعض المفسرين أن المراد بالوالدات هنا خصوص المطلقات لأن سياق الآيات قبل ذلك فى أحكام الطلاق، ولأن المطلقة عرضة لإهمال العناية بالولد وترك إرضاعه.

وحولين أى عامين. وأصل الحول - كما يقول الراغب - تغير الشىء وانفصاله عن غيره.

والحول: السنة اعتبارا بانقلابها ودوران الشمس فى مطالعها ومغاربها قال - تعالى - :

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ .

ومنه حالت السنة تحول وحالت الدار تغيرت، وحال فلان بمكان كذا أى اقام به حولا[1].

وعبر عن الأمهات بالوالدات، للإشارة إلى أنهن اللائى ولدن أولادهن، وأنهن الوعاء الذى خرجوا منه إلى الحياة، ومنهن يكون الغذاء الطبيعى المناسب لهذا المولود الذى جاء عن طريقهن.

وقوله: ﴿ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ ﴾ جملة خبرية اللفظ إنشائية المعنى، إذ التقدير ليرضعن. أى: عليهن إرضاع أولادهن.

وعبر عن الطلب بصفة الخبر، للإشعار بأن إرضاع الأم لطفلها عمل توجبه الفطرة وتنادى به طبيعة الأمومة.

قال الجمل: وهذا الأمر للندب وللوجوب، فهو يكون للندب عند استجماع شروط ثلاثة، قدرة الأب على استئجار المرضع، ووجود من يرضعه غير الأم، وقبول الولد للبن الغير. ويكون للوجوب عند فقد أحد هذه الشروط[2].

وليس التحديد بالحولين للوجوب، لأنه يجوز الفطام قبل ذلك، بدليل قوله:

﴿ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾ وإنما المقصود بهذا التحديد قطع التنازع بين الزوجين إذا تنازعا فى مدة الرضاع، فإذا اتفق الأب والأم على أن يفطما ولدهما قبل تمام الحولين، كان لهما ذلك إذا لم يتضرر الولد بهذا الفطام، وإن أراد الأب أن يفطمه قبل الحولين ولم ترض الأم أو العكس، لم يكن لأحدهما ذلك قال القرطبى ماملخصه: وقد انتزع مالك - رحمه الله - ومن تابعه وجماعة من العلماء من هذه الآية أن الرضاعة المحرمة الجارية مجرى النسب إنما هى ماكان فى الحولين، لأنه بانقضاء الحولين تمت الرضاعة، ولا رضاعة بعد الحولين معتبرة.. لقوله - تعالى - :

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ .

فهذا يدل على الا حكم لما ارتضع المولود بعد الحولين. وروى سفيان عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : «لارضاع إلا ما كان فى الحولين» وهذا الخبر مع الآية ينفى رضاعة الكبير وأنه لاحرمة له. وقد روى عن عائشة القول به، وروى عن أبى موسى الأشعرى أنه كان يرى رضاع الكبير، وروى عنه الرجوع عنه وسيأتى تحقيق هذه المسألة فى سورة النساء[3].

وفى وصف الحولين بكاملين، تأكيد لرفع توهم أن يكون المراد حولا وبعض الثانى، لأن إطلاق التثنية والجمع فى الأزمان والأسنان على بعض المدلول إطلاق شائع عند العرب فيقولون: هو ابن سنتين، ويريدون سنة وبعض الثانية.

وفى هذه الجملة الكريمة:

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ .

بيان لمظهر من مظاهر رعاية الله - تعالى - للإنسان منذ ولادته، بل منذ تكوينه فى بطن أمه

---

(١) مفردات القرآن للراغب الأصفهانى ص ١٣٧.

(٢) حاشية الجمل على الجلالين جـ ١ ص ١٨٨.

(٣) تفسير القرطبى جـ ٣ ص ١٦٢.

حتينا، فقد أمر - سبحانه - الأمهات أن يقمن بإرضاع أولادهن في تلك المدة، لأن لبن الأم هو أفضل غذاء لطفلها في هذه الفترة، وأسلم وسيلة لضمان صحته ونموه، ولصيانته من الأمراض النفسية والعقلية، فقد أثبت الأطباء الثقاة أن الطفل كثيرا ما يصاب بأمراض جسمية ونفسية وعقلية نتيجة رضاعته من غير أمه، كما أثبتوا أن عناية الأم بطفلها في هذه الفترة عن طريق إرضاعه ورعايته، تؤدي إلى تحسين أحواله.

وقوله: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ بيان لمن توجه إليه الحكم. أي هذا الحكم لمن أراد إتمام الرضاع، فإذا أراد الأبوان أن ينقصا مدة الرضاع عن الحولين كان لهما ذلك. فالجملة الكريمة خبر لمبتدأ محذوف أي هذا الحكم لمن أراد أن يتم مدة الرضاعة.

وقوله:

﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾.

بيان لما يجب على الآباء، أي: وعلى الآباء أن يقدموا إلى الوالدات ما يلزمهن من نفقة وكسوة بالمعروف أي بالطريقة التي تعارف عليها العقلاء بدون إسراف أو تقتير.

قال صاحب الكشاف: فإن قلت لم قيل:

﴿الْمَوْلُودِ لَهُ﴾ دون الوالد؟ قلت: ليعلم أن الوالدات إنما ولدن لهم، لأن الأولاد للآباء، ولذلك ينسبون إليهم لا إلى الأمهات، كما قال المأمون بن الرشيد:

فإنما أمهات الناس أوعية
مستودعات وللآباء أبناء

فكان عليهم أن يرزقوهن ويكسوهن إذا أرضعن ولدهم كالأظآر ألا ترى أنه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى وهو قوله - تعالى - :

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا﴾(1).

وقوله: ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ تعليل لإيجاب المؤن بالمعروف أو تفسير للمعروف ولهذا فصلت هذه الجملة عن سابقتها، وقوله:

﴿وُسْعَهَا﴾ منصوب على أنه مفعول ثان لتكلف، والاستثناء قبله مفرغ أي أن أبا الولد لا يكلف في الإنفاق عليه وعلى أمه إلا بالقدر الذي تتسع له مقدرته بدون إرهاق أو مشقة.

وتلك هي سنة الإسلام في جميع تكاليفه، فالله - تعالى - ماكلف عباده إلا بما يستطيعونه ويطيقونه بدون عسر أو عنت قال - تعالى - :

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾(2).

وقال - تعالى - :

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾

وقوله:

﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ﴾.

تعليل للأحكام السابقة الموزعة بين الأب والأم، والتي أساسها رعاية حق هذا الوليد الذي أتى عن طريقهما.

والمضارة مفاعلة من الضرر، والمعنى: لاينبغي أن

---

(1) لقمان (33). تفسير الكشاف جـ 1 ص 279.

(2) البقرة (286)

يقع ضرر على الأم بسبب ولدها، بأن يستغل الأب حنوها على وليدها فيمنعها شيئا من نفقتها، أو يأخذ منها طفلها وهى تريد إرضاعه، أو يكلفها بما ليس فى مقدورها أو ما يخالف وظيفتها، ولا ينبغى كذلك أن يقع ضرر على الأب بسبب ولده، بأن تكلفه الأم بما لا تتسع قدرته مستغلة محبته لولده وعنايته بتنشئته تنشئة حسنة.

قال الجمل: و ﴿ لَا ﴾ فى قوله: ﴿ لَا تُضَآرَّ ﴾ يحتمل أن تكون نافية فيكون الفعل مرفوعاً، ويحتمل أن تكون ناهية فيكون الفعل مجزوماً، وقد قرئ بهما فى السبع، وعلى كل يحتمل أن يكون الفعل مبنياً للفاعل وللمفعول[٦].

والمعنى على الاحتمالين وهو أنه لا يجوز أن يضر كل واحد منهما صاحبه أو يضر من صاحبه بسبب حنوه على ولده واهتمامه بشأنه.

وأضاف الولد إلى كل منهما فى الموضعين للاستعطاف، وللتنبيه على أن هذا الولد الذى رزقهما الله إياه جدير بأن يتفقا على رعايته وحمايته من كل ما يؤذيه، ولا يجوز مطلقاً أن يكون مصدر قلق لأى واحد منهما.

وقدمت الأم فى الجملة الكريمة، لأن الشأن فيها أن يكون حنوها أشد، وعاطفتها أرق، ولأن مظنة إنزال العنف والأذى بها أقرب لضعفها عن الأب.

فالجملة الكريمة توجيه سديد، وإرشاد حكيم، للآباء والأمهات إلى أن يقوم كل فريق منهم بواجبه نحو صاحبه ونحو الأولاد الذين هم ثمار لهم.

وقوله: ﴿ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ﴾ معطوف على قوله: ﴿ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ ﴾ .. إلخ وما بينهما تعليل أو تفسير معترض.

أى: وعلى وارث الأب أو وارث الصبى - أى من سيرثه بعد موته - عليه مثل ما على الأب من النفقة وترك الإضرار فهذه الجملة الكريمة سيقت لبيان من تجب عليه نفقة الصبى إذا فقد أباه، أو كان أبوه موجوداً ولكنه عاجز عن الإنفاق عليه.

قال الآلوسى ما ملخصه: والمراد بالوارث وارث الولد فإنه يجب عليه مثل ما وجب على الأب من الرزق والكسوة بالمعروف إن لم يكن للولد مال وهو التفسير المأثور عن عمر وابن عباس وقتادة.. وخلق كثير وخص الإمام أبو حنيفة هذا الوارث بمن كان ذا رحم محرم من الصبى... وقال الشافعى المراد وارث الأب - يجب عليه عند موت الأب كل ما كان واجباً على الأب - وقيل المراد بالوارث الباقى من الأبوين، وقد جاء الوارث بمعنى الباقى كما فى قوله ﷺ: «اللهم متعنى بسمعى وبصرى واجعلهما الوارث منى»[٧] وعلى أية حال فالجملة الكريمة تغرس معانى الإخاء والتراحم والتكافل بين أبناء الأسرة الواحدة، فالقادر ينفق على العاجز، والغنى يمد الفقير بحاجته، وبذلك تسعد الأسرة، وتسودها روح المحبة والمودة.

وقوله:

﴿ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ﴾

(٦) حاشية الجمل على الجلالين جـ ١ ص ١٨٩.

(٧) تفسير الآلوسى جـ ٢ ص ١٤٧.

معطوف على قوله:

﴿ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ لأنه متفرع عنه والضمير في قوله: ﴿ فَإِنْ أَرَادَا ﴾ يعود على الوالدين.

قال القرطبي: والفصال والفصل: الفطام وأصله التفريق، فهو تفريق بين الصبي والثدي. ومنه سمي الفصيل- لولد الناقة- لأنه مفصول عن أمه والتشاور: استخراج الرأي- بما فيه المصلحة- وكذلك المشاورة من الشور وهو اجتناء العسل، يقال شرت العسل- إذا استخرجته من مواضعه- والشوار: متاع البيت لأنه يظهر للناظر والشارة هيئة الرجل والإشارة: إخراج ما في نفسك وإظهاره[8].

والمعنى: فإن أراد الأبوان فطاماً لولدهما قبل الحولين، وكانت هذه الإرادة عن تراض منهما وتشاور في شأن الصبي وتفحص لأحواله، ورأيا أن هذا الفطام قبل بلوغه الحولين لن يضره فلا إثم عليهما في ذلك.

وقال بعضهم: وأيضاً لا إثم عليهما إذا فطماه بعد الحولين متى رأيا المصلحة في ذلك، وقد قيد- سبحانه- هذا الفطام للصبي بكونه عن تراض من الأبوين وتشاور منهما، رعاية لمصلحة هذا الصبي، لأن رضا أحدهما فقط قد يضره، بأن تمل الأم الإرضاع أو يبخل الأب بالإنفاق ولأن إقدام أحدهما على الفطام بدون التشاور مع صاحبه قد يؤثر في صحة الصبي تأثيراً سيئاً لذا أوجب- سبحانه- التراضي والتشاور فيما بينهما من أجل مصلحة صبيهما.

ثم قال- تعالى-:

﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾

أي: وإن أردتم- أيها الآباء- أن تسترضعوا مراضع لأولادكم، ورضى الأمهات بذلك، فلا إثم عليكم فيما تفعلون ما دمتم تقصدون مصلحة أولادكم، وعليكم أن تسلموا هؤلاء المراضع أجرهن بالطريقة التي يقرها الشرع، وتستحسنها العقول السليمة، والأخلاق القويمة.

واسترضع- كما يقول الزمخشري- منقول من أرضع. يقال: أرضعت المرأة الصبي، واسترضعتها الصبي فهي متعدية إلى مفعولين، والمعنى: أن تسترضعوا المراضع أولادكم فحذف أحد المفعولين للاستغناء عنه.

وقوله: ﴿ مَّآ ءَاتَيْتُم ﴾ حذف مفعولاه أي آتيتموهن إياه و ﴿ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ متعلق بسلمتم أي بالقول الجميل، وبالوجه المتعارف المستحسن شرعاً ويجوز أن يتعلق بآتيتم وأن يكون حالاً من فاعل سلمتم أو آتيتم والعامل فيه محذوف أي متلبسين بالمعروف.

ثم ختم- سبحانه- الآية بقوله:

﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.

أي: اتقوا الله في كل شئونكم والتزموا ما بينه لكم من أحكام، واعلموا أن الله- تعالى- لا تخفى عليه أعمالكم، فهو محصيها عليكم، وسيجزي المحسن إحساناً والمسيء سوءاً.

---

(8) تفسير القرطبي جـ ٣ ص ١٧٢.

السنة

السَّلَم

لفضيلة الأستاذ/ عبد الرحمن الجزيرى (*)

إعداد الشيخ/ على عامر عبد الرحيم

عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: قدم النبى ﷺ المدينة، وهم يسلفون فى الثمار السنة والسنتين، فقال: «من أسلف فى شئ فليسلف فى كيل معلوم، ووزن معلوم، إلى أجل معلوم».

رواه الخمسة

يتعلق بشرح هذا الحديث مباحث:

(١) بيان معنى السلم وهل هو مرادف للسلف؟

(٢) بيان شروط السلم.

(٣) حكمة إباحة هذا النوع من المعاملة مع أنه قد يضر المحتاجين أكثر مما يضرهم الربا.

(٤) هل السلم موافق للقياس أو هو على خلاف القياس؟

(١) السلف والسلم: بمعنى واحد فى اللغة، فقد عبر النبى ﷺ عن السلم بالسلف فى الحديث الذى معنا، فقال: «من أسلف فى شئ فليسلف فى كيل معلوم الخ». على أن السلف قد يطلق على القرض بدون منفعة. فإذا أسلف شخص آخر عشرين جنيها مثلا إلى أجل بدون أن يأخذ منه سلعة ينتفع بها، فإنه يقال لذلك: سلف، ولا يقال له سلم. والظاهر أن المراد بالسلف فى الحديث إنما هو السلم، لأنه قال: «من أراد أن يسلف فى شئ فليسلف فى كيل معلوم». وهذا بيان لشروط البدل الآتى بيانها. وقد عرفت أن القرض لا بدل له وإنما يرد المقترض رأس المال بدون زيادة.

(*) عضو جماعة كبار العلماء.

أما معنى السلم في اصطلاح الفقهاء : فهو عقد على شئ اجتمعت فيه ثلاثة أمور :

(أحدهما) أن يكون ذلك الشئ من الأشياء التى يصح بيعها، فلا يجوز السلم فى الخمر والخنزير ونحوهما.

(ثانيها) أن يكون ذلك الشئ وهو المبيع موصوفا بما يرفع عنه الجهالة التى تؤدى إلى النزاع.

(ثالثها) أن يكون ذلك المبيع مؤجلا. فها هنا أربعة أمور : أحدها : المشترى الذى يملك النقدين من ذهب أوفضة ونحوهما، ويسمى هذا (مسلما) أو مسلفا أو رب السلم. ثانيها : بائع السلعة المؤجلة، ويقال له مسلم إليه. ثالثها : السلعة المبيعة كالسمن والزيد والقمح، ويقال له مسلم فيه. رابعها : الثمن الذى يدفعه المسلم، ويقال له رأس مال السلم.

وبهذا يتضح لك أن السلم هو عقد بيع لابد فيه من بائع، ومشتر، وسلعة تباع، وثمن لهذه السلعة، إلا أنه يفارق البيع فى أن السلعة فى البيع تكون حاضرة بخلاف السلم، فإن السلعة فيه تكون مؤجلة بحيث لو لم تكن السلعة مؤجلة فإنه لا يسمى سلما بل يكون بيعا إذا استكمل شرائط البيع. وقد خالف فى ذلك الشافعية وقالوا : لا يشترط فى المسلم فيه (المبيع) أن يكون مؤجلا بل يصح أن يكون حالا. فالمدار عندهم فى تحقيق السلم هو أن يبيع شخص لآخر سلعة موصوفة وصفا يرفع عنها الجهالة بلفظ سلم، كان يقول له : أسلمت إليك عشرين جنيها مصريا فى عشرين أردبا من الذرة الصفراء أو الشامى أو نحو ذلك على أن اقبضها فى زمن. كذا. فإذا كان المبيع حاضرا وقال له : أسلمت إليك عشرين جنيها مصريا فى عشرين أردبا من الذرة الحاضرة، فإنه ينعقد سلما عندهم. ولا بد من أن تشتمل الصيغة على لفظ السلم عند الشافعية على المعتمد، بخلاف غيرهم من الأئمة فإنهم يشترطون تأجيل المسلم فيه (المبيع)، ولايشترطون أن تكون الصيغة بلفظ السلم، بل تصح بلفظ البيع والشراء وغير ذلك من الألفاظ التى ينعقد بها البيع. أما الذين اشترطوا تأجيل السلعة فقد اختلفوا فى أقل الأجل، فقال المالكية : أقل الأجل أن يزيد على خمسة عشر يوما ولو بلحظات. وقال الحنابلة والحنفية : إن أقل الأجل فى السلم هو شهر كامل.

هذا والسلم معروف عند العامة (بالتسليف) على القطن أو القمح أو المسلى أو غير ذلك من السلع، بمعنى أن صاحب السلعة يبيعها بثمن معين ويأخذ ثمنها على أن يسلمها فى وقت معين. وهذا غير السلف المعروف فى المصارف المالية، فإنه من باب رهن العين، وهو جائز إذا لم يكن فيه فوائد ربوية. فالفرق بين السلم والسلف المعروف فى المصارف أن السلم لا يلزم أن تكون العين موجودة عند بيعها، ويلزم أن يقبض البائع ثمنها حالا. أما السلف المعروف فى المصارف فإن العين تكون موجودة وتودع فى مخزن

البنك ويسلم عليها ما يتفقان عليه، وهذا هو الرهن.

(٢) أما شروط السلم فهى شروط البيع مع زيادة يسيرة اقتضاها تأجيل المبيع، وهى ضبط المبيع ضبطا تاما يرفع النزاع عند تسليم السلعة. فمن الشروط المشتركة بين البيع والسلم أن يكون العقد واقعا بين عاقلين، فإذا وقع من مجنون أو صغير غير مميز فإنه لا ينعقد رأسا. أما الصبى المميز الذى يعرف معنى البيع والشراء وما يترتب عليهما من فوائد ومضار، فإن بيعه أو سلمه ينعقد موقوفا على إجازة الولى أو الوصى، فإذا أقره فإنه ينفذ وإلا فلا. ولم يخالف فى ذلك إلا الشافعية، فإنهم قالوا : إن البيع لا ينعقد إلا إذا وقع من بالغ، أما الصبى فإن بيعه لا ينعقد ولو كان مميزا، ومثله الأعمى ولو كان بالغا عاقلا، لأنه يكون عرضة للغبن لسبب عدم رؤية السلعة. وظاهر أن السلم مثل البيع فى ذلك بلا فرق.

ومنها : أن يكون العاقد مختارا، فلا ينعقد بيع المكره ولا شراؤه.

ومنها : أن يكون المبيع أو المسلم فيه طاهرا، فلا يصح أن يكون النجس بحسب ذاته كالخنزير أو الذى عرضت له نجاسة يتعذر إزالتها، مبيعا ولا ثمنا. ولا يخفى أن هذا من محاسن الشريعة، لأن قواعدها دائما تشتمل على ما فيه مصلحة النوع الإنسانى، فإن قواعدها تشتمل على تحريم ما يضر الإنسان فى بدنه أو فى كرامته وخلقه، ولم تحظر على الناس إلا الخبائث الضارة القذرة، فأباحت لهم الطيبات وحرمت عليهم الخبائث. وعلى هذا يكون تحريم بيع النجس وشرائه إنما هو لفائدة المجتمع. على أن بعض المجتهدين الذين أدركوا أغراض الشريعة الإسلامية وعرفوا ما تقصده من فائدة الناس، أباحوا بيع الأشياء النجسة التى يمكن الانتفاع بها فى غير الأكل، وفى غير الأماكن التى ينبغى أن تكون دائما نظيفة، بشرط أن لا يترتب على استعمالها ضرر أو أذى. ومنها الدهن المتنجس، والعذرة المخلوطة بالتراب (السباخ) و (الزبل) النجس الذى ينتفع به، فإن كل ذلك يصح بيعه وشراؤه عند الحنفية. إنما الذى لا يصح بيعه بالإجماع، وهو : الميتة، والخنزير، والخمر، والدم. على أن الأئمة قالوا : إذا كانت هذه الأشياء مملوكة لشخص غير مسلم ويبيحها له دينه فإن له أن يبيعها لأهل ذلك الدين خاصة، بحيث لو باعها لمسلم فإن بيعه يكون باطلا.

ومنها : أن يكون المبيع (أو المسلم فيه) مقدورا على تسليمه، فلو باع شخص لآخر سلعة لا يقدر على تسليمها فإن بيعه لا ينعقد، وعليه أن يرد ثمنها إذا كان قد قبضه. ولا يشترط فى السلم أن يكون المبيع مملوكا عند قبض الثمن، بل يجوز أن يبيع عينا سيملكها فيما بعد، بشرط أن يكون قادرا على أن يملكها فى الوقت المحدد لدفعها، كالقطن والذرة، والقمح، والسمن، والعسل ونحو ذلك من الأشياء التى توجد فى أزمنة معينة من السنة. ولهذا قيل : إن السلم على خلاف القياس كما سنبينه بعد.

وذلك لأنه يشترط في المبيع أن يكون مملوكاً للبائع وقت البيع، فإذا لم يكن مملوكاً فإن البيع لا يصح، والسلم ليس كذلك، فإن المبيع فيه مؤجل غير مملوك للبائع وقت العقد. فمقتضى هذا الشرط أنه لا يصح، ولكن الشارع قال : إنه صحيح.

ومنها : أن يكون المبيع معلوما والثمن معلوما علما يرفع النزاع بين المتعاقدين، فإذا باع شخص لآخر حيوانا أو غلة أو فاكهة أو غير ذلك بدون أن يبينها بيانا وافيا، أو يراها المشترى بنفسه أو بمن يثق به، فإن البيع يقع باطلا، لأنه اشترى شيئا مجهولا قد يفضى إلى النزاع والخصام. ومن ذلك ما إذا قال شخص لآخر : اشتر ناقتى بالثمن الذى يحكم به فلان، أو اشتر شاة من قطيع الغنم التى أملكها.

ومنها : أن لا يكون العقد مؤقتا كأن يقول له : بعتك هذا البعير بكذا لمدة سنة، فإن هذا البيع يكون باطلا. ومنها غير ذلك من الشروط التى ذكرناها موضحة فى الجزء الثانى من كتاب الفقه على المذاهب الأربعة.

وحاصل ما ذكر فى باب السلم من الشروط التى لم تذكر قبل : هى بيان جنس المسلم فيه (المبيع)، وبيان رأس المال، وبيان نوع المبيع، وبيان صفته وقدره، بالكيل فى الأشياء التى تباع كيلا، والوزن فيما يباع بالوزن، والعد فيما يباع بالعد. مثال ذلك أن يقول شخص لآخر : أسلمت إليك جنيهين مصريين فى أردب من القمح البعلى أو المسقى الجيد أو المتوسط على أن استلمه فى وقت كذا. فهذا هو عقد السلم فى أردب من القمح، لأنه قد اشتمل على بيان جنس المبيع، وهو القمح، وقدره وهو أردب، ونوعه وهو كونه بعليا أو مسقيا، ووصفه وهو كونه رديئا أو جيدا أو متوسطا، وبيان رأس المال وهو الجنيهان إلخ. على أن الشافعية لا يشترطون ذكر الوصف بل يقولون : المدار فى ذلك على ضبط المبيع بأى عبارة كانت. وعلى هذا القياس فيما يباع بالعد أو الوزن كالبطيخ والعجوة ونحوهما.

ويشترط أن يكون رأس المال وهو الثمن حالا، فلا يجوز تأجيله باتفاق المذاهب، وإن اختلفت آراؤهم فى بعض أمور لا يترتب عليها كبير فائدة فى موضوع القبض. فالحنفية يقولون : يشترط أن يكون رأس مال السلم وهوالثمن مقبوضا فى مجلس التعاقد، سواء كان ذهبا أو فضة، أو كان سلعة معينة أوغير ذلك من العملة. والمالكية يقولون : إذا تأخر قبض الثمن عن المجلس، فإن كان ذلك بشرط، بطل العقد، وإن لم يكن بشرط فبعضهم يقول بجوازه وبعضهم يقول ببطلانه. وعلى كل حال فلا يصح السلم إلا إذا قبض البائع الثمن فى مجلس العقد عند جمهو الأئمة.

ويشترط أيضا أن يكون الصنف المبيع فى السلم موجودا فى الأسواق، بمعنى أن يكون كثير التداول كالحبوب والفواكه والزبد والسمن والقماش المعتاد ونحو ذلك، فإن لم يكن كثير الوجود كالجواهر النفيسة التى لا وجود لها فى الأسواق فإنه لا يصح شراؤها سلما، لأن المشترى قد يدفع ثمنها والبائع قد

لا يستطيع الحصول عليها، فيقع بينهما النزاع والشريعة الإسلامية دائما تحث الناس على المودة والإخاء، والتمسك بكل ما يزيد الروابط، ويقوى وسائل التعاون والتناصر.

هذا ويصح السلم فى كل شئ يباع بالكيل أو الوزن أو العد، أو يباع بالذراع كالقماش والبسط والحصر. أما الحيوان فإنه يصح السلم فيه عند الأئمة الثلاثة ما عدا الحنفية فإنهم يقولون : لا يصح السلم فى الحيوان مطلقا، فإذا باع شخص لآخر خروفا صفته كذا ونوعه كذا وسنه كذا بثمن يقبضه حالا على أن يدفع الخروف بعد ذلك بشهرين مثلا عند حلول عيد الأضحى، فإنه جائز عند الأئمة الثلاثة خلافا للحنفية. على أن الحنفية يقولون بصحة السلم فى السمك استثناء من الحيوان، ثم إن كان السمك طريا وكان لا ينقطع عادة كسمك نهر النيل ونحوه فإنه يصح السلم فيه فى كل الأوقات، وإن كان ينقطع فى بعض الأزمنة كالسمك الموجود فى البحيرات التى يمنع منها الصيد فى أوقات معينة فإنه لا يصح تعيين مدة القبض فى هذه المدة. ومثله السمك الجاف المملح (الـبكلاه). ولا من التعيين بالوزن أو العد، وتعين الصنف بما هو متعارف بين الناس.

(٣) أما حكمة تشريع السلم وإباحته فهى ظاهرة، لأن الناس قد يحتاجون الى المال الذى يستعينون به على العمل فى مزارعهم وتربية ما يملكونه من حيوانات أو نحو ذلك فلا يجدونه، فيقف دولاب عملهم، وتتعطل مزارعهم، ويحرمون من نتائجها ونتائج حيواناتهم، وفى ذلك ضرر شديد يلحق الناس، والشريعة الاسلامية إنما هى شريعة رحمة وعطف، فليس من أغراضها سد باب العمل فى وجوه الناس، وليس من عاداتها أن تغلق الأبواب فى وجوه المحتاجين فتمنعهم من قضاء حاجاتهم بحجة أن ذلك يتنافى مع قواعدها العامة، بل هى فى الواقع لم تشرع شيئا إلا وهو مطابق لمصلحة المجتمع الإنسانى، وموافق لما تقره الفطرة السليمة والعقول الصحيحة. فإنها ما حرمت الربا إلا خوفا على المحتاجين من قسوة المرابين ومطامعهم التى قد خربت بيوتا عامرة، فضلا عما فى الربا من قسوة تنافى الرحمة الإنسانية التى أودعها الله - تعالى - فى قلب الإنسان من حيث هو إنسان كامل، وهى بذلك لم تسد باب المعاملة التى فيها ربح مشروع، بشرط أن لا يترتب على ذلك غبن فاحش أو إرهاق للمحتاجين. والسلم هو بيع وشراء، غاية ما هناك أن السلعة المبيعة لا تكون موجودة وقت البيع، فهى مؤجلة كتأجيل الثمن وتعجيل السلعة، فإذا باع شخص مثلا لآخر ثوبا من القماش بجنيه وأجل قبض الجنيه شهرين أو ثلاثة أو أكثر أو أقل، فإنه جائز بلا خلاف. والسلم هو عكس ذلك، فإنه كما عرفت دفع الثمن وتأجيل الثوب، فإذا اشترى ثوبا بجنيه وأعطى التاجر الجنيه على أن يحضر له الثوب بعد شهر مثلا، فإنه جائز متى كان الثوب معينا. فأى فرق بين الحالتين؟

قد يقول بعض الناس : إن السلم بالصورة المتبعة فى البلاد الإسلامية قد يكون أشد

ضررا وأعظم أذى للفقراء الذين يضطرون إلى المال الذى يسد حاجاتهم الضرورية، فيذهبون إلى أرباب الأموال ويبيعونهم السلعة التى تساوى عشرة بخمسة، وذلك شر من الربا، فإن فوائده لا تصل إلى العشر.

والجواب على ذلك : هو أن الشريعة الإسلامية قد حرمت الربا لما فيه من أخذ مال بدون عوض، وحرمت كل ما يترتب عليه ضرر وإجحاف بالأفراد أو الجماعات، فهذا النوع من المعاملة، وهو السلم، إذا تحقق فيه ضرر أحد المتعاقدين حال التعاقد، فإنه يكون حراما مثل الربا بلا فرق. أما إذا كان التعامل به كالتعامل بغيره يحتمل أن ينتفع به البائع والمشترى، بصرف النظر عن العوارض الأخرى التى قد يترتب عليها خسارة أحد الفريقين، فإنه يكون جائزاً بلا كلام : مثلا : إذا اشترى شخص من آخر قنطار من السمن بسعر الرطل ثلاثة قروش على أن يستلمه منه فى وقت يساوى الرطل فيه أربعة قروش أو نحوها، فإن ذلك يكون بيعا مقبولا، فإن البائع قد استلم الثمن وعمل فيه بما يسد حاجته، وبما قد ينمى محصوله، فيتضاعف بذلك ربحه، والمشترى قد ربح ربحا معقولا ينتفع به أيضا، فتتبادل المنفعة بين الناس كتبادل السلع المبيعة بلافرق. إذا استغل المشترى حاجة البائع المضطر فاشترى منه الرطل بقرشين أو أقل فإنه يكون قد غبنه غبنا فاحشا يترتب عليه من الآثام ما يترتب على الربا بدون فرق.

(٤) ومن هذا تعلم أن السلم إنما وافقت الشريعة الإسلامية عليه لما فيه من تبادل المنافع بين الناس كالبيع بلافرق ما، إلا أن البيع قد يكون الثمن فيه حالا ومؤجلا، والسلم يجب أن يكون الثمن فيه حالا والسلعة مؤجلة. وقد عرفت أن بعض الأئمة يقول : إن السلعة فى السلم لا يجب تأجيلها، وعلى كل حال فمن قال: إن السلم على خلاف القياس، فقد فهم أنه داخل تحت قوله ﷺ : « لا تبع ماليس عندك » والسلعة التى لا يملكها الشخص الآن قد لا يقدر على ملكها عند حلول الأجل، فلهذا كان السلم على خلاف القياس. ولكن قد يجاب عن ذلك بأن السلم يشترط فيه أن يكون المبيع موصوفا معينا مقدورا على تسليمه غالباً، فلا يجوز السلم فى غير ذلك، فإذا وجد عارض يمنع من القدرة على تسليمه فذلك لا ينافى صحته، كالبيع بثمن مؤجل إلى أجل معلوم فإنه قد يعرض للشخص مانع يمنعه من الدفع عند حلول الأجل. فهل هذا الفرض يبطل البيع أو يحرمه؟ كلا، فإذا كان الشخص على ثقة من قدرته على تسليم العين عند الأجل المحدود، لم يكن فرق بين تأجيل الثمن وتأجيل العين المشتراة، فلم يدخل السلم تحت هذا الحديث، لأن المراد به النهى عن بيع ما ليس مقدورا للإنسان : كأن يبيع جوهرة نفيسة غير موجودة فى الأسواق أو نحو ذلك. وهذا المعنى لازم لأن الأحاديث التى وردت فى إباحة السلم صحيحة متفق عليها. وحديث : « لاتبع ما ليس عندك » يمكن حمله عليها بدون حاجة إلى استثناء. ومما لاريب فيه أن تأويله على هذا الوجه ظاهر لا تعسف فيه.

مات المعتصم

لفضيلة الأستاذ الشيخ / الطاهر الحامدى

يتيمة أمة العرب
مات أبوها المعتصم
ومات صلاح الدين أخوها
ماعادت تملك غير الحزن
على الرجلين
وكلا الرجلين
خلف تيجانًا مرتعشة
وسيوفًا بتراء
ماعادت تقطع
وكلا الرجلين
خلف ألسنة أطول من نعل متهالك
وعقولا لا تعرف معنى الجد
لاتعرف غير الهزل
وبيانات ممجوجة
كالعلك الماسخ
لايدرك أمة .. تصرخ ياويلى
من عهر الصهيوناززى الفاجر
فكرامة أمة خلف القضبان حبيسة
لاتجد صلاح الدين
ولا المعتصم يغيث

●●●

عشعش حب الدنيا فى قلب الفارس
ماعاد يقاتل أو يصلح لقتال
لكن أصبح صرافا ماهر
يجمع دينارات وجنيهات
يحصيها ويكدسها
أرصدة فى كل بنوك الدنيا
يودع فيها
إلا بنكا فى بلد عربى
يحمل اسما عربيا
أفرخ حب الدنيا فى قلب الفارس
جبنا وكراهية للموت
تلك نبوءة أكرم رسل الله محمد ﷺ

●●●

أصبحنا كغثاء السيل
تسيرنا الأمواج
حيث تسير

لامن قلة

بل نحن كثير

لكن لانملك من أمر الدنيا شيئًا ؟؟

لاعلما حصلنا

ولامبدأ يعرفه الناس لنا

لاهدفا يسعى الشعب إليه

أو عملا نتقنه فى دنيا الناس

لانزرع قمحا

لا نملك قوتا

نتسول خبز الأطفال

ونجوع إذا منعت أمريكا الرفد

هل يعقل أن نملك رأيا

إن كنا لانملك قوت اليوم

من لايزرع لا يحصد

ومن لايحصد لايأكل

ولا رأى لجائع

فالجائع لايرهبه الناس

أصبحنا كغثاء السيل

تلك نبوءة أكرم رسل الله محمد ﷺ

●●●

هل يمكن أن نذكر غاندى

فنقاطع كل بضائع أمريكا

ونقول جبان من يأكل كنتاكى

جبان من يأكل همبورجر . . .

جبان من يشرب كوكا

أو بيبسى . . جبان

جبان من يعمل فى ضخ البترول

فترسله أمريكا نارا يحرق

أبناء فلسطين

●●●

هاقد أصبحت الأمة

قصعة لحم وثريد

تتناوشها كل ذئاب الدنيا

فالفارس ماعاد يدافع

عن عرض يهتك

أو طفل يقتل

أو شيخ يغتال

بعنا الدين بدنيا ذائلة وسراب

تلك نبوءة أكرم رسل الله محمد ﷺ

يقول المصطفى ﷺ :

«يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها قالوا : أو من قلة نحن يومئذ يارسول الله ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ولكن غثاء كغثاء السيل ولينتزعن الله المهابة من قلوب عدوكم وليقذفن فى قلوبكم الوهن . قالوا : وما الوهن يارسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت»[١]

---

(١) سنن أبي داود (٤/٤٨٣) ومسند أحمد (٥/٢٧٩) بألفاظ متقاربة

حديث كلماته تنضح بالألم وتفيض بالحسرة.
لكن ماعادت للأمة آذان تسمع.
أو عمل يجدى أو ينفع
أو عقل يستوعب حجم الكارثة
أو ضوء يقين
يهديها في ظلمات الشك
أين تسير؟
وكيف تسير

●●●

نزين بالقرآن وبالسنة
خطبا جوفاء
وبيانات الشجب المعتادة
وبعد هدوء العاصفة نعربد
وننصب أقواس النصر الخداعة
وننسى الله
وننسى السنة والقرآن
ويحذرنا أكرم رسل الله محمد ﷺ
فيقول:
«لاتجعلوني كقدح الراكب. فإن الراكب يملأ قدحه ويضعه ويرفع به متاعه.
فإن احتاج إلى الشرب شرب
أو إلى وضوء توضأ
وإلا أهرقه.
ولكن اجعلوني في أول الدعاء وأوسطه وآخره»[٢]

●●●

يامالك يابن أنس
ما أروع قولك أن أفتيت
ماأعظمها فتيا أن قلت
قتل الثلث لإصلاح الثلثين
كنا نستنكرها من قبل
لكنا نفتي قتل النصف
لإصلاح النصف الآخر
حتى تلد الأرض رجالا أحرارا.
لإصلاح النصف الآخر
بل قتل الثلثين
لإصلاح الثلث الباقي
من لايرضى بتر الفاسد للإصلاح
سيقتل جوعا
سيقتل غدراً وهواناً
ويذوق الذل من الوغد الدون
زعيم الصهيونازية.. شارون

●●●

أوصى الفاروق عمر
بالتقوى ينصلح الناس

(٢) مسند الفردوس للديلمي (٥/٥٧، ٦٨).

بالخوف من الله
ومراقبة الله
بذلك قال الفاروق
يوصى سعدا حيث يقاتل
التقوى والخوف من الله
والورع صفات
والزهد كذلك
صفات زانت جند الله
فى السلم وفى الحرب
كذلك قال الفاروق عمر
يوصى سعداً
قائد جيش النور
فى معركة الفرس
بنور الإسلام
أضاء بلاد الفرس
قال عمر للقائد والجيش
وأما بعد فإنى آمرك ومن معك من الأجناد
بتقوى الله . على كل حال
فإن تقوى الله أفضل عدة على العدو .
وأقوى المكيدة فى الحرب .
وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من
المعاصى منكم من عدوكم .
وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله .
ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة
لأن عددنا ليس كعددهم ولاعدتنا كعدتهم
فإن استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا
بالقوة
وإن لم ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا
واعلموا أن عليكم فى سيركم حفظة من الله
يعلمون ماتفعلون .
فاستحيوا منهم ولاتعملوا بمعاصى الله وأنتم
فى سبيل الله
واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه
النصر على أعدائكم
أسأل الله ـ تعالى ـ ذلك لنا ولكم
ذلك قول الفاروق عمر

●●●

وإن تتولوا ياسادة
سيكون النصر لأمر الله
كما وعد الله
برجال أحرار
ونساء أحرار
وأطفال أكثر إيمانا ويقينا
فكما وعد الله
إن تتولوا يستبدلكم برجال أحرار
ونساء أحرار
وأطفال أكثر إيمانا ويقينا
ويكون النصر .. بإذن الله



النفوذ اليهودى فى أمريكا

للأستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد

فى الحقيقة أن النفوذ المتعاظم الذي يحظى به يهود الولايات المتحدة الأمريكية، وهرولة كبار المسئولين الأمريكيين إلى خطب ودهم، وكسب ثقتهم، لا ينبع من فراغ، ولكن يعززه التواجد الفعال والنشط لكثير من المنظمات اليهودية والصهيونية في أمريكا، وما تتمتع به من قوة سياسية، واقتصادية، وإعلامية هائلة، إذ أن الأمريكان من أصل يهودى يستحوذون على إدارة العديد من الشركات الضخمة، والمصارف العالمية، وهيئات التأمين الكبيرة، ومراكز التجارة، ومؤسسات الاتصال والإعلام. فاليهود يسيطرون على أهم وكالات الأنباء، وأشهر دور الصحف الأمريكية، وأكبر شبكات التليفزيون، والكثير من المسارح والعديد من دور السينما.

فقد أسس وكالة «رويتر» ووكالة «اسيوشيتدبرس» اليهودي «جوليوس رويتر»، كما يمتلك اليهودى «روبرت ميردوخ» بعض الصحف والمجلات الأمريكية، إضافة إلى امتلاكه صحيفة التايمز اللندنية، والصنداى تايمز، وأيضاً عدداً من المجلات البريطانية.

ومن المهم أن نؤكد أن اليهود الأمريكان يسيطرون على أشهر شبكات التليفزيون الأمريكية وهي :-

- شبكة تليفزيون ايه بى سى A.B.C من خلال رئيسها اليهودى «ليونارد جونسون».

- شبكة تليفزيون سى بى إس C.B.S من خلال رئيسها ومالكها اليهودى «ويليام بيلى».

- شبكة تليفزيون إن بى سى N.B.C من خلال رئيسها اليهودى «ألفريد سلفرمان».

ولاشك أن هذه الوسائل الإعلامية التى يديرها ويسيطر عليها يهود امريكان تقوم بدور مهم في ممارسة تأثير فعال على الرأى العام الأمريكى فى اتجاه تأييد إسرائيل ودعمها، وأيضا التوجيه السياسي لأفكار، ومواقف حوالى ٢٥٠ مليون أمريكي، فهى تقدم العديد من البرامج والمسلسلات التليفزيونية التى تدعم بها مواقف إسرائيل فى الصراع الدائر على الساحة الفلسطينية، كما يستغل اليهود العاملون فى الحقل السينمائي قضية فلسطين فى انتاج عشرات الأفلام التى تؤكد على أن فلسطين هى أرض الميعاد التى وعد الرب اليهود بها، تُروّج بالباطل أنها ملك لهم، وما الفلسطينيون إلا غزاة محتلون، وإيهام الرأى العام أن الصراع الدائر على أرض فلسطين ما هو إلا صراع من أجل استرداد حق يهودى من غاصب عربى فلسطيني طارئ، في محاولة خبيثة لتزييف الحقائق، وتضليل للرأى العام، مما يدل على الدور الإعلامي المضلل الذى سخرته الصهيونية له ولكن لنا أن نتساءل كيف يتأتى لأقلية يهودية لايزيد عددها على سبعة ملايين نسمة تشكل نسبة ٣٪ من سكان الولايات المتحدة الأمريكية أن تتمتع بهذا النفوذ الكبير؟ ويقال بهذا الصدد أن أهم ما يميز اليهود عن سواهم من الجماعات في المجتمع الأمريكي أنهم أقلية منظمة للغاية، وثرية، ومترابطة، ونشطة، لذلك فهم يتمتعون بكل المقومات الفاعلة لجماعة الضغط فى السياسة الأمريكية، ويمارسون نفوذهم على النحو الذى يحقق مصالحهم الذاتية، بالإضافة إلى أنهم محاورون جيدون للغاية، برغم قلة عددهم فى المناصب المرموقة بالإدارة الأمريكية. فعلى مدار التاريخ الأمريكي يُذكر أنه لم يتجاوز عددهم ١٢٠ يهودياً، موزعين فى مناصب حكام ولايات، وأعضاء كونجرس، ووزراء، ولكن مما يضاعف من نفوذهم تركزهم فى عدد معين من أكبر الولايات الأمريكية أهمها نيويورك، فلوريدا، نيوجرسى، كاليفورنيا، وميتشجان، وبنسلفانيا، وماريلاند. ومن ناحية أخرى يُلاحظ ارتفاع درجة الوعي السياسي بين يهود أمريكا الذى يتجلى بوضوح فى ارتفاع نسبة التصويت بينهم إلى أكثر من ٩٠٪ كما تشير إلى ذلك الإحصاءات، بينما النسبة العامة فى المجتمع

الأمريكي لا تتجاوز ٦٠٪ في أفضل الأحوال. لذلك بنى الجمهوريون (أعضاء الحزب الجمهوري) - على مدى عشرين عاماً - جسوراً تربطهم بالناخب اليهودي، فأصوات الناخبين اليهود جائزة سياسية برغم ضعف النسبة التي يمثلونها وهي ٣٪ من إجمالي عدد الناخبين، ولكنهم يُعتبرون عاملا ترجيحياً في نتائج الإنتخابات، وربما الأهم من ذلك أنهم يتبرعون بسخاء لتمويل الحملات الانتخابية، ويقدمون ما بين الربع إلى النصف في تمويل الحملات الانتخابية للمرشحين من الحزب الديمقراطي. وفي هذا الإطار تزداد قوة النفوذ الحقيقي ليهود أمريكا، ومدى تأثيره على كثير من مرشحي الكونجرس والرياسة الأمريكية. لذلك يحرص هؤلاء المرشحون على كسب ود اليهود في أمريكا حتى يحصلوا على أصواتهم لدعم موقفهم الانتخابي، وهذا ما فعله «بوش» الثاني أثناء إحدى حملات دعايته الانتخابية للرياسة الأمريكية في ٢٢/٥/٢٠٠٠ عندما وقف أمام مؤتمر «إيباك» وهي «لجنة العلاقات الأمريكية الإسرائيلية العامة» والمعروفة باسم اللوبي اليهودي موجهاً خطابه قائلا: «إن تأييدي لإسرائيل ليس مشروطا بنتيجة مفاوضات العملية السلمية، فالعلاقات الخاصة بين الولايات المتحدة الأمريكية، وإسرائيل تفوق العملية السلمية في الأهمية، ويجب على خصوم إسرائيل معرفة أن إدارتي ستحرص على استمرار العلاقات الخاصة مع إسرائيل، ولو لم يتوصلوا إلى إقامة السلام الحقيقي مع الدولة اليهودية». ولم يكد الرئيس الأمريكي «بوش» الثاني يدخل البيت الأبيض في بداية عام ٢٠٠١ حتى أضاء الضوء الأخضر لحكومة شارون، وترك الساحة الفلسطينية لشارون ليمارس عدوانه على شعب فلسطين، وحصاره، في مدنه وقراه ونفضت إدارة بوش يدها من التدخل لوضع حد لهذه الممارسات العدوانية الإسرائيلية، وأوفى الرئيس «بوش» بما وعد به اليهود أمام مؤتمر «إيباك» في تفضيله العلاقة المتميزة مع إسرائيل عن إقامة سلام حقيقي بين الإسرائيليين والفلسطينيين. وتأسيساً على هذا النفوذ الهائل ليهود الولايات المتحدة الأمريكية، فإن الجماعات اليهودية فيها لا تتورع في إعلان غضبها، ومناهضتها للإدارة الأمريكية إذا ما تعارضت مصالحها مع مصالح أمريكا، ففي أعقاب إعلان قيام دولة إسرائيل في الخامس عشر من مايو ١٩٤٨ سعت العديد من المنظمات اليهودية في الولايات المتحدة الأمريكية مثل الكونجرس اليهودي الأمريكي، ولجنة فلسطين الأمريكية اليهودية، والمجلس الدولي للنساء اليهوديات، ومنظمة العمال الصهيونية الأمريكية، والمنظمة الصهيونية الأمريكية، والمحافظون الصهاينة الأمريكان، ومنظمة «حداش» التي كانت تضم ٣٠٠ ألف عضو - إلى مناهضة الإدارة الأمريكية في عهد الرئيس «ترومان» ووزارة خارجيتها عام ١٩٤٩ بسبب رفضها خطة إسرائيلية لتطوير حوض نهر الأردن، وخطة دولية لإعادة إسكان ٢٠٠ ألف فلسطيني في الأردن، وقيام يهود أمريكا

بتظاهرة، واعتصامهم أمام الخارجية الأمريكية، واعتبروا الرفض الأمريكي للخطة الإسرائيلية تصرفاً غير مقبول، وهو بمثابة قطع للمساعدات الأمريكية عن إسرائيل، ولقد بلغ هذا الصلف اليهودي منتهاه، عندما طلب الرئيس «بوش» الأول من الكونجرس في سبتمبر ١٩٩١ – تأجيل الموافقة على تقديم ضمانات قروض قدرها ١٠ مليارات دولار لإسرائيل في صورة قروض تجارية لمدة ١٢٠ يوماً فغضب يهود أمريكا غضباً جارفاً، وبدأوا في إرسال سيل من خطابات الاحتجاج إلى البيت الأبيض، ولنواب الكونجرس، ولصفحات الجرائد، وقالت «جاكلين ليفين» وهي زعيمة بارزة بالمجلس اليهودي الأمريكي: «سيعتبر يوم ١٢ سبتمبر ١٩٩١ في تاريخ اليهود هو يوم خيانة كبرى، وإذا لم تكن كلمات الرئيس إشارة واضحة، ومقززة بمعاداته للسامية فهي على الأقل قريبة جداً من ذلك».

وأصر «بوش» على رفض إقرار ضمانات القروض، ولكنه في نفس الوقت بادر بعقد لقاء مطول مع «شوشانا كاردين» رئيسة مؤتمر زعماء المنظمات اليهودية الأمريكية للتصالح معها خاصة بعد اتهامه بمعاداة السامية. وكان أول احتكاك بين الرئيس الأمريكي «ريجان» واللوبي اليهودي «إيباك» بشأن صفقة طائرات أواكس التي طلبتها السعودية من الإدارة الأمريكية، وقتذاك والتي اعترض عليها اللوبي اليهودي – من أجل أمن إسرائيل – ووصفها بأنها تشكل خطراً على إسرائيل. وفي نهاية الأمر استطاعت إدارة ريجان الخروج من هذه الأزمة بنتيجتين:

الأولى: أن اللوبي اليهودي معارض عنيد.

والثانية: أن اللوبي اليهودي يمكن أن يكون صديقاً جيداً أيضاً. لذلك فإنه بعد انتهاء أزمة طائرات الأواكس بحصول السعودية عليها، سعى المسئولون في الإدارة الأمريكية إلى الاتصال بلجنة العلاقات الأمريكية الإسرائيلية العامة (إيباك)، ووجّهوا الدعوة إلى كبار مسئوليها للاشتراك في تخطيط سياسة الحكومة الأمريكية، وقد ذكر بعض المحللين السياسيين الأمريكيين إلى أن إشراك «إيباك» في التخطيط السياسي سيقلل من معارضتها لأي سياسات أو قرارات تتخذها إدارة «ريجان» فيما بعد، بالإضافة إلى إمكانية الاستفادة من صداقة إيباك في أمور كثيرة. ومن جانب آخر، فإن «إيباك» وهي اللوبي اليهودي تتولى، بصورة منتظمة، عملية حشد الصفوف خلف إقرار الكونجرس الأمريكي للمساعدات الخارجية. والحقيقة التي يؤكد عليها كثير من المحللين السياسيين الأمريكيين، أن الضغط الذي يمارسه اليهود على الكونجرس بمجلسيه الشيوخ والنواب من أجل الموافقة على المساعدات التي تقدمها حكومة الولايات المتحدة الأمريكية إلى إسرائيل هو جزء قليل من عمل كبير تقوم به «إيباك»، فمن بين ١٥٠ شخصاً كانوا يعملون في إيباك، خلال التسعينات، تفرغ منهم ستة فقط لممارسة الضغط، ومقابلة أعضاء الكونجرس للتأثير على أصواتهم لصالح إسرائيل، أما الباقون، وهم ١٤٤ شخصاً فكان يتكون منهم فرق ثلاث:

الأولى: تعمل فى مجال الأبحاث لإمداد اللوبى اليهودى بالمعلومات حول قضايا الشرق الأوسط، بداية من قضايا المياه إلى تكنولوجيا الصواريخ.

والثانية: تقوم بنشر سلسلة من الكتيبات، والتقارير الصحفية، مثل تقرير الشرق الأدنى، والذى يشمل عرضاً، وتحليلاً للأنباء المتعلقة بإسرائيل لتقديمه لأعضاء الكونجرس للاسترشاد به فى اتخاذ القرارات التى تؤيد المواقف الإسرائيلية، وتدعم الوجود الإسرائيلى فى فلسطين.

والثالثة: تشتغل بأعمال الإدارة، والتمويل، وجمع التبرعات لتلبية احتياجات إسرائيل.

هذا ويمارس اللوبى اليهودى (إيباك) عمله ونفوذه، وضغوطه من خلال العديد من اللجان التابعة له، من أهمها اللجنة الأمريكية الإسرائيلية للشئون العامة، ولجان العمل السياسى، وعددها ٣٣٠٠ لجنة، واللجنة القومية للعمل السياسى، ومؤتمر الزعماء، ويمثل الذراع الدبلوماسى القوى لجميع المنظمات اليهودية الأمريكية، التى يهيمن عليها، ويضمها فى إطاره. وبفضل تعاون اللوبى اليهودى مع إدارة الرئيس «ريجان» عام ١٩٨١، أثناء فترة رياسته، فقد قطفت إسرائيل - فى خريف ١٩٨١ - ثمار هذا التعاون بالتوقيع على اتفاق تحالف عسكرى رسمى مع الولايات المتحدة الأمريكية، وصارت بذلك شريكاً استراتيجيا لأمريكا، يتبادلان معاً المعلومات التكنولوجية، ويتعاونان سوياً فى مجال الاستخبارات العسكرية، بالإضافة إلى دعم الترسانة العسكرية الإسرائيلية بالأسلحة الحديثة والمتطورة من جانب أمريكا، مع التزام الولايات المتحدة الأمريكية أيضاً بضمان أمن إسرائيل.

وجدير بالذكر أنه فى غضون ما يربو على نصف قرن من إعلان قيام إسرائيل، كانت ولاتزال «منظمة اتحاد النداء اليهودى» هى الآلية الفاعلة لمختلف المنظمات اليهودية الأمريكية، فعن طريقها يتم التخطيط والإعداد لحملات التبرع، لتمويل خدمات التعليم، والدفاع، والرعاية الاجتماعية، التى تصل حملة تكاليفها إلى حوالى ٤ مليارات دولار، بالإضافة إلى ما يقدمه اتحاد النداء اليهودى إلى الوكالة اليهودية سنوياً من تبرعات تبلغ حوالى ٣٠٠ مليون دولار لتمويل استيطان اليهود، واستيعابهم فى المجتمع الإسرائيلى. وقد لوحظ فى السنوات الأخيرة من القرن العشرين أن إدارة الرئيس الأمريكى «كلينتون» كانت من أبرز الإدارات الأمريكية التى اعتمدت القيادات اليهودية فى اللوبى اليهودى المؤيدة لإسرائيل، نذكر منهم بصفة خاصة «مادلين أولبرايت» وزيرة الخارجية الأمريكية، و«وليام كوهين» وزير الدفاع الأمريكى، و«دنيس روس» المبعوث الأمريكى فى الشرق الأوسط.

وأخيراً يمكن القول أن النفوذ اليهودى فى أمريكا تعاظمت قوته فى كل قطاعات المجتمع الأمريكى، ومازال يهيمن على مجريات السياسة الخارجية الأمريكية، ويدفعها فى اتجاه دعم إسرائيل، واستمرارها قوية.

بين الصحف والمجلات

إعداد الأستاذ / محمود الفشني

دماء وأحزان



إن قلبي يقطر دماً وجسدي من الحزن قد وهن. الناس تحجرت عيونهم وتوجهت نحو السماء يطلبون العون من الله بعد أن صمت الآذان فقد دفنت العروبة ولا نملك جميعاً سوى البكاء والشجن.

وكما قال مجدي شندي في «الأسبوع» في عددها الصادر في ١/٤/٢٠٠٢:

كلنا أصبحنا على حافة الانفجار نطالب سيوفا مكسورة أن تنال من رقاب الأعداء، ورجالاً ملأتهم الشروخ بأن يصبحوا صناديد تصرخ في آبار قديمة وتضع على أعيننا نظارات تحاول أن نرى بها الشوك ورداً، والجبن بطولة، والتخاذل حكمة والانبطاح سياسة والانسحاق واقعية، والتمسك بأهداب الكراسي وطنية ولو على حساب رقاب الشعب العربي وكرامته.

وهذا صوت الأستاذ جمال الشاعر في مقاله الأسبوعي بالأهرام في عدده الصادر في ٢٦/٣/٢٠٠٢:

إن تشريح أجسادنا ونحن أحياء أهون علينا من استيلاء اليهود على فلسطين وعلى القدس كما قالها في يوم من الأيام السلطان عبدالحميد الثاني وصدق حدسه حين قال: «إذا ما ضاعت وحدة المسلمين وضاعت الخلافة فإن اليهود



يستطيعون أخذها بأتفه الأثمان، وقد كان.. ياقوم..، ولا بأس يا قوم من طول ومن عظم جسم الأفيال وأحلام العصافير.. عصافير العقل طارت إذن.. ولا ندرى ماذا نفعل نحن أمة العرب.. نحن على قلوبنا مراوح ومكيفات برداً وسلاماً.

بينما إسرائيل تطبق فلسفة نيتشه.. عش فى خطر.. وهى الفلسفة التى تستنهض الهمم وتستنفر العقول فيصبح الإنسان سوبرمان «رجل خارق» والغريب أن إسرائيل تمثل لنا نفس الخطر والتهديد.. ولا يدفعنا ذلك إلى شحذ الطاقات وتوحيد الجهود والوحدة والحلم العربى الذى بدونه لن يتحقق لنا أى شىء.

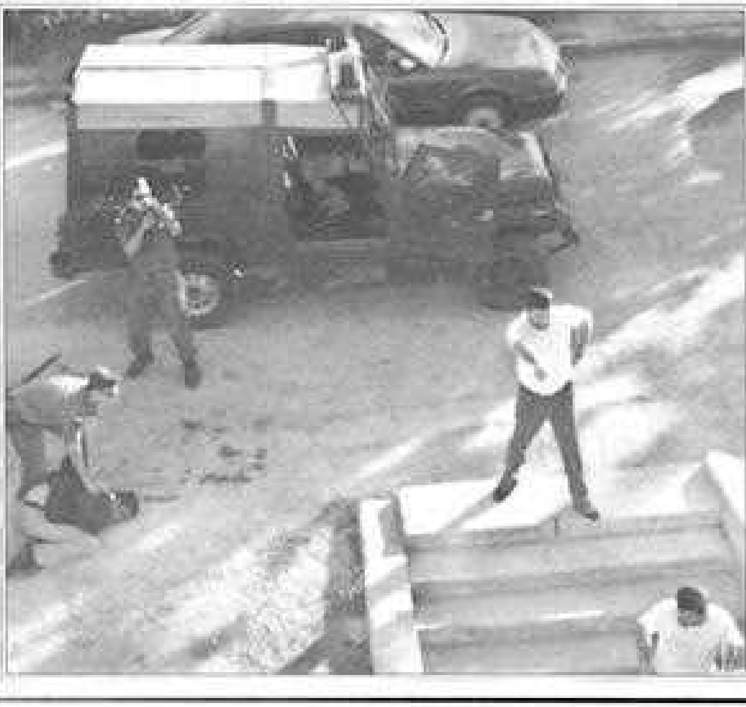
وبغير الوحدة سوف يتجرأ علينا السفهاء.

الإرهاب أمريكى

هكذا عبر جهاد الخازن فى جريدة الحياة اللندنية فى عددها الصادر فى ٢ / ٤ / ٢٠٠٢ تحت عنوان «عيون وآذان» الإرهاب أمريكى – إسرائيلى وقد آن الأوان أن يقف القادة العرب وقفة صدق– إن لم يكن وقفة عز، مع أنفسهم وشعوبهم ويقولوا إن العدو هو الولايات المتحدة، وأن يعاملوها على هذا الأساس وهذه ليست دعوة إلى الحرب وإنما مجرد المقاطعة.

ماذا أقول للقارئ اليوم. أقول له: أخفض رأسك يا أخى فقد عاد عهد الاستعمار والاستعمار هذه المرة أمريكى – إسرائيلى ينفذه جهلاً رئيس أحمق يديره يمين الحرب





الجمهورى واليهود الأمريكيون من أنصار إسرائيل فى الإدارة الأمريكية.

وهم التضامن العربى

تقول بثينة الناصرى فى جريدة «الأسبوع» فى ١/٤: القانون الدولى لن ينصفنا يوما من الأيام وكأننا نسينا أننا نحتكم إلى المعتدى والجانى الذى صنع منذ خمسين عاما مأساتنا.

إن ما يجرى فى فلسطين هو نسخة مكررة من سيناريو الإدارة الأمريكية فى أفغانستان وهو أمر متفق عليه، ولاشك - للخلاص من كل أعداء الولايات المتحدة والصهيونية العالمية مرة واحدة وإلى الأبد، إنه مخطط شرير لترتيب أوضاع المنطقة وسيعقب فلسطين العراق.









غـــدا ينطـــق الحجـــر

للأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين

« اللهم إليك أشكو ضعف قوتى، وقلة حيلتى، وهوانى على الناس، ياأرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربى، إلى من تكلنى؟ إلى بعيد يتجهمنى؟ أم إلى عدو ملكته أمرى؟ إن لم يكن بك علىّ غضب فلا أبالى، ولكن عافيتك هى أوسع لى، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن ينزل بى غضبك أو يحل على سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك »[1].

كلمات ابتهل بها أطهر خلق الله، وأعز خلق الله على الله إلى الخالق البارئ المصور رب العزة، وذلك بعد أن لاقى ﷺ أقسى صنوف الاضطهاد والتنكيل على يد كفار قريش ومن والاهم.

وعلى الفور كانت الاستجابة الإلهية للداعى الكريم، فكان أن وقعت تسرية الله له بالإسراء والمعراج من المسجد الحرام بمكة المكرمة ثم إلى المسجد الأقصى بالقدس الشريف، قبلة المسلمين الأولى، فوجد فيه أنبياء الله يتقدمهم إبراهيم، وموسى، وعيسى وقد جمعهم الله له ليكونوا فى استقباله، فصلى بهم ﷺ فى المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى السموات العلا.. إلى سدرة المنتهى.. ليرى الملائكة والأنبياء، وكثيراً من العجائب والآيات التى تدل على قدرة الله[2].

وتزداد وشائج الصلة قوة بقرآن يُتلى، أوحى به المولى - عز وجل - لأشرف خلقه:

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[1].

كدليل على قوة وعمق الارتباط بين المسجدين فمن يفرط فى المسجد الأقصى فكأنه فرط فى المسجد الحرام.

ثم نأتى إلى عهد الخليفة الراشد الفاروق عمر ابن الخطاب - رضى الله تعالى عنه -

أورد الحافظ إسماعيل بن كثير فى البداية

(١) ابن هشام، السيرة النبوية (١/ ٤٢٠).

(٢) الإسراء (١)

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية جـ ١٠٨:٨ ، ١١٥ .

والنهاية: أن أبا عبيدة لما فرغ من دمشق، كتب إلى أهل إيليا يدعوهم إلى الله وإلى الإسلام أو يبذلوا الجزية أو يؤذنوا بحرب، فأبوا أن يجيبوا إلى ما دعاهم إليه فركب إليهم في جنوده، واستخلف على دمشق سعيد بن زيد، ثم حاصر بيت المقدس وضيق عليهم حتى أجابوا إلى الصلح بشرط أن يقدم إليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فكتب إليه أبو عبيدة بذلك فاستشار عمر الناس في ذلك فأشار عثمان بن عفان بأن لا يركب إليهم ليكون أحقر لهم وأرغم لأنوفهم، وأشار على بن أبي طالب بالمسير إليهم ليكون أخف وطأة على المسلمين في حصارهم بينهم، فهوى ما قال على ولم يهو ما قال عثمان.

وسار بالجيوش نحوهم، واستخلف على المدينة على بن أبي طالب، وسار العباس بن عبد المطلب على مقدمته، فلما وصل إلى الشام تلقاه أبو عبيدة ورءوس الأمراء، كخالد بن الوليد، ويزيد ابن أبي سفيان، فترجّل أبو عبيدة وترجّل عمر، فأشار أبو عبيدة ليقبّل يد عمر، فهمّ عمر بتقبيل رجل أبي عبيدة، فكفّ أبو عبيدة فكفّ عمر، ثم سار حتى صالح نصارى بيت المقدس واشترط عليهم إجلاء الروم إلى ثلاث، ثم دخلها إذ دخل المسجد من الباب الذي دخل منه رسول الله - ﷺ - ليلة الإسراء، ويقال: إنه لبّى حين دخل بيت المقدس، فصلى فيه تحية المسجد بمحراب داود، وصلى بالمسلمين فيه صلاة الغداة من الغد، فقرأ في الأولى بسورة «ص» وسجد فيها والمسلمون معه، وفي الثانية بسورة بني إسرائيل[4]، ثم جاء إلى الصخرة فاستدل على مكانها من كعب الأحبار، وأشار عليه كعب أن يجعل المسجد من ورائه، فقال: ضاهيت والله اليهود. ثم جعل المسجد في قبلي بيت المقدس - وهو العمري اليوم، ثم نقل التراب عن الصخرة في طرف ردائه وقبائه، ونقل المسلمون معه في ذلك، وسخّر أهل الأردن في نقل بقيتها. وقد كانت الروم جعلوا الصخرة مزبلة لأنها قبلة اليهود[5].

العهــدة العمريــة

ونص العهد العمري، وهو وثيقة الأمان التي بعث بها الخليفة عمر بن الخطاب لبطريرك النصارى صفرونيوس سنة ٦٣٧ هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شرفنا بالإسلام وأكرمنا بالإيمان ورحمنا بنبيه محمد ﷺ وهدانا من الضلال وأنقذنا به من التهلكة ووحد قلوبنا، ونصرنا على الأعداء وثبت أيدينا وجعلنا أخوة متحابين فاحمدوا الله ياعباد الله على هذه النعمة.

أما بعد فهذا عهد مني أنا عمر بن الخطاب أعطى للشيخ الوقور بطريرك الأمة الملكية صفرونيوس على جبل الزيتون بمقام القدس الشريف في الأشتمال على الرعاية والقسوس، والرهبان والراهبات حيث كانوا وأين كانوا وأين وجدوا أن يكون عليهم الأمان لأن الذمي إذا حفظ أحكام الذمة وجب له الأمان والصون منا نحن المؤمنين وإلى من يتولى بعدنا ولتقطع عنهم أسباب جوانحهم كحسب ماقد جرى منهم في

---

(٤) هي سورة الإسراء.

(٥) البداية والنهاية (٦١/٧).

الطاعة والخضوع وليكن الأمان عليهم وعلى كنائسهم ودياناتهم وكافة زياراتهم التى بيدهم داخلا وخارجا وهى : القيامة وبيت لحم مولد عيسى (عليه السلام) الكنيسة الكبرى والمغارة ذات الثلاثة أبواب قبلى وشمالى وغربى، وبقية أجناس النصارى الموجودين هناك وهم الكرج والحبش والذين يأتون للزيارة من الإفرنج والقبط والسريان والأرمن والنساطرة واليعاقبة والموارنة تابعين للبطريرك المذكور ويكون متقدما عليهم لأنهم أعطوا من حضرة النبى الكريم والحبيب المرسل من الله وشرفوا بختم يده الكريم وأمر بالنظر إليهم والأمان عليهم، كذلك نحن المؤمنين نحسن إليهم ويكونون معافين من الجزية والغفر والمواجب ومسلمين من كافة البلايا فى البر والبحر وفى دخولهم للقيامة وبقية زياراتهم لايؤخذ منهم شئ، وأما الذين يقبلون إلى الزيارة الى القيامة يؤدى النصرانى إلى البطريرك درهما وثلثا من الفضة وكل مؤمن ومؤمنة يحفظ ماأمرنا به سلطانا أم حاكما أم واليا يجرى حكمه فى الأرض غنى أم فقير من المسلمين المؤمنين والمؤمنات. وقد أعطى لهم مرسومنا هذا بحضور جم الصحابة الكرام: عبدالله، وعثمان بن عفان، وسعد بن زيد، وعبدالرحمن بن عوف، وبقية الاخوة الصحابة الكرام. فليعتمد على ماشرحنا فى كتابنا هذا ويعمل به ويبقى فى أيديهم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه والحمد لله رب العالمين حسبنا الله ونعم الوكيل.

فى العشرين من شهر ربيع الأول سنة ١٥ للهجرة النبوية. وكل من قرأ مرسومنا هذا من المؤمنين وخالفه من الآن إلى يوم الدين فليكن لعهد الله ناكثا ولرسوله الحبيب باغضا.

شهد على ذلك: خالد بن الوليد، وعبدالرحمن بن عوف، وعمرو بن العاص ومعاوية بن ابى سفيان[٦].

ومنذ الفتح العمرى سنة ١٥هـ/٦٣٦م أصبحت فلسطين - فضلا عن كونها عربية، لأن الاحتلال الرومانى لها قبل ذلك لاينفى عنها عروبتها بحال - أصبحت إسلامية حتى كان السابع من يوليو سنة ١٠٩٩م حيث هاجمت الجحافل الصليبية المدينة المقدسة واستولت عليها بعد مذابح مروعة سقط فيها عشرات الآلاف من المدافعين عنها شهداء. ويحلل الراهب الإنجليزى (متى الباريزى) هذا الحدث مهاجما الفكرة الصليبية والجهاز الكنسى البابوى فى الغرب بقوله:[٧] «.. لقد ألمع كل من كونت بواتييه وكونت بروفانس إلى البابا، من طرف خفى، أن جشعه وحبه الشديد للمال هما السبب فى كل هذه الكوارث لقد أغشى المال بصيرته..

... رحماك ياربى.. يامن بيدك الانتقام لنا.. متى ستشحذ سيفك البتار حتى يتوهج كوميض البرق وينغمس فى دماء أمثال هؤلاء القوم حقا، إن آثامنا وخطايانا هى التى جلبت علينا كل تلك المصائب والويلات.

---

(٦) الطبرى، أحداث سنة ١٥هـ.

(٧) انظر: د. جوزيف نسيم يوسف، العرب والروم اللاتين فى الحرب الصليبية الأولى، دار النهضة العربية - بيروت ص٢٢٨.

... وهكذا نرى البابا، وهو ابونا الروحي الذى اقتفى خطى الإمبراطور قسطنطين، وكان الأجدر به أن يحذو حذو القديس بطرس، بسبب الكثير من القلاقل والاضطرابات فى العالم»! هـ

واستشعر العرب الخطر الداهم المحدق بهم، فبادروا إلى توحيد صفوفهم ولم شملهم لمقاومة الفرنج الغزاة، وتطهير البلاد المقدسة منهم.

وفى مواجهة الإحساس العربى المتنامى بأنهم أصحاب الديار، وأن الفرنج هم الدخلاء، عمد الغزاة إلى بناء القلاع والحصون، واستجلاب الجنود المرتزقة من أوربا وحشد الذخائر والأسلحة.. ولكن هيهات لأرض أن تقبل نبتا شيطانيا اغتصب لجذوره أرضا ليست له فمصير الجذور هو الذبول ومتى ذبل الجذر مات النبت وهو ماحدث مع مملكة اللاتين التى أسسها الصليبيون فى القدس حال غزوهم لها فى ٧ يونيو سنة ١٠٩٩.

فقد اجتمعت كلمة المسلمين حول قائدهم البطل صلاح الدين الأيوبى الذى قادهم إلى نصر مؤزر فى معركة حطين قرب بحيرة طبرية فى ٢٥ من ربيع الآخر سنة ٥٨٣هـ أعقبه دخول القدس يوم الجمعة ٢٧ من رجب ٥٨٣هـ/ ١٢ أكتوبر سنة ١١٨٧م، أى بعد مايقرب من مائة عام من الاحتلال.. فليقرأ الجاهلون التاريخ وليستلهموا عبره.

ولكن هيهات أن يستسلم الصليبيون، فقد أبت انجلترا التى تزعمت الحملة الصليبية على بيت المقدس منذ قرون مضت ممثلة فى ملكها ريتشارد الملقب بـ (قلب الأسد) أبت أن تعترف بهزيمتها ثلك فى حطين، ولنقرأ القصة منذ بدايتها لندرك حقيقة التآمر (الأورو امريصهيونى).

كانت البداية فى ١١ من أغسطس سنة ١٨٤٠ فى مذكرة كتبها «بالمرستون» وزير خارجية بريطانيا الى سفيره فى تركيا مستغلا تداعيات الصراع الذى نشب بين محمد على باشا والى مصر وبين السلطان العثمانى جاء فى هذه الرسالة:

يقوم بين اليهود الآن المبعثرين فى كل أوروبا شعور قوى بأن الوقت الذى ستعود فيه أمتهم إلى فلسطين آخذ فى الاقتراب.. ومن المعروف جيدا أن يهود أوربا يمتلكون ثروات كبيرة، ومن الواضح أن أى قطر يختار أعدادا كبيرة من اليهود أن يستوطنوه سيحصل على فوائد كبيرة من الثروات التى سيجلبها معهم هؤلاء اليهود.. فإذا عاد الشعب اليهودى تحت حماية ومباركة السلطان فسيكون فى هذا حائلا بين محمد على ومن يخلفه وبين تحقيق خطته الشريرة فى المستقبل.

وحتى اذا لم يؤد هذا التشجيع الذى سيقدمه السلطان لليهود لم يؤد بالفعل إلى استيطان عدد كبير منهم فى حدود الإمبراطورية العثمانية إلا أن إصدار قانون من هذا النوع سيعمل على انتشار روح الصداقة تجاه السلطان بين جميع يهود أوروبا، وسترى الحكومة التركية فى الحال كم سيكون مفيدا لقضية فلسطين أن يكسب أصدقاء مفيدين فى كثير من الأقطار بقانون واحد

---

(٨) وثائق فلسطين الصادرة عن دائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية ص١ ١٩٨٧ ص٩.

بسيط كهذا[٨].

وفي عام ١٨٩٥ ألف مؤسس الحركة الصهيونية (تيودور هرتزل) كتابا بعنوان: «الدولة اليهودية» ومما جاء فيه:

تشيجة العداء للسامية، شعر اليهود المضطهدون بالكراهية للذين يضطهدونهم وهذا بدوره يزيد من الاضطهاد لهم وهكذا تدور المشكلة في حلقة مفرغة.

وتساءل هرتزل عن الحل، الحل هو - كما يقول - في أن يمنح اليهود السيادة على جزء من الأراضي يمكن اليهود من أن يعيشوا حياتهم كاملة.. وما بعد ذلك يترك لليهود يتصرفون فيه بأنفسهم.

إن إقامة دولة جديدة ليس بالشيء المستحيل. وستكلف وكالتان متخصصتان القيام بهذا العمل هما «جمعية اليهود» و«الشركة اليهودية» وستخول الجمعية السلطات للتفاوض مع الحكومات بكونها ممثلة للشعب اليهودي وسيكون هدفها خلق الدولة اليهودية أما الشركة فهي لتمويل هذه العمليات.

وأثار هرتزل التساؤل التالي: هل ستكون الدولة في فلسطين أم في الأرجنتين؟ وقال: إن الجمعية هي التي ستحدد. ثم قال: إن الأرجنتين من أخصب بقاع العالم ومساحتها كبيرة وتعداد سكانها ضئيل وجوها معتدل ولا شك أن جمهورية الأرجنتين ستجني مكاسب هائلة من وراء إعطائنا قطعة من الأرض أما فلسطين فلها ذكريات تاريخية وأن مجرد ذكر اسم فلسطين يثير شعبنا ويحفزه وإذا ما وافق السلطان على إعطائنا فلسطين فإننا في مقابل ذلك سنتعهد بتنظيم الأحوال المالية لتركيا وسنعمل على أن نظل مرتبطين بكل أوروبا التي ستضمن بقاءنا وستقوم الشركة اليهودية بتنظيم الشؤون التجارية والمالية للدولة الجديدة[٩].

وفي سبيل تنفيذ هذا المخطط أرسل هرتزل مع أحد أصدقائه إلى السلطان العثماني عبدالحميد رسالة يعرض فيها حل الأزمة المالية التي تعاني منها تركيا مقابل الحصول على فلسطين وجاء فيها:

تصرف عشرين مليون ليرة تركية لتصلح الأوضاع المالية في تركيا تدفع من هذا المبلغ مليونين بدل فلسطين وهذه الكمية تستند على تحويل رأس مال مدخول الحكومة الحاضر الذي هو ثمانون ألف ليرة تركية في السنة، وبالثمانية عشر مليون تتحرر تركيا من بعثة الحماية الأوروبية أما أصحاب الأسهم من الفئات الأولى والثانية والثالثة والرابعة فسوف تحملهم على الرضى بإزالة البعثة وذلك بإعطائهم امتيازات خاصة، فوائد أعلى وتمديدا لملكية الأرض إلخ[١٠] ورد السلطان العثماني على رسول هرتزل في ١٩/٦/١٨٩٦ بقوله:

إذا كان هرتزل صديقك بقدر ما أنت صديقي فانصحه أن لا يسير أبدا في هذا الأمر، لا أقدر أن أبيع ولو قدما واحدا من البلاد، لأنها ليست لي بل لشعبي لقد حصل شعبي على هذه الإمبراطورية بإراقة دمائهم وقد غذوها فيما بعد بدمائهم وسوف نغطيها بدمائنا قبل أن نسمح لأحد باغتصابها منا لقد حاربت كتيبتنا في سورية وفي فلسطين وقتل رجالنا الواحد بعد

(٩) المصدر السابق ص: ١٠، ١٣.

(١٠) المصدر السابق ص ١٨.

الآخـر في «بلفنة» لأن أحـدا منهم لم يرض بالتسليم وفضلوا أن يموتوا في ساحة القتال الإمبراطورية التركية ليست لي وإنما للشعب التركي، لا أستطيع أبدا أن أعطي أحدا أي جزء منها، ليحتفظ اليهود بملايينهم، فإذا قسمت الإمبراطورية فقد يحصل اليهود على فلسطين بدون مقابل. إنما لن تقسم إلا جثتنا ولن أقبل بتشريحنا لأي غرض كان(١١).

ولكن هرتزل لم ييأس فكتب إلى السلطان العثماني اقتراحا بإنشاء جامعة يهودية في القدس جاء فيها:

لي الشرف أن أتقدم لحكمة جلالتكم المتناهية بالاقتراح التالي: إني أدرك الصعوبة التي تواجه حكومتكم بسبب ذهاب شبان تركيا لتلقي التعليم في الخارج وما يتعرض له هؤلاء الشبان من ضياع، خاصة في تأثرهم بالأفكار الثورية مما يجعل الحكومة أمام أحد أمرين. إما أن تحرم هؤلاء من التدريب العلمي أو أن تعرضهم إلى مخاطر الغوايات السياسية على أن هناك حلا للمشكلة وأنا أسمح لنفسي بكل اقتناع أن أقدم لحكمة جلالتكم هذا الحل.

إننا معشر اليهود نلعب دورا هاما في الحياة الجامعية في أنحاء العالم والأساتذة اليهود يملأون جامعات البلدان كما أن هناك عددا كبيرا من العلماء والمتخصصين في جميع الحقول التعليمية، لهذا فإننا نستطيع أن نقيم جامعة يهودية في إمبراطوريتكم ولتكن في القدس مثلا عندها لن يضطر الطلاب العثمانيون إلى الذهاب الى الخارج بل يبقون في بلادهم ويتلقون فيها أفضل التدريب وهم ضمن أحكام بلدهم، والجامعة اليهودية تقوم بتقديم أفضل ما تقدمه أحسن الجامعات ومدارس التدريب المهني ومدارس الزراعة، ولن تقدم مثل هذه المؤسسة إلا ما هو أفضل وعندها تقوم بدورها في خدمة العلم والطلاب والبلاد(١٢).

في عام ١٩١٦ وضعت اللجنة السياسية المنبثقة عن المنظمة الصهيونية خطوط برنامج توطين اليهود في فلسطين طبقا لآمال الحركة الصهيونية وقدمته الى «مارك سايكس»:

١ - الاعتراف رسميا بالشعب اليهودي في فلسطين (ونقصد هنا بالشعب اليهودي، اليهود الموجودين حاليا في فلسطين واليهود الذين سيهاجرون إليها مستقبلا) كنواة للوطن القومي اليهودي وأن يتمتع هذا الشعب بجميع حقوقه المدنية والسياسية.

٢ - أن تمنح الحكومة البريطانية لجميع اليهود في مختلف أنحاء العالم حق الهجرة الى فلسطين وأن تسهل لليهود في فلسطين وسائل الاستقرار وشراء الأراضي.

٣ - أن تبارك الحكومة البريطانية تكوين جمعية يهودية هدفها استعمار فلسطين وأن تكون هذه الجمعية تحت حماية الحكومة وسيكون من أعمال هذه الجمعية مساعدة اليهود على الاستقرار في فلسطين بجميع الطرق الممكنة وأن تساعد وتشجع على الهجرة بكافة الوسائل(١٣).

وعـــد بلفـــور

وفي ٣١/١٠/١٩١٧ أعلن آرثر بلفور وزير خارجية بريطانيا الوعد المشئوم المشهور باسمه «وعد بلفور» وجاء فيه:

---

(١١) نفس المصدر السابق ص١٩.

(١٢) المصدر السابق ص٣٧

(١٣) نفس المصدر السابق ص ٤٤.

إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية على أن يفهم جليا أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن ينتقص من الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى[١٤].

وهكذا أصبح الحديث يتناول حقوق اليهود تحديدا وحقوق الطوائف الأخرى والمقصود بها السكان الأصليين.

وكتب بلفور إلى ممول الحركة الصهيونية (روتشيلد) يقول:

عزيزي اللورد روتشلد:

يسرني جدا أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالته، التصريح التالي الذي ينطوي على العطف على أماني اليهود والصهيونية، وقد عرض على الوزارة وأقرته:

«إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يفهم جليا أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن ينتقص من الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى».

وسأكون ممتنا إذا ما أحطتم الاتحاد الصهيوني علما بهذا التصريح[١٥].

وتتوالى حلقات المؤامرة الدولية وتوضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني الذي يمهد السبل لقيام الكيان الصهيوني على أرض فلسطين وإعلان قيام دولة إسرائيل مساء يوم الجمعة ١٤ من مايو سنة ١٩٤٨ على جزء من أرض فلسطين تم تحديده بمعرفة الأمم المتحدة ثم ابتلعت إسرائيل فلسطين كلها في الخامس من يونيو ١٩٦٧ لتصل المأساة إلى ذروتها.

واليوم يقف الرئيس الأمريكي جورج بوش ليدافع عن حق اسرائيل في الحياة والعيش في سلام على أرض اغتصبتها من أهلها ويسلب هذا الحق من أهلها الأصليين ويصمهم بـ(الإرهابيين) ويتحدث تارة أخرى عن السلام بين الإسرائيليين والفلسطينيين في الوقت الذي يزود فيه الكيان الإسرائيلي بأحدث ما في ترسانة السلاح الأمريكية من أجل إبادة العرب، واضعا في ذهنه بلا شك التجربة الأمريكية البشعة في التعامل مع الهنود الحمر، السكان الأصليين لأرض الولايات المتحدة الأمريكية.. ولكن هيهات هيهات.

فغداً ينطق الحجر.. سلاح المقاومة الفلسطينية الباسلة.. أجل غداً ينطق الحجر هكذا أخبرنا نبينا- عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم- «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود حتى يقول الحجر وراءه اليهودي «يامسلم هذا يهودي ورائي فاقتله»[١٦] صدق رسول الله ﷺ.

---

(١٤) نفس المصدر السابق ص ٨٤.

(١٥) نفس المصدر السابق (٨٤ : ٨٥).

(١٦) أخرجه مسلم.

من أجل مواجهة أكثر فعالية

فى كنفنا
قصة للأديب الصهيونى: يهودا بورلا

يعرضها ويعلق عليها

دكتور/ محمد حسن عبد الخالق

لقد سكن أبناء الديانات الثلاث في مدينة الإيمان والأديان متفرقين ومنعزلين. لم يقترب هذا من ذاك طوال الأيام.. وإذا اضطر يهودى أن يمر فيما ندر بين شوارع المسلمين، بين الأزقة الصامتة، ترتعد أوصاله من الخوف.. لأن سكانه يتربصون السوء باليهود.

والحاج (أمين العميد)، من الرجال الميسورين يسكن فى أحد الأحواش التى تعيش فيها أسر يهودية ويمتلك حوشين قرب بيته يتعهد بتأجيرهما لليهود، وهو رجل محترم واثق من نفسه يقيم شعائر دينه ويحج إلى مكة، وله محل يبيع فيه الخضراوات فى سوق العرب، عرف بين اليهود كإنسان مشاكس سليط اللسان قبل أن يبيع لأى يهودى تظهر على وجهه علامات الغضب والغيظ. وفى الصباح لا يبيع بيعته الأولى ليهودى إطلاقا، وإذا جاء إليه أحدهم قال له، اصطبحنا، [1].

(١) وردت بالعربية

ويحضر إليه في الصباح الباكر العديد من اليهود، وبخاصة يومي الخميس والجمعة، يقفون من بعيد وسلالهم الفارغة في أيديهم يراقبونه حتى يأتي عربي مسلم أو مسيحي يشتري أولاً، كان يحترس فقط من «الاستغشاح» ولم يتسلم الحاج أمين ثمن البضاعة من يد يهودي قط. ولهذا فقد وضع سلة صغيرة بجواره يضع فيها اليهود النقود.

وكان حقده تجاه اليهود وليد الكره والعداء الديني، وقد تقبل اليهود هذا الوضع رغماً عنهم ولم يظهروا أمامه شيئا.

ويسكن لدى الحاج أمين الحاخام «شبتاى فارقس» بائع الحليب، ليس من مجموعة الربانيين ولا يعد من الأتقياء، يجيد عدة حرف بسيطة، لم يكن «تلميذ حاخام» لكنه عارف بالتوراة، ويدعي بأن آباءه كانوا من الربانيين في مدينة (منسطير) في البلقان حيث يسري فيهم وقار إسرائيل وأنه يعرف ما لايعرفه الآخرون ويحكي عن آبائه، بأنهم ليسوا كالربانيين الخاضعين البؤساء وعندما كان في مدينة (منسطير) طلب من الوالي أمرا ما لأبناء الطائفة وعندما رفض الوالي، عاد إلى بيته وطوى العباءة الرسمية المنقوشة بالذهب والتي كانت تعطى «للحاخام باشا» من قبل المملكة العثمانية وأرسلها مع الشماس لبيت الوالي وقال:

إن كانت أقوال الحاخام باشا لا تسمع فلماذا العباءة، وطلب منه، إرسالها للسلطان ولا حاجة له بها، وذهل الوالي واستجاب لطلبه.

وكان يسير طوال اليوم لابسا قفطانا بسيطا بدون معطف، ليس هذا بسبب الفقر ولكنه لإظهار التواضع ولكي يكون مختلفا عن الآخرين. يبيع الحليب في الصباح والمساء، يحب العزلة.

وتزداد كآبة الحاج أمين بعد رجوعه من الحج ودفن ابنه الرابع بيديه، ويتعرف الحاخام على الحاج أمين من بعد، ويعرف - شأنه شأن الآخرين - بهذا المسلم «عدو إسرائيل» وفضل الابتعاد عنه حتى لا يصيبه ما أصاب الآخرين ولكن شخصية هذا الشرير جذبت الحاخام شبتاى كحبال السحر، كل يميل للآخر دون أن يدري. فقد كان الحاخام شبتاى يلقى عليه التحية كلما رآه والحاج أمين يتصرف معه بلطف (صـ ٩٥).

«وكان الحاخام شبتاى يراجع همسات قلبه وأفكاره ويقول لمن حوله: نظرة هنا إلى بيت المقدس ونظرة أخرى لهيكل سليمان، ونظرة هناك إلى هذا السهل تجذب القلب.. وتلك هي قوة القدامة لجبل «موريا»، قوة القدامة الممتدة هناك في الجو.. تأكدوا بأنفسكم أن القداسة موجودة حتى في المنفى.. مئات الأجيال في التشرد، إنها تمتد، تمتد في الجو.. آه.. آه.. ما كان لنا وماضاع أيضا لنا! (صـ ٩٧).

وطوال ثلاثة أيام لم ير الحاخام شبتاى الحاج أمين، وحاول أن يسأل عنه في بيته لكن كعادة المسلمين أبوابهم دائما مغلقة، وذات يوم رآه يربط وجهه بشال أحمر فحياه وعرف أن إحدى أسنانه تؤلمه، فعرض عليه خلعها، لكن الحاج أمين أخبره بأنها السنة الأمامية وأن خلعها سيعكر جمال وجهه. وفي النهاية يقتنع الحاج أمين ويخلعها ويضع له مثلها من الخشب.

ويقول الحاخام شبتاى: لماذا وضع الله العقل في رأس الإنسان؟

من أجل أن يفيد نفسه والآخرين.. كيف اخترع الأوروبيون كل أنواع الآلات؟ بالمحاولة، ويجب أن

تحاول، فإن يد الإنجليز هي الطولى، وعقل الإنجليزي عجيب، والياباني له عقل مخترع للحيل، ففي الحرب التي دارت رحاها بين موسكو واليابان افتقدت عقل موسكو، ويحكي عن حادثة وقعت وكان الضباب يخيم على البلاد، والروس يحاصرون قلعة منيعة لليابان، ويقوم اليابانيون بعمل خدعة وهي وضع القبعات حول أسوار القلعة وبجانبها رؤوس البنادق، ويطلق الروس النيران حول القبعات لمدة ثلاث ساعات حتى فرغت ذخيرتهم عندئذ أطلق اليابانيون نيرانهم ودمروا المعسكر كله.

والألماني خبير ماهر في فنون الحرب عندما حارب الفرنسيين كان يفصل بينهم نهر كبير، وفي ظلام الليل حضر آلاف من الجنود الألمان سراً (صـ ١٠٠) وحولوا مجرى النهر، وقام الفرنسيون في الصباح فلم يجدوا النهر.

وأثناء الحوار يدخل كلب ضال ويقوم الحاخام شبتاي ويلقي إليه بكسرة خبز ويعطيه ماء ويقول، يجب عمل الإحسان مع الكلب إنها شعيرة».

ويقول للحاج أمين: الكلب يحفظ المودة، ولا يوجد بين الحيوانات من يصون العيش والملح كالكلب.

أما القط، فهو كلب أسود غدار، ويحكي قصة القط الذي قتل صاحبه لأنه ضربه.

ويقول الحاخام شبتاي للحاج أمين، أراك مهموماً، فيحكي الحاج أمين للحاخام شبتاي وهو حزين، ويقول:

لقد وضعت زوجتي أول أمس ولداً، وقد مات لي أربعة أطفال بعد (الختان) بعدة أسابيع علماً بأنهم قد ختنوا في أعمار مختلفة ويواسيه الحاخام شبتاي قائلا: أتوكل على الله الولد سيعيش (صـ ١٠١).

وفي اليوم التالي وبعد أن فرغ الحاخام شبتاي من توزيع الحليب، والحاج أمين يجلس مهموما أمام منزله يحييه ويبشره بالخير ويقول له:

«إن الله قد وضع هذه الأفكار في رأسي.

لقد وجدتك جالساً في الصباح ولم أتحدث إليك وقلت في نفسي.. لو ظل هكذا حتى أعود بعد ساعتين فهي علامة على أن الله أراد بك خيراً.. تقبل هذه الموعظة من جار يهودي! نيتي طيبة، إن أعجبك ما أقول أو كما تشاء.. إصحبني إلى المنزل.. وصحبه الحاج أمين وجلسا يتحدثان.

يقول الحاخام شبتاي:

بعد أن حكيت لي موضوع «الختان» وقع في قلبي نور من السماء.. من عند الله. وقلت في نفسي «ربما كان على المولود الجديد أن يختن وهو ابن ثمانية أيام مثلما يحدث عندنا وأن تختنه في بيتك أو في معبدنا فما تريد؟ إنها أصول الشعيرة كما قال الله لأبينا إبراهيم، وتسميه باسم يهودي وسوف يكون مقتدى من قبل اليهود، وهذه الإشارات جاءت إليّ من السماء» (صـ ١٠٤).

ويندهش الحاج أمين، فيقول الحاخام شبتاي:

«لدينا في توراتنا: على الانسان أن يقول الحقيقة بلا خوف حتى وإن أصابه ضرر.. وهناك انسان قوي يستطيع تحمل الحقيقة والعديد لا يملكون هذه القوة.

فيبادره الحاج أمين قائلا: ما الهدف الذي ترمي إليه يا شبتاي؟

في عائلتي.. فكرت كثيرا في الأديان.. أياما عديدة.. وليالي طويلة، ومن يفكر في هذا يشوش

عقله.. وهناك أسئلة كثيرة تحتار في الإجابة عنها، وعلى كل إجابة تجد ثلاثة أو أربعة أسئلة.... إلخ وفي توراتنا لا توجد أقوال. وليس هناك أي نقص، مثل هذه الشعرة (ويقتلع شعره من شاربه) في مقابل الأديان الأخرى.... إن توراتنا تحترم كل الأديان، لن تجد فيها كلمة سيئة، لقد عبد الإنسان قديما الأوثان، الشجر والحجر.. وفي توراتنا يجب أن تدمر وتداس وكل العالم يؤمن بإله إسرائيل.. إن إلهنا معروف لدى كل الأرض.. إن الإنسان يخطىء ويتمادى في أخطائه بدون أن يفكر، إنك ترى اليهود بعين حقودة سيئة، بسبب البؤس والإذلال.. وهذا الموضوع لا يروق في عين الله، كلنا، كل البشر متساوون خلقنا إله واحد، وإن بدا لأحد منا أنهم يغضبون عليه من السماء، فعليه أن يفكر.. ماذا أفعل؟ ما الذي يحدث؟ ما الذي يجب عليّ أن أصلحه؟ وفي النهاية يأتي الإصلاح من السماء (صـ١٠٥).

إن ختن المولود الجديد بعد ثمانية أيام من ميلاده وسمي باسم عبري سيكون حقا مسلما كاملا طاهرا، ولابد من (الإصلاح)، وطالما أنكم كنتم ولسنوات عديدة ضد اليهود - فيجب الإصلاح «الكفارة» وإذا سمي باسم يهودي، سيكون كفارة أمام الله وسوف يعيش بعون الله، هذا اعتقادي الحقيقي، إنها محاولة، وما الضرر وكما تريد (صـ١٠٧).

ويسأله الحاج أمين:

- هل هذا الموضوع مكتوب في توراتكم؟

- غير مكتوب.. وقد حدثت لدينا كثير من المعجزات، وتعرف الكثير عن الجدل الذي كان بين شيخ مسلم وقسيس مسيحي وحاخام يهودي، وكانت الحقيقة ترى النور دائما بجانب اليهودي، وببساطة: المصدر والجذر لكل الأديان توراة موسى والأديان كلها فروع، وإذا رأيت الفروع تعطي ثمارا طيبة، فهي إشارة إلى أن الجذر حي سليم.

الحاج أمين - إنك تمجد دينك ونحن نرى غير ذلك!

إنني أفهم رأيك، وأنت تخشى قول الحق ولكن بصراحة: لعلك تتساءل إن كان المصدر والجذر هم اليهود، لماذا ترانا هكذا مهملين، محتقرين من كل الأمم.. هذا صحيح لقد فرض علينا إما أن نكون في الكواكب أو الأعماق، إما في أعلى عليين أو في أسفل سافلين، يجب على كل اليهود أن يكونوا أطهار حافظي كلام الله بالكمال والتمام، وحينئذ سيتغير كل شيء، وطالما يوجد بيننا رجال السوء، فإنهم يخربون ويزعزعون كل شيء، الحلول الوسط لا تصح عندنا، وضرب مثلاً: إن الثوب العادي لو وقعت عليه بقعة من الممكن لبسه يوميا، أما الثوب الغالي، لو وقعت عليه بقعة أفسدته. البداية لليهود والنهاية لليهود (صـ١٠٩).

وبعد يومين يحضر أخو الحاخام شبتاي، إلى أخيه الذي لم يزره منذ سنوات عديدة وينهره قائلا: ماذا تريد أن تفعل، هل تريدني أن أدخل في متاهات مع الأتراك والمسلمين، وتقحمني في موضوع خطير كهذا مع كل الطائفة، ماذا لو مات المولود.. من ينقذك من أيديهم (صـ١١٢) وشرد الحاخام شبتاي، وأخبره بأنه تحدث مع الحاج أمين ومع رئيس المحكمة اليهودية، وأن الحاج أمين ضاع النوم من عينيه، ثم فرح بعد أن وافق «المفتي» ووافقت والدة الطفل والأقارب.

وفي حفل بهيج هرع اليهود والمسلمون إلى المعبد اليهودي ومعهم الحاج أمين وأسرته وكانت أصوات الدفوف تسمع في الشوارع القريبة لمسكن الحاج أمين. دف الختان وأصوات الغناء التي تجري للعوائل المحترمة من اليهود، وتفتح النوافذ ويطل منها العرب واليهود للتعرف على هذه العائلة المحترمة التي ولد لها هذا الطفل الذي يقودوه للمعبد وزوجة الحاخام شبتاي تحمل الطفل على ذراعيها ويمتلئ المعبد بالجمهور والمنشدون ينشدون المقامات العربية المحببة والحاج أمين يجلس بجوار الحاخام شبتاي الذي يشرح له طقوس شعيرة الختان.

وحسب الاعتقاد اليهودي أن النبي إلياهو يحضر حفل كل ختان يهودي، وكلما سأل الحاج أمين عن سبب التأخير، أجابه الحاخام شبتاي بأن النبي إلياهو، لم يحضر بعد، وفجأة يصيح الشماس، هاقد حضر النبي إلياهو ووضع (جابي المعبد) الطفل على ركبتيه وهو يكرر بدون توقف في اليوم الثامن يختن لحم غرلته» (ص ١١٣).

وسمعوا الخاتن وهو يقول: «ويسمى باسم إسرائيل وإسماعيل - بن صهيون محمود»

ويصيح الجمهور: بشرة خير، ويهزون رؤوسهم بالموافقة على هذا الاسم وكل إنسان يهودي هزه هذا الموقف يشعر أنه قريب بالروح والدم للمولود الصغير، فقد جاء اليوم ليكون هذا الطفل «في كنفنا». وعاش الولد دون مرض وهو يبلغ العامين من عمره، لجأ الحاج أمين إلى الحاخام شبتاي لاعتقاده بأن اليهود لديهم وسائل مفيدة.

ولم يستطع الحاخام شبتاي دخول منزل الحاج أمين بسبب عادات العرب ولهذا كان يرسل زوجته ومعها العلاج وتخبره بما يحدث في منزل المسلم (صـ ١١٤) ولما مرض الطفل بمرض الجدري سمح الحاج أمين للحاخام شبتاي أن يعوده وكان الحاج أمين يتصدق على فقراء المسلمين فنصحه الحاخام شبتاي بأن يتصدق لمعلمي المزامير عند حائط المبكى وقبر راحيل.

وقد صام شبتاي أيام (الإثنين والخميس) كي يبرأ الطفل!! ويعطي الحاج أمين حوالة مالية كهدية للحاخام شبتاي.

ويبلغ الطفل الثامنة من عمره معافاً يتمتع ببنية جسدية جيدة ولكنه دائم العراك مع أولاد اليهود ويسبب المشاكل لوالديه وينصحه الحاخام بأن يدخل ابنه «الحيدر - الكُتاب اليهودي» ويدخله فعلاً ولكنه كان يسبب المشاكل أيضا. وبعد ذلك يدخله الحاج أمين إلى «تلمود توراة - مدرسة دينية يهودية» ويصحبه في الصباح ويحضره في المساء، وهو يسبب المشاكل أيضا. وكل يوم يقوم الولد بضرب أولاد اليهود حتى تسيل الدماء منهم (صـ١٠٨).

أما والدته فكانت تقول له:

- يا بني، ألم نقل لك مراراً بأنه من الواجب عليك أن تحب أولاد اليهود أنت فداء لهم. لقد وهبوا لك الحياة، يجب أن ترحمهم وعلينا حفظ الجميل.

فيرد الولد منفعلا ويقسم بأنه سوف يقتل كل أولاد اليهود. إني عدوهم وهم أعدائي

ويتفعل الأب على ابنه ويسبه ويترك الصبي المدرسة الدينية اليهودية ولا يعود إليها.

وتخاف الأم على ابنها وتنصح الأب بمغادرة المكان ويخرج هو وعائلته من القدس والصبي يبلغ الثالثة عشرة من عمره.

وتتغير ظروف الحاخام شبتاى وتداهمه الشيخوخة، أما الفتى فقد كبر وأصبح ضابطاً في الشرطة وعين في القدس ضابطاً في الحي اليهودي وقد بلغ السابعة والعشرين من عمره.

ولما عرف الحاج أمين هذا صحب زوجته وابنه وذهبوا إلى القدس لزيارة الحاخام شبتاى ولما فتح لهم الحاخام شبتاى انهار وقال: أنا لم أفعل شيئا أيها الضابط، فطمأنه الحاج أمين وقال له: إن الضابط هو لكم، والآن سيحافظ على حياتكم.

وتنعقد الكلمات على لسان الحاخام شبتاى وبعد أن شربوا القهوة، غادروا المكان ويندم الحاخام شبتاى ويقول: جاء اليوم ليصبح هو بالذات (مأموراً) الرئيس علينا، لهم العزة والسلطة ولنا الذل والهوان، يحضر اليهود إليه يتوسلون، يطلبون، لماذا تغيرنا عن كل أمة ولغة، إنني أشعر بالذل والهوان.

وتسأله زوجته: لقد بقي على قيد الحياة لأنه احتمى بظلنا! فيرد عليها: إن هذا هو الأسى بعينه: تعطيه الحياة بأيدينا. - وقد يصبح وزيراً على إسرائيل، عندئذ تحتمى بظله، تطلب كرمه لماذا؟ وإلى متى؟

واعتصر قلبه بداخله على حظ إسرائيل

حيفا - أبريل سنة ١٩٢٨.

التعليـــــق

نحن بصدد عمل أدبي جمع فيه المؤلف عددا من المحاور التي أراد من خلالها أن يبث أفكاره التى تمثل الفكر الصهيوني المتطرف.

بدأ يسرد العمل الذى كتب عام ١٩٢٨ قبل احتلالهم فلسطين وإقامة دولتهم واختار القدس حيث يعيش فيها أبناء الديانات الثلاث. ووصف ما زعمه «ذل اليهود على يد العرب»، ولم ينس أن يصف الحاج أمين بـ«عدو إسرائيل» ويتمنى له - بسبب احتقاره لليهود - أن يدفع الثمن غالياً ويموت جميع أبنائه.

والخطاب الديني اليهودي لم يصغه الأديب كخطبة فوق منبر، ولكنه بدهاء شديد قام بتأسيسه داخل عمل أدبي من خلال بطله اليهودي في حوار مع عربي مسلم متدين وخلاصته: أن اليهودية هي الجذر والمصدر والأصل، وباقي الأديان فروع ويقصد بهذا «فضل اليهودية على المسيحية والإسلام» وهو لم يأت بجديد لديهم فهناك عشرات المصادر العبرية التي تناولت هذا الموضوع، ولكن الخطاب هنا موجه لغير اليهود. ودائما يركز على عبارة «إله إسرائيل» كما لو كان المولى - سبحانه وتعالى - خاص بهم.

وفي نفس الوقت أراد أن يقول لبني جلدته من اليهود: «تعالوا معي لنبحث عن وسيلة للتقارب والتعايش بين اليهود والمسلمين، وقد أحضرت لكم الوسيلة التي احتاجوا فيها إلينا، حتى لو منحناهم حق الحياة، هل سيحفظون الجميل، هل سيكفرون عن ذنوبهم وعن احتقارهم لنا، صدقوني أيها اليهود مهما فعلنا معهم فالنتيجة معروفة لأن العداء مصدره ديني.

كما اختار الجيل الثالث «الإبن» وهو يمثل جيل الدولة الجديدة التي ينوون إقامتها على الأرض العربية ويكاد الأدباء العبريون أن يتفقوا على قتل الجيل الأول الذي يمثل الأجداد في أعمالهم الأدبية وتهميش الجيل الثاني وهو يمثل الآباء، والاهتمام بإطلاق البطولة على الجيل الثالث، جيل الأحفاد، حيث نرى أن الأبن المولود في كنفهم، أول ما اشتد ساعده خرج يؤذي أولاد اليهود وعندما نهره والداه: انفعل وصمم على قتل أولاد اليهود جميعا الذين يمثلون جيله.

وباختصار قال ليهود العالم: لو منحتم العرب حق الحياة لن تسلموا من شرهم والحل سلب حياتهم، وهو ما نراه اليوم على الساحة الفلسطينية.

وتناول في خطابه الديني موضوع الختان، والختان هنا له دلالته الخاصة الدينية والدنيوية التي يفهمها اليهود وقد اختاره الأديب عن وعي ودراسة سيكولوجية عميقة

فقد ورد في سفر التكوين بالإصحاح السابع / ٤ : ١١ .

«أما أنا فهو ذا عهدي معك وتكون أباً لجمهور من الأمم. فلا يدعى اسمك بعد أبرام بل يكون اسمك إبراهيم. لأني أجعلك أباً لجمهور من الأمم، وأثمرك كثيراً جداً وأجعلك أمماً. وملوك منك يخرجون، وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً. لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك، وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غُربتك كل أرض كنعان مُلكاً أبدياً. وأكون إلههم.

وقال الله لإبراهيم وأما أنت فتحفظ عهدي. أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم. هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك. يُختن منكم كل ذكر. فتختتنون في لحم غرلتكم. فيكون علامة عهد بيني وبينكم. ابن ثمانية أيام يُختن منكم كل ذكر في أجيالكم».

ولم ينس أن يختتم عمله الأدبي بعبارة «واعتصر قلبه بداخله على حظ إسرائيل» والمقصود زمن كتابة العمل الأدبي.

● إن أقصى ما كانوا يحلمون به هو الجلوس بجانب العربي أو مصافحته في فلسطين وجاء اليوم الذي يحددون فيه إقامة رئيسه.

● لقد لفظهم العالم أجمع واحتضنهم المسلمون وفي النهاية تنكروا لهم

● يعترف الأديب دون وعي منه بأن الله سخط عليهم لأنه يوجد بينهم رجال السوء فماذا يقولون الآن وبينهم شارون؟!

أسئلة كثيرة تثار في الأذهان

● والسؤال الذي يطرح نفسه:

● هل هناك عمل أدبي واحد تناول وجودهم وتعاملهم مع العرب؟

● هل حاول أديب عربي أن يبرز عشرات النقائص التي كانت ولا تزال متأصلة فيهم.

● كتبنا الكثير عن الصراع العربي - الصهيوني باللغة العربية والعالم لا يعرف العربية، كم عدد الكتب التي ترجمت للغات العالم الحية؟

● هل ترجم أي عمل تناولهم إلى لغات العالم الحية؟

● هل قمنا عن طريق الأدب بالغور في العقلية اليهودية بقصد تعريتها وتقديمها على حقيقتها للعالم أجمع؟

فلسطين وسياسة أمريكا (*)

للشاعر العربي الأستاذ/ فؤاد الخطيب (**)

قيلت هذه القصيدة منذ خمس وستين عاما وكأنها تصف سياسة أمريكا اليوم

هُوَ الصَّوْتُ دوَّى من فلسْطينَ عاليا ... وأوغلَ يغْشَى الشَّرقَ والغربَ شاكيا[1]
فهلْ سَمِعَتْ منهُ «العُروبةُ» منْ صَدًى ... وهلْ نَشَدَتْ للْعارِ بالسَّيفِ ماحيا[2]
وهلْ خلعَتْ عنها النهارَ تفجُّعاً ... وهلْ لَبِسَتْ حُزْناً عليها اللَّياليا[3]

وإنْ جَبُنَ الأحْياءُ عنْ أخْذِ ثأرِها ... هزَزْتَ منَ الموْتى الجُدودَ الأواليا[4]
ومَرَّغْتُ وَجْهي في الثَّرى ألثمُ الثَّرى ... وصحْتُ فحرَّكْتُ العِظامَ البَواليا[5]

فأيْنَ عُهودُ النَّاكثينَ وما ادَّعوْا ... وكيْفَ تولَّوْا يحْملُونَ المخازيا[6]
فإنْ نهشَتْ أفواهُهُمْ شِلْوَ لحْمِها ... وإنْ لحسَتْ منهُ الدَّمَ الغَضَّ قانيا[7]

(*) من الديوان ص ٣٨٦ وتتناول القصيدة عهد الرئيس ترومان الذي أيد الاستعمار الصهيوني بكل ما استطاع.

(**) كان فؤاد الخطيب باشا رئيساً للديوان الأميري في شرق الأردن، ثم سفيراً للمملكة العربية السعودية في أفغانستان، وله ديوان كبير نشرته دار المعارف.

(١) دوى: اشتد وارتفع، أوغل: ذهب بعيداً.

(٢) نشدت: طلبت.

(٣) التفجع: التحسر.

(٤) الأواليا: الأوائل.

(٥) مرّغت: عفرت وقلّبت.

(٦) الناكثين: الناقضين لعهودهم، تولوا: أدبروا.

(٧) الشلو: العضو المفصول عن الأعضاء، الغض: الطري، قان: أحمر شديد الحمرة.

فيا ويلهم من أكلة في بطونهم ... مشى المهل فيها من جهنم حاميا(٨)

ويا أيها المرتاد سلعة رجسهم ... رويدك سمسارا بها ومرابيا(٩)

أبأذن كرسي «الرئاسة» أنه ... يراك وكيلا لليهود وداعيا(١٠)

فتنطلق عنهم منذرا كل كاشح ... وتطلق منهم في البلاد الأفاعيا(١١)

وهل وجدوا الجبار «هتلر» عاتيا ... كما كنت جبارا على العرب عاتيا(١٢)

لئن فل، وهو الموغر الصدر، غربهم ... فإنك قد نكلت بالعرب باغيا(١٣)

سل الصرخات الفاجعات فإنها ... لقد زلزلت حتى الجبال الرواسيا(١٤)

وجفت ثدى المرضعات من الأسى ... وأمست ثدى المرضعات المآقيا(١٥)

سقى الدمع منها كل طفل وطفلة ... وقد نضب الدمع الذى انصب هاميا(١٦)

وأنت تحض المجرمين محرضا ... وتلبس للمسلم المسوح مرائيا(١٧)

تعزز دينا منه لفقت «دولة» ... صدمت بها الإسلام والشرق غازيا(١٨)

شددت إليها الرحل من كل آبق ... وقمت وراء الركب للركب حاديا(١٩)

وخنت تراثا للمسيح مقدسا ... فكنت عدوا للمسيح وقاليا(٢٠)

---

(٨) المهل: شراب حار أعد لأهل جهنم.

(٩) المرتاد: الطالب. السلعة: البضاعة. الرجس: القذر.

(١٠) الداعي: النصير الهاتف المؤيد.

(١١) الكاشح: العدو المبغض. الأفاعي: يذكر بكلمة المسيح لليهود: يا أولاد الأفاعي.

(١٢) هتلر: الزعيم الألماني وكان من أشد أعداء اليهود. عاتيا: جاوز الحد في الجبروت.

(١٣) فل: كسر. الموغر الصدر: المغيظ الحانق.

(١٤) الرواسي: الثوابت.

(١٥) ثُدِيّ: جمع ثَدْي. المآقي: مجاري الدموع.

(١٦) نضب: جف. هام: مصبوب.

(١٧) المسوح: ما يلبسه النساك من ملابس التقوى. تحض: تحث.

(١٨) تعزز: تؤيد.

(١٩) آبق: هارب. الحادي: السائق.

(٢٠) قاليا: مبغضاً.

وفي «بيت لحم» أنت أطفأت نورها ... ومن «بيت لحم» أشرق النور هاديا[٢١]

وما اخترقت سكين «شيلوك» مهجة ... من العرب إلا عندك العرب جانيا[٢٢]

ألست الذى نصلتها فاستللتها ... وكنت لها الزند الذى اندس خافيا[٢٣]

وكم سبقت للقوم منك ضحية ... ترقرق منها عندم الدم جاريا[٢٤]

فكان خضابا فى يديك وزينة ... عليك تبذ المترفات الغوانيا[٢٥]

أتذكرهم بعد القرون التى خلت ... وأنفض ذكر اليوم والأمس ناسيا[٢٦]

وأنسف نفسى فى سبيل حياتهم ... لأنك تأبى أن أصون حياتيا[٢٧]

وأكفر بالأرض التى أنا نبتها ... وأرخص تربا من فلسطين غاليا

وكل ذراع منه بل كل ذرة ... تضم شهيدا من بنى العرب ماضيا[٢٨]

وتنهض بالتاريخ فهو بمشهد ... وقد نبشت عنه القرون الخواليا[٢٩]

وإنك حرمت السلاح لأننى ... رميت وقد أثخنت فى القوم راميا[٣٠]

فإن زدت عنى ما أبحت غزاتهم ... فإن وراء المنع للغل ثاويا[٣١]

فسوف أشد الأزر غير مضعضع ... وسوف أعد الظفر ينبت ناميا[٣٢]

وأشحذ نابا بين فكى طاحنا ... فتبصر كيف الليث يبطش ضاريا[٣٣]

---

(٢١) بيت لحم: القرية التى ولد فيها المسيح.

(٢٢) شيلوك: اليهودى الرابى المعروف وقد تحدث عنه شكسبير.

(٢٣) نصلتها: جعلت لها نصلا، الزند: الساعد، اندس: استتر.

(٢٤) عندم الدم: الدم الأحمر كالعندم، وهو نبت شديد الحمرة.

(٢٥) تبذ: تفوق.

(٢٦) أنفض: أزيل.

(٢٧) أنسف: أفنى وأهلك.

(٢٨) الذراع: من المقاييس، ماضيا: شجاعاً لايبالى.

(٢٩) بمشهد: بمرأى العين، الخوالى: الماضى.

(٣٠) أثخن: بالغ فى الجرح والقتل.

(٣١) ثوت: منعت، الغل: الحقد.

(٣٢) الأزر: القوة والظهر، مضعضع: مزلزل لايتماسك.

(٣٣) أشحذ: أسن، الضارى: الذى تعود الافتراس.

أمِنْ بَعْدِ مَرْمَى القَوْمِ مِنْ عُقْرِ دارِهِمْ ... لَقَدْ جَزَرَ البَحْرُ الذى كانَ طَامِيا(٣٤)

فإنْ عَصَفَتْ رِيحُ الحَوادِثِ فى غَدٍ ... سَتَسْمَعُ كَيْفَ المَوْجُ يَصْعَقُ طَاغِيا(٣٥)

ومَا كُنْتُ خَوَّاراً إذا الخَيْلُ أقْبَلَتْ ... وقَدْ أرْخَصَ المَجْدُ النُّفُوسَ الغَوالِيا(٣٦)

هِيَ الجَوْلَةُ الأولَى ولِلْغَرْبِ كَرَّةٌ ... وغَيْرُ بَعِيدٍ كُلُّ مَا كانَ آتِيا(٣٧)

وقَدْ عَرَفَتْ عَنَّا فِلَسْطِينُ أنَّنا ... وإنْ نَحْنُ فارَقْنَا اسْتَطَعْنَا التَّلاقِيا(٣٨)

وكَمْ خَطَرَتْ فِيها الرِّماحُ عَوالِياً ... وكَمْ سَفَرَتْ بِيضُ الصِّفاحِ مَواضِيا(٣٩)

وقَدْ شَهِدَتْ «حِطِّينُ» كَيْفَ تَحَطَّمَتْ ... فَهَلْ حَدَّثَتْ عَنْها الأعادى الأعادِيا(٤٠)

أتَبْذُلُ بَيْتى لِلدَّخِيلِ تَبَرُّعاً ... وتُرْغِمُ أنْفى أنْ أجُوبَ الفَيافِيا(٤١)

ويَمْلِكُ أرْضِى ثُمَّ أطْلُبُ غَيْرَها ... مِنَ الأرْضِ أسْتَجْدِى المُهاجِرَ نائِيا(٤٢)

وكَيْفَ أعُقُّ الدّارَ والرَّمْلَ والحَصَى ... وأنْزَحُ مُبْكِيّاً عَلَىَّ وباكِيا(٤٣)

وأكْبَرُ ذَنْبٍ لِى هُوَ «الدِّينُ» وَحْدَهُ ... ومَا كُنْتُ لَوْلا «الدِّينُ» أخْشاكَ عادِيا(٤٤)

ولا أمْسِ تَحْوِى مِخْلَبٌ مِنْكَ مُرْهَفٌ ... فَمَزَّقَ مِنِّى الشَّمْلَ يَنْزِفُ دامِيا(٤٥)

وكُلُّ مَسِيحِىٍّ لَدَيْكَ ومُسْلِمٍ ... يُعَدُّ غَرِيباً عَنْ فِلَسْطِينَ قاصِيا(٤٦)

---

(٣٤) عقر الدار: وسطها. جزر: رجع الماء إلى الخلف. طامياً: ممتلئاً.

(٣٥) يصعق: يرسل صوته شديداً.

(٣٦) خواراً: جباناً ضعيفاً. الغواليا: الغالية الثمن.

(٣٧) كرة: رجعة.

(٣٨) التلاقي: الرجوع إلى الأرض بعد الهجرة.

(٣٩) خطرت: اهتزت. عوالياً: شوامخاً. الصفاح: السيوف العريضة.

(٤٠) حطين: الوقعة الحاسمة التى انتصر فيها صلاح الدين الأيوبى.

(٤١) ترغم أنفى: تكرهنى وتجبرنى. الفيافيا: الصحارى.

(٤٢) أستجدى: أستعطى وأتسول.

(٤٣) أنزح: أغترب.

(٤٤) عادياً: ظالماً.

(٤٥) المرهف: الحاد القاطع. ينزف: يسيل.

(٤٦) قاصيا: بعيداً.



ولو هو ألقى «الدين» عنه تمردا — وبات يهودي «العقيدة» راضيا[47]

لأصبح منها في الصميم تمكنا — وكان لديها من عتوك ناجيا[48]

وكل يهودي لديك مخولٌ — له الحكم يختار القرى والمغانيا[49]

وإن كان زطيا وكان ابن غية — وأبرص براقا وأسحم داجيا[50]

وما غاب «بلفور» الذي بات رمة — وقد عفنت حتى تراءيت تاليا[51]

ولست أبالي الظالمين وإنني — سأبعث فيهم ما يشيب النواصيا[52]

وكيف يطاع الجور في ظل جائر — يدمر شعبا لم يجد منه واقيا[53]

له الويل إن الليل يضؤل فانيا — وإن وراء الفجر للحق خابيا[54]

---

(٤٧) يريد تركه كل دين سوى اليهودية.

(٤٨) العتو: التجبر والظلم.

(٤٩) خوله: ملكه.

(٥٠) الزطي: يريد الخسيس الأصل. ابن غية: ابن غير شرعي.

(٥١) صار رمة: كناية عن موته، والرمة: الرفات البالية.

(٥٢) أبالي: أعبأ وأهتم. النواصي: مقدمة شعر الرأس.

(٥٣) الجور: الظلم.

(٥٤) يضؤل: ينكمش. خابيا: تحسيرا.

قصة العدد

وا مُثنياه !!

بقلم / عابر سبيل

١ جلست هالة إلي أختها سلمى بنت حفصة اليتمية تسألها عن زوجها المثنى بن حارثة الشيباني لم يطيل الرحلة مغتربا فلا يُرى بمنزله إلا الحين بعد الحين؟!

فقالت سلمى : وما في ذلك يا أختاه ! إن زوجي سيد قومه بل سيد بني شيبان جميعا، وله عليهم حقوق السيادة، حين يحمي الزمار ويمنع الحريم ويكسو العاري ويطعم الجائع ! أفيظلّ قابعاً في منزله، لا ينهض لمروءة، ولا يسير في إصلاح ذات البين، ولا يجمع الأنصار ليوم القتال !

فردت هالة أي قتال يا سلمى ! لماذا لا نعيش في أمن وهدوء ؟

فنظرت سلمى كالمستنكرة وصاحت ! كأنك لا ترين الخيول على شاطئ الفرات يركبها العجم من بني فارس. ليتحكموا فيمن يرون من عرب بكر وربيعة، ويرغموهم على حمل الأثقال، كما يصادرون بعض ما يرزقهم من الخيل والغنم والإبل، وفينا نحن العرب من يساعدهم على الطغيان ! لقد شاهد المثنى وأخواه المعنّى ومسعود بعض ما يفعل هؤلاء، فأقسموا على أن يناوئوا القوم وجها لوجه، وقد دارت المعركة يوم الفرات، حين قاد المثنى بني شيبان ومن انضم إليهم من عرب السواد، ونازل الأعاجم بسيفه حتى شردهم مذعورين، واختلطت دماؤهم بماء الفرات !

فقالت هالة : كانت معركة لا تُنسى، ولكني أخشى عواقبها المنتظرة، إذ أن الأعاجم لن يسكتوا عن هذه الكارثة: وسيندفعون إلينا بجيش جرار، فماذا تصنع ؟

فابتسمت سلمى وقالت في ثقة: وهل غاب ذلك عن المثنى وعن أخويه المعنّى ومسعود إنهم يسيحون في ديار العرب، ليعدّوا العدّة ويجمعوا الأبطال، وقد عاد المعنّى ومسعود منذ أمد قريب، ومازلنا ننتظر أوبة المثنى، على أني علمت من مسعود أن رحلته قد تطول !

فشخصت هالة متفحصة وجه سلمى ثم قالت : كأنه أبعد المسير فجاوز السواد إلى ما وراء نجد وتهامة وصار بحيث لا تعلمين مأواه.

فعجلت سلمى تقول: بل أعلم أنه رحل إلى المدينة المنوّرة مشرق الدين الجديد، وقد رأى في نبي الإسلام عزّاً للعرب، ومجداً للقبائل، والمثنى رجل مروءة وفضل، وقد سمع آيات القرآن فلمست شغاف قلبه إذ دعت إلى ما يحب من كريم الخصال وشريف الخلال وسيرجع ظافرا -بإذن الله! معه الحزم والعزم، ومعه الثقة والإيمان، أنا أدرى به ياخالة! فغدا ستعرفين!

٢

لم تمض أيام حتّى رجع المثنى إلى دياره، فسارع القوم إلى لقائه في شوق، ولكنّ سحابة من التفكير الجاد أخذت تعلو وجهه وتثنيه عن الكلام إلاّ قليلا

فصاح به أخوه المعنّى: ما هذا يا مثنى، لم نكد نعلم مجيئك حتّى عمّنا السرور، وهرعنا للقائك لنسمع ما جدّ من أنباء الإسلام في مكة والمدينة، وكنا نظن أنك لن تمهلنا لحظة واحدة، حتّى تفيض وتسهب، ولكننا نرى في وجهك حيرة لم نعهدها! لقد قارعت الأهوال من قبل في أعنف مواقف البأس، فلم نر في قسمات وجهك ما يدل على الأسى لحظة واحدة، ولكنك الآن على غير ما نعهد.

فنظر المثنى نظرة طويلة ثم قال: صدقت فيما قلت يا معنّى، ولو لم تقل كلمة واحدة لقرأت في وجهك كلّ ما قلت، كما أقرأ في وجوهكم جميعا ما تضمرون، وما سكوتي الآن إلا حصر للمعاني الكثيرة، التي يموج بها صدري، وأحاول أن أكشف عنها في ترتيب واضح كيلا ينتشر القول دون تحديد!

قال المعنى: ومتى خالفك المنطق؟ أنت تقول كل شيء في تعقل واتزان قل يارجل وهات مالديك، فقد زدتنا شوقا لما تُكن.

فاعتدل المثنى في مجلسه وتطلع في وجوه القوم كأنه يريد معرفتهم جميعا مع إلمام بمن تخلف من كرام قومه، حتى إذا ملك زمام نفسه ابتدأ فقال:

لقد ذهبت إلى المدينة المنورة، وقابلت خليفة رسول الله أبا بكر، وأعلنت إسلامي عن حب واعتقاد، وسرّني كل السرور ما لمست هناك من حرص على الحق وحرب للباطل، ودعوة إلى الإخاء والتعاطف، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، كما سمعت من سيرة رسول الله ما جعل هذه المعاني واقعاً مشهودا لااختلاف عليه، وعشت في مهد الإسلام أياماً هي أجمل ساعات العمر، وأنفس لحظات الحياة، ثم ودّعت الخليفة الراشد، بعد أن عاهدته على البر والتقوى، وجئت فرحا أعلن لكم مشرق الدّين الجديد في نفسي، ناقلاً شعاعه الوضيء إلى نفوسكم جميعا، ولكنّي في الطريق بين نجد والفرات سمعتُ ما أحزنني! سمعت أن قبائلَ من العرب قد ارتدت عن الإسلام، وخرجتْ عن طاعة خليفة رسول الله. ولم تُبد من الأسباب ما يجعل لخروجها وجها من الوجوه غير التحلّل من تبعات الرجولة والكرامة والعزّة، سمعت ذلك فأدركني غمّ لا مزيد عليه، واشتعلت جمرة الغضب في صدري، وأنا ما انتظرت دون كلام بينكم الآن، إلاّ لاخفّف بعض ما أعاني! حتى دفعني المعنّى إلى الكلام.

صاح المعنّى: وماذا سمعت عن موقف أبي بكر من هؤلاء! أفصِح يا مثنى فالأمر خطير؟

قال المثنى: علمت أن المسلمين قد اجتمعوا للتشاور فكان من رأى عمر بن الخطاب أن يتريث أبو بكر فلا يعجل بالحرب، ومعه نفر ينحون منحاه، ولكن خليفة رسول الله قد أعلنها مدويّة

صارخة، أنه لا تريث ولا انتظار فهؤلاء مرتدون! ولا سبيل غير القتال، وفعلا أعددت الكتائب، وهيئت الجيوش، وقد عزمت على أن أكون معكم على رأس الكتائب المجاهدة، لنؤدى حق الكرامة، ونعوض ما فاتنا حين أسلم الناس فى الجزيرة، وتأخر إسلامنا عنهم، فتحملوا من أعباء الجهاد ما لم نشارك فيه بقلامة ظفر! لقد جاء أوان الاستدراك!

سرت الحمية فى نفوس بنى بكر بن ربيعة آل المثنى وازدادت اشتعالا فى صدور بنى شيبان أقرب أقرباء البطل الباسل، وصاح مسعود أخو المثنى وكان صامتا يترقب.

يا قوم! لقد أسفنا كثيرا حين تأخرنا عن ركب الإسلام، ولم يكن منا أحد بين شهداء بدر، وأحد، والأحزاب، وحنين، ومؤتة، وخيبر! ووالله لقد كنت أعتزم الذهاب إلى المدينة لأبحث عن استشهاد فى معركة جديدة وهاهى ذى حرب الردة قد قامت على قدم وساق ففيم النكوص!

صاح المثنى: أى نكوص! كلنا جنود فى الميدان.

انتهى المجلس المتحمس، ورجع المثنى إلى منزله، فوجد زوجته سلمى تستقبله باسمة، فقال لها: أنت تتكلفين الابتسام يا سلمى، فأنا أعرف أنك غاضبة على إذ ذهبت إلى ندوة بنى شيبان عند رجوعى قبل أن ألم بك، ولكنى كنت فى شغل مؤرق وأردت أن أعجل بلقاء القوم فأنفض ما لدى.

قالت سلمى: أنا سعيدة أبتسم عن إخلاص لا عن تكلف وحين جاءنى النبأ السار بمقدمك، حمدت الله على سلامتك، وقلت: ما أحبه إلى الندوة مباشرة إلا لأمر جلل، ولو كان فى طوقى أن أحضر مع المجتمعين لسارعت إلى لقائك هناك ولكنى أرسلت أخى «حابس» إلى الندوة، وقد جاء إلى منذ وقت قصير، وأخبرنى بكل ما دار، ففرحت لاعتزامك حرب المرتدين، فقد تهيأ الميدان

ابتسم المثنى قائلا: حياك الله وحيا حابسا أخاك فقد شاركنا الرأى، كما وفر على أن أعيد عليك ما دار هناك، فأنا أعرف شوقك لأنباء القتال!

نظرت سلمى فى تودد وقالت، أنباء القتال يا مثنى! شتان بين معارك الأمس ومعارك الغد، لقد كنا فى الجاهلية نقاتل لأمور هينة لا ترتفع إلى ذروة سامية، أما فى الغد فسنقاتل فى نصرة الإسلام، سنقاتل لارتفاع كلمة الله! ستكون الشهادة تاجا لمن استشهد فتصير عقباه أجزل مثوبة من عقبى الحى المنتصر، لكم أتمنى أن أصحبك فى حرب هؤلاء! كما صحبتك فى يوم الفرات!

فقال المثنى، كنت رئيس القوم يوم الفرات، فصاحبتك فى الحومة عن ارتياح، ولكن قيادة هذه الحرب ستكون للعلاء بن الحضرمى قائد جيوش المسلمين بالبحرين، وقد اتفقت معه على أن أقود كتائب بنى شيبان، ولم يعن لى أن أتحدث عن النساء.

فقالت سلمى: لقد جاءنى الكثير عن أنباء الغزوات النبوية، فعرفت أن السيدات كن يغشين ميادين القتال، لمداواة الجرحى، وتهيئة الزاد، وإصلاح السلاح، وحمل مزاود الماء، وفيهن من جالدت بالسيف وطعنت بالرمح، فالأمر صريح، وليس فى حاجة الى استئذان العلاء، سأكون معك لأشد أزرك بالتشجيع إذا عجزت عن أن أخوض حر الصراع!

ولم يكد ينتهي الحديث إلى هذا الموضع، حتى طرق باب المثنى، وعجلت سلمى باستقبال الوافد، فإذا هما المعنّى بن حارثة ومسعود بن حارثة أخوا المثنى! فنهض البطل للقائهما، ولم يلبث مسعود أن قال: وفد الساعة رسول العلاء بن الحضرمي، ولم يبق مجال للانتظار، وقد شاع الخبر في منازل بكر جميعها، ولم أسمع غير ضجات الاستحسان! وأصوات التكبير تملأ الآذان!

٣

قال المثنى: يا قوم إن الأحداث تدفعنا، قبل أن نندفع، وإنّ من أمارات النجاح أن تجتمع بكر جميعها على رأى واحد، بل أن تجتمع النساء ليشاركن في الحومة فهذه سلمى تتأهب لصاحبتنا، وإذا علمت نساء بكر فهنّ ناهضات واثبات! إننا سنتجه للبحرين تحت قيادة العلاء ولا تدرى لنا وجها بعدها، وإخالنا سنتبع المرتدين في كل صقع حتى ينقشع الظلام

تحقق النصر في حروب الردّة بعد أن واصل المثنى جهاده بالبحرين متتبعا آثار المارقين حتى استولى على القطيف وتابع الزحف إلى دلتا الفرات، فكان اسمه يسبقه فيوقع الذعر في الفلول الهاربة، وله خيمة ينصبها في كلّ صقع يتجه إليه، ومعه زوجته سلمى تساعده بالرأى والرمح معا! وهكذا أصبح لربيعة وشيبان قدرهما الراجح في معارك الإسلام، وهو قدر يدفع إلى المزيد كي لا يقف عند حدّ

قالت سلمى للمثنى: وماذا سيصنع خليفة رسول الله بعد أن همدت حروب المرتدين؟

فقال المثنى: علمت أن الجيوش الإسلامية ستتجه إلى بلاد الشام، لتحررها من الرومان، وكنت أود أن تتجه إلى فارس لتحررها من المجوس عابدى النار

فعاجلت تقول: ولماذا لا تذهب إلى الخليفة فتقترح عليه أن يعجّل بحرب المجوس، ونحن معه، إذ أنّ خبرتنا بالفرس ستكون عامل ترجيح!

فأطرق المثنى بعض الوقت! وقال لسلمى في هدوء: لقد اعتزمت أمرا لم أطلعك عليه بعد! لقد اعتزمت أن أجمع القبائل العربية الضاربة حول الفرات جميعها، لأتقدمها إلى منازلة العجم تحت راية الإسلام، لاسيما أن انتصارات حرب الردة قد زادت من حماسة هؤلاء، وسأجد نفسي أمام فريقين متواطئين، فريق العرب الذين لم يؤمنوا بالإسلام بعد، وقد ظلوا على ولائهم لسادتهم من الفرس، وفريق الأعاجم ذوى الغطرسة والاستعلاء، وسيظن هؤلاء وأولئك أنى لست وحدى، ولكنى قائد جيش الخلافة فيمتلئون رعبا وحذرا، وحين آخذهم على غرة في المعركة الأولى ستصل الأنباء إلى أبى بكر فيمدني بجيش الله!

قالت سلمى : إن أحلامك منذ عرفتك تتحول إلى حقائق واقعة، جربت ذلك بنفسي معك عدّة مرات، وإخال هذا الحلم قريب التحقيق!

فرد المثنى :قريب التحقيق أو بعيده لا أبالي، لأني في معارك الإسلام قد ضمنت رضوان الله حيا أو شهيدا، ولا أمل فوق ذلك، ولن يغلب جيش ذو عقيدة مخلصة ومن أبطاله أسود بكر وربيعة وتغلب وشيبان!

وما مر أسبوع واحد حتى كانت كتائب المثنى تنقسم إلى ثلاث فرق، وقد أخذت تُساحل الخليج الفارسي لتبلغ مصب نهرى دجلة والفرات، ثلاث

فرق يقودها أبناء حارثة الشيباني: المثنى والمعنى ومسعود، فأخذ الفرس على غرّة وما ثبت منهم من أحد، وعادت جيوش المثنى مثقلة بالغنائم، سعيدة بفرحة الانتصار!

هنا قال المثنى لسلمى: لقد تحقق الحلم الأول، وطارت أنباء النصر إلى أبي بكر، وقد علمت أنه سأل قيس بن عاصم في دهشة: مَن هذا الرجل الفرد الذي سرّتنا وقائعه قبل أن يبلغنا اسمه، فقال قيس بن عاصم: «إنه المثنى بن حارثة الشيباني، رجل غير خامل الذكر، ولا مجهول النسب، ولا ذليل العماد، إنه المثنى» فقال أبو بكر: «ومن يأتيني به! فقد عرفته من قبل، إذ أعلن إسلامه وتهيّأ لنصرة الإسلام».

قالت سلمى: وإذن فلابد أن ترحل إليه، وستبلغ ما تريد! فقال المثنى: ذلك ما اعتزمت عليه ولن أحيد.

ذهب المثنى للقاء الخليفة الراشد وهو في أيامه الأخيرة، فما رآه حتى هش له ورحب، وكأنه تفرّس ما يجول بخاطره من المعاني، فقال له: جئت يا بطل شيبان وجنود نا تتجه إلى حرب الروم، فقال المثنى: وماذا يمنع أن نأخذ منها بعضا يشاركنا في حرب الفرس

قال أبو بكر: ولماذا تتفرق الجنود في جبهتين، لنعمل على الائتلاف في جبهة واحدة، فإذا كتب الله النّصر زاد الجند إيمانا وعمّوا شاطئ الفرات

فانطلق المثنى يقول: يا خليفة رسول الله، كان الفرس ذوي هيبة في النفوس قبل أن ننازلهم يوم الفرات، ويوم ذي قار! إذ كان انتصار العرب في هذيْن اليومين فاتحة سجل جديد، ثم كانت معركتي الأخيرة بعد حروب الردّة فأذهلت الأساورة والمرازبة، وذوي التيجان الحمراء فأخذوا يعملون لنا كلّ حساب، وقد اجتمع كسرى بذوي جنده، ليقول لهم: لا تستهينوا بالمسلمين، لأن العرب قد اعتزوا بالإسلام، وأرى ألا تترك الفرس يتجمعون ويعدّون الذخائر انتظارا لما يتوقعون! ولابدّ من عون الخلافة بمدد يقف معنا دون إبطاء.

قال أبو بكر: ومن أين أيها البطل؟ والجيش قد زحف إلى الشام.

فقال المثنى: علمتُ أن الخليفة أشار بعدم انتظام المرتدين في غزو الروم، وقد عادوا للإسلام حرمانا لهم من ثواب الجهاد، ولستُ معه فيما أشار ونفّذ، لأن الذين رجعوا إلى الإسلام بعد الردة يحسّون مرارة الندم، ويودّون أن يكفروا عن مروقهم في حرب إسلاميّة تبيض وجوههم بعد سواد، فإذا أصدر الخليفة أمره بالتجاوز عن جرمهم السالف، فإنه يفتح الباب واسعا للتوبة النصوح، وسيجد من يبذل نفسه طواعية ليحوز رضا الله بعد أن جابه بالعصيان! وأدار أبوبكر الفكرة في رأسه فاقتنع بها، وقال: على بركة الله يامثنى، قم إلى منبر المسجد وأعلن خطتك في الهجوم، وأشعْ ما قررته من التحاق التائبين بالجيش الغازي، وما أسرع ما اهتبل البطل السانحة، فانتظر حتى حانت صلاة العصر، وقدمه عمر بن الخطاب فاعتلى المنبر خاطبا وكان فيما قال: أيها الناس لايعظمن عليكم لقاء هذا الوجه من الفرس، فإنا بني ربيعة من بكر وشيبان قد اتسعنا في ريف فارس، وغلبنا الفرس على السواد جميعه، وما كان معنا أحد من أهل الجزيرة العربية فإذا انضم إليّ رهط من الفئة المؤمنة فالنصر دان قريب! ولأمر أراده الله مات أبوبكر قبل أن

يرحل المثنى بجيشه فنهض عمر بإعداد الجحفل المنشود، وجعل قيادته لخالد بن الوليد، ولم يحمل البطل الشيباني في نفسه شيئا لإمارة خالد، إذ كان من التسامي بحيث قدر رأى أمير المؤمنين وأطاعه مرتاحا قريرا، فسيان لديه أن يرأس الجيش أو يرأس سواه، متى اجتمعت الكلمة على الهدف المنشود.

رجع المثنى إلى عرينه، فأسرع بتهيئة الكتائب، وقدم المعنى ومسعودا أخويه لخالد بن الوليد، وقال إنهما يخبران ساحة المنطقة، ويعرفان أماكن الكر والفر على شواطىء الفرات، ولخالد فراسة حازمة فقد ناقش البطلين مناقشة الدارس المتفحص، ورأى أن يكونا رائديه في المعارك المفاجئة، ولم يكن من خطة سيف الله أن يضيع الفرصة بالترقب والانتظار، خشية أن يفطن العدو إلى نقطة ضعف لم تكن معلومة لديه فيفاجئه بما يعوق نجاحه، فأمر بالزحف السريع، ودار القتال في معارك الولجة وذات السلاسل والأنبار ظافرة مكتسحة، وانتظر المثنى أن يواصل مسيرة النصر حتى ترفرف راية الحق، ولكن عمر عجل باستدعاء خالد ليقود معركة اليرموك بالشام، واستجاب القائد الظافر، ونظر المثنى فإذا العبء يقع عليه وحده بعد أن قال له خالد: ارجع إلى إمارتك منصورا فأنت سيد الموقف، ولم يكن سيف الله يعلم أن أمرا صدر من قيادة المدينة بتولية أبي عبيد بن مسعود.

إن النفوس الطاهرة ذات المعدن الذهبي الأصيل لترتفع عن مطامع الأنانية المريضة، وبعض الذين فاجأهم تأمير أبي عبيد من أبطال بكر وربيعة وأسد وشيبان قد قدموا للمثنى، وفي عيونهم ما ينبئ عن الاعتراض، وقد عرف البطل ما تكن النفوس، بل إن سلمى زوجته قد لمحت في الوجوه ماينبىء بالثورة، فلم تدع المثنى يتكلم، بل صاحت بالقوم، لسنا في الجاهلية كالأمس، ولكننا اليوم في سبيل الله! سيان أن يكون المثنى وأخواه في المقدمة أو الساقة فعين الله تنظر، والشهادة هي الموعد!

وفي الجبهة الأخرى أخذ رستم قائد الفرس يحشد عشرات الآلاف من أبطال المجوس مصمما على أن يقذف بالعرب نهائيا من أرض العراق، ومعه الخيول والفيلة والسلاسل، أما الخيول، والفيلة فمما يتوقعان، وأما السلاسل فقد أعدها ليربط بها الجنود في المعركة فلا يستطيع أحد أن يفر إذا التهبت النار! ورأى المثنى كثافة الجيش الفارسي إذ بلغ أضعاف الجيش العربي، فتأكد أن في استطاعة الكثرة الكاثرة أن تطوق القلة القليلة بسياج لا تجد منه البراح، فأشار على أبي عبيد أن ينسحب من الحيرة إلى خفان إذ يجد في الصحراء ملاذا للانسحاب إذا ضاق به الأمر وكانت المشورة سديدة قبلها القائد في ارتياح فانتقلت الحرب من ميدان إلى ميدان.

ليت أباعبيد – رحمه الله – واصل استماعه لمشورة المثنى، فقد اقترح البطل الشيباني ألا يعبر المسلمون الجسر إلى قتال الفرس، بل يتركونهم كي يتقدموا، فإذا اضطروا إلى الانسحاب لم يعق فريقهم مد الفرات، ولكن أبا عبيد صمم على أن يتقدم إلى الفرس بكتائبه عابرا جسر الفرات، وما درى أن الفيلة تفاجىء المسلمين لأول مرة في الميدان وقد أحدثت الرعب في الصفوف، وكان من الحزم أن يتقهقروا ليتدبروا الأمر ولكن أحد المتحمسين من العرب قد هدم الجسر ليجبرهم على الانتظار، واندفعت الفيلة فاندفع الفارون إلى الماء غرقى في لجه المتلاطم، وأدرك المثنى هول

المأساة فجازف بنفسه ومعه أخواه صامدين أمام المعبر ليبني الجسر من جديد، وكانت بطولة خارقة أسعفت الكثيرين، ولكن الضحايا قد تهاووا قبل بناء الجسر فبلغوا قدرا يؤسى عليه، وفيهم القائد المتحمس أبوعبيد بن مسعود — يرحمه الله!

وإذا كانت الحرب سجالا، يوم لك ويوم عليك، فقد انتقم المثنى ليوم الجسر بما حازه من النصر الظافر في معركة البويب، وقد عرف جزع المسلمين من الفيلة فأعد أمضى السيوف بأسا، وتقدم ليضرب الفيل المهاجم في محجر عينه إذ لايحول الجلد الصفيق عن إصابته، وارتاع الفيل ففر ومن ورائه مئات الفيلة، وتركت المعركة للخيول والسيوف، وسقط مسعود أخو المثنى صريعا، فصاح المثنى، يابنى الإسلام كلنا مسعود فلا تهنوا هكذا الشهادة ياقوم! وأخذ يندفع وكأنه يطلب الشهادة عامدا، حتى النصر ولكنه عاد منه مثخنا بالجراح!

أحس البطل أن يومه قد حان، لأن جراحه في معركة البويب كانت أكثر من أن تحتمل، فدعا المعنى أخاه، وزوجته سلمى، وقال في صبر: لا أظن أجلي سيمتد، ولكني أسمعكم وصيتي الحربية للقائد الجديد حين يفد من المدينة، فهو لا يعرف شيئا عن طبيعة المكان، وعليه أن يحاذر ماوقعنا فيه من أخطاء، وأخذ يحدد أمورا كانت غائبة عن الحسبان، وفي تذكرها مايغير وجه المعركة من هزيمة إلى انتصار، وكان وجهه مؤتلقا بالبشر وهو يتحدث! ثم نظر فوجد زوجته سلمى تجهش بالبكاء فصاح بها، أتبكين ياسلمى وقد أديت واجبي وتطلعت إلى رحمة الله! كلا لن أراك غير مبتسمة، فأعدى سمعك لتنقلي عني كل ما أقول.. ولم تك غير ساعات حتى صاح الصائحون مات المثنى فإلى رحمة الله!

ثم جاء بطل القادسية سعد بن أبي وقاص ليتولى زمام الأمر بعد خالد وأبي عبيد والمثنى، فسارعت سلمى بنت حفصة التيمية، والمعنى بن حارثة الشيباني للقائه، وقد بهراه بما أبديا من المشورة، وأظهرا من الإخلاص، فأخذ يترحم على المثنى، وقابل أبطال البويب فحدثوه عن جهاد المثنى وأخويه وزوجته بما ملأ صدره إعجابا، وكان من تقاليد العرب حينئذ إذا ترملت زوجة قائد باسل أن يبني بها خلفه لتظل محفوظة الكرامة فلا تهون، وعرض سعد على سلمى أن يقترن بها! وقال: إنه يريد أن يكون قريبا من نفسها، فيعلم من أمور الحرب ما يجهل، وستكون صاحبة مشورته كما كانت عند المثنى! ورأت سلمى أن الرجل في حاجة إليها فأجابت!

وفي يوم القادسية أصيب سعد بمرض عاقه عن القيادة فأخذ يدير المعركة من نافذة القصر وقد جالت الفيلة ببأسها الشديد في قبائل أسد وبجيلة وبكر، فأحدثت فزعا رهيبا بين المسلمين، ورأت سلمى ماحل بالقوم، فامتطت فرسها صارخة «وامثنياه! ولا مثنى اليوم للحرب»! وسمع المسلمون نداء سلمى وعز عليهم أن تصرخ باكية، فتهاووا على الموت مستبسلين، حتى تم النصر بعد هول هائل لايحد مداه، ورجعت سلمى إلى سعد، فقال لها: رحم الله المثنى، فقد جلب النصر ميتا، كما جلبه حيا من قبل!

قالت سلمى: يرحمنا الله جميعا ياسعد!

لسنا إرهابيين

مراحل القتال فى الإسلام وضوابطه

للأستاذ الدكتور/ عبد العظيم المطعنى

لا ننكر أن مبدأ القتال موجود فى الإسلام، وهذا أمر لا يضيره، ولا يسمح فى الوقت نفسه باتهامه بالإرهاب والعنف: لأنه أولا مبدأ عام وسنة من سنن الحياة لا تخلو منه رسالات السماء ولا النظم الوضعية، على اختلاف منازعها.

ولأنه ثانيا: خاضع فى الإسلام لمجموعة من الضوابط والقيم الأخلاقية بما ليس له وجود فى غير الإسلام وقد مر وضع القتال فى الاسلام بعدة مراحل نذكرها قبل ذكر الضوابط التى يلور فى إطارها القتال.

المرحلة الأولى: مرحلة الحظر، فقد قضى الإسلام ثلاثة عشر عاما من عمره المبكر كان القتال فيها محظوراً. وهى الفترة التى قضاها الاسلام فى مهده الأول (مكة المكرمة) قبل الهجرة إلى المدينة المنورة، وكان السابقون إلى الإسلام إذا أرادوا قتال المشركين لدفع أذاهم كان الرسول ﷺ يقول لهم:

«إنى لم أوذن بقتالهم، فلجأوا إلى الهجرة إلى الحبشة مرتين فراراً بدينهم.

المرحلة الثانية: مرحلة الإذن بالقتال، بدأت هذه المرحلة بعد الهجرة إلى المدينة المنورة، وبعد أن هيأ النبى ﷺ، المناخ لقيام الدولة الإسلامية الناشئة، ولأول مرة فى التاريخ، بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار وعقد الاتفاقية مع اليهود. وعمل الصحيفة الجامعة، التى كانت بمثابة دستور حددت فيه الحقوق والواجبات بين أهل المدينة كلهم. وتحديد العلاقات بينهم.

وكان أول ما نزل فى هذا الشأن قوله تعالى:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾(١).

(١) الحج (٣٩-٤٠)

ومن أبرز ما يلاحظ هنا، أن الإذن بالقتال كان استجابة لحاجة ملحة، فهو لم يؤذن به ليكون وسيلة اعتداء، بل لدفع ظلم واقع من قوى جائرة، على طوائف لم تجرم في حق أحد فالقتال المأذون فيه قتال دفاع عن النفس والعقيدة وبعد صدور الإذن بالقتال أصبح مباحاً لا واجباً ولا محظوراً.

وكان التطبيق العملي للإذن بالقتال انتشار مجموعات صغيرة (السرايا) مسلحة بأسلحة خفيفة، تخرج وتتجول حول المدينة في شكل دوريات أمنية نشطة. لا تعتدى على أحد.

المرحلة الثالثة: مرحلة الأمر الوجوبي بالقتال، وكان لابد منها، إذ كثرت الأطماع من أعداء الإسلام في الإغارة على المدينة، وحشدوا الحشود وأعدوا العدة. وكان لابد من الدفاع عنها. وصد المغيرين عليها.

ففي شهر شعبان من السنة الثانية من الهجرة الكبرى إلى المدينة المنورة، وقبل غزوة بدر الكبرى، نزل الأمر الوجوبي بالقتال في قوله تعالى:

﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝﴾(٢).

فالقتال المأمور بوجوبه في الإسلام، قتال دفاعي لا عدواني قتال لرد عدوان وخطر واقع فعلا، أو متوقعا قامت الدلائل على وشك وقوعه.

إنه ليس قتالا للتوسع على حساب الغير، وليس قتالاً من أجل عصبية أو فرض الإسلام على الناس، وهم له رافضون وليس قتالا لمحو الكفر من الوجود كما يزعم الحاقدون على الإسلام.

إنه قتال في مواجهة قتال، ولا يملك أحد أن ينكر على الإسلام شرعية القتال الدفاعي عن الأنفس والديار وحماية العقيدة التي جاءت بها رسل الله، رسولا تلو رسول، حتى ختموا بالرسول الخاتم محمد ﷺ.

***

الآيات التي تقدمت ذكرت طائفة من ضوابط القتال في الاسلام. وهي:

- أن يكون القتال في الإسلام جهاداً خالصا في سبيل الله لا من أجل فرض زعامات أو مبادىء أرضية أو عنصرية أو أطماع خسيسة، أو حب السيطرة.
- أن يكون قتالا في مواجهة قتال، لا عدوان فيه.
- أن لا يعتدى المقاتلون المسلمون على أحد من غير الذين يحملون السلاح ويقاتلوننا، أو الذين يؤدون خدمات مباشرة لصالح العدو الحامل سلاحا.

وبذلك كان الإسلام أول من شرع عدم الاعتداء على الأهداف المدنية كالنساء والأطفال والشيوخ والأحبار والرهبان في معابدهم، والدور والزروع والأشجار والماشية

---

(٢) البقرة (١٩٠)

كل هذه المعاني مندرجة تحت قوله تعالى:

﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟﴾.

● التخويف والتحذير لجماعة المسلمين المقاتلين من تجاوز القيم الأخلاقية في القتال:

«إن الله لا يحب المعتدين»

● الاستجابة الفورية لوقف القتال إذا بدرت من العدو بوادر صادقة على وقف القتال من جانبه وفي تقرير هذا المبدأ السلمي العظيم نزل قوله تعالى:

﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾(٣)

● جواز العفو عن الأسرى بعد أن تضع الحرب أوزارها مع معاملتهم بالحسنى. وفي هذا نزلت الآيتان الكريمتان:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٤).

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾(٥).

ففي هذه الآية شدة على من بدأنا بالقتال، ثم رحمة على من يقع في الأسر من العدو، فللإمام المسلمين (رئيس الدولة) أن يسلك معهم بعد انتهاء الحرب واحداً من أمرين:

إما أن يمن على الأسرى ويخلى سبيلهم مجاناً، وإما أن يأخذ فدية من القادرين منهم، وكان في إمكان القرآن أن يأمر بقتلهم لو كان الإسلام دين عنف وإرهاب.

وفي الحديث الشريف:

«لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا»(٦).

ومما تقدم ندرك أن ضوابط الإسلام في شئون القتال ثلاثة أنواع:

الأول: ضوابط وقيم أخلاقية قبل البدء في القتال.

الثاني: ضوابط وقيم أخلاقية في أثناء القتال.

الثالث: ضوابط وقيم أخلاقية بعد توقف القتال.

فأين – إذن – حروب العصر الغاشمة، الظالمة، أين هي من عدالة الحرب الإسلامية وضوابطها الحكيمة الرحيمة؟.

***

(٣) الأنفال (٦١)

(٤) الأنفال (٧٠)

(٥) محمد (٤).

(٦) فتح الباري (١٠/ ١٩٠).

الأمة الوارثة.. وبشائر التمكين

للدكتور/ حمدى فتوح والى

ما أحوج المسلمين اليوم إلى من يرد عليهم إيمانهم بأنفسهم وثقتهم بماضيهم.. ورجاءهم فى مستقبلهم.. وما أحوجهم لمن يرد عليهم إيمانهم بهذا الدين، الذى يحملون اسمه، ويجهلون كنهه ويأخذونه بالوراثة أكثر مما يتخذونه بالمعرفة واليقين.

وتزداد تلك الحاجة إلحاحاً أمام تلك الهجمات الشرسة التى تشن على الإسلام بصور مختلفة، وبطرق متعددة، يجمعها جميعاً الرغبة العارمة فى القضاء على هذا الدين عقيدة وشريعة، ونظاماً للحياة، يحدوها أمل جديد، ويدفعها حقد قديم، ويغريها غياب فكرى عن بعض أهل الإسلام، ممن تربوا على أفكار الغرب، وتشبعوا بفلسفته، وتلقوا تعليمهم فى مدارسه. مما أطمع أهل الغرب فى سهولة إنجاز مهمتهم، وإحكام قبضتهم ونشر عقيدتهم، والإجهاز على ماتبقى من شريعة الإسلام.

ولما كانت الشيوعية قد سقطت فكرة ونظاماً، فإنه لم يبق أمام الغرب نظام يخشى أثره، ويتقى خطره، ويملك أسباب السيادة ومقومات القيادة إلا الإسلام ويكمن خطر المنهج الإسلامى فى نظر الغرب فى قدرته الفائقة على إقناع العقول، وإمتاع النفوس والتسلل فى سهولة ويسر إلى القلوب. كما يكمن فى قدرته على الاتساع والانتشار، وتملكه لأسباب السيادة والقيادة والاستعلاء الشامخ على كل تخبطات الغرب التى فشلت فى مخاطبة العقول وإسعاد القلوب. وتلك الأسباب التى امتاز بها الإسلام هى التى ملأت قلب الغرب رعباً، وحملته على اتخاذ موقف العداء القوى، والانقضاض الوحشى على كل مايوحى بالقوة، أو يشعر بالتميز، أو يشير إلى امتلاك مقومات القيادة للأرض مادياً أو معنوياً. وإن ذهب يغطى ذلك العداء بغطاء وهمى صنعه بمكر، وجهز الدعاية له بذكاء، وهيأ أذهان العالم لقبوله بدهاء، فراح يعلن الحرب على الإرهاب لافتة، ويمارس الحرب على

الإسلام حقيقة وواقعاً ومن هنا رأيت من الضروري أن أميط اللثام عن مكانة منهج الإسلام بين جميع مناهج الأرض كما حددها الله، وكما أراد لها أن تكون.

هذا الإسلام الذي جهله الغرب فمضى يحاربه بقوة، ويسعى للقضاء عليه في لدادة وغلظة. وجهله أهله من المسلمين فأداروا ظهورهم له، واستقبلوا جحيم الغرب يحسبون سرابه ماء، حتى إذا جاؤوه لم يجدوه شيئاً.

وماذا يمكن أن يجد المسلمون عند أناس قطعوا صلاتهم بربهم وأعلنوا الحرب على خالقهم عندما دعاهم للإيمان به فكفروا، وأخذ عليهم العهد فغدروا، وائتمنهم على كتبه فحرفوها، وعلى شريعته فعطلوها وأفسدوها، فاستحقوا الطرد من رحمته، والحرمان من معيته، ولم يعودوا أهلاً لحمل أمانته وتبليغ دعوته.

وقصة استخلاف الله لأهل الكتاب مبسوطة في كتاب الله - تعالى - يقصها الله علينا تبصرة وذكرى، وبياناً لنعمته علينا، حيث عافانا مما ابتلاهم به وحذرنا مما وقعوا فيه، من استبدال الكفر بالإيمان.

يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾(١).

وقال الله:

﴿إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾(٢).

ذلك هو نص العهد الذي أخذه الله - سبحانه وتعالى - على بني إسرائيل وهذا هو الميثاق الذي عاهدهم عليه، واضحة بنوده، ظاهرة حدوده، يشتمل على وعد كريم، ينشط النفوس السوية إلى سرعة التنفيذ، وإحسان التطبيق، وهو الوعد الكريم بمعيته وحسن مثوبته، وشمولهم برحمته، ومحو ذنوبهم، وتكفير سيئاتهم وإدخالهم جنته.

وبجانب هذا الوعد الكريم يخوفهم من مخالفته، ويهدد من يقعد عن التنفيذ، ويكسل عن التطبيق بجزاء تنخلع منه النفوس، وتقشعر منه الجلود، وتوجل من هوله القلوب، وذلك في قوله:

﴿فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾

لكن نتيجة هذا الميثاق العظيم وهذا الوعد الكريم تأتي مذهلة مرعبة كما حكاها ربنا بقوله:

﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾(٣).

---

(١) المائدة «١٢».
(٢) المائدة «١٢».
(٣) المائدة «١٣».

يقول صاحب الظلال: «لقد نقضوا ميثاقهم مع الله.. قتلوا أنبياءهم بغير حق، وبيتوا القتل والصلب لعيسى- عليه السلام- وهو آخر أنبيائهم، وحرفوا كتابهم- التوراة- ونسوا شرائعها فلم ينفذوها ووقفوا من خاتم الأنبياء ﷺ موقفاً لئيماً ماكراً عنيداً، وخانوه، وخانوا مواثيقهم معه.. فباؤا بالطرد من رحمته وقست قلوبهم فلم تعد صالحة لاستقبال هدى الله»(٤).

ولم يقف أمر اليهود في عداوتهم لربهم عند مجرد العصيان والجحود بل تطاولوا عليه سبحانه فقالوا:

﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾(٥).

بل زادوا في تطاولهم عليه سبحانه فقالوا:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ﴾(٦) وقد أجمل الحق- سبحانه وتعالى- أبرز صفاتهم، التي تحدد جوهر جبلتهم، وتكشف عمق جريمتهم بقوله:

﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا﴾(٧)

وتأمل معنى قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَزَالُ﴾ لترى أبدية وقوع الخيانة منهم ما بقيت منهم بقية إلى يوم القيامة، فبجانب دلالة الفعل بنفسه على الاستمرار، فإن مجيئه مضارعاً يفيد التجدد والحدوث. وهو ما يجب أن تفهمه أمتنا عند تعاملها مع هذه الفئة الكافرة الماكرة الجاحدة الخائنة إلى أن تقوم الساعة.

وتأمل معنى أيضاً كلمة: ﴿خَآئِنَةٖ﴾ حيث جاءت نكرة لتفيد عموم الخيانة «الفعلة الخائنة.. والنية الخائنة.. والكلمة الخائنة والنظرة الخائنة. يجملها النص بحذف الموصوف وإثبات الصفة ﴿خَآئِنَةٖ﴾ لتبقى الخيانة وحدها مجردة تملأ الجو وتلقي ظلالها وحدها على القوم. فهذا هو جوهر جبلتهم وهذا هو جوهر موقفهم مع الرسول ﷺ ومع الجماعة المسلمة».

تلك كانت تجربة مع أهل الكتاب الذين يشاركوننا اليوم عمارة هذا الكوكب.. وتلك كانت نتيجة التجربة وتأبى إرادة الله- سبحانه وتعالى- ورحمته أن يترك الأرض بغير قيادة، أو يترك أمرها إلى قيادة غير ربانية، تعبد هواها وتخضع لشيطانها.

ومن هنا كان هذا الخطاب الإلهي الكريم لأهل الكتاب، يسجل عليهم أنهم مدعوون إلى الإسلام. مدعوون إلى الإيمان بهذا الرسول ونصره وتأييده. كما أخذ عليهم ميثاقه. ويسجل عليهم شهادته سبحانه بأن هذا النبي الأمي هو رسوله إليهم- كما أنه رسول إلى العرب، وإلى الناس كافة- فلا مجال لإنكار رسالته فهي من عند الله أولاً، ولا مجال للادعاء بأن رسالته مقتصرة على العرب، أوليست موجهة إلى أهل الكتاب ثانياً.

ويبين لهم طبيعة ما جاء به هذا الرسول ووظيفته في الحياة البشرية بقوله:

---

(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب ٨٦٢/٢.

(٥) المائدة، ٦٤.

(٦) آل عمران، ١٨١.

(٧) المائدة، ١٣.

﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾(٨)

وهما وصفان لهذا المنهج العظيم الذى جاء به الرسول الكريم. أما مهمة هذا النور الذى اختص الله به نبيه وأرسله به إلى العالمين فهو هداية أهل الأرض جميعاً إلى سبل السلام، إنه «السلام» هو مايسكبه هذا الدين فى الحياة كلها.. سلام الفرد وسلام الجماعة.. وسلام العالم. سلام الضمير وسلام العقل وسلام الجوارح. سلام البيت وسلام الأسرة وسلام المجتمع والأمة وسلام البشر والإنسانية. السلام مع الحياة.. والسلام مع الكون والسلام مع الله رب الكون والحياة.. ذلك السلام الذى لاتجده البشرية ولم تجده يوماً إلا فى هذا الدين، وإلا فى منهجه ونظامه وشريعته ومجتمعه الذى يقوم على عقيدته وشريعته.

ويؤكد الحق ـ سبحانه وتعالى ـ هذا النداء بدعوة أهل الكتاب مرة أخرى إلى الاستماع لما جاء به رسول الله ﷺ بقوله:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٩).

وبهذه المواجهة الحاسمة لاتعود لأهل الكتاب جميعاً حجة من الحج، فى أن هذا الرسول الأمى لم يرسل إليهم فالله ـ سبحانه ـ يقول:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا ﴾.

وياله من مقام كريم وشرف عظيم ـ أن ينسب الحق ـ سبحانه وتعالى ـ إليه هذا الرسول العربى الأمين. وأن يوجهه إلى مخاطبة أهل الكتاب إعلاناً لمسئوليته عنهم وتكليفهم بالاستماع إليه:

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾(١٠).

والمتأمل فى الآية الكريمة يلاحظ أنها صدرت بفعل أمر للرسول ﷺ يحمله تكاليف دعوة أهل الكتاب وانتهت الآية بفعل أمر للمسلمين بأن يتمايزوا بإسلامهم ويعتزوا بانتسابهم إلى ربهم، وأن يعلنوا فى عزة وفخر هذا الانتساب الكريم. فى مقابل انحياز أهل الباطل إلى باطلهم، وإصرارهم على عنادهم واغترارهم بقوتهم واعتزازهم بسلطانهم.

وهذه العبارة على قصرها هى أقوى أسلحة هذه الأمة وأعظم مؤهلاتها أمام التحدى الحضارى المفروض علينا اليوم.

إن التزام المسلمين بإسلامهم، واعتصامهم بكتابهم، واستعلائهم بدينهم: عقيدة وشريعة ونظاماً. يعنى استكمال المسلمين لمقومات الأمة الوارثة، كما يعنى قدرة تلك الأمة على تولى زمام القيادة دون انحياز لعنصر أو لون أو لغة أو جنس وإنما هو الانحياز لمنهج الله وحده، حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله.

إن الشهادة بأنا مسلمون تعنى وراثة الكتاب، وتولى القيادة وإخلاص الوجهة، وإعلان الحكم

(٨) المائدة: ١٥.

(٩) المائدة: ١٩.

(١٠) آل عمران: ٦٤.

لله رب العالمين، وهذا يعني بداية إعداد الأمة لتحمل أعباء قيادة البشرية بمنهج الله إلى الله، وكان بداية هذا الإعداد تكوين القيادة الربانية ممثلة في رسول الله ﷺ على عين الله الذي ناداه بقوله:

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾(١١).

ورباه على لذة القرب، وجلال الحب بالقيام الدائم بين يديه تهيئة لتلقي وحيه واستقبال أمانته.

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾(١٢).

ثم يقوم الرسول ﷺ في أصحابه يعدهم لأعظم أمانة وأخلد رسالة «يغذي أرواحهم بالقرآن، ويربي نفوسهم بالإيمان، ويخضعهم أمام رب العالمين خمس مرات في اليوم، عن طهارة بدن، وخشوع قلب وخضوع جسم، وحضور عقل، فيزدادون كل يوم سمو روح، ونقاء قلب، ونظافة خلق وتحرراً من سلطان الماديات، ومقاومة للشهوات ونزوعاً إلى رب الأرض والسموات، ويأخذهم بالصبر على الأذى، والصفح الجميل وقهر النفس، ولم يزل الرسول ﷺ يربيهم تربية دقيقة عميقة ولم يزل القرآن يسمو بنفوسهم، ويذكي جمرة قلوبهم، ولم تزل مجالس الرسول ﷺ تزيدهم رسوخاً في الدين وعزوفاً عن الشهوات وتفانياً في سبيل المرضاة، وحنيناً إلى الجنة، وحرصاً على العلم وفقهاً في الدين يطيعون الرسول في المنشط والمكره، وينفرون في سبيل الله خفافاً وثقالاً، قد خرجوا مع الرسول للقتال سبعاً وعشرين مرة في عشر سنين، وخرجوا بأمره لقتال العدو أكثر من مائة مرة، فهان عليهم التخلي عن الدنيا، وهانت عليهم رزيئة أبنائهم ونسائهم في نفوسهم، وانحلت العقدة الكبرى عقدة الكفر والشرك فانحلت العقد كلها، وجاهدهم الرسول جهاده الأول في ميدان نفوسهم وانتصر على الجاهلية في المعركة الأولى فكان النصر حليفه في كل معركة.

حتى إذا خرج حظ الشيطان من نفوسهم، بل خرج حظ نفوسهم من نفوسهم، وأنصفوا من أنفسهم إنصافهم من غيرهم، وأصبحوا في الدنيا رجال الآخرة، وفي اليوم رجال الغد، لاتجزعهم مصيبة ولايشغلهم فقر، ولايطغيهم غنى، ولا تلهيهم تجارة ولاتستخفهم قوة، ولا يريدون علواً في الأرض ولافساداً، وأصبحوا للناس القسطاس المستقيم، قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسهم أو الوالدين والأقربين، وطأ لهم أكناف الأرض وأصبحوا عصمة للبشرية ووقاية للعالم، ودعاة إلى دين الله واستخلفهم الرسول ﷺ في عمله ولحق بالرفيق الأعلى قرير العين من أمته ورسالته»(١٣).

وإذا كانت البشرية بالأمس قد وجدت لها من جنود الله من يروض جموحها ويكسر شوكتها، ويتوجه بها إلى الله - تعالى - فمن لجاهلية هذا العصر؟! وهي التي شأنها أوعر، وحقيقها أخبث ومواجهتها أشد وأعنف.

هذا ماسنحاول بيانه في وقت يحين بإذن الله تعالى.

---

(١١) الطور ٤٨. (١٢) المزمل ٥.

(١٣) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين. لأبي الحسن الندوي ط ١٩٩٠ ص١٢٧.

حضارة قوم نوح

١

للدكتور / علي أحمد علي

قوم نوح ـ عليه الصلاة والسلام ـ يعتبرون القبيلة الأولى البارزة ـ في وضوح ـ من بعد الأسرة الأولى، أسرة آدم ـ عليه الصلاة والسلام ـ وذلك ما علمناه من التنزيل العزيز، ولقد يكون من بعد آدم ومن قبل نوح قبيلة أو قبائل، وذلك أمر وارد قطعا، لكنا لكي نريد تحديدا دقيقا لموضوعنا.. نقول: نحن لا نعلم قوما من قبل نوح أرسل فيهم رسول بيقين إلا قوم نوح هؤلاء، فأما قوم «إدريس» ـ عليه الصلاة والسلام ـ فلا قطع حاسما بين أيدينا يذكر لنا أنهم من قبل نوح، ففي الأمر خلاف: أكانوا قبله أم من بعده، وما تطرق إليه الاحتمال تركنا أمره حتى حين، لندرس عن يقين حقيقة مؤكدة، ولن تكون من بعد آدم إلا في قوم نوح وليس من شك أن قبل هؤلاء القوم أسرا وآباء بدليل قول الملأ من قوم نوح للناس في معرض تكذيبهم لرسالته، ورغبتهم في صرف الناس عن دعوته:

﴿ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾(١).

ونود أن نوضح ـ ابتداء ـ أن هذا البحث ليس مختصا بديانتهم، وإنما هو مختص بدراسة حضارتهم، وقد نعرج إلى ديانتهم وإلى رسالة نوح عرضا يخص أيضا دراسة الحضارة، لأن «الدين» أساس فيها، ولنبدأ بما يجب البدء به، أعني: مكان قوم نوح - عليه الصلاة والسلام.

فأين كانت مساكن قوم نوح..؟

إن حديث القرآن الكريم يؤكد لنا أنهم آخر ذراري آدم ـ عليه السلام ـ ذلك أن نوحا ـ إذ نجا هو ومن آمن من قومه من بعد الطوفان ـ يعتبر أبا البشرية الثاني، فأين كانت ـ إذا ـ مساكن الهالكين المكذبين من أمته؟!

(١) المؤمنون (٢٤).

إننا نلتمس الإجابة عن هذا السؤال لدى الأستاذ الدكتور محمد عوض محمد، من كتابه: (سكان هذا الكوكب) حين تعرض لبحث «مكان نشأة الإنسان» على هذا الكوكب، وركز - رحمه الله تعالى - في بحثه، في هذا العهد السحيق، على «مكان» هذه النشأة، ورأى أنه ينبغي أن يتوفر لهذا المكان أمران حيويان:

أ- إمكان الحياة فيه.

ب- ويسر ارتياد الإنسان منه لمناطق المعمورة شرقا وغربا.

وانتهى - رحمة الله عليه - إلى خير الأماكن التي توفر هذا الهدف، فإذا هو مكان:

«يمتد شمالا من سهول تركستان إلى هضبة إيران إلى سهول دجلة والفرات وخليج العجم [الخليج العربي] إلى شمال جزيرة العرب وبادية الشام»[٢].. ونقول:

إن جزءا من هذه المنطقة كان - بمشيئة الله تعالى - مستقر قوم نوح - عليه السلام - ونزيد أنه كان أقرب إلى الجزيرة العربية جدا، مستظهرين لذلك بقول نبي الله «هود» - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - لقومه من العرب البائدة التي ظهر قوامها في هذا العهد السحيق - بالأحقاف من الجزيرة العربية - وقد أنذرهم عاقبة وثنيتهم بقوله:

﴿ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ ﴾[٣]

وقد ذهب بعض المفسرين، ومنهم الإمام النيسابوري إلى جواز أن تكون مساكن «عاد» قوم «هود» هي نفس مساكن الهلكى من قوم نوح خلفهم «عاد»[٤] عليها، قال - رحمه الله: أي خلفتموهم في الأرض، أو جعلكم ملوكا قد استخلفكم فيها بعدهم وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأملاكهم وما يتصل بها من المنافع اهـ[٥].

وما ذهب إليه الإمام النيسابوري بتفصيل ذهب إليه الأئمة: الزمخشري، ووافقه النسفي والخازن. كل في أحد القولين المبسوطين ثمت[٦].

ونزيد - أيضا - بيانا لهذا القرب - بما ظهر في الجزيرة العربية من أوثان قوم نوح - عليه السلام فقد روى البخاري في صحيحه - بسنده إلى ابن عباس - رضي الله عنهما - قال:

صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد: أما (ودّ) كانت بدومة الجندل، وأما (سُواع) كانت لهذيل، وأما (يغوث) فكانت لمراد، ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ، وأما (يعوق) فكانت لهمدان، وأما (نسر) فكانت لحمير لآل ذي الكلاع[٧].

وكان لرسول الله ﷺ بعوث لهدمها، ذكرتها كتب السير في تاريخه - عليه الصلاة والسلام - على أنا نلاحظ - بوضوح - أن أماكن هذه الأوثان شملت أعالي الجزيرة وجنوبها.

---

(٢) د/محمد عوض محمد - سكان هذا الكوكب - فصل: نشأة النوع البشري.

(٣) الأعراف (٦٩).

(٤) القبيلة التي بعث فيها هود.

(٥) هامش الطبري ٨/ ١٤٠ ط أولى على نفقة السيد عمر الخشاب.

(٦) الإمام الزمخشري- الكشاف ١/ ٥٥٤، والنسفي والخازن ٢/ ١٠٣.

(٧) صحيح البخاري ٦/ ١٩٩ ط الشعب.

طرح الحضارة

للحضارة طرح مادى، فليست حديثنا عن المآثر والبطولات، بل هى أبعد تماما عن الكلمات البراقة والأناشيد الحماسية يتحدث بها إنسان أو أكثر، مسئول أم غير مسئول عن مجد قومه، أو ضخامة ثروتهم، أو مالهم من قوة ضاربة أو منزلة دولية، فلقد يكون لدولة كل ذلك، ولكنها ـ فى نفس الوقت ـ مجردة من كل حضارة فضلا عن فقدها كما كبيرا من معالم الإنسانية الرفيعة.

إن للحضارة « ثوابت » مادية ينالها السمع والبصر والفؤاد، تعتبر ـ جميعا ـ طرح الحضارة والمقياس الدقيق لمنزلة أمة ـ لتبين: أين هى من مدارج الحضارة، فى القمة هى، أم فى الطريق إليها، أم لم تقطع فيها شوطا بعد؟!

وتلك الثوابت هى:

أ- النظم: أى نظم الحكم فى المنطقة « مناط البحث »، وإدارتها، وشئونها المختلفة من تشريع فى مختلف الشئون السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وما يطرحه ذلك كله من أسلوب حياة، وأخلاق وعادات. وملكية وصناعات ونقود وموازين ومقاييس.. إلخ.

ب- الدين: ويعنى كنه العقيدة فى أولئك القوم « محل البحث » ومنشآته من أماكن عبادة، وإدارة، وثقافة تخصه، وطريقة ممارسته: من صلاة.. وقربان.. وحسنة أو خطيئة.. وثواب أو عقاب.. ثم مصير الإنسان فى ظل هذه العقيدة.

جـ- الفنون فى هذه البلدة وتلك المنطقة: من عمارة.. ونحت.. وتصوير.. ونقش.. وأزياء، فالثياب وتفصيلها وما عليها من تطريز.. كل ذلك فن بدوره بجانب أنه صناعة، وما يقال فى الأزياء يقال كذلك فى الأثاث الذى تحويه منازلهم وعماراتهم، كل ذلك من معالم الحضارة.

د- الآداب والعلوم: من طب وفلك وتقويم. وقصص أو أساطير... الخ.

هـ- التاريخ:

وفى ضوء هذه الثوابت نبحث مدى الحضارة التى كانت فى قوم نوح ـ عليه السلام؛ فبهذه الثوابت يتبين لدارسى الحضارة ما على القوم من رقى إنسانى، فالذين يعيشون فى إطار نظام يكفل لهم حياة رغيدة أو محتملة، ويكفيهم شر أعدائهم، ويتمتعون باقتصاد ما، وصناعة أية صناعة ولكل فرد أسرته، وعقيدته: يأويه مسكن يرضاه، ويعيش هو، والملأ من قومه ممتعين بفنون مختلفة، ترقرق من مشاعرهم، وتسمو بوجدانهم: من عمارة ونحت وأدب وفنون، عالمين بحساب أوقاتهم، وعلى خبرة بأرضهم، وكيف هى صيفا وشتاء، ولهم من الطب ما يطمئنون إلى ما عرفوا من وسائله.. لاشك أن قوما على هذه الدرجة أو قريبا منها هم قوم متحضرون ليسوا كالبدو على أية حال.

وفى ضوء هذه « الثوابت » قدم مجمع اللغة العربية بمصر تعريفه للحضارة، فاعتبرها: « مرحلة سامية من مراحل التطور الإنسانى » وعن ثوابتها قال:

«الحضـــارة: مظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي»[8].

والتعريف اختصار بليغ جامع لهذه الثوابت.

وغني عن البيان أن ننوه بأننا ندرس حضارة قوم لم يعرف التاريخ - بمناهجه الحديثة - الطريق إليهم، وليس - إلا الله وحده - صاحب العلم بهم، ثم إنه لا يتم لمؤرخ عمله الحق إلا إذا:

أ- توفرت له الحقائق. ب- وسجلها بأمانة..

والله وحده صاحب ذلك، قال - تعالى:

﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴾[9].

فأما المؤرخ فهو بين الأمرين على منزلة لا يعلمها إلا الله. تبارك وتعالى.

فلا عجب أن يقول - ديورانت - في مقدمة قصة الحضارة:

(معظم التاريخ ظن وبقيته من إملاء الهوى)

ونحن نعتمد في بحثنا هذا على (الوحي).. على كتاب الله الكريم، ثم على ما ثبت صحيحا عن رسول الله ﷺ، أي أننا نعتمد - فقط - على «الوحي» الصادق ليس غير.

وهو «المصدر» الذي تعتمد الغرب لأمور أن يستبعده من كل بحوثه. هدانا الله وإياه وفي ضوء هذا المصـــدر نتلمس «الثوابت» التي قدمناها.. نتلمسها في قوم نوح في عهدهم هذا السحيق لنرى: أكانت لهم حضارة.؟ وما قيمتها فيهم..؟! ثم نكر - في النهاية - على منهج الغرب.

نظم قوم نوح

في ثلاث وأربعين آية - في التنزيل العزيز - جاء ذكر نوح وقومه:

ومنها نعلم أن نوحا وقومه جمعهم «مجتمع» هم فيه أقدم جماعة إنسانية من بعد آدم - عليهما السلام - وقد اعتبر نوح - بعد الطوفان - أبا الإنسانية الثاني - كما قلنا من قبل.

الأسرة: وفي هذا المجتمع كانت الأسرة: من زوج وزوجة وولد - أو - أولاد، ففي الكتاب العزيز من حديث إرشاد نوح لهم قوله - مذكرا إياهم بنعم الله - تعالى - عليهم:

﴿ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ﴾[10] وجاء في دعائه ربه قوله:

﴿ رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا ﴾[11]

---

(8) المعجم الوسيط: مادة حضارة. وانظر في: «ثوابت الحضارة» تفصيلا:

أ- بلاد ما بين النهرين La mesopotanie تأليف ل. ديلا بورت. الكتاب رقم (35) من سلسلة الألف كتاب.

ب- الحيثيون: تأليف أ. ر. جرني R. gurney الكتاب رقم (451) سلسلة الألف كتاب. مطابع البلاغ.

جـ- الحضارة اليونانية. د/السيد مصطفى حجاج - جامعة عين شمس - كلية الآداب - بلا تاريخ أو مطبعة.

د- الحضارة المصرية والحضارة الشرقية - د/علي إبراهيم حسن - نشر مكتبة مصر - الفجالة.

(9) الأعراف (7)

(10) نوح (12).

(11) نوح (28).

وقوله - عليه الصلاة والسلام - في رجاء حار لولده حتى لا يهلك مع الهالكين:

﴿ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ ﴾(١٢).

ويهلك الولد، ويناشد نوح ربه:

﴿ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي ﴾(١٣) ويرشده الحق - سبحانه وتعالى - إلى علامة الطوفان:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ ﴾(١٤).

أي زوجتك وأولادك.

فالآيات جامعة لكل عناصر الأسرة في هذا المجتمع.

الطبقات: ويحدثنا القرآن الكريم عن طبقات هذا المجتمع، فنعلم منه أن مجتمع قوم نوح جمع فئتين من الناس: فئة على غنى ونفوذ.

وأخرى صفر منهما، لابد أنها كانت تعيش على كد وفقر.

يدلنا على الطبقتين استنكاف الطبقة الغنية ذات النفوذ أن تؤمن برسالة نوح - استكبارا، وتقذرا واشمئزازا من الطبقة الدنيا، وقالوا - لنوح:

﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ﴾(١٥)

يقولون: ما اتبعك - يا نوح - إلا الذين هم دوننا في كل شيء.. اتبعك هؤلاء الذين لا قدرة لديهم على النظر والتأمل، ويسارعون إلى القناعة بالأمور بلا روية ولا تفكير، فليس لهم من الثقافة ما لنا، وليس لهم من الرأي والتدبير ما نتمتع به مما يجعلنا نرفض ما تدعو إليه من وحدانية لا نراك - وهم معك - إلا كاذبين.

الحكم: وفي تصوير القرآن الكريم لعظماء هذا المجتمع، قدمهم لنا بلفظ:

﴿ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ ﴾(١٦) أي قوم نوح و﴿ ٱلۡمَلَأُ ﴾ يعني: وجوه القوم وكبراءهم فهؤلاء - بغير شك - يمثلون القوة والنفوذ في هذا المجتمع، وليس - في الكتاب العزيز ذكر لذلك على قوم نوح - عليه السلام - كما ذكر الملكية في غيرهم، فكيف كان تكوين الحكم فيهم، أكان لهم نظام أشبه بالنظام الجمهوري، أم كان لهم مجلس يدير في مجموعه شئون بلده؟ فأما الأول فلا دليل عليه، وأما الثاني فمحتمل جدا، إذ هو أشبه بالمجالس القبلية أو الجمهورية التي لا يرأسها فرد بعينه، وإن خضع المجلس في النهاية لأقواهم نفوذا.

وفي القرآن الكريم ما يشير إلى (مجلس لهم) وذلك إذ يقول نوح:

---

(١٢) هود (٤٢ ، ٤٣).
(١٣) هود (٤٥).
(١٤) هود (٤٠).
(١٥) هود (٢٧).
(١٦) الأعراف (٦٠).

﴿ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾(١٧).

يقول نوح:

يا قومي إن كنتم ضقتم بطول إقامتي فيكم واعظا مذكرا إياكم بحجج الله وبراهينه على أنه هو - وحده - الإله الحق لا إله غيره، فاجتمعوا وتشاوروا في أمري وادرسوه دراسة واعية واضحة، وانتهوا إلى حكم واضح فيَّ ثم ائتوني فنفذوه.. أي لست أبالي بكم(١٨).

وحكم ﴿ ٱلْمَلَأُ ﴾ برفض دعـــوة نوح، واتهموه بالجنون، وتمادوا في تهديدهم له بالرجم حتى الموت إذا لم يكف عن دعوته، فقالوا:

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ ﴾(١٩).

﴿ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴾(٢٠)

ومن هذه الآية الأخيرة تتبين أن للقوم - أيضا - في نظمهم - وسائل ردع وعقاب لمن يعتبرونه أصاب خطيئة، ولا يعني «مجلسهم» لأمر نوح أن لا مجلس لهم سواه يعني بأمورهم وشئونهم الأخرى لقد انصرف جهد القوم في صد الناس عن دعوته، ونجحوا في ذلك إلى أبعد حدود النجاح، فصرفوا المجتمع: غنيه وفقيره عن الإيمان بدعوة نوح، وانكبوا مشركين على أوثانهم:

﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾(٢١).

ثم معذرة إذ تجاوزنا مضطرين دراسة ما تبع كل (ثابتة) من هذه الثوابت كما وردت بالجدول المتقدم سواء في ذلك (التنظم) أو غيرها من معالم الحضارة، ضرورة ما يجب علينا من إلحاق النتائج بأسبابها مباشرة، وإن كنا لن نترك بحال شيئا منها - بمشيئة الله تعالى - فنحن مثلا لا نستطيع الحديث عن الصناعات من حيث هي تابعة للنظم وجزء من أجزائها، لأن الحديث عن «الصناعات» ناتج حتما عما بين يدي هذا المجتمع من أدوات وأحوال يدير بها شئونه، فإذا ما تحدثنا عن هذه الأدوات وتلك الشئون كان من نتائجها المباشرة الحديث عن الصناعات، وجاء الحديث عنها في مقامها المحمود، طبيعة إلحاق النتائج بأسبابها، من أجل ذلك جاء تأخيرنا للحديث عن الصناعات أو غيرها.

دين قوم نوح

كان القوم مشركين وثنيين:

يتجلى شركهم في إقرارهم بالله ومعرفتهم بوجوده، وأن له ملائكة، لكنهم لم يخصوه - سبحانه - بالعبادة دون غيره، فجعلوا لله - تعالى - شركاء رمزوا إليها بأوثانهم: ود، سواع، يغوث، يعوق، نسر، وانكبوا على عبادتها، وتمادوا عليها علوا واستكبارا.

قال لهم نوح: ﴿ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾(٢٢).

﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾(٢٣)، ومضى في دعوته

---

(١٧) يونس (٧١)

(١٨) راجع تفسير الآية الكريمة لدى ابن كثير، والسيوطي، والخازن.

(١٩) المؤمنون (٢٥).

(٢٠) الشعراء (١١٦).

(٢١) هود (٤٠).

(٢٢) هود (٢٦).

(٢٣) الأعراف (٥٩).

ألف سنة إلا خمسين سنة، وهم ينأون عنه وينهون عنه، يقولون:

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً ﴾(٢٤) أى لم يبعث بشرا لنا مثلك:

﴿ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾(٢٥).

وازدادوا عتوا بأن تحدوه أن ينزل بهم العذاب الذى أنذرهم به، يقول نوح:

﴿ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾(٢٦).

فيقولون:

﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾(٢٧).

أى أنزل بنا هذا العذاب الذى تخيفنا به، ولا نعتقد أنك صادق ورفضوا الوحدانية حيث هى «مسئولية وجزاء» ورضوا أن يرتعوا بلا مسئولية ولا جزاء حتى أخذهم الله بالطوفان أخذ عزيز مقتدر - جل علاه.

وإنكار الوحدانية يعنى إنكارهم للجزاء، فهو إنكار لليوم الآخر، فحياتهم الدنيا كل شىء ولا شىء بعدها. وذلك عينه هو المصير الإنسانى فى عقيدتهم الوثنية، إن لم يكن كل وثنية.

فكيف كانت عبادتهم لأوثانهم؟

ليس بين أيدينا أخبار تقطع بهذه الكيفية، وإن كنا نعلم أن العبادة فى الوثنيات من أمثالها تعنى: السجود للوثن، والتمسح به، والذبح له، والدعاء باسمه، وصب الدماء واللبن عليه، وتزيينه بما أمكن من ذهب أو جوهر، واتخاذ أرض حوله تعتبر حرما له، والنداء باسمه والتضرع به ليس طلبا للمغفرة، ولكن طلبا للنصر والنفوذ والكسب فى الدنيا، فليس للآخرة حساب لدى القوم.

هذا ما نعرفه من مظاهر عبادة الوثن كما حُملت إلينا عن عُبّاده فى العصور التاريخية، فأما عن قوم نوح، فلسنا بمستطيعين أن نعتبر هذه الكيفيات نفس ممارسات القوم لأوثانهم(٢٨).

فقد تكون وقد لا تكون، أو يكون جزء منها قائما بجانب شعائر أخرى غير ما ذكرنا.

وكل ما نستطيع أن نؤكده ضرورة القيام بحق هذه الأوثان كما يتصورونها، فيكون لها - مثلا - كاهن واحد، أو أكثر، يختص كل منهم بواحد منها، كما يكون لها كذلك (سادن) أى خادم، أو أكثر يتولى شئون حفظها وصيانتها، وصيانة حرمها.

ومن الكاهن والسادن معا تتوالى «أساطير معجزات الوثن» التى تروق وتروج بين العامة والقدر الحق الذى يتعلق بشأنها هو جزء من تاريخها أورده لنا الحديث الصحيح عند البخارى فيما أورده من تفسير لسورة نوح، قال - بعد ذكر الأوثان الخمسة، أنها:

«أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون أنصابا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتَنَسَّخ العلم عبدت».

وأورد الإمام ابن حجر شرحا مستفيضا للحديث يتبين منه قدم الوثنية التى ورثها قوم نوح(٢٩).

«يتبع»

---

(٢٤) المؤمنون (٢٤). (٢٥) نوح (٧). (٢٦) هود (٢٥، ٢٦).

(٢٧) هود (٣٢). (٢٨) راجع لابن الكلبى: الأصنام

(٢٩) ابن حجر - فتح البارى ٨/٥١١ باب ودا ولاسواعا ولا يغوث ويعوق

القرآن دستور الإسلام

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

إن أعظم ما يقف عليه المسلم في القرآن، حديث القرآن عن نفسه وما أروع حديث القرآن عن نفسه، إنه حديث الصدق في أسمى درجاته، وحديث الطهر في أنقى صوره، لأنه مصون عن كل المؤثرات، محفوظ من التبديل والتغيير.

قال الله ـ تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾(1).

وقد أقسم الله ـ تعالى ـ على ذلك، فقال:

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (75) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (76) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (77) فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ (78) لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (79) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾(2).

وقد ضرب الله الأمثلة على عظمة القرآن، وأنه لو أنزل على جبل لخشع وتصدع من خشية الله، قال تعالى:

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(3).

هذا وإن القرآن الكريم لهو أجل النعم الإلهية وأولها ولذا صدر القرآن به حديثه عن النعم الوافرة، وذكره قبل نعمة النطق وغيرها من النعم والآلاء. فقال:

﴿ الرَّحْمَٰنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4) الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (5) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (6) وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾(4)

وحين سمع الإمام علي ـ كرم الله وجهه ـ رسول الله ﷺ يقول: «ستكون

---

(1) الحجر (9)
(2) الواقعة (75-80).
(3) الحشر (21)
(4) الرحمن (1-7)

فتن» .. إلخ، سأله عن المخرج من الفتن، فأجابه الرسول ﷺ قائلا: «كتاب الله - تبارك وتعالى - فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله، هو حبل الله المتين ونوره المبين، والذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا تتشعب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يمله الأتقياء، ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه، وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴾(٥) من علم علمه سبق ومن قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن اعتصم به هدى إلى صراط مستقيم».

وإذا تبين لنا مما سبق عظمة القرآن ومنزلته التى تمثلت:

أولا: فى الهداية ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب، قال تعالى:

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾(٦).

وقال:

﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾(٧).

وقال:

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾(٨).

كما بين القرآن نتيجة من أعرض عنه فى قوله:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾(٩).

ثانيا: فى الإعجاز وما اشتمل عليه القرآن من كونه معجزة دالة على صدق الرسول ﷺ جاء به فى وقت اكتملت فيه كل ملامح القوى البلاغية ووسط قوم ملكوا زمام الفصاحة والبيان فجاءهم بمعجزة من نوع ما برعوا فيه فعجزوا عن الإتيان بمثله، قال تعالى:

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾(١٠).

بل إن التحدى كان للإنس والجن معا فكان عجز الإنس والجن عن الإتيان بمثله واضحا قال تعالى:

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾(١١)

(٥) الجن (١).
(٦) النحل (٤٤).
(٧) النحل (٦٤).
(٨) الإسراء (٩).
(٩) طه (١٢٤-١٢٦).
(١٠) البقرة (٢٣).
(١١) الإسراء (٨٨).

وفيما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة».

ولقد حفظ الله كتابه في القديم وفي الحديث، من بين يديه ومن خلفه:

﴿وَإِنَّهُ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾(١٢).

وقد حاول بعض المعاندين أن يثيروا حول القرآن الكريم بعض الشبه وأن يقولوا تنزلت به الشياطين، فرد الله ـ تعالى ـ عليهم بقوله:

﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۝ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾(١٣).

أما تنزل الشياطين فلا يكون إلا على أهل الإفك والكذب والزور:

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾(١٤).

ولما كان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يجلس عند المروة إلى مبيعة غلام نصراني يقال له جبر فزعم أعداء الدين أن جبرا هذا هو الذي يعلم الرسول أغلب ما يأتي به وحاولوا ترويج تلك الفرية فنزل قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾(١٥).

بل إنهم تخبطوا في ضلالات كثيرة وأثاروا حول القرآن شبها عديدة لا يثبتون على حال ولا يهدأ لهم بال شأن كل متحير قمرة يقولون عنه: إنه خلط من أخلاط الأحلام وأخرى يقولون عنه: إنه افتراء وأخرى: بل هو شاعر:

﴿بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾(١٦).

وعندما فكر الرسول ﷺ في الالتقاء بوفود العرب والقبائل في موسم الحج يدعوهم إلى الله، اجتمع بعض المعاندين من قريش إلى الوليد بن المغيرة يتشاورون، وقالوا: ماذا عسى أن يقال في شأن محمد للعرب القادمين إلى موسم الحج، حتى لا يختلف بعضهم على بعض ويكذب بعضهم بعضا، واقترح بعضهم أن يقولوا إن محمداً كاهن، فرد الوليد هذا الرأي: أن ليس ما يقول محمد بزمزمة الكاهن ـ أي الكلام الخفي ـ ولا بسجعه واقترح آخرون أن يزعموا أن محمدا مجنون، فرد الوليد هذا الرأي بأنه لا تبدوا عليه لهذا الزعم ظاهرة واقترح غيرهم أن يتهموا محمداً بالسحر، فرد الوليد بأن محمدا لا ينفث في العقد ولا يأتي من عمل السحرة شيئاً، وبعد حوار اقترح الوليد

---

(١٢) فصلت (٤١:٤٢).

(١٣) الشعراء (٢١٠:٢١٢).

(١٤) الشعراء (٢٢١:٢٢٢).

(١٥) النحل (١٠٣).

(١٦) الأنبياء (٥).

عليهم أن يقولوا للحاج من العرب: إن هذا الرجل ساحر البيان وإن ما يقوله سحر يفرق بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته، اهـ «حياة محمد، لهيكل».

وفي صدد بيان تلك الفرى التي افتراها أعداء الإسلام يتحدث القرآن الكريم عنها، ويفندها، ويبددها في قول الله - تعالى:

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾(١٧).

وجاءت هذه الآيات الكريمة لتقرر قضية الوحي الإلهي في أجل صورها وأسماها وهي آيات الله البينات التي اشتمل عليها القرآن الكريم وقد عالجت هذه الآيات ذلك الموضوع الهام المتعلق بأمر الوحي، بعد أن تصدت الآيات السابقة لها من صدر سورة «الأحقاف» إلى تقرير عقيدة التوحيد عن طريق بيان ما أنزل الله من كتاب، وما خلق من السماوات والأرض وما بينهما، وكتاب الكون المفتوح بما فيه من شواهد العظمة الإلهية والقدرة القوية شاهد على صدق الكتاب المنزل الذي يهدي للتي هي أقوم، وكلاهما يتضافران في بيان أوضح الأدلة على وحدانية الله - تعالى - ومن عجب بعد كل هذا الوضوح أن يعرض الذين كفروا عن تلك الحقيقة الواضحة التي لا لبس فيها ولا غموض:

﴿حم ۝ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾(١٨).

ثم أخذت الآيات بعد ذلك تطرح تساؤلاتها القوية والحجج المفحمة وتتحدى من يعبدون أحدا غير الله، وتبين عجز الجميع أن يخلقوا شيئا

﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾(١٩).

إن نهايتهم ونهاية ما عبدوا في الدنيا عجز ومهانة. وأما نهايتهم في الآخرة فهي وقوع العداوة بينهم وبين معبوديهم وتبرؤهم منهم وكفرهم بهم:

﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾(٢٠).

وهكذا أبطلت الآيات السابقة عقيدة الشرك وأثبتت قضية التوحيد في جلاء ووضوح..

بعد هذا أخذت الآيات في إثبات قضية الوحي الإلهي فبينت كيف جاء القرآن وحيا جليا وآيات بينات، ومع هذا فإنهم لا يملكون أمام إعجاز القرآن إلا أن يقولوا:

﴿هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾(٢١).

---

(١٧) الأحقاف (٧-٨).

(١٨) الأحقاف (١-٣).

(١٩) فاطر (٤٠).

(٢٠) الأحقاف (٦).

(٢١) النمل (١٣).

ثم بينت ما آل إليه أمرهم من التخبط والتضارب فيقولون: افتراه، وهنا يبرز القرآن هذه الفرية الأخرى لا في صورة الخبر بل على صورة الاستفهام لأن هذا لا ينبغي أن يقول به عاقل، ومن المستبعد أن ينطق به إنسان ومعه عقله:

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ﴾(٢٢).

وهنا تأتي الإجابة أمرا من عند الله ـ تعالى ـ يتضمن استبعاد تلك الفرية على طريق التدرج معهم حتى يأتي عليها من القواعد، فعلى فرض ما ادعيتم فهل يكون مفترى من أجل أن تؤمنوا، وماذا يجدي إيمانكم لو آخذني ربي؟

﴿ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾(٢٣).

ولكن الحقيقة واضحة، ويعلم الله ما تندفعون فيه من طعون زائفة وكفى به شهيدا على صدق ما جئت به وعلى افتراء ما تطاولتم به:

﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾(٢٤).

وفي وسط هذا الجو الخانق لديهم، ومع هذا الحوار الشديد يكشف القرآن عن أسرار الرحمة الإلهية، ويشعرهم بحلم الله عليهم رغم تلك الجرائم والافتراءات فيقول:

﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾(٢٥). فقد تداركهم هداية الله فيهديهم، وقد يثوبون إلى رشدهم فيرحمهم، وبعد مناقشة المشركين في ضوء تلك الآيات البينات وبيان أنها حق أخذت في مناقشتهم عن طريق من أنزل عليه القرآن وهو الرسول ﷺ فهو لا يختص نفسه بشيء ولا يصدر في أمر إلا عن وحي الله، لأن قلبه واثق من ربه فلا يمد عينيه إلى سر ما من الأسرار وأنه ليس أول رسول جاء برسالة ربه فقد سبقه من قبل الرسل:

﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾(٢٦).

أما ما أشارت إليه الآية:

﴿ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ﴾ فالمراد به ما لم يكن عليه من وظائف النبوة كالحوادث والوقائع الدنيوية أما ما يحدث في الآخرة من ثواب وعقاب أو غير ذلك فإن علم مثل هذا من شئون النبوة ووظائفها ولذا ختمت الآية الكريمة بما يبين إنذار الرسول ﷺ بعقاب الله ـ تعالى ـ لهم:

﴿ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾.

كما أخذت الآيات بعد ذلك في إثبات صدق القرآن عن طريق أحد بني إسرائيل، كواحد من جنس المعاندين، أنه استدل على صدق الآيات من نفس القرآن، ثم استدل على صدقها أيضاً عن طريق واحد من نوع المعاندين وجنسهم وهو: «عبدالله بن

---

(٢٢) السجدة (٣).

(٢٣) الأحقاف (٨).

(٢٤) الأحقاف (٨).

(٢٥) الأحقاف (٨).

(٢٦) الأحقاف (٩).

سلام» لما سمع عبدالله بن سلام بمقدم رسول الله ﷺ أتاه فنظر إلى وجهه الكريم فعلم أنه ليس بوجه كذاب، وتأمله فتحقق أنه النبي المنتظر، فقال له: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: ما أول شرائط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ والولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه؟ فقال ﷺ: «أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وأما الولد فإن سبق ماء الرجل نزعه وإن سبق ماء المرأة نزعته» فقال: أشهد أنك رسول الله حقا، فقام، ثم قال: يا رسول الله، إن اليهود قوم بهت فإن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم عني بهتوني عندك، فجاءت اليهود فقال لهم النبي ﷺ: «أي رجل عبدالله فيكم؟» فقالوا: خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا قال: «أرأيتم إن أسلم عبدالله؟» قالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج إليهم عبدالله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.. فقالوا: شرنا وابن شرنا وانتقصوه، قال: هذا ما كنت أخاف يا رسول الله وأحذر، قال سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض أنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام وفيه نزل:

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٢٧).

ورحم الله البوصيري إذ يقول:

آيات حق من الرحمن محكمة
قديمة صفة الموصوف بالقدم
لم تقترن بزمان وهي تخبرنا
عن المعاد وعن عاد وعن إرم
دامت لدينا ففاقت كل معجزة
من النبيين إذ جاءت ولم تدم
ما حوربت قط إلا عاد من حرب
أعدى الأعادي إليها ملقي السلم

نفعنا الله ـ تعالى ـ بالقرآن الكريم ووفقنا إلى العمل به إنه سميع مجيب.

***

(٢٧) الأحقاف (١٠).

الآثار النفسية في أسلوب القرآن الكريم

للأستاذ الدكتور/ عبد الحليم حفني

من روائع أسلوب القرآن الكريم أنه يتجاوز ظاهر السياق ومايوحي به المدلول العادي للألفاظ إلى إبراز التأثير النفسي الذي يستهدفه الكلام، حيث إن الهدف للدين بصفة عامة، وللقرآن الكريم بصفة خاصة أن يصل إلى أعماق النفوس، فيؤثر فيها تأثيرا يتحقق معه اليقين والاقتناع، ومثال ذلك أن محمدا ﷺ كان في بدء رسالته متشوفا إلى ظهور الدين، وهو يعاني مع القلة التي آمنت به صنوفـــا من الأذى والتكذيب والتسفية والاضطهاد، منتظرا أن يواتيه نصر الله وتأييده بصفة عاجلة.

فالله ـ سبحانه ـ ينزل إليه وعدا مؤكدا بأن عطاء الله إياه قادم لامحالة في قوله تعالى:

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ ﴾[1].

والأسلوب العادى المتوقع هو أن يكون التعبير نحو ولسوف يعطيك ربك ما تريد من النصر والتأييد، أو نحو ولسوف يعطيك كل ما تتمنى، أو نحو ولسوف يعطيك عطاء لم يعطه أحدا قبلك، أو نحوا من هذا، وحين نتأمل مدلول مثل هذه العبارات نجد أنها تفيد عظم العطاء وفيض الجود ولكنها لاتشبع النفس، ولاتلقى فيها الإحساس بعدم الحاجة إلى المزيد، فصاحب المال لو أعطى واديا من ذهب لابتغى ثانيا ثم ثالثا وهكذا، وصاحب الملك لو أعطى ملكا عظيما يتطلع إلى بسطة أوسع وأعظم في الملك فيتجه إلى الغزو والفتح، وكذلك كل صاحب نعمة مهما عظمت يتطلع إلى المزيد منها ومن غيرها، وإذن فلو كان تعبير القرآن ولسوف يعطيك ربك كل ما تتمنى أو نحو ذلك فلن تتحقق القناعة النفسية أو السعادة التامة بهذا العطاء، وإنما تتحقق السعادة والقناعة بشعور المرء بأنه راض عما أعطيه، لأن الرضا يجعله لايتطلع إلى المزيد، حيث التطلع إلى المزيد يعنى أنه غير راض رضا حقيقيا عما لديه.

ولذلك تجاوز أسلوب القرآن كل التعبيرات التي تفيد تحقيق الآمال والتطلعات لدى الرسول الكريم وركز في الثمرة والفائدة من كل نعمة وكل عطاء وهي أن هذا العطاء فيه كل الكفاية ولايحتاج إلى مزيد، وكأن الله ـ سبحانه ـ يقول لرسوله الكريم: ثق بأن ربك سيعطيك العطاء الذى لاتجد في نفسك بعده أى شعور بأنك في حاجة إلى مزيد.

ومن دقة تعبير القرآن أنه كان يمكن أن يكون التعبير ولسوف يعطيك ربك حتى ترضى، وهو معنى صحيح، ولكنه لايبلغ تحقيق مراد القرآن، لأن التعبير بلفظ (حتى) يعنى أن العطاء متدرج، والتدرج يعنى أن الرسول الكريم ومعه المسلمون يظلون في كل درجة من درجات النصر والتأييد من الله يتطلعون إلى المزيد من الله، ولكن الله يقول لرسوله العظيم انتظر العطاء الأكبر، الذى لاتجد في نفسك معه حاجة إلى مزيد، وقد تحقق هذا في فتح مكة الذى عبرت عنه سورة النصر:

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾[2]

وكانت هذه السورة آخر مانزل على رسول الله من القرآن بعد حجة الوداع، بينما سورة الضحى التى تضمنت الوعد بالعطاء العظيم كانت من أوائل السور التى نزلت في بدء الإسلام بمكة.

ومراعاة لهذا الفارق الزمنى بين الوعد في بدء الإسلام وتحقق الوعد في آخر حياة النبي ﷺ كان التعبير بلفظ (سوف) في:

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ ﴾ فقد كان يمكن أن يكون التعبير نحو وليعطينك ربك فترضى، فيكون وعدا بشئ عاجل، أو بنحو وسيعطيك ربك

(١) الضحى (٥).

(٢) النصر (١: ٣).

فترضى، فيكون وعدا بشئ قريب، ولكن التعبير كان بلفظ: ﴿ وَلَسَوْفَ ﴾ الذى يعنى وعدا بشئ بعيد نسبيا حتى يوطن النبى والمسلمون أنفسهم على الصبر وعدم تعجل النصر.

ومن روائع هذا الأسلوب لفظ (أعجبك) من قوله تعالى:

﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ ﴾(٣).

فمضمون الآية الكريمة أن الله حرم على نبيه الكريم أن يتزوج بعد نسائه التسع، لا بأن يضيف إليهن أخرى أو أخريات، ولا أن يستبدل بهن أخرى أو أخريات، وكان السياق المألوف أن يقال مهما يكن حسنهن، أو مهما يبلغن من الجمال، أو نحو ذلك، ولكن شيئا من ذلك لايؤدى ما يؤديه تعبير: ﴿ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ ﴾ لأن المهم ليس الجمال لذاته، ولكن المهم هو صدى هذا الجمال ووقعه فى نفس الرجل، فقد توجد امرأة بارعة الجمال ولكن بعض الناس قد يقولون إنها ليست جذابة، أو أن جمالها بارد، أو نحو ذلك مما يعنى عدم تأثير جمالها فى النفس، وبالتالى عدم إثارة العاطفة نحوها، بينما توجد أخرى دون هذه المرأة فى الجمال ولكنها تثير العواطف بأضعاف ما تثيره تلك البارعة فى الحسن، وكم من جميلات يزهد فيهن أزواجهن أو خطابهن، وكم من متوسطات فى الجمال يتنافس عليهن الرجال، وإذن فقد يبقى الجمال

ويكون موجودا ومع ذلك يوجد الزهد فيه والانصراف عنه أو عدم الاهتمام به، ولكن طالما يوجد الإعجاب فلا يعقل أن يوجد الانصراف أو عدم الاهتمام لأنهما بطبيعة الحال لايتفقان، وأقرب مثال لذلك أنه قد يرى شخص أو يعرف امرأة بالغة الحسن فيستطيع شخص آخر أن ينفره منها بسهولة بل أن يبغضه فيها بأن يذكر لها بعض المساوئ، بينما المعجب من الصعب أن ينتزع أحد إعجابه مهما ألقى فى أذنيه من تشويه المعجب به، كما يقول شوقى (........ عبثا تقنع المفتونا).

ومن روائع هذا الأسلوب (إن يريدا) فى قوله تعالى:

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾(٤)

فالموقف خلاف بين الزوجين، ومن حرص الإسلام على كيان الأسرة، وتعظيمه لرابطة الزوجية، يجعل القرآن الكريم الوسيلة إلى المحافظة على هذه الرابطة ليس وعظا ولامجرد ترغيب، وإنما بالنهج البالغ الحكمة والوصول إلى أعماق النفوس، فالزوجان هنا فى حال خلاف وتنازع، وهذا الخصام فى العادة تكون له خلفيات وخصوصيات فيما بين الزوجين لايطلع عليها أولا يشتم رائحتها إلا الأقارب المقربون، فلو عرض أمرهما على قاض أو حكم خارج هذه القرابة فسيقضى فى موقف يشوبه بعض الغموض والخفاء بالقياس إليه، فاختار القرآن حكمين:

(٣) الأحزاب (٥٢).

(٤) النساء (٣٥).

﴿ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾ ليكونا أقرب إلى العلم ببواطن هذا الخصام، ولكن يبقى احتمال ليس بعيدا عن الواقع، وهو أن يتسرب الخلاف أو الخصام القائم بين الزوجين إلى الحكمين، فينحاز كل منهما إلى الطرف الذي ينتمي إليه، فيدور الحكمان في حلقة مفرغة، ولا يرغبان في إنهاء الخلاف، حيث يصبح الحكمان كأنهما هما الخصمان لانحياز حكم الزوج نفسيا إلى موقف الزوج، وكذلك الحكم الآخر في انحيازه نفسيا إلى موقف الزوجة قريبته.

وهنا تبدو دقة تعبير القرآن، فقد كان التعبير العادي المنتظر أن يقال فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ليحاولا التوفيق بينهما، أو ليبذلا جهدهما في الإصلاح، أو نحو ذلك من السلوك الظاهر المحسوس، ولكن القرآن يتجه بأسلوبه إلى العمق النفسي الذي تتوقف عليه النتيجة وهو:

﴿ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ﴾ فالإرادة والرغبة النفسية في الإصلاح لدى الحكمين هي التي ينتظر معها الوفاق بين الزوجين، ويروى أن عمر - رضي الله عنه - بعث حكمين ليصلحا بين زوجين فعادا دون أن يحققا صلحا، فزجرهما عمر قائلا: لو أردتما إصلاحا لوفق الله بينهما مشيرا إلى الآية الكريمة المذكورة فرجعا مرة أخرى مدفوعين بإرادة الإصلاح فوفق الله بين الزوجين.

فالفارق بين المحاولتين، الأولى الفاشلة، والثانية الناجحة، أن الحكمين كانا في المحاولة الأولى يؤديان عملا سطحيا محسوسا بصرف النظر عما يبذلان فيه من جهد، وبصرف النظر عما قد يكون لديهما من نوازع نفسية أو عصبية، ولكن الحكمين في المحاولة الثانية كانا يتصرفان بدافع نفسي قائم على الرغبة والإرادة.

ومن هذا الأسلوب لفظ (يضيق صدرك) من قوله تعالى:

﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾(٥).

والمروي أن هذه الآيات نزلت في شأن نفر من أعيان مكة كانوا يجيدون التفنن في الاستخفاف برسول الله ﷺ والاستهزاء به من مثل قولهم كما ينقل القرآن عنهم:

﴿ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾(٦)

والذي تضمنته الآيات من كفرهم نوعان، أحدهما الاستهزاء برسول الله ﷺ والآخر الشرك حيث: ﴿ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ والنوعان لايوازن بينهما من حيث العقيدة فكلاهما كفر صريح، ولكن ينظر إليهما من حيث التوجيه، فالاستهزاء موجه إلى شخص الرسول الكريم، والشرك موجه إلى ذات الله - سبحانه - واللافت للنظر أن الله - سبحانه - لايعجل العقاب على مايوجه إلى ذاته سبحانه اكتفاء بهذا الوعيد البالغ الرهبة رغم أنه غير قريب في قوله تعالى:

﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ والذي يدل على عدم قربه

---

(٥) الحجر (٩٥: ٩٧).

(٦) الحجر (٦).

لفظ ﴿ فَسَوْفَ ﴾ أما الذى استحق العقاب العاجل فهو ما وجه إلى الرسول الكريم ليس مجرداً من الإيذاء، فقد كان ﷺ أصبر الناس على الأذى، ولكن الاستهزاء بالذات أوجع الأذى وأشده إيلاما للنفوس، لأن المرء قد يتحمل ألوانا من الأذى لأنه يشعر بقوة فى ذاته وكيانه فهذا الأذى لم يهدم كيانه، ومادام كيانه قائما فإنه يستطيع أن يتحمل وأن يقاوم، ولكن الاستهزاء والاستخفاف يعنى هدم الكيان، بل إن هذا الكيان أصبح موضع السخرية والاستهزاء، ووصف القرآن لأثر الاستهزاء فى نفس الرسول الكريم أوضح دليل على أنه لاشئ أبلغ فى إيلام النفس من السخرية والاستهزاء، فإن الرسول الكريم كان جبلا راسخا فى كل شئ، ومنه تحمل الأذى، فقد ظل قرابة عشرين عاما يتحمل كل صنوف الأذى من المشركين فى مكة، ومن المنافقين واليهود فى المدينة، ولكن الشئ الوحيد الذى يؤكد القرآن أنه يضيق به صدره هو الاستهزاء به:

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾.

ففى التعبير عدة مؤكدات صريحة أو ضمنية لتحقق ضيق صدر النبى بما يقولونه عنه من أوصاف الاستهزاء، منها (اللام) ومنها (أن) ومنها ما تفيده (قد) من تحقق الحدوث، ومنها مايفيده لفظ (نعلم) من اليقين بحدوث الضيق، ومنها ما تفيده صيغة المضارع فى (يضيق) من تجدد حدوث الضيق بالاستهزاء بخلاف ما لو كان التعبير بضاق صدرك، كل هذا يعنى أن النبى الكريم أصبح فى حالة من الألم والضيق تحتاج إلى تدخل سريع من القدرة الإلهية، فكان الإنقاذ الإلهى بوعده بأن الله سيكفيه هؤلاء المستهزئين ويكف عنه مصدر الاستهزاء، ولكن أسلوب القرآن يريد أن يملأ نفس الرسول الكريم يقينا بأن العقاب الدنيوى العاجل قد تقرر لامحالة فكأنه وقع فعلا، فجاء هذا الوعيد للمستهزئين بلفظ الماضى:

﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ ﴾ وكأن العقاب وقع فعلا، لأن مايقضيه الله فكأنه وقع فعلا من باب الحديث عن القيامة بلفظ: ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ ﴾(٧).

وكان عقاب الله العاجل لهؤلاء الخمسة المستهزئين متنوعا، فكان أهونهم عقابا من مات حتف أنفه وهو الوليد بن المغيرة، وكان منهم من عمى لينالة شئ من الهوان الذى كان يريده للنبى، ومنهم من هاجت برأسه القروح فظل يضرب الحائط برأسه حتى مات، على أن وعد الله لنبيه لم يكن العقاب لهم فى الدنيا، وإنما الوعد هو أن يكفيه إياهم، وقد ماتوا جميعا قبل موقعة بدر، والشاهد فى هذا أن الأسلوب العادى أو المألوف هو إبراز غضب الله على هؤلاء أو مدى كره رسول الله لهم أو نفوره منهم أو تعرضه لاستهزائهم أو نحو ذلك، ولكن أسلوب القرآن ينفذ إلى الأعماق ليبرز المعاناة النفسية ومايصاحبها من المشاعر والأحاسيس كما فى تعبير: ﴿ يَضِيقُ صَدْرُكَ ﴾.

ومن روائع هذا الأسلوب ﴿ ءَأَنتُمْ ﴾ من قوله

---

(٧) سورة النحل (١).

تعالى فى شأن الوصاية على أموال اليتامى:

﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ﴾(٨).

فالآية الكريمة تتضمن حكما شرعيا هو أن الوصى على مال اليتيم عليه أن يدفع إلى اليتيم ماله إذا تحقق أمران، أحدهما أن يصل اليتيم إلى سن البلوغ، والآخر أن يحسن اليتيم التصرف، والآية الكريمة تأمر بإجراء اختبار وابتلاء لليتيم للتأكد من صلاحيته وأهليته لإدارة أمواله قبل أن يسلم إليه ماله، وللعلماء والمفسرين خلافات كثيرة حول الموضوع، هل يكون الاختبار قبل بلوغ اليتيم أو بعده؟ وهل المراد بالرشد رشد العقل أم رشد التدين؟ وعن السن التى يدفع إليه ماله فيها إذا لم يتحقق رشده عند البلوغ ونحو ذلك من الخلاف، ولكن الذى يعنينا هنا هو دلالة لفظ: ﴿ءَانَسۡتُم﴾ فإن الأنس (بضم الهمزة) وهو ضد الوحشة يعنى فى مدلول الآية وجود اطمئنان فى النفس إلى أن اليتيم بلغ طور الرشد وحسن التصرف، فإن هذا الطور تختلف الآراء فى الحكم عليه، فليس هناك علامات محددة يمكن أن تقطع بوجود الرشد، أو بدرجة الرشد، والمال محط الطمع والرغبة كقوله تعالى:

﴿وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا﴾(٩) فالوصى على مال اليتيم قد يجد من اليتيم رشدا وحسن تصرف، ولكنه يزعم أنه ليس رشدا، أو أنه رشد ناقص، ليزيد الوصى من أمد الوصاية إذا كان طامعا فى شئ من هذا المال، أو إذا كان هذا الوصى عفيف النفس لاينتفع بشئ من مال اليتيم فقد يشعر بأن رعايته لمال اليتيم عبء ثقيل يريد أن يتخلص منه ليريح نفسه، فينتهز أدنى مرحلة من مراحل رشد اليتيم فيبادر بتسليم ماله إليه وهو يشعر بأن رشد هذا اليتيم فى حاجة إلى نضج، فيأتى تعبير:

﴿فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا﴾ ليحسم الموقف بأن يحمل الوصى مسئولية نفسية يطلع عليها الله ـ سبحانه ـ ويدرك الوصى مسئوليته عنها دون غيره من الناس، وذلك حين يشعر فى داخل نفسه شعورا واضحا تطمئن (وتأنس) إليه نفسه بأن اليتيم قد بلغ رشدا يمكنه من حسن إدارة ماله والتصرف فيه، حينئذ يجب عليه أن يدفع إلى اليتيم ماله، وهذا الفيصل الحاسم لايحققه إلا لفظ: ﴿ءَانَسۡتُم﴾ بخلاف مالو كان التعبير نحو فإذا رأيتم منهم رشدا أو وجدتم أو نحو ذلك مما لايمس الضمير أو العمق النفسى الذى تدور حوله المسئولية عند الله، من باب الحديث الشريف المتفق عليه:

«إنما الأعمال بالنيات ......»(١٠) وقوله تعالى:

﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡ﴾(١١).

---

(٨) النساء (٦).

(٩) الفجر (٢٠).

(١٠) أخرجه البخارى ١/٢، ٨/١٧٥.

(١١) البقرة (٢٢٥).

اغتيال إسلامية فيلسوف ؟!

شتان بين «الرشدية الإسلامية» و«الرشدية اللاتينية»

٢

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

لقد أرادت النهضة الغربية الحديثة - بالوضعية.. العلمانية - وعقلانية التنوير اللادينية - إقامة قطيعة معرفية مع اللاهوت النصراني، وحذف «جملته المعترضة» من سياق تطورها الحضاري، لتأسيس نهضتها الحديثة على تراثها الإغريقي.. فقدمت لذلك نظرية الحقيقتين:

أ- العقلية العلمية الوضعية.. التي تؤسس عليها النهضة.

ب- والدينية - التي لا تخضع لمناهج العلم، ولا ترقى إلى مستوى الحقيقة العلمية.

ولقد نسبوا القول بالحقيقتين إلى ابن رشد.. وسمى فريق من رواد هذه الدعوة أنفسهم «بالرشديين».

ولقد كانوا - في الحقيقة - منطلقين من الأرسطية - كما رأوها في شروح ابن رشد لأرسطو - وليس من الرشدية - التي قدمها ابن رشد في إبداعه الخاص.. ومن هنا جاءت جناية النظرة الجزئية، وحيدة الجانب، لهؤلاء الذين لم يروا من ابن رشد سوى الشروح على أعمال فيلسوف اليونان.

وإذا كان فرح أنطون - وهو طليعة العرب الذين نقلوا هذه النظرة المغلوطة إلى لغتنا العربية - إنما صنع ذلك وهو يؤسس - مع مجموعة من المثقفين الموارنة الذين سعوا - تحت

مظلة السلطة الاستعمارية في بلادنا إلى إحلال النموذج الغربي في النهضة والتقدم – النموذج الوضعي العلماني – محل النموذج الإسلامي – الجامع، بشمولية منهاجه، بين الدين وسائر ميادين العمران الدنيوي.. فسعى إلى الاحتماء بفيلسوف مسلم، وهو يقدم الخيار الحضاري اللاإسلامي إلى الأمة المسلمة.. فإن خلفاء فرح انطون – الذين تجاوزوا «وضعيته المنطقية» التي جاورت بين «الدين» و«العلم» مع الفصل بينهما – إلى «الوضعية المادية» التي تتجاوز «الدين» بتأويله، فتخضعه للعلم والعقل – إخضاع إلغاء، وليس وقوفا عند الفحص والنظر والفقه – هؤلاء الخلفاء يصنعون اليوم – في مواجهة تعاظم ظاهرة الإحياء الإسلامي – ذات الصنيع مع ابن رشد.. صنيع الاستدعاء القسري لفيلسوف قرطبة، لجعله «الساتر» الذي يتحصنون به، وهم يحاولون إقامة قطيعة معرفية مع الإسلام، وذلك بإحلال التنوير الغربي– الوضعي– والعلمانية الغربية – اللا دينية – محل الوحي والغيب والشريعة، عزلا للسماء عن الأرض، وإحلالا «للدين الطبيعي» محل الدين السماوي، واستبدالا عاما وكاملا «للنسبي» «بالمطلق» و«للعقل» «بالنقل»، و«للسلطة البشرية» «بالسيادة الشرعية» – بحسبان هذه الثنائيات، في الإسلام، كما هي في الفكر الغربي، من «المتقابلات.. المتناقضات».

ولقد سلكوا إلى ذلك أبوابا عدة، في مقدمتها، ومن أهمها باب التزييف لمذهب ابن رشد في التأويل!.. حتى لقد صوروا دعوتهم إلى إحياء فلسفة ابن رشد: دعوة إلى تبني الخيار الغربي العلماني في التقدم والنهوض، دون مواربة أو تأويل! الأمر الذي جعلنا نختار – في الحديث عن ابن رشد المفكر – تحديد موقعه الفكري بين خياري النهضة: الغربي.. والإسلامي، وتحرير حقيقة مذهبه في التأويل، تبيانا لحقيقة مكانه من مذاهب الحكمة وتيارات الإصلاح.



فرج انطون

الدعــوى

يقول أصحاب هذه الدعوى – «الجديدة – القديمة» التي تربط ابن رشد بمقولات «الرشديين اللاتين»، وبتأسيس التنوير الغربي والعلمانية الغربية: إن الاتهامات التي أصدرها أسقف باريس، في مارس سنة ١٢٧٧، والتي حرمت ثلاث عشرة قضية فكرية للرشديين اللاتين.. ومنها:

١– إنكارهم علم الله للجزئيات الحادثة..

٢– وإنكار العناية الإلهية فيما يخص الأفعال الإنسانية..

٣– وقولهم بقدم العالم..

٤– وتقديم الفلسفة على الشريعة..

٥– وإنكارهم الخوارق والمعجزات

٦– وقولهم بحقيقتين مختلفتين، فلسفية ودينية، وصادقتين معا..

يقولون إن هذه القضايا هي أفكار ومقولات رشدية.. وأن أهمها هو نظرية «الحقيقة المزدوجة»، ومفادها: إمكان صدق نتيجتين متناقضتين في آن واحد، أي إحداهما صادقة في مجال العقل والفلسفة، والأخرى صادقة في مجال الإيمان الديني.. وأن فلسفة ابن رشد - هذه - قد أفرزت تيارا رشديا في أوربا أسهم في الإصلاح الديني وفي التنوير»(1).

بل لقد تجاوزوا هذه الحدود لهذه الدعوى - التي سبقهم إليها فرح أنطون - إلى ادعاء أن ابن رشد «قد أخضع الدين للعقل.. بالتأويل».. وهو ادعاء يفضي إلى أن ابن رشد قد تجاوز وألغى الحقيقة الدينية، عندما اعتمد - بالتأويل - حقيقة واحدة، هي الحقيقة العقلية.. ورأوا أنهم بهذا التجاوز قد اكتشفوا ما لم يكتشفه فرح أنطون.. فلقد «اتجه فرح أنطون إلى ضرورة الفصل بين العلم والدين. وحجته في ذلك أن العلم يوضع في دائرة «العقل»، لأن قواعده مبنية على المشاهدة والتجربة. أما الدين فيوضع في دائرة «القلب» لأن قواعده مبنية على التسليم بما ورد في الكتب من غير فحص في أصولها، ومعنى ذلك أن لكل منهما دائرة يتحرك فيها بحرية كما يشاء دون أن يكون أحدهما تابعا للآخر».

ويضيف الدكتور مراد وهبة - متجاوزا دعوى فرح أنطون فيقول: «وفي رأيي أن هذا الاتجاه مخالف لما يذهب إليه ابن رشد، إذ أن ابن رشد يُخضع الدين للعقل بفضل ما لدى العقل من قدرة على التأويل من أجل الكشف عن المعنى الباطن للنص الديني الذي يتفق ومقتضيات العقل. واعتقد أن هذا المفهوم عن التأويل لابن رشد هو الذي أصبح مقبولا في أوربا، بل أصبح أساساً لما يسمى بـ «الهرمنيوطيقا» أي علم التأويل»(2).



د. مراد وهبه

ونحن لن نقف «مكتشفين» - في رد دعوى تأسيس ابن رشد لعلم التأويل، بمعناه الوضعي الغربي - والذي يعني تجاوز الدين وإخضاعه للعقل - لن نقف عند تناقض هذه الدعوى مع ما قاله صاحبها من أن هذا التأويل الغربي قديم قدم الفلسفة اليونانية «فالهرمنيوطيقا Hermeneutics لها علاقة بهرمس Hermes.. والهرمنيوطيقا واحد من مؤلفات أرسطو - عن الهرمنيوطيقا - Peri Hermeneius»(3).

وإنما سنعمد إلى الإبداع الفكري لابن رشد، عارضين مقولات «الرشديين اللاتين» على هذا الإبداع، لنرى هل هناك نسب حقيقي بين هذه المقولات وبين فكر أبي الوليد؟.. ولنتبين حقيقة الموقع الفكري لفيلسوف قرطبة من مذاهب النظر وتيارات الفكر ومذاهب الأمم في التقدم والنهوض.

---

(1) [مدخل إلى التنوير] ص ١٢٤، ١٣٥، ١٤١.

(2) المرجع السابق. ص ١٥٥، ١٥٦.

(3) المرجع السابق. ص١٣٩.

العلم الإلهي بالجزئيات

لقد كان إنكار «الرشديين اللاتين» علم الله ـ سبحانه وتعالى ـ للجزئيات الحادثة، هو فهمهم لمقتضى التصور الأرسطي لنطاق فعل الذات الإلهية.. فالله، في ذلك التصور، قد خلق العالم، وحركه، ثم أصبح لا يدري من أمر تدبيره شيئا.. فهو كصانع الساعة، الذي انتهت علاقته بها بعد صنعه لها.. ومن ثم فهو لا يعلم ما يحدث في هذا العالم من جزئيات.. وليس هكذا التصور الإسلامي لنطاق فعل وتدبير ورعاية الذات الإلهية لكل الموجودات.. فالله ليس مجرد خالق للعالم، وإنما هو أيضا مدبر للكون المادي والاجتماعي البشري.. والقرآن يقدم هذا التصور:

﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾[4]

﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ۝ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾[5].

في مقابل التصور الوثني الجاهلي ـ المماثل للتصور الأرسطي ـ:

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾[6].

والذي جعلهم يرجعون بما وراء «الخلق»، من التدبير والعلم بالجزئيات الحادثة، إلى الطواغيت والأوثان.. فالخلق لله.. والتدبير لغير الله:

﴿ فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا ﴾[7]

ولقد كان فكر ابن رشد، في هذه القضية إسلاميا خالصا.. فالله ـ سبحانه وتعالى ـ عنده، عالم بالجزئيات، كما هو عالم بالكليات.. لكن هذا العلم الإلهي مفارق لعلمنا الإنساني، لأن علمنا الإنساني صادر عن الموجودات، ومُسبب عنها، ومتغير بتغيرها، ومعلول لها.. بينما العلم الإلهي سبب في وجود هذه الموجودات.. فالمغايرة ليست بين الكلي والجزئي في العلم الإلهي.. وإنما هي بين كل العلم الإلهي وبين علم الإنسان..

«إن علمنا معلول للمعلوم به، فهو مُحْدَث بحدوثه، ومتغير بتغيره، وعلم الله ـ سبحانه ـ بالوجود على مقابل هذا، فإنه علة للمعلوم الذي هو الموجود، فمن شبّه العلمين أحدهما بالآخر فقد جعل ذوات المتقابلات وخواصهما واحدة، وذلك غاية الجهل.. وكيف يُتَوَهَّم على المشائين أن يقولوا إنه ـ سبحانه ـ لا يعلم بالعلم القديم الجزئيات، وهم يرون أن الرؤيا الصادقة تتضمن الإنذارات بالجزئيات الحادثة في الزمان المستقبل، وأن ذلك العلم المنذر يحصل للإنسان في النوم من قبل العلم الأزلي المدبر للكل، والمستولي عليه؟!..»[8] «فالعلم القديم إنما

---

(٤) الأعراف: ٥٤.
(٥) طه: ٤٩، ٥٠.
(٦) العنكبوت: ٦٣.
(٧) الأنعام: ١٣٦.
(٨) [فصل المقال] ص٣٩. وانظر كذلك [تهافت التهافت] ص ١١٠، ١١٢، ١١٤.

يتعلق بالموجودات على صفة غير الصفة التى يتعلق بها العلم المحدث، لا أنه غير متعلق أصلا»[٩].

وإذا كانت التصورات الأرسطية والوثنية ـ وكذلك التصور النصرانى ـ لنطاق فعل الذات الإلهية، والتى تراه مجرد خالق للعالم، غير مدبر له، فتدع ما لقيصر لقيصر وما لله لله، هى المنطلقات للتصور العلمانى، الذى يحرر العالم من حاكمية الشريعة الإلهية.. فإن قطع ابن رشد بأن «الله ـ تبارك وتعالى ـ هو الفاعل للكل، وموجده، والحافظ له ـ وهو المدبر للكل، والمستولى عليه»[١٠].. يجعله على النقيض من التصور العلمانى لنطاق عمل وفعل وتدبير الذات الإلهية، ومن ثم ينفى علاقة فكره بتأسيس العلمانية الغربية.. كما ينفى علاقة هذا الفكر الرشدى بمقالة الرشديين اللاتين فى نفى العلم الإلهى بالجزئيات..

علاقة العناية الإلهية بالأفعال الإنسانية

وإذا كان «الرشديون اللاتين» قد أسسوا تنويرا وضعيا وماديا يقف بالإنسان عند حدود هذا العالم، منكرا العناية الإلهية فيما يخص تدبير الإنسان وأفعاله الإنسانية.. فإن ابن رشد ـ الذى رفض أدلة المتكلمين التى استدلوا بها على وجود الذات الإلهية ـ قد حصر هذه الأدلة فى دليلين اثنين:

أولهما: دليل العناية الإلهية بالإنسان، وخلق جميع الموجودات من أجل العناية به..

وثانيهما: اختراع الله ـ سبحانه وتعالى ـ جواهر الأشياء والموجودات.. فقال عن دليلى «العناية» و«الاختراع»: «إنه إذا استقرئ الكتاب العزيز، وجدت الطريقة الشرعية ـ التى نبه الكتاب العزيز عليها، واعتمدتها الصحابة ـ للإقرار بوجود «البارئ» ـ سبحانه ـ تنحصر فى جنسين:

أحدهما: طريق الوقوف على العناية بالإنسان، وخلق جميع الموجودات من أجلها، ولنسم هذه: دليل العناية.

والطريقة الثانية: ما يظهر من اختراع جواهر الأشياء الموجودات، مثل اختراع الحياة فى الجماد والإدراكات الحسية والعقل، ولنسم هذه: دليل الاختراع»[١١].

وفى علاقة «العناية الإلهية»، والتقدير والقضاء الإلهيين، بالأفعال الإنسانية، لا يدع ابن رشد مجالا لأى شبه بين مذهبه الإسلامى وبين المذاهب المادية والوضعية للتنوير الغربى.. فهو يقطع بأن الإرادة الإنسانية، فى الفعل والترك، إنما يتدخل فى إيجادها وفى تحديد نطاق فعلها العوامل، والظروف والأسباب والملابسات التى خلقها الله خارج الإنسان ومن حوله، بل وفى داخله، مما لا دخل للإنسان الفاعل فيها.. فالإرادة والفعل الإنسانيين محكومان بخلق الله

---

(٩) ضميمة فى العلم الالهى [فصل المقال] ص ٧٦.

(١٠) المصدر السابق. ص ٣٩، ٤٠.

(١١) مناهج الأدلة ص ١٥٠، ١٥٠. دراسة وتحقيق: د. محمود قاسم. طبعة القاهرة سنة ١٩٥٥م.

وعنايته وقضائه وقدره.. «فالله ـ تبارك وتعالى ـ قد خلق لنا قوى نقدر بها أن نكتسب أشياء هي أضداد.. لكن لما كان الاكتساب لتلك الأشياء ليس يتم لنا إلا بمواتاة الأسباب التي سخرها الله لنا من خارج، وزوال العوائق عنها، كانت الأفعال المنسوبة إلينا تتم بالأمرين جميعا.. بإرادتنا، وموافقة الأفعال التي من خارج لها، وهي المعبر عنها بقدر الله.

وهذه الأسباب التي سخرها الله من خارج ليست هي متممة للأفعال التي نروم فعلها أو عائقة عنها فقط، بل هي السبب في أن نريد أحد المتقابلين. فإن الإرادة إنما هي شوق يحدث لنا عن تخيل ما، أو تصديق بشئ. وهذا التصديق ليس هو لاختيارنا، بل هو شئ يعرض لنا من الأمور التي من خارج.. ولما كانت الأسباب التي من خارج تجرى على نظام محدود، وترتيب منضود، لا يخل في ذلك بحسب ما قدرها بارئها عليه، وكانت إرادتنا وأفعالنا لا تتم، ولا توجد بالجملة إلا بموافقة الأسباب التي من خارج، فواجب أن تكون أفعالنا تجرى على نظام محدود، أعنى أنها توجد في أوقات محدودة، ومقدار محدود. وإنما كان ذلك واجبا لأن أفعالنا تكون مُسَبَّبة عن تلك الأسباب التي من خارج، وكل مُسَبَّب يكون عن أسباب محدودة مقدرة، فهو، ضرورة، محدود مقدر. وليس يُلْفَى هذا الارتباط بين أفعالنا والأسباب التي من خارج فقط، بل وبينها وبين الأسباب التي خلقها ـ الله تعالى ـ في داخل أبداننا.

والنظام المحدود الذي في الأسباب الداخلة والخارجة، وأعنى التي لا تخل، هو القضاء والقدر الذي كتبه الله ـ تعالى ـ على عباده وهو اللوح المحفوظ»[١٢].

هكذا جعل ابن رشد (العناية الألهية) محيطة بالإنسان، ترعاه، وتدبر أمره، وتسهم في تحديد فعله وتركه، بل وتسهم في صنع إرادة الفعل والترك لدى الإنسان.. فأين من هذا المذهب الرشدي «والرشدية الإسلامية» إنكار العناية الإلهية عند «الرشديين اللاتين»؟!.

وفي ضوء هذا الربط الرشدي بين الأفعال الإنسانية الإرادية وبين العناية الإلهية، نرى مذهب ابن رشد في السببية.

فعلى حين اجتمعت مذاهب التنوير الغربي «اكتفاء الطبيعة بذاتها» واستغنائها – في إفراز المسببات – بالأسباب الذاتية، الموجودة في ظواهرها وقواها، عن أية أسباب فوق الطبيعة ووراءها.. نجد لابن رشد، في السببية، مذهبا إسلاميا، يرد كل الأسباب الطبيعية إلى مسبب الأسباب وموجدها ـ سبحانه وتعالى ـ فهو، في تقرير العلاقة بين الأسباب والمسببات، ينبه على أن رفع هذه العلاقة ـ علاقة السببية ـ أو إنكارها يوقعنا في مذهب «الصدفة» و«المادية»، فيقول: إنه «متى رفعنا الأسباب

---

(١٢) المصدر السابق. ص ٢٢٦- ٢٢٧.

والمسببات لم يكن ها هنا شيء يرد به على القائلين بالاتفاق، أعنى الذين يقولون: لا صانع ههنا، وإنما جميع ما حدث فى هذا العالم إنما هو عن الأسباب المادية»[١٣].

فالقول بعلاقة الأسباب بالمسببات ـ برأى ابن رشد ـ لازم لكل مؤمن بوجود فاعل وموجد للوجود – وهذا نقيض المذاهب المادية – ولكن قيام علاقة السببية بين الأسباب والمُسَبَّبات لا يعنى، عند ابن رشد، إنكار الفعل الإلهى، المُسَبِّب لجميع الأسباب، والقائم عليها، وفوقها.. وبهذا يجمع ابن رشد بين فعل الأسباب وبين سلطان خالقها عليها – ومن ثم على المُسَبَّبات – وهو ما غفل عنه الباطنية وبعض المتكلمين.

وفى صياغة هذا المذهب – الذى ينهى الخلاف المفتعل حول السببية فى الفكر الإسلامى – يقول ابن رشد: «وإنما الذى قاد المتكلمين من الأشعرية إلى هذا القول – «نفى علاقة الضرورة بين الأسباب والمُسَبَّبات» – الهروب من القول بفعل الطبيعة التى ركبها الله فى الموجودات التى ههنا، كما ركب فيها النفوس، وغير ذلك من الأسباب المؤثرة. فهربوا من القول بالأسباب لئلا يدخل عليهم القول بأن ههنا أسبابا فاعلة غير الله».

ثم يقدم ابن رشد الحل لهذا الذى أشكل على بعض المتكلمين، فيقول: «وهيهات، لا فاعل ههنا إلا الله، إذ كان مخترع الأسباب، وكونها أسبابا مؤثرة هو بإذنه وحفظه لوجودها. وأيضا، فإنهم خافوا أن يدخل عليهم من القول بالأسباب الطبيعية أن يكون العالم صادرا عن سبب طبيعى، ولو علموا أن الطبيعة مصنوعة، وأنه لا شيء أدل على الصانع من وجود موجود بهذه الصفة فى الإحكام، لعلموا أن القائل بنفى الطبيعة قد أسقط جزءا عظيما من موجودات الاستدلال على وجود الصانع العالم، بجحده جزءا من موجودات الله. وذلك أن من جحد جنسا من المخلوقات الموجودات فقد جحد فعلا من أفعال الخالق ـ سبحانه ـ ويقرب هذا من جحد صفة من صفاته.

إن من جحد كون الأسباب مؤثرة بإذن الله فى مُسَبَّباتها فإنه قد أبطل الحكمة وأبطل العلم، وذلك أن العلم هو معرفة الأشياء بأسبابها، والحكمة هى المعرفة بالأسباب الغائية، والقول بإنكار الأسباب جملة هو قول غريب جدا عن طباع الناس»[١٤].

وبهذا المذهب الرشدى فى «العناية الالهية».. وفى السببية التى وضعها فى إطار العناية الالهية – يقف ابن رشد على النقيض من مذهب «الرشديين اللاتين»، الذين أنكروا العناية الالهية لأفعال الإنسان.. وعلى الضد من فلسفة التنوير الغربى – المادية والوضعية – التى قررت «اكتفاء الطبيعة بذاتها» نافية التأثير فيها والتدبير لها من فوقها وورائها.

---

(١٣) المصدر السابق. ص ٢٠٠.

(١٤) المصدر السابق. ص ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٣١.

مواقف إسلامية

دروس .. فى بناء الرجال

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

كان فتى من «طيء» يجلس إلى «الأحنف» وكان يعجبه.

فقال له يوماً: يا فتى:

هل تزين جمالك بشىء؟ قال: نعم:

إذا حُدثت .. استمعت.

وإذا عاهدت .. وفيت.

وإذا وعدت .. أنجزت.

وإذا ائتمنت .. لم أخن

فقال الأحنف:

هذه المروءة حقا!

مفتاح شخصية الأحنف

كان الأحنف - رضى الله عنه - صريحا: ظاهره كباطنه .. وإذا كان من تفاضل بين ظاهر الإنسان وباطنه .. فإن تزين الباطن بالقيم الجميلة أفضل وأنبل:

قال مصعب بن الزبير:

حدثنى الأحنف أنه قدم على عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - عند فتح «تُستر» فقال يا أمير المؤمنين: إن الله قد فتح عليك «تستر» فقال رجل من المهاجرين: يا أمير المؤمنين: إن هذا - يعنى الأحنف - الذى كف عنا بنى مرة حين بعثنا رسول الله ﷺ فى صدقاتهم. وقد كانوا هموا بنا.

قال الأحنف:

فحبسنى عمر عنده. بالمدينة سنة:

يأتينى كل يوم وليلة. فلا يأتيه عنى إلا ما يحب.

فلما كان رأس السنة. دعانى فقال:

يا أحنف: هل تدرى لم حبستك عندى؟

فقلت: لا يا أمير المؤمنين.

فقال عمر:

إن رسول الله ﷺ حذرنا كل منافق عليم.

فخشيت أن تكون منهم. فاحمد الله يا أحنف!

وفي رواية: قال عمر:

يا أحنف: إني قد بلوتك وخبرتك، فرأيت علانيتك حسنة.

وأنا أرجو أن تكون سريرتك مثل علانيتك[1].

الأحنف يبذل فطرته

وفي هذا الموقف الذي نحن بصدد التعليق عليه. وفي حواره مع هذا الفتى تنكشف لنا طبيعته الصريحة الجلية.. حين يعجبه الجمال البادي.. لكنه الجمال مع إيقاف التنفيذ حتى يكون له من جمال الباطن وشاح!

وعلى هذا المحور كان حديثه مع الفتى في هذا الموقف.

والذي نطالع من دروسه مايلي:

تواصل الأجيال

إن الأحنف الشيخ يدني منه ذلك الفتى الذي آثره على غيره ليكون جليسه وأنيسه.

وهكذا تتواصل الأجيال فيما يشبه النهر الذي لا يكف عن الجريان عبر المستقبل الواعد:

يحضر الفتيان مجالس الأشياخ.. هذه المجالس التي تتحول إلى دروس في الدعوة لا يحس فيها المدعو بضغط أو إكراه..

وإنما هي اللفتة العابرة.. أو اللمسة غير المباشرة.. والتي تتفتح بها مدارك الجيل على حقائق الأشياء التي لا تتمكن من قلوبهم في قاعة الدرس.. بقدر ما ترسخ في مجالس الأنس!

لفت نظر

ويلفت الأحنف نظر الشاب الذي قد يفتن بشبابه.. إلى جمال هو أبقى وأثقل في الميزان وهو: جمال المبادىء.

فلا بأس أن تكون حسن الهيئة. متسق الهندام. جميل الطلعة.. ولكن قبل هذا.. وفوق هذا لابد أن تحمل في صدرك قلبا سليما.

وأن يكون في هذا القلب من عواطف الخير ما تسعد به الحياة والأحياء.

وإذا كان بعض الناس لهم ألسنة ولهم أقلام تغرف من قلوبهم لتصير حبراً على الورق.. فإن رجال المبادىء يتقدمون خطوة أخرى.. ليصبوا هذه المبادىء عملا يرطب جفاف الحياة.. وجفاء الأحياء.

إن المعادن تتفاضل:

١ - بالجوهر.

٢ - وبالصانع.

أما فيما يتعلق بالبشر: فإن أصل الناس واحد.. والصانع واحد.

وإذن فلا تفاضل بينهم من هذه الجهة.. وإنما التفاضل بالتقوى:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[2].

إن مجرد اللسان اللافظ.. والقلب الحافظ لا يكفي لتحصيل الجمال.

---

(١) رواه الحافظ مضعف من طريق أبي نعيم.

(٢) الحجرات (١٣)

مقيـــاس.. ومقيـــاس

إن مقياس التفاضل اليوم هو: الأنانية والمنفعة الشخصية.

وقياسها: كل ما يشتهى وينفع..

الكل يتفانى فى سبيل: الجمال. والنسب. والنشب!

أما شريعة الحق كما تبدو من فحوى توجيه الأحنف فهو:

كل ما يحقق الكرامة ويعم نفعه البشرية.

وقد تجاهلنا ذلك فكان ما كان: الظلم، والكبرياء، والتباغض، بقدر ما يحقق مقياس الحق ما يلى: الحب، والتعاون على البر والتقوى..

وهنا تكون الحضارة.. بعكس ما تفرزه الأنانية من تفرقة عنصرية يعانى منها عالم اليوم..

هذا العالم الذى وكله الله ـ تعالى ـ إلى نفسه.. فمضت به إلى غير هدى.. وعلى غير هدى، فماذا حدث؟

صارت الحياة ـ بالتعبير الاقتصادى « شيكا » بلا رصيد.. وما أكثر العمائر التى تشق الفضاء شقا.. وما أكثر الحظائر المكتظة بالخيل المسومة ولكن.. لا بركة فيها!!

معنـــى المـــروءة

وقد استجمع الفتى خلال المروءة.. التى كانت مزيجا مباركا من المبادىء.. مما يفرض على المربين أن يوجهوا حملة التطهير إلى الباطن.. وهذا ما فطن إليه سلفنا الصالح فركزوا عليه.. لا إنكارا على من يتمتع بنعيم الدنيا.. وإنما توجيها إلى استثمار ما به يكون الإنسان إنسانا..

يقول ابن الجوزى فى صيد الخاطر «٤٥٩»: (تأملت خصومات الملوك. وحرص التجار. ونفاق المتزهدين.. فوجدت جمهور ذلك على لذات الحس. وإذا تفكر العاقل فى ذلك.. علم أن أمر الحسيات قريب. يندفع بأقل شيء. وأن الغاية منه لا يمكن نيلها. وإن بالغ.. عاد بالأذى على نفسه أضعاف ما ناله من اللذة: كمن يأكل كثيراً.

فالسعيد من اهتم لحفظ دينه. وأخذ من ذلك بمقدار الحاجة.

واعجبا!!

هذا الملبوس: إذا كان وسطا.. خدم.. وإذا كان مرتفعا خُدِم!

فإن نظر إليه اللابس معجبا به.. فإن الله لا ينظر إليه حينئذ. والمشروب: إن كان حراما.. فعقابه أضعاف لذته.

فعليك بالتوسط، وتفكر فى أحوال السلاطين: كم قتلوا ظلما. وكم ارتكبوا حراما. وما نالوا إلا يسيرا من لذات الحس.. فانقشع غيم العمر عن حسرات الفضائل الفائته.. وحصول العقاب)

فاحذر...

واعلم أنه: ليس فى الدنيا أطيب عيشا من منفرد عن العالم.. بالعلم فهو أنيسه وجليسه.. قد قنع بما سلم به دينه من المباحات الحاصلة، لا عن تكلف ولا تضييع دين، وارتدى بالعز عن الذل للدنيا وأهلها، والتحف بالقناعة باليسير. إذ لم يقدر على الكثير.

القافلة تسير

ولقد سارت قافلة الإيمان مستوعبة هذه المعاني.. فوصلت بإذن الله ـ تعالى ـ إلى مرفأ اليقين..

روى: أن سعد بن ضمرة الأسدي.. لم يزل يغير على «النعمان بن المنذر» يستلب أمواله. حتى عيل صبره. فبعث إلى «ابن ضمرة» يقول:

إن لك عندي ألف ناقة.. على أن تدخل في طاعتي. فوفد عليه، وكان صغير الجسم، فاقتحمته عينه. وتنقصه.

فقال:

مهلا أيها الملك! إن الرجال ليسوا بعظم أجسامهم. وإنما المرء بأصغريه: قلبه. ولسانه. إن نطق.. نطق ببيان. وإن صال.. صال بجنان.. ثم أنشأ يقول:

يا أيها الملك المرجو نائله
إني لمن معشر شم الذرى زهر
فلا تغرنك الأجسام.. إن لنا
أحلام عاد.. وإن كنا إلى قصر
فكم طويل: إذا أبصرت جثته
تقول: هذا غداة الروع ذو ظفر
فإن ألم به أمر فأفظعه
رأيته خاذلا للأهل والزمر

فلما انتهى قال له النعمان: صدقت. فهل لك علم بالأمور؟ قال: إني لا نقض منها المفتول. وأبرم منها المحلول. وأجيلها حتى تحول. ثم أنظر فيها إلى ما تؤول. وليس للدهر بصاحب.. من لا ينظر في العواقب. قال:

فتعجب النعمان من فصاحته وعقله.

ثم أمر له بألف ناقة. وقال له: يا سعد إن رحلت وصلناك.

فقال: قرب الملك.. أحب إليّ من الدنيا وما فيها.

فأنعم عليه وأدناه.. وجعله من أخص ندمائه

وهكذا فرض.. سعد.. احترامه على الملك.. لا بسيفه البتار.. ولكن بخلقه العظيم الذي به كسب الجولة.. واتخذ له في ديوان الملك موقعا متميزا.

إن القيادة لا تنال أبدا.. بالمظهر.. ولا بالدعوى.. وإنما هي فقط.. بالتقوى.

وهذا هو الفتى الشاب.. محمد الفاتح.. دليلنا على الطريق: فبعد أن فتح القسطنطينية قال: لا يؤمنا في الفجر إلا رجل صلى الفجر جماعة. ولم يتخلف منذ كلف!

ولم يتوفر هذا الشرط إلا في القائد الفاتح.. فصلى بهم.. ولقد كان «صلاح الدين» يصحب ولديه: العادل والفاضل ليكونا معه في مسجد عمرو بن العاص يطلبان العلم هناك!

الأحنف وأخلاق السيادة

ولقد كان الأحنف في توجيهه للفتى منطقيا مع نفسه:

فقد روى أن رجلا قال له: بم سدت قومك.. مع أنك لست بأشرفهم. ولا بأصبحهم وجها ولا بأحسنهم خلقا؟

فقال له الأحنف:

سدت قومي بخلاف ما فيك يا ابن أخي!

فقال له: وما ذاك؟

قال: بتركي من أمرك مالا يعنيني. وعناك من أمري مالا يعنيك!

ولئن كان لدى السائل شيء من الجفاء.. فإن هناك منصفين يعودون بالحق إلى نصابه. ومنهم.. هشام بن صفوان الذى سأله هشام بن عبدالملك بم بلغ فيكم.. الأحنف ما بلغ؟ فقال: إن شئت أخبرتك بخلة واحدة.. وإن شئت بخلتين. وإن شئت بثلاث. قال: فما هي؟ قال: أما الخلة: فكان من أقوى الناس على نفسه..

وأما الخلتان: فكان موقي الشر.. ملقى الخير.

وأما الثلاث:

فكان لا يحسد ولا يبخل. ولا يبغي.

من ملامح المنهج الإسلامي التربوي

من ملامح المنهج الإسلامي في بناء الرجال.. ما يبدو من توجيه الأحنف للفتى:

فالأحنف ـ رحمه الله تعالى ـ لم يعترض على جمال الفتى.. وإنما اعترف به..

لكنه يريد أن يرتفع به إلى أفق أعلى.. وجمال أبقى يريد أن ينتقل به من الجمال.. إلى الكمال.. وبهذه اللمحة المعبرة الموحية.

إن رجلا من العابدين لم يكتشف أن بقلبه خللا إلا بعد ثلاثين عاما قضاها في العبادة.. فأكد بذلك صعوبة الإبحار في خضم هذا القلب.. حتى يصير سليمًا معافى من علل الباطن.

وإذن.. فما أصعب المهمة.. مهمة إصلاح القلب الذى لا ينظر الله إليه إلا وهو في أفضل حالاته..

فإذا نجحت البداية.. بدأ السير في الاتجاه الصحيح

وما أكثر ما تخدعنا المظاهر عن المخابر:

وربما كان الثوب وزرا.. ولو كان تحت الركبة.. فقد يغتر صاحبه ناظرا إلى غيره من عل.. ظانا أنه هو الملتزم وحده!

جذور الموقف

ولقد كان الأحنف يستلهم سنة رسول الله ﷺ وهو يرشد ذلك الفتى:

فليس الجمال في ذاته عيبا.. لكن العيب هو الاكتفاء به!

إن الأحنف لم يعترض على جمال الفتى.. ولكنه يلفت نظر الشباب في شخصه إلى أن الشخصية لا تتم كمالا إلا بكنز آخر مدفون في الأعماق هو: منظومة الأخلاق.. الأمر الذى يفرض على الشباب أن يكون من اهتمامهم في بؤرة الشعور.. ومن ثم فقي هذا الكنز وحده.. فليتنافس المتنافسون بقول ﷺ:

«لا تنظروا إلى من هو فوقكم. وانظروا إلى من هو أسفل منكم فإنه أجدر ألا تزدروا نعمة الله[٣]».

وفي رواية: (إذا رأى أحدكم من فضل عليه في الخلق والرزق).

---

(٣) متفق عليه

إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم[4]. وعندما خرج قارون (على قومه في زينته).

عندما خرج عليهم مستعليا.. غارقا فيها.. مدلا بها.. كانت هناك ردود فعل مختلفة:

﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ ﴾[5].

وهذا هو منطق السطحيين الذين انبهروا بما شاهدوا.. والذين تصدى لهم الذين أوتوا العلم والإيمان:

لقد رأى الفريقان «قارون» في زينته.. رأوه بالعين الباصرة.

ولكن العوام وقفوا عند السطح البادى.. حيث قيدتهم هذه الزينة الصارخة.

أما أهل العلم فقد تجاوزوا رؤية البصر.. إلى نظرة البصيرة حين أدخلوا العقل طرفا في القضية:

لقد فكروا.. وقدروا.. ولم تأسرهم الرياش البادية.. ناصحين العوام بأن هناك ما هو أغلى من هذه الزينة التي ترون وهو: ثواب الله

وينتهي الموقف إلى سقوط الغرور.. الذي ابتلعته الأرض.. في لحظة من زمان.. وتستيقظ بصائر المخدوعين.. مقرين بصحة ما قرره العلماء المخلصون:

﴿ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[6].

والحديث الشريف الذى معنا يمكن لهذا المعنى في قلوب الذين آمنوا.

فكما أن الإسلام حريص على صحة الإنسان الجسمية.. فهو أحرص على صحته النفسية.

حين ينهاه عن النظر إلى من فضل عليه في الرزق، أو ل المال، أو الحسب لأن الإنسان - كما يقول ابن جرير وغيره.

إذا رأى من فضل عليه في الدنيا. طلبت نفسه مثل ذلك واستصغر ما عنده من نعمة الله - تعالى -.

وحرص على الازدياد ليلحق بذلك أو يقاربه. هذا هو الموجود في الغالب.

وأما إذا نظر في أمور الدنيا إلى من هو دونه فيها.. ظهرت له نعمة الله - تعالى - عليه.. فشكرها، وتواضع. وفعل فيها الخير.

وهذا معنى: «فإنه أجدر ألا تزدروا نعمة الله».

بين الرؤية.. والنظر

ويلاحظ أن الرواية الأخرى تقول: «إذا رأى أحدكم..».

---

(4) رواه مسلم ج ١٦/١٢١.

(5) القصص (٧٩)

(6) القصص (٨٢).

يعني إذا انبهر بمجرد رؤية نعم الغير.. فراعته أحجامها وتنوعها.. إذا حدث ذلك.. فليحول اتجاه بصره.. إلى من هو دونه..

ثم ليدخل عقله طرفا في القضية.. ناظرا بعين بصيرته ليتأكد له أنه وإن فضل عليه ألف.. فهو أفضل من عشرات الألوف..

فالرؤية بالعين المجردة.. وإن فرضت عليه مشاهد.. تراءت له.. إذا كانت الرؤية البصرية طارئة لا يملك الإنسان دفعها.. فإن النظر.. يعني: التفكير.. والموازنة.. واختيار الواقع.. وأنت واصل بهذا التفكير وتلك الموازنة إلى المعنى الذي قرره الشاعر القائل:

لو كانت الأرزاق تجرى على الحجا

هلكن إذن.. من جهلهن.. البهائم!

واقعية الحديث الشريف

والحديث الشريف لا ينكر على المسلم أن يتمنى مثل ما للغير.. ولكنه يحميه من الاسترسال مع أمانيه.. فرارا بك من الهموم التي سوف تأكل عافيتك!

هذه الهموم التي سوف تتحول إلى مخزون من الحقد.. الذي هو أعظم عيوب العقلاء.. وإنه لمرعى الحمقى.

من فقه الحديث

ولاحظ من فقه الحديث الشريف أن يقول:

«لا تنظروا إلى من هو فوقكم»

إنه لم يقل:

.. إلى من هو أفضل

فإن ما ترونه أغنى منكم وأقوى.. ليس بالضرورة «أفضل» منكم.. فقد يكون الفارق بينك وبين الغنى والقوى شاسعا.. لكنه بالمقياس الأخلاقي.. تحت قدميك.. وإذن.. فلا بأس من الجمال بأسر الرجال.. لكن البأس كل البأس أن تقف عنده.. ناسين جوهره الحقيقي.

فلا تسترسلوا مع خواطر النفس لو رأيتم جمالا.. أو مالا.. وبخاصة إذا علمتم أن ذلك الظاهر ليس له وزن عند الله ـ تعالى ـ.

«إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[7].

إن الفقر إلى الله ـ سبحانه ـ هو عين الغنى:

فأفقر الناس إلى الله.. أغناهم به، وأذلهم له.. أعزهم.

وأضعفهم بين يديه.. أقواهم، وأجهلهم عند نفسه.. أعلمهم بالله.

وأمقتهم لنفسه.. أقربهم إلى مرضاة الله»[8].

شاهد من الواقع

ونذكر ذلك الرجل الذي كان يحزنه أن يمشي حافيا.. فلما دخل المسجد.. وجد رجلا مقطوع القدم.. فحمد الله ـ تعالى ـ والذي لا يحمد على مكروه سواه، وهذا المقطوع نفسه.. إذا نظر إلى من قطعت يده

(7) مسلم ج ١٦/١٢١.

(8) طريق الهجرتين/٤٢.

مع رحله.. سوف يحمد الله - تعالى - كما حمده أخ له من قبل. أجل سوف يحمد الله الذي أخذ عضوا.. لكنه أبقى أعضاء.

من ثمرات النظر

سوف ينتهي به التفكير إلى الاقتناع بما قرره العلماء وهو: لا تتكالب على الدنيا.. فإنك فيها تنال ما قدر لك من رزق.. في عمرك الذي سوف تعيشه.. وبعد ذلك: ستحاسب على رزقك. وعمرك. فاشغل نفسك بما قدمت لغد. نافس أهل الآخرة. ودعك من أهل الدنيا

إن المال: غنى أرباب الدنيا: الذي فيه يتنافسون. وإياه يطلبون وحوله يحومون. ولا أحب إلى الشيطان. وأبعد من الرحمن.. من قلب ملآن بحب هذا الغنى.. والخوف من فقده.

قال بعض السلف: إذا اجتمع إبليس وجنوده.. لم يفرحوا بشيء كفرحهم بثلاثة أشياء:

مؤمن.. يقتل مؤمنا. ورجل.. يموت على الكفر. وقلب.. فيه خوف الفقر. وهذا الغنى محفوف بفقرين: فقر قبله. وفقر بعده. وهو كالعفوة بينهما(٩).

ويصير الأمر على ما يقول الشاعر:

وتنقضي الحرب محمودا عواقبها

للصابرين.. وحظ الهارب الندم

سبيل النجاه

وسبيل النجاه ألا نكتفي برؤية العين.. فالحواس خادعة.. وإنما هي البصيرة.. هي النظر.. كما أشار الحديث.. هذا النظر إلى من هم دوننا.. لنظفر بهذه الحقيقة وهي:

إن أفقر الناس إلى الله: أغناهم به.. وأذله لهم.. أعزهم. وأضعفهم بين يديه.. أقواهم. وأجهلهم عند نفسه: أعلمهم بالله.. وأمقتهم لنفسه.. أقربهم إلى مرضاة الله(١٠).

القلوب.. والقوالب

إن العبرة بما في القلوب.. لا بما تحويه الجيوب!

فكل ما شئت.. والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان: سرف.. ومخيلة.

وإن الله - تعالى - يحب أن يرى أثر نعمته على عبده..

والخيل نعمة: وبعض الخيل: ستر.. يتعهدها الرجل لمصلحته. وبعضها أجر.. يتعهدها الرجل للجهاد. وبعضها وزر يتعهدها صاحبها للخيلاء!

فالفرس: هي.. هي.. ولكن ما في قلب صاحبها هو الذي يعطيها قيمتها.

وكذلك: التلفاز.. والسيارة: فهما للرجل كالخيل: هو بذاته.. وهي بذاتها.. لا شيء فيهما.. ولكن المهم: كيف نستغلها؟ ولماذا؟

تلك هي القضية! فالعبرة بالمخابر.. لا بالمظاهر.. بما يستكن في القلوب.. لا بما يبدو في القوالب.

---

(٩) طريق الهجرتين/ ٤٢ - ٤٣.

(١٠) المرجع والموضع السابق.

كتاب الشهر

الهجمات المغرضة على التاريخ الإسلامى

تأليف

د/ محمد ياسين مظهر صديقى

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

لما أدرك أعداء الإسلام من المستشرقين وأذنابهم خطر التواصل بين المسلمين وتراثهم الخالص من الشوائب، كان من أسلحتهم الماضية لصرف المسلمين وغير المسلمين عن الإسلام.. العمل الدائب على تشويه الإسلام، إما بتقديم مقوماته وقيمه في هيئة تنفر منها، والصد عنها، وإما بتقديم تراثه ـ بأشخاصه وأفكاره ـ في صورة مهينة، تفقد الشخصيات الإسلامية تأثيرها الفعال، وتصرف عن الاقتداء بها، وتجعل الفكر الإسلامي سطحيا هزيلا، لا دور له في النمو الحضاري. وتصم سلوكيات المسلمين بالانحراف والضعف، والصدور فيها عن الدوافع الشخصية النفعية.

ولذلك حرص كثير من المفكرين والمؤرخين المسلمين وغير المسلمين على كشف هذا الصنيع التشويهي والتزييفي الذي ابتلي به التاريخ الإسلامي منذ بدايات الحروب الصليبية، حفاظا على تجلية الحقيقة، وإيمانا منهم بأن ذلك ضروري في الإسهام بنفخ روح الحياة في الصحوة الإسلامية، وتمكين المسلمين من أداء دورهم الحيوي على نحو ما رأينا فيما ذكره مؤلف هذا الكتاب.

رفض البعثة النبوية

وتحت عنوان (البعثة النبوية) ذكر المؤلف أن أكبر اعتراض أثاره المستشرقون هو اعتراضهم على الوحي الإلهي لمحمد ﷺ، مقررا أن هذا الاعتراض ناشئ، إما عن عدم درايتهم بالمصادر الإسلامية، وإما عن جهلهم بحقيقة الوحي الرباني، وإما عن تعصبهم الديني وعداوتهم للإسلام، وإما عن هذه الأسباب الثلاثة مجتمعة.



تيودور نولدكه

وقدم المؤلف أمثلة لهؤلاء المستشرقين اللامعين في ميدان الثقافة العربية والإسلامية، مثل (لامانس) الذي يقرر: أن الوحي الإلهي كان نتيجة أضغاث أحلام..، وحدس ذاتي، بينما يرى غيره أن نزول الوحي كان نتيجة غيبوبة طارئة، أو لخداع حسي، أو هلوسة وهذيان. وطائفة ثالثة من المستشرقين ترى أن الوحي ملازم لحالات الهستريا. ومن هؤلاء المستشرقين (نولدكه) الذي يرى أن الوحي كان نتيجة لحالات عصبية، حين تنتهي بحدث الوهم، على الرغم من أن الغرب يتوج هذا المستشرق مفسرا للقرآن الكريم.

وكذلك كتب (وليم موير) أن الرسول ﷺ قد انتابته الشكوك والشبهات فيما يصله من إلهام، حتى ظل حائرا، ويرجع ذلك إلى الطعام الذي كان يأكله الرسول ﷺ على الرغم من أن الغرب توج هذا المستشرق بجعله مؤرخ الإسلام.

كما ذكر المؤلف أن كثيرا من المستشرقين يزعمون أن القرآن من صنع محمد، وأنه استفاد في صنعه من تعليمات الإنجيل والتوراة في منطقة الشام. غافلين عن أن القرآن الكريم جاء مصدقا ومكملا للتعليمات الإلهية الصحيحة الموجودة في التوراة والإنجيل وجميع الصحف السماوية، وغافلين عن أن الشرائع التي نزلت على جميع

الأنبياء السابقين كانت مناسبة لزمانهم وظروفهم ومستواهم الحضارى، ثم جاءت الشريعة المحمدية مكتملة، لا تتحمل التغيير ولا التبديل، بينما العقائد والأصول الدينية لدين محمد تتفق تماما مع العقائد والأصول الدينية التى قدمها جميع الأنبياء السابقين، كما تنبه إلى ذلك ورقة بن نوفل العالم المسيحى، والنجاشى إمبراطور الحبشة المسيحى، وعبدالله بن سلام العالم اليهودى.

ولو أن هؤلاء المستشرقين التزموا بأصول البحث التى قرروها، لرأوا أن شهادات المعاصرين ـ فيما يتعلق بنزول الوحى على محمد ﷺ قد تجاوزت الحد كثرة وتواترا، من ناحية الشهادة التاريخية، ولرأوا أن معارضى محمد قد اعترفوا برسالته ﷺ رغم أنهم ينكرونها بألسنتهم، ولرأوا أنهم أمامه ـ ﷺ ـ أمام حقيقة تاريخية لا يمكن إنكارها، فقد عرف أهل شبه الجزيرة العربية جميعهم تقريبا حق الرسالة التى قدمها لهم، واعترفوا بالكلام المنزل عليه، وآمنوا به، من كل ما يؤكد أن هؤلاء المستشرقين أمام أكبر حقيقة تاريخية تلزم المؤرخ المحايد أن يعترف بها، وتفرض عليه عدم إنكارها، إلا إذا نحى حياده العلمى جانبا، واستسلم لتعصبه الأعمى الذى يقوده بعيدا عن الأصول البحثية المقررة، والمنهج العلمى المحايد الذى يتشدقون به دائما، ويتوهم كثير من باحثينا أن الغربيين ملتزمون به.

والاعتراض على القرآن الكريم

وكما كشف المؤلف مناحى الغرض، والتعصب الأعمى، والجهل الفاضح فى موقف المستشرقين من نبوة محمد ﷺ كشف ما فى نقدهم للقرآن الكريم من جهل تام بكثير من نصوصه، وتجاهل للمنهج العلمى الذى أصّلوه فى شتى الميادين النقدية الأخرى.

فالناظر إلى اعتراضاتهم على القرآن الكريم يلاحظ ما وراءها من قصور فى فهمهم، وعدم إدراكهم للسور والآيات المكية والمدنية. وعدم فهمهم أحكامها. هذا إلى أن جهلهم بظروف البيئة التى واكبت نزول بعض الآيات، وما تتضمنه من تعليمات.. هذا الجهل جعلهم يرون أن القرآن جاء استجابة للبيئة العربية وتحدياتها فقط، وأن أحكامه نسبية، ترتبط بملابستها، ولا تشمل الإنسان فى جميع أحواله وبيئاته.

فجهل هؤلاء المستشرقين ومن تبعهم، وتعصبهم الأعمى، صرفهم عن الوقوف على حكمة نزول القرآن منجما، وماوراء ذلك من مراعاة لحاجات الإنسان إلى الإعداد والتهيئة ـ دينيا وسياسيا واجتماعيا واقتصاديا ـ لاستقبال ما يتضمنه من أحكام، وإلا ما استطاعت الأمة تحمله ولا استيعابه. ولو أن هؤلاء تخلصوا من الجهل، وتخلوا عن التعصب، لوقفوا على ما فى التدرج فى نزول القرآن من أدلة صدق الرسالة المحمدية.

وذكر المؤلف أن المستشرقين ـ استمرارا منهم فى حبس أنفسهم داخل الغرض المتعصب ـ ينكرون ـ أو يتجاهلون ـ تدوين القرآن الكريم فى العهد النبوى، ويصرون على أن التدوين كان فقط على عهد عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ ولو أنهم تخلصوا من الغرض والتعصب الأعمى، واحتكموا إلى الأسس العلمية المقررة لرأوا أن الروايات المتواترة تشهد على أن القرآن الكريم تم

تدوينه في العهد النبوي، وأن الخليفة الأول أبا بكر الصديق ـ بناء على طلب عمر بن الخطاب ـ كون جماعة من الصحابة لتدوين القرآن في شكل كتاب، حفظ لدى أم المؤمنين حفصة، ثم قام عثمان ـ رضي الله عنه ـ بإعداد نسخ من هذا المصحف، وأرسلها إلى أمصار الدولة الإسلامية، حتى يجتب القرآن أى اختلاف، ويظل محفوظا على نسق واحد بالكتابة، والنطق، والحفظ.

ولكن هؤلاء المستشرقين ومن جرى وراءهم نقبوا وراء أى شبهة، ونفخوا فيها باسم التحليل العلمي والنقد التاريخي، ليضخموها، كي يخدعوا بها الضعاف، ويغرسوا بها الشك في نفوسهم.

والتشكيك في تعذيب المسلمين في مكة

وكان تعرض المسلمين في مكة لشتى ألوان التعذيب مما تناوله المؤلف من الأحداث التي حاول المستشرقون مسخها، بقصد التهوين من صمود المسلمين الأوائل، فقد ادعى عدد من المستشرقين أن الإيذاء الذي أوقعه المشركون بالمسلمين في مكة إنما كان مقصورا على السخرية، والتعريض والهجوم بالكلام والشتائم، وزعموا أن الروايات التي تتعلق بتعذيب المسلمين فيها مبالغة من المؤرخين المسلمين، متجاهلين ما تصرح به الروايات الموثقة من أن عدداً من الصحابة ـ وبخاصة الضعفاء منهم ـ كانو بلا حول ولا قوة، وأنهم تعرضوا لإيذاءيحطم الصخر، ويزلزل الجبال. ولعل من أشهر هؤلاء المعذبين: بلال بن رباح الحبشي، وخباب بن الأرت التميمي، وعمار بن ياسر، ووالداه ياسر وسمية، وزنيرة، وأم عبيس. وقد بلغ المشركون في تعذيب بعضهم درجة وضع الأحجار الضخام الملتهبة على صدورهم والكي بالنار في مواضع عديدة من أجسامهم، وضرب بعضهم على الرأس حتى تفجرت منها الدماء.

وكما أوقع التعذيب بالمستضعفين أوقع برجال من الأسر المعروفة على يد أقاربهم، كما حدث لعثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وسعيد بن زيد العدوي، وغيرهم كثير من السادة والسيدات.

بل إن الرسول ﷺ لم يسلم من بعض هذا الإيذاء الذي طوره مشركو مكة، فأصابوا به بني هاشم جميعهم ـ من أسلم منهم ومن لم يسلم ـ حيث حاصروهم مع المسلمين في شعب بني هاشم، وقاطعوهم اجتماعيا، واقتصاديا مدة طويلة أملا منهم في أن يلجئوا المسلمين إلى الرجوع عن الإسلام.

ويعلل المؤلف ذلك الموقف من المستشرقين بأن بعضهم قصد من وراء ذلك التبرير لفرار بعض حواريي المسيح ـ عليه السلام ـ وغدرهم به وقت الشدة، وأن بعضهم أرادوا توجيه الأنظار بعيدا عما حدث من حركات غير أخلاقية في صحراء سيناء من المتآمرين ومثيري الفتن على سيدنا موسى ـ عليه السلام.

ويرى أن هؤلاء المستشرقين يتجاهلون ـ في سبيل أغراضهم تلك ـ أن ما قامت به قريش في مكة من تضييق الخناق على المسلمين، وحصارهم وتعذيبهم كان من أبرز الأسباب التي ألجأت المسلمين إلى الهجرة للمدينة، وترك

أرضهم التي ألفوها وعاشوا فيها. مخلفين وراءهم أملاكهم ومنازلهم وتجاراتهم، وأسباب حياتهم المختلفة.

وتزييف دوافع الهجرة

ويبرز المؤلف موقف المستشرقين وأتباعهم من هجرة المسلمين إلى المدينة، حيث جعلهم الغرض الجامح يشيعون أن الذي دفع المسلمين المكيين للهجرة إلى المدينة إنما هو سوء أحوالهم الاقتصادية، فخرجوا إلى المدينة لا يملكون مالا ولا متاعا. ويشيعون أن المسلمين في المدينة كانوا سيئي الحال مثل المكيين، فكان المكيون عبئا ثقيلا على المدنيين، ساءت بهم الحياة الاقتصادية.

ويخلص هؤلاء المستشرقون من هذا الزيف إلى غرضهم الأصلي، وهو الزعم الكاذب أن محمدا ﷺ لم يجد أمامه من سبيل سوى أن يتبع طريقة المعيشة القديمة، باستخدام أسلوب الإغارة على القوافل التجارية، والإغارة على القرى المجاورة، فكان ذلك منه ﷺ بدءا لسلسلة الغزوات والسرايا التي استمرت طويلا، والتي كانت تقوم على غنائمها الحياة المدنية كاملة.

وينبري المؤلف لتبيين ما في هذه المزاعم من التزوير المغرض الذي وجد فيه المؤرخون الماركسيون فرصتهم ليؤكدوا دور العوامل الاقتصادية في التاريخ الإسلامي.

فيذكر أن هذه الادعاءات يكشف زيفها وقائع عديدة قررتها الروايات التاريخية المتواترة ومنها:

١ ـ أن أنصار المدينة قد أظهروا تضحيات مثالية،حيث استضافوا إخوانهم المهاجرين لعدة شهور، وحاولوا أن يقتسموا معهم أملاكهم وأراضيهم، وأشركوهم معهم في التجارة والزراعة.

٢ ـ أن المهاجرين رفضوا الاعتماد على ضيافة الأنصار وثرواتهم، فقد انصرف كل منهم ـ تجارا وحرفيين وعمالا ـ إلى مباشرة حرفته وعمله، فكانوا وسيلة مؤثرة فعالة في ازدهار الحياة الاقتصادية في المدينة، على نحو ما صنع عبدالرحمن بن عوف الزهري، الذي شكر مضيفه سعد بن الربيع، وطلب منه أن يدله على طريق السوق، حيث بدأ يستغل مهارته التجارية، فتحقق من كسبه في أيام قلائل ما مكنه من أن يتزوج، وكذلك صنع كثير من المهاجرين.

٣ ـ أن التحليل والنقد التاريخي للسرايا التي أمر بها ﷺ على مدى سنتين من وصوله إلى المدينة، يوضح أن أيا منهم لم يكن بدافع اقتصادي، بل كان الهدف منها كلها سياسيا تبليغيا، فقد كان رسول الله ﷺ يهدف إلى عقد معاهدة صداقة وتعاون مشترك مع جيرانه، وقد تم ذلك على عهده ﷺ.

وكان الهدف ـ إلى تلك الغاية السياسية ـ قصد جمع المعلومات، والوقوف على الظروف الجغرافية لبعض الأماكن، كما حدث في واقعة (نخلة) كما كان الهدف في بعض المهمات عملا حربيا خالصا، فالذي دفع إلى مهمة «عسفان» إنما هو مواجهة الهجوم المكي على مراعي المدينة، مما اضطر معه المسلمون إلى القيام بتلك المهمة.

٤ ـ أن الواقع التاريخي ينفي التوجه الاقتصادي، فالأماكن التي شهدت هذه المهمات

كانت بعيدة عن طرق التجارة، والمهام الموكلة إلى القائمين بها، كانت في مناطق محدودة، ولمدة معينة، حتى إنه لم يقع صدام مع القوافل في معظم الأحيان، فيما عدا سرية (نخلة) بل إن هذه السرية لم تكن إلا لمعرفة الظروف، والتعرف على أحوال المنطقة. ونظرا للظروف التي تغيرت فجأة حيث تم الهجوم على فصيلة من جند المسلمين - اضطر المسلمون إلى الاستيلاء على القافلة المكية.

ومع ذلك.. فإن رسول الله ﷺ أظهر عدم رضاه عما حدث، ولم يلمس بيده مال الغنيمة حتى غزوة بدر.

من هنا.. يتبين أن المهمات الأولى كانت بهدف تبليغي دعوى سياسي، ولا أثر هناك للدافع الاقتصادي، على ما صرح به النص القرآني في الآيات من ٥ إلى ٢٠ من سورة الأنفال، وعلى ما أوضحته الأحاديث النبوية التي رواها البخاري ومسلم، وأحمد بن حنبل، وغيرهم من أئمة الحديث، وما قرره سير الأحداث والوقائع والغزوات كلها، من أن أول أهداف رسول الله ﷺ فيها جميعها كان إعلاء كلمة الله، والجهاد في سبيل الله.

العلاقــات مع اليهــود

ويلاحظ المؤلف أن معظم المستشرقين ومن تابعهم من المؤرخين - في سبيلهم إلى مسخ التاريخ الإسلامي - قدموا علاقة النبي ﷺ باليهود في هيئة بعيدة كل البعد عن الحقيقة، لكنهم صاغوها في هيئة خادعة، حيث ادعوا أن النبي ﷺ حاول اجتذاب اليهود إلى الإسلام بالتقرب إليهم، فألبس الإسلام ثوب اليهودية. فتبعهم في الاحتفال بصوم يوم عاشوراء، وجعل البيت المقدس قبلة المسلمين في الصلاة، وأحل ذبيحتهم والزواج من نسائهم، فلما رفضوا تلك المحاولات منه ﷺ بما سيطر عليهم من غرور وعجرفة، وعصبية دينية، وشعور بالتفوق الاقتصادي والاجتماعي - بدأ يعارضهم وينتقدهم نقدا عقليا مقرونا بمواجهتهم بحزم وشدة، فأوضح ما هم عليه من إفراط وتفريط، وما أدخلوه على التوراة من تحريف وتبديل، وما قاموا به من تحايل على الأحكام الإلهية، تيسيرا لانغماسهم في المساوئ، وتجاوزهم الحدود الإلهية في المعاملات وغيرها.

وادعوا أن معارضته ﷺ - لليهود عملياً تمثلت في فرض صوم رمضان بدلا من يوم عاشوراء، والتوجه في الصلاة إلى الكعبة بدلا من بيت المقدس ومع استعراض المؤلف هذه الادعاءات الكاذبة، أخذ في استعراض أدلة زيفها وفسادها، فذكر أن فرض صوم رمضان لا علاقة له بصوم يوم عاشوراء، لأن صوم رمضان فريضة، وصوم يوم عاشوراء نفل، ولأن المسلمين مازالوا يصومون هذا اليوم باعتباره سنة، ولو أنه ﷺ قصد معارضتهم لحرم صوم هذا اليوم. كما إن حل ذبيحة أهل الكتاب - وليس ذبيحة اليهود وحدهم - وحل الزواج من النساء الكتابيات لم يطرأ عليه أي تغيير، ولو أنه - ﷺ - أراد معارضتهم لحرم ذبيحتهم ، ولحرم الزواج من نسائهم.

وهذا يعني - كما ذكر المؤلف - أن المستشرقين وأعداء الإسلام حاولو إعطاء بيانات خاطئة عن الإسلام، بقصد مسخ التاريخ الإسلامي، وإظهاره

مخالفا فى كل شئ للدين اليهودى والمسيحى، تقريرا لنظرتهم الخاطئة التى ترى أن الإسلام والمسيحية واليهودية ديانات منفصل بعضها عن بعض.

وإنهم أغفلوا فى سبيل ذلك ـ ما قرره القرآن الكريم، والأحاديث الشريفة من أن جميع الأديان التى جاء بها حملة الأنبياء تتفق ـ فى أصولها ـ مع الإسلام، وأن علماء تلك الديانات ورهبانها هم الذين قاموا بتحريفها ومسخها بما يبتعد بها عن الحقيقة.

وأغفلوا أن الإسلام ـ من هذا المنطلق ـ يعترف بالدين اليهودى والدين المسيحى قبل تحريفهما، لصدورها جميعا من منبع واحد، كفل اشتراك جميع الديانات السماوية فى الأصول والعقائد، لعدم الحاجة البشرية إلى تغيرها، مع اختلافها فى بعض الشرائع والقوانين استجابة لما يستلزمه الزمان وظروف الناس من تغير.

ولو أن هؤلاء المستشرقين قصدوا الحقيقة، لأمعنوا النظر المحايد فى تلك العلاقات، فعرفوا ذلك الذى غاب عنهم أو تجاهلوه، وأغمضوا أعينهم عنه، ليسلم لهم ما قصدوا إليه من تشويه وتزييف، ومسخ.

حول الإجراءات التشريعية والتنفيذية فى المدينة

ويلفتنا المؤلف إلى حرص الرسول ﷺ على جعل المؤاخاة أساس المجتمع فى المدينة ليخلص المجتمع الإسلامى من الامتيازات القبلية، وليقيمه على مبدأ «نحن» بدلا من «أنا وأنت» وأنه فى سبيله إلى تحقيق ذلك المبدأ عقد معاهدات صداقة بينه وبين القبائل المحيطة بالمدينة والمقيمة داخل المدينة من اليهود وغيرهم، دون الدخول فى الإسلام، فكان ما عرف باسم (صحيفة الرسول).

وبمقتضى هذه الصحيفة تخلص رسول الله ﷺ من بعض قبائل اليهود الذين خانوا العهد، مثل قينقاع بما أثاروه من النزاع والفتن.

والنضير بتآمرهم على رسول الله ﷺ ومحاولتهم قتله، وقريظة بما كان منهم من نقض للمعاهدة فى وقت حرج ودقيق، وتعاون مع جيوش الأحزاب المتداعية لحرب المسلمين.

وعلى الرغم من أن ما اتخذته الدولة من إجراءات ضد القبائل اليهودية كان بسبب خروجهم على ما عاهدوا عليه رسول الله ﷺ عمد المستشرقون إلى تضخيم تلك الإجراءات من جهة، ومن جهة أخرى إلى إغفال جرائمهم التى ارتكبوها فى حق الدولة الإسلامية، والزعم أن تلك الإجراءات اتخذت ضدهم بسبب تمسكهم بدياناتهم اليهودية، مغفلين أن أكثر من عشرين أسرة يهودية بقيت بعد ذلك فى المدينة، ولم تتخذ ضدها أية إجراءات سياسية أو اقتصادية، ومغفلين فى الوقت ذاته أن صفحات التاريخ الإسلامى شاهد عادل، وحكم فصل على أن المسلمين لم يغدروا بأحد، وحافظوا على صيانة معاهداتهم وشروطها بكل أمانة وإنصاف، كما يشهد بسمو سلوكهم الأعداء الذين هزموا.

وكما حاول المستشرقون النفاذ بمفترياتهم من خلال العلاقات اليهودية، حاول التسلل بتلك المفتريات من خلال وصفهم نظام الحكم فى

المدينة، فاخترع بعض المستشرقين - وعلى رأسهم (مونتجمري وات) - نظرية فحواها: أن النظام الذي أقامه محمد ﷺ في المدينة قد قام على أسس قبلية وفاقية، تضم تقريبا تسع قبائل كبيرة، كانت تمثل تسع وحدات سياسية، من بينها وحدة تضم المهاجرين، وعلى رأسها محمد ﷺ وكان لكل قبيلة من الثماني الأخرى رئيس، فكان هؤلاء الرؤساء الثمانية متساوين معه في المرتبة والمكانة، ولم يكن له عليهم أي أفضلية.

ويضيفون إلى ذلك محاولة أخرى، ليقرروا من ورائها أنه لم يكن هناك دولة إسلامية تحكم جميع القبائل الأخرى، وأنه ﷺ لم يكن حاكما للمدينة.

وهؤلاء المستشرقين - في محاولاتهم وافتراءاتهم تلك - يغفلون جميع الروايات التاريخية الثابتة بالتواتر، ويغفلون - في سبيل ذلك - عما تقوم عليه محاولاتهم من تناقض، وأباطيل، وزيف.

ففي بيعة العقبة اعترف مسلمو المدينة برسول الله ﷺ زعيما وقائدا، مثلما اعترف به مسلمو مكة بعد الهجرة، فكان ﷺ بعد الهجرة رئيس جميع المسلمين بلا استثناء، وبعد دستور المدينة أصبح - ﷺ - القائد السياسي للمدينة بأكملها بما فيها من يهود وغيرهم، فاليهود - على الرغم من عدم اعترافهم بمحمد رسولا - قد أقروا بزعامته السياسية بمجرد موافقتهم على الصحيفة السياسية، فكان هو الحاكم الأعلى للمدينة، والقائد الديني والسياسي للجميع. وقد التزم - ﷺ - في تحقيق ذلك - نهجا سياسيا محددا، يقوم على العدل والإنصاف، حيث طالب العرب بالموافقة على أحد أمرين، إما قبول الإسلام والتزامهم بفرائضه وأحكامه، وإما البقاء على دينهم مع الاعتراف بالتفوق السياسي للدولة الإسلامية، والدخول معها في معاهدة صلح وأمان، وعدم عدوان.

ورفض عالمية الرسالة الإسلامية

ويذكر المؤلف أن المستشرقين وأتباعهم - في تقويمهم رسالة محمد ﷺ يرتكزون على مزاعم تجافي الثوابت التاريخية، وتتجاهل النصوص الإسلامية، وتغفل المقررات المنطقية، وتعمى عن الواقع الصارخ، ويناقض بعضها بعضا.

فهم يدعون أن محمداً ﷺ كان رسولاً للعرب دون غيرهم، وأن رسالته كانت مقصورة على المنطقة التي عاش فيها، وأنها كانت وقفا على زمانه فقط، ويوغلون مع الأوهام والضلال، فيدعون أن ما جاء به محمد ﷺ إنما هو انقلاب أو ثورة، وأنه لا شرف له ﷺ في ذلك، لأن المجتمع العربي كان متعطشا لهذه الثورة الاجتماعية والأخلاقية، وحين وجد هذا المجتمع إمكانات قدوم مثل هذه الثورة في شكل الإسلام رحب به، وقبله.

ومع أن هؤلاء المستشرقين - وفي مقدمتهم مونتجمري وات، وريتشارد بيل - قد واجهوا صعوبة في إثبات مزاعمهم وأفكارهم تلك.. تجاهلوا تماما كل الروايات الإسلامية المتوارثة وصرفوا النظر عما تضمنه الكتاب المقدس من أدلة وشواهد، وعملوا على تأويلها بما يتوافق مع مقاصدهم الضالة.

وإلى هذا وذاك.. رفض هؤلاء المستشرقون كل ما يشهد بعالمية الرسالة المحمدية فى إنسانيتها، على الرغم من وجود هذه الجماعات الضخمة من البشر مختلفى الجنسيات والمواطن التى تدين بالإسلام اليوم، وتعترف به ﷺ رسولا للناس كافة وعلى الرغم من بقاء القرآن الكريم محفوظا إلى اليوم بما يتضمنه من أدلة الإعجاز المتنوعة، من كل ما يؤكد أن هؤلاء المستشرقين بعيدون كل البعد عن المناهج العلمية المقررة، والأصول البحثية القديمة والحديثة، وأنهم مستغرقون فى الإصرار والعناد والتغاضى عن جميع الحقائق والشواهد اليقينية.

وهؤلاء المستشرقون ـ فى سبيلهم لدعم أوهامهم الضالة ـ هونوا من درجة انتشار الإسلام فى العهد النبوى، فذكروا أن نشر الإسلام فى العهد النبوى قد تم على نطاق محدود جدا، زاعمين أن الحياة النبوية فى مكة كانت محدودة النجاح، وأن محمدا فى المدينة لم يستطع أن يقوم بالتبليغ لاضطراره إلى مواجهة قريش وغيرها من القبائل فى حروب مستمرة.

ولكى يدعموا هذه المزاعم قسم بعضهم حياة الرسول ﷺ قسمين، فجعلوه رسولا مكيا مرة، ورسولا مدنيا مرة أخرى، ثم قرروا أنه فى مكة بدأ رسولا، بينما بدأ فى المدينة قيصرا وحاكما سياسيا، حيث أنهى الرسالة فى المدينة، وأبطل تبليغ الدين، وقضى معظم وقته فى الحرب، وفى إقامة للتنظيم السياسى، حتى إن القبائل التى اعتنقت الإسلام ـ مثل هوازن وغطفان ـ إنما أسلمت لتنال الرفعة السياسية.

ومبالغة منهم فى التمويه والتزييف راحوا يرتبون قوائم بقبائل مهاجرى مكة وأسرهم، مسقطين منها أسماء كثيرة من الرجال، ومغفلين أسماء النساء تماما، حتى كأنهم لا يعترفون بوجودهن، ولا بدورهن الحيوى.

وكان قصد هؤلاء المستشرقين من وراء ذلك: أن يثبتوا دعوى ضعف انتشار الإسلام فى المرحلة المكية.

ومن هنا.. أغفلوا إسلام أبى ذر وقبيلته وجارتها قبيلة أسلم، وأغفلوا إسلام كثير من القبائل الأخرى، مثل خزاعة، وأزد شنوءة. وأهم من هذا كله أغفلوا إسلام معظم أهل المدينة، وتجاهلوا أنهم شرفوا بالإسلام فى العهد المكى، حيث أسلم معظم قبائل الأوس والخزرج قبل الهجرة من مكة، حتى كان كل بيت مدنى بيتا للإسلام، من كل ما يقرر هذا أن النجاح الشامل إنما كان من ثمار كفاحه ﷺ فى مكة.

الإسلام دين ودولة

ويذكر المؤلف أن المستشرقين وأذنابهم إنما رأوا محمدا ﷺ فى مكة رسولا، وفى المدينة حاكما سياسيا، لأنهم حبسوا أنفسهم داخل التصور الضيق للدين الذى تعارفوا عليه فى أوربا ولأنهم ـ بتعصبهم وجهلهم ـ يفتقرون إلى الحس التاريخى، فالإسلام يقوم على عدم التفرقة بين الدين والدنيا، ومطالعة الحياة المدنية لرسول الله ﷺ تقرر أنه قام بتشكيل الأمة، وتنظيم الحكومة الإسلامية طبقا لما جاء به القرآن الكريم، مما يصنع

السلوك السياسي بالصبغة الدينية. كما تقرر أن كل ماقام به ﷺ من غزوات وسرايا كان في سبيل تقوية الإسلام، من كل ما يصبغ السلوك الديني بالصبغة السياسية.

وإلى هذا وذاك.. فإن الرسول ﷺ في أثناء كفاحه العسكري والسياسي لم يتوقف عن بذل جهده في تبليغ الإسلام ونشره، سواء بدعوة اليهود في المدينة، أو بدعوة ما بقي من القبائل العربية على غير الإسلام، أو بإرسال الدعاة للتبليغ بالدين في مختلف المناطق.

ولكن الهوى المضل أعمى هؤلاء المستشرقين عن رؤية الحقيقة، وصرفهم عن فهم طبيعة السياسة النبوية ومتغيراتها.

كما إن زعم هؤلاء المستشرقين أن أكثر القبائل العربية لم يقبلوا الإسلام خصوصا اليهود والنصارى.. هذا الزعم ماشئ إلا عن هذا الجهل والتجاهل، لأن الواقع الموثق يقرر أن جميع القبائل كان يدور في داخلها صراع بين الإسلام والكفر، حيث أسلم من كل قبيلة بعض بطونها وأسرها، بينما ظل بعضها الآخر على دين آبائه. ولكن تعصب المستشرقين سمح لهم بأن يعترفوا بذلك، لأنهم وجدوا فيها اعترافا منهم بأن من المسيحيين من قبلوا الإسلام عن رغبة وطواعية.

ومن ظلام هذا المزاعم الاستشراقية تولد زعمان آخران، قرروا في أحدهما: أن الدولة الإسلامية كانت محصورة في وسط الجزيرة العربية، لم تشملها جميعها. وقرروا في ثانيهما: أن الدولة الإسلامية كانت تفتقد المركزية، إذ كانت تقوم على النظام القبلي القديم.

مغفلين ـ في الزعم الأول ـ أن الدولة الإسلامية قامت منذ البداية دولة مدنية ونتيجة للمهمات الأولى، والمعاهدات، والصحيفة النبوية، والغزوات والسرايا أخذت تتسع تدريجيا في جميع الجهات، حتى إذا كانت غزوة بدر اتسعت الدولة بسرعة جهة الحدود الغربية وبعد غزوة الخندق وخيبر وصلت حدودها الشمالية إلى مدى بعيد، وبعد فتح مكة وحنين وغزوة الطائف ضمت إليها المناطق الشرقية والجنوبية، حيث أصبحت تضم شبه الجزيرة العربية بأكملها، وكان الجميع يطبقون أحكام الرسول ﷺ في كل المعاملات السياسية والنظامية.

ومغفلين ـ في الزعم الثاني ـ أنه ﷺ أسس نظاما عسكريا ومدنيا وماليا، وكان هو القائد الأعلى في نظام الجيش، مع نقل مسئوليات الجيش إلى نوابه المختارين وفي النظام المدني تم تقسيمه إلى نظام مركزي، ونظام إقليمي مترابط، فكانت شئون الحكم تدار بالتعاون بين المسئولين المحليين والإقليميين ومسئول الحكومة المركزية، تحت إشرافه ﷺ وإرشادات الأحكام القرآنية. وفي النظام المالي كان هناك عمال الصدقات المركزيين يقومون بتحصيل الزكاة والصدقات من المسلمين، والجزية والخراج من غير المسلمين، ثم يقومون بإرسال نصيب الحكومة المركزية ـ وهو الخمس ـ إلى المدينة وكذلك كان يصنع العمال المحليون، حيث يجمعونها لدى الوالي أو الحاكم.

ولا ريب في أن هذا الإحكام والدقة في النظام إنما كان ثمرة من ثمار كون الإسلام دينا ودولة في وقت واحد.

ثم أى علاقة بين هذا النظام المركزى المفصل فى دقة وإحكام، وبين النظام القبلى الذى يزعمه هؤلاء المستشرقون.

وخلفـــاء الرســـول ﷺ

وذكر المؤلف أن ما صنعه المستشرقون وتابعوهم من تزييف ومسخ فى السيرة النبوية، صنعوه مع تاريخ الخلفاء الراشدين، فبذلوا جهودهم المتوالية لمسخ الأحداث المتعلقة بمؤسسات الخلافة، انطلاقا من تعصبهم الأعمى.. وعداوتهم الحاقدة للإسلام، وجهلهم الفاضح بطبيعة التوجهات الإسلامية، ففسروا ما كان من أحداث واختلافات بين الصحابة بأنها كانت نتيجة المطامع الشخصية، وفسروا ما كان من ارتداد بعض المسلمين بأنه عصيان سياسى، ورغبة فى التحرر من التسلط السياسى والعسكرى للخليفة، وأن ذلك كان دليلا على أن تلك القبائل لم تقبل الإسلام إلا فى الظاهر فقط. وعللوا انتشار الفتوحات الإسلامية فى بلاد الفرس والروم بأنه كان استناداً للطاقة العسكرية الضخمة التى خلفتها حروب الردة، حيث اضطر الخلفاء الراشدون إلى ذلك لتخليص الدول من مشكلة الفائض العسكرى.

ووفق منهج المؤلف.. كشف زيف هذه المزاعم جميعها، وبين ما تقوم عليه من تضليل وخيالات وهمية، ونبه إلى تجاهل هؤلاء المستشرقين ما كان من لجوء المرتدين والمتمردين إلى المناطق الخاضعة للعراق وإيران، ثم الإغارة على المناطق الإسلامية بتعضيد من الحكومات هناك، فلم يكن هناك مفر من تقدم الجيوش الإسلامية للهجوم على المناطق المغيرة، وكذلك كان الحال على جبهة الشام، فقد قام عمرو بن العاص، وخالد بن سعيد بسلسلة من الإجراءات التأديبية ضد المرتدين والبغاة من قبائل قضاعة وكلب وغيرهما، حيث تطور الأمر إلى اصطدام مع القبائل الموالية للبيزنطيين.

وعلى الرغم من وضوح هذه الدوافع أبى المستشرقون وأتباعهم إلا أن يخترعوا من الأسباب والدوافع ما يشوه صورة الإسلام، ويسيء إلى المسلمين، ويجعلهم مجرد طامعين فى عوائد الخراج والجزية، حتى تطور الأمر بهم إلى الثورة على الخليفة الثالث عثمان بن عفان.

وبعـــد:

فالكتاب - على قلة عدد صفحاته - زاخر باستعراض ماخلعه المستشرقون وتلاميذهم على أحداث المرحلة النبوية والخلافة الراشدة من تزوير وتزييف، وما ألبسوها من خيالاتهم المريضة من أباطيل وضلال.

وقد حاول المؤلف - فى هذا الاستعراض - أن يرد على هؤلاء المستشرقين، ويدفع مزاعمهم الضالة، ولكن حجم الكتاب - على ما يبدو - وقف به دون بسط هذه الردود، فجاءت مجملة الإجمال المخل فى كثير من الأحيان، واكتفى باستعراض الأحداث والقضايا التى استغلها المستشرقون ليشوهوا

الإسلام، فقدمها في هيئة رءوس موضوعات، مع شيء قليل من التفصيل والإيضاح.

والمتأمل في نهج المؤلف يلمس أنه متحمس لموضوعه تحمسا أوقعه في خطأ ما كان يصح أن يقع مثله فيه، على الرغم من وضوح الحقيقة، واشتهارها، ففي أثناء دفعه زعم المستشرقين أن رسول الله ﷺ جعل بيت المقدس قبلة للمسلمين ليغري اليهود بالدخول في الإسلام بعد الهجرة.. في دفعه هذا الزعم قال ص ٦٦: «ويعرف طلاب السنوات الأولى من دارسي التاريخ الإسلامي أن تحويل قبلة المسلمين في الصلوات الخمس عن بيت المقدس قد تم قبل عدة سنوات من الهجرة في وقت لم تكن هناك لقضية إرضاء اليهود أومهادنتهم مكان، ولم تكن فكرة الهجرة إلى المدينة حتى قد وردت على الخيال».

ولو أن المؤلف تأنى قليلا قبل أن يقول ذلك، ونظر فيما تضمنته كتب الصحيح من أحاديث الرسول ﷺ وما أثر من أسباب النزول، وما ذكرته كتب السيرة النبوية.. إذن لعرف أن تحويل القبلة كان في المدينة بعد الهجرة، ويتوج هذا كله مارواه الإمام مالك - بإسناده - عن سعيد بن المسيب أنه قال: «صلى رسول الله ﷺ بعد أن قدم المدينة ستة عشر شهرا نحو بيت المقدس، ثم حولت القبلة قبل بدر بشهرين»[1].

ولعل الذي أوقع المؤلف في هذا الخطأ هو شدة تحمسه لموضوعه، لأنه لم يكن في حاجة إلى تعمد مثل ذلك الخطأ، فقد دفع مزاعم المستشرقين في قضية تحويل القبلة بدفوع قوية. وما كان عليه إلا أن يستهجن تجاهل المستشرقين - في هذه القضية - ماصرح به القرآن الكريم في قوله - تعالى - : مخاطبا رسوله ﷺ:

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2].

هذا إلى أن المتأمل في الشكل الفني للكتاب يلاحظ أن المؤلف - بعد تبويبه وتفصيله - قدم موضوعه في هيئة تجهد القارىء، وتضلله عن المقاصد السامية التي تضمنها الكتاب. كما إنها أصابت المؤلف نفسه بقسط وافر من الإجهاد والإعنات، تمثلت في اضطراره إلى التكرار في بعض الأحيان، وخلط بعض الموضوعات ببعض.

بيد أن هذه الهنات لا تمثل شيئا كبيرا أمام مابذله المؤلف من جهد، وماقدمه من فكر واضح، ورأى حاسم، ورؤى يجب أن يلم بها القارىء المسلم وغير المسلم، فالحق أحق أن يتبع، وعلى الله قصد السبيل.

---

(١) الموطأ: كتاب القبلة حديث ٧ وصحيح البخاري: كتاب الصلاة، حديث ٣١ وصحيح مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة، حديث ٢ والرسالة للإمام الشافعي، فقرة ٣٦٦ بتحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر.

(٢) البقرة (١٤٢).

أمهات الكتب العلمية في التراث الإسلامي

كتاب
الحيوان

تأليف

أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا

التعريـــف بالمؤلـــف

أبو عثمان عمرو بن بحر، الملقب بالجاحظ لجحوظ عينيه، أديب وعالم موسوعي اشتهر في القرنين الثاني والثالث الهجريين (الثامن والتاسع الميلاديين)، وشغف منذ نشأته بالبصرة بالقراءة وتحصيل المعرفة حتى إنه اعتاد أن يكتري دكاكين الوراقين ويبيت فيها ليطالع الكتب التي لا يقدر على اقتنائها، مما ساعده على أن يلم بمختلف العلوم والمعارف، ويحصل على ذخيرة وفيرة من ثقافة عصره ومعارف السابقين.

تتلمذ الجاحظ على أكابر اللغويين والفقهاء وعلماء الكلام، وخالط الناس على اختلاف طبقاتهم، فأخذ الفصاحة من شفاه العرب ودرس اللغة والأدب والشعر والأخبار على أشهر علماء البصرة أمثال: أبي عبيدة بن المثنى، وأبي زيد الأنصاري، والأصمعي، ودرس النحو على الأخفش، ودرس علمي الكلام وأصول المعتزلة على أبي إسحق النظام، ثم انتقل إلى بغداد وأفاد من علمائها كثيراً، واتصل بالحكام والأمراء والخلفاء فأكرموه وقدروا فضله ونبوغه وأحلوه المكان اللائق بأدبه وعلمه. عاصر الخليفة المهدي والرشيد والأمين والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين والمعتز، وتوفي عام ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م في البصرة بعد أن جاوز عمره التسعين عاماً.

وقد خلف الجاحظ مؤلفات عديدة في شتى مجالات المعرفة، وصلت حوالي ثلاثمائة كتاب ورسالة، مزج فيها جميعها بين العلم والأدب، فلم يقتصر – فيما يقول الأستاذ أحمد أمين في كتابه «ضحى الإسلام» – على ذكر البراهين النظرية، بل استعان بالتاريخ والشعر وبما يعرف من أحداث، وما جرب هو نفسه من تجارب.. ومزج ما تعلم بما قرأ، وبما سمع، وبما شاهد، وبما جرَّب.. ووضع هذا كله في أسلوب سمح فضفاض يزيد طلاوته تقديره للنادرة الحلوة والفكاهة العذبة. ولعل أبلغ وصف لتراث الجاحظ ما قاله «أبو الفضل بن العميد» الوزير من أن كتب الجاحظ تعلم العقل أولا والأدب ثانيا:

فقد كان يهزأ بالخرافات والآراء الشائعة غير المعقولة، وأظهر في كتابه «البخلاء» موهبته كناقد ساخر لمجتمعه، حيث تناول البخل والبخلاء من منظور حواري جدلي صوَّر فيه أخلاق الناس وطباعهم في مجتمع البصرة وفي حياتهم العادية، فاعتبر بهذا الكتاب رائداً من رواد القصة القصيرة والأدب الواقعي. وفي كتابه «البيان والتبيين» تصدى للشعوبية ودعا إلى وحدة الأمة وتماسك عناصرها وأجناسها على أساس العقيدة، وفي كتابه «المحاسن والأضداد» قارن بين حضارة العرب والعجم موضحا جوانب التكامل والتميز بأسلوب متفرد. أما كتابه «الحيوان» فهو موسوعة أدبية وعلمية شاملة تستحق أن نتوقف عندها ونتحدث عنها بشيء من التفصيل.

أهمية كتاب الحيوان للجاحظ

جاء كتاب الحيوان خليطاً من المعارف العامة والملاحظات الخاصة، حاول فيه أبو عثمان أن يوفق بين العقيدة وبين التفكير العلمي وما يقبله العقل الإنساني، متخذاً من الكون بكل ما فيه برهانا على ما يقول. والحيوان اتجاه جديد عند العرب في بحث حقائق الكون، لم يهتم به الإنسان كثيراً في العصور القديمة، إلا فيما يحتاج إليه في طعامه أو كسائه أو مداواته، أو استخدامه في تيسير أعماله ونشاطاته المختلفة.

وكان الجاحظ سباقا إلى إدراك أهمية ما نسميه اليوم « الثقافة العلمية للجميع » . فهو يؤمن بأن العلم مشترك إنساني ، ليس ملكا لأمة دون أمة ، وأنه إنما وضع ليفيد منه جميع الناس على اختلاف أجناسهم ونحلهم ويقول مؤكداً هذه الغاية من تأليف كتابه :

« وهذا كتاب تستوى فيه رغبة الأمم وتتشابه فيه العرب والعجم لأنه وإن كان عربيا أعرابيا وإسلاميا جماعياً ، فقد أخذ من طرف الفلسفة وجمع بين معرفة السماع وعلم التجربة ، وأشرك بين علم الكتاب (القرآن) والسنة وبين وجدان الحاسة وإحساس الغريزة ، ويشتهيه الفتيان كما يشتهيه الشيوخ ، ويشتهيه الفاتك كما يشتهيه الناسك ، ويشتهيه اللاعب ذو اللهو كما يشتهيه المجد ذو الحزم ، ويشتهيه الغُفل كما يشتهيه الأريب ، ويشتهيه الغبي كما يشتهيه الفطن . . . » .

ومصادر كتاب الحيوان هي مصادر ثقافة العصر الذى عاشه الجاحظ ، وما أضاف إليها من خبراته ومعارفه ومشاهداته ، فقد أخذ عن اليونان والهنود والفرس ، وتأثرت ثقافته بما أخذ واقتبس عن هذه الأمم ، لكنه كان نزاعا إلى التجديد ، فهو لا يرى بأساً بأن يدخل العربية عنصر من عناصر آداب الأمم المعروفة فى عصره المشهورة بالعلم والحكمة والأخلاق والآداب ، ويقول فى ذلك : « . . . وقد نقلت كتب الهند ، وترجمت حكم اليونان ، وحولت آداب الفرس ، فبعضها ازداد حسناً وبعضها ما انتقص شيئا . . وقد نُقلت هذه الكتب من أمة إلى أمة ، ومن قرية إلى قرية ، ومن لسان إلى لسان ، حتى انتهت إلينا ، وكنا آخر من ورثها ونظر فيها . . » . وهذا يعنى أن أبا عثمان بذل غاية الجهد فى تحرى الحقيقة وإيصالها إلى الناس ، وبعد التثبت والتجربة والعقل والبرهان ليكون الحكم فى النهاية أقرب إلى الحق والصحة .

وأدرك الجاحظ المفهوم الحقيقى لعملية تطور الفكر البشرى ، ودور العقل والإرادة فى دفع هذه العملية إلى الأمام باستمرار ، فقال فى كتابه الذى بين أيدينا : « وينبغى أن يكون سبيلنا لمن بعدنا كسبيل من كان قبلنا فينا . على أنا قد وجدنا من العبرة أكثر مما وجدوا ، كما أن من بعدنا يجد من العبر أكثر مما وجدنا » . وأكد مراراً فى كتابه على أن الفرق ما بين الإنسان والحيوان إنما يتمثل فى القدرة على التفكير وصولاً إلى حرية الاختيار ، فهو يقول : « إن الفرق بين الإنسان والبهيمة ، والإنسان والسبع والحشرة ، والذى صيّر الإنسان إلى استحقاق قول الله - عز وجل - :

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾(١) .

ليس هو الصورة ، وأنه خلق من نطفة وأن أباه خلق من تراب ، ولا أنه يمشى على رجليه ويتناول حوائجه بيديه ، لأن هذه الخصال كلها مجموعة من البُله والمجانين والأطفال والمنقوصين . . والفرق الذى هو الفرق إنما هو الاستطاعة والتمكين ، وفى وجود الاستطاعة وجود العقل والمعرفة وليس يوجب وجودهما وجود الاستطاعة . . » .

ومن هنا نلاحظ أن أبا عثمان كان ينطلق فى بحثه من مسلمة الإيمان ، فهو يرى أن البحث فى هذه الكائنات على اختلافها حجما وتكوينا ووظيفة يعتبر وسيلة من وسائل الاعتبار والتأمل فى حكمة الخالق من

---

(١) الجاثية (١٣).

هذا التنوع العجيب فى خلق الكائنات، فالنمل لا يقل شأنا فى تمثيله حكمة الخالق عن الفيل أو الإنسان.. بل ربما هو أكبر شأنا فى ذلك، إذا اعتبر الإنسان بالخفى والدقيق من الأمور، ويقول فى ذلك:

«.. ونحن نرى أن التمثيل ما بين خصال الذرّة (أى النملة) والحمامة والفيل والبعير والثعلب والذيب أعجب. ولسنا نعنى أن للذرة ما للطاووس من حسن ذلك الريش وتلاوينه وتعاريجه، ولا أن لها غناء الفرس فى الحرب والدفع عن الحريم. لكنا إذا أردنا مواضيع التدبير العجيب من الخلق الخسيس، والحس اللطيف من الشيء السخيف، والنظر فى العواقب من الخلق الخارج من حدود الإنس والجن والملائكة، لم تذهب إلى ضخم البدن وعظم الحجم ولا إلى النظر إلى الحسن ولا إلى كثرة الثمن..».

ولذلك اتسعت موسوعة الجاحظ لتشمل كل ما عرفه الجاحظ من حقائق علمية ومعارف فى المعتقدات والمذاهب وعقائد العامة وأقاصيصهم ونوادر الأعراب وأشعار العرب وأقوال الحكماء، مهما بدت لعين الناظر ضئيلة فى قيمتها المعرفية.

والجاحظ فيلسوف طبيعى سار على غرار النظام فى منهج تحرير العقل واعتبار الشك والتجربة أساساً للبحث قبل الإيمان واليقين. ويزداد المنهج التجريبى عند الجاحظ وضوحاً وتأكيداً عندما تعلم أنه كان يلجأ دائماً إلى التجربة ليتحقق بنفسه من صحة نظرية من النظريات أو رأى من الآراء. ولكل تجربة عنده هدف وغرض، ففى بعضها كان يقطع طائفة من الأعضاء ليرى هل ستعود وينمو بدلاً منها، وفى بعضها كان يعطى الحيوان جرعات مختلفة من السموم والمواد الكيميائية ويلاحظ تأثيرها على الحيوان، وحينا كان يرمى بتجربته إلى معرفة بيض الحيوان والاستقصاء فى صفاته، وكان حينا يقدم على ذبح الحيوان وتفتيش جوفه وقانصته، ومرة كان يدفن الحيوان فى بعض النبات ليعرف حركاته، ومرة كان يذوق الحيوان، وفى أوقات كان يبعج بطن الحيوان ليعرف مقدار ولده، كذلك كان يجمع أضداد الحيوان فى إناء واحد مع بعضها البعض ليعرف تقاتلها ويلاحظ سلوكياتها، كما مارس التشريح على بعضها ليتعرف على أحشائها ووظائفها. وكان يفتح الأرحام ليرصد مراحل تطور الأجنة وأشكالها وأعدادها.

وأجرى الجاحظ بنفسه تجارب الارتباط الشرطى على كلب محبوس للتعرف على ذكائه ورد فعله، فكان سابقا بذلك عالم البيولوجيا «بافلوف» بعدة قرون. كما قارن بدقة بين سلوك القرد والإنسان. واكتشف تأثير الهرمونات على الجسم، ولاسيما هرمون الذكورة الذى تفرزه الخصية فى الرجل والحيوان. وطبق نظريته على الحيوان المخصى بالذات، وسجل ملاحظاته بشأن لحم الحيوان المخصى بقوله: «لدنا ورطبا وطيبا إن كان عضلا صلبا». وبيّن أن الإخصاء يسقط الشعر من الجلد ويجعل الجلد أملس رقيقا وصافيا فى اللون، ويتغير الصوت ونبراته لدى المخصى، وكان وصفه يتوافق مع رأى علم وظائف الأعضاء الحديث.

ومن الناحية التنظيرية كان الجاحظ سباقا إلى القول بمفهوم نظرية التطور فى الحيوان، ولكن على أساس قدرة الله ـ تعالى ـ فى تدرج الكائنات للنوع الواحد، بخلاف ما جاء به دارون من مفهوم الانتخاب الطبيعى فى كتابه «أصل الأنواع» فقد أكد الجاحظ على أن الصور الأصلية للأنواع تفرعت إلى صور جديدة بالتكوين المتدرج لخصائص جديدة ساعدتها على التكيف مع الظروف البيئية التى تعيش فيها.

وسجلت موسوعة الجاحظ إشارته المبكرة إلى مفهوم الهندسة الوراثية وتحسين النسل (الأيوجينيا) عندما تحدث عن التهجين المولد وعبر عنه بالنتاج المركب، ومن ذلك قوله : « إننا وجدنا بعض النتاج المركب وبعض الفروع المستخرجة منه أعظم من الأصل » . وعرف النتاج المركب بأنه ولادة بين جنسين مختلفين من الحيوان ومن الناس، والنتاج المركب ممكن بين عدد من أجناس الحيوان : بين الذئب والكلبة، بين الحمار والفرس، بين الحمام البرى والحمام الأليف، ثم هو غير ممكن بين عدد آخر من أجناس الحيوان كالتيس والنعجة، أو كالبقرة والجاموس على قرب ما بينهما في الشكل.

ولقد ميّز الجاحظ بين الأمور الواقعية في مجال النتاج المركب وبين الخرافات والأباطيل التى انتشرت في أيامه، فيقول : « وقد تجاسر ناس على توليد أبواب من هذا الشكل (ويقصد به التهجين بين أنواع حيوانية بعيدة بنسبها عن بعضها) فادعوا أموراً ولم يحفلوا بالتقريع والتكذيب عند مسألة البرهان .. ومثل هذه الأقوال لايحققها الامتحان (التجربة) وما عندنا معرفة بها » . وتشكك الجاحظ في الأقوال حول تسافد الكلاب مع الثعالب، والثعالب مع الهرة الوحشية، وسفّه هذه الأقوال بعد تفنيدها، ووصف أهلها بأنهم ناقلون غير مدققين، ومقلدون غير مطبقين . ورأى الجاحظ أن أرسطو لم يثبت بعض الأمور بالعيان والسماع والامتحان والتجربة، وقد أتى في كتاب « الحيوان » على بعض أقوال أرسطو في الحيوان ففندها وأظهر نواحي الضعف فيها، وأوضح كيف أن أرسطو لو لجأ إلى التجربة لتحقيقها لما قال بها ولما أتى على ذكرها.

وينبغي ألا يفهم من مناقشتنا لبعض محتويات كتاب الحيوان للجاحظ أننا نحاول إثبات ممارسة الجاحظ للمنهج العلمي التجريبي كما يمارسه العلماء المعاصرون، فالجاحظ من علماء القرن التاسع الميلادى، وليس من الإنصاف أن نقيّمه بمقياس العصر الحاضر، ولكننا نذهب إلى تأكيد ما يحمله من صفات الباحث المدقق والعالم المجرب في مرحلة مبكرة من تاريخ التفكير العلمي، فهو من رواد الحقيقة ويحاول الوصول إليها عن طريق التجربة وإعمال العقل، بل كان في كثير من الأحيان يشك في النتائج التى يتوصل إليها ويستمر في الشك وتكرار التجربة، ويدعو إلى ذلك كله حتى تثبت صحة النظريات والآراء، وتتجلى له الحقيقة ويتعرف على مواضع اليقين والحالات الموجبة لها .

ترجمة المصطلح العلمي عند الجاحظ

من ناحية أخرى لا يقتصر كتاب « الحيوان » للجاحظ على أنه موسوعة تشتمل على شتى المعارف، بل إنه يصلح أن يكون مصدراً من مصادر اللغة والبحث في المصطلح العلمي . فذلك أن أبا عثمان قد أفاد كثيراً من ثراء اللغة العربية الزاخرة بالألفاظ والتعابير عن الأشياء والألوان والأصوات بجميع هيئاتها وأشكالها ودرجاتها، ولم يدخر وسعاً في البحث في أصول العربية عن أنسب الألفاظ والتعابير التى يمكن أن تخدم العالم الطبيعي، خاصة وأن عامة المترجمين الأوائل لم يكونوا يتقنون العربية إتقاناً كافياً لتأدية المعانى المطلوبة لترجمة المصطلحات العلمية . ونجده، على سبيل المثال، يصنف الحيوان إلى فصيح وأعجم، فالفصيح هو الإنسان والأعجم هو الحيوان، ومن الأعجم « مايرغو، ويثغو، وينهق، ويصهل، ويشحج (أو يشمخ)،

ويخور، ويبغم، ويعوى، وينبح، ويرقو، ويضغو، ويهدر، ويصفر، ويصوصى، ويقوقى، وينعب، ويزأر، وينزب، ويكش، ويعج (أو يبج).. فالعالم بحاجة ماسة إلى عالم دقيق باللغة التى يعبر بها عن علمه، وقد استطاع الجاحظ أن يوسع إطار العربية ليشتمل على كثير مما جدّ على الفكر فى عصره، لكن دون تضييق على نفسه أو على العلم الذى هو بصدده، فما لا يوجد له مقابل فى العربية من أسماء أجنبية، يضعه بلفظه الأجنبى وبحروف عربية، وهو المنهج الذى يتبعه العلماء الآن عند ترجمة المصطلحات العلمية إلى العربية، أو تعريبها.

وهكذا جاء كتاب «الحيوان» للجاحظ موسوعة شاملة أفاد منها كل من جاء بعده، وحظيت باهتمام الكثيرين من العلماء والمؤرخين والباحثين، لكن أبا عثمان يعتذر فى تواضع جم عن أوجه القصور فى إتمام هذا الكتاب الذى استغرق تأليفه سنين طويلة، موضحاً أسباب ذلك بقوله: «وقد صادف هذا الكتاب منى حالات تمنع من بلوغ الإرادة فيه، أول ذلك العلة الشديدة، والثانية قلة الأعوان، والثالثة طول الكتاب، والرابعة أنى لو تكلفت كتابا فى طوله وعدد ألفاظه ومعانيه ثم كان من كتب العرض والجوهر والطفرة والتولد والمداخلة والغرائز والتماس، لكان أسهل وأقصر أياما وأسرع فراغا لأنى كنت لا أفزع فيه إلى تلقط الأشعار وتتبع الأمثال واستخراج الآى من القرآن والحجج من الرواية، مع تفرق هذه الأمور فى الكتب وتباعد ما بين الأشكال.. فإن وجدت فيه خللاً من اضطراب لفظ، ومن سوء تأليف، أو من تقطيع نظام، ومن وقوع الشئ فى غير موضعه، فلا تنكر بعد أن صوّرتُ عندك حالى التى ابتدأت عليها كتابى..».

أهم المؤلفات المحققة للجاحظ

١- البيان والتبيين

- حققه حسن الفاكهانى ومحمد الزهرى الغمراوى، القاهرة، المطبعة العلمية، ١٨٩٥م، مجلدان.

- حققه محب الدين الخطيب، القاهرة، المطبعة الجمالية، ١٩١٤م، ٣ مجلدات.

- حققه عبدالسلام هارون، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٨م، ١٩٥٠م، ج١: ٤٤٣ص، ج٢: ٣٧٢ ص، ج٣: ٣٨٤ص، ج٤: ٤٠٢ص.

٢- التاج فى أخلاق الملوك:

- حققه أحمد زكى باشا، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩١٤م، ٢٨٣ ص.

- حققه إبراهيم الزين، وأديب عارف الزين، بيروت: دار الفكر ودار البحار، ١٩٥٥م، ٣٤٤ ص

- حققه فوزى عطوى، بيروت: الشركة اللبنانية للكتاب، ١٩٧٠م، ١٩١ ص

٣- المحاسن والأضداد والعجائب والغرائب:

- حققه فان فلوتن، ليدن: بريل، ١٨٩٨م، ٤١٦ ص.

- صححه محمد أمين الخانجى، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٠٦م، ٢٦٠ ص.

- حققه فوزى عطوى، بيروت: الشركة اللبنانية للطباعة والنشر، ١٩٦٩م، ٢٣٧ ص.

٤- البرصان والعرجان والعميان والحولان.

- حققه محمد مرسى الخولى، القاهرة: دار الاعتصام، ١٩٧٢م، ٤٦٢ ص.

-حققه عبدالسلام هارون، بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٢م، ٦٨٦ ص.

٥- مقتطفات وترجمات من آثار الجاحظ

-حققه ريشر وشتوتمارت، ١٩٣١م، وهي تضم ٢٩ رسالة للجاحظ.

٦- الحيوان:

-حققه محمد بدر الدين النعساني الحلبي: القاهرة: المطبعة الحميدية، ١٩٠٥م، ج١: ١٩٨ص، ج٢: ١٣٦ ص، ج٣: ١٧٠ص، ج٤: ١٥٧ص، ج٥: ١٧٧ ص، القاهرة: مطبعة السعادة ١٩٠٧م، ج٦: ١٧٧ص، ج٧

-حققه عبدالسلام هارون، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٤٠-١٩٤٧م، ج١: ٤٨٠ص، ج٢: ٤٨٣ ص، ج٣: ٥٤٨ص، ج٤: ٥٠٣ص، ج٥: ٦١١ ص، ج٦: ٥١٥ ص، ج٧: ٥١٦ ص، ج٨: ٣٣٤ ص.

-حققه فوزي عطوي، دمشق: مكتبة محمد حسن النوري، د.ت. ٧ مجلدات.

٧- البخلاء:

-حققه فان فلوتن، ليدن: بريل، ١٩٠٠م، ٢٢٧ ص.

-حققه أحمد العوامري وعلي الجارم، القاهرة: وزارة المعارف العمومية، ١٩٣٨م، ج١: ١٩٢ص، ج٢: ٢٥٩ص

-حققه طه الحاجري، القاهرة، دار الكاتب المصري، ١٩٤٨م، ٥٠٧ ص.

-حققه محمد علي الزغبي، بيروت، مكتبة العرفان، ١٩٥٥م، ج١: ١١٣ص، ج٢: ١٤١ص

-حققه أحمد ظافر كوجان، دمشق: دار اليقظة العربية، ١٩٦٣م.

-حققه فوزي عطوي، بيروت: الشركة اللبنانية للكتاب، ١٩٦٩م، ٣١٥ ص.

مراجع للاستزادة

١- قدري حافظ طوقان، العلوم عند العرب: سلسلة الألف كتاب (٤)، مكتبة مصر، القاهرة، مقدمة المؤلف بتاريخ ١٩٥٦م

٢- د. وديعة طه النجم، منقولات الجاحظ عن أرسطو في كتاب الحيوان، نصوص ودراسة، منشورات معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الطبعة الأولى، الكويت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٣- د. أحمد فؤاد باشا، التراث العلمي للحضارة الإسلامية ومكانته في تاريخ العلم والحضارة، طبعة دار المعارف، القاهرة ١٩٨٣م

٤- د. أحمد فؤاد باشا، أساسيات العلوم المعاصرة في التراث الإسلامي، دراسات تأصيلية، دار الهداية، القاهرة ١٩٩٧م

٥- عمر فروخ، تاريخ العلوم عند العرب، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٧م

٦- د. عبدالحليم منتصر، تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه، دار المعارف ١٩٨٠م.

انظموا أوطاننا أسرا

للشاعر / محمد مصطفى حمام

رأى الدين في قضايا التعدد والتقييد مصورا في شعر حسن للأستاذ / محمد مصطفى حمام.

تَزَوَّجُوا ، وانظموا أوطاننا أسراً ... لا تتركوا وطن الأمجاد منتثرا

لا تجعلوا البيت والتزويج مشكلة ... ويَسِّروا من أمور العيش ما عسرا

لا تخشوا الفقر ، كم من أسرة شبعت ... عزاً ومالاً ، وفرد خاب وافتقرا

ولا تخافوا شقاقاً في بيوتكمو ... بل اضمروا الحب يبق الحب منتصرا

فإن تعاظمكم خلف وأعضلكم ... فخالفوا أمرَ التفريق إن أمرا

واستخلصوا حَكَماً من أهلكم وخذوا ... من أهلها حَكَماً واسترحموا القدرا

ولستُ أرضى سوى الأهلين محكمة ... وليبق سرى وسر البيت مُدخرا

فإن قضى الله تفريقاً فنازلة ... إن تلق صبراً فطوبى للذى صَبرا

وربما كان في التفريق منفعة ... قد يبرأ الجسم من عضو إذا بُترا

حياتنا صفحات تلك واحدة ... منها فذا رابح فيها وذا خَسِرا

* * *

ومَنْ يُعَدِّدْ زواجاً دون ملجئة ... فقد أتى بضرار أو أتى ضررا

ليس التعدُّد إلا رُخْصة فإذا ... أسْرفتَ فيها ركبتَ الحمق والخطرا

مَنْ ينتقص حق أولاد لثانية ... لم يلق من ربه عفواً إذا اعتذرا

وفي التعدُّد إن أدركْتَ حكمته ... برٌّ رخي وجبرٌ للذي كُسرا

مَنْ للمُطلَّقة الحسناء يعصمُها ! ... وللعوانس تفنى عمرها ضجرا !!

وللأرامل ، والأحزان تعصرها ... والحزن يفتك بالأعواد إن عصرا

ومَنْ لأم اليتامى ، هل تقوتهمو ... بالخد مُعْتصراً والقد مُهتصرا !!

وما الغطاء لمن زلّت وساورها ... من الفضيحة طيف يرسل النذرا

وما السبيل إلى ذُرِّية نُجُب ... إن كُنتَ زوج عقيم حظها عثرا !

هو التعدد يهدي الغارقين إلى ... برّ الأمان ويبني بيننا أسرا

هو التعدد كم آوى اليتيم وأشـ ... ـباه اليتيم وكم واسى وكم ستر

هو الحلال الذي ينفي الحرام وكم ... حمى من الفُحْش أنثى أو حمى ذكرا

عدِّدْ إن استطعتَ لكن عادلاً لبقاً ... لا تعطينَّ الهوى سمعاً ولا بصرا

واحكم رعاك الله بالحب الصحيح ... تجد مغناك لا غيرة يشكو ولا غيرا

واسأل ضميرك في أمر التعدد ، لا ... تلجأ لقاضٍ ولا تستأذن البشرا

إذا جرؤت على قاضي السماء فلن ... تكون يوماً بقاضي الأرض مزدجرا

***

طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

يستغفر الله من الحمد لله

قال السري السقطي: منذ ثلاثين عاما وأنا في الاستغفار من قولي مرة: الحمد لله فقيل له: وكيف ذلك؟

قال: وقع ببغداد حريق فاستقبلني أحد الناس قائلا: نجا حانوتك فقلت: الحمد لله!!

فأنا نادم من ذلك الوقت على ما قلت حيث أردت لنفسي الخير دون الناس.

يربطون الحجارة

دخل أعرابي مدينة لأول مرة، فهاجمته كلابها وكادت تعضه، فأراد أن يأخذ حجرا من الأرض فاستعصى، فقال: لعن الله أهل هذه القرية يطلقون الكلاب، ويربطون الحجارة.

هجر القرآن

قال ابن القيم: هجر القرآن أنواع:

أولاً: هجر سماعه، والإيمان به، والإصغاء إليه.

ثانياً: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه.

ثالثاً: هجر تحكيمه والتحاكم إليه.

رابعاً: هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه.

خامساً: هجر الاستشفاء والتداوي به من جميع أمراض القلوب.

وكل هذا داخل في قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴾[1]

حقا

على قدر حبك الله يحبك الخلق، وبقدر خوفك من الله ـ تعالى ـ يهابك الخلق.

(١) الفرقان (٣٠).

مباراة.. وصفية.. صوفية

دخل أربعة من الصالحين على أبي يزيد البسطامي فقدم لهم قدحا من عسل عليه شعرة؟

فقال الأول: العقل أصفى من القدح، والعلم أحلى من العسل، والصدق أدق من الشعرة.

وقال الثاني: الجنة أصفى من القدح، ونعيمها أحلى من العسل، والصراط أدق من الشعرة.

وقال الثالث: قلب المؤمن أصفى من القدح، وكلام الله أحلى من العسل، والحق أدق من الشعرة.

وقال الرابع: الإسلام أصفى من القدح، وخلو الطاعة أحلى من العسل، والورع أدق من الشعرة.

وقال أبويزيد البسطامي: المعرفة أصفى من القدح، ومحبة الله ـ تعالى ـ أحلى من العسل، وخوفه أدق من الشعرة.

اذهب فأنت حر

قال بخيل لغلامه: هات الطعام وأغلق الباب، فقال: يا مولاي هذا خطأ، أغلق الباب أولا، ثم أقدم الطعام، فقال له: اذهب فأنت حر، لعلمك بأسباب الحزم.

أخـــى

لاتلتمس من مساوى الناس ما ستروا
فيهتك الله سترا عن مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا
ولاتعب أحدا منهم بما فيكا

لاتكونوا من جبابرة العلماء

قال سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه: «تعلموا العلم وعلموه الناس، وتعلموا له الوقار والسكينة، وتواضعوا لمن علمتموه العلم، ولاتكونوا من جبابرة العلماء، فلا يقوم علمكم بجهلكم.

الليل.. قبل النهار

سئل ابن عباس: هل الليل كان قبلها أو النهار؟

فقال: أرأيتم إلى السموات والأرض حين كانتا رتقا هل كان بينهما إلا ظلمة؟

ذلك لتعلموا أن الليل قبل النهار.

دعاء

يارب لاتجعل قدمي تزل في الطريق إليك ولاقلبي يضل في التطلع إليك، أنت العون الذى أبتغيه، والخير الذى أتمناه في الدنيا والآخرة.

الشاعر الداعية :

الشيخ محمد زكي ابراهيم رائد العشيرة المحمدية

للأستاذ الدكتور / محمد ابراهيم الجيوشي

الشعر هبة من الله يضفيها على من يشاء من عباده، فتنطلق بها ألسنتهم، وتعبر عن أشواقهم وآمالهم وآلامهم، وتسجل نعم الله في الأرض وفي السماء، ومنهم من يستغل هذه النعمة في توجيه النفوس إلى الخير، والكشف عن آثار القدرة الإلهية في الأرض وفي السماء وفي النفس الإنسانية، مستلهما قول الحق تبارك وتعالى:

﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾[1].

فدافعوا عن الحق، ونطقوا بالحكمة، وأرشدوا إلى طريق الهدى والصواب، وعبروا عن أشواق النفس الإنسانية، وتطلعها إلى السمو والرقي والصفاء والنقاء.

وقد عرف التراث العربي العديد من هؤلاء منذ فجر الدعوة الإسلامية، والعصور التي تلت ذلك الفجر حتى أيامنا هذه، وهؤلاء ينطبق عليهم قول الله -سبحانه-:

﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾[2].

---

(١) الذاريات الآيات من (٢٠ : ٢٣).

(٢) الحج الآية (٢٤).

ومنهم فريق آخر استغل هذه الملكة أسوأ استغلال فآذى الناس، وتعرّض للحرمات، وسلقهم بلسانه وشعره حتى خافوه، وتحاشوه خشية أن ينالهم من شره، ويصيبهم من أذاه، وهؤلاء هم الذين عناهم الله -تعالى- بقوله:

﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾(٣).

وقد عرفت العصور المتتابعة نماذج من الفريقين، فمن الأولين حسان، وعبدالله بن رواحة، وكعب بن مالك، وكعب بن زهير، الذي يقول للرسول ﷺ:

تبئت أن رسول الله أوعدني
والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذي أعطاك نافلة
القرآن فيه مواعظ وترتيل
لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم
أذنب وقد كثرت فيّ الأقاويل
إن الرسول لنور يستضاء به
مهند من سيوف الله مسلول

ومن الفريق الثاني الحطيئة الذي لم يسلم أحد من لسانه حتى إنه إذا لم يجد أحدا يناله بلسانه هجا نفسه، فقد خرج ذات يوم، وقد هاجت شرته، لعله يجد أحداً يطوقه بلسانه كما تفرغ الحية سمها فيمن يسوقه سوء حظه إلى طريقها، فلم يجد أحداً، فكأنما بلسانه ألم يضرب به، فلما لم يجد أحدا مرّ ببئر فنظر فيها فبدا له خياله في الماء، فقال:

أبت شفتاى اليوم إلا تكلما
بشر فما أدرى لمن أنا قائله
أرى لي وجها شوه الله خلقه
فقبّح من وجه وقبح حامله

ولم تسلم زوجه من لسانه، فقال:

أطوّف ما أطوّف ثم آوى
إلى بيت قعيدته لكاع

حتى أمه التي أوصى الله بها، وأمر الرسول بالإحسان إليها، وجعل الجنة تحت أقدامها، لم تسلم من الحطيئة الذي وسمها بأقبح الصفات وأعلنها ببغضه لها مما يشعر عن خلل نفسي في تكوينه، فقال:

جزاك الله شرا من عجوز
ولقاك العقوق من البنينا
تنحيّ فاجلسي مني بعيدا
أراح الله منك العالمينا
إغربالا إذا استودعت سراً
وكانونا على المتحدثينا
ألم أظهر لك البغضاء مني
ولكنْ لا أخالك تعقلينا
حياتك ما علمت حياة سوء
وموتك قد يسرّ الصالحينا

وقد هجا الزبرقان بن بدر فشكاه لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - الذي ألقى به في الحبس لما تناول الزبرقان تناولا قاسيا في قوله له:

---

(٣) الشعراء، الآية (٢٢٤) (٤).

دع المكارم لا ترحل لبغيتها
واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

وهدده بقطع لسانه حتى لا ينال أحدا بسوء، وقد قال أكثر من قصيدة يستعطف بها عمر حتى سمع قوله:

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ
زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة
فاغفر عليك سلام الله يا عمر

فبكى عمر لما سمع هذه الأبيات، فعفا عنه واشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم في قصة ليس هنا مجال عرضها.

تلك هي آثار الشعر في البناء والهدم، والخير والشر، والحب والبغض، والمدح والهجاء، والرضى والغضب، ولقد قال رسول الله ﷺ في تأثير الكلام نثرا وشعرا: «إن من البيان لسحرا وإن من الشعر لحكمة»[4].

وشيخنا -رحمه الله- قد وُهِبَ مَلَكة شعرية مبدعة، وكان الشعر يجري على لسانه، ويتدفق من خاطره دفاقا كالنبع ينبثق منه الماء الصافي عذبا رويا، والذي يقرأ مراحل حياة الشيخ -رحمه الله- يدرك عن يقين أنه كان قادرا على أن يجعل كلامه كله شعرا يفيض عنه تلقائيا كما يفوح العطر من الزهر وينبعث الضياء من الشمس، وينهمر الماء من السحاب.

والدارس للطاقة الشعرية عند الشيخ -رحمه الله-، لابدّ له أن يقف على إنتاجه كله، ويراجعه مراجعة المتأني الدارس حتى يستطيع أن يعطي صورة صادقة لهذه الطاقة الخلاقة التي أفاضها الله على الشيخ، واحتوتها القصائد التي هتف بها على مدى عمره الطويل المبارك، وليس ذلك متيسرا للباحث الآن حتى يقدم دراسة مستوعبة لهذا التراث الطيب الغزير، فهناك القصائد التي قالها في شبابه، والتي سماها الحصائد، ناظرا إلى قول النبي ﷺ: «وهل يكب الناس في النار على مناخرهم يوم القيامة إلا حصائد ألسنتهم»[5]. ويفهم من هذه التسمية أن الشيخ -رحمه الله- ليس راضيا عن اتجاهاتها؛ لأن فيها ما في الشباب من اندفاع وقوة، وفي ذلك يقول تحت عنوان «ندمت»:

استغفر الله إني قد ندمت على
ما كان من بعض أقوالي وأشعاري
قد قلت ما قلت جهلا أو بمعذرة
وقد أنبت، فهب لي رب أوزاري

ولكن الدارسين لتراث الشيخ يرون أنها تمثل مرحلة من مراحل النضج الشعري للشيخ -رحمه الله-، ولهذا فإني أهيب بالإخوة القائمين على نشر تراثه أن يعملوا على إخراجها كاملة حتى تهيئ للدارسين فرصة للوقوف على التطور الفني لشعر الشيخ.

وهناك القصائد التي قالها بعد مرحلة الشباب، والتي سماها «هشيم المحتظر»، وهناك المجموعة التي أطلق عليها «أنسام طوى» والمجموعة التي أعطاها اسم «في حضرة الله»، والمجموعة التي عنوانها «المولد المحمدي».

كل هذا الإنتاج الغزير غير ميسر للباحث الاطّلاع عليه الآن، وليكون البحث وافيا عن

---

(٤) الموطأ (٩٨٦) وأحمد ٤/٢٦٣.

(٥) أخرجه أحمد (٥/٢٣٦).

مكانة الشيخ الشاعرية لابد له ان يَطّلع على هذا الانتاج الوافر.

والموجود بايدينا الآن هو « الجزء الاول » من ديوان « البقايا » والجزءان الاول والثانى من ديوان « المثانى »، وسنحاول جهد المستطاع ان نقدم تصوّرا للشيخ شاعرا راجين أن ينهيا فى المستقبل للباحثين كل ما قاله الشيخ فى مجال الشعر، وهو شئ كثير له قيمة ادبية رفيعة، واتجاه متميز تحتاج الحركة الادبية المعاصرة أن تقف على اتجاهاته لتكشف للباحثين عن مجالات جديدة لها قيمتها الفنية فى الشعر المعاصر، وحينئذ سيعلم الدارسون للادب، والمعنيون بالحركة الشعرية المعاصرة أن هناك شاعرا موهوبا، لم يتكلف الشعر، وإنما كان يغلبه الشعر فيسجله حينما يفيض به قلبه كالنبع رائقا عذبا نقيا حتى اللحظات الأخيرة التى كان فيها يودع الحياة، وهذا أمر يثير الإعجاب حقا، حينما تجد شاعرا، وهو يتهيأ للقاء ربه يفيض قلمه بهذا السحر الحلال فى شعر عذب رائق يتدفق يرسم الطريق لمن سيحمل الراية بعده.

مع كبــار الشــعراء

ظهرت الطاقة الشعرية المبدعة لدى الشيخ – رحمه الله–، وهو لما يزل طالبا فى الأزهر حتى إن كبار الشعراء كانوا يطلبون لقاءه وهو ما يزال يافعا، حينما يطلعون على ما يفيض به قلمه ظنا منهم أنهم سيلقون شاعرا قد أنضجته السنون، ومن ذلك لقاؤه مع حافظ إبراهيم حينما نشر أبياته التى ينتقد فيها ظاهرة النذور لأهل الصلاح من الموتى، والتى يقول فيها:

أحـيــاؤنا لا يرزقـون بـدرهم
وبـألـف ألـف تـرزق الأمــوات

من لى بحظ النائمين بحفـرة
قـامت على أحجارها الصلوات

يسـعى الأنام لها ويجرى حولها
بحـر النذور وتقـرأ الآيات

ويُقـال هذا القطب باب المصطفى
ووسـيلة تقضى بها الحاجات

يقرأ الشيخ –رحمه الله– وهو لما يزل طالبا– هذه الأبيات وحافظ آنذاك شاعرا ملأ الدنيا وشغل الناس، فينشر ردا عليها فيه الحكمة، وبُعد النظر، وتوجيه الشاعر إلى ما فاته التنبه إليه، فيقول:

مـا كل حىّ كـان أهلا بيننا
للرزق حتى يحسـد الأموات

فلربّ ميت كـان أنفع للورى
من ألف حىّ ليس فيه حياة

أوليس رزق الميت هذا عائدا
حتما إلى حىّ له حاجات

فالفضل كل الفضل للميت الذى
يهب الحياة لشبه من قد ماتوا

ولم يكد (حافظ) يطّلع على أبيات الشيخ الشاب حتى أخذ يبحث عنه يريد أن يتعرف عليه، لأن أبياته تدل على شاعر جهبيز، ولما التقى به إذا به يكتشف أنه طالب بالأزهر، فهنأه وشجعه، وتودد إليه، وكانت هذه بداية مشجعة لمن كان يريد ان يكون له فى عالم الشعر موطئ قدم؛ ولكن الشيخ الشاب آنذاك لم يكن يعنيه إلا أن يشير إلى أن هؤلاء الأموات الذين ينتقد حافظ البذل إلى مدافنهم كانوا نافعين للمجتمع فى حياتهم، ويمتد نفعهم أيضا إلى افراد المجتمع

بعد مماتهم، فهم خير ألف مرة من أحياء، لكنهم بالنسبة للناس أموات لايرجى من ورائهم نفع لضعيف، ولا عون لمحتاج، فهم أولى بأن يسموا أمواتا، وكان ما يبدو في شعره من قوة وأصالة ونضج داعيا إلى كبار الشعراء أن يلتقوا به، ويتعرفوا عليه، حتى إن (شوقي) كان يعجبه ما ينشر للشيخ في مجلة (أبوللو) فطلب لقاءه وشجعه وأثنى على شعره، وقدمه لجلسائه من رجال الشعر والأدب، وهكذا كان شعره هو الذي يقدمه لكبار الشعراء والأدباء في صدر شبابه، وقد قرأ له العقاد قصيدة سينية نشرت في مجلة الفجر التي كان يشرف عليها، فلفتت انتباهه إلى أن هذا لابد أن يكون إنتاج شاعر متمكن، فطلب إلى سكرتير تحرير المجلة أن يسعى لتحديد موعد يلتقي فيه بالشيخ الشاعر الشاب.

والحقيقة أن الطاقة الشعرية التي كان يتمتع بها الشيخ -رحمه الله- كانت طاقة فذة تجذب إليها كل من يقف على إنتاجها، ولولا أن الشيخ انصرف عن الشعر، واتجه إلى العلم والدعوة والتصوف لكان أحد كبار الشعراء في عصرنا، ويصدق عليه قول الإمام الشافعي -رضي الله عنه-:

ولولا الشعر بالعلماء يزرى
لكنت اليوم أشعر من لبيد

كانت شاعرية الشيخ -رحمه الله- تلفت الأنظار إليه في أي مكان حلّ فيه، قال أحد الأئمة: كنت عضوا بإحدى دورات التدريب العالي للأئمة والوعاظ بمدينة البعوث بالقاهرة،



أحمد شوقي



حافظ إبراهيم

واستمعت لأول مرة إلى محاضرة في التصوف الإسلامي شدتني إلى السيد المحاضر شداً عنيفاً، فما أن انتهى حتى تقدمت إليه بإلحاح مع بعض أعضاء الدورة، فسألته: نريد أن نعرف فضيلتكم؟ فإذا به يقضي لحظات ثم ينظر إليّ قائلاً:

فضيلتي أنني مقرٌّ
بأن شأني هو الرذيلة
أخاف ذنبي رجاء ربي
وليس لي دونها فضيلة

فكتبت هذا وكتبه زملائي بشغف، ثم قلت: إنما نريد أن نعرف الإسم، فسكت هنيهة، ثم قال:

ماذا تفيد من اسمي
وَهْمٌ يجرُّ لوَهْم
قد ضللتنا الأسامي
جهلا فحسبك علمي

وكتبنا مشدوهين، ثم أقسمت عليه أن يذكر اسمه؛ فإذا به يقول:

اسمي محمد واسمي
إذا أردت زكيٌّ

يا ليت أني باسمي
هذا وذا لي ذخري
عدوت قدري إذ قد
زعمت أني شيء

وانطلق من بيننا كالسهم، لا يلوى، ولا ندركه، فكانت لحظات ربانية بحقٍّ عادت بنا عمليا إلى عهود السلف الصالح، وقصصهم الغريبة، ورقائقهم العجيبة.

الذى يطالع ديوان «البقايا» يلاحظ أمورا تأخذ بلبه، وتستولى على تفكيره، كيف تحقق لصاحب الديوان هذه الميزات الفريدة التى تنطق بها قصائده:

أول هذه الأمور: السهولة الممتنعة والعاطفة المتدفقة التى تملك القلب وتأسره.

وثانيها: النفس الطويل الذى يتجاوز المائة من الأبيات فى قوة متماسكة، وسهولة آسرة وعاطفة جياشة.

وثالثها: الوفاء للقيم والأخلاق والإخوان.

ورابعها: السماحة التى تشعر القارئ أنه يمشى فى رياض من المحبة والسماحة وحُسن الصلة بالخالق - جل وعلا.

وخامسها: أن الصوفى الحقيقى ليس معزولاً عن أحداث بلده ولا قضايا أمته، وإنما يعايشها، ويشارك فيها ويضرب المثل لغيره كى يقتدوا به.

فالسهل الممتنع قاسم مشترك فى كل قصائد الديوان، ولكننا لانستطيع أن نقدم الديوان كله دليلاً على هذه الميزة، ولذلك سنختار ما يقنع القارئ والمستمع ومن ذلك قصيدة تضرع وإنابة:

يارب أذنبت لكن
فى خيفة منك ربى
قد كان قلبى يبكى
وأنت أدرى بقلبى
وأنت أدرى بصدقى
منى وأدرى بكذبى
يا غافر الذنب إنى
قد اعترفت بذنبى
يا قابل التوب صلنى
واقبل بفضلك توبى
مالى إليك شفيع
إلا اعترافى وحبى
والستر منك دليل
على قبولى وقربى
عجبت والله منى
وطاش والله لُبى
وأذهلنى قضايا القـ
ـضاء فى غيب غيبى
فكيف أمضى خطب؟
يلوح فى إثر خطب؟
وكيف أنجو بلطف
من بعد لطف يلبى؟
وكيف أياس لكن
يحقق الله إربى
فليس يهتك سترى
وليس ينضح عيبى
لكننى من شقائى
أضلُّ بابى ودربى

لازلت في التيه أمضي
لغير وجه وصوب
تبددت في شتاتي
وضاع جدي ولعبي
يا رب هل من سعي
إليك يكشف كربي
ظلمتُ قبلا شبابي
واليوم أظلم شيبي
وذاب قلبي من خو
في، وحرتي أي ذوب
أني أثيم مقصِّرٌ
قد ضاق بي كل رحب
بكيت حتى بكاني
قتاة أهلي وصحبي[6]

وتمضي القصيدة على هذه الوتيرة الآسرة التي يشعر قارئها أنها تعبر عن ذات نفسه، وأنه يحاور ذاته في لغة رشيقة آسرة ثم يختم الشيخ قصيدته بمقطع يتجه فيه إلى خالقه - جل وعلا - يعبر فيه عن اعترافه بالذنب وخوفه من ربه، وشعوره بالأرق حينما يتذكر ما أقدم عليه من خطايا، ولكن ذلك كله لا يمنعه من أن يؤمل في الحصول على النجاة والفوز بالعفو من العفو الغفور ويعرض ذلك كله في سهولة، ورشاقة في التعبير فيقول:

يارب أذنبت لكن
في خيفة منك ربي
كم أرقتني الخطايا
ولست بالمتأبي
هل من نجاة لعبد
على المعاصي مُكِبِّ
يا رب عفوك أرجو
إن نلت ذاك فحسبي[7]

وقد يعالج الشيخ بعض القضايا التي شغلت أفكار المتكلمين والفلاسفة مثل قضية الجبر والاختيار، فيعرضها في قالب غاية في الوضوح كأنه يهمس إليك وأنت تقرأ القصيدة، فتشعر بالوضوح والطمأنينة كأنك تقرأ مناجاة بين حبيبين. يقول تحت عنوان «حيرة وابتهال»:

تُرى هل أنا مجبور
هنا أم أنا مختار
فإن أنا كنت مختارا
فكيف يروقني العار
وكيف أقارف الآثا
م؟ والديان جبار
وإن أنا كنت مجبورا
ففيم تمسّني النار
كذلك حدثتني النفس
واحتارت كما احتاروا
ولكني حسمت الأمر
فالأقدار أقدار
وسلمت الأمور له
وللتسليم أسرار
فأشرق باليقين عليّ
ظلام النفس أنوار
إلهي أثقلتني منك
أوزار وأوزار

(٦) ديوان البقايا ص١٣٨ - ١٤١.

(٧) ديوان البقايا ص٣٢.

وطـوّف بـي عـلـى الأبـوا
ب آمــــال وأوطــار
وإنـي إن أكـن أجــــرمت
ــــالى قط إصـــرار
وإنـك يـا إلـه الـعـــرش
غــفّــار وســتّــار
وخـــوفـــك من ذنوبي تلك
حــتـى كــدت أنــهــار
فـــرحت ألوذ بـالأعــذار
والأعـــذار أقــــدار[8]

أما النفس الطويل ففي الديوان عدة قصائد، وسنختار قصيدة (إلى ولدى المقاتل المصرى)، وفيها ترى الفيض المتدفق، وتعطيك المثل العملى على أن التصوف لايعنى أن تنعزل عن الحياة، وإنما تشارك فيها، وهكذا كان الشيخ -رحمه الله- فقد كان يتردد على الجبهة قبل معركة العاشر من رمضان ويعيش مع الجند حتى أنزل الله نصره، وقد سجل الشيخ -رحمه الله- آثار هذه الزيارات فى ملحمة من ثلاث عشرة لوحة تضم أكثر من مائة بيت قدم لها نثرا بالكلمات التالية: «لى فى الجبهة أبناء من الصلب وأبناء فى الله، وكل من فى الجبهة أولادى، وأنا لا أتفرغ للشعر، ولكنه يغلبنى قهرا فى بعض الأحيان وهذه القصيدة كانت نوعا من الهيمنة التى لم أستطع الفكاك منها إلا بعد أن رفعت قلمى عن آخر بيت فيها.. فإذا هى لوحات فنية شعرية شتى متعانقة لكل منها وجه وروح مستقل، فهى هديتى إلى هؤلاء الأبناء الأبطال».

يقول فى اللوحة التاسعة، وجعل عنوانها (رسالة والد):

ولـدى يـرعـــاك مــــولا
ك، فـــقـــد صـــرت ولـيّـــه
ســبح النيل بأمـــجــاد
ك، والشـمـس المضـيـئـة
والـــريـــاض الـزهـــر فـى وا
ديــك والأرض الـــرويـــة
والعـــمـــارات العـــوالى
والـــربـــوع الأزهـــريـــة
والصـــحـــارى والـــبـــرارى
ومـــغـــانى الأزبكيـــة
والحـكـومــــات الــدوانى
والشـــعـــوب الأجنبيـــة
أنـت فـى ســــيـنـاء لـكـن
لـم تـفـــارق أمـــغـــرية
فـــالصـــواريخ تـدوّى
والصـــدى فـى أذنـيـــه
وحـــشـــود الـنـار والـنـور
تـراءى لـى جـلـيّـــه
وغـــبـــار القـصـف بـالطـور
ســرى فـى رئـتـيـــه
وأرى شـــخـــصـك يـا بـنـى
مـــاثلا فـى مـقـلـتـيــه
بـطـلا يـكـسـب أمـــجـــادا
وفـــخـــرا فـى يـديـه
يـا بـاعـث أيـام .. جـــالـوت
وحـطـين الـهـنـيــــة[8]

(8) يشير إلى موقعة حطين التى انتصر فيها صلاح الدين على الصليبيين وعين جالوت التى انتصر فيها قطز على التتار - راجع ديوان البقايا ص٥٩، ٦٠.

الإمام الزيلعي ومنهجه الفقهي في نصب الراية

للأستاذ الدكتور / محمد إبراهيم الفيومي

حياته

هو الإمام، الفاضل البارع، المحدث المفيد، الحافظ المتقن، جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف بن محمد بن أيوب بن موسى الحنفي الزيلعي، رحمه الله.

الزيلعي، نسبة إلى «زيلع» بلدة على ساحل الحبشة، قاله السيوطي في «اللباب» وإليها نسبة شيخه فخر الدين الزيلعي، الفقيه، صاحب «تبيين الحقائق، في شرح كنز الدقائق» في ست مجلدات كبيرة، ونسب إليها عدة رجال من علماء زيلع الحنفيين، وترجم لبعضهم في كتاب «قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر»[1]، للشيخ أبي محمد محمد الطيب بن عبدالله، من علماء القرن العاشر للهجرة.

قال تقي الدين بن فهد المكي، في ذيل «تذكرة الحفاظ» للذهبي: تفقه، وبرع، وأدام النظر والاشتغال، وطلب الحديث، واعتنى به. فانتقى، وخرج، وألف، وجمع، وسمع على جماعة من أصحاب النجيب الحراني، ومن بعدهم، كالشهاب أحمد بن محمد بن فتوح التجيبي، مسند الإسكندرية، والشهاب أحمد ابن محمد بن قيس الأنصاري، فقيه القاهرة والإسكندرية».

وقال تقي الدين أبو بكر التميمي في «الطبقات السنية»[2]، اشتغل، وسمع من أصحاب النجيب، وأخذ عن الفخر الزيلعي، شارح الكنز، وعن القاضي علاء الدين التركماني، وغيرهما، ولازم مطالعة كتب الحديث إلى أن خرج أحاديث الهداية، وأحاديث الكشاف، فاستوعب ذلك استيعابا بالغا.

---

(١) نسخته الفوتوغرافية في «ست مجلدات كبيرة» في دار الكتب المصرية، تحت رقم (٦٦٧) - من التاريخ.

(٢) نسخته المخطوطة في التيمورية، من دار الكتب المصرية، تحت رقم (٥٤٠) من التاريخ، في «أربع مجلدات».

قال في الدرر «يعني به الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة»: ذكر لي - شيخنا العراقي - أنه كان يرافقه في مطالعة الكتب الحديثية، لتخريج الكتب التي كانا قد اعتنيا بتخريجها، فالعراقي لتخريج أحاديث الإحياء، والأحاديث التي يشير إليها الترمذي في الأبواب، والزيلعي لتخريج أحاديث الهداية، والكشاف، فكان كل منهما يعين الآخر، ومن كتاب الزيلعي في تخريج أحاديث الهداية استمد «الزركشي» في كثير مما كتبه من تخريج أحاديث الرافعي.

وكان من منهجه كما يذكر ابن حجر العسقلاني ما صورته - بعد أن ذكر غالب ما نقلناه هنا من الدرر منه - جمع تخريج أحاديث الهداية، فاستوعب فيه ما ذكره صاحب الهداية من الأحاديث، والآثار في الأصل، وما أشار إليه إشارة، ثم اعتمد في كل باب أن يذكر أدلة المخالفين، ثم هو في ذلك كثير الإنصاف، يحكي ما وجده من غير اعتراض، ولا تعقب غالبا، فكثر إقبال الطوائف عليه، واستوعب أيضا في تخريج أحاديث الكشاف[٢] ما فيه من الأحاديث المرفوعة خاصة، فأكثر من تبين طرقها، وتسمية مخرجيها على نمط ما في أحاديث الهداية، لكنه فاته كثير من الأحاديث المرفوعة التي يذكرها الزمخشري بطريق الإشارة، ولم يتعرض غالبا لشيء من الآثار الموقوفة.

وقال الأستاذ الكوثري: والزيلعي أعلى طبقة من العراقي، وعمله هذا معه - أي مرافقته في التخاريج - يدل على ما كان عليه من الأخلاق الجميلة والتواضع، وتخاريجه شهود صدق على تبحره وسعة اطلاعه في علوم الحديث، من: معانيه، وأسماء رجاله، ومتونه، وطرقه، وقد رزقه الله الانتفاع بها، والتداول بأيدي أهل العلم بالحديث على مدى القرون، وكان بعيدا عن التعصب المذهبي، يحشد الروايات، وقد لا يتكلم فيما له كبير مجال.

وقال الشيخ «محمد أنور الكشميري، ثم الديوبندي» رحمه الله تعالى: كان الحافظ جمال الدين الزيلعي، من المشائخ الصوفية، الذين ارتاضت نفوسهم بالمجاهدات والخلوات، وتزكت قلوبهم عن الرذائل والشهوات، كما

---

(٢) وقد أخطأ النواب، صديق حسن خان في كتابه - الأكسير - في أصول التفسير، حيث جعل تخريج أحاديث «الكشاف» للحافظ ابن حجر، وتلخيصه للحافظ الزيلعي، وذكر هذه الأوصاف - التي ذكرها ابن حجر لتخريج الزيلعي - لتخريج ابن حجر، فعكس الأمر، ونبه عليه، الفاضل الشيخ اللكنوي في - تعليقات الفوائد البهية - والعجب أنه كيف خفي عليه هذا! مع أن ابن حجر ولد بعد وفاة الزيلعي بأحد عشر عاماً، فكيف يمكن أن يلخص الزيلعي كتاب ابن حجر! ولم يكن هو عند ذاك في عالم الوجود، وكثير له في تراجمه أمثال هذه الأوهام.

كان من أكابر المحدثين الحفاظ، بحور العلم والحديث، وترى من آثار تزكية نفسه أنه لا يتعصب لمذهبه شيئا، بل يمشي مع الخصوم، ويسايرهم بغاية الإنصاف.

ويقول الشيخ المحقق ابن الهمام، صاحب «فتح القدير» وهذا بخلاف الحافظ ابن حجر، فيتطلب دائما مواقع العلل، ويتوخى مواضع الوهن من الحنفية، ولا يأتي في أبحاثه ما يفيد الحنفية، ويقول شيئا، وهو يعلم خلاف ذلك، ولا يليق بجلالة قدره ذلك الصنيع، وحاشاي أن أغض من قدر الحافظ ابن حجر الذي يستحقه، وإنما هي حقائق ناصعة، ووقائع ثابتة، يجب على الباحث الناقد أن يعرفها.

وفاته ومكان دفنه

أما وفاة هذا الإمام الجليل، فقد اتفقت كلمتهم، ممن ترجم له ـ كابن حجر، وابن فهد، والسيوطي، والتميمي، والكفوي ـ على وفاته في «المحرم سنة اثنتين، وستين، وسبعمائة» ٧٦٢ ـ هجرية وزاد ابن فهد تعيينه: «بالحادي عشر من المحرم»، ولم يتعرض أحد منهم لذكر تاريخ ولادته، ولم أظفر بها، مع تتبع، ودفن بالقاهرة، واتفقت به كلمة من تعرض لوفاته والعجب أنه لم يعين أحد قبره، ولا جهته، من أصحاب التراجم، ورجال الطبقات، والمؤلفين، في خطط القاهرة، وآثار مصر: كالمقريزي، وغيره، والمتصدين لذكر مزارات الأولياء، وقبور الصالحين بالقاهرة، كالسخاوي، وغيره، إلا أن علي باشا مبارك في «الخطط التوفيقية» ذكر عند ذكر، شارع باب الوزير، في ص١٠٣ ـ ج٢، عطفة الزيلعي، وقال: عرفت بضريح الشيخ الزيلعي المدفون بها، ا هـ، ولم يعينه من هو، فوصلت إلى العطفة المذكورة الواقعة في ـ شارع المحجر ـ برفاقة صديقي المحترم الشيخ عبدالحميد الدسوقي عطية، وبمساعدة الأستاذ الفاضل إبراهيم بن مختار الزيلعي، فألفينا في آخر العطفة بيتا مغلقا، واطلعنا إلى شبكته، فإذا هو مكتوب على غلاف المرقد الشريف: هذا مقام الإمام عبدالله الزيلعي، وكان خارج البيت فوق الباب، كتابة في حجر منحوتة، فقرأنا فيه كلمة: عبدالله وكلمة «الزيلعي»، ولكن كان في القلب شيء، فاستظهرت بالأستاذ «حسن قاسم» عالم هذه الآثار، فذهب وقرأ اللوح، بعد أن أتعب نفسه، فإذا هو «أبو عبدالله» المتوفى عام ٨٢٩، فاتضح أنه غيره، ثم الأستاذ «حسن قاسم» يجزم بأن ضريحه بقرافة القاهرة، بباب النصر، بيد أنه اندثرت المقبرة هنا، فلا يعرف اليوم قبره أحد، والله أعلم.

نصب الراية لتخريج أحاديث الهداية

من أهم كتب الإمام الزيلعي وهو من الكتب الرائدة في ميدان فقه السنة الحنفي هذا الكتاب ـ إنه ـ كما أصبح ذخيرة نادرة

للمذهب الحنفي ـ كذلك أصبح ذخيرة ثمينة لأرباب المذاهب الأخرى، من المالكي، والشافعي، والحنبلي، فكما أن الحنفية يفتقرون إليه في التمسك بعراها الوثيقة، كذلك أصحاب سائر المذاهب لا يستغنون عنه أبدا.

ولا بدع لو قلت: إنه دائرة المعارف العامة، لأدلة فقهاء الأمصار، حيث أحاط بأدلتها، فلا يرى الباحث فيها بخسا ولا رهقا.

ومنها: أن هذا الكتاب الفذ، خدمة جليلة للأحاديث النبوية ـ على صاحبها الصلوات والتحيات ـ أكثر مما هو خدمة للمذهب الحنفي، فليكن أمام الباحث الحثيث، أنه كما يحتاج إليه الفقيه المتمسك بالمذهب، كذلك يحتاج إليه المحدث. فأصبح مقياسا ونبراسا للفقهاء، والمحدثين.

ومنها: أنه نفع الأمة في الأحاديث، بتعقيبها بجرح وتعديل، مع سرد الأسانيد، ثم ذكر فقه الحديث وفوائده، فالفقيه البارع، يفوز بأربه من فقه الحديث، والمحدث الجهبذ، يقضي وطره من أحوال الرواة، ولطائف الأخبار، والتحديث.

أما عن صاحب الهداية فيقول الحافظ عبدالقادر القرشي في «الجواهر المضيئة» علي ابن أبي بكر بن عبدالجليل الفرغاني، شيخ الإسلام، برهان الدين المرغيناني، العلامة المحقق «صاحب الهداية» ا. هـ.

تفقه على أئمة عصره، كمفتي الثقلين، نجم الدين «أبي حفص عمر النسفي» وابنه أبي الليث، أحمد النسفي» والصدر الشهيد «حسام الدين عمر» والصدر السعيد «تاج الدين أحمد» و«أبي عمرو عثمان البيكندي»، تلميذ شمس الأئمة «السرخسي» وغيرهم.

وأقر له بالفضل، والتقدم، أهل عصره، كالإمام فخر الدين ـ قاضي خان ـ وصاحب المحيط، وصاحب الذخيرة، والشيخ زين الدين العتابي، وظهير الدين البخاري، صاحب «الفتاوى الظهيرية» وغيرهم.

توفي رحمه الله – تعالى – سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ٥٩٣ هـ.

الهداية

صنف كتابا سماه «بداية المبتدي» جمع فيه كتابي: القدوري، والجامع الصغير للإمام محمد بن الحسن الشيباني، وزاد عليهما مسائل عند الضرورة، ثم شرحه بكتاب سماه «كفاية المنتهي» في ثمانين مجلدا، ثم اختصره في كتاب سماه «الهداية» صنف «الهداية» في ثلاث عشرة سنة، وبقي صائما في عهد تأليفه لهذا الكتاب، لم يطلع على صومه أحد.

قال إمام العصر، المحدث، الشيخ «محمد أنور الكشميري الديوبندي» رحمه الله:

ليس في أسفار المذاهب الأربعة كتاب بمثابة كتاب «الهداية» في تلخيص كلام القوم، وحسن تعبيره الرائق، والجمع للمهمات في تفقه نفس، بكلمات كلها درر وغرر.

وقال: وقد صدق من قال من بعض أفاضل الشيعة: إن كتب الأدب العربي في المسلمين ثلاثة: التنزيل العزيز وصحيح البخاري وكتاب «الهداية» أ. هـ.

ذكر صاحب كشف الظنون من شروح الهداية، والتعليقات عليها والتخاريج لأحاديثها، قدرا كبيرا يجاوز ستين شرحا.

أما شرح الزيلعي للهداية المسمى «نصب الراية ـ لتخريج أحاديث الهداية» للإمام الحافظ الفقيه الناقد الشيخ «عبدالله بن يوسف الزيلعي».

فيتميز شرحه بأنه لا يتعصب لمذهب بل يجد فيه الحنفي صفوة ما استدل به أئمة المذهب من أحاديث الأحكام، ويلقى المالكي فيه نقاوة ما خرجه ابن عبدالبر في «التمهيد» و«الاستذكار» وخلاصة ما بسطه عبدالحق في كتبه، في أحاديث الأحكام، والشافعي يرى فيه غربلة ما خرجه البيهقي في «السنن» و«المعرفة» وغيرهما وتمحيص ما ذكره النووي في «المجموع» و«شرح مسلم» واستعراض ما بينه ابن دقيق العيد في «الإلمام» و«الإمام» و«شرح العمدة» وكذلك الحنبلي يلاقي فيه وجوه النقد في «كتاب التحقيق» لابن عبدالهادي، وغير ذلك من الكتب المؤلفة في أحاديث الأحكام، بل يجد الباحث فيه سوى ما في الصحاح، والسنن، والمسانيد والآثار والمعاجم من أدلة الأحكام أحاديث في الأبواب، من مصنف ابن أبي شيبة ـ أهم كتاب في نظر الفقيه ـ ومصنف عبدالرزاق، ونحوهما.

من أقوال أئمة الجرح والتعديل، ومن كتب العلل المعروفة، وهذا مما جعل لهذا الكتاب ميزة عظمى بين كتب التخاريج.

والذي ينظر في منهج كتاب شرح الهداية تيقن أن الحنفية في غاية التمسك بالأحاديث، والآثار في الأبواب كلها، لكن لا تخلو البسيطة من متعنت يتقول فيهم، إما جهلا، أو عصبية جاهلية، فمرة يتكلمون في أخذهم بالرأي، عند فقدان النص، مع أنه لا فقه بدون رأي، ومرة يرمونهم بقلة الحديث، وقد امتلأت الأمصار بأحاديثهم، وأخرى يقولون: إنهم يستحسنون ومن استحسن فقد شرَع.

والشرع لله وحده، إنما الرسول صلوات الله عليه ـ مبلغه، وقصارى ما يعمل الفقيه فهم النصوص فقط، فمن جعل للفقيه حظا من التشريع، لم يفهم الفقه والشرع، بل ضل السبيل، وجعل شرع الله من الأوضاع البشرية، وحاشى لله أن يجعل للبشر دخلا في شرعه ووحيه.

شكر النعمة وجحودها

٢

لفضيلة الشيخ / فوزي الزفزاف

أما شكر الله على نعمه، والاعتراف لله بفضله، والامتثال لأوامر الله ونواهيه، والالتزام بطاعته، واستخدام هذه النعم فيما يرضى الله، فإن ذلك يكون سبباً فى جزاء الشاكرين بدوام نعم الله واستمرارها عليهم، بل وفى زيادتها ونمائها، وسبباً فى نجاتهم من غضب الله ونقمته وعذابه الذى ينزله على الجاحدين لنعمه، يقول الله ـ تعالى: ﴿ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴾(١).

وعندما أنعم الله ـ سبحانه وتعالى ـ بنعمه الكثيرة على سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ التى منها أنه اصطفاه واختاره من بين الناس الموجودين فى زمانه برسالته، وبتكليمه لله ـ تعالى ـ بغير واسطة: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾(٢) طلب الله من سيدنا موسى أن يقابل هذه النعم العظيمة بالشكر، يقول الله ـ تعالى:

﴿ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾(٣)

ولأن دوام النعمة واستمرارها، بل وزيادتها ونماءها مرتبط ارتباطاً وثيقاً بشكر الله عليها، والاعتراف بفضله، واستعمال هذه النعم فى الطاعة وفيما يرضى الله... ذكر سيدنا موسى قومه بنعم الله الكثيرة عليهم، وأن الله نجاهم من ظلم وقهر فرعون وحاشيته وأتباعه الذين كانوا يسومونهم سوء العذاب، ويقتلون أبناءهم الذكور، ويبقون على الإناث فقط إزلالاً لهم، وطلب من قومه مقابلة هذه النعم بشكر الله والاعتراف بفضله عليهم، وبيَّن لهم أن تقديم الشكر لله على نعمه يكون سبباً لزيادتها ونمائها، وحذرهم فى الوقت نفسه من سوء عاقبة جحود نعم الله، واستعمالها فى غير ما يرضى الله، وأن ذلك يكون سبباً لعذاب الله يوقعه عليهم عقاباً لهم.

(١) القمر (٣٥). (٢) النساء: (١٦٤). (٣) الأعراف (١٤٤).

وأوضح سيدنا موسى لقومه أن شكرهم للنعمة أو جحودهم لها لا ينفع ولا يضر الله ـ تعالى ـ فهو غني عن العالمين، وإنما أثر ذلك يعود عليهم هم، يقول ـ الله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝ وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾[4].

وفي الحديث القدسي عن النبي ﷺ فيما رَوَى عن الله ـ تبارك وتعالى ـ أنه قال: « .... يا عبادى إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى، يا عبادى لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك فى ملكى شيئا، يا عبادى لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم، ما نقص ذلك من ملكى شيئا، ياعبادى لو أن أولكم وآخرهم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد، فسألونى، فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندى، إلا كما ينقص المخيط، إذا أدخل البحر، يا عبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك، فلا يلومن إلا نفسه »[5].

.. ولأن شكر الله على نعمه بإخلاص، والاعتراف بفضله عن يقين، من الصفات الحسنة التى تلقى القبول والرضا من الله ـ تعالى ـ أثنى الله ـ جل وعلا ـ على سيدنا نوح ـ عليه السلام ـ لأنه كان كثير التضرع والدعاء فى السراء والضراء، وكان ممن يشكرون الله على نعمه، فضرب الله به المثل لقوم سيدنا موسى لإثارة عزائمهم نحو الإيمان، وحثهم على الإقدام على فعل الأعمال الصالحة، وليتخذوه قدوة حسنة فى شكر الله على نعمه، يقول ـ تعالى :

﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾[6]

ولقد خص الله ـ سبحانه وتعالى ـ بعض الأنبياء بنعم جليلة قصرها عليهم... فمنح بفضله وإحسانه سيدنا داود علْم الزبور، وعلّم صناعة الدروع، ومنح بكرمه سيدنا سُلَيْمان علْم منطق الطير والحكم السديد بين الناس، فقابلا هذه النعم بالاعتراف بها، ودعاء الله أن يلهمهما المداومة على شكره، والتوفيق إلى العمل الصالح الذى يرضاه، وأن يمنع عنهما كل ما يؤدى إلى كفر هذه النعم، وأن يحسن خاتمتهما بقبولهما ضمن عباده الصالحين الذاكرين الشاكرين، يقول الله ـ تعالى :

---

(4) إبراهيم ٦، ٧، ٨.
(6) الإسراء (٣)
(5) سنن أبى داود، تاريخ البخارى ٤/ ٢٤٠.

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ۖ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾[٧].

وكان رسول الله ﷺ إذا صلى لا يفتر عن شكر الله بالقول والعمل، ليلا ونهارا، فعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام حتى تتفطر رجلاه» أى تتشقق «فقالت له عائشة: «يا رسول الله، أتصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟.. فقال: يا عائشة، أفلا أكون عبداً شكورا»[٨].

وإظهار نعمة الله والحديث عنها والإخبار بها مطلوب للاعتراف بفضل الله، وقد أمر الله نبيه محمداً ﷺ بذلك، يقول ـ تعالى:

﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾[٩]، كما أمر الله بنى إسرائيل بذكر نعم الله عليهم، والقيام بأداء حقوقها، والإكثار من الحديث عنها، والإعلان عن شكرها بالقول والعمل، يقول الله ـ تعالى:

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾[١٠].

والرسول ﷺ يحض على تقديم الشكر لمن يقدم المعروف والمساعدة والعون، فعن النُّعْمان ابن بشير ـ رضى الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: «من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، والتحدث بنعمة الله شكر، وتركها كفر، والجماعة رحمة، والفرقة عذاب».

وإذا كان ذلك مطلوبا لمن يقدم الفضل من البشر فمن باب أولى تقديم الشكر لله ـ جل وعلا ـ على نعمه وآلائه التى لا تعد ولا تحصى.

وقصة الأبرص والأقرع والأعمى التى يحكيها لنا رسول الله ﷺ فيها العبر والعظات لأولى الألباب، وترشدنا إلى أن نعم الله على عباده هى اختبار وابتلاء وامتحان لهم: فمن وُفِّق فى الاختبار واجتاز الامتحان بنجاح، نال رضاء الله واستحق دوام تلك النعم وزيادتها، ومن تعثر فى الاختبار ورسب فى الامتحان حُرِمَ رضاء الله واستحق زوال تلك النعم.

---

(٧) النمل (١٥-١٩).
(٨) أخرجه مسلم (٤/٢١٧٢).
(٩) الضحى (١١).
(١٠) البقرة (٤٠).

فعن أبى هُرَيْرَة ـ رضى الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن ثلاثة فى بنى إسرائيل، أبرص وأقرع وأعمى، فأراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم مَلَكاً فأتى الأبرص فقال: أىُّ شىء أحبُّ إليك؟.. قال: لون حسن وجلد حسن ويذهب عنى الذى قد قذرنى الناس، فمسحه فذهب عنه قذره، وأُعْطى لوناً حسناً، وجلداً حسناً، قال الملك: فأىُّ المال أحبُّ إليك؟.. قال: الإبل أو قال البقر، شك إسحاق فى الأبرص والأقرع، قال أحدهما الإبل وقال الآخر البقر، قال: فأُعْطى ناقة عشراء فقال: (الملك): بارك الله لك فيها، قال: فأتى الأقرع فقال: أىُّ شىء أحبُّ إليك؟.. قال: شعرٌ حسن ويذهب عنى الذى قذرنى الناس، قال: فمسحه فذهب عنه وأُعْطى شعراً حسناً، قال: فأىُّ المال أحبُّ إليك؟.. قال: البقر، فأُعْطى بقرة حاملاً فقال: (الملك): بارك الله لك فيها، قال: فأتى الأعمى فقال: أىُّ شىء أحبُّ إليك؟.. قال: أن يَرُدَ الله إلىّ بصرى فأبصر به الناس، قال: فمسحه فرد الله إليه بصره، قال: فأىُّ المال أحبُّ إليك؟.. قال: الغنم، فأُعْطى شاة والدا، فأنتج هذان وَوَلّد هذا، فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا وادٍ من الغنم، قال: ثم إنه أتى الأبرص فى صورته وهيئته (السابقة) فقال: رجلٌ مسكين قد انقطعت بى الحبال فى سفرى فلا بلاغ لى اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذى أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيراً أتبلَّغ عليه فى سفرى، فقال: الحقوق كثيرة، فقال له: كأنى أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس! فقيراً! فأعطاك الله؟.. فقال: إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر. فقال (الملك): إن كنت كاذباً فصَيَّرَك الله إلى ما كنت، قال: وأتى الأقرع فى صورته (السابقة) فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد عليه هذا، فقال (الملك): إن كنت كاذباً فصَيَّرَك الله إلى ما كنت، قال: وأتى الأعمى فى صورته وهيئته (السابقة) فقال: رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بى الحبال فى سفرى فلا بلاغ لى اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذى رَدّ عليك بصرك شاة أتبلغ بها فى سفرى، فقال: قد كنت أعمى فَرَدّ الله إلىّ بصرى، فخُذ ما شئت ودع ما شئت، فوالله لا أَجْهَدُكَ اليوم شيئاً أخذته لله «لا أشق عليك برد ما تأخذه وتطلبه من مالى لله» فقال (الملك): أمسك مالك فإنما ابْتُليتم، فقد رُضى عنك وسُخط على صاحبيك»[11].

اللهم اكتبنا من الشاكرين لنعمك، المعترفين بفضلك، الخاضعين لعزتك، المسلمين لقدرتك، الراجين لعفوك، السائلين لكرمك، الطامعين فى رحمتك، المستظلين بظلك يوم لا ظل إلا ظلك.

(١١) رواه البخارى ومسلم.

صَرخَة فِي وَادٍ

٢

للأستاذ / مجدي عبد الحميد بشير

قدمنا في العدد السابق رسالة القارىء الأمريكي التي يقر فيها بما أنعم الله عليه من نعم المركب والملبس والمسكن، التي لا تتوافر لكثير من البشر في وقت واحد والتي بين فيها مدى الفجوة الكبيرة بين الأثرياء والفقراء.

وحتى تزداد الصورة وضوحا نقدم للقراء سطورا أخرى أدلى بها قارىء برازيلي من الذين لم يتأثروا بالطنين الإعلامي السمج الذي لا هم له إلا ترديد مزاعم اليهود والصهاينة المجانبة للحق على طول الخط يقول القارىء البرازيلي: « برغم تأثري الشديد بضحايا الحدث المروع وما نتج عنه من دمار فليس بمقدوري أن أفهم أو أستوعب أو حتى أقتنع بوجهة النظر التي تفتقر إلى العقلانية والمنطق والتي تشوبها مسحة أحادية الجانب لا تظهر فقط إلا نصف الحقيقة وتتغاضى تماما عن النصف المهم.

إنها وجهة النظر التي تسود الإعلام الغربي والأمريكي بشكل عام وهي تحاول بكل ما أوتيت من قوة أن تركز الاتهام على واحد من الجناة فقط لا تريد أن تتعداه بحال فالجناة لديها إما حماس أو حركة طالبان أو الفلسطينيون » ثم يستطرد القارىء البرازيلي ويقدم لنا بشكل مكثف وبأسلوب مركز وجهة نظره التي نرى أنه حري بنا عرضها بكل تجرد وحيادية فيقول: « ربما كانت أمريكا تجني وتحصد ما زرعت من آلام ومعاناة للآخرين. إن كل ما حدث لم يكن سوى نتاج طبيعي للعولمة التي تسعى أمريكا بدأب في فرضها على العالم لتكون بديلاً شرعيا لحقبة استعمارية انتهت ولم تكد الشعوب تلتقط منها أنفاسها بعد وعلى كل حال - والكلام لايزال للقارىء البرازيلي - إذا كان الجناة هم الفلسطينيون فلا ينبغي أن يغيب عن بال أي منا ما يعاني ذلك الشعب

المسكين من إسرائيل التي تمارس عليه أقصى أنواع التطهير العرقي وأشد أساليب الاضطهاد الديني وهدم المساكن وتجريف المزروعات وقتل الشيوخ والنساء والأطفال وهي أمور لا حيلة لهؤلاء الناس معها ولا ذنب، لأنها في حقيقتها نتيجة لأحداث سياسية وتقسيمات استكبارية تلت الحرب العالمية الثانية التي كان لأمريكا فيها دور فعال تمثل في اعترافها بالكيان الصهيوني فور الإعلان عن نشأته وأما إن كان الجناة - والكلام أيضا لايزال للقارىء البرازيلي - هم من يزعمون أنهم متطرفوا أفغانستان أو طالبان فلابد أن نتذكر أن هذا البلد يعيش وضعاً حرجاً صعباً والسبب أنه في السنوات التي تلت الحرب الباردة وفي أثنائها كان ذلك القطر المنكوب ضحية بل فريسة للغزو السوفيتي المتوحش والزحف الأحمر الشرس من جهة ووقوداً لا ينفد لحروب قبلية دموية آثمة تغذيها من طرف خفي أو ظاهر الولايات المتحدة الأمريكية من جهة أخرى.

ثم يختم القارىء البرازيلي الجرىء رؤيته الشافية قائلاً: لقد سئمت أشد السأم ومللت من وسائل الإعلام التي تهيمن على كل الأفكار هناك دون أن تورد حرفاً واحدا يقدم تعرية ونقدا تاريخيا واجتماعيا لوجهة النظر التي تتعامى عن الحقائق، تلك الحقائق التي يعلو صوتها يوما بعد يوم ويصر المغتصبون على أن يصموا عنها الآذان».

وبعد فلله در الشرع الإسلامي الحنيف الذي حذر نبيه المصطفى ﷺ من النظرة الأحادية الجانب ونهى في أكثر من موضع عن الكيل بأكثر من مكيال، ودعا على الدوام إلى وحدة المعايير والمقاييس والعدل المطلق في التعامل مع كل القضايا، فمن منا لا يذكر يوم سرقت المرأة المخزومية فتشفعوا إليه ﷺ بحبه وابن حبه أسامة بن زيد حتى لا يطبق عليها حد القطع فيتلون وجهه الشريف ويحمر غضباً ويقول: «أتشفع في حد من حدود الله يا أسامة» ثم يخطب الناس فيقول: «أيها الناس إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، والذى نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».

أجل تشخيص للداء ووصف للدواء، إنه الشرع الشريف الذي لا يتميز فيه إنسان بسبب قوته أو ماله أو حاله أو سلطانه أو لونه، إنما يتميز بتقواه وعمله الصالح، فهل يدرك تلك الحقيقة أولئك الذين اغتروا بقوة لا محالة زائلة والذين ساندوا الظلم فلا مناص لهم من أن يجرفهم الظلم في طريقه؟

رسالة .. و .. رد

لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان

رسالة هذا العدد وردت من القارئ سمير عبد الكريم فتح الله مدير المتابعة الفنية والتقارير العلمية بالمجلس الأعلى للآثار وسط الدلتا. يقول فيها:

بعدما أسرى برسول الله ﷺ إلى المسجد الأقصى وعرج به إلى السموات العلى ورأى بعض آيات ربه الكبرى بصبحة جبريل عليه السلام بعد ذلك عرضت عليه النار ورأى فيها إناساً يعذبون على حسب معاصيهم ثم رأى فى الجنة أناساً يتنعمون والسؤال هو: هل تم حساب هؤلاء وهؤلاء فأدخل المذنبون النار وأدخل المتقون الجنة؟ أم أنهم أدخلوا بغير حساب انتظارا ليوم الحساب الآتى لا ريب فيه وهل سيعودون إلى الأجداث ليخرجوا منها عندما ينفخ فى الصور يوم القيامة وهل سيحاسب هؤلاء مرة ثانية لأنهم لم يدخلوا النار أو الجنة بغير حساب وثمة سؤال آخر هل رأى الرسول هذه المرائى رأى العين وليست وهمية.

وأخيرا هل الأنبياء الذين رأهم الرسول فى السموات السبع سيعودون إلى قبورهم ليقوموا مع سائر البشر للحساب يوم القيامة أفيدونا أفادكم الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وفى بداية الاجابة أشكر الأخ السائل اهتمامه بأمور الدين ورغبته فى معرفة حقائقه التى قد لا تخطر على بال كثير من الناس.

ثم أقول له إن الإيمان باليوم الآخر وما يكون فيه من ثواب وعقاب وجنة ونار وصراط وميزان وحوض وكوثر الإيمان بكل هذا عنصر مهم من عناصر الإيمان عموما كما جاء فى الحديث الصحيح الذى سأل فيه سيدنا جبريل سيدنا رسول الله عندما جاء فى صورة رجل ليعلمنا أمور ديننا قال للرسول ﷺ ما الإيمان؟ فأجابه صلوات الله عليه: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله اليوم الآخر..» فقال له صدقت، وكلمة اليوم الآخر تشمل كل ما ذكرته لم مما سبق.

على أن القرآن الكريم ظل يتنزل فى مكة ثلاثة عشر عاماً يقرر هذه العقيدة ويؤكدها ضمن عقائد

الإسلام الأخرى فكثر فيه الحديث عن يوم القيامة بصورة متباينة وأساليب شتى وأطلق على اليوم الآخر أسماء كلها تهز القلوب وتفزع الأسماع فهو الطامة والصاخة والحاقة والقارعة وهو يوم الزلزلة ويوم الفصل ويوم القيامة ويوم التناد ويوم التلاق ويوم الفزع الأكبر وهو اليوم الذي يفر فيه المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وهو اليوم الذي تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد، ويوم الدين والجزاء، وقد جمع كثير من المؤلفين والمفسرين أحوال هذا اليوم ومراحله وما يجرى فيه في كتب قيمة منهم القرطبي في التذكرة والشيخ سيد قطب في مشاهد القيامة، لذلك كان من الطبيعي أن يرى الرسول ﷺ رأى العين بعض المثل والنماذج والصور لطوائف من المعذبين والمنعمين في ليلة الإسراء والمعراج الذي رأى فيها صلوات الله عليه بعض آيات ربه الكبرى ولا شك أن الثواب والعقاب والجنة والنار من هذه الحقائق والآيات الكبرى وأؤكد أن ما رآه الرسول ﷺ حقيقة هي مثل ولا تتجاوز عالم المثل أشبه ما تكون بالصور والمشاهد التي عرضها القرآن الكريم ليوم القيامة الأمر الذي حدا ببعض علمائنا الأفذاذ ومؤلفينا الكبار أن ينكر رؤية رسول الله ﷺ لهذه المرئي ليلة الإسراء ويذهب إلى أنه ﷺ رآها مناماً في ليلة أخرى فيقول رحمه الله ورضي الله عنه «وقد رويت سنن أن رسول الله ﷺ رأى في هذه الرحلة صوراً شتى لأجزية الصالحين والظالمين وتناقلت كتب السيرة رواية هذه الصورة الجليلة على أنها وقعت ليلة الأسراء والمعراج، والحق أن ذلك كان رؤيا منام في ليلة أخرى من الليالي المعتادة كما ثبت ذلك في الصحاح[1] ويخالفه في ذلك المحدث الكبير الشيخ ناصر الدين الألباني فيقول «يشير إلى حديث سمرة بن جندب عن البخاري في أماكن من صحيحه ولكن هذا لا ينفي أن يكون ﷺ رأى ليلة الأسراء بعض الأجزية بل هذا هو الواقع كما في حديث أنس -رضي الله عنه: لما عرج بي ربي عز وجل مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم، أخرجه أحمد وسنده صحيح.

ومادامت هذه مثل وصور وليس لأناس بعينهم فلا يقال هل حوسب هؤلاء أم لا وهل سيعادون إلى قبورهم ثم يحاسبون مرة أخرى يوم البعث والنشور أم لا.

ثم أن هذه المثل لم تقتصر على ذكر المعذبين والمنعمين بل اشتملت على مرائي أخرى ترمز إلى طبيعة الدين الإسلامي ووحدة الأديان كلها وإلى تكوين الفرد المسلم النقي والأسرة الطاهرة والمجتمع النقي من ذلك أنه ﷺ قال: «فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل للرسول ﷺ اخترت الفطرة، ويعلق الشيخ البوطي على هذا فيقول: «وفي اختيار النبي ﷺ اللبن على الخمر حينما قدمهما له جبريل عليه السلام دلالة قوية على أن الإسلام هو دين الفطرة

(١) فقه السيرة للداعية الكبير الراحل الامام الغزالي رحمه الله ص ١٤٤.

أى الدين الذى ينسجم فى عقيدته وأحكامه كلها مع ما تقتضيه نوازع الفطرة الإنسانية الأصيلة فليس فى الإسلام شئ يتعارض والطبيعة الأصلية فى الإنسان ولو أن الفطرة كانت جسماً ذا طول وأبعاد لكان الدين الإسلامى الثوب المفصل على قدره[2]. ومن المرائى التى رآها الرسول ليلة الإسراء ولا صلة لها بالعذاب والنعيم أنه ﷺ رأى امرأة مزينة حاسرة عليها من ألوان الزينة ما لا يعلمه إلا الله فأعرض صلوات الله عنها حين نادته وتعرضت له وفى هذا رمز للزهد فى الدنيا وزينتها لكنه كما يقول الدكتور عبد العزيز كامل - ليس زهداً سلبياً عاجزاً ولكنه زهد القادر الذى يرتفع بوجوده فوق شهوات الدنيا إلى العمل الدائب من أجل غاية كبرى[3].

ومن الأمور التى تشير إلى انتشار الإسلام فى البقاع التى انتشرت فيها الأديان السماوية السابقة نزول الرسول ﷺ بأمر جبريل عليه السلام وصلاته فى سيناء حيث ناجى موسى ربه وفى بيت لحم حيث ولد عيسى بن مريم عليه السلام.

ومما يدل على وحدة الدين كله لقاؤه صلوات الله عليه وسلامه بالأنبياء جميعا وإقرارهم برسالته وإمامته حيث قدموه جميعا ليصلى بهم إماما فى المسجد الأقصى وفى هذا اعتراف من الرسل بأنه خاتمهم وإمامهم وأن رسالته مهيمنة على كل الرسالات ومصدقة لها وناسخة لها جميعا وصدق الشاعر:

أسرى بك الله ليلا إذ ملائكه
والرسل فى المسجد الأقصى على قدم
لما خطرت به التفوا بسيدهم
كالشهب بالبدر أو كالجند بالعلم
صلى وراءك منهم كل ذى خطر
ومن يفز بحبيب الله يأتمم

وعلى هذا فالمرائى والصور التى رآها الرسول ﷺ ليلة الإسراء والمعراج ليست كلها للمنعمين المعذبين وإن كانت جميعها رموزا لما يجب أن يكون عليه الدين من الصفاء والنقاء والطهر والعفاف والرفعة والقوة فالذى يزرع ويحصد فى وقت واحد كلما حصدوا عاد زرعهم كما كان يرمز إلى المجاهدين الذى يعملون على قوة الإسلام، والذين يعرضون عن الطعام الطيب ويأكلون الطعام النيئ الخبيث يرمزون إلى الزناة وكذا صور اللاتى يعلقن من ثديهن كل ذلك يرمز إلى استنكار الزنا ويدعوا إلى ما ينبغى أن يكون عليه المجتمع المسلم من طهر، وهذه الدعوة إلى الطهر موجهة إلى الأسرة كلها وتتكامل مع الطعام الطاهر والأعراض عن الشهوة والاقبال على الجد والجهاد وفى هذا الجو العفيف النظيف تتكون الأجيال الصالحة التى تستطيع أن تحمل أمانة السير بالمجتمع فى طريقه الصاعد إلى الخير[4].

والخلاصة أن كل ما رأى النبى ﷺ ليلة الإسراء كان رأى العين حتى الأنبياء لكنها رموز ومثل هذا والله أعلم وبه التوفيق وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(٢) فقه السيرة للبوطى ص ١٢٠، ١٢١.

(٣) مواقف إسلامية للدكتور عبد العزيز كامل وزير الأوقاف الأسبق ص١٢٤ من سلسلة اقرأ.

(٤) المرجع السابق ص١٢.

خطبة الجمعة

جهلة بالسنة (1)

لفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد الشرباصي

الحمد لله ـ عز وجل ـ ﴿ تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾(2) أشهد أن لا إله إلا الله، القائل: ﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾(3)، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، أرسله ربه شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله الطيبين، وأصحابه المخلصين، وأتباعه المؤمنين: ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾(4).

يا أتباع محمد ﷺ:

نعق ناعق منذ حين في بلد عربي فتهجم على سنة سيد الأنام محمد ﷺ، وحاول التشكيك في أصح كتاب بعد كتاب الله ـ عز وجل ـ وهو صحيح الإمام البخاري الذي أجمعت الأمة المؤمنة على أنه أصدق كتاب بعد القرآن الكريم، ومن أعجب العجب أن هذا الناعق افترى على الإمام البخاري في أكثر من جهة، فألقى ظلا على صدقه في الرواية مع أن البخاري هو الرجل الثقة الأمين الحافظ، الذي قضى حياته في خدمة السنة، وسهر الليالي في تمحيصها، وطوى الفيافي والقفار في سبيل التثبت من نصوصها.

ونسب هذا الناعق إلى الإمام البخاري ما لم

(1) ألقيت في يوم الجمعة 17 من ذي الحجة سنة ١٣٨٥ هـ الموافق ٨ ابريل سنة ١٩٦٦م.

(2) الفرقان ١٠.

(3) النساء ٨٠.

(4) الأحزاب ٤٧.

يقله، فكان مفترياً فوق تطاوله وخبث مقصده، ثم تقاصر عقله عن فهم نصوص نبوية، فشطح في تفسيرها ونطح، فجمع على نفسه أكثر من سبة، وكسب لها أكثر من مذمة، ولعله حسب أنه سيهدم شيئاً من جلال مكانة البخاري في أنظار المؤمنين، ولكن كيده ارتد إلى نحره، وكانت نعقته سبباً في مسارعة الكثيرين من المؤمنين إلى تمجيد البخاري والدفاع عنه والترديد لسيرته العاطرة، ولو كان البخاري اليوم حياً لما ساءه مثل هذا التطاول، فهو القائل رضي الله عنه ـ : «المادح والذام عندي سواء»، والبخاري وهو فوق هذا قد أعطى أمثال ذلك المتطاول درساً في أدب الحديث وصيانة الحرمات، وبخاصة حرمة من مات، فقال: «أرجو أن ألقى الله ـ عزوجل ـ لا يطالبني أني اغتبت أحداً» وليت هؤلاء يعتبرون ويتعظون ويذكرون قول من قال:

لا تظلمــــوا الموتى وإن طال المدى
إني أخـــاف عليكم أن تلتـــقوا

ومَنْ خَلَط هذا الناعق الذي يهرف بما لا يعرف أنه قال: إن البخاري روى حديثاً لا يمكن قبوله ولا تصور معناه ولا نسبته إلى رسول الله ﷺ وهو قوله: «اختلاف أمتي رحمة»(*)، وهذا الحديث أولاً غير موجود في صحيح البخاري، لأن الذين رووه أئمة آخرون غير البخاري، وهو حديث حسن، ومعناه لا غبار عليه، وإذا كان ذلك المتهجم على السنة لم يستطع فهمه فما أجدره بأن يتذكر قول القائل:

وكم من عـائب قـولاً صـحيحـاً
وآفـتـه من الفـهم السـقيم

إن الحديث يقول: «اختلاف أمتي رحمة»، وهذا النص لا يصعب فهمه على أكثر من وجه مقبول وجميل، فالاختلاف الموصوف في الحديث بأنه رحمة ليس اختلافاً في الأصول أو العقائد والفرائض، وإنما هو اختلاف في الفروع ووسائل التطبيق التي تختلف باختلاف البيئات والعصور والأزمان ولا جدال في أن الناس قد اختلفوا في الفهم والإدراك، وأنهم يختلفون، وأنهم سيختلفون، ولو أردنا أن نحمل الناس على أن يكونوا جميعاً في كل شيء «صوراً طبق الأصل» من نموذج واحد، لما سار دولاب الحياة، ولا تجلت الهمم والعزائم، ولا ظهرت الحقائق أو الدقائق، ولا تبدت سماحة الإسلام الذي جاء بالنصوص العامة الكلية الصالحة لكل زمان ومكان، وترك أمام الأفهام والعقول مجالات في فهمها واستنباط مدلولاتها، ومراعاة ظروف الحياة عند تطبيقها، وبذلك تتوافر عناصر البقاء والخلود أمام شريعة أرادها الله أن تظل قائمة دائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولذلك قال خامس الراشدين عمر بن عبدالعزيز: «ما سرني لو أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا، لأنهم لو لم يختلفوا لم تكن رخصة» أي لم تظهر سماحة الدين وسهولته، لأن هذا راعى ظروف القوي، وذاك راعى ظروف الضعيف، وهذا لاحظ حالة الصحيح، وذاك لاحظ حالة العليل، وهكذا، ومن وراء هذه الجهود المتعددة المستقصية لألوان

(*) اتحاف السادة المتقين ٦/٢٠٤، ٢٠٥.

الاستنباط بقدر الطاقة تكون هذا التراث الإسلامي الضخم الذي تفخر به أمة محمد ﷺ حتى تقوم الساعة، وهذا هو الإمام مالك يضع كتابه العظيم «الموطأ» الذي ضمنه ما جمع من السنة وما اهتدى إليه من الرأي، فيطلب منه الخليفة هارون الرشيد أن يعلقه له على الكعبة، وأن يحمل جميع الناس على ما فيه من آراء، فيرفض الإمام ذلك ويقول للخليفة: «لا تفعل فإن أصحاب رسول الله ﷺ اختلفوا في الفروع، وتفرقوا في البلدان، وعند كل منهم علم، وكل منهم على صواب».

ومن الميسور أيضاً أن نفهم هذا النص: «اختلاف أمتى رحمة» على أساس أن اختلاف مذاهب الناس في البحث والإدراك والاستنباط يؤدي إلى خير، لأن هذا يتيح فرصا أمام حرية التفكير، فيكون هناك استعراض واسع لوجهات النظر المختلفة، والحقيقة بنت البحث، وكل باذل جهدا في التفكير مشكور مأجور، ما دام مخلصا طاهر النية، ومن هنا ظهرت القاعدة الإسلامية المشهورة: من اجتهد فأصاب فله أجران، ومن اجتهد فأخطأ فله أجر، وهي قاعدة تعد أروع الأمثال في تكريم التفكير، وتقدير المجتهدين للوصول إلى حقائق الأمور، وفوق هذا نجد حجة الإسلام الغزالي سنة ٥٠٥ هـ يفسر هذا الحديث تفسيرا آخر[6] بقوله: «الصناعات والتجارات لو تركت بطلت المعايش وهلك أكثر الخلق، فانتظام أمر الكل، وتكفل كل فريق بعمل، ولو أقبل على صنعة واحدة لتعطلت البواقي وهلكوا، وعلى هذا حمل بعض الناس قوله ﷺ: (اختلاف أمتي رحمة) أي اختلاف هممهم في الصناعات والحرف». وهذا تفسير يذكرنا بما ينادي به المجتمع المعاصر من التزام «التخطيط» الذي يقتضي أن تتوزع الهمم والطاقات على مختلف الحرف والصناعات، حتى تتحقق للناس الأسباب اللازمة لتوفير مطالب الحياة وضرورات العيش، ومن هنا ندرك ما في حديث الرسول من رمز بليغ وإشارة دقيقة، وما لتفسير الغزالي السابق له من براعة وذكاء، فلولا اختلاف الناس في مذاهب العمل ومسالك الحياة لتعطلت شئون، وفسدت للمعايش وجوه وأسباب، وهكذا سخر الله العباد فيما أراد، وكل ميسر لما خلق له، وفوق تدبيرنا لله تدبير.

يا أتباع محمد ﷺ: إن من الأغرار من يحسب أنه يستطيع إفناء الجبل الشامخ إذا عجز عن صعوده، ولو أن من جهل شيئاً تلمس الأسباب إلى تعلمه، بدلا من المسارعة إلى انكاره لكان هذا أليق بالعقل وأجدى على الإنسانية، ولن يضير سنة رسول الله عليه صلوات الله وسلامه أن يجهلها جاهلون، أو يفترى عليها مفترون، فستظل بإذن الله عالية هادية، وسنظل نردد قول الرسول: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي»[7]. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

---

(٦) انظر كتاب الإسلام والاقتصاد ص ٧٧.

(٧) مجمع الزوائد ١/١٣٦، ١٣٧.

﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

● سؤال من بعض الطلبة المبعوثين والوافدين:

هل تجب الزكاة على أثاث المنزل وما فيه من ثلاجات وتليفزيون وأدوات حديثة؟ وهل تجب الزكاة على مصوغات وجواهر المرأة التى تستخدمها فى الزينة؟

●● الجواب:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فلا زكاة على أثاث المنزل وما فيه من ثلاجات وتليفزيون وأدوات حديثة إذا كانت للاستعمال، لأن شرط زكاة المال النماء وهذه الأشياء وإن كانت أموالا إلا أنها للاستعمال في المنزل.

وقد نص الفقهاء على أنه لا زكاة في دور السكنى وثياب البدن، وأثاث المنزل ودواب الركوب وسلاح الاستعمال، ومثل ذلك الأدوات المنزلية المسئول عنها إلا إذا اتخذت للتجارة،

إعداد الشيخ/ محمد الدرينى الجزار

فحينئذ تنتقل إلى عروض التجارة، فتجب فيها الزكاة لتحقق شرط النماء.

وأما مصوغات المرأة وجواهرها التى تستعملها للزينة فقد قرر جمهور الفقهاء فيما عدا أبو حنيفة وأصحابه أنه لا زكاة فى الحلى المباح كالسوار للمرأة.. أما الحلى المحرم كالذهب للرجل فتجب فيه الزكاة. ويرى الشافعى - رحمه الله - وجوب الزكاة فى حلى المرأة إذا كان فيه إسراف والحنفية يوجبون الزكاة فيها مطلقا إذا بلغت نصابا ونحن نميل لرأى الجمهور. والله أعلم.

● سؤال عن رأى الأئمة الأربعة فى صلاة الجنازة وهل تقرأ فيها الفاتحة وسورة من القرآن الكريم أم الفاتحة والدعاء فقط؟.. وهل تستوى الأنثى والذكر فى هذا؟.

●● الجــواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد، فصلاة الجنازة عند الحنفية ليس فيها قراءة قرآن أصلاً.. فالثناء بعد التكبيرة الأولى، والصلاة على النبي ﷺ بعد التكبيرة الثانية، والدعاء للميت بعد التكبيرة الثالثة.. والسلام بعد التكبيرة الرابعة.

وقال الشافعية قراءة الفاتحة في صلاة الجنازة ركن من أركانها والأفضل قراءتها بعد التكبيرة الأولى، وله قراءتها بعد أي تكبيرة، ومتى شرع فيها بعد أي تكبيرة وجب إتمامها.

والحنابلة مثل الشافعية، يرون قراءة الفاتحة ركناً من أركان صلاة الجنازة ويجب أن تكون بعد التكبيرة الأولى.

أما المالكية فيرون أن قراءة الفاتحة في صلاة الجنازة مكروهة. والدعاء بعد التكبيرة الثالثة عند جمهور الأئمة، ويرى المالكية أن الدعاء واجب عقب كل تكبيرة حتى الرابعة على المعتمد ولا فرق في صلاة الجنازة بين الأنثى والذكر – إلا في الدعاء – فيجعل الصيغة فيها للمؤنث مثل أن يقول: «اللهم اغفر لها وارحمها» وفي الرجل يقول: «وأبدله زوجاً خيراً من زوجه» ولا يقول ذلك بالنسبة للأنثى.

وإن كان طفلاً يقول: «اللهم اجعله لنا فرطا اللهم اجعله لنا ذخراً وأجراً، اللهم اجعله لنا شافعاً ومشفعاً»

وليس المصلي ملزماً بصيغة خاصة في الدعاء، بل يدعو بما شاء إن لم يحسن الدعاء المأثور، والله أعلم.

● **سؤال من السيد / محمد عطية الحسيني يقول فيه:**

أرجو أن تتكرموا فتقرروا رأى الدين الحنيف في مذهب البهائية وحكم معتنقيه؟

●● الجــواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله . أما بعد فنفيد : –

أولاً: فإن مذهب البهائية مذهب باطل ضال مضل ليس من الدين الإسلامي في شيء، بل إنه ليس من اليهودية ولا النصرانية وباقي الأديان السماوية، ومن يعتنقه من المسلمين يكون مرتداً خارجاً عن دين الإسلام، فإن هذا المذهب قد اشتمل على عقائد تخالف الإسلام ويأباها كل الإباء منها، ادعاء النبوة لبعض زعماء هذا المذهب، والألوهية لبعض آخر وأن الإيمان في رأيهم هو متابعة هذا المذهب، والكفر في جحده. وأن هذا المذهب ناسخ لجميع الأديان إلى غير ذلك من الخرافات.

ومن المقرر شرعاً أن المرتد لا يرث المسلم ولا غيره وعلى ذلك فمعتنق مذهب لا يرث غيره مطلقاً ولا يورث.

ثانياً: لهذا صدر قرار رئيس الجمهورية رقم ٢٦٣ لسنة ١٩٦٠ م بحل المحافل البهائية ومصادرة أموالهم ومراكزهم. والله – تعالى – أعلم.

● **سؤال من السيد / خالد عطية حسن يقول فيه:**

تقدم شاب لخطبة فتاة وقدم لها شبكة ذهبية قيمة وهدايا أخرى وبعد ذلك فسخ الخطبة فهل له حق في الشبكة أم لا؟

●● الجــواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد فنفيد بأن: الشبكة إذا لم تكن جزءاً من المهر أو المهر المتفق عليه فإن كان الفسخ من جهة الخاطب فليس له حق في الشبكة

وإنما تعتبر كهدية لا يجوز له أخذها لأن الفسخ من جهته وإن كان الفسخ من جهة العروسة فله استرداد الشبكة كاملة وإن كانت الشبكة هي المهر أو جزءا منه فله أيضا استرداد الشبكة أو المهر لأن المهر لأجل الاستمتاع بالزوجة وهذا لا يكون إلا بعد العقد. هذا والله أعلم.

وإن كان هناك بعض الآراء التي تفيد بأن الفاسخ من حقه استرداد الشبكة فهذا فيه ظلم للفتاة لأن الفسخ فيه تجريح لكرامتها، أما إذا كان هناك أسباب جوهرية لا يستطيع الفاسخ أن يبوح بها فمن حقه استرداد الشبكة. هذا والله أعلم.

● **رداً على الاستفتاءين الواردين بطريق الفاكس لصاحب الفضيلة الإمام الأكبر من المواطن الدكتور عثمان حسين المحولة إلي صاحب الفضيلة رئيس لجنة الفتوى بالأزهر بإعداد الرد عليهما.**

وبالاطلاع على الاستفتاءين تبين أن الأول يقول فيه: أنا متزوج منذ سبع سنوات ولم يرزقني الله بأطفال حتى الآن وكل التحاليل الطبية أكدت أن السبب الرئيسي هو عدم وجود بويضات لدى زوجتي ولديّ سؤالين:

الأول: هل بالإمكان شراء بويضة من امرأة أخرى وتخصيبها بسائلي المنوى قبل وضعها في رحم زوجتي كما تحدث الآن هذه العملية في معظم الدول الأوروبية.

الثاني: إذا كانت الاجابة بلا في السؤال الأول فهل بإمكاني الزواج من امرأة ثانية ثم أخذ بويضة منها بموافقتها ثم تخصيب البويضة بسائلي المنوى ووضعها في رحم زوجتي الأولى وما الحكم؟.

●● **الجواب:**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي سيد المرسلين سيدنا محمد وعلي آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بالاطلاع علي السؤالين المذكورين أعلاه بأنه لا يجوز شرعا في تلك الحالتين والله تعالى أعلم.

● **السؤال مقدم من السيد الأستاذ فتحي زهران**

يقول بعض الناس: إن بناء القبر بالطوب الأحمر تشاؤم بدخول من دفن فيه النار فهل هذا صحيح؟

●● **الجواب:**

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ وبعد:

فنفيد بأن دخول الجنة أو النار رهن بالإيمان والعمل ومشيئة الله – تعالى – وليس للقبر من حيث إنه مادة دخل في هذا الموضوع، ومع ذلك استحسن العلماء ألا يكون فيه شيء دخل النار كالآجر وهو الطوب المحروق جاء في تفسير القرطبي جـ١٠ – ص ٣٨١ قوله: ويكره الآجر في اللحد وقال الشافعي: لا بأس به لأنه نوع من الحجر، وكرهه أبو حنيفة وأصحابه لأن الطوب الأحمر لإحكام البناء، والقبر وما فيه للبلى فلا يليق به الإحكام وقد حرم ابن حزم تخصيص المقابر أو بناءها بالطوب الأحمر المحرق بالنار.

ويؤيده ما جاء عن زيد بن أرقم أنه قال لمن أراد أن يبني قبر ابنه ويجصصه (الطلاء بالجير المعروف) جفوت ولغوت، لا يقربه شيء مسته النار.

هذا إذا لم تكن الأرض رخوة أو ندية فإن كانت كذلك فلا حرمة ولا كراهة والله – تعالى – أعلم.

بين المجلة.. والقارئ

إعداد وتقديم / عادل رفاعي خفاجة

عندما تعجز الكلمات عن التعبير


الشهيدة الفلسطينية إيمان حجو

جمعني لقاء مع الشاعر فهمي سند وهو شاعر متميز نشرت له مجلة الأزهر عدداً من القصائد، فبادرته متسائلاً عما كتبه عن الأحداث الأخيرة في فلسطين، ولكن الرجل أجاب والألم يعتصر قلبه: الأحداث أكبر بكثير من الكلمات، الظلم فاق الحدود والكلمات تعجز عن التعبير.

وفي مساء ذلك اليوم وأنا أتابع ما يحدث في الأرض المحتلة، أتحول من قناة إلى قناة لمزيد من المتابعة استوقفتني أنشودة وطنية وكأنها امتداد لما قاله صديقي الشاعر، فقد انتهت الأنشودة ببيت يقول:

يا خير جند الأرض قاطبة

الله ناصركم إن تنصروا الله

ولا شك أن هذه كلمات تدعونا إلى أن نذكر قول الله تعالى:

﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾.

محمد / ٤٧

ولا شك أن خير أجناد الأرض هم جنود الحق، هم الجنود الذين لا يغضبون لأنفسهم وإنما يغضبون إذا انتهكت حرمات الله ومقدساته، هم

الذين يقدمون أرواحهم وأموالهم لنصرة الحق ولرفع الظلم.

وإذا كانت الكلمات قد وقفت عاجزة أمام أعمال الإبادة التى يواجهها أبناء وأطفال فلسطين، أقول إذا عجزت الكلمات عن التعبير، فقد حان وقت العمل، والعمل الجاد إذا أردنا أن يكون الله ناصرنا.

لابد أن نعمل على عودة فلسطين، وما بها من مقدسات.

والعمل الذى تؤديه الشعوب هو أقوى بكثير وأكثر تأثيراً وأمداً مما تفعله الجيوش فعلينا تبنى سياسة المقاطعة، لكل المنتجات التى تأتينا من أمريكا وبالطبع من إسرائيل، ويجب أن تكون تلك المقاطعة انطلاقا من مبدأ نصرة الحق.

عندئذ سترفرف حولها تلك الأرواح الطاهرة التى بذلها أصحابها فداء للوطن العزيز وقبل كل شيء فداء لأولى القبلتين وثالث الحرمين.

واعتقد أنه من الضرورى لتفعيل هذا المطلب الشعبى أن يصدر مجمع البحوث الإسلامية ودار الإفتاء فتوى تؤكد على ضرورة التضامن مع الشعب الفلسطينى ومقاطعة كل من يعين اسرائيل على طغيانها. ولعل ذلك ينطلق من قول الرسول الكريم صلوات الله عليه: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسْلمه، فمن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة».

متفق عليه



بالإضافة إلى جمع التبرعات والتأكد من وصولها إلى هؤلاء المحاصرين فى فلسطين، والتأكد أن يد اليهود لا تمتد إليها بالتدمير أو الاستيلاء.

ولا بد أن تستمر المقاطعة ويستمر الدعم للشعب الفلسطينى حتى يرفع صبى مثل محمد الدرة أو زهرة مثل وفاء إدريس راية فلسطين فوق القدس لترفرف عزيزة أبية.

صرخة شاب مسلم

وحثاً للمسلمين في جميع بقاع الأرض للعمل على استعادة المسجد الأقصى كانت هذه الصرخة من القارئ محمد أحمد محمود كامل - إمام وخطيب بمطروح - يقول:

يجب علينا جميعاً أن نتذكر قضية المسجد الأقصى ولا ننساها أبداً، لا ينبغي أن يصبح الأمر الواقع من قتل لشباب فلسطين وهدم لبيوتهم وغير ذلك من أسباب الذلة والمهانة للمسلمين أمراً مفروضاً علينا ونتقبل هذا بهزيمة نفسية منكرة ويصبح اليهود سادة المسجد الأقصى وسادة أرض النبوات، اليهود الذين قتلوا الأنبياء والذين حرفوا الكلم عن مواضعه والذين يقتلون أبناءنا كل يوم بالعشرات، والذين يهدمون بيوتنا بالطائرات والصواريخ لا يجوز أبداً أن يتوقع منهم السلام، من هنا يجب علينا الجهاد بكل الوسائل الممكنة استجابة لقول الله تعالى:

﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ﴾

البقرة/ ١٩١

وفي أيامنا هذه يعتدي اليهود الظالمون على المسلمين في فلسطين، يذبحون الأطفال والنساء، يقتلون الشيوخ والضعفاء، لا تأخذهم في ذلك شفقة ولا رحمة، تجردوا من الإنسانية، غلظت أكبادهم، قست قلوبهم فهي كالحجارة أو أشد قسوة، فكان حقاً على جميع المسلمين أن ينفروا سراعاً لنجدة هؤلاء المظلومين ودفع عدوان الظالمين، فهيا يا أمة الإسلام ويا شباب المسلمين وكونوا كأسلافكم الأماجد نصرة للحق وتآزراً عند الشدائد وتساندا في الملمات والتفافاً حول راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، واستمساكاً بعروة التعاون والتضامن يكتب الله لكم القوة والمنعة والعزة والغلبة ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين.

الاعتماد على النفس

الرسالة الثانية تقدمها للقارئ محمد محمود عطار / طالب ماجستير - كلية التربية - طنطا يقول:

الاعتماد على النفس هو الطريق المؤدي إلى صون كرامة المسلم.

والعمل وسيلة من وسائل الاعتماد على النفس، فالعمل يحقق للإنسان العزة والكرامة. والله - تعالى - يقول:

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(سورة المنافقون: الآية ٨)

والاعتماد على النفس في طلب الرزق لا يتعارض مع الاعتماد على الله، ولقد نهى الفاروق عمر بن الخطاب الفقراء أن يقعدوا عن العمل اتكالا على الصدقات حين قال: «يا معشر الفقراء: استبقوا الخيرات، ولا تكونوا عيالاً على المسلمين».

وما أعظم الإسلام الذي جعل الكفاح من أجل تحقيق أمن الحياة وسلامها صلاحا وعبادة ودينا..

وجعل نضال الإنسان من أجل عمارة الأرض وتقدم الحياة هدفا نتعبد به لله رب العالمين.

والله تعالى يقول:

﴿ فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

(سورة العنكبوت: الآية ١٧)

مراسلات أدبية

بين حافظ وشوقي

أرسل شوقي إلى حافظ أبياتاً تعبّر عن لوعته في منفاه بالأندلس، ورد عليه حافظ بأبيات من الوزن والقافية وقد رأى الأستاذ هلال الحبشي من خريجي كلية اللغة العربية بالمنصورة أن يتحف القراء بما دار بين الشاعرين، ونحن ننشر ما بعثه إلينا شاكرين له همته الأدبية، وراجين من القراء أمثال هذه المطارحات

قال شوقي:

يا ساكني مصر إنا لا نزالُ على — عهد الوفاء - وإن غبنا - مقيمينا
هلا بَعثتم لنا من ماء نيلكم — شيئاً نَبُلّ به أحشاء صادينا
كلّ المناهل بَعْدَ النيل آسنة — ما أبْعَدَ النيلَ إلا عن أمانينا

ورد عليه شاعر النيل «حافظ إبراهيم» بهذه الأبيات قائلا:

عجبتُ للنيل يدرى أن بلبله — صادٍ ويَسقي رُبا مصر ويسقينا
واللّه ما طاب للأصحاب مورده — ولا ارتضوا بَعْدَكم منْ عيشهم لينا
لم تنأ عنه وإن فارقت شاطئه — وقد نأينا وإنْ كُنا مقيمينا

من الأخطاء الشائعة

أما القارئ الأستاذ / إبراهيم نصحى محمد المدرس الأول بالأزهر كراديس - ديرب نجم فيواصل عرض الأخطاء الشائعة يقول :

هناك أخطاء شاعت بين المتحدثين بالعربية ونريد أن نلقى الضوء على بعض منها :

١- من الخطأ أن تقول : تخرج إبراهيم من كلية اللغة العربية .

والصواب : تخرج إبراهيم فى كلية اللغة العربية، وجاء فى لسان العرب : وقد خرجه فى الأدب فتخرج. إذن فليس فيه معنى الخروج الذى يقابل الدخول .

فمعنى تخرج : تعلم وتأدب وتدرب. راجع لسان العرب مادة خرج .

٢- ومن الخطأ أن يكتب بعض الطلاب : أرجوا نقلى إلى معهد الزقازيق، ونرجوا الموافقة .

والصواب : أرجو - ونرجو. لأن القاعدة : لا تثبت الألف أمام الواو إلا إذا أفادت الجماعة فى فعلى الأمر والفعل المضارع المجزوم أو المنصوب بحذف النون قال - تعالى - :

﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا ﴾

يوسف / ٩٣

وقال تعالى :

﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ .

آل عمران / ٩٢

٣- من الخطأ : رأيت إنسانة تعنى امرأة .

الصواب : رأيت إنسانا بدون تاء وذلك لأن الإنسان يطلق على المذكر والمؤنث، قال تعالى :

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾ .

البلد / ٤

﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴾ .

العاديات / ٦

٤- من الخطأ : امرأة سافرة الوجه .

الصواب : امرأة سافر الوجه لأن الصفات الخاصة بالمؤنث لا تحتاج إلى علامة تأنيث والسفور خاص بالنساء، وكذلك : امرأة عاقر، وناشز .

نود الإشارة إلى أن قصيدة «رثاء شهداء قطار الصعيد» التى نشرنا بعضاً من أبياتها فى العدد السابق، هى للقارىء الشيخ حبيش حسن حسين شعبان خطيب طنطا. الذى نشكره على خطابه ونفيده أن عدم نشر قصيدته كاملة ألجأتنا إليه الضرورة، ويسعدنا مواصلة النشر له مستقبلاً .

المحرر



للأستاذ / محمد الشرقاوى

هــذا هــو الإســلام

قرر مجلس مجمع البحوث الإسلامية فى جلسته الثامنة (طارئة) بتاريخ ٢١ / ٣ / ٢٠٠٢م عقد مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية تحت عنوان (هذا هو الإسلام) فى الفترة من ١٦ - ١٩ أبريل ٢٠٠٢م.

برئاسة فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر ورئيس المجمع وبحضور السادة أعضاء مجمع البحوث الإسلامية.

وقد تم تحديد موضوعات المؤتمر والأبحاث التى تم اختيارها من قبل السادة أعضاء المجمع للكتابة فيها وبيانها كالآتى:

١- الإسلام دين الإنسانية جمعاء - لفضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوى.

٢- الإسلام وتكريمه للعلم والعلماء - للأستاذ الدكتور / إبراهيم جميل بدران.

٣- الإسلام وموقفه من غير المسلمين - للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم.

٤- الإسلام وقضايا المرأة - للأستاذ الدكتور / جمال الدين محمد محمود.

٥- الإسلام شرع الجهاد وحارب الإرهاب - للأستاذ الدكتور / عبدالرحمن العدوى.

٦- الإسلام دين الإنسانية جمعاء - للأستاذ الدكتور / عبدالعزيز غنيم.

٧- الإسلام شرع الجهاد وحارب الإرهاب - للأستاذ الدكتور / عبدالفتاح الشيخ.

٨- الإسلام وحقوق الضعفاء - للأستاذ الدكتور / عبدالله النجار.

٩- الإسلام وفقه الأقليات - للأستاذ الدكتور / عبدالمعطى بيومى

١٠- الإسلام دين التوسط والاعتدال - لفضيلة الأستاذ الشيخ / فوزى الزفزاف

١١- الإسلام دين الحضارة - للأستاذ الدكتور / محمد إبراهيم الفيومى.

١٢- الإسلام وموقفه من غير المسلمين - للأستاذ الدكتور / محمد رأفت عثمان

١٣ - الإسلام والعلاقات الدولية - للأستاذ الدكتور / محمد الشحات الجندى

١٤ - الإسلام والتنمية الاقتصادية - للأستاذ الدكتور / محمد شوقى الفنجرى

١٥ - الإسلام يؤيد تعاون الحضارات لا تصادمها للأستاذ الدكتور / محمد عمارة مصطفى

١٦ - الإسلام والمتغيرات العالمية المعاصرة - لفضيلة الأستاذ الشيخ / محمد محمد الراوى.

١٧ - الإسلام ورعايته لحقوق الانسان - لفضيلة للأستاذ الدكتور / نصر فريد واصل.

١٨ - الإسلام يؤيد تعاون الحضارات لا تصادمها - للأستاذ الدكتور / أحمد كمال أبوالمجد.

١٩ - الإسلام وحرمة الدماء - للأستاذ الدكتور / حامد عبدالحميد جامع.

٢٠ - الإسلام وقضية الأصالة والمعاصرة - للأستاذ الدكتور / طه مصطفى أبوكريشة.

٢١ - الإسلام كرم الإنسان - لفضيلة الأستاذ الشيخ / على محمد فتح الله.

٢٢ - الإسلام يدعو للتعاون والتكافل - لفضيلة الأستاذ الدكتور / محمد أحمد البيومى

٢٣ - السلام فى نظر الإسلام - للأستاذ الدكتور / محمود زقزوق.

٢٤ - الإسلام يدعو إلى الحوار والتعارف - لفضيلة الأستاذ الشيخ / محمود عاشور.

٢٥ - الإسلام وموقفه من المذاهب - للأستاذ الدكتور / مصطفى الشكعة.

قرارات مجلس مجمع البحوث الإسلامية

هذا وقد عرض على مجلس المجمع فى ذات الجلسة مذكرة لجنة التعريف بالإسلام بمحضرها رقم (٥) الدورة رقم (٣٨) بتاريخ ١٣/١/٢٠٠٢م بشأن كتاب الدكتورة / ميرفت عمر - أمينة اللجنة القومية لليونسكو المتضمن موضوع الأخلاقيات فى إجراء البحوث البيولوجية والطبية والأخلاقيات فى تقنيات نقل وزرع الأعضاء والأنسجة البشرية.

وبعد المناقشة وبحث الموضوع قرر المجلس إرسال بيان مجلس المجمع فى موضوع نقل الأعضاء وتمسكه برأيه السابق فيه.

ثم عرض على المجلس مذكرة لجنة القرآن الكريم بمحضرها رقم (٥) الدورة رقم (٣٨) بتاريخ ١٦/١/٢٠٠٢م بشأن ما تم نشره فى جريدة صوت الأزهر (الصفحة الأخيرة) ضمن عددى (١١٤، ١١٥) بتاريخ ٣٠/١١، ٧/١٢/٢٠٠١م المتضمن عبارة وآية قرآنية تسىء إلى القرآن الكريم حيث لا يتيسر قراءتها للقارىء العادى وقد أحاط المجلس علما بالمذكرة.

ثم عرض على المجلس مذكرة لجنة البحوث الفقهية بمحضرها رقم (٥) الدورة رقم (٣٨) بتاريخ ٩ / ١ / ٢٠٠٢م بشأن كتاب السيد أحمد محسن المصرى – مدير الإدارة العامة للشئون الإدارية – بوزارة الداخلية عن اعتبار الحج والعمرة من قبيل السياحة الدينية التى تخضع فى تنظيمها لقانون شركات السياحة وبعد المناقشة قرر المجلس:

الموافقة على ما جاء بالمذكرة من أن الحج والعمرة من العروض الدينية التى يلزم المسلم بأدائها ما استطاع إلى ذلك سبيلا، والتكاليف الشرعية لا تعد من قبيل السياحة بالمعنى العصرى المتعارف عليه بمعنى الرفاهية .

تشكيل فصائل للمتطوعين الروس للدفاع عن إسرائيل

كشفت مصادر روسية عن بدء تشكيل فصائل للمتطوعين الروس للدفاع عن إسرائيل، وقالت إن قيادة الجيش الإسرائيلى ستصدر أوامرها فى القريب العاجل بشأن ضم الجنود والضباط الروس السابقين ممن حاربوا فى أفغانستان والبلقان والشيشان وغيرها من المناطق الساخنة إلى فوج خاص سيحمل اسم « الفوج الروسى » .

وقالت صحيفة « كوميرسانت » الوثيقة الصلة بالأوساط اليهودية بحكم تبعيتها للملياردير اليهودى « بوريس بيريزوفسكى – إن هذه الفكرة اقترحت قبل قرابة الشهر من جانب عشرات الجنود والضباط الروس السابقين ممن يستوطنون اليوم الأرض الفلسطينية المحتلة .

نقلا عن جريدة الشرق الأوسط

٢٠٠٢/٣/٢٤

المؤتمر الإسلامى يتجاهل اقتراحا باستخدام سلاح النفط

لم يبحث الاجتماع الطارىء الذى عقدته منظمة المؤتمر الإسلامى فى العاصمة الماليزية « كوالالمبور » الاقتراح المقدم من العراق وإيران بشأن تحويل النفط إلى سلاح إسلامى ضد الدول المؤيدة لإسرائيل وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية .

وبرر وزير خارجية السعودية رفض الاقتراح فى حديث له مع صحيفة « لوموند » الفرنسية :

إن العرب بحاجة ماسة إلى نفطهم لأغراض التنمية وأنهم إذا أرادوا تعزيز أنفسهم أمام الهجمة الإسرائيلية فلا خيار أمامهم سوى الاستمرار فى استغلال نفطهم وغازهم .

وأضاف : إن إسرائيل تعتمد على الولايات المتحدة وأنه ليست هناك أى بلد فى العالم يمكنه القول للدول العربية « نحن مستعدون لتزويدكم بكل ما تحتاجون من سلاح ومال ومن دون موارد نفطية .

وبدا واضحا من ردود فعل الدول « الإسلامية » – المشاركة أن الاقتراح الذى لم يكن مدرجا على جدول الأعمال لقى استجابة فاترة من الدول – الإسلامية – الأعضاء المصدرة للنفط وفى طليعتها دول مجلس التعاون الخليجى .

نقلا عن جريدة الحياة اللندنية

٢٠٠٢/٤/٣

ومازال مسلسل الاعتداء على المساجد فى أنحاء العالم مستمرا

تعرض مسجد فى منطقة «بوسانسكى دوبيتسا» بشمال البوسنة إلى عدوان جديد مؤخرا وقال شهود عيان أقدمت مجموعة مجهولة على كسر أبواب المسجد ونوافذه وإشعال النار فى محتوياته وقد تسبب ذلك فى خسائر مادية كبيرة ولم يسجل الحادث سقوط ضحايا.

وقال شهود عيان إن «عمر فيلادجيتش» رئيس المجلس الإسلامى بمنطقة «بوسانسكى دوبيتسا» اتصل بالشرطة وقوات المطافىء التى سيطرت على الحريق - وأضاف شهود العيان أن الاعتداء تم بعد أن أنهى المسلمون احتفالا بذكرى السنة الهجرية حضره مفتى «بينالوكا» الشيخ «أدهم تشامجيتش» وتعد حادثة مسجد بوسانسكى دوبيتسا واحدة من عشرات الحوادث ضد المساجد فى مناطق السيطرة الصربية والكرواتية فى البوسنة والهرسك وليست المساجد وحدها هى التى تتعرض للعدوان بل إن بيوت المسلمين كثيرا ما تتعرض للحرق وإطلاق نار من قبل المتعصبين الصرب والكروات وقد سجلت فى المدة الأخيرة حوادث قتل تعرض لها المسلمون العائدون حديثا لديارهم فى سربيرينتسا» - شرق البوسنة - حيث أحرقت امرأة تجاوزت السبعين داخل بيتها واغتصبت فتاة فى السابعة عشرة بمدينة «فيشى غراد» - غرب البوسنة - قبل قتلها وقتل أحد المسلمين فى مدينة «بالى» - ٣٠ كيلو متر شرق سراييفو معقل صرب البوسنة سابقا حيث وجدت جثته خارج بيته وهى نماذج من حالات تتكرر باستمرار دون أن يكون هناك ما يدل على انتهائها فى الأمد القريب.

نقلا عن جريدة الشرق الأوسط

٢٠٠٢/٣/٢٤

وفى باكستان:

مقتل اثنين فى هجوم بقنبلة على مسجد

ذكر شهود عيان فى مدينة «تشامات» الباكستانية أن اثنين قتلا وأصيب نحو «٣٥» آخرين فى هجوم بقنبلة على أحد مساجد المدينة الواقعة على الحدود مع أفغانستان.

وقالت الشرطة: إن رجلين ألقيا القنابل - أثناء خروج المصلين من المسجد وفرا هاربين. وقال شاهد عيان:

«أن الناس تجمعوا خارج المسجد بعد الصلاة عندما ألقى المهاجمان القنابل» وأغلقت كل المتاجر والأسواق أبوابها احتجاجا على الهجوم.

عن جريدة الشرق الأوسط

٢٠٠٢/٤/٣

الشرطة الهندية تقتل إسلاميين فى كشمير

قالت الشرطة الهندية فى الشطر الذى تسيطر عليه من كشمير أنها قتلت بالرصاص ما أسمتهم بالمتشددين الإسلاميين والذين كانوا متحصنين داخل مسجد منهية بذلك حصارها المسجد والذى استمر ١٢ ساعة وهذه هى المرة الثالثة فى غضون شهرين يحتمى ثوار فى مسجد فى المنطقة

المتنازع عليها في جبال الهيمالايا وهي محور مواجهة عسكرية بين الهند وباكستان .

نقلا عن جريدة الحياة اللندنية .

٢٠٠٢/٣/٢٠

التليفزيون الاسترالى يبث برنامجا عن الحج

« مشاعر جياشة تتحول بها مظاهر التوحد والابتهال والألفة إلى ما يشبه الإحساس العميق الذي يشبه الحلم لكنه ليست حلما بل حقيقة تدخل إلى المخيلة لتستقر بها طويلا في رحلة تدوم وتدوم لأنها رحلة العمر » .

بهذه الكلمات تستهل البرفسورة المحاضرة في جامعة لندن البريطانية « آمنة فيشر » الكلام عن تجربتها الأولى أثناء تأدية فريضة الحج التي يستعرضها الشريط الوثائقي التسجيلي « الحج : رحلة العمر » والذي عرضته قناة « اي بي سي » الأسترالية أخيرا من ضمن البرنامج المعروف « كومباس » بالتزامن مع انتهاء موسم الحج لهذا العام .

والبرفسورة فيشر هي واحدة من « ٦ » شخصيات إسلامية ثلاث نساء وثلاثة رجال من الجالية البريطانية يرافقهم الشريط الذي قامت بإنتاجه شبكة « بي بي سي » البريطانية أثناء مراحل تأديتهم لفريضة الحج انطلاقا من العاصمة البريطانية مرورا بمحطات المناسك في مكة وعرفة وصعيد منى وغيرها وقال بعض النقاد الاستراليين المتابعين للإنتاج الإعلامي والوثائقي عن الإسلام في مرحلة ما « بعد ١١ سبتمبر » : إن الشريط حقق نجاحا وإقبالا من الجمهور الاسترالي والغربي لإطلالة على الركن الخامس في الإسلام عبر لسان وأسلوب قريب من لغة الغرب ومفاهيمه .

نقلا عن جريدة الشرق الأوسط

٢٠٠٢/٣/٢٤

اكتشاف مقبرة جماعية بها « ١٦١ » مسلما في البوسنة

عثرت السلطات البوسنية على مقبرة جماعية جديدة بها « ١٦١ » قتيلاً في منطقة « كوترفرش » بمناطق الحكم الذاتي الصربي داخل البوسنة وقالت مصادر اللجنة الوطنية للبحث عن المفقودين : إن الضحايا كانوا من المدنيين الذين اعتقلهم الصرب سنة « ١٩٩٢ » في مدرسة ابتدائية بمنطقة « جرابوفيتسا » التابعة لبلدية « كوترفرش » وقال لقاضي « حلمي أحمد وفيتش » الذي أصدر الإذن بنبش المقبرة الجماعية وإخراج رفات الضحايا بأنه توجد ثلاثة أماكن أخرى وصلتنا معلومات عن وجود مقابر جديدةبها .

من جهة أخرى شكا العائدون المسلمون إلى مقار سكناهم بمنطقة « كوترفرش » بعد عشر سنوات من التهجير من أن بلدية المنطقة التي يسيطر عليها الصرب تطالبهم بدفع فواتير الماء والكهرباء عن السنوات التي لم يكونوا موجودين فيها بمنازلهم وقال أحدهم : يطالبوننا بمبلغ ٢٠ ألف يورو وجميع الذين عادوا « ٢٧٠ » عائلة فقط ولا تملك هذا المبلغ وقال « محمد ساهيتش أحد العائدين : نعيش هنا بدون ماء والمشاكل تتفاقم باستمرار ونحن ندعو المجتمع الدولي لحل هذه المشاكل مع الإدارة الصربية .

الشرق الأوسط

٢٠٠٢/٤/٣

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

الإمام الأكبر:

تنظيم النسل يعالج بالإقناع والفهم السليم

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه وفداً من الدعاة من دولة الفلبين من الجنسين برياسة السيد / سادودام سالى مدير الصحة بإقليم ماندنو بالفلبين والسيد إسماعيل إبراهيم المستشار الدينى بأوقاف الفلبين ترافقهم الدكتورة ميرفت محمود الأستاذ بالمركز الإسلامى الدولى للدراسات والبحوث السكانية وذلك ضمن برنامج الدراسات الذى يعده مركز البحوث والدراسات السكانية الإسلامية بجامعة الأزهر الشريف.

رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى الأزهر الشريف شارحاً لهم رأى الدين فى تنظيم الأسرة، وأنه جائز شرعا مادام ذلك باتفاق الزوجين، وطبقا لما يقرره السادة الأطباء، وذلك فى حالة عدم تحمل الزوجة للحمل لأسباب طبية، كما يجوز للزوجين إطالة فترة الانجاب لتستعيد الزوجة صحتها من حمل سابق ويكون ذلك باتفاق الزوجين، كما يجوز تنظيم الأسرة طبقا لظروف الزوجين الاجتماعية، ونحن لا نقول بالمنع أو التحديد أو التعقيم فهذا حرام.

وأجاب عن أسئلتهم واستفساراتهم حول هذا الموضوع ثم سلم كل واحد من السادة الضيوف نسخة من كتيب تنظيم الأسرة.

شكر الحضور فضيلته على الشرح الذى قدمه، وقدموا الشكر والثناء على البعثات الأزهرية التى يوفرها الأزهر الشريف لدولة الفلبين منذ أكثر من خمسين عاما لتعليم المسلمين أمور دينهم ودنياهم.

الإمام الأكبر يؤكد:

الأزهر القلعة الحصينة للحفاظ على القرآن

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد أعضاء مجلس النواب بالجمهورية اليمنية، ممثلين عن لجنة التعليم العالى والبحث العلمى ولجنة الصحة العامة والسكان ولجنة الزراعة ولجنة الدفاع ولجنة الحريات برياسة الأستاذ / محمد نجيب سيف رئيس الوفد ويرافقهم السيد السفير / عبدالعزيز ناصر الكميم سفير الجمهورية اليمنية بالقاهرة، وذلك ضمن المشاركة فى برنامج الزيارة

العلمية للقاهرة في إطار مشروع صندوق الأمم المتحدة للسكان.

رحب فضيلته بالسادة الضيوف في مصر وأزهرها الشريف مشيداً بدولة اليمن الشقيقة وحضارتها العريقة وتاريخها المشرف وخدمتها للإسلام والمسلمين، وشرح لهم نظام الدراسة في الأزهر الشريف وأنه يقوم على الفهم السليم للإسلام والمحافظة على القرآن الكريم وعلى اللغة العربية التي هي لغة القرآن وعلى سنة سيدنا رسول الله ﷺ وعلى دراسة الفقه الإسلامي بدون التحيز لمذهب معين والدراسة في الأزهر تمتاز بالاعتدال والتوسط والبعد عن التعصب الأعمى، وأضاف فضيلته قائلاً: بأن كل من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فهو مسلم، لأن الأصول والأسس واحدة ولا خلاف عليها، وإن وجد شيء من الخلاف فهو في الأمور الفرعية وليس في الأركان.

كما أجاب فضيلته عن أسئلة واستفسارات الحضور وكانت حول تنظيم الأسرة ورأى الدين فيه وقد أوضح فضيلته أن الاختلاف في الفهم يرجع إلى عدم فهم الأمور فهماً سليماً، لأن تنظيم الأسرة مسألة اجتهادية، ومن يفهم الدين الإسلامي فهماً صحيحاً يعلم أن الإسلام ضد التحديد بمعنى المنع، وكذلك ضد التعقيم، وضد أي أسلوب فيه الجبر أو الإكراه، وإنما مسألة تنظيم النسل متروكة للزوجين وتعالج بالإقناع وبالفهم السليم وبالطريقة التي يراها الزوجان مناسبة لهما.

شكر الضيوف فضيلته على حسن اللقاء وعلى المعلومات التي قام بشرحها، وأشادوا بدور الأزهر الشريف في تعليم أبناء المسلمين وتثقيفهم وتوضيح صحيح الإسلام للمسلمين في شتى أنحاء العالم سواء عن طريق إرسال العلماء للدول، أو عن طريق استقبال أبناء المسلمين لتعليمهم بالأزهر الشريف الذي هو القلعة الحصينة للحفاظ على القرآن وعلومه على مدى أكثر من ألف عام.

باكستان قطعة من مصر ومصر قطعة من باكستان

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر السيد / حام كرم وزير الأوقاف والشئون الدينية السابق بدولة باكستان، فيدرالي وسناتور في البرلمان الباكستاني.

رحب فضيلته بالضيف قائلاً: نحن نعتبر دولة باكستان قطعة من مصر ومصر قطعة من دولة باكستان، ومصر تقف إلى جانب دولة باكستان منذ القدم، ونحن كأخوة مسلمين نتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، وندعو لدولة باكستان بالسلام والأمان والاستقرار، ولدينا من باكستان طلاب يدرسون بالأزهر الشريف وجامعته العريقة على منح من الأزهر ويقيمون في مدينة البعوث الإسلامية التي يسكنها طلاب من خمس وتسعين دولة، كما أن للأزهر بعثة من العلماء يعلمون أبناء باكستان اللغة العربية والشريعة الإسلامية منذ زمن بعيد.

شكر الضيف فضيلته على حسن اللقاء مشيداً بجهود الأزهر الشريف ذلك الصرح العظيم الذي له مكانته العالية لدى أبناء باكستان بصفة خاصة ولدى أبناء المسلمين في كل مكان.

كما قدم شكر حكومة باكستان للسيد الرئيس / محمد حسني مبارك رئيس الجمهورية والحكومة

مصر وشعبها وأزهرها الشريف للمواقف الإيجابية تجاه قضية فلسطين، وأعرب عن تضامن باكستان مع الشعب الفلسطيني من أجل حل مشكلته كذا حل مشكلة كشمير، كما أعرب الضيف عن تطلعه لزيارة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر لدولة باكستان في القريب العاجل.

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيدة / هازل ماكليون عمدة مسسوجا بكندا ترافقها السيدة / أريس البرسن مديرة مكتبها، رحب فضيلته بهما ودار الحديث حول التعريف بالأزهر الشريف ومراحل التعليم المختلفة به والكليات التابعة لجامعة الأزهر والتي بلغت أكثر من سبعين كلية فيها جميع التخصصات، وأعربت عمدة مسسوجا عن تقديرها لمصر وللأزهر الشريف لمكانته العالية في العالم وأشارت إلى أن ولاية مسسوجا بكندا يبلغ عدد سكانها حوالي ٦٠ ألف نسمة ويوجد بالولاية ثلاثة مساجد كما تضم مدرستين إسلاميتين وقالت: إن ذلك له أهمية للمسلمين لممارسة شعائر دينهم وتعليمهم بكل حرية.

وقد أثنى فضيلته على هذا التسامح الذي يسود ولاية مسسوجا بكندا، وأنها تفتح أبوابها لكل من يعمر ويبني وينمي ويرتقي بالمكان الذي يعيش فيه، وأجاب فضيلته عن الأسئلة التي دارت حول تعدد المذاهب الإسلامية موضحاً بأن جميع المذاهب تأخذ من كتاب الله ومن سنة رسوله الكريم وهي لا تختلف في أصل من أصول الدين، وحول سؤال عن علاقة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بقداسة البابا شنودة، أوضح فضيلته بأن العلاقة بينهما علاقة ودية قوية تسودها المحبة والأخوة، وأن الزيارات بينهما متبادلة في المناسبات المختلفة.

وقد أبدت الضيفة إعجابها بحديث فضيلته وبتواضعه الجم، كما أبدت إعجابها وسرورها بتواجدها في مصر والأزهر الشريف قائلة: إن مصر بلد ذو حضارة عريقة، وشعبها طيب، وقيادته الدينية متسامحة ونقية.

الإمام الأكبر يستقبل القائم بأعمال المدير الإقليمي لشئون اللاجئين

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد / فينسنت كوشتل القائم بأعمال المدير الإقليمي لمفوضية الأمم المتحدة لشئون اللاجئين يرافقه السيد / كريم الأتاسي رئيس قسم الإعلام في الشرق الأوسط.

رحب فضيلته بهما مشيداً بجهود المفوضية من أجل خدمة اللاجئين الذين أضيروا في أنفسهم وأموالهم، وأصبح من المحتم على كل عاقل أن يقدم لهم يد المساعدة حتى ينالوا حقوقهم كاملة غير منقوصة، وأن الأزهر الشريف يؤيد هذه الجهود.

أعرب الضيف عن سعادته وشكره لهذا اللقاء وجهود الأزهر الشريف في خدمة الطلبة الوافدين وتقديم المساعدة لهم وتوفير فرص الدراسة والإقامة، وطلب الضيف تقديم التوعية للناس من أجل إظهار الجانب الديني السمح لتحمل وجود اللاجئين الذين أجبرتهم الظروف على هجر بلادهم حتى يقل العبء النفسي لهؤلاء اللاجئين.

وقال فضيلته: إن الأزهر الشريف يحرص على ذلك كل الحرص ومصر تستضيفهم بكل أدب وسماحة واحترام وتقدم لهم المعونة التي تسترهم وتحميهم، وسوف أدعم ذلك برفع

صوت الأزهر إلى المسئولين لتقديم كافة السبل لمساعدة ومعاونة اللاجئين.

شكر الضيف فضيلته على إيضاح صورة الإسلام لدى وسائل الإعلام وخاصة الإعلام الغربي كما أعرب عن رغبة المفوض السامي للأمم المتحدة لقاء فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر، وقد رحب فضيلته بأنه على استعداد لاستقبال الضيف في أي وقت يحضر فيه إلى مصر، حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف.

شيخ الأزهر يؤكد على أهمية محاربة المخدرات والمسكرات

● كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السادة أعضاء المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية للدورة رقم ٣٠ من الدول العربية برياسة الدكتورة/ نادية جمال رئيس شعبة البحوث الكيميائية والبيولوجية بالمركز والمشرف على برنامج التدريب العربي لمكافحة المخدرات.

رحب فضيلته بالسادة الضيوف في الأزهر الشريف مثنياً على جهود العاملين في مجال محاربة المخدرات وما يضر بعقل الإنسان أو ماله أو عقيدته أو كرامته أو شرفه، لأن الإسلام يحرم ذلك تحريماً قاطعاً والأزهر الشريف يؤيد ذلك العمل الذي من شأنه محاربة المخدرات والمسكرات بكل أنواعها لما فيها من أضرار بالغة وخطيرة على عقل الإنسان وبدنه، ومن أجل ذلك كانت المحاربة للمحافظة على النشء وعلى شباب الأمة وخدمة للدين وللوطن وللمجتمع الذي نعيش فيه حتى يعيش الناس في جو صحي ونظيف.

وقد وجه الحضور إلى الاستعانة بالأبحاث والكتب التي صدرت في محاربة المخدرات

وقد أجاب فضيلته عن أسئلتهم واستفساراتهم حول إمكانية الاستعانة بعلماء الدين في برنامج العلاج من الإدمان، وأوضح فضيلته أن إدارة الوعظ والإرشاد بالأزهر الشريف لا تدخر وسعاً في تلبية هذا المطلب ونحن على استعداد لإرسال السادة العلماء لتوضيح هذه المسائل، وحول سؤال عن دور المسجد في تصحيح مفاهيم الشباب وعصمتهم من الانحراف الفكري أجاب فضيلته بأن المساجد تعمل طبقاً لخطة أعدتها وزارة الأوقاف والعلماء الموجودون بالمساجد على مستوى علمي عال، ومؤهلين للتصدي لأي انحراف فكري عن طريق النصح والإرشاد، كما أجاب عن أسئلة حول عائد البنوك، وزكاة المال، والقروض، والعقيقة، وغير ذلك من الأسئلة التي طرحت.

الإمام الأكبر يستقبل سفير أستراليا

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد/ روبرت نيوتن سفير استراليا بالقاهرة بمناسبة توليه العمل كسفير جديد لبلاده بالقاهرة، وقد رحب فضيلته بالضيف متمنياً له إقامة طيبة في مصر وأن يوفقه الله في عمله.

وقد أثنى السيد السفير على الأزهر الشريف وشيخه قائلاً: إن الأزهر هو المعهد العلمي الديني المعروف في شتى أنحاء العالم كمنارة دينية وعلمية، وطلب السيد السفير نبذة عن مواكبة الأزهر للتحديث الذي يشهده العالم الآن وأجابه فضيلته بأن الأزهر الشريف الذي عمره الآن أكثر من ألف عام تمتاز الدراسة فيه بالتوسط والاعتدال والبعد عن

التعصب الأعمى والعنصرية المقيتة، والإسلام يعتبر الناس جميعا من أب واحد وأم واحدة والدراسة به تدعو إلى نشر الأمان والسلام والتعاون، وتبادل المنافع بين الناس، وشرح فضيلته مراحل التعليم بالأزهر منذ الحضانة وحتى الجامعة ويتعلم فيه الطلبة والطالبات، والأزهر يدرس المواد التي تدرس في مراحل التعليم الأخرى إلى جانب حفظ القرآن الكريم والتوسع في المواد الشرعية والعربية وبذلك يسير وفق التطور الذي يشهده العالم.

وقال الضيف: إن دولة أستراليا مجتمع منفتح وبه أعداد كبيرة من المسلمين ومن غيرهم من كل الجنسيات وقال: إنه جاء للأزهر لتوثيق التعاون والمساهمة في فتح مجالات مفيدة لبلدينا، وأعرب فضيلته عن ترحيب الأزهر بكل تعاون مثمر من شأنه تبادل المنافع التي أحلها الله بين الناس، حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف.

ويستقبل سفير سنغافورة

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر السيد السفير/ تي توايا سفير سنغافورة بالقاهرة وذلك بمناسبة توليه عمله كسفير جديد لبلاده في القاهرة، رحب فضيلته بالضيف قائلاً: إن سنغافورة من الدول الصديقة والأزهر يستقبل طلاباً من دول العالم ليتعلموا سماحة الإسلام ويسره ووسطيته في كل مراحل التعليم من الحضانة وانتهاء بالجامعة ثم يعودون إلى بلادهم وقد تسلحوا بالعلم النافع ثم يقومون بدورهم في تعليم أبناء بلادهم، وتطرق الحديث إلى تفسير معنى الجهاد، وأجاب فضيلته أن أقرب تفسير للجهاد هو الدفاع عن الحقوق مثل حق الحرية، وحق العقيدة، وحق الرد على الظالمين والمعتدين الذين يعتدون على الأموال والأنفس والمنازل كما يحدث الآن في فلسطين، فشارون وزمرته يهدمون البيوت ويقتلون الأبرياء ويحاصرون القرى الآمنة ويقتلعون الزروع والأشجار، ويهاجمون المستشفيات ولا يقدمون المساعدة الطبية للمحتاجين والمصابين. فالجهاد في الإسلام هو الدفاع عن كل ما يجب الدفاع عنه فما يفعله الفلسطينيون جهاد، وما يفعله شارون وزمرته إرهاب لأنهم يعتدون على الأرض وعلى العرض.

الإمام الأكبر يؤكد:

الإسلام يمد يده بالسلام لمن يمد يده بالسلام

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر مهيد مرآتو موتيلان وزير التربية والتعليم بمنطقة الحكم الذاتي لمسلمي الفلبين والوفد المرافق ودار الحديث حول دور الأزهر الشريف كمنارة لأبناء المسلمين وبخاصة أبناء الفلبين الذين يدرسون بالأزهر الشريف على منح، وأوضح فضيلته أن لدى الأزهر مبعوثين من العلماء في الفلبين بالخطط والمناهج الدراسية والكتب التي تدرس في الأزهر الشريف للاستعانة بها في تعليم أبناء المسلمين هناك على غرار ما يدرسه الأزهر في مصر، لأن الدين الإسلامي دين رحمة وسلام وتعاون وأنه يمد يده بالسلام لكل من يمد يده بالسلام، وقدم فضيلة الإمام الأكبر دعوة للسيد الوزير لحضور المؤتمر الذي سيعقده الأزهر الشريف تحت عنوان [هذا هو الإسلام] في ١٦ من ابريل ٢٠٠٢ وأن يشارك في المؤتمر بالكتابة في أحد الموضوعات المطروحة بالبرنامج.

ترقيات

قرار شيخ الأزهر
رقم (١٩٠) لسنة ٢٠٠٢م

شيخ الأزهر:

بعد الاطلاع على القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ بشأن إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التى يشملها والقوانين المعدلة له.

وعلى قرار رئيس الجمهورية رقم ٢٥٠ لسنة ١٩٧٥ بإصدار اللائحة التنفيذية للقانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ المشار إليه.

وعلى قانون نظام العاملين المدنيين بالدولة رقم ٤٧ لسنة ١٩٧٨.

وعلى قانون الوظائف القيادية رقم ٥ لسنة ١٩٩١ ولائحته التنفيذية.

وعلى ما انتهى إليه رأى الجمعية العمومية لقسمى الفتوى والتشريع بجلستها المنعقدة بتاريخ ٤ / ٢ / ٢٠٠١ ملف رقم (٨٦ / ٦ / ٥٧٠) من أن الاختصاص المفوض للوزير المختص بشئون الأزهر بمقتضى القرار الجمهورى رقم ٤٠٠ لسنة ١٩٩٩ ينعقد لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر.

وعلى ما انتهى إليه رأى لجنة الوظائف القيادية بالأزهر الشريف بجلستها المنعقدة بتاريخ ١٣ / ١٢ / ٢٠٠١م

قرر

المادة الأولى:

اعتبارا من تاريخ صدور هذا القرار يعين فى الوظائف القيادية الموضحة قرين اسم كل منهم بالدرجة العالية بالأزهر الشريف لمدة سنة أو حتى تاريخ بلوغ السن القانونية المقررة لترك الخدمة أيهما أقرب وذلك لكل من السادة

١ـ فضيلة الشيخ / محمد عبد الرحمن على عباس رئيس الإدارة المركزية لمنطقة القاهرة الأزهرية.

٢ـ فضيلة الشيخ / محمود طه محمود لولح رئيس الإدارة المركزية لمنطقة الإسكندرية الأزهرية.

٣ـ فضيلة الشيخ / عبدالصبور أمين عبدالرازق هيكل رئيس الإدارة المركزية للتعليم الإعدادى.

المادة الثانية:

على الجهات المختصة تنفيذ هذا القرار.

that creatures whether they are animals, plants or minerals, are subject to one permanent and natural law. Each is characterized by certain elements and belongs to certain groups. In animals for instance, we find that the breed of Arabic horses is preferable to any other in the world. In minerals, we find that steel is the hardest sort of iron. And the human being is a kind of animal. Some human beings have superiority over others. These superior beings differ in their numbers from one country to another. Thus a country that has more supreme beings amongst its inhabitants must have superiority and authority over the rest. The Count's theory depends on the following principles;

1. An unknown supreme power has chosen a certain race to be entrusted with power and leadership.

2. Learning is the means of knowledge and superiority.

3. History records only heroes and they are our only leaders to whom we submit our obedience.

4. Nations have an urgent need to expansion, as a result of increase in products and birthñrate.

De Goulios theory comes to a conclusion that people who have white skin and pure blood must be the subject of one great empire that is to govern the whole world.

We don't deny that some people are superior to others, but the standard of superiority is neither race nor blood; it is their culture and education. The Quran says;

"And we raise some of them above others in rank". "Az-Zukhruf (32)

De Goulio considers blood and race to be a criterion for superiority and he forgets that Egypt, Iraq, Syria and Yemen were the cradles of ancient civilization. They were all prosperous at a time Europe was still living in the dark ages. And it is regretful to tell that the Count's theory was received with great enthusiasm in Europe in general and Germany in particular. Germans began to look with envy at the colonies that used to be occupied by England, Holland and France. Fredric Neitchie was also influenced by De Goulio's theory and this influence was evident in the Superman. All Germans were deceived by this lie and they thought themselves to be superior to other peoples; a bitter fact that caused the two world wars to break out.

Half a century after De Goulio's superstitious theory, people began to realize its destructive influence.

At last, they knew that the theory was a mere fable. And Europeans started a new look to happiness. They realized that equality, as enacted in Islam, is the only means to happiness. That is why Mr. Jipp was right when he said that Islam is still capable of offering a great service to mankind; no other institution whether religious or social, can bring equality among all the different races.

When the sunshine of Islam arose, equality was its first foundation; and it was marvelous from Umar (may Allah be pleased with him) to apply such a law in that age when Islam was in complete power. Thus even at that time, Umar preached equality guided on by Quran and Sunna.

The prophet (peace and blessing of Allah be up on him) stated the right of equality in his last pilgrimage, when he said:

"O people, your God is One; you are all the descendents of Adam and Adam was created from dust (earth). God favours only the righteous ones, for you are all equal, no difference between a red and a white. Now let God bear witness that I have informed you". It was said that Umar once saw a blind man begging and when he enquired about him, he came to know that this man was a Jew. "Why are begging"? Umar asked.

"Tribute, need and age", the Jews replied.

Then Umar took him to his own house and satisfied his needs at that moment. Then he sent to the one who keeps Muslim's money saying that those from whom we used to take tribute when they were.

Young should not be treated shamefully now that they are old.

It was also said that some people were waiting for permission to enter Umar's house. Among them were chiefs and slaves. When permission was granted, Bilal, Ammar and Sohaib went in first; that made Abu Sofian very angry and he said:

"I had never been humiliated like this before"

And When Sohaib saw that reaction, he asked "Why are you so angry? We are both (chiefs and slaves) had the permission to enter, and they were faster in answering the invitation. If you envy them here (at Umar's), God will provide them more in Heaven.

These are the ideal principles of Islam.

Muslims proclaimed equality according to the teachings of Quran and Sunna; not teachings imported from the French revolution as some ignorants say. The French revolution does called for freedom, equality and fraternity, but only to be confined to Europe. Freedom is for the West and not the East; the East must be occupied and humiliated. Of course, we all know about racial discrimination in Europe. In America itself, the Negroes of the south have suffered and are still suffering from racial discrimination.

Hereunder is a brief summary of the racial discrimination Theory in order to show its inhuman influence, for it was the cause of the destructive two-world-wars.

Count De Goulio, a French writer wrote a theory concerning human races. He stated in it that people must be classified according to their races. He said that those who have white skin have the priority in the field of civilization and progress. He even said that the white race differs according to the purity of their blood. There is what is pure and what is mixed blood, he said. He went on saying

The Fabulous Tale Of The Racial Discrimination Between The East And The West

By: Dr. M. R. El Baiomi

Mr.Jipp, the British orientalist says in one of his books:

"Islam is still capable of offering a great service to humanity. No other institution, whether religious or social, can bring equality among all the different races. The great Islamic communities in Africa, India, Indonesia; and the small ones in China and Japan; all show that Islam is the only power to bring unity among all sects and races of the world. If the East and the West disagreed, Islam would be the only resource we have to go back to in order to make peace between them "

Mr. Jipp's words are clearly obvious. He believes that equality among people is the only solution that may put an end to dispute and controversy as in Islam human beings are all equal. It is wonderful to know that the religion of Islam in its early Renaissance was the only law that declared equality among people wherever they were. In Islam righteousness is the only standard for superiority and all people are the descents of Adam and Adam was created from dust (earth). However, when we revise the history of other countries that were in power whether before or after Islam, we will see that each used to ascribe superiority to itself.

The Greek education, literature and philosophy flourished and were known all over the world. Even the Renaissance in Europe was due to it, but Greek thinkers viewed themselves with an eye of mightiness and superiority. They declared that other peoples were savages and barbarians. Plato in his (Republic) divided people to classes of masters and slaves, the first to govern and the second to be enslaved. Then Plato was followed by Aristotle who said in his (Politics) that it is not wrong for the Greeks to govern the barbarians. He also said that slaves would become savage and impudent if you treat them kindly. He added that Asian people are willing to be governed and enslaved whereas the Greeks are free and proud sect of people. He also wrote that the inhabitants of the cold regions are less intelligent and more courageous than other peoples. At last he came to a conclusion that the Greeks are the most favoured race in the world . The most disadvantageous thing is that his book was studied all over the world and his opinions were taken for granted.

Then the wheel of age turned round and the Romans began to declare that those who are not of Roman descendent are savages and barbarians. Moreover, they proclaimed superiority over other sects such as Germans, and Celts. Romans and Greeks both forgot that civilization firstly arose from the East. Principle of philosophy were founded near the Nile borders. Besides, the Romans and Greeks had their Alphabets borrowed from Syria and Lebanon.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۞ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾

سورة النازعات (٤٠ / ٤١)

﴿But for him who fears the standing before his Lord, and restrained himself from impure evil desires and lust. Verily paradise will be his abode.﴾ [An-Naziat: 40-41]

Allah also stated:

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ سورة الرحمن (٤٦)

﴿But for him who fears the standing before his Lord, there will be two gardens (i.e. in paradise).﴾ [Ar-Rahman: 46]

When the second man mentioned his story, Allah rewarded him by widening the opening in the cave. His good deed was behind his deliverance and salvation.

Finally, the third man mentioned that he gave the labourer his due right although at the beginning the labourer refused the amount of maize agreed upon between them. He gave away to the labourer the cows and the shepherd he had brought after sowing that amount of maize and selling the yield. He was honest and fair. As a matter of fact, he sets a good example that those who combat avarice and those who are niggards and hide the favors that Allah had bestowed on them will be surely punished.

When the third man told his story, the opening in the cave was made wider. Then, the rock moved away completely. Consequently, the three men were finally released due to their obedience to Allah.

This Hadith is a true guidance for us. We must always take whatever the Messenger, may the blessings and peace of Allah be upon him, brings us and give over whatever he forbids us. We must fear Allah, for Allah is strict in punishment.

Reference

An article entitled "Good Deeds Relieve Distress" by Sheikh Al Gebali, Al Azhar Magazine (Zul Hijja, 1422 A.H. March 2002).

The Hadith shows how the invocation of a person who is dutiful to his parents was fulfilled .The first man preferred his parents to his kids. Although his kids had been crying out of hunger, he disliked feeding them before his parents. He let his parents enjoy their sleep and didn't disturb them. He understood that at their old age they would get irritable if anybody woke them up before they finished their sleep.

The man had to wait with the milk in his hand to feed his parents as soon as they wake up. Although he worked hard looking after his sheep in the morning, he sacrificed his night's rest for the sake of his parents' comfort and for Allah's satisfaction. While making supplication to Allah in the cave, he was sure that Allah was All-Aware of his true intention because Allah knows all what the hearts conceal. On mentioning his story, Allah rewarded him by letting the rock that blocked the cave move a little.

Usually, parents love their children more than anything in the world and dutiful children do their best to please and satisfy their parents and provide comfort for them. However, their love to their parents is equal to their parents' love for them. This man forgot his feelings towards his kids completely to please his parents.

The second man abstained from committing a sin with the woman he loved most. When she reminded him of Allah and that he must fear Him, he left her. Although she was in a pressing need for money, she feared Allah and begged the man to let her. He saw that she remembered Allah at this time of difficulty, while he himself was at ease. So, he let her go out of fear from Allah.
Allah stated in the Qur'an:

theirs, continued till the day dawned. O Allah! If you consider that I had done that for nothing except seeking Your face, then I pray for you to make a way out through which we can see the sky. So, Allah made for them an opening through which they could see the sky. Then the second person said: " O Allah! I had a female cousin whom I loved as much as a passionate man loves a woman. I tried to seduce her but she refused till I paid her one hundred Dinars. So, I worked hard till I collected one hundred Dinars and went to her. But when I was about to have a sexual intercourse with her, she said: O Allah's servant! Be pious to Allah! Do not deflower me except legally (by marriage)! So I immediately stood and left her .O Allah! If you consider that I had done that for nothing except seeking Your face, then I pray for you to make a way out for us. So, Allah made a way out for them with the amount of two thirds of the blocked way.

As for the third, he said, "O Allah! I employed a labourer against an amount of maize, and when he had finished his job, I gave him his due pay, but he refused taking it. Then I kept on sowing that maize for him (several times) till I managed to buy with the price of the yield some cows and their shepherd. Later on, the labourer came to me and said: (O Allah's servant! give me my right. I said (to him): "Go and take those cows and their shepherd". Then, he said you make a mockery of me. I said I make no mockery of you but this is your own. O Allah! If you consider that I had done that for nothing except seeking Your face, I pray for you to make a way out for us. So, Allah made a way out for them and the rock was removed completely from the entrance of the cave. (AlBukhari, Book of Addab)

Good Deeds

By: Hanan Abdou El Tahtawy

Allah is the sole Creator, The Provider, and The One in whose hand is the disposal of all affairs. Islam calls for love and obedience to Allah and having confidence in His mercy. Allah highly rewards those who do good and supports them at times of distress. Muslims must honor their parents, abstain from unlawful relation, avoid injustice and give everybody his due rights. Allah helps those who do such deeds and puts an end to their trouble. Moreover they will be highly rewarded in the Hereafter.

Narrated Abdullah Ibn Umar, may Allah be pleased with them, that Allah's Messenger, may the blessings and peace of Allah be upon him, said: "While three persons were travelling, they were overtaken by rain and they took shelter in a cave in a mountain. Then a rock fell over the entrance of the cave and blocked it.

They said to each other: "Think of such good (righteous) deeds which you did for Allah's sake only, and invoke Allah by giving reference to those deeds so that Allah may relieve us from our difficulty." One of them said: "O Allah! I had my parents who were very old, and I had small children and I was working as a shepherd. When I return to them at night and milk (the sheep), I used to start giving the milk to my parents before my children. One day, I went far away in search of a pasture (for my sheep), and when I returned home it was late at night so found my parents sleeping. I milked (my sheep) as usual and brought the milk vessel and stood at their heads, and I disliked to wake them up from their sleep, however, I didn't give the milk to my children before my parents, though my children were crying (from hunger) at my feet. So this state of mine, and

AL-AZHAR MAGAZINE
Safar 1423 A. H

ENGLISH SECTION
APRIL, 2002

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾
الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity) : never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."

(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL, Ph.D.
Faculy of Languages and Translation
Al-Azhar University

ADEL REFAI KHAFAGA M.A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine

الفهـــرس

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

• • •

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومى

مدير التحرير

الطاهر محمد الطاهر الحامدى

سكرتير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / ج.م.ع

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

داخل العدد

الاشتراك السنوى

- داخل مصر ــــــ ١٨ جنيها مصريا
- الدول العربية ــــــ ٥٠ دولارا أمريكيا
- أوربا وأمريكا ــــــ ٨٥ دولارا أمريكيا
- اليابان وشرق آسيا ــــــ ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة
☎ ٥٧٨٦١٠٠ - ٨٥٧٦٢٠٠

ربيع الأول ١٤٢٣هـ يونيو ٢٠٠٢م الجزء الثالث السنة الخامسة والسبعون

افتتاحية العدد

فى ذكرى المولد النبـ

نعم إن الرسول ﷺ أسوة حسنة، وقد تكون الأسوة مطمحاً محدوداً يستطاع الوصول إليه إذا انتمت إلى عظماء الرجال من غير الأنبياء، ولكنها بالنسبة إلى الأنبياء بعامة مطمح بعيد المدى وبالنسبة إلى محمد ﷺ أشد بعداً، ولايسوقنى إلى هذا القول عاطفة دينية لاتجد سندها من البرهان الواضح، ولكنى أؤكده عن يقين، حين أعرض من حياة رسول الله بعض المواقف التى تفجأ القارئ بغرابتها، فيظل حائراً يلتمس أسباب التعليل فلا يجد، ويعيد الفكر مرة وثانية وثالثة لينتهى إلى أن رسول الله قد فى بابه، فقد صنعه الله على عينه، والله أعلم حيث يجعل رسالته.

إن الرسول إنسان ترحمه الحياة ببلائها، فيكابد من الصعاب المرهقة مالايستطيع تحمله إلا بعون الله وتأييده ومن هذه الصعاب مايرجع إلى الأمور العامة فى صراع الخير والشر، واصطدام الهدى بالضلال، وقد يكون العبء فيه مشتركاً بين الرسول ومن حوله من أتباعه المخلصين، وهنا يتوزع الخطب فلا يرمى بثقله فوق كاهل واحد، كما قد يكون العبء خاصاً بمحمد ﷺ وحده، إذ يتغلغل إلى أعمق الأعماق من مشاعره حين يصاب فى فلذة من أفلاذ كبده، فيحس مايحسه الأب الشفيق من فارص الألم، ومرير الشجوه ويخيل لصاحب النظر العادى أن نبى الإسلام فى هول خطبه سيثأر لنفسه بالانتقام إذا قدر، وله الحق أن ينتقم ممن بغى دون حق، ثم تكون العاقبة أن يجد الأثم الصفح والعفو والمغفرة! وممن؟ ممن وتره فى أعز إنسان لديه أليست الأسوة فى هذا المجال مطمحاً بعيداً!! بل أقول إنه مطمح عسير، إلا على من اختاره الله لهداية الناس وقال فى شأنه:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1].

(١) القلم (٤).

ـوى «الأسوة الحسنة»

العفـــو.. العفـــو

العفو فضيلة تقتعد الذروة الرفيعة بين الفضائل الإنسانية، لأن صاحبها ينتصر على غرائز الانتقام حين يسكت ألسنة الحفيظة، وتصمت عن هواتف الثأر، وينظر إلى واتره الأثيم، نظرة الشفق الرحيم، حيث توحي الدلائل بأنه سيكون بين شقي الرحى جزاء لما اقترفت يداه، ولن يكون العفو فضيلة خلقية رفيعة، إلا إذا كان صاحبه ذا قدرة مهيمنة يستطيع أن يبطش بها دون تردد، فمن يعفو عن واتره دون اقتدار عليه، فهو متهم في صفحه، كذلك لايكون العفو فضيلة خلقية رفيعة إلا إذا شمل العدو الخصيم، فالأب الذى يعفو عن جرم ولده، والصديق الذى يغضى عن زلة صديقه، والزوج الذى يتسامح عن هنات زوجه، وأمثال هؤلاء جميعاً لن يكونوا من كبار العافين عن الناس، إذ يبسطون سماحتهم على من يستشعرون نحوهم حنان القربى، وزلفى المودة، لأن لديهم من الدواعى النفسية مايرجح جانباً على جانب، أما العفو العظيم فهو من تصيبه فى أعز الناس لديه دون أن يسلف مايستحق النكال، إذ يكون اعتداؤك بغياً صريحاً، ثم تقع فى قبضته وقد دارت الأرض بك دوران المغشى عليه من الفزع، فلا تجد غير التسامح العاطف والصفح الغفور، هنا يكون العطف ذروة عالية لايلقاها إلا ذو حظ عظيم، فإذا أردت المثال لبعض مانعنيه فلتسمع!

كانت السيدة «زينب» أولى بنات رسول الله ﷺ ذات ملامح تقترب كثيراً من ملامح أمها السيد خديجة بنت خويلد أم المؤمنين، وهى بعد ذات حنو على أخواتها باعتبارها الفتاة الكبرى، فكان والدها العظيم يخصها لذلك بحب يلمس تأثيره فى نفسه، وحين ارتحلت أم المؤمنين إلى عالم الغيب، قامت الفتاة الكبرى مقام أمها، رغم زواجها من ابن خالتها أبى العاص بن الربيع، إذ كانت تكثر زيارة المنزل الأول، وقد أسلمت منذ جهر والدها بالدعوة، لأنها تعلم من صدقه وإيمانه مارأت شواهده رأى العين، فما كان لها أن تتلكأ وإن تلكأ زوجها بعض الوقت لأشياء يميل إليها، فهى ذات رأى لايمس، على أن الزوج رحب بإسلام زوجته، تاركاً لها حرية الاعتقاد، كما تركت له أن يبطئ

حتى يطمئن، ثم هاجر محمد ﷺ إلى المدينة، ولم تستطع زينب أن تترك منزلها وولديها بمكة! فكانت تجد من الشوق لوالدها والحنين إليه مثل مايجد، واشتد كربها حين أعلنت قريش الحرب على رسول الله في الموقعة الأولى ببدر، ونفر المكيون وفيهم زوجها أبوالعاص- إلى المدينة لاستئصال المسلمين، ولاتسل عن لوعة السيدة المؤمنة زينب بنت محمد حين جعلت تفكر في مصير المعركة؟! أفينتصر المسلمون ويقتل زوجها أبوالعاص أم ينتصر الشرك ويقضي على والدها الحبيب! لقد اتجهت إلى الله تصلي في خشوع دامع راجف وهي تقول: اللهم انصر أبي، واردد عليّ زوجي سليماً!! وياله من دعاء يحمل من دقيق المعاني ما يُعجز القلم عن الإفصاح!

ثم دارت الدائرة على المشركين، ووقع أبوالعاص بن الربيع أسيراً، وانطلق ذوو المنهزمين في مكة يرسلون الفداء المالي، إذ لكل أسير فداؤه، وجاء النبأ إلى الزوجة الوفية فعرفت أن الله قد استجاب دعاءها، ولم تشأ أن تجعل الفداء مالاً من خالص الذهب والفضة كما فعل سواها وهي بعد ذات ثراء وافر، فأبوالعاص تاجر مشتهر الغنى، ولكنها نزعت قلادتها التي أهدتها لها أمها ليلة الزفاف، وبعثت بها إلى أبيها!! وفوجئ رسول الله بقلادة السيدة خديجة التي يعرفها جيداً توضع بين يديه، قال أصحاب السيرة: فأخذته رقة شديدة، وقال في تأثير عميق، وفي نبرات حزينة: «إذا رأيتم أن تردوا لها قلادتها، وتعفوا عن أسيرها، فافعلوا!» ثم نادى أباالعاص وقال له: احمل القلادة إلى صاحبتها على شرط أن تبعث بزينب إليّ! هذا عهد بيني و بينك! أفسامع أنت؟ قال: نعم، وستجئ إليك متى ذهبت!

كان الزوج وفياً بعهده فسرعان ما أبلغ زينب رغبة أبيها، فما وجدت بداً من الاستجابة ولم يطق أن يتحمل ساعات الوداع، فأمر أخاه «كنانة بن الربيع» أن يصحبها إلى المدينة، وكان كنانة شجاعاً رامياً للنبل، حامياً للظعينة إذا جد الجد، ولكن الريح لم تسر رخاء، إذ تشزر هبار بن الأسود ناقماً غاضباً، يريد أن يفجع رسول الله في فلذة كبده، فاعترض الراحلة مخترطاً سيفه، ونخس البعير نخسة قاسية، فسقطت زينب، وصادف سقوطها صخرة صلدة، وكانت ذات حمل، فأسقطت جنينها، وجرى دمها يسيل، وهال كنانة ماوقع ففوق النبل إلى هبار وجماعته، ورأوا منه ذا حمية وانتقام، ففروا هاربين! ولكن زينب أدركها الضعف، فخارت قوتها، وذوت بشاشتها، وقدمت إلى المدينة ودمها يسيل!

حزن رسول الله لما شاهد! لقد كان يتوقع أن يرى ابنته سعيدة نضرة، تقبل عليه في بهجة وعناق ولكنه وجد الصفرة الكابية، والألم الصارخ، والصمت الحزين، ولاتسل عن مشاعره الغاضبة التي أرسلت نقمته على هبار بن الأسود المعتدي، فأعلن أنه هدر دمه! وهو إعلان مشتهر بين الناس، يوقع جزاء لمن اعتدى عن بغي!! وليت شعري ماخطب هذا المعتدي! أيريد أن يثأر لقتلى بدر؟ وممن؟ من سيدة لم تشترك في حرب!! أتلك هي الرجولة في منطقه! وهبه انتهى إلى ماأراد! أفيحرز مجداً؟ وقومه يعرفون أنه انتصر على سيدة عزلاء!! ذات حمل ثقيل!

لم تكن أيام زينب بالمدينة ناعمة راضية إذ كانت تعتادها عقابيل تلك السقطة الأليمة، ووالدها يراها تشحب وتهزل، فيعتصم بالصبر، ويعلم الله أي ألم كان يعتصر فؤاده الشفيق، وأي غضب كان يعصف بمشاعره، ولكن الأمور تجري كما أراد خالق الكون أن تسير، ولابد من الإذعان للمكروه، وقد حل فعلاً بزينب حيث ارتحلت إلى ربها، ويقول مؤرخو سيرتها العاطرة: إن عواقب السقطة الدامية كانت فاتحة مرضها الطويل حتى جاءها اليقين!

ودارت الأيام ففتحت مكة، وأصبح رسول الله سيد النهي فيها والأمر، وأيقن هبار بن الأسود أن ساعة الانتقام قد أزفت، لأن دمه مهدور من يوم زينب، فحاول الفرار في كل متجه ولكنه أيقن أن الغلبة للإسلام، وأن جنود محمد ﷺ تلاحقه أنى سار!! فلم يجد بداً من أن يهجم على عرين الأسد، أياً كانت العاقبة، فوقوع البلاء خير من انتظاره فتقدم إلى سيد المرسلين يقول له في انكسار: يانبي الله، لقد هربت منك في البلاد، وأردت اللحاق بالأعاجم، ثم ذكرت عائدتك وصلتك، وصفحك عمن جهل عليك، فاصفح عن جهلي، فإني مقر بسوء فعلي، معترف بذنبي!!

لاشك أن رسول الله تذكر مأساة زينب حين واجه هباراً، ولاشك أن الحزن قد عاوده ساعتئذ على ما أصابها! وهو الآن في موقع القدرة من عدوه الجاني! وأي أب سواه لم يكن ليصفح هكذا دون انتظار! وإذا صفح فبعد تأنيب زاجر، وإيجاع ناقم، ولكن نبي الله يرتفع عن مؤشرات الموقف، فيقول في تؤدة: «إذهب ياهبار فقد عفوت عنك» قالها والصحابة دهشون، إذ كانوا لايتوقعون!

المـــــال..المـــــال

حين قال الإمام البوصيري في بردته:

وراودته الجـــــبال الشم من ذهب

وفـــــضة فـــأراها أيما شـــــمم

لم يقصد المعنى الحرفي للبيت، لأن الجبال في مكة والمدينة لم تكن من ذهب وفضة، ولكنه فكر في زهد الرسول عن الطيبات وهي ملء يده، زهده فيما اجتمع له ذات غزوة من ثراء فياض ملأ الوادي الفسيح بشعابه الممتدة ثم لم يأخذ منه شيئاً! والبرهان ساطع لامجال فيه لأدنى شبهه، ففي غزوة حنين شاء قائدها المشرك مالك بن عوف أن يسوق مع المحاربين نساءهم وأطفالهم وأموالهم ومايملكون من أنعام ليكون ذلك أدعى إلى حماسة قومه فلا يفرون عن الميدان ساعة الهول ويتركون الأطفال والنساء والأموال، لذلك سال الوادي بشعابه زاخراً بالمال العيني من ذهب وفضة، والمال الحي من رقيق وحيوان، وهي غلطة حربية شنيعة لأن المنهزم إذا فكر لايفكر إلا في نفسه أولاً، ثم دارت الدائرة على المشركين بعد جهاد مرير ذاق فيه المسلمون أشد البلاء بدءاً ثم قطفوا النصر خاتمة والأمور بعواقبها المنتهية لابمشائرها المبتدئة، وقد وقع في أيدي المنتصرين ماساق المشركون من مال وعتاد،

وهو شئ لانظير له في زمنه، إذ ترك الفارون أربعة وعشرين ألفاً من الإبل، وأربعين ألفاً من الغنم، وأربعة آلاف أوقية من الفضة وستة آلاف من النساء والبنين! أفتدرى. عزيزى القارئ ماأخذ الرسول من هذا الفيضان الزاخر؟

لم يأخذ درهماً واحداً! وخص به جميعه المؤلفة قلوبهم من أعداء الأمس، وفيهم من شمت بالمسلمين في الجولة الأولى فقال: الآن بطل السحر لن تقوم لمحمد قائمة بعد اليوم!! وإن عجباً أعجب العجب أن يحوز هؤلاء كل ماغنم، حتى غضبت بعض الأنصار، وهم زادة الإسلام وحماته، وعرف رسول الله ما أثارهم من غضب فترضاهم بما شفى الصدور.

جاء في كتاب «الإمتاع» للمقريزى: أن أباسفيان- وهو زعيم المؤلفة قلوبهم- رأى من الغنائم مابهره فقال لرسول الله ﷺ: أصبحت أكثر قريش مالاً! أعطنى مما غنمت يارسول الله! فقال ﷺ: «يابلال، زن لأبي سفيان أربعين أوقية وأعطوه مائة من الإبل». فقال أبوسفيان: «ابنى معاوية يارسول الله؟. فقال: «زنوا له أربعين أوقية وأعطوه مائة من الإبل» فقال أبوسفيان: «ابنى يزيد يارسول الله؟» فقال: «زن له يابلال أربعين أوقية، وأعطه مائة من الإبل» فقال أبوسفيان: إنك لكريم، فداك أبي وأمي والله لقد حاربتك فنعم المحارب كنت ثم سالمتك فنعم المسالم أنت!

وجاء صفوان بن أمية، فأعطاه الرسول مائة من الإبل ثم مائة ثم مائة ثم رآه يرمق شعباً مملوءاً نعماً وشياها، فقال له: أأعجبك هذا الشعب ياأباوهب؟ فقال: نعم قال: هو لك بما فيه، فقال صفوان: إن الملوك لاتطيب نفوسها بمثل هذا ماطابت نفس أحد بمثل هذا إلا نبى!

هذا المال الزاخر لم يرجع منه رسول الله لنفسه ولا لأهله بشئ! وكان يقنع الناس جميعاً أن يجود بالنصف، بل كان المنتظر أن يُشبع السابقين الأولين من المهاجرين والذين آثروا وآووا ونصروا من الأنصار، ثم يرضى المؤلفة قلوبهم ببعض ماأخذوه، والبعض من هذا الفيضان كثير كثير، ولكنه رجع خالى اليد عامر القلب، وقد هجم عليه بعض الأعراب ساخطاً، وانتزع رداءه الشريف من فوق جسمه، وطالبه ببعض المال بعد أن وزعه، فقال الرسول: أدوا إلىّ ردائى أيها الناس! فوالله لو كان عدد شجر تهامة نعماً لقسمتها عليكم، ثم لاتجدونى بخيلاً ولاجباناً ولاكذاباً».

وهنا نتساءل: ماصنع الرسول، وهو رئيس المنتصرين، وسيد الجزيرة العربية بالرجل الذى قد تهجم عليه في غلظة، ونزع رداءه من جسمه دون مراعاة لأدنى لياقة أو أدب! أما كان في استطاعته أن يأخذه بالشدة بعد أن تجاوز كل حد، والكلمة كلمته، والمسلمون رهن إشارته! إنه لم ينظر للأمر من وجهة بشرية تعاقب المسئ بمثل مايعاقب من أجرم وتهور! ولكنه علم مايجره الضعف الإنسانى على الناس من اندفاع، وأنه أولى بأن يقدر هذا الضعف حق قدره، فيغفر للمسئ كى يراجع نفسه دون تأنيب! أليس هو المثل الكامل!

إن الشعاب المتملئة بالغنائم يوم حنين، هى التى عناها البوصيرى في بيته السالف، حين صور

الحقيقة في ثوب خيالي زادها إشراقاً ولألاءً! وأي شمم أعلى ذروه من شمم نبيٍّ، يترك الفيضان الزاخر، ويرجع إلى بيته وليس عليه غير ثوبه، فيحاول أن يغتصبه منه أعرابي عجول، ثم لا يسمع غير العتاب الرقيق! ولا يرى غير النظر الشفيق!

الخبـــــرة النفســـية

هذه الخبـرة النفســية بضعف أولي الضـعف، جعلت رسـول الله ينتظر الشـر من الأشرار، ولا يستبعد وقوعه، وحتمت عليه إذا وقع الشر أن يعفو ويصفح إلا في حد من حدود الله متى شاع الجرم واشتهر، وكانت مواقفه ترجمة صادقة عن شعور العفو الصادق، والعفو الصادق صفة كلية تجمع صفات جزئية كثيرة. فصاحب العفو حليم رحيم حصيف، أما أنه حليم فلأنه كظم غيظه أمام السيئة الواضحة، وأما أنه رحيم فلأنه قد تغمد الإساءة بعطفه وحنانه، وأما أنه حصيف فلأنه وقف على الأعماق المستترة في النفوس، فرأى ما يمتزج بها من الهدى والضلال وتوقع السقوط في الإثم تارة، كما توقع النجاة منه تارة أخرى، وهكذا كان العفو معنى كلياً، وشجرة ذات فروع وأغصان.

ورسول الله حريص على أن يوضح العفو بالفعل والقول، أما الفعل فقد عرفنا من وقائعه ما سطرناه في هذا المقال، وهو مثال من عشرات، وأما القول فما أكثر ما حث رسول الله ﷺ على العفو وما أكثر ما تلا من آيات الكتاب في التسامح والغفران، بل ما أجمل ما أبرز من مزايا العفو في حوار قصصي يأخذ باللب كان يقول فيما رواه مسلم ـ رضي الله عنه ـ:

عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «قال رجل: لأتصدقن الليلة بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية فأصبحوا يتحدثون: تصدق الليلة على زانية! قال: اللهم لك الحمد على زانية. لأتصدقن بصدقة. فخرج بصدقته فوضعها في يد غني. فأصبحوا يتحدثون: تصدق على غني! قال: اللهم لك الحمد على غني. لأتصدقن بصدقة. فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق. فأصبحوا يتحدثون: تصدق على سارق! فقال: اللهم لك الحمد على زانية.، وعلى غني، وعلى سارق، فأتى فقيل له: أما صدقتك فقد قبلت، أما الزانية فلعلها تستعف بها عن زناها، ولعل الغني يعتبر فينفق مما أعطاه الله، ولعل السارق يستعف بها عن سرقته».

فالرسول في هذا النمط القصصي البديع يفتح باب العفو عن السارق والزانية، ويقاس بهما أشباههما بل يفتح باب الأمل على من وقف السد الهائل في طريقه فعاقه أن يسير، والمثل الكامل للإنسانية مبشر قبل أن يكون منذراً، وغارس للأمل في أرض يتعهدها بالري والتسميد حتى تؤتي أكلها الطيب! ولنا نحن المسلمين في سلوكه المثالي أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، فهل نستطيع؟

د. / محمد رجب البيومي

هـذا هـو الإسـلام

مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الثانى عشر

تحت رعاية

السيد رئيس الجمهورية

٣ : ٥ من صفر سنة ١٤٢٣هـ

١٦ : ١٨ من أبريل سنة ٢٠٠٢م

تابع المؤتمر

أحمد السيد تقى الدين



هــــذا المؤتمـــــر

أخى جـــــاوز الظالمون المدى

فحق الجهـــاد وحق الفدا

مطلع لواحدة من أروع قصائد الشاعر الشهير «على محمود طه».. وجدت كلمات القصيدة ترن فى أذنى وأنا أجلس داخل قاعة المؤتمرات الكبرى بمجمع البحوث الإسلامية بمدينة نصر.. القاعة ضخمة وهائلة حقا.. ولكنها ضاقت بأعداد هائلة من علماء الأزهر تدفقت من شتى محافظات جمهورية مصر العربية، فضلا عن طلبة وطالبات المعاهد الأزهرية، وجامعة الأزهر، وجمع حاشد من الطلبة الوافدين الدارسين بشتى الجامعات المصرية يضاف إليهم صفوة الصفوة من علماء الأمة الإسلامية الذين لبوا جميعا دعوة فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر لحضور هذا المؤتمر الذى جاء انعقاده فى أدق مرحلة تمر بها الأمتين الإسلامية والعربية، فى ظل هجمة شرسة على الإسلام، من أعدائه وممن فى قلوبهم مرض، واشتدت حدتها بعد أحداث نيويورك الشهيرة بأحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م إلى أن وصلت إلى حد إلصاق التهم الظالمة بالإسلام وأهله، بل أعلن الرئيس الأمريكى «جورج دبليو بوش» الحرب الصليبية على الإسلام بشكل سافر صريح لا يحتمل أى تأويل أو لبس.

وبدورها أعلنت إسرائيل الحليف الاستراتيجى للولايات المتحدة الأمريكية الحرب على الإسلام داخل الأراضى المحتلة بفلسطين فمضت تعربد وتقتل وتحرق، غير عابئة بالمواثيق والقيم الإنسانية، معيدة إلى الأذهان مذابح هولاكو البشعة فى بغداد والشام قبل انكسار التتار أمام الجيش المصرى فى عين جالوت.

هذه الكلمات ليست من إنشائى، وإنما هى كلمات التقطتها من أحاديث جانبية كثيرة كانت تدور بين علماء الأمة الإسلامية انتظارا لافتتاح المؤتمر.

اللافت للنظر أننى لم ألمس أى نبرة تشاؤمية فى أحاديث علماء الأمة الذين زاد عددهم على المائتين، وخاصة وفد علماء فلسطين الذين كان من السهل على الجميع تمييزهم بعماماتهم المميزة ومنهم سماحة الشيخ يوسف جمعة سلامة القائم بأعمال وزير الأوقاف والشئون الدينية، وخطيب المسجد الأقصى المبارك، والشيخ تيسير رجب التميمى قاضى قضاة فلسطين.. هذان الرجلان تحديدا كان من السهل على جميع الحضور أن يدرك مدى قوة وارتفاع معنوياتهما التف جمع غفير حولهما يسألونهما عن أخبار إخوانهم فى فلسطين، والرجلان يطمئنان الجميع فى ثبات بأن الجميع فى فلسطين قد جعلوا من قول الله - عز وجل -:



﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(١)

شعارا لهم يدفع عنهم أي إحساس بالانكسار أو اليأس والجميع على ثقة بوعد الله.

ولفت نظرى أيضا وأنا أقرأ جدول أعمال المؤتمر مشاركة عدد كبير جدا من الدول العربية والإسلامية فى أعمال المؤتمر أبرزهم فخامة الرئيس مأمون عبدالقيوم رئيس دولة المالديف الذى حرص على تلبية دعوة فضيلة الإمام الأكبر، والمعروف أن سيادته من خريجى الأزهر، بل وقام بإعداد بحث شارك به فى أعمال المؤتمر بعنوان «الإسلام دين العدالة والسماحة والرحمة».

ومن أندونيسيا جاء الدكتور محمد شهاب رئيس مجلس العلماء الأندونيسى حيث قدم بحثا بعنوان «الإسلام دين العدالة الإنسانية»، ومن المغرب الباحث الإسلامى الشهير الأستاذ الدكتور محمد الكتانى عضو أكاديمية المملكة المغربية والذى جاء بحثه بعنوان «الإسلام دين العقل والحوار».

غير أن أكثر ما لفت نظرى ودل على مدى ما بلغته قوة تلاحم أمتنا الإسلامية فى هذا المؤتمر هو بحث بعنوان «الإسلام يدعو إلى الحوار والتعارف»، ويحمل اسم «آية الله عبدالأمير قبلان» نائب رئيس المجلس الإسلامى الشيعى الأعلى بلبنان.. لقد حرص فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى على أن

(١) آل عمران (١٣٩)

يكون هذا المؤتمر عنوانا وتأكيداً على تلاحم الأمة الإسلامية وتماسكها فى وجه ما يراد بها من مخططات فوجه الدعوة لكل علماء الأمة على اختلاف مذاهبهم الدينية، فالموقف لا يحتمل الخلاف والتفرق، بل يحتم أن يكون شعار المرحلة هو قول الله - تعالى - :

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[٢].

تمتمت شفاه الحاضرين بهذه الآيات الكريمة وهم يشاهدون العمامات الشيعية المميزة داعين لفضيلة الإمام الأكبر بالتوفيق فى عمله ومسعاه لجمع شمل علماء الأمة.

وفى أحد جنبات القاعة التف عدد من وعاظ الأزهر حول الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوى، الذى كان حريصا على تنبيههم لأهمية دورهم فى المرحلة الراهنة بقوله: «لابد أن نلجأ إلى الله - عز وجل - بالدعاء على الظالمين، إن خطباء المنابر عليهم أن يدعوا على اليهود من فوق المنابر، لا تستهينوا بهذا الأمر فهو لون من ألوان الجهاد، إنه الجهاد الروحى، لابد أن تدعوا عليهم بأن يأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر وأن ينزل عليهم بأسهم وأن يعيد إليهم سهامهم المسمومة إلى صدورهم، يجب على علماء الأمة أن يشحنوا قلوب الأمة، وأن يتوجهوا إلى الله بالدعاء على هؤلاء المعتدين فى جميع صلواتهم حتى تحيا الأمة من جديد».

جلست استمع إلى تلك الكلمات، وغيرها سمعته من الشيخ كمال جعيط «مفتى تونس»، وعلى بن السيد عبدالرحمن آل هاشم مستشار الشئون القضائية الدينية بدولة الإمارات العربية المتحدة، والدكتور إبراهيم بن أحمد بن سليمان الكندى من سلطنة عمان.. وغيرهم وغيرهم.. لا مجال ولا مكان لليأس بل الأمل كل الأمل فى غد مشرق جديد على الأمة الإسلامية.

نجح المؤتمر قبل أن يبدأ فقد أنعش القلوب وأحيا الأمل فى الصدور.

وضجت جنبات القاعة بتكبيرات الحضور من علماء الأزهر فقد وصل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمصاحبة الأستاذ الدكتور عاطف عبيد رئيس مجلس الوزراء والذى أنابه السيد الرئيس محمد حسنى مبارك فى حضور المؤتمر وإلقاء كلمة نيابة عنه، وكان فى الكوكبة فخامة الرئيس مأمون عبدالقيوم رئيس دولة المالديف، والسيد/ عبدالله السالمى وزير أوقاف سلطنة عمان، والأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف، والأستاذ الدكتور أحمد الطيب مفتى الديار المصرية، والأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر.

وتبدأ أعمال المؤتمر الثانى عشر لمجمع البحوث الإسلامية «هذا هو الإسلام» أو مؤتمر «الأمل».

---

(٢) آل عمران (١٠٣، ١٠٤).

كلمة الافتتاح



لفضيلة الشيخ/ محمود عاشور
وكيل الأزهر

فى الجلسة الافتتاحية للمؤتمر تحدث فضيلة الأستاذ الشيخ محمود عبدالغنى عاشور وكيل الأزهر الشريف موضحا أسباب انعقاد هذا المؤتمر، ومرحبا بضيوفه الكرام فقال:

حين يلبس الباطل ثوب الحق، وتدلهم الخطوب، يحتاج الناس إلى من يحدد لهم المفاهيم ويهديهم إلى الطريق القويم.

من أجل هذا كان هذا المؤتمر، مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الثانى عشر: «هذا هو الإسلام».

جاء هذا المؤتمر ليبين للناس الحقائق، ويزيل ما علق بالإسلام من أباطيل، فقد لبس الباطل ثوب الحق، وتاه الناس، وأصبحوا فى حاجة إلى من يحدد لهم المفاهيم، ويبين لهم الحق من الباطل، والناس دائما عندما تختلط الأمور يلجأون إلى العلماء، وهم أحق الناس بأن يبينوا الحق من الباطل.

لهذا رأى مجمع البحوث الإسلامية أن ينعقد هذا المؤتمر الذى جمع هذه النخبة من العلماء ليقولوا كلمتهم.

هذا المؤتمر الذى كان فكرة راودت فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر، ووجدت من الصعاب ما وجدت، ولكن فضيلته أصر على أن يتم هذا المؤتمر فى الوقت المحدد له، وفى فترة وجيزة تم الإعداد له على أعلى مستوى.

لذا اجتمعت هذه النخبة من علماء المسلمين ليقولوا كلمتهم.. أسأل الله - سبحانه وتعالى - أن يكتب التوفيق لمؤتمرنا إن شاء الله.

كلمة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك

رئيس الجمهورية

ألقاها نيابة عن سيادته الأستاذ الدكتور / عاطف عبيد

رئيس مجلس الوزراء

السادة أصحاب الفضيلة والسماحة والمعالى

الحفل الكريم

إنه ليسعدنى أن أرحب بكم فى مصر، وفى ضيافة الأزهر الشريف، حيث تعقدون مؤتمركم الثانى عشر، فى تلك الظروف العصيبة التى يتعرض لها الإسلام لكثير من التهم الباطلة، خصوصاً بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر من العام الماضى.

وقد كان من توفيق الله - تعالى - لكم، أيها العلماء الأجلاء، أن اخترتم عنواناً حكيماً لهذا المؤتمر، ألا وهو: «هذا هو الإسلام»، وقد جعلتم الهدف الأساسى من هذا المؤتمر: بيان وتوضيح سماحة الإسلام وعدالته، وكيف أنه الدين الذى يعطى كل ذى حق حقه، وأقمتم الدليل الناصع على كل ذلك بأسلوب يقنع كل ذى عقل سليم، ويرد على كل معتد أثيم.

إن شريعة الإسلام قد اعتبرت الناس جميعاً من أب واحد ومن أم واحدة، ومن الآيات القرآنية التى أكدت هذه الحقيقة قول الله - تعالى - :

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(1).

وقال - تعالى - فى أول آية من آيات سورة النساء:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾(2).

وقد تضمن هذا النداء للناس جميعاً تنبيههم إلى أمرين:

(1) الحجرات (13)

(2) النساء (1)



الأصرُ الأول: وحدةُ الاعتقاد بأنَّ ربَّهم واحدٌ لا شريكَ له، فهو الذي خلقهم من نفسٍ واحدة.

والأصرُ الثاني: وحدةُ النوعِ والتكوين، إذ الناسُ جميعاً على اختلافِ ألسنتهم وألوانِهم وأجناسِهم، قد جاءوا جميعاً من أصلٍ واحد، هو «آدم» ـ عليه السلام ـ.

والحقيقةُ الثانيةُ التي أكَّدتها شريعةُ الإسلام: أن الناسَ جميعاً قد أوجدهم اللهُ في هذه الحياة، لكي يعمروها بالقولِ الطيب، وبالعملِ الصالح، وبالسلوكِ الفاضل، وبالتعاونِ النافع، وبتبادلِ المصالحِ التي أحلَّها اللهُ ـ تعالى ـ فيما بينهم فقال:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾(٣).

أى: وتعاونوا ـ أيها الناس ـ فيما بينكم على كلِّ ما هو خيرٌ وطاعةٌ لخالقكم. ولا تتعاونوا على ارتكابِ القبائحِ والعدوان. فإن التعاونَ على الطاعاتِ والخيراتِ وتعميرِ الأرضِ يؤدِّى إلى الرُّقىِّ والسلامِ والأمان. أما التعاونُ على الإثمِ والعدوانِ فيؤدِّى إلى التأخُّرِ والفسادِ والخسران.

والحقيقةُ الثالثةُ التي قرَّرتها شريعةُ الإسلام: هي: تكريمُ الإنسان. وتسخيرُ هذا الكونِ لخدمته ولمنفعته. ويكفى لتأكيد هذه الحقيقة قول الله ـ تعالى ـ:

---

(٣) المائدة (٢).

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾(٤).

ومن مظاهر هذا التكريم لبني آدم سواء أكانوا من الذكور أم من الإناث: أنه خلقهم في أحسن تقويم. كما قال ـ سبحانه ـ:

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾(٥).

وأنه ميزهم بالعقل، وبالنطق، وبالاستعدادات المتعددة التي جعلتهم أهلاً لحمل الرسالة والأمانة، التي عجزت عن حملها السموات والأرض والجبال.

وأنه سخر الكثير من مخلوقاته لمنفعتهم ولمصلحتهم، وأنه ـ عز وجل ـ أعطاهم من نعمه مالا يحصى، وبسبب هذا التكريم فضلهم على كثير من المخلوقات تفضيلاً عظيماً.

والحقيقة الرابعة التي أكدتها شريعة الإسلام هي: أنها أعطت لكل إنسان حقه في الحياة الحرة الكريمة. وفي طلب العلم، وفي حق التعبير عن رأيه بالأسلوب الحكيم، وبالموعظة الحسنة، وبالمجادلة بالتي هي أحسن.

وأنها صانت نفسه وعرضه وأمواله وجميع حقوقه من أي عدوان عليها.

ويكفي شريعة الإسلام فخراً في حماية النفس الإنسانية، وفي صيانتها من أي عدوان عليها، إنها اعتبرت أن من يقتل نفساً واحدة، فكأنما قتل الناس جميعاً، وأن من امتنع عن قتل نفس واحدة، وحافظ على حياتها وعلى حرمتها، فكأنه قد حافظ على حياة وعلى حرمات الناس جميعاً.

يكفي شريعة الإسلام فخراً أن رسولها محمداً ﷺ هو القائل: «الإنسان بنيان الله، ملعون من هدم بنيان الله».

يكفي شريعة الإسلام فخراً أنها قررت أن من يدافع عن حقوقه، وعن حريته. وعن كرامته الإنسانية. وعن أمواله، وعن دينه، وعن أرضه، وعن عرضه، وعن مقدساته، ثم يموت في حالة دفاعه عن حقوقه التي كفلها الله ـ تعالى ـ له فهو شهيد.

ففي الحديث الشريف، يقول رسول الله ﷺ: [من قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون عرضه فهو شهيد ومن قتل دون ماله فهو شهيد](٦).

وعندما جاء إلى النبي ﷺ رجل فقال له: يا رسول الله، أرأيت إن جاء رجل يريد أن يأخذ مالي؟ قال له ﷺ: [لا تعطه مالك.. فقال الرجل: أرأيت إن قاتلني؟ قال ﷺ «قاتله»

---

(٤) الإسراء (٧٠).

(٥) التين (٤).

(٦) البخاري ٢/١٧٩.



فقال الرجل: أرأيتَ إن قتلني؟ فقال له ﷺ «فأنتَ شهيد» فقال الرجل: أرأيت إن قتلته؟ قال ﷺ: «هو في النّار».

والحقيقةُ الخامسة التي قررتها شريعة الإسلام، هي: أن فضيلةَ العدلِ على رأس الفضائل التي أمرتْ بها شريعة الإسلام.

لقد أمرتْ بالعدل في الأقوال، كما قال ـ سبحانه ـ:

﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾(٧).

وأمرت بالعدلِ في الأحكام، كما قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾(٨)

أمرتْ بالعدلِ العام، مع الغني ومع الفقير، مع القوي ومع الضعيف مع القريب ومع البعيد، مع الأصدقاء ومع الأعداء.. وإذا كانت شريعةُ الإسلام قد جعلتْ فضيلة العدلِ في أسمى درجات الكمال، فإنها في الوقتِ ذاته قد جعلتْ رذيلةَ الظُّلم في أحطّ دركاتِ النُّقصان.

ويكفي لتحريمِ الظُّلم قولُ الرسول ﷺ: «إنّ اللهَ ليُملي للظالم حتّى إذا أخذه لم يُفلتْه»(٩) وقوله ﷺ: «اتقوا الظُّلم فإنه ظُلماتٌ يوم القيامة»(١٠) وفي الحديث القُدسيّ: «يا عبادي

---

(٧) الأنعام (١٥٢).

(٨) النساء (٥٨).

(٩) البخاري ٦/٩٤.

(١٠) أحمد ٢/٩٢.

إنى حرمتُ الظلمَ على نفسى وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا»[11].

والحقيقة السادسة التى أكدتها شريعة الإسلام هى أنها أمرت أتباعها أن يقيموا علاقاتهم مع غيرهم على السلام وعلى الأمان، وعلى التعارف، مادام هذا الغير يبادلنا هذا السلام، وهذا الأمان وهذا التعارف. ويكفى لتعريف العالم أجمع بهذه الحقيقة قولُ الله ـ تعالى ـ:

﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[12]

يكفى لتعريف العالم أجمع بهذه الحقيقة قولهُ ـ عز وجل ـ:

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[13].

إن الإسلام يمدُّ يده بالسلام إلى كلِّ من يمدُّ يده إليه بالسلام، ويمدُّ يده بالأمان إلى كلِّ من يمد يده إليه بالأمان، ويمُد يده بالتعاون النافع إلى كلِّ من يمد يده إليه بالتعاون النافع.. إننا نؤمنُ بتعاون الحضارات لا بتنافرها، نؤمن بتقارب الحضارات لا بتباعدها. نؤمن باتصال الحضارات لابتصادمها..

والحضاراتُ كأمواج البحر تعلو وترتفعُ وتسمو وتنفعُ، فى الأمم التى يكثرُ فيها عددُ العلماء العُقلاء. وتنخفضُ وتضمحلُ وتتراجعُ الحضاراتُ فى الأمم التى يكثر فيها عددُ المتعصبين الجُهلاء.

لا مانع لدينا من أن ينتفعَ الغربُ بحضارة الشرق، وأن ينتفع الشرقُ بحضارة الغرب، مادامت هذه الحضارةُ تجمعُ ولا تُفرق، وتبنى ولا تهدم، وتُعمِّر ولا تُخرِّب، وتُصلح ولا تُفسد، وتزدهرُ معها القيمُ الشريفة. والأخلاقُ الفاضلة، والآدابُ القويمة، والاستقامةُ على طريق الحقِّ والخير والكمال.

السادة العلماء الأجلاء ـ الحفل الكريم:

هذا هُو الإسلامُ فى نقائه وفى صفائه.

هذا هو الإسلام فى عدالته وفى سماحته.

هذا هُو الإسلامُ فى رحمته وفى أمانته.

هذا هُو الإسلامُ فى أحكامه وفى هدايته.

هذا هُو الإسلامُ فى حربه وفى سلمه.

هذا هُو الإسلامُ فى قيمه وفى آدابه.

هذا هُو الإسلامُ فى موقفه من غير المسلمين.

هذا هُو الإسلامُ فى تكريمه لبنى آدم أجمعين.

والله يهدى من يشاءُ إلى صراط مُستقيم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

(11) صحيح مسلم. البر والصلة والآداب. باب (15)

(12) الممتحنة (8)

(13) البقرة (190)

كلمة السيد / مأمون عبد القيوم

رئيس جمهورية المالديف



ثم ألقى السيد / مأمون عبد القيوم رئيس جمهورية المالديف كلمة الوفود:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه ومن سار على دربه إلى يوم الدين.

السيد مندوب رئيس الجمهورية الدكتور عاطف عبيد رئيس مجلس الوزراء، فضيلة الشيخ الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى، شيخ الأزهر، رئيس المؤتمر، أصحاب المعالى والفضيلة، والسعادة، الضيوف الكرام!

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فيسعدني - باسمي وباسم الوفود المشاركة في هذا المؤتمر - أن نتقدم بالشكر والتقدير، إلى فخامة الرئيس محمد حسني مبارك رئيس جمهورية مصر العربية، وفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر، وعلمائه، ومسئوليه، وإلى حكومة وشعب جمهورية مصر العربية، لما

لقيناه جميعاً من حسن استقبال، وكرم ضيافة، وجميل رعاية.

كما أنا نشكر الإمام الأكبر على تكرمه بتوجيه الدعوة لنا، لحضور هذا المؤتمر الإسلامي العالمي الهام «هذا هو الإسلام» الذي يعقده مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر.

أيها العلماء الأفاضل والسادة الأعزاء!

إن مبادرة الأزهر بتنظيم هذا المؤتمر، قد جاءت في وقت تواجه فيه الأمة الإسلامية تحديات خطيرة، ويسعدنا أن الداعي إلى هذا المؤتمر، هو الأزهر، أزهر العلم والمعرفة، أزهر العطاء والسخاء، أزهر الأمل والنور، أزهر التاريخ والبطولة، الذي بعلمه وعلمائه، حافظ على الإسلام وعلومه وثقافته، دون إفراط وتفريط، ودون تشدد وتعسف، منذ أكثر من ألف عام.

إن للأزهر فضلاً كبيراً على العالم الإسلامي؛ فهناك الآلاف من أبناء المسلمين، الذين يدرسون في كليات الأزهر المختلفة، ويتخرجون فيها كل عام، ثم يعودون إلى بلادهم، حاملين المعرفة الإسلامية الصحيحة، ويؤدون الرسالة الملقاة على عاتقهم على الوجه الأكمل، عملاً بقول الحق - تبارك وتعالى -:

﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾(١).

وقوله تعالى:

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(٢).

وهناك أيضاً بعثات الأزهر، وأساتذته ودعاته، الذين يقومون بواجبهم العلمي والديني في أرجاء المعمورة، وقد أحسن الشاعر حين قال:

إن للعلم أزهرا يتسامى
كسماء ما طاولتها سماء

كما كان للأزهر وشيوخه وعلمائه، دور بطولي عظيم، في الدفاع عن الإسلام، وشعب مصر في مختلف العصور، ومن ذلك ما قام به شيوخ الأزهر وعلماؤه الأكابر، أثناء الحملة الفرنسية في مصر، مما كان له الأثر الكبير في إجبار الجيش الفرنسي، على الانسحاب من مصر العزيزة الأبية.

والحقيقة أنه كلما ادلهم الخطب، وعظم الأمر، كان للأزهر دور بارز في تعبئة الشعب المصري تعبئة روحية قوية، كي يصمد أمام العدو حتى النصر، ومن ذلك ما حدث أثناء العدوان الثلاثي على مصر، منذ ما يقرب من خمسين عاماً.

أيها السادة العلماء، والإخوة الكرام:

ان أخطر التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في هذه المرحلة الحرجة من تاريخها الطويل، تلك الأحداث التي تجري على أرض فلسطين الشقيقة،

---

(١) التوبة (١٢٢).

(٢) آل عمران (١٠٤).

من قتل وتعذيب، وتشريد لشعبها البطل، وهدم للمنازل والمخيمات، وانتهاك وتدنيس للأماكن المقدسة في أراضيها، وفي مقدمتها المسجد الأقصى المبارك، أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين. إن هذا يتطلب من الأمة الإسلامية تكاتف شعوبها، وتماسك صفوفها، وتضافر جهودها، لمساندة شعب فلسطين الباسل، وتقديم كل ما يمكن تقديمه من معونات مادية ومعنوية في نضاله البطولي من أجل حريته واستقلاله وسيادته على أراضيه.

ومن تلك التحديات أيضاً، الحملة الإعلامية الظالمة، التي تقوم بها قوى البغي والضلال في العالم، للنيل من الدين الإسلامي الحنيف، ومقاصده النبيلة، والادعاء بأن الإسلام دين يدعو إلى القتل والتخريب وإرهاب الآمنين، ومحاربة أتباع الأديان الأخرى.

ولاشك أن هذا ادعاء باطل، فالإسلام دين يدعو إلى الحرية والسماحة، وتكريم الإنسان، والمحافظة على النفس والعقل والمال والعرض، واحترام حقوق الآخرين، والعيش في أمن وسلام مع الطوائف الأخرى، وأعتقد أنه في استطاعة هذا المؤتمر، الذي تحضره هذه الكوكبة من جهابذة العلماء والمفكرين الإسلاميين، أن يقوم بدور كبير في تصحيح الأوضاع، وتقديم الإسلام للعالم كله، في صورته الحقيقية الوضاءة.

ونحن نرى في أرض الكنانة، أجمل صورة لسماحة الإسلام وقيمه النبيلة؛ ففي مصر يعيش المسلمون والأقباط جنباً إلى جنب، في إخاء ووئام وتآلف، كمواطنين صالحين، يعملون جاهدين، لتحقيق مزيد من التقدم والرخاء للوطن الأم.

ولا يخفى على أحد، أن الفضل في هذا السلام الاجتماعي، الذي تنعم به مصر الحبيبة، يرجع - بعد الله سبحانه وتعالى - إلى قائد هذا البلد الأمين وزعيمه، الرئيس محمد حسني مبارك، فالرئيس مبارك، بما حباه الله من حكمة وحصافة، وصدق وإخلاص لمصر وشعبها الأصيل، قد أرسى قواعد بنية اجتماعية وسياسية، كفلت لمصر، مجتمعاً يعيش فيه المسلمون وغيرهم في مودة وسعادة واطمئنان.

أيها السادة العلماء، والإخوة الكرام:

أريد أن أقول، قبل أن أنهي كلمتي هذه، إنني فخور بكوني من أبناء الأزهر ومن خريجيه، وبأنني قد تلقيت علومي على مشائخه وأساتذته الكبار، جزاهم الله خيراً!

قال الزعيم مصطفى كامل: (لو لم أكن مصرياً لوددت أن أكون مصرياً)، وأنا أقول: (لو لم أكن أزهرياً لوددت أن أكون أزهرياً).

وقال الشاعر أحمد شوقي:

قم في فم الدنيا وحي الأزهرا
وانثر على سمع الزمان الجوهرا

وأنا أقول:

أكرمتني يا أزهر الخير الذي
جمت محاسنه ولم تك مقصرا
يارب أنعم أزهراً وكنانة
من خير ما تجزي الكريم تخيرا

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

كلمـــة
فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى



بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيد الخلق، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

السيد ممثل رئيس الجمهورية، رئيس مجلس الوزراء، السادة الحضور، ضيوفنا الأعزاء، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

هذه لقاءات لم تقم من أجل متعة فائتة، ولا من أجل شهوة عابرة، وإنما هي لقاءات من أجل إعلاء كلمة الحق، ومن أجل أن نتعاون جميعا على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان.

رأى مجمع البحوث الإسلامية أن يعقد مؤتمره الثاني عشر في هذه الأيام العصيبة، وأن يكون موضوع هذا المؤتمر «هذا هو الإسلام» في جماله ونقائه وسموه، في عدالته، في سماحته، في شريعته التي تقف إلى جانب المظلوم حتى ينتصر، وتقف في وجه الظالم الباغي حتى يندحر.

ما أكثر الاتهامات الكاذبة التي وجهت إلى الإسلام، خصوصا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر سنة ٢٠٠١م، ورأينا أن من الواجب علينا كعلماء أن نظهر الحقيقة، وأن نبين أن الإسلام دين يعطي كل ذي حق حقه، وأن نبين أن الإسلام دين يأمر أتباعه أن يدافعوا عن حقوقهم، وإذا قصروا في هذا، فإن الله - سبحانه - سيحاسبهم عن هذا التقصير وهو القائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ۝ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾(١).

فقد أذن الله لنا أن ندافع عن أنفسنا، وفي الوقت نفسه بشرنا بأنه ما دام هذا الدفاع من أجل نصرة الحق، والدفاع عن المظلوم، وعن كل ما يجب الدفاع عنه، بين الله عز وجل أن نصره قريب لأن هذه هي السنة التي لا تتخلف ولا تتبدل، ما دام هناك العزيمة القوية، والإيمان العميق، وشرف المقصد والثبات على الحق، ومباشرة الأسباب التي تؤدي إلى النجاح. محال ثم محال أن يخلف الله وعده، وهو القائل:

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾(٢).

إنه نصر مزدوج، نصر في الحياة الدنيا ونصر: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾(٣)

لأجل هذه المقاصد أقمنا هذا المؤتمر الذي يحضره صفوة الصفوة من علماء العالم الإسلامي، وقدمت عشرات الأبحاث لبيان وجه الإسلام الجميل، أبحاث تناقش:

الإسلام دين الهداية والسماحة والسلام.

الإسلام ورعايته لحقوق الإنسان.

الإسلام شرع الجهاد وحارب الإرهاب.

الإسلام يدعو إلى الحوار والتعارف.

وغيرها من الأبحاث والموضوعات المهمة التي تبين وجه الإسلام السمح، وسيستمع العالم بأكمله إلى الكلمة الصادقة التي سيعبر عنها العلماء الراسخون في العلم، كل في مجال تخصصه، لبيان أن الإسلام هو الدين الذي يعطي كل ذي حق حقه، مبينين سماحة الإسلام وعدله، مبينين احترام الإسلام لحقوق المسلمين وغير المسلمين.

والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه.

---

(١) الحج (٣٨، ٣٩). (٢) غافر (٥١). (٣) الانفطار (١٩).

وتحدث الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف عن: مفهوم العدل فى التصور الإسلامى فقال:



مفهوم العدل فى التصور الإسلامى يمكن أن يبحث من جوانب مختلفة، أو منطلقات متعددة. فهناك مثلاً منطلق علم الكلام الإسلامى وما قاله علماء الكلام فى قضية العدل، وبصفة خاصة لدى المعتزلة الذين اشتهروا بأنهم أصحاب التوحيد والعدل، ويمكن أن يبحث أيضاً من منطلق الفكر الفلسفى الإسلامى الذى جعل العدل أحد أمهات الفضائل، بل جعله على رأس الفضائل، ويمكن أن يبحث كذلك من منطلق التاريخ الإسلامى لبيان مدى تطبيق قيمة العدل فى تاريخ المسلمين. ولكن قبل كل ذلك وبعده يأتى بحث مفهوم العدل فى التصور الإسلامى من منطلق المصادر الأساسية للدين الإسلامى، ونعنى بذلك القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة.

وفى البداية نود أن نشير بصفة عامة إلى أنه من المعروف أن العدل يعد لدى كل الشعوب والحضارات قيمة من القيم الكبرى التى ينبغى على الإنسان أن يسعى إلى تحقيقها فى هذا العالم من أجل خير الإنسان وسعادته. والإنسان فى أصل فطرته الصافية يميل إلى العدل وينفر من الظلم. ولا نعدو قول الحق إذا قلنا إن العدل يُعد ضرورة حياتية لا يستطيع الإنسان أن يحيا حياة حقيقية بدونه.

والإسلام عندما يدعو إلى العدل فإنه بذلك يدعو فى الوقت نفسه إلى حرية الإنسان وكرامته وتأكيد حقوقه الإنسانية العامة. فالكفاح من أجل رفع الظلم عن المظلومين وإقرار العدل، وبالتالى إقرار الكرامة الإنسانية، يُعد واجباً إنسانياً وواجباً دينياً فى الوقت نفسه.

ولذلك جاء الأمر بالعدل ومقاومة الظلم فى القرآن الكريم صريحاً لا يحتمل التأويل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ﴾(1)، كما جاء أيضاً فى الحديث القدسي المشهور: [يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا..](2).

---

(1) النحل: ٩٠.

(2) صحيح مسلم، البر والصلة والآداب، باب ١٥.

وهذا الأمر الديني يعزز الجانب الإنساني الذي يرتكز على الطبيعة الإنسانية النقية التي تميل إلى العدل وتنفر من الظلم. وتضافر الجانب الديني مع الجانب العقلي يقوى عزم الإنسان وتصميمه على سلوك سبيل العدل ومقاومة الظلم في شتى صوره وأشكاله.

ويستطيع المرء أن يتبين بوضوح أن العدل - كما جاء في القرآن الكريم - يتجلى في الرحمة الإلهية التي تعم العالم كله بما فيه ومن فيه كما يقول القرآن الكريم:

﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾(٣)، تلك الرحمة التي لا تفرق بين الناس الذين هم جميعاً خلق الله يحكم بينهم بالعدل ويشملهم برحمته. وكل إنسان مطالب بالسعي إلى إقامة العدل والأمل في تحققه من منطلق الرحمة الإلهية.

وعند التأمل في مفهوم العدل يتضح لنا أن للعدل جانبين لا يجوز أن ينفصل أحدهما عن الآخر. فالإنسان من حيث طبيعته، أي من حيث هو كائن عاقل في حاجة إلى العدل يطلبه ويسعى إليه. ولكن هناك وجهاً آخر للعدل يسير جنباً إلى جنب مع حاجة الإنسان له وطلبه إياه، ونعني بذلك أن العدل نفسه يحتاج إلى الإنسان بوصفه كائناً عاقلاً حراً من أجل تحقيقه والعمل على إقراره. فالإنسان بدون العدل لا يستطيع أن يحيا حياة حقيقية على هذه الأرض. والعدل بوصفه قيمة مثالية ليست شيئاً دون أن يكون هناك إنسان يعمل على تحقيقها في عالم الواقع. فالعدل ضروري للإنسان مثلما أن الإنسان ضروري لتحقيق العدل.

والعدل قيمة لا تتجزأ، فالمرء لا يمكنه أن يطلب العدل لنفسه وفي الوقت نفسه يريد إبعاده عن نفسه ثانية بارتكابه الظلم في حق الآخرين، فالناس جميعاً قد خلقوا من نفس واحدة - كما يقول القرآن الكريم:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾(٤).

وعلى هذا الأساس يبنى التضامن بين الناس والذي يقتضي العدل للجميع. فنحن مشتركون جميعاً في الإنسانية ذاتها، ونحن جميعاً ننحدر من نفس واحدة. ومن هنا يشير القرآن الكريم إلى:

﴿ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ ﴾(٥).

(٣) الأعراف: ١٥٦.

(٤) النساء: (١).

(٥) المائدة: ٣٢.

والعدل مرتبط ارتباطاً وثيقاً بحرية الإنسان. ومن أجل ذلك فإن فهم التصور الإسلامي للعدل يتوقف على فهم الدور الحاسم للحرية في الإسلام.

ويجد المرء إشارة لذلك - على سبيل المثال - في التأصيل الفقهي للحكم في قضية يدور الأمر فيها حول الحرية. فلو حدث نزاع بين مسلم وغير مسلم حول طفل - وقال المسلم: هذا الطفل عبدي. وقال غير المسلم: إن هذا الطفل ابني فعلى القاضي أن يحكم في هذه الحالة بإثبات بنوة الطفل للأب غير المسلم نظراً لأن الطفل بموجب هذا الحكم سيكون حراً وليس عبداً(٦).

ويمكن القول بأن هذا التأكيد على حرية الإنسان كان يتردد في التاريخ الإسلامي دوماً عندما تنطلق الشكوى من العدوان على الحرية، والذي كان يحدث بين الحين والآخر. وفي هذا الصدد نشير إلى تلك العبارة المشهورة التي أطلقها الخليفة الثاني عمر بن الخطاب في مواجهة العدوان على حرية بعض الأفراد من جانب بعض أصحاب النفوذ حين قال: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟»، وقد قال ذلك بمناسبة حادثة مشهورة تتصل بوالي مصر عمرو بن العاص في ذلك الوقت.

ولا يجوز في نظر الإسلام أن يحمل الظلم البادي في العالم الإنسان على اليأس من تحقيق العدل. فهذا اليأس قد يؤدي به إلى سلوك مغاير للعدل. وينبغي على الإنسان بدلاً من ذلك أن يدرك أن كمية الشر مهما كثرت فإنها لن تستطيع أن تمحو الخير من الوجود مهما قلت كميته. وسيظل دائماً هناك من يسير في طريق العدل والرشاد مهما كثرت ظلمات الشر والفساد. وينبه القرآن إلى ذلك بقوله:

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾(٧).

وهنا ربط بين اتباع الحق والعدل. فالذي يعدل لأنه يتبع الحق يكون في وسعه فهم الآيات الإلهية التي تمتلئ بها الوجود وتمتلئ بها النفس الإنسانية:

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾(٨).

ومن هنا يشير القرآن إلى أن الله قد بين الآيات لهؤلاء الذين تمتلئ قلوبهم باليقين:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي﴾(٩)

وكما سبق أن أشرنا فإن العدل لا يتجزأ. وهذا ما يطالب به القرآن في صراحة ووضوح.

---

(٦) حاشية ابن عابدين، ج٤ ص ٤٦٥، القاهرة ١٣٢٥هـ.

(٧) الأعراف: ١٨١.

(٨) فصلت (٥٣).

(٩) آل عمران (١١٨).

وتحدث الأستاذ الدكتور أسامة الباز المستشار السياسى لرئيس الجمهورية عن: المفتريات التى يروج لها البعض عن الإسلام. قال:

من الظواهر القديمة الجديدة أن بعض الدوائر دأبت على محاولة النيل من الإسلام وتشويه صورته، وقد تركزت هذه المحاولات أساساً فى الغرب، وإن كانت قد ظهرت فى أماكن متفرقة أخرى، ويبدو أن السبب فى ظهور تلك الحملات واستمرارها عبر القرون يتخلص فيما يلى:

أولاً: إما التعصب والتحيز ضد كل ما هو مختلف عن الغرب أو ما هو غريب عن المجتمعات الغربية، وقد يكون هذا التعصب دينيا أو ثقافيا أو عنصريا، وربما كان انعكاساً للشعور باختلاف المصلحة بين الأمة الإسلامية والغرب، أو نابعا من افتراض غير مبرر بأن الحضارة الغربية متفوقة على الحضارة الإسلامية.

ثانيًا: وقد يرجع هذا الوضع لسبب آخر، وهو الفهم الخاطىء أو السطحى للإسلام والجهل بجوهره وتعاليمه، وعدم القدرة على فهم نصوص القرآن والأحاديث النبوية فهما صحيحا، وذلك لصعوبة اللغة العربية وعدم القدرة على ترجمة النصوص بدقة.



وقد يكون العنصر الثالث هو أن البعض يخلطون بين الإسلام وبين سلوك بعض من ينتسبون إلى هذا الدين فى حقبة معينة وتحت ظروف خاصة.

وأخيراً فقد يكون هذا راجعا إلى تقصير من المسلمين فى إعطاء فكرة صحيحة عن عقيدتهم، سواء من ناحية الطرح النظرى أو فى الواقع العملى الذى يعيشه الناس ويلمسونه.

ولكى نتعرف على أبعاد هذا التحدى الذى نواجهه يجب أن نستقرىء أو نستعرض معاً الصورة المنطبعة عن الإسلام والمضمون الذى

ينسب له زورا وبهتانا، إما من غير المسلمين - وهذا هو الغالب - وإما من بعض المسلمين الذين يعطون أنفسهم الحق في التحدث باسم الإسلام دون أن يكونوا مؤهلين لذلك، أو ربما كانوا مدفوعين في هذا بالهوى والغرض، والرغبة في تحقيق مصالح أو مكاسب دنيوية، حتى ولو سلكوا في هذا سبيلا يترتب عليه النيل من الإسلام والتشهير به وخدمة أغراض أعدائه الحريصين على مهاجمته ومعاداته بالباطل.

ما هي عناصر تلك الصورة التي يروّج لها البعض عن الإسلام

أولاً: أنه دين يقوم على التعصب وعدم التسامح وبرفض الاعتراف بغيره، ويقسم الناس بين مؤمنين به وكافرين يُصنّفون كأعداء لا يمكن قبولهم والتعايش معهم.

ومن الأطروحات التي تقدم في هذا الصدد أن الإسلام يقسم العالم إلى دار الإسلام ودار الحرب، أو دار الإيمان ودار الكفر، أو إلى إسلام وجاهلية.

ثانياً: أن الإسلام يحول دون انتهاج سبيل التحديث والتطوير، بسبب جموده وتركيزه على التراث مما يربط المسلمين بالماضي ويصرفهم عن التطلع إلى المستقبل بدليل أن بعض المسلمين ينادون بالعودة إلى القواعد والأحكام والأوضاع الاجتماعية والسياسية التي كانت قائمة في صدر الإسلام دون أن تتوفر لديهم أي رغبة في تطوير أسلوب حياتهم والاستفادة مما يحققه المجتمع الإنساني من تقدم وتحديث (حداثة modernism)، ودون الالتفات إلى الظروف المتغيرة والواقع المتغير المتطور.

ثالثاً: أن الإسلام يقوم على تداخل الدين بالدولة، وهو ما يؤدي إلى التمسك بمفاهيم جامدة للسلطات وكيفية الفصل بينها، ورفض نسبة السلطة أو السيادة للشعب، على أساس أنها يجب أن تكون لله وحده، بعكس الغرب وكثير من مناطق العالم الأخرى التي نحت نحوه، فقد تخلص هذا وأولئك من الخلط والتداخل بين الدين والدولة وحرصت دساتيرهم على النص في موادها الأولى على مبدأ الفصل بين الدين والدولة.

ويقول بعض الشراح في الغرب أن الحكام المسلمين يستطيعون استخدام هذا الخلط بين الدين والدولة للزعم بأنهم يستمدون السلطة والصلاحيات من الله - تعالى - لا من الشعب، وبذلك يتخلصون من مسئولياتهم أمام الشعب وممثليه.

رابعاً: أن الإسلام يركز على الجنس وينظر للمرأة نظرة متدنية بدائية، ولا يضعها مع الرجل على قدم المساواة، بل يعاملها كما لو كانت في نصف مرتبة الرجل، وهو ما يتبدّى

من أحكام الإسلام المتعلقة بالميراث أو الشهادة:

﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾(١).

رجلان أو رجل وامرأتان

ويفرض عليها أن ترتدى الحجاب وتقبع ببيتها، وتعيش تحت رحمة الرجل، الذى يستطيع بإرادته المطلقة أن يتزوج بأكثر من واحدة أو يطلق أيا من زوجاته بإرادته المطلقة.

خامسًا: أن الإسلام لا يعرف المواطنة، ولا يعترف بالمساواة بين أبناء المجتمع الواحد فى الحقوق والواجبات، لأن الفرد ينتسب إلى الأمة الإسلامية، وليس لدولة بمعناها العصرى الذى استقر عليه العرف الدولى منذ قرون.

سادسًا: أن الإسلام دين يركز على الوعيد والتهديد والزجر، ويتسم بالقسوة فى التعامل مع جسم الإنسان، ومن أمثلة هذا: قسوة الحدود التى نصت عليها الشريعة الإسلامية:

- القتل.
- والصلب.
- والرجم.
- قطع اليد.
- قطع الأيدى والأرجل من خلاف.

سابعًا: أن الإسلام دين لا يعترف بحقوق الإنسان فلم يرد بشأنها نص فى القرآن أو السنة الشريفة.

ثامنًا: انه دين يتسم بالإيمانية الغيبية والاتكالية، والتسليم بالقضاء والقدر والسلبية، بدلاً من الاحتكام إلى العقل وإعمال المنطق الذى يقوم على أسس موضوعية قابلة للتحليل والتمحيص والاختبار.

تاسعًا: انه دين يبيح اللجوء إلى القوة والعنف بدعوى الجهاد فى سبيل الله، وهو ما يؤدى إلى الإرهاب ويضفى عليه شرعية دينية وأخلاقية واجتماعية فى أوساط المسلمين.

وهكذا نجد كثيرا من المفكرين والمسئولين فى الغرب يتحدثون عن «الإرهاب الإسلامى»، ويستدلون على هذا ببعض العمليات التى قام بها مسلمون إما دفاعا عن النفس أو سعيا لاسترداد الحقوق المغتصبة أو لتحرير الأرض، أو بما يقوم به بعض المسلمين دون وازع دينى أو لأغراض دنيوية أو انطلاقا من مفاهيم خاطئة، ثم يحاولون نسبة أعمالهم ومقاصدهم إلى تعاليم الإسلام ورغبتهم فى نصرة الأمة الإسلامية.

مثال حديث: أسامة بن لادن والمبررات التى ساقها لتفسير عدائه للغرب وخاصة الولايات

---

(١) النساء: (١١).

المتحدة وإصراره على إلحاق الضرر به وإيذائه بدعوى أن العالم ينقسم إلى فسطاطين.

عاشراً: غيبة الديمقراطية والتعددية فى النظام السياسى الإسلامى، طالما أن الحاكم يستمد السلطة من الله - تعالى - وطالما أن الناس يؤمنون بأن الإسلام دين ودولة وهو ما يستوجب قيام النظام السياسى على أساس فكر واحد مستمد من الإسلام، تسيطر عليه فئة تدعى لنفسها صفة «الجماعة الإسلامية».

حادى عشر: أن الإسلام سمح بقفل باب الاجتهاد، وهكذا ظلت نظم وأحكام إسلامية عديدة متسمة بالجمود وعدم الاستجابة إلى التطورات والمستجدات التى يشهدها المجتمع فى كل حقبة زمنية.

ثانى عشر: أن الإسلام عقيدة عدوانية، يحض المؤمن على قتل أى كافر يلتقى به أو يصادفه فى الطريق، لأنه لا يعطى البشر حرية اختيار عقيدتهم ولا يسمح بالتعايش بين أتباع الأديان المختلفة.

ثالث عشر: أنه نظرا لصرامة وجسارة المتطلبات التى يضعها الإسلام على كاهل المؤمنين، فإن الملاحظ أنه كثيرا ما يتسم سلوك المسلمين بوجود هوّة سحيقة بين القول والعمل، والمظهر والخبر، وكثير من المسلمين يحرصون حرصا زائدا على أداء الفرائض والنوافل والشعائر، دون أن ينعكس هذا على سلوكهم الحياتى وقيمهم وأسلوبهم فى التعامل مع الآخرين، وبذلك يصبح الإيمان طقوسا غير ذات مضمون، لا تنعكس على أخلاقيات المؤمنين والمعايير التى يطبقونها فى حياتهم وفى تعاملهم مع الآخرين.

وطالما أننا نستطيع أن نرصد هذه الظاهرة، فإنه يصبح من المتعين علينا أن نتصدى لهذه الأراجيف التى تقوم على الزيف والافتراء، لا من منطلق دفاعى نشعر فيه بأن علينا أن نعتذر عن بعض جوانب القصور فى الفكر الإسلامى والممارسة الإسلامية، أو نخفف من وقع هذه الجوانب على الآخرين، أو نحاول أن نخفى حقائق معينة أو نحجبها عن الآخرين لكى نمنعهم من مهاجمة الإسلام.

بل يكون واجبًا علينا أن نأخذ المبادأة فى التصدى لتلك المزاعم والمفتريات، بحيث نكون نحن البادئين بعرض الأطروحات والنقاط التى تعكس صحيح الإسلام لتعريف الآخرين بهذا الدين دون أن نفترض فيهم سوء النية، أو نتصرف على أساس أن أعداء الإسلام ومنتقديه هم فى الموقف الأقوى، لأن الحقيقة هى أن الإسلام - هو خاتم الرسالات - هو دين الحق والعدل والتقدم، الذى يحض على العلم والمعرفة وتحكيم العقل، كما أنه دين التسامح والتعايش بين الأمم والشعوب وهو أبعد ما يكون عن التعصب والكراهية والعدوان.

صــوت من أمريكــا



وتحدث الدكتور/ حسان حتحوت من المركـــز الإسلامى لجنوب كاليفورنيـــا لوس أنجيلوس. فقـــال:

لم تكن مهمـةُ الرسول ﷺ أن يُدخلَ الناس الإسلام ولكن أن يبلغه لهم

﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾(١).

ولم يَقصُرْ الله - سبحانه وتعالى - هذه المهمة على النبى وحده بل كذلك على من تبعهُ فى حياته أو بعدها..

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾(٢).

ولا يحتاج الإسلام فوقَ البلاغ لمن يقهرُ الناسَ على اعتناقه أو يتخذ من ظروفهم البيئية ضاغطا استراتيجيا لقبوله: يكفى أن تعرضه للناس بصدق وتقول هذا هو الإسلام، فتكون أديت وأعذرت، فمن يرد الله أن يهديه يشرحْ صدره للإسلام.

ويكونُ بيـانٌ.. هذا هو الإسـلام، أوجبَ فى الظروف التى تتعرض فيها صورته للتشويه من قبلِ عدوٍ ماكر أو صديق قاصر.. كما هو الحال بعد أحداث سبتمبر الماضى فى الولايات المتحدة، على ساحة العالم كله، لكن بشكل مركز على الجبهة الأمريكيـة، وهو ما ارتأيت أن أشارككم فيـه مؤتمركم هذا، الذى يتجـه خطابُه ولا شك إلى المسلمين وغيـر المسلمين عربا وغيـر عرب،

---

(١) المائدة (٩٩).

(٢) يوسف (١٠٨).

مترجماً إلى ألسنة أخرى أولها الإنجليزى، ومن أولى من الأزهر بأن يتحدث عن الإسلام وباسم الإسلام والوفاء بواجبات الريادة والزعامة في مشارق الأرض ومغاربها؟ أصاب الناس الفزع الأكبر عند وقوع الأحداث.. لا لأن ذلك جديد على العالم فالعالم مليء بالتخريب والتهديد وتقتيل الأبرياء، ولكن لأنه كان جديدا على أمريكا التى استقرت لها القوة والمنعة والشعب الأمريكي يحيا داخل حدوده ماديا ومعنويا لدرجة كبيرة فإحساسه بباقى العالم إحساس باهت.

صُدم الشعب الأمريكي كله والمسلمون الأمريكان جزء منه وليسوا أجانب كما يحلو للكثيرين أن يتصوروهم. كان الشعب الأمريكي فى عنان واحد من الارتياع والألم لما أصاب البلاد والعباد.. لكن الشعب الأمريكي يمتاز بين شعوب العالم المعاصر بأنه ليس وحدة متجانسة، فهو - فيما عدا الهنود الحمر سكان البلاد الأصليين - كتلة جاءت من المهاجر تنتظم أعراقا وأجناسا وألوانا متفرقة، ثم استطاعت أن تنصب الموازين التى أفضت بها إلى أمة واحدة ذات كيان وثقافة وشخصية متميزة، ولكن دون أن تضيق باختلاف الخصائص والمنطلقات والأمزجة.. ولهذا أسفرت حوادث سبتمبر عن اتضاح جبهات ذات معالم، أحبُّ أن أوجز لكم عنها، وما دمنا نحمّل الأزهر مسئوليته العالمية فلابد أن نعينه على دراسة خريطة العالم وتضاريسها، خاصة أمريكا، فإنى لأحسب أن فى العالم الآن مضغة إن صلحت صلح وإن فسدت فسد، ألا وهى أمريكا.



د. حتحوت

وأبدأ بما لابد أنه أثار جزعكم ولهفتكم وهو الحوادث التى تعرض لها المسلمون - بل أشباهُ المسلمين شكلا كالسيخ الهنود والمسيحيين من الشرق الأوسط، والتهديداتُ والعدوان على الأفراد أو المساجد. هى حوادث مؤسفة ولا شك ولكنها وإن كثُرت لا تخرجُ عن ظاهرة الحوادث الفردية، يرتكبها الأغرار والأشقياء والطائشون. ومن العادية فى نشرات الأخبار أن تلميذا يفتح النار على زملائه أو يقتل أستاذه أو يعدُّ لنسف مدرسته.. وقد خففت خاصة بعد أن جرّم القانون حتى إيذاء مشاعر المسلمين فيما يسمى جريمة الكراهية. ثم أثنى بالحديث عن الشعب الأمريكي فى مُجمله وفى قطاعاته العريضة. وأشهد أن فيه كثيرا من النبل ومن المحبة. من أول عرض الجيران على جيرانهم المسلمين أن يتسوقوا لهم إن تحرجوا من الخروج، وانهالت رسائل التضامن والتلاحم، وحذروا الحكومة أن تعيد مع المسلمين غلطتها مع اليابانيين الأمريكان عندما اعتقلتهم فى حربها مع اليابان مما اضطرها فيما بعدُ إلى الاعتذار ودفع التعويضات. وذات يوم غزير المطر كنت أخطب الجمعة في مسجدنا فإذا مظاهرة مسيحية كبيرة

ترفع لافتات بأننا جئنا لحماية المركز الإسلامي والوقوف بجانب إخواننا المسلمين والمسلمات، ورفضوا الدخول لاتقاء المطر رغم أن بينهم عجوزا على مقعد متحرك.. ولما تحرش أشقياء ببعض المسلمات المحجبات قامت مظاهرة نسائية مسيحية كلهن يرتدين الحجاب.

هذا فيض من غمر.. أما على صعيد الجاليات الدينية فلم يسبق لنا أن تلقينا هذا العدد من الدعوات للمحاضرة عن الإسلام في كنائس النصارى بل وبعض معابد اليهود.. وقد أثمرت سياسة الحوار مع أهل الأديان الأخرى خيرا كثيرا في هذه الظروف، مع أننا حين بدأنا منذ خمس عشرة سنة، اتهمنا بعض إخواننا المسلمين بالمروق بل بالكفر. وما ذهبنا إلى تجمع ديني أو جامعي أو ثقافي إلا وأعجب القوم بالإسلام وقالوا لم نكن نعرف!

ولنا في الإعلام المكتوب والمسموع والمرئي انتصارات هي من فضل الله، ولكنه صندوق مفاتيحه بأيدي غيرنا ولعلها تستحق الدراسة الجادة من قبل المسلمين.

والآن أقلب الصفحة إلى منظر مختلف تماما.. الصهيونية واليمين المسيحي المتطرف والمتطرف خاصة والعياذ بالله. حيث يؤذي الصهيونية ويهودها أن ينكسر احتكارها للأذن الأمريكية والعقل الأمريكي وظهور مسلمين يحسنون الفهم والعرض والشرح، عمل إرهابي بالنسبة لهم. وتعرف المسلمين أخيرا طريقهم إلى صناديق الانتخابات ينذرهم بالويل والثبور بعد أن ظهر أن الانتخابات قد تحسمها الأعداد القليلة.. لقد كان رأسمالهم دائما إقناع الأمريكان أن المسلمين همج متوحشون لا ينبغي أن يكون لهم إلا نصيب الهمج والمتوحشين. فما الحيلة وهناك ملايين من الأمريكان المسلمين لا يبدون همجا ولا متوحشين واليمين المسيحي الصهيوني حلف معهم وهجومهم لا هوادة فيه وعلى كافة الأصعدة على المسلمين ونبي المسلمين وقرآن المسلمين وإله المسلمين. أسمعتم عن تصريح وزير العدل بأن إله المسلمين يريدك أن ترسل ابنك ليموت من أجله بينما إله المسيحية يرسل ابنه هو ليموت من أجلك! وسمعتم عن الاستشهادات الناقصة والملتوية والمنزوعة من سياقها من القرآن الكريم للزعم بأن الإسلام دين عنيف! وفي الأخير وكأنما تملكتهم الغيرة على الدين فتحوا جبهة الجدل عن الألغام البشرية بين شباب الانتفاضة في فلسطين، وهل هي انتحار مقيت أو استشهاد حميد، وهو موضوع اختلفت فيه الآراء بين المسلمين وغير المسلمين، ولعلهم يريدون به إحراج خطيب مسلم في ظروف تكتنفها الحساسية والتربص، ونقول لهم إن السؤال أكاديمي ليس له مردود عملي فسواء أمدحت هؤلاء الشباب أم قدحتهم فإن الحقيقة العلمية هي الجديرة بالاعتبار، وهي التي تقول إن من غير الطبيعي أن يتصرف الناس تصرفات

طبيعية في ظروف غير طبيعية وأن العلاج ليس المدح أو القدح ولكن أن نهيىء للناس الظروف الطبيعية.

بل نقول لهم بكل وسائل الاتصال والإبلاغ المتاحة: إن الحاجة ماسة لا إلى رجل السياسة بل إلى رجل الدولة، الذى يستطيع أن يدرك المنعطف التاريخي الخطير الذى يشهده العالم وهو استنبات سلالة بشرية استبد بها القهر وهى كذلك لا تهاب الموت، ورأيناها تجاوز الشبان الفلسطينيين إلى الشابات، فإن استمرت فستصل إلى الكهول، فإن استمرت فستتجاوز حدود فلسطين، وآنذاك لن تستطيع قوة عسكرية أو تشريعات قانونية أو أحلاف دولية أن تصادرها، فالبدار البدار إلى حل منصف لقضية فلسطين لأن التأخير قد يكون باهظ الثمن.

وأخيرا وليس آخرا نتحدث عن المسلمين، ويسألنا إخوتنا في بلاد المسلمين كيف يمكن تحسين صورة الإسلام بالغرب، فالحق أن صورة الإسلام بالغرب تصنعها صورته في الشرق إلى حد كبير، التي لا تخلو مما ينبغي أن نواجهه بأمانة ونعمل على إصلاحه. كذلك تأخذ العاطفة بتلابيبنا أحيانا فنتجه إلى ما لا يثبت أمام الفكر الواعي والتمحيص الهادىء في ظل الشريعة التي تعتبر ظروف الزمان والمكان والإمكان، في الوقت الذى نعرف فيه خطوات عملية هادئة ولكن مؤثرة إن حافظنا فيها على الالتزام والنفس الطويل. ولقد أدركنا أيضا أن حماس المسلمين لدينهم يتجاوز كثيرا معرفتهم بهذا الدين وأخلاقه وأحكامه، والمسلم الجاهل المتعالم أضر بالإسلام من العدو المحترف.

ثم ائذنوا لى حضراتكم أن أصارحكم أنني وقد بلغت سبعيناتي المتقدمة خلصت إلى أن أزمة المسلمين الكبرى هى أزمة الحب، ولا أفصل ففى فطنتكم غُنية، بل كنت مرة أحاضر في أمريكا ولاحظت غياب الحب بين المسلمين على مستويات شتى، وانبرى لى بعدها شاب من إياهم يقول: إن الحب كان لأجل هوليوود ونحن هنا لأجل الإسلام يا دكتور حتحوت! نموذج لعقلية شرط الإسلام عندها أن تكره. وصدعته بقول النبى ﷺ، (لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولن تؤمنوا حتى تحابوا).

ثم لا تحسبوا يا سادتى الكرام أن حديثى هذا إليكم دردشة ضيف أو أسمار غريب، فالحق أننى في قرارة نفسى أحس أن كل كلماتي هذه هى حديث عن الأزهر، فأبعاد رسالته هى العالم، ومداها هو التاريخ، وهو الجدير بأن يتجمع من حوله ومن ورائه المسلمون يصوغ منهم أمة الإسلام الحق ويجدون فيه زعامتهم المنشودة التى تتكلم فينصت هذا العالم.

أما في أمريكا بعد أن يرسب التراب ويهدأ الغبار سيستبين الناس أن الله قد غرس للإسلام شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

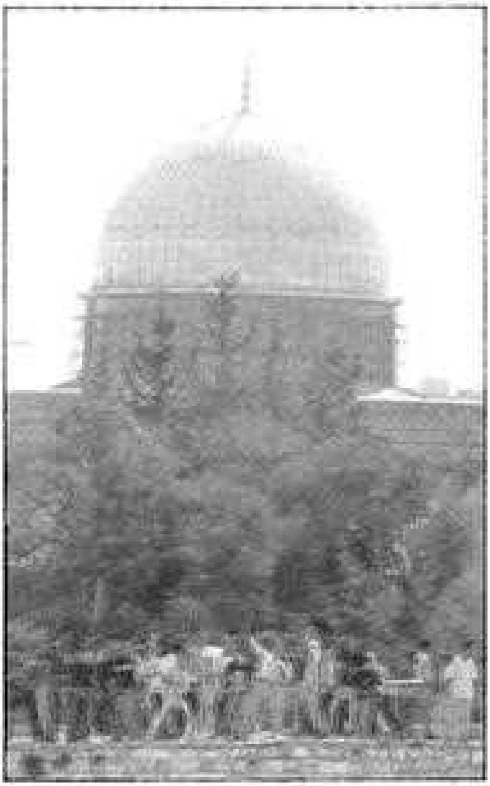
وقال سماحة الشيخ / يوسف جمعة سلامة القائم بأعمال وزير الأوقاف والشئون الدينية بدولة فلسطين خطيب المسجد الأقصى المبارك عن: الإسلام دين العدالة والرحمة.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، محمد ﷺ وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه إلى يوم الدين.

الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف - حفظه الله - رئيس مجمع البحوث الإسلامية - رئيس المؤتمر.

أصحاب المعالي والسماحة والفضيلة، أيها الأخوة الأكارم.

أحييكم تحية من عند الله مباركة طيبة، تحية من المسجد الأقصى المبارك الذى بارك الله حوله، تحية من أرض فلسطين، أرض الأنبياء، أرض البطولات، أرض الشهداء، وبهذه المناسبة فإننى أنقل إليكم تحيات أشقائكم المرابطين فى بيت المقدس وأكناف بيت المقدس، الذين يتعرضون للحصار والقتل والتشريد، كما أنقل إليكم تحيات أخيكم الرئيس / ياسر عرفات المحاصر فى مقره برام الله معلنين أننا شعب واحد، وجزء من أمة واحدة، مثمنين مواقفكم الداعمة للشعب الفلسطينى المرابط، ووقفتكم المشرفة معه حيث كان لهذه الوقفة الكريمة عظيم الأثر فى صمود شعبنا المرابط فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد:



إنه لشرف لى أن أحضر هذا المؤتمر العتيد الذى يعقد فى أرض الكنانة بعنوان «هذا هو الإسلام» للرد على محاولات تشويه الإسلام، والعمل على إظهار سماحة الإسلام وعدالته، والوجه المشرق لهذه الرسالة السماوية العظيمة حيث سيتولى العلماء الأجلاء، والأساتذة الأفاضل الحديث عن ذلك من خلال بعض الموضوعات المطروحة وسأتحدث - إن شاء الله - حول موضوع [الإسلام دين العدالة والسماحة والرحمة].

ولأهمية العدل في الإسلام وردت مادة (العدل) في القرآن (٢٨) مرة، ووردت كلمة القسط المرادفة لها (٢٥) مرة.

وللحث على العدل قال الله - تعالى -:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[1]

وقال تعالى:

﴿وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[2].

والإقساط هو العدل، والمقسطون هم العادلون، وقد أمر الله بالعدل في الأحكام كما أمر به في الأقوال، بقول تعالى:

﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ﴾[3].

وقا ل تعالى:

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾[4].

كما ورد في سنة الرسول ﷺ كثير من الأحاديث تحث على العدل وتشجع عليه وتدعو إليه، يقول رسول الله ﷺ: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»[5].

وكانت البشرية قبل بزوغ فجر الإسلام تعرف العدوان أكثر مما تعرف الحق، وتحترم القوة أكثر مما تحترم الحرمة، والإنسانية في ظلمات بعضها فوق بعض، يفتك القوى بالضعيف، ويأكل القادر حقوق العاجز، ومع ذلك عرف العرب في جاهليتهم حلف الفضول..[6] «أن ينصروا المظلوم ويقفوا معه حتى يأخذ حقه من الظالم، وذلك الحلف الذى قال فيه الرسول ﷺ لو دعيت إليه في الإسلام لأجبته»[7].

وجاءت رسالة الإسلام، رسالة العدل والمساواة، حيث أشرقت الأرض بنور ربها وارتفعت كلمات رسول الله ﷺ يوم حجة الوداع «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا»[8].

ومن قبل ذلك كله كان المثل الرائع على عهد النبوة لتطبيق العدل دون أن يميل مع القربى، أو يحيف مع الشنآن، ونضرب لذلك مثالين:

أولاً: عندما جاء أسامة بن زيد يشفع لمخزومية سرقت.. فكانت كلمات رسول الله ﷺ نوراً يهدى من بعده: «إنما أهلك الذين من قبلك أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد،

---

(١) سورة النحل، الآية (٩٠).
(٢) سورة الحجرات، الآية (٩).
(٣) سورة النساء، الآية (٥٨).
(٤) سورة الأنعام، الآية (١٥٢).
(٥) أخرجه مسلم.
(٦) السيرة النبوية لابن هشام جـ١ ص١٣٣.
(٧) أخرجه مسلم في صحيحه.
(٨) أخرجه مسلم في صحيحه

والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها)[9].

ثانياً: كان ذلك عندما تواطأ بعض المنافقين على اتهام يهودى ظلماً بسرقة وقعت بالمدينة من رجل من المنافقين يقال له «طعمة بن أبيرق»، فنزلت الآيات من السماء تنصف لليهودى وتتهم أولئك المتآمرين -وهم جيرانه وأقاربه- بالخيانة، وذلك ما نزل من قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾[10].

وسار الصحابة على هدى نبيهم محمد ﷺ فى ذلك:

* فكان عدل عمر فيما يفعله مع الأمير الغسانى الذى لطم مسلماً فهشم أنفه حيث قال عمر: إما أن ترضيه وإلا أقدته منك، قال جبلة: تُقيده منى وأنا ملك وهو سوقة، قال عمر: إن الإسلام سوى بينكما، قال جبلة: إنى رجوت أن أكون فى الإسلام أعز منى فى الجاهلية فردد عمر ما قاله، قال جبلة إذن أتنصّر، فقال عمر إذن أضرب عنقك...[11].

* وكان عدل على إذ وقف أمام عمر مع يهودى فلما كناه عمر غضب على، وكانت كتابة عمر إلى قاضيه يعلمه العدل بين الناس والمساواة بينهم.

فضيلة شيخ الأزهر/

أصحاب المعالى والسماحة والفضيلة/

أيها الأخوة الأكارم/

لقد أنعم الله - سبحانه وتعالى - على البشرية جمعاء برسالة سيدنا محمد ﷺ هذه الرسالة التى ختم الله بها الرسالات، وجاءت كاملة شاملة:

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾[12].

هذه الرسالة السماوية نزلت على سيدنا محمد ﷺ فى بطحاء مكة وفى خلال فترة وجيزة وبفضل الله وعونه، وإذ بهذه الرسالة تنتشر انتشاراً سريعاً فى أرجاء المعمورة.

هناك من يقول: إن الإسلام انتشر بالسيف.

هذا قول خاطىء فالإسلام لم ينتشر بالسيف، ولا بالقوة، ولا بالعنف، لأنه لو انتشر الإسلام بالسيف لزال الإسلام يوم أن زال السيف.

(٩) متفق عليه.

(١٠) سورة النساء الآيات (١٠٥ : ١٠٧).

(١١) القصة واردة فى كتاب التاريخ، وسيرة عمر رضى الله عنه.

(١٢) سورة المائدة الآية (٣).

فهذه بريطانيا كانت الشمس لا تغيب عن ملكها بفعل السيف، فلما زال السيف زالت لكن سيف الإسلام -على حد قول هؤلاء- زال، ولكن بفضل الله ورحمته نرى وجوهاً جديدة تدخل كل يوم فى دين الله أفواجا.

إن الإسلام قد انتشر بالأخلاق، وبالقدوة الصالحة، وبالحكمة والموعظة الحسنة، هذا ما تحلى به التجار المسلمون يوم طافوا البلاد بأخلاقهم الكريمة وصفاتهم الطيبة، فدخل الناس فى دين الله أفواجا.

إن الحرية الدينية شيء شرعه وابتكره ديننا الإسلامى الحنيف..

إن صيحة:

﴿ لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[13].

هذه الصيحة لم تعرف إلا فى كتابنا العظيم، وإن صيحة:

﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾[14]، هذه الصيحة لم تعرف إطلاقاً فى ملة أخرى.

كانت أوروبا قبل القرآن وبعده، وكان العالم كله يعيش فى برك من الدم، وصراع آثم حول إكراه الناس على العقائد حتى جاء القرآن الكريم يقول للناس:

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ﴾[15]

عندما نتصفح كتب التاريخ فإننا نجد صفحات مشرقة عن التسامح الإسلامى، مع أهل الديانات الأخرى، وعن الأسلوب الطيب فى احترام الآخرين.

إننا نجد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه- يرفض أن يصلى فى الكنيسة التى عرض عليه أسقف بيت المقدس أن يصلى فيها لماذا؟ حرصاً من عمر على بقاء الكنيسة لأصحابها، فقد قال للأسقف: لو صليت هنا لوثب المسلمون على المكان وقالوا: هنا صلى عمر وجعلوه مسجداً!!

كما نلاحظ المعاملة الطيبة من المسلمين تجاه أهل الكتاب وهذا ما دفع الكثير من أهل الكتاب للدخول فى هذا الدين الجديد لأنهم وجدوا فيه ضالتهم من السماحة واليسر والمحبة والأخوة.

فهذا رسول الله ﷺ وقد مرت عليه جنازة يهودى فقام النبى ﷺ لها، فقيل له: إنها جنازة يهودى فقال: «أليست نفساً»[16].

وهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يرى شيخاً متوكئاً على عصاه وهو يسأل الناس، فسأل عنه فقيل إنه كتابى، وفى رواية -نصرانى- فقال: «خذوا هذا وضرباءه

---

(١٣) سورة يونس الآية (٤١).

(١٤) سورة الكافرون الآية (٦).

(١٥) سورة البقرة الآية (٢٥٦).

(١٦) أخرجه الإمام البخارى.

إلى بيت المال فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته وتركناه عند شيبه»[17].

وروى أن عبدالله بن عمر -رضى الله عنهما- ذبحت فى بيته شاة فقال: أهديتم لجارنا اليهودى منها، قالوا: لا، قال: أهدوا إليه، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: (مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه)[18].

إن صيحة:

﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[19].

تظهر عظمة هذا الدين، تظهر مدى مخاطبته للعقول لتختار بين طريق الإيمان وطريق الكفر، طريق الخير وطريق الشر، طريق الحق وطريق الباطل.

فالإسلام لم يفرض على النصرانى أن يترك نصرانيته، أو على اليهودى أن يترك يهوديته، بل طالب كليهما -مادام يؤثر دينه القديم- أن يدع الإسلام وشأنه، يعتنقه من يعتنقه، دون تهجم مر، أو جدل سيء.

إن التسامح الذى عامل به الإسلام غيره، لم يعرف له نظير فى القارات الخمس، ولم يحدث أن انفرد دين بالسلطة، ومنح مخالفيه فى الاعتقاد كل أسباب البقاء، والازدهار مثل ما صنع الإسلام، وفى مجتمع يضم أناساً مختلفى الدين، قد يثور نقاش بين هؤلاء وأولئك من الأتباع المتحمسين، وهنا نرى تعاليم الإسلام صريحة فى التزام الأدب والهدوء:

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[20]

فالأخوة الإنسانية هى الأساس الذى تقوم عليه علاقات الناس حيث إن القرآن الكريم وضع دستوراً للعلاقة بين المسلمين وغير المسلمين أيا كانت ديانتهم كما فى قوله تعالى:

﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[21].

والعهدة العمرية التى أرسى قواعدها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- مع بطريرك الروم صفرونيوس فى السنة الخامسة عشر للهجرة تمثل لوحة فنية فى التسامح الإسلامى الذى لا نظير له فى التاريخ، التسامح بين المسلمين والمسيحيين فى فلسطين الحبيبة، هذه العلاقة الطيبة التى مازالت وستبقى - إن شاء الله - ونلاحظها أيضاً فى بلاد عديدة كأرض الكنانة وغيرها.

---

(١٧) كتاب الخراج لأبى يوسف.

(١٨) أخرجه الإمام البخارى.

(١٩) سورة الكهف الآية (٢٩).

(٢٠) سورة العنكبوت الآية (٤٦).

(٢١) سورة الممتحنة الآيات (٨ - ٩).

والمؤسف أن جهل شريحة واسعة من أهل الغرب المسيحى بحقيقة الدين الإسلامى، جعل أفراد هذه الشريحة يعادون المسلمين، ويكونون أكثر قرباً من اليهود الذين يكنون عداء تاريخياً لكل من المسيحيين والمسلمين على حد سواء، فى حين أن الإسلام يميز تماماً بين اليهود والمسيحيين، فيعتبر «اليهود والذين أشركوا أشد عداوة للذين آمنوا»، فى حين يصف القرآن الكريم النصارى بالقول:

﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾(٢٢).

واليهود يصفون السيدة مريم العذراء - عليها السلام - بأوصاف سيئة فى حين أن القرآن الكريم يصفها بأجمل وأطهر العبارات فى مواضع عديدة ويعتبرها أفضل نساء العالمين قاطبة فى عصرها، حيث يقول الله - عز وجل - فى محكم آياته:

﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾(٢٣).

والملاحظ هنا أن كلمة «اصطفاك» تكررت مرتين فى الآية الكريمة، وهذا ما يحتم على المسلم المؤمن أن يضع السيدة مريم العذراء - عليها السلام - فى المرتبة المقدسة التى تستحقها.

وفيما يصر اليهود على الإساءة للسيد المسيح - عليه السلام - ويصفونه حاشاه - بأقذع الأوصاف، فإن القرآن الكريم يعترف له بالنبوة وبمعجزة التكلم فى المهد حيث يقول تعالى:

﴿ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾(٢٤).

ويقول تعالى فى نفس السورة:

﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣) ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾(٢٥).

وبالإضافة إلى ذلك أقول: إنه فى أول عهد الإسلام قبل الهجرة النبوية الشريفة إلى المدينة المنورة جرت معركة طاحنة بين الروم المسيحيين والفرس المجوس، كان النصر فيها للمجوس المشركين.

وفرح المشركون فى مكة بذلك النصر وشمتوا بالروم، فيما ابتأس المسلمون بسبب هزيمة المسيحيين من أهل الكتاب.

---

(٢٢) سورة المائدة الآية (٨٢).

(٢٣) سورة آل عمران الآية (٤٢).

(٢٤) سورة مريم الآيات (٢٤: ٢٦).

(٢٥) سورة مريم الآيات (٣٠: ٣٤).

ولما نزلت الآيات الكريمة التي تقول:

﴿الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾(٢٦)

فقد ابتهج المسلمون بهذا النصر.

فضيلة شيخ الأزهر/

أصحاب المعالي والسماحة والفضيلة/

أيها الأخوة الأكارم/

وها هو الشعب الفلسطيني مسلمين ومسيحيين يقف اليوم في خندق واحد، حيث إن الإرهاب الإسرائيلي لا يفرق بين مسيحي ومسلم، وأن قنابل الاحتلال وطائراته موجهة ضد المسلمين والمسيحيين معاً فكما تضرب القدس والخليل، فهي تضرب بيت لحم، وكما تعتدي على رام الله والبيرة وجنين، فهي تعتدي على بيت ساحور، وكما تهاجم طولكرم ورفح وجباليا، فهي تهاجم بيت جالا.

إن الهجمة الشرسة التي يتعرض لها الشعب الفلسطيني في هذه الأيام قد يتمت الأطفال، ورملت النساء، ودمرت البيوت والمصانع والمؤسسات، وجرفت المزارع والبيارات، وهاجمت مقرات السلطة الوطنية الفلسطينية حيث إن قوات الاحتلال تتبع سياسة الأرض المحروقة التي لا تبقي ولا تذر، حيث وصلت هذه الاعتداءات إلى المقدسات الإسلامية والمسيحية، حيث منعت المسلمين من الوصول إلى المسجد الأقصى المبارك للصلاة فيه، وإغلاق المسجد الإبراهيمي في الخليل أمام المصلين، وقصف العديد من المساجد في نابلس، وجنين، وطولكرم، والخليل، وبيت لحم، ورفح، وغزة، وخان يونس، وجباليا وغيرها من المحافظات، كما امتدت هذه الاعتداءات إلى كنيسة القيامة حيث منعت سلطات الاحتلال المسيحيين من الاحتفال بأعيادهم، كما أنها تحاصر كنيسة المهد في بيت لحم، وتقتل وتعتدي على العلماء المسلمين، ورجال الدين المسيحي.

ومع ذلك فإن القيادة الفلسطينية تسير على خطى العهدة العمرية، وتتمسك بها، وتسير على هديها حيث إنها تعمل جاهدة على تشكيل وفد إسلامي مسيحي مشترك لتظهر للعالم العلاقة الوثيقة بين أفراد الشعب الواحد. إن الأوضاع الراهنة في فلسطين خطيرة جداً، ونحن بحاجة إلى دعم الأشقاء في الأمتين العربية والإسلامية ليبقى هذا الشعب المرابط متمسكاً بحقوقه، مرابطاً على أرضه، مدافعاً عن عقيدته.

(٢٦) سورة الروم الآيات (١ – ٦).



إننى أنتهز هذه المناسبة ومن خلال علماء الأمة أن أنقل أصدق آيات الشكر والتقدير من الشعب الفلسطينى المرابط ومن القيادة الفلسطينية وعلى رأسها الأخ الرئيس / ياسر عرفات رئيس دولة فلسطين إلى الشعوب العربية والإسلامية على وقفتها المشرفة مع أشقائهم فى فلسطين، هذه الوقفة وهذه التبرعات الكريمة التى تبين بأننا أخوة فى السراء والضراء، وأننا أمة واحدة هى الأمة العربية والإسلامية وأننا ننتظر مستقبلاً زاهراً بإذن الله، وإن شاء الله ستصلى معاً وسوياً فى المسجد الأقصى المبارك وقد تحرر من أيدى المحتلين:

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾(٢٧)

كلنا ثقة بالله، بأن الليل مهما طال فلابد من بزوغ الفجر، فما بعد العسر إلا اليسر، وما بعد الضيق إلا الفرج، وإن الفرج آت بإذن الله، رغم المشككين، رغم الحاقدين، رغم أعداء الإسلام كلهم، وكما قال الشاعر:

وما نيل المطالب بالتمنى
ولكن تؤخذ الدنيا غلابا
وما استعصى على قوم منال
إذا الإقدام كان لهم ركابا

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(٢٧) سورة الإسراء الآية (٥١)

كلمات متفرقة





● الشيخ تيسير التميمي «قاضي قضاة فلسطين»:

إن ما يحدث اليوم للأمة الإسلامية يستوجب على العلماء القيام بدورهم القيادي حتى تعود للأمة العزة والكرامة أمام العدوان الإسرائيلي المدعوم بلا حدود من أمريكا، خاصة وأن المسلمين يتعرضون لحرب اصطنعها أعداء الإسلام بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، بدعوى تهم باطلة ألصقها الغرب بالإسلام من أجل الهيمنة على مقدرات الأمة الإسلامية.

ومن يستعرض كل ما أقرته المواثيق الدولية بشأن حقوق الإنسان سيتأكد أنها شعارات ليس لها واقعية في التطبيق، وإنما تطبق فقط لفرض الهيمنة الاستعمارية على العرب والمسلمين لصالح أمريكا، ومن ورائها إسرائيل، فأمريكا تكيل بمكيالين، فتعتدي على الدول باسم محاربة الإرهاب وتسمي الكفاح المشروع إرهابا في مواجهة مجازر بشعة لم يسبق لها الحدوث على مر التاريخ، فالاحتلال الإسرائيلي دفن مئات الشهداء في مقابر جماعية أمام مرأى العالم، ولذلك فإن ما يحدث في فلسطين وصمة عار في جبين المجتمع الدولي كله.



وهناك منظمات دولية وعلى رأسها الصليب الأحمر رفضت تقديم مساعدات للشعب الفلسطيني في جنين، مع أن لها فروعا في فلسطين، بادعاء عدم استطاعتهم الوصول للفلسطينيين بسبب الجنود الإسرائيليين، ويأتي ذلك في الوقت الذى تتعرض فيه فلسطين لحرب إبادة في ظل صمت دولي، لأنه حين يتعلق الأمر بالعرب والمسلمين تتجمد المواثيق والمعاهدات الدولية.

إننا إذا عقدنا مقارنة بين حقوق الإنسان في الإسلام وبين ما يحدث في فلسطين سنجد نقيضين على طول العمر، فالإسلام نهى عن قتل الأطفال والنساء، بينما نجد أن نصف قتلى الفلسطينيين على يد إسرائيل من النساء والأطفال، كما أن الإسلام أمر بعدم قتل العزل والجرحى، ومعاملة الأسرى بكل رعاية، كما أمر برعاية المقدسات بينما نجد إسرائيل تقتل العزل وتمنع وصول المساعدات الطبية للإجهاز على الجرحى وتعزل الأسرى، وتنكل بهم، وتعتدى على المقدسات، بل وتحولها إلى ملهى كما حدث في يافا.

● الأستاذ الدكتور محمد سعيد البوطي «سوريا»:

إن الإسلام ليس به إرهاب، والغرب يعرف ذلك، ويعرف أنه دين العدالة الذى بنى أعظم حضارة استفاد منها الغربيون، المشكلة لا تكمن في أن هناك شيئا يجهله الغرب، ومن ثم فليس هناك داع أن نكرر الحديث عن صفات الإسلام، لأن المشكلة هي أن هناك خطة صهيونية تتكون من أمرين، الأول: إفشال المشروع «الأورو أسيوى» الذى يهدف إلى إيجاد تقارب بين أوروبا وآسيا، من خلال شبكة من الخطوط البرية السريعة، لأن هذا لو حدث سيمثل قوة اقتصادية هائلة ومتحررة من الشبكة الصهيونية، وأما الأمر الثانى، فهو القضاء على هذا المشروع أو أى مشروع متحرر من القبضة الصهيونية.

هناك خطوات لابد منها لنصرة الفلسطينيين، أولها مقاطعة إسرائيل وأمريكا وقطع دابر البذخ والترف من حياتنا اليومية وتوجيهه للفلسطينيين والدعاء لهم بالاستمرار.



المشير/ سوار الذهب

● المشير عبدالرحمن سوار الذهب «الرئيس الأسبق لجمهورية السودان»:

إننا نعيش الآن وضعا متأزما يملؤنا بالإحباط، خاصة وأننا نرى أمما أخرى مثل البرلمان الأوروبى، يعاقب إسرائيل بعقوبات اقتصادية، فى حين لم يتحرك العالم العربى والإسلامى، على الأقل بنفس تلك الخطوات. ولهذا ندعو إلى أن تتوحد الأمة العربية، ولا نقصد بذلك الجيوش، وإنما الموقف والكلمة والعمل.

● الأستاذ الدكتور/ عبدالمحسن بن عبدالله التركى «أمين عام رابطة العالم الإسلامى»: إننا فى أزمة يتعرض فيها الإسلام إلى هجمة شرسة، وهذا يتطلب عدم الاكتفاء بتوجيه الخطاب للمسلمين فقط، بل للأمم الأخرى لتوضيح أن الإسلام هو رسالة إلهية ختم الله بها الرسالات، وهو دين العدل والرحمة، حتى مع غير المسلمين. فخطاب الأمة الإسلامية فى داخلها أمر ضرورى لإصلاح وحل كل المشكلات، لأنه كلما بعد المسلمون عن رسالتهم ظهرت الانحرافات.

إن الهجوم اليوم على الإسلام ليس أمرا جديدا، وإن التحديات التى ظهرت بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١م يمكن معالجتها من خلال تشخيص واقع الأمة الإسلامية من خلال رؤية واقعية، والعمل على إصلاح الواقع الداخلى لها، والتعاون بين المسئولين والعلماء، وتنشيط المراكز والجمعيات الإسلامية وفق منهج الوسطية الإسلامى.

● الشيخ محمد كمال الدين جعيط «مفتى تونس»:

إن الأحداث الجسام التى يمر بها عالمنا اليوم أدت إلى قيام تكتل واسع بزعامة الولايات المتحدة، غايته محاربة الإرهاب، وفى نفس الوقت توجهت أصابع الاتهام بغير دليل إلى المسلمين عامة، وزادت الدعوة إلى محاربة الإسلام، كما تم ترويج مفاهيم خاطئة ألصقت بهذا الدين، لذلك أصبح لزاما على العلماء أن يتصدوا لهذه الشبهات.

● المستشار على عبدالرحمن آل هاشم «مستشار الشئون القضائية والدينية بدولة الإمارات العربية المتحدة»: إن السلام فى تعاليم الإسلام ضرورة من ضرورات الحياة الحرة الكريمة بين أجناس البشر، وفى الوقت نفسه، فالإسلام يمقت البغى ويحارب العنف ولقد دعا الله - تعالى - رسوله ﷺ إلى إيثار السلام، ثم كفل له النصر والتأييد إذا فكر أحد فى خصومته.

إن الله بعث المسيح عيسى بن مريم بالرحمة، وجعل فى قلوب أتباعه الرأفة، ومن ثم فإن من يوقدون نار الفتنة والحروب متسترين وراء الصليب فى زحف صليبى عارم لغزو الشرق ونهب ثرواته وهؤلاء ليسوا من أتباع عيسى - عليه السلام - بل هم مدعون كاذبون.

تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال الله - تعالى - :

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

البقرة : ٢٣٤

وقوله: ﴿ يُتَوَفَّوْنَ ﴾ - بالبناء للمجهول - أى تقبض أرواحهم فإن التوفى هو القبض. يقال: توفيت مالى من فلان واستوفيته منه أى قبضته وأخذته. قال - تعالى -: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾[1] أى يقبض الأنفس ويأخذها إليه بالموت حين انتهاء آجالها.

والمعنى: والذين يتوفاهم الله - تعالى - منكم - أيها المسلمون - ويتركون من خلفهم أزواجا. فعلى هؤلاء الأزواج اللائى ارتبطن برجالهم ارتباطا قويا متينا ثم فرق الموت بينهم وبينهن، عليهن أن

(١) سورة الزمر: (٤٢).

﴿ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾.

أى: عليهن أن ينتظرن انقضاء عدتهن فيحبسن أنفسهن عن الزواج وعن التزين وعن التعرض للخطاب مدة أربعة أشهر وعشر ليال، وفاء لحق الزوج المتوفى، واستبراء للرحم.

قال الإمام ابن كثير ما ملخصه: هذا أمر من الله - تعالى - للنساء اللاتى يتوفى عنهن أزواجهن أن يعتددن أربعة أشهر وعشر ليال. وهذا الحكم يشمل الزوجات المدخول بهن وغير المدخول بالإجماع، ومستند هذا الإجماع فى غير المدخول بها عموم الآية الكريمة، وهذا الحديث الذى رواه الإمام أحمد وأهل السنن وصححه الترمذى أن ابن مسعود سئل عن رجل تزوج امرأة فمات عنها ولم يدخل بها ولم يفرض لها فقال: أقول فيها برأيى فإن يك صوابا فمن الله، وإن يك خطأ فمنى ومن الشيطان. والله - تعالى - ورسوله بريئان منه: لها الصداق كاملا.

وفى لفظ: لها صداق مثلها لا وكس ولا شطط وعليها العدة ولها الميراث. فقام معقل بن يسار فقال: سمعت رسول الله ﷺ قضى به فى بروع بنت واشق. ففرح عبدالله بذلك فرحا شديدا. ولا يخرج من ذلك إلا المتوفى عنها زوجها وهى حامل فإن عدتها بوضع الحمل لعموم قوله - تعالى -:

﴿ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾(٢)

وكان ابن عباس يرى أن عليها أن تتربص بأبعد الأجلين من الوضع أو أربعة أشهر وعشرة أيام للجمع بين الآيتين»(٣).

وقوله:

﴿ وَٱلَّذِينَ ﴾ اسم موصول مبتدأ.

و ﴿ يُتَوَفَّوْنَ ﴾ صلته، و ﴿ مِنكُمْ ﴾ فى موضع النصب على الحال من الواو فى:

﴿ يُتَوَفَّوْنَ ﴾ و ﴿ يَتَرَبَّصْنَ ﴾ وما بعده خبر عن الذين والرابط محذوف والتقدير: يتربصن بعدهم أربعة أشهر وعشرا.

والتعبير بقوله: ﴿ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ﴾ تعبير دقيق حكيم أى: عليهن أن يمتنعن أنفسهن عن النكاح وعن التزين وعن الخروج من منزل الزوجية - إلا إذا كانت هناك ضرورة لهذا الخروج - مدة أربعة أشهر وعشرة أيام، وذلك لأن المرأة المؤمنة الوفية يأبى عليها دينها ووفاؤها لزوجها المتوفى عنها، أن تعرض نفسها على غيره بعد فترة قصيرة من وفاته، فإن هذا أمر مستهجن فى شرع الله وفى عرف العقلاء من الناس. إذ هذه المدة التى جاءت فى الآية التى حددها الله - تعالى - لمعرفة براءة الرحم من الحمل، وهى التى تخف فيها مرارة الفراق بين زوجين ربط الله بينهما برابطة المودة والرحمة.

ولقد ألغى الإسلام بهذا التشريع عادات جاهلية ظالمة للمرأة فقد كانت المرأة فى الجاهلية إذا توفى عنها زوجها تغلق على نفسها مكانا ضيقا فى بيتها وتقضى فيه عاما كاملاً حداداً على زوجها فأبطل الإسلام

---

(٢) سورة الطلاق (٤).

(٣) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٢٨٤.

ذلك، ومن الأحاديث التي وردت في هذا المعنى ما ثبت في الصحيحين عن أم حبيبة وزينب بنت جحش - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا».

والإحداد هو ترك الزينة، وعدم التعرض للخطاب، وعدم الخروج من منزل الزوجية إلا لضرورة. وفي الصحيحين أيضا عن أم سلمة أن امرأة قالت: يا رسول الله إن ابنتي توفي عنها زوجها وقد اشتكت عينها أفنكحل؟ فقال: «لا - مرتين أو ثلاثا - ثم قال: إنما هي أربعة أشهر وعشر وقد كانت إحداكن في الجاهلية تمكث سنة».

قال ابن كثير بعد أن ساق هذين الحديثين «قالت زينب بنت أم سلمة: كانت المرأة إذا توفي عنها زوجها دخلت حفشا - أي مكانا ضيقا من البيت - ولبست شر ثيابها ولم تمس طيبا ولا شيئا حتى تمر سنة»(١).

وقال بعض العلماء: وقد حد الشارع للمتوفى عنها زوجها عدة هي في جملتها أكثر من عدة المطلقات، لأن تلك ثلاثة قروء تجيء عادة في نحو ثلاثة أشهر. وهنا يرد سؤالان:

أولهما: لماذا كانت العدة في المتوفى عنها زوجها بالأشهر دون الحيض فلم تجعل أربع حيضات بدل ثلاث؟ ولماذا كانت الزيادة؟ ولم نجد أحدا تصدى لبيان الحكمة في جعلها بالأشهر، ويبدو لنا أن الحكمة التي تدركها عقولنا - وإن كانت الحكمة السامية قد تعلو على مداركنا: هي أن عدة الوفاة تكون للمدخول بها وغير المدخول بها وللصغيرة والكبيرة، والأساس فيها هو الحداد على الزواج السابق الذي انتهى بوفاة أحد ركنيه، فلزم أن يكون بأمر يشترك فيه الجميع مادام السبب واحدا في الجميع. وفوق ذلك أن العدة في الوفاة لو قدرت بالحيض وهو أمر لا يعلم إلا من جهة المرأة، فربما تدفعها الرغبة في الزواج إلى الكذب فتدعيه وهو لم يقع، وفي المطلقات العدة حق للمطلق فيستطيع أن ينكر عليها، أما في حال الوفاة فصاحب الحق الأول قد مات وصار الحق لله خالصا. فحدد ذلك الحق بالأشهر والأيام حتى لايكون مساغا للكذب وادعاء مالم يحصل، لأن الأيام والأشهر تعرف بالكتاب والحساب وليست أمرا يعرف من جهتها فقط.

أما الجواب عن الأمر الثاني وهو: لماذا كانت العدة بالوفاة أكثر في الجملة من العدة الناشئة عن الطلاق؟ فيبدو بادئ الرأي من الفرق بين حال الطلاق وحال الوفاة أن الطلاق نتيجة شقاق.

فالحداد على الزوج الذي ينشئه ليس قويا، ومعنى براءة الرحم وإعطاء الزوج فرصة للرجعة يكون أوضح في معنى العدة، ويكفي لذلك نحو ثلاثة أشهر. أما حال الموت فمرارة الفراق فيها أوضح وأشد، ومعنى الحداد فيها

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٦ ص ١٨٥.

يغلب معنى براءة الرحم، ولذا تجب على المدخول بها وغير المدخول بها، وإن الشارع قد جعلها لذلك أطول من عدة الطلاق.

وقد يرد سؤال ثالث وهو: لماذا حددت العدة بأربعة أشهر وعشر؟ وإن تقدير الأعداد كما يقرر الفقهاء أمر توقيفي خالص لا يجرى فيه القياس ولكن ليس معنى ذلك انه لا حكمة فيه، وان الحكمة يقررها العلماء فى أمرين:

أولهما: ان الأشهر الأربعة هي التي يظهر فيها الحمل ويستبين، وقد جعلت العشر بعدها للاحتياط.

وثانيهما: أن مدة أربعة الأشهر هى المدة التى قررها الشارع أقصى مدة للحرمان من الرجال. ولذلك جعل الإيلاء مدته أربعة أشهر.. فكان من التنسيق بين الأحكام الشرعية أن تجعل مدة الإحداد على الزوج فى حدود هذه المدة ومقاربة لها فى الجملة(٥).

وقوله:

﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾

بيان لما يترتب على انتهاء المدة التى حددها الشرع للمرأة التى مات عنها زوجها. أى: فإذا انتهت المدة التى حددها الشرع للمرأة التى مات عنها زوجها لتتجنب فيها التزين والتعرض للنكاح. فلا حرج عليكم بعد ذلك أيها المسلمون أو أيها الأولياء - فى ترك هؤلاء الزوجات الأرامل يفعلن فى أنفسهن ما تفعله المرأة الراغبة فى الزواج من التزين والتجمل ولكن بالطريقة التى يقرها الشرع، وترضاها العقول السليمة، والأخلاق المستقيمة.

وقوله: ﴿ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ متعلق بفعلن، أو حال من النون أى حالة كونهن متلبسات بالمعروف ومفهومه أنهن لو خرجن عن المعروف شرعا بأن تبرجن وأظهرن ما أمر الله بستره فإنه فى هذه الحالة يجب على أوليائهن أن يمنعوهن من ذلك.

ثم ختم - سبحانه - الآية بقوله:

﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ أى انه محيط بدقائق أعمالكم لا يخفى عليه منها شيء فإذا وقفتم أنتم وتساؤكم عند حدوده أسعدكم فى الدنيا وأجزل مثوبتكم فى الآخرة، وإن تجاوزتم حدوده عاقبكم بما تستحقون

﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾(٦)

وبذلك نرى الآية الكريمة قد رسمت للناس أفضل وسائل الحياة الشريفة، فأرشدت المرأة التى مات عنها زوجها إلى ما يحفظ لها كرامتها، ويدفع عنها ما يتنافى مع العفة والشرف والوفاء.

(٥) تفسير الآية الكريمة لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد أبو زهرة مجلة «لواء الإسلام» العدد الثامن السنة السادسة سنة ١٩٥٢.

(٦) سورة الشعراء: (٨٨، ٨٩).

توجيهات تربوية من القرآن الكريم

للأستاذ / محمد مصطفى البسيوني

فيما يروى عن خاتم النبيين ﷺ حديث يردده المسلمون كل يوم من فوق المنابر، وفى أنهار الصحف، يتغنون به فى ترنم وتنغيم، دون أن يتعدى الشفاه إلى القلوب أو يتخطى آفاق الأقوال إلى ساحات الأعمال.

ذلكم هو الحديث الشريف الذى يقول: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً: كتاب الله وسنتى»[1]. بل لقد صار هذا المعنى النبوى الهادى أنشودة مطربة يحملها الأثير عبر المذياع أحياناً، أو التلفاز أحياناً أخرى متمثلاً فى بيت من إسلاميات «شوقى» يصف فيه منذ ما يقرب من قرن من الزمان ما آلت إليه أحوال المسلمين:

بأيمانهم نوران: ذكرٌ وسنة ... فما بالهم فى حالك الظلمات؟

وكأن مسلمى هذا العصر قد ابتلوا بداء الكلام ثم لم يهتدوا بعدُ إلى دواء العمل الجاد الواعى الذى أراده لهم دينهم الحنيف.

ونحن الآن بصدد بعض ما جاء فى كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

فإن المتدبر لكتاب الله - عز وجل - والمتأمل فيه ليجد من بين آياته البينات دستوراً هاديا للشباب فى كل زمان ومكان يتمثل فى وصايا الحكيم لقمان لولده وهو يعظه، وإنه لدستور يتألف من مواد حكيمة وضوابط محكمة يتصل بعضها ببعض فى نظام سماوى عظيم وسياق ربانى قويم.

---

(1) موطأ مالك (٨٩٩).

وهذه العظة القرآنية الهادية معين لا ينضب ينبغي على المربين أن ينهلوا منه ما شاءوا حين يريدون أن يتعرفوا على الطريقة المثلى للدعوة إلى الحق، ويمكن للشباب أن يتأسّوا به حين يريدون أن يستووا على الصراط المستقيم.

ولسنا في مجال عرض سيرة ذلك الرجل الصالح الذي تروي بعض كتب التفسير عنه أنه خُيّر بين النبوّة، والحكمة فاختار الحكمة، ويكفينا هنا أن نحاول تذوق وصاياه الإنسانية الخالدة لولده، ونعرضها ـ قدر الطاقة ـ أمام شبابنا المعاصر الحائر، لعله يهتدي بها نبراساً وضياء ينتشله من دوامة التيارات المتصارعة التي تحيط به من كل مكان.

ولئن كانت هذه الوصايا قد صدرت عن لقمان إلا أن ذكرها في كتاب الله المجيد يدخلها ضمن التوجيهات القرآنية التي يسوقها القرآن إلى الناس كافة في كل زمان وفي كل مكان، ومن ثمة فما أحرانا بمدارستها بل ما أجدرنا بممارستها، والإلحاح عليها الإلحاح كله بين أبنائنا وبناتنا في هذا العصر المادي العجيب الذي أصبحت فيه القيم الأخلاقية الأصيلة أشبه بالعاديات الدارسة التي ينفض عنها الناس الغبار بين حين وآخر ليعرضوها ـ على أحسن الفروض ـ في متحف قديم يرتاده هواة التحف، وعشاق «الأنتيكات» للتسلية والتسرية، دون التأسي والاقتداء.. حتى لقد جرفت المادية القاتلة ـ أو كادت باسم العلم البرىء ـ كل المعنويات الرفيعة، والأخلاقيات المثبعة.

وأخطر ما نتج عن ذلك من عواقب أثيمة، ونتائج أليمة ما نرى عليه كثيراً من الشباب التائه اليوم بين انحراف التطرف وانحراف التخدّر، ومتاهات التمزق والضياع.

ألا يلفتنا هذا إلى وصايا لقمان في القرآن الكريم فنطعمها منا موضع التذكر الدقيق، والتدبر العميق؟

إن الوالد عندما يعظ ولده فإنما هي العظة الخالصة، والنصيحة المخلصة النابعة من الكبد إلى فلذته، ومن القلب إلى سويدائه ومن العين إلى إنسانها.. وهي ـ إلى هذا ـ ثمرة التجربة الحية، والخبرة النقية يغذوها الوالد ولده شهية سائغة غنية بعناصر الحياة والنماء.

وليس شك في أن مثل هذه النصيحة الأبوية المجردة سُداها الصدق المحض، ولُحمتها الأمانة الحقة لأنها صادرة عن والديّة مفطورة، وحنو مطبوع.

وناهيك بالوالد الذي آتاه الله الحكمة إصابة في القول وصدقاً في العمل وهو يعظ ابنه، لا شك في أنه يغذوه مزاجا شهيا من حنكة العمر، ودقة الفكر، وثراء التجربة، وهكذا كان لقمان..

أنظر إلى قول الله ـ عز وجل:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾(٢).

ثم تأمل كيف تتضمن الحكمة شكر الله عليها، وكيف يكون الكفر مقابلاً للشكر؟ ألا تذكر قول الله ـ تعالى ـ:

---

(٢) لقمان (١٢).

﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾(٣).

إن من البداهة الساطعة أن يعزو الحكيم النعمة للمنعم، وأن يعترف بالهبة للوهاب وإلا فقد الحكمة وسار مسار «قارون» الذى لم يعرف الفضل لعالم الغيب والشهادة ولم ينسب العلم لواهبه العلام فانتحل العلم لنفسه عندما سئل عن ماله فأجاب فى صلف وغرور

﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ﴾(٤) وإذا بالقرآن الكريم يرد عليه فى رد مفحم مبين:

﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ﴾(٥).

عجباً ألم ﴿ يَعْلَمْ ﴾ مدعى «العلم» بالنهاية المهلكة لأسلافه الهالكين؟

وكما يرفض المنطق السليم أن يجتمع العلم وادعاؤه فى آن، فإنه كذلك يأبى أن تلتقى الحكمة والكفران.

وليس من شك فى أن لقمان كان أحرى بشكر الله - سبحانه وتعالى - على نعمة الحكمة التى آتاه إياها، ولعل من صور هذا الشكر أن يبادر الرجل إلى نفع غيره من هذه الحكمة التى هى أقرب إلى التكليف منها إلى التشريف؟ فشرع ينقل ثمار حكمته الطيبة إلى ولده، أحب الناس إليه، وأقربهم منه وأولى الناس بالاستجابة له.. وإن صاحب الرسالة دائما ليتوق إلى أن تفضىء رسالته للأقربين من ولده وعشيرته عليهم يكونون له معوانا على السير بهذا الضياء إلى الآخرين.

أولم يخاطب الله - سبحانه وتعالى - رسوله الكريم بقوله: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾(٦)

ولعل لقمان كان يريد أن يصبح ولده مثلاً سلوكيا يحتذى لحكمة أبيه؟ ينقل إلى الناس بسلوكه القويم، ما لقنه أبوه من فكره الحكيم..

يقول لقمان لابنه:

﴿ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾(٧)

فما أجمل.. وما أجل!! أن يستهل الحكيم حديثه بنداء «يا بنى» فيستحضر عند ولده الرباط الدموى والروحى المتين الذى يصل الوالد بولده، وكذلك يعالج بقوله هذا اللين الرقيق ما قد يُصيب الولد من نفور عنيد ينأى به عن النصح الرشيد..

ولئن طُلب الاستهلال اللين فى حديث موسى الكليم مع فرعون الطاغية:

﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾(٨).

فإن هذا اللين أحرى بأن يكون التمهيد الطبيعى الحانى للتوجيه الأبوى الرحيم..

وما أجل أن يبدأ لقمان وصاياه لابنه بالوصية العظمى والموعظة الكبرى وهى روح العقيدة

---

(٣) إبراهيم (٧).
(٤) القصص (٧٨).
(٥) القصص (٧٨).
(٦) الشعراء ٢١٤).
(٧) لقمان (١٣).
(٨) طه (٤٤).

ولبها، فيحثه على التوحيد الذي سمي أحياناً «مفتاح المفاتيح» من آمن به آمن بكل ما يترتب عليه من شئون الدنيا والآخرة حيث يستشعر في أعماقه العبودية لله وحده الواحد الأحد فيستقيم أمره ويستوى سلوكه، وكلما ازدادت عبوديته لله وحده ازدادت سيادته على الناس جميعاً.

وعلينا أن نتأمل بعد ذلك اقتران عبادة الله والإيمان به بذكر الوالدين والأمر بالإحسان إليهما..

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾(٩)

وهو أمر أكده القرآن في آيات أخرى كما نجد في سور البقرة والنساء والأنعام.

كما قرر القرآن الكريم أهمية إحسان المرء إلى والديه وإسداء المعروف إليهما في الدنيا بالخلق الكريم والحلم النبيل حتى وإن بذلا معه الجهد الجهيد لحمله على الشرك بالله - عز وجل - لأن الدنيا إن هي إلا رحلة قصيرة على الأرض لا تؤثر في الحقيقة الأصيلة الخالدة ولأن الحساب على هذا ليس من شأن المرء ولكنه من أمر الله يوم القيامة حيث يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه.

﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(١٠).

وهنا تتبين تقديم التوحيد على شكر الوالدين، لأن صلة الروح أقوى من صلة النسب والدم..

ويواصل الوالد الحكيم استمالة ولده إليه بإبداء حدبه عليه، وهو يدعوه مرة أخرى ﴿ يَٰبُنَىَّ ﴾ ثم يثير انتباهه في قوة وعمق إلى تقوى الله في السر والعلن لأنها:

﴿ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾(١١)

وكأنه يحذره من اعوجاج العقيدة وسوء النية والتواء الطريق.. ﴿ يَٰبُنَىَّ ﴾ هكذا يعود الأب الداعي إلى دعوة ابنه الحبيب بالنداء الرطيب الذي يفيض عطفاً ورحمة يناديه به في تكرار متعمد، وإلحاح مقصود، ويأمره بإقامة الصلاة وأدائها كما ينبغي أن تؤدى كلقاء نوراني متجدد بين العبد الموحّد وربه الواحد مما يجدد طاقته النورانية ويمنحه الدفعة إثر الدفعة إلى تحرى الصدق مع الله، ومن الناس فيحثهم على المعروف ويأمرهم به، وينفرهم من المنكر وينهاهم عنه ذلك لأن العبد الذي يقف في صلاته بين يدى ربه في خشوع عميق وخضوع خالص يعيش بين الناس، وقد صار كالميزان الدقيق الحساس الذي يستشعر مواطن الخلل في قومه، ومزالق الزلل في عشيرته مما يدفعه - في دأب وإصرار - إلى إسداء النصح والإرشاد أملاً في رجوع الخلق إلى ميزان الحق رحمة بهم ودعماً للطريق المستقيم.

---

(٩) لقمان (١٤).
(١٠) لقمان (١٥).
(١١) لقمان (١٦).

وهو قبل هذا وبعد هذا عليه أن يصدق نفسه فيكون القدوة الناطقة والأسوة الصادقة فلا يأمر الناس بالبر وينسى نفسه، ولاينهى عن شيء ويأتي مثله، وليس شك في أن هذا يحتاج من المربي إلى مجاهدة للنفس أي مجاهدة، وارتقاء بالذات أي ارتقاء، واصطبار على الناس أي اصطبار.. إن ذلك من عزم الأمور:

﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾(١٢).

ولهذا تفيض حكمة الأب وهو يعظ ولده فيمس أدق الأمور السلوكية التي ينبغي أن يتحلى بها الابن في حياته بين الناس وحسن استخدامه لأنعم الله عليه لأن حمد المنعم لا يتم على وجهه إلا بحسن استخدام النعم فيما خُلقت له. فنعمة العلم لايمنحها الخالق للعالم لكي يتطاول بها على خلقه، ونعمة المشي لم تُهيأ للإنسان لكي يدك الأرض بقدميه وهو يعلم أنه لن يخرق الأرض ولن يبلغ الجبال طولا، ونعمة الكلام لم تيسر لصاحبها لكي يحولها إلى صراخ وصياح يؤذي بها خلق الله.

وكم نرجو للشباب في هذا المجال أن يتدبر نصائح لقمان الهادية لولده عندما يحثه على الالتزام بآداب السلوك فيهيب به ألا يلوي عنقه ـ كالإبل المصابة بداء الصعر (١٣) ـ عتوا وتيها واستكبارا، وألا يرفع صوته في صخب ممقوت إذ لو كان الصوت المرتفع مرغوبا فيه لكان أولى بهذا صوت الحمار الذي هو أقبح الأصوات وأكثرها إزعاجاً. ألا ترى أنه يبدأ بالزفير وينتهي بالشهيق؟؟(١٤) إن أقرب ما يدل عليه ارتفاع الصوت وحدته هو أن صاحبه قد فقد الثقة في نفسه، وفي حجته، وهو يغطي هذا بقوة حنجرته فيرفع عقيرته في غلظة منفرة، وزعاق مقيت، ولو كان قوي الحجة، واضح اليقين، سديد البرهان، إذن لخاطب الناس في نبرات مهذبة وقرائن مرتبة تنطق بالحق في سكينة واطمئنان.

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾(١٥).

وإننا لفي عجب شديد حيث نرى بين أيدينا دستورا ساقه الله لنا رحمة بنا، وراحة لنا، لكي نربي أبناءنا وفق هداه، ثم نسعى ـ في عناد شديد، وعنت جهيد ـ لابتكار دساتير «شبابية» أخرى وضعية لا تقيم المعوج، ولاتهدي الضال، جاهلين ومتجاهلين توجيه الخالق الذي هو أعلم بخلقه، وأدرى بصنعته:

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾(١٦).

ألا تلفتنا أحوال شبابنا اليوم إلى رعايتهم وهدايتهم وفق ما أراد الله.

---

(١٢) لقمان (١٧). (١٣) الصعر: داء يصيب البعير يلوي منه عنقه.

(١٤) يروى أن البدء بالزفير والانتهاء بالشهيق هو من صوت أهل النار، وعن سفيان الثوري - رضي الله عنه - أن صياح كل شيء تسبيح إلا الحمار فإنه يصيح لرؤية الشيطان ولذلك سماه الله - عز وجل - منكراً «النسفي».

(١٥) لقمان (١٨، ١٩). (١٦) الملك (١٤).

من طاعة الله وعبادته تحليل الطيبات وتحريم الخبائث

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

قال الله تعالى:

﴿ يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون (172) إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم ﴾(1).

فى الآيات السابقة لهاتين الآيتين، وجه القرآن الكريم دعوته للناس جميعا أن يستمتعوا بما فى الأرض من الحلال الطيب ونهاهم عن اتباع خطوات الشيطان إلا أن جماعة من هؤلاء لم يستمعوا إلى دعوة الله ولم يهتدوا بهديه، وإنما اتبعوا ما وجدوا آباءهم عليه دون تمييز بين الطيب والخبيث، والحلال والحرام، قال تعالى:

﴿ يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين (168) إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون (169) وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون (170) ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون ﴾(2).

(1) سورة البقرة (172 ، 173).

(2) سورة البقرة (168 : 171).

بعد ما وجه الدعوة السابقة إلى الناس عامة، وجه الدعوة إلى المؤمنين وحدهم، وقد ناداهم بالوصف القائم فيهم وهو وصف الإيمان الذى يقتضى أن يستجيب له المؤمن، وأن يكون مهتديا بهدى الله، بعيدا عما حرم الله، وأن ينتبه المؤمن بعد بيان ما سبق، فلا يلتفت إلى ما كان عليه لم يجد؟ قال: يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق قال: أرأيت أولئك العاصون الحمقى الذين أحل الله لهم خيرات الأرض وطيباتها، ولكنهم أحلوا بعضها وحرموا بعضها وهنا جاء الأمر بأكل الطيبات بعد بيان أحوال أولئك ليأكل المؤمنون من طيبات ما أحل الله ولا يضيقوا على أنفسهم كما ضيق أولئك.

وإن هذا الأمر الذى أمر الله ـ تعالى ـ به المؤمنين من الأكل من الطيبات، قد أمر به أيضا المرسلين ـ عليهم السلام ـ عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾[3]

قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام، وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك[4]، والطيبات: هى التى يستلذ بها الناس ويستطيبونها من الحلال ويقول الرازى فى تفسيره الطيب فى الأصل هو ما يستلذ به ويستطاب، ويوصف به الطاهر والحلال على جهة التشبيه، لأن النجس تكرهه النفس فلا تستلذه، والحرام غير مستلذ لأن الشرع يزجر عنه وفى بيان الرسول ﷺ أن الله وجه الأمر إلى رسله كما وجهه للمؤمنين بالأكل من الطيبات، فى هذا البيان ما يشير إلى أهمية الحرص على الطيبات وأنه أمر من الأهمية بمكان بحيث يجب على المؤمنين أن يحرصوا عليه غاية الحرص، ولذا فإن الأمر به جاء قبل الأمر بعمل الصالحات قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾.

وأن المال الطيب والأكل من الحلال يكون سببا للعمل الطيب وقبوله عند الله ـ تعالى ـ والمال الحرام، والأكل منه يورث العمل الخبيث ولا يقبل لصاحبه عمل ما.

وقد روى أن سعد بن أبى وقاص قال: يا رسول الله أدع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة فقال النبى ﷺ: «يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة، والذى نفس محمد بيده أن العبد يقذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل الله منه عملا أربعين يوما، وأيما عبد نبت لحمه من سحت ـ أى حرام ـ فالنار أولى به»[5].

---

(3) سورة المؤمنون (51).

(4) أخرجه أحمد 2/328.

(5) مجمع الزوائد 10/291.

بل إنه لو تقرب إلى الله أو تصدق بالمال الحرام فإنه لا يقبل من صاحبه، ففي الحديث: «من أصاب مالا من مأثم فوصل به رحمه أو تصدق به، أو انفقه في سبيل الله، جمع ذلك جميعاً ثم قذف به في نار جهنم»[٦].

وقال ﷺ: (لا تقبل صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول)[٧] وفي قوله تعالى:

﴿ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ ﴾ التفات من ضمير المتكلم إلى الغيبة فلو جرى الحديث على الأسلوب الأول في التكلم لقال واشكرونا، ولكنه التفت ليصرح باسم الله ـ تعالى ـ لتربية المهابة، وشكر الله ـ تعالى ـ على نعمه عبادة أمر بها الله ـ تعالى ـ في قوله:

﴿ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ ﴾ وقوله:

﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾[٨]

والشكر طريق لزيادة النعمة، قال سبحانه:

﴿ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ ﴾[٩]. وطريق أيضا لرضاء الله على الإنسان وفيما رواه الإمام مسلم بسنده عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها) وفي قوله تعالى:

﴿ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾ بيان من الله ـ تعالى ـ بأن شكر الله عبادة، فإن الله يعلم أنهم يعبدونه، وهم بالفعل يعبدونه فبين بقوله:

﴿ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾ أن شكر الله صاحب الفضل والإنعام على نعمه ورزقه وإباحة الطيبات من أهم وسائل العبادة، كما أن هذه العبادة كما يقول الألوسي: بمنزلة التعليل لطلب الشكر كأنه قيل: واشكروا له لأنكم تخصونه بالعبادة، وتخصيصكم إياه بالعبادة يدل على أنكم تريدون عبادة كاملة تليق بكبريائه وهي لا تتم إلا بالشكر، لأنه من أجل العبادات، ولذا جعل نصف الإيمان وورد من حديث أبي الدرداء مرفوعا: يقول الله ـ تعالى ـ: (إني والإنس والجن في نبأ عظيم أخلق ويعبد غيري وأرزق ويشكر غيري ......) وبعد أن ذكر الطيبات وأمر بالأكل منها بين أنواعا من الحرام فقال:

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ ﴾

وقد جاء التعبير هنا بصيغة القصر التي تفيد حصر الحرمة في الأمور المذكورة مع العلم بأن هناك أموراً محرمة أخرى، وذلك

(٦) إتحاف السادة المتقين ٦/٩.

(٧) مجمع الزوائد ١/٢٢٧.

(٨) سورة البقرة (١٥٢).

(٩) سورة إبراهيم (٧).

لرد اعتقادهم أن هذه الأشياء حلال وهو رد بأبلغ وجه وأقوى صورة مؤكدة، فالحصر مقيد بما اعتقدوه حلالاً بقرينة أنهم كانوا يستحلون ما ذكر.

وهذه الأمور المحرمة منها ما كان تحريمه لعلة فيه، وسبب منع حله ومنها ما كان تحريمه لغير علة فيه فالميتة والدم ولحم الخنزير معروف أن الميتة والدم تأباهما النفوس السليمة واستثنى من الميتة السمك والجراد للحديث الذى أخرجه ابن ماجة والحاكم من حديث ابن عمر - رضى الله تعالى عنه - «أحلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال» وقد ألحق بالميتة أيضاً ما قطع من حى للحديث الذى أخرجه أبو داود والترمذى عن أبى واقد الليثى قال: قال رسول الله ﷺ: «ما قطع من البهيمة وهى حية فهى ميتة» والدم وقيد فى سورة الأنعام بالمسفوح وخص لحم الخنزير مع أن سائر جنسه حرام لأن معظم ما يؤكل من الحيوان هو اللحم وباقى أجزائه تابعة له ويدل - أيضاً - على أن عين الخنزير حرام سواء ذكى أم لم يذك هذا وقد اكتشف العلم الحديث أن بالخنزير بعض الديدان الشديدة الخطورة وقد سبق القرآن العلم الحديث إذ حرم الخنزير فى أوائل القرن الهجرى الأول وشريعة لها هذا السبق لجديرة بالثقة بها وتحريم ما حرمته وتحليل ما حللته وأما النوع الثاني وهو ما كان محرما بسبب التوجه به لغير الله وهذا السبب روحى يجافى سلامة العقيدة والاتجاه لله الواحد وهو المذكور فى قوله تعالى:

﴿ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ﴾ ومع هذا فإن شريعة الإسلام عرفت باليسر والسماحة وجعلت الضرورات تبيح المحظورات فأحلت لمن اضطر لهذه المحرمات أن يأكل منها بالقدر الذى تنتفى معه بالضرورة دون أن يتجاوزها أو يتعدى حدودها:

﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾.

فالدين يسر لا عسر قال تعالى:

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾(١٠).

ولذا ختم الآية بقوله:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ومن رحمته أنه أسقط الحرمة ورخص فى تناول هذه الأمور وقت الضرورة وهذه الأمور كانت محرمة فى التوراة إلا أن اليهود كتموا الآيات الدالة على تحريم بعضها رغبة منهم فى كسب مادى هو فى زعمهم كثير ولكنه عند الله قليل ولذا عقبت الآيات على ما سبق ببيان أنهم صائرون إلى النار وكان ما يأكلونه هو نار فى بطونهم.

---

(١٠) سورة الحج (٧٨).

مواقف إسلامية

من ملامح المنهج الإسلامى فى الدعوة

للأستاذ الدكتور / محمود محمد عمارة

كان صلح الحديبية - بعون الله تعالى - فتحا بينا.. هيأ به سبحانه الظروف لتنطلق الدعوة عبر الحدود.. ناشرة ظلها على الدنيا كلها.. فكان أن كتب ﷺ إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى الإسلام.. فى إطار من الحكمة والموعظة الحسنة عز نظيره.

وإذا كانت مواقف الأمراء قد تباينت.. فإن موقف المقوقس فى مصر.. كان من أبرز المواقف التى كشفت عن لون من الحوار اتسم بالحكمة والمودة كرد فعل لدعوة وافته على جناحين من المودة والمرحمة.. فاض بهما قلب الرسول بما طبع عليه من رأفة ورحمة.. صادفت قلوباً رحبة كواديها الرحيب الخصيب، قلوباً تؤمن حين تؤمن على نحو تزول الجبال ولا يزول إيمانها فإذا لم يحن إيمانها.. كانت عند حسن الظن بها، كريمة فى ضيافتها حكيمة فى ردها.

ولقد وقع اختياره ﷺ على «حاطب بن أبى بلتعة» ليكون سفيره إلى المقوقس.. والذى تسلم خطاب الرسول ﷺ ونصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط.

سلام على من اتبع الهدى: أما بعد:

فإنى أدعوك بدعاية الإسلام.. أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، وإن توليت فإنما عليك إثم القبط.

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾(١).

(١) آل عمران «٦٤».

فماذا في الرسالة من معان؟

إنها دعوة صادقة.. هادئة.. تحمل المفوقس مسئولية فردية واجتماعية.. مسئولية إسلامه.. وإسلام شعبه معه.

فإن هو أسلم.. فله ثوابه المضاعف.. وإلا.. فقد باء بالإثمين معا.. وتأتى الدعوة الكريمة مشمولة بالحكمة.. والمودة، لا تسمع فيها جلجلة الألفاظ.. ولا ترى فيها من زخرف البيان ما يخطف الأبصار، وإنما ترى.. وتسمع.. نداء الحق يفرض نفسه على المدعو.. بلا إثارة وبلا ترويق.. وذلك واضح من مضمون الرسالة والتى تطالعنا بما يلى:

١- ناداه ﷺ «بعظيم القبط» وما فى ذلك من تحبب وتلطف به ثم سلم عليه تسليما ينشئ فى قلبه الأنس.. ثم محاولة التجاوب مع مضمون الرسالة النبوية.

وهو درس فى الدعوة يلجأ فيه الداعى إلى الاعتراف مبدئيا أو مرحليا بموقع المدعو الذى هو حاكم البلاد فعلا.. ثم محاولة الصعود به إلى أفق أعلى.. وهو ما تكفلت ببيانه الآية الكريمة ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾.

٢- فقد خاطبت القبط بنداء حبيب لديهم هو: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾.

٣- وهم بحكم هذه الأهلية مدعوون إلى تأمل هذه الحقائق التى ضمت عليها الآية الكريمة.. والتى هى بلاشك موضع وفاق بين الراشدين من أتباع الرسل -أو هكذا ينبغى أن تكون- وهى:

أ- التوحيد: ﴿ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾.

ب- رفض الشرك ﴿ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا ﴾.

جـ- الاعتزاز بالكرامة الإنسانية.. فلا نتركها تذوب فى دوامة الطغيان والاستعباد ﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾.

٤- فإذا لم تحدث الاستجابة المطلوبة.. بل المتوقعة.. فقد أدى الدعاة واجب البلاغ.. وبلا صدام.. وتبقى من الأخوة بقية تجمعنا فيما يشبه التعايش السلمى: لكم دينكم.. ولى دين.

٥- ولا تخاطبهم الآية الكريمة قائلة: «فإن توليتم» لكنها تؤثر أسلوب الغائب «فإن تولوا» إشارة -والله تعالى أعلم بمراده- توحى بالبعد عن مواجهتهم بمعنى التولى والإعراض.. وما قد يثمره من إعراض قد يصدم إحساس القوم.. فتتوقف قنوات الاتصال.

٦- ثم تؤثر الآية الكريمة التعبير بالحرف «إن» وما تفيده من شك فى التولى عن دعوة هذا شأنها.. فلعل فى هذا تحريضا على الإيمان.

٧- ولو حدث وتولوا.. فما علينا بعد أن أدينا واجبنا.. والمطلوب فقط: أن ينصفونا من أنفسهم بالشهادة بأنا قد بلغنا.. ليتحملوا وحدهم نتيجة الإعراض.

٨- فإذا أضفنا إلى ذلك كله أن الآية مدنية: أعنى أنها نزلت يوم أن كان للإسلام دولة وجيش ونظام.. ومع ذلك لم تبح

للمسلمين فرض عقيدتهم بالقوة.. تبين لنا كيف أن الإسلام من القوة بحيث لا يفرض نفسه بالقوة.. وإنما ينتصر دائما بقواه الذاتية.. وبها يشق طريقه عبر المستقبل.

وتبقى قوة السلاح.. مرصودة: إرهابا للعدو.. وتأديبا له إذا دعا للجهاد داع.

من ثمار الحكمة

وقد وجد المقوقس نفسه أمام رسول كريم: يعرض الحقائق فى ثقة وبساطة.. وعمق.. ووضوح.

ولما لم يجد للتجريح ظلا فى الرسالة النبوية سأل حاطبا - رضى الله عنه - عن السر فى تنزهه ﷺ عما ألفه المقوقس فى خطابات القمم.. لاسيما إذا اتجه الخطاب إلى المخالف فى الدين.

وذلك قوله لحاطب - رضى الله عنه -: ما منع صاحبك إن كان نبيا أن يدعو على من خالفه وأخرجه من بلده!

ويجيبه حاطب - رضى الله عنه - قائلا: ألست تشهد أن عيسى بن مريم رسول الله؟

فما باله حين أخذه قومه فأرادوا أن يقتلوه ألا يكون دعا عليهم أن يهلكهم الله حتى رفعه الله إليه؟!

ووجد المقوقس نفسه مرة أخرى أمام سفير فقيه.. أريب.. يعبر بمنطقه أصدق تعبير عن صاحبه ﷺ... فاكتملت فى ذهنه صورة الكمال البشرى الذى بدا فى حكمة الرسالة.. وحكمة الرسول معا فقال لحاطب: أحسنت جوابا.. أنت حكيم.. جاء من حكيم

وهنا تتأكد القاعدة القائلة: أرسل حكيما.. ولا توصه.. وكان ذلك الحكيم.. حاطبا - رضى الله عنه - والذى يعلمنا نجاحه فى سفارته ضرورة أن نؤهل للدعوة رجالها.. الذين لا يقتصر دورهم على مخاطبة الوجدان.. بالكلام الرنان.. وإنما مع ذلك.. وقبل ذلك مخاطبة العقل.. بالبرهان!

البرهان الذى ملك -هنا- على المقوقس أقطار نفسه.. فقرر دراسة الرسالة بعمق.. انتهى باعترافه بحقيّة الإسلام وحكمة رسوله فيما يلى:

قال لحاطب - رضى الله عنه - إنى قد نظرت فى أمر هذا النبى فوجدت أنه لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب فيه أى لا يأمر بمنكر ولا ينهى عن معروف ولم أجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكذاب.

ووجدت معه آلة النبوة -أى مؤهلاتها- وهى: إخراج الغائب المستور والإخبار بالنجوى وسأنظر فى أمره وأمرى

وهكذا يجرى الله - تعالى - الحق على لسان المقوقس فيما يشبه التكذيب الرسمى لكل دعاوى الكفار حينئذ.

وكان اعترافه رسالة إعلامية موجهة إلى الكذابين أحبطت مفعول دعاياتهم الوثنية

الكاذبة الخاطئة.. بفضل داعية كان سلاحه القرآن.. الذي ينبغي أن نجتمع اليوم حول حقائقه.. متحدين.. لنفرض على الدنيا احترامنا بهذا القرآن الذي أدب الأمة فأحسن تأديبها.. كما قال أحد الباحثين:

«إن أدب القرآن هو أدب الحياة المناضلة بشرف. البناءة بسمو. المكافحة بتفاؤل. المدافعة بناس. المهاجمة بحق. المتعاملة بحب. المتعاونة بوفاء. المرحة بوقار. المتنعمة باعتدال. العزيزة بتواضع. القوية برحمة. العاملة بقناعة. المترئسة بشورى. المرءوسة بيقظة. الحاكمة بحزم. المسالمة بحذر. المتحضرة بخلق. المتعبدة بعلم. الماشية على الأرض ونظرها في السماء»[٢].

وهذه خصائص الداعية المسلم متمثلة في حاطب - رضي الله عنه - والذي أثمرت حكمته ثمرتها ثم توجت بمجموعة من الهدايا.. هدايا المقوقس تعبيرا ماديا عن إعجابه بالإسلام.. ورسوله ثم سفيره.

لقد عاد.. بالرسالة.. والهدايا.. بعد أن ترك على أرض مصر قبسًا من نور النبوة مباركا.

وأسأل نفسي الآن:

ماذا لو كان كتاب الرسول ﷺ نذيرا مدمدما؟

وماذا لو كان سفيره فظا غليظ القلب.. ثم رفض أن يأخذ ويعطي في حوار مثمر هادف بحجة أن المقوقس طاغية لا يستاهل شرف الحوار مع داعية مسلم؟

أغلب الظن.. لو حدث هذا:

١- سوف يغلق الباب أمام شعب بأسره فيحرم من الإسلام.

٢- سوف يقتل السفير أو يطرد على الأقل.. ومن ورائه دعوة لم تجد من يحسن عرضها.. ولكن الحكمة فرضت نفسها.. فآتت أكلها.. فدخل شعب مصر في دين الله أفواجا.. وتجلى البون الشاسع بين ظلم الرومان.. وعدل الإيمان على نحو ما قال الشاعر:

ملكنا فكان العفو منا سجية
فلما ملكتم سال بالدم أبطح
وما عجب هذا التفاوت بيننا
فكل إناء بالذي فيه ينضح

ويا ليت قومي يعلمون أنه بالكلمة الطيبة.. والموقف الحكيم.. قد نحقق للدعوة نصرا تسير بذكره الركبان..

ولقد كان من رحمة الله - تعالى - بهذه الأمة أن بقيت هذه الروح سارية المفعول.. فنال الحكماء باللين أضعاف ما ينالونه بالغشم.

---

(٢) د.السباعي، هكذا علمتني الحياة، ص١٩٠.

أهديك التحية ضارعًا

ألقيت هذه القصيدة فى ربيع الأول سنة ١٣٧٩هـ

لفضيلة الشيخ/ محمد أحمد الطاهر الحامدى

تحتفل «مجلة الأزهر» بالتراث القريب، كما تحتفل بالتراث البعيد ومن خير ما تقدمه فى مناسبة المولد النبوى هذه القصيدة الروحية التى تبرز الحب المتصل بين رسول الله ﷺ والصفوة من عارفيه، ولكل مقام مقال.

د. محمد رجب البيومى

أيصيبنى ضيم وأنت رجائى ... وذخيرتى فى الحشر عند لقائى
أرجوك فى الدارين ياعلم الهدى ... إن خفت أى كريهة وبلاء
ياملجأ العانى وجابر كسره ... يا موئل الضعفاء والبؤساء
ياباذل المعروف من كف لها ... فى الجود أكبر همة وعطاء
لو قدر التبر النفيس بجودها ... لم يعل قدر الترب والحصباء
أو قيس ما تهب الملوك بفيضها ... ماكان إلا مثل قطرة ماء
كف وسعت العالمين بها ندى ... وقضيت كل حوائج الفقراء
مالى بورد البحر وهى مليئة ... بالرى حافلة بكل رواء
وعلام التمس الشفاء بغيرها ... وهى الكفيلة وحدها بشفائى

***

ياساقى الصهباء خل شرابها ... هذا الشراب وهذه صهبائى
هذا الشراب العذب حب محمد ... هذا مدار سعادتى وهنائى
لولاه لم تطب الحياة ولم أجد ... فى العيش لا والله أى صفاء
لم أدر كيف يعيش من لم ينتسب ... لمحمد بمحبة وولاء

***

الشعر يامولاى كنت جفوته ... وسلوت كل رياضه الغناء
وصرفت عنه خواطرى لحوادث ... أعيت بهن قريحتى وذكائى

لكن أشواقى إليك وحاجتى ... لعطائك الممنوح للشعراء
أوحت إلىّ بأن أعاود نظمه ... وأعود للإنشاد والإنشاء
فأدم رضاك على ياخير الورى ... واجعله بدء جوائزى وعطائى

***

إنى أمت إليك بالنسب الذى ... هو فى الحقيقة رفعتى وسنائى
نسب الطريق ولا أقيس بعزه ... شرف الملوك وعزة الأمراء
إن صح لى هذا فليس بضائرى ... مافاتنى من منصب وثراء
ماقيمة الدنيا وقدر نعيمها ... ومآلها لتصرم وفناء

***

ياسيد العظماء والأمراء ... والحكماء والعلماء والأدباء
والله مابك حاجة لمدائحى ... كلا ولا لك رفعة بثنائى
لكن أنا المحتاج ياغيث الورى ... لنداك فى السراء والضراء
إن كنت ذا فقر فأنت لى الغنى ... أو كنت ذا سقم فأنت دوائى

***

لما وفدت إليك التمس الرضا ... وألوذ عند القبة الخضراء
وأويت للحرم الأمين وبغيتى ... ميمون عطفك يا أبا الزهراء
ووقفت أهديك التحية ضارعا ... من كثرة العثرات والأخطاء
وبكيت من ثقل الذنوب ولم أجد ... شيئا يليق هناك غير بكائى
ألفيت عندك كل ماأملته ... والله من كرم ومن إغضاء
جبرت مواهبك العزيزة خاطرى ... وأست لواعج مهجتى الحراء
أيرد محبوب النبى سميه ... ويخيب قاصد سيد الكرماء

***

ياغيث كل العالمين وغوثهم ... يازين أهل الحضرة العلياء
يافاتحا باب الشفاعة عندما ... تدهو الخطوب أماثل الشفعاء

يا واحدا ساد البرية كلها ... وسما عن الأشباه والنظراء
ياطالعا كالشمس غرة وجهه ... بل فوقها في رونق وبهاء
سعدت بمولدك العوالم كلها ... وتباشرت بك سائر الأحياء
وأتى لمكة غيثها من بعد ما ... ضاقت برقعة أرضها الجدباء

***

أهلا بمولدك السعيد ومرحبا ... بجبينك المتألق الوضاء
أهلا بطلعة خير من وطئ الثرى ... أهلا بمقدم أسعد السعداء
أهلا بروح الكون سر وجوده ... ماحي الضلالة كاشف الغماء

***

لما بعثت رفعت أعلام الهدى ... وخفضت رأس الملة العوجاء
قومت ميزان العقول وزنتها ... بالحكمة النبوية العصماء
وبنيت للتوحيد صرحا شامخا ... قد كان قبلك واهي الأرجاء
كانت عقول الناس قبلك في عمى ... وهديتهم لمسالك العقلاء
فأتيتهم بالحق أبلج واضحا ... ضلوا الطريق لقلة البصراء
ودعوتهم لله لا متهيبا ... بطش العداة ولا أذى الجهلاء
لم يثن همتك العلية ما بهم ... من قسوة وعداوة وجفاء
من كان يرعاه الإله فلا يرى ... ضيما ولا يخشى من البأساء

***

حملت يامولاي ثقل مهمة ... شتى الخطوب كثيرة الأعباء
ثقلت على جهدي ومست كاهلي ... وسواعدي وقواي بالإعياء
لم أدر كيف حملت ثقل مهمتي ... وأنا الضعيف ممزق الأحشاء
لكن إذا وجهت لي نظر الرضا ... لم ألق أي مشقة وعناء
من كان محمولا عليك فحظه ... أوفى الحظوظ وأوفر الآلاء
فاشدد بعطفك ما وهى من همتي ... وأمدني بعزيمة ومضاء

لسنا إرهابيين

حرية الاعتقاد في الإسلام

للأستاذ الدكتور/ عبد العظيم المطعني

ومن الأسباب التي يستند خصوم الإسلام إليها الآن - ومن قبل - ليوهموا الناس أن الإسلام دين إرهابي دموي، متعطش للدماء، من هذه الأسباب اتهامهم الإسلام بأنه لا يسمح لعقيدة غير عقيدة الإسلام بالوجود، وأن طبيعته التوسعية تستهدف دخول كل الأمم والشعوب ولو بالقوة فيه؟

وهذا الذي يروجه خصوم الإسلام يبرأ منه الإسلام براءة الشمس من السواد.

فلا القرآن، ولا الحديث النبوي، ولا السلوك الإسلامي التاريخي في صدر الإسلام الأول، والعصور التالية له - إلى الآن - لا شئ من هذه المصادر نجد فيها أثراً لهذه الدعوى. بل على عكس ما يدعون نجد حرية الاعتقاد في الإسلام، أحد خصائصه الكبرى التي عرف بها، وإن أنكر الحاقدون.

القرآن

فمن الآيات التي تقرر حرية الاعتقاد في القرآن. قوله تعالى:

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا﴾(1).

وقوله تعالى:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾(2)

وقوله عز وجل:

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾(3)

هذا هو الأصل الذي أرساه القرآن، كتاب الإسلام الأول.

ولا يقدح في هذا الأصل، مثل قوله تعالى:

---

(1) الكهف: ٢٩.

(2) البقرة: ٢٥٦.

(3) الغاشية: ٢١، ٢٢.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾(٤)

لأن الجهاد أعم معنى من القتال، يكون بالحوار والجدل ومواجهة شبهاتهم بالحق المزيل لها. أما القتال فيكون بحمل السلاح، وهو لا يكون في الإسلام إلا لمواجهة قتال أو خطر فعلي.

وفى القرآن آيات أخرى تدعم إرساء هذا المبدأ، وهو حرية الاعتقاد فى الإسلام.

السنة

عاش رسول الله ﷺ ثلاثا وعشرين سنة داعيا إلى الله - عز وجل - ولم يؤثر عنه أنه توعد أو هدد أحداً بالقتل إذا لم يؤمن بما جاء به، ولا الله أمره بهذا. بل حصر الله مهام دعوته فى «البلاغ» الواضح، وكان مما قال الله له فى هذا الشأن:

﴿ وَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴾(٥).

وقال: ﴿ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾(٦).

أما سيرته ﷺ فى هذا المجال، فحدث عنها ولا حرج.

وأول ما نشير إليه ما صنعه مع اليهود بعد الهجرة إلى المدينة، وكان الإسلام قد بلغهم، أنه لم يجبرهم على اعتناق الإسلام، وإنما عقد لهم عهداً بين ما فيه ما عليهم وما لهم، وجعلهم طائفة من طوائف المجتمع المدنى الإسلامى.

وفى ظل هذا العهد منح الإسلام اليهود حرية البقاء على عقائدهم، وممارسة شعائرهم الدينية فى حرية واسعة النطاق.

ولم يؤثر أن أحداً من المسلمين تحرش بهم، أو ضيق عليهم باعتبارهم يهوداً تخالف عقائدهم عقائد الإسلام ولكن لما نقضوا العهد، وطعنوا فى الإسلام، وتآمروا عليه، أجلاهم المسلمون عن المدينة، هذا باعتبارهم جماعات أصبحت مصدر خطر على حاضر الإسلام ومستقبله ولو كان الإسلام لا يسمح لوجود عقيدة غير عقيدة الإسلام أو يجبر غير المسلمين على اعتناق الإسلام، لكان له مع اليهود موقف آخر.

وكذلك صنع الإسلام فى حياة صاحب الرسالة ﷺ مع نصارى تغلب ونجران، وهم كانوا من مواطنى الجزيرة العربية، صالحهم وتركهم على عقيدتهم ومنح هؤلاء المخالفين لعقيدة الإسلام، الحرية التامة فى ممارسة شعائرهم الدينية وفق عقيدتهم. ولو كان الإسلام يضيق بمخالفيه فى العقيدة لكان له - كذلك - مع نصارى تغلب ونجران موقف آخر.

وما صنعه ﷺ داخل حدود الجزيرة العربية مع اليهود والنصارى، صنعه خارجها، فكان لا يرغم أحدا على اعتناق الإسلام، ولكن إما أن يسلموا اختيارا، وإما أن يميلوا إلى التصالح، وإما أن يختاروا القتال وكانت هذه هى منهج الخلفاء الراشدين من بعده.

ولم يؤثر أن المسلمين فى أى عصر من العصور أعلنوا الحرب على غيرهم لإجبارهم على الدخول فى الإسلام. ومن يدعى شيئا من ذلك فعليه الدليل.

(٤) التوبة ،٧٣.	(٥) الرعد ،٤٠.	(٦) فاطر ،٢٣.

مكاتبات صاحب الرسالة

ويبقى من السنة النبوية برهان قاطع على سماحة الإسلام، وإقراره الناس على عقائدهم - بعد البلاغ - وخلوه من جبر الناس بالقوة على اعتناق الإسلام. ذلك البرهان يتمثل في مكاتبات صاحب الرسالة ﷺ إلى ملوك الأمم ورؤساء الشعوب والعشائر في أطراف شبه الجزيرة العربية وخارجها ونعرض أولاً نموذجاً من تلك المكاتبات، ثم نتبعه بتعقيب كاشف عما فيه من سمات سماحة الإسلام:

كتب رسول الله ﷺ كتاباً إلى النجاشي عظيم الحبشة، وكان نص هذا الكتاب هو:

«بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد النبي إلى النجاشي الأصحم عظيم الحبشة. سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأن محمداً عبده ورسوله وأدعوك بدعاية الله، فإني أنا رسوله. فأسلم تسلم.

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾(٧).

فإن أبيت فعليك إثم النصارى من قومك».

هذه الرسالة تنتهج نهج عشرات الرسائل النبوية التي بعث بها محمد ﷺ إلى قادة الطوائف التي كانت تدين بغير الإسلام في ذلك الوقت، أو لا دين لها.

أعد قراءة الرسالة، وابحث بين سطورها، هل تجد فيها كلمة واحدة فيها تهديد أو وعيد للنجاشي وقومه بشن الحرب عليهم إن لم يدخلوا في الإسلام؟

قد يقول قائل: نعم. فيها ما يدل على التهديد وهي عبارة «أسلم تسلم» لأن معناها: إن لم تسلم لا تسلم. ونقول: هذه نصيحة لا تهديد. والمراد منها: السلامة في الآخرة من الخلود في النار، وليس معناها السلام من سيوف الإسلام في الدنيا.

إن الرسالة لم ترتب على امتناع النجاشي الدخول في الإسلام أي عقوبة دنيوية عاجلة. بل قال له: «فإن أبيت فعليك إثم النصارى من قومك» والإثم يعاقب الله عليه في الآخرة. وليس من اختصاص أحد، لا في الدنيا ولا في الآخرة. رسولاً كان أو غير رسول.

ثم انظر إلى دقة التبليغ في قوله: «فعليك إثم النصارى من قومك».

فالنصارى كانوا يفترشون مساحات واسعة من الأرض، والنجاشي ليس مسئولاً إلا عن النصارى المقيمين تحت رعايته، لا عن غيرهم من نصارى العالم.

فهذا هو الإسلام يُقرأ لكل ذي بصر بكل وضوح لن يظفر حاقد عليه أن يعثر على أدنى شبهة تدينه بالإرهاب أو الحجر على عقائد المخالفين لا في مصادره التشريعية، ولا في مواقفه التاريخية.

فهو يرعى حرية الاعتقاد، ولحرية الاعتقاد فيه ضوابط، هي موضوع الحلقة الآتية بإذن الله - تعالى -.

---

(٧) آل عمران «٦٤».

الإسلام وحقوق الإنسان

١

للأستاذ الدكتور / عبد الغفار حامد هلال

يعد الإنسان - فى نظر الشريعة الإسلامية - خليفة الله فى الأرض ينميها ويرقيها ويرتفع بها موازناً وموائماً بين الحياة المادية والحياة الروحية فى ظل تقوى الله والقيم والمبادئ التى تحكم السلوك الإنسانى.

فكل مايحكم المجتمع فى شتى المجالات سياسياً واجتماعياً واقتصادياً يعود إلى منطلق إسلامى. وتنظيم حياة الإنسان ونشاطه يقوم على هذا الأساس الذى يؤدى فيه كل فرد دوره فيعيش ويعمل وينتج فى مقابل حصوله على الأمن والسلامة والعدالة والحرية المنضبطة التى لاتؤدى إلى الفوضى أو ضياع الحقوق.

والعقيدة الإسلامية تقى الإنسان والكون ومايجرى فيه من الاضطراب حرصاً على سلامته وأمنه واستقراره فى صورة جياشة بالحركة والطهر والنقاء والارتباط بالخالق - جل وعلا - الذى لايغفل عن خلقه والذى هو مع الإنسان فى كل لحظة من حياته أو سانحة من فكره أو عمل يقوم به:

﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[1].

«اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[2].

وإن ارتباطنا بالإسلام يثرى حياتنا المستقبلية ومعرفتنا بما جاء به تدحض إفك المبطلين.

إن دراسة حقائق التاريخ الإسلامى ونصوصه المقدسة تكشف بناء حقيقياً للحياة فى مجالات السياسة والاجتماع والعلم والثقافة وارتباط ذلك كله بمبادئ الأخلاق ينبغى أن يكشف للجماهير فى أنحاء العالم لمعرفة حقيقته الخيرة وأن تبدو صفحاتها البيضاء الناصعة للإخصائيين والباحثين العلميين والمثقفين.

(١) المجادلة (٧).

(٢) أخرجه أحمد ١٣٢/٢.

وبذلك يظهر نقاء جوهر الإسلام ورسالته في إصلاح الحياة وتقدمها.

وحقوق الإنسان قد اهتمت بها المنظمات العالمية منذ نهاية الأربعينيات وبداية الخمسينيات. واحترام هذه الحقوق وعدم انتهاكها أو مخالفتها، وذلك – في الغالب – منذ نهاية الحرب العالمية الثانية.

وكان هذا نتيجة لما ذاقته الشعوب في النصف الأول من هذا القرن من ويلات الحروب، وماحل بالدول والبلدان من آثار الحركات النازية والفاشية من قتل وتعذيب وتشريد.

وكانت نهاية الحرب العالمية أملاً في أن يسود جو جديد من العدل والإنصاف وإحلال السلام والأمن في العالم.

وإذا كان العالم قد اتجه هذا الاتجاه لتقنين بعض حقوق الإنسان وحراستها اتجاهاً مادياً بحتاً فإن الإسلام قد سبق هؤلاء باثنى عشر قرناً (إن نظرنا إلى بعض إعلانات سابقة لحقوق الإنسان قد ظهرت منذ أكثر من مائتى عام مثل إعلان حقوق الإنسان والمواطن الذى ظهر سنة ١٧٨٩م في ٢٦ أغسطس) ولكن الواضح أن سبق الإسلام لما ظهر من وثائق لحقوق الإنسان بلغ مايقارب أربعة عشر قرناً.

وإن ماجاء به الإسلام من حفاظ على حقوق الإنسان جاء ممثلاً للتوازن بين الاتجاه المادى والاتجاه الروحى الإيمانى فإذا كانت حقوق الإنسان – في الأعراف الدولية – مجرد حقوق مدنية فإنها في الإسلام واجبات تكليفية يثاب المرء على تنفيذها ويؤاخذ على مخالفتها.

ولو رجعنا إلى الوثائق التى صدرت لرعاية حقوق الإنسان في الغرب – في أوربا وأمريكا – وقرارات العالم والمعاهدات الدولية والمجالس التى تكونت لذلك ووازناً بين ما ظهر منها وما جاء به الإسلام لوجدنا مابينهما من عظمة المبادئ الإسلامية وتكريم الإنسان في الإسلام.

لقد جاء الإسلام فوجد الإنسان يعانى من الامتهان والمذلة في دول كانت توصف بالحضارة والمدنية كالإمبراطورية الفارسية والإمبراطورية الرومية، وانعكست آثار ذلك على البيئات الأخرى في الجزيرة العربية وماحولها.

فسفك الدماء والحروب الطاحنة تأكل الأخضر واليابس والعدوان على الأعراض والأموال والأولاد يتم دون وازع وكان يسود فيهم مبدأ (انصر أخاك ظالماً أو مظلوما) وكما قال زهير:

ومن لايذد عن حوضه بسلاحه

يهدم ومن لايظلم الناس يظلم

كان القوى يسخر الضعيف ويستولى على مقدراته دون مقابل إلا من فتات العيش وكان يرزح تحت قهر الآخرين ولايجد من يحميه.

وكان بالجزيرة العربية شئ من الرق الذى يجعل الأرقاء مستعبدين لسادتهم يتحملون شاق الأعمال من أجلهم ويذوقون ألوان العذاب كما أن أرباب الغنى يسومون الفقراء الخسف فهم يمثلون العمال الذين يكدون من أجل راحة الأغنياء، وكان بعض العرب يقتلون أولادهم خشية الفقر، ويئدون البنات خشية العار.

لذا يعد من مفاخر حقوق الإنسان في الإسلام:

١ـ تكريم الإنسان وتحقيق المساواة بين بني جنسه:

فقد جعل المولى ـ سبحانه ـ الإنسان خليفته في الأرض:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾(٣)

وفضله على كثير من مخلوقاته فقال:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾(٤).

فأشار إلى تمييزه بمزايا العقل والتفكير ومانشأ عن ذلك من السيطرة على مافي الأرض، وتسخيره لخدمته والتطور في المآكل والمشرب والملبس والمسكن إلى غير ذلك.

والإنسان الذي كرمه الله هو الإنسان مطلقاً لافرق بين جنس وآخر ولابين أبيض وأسود ولابين صاحب دين وغيره فالكل سواء:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(٥).

وهم يرجعون إلى أصل واحد، يقول الله تعالى في كتابه العزيز:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(٦).

والنفس الواحدة التي يرجع اليها كل بني آدم هي آدم ـ عليه السلام.

وقد أشار الرسول ﷺ في خطبته في حجة الوداع إلى هذا المبدأ الهام من تكريم بني آدم ومساواتهم في الحقوق والواجبات فلا تفاضل بالأحساب والأنساب ـ كما هي دعوى الجاهلية والطبقية ـ يقول ﷺ: «أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم ليس لعربي فضل على عجمي إلا بالتقوى ألا هل بلغت اللهم أشهد»(٧).

فالناس سواسية في الإنسانية، حكاماً ومحكومين، وأغنياء وفقراء، وذوي حسب وغيرهم، وذوي مناصب وسواهم، والذي يعاملون على أساسه في التفاضل هو العمل الصالح.

وقد مر عالمنا بما يسمى بنظام الرق كما حدث في الدولة الرومانية التي قسمت الناس إلى أحرار وعبيد، وأخضعت من سمتهم العبيد لسلطة الأقوياء الذين يزعمون أنهم أحرار، وبعد ثورات العبيد ظهر نظام آخر هو

---

(٣) البقرة (٣٠).

(٤) الإسراء (٧٠).

(٥) الحجرات (١٣).

(٦) النساء (١).

(٧) أخرجه أحمد ٥/٤١١.

نظام الإقطاع الذى يقسم الناس إلى أغنياء وفقراء، ويخدم الفقراء الأغنياء بالعمل فى إقطاعاتهم وصناعاتهم مقابل الزهيد من الرزق، وقد انتشر هذا النظام فى بقاع كثيرة من العالم.

لكن الإسلام أعلن تكريم الإنسان مطلقاً وحرر العبيد بطرق معروفة فى كتب الفقه الإسلامى منها الكفارات.

وقضى الإسلام على الإقطاع بنظام التوريث الذى يفتت الثروة ولايجمعها، وحرم الإسلام استغلال الإنسان للآخر أو تسخيره دون مقابل.

ولما ظهر النظام الرأسمالى إثر احتكاك أوربا والعرب المسلمين فى الحروب الصليبية (القرن الحادى عشر الميلادى) واستمر قرنين (من ٤٩٢هـ - ٦٩١هـ) نشطت على أساسه أوربا بكثير من الصناعات والحرف على يد الطائفة البرجوازية فظهر فى النظام الرأسمالى (حق الإرث وحق التجارة والاستثمار للأفراد وإعطاء كل جهده وثمرته) وهذه الحقوق أقرها الإسلام لكنه لم يقر نظام الاحتكار الذى برز نتيجة هذا النظام وأدى - مع أسباب أخرى - إلى ظلم العمال وإلى أخطار نجمت عن تنافس أصحاب الأعمال مما أدى إلى الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨م والحرب العالمية الثانية ١٩٣٩م - ١٩٤٥م.

وظهر النظام الاشتراكى والماركسى تحت مسمى تحقيق العدل والمساواة والحرية لكن فى الواقع أن شيئاً من ذلك لم يتحقق بل ضاعت حقوق الأفراد كالإرث وغيره.

ولذلك فنحن لسنا مع من يقول: (إن الإسلام جاء بأحسن مافى الرأسمالية وأحسن مافى الاشتراكية أو الشيوعية).

٢- حق الحياة:

قدس الإسلام الحياة البشرية وعدها حقا لايجوز العدوان عليه، فبناء على المساواة بين البشر فى الحقوق والواجبات ومنع سيطرة طبقة على أخرى أو إنسان على آخر لايجوز فى الإسلام سلب حياة أحد، بغير حق وبناء على ذلك جاءت العقوبات الرادعة لمن تسول له نفسه العدوان على بنى الإنسان سواء كان بعيداً عنه أو قريباً.

فمن قتل إنساناً عمداً قتل قصاصاً:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَى﴾(٨)

وعقوبة القصاص مؤدية إلى حفظ الحياة وإلى ردع المجرمين وتخويفهم من ممارسة عدوانهم على أرواح الآخرين:

﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾(٩).

كما وضع فى حال القتل الخطأ روادع أخرى بتقدير الدية والكفارة:

---

(٨) البقرة (١٧٨).

(٩) البقرة (١٧٩).

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾(١٠).

وبذلك قرر الإسلام القصاص في القتل العمد، والدية والكفارة في القتل الخطأ، وبين أن الكافر الذي تعاهد مع المسلمين يعامل في القتل الخطأ معاملة المسلم من الكفارة والدية.

وقد روى البخاري أن النبي ﷺ قال: «من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة»(١١).

كما نهى الإسلام عن قتل الأولاد خوفاً من الفقر ونعى باللائمة على من يئد البنات قال تعالى:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾(١٢).

وقال - عن وأد البنات:

﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴾(١٣).

وقال:

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾(١٤).

وجاء كذلك قول الحق - تبارك وتعالى - عن قتل الأولاد:

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(١٥).

وقد شرع الجهاد لرد الاعتداء على النفس والدين:

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ۝ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ۝ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾(١٦).

---

(١٠) النساء (٩٢).
(١١) البخاري ٨/٦٢.
(١٢) الإسراء (٣١).
(١٣) التكوير (٨، ٩).
(١٤) النحل (٥٨، ٥٩).
(١٥) الأنعام (١٥١).
(١٦) البقرة (١٩٠ : ١٩٤).

وقال سبحانه:

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[١٧].

فمن له عهد لابأس بصلته والبر به والرحمة، ونهى الإسلام عن قتاله وكانت قتيلة أم أسماء بنت أبي بكر قد جاءت إليها بهدايا وهى مشركة فلم تقبلها فنزلت الآيتان.

ومن حفاظ الإسلام على الأنفس ومظاهر العمران وقت الحرب ماورد من أحاديث يوصى فيها النبى ﷺ بالرفق وعدم قتال من لايقاتل، كقوله ﷺ: «لاتقتلوا شيخاً فانياً ولاطفلاً ولا امرأة ولاتغلوا ولاتغدروا وضموا غنائمكم وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين»[١٨] وفيه: «ولا تغدروا ولاتمثلوا ولاتقتلوا الذرية»[١٩] ويقول أبوبكر ليزيد بن أبى سفيان الذى بعثه أميراً على الجيوش الذاهبة إلى الشام: «إنك ستجد قوماً زعموا أنهم حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعهم ومازعموا، وإني موصيك بعشرة: لاتقتلن امرأة ولاصبيا ولا كبيرا هرما، ولا تقطعن شجراً مثمراً ولانخلاً ولاتحرقنها ولاتخربن عامرا، ولا تعقرن شاة ولابقرة إلا لمأكلة ولاتجبن ولاتغلل».

وقد نهى ﷺ عن المثلة وقد مثل المشركون فى غزوة أحد بسيد الشهداء حمزة ابن عبدالمطلب وحزن لذلك النبى ﷺ لكنه لم يقابل هذا بالمثل ونهى أن يترك الميت نهبا للوحوش والطير بل تدفن كما دفنت جثث قتلى بدر فى القليب وهو بئر جاف، ويهتم الإسلام بالأسرى فلا يجيعهم كما يفعل الأعداء، قال تعالى:

﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾[٢٠]

ونهى النبى ﷺ عن قتل الأسير بالتجويع والتعطيش كما نهى عن تعذيب المرضى محافظة على إنسانيتهم.

(يتبع)

***

(١٧) الممتحنة (٨، ٩).

(١٨) الدر المنثور ١/٢٠٥.

(١٩) أخرجه أحمد ٥/٣٥٨.

(٢٠) الإنسان (٨).

الإسلام يخاطب المستقبل

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

١ إذا قلنا: إن الإسلام يخاطب المستقبل، فليس معنى ذلك أنه يهدر الماضي لأن هذا الماضي هو قاعدة انطلاقه الأولى، وليس معنى ذلك كذلك أنه يهدر الحاضر لأن هذا الحاضر هو جدلية الفعل التي يصير بها إلى المستقبل.. وإنما معناه أنه دين الماضي والحاضر والمستقبل، وأنه بهذه الوضعية الفذة قادر على مخاطبة كل الكون، ووضع الحلول لما يشكل على الإنسان في الدين والاجتماع والسياسة والاقتصاد وكل مناشط الحياة.

وقد لا يفكر المسلم طويلاً في هذه الوضعية الإسلامية الفذة، ربما لأنه مطمئن إلى شمولية إسلامه بلا حدود.. ولكنه قد يجيب عن أسئلة حول طبيعة هذه المقولة، لأن من صميم رسالة المسلم أن يناقش مع الآخرين كل القضايا وكل المقولات، وأن يجيب عن كل أسئلتهم الحائرة أو المغامرة!!.

وليس لقاء الإسلام بالمستقبل شيئاً غائماً إلا في أدمغة الذين يفكرون بهوى الحضيض أو حضيض الهوى إذا شئنا أن نقول، أما الذين يعرفون للفكر قداسته، ويضعون الحقائق فوق مستوى الشك، أو فوق مستوى العبث، أو فوق مستوى الحاجة إلى التبرير، فإنهم لا يثرثرون حول هذه القضية طويلاً، لأنها من الشوهج بحيث تبدو بادهة أو كالبادهة!!

الإسلام يخاطب المستقبل: هذه قضية تؤكدها روافد عديدة: هو كذلك لأنه «فطرة إلهية».. وهو كذلك لأنه «روح ومادة».. وهو كذلك لأنه «ثوابت ومتغيرات».. وهو كذلك لأنه «خاص وعام».. وهو كذلك لأنه «دنيا وآخرة».. بعبارة واحدة: هو كذلك لأنه «شمول»!!

٢ هو «فطرة إلهية»: أي قانون رباني، يضع الزمان والمكان ضمن مفرداته الهائلة، وما دام القانون والزمان والمكان جميعا خلقا من خلق الله، فلا يمكن أن يقع بينها صدام من أي لون، إلا إذا شوه الزمان وجهه فارتدّ إلى زمان رديء بلا منطق وبلا فحوى.. أو شوه المكان وجهه فارتدّ إلى مباءة للانحدار وتخريب كل ما هو جميل على الأرض.. في هذه اللحظة فحسب، يمكن أن يقع صدام مروع بلا حدود بين ما هو زمان وما هو مكان من جهة، وبين الإسلام كقانون يفرض على الزمان والمكان شروطه النظيفة من جهة أخرى!!.

على أننا لا نريد أن ننسى أن الإنسان هو المحور الواعي في حركتي الزمان والمكان. ومادام ذلك كذلك فإن لجوء الإنسان إلى الإسلام يبدو حتمية وجودية بلا فكاك، لأن عرضية القوانين البشرية الحاكمة لا تتيح له أن يتأمل ذاته أو يتأمل الكون ولا تسلحه بإمكانات اليقين والقرار في الأرض، ولا تعطيه هذا الحس الرسالي الذي يضعه في إمامة القوى الحية الموجودة في الوجود.. أما في حمى الإسلام فإنه يتمدد حتى يصبح هو والآخرين، والآن وإلما بعد، والذات والموضوع.. أي يصبح جذر المعادلة الوجودية، وهذا فحوى خلافته لله في الأرض.. أي أن وجود الإنسان في الإسلام حركة طبيعية كبزوغ القمر أو فيضان الأنهار.. ووجود الإسلام في قلب الإنسان حركة طبيعية كذلك، كولادة النهار من الليل، وولادة الليل من النهار!!

وإذن فتناغم الوجودين: الإنساني والإسلامي، أي الكوني والعقدي، حتمية وجودية بادهة، إن اهتزت - من خلال العبث الإنساني بحكمة القوانين آناً - فهي صائرة إلى القرار واليقين بلا تخلف على الإطلاق.. وهذا يؤكد بداهة أن الإسلام يخاطب المستقبل لأنه فطرة إلهية!!

٣ والإسلام يخاطب المستقبل لأنه «روح ومادة»، وهو يستجيب في طبيعته لحركة الخلود من خلال هذه الوضعية الفذة، فإذا كانت الأديان الأخرى تميل إلى شاطيء وتهمل كل الشاطيء الآخر، فإن الإسلام يحفظ على المعادلة الوجودية اتزانها، ويعطي للروح آفاقها العالية، وللتحقق المادي الوجودي أبعاده التاريخية.. ومن هنا كان المسلم الحقيقي إنساناً متعادلاً وقادراً على إعادة التعادل إلى كل ما يهتز من مناطق الحب والخير والجدوى في حياة الوجود.. وبهذه المثابة «تعادلية الروح والمادة»، كان الإسلام هو الدين الوحيد الذي يستطيع -بجسارة رائعة- أن يخاطب المستقبل، لأنه لا يدخل السباق بقدم واحدة، ولا يطير إلى غاياته بجناح باسل وجناح مهيض، وإنما يلبي حاجة الطبيعة البشرية إلى روافد المادة، ويفتح أمامها ما تراحب من فعاليات الروح.

هو مادة من حيث يحرص حرصه الكامل على أن يدفع المسلم في اتجاه احتيار الوجود بأسره، وتسخير ما في الأرض لطاقاته الفاعلة، والاستمتاع النظيف بكل ما في الكون من مباهج ولذائذ وجماليات.. وهو بذلك يتيح لإنسانه المسلم أن يكون على صداقة حميمة بكل ما يمنحه المستقبل من معطيات.

وهو روح من حيث يضع الجدوى في قلب الحركة، والغاية في قلب الوسيلة، والتعالي في قلب المغالبة اليومية.. أي يضع الروح في قلب المادة.. لأن الواقع التاريخي إذا انفرد بروح المباراة المادية تحطم عند أول صدام في أول معركة، أما إذا أخلد في قمة عنفوان الصدام إلى روح الملاينة في الخاشنة، وإلى دفء الحب في قمة الصراع، وإلى صوت الرحمة في طوفان الغلاب الوحشي.. فإن المردود النهائي سيكون تعقيلاً فاهماً لحركة الاندفاع، وضبطاً كابحاً لجنون النوازع الهابطة، وتسديدها إلى أعلى حتى لا تفقد عينيها في آبار الظلام!! وهذا يؤكد بداهة أن الإسلام يخاطب المستقبل لأنه روح ومادة!!

٤ والإسلام يخاطب المستقبل لانه «ثوابت ومتغيرات»: ثوابت تقف فى التاريخ محوراً لحركة التاريخ، كالالوهية والنبوة والعقائد والفرائض.. ومتغيرات تدفع موج الزمن إلى مزيد من التجدد، وجدل الواقع إلى مزيد من الإبداع، وذلك فى سائر مناحى الحياة.. فرق واحد صميمى بين ثوابت الإسلام ومتغيراته من جهة وثوابت غيره ومتغيراته من جهة أخرى.. فالإسلام يحدد الثابت على انه لا يقبل مجرد فرضية من فرضيات التغيير، ويحدد المتغير على انه حركة تستلهم وجودها الصائر من قلب حركة الثابت.. بمعنى ان الالوهية فى الإسلام - مثلا - لا تقبل التغيير على الإطلاق، وان الفكر السياسى والاجتماعى والفنى والاقتصادى فى الإسلام يستلهم الواقع الثبوتى الإسلامى الذى لا يقبل الاهتزاز، على الرغم من جريان ذلك الفكر بانماطه المتعددة فى مجرى التطور والاستحالة!!

وبهذه المثابة -حقائق الثبات وحقائق التغير- كان الإسلام قادراً على مخاطبة المستقبل، لانه من جهة لا يضيع المحور الثابت الذى يجذر وجوده فى الوجود، ولانه من جهة اخرى لا يرفض الجدل الحياتى الذى يستفيد بشروطه، ويفيد بشروطه كذلك.

وحين يضع الإسلام «الثابت» فى مواجهة «المتغير» يعصم المتغير من سلوك الدروب المشبوهة النازلة، لانه يعدل من حركة الدفاعه على ضوء هذا الثابت بلا ملال، ويأخذ من تجارب الحيد عن هذا الاتجاه، وتجارب الالتزام بهذا الاتجاه ما يؤكد - فى المستقبل - خطواته على طريق الحب والفحوى والاعتصام بالانقى وبناى بها عن مزالق الحقد والعبث والشهاثر المريض!! وهذا يؤكد بداهة ان الإسلام يخاطب المستقبل لانه ثوابت ومتغيرات!!

٥ والإسلام يخاطب المستقبل لانه «خاص وعام»: خاص لانه علاقة حميمة بين الإنسان المسلم والله، وعام لانه لا يغلق نافذة تطل على اية ارض واى إنسان، فقط يريد الإسلام ان ينشر جناحيه على أرض نظيفة، وأن يضع يده فى يد إنسان ملتزم يرفض أن يدمر فى داخله ممالك التفكير السديد!!.

إن الأرض التى تحمى وثنا يعبد، أو خرافة تشيع، أو طبقية تتاله، لا يتعامل معها الإسلام ولا يرضى ان يتعامل معها إلا بالمنطق الذى يكسر فيها شهوة العناد والإلحاد!! والإنسان الذى ينحنى لبشر، أو يتعبد لمادة، أو يجبن امام فكر، لا يتعامل معه الإسلام ولا يرضى ان يتعامل معه إلا بالمنطق الذى يهزم فيه خواءه وانحناءه!!

من هنا كان الإسلام تكويناً خصوصياً يفضى إلى تكوينات عمومية، وهو يحرص فى حركته دائماً على تحقيق هذين الجناحين

في المعادلة الواحدة، فلا الخصوصية تعزل نفسها عما يتغياه الإسلام من طموح إلى الأشمل ولا العمومية تعزل نفسها عما يتحقق به الإسلام لنفسه من خصوصية بلا نظائر، إنه هنا يرنو إلى توازن حقيقي بين ما هو خاص وما هو عام بلا تفريط هنا وبلا إفراط هناك وهذا يؤكد بداهة أن الإسلام يخاطب المستقبل لأنه خاص وعام!!

٦ والإسلام يخاطب المستقبل لأنه «دنيا وآخرة»: دنيا تمتلىء بالفاعلية والحركة وتجاوب الأشياء والأحياء، وآخرة تعطي للمجال آماداً أوسع، وللطموح مشروعية أنظف، وللكل أن يعمل اليوم في رقابة الغد، وأن يحصد غداً ما يزرع الآن.. وبهذه المثابة كان الإسلام أرحب وعياً للظاهرة الوجودية وللظاهرة الإنسانية على السواء، لأنه لم يحصر الواقع كله في مجرد حياة دنيا آفلة، وإنما أدخل في المعادلة – بقانون عادل تماما وحكيم تماما– حياة أخرى أوسع وأرحب، فإذا بالبشر يتعاملون بمنطق من سيمتاز غداً إذا أدركه الآن فوت، ومن سيثاب في الآخرة إذا حقق في الدنيا فعلا يضيء على طريق البشر شمعات!!.

أن يدخل الإسلام الآخرة –هكذا– في المعادلة، هذا معناه أن لا يقتتل البشر على الدنيا حتى الدمار، وأن يتجاوزوا محدودية الآن ليمدوا طموحهم للما بعد، وأن يتأملوا –حين يتأملون– واقعاً واقعاً، وواقعاً محتملاً، فيزرع تصور المحتمل فيهم نزوعهم إلى المستقبل، وشوقهم إلى التجاوز، وتطلعهم إلى الجراءة على المجهول!! وهذا يؤكد بداهة أن الإسلام يخاطب المستقبل لأنه دنيا وآخرة!!

٧ والإسلام يخاطب المستقبل لأنه «شمول»: أي لأنه يتحدد في مسئوليته عن كل الكون وكل الحياة، حتى عن الجانحين عن سوائه، حتى عن المعاندين لمنطقه، حتى عن الذين يرفعون في وجهه كل خناجر الحقد الأسود.. ولو أن الإسلام كان دعوة عرقية لتعصب للون ضد كل الألوان، ولو كان دعوة إقليمية لأغلق حدوده على أتباعه ودون كل البشر، ولو كان دعوة راعشة لتوقى أن يطرح نفسه على كل فكر العالم القديم والحديث والآتي.. ولكنه شيء مختلف تماماً.. لأنه فطرة إلهية، ولأنه روح ومادة، ولأنه ثوابت ومتغيرات، ولأنه خاص وعام، ولأنه دنيا وآخرة ولأنه شمول.. وكل هذه المحاور التي تشكل بعض جوهر الإسلام تؤكد له شموليته، وعجز أي من الماضي وحده أو الحاضر وحده، أو المستقبل وحده أن يكون إطاره الوحيد.. وهذا يؤكد بداهة أن الإسلام يخاطب المستقبل.. كما يخاطب الماضي والحاضر.. من خلال هذه المسلمات!!

***

فلسفة العقوبات فى التشريع الإسلامى

للأستاذ الدكتور/ عبد الحليم حفنى

يمكن الإلمام بأهم مايتعلق بالعقوبات فى الإسلام كما يلى:

النوع: من حيث النوع العقوبات فى الإسلام على ثلاثة أنواع:

أولاً: القصاص، وهو العقوبة المحددة للجناية على الغير، فى النفس أو فى أحد الأعضاء.

ثانياً: الحدود، وهى عقوبات محددة لجرائم معينة، هى: الزنا والسرقة والقذف وشرب الخمر والإفساد فى الأرض.

ثالثاً: التعزير، وهو عقوبة يفوض الحاكم أو من ينوب عنه كالقضاء فى تقديرها على من يرتكب جرما لايدخل فى نطاق القصاص أو الحدود، فيقدرها بما يحقق الغرض من العقاب، سواء بالسجن أو الضرب أو اللوم أو الغرم المالى أو غير ذلك.

وقوانين العقوبات المعمول بها حاليا والتى تتعلق بكل ما ليس من باب القصاص أو الحدود تعد من قبيل التعزير.

الحقـــوق

من حيث ملكية الحق فى العقاب تنقسم العقوبات فى الإسلام إلى ثلاثة أقسام:

١ - قسم هو حق لله -تعالى-، بمعنى أن الله هو صاحب الحق فى العقاب، ويترتب على ذلك أنه لايملك أحد العفو عن الجانى إذا ثبتت عليه الجناية فى هذا النوع، وهى خمسة حدود: حد الزنا، وحد السرقة، وحد القذف، وحد شرب الخمر، وحد الإفساد فى الأرض الذى يسمى -أيضا- حد الحرابة، وحد قطع الطريق، وفى كل حال فالتسمية فى هذا الحد مأخوذة من صفة الجريمة، فقد وصفها القرآن بأنها إفساد فى الأرض، وبأنها محاربة لله ورسوله، ومن الناحية الواقعية هى قطع الطريق، وهذا الحد عقوبته واجبة، ولكن تحديدها متروك للحاكم أو من ينوب عنه كالقضاء، لأن جرائم قطع الطريق مختلفة، فقد تتضمن القتل أوالسرقة أو الاغتصاب، أو الترويع، فالعقاب متروك للحاكم يقدره حسب نوع الجريمة، وحسب الوسيلة التى يراها أجدى فى تحقيق الأمن للمجتمع، ولكون الحاكم مفوضا فى هذا النوع فإن بعض فقهاء الإسلام يعدونه من التعزير وليس من

الحدود، بينما الفقهاء الذين يعدونه من الحدود ينظرون إلى مبدأ العقاب فيه حيث هو واجب ولايجوز العفو فيه إذا ثبتت الجريمة، والتفويض منصب على نوع العقوبة، وليس على مبدأ العقاب.

والأمر المهم هنا هو أن هذه الحدود كلها حق لله لأن الجناية فيها تتجاوز المساس بحقوق الأفراد إلى المساس بأمن المجتمع كله سواء بطريق مباشر أو غير مباشر، ففيما يتعلق بالزنا لو تصورنا مثلاً شخصاً يقف في ناصية شارع ليتحرش بالنساء ويغريهن بالفساد، فجنايته على اللاتي يتحرش بهن وعلى أهلهن جناية مباشرة، ولكنه يجني على أهل الشارع جميعا جناية غير مباشرة حيث يخافون جميعا على نسائهم وبناتهم، وفي حال السرقة لو تصورنا لصا في حي من الأحياء، فإذا سطا هذا اللص على بيت فإنه يكون قد جنى على أهل البيت جناية مباشرة، ولكنه يجني على أهل الحي أو البلدة جميعا حيث يتوجس كل منهم خيفة على بيته من السرقة فتكون جناية اللص على أهل الحي أو البلدة جناية غير مباشرة، وفي حالة شرب الخمر، فإن الشارب يجني على عقله وعلى نفسه بالسكر وبالأضرار الصحية جناية مباشرة، والنفس بكل مكوناتها ملك لله وليس لصاحبها، وفي حال السكر فإن السكران وهو في غير وعيه قد يجني على غيره في العرض أو المال فتكون جناية مباشرة على المجني عليهم، كما أن كل المحيطين بالسكران لا يتحقق لهم أو لهن الأمن على العرض أو المال فتكون الجناية حينئذ غير مباشرة، وكذلك القذف، فهو اتهام بالزنا، وهو جناية مباشرة على المتهمة أو المتهم بالزنا وعليهما معا إن وضحهما الاتهام، ويترتب على هذا الاتهام التشكيك في نظافة عرض المتهمة وشريكها، فضلا عن التشكيك في النسب، وهو أيضا جناية غير مباشرة على المجتمع المحيط بمن وجه إليهم الاتهام نتيجة صلتهم بمن وجه إليهم القذف، وأيضا خوفهم أن يلحقهم أو يوجه إلى أعراضهم قذف حين يشيع القذف في المجتمع، والوضع في حالة قطع الطريق أوضح، فهو جناية مباشرة على من قطعت عليه الطريق، وجناية غير مباشرة على المجتمع من حيث فقدانه أمن الطريق وهنا موضع التأمل في حكمة التشريع الإسلامي في جعله جرائم الحدود حقا لله لا يملك أحد حتى المجني عليهم أو الحاكم العفو عن الجاني، لأن الجناية حينئذ لو كانت مقصورة على المجني عليه لا تلحق أو لا تهدد غيره لكانت الجناية حقا شخصيا (مدنيا) يملك المجني عليه أو نائبه العفو عن الجاني، ولكن كل جنايات الحدود كما رأينا في أمثلتها تصيب بطريق غير مباشر أمن المجتمع المحيط بالجاني والمجني عليه على نفسه أو عرضه أو ماله، لذلك كانت العقوبة فيها حقا لله لا يملك أحد العفو فيها، ولم يكن القانون الوضعي مخطئا في تعليل عدم جواز العفو في عقوبة الجنايات بأنها حق المجتمع، وإن كان التطبيق أي تحديد العقاب جائرا عن التشريع الإسلامي جورا شديدا.

٢ - والقسم الثاني من العقوبات هو القصاص، وهو حق للناس، فالمجني عليه في القصاص هو صاحب الحق في تنفيذ العقوبة أو العفو عن الجاني، وذلك في الجناية على الأعضاء، فإذا قطع أحد يد شخص آخر فالمجني عليه هو صاحب الحق، أما في الجناية على النفس بالقتل فإن الحق ينتقل إلى الورثة فيصبحون هم أصحاب الحق في تنفيذ العقوبة أو العفو عن الجاني، ويتم ذلك كله عن طريق الحاكم أو نائبه وهو القضاء.

والنوع الأول وهو جرائم الحدود، يقابله في التشريعات الوضعية القانون الجنائي الذي يكون

العقاب فيه حقا للمجتمع فلا يملك أحد العفو فيه حين تثبت الجناية.

أما النوع الثاني وهو القصاص فيقابله في التشريعات الوضعية القانون المدني الذي يعالج الحقوق المدنية التي تتميز بأن صاحب الحق فيها يملك تنفيذ العقوبة كما يملك العفو عن الجاني أو الخصم كما في حالة الدائن والمدين.

والفرق كبير بين نوعية هذا الحق في التشريع الإسلامي والتشريعات الوضعية الحديثة، فالحقوق المدنية في التشريعات الوضعية تدور حول الحقوق المادية والأدبية، أما في التشريع الإسلامي فيضاف إلى ذلك التعدي على النفس وعلى الأطراف والأعضاء التي يعبر عنها بجرائم القتل وجرائم العاهات.

وسنرى أن للإسلام حكمة اجتماعية شديدة الأهمية في جعله القصاص حقا مدنيا.

٣ - القسم الثالث من العقوبات في التشريع الإسلامي التعزير، وهو حق للحاكم أو من ينوب عنه فيما يتعلق بالعقوبات وهو القضاء باعتباره مسئولا عن تنظيم الحياة الاجتماعية وحمايتها وإصلاحها، ومعنى ذلك أن عقوبات هذا القسم في حقيقتها حق للمجتمع، والحاكم نائب عنه.

فإذا كانت الجريمة أو المخالفة لا تدخل في نطاق أحد القسمين السابقين فعقوبتها تسمى تعزيرا، وهي حينئذ غير محددة، لأنها لو كانت محددة لكانت ضمن أحد القسمين السابقين الحدود والقصاص، فالحاكم أو من ينوب عنه هو الذي يملك تحديدها، ويملك تنفيذها أو العفو عنها حسبما تقتضيه المصلحة العامة، ويتحقق به الهدف من العقوبة.

أهـــداف العقوبـــات

لا خلاف حول أن العقوبة جزاء عن جرم ارتكب، فليس هناك خلاف من الناحية التشريعية، ولكن يوجد خلاف بين بعض الفقهاء حول فلسفة العقوبات أو حول فهمهم للحكمة فيها، فيما يعرف بتعبير: هل العقوبات زواجر أم جوابر؟ بمعنى أن بعضهم يرى أن الهدف من العقاب هو زجر الآخرين حتى لا يحاول أحد تكرار هذه الجريمة، فحينما يرى العقاب منصبا على المجرم يرتدع ولا يقدم على الجريمة، وبعضهم يرى أن الهدف من العقاب هو إنزال الجزاء بالمجرم فيكون هذا تكفيرا للذنب الذي ارتكبه بمزاولة الجريمة، فالعقوبة حينئذ تجبر الخلل الذي أحدثه ارتكاب الجريمة في تدين مرتكبها، فيصبح بعد العقوبة طاهرا من هذا الذنب.

وفي القرآن الكريم ما يشير إلى الاتجاهين، فأحيانا يشير إلى الزجر كقوله -تعالى- في سياق عقاب الزانيين:

﴿ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(١).

فهذا أمر صريح بأن تكون العقوبة علنية في جمع من الناس لتكون زجرا لكل من تسول له نفسه مزاولة هذه الجريمة، وأحيانا يشير القرآن إلى أن العقوبة مجازاة للجاني حيث يقول سبحانه:

﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَآءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ ﴾(٢).

---

(١) سورة النور (٢).

(٢) سورة المائدة (٣٨).

وحيث نال جزاء جريمته يسقط عنه ذنب هذه الجريمة.

فالخلاف ليس حول كون العقاب جزاء على الجريمة، وإنما حول مسألة الزجر عن تكرار الجريمة أو التكفير عن ذنبها، ولكن عند إلقاء نظرة على روح التشريع الإسلامى كله فيما يتعلق بالعقاب نجد القصد الأوضح دائما هو الزجر عن مزاولة الجريمة تحقيقا لصلاح المجتمع الذى هو هدف كل الشرائع السماوية، الذى انصبت عليه كل جهود الأنبياء والمرسلين والمصلحين فى تاريخ البشرية وذلك لما يأتى:

١ - تكفير الذنوب عند الله طريقه دائما هو التوبة إلى الله وليس العقاب، فحينما يشعر المجرم بالندم ويتوب إلى الله فيما بينه وبين نفسه فهذا سبيل الغفران عند الله بينما لو تصورنا مجرما يصر فيما بينه وبين نفسه على تكرار مزاولة الجريمة فمهما نزل به من عقاب فلا يتصور أن يكون العقاب تكفيرا لذنبه وهو مصر على معاودته.

٢ - من الملحوظ بوضوح أن التشريع الإسلامى لايصر على تنفيذ العقوبة إلا بوصفها آخر الحلول، بل تراه دائما يلتمس الوسائل لتفادى تنفيذ العقوبة، ففى كل جرائم الحدود نجد الحديث النبوى (ادرأوا الحدود بالشبهات) فمع ارتكاب الجريمة التى توجب الحد ومع تحقق وقوعها إلا أنه إذا وجدت أية شبهة بمصلحة الجانى فى موقفه فإن التشريع يترك جانب ثبوت الجريمة مع أنه أقوى، ويميل إلى جانب الشبهة مع أنه أضعف، فتسقط العقوبة، كالسارق الذى تثبت عليه السرقة ولكن توجد شبهة مع أنه سرق بسبب الجوع أو الحاجة الضرورية الملحة، فتسقط عقوبة الحد، وكذلك فى عقوبة القصاص، فمع ثبوت الجريمة على الجانى إلا أن التشريع دائما يدعو إلى العفو عنه، بل يجعل الترغيب فى العفو أول ما يعرض على المجنى عليه، وكذلك فى حد المفسدين فى الأرض كقطاع الطرق نجد التشريع الإسلامى يحدد صنوفا رادعة عنيفة من العقاب، ولكنه يلغى كل هذه العقوبات مهما تعظم الجرائم إذا جاءوا تائبين من تلقاء أنفسهم قبل أن يقعوا فى قبضة السلطة، ففى القرآن: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِى ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡىٌ فِى ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِى ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٣).

ومن أمثلة الدعوة إلى العفو عن الجانى فى القصاص قوله - تعالى -:

﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾(٤).

وأمثلة إلغاء عقوبة الحدود لوجود الشبهة كثيرة تنفيذا للحديث الشريف المشار إليه (ادرأوا الحدود بالشبهات) ومن ذلك أن عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- عطل حد السرقة فى العام الذى حدثت فيه المجاعة فى المدينة فى خلافته، وقد أقر الصحابة والمسلمون هذا الحكم فأصبح إجماعا.

---

(٣) سورة المائدة (٣٣، ٣٤)

(٤) سورة الشورى (٤٠).

دعوة إلى العرب (١)

للأستاذ كمال النجمي ـ رحمه الله ـ (٢)

علت صيحة كالرعد دوى هزيمها ... تحامى صداها واتقاه غريمها
ألمت، بأسماع الطغاة فزلزلت ... وحز قلوب المؤمنين أليمها
هفت من فلسطين إلينا فنبهت ... نياما قلاها كهفها ورقيمها
وسالت لها منا حقود قديمة ... على الغاصب الباغي يجيش كظيمها
لقد جحد الباغي فلسطين حقها ... وأسرف في جور عليها ظلومها
لها الله من مهضومة غيل أمنها ... وحال عذاباً خفضها ونعيمها
تقاعس عنها حين ضيمت وليها ... وأسلمها للحادثات حميمها
وكان لها في العرب لولا جمودهم ... حسام إذا ما اهتز ريع خصيمها
بني يعرب تدعو فهلا أجبتم ... سليبة حق أثخنتها كلومها
أبوتكم ترنو لكم من قبورها ... وتدعوكم أمجادها وقرومها
هم جاهدوا في الله حتى توطدت ... ديارهم أمناً وقرت تخومها
مضوا في الدنا شرقا فأسلم فرسها ... وساروا بها غرباً فسلم رومها

(١) نظمت ونشرت في الأهرام سنة ١٩٤٧ قبل استيلاء الصهيونيين على الجزء الأعظم من فلسطين، وقد مضى قرابة ستين عاماً، والحال ينتقل من سيئ، إلى أسوأ، ولم يتغير شيء، غير أن أمريكا حلت محل انجلترا، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

(٢) شاعر عربي كبير تولى رياسة تحرير «مجلة الهلال» حقبة طويلة والقصيدة من ديوان (أنداء محترقة).

لهم ذكريات يعبق المسك إن سرت ... ويذهب بالألباب سكراً شميمها
فسيروا على هدى الجدود فإنهم ... سماوات حق لا تغيب نجومها
دعتكم فلسطين وقد ضاق سجنها ... وزاد أساها قيدها وشكيمها
وحلت بها من وعد بلفور ظلمة ... من الليل يعمي المبصرين بهيمها
مرابعها الفيح الضواحك أصبحت ... يؤرث نيران الشجون وجومها
حدائقها نهب الذبول زهورها ... وأشجارها نهب الرياح هشيمها
تبكي الغصون الذاويات طيورها ... ويرثي لورود الذابلات نسيمها
فأضحت وقد كانت مناظر جنة ... تهيج دموع الأوفياء رسومها

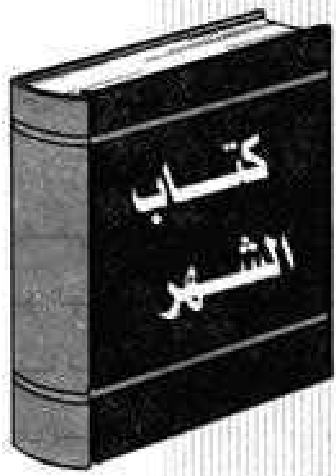
***

بني يعرب حان التأهب فاشحذوا ... عزائمكم حتى يصح سقيمها
وكونوا كما كان الألى أنجبوكم ... نفوساً كباراً واسعات همومها
إذا اتسع الهم العظيم حملنه ... وقمن به حتى تضيق جسومها
فلسطين باب البيت روع أمنها ... وديس - وأنتم تنظرون - حريمها
قرابتنا الأدنون يستصرخونكم ... فبتت عيون ليس يصحو نؤومها
سراعاً بني العرب الجحاجح إنها ... حياة هوان ما يطاق جحيمها
وما الموت سم في الشفاء وإنما ... أراها حياة لا تطيب سمومها
فلا توجلوا من موتة ليس بعدها ... سوى جنة فيحاء طاب نعيمها
بكم غدرت إنكلترا فترقبوا ... بقية غدر سوف تهمي غيومها
وثقتم بها حتى تبلج نصرها ... ونيل لها بعد الشماس صرومها

بهـا خـدع الشـرق الغـرير وغـره أقـاويل إفك قـالهن زعـيـمـهـا
وكـان تبـيع الكاذبين فـهل رأى مـرائقـهم تبلى ويفنى رمـيـمـهـا
فـيـا أسـفـا للعـرب كـيف تبدلت عـزائمـهـا ضـعـفـاً وجـهـلا علومـهـا
غـدت فى الدنا ذيلا وكـان من الدنا بمنزلة الرأس الكبـير قـديمها

***

فلسطين مـا غـيـر الجـهـاد مطيـة إلى المجد يفـضى وخـدها ورسـيـمـهـا
وليس سـوى الأرواح بعـد وسـيلة يبلغك الحق الهـضـيم قـويمها
فـلا تعـدلى عنهـا إلى الخطة التى عـواقـبـهـا مـا إن يطاق وخـيـمـهـا
ولا تطلبى بالقـول حـقـا مـضـيـعـا فـبالسـيف يسـمـو للعلى من يرومـهـا
لقـد سـفـرت إنكلتـرا وحليـفـهـا بأوجـه مـنين كـالجـليـد أديمهـا
وخلفـهـم الشـذاذ من كل بقـعـة نفت لؤمـهم حـتى اسـتراح كـريمهـا
رنت لسـمـاء القـدس منهم طمـاعـة نواظر يقـذى النـاظرين دمـيـمـهـا
إذا عـرجـوا فـيـهـا ونحن حـمـاتهـا وكـانوا شـيـاطيناً فنحن رجـومـهـا
ونحن أناس يشـهـد السـيف أننا به حين تعـوج الأمـور نقـيـمـهـا
لنا فى الأمـور المدلهـمـات فطنة وطول أناة لا يخـيب حكيـمـهـا
ومـا كـان فتح الإنكليـز سـوى الردى وإن زعـمـوه نعـمـة تسـتـديمهـا
وجندهم كـانت لدينا ولـم تزل أمـارات شـؤم لا يسـر قـدومـهـا
لنا أنفس بالنـاس جـد رحـيـمـة وتقـسـو إذا مـا ضـيـم يومـا رحـيمـهـا
سنقـسـو ذياداً عن حـقـوق بلادنا وننشـدها حـتى يرد هضـيـمـهـا
ليـعلم جـزار الشـعـوب بأننا ضـراغم غـاب لاتلذ لحـومـهـا



حوار حول رواية

وليمة لأعشاب البحر

للدكتور

السيد أحمد فرج

١

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوضين

لم تكن رواية (وليمة لأعشاب البحر) أول الأعمال الإبداعية التى اشتجرت حولها الآراء، واحتدمت بسببها المناقشات ولن تكون آخرها؛ فالكيان البشرى مفطور على الاختلاف الناشىء عن اختلاف المشارب، وتباين الرؤى والآراء، وتعارض الأفكار، وتقابل العواطف والميول والرغبات:

﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾(١)

فالفصل الحاسم بين المختلفين مرجأ إلى يوم القيامة، حتى يؤتى الاختلاف ثمرته، ويتحقق منه ما أراده فاطر الخلق - سبحانه وتعالى - من إظهار الحق، ودحض الباطل، حتى لا ينتشر الفساد.

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾(٢).

حرية الأديب وأبعاد الاختلاف فيها

ولقد كانت الحرية من أبرز قضايا العصر التى ثار حولها الخلاف، وكان الشيخ محمد بن عبدالوهاب ممن أثارها فى أوائل هذا العصر حين دعا إلى طرح ما أدخل على الأمة فى إسلامها من البدع التى لا تمت إلى الإسلام بأى صلة، ونبذ كل ما فرضته المصالح الشخصية لبعض الحكام من أخلاقيات وقيم، والتمسك بما كان عليه السلف الصالح فى عهد الازدهار الإسلامى الخالص، وتابع ابن عبدالوهاب فى دعوته تلك كثير من التلاميذ الذين تكاثروا وتشعبوا فرقاً، بين ملتزمين بالقيم الإسلامية، ومبالغين فى التطبيق. بيد إنها ظلت حرية تدور فى المحور الإسلامى، ولا تخرج عن إطاره العام.. إلى أن نهضت طائفة من أبناء الأمة أتيح لهم أن يتصلوا بالحياة الأوروبية، وقارنوا بين ما رأوه وما عليه الحال فى داخل البلاد الإسلامية تحت ظلال الحكم القائم على الظلم والعسف والجور تحت مظلة الإسلام، فامتدحوا ما رأوا هناك، وبالغ بعضهم فى الإعجاب بما رأى حتى بلغ درجة الافتتان. فلم يروا الحرية هناك فى أعماقها وشتى أبعادها، وإنما وقفت رؤيتهم عند حدود السطح الزاهر المشرق الجذاب، فقاموا يدعون إليها متوسلين بتصوير الواقع الفرنسى خصوصا الباريسى، وما عليه الناس هناك فى سلوكهم الشخصى، والاجتماعى... إلخ، كما صنع الشيخ رفاعة الطهطاوى، وخير الدين التونسى. ومن هنا نشب الخلاف، وتولدت القضية فى العصر الحديث.

ولم يكن الخلاف فى هذه القضية حول التسليم بحرية الأديب فى تعبيره وعدم التسليم بذلك فحسب، بل امتد الخلاف ليدور حول مدى هذه الحرية ونوعها، وهل هى حرية مطلقة أم مقيدة، ونوع هذه القيود، ومصدرها... إلخ.

والمتأمل المنصف يرى أن ذلك الخلاف لم يكن خلافاً عصرياً، فقد عرف المجتمع الإسلامى هذا الخلاف منذ القرن الأول الهجرى. بيد إنه - فى الغالب - لم يخرج على الإطار الإسلامى العام، وكل ما هنالك أن بعض الاتجاهات تحدُّ من تلك الحرية فى داخل الإطار الإسلامى، وبعضها الآخر يطلقها

(١) يونس: ١٩.

(٢) البقرة: ٢٥١.

مادامت مقيدة بالإطار العام على نحو ما يراه الدارس في تاريخ الفرق الإسلامية وفكرها.

وهكذا.. نقل إلى الإسلامية العربية صورة من الصراع المحتدم بين الأوروبيين حول حرية الأديب وعدم حريته لنجد فريقاً ثالثا يتمسك بالحرية الإسلامية، ويدعو إليها، ويدافع عنها.

وفى زحمة هذا الخلاف والصراع تشعبت الآراء، وتعددت الاتجاهات، مع أن الجميع يكادون يلتقون عند نقطة واحدة، ولو أنهم لتحديد المفاهيم، إذن لما وجدوا خلافاً، ولما كان هناك صراع فى هذا الميدان، ولكنه عنف التعصب المثير.

فالذى يعرف أن الأدب نشاط إنسانى - بكل أبعاد هذا النشاط - يدرك أنه لا قيمة للتعبير الكلامى بدون مبدع يقصد أن يعبر بإبداعه عن أحاسيس الإنسان ومشاعره نحو أحداث الحياة، وظواهر الكون ليتفاعل معها، ويعايشها، ويدرك ما تكنه من أسرار، ويسعى لاكتناه ما قد تخفيه عليه من تلك الأسرار.

ويدرك أنه لا قيمة لهذا التعبير إذا لم يكن ثمة إنسان يتلقاه، ويتمثل معاناة مبدعه، ويتلمس مقاصده، ويجد فيه ذاته، أو يتعرف من خلاله على ما يجهل من أسرار الحياة، ودقائق الخلجات النفسية.

فالإنسان - أولا وأخيرا - هو مصدر الأدب ومحوره، وهو مستودعه ومتلقاه؛ بمعنى: أنه المتأثر الذى ينطلق لسانه أو قلمه بالتعبير عما يضطرب فى داخله من الانفعالات، سواء كان الإنسان هو موضوع الأدب أم غير الإنسان.

والإنسان - كذلك - هو غاية الأدب ومتلقاه، ومتوجّهه ومنتهاه الذى ينتهى إليه الإبداع الأدبى بما حملته رموزه من معان وإيحاءات مشحونة بالقوى الانفعالية والشعورية المتدفقة من ذات الأديب المبدع.

فارتباط الأدب بالإنسان هذا الارتباط القائم على التلازم يجعل من الأدب وشيجة قربى تعرف الإنسان بأخيه الإنسان، وتفتح أمامه مغاليق الحياة، وتهديه السبل فى شعاب الحياة ودروبها؛ فتتوطد الصلات بين الإنسان والكون من جهة، وتتوثق الروابط بين الإنسان وأخيه الإنسان من جهة أخرى، فلا مكان للعبثية فى الإبداع، ولا يصح أن يخلو إبداع من مقصد إنسانى يسهم فى الترقى بالإنسان.

وارتباط الأدب بالإنسان هذا الارتباط - فى إبداعه وفى تلقيه - يفرض على الإنسان أن لا يخرج عن حدود المنعَم عليه تجاه المنعم؛ فلا يصح من الإنسان الأديب أن يركبه الغرور، أو يستبد به التعالى، أو يسيطر عليه التكبر، أو يقوده الانخداع ويغفل عن قيمة النعمة التى منحه المنعم إياها، فيهمل حفظها ورعايتها، أو يغفل عن دور تلك النعمة ورسالتها، والإفادة منها.

وارتباط الأدب بالإنسان هذا الارتباط - مبدعا ومتلقيا - هو الذى فرض على المبدع أن يراعى مقتضى الحال، وأن يجعل من الفطرة الإنسانية السليمة إطارا يحدد مسار الأدب ونشاطه من جهة، وميزانا يقوّم النتاج الأدبى ويهذبه، ويلزمه بضوابط الحق والجمال والخير من جهة أخرى، حتى لا يتفلت من عناصر الكيان الإنسانى الثلاثة: المعرفة، والوجدان، والسلوك.

إلى غير ذلك من الارتباطات التى تقرر أن الأدب يخدم الإنسان، وليس العكس، وأن على

الأديب المبدع أن لا يغفل عن وظيفة الأدب وأن لا يطلق لنفسه عنان الحرية، محتجاً بشرف الدور الذى يقوم به؛ فشرف الدور الذى يقوم به الأديب المبدع مستمد من حفاظه على ثوابت الفطرة الإنسانية، فمادام محافظاً على تلك الثوابت، دافعاً عنها كل زيف، داعيا إليها، حاضاً على التمسك بها... أقول: مادام المبدع كذلك كان مؤدياً دوره، مستحقا من مجتمعه الحياة والرعاية.

من هذا المنطلق اتسم الخلاف حول أى عمل يصدر عن الإنسان أدبيا كان أو سلوكيا بسمة المطاطية والاتساع، حتى بدا المختلفون حول الأعمال الإبداعية فى هيئة القطيعة، فهذا فى أقصى اليمين، وذاك فى أقصى اليسار، حتى كأن لا التقاء.

حوار حول رواية (وليمة لأعشاب البحر)

ومن هنا.. احتاج المختلفون فى تقدير العمل الأدبى إلى رأى منصف واع يعيد إلى المختلفين توازنهم والتقاءهم على كلمة سواء.

وهذا - فيما أرى - دور المحاور الذى يعيد النظر فيما يقوله كل طرف، حتى يقفنا على المرتكز الخالص الذى يفك الاشتباك، ويقرب إلى الصواب أو يُجْمع المختلفين عليه.

ومن هنا... نهض الدكتور السيد أحمد فرج ليؤدى دور الناقد الصادق - أو الميزان العادل - كى يفصل بين وجهتين متناقضتين كل التناقض؛ إحداهما ترى فى الرواية خروجاً على الجادة، وتفلتاً من عقيدة الإسلام وقيمه وأخلاقياته. والأخرى ترى أن الرواية إبداع فنى يجب أن يترك فيه للمبدع حبله على غاربه، حتى يحلق مع رؤاه الفنية لا يعوقه معوق، ولا يقومه مقوم؛ فالروائى فنان مبدع يجب أن تكفل له الحرية المطلقة حتى يمتع بفنه، ويستكمل بناءه الإبداعى.

والدكتور الذى نهض بعبء هذا الحوار الشاق المضنى ليس متطفلاً على ميدان التحكيم، ولا غريباً عليه، ولكنه واحد من المتخصصين فى الدراسات النقدية الجامعية، فهو أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة المنصورة، وقد قدم دراسته فى كتاب يحتوى على اثنين وعشرين ومائتى صفحة من القطع المتوسط، نشر دار الوفاء سنة ٢٠٠٢م، وأقام هذه الدراسة على مقدمة وخمسة فصول، وأربعة ملاحق، حاور فيها أصحاب الوجهتين المتقابلتين فى تقويم الرواية.

وقد عمل الدكتور على أن يلتزم فى حواره الحيدة المطلوبة من الناقد الجاد، فاستعرض - فى المقدمة - أبرز صفات طرفى المواجهة، فقرر أن الحوار بدأ بين تيار يمثل التفكير الملتزم بتعاليم الإسلام، وتيار وصف نفسه بتيار المثقفين التنويريين، وأن هذه المواجهة اجتذبت إلى الساحة أطرافاً أخرى، كان لها أثر فاعل فى دعم هذا التيار أو ذاك. وكان فى مقدمة تلك الأطراف الوسيطة أكبر هيئة تشريعية فى البلاد، المتمثلة فى مجلس الشعب ولجنته الدينية، وأكبر مؤسسة دينية إسلامية فى مصر، المتمثلة فى الأزهر ومجمع البحوث الإسلامية، ومجموعة من المفكرين والكتاب الصحفيين وغير الصحفيين ذوى الميول والمشارب المختلفة، أو المحايدين ممن استدعاهم الموقف إلى الإدلاء بدلوهم.

وقرر أن هذا الحوار انتهى بسكوت أكثر الأطراف عن الكلام إلا أصوات ما عرف بجبهة المثقفين التنويريين التى وجهت كل سهام غضبها إلى قلب

الأزهر، تاركين الحديث عن الرواية؛ لإعلان انتهاء دور الأزهر، مُدّعين أنهم وحدهم من دون الناس هم المثقفون، وأنهم وحدهم من دون الناس القادرون على صنع الإبداع وتقويمه، فأضفوا على أنفسهم خصائص كهنوتية غريبة عن البيئة الإسلامية.

الرواية والراوي وليد ماركسي

وفي الفصل الأول (الرواية : الإنسان والجغرافيا والتاريخ) استعرض الدكتور عناصر الرواية استعراضا شمل الكاتب بتقديره واحدا من عناصرها الأساسية التي تقوم عليها؛ شأن كل عمل فني، إذ الأعمال الفنية لا تنفصل بأية حال عن مبدعها، فهي انعكاس لأفكاره، ومعرض لآرائه ومعتقداته، وبعض من نبضه الوجداني.

وكان من أهم ما حدد به معالم الكاتب أنه سوري الميلاد، ماركسي العقيدة، علوي المذهب، خرج من سوريا فراراً من نظام سياسي بغيض، أو رغبة في العمل بجزائر المليون شهيد، التي تمثلت حلماً في خيال الشباب العربي، بعد نجاح ثورة التحرير من الاحتلال الفرنسي.

وأنه احتفظ لنفسه بكراهية ضمنية مباشرة، أو إسقاطية للبلاد العربية، ظهرت في قوله : « في العراق وسوريا ومصر وسائر البلاد العربية لا يوجد غير السلب والنهب والقتل والأكاذيب، والحكام العرب حلاليف وطغاة وأعداء لشعوبهم».

وأن ماركسيته بعثته على السخرية من الثورة الجزائرية، وكل الثورات العربية لأنها لم تكن ماركسية، وجعلته يضفي على أبطال روايته الصبغة الماركسية؛ فمهدي جواد يفخر بأنه ملحد يضع الشرف وأخلاق المسلمين في مؤخرته، و(مهيار الباهلي) شيوعي عراقي، مأخوذ بعصور التنوير اللوثري وما شابهها، ويسخر من الزكاة.

بل إن تلك الماركسية جعلته يستل (قلنه بو عناب) من صفوف النضال الثوري الجزائري ليجعل منها العاهرة المقدسة التي باعت كل ما تملك بدءاً من الشرف، وانتهاء بالله والثورة، حتى إن (آسيا الأخضر) المفتونة بأبيها المناضل الجزائري الشهيد قد انحدر بها الكاتب من سماء النضال، وقوة الإرادة إلى درك العشق والفساد، حيث أصبحت مهبط شهوة الرجال الشبقين، و(منار) أختها تجاهر بحب الفرنسيين، وبغض العرب، والحاج (محمد) نموذج المسلم العربي في تصور الكاتب لا يعرف من الدين إلا قشورا.

ومن هذا الاستعراض يقرر الدكتور أن شخصيات الرواية منتقاة بعناية مقصودة، وأن الكاتب صنعها على عينيه، وهيأها لإعلان الرفض المطلق للدين، ولكل موروث من قيم وأخلاق، وأهل هذه الشخصيات لرفض أشكال الحكم العربي.

ويقرر الدكتور أن الرواية نوع من الفكر العبثي الذي يؤدي إلى اللاشيء، والذي يطالب بتدمير كل شيء، لإقامة ماركسية لينينية في الوطن العربي.

ويدعم الدكتور ما قرره في شأن الرواية بما أضفاه عليها واحد من مشاهير النقاد العرب الماركسيين – وهو محمود أمين العالم – في قوله : هي رواية « تعبر عن رفض مطلق، بل إدانة مطلقة للأوضاع العربية الراهنة، والقيم الأخلاقية والاجتماعية والعقائدية السائدة فيها، والمهيمنة عليها . »

وحياد الدكتور المحاور فرض عليه أن لا يقصر استعراضه على الكشف عن هوية الراوي والرواية،

فأضاف إلى ذلك مايراه مخلصا للراوى من موقفه العبثى التدميرى، فيقول: «لو أن الكاتب أشار إلى السلبيات دون أن يهدم الأشياء والأفكار دون ما غاية أو هدف لأعطى الحق فى أن يقول كلامه، ولكنه صور العالم العربى لا عقلانيا، معطوبا، منهوبا، مستلبا، فى حالة حصار من جهل أهله، وقهر حكامه.»

ولفت الدكتور النظر إلى أن ماركسية الراوى أوقعته فريسة الأسلوب التقريرى، الذى بدا فى حرصه على دعوة العقل العربى إلى اعتناق الأفكار اللينينية التى أضفت عليها من القدسية ما جعل منها كهنوتا، حتى ليخيل للقارىء أن من بين يديه بيانا شيوعيا مطولا يفسر بيان ماركس / انجلز المختصر؛ فبينما يقدس الراوى تعاليم ماركس ولينين الإلحادية، يزدرى العقائد الدينية، ويسخر من الأخلاقيات العربية والإسلامية، وعادات العرب المنبعثة من تعاليم الإسلام فى جميع صفحات الرواية السبعمائة، فيجرفه ذلك إلى الإعلان عن جهله بالقيم الكاثوليكية، متوهما أنها تحض على العهر والشذوذ.

من ثمار الثقافة الوزارية

وفى الفصل الثانى (الثقافة والصحافة والقراءة والنقد وصك البراءة والأزهر الشريف والزيتون) ذكر الدكتور أن دور الثقافة - منذ أصبح للثقافة وزارة ومجلس أعلى - اقتصر على التكرار الببغائى لألفاظ الحداثة والتنوير، وتولى أمرها جماعة ممن فتنوا ببريق الألفاظ الطنانة، واستجابوا لإغراء الغازى المستعمر، فباعوا كل شىء نظير ألقاب لا تخدع إلا الصغار، ومنح لا تدوم.

وذكر الدكتور أن هؤلاء قد سبق إلى وهمهم أنهم - وقد ألبسوا أنفسهم ثوب الكهنوت الثقافى - أصبح فى مقدورهم إصدار صكوك المنح والمنع ليجعلوا منها دستوراً يحسم كل أمر يتصل بالثقافة والإبداع؛ وتوجوا أنفسهم - بمقتضى ذلك - بتاج الثقافة والتنوير الذى لا يصح أن ينازعهم فيه منازع، وقرروا - كذلك - أنهم وحدهم سدنة الإبداع القادرون على صنعه وقراءته وفهمه، وتحديد من يجوز له الاقتراب من حرم الإبداع، وقرروا - بتلك السلطة - أن علماء الأزهر يجهلون الأعمال الإبداعية، لدرجة العجز عن قراءتها، وفهم سككها، وأن كاتب هذه الرواية - على ما فيها من إسفاف أخلاقى، وتهافت فنى، وانحطاط تعبيرى - من كبار الأدباء.

استنفار التنويريين للدفاع عن الرواية

ورصد الدكتور طرفا من الأحداث التى استغلها التنويريون فى استنفار أعوانهم للدفاع عن الرواية وكاتبها، فذكر أن الاستنفار بدأ عندما نشرت صحيفة (الأسبوع) خبر الوليمة الفاسدة، ولكن النار اشتعلت، والعواصف هاجت عندما نشر الدكتور محمد عباس فى جريدة (الشعب) عن تلك الرواية مقاله الثائر المثير، الذى بدا أثره فى ثلاث شعب؛ أما الشعبة الأولى فتمثلت فى طالبات وطلبة جامعة الأزهر الذين أهاجهم الأمر، فتظاهروا ثائرين. وأما الشعبة الثانية فتمثلت فى مجلس الشعب الذى عالج الأمر عن طريق لجنته الدينية، ورفع الأمر إلى الأزهر الشريف مرجع الأمة الدينى ليقول كلمة الإسلام فى الرواية. وأما الشعبة الثالثة فتمثلت فى وزارة الثقافة وأجهزتها المعاونة التى انبرت تقرر أن

مؤلف الرواية مؤلف متميز، وأن الرواية قيمة إبداعية عالية، وأنها صدرت في طبعات كثيرة في العالم العربي، ويتم توزيعها حاليا في طبعتها السورية الصادرة في ٢ / ٥ / ٢٠٠٠، بينما جاء في بيان الوزير أن الرواية مسحوبة من الأسواق من منتصف نوفمبر سنة ١٩٩٩ أي بمجرد صدورها عن إحدى مؤسسات وزارة الثقافة، وأنه شكّل لجنة برئاسة شيخ النقاد المصريين الدكتور عبدالقادر القط لمعرفة الرأى في الرواية.

ثم ظهر الوزير في بث مباشر على شاشة القناة الأولى في التليفزيون في مساء الاثنين ٨ / ٥ / ٢٠٠٠ ليصرح بأن الرواية تصدر من سنة ١٩٨٣ في طبعات عربية، وفي مصر الآن لا توجد نسخ منها في السوق بعد سحبها، وستشكل لجنة من علماء ونقاد، وعلماء دين تدرس الرواية من كل جوانبها، خاصة الجانب الإبداعي، وما يتصل بالدين؛ فنحن لا نقبل التطاول على الدين، أو خدش المجتمع، وسنحدد الموقف بعد تقرير اللجنة.

وفي حديث مع صاحب الرواية نفسه جاء في (أخبار الأدب في ٧ / ٥ / ٢٠٠٠) قال: لقد دفعت ثمن جرأتي على الاقتراب من المحرمات كثيرا، فقد تم منع قصصي ورواياتي - وعلى رأسها (وليمة لأعشاب البحر) التي تم منعها من الدخول إلى معظم البلاد العربية لمدة ١٢ عاما... لقد عشت في بيئة تحاربني على المستوى الديني، ويقولون: إنني ملحد.

وهكذا تفجرت التناقضات المثيرة للحيرة والشكوك:

الوزير يظهر مدافعاً عن الدين، وعن التقاليد الاجتماعية الراسخة.

والمسئول عن نشر الرواية يدافع عنها وعن مؤلفها، ويزعم أنها توزع منذ عشر سنوات.

والمؤلف لا يخفي جرأته على الاقتراب من المحرمات الدينية والسياسية والجنسية، واتهامه بالإلحاد، وأنه محل شبهة في كل بلاد العالم العربي، وأن رواياته ممنوعة من النشر في البلاد العربية منذ اثني عشر عاما.

ومع هذا التباين والتعارض الصارخ بين أجهزة الوزارة والوزير والمؤلف.. صدر من الوزارة - بجميع مؤسساتها - صك براءة الرواية، مصرحاً بأن الوزارة لم تجنح إلى الباطل بنشر الرواية، ولكن العيب فيمن لم يتعلموا قراءة الإبداع، وتصدوا لإبداء الرأي فيها.

حتمية الاحتكام إلى الأزهر الشريف

وذكر الدكتور المحاور أن هذا التعارض والاختلاف تطور حتى كاد يصل إلى الاشتباك؛ فمن نعتوا أنفسهم بالمثقفين والتنويريين ينصبون أنفسهم دون غيرهم سدنةً للثقافة، ويتهمون الآخرين بعدم فهم الرواية، حتى تحولت القضية من رفض رواية، ونقد الرفض إلى ساحة سجال غير أدبية إن لم تكن غير أخلاقية، حيث تحول المنعوتون بالمثقفين إلى شتامين بذائين؛ من كل ما دفع المسئولين الرسميين في الدولة إلى الاحتكام للأزهر الشريف.

فقد سارعت مباحث أمن الدولة بإرسال الرواية إلى مجمع البحوث الإسلامية في ٦ / ٥ / ٢٠٠٠ لبيان ما بها من مخالفات شرعية، وإبداء الرأي فيها.

ثم أرسل رئيس مجلس الشعب إلى مجمع البحوث الإسلامية كتابا بهذا المعنى في ١٣ / ٥ / ٢٠٠٠، ولم يكن أمام مجمع البحوث الإسلامية إلا أن يعرض الموضوع على لجنة البحوث

الفقهية لإبداء الرأى، وفى ١٧ / ٥ / ٢٠٠٠ تم عرض تقريرى اللجنة، والرواية نفسها على مجمع البحوث الإسلامية، مجملا فى التالى:

أولا: إن وزارة الثقافة خالفت ما يقضى به القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦٤، وخالفت ما قطعت به الجمعية العمومية لقسمى الفتوى والتشريع بمجلس الدولة من أن الأزهر الشريف هو وحده صاحب الرأى الملزم لوزارة الثقافة فى تقرير الشأن الإسلامى للترخيص أو رفض الترخيص بالمصنفات؛ فلم تستطلع رأى الأزهر أو مجمع البحوث الإسلامية مع ما ورد فى الرواية من أمور كثيرة تتصل بالإسلام والعقيدة والشريعة.

ثانيا: أن الرواية مليئة بالألفاظ والعبارات التى تحقر جميع المقدسات الدينية وتهينها بما فى ذلك ذات الله ـ سبحانه ـ وشخص الرسول صلى الله عليه وسلم، والقرآن الكريم، واليوم الآخر، والقيم الدينية.

ثالثا: أن الرواية خرجت عن الآداب العامة خروجاً فادحا، بالدعوة إلى الجنس غير المشروع، واستعمال الألفاظ البذيئة بلا حياء.

رابعا: أن الرواية لم تكتف بذلك، بل حرضت صراحة على إهانة جميع الحكام العرب، ووصفتهم بأقبح الأوصاف.

خامسا: من كل ما سبق اتضح أن ما ورد فى الرواية خروج عما هو معلوم من الدين بالضرورة، وينتهك المقدسات الدينية والشرائع السماوية والآداب العامة، والقيم القومية، ويثير الفتن، ويزعزع تماسك وحدة الأمة .. ويضع على عاتق من نشر هذه الرواية دون استطلاع رأى أهل الاختصاص المسئولية الكاملة عن هذا التجاوز، والآثار المترتبة عليه دينياً واجتماعيا.

تحويل المعركة لإرهاب الأزهر والأزهريين

ولاحظ الدكتور أن مثقفى وزارة الثقافة التنويريين لما جوبهوا بهذا الإيضاح الحاسم من الأزهر لاذوا بالفرار من ميدان الحوار الباحث عن الحقيقة، ولجأوا إلى سلاح الإرهاب والتزييف المضلل؛ أملاً منهم فى أن يسكتوا بذلك صوت الحق، ويكمموا فم الأزهريين، فعلا صراخهم - وليس حوارهم - بالتهديد والوعيد المنطلق من فرض المعايير النقدية التى توافق أهواءهم، وتفرض إبعاد غيرهم، مثل:

١ - تقييم الأعمال الأدبية يجب أن يتم من خلال منهج أدبى.. وليس من خلال مؤسسات سياسية أو دينية.

٢ - لا يجوز قراءة جزء من الرواية منفصلا عن السياق العام.

٣ - التنبه إلى العواقب بعيدة المدى لهذا المنهج فى التعامل مع الإبداع الأدبى.

ولم يكتفوا بإصدار تلك الصكوك العامة، ولكنهم أتبعوها باتهامات صريحة فى صحيفة (أخبار الأدب) الصادرة فى ٢١ / ٥ / ٢٠٠٠، فزعموا أن الأزهريين لا علاقة لهم بالإبداع الأدبى، ولذلك هم - فى رأيهم - لا يستطيعون قراءة الإبداع الأدبى ولا تذوقه ونقده، وزعموا أن الدكتور أحمد عمر هاشم - رئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب - بإعلانه رأى اللجنة الدينية - قد ساهم فى إشعال المظاهرات. ثم زعموا أن الحكومة وجدت فى هذه الزوبعة فرصة لتشغل الناس عن فشلها الاقتصادى، وفشلها فى علاج أزمة السيولة، وما خلفته من مشكلات، وفرصة كذلك لتتخلص من حزب العمل الذى لا يكف عن إثارة الشعب فى جريدته؛

فحركت الحكومة - بزعم هؤلاء المثقفين - جناحها الديني بكامل هيئته المتمثلة في شيخ الأزهر، وجامعته، ومجمع البحوث الإسلامية، ولجنة الشئون الدينية، والفقهاء الجاهزين بفتاوى تحت الطلب.

بل إن مثقفي وزارة الثقافة اشتطوا في تطاولهم على الأزهر خاصة، فشحنوا كتاباتهم بعبارات وألفاظ تجافي الحقيقة ولا تعرف الآداب العامة، وقاموا بشن حملة شعواء تدعو إلى التخلص من الأزهر، كما تخلصت أوروبا في القرن الثامن عشر من الكنيسة.. ومن هنا توالت على الأزهر مقالات السب والازدراء، زاعمين أن الأزهر وعلماءه يزحفون بالأمة الإسلامية إلى الخلف نحو عصور الجهل والظلام.

الحقيقة التى أراد التنويريون طمسها

وأطال الدكتور في استعراض ترهات مثقفي وزارة الثقافة وأباطيلهم التي عملوا على إلباسها ثوب الحقيقة، وسخروا - في نشرها - الصحف القومية وغيرها؛ أملاً منهم في أن يحقق لهم ارتفاع الصوت بالأباطيل والبذاءات ما تصبو إليه أفئدتهم، من هدم الأزهر وطمس معالمه.

ثم أخذ يحاور هؤلاء سالكاً في حواره معهم أسلوب الحوار الجماعي تارة، وأسلوب الحوار الفردي تارة أخرى، معتمدا في حواره على عرض المزعم الجماعي أو الفردي بما تضمنه من تهافت وسخف وانحطاط في التفكير والتعبير، ينم عن انحطاط في الأخلاق والسلوك. ومن هنا.. أخذ في مناقشة هذا المزعم وتفنيده تفنيدا ثائرا مرة، وهادئا مرات، واضعا صوب عينيه الوصول إلى الحقيقة وتجليتها، وإبراز معالمها، وكشف نواياهم السيئة، ومقاصدهم الانحلالية المتفلتة من أواصر الخُلق، المتجاهلة قيم الإسلام، فوضح كثيرا من الحقائق المهمة التي أرادوا طمس معالمها، والتخلص منها؛ ومن أبرزها دورُ الأزهر ومكانة الأزهريين، ومحاولتهم اتهام الأزهر بتجاوز حدوده، فقال:

١ - إن الأزهر لم يتجاوز حدودهُ بأية صورة من الصور؛ إذ لم يفرض نفسه على الموضوع ابتداء، ولكن المؤسسات الرسمية في الدولة هي التي طلبت رأيه، وبيان ما اشتملت عليه الرواية من مخالفات شرعية، كما جاء في كتاب مباحث أمن الدولة، وكتاب مجلس الشعب.

ولو أن الأزهر لم يلب تلك الطلبات لكان قد تجاوز حدوده، وأهمل واجباته تجاه الدولة وتجاه الأمة.

فالحقيقة الملموسة هي أن وزارة الثقافة هي التي تجاوزت حدودها، حين نشرت مثل هذه الرواية دون استطلاع رأي الأزهر أو مجمع البحوث مخالفة مقتضى القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١ بشأن إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التي يشملها ولائحته التنفيذية، ومخالفة القوانين المتصلة بحماية حق المؤلف، وتنظيم وزارة الثقافة، ومخالفة ما قررته الجمعية العمومية لقسمي الفتوى والتشريع بمجلس الدولة.

٢ - إن قيام الأزهر بأداء واجبه لا يشبه من قريب ولا من بعيد ما كانت عليه الكنيسة الكاثوليكية في القرن الثامن عشر من هيمنة كهنوتية؛ فالفارق شاسع واضح بين هذا وذاك؛ لأن الأزهر - بجميع مؤسساته - يرفض الكهنوت؛ إذ الإسلام لا يعرف الكهنوت؛ ولا سيطرة لإنسان باسم الإسلام على إنسان آخر.

«يتبع»

من مختارات مجلة الأزهر*

فِرْعَوْن

إعداد الشيخ/ على حامد عبد الرحيم

بقلم الأستاذ الكبير/ فكرى يس**

١- أصل اللفظ ومعناه:

قال المسعودى: إنه لا يعرف لفرعون تفسير بالعربية. وقال الراغب: فرعون اسم أعجمى، وقد اعتبرت عرامته (شدته وتجبره وصعوبة خلقه) فقيل: تفرعن فلان، إذا تعاطى فعل فرعون. وجاء فى اللسان والقاموس: الفرعنة: الكبر والتجبر، والدهاء والنكر، وكل عات فرعون، والعتاة الفراعنة، وهو ذو فرعنة: أى دهاء وتكبر. ويقال: فرعون على وزن فعلون، وفرعون (بضم الفاء وفتح العين) وفرعون (بضمهما) وهى لغة نادرة.

وهو ممنوع من الصرف فى قول بعضهم، لأنه لا سمى له، كإبليس فيمن أخذه من أبلس، قال ابن سيده: وعندى أن فرعون هذا العلم أعجمى، ولذلك لم يصرف.

وهو اسم لكل من ملك القبط ومصر فى الزمن القديم، وقيل: هو لقب لمن ملك العمالقة، ككسرى لملك الفرس، وقيصر لملك الروم، وخاقان لملك الترك، وتبع لملك اليمن، والنجاشى لملك الحبشة. وقيل: إنه اسم ذلك الملك بعينه، وهو صاحب موسى - عليه السلام.

والإطلاق الأول هو الأظهر، لأنه يتفق وماجرى عليه العرف بين المؤرخين قديما وحديثا من تسمية العصر التاريخى الذى يبتدىء بظهور «مينا» وينتهى بانتهاء الأسرة الحادية والثلاثين بعهد الفراعنة، وتاريخ الفراعنة، ومن عدم إطلاقهم ذلك على أى عصر من العصور التاريخية الأخرى، ولأن الواقع يؤيد أن الدول التى ملكت مصر بعد أيام الفراعنة كانت من سلالات أخرى غير السلالة الفرعونية، وكانت لهم فى الحكم والملك والحضارة صبغة وطابع تخالف صبغة الفراعنة وطابعهم.

(*) عدد ربيع الآخر سنة ١٣٥٨هـ.

(**) من كبار علماء الأزهر الشريف.

٢. أصل الفراعنة :

هناك آراء كثيرة فى نسب الفراعنة، وأرجح الآراء الحديثة الرأى، الذى أخذ به معظم المؤرخين الحديثين، وهو رأى الأستاذ « برستد » معلم التاريخ المصرى القديم، وتاريخ المشرق بجامعة شيكاغو، وذلك أن المصريين الأولين الذين كانوا يقطنون مصر قبل أجداد « مينا » قوم من سكان أفريقيا المعروفين باللوبيين، أما أجداد « مينا » فقد ثبت أنهم قول ساميو الجنس، قدموا إلى مصر من آسيا، وينسبون إلى سام بن نوح ـ عليه السلام ـ ويدل على ذلك أن ماوصل إلينا من لغتهم يغلب فيه العنصر السامى على غيره، وقد امتزج العنصران : الأفريقى والأسيوى، واندمجت الولايات الصغيرة تدريجيا، حتى تكونت منها مملكتا الشمال والجنوب، ولماظهر مينا تمكن من ضم المملكتين، وكون منهما مملكة مصرية عظيمة، كان هو أول الفراعنة الذين جلسوا على عرشها. ثم تتابعت الأسرات والملوك إلى أن انقرضت دولة الفراعنة سنة ٣٤٠ قبل الميلاد، بعد أن حكموا وادى النيل نحو ٤٠٠٠ سنة.

٣. فراعنة الأنبياء :

ذكر ابن الجوزى أن فراعنة الأنبياء ثلاثة : فرعون الخليل، وفرعون يوسف، وفرعون موسى، وهو فرعون هرون.

وذكر بعض المؤرخين أن سليمان بن داود ـ عليهما السلام ـ تزوج بنت أحد فراعنة الأسرة الحادية والعشرين، وأتى بها إلى مدينة داود.

ولعله لم يعد فى فراعنة الأنبياء، لأن الأمر لم يزد بينه وبين سليمان فى حصول تلك المصاهرة، بخلاف ماكان بين إبراهيم ويوسف وموسى وهرون وبين فراعنتهم من حوادث سجلها التاريخ، وعنيت بها الكتب المنزلة.

ونحن متحدثون هنا عن فراعنة الأنبياء بما استطعنا أن نصل إليه بشأنهم، بعد البحث والاستقصاء، وبعد الرجوع إلى أهل الذكر فى هذا الموضوع الغامض الدقيق.

٤. فرعون إبراهيم :

يغلب على ظن الجمهور من المشتغلين بتاريخ مصر القديم بحثا وتأليفا، أن ذهاب إبراهيم ـ عليه السلام ـ إلى مصر كان زمن أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة، ويحكى بعضهم إجماع العلماء على ذلك، ولكنهم جميعا لم يستطيعوا إلى الآن إقامة الدليل الكافى على تعيين الملك الذى جاء إبراهيم إلى مصر فى عهده.

فذهب بعضهم إلى أنه « أسرتش الأول » ثانى ملوك الأسرة الثانية عشرة، وهو الذى أشركه معه أبوه « أمنمحعت الأول » فى الحكم، بقصد تدريبه على إدارة شئون البلاد، ومن أشهر آثاره مسلة عين شمس ، وقد بقى فى الحكم من سنة ١٩٨٠ إلى ١٩٣٥ قبل الميلاد. وذهب آخرون إلى أنه « أمنمحعت الثالث » سادس ملوك الأسرة الثانية عشرة، وهو صاحب أعمال عظيمة، وآثار فخمة، واستمر فى الملك من سنة ١٨٤٩ إلى سنة ١٨٠١ قبل الميلاد.

والكتب العربية تدعو فرعون إبراهيم «سنان» وتذكر له نسبا يصل إلى نوح ـ عليه السلام ـ وسنتحدث عن قصته مع إبراهيم حين الكلام على إبراهيم ـ إن شاء الله تعالى.

٥ـ فرعون يوسف :

يرجح المؤرخون أن قدوم سيدنا يوسف ـ عليه السلام ـ إلى مصر، وحدوث ماحدث له، كان في عهد الأسرة السادسة عشرة.

ويذكر بعض المؤرخين المعاصرين انه لم يبق شك في ان يوسف الصديق ـ عليه السلام ـ قد دخل مصر في عهد الأسرة السادسة عشرة.

اما ملوك هذه الأسرة، فهم من قوم فاتحين، أغاروا على مصر حوالي سنة ١٦٥٧ قبل الميلاد، وهم الذين يدعون باليونانية «هيكسوس» أي الملوك الرعاة، ويسمون في الكتب العربية بالعمالقة.

ولم يعرف من ملوك هذه الأسرة الذين يبلغ عددهم اثنين وثلاثين إلا ملك واحد، يسمى باللغة المصرية القديمة «إبابي» والعرب يدعونه «الريان بن الوليد» والمؤرخ مانيتون يدعوه «ابوفيس» وهو الذي وفدت في أيامه السيارة التي باعت يوسف بن يعقوب إلى «فوتي فارع» المذكور في التوراة «فوطيفار» ـ عزيز مصر.

وقد انتهى امر يوسف مع هذا الفرعون إلى ان جعله أمينا على خزائن الأرض.

٦ـ فرعون موسى :

تحدث القرآن عن فرعون موسى أكثر مما تحدث عن غيره من فراعنة الأنبياء، فذكر قصته في غير موضع منه، وعرض لها في كثير من آياته وسوره، ولعل السر في هذا ـ والله أعلم ـ هو تبيان ماوقع على بني إسرائيل في ذلك العهد من ظلم واضطهاد، وما أصابهم من بطش وعنف، وماقاموا به من نضال وكفاح، وتذكير الناس بفضل الله على عباده، ورحمته بخلقه، وتفصيل جهود الأنبياء ومابذلوه من عناء ومشقة في سبيل تبليغ دعوتهم، وإيراد هذه المعاني ومايشبهها في أساليب مختلفة، وعبارات متنوعة، ليكون ذلك أعمل في النفوس، ـ وأملك للقلوب، وأبلغ في التأثير.

أدرك موسى ـ عليه السلام ـ عهدي ملكين من ملوك الأسرة التاسعة عشرة يقال للاول منهما: «فرعون الاضطهاد» لأنه اضطهد بني إسرائيل، وقسا في معاملتهم، وشدد الوطأة عليهم، ويقال للثاني: «فرعون الخروج» لأن بني إسرائيل خرجوا من مصر في عهده.

فأما فرعون الاضطهاد، فهو رمسيس الثاني، المعروف برمسيس الأكبر، وقد ولد موسى في زمنه، وتربى في بيته، بعد أن التقطه آل فرعون من نهر النيل الذي كان قد ألقي فيه بإلهام من الله ـ تعالى ـ لأمه، وكانت قد وضعته في سفط من البردي، لأن المصريين القدماء كانوا يعتقدون أنه يقي من التماسيح وغيرها من الحيوانات الضارة.

وقد شيد رمسيس كثيراً من المباني في جميع أنحاء البلاد، ونقش عليها أخبار حروبه وانتصاراته، فاكتسبه ذلك شهرة فائقة في التاريخ، جعلت كثيراً من الناس يزعمون أنه

أعظم ملوك مصر، وبلغ من إعجاب خلفه به؛ أن عشرة منهم سموا أنفسهم باسمه على التوالي.

وكان قد بلغه ماهو مشهور في بني إسرائيل يومئذ من أنه سيخرج منهم غلام يكون هلاك ملك مصر على يديه، كما كان يخشى أن ينضم بنو إسرائيل إلى أعدائه ويمالئونهم عليه إن حدثت حرب، خصوصا أنهم صاروا عدداً عظيما، ونموا وتكاثروا، فاضطهدهم، وزاد في تعذيبهم، وسخرهم في تشييد المباني، واستخدمهم في أخس الصنائع، وأدنا الحرف، وأمر بذبح أبنائهم، وطرحهم في البحر، واستحياء نسائهم:

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾(١).

واستمر في معاملتهم على هذا المنوال إلى أن مات بعد أن حكم ٦٧ سنة.

ومما يعرف عنه أنه كان جميلا وضيئا، وقد تزوج بكثيرات ولدن له نحو المائتين من الأولاد، وقد دفن في مقبرة ببيبان الملوك، ثم نقل إلى الأقصر، لأسباب غير معلومة، ثم نقل إلى متحف بولاق.

وأما فرعون الخروج، فهو «منفتاح الأول» الابن الثالث عشر لرمسيس الأكبر، وقد أشركه معه أبوه في الحكم قبل وفاته، وأخذ ولاية العهد وهو مسن، وقد عاصر موسى وهو يتربى في بيت أبيه.

وكان منفتاح مولعا بتشييد المباني كأبيه، وكان يمحو أسماء الملوك من الآثار التي شيدوها وينقش اسمه مكانها، وقد فعل ذلك بكثير من آثار أبيه نفسه، ولولعه بتشييد المباني، ظل مع بني إسرائيل على الأضطهاد الذي بدأه أبوه، ثم أرسل الله إليه موسى وهرون لدعوته إلى عبادة الله، وأظهرا له معجزاته، فأبى، فخرج موسى بقومه بني إسرائيل من مصر، بعد استئذان منفتاح في ذلك، ولكن بعد خروجهم بقليل ندم فرعون على خروجهم، فجمع فرسانه وجنوده، وجدّ في اللحاق بهم، ليعيدهم إلى الذل والعبودية، فأمر الله موسى أن يضرب البحر، فضربه فانفلق، وعبره هو وقومه حتى انتهوا إلى الشاطىء الثاني، فاتبعهم فرعون وجنوده، فغرقوا في الجزء الشمالي من البحر الأحمر، وغشيهم من اليم ما غشيهم، وأضل فرعون قومه وماهدى، وقد أظهر الله - تعالى - بدن منفتاح على وجه الماء بعد الغرق، ليصدق بنو إسرائيل أنه قد مات.

وقد بنى منفتاح لنفسه قبرا في ببيبان الملوك، ولكنه لم يدفن فيه، ووجدت جثته مع غيرها من الجثث في قبر امنحتب الثاني بالأقصر.

ولقد جاء إظهار بدنه، والعثور على جثته، ووجودها الآن بالمتحف المصري، متفقا كل الاتفاق مع ما أخبر به القرآن الكريم في قوله:

﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ﴾(٢)

---

(١) القصص: ٤.

(٢) يونس: ٩٢.

حضارة قوم نوح

٢

للدكتور/ علي أحمد علي

لم تخل الحياة في قوم نوح من فنون، وهي والصناعة كانتا فنونا يدوية:
فأما العمارة فقد تمثلت - في حياتهم - في تلك البيوت التي ابتنوها لسكناهم.
«نوح» عليه السلام، وهو يتضرع لربنا - عز وجل - طلبا لمغفرته ورضاه، يقول:

﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا ﴾(١).

وكان في بيته (تنور) أي فرن، ولم يكن نوح بدعا في قومه بالبيت والتنور، فقد كانوا مثله، فهي بيوت وتنانير. وإذا، فقد عاش قوم نوح.. أسرا، في بيوت، لا هملا في كهوف.

ووجود (التنور) في هذه المنازل يعتبر إشارة صريحة إلى ما تمتع به القوم من مستوى اجتماعي رفيع أبسطه أنهم عرفوا «الخبز» على شكل ما: من بر أو شعير أو غيرهما مما لا نستطيع تحديده.

على أية حال، لم يكن التنور رفها لا معنى له، وإنما كان ضرورة تؤكد معرفة القوم (للنار) واستخدامهم لها، كما أنه - بالتالي - دلالة واضحة على أن قوم نوح لم يفترسوا اللحم نيئا، بل طعموه منضجا على النار. إن «النار» منزلة حضارية متقدمة جدا في إقصاء من عرفها عن البدائية، ودلالة على ارتفاعه درجات في سلم الحضارة كما سيجيء.

ولابد - لنا - كذلك من لفتة إلى بيوتهم، سواء كانت أكواخا، أو أرفع مستوى من الأكواخ، إن القرآن الكريم سمى مسكن نوح (بيتا)، والأنبياء - جميعا - عادة يقطنون بيوتا متواضعة للغاية.

ولاشك في أن هذه البيوت كانت صالحة للمأوى، تقيهم شر البرد، وشر الحر على سواء، ولقد نكون من السذاجة بدرجة تخذل عقولنا إذا قلنا: إن بيوت أكابر القوم كانت كبيوت فقرائهم من كل وجه، لاسيما وأن القوم قد عرفوا (فن النحت) وبرعوا فيه، وأدنى عطاء لهذه المعرفة أن تتمثل صناعة البيوت لديهم وبناؤها شيئا من الجمال يضفيه عظماء القوم على بيوتهم.

---

(١) نوح (٢٨)

ثم هل كل ما لديهم من عمارة يتمثل في بيوتهم..؟

نقول: لا ندري.

وهل كانت معبوداتهم من الأوثان قد أنشأوا لها بيوتا - بدورها - أم أقاموا أنصابها في العراء..؟

أمر لا نقطع فيه بإجابة، والأمر محتمل، ولسنا مستطيعين - في شأن العمارة - أن نتعدى بيوت القوم، ولكننا نعتبر معرفتهم ببناء التنور درجة حضارية مهمة.

الزراعة: ولقوم نوح نشاطهم الزراعي: عرفوا الزراعة، وعرفوا سقيها، وحصادها بدليل بيان نوح لهم عما في الإيمان بالله - وحده - من نعمة استكثار الخير فيهم، وزيادة محصولهم من البساتين، وتوالي زيادة الأنهار، يحكي المولى - عز وجل - كل ذلك في قول نوح:

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾(٢).

وهذه الآيات الكريمة جمعت أصول الاقتصاد اللائق بحياة القوم في عصرهم:

فمعرفتهم بالنبات وزراعته: حرفة بدوية - بدورها، تمدهم بوفرة في المال، وتعينهم على تكوين الأسر لراغبي الزواج وغير ذلك.

أموالهم: وثم جزء من مالهم نعرفه بسهولة، قائم وموجود في حياة القوم، نعني به الماشية من الحيوان الأليف، فأما المال من قطع معدنية، فلا سبيل أمامنا إلى إقرار وجوده، فعلمه عند الله - جل علاه - فأما الزرع والأنعام والماشية فهي مُتَمَوَّل ذو قيمة عالية في المجتمع الزراعي وغير الزراعي على أية حال. ومن البداهة - تلقائيا - أن يوجد - بينهم - البيع والشراء، لاستحالة أن نتصور أن أغنياءهم كانوا يكتفون بجمع حصادهم، ثم يحتضنونه حتى يفني، لاشك كان بينهم مجال لتبادل شيء من هذا الحصاد، يتم فيهم بالطريقة التي يرضونها في (التبادل السلعي) إذا لم يكن هناك معدنٌ مّا يحتل قطعا نقدية.

ولحياة الزراعة دورات نوعية لابد أن القوم كانوا على وعي بها، وتلك معرفة تضم إلى ما سبق من نشاطهم في (حرفة البناء).

ثم إن قوم نوح لم يعيشوا عرايا تستر عوراتهم أوراق الشجر، بل من السفه أن نقول ذلك، لقد عرف القوم صناعتي: الغزل والنسيج بشكل ما، بدليل أنهم كانوا يرتدون الثياب وبعضهم كان (يرفل) فيها، وتصر على (رفول) بعضهم في ثيابه بدليل ما فعلوه استهزاء بنوح ودعوته، ففي شكايته إلى ربه - عز وجل - هذا اللون من استهزائهم، قال - عليه السلام:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾(٣)

ويعني ذلك أن ثياب هذا الفريق كانت من السعة بحيث يمكنه رفعها وطيها ونشرها حسب

---

(٢) نوح (١٠: ١٢).

(٣) نوح (٥: ٧).

ما يريد ليختفى بها وجهه ضيقا بنوح ودعوته، حتى كأنهم يتقززون من رؤيته.

فما أعظم حلم الأنبياء! وما أكبر قلوبهم..! ونقول -في ثيابهم- ما قلناه في بيوتهم - فلابد كان هناك شيء ما يعلو بثياب الأغنياء عن أسمال الفقراء.

النحت: ثم ليس كل ما لديهم من حرف مقصورا على: البناء، والزراعة والغزل والنسج وما تتطلبه من أعمال وأدوات، فقد برع القوم في (فن النحت).. ولازال إلى يومنا هذا فنا يدويا وصناعة غير آلية وبخاصة في الحجر، وإتقانهم لهذه الخبرة متمثل فيما تركوه من أوثان.

وبداهة: فإن النحاتين - من قوم نوح - لم يصنعوا خمسة تماثيل فقط، ثم اعتزلوا العمل بعدها ولابد أنهم أكثروا من صناعتها لتحتل (نسخ) منها بيوت القادرين.

وصناعة النحت تستلزم، البراعة في إتقان «النقش» و«التصوير» أعني إبراز الوثن على صورة جمالية بشكل ما، لاسيما وإن هذه الأوثان كانت صورا لرجال صالحين، فلابد أن تحمل وجهها وعينين وأنفا وشفتين.. إلخ، ومن هنا يرتبط فن النحت بفني النقش والتصوير. وكل ما لا نستطيع الخوض فيه بشأن هذا النحت هو «الألوان»: هل أضافوا الألوان إلى منحوتاتهم أم اكتفوا بصب دماء القرابين الخاصة بها عليها.؟

ومن هنا.. أيضًا.. كان النحت أبغض شيء في الإسلام، لأنه الصناعة الأولى التي مالت بالناس إلى الوثنية وأبعدتهم عن عبادة الله وحده، ولاتزال حرمة النحت قائمة فيما يتخذ معبودا من دون الله - عز وجل.

لنترك أول صناعة عصى الإنسان فيها ربه، واتخذ - من صنع يديه - معبودا دون الخالق - جل علاه - لننظر: هل كان في القوم صنعة، أو صناعات أخر تضاف إلى ما تقدم..؟

نقول: نعم.!

على كيفية ما، ساذجة ابتداء، ثم تأخذ مكانها شيئا فشيئا من التحسين، فإنه لابد - بداهة - من أدوات للزراعة، تعين وتيسر إمداد الأرض بالماء.

ثم تيسر جمع المحصول باستعمال آلات للحصاد - مهما كانت أولية - تيسر جمع المحصول وتصاحب العمل فيه حتى ينتهي إلى (حبه) ثم استخدام هذا (الحب) غذاء، فقد كان للقوم تنانير يمكنهم فيها صنع طعامهم.

وذلك كله يعني أن قوم نوح كانوا على علم بشيء من الصناعات الأولية، لاسيما صناعة «النجارة» نقول ذلك حتى لا نميل إلى اعتبار نوح - عليه السلام - هو (النجار) الوحيد في القوم.

نعم، قد يكون هو النجار الوحيد الذي صنع سفينة عجيبة من طوابق، لكن الحرفة كانت موجودة، ولو تمثلت في أدنى آلة تذر الحصاد.

ويعطينا القرآن الكريم لمحة تقدمية عن (الحديد) عند نوح - عليه السلام، فقد استخدم «المسمار» في صنع السفينة، وصناعة السفن الخشبية لا تحتاج إلى المسمار فحسب، نعم، إن المسمار يربط ألواحها بالهيكل، لكن تبقى الشقوق والمساحات المستطيلة بين لوح وآخر، وهي مهما كانت ضئيلة لابد من إحكام سدها بنسيج من خيوط نباتية مفتولة بإحكام تُحشى بها هذه المساحات وغيرها، كيلا ينفذ منها الماء، والمسمار وهذه الخيوط وغيرها أشارت

إليه الآية الكريمة - الخاصة بنجاة نوح والمؤمنين معه، قال تعالى:

﴿ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴾(٤).

يقول المفسرون: الدسر: ما تشد به الألواح من المسامير وغيرها، واحدها: دسار ككتاب - أ هـ.

وليس لأحد أن يدعى أن نوحا - عليه السلام - وحده، هو الذى عدّن الحديد وصنع المسمار، وأن قومه فراغ منهما.

ومما يثير الانتباه في حياة قوم نوح أن القرآن الكريم لم يرمهم بمنقصة إلا فى أمرين:

أ- تكذيبهم للرسالة السماوية على يد نوح - عليه السلام - أى (كفرهم).

ب- وازدرائهم الفقراء وشموخهم عليهم، أى (كبرهم) وما يؤدى إليه هذا الكبر من بلاء.

وإذا كان للكبر سلوك أليم يتمثل فى طغيان صاحبه، واستباحته لنفسه العدوان على الضعفاء.. إلا أننا نستطيع أن نؤكد - مطمئنين: أن هذا المجتمع لم يمارس رذيلة ذات فاحشة فشت فى القوم كما فشت رذيلة الجنس المثلى، فى قوم لوط - عليه السلام - أو قطع الطريق والنقصان فى الكيل والميزان اللذين فشوا فى قوم شعيب - عليه السلام.

والعجيب أن الوضع فى قوم نوح يكاد أن يكون هو هو فى قوم عاد ثم قوم ثمود.

وإذا كان مجتمع قوم نوح خلا من ممارسات الفواحش العلنية الآثمة، فقد يحملنا ذلك على اعتبار أن أسلوب حياتهم اليومية وأخلاقهم وعاداتهم قد اتسم بشيء من الرتابة التى لا يجد الباحث فيها شيئا يلفت النظر، وذلك أمر قاطع الدلالة على أن قوم نوح تمتعوا بحياة اجتماعية أرقى مستوى مما عليه بعض مجتمعات اليوم، هذه المجتمعات التى حوت دساتيرها (نصوصا) صريحة تبيح الفاحشة بل أرادت إحدى الدول من هذه المجتمعات أن تحمل العالم على تطبيقها.

لقد أخذ قوم نوح - عليه السلام - بكفرهم وكان كفرهم مناط عذابهم.

وعن علومهم وآدابهم

تقابلنا - أولا - لغتهم: كانت لغة فصيحة راقية جدا كفيلة بالتعبير عما فى صدورهم، على أى حال أرادته نفوسهم من جد وهزل، من حكمة أو سخرية، وحسبنا - فى ذلك - ما قدمه لنا الخالق - عز وجل - من نماذجها فى حوارهم لنوح - عليه السلام - وبخاصة فى سورة: هود على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام.

ونلاحظ - على هذه اللغة - نفس الطابع الذى لاحظه دارسو الفلسفة فى السوفسطائيين عصر سقراط، فقد كانوا أهل بلاغة وفصاحة، بل تصدوا لتعليم الشباب هذه البلاغة بالمضمون الذى أرادوه فاستطاعوا قلب الحقائق، وتسويغ الباطل عن طريق (تعويم) اللفظ بتفريغه عن معناه الموضوع له، ثم تقديمه - بعد ذلك - فيما يشبه « القضايا » لينتهوا به - ليس إلى نتيجة منطقية - بل إلى نتائج مرغوبة، قررتها نفوسهم سلفا(٥).

---

(٤) القمر (١٣).

(٥) راجع لأحمد أمين، وزكى نجيب محمود - قصة الفلسفة اليونانية صـ١٠٥ - مطبعة دار الكتب ١٩٣٥

وهذا الطابع هو الذى نجده فى الملأ من قوم نوح، فقد قالوا - لنوح:

﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ﴾(٦).

ثلاث مقدمات ينتهون بعدها إلى القول فى نوح وتابعيه: ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾(٧).

وأى المقدمات الثلاث لا ينتهى بحال إلى هذه النتيجة:

فتماثل البشرية بين الرسول وقومه لا ينفى أن يكون رسولا، وليس بين أيديهم دليل من عند الله - عز وجل - يعطيهم الحجة على وجوب أن يكون المرسل إليهم ملكا، ولو كانوا هم ملائكة لجاءهم رسولهم ملكا، لقد مضى قضاؤه سبحانه أن يكون رسول القوم منهم، ويتحدث بنفس لسانهم. قال - تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾(٨)

كذلك لم تحكم البشرية على فقراء الناس بالكذب، فليس كل فقير كاذبا، وليس كل غنى صدوقا، فكما وجدنا (المثلية) فى البشرية لا تمنع الرسالة، فالفقر - أيضا - لا يمنع صدق الفقير، ولا يمنع أن يكون للفقير رأى ناضج عن روية وإعمال فكر يتبع به صاحب الحق ويؤيده.

ثم متى اشترطت الحكمة على الناس ألا يقبلوا صدق الصادق منهم إلا إذا كان ذا فضل ونعمة عليهم؛ بل المعروف بين الناس أن يغضوا من قيمة متبعى ذى الفضل، لا أن يعظموهم، إذ يرونهم منافقين فى كثير من الأحيان.

لكنها سفسطة قوم نوح.

ألا ما أحلمه عليه السلام

ثم إن لغة بهذا المستوى لابد أن تنتج أدبا، فإن بينهم شبابا، وحبا، وزواجا، ثم هناك أوثان ليس بعيدا أن يكون فى هؤلاء وهؤلاء قصص، وإن كنا لا نعلمه، وإذا كان الأدب صدى المشاعر الإنسانية فى الدرجة الأولى، فإن من التفاهة العقلية أن ندعى فراغ القوم منها.. إننا - فعلا - لا نستطيع أن نقدم شيئا من أدب القوم، لكننا - بيقين - لانستطيع أن نحرمهم منه.

فأما علم القوم - فى هذا العهد السحيق - فرفيع، سواء منه ما علموه من محيطهم أو ما حدثهم به نوح - فى دعوته فأعلمهم إياه، وهذا العلم بشقيه يعتبر فى هذا العهد العلم البشرى القياسى بغير شك، فمن ذلك علمهم:

بأطوار الجنين فى رحم أمه، ففى دعوة نوح:

﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾(٩)

وإنه لعلم افتقده كثير من البشر حتى عهد قريب، ثم إن نوحا - عليه السلام - لينتقل بهم إلى الخلق الأول حيث كان خلق الإنسان من طين موضحا أنهم لم يخلقوا عبثا، بل إنهم مسئولون ومجازون.

---

(٦) هود (٢٧).
(٧) هود (٢٧).
(٨) ابراهيم (٤).
(٩) نوح (١٣ - ١٤).

﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۝ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾(١٠).

ولاجد القوم انكروا على نوح ما بسطه لهم من آثار قدرته - تعالى - من مثل:

خلق الله - تعالى - لسموات سبع اكتنزت دنياها بالنجوم، وشع بها ضياء الشمس ونور القمر(١١) وصارت السماء مددا للارض بالسُقيا، فازينت الأرض بالنبات والزهر والشجر واعانتهم نعمة الله على حياة رغدة مطمئنة وحياة آمنة مستقرة فيها المال والبنون:

﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾(١٢).

وسبق أن أشرنا إلى علوم لهم اكتسبوها بحكم (الحاجة) في نشاطهم لحياتهم.

وعن التاريخ

فالقدر اليقيني لدينا يتمثل في انهم آخر سلالة، آدمية جمعها كيان مدني، وحياة مستقرة إلى ان كفرت بنعمة الله - جل علاه - وتمردت على وحدانيته، فورث نوح الذرية من بعدهم.

وهلك قوم نوح. واستبقى - سبحانه - أمرهم - فيمن بعدهم، عبرة وهدى لمن شاء ان يستقيم ولقد سبقت إشارتنا إلى علم عاد - قبيلة هود - بأمرهم، ثم كان من بعد عاد اقوام على علم بهم، ليس - في محيطهم فحسب، بل انتقل العلم بهم إلى الفراعنة في عهد موسى.. على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام فها هو مؤمن آل فرعون يعظ قومه مذكرا إياهم بمآل الكفر بالله، يقول:

﴿يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ۝ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾(١٣).

وكم - في بطون الأهرام - من علم وثيق، دفنه أعداء التوحيد!!

وبعد:

فهذه حضارة قوم نوح سجلناها بقدر ما أفاء - سبحانه وتعالى - علينا من علم اقتبسناه من الوحي الصادق: كتاب الله - تعالى - وسنة رسوله - ﷺ -.

ولانزال - بمشيئة الله تعالى - دارسين لأمرها - أمام ما قدمه الغرب من دراسات في هذا السبيل لنتبين هدى الله، وعنايته بهذا الإنسان منذ خلقه بعيدا عن مفترضات الهوى، وضلال الظنون، فإلى لقاء مع التصحيح.

---

(١٠) نوح (١٧، ١٨).

(١١) راجع الآيتين ١٥، ١٦ من سورة نوح.

(١٢) نوح (١١: ١٣).

(١٣) غافر (٣٠، ٣١).

اغتيال إسلامية فيلسوف ؟! (٢)

الإبداع الرشدي في تصور العالم وفي علاقة الفلسفة بالدين

للأستاذ الدكتور / محمد عمارة

أما دعوى قدم العالم، التي قال بها «الرشديون اللاتين»، ومن بعدهم كل المدارس الوضعية والمادية، فلسفة التنوير الغربي، فإن ابن رشد يقدم فيها مذهبا يخرجها من هذا الاستقطاب الذي قام إزاءها بين الفلاسفة القدماء وبين المتكلمين الإسلاميين.. فيقول:

«وأما مسألة قدم العالم، وحدوثه، فإن الاختلاف فيها بين المتكلمين من الأشعرية وبين الحكماء المتقدمين يكاد أن يكون راجعا للاختلاف في التسمية، وبخاصة عند بعض القدماء.

وذلك أنهم اتفقوا على أن ها هنا ثلاثة أصناف من الموجودات، طرفان، وواسطة بين الطرفين. فاتفقوا في تسمية الطرفين، واختلفوا في الواسطة.

فأما الطرف: فهو موجود وُجِد من شيء غيره، وعن شيء، أعني عن سبب فاعل، ومن مادة، والزمان متقدم عليه، أعني على وجوده. وهذه هي حالة الأجسام التي يُدرَك تكوّنها بالحس، مثل تكوّن الماء والهواء والأرض والحيوان والنبات، وغير ذلك. فهذا الصنف من الموجودات اتفق الجميع، من القدماء والأشعريين، على تسميتها محدثة.

وأما الطرف المقابل لهذا، فهو: موجود لم يكن من شيء، ولا عن شيء، ولا تقدمه زمان. وهذا ـ أيضا ـ اتفق الجميع، من الفرقتين، على تسميته قديما. وهذا الموجود مُدرَك بالبرهان، وهو الله ـ تبارك وتعالى ـ الذي هو فاعل الكل ومُوجِده والحافظ له ـ سبحانه وتعالى ـ قدره.

وأما الصنف من الموجود، الذي بين هذين الطرفين، فهو: موجود لم يكن من شيء، ولا تقدمه زمان، ولكنه موجود عن شيء، أعني عن فاعل، وهذا هو العالم بأسره.. فهذا الموجود قد أخذ شبها من الوجود الكائن الحقيقي، ومن الوجود القديم، فمن غلّب ما فيه من شَبَه القديم على ما فيه من شَبَه المحدث سماه قديماً، ومن غلّب عليه ما فيه من شبه المُحْدَث، أسماه

مُحْدَثاً. وهو في الحقيقة، ليس مُحْدَثاً حقيقيا ولا قديما حقيقيا، فإن المُحْدَث الحقيقي فاسد ضرورة، والقديم الحقيقي ليس له علّة»[1].

فابن رشد، هنا، يقدم ـ في الخلاف حول قدَم العالم وحدوثه ـ مذهبا ثالثا، فيه حل للخلاف الذى أحدث استقطابا بين الفلاسفة وبين بعض المتكلمين.. وليس قائلا بالقدم الحقيقي للعالم.. وهو مذهب يجعله على النقيض من مذاهب التنويريين، الماديين والوضعيين.. ذلك أنه ينتصر، بهذا المذهب، للفكر الإلهي الذى جعل العالم وسائر الموجودات مخلوقة للخالق الواحد القديم.

علاقة الفلسفة بالشريعة

لقد جعل التنوير الغربي شعاره: «إنه لا سلطان على العقل إلا للعقل».. ولم يكن ذلك لمجرد الانتصار للعقل في مواجهة اللاهوت الكنسي. وإنما كان ذلك لأن فلسفة هذا التنوير كانت «وضعية ومادية»، تقف عند معارف وحقائق هذا العالم وحده، عالم الشهادة، التي رأت العقل قادرا على أن يستقل بإدراكها دون عون من الوحي والدين.. ولأن هذا التنوير كان وضعيا في كل الحالات، وماديا في بعض الحالات، فهو لم يستغن ـ مجرد استغناء ـ عن معارف وحقائق عالم الغيب، وإنما أنكر أن تكون هذه المعارف جديرة بما هو ضروري للمعارف من الصدق والوثوق.. فهي عنده، طور طفولة العقل البشري التي تجاوزها إلى الميتافيزيقا، والتي جاء التنوير ليأخذ بيده إلى الوضعية التي تحصر المعارف الحقة في العالم والواقع، وتقف بسبل هذه المعارف عند العقل والتجربة.. فلا غيب في مصادر المعرفة، ولا وحي ولا وجدان في سُبل اكتسابها..

ولهذه المنطلقات والمواقف الثابتة في فلسفة التنوير الغربي، كان تقديم الفلسفة ـ وهي ثمرة عقلية ـ على الشريعة الدينية ـ بل، إذا شئنا الدقة، إحلال الفلسفة محل الشريعة، واتخاذها «شريعة عقلية» بدلا من الشريعة السماوية.. والاستغناء عن الشريعة كمصدر للقانون «برد القانون إلى أصول فيزيقية وتاريخية»!..

كذلك أنكر هذا التنوير الخوارق والمعجزات، انطلاقا من مبدأ اكتفاء الطبيعة بذاتها، وإنكاره وجود موجود غير مادي، مفارق للطبيعة، قادر على تبديل القوانين الطبيعية والأسباب الذاتية بالخوارق والمعجزات.

هذا هو موقف التنوير الغربي من العقل.. ومن علاقة الفلسفة العقلية بمبادئ الشريعة الدينية وبالخوارق والمعجزات..

فهل كانت فلسفة ابن رشد ـ غير «الرشديين اللاتين ـ مؤسسة لهذا التنوير؟! ـ كما يدعى «التنويريون الجدد» في واقعنا الثقافي هذه الأيام؟!.

---

(١) [فصل المقال] ص ٤٠ - ٤٢.

● إن مفهوم العقل، عند ابن رشد، مخالف لمفهومه عند فلاسفة التنوير الغربي.

فعلى حين يقول «دولباك» [١٧٢٣ - ١٧٨٩م] : «إن الفكر وظيفة الدماغ».. ويقول «كابانيس» [١٧٥٧ - ١٨٠٨م]: «إن الدماغ يفرز الفكر كما تفرز الكبد الصفراء»[٢].. نجد ابن رشد ملتزما بالرؤية الإسلامية التي رأت العقل «ملكة» و«لطيفة ربانية»، وليس عضوا في جسد الإنسان.. «فالعقل ليس هو شيئا أكثر من إدراكه الموجودات بأسبابها، وبه يفترق من سائر القوى المدركة.. إن العقل ليس يُنْسَبُ إلى عضو مخصوص من الإنسان.. وليس يكون قولنا في الإنسان: إنه عالم، كقولنا: إنه يبصر، فهو يبصر بعضو مخصوص وأما إذا لم يكن للعقل عضو يخصه فبَيّن أن قولنا فيه: عالم، ليس من قبيل أن جزءا منه عالم.. وذلك أنه ليس يظهر أن ههنا عضوا خاصا من عضو من الأعضاء كالحال في قوة التخييل والفكر والذكر، وذلك أن مواضع هذه معلومة من الدماغ»[٣].

فالعقل ليس «الدماغ»، الذي يفرز الفكر كما تفرز الكبد الصفراء.. وإنما هو - على عكس التصور المادي لفلسفة التنوير الغربي - كما عند ابن رشد - «ملكة إدراك الموجودات بأسبابها».. وكما عند الشريف الجرجاني [٧٤٠ - ٨١٦ هـ ١٣٤٠ - ١٤١٣م]: «جوهر مجرد عن المادة في ذاته، مقارن لها في فعله»[٤].

وإذا كان الغرب قد عاد ويعود - بسبب «الفيزياء الذرية المعاصرة التي ثأرت بالعلم عما كان يتسم به من اتجاه مادي في القرن التاسع عشر» - عاد ويعود إلى تبني النظرة الإسلامية لمفهوم العقل.. وقال علماء منه: «فياله من أمر مثير أن نكتشف أن العالم يستطيع، بدوره، أن يؤمن عن حق بوجود الروح.. وإذا كان العقل والإرادة غير ماديين، فلا شك أن هاتين الملكتين لا تخضعان بالموت للتحلل الذي يطرأ على الجسم والدماغ كليهما»[٥].

فهل نعود نحن - بالادعاءات - إلى صب ابن رشد في القوالب الوضعية والمادية، التي يراجعها ويتراجع عنها اليوم كثير من الفلاسفة والعلماء الغربيين؟!.

● وكذلك الحال عند مقارنة الموقف الرشدي من علاقة الفلسفة بالشريعة بنظيره التنويري الغربي.. فابن رشد لا يحل الفلسفة العقلية محل الشريعة الإلهية - كما يصنع الماديون الغربيون.. ولا يجعلهما متجاورتين ومنفصلتين انفصال الغرف المعزولة - كما يرى الوضعيون - وإنما يؤسس الفكر عليهما معا، بعد التوفيق والمؤاخاة بينهما.. ولهذا المقصد عقد ابن رشد كتابه المنهجي [فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال]..

(٢) [مدخل إلى التنوير] ص ٥٦، ٦٣، ٦٤.
(٣) [تهافت التهافت] ص ١٢٢، ١٢٩، ١٣٠.
(٤) [التعريفات] طبعة القاهرة سنة ١٩٣٨م.
(٥) أغروس، جورج ن. ستانسيون [العلم في منظوره الجديد] ص ٣٩، ٤٢، ٤٣ ترجمة

وفيه قدم هذا الموقف - الذى لا يحل الفلسفة محل الشريعة.. ولا الشريعة محل الفلسفة.. ولا يفصلهما عن بعضهما - وإنما ينطلق من النظرة القرآنية التى علمتنا أن الله هو الذى أنزل «الكتاب» و«الحكمة»، أى جعل للإصابة مصدرا جاء به الوحى إلى الأنبياء والرسل.. ومصدرا يستقل به العقل الإنسانى.. فهما - الإصابة فى النبوة.. والإصابة فى غير النبوة - هدايتان من الخالق الواحد للإنسان المُسْتَخْلَف فى إقامة العمران.. فهما أختان رضيعتان، ليس بينهما تناقض أو شقاق.. وفى ذلك يقول أبو الوليد: «إن الحكمة هى صاحبة الشريعة، والأخت الرضيعة.. وهما المصطحبتان بالطبع، المتحابتان بالجوهر والغريزة»(٦).. فهل يجوز أو يسوغ حشر هذا الموقف الرشدى فى قوالب التنوير الغربى المادى والوضعى؟! والادعاء بأن «ابن رشد يخضع الدين للعقل بفضل ما لدى العقل من قدرة على التأويل»؟!(٧).

الموقف من الخوارق والمعجزات

وإذا كان التنوير الغربى - لوضعيته وماديته - قد أنكر الخوارق والمعجزات، فإنه قد اتخذ هذا الموقف لأنه قد رآها خارجة عن الإدراك العقلى، وهو قد نفى صفات المعرفة والحقيقة والصدق والعلم عن كل ما لا يدرك بالعقل والتجربة المحسوسة.. وجعل شعاره: «لا سلطان على العقل إلا للعقل».

أما موقف ابن رشد، من هذه القضية، فهو على النقيض من موقف التنويريين الغربيين، فهو يعلن - صراحة.. وفى الكثير من النصوص، والعديد من الكتب - أن هناك «أمورا إلهية تفوق العقول الإنسانية»، مثل «مبادئ الشريعة» و«المعجزات»، وأن «كيفية وجودها هو أمر إلهى معجز عن إدراك العقول الإنسانية».. وأن واجب الكافة، عامة وخاصة، جمهورا ومتكلمين وحكماء، هو «التسليم بها والتقليد فيها، والاعتراف بها مع جهل أسبابها».. ومن لا يسلم بهذه المبادئ الشرعية والمعجزات فهو كافر زنديق!.

نعم.. يسوق ابن رشد هذا الموقف الإسلامى - المناقض لفلسفة التنوير الوضعية والمادية - فى نصوص واضحة الدلالات، فيقول:

فالخطأ فى الشرع على ضربين:

إما خطأ يُعْذَرُ فيه من هو أهل النظر فى ذلك الشىء الذى وقع فيه الخطأ، كما يُعْذَرُ الطبيب الماهر إذ أخطأ فى صناعة الطب، والحاكم الماهر إذا أخطأ فى الحكم، ولا يُعْذَرُ فيه من ليس من أهل هذا الشىء.

وإما خطأ ليس يُعْذَرُ فيه أحد من الناس، بل إن وقع فى مبادئ الشريعة فهو كفر، وإن وقع فيما بعد المبادئ فهو بدعة، وهذا الخطأ الذى يكون فى الأشياء التى تُفضى جميع أصناف طرق الدلائل إلى معرفتها، فتكون معرفة ذلك الشىء بهذه الجهة ممكنة للجميع، وهذا مثل الإقرار بالله - تبارك وتعالى - وبالنبوءات، وبالسعادة الأخروية والشقاء الأخروى. وذلك أن هذه الأصول الثلاثة

---

(٦) [فصل المقال] ص ٤٥، ٤٦.

(٧) [تهافت التهافت] ص١٢١، ١٢٢.

تؤدى إليها أصناف الدلائل الثلاثة، التى لا يعرى أحد من الناس عن وقوع التصديق له من قبلها بالذى كُلّف معرفته، أعنى: الدلائل الخطابية، والجدلية، والبرهانية. فالجاحد لمثل هذه الأشياء، إذا كانت أصلا من أصول الشرع، كافر، معاند بلسانه دون قلبه، أو بغفلته عن التعرض إلى معرفة دليلها، لأنه إن كان من أهل البرهان فقد جعل له سبيل إلى التصديق بها بالبرهان، وإن كان من أهل الجدل فبالجدل، وإن كان من أهل الموعظة فبالموعظة ولذلك قال عليه السلام: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، ويؤمنوا بى» يريد: بأى طريق اتفق لهم من طرق الإيمان الثلاثة».

فالجحد لمبادئ الشريعة كفر، لا عذر لصاحبه من الخاصة كان أو من الجمهور.. وجزاؤه ـ عند ابن رشد ـ القتل.. فهل فى هذا المذهب الرشدى تأسيس للتنوير الغربى، الذى استبدل الدين الطبيعى بالدين الإلهى؟!.

والمعجزات التى أنكرها التنويريون، لأن العقل لم يدرك أسبابها.. يراها ابن رشد ـ كمبادئ الشريعة ـ مما لا يُعْذَرُ إنسان فى عدم التصديق بها.. وجاحدها، عنده، زنديق يجب قتله.. وفى ذلك يقول:

وأما الكلام فى المعجزات.. فقدماء الفلاسفة يرون أنها من مبادئ الشرائع، والفاحص عنها والمشكك فيها يحتاج إلى عقوبة عندهم، مثل من يفحص عن مبادئ الشرائع العامة، مثل: هل الله ـ تعالى ـ موجود؟ وهل السعادة موجودة؟ وهل الفضائل موجودة؟.. [وعندهم] ـ أنه لا يُشك فى وجودها، وأن كيفية وجودها هو أمر معجز عن إدراك العقول الإنسانية والعلة فى ذلك أن هذه هى مبادئ الأعمال التى يكون بها الإنسان فاضلا ولا سبيل إلى حصول العلم إلا بعد حصول الفضيلة، فوجب أن لا يتعرض للفحص عن المبادئ التى توجب الفضيلة قبل حصول الفضيلة.. والذى يقول القدماء فى أمر الوحى والرؤيا إنما هو عن الله ـ تعالى ـ بتوسط موجود روحانى ليس بجسم، وهو واهب العقل الإنسانى عندهم، وهو الذى يسميه الحذاق منهم العقل الفعّال، ويسمى فى الشريعة ملكا..».

فعلى حين أسس التنوير الغربى العلم على الواقع، المدرك بالعقل والتجربة، مع إنكار معارف الغيب وطرق المعرفة الشرعية.. تحدث ابن رشد عن تسليم الفلاسفة القدماء بمبادئ الشريعة ـ فى الألوهية.. والنبوة.. والسعادة والشقاء الأخرويين ـ وبالمعجزات ـ التى تعجز العقول الإنسانية عن الاستقلال بإدراك كيفية وجودها.. ولذلك فهى تحتاج فى إدراك ذلك إلى الوحى ـ الذى سلم به الفلاسفة القدماء ـ بل وراءه واهب العقل الإنسانى!.

ولأن هذا هو موقف الفلاسفة الإلهيين القدماء، من مبادئ الشريعة، ومن المعجزات.. كان دفاع ابن رشد عن موقفهم هذا فى رده على الإمام الغزالى [٤٥٠ ـ ٥٠٥ هـ ١٠٥٨ ـ ١١١١م] ـ وهو رد

يؤكد على موقفهم هذا من مبادئ الشريعة ومن المعجزات.. قال:

«وأما ما نسبه - [الغزالي إلى الفلاسفة] - من الاعتراض على معجزة إبراهيم - عليه السلام - [تحول النار عندما ألقى فيها إلى برد وسلام] - فشيء لم يقله إلا الزنادقة من أهل الإسلام، فإن الحكماء من الفلاسفة ليس يجوز عندهم التكلم ولا الجدل في مبادئ الشرائع، وفاعل ذلك عندهم محتاج إلى الأدب الشديد، وذلك أنه لما كانت كل صناعة لها مبادئ، وواجب على الناظر في تلك الصناعة أن يسلم مباديها، ولا يتعرض لها بنفي ولا إبطال، كانت الصناعة العملية الشرعية أحرى بذلك، لأن المشي على الفضائل الشرعية هو ضروري عندهم، ليس في وجود الإنسان بما هو إنسان بل وبما هو إنسان عالم، ولذلك يجب على كل إنسان أن يسلم مبادئ الشريعة وأن يقلد فيها، فإن جحدها والمناظرة فيها مبطلان لوجود الإنسان، ولذلك وجب قتل الزنادقة، فالذي يجب أن يقال فيها: إن مباديها أمور إلهية تفوق العقول الإنسانية، فلابد أن يعترف بها مع جهل أسبابها، ولذلك لا نجد أحداً من القدماء تكلم في المعجزات، مع انتشارها وظهورها في العالم، لأنها مبادي تثبيت الشرائع، والشرائع مبادي الفضائل، ولا فيما يقال بعد الموت.. فإذا نشأ الإنسان على الفضائل الشرعية كان فاضلاً بإطلاق، فإن تمادى به الزمان والسعادة إلى أن يكون من العلماء الراسخين في العلم، فعرض له تأويل في مبدأ من مباديها، فيجب عليه أن لا يصرح بذلك التأويل، وأن يقول فيه كما قال تعالى:

﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾[8].

هذه حدود الشرائع، وحدود العلماء»[9].

فمبادئ الشريعة والمعجزات «أمور إلهية تفوق العقول الإنسانية».. وواجب العلماء الراسخين في العلم - الذين عقلوا وجود الخالق للأسباب القادر على إحلال أسباب أخرى غير معتادة تؤدي إلى معجزات وخوارق ومُسَبَّبات أخرى غير معتادة - أن يعترفوا ويسلموا ويقلدوا في هذه الأمور التي لا تستقل العقول الإنسانية بإدراك «كيفية وجودها».. وحتى إذا عرض للراسخين في العلم تأويل في شيء من ذلك فواجب أن لا يصرحوا بذلك التأويل.. فليس فرضنا على العقول الفحص فيما لا قبل لها بإدراكه.. وإنما فرضها أن تقول كما قال الله - تعالى:

﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾.

فهل هناك حد أدنى من الفقه والصدق والعدالة العلمية لدى الذين يضعون هذا الفكر الرشدي في سلة التنوير الغربي الوضعي والمادي؟!.

(8) آل عمران: 7.

(9) [تهافت التهافت] 124 : 125.

من أعلام الأزهر

الشيخ محمد حافظ سليمان

للأستاذ/ حمدى أبو السعود أحمد على

●● الداعية الإسلامى الشيخ محمد حافظ سليمان على مدير عام الوعظ والإرشاد بالأزهر سابقاً. أحد الذين كرسوا حياتهم كلها فى الدعوة إلى الله بعلمه وأفقه الواسع فى تحليل القضايا الإسلامية ومنهجه المتميز فى الخطابة على المنبر ومن خلال الندوات واللقاءات الدينية فيجتذب إليه السامع لما لحديثه من بلاغة فى لغته ودقة أسلوبه.



الشيخ/ محمد حافظ سليمان

حياتــــه

● كان الميلاد فى الخامس عشر من شهر سبتمبر ١٩١٤، بقرية أولاد يحيى الحاجر بمركز دار السلام بمحافظة سوهاج، والتحق بمدرسة أولاد يحيى الحاجر «الأولية» ومكتب الدوادية بجرجا حيث حفظ القرآن الكريم وهو فى التاسعة من عمره ثم التحق بمعهد أسيوط الدينى حيث حصل على شهادتى الابتدائية والثانوية الأزهرية وأثناء هذه الفترة انهمك الفتى على حفظ القرآن بالقراءات السبع فظهرت عليه علامات النبوغ والعبقرية ونهل من كتب التراث فى شتى العلوم اللغوية والدينية والأدبية ما شاءت به قريحته، ويقرأ التفاسير ويقف أمام المذاهب المختلفة ليكون فيما بعد رؤاه الخاصة ومذهبه المستقل المستنير النابع من آيات الله والسنة ومذاهب وفكر الأئمة السابقين. ثم حصل على الإجازة العالية من كلية أصول الدين بالقاهرة عام ١٩٤٥م، ثم إجازة الوعظ والدعوة، ثم عين بعد التخرج واعظاً عاماً بالأزهر بمراكز

البلينا وجرجا ودشنا، ثم مفتشاً عاماً للوعظ بمحافظة سوهاج عام ١٩٥٢م.

ثم مراقباً عاماً بالأزهر على مستوى الجمهورية عام ١٩٦٤م، ثم مديراً عاماً للوعظ والدعوة عام ١٩٧٠م، وحتى عام ١٩٨٤م، وفي هذه الأثناء عين مستشاراً دينياً للحزب الوطني وعضواً في المجالس القومية المتخصصة.

وعن مشواره في الدعوة الإسلامية قال: «قد كان فضل الله عليّ كبيرا وعطاؤه كريماً أن جعلني ممن يقومون بواجب الدعوة إلى الله - تعالى - قرابة نصف قرن من الزمان وكنت مؤمناً بأن الدعوة الإسلامية فريضة دينية ورسالة كبرى سامية خالدة لا يقدر على حملها المهازيل من الناس ومن فضل الله عليّ أن وفقني في كل عمل أسند إليّ ببركة المرحوم والدي الورع التقي الذي نذرني لله»

وكان رحمه الله عالماً يمتلك من العلم والبلاغة والحجة ما يجعله عبقرياً والخطابة والمشورة والفضل في كل أمور الدنيا والدين.

وقدم كماً هائلاً من الأحاديث للإذاعة والتليفزيون وخاصة إذاعة القرآن الكريم في التفسير والحديث وشتى الأمور الدينية ومقالاته الكثيرة في الصحف والمجلات الدينية كالأهرام والأزهر ومنبر الإسلام ونور الإسلام حيث كان مديراً لها إلى أن ترك العمل وأحيل إلى المعاش كما أنه أصدر كتابيه «عظمة الإسلام» و«الحج والعمرة» وأثناء عمله في مجال الدعوة، شارك مع علماء الأزهر في الحوارات التي تمت مع الجماعات الإسلامية في السجون في ذلك الوقت وأحدثت صدى واسعاً في تصحيح المفاهيم الخاطئة.

كما أنه من خلال عمله سافر إلى عدد من الدول منها سوريا رئيساً للبعثة الإسلامية وغزة وكوريا الجنوبية بدعوة رسمية من رئيسها حينذاك واستطاع أن يكون خير سفير لمصر في تأديته لمهمته في الدعوة وأسلم على يديه الكثيرون.

كان عضواً بمجلس محلي المحافظة عدة مرات ثم انتخب بمجلس الأمة من عام ٦٤ إلى ٦٩، حيث كانت له بصماته الواضحة حيث تقدم بعدة اقتراحات منها تطوير إذاعة القرآن الكريم وتم تنفيذه لتحمل مشعل التنوير والثقافة الإسلامية إلى العالم أجمع، وتعيين خريجي كلية الشريعة والقانون في الوظائف القضائية، وتمت الموافقة عليه وكانت له مواقف في العمل الاجتماعي أظهرت رجولته ونبله أيام السيول: التي اجتاحت دار السلام فتحول منزله إلى غرفة عمليات لمساعدة الأهالي والشد من أزرهم وأشاد به د. محمود الشريف وزير التنمية المحلية حينذاك لموقفه الرائع وجهده الوفير في احتواء الأزمة ودعمه للوحدة الوطنية في أحداث الكشح وهكذا تكون معادن الرجال إبان الأزمات.

وانطلق بآفاق علمه بعيداً عن التشدد والمغالاة في الدين فكان كالسيل المنهمر في حديثه وإذا كتب انطلق القلم بين أصابعه طلقا سهلا متمتعا بأسلوبه السهل الممتع والقدير.

أعمالـــــه

خير الناس أنفعهم للناس من هذا المنطلق أسهم في إنشاء المعاهد الأزهرية على مستوى الوجه القبلي وخاصة بمركز دار السلام لينتشر العلم بين ربوعها وينهل أبناؤها من علمه الفياض لحمل مشعل التنوير وشاء الله أن يكون في بلاد شرقي النيل التي تحد غربا بالنيل وشرقا بالصحراء معاهد أزهرية لايخلو منها ناحية ففي قريته، أنشأ عدة معاهد ابتدائي- إعدادي- ثانوي- معهد للفتيات، تكلف ما يقرب من ٢ مليون جنيه ويعتبر معهدا نموذجيا وبجواره مسجد تحفة فنية إسلامية كما أسهم من خلال عمله في الحد من ظاهرة الثأر في الصعيد وإتمام الصلح بين المتخاصمين وأن يرفرف السلام على أهلها والعيش في أمان واستقرار، يقول عنه الشاعر الكبير إبراهيم النجاري:

يا أمـــة في العلم كم لك آية
في الصالحات الباقيات وكم يد
جاهدت للأخلاق تنشر فضلها
وأرحت قومك من شرور المفسد
كم آلم اتخذ الخلاعة ديدنا
وطريد خلق في الحياة مشرد
وقيته غي الهوى وهديته
سبل الرشاد فكان أسعد مقتدي

يوجز شاعرنا دور هذا الداعية في بلاغة تعطي الرجل بعضا مما يستحقه فيشبه الشاعر عالمنا بأنه أمة وحضارة تركت من الأثر والآيات الصالحات الكثير مما دعم الأخلاق وفضائلها وهزم المفاسد. مستخدما تعبير (جاهدت) دليلا حيا على الجهد المبذول والنتائج التي تحققت، فهو بعد ذلك يصف ما آل إليه حال الفاسدين الذين بلغ حالهم حد يأس المجتمع منهم ولكنه نجح فيما فشل فيه المجتمع وتحول هؤلاء إلى سعادة الاقتداء بالصالحين.

ويقول عنه الشاعر الكبير «محمود بكر هلال»:

أقبل الشيخ كالشفاء لذي السقيم
وكالأمن في الفؤاد الجفل
كنت فينا ولاتزال إماما
عبقري الحجا خطيبا وفيصل

يصف شاعرنا زيارة هذا العالم الجليل لبلدته موضحا أثر الزيارة وعظمة الزائر وقدره لجهوده العلمية والدينية وقد منحه الرئيس محمد حسني مبارك رئيس الجمهورية جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٨٤م.

وفاتـــــه

بعد حياة حافلة بالمواقف والعبر إنتقل إلى رحمة الله في يوم السابع عشر من ذي الحجة ١٤١٩هـ، الموافق الثالث من أبريل ١٩٩٩م، وودعت سوهاج علما من أعلامها ورمزا من رموزها وشمعة ظلت مضيئة بالنور والدفء والحماس والقدوة وتبقى خصاله وتبقى ذكراه للأجيال القادمة.

رحمه الله عالمنا الجليل وأسكنه فسيح جناته.

> ● **المجلة: نرجو أن تتاح الفرصة لأحد تلامذة الشيخ أن يكتب عن الراحل الكريم بما يوفيه بعض قدره.**

طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

حقــــا

يا أيها الأمى قــد علمــتنا
وهديت فــينا أنفــساً وعــقولاً
شــاء الإله لنا النجــاة فــخصنا
بك هادياً ومــعلمــاً ورســولاً
«علية الجمار»

الهــم.. بالمعصية

لم يؤاخذ الله - تعالى - أحداً من خلقه على الهم بالمعصية إلا فى المسجد الحرام:

﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(١)

لأنه المكان المقدس الذى يجب أن يكون فيه الإنسان نقى القلب طاهر النفس، صافى السريرة، خالصاً بكليته لله، فمن ينتهك حرمة الملك فى حماه جدير بالجحيم والعذاب الأليم.

الشــاعر والمأمــون

أتى شاعر المأمون فقال: لقد قلت فيك شعراً. فقال: أنشدنيه: فقال:

حــيــاك رب الناس حــيــاكــا
إذ بجــمــال الوجــه رقــاكــا
بغــداد من نورك قــد أشــرقت
وأورق العــود بجــدواكــا

قال: فأطرق المأمون ساعة، وقال: يا أعرابى، وأنا قد قلت فيك شعراً:

حــيــاك رب الناس حــيــاكــا
إن الذى أملت أخطاكــا
أتيت شخصاً قد خلا كيسه
ولو حوى شيئاً لأعطاكا

فقال: ياأمير المؤمنين الشعر بالشعر حرام فاجعل بينهما شيئاً يستطاب، فضحك المأمون وأمر له بمال.

---

(١) الحج ٢٥.

قالـــــوا...

- عجبت لمن يقنط، ومعه الاستغفار.
- رب قريب أبعد من بعيد، وبعيد أقرب من قريب والغريب لم يكن له حبيب.
- لا تستح من القليل فإن الحرمان أقل منه.
- من لم يصبر على كلمة سمع كلمات.
- من هانت عليه نفسه، فهو أهون على غيره.
- من سلمت سريرته سلمت علانيته.
- خالطوا الناس مخالطة إن متم معها بكوا عليكم، وإن عشتم حنوا إليكم.
- ما أحسن الموت إذا حان الأجل.
- الغضب على من لا تملك عجز، وعلى من تملك لؤم.

الشـــكوى لغيـــر اللـــه

قال الأحنف بن قيس: شكوت إلى عمي وجعاً في بطني فنهرني، ثم قال: يا ابن أخي لا تشكُ إلى أحد ما نزل بك، فإنما الناس رجلان: صديق تسوؤه، أو عدو تسره.

يا ابن أخي: لا تشكُ إلى مخلوق مثلك لا يقدر على دفع مثله عن نفسه، ولكن اشكُ إلى من ابتلاك به فهو قادر على أن يفرج عنك.

يا ابن أخي: إحدى عيني هاتين ما أبصرت بها سهلاً ولا جبلاً من أربعين سنة، وما اطلعت على ذلك امرأتي أو أحد من أهلي:

﴿ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾(٢).

كم فقار ظهرك؟

قال رجل لأعرابي: ما أحسبك تعرف كم تصلي في كل يوم وليلة؟

فقال له: فإن عرفت أتجعل لي على نفسك مسألة؟

قال: نعم!!

قال:

إن الصــلاة أربـــع وأربـــع
ثـم ثـلاث بعدهـــن أربـــع
ثم صلاة الفجر لا تضيع

قال: صدقت.. هات مسألتك.

قال له: كم فقار ظهرك؟ قال: لا أدري.

قال: فتحكم بين الناس، وتجهل هذا من نفسك.

دعاء

اللهم أنت غياثي فبك أستغيث، وأنت ملاذي فبك ألوذ، وأنت عياذي فبك أعوذ، أعوذ بك من خزيك، ومن كشف سترك ونسيان ذكرك، والانصراف عن شكرك.

---

(٢) يوسف: ٨٦.

منزلة الذكر ومعانيه ودرجاته

لفضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف

للذكر الله وتسبيحه منزلة سامية، ومكانة عالية، به تصفو النفوس، وبه ترقى الروح إلى الدرجات العلا فى حب الله والتعلق بذاته والإخلاص فى عبادته، وبه تأنس القلوب فلا تشعر بوحشة، وبه تمتلىء حياة الذاكرين فلا يحسون بفراغ ولا وحدة، وبه تتخلص الأفئدة من التعلق بالدنيا فلا تنشغل بمتاعها الزائل وشهواتها الفانية، فقد وجه الذاكرون جهدهم كله إلى مايحبه الله ويرضاه فى كل وقت وآن آناء الليل وأطراف النهار.

﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ الزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَٰرُ ﴾(1).

ويبين ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ منزلة الذكر وأهميته فيقول: وهى منزلة القوم الكبرى التى منها يتزودون، وفيها يتجرون، وإليها دائما يترددون.

والذكر منشور الولاية الذى من أعطيه اتصل، ومَنْ مُنعه عُزل، وهو قوت قلوب القوم الذى متى فارقها صارت الأجساد لها قبوراً، وعمارة ديارهم التى إذا تعطلت عنه صارت بوراً، وهو سلاحهم الذى يقاتلون به قطاع الطريق، وماؤهم الذى يُطفئون به لهب الحريق، ودواء أسقامهم الذى متى فارقهم انتكست منهم القلوب، والسبب الواصل، والعلاقة التى كانت بينهم وبين علاّم الغيوب.

إذا مرضنا تداوينا بذكركم
فنترك الذكر أحيانا فننتكس

به يستدفعون الآفات، ويستكشفون الكربات، وتهون عليهم به المصيبات، إذا أظلهم البلاء فإليه ملجؤهم، وإذا نزلت بهم

(1) النور (37).

النوازل فإليه مفزعهم، فهو رياض جنتهم التي فيها يتقلبون... يدع القلب الحزين ضاحكا مسروراً، ويوصل الذاكر إلى المذكور، بل يدع الذاكر مذكوراً.

وفي كل جارحة من الجوارح عبودية مؤقتة، والذكر عبودية القلب واللسان وهي غير مؤقتة، بل هم يؤمرون بذكر معبودهم ومحبوبهم في كل حال قياما وقعوداً وعلى جنوبهم، فكما أن الجنة قيعان وهو غراسها، فكذلك القلوب بورٌ خراب وهو عمارتها وأساسها.

وهو جلاء القلوب وصقالها، ودواؤها إذا غشيها اعتلالها، وكلما ازداد الذاكر في ذكره استغراقا ازداد المذكور محبّة إلى لقائه واشتياقا، به يزول الوقْر عن الأسماع، والبَكم عن الألسن، وتنقشع الظلمة عن الأبصار، زيّن الله به ألسنة الذاكرين كما زيّن بالنور أبصار الناظرين، فاللسان الغافل كالعين العمياء، والأذن الصماء، واليد الشلاء، وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده مالم يغلقه العبد بغفلته.

ويطلق الذكر على معان كثيرة منها: الصلاة لله - تعالى - والدعاء إليه، والطاعة، والشكر، والدعاء، والتسبيح وقراءة القرآن، وتمجيد الله وتهليله وتسبيحه وتحميده وتكبيره والثناء عليه بجميع محامده.

وقيل: الذكر هو: التخلص من الغفلة والنسيان، يقول الراغب: «الذكر تارة يقال ويراد به هيئة للنفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ مايقْتنيه من المعرفة، وتارة يقال لحضور الشيء القلب أو القول، ولذلك قيل: الذكر ذكران: ذكر بالقلب، وذكر باللسان».

وقد وردت كلمة «الذكر» في القرآن الكريم على معان كثيرة، ذكر أهل التفسير: أن الذكر في القرآن الكريم جاء على أوجه منها:

أحدها: الذكر باللسان. ومنه قوله تعالى:

﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾(٢).

الثاني الذكر بالقلب: ومنه قوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾(٣).

وقيل هو الندم.

الثالث: الحديث. ومنه قوله - تعالى:

﴿ اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾(٤)، ومثله:

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ﴾(٥).

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ ﴾(٦).

---

(٢) البقرة (٢٠٠).
(٣) آل عمران (١٣٥).
(٤) يوسف (٤٢).
(٥) مريم (٤١).
(٦) مريم (٥١).

الرابع: الخبر. ومنه قوله تعالى:

﴿ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾(٧).

الخامس: العظة. ومنه قوله تعالى:

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾(٨).

السادس: الوحي. ومنه قوله تعالى:

﴿ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴾(٩).

السابع: القرآن. ومنه قوله تعالى:

﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ ﴾(١٠).

الثامن: التوراة والكتب السابقة. ومنه قوله تعالى:

﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(١١).

التاسع: الشرف. ومنه قوله تعالى:

﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾(١٢).

العاشر: الطاعة. ومنه قوله تعالى:

﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾(١٣).

أي أطيعوني أغفر لكم.

الحادي عشر: البيان. ومنه قوله تعالى:

﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾(١٤).

الثاني عشر: الصلوات الخمس. ومنه تعالى:

﴿ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ ﴾(١٥).

الثالث عشر: صلاة الجمعة. ومنه قوله تعالى:

﴿ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾(١٦).

الرابع عشر: صلاة العصر. ومنه قوله تعالى:

﴿ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي ﴾(١٧)

الخامس عشر: الرسول. ومنه قوله تعالى:

﴿ قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝١٠ رَّسُولًا ﴾(١٨).

وهذه الآيات التي استشهد بها لهذه المعاني تحتملها وغيرها.

وقال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ جاء الذكر في القرآن على عشرة أوجه:

الأول: الأمر به مطلقا ومقيدا، وذلك كقوله تعالى:

---

(٧) الكهف (٨٣).
(٨) الأنعام (٤٤).
(٩) الصافات (٣).
(١٠) الأنبياء (٥٠).
(١١) النحل (٤٣).
(١٢) الزخرف (٤٤).
(١٣) البقرة (١٥٢).
(١٤) الأعراف (٦٣).
(١٥) البقرة (٢٣٩).
(١٦) الجمعة (٩).
(١٧) ص (٣٢).
(١٨) الطلاق (١٠، ١١).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴾(١٩).

الثاني: النهى عن ضده من الغفلة والنسيان كقوله تعالى:

﴿ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴾(٢٠).

الثالث: تعليق الفلاح باستدامته وكثرته، كقوله تعالى:

﴿ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾(٢١).

الرابع: الثناء على أهله، والإخبار بما أعد الله لهم من الجنة والمغفرة، كقوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾(٢٢).

الخامس: الإخبار عن خسران مَنْ لها عنه بغيره. كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾(٢٣).

السادس: أنه سبحانه جعل ذكره لهم جزاء لذكرهم له. كقوله تعالى:

﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾(٢٤).

السابع: الإخبار أنه أكبر من كل شيء. كقوله تعالى:

﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ ﴾(٢٥)

الثامن: أنه جعله خاتمة الأعمال الصالحة كما كان مفتاحها. وذلك كما ختم به الحج في قوله تعالى:

﴿ فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ ﴾(٢٦).

وختم به الصلاة كقوله:

﴿ فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ ﴾(٢٧).

وختم به الجمعة كقوله تعالى:

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾(٢٨).

---

(١٩) الأحزاب (٤١، ٤٢).
(٢٠) الأعراف (٢٠٥).
(٢١) الجمعة (١٠).
(٢٢) الأحزاب (٣٥).
(٢٣) المنافقون (٩).
(٢٤) البقرة (١٥٢).
(٢٥) العنكبوت (٤٥).
(٢٦) البقرة (٢٠٠).
(٢٧) النساء (١٠٣).
(٢٨) الجمعة (١٠).

التاسع: الإخبار عن أهله بأنهم هم أهل الانتفاع بآياته وأنهم أولو الألباب دون غيرهم كقوله تعالى:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۝ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾(٢٩).

العاشر: أنه جعله قرين جميع الأعمال وروحها، فقد قرنه بالصلاة كقوله تعالى:

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾(٣٠)، وكذلك قرنه بالصيام وبالحج وغيرها.

وللذكر درجات، قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ: وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: الذكر الظاهر ثناء أو دعاء أو رعاية، فأما ذكر الثناء فنحو «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر»، وأما ذكر الدعاء فنحو

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(٣١).

وأما ذكر الرعاية فمثل قول الذاكر: «الله معي، الله ناظر إليّ، الله شاهدي».

الدرجة الثانية: الذكر الخفيّ. وهو الخلاص من القيود، والبقاء مع الشهود، ولزوم المسامرة.

الدرجة الثالثة: الذكر الحقيقي. وهو شهود ذكر الحق إياك، والتخلص من شهود ذكرك. وقد سُمي هذا الذكر حقيقيا، لأنه منسوب إلى الرب ـ تعالى ـ فذكر الله لعبده هو الذكر الحقيقي، وهو شهود ذكر الحق عبده.

وللذكر دلالات عامة. قال الفخر الرازي ـ رحمه الله تعالى ـ: المراد بذكر اللسان الألفاظ الدالة على التسبيح والتحميد والتمجيد، والذكر بالقلب التفكر في أدلة الذات والصفات وفي أدلة التكاليف من الأمر والنهي حتى يطلع على أحكامها، وفي أسرار مخلوقات الله، والذكر بالجوارح، هو أن تصير مستغرقة في الطاعات. ومنْ ثم سَمى اللهُ الصلاة ذكرا فقال:

﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾(٣٢).

ونقل عن بعضهم قال: الذكر على سبعة أنحاء: فذكر العينين بالبكاء، وذكر الأذنين بالإصغاء، وذكر اللسان بالثناء. وذكر اليدين بالعطاء، وذكر البدن بالوفاء، وذكر القلب بالخوف والرجاء، وذكر الروح بالتسليم والرضاء.

---

(٢٩) آل عمران (١٩٠، ١٩١).

(٣٠) طه (١٤).

(٣١) الأعراف (٢٣).

(٣٢) الجمعة (٩).

الأمويون وتأكيد هوية القدس الإسلامية

للأستاذ الدكتور / محمد إبراهيم الفيومي

بعد أن آلت مقاليد الخلافة إلى معاوية نقل عاصمة الخلافة إلى دمشق، وكان نقل عاصمة الخلافة إلى دمشق خيرا على فلسطين التى أصبحت قريبة من مركز السلطة وازدهرت بذلك حضاريا واقتصاديا كما أن معاوية الذى ظل حاكما للشام لمدة تقرب من العشرين عاما كان قد تعلم حب بيت المقدس ورغم حدوث محاولة لاغتياله فى المدينة فقد كان يحرص على زيارتها كلما أتى إلى فلسطين وفيما بعد قام المسلمون بجمع أقوال معاوية فى بيت المقدس.

فقد قال عنها المسلمون فيما قال معاوية، إن المدينة المقدسة ستكون المكان الذى يبعث فيه الناس ويجمعون يوم الحساب، وإنها أيضا مكان يتطهر من يعيش فيه وتضفى عليه القداسة وأن الشام جميعها هى أرض الله المختارة التى سيعود إليها أفضل عباده كما روى - أيضا - أن معاوية قال فى خطبة له فى الحرم ما معناه: إن الله يحب البقعة الواقعة بين جدارى ذلك المسجد أكثر من أى مكان فى العالم، وقيل - أيضا - إن المسلمين الذين يتعبدون فى الحرم القدسى بإمكانهم أن ينقلوا هناك قداسة مكة رغم بعدهم عنها.

وبعد وفاة معاوية استفحل الشقاق فى الإمبراطورية الإسلامية لأن بعض الرعايا المسلمين رفضوا خلافة ابنه يزيد وفى عام ٦٨٠م قاد الحسين بن على حفيد الرسول ﷺ عصيانا ضد الأمويين انتهى بمذبحة بشعة راح هو وأتباعه القليلون المستضعفون ضحيتها فى كربلاء فى العراق وأصبحت كربلاء منذ ذلك الحين مدينة مقدسة للشيعة الذين اعتقدوا أن الأمة يجب أن يحكمها آل بيت الرسول ﷺ ورغم قداسة كربلاء فإن الشيعة كانوا يبجلون الأئمة من نسل سيدنا محمد ﷺ وعلى.

وبعد وفاة يزيد تمكن ابنه مروان الأول ٦٨٤ - ٦٨٥م ثم ابنه عبدالملك ٦٨٥ - ٧٠٥م من إرساء قواعد الحكم الأموى فى سوريا وفى انحاء الإمبراطورية فيما بعد وبدأ عبدالملك وكان واليا على قدر عال من الكفاءة، عمليا باستبدال انظمة إدارية غريبة بانظمة الإدارة البيزنطية والفارسية أى بملكية مركزية.

وبعد ان تمكن من إرساء نوع من السلام والأمن بدأ يولى مدينة بيت المقدس التى كان مولعا بها مثل غيره من الأمويين اهتمامه فقام بإصلاح أسوار وبوابات المدينة التى كانت قد دمرت وبنى دار الإمامة مقر حاكم إيلياء قرب الحرم غير أن أعظم إسهاماته فى المدينة كانت بلاشك قبة الصخرة التى أصدر الأمر بتشييدها عام ٦٨٨م فقد أبرزت أن للإسلام أماكنه المقدسة وكان هناك أيضا الخط العربى ذو القوة والجمال غير العاديين بيد أنه لم يكن لدى الإسلام ميدان أو نصب تذكارية وكانت بيت المقدس مدينة تملؤها الكنائس الفخمة، ومن ثم شعر المسلمون بأن هناك ما ينقصهم فى هذا الصدد ولابد أنهم أحسوا برغبة فى أن يبرهنوا للمسيحيين أن لديهم رؤية واضحة بإمكانهم التعبير عنها فقد لاحظ الجغرافى والمؤرخ المقدسى وهو من مدينة القدس وكان يكتب فى القرن العاشر الميلادى أن كنائس بلاد الشام على درجة ساحرة من الجمال وأن قبة «القيامة» كانت من العظمة والروعة بدرجة خشى معها عبدالملك أن تبهر عقول المسلمين ولذا رغب المسلمون فى إقامة ميدان أو نصب تذكارية تصبح أعجوبة العالم ومن هنا أمر عبدالملك ببناء قبة جديدة تتحدى قبة القيامة على التل الغربى وأيضا كنيسة الصعود المرموقة على جبل الزيتون والتى كانت تتلألأ بريقا حينما تضاء ليلا لدرجة أصبحت معها أحد المشاهد الرائعة فى بيت المقدس، ولكى يتأكد أن البناء الإسلامى الجديد سيكون على نفس الدرجة من الروعة وظف عبدالملك حرفيين ومهندسين من بيزنطة ومن المحتمل أيضا أنه أوكل إلى اثنين أو ثلاثة من المسيحيين مهمة الاشتراك فى التشييد غير أنه رغم إسهام أهل الذمة فإن ذلك الصرح الإسلامى الأول العظيم يحمل رسالة إسلامية لا يخطئها أحد.

واختار الخليفة أن يبنى القبة حول الصخرة البارزة من دكة المعبد الهيرودى فى اتجاه الركن الشمالى للدكة.

وأصبح اليهود والمسلمون ينظرون إلى الصخرة على أنها أساس المعبد ومركز العالم ومدخل جنة الفردوس ومصدر الخصوبة وتلك صور ارتبطت جميعها بالأماكن المقدسة للديانات التوحيدية كما أن المسلمين شعروا منذ الأيام المبكرة لبناء تلك القبة أن زيارتهم لها تعود بهم إلى حالة التناغم الفردوسى الأولى.

وكُرست كل النقوش تقريبا داخل القبة والتى تعلو الأقواس والأروقة الداخلية للآيات القرآنية التى تنكر الفكرة القائلة بأن الله اتخذ ولدا وتلك الآيات موجهة لأهل الكتاب

وتحذرهم من الأقوال غير الدقيقة والخطيرة عن الله :

﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾[1].

ولابد أن تلك النقوش القرآنية قد وافقت اليهود فلم يحدث أن نظر اليهود إلى مشروع تشييد ذلك البناء الإسلامي على جبل المعبد الخاص بهم نظرة ذعر بل أن مؤلف «أسرار الحاخام سيمون بن يوحاي» اليهودي عام ٧٥٠م يرى البناء مقدمة للعصر المسياني له كما امتدح سيمون الخليفة المسلم لكونه محبا لإسرائيل قام بترميم تصدعات صهيون وتصدعات المعبد فهو ينحت جبل موريا ويقوى منه ويقوم بتشييد مسجد هناك على صخرة المعبد بيد أنه كان لصخرة القبة رسالة أخرى لليهود.

والرسالة المتضمنة هي أن اليهود ليسوا أبناء إبراهيم الوحيدين وعليهم -أيضا- أن يتذكروا أنه لم يكن يهوديا ولا نصرانيا بل كان مسلما.

أما الأمر المؤكد احتمالا فهو أن القبة كانت تأكيدا للهوية الإسلامية ولم يقصد بها كما يقول البعض صرف المسلمين عن الحج إلى مكة التي كانت ماتزال في أيدى الزبير وكان مؤرخ القرن التاسع العراقي «اليعقوبي» هو أول من افترض تلك النظرية وأخبرنا أن الأروقة الدائرية صممت من أجل الطواف وكما يقول: فقد بدأ الناس يطوفون حول «الصخرة» كما يطوفون حول الكعبة واحتمال صحة هذا القول ضئيلة فممرات القبة شديدة الضيق بحيث لا تسمح بأداء شعيرة الطواف المعقدة بالإضافة إلى أنه لو كان هدف الخليفة استبدال مكة لصار الأمر أكثر يسرا لو أنه شيد بناء يماثل الكعبة بدلا من تجشم مشقة تصميم تلك القبة المعقدة ولا ينسب أحد آخر من مؤرخي تلك الفترة ذلك المقصد غير الورع للخليفة الذي كان لابد وأن يصدم العالم الإسلامي كله كما أن عبدالملك لم يظهر سوى شعور الورع العميق تجاه مكة والكعبة أما اليعقوبي فكان من أشد معارضي الأمويين ولا نملك سوى نبذ تلك النظرية كفكرة دعائية خالصة.

ولو كانت القبة مجرد خدعة سياسية أو قصد بها إحراز فوز على الذميين لما استحوذت على أفئدة الشعب الإسلامي وبدلا من ذلك فقد أصبحت القبة نموذجا لجميع المباني الإسلامية فيما بعد فحينما كان المتعبدون والحجاج يدخلون ذلك المبنى كانوا يجدون فيه رمزا كاملا للطريق الذي كان عليهم أن يسلكوه ليجدوا الله.

---

(١) النساء (١٧١).

أما القبة ذاتها، والتي ستصبح ملمحا للعمارة الإسلامية فهي رمز التحليق المتسامي في اتجاه السماء لكنها أيضا تعكس التوازن الكامل للتوحيد فسطحها الخارجي والذي يتجه صعودا نحو لانهائية السماء هو نسخة مطابقة تماما لبعدها الداخلي وهي تصور بذلك كيف يتوافق الإلهي والبشري والعالم الباطني والظاهري ويكمل بعضهما البعض مثل شقّي رحي وحدة كلية ويوحي اللون الأزرق في الفن الإسلامي أي لون السماء باللامتناهي بينما يدل اللون الذهبي على المعرفة والتي هي الملكة التي يصل من خلالها الإنسان إلى إدراك الخالق.

ولقد أقيمت قبة الصخرة في موقع أولي قبلتي المسلمين وعرفت تلك البقعة مركزا روحانيا، ومن المعتاد أن يشير المسلمون إلى الأماكن التي قام فيها إبراهيم وداود وسليمان وإلياس بالصلاة في الكهف أسفل القبة.

الوليد بن عبد الملك وتجديد المسجد الأقصى

ففي عام ٧٠٥م خلف الوليد أباه عبد الملك واستمر في تصعيد قداسة وجلال الحرم القدسي ومن ثم أمر في عام ٧٠٩م بتشييد مسجد جديد يحل محل مسجد عمر وأقيم على نفس موقع المبنى الحالي للمسجد الأقصى وخلافا لقبة الصخرة تعرض ذلك المسجد للتدمير مرارا وأعيد بناؤه وأحدثت به تغييرات فقد دمر زلزال مسجد الوليد بعد بنائه بفترة وجيزة ولم يتبق منه سوى القليل ونحن نعلم أنه كان له مقصورة من الرخام وأعمدة وفيما بعد أصبح المبنى موضع انتقادات لضيقه واستطالته بدرجة أكبر مما يجوز، وقام الخليفة أيضا بإصلاح جدران هيرود المساندة وتعلية أطوالها غير أنه لم يستطع مماثلة حجم الأحجار الهيرودية الضخمة كما بنى أيضا صفوفا من الأعمدة تشبه إلى حد ما تلك التي توجد هناك الآن وأخيرا تمت إزالة المناطق السكنية الموجودة إلى جوار الحرم حتى يتسع المكان لإقامة بعض المباني الملكية الفخمة كما أعيد بناء البوابات التي تقع في الطرف الجنوبي للرصيف، وشيدت مجمعات من أبنية عامة كان أكثرها روعة قصر ضخم مكون من طابقين صممت جدرانه حول فناء يتوسطه ويصل دور القصر العلوي بالحرم جسر يؤدي مباشرة إلى داخل المسجد الجديد . وامتدت سلسلة من المباني ذات الأعمدة إلى الغرب والشمال بطول الجدار الغربي المساند وكان هناك نزل للحجيج وحمام عام ومعسكرات وأبنية عامة أخرى وأخيرا تمت إعادة تشييد جسر هيرود القديم المؤدي إلى الحرم من طريق يعرف اليوم بطريق السلسلة وكان ذلك أكبر المجمعات العمرانية التي شيدها الأمويون على الإطلاق.

ومما لاشك فيه أن المدينة جذبت اهتمام ابن الوليد سليمان ٧١٥ - ٧١٧م بدرجة كبيرة وفي هذا الصدد يقول مجيرالدين: إن سليمان كان يخطط للعيش في بيت المقدس ولجعلها عاصمة ملكه ويا ليته فعل.. وكان ينوي إحضار ثروة ضخمة وعدد كبير من السكان إلى هناك ومثل الملك سليمان الذي سمي على اسمه كان ابن الوليد يحب أن

يستقبل الناس على جبل المعبد بينما يجلس أسفل بناء ذى قبة قرب قبة الصخرة فرش بالسجاد والوسائد والأرائك، غير أن خطته لجعل بيت المقدس عاصمة لم تسفر عن شيء فقد كان موقع المدينة غير ملائم على الإطلاق كمركز لإمبراطورية شاسعة، وتحقق سليمان من ذلك حينما قام بتأسيس مدينة جديدة هى رام الله قرب اللد، والتى أصبحت العاصمة الإدارية لجند فلسطين واستحوذت تلك المدينة على جزء كبير من قوة وازدهار بيت المقدس ونقلت تلك الخصائص المقدسة إلى المدن الساحلية.

فمنذ الأيام المبكرة كان المسلمون يميلون لإقامة عواصمهم بعيدا عن الأماكن الأكثر قداسة فى المنطقة.

فحتى اليهود والذين لم يكن لديهم أية شكوك حول قداسة المدينة فضّلوا العيش فى رام الله وكانت جماعة اليهود فى رام الله أكبر كثيرا من مثيلتها فى بيت المقدس.

وبدات الإمبراطورية الإسلامية تعيش فى حالة اضطراب شديد فى منتصف القرن الثامن الميلادى ففى عام ٧٤٤م اغتيل الخليفة الوليد الثانى وتمردت القبائل فى جندى فلسطين والأردن ضد ولده يزيد واستمرت المعارضة لموقفه المتسامح من الذميين بعد قمع الثورة بمدة طويلة كما استمر التمرد فى الشام ضد مروان الثانى خليفة يزيد وحدث أثناءه أن دمر الخليفة أسوار بيت المقدس وحمص ودمشق ومدن أخرى كإجراء وقائى ثم أصاب القدس تدمير أشد حينما تعرض لزلزال أتى على المدينة عام ٧٤٧م وتساقط جدارا قبة الصخرة الشرقى والغربى وكذلك تهدم مسجد الوليد والقصر الأموى وكنيسة قسطنطين تيا وقد قتل فى هذا الزلزال كثير من المسلمين الذين كانوا يسكنون قرب الحرم ولاذ باقى السكان بالتلال لمدة تقارب الأسابيع الستة خوفا من التوابع وكان الزلزال كان نذيرا بسقوط الحكم الأموى.

ومن المعروف أن أبناء العباس عم النبى ﷺ قد استمروا يتحدون الأمويين مدة طويلة من قاعدتهم فى حميمة عبر نهر الأردن ثم تحالفوا عام ٧٤٩م مع أبى مسلم الخرسانى الذى نجح فى توحيد كل معارضى الخليفة فى حزب واحد وفى يناير الحقت بالخليفة مروان الثانى الهزيمة النهائية على نهر الزاب شرق دجلة وبعد فترة وجيزة حدثت مذبحة لمن تبقى من الأمويين فى انتيباترس فى فلسطين وقتل مروان بن محمد فى مصر وبعدها صار أبوالعباس السفاح أول خليفة عباسى غير أن العباسيين نقلوا عاصمتهم إلى المدينة الجديدة بغداد وكان لذلك آثار خطيرة على بيت المقدس كما سنرى.

وبعد:

فإنه بعد عرضنا لكتاب: القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث لمؤلفته.. كارين ارمستروغ الذى ترجمه إلى العربية د. فاطمة

نصر ود. محمد عناني ونشر ١٩٩٨ وحين أخذنا في قراءته ومطالعته راعنا دقة الترجمة العربية في حسن العبارة وجزالة اللفظ والتحرى الدقيق في الالتزام بالمصطلحات التاريخية. وتقويم بعض المعاني التي قد توهم القارىء وتوقعه في حيرة بين التاريخ والقرآن فيفصل بينهما المترجمان تعديلا للفكرة بالتعليق في الهامش إما من التراث الإسلامي التاريخي وإما بآية من القرآن الكريم وإذا كانت دينية تخص الأنبياء وخاصة عيسى وقضية الصلب. أو التاريخ الإسلامي مع الخلفاء الراشدين ومن تلاهم من الأمويين، إلى ذلك كله رجع المترجمان إلى المرجعية الإسلامية التاريخية، فلهما الشكر على اختيارهم الكتاب وعلى دقة ترجمته على ما تكلفا نصبا في سبيل التوثيق العلمي لبعض الرؤى الغربية ولاسيما أن قضية القدس خليفية وأزمتها التاريخية بين العرب وإسرائيل - كما قدمنا - وساسة الغرب، وما يجرى حولها اليوم هو من قبيل المناورات المسكنة والاستفزازات الخشنة الرديئة ولا يصح إدراجه في باب المفاوضات.

أما صاحبة الكتاب: فقد بذلت جهدا علميا حين اختارت لكتابها موضوع القدس فالموضوع يشكل أزمة بكل معاني الكلمة: تاريخية. وسياسية في عرض قصة شعب ضائع وكشف لقوى الغدر والخيانة والتسلط والبغى على أمة عزلاء لا تملك شيئا إلا فورة تتميز بالغضب العادل لقضية عادلة أسقطته على حجر تود أن تقده من حطب جهنم لترسله شواظا ونحاسا من نار عليا فلاتنتصر.. ودولة البغى الظالمة التى كانت بالأمس شتيت قطعان ضل راعيها فقابلت ثورة الحجارة براجمات الصواريخ والدبابات والطائرات.

من هنا جاء كتاب القدس يفضح مؤامرات الغرب وبلغت أمانة الكاتبة حد الإنصاف فوقفت مع القضية موقفا عادلا؛ ولقد كانت دقيقة في تحرى مصادرها التاريخية والدينية والسياسية.

وإذا كانت الدعوى بالكمال قائمة فقط مع الله فإن حق الخطأ يلازم كل إنسان فالكاتبة وكتابها لا يتنزهان عن الخطأ والفكر الإنساني يتقلبه أبدا بين الخطأ والصواب.

لذلك نقول: إن الأخطاء التى صادفها من قبيل النقص الإنساني وليس من قبيل العمد المنهجي الذى يؤول الأحداث التاريخية وفق رؤى سابقة ومن هنا كان اعتزازنا بالكتاب وعرضه.

***

مغالطات إسرائيلية وحقائق تاريخية

للأستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد

يزعم اليهود الصهاينة أنهم حينما دخلوا فلسطين عام ١٩٤٨ لم يدخلوها محتلين غاصبين، بل فاتحين محررين، مدعين - افتراء - أن الفلسطينيين هم غرباء عنها، قلباً للحقائق، وتزييفاً لوقائع التاريخ التى تؤكد عروبة فلسطين.

ولم تقتصر مزاعمهم عند هذا الحد، بل تواصل دعاياتهم المضللة إطلاق أباطيلهم، وترويج ترهاتهم، ونشراً أكاذيبهم بأن فلسطين حينما وطأتها أقدامهم، كانت أرضاً بلا شعب، لشعب بلا أرض ليغرسوا، فى أذهان العالم، أن الفلسطينيين ليست لهم جذور فيها. لذلك فإن إسرائيل تسعى، فى خبث ودهاء، منذ اغتصابها فلسطين التاريخية، واحتلالها الضفة الغربية، وقطاع غزة إلى الترويج لمقولة: «إن إسرائيل ماجاءت لتحتل أرضاً، بل لتسترد حقاً». وفى هذا الإطار الصهيونى تحاول دولة الكيان الصهيونى أن تبدو - أمام العالم - أنها صاحبة حق فى فلسطين لتضفى نوعاً من الشرعية على وجودها الزائف.

وانطلاقاً من مخطط هذه الدعاوى الكاذبة، سوف ألقى الضوء على عدة مغالطات يهدف الكيان الصهيونى إلى ترسيخها فى ذاكرة الرأى العام العالمى، من خلال آلته الإعلامية التى نجحت إلى درجة كبيرة فى تحسين صورة إسرائيل فى عيون العالم الغربى الذى يدعم الوجود الإسرائيلى فى فلسطين المحتلة، فى غيبة إعلام عربى متهالك.

المغالطة الأولى: «يزعم قادة إسرائيل أن دولة إسرائيل الآن، هى امتداد لمملكة داود، التى قامت فى القرن العاشر قبل الميلاد، برقعتها الجغرافية الواسعة وبحدودها المترامية الأطراف».

ولايسعنى فى الرد على هذا الزعم إلا أن أدع المؤرخين ليكشفوا زيفه، إذ يذكرون أن داود عندما فكر فى غزو القدس «يبوس»، وجه حملة عسكرية بقيادة ابن أخيه «مؤاب»، حاصرت المدينة فترة طويلة إلى أن تم الاهتداء إلى نفق، كان اليبوسيون العرب -

بناة القدس- قد حفروه، فتسللت من خلاله قواته إلى داخل المدينة، وبذلك تم الاستيلاء عليها، وسماها داود «مدينة داود». وبفضل روح المقاومة التي أبداها أهل القدس بقيت هذه المدينة في أيديهم حتى السنة الثامنة من حكم داود. هذا وقد ظلت القدس اليبوسية محافظة على عروبتها وحضارتها العربية الأصيلة فترة حكم داود القصيرة (١٠١٠ق. م- ٩٧٠ق. م)، التي لم تتجاوز أربعين سنة، منها سبع سنوات في حبرون (الخليل)، وثلاثة وثلاثون سنة في القدس (يبوس). واللافت للنظر أن القدس لم تستسلم للغازي الجديد، بل ظلت تقاوم في شموخ وشمم الغزو العبراني لها، ويشير المؤرخون إلى أنه عندما استولى داود على القدس (يبوس) كان قد مر على بنائها نحو ثلاثة آلاف سنة، كما كان قد مضى على الوجود اليبوسي العربي فيها حوالي أربعة آلاف سنة، مما يؤكد العديد من الحقائق:

الأولى: أن تاريخ القدس، موغل في القدم لم يبدأ باستيلاء داود عليها في القرن العاشر قبل الميلاد كما يدعي اليهود.

الثانية : أن أصحاب القدس الأصليين هم اليبوسيون العرب الذين تسمت القدس باسمهم (يبوس)

والثالثة : أن استيلاء داود على القدس اليبوسية كان احتلالاً لأرض عربية، عمرها،



نموذج هيكل اليهود المزعوم كما تصوروه وأعدوه للبناء فعلاً على أنقاض المسجد الأقصى

وأقام حضارتها، بناتها الأولون اليبوسيون العرب، وهذا في حد ذاته تأكيد لعروبتها في عهدها الأول، أما بصدد فترة حكم داود للقدس، وهي أربعون سنة، فإني أتساءل ماقيمة أربعين عاماً حكم فيها داود حتى يزعم اليهود أن دولتهم اليوم هي امتداد لمملكة داود؟ ويتخذون من ذلك سنداً لدعوى احتلالهم فلسطين، رغم قصر هذه الفترة إذا ماقورنت بثمانمائة عام حكم العرب المسلمون خلالها الأندلس، وخلفوا فيها حضارة عربية زاهرة مازالت ملامحها باقية حتى الآن، ومع ذلك لم يطالبوا بحقهم في الاستيلاء عليها، كما يفعل يهود إسرائيل في فلسطين، كما يؤكد المؤرخون أن داود أثناء حكمه كان تابعاً للفينيقيين العرب في لبنان، وفي أحيان أخرى كان تحت السيادة المصرية. ومن جهة أخرى فإن مملكة داود لم تكن

واسعة المساحة، مترامية الحدود كما يتوهم اليهود بل كانت مساحتها محدودة، تمتد من جبل الكرمل شمالاً إلى الخليل جنوباً، بينما ظل الساحل من شمال يافا إلى جنوب غزة بيد الفلسطينيين تحت حكم مصر. أما شمال عكا فقد كان مع ساحل لبنان موئل الفينيقيين العرب بعيداً عن حكم داود.

المغالطة الثانية: «يزعم يهود إسرائيل أن فلسطين والقدس أرض يهودية، ولا يمكن التخلي عن أي جزء منهما، كما لايمكن تقسيم القدس بينهم وبين الفلسطينيين في أي تسوية قادمة».

في الحقيقة أن هذه المغالطة تفيض كذباً، وافتراء لأن اليهود يتجاهلون حقائق التاريخ، إذ أن صلة العرب بفلسطين والقدس، هي صلة ضاربة بجذورها في أعماق التاريخ بشهادة كتاب اليهود المقدس، الذي بين أيديهم الآن، والذي تبين نصوصه، صراحة، التواجد العربي في شمال الجزيرة العربية، وبخاصة في فلسطين، فقد كان للعرب بها دول وممالك، وهذا مايشير إليه سفر أرمياء فيقول: «وكل ملوك العرب اللفيف الساكنين في البرية»[1].

وجاء أيضاً في سفر حزقيال إلى مايشير إلى العرب فيقول: «العرب وكل رؤساء قيدار»[2]. ونقرأ أيضاً في سفر أخبار الأيام الثاني فيقول: «وكل ملوك العرب وولاة الأرض»[3]. كما نعقب بالنص التالي بما يثبت أن اليهود كانوا غرباء على فلسطين والقدس فيقول سفر يشوع: «أما اليبوسيون الساكنون في أورشليم فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم. فسكن اليبوسيون مع بني يهوذا في أورشليم إلى اليوم»[4] ومن هذا النص نرى أن القدس (أورشليم) كان يسكنها اليبوسيون العرب قبل اليهود، عندما حاول «بنو يهوذا» اقتلاعهم منها. وجدير بالذكر أن اليبوسيين العرب الذين أشار إليهم سفر يشوع هم بناة القدس الأولون منذ ستة آلاف سنة من الآن، والتي تسمت القدس باسم جدهم الأعلى «يبوس». وقد ظلت القدس معروفة بهذا الاسم (يبوس) قبل محاولة القبائل العبرية من بني يهوذا غزوها، فقد جاء في سفر القضاة مانصه: «وفيما هم عند يبوس والنهار قد انحدر قال الغلام لسيده تعال نميل إلى مدينة اليبوسيين هذه ونبيت فيها فقال له سيده لانميل إلى مدينة غريبة حيث لا أحد من بني إسرائيل هنا»[5] وإذا تأملنا هذا النص، وقرأناه جيداً نجد أنه يكشف العديد من الحقائق:

الأولى: أن القدس (يبوس) مدينة اليبوسيين. الثانية: أن اليبوسيين العرب هم

---

(١) أرمياء ٢٥ : ٢٤.

(٢) حزقيال ٢٧ : ٢١.

(٣) أخبار الأيام الثاني ٩ : ١٤.

(٤) يشوع ١٥ : ٦٣.

(٥) القضاة ١٩ : ١١ ـ ١٢.

أهل القدس اليبوسية، والمقيمون فيها لم يشاركهم أحد من بني إسرائيل في سكناها.

الثالثة: أن يبوس (القدس) وصفها سيد الغلام الإسرائيلي بأنها مدينة غريبة بالنسبة إليهما حيث لايسكنها أحد من بني إسرائيل، مما يؤكد أن بني إسرائيل غرباء عنها، وفي هذا تفنيد صريح للمغالطة الثانية.

الرابعة أن هذا النص التوراتي شهادة يهودية، لاتقبل الجدل، على أن القدس عربية أرضاً وسكاناً، كما يؤكد عروبتها أيضاً مايذكره المؤرخون من أنه قد تعاقب على حكم القدس وفلسطين في تاريخها القديم، ملوك وحكام عرب مثل ملكي صادق، وأدوني صادق، وسالم اليبوسي، وعبد خيبا، وكلها أسماء عربية تنهض دليلاً واضحاً على عروبة فلسطين والقدس.

المغالطة الثالثة: «يزعم اليهود في إسرائيل أن حائط البراق الشريف المسمى عندهم «حائط المبكى» هو البقية الباقية من هيكل سليمان، إذ يعتقدون أن المسجد الأقصى بني فوقه، وهم يتعللون به لفرض السيادة الإسرائيلية على الحرم القدسي الشريف، المسمى عندهم «جبل البيت».

تشير التوراة وهي كتاب اليهود المقدس إلى أن الهيكل الذي بناه سليمان لم تزد أبعاده على ستين ذراعا طولاً، وعشرين ذراعا عرضاً، وثلاثين ذراعا ارتفاعاً فيقول سفر الملوك الأول: «والبيت الذي بناه الملك سليمان للرب طوله ستون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً وسمكه ثلاثون ذراعاً»(٦) أي أن المساحة التي أقيم عليها الهيكل اليهودي لم تكن كبيرة جداً بل لا تعدو أن تكون مساحة لمعبد عادي لايستدعي من إسرائيل هذه الضجة الإعلامية الهائلة التي تثيرها أمام العالم، بالإضافة إلى أن المؤرخين يذكرون أن هذا الهيكل الذي يتذرع به يهود اليوم لم يتم بناؤه داخل الحرم القدسي الشريف، بل خارجه، وهذه نقطة هامة ينبغي الالتفات إليها.

وأود أن ألفت الأنظار إلى أن هذا الهيكل اليهودي «المعبد» قد تعرض إلى الهدم والتدمير عدة مرات، فقد دمره البابليون على يد «نبوخذ نصر» عام ٥٨٦ق. م، وعلى يد «تيطوس» القائد الروماني عام ٧٠م، وأيضاً على يد «إيليوس هادريان» القائد الروماني عام ١٣٥م بعد أن حرم على اليهود دخول القدس التي سماها «إيليا كابيتولينا» ومن هذا الوقت صار الهيكل اليهودي أثراً بعد عين. وجدير بالذكر أن السيد المسيح ـ عليه السلام ـ قد أشار إلى خراب الهيكل بقوله: «ياأورشليم ياأورشليم ياقاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا هو ذا بيتكم يترك لكم خراباً»(٧) كما أكد السيد المسيح تدمير هذا الهيكل ومحوه من الوجود بقوله: «الحق أقول لكم إنه لا يترك ههنا حجر على حجر لا ينقض»(٨) كما نجد «جوستاف

(٦) الملوك الأول ٦ : ٢.
(٧) متى ٢٣ : ٣٧ ـ ٣٨.
(٨) متى ٢٤ : ٢.

لوبون» في كتابه «حضارة العرب» يشير إلى أن ما يسمى بالهيكل ما هو إلا أكذوبة، وأنه ليس هناك ما يدل على وجود ما يسمى بالهيكل. وفي إطار الأطماع الإسرائيلية في الحرم القدسي الشريف سعت حكومة باراك - عقب محادثات كامب ديفيد الثانية عام ٢٠٠٠ - إلى دفع أمريكا لتقديم اقتراحها بشأن السيادة على الحرم القدسي الشريف الذي هو من بنات أفكار إسرائيل والذي يقسم السيادة على الحرم القدسي إلى ثلاث سيادات: الأولى سيادة إسرائيلية على حائط المبكي «حائط البراق الشريف»، والحي اليهودي، والفراغات تحت أرض الحرم القدسي التي تدعي إسرائيل - باطلاً - أنها مكان الهيكل اليهودي. والثانية سيادة فلسطينية على المسجد الأقصى، ومسجد قبة الصخرة. والثالثة ما يسمى بالسيادة لله على ساحة الحرم القدسي الشريف. وهنا نتساءل لماذا تسعى إسرائيل - بدعم أمريكي - إلى تقسيم السيادة بين الإسرائيليين والفلسطينيين ؟ والإجابة معروفة وهي إعادة بناء هيكل سليمان مكان المسجد الأقصى، رغم أن إسرائيل تعلم جيداً أن حائط المبكي المزعوم «حائط البراق» وهو الجدار الغربي للحرم القدسي الشريف والساحة التي أمامه المقابلة لحارة المغاربة تؤلف جزءاً لا يتجزأ من ساحة الحرم القدسي الشريف، وهو ملك إسلامي بموجب قرار اللجنة الدولية عام ١٩٣٠م التي حسمت النزاع في هذه القضية بأحقية المسلمين العرب في الحرم القدسي الشريف وأنه ملك لهم. ولكن لماذا تتجاهل إسرائيل قرار هذه اللجنة وهو قرار دولي ؟ لأنها لا تحترم قوة القانون، بل تمارس قانون القوة خياراً وحيداً للاستيلاء على أراضي وممتلكات الغير، إذ لازالت إسرائيل تسعى إلى الاستيلاء على الحرم القدسي الشريف لإعادة بناء الهيكل اليهودي استناداً إلى مقولة صهيونية تقول: «لا معنى لإسرائيل بدون القدس، ولا معنى للقدس بدون الهيكل».

وأختم حديثي بالقول بأن إسرائيل من أجل تحقيق أطماعها التوسعية في إقامة دولية يهودية من النيل إلى الفرات، تواصل مسلسل أكاذيبها، ومغالطاتها، وإيهام الدنيا كلها بأن ما تقوم به الآن على الساحة الفلسطينية ما هو إلا لحماية نفسها من الإرهاب الفلسطيني الذي يهدد استراتيجيتها الأمنية، وهي بذلك تسوي بين حق الشعب الفلسطيني في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي والإرهاب، وهذه مغالطة أخرى تروج لها لكسب عطف، وتأييد العالم في عدوانها على الشعب الفلسطيني. لذلك تقع على الجاليات العربية والإسلامية في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية بصفة خاصة مسئولية كشف زيف هذه المزاعم والدعاوي الكاذبة لتوعية هذه المجتمعات بحقيقة قضايانا العربية والإسلامية حتى يكون لنا أنصار، ومؤيدون فيها، لنصرة حقوقنا العربية والإسلامية في مواجهة المخطط الصهيوني لتزييف الحقائق.

قصة العدد

الله أكبر ! هلكت خيبر (*) !

خرج النبي ﷺ من المدينة لغزو خيبر في بقية المحرم من السنة السابعة وفتحها في صفر

للأستاذ / أحمد الناجي

١

مر، كنانة بن الربيع، على، حيي بن أخطب، سيد بني النضير فرآه واجما ينكت الأرض بعود في يده ثم يصعد الطرف بين الفينة والفينة في حصون خيبر.

فقال كنانة: أرى هذه القرية قد راعتك بحصونها، وحلت من فؤادك محلا. طب نفسا وطابت خيبر!

قال حيي: وكيف تطيب نفسي؟ وها نحن أولاء منذ ثلاث سنوات نعيش في غير أوطاننا مشردين في الآفاق! ونحن الذين بنينا، يثرب، بأيدينا، فأصلحنا أرضها، وأجرينا ماءها، وغرسنا جناتها، وأقمنا حصونها، وترانا اليوم ننزل في غير دارنا، ونأكل من غير زادنا، لأن محمدا افتتحها علينا، وأخذها عنوة منا!

لله تلك الأيام العزيزة التي قضيناها هناك أعزاء أشداء!!

كنا نقاتل الأوس بالخزرج، ونقاتل الخزرج بالأوس، ونسعر نيران العداوة بينهما ونمدهما بالأسلحة ويمدوننا بأموالهم فمايزالون في تناقص وفناء، وما نزال في نعمة سابغة، وسيادة دائمة.

ولكن جاءنا ذلك الساحر الطريد، ففرقهم عنا، ونفر موالينا ولاندري كيف جمع بين قلوبهم الفائرة، وغسل أحقادهم الثائرة، وشفى جراحهم الناغرة، وجعلهم أمة واحدة يأكل بهم اليهود والعرب.

قال كنانة: ولكننا أحسن حالا من بني عمومتنا فلقد أخذنا من أموالنا ما تحمله دوابنا ونزلنا بخيبر هذه القرية ذات البروج المشيدة فأوينا إلى ركن شديد. أما بنو قينقاع فيا حسرتاه على ما أصابهم، فعندما أخرجوا من المدينة قصدوا (أذرعات) فتناولتهم أوبئة الشام، فما انقضى

(*) مجلة الرسالة ٤/٣/١٩٤٠.

الحول على نسمة تحت الشمس منهم!

ـ ونسيت «قريظة» إن قلبي ليطفح بالنيران كلما ذكرتهم! ماذا جنوا حتى يحكم محمد السيف في رقابهم؟ ويح يثرب! خلت من يهود!

ـ وكأنك أنت الذي جنى عليهم يا حيى، حركتهم ليثوروا على محمد وينبذوا له عهده وأطمعك في ذلك اجتماع الأحزاب عليه، ولكنه سرعان ما خذل الأحزاب، وفت في عضدهم، وسرعان ما انقلب محمد على بني عمنا، فشفى غيظه منهم.

ـ أجل: أردت أن يُطعن محمد بخنجرين، أقتلهما الذي يأتيه من وراء ظهره! ولكني كلما دبرت كيدا أبطله بسحره. وكأنه ملهم يوحى إليه!!

ـ أو تشك في أنه النبي؟! وأنت من أهل العلم والكتاب

ـ كلا، ما ارتبت فيه، ولكنه جاءنا من العرب وحسبناه من إسرائيل! كيف نتبعه فيعلو به أجلاف الأعراب على أهل الكتاب؟ لا ورب موسى لا نلقى إليه القياد أبدا، وسنظل على بغضه وحربه حتى نفنيه أو نفنى دون ذلك.

ـ أتظن الرجل الذي خضعت قريش له وطلبت منه السلام في «الحديبية» ينكسر لنا؟ ما أظنه أسكت قريشا إلا ليثور علينا وعلى قبائل العرب، أليس هو الذي يقول:

« أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا كلمة الإسلام فإذا قالوها حقنوا منى دماءهم».

ـ ولكن قريشا لم تقلها.

ـ ستقولها يوم أن يجلب عليها بخيله ورجله، ويخيرها بين الكلمة أو السيف.

ـ ونحن أيتركنا ههنا؟

ـ إخاله سيتعقبنا

ـ أو بلغك نبأ؟

ـ أما من محمد فلا، كيف يدري الناس من أمره شيئا وهو حول قلب؟ إذا أراد أن يحارب شمالا اتجه جنوبا!

ـ ومن أدراك إذن بما تقول؟

ـ إنها رؤيا رأتها بنتك التي تحتى فأولتها

ـ صفية بنتي! إنها لترى وكأنها ترى بعينيها! ماذا رأت الخبيثة!

ـ كان قمرا من السماء سقط في حجرها.

ـ إنه وأيم الحق محمد!

٢

اللهم لولا أنت ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
فاغفر فداء تلك ما أبقينا
وألقين سكينة علينا
وثبت الأقدام إن لاقينا
إنا إذا صيح بنا أبينا
وبالصياح عولوا علينا

على توقيع هذا النشيد المطرب، وترجيع صوت الحادي البين سارت قافلة المسلمين تحت ظلال الراية البيضاء، تتبع محمد بن عبدالله، ومازالت تصعد وتهبط حتى تراءت للعين حصون خيبر شامخة تشق السماء وقد لفها غلس الدجى، وعلى قيد أميال منها وقف النبي

يتأملها فوقف الركب معه، فرفع يديه يناجي ربه ويقول:

« اللهم رب السموات وما أظللن، ورب الأرضين وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما أذرين، فإنا نسألك خير هذه القرية، وخير أهلها، وخير ما فيها، ونعوذ بك من شرها، وشر أهلها، وشر ما فيها »

وأمضى المسلمون ليلتهم على مرأى منها، فلما أصبحوا قام النبي يقول:

« الله أكبر، الله أكبر، هلكت خيبر! إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين ».

وانطلق المسلمون يكبرون، وكأنهم كلما رفعوا بالتكبير أصواتهم، بالغلو في إظهار إخلاصهم لبارئهم، وإن من الجبال لما يهتز لتكبيرهم ودعائهم، وإن منها لما يتصدع من خشية الله.

فقال لهم النبي: « أربعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا، إنكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم ».

●●●

وخرج عمال خيبر إلى مزارعهم فراعهم جيش المسلمين فرجعوا إلى أهلهم يصيحون:

ـ محمد والخميس!

وفزعت خيبر وأغلقت أبوابها، وظل المسلمون يحاصرونها ويضيقون عليها، ومن برج مشيد أطل « حيي بن أخطب » على جيش المسلمين فرأى الراية البيضاء في يمين « علي بن أبي طالب » فكأنما رأى ملك الموت يدلف إليه. فقال:

ـ تباً لكم! ألا فتى غير هذا يحمل اللواء؟

والله ما ذقنا العذاب إلا تحت لوائه!

أخرجنا من بيوتنا بيثرب، وها هو ذا جاء يخرب قريتنا!!

فلمحه الإمام يتكلم بصوت خفيض، فقال له:

ـ ماذا تقول يا عدو الله؟!

قال حيي: وماذا تريدون منا ـ معشر المسلمين ـ ألم يكفكم أن أخرجتمونا من ديارنا وأموالنا؟ فجئنا وحططنا رحلنا بهذه القرية، فما كدنا نستنبت ريشنا بعد أن قصصتم أجنحتنا حتى جئتم إلينا بخيلكم ورجلكم، فإلى أي أرض نهرب من شركم؟!

قال علي: ألست يا عدو الله الذي جمعت علينا الأحزاب من كل فج، فصرنا في أضيق من كفة الحابل، ولم تكتف بذلك حتى هجت قريظة فنبذوا إلينا عهدنا في ساعة العسرة فوقفنا بين شقي الرحى. وحسبت أنك بذلك قضيت علينا، ولكن الله ربنا مشتت شملكم، وكتب على أيدينا قتلكم.

قال حيي: إنكم لن تصلوا إلينا، فأنتم في الأرض ونحن في السماء، إن سهمكم لن يخرق حجرا، وخيلكم لن تكون طيرا فامكثوا ما شئتم أن تمكثوا وإن لنا في كنوزنا وخيراتنا لسعة

قال علي: أتحسب أن حصونكم ما نعتكم؟! إن الذي دك الجبل تحت أقدام موسى هو الذي

يخسف بها الأرض. فنلتقي على سواء وكأني بكم يا بني النضير بعد ليال، فطاحت رءوسكم، وأصبحتم طعمة للطير والسباع فأسلموا تسلموا.

قال حيي: لن يأخذ منا وعيدكم شيئا

قال علي: وأنتم لا تعجزون الله، يا خيل الله اركبي!!

واستمر المسلمون أياما يحاصرونهم، فلما أجهدوهم نزل اليهود إليهم يبارزونهم، فدارت الدائرة عليهم فأسرت رجالهم، وسبيت نساؤهم وذرياتهم.

قال علي لحيي وهو مقدم للقتل: أأغنى عنك حصنك شيئا! لولا أويت إلى ركن شديد!

قال: وما هو؟

قال: ربك الذي نسيت، ودينه الذي أنزل! ونبيه الذي أرسل!

قال: خذ رأسي إن كانت لك به حاجة

قال: أجل، إن السيف ليضحك حينما يحز رقاب أعداء الله

●●●

وتقدم «دحية الكلبي» إلى صفية بنت حيي وقال لها:

تعالي يا ابنة حيي! لقد وجدت فيك عروسي التي أنتظرها فأمسك بيدها، فانفلتت منه كالمهرة العربية وقالت له: ومن تكون أنت؟

قال: رجل من بني كلب.

قالت: لست هناك! مالك وسيدة قريظة والنضير؟!

قال: ومن تنتظرين؟

قالت: القمر المنير!!

قال: أتطمعين في رسول الله!؟ لشد ما خدعتك نفسك، وحدثتك الأماني، أبعد علج من علوج يهود تطمحين إلى الطاهر الطيب؟!

قالت: إن الكريمة كفء الكريم.

وسمع النبي بحديثها فاختارها لنفسه زوجا وجعل لدحية بنت عمها.

وبنى النبي بعد أيام بها، وهو في طريقه إلى المدينة تحت قبة ضربت لها. فلما انبثق نور الفجر وخرج النبي لصلاته، رأى «أبا أيوب الأنصاري» متوشحا سيفه قريبا من بيته

فقال له: مالك يا أبا أيوب؟

قال: يا رسول الله خفت عليك من هذه المرأة وهي امرأة قتلت أباها وزوجها وقومها وكانت حديثة عهد بكفر فخفتها عليك

فقال النبي: «اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني».

وحدث صفية بذلك فقالت:

والله يا رسول الله لأنت أعز عليّ من أبي وأمي وأنا على دينك.

٣

وباتت قريش بمكة تتسمع أخبار الرسول مع خيبر، وتمنت أن تدور الدائرة على المسلمين، فتكفيهم يهود شر قتالهم، وبينما كانوا يرصدون الطرق لعلهم يقفون على خبر يبل غلتهم، ويطفئ

أوار غيظهم رأوا قادما في شملة أعرابي من بعيد فتبينوه فإذا هو «الحجاج بن علاط السلمي».

قالت قريش: هذا لعمر الله عنده الخبر!

قال لهم: وما ذاك؟

قالوا: بلغنا أن القاطع خرج إلى خيبر وهي بلد يهود وريف الحجاز.

ـ بلغني ذلك وعندي من الخبر ما يسركم

ـ إيه يا حجاج!

ـ هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط، وقتل أصحابه قتلا لم تسمعوا بمثله قط، وأسر محمد أسرا، وقالوا لا نقتله حتى نبعث به إلى أهل مكة فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم.

فصاحت قريش طربا، وقالوا لأنفسهم، قد جاءكم الخبر! وهذا محمد إنما تنتظرون أن يقدم به عليكم، فيقتل بين أظهركم.

قال الحجاج: فأعينوني على جمع مالي بمكة، وعلى غرمائي فإني أريد أن أقدم خيبر فأصيب من فل محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار إلى ما هنالك.

قالوا: لك ما تحب وترضى، وأعانوه حتى جمع ماله كله فلما سمع العباس بن عبدالمطلب الخبر جاء الحجاج وهو جازع.

وقال له:

ـ ويحك يا حجاج! ما تقول؟

ـ أكاتم أنت على خبري؟

ـ إي والله!

ـ فالبث على شيئا حتى يخف موضعي، ثم سار إليه العباس فقال له الحجاج: الخبر والله على خلاف ما قلت لهم، خلفت رسول الله، وقد فتح خيبر، وخلفته والله معرسا بابنة ملكهم، وما جئتك إلا مسلما.

ولكن قريشا تحسبني لا أزال على دينها فاطو الخبر ثلاثا، حتى أعجز القوم، ثم أشعه، فإنه والله الحق.

قال العباس: ويحك! أحق ما تقول؟

ـ إي والله.

ـ ولكنك كذبت الناس، ودينك لا يسمح بالكذب.

ـ استأذنت الرسول في أن أقول فأذن، وكانت حيلة لأجمع مالي وأخرج من بين أظهرهم إلى غير رجعة. والآن أذهب

ـ على عين الله

فلما كان بعد ثلاثة أيام تخلق العباس وأخذ عصاه وخرج يطوف بالبيت.

قالت قريش: يا أبا الفضل: هذا والله التجلد لحر المصيبة.

قال: كلا والله الذي حلفتم به، لقد فتح محمد خيبر وأعرس بابنة ملكهم، وأحرز أموالهم.

قالوا: ومن جاءك بهذا الذي تزعم؟

قال: الذي جاءكم بما جاءكم به، ولقد دخل عليكم مسلما، فأخذ ماله، وانطلق لمحمد وأصحابه ليكون معه.

قالوا: يا لعباد الله! أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن أولى له! أنفلت عدو الله!

قال العباس: الله أعلم بعدوه ووليه..!

مغامرات عقبيا

للروائي الصهيوني يهودا بورلا

للدكتور / محمد حسن عبد الخالق

عقبيا فتى يبلغ العاشرة من عمره، أدخله والده، الحيدر، الكتاب اليهودي - بالأناضول حيث كان يعمل حدادا ويصنع أدوات الفلاحين هناك، ولكن المدرس طلب الأب وأخبره بأن ابنه فهمه ثقيل والأفضل أن يخرجه من الدراسة كي يساعده في عمله، وفعلا نفذ الأب وصية المعلم وصحبه معه بين جبال الأناضول، ، وكانت تعابير وجه الولد تشير إلى الغربة فهو أحمر الشعر أبيض الوجه فاغر الفم (ص١١)، وكان الفتى يسأل والده عن مواعيد الأعياد اليهودية (ص١٥) وكانت روح الفتى تبدو وكأنها جزء من واقع الخليقة، وأكثر قربا للصخر والجبل، للذئب والبومة (ص١٦) ويسأل والده أسئلة كثيرة عن الطبيعة وخالقها، ثم يسأله عن الله ومن رآه. فيجيبه الوالد:

- الصديقون الكبار فقط هم الذين يرونه، لأنهم محبوبون في السماء، وهم الذين يعرفون التوراة المقدسة (ص١٨) وعندما وصل عقبيا إلى سن البلوغ ١٣ سنة، وأصبح مكلفا دينيا، حاول والده أن يعيده للحيدر ولكنه قال له: إنني أحب الجبال وأفضلها على التوراة.

ويقول عقبيا: تعلمت اليهودية وامتلأت دماء يهودية (ص٢١) وأقاموا له حفلة التكليف الدينية، برمتسفاه، وسأله الحاخامات عن بعض الأمور الدينية ثم سألوه عن علم إسرائيل فقال لهم: « إن علم إسرائيل مقدس لشعب مقدس لإله مقدس » (ص٢٥).

قراءة في الأدب الصهيوني

ويكبر عقيبا قويا معافا ولم يحتك الا بنوعين فقط هما الحيات والتيوس الكبيرة، كان يقاتلها حتى الموت سواء بيده أم برأسه (ص٢٦)، ومن لم ير حرب عقيبا مع التيوس لم ير منظرا دراميا مفرحاً فى حياته (ص٣٦) وكان يسأل والده: - متى سيأتى المسيح؟ فقد قال لى الحاخام أبرماجى أن المسيح سيأتى وستكون هناك معجزات كثيرة وسوف تحدث عجائب الرب. . . ، وتقوم حروب كثيرة ونكون نحن المنتصرون وبعد ذلك يأخذنا المسيح إلى الأرض المقدسة (ص٣١) . وما أن وصل عقيبا إلى سن العشرين حتى تنصل من والده وتركه فى كبره، وكان يتجول بين الجبال فى بلاد الأناضول ولا يحضر إلى منزل والديه إلا نادرا فى الصيف، جاب جميع الجبال سيرا على الأقدام وقد قلقت الأم على ابنها، لأنه لم يطلب الزواج قط، أما عقيبا فكان لا يعير المرأة أدنى اهتمام، (ص٤٥) حتى لجأت أمه إلى المنجمين اليهود حيث صنعوا له بعض الأعمال وسقته ماءها دون أن يدرى (ص٤٨)، وعلى وجه العموم فقد تقمصت عقيبا روح عكره. واعترف لوالده قائلا: «إن هناك أصواتا تناديني تتحرك داخلى تطلب منى الخروج باسم الله للبحث، ومغادرة المكان، وعندما سأله والده البحث عن ماذا؟ قال له لا أعرف ولما حاول والده أن يثنيه عن رأيه رفض قائلا: حرفتى فى يدى. . خبزى فى يدى، أعطانى الله مزيدا من القوة والبطولة وبإرادته أثنى الحديد وأحطم الشجر، وأخلع الأشجار من الأرض. . . . لماذا أخاف (ص٥٥).

وكان قلب عقيبا سليما مع الله ولكنه قد تغير بسبب هذه الحادثة: فقد كان عقيبا فى (بروساه) وذهب لشراء بطيخة من أحد الدكاكين التى يملكها مسلم تركى، فوجد يهوديا ممسكا بطيخة يتفحصها، والبائع التركى ينهره قائلا له: يهودى خسيس!! ثم غرس التركى السكين التى بيده فى بطن اليهودى حيث وقع مدرجا بدمائه وعلى الفور جرى التركى هاربا، وتبعه عقيبا وطارد المسلم ولحق به، ولما رأى الأتراك ذلك طاردوا عقيبا وأخذوا فى الصياح: «امسكوا هذا اليهودى» ضربه كثير من الناس حتى حضرت الشرطة وقبضوا عليه بعد أن سرقوا نقوده.

ومنذ ذلك اليوم تحول البشر فى عينيه إلى حيوانات مفترسة. . إلى ثعابين قاتلة. . حتى الآن لم يعرف ما الذى اقترفه. . وحتى عندما قادوه إلى المحكمة. . وجد القضاة أتراك، افتروا عليه وشهد الجميع ضده، وحكم عليه بالسجن لمدة شهر (ص٥٧-٥٨). ويتعلق قلبه بـ «أنهيط» الأرمنية، والتى لام نفسه كثيرا على حبه لها وقال: كيف أتعلق بامرأة من الأغيار. وبعد هذا التجوال يخرج عقيبا بحكمة لم يتعلمها فى يوم واحد الا وهى: «إن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب، وأنه لا يسبب الشر للإنسان إلا لسانه» وقد قال لأصدقائه عندما حذروه من قطاع الطرق: لا أخشى اللصوص ولا الشياطين (ص٦٤). وعندما أراد أن يذهب إلى قونيا. . قابله عديد من اللصوص وأخذوا ما معه، فأخذ يقرأ التوراة فى سره ثم صرعهم جميعا (ص٦٧). وكان يعرف المستتر، يفحص الأوانى والقلوب

يؤمن بأن كل شيء مكتوب في السماء، ورمز الخير في يديه، وما أسعده أنه وصل إلى هذه البلدة في (عيد رأس السنة اليهودية) ويصل إلى المعبد مباشرة، وقد اتضح له أن كل ما مر عليه قد حكم به عليه من السماء، فبعد أن قتل ثلاثة من اللصوص في الجبال، ولم يعرف أحد من قتلهم رأى الجميع يشكرون الله يهودا وغير يهود على من خلصهم من هؤلاء الآثمين، لأنه حتى السلطة لم تستطع النيل منهم، (ص٦٨) ويذهب إلى (نحاس) مثله يصنع الدلاء ويعرف منه قصته، حيث قال له: يا عقبيا بسببك زاد فقري فقد بعت منذ شهور الدلاء لأهل القرية، ولم أجد من أبيع له، فيحزن عقبيا ويعتذر له ويعطيه الدلاء التي معه ليبيعها ويرزق من مكسبها، ويعرف منه أنه يهودي من أزمير، وفي شبابه تزوج امرأة تركية واعتنق دين (محمد) وبعد ذلك ندم ندما كبيرا وعاد إلى دين آبائه وهو يعول أسرة كبيرة ثم يعطيه ليرة ذهبية ويهم بالرحيل، ولما سأله من أنت؟ مبعوث من السماء؟ فيجيبه عقبيا أنا عصفور السماء أتجول في البلاد (ص٧٣) ويصفه الأديب قائلا: «كان يشعر بأن هناك خيطا من الفضل والنجاح ممتد من إرادة الخالق على نيته وعمل يديه (ص٧٦). ويزور أمه بعد بضعة أشهر ويقول لها: إن أحلامي هنا مشوشة، أما أحلامي في الجبال كاليقظة تماما ويحكي لها حلما: «بأن صحبه.. رجال عجائز تتدلى لحاهم إلى ركابهم كالإنسان القديم واركباه على ظهر حيوان ربما كان أسداً أو دبا أو ذئباً كبيراً، وصعدوا به إلى الجبال المكسوة بالثلوج حتى في أيام الصيف، وقالوا له: إنهم يصعدون به إلى جبال (أرارات) بتركيا وقالو له: إنه سوف يرى (نوحا) وهو مستريح لم يمت، وموجوداً مع بشر كثير من أبناء سام وحام ويافث وقد وصل هو قبلهم، لكنه أحس أن البهيمة التي ركبها قد شاخت، وخاف أن تقع، ورفع يده وخبطها خبطة قوية على رأسها وأماتها... حينئذ استيقظ (ص٨٢-٨٣) كان يحس بأن الله في عونه وأنه يقف بجواره وهو الذي أظهر له محاسن العالم وعيوبه. ولم تمر ليلة إلا ويرى فيها حلما: كما لو كان هناك وميض من روح يوسف (عليه السلام) بداخله فقد كان يفسر الأحلام لكل الناس، وازداد حبه لأنهيط الفتاة الجميلة غير اليهودية وقد وصف (عقبيا) محبوبته (أنهيط) قائلاً: إنها ابنة الله التي نزلت من السماء! (ص١٠٩) ولكنه علم بأن محبوبته في خطر. ففي مدينة (سموم) شرق الأناضول على شاطيء البحر الأسود يسكن الأغا محمود كاظم وهو ابن عم السلطان عبدالحميد، يبلغ الخمسين من عمره، وهو رجل سيء السمعة، ويقال: إن السلطان عبدالحميد قد استولى بالخديعة على حق والده في كرسي الحكم، وكذلك محمد كاظم وأهل بيت أبيه، وأصدر أمرا بطردهم من العاصمة ولكنه أعطاهم أموالاً ومقاطعات كثيرة شرق الأناضول، وكان الأغا والذي تسمى المنطقة باسمه رجلا مستهترا طاغيا زير نساء، وكان السلطان عبدالحميد يخشاه هو وأهله. ويقال إن هذا الأغا الطاغية راحت نفسه إلى حليلة

حاكم تركي وأراد أن يتزوجها، فغضب الحاكم وقاضاه لكن الآغا أرسل حراسه وأمرهم بقتله وهكذا أثار الرعب في البلاد كلها، ولما رأى الآغا (أنهيط) التي أحبها عقيبا، أراد أن يتزوجها، وأرسل ٢٠٠ مجيدة[1] ذهبية لوالدها، لكنه رفض، وحاول الآغا عدة مرات دون فائدة، وأخيرا هدد والدها بأنه سيخطفها، ثم قام والدها بتهريبها سرا، وقد عرف (عقيبا) بأن هذا الآغا الحقير الوغد اعتاد أن يقضي فترة الصيف والربيع في الجبال (ص ١١٣) ويدور حوار بين عقيبا وصديقه (ورطان)، حيث يقول ورطان :

– لماذا تخضعون وتسكتون أيها اليهود ؟ . . . ألم تشعروا بأنكم مثل الديدان، ألم ينكل الأتراك باليهود؟ وفي روسيا : ألم يذبحوا اليهود .

فيرد عليه عقيبا : حقا إنك تقول الحقيقة .

ويقابل عقيبا أنهيط ويقول لها بأن الله قد اختاره لأمر ما لا يدري كنهه، (ص١٢٣) وطوال تجواله لم ينس يوم السبت، فقد كان يتحول فيه إلى درويش .

وفي مناجاة لربه يقول : هبني الصواب وسأفعل ما تريد، لا شيء في قلبي الآن إلا أنت والفتاة (أنهيط)، لكنها أرمنية (من الأغيار) . . . ضع في قلبها اليهودية، وأنا سأجعلها يهودية كما ينبغي (ص١٢٤) .

ولكنك ستقول لي : يا عقيبا . . من وضع في قلبك أن تدخل رأسك بين الأغيار الحمقى؟ ولكنك تعرف، لم أبحث عنها، من أحضرني إلى هنا . . إلى هذه القرية؟ من رتب الأمور، لماذا جعلت قلبي ينجذب إليها . . أحبها كما أحب أمي، كما أحبك وأكثر ألف مرة (ص١٢٥) ويُقابل (أنهيط) وتقول له بأن الكلب الآغا يبحث عني، وإن وجدني سأنتحر ويرد عقيبا قائلا : فليمت ١٠٠ كلب مثله ولا تمس شعره من رأسك (ص١٣٢) وسرت إشاعة بأن الآغا يبحث عن أنهيط في هذه القرية، وخاف الجميع وطمأنهم عقيبا، وذلك في عرس أخت صديق عقيبا (ورطان) حيث حضر أربعة فرسان من قبل الآغا يبحثون عن (أنهيط) وقد قرر عقيبا الخلاص من الآغا بعيدا عن الأرمن في مكان كله أتراك (ص١٤٦) .

وقد وصل (عقيبا) إلى خيمة الآغا ورفاقه، وتحدث معهم باللغة التركية، وطلب العمل عندهم فأدخلوه للآغا ولما سأله عن اسمه رد عقيبا : إسمي مصطفى . ألست أرمنيا فيرد عليه : مسلم والحمد لله ويسأله : لماذا جئت إلى هنا : لقمة العيش، فأنا يتيم وليس لي أهل ومن صغري أتجول بين الجبال . . وفي النهاية طلبوا منه العمل عندهم، وبدهاء شديد تفانى في خدمتهم وأخبرهم بأنه لم ير في حياته فتاة أجمل من (أنهيط) . . فأبلغوا الآغا بأن مصطفى رأى أنهيط ويعرف مكانها، ويسأله (الآغا) عنها فيصفها لهم، ويخبرهم بأنها تقيم في مدينة بعيدة عن مكانها الحقيقي . وقرروا السفر فورا وقال الآغا ورجاله «إن عين الله ترعانا» وهي التي أرسلت (مصطفى) كي يخبرنا

(١) نوع من العملة المتداولة في تركيا آنذاك وهو الجنيه المجيدي نسبة إلى السلطان التركي عبد المجيد.

بمكانها. وبعد وصولهم للمدينة نام الأغا ورجاله في غرفتين بأحد الفنادق ويتسلل عقبيا إلى محل عطارة ويطلب من صاحبه مساعدته في عقار يجعله ينام نوما عميقا، وفي اليوم التالي وبعد تناول العشاء المصحوب بالمشروبات غير البريئة، يضع عقبيا كل المسحوق الذي معه للأغا في كوب القهوة، ولما نام الجميع تسلل عقبيا إلى غرفة الأغا وخنقه وحمله وقذف به من الطابق الثاني وتسلل إلى فراشه، ثم يسود الفندق هرج وصياح، ويوقظونه من نومه المصطنع ويخبرونه فيبكي ويلطم الخدود (ص١٢٩)، وفي الصباح عرف من حاشيته أنهم سينقلوه إلى مدينة (قيسارس) حيث يدفن في قصره (ص١٥٠) وفي هذه الأثناء حل عيد الغفران اليهودي، فصام عقبيا دون أن يخبر أحداً وكان يشكر الله ويطلب منه أن يغفر له لانتهاكه الأيام المقدسة، وأن كل ما فعله لانقاذ نفس بشرية، وبعد الدفن تظاهر عقبيا بالحزن العميق على الأغا، وأعطته زوجة الأغا خمسة ليرات ذهب.

ويقول الأديب: من أعطاه لسان التملق ليخدع التذلل؟ من وضع الإلهام في قلبه ليخرج في الظلام ويحمل الجثة، تبارك الله!! تبارك الله الذي أرسل ملاكه أمامه ليكون عونا له في الضيق.

وبعدها يعلم أن حبيبته سافرت إلى فرنسا وتزوجت ابن عمها الأرمني الذي يقيم هناك، وتركت له رسالة بأنها أحبته كأخ وخاب ظنه (ص١٥٣).

لقد تناولت هذه الرواية كثيرا من المحاور على غير العادة وكذلك كثيرا من أنماط الصراع وهي رواية (صنعت خصيصا كي تزيد حماس الشباب اليهودي الذين يطلبون المساواة مع الأبطال الأسطوريين) فنحن أمام بطل يهودي يبحث عن مكانه في العالم، وطريقه مفروش بأعمال البطولة والإنقاذ وشخصيته قريبة من الأبطال الأسطوريين من وجهة النظر اليهودية الصهيونية البحتة، وصورة الأديب على أنه أمي طاهر روحه أكبر من عقله.

إن الشعب اليهودي وهو يرمز للبطولة اليهودية السفاردية والبطولة الجسدية فهو مثل شمشون له جسد قوي. ويقول أكبر ناقد أدبي لديهم ويدعى «جرشون شيكد».

لقد اختار له الأديب خطوطا مسيحانية للبحث عن الله، وفي النهاية نرى خطوط أيوب فبقوة ضميره يناضل لتعديل الوجود حتى أنه يثور على الله ويمدحه الصهيوني المتطرف «يوسف شاه لابان» فيقول:

«إنه الآن وبعد حرب الاستقلال، حيث اندلعت البطولة الإسرائيلية بوضوح مفاجيء نجد أن عقبيا موصوف للشعب اليهودي كبشرى خلاص».

وقد ركز على مفهوم الرب لدى اليهود، فهو خاص بهم وحدهم يساعدهم على قتل غير اليهود وقد أكد الأديب دون وعي منه على أن التملق والكذب والقتل والخسة هي من سماتهم.

ونرى أن البطل الذي اختاره صغيرا وقت كتابة العمل سنة ١٩٣٩ ربما هو نفسه شارون اليوم.

سقوط الأقنعة

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى

تأتى ذكرى مولد النبى ﷺ هذا العام [1] وأمته يلفها سواد العار والهزيمة. سألت نفسى لماذا تنتكس الأمة هكذا؟ ولماذا تقبع الأمة فى ذيل قائمة التخلف والهوان؟.

مع أن الله - تعالى - يقول ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2]

هل لأن شرط الإيمان تخلف. لو قلت هذا لجأرت حناجر بالشجب والرفض ولكن أقول: هل خلعت الأمة ثوب العزة ولبست ثوب الذلة والهوان طواعية واختيارا أم أنها أكرهت عليه؟ لماذا أصبحنا شعوبا تافهة لا يشغلها إلا كل تافه ولا يثيرها إلا كل مهرج ولا تحركها إلا نزوة أو شهوة؟ انزلقت الأمة وهوت من قمة كانت ملك يديها وهوت إلى قاع يراد لها بفعل أعدائها واستسلمت كأنها رضيت بهذا الهوان فى القاع.. إن الأمة تحرق تاريخها كله واستسلمت ولم يعد لديها صاحب رأى أو عزيمة كأنها فراشات أو جنادب منجذبة تهوى إلى مصدر الضوء تحسب أنه يهديها فى ظلام الطريق وما درت أنه نار تحرقها وتحرق تراثها.

---

(١) ١٤٢٣ هـ. (٢) المنافقون (٨).

وإنني أعتقد أن الأمة تنوء بإثمها وإثم العالم الضال كله، هي مسئولة بحكم خاتمية الرسالة وعالميتها وشمولها مسئولة عن هداية العالم إلى طريق الحق والهدى. لما كانت تقدر المسئولية وتتحمل عبئها.

لماذا تأخرت وضعفت وأصابها الخوار وترعرع في قلبها الخوف وما عادت تؤمن أنها صاحبة الريادة في مواجهة هيمنة الغرب الشرسة لأنها نسيت رسالة سيد الخلق ﷺ .. كان أصحابه يموتون ولا يقبلون الخنى كان الرجل يطوى ضاويا ولا يكذب ولا ينافق.. لماذا أصبحنا نقتات النفاق والكذب ونشرب الهوان في سبيل الخبز؟ لماذا أصبح طعامنا أعز علينا من مبادئنا ولم يعد منا من يقول: «تجوع الحرة ولا تأكل بثديها» ولم تعد لنا حرة ولم تعد لدينا أثداء مصونة؟!

حدث أيام الخليفة الماجد عمر بن الخطاب أن أرسل سعد بن أبي وقاص كنوز الفرس ألقيت بين يديه في مسجد الرسول ﷺ وصار يقلبها بين يديه وهو يقول: «والله إن قوما أدوا هذا لأمناء» فقال علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه وكان يجلس إلى جواره ـ: «لقد عففت فعفوا ولو رتعت لرتعوا» وهذا مقياس النجاح.

هذا هو ديننا وهذه بعض ثمار رسالتك يا سيدي يا رسول الله، فلماذا يراد لنا أن نترك ديننا؟ هل في هذه المبادىء من عيب؟! تارة باسم الحداثة يريدون أن يقطعوا صلتنا بالصدر الأول، ولماذا وهم يتمرغون تحت أقدام الظلمة والجبارين في الأرض: بوش وشارون؟

أيها العرب المسلمون إذا لم تهبوا للدفاع الآن فثقوا أنكم لستم في مأمن لما يحدث للفلسطينيين مهما نأت الديار ومهما قيل لكم إنكم حزتم رضا الجبابرة الفجرة. هل يدرك العالم أن إسرائيل تدبر لعرفات الآن مؤامرة لتقديمه للمحاكمة كمجرم حرب وأنه سند للإرهاب؟ أقول لكم سوف يحدث هذا ويحاكم عرفات كمجرم حرب على اعتبار أنه يساعد الإرهاب! وهكذا أصبح المجاهدون إرهابيين، وعرفات أصبح يساند الإرهاب والذي يدافع عن بلده إرهابيا وقد نصبح يوما ونرى دولا مثل سوريا والمملكة العربية السعودية واليمن وليبيا يقدم رؤساؤها بنفس التهم، حيث إن الطاغوت الأكبر وصفها بأنها دول تساند الإرهاب وبالتالي من الممكن أن تنالها عدالة التضليل السائدة في العالم اليوم، وأرى أنه ليس للعالم العربي ملجأ إلا الشعوب وليس أمام الشعوب إلا أن تتكاتف من أجل

القضية ولا نطالب بالتصدى للقوة الغاشمة وكل ما نطالب به العرب: «المقاطعة» وهو سلاح سلبى، لا يمكن لقوة أن تجبر العرب على التخلى عنه إن أرادوا هم أن يستعملوه، إن أموال أغنياء العرب التى بخلوا بها على شعوبهم ووضعوها فى بنوك أوروبا وأمريكا هل من الممكن إعادتها؟ ولو أن أمريكا جمدتها وحبست الأرصدة فماذا هم فاعلون؟ ولمن يلجئون، لمجلس الأمن؟! لم يعد هناك أمن ولا أمان ماذا تنتظرون من الغرب؟ هذه الأمة أمة سيدنا رسول الله ﷺ إنها غيرت وبدلت وتنكبت طريق العزة والكرامة.

تذكرت قول رسول الله ﷺ وهو يصف حوضه يوم القيامة، وقد سبق المؤمنين إليه يعد لهم الدلاء ويهيء لهم المكان ليسقيهم بيده الشريفة، ولكن أناسا يغتالون قبل أن يصلوا إلى الحوض فينادى رسول الله ﷺ: «أصحابى أصحابى» ويسمع الجواب بأنهم ليسوا بأصحاب لأن أساس الصحبة الالتزام بالمنهج وهؤلاء بدلوا وخانوا وسقطوا فى أوحال الكذب والنفاق والجبن والخداع.. يقول النبى ﷺ فيما أخرجه البخارى: «أنا فرطكم على الحوض - يوم القيامة - لَيُرْفَعَنَّ رجالٌ منكم ثم ليختلجن دونى فأقول: يا رب أصحابى فيقال: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك»[٣]، ماذا أحدثوا لقد سقطت الأقنعة عن كل المسلمين والعرب شعوبا وحكاما ولا تملك غير المقاطعة السلبية بالامتناع عن كل ما هو أمريكى طعاما أو شرابا حتى نحس بأننا أمة تتحرك ومازال بنا نبض نحيا به، وهذا كل ما نقدمه اليوم وإلا فسوف تدور الدائرة علينا ولا يتصور واحد أنه سوف ينجو من الطوفان ولا نجاة إلا فى سفينة العزة والكرامة من أجل الحياة.

ولا يقولن أحد مثل ما قال ابن نوح يوم الطوفان سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء فلا عاصم من شراسة الصهيونازية إلا سفينة العزة والكرامة فلقد سئمنا ألقاب الزعامة واللقاءات التاريخية فى المرحلة المصيرية فقد سقطت الأقنعة عن كل الزعماء وتبخرت كل اللقاءات والمؤتمرات اللهم اهد حكامنا إلى ما فيه صلاحهم وصلاحنا.

والله ولى التوفيق

(٣) أخرجه البخارى (٨، ١٤٨).

حول مصادر التفسير

للأستاذ/ توفيق العبقري أبو أروي

الحمد لله الذي أنزل الكتاب وجعله بيننا من أوثق الأسباب الموصلة إلى العزيز الوهاب، والصلاة والسلام على محمد ﷺ علم الهادين وخير من أناب، وبعد:

فلا شك أن العمل التفسيري - بما هو استنباط لمعاني القرآن ومحاولة لتبين مراد الله - تعالى - منه - قائم على أصول متينة ودعائم ثابتة، ومحكوم بضوابط ومعايير، علمية، تحدد مساره وتضبط مسالكه، وتكبح جماح جياد القول فيه أن تشتط في ارتياد مراتع محض الرأي وتخرصات الظن وتعسفات الفهم، وبذلك تضمن له سبيل السداد والدقة، وتضفي عليه لبوس المشروعية والقبول.

والمقال -الذي أقدم له الآن- متصل الأسباب بتلك الأصول والضوابط، في محاولة منه لاستعراض الخطوات التي يتحتم على المفسر انتهاجها في عمله، حيث يستهدي أثناءها بتلك الأصول المرجعية، وهي الأصول التي جرى الكثيرون على تسميتها بـ«مصادر التفسير»، ولا بد من القول بدءاً بأن طريقة العلماء -علماء التفسير- في عرض هذه المصادر، وكيفية صياغتهم لها، واختلاف استقراءاتهم لها، كل أولئك يثير حولها غير قليل من الغموض والإشكال، وذلك مايحاول المقال تجليته والوقوف عنده، لايدعي في ذلك إحاطة أو إضافة، كل ما يرجوه: حسن قراءة في هذه المصادر، وهو حتى في هذا ليس بدعا أو بكرا، وإنما هو عمل مسبوق وقول مسبوق، واجدني بمحل الاضطرار إلى أن أقدم بين يدي العرض كلمات تكون توطئة لمرامه وكشفا عن مجاري القول فيه، وذلك ينتظم النقط التالية:

١- بخصوص التسمية: لم تجر عبارة العلماء في تسمية هذه المصادر على لفظ واحد، فالراغب[١] يسميها: «الدلالات التي يحتاج إليها المفسر» ويطلق عليها بدرالدين الزركشي[٢]

(١) مقدمة الراغب بذيل تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبدالجبار ص ٤٢٢.

(٢) البرهان ٢/ ١٥٠، وتبعه على ذلك من المحدثين جمال الدين القاسمي -رحمه الله- في تفسيره ١/ ٧.

«أمهات المآخذ» وهي واردة في كلام الإمام ابن تيمية[3] في سياق الحديث عن «أحسن طرق التفسير»، وأدرجها ابن جزى[4] ضمن ما أسماه «وجوه الترجيح بين أقوال المفسرين»، وكما اختلفت عبارات الأولين في تحديد الاسم لهذه المصادر، فقد تغايرت إطلاقات المحدثين عليها، فالحسين الذهبي[5] يسميها «مصادر التفسير»، وأوردها الطاهر بن عاشور[6] ضمن «استمداد علم التفسير» وأسماها د. محسن عبدالحميد[7] «الأصول النقلية والعقلية»، وهذا الاختلاف في التسمية جعلني أعدل عن تفكيك هذا المركب الإضافي «مصادر التفسير»، والتعريف بجزئيه، على غرار ما يفعل عادة في مثل هذه المصطلحات ذات التركيب الإضافي، كما تجدر الإشارة إلى أن هذا الاختلاف لم يكن لفظيا – إذن لهان الأمر، إذ لا مشاحة في الاصطلاح – ولكنه راجع إلى اختلاف في التتبع والاستقراء لهذه المصادر، ولذلك وجدنا ابن تيمية يقتصر من طرق التفسير على أربعة مصادر: تفسير القرآن بالقرآن، ثم بالسنة، ثم بأقوال الصحابة، ثم بأقوال التابعين، أما الزركشي فيقع عنده ترتيب مآخذ التفسير على النحو التالي: النقل عن النبي ﷺ، ثم الأخذ بقول الصحابي ثم الأخذ بمطلق اللغة، ثم التفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضب من قوة الشرع، فابن تيمية لم يعرج في استقرائه على «التفسير باللغة» و«بالمقتضى من المعنى»[8]، والزركشي ضرب صفحا عن تفسير القرآن بالقرآن، وبأقوال التابعين – وإن كان قد ذكرها في كتابه[9]، وموقفهما هذا يحتاج إلى تفهم، ويثير الاستفسار، وقد مزج الذهبي بين هذين الاستقراءين ليخرج باستقراء جامع شامل هو الذي عليه مسار هذا المقال.

٢- يتم عرض هذه المصادر على نحو تغيب معه «الشخصية العلمية» للمفسر، بحيث يصبح مجرد ناقل جامع لا يتصرف في وجوه المعارف التفسيرية المأثورة، ولا تكون له «مواقف» من الآراء الاجتهادية، وبذلك يتم إغفال عملية التفسير نفسها وكيف تتم وكيف «يوظف» المفسر أثناءها هذه الأدوات التفسيرية[10]، ولقد كان هذا سببا في تداخل «مصادر التفسير» مع «شروط المفسر»، وهو تداخل وإن سوغه ما بينهما من اتصال وارتباط حتى إن كلا منهما يمكن إدراجه ضمن «شروط التفسير»، إلا أن هناك فرقا دقيقا يفصل بينهما، ويمنع من التسوية بينهما، ذلك أن شروط المفسر هي «التكوين الثقافي اللازم للمفسر قبل أن يشرع في عملية التفسير»، أما مصادر التفسير فهي جملة ما يرجع إليه من استكمال «شروط المفسر» أثناء العملية التفسيرية وبعبارة أخرى: فشروط المفسر تفترض موجودة لدى المفسر، وهي التي تؤهله لمزاولة

---

(٣) مقدمة في أصول التفسير ص٩٣.

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل ص٩.

(٥) التفسير والمفسرون ١/٢٧٣ وكذا يسميها خالد العك في كتابه أصول التفسير لكتاب الله المنير.

(٦) التحرير والتنوير ١/١٨.

(٧) دراسات في أصول التفسير ص١٠٩.

(٨) مقدمة أصول التفسير ص٩٣ وما بعدها.

(٩) البرهان ٢/١٥٦ وما بعدها.

(١٠) دراسات في القرآن ص١٣٤.

العمل التفسيري ويتم «توظيف» الشروط أثناء العملية التفسيرية تحت عنوان «مصادر التفسير» ومن هنا، كان الإدماج بين الأمرين غير دقيق ولاسليم[11].

٣- هناك تشابه كبير قائم بين مصادر التفسير، ومصادر التشريع من حيث الترتيب، وكلاهما يجد مستنده في حديث معاذ المشهور[12] لما بعثه رسول الله ﷺ قاضيا إلى اليمن، وهو حديث على اشتهاره وشيوعه على ألسنة الأصوليين خاصة -قد نص على تضعيفه، وغمز سنده جهابذة كبار من المحدثين، وعلى رأسهم الإمام البخاري، حسبما بسط القول فيه المحدث الكبير الشيخ ناصر الدين الألباني[13] - رحمه الله تعالى- ومهما يكن، فإن القصد إلى القول بأن إيقاع ترتيب مصادر التفسير على وفاق مصادر التشريع كانت له انتقادات في صيغة طرح هذه المصادر وإقامة بنائها.

ومصادر التفسير - تباعا - مرتبة على مارتبها عليه علماء التفسير وهي: القرآن الكريم، السنة النبوية، أقوال الصحابة، أقوال التابعين، اللغة، العقل الاجتهادي.

وأود طرح ملاحظتين اثنتين تتعلقان ببعض حيثياته وجوانبه فأقول:

١- يلاحظ خلال عرض هذه المصادر تصنيف السنة في العمل التفسيري بعد الكتاب وإنزالها منه منزلة الاجتهاد منهما فكما أنه لا يجوز الاجتهاد مع وجود النص في الكتاب والسنة، فكذلك لا يلتجأ إلى السنة إلا بعد أن يفتقد الحكم في الكتاب، وهو تصور في غنى عن بيان مجافاته للصواب، لما سبق من أن السنة تأتي مفصلة لمجمل القرآن ومقيدة لمطلقه، وغير ذلك من وجوه البيان فلا يلتئم -والأمر على هذا- إرجاء الرجوع إليها إلى حين الانتهاء من الكتاب، بل الواجب على المفسر أن ينظر في الكتاب والسنة معا نظرا واحدا.

٢- جعل مصدر «العقل» أو «الاجتهاد» مصدرا مستقلا وقسيما للمصادر النقلية برأسه، وهذا يجعل الأمر مستشكلا غامضا وهو ما دفع بعض الباحثين إلى أن يعترض على صيغة هذا الطرح محتجا بأن ذلك يوهم غياب عنصر العقل في المصادر السابقة، ويصوّر المفسر أثناء استعانته بالمصادر النقلية مجرد ناقل أمين، وجامع حفيظ حتى إذا بلغ هذا المصدر أعمل فكره وأطلق لعقله العنان في النقد والتمحيص، وهو لاشك تصور أوافق الباحث على استشكاله دون الاعتراض عليه، وظني -والله أعلم- أن مرد ذلك إلى اعتبار مصادر التفسير بمصادر التشريع في أن الاجتهاد إنما يصح في غير مورد النص فكما أنا لانجتهد إلا عند فقدان النص فكذلك لايكون

---

(١١) مقال الأستاذ زيد بوشعراء بمجلة الهدى ع١٥ السنة ١٩٨٦م.

(١٢) الحديث أخرجه أبو داود في الأقضية وابن ماجة في المناسك والإمام أحمد وغيرهم.

(١٣) ينظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ٢/١٨٦.

للاجتهاد مجال في التفسير إلا عند تعذر المأثور من المنقول. وهذه النظرة قاصرة في تفهم معنى الاجتهاد الذي لاينحصر مجاله فيما لانص فيه، بل يتسع مفهومه ليشمل تعقل معاني النصوص وإشاراتها ولوازمها العقلية وإيقاع التأويل فيما بينها، وعلى هذا فلا يصح جعله مستقلا عن المصادر النقلية طالما كان له حضور في مختلف مراحل العملية التفسيرية، ولعله قد روعي في هذا التفكيك الإجرائي والفصل المنهجي بين هذه المصادر الأهمية والأحقية في التقديم مما لاينفي التداخل فيما بينها، وأن بعضها يأخذ برقاب بعض أثناء العمل التفسيري، وبذلك يكون ترتيب هذه المصادر قد روعي فيه مكانتها لامكانها في حيز العملية التفسيرية.

إن هذه المصادر تعتبر أصولا منهجية عتيدة وضوابط علمية ثابتة تنأى بالمفسر عن الخطأ والشطط وتكلاه بعين الرعاية أن يسرح في تيهاء بيداء من التأويلات المعسوفة والفهومات المنكوسة التي تبتعد بالآيات عن الفهم الصحيح والتفسير السديد وهي بذلك تعتبر ملزمة لكل عمل تفسيري جاد، وكل حركة تجديدية في ميدان التفسير تأتي من نفسها الغناء عن هذه المصادر تعتبر غير مقبولة شرعا بل هي داخلة في متاهات التفسير المذموم، ولكن هذا لايعني أن يقتصر المفسر على تلك المصادر وحدها بل عليه - خاصة بعد امتداد الزمن وتطاول الأمد وتوالي التآليف في ميادين العلوم الشرعية والفكر الإسلامي- أن يكون على بينة مما يستجد من مصادر أخرى تعينه على الدقة في أداء عمله التفسيري، وأغنى بذلك هذا التراث التفسيري الهائل، والأعمال التأويلية الجبارة للأسلاف - رحمهم الله - فإن لها أهمية بالغة لما تشتمل عليه من كم هائل للمأثور، ولما لها من قيمة تاريخية كبيرة في استعراض آراء الأقدمين واختلاف أنظارهم وكل ذلك - لاشك- يساعد المفسر على حسن الفهم والدقة في إصابة المعنى، كما لايأبى المفسر أن ينظر في كتب الفقه والعقائد وغيرها من مدونات العلوم التي تختزل عليه كثيرا من مكاره الطريق في ميدان البحث، وتوقفه على بينة الأمر في كثير مما وقع الكلام حوله مما له اتصال بتفسير كتاب الله، على ألا يسترسل في ذلك ويعمد إلى تكديس هذه العلوم والاستطراد بها في غير ما يحقق غرض التفسير الذي يضع في أولى غاياته التنبيه على مواطن الهداية القرآنية في آيات الذكر الحكيم.

وختاماً، فإذا لم يكن لهذا العرض في مصادر التفسير سوى التوصل إلى دقة صياغة الإشكال بشأنها وحسن طرح الاستفسار حولها، فذلك حسبه وهو مما لايحتقره، ولا يستصغره ويقوى هذا الشعور عنده أن معرفة الإشكال هو في حد ذاته كسب وأي كسب، وهو يمثل الخطوة الأولى لتجاوز ما أشكل وتوضيح ما أبهم.

والله - تعالى- هو المسئول أن يمنحنا حسن الفهم ويوفقنا إلى سبيل الرشاد، ويقينا معرة الخطأ، ومزالق الشطط، إنه تعالى سميع مجيب.

رسالة .. و .. رد

لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان

الصلاة على النبي ﷺ

رسالة هذا العدد وردت من القارىء حاتم موسى .. يقول فيها:

مع رسالتى هذه كتاب «دلائل الخيرات» أرسله لكم لتقفوا على ما به من البدع حيث إنه من حيث المضمون اشتمل على كثير من التمجيد والتعظيم المبالغ فيه لسيدنا محمد ﷺ لدرجة كبيرة تقربه عياذا بالله إلى الذات الالهية.

هذا من حيث المضمون أما من حيث الشكل فهو يتشابه إلى درجة كبيرة مع كتاب الله الشريف، يقصد المصحف، حيث إنه مقسم الى أجزاء وأحزاب على شاكلة القرآن الكريم.

لذلك أرجو التنبيه على خطر مثل هذه الكتيبات المجانية التى توزع مع بعض الكتب والمجلات وتحذير المسلمين من أخطارها لانها تؤثر بشكل كبير على القراء ذوى الثقافة الإسلامية المحدودة.

بداية أقول للأخ السائل شكر الله غيرتك على الدين واهتمامك بتنقيته من أى شائبة كما أشكر لك ثقتك فى مجلتك مجلة الأزهر والقائمين عليها فهى كما قلت فى رسالتك منبر من منابر الإسلام الذى يحتاج إليه كافة المسلمين لتبصيرهم وتوعيتهم بمبادىء الإسلام الحنيف لكنى مع ذلك أقول: هون عليك فالأمر أيسر مما تظن فليس فيه بدعة منكرة ولا خروج على الدين وإن كان به بعض المبالغات وسأجعل ردى عليك منحصرا فى أمور:

الأول: فى حكم الصلاة على النبى ﷺ، قال القاضى عياض فى كتابه (الشفا فى شمائل صاحب الاصطفا) ﷺ: (اعلم ان الصلاة على النبى ﷺ فرض على الجملة غير محدد بوقت لأمر الله - تعالى - بالصلاة عليه، أى فى قوله:

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾(١).

وحمل الأئمة والعلماء له - أى الأمر - على الوجوب وأجمعوا عليه وحكى أبو جعفر الطبرى أن محمل الآية عنده على الندب وادعى فيه الإجماع ولعله فيما زاد على مرة، ثم قال فى نفس الموضع: قال القاضى أبو الحسن بن القصار: المشهور عن أصحابنا أن ذلك واجب فى الجملة على الإنسان وفرض عليه أن يأتى به مرة من دهره مع القدرة على ذلك، وقال القاضى أبو بكر بن بكر: افترض الله على خلقه أن يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب أن يكثر المرء منها ولا يغفل عنها ثم قال: وقال أصحاب الشافعى الفرض منها الذى أمر الله - تعالى - به ورسوله ﷺ هو فى الصلاة «السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته»(٢) واستكمالا للفائدة أسوق إليك يا أخى السائل بعض ما قاله بعض المفسرين فى تفسير هذه الآية:

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾.

وأكتفى بما قاله القرطبى وهو مفسر مالكى المذهب من القرن السابع الهجرى، قال رحمه الله: هذه الآية شرف الله بها رسوله ﷺ فى حياته وموته وذكر منزلته منه وطهر بها سوء فعل من استصحب فى جهته فكرة سوء أو فى أمر زوجاته والصلاة من الله رحمته ورضوانه ومن الملائكة الدعاء والاستغفار ومن الأمة الدعاء والتعظيم لأمره ثم قال: أمر الله - تعالى - عباده بالصلاة على نبيه محمد ﷺ دون أنبيائه تشريفا له ولا خلاف فى أن الصلاة عليه فرض فى العمر مرة وفى كل حين من الواجبات وجوب السنن المؤكدة التى لا يسع تركها ولا يغفلها إلا من لا خير فيه - الزمخشرى - أى نقلا عن الزمخشرى - فإن قلت: الصلاة على رسول الله ﷺ واجبة أم مندوبة قلت: بل واجبة وقد اختلفوا فى حالة وجوبها فمنهم من أوجبها كلما جرى ذكره ﷺ وفى الحديث «من ذكرت عنده فلم يصل على فدخل النار فأبعده الله» ويروى أنه قيل له: يا رسول الله أرأيت قول الله - تعالى -:

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾.

فقال النبى ﷺ هذا من العلم المكنون ولولا أنكم سألتمونى عنه ما أخبرتكم به، إن الله - تعالى - وكل بى ملكين فلا أذكر عند مسلم فيصلى على إلا قال ذلك الملكان: غفر الله لك، وقال الله - تعالى - جوابا لذينك الملكين: آمين، ولا أذكر عند عبد مسلم فلا يصلى علىّ إلا قال الملكان: لا غفر الله لك وقال الله - تعالى - لذينك الملكين: آمين، ومنهم من قال: تجب فى كل مجلس مرة وإن تكرر ذكره كما فى آية السجدة وتشميت العاطس وكذلك فى كل دعاء فى أوله وآخره(٣) ومنهم من أوجبها فى العمر مرة كما فى الشهادتين والذى يقتضيه الصلاة عند كل ذكر كما ورد فى الإخبار فى ذلك وجاء فى القرطبى أيضا وروى المسعودى عن عون بن عبد الله عن أبى فاختة عن الأسود

(١) الأحزاب (٥٦).

(٢) شرح الشفا بتحقيق حسنين محمد مخلوف جـ٣ ص٧٢٦ وما بعدها.

(٣) عللوا ذلك بقولهم إن الله - تعالى - يقبل الصلاتين فى أول الدعاء وآخره وهو - سبحانه - أكرم من أن يترك ما بينهما.

عن عبيد الله أنه قال: «إذا صليتم على النبي ﷺ فأحسنوا الصلاة عليه فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه. قالوا فعلمنا قال: قولوا: اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ونبيك ورسولك إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاماً محموداً يغبطه به الأولون والآخرون، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد»، وروينا بالإسناد المتصل في كتاب الشفا للقاضي عياض عن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – قال: عدهن في يدي رسول الله ﷺ وقال: عدهن في يدي جبريل وقال: هكذا أنزلت من عند رب العزة: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على ابراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد – وقال القرطبي أيضاً: ثبت عنه ﷺ أنه قال: (من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً وقال سهل بن عبدالله الصلاة على محمد ﷺ أفضل العبادات لأن الله – تعالى – تولاها وملائكته ثم أمر بها المؤمنين وسائر العبادات ليس كذلك وروى سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – أنه قال: الدعاء يحجب دون السماء حتى يُصليّ على النبي ﷺ فإذا جاءت الصلاة على النبي ﷺ رفع الدعاء وقال النبي ﷺ: (من صلى عليّ في كتاب لم تزل الملائكة يصلون عليه ما دام اسمي في ذلك الكتاب) وذكر الدار قطني عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين أنه قال: (لو صليت صلاة لم أصل فيها على النبي ﷺ ولا على أهل بيته لرأيت أنها لا تتم)[4].

وقال المفسر الألوسي – من مفسري القرن الثالث عشر الهجري – في تفسير الآية نفسها: إنها كالتعليل لما أفاده الكلام السابق من التشريف العظيم الذي لم يعهد له نظير والتعبير بالجملة الإسمية للدلالة على الدوام والاستمرار وذكر أن الجملة تفيد الدوام نظراً إلى صدرها من حيث هي جملة وتفيد التجدد نظراً إلى عجزها من حيث إنه جملة فعلية فيكون مفادها الصلاة وتجددها وقتا مؤقتا وتأكيدها بـ «إن» للاعتناء بشأن الخبر وقيل لوقوعها في جواب سؤال مقدر هو: ما سبب هذا التشريف العظيم؟ وعبر بالنبي دون اسمه ﷺ على خلاف الغالب في حكايته – تعالى – عن أنبيائه – عليهم السلام – إشعاراً بما اختص به ﷺ من مزيد الفخامة والكرامة وعلو القدر... إلخ ثم ساق الألوسي كثيراً مما ساقه القرطبي[5].

وأنقل لك – أيضا – بعض ما قاله الشيخ محمود محمد خطاب السبكي في كتابه الفقهي «الدين الخالص» يقول – رحمه الله: (الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد ركن عند الشافعي وإسحاق وروى عن أحمد واختاره ابن العربي المالكي لما في حديث فضالة ابن عبيد أن النبي ﷺ قال: «إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد ربه والثناء عليه ثم يصلي على النبي ﷺ ثم

(٤) تفسير القرطبي ط دار الشعب ص٥٣١٤ وما بعدها حتى ص٥٣١٨ بتصرف.

(٥) تفسير الألوسي المسمى روح المعاني جـ٢١ ص٧٧ وما بعدها.

يدعو بما شاء » أخرجه أبو داود والبيهقي وصححه الحاكم والترمذي، وعن أبي مسعود الأنصاري – رضي الله عنه – أن بشير بن سعد قال للنبي ﷺ : أمرنا الله أن نصلي عليك فكيف نصلي عليك؟ قال: « قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد والسلام كما علمتم » أخرجه أحمد ومسلم والنسائي والترمذي وصححه.

وهذا يدل على أن فرض الصلاة عليه ﷺ في الصلاة كان معروفا عندهم قال ابن قدامه: وظاهر مذهب أحمد وجوبها فإن أبا زرعة الدمشقي نقل عنه أنه قال « كنت أتهيب ذلك ثم تبينت فإذا الصلاة واجبة » ا.هـ(٦).

الثاني: بعد أن عرفت أن الصلاة على النبي ﷺ عبادة بل من أجل العبادات كما مر بك فلا يمكن لأحد أن يقول إن الصلاة على النبي ﷺ والتي تضمنها كتاب « دلائل الخيرات » بدعة وقد مر بك ما نقلناه من كتاب الدين الخالص للشيخ محمود خطاب – رضي الله عنه – وهو من كبار المحاربين للبدع في العبادات والعادات على السواء وقد تعمدت أن أنقل ما قاله اثنان من المفسرين في الصلاة على رسول الله أحدهما من القرن السابع الهجري والثاني من القرن الثالث عشر لأؤكد لك أن هذا أمر اتفق عليه العلماء في القديم والحديث وفي كل المذاهب على أني لا أنكر أن هذا الكتاب « دلائل الخيرات » اشتمل على صيغ كثيرة من الصلوات لكن من قال إن الاكثار من العبادة يحيلها إلى بدعة إلا أن تحول بين فريضة ثابتة أو تعطل عن أمر واجب بلا شك، وهذا الكتاب لو قرئ في أسبوع ما عطل عن شيء بقي أن اعترف بأن الكتاب تضمن أسماء لرسول الله ﷺ غير واردة في الصحاح وإن كانت مأخوذة من أوصاف له صلوات الله عليه وألقاب ثابتة بالكتاب والسنة وهذا لا يجعله يصنف في دائرة البدعة، أما الشبهة التي اعترت الأخ السائل وهو أن التعظيم المبالغ فيه لرسول الله ﷺ يجعله قريبا من الذات الإلهية فهذا بعيد كل البعد عن تفكير ووجدان المسلمين فالمسلمون مهما كانت ضحالة ثقافتهم لا يختلط عليهم الأمر بين ذات الله العلية وبين شخصية الرسول البشرية فكل فقرة أو دعوة تبدأ بهذا الدعاء « اللهم صل على سيدنا محمد .. الخ » فكيف يستقيم أن يلتبس أمر الذات الإلهية التي يدعوها الإنسان أن تصلي وتسلم على رسوله بأمر النبي ﷺ الذي ندعو له بالرحمة من الله لأن صلاة الله على نبيه رحمة كما قال العلماء.

أما عن الشق الخاص بشكل الكتاب من حيث التقسيم وأنه يتشابه مع المصحف الشريف فهذا بعيد جداً كذلك لأن من إعجاز القرآن الكريم أنه لا يتشابه مع غيره من الكلام الآخر لا نطقا ولا خطا، أما من حيث النطق فلو سمعه الأمي غير المسلم لعلم أنه قرآن ومن حيث الخط فإن القرآن له خط خاص لا يشتبه مع أي خط آخر وهو المعروف بالرسم العثماني وله علم خاص يدرس ضمن علوم القراءات والقرآن الكريم، وهو مختلف كل الاختلاف عن الخط العادي والذي تكتب به الصحف والكتب الأخرى فطب نفساً يا أخي واطمئن فلن يأتي من وراء هذه الكتب – إن شاء الله – ضرر على عقائد المسلمين، وختاماً أكرر شكري لك وسلام الله عليك ورحمته وبركاته.

---

(٦) الدين الخالص جـ٣ ص١٦٧ وما بعدها.

فى أجواء السعادة

للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

ما من مناسبة تزكى فى النفس الإحساس الغامر بالسعادة أكثر من مناسبة مولد الرسول الكريم محمد ﷺ لما أرسى دينه الحنيف على دعائم العدل والمساواة ولما أشاع من مظاهر التكافل الاجتماعى المبنى على أسس متينة من المحبة المتبادلة والمودة المطلوبة بين الإنسان وأخيه الإنسان وهى أواصر ووشائج يدفع إليها ويحفزها وحدة التكوين وأصل المنشأ فكلنا لآدم وآدم من تراب.

وحتى لا تتشعب بنا المسالك نطرح سؤلاً هو صلب موضوعنا يقول ما هى السعادة؟ هل تتمثل فى الحياة والحرية واللهاث خلف المتاع الشخصى؟؟ ومع علمنا الجازم بعجزنا عن الإلمام بكنه السعادة وجوهرها إلا أننا نؤكد أن السعادة لم تكن يوما فى اللذة الحسية ولا فى الترفيه والتسلية كما أنها لا تنحصر فيما يحققه الإنسان من إنجازات أو ما يحرز من نجاحات أيا كان مستواها ولا فى الثروة الطائلة مهما كنس من أموال وحاز من عقارات وأخيرا فإن ما يحسه الإنسان من نشوى عابرة تعتريه أو ما يستسلم له من خيال مجنح بعيد كل البعد عن السعادة التى يطمح إليها. إن المعادلة القائلة بأن السعادة لا تشترى بالمال معادلة تثبت الأيام صحتها يوما بعد يوم. لكن للعلماء التجريبيين رأى فى السعادة نطرحه حتى ولو اختلفنا معه فهم يرون مثلا أن مقدار هرمون الأدرينالين فى اللعاب يمكن أن يبين مستوى الضغط لدى الإنسان وهو ما يقلل من سعادته كما أن بعض القياسات الكهربية لعضلات الوجه يمكن أن تستخدم - كما زعموا - فى التمييز بين الابتسامة المزيفة وتلك الصافية النابعة من نفس مفعمة بالسعادة الحقيقية وهى استنتاجات تريد أن تخضع السعادة لمقاييس مادية وتحصرها فى قوالب محسوسة تحيد بها عن مسارها الصحيح.

والدرس الذى استخلصته الدول التى حققت الثراء الفاحش هو ما لخصه الشاعر فى قوله:

ولست أرى السعادة جمع مال

فقد ثبت أن كلا من شعوب أيسلندا وهولندا والدنمارك يستشعر أكثر من ٩٢٪ من أفرادها السعادة رغم أن مستواها الاقتصادي يقل كثيرا عن دول مثل امريكا والمانيا التى يسود أفرادها الاكتئاب والأمراض النفسية المختلفة كما أن الثروة الطائلة لم تحقق لليابانين والصينيين وكل أتباع بوذا وكونفوشيوس السعادة المرجوة ومن هنا أكدت كل التجارب والخبرات أن السعادة شعور خفيٌ ينبعث من داخل الفرد نفسه وأنه ينبغى الفصل التام بين المال والسعادة. إذن فأين تكمن السعادة؟؟

لقد اتضح أن كل البشر عرضة للظروف المواتية وغير المواتية وأن السعادة وغيرها من المشاعر امور متداخلة من الصعب فصل بعضها عن البعض الآخر.

وإليك بعض الأمثلة التى تعينك على توضيح ما ذهبنا إليه فالذين يكسبون جوائز اليانصيب يجتاحهم شعور بالسعادة يفوق غيرهم لكنها سعادة زائفة لانها لا تدوم طويلا لارتكازها على ما حرم الله ومخالفة ما أودع ـ سبحانه ـ فى فطرة الإنسان من بغض الحرام وعدم الاطمئنان إليه، أما ذلك الشخص بعد أن يفيق من وهم أغرقه فى سعادة وقتية مزعومة تراه يصطدم بالواقع بعد ان فشل فشلاً ذريعاً فى التواؤم مع ما شاء من قصور هشة سرعان ما أودت بها رياح الحقيقة العاتية وأمواجها الصاخبة. ومثل آخر تتداخل فيه المشاعر وتختلط الا وهو الزواج وتكوين الأسرة وتحمل المسئولية فكلها ليست لحظات سعادة خالصة لما يشوبها أحياناً من منغصات ومكدرات سرعان ما تزول وهى أمور لا مناص منها ولا فكاك إذ هى من طبيعة الحياة وكذا ما يحصل الإنسان عليه من ترقيات وما يوكل إليه من تكليفات كلها امور مردها إلى طبيعة المتلقى الذى إما أن تسعده المسئولية أو يجد فيها عبئاً ثقيلاً يتمنى لو لم يثقله حمله وأما أولئك الذين شاءت لهم أقدارهم أن يعايشوا أنوعا من الإعاقة لا يستطيع أحد أن ينكر ما يغمر الغالبية العظمى منهم من سعادة مبعثها الرضا بقضاء الله والأمل فى المستقبل والرغبة فيما عند الله. بيد أن هناك أمراً أكدت كل الدراسات أنه العامل الأساسى فى هدم السعادة واقتلاعها من جذورها الا وهو الفراغ المحض وبشكل أكثر دقة البطالة التى لها القدرة التى لا تبارى على أن تلتهم الشعور بالسعادة وتغرق الإنسان فى مأس لا ينجيه منها إلا أن يجد عملا ينفع به نفسه ويفيد به غيره والخلاصة:ـ أن الكل يحوم حول السعادة فيصيبها أحياناً وأحياناً يخطئها فهل معنى ذلك أن السعادة أمر خاضع للمزاج الشخصي؟؟ تقول دراسات الهندسة الوراثية: إن المزاج الشخصى أمر مهم وقد تم دراسة وقياس مستوى السعادة والانبساط لدى مئات من التوائم وتبين منها أن التوائم تامة التشابه تحس مستويات متشابهة من السعادة حتى ولو لم يكن منشا التربية واحداً وحتى مع اختلاف مستويات الخبرة التى مر بها كل منهم وبرغم أهمية التركيب الجينى لكل منا إلا أنه ليس الفيصل فى موضع السعادة وأن الكلمة الأخيرة فى هذا الشعور الرائع الجميل لم يقلها أحدا بعد

وأن سعادة الفرد لا علاقة لها البتة بمستواه المادي. فلا الثروة ولا المرحلة العمرية ولا الذكورة أو الأنوثة ولا الجنس أو اللون يمكن أن يحدد درجة سعادة الإنسان وكذا كل النظريات والأطر لن تقدم الجواب الشافي على ماهية السعادة.

لكن هناك مفهوماً للسعادة لم تتناوله الدراسات العلمية المادية للسعادة وطرحه الدين الإسلامي على بساط البحث مؤكدا أنه العلاج الناجع والبلسم الشافي الجالب للسعادة والفاتح بابها على مصراعيه لمن أراد الدخول فيه والانضواء تحت لوائه، إنه ببساطة ودون إسهاب الإيثار وتفضيل الغير على النفس ونكران الذات الذي يقابل أو لا يقابل بالامتنان والشكر والتقدير والإكبار ولقد سجل القرآن الكريم هذا المعنى الدقيق للسعادة في مجتمع المسلمين الوليد في المدينة المنورة التي أسسها الرسول الأعظم ﷺ على المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار والتي كان مبعثها الراسخ الرغبة فيما عند الله والمثوبة يقول الله - عز وجل -:

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(١).

فالأنصار - رضوان الله عليهم - يعاملون إخوانهم المهاجرين بالحب ويستقبلونهم بالإيثار وتفضيلهم على أنفسهم إنه الإيثار الذي دفع بسعد بن الربيع الصحابي الجليل أن يعرض على أخيه في الله عبد الرحمن بن عوف أن يطلق له إحدى زوجاته ليتزوجها بعد أن تنتهي عدتها ويعرض عليه في كرم وسخاء أن يقاسمه ماله فيرد عليه بن عوف في إباء وعزة نفس: بارك الله لك في مالك وأهلك ويقول: «دلوني على السوق» فيتاجر ويبيع ويشترى حتى يصبح من أكثر المسلمين ثراء وغنى، إنها كما ترى مباراة في حسن الخلق المستند إلى حسن العمل ثم انظر أكرمك الله إلى الدعوات المخلصة الأمينة التي يتجه بها المهاجرون والمؤمنون عموماً إلى الله حيث يقول سبحانه:

﴿ وَالَّذِينَ جَاءُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(٢).

ففيها اعتراف بأفضلية من سبقه إلى الإيمان وأن هذا السبق لا ينبغي أن يكون بحال مبعث غل أو حقد أو حسد بل هي المحبة الخالصة لله وفي الله وهي الأساس والمهد الذي تنشأ فيه السعادة الحقة وتترعرع.

إن السعادة الجديرة بإنسانية الإنسان هي إسعاده لغيره وتفضيله لسواه على نفسه إنها الأريحية التي تنتزع الأنانية وتعلي مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد، لأنه إن خلصت النيات فلن يكون هناك أدنى تعارض بين صالح الفرد والجماعة فهدفنا جميعا هو عبادة الله وحده وأن يحب كل منا لأخيه ما يحب لنفسه وتلك هي السعادة الحقيقية.

---

(١) الحشر (٩)

(٢) الحشر (١٠)

بيان القرآن .. عن تكوين الإنسان

للدكتور/ محمود خطاب (*)

دائما ما انشغل الإنسان - قديما وحديثا - بتساؤلات حائرة مبهمة؛ عن وجوده، وأصل تكوينه، ونهايته، ومصيره بعد الموت ونهاية الحياة الدنيا.

وقد جمع العلماء والفلاسفة؛ هذه المبهمات المحيرة.. فى صورة تساؤلات مستمرة عن قضايا الوجود الكلية.. عن أصل الكون وكل الوجود، وعن نشأة الحياة، وما بعد الموت. أو اختزلوها فى أسئلة تثور دائما فى الوعى الحاضر وفى التراث.. كل حين. مثل: ماذا قبل؟ وكيف؟ ومتى؟ وماذا بعد؟ وأين؟

والله ـ سبحانه وتعالى ـ يقرر:

﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾(١).

وما كان متخذا كذلك أيا ممن خاضوا أو يخوضون فيما لا يعرفون ولا سبيل لهم إلى معرفته، ولا إدراك حقائقه، أو حتى مجرد العلم عنه.. بعيدا عن الوحى المعصوم.

فالعلم بحقائق الأصل والتكوين، ووقائع الماضى الدفين، ولطائف المعاد والمصير والأجل، بل بدقائق الحاضر وكل ما يقع؛ لا يكون إلا من علم عالم الغيب والشهادة، وعن طريق الوحى المحفوظ. وإلا فمبلغ البشر من علم أى شىء هو الظن.

ومن ثم فلا سبيل للإنسان.. رغم البحث. وبعد ذلك إلا من كتاب الخالق المجيد. فهو مصدر الحقيقة عن كل شىء، وعن كل مخلوق، وعن الإنسان، وعن كل ما كان وما هو كائن وما يكون.

فقد بين الله ـ سبحانه وتعالى ـ بأسلوب بليغ وكلام معجز؛ فى آيات محكمات.. أن الإنسان مخلوق من اجتماع أربعة عناصر تكوين متباينة. قد جمعها الواحد فى تركيبة بديعة.. فارق الإنسان بها كل من سبقه من المخلوقات وكل ما سبقه من الخلائق.. إذ خلقه الله فى آخر مرحلة من مراحل الخلق الستة.

(*) الكاتب استشارى جراحة.

(١) الكهف: ٥١.

﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾(٢)

برغم ما يتداوله علماء الإنسان عربا وأعاجم - بعيدا عن هدى القرآن - من أن الإنسان مادة فقط فى أحوال متعددة، أو مادة وحياة، أو روح وجسد، وبرغم الخلط بين مفاهيم النفس والروح والحياة.. والنظر إليها كمترادفات لما وراء الجسد، بل لما وراء المادة والطبيعة. وبرغم زعم الماديين أن هذه كلها؛ ما هى إلا تفاعلات مادة، أو صور لها.. لم تتح للإنسان آلات وأدوات الإحساس بها، أو كشفها والإمساك بها.

وقد وجدت - بفضل الله - تفصيل طبيعة هذه العناصر الأربعة جليا واضحا فى آيات القرآن، وتجد ذكرها - عنصرا بعد آخر - سانحا محكما فى كلماته؛ تنأى على الاشتباه، وتستعصى على الغموض، يجليها الله لمن يتدبر قرآنه.. على النحو الآتى:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾(٣).

إشارة إلى أصل مادة البدن. ليس بدن آدم فقط.. باعتبار بداية الخلق من تراب، بل بدن كل بشر.. بما فى جسد كل منا من عناصر تراب جسد أبينا آدم، وعلى وجه التحقيق.

وفى قوله تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾(٤).

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾(٥).

إشارة إلى ماء الحياة؛ العنصر الثانى من عناصر تكوين الإنسان. وإشارة إلى الحياة.. أولى قواه. إذ جعل الله من الماء كل شىء حى.. من عوالم النبات والحيوان.. قبل الإنسان.

وفى قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٢٨ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾(٦).

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾(٧).

إشارة إلى دخول عنصر النار إلى الطين الناتج من خليط التراب والماء. لتغير طينة جسد الإنسان بالنار تغيرا غير معكوس، تفارق به خصائص الطين الظاهرة وصفاته، وخصائص الطين اللازب الذى كان فى المرحلة السابقة على دخول النار.

﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ﴾(٨).

مع احتفاظ كل بشر بكل من صفات تراب البدن وماء الحياة، برغم استمرار آثار نار التسوية.. لا تفارق تراب الطين وماءه؛ ما بقيت فيه حياة. وإلا فارقته حياته؛ إذا برد البدن، أو قلت حرارته عن حدها الموزون.

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾(٩).

﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾(١٠).

---

(٢) السجدة: ٦، ٧. (٣) الروم: ٢٠. (٤) الفرقان: ٥٤.
(٥) الأنبياء: ٣٠. (٦) الحجر: ٢٨، ٢٩. (٧) الرحمن: ١٤.
(٨) الصافات: ١١. (٩) الحجر: ٢٩، ص٧٢. (١٠) السجدة: ٩.

إشارة إلى نفخة النور في قبضة الطين وخليط الماء والتراب والنار.. في قطعة الصلصال كالفخار، ثم في مضغة اللحم والدم والعظم في كل رحم حي وبطن أنثى البشر.

وبهذه التركيبة البديعة المستحدثة على عوالم الكون؛ تجتمع لكل إنسان.. خصائص النور والتراب والماء والنار. ففي كل منا.. ثلاث قوى، تتواجد بصفاتها وآثارها على استقلال في تراب البدن. بحيث تضيف كل من قوى الروح والنفس والحياة.. سبع صفات متباينة متفاضلة إلى صفات البدن السبعة؛ المستمدة من تراب الأرض، بما في جسد كل منا من عناصر الأرض.. حصر العلماء منها أكثر من أربعين عنصرا بسيطا، كالحديد والفوسفور والنيتروجين والكربون والصوديوم والبوتاسيوم والكالسيوم، ويمرض الجسد إن حرم من أيها طويلا بل قد يهلك البدن ويموت صاحبه.

ليجتمع للإنسان من صفاته ما يفارق به عوالم المخلوقات الأخرى البسيطة – كالملائكة – أو الأبسط منه تركيبا – كالجن – والأقل منه تعقيدا – كالنبات والحيوان – بسائر الأنواع والأجناس.

إذ نعلم من الوحي كذلك؛ أن عالم الملائكة بأنواعه ومراتبه.. مخلوق من عنصر النور، مجردا عن التركيب والتعقيد والخلط والإضافة. كما في حديث رسول الله ﷺ[11]. (خُلقت الملائكة من نور، وخُلق الجان من مارج من نار وخُلق آدم مما وصف لكم) ونعلم من القرآن.. أن الجان مخلوق من لهب خالص ونار مخصوصة:

﴿ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾[12].

و ﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾[13]

ونعلم من كتاب الله استدلالا.. أن عالم النبات مركب من التراب والماء:

﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾[14]

إذ أنزل للنبات الماء.. وله منه حياة:

﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾[15].

ونعلم أن الحيوان بأنواعه وأجناسه.. مركب من التراب والماء والنار. إذ له من التراب بدن. وبالماء حياة – ككل شيء حي – . وله بالنار نفس حيوانية. وهي حيوية عالية، فارق بها حدود عالم النبات المقيد بصفات الماء والطين. بما للحيوان من انفعالات نفس، وطاقة.. تفوق قوة الحياة. كأنها حياة لكل حيوان بعد حياته النباتية، أو مبالغة في الحياة التي سلفت في كل شيء حي، ثم انتقلت بذات صفاتها في النبات إلى الحيوان ثم إلى الإنسان.

ثم يكرم الله آدم وزوجه وبنيه بنفخة من روح النور، ينشيء الله بها أم البشر، خلقا آخر وعالما فريدا وجنسا فضيلا، جمع الله فيه بين الأغنياء، وألف في كيانه بين الأضداد. إذ أقام من الطين بدنا حيا، ثم نفخ فيه نورا بعدما سواه بالنار.

وتفصل آيات القرآن.. هذه المراحل تفصيلا؛ يراه علماء الأجنة.. إعجازا في الخلق والبيان،

(١١) رواه مسلم وأحمد؛ (١٢) الرحمن: ١٥. (١٣) الحجر: ٢٧.

(١٤) الحج: ٥. (١٥) الأنبياء: ٣٠.

ويفضل علماء الكلمة والمعنى.. ما فيه من إعجاز البلاغة والبيان..

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾(١٦).

وصفات حياة الإنسان.. هي مظاهر الحياة في كل شيء حي، تجدها بذات ظواهرها في عالم النبات والحيوان.. على تفاوت في الشدة والآثار، لتكون في الإنسان على أكمل وجه وأحسن ما يكون:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾(١٧).

أما صفات النفس البشرية(١٨).. فهي غرائز حيوية الحيوان، بما في بدنه من عنصر النار، التي تحفظ حرارة البدن مستقرة، بلا مثيل في النبات والأحياء الدنيا. وصفات النفس كذلك.. من جنس صفات عالم الجن.. إذ خلقه الله من مارج من نار.

ويبقى أن نقرر أن صفات الروح.. علوية ملائكية؛ لطبيعة نورها الخالص العالي. وأن الإنسان بهذا التكوين.. ليس شيطانا ولا ملاكا، وما هو بحيوان، ولكنه إنسان.

ولعنصر النور هنا سبع خصائص، هي صفات للإنسان بآثار الروح فيه، ومظاهرها عليه. وبروح النور ألهم الله النفس المسواة تقواها. ومن أجلها أسجد الله لآدم الملائكة، وسخر الله له ولبنيه ما في السموات وما في الأرض. ولهذا البناء الإنساني المعجز.. كرم الله بني آدم وحملهم في البر والبحر وفضلهم على كثير من خلقه تفضيلا – في مرحلة حياة دنيا – قدرها الله عليه.. بلاء بها وابتلاء، قبل دار القرار.

قد يعيش الإنسان حياته الدنيا لشهواته.. بغرائز الحيوان؛ محروما من نور الروح، وقد تنحدر به نفسه الأمارة بالسوء – طبعا وجبلة – إلى درك أسفل من بهيمة الأنعام وأشقى من مردة الشياطين.

أو يرقى بروح النور.. إلى ما فوق مراتب الملائكة والروح؛ إن أفاد من نور ربه، وواعظ الله في قلبه.. يهديه إلى الصراط المستقيم، فيمشي على الأرض بنور الله يسمع به ويبصر، ويطاول الملائكة في الملأ الأعلى. ومن أجل ذلك كانت نفخة الروح والتكريم.

وبهذا البيان من رب الإنسان في القرآن.. عن تباين قوى الروح والنفس والحياة وتكامل أدوارها؛ نصبح على أعتاب فهم صحيح لحقيقة الإنسان؛ يفتح باباً أوسع إلى مزيد دراسة، لمعرفتنا بأنفسنا. ومن ثم أدعو إلى استحداث فرع علم بتخصص في بحوث الروح مستقلا عن علوم النفس والحياة. والمسلمون أولى بهذا العلم، بما عندهم من هدى القرآن.

---

(١٦) المؤمنون: ١٢-١٤. (١٧) التين (٤).

(١٨) في النبات إذا حياة فقط بما في بدنه من تراب وماء. وفي الحيوان حياة ونفس بما زاد في تركيبه من نار، وفي الإنسان حياة ونفس وروح. فالإنسان بذلك نموذج الكون الكبير ومجمع الخلائق.

بين الصحف والمجلات

إعداد الأستاذ/ محمود الفشني

المقاطعة هي السلاح الذي يملكه كل مواطن بسيط يرغب في دعم ومساندة الانتفاضة الفلسطينية الباسلة في مواجهة العدوان الإسرائيلي الغاشم.

المقاطعة هي السلاح الذي يملكه كل مواطن بسيط يرغب في القتال ضد إسرائيل وحلفاء إسرائيل.

لقد تطورت أساليب الحرب كثيراً عما ألفناه.. إننا ونحن في داخل منازلنا نستطيع أن نلحق أكبر الضرر بالكيان الإسرائيلي بمقاطعته ومقاطعة حلفائه بشكل من الممكن جدا أن يجعل العالم كله يبتعد عن إسرائيل خوفا على اقتصادياته وشركاته وأمواله.. فهلا فعلنا!!

هذا الشهر نتناول الحديث عن موضوع الساعة:

المقاطعة

في جريدة عقيدتي الأسبوعية، كتب الدكتور محمد عبدالحليم عمر مدير مركز الاقتصاد الإسلامي بجامعة الأزهر تحت عنوان:

المقاطعة الاقتصادية لأمريكا وإسرائيل واجب ديني

ومما قال فيها: إذا كان الأمر لم يجد صداه على مستوى الحكومات، فإن الشعوب هي القادرة على استخدام سلاح المقاطعة لإسرائيل وأمريكا، ليس بدافع الوطنية فقط، وإنما لأن ذلك واجب ديني، مسئول عنه كل مسلم.

يقول الله – تعالى:

﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(١).

(١) الممتحنة (٩).

وبالتالى فإن من يتعامل مع العدو يكون موالياً له ويكون ظالما حسب تقرير الآية، وإذا كانت إسرائيل تمارس العدوان بالفعل بقتل إخواننا من فلسطين، وإخراجهم من ديارهم فإن أمريكا تظاهر على قتلهم، وإخراجهم، بإعانة الإسرائيليين بالمال والسلاح ثم بإجهاض القرارات الدولية التى تدين إسرائيل، وتحاول منع عدوانهم كما حدث باستخدام أمريكا حق الفيتو ضد قرار إرسال قوات دولية لحفظ السلام فى فلسطين.

(٢٣ / ٤ / ٢٠٠٢م)

● **وفى جريدة الحياة اللندنية كتب (داود الشريان):**

إن حاجة العرب والمسلمين إلى لجنة «إيباك عربية» أصبحت مطلباً ضرورياً بعد أحداث ١١ أيلول (سبتمبر)، والاعتماد على الأسلوب القديم وترك الحوار العربى - الأمريكى مشتتاً فى عشرات المنظمات التى يخضع بعضها لتوجهات دول وأفراد ومنظمات صغيرة، يجب أن يتغير، والبداية الصحيحة لهذا الهدف هى توحيد كل المنظمات العربية والإسلامية فى منظمة واحدة، وإيجاد ائتلاف عربى - إسلامى لمواجهة التدمير الذى تتعرض له صورة العرب والمسلمين، وإيجاد علاقة جديدة مع أمريكا الرسمية والشعبية.

إن رجال الأعمال فى العالم العربى هم الجهة المرشحة لقيادة هذا التحالف، وإقامة تجمع يستند إلى المصالح التجارية هى المدخل الصحيح فى هذه الظروف. وإذا كانت أمريكا تحفظت سابقاً على المنظمات القائمة لخدمة أهداف دينية وسياسية، فإنها اليوم ترفضها تماماً.

٢٤ / ٤ / ٢٠٠٢

● **وفى جريدة (الشرق الأوسط) كتب أحمد الربعى محذرا من سياسة مقاطعة المؤتمرات التى تشارك فيها إسرائيل، قال:**

إذا كان العرب سيقاطعون المؤتمرات الدولية بسبب وجود إسرائيلى فيها فإن هذا سيجعل إسرائيل منفردة فى الساحة الدولية بدءا بالأمم المتحدة وانتهاء بالمؤتمرات الدولية والإقليمية الكبرى، ونحن على يقين أن وجود فاروق الشرع فى مؤتمر فلنسيا كان أفضل وأكثر فائدة من مقاطعته، وكان باستطاعته، وهو الوزير المحترف، أن يرد على شمعون بيريز وأكاذيبه وكان يستطيع على الأقل أن يبين للأوروبيين وجهة النظر العربية والسورية فى الوضع فى الأراضى المحتلة ويساعد على كشف جرائم إسرائيل.

هناك معركة محتدمة فى المجتمع الدولى، والعرب ـ كل العرب ـ يجب أن يكونوا فى أول الصفوف ويتخلوا عن سياسة المقاطعة،

وإذا كانت لدى سورية اعتبارات أخرى فكان من المفترض أن يكون لبنان فى مؤتمر فلنسيا ليحقق مصالحة مع الأوروبيين ويطرح قضيته السياسية أمام العالم. وليس من مصلحة دمشق ولا بيروت عدم تقدير ظروف كل بلد، فالتطابق فى المواقف قد يضعف بدلاً من أن يقوّى!!

● وفى جريدة آفاق عربية أعدت (شيرين يونس) دراسة ركزت على أهمية دور سلاح المقاطعة الاقتصادية ضد إسرائيل والدول والشركات المتعاونة معها.

ومما جاء فى هذه الدراسة:

يخطىء من يظن أن حديث المقاطعة كان عشية تفجر الانتفاضة الثانية يوم ٢٨ من سبتمبر عام ٢٠٠٠، ولكنه سلاح تم تطبيقه منذ مايو ١٩٥١، عندما اتخذت الجامعة العربية قرارها بإنشاء المكتب التنفيذى للمقاطعة العربية، وأوكلت إدارته إلى مفوض عام مقره الرئيسى فى دمشق.

وكانت مهمة مكتب المقاطعة وضع قائمة سوداء كل ستة أشهر بأسماء الشركات الإسرائيلية، فيما يعرف بالمقاطعة المباشرة أو المؤسسات والبلدان التى تتعامل مع إسرائيل، وهى المقاطعة غير المباشرة، وأثبت هذا السلاح فاعليته وتأثيره، خاصة خلال الخمسينيات، والستينيات.

وجاءت انتفاضة سبتمبر ٢٠٠٠ لتفجر الوضع مرة أخرى، وتنادى الشعوب العربية بعودة استغلال هذا السلاح بصورة أكثر فاعلية.

وطبقاً لبيانات المكتب الرئيسى للمقاطعة العربية، فإن الخسائر التى تكبدتها إسرائيل بسبب المقاطعة أخذت فى التراكم حتى بلغت (٩٠) مليار دولار منذ بداية المقاطعة، وحتى عام ١٩٩٩.

كما جاء تأكيد أهمية هذا السلاح فى تقرير لجريدة «الجارديان» البريطانية عن تأثير سلاح المقاطعة الذى رفعته الشعوب العربية منذ اندلاع الانتفاضة فى سبتمبر ٢٠٠٠ حيث انخفضت مبيعات الأغذية والمأكولات الأمريكية بنسبة ٣٥٪ وانخفضت مبيعات شركة «بروكتر اند جامبل» صاحبة منتجات اريال وبامبرز بنسبة ٢٠٪، كما وصلت خسائر شركة كوكاكولا فى مصر إلى ٢٦٠ مليون جنيه العام الماضى، كما انخفضت مبيعاتها فى الإمارات بنسبة ٢٠٪، وقضى هذا السلاح على سلسلة «سينسبرى» فى مصر، حيث سحبت من السوق المصرى بعد خسائر بلغت ١٠ ملايين جنيه استرلينى، كما تراجعت مبيعات محلات الأغذية السريعة الأمريكية (كنتاكى - هارديز - ماكدونالدز - بيتزا) بنسبة تتراوح بين ٥ -

١٠٪، وقررت نقابة الصيادلة مقاطعة منتجات شركة «ليللى» الامريكية للادوية عندما كشفت عن دعمها للمستوطنات الصهيونية فى الأراضى الفلسطينية..

بالإضافة إلى ما سبق تتضح اهمية المقاطعة، إذا علمنا ان حجم المبادلات التجارية بين إسرائيل والدول العربية بلغ حوالى ٩٩,١ مليون دولار فى الفترة من يناير وحتى سبتمبر ١٩٩٩م، وذلك مقابل ٩١,٣ مليون دولار حتى نفس الفترة عام ١٩٩٨م.

معاناة الفلسطينيين.. لاتنتهى..!!

وبعيداً عن المقاطعة العربية المأمولة تتواصل معاناة الشعب الفلسطينى البطل، حول هذه المعاناة كتب هشام عبدالرؤوف فى جريدة الجمهورية:

فى كل يوم تتضح وجوه جديدة للمأساة التى يعيشها الشعب الفلسطينى المنكوب بواحد من ابشع أنواع الاستعمار الاستيطانى التى عرفها تاريخ الانسانية.

وإحدى الفئات التى تعانى بشدة من جراء الاحتلال الاسرائيلى هى فئة المرضى .. والمقصود بهؤلاء ليس الذين يصابون فى الاعتداءات الاسرائيلية ويتركهم جنود الاحتلال ينزفون حتى الموت فهذا موضوع آخر. لكن المقصود هنا هم المرضى بأمراض مزمنة او الذين يصابون بأمراض مفاجئة.

يعانى هؤلاء من التعنت الاسرائيلى الذى يمنعهم من التوجه للمستشفيات . وهذا التعنت كان قائما وإن كان بدرجة غير ملحوظة منذ الأيام الاولى لقيام السلطة الفلسطينية حيث كانت قوات الاحتلال تمنع بعض المرضى احيانا من عبور الحواجز الى المستشفيات والعيادات الطبية ومنهم من قضى نحبه بسبب سوء حالته.

لكن هذا الوضع تفاقم بشكل خطير منذ بداية انتفاضة الاقصى قبل حوالى عشرين شهرا وتفاقم اكثر واكثر واصبح مأساويا مع بداية العدوان الاسرائيلى الأخير فى التاسع والعشرين من مارس الماضى.

تفاقم الوضع من عدة نواح.. الاولى.. فرض القيود الاجرامية.. وليست الصارمة فقط على التحركات عبر الحواجز ومازالت هذه القيود تظهر عقبة اخرى وهى عدم وجود سيارات إسعاف كافية بعد ان سرقت قوات الاحتلال معظم السيارات المملوكة للهلال الاحمر الفلسطينى او دمرتها وجعلتها غير صالحة للاستخدام.

يؤكد الدكتور مصطفى البرغوثى مدير الإغاثة الطبية الفلسطينية ان عشرات المرضى يموتون يوميا عند الحواجز بسبب القيود التى تفرضها اسرائيل وذلك منذ عدوان التاسع والعشرين من مارس الماضى. ويلخص البرغوثى المشكلة بقوله.. لقد أصيب النظام

الصحي في فلسطين بالشلل التام.

وهناك عدة قصص توضح عمق المأساة مثل المواطنة فهيمة ابو الرب المقيمة في قرية جلبون بقضاء جنين حيث اصيبت في الثاني عشر من ابريل الماضي بجلطة في المخ وعبثا حاولت اسرتها الاتصال بالهلال الاحمر الفلسطيني وبالصليب الاحمر الدولي فأكد المسئولون فيهما انهم ممنوعون من التحرك ونقل المواطنة الي أحد المستشفيات ووسط هذه المحاولات اليائسة كان الوقت المناسب لتلقي العلاج قد انقضي وتحولت الجلطة الي شلل، هذا رغم ان محل اقامتها لايبعد عن مستشفي جنين أكثر من ١٢ كيلو مترا.

وهناك حالة اخري للمواطن احمد محمود ابو سيف المقيم بالقرب من نابلس والذي ودع الحياة قبل ايام عن ٥٥ عاما والسبب عدم اجراء جلسات غسيل كلوي يحتاج الي ثلاثة منها اسبوعيا كان يجريها في جنين او نابلس.

وكان من المفروض ان تجري له جلسة غسيل كلوي في اليوم الثاني من اجتياح مدينة نابلس. وعبثا حاولت اسرته الاتصال بالهلال الاحمر الفلسطيني والصليب الاحمر. لكن الاجابة جاءت واحدة وهي.. نحن ممنوعون من التحرك. وحاولت الاسرة نقله بنفسها في سيارة مملوكة لها.. لكن قوات الاحتلال منعتها رغم وجود تقرير باللغة العبرية يشرح حالة الأب.

وكم كانت معاناة الاسرة رهيبة وهي تري الاب المسكين ينتفخ جسده ويتغير لونه الي الازرق حتي تغير شكله واخيرا جاءت رحمة السماء وصعدت روح الاب المسكين الي خالقها.. ويقول ابنه ان هناك ٤٠ حالة فشل كلوي علي الاقل في المنطقة المحصورة بين نابلس وجنين توفي اصحابها لمعاناة مماثلة.. ولايعرف ما اذا كانوا لايزالون احياء. ام انهم لحقوا بابيه

حالة اخري صاحبها المواطن محمد ابو الرب الذي اصيب بجلطة مفاجئة في القلب في احدي قري الخليل. وعندما فحصه الطبيب اكد اهمية نقله الي المستشفي بسرعة.. ورغم ان اقرب مستشفي لمحل اقامته يبعد نصف ساعة فقط.. لكنها تحولت الي ساعتين بسبب الحواجز الاسرائيلية وتوفي المواطن اثناء الانتظار وعاد به أهله لدفن جسمانه.

وحتي الطفلة «ليلي» المقيمة في نابلس والتي لاتتجاوز عمرها عاما ونصف العام.. مرضت فجأة ولم يسمح جنود الاحتلال بنقلها الي المستشفي حتي ماتت عند احد الحواجز وعادوا بها ليواروها قبرها.

بين المجلة.. والقارئ

إعداد وتقديم/ عادل رفاعى خفاجة

وصية شهيد فلسطينى

تلقيت بمزيد من الاعتزاز والتقدير من الزميل الفاضل الأستاذ/ السيد عبدالحكم، الباحث بمجمع البحوث الإسلامية كتابا من تأليفه بعنوان «الشاعر الإسلامى الشهيد – هاشم الرفاعى – حياته وقضية مصرعه».

ثم زارنى الأستاذ المؤلف بعد ذلك عدة مرات متقاربة لم تتسع فى أغلبها لأكثر من السلام، ساعد على ذلك وجودنا للعمل معا فى مبنى واحد، هو مبنى مجمع البحوث الإسلامية، الذى نسأل الله أن يجعله دوما زخرا للأمة الإسلامية.

غير أنى كنت ألمح ظلال ابتسامة تتوارى خلف كلمات التحية والاطمئنان، وكأنه يقول: لقد أهديتك كتابى لتقرأه، لا لتصنفه ضمن ذخائر مكتبتك!!

ولما كنت أخشى أن يفاجئنى بسؤال أتوقعه، وهو: ما رأيك فى الكتاب؟

فقد توفرت على الكتاب، أتفحص ما فيه وألم بجوانبه ومراميه.

وقد وجدت فى الكتاب – بحق – جهدا يستحق مؤلفه أن يعتز به، فالواضح أنه لم يألو جهدا ولم يدخر وسعا ليخرج الكتاب فى هذه الصورة القشيبة.

وإذا كان أي عمل لابن آدم لايسلم من النقد حتى من ذاته، إذا عاود مراجعته بعد مرور الزمن، فيجد أنه كان من الأفضل لو ترك هذه النقاط أو أضاف تلك. من هذا المنطلق فإنى لم أجد سببا لما ورد فى ص٦٨ : ٧١ وهو حديث فى داخل الطائرة التى تقل الشعراء المشاركين فى مهرجان الشعر الأول فى دمشق الذى أقيم فى مايو عام ١٩٥٩م وكان بينهم هاشم الرفاعى إلا أن المؤلف لم يقدم فى هذا الحديث شيئا قاله الشاعر «موضوع البحث».

ثم هذا الاستطراد عند ذكر استقبال الشاعرة

السورية طلعت الرفاعي لوفد الشعراء المصري، حتى أنه نسي هاشم الرفاعي وراح يتحدث عن الشاعرة طلعت الرفاعي على مدى الصفحات من ٨٤ حتى ص٩٠ ذكر فيها شيئا عن الشاعرة ورسالتها الجامعية ثم خوضها الانتخابات ثم الرقية التي حفظتها عن أمها.

وإن كنا لا نقلل أبدا من قيمة هذه المعلومات، إلا أن مجالها كتابا آخر عن الشاعرة طلعت الرفاعي نأمل أن يوفق الله المؤلف إلى تأليفه،

فالواضح أنه أثناء جمعه لمادة كتابه عن هاشم الرفاعي جمع معه الكثير عن شعراء آخرين.

وقد جذب انتباهي من بين العديد الجيد من القصائد قصيدة بعنوان «وصية شهيد فلسطيني» جاءت على الصفحات ١٢٨ حتى ١٣٠.

ألقيت في ندوة الشباب المسلمين لنصرة قضية فلسطين مساء ١٨ نوفمبر ١٩٥٨م. وكأن القصيدة كتبت لنصرة قضية فلسطين عام ٢٠٠٢م وهو ما دعاني لأن أقدمها للقراء الأعزاء

يقول هاشم الرفاعي

أنا يا بنيّ غداً سيطويني الغسق ... لمْ يبقَ من ظلّ الحياة سوى رمق
وحطام قلبٍ عاش مشبوبَ القلق ... قدْ أشرقَ المصباحُ يوماً واحترق

جفّتْ به آمالهُ حتى اختنق

فإذا نفضتَ غبارَ قبرى عن يدك ... ومضيتَ تلتمس الطريق إلى غدك
فاذكرْ وصيةَ لاجيءٍ تحتَ التراب ... سلوبهُ آمالَ الكهولة والشباب
مأساتُنا مأساةُ ناسٍ أبرياءْ ... وحكايةٌ يغلى بأسطرِها الشقاء
حملتْ إلى الآفاقِ رائحةَ الدماء ... وجريمتى كانتْ محاولةَ البقاء

أنا ما اعتديتُ ولا ادخرتُك لاعتداء

لكنْ لثارٍ نبغُه دامٍ.. هُنا ... بين الضلوع جعلْتُهُ كلَّ المنى
وصيغتْ أحلامي به فوقَ الهضاب ... وظمئتْ عمرى.. ثم متُّ بلا شراب
كانتْ لنا دارٌ، وكانَ لنا وطنْ ... ألقتْ به أيدى الخيانة للمحن
وبذلتُ فى إنقاذهِ أغلى ثمنْ ... بيدى دفنت أخاكَ فيه بلا كفن

إلا الدماءَ، وما ألمَّ بي الوهَن

إنْ كنتُ يوماً قد سكبتُ الأدمعا ... فلأنني حُمّلتُ فقدَهُما.. معاً
جرحانِ فى جنبيَّ: ثكلٌ واغتراب ... ولدٌ أضيع.. وبلدةٌ رهنَ العذاب
تلك الربوعُ هناك قدْ عرفتْك طفلا ... يجنى السنا والزهر حين يجوبُ حقلا
فاضتْ عليكَ رياضُها ماءً وظلا ... واليومَ قد دهمتْ تلكَ الأحداثُ أهلا

ومروجك الخضراء تحنى الهامَ. ذُلا

همْ أخرجوكَ فعدْ إلى من أخرجوك ... فهناك أرضٌ كانَ يزرعُها أبوك
قد ذُقتَ من أثمارها الشهدَ المذاب ... فإلام تتركُها لألسنة الخراب؟

إن جئتها يوماً وفي يدك السلاح	وطلعت بين ربوعها مثل الصباح
فاهتف على سمع الروابي والبطاح	إني أنا الأمس الذي ضمد الجراح
لبيك يا وطني العزيز المستباح
أو لست تذكرني؟ أنا ذاك الغلام	من أحرقوا مأواه في جنح الظلام
بلهيب نار حولها رقص الذئاب	لفت حياتي بالدخان وبالضباب

***

لا تبكين، فما بكت عين الجناة	هي قصة الطغيان من فجر الحياة
فارجع إلى بلد كنوز أبي حماه	قد كنت أرجو أن أموت على ثراه
أمل ذوي، ما كان لي أمل سواه
فإذا نفضت غبار قبري عن يدك	ومضيت تلتمس الطريق إلى غدك
فاذكر وصية لاجئ، تحت التراب	سلبوه آمال الكهولة والشباب

ولننظر إلى المعاني السامية التي قدمها الشاعر والمستمدة من الشريعة الإسلامية السمحة التي تعطر أركان القصيدة، ولنتأمل قول الشاعر «أنا ما اعتديت ولا ادخرتك لاعتداء» فالمسلم ليس من طبعه العدوان ولا يحث ابنه عليه وهو معنى مستوحى من قوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾.

والمعاني والصور التي قدمها الشاعر بصفة عامة قريبة الجنى لا تحتاج إلى مزيد شرح لصدورها عن عاطفة صادقة مفعمة بالإيمان.

فقط أقول ما أشبه اليوم بالبارحة، وإذا جاء قول الشاعر عام ٥٨: بيدي دفنت أخاك بلا كفن، فاليوم يدفن شارون أسراً كاملة بلا كفن وبلا مقابر.

وفي نهاية تلك العجالة بقي أن نقدم تعريفاً عن هذا الشاعر الفذ، إنه: السيد جامع هاشم مصطفى الرفاعي الشهير بـهاشم الرفاعي ولد في عام ١٩٣٢م – على ما حققه الأستاذ المؤلف – بقرية إنشاص الرمل بمحافظة الشرقية، وتلقى تعليمه الأزهري بمعهد الزقازيق الديني حيث التحق به عام ١٩٤٧ ثم التحق بكلية دار العلوم بالقاهرة عام ١٩٥٦م وظل بها حتى لقي مصرعه في الأول من يوليو عام ١٩٥٩م وقد تبوء الشاعر منزلة رفيعة بين شعراء وأدباء عصره، رشحته لأن يكون ضمن وفد مصر الذين شاركوا في مهرجان الشعر بدمشق وهو بعدُ لم يزل طالباً.

وأخيراً أقدم الشكر للزميل الفاضل الأستاذ السيد عبدالحكم الذي أتاح لنا هذه الإطلالة على الشاعر والأعمال الأدبية التي تركها، وجمعها هذا الكتاب الذي لو لم يشتمل إلا على هذه القصيدة ـ التي قدمناها ـ لكفت بياناً لشاعرية كاتبها. وسبباً لأن يأخذ الكتاب مكانه البارز في المكتبة العربية.

إدراك معنى الحياة

من كلمة للقارىء الشيخ / خيرى محمد أبو الروس / إمام وخطيب بكفر الجرايدة - كفر الشيخ نقدم هذه الكلمات :

لكى تتوجه الحياة كلها للإسلام وتعيش له لابد أن تدرك عدة أمور :

أولاً : إدراك الغاية من الحياة كما قال تعالى فى قرآنه وهو أصدق القائلين « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » سورة الذاريات الآية رقم ٥٦ .

ثانياً : إدراك قيمة الدنيا كما قال تعالى فى قرآنه وهو أصدق القائلين :

﴿ اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو ﴾

سورة الحديد الآية رقم ٢٠

ولقد روىَ أن الرسول ﷺ « مر يوماً على (مزبلة) ونادى أصحابه قائلاً « هلموا إلى الدنيا » ثم أخذ خرقة قد بليت وعظاماً قد نخرت وقال « هذه هى الدنيا » .

رواه الترمذى

ثالثاً : إدراك حتمية الموت كما قال تعالى فى قرآنه وهو أصدق القائلين :

﴿ كل من عليها فان ۝ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾

سورة الرحمن الآيتان رقم ٢٦ / ٢٧ ولقد رُوِىَ عن رسول الله ﷺ أنه قال « اذكروا هازم اللذات ومفرق الجماعات » .

رواه الترمذى

رابعاً : إدراك حقيقة الإسلام بمعرفة أصوله وفروعه وأحكامه وحلاله وحرامه كما قال تعالى :

﴿ قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾

سورة الزمر الآية رقم ٩

﴿ وقل رب زدنى علماً ﴾ .

سورة طه الآية رقم ١١٤

خامساً : إدراك حقيقة الجاهلية بالتعرف على أفكارها ومذاهبها وعاداتها وتقاليدها لنأمن من الانزلاق فيما نهى الله عنه .

اللهم اجعلنا ممن يتأدبون بأدب الإسلام ويسيرون على نهجه .. آمين .

***

دليل وبرهان حى

الدكتور أحمد شوقى عرفة .. يقدم ما جال بخاطره حول قوله تعالى :

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ .

العلق : ١

يقول : اقتضت مشيئة الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن تكون أولى كلماته إلى محمد ﷺ عبده الله ورسوله الذى اصطفاه لرسالته إلى العالمين :

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ .

أن تحمل إلينا أمورا منها :

١ ـ أن تكون وصيته ـ ووصيته واجبة التنفيذ ـ إلى من سيتبعون دينه هى القراءة والعلم والتعلم .

٢ ـ أن تكون دليلاً على أن هذا القرآن هو من كلام الله إذ لا يعقل أن يكون محمد بن عبدالله الأمى هو مؤلف هذا الكتاب كما يدعى المكذبون وأن يبدأ كلامه بكلمة اقرأ وهو من بلد أمى لا يقرأ ولا يكتب إلا فيما ندر .

٣ ـ أنه سبحانه هو الذى خلق الإنسان والكون ولا أحد ولا شىء غيره يخلق شيئا .

٤ ـ أن هذه الآية وما تبعها من آيات القرآن الكريم هى كلام خالق هذا الكون رب العالمين والمهيمن والمدبر والمسيطر على العالم لا شريك له ولا ولد بدليل صمت الآلهة المزعومة ـ التى ابتدعها البشر ـ التى لم تتحرك للدفاع عن مراكزها بالرغم من توالى نزول آيات الكتاب الكريم التى تشير إلى أن الله :

﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ و ﴿ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ ﴾ .

وأنه ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ .

وبالرغم من النجاح المتواصل لهذه الدعوة طوال بعثة الرسول (٢٣ سنة) وطوال ١٤ قرنا من الزمان ودخول ملايين البشر ودخول الدول والممالك فى دين الله .

٥ ـ أن هذه الآية الكريمة دليل حى ومستمر ومتواصل على صحة هذا الدين يهتدى بها البشر على مر العصور والأزمان وفى كل مكان وكلما قرأوا هذه الآية الكريمة .

٦ ـ أن تكون القراءة والعلم والتعلم دستورا للأمة الإسلامية وهاديا ونبراسا لها لكى تنشر دين العدل والأمن والأمان فى الأرض .

اقرأ فى العدد القادم بمشيئة الله تعالى

« بهجة النفوس وتحليها بما لها وما عليها »
لابن أبى جمرة الأندلسى

من إبداعات القراء

يا سيد الدنيا

يواصل القارئ، **أحمد حمدى والى** .. الطالب بمدرسة الهدى والنور الثانوية بالمنصورة ابداعاته ويقدم فى هذا العدد هذه المشاركة البديعة احتفاء بمولد سيد الخلق - ﷺ .

يا سيد الدنيا وأنت الأكبر ... بك يابن عبدالله نفسى تَفْخَرُ
أنت الذى كنت العظيم بهديه ... منك الشمائل والفضائل تظهرُ
يا أيها الأمى علمت الورى ... أن المكارم فى رحابك تزهرُ
أنت الذى حُمِّلْتَ أعظم شرعةٍ ... فغدت بها أم القرى تتبخترُ
يا أيها المقدام سيفك بارقٌ ... ورماح جندك فى المعارك تزأرُ
عفواً فقومك في البداية كذبوا ... ولجهلهم بجميع فعلك أنكروا
قالات رمز الشرك أضحت ربهم ... ولربى الأعلى بذلك أجدرُ
كانوا بصحراءٍ تفح رمالها بالقيظ ... والأجساد فيها تصهرُ
فأتيت والخيرات غيثٌ هاطلٌ ... فكأنهم من بعد جدبٍ أمطروا
إن كان خوف العار وأد بناتهم ... فالعار كل العار فيها دبروا
لما رأى الشيطان دينك غالبًا ... أضحى اللعين بغيظه ينفجر
وهب الإله لصحب أحمد عزةً ... والنصب والأصنام راحت تُقْهرُ
أنت الحبيب وأنت رمزٌ للعُلا ... وبك النجاة إذا تدانى المحشرُ



للأستاذ / محمد الشرقاوى

مهاتير محمد ينتقد منظمة المؤتمر الإسلامي ويتهمها بالعجز

اتهم مهاتير محمد رئيس الوزراء الماليزى منظمة المؤتمر الإسلامي بالعجز، وشن هجوماً لاذعاً على المسلمين بسبب ما اعتبره تواكلاً وعجزاً عن الفعل المضاد بشأن المجازر الصهيونية في الأراضى الفلسطينية المحتلة.

متطوعون من جنوب أفريقيا يسافرون إلى إسرائيل لدعمها

بدأت أعداد من المتطوعين من يهود جنوب أفريقيا في التوجه إلى إسرائيل، وذلك استجابة لنداء الحكومة الإسرائيلية لدعمها في مواجهة ما تدعيه من خطر يواجهها بسبب الإرهاب على حد زعمها.

جدير بالذكر أن من بين المتطوعين عدداً من غير اليهود، وإنما هم من المؤمنين بالفكرة الصهيونية كعقيدة سياسية.

سيقوم هؤلاء المتطوعين بشغل الوظائف والأعمال التى شغرت في أعقاب استدعاء إسرائيل الاحتياطى، مما أثر بالسلب على العديد من المؤسسات المدنية.

يذكر أن المنظمات الصهيونية العاملة

بجنوب أفريقيا كشفت في الفترة الأخيرة عمليات جمع التبرعات، حيث نشرت في مئات المحال والمتاجر صناديق مخصصة لهذا الغرض.

إسرائيل تمنع رفع الأذان في الحرم الإبراهيمي

منعت قوات الاحتلال الإسرائيلي رفع الأذان في الحرم الإبراهيمي بمدينة الخليل عبر مكبرات الصوت، بدعوى إزعاج المستعمرين الإسرائيليين؛ حيث يخضع ٢٠٪ من المدينة للسيطرة الإسرائيلية.

كما تعرضت قوات الاحتلال لأئمة الحرم واعتدت على بعضهم بالضرب.

جدير بالذكر أن الحرم الإبراهيمي يعد ثاني أهم مسجد في فلسطين بعد الحرم القدسي الشريف، ويعد الإجراء الإسرائيلي بمثابة تصعيد ضد المسلمين بصفة عامة، وأهالي المدينة بصفة خاصة، حيث تواصل سلطات الاحتلال منع المصلين المسلمين من دخول الحرم الإبراهيمي الشريف منذ الحادي والعشرين من أبريل الماضي، وذلك بدعوى إعادة تقييم الإجراءات الأمنية داخل الحرم والقيام بأعمال صيانة، بينما تسمح للمستوطنين بدخول المسجد وتدنيسه.

المستثمرون المصريون يقاطعون الدولار الأمريكي

انصرف معظم المستثمرين المصريين عن التعامل بالدولار الأمريكي مفضلين التعامل بالعملة الأوروبية الموحدة «اليورو» كإجراء يدخل في نطاق المقاطعة الاقتصادية التي تتبناها مختلف فئات الشعب المصري حاليا ردا على التأييد الأمريكي للسلوكيات الإجرامية الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية المحتلة.

الولايات المتحدة تنسحب من اتفاقية محكمة جرائم الحرب

تخلت الولايات المتحدة عن تعهدها بدعم الاتفاقية الخاصة بإنشاء محكمة جرائم الحرب الدائمة بدعوى تضمن الاتفاقية بعض العيوب غير المقبولة.

ذكر «بيير ريتشارد» المندوب الأمريكي الخاص بجرائم الحرب أن انسحاب الولايات المتحدة من الاتفاقية التي وقعت عليها قبل عامين لن يؤثر على الهدف من إنشاء المحكمة.

وذكرت صحيفة نيويورك تايمز أن الولايات المتحدة تخشى من محاكمة مسئولين أمريكيين بتهم تتعلق بارتكاب جرائم حرب.

كما يتردد أن من بين أسباب الانسحاب الأمريكي اعتراضها على فكرة محاكمة

مسئولين إسرائيليين في مقدمتهم رئيس الوزراء الإسرائيلي «إرئيل شارون» عن اتهامات بشأن قتل الأسرى المصريين في حرب ١٩٦٧، ومجازر صبرا وشاتيلا في لبنان، والانتهاكات الحالية بالأراضي الفلسطينية المحتلة.

إعانات عاجلة للطلاب الفلسطينيين المقيمين بمصر

تم توزيع إعانات عاجلة للطلاب الفلسطينيين المقيمين في مصر، والذين تضرروا من عدم وصول تحويلات مالية من ذويهم بالأراضي الفلسطينية المحتلة من جراء الحصار الشديد الذي يفرضه الاحتلال الإسرائيلي.

قام بتوزيع هذه الإعانات المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين العالمية.

قوات الاحتلال أعدمت ٣٣ بينهم ست نساء في جنين

كشف «نادي الأسير» الفلسطيني عن أن قوات الاحتلال الإسرائيلي أعدمت ثلاثة وثلاثين فلسطينيا دفعة واحدة خلال إحدى عملياتها الإجرامية داخل مخيم جنين من بينهم ست نساء.

أوضح النادي في بيان أصدره ان قوات الاحتلال اعتقلت ٣٣ شخصا من بينهم ست نساء أثناء اجتياح المخيم في الأول من أبريل الماضي، وقامت بإعدامهم.

أكد البيان ان هذه الحادثة تدلل على جرائم الحرب التي ارتكبت بحق المعتقلين الذين أعدموا بدم بارد وبوحشية لم يسبق لها مثيل.

أوضح البيان ان عددا من المواطنين من بينهم معاقون تم إعدامهم داخل منازلهم بعد هدمها عمدا فوق رؤوسهم، إضافة إلى آخرين تركتهم قوات الاحتلال ينزفون تحت الأنقاض.

ناشد «نادي الأسير» المؤسسات الحقوقية الدولية والمجتمع الدولي بالعمل الجاد والفاعل للكشف عن المزيد من جرائم حرب ارتكبها جنود الاحتلال خلال اجتياحهم للمخيم.

نصف مليون لاجيء.. عادوا لأفغانستان

علنت وكالة غوث اللاجئين الدولية أن عدد اللاجئين الأفغان العائدين إلى بلادهم تجاوز الآن نصف مليون شخص.

نقل راديو لندن عن مصادر الوكالة الدولية القول ان معظم العائدين جاءوا من باكستان حيث شرع في تنفيذ برنامج العودة الطوعية منذ شهر مارس الماضي في حين عاد حوالي ثلاثين ألفا من إيران.

من المعروف أن مليوني لاجيء أفغاني مسجلون في باكستان و١,٥ مليون في ايران، وتخطط مفوضية الأمم المتحدة العليا لشئون اللاجئين للعودة الطوعية لنحو ١,٢ مليون لاجيء من كلتا الدولتين في غضون العام الحالي.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

الإمام الأكبر:

الإسلام دين الوسطية والاعتدال

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف وفد الطلبة الدارسين بمركز اللغة العربية بجامعة القاهرة وهم من جامعة سرايبقو بجمهورية البوسنة من كلية الدراسات الإسلامية وكذلك طلبة من طاجكستان وجورجيا، وكوريا الجنوبية، وقد حضروا لمصر لدراسة علوم القرآن الكريم والشريعة وأصول الدين واللغة العربية.

رحب فضيلته بالسادة الحضور شارحا لهم دور الأزهر الشريف فى حفظ القرآن الكريم والشريعة الإسلامية واللغة العربية، والدراسة فى الأزهر تقوم على الاعتدال والتوسط وإظهار سماحة الإسلام ومعاملاته حتى مع غير المسلمين مسترشدا بآيات القرآن الكريم وبالسنة النبوية المطهرة.

كما أوضح فضيلته دور الأزهر الشريف فى تعليم أبناء المسلمين جنبا إلى جنب مع إخوانهم من الطلبة المصريين حيث يدرسون على منح من الأزهر ويقيمون فى مدينة البعوث الإسلامية التى يسكن بها طلاب من

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

خمس وتسعين دولة لا فرق بينهم وبين الطلاب المصريين حتى يعودوا إلى بلادهم وقد حصلوا على أعلى الشهادات من الأزهر الشريف ويقومون بعد ذلك بتعليم أبناء بلادهم، كذا يقوم الأزهر الشريف بإرسال البعثات من العلماء والمدرسين على نفقة الأزهر الشريف ليقوموا بتعليم أبناء المسلمين فى بلادهم ويلقون المحاضرات وخطب الجمعة ويؤمونهم فى الصلاة، وللأزهر معاهد أزهرية فى بلاد كثيرة مثل السنغال وباكستان وجنوب أفريقيا وغير ذلك من البلدان ونرسل لهم الكتب والمناهج والمدرسين من الأزهر فرسالة الأزهر على مدى أكثر من ألف عام رسالة علمية تعليمية عالمية سامية.

وأوضح فضيلته أن الإسلام هو دين السلام يحترم النفس البشرية ويصونها ولا يعتدى عليها، ويحافظ عليها للمسلم ولغير المسلم، للأبيض وللأسود لمن فى الشرق ومن فى الغرب، ومن فى الشمال ومن فى الجنوب.

والإسلام دين الوسطية والاعتدال والسماحة، والأزهر يعلم أبناء المسلمين ويوضح للناس جميعا أن الإسلام بنية

الإرهاب والاعتداء على الآمنين كما يبين أن الناس جميعا خلقهم الله من أب واحد وأم واحدة، وطلب منهم أن يتعارفوا ويتعاونوا ويتبادلوا المنافع فيما بينهم قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾(١).

وقال تعالى:

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾(٢).

وأوضح أن الإسلام يحرم قتل النفس قال تعالى:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾(٣).

وأوضح أن الأزهر الشريف أصدر بيانا عقب أحداث ١١ سبتمبر أوضح فيه الفرق بين الجهاد والإرهاب، وأن ما بينهما كما بين السماء والأرض، فالجهاد شرعه الله - عز وجل - للدفاع عن الدين والمقدسات وعن الأرض والعرض وعن الحريات وعن الكرامة الإنسانية ودفع الظلم والاحتلال، وأن الإرهاب هو ما تقوم به إسرائيل من قتل للمجاهدين الذين يدافعون عن أرضهم ومقدساتهم وعرضهم وكرامتهم وحريتهم، وما يفعلونه للرئيس عرفات من حصار وإهانة وإذلال فهذا هو الإرهاب بعينه.

كما أجاب فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف عن بعض الأسئلة والاستفسارات التي دارت حول التواجد الإسرائيلي وإحلال السلام ودور الأزهر الشريف في التصدي لذلك مبينا بأن تواجد إسرائيل منذ المؤتمر الصهيوني الأول واختيار أماكن لإقامة وطن لهم وادعائهم بما يسمى بأرض الميعاد وكانت تلك الأماكن لا تشمل أرض فلسطين مما يثبت زيف ادعائهم بأرض الميعاد، ثم كان الاجتماع الثاني عام ١٩٠٧ واختيار فلسطين لتكون هذه الأرض وكانت آنذاك تحت الانتداب البريطاني، حيث أعطى الإنجليز أرض فلسطين لليهود، تحت زعم وعد بلفور لتكون وطنا لهم وكان ذلك عام ٤٧ وصدر قرار التقسيم، وقامت حرب ٤٨، وتلتها حرب ٥٦، ٦٧، ٧٣ وخلال تلك الأحداث لم يلتزم اليهود بالعهود ولا بالمواثيق.

ومنذ أحداث ١١ سبتمبر والأزهر الشريف لا يدخر وسعا في التصدي لما يحدث من عقد لقاءات مع المؤسسات والهيئات ولجان الحوار وإصدار البيانات التي توضح المفاهيم وتدين الإرهاب وتظهر صورة الإسلام السمحة.. حضر اللقاء فضيلة الشيخ علي فتح الله المستشار التعليمي لفضيلة الإمام الأكبر وفضيلة الشيخ فرحات السعيد المنجي المشرف العام على مدن البعوث الإسلامية.

---

(١) الحجرات (١٣).

(٢) المائدة (٢)

(٣) الأنعام (١٥١).

الإمام الأكبر يستقبل وفد الحزب العربي الفلسطيني

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفدا من الحزب العربي الفلسطيني برئاسة السيد / عبدالوهاب الدراوشة، رحب فضيلته بالوفد في مصر وأزهرها الشريف موضحا لهم بأن الأزهر الشريف شيخه وعلماءه وطلابه وشعب مصر بل وحكومتها ورئيسها يتابعون الأحداث لحظة بلحظة على أرض فلسطين، مبينا أهمية التعاون والتكاتف للتصدي لما يحدث، وأن القوة الظالمة الغاشمة لن تستطيع أن تناصر الحق، وإنما الصمود، وقوة العزيمة والثبات والشجاعة هي السبيل للوصول والحصول على الحقوق التي شرعها الله للإنسان من حق الحرية والكرامة ومن حق تحرير الأرض ودفع الظلم والرسول ﷺ بين أن المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف.. ونحن مسئولون أمام الله - عز وجل - أن نقف بجوار إخواننا في فلسطين وأن نساعدهم ونؤيدهم ونؤازرهم بكل أنواع المساعدة، بل ونتواصل معهم حتى يحصلوا على حقوقهم كاملة غير منقوصة.

شكر الحضور فضيلته على دور مصر وأزهرها الشريف وشعب مصر وحكومته الرشيدة ورئيسها الذي لا يألو جهدا في مناصرة الشعب الفلسطيني المجاهد، وأن تصريحات فضيلتكم لوسائل الإعلام المختلفة وتوضيح أن الجهاد في الإسلام حق من أجل السلام والحرية وإيضاح معنى الشهادة بقول فضيلتكم «إن كل من يفجر نفسه في عدوه المغتصب فهو شهيد» فهذا كله يعطينا قوة ويعطي شبابنا ثباتا على الحق وصلابة في الدفاع عن الأرض والعرض. كما نقلوا تحيات السيد الرئيس ياسر عرفات رئيس السلطة الفلسطينية لمصر وأزهرها موضحين بأن اليهود لا يفرقون بين مسجد وكنيسة ولا بين مسلم ومسيحي فالقتل والدمار والتخريب والتعذيب سمتهم وديدنهم، وفي نهاية اللقاء طالبوا بإفساح المجال لأبناء فلسطين للدراسة بالأزهر وزيادة المنح الدراسية لهم، رحب فضيلته بتلبية كل طلباتهم موضحا لهم أن الأزهر يستقبل أبناء فلسطين للدراسة به وهم مع إخوانهم المصريين وقد أشاد فضيلته بمعهد غزة الديني الأزهري الذي أنشيء منذ أكثر من سبعين عاما لتعليم أبناء شعب فلسطين الشقيق.

الإمام الأكبر يستقبل سفير سنغافورة

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الدكتور محمد سيد طنطاوي الدكتور / تي توايا سفير سنغافورة بالقاهرة، رحب فضيلته بالضيف في الأزهر الشريف وقد أوضح فضيلته للضيف أن الجهاد شريعة الله للدفاع عن الدين والمقدسات والحريات والأموال وهي حقوق مشروعة، فالجهاد دفاع عن حقوق مشروعة حق الرد على الظالمين المعتدين المغتصبين الذين يعتدون على الأموال وعلى الأنفس وعلى المنازل كما

يحدث الآن في فلسطين، وأن شارون وزمرته وعصابته يهدمون البيوت ويقتلون الأبرياء ويحاصرون القرى الآمنة ويحرقون الأراضي الزراعية ويهدمون البنية الأساسية ويقتلعون الأشجار ويهاجمون المستشفيات ولا يقدمون المساعدة الطبية لمن يحتاج إليها من المرضى والمصابين بل يذهبون إلى المستشفيات ويعدمون الأدوية، ويتركون الجثث في الشوارع ويمنعون الفلسطينيين من دفنها، فالجهاد في الإسلام هو الدفاع عن كل ما يجب الدفاع عنه وهو ما يقوم به إخواننا في فلسطين، وأما ما يفعله شارون وزمرته فهو إرهاب وأشاد السيد السفير بدور مصر المحوري في المنطقة، وقال: إن الأزهر الشريف وجامعته لهما دور عظيم في معالجة القضايا المعاصرة بوسطية واعتدال.

ويستقبل وفد مجلس نواب بلجيكا

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد مجلس النواب في بلجيكا برئاسة السيد / هيرمان دى كرو والسيد سفير بلجيكا بالقاهرة، وقنصل بلجيكا والوفد المرافق وهو مكون من ممثلي رئيس مجموعة الحزب الاشتراكي ورئيس مجموعة حزب الأحرار، ورئيس مجموعة الاتحاد الشعبي، وعضو الحزب الاشتراكي المسيحي وعضو حزب الخضر، وذلك في إطار زيارتهم لجمهورية مصر العربية ضيوفا على مجلس الشعب المصري.

رحب فضيلته بالسادة الضيوف في مصر وفي أزهرها الشريف مشيدا بالعلاقات الطيبة التي تربط بين مصر ودولة بلجيكا والمكانة التي تحتلها بلجيكا في أوروبا، وقدم فضيلته شرحا مبسطا لدور الأزهر الشريف في تعليم أبناء المسلمين في شتى بقاع العالم أمور الدين الحنيف وإظهار يسره وسماحته ووسطيته وصلاحيته لكل زمان ومكان، ثم يعودون إلى بلادهم لينقلوا ما تعلموه لأبناء بلادهم وذويهم.

وحول سؤال عن دور الأزهر الشريف في الأحداث الجارية أوضح فضيلته موقف الأزهر الشريف وأنه يحق الحق ويبطل الباطل ويبين للناس أن العدوان على الآمنين الأبرياء لا تقره شريعة الإسلام، وما يحدث في فلسطين الآن من عدوان على الآمنين واغتصاب للأرض وللعرض وتخريب للمساكن وتجريف للأراضي الزراعية واعتداء على أماكن العبادة سواء كانت للمسلمين أم للمسيحيين، ومحاصرة للسيد الرئيس ياسر عرفات فهذا هو عدوان آثم ويحدث ذلك تحت سمع وبصر العالم المتحضر، والفلسطينيون الذين يدفعون الظلم عن أنفسهم هم مجاهدون وما يحدث من عدوان من الجانب الإسرائيلي على الفلسطينيين من اغتصاب وقتل وتخريب هو ظلم وعدوان وهو الإرهاب بعينه بكل صوره وأشكاله، وأرى أنه من المناسب الآن أن تأتي قوات دولية، من دول مثل أمريكا وأوروبا وبلجيكا وباقي الدول، المهم أن تكون قوات دولية شرعية تفصل بين الجانبين ولو بالقوة، ثم تأتي بعد ذلك المفاوضات والمناقشات، وطالما حسنت النوايا فلابد من أن يصلوا إلى الحل.

وحول سؤال عن: هل مصر دولة إسلامية؟ أجاب فضيلته: نعم مصر دولة إسلامية ترعى مواطنيها من مسلمين ومسيحيين وكل من يحمل الجنسية المصرية له حق ممارسة الشعائر الدينية فى أماكن العبادة وله حق التعليم وله كافة الحقوق وعليه كافة الواجبات أيضا ولكن لكل إنسان عقيدته ولا إجبار على العقائد، فالمسلم يصلى فى الجامع، والمسيحى يذهب للكنيسة وهناك مساواة تامة، فلدينا وزراء مسيحيون وقادة بالجيش مسيحيون وتعلمون أن حرب العاشر من رمضان أكتوبر ٧٣ أكبر مثال على ذلك، فقائد الجيش الثانى الميدانى فى المعركة كان مسيحيا، ونحن فى مصر فى البيت الواحد يسكن به المسلم والمسيحى وأنا أتزاور مع البابا شنودة وتربطنا به علاقات أخوية ونحضر معا اللقاءات والحوارات والمحاضرات.

وحول سؤال عن تصادم الحضارات، أوضح فضيلته بأنه ليس مع من يقول بتصادم الحضارات، وإنما الحضارات عند العقلاء تتعاون ولا تتصادم، وتتكاتف من أجل خدمة الإنسانية، ولكل دولة حضارتها وكل دولة تأخذ من حضارة غيرها وتعطى من حضارتها.

شكر السيد رئيس الوفد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على حسن اللقاء ووصفه بأنه رجل دين عظيم فى بلد عظيم.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف.

الإمام الأكبر يستقبل وفداً إيرانيـاً

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سماحة الشيخ / السيد حميد المحمدى المستشار القانونى لرئيس رابطة الثقافة والعلاقات بمدينة قم الإيرانية، رحب فضيلته بالضيف فى مصر والأزهر الشريف مشيدا بدولة إيران وبعلمائها وبسعيها الدءوب للتقدم والرقى.

قدم الضيف شكر وتقدير بلاده لمصر رئيسا وحكومة، وشعبا وللأزهر وعلمائه لما يقدمونه للقضية الفلسطينية من دعم ومساندة كما نقل تحيات وشكر آية الله مكارم شيرازى أحد العلماء الكبار الذين لهم حق الفتيا فى إيران وطلب الضيف الاطلاع على مناهج وخطط التدريس والتعليم فى الأزهر الشريف فى كل المراحل ليمكن الاستفادة منها فى إيران.

الإمام الأكبر يستقبل قاضى قضاة فلسطين

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشيخ تيسير التميمى قاضى قضاة فلسطين حيث نقل إلى فضيلته شكر وتقدير وتحيات السيد الرئيس ياسر عرفات على الجهد المتواصل والعمل الدءوب من أجل القضية الفلسطينية ومن أجل الشعب الفلسطينى على مدى أربعة حروب من عام ٤٨ للآن.

رحب فضيلته بالضيف قائلا: إن مصر بقيادة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية لا تدخر وسعا فى مساعدة

ومناصرة أى دولة شقيقة وخاصة شعب فلسطين وحمل فضيلته الضيف التحية والتقدير للسيد الرئيس ياسر عرفات لشجاعته وصموده أمام هذه الاعتداءات الغاشمة والطاغية والغير مسبوقة وقال: إن الشعب الفلسطيني بصموده وثباته لابد أن ينتصر، ونحن معه بكل ما أوتينا من قوة وندعمه ونتعاون معه بكل أنواع المعاونة والمساعدة:

﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾(٤)

الدورة السادسة والخمسين لأئمة ودعاة العالم الإسلامى

● شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بقاعة الاجتماعات الكبرى بمشيخة الأزهر الشريف حفل تخرج الدارسين بالدورة العالمية التدريبية السادسة والخمسين للأئمة والدعاة الوافدين من دول العالم الإسلامى والتى استمرت ثلاثة أشهر اعتباراً من ١ / ٢ / ٢٠٠٢ وعددهم ٣١ إماما وواعظا من دول: مالى، بنجلاديش، الكنغو الديمقراطية، كينيا، النيجر وقد تلقوا التدريبات على أمور الفتيا والمحاضرات فى العلوم الشرعية والإسلامية واللغوية على أيدى السادة أصحاب الفضيلة علماء الأزهر الشريف، وقد ألقى فضيلته كلمة وجههم فيها إلى أن يكونوا قدوة طيبة لأبناء بلادهم حتى يتمثلوهم ويقتدوا بهم، وأن تكون دعوتهم إلى الله - عز وجل - بالحكمة والموعظة الحسنة وأن تكون مجادلتهم بالتى هى أحسن كقول الله تعالى:

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾(٥).

وحذرهم من خطورة الفتوى بغير علم وقال: إن الفتوى قد تتغير باختلاف الزمان والمكان والعرف والحال ولنا فى سيدنا رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة وذلك دليل على سماحة الإسلام وشريعته السمحة، وبين أن هناك أمورا مقررة ثابتة وهذه لا اجتهاد فيها، وإنما الاجتهاد فى الفروع فقط ولمن له حق الاجتهاد وهو المؤهل لذلك الذى تفقه فى الدين عملا بقول الله تعالى:

﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾(٦).

مشيرا إلى أن الاجتهاد لا يكون إلا فى الأمور التى تقبل الاجتهاد، فلا يصح فى الأمور الثابتة ولا فى النصوص القطعية الثبوت أو الدلالة أو الأمور المعلومة من الدين بالضرورة.

ومن وصايا سيدنا عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - لأحد القضاة «ولا يمنعك قضاء قضيته بالأمس ثم راجعت فيه نفسك

(٤) الحج (٤٠).
(٥) النحل (١٢٥)
(٦) التوبة (١٢٢)

وهديت فيه لرشدك أن ترجع عنه، فإن الحق قديم والرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل».

ثم قام فضيلته بتوزيع شهادات التقدير على الخريجين وفي نفس الوقت تم افتتاح الدورة السابعة والخمسين للأئمة والوعاظ الوافدين من العالم الإسلامي والتي تبدأ اعتبارا من ١ / ٥ / ٢٠٠٢ وعددهم ٢٤ إماما وواعظا من دول: أندونيسيا، وكوت ديفوار، الكاميرون، تايلاند، وسيرلانكا، غانا، وبنجلاديش.

حضر الحفل فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف والسادة سفراء الدول، والسفير نائب مدير الشئون الثقافية العامة والدينية بوزارة الخارجية، وفضيلة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، ورئيس قطاع المعاهد الأزهرية، والأمين العام للجنة العليا للدعوة الإسلامية.

معاهد أزهرية جديدة

- افتتح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف مجمع الشيخ زايد النموذجي الأزهري بمدينة الشيخ زايد بالسادس من أكتوبر وقد ألقى فضيلته كلمة أوضح فيها أن هذا المجمع الأزهري يعتبر صرحا من صروح الأزهر الشريف لأنه يحافظ على حفظ القرآن الكريم وتعليم العلوم الشرعية والعربية إلى جانب المواد الأخرى التي يدرسها أبناء التربية والتعليم في المدارس ويدرس العلوم الحديثة مثل الكمبيوتر ومعامل اللغات مؤكدا على الشعار الذي يقول فيه «ليس بأزهري من لا يحفظ القرآن الكريم» وأشاد فضيلته بدولة الإمارات العربية المتحدة وتعاونها المثمر مع شقيقتها مصر وأزهرها الشريف في المشروعات التعليمية، ومشيدا بالعلاقات الودية الطيبة بين السيد الرئيس محمد حسني مبارك رئيس الجمهورية وبين سمو الشيخ زايد آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة، وقام فضيلته بتوزيع الجوائز المالية والتقديرية على الطلبة المتفوقين في حفظ القرآن الكريم والمواد الأخرى وعلى شيوخ المعاهد المسئولين عن العملية التعليمية.

ترقيات

● أصدر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر القرار رقم ٤٣٨ لسنة ٢٠٠٢ بالموافقة على إسناد وظيفة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية إلى فضيلة الشيخ / شوقي حسن نويجي.

● كما أصدر فضيلته القرار رقم ٤٥٦ لسنة ٢٠٠٢ بندب فضيلة الشيخ / محمود إبراهيم درويش للقيام بعمل وكيل قطاع المعاهد الأزهرية لشئون المناطق.

***

Abu Sufyan told him that he neither tell lies nor betray others. Hercules said: "For what did he call?"
Abu Sufyan told him that he bids people to worship Allah Alone with no associate, and abandon our fathers' beliefs. He orders us to keep up prayer, honesty and maintain strong family ties".[1] The testimony, which the archenemy of the Prophet gave, left Hurcules wonder-struck.

Do you find that there is a testimony greater than this? The situation is critical and the questioner is a king of power and authority asking a spiteful man whose answer reveals the full conviction in the truthfulness of Muhammad's Prophethood. Do you find an ideal messenger greater than the Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, and is there a testimony truthful than this? There is no testimony in the history of the great similar to it.

things) they say; yet surely they don't cry lies to you, but the unjust (people) repudiate the signs of Allah》.

[Al-Anam (Cattle): 33]

When the Prophet received Allah's command to call his relatives to Islam and warn his kinsmen the nearest kin, he climbed the mountain and called: "O Quraysh, when they gathered he said: "You see, if I were to tell you that there were some horsemen in the valley planning to raid you, will you believe me? He said: "I am: I'm a warner to you before a severe torment". Abu Lahab promptly replied: "Perish you all the day! Have you summoned us for such a thing?" The verses were immediately revealed on that occasion:

《Would the hands of Abu Lahab be cut up, and would he be cut up (too)! 》 **[Al-Masad (Palm-Fibers):1]**

When the Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, sent a letter of call to Hercules, king of Rome. Incidentally, Abu Sufyan Ibn Harb, who by that time had not embraced Islam, was summoned by Hercules to ask him many questions about Muhammad and his call. Abu Sufyan's testimony went as follows:
Hercules asked Abu Sufyan about Muhammad's descendence.
Abu Sufyan told him that he descends from a noble family.

Hercules said: "Did any one of his family assume kingship?"
Abu Sufyan told him that no one of his family assumed kingship.
Hercules said: "What is the character of his followers?"
Abu Sufyan told him that his followers are those deemed weak with numbers ever growing.
Hercules said: "Did he tell lie or betray?"

No one, however, dared to say something regarding his morals or hurl him with treachery or attribute lying in speech or breaking promise to him. Whosoever claimed prophecy and said Allah has revealed to me, he claimed infallibility and innocence from all causes of corruptions and evils. Was not it suffice that Quraysh's reply to the Messenger mentioning matters untruthfully done by the Prophet and testifying that he broke promise or being treacherous in their riches or belying them in something said to them? Quraysh spent their property and sacrificed themselves in fighting him till a lot of them had been killed and wounded, but they couldn't stain or brand his great manners. All the Prophet's conditions, affairs and guidance are apparent and well known to the people, his enemies and lovers and every thing was revealed to them. One day, Quraysh's leaders met together in their council, among them was Al-Nadr Ibn Al-Harith who was a dept and sophisticated and knowledgeable of experiences, then the Prophet was mentioned, and he said to them: "O Quraysh, Muhammad's matter had troubled you, and you failed to make up an opinion regarding him. Muhammad had been brought up among you till he reached maturity of age. He was the most beloved, truthful and honest man to you, so when he displayed his matter on you, you accused him of magic, poetry and insanity. I swear by Allah that there is nothing of what you had mentioned in his speech".

Abu Jahl was an archenemy to the Prophet. He said to him one day: "O Muhammad, I will not say that you are a liar, but I deny what you had come with and called for. Then, Allah revealed this verse:

﴿We already know that surely it indeed grieves you (the

The Real Grace Is The Enemy's Testimony

A part of a lecture delivered (in Arabic) by:

The Islamic caller: S. S. An-Nadwi

I would like to attract your attention to another matter: The messenger, may the blessing and peace of Allah be upon him, didn't spend all his lifetime among his companions. He spent forty years in Mecca before mission. In Mecca, there were the polytheists of Quraysh. The Prophet transacted and dealt with them in all life affairs by day and night. This is the daily life, including give and take, which can reveal one's manners so that people can know its corruption or goodness. It is a life of long way, many curves and rough tracks intercepted by depressions made by man including treachery, breaking promise, eating up the riches of people untruthfully, hurdles of trick, treason, giving insufficient measure, denying rights, and breach of promise.

The Messenger, may the blessing and peace of Allah be upon him, transcended all these thorny roads sound and pure not tainted by what afflict the common people, to the extent that they called him the truthful and trustworthy. After the Prophet's mission and claiming prophecy, Quraysh saved their riches and deposits with the Prophet due to their great confidence in him. In realty, you know that when the prophet migrated to Mecca, he left Ali Ibn Abi Taleb in his place to repay deposits to its people. Quraysh was at intense enmity with him and left no stone unturned: They boycotted, repelled him from his path, and threw the entrails of an animal on his back during prayer, throwing him with stones, called him poet and witch, refuting his opinions.

on the day of Badr, blaming them on denying knowledge about the Prophet and inevitably he is triumphant over them and the victory to his religion is imminent, by Allah, you had known that vindicating him is a duty. They justified their situation as that day corresponds to Saturday, chiding them saying: "There is no Saturday for you". Since it had been superceded by the successive Shariah coming after Musa. He recommended as saying: "If I become afflicted, I donate my riches to Muhammad doing whatever he wills". He fought on Uhud's day and was honored by martyrdom, the Prophet attested to him as saying: "Mukhayreeq is the best of Jews".

Part of Inimitability Signs

One of inimitability signs Allah, glory be to Him, guided people to Islam who embraced various sects and creeds, among them were the worshippers of idols, deniers, worshippers of fire and others belonging to the People of the Book (Bible and Gospel). Besides, the difference of tongues, colors, homelands, cultures and races, among them was the Persian, Roman, Sudanese, Abyssinian, Arabian and Israeli. This is the miracle of his call as Allah said:

﴾Surely I'm the Messenger of Allah to you altogether.﴿

[Al-Araf (The Battlements): 157]

The nascent state established a humanitarian community under the banner of the Messenger. People of all races still entering the religion of Allah in troops, and praise be to Allah, The Lord of worlds.

They were scorned by the context of the Qura'n due to their bad course in life, since most them retreated from embracing Islam being proud and envious that the message being in Bani Isma'il Ibn Ibrahim and not in the ancestors of Bani Yaqu'b Ibn Ishaq Ibn Ibrahim; this is the devastating pride and killing envy.

Fulfilling covenant and a small piece about the elite

A lot of dignitary and venerable religious leaders from Seeds of Israel fulfilled Allah's covenant, including: Abd Allah Ibn Sallam from the offspring of Joseph, may Allah be pleased with him, who said to his aunt on the day of the prophet's advent, he is the brother of Musa Ibn Imran, Allah pay tribute to him in the Qur'an, since he admonished the Arab polytheists saying you know that he is the messenger of Allah sent to people with the truth in order to deter them from their pride and arrogance, Allah, glory be to Him, said:

﴿Say, "Have you seen that in case it is from the Providence of Allah, and you have disbelieved in it, and a witness from among the Seeds of Israel testifies to its like, and has believed, and you wax proud. Surely, Allah doesn't guide the unjust people.﴾ **[Al-Ahqaf (The Sand-Dunes):10]**

This noble verse included praise to the people of knowledge applying it, and those who are humble for the sake of Allah and comply under the banner of the Messenger, with despising disbelief and aggression and incorrect meditation in pursuit of right.

The generous jurist martyr, Mukhayreeq, one of Bany Thalaba. He is well remembered when he blamed his clan from the Seeds of Israel for not supporting the messenger, may the blessing and peace of Allah be upon him, and believing in him when Mecca's polytheists mobilized their power to take revenge

believe in the Arab illiterate Prophet. Every adult male or female has to believe in the prophet, be under his banner, vindicate his religion and follow his Sunnah; whosoever is reluctant, he is from losers.

In the light of glad tidings

In the light of glad tidings, signs and indications, history witnessed a great movement of announcing glad tidings that he is about to appear, the seal of all prophets and messengers. The monks and rabbis started talking about him and looking eagerly to his advent and break his dawn.

Therefore, immense number of the People of the Book came to Syria and parts of the Arabia asking and searching for news and talking about the prophet's near coming, whose name and characteristic of time mentioned in the verses of the Divine revelation.

If dispute intensified between the Seeds of Israel in Yathrib and the adjacent quarters and the Arab poletheists from Al-Aws and Al-Khazraj, they menaced them with the prophet's imminent coming and as soon as he appears, they will believe in him since he is the brother of Musa Ibn Imran, so that they would become impregnable power making them worthy of victory over the Arab polytheists.

Allah mentioned their story in Surat Al-Baqarah (The Cow):

﴿And as soon as a Book came to them from the Providence of Allah, sincerely (verifying) what was with them-and they aforetime prayed for an opening over the ones who disbelieved-yet, as soon as there come to them what they recognized, they disbelieved in it; so the curse of Allah is on the disbelievers.﴾ **[Al-Baqarah (The Cow): 89].**

and kindness, they see for the first time that there is no authority for self over another self, there is no self shall has benefit or harm to another self and there is no self shall be encumbered by the encumbrance of another self. Every man shall be pledged for whatever he has earned and responsible before Allah. Allah needs neither intermediary nor intercessor between him and his servants to be merciful for them. Allah knows their secret and private conference. He sees whatever is overt or covert of their affairs. If the servant said: "O My Lord". Allah will say: "My servant, here! I'm at your service!"
The Islamic conquest was mercy, light and complete blessing.

A Light from Zamzam

Before mission, Khaled Ibn Said Ibn Al-Ass saw a light emanated from Zamzam will lit to him till Yathreb's dates appeared to him. He related it to his brother, Amr, who said to him that the wall was dug after being effaced. This light will issue out from the household of Abd Al-Mutalib.

This light spurred Khaled Ibn Said to embrace Islam. After migrating, he embraced Islam following Abu Bakr. He was ranked as the third, the fourth or fifth among the outstrippers. He migrated with his brother Amr and their wives to Abyssinia, may Allah be pleased with them.

A light from Bible and Gospel

It is the glad tidings about his character, may the blessing and peace of Allah be upon him, that he is about to come and the signs of his birth through the Divine revelation to all Prophets, Messengers and the Heavenly Books including Bible and Gospel.

Allah, The Lord of heavens and earth and The Sustainer of all creatures, took pact with the Prophets and Messengers to

are not called terrorism in his custom! It is wonderful that all these war crimes and atrocities made him in the sight of U.S. president, George W. Bush, a peace man and how the Palestinian president, sieged by troops armed to the teeth and intimidated by launching missiles against his headquarters, be asked to stop terrorist acts.

﴾And definitely let not the ones who have disbelieved reckon that We reprieve them only (because) it is charitable for themselves; surely We only reprieve them that they might increase in vice, and they shall have a degrading torment.﴿

[Al-Imran (The Household of Imran): 178]

The Sun Of Guidance Lit The Universe

By: A. M. Tahoun

He is the light that shined upon the world and brought as good tidings by Prophets. People were eager to a new dawn as Amina daughter of Wahab said: "When Muhammad was born, there was a light that issued out of my pudendum and lit the palaces of Syria".

Ibn Ishaq said: "A group of the Prophet's companions, may the blessing and peace of Allah be upon him, said to him: "O Messenger of Allah, tell us about yourself?" He said: "I'm the invocation of my father Ibrahim and the glad tidings of my brother Isa, and when my mother was pregnant, she dreamt that a light got out and lightened the palaces of Syria".

This light symbolizes the universality of his message, as Allah has given him the conquest of countries to which the Islamic Caliphate was moved in Bani Omya's era. The callers to Allah and conquest armies flowed from these countries till they reached the Mediterranean shore from the European side, encompassed it from both sides. People were cheerful about the blessings of the call to prayer in Muslim Spain, Sicily, France and Italy. People also knew the light of knowledge and the Qura'n's guidance. They were reassured by justice, humbleness

﴿ Whenever they kindle fire for war, Allah will extinguish it and they endeavour (diligently) in the earth doing corruption; and Allah doesn't like the curruptors﴾ **[Al-Maidah (The Table): 64]**

By Dr. Ibrahim Al-Assil

Genocide war, launched by Ariel Sharon using all kinds of sophisticated weapons, all sorts of killing, mutilation and demolition of houses over the heads of their residents, is directed to armless young men, children, women,and eldrly people. Not only did he use tanks, F 16 fighters, helicopters, mortar artillery, missiles and bulldozers to demolish houses and infrastructure, but also to tear the bodies of martyrs into remainders and bury them in the bowels of earth in order to hide his cruelty.

In addition, he prevents ambulances from performing its humanitarian role towards the wounded and injured, depending on U. S. absolute support. The world views daily on T.V. the demolished buildings over the heads of their owners, mutilating young men, sieging them, including Palestinian authority men, topped by the Palestinian president Yaser Arfat. The siege includes preventing the blockaded from food, water and separating them from the external world.

It is wonderful that all these acts, contrary to the simplest principles of civilization and religions, are encouraged by the majority of the Israeli people, including religious leaders claiming adherence to the Bible texts, about which Allah, glory be to Him, said:

﴿Wherein there is (a) guidance to and a light.﴾

[Al-Maidah (The Table): 44]

Sharon attempts to deceive the world and his people through branding the defense about rights and uprising against occupation and injustice as terrorism, while what he does is not terrorism. Such acts as demolition of buildings, arresting young men blindfolded and severely beaten, leaving the wounded bleeding till death and preventing the sick and the pregnant women from reaching hospitals

AL-AZHAR MAGAZINE
Rabee'a Awwal 1423 A. H

ENGLISH SECTION
MAy. 2002

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾
الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity) : never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."
(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL, Ph.D.
Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

الفهـــرس

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومي

مدير التحرير

الطاهر محمد الطاهر الحامدى

سكرتير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / م. نصر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

داخل العدد

الاشتراك السنوى

- داخل مصر .... ١٨ جنيها مصريا
- الدول العربية .... ٥٠ دولارا أمريكيا
- أوربا وأمريكا .... ٨٥ دولارا أمريكيا
- اليابان وشرق آسيا .... ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة
☎ ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

افتتاحية العدد

النص القرآني

﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾(١).

نقرأ بعض الدراسات التاريخيّة التي تمتُّ إلى كتاب الله، إذ تحدث القرآن عن فحواها، مما يجب أن يكون منطقا فصلاً لا جدال فيه، فلا تجد ما يدل على أن الباحث قد بذل جهده في إيضاح الحقيقة على وجهها الذى جاء به القرآن الكريم بل تراه وهو المسلم العربى يذكر عدّة روايات تخالف ما جاء في الذكر الحكيم، ويترك المسألة دون حسم، بل يترك القارئ غير البصير في حيرة مما يقرأ، لا يدرى إلى أى منحى يتجه، إذا لم يكُن لديه من الحصانة الإسلاميّة ما يرُدُّ عنه الأوهام المتخيلة، وأنت تحار في تعليل ذلك النهج المريب، إذ لو صحّ أن يُسلَك من قوم يضطغنون على الإسلام فإن اضطغانهم عليه يفضح ما يقومون به من تدليس، أما أن تكتب البحوث التاريخيّة ذات الاتصال الأكيد بنصوص القرآن، ثم تبتر النتائج بترا، أو تلوى المقدمات ليا، لتدع القارئ في مهب الريح، فهذا ما ينكره أسلوب البحث النزيه، لأن حقائق القرآن ثابتة أكيدة، وما عرفنا في كتاب الله نصا واحدا يجانب الصواب الواضح، حتى نتهرب عامدين من ترجيح النص الكريم، وإبطال ما عداه، لاسيما إذا كان لدينا الدليل الحاسم من الآثار الشاهدة، المنقوشة على الجدران، والتى لم تستطع الدهور المتطاولة أن تطمس حقائقها المتفقة مع ما ينطق به كتاب الله، نقول هذا لمن يترددون في التصديق من غير المسلمين، أما الباحث المسلم فلا مجال لديه للانتظار حتى نعثر على أثر قديم، لأنه يعلم يقينا أن كتاب الله:

﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾(٢).

---

(١) النمل: (٢٢).　　(٢) فصلت: ٤٢.

ى هو الفيصل

مثل كاشف

تعلم جميعا أن سبأ مملكة يمنية من بلاد العرب السعيدة، وأن ملكتها قد زارت سليمان -عليه السلام- وقد حكى القرآن الكريم في سورة النمل حديث هذه الزيارة وما انتهت إليه من إسلام الملكة بعد اقتناع، إذ تسلسلت الأحداثُ مبتدئةً بغيبة الهدهد عن موضعه، حين تفقد سليمان الطير فلم يجده، فسأل عنه متوعدا، ولكنّ الغائب قد جاء بخبر جديد عن سبأ، إذ رأى الهدهد امرأة تملك الناس، وقد أوتيت من كل شئ حظا، ولكنها كقومها يعبدون الشمس من دون الله، وهذا ما شغل سليمان فبعث إليها بكتابه يدعوها إلى مملكته مسلمة طائعة، ولم تكن بلقيس ذات استبداد وتفرد، فجمعت قومها لتقول لهم : ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون، وطبيعي أن يُبدوا استعدادهم للدفاع، ولكنّ الملكة الحازمة آثرت السّلام فأرسلت بهدية ثمينة إلى الملك الحكيم، ظانة أنها بهديتها، تمنع الشقاق، ولكن سليمان كان يصر على أن ينقذ سبأ من الشرك، فحذر وتوعدّ بجنود لا قبل للقوم بها، فأذعنت لمشيئة الملك، وحضرت إليه لترى وتسمع ما أقنعها بضلالها فقالت :

﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(٣).

هذا بعض ما أشار إليه القرآن من حديث بلقيس، وقد أكدت الآثار السبئية حقائقه بما سنشير إليه بعدُ، وما أظنّ باحثا صادق النّظر، يرى الأثر الشاهد، ثم يلجأ إلى الإنكار، فإذا

---

(٣) النمل: ٤٤.

كان الباحث مسلما، وألم بالقصة في كتاب الله، وما بسطه المؤرخون في الكتب الثابتة، وتأكد مما سجلته النقوش منذ عشرات القرون، فليس له أن يترك الأمر دون ترجيح.

ولكننا نرى الباحث يذكر الرواية الإسلاميّة، ويصفها بالرواية العربيّة ليقرنها بأسطورة تزعم أن ملكة حبشيّة جاءت من أفريقيا إلى أورشليم، لتزور سليمان، ومُوجَزُ هذه الأسطورة التي سردها الباحث مُسْتَرَدّ التاريخ الواقعي الذي لم يُزخرفه الخيالُ الواهم، أنّ ملكة إثيوبيا كانت ذاتَ حظ باهر من الجمال، وأنها سمعت من البحّارة الذين يترددون على أورشليم بحكمة سليمان وعظمة سلطانه، وكان لها من ثرائها الطائل وإبلها القوية وسفنها الواسعة التي تُكون أسطولاً بحريًا ضخمًا ما حبب إليها أن تزور سليمان، حاشدةً ما يبهر من الخيول والبغال والإبل محملة بغرائب الهدايا ونفائس الأعلاق، وقد رحّب بها سليمان أبلغ ترحيب، وأفرد لها جناحا خاصا في قصره، وجعل يكثر من زيارتها متحدثا بما أنعم الله عليه من السلطان إذ عرف منطق الطير، وملك أمر الريح، وسخر الجن والشياطين لبناء هيكله، ثم تزوجها وأنجبت منه ولدا أسمته (منيليك) ومعناه ابن الحكيم وقد شب في كنف والده فتعلم منه الحكمة حتى إذا اشتد عوده رجع إلى الحبشة ليكونَ ملكاً بعد وفاة أمّه، ومن نسله جاءت الأسرةُ الحاكمةُ في الحبشة التي كان آخر ملوكها الإمبراطور هيلاسلاسي، وقد جاء في نفس الدستور الإثيوبي – لعهده – أنّه من سلالة سليمان الحكيم ابن داود، من سبط يهوذا، وهو الأسد القاهر المختار من الرب، ملك ملوك إثيوبيا!

هذه خلاصة مركزة لما ذكره الباحث، عقب الرواية الأولى وقدْ تركَ الأمر دون تعقيب!! فهل كان يظن أن الأسطورة المُلفقة، تقفُ مع النّص القرآني في مستوىً واحد، وإذا جاز لمن كتبوا سير ملوك الحبشة أن يبتدعُوا من الأوهام ما يشاءون، أيجوز لنا أنْ ننظر إلى النص القرآني وكأنه تأليف بشريّ يخطئ ويصيب!

ضباب كثيف

على أن ما ملأ به الباحث كتابه من شكوك متكرّرة في أكثر ما بأيدينا من تاريخ اليمن، يُلقي ضبابا كثيفا يغمر الحقائق الثابتة، فمن الجائز أن تكون المصادر العربيّة لم تستوف هذا التاريخ في عصوره البعيدة، شأن أكثر التواريخ في العالم القديم ومن الجائز أن يكون فيما كُتب عن هذا التاريخ البعيد تضارب يقذف بالحيرة الشديدة في نفس من لم يألف هذا التضارب المتكرّر في الروايات المتناقضة، ومن الجائز أن يصح قول ابن خلدون في مقدمة الجزء الأول من تاريخه أن من الأخبار الواهية ما ينقله المؤرخون عن أخبار التبابعة إذ

كانوا يغزون بلاد البربر بأفريقيا، وأنهم امتدوا بالغزو إلى أقصى بلاد الصين، ودوّخوا بلاد الروم، لأن وقوع اليمن بين بحر الهند من الجنوب، وبحر فارس من الشرق وبحر السويس من الغرب، مما يبعد أن تنتقل الجيوش إلى أفريقيا وأقاصي آسيا دون أن تحتل ما تزحف عليه من الممالك، ولم ينقل أحد من مؤرخي هذه البلاد أن التبابعة قد عبروا بها فضلا عن أن يملكوها!

أقول من الجائز أن يكون ما ذكره ابن خلدون[٤]، وأكدّه الأستاذ نيكلسون فيما بعد صحيحا لا لبس فيه، ولكن ذلك كلّه بعيد كلّ البعد عن الحقائق الثابتة فى تاريخ سليمان وبلقيس، وما قامت به الملكة المسلمة من رحلة استكشافية انتقلت بها من الكفر إلى الإيمان، وقد كان انتقالها من سبأ لا من الحبشة حيث يمتد الطريق فى الجزيرة العربيّة بين صنعاء وأورشليم، دون أن توجد العوائق التى أشار إليها ابن خلدون فى حديثه عن التبابعة! وأين حديث التبابعة من حديث بلقيس! فهذا الضباب الذى يثيره الباحث حول التاريخ اليمنى، لا يعصف بالحقائق التى تسطع فى نور الشمس واضحة سافرة، وإذا كان التاريخ فى عصره القديم قد تعرّض لتزيّد، فليس جميعه ملفقا أو حتى القصص الخياليّة، ولكن منه ما يستعصى على الهدم، وما يخضع للشك والتوهين.

ليسوا وحدهم

على أن العرب ليسوا وحدهم الذى دوّنوا تاريخ اليمن القديم، فنحن نعلم أنّ المؤرخ اليونانى استرابون قد كتب فصلا رائعا عن مدن العرب، وهو من أوائل من أسموا بلاد اليمن بالبلاد السعيدة، ذاكرا ما حفلت به قديما من الرفاهية والازدهار الحضارى حتى أن اليمنيين كانوا يحرقون الأعواد الفواحة فى الوقود ذات الرائحة الجذابة بدلا من الأعشاب، كما أن بطليموس المؤرخ الجغرافى قد خصّ هذه الربوع بتفصيل شافٍ لما أجمله استرابون، وتوالى المحدثون من الرحالة الأوروبيين كى يكتشفوا الآثار فى مأرب، ومنهم من نقل كثيرا من الألواح والأحجار لتجد مكانها فى المتاحف الأثرية شاهدة بالحضارة السبئية، وقد تحدث (ارنود) سنة ١٨٤٣ وهاليفى (١٨٦٠) (وجلازر) سنة ١٨٨٠ عن آثار بلقيس، وعن الأودية العظيمة التى قام حولها سد مأرب ليحفظ المياه، إذ رأوا آثار السد، ورسموا موقعه، ووصفوا ما غمره من الأتربة بعد تقادم العهد، وفى متحف (ترمى) بروما كثير من آثار السبئيين، وقد أفردت كتب أوروبية تحدثت عن آثار سبأ، حيث يضيف التالى

---

(٤) الجزء الأول من المقدمة ص١٢.

لسابقه جديدا مما يتمخض عنه الكشف العلمي، إلى أن ظهرت جريدة الأهرام بتاريخ ١٤/١٠/١٩٨٣ معلنة عن الكشف الجديد عن معبد بلقيس ناقلة صورتين للمعبد والسّد وذلك تحت عنوان جهير يقول: (آثار سبأ تتأكد بالدليل المادي كما وردت في القرآن الكريم) وقد أكدت هذه الآثار رحلة بلقيس إلى بيت المقدس، وعبادة السبئيين للشمس قبل أن يهتدوا لعبادة الله، فماذا عسى أن يقول من يتجاهلون الحقائق، وقد أيدت بالدليل، وإذا كان أباطرة الحبشة يجدون في انتسابهم إلى بلقيس وسليمان الحكيم، ما يثبت عراقتهم الأصيلة في حكم أثيوبيا، فيؤكدون أسطورة لا تنهض على أساس ما، فإنما يكون من حق المؤرخ أن يكشف الرغوة عن الصريح.

سد مأرب

يرجّح كثير من المؤرخين والمفسّرين معا أن بلقيس هي التيّ أشارت ببناء سد مأرب، إذ عمدت إلى الجبال المنفرجة ذات الشعب، فأقامت السدود الحائلة دون تدفق المياه وضياعها في القفار، لتظل زاخرة وراء السدود، وقدْ أقيمت على هيئة أبواب ثلاثة بعضها فوق بعض، فيُفتح الباب الأعلى عند ارتفاع المدّ، ثم يفتحُ الباب الثاني عند توسّطه، فإذا انخفض المستوى فُتح الباب الثالث، فاستمرت المياه بهذا الترتيب على مدى العام، حتّى تسقط الأمطار في العام التالي فتتكررُ الدورة دون انقطاع، هذه السدود لها آثارها الباقية إلى اليوم، وقد أخذتْ لها المصّورات المتعددة لتتحدثَ عن تاريخها الغابر، ولولا ما أحدثه السدُّ من ازدهار حيوي ما كانت سبأ في ماضيها الغابر ذات حدائق ومروج تصديقا لقول الله -عز وجل:

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾(٥).

والجنتان هما الضفتان المتقابلتان على ضفاف السدّ الممتد، فكلُّ ناحية تُعتبر جنّة قائمة بذاتها، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ثم مضت بلقيس، وتقلّبت الأيام بالسدّ فلمْ يقو على الصّدع المتوالي بقوة المياه الزاخرة، ولو وُجِدَ من أرباب الحكم والعلم من رأبُوا الصّدُوع قبل أن تنهار لدام لهذه البلاد عمرانها الزاهر، ولكن ساكنيها قد أعرضوا عن الحق، وأهملوا الرعاية الحافظة فجاءهم سيل العرم ليشردهم في البلاد النائية أيدي سبأ، ولعّل المناسبة واضحة جليّة بين هذه الآيات المتحدثة بقول الله - عز وجل:

---

(٥) سبأ: (١٥).

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ﴾،

وبين ما سبقها من حديث سليمان - عليه السلام - إذ قال الله - عز وجل:

﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ﴾(٦).

إلى قوله عز وجل:

﴿ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾(٧).

لأن سبأ المزدهرة العامرة في عهد بلقيس كانت ثمرة من ثمار نبيّ الله سليمان، حيثُ انقذهم من عبادة الشمس وهداهم إلى الإسلام، فاستطاعت الملكة المؤمنة أن تؤدي دورها العمراني واثقةً من فضل الله ورعايته، فلما تحدثت الآيات السابقة عن سلطان سليمان، توالى الحديث القرآني عن سبأ التي سعدت بالإيمان على يده، فازدهرت وأينعت، ثم حادت عن السبيل بعد أمدٍ ما فلاقت سوء المصير، وهذا ما ينطق به قول الله:

﴿ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾(٨).

ولنا بعد هذا كله في حاجة إلى أن نقول إن حديث الملكة الحبشيّة من أساطير الأولين.

د. / محمد رجب البيومي

---

(٦) سبأ: (١٢).
(٧) سبأ: (١٤).
(٨) سبأ: (١٦، ١٧).

الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف

- كلمة السيد رئيس الجمهورية
- كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
- كلمة فضيلة الأستاذ الدكتور وزير الأوقاف

إعداد: أحمد تقى الدين

كلمة الرئيس محمد حسنى مبارك فى الاحتفال بالمولد النبوى الشريف



فى ذكرى الاحتفال بالمولد النبوى الشريف وجه السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية كلمة إلى الأمة الإسلامية أكد فيها أن العالم اليوم أحوج ما يكون إلى الرسالة الإسلامية العظيمة وأنها العاصم الوحيد للبشرية من أهوال الصراع وويلات الحروب وظلم الأقوياء للضعفاء.

وفيما يلى نص الكلمة التى ألقاها سيادته:

العلماء الأجلاء

الأخوة والأخوات

فى هذه الليلة المباركة، يطل من جانب الأفق نور وضياء.. حينما تحل على أمتنا وعلى العالم كله ذكرى نبى كريم، بعثه الله رحمة للعالمين، وجعل منه أسوة لجميع المؤمنين.. ينهلون من سيرته العذبة، ويلتمسون الهداية والرشد بمتابعته فى أحواله كلها.. فى السراء وفى الضراء، وفى اليسر والعسر على السواء.

وقد اعتدنا - نحن المؤمنين بالله وكتبه ورسله - اعتدنا أن تكون لنا مع هذه الذكرى فى كل عام وقفة، تتجدد معالمها بتجدد التحديات التى تواجهنا، وتتواصل فيها الآمال الكبيرة التى تملأ عقولنا وقلوبنا فى حياة أفضل ملؤها المحبة والإخاء، تقوم على العدل والانصاف والتساوى فى الحقوق والالتزامات، وتسعى لتحقيق الترابط بين الأمم والمجتمعات وللحيلولة دون دعاوى الكراهية والبغضاء، فى إطار من الإيمان الصادق بالرسالة السامية التى حملها لنا رسولنا الكريم، والوعى المتجدد بخصوصياتنا الدينية والثقافية والتاريخية، التى تشكل رصيدنا القومى الذى نسهم من خلاله فى إثراء التعاون والتكامل بين أبناء البشرية جمعاء.

وقد حرصنا فى كل عام على أن تكون لنا وقفتان لاتنفصل إحداهما عن الأخرى.. وقفة مع صاحب هذه الذكرى النبى الكريم ﷺ، الذى أدبه ربه فأحسن تأديبه، ثم شهد له بالكمال الإنسانى فخاطبه قائلاً:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾.. ووقفة أخرى مع الرسالة الإسلامية العالمية الخالدة التى جاءت رحمة للناس وتخفيفاً عنهم، وترشيداً وهداية لمسيرة الإنسانية كلها مصداقا لقوله تعالى:

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾.

تلك الرسالة التى حملت نداء إلى كل الأمم والشعوب أن:

﴿ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾.

كلمة نتعاهد فيها جميعا على الإيمان بالله وكتبه ورسله، لا فرق بين أحد من رسله، وعلى أن نقيم العدل وننشر الرحمة، ونجنح للسلام ونتعاون على البر والتقوى ونقف صفا واحدا ضد الظلم والإثم والعدوان.

فأما النبى الكريم الذى نحتفل بذكرى مولده فحسبنا أن نشير من سيرته إلى أمور ثلاثة:

أولها إيمانه بربه واطمئنانه إلى صدق وعده، وثقته التى لاتهتز أبدا بنصره وتأييده حتى فى لحظات الشدة واليأس التى تدعو عامة الناس إلى الشعور بالإحباط واليأس.. فها هو ﷺ يريد بقومه خيراً ورشداً فيذهب إليهم مبلغا رسالة ربه ناشراً دعوته الإنسانية الكريمة، فلا يلقى منهم إلا صداً وأذى وإهانة، فيرفع يديه مناجيا ربه فى ساعة الشدة، شاكيا ضعف قوته، وقلة حيلته، وهوانه على الناس، فيعززه الله بقوة من عنده ويفتح له السبل والحيل لنشر دعوته، وينصره على من عاداه، ويعز به دين الإسلام ويضعه فى أعلى الدرجات.

ومع هذا الصبر على المحن والشدائد كانت العزيمة التى لا تلين والإصرار على الحق الذى يرتفع فوق دواعى الضعف وإغراء القوة فقد كان «ﷺ» مثالا للقائد صاحب الرسالة لايقاتل طلبا لمغنم أو استعراضا لقوة أو استعلاء على الآخرين ولذا لم يدركه الغرور فى ساعات النصر فنراه عام الفتح داخلاً مكة التى آذته وأخرجته يحف به جيش من عشرة آلاف من المسلمين فيمنح أهل قريش الأمان والسلام ويعلم أصحابه الا



يصفون هذا اليوم بأنه يوم الملحمة الذى اذل الله فيه قريشا وإنما يصفونه بأنه يوم المرحمة الذى اعز الله فيه قريشا.

وثاني مانشير اليه من أمور أنه «ﷺ» كان نبيا يوحي اليه وكان - مع ذلك - قمة في الإنسانية تمتلىء حياته بكل ماتمتلىء به حياة سائر الناس من يسر وعسر ومن راحة وعناء ومن حزن وفرح ومن علاقات بأهلة وعشيرته فقدم لنا المثل والقدوة الحسنة وترك لنا دليلاً إن اتبعناه صلحت أمورنا وتعاظم شأننا وتعاظم معه شأن الإسلام والمسلمين .. وبهذه البشرية اقتربت سيرته الطاهرة من عقول المؤمنين برسالته ومن قلوبهم فسهلت عليهم اتباعه والتأسي به ولذلك لاتزال سيرته الشريفة تعيش حية بيننا ولاتزال أقواله وافعاله تمس شغاف القلوب .. فإذا قابلتنا في حياتنا الصعاب وأحاطت بنا المتغيرات رجعنا إلى سيرته نتخذ منها الأسوة ونجد في إرشاده القويم الأنس والأمن والسكينة والثقة بالله وبالنفس.

أما الأمر الثالث في سيرته العطرة أنه كان ميسراً ومبشراً في الأحوال كلها فلم يأمر أحداً بما يجاوز قدرته أو يزيد عن طاقته .. ودعا أصحابه إلى أن ييسروا ولا يعسروا وأن يبشروا ولاينفروا وعلمهم أن يأخذوا من الأعمال مايطيقون .. وقد جمعت عائشة رضى الله عنها هذا التوجه النبوى الكريم بقولها : «ماخير رسول الله بين أمرين إلا اختار أيسرهما مالم يكن إثماً» .. ولعلنا والإسلام من حولنا تشوه صورته وينسب إلى أهله واتباعه التشدد والعنف وإكراه الناس على مالا يريدون لعلنا أن نبرز للناس من حولنا هذه القيمة الإسلامية العظيمة قيمة التخفيف عن الناس والتيسير عليهم حتى نعطى الصورة الصحيحة عن الإسلام ويقبل المسلمون على الحياة برؤوس مرفوعة وقلوب مطمئنة وثقة بالنفس تعزز من وضعهم بين الأمم والشعوب وتعطيهم القوة والمنطق اللازمين لكى تستمر الحضارة الإسلامية في احتلال مكانتها المرموقة بين الحضارات.

الرسالة الخالدة

أيها العلماء الأجلاء

الاخوة والأخوات

أما الرسالة الخالدة التي انزلت على صاحب هذه الذكرى فهي رسالة السماء إلى أهل الأرض حملها عبر التاريخ موكب قدسي مهيب من الانبياء والرسل كلهم يقول لقومه أن اعبدوا الله مالكم من إله غيره وكلهم يأمر قومه بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهاهم عن الفحشاء والمنكر والبغي وهي أمور عظيمة جمعتها آية قرآنية واحدة صلحت ولاتزال صالحة لبناء مجتمعات انسانية فاضلة تحكمها قيم إنسانية رفيعة.

ومعاذ الله - أيها الاخوة والاخوات - ان تقف هذه الرسالة اليوم في موقف الدفاع او يقف اتباع رسولها الكريم موقف الاعتذار.. كيف وهي رسالة تحمل الخير كله وتقيم العدل كله وتنشر السلام كله وتعلم الاولين والآخرين انهم جميعاً لآدم، وانهم لايتفاضلون بينهم بجنس أو لون أو مال او جاه، وإنما يتفاضلون بالتقوى وبما يقدمه بعضهم لبعض من عون.

نحتاج إليها اليوم

وما نظن الدنيا كانت في يوم من ايام تاريخها محتاجة إلى هذه الرسالة العظيمة حاجتها إليها اليوم، وقد نُسيت كلمات الله، وتجني عليها الجاهلون، وعمل على تشويه صورتها من لايرقبون في احد ذمة ولا عهدا.

وحسبنا أن نضع أمام أنفسنا وأمام الدنيا كلها أن هذه الرسالة الخالدة قد تفردت بأمور ثلاثة هي العاصم الوحيد للبشرية اليوم من أهوال الصراع وويلات الحروب وظلم الأقوياء للضعفاء.

تفردت بإعلانها وحدة الأصل الإنساني، وإلحاحها عليه في وجه محاولات الاستعلاء والهيمنة ودعاوى التفوق على الآخرين. وتفردت بإعلانها حقيقة التنوع والتعدد في الوجود الإنساني.. فالناس وإن كانوا جميعاً لآدم. فإن الله تعالى جعلهم شعوباً وقبائل، ولو شاء سبحانه لجعلهم أمة واحدة.

وتفردت بأن جعلت هذا التنوع والتعدد سبيلا لغنى التجربة الإنسانية ولثراء الحضارة الإسلامية، كما جعلت منه سبباً للتعارف والتفاعل والتعاون ودافعا للتنافس والتسابق على فعل الخير وأداء ما ينفع الناس.

وعلينا جميعا في الأمتين العربية والإسلامية أن نبرز هذه الحقائق الكبرى عن نبينا الكريم، وعن تفرد الرسالة الإنسانية التي حملها للدنيا، والتي لاتزال - وستظل - نحملها من بعده، دعاة للخير وللعدل والسلام، ودعاة للتعارف والتواصل، مؤمنين بأن العالم اليوم في أشد الحاجة إلى أن يرهف السمع لكلمات السماء، وأن يهتدى برسالات الأنبياء، خاصة وقد استولت على كثير من العقول دعاوى الطغيان الذى لايبرره

دين ولاتقره عقيدة، والذى يقوم على القوة والسلطة والهيمنة على الآخرين، وبعد أن أوشكت كثير من القلوب أن تبتعد عن قيم العدل والسماحة والمساواة، استغلالا لأوضاع وقتية، وتحقيقا لمكاسب دنيوية زائلة لن تلبث أن تزول مع زوال ما يساندها من عرض دنيوى زائف.

السادة العلماء:

لقد كان لنا لقاء مبارك كهذا اللقاء فى ليلة القدر من شهر رمضان الماضى، وكان من حديثى إليكم وإلى من شاركونا ذلك اللقاء دعوة وضعتها أمانة بين أيديكم، لنتأمل معا فى مضمون الخطاب الدينى الذى يتوجه به العلماء والخطباء إلى جماهير الناس وفى أسلوب ذلك الخطاب. ولست فى حاجة إلى أن أؤكد لكم - ولجماهير أمتنا العربية والإسلامية - أن هذه الدعوة تنبع من كوننا وحدنا أصحاب الحق الأول والأخير فى تحديد عناصر ثقافتنا وعقيدتنا وقيمنا استنادا لرؤية واضحة ومعتدلة لديانتنا الإسلامية ولسيرة نبينا الكريم، تبرز خصوصيتنا القومية التى مكنتنا عبر التاريخ من أداء دور إنسانى تنويرى انتفعت به سائر الحضارات، وتزيد من عمق الوعى الصحيح لدى كل مصرى وكل مصرية بالدين وبمقاصده وأهدافه الكبرى التى نزل بها وحى السماء، وتبرز أن اختلافنا عن الغير فى الدين أو الثقافة أو القيم لايعنى تلقائيا معاداتنا للآخرين، بل يعنى أهمية اتباع نهج رسولنا الكريم بالحوار معهم باستخدام العقل والمنطق، دون غلو أو تطرف فى إطار من تسخير التنوع البشرى لدعم قوى التفاهم والتعاون بين الديانات والحضارات.

وبذلك وحده يؤدى الخطاب الدينى الصحيح دوره المنشود فى بناء مجتمع مترابط قائم على التعاون والتكافل تسوده روح السماحة والمحبة ويسهم فى نشر الرسالة الخالدة لديانتنا الإسلامية السمحاء.

أيها الإخوة والأخوات..

فى هذه الليلة المباركة التى نحتفل فيها بذكرى مولد خاتم الأنبياء، ونحتفل معها بذكرى المصطفين الأخيار من رسل الله وأنبيائه عليهم صلوات الله.. نرفع أكفنا بدعاء ينبعث من أعمق أعماق القلوب.. أن يرفع الله من شأن أمتنا الإسلامية.. وأن يعزها فى مواجهة ما تتعرض له من افتراءات وادعاءات.. وأن يظهر الحق ويدحر الظلم والعدوان.. وأن يمنحنا القوة والعزم والإصرار على أداء الرسالة التى حملنا الله إياها يوم اختارنا لنكون من أتباع رسوله الكريم.

كل عام وأنتم وأمتنا كلها بخير وعز وسلام..

كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

وفي كلمته أكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر أن الإسلام يشجع العلم النافع لإعلاء قدر الفضائل، ويرفض استخدامه في الشر أو إذلال البشرية.

وطالب فضيلة الإمام الأكبر العرب والمسلمين بالتجمع حول قضاياهم ونصرة دينهم والتعاون بين بعضهم من منطلق أن أهل الباطل يتجمعون دائما حول باطلهم، لذلك فأهل الحق ـ عربا ومسلمين ـ لابد أن يكونوا يدا واحدة خاصة في ظل العالم الواحد والعولمة.

وقال: إن على المسلمين أن يدركوا طبيعة العصر الذي يعيشون فيه من صراع القوى والقوة، وأن يستعدوا بكل جدية للتعامل مع الغير بالعلم والمعرفة والقوة ـ أيضا ـ حتى يتحقق إعلاء كلمة الدين وتنهض الأمة.

وأكد أنه لا خلاف بين جميع الأنبياء والرسل عبر كل العصور والرسالات والأديان، ولكل دعوة ظروفها، وإذا كان هناك خلاف فهو في الفرعيات وليس في الأصول، وأن العقل هو الأداة الرئيسية في المعرفة من أجل توصيل الرسالة الصحيحة.

وطالب فضيلة الإمام الأكبر رجال الدعوة الإسلامية باتباع منهج التدرج في الدعوة في كل مراحلها وإخلاص العبادة لله، والتحلي بمكارم الأخلاق، وأن يكون ذلك درساً لكل الناس في حياتهم حتى تصبح مجتمعاتنا الإسلامية خير المجتمعات بالفعل وليس بالقول.

وقال: إن الشباب مطالب بأن يغضب لدين الله والحفاظ على المقدسات وذلك يحتاج منه إلى الفهم، وليس له أن يتعصب لأمر شخصي مستخدما سلاح الباطل.

وإن المسلمين حكاما ومحكومين مطالبون بعرض الإسلام على الدنيا كلها بشكله السمح وجوهره المستنير، وأن يخاطبوا كل مجتمعات الغرب بعقل وحكمة، والرد على تساؤلاتهم، بل واتهاماتهم للدين بوعي وفهم ومنطق وبلغة تناسب العصر.

وطالب فضيلته المسلمين في كل العالم بالتأسي بالرسول الكريم ﷺ في القول والفعل، ذلك أنه إذا كان المربي والقائد تقاس عظمته بمقدار تأثيره في أتباعه، فإن النبي ﷺ قد ربى أتباعه خير تربية جعلتهم بشهادة الله ـ عز وجل ـ خير أمة أخرجت للناس.

لقد ربى النبي ﷺ أتباعه على الصدق، لأن الصدق في الأقوال وفي الأفعال يدل على القوة في الذات، وفي السلوك، والصدق صفة من صفات الله ـ عز وجل ـ وصفة من صفات رسله الكرام، وصفة من صفات الرسول ﷺ، وصفة من صفات الأخيار.

لقد ربى الرسول ﷺ أصحابه وأتباعه على تحرى الحلال، والابتعاد عن الشبهات فضلا عن المحرمات، كما رباهم ﷺ على حسن الظن بالناس وعلى الصفاء والنقاء، كما ربى الرسول أصحابه على تحرى الحكمة فى أقوالهم وفى أفعالهم، لأن الحكمة ضالة المؤمن والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾(١)

لقد ربى رسول الله ﷺ أصحابه على أن يجعلوا الأصل فى حياتهم السلام، فإذا ما فرض عليهم رد العدوان ثبتوا ثبات الأبطال، ودافعوا دفاع الفرسان الشجعان، ومن أقواله ﷺ: «لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فإذا لقيتم فاثبتوا».

كما ربى الرسول أصحابه على التعاون والبر والتقوى لا على الإثم والعدوان.. التعاون من أجل نصرة المظلوم ومن أجل ردع الظالم، التعاون من أجل نشر الفضائل، ومن أجل إماتة الرذائل، كما أن التعاون سجية من سجايا سيدنا رسول الله ﷺ لازمة، فطنت إليها السيدة خديجة - رضى الله عنها - عندما جاءها الرسول الكريم فى مطلع رسالته وقال لها: «زملونى.. زملونى.. لقد خشيت على نفسى» هنا قالت له السيدة خديجة - رضى الله عنها -: «كلا والله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق» أى تعين المظلوم وتعين من هو فى حاجة إلى العون.

ويصور النبى ﷺ سلسلة التعاون بينه وبين الرسل السابقين فيقول: «مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فحسنه وجمله وكمله، إلا موضع لبنة - أى إلا موضع حجر منه - فكان الناس يطوفون حول هذا البيت ويقولون: ما أجمل هذا البيت وما أحسنه، هلا وضعت فيه هذه اللبنة؟! ويقول الرسول: «فأنا هذه اللبنة وأنا خاتم النبيين والمرسلين» فينبغى أن يكون منهج الرسول ﷺ هو منهج الحكام والمحكومين حتى تنهض شعوبنا وتتقدم كما أراد الله - تعالى - لها، فإن التعاون يقوى الأمم الضعيفة، وإن التنازع والتقاطع والتحاسد يضعف الأمم القوية.

والأزهر الشريف يا سيادة الرئيس امتثالاً لقوله الله عز وجل:

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾(٢)

يتعاون مع كل الوزارات والهيئات والمؤسسات والأفراد والجماعات، والدراسة فيه والحمد لله تمتاز بالاستقامة والاعتدال والتوسط.

---

(١) البقرة (٢٦٩).

(٢) المائدة (٢).

كلمة وزير الأوقاف

أكد الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف فى كلمته خلال الاحتفال أن مصر كانت وستظل سندا قويا ودرعا واقية لأمتها العربية وخاضت من اجل القضية الفلسطينية أربع حروب ضحت فيها بعشرات الآلاف من خيرة أبنائها من أجل استرداد الحقوق العربية.

قال وزير الأوقاف: إن مصر فى ظل القيادة الحكيمة للرئيس مبارك ستظل وفية لقضايا أمتها مدافعة عن حقوقها ولن تتخلف يوما عن التزاماتها العربية مشيراً إلى أن ما يبذله الرئيس من جهود خارقة فى سبيل القضية الفلسطينية لأمر يقدره كل المخلصين الشرفاء من أبناء أمتنا العربية وستثبت الايام للجميع أن رؤية الرئيس الثاقبة كانت هى الرؤية الواعية المدركة لكل الابعاد والمخاطر والحريصة كل الحرص على المصالح العليا للأمة العربية.

لقد كانت مصر ولا تزال معنية كل العناية بقضايا أمتها العربية والإسلامية، وكان الأزهر الشريف ولا يزال هو الكعبة العلمية للمسلمين بوصفه موطن الفكر الإسلامى المعتدل الذى يعبر عن وسطية الإسلام التى لا تعرف تعصباً أو غلواً أو تطرفاً.

وعندما وقعت أحداث سبتمبر من العام الماضى، كان لها انعكاسات سلبية على صورة الإسلام فى العالم، على الرغم من أن الإسلام كدين لا يتحمل بأى حال من الاحوال مسئولية بعض التصرفات التى يقوم بها بعض من ينتمون إلى الإسلام ولو رفع أصحابها شعار الدين، تماما كما لا يتحمل أى دين آخر مسئولية ما يرتكبه بعض أتباعه من أعمال لا تتفق مع مبادئه وتعاليمه.

ومن أجل توضيح الصورة الحقيقية للإسلام أقامت وزارة الأوقاف برعاية كريمة من سيادتكم، وبالتعاون مع الأزهر الشريف المؤتمر الرابع عشر للمجلس الاعلى للشئون الإسلامية تحت عنوان: «حقيقة الإسلام فى عالم متغير»، وحضرته وفود من أكثر من سبعين دولة ومنظمة إسلامية عالمية. وقد أكدت الرسالة التى تفضلتم بتوجيهها إلى المؤتمر على حقيقة أن جوهر الأديان بصفة عامة، والدين الإسلامى بصفة خاصة، يتمثل فى صلاح البشر وخيرهم وسعادتهم فى دينهم ودنياهم، ونشر المحبة والإخاء والسلام فى كل مكان، ومن هنا لا يمكن أن تكون الاديان بأى حال من الاحوال مصدراً

للتعصب والكراهية والارهاب وترويع الآمنين.

وقد تركزت بحوث ومناقشات المؤتمر على توضيح حقيقة الإسلام، بوصفه دين الرحمة والسلام والتعايش الايجابي بين البشر، وبوصفه دعوة للحوار بين الشعوب والحضارات، ودعوة للتعاون الفعال من أجل بناء مستقبل مشرق للبشرية جمعاء.

وفى تكامل مع اعمال المؤتمر اصدر المجلس الاعلى للشئون الإسلامية مجلدا كبيرا اشترك فى تأليفه مجموعة من العلماء المتخصصين يحمل الرد الإسلامى على العديد من الشبهات القديمة والحديثة التى وجهت ولا تزال توجه إلى الإسلام.

ويسعدنا الليلة ان نقدم لسيادتكم اول نسخة من هذا الكتاب الذى سيترجم إن شاء الله إلى عدد من اللغات الاجنبية ليسهم فى تصحيح صورة الإسلام فى داخل العالم الإسلامى وخارجه.

لقد كان للدعوة الكريمة التى وجهها الرئيس فى حفل ليلة القدر فى شهر رمضان الماضى لتجديد وتطوير الخطاب الدينى اثرها العميق فى العديد من قطاعات المجتمع. وتم طرح هذه الدعوة فى العديد من المنتديات الدينية والثقافية والسياسية والاعلامية ايضا من منطلق ان الخطاب الدينى امر يهم الجميع، كما انه من ناحية اخرى يسهم فى تصحيح صورة الإسلام فى الداخل والخارج.

وقد كانت وزارة الاوقاف سباقة فى هذا المجال، ليس فقط عن طريق الندوات التى عقدتها والمطبوعات التى اصدرتها، وانما كذلك على مستوى اللقاءات المباشرة مع الدعاة لتطوير اساليبهم فى الدعوة شكلا وموضوعا، والخروج من اطار الاساليب التقليدية التى لم تعد تجدى فتيلاً، وضرورة مخاطبة العقل، والارتفاع بالمستوى الثقافى الدينى للجماهير، والتركيز على القيم الإسلامية الدافعة إلى تقدم المجتمع واعمار الكون من خلال التقدم العلمى المستمر، والتواصل مع كافة الحضارات والثقافات من أجل الوصول إلى اهداف البشرية فى السلام والاستقرار.

إن الدعم الذى توليه الحكومة بتوجيه من سيادتكم لقطاع الدعوة الإسلامية فى مصر وتطويره قد مكّن وزارة الأوقاف من الاشراف الكامل على اربع وسبعين الفا وخمسمائة مسجد وزاوية فى كل انحاء مصر، وبنهاية العام المالى ٢٠٠٢/٢٠٠٣م ستكون جميع المساجد والزوايا فى جميع المحافظات قد تم ضمها بمشيئة الله لوزارة الأوقاف، وذلك ضمانا لوصول كلمة الإسلام المعتدلة إلى جماهير المواطنين.

ولا شك فى ان ذلك يتطلب الاعداد الجيد للدعاة بالتعاون مع الازهر وجامعته التى هى المصدر الرئيسى لتخريج الدعاة. وعلى الرغم من ان المسابقات التى تجريها الوزارة لا تأتى

لنا إلا بأعداد قليلة من الدعاة الا اننا فى وزارة الأوقاف سعداءُ بهذه العناصر الجديدة الشابة التى تضخ دماء جديدة فى شرايين جهاز الدعوة الإسلامية فى مصر. وستواصل الوزارة تكثيف الدورات التدريبية للدعاة حتى تقضى على كل السلبيات فى اداء البعض منهم فى وقت قريب إن شاء الله.

إننى لست هنا فى مقام الحديث عما تم إنجازه فى وزارة الاوقاف، ولكنى استسمح سيادتكم فى الإشارة إلى إنجاز هام قامت به هيئة الأوقاف المصرية فى الإسهام فى المشروعات القومية الكبرى، فقد أنجزت الهيئة فى زمن قياسى استصلاح واستزراع خمسة آلاف فدان فى شرق العوينات تمت زراعتها بالمحاصيل المختلفة، وتواصل الهيئة استصلاح بقية المساحة المخصصة لها، والتى تبلغ عشرين الف فدان طبقًا للبرنامج الذى أعدته فى هذا الصدد عن طريق بعض الشركات الوطنية المتخصصة، وكلنا فى شوق لتشريف سيادتكم لهذه المنطقة للاطلاع على هذا الإنجاز المشرف الذى يسهم فى دعم الاقتصاد الوطنى.

لقد كانت مصر وستظل سندًا قويًا، ودرعًا واقية لأمتها العربية، وقد خاضت من أجل القضية الفلسطينية أربع حروب ضحت فيها بعشرات الآلاف من خيرة أبنائها، وانفقت عشرات المليارات من الجنيهات من قوت شعبها من أجل استرداد الحقوق العربية، وإن ما تبذلونه ياسيادة الرئيس من جهود خارقة فى سبيل هذه القضية منذ قيادتكم الباسلة لنسور مصر فى العبور العظيم، وحتى اليوم على جميع المستويات لأمر يقدره كل المخلصين الشرفاء من ابناء أمتنا العربية، وسوف تثبت الأيام للجميع أن رؤيتكم الثاقبة فى هذا الصدد كانت هى الرؤية الواعية المدركة لكل الأبعاد والمخاطر، والحريصة كل الحرص على المصالح العليا للأمة العربية، وستظل مصر بقيادتكم الحكيمة وفية لقضايا امتها مدافعة عن حقوقها، ولن تتخلف يوما عن التزاماتها العربية. نسأل الله أن يحقق للامة آمالها على يديكم، وأن يسدد على طريق الحق والخير خطاكم، وأن يحفظكم لمصر، ويحفظ مصر بكم.

***

تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال الله – تعالى –:

﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ البقرة: ٢٣٥

وقوله – تعالى –: ﴿ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ ﴾ أى: لوحتم وأشرتم به. من التعريض الذى هو ضد التصريح ومعناه أن يضمن كلامه ما يصلح للدلالة على مقصوده، ويصلح للدلالة على غير مقصوده، إلا أن إشعاره بجانب المقصود أتم وأرجح وأصله من عرض الشىء – بضم العين – أى جانبه ومن أمثلته

أن يقول الفقير المحتاج للمحتاج إليه: جئتك لأسلم عليك.. وهو يقصد عطاءه.

و ﴿خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ مخاطبة المرأة أو أوليائها فى أمر زواجها.. والخطبة ـ بكسر الخاء كالجلسة ـ مأخوذة من الخطب أى الشأن لأنها شأن من الشئون وقيل من الخطب لأنها نوع ـ مخاطبة تجرى بين جانب الرجل وجانب المرأة. والمراد خطبة النساء اللائى فارقهن أزواجهن.

و ﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ﴾ أخفيتم وأسررتم من الإكنان وهو الإضمار من غير إعلان.

والمعنى: ولا حرج ولا إثم عليكم أيها الرجال المبتغون للزواج فى التعريض بخطبة المرأة أثناء عدتها لتتزوجوهن بعد انقضائها، كما أنه لا إثم عليكم كذلك فى الرغبة فى الزواج بهن، مع إخفاء ذلك وستره من غير كشف وإعلان لأن التصريح بالخطبة أثناء العدة عمل يتنافى مع آداب الإسلام، ومع تعاليم شريعته، ومع الأخلاق الكريمة، والعقول السليمة، والنفوس الشريفة.

قال القرطبى: قال ابن عطية: «أجمعت الأمة على أن الكلام مع المعتدة بما هو نص فى تزوجها وتنبيه عليه لا يجوز، وكذلك أجمعت على أن الكلام معها بما هو رفث وذكر جماع أو تحريض عليه لا يجوز وكذلك ما أشبهه وجوز ما عدا ذلك. ولا يجوز التعريض لخطبة المطلقة طلاقا رجعيا إجماعا لأنها كالزوجة. وأما من كانت فى عدة البينونة فالصحيح جواز التعريض لخطبتها»[1].

والتعريض فى خطبة النساء أساليبه مختلفة، ومما ذكره العلماء فى هذا الشأن أن يقول الرجل للمرأة: إنى راغب فى الزواج أو أن يقول لوليها: لا تسبقنى بها إلى غيرى.

ومن أساليب التعريض ما فعله النبى ﷺ مع السيدة أم سلمة، فقد دخل عليها وهى متأيمة من زوجها أبى سلمة فقال لها: «لقد علمت أنى رسول الله وخيرته وموضعى فى قومى» فكان كلامه خطبة لها بأسلوب التعريض.

ومنها ما ذكره صاحب الكشاف عن عبدالله ابن سليمان عن خالته ـ سكينة بنت حنظلة ـ قالت: دخل على أبوجعفر محمد بن على وأنا فى عدتى فقال: قد علمت قرابتى من رسول الله ﷺ وقرابتى من جدى على بن أبى طالب، وموضعى فى العرب، وقدمى فى الإسلام.

قالت: فقلت: غفر الله لك يا أبا جعفر! أتخطبنى فى عدتى وأنت يؤخذ عنك؟ فقال: أو قد فعلت إنما أخبرتك بقرابتى من رسول الله ﷺ وموضعى»[2].

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم﴾.

إلخ معطوف على ما قبله فى الآية السابقة لأن الكلام فى الآيتين فى الأحكام المتعلقة بعدة النساء.

و ﴿مَا﴾ فى قوله: ﴿فِيمَا عَرَّضْتُم﴾ موصولة.

(١) تفسير القرطبى جـ٣ ص ١٨٨.

(٢) تفسير الكشاف جـ١ ص ٢٨٢.

و ﴿ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ ﴾ بيان لما، و ﴿ أل ﴾ في النساء للعهد والمعهودات هن الزوجات اللاتي سبق الحديث عنهن في الآيات التي قبل هذه.

و ﴿ أَوْ ﴾ في قوله: ﴿ أَوْ أَكْنَنتُمْ ﴾ للإباحة أو التخيير، ومفعول أكن محذوف يعود إلى ما الموصولة في قوله: ﴿ فِيمَا عَرَّضْتُم ﴾ والتقدير: أو أكننتموه. و ﴿ فِيٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ متعلق بأكننتم.

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾

كالتعليل لما قبله وهو قوله:

﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم ﴾ إلخ.. ونهى عما يُردي ويفسد، وإباحة لما لا ضرر فيه.

أي: علم الله أنكم يا معشر الرجال ستذكرون هؤلاء النسوة المعتدات بما لهن من جمال ومن حسن عشرة ومن غير ذلك من شئونهن وأن تفكروا فيهن وتهفوا إليهن نفوسكم، والله ـ تعالى ـ فضلا منه وكرما قد أباح لكم أن تذكروهن ولكنه ينهاكم عن أن تواعدوهن وعدا سريا بأن تقولوا لهم في السر ما تستحيون من قوله في العلن لقبحه ومنافاته للشرع.

وقوله: ﴿ إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ استثناء مما يدل عليه النهي لا تواعدوهن مواعدة ما إلا مواعدة معروفة غير منكرة شرعا، وهي ما تكون بطريق التلويح والتعريض.

وفي قوله سبحانه:

﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ ﴾ بيان لما جبلت عليه النفس البشرية من ميل فطري بين الرجال والنساء، والإسلام لا ينكر هذا الميل وإنما يهذبه ويقومه ويصقله بآدابه الحميدة، وتعاليمه السامية.

وقوله: ﴿ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا ﴾ استدراك على محذوف دل عليه:

﴿ سَتَذْكُرُونَهُنَّ ﴾ أي: فاذكروهن:

﴿ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا ﴾.

قال القرطبي ما ملخصه: واختلف العلماء في المراد بالسر في قوله ـ تعالى ـ: «ولكن لا تواعدوهن سرا» فقيل معناه نكاحا، أي لا يقل الرجل لهذه المعتدة تزوجيني بل يعرض إن أراد، ولا يأخذ ميثاقها وعهدها ألا تنكح غيره في استسرار وخفية. هذا قول جمهور أهل العلم.

و«سرا» على هذا التأويل نصب على الحال أي مسرين ـ وسمي النكاح سرا لأن مسببه الذي هو الوطء مما يسر ـ وقيل السر الزنا، أي لا يكونن منكم مواعدة على الزنا في العدة ثم التزوج بعدها. أي لا تواعدوهن زنا. واختاره الطبري. ومنه قول الأعشى:

فلا تقربن جارة إن سرها
عليك حرام فانكحن أو تأبدا

أى: «فتتزوجها أو ابتعد عنها. وقيل السر الجماع»[٣].

والذى تطمئن إليه النفس أن كلمة «سرا» صفة لموصوف محذوف أى لا تواعدهن وعدا سريا، وأن النهى هنا منصب على كل مواعدة سرية، يقال فيها كل ما ينهى عنه أو يستحيا منه فى العلن، لقبحه أو لأن أوانه لم يحن بعد، إذ السرية أو الخلوة بين الرجل والمرأة لا تؤمن مزالقها. وفى الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال: «لا يخلون رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما»[٤] وأن المراد بقوله:

﴿ إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ هو التعريض بالخطبة، وإظهار المودة بطريقة لا تفضى إلى محرم.

قال صاحب الكشاف فى قوله:

﴿ إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ وهو أن تعرضوا ولاتصرحوا فإن قلت بم يتعلق حرف الاستثناء؟ قلت: بلا تواعدوهن. أى لا تواعدوهن مواعدة قط إلا مواعدة معروفة غير منكرة: أى لا تواعدوهن إلا بالتعريض[٥].

ثم قال ـ تعالى ـ:

﴿وَلَا تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾

العزم: القطع والتصميم، يقال عزم على الشىء إذا صمم وعقد القلب على فعله، وهو يتعدى بعلى وبنفسه فيقال: عزم الشىء وعزم عليه.

وعقدة النكاح: الارتباط الموثق به. وأصل العقد الشد، والعهود والأنكحة تسمى عقودا لأنها تعقد وتوثق كما يوثق بالحبل.

والمراد بالكتاب هنا الأمر المكتوب المفروض وهو العدة التى حدد الله لها وقتا معينا.

والأجل: هو نهاية المدة التى قررها الشرع للعدة.

والمعنى: لا يسوغ لكم يا معشر الرجال الراغبين فى الزواج من النساء اللائى فارقهن أزواجهن أن تعقدوا العزم نهائيا فى أثناء العدة على أن تتموا الزواج بعدها، بأن تحول الخطبة من التعريض إلى التصريح، أو تبتوا فى أمر الزواج بتا قاطعا بمواعدة أو نحوها، إذ العاقل لا يستعجل أمرا قبل حلول وقته، وإنما الذى يسوغ لكم أن تتموا عقد الزواج بعد انتهاء العدة وبعد أن يكون جو الأحزان قد فتر وجفت حدته.

والنهى عن العزم على عقد النكاح نهى بالأولى عن إبرامه وتنفيذه، لأن العزم على الفعل يتقدمه، فإذا نهى عنه كان الفعل أنهى، فهو كالنهى عن الاقتراب من حدود الله فى قوله:

﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾[٦].

وبذلك نرى أن الآية الكريمة قد أباحت شيئين، ونهت عن شيئين: أباحت التعريض

(٣) تفسير القرطبى جـ٣ ص ١٩٠.
(٤) الترغيب والترهيب للمنذرى جـ٣ ص٣٨.
(٥) تفسير الكشاف جـ١ ص ٢٨٤
(٦) سورة البقرة الآية (١٨٧).

بالخطبة للمرأة أثناء عدتها، كما أباحت إخفاء هذه الرغبة في الأنفس وحديثها بها. ويشهد لذلك قوله - تعالى -:

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾

ونهت عن المواعدة سرا إلا أن يقولوا قولا معروفا عن طريق التعريض، أو أن يسار الرجل المرأة بالقول المعروف الذى أباحه الشرع وارتضته العقول السليمة، والأخلاق الفاضلة، بأن يعدها في السر بالإحسان إليها والاهتمام بشأنها والتكفل بمصالحها حتى يصير ذكر هذه الأشياء الجميلة مؤكدا لذلك التعريض. أما الشيء الثاني الذي نهت عنه فهو العزم على عقدة النكاح قبل انقضاء العدة. ويشهد لهذا قوله - تعالى -:

﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾

وبعد هذه الأوامر والنواهي ختم الله - تعالى - الآية بقوله:

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾

أي: اعلموا أيها الناس أن الله - تعالى - يعلم ما يجول في نفوسكم من خير أو شر، وما تهجس به خطرات قلوبكم من مقاصد واتجاهات، فاحذروا أن تقصدوا ما هو شر، أو تفعلوا ما هو منكر، واعلموا أنه - تعالى - غفور لمن تاب وعمل صالحا، حليم لا يعاجل الناس بالعقوبة، ولا يؤاخذهم إلا بما كسبوا.

فالجملة الكريمة تحذير وتبشير، وترغيب وترهيب، لكي لا يتجاسر الناس على ارتكاب ما نهى الله عنه، ولا ييأسوا من رحمته متى تابوا وأنابوا.

هذا، وقد أجمع العلماء على تحريم نكاح المرأة في عدتها، وإذا حدث مثل هذا النكاح ودخل بها فرق بينهما وفسخ النكاح.

ويرى جمهور العلماء أنها تصير محرمة عليه تحريما مؤبدا، ولا يحل له نكاحها كذلك لأنه استحل ما لا يحل فعوقب بحرمانه، كالقاتل يعاقب بحرمانه من ميراث المقتول. وقيل: يفسخ النكاح ويفرق بينهما فإذا انتهت العدة حلت له ولم يتأبد التحريم. ولكل فريق أدلته المبسوطة في كتب الفقه.

وبذلك تكون الآية الكريمة قد أرشدت الناس إلى ما يقره الشرع، ويرتضيه الخلق الكريم، ونهتهم عما يتنافى مع تعاليم الإسلام بأسلوب حكيم جمع بين الشدة واللين، والخوف والرجاء، حتى يثوب المخطئون إلى رشدهم ويقلعوا عن خطئهم.

***

فى الأصول القرآنية للتربية

تستمد الدراسات التربوية العربية الحديثة مصطلحاتها وأكثر مفاهيمها ونظرياتها العلمية من الفكر التربوى الغربى، الذى نعلم جميعا أنه فكر مادى النشأة نفعى الغاية. وقد هم فريق من الباحثين التربويين العرب المعاصرين بدراسة أصول التربية من منظور إسلامى إلا أن كثيرا من دراساتهم لم تحقق أهدافها، فهى تحيط ولا تغوص تدور ولا تعمق، تومىء ولا تتلمس ومن ثم فقد غامت لديها الرؤى وسرعان ما تبخرت ولم يبق منها سوى الذكرى الطيبة والنيات الحسنة. وفى رأينا أى دراسة تربوية إسلامية تحتاج - لكى تحقق لها المصداقية - إلى قواعد منهجية علمية تنطلق من محورين:

الأول: هو القرآن الكريم ممثلا فى دراسات المفسرين العميقة الموصلة المنقاة من شوائب الإسرائيليات والموضوعات.

الثانى: السنة النبوية الصحيحة ممثلة فى شروطها الأصلية المنقاة أيضا من الدخيل والمدسوس.

للأستاذ الدكتور / مصطفى رجب

وسوف نتناول فى السطور القادمة قضية تربوية من منظور إسلامى بحت، هى قضية المسئولية التربوية للآباء. وقبل أن نشرع فى تناولها نشير إلى أن هناك عدة مسلمات فى القضية هى:

١ - أن الكتابات التربوية الحديثة - ذات المنطلقات الغربية المادية - تشير دائما إلى الدور التربوى للأسرة ولا تعلق المسئولية التربوية فى رقاب الآباء وحدهم، وهى فى هذه النظرة تستند إلى واقع اجتماعى مغاير نسبيا لواقع المجتمعات المسلمة التى لا تخرج فيها المرأة للعمل إلا فى أضيق الحدود وللضرورة. انطلاقا من التشريع القرآنى الحكيم الذى أناط المسئولية المادية عن الأسرة بالآباء فى قوله - تعالى:

﴿ الرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾(٢).

٢ - إن هذه النظرة الإسلامية للرجل بوصفه مصدر كسب الأسرة وموزع دخلها لا تعنى انتقاصا من قدر المرأة أو حطا من شأنها. فقد حفظ القرآن الحقوق المادية لطرفى الأسرة كاملة غير منقوصة إذ قال تعالى:

(١) النساء (٣٤).

(٢) البقرة (٢٢٨).

﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ﴾(٣).

وقال أيضاً:

﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾(٤)

سعى الآباء إلى الحصول على الولد

إن حب الذرية مفطور في النفس الإنسانية فقد اقتضت حكمة الخالق - عز وجل - أن يجعل المال والبنين زينة الحياة وأن يجعل العلاقة الجنسية بين الزوجين هي وسيلة الحصول على البنين، فلا غرابة أن يكون تشريع الزواج هو المنبع الطبيعي للتكاثر البشري.

وقد بين القرآن الكريم أن من شأن الإنسان دائما أن يسعى للحصول على الولد. فقد قصّ علينا في سورة مريم كيف دعا نبي الله زكريا - عليه السلام - ربه:

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾(٥).

فلما جاءته البشرى أذهلته المفاجأة فتساءل متعجبا:

﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾(٦).

وقد توقف بعض العلماء أمام هذين الموقفين العجيبين: فهو يسأل ربه غلاما، فلما جاءته البشارة بالغلام دُهش وتعجب وتساءل عن الكيفية؟ فقال بعض العلماء: كان بين سؤاله وورود البشرى أربعين سنة(٧) وقال بعضهم: بل تساءل عن الطريقة التي سيهبه الله بها الولد؟ هل يهبه إياه في حالة الشيخوخة أم سيرده إلى حالة الشباب ثم يهبه؟ فهو ليس تساؤلا على سبيل الاستبعاد أو الاستنكار وإنما هو تساؤل التعجب المشوب بالفرح والسرور(٨).

وحتى لا يذهب الظن بعيدا فيتوقع القارىء الكريم أن زكريا - عليه السلام - حين دعا فقال:

﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾ إنما قصد أحدا من الناس فإننا نذكر القارىء بآيات سورة آل عمران التي جاءت صريحة في تأكيد دعوة زكريا - عليه السلام - إنما قصد بها الذرية فقد قال تعالى:

﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾(٩).

---

(٣) النساء (٧).

(٤) النساء (٣٢).

(٥) مريم (٤ : ٦).

(٦) مريم (٨)

(٧) بدرالدين بن جماعة «ت ٧٣٣هـ» كشف المعاني في المتشابه من المثاني، تحقيق د. عبدالجواد خلف، باكستان: جامعة الدراسات الإسلامية في كراتشي ١٩٩٠، ص٢٤٦.

(٨) الرازي «محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر ت ٦٦٦هـ» غرائب آي التنزيل، ط٢ تحقيق إبراهيم عطوة، القاهرة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٨٠م ص٢١٠.

(٩) آل عمران (٣٨).

وقد ذكر القرآن الكريم في غير موضع أن الإنعام على الإنسان بالذرية الصالحة نعمة كبرى من النعم الجليلة، ومن ثم فقد امتن الله بها على إبراهيم ـ عليه السلام ـ فقال:

﴿ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ﴾(١٠).

ومن الأدعية التي وردت في القرآن الكريم:

﴿ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ﴾(١١).

فطلب الذرية إذاً فطرة فطر الله الرجال عليها، فالسعي إليها ليس غريبا على النفس الإنسانية لأن البنين والمال زينة الحياة الدنيا كما قال القرآن الكريم، وإحساس الإنسان بأن له أبناء كثيرين يشعره بالقوة والسيطرة لأنه يستعين بهم في قضاء حاجاته، ويشعر بأن عمره ممتد ببقائهم من بعده.

اهتمام الآباء بمستقبل أبنائهم

إذا وهب الله للإنسان الأبناء فإنه يجتهد في رعاية مصالحهم ويسعى لتوفير الحياة الكريمة لهم، ويرشدهم إلى ما فيه الخير لهم في الدنيا والآخرة ويسعد بهم إذا كانوا أقوياء، ويشفق عليهم إذا آنس منهم ضعفا.

وقد حكى القرآن الكريم مواقف كثيرة للأنبياء مع أبنائهم ظهرت فيها هذه المعاني الكريمة. مثل نبي الله إبراهيم ـ عليه السلام ـ الذي دعا الله ـ تعالى ـ أن يورث الإمامة لأبنائه من بعده. قال تعالى:

﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾(١٢).

ومعلوم أن الإمامة التي نالها إبراهيم ـ عليه السلام ـ هي النبوة والشرف العظيم الذي اختصه الله تعالى به. قال الإمام الفخر الرازي:

«إن الله ـ تعالى ـ لما وعده بأن يجعله إماما للناس حق ذلك الوعد فيه إلى قيام الساعة، فإن أهل الأديان ـ على شدة اختلافها ـ يعظمون إبراهيم ـ عليه السلام ـ ويتشرفون بالانتساب إليه إما في النسب، وإما في الدين والشريعة.. وقال بعضهم: إنه تعالى أعلمه بأن في ذريته أنبياء فأراد أن يعلم هل يكون ذلك في كلهم أم بعضهم فأعلمه سبحانه وتعالى أن فيهم ظالما لا يصلح لذلك»(١٣).

وقد تكرر هذا الطلب في القرآن الكريم على لسان ابراهيم وابنه اسماعيل ـ عليهما السلام ـ فقد دعوا الله ـ تعالى ـ أن ينعم على ذريتهما بنعمة الإسلام إحساساً منهما بأن هذه خير دعوة يدعو بها أب لأبنائه. قال تعالى على لسانهما معا:

﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً ﴾(١٤)

قال الإمام القرطبي: «إنه لم يدع نبي إلا لنفسه

---

(١٠) العنكبوت (٢٧)

(١١) الأحقاف (١٥). (١٢) البقرة (١٢٤)

(١٣) الفخر الرازي، محمد بن عمر ت. ٦٠٤هـ، مفاتيح الغيب ج٤، م٢، ط٣، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٥م، ص٤٤.

(١٤) البقرة (١٢٨)

ولامته - إلا إبراهيم فإنه دعا مع دعائه لنفسه ولامته - لهذه الأمة. وحكى الطبرى أنه أراد بقوله: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ ﴾ العرب خاصة، قال ابن عطية: وهذا ضعيف لأن دعوته ظهرت فى العرب وفيمن آمن من غيرهم(١٥).

مما سبق يتضح أن:

١- طلب الولد مشروع لكل أب لأنه بوجود الأولاد تصبح حياة الإنسان أكثر سعادة وبهجة.

٢- وأن من طبيعة الآباء أن يدعوا لأبنائهم بالخير ويؤثروهم بكل ما يرون فيه خيرا لهم فى دنياهم وأخراهم.

وقد نص القرآن الكريم على أن الإنسان إذا خشى على أبنائه من بعده أن ينالهم ضيم أو يقطع عليهم ظلم فإن عليه أن يتقى الله حق تقاته وخصوصا فى معاملته للأيتام من غيره فقال تعالى:

﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾(١٦)

قال الزمخشرى - رحمه الله - فى تفسير هذه الآية: «المراد بهم الأوصياء أمروا بأن يتقوا الله وأن يخافوا على من فى حجورهم من اليتامى ويشفقوا عليهم خوفا على ذريتهم لو تركوهم ضعافا، وشفقتهم عليهم أن يقدروا ذلك فى أنفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة»(١٧).

المسئولية التربوية للآباء

وإذا كان الآباء هم الذين يسعون إلى إنجاب الذرية ويجهدون فى سبيل إسعادها، فإن مسئوليتهم عن تربية أبنائهم تصبح واجبا شرعيا عليهم القيام به ويمكننا من خلال نصوص القرآن الكريم - وحدها - أن نستنبط حدود تلك المسئولية ونجمله فيما يلى:

أولاً: النصح لهم:

وذلك ببيان طريق السعادة أمامهم ولفت انتباههم إلى ما ينفعهم فى الدنيا والآخرة كما نرى فى قوله تعالى:

﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِى قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾(١٨).

وقد تكرر هذا الموقف فى موضوع آخر ذكره القرآن الكريم على لسان إبراهيم ويعقوب - عليهما السلام - فى الآية السابقة على الآية المذكورة قال تعالى:

---

(١٥) القرطبى «محمد بن أحمد الأنصارى، ت ٦٧١هـ» الجامع لأحكام القرآن، ط٣، ج٢ «م١»، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٧ ص١٣٦.

(١٦) النساء (٩).

(١٧) راجع فى اعتراض ابن عطية على الطبرى.

- ابن عطية الأندلسى «عبدالحق بن غالب ت ٥٤٠هـ» المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز، تحقيق المجلس العلمى فى فاس، ج١ توزيع مكتبة ابن تيمية بالقاهرة ١٩٩٢ ص٣٥٩.

- الزمخشرى «محمد بن عمر ت ٥٣٨ هـ» الكشاف عن حقائق التنزيل ج١ بيروت، دار الفكر ١٩٧٧م ص٥٠٣ وا ٥٠.

(١٨) البقرة (١٣٣).

﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(١٩).

ثانيًا : تربيتهم على الفضائل :

من واجب الآباء أن ينشئوا أبناءهم تنشئة صالحة وذلك بتعويدهم على الاستقامة فى السلوك، وبيان طرق الكسب الحلال أمامهم، وتطبيعهم بالطبائع الخيرة كما يظهر ذلك فى وصية لقمان لابنه فى القرآن الكريم قال تعالى على لسان لقمان :

﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾(٢٠).

ثالثًا : تعليمهم آداب السلوك :

إن الوظيفة التربوية للآباء تعليم الأبناء آداب السلوك الاجتماعى المقبول ويدل على ذلك قوله تعالى مخاطبا المؤمنين:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ ﴾(٢١).

ويتصل بهذا أيضا ما فصلته آيات القرآن الكريم مما يتعلق بإبداء الزينة بين المحارم، وتنظيم دخول وخروج الأفراد فى الأسرة.

فإذا خرجنا خارج دائرة الأسرة وجدنا من واجب الآباء التربوى أن يعلموا أبناءهم صلة الرحم والاهتمام بذوى القربى والعطف على المساكين وأبناء السبيل ومن شابههم.

رابعًا : تعليمهم طرق الكسب الحلال :

والمستقرىء لآيات القرآن الكريم يستطيع أن يستنبط من دلالاتها العامة أن على الآباء أن يرشدوا أبناءهم إلى الكسب الحلال حتى تتكون لديهم ثروة يعفون بها أنفسهم عن الحرام ويعيشون بها عيشة راضية فقوله تعالى :

﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ﴾.

وقوله تعالى :

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾(٢٢).

خامسًا : رعاية مطالب النمو :

ومن المسئولية التربوية للآباء رعاية مطالب نمو الأبناء جسميا ونفسيا واجتماعيا، وتهيئة ما يتطلبه ذلك النمو من حاجات واستعدادات نفهم ذلك من قوله تعالى :

﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾(٢٣).

---

(١٩) البقرة (١٣٢) (٢٠) لقمان (١٧ ـ ١٨). (٢١) النور (٥٨)

(٢٢) البقرة (١٨٠) (٢٣) النساء (٦).

السنة

العدل (*)

لفضيلة الأستاذ / عبد الرحمن الجزيري (**)

إعداد الشيخ / علي حامد عبد الرحيم

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولاً لا يفكه إلا العدل». رواه أحمد بإسناد جيد رجاله رجال الصحيح. ذكره الحافظ المنذري.

يتعلق بشرح هذا الحديث أمور: (١) بيان معنى الحديث إجمالاً. (٢) بيان معنى العدل. (٣) آثار العدل بين الناس، وفضل من عدل.

(١) الغرض من هذا الحديث تحذير الرؤساء والأمراء من المظالم والاستهانة بالحقوق المنوطة بهم، وإلا كانوا من الظالمين الذين يستحقون العقوبات.

وقوله ﷺ: «ما من أمير عشرة إلخ» ليس الغرض منه تحديد هذا العدد كما هو معروف من الأحاديث الأخرى؛ فقد وردت أحاديث صحيحة تدل على وجوب العدل مع كل مرءوس ولو كان واحداً: قال ﷺ: «كلكم راع ومسئول عن رعيته: الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيتها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته، وكلكم راع ومسئول عن رعيته». رواه البخاري ومسلم. فهذا الحديث صريح في أن كل فرد من الأفراد مطالب بتحقيق العدل بنسبة ما يكلف به من الأعمال، سواء كان مع نفسه أو مع غيره ولو كان واحداً. وسيأتي في تعريف معنى العدل بيان هذا. وإنما اقتصر الحديث الذي معنا على ذكر العشرة لأن هذا العدد كان أقل عدد يرأسه أمير غالباً عند العرب.

(*) من مختارات «مجلة الأزهر»، عدد شهر شعبان ١٣٥٩، المجلد الحادي عشر.

(**) عضو جماعة كبار العلماء.

وقد ورد ما يدل على ذلك فى الأحاديث الصحيحة: فمن ذلك ما روى البخارى معناه فى حديث طعام أبى بكر الذى كان أعده لبعض فقراء أهل الصفة فأكلوا منه ولم ينقص شيئا، فأخبر بذلك النبى ﷺ وكان عنده وفود من قبائل العرب، فأمر أبا بكر بإحضاره وقدمه لهؤلاء الوفود وأجلس عليه كل عشرة مع رئيسهم، فأكلوا جميعا حتى شبعوا. وهكذا، فقد كان عدد العشرة هو أقل عدد يستحق أن يكون له رئيس.

أما قوله: «إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولا» فمعناه أنه يؤتى به وهو مقيد بقيد من حديد فى عنقه أو فى يده. يقال: غله غلا بالضم، إذا وضع فى رقبته أو فى يده غلا من حديد.

وقد يقال إن هذا بظاهره ينافى الأحاديث التى تدل على أن الإمام العادل يكون محوطا بعناية الله - تعالى - ومشمولا برحمته من أول الأمر، فقد ورد أن النبى ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله» وأول هؤلاء السبعة الإمام العادل؛ فكيف يتفق هذا مع ظاهر هذا الحديث الذى يفيد أن كل أمير عشرة يؤتى به مغلول اليدين والعنق، وفى ذلك من الإهانة والتعذيب مالا يخفى؟.

والجواب: أن معنى الحديث تحذير الرؤساء والأمراء من الظلم، وحثهم على العدل. فالذى يؤتى به مغلولا إنما هم الظالمون.

ومعنى «لا يفكه إلا العدل»: أن العادلين آمنون من هذه الإهانة، بل هم منعمون من أول أمرهم لأنهم متصفون بالعدل، ومادام العدل ملازما لهم فهم منفكون عن كل ما يصيب الظالمين من جزاء. فالعدل وقاية لهم من كل ما يمس الظالمين من عقاب، ووسيلة للتنعيم الخالد وحسن الجزاء.

(٢) أما معنى العدل فهو معروف بين الناس، وهو ضد الجور والظلم، ولكن علماء الأخلاق بحثوا فى معنى العدل بحثا دقيقا، فقالوا: إنه صفة من صفات النفس الخلقية الفاضلة التى يترتب عليها أداء الحقوق المشروعة لمستحقيها كاملة، بحيث لا يظلم أحد فى شىء من الأشياء التى أقرها له الدين وجعلها مقصورة عليه. وهذه الصفة الخلقية الفاضلة تظهر آثارها فى ثلاث قوى نفسية: وهى القوة الشهوية، والقوة الغضبية، والقوة العقلية. ولهذا عرفوا العدل بأنه التوسط بين طرفى الإفراط والتفريط فى هذه القوى، فمتى اعتدلت هذه القوى كان صاحبها عادلا. مثال التوسط فى الشهوات هو أن يقف معها عند الحد الذى أمره به الدين والعقل، فلا تحمله شهوته على الاعتداء على أعراض الناس وأموالهم وأنفسهم، ولا تذهب به إلى ما يضره فى خلقه أو دينه أو بدنه؛ ولا تحمله على ما نهاه عنه الدين من حقد وحسد وغير ذلك. فمن توسط فى هذه الشهوة سواء كانت شهوة جاه أو مال، أو منصب أو لذة من اللذات البدنية، واقتصر على ما هو مشروع منها، فقد ملك زمام العدل مع نفسه ومع الناس. أما إذا طغت عليه شهوته فحملته على الخروج عما أمره الله به، وزينت له الاعتداء على أعراض الناس وأموالهم وحقوقهم العامة أو الخاصة، فقد باء بأقبح الآثام وكان من الظالمين الطاغين. هذا هو نتيجة الإفراط فى الشهوات، ويسمى عند علماء الأخلاق خلاعا أو مجونا.

وأما الإفراط فى ترك الشهوات الطبيعية التى خلقها الله - تعالى - لمصالح وحكم، كإهمال الجسم من الغذاء الحلال الضرورى والنظافة وغيرهما، فإنه يترتب عليه

السقم الذى يحول بين المرء وبين أداء وظيفته المطلوبة منه للمجتمع الإنسانى. ومثل ذلك إهمال شهوة الفرج وإماتتها، وهى مودعة فى النوع الإنسانى لغرض التناسل وتكثير سواد الأمة، وإعدادها للقيام بما هو مطلوب منها، إلى غير ذلك من المصالح العامة والخاصة التى تقتضيها الشهوات الطبيعية فى الإنسان. فمن أفرط فى شهوته كان ظالما، ومن فرط فيها كان جامدا، ومن توسط كان عادلا.

ومثال التوسط فى الغضب، هو أن يضبط نفسه ولا يطيع غضبه فى الخروج عما يقتضيه العقل والدين، فلا يغضب إلا إذا انتهكت الحرمات العامة أو الخاصة: بأن يتعدى أحد على دينه أو عرضه أو ماله أو نفسه، أو رأى منكرا من المنكرات التى نهى الله ـ تعالى ـ ورسوله عنها. فالغضب لذلك ممدوح، ولابد منه لبقاء النوع الإنسانى. والتوسط فى الغضب يسمى شجاعة؛ والشجاعة وسط بين الجبن وبين التهور. ومن كان كذلك فإنه يملك نفسه ويصرفها عن إيذاء الناس وظلمهم، والتعدى على أموالهم وأعراضهم وأنفسهم، ويحمله على إعطاء كل ذى حق حقه، ويدفع عن نفسه وعن دينه وعرضه عدوان الناس؛ وبذلك ينجو من عار الجبن، وعدم الغيرة على عرضه وماله ودينه.

أما الإفراط فى الغضب فإنه يترتب عليه أسوأ الآثار وأشنعها، فإن الذى يحمله غضبه على الخروج عن الدفاع عن هذه الأمور التى أمر الله بصيانتها والدفاع عنها، يكون ظالما لا محالة، لأنه لا يبالى بأن يؤذى الناس فى أموالهم وأعراضهم، بل وفى أنفسهم، تشفيا وانتقاما بدون مبرر، وذلك شر وبيل لا يقره الدين ولا العقل، ولا يرضاه الله ورسوله.

وأما ترك الغضب فإنه يترتب عليه الجبن وعدم المبالاة بالتعدى على الأعراض والأنفس والأموال، وذلك خروج عما يقتضيه العقل والدين.

ومثال التوسط فى القوة العقلية، هو أن يقف الإنسان مع عقله وتفكيره موقف المتدبر للأمور على ما هى عليه، المتأمل فى أسرار الكون ونظمه وما جاءت به الشرائع الإلهية من حكم واعتقاد. فمن وقف مع عقله هذا الموقف كان متوسطا بين البلادة والغرور. ويشتمل ذلك على ثلاثة أمور: حكمة الاعتقاد، وحكمة العمل، وحكمة الأخلاق. فأما حكمة الاعتقاد، فأولها توحيد الله ـ تعالى ـ وتنزيهه عن كل مالا يليق به. وهذا متوسط بين رذيلتين: الأولى نفى الألوهية رأسا، أو اعتقاد إلهين أحدهما معطل كما تقول الثنوية. وأما حكمة العمل فهى أداء الواجبات بلا إفراط أو تفريط، وهذا متوسط بين ترك العمل رأسا، والمبالغة فيه، كما إذا ترك التمتع بما أباحه الله له من حلال طيب. وأما حكمة الأخلاق فهى كالجود المتوسط بين الإسراف والشح.

فهذا إيضاح ما ذكره علماء الأخلاق من الفلسفة فى تعريف العدل. وقد عرفت أن العدل معروف بين الناس؛ وأن كل إنسان يشعر بما يحيق به من ظلم وإن تفاوتت مدارك الناس فى تقدير الظلم والعدل. فالرئيس الذى يتصرف فى دماء الناس وأموالهم وأعراضهم وحقوقهم العامة والخاصة، لا يجهل معنى العدل والظلم، وليس فى حاجة إلى معرفة هذه الدقائق. وإذا سألته لماذا يظلم هذا لا يعدم مبررا يبرر به ظلمه. ولكن الواقع أن العدل والظلم لا يخفيان على أحد، وأن الرئيس العادل أو الظالم لا يخفى أمرهما وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون.

(٣) أما آثار العدل بين الناس، فهي سعادة المجتمع، وصلاح أفراده في كل شأن من شئونهم. فمتى عدل الرئيس القائم على مصالح جماعة من الناس، وحارب العوامل التي تحول بينه وبين إقامة العدل، فإنه يكون قد ظفر بالسعادة هو ورعيته التي يحوطها بدون نزاع. ولهذا كان قوام الدين الإسلامي في صدر الإسلام، على رجاله الذين يقومون بالعدل ويتوخونه في كل صغيرة وكبيرة. فكان الرئيس منهم ينسى شخصه وولده وأعز شيء عليه في سبيل إقامة العدل وإعطاء كل ذي حق حقه. ولو شئنا أن نذكر أمثلة لذلك من عدل حكام المسلمين الأولين لطال بنا المقام كثيراً؛ ولكن لا بأس من أن نورد شيئاً من ذلك عسى أن يكون فيه عظة وعبرة للمسلمين الذين ينالون حظاً من الرياسة.

فمن ذلك ما روى عن الحسن قال: «جيء إلى عمر ـ رضي الله عنه ـ بمال فبلغ ذلك حفصة أم المؤمنين، فجاءت، فقالت: يا أمير المؤمنين أنشدك حق أقربائك من هذا المال، وقد أوصى الله بالأقربين. فقال: يا بنية: حق أقربائي في مالي، وأما هذا فمال المسلمين؛ غششت أباك، ونصحت أقرباءك، قومي! فقامت والله تجر ذيلها».

ومن ذلك ما روى من أنه ـ رضي الله عنه ـ جمع عماله، وجمع رؤساء القبائل معهم، ثم قال لهم: «إني والله ما أرسل عمالي إليكم ليضربوا وجوهكم ولا ليأخذوا أموالكم، ولكن أرسلتهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم، ويحفظوا دماءكم وأعراضكم، ويقسموا بينكم فيئكم، فمن فعل معه سوى ذلك فليرفعه إليّ، فو الذي نفس عمر بيده إذن لأقصنه منه! فوثب عمرو بن العاص أحد الأمراء فقال: يا أمير المؤمنين: أفرأيت إن كان رجل من المسلمين على رعيته فأدب بعض رعيته إنك لمقصه منه؟ قال: إي والذي نفس عمر بيده إذن لأقصنه منه! وقد رأيت رسول الله ﷺ يقص من نفسه. ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم، ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم (الغياض جمع غيضة، والغيضة مكان يجتمع فيه الماء ثم يقل فينبت فيه الشجر). وكان ـ رضي الله عنه ـ يباشر أحوال رعيته بنفسه ليقيم بينهم العدل بقدر ما يستطيع. وكان يؤثر رعيته على نفسه وولده عند نزول الشدائد والإحن.

وما نحن بقادرين على أن نذكر في هذا المقام ما كان عليه عمر ـ رضي الله عنه ـ من عدل شامل لجميع أفراد الرعية. ولكن كان من آثار هذا العدل أن قامت الدولة الإسلامية في عهده على أساس ثابت قد وضعه رسول الله ﷺ من قبل، فقوى الإسلام في عهده، وانهارت الدولتان اللتان كانتا تسودان العالم يومئذ، وهما الفرس والرومان.

وبالجملة، فالدين الإسلامي قد أمر المسلمين بإقامة العدل بينهم أمراً صريحاً، وهدد الظالمين تهديداً شديداً، ولعنهم لعناً كبيراً، قال تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾(١).

والله يهدى المسلمين إلى سواء السبيل؟

(١) النحل (٩٠).

رسول الله صلى الله عليه وسلم في شبابه

للأستاذ / محمد حسن دراز

شب رسول الله ﷺ، والله - تعالى - يكلؤه ويحفظه من أقذار الجاهلية، لما يريد به من كرامته وبعثه، حتى كان أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقا، وأكرمهم، حسبا، وأحسنهم جوارا، وأعظمهم حلما، وأصدقهم حديثا، أكملهم أمانة، وأبعدهم عن الفحش، والسلوك الذي يدنس الرجال.

سموه، الأمين، لما جمع الله عز وجل فيه من الصفات الحميدة، كالحلم والصبر والعدل والتواضع والعفة والجود والشجاعة والحياء. شهد له بذلك ألد أعدائه النضر بن الحارث حيث يقول: قد كان محمد فيكم غلاما حدثا، أصدقكم حديثا، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب، وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر! لا والله ما هو بساحر، قال ذلك في معرض الاتفاق على ما يقولونه للعرب الذين يحضرون الموسم، حتى يكونوا متفقين على قول مقبول يقولونه، ولما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان - قبل أن يسلم -: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال: لا. فقال هرقل: ما كان ليدع الكذب على الناس، ويكذب على الله - عز وجل -.

حفظه الله - تعالى - في صغره من كل أعمال الجاهلية التي جاء شرعه الشريف بضدها وبغضت إليه الأوثان بغضا شديدا، حتى ما كان يحضر لها احتفالا أو عيدا مما يقوم به عبادها، قال ﷺ: «لما نشأت بغضت إليّ الأوثان، وبغض إليّ الشعر ولم أهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله إلا مرتين، كل ذلك يحول الله - سبحانه وتعالى - بيني وبين ما أريد من ذلك، ثم ما هممت بسوء بعدها، حتى أكرمني الله - عز وجل - برسالته، قلت ليلة لغلام كان يرعى معي: لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة، فأسمر كما يسمر الشباب، فخرجت لذلك، حتى جئت أول دار من مكة، أسمع عزفا بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم، فجلست لذلك، فضرب الله على أذني فنمت، فما أيقظني إلا حر الشمس، ولم أقض شيئا، ثم عراني مرة أخرى مثل ذلك، مثل ذلك، وكان ﷺ لا يأكل ما ذبح على

النصب، وحرّم شرب الخمر على نفسه، مع شيوع ذلك في قومه شيوعا عظيما.

ولم يرث - صلوات الله وسلامه عليه - عن والده شيئا ذا بال، بل ولد يتيما عائلا، فاسترضع في بني سعد، ولما بلغ مبلغا يمكنه أن يعمل، كان يرعى الغنم مع إخوته من الرضاع في البادية ولما رجع إلى مكة كان يرعاها على قراريط لأهل مكة روى البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه -، قال رسول الله ﷺ: «ما من نبي إلا رعى الغنم، قالوا: وأنت؟ قال: «كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة».

ولما شب ﷺ كان يتجر، وكان شريكه في التجارة السائب بن أبي السائب، وكانت السيدة خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة، ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في تجارتها، وتضاربهم إياها، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها: من صدق حديثه وعظم أمانته، وكرم أخلاقه، عرضت عليه أن يخرج في مالها إلى الشام تاجرا، وتعطيه أفضل مما كانت تعطي غيره من التجار، فخرج ﷺ في مالها مع غلامها ميسرة وباع سلعته واشترى ما أراد، فلما قدم على خديجة بما لها، باعت ما جاء به فأضعف أو قريبا، وكان ميسرة يقول: إذا كانت الهاجرة واشتد الحر تظله الغمامة.

لما لمست السيدة خديجة بركته ﷺ بعثت إليه: يا بن عم، إني قد رغبت فيك لقرابتك، ووسطتك في قومك، وأمانتك، وحسن خلقك، وصدق حديثك. ثم عرضت عليه أن يتزوجها، وكانت أوسط نساء قريش نسبا، وأعظمهن شرفا، وأكثرهن مالا، ذكر ذلك رسول الله ﷺ لأعمامه، فذهبوا معه إلى عمها عمرو بن أسد، فخطبها أبوطالب، وخطب فقال: الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم - عليه السلام -، وزرع إسماعيل - عليه السلام - وضئضئ معد، وعنصر مضر، وجعلنا سدنة بيته، وجعل لنا بيتا محجوجا، وحرما آمنا، وجعلنا حكام الناس، ثم إن ابن أخي هذا، محمد بن عبدالله، لا يوزن به رجل شرفا ونبلا وفضلا، وإن كان في المال قلّ، فإن المال ظل زائل، وأمر حائل، وعارية مستردة، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم، وخطر جليل، وقد خطب إليكم رغبة في كريمتكم «السيدة» خديجة، وقد بذل لها من الصداق «كذا».

ومن مواقفه في مكة قبل البعثة قصته مع «بحيرى» الراهب، فقد خرج أبوطالب في ركب تاجرا إلى الشام، فلما تهيأ للرحيل، صب به رسول الله ﷺ، فرق له، وقال: والله لأخرجن به معي، ولا يفارقني، فخرج به معه، فلما نزل الركب «بصرى» من أرض الشام، وكان بها راهب في صومعته، يقال له «بحيرى»، وكان إليه علم النصرانية وكانوا كثيرا ما يمرون به، ولا يكلمهم، ولا يعرض لهم، حتى كان ذلك العام، فلما نزلوا قريبا من صومعته، صنع لهم طعاما كثيرا، وذلك لأنه رأى رسول الله ﷺ في الركب حين أقبلوا، وغمامة تظله من بين القوم، ثم أقبلوا

فنزلوا في ظل شجرة قريبة منه، فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة، وتهصرت أغصان الشجرة على رسول الله ﷺ حتى استظل تحتها، فأمر بذلك الطعام فصنع، ثم أرسل إليهم فقال: إني صنعت لكم طعاما يا معشر قريش، وأحب أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وعبدكم وحركم، فقال رجل منهم: والله يا بحيرى إن لك لشأنا اليوم، ما كنت تصنع هذا لنا، وقد كنا نمر بك كثيرا، فما شأنك اليوم؟ قال بحيرى: صدقت، فقد كان ما تقول، ولكنكم ضيوف، وقد أحببت أن أكرمكم، فاجتمعوا وتخلف رسول الله ﷺ لحداثة سنه، في رحال القوم تحت الشجرة، فلما نظر بحيرى في القوم لم يجد الصفة التي يعرفها، فقال: يا معشر قريش، لا يتخلفن أحد منكم عن طعامي، قالوا: يا بحيرى ما تخلف أحد ينبغي له أن يأتيك، إلا غلاما هو أحدث القوم سنا، فقال: لا تفعلوا، ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم، فقام رجل فأحضر رسول الله ﷺ وأجلسه مع القوم، فجعل بحيرى يلحظه لحظا شديدا، وينظر إلى أشياء من جسده، كان يجدها عنده من صفته، فلما فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا، قام إليه بحيرى فقال: يا غلام أسألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتني عمّا أسألك عنه، فقال ﷺ: لا تسألني باللات والعزى شيئا، فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما، فقال له بحيرى: فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه، فقال له: سلني عما بدا لك، فجعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه وهيئته وأموره، فجعل رسول الله ﷺ يخبره، فيوافق ذلك ما عنده من صفته، ثم نظر إلى ظهره، فرأى خاتم النبوة بين كتفيه، فلما فرغ أقبل على عمه أبي طالب، فقال له: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني قال له: ما هو بابنك، ما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا، قال: فإنه ابن أخي، قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمه حامل به، قال: صدقت، فارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه يهود، فوالله لئن رأوه، وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرا، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، فخرج به عمه أبوطالب سريعا حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام.

ولما بلغ رسول الله ﷺ خمسا وثلاثين سنة، اجتمعت قريش لبنيان الكعبة، وكانوا يهمون بذلك ليسقفوها، ويهابون هدمها، وقد كانت رضما فوق القامة، فأرادوا تسقيفها، لأن نفرا سرقوا كنز الكعبة، وكان البحر قد رمى بسفينة رجل من تجار الروم، فتحطمت، فأخذوا خشبها وأعدوه لتسقيفها، وكان بمكة رجل قبطي نجار، فتهيأ لهم في أنفسهم بعض ما يصلحها، وكانت حية تخرج من بئر الكعبة كل يوم تتشرق على جدار الكعبة، وكانوا يهابونها، فبينما هي ذات يوم تتشرق على جدار الكعبة كما كانت تفعل، بعث الله إليها طائرا فاختطفها فذهب بها فقالت قريش: إنا لنرجو أن يكون الله قد رضي ما أردنا، عندنا

عامل رفيق، وعندنا خشب، وقد كفانا الله الحية، فلما أجمعوا أمرهم لهدمها وبنائها، قام أبووهب بن عمرو الزهرى فتناول حجرا من الكعبة، فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه، فقال: يا معشر قريش لا تدخلوا فى بنائها من كسبكم إلا طيبا، لا يدخل فيها مهر بغى، ولا بيع ربا، ولا مظلمة أحد من الناس، ثم إن قريشا تجزأت الكعبة، فكان شق الباب لبنى عبد مناف وزهرة، وكان ما بين الركن الأسود والركن اليمانى لبنى مخزوم وقبائل من قريش انضموا إليهم، وكان ظهر الكعبة لبنى جمح وبنى سهم، وكان شق الحجر لبنى عبدالدار وبنى أسد وبنى عدى.

وهاب الناس هدمها، فقال الوليد بن المغيرة: أنا أبدؤكم فى هدمها، فأخذ المعول، ثم قام عليها، وهو يقول: اللهم إنا لا نزغ، اللهم إنا لا نريد إلا الخير، ثم هدم من ناحية الركنين، فتربص الناس تلك الليلة، وقالوا: ننظر، فإن أصيب لم نهدم منها شيئا ورددناها كما كانت، وإن لم يصبه شىء فقد رضى الله صنعنا، فهدمنا، فأصبح الوليد من ليلته غاديا على عمله فهدم وهدم الناس معه، حتى انتهى الهدم بهم إلى أساس إبراهيم - عليه السلام -، فأفضوا إلى حجارة خضر كالأسنمة، آخذ بعضها بعضا، فأدخل رجل من قريش عتلته بين حجرين ليقلع بها أحدهما، فلما تحرك الحجر انتقضت مكة بأسرها، فانتهوا عن ذلك الأساس.

ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها، كل قبيلة تجمع على حدة، ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الركن، فاختصموا فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى، حتى تحاوروا وتحالفوا وأعدوا للقتال، ومكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمسا، ثم أنهم اجتمعوا فى المسجد وتشاوروا وتناصفوا، فقال أبوأمية بن المغيرة المخزومى وكان عامئذ أسن قريش كلها: يا معشر قريش، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب المسجد يقضى بينكم، فرضوا.

فكان أول داخل عليهم رسول الله ﷺ، فلما رأوه قالوا: هذا الأمين رضينا، هذا محمد، فلما انتهى إليهم أخبروه الخبر، فبسط ثوبه، وأخذ الركن فوضعه فيه بيده، ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوه جميعا، ففعلوا، حتى إذا بلغوا به موضعه، وضعه هو بيده، ثم بنى عليه، صلى الله تعالى عليه وسلم.

قال ﷺ: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، ثم اصطفى من كنانة قريشا، ثم اصطفى من قريش بنى هاشم، ثم اصطفانى من بنى هاشم»[1]، وكانت الكعبة على عهد رسول الله ﷺ ثمانية عشر ذراعا، وكانت تكسى القباطى، ثم كسيت البرود، وأول من كساها الديباج الحجاج بن يوسف.

---

(١) أحمد ٤/١٠٧.

سماحة الإسلام

سماحة التشريع الإسلامي سر انتشاره

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

من أبرز سمات التشريع الإسلامي: سماحته ويسر أحكامه. فليس فيه حرج ولا مشقة، ولا عسر ولا تنفير، بل فيه اليسر والرحمة، والخير والتبشير. والذي يتصفح تعاليم الإسلام يرى هذه الحقيقة واضحة بأجلى معانيها، وأوضح صورها ونماذجها في العقيدة والعبادة والمعاملة.

السماحة في العقيدة

فليس فيها تعقيد ولا غموض، ولا نظرية جانحة ولا فلسفة حائرة، بل تتركز عقيدته في الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر والقدر خيره وشره حلوه ومُرّه.

وليس في عقيدته إيمان بما جاء به البشر، بل إيمان بما أنزل الله على رسوله:

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾(١)

وليس في عقيدته عصبية ممقوتة بل احترام لما أنزله الله وإيمان به، واحترام لجميع رسل الله - تعالى - وإيمان بهم دون تفريق بين أحد من رسله:

﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾(٢).

السماحة في العبادات

أما في العبادة: فهي عبادة ميسورة، في وسع كل إنسان أن يأتي بها، فلا صعوبة فيها، ولم يكلف الله - تعالى - عباده إلا بما هو في وسعهم:

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾(٣).

وقد شرع الله العبادة وأحكامها ومع يسرها، فقد رفع الحرج عنها:

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾(٤).

(١، ٢) سورة البقرة (٢٨٥)   (٣) سورة البقرة (٢٨٦)   (٤) سورة الحج (٧٨)

السماحة فى الوضوء والصلاة

فمن لم يستطيع الوضوء بالماء لتعب أو مرض أو جرح يمنعه من الماء، أو لأنه لم يجد الماء بل فقده، شرع الله له التيمم بالتراب الطاهر:

﴿ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾(٥).

وشرع الله الصلاة وما فيها من قيام وقعود، وركوع وسجود، ومع يسر هذه العبادة، فقد رفع الحرج عنها، ورخص لغير القادر على القيام أن يصلى من قعود، ولغير القادر على أدائها من قعود أن يؤديها مضطجعا ولغير القادر على أدائها مضطجعا أن يؤديها بإشارة رأسه، ولغير القادر على ذلك أن يشير برموش عينيه، ولغير القادر على ذلك.. يجرى أركان الصلاة على قلبه، ولا يتركها مادام عقله ثابتا، لأنها الصلة بينه وبين خالقه، فانظر إلى أى مدى وصل التيسير ورفع الحرج، أن يكتفى بأن يجرى الأركان على قلبه عند عجزه عن الحالات السابقة؟ إنها الرحمة الإلهية:

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾(٦)

السماحة فى الصوم

فقد رخص الله ـ تعالى ـ للمريض والمسافر سفرا طويلا أن يفطر، ويقضى الصوم فى أيام أخرى قال تعالى:

﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ۚ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(٧).

وكذلك رخص للحامل والمرضع فى الإفطار والقضاء من أيام أخرى.

السماحة فى الحج

فإنه لم يشرعه فى كل شهر ولا فى كل سنة، بل أوجبه الله ـ تعالى ـ مرة واحدة فى العمر كله، ولم يفرضه على الجميع بل على المستطيع فحسب، قال سبحانه:

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾(٨)

السماحة فى المعاملات

إذا نظرنا إلى سماحة الإسلام فى المعاملات، وجدنا الهدى النبوى، يرشد إلى السماحة فى كل المعاملات من بيع أو شراء أو اقتضاء، عن جابر بن عبدالله - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «رحم الله رجلا سمحا إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى»(٩).

وإقرارا لروح السماحة والتراحم بين العباد فى معاملاتهم، ينبئنا الرسول صلوات الله وسلامه عليه عن ثمرة ذلك فى الآخرة، حيث يتجاوز الله - تعالى - عن عباده الذين يتجاوزون، ويتسامحون مع عباد الله، روى البخارى بسنده أن حذيفة - رضى الله عنه - قال: قال النبى ﷺ: «تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم، فقالوا: أعملتَ من الخير شيئا؟ قال: كنتُ آمر فتيانى أن ينظروا الموسر، ويتجاوزوا عن المعسر. قال: فتجاوز الله عنه». وعن ابن عمر - رضى الله عنهما - عن النبى ﷺ قال: «من أراد أن

(٥) سورة المائدة (٦). (٦) سورة البقرة (١٨٥). (٧) سورة البقرة (١٨٤).

(٨) سورة آل عمران (٩٧) (٩) رواه البخارى

تستجاب دعوته، أو تكشف كربته فليفرج عن معسر»(١٠).

سماحة الإسلام مع غير المسلمين

كما راعى الإسلام السماحة فى العقيدة والعبادة والمعاملات، فإنه راعى السماحة فى معاملة المسلمين لغيرهم:

﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾(١١)

بل قرر الإسلام حماية أهل الذمة والمستأمنين ماداموا فى دار الإسلام، وهذا الحق الذى قرره الإسلام لحمايتهم، يجب أن يعمل به أهل الأديان الأخرى فى معاملة الأقليات الإسلامية؛ حماية لهم وتمكينا لعباداتهم، حتى يتم التعاون بين عنصرى الأمة.

ولننظر كيف أكد الإسلام على حقوق أهل الكتاب والمعاهدين قال رسول الله ﷺ: «ألا من ظلم معاهدا أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ شيئا بغير طيب نفس منه، فأنا حجيجه يوم القيامة»(١٢).

ومن وصايا سيدنا عمر بن الخطاب – رضى الله تعالى عنه –: (أوصيكم بذمة الله، فإنه ذمة نبيكم ورزق عيالكم). وإرساء لأسس التعاون والتواصل بين عنصرى الأمة أحل الله طعامهم فقال:

﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ﴾(١٣)

وشرع الزواج بالمرأة الكتابية، ولا رابطة فى الظواهر الاجتماعية أقوى من ذلك، قال تعالى:

﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾(١٤).

ومما يدل على انتشار الإسلام بسماحته وحسن معاملة المسلمين لغير المسلمين، هذه الواقعة التى حدثت بين الإمام على بن أبى طالب – كرم الله وجهه – وبين رجل من أهل الكتاب، وذلك عندما فقد الإمام على – رضى الله عنه – درعه، ثم وجدها عند هذا الرجل الكتابى، فجاء به إلى القاضى شريح قائلا: إنها درعى ولم أبع ولم أهب. فسأل القاضى شريح الرجل الكتابى قائلا: «ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين؟»

فقال الرجل: «ما الدرع إلا درعى، وما أمير المؤمنين عندى بكاذب» فالتفت القاضى شريح إلى الإمام على – رضى الله عنه – يسأله:

«يا أمير المؤمنين هل من بينة؟» فضحك على وقال: «أصاب شريح ما لى بينة» فقضى بالدرع للرجل، وأخذها ومشى، وأمير المؤمنين ينظر إليه، إلا أن الرجل لم يخط خطوات حتى عاد يقول: أما أنا فأشهد أن هذه أحكام أنبياء.. أمير المؤمنين يدينني إلى قاضيه فيقضى عليه؟ أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين. انبعث الجيش وأنت منطلق إلى صفين فخرجت من بعيرك الأورق، فقال الإمام على – رضى الله عنه –: (أما إذ أسلمت فهى لك).

وهكذا نرى كيف وصلت سماحة الإسلام إلى هذا المدى الذى يقف فيه أمير المؤمنين نفسه أمام القاضى،

---

(١٠) أخرجه أحمد ٢/٢٣.

(١١) سورة الممتحنة (٨).

(١٢) رواه البيهقى.

(١٣، ١٤) سورة المائدة (٥)

مع رجل من أهل الكتاب، ومع أن أمير المؤمنين على حق، فإن القاضي طالبه بالبينة، وهذا أمر جعل أمير المؤمنين يضحك، لأنه على حق، وليس معه بينة، وواضح أنه المدعي، والبينة على المدعي واليمين على من أنكر، ثم تكون النهاية: أن يحكم القاضي للرجل بالظاهر، حيث لم تظهر البينة.. إن هذه المعاملة السمحة، التي لا يفرق فيها بين أمير وواحد من الرعية من أهل الكتاب، جعلت الرجل يفكر في هذا الدين ويتملكه الإعجاب بهذا الدين، الذي يقف فيه أمير المؤمنين أمام قاضيه، ويحكم قاضيه عليه لا له، بظاهر ما أمامه وإن كان ذلك خلاف الواقع، فأنطق الله الرجل أن يقول: أما أنا فأشهد أن هذه أحكام أنبياء.. وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.. ويعترف ويقر بالحقيقة قائلا: الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين، اتبعت الجيش، وأنت منطلق إلى صفين فخرجت من بعيرك الأورق، ولكنه وقد اعترف وأحب الإسلام ودخل فيه - جعل أمير المؤمنين يتنازل عن الدرع للرجل قائلا: (أما إذ أسلمت فهي لك).

إنها صورة من صور القضاء في قمة عدالته، حيث يسوى بين هذا الرجل وبين أمير المؤمنين، وصورة سماحة الإسلام في ذروتها حيث كان الحكم بالظاهر وعلى أمير المؤمنين لا له، إن مثل هذه المعاملة السمحة مع غير المسلمين، هي التي قربت الإسلام إلى الناس، وجعلتهم يدخلون في دين الله أفواجا.

أما صور التعصب الممقوت التي يساء فيها إلى الإسلام، فإنها لا تدفع الناس إلى الدخول فيه، بل تدفعهم إلى النفور منه.

ومن أجل هذا كان القرآن الكريم يجلي هذه الحقيقة:

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾(١٥) وأيضا لا حرج فيه ولا مشقة:

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ ﴾(١٦).

إنه دعوة إلى اليسر والتسامح لا إلى العسر والغلظة:

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ ﴾(١٧)

وإذا كان التسامح وحسن المعاملة وعدم التعصب، أمورا مطلوبة من المسلمين في معاملتهم مع غير المسلمين، فإنها كذلك مطلوبة من غير المسلمين مع المسلمين، حتى تتم معاملة كل طرف للآخر في دائرة التعاون والتضامن، فلا يسيء إحدهم إلى الآخر، بل يتعاملون بروح الفريق الواحد في الوطن الواحد.

أثر سماحة الإسلام

إن سر انتشار الإسلام، واعتناق الناس له، ودخولهم في دين الله أفواجا، هو منهاجه الرباني، الذي أنزله رب العزة - سبحانه وتعالى - على رسوله - صلوات الله وسلامه عليه - هذا المنهاج الذي أمر الله - تعالى - فيه بالدعوة بالحكمة، والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن.

لا إكراه في الدين

إنه منهج دعوة، وليس إكراها ولا تشددا ولا عنفا قال الله - تعالى:

(١٥) سورة البقرة (٢٥٦). (١٦) سورة الحج (٧٨). (١٧) سورة البقرة (١٨٥)

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[18]

وما أقر الإسلام العنف ولا التشدد:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[19]

وقال سبحانه لموسى وهارون حين بعثهما إلى فرعون الذى ادعى الألوهية:

﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[20].

وعندما خافا أن يبطش بهما، بين الله ـ تعالى ـ أنه معهما يسمع ويرى ويؤيدهما فى دعوتهما، فالله ـ سبحانه ـ يؤيد كل داع يستجيب لمنهاجه، ويدعو بالقول اللين الذى لا ينفر، فقال ـ تعالى ـ ردا عليهما ـ:

﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾[21]

وقد ضرب رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أروع الأمثلة فى التسامح، وكان لين الجانب، طيب المعاملة سمحا فى كل الأمور حتى مع أعدائه الذين حاربوه من قبل، كما حدث مع ثمامة بن أثال الذى عرض عليه الإسلام ثلاث مرات، وكان لا يقبل فى كل مرة، حتى أمر النبى ﷺ بإطلاق سراحه، فكان هذا العفو والتسامح سببا فى دخول الرجل فى الإسلام وقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله... وأقر الرجل بما كان عليه قبل هذه المعاملة السمحة من قبل، من عداوة وكراهية للإسلام فقال: «إنه ما كان من بلد أبغض إلىّ من بلدك، وقد أصبح أحب البلاد إلىّ، وما كان من وجه أبغض إلى من وجهك، وقد أصبح أحب الوجوه إلى، وما كان من دين أبغض إلىّ من دينك، وقد أصبح أحب الأديان إلىّ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله» ودخل الإسلام بفضل سماحة النبى ﷺ.

من أجل هذا قاوم الإسلام العصبية، ودعا إلى التسامح ففى الحديث: «ليس منا من دعا إلى عصبية»[22] ولم يقتصر تسامح الإسلام مع أهل الكتاب فحسب، بل إنه شمل حتى المشركين، فدعا الإسلام إلى منحهم الجوار والأمان حين يطلبه أحد المشركين، قال الله ـ تعالى ـ:

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾[23].

سيادة القانون

بل إن الإسلام يعتبر ضرب الإنسان الفاجر أو المعاهد دون ذنب أو سبب جريمة يتبرأ الرسول ﷺ من صاحبها فيقول: «ومن خرج على أمتى يضرب برها وفاجرها لا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفى لعهد ذى عهدها، فلست منه وليس منى»[24] وذلك حتى لا يأخذ الناس بعضهم بعضا بالظن، وحتى لا تكون الحياة فوضى، فالإسلام لا يقر الظلم ولا العدوان، حتى على الفاجر أو من كان معاهدا، فالفاجر فجوره على نفسه وحسابه على الله، ولسنا

---

(18) سورة النحل (125). (19) سورة البقرة (256) (20) سورة طه (44).

(21) سورة طه (46). (22) أخرجه أبو داود 5126، شرح السنة 122/2.

(23) سورة التوبة (6). (24) رواه مسلم.

مطالبين حياله إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومراتب مقاومة المنكر التي أخبر بها الرسول ﷺ حين قال: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[٢٥].

وليس لأحد كائنا من كان أن يعطي نفسه الشرعية والحق في ضرب الناس، أو إكراههم باسم الإسلام، فإنه بهذا التصرف يسيء إلى الإسلام وإلى سماحته.

عـدالة الإسـلام

وقد عني الإسلام برعاية أهل الكتاب، فقرر سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لهم كفالة في بيت مال المسلمين، فقد روى أنه مر بباب جماعة، فوجد سائلا يسأل - وهو شيخ كبير ضرير - فسأله قائلا: من أي أهل الكتاب أنت؟ فقال: يهودي، فسأله: ما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسن، فأخذ عمر بيده إلى منزله، وأعطاه، ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال له: «أنظر هذا وأضرابه، فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته، ثم نخذله عند الهرم».

وما حدث في تاريخ سلفنا إهانة أحد من أهل الذمة، بل إن حدث أي تجاوز كان يعالجه الإسلام في الحال، فعندما شكا إلى عمر أحد الأقباط ابن والي مصر، عمرو بن العاص الذي لطم ابنه عندما غلبه ابن القبطي في السباق، وقال: أنا ابن الأكرمين، أسرع عمر - رضي الله عنه - بإحضار والي مصر وابنه وأعطى عمر الدرة لابن القبطي وأمره أن يقتص من ابن الأكرمين، ثم قال لعمرو كلمته المأثورة: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا».

وقد أقام الإسلام العدل بين عنصري الأمة من المسلمين وغير المسلمين، ومن رسالة سيدنا عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - إلى قاضي القضاة أبي موسى الأشعري قال له: (آس بين الناس في وجهك ومجلسك وقضائك، حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك) فلا يصح التفرقة بين المتخاصمين، حتى ولو كان أحدهما غير مسلم، وقد روى أن يهوديا خاصم سيدنا علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فنادى أمير المؤمنين عليا - رضي الله عنه - بقوله: (قف يا أبا الحسن، فبدا الغضب على عليّ - رضي الله عنه - فقال له عمر - رضي الله عنه -: أكرهت أن نسوي بينك وبين خصمك في مجلس القضاء؟ فقال علي - رضي الله عنه -: لا، ولكني كرهت منك أن عظمتني في الخطاب، فناديتني بكنيتي، ولم تصنع مع خصمي اليهودي ما صنعت معي).

وهكذا نرى كيف عامل سلفنا أهل الكتاب، وكيف أظهروا سماحة هذا الدين الذي لا يقر العصبية، ولا يرضى الظلم حتى لغير المسلمين، بل يدعو إلى التسامح والعدل معهم.

وهذا المنهاج المتسامح للإسلام مع أهل الأديان الأخرى هو سر عظمة الإسلام، وسر ذيوعه وانتشاره في ربوع المعمورة.

---

(٢٥) رواه مسلم.

مواقف إسلامية

مجالات التنافس الشريف

للأستاذ الدكتور / محمود محمد عمارة

عن مجاهد: قالت أم سلمة: يارسول الله: (يغزو الرجال ولا نغزو.. ولهم من الميراث ضعف مالنا، فليتنا كنا رجالا).

وفي رواية: أتت وافدة النساء إلى الرسول ﷺ وقالت: «ربُّ الرجال والنساء.. واحد، وأنت الرسول إلينا وإليهم، وأبونا آدم وأمنا حواء، فما السبب في أن الله يذكر الرجال ولا يذكرنا..».

فنزلت الآية: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[1].

فقالت: وقد سبقنا الرجال بالجهاد.. فما لنا؟

فقال ﷺ: «إن للحامل منكن أجر الصائم القائم.. وإن ضربها الطلق.. لم يدر أحد مالها من الأجر.. فإن أرضعت كان لها بكل مصة أجر إحياء نفس»[2].

تمهيد:

قضية المساواة بين الرجل والمرأة قضية قديمة جديدة.

فعن قتادة والسدي: لما نزل قوله – تعالى:

﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾[3].

---

(١) النساء: (٣٢). (٢) المطالب صـ ١٧٢.

قارن بين هذا التقدير.. تقدير الإسلام للمرأة، ومايتكفه به المتاجرون بها من مثل قولهم:

(ولماذا الانتقام من المرأة؟! إن الطبيعة تتولى ذلك عنا: في الحمل، والولادة والرضاعة والأمومة)

(٣) النساء: (١١).

قال الرجال: نرجو أن نُفضّل على النساء في الآخرة.. كما فُضلنا في الميراث.

وقالت النساء: نرجو أن يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال.. فنحن أحوج.. لأن ضعفاءهم أقدر على طلب المعاش[4].

وهكذا بدأ الجدل مبكرا ومع بزوغ الإسلام حول حقوق كل من الرجل والمرأة. فكان هذا الحوار غير المباشر بين عنصري الأمة.. والذي لم يتجاوز إحساس المرأة بحقها في المغفرة جبرا لخاطرها.. ثم طمعَ الرجال أن يكون التفضيل في الميراث مقدمةً للتفضيل في الآخرة.

ثم صار الرجاء مسموعًا.. وعلانية.. عن طريق هذا الاستفسار من قبل أم المؤمنين.. أمّ سلمة - رضي الله عنها والتي تريد فيه توضيحا أكثر لموقف المرأة.. مع التسليم سلفا بحكم الله - تعالى.

ثم انتهى الأمر أخيرا ليكون همًّا اجتماعيا.. شغَل النساء جميعا حتى اجتمعن وقررن إرسال إحداهن إلى الرسول ﷺ.. فكان هذا الحوار الذي يعبر عنه هذا الحديث الشريف: فعلى أي نحو كان هذا الحوار؟ وكيف ارتفع إلى درجة كانت مثلا لكل من أراد أن يتخذ إلى الحق سبيلا؟

وإذا كانت الحكمة تقول:

اعرف في أي طريق تسير.. لتعلم إلى أية غاية تصير.. فقد عرفَت النساء طريقهن.. إلى الرائد العظيم.. فهو وحده جهة الاختصاص في إعادة الطمأنينة إلى القلوب..

وقد ظهرت حكمة النساء في أمرين:

أولاً: في قرارهن ألا يذهبن جميعا فيما يشبه المظاهرة التي تثور فيها الانفعالات.. فلا تستبين فيها وجهات النظر.

وثانيا: في حسن اختيارهن لممثلتهن الشرعية.. والتي كان اختيارها دليلا على حكمة من اختارها.

وذلك لما ظهر من حكمتها والتي بدت في:

أ- حسن عرض القضية.

ب- القضية التي تطرحها مدعومة بأدلتها.

جـ- وفوق ذلك كله فهي تسأل مسترشدة لا معاندة.. تسأل عن السبب في تفضيل الرجال على النساء.. مع أن الجميع متساوٍ في العقيدة.. والشريعة.. والنشأة.

فما سبب التفضيل؟

الرد الإلهي

ويجئ الرد الإلهي.. اعترافا بالحوار كمبدأ وسبيل إلى الحق.. ثم بما يقضي على توتر الأعصاب.. بفصل الخطاب.. فقد نزلت الآية الكريمة:

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾

---

(٤) النيسابوري.

(٥) النساء (٣٢).

ومايزال الحوار مستمراً

ومع ذلك.. فقد كان من أمانة ممثلة النساء أن تُصرح بكل مايعتمل في صدرها.. وفاء للحق أولا.. ثم لمن اخترنها ثانيا..

وهاهي ذي تقول:

وقد سبقنا الرجال بالجهاد.. فمالنا؟

الالتزام بالحق

لقد نزلت الآية الكريمة قبل ذلك ناهية عن تمنى نفس ما للغير.. فاستسلمت المرأة لأمر الله - تعالى.

فلما رأت في الجهاد مايمكن أن يكون سُوقا للخير حُرمْنَ منه.. وضّح لها الرسول ﷺ حظ المرأة من الثواب إزاء ماكان للرجل.. إلى الحد الذي لو رضيت فيه المرأة بقدَر الله - تعالى - لكان لها من الأجر مثلُ ما للعابد.. المجاهد..

لقد تصورت المرأة أنها تصادف في حياتها آلاما لايعانيها الرجل، ومع ذلك فهي أقل منه ثوابا..

ولكنه ﷺ يكشف لها عن أمور لو عرفتها النساء ماكان بهن من حاجة إلى مؤتمر.. ولا إلى وافدة.. فهي في حملها في عبادة من أشق العبادات: الصوم.. والقيام..

وعندما يضربها الطلق.. فإن أجرها عندئذ بغير حساب.. فهو فوق الحصر.. وأجزل مما يتصوره البشر..

بل إنها واحدة من محرري العبيد..

وعليها أن تعد كل مصة.. كل مرة القمت وليدها ثديها.. لتدرك.. كم أحْيَتْ من نفوس؟

إنه شئ يسابق الخيال.. ويعجز عن تصوره الخيال.

من دروس الموقف

قال المحققون: لايجوز للإنسان أن يقول: اللهم اعطني دارا مثل دار فلان.. وزوجة مثل زوجة فلان.

وإن كان هذا غبطة لا حسدا.

بل ينبغي أن يقول: اللهم اعطني مايكون صلاحا لي.. في ديني ودنياي

والأمر على مايقول تعالى:

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾(٦).

أجل.. للرجال نصيب من نعيم الدنيا وثواب الآخرة فينبغي أن يرضوا بما قسم الله لهم وكذا للنساء.

فلا ينبغي إضاعته بالحسد المذموم، لأن المقصود الأول لمدبر العالم وخالقه هو:

الإحسان إلى عبيده. والجودُ إليهم. وإفاضةُ أنواع الكرم عليهم.. فمن تمنى زوال ذلك.. فكأنه اعترض على الله - تعالى - فيما هو المقصود بالقصد الأول من خلق العالم وإيجاد المكلفين.

---

(٦) النساء (٣٢)

وأيضاً: ربما اعتقد في نفسه أنه أحق بتلك النعم من ذلك الإنسان فيكون هذا اعتراضا على الله وقدحا في حكمته سبحانه »(٧).

فالمفروض: أن يرضى المسلم ابتداء بقضاء الله – تعالى- ولن يُرفع قضاء حتى يُرضى به.

أما بعد:

فهل بقيت أمية النساء ـ كما قالت أم المؤمنين أم سلمة، هل بقيت كما هي؟

هل ماتزال النساء في شخصها يتمنين أن يكنّ رجالا؟!

الجــواب:

بالعكس، فإن وفرة ثواب المرأة ليثير رغبة الرجل في مثل ثوابها وحتى التي لاتحمل ولا تلد.. فإن حسن تبعل المرأة لزوجها يعدل ذلك كله.

والحقيقة التي تفرض نفسها بعد ذلك كله.. أنه لا مساواة.. ليست هناك في الإسلام قضية بين الرجل والمرأة تحمل هذا المصطلح.

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾

ومن المساواة.. ألا تكون مساواة.. وأن تبقى العين عينا.. والأذن أذنا..

ولا فضل لإحداهما على الأخرى.. ولكن الفضل لمن رضي.. ثم أدى الذي عليه في موقعه.. وعندئذ.. سوف تحلق الأمة بجناحين في جو السماء.

الثمن الزهيد.. والعائد المفيد

أجل.. إن الفضل لمن رضي.. ثم كان مع ذلك حصيفا.. يستطيع بقليل من حطام الدنيا أن ينال من الفضل ما الله به عليم:

شتم رجل عليا بن الحسين – رضي الله عنه – فرمى له بخميصة كانت عليه، وأمر له بألف درهم، فقال بعضهم: جُمع له خمس خصال محمودة:

الحلم، وإسقاط الأذى، وتخليص الرجل مما يُبعده عن الله – تعالى – وحمله على الندم والتوبة، ورجوعه إلى المدح بعد الذم، اشترى جميع ذلك بشيء من الدنيا يسير.

مجالات التنافس الحقيقي

وإذا كان المسلم يبحث عن سعادته.. فيم تكون.. فهذا حقه.. لكن واجبه أن يعي هذه الحقيقة:

أن مراتب السعادة إما نفسانية نظرية: كالذكاء، والحدس، وحصول المعارف والحقائق؛ أو عملية: كالأخلاق الفاضلة؛ وإما بدنية: كالصحة، والجمال، والعمر؛ وإما خارجية:

كحصول الأولاد النجباء، وكثرة العشائر والأصدقاء؛ والرياسة التامة، ونفاذ القول، وكونه محبوبا للخلق، حسن الذكر، مطاع الأمر.

فهذه مجامع السعادات وبعضها محض عطاء الله – تعالى – وبعضها مما يُظن أنها كسبية.

---

(٧) الرازي

وبالحقيقة : كلها عطاء منه تعالى . هذا ماقاله النيسابورى - رحمه الله - ولكنه يعلل هذه النتيجة الأخيرة بما نلخصه فيما يلى :

فعندما يخطر ببالك مشروع ما، فلكى تنجز هذا المشروع . . لا بد من تيسُّر أسبابِ حصوله . .

ثم تنحية العوائق من طريقه، والذى هيأ لك الأسباب . . ونحّى من طريقك المعاطب . . هو الله - سبحانه وتعالى .

وقبل ذلك . . فهو - سبحانه - الذى اقدرك على الاختيار بترجيح داع على داع .

فالأمر والخلق له - سبحانه - وتعالى ، لكن دور الإنسان هو السعى الدءوب فى إطار هذه الدائرة . . سعيا يبتغى به حسن العاقبة .

وذلك قوله تعالى :

﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَافِسُونَ ﴾(٨) .

الطبيعة العربية

وحتى إذا لم يكن تديُّن . . فإن العربى بفطرته مشغول بأهدافٍ أكبرَ من مظاهر الدنيا . . حتى لا تكون معركته من أجل لقمة الخبز . . وكفى . .

وهو ماينبغى أن يسارع إليه . . مدفوعا بعقيدته ، وبفطرته . يقول لسان الدين الخطيب :

« العرب لم تفتخر قط بذَهَبٍ يُجمع ، ولا ذُخر يرفع ، ولا قصر يبنى ، ولا غرس يجنى .

وإنما فخرها : عدو يُغلب ، وثناءٌ يجلب . . وجُزُر تنحر ، وحديث يذكر ، وجود على الفاقة ، وسماحة بقدر الطاقة » .

فلقد ذهب الذهب . . وفنى النشب ، وتمزقت الأثواب ، وهلكت الخيل العِراب . . وكل الذى فوق التراب تراب .

وبقيت المحاسن تُروى وتنقل ، والأعراض تُجلى وتصقل .

فلنتعلم صناعة الحب

إن الإسلام العظيم حريص على تنقية القلوب من أوشابها . . مانع من أن يكون المسلم باخعا نفسه ليحصل على مايشتهى ، فمجال التنافس واسع ، وساحة السباق مفتوحة والمهم أن تبدأ فى سعيك . . إلى أملك . . شريطة أن تُفرغ القلب من سلبية الحسد . . ويستوى فى ذلك أن وصلت . . أم لم تصل إن استطعت فكن عالما

فإن لم تستطع . . فكن متعلما .

فإن لم تستطع فأحبَّ العلماء .

فإن لم يطاوعك قلبك . . فلا أقل من أضعف الإيمان : ألا تُبغضَهم !!

وهكذا . . يدعوك الإسلام لتصّعد إلى القمة . . التى تتسع للجميع

فإن لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه إلى ماتستطيع .

---

(٨) المطففين : ٢٦ .

اغتيال إسلامية فيلسوف ؟! (٤ من ٥):

التأويل الرشدي: عربي؟ أم غربي؟!

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

ليس هناك مذهب إسلامى - فى الأصول أو فى الفروع .. فى الفقه أو فى الفلسفة وعلم الكلام - لم يقل أعلامه وعلماؤه بالتأويل، على نحو من أنحاء التأويل .. وفى عدد من النصوص - القرآنية، والنبوية - وفى بعض القضايا والمشكلات.

وبعبارة حجة الإسلام أبو حامد الغزالى [٤٥٠ - ٥٠٥هـ ١٠٥٨ - ١١١١م].

- الذى بلغ فى التقعيد والتنظير للتأويل، وفى التفصيل لمراتبه ودرجاته مالم يبلغه أبو الوليد ابن رشد - والذى كان ابن رشد نفسه مقتديا به فى مبحث التأويل، على عكس مايظن الكثيرون! بعبارة الغزالى، فإنه «مامن فريق من أهل الإسلام إلا وهو مضطر إلى «التأويل» فالحنبلى مضطر إليه وقائل به .. وكذلك الأشعرى والمعتزلى، على تفاوت بينهم فى الاقتصاد والتوسط والتوغل فى مواضعه[١] .. ومع اتفاق الفرق على الدرجات الخمس فى التأويل: الوجود الذاتى .. والوجود الحسى .. والوجود الخيالى .. والوجود العقلى .. والوجود الشبهى» .. واتفاقهم، أيضا على أن جواز ذلك التأويل موقوف على قيام البرهان على استحالة الظاهر[١].

وعلى مذهب الغزالى هذا - الذى جعل التأويل «جائزا» عند «قيام البرهان على استحالة الظاهر» .. أى فى بعض المواضع، لا فى كل الأمور - سار ابن رشد .. فاستشهد على أنه «لايقطع بكفر خرق الاجماع فى التأويل» إذا كان الإجماع ظنيا، بآراء الغزالى وإمام الحرمين

(١) [فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة] ص٩-١١. طبعة القاهرة سنة ١٩٠٧م.

– الجـــوينى – [٤١٩ – ٤٧٨هـ ١٠٢٨ – ١٠٨٥م] . . وأشار إلى سبق الغزالى إلى تحديد مراتب التأويل . .[٢] ونبه على أن للتأويل العربى أى فى اللغة العربية – ضوابط حددتها هذه اللغة، فهو لايجوز إلا فى المواطن التى تتوفر فيها للنص هذه الضوابط اللغوية، وذلك عندما قال: «ومعنى التأويل: هو إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية، من غير أن يخل ذلك بعادة لسان العرب فى التجوز، من تسمية الشىء بشبيهه أو بسببه أو لاحقه أو مقارنه، أو غير ذلك من الأشياء التى عددت فى تعريف أصناف الكلام المجازى»[٣].

كما نبه ابن رشد على الإجماع الإسلامى على أن التأويل جائز فى بعض نصوص الشرع، فلقد «أجمع المسلمون على أنه ليس يجب أن تحمل ألفاظ الشرع كلها على ظاهرها، ولا أن تخرج كلها عن ظاهرها بالتأويل»[٤]. . فما ثبت فيه «الإجماع بطريق يقينى لم يصح» فيه التأويل[٥].

كما نبه على وجود شواهد فى النصوص تعين مواطن التأويل ومواضعه . . فكان «ظاهر الشرع» هو سبيل من سبل التحديد لمواطن «التأويل» لأنه مامن منطوق به فى الشرع، مخالف بظاهره لما أدى إليه البرهان إلا إذا اعتبر وتصفحت سائر أجزائه ، وُجد فى ألفاظ الشرع مايشهد بظاهره لذلك التأويل، أو يقارب أو يشهد[٦].

وخلص إلى أن المقصد من التأويل القائم «على قانون التأويل العربى» هو «الجمع بين المعقول والمنقول»[٧].

وليس إحلال المعقول محل المنقول:

هكذا أعلن ابن رشد التزامه بالمذهب الأسلامى فى التأويل:

أ– التأويل «جائز» . .

ب– فى المواطن التى يقوم فيها البرهان على استحالة الظاهر . .

جـ– وبشرط تحقق شروط اللغة العربية فى المجاز – الذى تخرج فيه دلالات الألفاظ من حقيقتها إلى مجازها . .

د– وفيما لم يثبت فيه إجماع يقينى على أن المراد هو ظاهر الألفاظ . .

هـ– وبترشيح دلالات ظواهر بعض النصوص على مواطن التأويل فى بعضها .

و– ومن أجل الجمع بين المعقول والمنقول – لا المقابلة بينهما، والانحياز لأحدهما، تجاوز للآخر أو نفيا له ومع كل هذه الضوابط التى أحاط بها ابن رشد قضية التأويل . . رأيناه يؤكد على أن هذا التأويل هو حق للخاصة من الراسخين فى العلم، لا يُصرح به للعامة، ولا يُثْبَتُ فى الكتب الجمهورية – حتى ولو كان تأويلا صحيحا، مستجمعا لشروط التأويل وضوابطه «فهذا التأويل ليس ينبغى أن يصرح به لأهل الجدل، فضلا عن

(٢) [فصل المقال] ص ٣١، ٣٥، ٤٦.

(٣) المصدر السابق. ص٣٢.

(٤) المصدر السابق. ص٣٢.

(٥) المصدر السابق. ص٣٢.

(٦) المصدر السابق. ص٣٢.

(٧) المصدر السابق. ص٣٢.

الجمهور، ومتى صُرّح بشئ من هذه التأويلات لمن هو من غير أهلها.. أفضى ذلك بالمُصَرَّح له والمُصَرِّح إلى الكفر.. فليس يجب أن تُثْبَتْ التأويلات الصحيحة في الكتب الجمهورية، فضلا عن الفاسدة.. وأما المُصرِّح بهذه التأويلات لغير أهلها فكافر»[8].

إذن فإقامة الثقافة العامة، والفكر الجمهوري، وتأسيس النهضة الحضارية على التأويل - كما حدث في التنوير الأوروبي، والنهضة الغربية - هو - في رأى ابن رشد - كفر من المتأولين أصابوا به من أشاعوا فيهم هذا التأويل؟!..

وفيما يتعلق بعالم الغيب ومبادئ الشريعة، وكل ما لا يستطيع العقل الاستقلال بإدراك كنهه، أوجب ابن رشد أخذه على ظاهره، دون تأويل، لأن هذه المواطن، عنده، مما تُعْلَم بنفسها، بالطرق الثلاث للتصديق: الخطابية.. والجدلية.. والبرهانية.. ولذلك «لم نحتج أن نضرب له أمثالا، وكان على ظاهره، لا يتطرق إليه تأويل. وهذا النحو من الظاهر إن كان في الأصول فالمتأول له كافر، مثل من يعتقد أنه لا سعادة أخروية ها هنا ولا شقاء، وأنه قصد بهذا القول أن يسلم الناس بعضهم من بعض في أبدانهم وحواسهم، وأنها حيلة، وأنه لا غاية للإنسان إلا وجوده المحسوس فقط.. إن ها هنا ظاهرا من الشرع لا يجوز تأويله، فإن كان تأويله في المبادئ فهو كفر، وإن كان فيما بعد المبادئ فهو بدعة..»[9].

ففي هذا النص يقطع ابن رشد بكفر تأويل الذين قالوا «بالدين الطبيعي»، الذي يهدف إلى «أن يسلم الناس بعضهم من بعض في أبدانهم وحواسهم» لأن غاية الإنسان، عندهم، «وجوده المحسوس فقط».. وهذا هو عين تأويل فلاسفة التنوير الغربيين؟!..

ولقد حدثنا ابن رشد عن أن تشدده هذا في ضرورة «الاقتصاد في التأويل».. وفي جعله «موقفا ذهنيا خاصا لا يصرح به المتأول»، إنما كان مذهب الصدر الأول للإسلام والمسلمين، وأن التخلي عنه قد أصبح بدعة أدت إلى اضطراب أمر الأمة، وإشاعة الفرقة والتكفير وفي صفوفها.. فقال:

«إن الصدر الأول إنما صار إلى الفضيلة الكاملة والتقوى باستعمال هذه الأقاويل - (التي ثبتت في الكتاب العزيز) - دون تأويلات فيها، ومن كان منهم وقف على تأويل لم ير أن يصرح به.

وأما من أتى بعدهم، فإنهم لما استعملوا التأويل قلّ تقواهم، وكثر اختلافهم، وارتفعت محبتهم وتفرقوا فرقا. فيجب على من أراد أن يرفع هذه البدعة عن الشريعة، أن يعمد إلى الكتاب العزيز، فيلتقط منه الاستدلالات الموجودة في شئ مما كلفنا اعتقاده، ويجتهد في نظره إلى ظاهرها ما أمكنه من غير أن يتأول من ذلك شيئا، إلا إذا كان التأويل ظاهرا بنفسه، أعني ظهورا مشتركا

---

(8) المصدر السابق. ص58، 59، 61، 62. وانظر كذلك ص51. و[مناهج الأدلة] ص244، 245.

(9) المصدر السابق. ص47، 48.

(10) المصدر السابق. ص65.

للجميع..»[١٠].. ذلك أنه «لما تسلط على التأويل فى هذه الشريعة من لم تتميز له هذه المواضع، ولا تميز له الصنف من الناس الذى يجوز التأويل فى حقهم، اضطرب الأمر فيها، وحدث فيهم فرق متباينة يُكَفِّر بعضهم بعضا، وهذا كله جهل بمقصد الشرع، وتعدٍّ عليه»[١١].



فرح انطوان



مراد وهبه



زكى نجيب

ذلك هو مذهب ابن رشد فى التأويل- وهو مذهب أكثر محافظة من مذهب الغزالى فيه- على عكس ما يظن كثيرون من الذين يقابلون بين الرجلين دون فقه تحمل إبداعهما فى هذا الموضوع-؟![١٢]

ولقد أدرك حقيقة هذا المذهب الرشدى- فى التأويل- الدكتور زكى نجيب محمود، فقال «إن ابن رشد يريد أن يضيق حدود التأويل بحيث لا نلجأ إليه إلا فيما لا حيلة لنا أمامه إلا أن نؤول ظاهر الشريعة فيه. وحتى فى هذه الحالات الضرورية سنجد فى ظاهر الشريعة مواضع أخرى تؤيد تأويلنا»[١٣].

لكن الذين أرادوا «التستر» بابن رشد لإيهام الأمة المسلمة أن تأويل فيلسوفها المسلم هو ذاته تأويل فلاسفة التنوير الغربى، قد قفزوا على حقائق وضوابط هذا المذهب الرشدى.. فادعى فرح انطون: إن «التأويل الذى لجأ إليه ابن رشد.. باب واسع يسع كل الآراء والتعاليم»[١٤].. وانتقد الدكتور مراد وهبة رأى زكى نجيب محمود، قائلا: «إنه يطمس ملامح التفرقة بين المعنى الظاهر والمعنى الباطن، فيقضى على مقولة التأويل»[١٥].. وادعى ما ترفضه نصوص ابن رشد - التى سبق وأوردنا طرفا منها.. ادعى أن ابن رشد- على عكس الغزالى- قد «أوجب التأويل فى كل الأمور»[١٦].. فوقف - مراد وهبة - مع فرح انطون بعيداً عن فقه

---

(١١) [مناهج الأدلة] ص٢٤٩.

(١٢) نرجو أن نوفق لدراسة مقارنة بينهما فى هذا المبحث، تبديدا لوهم «عقلانية ابن رشد» و«لا عقلانية الغزالى»!.

(١٣) أعمال مهرجان ابن رشد - الجزائر سنة ١٩٧٨م. انظر [مدخل إلى التنوير] ص١٢.

(١٤) [فلسفة ابن رشد] ص٦٣ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٣م.

(١٥) [مدخل إلى التنوير] ص١٢.

(١٦) المرجع السابق. ص١٠١.

آراء ابن رشد والغزالي في التأويل، لأنهما – وهبة.. وأنطون – قد انطلقا من تراث «الرشديين اللاتين» لا من إبداعات الغزالي وابن رشد!..

ويشهد على تلك الحقيقة– حقيقة رؤية «الرشديين اللاتين» بحسبانهم ابن رشد– تلك الأخطاء التي وقع فيها أستاذ الفلسفة الدكتور مراد وهبة– والتي يستغرب وقوعها من طالب فلسفة– من مثل قوله: «إن الغزالي يدخل من بين العوامل الأساسية في تفسير محنة ابن رشد المتجسدة في محاكمته ونفيه وحرق مؤلفاته»[17].

فابن رشد لم يحاكم.. ومحنته كانت لأسباب سياسية، غلفت بأغلفة فكرية.. ثم، كيف يكون الغزالي من عوامل محنة ابن رشد وإحراق مؤلفاته.. وهو – الغزالي – كان مضطهدا في المغرب والأندلس – حيث عاش وامتحن ابن رشد – وكتبه قد أحرقت هناك، وظل فكره ممنوعا لسنوات أطول بكثير جدا من سنوات محنة أبي الوليد؟!

وإذا كان ابن رشد قد أفرد كتابه المنهجي (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال) لإثبات المؤاخاة بين العقل والنقل.. بين الفلسفة والشرع، اعتمادا على التأويل، الذي سار فيه على القواعد التي أرساها الغزالي.. فمن أين أتى الدكتور مراد وهبة بمقولة: إن (فصل المقال) كتاب «كرسه ابن رشد للرد على الغزالي» مثل: (تهافت التهافت)[18].. مما يوحي بغربة الرجل عن هذا التراث الذي يشير إلى عناوين كتبه؟!..

إن الرجل.. عندما كتب قصة الفلسفة– قد اختزل إبداع أمتنا، في سياق التراث الفلسفي الإنساني، بأقل من سطرين؟!..

وهو فيما كتبه أخيرا عن ابن رشد كانت عينه على مقولة يريد أن يروج لها، وهي «أن مفهوم ابن رشد عن التأويل قد أحدث تأثيرا في بزوغ حركتين فلسفيتين في أوربا، هما الهرمنيوطيقا – (علم التأويل) والتنوير»[19].. وذلك ليجعل من تأويل ابن رشد «التأويل التنويري الوضعي»، الذي ينصب على وجود الله، وعالم الغيب، والنبوات، ومبادئ الشريعة.. والذي يهدف إلى إحلال «الدين الطبيعي» محل «الدين الإلهي».. والذي يلغي «المنقول» لحساب «المعقول».. وصولا إلى إحلال النموذج الغربي في التقدم والنهوض محل النوذج الإسلامي في النهضة والإصلاح!..

وهي مقاصد تقطع الطريق عليها إبداعات ابن رشد، التي أشرنا إلى طرف منها في هذه الصفحات!..

***

(17) المرجع السابق. ص١٤٥.

(18) المرجع السابق. ص١٤٠.

(19) المرجع السابق. ص١٣٨.



حوار حول رواية

وليمة لأعشاب البحر

للدكتور

السيد أحمد فرج

٢

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

مع حيدة الدكتور السيد أحمد فرج -في حواره هذا- وقفنا على عدة أمور، أهمها:

١- هوية كاتب الرواية، ومدى وقوعه فريسة الفكر الماركسي الذى انطلق الكاتب به يسخر من جميع الثورات العربية، لأنها لم تكن ماركسية المنزع، ويسخر من المعالجات الإسلامية للفقر بفريضة الزكاة؛ لتعارض ذلك مع المعالجة الماركسية، ويرحب بالسلوك الانحلالي، ويبرز مفرداته بالتفصيل المثير.

٢- عبثية الرواية، بما تطالب به من تدمير كل شيء، ورفض مطلق لجميع الأوضاع العربية الراهنة وإدانة لها، وبما تدعو إليه من رفض للقيم الأخلاقية والاجتماعية، والعقائدية السائدة بين أمتنا.

٣- وقوع الكاتب فريسة الأسلوب التقريري، الذى بدا -أولاً- في حرصه على دعوة العقل العربي إلى اعتناق الأفكار الليبيتية بما لها - في نفسه- من قداسة، وسلطة كهنوتية. والذى بدا -ثانياً- في ازدراء العقائد الدينية والأخلاقيات العربية والإسلامية. والذى بدا -ثالثاً- في الإعلان عن جهله بالقيم الكاثوليكية؛ إذ توهم أنها تحض على الدبر والشذوذ.

٤- نهوض مثقفي وزارة الثقافة لمؤازرة الكاتب، والدفاع عنه، والترحيب بروايته، والتهجم الوقح على كل من تصدى للرواية وكشف عوارها، خصوصاً الأزهر الشريف ومؤسساته الذى أدانهم إسلاميا وقانونياً، وكشف خروجهم على مقتضى القانون، وتبديدهم المال العام في أمور تعارضها الأمة، ويرفضها دينها.

تحويل المعركة لإرهاب الأزهر

وقد لاحظ الدكتور في أثناء حواره أن مثقفي وزارة الثقافة التنويريين لما جوبهوا بهذا الإيضاح الحاسم لاذوا بالفرار من ميدان الحوار الباحث عن الحقيقة، ولجأوا إلى سلاح الإرهاب والتزييف المضلل، أملا منهم في أن يُسكتوا بذلك صوت الحق، ويكمموا فم الأزهريين؛ فعلا صراخهم -وليس حوارهم- بالتهديد والوعيد، المنطلق من فرض المعايير النقدية التى توافق أهواءهم، وتستلزم إبعاد غيرهم من الساحة، مثل زعمهم:

١-أن تقييم الأعمال الأدبية يجب أن يتم من خلال منهج أدبي.. وليس من خلال مؤسسات سياسية أو دينية.

٢- أنه لا يجوز قراءة جزء من الرواية، منفصلاً عن السياق العام.

٣- أن هذا المنهج في التعامل مع الإبداع الأدبي له عواقب بعيدة المدى.

ولم يكتفوا بإصدار تلك الصكوك العامة، ولكنهم أتبعوها باتهامات صريحة، فزعموا -في صحيفة (أخبار الأدب) ٢١/٥/٢٠٠٠ بأن الأزهريين لا علاقة لهم بالإبداع الأدبي؛ فهم -في زعمهم- لا يستطيعون قراءة الإبداع الأدبي، ولا تذوقه ونقده. وزعموا: أن الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب قد ساهم في إشعال المظاهرات، وذلك بإعلانه رأى اللجنة الدينية. ثم زعموا: أن الحكومة وجدت في هذه الزوبعة فرصة لتشغل الناس عن فشلها الاقتصادى، وفشلها في علاج أزمة السيولة، وما خلفته من مشكلات. وفرصة كذلك لتتخلص من حزب العمل

الذي لا يكف عن إثارة الشعب في جريدته؛ فحركت الحكومة -بزعم هؤلاء المثقفين- جناحها الديني بكامل هيئته المتمثلة في شيخ الأزهر، وجامعته، ومجمع البحوث الإسلامية، ولجنة الشئون الدينية، والفقهاء الجاهزين بفتاوى تحت الطلب.

بل إن مثقفي وزارة الثقافة اشتطوا في تطاولهم على الأزهر خاصة، فشحنوا كتاباتهم بعبارات وألفاظ تجافي الحقيقة، ولا تعرف الآداب العامة، وقاموا بشن حملة شعواء، تدعو إلى التخلص من الأزهر، كما تخلصت أوربا في القرن الثامن عشر من الكنيسة.. ومن هنا توالت على الأزهر مقالات السب والازدراء؛ زاعمين: أن الأزهر وعلماءه يزحفون بالأمة الإسلامية إلى الخلف، نحو عصور الجهل والظلام.

الحقيقة التي أرادوا طمسها

وأطال الدكتور في استعراض ترهات مثقفي وزارة الثقافة وأباطيلهم التي عملوا على إلباسها ثوب الحقيقة، وسخروا -في نشرها- الصحف القومية، وغيرها؛ أملا منهم في أن يحقق لهم ارتفاع الصوت بالأباطيل والبذاءات ما تصبو إليه أفئدتهم، من هدم الأزهر، وطمس معالمه.

ثم أخذ يحاور هؤلاء سالكاً في حواره معهم أسلوب الحوار الجماعي تارة، وأسلوب الحوار الفردي تارة أخرى، معتمداً في حواره على عرض المزعم الجماعي أو الفردي بما تضمنه من تهافت وسخف وانحطاط في التفكير والتعبير، ينم عن انحطاط في الأخلاق والسلوك. ومن هنا.. أخذ في مناقشة هذا المزعم وتفنيده تفنيداً ثائراً مرة، وهادئا مرات، واضعا صوب عينيه الوصول إلى الحقيقة وتجليتها، وإبراز معالمها، وكشف نواياهم السيئة ومقاصدهم الانحلالية المتفلتة من أواصر الخُلق، المتجاهلة قيم الإسلام؛ فوضح كثيراً من الحقائق المهمة التي أرادوا طمس معالمها، والتخلص منها.. ومن أبرزها دور الأزهر، ومكانة الأزهريين، ومحاولتهم اتهام الأزهر بتجاوز حدوده، فقال:

١- إن الأزهر لم يتجاوز حدوده بأية صورة من الصور؛ إذ لم يفرض نفسه على الموضوع ابتداء، ولكن المؤسسات الرسمية في الدولة هي التي طلبت رأيه، وبيان ما اشتملت عليه الرواية من مخالفات شرعية، كما جاء في كتاب مباحث أمن الدولة، وكتاب مجلس الشعب.

ولو أن الأزهر لم يلب تلك الطلبات لكان قد تجاوز حدوده وأهمل واجباته تجاه الدولة، وتجاه الأمة.

فالحقيقة الملموسة هي أن وزارة الثقافة هي التي تجاوزت حدودها، حين نشرت مثل هذه الرواية، دون استطلاع رأي الأزهر أو مجمع البحوث مخالفة مقتضى القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١، بشأن إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التي يشملها ولائحته التنفيذية؛ ومخالفة القوانين المتصلة بحماية حق المؤلف، وتنظيم وزارة الثقافة، ومخالفة ما قررته الجمعية العمومية لقسمي الفتوى والتشريع بمجلس الدولة.

٢- إن قيام الأزهر بأداء واجبه لا يشبه من قريب، ولا من بعيد ما كانت عليه الكنيسة الأوروبية في القرن الثامن عشر من هيمنة كهنوتية؛ فالفارق شاسع واضح بين هذا وذاك؛ لأن الأزهر -بجميع مؤسساته- يرفض الكهنوت، إذ الإسلام لا يعرف الكهنوت، ولا سيطرة الإنسان باسم الإسلام على إنسان آخر.

٣- إن المؤسسات التعليمية بالأزهر تعنى بالفنون والآداب وغير ذلك من شعب الثقافة، منذ أصبح مؤسسة تعليمية، وقد تطورت عنايته بذلك في كل عصر، وفق متطلباته، فكان هو المنارة التثقيفية البارزة في العالم العربي والإسلامي على امتداد تاريخه. وجميع من تتلمذ عليهم هؤلاء الزاعمون إن هم -في الحقيقة- إلا من ثمار الأزهر. وفروعه الجامعية من كليات اللغة العربية، وكليات الدراسات العربية والإسلامية وغيرها من الكليات والمعاهد التي تعنى بدراسة الآداب والفنون في شتى صورها؛ فليس علماؤه غرباء على الأدب الروائي إبداعاً ونقداً، كما زعم مثقفو وزارة الثقافة. والواقع الماثل -بما يضمه من مبدعين ونقاد أزهريين- خير شاهد على ذلك.

٤- إن اتهام الأزهر بالاسترابة المسبوقة إزاء الأعمال الإبداعية أحد أسلحة الإرهاب الثقافي الذي تمارسه وزارة الثقافة، منذ سيطر عليها الملحدون والماركسيون من أدعياء الأدب والفن. ولا أدل على ذلك من الوضوح الكاشف في البيان الصادر من مجمع البحوث الإسلامية وغيره من البيانات؛ فلم يؤثر عن علماء الأزهر تحريم حلال، ولا تحليل محرم، وإنما هم يلتزمون بالتعريف بالحكم الشرعي فيما يطلب منهم إبداء الرأي فيه.

٥- إن الزعم أن الأزهر يقبل طلابه بأدنى المجاميع مما أبعد المتخرجين فيه عن الإبداع وأضعف ثقافتهم.. هذا الزعم باطل من كل وجه؛ فالحقيقة أن الكليات غير الأزهرية المعنية بالأدب والفن -والتي تخرج فيها هؤلاء الزاعمون- هي التي تقبل طلاباً في أدنى قائمة المجاميع وفقاً لقانون العرض والطلب، وليس كليات اللغة العربية والدراسات العربية والإسلامية، فما زالت تلك هي كليات القمة في جامعة الأزهر، ولم يصبها بعد ما أصاب كليات الآداب ودار العلوم في الجامعات غير الأزهرية، بل إن أقسام اللغة العربية في كليات الآداب تقبل أدنى مجاميع ذوي المجاميع الأدنى الذين ألقى بهم في سلة كليات الآداب.

فالأمر -في الإبداع ونقده والثقافة عموماً- ليس أمر المجاميع الدراسية الذي ظن مثقفوا وزارة الثقافة أنهم باختراعه وإلصاقه بالأزهر يستطيعون النيل من الإمكانات الإبداعية لدى الأزهريين.. وبالتالي يكملون رسالتهم الإلحادية الساعية لإقصاء كل متدين عن المجالات الثقافية كما هو واضح من تسلطهم المستبد والمقيت على كل المنافذ الثقافية في مصر ليمنعوا من النفاذ إليها أيَّ مثقف إسلامي. على الرغم من استظلالهم في أثناء ذلك بظل الدولة التي تدين بالإسلام واقعياً ودستورياً.

٦- إن من يتعمق النظر إلى جميع من استنفروا لتلك الحملة الشنعاء والشعواء ضد الأزهر وعلمائه يقف سريعاً على هوياتهم، ويتبين وسائلهم الإرهابية، ويتعرف على مصادر أسلحتهم، ومن يدعمهم في العلن وفي الخفاء ليحققوا لهم مأرباً طالما سعوا إليه منذ بدأت الحملات الصليبية، وبذلوا في سبيله الأموال الطائلة، والمناصب الشامخة، والجوائز العينية، والشهادات الذائعة، والمنح الضخمة، التي تسلب عقول التافهين، وتملك عليهم ألبابهم، فلا يترددون لحظة في أن يسلسوا لهم القياد، ويضعوا أنفسهم رهن إشارتهم.

شهادات محايدة تدين الرواية ومثقفي الوزارة

ولم يقف الدكتور -بحواره هذا- عند حدود المناقشة الجادة البصيرة، ولكنه أبى إلا أن يدعم

حواره ذلك بآراء بعض الأعلام من أهل الفكر والقانون، وغيرهم من المثقفين الأصلاء.

١- فاستعرض ما ذكره الشاعر فاروق جويدة في مقال (الثقافة الجادة) المنشور بالأهرام ٧ / ٥ / ٢٠٠٠م، حيث نبه إلى وجود أقلام دأبت عمداً على الهجوم على الإسلام، وحذر من الشرك الذي ينصبه هؤلاء الذين يربطون بين الإسلام والإظلام، ويحرضون الدولة على الإيمان.

ثم قرر أن هؤلاء الذين نعتوا أنفسهم بالمثقفين هم أخطر على الوطن؛ لأنهم وجهوا اتهامات باطلة إلى علماء الأزهر الشريف، فوصفوهم بالجمود، متصورين أنهم بالهجوم على الأزهر الشريف، وعلى المقدسات الدينية يقصدون إسقاط هيبة المثل العليا التي قادت حركات التحرير الوطنية؛ حتى لا يجد شباب الأمة أسوة يهتدون بها.

واستنكر الشاعر فاروق جويدة أن يكون سب المقدسات الإسلامية إبداعاً، ينشر على حساب الشعب، ومن أمواله، كما استنكر أن تروج الحرية نماذج للشذوذ الفاضح، وحذر مما يجره إعلان الحرب على مقدسات الدولة، ومعتقدات الناس من شرور وعنف واضطراب.

وأوضح الشاعر أن مثقفي وزارة الثقافة وتنويرييها متأثرون بما وصل إليه فكر الغرب الذي تحرر من الدين ومن الروابط الاجتماعية، على الرغم من الاختلاف البيِّن بين البيئة الإسلامية والبيئة الغربية التي بني فيها الفكر على أسس تراكمت في ثقافة الغربيين، منذ استبدت الكنيسة بالأمر، متذرعة بالدين وسلطانه، مما لم يوجد له مثيل في البيئة الإسلامية، ولن يوجد.

فإذا كان الغربيون قد تخلصوا من تراثهم الديني كله، وتراثهم الأخلاقي الملتزم بتعاليم الدين، فإننا لا نقبل -ولن نقبل- التخلص من تراثنا الديني، ولا تراثنا الأخلاقي، والقيمي الملتزم بالإسلام.

٢- واستعرض ما ذكره الأستاذ فهمي هويدي في كتاباته المنشورة بجريدة الشعب ١٩ / ٥ / ٢٠٠٠ وبجريدة الأهرام ٢٣ / ٥ / ٢٠٠٠ مقرراً أن حملة مثقفي وزارة الثقافة تحولت إلى حملة إبادة للتفكير الإسلامي، وترفع شعار التنوير والثقافة بحجة أن التفكير الإسلامي لم يعد صالحاً للعصر.

فلم يعد -بذلك التحول- معترك الجدل قائماً حول (الوليمة) العفنة، ولكنه ارتكز على تقويم التفكير الإسلامي.

ورأى أن وراء هذا التحول تلك المؤسسات والهيئات الدولية التي وقفت من قبل -وتقف- وراء كل من يسعى لتحقيق سلام مع إسرائيل يوافق المفهوم الإسرائيلي والغربي للسلام، وهذه المؤسسات والهيئات تغدق العطاء لكل من يستجيب لها؛ فتمنح الجوائز العالمية، والألقاب المفخمة لمن يسير في هذا الطريق، وتحجبها عمن لا يستجيب، كما يؤكد ذلك الواقع الماثل.

وطالب بأن يعود الحوار إلى ميدانه الحقيقي، لتناقش الرواية المناقشة النقدية الشريفة، القائمة على الأسس النقدية الجادة، لتبيان ما تضمنته الرواية من ألفاظ وعبارات تزري بالله - عز وجل - وتزري بالنبي ﷺ وتزري بالقرآن الكريم.

ولتبيان مغالطات لجنة الحكم على الرواية المشكلة من قبل وزارة الثقافة، وتكشف ترهاتهم وأباطيلهم وعبثهم وتلاعبهم بالحقائق، حتى قرروا أن غيرهم لا يقدر على فهم (وليمة لأعشاب البحر)؛ لأنهم - على حد تعبيرهم- يقرءونها قراءة دينية، تباين تماماً

قراءة التنويريين الذين يرون أن الإيمان بما لا يحس إظلام؛ فترك الإيمان بكل غيبي، والاعتماد على الحس فقط هو التنوير والاعتماد على المادة دون الروح وتحكيم العقل المجرد، دون الوحي .. تنور، وتنوير، واستنارة؛ مقلدين في ذلك أعلام التنوير في فرنسا في القرن الثامن عشر، الذين كانوا لا يخفون إلحادهم -بل كانوا يتباهون به- لأنهم توهموا أن الإنسان يستطيع أن يصنع عالمه بالعقل وحده، وبالاعتماد على المحسوس المادي، دون الغيبي.

فحرية التعبير التي يطالبون بها ليست حرية تعبير، ولكنها حرية سب المقدسات الدينية وازدرائها، والتهكم بها، فإذا علا صوت يقول لهم: اتقوا الله. أخرجوه من دائرة المثقفين التنويريين إلى دائرة الإظلاميين المتآمرين على الوطن، والمنظمين لخلايا الإرهاب.

٣- واستعرض مداخلة الدكتور محمد سليم العوا- أحد المفكرين القانونيين الإسلاميين المعتدلين- الذي قرر: أن القضية عرضت أمام أكبر مؤسسة تشريعية في البلاد -وهي مجلس الشعب- وعرضت أمام أكبر جامعة تهتم بأصول الدين وشئونه وعلومه -وهي الأزهر الشريف- وأحيلت إلى القضاء، وقال كل من هؤلاء كلمته.

والذي رأى أن الرواية بالغة الطول، وأنها وضعت على أساس (أيديولوجي) يؤكد مسئولية كاتبها عن كل كلمة وردت فيها، سواء في السرد أو في الحوار على لسان الشخصيات؛ فالمؤلف الشيوعي الشيعي عمد إلى الإعلاء من شأن الفكر الشيوعي، فاختار لها شيوعيين شيعيين مثله في المذهب والاعتقاد، فقد التزم الكاتب بذلك ليسقط الزم خصوصياته في نفسه على الرواية، فاختار عراقيين فروا من العراق إلى الجزائر للعمل بالتدريس، كما إن الكاتب نفسه عمل مدرساً بالجزائر بعد فراره من سوريا.

واستعرض الدكتور العوا النهج الفني للرواية استعراضا مستفيضاً، وضح منه أن الرواية طويلة بدون داع، وأنها قليلة القيمة، سخيفة الأسلوب، متهالكة في بنائها اللغوي والدرامي معاً، وأنه لا فرق بين شخصيات الرواية وشخصية الكاتب نفسه؛ فهي تقدم شخصيات مسلوبة الإرادة، غارقة في الجنس والخمر، على نحو ما كشفه (حيدر حيدر) نفسه في اعترافاته وأحاديثه الصحفية، فمن يقرأ تلك الأحاديث ويقرأ الرواية يجد قربى شديدة بين الشخصيتين.

ويخلص الدكتور العوا من ذلك كله إلى أن الكاتب مسئول عن كل كلمة وردت بالرواية، سواء كانت بقلم الكاتب السارد، أو بلسان الشخصيات.

ثم يقرر أن هذه النصوص تقع تحت طائلة قانون العقوبات التي تجرم التعدي على الأديان والمقدسات، والشعائر الدينية.

٤- وختم الدكتور دعم حواره باستعراض آراء شيخ كتاب الصحافة وكبيرهم الذين لهم شهادة على التاريخ العربي المعاصر وذلك لعدم انتمائه إلى أحد التيارين المتخاصمين.

فذكر أن الأستاذ محمد حسنين هيكل نبه إلى الصلة بين كاتب تلك الرواية وكاتب رواية (آيات شيطانية) في انتمائهما إلى المذهب الشيعي، ونبه إلى الصلة بين الروايتين في تضمنهما اعتداء على مقدسات المسلمين، ونبه إلى الصلة بين المدافعين عن الروايتين؛ فالروايتان يدافع عنهما تيار علماني يحرسه إعلام قوي في بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، وفرنسا، ثم بقية دول الغرب.

ولفت النظر إلى أن القوانين البريطانية تسمح لمن يشاء بإنكار الدين، لكنها لا تسمح بإهانة الدين؛ لأن ذلك يخرج عن مبدأ الحرية . وقد حكم القضاء الإنجليزى على رواية (آيات شيطانية) بأنها أهانت المسلمين. والعجيب أن أحداً لم يعترض على حكم القضاء الإنجليزى لا باسم الإبداع ولا باسم الحرية؛ لأنه حكم قضائى.

ثم ذكر الدكتور: أن الأستاذ هيكل خلص فى النهاية إلى أن ما أثير حول (الوليمة) فى مصر لا صلة له بقضية حرية النشر التى يتباهى بها من تلفحوا بالثقافة؛ لأن الرواية صدرت من وزارة مسئولة، لا من دار نشر خاصة، ولو أنها نشرت فى لبنان مثلاً لكانت قضية حرية، ففى لبنان يستطيع أى كاتب أن يكتب، ويستطيع أى ناشر أن ينشر، وأمر الكتابة متعلق بحق الكاتب فى التعبير. أما حق الناشر فى النشر فهو عملية تجارية بحتة، بلغة السوق فى لبنان، لكن هذا لا يلغى حق النقد؛ لأن المجتمع الذى يمنح الكاتب حرية النشر يمنعه من الإساءة إلى الناس الذين يمثلون المجتمع ذاته.

ثم إن نشر هذا العمل بمصر بواسطة وزارة الثقافة يعد قراراً بتزكية (الرواية) عن رغبة فى تعميم محتواها؛ ولذلك تم دعم نشرها مادياً، فقد تكلف طبعها ثلاثة أضعاف المبلغ الذى بيعت به؛ فالمشكلة -كما قال هيكل- ليست فى النشر أو عدم النشر، وإنما المشكلة فى جهاز دولة مسئول عن الثقافة، كُلف بتقديم الأنفع والأرفع، قد قام بتقديم هذه الرواية.

وهكذا -كما يقدر الأستاذ هيكل- أصبح مجرد خطأ طبع رواية ونشرها بواسطة أجهزة وزارة الثقافة أزمة، بل أزمات، أزمة تمثلت فى تطاول الرواية على المقدسات، وأزمة تمثلت فى سوقية أسلوب الرواية وبذاءته، واستغراقها فى الدعارة والخمر والمخدرات، فضلاً عن الأزمة الاقتصادية؛ لأن الوزارة دفعت فيها من المال أضعاف ما جنته منها من أموال فى ظروف كانت البلاد فيها تعانى من أزمة السيولة النقدية.

للأزهر مكانته فى نفوس الأمة

ويخلص الدكتور فى الفصل الرابع من هذا الحوار (الأزهر يَحكم ولا يُحكم عليه) ليقرر:

١- أن للأزهر الشريف فى القلوب حبًّا، وفى النفوس احتراماً؛ فقداسته من قداسة الإسلام؛ لأن علماءه وشيوخه بررة بمن يلتمس ضوءا من علوم الدين، فقد رعوا الأمة الإسلامية بعلمهم وفقههم أكثر من ألف سنة، وتقدموا طلائع النور والتقدم والمدنية على مر التاريخ فى مصر والعالم الإسلامى.

٢- أن الأزهر ليس سلطة تنفيذية، ولا سلطة قضائية، ولكنه عقل اجتهاد الأمة وقلبها؛ يلجأ إليه الحكام والشعب إذا ما التبس عليهم أمر فى شئون دينهم ودنياهم، فيجتهد علماؤه بالرأى الشرعى الموافق لأحكام الشريعة الإسلامية.

وهذا ما كان من الأزهر الشريف فى قضية رواية (وليمة لأعشاب البحر) فقد قرر مجلس الشعب إحالة الأمر إلى الأزهر الشريف فاجتهد علماؤه ليقدموا الرأى الشرعى، وحكم الشريعة الإسلامية فيما تضمنته الرواية من أفكار وعبارات تمس الدين والخلق ومعتقدات الأمة.

٣- أن الأزهر الشريف لم يتجاوز حدود الحقوق الممنوحة له، ولا الواجبات المنوطة به، فهو المؤسسة العلمية التى تعنى بالعلوم الدينية، كما أنه مؤسسة تعليمية تربوية من أهم مؤسسات الدولة، تدرس فيه شتى علوم المعرفة، من الدعوة والإرشاد والإعلام، والتشريع، والقانون، والإدارة، والمعاملات، واللغة

العربية وآدابها، واللغات المختلفة، والفلسفة والمنطق، والطب والهندسة، وغير ذلك من كل ما يهيىء له النهوض بدوره الإسلامي والوطني المنوط به، ويؤكد أن كلمته وحده هي الكلمة الحاسمة، وأن كلام غيره، لا يسلم من شائبة النقص والضعف، والبعد عن الصواب.

وبعد :

فالدكتور المحاور لم يقف في حواره عند ذلك الحد من الإجمال والإيماء، بل لقد عزز حواره بالأمثلة الصريحة والكاشفة من الإبداعات والمبدعين، والمرتشين والمخلوعين من أصولهم، المهرولين لهثاً وراء منحة أو جائزة، أوشهادة تنتفخ بها أوداجه.

كما عزز حواره بالاستعراض الموجز لأربع مداخلات مهمة، أوضح بها أبعاد القضية في توجيهاتها المختلفة.

حيث استنكر فاروق جويدة أن يكون سب الدين إبداعاً، وأن يكون التحلل من قيم الإسلام ومعتقداته حرية.

واستنكر فهمي هويدي تحويل الحوار من ميدانه الأصيل، وجعله حملة لإبادة التفكير الإسلامي، والحجر عليه باسم الحرية والتنوير.

وقرر الدكتور العوا مسئولية الكاتب عن كل كلمة وردت في الرواية مسئولية قانونية.

وقرر الأستاذ هيكل أن القضية لا صلة لها بحرية النشر، وإنما هي قضية وزارة مسئولة عن أموال الشعب، أنفقت تلك الأموال في سبيل هدم قيم الشعب ومقدساته وأخلاقياته، في وقت تعاني فيه الدولة من أزمة اقتصادية طاحنة.

ولقد كان هذا وذاك عاملاً مؤثراً دفع الدكتور المحاور إلى التكرار في كثير من الأحيان؛ استجابة لتكرار المواقف والأشخاص، مما أثقل كاهل الكتاب، على الرغم من قلة عدد صفحاته، فأجهد القارىء إجهاداً بالغاً، اضطره للعودة إلى ما قرأ المرة بعد الأخرى، حتى يلم بالحوار في شتى أبعاده.

ولعل حرصه على استعراض مختلف الأقوال والكتابات التي تناولت الموضوع، وإسناد كل قول إلى قائله كان وراء ذلك التكرار.

كما دفعه تحمسه للفصل في تلك القضية إلى وضوح انحيازه لطرف. مما قد يوحي بأنه انحياز المتعصب.. ولكن المتأمل يجد أنه -في الحقيقة- ليس انحيازاً، ولكنه أثر من آثار وقوفه على ما في وجهة مثقفي الوزارة من تضليل وإرهاب.. كما أحكامه بثوب الانفعال، والخروج على مقتضيات القضاء العادل النزيه؛ فالدكتور -مهما استطاع التحكم في عواطفه وانفعالاته- إنسان أولاً وأخيراً، لم ولن يحوله كرسي القضاء إلى حجر أصم؛ فالكذب الصراح، والتضليل الذي حملته الصيحات الصادرة من كهنة وزارة الثقافة ومن والاهم.. هو الذي رفع من حرارة انفعالات الدكتور في حواره لتلك الدرجة الموحية بالتعصب، وإلا لما كان في حاجة إلى ذكر كل الآراء والمداخلات، وتوضيح وجهة نظر كل فريق.

وكانت وسيلة الدكتور في التخفيف عن قارئه، والوصول به إلى ثمرة الحوار.. ذلك الأسلوب البياني الدقيق، الذي التزمه في حواره من مبدئه إلى منتهاه.

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾(١)

---

(١) الحج (٤٠).

قصة العدد

الحظُّ السَّعِيدُ

كان أحمد بن دعيم يجلس مع صديقه هارون بن ملول فى أمسية هادئة يتبادلان الحديث، وكلاهما ذو شأن فى الدولة الطولونية فأحمد ممن تولوا أمور الإدارة فى الدولة، فنهى وأمر، وقرب وباعد، وهارون من كبار التجار الذين اعتمد عليهم الأمير فى التصدير والإيراد، وكانت جهوده حاسمة حين يشح النيل بمائه، ويقل المحصول الزراعى، إذ يساعد الدولة على محاربة الغلاء بيعا وشراء، وقد نمت ثروته، وانتفع بجاهه وماله كثيرون، ثم مضى أحمد بن طولون إلى ربه، وانتقل الحكم إلى ولده خمارويه، فلم يريا لديه من الحظوة ما كانا يعهدان لدى أبيه، فآثرا السلامة واكتفيا بما جمعا من عقار يمد أسرتيهما بما تبغيان، ولكنهما يكنان فى أعماقهما بغضا لخمارويه، فإذا اجتمعا فى مجلس خاص، وأمنا استراق السمع، تنفسا ببعض النفثات فأشاروا إلى ما ينكران من أعمال الحاكم فى استخفاف بقدره، وتهاون بما يأتى ويدع من الأمور.

بقلم / عابر سبيل

قال هارون بن ملّول، لو عاش أحمد بن طولون، ورأى خمارويه يبذل هذه الأموال الطائلة في غير نفع ملموس، لكان له معه موقف جاد يهديه سواء السبيل، لقد وقفتُ على تشييد مسجد أحمد بالقطائع، ووُكِل إليّ إعداد ما يتطلب من الصخر والحديد والخشب والصاج، فكنت ألقى محاسبة دقيقة من الحاكم، إذ كان لا يسمح بأدنى تبذير، بل كان يتعقب الأسعار من خلفي، ليطمئن إلى أنى ألزم جانب الاقتصاد، وكلُّ ما أقام أحمد من العمائر والخطط كان وليد ضرورة ملزمة تعتمد الصالح العام في مظهره الطبيعي، وكان يسير ليلاً لينقد مالا يوافق مشربه، وأذكر أنه عثر مّرة على كومة من الآجر تُركت أسبوعا دون أن تستغل، فدعاني مستفهما في حدّة، فقلت له: إنّ يومها مدّخر لوقته، حيث ننتفع بها في السطح الأعلى، فعضّ على شفته وقال: تذكر هذا فقد أقلقتني! فما ظنك بأحمد؟ إذا علم من وراء الغيب أن ابنه قد أنشأ بالقطائع بستانًا لا عهد

للناس بمثله جمع به من ألوان الزهور وأنواع الورد والزعفران ما خلب وأدهش، وقد كسا النخيل نُحاسا مذهبا، وجعل تحت النحاس ميازيب من الرصاص ينبثق منها الماء بترتيب رائع، وكانت الورود تتخذ في وضعها سطوراً من الكتابة، بحيث تؤلف جملا يقرؤها الناظر متعجبا، ولها عمّال يقومون على تشذيبها إذا طال غصن، فغيّر موضعه عن حيّزه الطبيعي، ليبقى المدلول واضحا، وكأنه كُتب بالمداد على صحيفة بيضاء! وقد جعل في جانب كبير من البستان حديقة واسعة للحيوان والطيور، جمعت عشرات الحيوانات المستأنسة، ثم بدا له فأحضر الحيوانات المفترسة من الوحوش الكاسرة، وبنى لها دارا خاصة تعرف لدى العامة بدار السباع، وقد رسمت في أبنية متصلة الحجرات كل حجرة تستقل ببيت يسع سبعا ولبوته، وله باب يفتح في أعلاه، وفيه طاق صغير، يدخل منه العامل الموكل بخدمة الأسد، ليجدّد الطعام والماء، وإذا أراد سائس السبع تنظيف المنزل من فضلات ساكنه، رفع الباب من الأعلى، وصاح بالسبع ليخرج إلى القاعة الخارجيّة ثم يغلق الباب، ليهيئ المكان على عهده الأول من النظافة، فيكنس الزبل، ويبدّل الرمل، ويغسل الحوض ويملؤه ماءً، ويضع الذ طبقة من اللحم، للسبع وأنثاه، ثم يخرج، ويرفع الباب من الأعلى، وحينئذ يتوجه الوحش إلى مقره، وهو يعلم ما يصنع صاحبه من أجله، وقد تستمر الوحوش ساعات في الطرقات الخارجية تمرح وتلعب في بهجة، حتى إذا رفعت الأبواب سارعت إلى مكانها المألوف دون تلكؤ، وأنا أعرف أن ما يقدم لها من اللحوم في يوم واحد، يكفي فقراء المدينة دون استثناء!

قال أحمد بن دعيم: تتحدث عن البستان وحديقة الحيوان وتنسى بيت الذهب، لقد شاءَ لخمارويه إسرافه المتلاف أن يطلي جدران قصره بالذهب، فقلْ لي بربك كم يتكلف الجدار الواحد، فإذا نظرتَ إلى ما يمتلئ به القصر من التماثيل والنّصب ثم إلى القبة الفسيحة التي تظلل القصر، وهي أيضا مذهبة كالجدران، ثم أحصيت ما يبذل في مجالس الطعام والشراب وهي لا تنقطع في يوم! إذا نظرت إلى ذلك كلّه! فماذا تقول؟!

ضحك هارون بن ملّول ضحكة السّاخر ثم قال: لقد تحدثنا عن الأسود، ولكننا لم نشر إلى أسد (أم آسية) فهل علمت قصتها معه!

قال أحمد: أم آسية قابلة القصر، وصاحبة الأمر لدى نسائه وجواريه، وذات الحظوة البالغة لدى سيدة القصر، بل لدى خمارويه نفسه! ألها قصة مع الأسود؟ وما علاقتها بدار السباع؟

فقال هارون: لقد تناقل الحراس قصّتها متعجبّين ذاهلين، فقد وقعت بين أنياب الأسد، وطاف حولها رائحا غاديا، ولم يمسسها بسوء! أتراها ولية مباركة كما يدّعون؟!

قال أحمد، فصّل الأمر بجميع ملابساته، فأنا أقدّر هذه السيّدة وأريد أن ألم بما كان!

فرد هارون في تؤده: علمت أنها حملت رسالة إلى خمارويه من سيدة القصر، فعرفت

أنه يتنزه في دار السباع، وكانت حريصة أن تبلغ الرسالة في أسرع وقت، فانطلقت إلى حديقة الحيوان ظانة أن الأمير بحراسه وبطانته في مأمن من الوحوش، وإذن فلا عليها أن تذهب، وما كادت تطأ الطريق الأول، حتى وجدت نفسها أمام أسد ضخم، فوقعت مغشيا عليها، ونامت دون حراك، وجاء الأسد فدار حولها، وجعل يتشممها دون أنْ يقربها بسوء! ثم جاء الحارس سريعا، فصحب الأسد إلى مكانه وبعث بنفر من الخدم يحملون الماء، وعصارة الورد، فرشوا وجه السيدة حتى أفاقت! وذهبوا بها لتستريح!

قال هارون: عجيب أمر هذا الأسد، كيف يرى الغذاء الشهيّ ويتعفف عنه! أهذا معقول؟

فعاجل أحمد يقول: لقد تناقشنا في هذه الحادثة، فقال لنا بعض ذوى الخبرة من خادمي الأسود، إن الأسد بنوع خاص بين السباع، لا يقرب الطعام إلا إذا جاع! فهو لا يهجم على كل فريسة تحين، وقد وقعت أم آسية في قبضته وهو مليء مكتظ، فسلمت منه! ولها أجل لم ينقض بَعدُ!

فردّ هارون: أعرف أنّ أم آسية كانت ذات تأثير على قطر النّدى حين اعتزم والدها أن يزفهّا إلى الخليفة المعتضد، وبسياستها الهادئة قربّت الفتاة إلى قلب أبيها بعد جموح.

فقال أحمد بن دعيم، لقد كانت ورطة شاقة واجهت الفتاة وأباها معا، لأن خمارويه رأى أن تزف الفتاة إلى وليّ العهد (المكتفى) إذ يقاربها في السنّ والشعور والأماني، ولكنه فوجئ بأن الخليفة نفسه، يرغبها لذاته، فكانت صدمة أولى، ولكن السياسة لا ترحم!

– نعم يا أخي إن السياسة لا ترحم فقد رأى خمارويه ما عاناه والده في شقاقه مع بغداد، حين ناوأ جيوش الموفق، وحين أفتى المفتون بلعنه على المنابر، وحين أعلنوا انشقاقه ومروقه، وأنه يتولى الحكم اغتصابا، وقد اضطر ابن طولون أن يواجه اللعن باللعن وأن يعلن مُروق الموفق، ويجمع الملأ في مصر على أنه لم يعد وليا للعهد بعد أن حاصر الخليفة وضيق عليه، وكم أرق أحمد بن طولون من ليالٍ طوال يتخوف العاقبة ويحاذر أن تهب الرياح بما لا يود، ثم استقام له الأمر بعد عذاب طويل، وكان خمارويه قد أحسّ أن الخلافة لا تزال متطلعة إلى مصر وأنها بسبيل واضح من معاداتها، فأراد أن يوثق الصّلة بالمصاهرة وقد وَجدَ ابنته ذات جمال وأدب وفطنة، فتقرب بها إلى ولى العهد، وما دار بخاطره أن الخليفة وعنده عشرات الجوارى في قصره، يرغب أن يتزوج من فتاة تصلح أن تكون حفيدته! وما كان لأبي الجيش أن يخالف اتجاه المعتضد، لأنه حينئذ سينسف بكلمة واحدة، كل ما بناه من الآمال، ورسمه من الخطط، وهنا جاء دور أم آسية في إقناع قطر الندى لترضى بالواقع الشاق.

فسأل هارون: وأين كانت أم قطر الندى حتى تتولى الأمر امرأة مهما قيل في

صلاحها وانقيادها ليست من الأسرة الطولونية، بل وليست من ذوات الحسب الأصيل فى البلاد.

فرد أحمد بن دعيم يقول: الذى يظهر من مجرى الأحداث، أنّ زوجة خمارويه ووالدة قطر الندى لم تكن مرحبة بزفاف ابنتها الصغيرة للكهل الكبير، وكأنها نقمت ذلك كلّ النقمة، وإذا لم تستطع إقناع نفسها، فإنها لن تستطيع إقناع الفتاة! وماذا تقول: أترغّبها فى السلطان والمال والجاه! كل ذلك عند والدها فى مصر، ولن تطمع فى أكثر منه! وهنا لجأ خمارويه إلى أم آسية، إذ كانت قريبة من قلب قطر الندى تقوم على رعايتها خادمة مطيعة، ومهما يكن فقد تمّ الأمرّ وزُفّت الفتاة! وبذلت أموال مصر فى عرس مشرف، لم يسمع بمثله أحد من قبل إلا فى النادر الشّاذ!

فقال هارون: يا أخى ولا فى النادر الشّاذ، هل سمعت أن أحد بنى عشرين قصرا فى الطريق بين مصر وبغداد لتستريح الفتاة فى كل مرحلة، فتجد نفسها أمام قصر جديد أعدّ خاصاً بإقامة يومينْ أو ثلاثة أيام! عشرون قصراً، لكل قصر حجراته وأثاثه وخدمه، وطعامه وشرابه، وغلمانه وجواريه! أهذا عقل أم نزق؟

فرد أحمد قائلا: نرجع ثانية إلى أم آسية فأذكر أنها كانت فى موكب الأميرة، بل كانت فى الصف الأول من حاشيتها، وقد رأت هذه المظاهر البالغة، وتحدثت عنها فى براءة، إذ لا تدرك أن إذاعة مثل هذا الإسراف الطائش مما يوقع الألم فى نفوس من يرون الأموال تهدر فى الريح كالهباء.

لقد قالت أم آسية: إن خمارويه قدّم لابنته أريكة ذهبية مكونة من أربعة مقاعد من التبر الخالص، وعليها قبة من الذهب تتدلى منها عقود لؤلؤية، كما أنها حملت فى الجهاز مائة هون من الذهب الخالص! فإذا كانت معدات المطبخ من الذهب! فما ظنك بالملبس والمضجع والمجلس! مائة هون من الذهب الخالص! بماذا تُسمي هذا يا هارون.

فابتسم هارون وقال: أتسألنى أنا؟ وأنت تعرف أنى تاجر أتعامل بالدانق والقيراط! لقد كدت أخرج عن صوابى يا رجل!

قال أحمد: لقد كدت أضحك وأنا أسمع أن آسية تقول: كنّا فى رحلتنا إلى بغداد مع الأميرة، نعاملها كأنها طفلة فى المهد، نحملها ولا نتركها تسير على الأرض، ونجعلها طوال الطريق كأنها فى قصر أبيها لم تبرحه، لأن الهودج الكبير الذى يقلها كان كأنه حجرة واسعة تحملها عشرة من البغال، تسير الهوينى وفق خطة يرسمها الحادى، فإذا بلغت القصر المشيد، وجدت ما يذكرها بقصر أبيها وكأنها تنتقل فى حجراته دون اختلاف!

فسأل هارون: وماذا قدم الخليفة المعتضد مهرا للفتاة!

فقال أحمد: الحق أنه أصدقها ألف ألف درهم!

فصاح هارون: ثمن ما يضم المطبخ: أليس يضم مائة هون من الذهب الخالص؟!

– فعاجله صاحبه يقول: رويدك يا أخى انظر هذه الآلات الذهبيّة ستدخل المطبخ لحظة واحدة، إن لها مكانها المهيأ فى خزانة القصر! وهذه أكبر غنيمة ظفرت بها بغداد، وقد علمنا أن الخليفة احتفل بزفافه احتفالاً لم تشهده عاصمة الرشيد من قبل، وقد نزل شيبان بن أحمد بن طولون عم الفتاة أكرم منزل بين أمراء الخلافة، فكانوا يلتفون حوله فى سرور ونشوة، وكان كل واحد منهم كان يطمع فى زوجة مماثلة، فهو يتزلّف إلى شيبان ليحوز رضاه.

صاح هارون: يتزلّف إلى شيبان! واحر قلبى عليه، أن والده لم يكن ليثق به فى شيء، وإن أخاه يبث حوله الأرصاد، ولا يعطيه أدنى سلطة فى مصر، وحسبه أن يأكل وأن يشرب وأن ينام! بل حسبه أن يكون واجهة مشرّفة إذا لزم الأمر! وها هو ذا قد سار إلى بغداد فى ركب الأميرة نائبا عن أبيها، فالعم والد، ولولا احتياج الدولة لخمارويه، بل لولا خوفه من أحد معارضيه أن ينتهز فرصة رحيله، فيشق عصا الطاعة عليه لكان فى صدر الموكب دون سواه! ما علينا منه فقد رحل وعاد

قال أحمد: وعاد أكثر من ذهب!

فقال هارون: عاد الأكثر، لم لم يعد الباقون جميعا!

فرد أحمد، علمت من أم آسية، أن منهم من ذهب إلى الحج وأن منهم من رأى أن يقيم شهورا بعاصمة الخلافة، وفيهم من أوصاه خمارويه بالبقاء بعيدا عن الأنظار، ليرصد أمور الدولة هناك، ويخبره بما يراه!

ابتسم هارون بن ملول ثم قال: أكثر أخبارك عن أم آسية، فكيف حظيت عندها، حتى تأتى إليك فتعرف عنها أنباء خمارويه وقطر الندى، وما دق من شئون السفر وطرائف العرس؟

فعجل أحمد يقول: كأنك لا تعرف صلتى بأم آسية منذ كنا صغيرين! لقد كان منزلانا متجاورين وكنت زميلا لزوجها راشد فى التجارة حتى فرّق بيننا الموت!

فقال هارون: أعرف زوجها راشد وأعرف ما بينكما من صداقة، ولكنّ السرّ العجيب الذى ظفر بأم آسية إلى قصر خمارويه لم يأتنى بعد!

صاح أحمد: كيف يا رجل – وهو أمر متعالم مشهور!

فردّ هارون: إنّ كان ما قيل عن عنايتها بسيدة القصر حين وضعت ولدها الأخير، فذلك ما يستغرب!

إذ يستبعد أن يجئ خمارويه بأم آسية لتكون مشرفة على مولد الطفل ويترك الشهيرات من القوابل، ولم يُعرفُ عن أم آسية أنها قابلة من قبل!

قال أحمد: الأمور بيد الله يرفع من يشاء ويضع من يشاء! وقد أتت رفعة أم آسية من أقرب الأبواب، حين أذن الله لها بالإسعاد!

فقال هارون: أريد أن أعرف الأمر كما كان! وعند جهينة الخبر اليقين!

فابتسم أحمد وقال: هى قصّة ذات عبرة لمن اعتبر، ودونك فاسمع!

حين مات راشد التاجر ترك لأم آسية بنتين صغيرتين، ولم يترك من العروض غير ما استنفدته ديونه على الناس، فأصبحت الزوجة ما بين يوم وليلة مسكينة بائسة تكاد تسأل الناس، وقد اجتهدت في تربية الدواجن، وحملت الأقفاص إلى الأسواق ساعية وراء الرزق، فكانت لا تبلغ القوت إلاّ بالجهد الشاق وإذا ضاق بها الأمر لجأت إلى أختها (سكينة) زوجة التاجر (نعمان) فجعلت تستعطفها بما تسمح به من عطاء على قلته! وكانت كلّما حفزتها الحاجة واتجهت لسكينة قالت في أدب: أقرضيني يا أختي أرزا أو خبزا أو عدة دراهم وفق حاجتها، فكانت أختها تعطيها ممتعضة، وكأنها تقول لها: لقد أكثرت من الطلب فلا تحضري بعد الآن!

وفي ذات ليلة ذهبت أم آسية إلى أختها سكينة، وابتدأت تقول عبارتها الشهيرة (اقرضيني يا أختاه) وكان في سكينة حدّة فصاحت بها: كلّ يوم تقولين: اقرضيني كأنك ستقومين بردّ ما تأخذين! فمن أين يأتي إليك ما تقومين به عند القضاء! ألا تقولين كلمة أخرى!

فوجمت أم آسية، وقالت: إن الله ـ عز وجل ـ قادر على أن يجعلني أقضي الدين، وله خزائنه التي لا تنفد فصاحت بها سكينة: هذه أحلام الصغار!

وخرجت أم آسية منكسرة الخاطر ذليلة النفس، فقابلت في الطريق رجلا حزينا يكاد يبكي فقال لها: امرأتي تطلق في صعوبة، وليس معها أحد، فهل تسمحين بمعاونتها، فتوجهت من فورها إلى المرأة وهي في أشد حالات الألم، فجعلت تشجعها بما تعودت النساء أن يفعلن في هذا الموقف، ثم أذن الله فتم الوضع على وجه سريع! فعُدّ ذلك من مهارة أم آسية.

كان هذا الرجل من خدم القصر عند (خمارويه) وتصادف أن زوجة الأمير قد تعسّرت في وضع تال، وأحضر أبو الجيش من المتمرسات من عجزن عن راحتها، فقال الخادم: أنا أعرف امرأة ماهرة هي أم آسية فعجّل خمارويه بحضورها، وسرعان ما جاءت متحيرة ذاهلة لا تدري ماذا تصنع.

قالت أم آسية [في حديث يرويه أحمد بن دعيم لصاحبه هارون بن ملول:

«دخلت على سيدة القصر، والناس يستقبلونني كأنني أفعل المعجزات، فملكت أمري بعض الشئ ووضعت يدي قارئة الفاتحة على بطنها فسكن ما بها من الألم، فصاح خمارويه، قدومك مبارك يا أم آسية، فقلت: دعوها، واذهبوا، وسيأتي الله بالبشرى.

ثم سقطت من عيني الدموع، وأنا أقول في سرّي ربّاه لا تفضحني بين الناس أنا عاجزة إلاّ بك، أنا مستورة فلا تكشف أمري، ثم توضأت وصليت، وبالغت في السجود، وكنت لا أستطيع تمام الكلمات لما يغلبني من الدموع!

وسمعتُ أنين السيدة، فنهضت وأنا أستنجد باسم الله، وحاولت معها ما تحاول

القابلات، فأذن الله بالفرج، وهلّ وجه الطفل الجديد، وانتقلت البشرى إلى أبى الجيش، فجاء سريعا كالطائر، فقلت لها: يا سيدتى، أسألك بالله أن تبتسمى فى وجهه ليسر، فلما دخل خمارويه ولمح ابتسام زوجته ورأى الطفل بين يدىّ، أخذه فقبّله، ثم قال لى: قدومك سعيد يا مباركة! لن تتركى القصر من الآن، وسألنى عن منزلى وعن حالتى فغلبنى الدمع ولم أنطق، وكانت فيه فراسة، فألم بما أكن، وهنا قال: لك منزل خاص بجوارى، وهو مهيّأ بما تريدين من الأثاث والخدم، ولك ألف دينار عاجلة! وما كادت صديقات السيدة وأصدقاء خمارويه يعلمون ما صنعت، حتى جعلت هداياهم تتوافد على الأم وفيها أنفس التحف، وأغلى الجواهر، فجمعت ذلك كله، وقالت هو من لأم آسية فأنا لا أريد شيئا، وصاحت بزائراتها: أكرمنها جميعكن.

ذهبت إلى منزلى الجديد، وقد امتلأ بالذخائر، وفيها ما لم أشهده من قبل، بل مالا أعرف قيمته الحقيقيّة إذ لا عهد لى به، وكان أبا الجيش قد أدرك ما أضمر من الحيرة، فأرسل من يخبرنى تحقيقه ما لدى، فإذا أنا ذات كنوز من الحلى! وإذا خادم تتبعنى، لتكون خاصّة بالمنزل، وأخرى لتقوم على إعداد الطعام، وثالثة لتقوم على غسل الملابس وحفظها، فتشجّعت وذهبت إلى أبى الجيش شاكرة، وقلت له: سيكون أكثر يومى فى قصرك الكريم، ولست بحاجة إلى خادمات، فتفرسّ فى وجهى قليلا، وقال: لك ما تشائين.

وطار الخبر إلى أختى سكينة فجاءت إلىّ مع المهنئات ولمست ما أنا فيه من إقبال جاوز مدى الظن فقدمت إليها قطعة كبيرة من الذهب الخالص، وقلت: هذا سداد الدين يا أختاه، لقد قلت لك أقرضينى وأنا أعلم أن خزائن الله لا تنفد، فسكتت كالحائرة، وقالت: كأنك لا تزالين عاتبةً علىّ، فصحت كلاً ولك عندى مزيد، فإذا احتجت مالاً فهو طوع يمينك، لا قرضا بل هبة، فجلست متخاذلة تحاول الكلام فلا تستطيع وأردت أن أسرى عنها بما يمتع، فقلت: القصر فسيح، وأنا وابنتاى فحسب! فتعالى معى لك طابق خاص ملك يمينك، فنهضت وقبلتنى بين عينىّ!

قال هارون: وما علّة بقائهما فى قصر ابن طولون طيلة اليوم ولها منزل خاص!

فقال أحمد: أصبحت سيدة القصر – لأمر أراده الله – تتفاءل برؤيتها، وانتقل التفاؤل إلى أبى الجيش بتأثير صاحبته، فأخذ يتعهدها بالسؤال ويجد السرور فى وجه زوجته بلقائها فيبهشّ ويتبسط ولا أدلّ على منزلتهما من اختيارها لمصاحبة قطر النّدى لتكون مؤنس الوحدة، ورفيق الرحلة! وما أظنّها أدخرت وسعا فى قضاء مهمتها، ولولا أن سيدة القصر حتمت عليها أن تعود، لبقيت فى قصر الخلافة ببغداد مع الأميرة الحسناء!

سكت الرجلان هُنَيْهةً، ثم قال هارون: وتزوركم أم آسية ولا تنساكم مع ما انتقلت إليه من جاه وسلطان.

فصاح أحمد: مهلا يا أخى! فإن لها نفسًا شريفة، وخلقًا كريمًا، وقد جزاها الله أحسن الجزاء.

قِيمةُ الكلمة

للدكتور/ عبد المنعم عبد الله حسن (*)

أُقَدِّرُ قيمةَ الكلمة .. وكم أرعى لها حُرمة
وأعلمُ أنها الأخلا .. قُ والميثاقُ والذِّمة
حَباها اللهُ للإنسا .. نِ فيضاً، إنها نِعمة
فكم من لفظةٍ صارت .. على شفةِ المدى حِكمة
وكم من لفظةٍ رفعت .. على إيجازها أُمّة

●●●

يُضيءُ الحقُّ أحرُفَها .. فتمضي تُشعلُ الهِمّة
تهُزُّ الأرضَ والدنيا .. وتُعلي الحقَّ للقِمّة
تُتوّجُه وتنشُرُه .. وترفعُ في الفضا عَلَمَه
وتهزِمُ باطلاً شرساً .. فتمحو بالهدى جُرمَه
تُطهِّرُ منه دُنيانا .. وتطوي بالفناءِ اسمَه

●●●

(*) أستاذ أصول اللغة في كلية اللغة العربية بالمنصورة.

وكم من لفظة تدعو ** بحبل الله معتصمة
فبالمعروف تأمرنا ** بأمر الدين مهتمة
وتنهى الآثم العاصي ** ليترك تائبا إثمه
ومن ممن دعا أسمى ** وأوفى في الهدى قمة ؟
وأحسن في الورى قولا ** يعطر قلبه وفمه

●●●

وكم من لفظة جمعت ** عدى في الناس مختصمة
تزيل بوقعها حقداً ** وتطفئ فيهم حممه
وكم من لفظة مسحت ** عن المحزون ما غمه
وكم من بائس رقت ** له تعطيه ما حرمه
أحس بدفئها طفلا ** يعانق بالمنى أمه

●●●

ولفظ جائر تغدو ** به الأرحام منصرمة
يعكر صفو أفئدة ** ويسفك للوفاء دمه
فكم من لفظة أدمت ** فؤادا فاحتمى ألمه
وبات مؤرقا سهداً ** يعاني بالأسى همه
ولفظ بث لي شهداً ** ولفظ دس لي سمه

●●●

وفي القرآن آياتٌ ** تريك فوارق الكلمة
فطيبةٌ لها أصلٌ ** تعانق للعلا نجمة
وتلك خبيثةٌ غارتْ ** من الأكوان منعدمة
فبونٌ شاسعٌ تلقى ** به الإصباح والظلمة
فهل نلقى ضيا الكلمـ ** ـات فجرًا يقهر العتمة؟!

●●●

أقدّر قيمة الكلمة ** ففيها الأمن والعصمة
وفيها الحب دفاقًا ** وفيها البشر والبسمة
فإن طهرت فقد أضحت ** قلوب الناس ملتئمة
توحّدهم فلا تلقى ** صفوف الخلق منقسمة
ولا خوفٌ ولا غدرٌ ** ولا الأخلاق منهزمة

●●●

أقدّر قيمة الكلمة ** فإن ثمارها جمة
لنا من حلوها قطفٌ ** لنا في ظلها النسمة
وكم ببيانها درسٌ ** يبلّغ للورى علمه
أداة الكاتب العملا ** ق يطلق حولها قلمه
ويلقي الشاعر الموهـ ** ـوب فيها الوقع والنغمة
فيرسم لوحة منها ** وما أحلى بها رسمه

الخطابة المثالية في مرآة النقد

١

د. / أحمد محمد منظور (*)

كنت أود الحديث فى هذا المقال عن الخطبة المثالية بين التاريخ والنقد من منطلق أن التراث العربى يحفل بذلك الفن القولى الأثير المؤثر فى حياة الناس. وكان للعرب فيه صولة وجولة ولهم فى مقوماته فكرة ونظرة. ولكنى رغبت فى أن يقتصر الحديث على ما يتصل بهذه المثالية من ناحية النقد وإن كنت أعرج على التاريخ بحثا عن الشاهد. راجيا أن يكون فى هذا الحديث ما ينهض بتلك الإطلالة التاريخية على فن الخطابة، وأن يكون لدى القارىء الحرص على التنقيب عن ذلك فيما يتصل بالخطابة العربية من ناحية الدرس مثل «البيان والتبيين» للجاحظ، و«البرهان فى وجوه البيان» لإسحاق بن إبراهيم بن وهب الكاتب و«العقد الفريد» لابن عبدربه، أو النص مثل ذلك الكتاب الجهير الصوت الذى جمع فيه صاحبه الأستاذ أحمد زكى صفوت عيون خطب العرب، والمسمى «بجمهرة خطب العرب».

وبداية أود أن أنبه إلى أن مدخلنا لهذا الحديث ينبع من نقطة فهمنا لفن الخطابة ورسالته؛ من منطلق أن رسالة أى شىء تؤثر فى طبيعته وتنعكس بدون شك على أدواته ووسائله التى تسعى إلى تحقيق هذه الرسالة، فالخطابة هى: فن مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته. أو هى فن مخاطبة الجماهير بطريقة إلقائية تشتمل على الإقناع والاستمالة.

وهى بهذا المفهوم تقوم على عناصر محددة، هى: الخطيب، والمستمع، والخطبة، والإلقاء. ويتوج هذه العناصر تلك الغاية التى يهدف هذا الفن إلى إيجادها وهى تحقيق الإقناع والاستمالة. وسنحاول تحديد أوجه المثالية فى هذه الأشياء بما يساعدنا على الكشف بصفة عامة عن طبيعة المثالية التى ننشدها فى الخطابة من الناحية الفنية.

فالخطيب يشترط فيه أن يتصف بعديد من الصفات التى يمكن أن نقسمها إلى صفات:

(*) أستاذ الأدب والنقد المساعد بكلية اللغة العربية.

خلقية خلقية، وصفات علمية معرفية، وصفات مهارية مكتسبة. وتأتي في مقدمة الصفات الأولى صفة الموهبة والاستعداد الفطري فهي النواة التي ماتزال تنمو وتتعهدها بالري والغذاء وتنحى عنها عوامل الضعف حتى تصبح شجرة يانعة وبدون ذلك الاستعداد الفطري فإنه من الصعب أن يوجد الخطيب الناجح كما أن المعرفة بقواعد الشعر لا تنشيء شاعرا مجيدا، وقديما سأل معاوية بن أبي سفيان صحار بن عياش العبدي بقوله: ما هذه البلاغة التي فيكم، فقال: شيء تجيش به صدورنا فتقذفه على ألسنتنا[1].

ومنها: سلامة النطق وجهارة الصوت: وذلك أن أداة الخطيب الأولى هي اللسان الناطق، ووسيلته هي الصوت المعبر، ولذا لزم أن تكون تلك الأداة سليمة وهذه الوسيلة قوية حتى ينجح في الأداء ويحدث الأثر المطلوب في نفوس سامعيه، وقد كان العرب يفضلون في الرجل أن يكون جهير الصوت واسع الأشداق -لا المتشدق- ويصفون المتفوه ذا البيان بأنه أشدق كما شهر بذلك عمرو بن سعيد الأموي، كما كان الخطباء منهم يتعهدون مواطن العيب لديهم في النطق ويتحاشونها، كما أثر عن واصل بن عطاء أنه كان يتحاشى الكلمات التي بها حرف الراء ويأتي بدلا منها بمرادفها لأنه كان اللثغ في النطق بها على نحو فاحش شنيع[2].

ومنها: رباطة الجأش وثبات الجنان: فقد نقل أبوعثمان الجاحظ في البيان والتبيين عن صحيفة الهند بعض آلات البلاغة في الخطابة، وهي: أن يكون الخطيب رابط الجأش ساكن الجوارح قليل اللحظ متخير اللفظ (جـ١ ص٩٢). وقد كان العرب كذلك يمدحون الخطيب بثبات الجنان، وذلك من منطلق أن الحيرة والدهشة والهيبة تؤدي إلى الارتاج والإحبال، وتورث الحصر وحبسة اللسان، وتعصف بقدرة الخطيب على الاحتفاظ بالمعلومات[3].

ومنها: الشجاعة الأدبية، ويقصد بها شجاعة الرأي والوقوف في وجه الطغاة، وشجاعة الاعتراف بالحق والقدرة على التصرف ضد معارضيه، وشجاعة حمل أمانة الكلمة واللسان. وقد بلغ رسول الله ﷺ الغاية في ذلك، عندما علم بأن أناسا يتحدثون في شأن عمه العباس - رضي الله عنه - فوقف بينهم خطيباً قائلاً: ألا إن عم الرجل صنو أبيه، من آذى العباس فقد آذاني، وفي مواجهته لموقف الأنصار بعد غزوة حنين، فقد ظنوا أن الرسول أجزل العطاء لقريش لأنهم أهله، فقام فيهم خطيبا ووأد الظن في مهده حين بين لهم فضلهم ودعا لهم وأخبرهم بأنه ﷺ عائد معهم إلى المدينة[4].

---

(١) البيان والتبيين، أبوعثمان الجاحظ تحقيق عبدالسلام هارون مكتبة الخانجي بالقاهرة ط٥ جـ١ ص٩٦.

(٢) ينظر: السابق ص١٢٢، ص١٤. وممن مدح بجهارة الصوت العباس بن عبدالمطلب - رضي الله عنه.

(٣) ينظر: الخطابة وإعداد الخطيب، د. عبدالجليل عبده شلبي، دار الشروق ط٢ ص٤٢.

(٤) ينظر: البيان النبوي، د. محمد رجب البيومي، دار الوفاء للطبع والنشر ص٨٨. وسيرة النبي لابن هشام، طبعة دار التحرير، جـ٤ ص٨٤.

ومنهـا: حسـن الخلق، فالخطيب رائد لسامعيه، وداع إلى الحق والخير والفضيلة، وحسن خلقه كالمقدمة لسامعيه التي تحمل على الاقتناع بقوله، ولذا وجدنا أرسطو يقرر أن أمانة الخطيب ونزاهته لهما أكبر الأثر في قوة الإقناع. وقد يقول قائل إن حسن الخلق صفة تسبق الخطابة وقد لا يعرف الناس من أمر الخطيب شيئا فيخدعون بطلاقة لسانه وروعة بيانه، وأقول ما قاله زهير:

ومهما تكن عند امرىء من خليقة

وإن خالها تخفى على الناس تعلم

وسينعكس أثر ذلك على قوله في خطبته فينطلق لسانه في الناس وغير ذلك من الأمور الدالة المفصحة عن أنه من أى معين يمتاح.

ومنها: حرارة العاطفة وقوة الشخصية: والمقصود بذلك أن يمتلك الخطيب نفساً مؤمنة بقضيتها صادقة في الدفاع عنها، راغبة في النجاح في مهمتها. وأن يستمد كلماته من قوة نفسه وروحه، فإن ذلك يدفعه إلى أن يهز أوتار قلوب سامعيه وأن يغزو مواطن التفكير في عقولهم، ويحدث ما أحدثه أبوبكر في المسلمين في خطبته بالسقيفة، وقد دلنا على ذلك الحسن البصري عندما قال لواعظ لم تؤثر به موعظته: يا هذا إن بقلبك لشراً أو بقلبي(*).

ومن الصفات العلمية المعرفية

الثقافة الواسعة: ذلك أن المعارف الإنسانية تتشابك، والخطيب في حاجة إلى أن ينمي قراءته لغة وأدبا وديناً، وخلقاً، وعلماً وفناً، ونظرية وتطبيقاً، وتاريخاً وحاضراً، وفكراً وسلوكاً. فإنه متى استبحر في وقوفه على هذه الأشياء كون لنفسه زاداً من المعرفة والثقافة تعزز به معانيه وتسمو به أفكاره، وتقوى به أدلته ويقتدر به على التصرف في وجوه القول والاستعانة بألوان البيان في إضفاء الجدة والطرافة على معالجته لموضوعه، ويملك أقطار سامعيه بهذه الإحاطة الواسعة بألوان المعرفة فيأنسون لما يأتي به من فكرة، ويتجاوبون مع ما يدعو إليه من اتجاه.

ومنها: الإلمام الجيد بأبعاد موضوعه الذي يعالجه، وهي صفة أخص من سابقتها وتختلف عنها، فإذا كانت الأولى تمثل المعين الذي يمتاح منه الخطيب دلائل المعرفة العامة فإن هذه تقترب من الموضوع فكرياً لتجعله يلم بحقائقه التي تشكل جوهر المعاني التي يتطلبها، والوقوف على التيارات والآراء التي تتصل بموضوعه، والتعرف على الأشباه والنظائر وما يدخل وما لا يدخل معه في خطبته حتى يتبلور الخط الفكري لموضوعه رؤية واضحة ومعالجة مستوعبة متكاملة الأطراف.

ومنها: التعرف على طبيعة الموقف وما يناسبها من وجوه القول والبيان، وتلك صفة تبدو أكثر خصوصية والتصاقاً بالخطبة من سابقتيها، وهي محور البلاغة كما مر بنا قديماً في تعريفها بأنها: مراعاة الكلام لمقتضى الحال، وذلك يحتم على الخطيب أن يميز بين ما

(*) فن الخطابة. د. أحمد محمد الحوفي. دار نهضة مصر للطبع والنشر ط١ ص٢٦.

يقوله في المدح والتهنئة، وما يقوله في الرثاء والتعزية، وأن يفرق بين موقفه باعتباره خطيباً سياسياً يدعو إلى فكرة أو يناهض رأياً آخر، وموقفه وهو خطيب ديني يهذب النفوس ويثير البصائر، وإلا يخلط بين أن يكون محاوراً مناظراً لخصم أمامه وبين أن يتحدث إلى جمهور كبير في قضية عامة، فلكل من هذه المواقف المتباينة من الوسائل والأدوات- أسلوباً وفكراً- ما يحقق الغاية المرجوة منها، وبدون معرفة الخطيب الجيدة لذلك تطيش سهامه ويعجز عن الوصول إلى ما يريد.

ومنها: دراسة نفسية السامعين، فمعرفة الخطيب لنفسية السامعين، وميولهم الفكرية، ومستواهم الاجتماعي، تعينه في التعرف على تلك المفاتيح التي تفتح له مغاليق النفوس وأبواب العقول، وتمكنه من أن يقترب من نفوسهم ويمتزج بروحهم فيقوى على تشخيص الداء ووضع الدواء المناسب لهم، وإذا كان يخاطب قوماً لا يعرفهم فعليه أن يدرك منذ البداية أنه أمام سامعين يتكونون من طبقات شتى ومستويات عدة، ففيهم الكبير والصغير والمتعلم والأمي والفقير والغني ومن يمكن أن يكون خصماً أو يكون ولياً، ومن ثم فعليه أن يسلك مسلكاً وجدانياً يثير الرغبة في الاستماع والإحساس بالخطيب، فإذا ما عرف أن من أمامه أسلم له قيادة يأخذ في الموازنة بين عنصر الإقناع والاستمالة ويتدرج في غرس أفكاره وقد أيقن أنه أمام تربة صالحة للغرس والإثمار.

ولدينا شواهد كثيرة في أدبنا العربي تنبىء بأهمية تلك الصفة على النحو الذي تجده في خطبة أبي بكر الصديق يوم السقيفة حين اعترف للأنصار بالفضل وللمهاجرين بالسبق، وخطبة عدي بن حاتم الطائي في استنفار قومه لمناصرة علي بن أبي طالب حيث أغراهم بخيري الدنيا والآخرة معاً، وخطبة معاوية في المناداة بتولية ابنه يزيد من بعده وحسن تمهيده للأمر الذي يريده، وخطبة الحجاج الثقفي بعد مقتل عبدالله بن الزبير في أهل مكة وقياسه ما حدث لابن الزبير بجوار الكعبة على ما حدث لآدم في الجنة[٦].

ويتصل بذلك ملاحظة الخطيب لحال سامعيه حتى لا يملوا كلامه ويرفضوه جملة وتفصيلاً، ولذلك قال عبدالله بن مسعود: حدث الناس ما حدجوك بأبصارهم، وأذنوا لك بأسماعهم، وإذا رأيت منهم فترة فأمسك. (البيان والتبيين جـ١ ص١٠٤).

ومنها: سعة المحفوظات الأدبية من مأثور القول وجيد الكلام عند العرب شعراً ونثراً، وامتلاكه ثروة لغوية وفيرة تمكنه من اصطفاء الكلمات وتخير الألفاظ التي تنهض بما في نفسه وتأخذ بأقطار سامعيه، والحفظ الجيد لكتاب الله - تعالى - وحديث الرسول ﷺ إن كان في موقف الخطابة الدينية، فهما الجناحان اللذان لا يستطيع الخطيب الديني أن يحلق بدونهما أو أن يبلغ شأوه البعيد في

(٦) ينظر: الخطب والمواعظ، محمد عبدالغني حسن، دار المعارف بمصر ط٢ ص٢٠

هذا الميدان، وذلك فضلاً عما ذهب إليه العرب من أهمية أن تزين الخطبة بذكر شيء من القرآن الكريم، وتسميتهم الخطبة التي لم توشح بالقرآن الكريم وتزين بالصلاة على النبي ﷺ «الشوهاء».

ومن الصفات المهارية المكتسبة

– التدريب على سرعة البديهة والقدرة على الارتجال فالخطيب جندي في ميدانه ومن الواجب عليه أن يكون يقظا قادرا على مواجهة المواقف الصعبة بعقل ذكي وخيال وثاب ولسان طلق وبيان أخاذ، يستوى في هذا أن يكون ذلك الموقف الذي يجابهه قبل الشروع في الكلام أو أثناء إلقاء خطبته، أو أن تكون تلك البديهة يستعين بها في الرد على معارضيه أوربط أجزاء الكلام إن غاب عنه خيط الموضوع حتى لا يبدو مشتت الذهن أمام سامعيه، وفي قراءة تاريخ الخطابة ما يعين الخطيب في التعرف على وجوه التصرف في كل موقف. ونضرب مثلا واحداً لذلك تاركين الزيادة للمستزيد بالرجوع إلى كتب التراث فقد روى أن قتيبة بن مسلم كان يخطب في خراسان وهو يتقدم في فتوحاته بها فسقط القضيب من يده، فتشاءم أصدقاؤه وتفاءل أعداؤه، وشعر قتيبة بذلك، فتناول القضيب من على الأرض وقال: ليس الأمر على ما ظن العدو وخاف الصديق، ولكن كما قال الشاعر:

فألقت عصاها واستقر بها النوى
كما قر عيناً بالإياب المسافر(٧)

ومنها: القدرة على الحوار والاحتجاج، ذلك أن الخطبة قد تأتي في صورة لون من المناظرة، وحينئذ فإن الخطيب عليه أن يجيد السماع لحجج الخصم، وأن يستدعي الأدلة والبراهين التي تمكنه من إفحام خصمه، وذلك لن يتأتى له إلا بدراسة سبل الاستدلال وكيفية تفنيد الأدلة، وبالقدرة على الاستنباط والقياس والاستعانة بمرويات التراث وأحداث الحاضر، وقد قطع العقل العربي في هذا الجانب أشواطاً بعيدة تدل على مكانته في هذا الجانب، وإذا تتبعنا حركة الذهن عند المعتزلة في مناظراتهم التي كانوا يجرونها مع خصومهم أو يدربون بها أبناءهم، أو نظرنا إلى مناظرة الخوارزمي لبديع الزمان الهمذاني أو مناظرات الفقهاء للمتكلمين في العصر العباسي أومناظرة الكسائي وسيبويه في النحو أو المناظرات الإبداعية التي تخيلها الجاحظ في رسائله وكتبه نقف على زاد وفير من تلك المادة التي تنمي فينا القدرة على الحوار والاحتجاج.

– ومنها البراعة في تلوين الأداء الخطابي وفقاً للمقام، وذلك أن الأداء الخطابي كما سنعرف تتلون طرق الإلقاء فيه بين تدفق وإبطاء وحماسة ونجوى، وتقرير وسرد. ومن الواجب تدريب الخطيب ذاتياً أو تعليمياً على التعرف جيداً على تلك المواقف التي

---

(٧) فن الخطابة، السابق ص٣٤.

يتدفق فيها أو يبطىء، ويحتد أو يسامر، ويقرر أو يسرد، وأن يعطى فكرة جيدة عن الجمل والأساليب التي تعينه في كل ذلك من كونها قصيرة أو متوسطة، ذات شحنات عاطفية أو فكرية، إنشائية أو خبرية. وأن يعلم أن القراءة الواعية لموضوعه قبل إلقاء خطبته تساعد على التلوين في الأداء تضخيماً وترقيقاً وسكوتاً ووصلاً ونبراً وتعجباً إلى غير ذلك من الألوان.

ومنها: الإصابة في القول وعدم التكلف في التعبير، وذلك يأتي من المتابعة الجيدة للخطيب والنظر في معالجته لموضوعه حتى يبرأ من الإسهاب وتشعب القول، وقد سئل عمرو بن عبيد عن البلاغة فقال: «إنك إن أوتيت تقرير حجة الله في عقول المكلفين، وتخفيف المؤونة على السامعين، وتزيين المعاني في قلوب المريدين بالألفاظ المستحسنة في الآذان، المقبولة عند الأذهان رغبة في سرعة استجابتهم ونفي الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة، كنت قد أوتيت فصل الخطاب واستحققت من الله كثير الثواب»[٨].

٢- وفي عنصر المستمع قد يقول قائل: وكيف يتسنى لنا أن نوجد مستمعاً مثالياً يكون من هؤلاء الذين قال الله فيهم:

﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ﴾[٩]

والمقام مقام حمل على الإقناع والاستمالة، والخطيب يواجه عقولاً تتباين ثقافتها واتجاهاتها، ونفوساً تتعدد ميولها ورغباتها. ومن ثم تأتي أهمية الجانب المتعلق بالخطيب في هذا العنصر، إذ هو ربان السفينة وعليه أن يعالج الموقف ببراعة حتى يصل بسفينته إلى مرافىء النجاح، وأن يضع نصب عينيه الحقائق التالية المتعلقة بمستمعيه، وهي: أن سلطان الوجدان أقوى تأثيراً على الجماعة من سلطان الفكر، وأنها يسري في تكوينها روحاً عامة تجمع بين أفرادها، وأنها تتطلع إلى ما يتمتع به الخطيب من صدق وإخلاص في دعوته كي تمنحه التفاعل معه في خطبته، وأنها في حاجة إلى أن يجذب انتباهها بمقدمة رائعة تبعث في نفوسهم الارتباط به منذ البداية، وإلى أن يحرك الخطيب حواسها بما يملكه من أدوات الخيال والتصور والترغيب والترهيب، والتهويل والتشويق، والحيوية والجذب، والاستثارة وبث التأمل في العقول. وأنها تريده أن يكون يقظاً منتبهاً للغاية التي يريد أن يصل إليها وأن يأتي بناء خطبته قوياً متماسكاً حتى لا يلتوي الحديث به وبمستمعيه في سراديب الاستطراد المملول، ومن يضمن للخطيب إن كان كذلك أن يجد السامع الذي يصبر عليه حتى يعود إلى محور موضوعه وهو لا يعرف كيف ولا أين ولا متى يعود؟!

«يتبع»

---

(٨) الخطابة وإعداد الخطيب، السابق. ص٣٧.

(٩) الزمر: ١٨.

لسنا إرهابيين (٣)

ضوابط حرية الاعتقاد في الإسلام

للأستاذ الدكتور/ عبد العظيم المطعني

حرية الاعتقاد في الإسلام أمارة قوية تدفع عن الإسلام الاتهام بالعنف والإرهاب، وهذه الحرية ليست مطلقة بحيث يستوي الإيمان والكفر عند الله، لذلك كان لابد من ذكر ضوابط هذه الحرية، لينجلي الحق لذي عينين وفي ما يأتي بيان موجز لهذه الضوابط.

الأول: أن هذه الحرية مقصورة على الحياة الدنيا، أما عند الله، وفي الحياة الآخرة، فإن الإيمان والكفر، والمؤمن والكافر لا يستويان، ومصير المؤمن غير مصير الكافر، وفي ذلك يقول رب العزة:

﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾(١).

وفي القرآن الكريم آيات يضيق المقام عن ذكرها تفرق بين الإيمان والكفر، والمؤمن والكافر.

الثاني: أن حرية الاعتقاد في الإسلام مكفولة بالنظر إلى علاقات الناس بعضهم ببعض، فليس لأحد كائنا من كان، أن يجبر أحدا على اعتناق عقيدة هو بها كافر، ولو كانت عقيدة الإسلام، أما عند الله - عز وجل - فالمؤمن من أهل الطاعة والرضوان، والكافر مغضوب عليه ملعون.

هو عند الله كالأنعام بل هو أضل، وفي ذلك يقول أحكم الحاكمين:

(١) هود (١٠٥ : ١٠٨).

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[٢].

الثالث: إن حرية الاعتقاد في الإسلام في الحياة الدنيا، مكفولة لغير المسلمين، الذين ورثوا عقائد أخرى غير الإسلام عن آبائهم وامهاتهم، أما من ولد من أب مسلم، وظل على الإسلام بعد بلوغه سن التكليف فإن حكمه يختلف عن أصحاب العقائد الأخرى، كما هو معروف في شأن المرتد عن الإسلام، لأنه يُنصح ويعان على دفع الشبهات التي حملته على الارتداد فإن أصر على ارتداده بعد تبين الحق له. فإنه يقتل، إذ لا عذر له، كما جاء في الأحاديث النبوية الصحيحة، وفي السنة العملية في صدر الإسلام الأول.

فالكفر الموروث لا شأن لنا به، وإنما شأننا بالكفر الطارئ عن من كان مسلما فلا حجة إذن لخصوم الإسلام في قتل المرتد، واعتباره دليلا على إرهابية الإسلام، لأن هذا شأن من شئون الإسلام الداخلية.

والعجيب أن الذين يتهمون الإسلام بالإرهاب مستندين إلى مبدأ قتل المرتد، ينسون الجرائم البشعة، التي ارتكبوها في «محاكم التفتيش» ضد من تحوم حوله الشبهات أنه خرج عن عقائدهم، سواء مال إلى الإسلام أم لم يمل. بل يعتبرون أي مخالفة لما تقوله الكنيسة، ولو في مسألة علمية كونية. خروجا عن الملة يستحق صاحبها أبشع صور التنكيل والعقاب، فقد أحرقوا (برونو) لمجرد أنه تابع جاليليو في القول بدوران الأرض حول الشمس. وهي مسألة علمية بحتة، لا صلة لها بأصول الاعتقاد.

وهذا ما حدا برجال الثورة الفرنسية أن يقولوا في واحد من شعاراتهم الثورية، منذ أكثر من مائتي عام:

«اشنقوا آخر ملك، بأمعاء آخر قسيس» رامزين بهذا الشعار إلى القضاء على رجال الكنيسة الذين سيطروا على ضمائر الشعوب، وعلى الملوك الإقطاعيين، الذين سيطروا على أجسام رعاياهم واستعبدوهم.

نسي خصوم الإسلام ذلك وراحوا يكيلون التهم للإسلام بلا ضوابط.

ونسوا ـ كذلك ـ ما كانت تقوم به كنيسة القرون الوسطى في الغرب، من تعذيب مؤلم لمن تحوم حولهم الظنون، حيث كانت الكنيسة، تحفر حفرة عميقة، وتغرس فيها أسياخا مدببة الرءوس، ثم يلقى فيها الضحايا فتنغرس رءوس الأسياخ المدببة في أجسامهم، ويظلون فوقها تنزف دماؤهم حتى الموت! أليس هذا إرهابا لم يسبق له مثيل في تاريخ البشرية جمعاء؟!

---

(٢) الجاثية (٢١).

حـــروب الـــردة

ومما يلغطون حوله كثيرا فى هذا الشأن، حروب الردة التى شنها أبوبكر ـ رضى الله عنه ـ على الذين ارتدوا عن الإسلام عقيب وفاة النبى ﷺ، ويعتبرونها اعتداء على حقوق الإنسان، وحجرا على حرية الناس حينذاك فى الاعتقاد؟

والحق أن تلك الحروب داخلة فى الإطار الذى أشرنا إليه من قبل من التفرقة بين الكفر الموروث، وبين الكفر الطارئ على من كان مسلما ثم ارتد، والذى نضيفه ـ هنا ـ أن أبا بكر ـ رضى الله عنه ـ أخلص فى النصح لأولئك المرتدين، قبل من يشن عليهم الحرب، وأنه لم يحاربهم إلا بعد أن تبين أنهم مصرون على كفرهم.

فقد أرسل أبوبكر أحد عشرة جيشا إلى القبائل والعشائر المرتدة وحرر رسالة أو بيانا بصيغة واحدة، وأعطى كل قائد جيش صورة منه، ليتلوها على أسماع القبيلة، التى أرسل إليها، وفيما يلى فقرات من تلك الرسالة.

« . . .وقد بلغنى رجوع من رجع منكم عن دينه، بعد أن أقر بالإسلام وعمل به، اغترارا بالله، وجهالة بأمره، وإجابة للشيطان».

«وإنى قد بعثت إليكم (فلانا) فى جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان. وأمرته ألا يقاتل أحدا ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الله، فمن استجاب له وأقر. . وعمل صالحا قبل منه، وأعانه عليه. ومن أبى أمرت بقتاله على ذلك. . وأن يسبى النساء والزرارى، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام».

«وقد أمرت رسولى أن يقرأ كتابى فى كل مجمع لكم. والداعية الأذان، فإذا أذن المسلمون فأذنوا يكفون عنكم، وإن لم يؤذنوا عاجلوهم. . وإن أقروا قبل منهم، وحملهم على ما ينبغى لهم».

● ونستخلص من نصوص هذه الوثيقة التاريخية ما يأتى:

● أن المرء لا يقاتل ولا يُقتل حتى يُنصح ويدعى إلى الإسلام، ثم يمتنع عن الرجوع إليه.

● إذا رجع المرتد إلى الإسلام قُبِلَ منه، ثم يؤمر بالعودة إلى العمل بشريعة الإسلام.

● إن أبا بكر أمر أن تذاع رسالته هذه مبالغة فى النصح لهم.

● إنه لم يأمر بقتال المرتدين أو قتلهم ابتداء، بل جعل أمرهم بأيديهم فإن رجعوا إلى الإسلام فليس لأحد سلطان عليهم، وإن أبوا كانوا هم الذين اختاروا القتال والقتل، وهذا قمة الإنصاف.

● إن أبا بكر فرّق بين الكفر الأصلى، والكفر الطارئ بعد حصول الإيمان. وليس بعد ذلك سماحة يمكن أن يلام الإسلام على قصور فى الوصول إليها.

الإسلام وحقوق الإنسان

٢

للأستاذ الدكتور / عبد الغفار حامد هلال

حق احترام الحياة الخاصة وصون الأعراض

حرص الإسلام على احترام الحياة الخاصة فمنع دخول بيوت الغير إلا بالاستئذان فقال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾(١).

وأمر باستئذان الخدم ونحوهم والذين لم يبلغوا الحلم من أبنائنا على أهله وعلى غيرهم في ثلاثة أوقات من قبل صلاة الفجر وحين يضعوا ثيابهم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء، كما حرص الإسلام على صون أعراض الناس وعدم كشف أسرارهم بالغيبة والنميمة والتجسس فقال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾(٢).

وإن تناول الأعراض ممقوت في الإسلام ويعد أفظع من جريمة الربا فقد قال النبي ﷺ يوماً لبعض أصحابه: «أتدرون أربى الربا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم.. قال: أربى الربا عند الله استحلال عرض مسلم»(٣).

ويجب على من ينقل إليه ذم أو تجريح يقال في حق إنسان ألا يقبله ممن يقوله له بل يعرض عن الإثم والتضليل كما قال تعالى:

(١) النور (٢٧-٢٨). (٢) الحجرات (١٢).

(٣) الترغيب والترهيب ٣/٥٠٥.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾(٤).

ويقول النبي ﷺ : «أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذكرك أخاك بما يكره. قيل: أرأيت إن كان في أخي ماأقول. قال: إن كان فيه ماتقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ماتقول فقد بهته»(٥) ويبنيه القرآن الكريم على أن المغتاب وصاحب البهتان يتحمل وزرا وإثماً عظيماً، يقول الله تعالى:

﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ﴾(٦).

ويقول الرسول ﷺ : «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله - تعالى - مايلقى بها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله - تعالى - لايلقى بها بالاً يهوى بها في جهنم»(٧).

حق صون المال

قد منع الإسلام الاعتداء على مال الغير، فمنع أي نوع من أنواع اغتصاب المال والاستيلاء عليه بالباطل دون حق، يقول تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾(٨).

ويقول الرسول ﷺ - في خطبته العالمية -: «أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ألا هل بلغت اللهم اشهد»(٩). وحرم أخذ الأموال دون رضا أصحابها أو رضا المجتمع الذي يملكها يقول ﷺ : «أيها الناس إنما المؤمنون إخوة ولايحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه، ألا هل بلغت اللهم اشهد»(١٠). قال ﷺ : «من اقتطع مال امرئ مسلم لقي الله - عز وجل - وهو عليه غضبان»(١١).

حق كسب المال والاستمتاع به

كانت النظم والمعتقدات قبل الإسلام تنهى الناس عن السعي لكسب المال والتمتع به وبملذات الدنيا لكن عقيدة الإسلام أباحت للناس أن يكسبوا الأموال سعياً في الأرض ودعوة إلى العمل إذا كان ذلك من طريق حلال مشروع وللإنسان أن ينفق منه في مأكله ومشربه وملبسه ويؤدي مايجب عليه من حقوق شرعية كالزكاة والصدقات وغيرها، قال تعالى:

---

(٤) الحجرات (٦).

(٥) سنن البيهقي ٢٤٧/١٠، فتح الباري ٤٦٩/١٠.

(٦) النساء (١٠٨).

(٧) البخاري ١٣٥/٨، وأحمد ٣٣٤/٢.

(٨) النساء (٢٩).

(٩) من خطبة النبي ﷺ في حجة الوداع.

(١٠) أحمد ٤٢٣/٣.

(١١) البخاري ١٦٣/٩، وأحمد ٢٨٩/١.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾(١٢)

وقال عز حكمه:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ﴾(١٣)

فالحرية في ذلك مكفولة شريطة الا يتلف المال بما يفسده او يطغى به على الآخرين او يمنع حقوقهم او ينفقه في المحرمات قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا﴾(١٤).

وإذا كانت بعض المذاهب والايدلوجيات كالراسمالية تترك الحرية مطلقة للفرد يكسب - كما يشاء - ومن اى طريق ويتمتع كما يشاء وينفق كما يريد، فإن الإسلام قد نظم سلوك الفرد في هذه النواحي بحيث لايتجاوز التصرفات التي تفيد نفسه وتفيد مجتمعه وإخوانه أصحاب الحقوق في ماله.

وبعض الايدلوجيات كالاشتراكية تجرده من حقوقه في التمليك وتجعله جزءاً من الدولة وان الفرد آلة داخل جهازها الكبير لايملك إلا بعض الأشياء الصغيرة من المتاع والمنقولات، لكن الإسلام حافظ على التوازن بين حياة الفرد والجماعة ونظمها.

ومنع الإسلام نجاسة الأموال، وذلك عن طريق الكسب غير المشروع والحصول على المال الحرام من اى طريق، وحرم الرسول ﷺ مسلك عمه العباس في جمع المال عن طريق غير شريف - وكان من أثرياء مكة ومرابيها - يقول ﷺ: «إن ربا الجاهلية موضوع، وإن أول ربا ابدأ به ربا عمي العباس بن عبدالمطلب»(١٥).

واباح الإسلام للإنسان حق الإرث والتوريث يقول تعالى:

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنۡهُ أَوۡ كَثُرَۚ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا﴾(١٦).

﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾(١٧)

﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٞۚ﴾(١٨).

ويبين القرآن الكريم حب الإنسان للمال:

﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ﴾(١٩).

وميله إلى جمعه وعدم التوسع في انفاقه:

---

(١٢) البقرة (١٦٨).

(١٣) البقرة (٢٦٧).

(١٤) الإسراء (٢٧).

(١٥) من خطبته ﷺ في حجة الوداع.

(١٦) النساء (٧).

(١٧) النساء (١١).

(١٨) النساء (١٧٦).

(١٩) العاديات (٨).

﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا ﴾[٢٠].

حق التكافل الاجتماعى وحق الكفاية

يكفل الإسلام للإنسان مايكفيه من العيش بتهيئة العمل النافع له ومن لايتوافر له ذلك لعجز أو ضيق ذات اليد فإنه لايترك كذلك بل له حق على أهله وذوى قرباه الأغنياء أن يوفروا له مايكفى حياته، (صلة الرحم ونحوها).

وقد شرع الإسلام الزكاة وجعلها ركناً من أركان الإسلام لتكون سبيلاً إلى كفاية الفقير مئونة الحياة يقول تعالى عن المؤمنين:

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾[٢١].

﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾[٢٢].

فالزكاة فرض:

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾[٢٣].

ومن لم يؤدها توعده الله بالعقاب الأليم.

ويقول تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾[٢٤].

ومن لم يخرجها مختاراً أخذت منه عنوة.

ويذكر بعض الفقهاء - كالشافعي - وجوب كفاية الفقير طول عمره، وكان عمر - رضي الله عنه - يقول: «إذا أعطيتم فأغنوا» ومن التكافل الاجتماعي أن يقوم الأغنياء بمساعدة الفقراء بما يكفيهم من منطلق قول الرسول ﷺ «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»[٢٥]. وقوله «مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى»[٢٦]. ونفى الإيمان عمن يبيت وهو شبعان وجاره جائع.

وإن المجتمع الإسلامي مجتمع متكافل متراحم يمد يده للمحتاجين حتى من غير المسلمين فعمر فرض ليهودى محتاج فى بيت مال المسلمين نصيباً.

---

(٢٠) الإسراء (١٠٠).

(٢١) المؤمنون (٤).

(٢٢) النمل (٣).

(٢٣) النور (٥٦).

(٢٤) التوبة (٣٤، ٣٥).

(٢٥) البخاري ١/١٢٩، ٣/١٦٩.

(٢٦) أحمد ٤/٢٧٠.

حرية الاعتقاد والتكليف فى الإسلام

إن الإسلام لايكره أحداً على الدخول فيه:

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِى ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾(٢٧).

﴿ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾(٢٨).

﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ﴾(٢٩).

وقد جعل الله ـ تعالى ـ للإنسان عقلاً يتأمل فى الشواهد والأدلة، وحواس وقدرة جسمية تمكنه أن يعرف طريق الهدى من طريق الضلال:

﴿ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ۝٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ۝٩ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴾(٣٠).

والقول بأن الإسلام استخدم السيف فى إكراه الناس على الدخول فيه دعوى زائفة روج لها أعداء الإسلام، وأما قوله ﷺ: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله)(٣١). فلفظ الناس الوارد فيه ليس عاماً فلا يقصد به الناس جميعاً، وإنما المقصود به أناس بأعيانهم وهم أهل مكة من المشركين- هؤلاء الذين آذوا المسلمين فى أنفسهم وأهليهم وأموالهم ونهبوهم وطردوهم من ديارهم فقال تعالى:

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ۝٣٩ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ ﴾(٣٢).

لكن الإسلام يطلب ممن لم يدخل فيه ألا يعتدى على أهله بالفعل أو بالقول، فلا يسئ إلى الدين ولاينال من قيمه ومثله العليا إلا رد الإسلام على العدوان.

حق الحرية الاجتماعية

لاشك أن الحرية تدل على قيمة من تعطى له والإنسان كائن اجتماعى كرمه مولاه فأعطاه هذه الميزة، وإذا كانت الأنظمة البشرية تحد من حرية الإنسان فى مناحى حياته الطبيعية فى الإقامة والتنقل والمسكن والمشرب والفكر، فإن الإسلام أعطى الأفراد حرية فى ذلك مع بعض القيود التى تنظم السلوك الفردى حتى ينسجم مع سلوك الجماعة.

والحرية فى الإسلام مكفولة بمراقبة الله ـ سبحانه ـ لابنظريات أشخاص- كأفلاطون أو سارتر- أو مؤسسات- كتلك التى أقامتها الثورة الفرنسية.

والحرية فى الإسلام تسمح للإنسان أن يعبر عن طاقاته وفكره مع الأمانة والمسئولية والإخلاص والضمير، وللإنسان الحق فى الدفاع عن نفسه إذا ماظلم ولكن بشروط وضوابط فلا

---

(٢٧) البقرة (٢٥٦).

(٢٨) يونس (٩٩).

(٢٩) الكهف (٢٩).

(٣٠) البلد (٨ ـ ١٠).

(٣١) البخارى ١/ ١٣، ٩/ ١٣٨.

(٣٢) الحج (٣٩، ٤٠).

يكذب فى شئ ولا يفترى على الآخرين، وقد ورد عن النبي ﷺ أنه كان إذا أتاه خصمان يتنازعان فى حق يقول لهما: «إنما أنا بشر ولعل بعضكم يكون ألحن بحجته من بعض فإذا قضيت لأحدكم بشئ من مال أخيه ظلما فإنما اقتطع له قطعة من النار»[٣٣].

وحق الإشهاد ثابت لكلا الخصمين شريطة عدالة الشهود فإن ثبت كذبهم يرجع على الشهود بالحد أو التعزير كما يقول الفقهاء.

وللإنسان حرية العمل والمشاركة فى نهضة الأمة فإذا ترك عملا فلأنه فاسد ضار وإذا عمل عملاً فلأنه صالح مفيد والإسلام يريد أن يكون الإنسان غير مسلوب الإرادة حتى يكون ذا دور فعال فى الحياة لتتقدم وتنهض وليس للإنسان حرية فى الإهمال أو التقصير فى الأعمال أو محاولة إلحاق الضرر بالعمل الذى يقوم به مما يضر بالآخرين أو بالأمة أو يؤدى إلى ضياع مقدراتها باسم الحرية فى العمل أو أداء مايستطيعه، فإن مسئولية الإنسان ويقظة ضميره وإيمانه يدعوه إلى عامل الخلق الذى يوجه عمله إلى الاستقامة.

فالإسلام جعل حرية الإنسان قائمة على المبادئ التى ترتكز على التقوى وإحسان العمل «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»[٣٤]. فالعقيدة والعمل متلازمان وعلى أساسهما يثاب الإنسان.

وعلى هذا فالقائلون بأننا نعطى من العمل بمقدار مانأخذ من الأجر مخطئون مفارقون لمعنى الحرية الحقيقية وقد جاء الإسلام بهذا واضحاً حينما حدد أن الإنسان حر فى عمله لكنه يتحمل مسئولية التقصير قال تعالى:

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴾[٣٥].

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾[٣٦].

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[٣٧].

حق المرأة فى التكريم والعمل على قدم المساواة مع الرجل

فهى عنصر من عناصر المجتمع، وهى صنو الرجل والمكمل له، وهما يتقاسمان أمور الحياة ولاتستقيم بدونها وإذا كانت الشرائع والقوانين السابقة قبل الإسلام حطت من شأن المرأة وسلبت منها حقوقها فإن الإسلام كفل لها جميع حقوقها المدنية والاقتصادية والثقافية وغيرها كالرجل تماماً.

وقد أباح الإسلام للمرأة أن تسهم بجدها ونشاطها فى تسيير دفة الحياة وتكتسب خبرات ومهارات فى شتى الميادين وأن تتثقف وتتعلم وأن تعمل فيما يناسبها من الأعمال

---

(٣٣) أحمد ٣٣٢/٢.
(٣٥) النجم (٣٩ : ٤١).
(٣٧) فاطر (١٨).
(٣٤) مجمع الزوائد ٩٨/٤.
(٣٦) المدثر (٣٨).

وقد كانت المرأة في صدر الإسلام تتولى التعليم والتثقيف، فقد كانت المرأة في صدر الإسلام تتولى التعليم والتثقيف، فقد كانت امرأة من بني عدي تعلم السيدة أم المؤمنين حفصة الخط وأصول الكتابة، روى مسلم وأبو داود عن حفصة أنها قالت: دخل عليّ النبي ﷺ فقال لي: «ألا تعلمين هذه الرقية كما علمتك الكتابة»(٣٨).

وكان للسيدة نفيسة بنت الحسن الأنور بن زيد الأبلج بن الحسن بن علي بن أبي طالب مجلس علم كان يحضره الإمام الشافعي ويذكر المقري في نفح الطيب أن جارية تعلمت النحو واللغة والعروض وفاقت سيدها في ذلك وكانت تحفظ كتاب الكامل للمبرد والأمالي للقالي وكانت تدرس لطالبي العلم.

وقد دعا النبي ﷺ إلى العناية بالمرأة فقال: «أيها الناس إن لنسائكم عليكم حقا ولكم عليهن حق وعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وإنما النساء عندكم عوان فاتقوا الله في النساء، واستوصوا بهن خيراً ألا هل بلغت اللهم اشهد»(٣٩).

حق التفكير والتعليم

خاطب الإسلام العقل ووجهه إلى التفكير في ملكوت السموات والأرض:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(٤٠).

وكثيراً ما يوجه الخطاب القرآني إلى العقل الواعي عند ذوي الألباب.

﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾(٤١).

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾(٤٢)

وفي القرآن الكريم دعوة إلى التفكير:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾(٤٣).

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾(٤٤)

ودعوة القرآن إلى العلم كثيرة:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٤٥)

ويقول الحق ـ سبحانه ـ لنبيه ﷺ:

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾(٤٦).

---

(٣٨) أخرجه مسلم وأبو داود. (٣٩) الطبري ٤/٢١٢. (٤٠) البقرة (١٦٤).
(٤١) آل عمران (٧). (٤٢) الزمر (١٨). (٤٣) البقرة (٢١٩).
(٤٤) الأنعام (٥٠). (٤٥) الزمر (٩). (٤٦) طه (١١٤).

ويقول ﷺ: طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»[٤٧]. وقال ﷺ: (فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد)[٤٨] وقال: (إن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء)[٤٩].

وقال: (من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع)[٥٠].

والعلم هنا بمعناه الواسع العلم الدينى والعلم الدنيوى فالدخول إلى العلوم الحديثة أمر إلهى فيؤخذ منها مايفيد المسلمين فى حياتهم الدنيوية.

فالقرآن الكريم يأمرنا بالنظر ومعرفة العلوم المتاحة وألا نتخلى عنها لأنها من صميم مايدعو إليه الإسلام.

ولكن ينبغي ألا نفرط في الربط بين قضايا العلوم الحديثة وآيات القرآن، لأن ماتصل إليه العلوم الحديثة مجرد احتمال قابل للتغيير والصواب والخطأ، وهذا وإن صح ربط بعضه بالقرآن فلا يجوز أن تقول إن كل مستحدث فى العلم جاء فى القرآن الكريم.

فبعض من يرى وصل العلم الحديث بالقرآن يدعى أن السيارات السبع فى المنظومة الشمسية هى المرادة بالسموات السبع فى القرآن الكريم فكيف يصح ذلك التأويل مع أنهم أدخلوا فى السيارات السبع الأرض؟ ثم قد اكتشفت فلكيات أخرى لم تكن معلومة عند المتقدمين (مثل فلك النجيمات وأرانوس ونبتون وبلوطس وغيرها من المذنبات والشهب».. ونجد كشوفا أخرى تظهر خطأ هذا الربط.

وقد فسروا الدخان بالسديم فى خلق السموات.

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾[٥١]

والنظرية السديمية قال بها «سويدنبرج» وفصلها «لابلاس» وبها فسرت نشأة المنظومة الشمسية من السديم (مادة غازية ملتهبة) وهكذا نشأت النجوم، ولكنها مجرد نظرية محتملة لايقينية. يمكن أن تتعرض للثبوت أو النفي فيما يأتي من الزمان.

ثم إن التفسير العلمي للقرآن ينبغي أن يُتريث فيه ولايدخل مجاله إلا من يملك أدوات المفسر والمجتهد.

---

(٤٧) الطبراني ١٠/٢٤٠.

(٤٨) اتحاف السادة المتقين ٣٦٨١.

(٤٩) البغوى ٧/٢٢.

(٥٠) اتحاف السادة المتقين ٣٦٤٧، الترغيب والترهيب ١/١٠٩.

(٥١) فصلت (١١، ١٢).

حقوق الإنسان.. رؤية أمريكية

قضية حقوق الانسان واحدة من أهم القضايا التي كثر الحديث حولها خلال القرن المنصرم، وحظيت دول الشرق الأوسط وبخاصة الإسلامية منها باتهامات حادة بأن حكوماتها تمارس انتهاكات متعددة لحقوق الإنسان.

وفي فترة من الفترات تركزت هذه الاتهامات على جمهورية مصر العربية حيث تحدثت تقارير متعددة عن انتهاكات لحقوق الأطفال الذين يمارسون أعمالا شاقة تتنافى مع طبيعتهم البريئة، فضلا عن قضية ختان الإناث التي قفزت في فترة من الفترات لتتصدر اهتمامات منظمات حقوق الإنسان.

وهناك من تحدث عن انتهاكات بحق المرأة - في مصر أيضاً - فيزعمون أنها لا تحصل على قسط وافر من التعليم.

كما تحدثوا عن أن الإسلام يجيز للرجل أن يتزوج بأكثر من زوجة في حين أنه لا يمنح نفس الحق للمرأة، وأن الشريعة الإسلامية منعتها من المساواة مع الرجل في الميراث.

للأستاذ / أحمد السيد تقي الدين

وعقدت مؤتمرات متعددة كلها تكيل الاتهامات للحكومات العربية والإسلامية وتتهمها بانتهاك حقوق الإنسان، وبدأت تظهر دعوات جديدة عن ضرورة تحديث الإسلام وتطويره، ليصبح مواكبا للعصر فما كان يحدث منذ أكثر من ١٤٠٠ عام لا يمكن أن يسمح به اليوم.. هكذا يقولون!! وركز دعاة حقوق الإنسان حملاتهم على مصر باعتبارها مركز الإشعاع الإسلامي في العالم كله من جانب، فضلا عن ثقلها السياسي الذي يضعها في مصاف الزعامة وسط الدول الإسلامية من جانب آخر.

وتناسى أدعياء حقوق الإنسان حقائق هامة متعددة يمكن إجمالها في أن هناك انتهاكات خطيرة لحقوق الانسان أبشع وأشنع في شتى دول العالم.

ومنذ أحداث ١١ سبتمبر- والتي اعتقد انه لا يمكن الجزم على وجه اليقين بمسئولية جهة بعينها عنها- اختفى دعاة حقوق الإنسان تماما من الساحة وأعلن التحالف «الأوروأمريصهيوني» الحرب على الإسلام شعوبا وعقيدة وثقافة.

ووضع الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش حجر الأساس للحملة الصليبية على الإسلام وعلى الشعوب

الإسلامية فقامت قواته بدك مالم يدمره الروس في أفغانستان وقاموا باقتلاع جذور الحياة منها وحولوا شعبها إلى لاجئين مشردين وسط خرائب أرضهم في حين واصل الروس حملتهم الشرسة في الشيشان مستغلين انحسار الضوء عن مأساة الشعب الشيشاني بعد انشغال الرأى العالم العالمى بحادث ١١ سبتمبر.

وفى الجنوب حصل المتطرفون السيخ والهندوس على الضوء الأخضر من حليفهم بوش لإنهاء قضية كشمير وتصفية شعبها بدعوى أنه شعب إرهابى تربطه علاقات مع تنظيم القاعدة!!

بداية أقول أو أتساءل من المستفيد ومن الخاسر من أحداث ١١ سبتمبر؟

وأطرح سؤالا آخر: لماذا لم ينفذ أسامة بن لادن تفجيرات ١١ سبتمبر فى تل أبيب مثلا بدلا من نيويورك؟ أعتقد لو فعلها لكانت أمور كثيرة قد تغيرت لأن إسرائيل لا يمكن أن تتحمل نوعا من هذا الهجوم الذى كان بالتأكيد سيصيب ساكنيها بالهلع ويدفعهم دفعا نحو الفرار من تلك الأراضى التى زعم من زعم أنها ميراث بنى إسرائيل!!

بل لعل بن لادن كان سيصبح حينها بطلا قوميا تتغنى المظاهرات الحماسية باسمه!!

السؤال الرئيسى: لماذا فى الولايات المتحدة تحديدا حدث هذا الانفجار؟ ولماذا تم اختيار بن لادن- الذى ترتب عليه تحميل الشعوب الإسلامية كلها مسئولية هذا الهجوم- وأفغانستان الواقعة بين كثافة إسلامية هائلة حيث تركيا والجمهوريات الإسلامية فى الاتحاد السوفيتى المنحل وإيران وباكستان وبنجلاديش والهند وإندونيسيا وماليزيا والعراق ودول الخليج البترولية؟

المهم فى الموضوع أن دعاة حقوق الانسان اختفوا تماما لم يعد هناك من يتحدث عن قضية ختان الإناث فى مصر، ولا قضية تعدد الزوجات فى الشريعة الإسلامية ولا الظلم الواقع على المرأة المسلمة من جراء عدم مساواتها بالرجل فى الميراث.. لماذا؟

لأن الولايات المتحدة وحلفاءها فى إسرائيل والهند وروسيا قرروا معالجة الأمر بأنفسهم وتصفية هذه الشعوب التى دخل بعضها ضمن التصنيف الأمريكى الشهير «محور الشر».

فبعد ليبيا وسوريا وإيران أصبح البعض يتحدث عن السعودية واليمن. فى حين لم يرصد أحد حتى يومنا هذا أن الولايات المتحدة الأمريكية أحرزت مكاسب عسكرية هائلة من وراء تفجيرات نيويورك فى مقدمتها تحويل مدينة قندهار الأفغانية بكاملها إلى قاعدة عسكرية أمريكية، بل لعلها أكبر قاعدة عسكرية أمريكية فى العالم كله تراقب من خلالها نشاطات الدول الإسلامية بوجه خاص مثل باكستان وتركيا وإيران خاصة الأولى والثالثة حيث دخلت الدولة الأولى إلى

نادى الدول النووية وتسعى الثالثة إلى نيل بطاقة العضوية العاملة فيه.

أما تركيا فهي نقطة التمفصل بين قارتي أوروبا وآسيا، والولايات المتحدة وباعتبارها زعيمة للتحالف «الأورو أمريصهيوني» لا يمكن أن تنسى أن تركيا في وقت ما كانت دولة عظمى مرهوبة الجانب وقد تسعى إلى استعادة ماضيها، كذلك تتيح لها هذه القاعدة التجسس على أعدائها التقليديين «روسيا والصين».

وفضلا عن ذلك أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية هي الدولة الوحيدة فى العالم التي تنفرد بتصنيف الدول إلى دول «شر» ودول «خير» ودول إرهابية ودول متعاونة، وظهر المصطلح الأمريكي الشهير «من ليس معنا فهو ضدنا» وهكذا مطلوب من العالم كله وفي مقدمته العالم الإسلامي أن يكون عاملا أمريكيا حتى ينجو من شبهة اتهامه بالإرهاب والشر.

فهل حقا تعرضت الولايات المتحدة لخسائر من جراء هجمات نيويورك المزعومة أم جنت من وراء ذلك مكاسب هائلة؟

ويبدو أن إسرائيل «طفل أمريكا المدلل» أدركت اللعبة وقررت أن تستفيد منها إلى أقصى درجة فحاكت النموذج الأمريكي تماما.

وكما قصف بوش أفغانستان بالقنابل وأفنى الحياة من ربوعها يسير شارون على نفس الدرب فيقوم بضرب الضفة الغربية بالطيران والمدفعية وفي الطريق غزة.

بل أين أسامة بن لادن نفسه؟ هل هو حقيقية أم قصة سينمائية تم تصويرها وإخراجها في «هوليوود» أين أسامة بن لادن؟ ومن الذى صنعه ودربه على الإرهاب إن كان حقا شخصية لها أصل في الواقع المحسوس؟ فقط مجموعة من شرائط الفيديو تم بثها عن طريق محطة فضائية ناشئة ذات توجهات أقل ما توصف به بأنها غير مريحة.

كيف تستطيع محطة فضائية ناشئة أن تنجح فيما فشلت فيه الولايات المتحدة: تحديد مكان بن لادن وتصوير حديث له يذاع للعالم كله.

وإذا كان بن لادن هو الذى أرسل الأشرطة فكيف يتسنى له ذلك وسط الحصار والضربات الجوية والبرية والبحرية؟ وما هي أهداف أسامة بن لادن من تسجيل وإذاعة هذه الأشرطة؟ هذه الأشرطة نجحت فقط في تبرير الضربات الأمريكية على أفغانستان فهي وإن لم تتضمن اعترافا صريحا بالمسئولية عن تفجيرات «١١ سبتمبر» إلا إنها حملت إشادة بتفجيرات نيويورك ومن نفذوها وهو الأمر الذي كان كافيا من وجهة النظر الأمريكية، في تبرير ضرب أفغانستان، ثم فلسطين فيما بعد.

مراسل مجلة News Week[1] وجه سؤالا

إلى «إيفي إيتام» وهو جنرال سابق في الجيش الإسرائيلي ومتطرف مغال في تطرفه «حسب وصف المجلة»: إسرائيل تتعرض لضغوط قوية من الولايات المتحدة للانسحاب هل يمكنكم أن تصدوا أهم حلفائكم؟

رد «إيفي إيتام» بقوله: أنتم «الولايات المتحدة» ركبتم طائرات ب٥٢ التابعة لكم وضربتم كل شيء تحت غيوم أفغانستان، لم تكترثوا بالمدنيين، لم تعيروا أي اهتمام بالبنية التحتية لتلك البلاد، لقد شعرتم بأن بوسعكم القيام بهذا لأنكم شعرتم بأنكم آمنون من الانتقاد الدولي، ولعدة أسابيع لم تسمحوا لوسائل الإعلام بالدخول إلى أفغانستان، وقد احتجتم إلى الوقت، نحو سبعة أشهر، سأقول لكولين باول ألا يكون لديه معيار أخلاقي مزدوج.

والآن توجه إسرائيل الاتهامات إلى المملكة العربية السعودية بدعم الإرهاب ودليلها على ذلك أن المملكة العربية السعودية تقدم معونات لأبناء الشعب الفلسطيني، أبناء المقهورين الذين جرى ذبحهم بشكل جماعي بشع نشرت صوره وكالات الأنباء مثل مذابح مخيم صابرا وشاتيلا، تلك المذبحة التي أكدت تحقيقات لجنة كاهاناه الإسرائيلية مسئولية السفاح الصهيوني أرئيل شارون وزير الدفاع الصهيوني آنذاك عنها.

ولم يتورع السفاح عن تكرار المذبحة في جنين، ولكن هذه المرة منع الصحفيين ووكالات الأنباء من الاقتراب والتصوير، ومنع لجنة تقصي الحقائق التي شكلتها الأمم المتحدة بمقتضى قرار مجلس الأمن من الذهاب لمعاينة المذبحة على الطبيعة، مما يعطي صورة بشعة عن حقيقة الوضع في مخيم جنين تماما كما فعل الأمريكيون في أفغانستان..

والآن شارون يتهم المملكة العربية السعودية بدعم أسر شهداء جنين ببضعة قروش تعاونهم على إزالة آثار العدوان، تلك الآثار التي يرغب شارون ألا تزول حتى يصاب الشعب الفلسطيني باليأس والإحباط ولا يكون أمامه إلا أمران لا ثالث لهما إما الخنوع والخضوع والاستسلام، وإما مغادرة الأراضي نهائياً.

تلك هي الرؤية الأمريكية الصهيونية لحقوق الإنسان المسلم بوجه عام والعربي بوجه خاص، وأصبح شعارهم: «هؤلاء القوم يجب أن يخضعوا لنا» ولكن ما لا يعلمه هؤلاء أننا أمة موعودة بالنصر مادمنا مؤمنين شاءوا ذلك أم أبوا، وعندنا الله ولن يخلف وعده:

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(٢)

صدق الله العظيم، صدق الله العظيم، صدق الله العظيم.

(١) ٢٣ إبريل ٢٠٠٢ باللغة العربية.

(٢) آل عمران (١٣٩).

لاجئ ينشد وطناً

للشاعر الكبير الأستاذ / خير الدين الزركلي (*)

دموعُ مَنْ تلكَ التي تذرِفُ؟ .. وقلبُ مَنْ، هذا الذي يوجفُ؟[1]
إنْ كانَ إنساناً فهلاَّ صغى .. إليه مَنْ يرحمُ أو يرأفُ[2]
أمْ ليس في الناسِ لمستنصفٍ .. من ناصرٍ يعطفُ أو ينصفُ[3]
جرَّدهُ من بأسه غادرٌ .. وسامهُ الذلةَ مستضعفُ[4]
ألقتْ به الأيامُ في هُوَّةٍ .. أيسرُ ما يلقى بها المتلفُ[5]
يُصارعُ الحدثانَ جيَّاشةً .. كأنها في فيلقٍ تزحفُ[6]
إنْ ردَّ منها موجفاً خطبُهُ .. عاجلهُ من خطبها موجفُ[7]
هبَّتْ تواسيه ذراريةٌ .. وبينها الهالكُ والمشرفُ[8]
يقولُ غاليهم، ووجهُ الدجى .. كوجهه، مكتئبٌ مغضفُ[9]
أما إلى الأفلاكِ من وثبةٍ .. تُمحقُ فيها الشمسُ أو تنسفُ[10]
ما أعدلَ الذرةَ صعَّاقةً .. تفعلُ ما لا يفعلُ المرهفُ[11]

(*) قيلت هذه القصيدة منذ خمسين عاماً وكأنها قيلت الآن، والشاعر الكبير خير الدين الزركلي من كبار الشعراء، وسفير المملكة العربية السعودية بالمغرب سابقاً.

(١) يوجف: يضطرب. (٢) صغى: مال. (٣) مستنصف: يطلب الإنصاف.
(٤) مستضعف: بكسر العين: يعدّه ضعيفاً. (٥) هوّة: حفرة، المتلف: الهلاك. (٦) الحدثان: صروف الدهر، فيلق: جيش.
(٧) الموجف: الباعث على الاضطراب الشديد. (٨) ذرارية: نسله، المشرف: القريب من الهلاك.
(٩) مغضف: منكمش. (١٠) تنسف: تكسف. (١١) المرهف: السيف.

لا خيرَ في الأرضِ وما أنبتت ** ولا بأهليها وما زخرفوا(١٢)
المستذلُّ الحرُّ، والمزدرى ** عالي الذرا، والأوضعُ الأشرفُ(١٣)

●●●

معاشرٌ عزَّت لهم أنفسٌ ** تأبى الدنيَّاتِ وتستنكفُ(١٤)
أنفسُ أحرارٍ ثقالِ الخطى ** إن خفَّ يومَ الروعةِ الخرَّفُ(١٥)
منبتُهم عدنانُ أو جرهمٌ ** وأمُّهم بلقيسُ أو خندفُ(١٦)
لم يرتضوا بالهونِ في أرضهم ** يأبى مقامَ الهونِ من يأنفُ(١٧)
خلَّوا تراثَ العزِّ لم يحفلوا ** واستودعوا الأقدارَ ما خلَّفوا(١٨)
مبيتُهم في حفرةٍ قفرةٍ ** تكادُ من لأوائهم تخسفُ(١٩)
لا عاصمٌ إن عصفت زعزعٌ ** ولا وقاءٌ إن همى ضيِّفُ(٢٠)
مصبحُهم همٌّ، وممساهمُ ** غمٌّ، ومضحاهم ضنى مدنفُ(٢١)
تواطأ الناسُ على نبذهم ** كأنهم دراهمٌ زُيَّفُ!(٢٢)
كم وُعِدوا، وما وفى واعدٌ ** وشرُّ من واعدكَ المخلفُ(٢٣)
لو أنصفَ الناسُ لما روِّعوا ** فيم يراعُ الأعزلُ الأضعفُ(٢٤)
بين التعلاتِ وبين المنى ** في كلِّ يومٍ لهمُ موقفُ(٢٥)
يثرثرُ الساسةُ من حولهم ** هذا يمنيهم وذا يلهفُ(٢٦)

---

(١٢) زخرفوا: أبدعوا من الزينة.
(١٣) المستذل: الذليل. المزدرى: المحتقر.
(١٤) الدنيات: الصغائر.
(١٥) الروعة: الفزع.
(١٦) يريد بجرهم وبلقيس: قحطان.
(١٧) الهون: الذل.
(١٨) خلوا: تركوا. يحفلون: يهتمون.
(١٩) لأوائهم: ما يلقون من الشدة.
(٢٠) زعزع: رياح شديدة.
(٢١) ضنى: مرض. مدنف: مسقم.
(٢٢) تواطأ: أجمع. زيف جمع زائف.
(٢٣) وُعِدوا: قدمت لهم الوعود.
(٢٤) الأعزل: من لا سلاح معه.
(٢٥) التعلات: ما يموه لهم من الوعود.
(٢٦) الساسة: السياسيون. يلهف: يبلغ الحلوق.

كأنهم حقلُ تجاربهم .. وليس من يانعةٍ تُقطفُ(27)

أطبةٌ حولَ ضنٍ شرحوا .. جثمانَه وعينُه تطرفُ!!(28)

●●●

وللسياسات أحابيلها .. لا مُنصفٌ فيها ولا مُسعفُ(29)

لُغاتُها غيرُ لُغى ناسنا .. وعُرفُها غيرُ الذى يُعرَفُ(30)

يدورُ من حلّقَ فى جوِّها .. فى فلكٍ أنجُمُه رُجّفُ(31)

لا تُدركُ العينُ ألاعيبَها .. ولا يُحسُّ السمعُ ما تَهرِفُ(32)

وأهلُها إنْ واعدُوا أخلفوا .. ميعادَهم، أو عاهدُوا لم يفُوا

الظُّلمُ فيها، العدلُ فى غيرِها .. والمُقسطُ المؤمنُ المُجحفُ(33)

والمُستعادُ القولِ، مملولةٌ .. والأحكمُ المستفهِمُ، الأسخفُ(34)

●●●

مدّت بساطَ العطفِ من رفقِها .. واللاجئُ المحرومُ مستعطفُ(35)

تُطعمُه الزقُّوم، كُلْ هانئاً .. أمامَك السُّمُّ أما تغرِفُ(36)

موطنُك الدُّنيا.. وإنْ يبغِه .. فبيتُه قاعٌ بها صفصفُ(37)

مُشرّدٌ كأنّه أُكرةٌ .. يخبِطُها اللاعبُ أو يقذِفُ(38)

تنقلُه الذِّكرى إلى عهدِه .. فى الموطنِ الحقِّ فيستشرِفُ(39)

---

(27) يانعة: زهرة ناضرة.

(28) أطبة: جمع طبيب، ضن: مريض.

(29) أحابيلها: المراد مكائدها.

(30) عرفها: ما تعارفت عليه.

(31) حلق: طار.

(32) تهرف: تكذب.

(33) المقسط: العادل.

(34) الأحكم: ذو الحكمة.

(35) مستعطف: يطلب العطف.

(36) الزقوم: مُرّ الطعام.

(37) يبغه: يطلبه، صفصف: خال قفر.

(38) أكرة: ما يلعب بها.

(39) يستشرف: يتطلع.

وتستعيدُ الأمسَ أحلامُهُ ** وهْوَ الرضيُّ العيشةِ المُترَفُ(٤٠)
أيامَ نُعماهُ، وظلُّ الحِمى ** مُنبسطٌ، داني الجنى، مُورفُ(٤١)

●●●

ويحَ الليالي.... في تصاريفِها ** يضلُّ رأيُ الأكْيَسِ المُحْصَفُ(٤٢)
حمقاءُ يمضي حُكْمُها ضلَّةً ** كما يسوسُ الخُنَّعَ الحُيَّفُ(٤٣)
عابثةٌ إنْ كدَّرتْ أوصَفتْ ** لا بالهوى ولا الهُدى تُوصَفُ
جرعتِ العلقمَ منْ نفسه ** عنْ وردِ غيرِ المشتهى تعزفُ(٤٤)
وباتَ منْ طابَ لهُ عيشُهُ ** وقوتُهُ الطحلبُ والحرشفُ(٤٥)
ضاقتْ بهِ الدنيا، وكانتْ لهُ ** وانقلبَ الفلكُ الذي يجدفُ(٤٦)
الناعمُ الهانئُ في أمسه ** يسترفدُ اليومَ ويسترْدِفُ(٤٧)
يثيرهُ الحقدُ على دهرِه ** وينثني في قيدِه يرسُفُ(٤٨)
الجوعُ والعُرْيُ يُنيخانهِ ** والشرفُ الضائعُ يستوقفُ(٤٩)
ما استنطقَ الأجيالَ مسترشدٌ ** بما طوتْ عنهُ وما تكشفُ(٥٠)
إلا أجابتهُ تجاريبُها ** كأنَّها منْ غيبِها تهتفُ(٥١)
ما للتصاريفِ بقاءٌ على ** حالٍ، لكلِّ محنةٍ مصرفُ(٥٢)

---

(٤٠) وهو الرضي: الواو للحال أي حال كونه راضياً. (٤١) مورف: ظليل.
(٤٢) المحصف: الحصيف صفة للرأي.
(٤٣) الخنّع: جمع خانع وهو الخاضع الذليل. الحيف: جمع حائف وهو الظالم
(٤٤) تعزف: تنصرف. (٤٥) الحرشف: نبات خشن لا يؤكل. (٤٦) يجدف: يسير في الماء.
(٤٧) يسترفد: يطلب العطاء، وكذلك يستردف. (٤٨) يرسف: يمشي مشية المقيد. (٤٩) ينيخانه: المراد يخضعانه.
(٥٠) استنطق: طلب الإجابة نطقاً. (٥١) غيبها: عالمها المحجوب.
(٥٢) التصاريف: صروف الزمن. مصرف: ذهاب.

الشَّرُّ بالشَّرِّ لِمَنْ يَصْطَلي ** والخَيْرُ بالخَيْرِ لِمَنْ يُسْلِفُ[٥٣]
بَرَاءةُ الجَاني عِقَابٌ لِمَنْ ** لا يَقْرَبُ الإثْمَ ولا يَقْرِفُ[٥٤]

●●●

مَرَرْتُ بالقَوْمِ وقَدْ خَيَّمُوا ** والرِّيحُ في أبْيَاتِهِمْ تَعْصِفُ[٥٥]
جَحَافِلٌ مُنْبَثَّةٌ في الفَلا ** كَأنَّهَا هَيَاكِلٌ تُرْصَفُ[٥٦]
أخْمَدَ طُولُ السَّغْبِ أنْفَاسَهَا ** كالجَمْرِ في رَمَادِهِ يُغْلَفُ[٥٧]
ضَامِرُهَا يُوشِكُ ألا يُرى ** ضَآلةً، وقَرْمُهَا أعْجَفُ[٥٨]
إنْ شَاقَهُمْ لَحْنٌ فَأنَّاتُهُمْ ** تُشْجِي، وأوْتَارُ الحَشَا تَعْزِفُ[٥٩]
لَيْسُوا بأحْيَاءٍ ولكِنَّهُمْ ** تُسْمَعُ مِن أفْوَاهِهِمْ أحْرُفُ!
شَقَّ على التَّوْرَاةِ مَا نَابَهُمْ ** وغَضِبَ الإنْجِيلُ والمُصْحَفُ
واضْطَرَمَتْ آفَاقُ أحْزَانِهِمْ ** وخُضِّبَتْ تَحْتَ اللَّظى الأنْيُفُ[٦٠]
جِيرَتُهُمْ وأهْلُهُمْ حَوْلَهُمْ ** مَا إنْ لَهُمْ عَنْ نَصْرِهِمْ مَحْرَفُ[٦١]
إنْ يَثْأرُوا، فَالجُرْحُ دَامٍ، ومَا ** يَمْنَحُ دَمًا إلا دَمٌ يَنْزِفُ[٦٢]

●●●

---

(٥٣) يسلف: يقدم.
(٥٤) يقرف: يخالط.
(٥٥) خيّموا: نصبوا الخيام.
(٥٦) جحافل: جموع كالجيوش. ترصف: تبنى.
(٥٧) السغب: الجوع. يغلف: يُوارى.
(٥٨) قرمها: بطلها. أعجف: هزيل.
(٥٩) تعزف: تغنى.
(٦٠) خضّبت: كسيت بالدم.
(٦١) محرف: منصرف.
(٦٢) دامٍ: يسيل وينزف.

اليهود في الإعلام الأمريكي

للأستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد

تعتمد معظم وسائل الإعلام والاتصال العالمية المسموعة والمرئية، والمقروءة اعتماداً كبيراً فى أخبارها على خمس وكالات أنباء عالمية هى: « رويتر » فى لندن، ووكالة الأنباء الفرنسية فى باريس، ووكالة تاس فى موسكو، ووكالتى الأسوشيتدبرس، واليونايتدبرس إنترناشونال فى الولايات المتحدة الأمريكية، واللافت للنظر أن معظم هذه الوكالات الإخبارية تخضع لهيمنة اليهود عليها، إذ يلاحظ فى الولايات المتحدة الأمريكية أن نسبة اليهود المشتغلين فى مجال الإعلام تربو على خمس وعشرين فى المائة من إجمالى العاملين فى هذا المجال، سواء كانوا محررين، أو كتاباً ومنتجين للبرامج فى الشبكات الإخبارية وتشير مجلة « فانيتى فير » فى تحقيق صحفى لها فى أكتوبر ١٩٩٤، إلى ملوك صفوة الإعلام من اليهود فتقول: « إن نصف الصفوة الإعلامية وعددهم ١٢ إعلامياً هم من اليهود الذين يمثلون صفوة القوة الإعلامية الأمريكية، وفى هذا السياق نجد « يوجين فيشر » مدير العلاقات الكاثوليكية اليهودية بالمجلس القومى لأساقفة الكاثوليك الأمريكان يقول: « إذا كانت هناك قوة يهودية فهى قوة الكلمة، قوة كتاب أعمدة الرأى العام، وصانعى الرأى العام، إذ أن مجتمع اليهود هو مجتمع متكلم، لديه الكثير ليقوله، وإذا كان باستطاعة أى أحد أن يشكل الرأى العام فهو ولاشك قادر على صنع الأحداث أيضاً » وفى هذا الإطار توجد مجموعة من الكتاب اليهود البارزين يأخذون على عاتقهم مهمة الدفاع عن اليهود وإسرائيل يأتى فى صدارتهم الثلاثى اليهودى « ويليام صافير » و« إبراهام روزنتال » من جريدة نيويورك تايمز و« ريتشارد كوهين » من جريدة واشنطن بوست وثمة مجموعة من المجلات التى تفرد مساحات كبيرة للمسائل ذات الاهتمام اليهودى نذكر منها « نيويوركر » و« نيويورك رفيو أوف بوكس » و« ديسنت » وهى مجلات تتناول موضوعات متنوعة تختص بالشئون اليهودية مما يتيح لها أن تنقل وجهات نظر الطائفة اليهودية إلى الرأى العام الأمريكى لكسب تأييده.

ومن أشهر الصحف التى يمتلكها اليهود جريدة «نيوربابلبلك» التى يمتلكها، ويرأس تحريرها «مارتين بيريز» وهذه الجريدة تحتفظ لنفسها بحق الهجوم على أى جماعة أو أى فكرة باستثناء جماعتين فقط هما إسرائيل والشواذ، وبرغم أن جريدة «نيويورك تايمز» ليست من أكبر الصحف توزيعا فى أمريكا، أو حتى فى مدينة نيويورك، لكنها تكتسب أهميتها من أن قراءها هم من أبرز الشخصيات نفوذاً، وهى من أكبر الصحف ذيوعاً وشهرة فقد اشتراها اليهودى «أدولف أوكس» عام ١٨٩٦، ويعتلى قمتها الآن «آرثر سالزبرج» الذى نشأ فى أسرة من أب يهودى وأم مسيحية، وقد جرى تعميده فى طفولته، ولكنه يؤكد أن ٩٩٪ من الناس يعتبرونه يهودياً.

ومن جانب آخر يؤكد «آرثرسالزبرج» أن جريدة نيويورك تايمز ملكية يهودية ولكنها ليست جريدة يهودية إذ يقول: «نحن أمريكيون من أصول يهودية، ولسنا يهوداً نعيش فى أمريكا» كما يسيطر اليهود على صحيفة (الواشنطن بوست) التى تلى جريدة (نيويورك تايمز) فى المرتبة الثانية من الأهمية، وترجع أهمية هذه الصحيفة إلى انتشارها فى أجهزة الحكومة الأمريكية التى تتحكم فى رسم سياسة الولايات المتحدة الأمريكية كما تمتد الهيمنة الإعلامية اليهودية على جريدة (الديلى نيوز)، و(النيويورك بوست)، و(صن تايم)، جدير بالذكر أن شبكات الإذاعة والتليفزيون الأمريكية يهيمن عليها أيضا أكبر ثلاثى إعلامى يهودى هم «ويليام بيلى» شبكة سى.بى.أس، و«دافيد سارنوف» شبكة إن بى. سى، و«ليونارد جولدنسون» شبكة إيه. بى.سى وقد تحولت هذه الشبكات الإخبارية الثلاثة إلى صناعة إعلامية مرموقة بفضل هذا الثلاثى الإعلامى اليهودى الذى يهيمن على إدارتها، ورئاسة تحريرها.

ولم تقتصر الهيمنة اليهودية على مجال الإعلام الصحفى والبث الإذاعى والتليفزيونى بل امتدت أيضا إلى الإعلام السينمائى، فقد اكتسب يهود هوليود ثقلاً سياسياً فريداً، إذ نجد العديد من الأسماء الإعلامية اليهودية البارزة ذات الثقل السياسى فى مدينة السينما الأمريكية أمثال «ليوفاسر مان» رئيس مجلس إدارة شركة أم. سى. إيه ـ M.C.A، «وباربرا استرايساند» ويؤكد الكثيرون أن اليهود هم الذين ابتكروا صناعة السينما فيقول المؤرخ «نيل جبلر» فى كتابه «إمبراطورية من صنعهم» عام ١٩٨٨ «صحيح أن كاميرا السينما ابتكرها شخص غير يهودى، ولكن حلم صناعة السينما فى هوليود تحقق على أيدى عدد من المهاجرين اليهود، فقد رأوا أن هذه الكاميرا يمكن استخدامها لرواية القصص والحكايات، فبادروا ببناء الاستوديوهات، وابتدعوا نظم

التوزيع، وأقاموا دور السينما في كل الولايات الأمريكية ويتصدر هؤلاء اليهود «أدولف سوكر» و«ويليام فوكس» و«صامويل جولدوين»، و«لويس ماير»، و«كارل لاميل» و«ماركوس لوى» والأخوة «وارنر».

وقد شارك هؤلاء السينمائيون في تحويل هذا الابتكار التكنولوجي (كاميرا السينما) إلى صناعة سينمائية تدر عليهم بلايين الدولارات، بالإضافة إلى إسهامات هذه الصناعة الإعلامية في خدمة أهداف الصهيونية العالمية، وتصوير إسرائيل بأنها واحة الديمقراطية في محيط عربي متخلف. وتمدنا بعض الإحصائيات بأن أكثر من ٩٠٪ من المشتغلين في مجال الإعلام السينمائي الأمريكي، إنتاجاً، وإخراجاً وتصويراً من اليهود لذلك يمكن القول أن صناعة السينما في أمريكا هي صناعة يهودية في الدرجة الأولى لاينازعهم فيها أحد وفي الحقيقة أن اليهود بحكم هيمنتهم على الإعلام السينمائي، استغلوا قضية اضطهاد النازية الألمانية لليهود والمحارق التي يزعمون أنهم تعرضوا لها، فأنتجوا العشرات من الأفلام التي تبالغ في تصوير العنف النازي، وشراسته، ومدى الظلم الذي ألحقته النازية الهتلرية بآبائهم، وأجدادهم في الشتات الألماني، لاستدرار عطف الرأي العام العالمي وكسب تأييده لدولة الكيان الصهيوني، ودعمه لها، وابتزاز الألمان للحصول على المزيد من التعويضات، ومن جهة أخرى فإنهم قاموا بإنتاج العديد من الأفلام التي تزعم بأن فلسطين أرض يهودية، وبأن أراض الضفة الغربية وغزة ليست محتلة، بل هي أراض متنازع عليها لطمس عروبة فلسطين، ولإيهام العالم من خلال هذه الأفلام المضللة أن فلسطين ١٩٤٨ هي أرض محررة لتضليل الرأي العام، وتزييف الحقائق التاريخية ويجدر ذكر أن اليهود قد استغلوا أيضًا سيطرتهم على الصحافة السينمائية بهدف الدعاية التي تمجد دولة إسرائيل وتثني على قياداتها الحاكمة، فقد نشرت مجلة «فاليتي» الفنية السينمائية نداء يحمل توقيع ١٧١ سينمائياً، معظمهم من اليهود يعلنون فيه عن تبرعهم بمبالغ كبيرة لدعم الحملة الانتخابية لعدد من المرشحين للكونجرس الأمريكي المتعاطفين مع إسرائيل وقد حمل هذا النداء العبارات الآتية:

- «مساندة المرشحين الذين يؤمنون بإسرائيل قوية لايخدم اليهود فقط، بل يخدم الأمريكيين أيضا».

- «إن أفضل طريقة للدفاع عن المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط هي انتخاب ٥٠ عضواً في الكونجرس يؤمنون بأن بقاء إسرائيل هو أكبر ضمانة أكيدة لمصالح أمريكا هناك».

- «إن قوة إسرائيل من قوة أمريكا».

وبالرغم من النفوذ اليهودي المهيمن على

مختلف وسائل الإعلام الامريكي إلا ان هذه الوسائل لاتولى اهتمامها الكبير بامور الطائفة اليهودية، وتترك هذه المهمة لما يُعرف «بالصحافة اليهودية» وهى عبارة عن مجموعة صغيرة من الدوريات العرقية والدينية التى تشمل مئات الصحف الاسبوعية، وعدداً من المجلات الشهرية، والربع سنوية، والتى تتولى نشرها الاتحادات والمنظمات اليهودية على الصعيدين الدولى والمحلى فى الولايات والمدن الامريكية، ويلفت النظر إلى وجود عدد قليل من هذه الدوريات يتميز بالطابع السياسى مثل مجلة «مومنت» الشهرية التى تصدر فى واشنطن، و«جويش بريس» فى بروكلين بنيويورك، وهى صحيفة يمينية متطرفة، أما الباقى فهى مجلات تمتلىء باخبار المعابد، وتشيد بإسرائيل وتمجدها.

ويتساءل البعض عن سر انجذاب اليهود إلى الاشتغال بالإعلام، وتاتى الإجابة على لسان بعض الصحفيين اليهود إذ يذكرون ان ثمة عدداً من النظريات تفسر ذلك منها: ان فشل اليهود فى الحصول على اعتراف غيرهم بهم، قد يدفعهم للعمل فى مجال الإعلام ليحصلوا على هذا الاعتراف، والقبول من الآخرين وثمة نظرية أخرى تقول: إن العمل الإعلامى يجد جذوره فى التقاليد الثقافية اليهودية حيث تربى الأسرة اليهودية اطفالها على المهارة اللغوية، والبراعة التصويرية، وهى بالطبع من عوامل النجاح فى العمل الإعلامى، فيقول اليهودى «موريل صافير» فى هذا الصدد: «إن كل محاولات فهم أسباب هذه الظاهرة تعيد للاذهان «بروتوكولات حكماء صهيون» التي جعلت من نفوذ اليهود فى الحقل الإعلامى صورة نمطية تلتصق بهم دائما إذ يقول البرتوكول الثاني: من خلال الصحافة اكتسبنا نفوذاً، ولكن ابقينا انفسنا فى الظل» وهذا البرتوكول يشير إلى الهيمنة اليهودية على وسائل الإعلام، ومدى تاثيرها فى تشكيل الراى العام وتوجيهه الوجهة التى تحقق للصهيونية اهدافها فى تكتم وسرية.

وجدير بالذكر ان بعض الصحفيين اليهود المحايدين قد تعرضوا لبعض المضايقات من جانب القيادات اليهودية فى امريكا بسبب موضوعيتهم فى عرض قضايا الصراع العربى الإسرائيلي، فقد حدثت أول مواجهة علنية بين زعماء اليهود الامريكان وإحدى المؤسسات الإخبارية عام ١٩٧٣ عندما قام «روبرت بير بوينت» بتقديم تعليق إخبارى فى شبكة سى.بى.إس عن قوة اللوبى اليهودى أذيع بعد فترة قصيرة من قيام إسرائيل بإسقاط طائرة ركاب ليبية فوق سيناء قتل فيها ١٠٦ اشخاص مدنيين وقارن «بير بوينت» فى تعليقه بين رد الفعل الامريكى تجاه هذا الحادث وبين رد الفعل الشديد الذى اظهرته الإدارة الامريكية عقب حادث

«أوليمبياد ميونيخ» الذى قتل فيه (١١) رياضيا إسرائيليا، وختم تعليقه الاخبارى بالقول: إن الفارق يوضح المعيار المزدوج الذى تكيل به امريكا الامور بين العرب وإسرائيل، والسبب كما يقول المعلق الإخبارى هو النفوذ السياسى لستة ملايين يهودى فى امريكا وقد اثار هذا التعليق غضباً جارفاً بين قيادات المنظمات الصهيونية، فبادرت على اثر ذلك «لجنة مكافحة تشويه الصورة» بتجنيد أنصارها، وحشد مؤيديها لتقديم الشكاوى لمكاتب شبكة سى.بى. إس» التى أذاعت هذا التعليق الإخبارى، واعتبرته هذه اللجنة اليهودية تجاوزاً للخطوط الحمراء هذا وقد طلب «مؤتمر الزعماء» مقابلة رئيس قسم الاخبار بالشبكة الإخبارية «ريتشارد سالانت» الذى امر بإجراء تحقيق داخلى مع المعلق «روبرت بير بوينت» إرضاء للدوائر الصهيونية التى تريد إسكات الحق، وقمع كل صوت ينادى بالعدالة ومن ناحية أخرى فقد تدهورت العلاقة بين الصحافة الامريكية، وقيادات المنظمات اليهودية فى امريكا لنفس الأسباب السابقة عقب الغزو الإسرائيلى للبنان عام ١٩٨٢، ووصلت هذه العلاقة بين الطرفين إلى ما يشبه الحرب بسبب قيام بعض الصحفيين الامريكان المحايدين بوصف ما حدث فى صبرا وشاتيلا بانه مجزرة، فقامت الدنيا لذلك ولم تقعد. وبالرغم من الهيمنة اليهودية على الإعلام الامريكى بمختلف وسائله إلا ان المذابح الجماعية التى ارتكبتها قوات الاحتلال الإسرائيلى فى الضفة الغربية خاصة مجزرة جنين، لم يكن من الممكن التغاضى عنها أو إخفاءها كلية من جانب الإعلام الامريكى، بعد ان نقلت القنوات الفضائية صورة هذه المذابح التى تعرض لها الشعب الفلسطينى، فكان من الضرورى لبعض الصحف الامريكية أن تقوم بنشرها ـ برغم ما يؤدى ذلك إلى غضب القيادات اليهودية الامريكية ـ حتى لاتفقد مصداقيتها أمام الرأى العام واستكمالا لهذا السياق فإننى أختم حديثى بالقول: إن المنظمات اليهودية فى امريكا قامت بتشكيل لجنة دائمة باسم «لجنة التصحيح الإعلامى» مهمتها مراجعة كل ما تنشره الصحافة الامريكية، او تبثه شبكات الإذاعة والتليفزيون من أخبار تتعلق بالصراع العربى الإسرائيلى، وهى لا تتورع فى وصف كل من ينال اليهود أو إسرائيل بسوء، بمعاداة السامية، وملاحقته حتى لو ادى ذلك إلى قطع مصدر دخله أو اغتياله وهذا ما يتطلب وجود لوبى عربى وإسلامى له صحافته التى تتحدث باسمه للدفاع عن القضايا العربية والإسلامية، على الساحة الامريكية حتى لا تنفرد الصحافة اليهودية بالاستحواذ على الرأى العام الامريكى.

نصوص صريحة

نهاية إسرائيل محتومة

للدكتور / حمدى فتوح والى

بنفس جريحة، وكبد مقروحة، تابعت المحرقة البشعة، التى أشعلها اليهودى الحاقد وعصابته الملعونة من أحفاد القردة والخنازير وعبدة الطاغوت.. وتمنيت لو أسعفتنى عينى بالبكاء لتخفف عنى بعض ما أجد من لذعة الألم، وحرقة الكمد، ولوعة الأحزان.

وأمام بشاعة المأساة لم أجد لى مفزعا إلا إلى كتاب الله أقلب صفحاته وأبرد لهب قلبى فى روضاته فكان لى -برحمة الله- ما أردت ووجدتنى أسبح فى ظلال الآيات الأولى من سورة الإسراء فى قوله تعالى:

﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَاءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤) فَإِذَا جَاءَ
وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا
(٥) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٦)
إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ
وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا (٧) عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ
وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾(١).

وأعدت قراءة الآيات فى تدبر ومهل وتوقفت بعد كل آية كمن يستحلب فى فمه طعما لذيذا يخشى عليه الانتهاء ووقفت عند أول كلمة فى الآيات وهى قوله تعالى: ﴿ وقضينا ﴾ فوجدتها فى لسان العرب[٢] بمعنى: عهدنا وأنهينا وأبلغنا ومنه قوله تعالى:

---

(١) سورة الإسراء- الآيات من ٤ إلى ٨.

(٢) لسان العرب جـ٥ ص٣٦٦٥.

﴿ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴾[٣].

أى أعلمناه فعلمت أن هذا الإقضاء والإبلاغ كان إلى بنى إسرائيل فى كتابهم عن طريق نبيهم موسى -عليه السلام- وهو إعلام لهم بما سيكون من أمرهم فى مستقبل أيامهم.

ورجعت أستأنس بقلم صاحب الظلال - رحمه الله- فوجدته يقول: «وهذا القضاء إخبار من الله -تعالى- بما سيكون منهم، حسب ما وقع فى علمه إلا لهى من مآلهم، لا أنه قضاء قهرى عليهم، تنشأ عنه أفعالهم فالله -سبحانه- لا يقضى بالإفساد على أحد:

﴿ قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ﴾[٤] إنما يعلم الله ما سيكون علمه بما هو كائن فما سيكون -بالقياس إلى علم الله- كائن وإن كان بالقياس إلى علم البشر لم يكن بعد، ولم يكشف عنه الستار ثم يقول صاحب الظلال: «ولقد قضى الله لبنى إسرائيل فى الكتاب الذى آتاه لموسى أنهم سيفسدون فى الأرض مرتين، وأنهم سيعلون فى الأرض المقدسة ويسيطرون وكلما ارتفعوا فاتخذوا الارتفاع وسيلة للإفساد، سلط الله عليهم من عباده من يقهرهم، ويستبيح حرماتهم ويدمرهم تدميرا»[٥].

ووجدتنى أمام هذا الكشف الإلهى لما سيقع من هؤلاء القوم فى مستقبل أيامهم، أستروح نسمات الأمل فى عدل الله الذى قامت عليه السموات والأرض وأجد طعم الراحة وبرد اليقين فقد أدركت أن وراء هذا الإفساد والإهلاك والإحراق الذى أوقعه هؤلاء المجرمون بأهلينا فى فلسطين، مصيرا مخيفا قد وصلوا إليه بأيديهم واستوجبوا إيقاعه بهم، ونزوله بساحتهم فكان عزائى عن ألم الثكل ولوعة الحزن والقهر، هو أن هذه المشاهد الرعيبة والأحداث الرهيبة كانت شرطا ضروريا لكى يتحقق وعيد الله فيهم، وينزل بهم عقابه وعذابه.

لكننى أفقت من تلك اللحظة الجميلة المريحة على خاطر يقول لى: لقد كان ذلك تاريخا قديما مضى وتلك أمور قد تحققت وانقضت على مدى تاريخهم الطويل.

وشعرت لهذا الخاطر بانقباضة فى صدرى، ورحت أستنطق القرآن وأستشهد التاريخ فوجدت القرآن قد حدد الإفساد بمرتين اثنتين: الأولى والآخرة ولم يقل الأولى والثانية لتشعر أن بعدها ثالثة ورابعة. ومن يدقق النظر فى الآيات ويحسن التأمل فى التاريخ يجد أن هذا الإفساد لا يقع منهم إلا بعد علو وتمكين بحيث يمكنهم من قهر غيرهم وتدمير حياتهم بصورة يشعر بها أهل الأرض جميعا ويجدون أثرها ألما فى نفوسهم ومرارة فى حلوقهم وهذا هو المفهوم من قوله تعالى:

﴿ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ ﴾ فهى الأرض كلها وما كان لبنى إسرائيل أن يوقعوا ذلك الإفساد وهم طوائف مقطعة فى الأرض إذ سيكون فسادهم عندئذ محصورا بحدود إمكاناتهم كطائفة تحكمها دولة وهذا يؤكد أن كل مرة من الإفساد لابد أن يسبقها علو وتمكين وهؤلاء اليهود لم تقم لهم دولة

---

(٣) سورة الحجر آية ٦٦.

(٤) الأعراف (٢٨).

(٥) فى ظلال القرآن، سيد قطب جـ٤ ص٢٢١٣ الطبعة السابعة- دار الشروق.

فى تاريخهم كله إلا مرتين اثنتين: المرة الأولى بعد خروجهم من التيه ودخولهم الأرض المقدسة وإقامة دولتهم الأولى على يد نبى الله داوود ومن بعده نبى الله سليمان -عليهما السلام- بعد محاولات مستميتة قام بها أهل البلاد الأصليون وهم قبائل: الفلسطينيون واليبوسيون وقبائل أخرى كنعانية فى مواجهة «يشوع» غلام موسى -عليه السلام- الذى قاد شعب إسرائيل بعد سنوات التيه التى قضوها فى سيناء عقوبة لهم على جبنهم الفاضح فى مواجهة أهل فلسطين وفى أثناء تلك العقوبة مات هارون -عليه السلام- وتبعه أخوه موسى بعد ثلاثة أعوام ولم يكتب لهما دخول فلسطين وأكمل المهمة بعدهما «يوشع بن نون» الذى تسميه التوراة «يشوع» وقد استطاع «يشوع» بمن معه من بنى إسرائيل أن يوقع هزائم ساحقة بقبائل الكنعانيين من الفلسطينيين واليبوسيين والمؤابيين بسبب انقسام تلك القبائل على نفسها وبسبب استماتة بنى إسرائيل فى القتال واستخدامهم لأبشع الوسائل وأشرس الأساليب بصورة من الوحشية لم تعرف البشرية لها مثيلا إلا فيما نراه اليوم من أفعالهم فى غزوهم الجديد لمدن فلسطين «أما كيف غزا اليهود فلسطين أول مرة فالتوراة تكفينا مؤونة إلقاء الضوء على هذه القضية، قضية الشعب اليهودى الفريدة فى التاريخ والتى لا مثيل لهمجيتها وشراستها وحقدها إلا فيما يفعلونه فى غزوهم الجديد لأرض فلسطين فى المرة الثانية فى رام الله وجنين والخليل ونابلس وطولكرم وبيت لحم وغزة وأريحا وغيرها من مدن الضفة وغزة.. ومن قبلها مدن حيفا ويافا وعكا وصور ودير ياسين وكفر قاسم وغيرها من المدن التى شاهدت أبشع المجازر فى التاريخ الحديث، وقبل أن أنقل وصف التوراة لعملية غزو مدن فلسطين قديما أنقل هذا النص التوراتى الذى يخاطب به الرب شعب إسرائيل:

«وحرِّموا «أى أهلكوا» كل من فى المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها إنما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد اجعلوها فى خزانة الرب» (٦).

وقد جاءت عملية الغزو تطبيقا عمليا لهذه الأوامر المقدسة فى زعمهم وإليك الصورة كما سجلتها التوراة: «وأخذ يشوع «مقيدة» فى ذلك اليوم وضربها بحد السيف وحرَّم «أهلك» ملكها وكل نفس بها، لم يبق شاردا، وفعل بملك «مقيدة» كما فعل بملك «أريحا» ثم اجتاز يشوع من مقيدة وكل إسرائيل معه إلى لبنة، وحارب لبنة فدفعها الرب هى أيضا بيد إسرائيل مع ملكها فضربها بحد السيف وكل نفس بها، لم يبق شاردا، وفعل بملكها كما فعل بملك أريحا ثم اجتاز يشوع وكل إسرائيل معه من لبنة إلى «لخيش» ونزل عليها وحاربها وضربها بحد السيف، وكل نفس بها حسب كل ما فعله بلبنة ثم اجتاز يشوع وكل إسرائيل معه إلى عجلون فنزلوا عليها وحاربوها وضربوها بحد السيف وحرم كل نفس بها فى ذلك اليوم حسب كل ما فعل بلخيش ثم صعدوا إلى حبرون «الخليل» وأخذوها وضربوها بحد السيف مع ملكها وكل مدنها وكل نفس بها لم يبق شاردا حسب كل ما فعل بعجلون فحرمها وكل نفس بها

---

(٦) سفر يشوع: الإصحاح السادس.

وضرب يشوع كل أرض الجبل والجنوب والسهل والسفوح وكل ملوكها لم يبق شارداً بل قتل كل نسمة كما أمر الرب إله إسرائيل فضربهم يشوع من قادش برنيع إلى غزة وجميع أرض جوش إلى جبعون»(٧).

وقد حلل العلامة المؤرخ جوستاف لوبون العلل الكامنة وراء تلك الوحشية قائلاً: «إن عدد بني إسرائيل واحتياجاتهم وبؤسهم في مصر وحرمانهم الهائل في التيه مما جمع بينهم واقنطهم فصاروا كقطيع من الذئاب الهزيلة التي دفعها الجوع إلى الاقتراب حتى من المدن»(٨) وبإمكانك أن تضع أسماء المدن الجديدة اليوم في الضفة وغزة مكان أسماء تلك المدن القديمة وترى هل تغير أسلوبهم ولك أن تستبدل اسم شارون ورابين وبيريز وبيجن وغيرهم من قادة إسرائيل اليوم بأسماء شاؤول ويشوع وغيرهم من قادة إسرائيل في المرة الأولى لتتأكد لك بوضوح وجلاء أننا أمام عقيدة عميقة الجذور بعيدة الغور تحرك هؤلاء الوحوش وتدفعهم دفعا ليتركوا بلادهم التي جاءوا منها رغم ما بها من رغد في العيش وأمان واستقرار ورغم ما يتمتعون به من مناصب عالية ومكانة رفيعة ليستجيبوا لنداء تلك العقيدة الدموية الكافرة.

وبهذا الأسلوب الدموي الوحشي استطاع اليهود أن يقيموا دولتهم الأولى بعد هذا الغزو الوحشي سنة ١٢٢٠ ق. م لكنهم «لم ينجحوا في طرد القبائل الوطنية، كما أنهم تركوا بعضها في أوطانها دون تحرش ولذلك قامت فيما بعد ممالك المؤابين والعمونيين والأيدوميين والتي كانت مستقلة بصفة عامة»(٩).

ولم يستطع العبريون إقامة دولتهم على أرض فلسطين إلا على يد الملكين الجليلين: داود وسليمان -عليهما السلام- سنة ١٠١٦ ق. م واستمرت هذه الدولة مدة ثمانين عاما فقط هي المدة التي حكم فيها داود وسليمان. وحيث إن فترة داود وسليمان هي الفترة التي يفتخر بها اليهود، ويدعمون بذكرها دعواهم بأنهم ملكوا كل الأرض «من نهر مصر إلى الفرات» فهي بحاجة إلى إلقاء بعض الضوء، ويكفينا المؤرخ البريطاني «جفريز» مؤونة هذه المهمة فيقول: «لقد حكم داود نحوا من أربعين عاماً من تاريخ سنة ١٠١٦ ق. م وخلفه سليمان وحكم ما يماثل هذه المدة. وبعد هذين انهار كل شيء. ولابد أنه اقتضى داود أن يصرف جزءاً لا بأس به من النصف الأول من فترة حكمه لكي يبلغ أوج سلطانه. أما سليمان فقد أخذ يبيع قبل نهاية حكمه أجزاء من ممتلكاته أو يفقدها. فدعنا نسقط عشر سنوات من هذه الفترة وهذا هو أقل ما يمكن لنا أن نسقطه عقلا من مجموع فترتي حكم سليمان وداود. وعندئذ يتبقى سبعون عاماً.. ولم يحدث إلا في بحر هذه السبعين سنة أن سيطر العجاف على شيء يقرب من ثلثي البلاد»(١٠).

---

(٧) سفر يشوع الإصحاح العاشر.

(٨) غوستاف لوبون: اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، مطبعة الحلبي، القاهرة سنة ١٩٧٠ ص٣٥.

(٩) غوستاف لوبون ص٣٤.

(١٠) جفريز، ج م ن، «فلسطين إليكم الحقيقة» ترجمة خليل الحاج مراجعة د. محمد أنيس، دار الكاتب العربي، القاهرة سنة ١٩٧١ جـ١ ص٤٢.

ولم يكد سليمان يموت حتى انقسمت دولته إلى جزءين يهودا فى الجنوب وإسرائيل فى الشمال، وعقب انقسام مملكة سليمان، ظلت الدولتان تتخاصمان وتتنازعان فى قتال دائم عنيف. وبعد أن كثر فسادهم وعم شرهم، وتفاقم ضررهم وخطرهم حتى صاروا سبب إزعاج دائم لمن حولهم من الأمم، هجم الأشوريون الدمشقيون عليهم وحاصروا مملكة إسرائيل ثمانية عشر شهراً، حتى سقطت فى أيديهم فى بداية سنة ٧٢١ ق. م. فأصبحت إسرائيل منقرضة سياسيا. وبعد تحطيم إسرائيل أرسل الأشوريون سكانها إلى الشرق واستبدلوا بهم سكانا جدداً، ومن ثم اختفى سكان مملكة إسرائيل من التاريخ، واندمجوا تماماً مع الشعوب المجاورة فى مناطق النفى.

يقول غوستاف لوبون معللاً لأسباب إهلاك تلك الدولة «كانت تلك الدولة مسرحاً لأفظع الفجائع، وما كان يقع فيها من اغتصاب ومذابح واستعانة بالأجنبى، كل ذلك أثار ازدراء الأمم المجاورة دوما، فلم تنفك هذه الأمم تطالب بإبادة بؤرة الفوضى والتمرد تلك»[11].

وأما مملكة يهودا فقد دمرت تماما على يد الملك البابلى نبوخذنصر «بختنصر» وأخذ معه إلى بابل ملكها «يواقيم» وعشرة آلاف من أهم السكان، وكان منهم النبى «حزقيال» وحطم القدس نهائيا سنة ٥٩٧ ق. م ويسجل التلمود أن هذا التدمير لم يكن «إلا عندما بلغت ذنوب إسرائيل مبلغها وفاقت حدود ما يطيقه الإله العظيم، وعندما رفضوا أن ينصتوا لكلمات وتحذيرات إرمياه...» ولقد وجه النبى إرمياه كلامه إلى بختنصر قائلا: «لا تظن أنك بقوتك وحدها استطعت أن تتغلب على شعب الرب المختار، إنها ذنوبهم الفاجرة التى ساقتهم إلى هذا العذاب»[12].

ولقد سجل القرآن عليهم بعض جرائمهم التى لو انفردت منها جريمة لكانت كافية لإبادة أمة كاملة، وهل هناك جريمة أعظم من الشرك بالله وعبادة العجل من دون الله فبرغم وقوع المعجزات وتواتر الآيات، وظهور البينات. من فرق البحر، ومعجزة العصا وتفجير الحجر ـ اثنتا عشرة عينا ـ على عدد أسباطهم ـ ورفع الجبل فوقهم كأنه ظلة ـ وإحيائهم بعد موتهم ـ كل ذلك لم يلن قلوبهم، ويهز أفئدتهم ليعلنوا التوحيد الخالص لربهم، وإنما مالت قلوبهم إلى عبادة العجل:

﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾[13]

لقد منحهم نعمة فجحدوها، وأخذ عليهم عهوده فغدروها. وأنزل عليهم كتبه فحرقوها وبدلوها. وأرسل إليهم رسله فكذبوهم وقتلوهم.

---

(١١) غوستاف لوبون ص٠٤.

(١٢) انظر تاريخ فلسطين القديم ظفر الإسلام خان- دار النفائس ص٨٩.

(١٣) سورة البقرة آية ٩٣.

فاستحقوا غضب الجبار ولعنته، واستوجبوا عذابه ونقمته. قال تعالى يعدد بعض جرائمهم:

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾(١٤).

ومصائب هؤلاء المجرمين في كتاب الله مشهورة معلومة ولهذا فقد عاملهم الله بعدله فسلط عليهم من عباده قوما أشرار سفكوا دماءهم، وخربوا ديارهم، ونهبوا أموالهم، وسبوا نساءهم ورجالهم وذرياتهم. وهم البابليون اتباع بختنصر ومن يومها لم تقم لهم قائمة. ولم تجتمع لهم كلمة ـ ولم تعلن لهم دولة ـ إلى أن جاء هذا العصر فرأينا اجتماع كلمتهم وقيام دولتهم، وتداعيهم إلى الأرض المقدسة، مرة أخرى وتهيؤ الأسباب لهم، باجتماعهم وتفرقنا ـ وقوتهم وضعفنا.. فعلمت أننا أمام قول الحق ـ سبحانه وتعالى ـ:

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾(١٥) وظهر لي واضحا جليا أن الإفساد الأول قد وقع عندما قامت دولتهم الأولى ـ وأن الإهلاك الأول قد حدث عندما أفسدوا في الأرض، وأن الله اختار عباداً له من البابليين والآشوريين فكانوا عصا قدرته ـ وأداة نقمته.

ثم شاء الله ـ تعالى ـ أن يتم وعده لكي يقع وعيده بإيقاع الإفساد الثاني أو المرة الآخرة كما وصفها القرآن الكريم. فهيأ لهم أسباب التمكين ورد لهم الكرة على من حولهم. وقد حدد الحق ـ سبحانه وتعالى ـ مظاهر القوة في تلك الكرة في عناصر ثلاثة: في المال والبنين والسلاح.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾(١٦).

ومن يتأمل الآية الكريمة يجد مصداق ذلك فيما جرت به الأقدار في عصرنا هذا، فقد رد الله لليهود الكرة، وسخر لهم من يمدهم بالمال، فتدفقت الأموال عليهم من أبناء جلدتهم، ومن أهل دينهم، بل إن الأموال لتصل إليهم من أيدي أعدائهم، سواء علموا بذلك أم جهلوا، أرادوا ذلك أم كرهوا. عن طريق بيوت المال العالمية التي أحسن اليهود التسلل إليها، والسيطرة عليها. ولو رأيت براعتهم في إدارة المال. واستحداث الأنظمة الربوية، حتى تحولت أموال العالم إلى جيوبهم ـ لأدركت مصداق قوله تعالى:

﴿وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ﴾ وإذا تأملت سيول المستوطنين اليهود وهي تتدفق إلى أرض فلسطين أفواجا وجماعات وغالبهم من الشباب، الذين هم في سن العمل والإنتاج، والكثرة الساحقة منهم من الرجال ذوي التخصصات الدقيقة والنادرة: كعلوم الذرة، والفيزياء، والرياضيات وغيرها، أدركت مصداق إمدادهم بالبنين، أما تفوق اليهود العسكري وقدرتهم على صنع أعقد الأسلحة، وأشدها فتكا، وترسانتها النووية التي تباهي بها العالم فهو أكبر دليل على تحقق قوله تعالى:

---

(١٤) النساء (١٥٥، ١٥٦).

(١٥) الإسراء (٦).

(١٦) الإسراء (٦).

﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾ والنفير كما نعلم هو آلة الحرب.

لكن الجديد الذى نلحظه فى قضية نهاية اليهود: هو أن يأتوا من أنحاء الأرض إلى فلسطين. وأن يكون مجيئهم فى صورة جماعات. وأن يكون مجيئهم ذلك علامة على قرب نهايتهم، وتحقق وعيد الله فيهم وهو ما نجده واضحا جليا فى قوله تعالى:

﴿ وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ ﴾(١٧).

فى لسان العرب: جمع ملتف «مجتمع ملتف من كل مكان» ليكونوا هدفا للإهلاك والتدمير على يد عباد الله يسلطون عليهم، فيقهرونهم ويجبهون وجوههم بالمساءة والذل، ويدمرون ما يغلبون عليه من مال وديار، ويدخلون المسجد الأقصى ويحررونه مصداقاً لقوله تعالى:

﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴾(١٨)

وهو ما نراه فى أرض المعراج الطاهرة المباركة من ظهور فئة من المجاهدين الصادقين المخلصين، باعوا أنفسهم لله واشتروا بها الجنة وأقبلوا على ربهم فى عرس ملائكى ظاهر فأصابوا إسرائيل بالذعر، وأوقعوا بقلوبهم الرعب. وأظهر الله على أيديهم المعجزات وأظهر فيهم الكرامات ورأينا فيهم مصداق حديث رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيختبىء اليهودى وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودى خلفى: تعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود»(١٩).

ولقد كنا نقرأ هذا الحديث ونعجب ونستبعد وقوع مثل تلك الكرامات فى أيامنا هذه حتى طلعت علينا صحيفة «آفاق عربية» بما نصه حرفيا: بتاريخ ٢٠٠٢/٥/٩م من حديث للشيخ أحمد ياسين عبر الهاتف موجها كلمته لمؤتمر نقابة الأطباء الرابع بمحافظة الغربية وسمعه مئات الحاضرين: «إن بشائر النصر قد رأيناها بأعيننا: حيث إن رجال المقاومة فى «رام الله» ظلوا يطاردون أحد المستوطنين حتى اختفى عن أعينهم خلف الأشجار فأنطق الله الشجر - حدث والله - وقال لهؤلاء الأبطال: «هذا اليهودى ورائى» ويذهب الشباب إليه خلف الشجرة ويقتلونه.. » ثم يختم الشيخ كلامه قائلا: «إنه حديث رسول الله ﷺ»(٢٠).

ونحن نقول مع الشيخ «صدقت يا سيدى يا رسول الله، وإنا بك لمؤمنون وإنا بحديثك لمصدقون.. وإنا بزوال إسرائيل لواثقون.

---

(١٧) الإسراء (١٠٤).
(١٨) الإسراء (٧)
(١٩) صحيح مسلم، بشرح النووى جـ١٨، المطبعة المصرية ومكتبتها ص٤٤
(٢٠) صحيفة آفاق عربية ٢٠٠٢/٥/٩م.

فــرق .. تســد

لعبة صهيونية قديمة

بقلم

الدكتور / محمد حسن عبد الخالق

لقد دأب اليهود على تشتيت شمل أى أمة يحلون بها إعمالاً لمبدأ فرق تسد، وهو مبدأ نراه واضحاً من خلال عرضنا لقصة ، رؤية بطرس ، للأديب الصهيونى ، يهودا بورلا ، الذى يقول:

فى إحدى القرى الصغيرة فى جبل الناصرة يسكن بطرس المسيحى والذى يمتلك محلاً صغيراً يبيع فيه الساعات ويقوم أيضا بإصلاحها، ومع بداية موسم الشتاء وهطول الأمطار، وفى وقت الظهيرة لمح أهل القرية رجلاً غريباً فى ملبسه يعبر الشارع جيئة وذهابا دون أن يتحدث إلى أحد، ولكن يبدو من مظهره أنه يهودى من إحدى المستوطنات الزراعية الموجودة بالجليل وبخاصة أن كل سكان هذه القرية من المسلمين والمسيحيين وليس بينهم يهودى واحد. وتساءل الجميع ما الذى أتى به إلى هنا؟ فمنذ وقت طويل ومنذ اندلاع أحداث الدماء فى البلاد لم يطأ الشارع رجل يهودى قط؟

مناقشة وتحليل للأدب الروائى الصهيونى

فتوجه إليه أحد الرجال البارزين فى الشارع وسأله، فأجابه الرجل بلغة عربية ركيكة، بأنه أتى لزيارة القرية العربية لأنه يحب العرب، وأنهم أخبروه بأن فى هذه القرية محلات تبيع بضاعة جيدة وأنه يريد شراء ساعة قيمة، فقاده ثلاثة رجال إلى محل كتب عليه «بطرس مهون» صائغ وساعاتى (ص٢٦٣)، وعندما دخل إلى المحل، حياه صاحب المحل بالفرنسية كعادته فى مخاطبة الأجانب، وأخذ الإثنان يتجاذبان أطراف الحديث باللغة الفرنسية دون أن يعيرا الرجال الذين صحبوه أى اهتمام، ووقف الرجال كالتائهين، وقبل أن ينصرفوا كانوا يتغامزون فيما بينهم إذ قال أحدهم: إنهم من طينة واحدة، وقال الآخر: إن الطيور على أشكالها تقع، وقد دافع أحدهم عن بطرس قائلا: إنه إنسان خيّر (*) وليس هناك أحسن منه فى القرية كلها، وهذا هو الأساس عندى. وأخذ بطرس يعرض ما لديه من بضاعة على المنضدة التى أمامه وميخا اليهودى يحاول أن يمنعه من عرض كل ما لديه وأنه يثق به تماما. وأخبره بأنه يسكن الكيبوتس الذى يقع أسفل الجبل فقال بطرس: إننا جيران ولكننا جيران بعيدين جداً على الرغم أن المسافة بيننا لا تتعدى ساعة ونصف، إننا نرى من هنا كل الكيبوتس مثل كف اليد، إنه «يشاهد كل شىء مزدهراً» زاهر جميل، فلديكم مزارع وحقول، إنكم مجتهدون جدا، فمنذ عشرة سنوات كانت صحراء قاحلة، والآن لديكم كل شىء، لقد حولتم الصحراء إلى جنة عدن وبالمناسبة: كم عددكم فى الكيبوتس؟

وانتظر ميخا اليهودى برهة ولم يرد على سؤاله. فارتبك بطرس وترك الساعة التى فى يده وقال له: آسف، لم أكن أقصد أى شىء حاشا لله، سألت بنية طيبة، ورأى اليهودى ملامح الأسف على وجه بطرس فقال له: لا عليك يا مسيو بطرس ليس فى قلبى شىء ولست أخفى أى شىء (٢٦٥).

فقال له بطرس: اليوم الخامس عشر من شهر أكتوبر سنة ١٩٤٧ وهل تحول المسيو بطرس فجأة إلى جاسوس؟ وأخذ يضحك ثم عاد وقال له إنى شاكر لك ثقتك بى.

فأجابه ميخا: فى الكيبوتس ١٢٣ نسمة.

- يزيد الله فى عددهم ويقويهم، أنا أفهم كيف يعاونكم النساء فى كل الأعمال، لديكم طرق لحياة جديدة.. لقد تفوقتم على اليهود أبناء زمانكم وحتى على المسيحيين الأوائل.

- ماذا تريد أن تقول يا بطرس؟

- أريد أن أتساءل: فى أيام المسيحيين الأوائل.. ألم يتسلل العداء إلى القلوب وكذلك الكره فى أيام المسيحيين الأوائل وخاصة حين زاد العداء بينهم وبين اليهود.. ألم يقل عيسى بنفسه هناك «البكاء والصر بالأسنان» أما الآن فلديكم فى الكيبوتسات الكل مجدد من البداية، من الأساس. نعم أنا أسمع وأراقب كل شىء وطوال الأيام.

- لو سمحت ما قصدك وما الذى تراقبه؟

- أى شىء: نقى، ظاهر، اجتماعى، عام.. ليس دينى، أنا مسيحى، ولكننى مسيحى من

(*) وردت بالعربية.

نوع خاص، مسيحي تقريبا، لي وجهة نظر وآراء خاصة عن المسيحية، أما أنتم فشيء آخر. إنكم شيء جديد.

– مثل ماذا؟ وما هو الجديد في رأيك؟

– أنتم بأنفسكم تعرفونه، أنا لا أنتظر ملكوت السماء ولا مملكة سماء عيسى، إنكم في كل صورة تحققون بعمل عظيم روح عيسى لأنها نفس روح اليهودية لأنبيائكم.

– وهل تؤمن بنا إلى هذا الحد وأننا سنصل إلى عظمة كتلك؟

– نعم (أخفض صوته)، إنكم تطلبون من الأمم المتحدة مدينة يهودية لأنفسكم، هنا، في مكان ميلادكم القديم وهذا هو الأساس. فأنتم محتاجون لحق تقرير المصير السياسي كي تستطيعوا أن تكبروا وترتقوا وتحققوا أهدافكم وغاياتكم. وببساطة كي تحافظوا على وجودكم، كي لا يصبح اليهود لعبة في أيدي حثالة البشر... فإن بشرا بهذه الأخلاق لابد أن يكونوا أحرارا غير متعلقين بالآخرين.

– اسمعني يا بطرس، لي سؤال: هل يوجد في القرية أناس آخرون مثلك يفكرون قليلا أو كثيرا مثلك في العلاقة بيننا وفي مستقبلنا؟

– هذا سؤال صعب ولا يمكن الإجابة عنه باختصار، وعلينا أن نتحدث بإسهاب، والوقت غير مناسب (فقد دخل عليهما ثلاث نسوة مسلمات محجبات، وقابلوا بطرس ببشاشة الوجه!!)(٢٦٨).

واستأذن ميخا كي يعود إلى الكيبوتس ولكنه وعد بطرس بأن يلقاه مرة أخرى. وقال له: إن هناك شيئا ما يربطهما، وعندما سأله بطرس عن عمله في الكيبوتس، قال:

– إنني أرعى الغنم.

– إنها حرفة الأنبياء عندكم موسى، وداود ويعقوب، خذ الساعة ولن أحصل على ثمنها الآن لأننا في بداية اللقاء، ويودعه ويفترقان.

وفي نفس اليوم وفي المساء يحكي ميخا لقومه من اليهود ما حدث له مع بطرس المسيحي فنهره أحدهم وقال له: ألا تعلم أنه في فترة أول هطول الأمطار تعيث عصابات من العرب على وجه الأرض وليس من الضروري الذهاب إلى قراهم والخروج تجاه المنجمين كما خرجت أنت أيضا تجاه الثعابين.

وقال آخر: إنه إنسان غير محترم، دائما تجده في المكان الذي لم تزرعه فيه. واختلف الجميع في تقييم الموقف. واحتج ميخا غاضبا:

لو سمعتم قول الرجل في كلامه علينا، عن خليقتنا، عن مستقبلنا، ببساطة كنتم تسرعون إليه، واختلفوا بين مؤيد ومعارض، وفي النهاية قال أحدهم: علينا أن ندرس احترامه أو الارتياب فيه، فقد اتضح من عدة حوادث في هذه الأسابيع أن العصابات العربية تمارس التجسس وهم يعرفون متى يطيب لهم ذلك.

فقاطعهم «ميخا» قائلا:

«إنه رجل طيب، وإذ وجدنا لنا عشرة عرب مثله سوف يكونون لنا أساساً للبناء» فاقترحوا عليه ألا يذهب بمفرده كي يدفع ثمن الساعة.

وفي نهاية الأسبوع ألم الكيبوتس حادث الأتوبيس الذي خرج من مدينة الخليل، فقد

هاجمه العرب بوابل من الرصاص وقد طرح كثير من ركابه، وقتل خمسة بينهم طفلان صغيران، وبعد خمسة أسابيع وفى ١٣ / ١١ / ١٩٤٧ أرسل ميخا خطابا إلى بطرس يحكى له فيه بالتفصيل المصيبة التى حلت بهم، ويعتذر عن الحضور لتزايد الأخطار فى الطرق. . . ويطلب منه الكتابة بإسهاب، وأن يجيب عن سؤاله القديم. . هل هناك من يشبهك فى تفكيرك من العرب؟ وكيف يرى مصير اليهود فى البلاد وعن الوجود المكتئب الذى يقلقه؟ وما هى الأفكار التى تحملها فى طلبك عن آمال حياة السلام بين كلا الشعبين فى البلاد: العرب واليهود؟

وعلىَّ أن أقول لك بأننا نحن اليهود على وجه العموم وحزبى على وجه الخصوص تتطلع بكل نية طيبة لحياة السلام والعمل المشترك مع العرب، وأشعر بأن لديك ما تخبرنى به بهذا الخصوص.

ويرسل بطرس رسالة مطولة إلى ميخا يستهلها بعبارة «حبيبى الغالى رجل الحق» السيد ميخا وجاء فى الرسالة ما يلى:

- فليستهتر اللصوص العرب كما يستهترون ففى نهاية الأمر سوف تنتصرون.
- إنى أؤمن فى قرارة نفسى بأن اليهود سوف يخرجون منتصرين.
- بالإضافة إلى حنقوتكم، وقوتكم الأخلاقية، لديكم أيضا القوة لمجابهة الأعداء العرب.
- فى اليوم الذى قام فيه رجال جيش الدفاع الإسرائيلى فى وضح النهار باقتحام فندق الملك داود فى القدس فى مكان مركز القيادة العليا البريطانية، ووضعوا القنابل، قلت فى نفسى. . سيكون النصر فى النهاية لليهود ويحكى لليهودى قصة حياته وجاء فيها:

«إن الكوكب لم يشرق على سرير أمى مثلما أشرق على سرير «عيسى» عند ولادته، بل حدثت مصيبة كبرى، فقد ماتت أمى لحظة ولادتى مثل «راحيل» عند ميلاد «بنيامين». . . ولم يتزوج أبى بعدها، كان والدى فرنسيا، تعلم فى باريس فى الدير ليصبح قسيسا، ثم ترك الدير وعندما بلغ والدى الثالثة والعشرين من عمره هاجر إلى فلسطين واستقر فى الناصرة. . أما أنا فقد تركت المدرسة فى الثانية عشرة من عمرى، وعلمنى والدى، ساعتين فى الصباح وساعتين فى المساء. درست العهد القديم والعهد الجديد، ثم درست القرآن وكذلك الكتب الفرنسية. . . . . . . » ويشيد بالعهد القديم «التوراة» وينتقد العهد الجديد «الأناجيل» فيقول عن العهد القديم:

«إنه مكتبة تنتصب كفندق فخم، مرتفع، واسع، متعدد الأرجاء أما العهد الجديد: بناء كبير بنيته الخارجية منسية وحتى الداخلية، ومداخله وبابه ونوافذه مصنوعة من نوع غير منسى».

أما القرآن: «إنه قاعة كبرى، ملاذ لمشردى الصحراء، ظل لمتعبى النفس، وهو مغزول ومنسوج من خيوط مجدولة منتوفة من أجساد حيوانات مختلفة» (٢٧٣).

وبخبث شديد يجرى الأديب على لسان بطله المسيحى هذه العبارات حيث يقول:

«نصحنى أبى قائلا: لقد علمتك معارف مختلفة، وقد سبقك علماء كثيرون منذ آلاف الأجيال التى مرت ناقشوا فيها أمور الدين، كى أوضح لك كل ما هو صعب، ولكن فيما يتعلق بأمور الدين والإيمان أريد أن تبقى على ما أنت عليه مثلما بقيت أنا، بمعنى أن تجد نفسك بنفسك.. أنا مسيحى بكل شىء وبلا شىء وقد قال لى أبى وهو على فراش الموت:

«إن وصل تفكيرك إلى ما يصل، فأنت حر بأن تؤمن بما تؤمن به ولكن لا تتحدث علانية بأقوال ضد الكنيسة.. وإن أحسست فى قرارة نفسك بإضاءة داخلية وسمو وحينئذ تستطيع أن تكتب أفكارك ضد الكنيسة وقد سبق أن قلت لك بأننى كلما أمسكت القلم لا أستطيع الكتابة...» (٢٧٧) وفى بلاد البحر الأبيض المتوسط يوجد عديد من المسيحيين لهم عقول راجحة وروح سامية يشعرون مثلى بطيبة اليهود ومستقبلهم، ولا يستطيعون الإعراب عن رأيهم خوفا من رد فعل المسلمين!!

ويوجد بين المسلمين فى كل بلاد البحر الأبيض المتوسط رجال معرفة وشعراء وأدباء وأصحاب شعور أخلاقى ولكنهم كشعب، كأمة، فهم نوع خاص بين الأمم، ليس لأنهم أعداء أو متعصبين لدينهم وإيمانهم، وليس بسبب أمجادهم القومية المتطرفة، ولا لأنهم يتوقون للاحتلال مثلما حدث فى أيامهم الأولى لأن هذه الصفات موجودة لدى شعوب أخرى.

أما المسلمون فهم نوع خاص من ناحية الأنانية الخاصة بهم، ليس هناك أنانية بالمفهوم القومى كتلك التى عند العرب المسلمين، والمسلمين بوجه عام. فمن بين حوالى ٧٠ مليون عربى بالتقدير، ١٥٠ مليون مسلم بالتقريب لا يوجد رجل واحد فيه بقية من روح يرفع صوته، صوت واحد من أجل إنقاذ اليهود، أليس هذا واقعا، ولكن هذا هو طابع الأنانية العربية (٢٧٩)... وتعجبت كثيرا بتقسيم فلسطين إلى دولتين منفصلتين، أو دولة يهودية ذات قوميتين، وهذا خطأ كبير كمن يصهر الحديد والزجاج معا أو أن تضع فى قفص واحد نمر مع كبش، حينئذ سيكون العداء بين كلا الشعبين (٢٨٠).

انظر كيف وقف ممثلو كل البلاد العربية كالأسود ضد معظم شعوب العالم لغلق كل الطريق وسد كل ثغرة وتحطيم كل محاولات إقامة دولة اليهود ص(٢٨١).

ويقوم «ميخا» اليهودى بدعوة «بطرس» المسيحى لزيارة المستوطنة، ويشيد بطرس بما رآه فى الكيبوتس ويقول: إنه مصنع لإنتاج بشر أصحاء فى أجسادهم وعقولهم، كى يقتدى به أبناء البشر.. إنكم جديدون فى الشرق، وليس لديكم مفهوم صحيح عن ماهية الإسلام، هل العرب المسلمون والعرب المسيحيون متساوون فى أعينكم..؟ إنهما مختلفان تماما، المسيحيون سوف يفهمونكم، إن لم يكن اليوم فغدا أو بعد غد. إن عيسى هو لحمكم وروحه من روحكم.. وسوف يأتى اليوم وتقوم حركات مسيحية داخلية قديرة، تولد نهضة أوروبية ممزوجة بروح اليهودية والمسيحية.. لأنها إنسانية خالصة (٢٨٦).

لكن الإسلام: ما هو المفهوم الروحانى الجديد ـ ولو أقل القليل ـ الذى أتى به، ولم تعرفه اليهودية أو المسيحية من قبل؟

لقد أحضر الإسلام مع البحث الفلسفى الدينى وتفسير آيات القرآن: الخراب، الدم، الانتقام، ولهذا لا تبنوا بناءكم مع المسلمين فليبنوا وحدهم.

ويسأله اليهودى: هل سنبقى للأبد منعزلين عن العالم الإسلامى حتى وإن كنا جيران مرتبطين بهذه البقعة من العالم.

والإجابة: حتى يقوم بين المسلمين أنفسهم نقد ذاتى وألا يصمموا آذانهم لكل كلمة نقد واحدة تجاههم، فعن أسفار التوراة كتبت آلاف البحوث النقدية ولكن عن القرآن الذى ليس به أية فكرة إنسانية جديدة.. لم يكتب حتى اليوم على يد عربى مسلم واحد ولا سطر نقدى واحد تجاهه.

وفى النهاية يشكرهم على حُسن الحفاوة ويودعهم.

وبعد شهرين وصل ميخا كرئيس عرفاء فى جيش الدفاع الإسرائيلى مع مجموعة من الجنود ويتوجه إلى محل بطرس، فيجده مقفولا.

ويعرف من جيرانه أن عصابات العرب اغتالوه منذ شهرين فور حضوره من الكيبوتس اليهودى.

تعليق :

عمد الأدباء اليهود إلى الإساءة لكل من هو غير يهودى، حتى وإن اختاروا أبطال أعمالهم من جنس من يتجنون عليه.

وكما هو معروف لدى الجميع فقد عاش العرب طوال أجيال تحكمهم التقاليد العربية الأصيلة والعادات واللغة والآمال والأمانى.. يستوى فى هذا المسلم والمسيحى.

وحقد الصهيونية وأتباعها، فقد لجأ الأدباء إلى كافة الوسائل لتحقير كل ما هو عربى وفطنوا إلى أن العرب مسيحيون ومسلمون، فحملوا لواء القطيعة بينهم وبثوا بذور الفرقة وذلك طوال الأجيال.

ونحن بصدد أحد هذه الأعمال التى عمد فيها الكاتب إلى اختيار بطله مسيحى يُدعى بطرس وأخذ يجرى على لسانه ما يريد أن يقوله هو، أساء فيه للقرآن الكريم المنزه الذى هو رحمة للعالمين، وأساء فيه أيضا إلى عيسى - عليه السلام - ثم هاجم الإسلام بخسة ليست جديدة عليهم.

أما الجديد، فزمن كتابة هذه القصة عام ١٩٤٧ قبل قيام دولتهم، وواكبت قيامها وناقش فيه إمكانية التعايش بين العرب واليهود فى المنطقة، وهل يمكن قيام معاهدة سلام، وموقف العالم المسيحى وتأييده لهم، وعمل صدع بين العرب المسلمين والعرب المسيحيين. وأفكار وآراء متطرفة على يد بطله المسيحى، بصفاقة غير معهودة والمسيحيون براء منه ومن أقواله.

ولسنا هنا بصدد تذكيرهم بما فعلوه بالمسيح - عليه السلام - وبما فعلوه فى العالم أجمع ويكفى أن أقول لهم: لا تنسوا أن العالم أجمع لفظكم وذقتم الذل والهوان على يديه ولم يسعكم إلا العالم الإسلامى الذى عشتم بين أحضانه، وفى النهاية تنكرتم له، والتاريخ خير شاهد، وشبح أعمالكم السيئة والدنيئة سيلاحقكم إن لم يكن اليوم فغدا وإن غدا لناظره قريب.

هوامش على كلمة الدكتور أسامة الباز

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدي

لاشك أن الإسلام يتعرض هذه الأيام لأخطار جسام، وأنا لا أخشى من الأخطار المحدقة بالإسلام بسبب أن خصومه يملكون من أدوات القتل والتدمير ما يملكون. وإنما أوجل أشد الوجل، وأفزع أكبر الفزع عندما أرى المسلمين يتحللون من عهودهم مع الله، وينزعون عنهم لباس التقوى ويروج بينهم الزيف، فأرى كثيراً من الماكرين يتخفى وراء مراسم الدين، وهو فارغ الباطن من حقيقة التدين خصوصاً إذا عرفت أن بعض هؤلاء يرتمون فى أحضان التدين يدارون به عاهات نفسية وعقلية، أو يعوضون نقصا أو حاجة مادية.

وبينما أنا غارق مستغرق فى تأملاتى وأفكارى وهمومى، إذ أبصرت صاحبى يقبل علىّ بعد طول غياب مرحبا، يقول: ما الذى يشغلك عنى يا صاحبى؟

قلت: كأنى لست فى حاجة إلى تبرير غيابى عن صاحبى، أظن أن ما نعيش فيه ونعانيه من هموم - وهو غير خاف على أحد - كاف لانشغال أى منا عن الآخر، بل لانشغال أى منا عن نفسه!!

قال: أى هم ذلك الذى يشغلك عنا أو يشغلك عن نفسك، وأنا أعرف أنك رجل قوى الإيمان بالله، شديد الارتباط به، وأحسب أن الهموم لا ترد ساحتك.


د. أسامة الباز

قلت على الفور: يبدو أنك جنحت بعيدا في فهم ما أقول، حتى لقد خيل إليك أن همومي تنحصر في دائرة الهموم الحياتية، ولذلك قلت ما قلت.

قال: نعم. وهل ثمة هم غير هذا يشغلك؟ عجيب أمرك.

قلت والغيظ يملؤني، وأنا أعالج كتمانه: بل أنت وأمثالك عجيب أمرهم، كيف لا يشغلكم ما يحدث حولكم من أحداث وحوادث تزلزل الجبال؟ أو كيف تشاغلتم عنها؟ وتساءلت في مرارة: وهل أمثالك كثيرون لا يشغلهم مايصيبني بهمي، ويثقل كاهلي.

قال في تثاقل مميت: نعم نحن كثير.

قلت وأنا أتحاشى المواجهة: سامحكم الله، لكن اسمح لي أن أسألك: هل تناولت الأمة مخدرا أفقدها الإحساس بالألم، أم أنها ماتت فلم تعد بين الأحياء.

قال صاحبي: ما الذى دهاك! أنظر ما تقول؟!

قلت: هل رأيت أو سمعت عن أمة في طول التاريخ وعرضه يُسجن فيها رئيسها، لا بفعل شعبها وذلك - إن كان - فمحمود في سجل الشرف والنضال. أما إن كان ذلك بفعل عصابة مارقة، تزعم أنها دولة، هل رأيت أو سمعت ذلك؟ دعني أقول لك: ليتهم قتلوه، لأن القتل أو الاغتيال يقدر عليه أى صعلوك تافه، وهو بعد لا يُذل المقتول ولا يُهينه، أما أن يُحبس رئيس دولة على مرأى من العالم فتلك مهانة لا تحتمل.

تعم، ليتهم قتلوه، ففي القتل راحة له وصون لعزة أمة، وكرامة شعب من هوان يستنزفها، فلا تبقى لها عزة أو تكون لها كرامة، والله - سبحانه وتعالى - يبدل جلود العصاة في النار حتى يذوقوا العذاب:

﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾(١).

ولقد نادى العصاة في نار جهنم مالكا، خازن النار، طالبين الموت، حتى يستريحوا من هذا الهوان الأليم:

﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾(٢).

فكان الجواب برفض الطلب والرجاء حتى يبقى الهوان والعذاب:

﴿ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴾(٣).

يا لشدة العذاب! أن يصبح الموت أمنية بعيدة المنال، كان ذلك في النار للعصاة، وأحسب أنه اليوم قد يصبح أمنية لأمة المسلمين.

قلت لصاحبي: ألا يصيبك هذا بغم وهم؟! ألا ترى صباح مساء الفلسطينيين يساقون للاعتقال أمام بصر العالم وسمعه، فلا يرمش له طرف؟ قل لي بربك، وقل للعدالة العالمية الكالحة: كيف كان الوضع في فلسطين عام ١٩٤٧؟ ولمن كانت الأرض، وأين كانت عصابات الصهيونية؟ ألم تغتصب الأرض بمؤازرة بريطانيا ومباركة أمريكا؟ فكيف لو طلب صاحب الحق حقه؟ هل يُلام؟ ولو أنه أهين وضُرب لو دافع عن نفسه أيسمى إرهابيا؟! هل يعقل أن تسطر بيانات الإدانة للعمليات الفدائية من السلطة الفلسطينية؟ أي عدالة يا ربي؟ بل أي هوان نعيشه!!

قال صاحبي متأثرا مشفقا: عافاك الله، أحس كأنك تحترق.

---

(١) النساء (٥٦)
(٢) الزخرف (٧٧)
(٣) الزخرف (٧٧)

قلت: ليس من أجل ذلك فحسب، لكنها هموم تجمعت، هذا أحدها، ولا أستطيع أن أقول إنه أسوأها، فلست أعرف أيها السيئ، فكلها شديد السوء، أما ثانى الهموم، أنّا بهذا الميزان الجائر نُصنف كأمة، وإن شئت فقل: نُحاكم، فأمام العالم نحن سفاحون، إرهابيون قتلة! هل رأيت؟ والصهيونازى شارون رجل سلام، هل ثمة ظلم أسوأ من هذا؟! ولعل الأسوأ أن الإسلام ذاته فى مجال الدراسة والتنظير توجه له انتقادات بهذا الميزان الجائر، ولعل السوء الأقبح والعُهر الفاجر أن يُسمى ما يوجه للإسلام تحليلاً علمياً، ودراسات منهجية جادة، تعرض فى ندوات للدراسة وقاعات البحث، ولك أن تسأل، أو تبكى، أو تحزن، أو تتألم، وتسأل نفسك: هل هذه عقول منصفة ودراسات جادة حقيقية؟ أم أنها مسرحيات هزلية؟

أما أنا فأقول: إنها مسرحيات هزلية فاجرة يُراد لها أن تخدع البسطاء من الناس، وأن تروج بين جمهور المسلمين.

قال صاحبى: اسمح لى أن أقول لك: أنا لم أعد أفهم عنك، فما الذى تريد أن تقول على وجه التحديد؟

قلت: فى مؤتمر جاد عفيف - المؤتمر الثانى عشر لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر المنعقد فى الفترة من ٣-٤ من صفر ١٤٢٣هـ الموافق ١٦-١٧ من أبريل ٢٠٠٢م - تحدث الدكتور أسامة الباز المستشار السياسى لرئيس الجمهورية حديثاً جاداً وعميقاً ونظيفاً، يستحق الدراسة المتأنية والردود الواعية الهادئة، والعمل على نشرها بين المسلمين أنفسهم حتى تتضح الحقيقة لذى عينين.

قال: من الظواهر القديمة الجديدة أن بعض الدوائر دأبت على محاولة النيل من الإسلام، وتشويه صورته، وقد تركزت هذه المحاولات أساسا فى الغرب.

وأرجع هذه الظاهرة واستمرارها إلى عدة أسباب:

أولا: التعصب والتحيز ضد كل ما هو مختلف عن الغرب.

ثانيا: الفهم الخاطئ أو السطحي للإسلام والجهل بجوهره، وتعاليمه.

وأخيراً: تقصير المسلمين في إعطاء فكرة صحيحة عن عقيدتهم، سواء من ناحية الطرح النظرى، أو فى الواقع العملى الذى يعيشه الناس ويلمسونه من المسلمين أنفسهم.

ثم ذكر عناصر هذه الصورة التى يُروج لها الغرب عن الإسلام، فى وعى وجرأة نغبطه عليها، ونحمدها له، ونسأل الله أن تكون فى ميزان حسناته، وأن يكون ما قاله رادعا لضعاف النفوس، كما نرجو أن يكون حافزا للذين يدافعون عن الإسلام ومثله وشعائره، فيرفعون هاماتهم فى فخر واعتزاز ولايطأطئون رؤوسهم كأنهم يبررون سوءات يودون سترها عن الناس.

قال ـ د. اسامة ـ : وطالما أننا نستطيع أن نرصد هذه الظاهرة، فإنه يصبح من المتعين علينا أن نتصدى لهذه الأراجيف التى تقوم على الزيف والافتراء، لا من منطلق دفاعى نشعر فيه بأن علينا أن نعتذر عن بعض جوانب القصور في الفكر الإسلامى والممارسة الإسلامية، أو نخفف من وقع هذه الجوانب على الآخرين، أو نحاول أن نخفى حقائق معينة أو نحجبها عن الآخرين لكى نمنعهم من مهاجمة الإسلام.

بل يكون واجبا علينا أن نأخذ المبادأة فى التصدى لتلك المزاعم والمفتريات، بحيث نكون نحن البادئين بعرض الأطروحات والنقاط التى تعكس صحيح الإسلام لتعريف الآخرين بهذا الدين دون أن نفترض فيهم سوء النية، أو نتصرف على أساس أن أعداء الإسلام ومنتقديه هم فى الموقف الأقوى، لأن الحقيقة هى أن الإسلام - خاتم الرسالات - هو دين الحق والعدل والتقدم، الذى يحض على العلم والمعرفة وتحكيم العقل، كما أنه دين التسامح والتعايش بين الأمم والشعوب وهو أبعد ما يكون عن التعصب والكراهية والعدوان. أ.هـ

وسوف نتناول عناصر الصورة التى يروج لها البعض عن الإسلام، عنصرا عنصرا - وهى عشرة عناصر - حتى يظهر الصبح لذى

عينين، ونزيح الغبار الذى يُثار في وجه الدين الوضاء الحنيف، ونقيم الحجة على المرجفين، وهم كما أشار إليهم الدكتور الباز بحق: إما من غير المسلمين، وإما من بعض المسلمين الذين يعطون أنفسهم الحق فى التحدث باسم الإسلام دون أن يكونوا مؤهلين لذلك، وربما كانوا مدفوعين بالهوى والغرض، والرغبة فى تحقيق مصالح أو مكاسب دنيوية، حتى وإن سلكوا فى هذا سبيلا يترتب عليه النيل من الإسلام، والتشهير به، وخدمة أغراض أعدائه الحريصين على مهاجمته ومعاداته بالباطل.

وأول هذه المزاعم الباطلة أن الإسلام دين يقوم على التعصب، وعدم التسامح، ويرفض الاعتراف بغيره، ويُقسم الناس بين مؤمنين به وكافرين، ويصنفون كأعداء لا يمكن قبولهم أو التعايش معهم، ونحب أن نقول - بادئ ذى بدئ: إن الذين يرمون الإسلام بالتعصب لم يحسنوا إلى أنفسهم كما توهموا، ولم يسيئوا إلى الإسلام كما أحبوا، لأنهم فضحوا أنفسهم بكشف سرائرهم، وما أصابوا الإسلام كما أرادوا.

إن الإسلام برئ من التعصب، ولن نأتى بشاهد من صدر الإسلام الأول، فإن أبغض شئ إلى نفوسهم أن يرتبط المسلمون بفترة صدر الإسلام الأول، فكراً ومنهجا، ولذلك فهم يعملون بكل الوسائل على الحيلولة بين المسلمين وبين هذه الفترة

إن شواهد السماحة قائمة فى تاريخ الإسلام كله، اليوم كما هى الأمس. كما أن شواهد التعصب كامنة فى نفوس أعدائه، بادية فى تاريخهم القديم والحديث، ولن نحكى لهم قصة اليهودى مع سيدنا عمر بن الخطاب عندما كان كهلا يتسول مقدار الجزية، فأمر بأن توضع عنه الجزية، ويصرف له من بيت المال ما يكفي حاجته.

ولن نحكى لهم كيف عمل أهل الكتاب فى بلاط الخلفاء أطباء، وفى بيت المال خزنة وصيارفة، وهم على دينهم، لم يُطلب منهم - ولو بالترغيب أن يتركوا دينهم حتى يحافظوا على مكانتهم أو مكانهم من الخلفاء، لكننا نذكر لهم ما فعلوه بالأمس القريب فى البوسنة والهرسك


مراد هوفمان

من تنكيل بالشعب المسلم، لا لشئ إلا من أجل دينهم، وأن ميلوسوفيتش الزعيم الصربى الذى يُحاكم اليوم كمجرم حرب لم يفعل ما فعله إلا على مرأى من العالم كله بمساعدة أوروبا وأمريكا، بل ماذا لقى جارودى الفيلسوف الفرنسى الشهير بعد أن أعلن إسلامه؟ لقى من ألوان الاضطهاد حتى قُدم للمحاكمة أكثر من مرة، وحُكم عليه بغرامات مالية فوق طاقته، فضلا عن مقاطعة دور النشر لما يكتب، بعد أن كانت تتلهف على مؤلفاته!! لماذا؟ لأنه مسلم، أو لأنه أسلم.

ثم هل يذكر الغرب أو الشرق هوفمان، إنه ألمانى مسلم، كان قبل إسلامه قد تقلد أعلى المناصب، كان سفيرا لألمانيا فى المغرب، ثم سكرتيرا لحلف الناتو، وبعد إسلامه، وإعلانه، ونشر كتابه: مذكرات ألمانى مسلم جُرد من جميع مناصبه، وأهيل عليه التراب وأردية النسيان.

كل ذلك وغيره كثير، يتضح معه أن دعاوى حرية الفكر وحرية العقيدة للاستهلاك الدعائى، ولشغل أذهان ضعاف النفوس من العالم الإسلامى.

قال صاحبى: حسبك فأنا أحب أن أسألك.

قلت: دعك من الأسئلة الآن، فإن الأمر أخطر وأكبر مما تتخيل، إن الغرب بكل مؤسساته العسكرية والفكرية والاقتصادية يعمل للسيطرة على الشرق الإسلامى بخبث شديد ووقاحة أيضا، أما الخبث فعانيناه ونعانيه، وأما الوقاحة، فإنه برغم القسوة والشراسة التى يتعامل بها مع القضايا الإسلامية فإنه يدعى الحيدة، ويزعم المنطق، وأنه يبغى للشعوب الخير فى كل ما يقدمه.

إن كل ما يفعله الغرب ليس المقصود به إلا تفتيت الشعوب الإسلامية.

يقول الدكتور محمد خليفة حسن: يعتبر مجال العقيدة الإسلامية من أهم المجالات التى اهتم بها المستشرقون، ووجهوا لها النصيب الأكبر فى دراساتهم، وذلك للبحث عن الوسائل والعوامل التى يمكن تطويرها لهدم هذه العقيدة وتخريبها، وتشويه أصولها، فمنذ ظهور الإسلام، وانتشاره فى العالم، اكتشف الغرب أنه خطر يهدد النصرانية فى عقر دارها، وعندما اكتشف الغرب فشله فى المواجهة السياسية والعسكرية مع المسلمين، ولم يتمكن من وقف الإسلام وانتشاره السريع فى البلاد النصرانية. منذ ذلك اتجه إلى دراسة الدين الإسلامى دراسة متعمقة من أجل وضع الخطط لنقده وتجريحه وتخريبه، وتشويه صورته، وتشكيك المسلمين أنفسهم فى دينهم وعقيدتهم، وهذا الجانب، جانب العلوم العقيدى الفكرى عن الإسلام أخذ يتطور مع السنين حتى أصبح علما أو علوما، جعلوا لها مدارس ومناهج، وما الاستشراق ومقارنة الأديان، ومعاهد الدراسات الشرقية فى الجامعات الغربية إلا ثمرة من ثمار الهجوم على الإسلام[4].

قال صاحبى - وكأنه يفيق من غفوة -: إذاً المسألة أكبر من مجرد اتهامات.

قلت: إن الغرب حاول بكل الطرق القضاء على الإسلام، والسيطرة عليه بأحط الوسائل، وفى كثير من الأحيان لابد من غطاء دعائى إعلامى للخداع والتضليل، تارة حقوق الإنسان، وتارة الديمقراطية، وتارة لأنه يهاجم أوكار وعصابات المخدرات والإرهاب، وهو لا يتورع أن يستخدم كل هذه الوسائل القذرة، وينتهك كل المبادئ - إن كانت عنده مبادئ - للسيطرة على البلاد الأخرى، وهى دائما الشرق الإسلامى.

يقول الأستاذ محمد حسنين هيكل: «إن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية مولت عملياتها لسنوات طويلة من تجارة المخدرات، وأن الولايات المتحدة ليست بعيدة عن انتهاك حقوق الإنسان فى مواقع كثيرة من العالم،

---

(4) آثار الفكر الاستشراقى فى المجتمعات الإسلامية للدكتور محمد خليفة حسن، وانظر الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى للدكتور محمد البهى، وانظر الغزو الفكرى للدكتور محمد عمارة.

وأن بعض أقرب الأصدقاء من واشنطن ليسوا من أنصار الديمقراطية وأحبابها»[٥].

إن حقوق الإنسان والديمقراطية، وغيرها، وغيرها، مسميات وسائل للدخول بها إلى الإسلام، ومهاجمته، وإضعاف المسلمين بكل الحيل، والاستعمار مستعد لتحطيم كل أصنامه، مادام في ذلك طريق لإضعاف الإسلام، لكنه يتمسك بهذه الدعاوى كحيل تنطلي على بعض المتثقفين منه، لجعلها ذريعة لتفتيت المجتمع الإسلامي، وهو يعمل بكل الوسائل، لتغيير قيم المسلمين، حتى ينشأ جيل يتخذ النموذج الأمريكي مثلا وقدوة، والإسلام هو الدين الوحيد الذى احترم الأديان الأخرى وناقشها، في كتابه: القرآن الكريم، وأبطل حججهم، وكل ما طالبهم به هو الصدق في عرض الحقائق التي يعلمونها، فلو أنهم عرضوا الحقائق وأعلنوها لانتهت المشكلة، لكنهم يخفون الحق ويجادلون بالباطل، وطمس الحق عمل برع فيه الغرب الصليبي.

قلت لصاحبي: يجب أن نفرق بين الصليبية والمسيحية، التي هي دين سماوى نؤمن به، كما أن اليهودية دين سماوى أيضا. أما الصهيونية فهي عنصرية مرفوضة.

نقول لأهل الكتاب جميعا كما قال الله - تعالى -:

﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[٦].

وإلى لقاء آخر نتتبع فيه التهم التي وجهها الغرب للإسلام وذكرها الدكتور الباز.

---

(٥) مصر والقرن الواحد والعشرون، ورقة في حوار، ط دار الشروق ١٩٩٤.

(٦) البقرة (٤٢).

قَولُ الحَقِ.. أمْ.. لَغوُ المفتَرين

للدكتور/ على أحمد على

قدمنا للقارئ في عددي: «صفر وربيع الأول» حديثا مُفصَّلاً في «حضارة قوم نوح» وقد بسطنا القولَ في هذه الحضارة بُغْيَةَ أن نكون -ابتداء- على يقين من ازدهار شتّى ثمارها في القوم: علما وأدبا وفنا وصناعة، ثم لكي ننطلق -من بعد ذلك- إلى ماوراءهم من قوم آخرين، هم أقرب إليهم نسبا وحالا، كان منهم «الإنسان الأول».

هذا الإنسان الذى كان وثيق الصلة بالكون كله، لنرى:

كيف أبدع الله -تعالى- الكونَ ثم الإنسان، عن خلْقٍ وعلم ويقين.

وكيف قدمهما التاريخ الطبيعي عن تصور وافتراض دون علم أو يقين.

وفي الحق أننا إذا استثنينا بضعة فلاسفة، نقول:

لقد كان العالم -قبل استقرار عصر النهضة في القرن السادس عشر- مطمئنا إلى اعتقاده بـ «خلْقِ الكونِ» وبالتالي إلى «خالق» أنشأه.

ولقد يكون للأمم حينذاك، وقبل هذا العصر، معتقدات شتى في «الخالق» جلَّ عُلاهُ- لكن الإجماع قائم على وجوده، حتى إذا ضاق الملأ من علماء أوربا وفلاسفتُها بالكنيسة وسلطانها، وما بثته فيهم من أساطير -طرحوا «الوحي» كله من علمهم، وازْوَرُّوا عن أي وَحْيٍ أمين كان يمكنهم أن يلتمسوه فيزداد بهم آفاق علم راشد مستقيم، لكنهم اعتبروا الدينَ كله ذا نبع واحد، لا فرق بينه وبين الكنيسة في شيء.

ومن هنا اختاروا لأنفسهم علما ابتدعوه، رأوا -من خلاله- الوجودَ كائنا استمد وجوده من ذاته لذاته[1]. دون ما سبب سابق أنشأهُ وأحْياه، ودفع به إلى الوجود، وبذاته أيضا أخذ (يتطور) حتى انتهى إلى ما هو عليه، وهكذا:

استبدلوا هذه الذاتية بـ «الخالق».

واستبدلوا «التطور» بـ «الخلْق».

(١) راجع إلى جانب قصة الجنس البشرى للدكتور هندريك، تاريخ الإنسان الطبيعي لإلياس الغضبان، ص٢٠ - ٣٠ الطبعة العصرية ط ثانية تقديم مارس ١٩٢٤.

وذلك ما سوف تقرأه سريعا -بمشيئة الله تعالى- على يد متخصص من علمائهم.

وقد طرحوا لذلك كله «فروضا» إلى جانب «التطور» رأوها ضرورة في إرساء هذا الكيان من علمهم، وتترك للقارىء بعدئذ الحكم على هذه الفروض وما آلت إليه من تطور ووجود.

وإلى القارىء حديث القوم عن «الكون والإنسان» فيما أسموه:

تارة «بالتاريخ الطبيعي للإنسان» أو «قصة الجنس البشرى» أو ما سردته كتب الحضارة في نفس المقام.

وعن كتاب «قصة الجنس البشرى» نقتبس الحديث مع حرص شديد على الاختصار الجامع للمعنى مع المحافظة التامة على نص اللفظ كما هو في مصدره، دون أن نقحم نفسنا عليه، أو على مضمونه بحال. ولقد نضطر اضطرارا إلى إضافة ضرورية يجدها القارىء بين قوسين مربعين ليسا من متن الكتاب.

قال مؤلف «قصة الجنس البشرى» د. هندريك ولم فان لون:

«ما زال حظنا من العلم ضئيلا، ولكننا بلغنا المرحلة التي تمكننا من التكهن بجملة أشياء تكهناً فيه نصيب من الحقيقة غير قليل.. سأقص عليك -في هذا الفصل: كيف مهد المسرح لنشأة الإنسان معتمدا -في ذلك- على أصدق الروايات» [وهذا حديثه في تلك الفقرات] قال:

١- في البدء كان الكوكب الذى نعيش عليه.. كرة كبيرة من مادة ملتهبة، أو قُل: غمامة من الدخان، تسبح في الفضاء.. ثم احترق سطح هذا الكوكب.. حتى همد، وغطته طبقة رقيقة من الصخور، وانهمر المطر على هذه الصخور.. سيولا لا تنقطع حاملة معها الغرين إلى الأودية الكامنة بين الصخور القائمة على الأرض... وأخيرا حانت ساعة بزوغ الشمس، فطلعت على هذا الكوكب، فإذا هو مغطى بقليل من برك موحلة قدر لها أن (تتطور)... فتستحيل إلى المحيطات.. في مشارق الأرض ومغاربها.

٢- ثم.. انبعثت الحياة مما كان ميتا وطغت[٢] «الخلية الحية الأولى» فوق مياه البحر، وظلت هذه الخلية ملايين السنين... تكتسب صفات خاصة تُيَسِّر لها سبيل البقاء على الأرض... وكان بعض الخلايا قد تأصل في الرواسب الغرينية، ثم أصبح (نباتا).. آثر بعضُهُ التنقل من مكان إلى آخر (فَنَمَتْ) له (أرجل) وأخذ يَدُبُّ على طول قاع البحر بين النباتات، وكان بعضها مغطى بقشور، ويعتمد على السباحة طلبا للقوت، ثم أخذت تعمر المحيطات بعشرات الآلاف من (الأسماك).

٣- .. رَبَتْ [أى النباتات] وتكاثرت، فتركت البحر كارهة، واتخذت لها مواطن جديدة في المستنقعات وعلى سفوح الجبال، وتضخمت... وأصبحت (شجيرات وأشجاراً) ثم عرفت كيف تتفتح عن (زهر جميل) اجتذب (النحل) و(الطيور المختلفة) التي حملت معها (البذور) إلى جهات بعيدة فمالبث سطح الأرض أن تغطى بالمروج الخضر.

(٢) هكذا هي. ولعل المؤلف يقصد: (وطافت).. لكنها هكذا في الأصل. والله أعلم.

[وعن عودة إلى الأسماك المتطورة عن نبات قال]:

٤- على أن بعض الأسماك بدأ أيضا يغادر البحر، وتعلم كيف يتنفس برئتيه، ويطلق على هذه الكائنات (البرمائيات) . فأصبح بعضها (زواحف .. كالعظاية[٣] وتطورت أرجله، ونما حجمه .. وعَمَرَ الأرضَ بمخلوقات هائلة الجثة عرفت بأسماء العظاية الهائلة .. والسمكية .. والراعدة . وبدأ بعض الزواحف يعيش على قمم الأشجار ... وكان محتاجا إلى التنقل بسرعة من فنن إلى فنن، فاستعاض بجزء من جلده بشيء يشبه المظلة، وجعل من ذيله أداة لتوجهه وأخذ (يطير) حتى (تطور) إلى طير حقيقي ... وهلكت جميع الزواحف في زمن قصير، ولا نعرف السبب في ذلك .

[وفي الطريق إلى نشأة الإنسان ..] قال :

٥- ثم سكن العالم كائنات انحدرت من هذه [الزواحف]، ولكنها كانت بعيدة الشبه عنها، ذلك أن صغارها كانت تتغذى من (أثداء) أمهاتها، أطلق عليها العلم اسمَ (الثَّدْيِيَّات) .. كَسَتْ أجسامَها بالشعر .. فكانت الأنثى منها تحمل بيض صغارها داخل جسمها إلى أن تفقس ..، ونوع من هذه الثدييات تعلم كيف يقيم جسمه جميعا على قوائمه الخلفية .. وأصبح أقدر المخلوقات على الصيد، والعيش في كل مناخ، ودرج على التنقل جماعات زيادة في سلامته، وتعلم كيف يأتي بصرخات عجيبة، ثم يستخدم هذه الأصوات الحلقية في الحديث .

هذا المخلوق كان أول أجدادك من أشباه الإنسان، وإن تعذر عليك تصديق ذلك .

٦- لا نعرف إلا النذر اليسير عن الإنسان الحقيقي الأول . و .. كان السلف الأقدم للنوع الإنساني حيوانا ثدييا سمج المنظر عظيم القبح .. كان صغيرا جدا، ورأسُهُ ومعظم جسده وذراعاه وأرجله مغطاة بشعر طويل خشن، وكانت أصابعه رقيقة جدا، ولكنها قوية مما جعل يديه أشبه شيء بأيدي القردة، وكانت جبهته منخفضة، وفكه أشبه بفك الحيوان المفترس، وكان لا يتخذ له لباسا، ولم ير نارا إلا لهيب البراكين الثائرة . كان يعيش في ظلام الغابات، [ويأكل] أوراق الشجر وجذور النباتات، وانتزع البيض من براثن الطير يقدمه لصغاره .. قد يستطيع أن يصيد عصفورا، أو كلبا بريا صغيرا، أو فأرا، ويلتهم صيده نيئا .

ولم يكن الإنسان الأول يدرك معنى الوقت، ولم يكن يشيد بيوتا لسكناه[٤] . اهـ .

●●●

هذه هي قصة الكون والإنسان كما أوردها د . هندريك، وهي هي فيما كتبه - بأسلوب أكثر سَرْدًا - صاحب تاريخ الإنسان الطبيعي[٥]،

---

(٣) السحلية .

(٤) د. هندريك ولم فان لون -قصة الجنس البشري ١-٧ إلى ١٢ مطابع الشعب ١٥ .

(٥) إلياس الغضبان -تاريخ الإنسان الطبيعي ص١٧-٣٦ الطبعة العصرية ط٣/ ١٩٢٤م

وتجدها هي هي بأسلوب مختلف لدى كتاب الحضارات من الغربيين.

وبعـــد:

فكم من استفهام يتزاحم في أذهاننا أثناء وعقب مطالعتنا لهذا العرض الذي يصوّر فيه د. هندريك مذهب المؤرخين الطبيعيين في نشأة الكون، ويسوقه لنا في مقدمة ما أسماهُ بـ «قصة الجنس البشري». وهم –جميعا– يصدرون عن تكهن ضرورة فقدان مذهبهم مرجعا وثيق العلم تركه بين أيديهم هذا العهد العتيق، فلا غرابة أن تُشحَن أذهاننا بفيض من الأسئلة التي لا نجد لديهم سبيلاً إلى الإجابة عنها، ولا نجد –في أنفسنا– صبرا في السكوت عليها.

وكيف السكوت إزاء قصورها عن إمدادنا بالقناعة فيما جنحت إليه من تصوّر في الكون أو الإنسان أو غيرهما؟ واكتفت بأن تضع بين أيدينا خيالها في هذا الكون كله، وكأنها تقول لنا: ليس من حق أحد السؤال فيه؛ لكنا يجب أن نقول:

إن القوم في (تكوين) الأرض لم يتوصلوا إلا إلى قياسات «فرضية»[6] كما هو متوقع.

واختلط الأمر حين أرادوا حساب (عُمْر الكون) فجعله بعضهم بلْيُونَيْ سنة، وآخرون ما بين عشرة إلى عشرين بليون سنة[7]، والأمر كذلك في ظهور الإنسان على سطح الأرض[8].

فإذا جاوزنا الكون والأرض إلى الإنسان قرأنا شيئا آخر لأولئك العلماء؛ فقد رأى بعضهم أن أول إنسان دبّ على الأرض كان «خنثى»، وآخرون رأوه «أنثى» ولم يسأل أي الفريقين نفسه: وأي شيء يمتنع أن يكون «ذكرا»[9] الآن التوراة والإنجيل والقرآن قالوا: كان رجلا[10]؟

يبدو أن الميدان فسيح لمن أراد أن يقول، فيقول ما شاء أن يقول.

لقد كنا –باختصار– أمام عرض يصدم بعنف فطرة الإنسان، تلك الفطرة التي قبع في ضميرها إيمان راسخ بحتمية السبب والنتيجة لكل شيء في الوجود، فلكل نتيجة سبب، ولكل سبب نتيجة، فكيف تتقبل هذه الفطرة إيمانا بخلية تظهر فجأة في الماء، ثم تصير نباتا، ثم ينمو لبعضه أرجل، فيصير أسماكا وزواحف، ثم يتحدر عن تلك الزواحف ثدييّات يرتقي بعضها فيكون إنسانا؟!

فإذا تساءلنا أمام هذا العرض: أين اللهُ، خالقُ كل شيء، والسبب وراء أي موجود؟ لا نجد... لا نجد؛ لأن ذلك مذهب الطبيعيين، وما هذا العرض لهندريك وأشياعه في ميزان الإيمان إلا لغْوُ المفترين.

ولله الأمر –من قبل ومن بعد– قولُ الحق الذي فيه يمترون.

---

(٦) إلياس الغضبان – مرجع سابق ص١٩.

(٧) راجع للدكتور منصور حسب النبي – الكون والإعجاز العلمي للقرآن ص٣٢٤، ٣٤٩ دار الفكر العربي بلا تاريخ

(٨) نفس المرجع ص٣٤٨، ٣٤٩.

(٩) راجع إلياس الغضبان ص٣٤، ٣٦.

(١٠) تكوين – ٢/٧ من العهد القديم.

انظر في اللحقات كورنثوس ١٥/٢٢، ورومية ٥/١٤.

القرآن الكريم –البقرة– ٣٠، ٣١.

طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

سياسة الحجاج

كتب الوليد بن عبد الملك إلى الحجاج بن يوسف يأمره أن يكتب إليه عن الطريقة التي يتبعها في حكمه، فأجابه بقوله:

إني أدنيت السيد المطاع في قومه، ووليت الحرب الحازم في أمره، وقلدت الخراج الموفر لأمانته، وقسمت لكل خصم من نفسي قسما أعطيه حظا من لطيف عنايتي ونظري، وصرفت السيف إلى النطف المسيء، والثواب إلى المحسن البريء، فخاف المريب صولة العقاب، وتمسك المحسن بحظه من الثواب.

لأغمن من أمرك بهذا

كان لبعض النساك شاة قرآها على ثلاثة قوائم، فقال: من فعل هذا بها، فقال غلامه: أنا فعلته، قال: ولم؟ قال: لأغمك بها، فقال: لأغمَّن من أمرك بهذا، اذهب فأنت حر.

أحببت أن أذيقك طعم الظلم

روى أن أنوشروان كان له معلم حسن التأديب، فعلمه حتى فاق في العلوم، فضربه المعلم يوما من غير ذنب فأوجعه فحقد أنوشروان عليه، فلما ولى الملك، قال له: ما حملك على ما صنعت من ضربي يوم كذا وكذا ظلما؟

قال: لما رأيتك ترغب في العلم رجوت لك الملك بعد أبيك، فأحببت أن أذيقك طعم الظلم لئلا تظلم، فقال أنوشروان: زه[1]

بحق سودك قومك

دخل ضمرة بن أبي ضمرة على النعمان، وكانت به دمامة شديدة، فالتفت النعمان إلى أصحابه وقال: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه، فقال: أيها الملك: إنما المرء بأصغريه: قلبه ولسانه، فإن قال قال ببيان، وإن قاتل قاتل بجنان، قال: صدقت وبحق سودك قومك.

(١) كلمة تدل على الإعجاب، وإذا قالها الملك لأحد أعطى ألف دينار جائزة

حقيقة

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت
ويبتلي الله بعض القوم بالنعم

قالوا..

- العديم من احتاج إلي لئيم.
- لن تسلم من الناس حتى يسلموا منك.
- الكلام فيما ينفعك خير من السكوت، والسكوت عما يضرك خير من الكلام.
- إذا جهل عليك الأحمق فالبس له سلاح الرفق واللطف
- من قطع عليك الحديث فلا تحدثه، فليس بصاحب أدب.
- من العجب أن لاترضى عمن ابتغى رضاك، واعجب من ذلك أن تسخط عليه.
- الحاسد يفرح بزلتك، ويعيب صوابك.
- الناس يكتبون أحسن ما يسمعون، ويحفظون أحسن ما يكتبون، ويتحدثون بأحسن ما يحفظون.

حقا

إن الأمور إذا التوت وتعقدت
نزل القضاء من السماء فحلها
فاصبر لها فلعلها ولعلها
ولعل من عقد الأمور يحلها

الزمان

قال الشيباني: أتانا أبونواس الشاعر ونحن في جماعة، فقال: ما أنتم فيه؟ قلنا: نذكر الزمان وفساده، قال: كلا الزمان وعاء، وما ألقي فيه من خير أو شر كان على حاله، ثم أنشأ يقول:

أرى حللا تصان على رجال
وأخلاقا تذال ولا تصان
يقولون الزمان به فساد
وهم فسدوا وما فسد الزمان

الرجل الثقيل

قال رجل لحكيم: مارأيك في الرجل الثقيل؟ فقال الحكيم: هو أثقل على الروح من الحمل الثقيل، قال الرجل، وأى علاقة بين الروح والحمل الثقيل؟ فقال الحكيم: ذلك لأن الحمل الثقيل تشارك الروح الجسم في حمله، والرجل الثقيل تنفرد الروح بحمله.

دعاء

اللهم أعنا على الموت وكربته، والقبر وغمته، والصراط وزلته، ويوم القيامة وروعته.

الحياء

مظاهره وأقسامه

لفضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف

الحياء ملاك الخير، وسنام الفضل، وزينة المرء، يضفى على صاحبه الوقار والهيبة، ويلبسه ثوب الورع والتقوى، ما تحلى به إنسان إلا رفع من شأنه وعلا من قدره، وما فقده شخص إلا حط من شأنه، وهوى فى الحضيض قدره، فعن أنس رضى الله عنه، قال: قال ﷺ: (ما كان الفحش فى شىء قط إلا شانه، ولا كان الحياء فى شىء قط إلا زانه)[1].

والترغيب فى الحياء مطلوب، فمن كلام بعض الحكماء، أحيوا الحياء بمجالسة من يستحيى منه، وعمارة القلب بالهيبة والحياء، فإذا ذهبا من القلب لم يبق فيه خير.

وفى الأثر: أوحى الله - عز وجل - إلى عيسى عليه السلام، «عظ نفسك، فإن اتعظت، وإلا فاستحى منى أن تعظ الناس»[2].

(١) أخرجه أحمد ٣/١٦٥.

(٢) المستدرك ٣/٦١٥.

وقال يحيى بن مُعاذ: «من استحيا من الله مُطيعا، استحيا الله منه وهو مُذْنب».

قال ابن القيّم في شرح قول يحيى بن معاذ - السابق -: «من غلَب عليه خُلُق الحياء من الله حتى في حال طاعته فقلْبُه مُطْرِق بين يدى ربه إطراق مُستحٍ خجل، فإذا واقع ذنبا استحيا الله - عزوجل - من أن ينظر إليه في تلك الحالة لكرامته عليه.. وأما حياء الرب - تعالى - من عبده، فذلك نوع آخر لا تُدركه الأفهام، ولا تكيّفه العقول، فإنه حياء كرم وبر وجُود وجلال، فإنه تبارك وتعالى حييٌّ كريم يستحي من عبده إذا رفع إليه يديْه أن يردَّهما صفرا، ويستحيي أن يُعذب ذا شيبة شابت في الإسلام».

وللحياء مظاهر وأقسام، قال ابن القيم: قُسّم الحياء إلى عشرة أوجه: حياء جناية، وحياء تقصير، وحياء إجلال، وحياء كرم، وحياء حشمة، وحياء استحقار النفس (استصغارها)، وحياء، محبة، وحياء عبودية، وحياء شرف وعزة، وحياء المستحيي من نفسه.

١ - **فأما حياء الجناية**: فمنه حياء - آدم عليه السلام - لما فرّ هاربا في الجنة.

٢ - **وحياء التقصير**: كحياء الملائكة الذين يُسبحون الليل والنهار لا يفترون، فإذا كان يوم القيامة قالوا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك.

٣ - **وحياء الإجلال**: وهو حياء المعرفة، وعلى حسب معرفة العبد بربه يكون حياؤه منه.

٤ - **وحياء الكرم**: كحياء النبي ﷺ من القوم الذين دعاهم إلى وليمة زينب، وطوّلوا الجلوس عنده، فقام واستحيى أن يقول لهم: انصرفوا.

٥ - **وحياء الحشْمة**: كحياء علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أن يسأل رسول الله ﷺ عن المذْي لمكان ابنته منه. «قال عليّ: كنت رجلا مذّاء فاستحييت أن أسأل رسول الله ﷺ فأمرت المقداد بن الأسود فسأله فقال: «فيه الوضوء»[٣] (مذّاء: أي كثير المذى وهو البلل اللزج الذي يخرج من الذكر عند ملاعبة النساء، ولا يجب فيه الغسل، وهو نجس يجب غسله، وينقض الوضوء).

٦ - **وحياء الاستحقار، واستصغار النفس**: كحياء العبد من ربه - عزوجل - حين يسأله حوائجه، احتقارا لشأن نفسه، واستصغارا لها. وقد يكون لهذا النوع سببان:

أحدهما: استحقار السائل نفسه، واستعظام ذنوبه وخطاياه.

الثاني: استعظام مسئوله «وهو المولى عزوجل».

٧ - **وأما حياء المحبّة**: فهو حياء المحب من محبوبه، حتى إنه إذا خطر على قلبه في غيبته هاج الحياءُ من قلبه، وأحس به في وجهه ولا يدري ما سببه.

---

(٣) أخرجه أحمد ٨٢/١.

وكذلك يعرض للمُحب عند ملاقاته محبوبه ومفاجأته له روعةٌ شديدة. ومنه قولهم «جمال رائع» وسبب هذا الحياء والروعة مما لا يعرفه أكثر الناس. فإذا فاجأ المحبوبُ مُحبَّه، ورآه بغتة، أحس القلب بهجوم سلطانه عليه فاعتراه روعة وخوف.

٨ ـ وأما حياء العبودية: فهو حياء ممتزج من محبة وخوف، ومشاهدة عدم صلاح عبوديته لمعبوده، وأن قدره أعلى وأجل منها. فعبوديته له توجب استحياءه منه لا محالة.

٩ ـ وأما حياء الشرف والعزة: فحياء النفس العظيمة الكبيرة إذا صدر منها ما هو دون قدرها من بذل أو عطاء أو إحسان. فإنه يستحيي مع بذله حياء شرف نفس وعزة.

١٠ ـ وأما حياء المرء من نفسه: فهو حياء النفوس الشريفة العزيزة الرفيعة من رضاها لنفسها بالنقص، وقناعتها بالدُّون، فيجد نفسه مستحيياً من نفسه، حتى كأن له نَفْسَين، يستحيي بإحداهما من الأخرى، وهذا أكمل ما يكون من الحياء. فإن العبد إذا استحيى من نفسه فهو بأن يستحيي من غيره أجدر.

والحياء يتولد من علم العبد بنظر الحق إليه، فيجذبه ذلك إلى تحمل المجاهدة، ويحمله على استقباح الجناية والنفور من المعصية، ويسكته عن الشكوى. لاستحضاره دائماً الآيات الكريمة التي تدل على رؤية المولى - عز وجل - لعباده: ظواهرهم وبواطنهم، وعلى كونه رقيباً عليهم، وذلك قوله سبحانه:

﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾[٤].

وقوله عز من قائل:

﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾[٥]

وقوله جل شانه:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[٦].

وآيات أخرى كثيرة وردت في هذا المعنى، وجاء في حديث جبريل المشهور: «ما الإحسان؟ قال: الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ..»[٧]

وقال ابن القيم في شرح العبارة السابقة: يعني أن العبد متى علم أن الرب - تعالى - ناظر إليه أورثه هذا العلم حياء منه سبحانه، فيجذبه إلى احتمال أعباء الطاعة، وذلك كمثل العبد إذا عمل الشُغل بين يديْ سيده، فإنه يكون نشيطا فيه، محتملا لأعبائه، ولا سيما مع الإحسان من سيده، والله - عز وجل - لا يغيب نظره عن عبده، فإذا ما غاب نظر العبد عن كون المولى ناظرا إليه تولّد من ذلك قلة الحياء والقحة، هذا ولاستقباح الجناية الناشيء عن الحياء درجتان أخريان:

(٤) العلق ١٤.

(٥) غافر ١٩.

(٦) النساء ١.

(٧) البخاري ٦/١٤٤.

دنيا: وهي الاستقباح الحاصل على ملاحظة الوعيد.

عليا: وهي الاستقباح الحاصل عن الهيبة.

وقد يُطرح سؤال: هل الحياء يمنع صاحبه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟؟ وقد أجاب عن ذلك صاحب «فضل الله الصمد»: فإن قيل إن صاحب الحياء قد يستحيي أن يواجه بالحق، فيترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد يحْمله الحياء على الإخلال ببعض الحقوق وغير ذلك مما هو معروف في العادة، فأقول: إن ذلك ليس بحياء حقيقة، بل هو عجز وخَوَر ومَهانة، وإنما أطلقوا عليه حياء تشبيها ومجازا، وإنما يكون الحياء حقيقيا حيث يكون قُبح المُستحيا منه حقيقيا، فلا يدخل فيه الانقباض عما يستقبحه الناس وهو في الحقيقة حَسن، ولا الانقباض عما هو في الأصل قبيح ولكن الانقباض عنه يؤدي إلى ما هو أقبح منه، مثال ذلك ما يقع من بعض خرعات النساء، يَعْرِض لها فاجر في خلوة يحاول استكراهها، فتنقبض نفسها عن أن تستغيث وتصرخ، لأنها تستقبح أن يشيع عنها أن فاجرا تعرض لها، ولو عقلت لعلمت أن شيوع ذلك ليس بقبيح إذا اقترن بإبائها عن الفاحشة، والناس يُثنون عليها بالعفة والحزم والثبات إذا سمعوا أنها انتهرته وصرخت بأهلها فجاءوا ودفعوه، وعلى ذلك فالحياء في قوله ﷺ: «الحياء لا يأتي إلا بخير»[8] هو الحياء الحقيقي.

وقد ثبت أنه ﷺ كان أشدّ حياء من العذراء في خدرها، وهو لنا في ذلك قدوة، لا يقوم دون غضبه شيء إذا انتُهكت حُرمات الله.

قال الحسن البصري: «الحياء والتكرم خَصلتان من خصال الخير، لم يكونا في عبد إلا رفعه الله بهما».

وقال الفُضَيل بن عِيَاض: «خمس من علامات الشِّقوة: القسوة في القلب، وجمود العين، وقلة الحياء، والرغبة في الدنيا، وطول الأمل».

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «إن مكارم الأخلاق عشرة: صدق الحديث، وصدق التناسي في طاعة الله، وإعطاء السائل، ومكافأة الصنيع، وصلة الرحم، وأداء الأمانة، والتذمم للجار، والتذمم للصاحب، وقرى الضيف، ورأسهن الحياء».

***

(٨) البخاري ٨/٣٥، وأحمد ١/٤٢٧.

خطبة الجمعة

حضارة الذئاب

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصي

الحمد لله، عدل وأمر بالعدل والقسطاس، وسوى فى النشأة بين جميع الناس وألغى فوارق الألوان والأجناس، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(١).

«لا فضل لعربى على عجمى، ولا لأبيض على أسود، إلا بالتقوى»(٢).

نشهد أن لا إله إلا أنت، تنتقم بلا إجحاف، وتكرم بلا إسراف، وأنت العلى الكبير، ونشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبدك ورسولك، آخى بين العرب والعجم، وألف بين السادة والخدم، فكان رسول الكرامة الإنسانية، وحافظ الهيبة للبشرية، مجدد قيمة الإنسان، فصلواتك اللهم وسلامك عليه، وعلى آله وأسرته، والفائزين بشرف صحبته، والمستمسكين بهديه وسنته، ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(٣).

يا أتباع محمد ﷺ:

إذا غضب الله على أمة معرضة عنه، تتابعت منها المخازى والسيئات، حتى تبدو شوهاء نكراء، تقيم من نفسها الدليل على خستها، وتقدم البرهان فى ذاتها على أنها لا تستحق الحياة الفاضلة أو التكريم الإلهى، مهما طال التبجح والادعاء بأنها ذات حضارة ومدنية، وهؤلاء الذين أعمى الله بصائرهم فلا يدينون دين الحق، ولا يؤمنون بالإسلام، قد أوتوا ما أوتوا من علم وقوة، وسيطروا على ما سيطروا عليه من خيرات وأسباب، وعلوا فى الأرض علواً كبيراً، ومع ذلك ظلوا

(١) الحجرات (١٣). (٢) أحمد ٥/ ٤١١. (٣) البقرة (٥)

منحطين انحطاطاً روحياً شنيعاً؛ وكان الله ـ سبحانه ـ قد أتاح لهم كل هذه الوسائل والأسباب، بينما حرمهم نعمة الإيمان ليريهم رأى العين أنهم بدون نصرة أذلاء، وبدون هديه أخساء، وبدون تأديبه سفهاء:

﴿ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[1]

الا تقرأون أيها السادة؟ . لقد نشرت الصحف أن أربعة آلاف من البيض الأمريكيين «المتحضرين المهذبين المثقفين جداً» ثاروا في إحدى ضواحي «شيكاغو» على عائلة زنجية مسكينة، نزحت إلى هذه الضاحية واستأجرت شقة فيها، وسبب هذه الثورة أن هؤلاء البيض المؤدبين الراقين جداً في شعورهم لا يريدون أن يعيش بجوارهم أحد لونه أسود، وقد قامت مظاهرات من الآلاف الأربعة استمرت ثلاث ليال كاملة، وأخذ المتظاهرون الأبطال جداً يقذفون مسكن الأسرة الزنجية المسكينة التي كل جريمتها أنها ولدت سوداء البشرة، أخذوا يقذفون المسكن بالمواد المحرقة حتى أشعلوا فيه النار، ثم عمدوا إلى تحطيم نوافذ المسكن كله، وإلقاء الأثاث في الشارع ثم أحرقوه. . . وهكذا فلتكن خسة المتحضرين، وهكذا فلتكن مدنية الذئاب وهكذا فليكن رقي الوحوش، وإلا فلا! . . وهؤلاء الوحوش أيها السادة هم مع شديد الأسف القبلة التي يتجه إليها بعض كبرائنا ليستمدوا منهم الثقافة والمدنية وأصول الحرية وقواعد التربية والأخلاق، وهؤلاء مع شديد الأسف هم الذين يضحكون على ذقون سوانا بمساخرهم البهلوانية التي يسمونها هيئة الأمم المتحدة أو مجلس الأمن أو الضمان الاجتماعي أو محكمة العدل الدولي أو ميثاق الإنسان والحريات والمساواة بين الناس. . . وهؤلاء هم مع شديد الأسف أئمة لبعض الناس في السياسة والأدب والاجتماع! . .

أين تذهب هذه الخسة أو تمحى، أمام هدى الله المبين، وتكريم الإسلام لقيمة الإنسان، وسحقه لعصبيات الجنس واللون والوطن، وتسويته بين الناس جميعاً لأنهم من أصل واحد ولرب واحد؟ وأين هذا اللؤم الوضيع من سماحة الإسلام وتعظيمه للعبيد والموالي والإماء فالرسول صلوات الله عليه يقول في مولاه زيد بن حارثة الذي كان عبداً وفي ابنه أسامة: «وايم الله إن كان لخليقاً بالإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إليّ، وإن هذا لمن أحب الناس إليّ بعده، فأوصيكم به فإنه من صالحيكم»[5]، ويقول الرسول لأسامة: «أنت أخونا ومولانا»[6] ويعده من أهله، ويقدمه في الحب على غيره، ويأمر أهله بحبه ولقد أعطى عمر بن الخطّاب أسامة هذا عطاء أكثر من عطائه لابنه عبد الله، فسأله ابنه: لم فضلت أسامة عليّ، فوالله ما سبقني إلى مشهد؟ فأجاب عمر: لأن زيداً كان أحب إلى رسول الله ﷺ من أبيك، وكان أسامة أحب إلى رسول الله منك، فآثرت حب رسول الله على حبي، وكان بلال بن رباح الحبشي الأسود أول مؤذن في الإسلام، وأخبر عنه الرسول بأنه يمشي أمامه في الجنة، وأنه سمع صوت نعليه حين مشيه، وعنه يقول عمر: «أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا – يعني بلالاً –».

وهذا سالم مولى أبي حذيفة المملوك الفارسي جعله الرسول أحد أربعة هم أئمة الناس في قراءة القرآن وقال عنه عمر حين طعنه أبو لؤلؤة: لو كان سالم حياً لوليته خلافة المسلمين! . وهذا صهيب العبد الرومي يقول عنه الرسول: «نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه»، وهذه أم أيمن مولاة الرسول، الأمة التي ورثها

(1) الطور (43). (5) البخاري ٨/١٦٠. (6) البخاري ٣/٢٢٣، وأحمد ٦/١١٥.

عن أمه، أعتقها الرسول، وكان يبرها مبرة الوالدة ويقول عنها: «أم أيمن أمي بعد أمي»[7]... ثم يصنع الرسول صلوات الله وسلامه فيقول: «هم إخوانكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما لا يطيقون، فإن كلفتموهم فأعينوهم عليه»[8].

وها هو ذا يشاهد صحابياً من صحابته يخاصم آخر ويسبه بقوله: يا ابن السوداء فيغضب الرسول ويقول لصاحبه: «طف الصاع إنك امرؤ فيك جاهلية، كلكم بنو آدم ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى والعمل الصالح»[9]... ولا عجب فهو الذي يقول عن المتكبرين من الخلق: «إنه ليأتي الرجل السمين العظيم يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة»[10]، «اتقوا دعوة المظلوم، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب»[11].

يا أتباع محمد ﷺ:

هذه هي حضارة الذئاب وهذه هي سماحة الإسلام، فأي الفريقين خير وأهدى سبيلاً؟.. إن كذبة الساسة وطغاة السادة في الأرض يخدعوننا عن بهتانهم ببريق مظاهرهم وزور حديثهم، ثم يأتون الكبائر في هضم الحقوق وإهدار الكرامات وإزهاق الحريات، وتسخير الملايين كالعبيد أو الأغنام في سبيل شهوة مجنونة أو لذة مخبولة، وهم في سبيل ذلك يصطنعون فروقاً من الدماء والألوان والطبقات لا يقرها الله ولا يعرفها الإسلام، وهذه مثلاً فرنسا التي تتاجر صباح مساء بألفاظ الإخاء والحرية والمساواة، وتدعي أنها أم الثورات الإنسانية، ومثبتة الحقوق البشرية، هي نفسها التي تريد أن تستأصل الملايين من أبناء الجزائر العربية المسلمة، لا لشيء إلا لأنهم يريدون أن يعيشوا عرباً مسلمين، في حرية واستقلال!.. وقد آن للبشرية الحائرة أن تكفر بكل غدار، وأن تأخذ بعنق كل مفتر كذاب، وأن تهدم بيدها الصالحة المصلحة ما أقامته ذئاب البغي من فخاخ للكرامة الإنسانية وقبور للحقوق البشرية:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[12]

وآن للمسلمين بصفة خاصة أن يكفروا بكل ميثاق إلا ميثاق الرحمن، وأن يعرضوا عن كل ينبوع إلا ينبوع القرآن، وأن يسخروا من كل تدجيل، ويقبلوا على هدى الرسول، ثم يحملوه إلى الناس قائلين: هذه مضخة الإطفاء وقارورة الدواء وزورق الإنقاذ قد جاءكم من الله نور:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[13].

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[14].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم. سلوا ربكم التوفيق يستجب لكم.

---

(7) كنز العمال ٣٤٤١٧. (8) البخاري ٨/١٩. (9) أحمد ٥/١٦١.
(10) مجمع الزوائد ١٠/٢٦٤. (11) أحمد ٣/١٥٣. (12) الإسراء (٧٠).
(13) النساء (١). (14) النحل (١٢٨).

رسالة .. و .. رد

لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان

فى هذا العدد نرد على رسالتين من رسائل القراء الأعزاء:

الرسالة الأولى من الأخ القارىء الأستاذ إبراهيم عبد الوهاب شرف مدير الإدارة القانونية بكلية الزراعة جامعة المنصورة يسأل فيها عن السبب الذى جعل الشباب هذه الأيام عاقين قاطعين للرحم إلى الدرجة التى صار فيها هذا العقوق ظاهرة اجتماعية ذلك أن شاباً (يبدو أنه صهره أو قريبه) له ست أخوات مات والداهن وقد تركا لهن ثروة كبيرة عبارة عن مشاريع تجارية وعقارات ومحال تجارية، وهذا الأخ يعيش بعيداً عن أخواته يمارس نشاطاته التجارية فى مدينة أخرى وقد استولى على تركة الوالدين مدعياً أن أباه قد كتب له كل الممتلكات قبل وفاته.

ويسأل الأخ إبراهيم: ما حكم الشرع فيما فعله الوالد قبل وفاته.. إذا كان قد فعل.. وما واجب الابن فى هذه الحالة.. ويرجح الأخ السائل أن الأب قد حرر توكيلاً حال حياته للابن لاستعماله فى المشاريع التجارية التى كان يعمل فيها مع أبيه وأغلب الظن أنه استغل هذا التوكيل بعد موت أبيه فى نقل ممتلكاته إليه.

وفى ختام الرسالة التى استغرقت صفحتين (فولسكاب) يقول: أرجو التوضيح حتى يتسنى لهؤلاء البنات أن يقفن على الحقيقة من الوجهة الشرعية.

بداية أقول للأخ السائل: شكر الله لك حسن ظنك بالمجلة والقائمين عليها وبى شخصياً، ولا يسعنى إزاء ذلك إلا أن أقول «اللهم اجعلنى خيراً مما يظنون واغفر لى ما لا يعلمون» ثم أهمس فى أذنه لقد هجس فى نفسى هاجس أن البنات كن بعيدات عن أبيهن حال حياته خاصة فى السنوات الأخيرة منها إذ لو كن حريصات على وده وصلته ما فعل شيئاً مما فعله - يبدو أنهن فى غمرة الانشغال بأزواجهن وأولادهن نسين كل شىء حتى الوالدين وإنى لأرجو أن يكون هذا الخاطر لا أساس له.

وأياً ما كان الأمر فإن ما فعله الوالد - لو كان قد فعل - خطأ جسيم وإثم عظيم لا يقره الشرع بحال

من الأحوال ولا أظن العرف والقانون يرضيان به فهو على فرض حدوثه منه عودة إلى الجاهلية الأولى حيث كانوا يحرمون البنات من الميراث، ويقولون: لا يرث إلا من حمل السيف ودافع عن العشيرة فأبطل الله هذه العادة الجاهلية بقوله تعالى:

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾(١).

وقد كان السبب في نزول هذه الآية حادثة تشبه الحالة موضوع السؤال فلما نزلت انتهى الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ عما نهاهم عنه ربهم ثم عادت الجاهلية تطل بقرونها بعد أربعة عشر قرناً من مجيء الإسلام ونزول القرآن الكريم وذلك لأن المسلمين تركوا الدين فصاروا إلى ما هم عليه الآن من فرقة وذلة وهوان.

ويمكن للبنات الست أن يرفعن أمرهن إلى القضاء العادل ـ الرسمي أو العرفي ـ ويطلبن من الأخ الذي يزعم أن الأب قد باع له أداء اليمين على أنه دفع للأب ثمن ما اشتراه وأين ذهب هذا الثمن، ولي كلمة أوجهها لهذا الابن القاطع للرحم أذكره فيها بقول الله تعالى:

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾(٢).

فالإفساد في الأرض قرين لقطيعة الرحم وهب والديك لم يتركا شيئا أما كان من الواجب عليك أن تصل أخواتك اللاتي ليس لهن أخ سواك أما سمعت قول الله ـ تعالى ـ في الحديث القدسي للرحم حين تعلقت بالعرش وعاذت بربها من القطيعة «أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك».

ثم أقول له ما قلته مرة لواحد فعل له أبوه ما فعله أبوك لك وكان له أخوات مثل أخواتك (لم فعل أبوك لك هذا أليس الحب هو الذي دفعه إلى ذلك؟ فقال: بلى فقلت له: وهل تحب أباك كما كان يحبك؟ قال: نعم. فقلت له: إن أباك الآن يعذب في قبره بسبب فعلته تلك فإن كان حبك له صادقاً ففي إمكانك أن تخفف عنه برد الأمر إلى نصابه واعتبار ما كان كأن لم يكن وإعطاء أخواتك حقهن في ميراثهن من تركة أبيك) فاستجاب الشاب على الفور وتنازل عن كل ما كتب له أبوه بيعا صوريا وكان شيئا كثيرا وعندئذ اقترحت على الأخوة أعضاء المجلس العرفي الذين كانوا معي أن يعتبر ما فعله أبوه كأنه وصية على رأى من يجيز الوصية للوارث دون الحاجة إلى إجازة بقية الورثة والذي أخذت به المحاكم الشرعية هذه الأيام فأعطيناه ثلث التركة وقسمنا الثلثين الباقيين بينه وبين أخواته وقد كان هذا الشاب الفلاح شهما فأبى أن يأخذ شيئا أكثر من نصيبه الشرعي.

فيا أخ إبراهيم اعرضوا على هذا الأخ هذا الحل فلعله يقبله ويغنيكم عن اللجوء إلى المحاكم ومشوارها الطويل جداً فإن أبى فليعلم أن هذا المال لن ينفعه وسيبدده الله في الدنيا ولا يبقى له منه إلا المرارة والندم والحسرة والعذاب في الدنيا والآخرة.

---

(١) النساء (٧)

(٢) محمد (٢٢).

مناجاة قلب

للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

إليك يا الله ياذا الجود والعطاء والكرم والسخاء، ياصاحب الفضل والإنعام والمنة والإكرام، يامن أوجدت من عدم وأمددت وأغنيت ذا عدم ووهبتنا من كل ما سألناك. إليك تتوجه أرواحنا شوقاً وهياماً وشكراً وامتناناً أن حبوتنا ألسناً تشكرك وقلوباً تذكرك تحب بحبك من أحبك وتعادى بعداوتك من عاداك. إليك ياذا القوة والجبروت والعزة والرهبوت يابارىء النسم وشافى السقم ومذهب السأم ياعز كل ذليل وقوة كل ضعيف وسميرى فى الوحشة وأنيسى فى الوحدة هبنا من فيضك كيف نتسامى وفى حبك كيف نتبارى وكيف نخلص لك الدين وكيف نفردك وحدك بالضراعة والابتهال.

أيها الحق الصراح يامن تؤتي الروح من لدنك غذاءها وشرابها القراح وعطرها الفواح يامصدر كل الحقائق ومنبع كل الدقائق يامن أقمت الحياة على أسس العدل وابتدرت خلقك بالفضل والرحمة الهمنا الإخلاص فى السر والعلن والقصد فى الغنى والفقر وكلمة الحق في الرضا والغضب والثبات حين تزل الأقدام، و الصمود حين تتداعى الأركان، وامنحنا عند البلاء الصبر والسلوان، يارب يامن وعدت من خافك جنتين واحدة فى الدنيا وثانية فى الآخرة مكافأة على ماوفقت إليه وثوابا لما أرشدت إليه إليك يامن أردت لخلقك أن يعيشوا متحابين متوادين متآلفين متكاتفين، زد خلقك إحساساً بمحبتك ياسوا جراح الإنسانية المعذبة ويكون البلسم الشافى لمشاكلها المتفاقمة، يامن أشربت أرواحنا عبادته وفطرت قلوبنا على اللجوء إليك، ياخالقنا يارازقنا يامدبر أمورنا ومن بيده مصائرنا وبين أصابعه قلوبنا، ثبتنا على اليقين بك والتسليم لك والثقة فيما عندك حتى نكون أوثق بما عندك مما فى أيدينا والاقتناع أنك أنت وحدك الضار النافع.

يارب ردنا إليك رداً جميلاً وحبب إلينا الإيمان وزينه فى قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين فضلاً منك ونعمة، الهمنا النضج والرشد والفهم والفطنة حتى لاياكل كبيرنا صغيرنا ويوقر صغيرنا كبيرنا مانحن من لاشيء خلقنا نتفاخر به إلا الطين والماء نقف على أعتابك وندنوا رويداً رويداً من رحابك فلا تردنا خائبين واجبر كسرنا وامح فى حبك خلافاتنا اسمح لأجنحة السلام أن ترفرف ولنسمات الوئام أن تنتشر على العالم مايخفف من أعبائه الثقال ويلطف. يارب لقد صنعت خليقتك فى ثوب من الجمال والإبداع وحسن الصنعة والإتقان وأردت لها أن تعيش في تآلف وانسجام لكن أشباح الظلام سرعان ما أثارت الخلافات ونفثت فى الكون سموم الانقسامات هدفها ألا تترك للسعادة موضعا ولا للهناء موطنا فادرك عبيدك يارحمن يارحيم، يارب كيف يسوغ للأقوياء الفتك بالضعفاء وقد قال رسولك ﷺ: «ابغونى فى الضعفاء فهل تنصرون وترزقون وتجبرون إلا بضعفائكم» كيف يسوغ لمن تسلط وتشيطن أن يهاجم بكل العنف والقسوة والضراوة أناسا لا شاغل لهم إلا ذكرك ولاهم لهم إلا التفكر في بدائع صنعك لقد فاق فعل البشر بعضهم ببعض فعل الحمر الضالة والإتن المتوحشة بعضها ببعض فالصراعات طمت والنزاعات عمت والحروب نشبت أما آن لهذه الإنسانية التعسة أن تضمد جراحها وتلملم شعثها وتعيش أفراحها وتدرك منالها ذلك ممكن ويسير بنظرة من رضاك ياحنان يامنان يامن تقابل السوء بالإحسان وتعلم المحبين أن مايثرى الحياة هو البعد عن الجحود والنكران

والإسراع الحثيث إلى العرفان والشكران.

يارب إليك قلوبنا تصبوا وأرواحنا تهفوا وبك أنفسنا متعلقة وفى ظلال دوح عفوك الوارف مطمئنة مستكنة فاسمع تداب أرواحنا تستغيث بك وتلح فى الرجاء لديك وتدءب فى اللجأ إليك فى صلوات خاشعة بقلوب موجعة وأنفس إليك فزعة وأرواح حولك لاهثة متسارعة متدافعة فليس لنا إله سواك فندعوه، ولارب غيرك فنناجيه يا نصير المظلومين ومعين الفقراء ياعون المساكين ياغاية الملحين أعد للدنيا السلام وامنح أهلها الصفاء والوئام أعنا على أن تخلص منا النيات وتصدق منا ونتسامى بك عن دنى الحاجات ونرتفع إلى عز الكرامات، اللهم وحد صفوف المسلمين وألف بين قلوب المؤمنين ووحد غايات الموحدين أعد للبشرية مافقدت من أخوة وصب فى أخلاقها مابددت من فتوة وبث فى أحشاء سلوكيات أبنائها النخوة والمروءة، ارفعنا ولاتضعنا أكرمنا ولاتهنا أعطنا ولاتحرمنا كثرنا ولاتقللنا ارفعنا فلانكبوا وذكرنا آلاءك فلا تسهوا ونعمائك فلانلهوا أعطنا من التوفيق وسداد الرأى وصوابه مانتخطى به كل العقبات أغدق علينا من نفحاتك وأسبغ علينا من بركاتك وهب لنا من الأسباب مايجعلنا ننتفع كل الانتفاع بما سخرت لنا من نعم وخولتنا من أعطياتك يارب، أضف من وافر قوتك وعظيم توفيقك إلى ما بأنفسنا من حماس وهى وإرادة هشة ونقى أنفسنا من الخور والوهن واجعلها مترعة بالجراة والإقدام ولاتحرمنا الشجاعة الادبية أن نقر ونعترف بأخطاءنا فنصلح من أمورنا مافسد ويعتدل من أحوالنا ما اعوج اجعل بلادنا آمنة مطمئنة فيسخاء رخاء تعيش فى أزدهار وانتصار وترفل فى حلل العز والفخار ارفع رؤوسنا عالية واجعل راياتنا ترفرف فى شموخ وإباء لأنها رايات نسجت من قيم زانها النبل وكللها حلو الشمائل ورصعها كريم السجايا، يارب بارك جهودنا المتواضعة وحقق لنا الآمال واجعل الخطوة الواحدة منا تربو على كفاح أجيال وأجيال.

يارب لقد قلت وقولك الحق ووعدت وعدك الحق:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾(١).

ونحن سلمنا لك الأمور ووضعنا بين يديك الأمانى مشفوعة بصادق العمل وخالص النية فانجز لنا اللهم ماوعدت يامن فجرت الماء تحت قدمى إسماعيل لما استغاثت أمه برحمتك فجر ينابيع الخير تحت أقدامنا فضعفنا ظاهر بين يديك وعوذنا لايخفى عليك يامن سترتنا فيما

(١) الأعراف: ٩٦.

مضى لاترفع عنا سترك فيما بقى اجعل مستقبل أيامنا مضيئاً مثيراً بمعونتك يارب يسر أمورنا واشرح صدورنا وحقق أهدافنا، وبرحمتك يارحمن أزل العثرات من طريقنا واسقط إلى الأبد حواجز البغض والكراهية التى تعرقل فيض نهر نقائنا. يارب امنحنا من صائب البصيرة مايجعل الرؤى لدينا صافية رائقة لايشوبها كدر يارب ألهمنا فى الجهالة حلماً حتى نكون أهلا لما علمتنا من خلق كريم تتسع صدورنا فيه إلى أن نعطى من حرمنا ونعفو عمن ظلمنا ونحسن إلى من أساء إلينا يامن أنجيت إبراهيم من النيران الحنا واجعل ابتلاءات الحياة هينة لينة على قلوبنا ثم كن بنا رءوفا رحيما عطوفا كريماً رضنا بقضائك حتى لانحب تعجيل ما أخرت ولاتأخير ما عجلت واجعل العدل بيننا شعارا والفضل لنا دثاراً والحكمة مؤلاً، نستعيذ بك فاعذنا ونستغيث بك فاغثنا ونلوذ بجنابك فلاتطردنا، أنت حصننا فكيف نخاف وحرزنا الذى به تتمسك اعتصمنا بحبلك ورجونا رفدك وانخنا رحالنا ببابك وأنت الكريم المفضال والقوال الفعال وصاحب النوال. واحتكمنا لفضلك فعاملنا بالفضل والإحسان وبالحلم لابالعلم وبالجبر لا بالحساب غفرانك اللهم ورضوانك يامن مننت على السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان فقلت:

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(٢).

ويامن وعدت المؤمنين بالفضل والفوز والرحمة والرضوان أدخلنا تحت لواء نبيك ﷺ واحشرنا فى زمرته ولاتحرمنا رؤيته واسقنا من يده الشريفة شربة هنيئة مريئة لانظمأ بعدها أبداً وأخرى يارب لاننسى أن ندعوك بها أن تبلغنا أياها فقد قلت:

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾(٣).

فاجعلنا من الذين مننت عليهم بالحسنى وهى الجنة والرضوان ومن أكرمتهم بالزيادة وهى النظر إلى وجهك الكريم فمن فاز بمرآك بلغ المنى ونال المراد ونعم بالخلود والنعيم المقيم آمين.

***

(٢) التوبة ١٠٠.

(٣) يونس ٢٦.

بين المجلة.. والقارئ

إعداد وتقديم / عادل رفاعى خفاجة

افتـــراء على ديننـــا الحنيف

● أرسل القارئ م.م.ع.. القاهرة، رسالة حملت الكثير من الثناء لإدارة تحرير المجلة لما وصلت إليه المجلة من ازدهار..... إلخ.

وقد أرفق برسالته رسالة أخرى طلب إبداء الرأى فيها حيث إنها وردت إليه بالبريد، وتنتهى بمطالبة حاملها بتصويرها عشرين نسخة وتوزيعها على الآخرين، حتى يأتيه الخير، وإن لم يفعل فعليه أن ينتظر الشر. ويسأل: هل يصور الورقة ويوزعها أم لا؟

والرسالة المرفقة تحت عنوان: إحدى معجزات القرآن الكريم نقدمها للمسلمين واليهود والنصارى.. نقدم للقارئ سطورها الأولى ليكون على بينة من الأمر. تقول الرسالة المرفقة:

وإنهيار مركز التجارة العالمى بمدينة نيويورك فى ١١/٠٩/٢٠٠١م والذى يقع على ناصية شارع «جرف هار» بولاية نيويورك وفى هذا يقول رب العزة قبل ١٤٠٠ سنة وقبل أن يأتى العالم بشارع «جرف هار» ويقام فيه هذا المبنى.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ سورة التوبة آية ١٠٩[(١)].

---

(١) أوردت الرسالة أن هذه الآية (١٠٨)، والصواب (١٠٩). (٢) هكذا فى الرسالة، والصواب أن يقول: (نجد أن الآية من سورة التوبة تقع)

وبالبحث في المصحف الشريف تجد أن تقع الآية[٣] من سورة التوبة في الجزء رقم (١١) يوم الانهيار.

- رقم السورة في المصحف الشريف (٩) شهر الانهيار.
- عدد كلمات السورة من أولها وحتى نهاية الآية (٢٠٠١) عام الانهيار.

فسبحان الله العلي القدير فهل للملحدين ومن ليس لهم دين أن يؤمنوا بالله وحده لا شريك له الذي أخبرنا بكل الأحداث في كتابه الكريم منذ ١٤٠٠ سنة على لسان نبيه الأمين محمد ﷺ ».

أعزائي المسلمين والمسلمات..

هذا خطاب موجه من المملكة العربية السعودية إلى كل المسلمين في أنحاء العالم من الشيخ/ أحمد خطيب مسجد الرسول ﷺ.

إنه في يوم الجمعة بعد أن ختم القرآن الكريم «ونام في منامه رأى»[٣] الرسول «عليه الصلاة والسلام» يقول له في هذا اليوم مات من الدنيا ٦٠٠٠ مسلم ولم يدخل أحداً(٤) منهم الجنة فالزوجات لا تطعن أوامر أزواجهن والأغنياء لا يساعدون الفقراء والناس لا تؤدى المناسك المطلوبة منها كما ينبغي والمسلمون لا يصلون الصلوات بانتظام ويصلون كل على حده والشيخ أحمد يقول لكم هذا لا يصح إن كنتم مسلمين حقا».

وفي الحقيقة فقد شعرت باستياء شديد عند قراءتي لهذه السطور، وهي إن دلت على شيء فإنما تدل على أن كاتبها يستخف عقول المسلمين!! بالإضافة إلى ما تحمله تلك الرسالة من افتراء على القرآن الكريم بتحريف معانيه وفقا لهوى مغرض، ولا تخلو ـ أيضا ـ من تقول على رب العزة ـ سبحانه وتعالى ـ الذي لا يأمر عباده إلا بالخير، يقول رب العزة:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[٥].

وقد حرم الله قتل النفس، وجعل من قتل نفسا كأنما قتل الناس جميعا، قال تعالى:

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾[٦].

وقال جل شأنه:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾[٧].

فمن حيث المبدأ فإن ما حدث في أمريكا في الحادي عشر من سبتمبر شيء محزن بكل المقاييس.

وقد تأثرت نفوسنا للأشلاء التي أخرجت من مبنى التجارة العالمي تماما كما تأثرت لأشلاء الفلسطينيين التي أخرجت من جنين!!

---

(٣) الصواب أن يقال: رأى في منامه.

(٤) الصواب أن يقال: أحدٌ.

(٥) النحل (٩٠).

(٦) المائدة (٣٢).

(٧) الأنعام (١٥١).

وهذه المشاعر النبيلة التي يجب أن تتحرك في كل نفس بشرية علمها لنا رسول الله محمد ﷺ فحين مرت جنازة، قام لها وقام معه الصحابة، فقال أحد الصحابة إنها ليهودي!! فقال - صلوات ربي وتسليماته عليه -: أليست نفسا؟! [٨].

نعم، يا رسول الإنسانية، إنها نفس، ومثلك تعلمنا احترامها!

مرة أخرى أقول: إن الذين قتلوا في مركز التجارة العالمي أنفس لابد أن نتأثر لما أصابها، لأننا مسلمون، وهكذا علمنا رسولنا الكريم!

ونعود للرسالة لنبين ما حملت من افتراء مفضوح لا يمكن أن يصدر بحال من الأحوال من مسلم يحب دينه، وأغلب الظن أنها من مغرض يستخف عقول العامة من المسلمين ويشوه بها صورة الإسلام أمام غير المسلمين.

فقد «أكد السفير ويليام روو رئيس مؤسسة أمريكا - الشرق الأوسط للخدمات التعليمية والتدريبية أن المنظمات الأمريكية الموالية لإسرائيل في الولايات المتحدة تشن حملات عدائية ضد العرب وتبث معلومات مشوهة للرأي العام الأمريكي عن الشرق الأوسط..»[٩].

ونحن لا نستبعد أن تكون هناك منظمات أخرى من هذا النوع هدفها تشويه صورة الإسلام والمسلمين!! وبث معلومات مشوهة ضد الإسلام داخل وخارج الوطن.

والآن نقول: إن كاتب الرسالة استخدم عبارة «جرف هار» ليشير بها إلى اسم شارع وهذا كلام لم يقل به عاقل!!

ولنتأمل المعنى، وفقا لما تقتضيه اللغة فالله سبحانه وتعالى يقول:

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ
عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ .....﴾

وقبل أن نستكمل ما قاله الله تعالى، نجد أن المعنى الذي يتبادر إلى الذهن: أم من أسس بنيانه على غير تقوى من الله.

ولما كان القرآن كلام الله المعجز الذي تحدى به فصحاء العرب، فإننا نجد التعبير القرآني يقول:

﴿أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ
فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

لأن البناء على غير تقوى لابد أن ينهار «وينهار من تلقاء نفسه لا بفعل فاعل» فالأساس غير متين.

وقبل أن نستكمل الرد على هذه الرسالة، نقدم ما قاله أهل العلم والرأي في تفسير هذه الآية قبل ما حدث بسنين نقلا عن التفسير الوسيط لفضيلة الإمام الأكبر، يقول:

والمعنى: أفمن أسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهي الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه خير أم من أسس على قاعدة هي

---

(٨) رواه الخمسة ماعدا الترمذي.

(٩) راجع صحيفة المساء الصادرة في ٢/٦/٢٠٠٢م ص٢.

أضعف القواعد وأرخاها وأقلها بقاء وهو الباطل والنفاق الذى مثله مثل شفا جرف هار فى قلة الثبات والاستمساك. وضع شفا الجرف فى مقابلة التقوى لأنه جعل مجازا عما ينافى التقوى.

فإن قلت فما معنى قوله فانهار به فى نار جهنم قلت:

لما جعل الجرف الهائر مجازا عن الباطل قيل فانهار به فى نار جهنم على معنى: فطاح به الباطل فى نار جهنم إلا أنه رشح المجاز فجيء بلفظ الانهيار الذى هو للجرف وليصور أن المبطل كأنه أسس بنيانه على شفا جرف من أودية جهنم فانهار به ذلك الجرف فهوى فى قعرها.

ولا ترى أبلغ من هذا الكلام ولا أدل منه على حقيقة الباطل»[10].

ومن هنا يتضح للقارىء أن البناء معنوى، وأن مسألة البحث عن اسم للشارع الذى يقام عليه هذا المبنى المعنوى نوع من العبث.

وبقيت إشكالية بسيطة جاءت من البحث فى المصحف الشريف - كما ذكر صاحب الرسالة حيث - ادعى أن الجزء الحادى عشر الذى تقع فيه السورة يشير إلى يوم الحادث. وأن رقم ٩ الدال على ترتيب السورة فى المصحف يشير إلى شهر سبتمبر وأن عدد كلمات السورة من أولها إلى نهاية الآية يشير إلى العام.

وهذا النوع من البحث ينتمى إلى علم الإحصاء، غير أن الباحث استخدم أسلوبا عبثيا لأنه لا يقوم على أساس علمى محدد، وبذلك تسقط نتائجه، لأنه أسس على هوى نفس مغرضة.

وحتى لا تترك ريبة لمستريب نقول:

يقول الله تعالى وهو أصدق القائلين فى الآية ٣٦ من سورة التوبة:

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾

فالمستقر بالقرآن والسنة أن عدة الشهور عند الله هى الشهور العربية، فبأى منهج استخدم الباحث شهر سبتمبر فى بحثه؟!

نقول: من هنا يسقط الاستدلال بجميع الأرقام التى استخدمها (٩، ١١، ٢٠٠١).

أما مسألة إحصاء عدد كلمات السورة حتى نهاية الآية يجعلنى أتساءل:

هل عدَّ «صاحب الرسالة» حرف الجر كلمة؟ وإن جاءت حروف الجر متصلة بما بعدها وكذلك الضمائر، فكيف قام بعدها؟

فالموضوع ليس مجرد «عد» إنما المنهج هو الأساس!!

هذا هو الجزء الأول من الرسالة، محاولة توفيق، أقصد «تلفيق» لأرقام بعينها لتخدم هدفا فى نفس مغرضة.

فالجزء الأول بعيد عن روح الإسلام وتعاليمه السمحة وبعيد عن المنهج العلمى

---

(١٠) راجع التفسير الوسيط للقرآن الكريم لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر مجلد ٦/٤٠٥ الطبعة الأولى يناير ٩٧، نهضة مصر.

الذى يرتضيه أهل البحث والعلم.

أما الجزء الثاني فهو نوع من الكذب الصراح الذى يكشف نفسه بنفسه.

ففى معرض التأكيد على أن الرسالة صادقة نسبها كاتبها إلى الشيخ أحمد خطيب مسجد الرسول وهو نفس الاسم الذى تحمله مثل هذه الرسائل منذ زمن بعيد وقد قمت بالرد على رسالتين من قبل آخرها منذ عام تقريبا والأخرى تسبقها بحوالى خمس سنوات وكانت مجلة الأزهر قد قدمت ردا قبل ذلك بخمسين عامًا أو يزيد.

وجميع تلك الرسائل تحمل اسم الشيخ أحمد خطيب مسجد الرسول. وكأن خطيب مسجد الرسول لابد أن يكون اسمه «أحمد»!!

والرسالة على ما بها من أخطاء لغوية ونحوية متعددة في نصفها الثاني، فقد خرجت مرة أخرى عن روح الإسلام وعن الحقائق التى نعيشها، فهو يقول «إنه فى يوم الجمعة........ مات ستة آلاف مسلم ولم يدخل أحد منهم الجنة».

وهذا الرقم يخالف الواقع الذى نعيشه فالمسلمون يبلغ تعدادهم اليوم ما يزيد على ١٢٠٠ مليون نسمة يموت منهم كل يوم بالتأكيد أكثر من هذا الرقم المذكور بكثير!!

وهو يعلل عدم دخولهم الجنة لأنهم لم يؤدوا المناسك المطلوبة «كما ينبغى» وهو بذلك يخرج عن روح الإسلام، فالله تعالى يقول:

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾(١١).

بقى أن نقول: إن الله تعالى يقول:

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾(١٢).

والرسول ﷺ يقول:

«تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنتى»(١٣).

أبعد هذا يحار المسلمون أمام ورقة من هنا أو من هناك..

أيها الناس.. لقد كفيتم

وأخيراً أقول للقارىء م.م.ع: أرجو أن يكون الأمر قد اتضح أمامك، وعلمت أن مسألة تصوير الرسالة وتوزيعها لا يرجى من ورائها غير إضاعة مال المسلمين ووقتهم، وإبعادهم عن صحيح الدين، فديننا دين عقل وعمل، وما ارتقى الأولون بهذه الأمة إلا بالفهم الصحيح للدين وبالعمل، وأخيرا نشكر لك حسن ظنك بالقائمين على المجلة، والله الموفق.

---

(١١) البقرة: ٢٨٦.

(١٢) المائدة: ٣.

(١٣) أخرجه البخارى.

مساجلة أدبية

ثم يتحول بريد هذا الشهر إلى دوحة للشعر نستهلها بهذه المساجلة الأدبية من اختيار الأستاذ هلال الحبشي من برهمتوش - دقهلية، يقول:

احتجب المرحوم حافظ إبراهيم بك حين كان بدار الكتب المصرية بعض أيام في بيته بالجيزة سنة ١٩١٨م فذهب صديقه محمد الهراوى الشاعر المعروف ليزوره ولما رآه على غير حالته المألوفة جالت بعض المعاني في خاطره، فارتجل هذه الأبيات:

يا رئيسَ الشعر قُلْ لي ... ما الذى يقضى الرئيس؟
أنت في الجيزة خافٍ ... مثلما تخفى الشموسْ
زاهدٌ في كل شيء ... مطرقٌ ساهٍ عَبوسْ
قد جفوتَ الشعر حتى ... خَدَّثتْ عنك الطروسْ
وهجرتَ الناسَ حتى ... سألوا أين الأنيسُ؟

فأجابه الشاعر حافظ إبراهيم على البديهة أيضًا:

أنا في الجيزة ثاوٍ ... ليس لي فيها أنيسْ
أنكر الأنسُ مكاني ... ونأى عني الجليسْ
لبسٌ يدرى من رآني ... أطليقٌ أم حبيسْ

إعلان الفداء

ويشارك الأستاذ/ حمدى أبو إسماعيل مدرس بالأزهر بقصيدة نختار منها هذه الأبيات.

حيث يقول:

اليوم أعلن أنني ... قد بعتُ روحي للإله
فالبغي عمّ الربا ... والظلم جاوز منتهاه
والقلب لا يرضى بذل ... فالله للعز اصطفاه

لــــن نركـــع

ومع تزايد سقوط الشهداء، والشهيدات دفاعا عن القدس ومع مرارة الشعور بضياع الحق كتبت القارئة / نورا صلاح إبراهيم النجار - بالثانوية العامة - بمدرسة أطفيح الثانوية تقول :

الحـق المـوروث يُـضَـيَّـع ... والظلم كـئوس تُتَجـرَّع
والأقـصى مـذبـوح بـاكٍ ... والـقـدس تمزَّق وتقطَّع
الطفل العـربي يـنادي ... بل يصرخ لكن من يسمع؟!
فـتـصـيب (الدرة) طلقـات ... ويمـزِّق (إيمـان) المدفع
و(وفاء) عـروس الشـهداء ... ذهبت للمـوت ولم ترجع
والموت تلقَّف (تيـسيـراً) ... فـألمَّ بـه حـدثٌ مفـجع
ويـنادي (آيات) جـهـاد ... فـتـلـبِّي قـدراً لا يُمنع
شـهداء الأقصى منزلكم ... بـالجنَّة في شـرف أرفع
الطفل غـداً يحـمل حـجـراً ... كي يُرجع حـقـاً قـد ضُيِّع
وشـبـاب فلسطين انتفضوا ... والشـعب يُروَّع ويُروِّع
القـدس تنادي في ألـم ... تصـرخ وتئنُّ وتتوجَّع
فلنـنهض هيـا لنجـاهد ... فـشـمـوس الحرية تسطع
يا أهل الأمـة أن قـوموا ... فـالغـفـلة ماضٍ لن يرجع
وعـروبتنا صـاحت هُبُّوا ... والمسـجـد بالله تشـفَّع
يا طفـل الأقـصى يا ولدي ... نـاصـرك الله فـلا تفـزع
يا ولـدي لا تيأس إنَّـا ... لـن نخـضـع أبداً لـن نركـع
لـن نخـضـع أبداً لـن نركـع ... لـن نخـضـع أبداً لـن نركـع

إلى طفل من جنين

كان يبحث عن أسرته تحت أنقاض المخيم

ويرسل الأستاذ / **أسامة كامل الخريبي** - عضو رابطة الأدب الإسلامي :

هذه القصيدة التي تفيض بالعاطفة الجياشة، وتتميز بعدم التكلف ولا ينقصها اللفظ الجزل، يقول فيها :

في أيّ بحرٍ من بحار الهوْل تبعثُ ناظريْك ؟ في أي موجٍ من دماء القصف تتعبُ راحتيك
وبأي آذانٍ تواجه ما يُرَوِّعُ مسمعيْك ؟

أتراك تبحث في الركام على أبيكْ ؟ أتراك تسأل في الحطام على أخيكْ ؟
عن وجه أمِّك .. عن زميلك .. عن ذويكْ ؟

عن كِسْرة الخبز التي حرموك منها من شهورْ ؟ عن قطرة الماء التي قطعت عن الشعب الأسير ؟
عن بُقعة الضوء التي حُجِبَتْ عن الليل الضرير ؟

فتّشْ مليًا يا حبيبي بين أشلاء الضحايا فلقدْ تصادف وجْه أمِّك أو ذراعا في البقايا
ولقد تُصادف أسرةً سُحِقَتْ وصارت كالشظايا

ورَفَعْتَ شيئاً من ركام البيت كالجُبِّ المخيفْ فرأيتَ مقبرةَ المئاتِ من الضحايا والألوفْ
فصَعِقْتَ مما قد رأيت وما تشيب له الأنوفْ

دفنوا جميعاً تحت أنقاض المنازلِ نائمين وأنت مُجَنْزَرَةٌ لتُكْمل قصة الموت المهينْ
ولكي تُداري في الخفاءِ جريمة العصر المُشينْ

أهيَ القيامةُ .. أم مشاهدها تبدّت في «جنين» ؟ أهيَ البشاعة قد تجلّتْ في زحوف الغاصبين ؟
أهي الإبادةُ حين تسخرُ من غثاء المسلمين ؟

هذا هو النفطُ الذي مَنَّ الإله به علينا قد عاد طائرةً من الأعداءِ تهدم ما بنَيْنا
قد عاد صاروخاً يُفجِّرُ في المخيّم إنْ أبَيْنا

لا تبكِ أمَّك أوْ أباك او العروبةْ وارفع إلى الرحمنِ كفّك للضراعة والمثوبةْ
إنَّ الذي كتب البلاءَ هو الذي يمحو كُرُوبَهْ

أريــــدك إنســــانا

ومن الشعر الاجتماعي وردت هذه القصيدة للأستاذ / حسن شعبان نقدم منها هذه الأبيات :

لو أن قـيـــاس الإنســـان ... بالمال وبالجمع الفاني
فبكم من ملأ خزائنه ... باللؤلؤ أو بالمرجان
فأنا فنان لا أحسد ... وأحب علوّ البنيان
لكني أريدك إنسانا ... تملك إحساس الإنسان
والدنيا كما تعلم ليست ... بالقيمة عند الرحمن
فاخلُ مع ربك لحظات ... وتدبر آي القرآن
لا تيأس فالعمل الصالح ... يجعلك ثقيل الميزان

من الأخطــاء الشــائعة

أما الرسالة الأخيرة فيواصل القارىء : إبراهيم نصحي محمد - مدرس أول بالأزهر ديرب نجم، حديثه عن الأخطاء الشائعة فيقول :

١- من الخطأ أن تقول : شجب « فلان » أعمال إسرائيل الإجرامية. **والصواب** : استنكر، لأن الإنكار ضد المعروف وكل ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه - راجع مادة « نكر » في لسان العرب.

٢- من الخطأ : كنس العاملُ المعهدَ بالمُكنسة بضم الميم أو بفتحها. **والصواب** : مِكْنسة : بكسر الميم لأنها اسم آلة « على وزن مِفْعَلة ».

٣- من الخطأ : أن تقول : مبروك النجاح. **والصواب** : مبارك. قال تعالى :

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ ﴾. الأنعام / ٩٢.

٤- من الخطأ : هذا البئر واسع.

والصواب : هذه البئر واسعة : قال تعالى : ﴿ وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾. الحج / ٤٥.

٥- من الخطأ أن تقول : زوجة « فلان » صالحة. **والصواب** : زوج بدون تاء. قال تعالى :

﴿ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾. البقرة / ٣٥.

● نعتذر إلى الأخوة القراء الذين لم نستطع نشر أعمالهم، ونوالي النشر في الأعداد القادمة.

من أنبـــاء مجمع البحوث الإسلامية

إعداد الأستاذ / محمود الفشني

● اتخذ مجمع البحوث الإسلامية فى جلسته المنعقدة يوم الخميس ١٨ من ربيع الأول ١٤٢٣ هـ ـ ٣٠ من مايو ٢٠٠٢م عدة قرارات أهمها :

ـ عدم تداول كتاب بعنوان « النص المؤسس ومجتمعه ج١ ، ج٢ » تأليف / خليل عبدالكريم .

ـ عدم تداول كتاب بعنوان « قضية فكرى عبدالحق » تأليف / محمود بطروخة .

ـ عدم التصريح بالتمثيل مشاهدة أو سماعاً لسيناريو رواية بعنوان « ظلال خطية » تأليف / سمير توار .

ـ عدم تداول كتاب بعنوان « القرآن الأسلوب والمحتوى » إصدار هيئة الإذاعة البريطانية ـ وهو باللغة الإنجليزية .

● كما اتخذت لجنة البحوث الفقهية بمجمع البحوث الإسلامية بعض القرارات فيما عرض عليها من بعض المسائل أهمها :

ـ **أولاً** : بشأن اشتراك مصر فى إعادة ترميم الآثار البوذية بأفغانستان قررت اللجنة :

« أن تعاون مصر حالياً على ترميم هذه التماثيل وإعادتها بعد ترميمها إلى ما كانت عليه قد يتجاوز البعد السياسى والثقافى لمصر إلى البعد الدينى ذى الجذور العميقة فى العالم الإسلامى مما قد يكون له ـ إن تم ـ مردوده السلبى على مكانة مصر الدينية العالمية فى العالم الإسلامى فى وقت تزداد فيه الهجمة الشرسة على الإسلام من مختلف الديانات والثقافات » .

ـ **ثانياً** : بشأن طلب الرأى الشرعى فى نثر رفات جثة سيدة بريطانية توفيت بوادى الملوك بالأقصر .. قررت اللجنة « أن الإسلام يحرم حرق جثث الموتى ومايتبعه من نثر

للرفات وذلك تكريماً للإنسان في حال حياته أو مماته».

ـ **ثالثاً** : بشأن الاقتراحين المقدمين من عضوين بمجلس الشعب لإصدار وثيقة تأمين شاملة على راكبي وسائل النقل والمواصلات. قررت اللجنة :

أن مشروع القانون المعروض بصيغته الحالية بشأن التأمين على الركاب المستخدمين للمواصلات البرية يمثل في حقيقته تأميناً تعاونياً بين الركاب وهو من مقاصد الشريعة في التكافل الاجتماعي.

ـ **رابعاً** : تدارست لجنة البحوث الفقهية المشروع المقدم من عضوين بمجلس الشعب المصرى، والخاص بعقوبة التلبس بالزنا من أحد الزوجين واقتراحهما تعديل المواد المتعلقة بذلك رغبة منهما في تسوية العقوبة بين الزوج والزوجة في هذه الجريمة.

وانتهى رأى اللجنة بالإجماع إلى ما يأتي :

١ ـ إن جريمة الزنا من الكبائر التي حرمها الله ـ تعالى ـ بقوله:

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾(١)

٢ ـ إن هذه الجريمة تتعلق بالنظام الإسلامي العام وهي من حقوق الله الخالصة ولا عبرة فيها برضا الزوج أو الزوجة أوعدم رضائهما ولا بمكان وقوعها سواء في منزل الزوجية أو في غيره.

٣ ـ إن الشريعة الإسلامية تسوى في عقوبة هذه الجريمة بين الرجل والمرأة وتوقع الحد الشرعي على الزاني والزانية بعد ثبوتها ثبوتاً شرعياً لاشبهة فيه فإن وجدت شبهة في الثبوت كما قررته الشريعة تركت للقاضى تحديد العقوبة التعزيرية المناسبة.

٤ ـ إن ماجاء في القانون الفرنسي والمواد المنقولة منه من سقوط العقوبة أو إيقافها إذا طلب الزوج أو طلبت الزوجة ذلك أمر لاتقره الشريعة الإسلامية، ويتنافى مع مقاصدها في حفظ العرض والنسل ويخالف الدستور الذى ينص في مادته الثانية على «أن الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع».

وبناء على ماتقدم ترى اللجنة :

عدم الموافقة على الاقتراحات المقدمة لمخالفتها لنصوص الشريعة الإسلامية وترى أن منهج قانون العقوبات يختلف تماماً عن المنهج الشرعي الذى يسوى في عقوبة جريمة الزنا بين الرجل والمرأة وبين الزوج والزوجة ولايقبل تنازل أحدهما عن حق العقاب لأنه من حقوق الله ـ تعالى ـ ولايفرق في العقوبة بحسب مكان الجريمة أو زمانها.

ولذا فإن الواجب أن تعدل المواد المذكورة بما يتفق مع الشريعة الإسلامية.

والله أعلم

---

(١) الإسراء، (٣٢).



للأستاذ/ محمد الشرقاوى

حقيقة الإسلام فى عالم متغير

● انعقد المؤتمر الرابع عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية «حقيقة الإسلام فى عالم متغير» فى الفترة من ٨ : ١١ ـ ربيع الأول ١٤٢٣هـ ـ ٢٠ : ٢٣ مايو ٢٠٠٢م.

وقد خرج المؤتمر بعدة توصيات نصت على:

١ ـ التأكيد على خصوصية القيم والتقاليد الإسلامية وضرورة المحافظة عليها فى مواجهة تيارات العولمة.

٢ ـ يوصى المؤتمر المؤسسات العلمية والفكرية والثقافية والإعلامية فى داخل البلاد الإسلامية وخارجها بضرورة التعريف الصحيح بالإسلام وتعاليمه، وإبراز حقائقه التى تبلغ دعوته وتقيم حجته وترد عنه الشبهات وخاصة الحقائق التالية:

أ ـ تأكيد الإسلام على التكامل بين الجوانب الروحية والمادية فى حياة الإنسان.

ب ـ تكريم الإسلام للإنسان باعتباره خليفة الله فى إعمار الأرض بصرف النظر عن جنسه ولونه وعقيدته. وهذا التكريم ينسحب على الإنسان حياً وميتاً.

ج ـ تفرد الإسلام بجعله التعددية والتنوع والتمايز والاختلاف فى الملل والشرائع والألسنة والألوان والأجناس سُنة من سنن الله التى لا تبديل لها ولا تحويل.

د ـ تفرد الإسلام بالتأكيد على حرية الاعتقاد وعدم الإكراه فى الدين،و وجعل هذا الاعتراف عنصراً أساسياً فى صحة عقيدة المسلم.

هـ ـ إقرار الإسلام منذ ظهوره لحقوق الإنسان الأساسية دينية كانت أم سياسية أم اجتماعية أم اقتصادية. ويناشد المؤتمر الدول الإسلامية أن تلتزم فى التطبيق العملى لحقوق الإنسان بأحكام الإسلام.

و ـ التأكيد على أن الدعوة إلى الإسلام بنص القرآن الكريم تتم بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن.

٣ ـ إقرار الإسلام لمبدأ المساواة بين المسلمين وغير المسلمين فى الحقوق والواجبات طبقاً لقاعدة «لهم ما لنا وعليهم ما علينا». مع تطبيق قوانين دينهم وملتهم فى مسائل الأحوال الشخصية.

٤ ـ يناشد المؤتمر الدول غير الإسلامية تمكين الأقليات الإسلامية من ممارسة مختلف الحقوق والحريات الواردة فى المواثيق الدولية وتطبيق نظمهم الإسلامية فى الأحوال الشخصية فيما لا يتعارض مع النظام العام فى الدولة.

٥ ـ يؤكد المؤتمر على أن الشرعية الدولية تقرر حق كل الشعوب المحتلة أوطانها فى اللجوء إلى كافة الوسائل المشروعة لتحرير أرضها وتقرير مصيرها والحصول على استقلالها، كما أن الشرعية الدولية تطالب المجتمع الدولى بتوفير المساعدة المادية والمعنوية لحركات التحرير الوطنى.

٦ ـ يؤكد المؤتمر رفضه لكل المحاولات التى تستهدف التسوية بين الإرهاب وممارسة الحقوق المشروعة للشعوب فى تقرير مصيرها والكفاح لتحرير أرضها.

٧ ـ يأمل المؤتمر أن تزول كل الأسباب التى تؤدى إلى الخلاف بين بعض الدول العربية حتى يتم تعظيم إمكانات الأمة الإسلامية الروحية والمادية فى مواجهة التحديات التى تواجهها.

٨ ـ يؤكد المؤتمر على موقف الإسلام الثابت من اعتماد الحوار أساساً للعلاقات بين الدول والشعوب والحضارات والأديان من أجل ترسيخ دعائم الأمن والاستقرار والسلام. ومن هنا يرفض المؤتمر كافة الدعاوى التى تجعل الصراع بين الحضارات ركيزة وانطلاقاً لحملات ضد الإسلام والمسلمين.

٩ ـ يؤكد المؤتمر ضرورة تكثيف الحلقات النقاشية مع العلماء مع غير المسلمين فى سائر بلدان العالم حيث أثبتت تجربة هذه الحلقات أثناء انعقاد هذا المؤتمر فائدتها وأهميتها البالغة فى تمكين كل طرف من الوقوف على رأى الطرف الآخر وتصحيح بعض المفاهيم الخاصة وتوضيح بعض الأمور الغامضة ويوصى المؤتمر بتكوين فريق عمل من العلماء الذين يجيدون اللغات الأجنبية لمواصلة النقاش فى مثل هذه الحلقات فى الداخل أو فى الخارج.

١٠ ـ حتى يكون لحوار الأديان والحضارات فائدة وثمرة مرجوة يوصى المؤتمر بمراجعة المعلومات الواردة عن الإسلام فى الكتب المدرسية فى البلاد الغربية.

١١ ـ يوصى المؤتمر الدول والشعوب والعلماء والمثقفين فى كل مكان فى العالم بالتعاون والتضامن والعمل على تفعيل المبادىء والأسس التى أقرتها الشرعية الدولية وتطبيقها على جميع الدول دون استثناء.

١٢ ـ يناشد المؤتمر كلا من الهند وباكستان تسوية الخلاف بينهما بالطرق السلمية عن طريق الحوار حفاظاً على علاقات الجوار بينهما بما يضمن الأمن والاستقرار فى المنطقة لمصلحة شعوبها.

١٣ ـ يوصى المؤتمر بإنشاء قناة فضائية إسلامية لشرح حقائق الإسلام باللغة الإنجليزية للشعوب الغربية والجاليات الإسلامية فى البلاد الأجنبية.

١٤ ـ يؤكد المؤتمر ما سبق وأعلنه فى المؤتمر العام الثالث عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية خاصاً بالقضية الفلسطينية من دعم وتأييد لانتفاضة الشعب الفلسطينى فى الدفاع عن النفس وحق تقرير المصير. ويدعو المؤتمر الشعوب الإسلامية إلى مد يد العون لهذه الانتفاضة بكل ما تملكه الشعوب من وسائل حتى يتوقف العدوان وينال الشعب الفلسطينى حقه المشروع فى إقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشريف.

كما يدعو المؤتمرون الحكومات والمنظمات الإسلامية والهيئات الدولية إلى التصدى إلى كل محاولات الإبادة والتشريد التى يتعرض لهما الشعب الفلسطينى المجاهد وما تتعرض له المقدسات الإسلامية والمسيحية فى الأراضى الفلسطينية المحتلة من انتهاكات صارخة تتعارض مع ميثاق الأمم المتحدة والمواثيق والاتفاقيات الدولية التى تحمى حقوق الشعوب الواقعة تحت الاحتلال. كما يدعون جميع القوى الفاعلة فى العالم وهيئة الأمم المتحدة إلى الإسراع فى اتخاذ الوسائل الكفيلة لحماية الشعب الفلسطينى الأعزل من تلك الأخطار.

بعد فشل حرب الإبادة
الحملات التنصيرية تجتاح البوسنة

حذر الشيخ «مصطفى سيريتش» مفتى البوسنة من تنامى نشاط الجماعات التنصيرية فى بلاده وقال: إنه يوجد فى البوسنة حالياً أكثر من مائتى منظمة تنصيرية تسعى لبث أفكار مسمومة ومغلوطة عن الإسلام بين شعبنا ومحاولة تغيير عقيدتهم إلى معتقدات أخرى.

وأضاف مفتى البوسنة: أن ذلك يأتى فى إطار توظيفهم لكافة الإمكانيات والإغراءات والضغوط لتحقيق مآربهم مما يجعل بعض أفراد الشعب غير قادر على المقاومة أمام كل هذه الظروف خاصة وأننا نعانى من أزمة الخلل الاقتصادى والمعتقدى لدى بعض الناس كنتيجة طبيعية للمرحلة التاريخية القاسية التى مر بها شعب البوسنة من انتهاكات لحقوقه وأعراضه.

وقال الشيخ «مصطفى سيريتش» للأسف الشديد كل هذه الأمور فى مجملها هى الأدوات التى تتحرك من خلالها الجماعات التنصيرية لبث أفكارهم ومحاول إقناع المسلمين بإمكانية تغيير أوضاعهم للأفضل وتحسين مستوى معيشتهم.

وطالب مفتى البوسنة الدول العربية والإسلامية بتكثيف جهودهم وإمكانياتهم

للحفاظ على الهوية الإسلامية لشعب بلاده ومقاومة ضغوط مثل هذه الجماعات التنصيرية التي تتفشى بصورة خطيرة في مناطق عديدة من العالم.

١٥ ألف مسلم استشهدوا في الشيشان

أشارت مصادر غير رسمية في الشيشان أن أكثر من ١٥ ألف مسلم قد استشهدوا في تلك الجمهورية الإسلامية منذ بدأ الروس حملتهم العسكرية ضد الشيشان.

الجدير بالذكر أن المصادر العسكرية الروسية الرسمية أشارت إلى أن عدد القتلى من الشيشان ـ الذين أسماهم الروس بالانفصاليين ـ ١٣ ألف قتيل منذ أكتوبر ١٩٩٩م ـ كما ذكرت وكالة انترفاكس للأنباء ـ أما بالنسبة لخسائر الروس فلا تستبعد المنظمات الروسية أن يبلغ عدد القتلى أكثر من ٨ آلاف قتيل وآخر رقم رسمي لخسائر الروس يقول أن القتلى الروس حوالي ٣٥٠٠ شخص.

احتفال في جامعة الأزهر بذكرى العلامة «محمد إقبال»

تحت رعاية الأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر عُقدت في كلية اللغات والترجمة جامعة الأزهر ندوة لإحياء الذكرى الرابعة والستين للعلامة الفيلسوف محمد إقبال وحضرها كوكبة من رجالات الأزهر وأعضاء هيئة التدريس بالجامعات المصرية ولفيف من المحبين والمهتمين بفكر «إقبال» من مختلف الهيئات والنقابات والجمعيات الأدبية والصحفية وطلاب الدراسات الشرقية الإسلامية، في الجامعات المصرية وعديد من الأدباء والطلاب الأجانب والعرب المقيمين بالقاهرة وأعضاء سفارة جمهورية باكستان في مصر.

الصين وروسيا تقودان خطة عمل لمحاربة المد الإسلامي

نجحت مجموعة شنغهاي الحماسية في استقطاب دولة أوزبكستان الإسلامية وبدأت في تدشين منظمة إقليمية جديدة بهدف محاربة المد الإسلامي في آسيا الوسطى وتعزيز الروابط التجارية والاستثمارية بين الدول الأعضاء وكانت المجموعة قد بدأت منذ خمسة أعوام بداية متواضعة كهيئة للتوسط في النزاعات الحدودية وكانت تضم أصلاً خمس دول هي الصين وروسيا وقازاخستان وقرغيزستان وطاجيكستان.

وصرح الرئيس الصيني «جيانغ زيمين» أن ما أسماه بالستة الطيبين وقعوا اتفاقية لمحاربة التطرف العرقي والطائفي وتعزيز التجارة والاستثمار في منطقة تتمتع باحتياطيات نفطية كبيرة تسببت في إحياء منافسات دولية لبسط النفوذ عليها وأضاف الرئيس الصيني أن توقيع اتفاق شنغهاي وضع على حد زعمه الأساس القانوني للتصدي المشترك للإرهاب والنزعات الانفصالية والتطرف ويعكس تصميماً حازماً من جانب الدول الست على ضمان الأمن القومي.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

الإمام الأكبر:

علينا أن نغلق الثغرات التى تحمل للإسلام العداء

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف الدكتور / عصام أحمد البشير وزير الأوقاف والإرشاد الدينى بالسودان يرافقه المستشار الثقافى بسفارة السودان بالقاهرة، رحب فضيلته بالضيف ومرافقه بالأزهر الشريف ودار الحديث من جانب الضيف حيث قدم التحية لفضيلة الإمام الأكبر من السيد الرئيس / عمر البشير رئيس جمهورية السودان ومن نائبه ومستشاريه وشعب السودان وأنهم جميعا يؤيدون جهود فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف فى خدمة الإسلام والمسلمين والذى ظهر واضحا فى المؤتمر الثانى عشر لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر تحت عنوان [هذا هو الإسلام] والذى استطاع أن يجمع علماء المسلمين من شتى أقطاب الدول ونحن نعتبر الأزهر قبلة المسلمين وقبلة العالم الإسلامى، وقدم شكره على إرسال الأئمة والدعاة والعلماء للسودان خلال شهر رمضان المعظم من كل عام وفى ذلك تواصل وتوحيد للمسلمين فى مواجهة الهجمات الغربية الشرسة، وكذلك إظهار الهدف السلمى للمسلمين لتحقيق السلام الاجتماعى والتعايش للأقليات غير المسلمة طبقا لما كفلته القوانين التشريعية، ونحن نعتبر أنفسنا جنودا للتصدى لما هو حادث من أجل إحياء التضامن وتحريك آليات التعاون والتنسيق لتوحيد الصف العربى.

وطلب الضيف زيادة المنح الدراسية لأبناء الجنوب ... السودان للدراسة بالأزهر الشريف وجامعته العريقة. كما طلب فتح المجال للدراسات العليا، وإشراك الأئمة والوعاظ والدعاة بالسودان فى الدورات التدريبية لأئمة العالم الإسلامى فى الأزهر الشريف، وأيضا طلب إمداد السودان بالكتب والأبحاث والمراجع التى يصدرها الأزهر الشريف لتكون مرجعا يستفاد بها فى مجال الدعوة الإسلامية.

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على أن مصر والسودان تجمعهم صلات

الأخوة منذ القدم، والتعاون بينهما قائم ومستمر وممتد، ونحن حينما نصدر فتوى فإنما نراعي فيها كل الجوانب لتكون أفعالنا ذات رؤية مستقبلية، ولابد من تحديد المفاهيم أولاً، وعلينا أن نتعاون ونتكاتف لنتصدى لمن لايملك أدوات الفتوى، ومن يفتون بغير علم، حتى لا تسوء صورة الإسلام أمام الغرب، وعلينا أن نغلق الثغرات التى تحمل للإسلام العداء، وهى حملات ضارة، وإن اجتماعاتنا ومناقشاتنا إنما تكون من أجل إزالة الجمود، والاختلاف فى الرأى القابل للمراجعة مطلوب لإظهار الرأى الراجح الذى يتم من خلال الوصول إلى الآراء المواكبة للتطورات التى يشهدها العصر، ودار الحديث حول القضية الفلسطينية وما أثير حول من يفجر نفسه في أعدائه واتفق على أنها عمليات استشهادية، دفاعا عن النفس والعرض والأرض. ووعد فضيلته بتلبية طلبات السيد الوزير لدولة السودان الشقيقة، حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ شوقى نويجى رئيس قطاع المعاهد الأزهرية.

الإمام الأكبر يستقبل مفتى القدس

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف فضيلة الشيخ عكرمة صبرى مفتى القدس والوفد المرافق الذى أشاد بموقف الإمام الأكبر والأزهر الشريف ومصر رئيسا وحكومة وشعبا لوقوفهم ومساندتهم لحق الشعب الفلسطيني المشروع في إقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشريف، موضحا أن ما يحدث من جرائم إسرائيلية على أرض فلسطين من قتل وتعذيب وهدم للبيوت على سكانها وتجريف للأرض الزراعية وهدم للبنية التحتية لا تستطيع إسرائيل إخفاءه عن أنظار العالم والمجتمع الدولى لشدة جسامته، وقال: إن الشعب الفلسطيني سيظل بمقاومته درعا للأمة العربية والإسلامية.



الشيخ عكرمة صبرى

كما استقبل فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف فضيلة الشيخ عكرمة والوفد المرافق له، وقد أكد فضيلته على أن ما يحدث فى الأراضى الفلسطينية يُحرك ضمائر ومشاعر الشعوب فى العالم جمع، الأمر الذى من شأنه خلق مشاعر العداء التى تتولد فى الأجيال القادمة للجانبين، وأكد على تأييده التام للشعب الفلسطيني ومقاومته المشروعة ضد المغتصب الغاشم.

تنسيق علمى بين الأزهر وجمهورية اليمن

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الشيخ/ قاسم الأعجم وزير الأوقاف اليمنى يرافقه السيد/ عبدالعزيز الكميم سفير اليمن بالقاهرة حيث دار الحديث حول التنسيق بين الأزهر الشريف ووزارة الأوقاف باليمن فى مجال الدعوة والخطابة، والتعاون بين الأزهر الشريف ومعاهد اليمن، وطلب الوزير مناقشة الموضوعات الخاصة بالدراسات الجامعية وتحويلها إلى دراسات عليا، وأكد السيد الوزير على

الاستعانة بخبراء من الأزهر للاستفادة بهم فى إنشاء المعهد الدينى الذى سينشأ باليمن، وبمسائل فى دراسته كلية الدعوة بالأزهر ومدة الدراسة به أربع سنوات، بهدف الوصول إلى الفهم الدينى الصحيح لتوصيله للناس بالطرق المعتدلة، نظرا لكثرة المذاهب فى اليمن مؤكدا على ان الأزهر الشريف هو المنارة التى تضيء لنا فى اليمن الطريق منذ أكثر من ١٠٠٠ عام.

وأشار فضيلة الإمام الأكبر إلى أن الدراسة فى الأزهر تمتاز بالتوسط والاعتدال والبُعد عن التعصب الأعمى، والأزهر يدرس جميع المذاهب الفقهية المختلفة بكل موضوعية.

وقال فضيلته: نحن نجزم بأن الكل مسلم، ومستحيل أن يوجد اختلاف فى الأصول وهذه طبيعة العقلاء.

وفى نهاية اللقاء وجه السيد الوزير الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف لزيارة اليمن وهذه رغبة السيد الرئيس على عبدالله صالح رئيس جمهورية اليمن والسادة علماء وشعب اليمن.

الإمام الأكبر يستقبل وزير خارجية عمان

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف معالى الوزير/ يوسف بن علوى وزير خارجية سلطنة عُمان ودار الحديث حول دور الأزهر الشريف ومواقفه الإيجابية تجاه القضايا الإسلامية التى يشهدها العالم اليوم، مشيدا بدور الأزهر فى تعليم أبناء المسلمين صحيح الدين الإسلامى وسماحته، ويسره، وسهولته وأن الأزهر الشريف له مكانة الريادة الدينية والتعليمية لدى أبناء المسلمين فى العالم.

شكر فضيلته الضيف على التعاون المثمر بين مصر وأزهرها الشريف وسلطنة عمان الشقيقة وتربط البلدين روابط المحبة والتعاون والإخاء.

الإمام الأكبر يؤكد:

علينا أن نتعاون ونتكاتف حتى يكون الله معنا

● كما استقبل فضيلته معالى الدكتور/ عبدالسلام العبادى وزير الأوقاف والشئون الدينية الأسبق بالأردن ودار الحديث حول مكانة الأزهر الشريف قبلة المسلمين العلمية، والمجهودات المبذولة من جانب الأزهر لتوحيد جهود المسلمين لمواجهة الهجمات الشرسة من خلال الأفكار المسمومة الموجهة للمسلمين ظلما وعدوانا.

ومن جانبه أكد فضيلة الإمام الأكبر أن الأزهر الشريف الذى عمره الآن أكثر من ألف عام هو فى خدمة الإسلام والمسلمين وسيظل عطاؤه مستمرا - إن شاء الله - للرد على الشبهات وتصحيح المفاهيم المغلوطة وسيظل علماؤه يؤيدون واجبهم نحو خالقهم ونحو أمتهم، وندعو الله ... صفوفنا، وعلينا نحن أن ننسق جهودنا، وأن نتعاون وأن نتكاتف وأن نكون جميعا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، حينئذ يكون الله معنا بعونه ونصره.

ستة معاهد أزهرية فى جنوب أفريقيا

● كما استقبل فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشيخ/ عبدالحميد خبير رئيس مجلس اتحاد العلماء فى جنوب أفريقيا، والشيخ/ إبراهيم جبريل رئيس مجلس القضاء

الإسلامي بكيب تاون بجنوب افريقيا، ودار الحديث حول التنسيق بين الأزهر الشريف وجنوب افريقيا، وأشاد الضيفان بدور الأزهر الفاعل في تعليم أبناء المسلمين في جنوب افريقيا العلوم الدينية والعربية وعلى رأسها القرآن الكريم من خلال المعاهد المنتشرة والتي أنشأها الأزهر الشريف وعددها ستة معاهد أزهرية تسير على خطط ومناهج الأزهر الشريف في التعليم، وقدما الشكر للأزهر وعلمائه الذين يؤدون واجبهم بإتقان في هذه المعاهد من أجل تعليم أبناء المسلمين أمور دينهم من مصادرها الأساسية القرآن والسنة وطلبا إيفاد اثنين من محفظي القرآن الكريم من الأزهر لأحد المعاهد الدينية بجنوب افريقيا لتحفيظ الطلاب القرآن الكريم وتعليمهم التجويد والقراءات. حضر اللقاء فضيلة الشيخ/ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف.

الإمام الأكبر يؤكد:

المخدرات تندرج تحت الفواحش

● التقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف ووفد الدارسين بالدورة الحادية والثلاثين من البرنامج التدريبي العربي لمكافحة المخدرات الذي ينظمه المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية المشارك فيه ضباط الشرطة العاملين في مجال مكافحة المخدرات، وأمن الموانئ، والمسطحات المائية، والقضاء العسكري، والشرطة العسكرية، وضباط حرس الحدود والسواحل، ومأموري الجمارك، والأخصائي العامل من الطب الشرعي وأطباء الصحة النفسية من مصر والدول العربية برئاسة الدكتورة/ نادية جمال المشرف على البرنامج وقد ألقى فضيلته محاضرة بعنوان «رأى الدين في مشكلة المخدرات» وقد أوضح فضيلته أن هذه اللقاءات من شأنها توثيق التعاون من أجل خدمة المسلمين، وأن الشرائع السماوية والرسالات التي أنزلها الله - سبحانه وتعالى - إنما هي لسعادة البشرية وليس لشقائها، وأن الشرائع السماوية جميعها أحلت للناس الطيبات من الرزق وحرمت عليهم الخبائث لقول الله - تعالى:

﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ ﴾(١)

وشريعة الإسلام نهت أن يحل الإنسان ما حرمه الله - عز وجل - أو أن يحرم الإنسان ما أحله الله - عز وجل - كما أنها أباحت للناس التمتع بالطيبات من الرزق سواء في ذلك ما يتعلق بالمأكل والمشرب والملبس لقول الله تعالى:

﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ ﴾(٢)

كما أنها حرمت الفواحش ما ظهر منها وما بطن في الأقوال والأفعال وعلى الإنسان أن يستمد كل أموره وأفعاله من القرآن الكريم ومن السنة النبوية المطهرة، وشرح فضيلته رأى الدين في مشكلة المخدرات بجميع أنواعها وصورها وأشكالها وكلها تندرج تحت الفواحش، وبين أن الخمر أم الخبائث ويندرج تحتها كل مسكر فهو حرام لما يترتب على ذلك من أضرار مالية وجسدية فهي مفسدة للمال ومفسدة للصحة

---

(١) الأعراف (١٥٧).

(٢) الأعراف (٣٢).

ومضرة بالعقل وبالنواحي الاجتماعية والخلقية والنفسية، وثبت ذلك بالأدلة من جانب الأطباء المتخصصين.

ثم أجاب فضيلته عن أسئلتهم واستفساراتهم حول حكم شرب الدخان، ومتى يكون القصر في الصلاة، وحكم الصلاة والفائتة وكيفية قضائها، إلى غير ذلك من الأسئلة التي طرحها أعضاء الوفد.

مسئول يمنى يؤكد:

الأزهر هو المنهل العلمي الوسطى لبلدان العالم أجمع

● كما استقبل فضيلته الدكتور عبدالولي الشميري المندوب الدائم للجمهورية اليمنية لدى جامعة الدول العربية بالقاهرة وقد رحب فضيلته بالضيف مشيدا بعمق العلاقة بين مصر واليمن الشقيق، وبعلماء اليمن الذين نكن لهم كل تقدير واعتزاز، وأشار إلى أن لليمن حضارة عريقة والأزهر يفتح أبوابه لأشقائه من اليمن لتلقي العلم النافع في الأزهر الشريف، وقد أثنى الضيف على مصر وأزهرها الشريف قائلاً: نحن نعتبر الأزهر هو المنهل العلمي الوسطي لبلدان العالم أجمع، وأن علماء اليمن وطلاب العلم يكنون كل حب وتقدير واعتزاز لمصر وللأزهر الشريف ويحملون المشاعر الطيبة للأزهر ولشيخه ولمصر وقدم إهداء لفضيلة الإمام الأكبر من ديوانه في الأدب العربي.

الإمام الأكبر يتلقى دعوة لزيارة الفلبين

● كما استقبل فضيلته وفداً من وزارة خارجية الفلبين برئاسة السيد / لاورو باجا وكيل وزارة الخارجية وبحضور السيد السفير / شولان بريما ثيرا سفير الفلبين بالقاهرة، رحب فضيلته بالسادة الضيوف بالقاهرة وتمنى لهم إقامة طيبة، وأشاد فضيلته بالعلاقات الطيبة بين مصر والفلبين وبين الأزهر الشريف وبين المؤسسات الدينية بالفلبين وكذلك وأوضح أن لدى دولة الفلبين بعثة من علماء الأزهر يعلمون أبناء المسلمين في الفلبين، ويوجد طلاب من الفلبين يدرسون بالأزهر الشريف، وهم حوالي ٤٥ طالبا على منح من الأزهر الشريف، ومن جانبه نقل رئيس الوفد تحيات رئيسة دولة الفلبين وحكومتها إلى فضيلة شيخ الأزهر، كما نقل دعوة رئيسة دولة الفلبين لفضيلته لزيارة الفلبين لما لهذه الزيارة من أثر هام وفعال لربط وتقوية أواصر الصداقة بين الشعبين، وخاصة أن للأزهر الشريف دورا هاماً وبارزاً في مجال الدعوة ونشر الثقافة الإسلامية، ويظهر هذا واضحا وجليا من خلال الطلبة، الذين يدرسون بالأزهر، حيث ينقلون لبلادنا سماحة الإسلام ويسره وكذلك من خلال السادة علماء الأزهر. وقد طلب الضيف زيادة المنح الدراسية للطلاب في الفلبين وكذا زيادة التعاون الثقافي والتعليمي. شكر فضيلة الإمام الأكبر الضيف على الدعوة ووعد بدراستها تمهيدا لتلبيتها، كما وعد بزيادة المنح الدراسية.

الإمام الأكبر يستقبل سفير كازاخستان

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير / أسكار موسينوف سفير كازاخستان بالقاهرة بمناسبة انتهاء مدة عمله كسفير

لبلاده، رحب فضيلته بالضيف وأثنى على جهوده ونشاطه في الفترة التي قضاها بالقاهرة وتعاونه المثمر مع الأزهر الشريف ودار الحديث حول إنجازات الأزهر الشريف لأبناء كازاخستان الذين يتعلمون بالأزهر على منح، وكذلك الدورات التدريبية التي ينظمها الأزهر للعلماء والأئمة من كازاخستان، وشكر الضيف هدية مصر لأبناء كازاخستان والمتمثلة في معهد نور مبارك بمدينة كازاخستان الذي يعتبر منارة لتعليم المسلمين الإسلام الصحيح وأمور الدين الحنيف ويعتبر فرعا من فروع الأزهر الشريف وبه معلمون وأساتذة يدرسون المناهج الدينية والعربية مما يوفر فرص التعليم للمسلمين في كازاخستان.

كما قدم الشكر أيضا لفضيلة شيخ الأزهر على مواقفه المعتدلة تجاه القضايا الإسلامية المطروحة على الساحة والفتاوى التي يقدمها بحكمة واقتدار، وطلب الضيف إمداد المعهد بالكتب الدينية وبالمناهج الأزهرية، كما طلب زيادة حضور العلماء والأئمة من كازاخستان بالدورات التدريبية التي ينظمها الأزهر كل ثلاثة شهور، ووجه الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف لزيارة دولة كازاخستان وذلك لرغبة المسلمين هناك ولتقوية أواصر المحبة وقد وافق فضيلته على طلبات السيد السفير.

مسئول بالبرلمان الألماني:

كلمة شيخ الأزهر مسموعة لدى شعوب العالم

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد لجنة السياحة في البوندستاج الألماني «البرلمان الألماني» برياسة السيد / ايرنست هنكن رئيس لجنة السياحة بالبوندستاج وثمانية من أعضاء اللجنة ترافقهم السيدة / فايدة كامل رئيس لجنة الثقافة بمجلس الشعب المصري والدكتور / محمد صالح عضو مجلس الشعب وعضو لجنة الثقافة، وقد رحب فضيلته بالسادة الضيوف في مصر وأزهرها الشريف مشيدا بعمق العلاقات الودية بين البلدين، وقال: إن عددا كبيرا من علماء الأزهر سافروا إلى ألمانيا وحصلوا على الدكتوراه، ومن جانبه أشاد رئيس الوفد بما لاقاه من ترحيب وأكد على أن لقاء الوفد بفضيلة شيخ الأزهر له معنى خاص ومن شأنه أن يعمق العلاقات وهو جزء من الحوار وقال: إن هدفنا أن نقنع عددا كبيرا من الألمان للحضور إلى مصر هذا البلد العظيم للتعرف على الحضارة المصرية القوية في مجال الآثار والتاريخ أكثر من أي بلد آخر، وأشار إلى أن كلمة فضيلة شيخ الأزهر مسموعة لدى شعوب العالم حيث إنكم تحملون على عاتقكم مسئولية استتباب الأمن والأمان في هذه المنطقة، وقال: نحن نعقد آمالاً كبيرة على فضيلتكم ونحن كبرلمانيين يهمنا دعم التفاهم بين حضارتينا لأن ذلك يؤدي إلى علاقات أكثر وأكثر، والدين يتوجه إلى روح الإنسان ورغبته في التعايش بين الأديان، ونحن كأصحاب أديان نؤمن بالله وهو شيء مشترك بيننا.

وقال فضيلة شيخ الأزهر: إن الإسلام يعتبر الناس جميعا من أب واحد وأم واحدة

والقـرآن يؤكـد ذلك في أول آية في (سـورة النساء) قول الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾(٢)

وهى الحقيقة الأولى فى الإسلام.

وثانياً: أن الله - سبحانه وتعالى - أوجد الناس ليتعاونوا والتعاون يولِّد الأخوَّة الإنسانية والمودة والمحبة.

ثالثاً: أن اختلاف العقائد لا يمنع من التعاون - نحن فى مصر مسلمين ومسيحيين نتساوى فى الحقوق والواجبات، ونقول: إن الحضارات عند العقلاء تتعاون وتتآزر وتتكاتف، ونؤمن بأن للشرق حضارته وللغرب حضارته، ويجب أن يأخذ كل من حضارة الآخر، والعقلاء يقولون بتعاون الحضارات ولا يقولون بتصادم الحضارات، ونرحب بتبادل الزيارات وبتبادل المنافع فيما بيننا.

وأكد الضيف على أن هناك تشابهاً كبيراً بين مصر وألمانيا، فكلمة الكنيسة مسموعة وعدد المسيحيين ٥٥ مليوناً من الكاثوليك والبروتستانت ويوجد ثلاثون مليونا بدون عقيدة وهى نسبة كبيرة.

وطلب الوفد من فضيلة شيخ الأزهر زيارة ألمانيا للمرة الثانية، كما بارك الوفد خطوات فضيلته فى تصديه للإرهاب الذى هو وباء العصر وهى مسئولية عظيمة.

وعقب فضيلة الإمام الأكبر بقوله: إن الإرهاب نكبة دينية ودنيوية ونحن نحاربه لأنه جريمة إنسانية وخلقية، واجتماعية وقانونية بكل المقاييس، ونحن ننشد العدالة بين أبناء المجتمع الإنسانى كله.

وقدم الضيف لفضيلته هدية عبارة عن ميدالية البرلمان تحمل صورة البرلمان وصورة النسر.

ليس بأزهرى من لا يحفظ القرآن الكريم

● افتتح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف يرافقه فضيلة الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الشريف والسيد المستشار محمود أبوالليل محافظ الجيزة معهدا للفتيات بمدينة أطفيح محافظة الجيزة ويضم المراحل التعليمية الابتدائى والإعدادى والثانوى ويتكون من ثلاثين فصلا وبه معمل حديث ومكتبة وأقيم على مساحة أربعة آلاف متر مربع وتكلف مليونى جنيه.

كما قام فضيلته بافتتاح مجمع الخليل الإسلامى بمدينة أطفيح بالجيزة والذى يتكون من ثلاثة طوابق ويشتمل على مسجد ومركز لتحفيظ القرآن الكريم ومستشفى طبى مجهز بأرقى الخدمات الطبية ويقوم المجمع بتوزيع مبالغ مالية على الأيتام بالمنطقة. كما قام فضيلته بتوزيع جوائز مالية على الطلاب من حفظة القرآن الكريم وفى كلمته طالب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بضرورة تبرع القادرين من أبناء الوطن لبناء المدارس والمعاهد الأزهرية ودور العلم للتخفيف عن الدولة ولخدمة أبناء المسلمين كما شهد ندوة دينية أكد فيها أن حفظ القرآن الكريم هو الأساس فى التعليم الأزهرى وشعارنا هو «ليس بأزهرى من لا يحفظ القرآن الكريم».

---

(٢) النساء (١).

﴾So whosoever of you disbelieves after that, then he has readily erred away form the level way. ﴿ [Al-Maidah (The Table : 12]

The result of this great compact and generous promise turned to be unexpectedly terrifying as stated in Allah's words **﴾So, for their breaking their compact, We cursed them and made their hearts hard, they pervert the Wordings from their contexts, and they have forgotten a portion of what they were reminded, and you will not cease viewing some treacherous (act) on their part, except a few of them . Yet be clement towards them and pardon; surly Allah loves the fair –doers﴿** [Al-Maidah (The Table : 13]

Muslims' adherence to Islam, clinging to their Book and believing in the sublimity of their religion: creed, law and system, mean Muslims' completion for the successor nation's components as well as the ability of this nation to handle leadership without taking side with a certain kind, color, language or race except the side of Allah's only path.

Testifying that we are Muslims means inheriting the Book, taking leadership and declaring that Allah is the only Ruler. All this means the beginning of getting the nation ready to shoulder the burdens of leading humanity by Allah's creed. Allah, addressed His Messenger, may the blessings and peace of Allah be upon him, as saying:

﴾And (endure) patiently under the Judgment of your Lord, (for) then surely you are under Our Eyes, and hymn with the praises of Your Lord when you rise up﴿. [Al-Tur (The Mount): 48]

The Prophet succeeded in bringing people out the darkness into the light so that they became the men of the Hereafter and tomorrow, who wouldn't like exaltation in the earth nor corruption. They became the straight equitableness for people; Allah established them in earth and became a shield of protection for humanity. The Prophet appointed them as his successors and joined the Highest Companion satisfied and delighted at his nation and message. If humanity found who guided it to Allah in the past, then who would be the reformer of the pagan ignorance of this age?

clearly announce the position of Islam among all the laws on earth as stated by Allah and wanted them to be.

Islam ignored by the West that began to fight aggressively aiming at eliminating it in such a hostlile way. Islam ignored by its own people who carry its name as they turn their backs to it and receive the evils of the West thinking that they are blessings. What can Muslims expect to find at people who cut their relations with their Lord and declared war against their Creator? When Allah invited them to believe in Him, they disbelieved; when took compact with them, they betrayed; when entrusted them with His books, they distorted them; and when entrusted them with His law they broke and ruined it. So, they deserved to be driven out of His mercy, deprived of His care and they no more deserve to be entrusted with His trust or deliver His call.

The story of Allah's appointment of the population of the Book as successors is stated in His Book. Allah aimed, by narrating this story, at guiding us to meditate, reconsider carefully and to show His blessings on us; He protected us from what He has befallen on them and warned us from what they have fallen into, namely, replacing belief with disbelief. Allah , glory be to Him says:

﴿And indeed Allah already took compact with the Seeds of Israil, and We sent forth among them twelve chieftains. And Allah said, "Surly I am with you, indeed in case you keep up the prayer, and bring the Zakat and believe in My Messengers and rally to them in assistance and lend to Allah a fair loan, indeed I will definitely expiate for you your odious deeds, and indeed I will definitely cause you to enter Gardens from beneath which Rivers run.﴾ [Al-Maidah (The Table : 12]

This is the text of the compact which Allah, glory be to Him, took with the Seeds of Israel. This clear-termed compact implies a generous promise motivating the right souls to achieve fast and apply well; the generous promise to care for, reward, include in His mercy, eliminate sins and let into His paradise.

However, Allah, in addition to this generous promise, warns them not to disobey Him and threatens whoever doesn't apply with unbearable banishment as stated in His saying:

* The Successor Nation...And The Glad Tidings Of Establishment

By: Dr. H. F. Waly

Muslims' present state calls for whoever is able to reinstate their belief in themselves, confidence in their past and hope in future. Muslims are in bad need to whoever is able to reinstate their belief in this religion which they carry its name and ignore its identity and take it by inheritance than by knowledge and assurance.

This need becomes more pressing concerning these aggressive attacks launched against Islam in various shapes and multiple ways all gathered by the intensive desire to eliminate this religion, law, creed and system of life. These attacks are motivated by a new hope, old grudge and the absence of thinking among some Muslim scholars who were upbrought on the Western ideas saturated with its philosophy and educated in its schools. Consequently, the West felt that it is so easy to achieve their task, hold their grip, promote their creed and finish off the remainders of the Islamic law.

The West, since the fall of communism, principles and law, has no law to fear its influence, avoid its danger and possesses all the factors of leadership and superiority other than Islam. To the West, the danger of Islam lies in its tremendous ability in convincing minds, entertaining souls and peneterating easily through hearts. Moreover, it lies in its possession of the sovereignty, leadership and superiority factors despite confusions of the West which failed in addressing minds and pleasing hearts. These reasons distinguishing Islam filled the West's heart with terror and urged it to adopt the strong aggressive attitude towards whatever implies strength, distinction or possessing the leadership factors, material and moral, on earth. Therefore, it puts on an imaginary mask made by cunning to hide this hostility. In addition, it, professionally, prepared for its publicity and cunning made the world's mind ready to accept it so, it began to declare war against terrorism as a pretext and in reality practises war against Islam. Hence, I felt obligated to

* An article published (in Arabic) at Al-Azhar Magazine.

despite what they are spending of riches and efforts, as Allah says:

﴾Surely the ones who have disbelieved expend their riches to bar from the way of Allah; so they will soon expend them; (and) these will be (a cause) of regret for them, and thereafter they will be overcome.﴿

[Al-Anfal (The Spoils) War Gains): 36]

Islam strengthened the basis of call with principles derived from sociology and psychology, making the path of wisdom an indispensable matter, taking care in Muslims for fear that good qualities in them, including zeal, enthusiasm and love of persuasion, should turn to psychological recklessness, not totally related to Islam, as they are the factors for disappointment and antipathy. The prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, suffered a lot from what he saw of people's adherence to their traditions, stickness to heritage and persistence on asking him for a verse to which their necks subject, Allah knew that all this was nothing but a mere intransigence to right, rather than asking for evidence, so, Allah revealed on His Messenger:

﴾And in case their veering away from you is greatly (annoying) to you, so in case you are able to seek out a tunnel in the earth or a ladder in the heaven , (and) then you would come up to them with a sign – and if Allah had so decided, He would indeed have gathered them to the guidance. So definitly do not be one of the ignorant.﴿ [Al-Anam (Cattle): 35]

Islam asked for taking interest in humanitarian principles even in the state of war, as it demanded Muslims to inform their enemies even if they were obliged to be involved in war. Moreover, Islam commanded them not to be excessive in killing as taking revenge, not to put the injured to death and not to kill whoever surrenders. If they captured a number of the enemy, they have to give them the fairest lodging and show kindness towards them as the Messenger, may the blessing and peace of Allah be upon him, said: "I command you to show goodness to your captives".

Did history of human kind witness such a glorious biography and merciful principles?

love of conviction, and the glory of sovereignty are combined together to gain new supporters for the nascent religion. If the adherents of this religion have no religious starting point, all these qualities shall regress and turn to barbarity with no extent quenching its thirsty. Similarly, the callers of the former creeds, even the ones who prohibited carrying arms and self-defence, accompanied the conqueror armies; if the soldiers completed their military act, they would assume the task of making the vanquished enter their religion. If they refused, they would be put to the sword. In this way, not only did they kill millions of nations, but also they annihilated nations entirely. There is an example in America's history.

Though Islam had been destined to inherit all religions, it drew up a religious base, in which its humanitarian principles are reflected. This had a great effect on its spread and making nations love it. The first basis laid down by Islam in this regard is Allah's saying:

﴿Call to the way of your Lord with wisdom and fair admonition, and dispute with them in the way (which is) fairest. Surely, your Lord is the One (Who) knows best the ones who have erred away from His way and He is The One (Who knows best the right-guided (ones).﴾

[An-Nahl (The Bee): 125]

Allah, commands call to be with wisdom, justice, knowledge, patience and all sound words corresponding to right. If wisdom became of no avail and the called one transmigrated the spirit of arrogance and intransigence, he should be dealt with fair wisdom. If fair wisdom didn't benefit him, then by the debate and using argument in the best ways in sticking to the manners of argument and considering the adversary's dignity.

Some people wonder about this verse regarding the necessity of taking interest in all these high morals towards people not of their religion and who have nothing in their lives urging Muslims to deal with them in such a way.

Don't you see those who use in their call heinous methods such as kidnapping the minors, tempting the patients and the needy, manipulating the ignorant. How does their biography affect their call? Only resulting in nothing but disappointment

Islam Disseminated The Humanitarian Principles

By the great scholar: M. F. Wajdy

Allah, glory be to Him, knows that people, even they agreed in instinct and mind intuitions, the spoiling factors such as straying upbringing, genetics effect, imitation hegemony, ignorance and fanaticism prevent a lot of them from subjugation to unified principles of the right religion. Consequently, nations remain entirely believing in contradictory religions and discrepant creeds. Allah, praise be to Him, knew that the Islamic nation shall be neighboring, dealing, and dominant over these nations, so His wisdom required laying down principles for this state of social life to be applied by Muslims in dealing with them, where He laid down a general principle as He said:

﴾Allah doesn't forbid you, (as regards) the ones who have not fought you on account of the religion, and have not driven you out of your homes that you should be benign to them, and be equitable towards them, surely Allah loves the equitable ones.﴿ **[Al-Mumtahanah (The Women Tested):8]**

That is, Allah doesn't forbid you to deal fairly with non-Muslims, who have no intention of driving you out from your homes or religion, to be just in dealing with them, since Allah loves the just ones.

This is a principle not known to humanity before Islam. The followers of each religion deemed the renegade to be shed with impunity. So, if he fell in their hands, they would kill or enslave him. The Roman nation, succeeded by Muslims in rule, remained not allowing any foreigner to enter its land even for trade, unless he obtained an official license or was under the protection of one of their leaders.

With the advent of Islam, the situation suddenly changed where foreigners enjoyed protection and welfare as Muslims. The tourist and merchant moved safely in the country with no fear on his self and riches. This is the largest reason helping millions of foreigners entering the religion without call, in addition to the truthful human principles under the umbrella of the Islamic State.

The most conspicuous aspect, in which the virtuous principles are reflected, is that of call. The jealousy, enthusiasm,

of magicians' and priests. Then, the ruler remains having power over people through attributing himself to deity.

We stress all this since all the majority of university professors talk about good manners, transaction rules, and human relations as things separated from religion. If this is true for some contemporary religions, Islam is the source and spring of morals to Muslims as the Islamic moral is not a social term changeable in some time and reverted to its first image in another one. As those who believe that civilization methods are enhanced by some morals and reversed by others according to conditions and circumstances since morals in Islam are general circles that include details. These circles have room for virtues while get narrow for vices depending on pure formation of man and the ability to change circumstances and conditions. Moreover, these circles are widening till they embrace all good deeds and beneficence as well as they stand firmly against the calls of decadence and disintegration, and you shall never find any alteration to the enactment of Allah.

Professors, explaining, writing and discussing, have to know that the majority of their learners are Muslim ones. In addition, they have to be aware that the trust of their religion commits them to present Islam's view in all subjects dealt with. It is established that humanities is deeply rooted in the field of scientific authorship. There are many Muslim scholars remarkably contributed in these studies, so why did we neglect their circulating books and focus totally on foreign sources; some opposing Islam publicly and others in secret.

We ask all the authors of humanities in all its various fields to study Islam in its right books then present besides its view, what are they presenting of views. Moreover, the judgment of Islam has to be explicit and conspicuous before Muslim students, since untruthfullnes does not come to it and they have to follow its right path.

certificate, you would have to judge that there is no difference regarding religious knowledge between secondary student joining university and a young man not received any religious study. Where we observe that young man knows by the virtue of his religious surroundings whatever is necessary concerning the observances and morals in general not depending on learning nor making use of guidline.

This student who is not versed in religion joins university to learn humanities as it were learnt adeptly by his professors making Europe's books their only reference. If the student completed university and excelled in the bachelor degree, he would be sent to European college and may continue postgraduate studies at his university then receive the philosophy of doctorate in the field of his specialization. Therefore, he got acquainted with his speech, theories and references within an entire foreign scope not related to Islam then be appointed as a teacher, an assistant professor, then a professor at the university to explain his subject as characterized by the materialistic Europe without seeking Islam's view concerning what is taught to Muslim students. Here comes the disastrous catastrophe, for example, the individual dealing with the origin of religion, will find it in the opinion of sociologists as the result of myths and superstitions imposed by special authorities to be finally as rituals, observances and laws,

The reader shouldn't believe that I exaggerate or make mockery, but I talk about a tangible and painful reality, where I read various college notes, some of which relating to the history of education, others to sociology and others make the history of law. The different notes, related to various sciences, talk about something in man's history known as the religious stage. The different notes clarified this stage saying: "After the flood, man setlled earth. He saw in nature's sights what had terrified him as he heard thunder, saw lightning, the action of fire and the destruction of torrents. All this drived him to believed in gigantic power terrified and frightened him, then he submitted, feared and imagine this enormous and terrifying power as gods. So, thunder, lightning, sun and seas became gods of major power then human figures claimed attribution to these deity assuming power as that

Put The Qur'anic Text First

By: Dr. M. R. Al-Baiomi

We keen on the progress of social studies as we suggest that the multiple compilations revolving around this subject are useful and beneficial, since any serious study is useful to man. Some serious university studies appeared taking a great deal of interest in purposeful research. We have the right to mention our special impressions around these compilations, but we shan't deal with the names of books and authors as our aim is not to criticize and defame but to attract attention to important aspect ignored by the majority of them, despite its paramount importance.

In humanities, the university student receives the notes of his professors then he understands them very will so that he can succeed at the end of the year. In his superficial point of view, it is entirely right, where one can't imagine that a great professor among the teaching staff publishing a specialized book in his discipline and teaches its chapters, then this book be of view showing only a certain view without dealing with the opposite ones. The presented view may be wrong requiring the neglected aspect to be presented so that a comprehensive and accurate view be established. But what we read in the college notes doesn't offer the right view in tackled studies. So, at the end of the year, the student will have only a limited amount of knowledge, as well as it may be of gross deficiency if it dealt with a serious aspect of the history of the religious creed without guiding to the right path.

First and above, we should declare right publicly without any fear to acknowledge that most writers dealing with humanities, including education, sociology, psychology, civilization and ethics restricted their Islamic knowledge to what they had learned in secondary stage. They only knew about the realities of Islam what is familiar with the secondary student in Arab countries, which is an amount not sufficient to present a truthful idea about Islam. If we added to this that the majority of those people were not examined in the religious education, whereas some regulations in many Arabic countries provide that exam in religious education has to be restricted to the pre-general

Islam: The Religion of Civilization, Modernity and Human Rights.

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

At present, a severe war is launched against Islam. This war neglects the essence and cares only about the appearance, because appearance - according to the views of Islam's enemies - deserves care and concern. Those always repeat the slogan of human rights, though there is no religion or positive law that maintained and interested in human rights like Islam. Through their superficial, spiteful and malicious view about Islam, they only see the rights of the criminal and falsify the rights of the victim. To them, putting the criminal on trial is a violation to human rights. Then, they go farther in their slurs and claim that the western civilization is far better than the Islamic one. However, they know better than others that the Islamic civilization is a comprehensive humanitarian one in which knowledge is linked to good manners and belief with freedom and tolerance.

To the West, terrorism is only reflected and represented in Islam. Their declarations exposed what the West bears of hidden grudge and severe hostility. The ongoing campaign - to distort the image of Islam and brand it with weakness and terrorism - motivates Muslims to be aware of what is plotted against them and their religion and to join ranks jointly and collectively to confront this war aiming at eradicating the Muslims' identity and existence. They should not fear enemies' power even if it appears tremendous. Allah, the Al-Mighty said:

﴿How often a little community has overcome a much (larger) community by the permission of Allah; and Allah is with the patient (ones).﴾ **[Al-Baqarah (The Cow): 249]**

AL-AZHAR MAGAZINE
Rabiul Akher 1423 A. H.

ENGLISH SECTION
July 2002

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾
الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL, Ph.D.
Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

الفهـــرس

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير
أ.د. محمد رجب البيومي

مدير التحرير
الطاهر محمد الطاهر الحامدي

سكرتير التحرير
عادل رفاعي خفاجة

المراسلات باسم
مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / الأزهر
ت: ٢٦٣٨٥٩٩٠

بسم الله الرحمن الرحيم

داخل العدد

الاشتراك السنوي

- داخل مصر ــــ ١٨ جنيها مصريا
- الدول العربية ــــ ٥٠ دولارا أمريكيا
- أوربا وأمريكا ــــ ٨٥ دولارا أمريكيا
- اليابان وشرق آسيا ــــ ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة
☎ ٥٧٨٦١٠٠ - ٨٥٧٦٢٠٠

جمادى الأولى ١٤٢٣هـ - أغسطس ٢٠٠٢م - الجزء الخامس - السنة الخامسة والسبعون

من أمراض المجتمع

الازدواج النفسي

نلحظ أن الأمراض النفسية تزداد انتشارا بتقدم وسائل الحضارة، إذ نرى أبناء هذا الجيل أسرع إلى التوتر، وأقرب إلى الانفعال ممن عاشوا في الجيل الماضي، بل إن أبناء الجيل الواحد يفترقون صحة وهدوءا بالقياس إلى أماكنهم من القرى والمدن، لأن ساكن القرية أهدأ نفسا، وأروح خاطرا إذا قرن بساكن المدينة، وأمريكا اليوم أكثر بلاد الله رفاهية واستمتاعا، ولكن الأمراض النفسية تنتشر فيها بنسبة تجذب الانتباه، وفي إحصائية عالمية لحوادث الانتحار ما يثبت اشتداد الأزمات النفسية لدى المرفهين من ذوي الثراء، وأذكر أني قرأت قصة غربية تشير إلى هذا المعنى، إذ كان أبطالها ممن تبرموا بالعيش في دول المدنية فرأوا أن يهجروا المجتمع الصاخب إلى جزيرة هادئة تقربهم من حياة البداوة الراكدة، وفي ظلال الهدوء الشامل، والحاجات الأولية، الميسرة وجدوا الاطمئنان، وتركوا رفاهية العصر غير نادمين.

وأكبر ما يعانيه إنسان العالم المتحضر اليوم أنه مرتبط بقيود لا يستطيع التخلص منها، وأشد هذه القيود حرجا في نفسه أنه لا يفصح عن ذاته أصدق الإفصاح، فهو يضطر في كثير من أحواله إلى أن يقول ما لا يعتقد، وكأنه ممثل يتقمّص على المسرح شخصية سواه، ولسنا نقول: إن جميع الناس يفعلون ذلك، بل نقول: إن كثيرا منهم يضطرون إلى التمثيل على مسرح الحياة، بحيث يعانون آلاما شاقة في كتمان عواطفهم الحقيقية، فقد يبغض الزميل زميله، ولكنه مضطر إلى أن يتقبل أخطاءه دون تعليق، وقد يفرض عليه رئيسه من الأعمال ما لا يجد مبررا للقيام به، ولكنّه يكبت إحساسه الداخلي متظاهرا بالسرور، وربما اندفع إلى تمجيد ما يكره، فإذا خلا إلى نفسه صلى حربا أليمة من التأنيب والزجر، وبتكرار هذه المواقف تتأزم حياته، ويراها عبئا ثقيلا يود

...ـسى فى حياة الفرد

الخلاص منه، وهذا فى محيط العمل الخارجى وحده فإذا رجع إلى منزله لم يسترح من التمثيل وقتا يُعيد الصفاء، بل يضطر إلى مجاملة الزوجة أو ترضية الولد، أو تهدئة الأب بما يعلم أنه كاذب فى تقريره، وهكذا تتوالى الضغوط على كثير من الناس، دون أن يجدوا بعض التنفيس ولابد من الانفجار حين تشتد الضغوط، ويغلى الموقد بالماء.

ازدواج مؤلـــم

إن حالة الازدواج النفسى التى تجعل لصاحبها مظهرين مختلفين، حين يرى فى سريرته رأيا خاصا، يضطر إلى أن يعلن سواه، هذه الحالة تتطلب العلاج الحاسم وأول خطوات العلاج أن يحاول الإنسان تجربة الصدق شيئا فشيئا فهو مضطر إلى أن يخلو بنفسه خلوة عاقلة، تجعله يستعرض ما كان بأمسه من المتناقضات، وليفرض فى هذه الخلوة أنه شخص محايد لا يميل إلى اتجاه دون اتجاه، ثم لينظر ماذا كان سيحدث من الخطر لو أنه التزم الصدق فى أكثر ما يأتى ويدع، وتقول الأكثر لا الجميع كيلا نلجأ إلى اشتداد يتعذر معه الوصول إلى الوضع المريح، إنه يجد من زملائه الذين لا تزيد قدرتهم المادية والاجتماعية عنه فى شىء من لا يسلكون مسلكه الخادع، ولكن أمورهم فى الحياة قد انتظمت على الإخلاص الصريح فلم تتقهقر علاقاتهم الأخوية مع الناس بل عرف عنهم الصدق، فكانوا موضع الثقة من ناحية، ونجوا من الانفعال المتأزم، واللوم النفسى المستمر من ناحية ثانية، لأن كل إنسان فى أعماق نفسه يحترم الفضائل الخلقية، وإن جانبها وسار ضد اتجاهها، لأنه فى هذه المجانبة يعتقد انحرافه، ويرى الإنسان المستقيم أهدى سبيلا، وأرفع منزلة.

وهذه أولى خطوات العلاج، إذ هناك فرق بين إنسان يصر على انحرافه مع علمه بخطئه، وآخر ينقم على انحرافه، ويتلمس خطوات النجاة، فإذا قارن هذا المرائى بين نفسه وبين غيره، متبرما بموقفه، فإنه سيصل إلى تفضيل الاتجاه الصادق وسيأخذ بأسبابه شيئا فشيئا، وتمر الأيام فيعود إلى المسلك المريح، ثم عليه بعد ذلك أن يتخذ صديقا مخلصا يبادله المودة، ويجعله أمينا على أسراره ومشكلاته، ليكون موضع اعترافه ومجال التخلص مما يكتم من الأمور، فمبادلة الرأى فى ثقة وإخلاص بين المتصادقين، تخفف كثيراً من التوتر النفسى وتكون بخارا يتصاعد فيمنع الضغط، ولابد أن لصديقه هو الآخر مشكلاته، وسيأنس إليه فى سره ونجواه، فيطلعه على منغصات أحواله، ويجد الزميلان المخلصان فى تبادل المشاعر وتجاوب الأحاسيس ما يعصف بهذا الكتمان المؤلم، وقد يؤدى فى أكثر أموره إلى خير النتائج السارة، لأن الإنسان يرى الرأى لأخيه مجردا من شتى المخاوف المتوهمة، فيضع أمامه الصورة الحقيقية فى مكانها الصحيح أما صاحب المشكلة نفسه فقد تختلط الرؤية فى عينيه فلا تأخذ مظهرها الواقعى لما يحسمه له الحرص الدقيق من أوهام لا تتمثل فى غير نفسه، وهنا يكون الصديق الأمين ميزانا عادلاً للرأى السديد، كما يكون من جهة أخرى موضعا للاسترواح النفسى، وموطنا مطمئنا للبث والإعلان.

ذو الوجهين

على أن ذا الوجهين يغفل ناحية هامة، لو تدبرها تمام التدبر، ما تكلف هذا الرهق الشاق فى تدليس مشاعره، وهى أن الناس أذكياء، ولهم عيون تصل إلى الأعماق الدفينة، فهم يعرفون جيدا من يتخذ الوضوح المريح سبيله فى الحياة فيثقون فيه، ويطمئنون إلى مسيرته، كما يعرفون من يحاول أن يخدع مجتمعه بكتمان حقيقته والظهور بغير مظهره الطبيعى، فيرمقونه بعين البغضاء ويبتعدون عن مجاوبته قدر ما يستطيعون على حين يظن أنه قد أخفى عنهم تياره النفسى الهائج فى صدره، وكأنه بذلك لا يخدع غير نفسه، وإذا تمت له بعض وجوه الخديعة فى مفتتح معاملاته فإنه سُرعان ما يتجلى على وضعه السيء فتشيح عنه العيون، وبدل أن يكتسب مزايا التقدير فى نفوس عشرائه فإنه سينقلب إلى عكس ما يأمل.

فالصدق النفسى إذن سبيل الراحة المطمئنة داخلا وخارجا، ففى الداخل يأمن الصادق صراع النفس، وتأنيب الضمير وسهد الليل مفكرا مضطربا وفى الخارج يجد الصادق من أسرته الخاصة منزله، والعامة بمجتمعه من يهشون للقائه ويفرحون بمؤانسته، ويمنحونه الثقة التى بها يتملك النفوس، ويأسر القلوب، ولا أنكر أن لدى كل فرد من أموره الخاصة ما يجب أن يكون موضع الكتمان، لأن كشف الجروح المتقيحة فى الجسم للناس، يجلب الامتعاض والزراية لا أن يسعف

بالبرء والشفاء ونحن لا ننقد من يخفي ضرورياته متبعا سنة الحذر، ولكننا ننقد من يعيش طيلة حياته ممثلا، يظهر في كل أدواره على غير حقيقته فيورث نفسه اضطرابا ويزعزع الثقة فيه بين معاشريه وهي أغلى ما يحرص عليه ذوو الاتجاه القويم، ولن ينقذه مما به غير سلام نفسي يستشعر به برد الراحة، لأن هدوء النفس يعمل على إزالة التوتر، ويساعد على التفاؤل المطمئن في معترك الحياة، والسلام النفسي ليس كلمة تقال دون جهد جاهد يبعث على تحقيقها، ومن واجبنا أن نتحدث عنه ببعض التفصيل ليتضح لبابه الصريح.

السلام النفسي

وكما يكون السلام في العالم كله مصدر خير وتقدم ورفاهية، وتكون الحرب مصدر شر وبلاء ومحن، كذلك يكون السلام داخل النفس البشرية مصدر هناء وراحة، وعنوان استقرار وسكينة، ويكون القلق والاضطراب داخل هذه النفس مصدر توتر وانفعال يمنعان الطمأنينة، فالذي فقد سلامه النفسي يكابد حربا أهلية في صدره، فهو في نومه يتقلب جنبا إلى جنب وفي يقظته متأزم يعض شفتيه ويفرك يديه ويكلم نفسه، وإذا استمر التأزم أمدا طويلا فإنه يفضي بصاحبه إلى حياة خير منها الموت!

لذلك كان البحث عن السلام النفسي هدف المصلحين من أساطين الاجتماع وعلماء النفس، وله عياداته الصحية وأطباؤه المعالجون ولكن الإنسان قبل كل شيء، هو العامل الأول في البرء والشفاء، فلابد لكل من يواقع تأزما، أو يعاني توترا أن يكون طبيب نفسه أولا، لأن الأسباب النفسية المسببة للقلق لابد أن يكون المريض مصدرها الأول، وقد تدل الأعراض طبيب الأمراض الجسمية على حقيقتها في الجسم، فيبادر إلى العلاج وفقا لما يرى بعينه، ويلمس بأشعته وتحليله، أما مريض النفس فلابد أن يساعد طبيبه بإبداء كل ما يحس، والتزام الصدق كل الصدق فيما يقول.

ونحن في هذا المجال نشير بوجه عام إلى أهم الأسباب التي توجب القلق المتوتر في النفس والتي نوصي بتجنبها قدر المستطاع، فكما يعرف مريض الجسم بواعث علته فيعمل على تجنبها، فكذلك على صاحب هذا التأزم أن يبتعد عن بواعث القلق والتوتر فتكون الوقاية حينئذ خيرا من العلاج.

الطموح الكاذب

أول بواعث هذا التوتر هو الطموح الكاذب، بمعنى أن يتطلع الإنسان إلى ما فوق قدرته المحدودة، فإذا لم يجد لتطلعاته منفذا للتحقق، تكدر خاطره وعبس وجهه وانتقل إلى التوتر المتأزم يوما بعد يوم، ونحن لا نمنع أن يكون الإنسان ذا أمل مشرق يسعى إلى

تحقيقه، فالأمل مصباح منير يهدى إلى السعادة النفسية فى طريق الحياة، ولكن الأمل أملان، أمل معقول يكون تحقيقه فى مستطاع الإنسان لو واصل السير ودأب على النضال لأن الوسائل متوقعة والعواقب منتظرة، وهذا الضرب من الأمل هو ما يحلم به الإنسان السوى الذى يعيش فى أرض الواقع مفتوح العينين، يقظ الفؤاد.

أما النوع الثانى فهو الأمل الكاذب، الذى لا تتهيأ الوسائل المشروعة إلى تحقيقه بحيث يتطلب قدرات ومعونات لا تتيسر فى منطق الواقع، وهنا يكون الأمل مصدر تعاسة لأن صاحبه خيالى لا عملى، والخيال قد يريح النفس لحظات من زمن ولكنه وهم لا يثمر تحقيق الأمل، فإذا أراد الإنسان أن يكون بعيداً عن التأزم النفسى فليتجنب هذا الطموح الكاذب لأنه بتطلعه إلى ما لا يملك تحقيقه، يشعر بإحساس من فقد شيئاً عزيزاً كان فى يده، ثم يمتد وهمه فيحس أنه فقد حقه الطبيعى، وإرثه الشرعى، فهو إذن مظلوم مضطهد، وقد وقفت الحوائل المسدودة دون أن ينال حقه المشروع، فإذا تمكنت هذه الخواطر من نفسه، فقد حلت الحرب النفسية محل السلام الهادىء، وقد أصبح صاحبنا برما بالحياة ضائق الصدر، ينظر إلى الناس جميعا وكأنهم غصبوا إرثه المتخيل، واستولوا على حقه المزعوم.

إفـــــراط النــــــدم

والباعث الثانى للتوتر النفسى هو الإفراط فى الندم على ذنب ارتكب أو موقف ضاعت فرصته القريبة فلم تسعد بما كان يتوقع والحق أن ظاهرة الندم صحية مفيدة، لأنه فى حقيقته ثمرة مراجعة واعية لما سلف من الأخطاء، وبهذه المراجعة تتضح الصورة فى أوضح قسماتها، فيعرف الإنسان مواضع الضعف والسقوط ويسارع فى تجنبها، فالندم ظاهرة صحية دعت إليها مواعظ الدين، وحكم الأخلاقيين، ولكن الإفراط فى الندم، وهو ما يسميه النفسيون بعقدة الذنب إذا تمكن من الإنسان قلب حياته من صباح إلى مساء، فالذى يستمر على تخطئة نفسه، تخيل ما سيلقى من الشرور فى مستقبله، عليه أن يصحح موقفه سريعا فيعرف أن الخطأ من طبيعة الإنسان وليس من الكارثة أن يقع فيه، ولكن الكارثة كل الكارثة فى الإصرار عليه، ومحاولة العودة إليه، لذلك كانت التوبة بابا جديدا للهدوء ونسيان الماضى، والتطلع إلى غد مشرق وضىء يتسم بالصواب والسداد وقد يكون الفشل فى الماضى، مدعاة ندم متأزم دون أن يقوم الفاشل بأخطاء تسبب إخفاقه ولكن ظروف مجتمعه قد أوقعته فيما لا يد له فيه، وهنا يجب على الإنسان الطبيعى أن يكون سعيدا بينه وبين نفسه لا أن يكون تعسا شقيا، لأن أسباب الفشل لم تأت عن تقصير أو قصور، وإذا ارتطم به فعليه أن ينجو منه ناسيا إياه ومتطلعا إلى أفق بهيج.

المقارنـــــات العميقـــة

وأسوأ ما يجلب التأزم للإنسان أن يعقد المقارنات بينه وبين من سبقوه في مجال التقدم من زملائه، فقد يكون الرجل سعيدا برزقه، مكتفيا بدخله، مطمئنا لوظيفته وفي كل ذلك ما يُطمئن ويقنع، ولكنه يعرف من إخوانه من سبقوه إلى ما يظنه مجال الظهور والارتقاء، فيغمر نفسه بكدر لا مبرر له، وقد يمتد تفكيره في هذه المقارنة، فينتقل من الصفاء إلى الضجر والضيق، وتعبس في وجهه مشارق الحياة دون باعث حقيقي على هذا العبوس، وينقلب إلى أهله مريضا أو كالمريض، لا يطيق الكلام المسترسل، ولا يأنس بالحوار المبتسم، فإذا سألته : هل جدّ جديد سبب هذا التأزم؟ لم تجد في واقعه الملموس أنه انحدر من مكان إلى مكان، أو قوبل بشر يتهدده بعاقبة سيئة، أو فقد عزيزا يحرص على بقائه، ثم هو مضطر في بعض حالاته أن يخفي سر آلامه كيلا يواجه بالاعتراض من الصديق، أو الشماتة من العدو، فيزداد الأمر بلاء، لأنه مع الكتمان المتأزم يزيد النار لهيبا في أنحاء صدره، ولا منجاة من هذا كله إلا بالنظر الواقعي إلى أمور الحياة، ومعرفة أنها مجال للشذوذ، والاستثناء في بعض أمورها وأن الشاذ لا قياس عليه، وأن الاستثناء موضع تصحيح لا موضع تثبيت، وبذلك تنتهي المقارنة بين الزملاء إلى الصفاء لا إلى الشقاء.

هذه بعض بواعث القلق النفسي، وبمحاولة البعد عنها يتحقق السلام الراضي والصفو المريح، وقراءة سير القانعين من علماء السلف، ونبهاء العصر الحاضر، تنتقل بالقارئ إلى القدوة الصالحة، فيهدأ بعد اضطراب، ويرتاح بعد لغوب.

د. / محمد رجب البيومي

تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال الله - تعالى -: ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ
مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ
قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ
﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ
لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟
ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ
وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

البقرة: ٢٣٦ - ٢٣٧

قوله -تعالى-: ﴿ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ ﴾ اى ما لم تجامعوهن ولم تدخلوا بهن والمس فى الأصل معناه: اللمس، ويقال فيما معه إدراك بحاسة اللمس ثم أطلق على سبيل الكناية على ما يكون بين المرء وزوجه من جماع ومباشرة وعلى غير ذلك مما يكون فيه إصابة حسية أو معنوية. وهذه الكناية من ألطف الكنايات التى تربى فى الإنسان حسن الادب، وسلامة التعبير، وتجنبه النطق بالالفاظ الفاحشة. وقد تكرر هذا التعبير المهذب فى القرآن الكريم ومن ذلك قوله -تعالى- حكاية عن مريم:

﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ﴾(١)

والمراد بالفريضة هنا المهر الذى يفرضه الرجل على نفسه للمرأة قبل الدخول بها والمعنى: لا إثم عليكم ايها الرجال إذا طلقتم النساء لاسباب مشروعة، وبطريقة مرضية، قبل الدخول بهن، وقبل أن تقدروا لهن مهرا معينا.

ثم بين - سبحانه - ما للمرأة على الرجل فى هذه الحالة فقال:

﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴾

قوله -تعالى-: ﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ ﴾ اى ملكوهن ما ينتفعن به، ويدخل التسلية والسرور على نفوسهن. وأصل المتعة والمتاع ما ينتفع به الإنسان من مال أو كسوة أو غير ذلك، ثم أطلقت المتعة على ما يعطيه الرجل للمرأة من مال أو غيره عند طلاقها منه لتنتفع به، جبرا لخاطرها، وتعويضا لما نالها بسبب هذا الفراق.

و ﴿ الْمُوسِعِ ﴾ هو الغنى الذى يكون فى سعة من غناه. يقال: اوسع الرجل إذ كثر ماله، واتسعت حاله. و ﴿ الْمُقْتِرِ ﴾ هو الفقير الذى يكون فى ضيق من فقره. اقتر الرجل اى افتقر وقل ما فى يده.

والمعنى: لا حرج عليكم فى طلاقكم للنساء قبل ان تدخلوا بهن وقبل أن تقدروا لهن مهرا معينا، وليس من حقهن عليكم فى هذه الحالة ان يطالبكم بالصداق، وإنما من حقهن عليكم أن تمتعوهن بأن تدفعوا لهن ما ينتفعن به كل على حسب حاله وطاقته، فالاغنياء يدفعون ما يناسب غناهم وسعتهم، والفقراء يدفعون ما يناسب حالهم.

وقوله: ﴿ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ ﴾ اى اعطوهن ما يتمتعن وينتفعن به بالقدر المتعارف عليه بين العقلاء، فلا يعطى الغنى ما لا يتناسب مع غناه ولا مع حال المرأة التى طلقها، ولا يعطى الفقير شيئا تافها لا يسمى فى عرف العقلاء متاعا كما انه لا يكلف فوق استطاعته، لان المتاع ما سمى بهذا الاسم إلا لانه يتمتع به وينتفع به لفترة من الزمان.

وقوله: ﴿ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴾ تاكيد لهذا التمتيع الذى هو من حق المرأة على الرجل الذى طلقها قبل ان يدخل بها وقبل أن يسمى لها مهرا.

---

(١) سورة ال عمران الآية ٤٧.

أى: هذا التمتيع حق ثابت على المحسنين الذين يحسنون إلى أنفسهم بامتثالهم لأوامر الله، وبترضيتهم لنفوس هؤلاء المطلقات اللاتى تأثرن بسبب هذا الفراق. فالآية الكريمة ترفع الإثم عن الرجال الذين يطلقون النساء قبل الدخول بهن وقبل تسمية المهر لهن، متى كانت المصلحة تستدعى ذلك، وتبين الحقوق التى للمرأة على الرجل فى هذه الحالة.

قال القرطبى: قوله -تعالى-:

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾.

إلخ هذا أيضاً من أحكام المطلقات، وهو ابتداء إخبار برفع الحرج عن المطلق قبل البناء والجماع، فرض مهراً أو لم يفرض ولما نهى رسول الله ﷺ عن التزوج لمعنى الذوق وقضاء الشهوة، وأمر بالتزوج لطلب العصمة والتماس ثواب الله وقصد دوام الصحبة وقع فى نفوس المؤمنين أن من طلق قبل البناء قد واقع جزءاً من هذا المكروه، فنزلت الآية رافعة للجناح فى ذلك إذا كان أصل النكاح على المقصد الحسن»[٢].

وقوله: ﴿أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ معطوف على ﴿تَمَسُّوهُنَّ﴾ المنفى، أى لا حرج عليكم فى تطليقكم النساء فى حالة عدم الدخول بهن وعدم تقدير مهر معين لهن.

وقوله: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ﴾ إلخ تشريع حكيم وتوجيه سديد، لأن فراق المرأة قبل الدخول بها وقبل تقدير مهر لها بشىء جفوة ممضة بين المرأة وبين مطلقها، وقد يسىء هذا الفراق إليها وإلى أسرتها، فكان هذا الحق الذى جعله الله للمرأة على الرجل هو التمتيع، تسرية لنفسها، وتعويضاً عما أصابها بسبب هذا الفراق، وتلطيفاً لجو الطلاق وما يصاحبه من جفاء وبغضاء، واستبقاء للمودة الإنسانية بين الطرفين، وإزالة لما عسى أن يقوله البعض من أنه ما طلقها من طلقها إلا لشىء.

ولا شك أن إنهاء الحياة الزوجية قبل الدخول فيها، لضرورات اقتضاها هذا الإنهاء، أخف وأيسر من إنهائها بعد الدخول فيها.

قال الجمل ما ملخصه: وقوله:

﴿عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ﴾ جملة من مبتدأ وخبر وفيها قولان: **أحدهما**: أنها لا محل لها من الإعراب بل هى استئنافية بينت حال المطلق بالنسبة إلى يساره وإقتاره.

والثانى: فى محل نصب على الحال وصاحب الحال فاعل متعوهن. والرابط بين جملة الحال وصاحبها محذوف والتقدير: على الموسع منكم.

و ﴿مَتَاعًا﴾ منصوب على المصدر.

و ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ جار ومجرور صفة له.

و ﴿حَقًّا﴾ صفة ثانية لقوله:

﴿مَتَاعًا﴾ أو مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله. وعامله محذوف وجوباً والتقدير: حق ذلك حقاً»[٣].

---

(٢) تفسير القرطبى جـ٣ صفحة ١٩٦.

(٣) حاشية الجمل على الجلالين جـ١ صفحة ١٩٣.

هذا، ويرى بعض العلماء أن المتعة واجبة للمرأة على الرجل فى حال مفارقتها قبل الدخول بها وقبل تسمية المهر، لأن الآية الكريمة قد أكدت ذلك وجعلته حقًا ثابتًا لا يجوز التحلل منه قال -تعالى-:

﴿ مَتَٰعَۢا بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.

ويرى بعضهم أنها مستحبة، لأن التعبير بالمحسنين يدل على أن المتعة غير واجبة وقد رجح المحققون من العلماء الرأى الأول وقالوا: إن الإحسان لا ينافى الوجوب الذى دل عليه الأمر يؤيد هذا قوله:

﴿ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ ﴾.

فقد جعل الله المتعة على الفريقين كل فريق على حسب طاقته وقدرته.

والمتعة تختلف باختلاف الأحوال من يسار وإعسار، يقدرها القاضى على الرجل على حسب حالته كما يقدر النفقة.

والصالحون من الناس هم الذين يبذلون المتعة للمطلقة بسخاء ومودة، ولقد أثر على الحسن بن على -رضى الله عنهما- أنه متع امرأة طلقها بعشرة آلاف درهم، فلما تسلمت هذا المال الوفير قالت: «متاع قليل من حبيب مفارق».

ثم بين - سبحانه - حق المرأة فيما لو طلقت قبل الدخول بها وبعد تسمية مهر لها فقال -تعالى-:

﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ﴾

أى: وإن طلقتم يا معشر الرجال النساء من قبل أن تدخلوا بهن وتباشروهن، ومن بعد أن قدرتم لهن صداقًا معلومًا، فالواجب عليكم فى هذه الحالة أن تدفعوا لهن نصف ما قدرتم لهن من صداق، إلا أن تتنازل المرأة عن حقها فتتركه لمطلقها بسماحة نفس، بأن تكون هى الراغبة فى الطلاق، أو يتنازل الذى بيده عقدة النكاح وهو الزوج عن حقه بأن يدفع لها المهر كاملا أو ما هو أكثر من النصف لأنه هو الراغب فى الطلاق.

وجملة ﴿ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ فى موضع نصب على الحال من فاعل:

﴿ طَلَّقْتُمُوهُنَّ ﴾ أو من مفعوله. أى وإن طلقتموهن حالة كونكم فارضين لهن المهر أو حالة كونهن مفروضًا لهن المهر.

والفاء فى قوله: ﴿ فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ ﴾ واقعة فى جواب الشرط، والجملة فى محل جزم جواب الشرط، و«نصف» مرفوع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أى فالواجب نصف، أو مبتدأ محذوف الخبر أى فلهن نصف، وقد صرحت الآية الكريمة بوجوب النصف، ولم تصرح بوجوب دفعه، لأنه قد يكون قدم لها المهر كله أو بعضه، فكان التعبير بالوجوب بيانًا للحكم حتى يسترد المطلق ما دفعه زيادة عن النصف إن أراد ذلك، أو يكمل لها النصف إن كان قد دفع أقل منه.

وقوله:

﴿ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ﴾

استثناء مفرغ من عموم الأحوال. و ﴿ يَعْفُونَ ﴾

فعل مضارع والواو فيه لام الفعل، ونونه ضمير جماعة الإناث فهو هنا مبنى على السكون فى محل نصب بأن . ووزنه يفعلن أى: فلهن نصف المهر الذى فرضتموه لهن فى كل حال إلا فى حال عفو المطلقات أى إبرائهن لكم وتنازلهن عن هذا الحق، أو فى حال عفو الذى بيده عقدة النكاح، وهو الزوج المطلق- عند الأحناف والشافعية- لأنه هو المالك لعقد النكاح وحله، والمراد بعفوه أن يزيد على نصف المهر المقرر.

ويرى المالكية أن الذى بيده عقدة النكاح هو ولى المرأة لأنه هو الذى بيده عقدة النكاح ثابتة، وأما الزوج فله ذلك حالة العقد المتقدم فقط.

ويكون المعنى على هذا الرأى: عليكم يا معشر الرجال أن تدفعوا للنساء نصف المهر إذا طلقتموهن بعد أن قدرتم لهن مهراً وقبل أن تمسوهن إلا أن يتنازل النساء عن هذا الحق، إذا كن يملكن ذلك، أو يتنازل أولياؤهن إن كن لا يملكن حق التنازل، كأن تكون البنت صغيرة، أو غير جائزة التصرف.

وقد دل كل فريق على مذهبه بما هو مبسوط فى كتب الفقه.

ثم حبب - سبحانه - إلى الناس التسامح والتعاطف فقال:

﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

أى: من حق المرأة المطلقة على مطلقها أن يدفع لها نصف المهر إذا كان الطلاق قبل المباشرة وبعد تحديد المهر، وإذا تنازل أحد الطرفين عن جزء من حقه لصاحبه كان هذا التنازل حسناً . لأن هذا التنازل والتسامح يضفى على جو الطلاق لوناً من المودة والتقارب بين النفوس التى آلمها الفراق بتلك الصورة، فاحرصوا -أيها الناس- على هذا العفو بأن يتنازل كل فريق منكم لصاحبه عن شىء من حقه، ويتسامح معه، فإن ذلك أقرب إلى تقوى القلوب، وصفاء النفوس، ولا تتركوا أن يتفضل بعضكم على بعض بالإحسان، وحب الخير وجميل الذكر، فالله -تعالى- بصير بأعمالكم وسيحاسبكم عليها، وسيجازى كل نفس بما عملت.

فالجملة الكريمة توجيه حكيم للناس إلى ما يدفع عنهم التشاحن والتباغض والتخاصم خصوصاً فى حالات الطلاق التى هى من أشد الأحوال دفعاً إلى هذه الرذائل.

ولقد حفظ لنا التاريخ الإسلامى صوراً مشرقة لهذا العفو والفضل من ذلك ما ذكره الإمام الزمخشرى من أن جبير بن مطعم دخل على سعد بن أبى وقاص فعرض عليه بنتاً له فتزوجها . ثم طلقها قبل أن يدخل بها وبعث لها المهر كاملا . فقال له: لم تزوجتها؟ فقال: عرضها على فكرهت رده. فقيل له: فلم بعثت بالصداق كاملا؟ قال: فأين الفضل.

وروى أن أحد الصحابة تزوج امرأة وطلقها قبل الدخول بها فأعطاها الصداق كاملا، فقيل له فى ذلك فقال: أنا أحق بالعفو منها[4].

وهكذا نرى مبلغ استجابة السلف الصالح لتوجيهات القرآن ووصاياه، فأين المسلمون اليوم من هذه الوصايا والأحكام؟

«يتبع»

---

(٤) تفسير الكشاف جـ١ ص٢٨٦ بتصرف يسير.

السنة

الرَّهْنُ (*)

لفضيلة الأستاذ / عبد الرحمن الجزيري
عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر

إعداد الشيخ / على حامد عبد الرحيم

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «الرهن يركب بنفقته إذا كان مرهونا، ولبن الدر يشرب بنفقته إذا كان مرهونا، وعلى الذى يركب ويشرب النفقة»، وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت: «اشترى رسول الله ﷺ من يهودى طعاما ورهنه درعه»، رواهما البخارى.

يتعلق بشرح هذين الحديثين أمور: (١) بيان معنى الرهن (٢) شروطه (٣) حكم الانتفاع بالمرهون سواء كان أرضا أو دارا للسكنى أو حيوانا أو غير ذلك (٤) لماذا رهن النبى ﷺ درعه عند اليهودى مع أن المسلمين كانوا يومئذ كثيرين وهو كان سيدهم بدون منازع؟

(*) من مختارات مجلة الأزهر ـ ربيع الآخر سنة ١٣٥٨ هـ.

(١) يطلق الرهن في اللغة على الثبوت والدوام، ومن ذلك قولهم: نعمة راهنة بمعنى دائمة وثابتة، كما يطلق على الحبس، ومنه قوله تعالى:

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾(١) أي رهن وحبس بكسبها بحيث لا ينفك عنها عند الله ـ تعالى ـ سواء كان خيرا أو شرا. والمراد المبالغة فكأن النفس هي عين الرهن، وقد يطلق على نفس العين المرهونة، فإذا وضع شخص عينا عند شخص آخر لتنوب مناب ما أخذه منه من مال أو غيره فإنه يقال لتلك العين رهن، مثلا إذا اقترض شخص من آخر مائة جنيه ووضع عنده دار لتنوب مناب الجنيهات فإنه يقال لهذه الدار رهن. وكذا إذا أخذ منه ناقة ووضع عنده ثورا لينوب مناب ناقته، فإنه يقال لهذا الثور رهن. وأما معنى الرهن في الشرع فهو: « جعل عين لها قيمة مالية في نظر الشرع وثيقة بدين بحيث يمكن أخذ ذلك الدين أو أخذ بعضه من تلك العين ». وهذه العبارة معناها ظاهر معروف عند الناس، وإن كان في بعض ألفاظها خفاء يفهمه طلبة العلم، وذلك لأن الغرض منها أن يستدين شخص من آخر دينا ويجعل له في نظير ذلك الدين عقارا من أرض أو نحوها، أو حيوانا محبوسا تحت يده حتى يقضيه دينه، ذلك هو المعنى المراد، فمعنى قولهم: وثيقة: شيء متوثق به، مأخوذ من وثق كظرف إذا صار وثيقا محكما، وذلك لأن الدين أصبح بحبس هذه العين محكما لا يسع المدين إلا سداده أو تضيع عليه هذه العين كلها أو بعضها بحسب ذلك الدين. هذا وقد اصطلح الفقهاء على تسمية مالك العين (راهن)، وتسمية صاحب الدين الذي يأخذ الرهن في نظير دينه (مرتهن)، ومن هذا تعلم أن العين المرهونة قد تسمى رهنا وصاحبها الذي رهنها يسمى راهنا، وصاحب الدين يسمى مرتهنا.

(٢) أما شروط صحة الرهن، فمنها العقل، فلا يصح أن يكون أحد المتعاقدين (الراهن أو المرتهن) مجنونا، وهذا الشرط متفق عليه طبعا، ولابد منه في جميع العقود. ومنها البلوغ، فلا يصح أن يكون أحدهما صبيا غير مميز، لأنه في حكم المجنون باتفاق أيضا. أما الصبي المميز فإنه يصح أن يكون راهنا أو مرتهنا لأنه يعرف معنى المعاملة ويدرك ما يترتب عليها من منافع ومضار، ومع هذا فإن عقده لا ينفذ إلا إذا أقره الولي، وفي ذلك من الحيطة ما لا يجعل بين عقد وليه وعقده فرقا ما دام المرجع في النهاية للولي، ولذا اتفق الأئمة على هذا ما عدا الشافعية، فإنهم هم الذين قالوا: إن رهن الصبي لا يصح ولو كان مميزا ولو أذنه وليه. وعلى كل حال فالخلاف في هذه المسألة هين، ومنها أن لا تكون العين المرهونة غير معينة بحدودها، فلا يصح رهن المشاع سواء كان عقارا أو عروض تجارة، أو حيوانا، أو غير ذلك، وهذا الشرط انفرد به الحنفية، وخالفهم غيرهم، فقالوا إنه يصح رهن المشاع. مثلا إذا كان لشخص دين على آخر، فله أن يرهن له بدينه جزءا من داره المملوكة له مقابل ذلك الدين سواء كان شريكا له في هذه الدار أو لا، فإذا ملك شخصان دارا فإن لأحدهما أن يرهن نصيبه المشاع لشريكه كما إذا كان يملكها وحده، وكذا إذا كان يملك شخص تجارة من

---

(١) المدثر (٣٨).

قمح أو عسل أو نحو ذلك، فإن له أن يرهن جزءا مشاعا منها، مثلا إذا كان لشخص محل تجارة (دكان) به بضاعة من قماش أو غيره، فله أن يرهن بعض هذه البضاعة كنصفها أو ثلثها مشاعا، ومثل ذلك ما إذا كان يملك جملا أو حمارا، فإن له أن يرهن بعضه مشاعا، وقد عرفت أن هذا الحكم لم يخالف فيه سوى الحنفية، فإنهم قالوا إنه يجب أن يكون المرهون متميزا، فلا يصح رهن المشاع سواء كان يحتمل القسمة أو لا، وسواء رهنه لأجنبي أو لشريكه، فلو كان لشخص دين على آخر، وكان شريكا له في داره أو في أرض زراعية، فإنه لا يصح له رهن نصيبه لشريكه إلا بعد القسمة وفرز نصيب كل منهما، ومنها أن تكون العين التي يراد رهنها موجودة وقت العقد، فلا يصح رهن الثمرة التي لم توجد، فإذا رهن شخص ثمر حديقته قبل وجوده فإنه لا يصح لأن مالكه لا يقدر على تسليمه وقت العقد، وهذا متفق عليه بين ثلاثة من الأئمة، وخالف المالكية، فقالوا إن رهن غير الموجود فعلا جائز، وإن كان لا يجوز بيعه، على أنهم اختلفوا في ذلك، فقال بعضهم إذا كان المرهون معدوما وقت العقد بالكلية فإنه لا يجوز رهنه، وذلك كثمر الحديقة قبل بروزه (طرحه)، أما إذا برز ولو كان صغيرا فإنه يجوز رهنه باتفاق. وبعضهم قال: يجوز رهن المعدوم بالكلية. فلو رهن شخص ثمر حديقته سنين كثيرة، فإن الرهن يصح، وكذلك إذا رهن ولد الناقة وهو في بطنها فإنه يصح. ومحل هذا الخلاف عندهم ما إذا علق الرهن على عقد آخر من عقود البيع أو القرض. مثلا أن يقول شخص لآخر بعتك هذه الناقة بثمن كذا إلى أجل كذا بشرط أن ترهن لي ثمر حديقتك سنتين أو أكثر أو أقل أو يقول له أقرضتك عشرين جنيها بشرط أن ترهن لي ما تنتجه غنمك سنة أو سنتين، فهذا الرهن هو المختلف في صحته عند المالكية. أما إذا رهن ثمر الحديقة، أو ولد الناقة التي في بطنها بدون أن يعلقه على شيء آخر فإنه يجوز بلا خلاف عندهم. فإذا رهن ثمر الحديقة قبل أن يظهر صلاحه فإنه يصح، وينتظر حتى ينضج، ثم يأخذه إن لم يرد له دين الرهن.

وقد يقول بعض الناس: ما حكم بيع ثمار الحدائق والنخيل قبل بروزه (طرحه)، فإن هذا الحكم كثير الوقوع بين الناس، وقد اعتاد المسلمون أن يتبعوا في معاملاتهم القوانين الوضعية بدون نظر إلى ما نقله أئمة الدين من القواعد والأحكام، وفي ذلك من الجراءة على هجر قواعد الإسلام ما لا يخفى والجواب: أنه يجب على المسلمين أن يستمسكوا في جميع معاملاتهم بقواعد دينهم، ويصرفوا أنظارهم عن القوانين الوضعية التي قد تضرهم أكثر مما تنفعهم. أما حكم بيع الثمار قبل أن يظهر صلاحها أو قبل (طرحها) فإليك بيانه:

اتفق أئمة المذاهب على أنه لا يصح بيع الثمار قبل أن تبرز ويظهر صلاحها، وظهور الصلاح يكون بأمور قد فصلها علماء المذاهب. منها اللون وهو علامة لصلاح البلح والعناب، ومنها الطعم كحلاوة القصب وحموضة الرمان، ومنها النضج ويظهر في البطيخ والتين فمتى نضج فإنه يظهر صلاحه، ومنها الاشتداد كالقمح والشعير، فمتى قوي حبه واشتد فقد ظهر صلاحه. ومنها الطول والامتلاء كالملوخية والفصولياء واللوبياء. ومنها انشقاق الغلاف كالقطن والجوز. فهذه الأوصاف علامة ظهور الصلاح عند الشافعية. وقد وافقهم المالكية في كثير منها فقالوا: إن ظهور صلاح البلح والعناب باصفراره أو احمراره، ويلحق به القاوون والخرش والعجور (العبد اللاوي)

والدميرى (الشهد)، وبعضهم يقول: إن هذه الأنواع لا يلزم فيها الاصفرار بالفعل بل يكفى أن تقرب من الاصفرار، والأمر فى ذلك سهل، أما البطيخ فظهور صلاحه يكون بتلون لبه بالاحمرار أو الاصفرار، وعلى هذا فلا يصح بيع البطيخ الذى لونه أبيض إلا إذا كان ذلك اللون طبيعيا له فلا ينافى حلاوته. وبالجملة فظهور صلاح الفاكهة عند المالكية مداره على إمكان الانتفاع بها، ولو بعد قطعها بزمن كالموز فإنه يصح بيعه وهو أخضر لم يستو لأنه يمكن وضعه فى تبن أو نخالة أو نحو ذلك فيستوى، وما ذكروه من تفاصيل العلامات الدالة على ظهور الصلاح فإنما يقصدون منها ذلك. مثلا القمح والحبوب فإنهم يقولون: إن ظهور صلاحه بيبسه وانقطاع سقيه بالماء بحيث لو سقى بالماء لا ينتفع به، وهذا معنى إمكان الانتفاع به لأنه فى هذ الحالة يكون (فريكا) إذا كان قمحا، ويكون حبا ينتفع به إذا كان غير قمح. أما الحنفية فإنهم يقولون: إن ظهور صلاح الثمرة هو أن يؤمن عليها من العاهات والفساد، فمتى اجتازت الثمرة الأدوار التى تكون فيها عرضة للفساد بسبب الآفات الجوية وغيرها فقد ظهر صلاحها وصح بيعها منفردة عن غيرها، أما إذا لم يظهر صلاحها بهذه الحالة فإنه لا يصح بيعها منفردة مطلقا. والحنابلة يقولون: ظهور الصلاح فى الثمر هو أن ينضج ويطيب أكله، وفى الحب هو أن يشتد أو يبيض، وإذا اشترى ثمرة لم يتوفر فيها هذان الشرطان فإنه لا يصح شراؤها إلا إذا اشترط قطعها فى الحال.

ومن هذا تعلم أن أئمة المذاهب قد أجمعوا على أنه لا يصح بيع الثمار والفواكه قبل أن تبرز على أشجارها ويظهر صلاحها بحيث يمكن الانتفاع بها. ومن الأسف أن هذا الحكم مهمل تمام الإهمال فإننا ترى أرباب الأملاك يبيعون ثمار حدائقهم ونخيلهم قبل بروزها ولا يسألون بأحكام شريعتهم مع أنها مطابقة للعقل وموافقة للمصلحة من جميع جهاتها، إذ من الواضح الجلى أن الشجر قد لا يثمر أو قد تتسلط عليه آفة تعدم ثمره قبل أن يشتد وفى ذلك من الضرر على المشترى ما لا يخفى. أما المالك فإنه مكلف عقلا وشرعا بأن يبيع سلعة ينتفع بها المشترى، فليس من قواعد التعامل بين الناس أن يبيع المالك شيئا معدوما أو يبيع شيئا محتمل الوجود والعدم. ولا يقال إن البائع لم يجبر المشترى على الشراء فهو الذى قذف بنفسه فى هذا المضيق، لأنا نقول: إن الشريعة الإسلامية فرضت على البائع أن يتعفف عن التغرير والإجحاف، فإذا وجد شخص مجازف يريد أن يشترى منه ما لا يحل له بيعه فإنه يجب عليه ألا يوافقه على هذا، وبذلك تتوثق صلات المودة بين الناس، وتزيد وسائل الثقة بينهم.

(٣) أما حكم الانتفاع بالمرهون فينبغى أن يكون محل عناية ونظر دقيقين. وذلك لأن علاقته بالربا ظاهرة، فإن الذى يقرض شخصا مقدارا من النقدين بفائدة كالذى يرهن عقارا أو نحوه فى نظير مبلغ ثم ينتفع بهذا العقار، لأن الانتفاع بالعقار هو الفائدة التى يأخذها رب المال على قرض المال. ولهذا منع الشافعية الانتفاع بالمرهون بتاتا، فليس للراهن أن ينتفع عندهم بالمرهون على أى وجه. وفائدة الرهن فى هذه الحالة هى توثيق الدين وضمانه بحيث إذا لم يؤده الراهن فى الموعد المحدد فإنه يجبر على سداده. أما بعض الأئمة فإنهم رأوا أن الانتفاع بالرهن يمكن أن يفارق الفوائد الربوية، فيصبح الانتفاع بالمرهون متى أمكن أن يفارق عقد الربا، وذلك بأن يرهن له العين ويأذن له فى الانتفاع بها بشرط أن لا يذكر ذلك فى عقد الرهن.

ومتى اذنه بالانتفاع فإنه لا يصح له الرجوع بعد ذلك. وهذا هو رأى أكثر الحنفية، وقالوا: إن لذلك نظيرا، وهو ما إذا اقترض من شخص قرضا ثم أهدى له هدية، فإنها إذا لم تكن مشروطة فى العقد كانت جائزة. أما إذا اشترطها فى العقد فإنها تكون مكروهة فقط. وأظن أن فى هذا الرأى سعة، لأن الناس يصعب عليهم أن يتركوا أموالهم بدون استثمار خصوصا فى هذا الزمن الذى غلبت فيه المادة، وقد تقف مصلحة الشخص المالية إذا لم يرهن جزءا من ملكه يسد به حاجته الضرورية. فرأى جمهور الحنفية فى ذلك مناسب لهذا الزمان بدون نزاع. أما المالكية فإنهم أجازوا الانتفاع بثمرة المرهون ونتاجه بثلاثة شروط:

(أحدها) أن يكون الدين بسبب البيع لا بسبب القرض. مثال ذلك أن يبيع شخص لآخر دارا أو أرضا زراعية أو عروض تجارة أو نحو ذلك بثمن مؤجل فيرهن له فى نظير ذلك الدين عينا لها فائدة فإن لصاحب الدين وهو المرتهن فى هذه الحالة أن ينتفع بفائدة هذه العين المرهونة. (ثانيها) أن يشترط المرتهن (صاحب الدين) أن تكون منفعة العين المرهونة له، فإن تطوع له بها الراهن فإنه لا يصح. (ثالثها) أن تكون مدة المنفعة التى يشترطها معينة، وغرض المالكية من ذلك إنما هو الفرار من الربا، وذلك لأنه إذا أقرضه مائة جنيه مثلا، ورهن له بها فدانا وانتفع بغلته، كان ذلك فائدة ربوية لأن الفائدة فى هذه الحالة تكون فى نظير القرض. أما إذا باع له فدانا بمائة جنيه مؤجلة فقد أصبحت المائة جنيه دين بيع لا قرضا. فإذا رهن منه دارا فى نظير ذلك الدين وانتفع به فإنه يكون جائزا لأن المنفعة ليست مقابلة للقرض، وإنما هى مقابلة لدين البيع. وقد وافق الحنابلة المالكية على هذا الحكم، فقالوا: إن كان سبب دين الرهن قرضا فإنه لا يصح الانتفاع بالمرهون، وإلا فإنه يصح.

هذا وقد أجاز الأئمة الانتفاع بالحيوان المرهون من لبن وركوب ونحو ذلك فى نظير أكله كما هو منصوص عليه فى الحديث الذى معنا.

(٤) أما كون الرهن جائزا فذلك مما لا خلاف فيه، فقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع. فقد عرفت فى الحديث الثانى أن النبى ﷺ قد رهن درعه عند اليهودى. ومما لا ريب فيه أن رسول الله ﷺ كان قادرا على الحصول على كل ما يمكنه من زخارف الحياة الدنيا وزينتها، وكان قادرا أن يختص بكل ما فيه مظاهر الملك وأبهة السلطان، ولكنه رسول الله حقا، فقد عرف الدنيا حق معرفتها، وقدر ما يترتب على شهواتها وملاذها حق قدره، فرفض من نعيمها الزائل وشهواتها المغرية ما لا فائدة فيه للمجتمع الإنسانى. ولهذا كانت تأتيه الأموال أكواما فيوزعها على مستحقيها بدون أن يأخذ منها كثيرا أو قليلا. ولقد روت زوجه السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ أنهم كانوا يمكثون الشهر والشهرين بدون أن يوقدوا فى بيتهم نارا، وكانوا يعيشون على الماء والتمر، فلا عجب أن يرهن رسول الله درعه عند اليهودى لغرضين: أحدهما أنه ﷺ قد انصرف عن مظاهر هذه الحياة الدنيا وزخارفها مع أنه هو الذى كانت تهتز لذكره عروش القياصرة، وكانت تجبى إليه الأموال أكداسا مكدسة. ثانيهما للإشارة إلى ما عليه الدين الإسلامى من سماحة وتساهل مع أهل ذمته من الكتابيين، فإنه لا يفرق فى المعاملة بينهم وبين غيرهم حتى فى الأمور الشخصية التى يصح أن تكون مقصورة على المقربين من المسلمين، ولكنه ﷺ أراد أن يكون قدوة للناس فى قوله وفعله. فعليه الصلاة وعليه السلام.

هوامش على كلمة الدكتور أسامة الباز

٢

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى

تروى كتب التاريخ قضاءً قضى به عمر بن الخطاب وعقوبة أنزلها بمن ارتكب جرما؛ هذا القضاء تاج شرف وفخار على رأس الأقضية جميعا، بل هو تاج شرف للإنسانية، بل إن الإنسانية لن تفتخر على الحيوان - إن صح هذا التعبير - إلا بأمثال هذه المعانى الفاضلة التى غرسها عمر وأسسها فى قضائه النبيل.

قضى عمر بن الخطاب بالتعزير على رجل أخذ يحد شفرته بعد أن أضجع شاته ليذبحها.

وقضى عمر عليه بالتعزير لأنه كان حريا به أن يتحلى بالرحمة فى معاملة الحيوان فلا يحد الشفرة أمامها فإن فى ذلك إيلام للحيوان.

ونحن نعلم أن المستغربين الكارهين لقيم الإسلام ومثله يضيقون بأن تكون شواهد مُثلنا وحياتنا من صدر الإسلام، ويتهموننا بأننا منغلقون جامدون، حصرنا التاريخ فى فترة محدودة ونرفض التطور، نقول لهم: هل قدمتم مثلا يحتذى لم نحاول الأخذ به؟ فلماذا ما دمتم لم تقدموا الأفضل والأمثل - ولا حتى المقارب - تعيبون علينا أن نتعلق بالأفضل والأمثل؟.

نحن نعلم أنكم تضيقون بفترة الصدر الأول للإسلام لا لأنها قديمة، ولكن لأنها مسلمة محمدية، أما لو كانت يونانية أو سكسونية أو رومانية

لهللتم لها، أما وأنها مسلمة فتلك داهية ومصيبة لا تحتمل. إن عمر بن الخطاب عزر الرجل لأنه كان ينبغي عليه أن يحد شفرته بعيدا عن الشاة المهيئة للذبح، أما وأنه أضجعها للذبح وأمام عينيها أخذ يحد شفرته، فإنه عذبها بما فعل، ففي قانون عمر هو رجل قاس يستحق العقوبة ويستأهل التعزير لأن نبينا ﷺ قال: «إذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة»[1] وقال العلماء الفقهاء في دين عمر: إن إحسان الذبحة أن يحد الذابح الشفرة فلا يذبح بشفرة غير حادة. وقالوا أيضا: إن إحسان الذبحة أن يعرض على الشاة الماء. وقالوا: إن إحسان الذبحة ألا يذبح شاة أمام أخرى معدة للذبح. هذا ليس كلاما نعرضه في مجال الجدل أو للاستهلاك أو للذرائع نبرر به تدخلا سافرا أو فاجرا في شئون أمة إنما هو الواقع في حياة وثقافة أبناء أمتي.

قال صاحبي - وكأنه يريد أن ينبهني إلى الالتزام بالواقع وعدم الإفراط في ادعاء المثالية لي ولقومي: مهلا لا داعي للمبالغة والإفراط، فنحن في مجال البحث والعلم، فأين ما نحن فيه من واقع أمتك وثقافتها؟

ثم أردف مجاملا، ملاطفا: أرجوك لا تغضب مني، فأنا عهدتك تحب صراحتي ونقاشي وترفض المجاملة على حساب الحقيقة.

قلت شاكرا لصاحبي ثقته فيَّ: أسأل الله أن أكون عند حسن ظنك، ثم أردفت: ليس فيما قلته لك مثالية خيالية أو ادعاء يخالف الواقع، إنما هو الواقع بعينه بلا تزيد أو خيال، فتلك ثقافة أصيلة درجنا عليها منذ نعومة أظفارنا، ففي السنة الأولى من المرحلة الابتدائية بالأزهر كانت تدرس هذه المسائل في كتب الفقه في باب «الذكاة» ومعناها الذبح، وليست «الزكاة» زكاة المال فإن هذه بالزاي والأخرى بالذال ففي هذا الباب عرفنا شروط الذبح وآدابه وكيفيته ونحن في المرحلة الابتدائية، فهل اعتبر إذا تحدثت الآن عن إحسان الذبح ما هو وكيف يكون تظن أنني متزيد مجادل أتكلم للاستهلاك.

إنها ثقافة أصيلة تتعلمها منذ نعومة أظفارنا في معهدنا العريق الأزهر الشريف، قد تقول: إن واقع المسلمين الآن يوحي بعكس هذه الثقافة

---

(١) مسلم، كتاب الصيد ٣/١٥٤٨، رقم ٥٧.

الأصيلة وبعكس التعاليم النبيلة! أقول لك: صدقت فيما تقول، فالمسلمون تركوا تعاليم دينهم والتمسوا المدنية في ثقافات وحضارات وافدة غير أصيلة. قال صاحبي: أراك تكاد تخرج عن الموضوع، وأحرى بنا أن نعود إلى ما نحن بصدده مما ورد في مقال الدكتور الباز.

قلت مرحبا: لا بأس فلنرجع إلى مقال الدكتور الباز نتتبع نقاطه التي ذكرها وقد كنا تناولنا في المقال السابق الادعاء الأول بأن الإسلام دين يقوم على التعصب، ولنعد إلى باقي الادعاءات ونتناول بعضها اليوم على قدر ما يتاح، نسأل الله التوفيق والعون، وكما يقول المثل العربي: «ما أشبه الليلة بالبارحة».

فقد كان أسلافهم ممن كفروا بالتنزيل على سيدنا محمد ﷺ يبررون إنكارهم للرسالة بأنهم لم يشاهدوا ما نزل على رسول الله ﷺ حين نزوله فحكى الله عنهم هذا الضلال المبين وهذه العلة السخيفة فقال:

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾(٢).

وقالوا في عناد أشد سُخفا من سابقه: إن الذي يتلقى عن الله ويبلغ عنه لا يعقل أن يكون بشرا بل لابد أن يكون ملكا. فيدحض الله هذا القول الواهي في استفهام إنكاري بليغ: لو أنزل الله ملكا هل ترونه؟.

بل لابد أن يجعله الله في صورة رجل حتى يمكنكم مشاهدته والأخذ عنه، فكيف يمكنكم أن تعرفوا أنه ملك في صورة رجل أو أنه إنسان أصلا؟ يقول الله:

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾(٣).

---

(٢) الأنعام (٧)　　(٣) الأنعام (٩)

والشُبه التى نتناولها اليوم من الثانية حتى السابعة نذكرها حتى يكون القارىء الكريم متتبعا لما نتناوله :

ثانيًا : أن الإسلام يحول دون انتهاج سبيل التحديث والتطوير ، بسبب جموده وتركيزه على التراث مما يربط المسلمين بالماضى ويصرفهم عن التطلع إلى المستقبل بدليل أن بعض المسلمين ينادون بالعودة إلى القواعد والأحكام والأوضاع الاجتماعية والسياسية التى كانت قائمة فى صدر الإسلام دون أن تتوفر لديهم أى رغبة فى تطوير أسلوب حياتهم والاستفادة بما يحققه المجتمع الإنسانى من تقدم وتحديث «حداثة modernism»، ودون الالتفات إلى الظروف المتغيرة والواقع المتغير المتطور.

ثالثًا : أن الإسلام يقوم على تداخل الدين بالدولة ، وهو ما يؤدى إلى التمسك بمفاهيم جامدة للسلطات وكيفية الفصل بينها ، ورفض نسبة السلطة أو السيادة للشعب ، على أساس أنها يجب أن تكون لله وحده ، بعكس الغرب وكثير من مناطق العالم الأخرى التى نحت نحوه ، فقد تخلص هذا وأولئك من الخلط والتداخل بين الدين والدولة وحرصت دساتيرهم على النص فى موادها الأولى على مبدأ الفصل بين الدين والدولة.

ويقول بعض الشراح فى الغرب : إن الحكام المسلمين يستطيعون استخدام هذا الخلط بين الدين والدولة للزعم بأنهم يستمدون السلطة والصلاحيات من الله - تعالى - لا من الشعب ، وبذلك يتخلصون من مسئولياتهم أمام الشعب وممثليه.

رابعًا : أن الإسلام يركز على الجنس وينظر للمرأة نظرة متدنية بدائية ، ولا يضعها مع الرجل على قدم المساواة ، بل يعاملها كما لو كانت فى نصف مرتبة الرجل ، وهو ما يتبدى من أحكام الإسلام المتعلقة ، بالميراث أو الشهادة :

﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾(٤).

رجلان أو رجل وامرأتان - هكذا فى الأصل.

---

(٤) النساء (١١)

ويفرض عليها أن ترتدى الحجاب وتقبع ببيتها، وتعيش تحت رحمة الرجل، الذى يستطيع بإرادته المطلقة أن يتزوج بأكثر من واحدة أو يطلق أيا من زوجاته بإرادته المطلقة.

خامسًا: أن الإسلام لا يعرف المواطنة، ولا يعترف بالمساواة بين أبناء المجتمع الواحد في الحقوق والواجبات، لأن الفرد ينتسب إلى الأمة الإسلامية، وليس لدولة بمعناها العصرى الذى استقر عليه العرف الدولى منذ قرون.

سادسًا: أن الإسلام دين يركز على الوعيد والتهديد والزجر، ويتسم بالقسوة في التعامل مع جسم الإنسان، ومن أمثلة هذا: قسوة الحدود التى نصت عليها الشريعة الإسلامية:

- القتل.
- والصلب.
- والرجم.
- قطع اليد.
- قطع الأيدى والأرجل من خلاف.

سابعًا: أن الإسلام دين لا يعترف بحقوق الإنسان فلم يرد بشأنها نص في القرآن أو السنة الشريفة

ثم قلت لصاحبى أحب أن نتفق على نقاط محددة حتى تكون مناقشتنا مجدية.

أولاً: هل تعتقد أن الغرب يحب شعوب الدول الفقيرة أو ما يسميه العالم النامى، والشعوب العربية والإسلامية بالذات ويرجو لها الخير؟

قال: لا.

ثانيًا: أليس هؤلاء المنكرين الطاعنين على الإسلام هم سلالة المستشرقين «جولد تسيهر» وإخوانه من الحاقدين على الإسلام؟

قال: بلى.

ثالثاً: أليس هؤلاء الطاعنون هم أبناء الدول التي استعمرت بلاد الشرق ردحا من الزمن ولم تترك بلادنا إلا بعد أن نهبت خيراتنا وبعد نضال طويل وكفاح مرير كلفنا الأموال والأنفس، ونحمد الله أن هذا الكفاح تم قبل زمن العولمة البغيض الذى سمى فيه الكفاح إرهابا.

رابعا: أرجو أن تسأل علماء الأخلاق والدراسات الإنسانية: هل القيم الإنسانية تتغير تبعا للظروف أم أن ثمة قيما عليا غير قابلة للتغيير أو التبديل أو التلون تبعا للظروف أو المصالح؟.

مثلاً: الصدق، والعدل، والوفاء، قيم عليا ثابتة أم عملات كاسدة تتأرجح في زمن العولمة صعودا وهبوطا تبعا للسوق والمصالح؟

واسمح لى أن أقول لك لماذا نحن مجبرون على أن نجارى هؤلاء السفلة عندما يقولون حداثة وديمقراطية ومسميات أخرى ملعونة، لماذا نلون أهدافنا حتى يرضوا عنا؟ لماذا نكون نحن حداثيون وديمقراطيون؟ ومعذرة في كلمة «السفلة»، لأنى لا أجد ما يناسب أفعالهم إلا هذا، لأنهم لا يعتقدون أن شعوبنا تستأهل الحرية والكرامة، ولذلك قال «نهرو» فى رسالته لابنته «انديرا» وهو مسجون في عصر أسلاف «تونى بلير»: «إن الغرب يعتقد أن الحرية والديمقراطية فراء ثمين لا يناسب أبناء المناطق الحارة»، فهل تجد يا صديقى كلمة تناسب طباع هؤلاء الناس إلا ما قلته لك؟ على أى حال لماذا يتهجمون على الإسلام ويزعمون أنه يصنف الناس والبلاد إلى: ديار حرب وديار إسلام؟ وبماذا يسمون إذن ما يفعله «بوش» إمبراطور رعاة البقر عندما يصنف العالم والدول إلى دول يسميها محور الشر ودول حليفة وأخرى عدوة؟ وتحت أى بند يكون هذا التصنيف: دول تساعد الإرهاب وأخرى تؤى الإرهاب ومن لم يحارب الإرهاب فهو ضدهم؟ عندما كنا نكتوى بنار الإرهاب المصنوع فى بلادهم وحذر رئيسنا من الإرهاب لم يلتفتوا فلم يكن الأمر يعنيهم فى شيء، أما وأن النيران لحقت ثيابهم فباتوا يصرخون يركضون فى كل اتجاه.

بالله عليك، من قال: إن الإسلام يحول دون انتهاج سبل التحديث والتطوير؟ إنه زعم باطل، إننا نؤمن أن هناك ثوابت فى القيم الأخلاقية لا

تتغير، إنما عندهم العدل يتغير ويتلون، وما كان جائزا ومباحا في حرب الاستقلال الأمريكية ضد البريطانيين المغتصبين أصبح غير جائز ومرفوض إذا قام به الفلسطينيون ضد المغتصبين اليهود! أي عدالة هذه وأي أخلاق؟!

أما عن التحديث والحداثة في مجال التكنولوجيا، فنحن لا نرفضه واعترف فعلا أننا متخلفون عنهم، لكن ليس كله بفعل أيدينا؛ لأن أحد أسبابه النهب الاستعماري الشع لمقدرات بلادنا وثرواتنا بفعل أوروبا وأمريكا.

أما عن «ثالثا»: وهو تداخل الدين بالدولة ورفض نسبة السلطة أو السيادة للشعب.

وأيضا «خامسا»: أن الإسلام لا يعرف المواطنة ولا يعترف بالمساواة بين أبناء الوطن الواحد، ونرجىء رابعا لنتناولها مع سابعا.

قال صاحبي: مهلا، الحق أن هذه المآخذ في حاجة إلى توضيح وإبانة، ليس دفاعا عن الإسلام فقط، لكنها في حاجة إلى توضيح لأبناء الأمة الإسلامية، حيث إن ما ورد يكاد يكون واقعا إسلاميا نعيشه فعلا.

قلت لصاحبي: إن الأمر في رأيي قبل أن يكون في حاجة إلى ردود ومناقشات هو في حاجة إلى علاج الشخصية العربية المسلمة؛ لأن الشخصية العربية المسلمة أصابها خور وضعف، وإحساس بالدونية، وذلك جد خطير.

أولا: إن الغطرسة الأمريكية تبغي أن تشكل العالم كله وفق هواها وتبعا لصالحها وهذا ليس خافيا على أحد مسلمين وغير مسلمين وهي تمقت أي حضارة وأي نموذج إنساني وكرهها للحضارة الإسلامية والنموذج الإسلامي أشد.

فهي تكره أي عادة أو تصرف إسلامي، لكنها تقبل وتبارك عادات الآخرين، وإلا فبماذا تفسر رضاها ولو بالصمت عن عبادة البقر في الهند، وأكل الكلاب في كوريا، والسجود لبوذا في جزء كبير من آسيا،

ومباركتها الطاقية اليهودية رمز التعصب والعدوان ومع هذا يصيبها الذعر لو أن امرأة ارتدت الحجاب الإسلامي.

وقولهم: إن الإسلام لا يعترف بالمساواة هرطقة عرفناها من المستشرقين، وإلا فبالله قل لي: هل كان العالم يعرف عن المساواة شيئا قبل الإسلام؟ أليس المسلم هو الذي يتلو ويردد على أسماع العالم حوله لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد؟

قول الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾(٥).

هذا النص المقدس يجعل كل دعوة للمساواة بعده عالة عليه، وإن قول المصطفى ﷺ «الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى.. كلكم لآدم وآدم من تراب»(٦) إن كل حديث عن المساواة يصبح لغوا لا معنى له إن لم يترسم خطى نبي الإنسانية محمد ﷺ.

إن ما تفعله الغطرسة الأمريكية يتنافى مع العدل والديمقراطية المزعومة إلا إذا كانت قيمة العدل قد تغيرت تبعا لقانون الحداثة، ومبادئ الديمقراطية أباحت التدخل السافر في شئون الغير، وإلا فهل من العدالة والديمقراطية أن يذبح راعي البقر على العالم كله في غطرسة وصلف: أنه لا يرغب في رئيس تم اختياره عن طريق شعبه؟! دعني أقول لك: إن الغرب عندما يتعامل مع العالم الثالث لا يؤمن بمبادئ ولا بأخلاق ولا بعهود ولا بدين.

من الذي قال: إن الغربي مسيحي يؤمن بالله؟ إن الغرب الآن وأمريكا بالذات لا تعترف في حياتها بالمسيح ولا بالإله، إن الكنائس موجودة في أمريكا كتراث لبعض المهاجرين.

---

(٥) الحجرات (١٣). (٦) تاريخ بغداد للخطيب ٧/٥٧.

أما عن المجتمع الأمريكي ككل فلا أظن أنه يؤمن بالله ولا بالمسيح لأن الله - سبحانه وتعالى - لا يقبل الخنا.

وعيسى ابن مريم ابن البتول الطاهرة لا يمكن أن يرضى أن تقوم جماعات باسم حقوق الإنسان تدافع عن الشذوذ الجنسي.

ولما ألقت السلطات المصرية القبض مؤخرا على جماعات تمارس الشذوذ الجنسي قامت أكثر من خمسين منظمة تدافع عنهم بدعوى حقوق الإنسان في الحرية.

ألم أقل لك: إن منظمات حقوق الإنسان وسيلة قذرة للتدخل في شئون الآخرين.

وأخيراً أرجوك أن تتأمل معى «رابعا» و«سابعا» في المؤاخذات المزعومة وتأمل التناقض الوقح وهو ما يظهر واضحا في قولهم: إنه لم يرد بشأن حقوق الإنسان نص في القرآن ولا في السنة، فهل يؤمن الغرب بالقرآن والسنة؟ ولو أنا تلونا عليه القرآن كله، فهل يصدق به؟ أم أنها اللجاجة واللدد في الخصومة، ولماذا ينكر الغرب القرآن فيما نص عليه سبحانه وتعالى في البند رابعًا ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾[7] وقوله تعالى في الشهادة ﴿ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ ﴾[8]؟ أم أن هذه النصوص ليست من القرآن؟ إنها اللجاجة واللدد في الخصومة والغطرسة، ولعل القارئ العربي يذكر قصة الذئب الحقير المستبد، والحمل الصغير الوديع ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾[9] وأعتقد أن ما ذكرناه في أول الحديث أن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - عزر رجلا لأنه أخذ يحد شفرته بعد أن أضجع الشاة للذبح فهذا هو رفق الإسلام بالحيوان الذى لم يصلوا إليه رغم الدعايات والشعارات البراقة ولو أنهم طالعوا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لأدركوا أن الدين الإسلامي هو دين حقوق الإنسان.

وإلى لقاء قادم إن شاء الله

---

(٧) النساء (١١). (٨) البقرة (٢٨٢). (٩) الشعراء (٢٢٧).

الأمة الإسلامية

بين مرحلتي الاستعمار والنفاق

للدكتور/ عبد الحليم عويس

مع نهاية عصر الاحتلال العسكري لبلاد الأمة الإسلامية ظن كثير من المسلمين أن المستقبل - في البلاد الإسلامية على الأقل - للإسلام، وأن (الاستعمار الصليبي) الذي كان يجهل - زورا - كلمة (استعمار) قد فقد القدرة على القيادة، وأن أهدافه في تضليل الأمة عن طريقها الحضاري وعودتها لذاتها قد باءت بالفشل، وأن الأمة قد أصبحت مالكة لإرادتها قادرة على استلهام عقيدتها وتاريخها وتراثها وعبور المأزق الحضاري وصناعة مستقبل مشرق مثلما فعل اليابانيون واليهود، الذين لم يشغلوا أنفسهم بهدم عقائدهم وتمزيق صفوفهم بين متمسحين بالماضي وخائنين له، ومتمسكين بالدين ومحرفين له، ومصرّين على اللغة ومفرطين فيها.. بل انطلقوا - من خلال معادلة حضارية سليمة - متمسكين بثوابتهم صانعين لمستقبلهم دون مهاترات وتمزيقات وخيانات ومعميات!!

لكنْ - من بين الأمم كلها - تقف أمتنا ذليلة منكسرة مبدَّدة الطاقة مشتّتة الرؤى، ممزّقة الفكر والحركة، بين من يريدون (صناعة إسلام) ترضى عنه القوى المعادية اللادينية أو اللاهوتية أو الصهيونية.. وبين من يريدون صناعة إسلام على مزاجهم يرضي ميولهم العدوانية والتحريفية والتطرفية والجمودية.

- بينما إسلام القرآن الكريم والسنة الشريفة بعيد عن هؤلاء وأولئك..

- وبينما الإسلام السمح الكريم العادل الرحيم المتوازن الحضاريّ الذي قدمه أسلافنا العظماء ونشروا من خلاله - بالفكر والخلق - كلمة الله الخاتمة، حتى أصبحت كلمة الإسلام هي العليا، وأصبحت حواضر الإسلام هي حضارة العلم والحضارة.

- هذا الإسلام - كذلك - بعيد وغير مطروح بالقوة المطلوبة والمطروح فقط هو إسلام المنحرفين المنهزمين.. إنْ يميناً وإنْ يساراً..!!

وفى وسط هذه المحنة تقدمت الوثنيات بديلاً عن دين التوحيد المطلق .. وظهرت الأصنام الفكرية والبشرية والمادية هنا وهناك تكاد تُعبد من دون الله، ويُضْفَى عليها من النعوت والألقاب مالا يجوز أن يُضْفَى إلا على الله - سُبحانه وتعالى - بل قد أصبح بعضهم يتحدثُ عن بعض القيادات البشرية وكأنه يتحدث عن معصوم فوق الأنبياء، بل أصبح بعضهم يُصَرِّح بأنه ينتمى إلى (أيديلوجية الشخص القائد) أو (أيديلوجية الحزب الرائد) .. وقال شاعر منهم فى حزبه الذى يؤمن به شعراً لا يقال إلا فى الله (سبحانه وتعالى عما يشركون)!!

- وبدأت النَّعرات القومية تستعلي وتكاد هى الأخرى تُعبد من دون الله .. فهناك عبادة للأشخاص، وهناك عبادة للأحزاب، وهناك عبادة للأقوام، وهناك عبادة للتراب والإقليميات .. بل وهناك من يعبد نفسه ومصلحته المحدودة، فتراه اليوم مع الشيوعيين، فإذا ذهبوا إلى الجحيم ونفاية التاريخ لا يستحى أن ينقلب - فوراً - إلى العلمانيين الليبراليين .. ويلبس ثوب (التنوير) و(التحرير) الذى كان يلبسه قبل ذلك باسم (التقدمية) و(الحتمية التاريخية) الماركسية!!

●●●

والمهم أن الأمة الإسلامية، التى يجرّها بعض المنافقين - بإصرار - وإلحاح - بعيداً عن الإسلام، مازالت تضيع العقود والسنوات الطوال، مرةً تحت ظلال المادية الاشتراكية، وأخرى تحت ظلال العلمانية الليبرالية .. وهى هنا وهناك تستحدث أوثاناً وأصناماً، وترفض - ولا تدرى لماذا - أن تعود إلى ربّها - سبحانه - ودينها الخاتم، وكتابها الأخير الخالد، وتستلهم ذلك كله فى صناعة حضارية لن تكون - بإذن الله - لو صَحّت العزائم وظهر الرجال - أقل من حضارة اليهود واليابانيين فى الجوانب المادية والتكنولوجية والاقتصادية - أما فى الجوانب الأخلاقية والإنسانية والروحية فهى نسيج وحدها ولا يمكن أن تُقارن بغيرها .. فهى كلمة الله الخاتمة، ووحيه الأخير وآخر كلماته السماوية إلى الأرض، وحجته الباقية!!

●●●

- إننا نملك تجربةً فى التاريخ سيطرتْ بالعدل والحب والرحمة - لأكثر من عشرة قرون .. فلماذا لا نعود إلى مفرداتها نتأملها ونسكبها فى إناء العصر الحديث.

- إننا بالعروبة المؤمنة الإنسانية - لا العنصرية - فتحنا العالم .. وأثبتنا - من خلال أفكارنا وسلوكياتنا أننا - بحق -

﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾(١).

- ونحن - بمنظومة الإسلام العصرية والحضارية - نجحنا فى مقاومة الاحتلال الصليبى - الذى كان يسعى لإبادة العرب والمسلمين، وقد عرف المسلمون حقيقته؛ إذ

(١) آل عمران (١١٠).

رأوه يُدمِّر مؤسساتهم الإسلامية بل ومساجدهم، ومدارسهم، ويحارب دينهم ولغة قرآنهم ورموز الإسلام من الدعاة والمفكرين، ويفرض عليهم التخلف والجهل والفقر، ومع ذلك يرمي دينهم بالجمود والتخلف، ويستأجر بعض المنافقين الخونة ممن يحملون أسماء إسلامية ليتعاونوا معه على ذلك، بل ليقولوا مالا يستطيع الاستعمار أن يقوله، ويفعلوا مالا يستطيع أن يفعله، وذلك لوضوح انتمائه وعقيدته وأطماعه!!

– ومع ذلك كله، فمع بداية النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي (الرابع عشر الهجري) كان المسلمون قد بذلوا الغالي من الأنفس والأموال وأخرجوا الاستعمار الصليبي البريطاني والفرنسي والإيطالي والأسباني والبرتغالي..!!

●●●

– لكن الشيء الغريب الذي يستحق الدراسة المحايدة العميقة، أن هذا الاستعمار الصليبي الذي اضطره المجاهدون المدافعون عن دينهم وعن أوطانهم الإسلامية – أن يَحْمل عصاه ويرحل، كان أذكى وأعمق كثيراً من هؤلاء الذين قاوموهُ.. بل إنه نجح في أن يحقق أهدافه العليا ومقاصده الحضارية بعد خروجه، أكثر مما كان قادراً على تحقيقها أثناء هيمنته على البلاد الإسلامية.. ففي بعض البلاد الإفريقية العربية الإسلامية – مثلا – عجز الاستعمار الفرنسي عن فرض السفور على النساء المسلمات، وكان الشعب المسلم كله يعدُّ المرأة المسلمة السافرة متعاونة مع الاستعمار الفرنسيّ متأثرة بغزوه الأخلاقي الإباحيّ.

– ومع ذلك فعندما خرج هذا الاستعمار – عسكريا – خلفه بعض العسكريين الذين فرضوا السفور بقوة القانون (الفرنسيّ) وحرموا المحجبّة من التعليم والوظائف – بطريقة إرهابية عنيفة – لا توجد – ولا يسمح لها أن توجد – في فرنسا نفسها!!

– ولم تستطع فرنسا – كنموذج آخر – أن تقهر الكتاتيب والمساجد والجامعات الإسلامية، بل بقيتْ هذه المنارات الإسلامية مشاعل تحفظ الإسلام عقيدة وحضارة.

– فلما خرج الاستعمارُ خُوربتْ الكتاتيبُ في بعض هذه البلاد حتى أصبحت شبه محظورة، ومُنع المصلّون من تولي الوظائف، ووضعوا في قوائم المشبوهين، وصفّيت بطريقة هادئة بعض الجامعات الإسلامية العالمية لدرجة أن جامعة كبرى إسلامية في إفريقيا العربية المسلمة يُفرض فيها السفور فرضاً، وقد تقلص عددها إلى نسبة واحد على ثلاثين من عددها أيام الاستعمار الفرنسي، وحتى مسجد الجامعة الإسلامية العريقة قد اختفى (!!) وأصبحت (جامعة إسلامية) من غير مسجد (!!).

●●●

وما حدث – ويحدث في بعض بلاد إفريقيا المسلمة – يحدث مثله في بعض البلاد الإسلامية الأخرى.. لدرجة أن الناس

حائرون.. وبعضهم أصبح يتساءل عن جدوى خروج الاستعمار، بل بعضهم – وهذا خطأ كبير بالطبع – يفضّل أيام الاستعمار، وبعضهم – ربما لأول مرة – أدرك المعنى العميق الذى جعل الله فيه المنافقين أكثر خطراً على الإيمان من الكافرين، وشراً منهم عندما قال تعالى فى كتابه الكريم :

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ ﴾(٢).

●●●

– إن (عصر النفاق) – فى بعض البلاد الإسلامية – حافظ بضراوة، ربما أكثر من رجال الاستعمار الذين كانوا يخجلون بعض الشىء – على النظر إلى الإسلام على أنه (العدوّ الأول).. وأصبحت هذه استراتيجية ثابتة، ومهما بذل المسلمون المخلصون من توسلاتهم ووساطاتهم وتنازلاتهم من أجل تغييرها، فقد باءوا بالفشل – حتى اليوم..!!

– والسؤال هنا: ما الفرق – إذن – بين عهد الاستعمار، وعهد الاستقلال؟

– وإذا كنا سنضحّى بديننا ولغتنا وحضارتنا الإسلامية، فلحساب من إذن دفع آباؤنا أرواحهم وأموالهم ثمناً للاستقلال؟

– بل لماذا أخرجنا الاستعمار إذن مادام مفروضاً علينا أن نمشى فى دروبه، وأن تساعده على تحقيق أهدافه العليا ومقاصده الحضارية!!

●●●

– وأخيراً....

– إنّ الظلم ظلم.. داخلياً كان أو خارجياً.. بل إن الشاعر يجعل ظلم ذوى القربى أشدّ إيلاماً على النفوس.. وهو محق فى ذلك، لأن ظلم العدوّ الخارجى واستعلاءه وقهره أمور متوقعة، ولاسيما إذا كان العدوّ بعيداً عن هدى السماء والقيم السامية.

– أمّا ظلم (الأهل) وشركاء الحضارة والوطن والدين والحاضر والمستقبل.. فهو الأمر الذى يُدْمى النفس، ويحار فى تبريره العاقل الأريب، وبخاصة وأن (السفينة) – فى نهاية الشوط – واحدة، وأن غرقها سيقتل الجميع، ويهوى بهم إلى القاع..!!

– وتجربة أعدائنا معنا فى النصف الثانى من القرن العشرين – بعد الاستقلال السياسىّ – أكبر الأدلة على هذا الانحدار العام.. (!!) الذى نراه ونعيش أيامه الكوالح، ونتجرع فى كل يوم كؤوس الهوان، ولا يُسمح لنا حتى بإظهار الأنين، ورفع مظالمنا إلى ديوان الظالمين.

***

(٢) النساء (١٤٥)

لماذا كان القصاص حقاً مدنياً وليس جنائياً

للأستاذ الدكتور/ عبد الحليم حفني

القصاص ما هو؟:

القصاص في التشريع الإسلامي: أن يأخذ المعتدى عليه حقه من المعتدي مماثلا للعدوان الذي وقع عليه، سواء أكان العدوان على النفس أم على الأطراف، فإذا وقع الاعتداء على عضو كاليد أو الرجل أو الإصبع فالمعتدى عليه من حقه القصاص بأن ينال من المعتدي مثل ما وقع عليه هو من اعتداء إلا إذا عفا أو قبل الدية التي هي تعويض مادي محدد للنفس، ولكل عضو من أعضاء الجسم، والأصل أن القصاص حق للقتيل ولكن موته ينقل حق القصاص إلى ورثته.

وعلى الحاكم أو من ينوب عنه كالقضاء أن يعمل على تحقيق أمرين: أحدهما أن يتحرى بكل الوسائل المشروعة ثبوت الحق للمعتدى عليه، والآخر أن يضع سلطته في خدمة المعتدى عليه حتى يأخذ حقه، سواء بالعفو بعد المقدرة، أو أخذ الدية، أو تنفيذ القصاص، وفي القرآن الكريم:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾(١)

وأيضاً:

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾(٢).

فالقاعدة العامة في التشريع الإسلامي أن الاعتداء المتعمد جزاؤه القصاص بالمثل.

القصاص حق مدني

والحق المدني هو الذي يملك المجني عليه العفو فيه عن الجاني لأنه حقه هو، والحق الجنائي هو الذي لا يملك المجني عليه فيه العفو لأنه حق الله كما في التعبير الإسلامي وهو حق المجتمع كما في تعبير القانون الوضعي، وهو تعبير ليس خاطئا.

وبما قد يبدو غريبا مثيرا للتساؤل: كيف

---

(١) البقرة (١٧٨).

(٢) المائدة (٤٥).

يحكم الإسلام بأن القتل أكبر جريمة بعد الكفر ثم يجعل عقوبته حقا مدنيا يجوز العفو عن الجاني فيها، بينما يجعل جرائم أقل منه بكثير كالسرقة وشرب الخمر حقا جنائيا لا يجوز العفو فيها عن الجاني حين تثبت؟

والجواب أننا لو ألقينا نظرة تأمل على الموازنة بين الدافع إلى الجريمة في حالة القتل والدافع إلى جرائم الحدود لسطعت لنا الحكمة في جعل القصاص حقا مدنيا وليس جنائيا، فإن الدافع إلى القتل عادة هو نقمة القاتل على المقتول وغيظه منه لسبب صدر من القتيل أو حتى توهم القاتل صدوره منه، فالدافع إلى القتل أصلا هو الرغبة في الانتقام، وليس نابعا من نزعة شر، فهو إذن سبب شخصي بين القاتل والقتيل وليس من نزعة شر يحملها القاتل بحيث يوجهها إلى غير القتيل، فيقتل كل من يستطيع قتله، فإذا كان القتل بدافع من نزعة شر كالقتل في حالة قطع الطريق أو للوصول إلى السرقة والنهب خرج حينئذ من باب القصاص إلى باب الحدود ليدخل في حد الإفساد في الأرض فلا يملك المجني عليه العفو عن الجاني.

أما جرائم الحدود فيغلب عليها طابع نزعة الشر، أو الصدور عن نزعة شر، فكل جرائم الحدود فيها تهديد لأمن المجتمع على النفس أو المال أو العرض، فالسرقة مثلا قد تبدأ من الشعور بالحاجة، وقد تبدأ من نزعة أصيلة إلى العدوان على مال الغير والرغبة في تملكه، وفي كل حال فإن مزاولة السرقة تنبع إما من نزعة شر أو من عادة تتحول إلى نزعة شر، وكذلك في سائر جرائم الحدود كالزنا وشرب الخمر والقذف، فبعضها ينبع من نزعة شر في طبيعة الشخص، وبعضها ينبع من تعود يشبه الإدمان، فيندفع صاحبه إلى مزاولة هذه الجريمة دفعا، ومن هنا يكون الخطر على أمن المجتمع، فحتى شرب الخمر الذي يبدو وكأنه سلوك شخصي لايرتبط بالغير، هو في الحقيقة تهديد لأمن المجتمع، لأن السكران لا يؤمن خطره على المحيطين به، وهكذا في كل جرائم الحدود، يكون المجتمع فيها مجنيا عليه بطريق غير مباشر، لأن الجاني يكون مهيأ ومستعدا لتكرار الجريمة، أما في حالة القتل فليس من المألوف أن تجد شخصا لديه نزعة القتل لذات القتل، لأن القتل لا يحدث عادة إلا بصفته رد فعل، حيث يكون انتقاما من القتيل وليس نابعا من نزعة شر.

ويمكن تلخيص هذه الحكمة أو أبرزها فيما يلي:

١- القتل لا ينبع عادة من نزعة شر، وإنما من دافع انتقام، بينما جرائم الحدود تنبع في أغلب الأحيان من نزعة شر، أو تتحول مزاولتها إلى نزعة شر.

٢- الرغبة في الانتقام نزعة بشرية عامة، فحينما يقتل شخص سيكون وراءه من يهدف إلى الانتقام، وكثير من المجتمعات في أنحاء

العالم تدين بعادة الثأر، فيحدث شقاق وعداء فى المجتمع بين المتعصبين للقتيل والمتعصبين للقاتل، وكثيرا ما تستمر سلسلة الثأر بين الجانبين إلى آماد طويلة، وكلما طال الأمد اتسع نطاق الشر والتخاصم.

والمعنى الذى يسيطر على المطالبين بالثأر عادة هو أنهم يشعرون بأن القاتل اعتدى على كيانهم الاجتماعى، ولا يشفى نفوسهم حينئذ إلا أن يشعروا بأنهم يملكون الانتقام من القاتل، وكون القصاص حقا مدنيا يحقق لهم هذا الشعور، حيث يجدون أن قتل القاتل حق لهم، يملكون طلب تنفيذه، ويملكون العفو عنه، فهذا الشعور يريح نفوسهم، ويجعلهم مهيئين حتى للعفو عن القاتل فى بعض الأحيان.

وقد كان من أهم أسباب فشل القوانين الوضعية فى علاج عادة الثأر أنها لا تراعى مشاعر أولياء الدم «أقارب القتيل» فتجعل العقوبة حقا جنائيا ليست لأولياء الدم صفة أصلية فيه، فيحاولون الانتقام بأنفسهم، ولذلك يتردد على ألسنة طالبى الثأر دائما قولهم: إنهم يريدون أن يأخذوا حقهم بأنفسهم، والتشريع الإسلامى يريح نفوسهم بإعطائهم هذا الحق وهو أن يأخذوا حقهم بأنفسهم ولكن من خلال السلطة الشرعية.

٣- لو كان القصاص حقا لله كما فى جرائم الحدود لوجب قتل القاتل فى كل الأحوال، فبدل أن تكون حالة القتل واحدة تصبح حالتين، هما القتيل والقاتل، والحكمة فى القصاص أنه شرع لمنع إراقة الدماء، كقوله تعالى:

﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾(٣).

ولكن كونه حقا للعباد يتيح فرصة فى كثير من الأحيان للعفو عن القاتل أو قبول الدية، فتنقذ حياة القاتل نفسه مع حسم المشكلة اجتماعيا، لأن العفو لابد أن يصدر من أولياء الدم الذين لهم حق المطالبة بالقصاص، ويبقى عقاب القاتل عند الله.

وإذا كان أعداء الإسلام فى العالم ينشرون أن الإسلام هو دين إراقة الدماء ويتخذون من تشريع القصاص دليلا على ذلك، فلا أدرى هل يجهلون أم يتجاهلون ما يسلكه التشريع الإسلامى من وسائل عديدة لإنقاذ حياة القاتل بعد ثبوت جريمة القتل عليه، وذلك فى إطار هدف معين هو المحافظة على أمن المجتمع وحسن الصلات بين أفراده، ومن هذه الوسائل دعوة أولياء الدم إلى العفو، حيث يجب على القاضى أن يعرض عليهم العفو ويرغبهم فيه بكل وسائل الترغيب، فإذا رفضوا عرض عليهم التعويض المادى وهو الدية، فإذا أصر أولياء الدم على الانتقام فإن القصاص حينئذ يكون هو الحسم للقضية اجتماعيا، مع مراعاة ما سبقت الإشارة إليه من أن القتل لا ينبع عادة من نزعة شر وإنما

(٣) البقرة (١٧٩).

من نزعة انتقام، حيث يكون القتيل في أغلب الأحيان هو السبب الأصلي في الجريمة والدافع إليها، ولكن القاتل أخطأ في وسيلة استرداد حقه فلجأ إلى الجريمة.

وسـائل الإثبـات

نتيجة للأهمية الشديدة التي يوليها التشريع الإسلامي لجريمة القتل نجده يسلك في علاجها أسلوبا غير مألوف في أية جريمة أخرى جنائية أو مدنية، حتى لقد يبدو في ظاهر هذا العلاج شئ من تناقض، ومن ذلك أنه يلجأ إلى وسائل غير مألوفة لمحاولة إثبات الجريمة كوسيلة القسامة، ولكنه مع هذا الحرص على إثبات الجريمة نجده يحاول بعدة وسائل إنقاذ حياة القاتل بعد ثبوت الجريمة عليه، ولكن هذا اللبس أوالتناقض الظاهرى يتبدد حينما تعلم أن الهدف الأول للتشريع الإسلامي هو صلاح المجتمع واستقرار الأمن فيه، وكلا الأمرين، إثبات الجريمة ومحاولة إنقاذ حياة القاتل إسهام في ذلك الهدف، ووسائل الإثبات هي:

١- الوسائل العادية للإثبات، وهي محصورة في نوعين، أحدهما الاعتراف، والآخر الشهادة، بأن يشهد شاهدان ممن تقبل شهادتهما على الجريمة، وهما الموصوفان بالعدالة، بمعنى أنه لا يعرف عنهما انحراف خلقي أو سلوكي يخل بكرامتهما في المجتمع، ويمكن أن تنوب امرأتان عن أحد الشاهدين.

٢- القسامة، وهي إحدى وسائل الإثبات الخاصة بجريمة القتل، وهي أسلوب كان العرب يستخدمونه قبل الإسلام، ثم جاء الإسلام فاعترف به رغبة في سلوك كل الوسائل التي تحسم جريمة القتل حتى لا تتحول في المجتمع إلى سلسلة ثارات.

والقسامة مأخوذة من القسم وهو حلف اليمين، وذلك بأن يوجد قتيل في مكان ما وتشير بعض الملابسات إلى أن قاتله من هذا المكان أو هذه المنطقة ولكن القاتل غير معروف فإذا قام هذا الاتهام في نفوس ورثة القتيل فإن القاضي يمكنهم من أن يختاروا خمسين شخصا من المنطقة التي يتهمون أهلها بأن القاتل منهم، وعلى هؤلاء الخمسين أن يحلف كل واحد منهم يمينا بالله أنه لم يقتل هذا القتيل، ولا يعلم قاتله، فإذا لم يكمل عدد المختارين خمسين أعيد تحليفهم حتى تكتمل الأيمان خمسين يمينا.

والقسامة تحسم الموقف، فإن أقرباء القتيل هم الذين يختارون الخمسين شخصا، ولا يعقل عادة أن يجتمع خمسون من صفوة أي مجتمع على باطل، فهذا يريح نفوس أولياء الدم.

تضييق نطاق الجريمة

كان العرف السائد في المجتمع العربي، وفي كل مجتمعات الثأر عدم الاهتمام بشخص القاتل عند الثأر، فكثيرا ما يقتلون غير القاتل، وكثيرا ما يقتلون أكثر من شخص، ولكن التشريع الإسلامي حصر الجريمة في نطاقها الصحيح كما يلي:

١- يجعل التشريع الإسلامي مراحل إثبات الجريمة، وكذلك تنفيذ العقاب بيد الحاكم أو نائبه كالقضاء، وليس بيد أولياء الدم وهم ورثة القتيل، حتى لا تدفعهم شهوة الانتقام إلى تجاوز حقهم.

٢- يغلق التشريع الإسلامي باب العصبية القبلية وذلك من جهتين:

أ- إحداهما أنه يجعل القاتل وحده هو المسئول عن جريمة القتل، بعد أن كانت قرابته أوقبيلته كلها مسئولة، بحيث يجوز في العرف لقبيلة القتيل أن تقتل أي شخص من قبيلة القاتل.

ب- يجعل التشريع الورثة الشرعيين للقتيل فقط هم الذين لهم حق المطالبة بالقصاص، بعد أن كان حقا لقبيلة القتيل كلها.

ولكن التشريع الإسلامي بوصد كل هذه الأبواب البدائية، ليقيم التشريع العادل الذي يجعل المجرم وحده هو المسئول عن جريمته، ويجعل التشريع ممثلا في السلطة هو الذي يملك محاسبته ومباشرة العقاب، ويظل الحق في تنفيذ العقاب أو عدم تنفيذه يرجع إلى ورثة القتيل.

٣- يمنع التشريع الإسلامي ما يشيع في المجتمعات البدائية من القتل بالظنة أو مجرد الاتهام، بل لابد من ثبوت الجريمة على المجرم.

التنفيذ ووسائل العقاب

التشريع الإسلامي يوجب على القاضي فور ثبوت جريمة القتل العمد ما يلي:

١- إشعار أولياء الدم وهم الورثة الشرعيون للقتيل بأنهم أصحاب حق، وأن القاتل نفسه أصبح ملكا لهم يتصرفون فيه بالانتقام منه، أو بالعفو عنه، أو بقبول تعويض مادي هو الدية عن قتيلهم، وإشعار أولياء الدم بملكيتهم هذا الحق أمر في غاية الأهمية لعلاج الأثر الاجتماعي للجريمة، فإن شعورهم بملكية هذا الحق يطفئ في العادة جذوة الغضب وشهوة الانتقام في نفوسهم، ويجعلهم مهيئين نفسيا لقبول التفاوض، ومن المعروف في مجتمعات الثأر أن كل جرائم الثأر تنبع من هذا المعنى، فلو حكم القضاء بإعدام القاتل فإن هذا لا يشفي نفوسهم، لأنهم يريدون أن يشعروا بأنهم ينتقمون بأنفسهم، فالقانون الوضعي يتجاهل أولياء الدم أقارب القتيل في كل مراحل القضية ولا يجعل لهم أية صفة وهذا مما يزيد في نقمتهم، بينما التشريع الإسلامي يجعل علاجه النفسي لهذه النقطة الجوهرية محور الموضوع، من حيث جعله القضية من أساسها حقا مدنيا لأولياء الدم يملكون التصرف فيها ملكية كاملة، بل يجعل القرآن هذه الملكية سلطانا في قوله تعالى:

﴿وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا﴾(١).

---

(١) الإسراء (٣٣).

ولذلك كان التشريع الإسلامي أنجح تشريع في محاربة عادة الثأر، بحيث لا توجد عادة الثأر في مجتمع تطبق فيه الشريعة الإسلامية.

٢- من الرد على ما يشيعه أعداء الإسلام من دموية الإسلام أن التشريع الإسلامي يوجب على القاضي أن يبدأ أولا بعرض العفو والترغيب فيه على أولياء الدم، وكل آيات القصاص في القرآن ترغب في العفو عن الجاني، ومن ذلك:

﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾(*).

وتعبير «أصلح» إشارة إلى أهم أهداف العفو وهو إصلاح المجتمع بحسم الخصومة بين الطرفين بالتراضي.

٣- إذا رفض الورثة العفو يجب أن تعرض عليهم الدية وهي قدر كبير معروف من شأنه أن يجعل من يحصل عليه غنيا، وفي هذا إغراء لورثة القتيل.

٤- من روائع الأدلة الواضحة على نفور الإسلام من إراقة الدم ولو كان دم القاتل نفسه أن الذين يملكون العفو أو الدية أو القصاص هم الورثة الشرعيون للقتيل يملك كل منهم من العفو أو العقاب بمقدار نصيبه في تركة القتيل، فإذا عفا أحد الورثة عن القاتل أو قبل نصيبه من الدية ولو كان أصغر نصيب في التركة يسقط القصاص وجوبا، ويتخير باقي الورثة بين العفو أو الدية أو لا شئ لهم.

والتعليل لذلك أن الحياة أولى من الموت، فإذا عفا صاحب أصغر نصيب أو قبل الدية فمعناه أنه قرر حياة نصيبه في القاتل، ونصيبه الداعي إلى الحياة مهما صغر فهو أولى من كل أنصبة الداعين إلى الموت.

ومن الناحية الواقعية قد يكون بين الورثة من هو في حاجة ملحة إلى المال، وقد تكون للقتيل أرملة تعول أولادا، وقد لا تكون من أقارب القتيل الذين تسيطر عليهم الرغبة في الانتقام، فتؤثر الدية على الانتقام، أو غير ذلك من الدواعي التي يسقط بها القصاص وهي غير قليلة.

٥- إذا انعدمت كل الوسائل السابقة يصبح القصاص هو الحل الوحيد لشفاء نفوس أولياء الدم وكبح جماح نزوعهم إلى الثأر والانتقام.

وفي كل الأحوال فإن القصاص هو الحل الوحيد الذي لا منافس له ولا بديل عنه في علاج عادة الثأر التي تعاني منها مجتمعات كثيرة أمر المعاناة.

(*) الشورى (٤٠).

مواقف إسلامية

من ذكريات امرأة بدوية

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

تمهيد:

بينما كان «الحجاج» مع «الوليد بن عبدالملك» أرسلت زوجة الخليفة جارية تقول له: (لماذا تجلس مع هذا الأعرابي المسلح، وأنت في ثيابك المنزلية بغير سلاح ولا حراسة).

ولما أدرك الحجاج ذلك قال لأمير المؤمنين: (دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول، ولا تطلعهن على سرك، ولا خططك مع عدوك، ولا تشغلهن بغير زينتهن، وإياك ومشاورتهن في الأمور، فإن رأيهن إلى هلاك، وعزمهن إلى وهن، ولا تسمح لواحدة منهن بأن تملك من الأمور ما يجاوز نفسها، ولا تطمعها في أن تشفع لغيرها عندك، ولا تطل الجلوس معهن، فإن ذلك أوفر لعقلك، وأظهر لفضلك)[1].

وإذ يجرد «الحجاج» المرأة من كل فضل، وإذ يحرمها من كل حلية، إلا حلية الذهب والحرير.

وحين يطردها من ساحة العمل الإيجابي لتكون قعيدة البيت.. إذا كان هذا رأي الحجاج فيها.. فإن موقف اليوم رد على هذا الادعاء.. بما حققته أسماء ـ رضي الله عنها ـ من قيم.. كانت هي أصدق عنها تعبيرا.. وأشد تأثيرا..

بقدر ما أثبتت قدرة المرأة العربية المسلمة على تخفيف الهموم.. وتجفيف الدموع..

وذلك إجمال يفصله الموقف الآتي:

عن أسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ قالت: تزوجني الزبير، وما له في الأرض من مال ولا مملوك، ولا شيء، غيرُ ناضح، وغيرُ فرسه.

---

(١) مروج الذهب للمسعودي

فكنت أعلف فرسه، وأستقي الماء، وأخرز غربه -دلوه- وأعجن، ولم أكن أحسن أخبز، وكان يخبز جارات لي من الأنصار، وكن نسوة صدق.

وكنت أنقل النوى من أرض الزبير -التي أقطعه رسول الله ﷺ على رأسي- وهي مني على ثلثي فرسخ. فجئت يوماً والنوى على رأسي، فلقيت رسول الله ﷺ، ومعه نفر من الأنصار.

فدعاني، ثم قال: إخ إخ -كلمة تقال للبعير لينيخه- يحملني خلفه.

فاستحييت أن أسير مع الرجال.

وذكرت الزبير وغيرته -وكان أغير الناس-

فعرف رسول الله ﷺ أني قد استحييت، فمضى. فجئت الزبير فقلت:

لقيني رسول الله ﷺ، وعلى رأسي النوى، ومعه نفر من أصحابه، فأناخ لأركب، فاستحييت منه، وعرفت غيرتك. فقال:

والله حملُك النوى كان أشد عليَّ من رُكوبك معه.

قالت: حتى أرسل إليَّ أبوبكر بعد ذلك بخادم تكفيني سياسة الفرس، فكأنما أعتقني][٢].

البقاء للأصلح.

هذا موقف فريد: تحطمت ألف وخمسمائة سنة.. وهو باق.. وماتت القرون.. ومازال حيا في ضمائرنا..

وهو رسالة إلى بعض زوجات اليوم.. (عبرة للنساء، وأمل لمن ابتليت بالفقر من الزوجات، وإثبات لمن يحتقر النساء: أن المرأة قد تكون أعقل وأنبل من الرجال.. وبيان لمن لا يريد بالمرأة إلا أن تكون متعة، لا هم لها إلا زينتها وتبرجها.

إنها قد تترفع عن زخارف الأزياء، والاعيب النساء، حتى تكون ركنا في بناء الأمة، وعونا على تحقيق مثلها العليا)[٣].

وقد كانت أسماء ـ رضي الله عنها ـ كذلك:

لقد كانت ناعمة العيش في بيت أبيها.. فلم يبطرها الغنى..

ثم عانت من شظف العيش مع زوجها.. فلم يؤسها الفقر.. فكانت بهذا الثبات سيدة عظيمة:

سيدة أبوها عظيم، وزوجها عظيم، وابنها عظيم، وهي عظيمة في مواقفها ومواهبها.. عظيمة في نفسها وفي أعمالها، سيدة ذات مبدأ وفت له، وثبتت عليه، سيدة شاركت في أجل الأحداث، في السلم، وفي الحرب، سيدة كانت ربة بيت، صبرت على مره، ولم تبطر بحلوه، سيدة كان لها من نبل القلب، وكبر العقل، وثبات الأعصاب، مالم يكن مثله إلا للقليل من عظماء الرجال)[٤].

مفتاح الشخصية

إن مفتاح شخصية الإنسان يبدو من نوعية اختياره، ذلك بأن الهمة على قدر الاهتمام.

وقد كانت أسماء ـ رضي الله عنها ـ مولعة بالمبادىء.. لا بالمظاهر.. وهي تعلن ذلك في قولها:

---

(٢) البخاري. الفتح ٩/ ٥٢٢٤.

(٤) نفس المرجع والموضع.

(٣) رجال من التاريخ «علي الطنطاوي»/ ٣٦.

(تزوجني الزبير، وما له في الأرض من مال، ولا مملوك، ولا شيء، غير ناضح وغير فرسه..)

لقد كان هناك فتيان أغنياء، ولكنها رضيت بمن لا يملك في الأرض على سعتها شيئا مما تزدحم به!

لقد كان قائدا عسكريا، برتبة فارس..

وإذ لم يملك مما في الأرض شيئا.. لكنه كان يملك ما هو أقوى وأغلى مما عليها:

كانت له هيبة.. تكسر غرور عدوه
وعزيمة ماضية.. تفل سيفه

وإذا كانت بعض الفتيات تطلب الأجمل.. لا الأكمل.. والأغنى.. وليس الأعقل.. فإن أسماء - رضي الله عنها - تطلب الأكمل والأعقل.. منطلقة من يقينها بأن الزواج ليس فقط متعة أو لذة.. وإنما هي الصحبة المباركة مع رفيق العمر.. والتي يتحقق بها معنى السعادة كما ينبغي أن تكون:

إن السعادة ليست « أصباغا ».. ليست شباكا نصطاد بها الآخرين.. كما وأنها ليست ثيابا ملونة.. وإنما هي التجانس الودود، الذي ينعكس على الحياة فإذا هي أجمل مما يتصور المترفون.

المترفون.. الذين يعبرون إلى « الحبيب » المزعوم ألف نهر.. لكنهم لا يصلون إليه.. بينما « أسماء » - رضي الله عنها - كانت تلك الفلاحة البسيطة، التي تجعل من الرضا وطنها، فإذا الحياة من حولها بستان وارف الظل.. حافل بالثمار، إذا أرادت أن تشجي سمعها.. فهناك تغريد الطيور.. وإذا أرادت أن تمتع بصرها.. فهناك الأشجار والأزهار.. كلها مزهرة.. والنجوم كلها مضيئة!

الزوج السعيد

وإذا كانت هناك في ردهات « القصور » من تقول لزوجها نفاقاً:

لم أعش يوما واحداً.. قبل ظهورك..

وإذ يبادلها العشق الموهوم قائلاً:

لا تقل دارها بشرقي نجد
كل نجد للعامرية دار

إذا كان هناك من يخدر الإحساس بهذا الزور من القول.. فإن أسماء كانت تملك من الوفاء.. ومن التضحية.. ومن الرؤية المستنيرة ما تعطي زوجها.. وهي أضعف ما تكون.. تعطيه أضعاف ما يريد!

وليت شعري كيف يكون « الزبير » عندئذ فقيرا.. وهو يملك هذا الوفاء.. وهذا اليقين؟!

كيف.. وإلى جانبه من تركت المال.. والسلطان.. ثم رضيت به زوجا.. هو أثقل في الميزان من كل هذا..

وإذا كانت هناك من نشأت مثلها في « بيت العز » وتريد السعادة بلا تعب.. فقد قررت هي أن تدفع ثمنها أولا.. مؤكدة أننا أحيانا لا ينقصنا العلم.. ولكن ينقصنا أن نجعل من علمنا واقعا ملموسا.

لقد كانت بزوجها.. غنية..
وكان هو بها أيضا غنيا..

ولم يكن غناها في ثروتها.. لم يكن غناها في أنها ملكت كل ما تشتهي.. بل لأنها زهدت فيما تشتهي.. وآثرت القائد العسكري.. المؤمن.. والذي كان بعظمته يعيش خارج عصره!

ويا لذات الدين.. عندما تكون نعم القرين!

إنها الصادقة التى لا تلتفت.. إلا إلى زوجها..

إنها قاصرة طرفها على من اختارته.. وتلك هى السعادة.

وهو معنى يذكرنا بهذا الذى سار وراء رائعة الجمال.. فقالت له: انظر لأختى.. فهى أجمل منى.. فلما التفت قالت له:

لو صدقت.. ما التفت..

ولقد صدقت أسماء عندما آثرت الرجل.. على الدنيا.. فظفر هو.. وظفرت هى.. بالكنز الثمين..

بينما يتدحرج عشاق الدنيا.. عند السفح.. فكانوا كتلك «النملة» التى أحبت الجمل..

فلما قادته إلى جحرها.. ودخلت هى.. ولم يدخل هو. قال لها:

إما أن تجهزى لى دارا على قدى.. وإما أن تطلبى من فى مثل حجمك!!

ويبقى أصحاب المبادئ فى القمة دائما.. وإن تنكر لهم الزمان:

ما شاب عزمى ولا حزمى ولا خلقى
ولا وفائى ولا دينى ولا كرمى
وإنما اعتاض رأسى غير صبغته
والشيب فى الرأس غير الشيب فى الهمم

ثمن الانتصار

الكرام من الناس يبذلون الدماء.. حين يستنصرون..

ويعطون المال.. حين يستقرضون..

وقد كانت أسماء ـ رضى الله عنها ـ رائدة من رواد هذه المدرسة:

لقد انتقلت إلى بيت الزوجية.. وكان البيت على ما وصفت.. بسيطا.. إنها إذن مشكلة..

ولكن ما هو الحل؟:

إن بعض الناس لا يعالجون المشكلة جذريا.. وإنما ينظفون فناء الدار.. لكن السقف مثقوب.. يصب سيلا من المشكلات، ولكن الزوجة هنا.. بدل أن توسع مدى المشكلة بالأنين والشكوى.. قررت أن تقتحم المشكلة بالحل العملى.. فشمرت عن ساق الجد.. متحملة مسئولية إدارة البيت.. ليتفرغ الفارس لمهمته فى حماية البلاد..

وإذا كان هناك من الناس أذلاء، يرغبون فيمن زهدوا فيهم.. وإذا كان هناك فارغون يزهدون فيمن يرغبون فيهم.. فقد حسمت «أسماء» القضية.. وقررت أن تشكر بالعمل نعمة الاقتران بمن ترغب فيه.. ويرغب فيها..

وكان شكرها فى أعلى مستوياته حين جعلته عملا دءوبا.. لا ينهض به إلا أشداء الرجال.

ولقد كانت جديرة بهذه الشهادة:

(إن لم تصل المرأة إلى مثل ما وصل إليه الرجل. فلها فضل إمداده وعونه).

أبعاد الشخصية المؤمنة

كانت أسماء ـ رضى الله عنها ـ تستمد عظمتها من إيمان قوى، وعقل ذكى.. وإرادة ماضية..

ولقد مكنها ذلك من رؤية الواقع كما هو.. ثم التعامل معه. بإلهام البصيرة. دون استسلام لخداع البصر.

وإذا كانوا يقولون: إما أن تكون بناء.. أو مناولاً.. فقد كانت ـ رضي الله عنها ـ تقوم بعمل الإثنين معاً.

تستقي الماء.. تخيط الدلو.. ثم تعلف الفرس.. والذى كانت سياسته أشق أعمالها جميعا، إنه فرس: مكرٌ.. مفر.. كثير الحركة.. فإذا حبس.. كان لديه حنين إلى أرض المعركة.. فلم يكن يقدر على رعايته إلا الصابرون.. ثم هي مع ذلك مسئولة عن عمل البيت كربة منزل..

ولاحظ قيمة الصراحة التي حملتها على الاعتراف بأنها لا تحسن إلا العجن.. أما الخبز فلم تكن تحسنه. وكان اعترافها على نحو لا يتوفر لكثير من النساء اللاتي يخفين عجزهن.. فرارا من الإحراج.. ثم إنها تملك من الشجاعة الأدبية ما يدفعها إلى الشهادة لنساء الأنصار اللاتي كن يكفينها مئونة الخبز..

إنها الزوجة العاملة الآملة.. والتي لا يصدأ جوهرها بالعمل أبدا:

إن السكين المستعملة هي التي تقطع.. أما المهملة.. فيعلوها الصدأ الذى يتنامى بطول الإهمال. وهي تلك المرأة العصرية التي لا دور لها.. ومن ثم يعلوها الصدأ. لتكون عبئا على المجتمع بدل أن تكون عونا له.

وبضدها تتميز الأشياء.

وأين من أسماء ـ رضي الله عنها ـ تلك المرأة العصرية الملول..

لقد كانت أسماء بكفاحها علامة من علامات الحضارة.. جعلت منها ملكا للإنسانية كلها.. بينما المرأة العصرية اليوم.. يقتلها الملل.. والبرود، في بلد أوروبي يدق جرس الهاتف. فترد السيدة. فإذا خادمها يقول لها:

كل شيء على ما يرام يا سيدتي

إلا أن كلبك العزيز.. مات!!

ولكن.. كيف مات؟

لقد قفز من النافذة..

ولماذا قفز العزيز من النافذة؟

لما شب حريق أتى على القصر كله!!

ويعني ذلك أن حياة الكلب أعز عليها من كل ما تملك!!

وهي واحدة من رواد مدرسة تقول لك:

إذا شب حريق في حجرة.. وكان بالحجرة: تمثال.. وطفل صغير.. وكان بالإمكان إنقاذ أحدهما.. فبادر إلى إنقاذ التمثال.. لأنه لا يعوّض!!

أما أسماء ـ رضي الله عنها ـ فكانت تملأ يومها بما تعمل ـ وعلى تنوعه وصعوبته ـ فلم يكن هناك وقت لتربية الكلاب.. ولم يكن هناك بال مشغول إلا بالبيت.. ورب البيت..

ثم أين منها تلك المرأة التي يسمونها.. المرأة الحديدية.. لأنها استطاعت الهروب في غفلة الحراس!!!

لم تكن أسماء ـ رضي الله ـ عنها كتلك المرأة هناك باردة.. جليدية!

كما لم تكن كهذه المرأة هنا حديدية..

بل كانت فوق ذلك. وأعز من ذلك.. من خلال هذه الصورة الحية والتي رسمتها بعملها في بيتها..

ولك أن تتصور «الغرْب» وهو الدلو الكبير المصنوع من جلد الثور.. ثم تصوَّر الزوجة الكادحة المفلحة وهي تعالجه ليعود كما كان.. وحبات العرق تبرق من جبينها الطهور.. وهي سعيدة بما عملت بما يسعد زوجها.. ثم بما وفرت على ميزانية البيت حين باشرت الإصلاح بنفسها.. ولم تدفعه إلى الصانع خارج الدار.

يعينها على ذلك كله أن رب البيت لا يقتل الوقت هناك في «النادي» وإنما هو مقاتل شريف.. ثوري.. يحرس الحدود.. حتى لا يؤتى الإسلام من قبله.

الامتحان الأصعب

ولكن مباشرة الأعمال المنزلية هذه.. قد تهون، فاستحضار الماء.. وخرز الدلو.. والعجن.. كل أولئك يحقق لها مصلحة شخصية مع كل من في البيت.

ثم هو عمل مستور داخل البيت. ولو رآها الناس لما كان في ذلك إحراج..

أما الإحراج حقا فهو في تلك المهمة التي فضلتها بعد ذلك:

١- لقد كانت تجمع النوى.. في هجير الصحراء.

٢- ثم تحمله فوق رأسها..

٣- ماشية على قدميها مسافة طويلة.

٤- ثم إذا عادت إلى البيت.. باشرت دقّه.. وبيدها.. لا بيد عمرو!

وما يلقي ذلك العنت إلا اللائي صبرن.. بل اصطبرن على مشقته ولأوائه!

الزوجة الواعية.. الوفية

ولقد كان يكفيها ذلك العناء سببا لتركب مع الرسول ﷺ.. ولا حرج.

فهو أولاً رسول الله ﷺ

وهي ثانيًا: أخت زوجته.

وزوجة ابن عمته الزبير.

وتكاد تحس لهفة نفسها إلى الركوب.. لكن تقديرها لزوجها.. واحترامها لمشاعره.. غلب كل هذه العوامل.. وتراجعت في اللحظة الأخيرة.. معتذرة عن الركوب..

ولا بأس أن يتعلم الرجال والنساء اليوم.. أن يتعلموا على يد امرأة واعية وفية دروسا في الوفاء والولاء.

إن الرسول ﷺ.. لم يتبرم بقرارها.. ليعلم الناس من بعده إلى أي حد يجب أن يكون الاحتياط.. وبخاصة أولئك الذين يتساهلون اليوم.. مع ما يسمى «بصديق العائلة» وما يترتب على ذلك من ويلات..

ومازلت أذكر ذلك الفلاح الذي قيل له:

امرأتك تجلس مع أصدقائك على حافة النهر هناك.. فقال:

لا أخاف عليها.. امرأتي رجل!

ولم يكن هذا الزوج صادقا مع نفسه:

فهو أول من يعلم أنها «امرأة» وليست رجلاً؟!!!

ثم هو ثانيا إذا لم يكن يغار عليها.. فهو «ديوث» يقر في أهله الخبث وهو ذلك الحمل المستنوق.. الذي يقول أمام الناس ما يريد، لكنه يعمل ما يملى عليه! ولسوف تظل زوجته بين

الرفاق امرأة.. ولن تخدع النملة لو كتبت على «حق السكر» هذا ملح أجاج!

ولقد قدرت الزوجة هنا غيرة زوجها، وهذا التقدير مردود إلى:

أ - ذكائها الذي درست به شخصية زوجها، وما يحب وما يكره.

ب- ثم زكاؤها.. باحترام طبعه، وما هو مقتنع به.

والعجيب أن «غيرة» الزوجة لم تكن تصرفا تدافع به عن نفسها إزاء زوجها الذي قد يكون منصرفا عنها..

ولكنها كانت «غيرة» الزوج نفسه.. والتي يجب أن تظل حقا له مصونا مكنونا.. وبخاصة في غيابه.

موقف الزوج

قال الزبير -رضي الله عنه: (والله لحملك النوى كان أشد عليّ من ركوبك معه)

كانت وجهة نظر الزوجة العاقلة هي:

انه مع عظيم تقديرها للرسول ﷺ.. إلا أنها:

أ - خافت من مزاحمة الرجال -بدون قصد طبعاً-

ب- وقد ينكشف منها حالة السير ما لا تريد انكشافه..

ولكن هذا كله كان أخف على أعصاب الزوج مما حدث فعلاً:

١- لأنها تبذلت لما حملت النوى على رأسها.

٢- ومن مكان بعيد.

٣- (ولأنه قد يتوهم خسة النفس، ودناءة الهمة، وقلة الغيرة).

وفرارا من هذه الشبهات كان عليها أن تركب معه ﷺ..

أضف إلى ذلك أن السبب الحقيقي لتبذلها هنا لم يكن مردودا إلى تساهل الزوج أو بخله، وإنما كان مشغولاً بالجهاد.. واحتراما لأوامر الرسول ﷺ.

ومن أجل ذلك لم يتفرغ الأزواج للاشتراك في عمل المنزل، ولضيق أيديهم أيضا.. فانحصرت الخدمة في النساء اللاتي قمن بالوظيفة خير قيام.. ليتفرغ الأزواج لمهام الجهاد.. ولم يكن العرف يعتبر ذلك عارا.

من ثمرات الحديث

يقول علماؤنا: (وفيه: أن المرأة الشريفة إذا تطوعت بخدمة زوجها بشيء لا يلزمها.. لم ينكر عليها ذلك أب ولا سلطان).

ونقول نحن: وإذا أنكر الوالد الشاغل مركزا مرموقا اليوم.. إذا أنكر على ابنته أن تخدم زوجها.. فليأت لها بخادم.. كما فعل أبوبكر هنا حين تبرع بخادم لابنته.. تقديرا لظروف الزوج.. وعطفا على فلذة كبده التي لا يغنيها أن تمضغ الكلام.. وترددد الملام.. وإنما هي التضحية التي تجنى ثمارها نحن الآباء.. أمناً وسلاماً.

ومن ثمرات الحديث ما قرره علماؤنا:

(أن كل من كانت لها طاقة من النساء على خدمة بيتها من خبز أو طحن أو غير ذلك.. أن ذلك لا يلزم الزوج، إذ كان معروفا أن مثلها يلي ذلك بنفسه.

بدليل أن فاطمة - رضي الله عنها- لما سألت أباها ﷺ الخادم.. لم يأمر زوجها بأن يكفيها ذلك: إما بإخدامها خادما. أو باستئجار من يقوم بذلك.. أو بتعاطي ذلك بنفسه.

ولو كانت كفاية ذلك إلى عليّ .. لأمره به .. كما أمره أن يسوق إليها صداقها قبل الدخول)(*).

ولقد تحملت أسماء ـ رضى الله عنها ـ ما تحملت صابرة محتسبة على ما كان فى عملها من مشقة بالغة عبرت عنها بقولها:

(وكان له فرس، وكنت أسوسه. فلم يكن من خدمته شيء أشد عليّ من سياسة الفرس.

(كنت أكفيه مؤونته، وأدق النوى لناضحه، وأعلفه).

ولقد كان أمرها على ما يقول الشاعر:

ولو كان همـا واحـدا لاحـتـملتـه

ولكنـه هـم، وثـان، وثالـث

وقد تحملت مسئوليتها مع أنها ابنة الصديق .. ثانى اثنين إذ هما فى الغار ..

ولكن النفوس الكبيرة تقصد إلى الإحسان .. ولا تكتفى بالعدل ..

وإذا كانت النفوس كبارا

تعبت فى مرادها الأجسام

ويعنى ذلك أن للمرأة دورا فى التنمية الاجتماعية والاقتصادية .. وإن كان المفروض أن يكفيها الزوج ذلك.

يقول الدكتور « عيسى عبده » تفسيرا لقوله تعالى فى سورة طه:

﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴾(٦).

يقول: إن العمل فى سبيل تدبير المعاش .. للرجال. دون المرأة. إذ تقع على المرأة واجبات أخرى بحكم إعدادها « الفسيولوجى ».

وليس معنى ذلك أن مفهوم النص القرآنى يمنع المرأة من العمل فى سبيل القوت. ولكن معناه أن الأصل هو: أن يسعى الرجل سعيا حثيثا. متصلا. لتدبير معاشه. ومعاش أسرته.

أو كما يقول الزمخشرى ما معناه: (إن العمل معصوب برأس الرجل).

وإذا تبدو الأم على الشاشة هكذا عاملة آملة .. فإنها تمارس دورها فى التربية بالقدوة .. لا بالكلام .. وسوف تخرج ابنتها من بين يديها مثلها .. ربة بيت ناجحة:

إنه إذا كانت القاعدة تقول: والأذن تعشق قبل العين أحيانا .. فإن الأمر فى الطفولة يختلف: فالطفل يسمع بعينيه .. قبل أن يسمع بأذنيه!

موقف أهل الزوجة

تقول أسماء ـ رضى الله عنها ـ (حتى أرسل إليّ أبوبكر بخادم تكفينى سياسة الفرس فكأنما أعتقنى!)

إن مشكلة المشكلات اليوم .. راجعة إلى شكوى الزوجة إلى أهلها من إرهاق العمل .. وتكليفها بما لا يطاق .. وبدل أن يدلى الأهل بدلوهم .. ينحازون للبنت انحيازا، يتجاوزون به الاختلاف .. إلى القطيعة.

ولكن أبابكر ـ رضى الله عنه ـ يتطوع فيتبرع بخادم لا تكفى ابنته فقط سياسة الفرس .. وإنما يكف بها بأس الشيطان الذى ينتهزها فرصة مواتية لينزغ بين الفريقين!!

(*) مسلم بشرح النووى/ ٦٠٥ - ٦٠٧.

(٦) طه (١١٧).

من دروس التربيـة

ولاحظ من دروس التربية هنا أمرين:

أن أبا بكر - رضي الله عنه - يرسل خادما «أنثى» وليس غلاما!

وقد كانت هذه الإشارة البليغة كافية.. قبل أن يترخص ناس اليوم حين يختارونه غلاما.. ليحدث من الفساد ما تضج به أنهار الصحف! ثم هو لا يرسله مع الأثاث ليلة الزفاف.

وإنما يرسله بعد أن تتحرس «أسماء» بالكفاح.. وتعايش مجموعة من القيم تعدها للحياة الجادة بعيدا عن الدلال!! لتخرج العلاقة بعد ذلك من البوتقة ذهبا خالصا..

ولقد كانت تجربة «أسماء» صعبة حقا.. وذلك ما يشير إليه قولها: «فكأنما أعتقني»!

ومع ذلك فلم يتوقف نشاطها داخل البيت!

وتظل «أسماء» - رضي الله عنها - رمزا للمرأة العاملة.. البريئة من أمراض الملل والترهل.. بريئة من إشراف الطبيب عليها فور التأكد من الحمل كما يحدث اليوم.. وما يترتب عليه من ضغوط على ميزانية البيت!

وتبقى «البدوية» دائما: سليمة الجسم.. قادرة على تجاوز العقبات بما منحتها الحركة من بركة في ذاتها.. وفي بيتها.

يقول أحد الباحثين: أنا لا أزال في دهشة من أمر الأعرابيات في حملهن وولادتهن.. إنها لفي شهرها التاسع وهي أشد ما تكون ثقلاً وعناء بجنينها، وهي من هذا أشد ما تكون إمعانا في عملها أو ترحالها في الصحاري والقفار، حتى إذا جاءها المخاض، تنحت عن الطريق قليلاً فولدت وقطعت حبل السره لوليدها بالحجر، ثم لفته والقته على ظهرها وتابعت السير، كأن شيئا لم يحدث، ولا يعلم أحد مِمَّنْ في الركب من أمرها شيئا، ونساؤنا المدنيات تُحشد لولادتهن القابلة أو الطبيب، والمساعدة من ممرضة أو قريبة، وتُسعف أثناء المخاض بكل ما وصل إليه الطب الحديث من وسائل التيسير وتخفيف الآلام، وتعقيم الأدوات والآلات والأربطة والعلاجات، فإذا ولدت ظلت في فراشها في البيت أو في دار التوليد أياماً لا تغادر سريرها إلا لماما، وتظل بعد ذلك أياماً أخر لا تأتي من أعمال البيت إلا بأيسرها إلا لماما، وتظل بعد ذلك أياماً أخر، لا تأتي من أعمال البيت إلا بأيسرها وأخفها.

والكل يشفقون عليها أن تنزعج أو ينزعج الوليد مدة نفاسها، خشية أن ينالها ما لا تحمد عقباه. فما السر في هذا الفرق العجيب بين المدنيات والبدويات؟! أهو ترف الحضارة الذي يُضعف في الجسم المقاومة؟ وخشونة البداوة التي تقوِّي فيه المناعة والقدرة على تحمل المشاق؟ فإن كان هذا هو سر الفرق بين الوالدتين، فما هو سر الفرق بين الوليدين بعد ولادتهما، مما يحتاجون معه إلى عناية الطبيب وسهر الأم أو الحاضنة؟

أما بعد: فقد كان هذا الموقف حجرا.. حجرا كريما.. نحاول أن نرمي به في البحيرة الراكدة اليوم.. فلعل الغافلات أن يتنبهن.. وأن يعدن حساب الربح والخسارة في حياتهن مقارنة بحياة البداوة وما تثمره من صحة النفس والجسم معاً!

وإذ يكتب الكتاب سيرتهم اليوم.. بالمداد.. وعلى الورق.. فإن قصة أسماء - رضي الله عنها - تكتب قصتها، بعرق الجبين..

وسلام عليها في الخالدين.

بحوث اجتماعية

الوسط في الميزان الخلقي لدى المسلم

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

إذا كانت الفضيلة وسطاً بين طرفين.. أحدهما الإفراط والآخر التفريط فإن الفاضل هو الذي يشكل المحور الثابت العنيد الذي لا يتلاشى على الإبعاد!!!

ولأن كل الدعوات صياح ضائع في القفر ما لم تتخذ من الإنسان محوراً لها مستوعباً وناقلاً.. فقد انحنت جميعها في تعاطف وثير على صياغة هذا الإنسان المؤهل لدوريه: الاستيعاب.. والنقل وكانت للقرآن العظيم في هذا الصدد فلسفته الخاصة التي استطاع بها أن يصنع أنماطاً من البشر تستعصي على الذوبان والتفتيت وتصمد في معارك التحدي إلى نهاية الشوط غير عابئة كثيراً بما يتناثر على جبينها من جراح.

ولقد كانت فلسفة القرآن في صياغة الإنسان على هذا النحو قائمة على أساس وضعه في المنتصف الإيجابي محوراً لكل شيء ونقطة ارتكاز لكل شيء وقاعدة انطلاق لكل شيء فهو على المستويات الخلقية والخلقية والسلوكية وسط قاصد منضبط بين التدلي غير القادر على النهوض والتحليق غير القابل لمعايشة الواقع الحياتي.

ومع وقوفنا العابر مع آيتين من آيات القرآن الكريم نتبين ملامح هذا المنهج القرآني في ائتلاق وروعة واقتدار.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا
لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾
وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ
الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ
أَثَامًا﴾(١).

---

(١) الفرقان (٦٧، ٦٨).

فهنا حملة على الإسراف، وحملة مقابلة على التقتير، حتى إذا أمكن وضع الإنسان في المنتصف العادل والعاقل. انطلق القرآن لتعزيز هذه الوضعية الرائعة بتخليص إنسانها من العبودية لما سوى الله.. وحياطة وجوده الذاتي ضد كل ما هو مدمر وقاتل.. كل ما هو متدل وجانح للهبوط.

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ ﴾.

إن الإسراف المبدد لا يمكن أن يسفر عن شيء غير انهيار الخلفية الاقتصادية للفرد والمجموع مما يهدد المجتمع الإسلامي بالإفلاس والجدب، والإحباط العاجز عن كل محاولة للتصدي في مجالات الصراع.. ومن هنا كانت رعاية الإسلام «للمال» رعاية حميمة وكانت حملته الضارية على كنزه وتأليهه أروع روعة وأهدى سبيلا.. إن المال عصب هذه الأرض.. ولكنه ليس غايتها أبداً إنه وقود القاطرة التي تشق طريقها في الزحام.. لكي تصل بالملايين إلى محطة الوصول التي عندها تشرق الشمس، ويقبل الصديق صديقه في مودة واعتناق..

ولعل مقارنة سريعة بين الإسلام - كدعوة يجب أن تهيأ لها مجالات العمل في بلد مهيض اقتصادياً وبلد ناهض من هذه الناحية، تؤكد لنا أن «المال» سلاح يجب أن يتوافر للدعوة حتى تتمكن معه من مزاولة دورها الحضاري، وإشعاعها الرسالي فالمسلم الذي لا يشغله البحث الكادح عن الرغيف يمكن أن يشغله البحث الكادح عن أرض جديدة يزرع في رحابها إسلامه، وعن قلوب كافرة يطوّعها لإيمانه، وعن قوافل فارغة من الداخل يضيء غسقها المر، ويثري جدبها العقيم، فإذا تخطينا إطار الفرد للدولة، وإطار الانتشار إلى إطار الدفع والذود عرفنا أن للمال دوره الخطير في تصفية كل الجيوب المغيرة، والتصدي لسلاحها الفاتك بأسلحة أخرى أفتك

﴿ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾(٢).

إن القرآن الكريم بعد أن يلقي الضوء على ما أبدع الله في الأرض من جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابه يهتف في أتباعه فاتحاً أحداق عيونهم على هذه الحقيقة:

﴿ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾(٣)

والقرآن لا يعطل فينا حاسة البهجة، ولا يصادم فينا طبيعة الحب للحياة ولا يكره للإنسان أن يفتح للوجود ذراعين أرحب من الوجود ولكنه فقط يدعونا إلى لون من ألوان التعقل والالتزام:

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾(٤).

والقرآن يحرص على البذل ويدفع إلى امتلاك ناصية الخير ولكنه يحذر من الإسراف والخرق هادفاً من وراء ذلك إلى تربية الجماهير المسلمة على خلق القصد في كل شيء:

---

(٢) الأنفال (٦٠).
(٣) الأنعام (١٤١)
(٤) الأعراف (٣١).

﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾(٥).

وعلى هذا المنهج القرآنى الراشد فى تربية الأفراد والجماعات سلك النبى القائد ﷺ طريقه إلى صياغة المجموع من حوله فهو القائل فى تأكيد عميق: «إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير لك من أن تذرهم عالة يتكففون الناس»(٦). وهذا وهو القائل فى إصرار «اليد العليا خير من اليد السفلى»(٧).

هذا جانب من حملة القرآن على «السرف» المفضى إلى الإجداب فإذا انتقلنا إلى الجانب الآخر الذى أعلن فيه حملته القاسية على «التقتير» فى إطار هذه الآية:

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾

راعنا هذا الدمج فى موطن واحد بين النقيضين حتى لا يفرغ الإنسان من شيء قبل أن يهيأ للامتلاء بشيء آخر. إن «الإسراف» جريمة! نعم ولكن مقابله الذى هو «التقتير» جريمة أخرى وحتى لا ينزلق الفرد أو تنزلق المجموع من هاوية الإسراف إلى حضيض التقتير قرن القرآن هذه بتلك. ليقيم المسلم على صراط لا خرق فيها ولا شح وإنما قوام بين ذلك «وحملة القرآن على التقتير لا تنحصر فى دائرة الشح المادى وحده وإنما تتساع لتشمل التقتير فى البذل المادى والتقتير فى العطاء الفكرى والتقتير فى الثراء النفسى، لأن المقتر فى البذل المادى يصيب نفسه ويصيب المجموع من حوله بالضمور والانكماش، وبديهى أن موارد الدولة الإسلامية وكفايتها قائمة أساسا على «التعاون» المفضى إلى القوة وعلى بذل «ما فرض» من الزكاة، وغير الزكاة، فإذا وجدت العناصر المقترة التى منها يتكون الكل فى إطار الدولة كانت نتيجة ذلك اهتزاز العلائق فى المجتمع، واضطراب الموازين فى الدولة وغياب الأساس الصامد الذى ينهض عليه البناء، مما يوحى بانهيار مرتقب لا تقف بوائقه عند حد.

﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾(٨).

ولأن المقتر فى بذل «العطاء الفكرى» يشكل قوة جذب شريرة إلى الوراء وحاجزا على طريق التقدم يعيق عن المضى والانطلاق، لقد نبه القرآن إلى خطورته وضراوة مسلكه ولفت إليه فى إعجاز معجز عاقداً بين تقتيره وتقتير الباخل بماله ما يشبه الصلة الحميمة فى قوله تعالى:

﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ قَتُورًا ﴾(٩).

---

(٥) الإسراء (٢٦، ٢٧).

(٦) متفق عليه.

(٧) رواه أحمد والطبرانى.

(٨) التوبة (٣٤، ٣٥).

(٩) الإسراء (١٠٠).

إن التعبير القرآني العظيم « بخزائن رحمة ربي » يغطي الجانب المادي والجانب الفكري على السواء لأن هذين الجانبين ينضويان بالضرورة تحت مفهوم « الرحمة » التي عناها القرآن الكريم..

ولأن المقتر في بذل « الثراء النفسي » هو الآخر يهدم ما بناه الله فيه من استعداد طبيعي لحب الأغيار، والتلاحم المصيري بالآخرين فقد ألمح إليه القرآن في أكثر من موضع:

﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(١٠)

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ﴾(١١).

والرسول ﷺ يعطي الموقف وضوحاً رائعاً في حديثه مع الأعرابي الذي وجده يدعو ربه قائلاً: اللهم ارحمني وارحم محمداً ولا ترحم معنا أحداً.. فقال له النبي ﷺ: « لقد حجرت واسعاً يا أعرابي »(١٢). إن هذا الإحياء لمناطق حب الآخرين داخل النفس كان منهج القرآن ورسوله العظيم.. مما يوحي بأن لزوجة النفس المقترة في شتى مجالات هذا التقتير شيء يرفضه الإسلام وتأباه طبيعة المسلم!!!

لأن المسلم كما أراده الله عاقلاً لا يركب غوارب التبديد والسرف وسمحاً لا يتردى في كهوف التبلد والإقتار.. وكان بين ذلك قواماً!!!

ويبدو التلاحم العنصري بين الآيات القرآنية المعجزة في انتقالها الفوري إلى الآية التالية:

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾

إن قضية المال التي أثارها القرآن الكريم في الآية السابقة توحي من حشد ما توحي بأن بعضاً من الناس قد يؤلهون « المال » فهو يحرضهم على التحليق فوق غباء هذا المنطق وإلى تمحيص العبودية لله بدءاً وختاماً فإذا فعلوا ذلك كان آحاداً في قوافل أولئك الراشدين الذين يرتفعون بأنفسهم إلى قمة الحق وهذا منضو تحت قوله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾.

وفوق ما تسوقه الآية بصدد « القصاص » في النفس

﴿ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾.

تشع كلماتها الإلهية معاني أخرى، فليس القتل فقط أن يعتدي إنسان على آخر، وإنما هو كذلك اعتداء الإنسان على نفسه باليأس القانط المتشائم، أو بالجريمة الخانقة المدمرة، أو بالجهل المغلق الهابط أو بالعزلة المريضة الصفراء أو بالكراهية للحياة وللأحياء على السواء.

وجميل أن يجيء التعبير القرآني في قوله:

﴿ وَلَا يَزْنُونَ ﴾ بعد القتل مباشرة أليس الزنا قتلاً هو الآخر؟ أليس يقتل عفاف الحرة المسلمة؟ أليس يذبح شرف الزوج الغائب ربما في صراع مع الحياة من أجلها.. ومن أجل أطفاله الأبرياء؟ أليس يخنق نبض الإنسانية في علاقاتنا بالنوع؟ أليس تمهيداً لخلق مجتمع لقيط تتفتح فيه أحداق الطفولة اللاشرعية على نوازع التدلي وهواتف الهبوط؟ هذه محظورات ينبه إليها القرآن:

﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾!!

---

(١٠) التغابن (١٦) (١١) آل عمران (١٨٠). (١٢) رواه البخاري.

أمثلة من النقد العلمي

إنصاف محدث كبير

ابن شهاب الزهري

للأستاذ الدكتور عبد اللطيف الحسيني (*)

مما أذكره عن أستاذي الجليل الدكتور أحمد الشرباصي الأستاذ بكلية اللغة العربية، والعالم الشهير بفضله وكثرة نتاجه العلمي أنه كان يتحدث لنا في بعض محاضرات الكلية عن السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار، وهو الذي اختاره الدكتور الشرباصي مجالاً لبحثه في رسالة الدكتوراة، فأحاط إحاطة تامة بآثاره الأدبية والعلمية، وقد قال الشرباصي - رحمه الله - إن أغرب ما رآه من صنيع بعض الباحثين أن ينقل من تفسير المنار أقوالاً لا ينسبها للسيد محمد رشيد رضا مع أن صاحب المنار ذكرها ليرد على خطئها، ويبين ما فيها من العوار، فكان يتعجب كثيراً لهذا التسرع الذي لا يليق من باحث علمي تفترض فيه الدقة والتمهل، إذ أن من الخطورة العلمية أن نحمل على الرجل قولاً لا يرتضيه.

ثم استطرد الدكتور الشرباصي فقال: إن شيئاً من ذلك وقع للأستاذ الجليل الدكتور علي حسن عبد القادر المؤلف الشهير والبحاثة المعروف، حيث كان يلقي بعض دروسه في كلية أصول الدين على الطلاب فنقل أقوالاً للمستشرق المجري جولد زيهر تسيء إلى العالم الفقيه محمد شهاب الزهري، ورد عليها بالمنطق الفحم، ولكنه فوجيء بعد أيام

(*) الأستاذ بجامعة الأزهر

يمن يعزو آراء المستشرق إلى الدكتور حسن عبدالقادر ويبالغ في نقده.

ثم قال الدكتور الشرباصي: فكتبت في أوائل الأربعينيات كلمة بمجلة الرسالة للدكتور حسن عبدالقادر استوضحه الرأي فيما نسب إليه فسارع بالرد الشافي معلنا أنه كان يرد على المستشرق وأن الذي ينقل عنه غير أمين.



الدكتور/ أحمد الشرباصي



الشيخ/ محمد رشيد رضا

كان هذا منذ سنوات تزيد على ربع قرن، ثم قرأت منذ شهر بمجلة تصدر في بعض الدول العربية حديثاً عن محمد بن شهاب الزهري - رضي الله عنه - يزعم فيه كاتبه أن الأستاذ الدكتور علي حسن عبدالقادر أكد ما ينسب إلى ابن شهاب من زور وبذلك جعل التهمة ملصقة بابن شهاب والدكتور علي حسن عبدالقادر معا. وقد قال أنه أحد تلاميذ الدكتور حسن عبدالقادر بالقاهرة.

هنا تذكرت ما قاله أستاذي الجليل أحمد الشرباصي، وأخذت أبحث في مجموعة الرسالة من أوائل الأربعينيات لأنصف الرجلين معا. وأنصف العالم والحجة ابن شهاب الزهري والبحاثة الفاضل الدكتور حسن عبدالقادر وإذا كانت الأعمال بالنيات فقد وفقني الله إلى العثور على خطاب الدكتور الشرباصي ثم رد الدكتور حسن عبدالقادر عليه في عدد تال، وإني أجتزئ ببعض ما في السؤال والجواب ليعلم القارئ، أن الحقيقة بنت البحث وأن من الظلم أن نقطع الكلام عن سياقه. وأن ننسب إلى العالم ما لم يقل، وفي ذلك دعوة إلى التؤدة في البحث والتثبت من القول قبل أن تزل الأقدام.

من خطاب الدكتور الشرباصي

نشرت مجلة الرسالة الصادرة بتاريخ ١٠ من يونيه سنة ١٩٤٠ خطابا للدكتور الشرباصي موجها إلى الدكتور علي حسن عبدالقادر قال فيه:

سمعنا وقرأنا في غير صحيفة أن الدكتور ألقى منذ حين على فريق من طلبة كلية أصول الدين درسا في مصطلح الحديث فعرّض من خلال هذا الدرس بالتابعي الجليل والمحدث الصادق الإمام ابن شهاب الزهري ووصفه بالاختلاق والكذب على رسول الله ﷺ. وبأنه كان ممالئا للأمويين وبذلك اخترع جملة أحاديث تخدم قضيتهم وترفع من شأنهم ومن ذلك أن الزهري لما رأى عبدالله ابن

الزبير يستقل بأمر الحجاز، وأن عبدالله ابن مروان يستولى على بيت المقدس ويرفع فى المسجد الأقصى قبة الصخرة ليصرف الحجيج إليه لما رأى الزهرى ذلك اخترع أحاديث شتى فى فضل بيت المقدس، ومن ذلك قوله على لسان رسول الله ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى: المسجد الحرام ومسجد الرسول ﷺ ومسجد الأقصى»[1].

قال الدكتور ذلك مع إجماع العلماء على أمانة الزهرى، وصدقه وورعه ومع أن التاريخ يروى أن عبدالملك بن مروان سأل الزهرى ذات يوم عن المعنى بقوله تعالى:

﴿ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[2].

فقال الزهرى: هو عبدالله بن أبى بن سلول. فقال عبدالملك: لا، بل هو على بن أبى طالب، فاشتاط الزهرى غيظا، وقال له: لا أبا لك: أعليٌّ تفترى أم على الله؟

ونحن نرجو أن يتفضل الدكتور بكلمة توضيح فى هذا الموضوع.

رد الدكتور على حسن عبدالقادر

وفى العدد التالى من مجلة الرسالة الصادر بتاريخ ١٧ من يونيه سنة ١٩٤٠ كتب الدكتور على حسن عبدالقادر رداً قال فيه:

«إنى كنت فى محاضراتى عن تاريخ علم الحديث أعنى بتعريف الطلاب طريقة البحث الحديث فى نقد الأحاديث، واضرب لهم فى ذلك الأمثال، وكان من هذه الأمثلة ما ذكرته لهم من نقد بعض المستشرقين وهو جولد زيهر للإمام الزهرى وأحاديثه التى رواها فى فضل الشام وبيت المقدس وخلاصة هذا النقد هو أن الإمام الزهرى كانت له صلات وروابط بالبيت الأموى، وأن عبدالملك بن مروان كان قد منع الناس من الحج أيام فتنة ابن الزبير فبنى عبدالملك الصخرة فى المسجد الأقصى ليحج الناس إليها، ثم أراد أن يبرز عمله هذا فوجد فى الزهرى ومقامه معروف آلة لوضع أحاديث مثل الحديث المشهور «لا تشد الرحال إلا لمسجدى هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى».

هذا رأى المستشرق - لا رأى الدكتور عبدالقادر - الذى يقول، ولكن المستشرقين أنفسهم قد فندوا هذا الرأى الخاطىء بشدة، وأعلنوا أن فيه مخالفة واضحة لحقائق التاريخ، فقد قال المستشرق فينسنك فى ذلك وزعم بعضهم - يعنى جولد زيهر - وضع حديث لا تشد الرحال وهو حديث مذكور فى جميع كتب السنة المعتبرة، وذلك لكى يحل الحج إلى بيت المقدس مثل الحج إلى الكعبة، ولكى يحمى الخليفة عبدالملك فى حربه ضد ابن الزبير الثائر عليه بالبلاد المقدسة، ولكن هذا الاتهام لمثل هذا المحدث

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه باب فضل الصلاة فى مسجد مكة والمدينة ٦٦/٢.

(٢) النور (١١).

الكبير تسقطه الأدلة التاريخية فإن خروج ابن الزبير كان في سنة لا تسمح للزهري بأن يكون مفتيا لأنه كان شابا لا أهمية له، ولم يكن قد بلغ شهرته في الحديث، وكان سعيد ابن المسيب الذي روى عنه الحديث لا يزال حيا، وبالطبع لا يمكن أن يسمح سعيد بأن يستعمل استعمالا سيئا، خصوصا إذا علمنا أن الزهري لم يكن وحده هو الذي روى الحديث عن سعيد.

ثم يقول الدكتور علي عبدالقادر، فهل تراني بعد هذا أشك في ثقة الإمام الزهري بعد أن شهد له الأصدقاء والأعداء. وتضافرت على إمامته الأبحاث القديمة والحديثة. أم ترى أن ما نقل عني قد حرف تحريفا أبرأ إلى الله منه:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾(٢)

هذا، وقد أشار الدكتور الشرباصي كما أشار الدكتور علي حسن عبدالقادر إلى أن الإمام الزهري ثقة قد وثقه السابقون واللاحقون من أئمة الحديث، وقد رأيت بهذه المناسبة أن أنقل عن بعض هؤلاء ما قالوه في حق هذا الإمام الجليل، وهي نقول مشتهرة أحسن الأستاذ ناجي الطنطاوي العالم التقي جمعها في بحث له مستفيض عن الإمام الزهري ومما كتبه تحت عنوان (منزلته بين العلماء).

نقول عن الزهري

١ـ يقول الليث بن سعد قلت لعراك بن مالك: من أفقه أهل المدينة فذكر سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وعبيد الله بن عبدالله بن مسعود، ثم قال: وأعلمهم عندي جميعا ابن شهاب الزهري لأنه جمع علمهم إلى علمه.

٢ـ وقال أيوب المصري أحد أئمة الحديث: ما رأيت أحداً أعلم من الزهري فقال له صخر ابن حدير، ولا الحسن (يريد الحسن البصري) فقال: ولا الحسن.

٣ـ وقال سعيد بن عبدالرحمن بن حنبل: لولا ابن شهاب لضاعت أشياء من السنن.

٤ـ وقال الإمام مالك: بقي ابن شهاب، وماله في الناس نظير، وكان إذا دخل المدينة لم يحدث بها أحد حتى يخرج منها.

وتلمذة الإمام مالك لابن شهاب الزهري ذائعة مشتهرة وقد تحدث عنها الأستاذ «أمين الخولي» في الجزء الأول من كتابه (مالك بن أنس ترجمة محررة) وقال عنه ناسبا القول إلى مالك:

لما قدم ابن شهاب إلى المدينة كنا نزدحم على درج سلم بابه، وكان لبابه عتبة حسنة، فكان مالك وزملاؤه يتدافعون على العتبة حتى يسقط بعضهم على بعض، وقد جاء يوم

(٢) الحجرات (٦).

العيد، فقلت في نفسي هذا يوم يخلو فيه ابن شهاب لنفسه، فانصرفت من المصلى حتى جلست على بابه، فسمعته يقول لجاريته من بالباب؟ فقالت مولاك الأشقر مالك. قال ادخليه. فدخلت. فقال: ما أراك انصرفت إلى منزلك؟ قلت: لا، قال: هل أكلت شيئاً؟ قلت: لا. قال: فاطعم، قلت: لا حاجة لي فيه، قال: فماذا تريد؟ تحدثني، فجعل يحدثني.

كرمه وسخاؤه

قال الإمام (كان الزهري من أسخى الناس، فلما أصاب تلك الأموال (يريد أنه أنفقها على الفقراء) قال له مولى له يعظه، وقد رأيت ما مر بك من الضيق والشدة. فانظر لنفسك، وامسك عليك مالك فقال له ويحك: الكريم لا يخضع للتجارب.

وقد نزل يوما على ماء ليستقي. فقال له أهل هذا الماء: إن لدينا ثماني عشرة امرأة عجوز ليس لهن خادم، ولم يكن مع الزهري شيء من المال فاقترض ثمانية عشر ألفا من الدراهم، وأعطى لكل امرأة ألفا لتشتري به من تخدمها وتستعين على معاشها. فقيل له: إن الناس يعيبون عليك كثرة الدين، فقال: وكم ديني؟ فقيل عشرون ألفا؟ فقال عندي أكثر من ذلك. ولا يرثني إلا أخي!

بحوث جولد زيهر

أحسن الظن بمؤلفات جولد زيهر نفر من أساتذة الأزهر الشريف، فقاموا بترجمة كتابي «العقيدة والشريعة»، ومذاهب التفسير الإسلامي» ومن هؤلاء من لا يجهل مكانتهم العلمي، وغيرتهم الحماسية على الإسلام مثل الدكاترة: محمد يوسف موسى، وعبدالحليم النجار، وعلي حسن عبدالقادر، وعبدالعزيز عبدالحق، وقد اعترفوا بما يتضمن من أخطاء صارخة مبعثها الغرض، وحاولوا الرد على بعضها في هوامش الصفحات، وأنا أرى أن الأمر كان يستدعي الرد على جميع الشبهات لا على بعضها، ليسلم القارئ غير المثقف من مكايد المؤلف الداهية، ولا أجدني موافقا للأستاذ الدكتور عبدالحليم النجار حين قال في مقدمة ترجمته لكتاب مذاهب التفسير الإسلامي.

لا يحط من قيمة الكتاب اشتماله على قليل من النزعات التي لا يخلو منها كتاب من كتب المستشرقين لا سيما فيما يتصل من الدين بسبب أو نسب يمليها عليهم إلف ملازم، أو قصد جائر، ولو اعتمدنا ذلك سببا في إطراح هذه الكتب وإهمالها لفاتنا خير كثير.

وقد كان جدير بنا أن ننبه على ذلك لولا العزوف عن الإطالة ولولا أن أعجلني انتدابي

لتدريس التفسير والحديث بكلية الآداب ببغداد.

فهذا القول يحمل أدلة نقضه، لأن السكوت عن رد المفتريات يؤكدها لدى العامة وبعض الخاصة وإذا لم تتح المدة للمترجم أن يقوم بذلك فعليه أن يوكل من زملائه من يشاركه العمل. وتأتى الهوامش حافلة بالردود.

ومن الحسن أن نذكر أن المرحوم الأستاذ الشيخ عبدالفتاح القاضى قد وضع مؤلفا ينقد ما جاء بكتاب التفسير من المفتريات كما أن الأستاذ الكبير الشيخ محمد الغزالى قد وضع كتابا قيما فى نقض ما جاء بكتاب العقيدة والشريعة فألفت لهما الأنظار.

ختام

واختم مقالى بما قاله الإمام محمد زاهد الكوثرى عن مؤلفات جولد زيهر منقولا عن المقدمة الحافلة التى كتبها الشيخ محمد الغزالى فى صدر كتابه.

قال الإمام الكوثرى:

ومن أخطر هذا الفريق المموه «جولد زيهر» المجرى الدم، اليهودى النحلة العريق فى عداء الإسلام الماضى فى هذا السبيل طول حياته.

وهو من رجال أوائل القرن الميلادى الحاضر[1]، وله دراسات فى القرآن وعلومه، والحديث وعلومه، والفقه وأصوله، وكتب المتكلمين، ولكنه محتال ماهر فى توليد ما يشاء من نصوص يتصيدها من مصادر تعجبه باعتبار غايته مغالطا فى تحميلها مالا تحتمل من المعانى عند أهل البصيرة، ومتجاهلا اختلاف منازل تلك المصادر فى الثقة والتعويل.



الشيخ/ محمد الغزالى

لكن ترجمة تلك الكتب بمعرفة بعض الأزهريين من غير عدة كافية، ونشرها بدون ردود وافية، وعرض شكوك أولئك المتشككين من أعداء الإسلام لأنظار أهل الضاد تكون نيابة عن هؤلاء القائتين، وهذا ما لا يرضاه الأزهر معقل الإسلام الأوحد فيما نرى.

هذه كلمة تنصف الحق قبل أن تنصف المفترى عليهم من شيوخ الإسلام الثقات.

***

(١) يقصد القرن العشرين.

اغتيال إسلامية فيلسوف (٥)

هل قال ابن رشد بحقيقتين: دينية .. وفلسفية ؟

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

فى مارس سنة ١٢٧٧م أصدر أسقف باريس، اتين تامبيه، مرسوما كنسيا حرم فيه عددا من القضايا الفكرية لتيار، الرشديين اللاتينيين، ـ منها، قولهم بحقيقتين مختلفتين، وفى ذات الوقت صادقتين، إحداهما دينية إيمانية، والأخرى فلسفية عقلية،.

وكان القول، بالحقيقتين، ـ وليس، بوحدة الحق والحقيقة، ـ هو التعبير عن منهاج الفلسفة الوضعية الغربية من الدين، وعلاقته بالعلم. فهذه الفلسفة الوضعية ترى أن المعارف الدينية، قلبية وجدانية، لها دورها النفعى بالنسبة للعامة من الناس، الذين لا تضبطهم الفلسفات العقلية.. بينما المعارف العلمية عقلية برهانية، تخضع للفحص والاختبار اللذين لا تحتملهما المعارف الدينية القلبية الوجدانية. وأن من النافع وجود حقيقتين، متجاورتين، تجاور الفرقتين المستقلتين، لكل منهما نظامها ومعاييرها وجمهورها.. فالحقيقة الدينية اللاعقلية واللاعلمية صادقة بالنسبة لجمهورها، والحقيقة العقلية الفلسفية صادقة، أو هى وحدها الصادقة بالنسبة للخاصة المدركة لها.

تلك هى الفلسفة الوضعية الغربية، فى الحقيقتين، التى بشر بها «الرشديون اللاتين» فى مواجهة احتكار اللاهوت الكنسى لحقائق عالم الشهادة وعالم الغيب جميعا.. وهذا القول بالحقيقتين هو الذى ورد النص عليه فى مراسيم التحريم الكنسية لفكر «الرشديين اللاتين».

(١) (مدخل إلى التنوير) ص١٣٨.

لكن الزعم بأن ابن رشد هو القائل بثنائية الحقيقة، لا بوحدة الحق[1] .. هو الادعاء الذى تنقضه وتفنده إبداعات فكر هذا الفيلسوف العظيم .. فالتأويل عند ابن رشد - كما سبق وأوردنا نصوصه فيه - هو سبيل إلى وحدة الحقيقة، وليس إلى تعددها، لأنه موقف من تعدد طرق ومستويات الناس فى التصديق بالحقيقة الواحدة، وليس سبيلا لإثبات ثنائية الحق والحقيقة .. وله فى ذلك عشرات النصوص التى لا لبس فيها ولا غموض.

● فهو يؤكد على وحدة الحقيقة، فى الذات الإلهية .. وفى الشريعة الإلهية وفى المخلوقات كلها .. مع تعدد وتنوع طرق التصديق بالحقيقة الواحدة، تبعا لتعدد جبلات وطبائع الناس - جمهورا .. وحكماء .. ومتوسطين بينهما - فيقول: «إنا نعتقد معشر المسلمين، أن شريعتنا هذه الإلهية حق، وأنها التى نبهت على هذه السعادة، ودعت إليها، التى هى المعرفة بالله - عز وجل - وبمخلوقاته، فإن ذلك متقرر عند كل مسلم من الطريق الذى اقتضته جبلته وطبيعته من التصديق، وذلك أن طباع الناس متفاضلة فى التصديق، فمنهم من يصدق بالبرهان، ومنهم من يصدق بالأقاويل الجدلية تصديق صاحب البرهان بالبرهان، إذ ليس فى طباعه أكثر من ذلك، ومنهم من يصدق بالأقاويل الخطابية كتصديق صاحب البرهان بالأقاويل البرهانية. وشريعتنا قد دعت الناس من هذه الطرق الثلاث .. ولذلك خُصّ عليه الصلاة والسلام بالبعث إلى الأحمر والأسود، أعنى بتضمن شريعته طرق الدعاء إلى الله - تعالى - وذلك صريح فى قوله تعالى:

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[3]»[4].

فالحق واحد .. والتعدد هو فى طرق التصديق بهذا الحق الواحد.

● ولأن الحق واحد فى ذاته، والمعانى واحدة فى نفسها، ضربت للجمهور مثالات ليدرك هذا الحق الواحد وهذه المعانى الواحدة، دون تعدد للحق أو المعنى .. فالمثالات سبل لإدراك الحقيقة الواحدة، التى يدركها البرهانيون دون مثالات .. «وأنت إذا تأملت الشرع وجدته، مع أنه ضرب للجمهور فى هذه المعانى المثالات التى لم يمكن تصورهم إياها دونها، قد نبه العلماء على تلك المعانى أنفسها التى ضرب مثالاتها ..»[5]

فالمعانى واحدة، والحق واحد، والمثالات طرق وسبل للتصديق بالمعانى نفسها، التى يدركها الراسخون فى العلم ويصدقون بها ذاتها دون مثالات.

● والتمايز بين الناس - حكماء - وجمهورا .. ومتوسطين بينهما - ليس فى تمايز الحقائق والمعانى التى يدركها فريق عن الآخر .. وإنما هو فى «القدر والنصيب» الذى يستطيع إدراكه كل فريق من ذات الحقيقة الواحدة .. «فالطريقة بالشرعية التى دعا الشرع منها جميع الناس، على اختلاف فطرهم، إلى الإقرار بوجود البارى - سبحانه - والتى نبه الكتاب العزيز عليها، واعتمدتها الصحابة .. تنحصر فى جنسين: دليل العناية، ودليل الاختراع .. ولقد تبين أن هاتين الطريقتين

(٢) المرجع السابق. ص ١٢٥، ١٢٨، ١٥٠، ١٥١.

(٤) (فصل المقال) ص ٣٠، ٣١.

(٣) النحل: ١٢٥.

(٥) (مناهج الأدلة) ص ١٩١.

هما بأعيانهما طريقة الخواص، وأعنى بالخواص العلماء، وطريقة الجمهور. وإنما الاختلاف بين المعرفتين فى التفصيل، أعنى أن الجمهور يقتصرون من معرفة العناية والاختراع على ما هو مدرك بالمعرفة الأولى المبنية على علم الحس، وأما العلماء فيزيدون على ما يدرك من هذه الأشياء بالحس ما يدرك بالبرهان، أعنى من العناية والاختراع، حتى لقد قال بعض العلماء: إن الذى أدرك العلماء من معرفة أعضاء الإنسان والحيوان هو قريب من كذا وكذا آلاف منفعة. والعلماء ليس يفضلون الجمهور فى هذين الاستدلالين من قبل الكثرة فقط، بل ومن قبل التعمق فى معرفة الشىء الواحد نفسه. فإن مثال الجمهور فى النظر إلى الموجودات مثالهم فى النظر إلى المصنوعات التى ليس عندهم علم بصنعتها، فإنهم إنما يعرفون من أمرها أنها مصنوعات فقط، وأن لها صانعا موجودا. ومثال العلماء فى ذلك مثال من نظر إلى المصنوعات التى عندهم علم ببعض صنعتها وبوجه الحكمة فيها.

أما مثال الدهرية فى هذا، الذين جحدوا الصانع سبحانه، فمثال من أحس مصنوعات فلم يعترف أنها مصنوعات، بل نسب ما رأى فيها من الصنعة إلى الاتفاق والأمر الذى يحدث من ذاته»[6].

فالحقيقة فى طرق معرفة الذات الإلهية واحدة بالنسبة للجميع، جمهورا وعلماء، والتفاوت هو فى تفاصيل معارف كل فريق من الحقيقة الواحدة - دليلى العناية والاختراع.. كما أن حقيقة أعضاء جسم الإنسان والحيوان واحدة، والتفاضل بين مستويات العارفين بها هو فى كثرة أو قلة ما يدرك كل فريق من هذه الحقيقة الواحدة.. ففى الكثرة، والتعمق يكون التفاوت والتمايز لدى الفرقاء «فى معرفة الشىء الواحد نفسه» - بعبارة أبى الوليد.. القاطعة بوحدة الحقيقة مع تفاوت طرق إدراكها، والنسب المدركة منها، وعمق الإدراك لها.

● وابن رشد عندما مايز فى تآليفه بين الكتب التى توجه بها إلى الجمهور - مثل - «مناهج الأدلة» - والتى وجهها إلى الحكماء - مثل «فصل المقال» - لم يصنع ذلك لتعدد الحقيقة واختلافها باختلاف المخاطبين بهذه الكتب - كما فهم الكثيرون من عباراته.. وإنما أراد - «فى مناهج الأدلة» - مخاطبة الجمهور المعتقد - خطأ - مخالفة الحكمة للشريعة، فعرض لهذا الجمهور أصول الشريعة، وذلك لإثبات أنها لا تخالف الحكمة.. كما أراد - فى «فصل المقال» - مخاطبة المنتسبين إلى الحكمة، المعتقدين - خطأ - مخالفة الحكمة للشريعة، فعرض لهم أصول الحكمة، وذلك لإثبات أنها لا تخالف الشريعة.. فاختصاص كل كتاب بالتوجه إلى فريق من الفرقاء، والبدء معه بعرض الأصول التى يتحاز إليها، نابع من تحيز كل فريق - أحدهما لأصول الشريعة، والثانى لأصول الحكمة - مع توهم التعارض بينهما - وذلك وصولا، بالفريقين، كل من نقطة انحيازه، إلى إثبات الحقيقة الواحدة، وهى تآخى الحكمة والشريعة دائما وأبدا.

وفى نص حاسم لهذه المسألة التى لعبت دورا كبيرا فى شيوع قول ابن رشد بتعدد الحقيقة

---

(٦) المصدر السابق. ص١٥٠، ١٥٣، ١٥٤.

باختلاف الجمهور، وتميز الكتب التي يخاطب بها كل فريق.. يقول ابن رشد: «فالصواب أن تعلم الفرقة من الجمهور التي ترى أن الشريعة مخالفة للحكمة، أنها ليست مخالفة لها. وكذلك الذين يرون أن الحكمة مخالفة لها، من الذين ينتسبون للحكمة، أنها ليست مخالفة لها وذلك بأن يُعَرِّف كل واحد من الفريقين أنه لم يقف على كنههما بالحقيقة، أعنى لا على كنه الشريعة ولا على كنه الحكمة، وأن الرأى فى الشريعة الذى اعتقد أنه مخالف للحكمة هو رأى إما مبتدع فى الشريعة لا من أصلها، وإما رأى خطأ فى الحكمة، أعنى تأويل خطأ عليها.. ولهذا المعنى اضطررنا، نحن، فى هذا الكتاب - «مناهج الأدلة» - أن نُعَرِّف أصول الشريعة، فإن أصولها إذا تؤملت وجدت أشد مطابقة للحكمة مما أوّل فيها. وكذلك الرأى الذى ظُن فى الحكمة أنه مخالف للشريعة يعرف أن السبب فى ذلك أنه لم يحط علما بالحكمة ولا بالشريعة. ولذلك اضطررنا نحن أيضا إلى وضع قول، أعنى «فصل المقال فى موافقة الحكمة للشريعة»[٧].

فمعنى أن كتاب «مناهج الأدلة» موجه إلى الجمهور، هو أنه رد على شبهات الجمهور المعتقد مخالفة الشريعة للحكمة، بعرض أصول الشريعة، ليثبت أنها لا تخالف الحكمة.. ومعنى أن كتاب «فصل المقال» موجه إلى المنتسبين إلى الحكمة، أنه رد على شبهاتهم التى حسبوا بسببها مخالفة الحكمة للشريعة، وذلك بعرض أصول الحكمة، وإثبات أنها غير مخالفة للشريعة.

والحقيقة واحدة.. والحق لا يتعدد، فى كل الحالات، وعلى اختلاف أصناف فطر المخاطبين.

●●●

● فالقصد من «التأويل» عند ابن رشد، هو «الجمع بين المعقول والمنقول»[٨] لأن الحقيقة فى المعقول والمنقول واحدة.

● «والسبب فى ورود الشرع فيه الظاهر والباطن هو اختلاف فطر الناس وتباين قرائحهم فى التصديق، والسبب فى ورود الظواهر المتعارضة فيه هو تنبيه الراسخين فى العلم على التأويل والجامع بينها»[٩].. فالظاهر والباطن لاختلاف الفطر فى طرق التصديق بالحقيقة الواحدة، وليس لتعدد الحقيقة، والتأويل جامع بين الفطر وليس معددا للحقيقة.

● و«إن مبادئ الشريعة.. مثل الإقرار بالله، وبالنبوات، وبالسعادة الأخروية والشقاء الأخروى، تفضى جميع أصناف طرق الدلائل - الخطابية، والجدلية، والبرهانية - إلى معرفتها، فتكون ممكنة للجميع»[١٠].

● «ولا يجوز التأويل فى مبادئ الشريعة - «لأن التأويل هو عمل العقل فى الانتقال بدلالة اللفظ من الحقيقة إلى المجاز - وفق قوانينه» وهذه «المبادئ أمور إلهية تفوق العقول الإنسانية.. وواجب كل إنسان أن يسلم بها ويقلد فيها» -

---

(٧) المصدر السابق. ص١٨٤، ١٨٥.

(٨) (فصل المقال) ص٣٢.

(٩) المصدر السابق. ص٣٢، ٣٤.

(١٠) المصدر السابق. ص٤٥، ٤٦.

فحقائقها لا تتعدد، لإدراكها بجميع أصناف طرق الدلائل.. ولعجز العقول عن أن تدرك «كيفية وجودها، لأن هذا الوجود أمر معجز عن إدراك العقول الإنسانية» لا تستطيع أن تدرك فيه غير ما يدركه الجميع «بأصناف طرق الدلائل»[11].

تلك هي حقيقة «الرشدية الإسلامية»، التي عبّرت عنها إبداعات فكر ابن رشد، إذا نحن قارناها «بالرشدية اللاتينية»، التي ألصقت مقولاتها، زورا وبهتانا، بفيلسوفنا الإسلامي إبان الصراع الذي خاضته الكنيسة الأوروبية ضد «الرشديين اللاتين».

وإذا كان التنوير، الذي استظل باسم ابن رشد ـ في القرن الثالث عشر الميلادي ـ لينسب إليه نقيض فلسفته، إنما يعد «اغتيالا لإسلامية فيلسوفنا».. فإن هذا التنوير يعود اليوم على يد دعاة التنوير – الوضعي والمادي الغربي – محاولا «اغتيال إسلامية فلسفة ابن رشد» مرة أخرى، وذلك عندما يزعمون أن «الرشدية اللاتينية» هي حقيقة فلسفة ابن رشد، وأنه هو المؤسس للتنوير الوضعي العلماني اللاديني، الذي تبلور في الغرب بالقرنين السابع عشر والثامن عشر.. فهم يتوسلون «بالتزوير» لتبتلع طعم «التنوير الغربي»، الذي يريدون إحلاله محل الخيار الإسلامي في التقدم والنهوض!..

●●●

وإذا كانت هذه الصفحات قد أبرزت تناقض «الرشدية الإسلامية» مع مقولات «الرشدية اللاتينية»، فلعل في الإشارة إلى معالم مقولات التنوير الغربي الوضعي والمادي ـ التي استخلصناها من كتابات فلاسفته – كما عرضها دعاته – ما يشهد على زيف دعواهم تأسيس ابن رشد لهذا التنوير.

إن من أبرز مقالات التنوير الغربي:

١– «إن الإنسان حيوان طبيعي – اجتماعي، فهو جزء من الطبيعة، وهي التي تزوده، فهو أقرب إلى الحيوان، منه إلى الله – فليس خليفة لله، خلقه، وكرّمه بأن نفخ فيه من روحه، وفضّله على سائر المخلوقات وسعادة هذا الإنسان دنيوية محضة، يجدها في العاطفة والشهوة وحدهما»..

٢– «وحصر الاهتمامات الإنسانية بقضايا العالم الراهنة، والطبيعية المحسوسة، لا العالم الآخر، أو ما وراء الطبيعة»..

٣– «والوقوف، في الدين، عند «الدين الطبيعي»، الذي هو إفراز بشرى من صنع العقل، لا «الدين السماوي»، المتجاوز للطبيعة.. واعتبار الشعور الديني مزيجا من الخوف الخرافي والرغبة في تغيير ظروف مؤلمة»..

٤– «وتحرير العقل من سلطان الدين، وإعمال العقل دون معونة من الآخرين، وجعل السلطان المطلق للعقل، بحيث لا يكون هناك سلطان على العقل إلا للعقل وحده».

٥– «وإحلال العلم محل الميتافزيقا.. وعدم تجاوز الملاحظة والتجربة إلى ما وراءهما من سبل المعرفة «النقلية» و«الوجدانية».

(١١) (تهافت التهافت) ص١٢٤، ١٢٥.

٦- «واعتبار الفكر وظيفة الدماغ.. فالدماغ يفرز الفكر كما تفرز الكبد الصفراء. وليس هناك نفس في الإنسان».

٧- «وإثارة الشكوك في مشروعية المطلق، فالإنسان هو مقياس المطلق».

٨- «واستنباط الأخلاق من الطبيعة الإنسانية.. وحصر علاقتها بالسعادة واللذة، لا بالفضيلة والاحتياجات الروحية.. مع جعل الأولوية للإحساسات الفزيقية على المفاهيم الأخلاقية والعقلية فالأخلاق من صنعنا ومن ثمرات خبراتنا، وهي مستندة إلى الحالة الفزيقية»..

٩- «وإحلال الاجتماعية» محل «الدينية» سبيلا لتحقيق السعادة الدنيوية - بالعاطفة والشهوة - فالطبيعة هي التي أوجدت الإنسان، والمجتمع هو المسئول عن سعادته».

١٠- «ورد القوانين إلى أصول فزيقية وتاريخية.. وتحرير التاريخ من السنن الإلهية، وتفسيره بمفاهيم طبيعية، أو مفاهيم خلقية نابعة من الطبيعة الإنسانية»[١٢].

●●●

تلك هي «الوصايا العشر» للتنوير الغربي، الوضعي العلماني.. كما صاغها فلاسفته، وعرضها دعاته الذين يجددون اليوم محاولات أسلافهم «اغتيال إسلامية الفلسفة الرشدية»، ليتسللوا بهذا «التنوير - اللاديني» إلى عقول الأمة المسلمة، تحت ستار اسم الفيلسوف المسلم، والمتكلم، والفقيه، والقاضي، والطبيب أبي الوليد ابن رشد.[١٣]

فهل من علاقة حقيقية يدركها عقل نزيه، بين فكر أبي الوليد - الذي وفق بين الحكمة - وهي الإصابة في غير النبوة - وبين الشريعة - التي هي الإصابة في النبوة - انطلاقا من أن الله - سبحانه وتعالى - هو مصدر الكتاب والحكمة جميعا؟.. والذي فلسف علم الكلام الإسلامي، وبرهن بالنظر العقلي على صدق الإيمان الإسلامي؟.. كما فلسف - كفقيه مالكي - اختلاف اجتهادات الفقهاء المسلمين؟.. وقاضي القضاة، الذي عاش حياته يقضي بين الناس بشريعة الإسلام؟!..

هل من علاقة حقيقية، أو حتى متخيلة، يمكن أن تقوم بين فكر أبي الوليد وبين الخيار الحضاري الغربي المؤسس على التنوير الوضعي العلماني؟!..

أم أن الموقع الفكري لفيلسوف قرطبة، هو كما رآه بحق الإمام محمد عبده: «فيلسوف إلهي، ومذهبه مذهب إلهي، قاعدته العلم..»؟..

نأمل أن تكون هذه الصفحات قد حملت الإجابة الشافية والموضوعية عن هذا السؤال.. وأن تكون المكانة الفكرية - البارزة.. والراسخة - لابن رشد في النسق الفكري الإسلامي قد نفضت عنها غبار المتغربين وشبهات أصحاب الشبهات!..

---

(١٢) (مدخل إلى التنوير) ص٢٥ - ٧٠.

(١٣) المرجع السابق. ص١٣٤، ١٣٥، ١٣٨، ١٤١.

الحضارة الإسلامية تتفوق ولا تتراجع

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

لقد أقام الإسلام خير أمة أخرجت للناس على قواعد متينة وأنشأ الحضارة الإسلامية الكبرى على ركائز رصينة لا يكتفى فيها بجوانبها المادية والإنسانية، ولكن ربط حضارته بالله قيوم السموات والأرض وبتوجيهات رب العزة ـ سبحانه وتعالى ـ فى القرآن الكريم وبتوجيهات أطهر من مشى على الأرض سيدنا رسول الله ﷺ، ومن هنا فاقت هذه الحضارة الإسلامية الكبرى كل الحضارات وأخذت كل الدول التى كانت فى باكورة حياتها فى ثبات عميق تقتبس من حضارة الإسلام وتنقل عن طريق الترجمات والرحلات كل ما فيها فأضاءت حضارة الإسلام هذا العالم أجمع وكانت توجيهات رب العزة ـ سبحانه وتعالى ـ ألا يكتفى المسلمون بما هم عليه، بل عليهم أن يسابقوا الزمن وكان يحثهم على ما سيطلعهم عليه وما سيريه للعالم أجمع من أسرار هذا الكون ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾(١).

وأولى آيات الوحى الإلهى دعوة للقراءة والعلم والمعرفة والحضارة:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾(٢) وأشار القرآن إلى ما سيكون فى الغيب وأنهم سيعلمون نبأه بعد حين ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾(٣) وسيرون ما فى هذا الكون من أسرار أودعها الخالق العظيم، وأمر أن تقوم تلك الحضارة على إعداد القوة ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾(٤) فقامت

(١) فصلت (٥٣).
(٢) العلق (١)
(٣) ص (٨٨).
(٤) الأنفال (٦٠)

الحضارة الإسلامية على أسس علمية ومادية وإنسانية تتوثق فيها روابطها وركائزها بالله قيوم السموات والأرض، وفي كل مجالاتها لا تكون معتدية ولا يكون المسلمون معتدين أبدا:

﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ﴾(٥)

ويحرم الإسلام ـ حتى في الحروب ـ الاعتداء على من لم يحارب وعلى كبار السن والمرأة والأطفال وعلى المنشآت وعلى الزروع وإنسانية الحضارة الإسلامية وارتباطها بالله ـ سبحانه وتعالى ـ يجعلها كل يوم في تقدم ويدخل في الإسلام بسبب هذه المعاني الإنسانية مئات يعتنقون هذا الدين لأنهم رأوا رأى العين إلى أي مدى وصل الإسلام في عظمته، أنه يحمى حق الإنسان في الحياة وحرمة الإنسان:

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾(٦).

ويحمي حرمة الإنسان غير المسلم كما يحمي حرمة الإنسان المسلم بل إن رسول الله ﷺ عندما مرت أمامه جنازة وقف لحرمة الميت وقيل له: يارسول الله إنها جنازة رجل يهودي! قال: «أو ليست نفسا؟»(٧).

انظروا إلى أي مدى كانت إنسانية الإسلام بل إنه لم يكتف بصيانة حرمة النفس المسلمة بل صان أيضاً حرمة النفس غير المسلمة ما دام صاحبها لم يحارب ولم يعتد:

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾(٨)

ولم يكتف بالحفاظ على حرمة النفس المسلمة وحرمة النفس غير المسلمة بل صان نفس الحيوان والطير:

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾(٩).

ولذلك كان سيدنا رسول الله ﷺ يقول: (لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها)(١٠). يشير إلى هذه الآية:

﴿ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾. ويبينه كيف دخل رجل الجنة وغفر الله له لأنه سقى كلباً شربة ماء وكيف دخلت امرأة النار لأنها حبست هرة أفحضارة مثل هذه بما لها من معان ومبادئ تنهض عليها حضارة الإسلام على هذا النحو الذي يصون حرمة النفس المسلمة وغير المسلمة والطير والحيوان وكل ماله نفس وكل ذات كبد رطبة أفمثل هذه الحضارة ترمى بأنها تتراجع؟! أفمثل هذا الدين وهذه التعاليم، يُرمى بأنه دين إرهابي؟! كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا.

إن رسول الله ﷺ، حين أسس خير أمة أخرجت للناس أسسها على الإيمان، والعدل، والحق، ونشر

(٥) البقرة (١٩٠).
(٦) النساء (٩٣).
(٧) رواه الخمسة ماعدا الترمذي.
(٨) الممتحنة (٨).
(٩) الأنعام (٣٨).
(١٠) أحمد ٥/٥٤، ٥٦.

الفضيلة، ومحو الرذيلة، أسسها على السلام والأمان والتسامح بين الجميع أسسها على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وعلى وحدة جامعة للأمة تجمعها ولا تفرقها أسسها على جوهر رسالته التى بعث بها والتى تتلخص فى كلمة واحدة : «هى الرحمة» التى خاطب بها رب العزة، ووضح أنه لم يرسل إلا ليكون رحمة للجميع للمسلم وغيره وللإنسان وغيره من سائر المخلوقات، فقال سبحانه :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾(١١) هذه هى حضارتنا وهذه هى تعاليم عقيدتنا التى دعت إلى التراحم بين البشر جميعاً وإلى صيانة حرمة النفس البشرية وصيانة كل ذى كبد رطبة، هذه تعاليم هذا الدين الحنيف الذى يحاول أعداؤه أن يرموه بالتناقض أو التراجع أو الإرهاب، والإسلام لا يقر الإرهاب أبداً، بل على العكس يدعو إلى حماية حق النفس الإنسانية ويدعو إلى حرمة النفس الإنسانية فإن بعض الأئمة يرى أن «قاتل النفس ليس له توبة». مصداقاً لقول رسول الله ﷺ :

"أبى الله أن يجعل لقاتل المؤمن توبة»(١٢). وهو لهذا يؤكد على حرمة النفس الإنسانية ويؤكد على حرمة النفس المسلمة وحرمة النفس غير المسلمة، وما انتشر الإسلام بالسيف ولا بالإرهاب ولا بالعدوان ولكن انتشر بسماحته العظيمة وبمبادئه القويمة حتى إن رسول الله ﷺ كان يتعامل بهذه السماحة مع أعدائه ومع غير المسلمين وحتى إنه لما جاء زيد بن سعنه وطالبه بهذا الحق فى حدة وشدة وأخذ بمجامع ثيابه وقال على ملأ من أصحابه: إنكم يابنى عبد المطلب قوم مُطل أى تُسوِّفون فى الحقوق وراح عمر يريد أن يؤاخذ الرجل فنهاه الرسول ﷺ وقال له: «لا ياعمر أنا وهو أولى منك بغير ذلك تأمره بحسن التقاضى وتأمرنى بحسن الأداء، لم يأت موعد حقه، ولكن قم وأعطه حقه الآن. فقام عمر ليعطيه حقه، فقال النبى ﷺ : «زد الرجل على حقه شيئاً» قال: لماذا يارسول الله؟ قال: «لأنك روعته وأفزعته» فلما راح ليزيد قال: أنت زيد بن سعنه؟ قال: ما الذى دفعك على ما قلت على ملأ من أصحاب رسول الله ﷺ وفعلت ما فعلت مما لا يليق بمقامه؟ قال: والله ياعمر لأصدقنك القول أنى رجل من أهل الكتاب وحبر قرأت الكتب القديمة وعرفت أوصاف آخر نبى يختتم الله به الرسل وعرفت هذه الأوصاف فى محمد سوى وصفين كنت أبحث عنهما فما وجدتهما أن يسبق حلمه جهله وألا يزيده جهل الجاهل عليه إلا حلماً على حلم وقد أردت بما صنعت أمامكم من صنيع أن أختبره إن كان نبى آخر الزمان أم لا وقد وجدته حقاً ووجدت كل أوصاف النبوة الخاتمة فيه فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله». ودخل الرجل فى الإسلام، ما دخل الإسلام بإكراه ولا بعنف ولا بسيف ولا بقوة ولكن دخل الإسلام بالاقتناع بسماحة الإسلام وبحسن معاملة رسول الإسلام ﷺ، هذا هو ديننا الحنيف ياكل مجتمعات الأرض يا من ترمونه بأنه دموى أو إرهابى أو أن حضارته تتراجع كلا وألف كلا فهو الدين العالمى الذى ختم به الله أديان السماء

(١١) الأنبياء (١٠٧).

(١٢) الأحاديث الصحيحة رقم ٦٨٩.

وشرائعها واختار رسوله ﷺ في ليلة الإسراء والمعراج ليكون إماماً لجميع الأنبياء والمرسلين، إعلاناً لعالمية الدين وإعلاناً للتعايش السلمي بين أتباع جميع الأديان على ظهر الأرض وهذا ما تدعو إليه شريعة السماء، إنها تدعو إلى السلام العالمي، وإلى التعايش السلمي، حتى لا تُقصف دول أو مدنيون تحت مسمى الإرهاب وحتى لا يُعتدى على دول عربية أو إسلامية أو مدنين تحت مسمى الثار للإرهاب، فالجاني يأخذ عقوبته أما الذين لم يجنوا ولم يعتدوا فمن الظلم والعدوان أن يتهم دين أو أمة أو شعب والله - سبحانه وتعالى - رقيب وإن ربك بالمرصاد ولا يظنّ أحد أن قوته تحميه أو أنه يعصف بمقدرات دول أو شعوب كما يريد، فالله فوق كل القوى وفوق كل الدول وفوق كل الأسلحة مهما بلغ تفوقها، فإن فوقها رباً قادراً على كل شئ يقول للشئ كن فيكون، فهو القادر الذي يغير ولا يتغير، القادر على كل شئ، ولكن علينا أن نوثق صلتنا به ونصطلح مع الله وأن نعلم أننا حين نكون مع الله يكون الله معنا وحين ننصر تعاليم السماء وشريعة الله ينصرنا الله فهذا هو القانون الرباني.

﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾[١٣].

إن أمتنا الإسلامية والعربية، بل إن العالم أجمع يمر في هذه المرحلة بمنعطف خطير بعد تداعيات بعض حوادث الإرهاب في المنطقة وبعد التربص ببعض الدول والشعوب مما يستوجب علينا أن نكون على قلب رجل واحد وأن تصيخ جميع الدول وجميع الحكام والشعوب إلى نداء العقل الذى أطلقه القائد والزعيم الرئيس / محمد حسني مبارك من فوق منبر مصر من أرض الكنانة من بلد الأزهر حامي الإسلام والعروبة أطلقها مدوية صريحة إلى ملتقى عالمي إلى مؤتمر دولي يرأب الصدع بجمع الشمل بصفي جيوب الإرهاب في كل مكان وليس بالعنف وليس بالقصف ولكن بالعقل والحكمة ليأخذ الجاني عقوبته:

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[١٤]. ونحن إذ نرى في هذه الدعوة المخلصة الحكيمة العاقلة ما ينسجم مع شريعة السماء ومع كل شرائع السماء ندعو من فوق منبر الإسلام جميع الحكومات والرؤساء وجميع المسئولين في كل الأرض.

حرام عليكم أن تشتعل نيران الحرب وتعود حروب عالمية مرة أخرى تأكل ملايين البشر من عباد الله ظلماً وعدواناً لغطرسة سياسية معينة أو لبلطجة عنيفة أو لعربدة الصهيونية العالمية على أرض القدس، إننا نناشد كل المسئولين في كل الأرض أن يصغوا إلى نداء العقل والحكمة وأن يأتوا إلى كلمة سواء حتى يحل السلام العالمي والتعايش السلمي.

اللهم إنا نسألك أن تجمع أمتنا على الحق وأن تؤيدنا بالحق وتؤيد الحق بنا إنك سميع مجيب.

اللهم أيد قائد مسيرتنا السيد الرئيس مبارك وأيد سائر ولاة أمر المسلمين في كل مكان إلى ما تحبه وترضاه يارب العالمين.

---

(١٣) محمد (٧).

(١٤) الأنعام (١٦٤).



بين الإنسان الطبيعي والإنسان الصناعي

تأليف
محمد تقي الأميني

١

عرض وتحليل ونقد
الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

لعل من أبرز خصائص الحياة فى القرن العشرين.. تلك الحيرة التى أصابت إنسان هذا القرن، فملكت عليه كل أقطاره، حتى غدا ريشة تلعب بها رياح تلك الحيرة التى واصلت اشتدادها، حتى صارت إعصارا مدمرا.

فإنسان هذا القرن - وقد ورث بواكير الفتوح العلمية الجليلة التى حققها الأسلاف فى القرن التاسع عشر وما سبقه - اعتقد أنه مع القرن العشرين سوف يطرح وراء ظهره حياة القلق والتعب والشقاء، ليعيش فى جنات الخلد التى طالما حلم بها وتمناها، والتى وعده العلم الحديث بقفزاته السريعة أن يكفلها له.

ولكننا ننظر اليوم إلى هذا الإنسان - وقد نفذنا إلى القرن الحادى والعشرين - فنرى القلق والتوجس والاضطراب والخوف تنبض به كل خلية من خلايا جسمه، على الرغم مما حققه له التطبيق العلمى (التكنولوجيا) من يسر، وترف، ووفرة، وثراء، فها هى الأرقام تقرر، والإحصاءات تعلن أن الإنسان فى الولايات المتحدة الأمريكية، وفى الدول الأوروبية الغربية - خصوصا فى الدول (الاسكندنافية) - قد تحقق له أعلى دخل فى العالم، وأنه قد توفرت لديه كل أسباب التنعم بماديات الحياة، من أجهزة معاونة، ووسائل اتصال، هيأت له تحقيق كل ما يريد، دون أن يبذل أى عناء، بل دون أن يتجشم أية حركة.. حتى توهم كثيرون أنه قد أصبح بمقدور هذا الإنسان أن يقول للشىء: كن فيكون.

وتتوالى الأنباء - فى الوقت نفسه - عن ارتفاع أعداد المنتحرين فى هذه المواطن، وازدياد الهاربين من الحياة بإدمان المخدرات والخمور، وانتشار جرائم القتل الفردى والجماعى فى المدارس والجامعات، وتفاقم ممارسات الرذائل فى شتى صورها، حتى كادت الرذيلة تصبح هى القاعدة السلوكية العامة بعد أن كسيت ثوب الحرية الشخصية، فلم يعد للتخجل من الوصم بالشذوذ مكان.. حتى اتسع صدر المجتمع هناك للاحتفال المعلن بزواج رجل من رجل، بل اتسع لقبول التظاهر المعلن دفاعا عن الشواذ بزعم أنه دفاع عن الحرية، والتظاهر المعلن للدعوة إلى مؤاخذة من يعترض هؤلاء، وحض المجتمعات غير الأوروبية على قبول الشذوذ، بدعوى التسامح والتحديث التى حملت لوائها المؤتمرات المنسوبة قهرا إلى الأمم المتحدة، دون حياء أو خجل. حتى فوجىء الناس بتلك الجراءة الوقحة التى تدعو إلى تحريم الزواج الطبيعى فى السن المبكرة، وتحض على السماح بالممارسات الشاذة للرجل مع الرجل والمرأة مع المرأة دون تحديد بسن.

أبرز مقاصد الكتاب

فلم تعد حيرة إنسان القرن الحادى والعشرين نابعة من تلك التناقضات الحادة فى الحياة الغربية فحسب، بل زاد من عنفها ما يمليه الغرب على الأمم غير الغربية من نظم وأفكار وسلوكيات وأخلاقيات غريبة على فطرة الإنسان، وليس لها فى هذه المواطن ما يبررها ولا ما يسيغها سوى التبرؤ من رفض الآخر، حتى أصبح إنسان القرن الحادى والعشرين بين أمرين أحلاهما مر، فهو إما

أن يكره نفسه على تقليد الآخر ومتابعته وإما أن يوصم بوصمة رفض الآخر.

وهكذا.. انحدر الإنسان في القرن الحادي والعشرين إلى هوة العجز الفتاك، على الرغم مما تحقق له من قوة وثراء، وقدرة، فلم تقدم له الفلسفات والأفكار المعاصرة ما قدمته له الانتصارات العلمية الحديثة. فلم يكن إلا أن يقع فريسة الحيرة والعجز.

وأمام هذه الحيرة المتراكمة المركبة سعى العلامة الهندي محمد تقي الأميني لتبديد شيء من ركام تلك الحيرة بإشعاعات من ضوء الحقيقة المغيبة، أملا في أن يوضح للإنسان طريقه، لعله يسعى لتعديل مساره، وينتشل نفسه والآخرين من ركام الضلال والحيرة، فقدم كتابه هذا (بين الإنسان الطبيعي والإنسان الصناعي).

أما العلامة الأميني، فهو محمد تقي الدين عبدالحليم الأميني المولود في ٥ من مايو سنة ١٩٢٦، والمتخرج في المدرسة الأمينية في دلهي، حيث تتلمذ على طائفة من جلة علماء الهند، وعمل بالتدريس في دار العلوم بندوة العلماء (بلكنو)، وغيرها من دور العلم في الهند، حيث انتهى به المطاف في جامعة (عليكرة).

وأما الكتاب فقد ترجمه من الهندية إلى العربية الدكتور مقتدى حسين ياسين، رئيس تحرير مجلة الجامعة السلفية ببنارس (الهند)، ووكيل الجامعة، والحاصل على الماجستير من جامعة الأزهر، والدكتوراه من جامعة (عليكره) الإسلامية.

وراجع الترجمة الدكتور عبدالحليم عويس من مصر، وهو أستاذ التاريخ المغربي والأندلسي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

ونشرته دار الاعتصام سنة ١٩٨٢ في تسع وخمسين ومائة صفحة من القطع المتوسط، ويضم مقدمة للمراجع وعشرة فصول والكتاب - فيما أرى - تفسير مفصل لقوله تعالى:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾(١)

أو هو تعليل لما أصاب الإنسان من تيه وضلال، على الرغم مما حققه من كسب في شتى مجالات الحياة المادية كفل له تفوقا علميا لم يسبق إليه - على ما يصوره له تقديره - ومكن له من استغلال الطاقات الكثيرة الكامنة في الأرض، والمبثوثة في السماء، وزوده بقدرات جاب بها الأرض من أقصاها إلى أقصاها في أقصر وقت يخطر على البال، حتى اعتقد أن زمام الأرض أصبح في حوزته، واقتحم بها كواكب الفضاء، كوكبا بعد آخر، حتى توهم أنه يكاد يسيطر على الكون كله.. يحدوه في كل ذلك الأمل في أن يحقق للإنسان في الدنيا جنة تغنيه عن جنة الآخرة، وتقر في عقله: أن لا إله، ولا آخرة، ولا حساب.

الغرور المضل

ففي الفصل الأول (الحقيقة الإنسانية بين المذاهب الحديثة والتصور الإسلامي) أوضح المؤلف أن الإنسان - بما فطره الله عليه من طبائع

---

(١) الروم (٤١).

لازمة لوظيفة الخلافة - تجاوز حدوده الطبيعية، فلم يكتف بتغيير ملابسه، بل حاول أن يغير أشواق القلب وتوجهات الفكر التي كانت تنمو في كيانه، كما حاول طمس المعالم التي كانت تدل على أبعاد المكانة الإنسانية، فتحول - بذلك - عن نهج الحياة الفطرية وتطورها، متوهما أنه لم يعد في حاجة إلى مرشد يستهدى به، فقد تصور أنه - بعلمه وعقله - أصبح قادرا على ترويض الكون المحيط به، وتسخيره لما يريد.

وليس من شك في أن الإنسان لم يصل إلى هذا التصور والتوهم مرة واحدة، بل لقد تنقل إلى ذلك في خطوات متتالية تدفعه فيها عوامل عديدة، من أبرزها:

١- إخفاق النصرانية - بلونها الجديد بعد حركة (مارتن لوثر) - في لمس أسلاك الحياة، وإيجاد التوازن بين عنصريها الأساسيين - وهما العقل والعاطفة - مما ترتب عليه انعزال الدين عن الحياة الاجتماعية والحضارية من جهة، وتسيد العقل، مع إهمال القلب من جهة أخرى.

٢- توهم عدم الحاجة إلى الوجدان وغيره من سبل الوصول إلى الحقيقة، مما صرف الإنسان عن التعرف على طرائق الإيمان، بل صرفه عن الإيمان نفسه.

٣- اضطرار حركة الإصلاح إلى الإسراف في استيراد أمور عديدة من الحضارة الإغريقية والرومانية - بمفهومها القديم نفسه - مثل حرية الفكر والضمير، وسيطرة الفكر المادى، والإحساس الذوقى بالجمال، حتى أدى الإسراف في استخدامها إلى نتائج مؤسفة.

٤- خلو الساحة من القادة المهرة الذين يستطيعون قيادة عملية الحياة، والذين يحسنون استخدام هذه القوة، والذين يقدرون المشاعر والعواطف تقديرا سليما.. أفقد القادة الموجودين استطاعة وضع الدليل أو الكتاب الإرشادى للحياة من موضع مرتفع عن المستوى الموجود الذى يمكن أن تسعد به الحياة.

وبتأثير هذا الوهم القاتل اعتقد الإنسان أن بمقدوره وضع نظريات بديلة تقوم بدور الإرشاد، فحولت هذه النظريات مسار الإنسان من الملأ الأعلى إلى الملأ الأسفل، كما نرى في نظرية القومية التي جعلت الوطنية الهدف الأصلى للإنسان، وكما نرى في نظرية التطور التى جعلت المادة هى الأساس الأصلى للإنسان، وحسبت الروح والعقل والشعور وغيرها من صور المادة أو من آثارها. وكما نرى في نظرية الجبلة التى جعلت طبيعة الإنسان تتضمن الطبائع الحيوانية فحسب. وكما نرى في نظرية الجنسية التى جعلت الإنسان فى عداد البهائم التى تخضع لحكم الهوى. وكما نرى في نظرية الاشتراكية التى جعلت الإنسان آلة مصنوعة من المادة، إذ يرى الاشتراكيون أن طبيعة الإنسان تتغير بتغير الأحوال المادية فقط، ولا أثر للحاجات الروحية.

وهكذا.. اندفع الإنسان - بتأثير هذه النظريات - ليحل الدين السياسى محل الدين الحقيقى، وليصبح على يقين أن أصله بهيمى بعد أن كان روحيا، ولتتغلب على الإنسان الطبيعة الحيوانية، فيحل التهور والاندفاع الجنسى محل العفة والشرف.

فلم يبق الإنسان ذلك الإنسان الذى يقاس بأمانته وشرفه وعدله، بل تحول إلى نوع تتباين أهدافه، وتتناقض بدايته مع نهايته.

فالإنسان الصالح لم يعد ذلك الإنسان الذى يتحلى بالسمو الخلقى والعملى، بل صار ذلك الإنسان الذى يبقى ويرتقى بالانتصار والتغلب. أما الإنسان الفاسد فهو الذى يفشل ويخيب، ولو كان يشبه الملائكة فى الخصال والأوصاف والأخلاق.

دوافع الغرور المضلل

ويذكر المؤلف أن الإنسان ما اندفع إلى هذا المعترك المتصارع الخالى من الأمان والاستقرار حتى بين الفرد وأفراد أسرته، بل بين الفرد وأهوائه ورغباته.. يذكر المؤلف أن الإنسان ما اندفع إلى هذا إلا حين سود العقل وحده، ولم يعترف بأى طاقة أخرى وراء العقل أو معه.

ولأن سيادة العقل وحده تقود إلى هذا الصراع الدائم، وفقدان الأمان.. لهذا تكفل خالق الإنسان بأن يدعم العقل ويحميه من الانحراف، ويحمى الإنسان من استبداد هذا العقل، وأن يزوده بتوجيهات متوالية، تناسب مراحل الحياة فى تغييرها وتطورها، وذلك عن طريق الرسل المتتابعين.

وهذه التوجيهات الإلهية تختلف عن الوثائق القديمة، إذ التوجيهات الإلهية دستور كامل للحياة، وميثاق منضبط لها، تقوم على العدل المطلق، والتوازن الدقيق، فلا ترجح فى الإنسان جانبا على جانب، ولا تحتمل أى تغيير، ولا تميل - فى الكون كله - نحو طائفة على حساب طائفة أخرى، على ما نبه إليه الخالق جل وعلا فى قوله:

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾(٢).

وحاملو هذه التوجيهات ليسوا تجارا، ولا زعماء سياسيين، فهم لا يراعون مصالحهم الخاصة، ولا يرجون من الناس نفعا، بل هم دعاة وقادة فوضوا أمرهم إلى الله - تعالى - وأوتوا من العلم والحكمة ما يؤهلهم لقيادة الحياة.

ولكن الفلاسفة والمفكرين الخاضعين لسلطان العقل وحده يصعب عليهم فهم هذه المكانة، إذ يرون الإنسان بطبيعته لا يسعى إلا وراء مصالحه الخاصة، فجميع أعماله إنما هى لجلب نفع ذاتى، حتى إن حب الوالدين - فى تقديرهم - لا يخلو من القصد إلى النفع الشخصى.

ولو أن هؤلاء الفلاسفة والمفكرين تلفتوا حولهم لوجدوا فى التاريخ خير شاهد على أن هؤلاء الهداة قد غيروا عوالم القلوب والأرواح، وبلغوا بالإنسان منزلة العظمة والرفعة التى لا يستطيع العالم المادى أن يتصورها.

فاطر الكون يوفر للإنسان أسباب الأمان

وخالق الإنسان إنما تكفل للإنسان بذلك، لعلمه الأزلى بمكانة هذا الإنسان، ودوره الخلافى الذى جعل له، فالإنسان ذو مكانة متميزة رفيعة، تتجاوز الحدود التى يعرفها العقل، بل إن تلك

---

(٢) الأنعام (١١٥)

المكانة تبدأ من حيث تنتهي حدود العقل، بل من حيث تنتهي حدود تطلعاته.

فالإنسان - دون غيره - قد تم خلقه بيد خالقه، ونفخ فيه من روحه، وهو ليس صورة متطورة للحيوان، بل هو مخلوق متفرد يفوق الحيوان. وهو عمل خالد يدل على إبداع الخالق:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾[3].

والطاقات التي أودعت في الإنسان ليقوم بدور الخلافة ليست نتيجة لتطور الغرائز الحيوانية، بل هي أثر لنفخة خالق الكون فيه من روحه.

﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ﴾[4].

ومواهب الإنسان في الابتكار والتنسيق قد أودعت في طبيعته من أول يوم ولد فيه، لأنه ولد على الفطرة، وليست هذه المواهب نتيجة مراحل الارتقاء، بل هي:

﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾[5].

والتي هي الدستور الطبيعي.

وخالق الإنسان - إلى كل ذلك - أودع الإنسان ثروات روحية متنوعة، يتغلب بها على مقتضيات الحيوانية والشهوانية:

﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾[6].

أي طريقته التي جبل عليها.

وهذا يعني: أن خلق الإنسان قد تم على طريقة عالية جدا من ناحية الظاهر والباطن، ومن يهبط به عن تلك المنزلة، إنما يناقض حقيقته، ويتحدى كرامته.

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾[7].

فأصل الإنسان في نظر الإسلام أصل روحي، والإنسان بفطرته يتطلع إلى خالق الكون، لا إلى شيء من أشياء الكون مهما كان رفيعا.

ولهذا.. فإن خالق الكون قد أكرم هذا الإنسان بعلم لم يوهب لغيره من المخلوقات - وهو علم حقائق الأشياء -:

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾[8].

ووهب هذا الإنسان وسائل تحصيل هذا العلم، من محسوسات ومعقولات ومغيبات. وخصه من دون المخلوقات بوسائل الحصول على ذلك العلم.

ويظهر فضل هذا العلم وشرفه في أن الملائكة الذين يعملون في الكون قد أقروا بجهلهم به، واعترفوا بعجزهم عنه، فقالوا:

﴿ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[9].

وباكتمال هذا التعليم، وإتمام هذا الإعداد سلم

---

(3) الانفطار (6 : 8).
(4) السجدة (9).
(5) الروم (30).
(6) الإسراء (84).
(7) التين (4).
(8) البقرة (31).
(9) البقرة (32).

الله إليه خلافته في الأرض وديعة وأمانة، بعد عرضها على جميع المخلوقات وإقرارها بالعجز عن حملها. وقد أدرك الإنسان أنه - بما أوتيه من مواهب علمية - قادر على حملها.

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ﴾(١٠).

وعلى هذا النحو جاء الإنسان لتسلم منصبه في هذا العالم، وهكذا.. قام بأداء مسئوليته، ولا يزال.

ونظراً لأهمية شأن المنصب ومنزلته.. أمر خالق الكون الإنسان بالعمل في مجالين عظيمين متكاملين.

أولهما: مجال معرفة الله.

وثانيهما: مجال الكون كله.

وتكامل المجالين يعني: أن إهمال أحدهما يؤدي إلى إفساد العمل، وينتهي بالدمار والهلاك.

وحتى لا يهمل الإنسان أحد المجالين.. احتاج إلى التوجيه التفصيلي القائم على الأحكام الصريحة، والقوانين الواضحة، المتمثلة في الشريعة الإلهية التي يبعث بها الأنبياء - عليهم السلام.

فالأنبياء ينشئون المصانع العظيمة لبناء الشخصيات بالتعليم والتربية. ولكنهم - بمعجزاتهم - يكتفون بإشارات كلية تدل على الإمكانات الهائلة لتسخير الكون، تاركين بقية الطريق للعقل والخبرة والمعاناة.

وفي هذه المصانع تخرج المسلمون الذين عُنوا بدراسة الكون، واستمروا في تسخير عناصر العلوم حتى إنهم جعلوا أوروبا تنهض في تأسيس نهضتها الحديثة.

وعلى الرغم من أن أوروبا قبلت توجيهات الإسلام الخاصة بالكون.. نرى أنها انصرفت عن توجيهاته الحكيمة، المؤثرة الخاصة بالإنسان، واستمدت نظرتها للإنسان من سياسة الدين المسيحي المعارضة للحياة، والمعادية للإسلام عداء شديداً صرفها عن التصالح معه في تلبية حاجات الحياة.

ومع انصراف أوروبا عن توجيهات الإسلام كانت الأمة الإسلامية التي حملت الإسلام للناس قد جاوزت عصر الشباب إلى الضعف، فلم تتمكن من تجلية هذا الدين، مع سموه وتقدمه وحيويته وكماله.

وبذلك حرم العالم الحديث التعرف على العلاج الناجع، فاكتفى باللجوء إلى الدين السياسي، ثم إلى المذاهب المادية المختلفة؛ فكان كالمستجير من الرمضاء بالنار، واستبدت سيطرة العقل التي حولته إلى الغرور المضل، فظن أن بمقدوره الاستغناء عن توجيهات فاطره، فوقع في بركان ناري مخيف، وانجرف إلى مصطرع فرض عليه أن يختار أحد طريقين:

١- فإما أن يقضي عليه بركان العقل بهزة عنيفة - متوقعة ليلا أو نهارا - يفقد معها كل ما ادخر وشيد، كما يؤكد ذلك مسار التاريخ البشري، منذ رصدت أحداث التاريخ على اختلاف الأمم والمواطن، فهي في جميع الأحوال أحداث متشابهة في مجملها، ولكنها في الآخر نهاية واحدة.

---

(١٠) الأحزاب (٧٢)

﴿ فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ﴾(١١).

٢ – وإما أن تتراءى له الفطرة الإنسانية فى هيئتها الإسلامية، فيتخلص بها من سطوة الغرور، ويعود إلى مكانه ومكانته الصحيحة، فيهتدى بهدى فاطره، لينظم دنياه ويعمرها بما يحقق له خيرى الدنيا والآخرة.

وأقول: لقد نبه القرآن الكريم إلى ذلك فى أكثر من موطن، محذرا من الانخداع فى امتداد السلطان، وقوة البطش، والتمكن المادى المثير، لافتا النظر إلى وقائع الحياة، وما تغص به من أمثلة ونماذج، فقال:

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾(١٢).

ولم يكتف القرآن بالتنبيه العام، بل لقد خص فذكر اسم بعض من أصابته لعنة ذلك الغرور، مثل قارون الذى:

﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ﴾(١٣).

ولم ينظر إلى من تقدمه:

﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ﴾(١٣).

وأنه كان أضعف من أن يحمى نفسه، وأخذل من أن يجد له نصيرا.

﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴾(١٤).

النفس قطب الإنسان الأصيل

وذكر المؤلف أن علماء النفس وخبراء الاجتماع اتفقوا على أن النفس البشرية لا تتغير بتغير الأحوال والأوضاع ولا تتطور بالتطور الثقافي والاجتماعي والاقتصادى.

وأورد تحليله للنفس فى ضوء القرآن الكريم، فذكر أن النفس تقوم على نوعين من الأسس هما: الأسس الروحية، والأسس المادية، وأن الأسس الروحية تنبت من الفطرة العالية، والأسس المادية تنبت من العناصر المادية أو الأخلاط المركبة. وبامتزاج هذين النوعين من الأسس تتكون الشاكلة، وبهذا الامتزاج يمتاز الإنسان، ويسمو على سائر الأحياء والخلائق.

﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴾(١٥).

وبهذا الامتزاج هيىء الإنسان لجعله خليفة فى الأرض.

وذكر: أن الغرائز التى تنشأ بالأسس الروحية تتمثل فى الخير والبر والرحمة

---

(١١) يونس (٢٤).
(١٢) الروم (٩).
(١٣) القصص (٧٨).
(١٤) القصص (٨١).
(١٥) الإسراء (٨٤).

والتعاون والإخاء والمودة والحب والصدق، والعدل، وغير ذلك من القيم والفضائل، وأن الغرائز التى تنشأ بالأسس المادية (الحيوانية) تتمثل فى الجوع والعطش، والنشاط الجنسى، وغير ذلك من الأنشطة المادية والجسمية الأخرى، التى يتفق فيها الإنسان مع الحيوان من حيث الدوافع والشهوات، وأن الناس كلهم سواء فى الغرائز الروحية، لكنهم ليسوا سواء فى الأسس الجوهرية والغرائز المادية، بل يختلفون باختلاف الخواص والتأثيرات، من اللهفة والتمهل، ومن القتامة والصفاء.

وأن تفاوت الناس فى درجات النشاط إنما يظهر وفقا لانسجام الأسس المادية بعد امتزاجها بالأسس الروحية، وليس فى تكوينها الأصيل، وفطرتها النبيلة.

ويخلص المؤلف من ذلك إلى أن الغرائز قسمان: غرائز حافلة بالتجاذب والتراحم، وغرائز حافلة بالتصالح والتفاعل.

وأن هذه الجبلة فى صورة التجاذب والتراحم، وفى صورة التفاعل والتصالح تنقسم فى كل صورة أربعة أقسام، بحسب التردد بين العلو والقوة أو السفول والضعف.

ففى حالة التجاذب والتراحم تتمتع الجبلة - التى تكونت بامتزاج الغرائز الروحية العالية والغرائز المادية القوية - بالقدرة على التأثير فى المواهب المؤدية للمناصب العليا، والمرشحة للقيادة والسيادة، والإمامة والنبوة، والعزيمة الجبارة والجرأة والجسارة فى تحقيق المقاصد النبيلة، والغايات البعيدة فإذا تكونت الجبلة بامتزاج الغرائز الروحية السافلة، والغرائز المادية القوية، فإن تلك الجبلة تتمتع بالقدرة على التأثير فى المواهب المؤهلة للأمور التى تحتاج إلى الحمية والغيرة، والشجاعة والشهامة، والمخاطرة بالنفس والتحامل عليها.

وإذا تكونت الجبلة بامتزاج الغرائز الروحية العالية، والغرائز المادية الضعيفة فإن تلك الجبلة تتمتع بقلة الاكتراث بالأمور التى تحتاج إلى العزم والجرأة والنضج، والاستقرار والثبات، وتتوافر لدى هؤلاء الإرادة لترك الدنيا ابتغاء وجه الله إن سنحت الفرصة.

أما إذا تكونت بامتزاج الغرائز الروحية السافلة، والغرائز المادية الضعيفة، فإن تلك الجبلة تتمتع بالكسل والملل والبطء والهوان والعجز، والتنازل عن الحقوق كلها.

فالنفس - فى الرؤية الإسلامية - موجودة من بدء الحياة، وليست ثمرة للارتقاء والتطور.

«يتبع»

***

قصة العدد

مصرع ابن القاسم

بقلم / عابر سبيل

جلس في المسجد النبوي خارجة بن زيد بن ثابت، وسالم بن عبدالله بن عمر، وكلاهما من فقهاء المدينة الأعلام، وممن يمتّون إلى صحابة رسول الله بأقرب الوشائج، فأولهما ابن زيد، وثانيهما ابن عبدالله، جلسا يتحدثان عما جدّ - بعد تولية سليمان بن عبدالملك - من ظلم فادح لحق أبطالا مغاوير، فتحوا البلاد، ونشروا دين الله في الشرق والغرب، وبدل أن يلاقوا ما يلاقيه أبطال النصر من التقدير التام، والحظوة المكافئة، قوبلوا بمثل ما يُقابل الفجرة من قطّاع الطريق، قال سالم بن عبدالله: ومن الذي سيرضى أن يقود الجيوش، ويواصل الجهاد، وهو يرى أن ثمرة النصر في المعارك الساخنة، وعقبى الظفر في المواقع الرهيبة قتل ونفي وتشريد، إن الذين لم يفارقوا دمشق من أبناء مروان يرفلون في المطارف الزاهية، ويسكنون القصور العالية، وتموج خزائنهم بالذهب والفضة، والذين جاهدوا في سبيل الله وأدوا كلمة الحق في أقصى البلاد لاقوا أذل مهابط الهوان، ومنهم من سال دمه بتدبير دنيء، ليقال إنه أجرم فعوقب، والله يعلم المفسد من المصلح!.

فقال خارجة: وأعجب ما تراه، أن تسكت الألسنة عن الجهر بالحق، ثم تبجل من سعى في الأرض بالفساد، وتريه من مظاهر الطاعة، وتسمعه من عبارات الثناء ما يجعله

يعتقد أنه محق فيما أجرم، أين عهد جدّك عمر بن الخطاب يا سالم، بل أين جدّك نفسه، ليرى ما يشيب له الولدان!.

قال سالم: من أدهش المفارقات أن يفرح الوثنيون في الهند، والمجوس في بلاد ما وراء النهر، والنصارى في ربوع الأندلس بنكبات محمد بن القاسم وقتيبة بن مسلم وموسى بن نصير كما يفرح الآن أمير المؤمنين، وحاشيته في قصر الخلافة بدمشق، فيكون الشعور واحدا بين الكافر، وخليفة الله، بل إن سليمان أهدى لهؤلاء ما برّد جوانحهم، وأضاء البسمة في وجوههم، حين جعل المخلصين من أبناء الإسلام يتحرقون غيظاً، ويلتهبون حفيظة، ولا يدرون ماذا سيفاجئهم القدر به من أهوال بعد أن تنكب حكامهم صراط الله القويم!.

فرد خارجة يقول: لقد فكّرت فيما ارتكبه هؤلاء الفاتحون من جرائر يحسبها عليهم سليمان ابن عبدالملك، فإذا جميعها تنتهي إلى أمر واحد، هو أنهم كانوا بناة الدولة في عهد أخيه الوليد ابن عبدالملك، ولو كان هذا التسرّع العجول بعيد النظر لعرف أنهم سيواصلون جهودهم الباسلة إذا تركهم في ميادين القتال، فيعود عليه من المجد الحافل ما عاد على الوليد على أيديهم من فتوح! ولكنه تذكر أنهم طاوعوا أمير المؤمنين على البيعة لوالده، ثم شاء الله فلم تتم البيعة، وما كان لهم أن يشذوا وهم في ساحات القتال، فتتفرق الكلمة وينقسم الجيش على نفسه، وبدل أن يقاتلوا الأعداء يقع بأسهم الشديد بينهم، فيكونون فريسة سهلة للأعداء هذا ما حذروه وخافوه فآثروا الطاعة دون المروق!.

وما انتهى خارجة من قوله حتى وجد عامر الشعبي تلميذه الفقيه العالم المتمكن، يتقدّم إلى مجلسهما محييا، وقد سارع فقبّل كفي خارجة وسالم في أدب يعهد أنه فيه، ثم أخذ مجلسه منهما في وقار وحياء! فقال سالم: ما وراءك من الأنباء يا عامر، فأنت تلابس الناس، وتفد إليك الأخبار من أقاصي الأرض دون حجاب!.

فأطرق عامر الشعبي إلى الأرض، وهو يقول، رحم الله عبدالملك بن مروان، فقد كان رجل بني مروان الأوحد، وما رأينا بعده من بلغ مداه!.

فصاح سالم: نعرف أن عبدالملك كان يجالسك يا عامر، وكنت عنده ذا حظوة، وقد أوفدك إلى ملك الروم لتتحدث باسمه، وها أنت ذا تحفظ له الجميل، وتترك أحداث اليوم لتفيض في أنباء الأمس، وما تمت كوارث اليوم إلا بناء على تدبير عبدالملك؟.

فرفع عامر رأسه مندهشاً، وقال في حيرة: كيف تمت كوارث اليوم بتدبير خليفة غاب عن الناس، وترك الأمر لسواه، أيكون قد أرسل من قبره خطابا، يعجّل بالتنكيل بأبطال الجهاد؟! إن

الله ـ عز وجل ـ يقول:

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾(١) فكيف يتحمل أمير المؤمنين عبدالملك وزر ولده سليمان؟!.

قال سالم: أراك تحاول التجاهل يا عامر، ومثلك في نباهة المتيقظ، لا يفوته ما أعنيه، فأنت تدرى أن عبدالملك قد جعل العهد للوليد ثم لسليمان من بعده، وتطلّعت نفس الوليد إلى بيعة ولده دون أخيه، فلو أن عبدالملك لم يجعل العهد إلا للوليد تاركا أمر الغد لتدبير الله، ليئس سليمان، وما اشتعل غضباً على من وافقوا أمير المؤمنين الوليد، فارتضوا بيعة ولده دون أخيه.

قال عامر: تلك سنة سنّها مروان بن الحكم، إذ أخذ العهد لولده عبدالملك ثم لولده عبدالعزيز من بعده، فعبدالملك مسبوق بمن حاكاه!.

قال خارجة، وقد حدج ببصره عامر الشعبي: كأنك ترى يا عامر أن الخطأ يبرر الخطأ، وسيجيء من الخلفاء من ينكل بأبطال الإسلام، فيقول قوم قد سبق إلى ذلك سليمان بن عبدالملك فهو مسبوق بمن حاكاه! أهذا رأى الشعبى العالم الفقيه؟!.

فتراجع الشعبى يقول: أنا عالم فقيه بين العامة، أمّا لديكما فلتميذ أتعلّم، وها أنتما تصحّحان ما أقع فيه من أخطاء، ولا أجد ما أردّ به غير التسليم! وإنّها لمأساة!.

فقال سالم: أخبث ما في هذه المحنة أن سليمان بن عبدالملك، كان صريحا في مجابهة قتيبة وموسى بن نصير بذنبيهما إذ قال للأول: قد بايعت لابن الوليد، وقال للثانى: حملت الغنائم للوليد، ولكنّه أعلن أن مصرع القائد الشاب محمد بن القاسم الثقفى كان جزاء لاعتدائه على امرأة، وهى فرية لم يقم على ثبوتها دليل واحد، وقد وجد من الرعاع من أيّده وحبّذ منحاه!.

قال خارجة: جاءتنى أقوال مضطربة، لم تستقم على نهج واضح حول هذه الفرية، وأحب أن أقف على دقائقها بالتفصيل، فماذا عندك من أمرها يا عامر؟!.

قال الشعبى: إن الذى تحققته عن يقين، أن سليمان كان يكنّ للحجاج بن يوسف أشدّ قوارص البغض، وبراهُ يد أخيه وسيفه، وبمجهوده الجبار سيصبح ولده ولىّ العهد، ولكن الحجاج مات قبل أن يدرك سليمان ثأره منه، فانتحى بعقابه إلى كل ثقفى له صلة بالحجاج، وإذا كان محمد بن القاسم بن محمد الثقفى من أقرب الأقرباء للحجاج، وقد أخذ قيادة الجيش بتدبيره، فلابد أن يكون موضع الانتقام الجائر! ولكن البطل الفاتح قد ملك قلوب المسلمين بما غنم من مجد، وفتح من حصون، وضم من ربوع.. فكيف يجرؤ على اغتياله، والمسلمون جميعا يرددون اسمه بالثناء،

---

(١) فاطر (١٨)

لابد إذن من اختلاق فرية، والحق أن أمير المؤمنين لم يدبر الفرية بنفسه، بل فعلها سواه! تزلفا إليه، إذ لمس هواه فى الإطاحة بالبطل الشهيد.

قال خارجة: هذا مجمل يحتاج إلى تفصيل، فهات كل ما لديك!.

فردّ الشعبى يقول: لقد عزل سليمان محمد بن القاسم لأول عهده بالخلافة وولى مكانه يزيد ابن أبى كبشة، فذهب إليه بالهند ليضع الأغلال فى قدمه وكفه، ثم تعاون مع صالح بن عبدالرحمن على اختلاق فرية مسمومة تسىء إلى البطل الشهيد، إذ اتفقا على اختيار أميرة من بيت «الراجه داهر» الذى صرعه ابن القاسم فى حربة، وبدد ملكه، لتأتى إلى دمشق فى رعايتهما، وتحدّث أمير المؤمنين عن انتهاك ابن القاسم لحرمتها، والأميرة موتورة لمصرع أبيها، وذهاب ملكه على يد البطل الفاتح، وتريد أن تشفى غليلها بأمر يعود عليه بالوبال! فاستجابت لما طلب منها بتدبير الخبيثين الحاقدين، وجاءت إلى دمشق، لتسمع سليمان ما يرضيه، فأمر بالانتقام العاجل وصدر الأمر بقتل البطل دون أن يسمع له ردا على اتهام.

قال سالم: هذه فرية مفضوحة، لأن الأميرة قد وقعت سبيّة فى الأسر، ولو أرادها ابن القاسم لنفسه، لحلّت له دون أن يوصف بانتهاك محرم، ولو كانت الأميرة فى قصر والدها المنتصر واغتصبها البطل كما يدّعون لقبلت الفرية، ولكن الفتاة أسيرة، وأمثالها يُحسبن بالمئات!، فهل فرغ ابن القاسم من مشكلات الحرب وأعباء النضال فى بلد غريب، ليصبح فارسا للحسان؟!.

قال عامر: وقد علمت الأميرة أن أمير المؤمنين قد قتل ابن القاسم متأثرا بما قالته، فثار عليها ضميرها، وأذاعت أنها أرغمت على أن تقول الكذب، وقد وعدها من دبّر الإفك بأن المُلك سيرجع إلى أهلها لو وصمت ابن القاسم بالعار، ثم اتضح لها أن صالح بن عبدالرحمن، وابن أبى كبشة، قد خدعاها بالأباطيل، وجاء النبأ إلى سليمان، فقيل إنه ندم!.

قال خارجة: ولات حين ندامة، فقد سبق السيف العزل.

فرد سالم: لو تحقق ندمه لبادر بعقاب من توليا المكيدة وأهون مظاهر العقاب أن يعزلهما عما بيديهما من الأمر، ولكن ابن أبى كبشة قد ولى الأمر فى الهند بعد البطل، ومازال متمكنا من إمارته دون أن يزيد شبرا واحدا للإسلام فى أرض الهند، وصالح بن عبدالرحمن يقوم على أمر الخراج بالعراق، وقد اشتط فى جمع ما يرضى الخليفة ثم مازال ناهضا بأمر الخراج! فأين الندم إذن يا عامر؟.

قال عامر: لقد تحدثت بما سمعتُ، وذكرت أن ندم الخليفة قول لم أحققه، وهأنذا أسمع من الدلائل على لسان شيخى وسيدى سالم ما أبان وجه الصواب.

قال سالم: أنا أعلم أن جدى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قد نهى عن غزو الهند، فحين كتب إليه عامله على البحرين عثمان بن أبى العاص الثقفى يستشيره فى غزو الهند، هدّده قائلا: يا أخا ثقيف، لقد حملت دودا على عود، وإنى أحلف بالله لو أصيب عدد من جندك لأخذت من قومك بمثلهم.

فرد خارجة: كانت حروب الفرس والروم حينئذ مشتعلة بينهم وبين المسلمين، فرأى ابن الخطاب ألا يهاجم الهند، فيفتح ميدانا ثالثا فى وقت واحد، وتلك فراسة منه، وقد تغير الوضع بعد هدوء المعارك فى فارس وبلاد الشام، فتتابعت الغارات الإسلامية على جزر الهند وسواحلها، وأخذ رجالها يستوطنون أماكن مختلفة دون أن يقوموا بمعارك حربية تذكر ثم استهيج الحجاج بما استفزّه، فقرر الغزو بقيادة محمد بن القاسم.

قال سالم: كيف أستثير الحجاج بما استفزه يا خارجة؟ فقال سالم: هذا أمر مشتهر فكيف يغيب عنك، ألست تعرف ذلك يا عامر؟ قُله إذ علمت؟.

قال عامر: قبل أن أتحدث عن استفزاز الحجاج، أذكر أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان أرسل واليه على العراق، وهو عبدالله بن عامر ليستكشف الهند، مع نفر من جنوده، فلما عادوا، توجه منهم حكيم بن جبلة إلى المدينة ليخبر عثمان بما رأوه، فقال حكيم: ماؤها وشل، وتمرها دقل، ولقها بطل، إن قل فيها الجيش ضاعوا، وإن كثروا جاعوا.

فقال عثمان على البديهة: أخابر أم ساجع؟! ثم انثنى عن الغزو.

ضحك سالم وقال: تأتى بالطرائف الأدبية دائما يا عامر، فتحدث عمّا تبع ذلك؟

قال الشعبى: حين ولى الإمام على - كرم الله وجهه - إمارة المؤمنين، اتجه ببصره إلى الهند، فأرسل جيشا بقيادة الحارث بن مرة العبدى فوصل إلى الجزر الهندية عن طريق خراسان، وظفر وأصاب مغنما، ثم انتكس الأمر عليه فقتل هناك فى مؤامرة دبّرت له، وعاود معاوية الكرة فأرسل جيشا بقيادة المهلب بن أبى صفرة، ومعه أهله من الأزد، فأبلوا بلاء حسنا فى أرض «بنّة» بين كابل والملتان، وفيهم يقول الشاعر:

ألم تر أن الأزد ليلة بيّتوا

«ببنّة» كانوا خير جند المهلب

ثم عاد المهلب ليصلى معارك أخرى أشاد بها معاوية فخلفه عبدالله بن سوار، وجاهد جهادا ميمونا، حيث ضرب المثل فى المروءة والكرم والشجاعة ثم لقى الله شهيدا فى مؤامرة ثانية، وتتابعت الكتائب للاكتشاف، إذ لم ينقطع الاستطلاع فى أرض الهند، حتى جاء الحجاج فأولى

المسألة اهتمامه البالغ، وأرسل محمد بن هارون إلى جزيرة الياقوت، فوجد بها نساء مسلمات من بقايا جنود الغزو التي بدأت منذ عهد الإمام علي، وأراد ابن هارون أن يبعث ببعضهن إلى العراق كما أردن، فساق سفينة محملة بهنّ، ولم تكد تمر بميناء الديبل حتى هاجمها فريق من الجند، وصرخت امرأة من يربوع منادية باسم الحجاج، وطار الخبر إليه، فبعث إلى «الراجه داهر» أمير الديبل يطالبه برفع الاعتداء، وردّ المسلمات مكرمات، ولكنّ الأمير الهندي استهان برسالة الحجاج، وقال في رده: «قد استولى اللصوص على السفينة بمن فيها ولا أعلم شيئاء هنا كان استفزاز الحجاج، ومن هنا بدأ عزمه الأكيد على تأديب هذا المستخف، بل على غزو الهند جميعا، وأعد العدّة الكافية لما يريد.

قال خارجة: لقد كنت مؤرخا يا عامر، ولكن صورة الحجاج في مرآتك مشرقة كريمة.

فرد عامر يقول: أنا يا سيدي خرجت على الحجاج في حربه مع ابن الأشعث، إذ كنت وجماعة من الفقهاء نناصبه العداء، وحين تم له النصر، عفا عمن اعتذر، وكنت أحد هؤلاء المعتذرين، فللرجل مظالمه التي دعتني إلى الانضمام لابن الأشعث ما أنكر هذه المظالم ولا أستطيع، ولكن له مزاياه القيادية الباسلة، ومواقفه المشرفة في انتشار الإسلام بخراسان وما وراء النهر، وجزر الهند، وسواحل قزوين! يجب أن ننصف فلا نحجب حقا، ولا نتكلم بباطل، لقد كان الحجاج صاحب الخطوة الجريئة الوائبة في فتح الهند، وما كان من قبله فهو تمهيد محمود لا يبلغ مبلغ الغزو المفضي إلى النصر النهائي، وقد تم على يد البطل الفاتح محمد بن القاسم الثقفي، وبذخيرة الحجاج، وحسن تدبيره، ويقظته الكاملة لما يتطلب القتال من أعباء!.

سكت عامر بعد أن أجاب، وسكت صاحباه بعض الوقت، وكأنهما كانا يتأملان ما قاله الشعبي، فلم يجدا به ما يُعاب، ثم قال سالم بن عبدالله: كيف أسلم الحجاج قيادة الجيش لمحمد ابن القاسم، وهو فتى في السابعة عشر من عمره؟ ومن أين له أن يعلم ما أحرزه من نجاح قبل أن يتحقق؟ أتراه كان يرى بعين الغيب؟!.

فقال عامر الشعبي مبتسما: أأقول ما لديّ؟ فرد سالم: ما ذكرت سؤالي إلا لأستمع الرد فيها.

قال عامر: إن الحجاج لا يهزل في أمر خطير كهذا الأمر، فالحرب ليست ميدان لعب ولهو، ولكنها حومة مشتعلة اللهيب، والفتى الثقفي ابن عم الحجاج، وقد أرسل من قبل إلى فارس غازيا، فجاءته الأنباء عنه بما رفع قدره في نفسه، وحين صمم على الغزو بعث يستدعيه من خراسان ليواجه العبء الكبير، وقد أمره أن يتخير من جنوده بفارس من

سيكونون أعوانه، حتى إذا قدموا عليه بالعراق كان قد أعدّ الخطة بنفسه، إذ تتجه الكتائب إلى الري، ثم تنتظر بشيراز، لتلحقها كتائب أخرى أخذ يستدعيها على بعد، وهى فيالق من خير جنود الشام انتخبهم الحجاج عن تجربة، وكانوا أكثر من ستمائة فارس، والغريب من أمر الحجاج أنه أشرف على المؤونة الغذائية للجيش بقدر ما أشرف على العدة الحربية فجهزه بكل ما يحتاج إليه، حتى الخيط والإبرة، وقد علم أن الخل يساعد على تبرئة الجراح سريعا، فاحتال حتى أتى بالقطن المندوف وغمسه في ماء الخل المكثف، ليتشبع به، فإذا احتاجوا إلى الخل جاءوا بالقطن وغمسوه فى الماء ليرشح منه أعذب الخل وأجوده! أقول ذلك لأصوّر مدى اهتمام الحجاج بنفقات الجيش ومؤونته، لأن الذى يهتم بالإبرة والخيط، ويعمل على صيانة الخل بأدق الحيل لا يفوته شيئ.

قال خارجة: فى الحجاج يقظة ونباهة، فقد عرف أن الحملة الهندية محسوبة عليه أمام أمير المؤمنين الوليد بن عبدالملك، وأن إخفاق محمد القاسم الثقفى لو تم سيحدث تأثيرا فى قصر الخلافة، إذا يقول القائلون: لقد حابى فتى مراهقا من أبناء أسرته فجعله رئيسا لجيش يغزو الأعداء، وفيه من القادة الأكفاء، ومن ذوى الدربة المحنكة فى القتال من لا يبلغ محمد بن القاسم مبلغهم كفاية ومراسا واحتيالا لقد عرف الحجاج ذلك، فأعد كل شيء بنفسه، وصنعه على عينه، مع اعترافنا بأنه لمس كفاءة ابن عمّه، وأحاط بها عن برهان، فأراد أن يفسح له مجال التألق، ولا نعيبه فى اختياره، إذ صدقت الأيام ظنه فنجح القائد الشاب نجاح الشيوخ المحنكين.

قال سالم: نريد أن نعرف كيف تمّ الأمر لهذا البطل الشهيد، فحقق ما حققه من اكتساح، تكلم يا عامر؟!

فرد الشعبي: لقد نُفّذت خطة الحجاج كما رسمها بفصره، فسار الجيش إلى مكران وكانت بأيدى المسلمين فانضم إليه من بها من الجنود، ثم زحفوا إلى مدائن قنزبور وأرمائيل والديبل، فوقعت الأوليان فى أيدى المسلمين دون جهد، أما مدينة الديبل فقد كانت من الحصانة المنيعة، والجيش المدافع، والتصميم الجاد على رد المغيرين، بحيث استدعت أعنف الجهود، لأنها فوق مناعتها القوية كانت محلا لصنم وثنى خطير يسمى «البد» يبذل الهنود أرواحهم دونه، ويرون فى سقوط الديبل محوا أكيدا لهذا الصنم المقدس، وقد عرف محمد بن القاسم قوة اعتقاد الهنود فى «البد» فصمم على أن يرميه بالمنجنيق، حيث زوّده الحجاج به، وسماه العروس، وقد بلغ من ضخامته أنه كان يحتاج إلى قوة خمسمائة رجل من الأشداء ليقذف بصخوره الضخمة إلى المدى البعيد، وقد طارت هذه الصخور صوب «البد»

فسرعان ما تهاوى، وسقطت رايته الحمراء التى كانت تدور مع الريح فى الاتجاهات الأربع، وبظن الهنود أن الهواء مُسخر لها، يصدر عن أمرها فى الهبوب! وقد فوجىء الهنود بسقوط البد، فكان هزيمة معنوية سرت إلى نفوسهم فزعزعت إيمانها به! وحين تلاقى الجمعان تم النصر المبين! وقد سهل الأمر بعد ذلك فى المواقع الأخرى ومن أعنفها موقعة «مهران» التى جمع «الراجه داهر» بها كل قوته، لتكون نهاية العراك، وقد اعتمد على قوة الفيلة التى لم تكن بين العدة القتالية للمسلمين، ولكن ارتماء الصخور من العروس فوقها، قد أحدث بها ما أحدث من الرعب، مع صواعق نارية أخذ المنجنيق يرسلها فى إصابة موفقة، ففرت الأفيال هاربة ومن ورائها فلول الجنود، إذ رأوا أن الدائرة قد دارت عليهم، ولم يبق من أمل فى النصر، وبخاصة وقد لاقى «الراجه داهر» مصرعه، فانتشر من بعده نظام الجيش أباديد.

قال سالم موجها حديثه لخارجة: هذا هو محمد بن القاسم الذى صُرع بسيف الحقد، ولاقى جزاء سنمار، ممن كان من واجبه أن يبوئه أرقى الدرجات!.

قال عامر: لقد كان فى استطاعة ابن القاسم أن يعلن العصيان فى مكانه النازح، حين جاءه الوالى الجديد ليضع فى يده وقدمه الحديد، ولكنه اعتقد أن كفاحه البطولى سيشهد له أمام الخليفة، فرأى أن يسير إليه، ليعلم عن يقين أنه بطل من أبطال الدولة، أضاف إلى الإسلام أرضا جديدة!.

ابتسم خارجة سافرا، وقال: أضاف إلى الإسلام أرضا جديدة!! كأن ابن عبدالملك يعنيه أن ينتشر الإسلام! ولو كان هو القائم على أمره! قل غير هذا يا عامر!.

قال سالم: أرى نفسى تمتلىء من الغيظ، وكنت أوثر من قبل أن أسمع من الشعبى مأساة قتيبة بن مسلم بطل الإسلام وفاتح بلاد ما وراء النهر، ولكن أحشائى ستتمزق لو أصغيت إلى حديث النكبة الثانية، فلنا الله يا خارجة.

قال خارجة:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾(٢).

ثم استأذن الشعبى ليتركهما فى أسف عميق.

---

(٢) إبراهيم (٤٢).

بَيْنَ الشَّرْقِ والغَرْب

للشاعر الأستاذ / محمود الخفيف (*)

ما شاءَ فلْيسخرْ بِيَ السَّاخِرُ .. بالغَرْبِ، ما عشْتُ، أنا الكافِرُ
يَزِيدُنِي الْحَقَّ جُحُوداً به .. ما زَوَّرَ الحقَّ بِهِ فاجِرُ[1]
إلاَّ نُجُوماً فيهِ رَجّافَةً .. يَكادُ يَخْفَى لَمْحُها الحائِرُ[2]

●●●

يَا شَرقُ كَمْ غَرَّتْكَ بِيضُ الوُعُودْ .. أَلِفْتَها حتَّى أَلِفْتَ القُيُودْ[3]
تَخْطِرُ في القَيْدِ على ذِلَّةٍ .. تَلُوكُ في الأَغْلالِ مَجْدَ الجُدُودْ[4]
إِهْنَأْ بِماضيكَ وَفاخِرْ بِهِ .. وَلُكْهُ يا مِسْكِينُ حتَّى يَعُودْ[5]

●●●

يا ظامِئاً يَطْلُبُ ماءَ السَّرابْ .. اشْرَبْ على الغُلَّةِ مُرَّ العَذابْ[6]
يا حالِماً أَغْراهُ طِيبُ الكَرَى .. أَبْشِرْ مَعَ الصُّبْحِ بِسُوءِ المآبْ[7]
يا لاهِياً وَيْكَ أَمَا تَتَّقِي .. النَّابَ والمِخْلَبَ طَبْعَ الذِّئابْ[8]

●●●

(*) من مجلة الرسالة العدد ٧٥٧ والأستاذ محمود الخفيف من كبار رجال التربية والتعليم بمصر وهو مؤلف تاريخي وأديب باحث توفي سنة ١٩٦١م.

(١) جحود: كفر. (٢) لمحها: ضوؤها. (٣) غرتك: خدعتك.

(٤) تلوك: تمضغ. (٥) لُكْه: امضغه. (٦) الغلة: الظما الشديد.

(٧) المآب: المرجع. (٨) ويك: دعاء يراد به الحث.

قَومُكَ بالمَوتِ أعَزُّوا الحَيَاةْ ** وأفزَعُوا بالبَأسِ بَغيَ الطُّغَاةْ

في السَّيفِ والمُصحَفِ بُرهَانُهُم ** تَعنُو لهُ في العَالَمِينَ الجِبَاهْ(٩)

لا السَّيفُ ظَلّامٌ غَبِيٌّ ولا ** يُرَوِّعُ المُصحَفُ عاتٍ عَصَاهْ(١٠)

●●●

فَاوَتَ بَينَ النَّاسِ خَوضُ الرَّدَى ** يا شَرقُ هَل أصرُخُ أينَ الفِدَا؟(١١)

رِدُوا فَقَد جَدَّ بِكُم دَهرُكُم ** أو فَارتَضُوا الخَسفَ لَكُم مَورِدا(١٢)

مَا مِن قُلُوبٍ ألِفَت قَيدَهَا ** إلاّ غَدَت تَعبُدُ مَن قَيَّدا(١٣)

●●●

دِينُ العُلا إن كُنتَ لا تَعلَمُ ** دِينُكَ يا بنَ الشَّرقِ يا مُسلِمُ

دِينُكَ بَينَ النَّاسِ سَوَّى فَمَا ** بَالُكَ لِلطُّغيَانِ تَستَسلِمُ!

دِينُكَ إن عُدتَ لأحكَامِهِ ** حَكَمتَ لا دِنتَ لِمَن يَحكُمُ(١٤)

●●●

عَقِيدَةٌ دِينُكَ لا تُغلَبُ ** لا تَعرِفُ البَطشَ ولا تَرهَبُ(١٥)

شَرِيعَةٌ خَالِدَةٌ فُصِّلَت ** دُستُورُهَا الخَالِدُ لا يُسلَبُ

رُوحٌ مِنَ اللهِ سَمَاوِيَّةٌ ** شَرقِيَّةُ المَطلَعِ، لا تَغرُبُ

●●●

يا شَرقُ حَتَّامَ تَلُومُ القَدَرْ ** ولا تَنِي تَرنُو إلى مَن غَبَرْ؟(١٦)

أنتَ المَلُومُ اللائِمُ المُشتَكِي ** كَم صَرَخَت حَولَكَ شَتَّى العِبَرْ(١٧)

رَضِيتَ، لو أنكَرتَ مَا تَشتَكِي ** مِنهُ، تَهَاوَى عُمرُهُ واحتَضَرْ(١٨)

●●●

---

(٩) برهانهم: دليلهم، تعنو: تخضع. (١٠) عاتٍ: ظالم. (١١) فاوت: خالف.

(١٢) رِدُوا: أمرٌ مِنْ ورد. (١٣) تعبد: تعنو وتخضع. (١٤) دِنْتَ: خضعت.

(١٥) عقيدة: خبر مقدم، دينك: مبتدأ مؤخر. (١٦) لاتني: لاتزال، غبر: مضى. (١٧) العبر: العظات.

(١٨) احتضر: مات.

إلامَ يا شرقُ حياةُ الجمدْ •• في ذُلِّها طالَ عليكَ الأمدْ(١٩)
يا موطنَ الروحِ أما هزَّةٌ •• تُشعلُ من أرواحِنا ما خمدْ؟
ويحكَ يا عاني أما غضبةٌ •• لشدَّ ما تُذعنُ إذ تُضطهدْ!(٢٠)

●●●

يا أمةً تُهتضمُ أوطانُها •• ولا يني يمرحُ فتيانُها(٢١)
أترتضونَ الذلَّ؟ ما خطبُكُمْ •• ذلَّتْ نفوسٌ ماتَ إيمانُها(٢٢)
تاللهِ ما البعثُ سوى رجفةٍ •• يُمحِّصُ الأنفسَ بُركانُها(٢٣)

●●●

وا أسفا كلُّ حِمىً مُستباحْ •• هيضَ الحِمى مُنذُ فقدنا السلاحْ(٢٤)
يا فتيةَ الشرقِ ألا خالدٌ •• وقد تداعى قومُنا، أو صلاحْ؟(٢٥)
حِطّينُ هذا وقتُها فاحشُدوا •• أبطالَكُمْ، هذا أوانُ الطِّماحْ(٢٦)

●●●

أما يهزُّ الشرقَ بغيٌ عتا •• بعدَ خفاءٍ سيفُهُ أصلتا؟(٢٧)
الطَّمعُ الغاصبُ يغدو لهُ •• كلَّ فؤادٍ لؤمُهُ أعنتا(٢٨)
متى أرى الشرقَ لظى حولَهُ •• ويلاهُ! كم تلهبُ صدري متى!

●●●

أيةُ نارٍ أوقدَ الطامعْ •• وأيُّ بغيٍ ذلكَ الدافعْ
ما أوضعَ الإنسانَ إنْ لم يعُدْ •• في نفسِهِ عن غيلةٍ وازعْ(٢٩)

---

(١٩) الأمد: الزمن. (٢٠) عانٍ: خاضع. (٢١) تُهضم: تُظلم.
(٢٢) خطبكم: شأنكم. (٢٣) يمحّص: يكشف ويبين. (٢٤) هيض الحمى: ذلّ وضعف.
(٢٥) خالد وصلاح الدين البطلان الشهيران. (٢٦) حطّين موقعة انتصر فيها صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين. الطماح: الطموح.
(٢٧) عتا: ظلم. أصلت: سلّ. (٢٨) كلَّ فؤاد: مفعول به مقدم لأعنتا. أعنت: أتعب وضيّق.
(٢٩) وازع: زاجر.

بِيعَتْ فِلَسْطِينُ فَيَا مَوْطِنًا .. فِي غُلِّ غَاصِبِهِ الْبَائِعُ!

●●●

بِيعَتْ وَمَا أَعْجَبَ بَيْعَ الشُّعُوبْ .. فِيمَا وَعَى التَّارِيخُ أَدْهَى الْخُطُوبْ[٣٠]
سُوقٌ بِهَا السُّوَّاسُ كَمْ زَاوَلُوا .. نِخَاسَةً هَانَتْ إِلَيْهَا الْحُرُوبْ[٣١]
كَمْ أَغْتَمَ الْغَرْبُ وَفِي أُفْقِهِ .. كَمْ بَهَرَ الأَبْصَارَ بَرْقٌ كَذُوبْ![٣٢]

●●●

قَائِمَةٌ مِنْ عَهْدِهَا الأَسْبَقِ .. حَرْبُ الصَّلِيبِيِّينَ فِي الْمَشْرِقِ
لَمْ يَفْتُرِ الْغَرْبُ وَلَمْ يَأْلُنَا .. مِنْ حَرْبِهِ أَوْ كَيْدِهِ الْمُرْهِقِ[٣٣]
لَا تَلُمِ الْغَرْبَ عَلَى بَغْيِهِ .. اللَّوْمُ لِلْمُسْتَسْلِمِ الْمُوثَقِ[٣٤]

●●●

اللَّوْمُ لِلْجَاثِمِ فِي كِنِّهِ .. فِي مَيْعَةِ الْقُوَّةِ مِنْ سِنِّهِ[٣٥]
يَضِنُّ بِالْمَالِ عَلَى وَفْرَةٍ .. وَيَرْتَضِي الأَغْلَالَ فِي ضَنِّهِ[٣٦]
إِنْ شَحَّ بِالْمَالِ أَمَا حَقَّنَهُ .. لِلْغَاصِبِ الْوَاغِلِ مِنْ ضِغْنِهِ؟[٣٧]

●●●

بَاعَ فِلَسْطِينَ حُمَاةُ الأُمَمْ .. أَهْلُ الْمَوَاثِيقِ رُعَاةُ الذِّمَمْ
الْكَاشِفُونَ الضُّرَّ عَنْ أَرْضِنَا .. حِينَ تَغَشَّى النَّاسَ فِيهَا الظُّلَمْ[٣٨]
الْكَارِهُونَ الْبَغْيَ مَنْ أَنْقَذُوا .. بِالنَّارِ حُرِّيَّاتِهِمْ وَالْقَلَمْ[٣٩]

●●●

بِالذَّهَبِ الْبَاغِي اشْتَرَتْهَا يَهُودْ .. وَعُصْبَةُ الأَمْنِ عَلَيْهَا شُهُودْ[٤٠]
الأَمْنُ؟ مَا الأَمْنُ سِوَى غَايَةٍ .. تُنْمَى إِلَى أَحْلَامِ هَذَا الْوُجُودْ

---

(٣٠) وعى: سجّل وحفظ. (٣١) السوّاس: الساسة. نخاسة: تجارة الرقيق. (٣٢) اغتم: أظلم.
(٣٣) لم يألنا: لم يقصر في أذانا. (٣٤) الوثق: القيد. (٣٥) كنّه: جحره.
(٣٦) ضنه: بخله. (٣٧) ضغنه: حقده وكيده. (٣٨) تغشّى: غمر. الظُّلَم: جمع ظلمة.
(٣٩) أهل أوروبا الذين نالوا حرياتهم بالنار والكلمة الصادعة.
(٤٠) عصبة الأمن: يريد مجلس الأمن الذي حابى إسرائيل.

قل لرعاة الأمن سحقاً لكم .. النار لا تلقوا إليها الوقود(٤١)

●●●

في الأرض ملعونون ما طوّفوا .. كم بخسوا الكيل وكم طففوا(٤٢)
في كل ركن للربا آكل .. باغ وفي كل حمى مسرف
تالله لن يفلح كيد لهم .. ما أشعلوا الفتنة أو أرجفوا(٤٣)

●●●

قل لبني المشرق من واجد .. يبكي ومن مستصرخ جاهد(٤٤)
قل لرعاة الشرق من علية .. تشاوروا في مجلس حاشد(٤٥)
خوضوا المنايا الحمر أو فاقعدوا .. ما من طريق غيرها قاصد(٤٦)

●●●

صبوا على النار هناك الدما .. لا تبتغوا غير الردى مغنما(٤٧)
جد العدو اليوم في بغيه .. فأطفئوا النار التي أضرما(٤٨)
من دمكم إن صال أعداؤكم .. وصمموا فالحر من صمما(٤٩)

●●●

يا ابن الكماة الغر جد الزمن .. واستصرخ اليوم بنيه الوطن(٥٠)
يا ابن الألى النجدة كانت لهم .. ديناً وكانوا عصبة في المحن(٥١)
أفق على الصيحة طال الكرى .. ثر من الأجداث هذا الوسن(٥٢)

●●●

في الأفق الشرقي لون الدم .. منوّر بعد الدجى المعتم(٥٣)
أفق على الإصباح وانشد له .. لحناً إلى مجد الردى ينتمي(٥٤)
وانهض إلى الموت وخض لجه .. مبتسماً في وجهه الأقتم(٥٥)

---

(٤١) سحقاً: بُعداً.
(٤٢) بخسوا: غبنوا. المطفف: الذي يأخذ حق غيره في الوزن والكيل.
(٤٣) أرجفوا: مشوا بالشائعات.
(٤٤) واجد: حزين. مستصرخ: طالب النصرة.
(٤٥) علية: رؤساء.
(٤٦) قاصد: معتدل.
(٤٧) الردى: الموت.
(٤٨) أضرم: أوقد وأشعل.
(٤٩) صمّموا: اعزموا.
(٥٠) الكماة: الشجعان. استصرخ: دعا إلى الجهاد.
(٥١) عصبة: يد واحدة. المحن: الخطوب.
(٥٢) الكرى: النوم. الأجداث: القبور. الوسن: النوم.
(٥٣) المعتم: المظلم.
(٥٤) ينتمي: ينتسب.
(٥٥) الأقتم: المظلم.

عداوة أمريكا وصداقتها

١

للأستاذ الدكتور/ عبد العظيم المطعنى

قال العميد الأنصارى، وأقول:

ملخص:

«أؤيد الدعوة الأمريكية لإعادة النظر فى مناهجنا التعليمية»؟!

«ليس من العدالة وصف ما قامت به أمريكا ضد أفغانستان بالإرهاب برغم سقوط الأبرياء»؟!

«نرتكب بحق أنفسنا خطيئة كبيرة إذا اعتبرنا أمريكا عدوة لنا»؟

«ما المانع أن تدعو أمريكا باكستان لتغيير مناهج مدراسها الدينية»؟!

«على السعودية أن تبادر لإعادة النظر فى مناهجها التعليمية الدينية»؟!

«يجب منع طباعة كتاب إحياء علوم الدين والكبائر بسبب إساءتهما للإسلام وللمرأة»؟!

«بوش أكثر رئيس أمريكى احتراما للإسلام، ودعا شعبه لاحترام أتباعه»؟!

«نعم، أمريكا منحازة لإسرائيل، ولكن ماذا نستفيد من عداوتها»؟!

«أرفض الإسلام الذى يفرخ الإرهاب، ويجب وقف الخطباء الذين يزرعون الكراهية»؟!

هذا الكلام «الغريب» الذى صدرنا به هذه «الرسالة» كان محرر صحيفة «الراية» القطرية، السيد «أنور الخطيب» قد كتبه فى مقدمة حوار أجراه مع الأستاذ الدكتور عبدالحميد الأنصارى عميد كلية الشريعة والقانون بجامعة قطر فى أوائل يناير الماضى مطلع عام ٢٠٠٢م.

وأشهد أنى فزعت وأنا أقرأ هذا لأول مرة، والدكتور الأنصارى كما عرفت- عزيزى القارئ- ليس رجلا من «سقط المتاع»، ولكنه رمز من رموز الثقافة العربية المعاصرة، صعد سُلّم العلم والمعرفة إلى أقصى درجاته، وتولى منصبا أدبيا رفيعا فى الحقل الجامعى فى بلده، ولو كان هذا الكلام الغريب صدر عن غيره من متعاطى الكتابة لما حرك لأحد ساكنا، لأننا تعودنا فى هذا العصر على تهافت فى الفكر والرأى ممن ليست لهم أهمية فى مجال الفكر والرأى، أما حين يصدر

الكلام الغريب المفزع من عميد كلية للشريعة والقانون في أى بلد عربي أو إسلامي فهذا الوضع يختلف كل الاختلاف.

ولنبدأ بالفقرات التي استخلصها المحرر في مقدمة الحوار الذي دار بينه وبين الدكتور العميد. إنه يؤيد الدعوة الأمريكية لإعادة النظر في مناهجنا - نحن العرب والمسلمين - الدينية.

إن دعوة أمريكا هذه مرفوضة شكلا، ومرفوضة موضوعاً: مرفوضة شكلا، لأن أمريكا ليست وصية علينا فنحن أمة لها سيادة على أرضها، وفي سائر شئونها فمن الذى أعطى أمريكا هذه الحقوق يا ترى هل الدول العربية والإسلامية أصبحت ولايات أمريكية تتلقى الأوامر والنواهي من الرئيس الأمريكي جورج بوش؟ أليس هذا تدخلا طفيليا من أمريكا بوش، أو بوش أمريكا؟ وأما موضوعا فلأن التعليم الديني في العالم العربي والإسلامي هو عرض الأمة وينبثق من قيم ومبادئ دينها القويم الذى رسمه كتاب الله العزيز، وسنة الرسول الكريم، وليس للأمة مصدر سواهما يجب عليها طاعته:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ ﴾(١).

طاعة الله باتباع كتابه، وطاعة الرسول في اتباع هديه، وهما طاعتان منصوص عليهما، وإن كانت طاعة الرسول من طاعة الله.

أما طاعة أولى الأمر، وهم العلماء والأمراء، فهي طاعة مقيدة لا مطلقة، مقيدة بأن يدعونا إلى طاعة الله ورسوله، فإن دعونا إلى معصية الله ورسوله فلا طاعة لهم علينا ولذلك قال عز وجل: «وأولى الأمر»، ولم يقل: وأطيعوا أولى الأمر، فدمج طاعتهم في طاعته وطاعة رسوله، يعنى ليست لهم طاعة مستقلة عن طاعة الله ورسوله.

ومن هم أولو الأمر يا ترى؟ إن قوله -عز وجل-: «منكم» يحدد بكل دقة المراد من أولى الأمر في الإسلام، لأن الضمير في منكم عائد على المخاطبين في صدر الآية: «يا أيها الذين آمنوا»، وهم المؤمنون من المسلمين. فهل الرئيس الأمريكي «جورج بوش» فرد من أفراد المخاطبين من أهل الإيمان الإسلامي، حتى يتدرج في هذا الخطاب، فيكون أحد ولاة أمور المسلمين، بل ولى أمر المسلمين الأوحد حتى على الملوك والرؤساء والأمراء في جميع العالم الإسلامي؟

ماذا يقول الدكتور عميد كلية الشريعة في هذا. أليس عمداء كليات الشريعة في العالم الإسلامي هم حماة الشريعة بحسب مناصبهم؟ والدكتور العميد واحد منهم.

إن هذه الآية:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾(٢).

ترسم للأمة منهجها الحكيم الذى تسير عليه في الحياة - جامعا مانعا- حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

---

(١) النساء (٥٩)

(٢) النساء (٥٩)

فهل في مقدرة الدكتور العميد أن يأتينا بدليل تحنو له الأعناق، يبيح أو يوجب علينا الخروج عن شريعة الله المحكمة؟ أو يعترف بأن ما قاله زلة يجب الرجوع عنها.

وقال الدكتور الأنصاري: «ليس من العدالة وصف ما قامت به أمريكا ضد أفغانستان بالإرهاب برغم سقوط الأبرياء». إلى هذا الحد يدافع الدكتور العميد عن جرائم «بوش أمريكا»، أو «أمريكا بوش»؟

لقد شهد العالم كله الجرائم القطيعة الشنيعة التي ارتكبتها «أمريكا بوش» في حق الشعب الأفغاني المسلم بصفة خاصة، وفي حق الإنسانية بصفة عامة. شهدناها وعشناها عبر القنوات الفضائية. وكان ضحية تلك الجرائم هم الحفاة العراة من مسلمي أفغانستان، التي هدمت الغارات الأمريكية المجنونة منازلهم على رؤوسهم، ورأينا الجثث تنتشل من تحت الأنقاض لشيوخ ونساء وشباب وأطفال!

ورأينا مساجد تحطم، ومستشفيات تتساقط على المرضى والأطباء والممرضات.

وإلى الآن الحرب مستعرة في أرض كان لها تاريخ عريق في الإسلام، حتى الكلاب والطيور رأيناها تفزع من وحشية بوش ورجال إدارته، ورأينا جثثا مفحمة ملقاة على الأرض. ورأينا كل شئ عرضة للتدمير في بلد أنهكته الكوارث قرابة قرن من الزمان.

برغم هذا كله يقول الدكتور العميد: «ليس من العدالة وصف ما قامت به أمريكا ضد أفغانستان بالإرهاب»، والله هذا الكلام. وإذا لم يكن هذا إرهاباً فما هو الإرهاب يا سعادة العميد؟

سؤال نتركه بلا جواب. إلا أن نقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم يقول الدكتور العميد: «ونرتكب بحق أنفسنا خطيئة كبيرة إذا اعتبرنا أمريكا عدوة لنا»، هذه العبارة أوهن من نسج العنكبوت الذي ضربه الله مثلا في الضعف والوهن، وصدورها عن أستاذ دكتور عميد لكلية شريعة إسلامية، يملأ المشاعر استغراباً، والعقول استنكاراً، لأن معناها في واد، والواقع في واد آخر فهل يتصور أن يكون الدكتور العميد معزولا عن واقع الحياة الراهنة؟ لا أظن وإنما هو لم يستمد شيئا في حواره مع الراية القطرية من الواقع، بل من وحي الخيال، أو من وجهة نظر مفصومة عن آمال الأمة وآلامها.

وأنا على يقين لو أن جهة ما من جهات استطلاع الرأي وزعت هذا السؤال على البالغين الراشدين في الوطن العربي، لأمكنها أن تحصل على الإجابة الإجماعية بذكر الأدلة المائة من سلوكيات الإدارات الإمريكية في غضون ٢٤ ساعة من الزمن، أذكر مائة دليل على أن أمريكا أو الإدارة الأمريكية أخطر عدو لنا.

إن خمسة وعشرين دليلا من هذه الأدلة المائة تتمثل في خمس وعشرين مرة استخدمت أمريكا فيها حق الفيتو في الأمم المتحدة لحماية إسرائيل ضد العرب والمسلمين، ولولا خشية الإطالة لذكرى الـ٧٥ دليلا الباقية بلا توقف أو استعانة بأحد.

ومع هذا كله يتهم الدكتور العميد شعوب الأمة كلها بل وقادتها بأنها تظلم أمريكا إذا اعتبرناها عدوة لنا يا سبحان الله؟!

ونحن لم نعتبر أمريكا عدوة لنا، بل أمريكا نفسها متمثلة في إدارات حكوماتها المتعاقبة هي التي أملت علينا بكل قوة وحسم أنها وحدها من دول الغرب عدو لدود لنا.

وإذا كان الدكتور العميد مصرا على موقفه هذا فإننا نطرح عليه هذه الأسئلة الحديثة الوقوع راجين منه الإجابة عنها بما يدعم رأيه هو، ويقوض موقف الأمة جمعاء..

بم تفسر القائمة التي أصدرها الرئيس بوش بالدول التي سيضربها بحجة أنها تؤوي الإرهاب وهي خمس وستون دولة كلها شرقية إسلامية إلا دولة واحدة أوروبية.

وبم تفسر تركه الحبل على الغارب لإسرائيل شارون في تدمير الشعب الفلسطيني، وما وطئته قدماه، وما ملكته يداه، وفي الوقت نفسه يعتبر فصائل المقاومة الفلسطينية واللبنانية جماعات إرهابية يجب إبادتها في حروب مكافحة الإرهاب.

وبم تفسر تدخل الرئيس بوش في شئون البنوك الإسلامية زاعماً أنها تساند الإرهاب وتدعمه، لأنها توزع أموال الزكاة على فقراء المسلمين؟

أنت عميد كلية شريعة إسلامية، وتعلم علم اليقين أن إخراج الزكاة ركن من أركان الإسلام الخمسة فهل تصرف بوش هذا حفظ للإسلام أم ضياع له؟

وبم تفسر أن أمريكا بعد إسقاط كابول في أيدي قوات التحالف وأتباعهم سارع الأمريكان، ومؤيدوهم بفتح محلات للكوافير النساء، كي تلقي المسلمات الأفغانيات الحجاب، ويصففن شعورهن، ويضعن المساحيق على وجوههن وخدودهن، ويرتدين الملابس الأوروبية الملونة الشفافة والضيقة؟

كما سارعوا إلى فتح دور السينما والملاهي ومحلات الحلاقة الرجالي لحلق اللحى.

هلا سارع بوش إلى إعادة بناء المساجد التي سواها بالأرض؟ أو المدارس التي هدمها بين عشية وضحاها أو دار الإذاعة التي أحالها أنقاضا، أو المستشفيات التي هدمها على من فيها من مرضى وأطباء وممرضات؟

بم تسفر هذا كله يا سعادة الدكتور العميد؟

وبم تفسر الرشوة التي قدمها بوش لباكستان، لإعادة النظر في مناهج مدارسها وجامعاتها الدينية.

وبم تفسر طلبه من الدول الإسلامية والعربية بمراقبة خطباء المساجد الناشطين وعزلهم من أعمالهم.

وبم تفسر طلبه من الدول العربية والإسلامية بإغلاق مدارس ومعاهد وكليات التعليم الديني؟

وبإعادة النظر في تفسير القرآن الكريم؟

ماذا أنت قائل يا سعادة الدكتور العميد: إننا لم نقل إن أمريكا عدوتنا افتراء عليها، ولكن ملف أمريكا الأسود معنا- نحن العرب والمسلمين- هو الذي حملنا على هذا الاعتقاد. ولو لم نقل إن أمريكا عدوتنا لأصبحنا في عداد المذهوبي العقول، ولسخر منا الصديق قبل العدو. وحسبك هذه التساؤلات فما أردنا إلا مجرد التمثيل.

ثم يقول الدكتور العميد: ما المانع أن تدعم أمريكا باكستان لتغير مناهج مدارسها الدينية؟

ونقول: ليس ما تقدمه أمريكا لباكستان لتغيير مناهج مدارسها الدينية دعما، بل هو رشوة، ومناهج أية دولة إسلامية، خاصة المتصلة بالدين شأن خاص بها وفريضة هي وحدها المسؤولة عن تأديتها، وأمريكا تعرف أن تلك المناهج خرجت علماء أعلاما في العلوم والفكر الإسلامي. وهذا الدعم كما يسميه العميد، أو الرشوة كما ينبغي أن تسمى، من شأنها أن تدعو الدكتور العميد للتنازل عن رأيه، الذي شذ به عن إجماع الأمة من أن أمريكا ليست عدوة لنا، وإلا لماذا تركز إدارة أمريكا على وأد شئوننا الدينية تحت بريق دولاراتها الملوثة؟ لماذا لم تدعم أمريكا باكستان أو أي دولة إسلامية لتطوير مناهجها في علوم فقه الحياة: أسلحة- تجارة- صناعة- طب- علوم الفضاء- علوم البحار- علوم الطاقة؟

لماذا إزالة التعليم الديني الإسلامي؟ أمريكا رأت بعينها هدير وثورات الأحزاب الدينية قبل نشوب حربها الظالمة على الحفاة العراة من مسلمي أفغانستان فهي- إذن- تريد أن تقضي على روح الجهاد الإسلامي ليطول بقاؤها في أفغانستان؟ ومن يدري ما هي مطامع أمريكا التي لم تفصح عنها في المنطقة حتى الآن.

ثم يقول الدكتور العميد: على السعودية أن تبادر لإعادة النظر في مناهجها التعليمية الدينية.

ونقول: هذا رجم بالغيب من الدكتور العميد، ويبدو أنه لم يعرف شيئا عن مناهج التعليم الديني في السعودية.

فقد عشت في السعودية ١٢ عاما. وكان معي أبنائي، وهم دون التعليم الجامعي. وبعضهم درس مناهج التعليم الديني من «أولى ابتدائي» حتى حصلوا على الإعدادية، ومنهم من درس المناهج الدينية حتى حصل على الثانوية العامة السعودية، وكنت أتابع معهم المواد الدينية والعربية والإنسانية بكل دقة واهتمام.

أما التعليم الجامعي وما تلاه في مرحلة الدراسات العليا بقسميها: الماجستير، والدكتوراة، فقد قمت بتدريسها طوال الـ١٢ عاما في البنين والبنات، ومن خلال هذه التجربة الطويلة العميقة أقول:

إن السعودية لا تعلم تلاميذها ولا طلابها في التعليم الديني إلا ما أنزله الله، وبلغه رسوله المعصوم ﷺ (الكتاب والسنة)، فهل يراد منها أن تدير ظهرها لكتاب الله وسنة رسوله؟ وماذا يبقى لها، وهي مهبط الوحي الأمين ومنشأ رسوله الكريم، ماذا يبقى لها من الإسلام إذا استجابت لمطالب بوش ودعوة الدكتور العميد؟؟

وإذا كانت هذه هي رؤية الدكتور في مناهج التعليم الديني في السعودية، فلماذا لم يسبق بدعوته مطالب بوش؟

أما كان عليه أن يتقدم بهذه الدعوة إلى ولاة الأمر في السعودية منذ تولى سعادته عمادة كلية الشريعة، أو على الأقل قبل أن يتطفل بوش ويزج بأنفه في الشئون الداخلية لدولة ذات سيادة، لها في الإسلام تاريخ عريق؟

أما كان أحرى بالرئيس بوش أن يدعو إلى إعادة النظر في مناهج التعليم الخلقي والثقافي في

بلاده؟ وهي - بحق - جديرة بإعادة النظر! أم أن الأمر كما قال الشاعر:

قبيح من الإنسان ينسى عيوبه
ويذكر عيبا في أخيه قد اختفى

ثم يقول الدكتور العميد: يجب منع طباعة كتابيّ: إحياء علوم الدين للغزالي» و«الكبائر للذهبي»، لأنهما أساءا إلى الإسلام وللمرأة.

ونقول: إن كتاب إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي هو كتاب من طراز فريد في فلسفة التربية والأخلاق في الإسلام وفي غير الإسلام، وليس له نظير في موضوعه، ثم إنه نموذج فريد في هندسة التأليف والتنظيم العقلي، والأفكار التي تضمنها مبناة على كتاب الله العزيز، وسنة رسوله الكريم ﷺ، وهو موضع تقدير عند علماء المسلمين وعند المستشرقين، ولأهمية هذا الكتاب منح الإمام الغزالي لقبا رفيع المستوى وهو «حجة الإسلام» صحيح إنه وردت فيه بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وقد قيض الله لهذا الكتاب «الحافظ العراقي» فخرج أحاديثه وبين درجاتها، فأصبح الكتاب خالصا من العيوب، وتحدث فيه الإمام أبو حامد الغزالي عن أركان الإسلام الخمسة: كلمة التوحيد، والصلاة والزكاة والصيام والحج والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد، مع موضوعات أخرى مهمة.

ولسنا ندري ما هي العيوب التي أساءت للإسلام وللمرأة في كتاب الإحياء حتى يطالب الدكتور العميد بحظر طبعة إلي الأبد؟

أما كتاب الكبائر للإمام الذهبي، فموضوعه أن مؤلفه جمع فيه المعاصي المغلظة، المسماة في القرآن وفي السنة بالكبائر والإمام الذهبي نفسه إمام من أئمة الإسلام الأعلام، ومحدث لا يشق له غبار وله في خدمة الحديث النبوي- رواية ودراية- جهود لم تعرف لمحدث سواه، ويأتي في مقدمتها موسوعته الضخمة «سير أعلام النبلاء» ٢٥ جزءا ضخما فكيف يتأتى من هذا العالم الثقة ما يسئ للإسلام أو المرأة؟

هذا الكلام لا ساق له ولا قدم، بل هو اتهام عشوائي مرفوض، وعلى الدكتور العميد أن يبرهن للأمة على صحة دعواه الجوفاء، أو يعتذر لها عن هذا التشويه المنكر.

أولم يقرأ الدكتور العميد قول الشاعر في أدب المناظرة:

والدعاوى ما لم يقيموا عليها
بينات، أبناؤها أدعياء

فعلى الدكتور العميد أن ينسب دعواه هذه إلى والد وإلا ظلت - وهذا شأنها- مجهولة النسب.

ويقول الدكتور العميد: «مناهج كلية الشريعة متطورة ومتفتحة، لذا لم تجد طالبا في قطر خرج مؤيدا لابن لادن».

ونقول: الدكتور العميد يتحدث في هذه الفقرة عن كلية الشريعة التي هو عميد فيها ولنا على هذا الكلام ملاحظتان:

الملاحظة الأولى:

إنه يحصر ما حدث من أمريكا في أفغانستان في مسألة فردية تتعلق بابن لادن. وهذا تقليص مجحف إلى أبعد مدى لحجم الكارثة التي صنعتها أمريكا - بوش في كل أفغانستان

وباكستان، وما تنوى أمريكا- بوش القيام به ضد العالم العربى والإسلامى. أفغانستان دمرت، وباكستان افقدها الرئيس بوش إرادتها، أو نومها تنويما مغناطيسيا، ثم راح يملى عليها ما يريد، إن حصر جرائم أمريكا فى هذا الحجم تجاهل مفضوح، وعور ظاهر، يراه حتى فاقدو الإبصار.

والملاحظة الثانية:

إن هذا المشـــهـد السلبى، الذى وصف به الدكتور العميد طلاب وشباب دولة قطر الشقيقة ليس موضع فخر ولا مباهاة، فالجرائم الشنيعة التى حلت بالحفاة العراة فى أفغانستان، هزت المشاعر الإنسانية كلها، وكادت تؤثر فى الكتل الصخرية لفظاعتها، حتى ولو كان الشعب الأفغانى ليس مسلما، فالظلم شديد المرارة كيف وقع، وأين وقع؟

إن الدكتـور فى هذه المقـولة يدعو إلى بلادة الحس واللامبالاة إزاء أحداث تذيب الحديد الصلب وتفتت الصخور، ويهيئ من خلال أفكاره هذه الطريق لإزهاق روح التماسك بين مشاعر الأمة. التى صورها رسولنا ﷺ فى بعض أحاديثه. كقوله ﷺ:

«مثل المؤمنين فى تراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى»[٣].

ويقول الدكتور العميد: بوش أكثر الرؤساء الأمريكيين احتراما للإسلام. ودعا شعبه لاحترام أتباعه؟

ونقول: الدكتور العميد بدا غير واقعى حتى مع نفسه فى هذه العبارة، لأنه قال ما يعلم أنه ليس له قبول عند المخاطب فى الوطن العربى والأوطان الإسلامية جميعا، لأن ما أصاب الإسلام والمسلمين على يد الرئيس بوش بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م لم يسبق له نظير من رئيس أمريكى سابق، وتوخيا للإيجاز، نحيل القارئ إلى ما تقدم ذكره من قائمة التساؤلات التى وجهناها للدكتور العميد من جرائم الرئيس بوش، والتمسنا منه أن يفسرها تفسيراً يقنع الأمة بأن أمريكا ليست عدوا لنا. أما الجديد الذى نقوله هنا، وفى إيجاز فهو:

ألم يصرح الرئيس بأن حربه ضد الإرهاب التى كان سيبدأها ولمدة عشرين عاما حملة صليبية جديدة؟ والمفهوم التاريخى للحرب الصليبية أنها حرب ضد الإسلام. أم أن الدكتور العميد يسقط دلالات التاريخ من فكره؟ صحيح أنه حاول أن يتخطى هذه العقبة بأن الرئيس بوش عاد واعتذر عن هذه المقولة الحمقاء. وهذا لا يفيد الدكتور العميد فى كثير أو قليل، لأن العبرة بأعمال بوش لا باعتذار لسانه، فقد خالفت أعماله أقواله «الاعتذارية» بعد ذلك بقليل. وبوش كان مكرها لا بطلا حين اعتذر، لأنه كان يطمع فى دخول العالم الإسلامى فى تحالفه المشئوم، الذى دعا إليه فى حربه المسماة «ضد الإرهاب» أو على الأقل ليضمن وقوف الدول

(٣) أخرجه أحمد ٤/ ٢٧٠.

الإسلامية مكشوفة الأيدى أمام حروب الإبادة التي سوف يشنها ضد الإسلام والمسلمين بادئا بالحفاة العراة في أفغانستان المسلمة.

وبعد اعتذاره أعلن أنه سيضرب خمسا وستين دولة، لأنها تؤوى الإرهاب.

ثم تعرض العرب والمسلمون في أمريكا، وكل ما يتصل بالإسلام هناك لحملات اضطهاد واحتقار لم يسبق لها مثيل في التاريخ.

ثم تتابعت التدخلات البوشية الدنيئة في الشئون الدينية الداخلية في العالم الإسلامي.

فطلب من السعودية تخفيض الوقت الأسبوعي لتدريس المواد الإسلامية من عشرين ساعة في الأسبوع إلى أربع ساعات فقط. بشرط أن تقتصر الدراسة في فرع العبادات دون غيرها؟ يا سبحان الله!

وطلب من اليمن أن يتعقب خطباء المساجد الناشطين الذين لهم تأثير قوى في التوعية، وتقديمهم إلى بوش باعتبارهم من أفراد تنظيم القاعدة التابع لأسامة بن لادن.

وطلب من مصر إلغاء المعاهد الدينية (الأزهر)، وإعادة النظر في تفسير القرآن الكريم؟ ولا ريب أن مطالب مشابهة لبوش إلى جهات إسلامية أخرى حدثت، وإن لم يكشف عنها الغطاء.

ناهيك عن الحملات الإعلامية الشرسة في كل وسائل الإعلام المحلية هناك، والعالمية ما تزال تصب كؤوس حقدها على الإسلام.

وكاتب هذه الرسالة تلقى شخصيا تهديدا من أمريكي في مطلع هذا العام ٢٠٠٢م بهدم الكعبة، ثم إبادة المسلمين جميعا على أيدى أمريكا، التي ستتخذ- كما يقول صاحب التهديد- من ضرب العالم الإسلامي تجربة ناجحة لأسلحتها الثقيلة المخزونة في ترساناتها الآن؟

فهل بعد هذا، وغيره كثير يقال إن الرئيس بوش أكثر الرؤساء الأمريكيين احتراما للإسلام؟

وأى الرؤساء الأمريكيين قبل بوش احترم الإسلام حتى يكون هو - أعنى بوش- أكثر احتراما للإسلام من غيره.

الإسلام لم ير من بوش خيرا قط، ولو رأينا شيئا من ذلك لقدرناه له، ولشكرناه عليه. وما تقوم به أمريكا من قروض أو معونات لبعض الدول العربية أو الإسلامية ليس دليلا على احترامها للإسلام- كما يدعى الدكتور العميد- بل إن أمريكا لها أغراض أخرى من ورائها، يمكن الإشارة إليها في الآتي:

إنها تريد قرض ولائها وهيمنتها على من تحسن إليهم، وهذا يتناسق تماما مع مبدأ العولمة التي طرحتها أمريكا بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، ولست أدرى هل كان الدكتور العميد يعلم؟

أو لا يعلم أن أمريكا بعد توقف الحرب في البوسنة والهرسك وجاء دور بذل المعونات، لإعادة إعمار البوسنة، من الدول المانحة عام ١٩٩٨م كانت أمريكا هي الدولة المانحة الوحيدة، التي اشترطت على البوسنة والهرسك تخفيض تسعين ألفا من قواتها المسلحة حتى تعطيها أمريكا المعونة المتفق عليها!

بم يفسر ذلك الدكتور العميد؟ إن أدنى وأظهر تفسير له أن أمريكا تريد إضعاف القوة الدفاعية لدى أى دولة إسلامية أو عربية؟

ومن حسنات أمريكا عند الدكتور العميد أنها لولاها ما كانت مصر استعادت أرضها سيناء؟

حفظ العميد شيئا وغابت عنه أشياء. ومما غاب عنه أن إسرائيل احتلت سيناء، وغيرها من الأراضي العربية بالقوة عام ١٩٦٧م. وسيناء أرض مصرية معترف بها دوليا في قرار تقسيم فلسطين. ونسي العميد أو تناسى أن احتلال أراضي الغير بالقوة محظور حظرا باتا في مواثيق الأمم المتحدة. وأن على من احتل أرض غيره بالقوة أن يخرج منها بلا قيد ولا شرط.

هذا، وقد صدرت قرارات من هيئة الأمم تحتم على إسرائيل الخروج من الأراضي العربية التي احتلها بالقوة، لكن إسرائيل بمساندة أمريكا ضربت بقرارات هيئة الأمم عرض الحائط.

لذلك صممت مصر على خوض معركة مع إسرائيل لاستعادة أراضيها بالقوة فكانت حرب العاشر من رمضان السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣م.

ثم حدثت تداعيات فجرت مصر إلى طاولة المفاوضات بزعامة أمريكا. وكانت النتيجة أن اعترفت مصر بإسرائيل كدولة آمنة ذات سيادة، وتم تبادل التمثيل الدبلوماسي بين مصر وإسرائيل، وفتحت أبواب مصر الموصدة أمام إسرائيل وهو أمر ما كانت تحلم به أمريكا ولا إسرائيل.

فأمريكا لم يكن لها فضل على مصر حتى يذكرنا به الدكتور العميد، وإنما كان لها فضل على إسرائيل، حيث أوجدت أمريكا لإسرائيل كيانا معترفا به من الشرعية الدولية. فإذا كان الدكتور العميد يرى في ذلك فضلا فليذكر به إسرائيل، لأن إسرائيل هي الكاسبة لا مصر.

ثم ما تزال إسرائيل تحتل أراضي سوريا وفلسطين، التي احتلتها بالقوة المدعومة من أمريكا عام ١٩٦٧م، متحدية المجتمع الدولي كله وقراراته.

فأين فضل أمريكا علينا في هذا كله؟

ولماذا لم يذكر العميد ما حدث من أمريكا في أثناء حرب العاشر من رمضان السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣م، حين أفزعها جيش مصر البطل بتحطيمه خط بارليف في ست ساعات وتوغل في أرض سيناء.

ألم تمد أمريكا جسرا جويا بالأسلحة المتطورة لدعم إسرائيل قتاليا، وأن أرتال الدبابات الأمريكية خرجت من المخازن الأمريكية «لتنج» لم تستعمل قط، إلا بدءا من المطار الذي هبطت فيه إلى ميدان القتال، لإجهاض الزحف القتالي المصري، أهذا كان فضلا من أمريكا على مصر، أم إجهاضا لحربها التي أرادت منها تحرير أرضها؟

أغابت هذه الحقائق الصارخة عن الدكتور العميد؟ أم هي حاضرة في مخيلته؟ حتى ينسحب عليه قول الشاعر:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة
ولكن عين السخط تبدي المساويا

«يتبع»

الجيتو.. الجدار الإسرائيلى وعقدة اليهود

للدكتور / محمد حسن عبد الخالق

تابع العالم أجمع الأحداث المؤسفة التى قامت بها حكومة شارون مدعمة بجيشه لإبادة شعب أعزل، صاحب قضية عادلة، على مرأى ومسمع من العالم كله اهتزت له مشاعر الجميع دون أن يحرك أحد ساكنا.

وكل ما سمعناه لسنوات طويلة وعود براقة عن قيام الدولة الفلسطينية وفقاً لحدود ١٩٦٧م واتفاقيات دولية لم تنفذ إسرائيل منها أى بند يذكر.

والمذابح مستمرة فاقت أضعاف ما فعله النازى بهم، وهى سوابق إجرامية ليس لها مثيل فى بشاعتها، وقد شملت كل المدن الفلسطينية، وكان أبشعها فى «سوق جنين»، وقد صرح مبعوث الأمم المتحدة، بأن ما رآه فى جنين من جرائم يفوق الخيال، وتتذرع إسرائيل بعبارات جوفاء لا معنى لها مثل الأمن أولاً.

وجاءت أحداث الحادى عشر من سبتمبر فزادت الطين بله، ووجدت إسرائيل الفرصة سانحة واستغلتها لصالحها، كى تكون ضربة قاسمة للإسلام والمسلمين، فتحت عبارة «مكافحة الإرهاب» يباد شعب وهى العبارة التى تسعد أمريكا وتدفع لإسرائيل من أجلها الملايين وتبارك مذابحها، والآن أصبح اللعب على المكشوف، أمريكا تزود إسرائيل بأحدث الأسلحة لإبادة الفلسطينيين وتطلب من عرفات وقف المقاومة رغم حصاره.

وآخر ما تمخض عنه الفكر الشاروني عبارة «الطريق المحتوم» فعادت لاحتلال جميع مدن الضفة الغربية وإلغاء الإدارة الفلسطينية - وهو ما صرح به (عاموس يارون) مدير عام وزارة الدفاع الإسرائيلية، ضارباً عرض الحائط باتفاقات أوسلو ١٩٩٢ وما بعدها وقد تطلع العالم العربي ومعه الشعب الفلسطيني إلى نتيجة خطة «بوش» لحل المشكلة حلاً نهائياً وسعى الكثيرون إلى معرفتها من كونترول البيت الأبيض قبل إعلانها وإن كان واضحاً منذ البداية أن النتيجة لن تكون في صالح الفلسطينيين حتى بعد أن أوصى قادة العالم العربي الرئيس بوش بأن تكون النتيجة متوازنة.

وكانت الدلائل تشير إلى موقف بوش المتشدد من الفلسطينيين، وكانت تصريحاته المتوالية تُفصح عن مكنون صدره والتي كانت مستفزة لمشاعر العالم العربي مثل: «شارون رجل سلام»، «من حق إسرائيل الدفاع عن نفسها». «إنّ ما يفعله شارون هو تصفية للجيوب الإرهابية».

وكان جُرح أحداث الحادي عشر من سبتمبر لا يزال يدمي، ويُحمل الشعب الأمريكي الرئيس بوش تبعته.

وقد عمل اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة جاهداً على قلب الحقائق مدعماً بوسائل إعلامه للتأكيد على أن الجماعات الإسلامية والتي اتفقوا على تسميتها بالجماعات الإرهابية هي السبب في كل ما يحل بالعالم من خراب ودمار ويجب إبادتها، كما وصفوا أعمال المقاومة الفلسطينية المشروعة بأنها أعمال إرهابية، وتغاضوا عن طائرات الأباتشي الأمريكية والدبابات والمصفحات التي تبيد الأخضر واليابس والطفل والشيخ والمريض وتحصد خيرة الشباب الفلسطيني. والقاسم المشترك بينهم جميعاً هو عدم قيام دولة فلسطينية ذات سيادة، وكان ما يتسرب من أخبار في دهاليز الإدارة الأمريكية لا يبشر بخير.

وأعلنت النتيجة مبتورة في سابقة غير معهودة، وتوالت توابع النتيجة المعلنة لشن هجوم كاسح على ياسر عرفات، حيث يقول «كولن باول» وزير الخارجية الأمريكي: لقد طلب بوش صراحة تنحية عرفات لأننا لم نر منه ما يكفي!! وكم كانت فرحة إسرائيل بالنتيجة المعلنة. وأصبح واضحاً للعيان هدف أمريكا وإسرائيل، هو القضاء على رمز الدولة الفلسطينية. رمز المقاومة. رمز الثورة القضاء على ياسر عرفات مرة بحصاره في مقره وأخرى بالتهديد بإقصائه.

وبعد ذلك التهديد بعدم قيام دولة فلسطينية إذا أعاد الشعب الفلسطيني انتخاب عرفات.

وقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشكْ أن شارون مجرم حرب، لا يعرف غير لغة المدافع، ولا ينظر تحت قدميه، وليس له رؤى سياسية على وجه الإطلاق، وقد ألقى بالورقة الأخيرة في جعبته، وليس لديه ما يفعله أكثر مما فعل إزاء قرى فلسطينية بأكملها، مذابح جماعية، انتهك حرمة المساجد والكنائس وكل ما فعله وما ارتكبه جيشه من وحشية وإجرام كان تحت شعار «الأمن الإسرائيلي» أي أمن !! وهل حقق الأمن لشعبه؟ لا على وجه الإطلاق.

واعتقد أنه أحس بهذا، فراح يجتر العقدة الأبدية لليهود «الجيتو» وتمخض فكره المريض عن بناء أسوار عالية وتزويدها بأحدث تكنولوجيا

العصر من كاميرات تصور في الظلام وأسلاك مكهربة .. الخ أي تحويل دولتهم إلى جيتو حديث، «جيتو مودرن».

وهو يعلم جيداً أن شعبه سيرقص فرحا، فحياة الجيتو قد توارثوها عبر الأجيال وأصبحت من المكنونات الدفينة في النفس اليهودية.

وفي استطلاع للرأي نشرته جريدة «معريف» في عددها الصادر ٢١/٦/٢٠٠٢م أن ٦٩٪ من الإسرائيليين الذين شملهم الاستطلاع يؤيدون إنشاء جدار أمني على طول الخط الأخضر الذي يفصل إسرائيل والضفة الغربية، لأن هذا الجدار سيسمح بوضع ٨٠٪ من المستوطنين اليهود في الضفة الغربية تحت إشراف إسرائيل.

ونرجع إلى الوراء قليلاً فقد تتلمذ شارون على يد أستاذه الكاتب والمفكر الصهيوني «آشر جينزبرج» والذي اشتهر باسم «أحاد هعم» بالعبرية وهي تعني (واحد من الشعب) والذي كان يدعو إلى بناء جيتو روحي جديد للصهيونية «على أساس الجيتو الروحي القديم أي «اليهودية». ومن أقواله: ليس اليهود وحدهم هم الذين هجروا الجيتو، فاليهودية هي الأخرى قد هجرت الجيتو، وانصراف اليهود عن الجيتو قد تم في نطاق البلدان التي يعيشون فيها أما تداعي اليهودية فقد حدث عندما اصطدمت بالثقافة المعاصرة التي تقوض اليهودية من الداخل، وعلى ذلك فاليهودية لم تعد قادرة على الاستمرار في عزلتها ومواصلة حياتها الخاصة...

وإن اليهودية عندما تخرج من الجيتو تتعرض لخطورة افتقاد ذاتها أو على الأقل افتقاد الوحدة القومية اليهودية وعند ذلك ستتحول اليهودية إلى مختلف الأشكال المنفصلة المستقلة فتنتهي إلى التشتت الذي انتهى إليه اليهود»[1].

وهذا أبلغ دليل على أن اليهودية ثقافة «هشة ليس بها أي حضارة قط وهو بهذا يوجه دعوة صريحة لليهود للعودة إلى الجيتو مرة أخرى لأنه يرى به المكان الوحيد لحفظ الروح اليهودية والديانة اليهودية وهو الملاذ والأمان في الدنيا والآخرة. في الدنيا حافظ على روحه وفي الآخرة حمل معه اليهودية النقية التي تدخله الجنة. وكما هو معلوم لقد عاش يهود الغرب «الإشكانيزم» فعلاً في الجيتو المغلق.

وشارون هو سليل هذا الجيتو، وقد ثبت بما لا يدع مجالا للشك أن أفكارهم نتاج ردود فعل لحياة الجيتو وتركيبهم النفسي انعكاس لنفسية الجيتو الذي يتسم بالشعور بالاضطهاد والخضوع والإذلال ولذلك يلجأ إلى العزلة لحماية ذاته وأصبح «مركب الخوف» هو المركب النفسي السيكولوجي الموروث من تجارب الاضطهاد لدى اليهود[2].

ونرى هذا واضحاً حيث يقول الشاعر اليهودي «حاييم نحمان بيالك» في قصيدته:

«حقاً إن الشعب لعشب»

– حقا إنه لشعب ضائع مشتاق إلى العار والخزي

---

(١) يوري إيفانوف: إحذروا الصهيونية ص٥٠ عام ١٩٦٨م.

(٢) د. حسن ظاظا: الصهيونية العالمية وإسرائيل ص٥٩.

- لا أساس لأعماله ولا شرعية لأفعاله

- عاشوا آلاف السنين حياة التشرد وتحملوا الكثير من العبودية

- أصابتهم الحيرة والربكة وسط الشعوب الغربية

- تعلموا بالعصا والسوط حتى وإن كانوا يشعرون بالألم[٣].

ومهما أوتو من قوة فهم يشعرن بالدونية وقد أثبتت الأبحاث التي قام بها المتخصصون أن الشعور بالاضطهاد هو العنصر المميز للتكوين السيكولوجي الإسرائيلي.

وقد ورثوا الشعور بالحقد والكراهية نحو الآخرين طوال وجودهم بالجيتو وقد صور (برنر) هذا الشعور في كثير من أعماله الأدبية وفي أحد أعماله يصور هذا الشعور من جانب أسرة تجاه أسرة يهودية أخرى أما الأسرة الأولى فقد انتحرت ابنتها عندما تركها حبيبها وتزوج بأخرى ولما رأت الأم أن الأسرة تغني وترقص ولا تهتم بمشاعرها الحزينة، أخذت تبكي وتنتحب وتقول:

أواه، آلامي كبيرة.. هناك حياة وسعادة، ونحن متعففون... إنهم سعداء، وابنتنا الملاك تعفنت في القبر[٤].

والسؤال الذي يطرح نفسه كيف تحولت هذه الشخصية اليهودية الضعيفة المضطهدة المغلوبة على أمرها إلى وحش دموي كاسر؟

يرجع علماء النفس هذا التحول على أحداث المذابح النازية ضد اليهود «الهولوكست» حيث إن تفسير أي سلوك إنما يرتد إلى نمط علاقة الفرد بالآخرين أي نمط بناء الشخصية، وهذا يرتد في نهاية الأمر إلى ما يطلق عليه «هوية الذات» أو هوية الأنا وأن هوية الذات هي نتاج عملية التوحد بالآخرين.

بمعنى أن الصبية اليهود ومن كان منهم في أول شبابهم والذين قبض عليهم وعلى آبائهم في أوروبا وأودعوا معسكرات الاعتقال النازية أثناء الحرب العالمية الثانية، ثم أفرج عمن بقي منهم على قيد الحياة بعد هزيمة النازيين، أنهم توحدوا بجلاديهم النازيين»[٥].

وقد تولدت داخلهم نتيجة الخوف وتوهم الاضطهاد والتوحد بالمعتدي شعور عدائي تجاه العرب، وعليهم أن يقتلوهم ويبيدوهم ويسفكوا دماءهم وإلا سيكونون هم وفي وضع المعتدى عليهم، وسوف يعودون إلى حياة الماضي والذل والتنكيل.

وفي التراث الديني اليهودي أن مسيح اليهود لم يأت بعد ومازالوا ينتظرونه، وأنه سينقلهم إلى أرض الميعاد على نسر من حديد.

وقد عبر «حاييم نحمان بيالك» عن فقدان الأمل واليأس الشديد الذي انتاب اليهود لتأخر

---

(٣) حاييم نحمان بيالق: كل أشعاره. إصدار دافير - تل أبيب.

(٤) د/ مصطفى عبد الشافي: يوسف حاييم برز. ص ١٢.

(٥) سناء عبد اللطيف صبري: الجيتو اليهودي، ص ٣٦.

المسيح لينقذهم من الذل الذى يعيشون فيه، فى قصيدة بعنوان «آثار المسيح».

- لم يأت المسيح بعد.
- ولم يقترب يوم خلاصنا.
- لقد نفذ الدرهم الأخير من جيبنا.
- ونفذت أنفاسنا وصرنا جميعاً أمواتاً.
- لقد تحطمت كل النبوءات.
- التى نطق بها الحكماء وتنبأ بها الأنبياء.
- هل تحدثوا بالباطل وبثوا الأكاذيب.
- وإلا فلم إذن تأخر المسيح؟(٦).

وقد أخذت الصهيونية على عاتقها هذه المهمة، والمتدينون اليهود يرفضون هذا الطرح، وكانوا يتمنون أن يأتى مسيحهم ويحضرهم إلى فلسطين وكان خلاصهم على يد الصهيونية، أما دراهمهم التى نفدت من جيوبهم، فقد ملأتها أمريكا ذهباً.

وما يفعله شارون سليل الجيتو الأوروبى، لم يأت من فراغ ومهما بنوا من أسوار أنفقوا عليها المليارات الأمريكية، فلن يشعروا يوماً بالأمان والأمن، بل ستطاردهم أشباح قتلاهم الأبرياء وسيعودون إلى حياة الجيتو مرة أخرى حتى وإن كان مُكيفاً. وبه كل وسائل الترفيه وإذا نظرت إلى الجندى الإسرائيلى تراه يعيش داخل جيتو فى ملبسه، فى خوذته، فى سلاحه على دبابته وحتى إذا أراد أن يقتل عربياً أعزل اختبأ خلف جدار ورغم حذر اليهودى سوف ينطق الجدار ويشير إلى من خلفه كما وعد المصطفى ﷺ.

والحق سوف ينتصر إن لم يكن اليوم فغداً، وهناك ظواهر إيجابية إنسانية يشترك فيها البشر جميعاً وبدأت الأصوات المتعاطفة مع الفلسطينيين تعلو فى المحافل الدولية، حتى وإن كانت قليلة التأثير فهى مفيدة.

والغريب فى أمر هؤلاء القوم أنهم يكذبون حتى يصدقوا أنفسهم.

فيطلقون على هيكل سليمان الأول الذى بنى حوالى ٩٤٠ ق.م.

العبارة العبرية «هبيت هريشون» أى الهيكل الأول ق.م.

ويطلقون عبارة «هبيت هشينى» أى الهيكل الثانى ق.م الذى بنى حوالى ٥٢٠ ق.م.

ويطلقون عبارة «هبيت هشليشى» أى الهيكل الثالث ق.م كناية عن دولة إسرائيل التى أسست عام ١٩٤٨.

ومن يدرى ما تحمله الأقدار فقد يُدمر كما دمر الهيكلين السابقين، فلننتظر ماذا سيحل بهذا الهيكل الثالث

والسؤال الأخير:

هل استفدنا من التجربة؟ هل وعينا الدرس؟

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾(٧)

---

(٦) عبد الوهاب المسيرى: اليهودية والصهيونية وإسرائيل ص١٠٢.

(٧) الرعد (١١).

القوى الدينية في إسرائيل

للأستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد

فى الحقيقة أن ثمة خطوطاً أساسية ثلاثة تحدد الملامح المميزة للمجتمع الإسرائيلى، وهى الخط الدينى الذى يمثله المتدينون الذين يشكلون ٢٠٪ من سكان إسرائيل مقابل العلمانيين الذين تبلغ نسبتهم ٨٠٪ من سكان إسرائيل والخط الإثنى الذى يمثله اليهود الشرقيون (السفارديم) مقابل اليهود الغربيين (الاشكناز)، والخط الوطنى السياسى الذى يمثله المتطرفون التوسعيون مقابل المعتدلين.

والمعروف فى إسرائيل أن الطائفة الدينية اليهودية الرسمية هى طائفة المذهب الأرثوذكسى. ويقسّم بعض اليهود «الأرثوذكسية» إلى أرثوذكسية ذات ميول صهيونية وأخرى متشددة. فالأولى تنسحب على اليهود الأرثوذكس الذين يعترفون بالصهيونية وبدولة إسرائيل، وغالبيتهم من أنصار «الصهيونية الدينية»، ويمثلهم حزب «المفدال»، وهو الحزب الدينى القومى. والثانية هى «الأرثوذكسية المتشددة» وتُطلق على غلاة اليهود الأرثوذكس الذين لا يعترفون بالصهيونية، ويمثلهم حزب «اجودات إسرائيل» وحزب «شاس»، وحركة «نطورى كارتا» أى حراس المدينة، وهى تمثل الأصولية اليهودية. ومنذ عام ١٩٤٨ تنقسم المؤسسة الحاخامية الرئيسية إلى حاخاميتيْن برأس إحداها حاخام أكبر لليهود الشرقيين، والأخرى حاخام أكبر لليهود الغربيين، وقد اقتصرت سلطة الحاخام الأكبر على القضايا المتعلقة بإعفاء الفتيات من التجنيد، وطقوس تهويد من تحوم الشكوك حول يهوديتهم من المهاجرين الجدد، وأيضاً الإشراف على منح شهادات «كوشير» المتعلقة بالأطعمة، ومدى حليتها أو حرمتها وفقاً للشريعة اليهودية، بالإضافة إلى النظر فى مسائل الأحوال الشخصية من زواج وطلاق. وفى هذا الإطار يوجد حاخام أكبر للجيش الإسرائيلى وله صلاحيات كاملة فيما يختص باعتماد إعلان المفقودين - بعد فترة من غيابهم - كقتلى. كما تُعتبر الحاخامية العسكرية إدارة مستقلة تتبع رئيس الأركان مباشرة، وهى تقوم بدور إعلامى، سواء بتبرير أى عدوان لإزالة أى شعور بالذنب، قد يشعر به الجندى الإسرائيلى تجاه المدنيين الذين يتعرضون

للقتل دون أن يتمكنوا من الدفاع عن أنفسهم. وقد لوحظ - أثناء العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ - قيام الحاخام الأكبر في الجيش الإسرائيلي بتقديم نسخة من التوراة إلى قائد القوات المعتدية على سيناء، وخاطب جنود الاحتلال بقوله: «إنكم تطأون تراباً مقدساً، لأن في هذه الأرض تلقى مُعلِّمنا موسى الكتاب». وقد لعبت الحاخامية العسكرية دوراً مماثلاً في حرب ١٩٦٧ من خلال وجود حاخام خاص بكل كتيبة في الجيش الإسرائيلي. واللافت للنظر أنه برغم علمانية دولة إسرائيل فإن للأرثوذكسية اليهودية في إسرائيل نفوذاً كبيراً إذ تعبر عن هذه القوى الدينية أربعة أحزاب دينية هي حزب شاس، وحزب المفدال، وحزب ميماد، وحزب أجودات إسرائيل، وهي تشكل الذراع السياسي لها، بالإضافة إلى انتشار عدد من المستعمرات الدينية، ووجود أكثر من سبعة آلاف معهد ديني أرثوذكسي، وتهيمن المؤسسة الحاخامية الرئيسية على توجيه الشئون الدينية في إسرائيل، وتشرف أيضاً على المحاكم الحاخامية، وعلى أغلب المجالس الدينية في المدن، والكيبوتسات (المزارع الجماعية)، والموشافات، وهي المستعمرات التعاونية، إلى جانب سيطرتها على منظومة كاملة من النظام التعليمي الديني، وأيضا إسهامها في إنشاء العديد من «اليشيفوت» أي المعاهد الدينية التي يلتحق بها أبناء المتدينين. وجدير بالذكر أن المؤسسة الحاخامية الرئيسية هي مقر الأرثوذكسية الدينية في إسرائيل، وترفض الاعتراف بشرعية المؤسسات الدينية التابعة للطائفتين الإصلاحية والمحافظة، كما لا تكترث بالأحكام الصادرة منهما. وفي هذا السياق تمارس دار الحاخامية الأرثوذكسية سلطاتها على جميع اليهود في إسرائيل بلا استثناء، وترفض الخضوع لمراقبة السلطات القانونية والقضائية فيها، وتأبى الاستجابة لما تصدره محكمة العدل العليا من أحكام بدعوى أنه لا يحق للمحكمة العليا التدخل في مسائل هي من اختصاص الشرع الديني وحده. وفي هذا الإطار يمكن رصد ثلاثة توجهات داخل الأرثوذكسية اليهودية وهي:

التوجه الأول: يدعو إلى المحافظة على الأرثوذكسية نقية خالصة، والالتزام بتعاليم «الهالاخاه» أي الشريعة اليهودية، ويمثل هذا التوجه حركة «نطوري كارتا» أي حراس المدينة، التي ترفض الاعتراف بدولة إسرائيل وتنكر الصهيونية وتعتبر أن اليهودي الصالح لا يمكن أن يكون صهيونيا، كما أن الصهيوني لا يمكن أن يكون يهودياً صالحاً، وهذه الحركة تمثل الأصولية اليهودية في تشددها وتطرفها الديني، ويُقدَّر عددها بثلاثة آلاف نسمة حسب المصادر الإسرائيلية، ويعيش غالبية أعضائها في حي «مائة شعاريم» أي حي المائة باب، وتهدف هذه الطائفة المتشددة إلى غسل إسرائيل وتنظيفها من شوائبها الصهيونية والاتجاه بها إلى «حكم التوراة».

التوجه الثاني: يسعى إلى تأكيد وحدة الشعب اليهودي، مع المحافظة في نفس الوقت على أن تظل الأرثوذكسية، وتعاليمها لها اليد الطولى في توجيه المجتمع اليهودي في إسرائيل، ويمثل هذا التوجه حزب «أجودات إسرائيل» الذي شارك في العديد من الحكومات الائتلافية خاصة مع اليمين الصهيوني (الليكود) بعد عام ١٩٧٧، برغم عدائه السافر للصهيونية.

التوجه الثالث: يعترف بشرعية دولة إسرائيل، ولا يعارض الصهيونية، وقد تلقى هذا التوجه المساندة من جانب الحركة الصهيونية، ويمثل الآن حزب «المفدال» وهو الحزب الديني القومي الذي يُعبِّر عن «الصهيونية الدينية»، وهو متعاطف مع الاتجاهات العلمانية لدولة إسرائيل، وشارك بفاعلية في الحياة السياسية في إسرائيل، ويعرف هذا الحزب بأنه حزب المستوطنين المتطرفين الذين يرفضون أي تنازل عن الأراضي الفلسطينية المحتلة في الضفة الغربية وقطاع غزة.

ومن الملاحظ أن هذه التيارات الدينية الأرثوذكسية لا تهدف إلى تحويل إسرائيل إلى «دولة شريعة» لأن دولة الشريعة اليهودية لن تتحقق - في نظرهم - إلا بمجيء المسيح المخلِّص ليقيم مملكة إسرائيل، ولكنها تطالب الآن بإلحاح باحترام الدولة للشريعة اليهودية، وتحاول في نفس الوقت استغلال دولة إسرائيل لدعم مشاريعها الدينية والتعليمية والثقافية والاقتصادية. وتجدر الإشارة إلى أن المتدينين المتشددين في إسرائيل يمثلون شريحة دينية أكثر تطرفاً، ويبرز هذا التطرف على العديد من المستويات، فقد يسعى اليمين الديني اليهودي في تطرفه إلى إقامة «إسرائيل الكبرى» بحدودها التوراتية مع حرصه على أن تسمو التوراة على القانون. وقد يبلغ هذا التطرف في شدته إلى درجة عدم الاعتراف بدولة إسرائيل، تأسيساً على رفضه للصهيونية، وأيديولوجيتها التي تحكم توجهات المجتمع الإسرائيلي. وربما قد يصل التشدد مدى أبعد برفض السلام مع العرب، والتهرب من عملية السلام.

لكن هذه القوى الدينية، إدراكا منها لاتجاهات اللعبة السياسية عقدت العزم على اقتحام العمل السياسي، بمحاولاتها المشاركة في تشكيل الائتلافات الحكومية لفرض مطالبها فيما يتعلق بتطبيق الشريعة اليهودية في المجتمع الإسرائيلي بالإضافة إلى الحصول على تمويل لأنشطتها الدينية والثقافية والتعليمية.

ويمكن لنا أن نرصد نتائج انتخابات الكنيست (البرلمان) في الفترة من ١٩٩٢-١٩٩٩ كمؤشر على بيان تصاعد التيار الديني، واتساع نفوذه، وتغلغله داخل المجتمع الإسرائيلي كما يبدو ذلك فيما يلي:

- ففي انتخابات الكنيست الثالث عشر عام ١٩٩٢، بلغ عدد من لهم حق الاقتراع من المتدينين والعلمانيين ٢,٤٠٩,٠١٥ ناخباً، أدلى منهم بأصواتهم للأحزاب الدينية ٣٤٥,١٧٧ بنسبة ١٤,٣٪ من الأصوات، وحصلت الأحزاب الدينية نتيجة لذلك على ١٦ مقعداً في الكنيست البالغ عدد مقاعده ١٢٠ مقعداً.

- وفي انتخابات الكنيست الرابع عشر عام ١٩٩٦، بلغ عدد من لهم حق الاقتراع من المتدينين والعلمانيين ٣,٩٣٣,٢٥٠ ناخباً، أدلى منهم بأصواتهم للأحزاب الدينية ٥٩٨,٦٣٨ بنسبة ١٥,٢٪ من الأصوات، وحصلت الأحزاب الدينية نتيجة لذلك على ٢٣ مقعداً في الكنيست.

- وفي انتخابات الكنيست الخامس عشر عام ١٩٩٩، بلغ عدد من لهم حق الاقتراع من المتدينين والعلمانيين ٤,٢٨٥,٤٢٨ ناخباً، أدلى منهم بأصواتهم للأحزاب الدينية ٦٦٢,٨٥٦

بنسبة ٥ر١٥٪ من الأصوات، وحصلت الأحزاب الدينية نتيجة لذلك على ٢٧ مقعداً في الكنيست. وقد حصل حزب شاس المتطرف دينيا على ١٧ مقعداً بمفرده أما المقاعد العشرة الباقية فكانت من نصيب الأحزاب الدينية الأخرى وهي المفدال وميماد، وأجودات إسرائيل.

ويجدر ذكر أن المتدينين اليهود ينظرون إلى شارون على أنه الأفضل على ساحة العمل السياسي حيث أعلن في برنامجه الانتخابي عام ٢٠٠١ عن عدم تقسيم القدس، وبقائها موحدة، وإعلانها العاصمة الأبدية لإسرائيل، لذلك سعت الأحزاب الدينية في انتخابات ٢٠٠١ إلى حشد مؤيديها، وتعبئة أنصارها لانتخابه إذ صوّت أكثر من ٩٠٪ من المتدينين ضد «باراك»، فقد أدى مشروع «الثورة المدنية» - الذي طرحه «إيهود باراك» في الشهور الأولى لاعتلائه رياسة الحكومة عام ١٩٩٩ - إلى انخفاض شعبيته في أوساط المعسكر الديني، وصار هذا المشروع هو الورقة الرابحة التي استغلها «أريل شارون» لصالحه، بعد أن وعد المتدينين من الناخبين أنه في حالة فوزه في الانتخابات بإلغاء مشروع الثورة المدنية الذي سبق أن طرحه «باراك». هذا وقد اعتبرت المؤسسة الدينية الأرثوذكسية هذا المشروع تهديداً لسلطتها، وتأييداً لليهود الإصلاحيين والمحافظين، ويمثل في نفس الوقت دعماً للأحزاب العلمانية (العمل، الليكود، ميرتس، شينوي)، إذ يدعو هذا المشروع إلى سن قانون يراعي الأمور التالية:

- توحيد مناهج الدراسة في المدارس.

- فرض الخدمة العسكرية على الذين لا يؤدونها من المتدينين.

- إباحة الزواج خارج إطار المؤسسة الدينية الأرثوذكسية.

- إلغاء وزارة الأديان.

- السماح بتشغيل المواصلات العامة والطيران الإسرائيلي أيام السبت.

لذلك بدأ بروز الانشقاق الديني العلماني الذي يعاني ويلاته المجتمع الإسرائيلي، خاصة مع تعاظم نفوذ الأحزاب الدينية مثل شاس، والمفدال، وأجودات إسرائيل، وميماد، وتلهف الحزبيْن الكبيرين «العمل والليكود» على كسب ودها، والتلويح بالتحالف معها للحصول على أصوات أنصارها من المتدينين، وهذا ما أفرزته نتائج انتخابات ٢٠٠١، التي وصل فيها «شارون» إلى السلطة، فقد حصل حزب شاس السفاردي الأرثوذكسي المتشدد برياسة الحاخام «عوفيديا يوسف»، على خمس وزارات في حكومة شارون الحالية، وهي وزارات الداخلية، والعمل والرفاه، والأديان، وشئون القدس، والصحة. وبذلك يمثل حزب شاس القوة الحزبية الثالثة بعد العمل والليكود في إطار المنظومة الحزبية الإسرائيلية.

وأخيراً يمكن القول على وجه العموم أن هذه الأحزاب الدينية هي اللسان المُعبرّ عن القوى الدينية على المستوى السياسي، والتي يتنافس مرشحوها، سواء لعضوية الكنيست الإسرائيلي، أو رياسة الحكومة، على إرضائها بشتى الوسائل لنيْل تأييدها، خاصة أن هذه القوى الدينية تهيمن على قطاع كبير من سكان إسرائيل، بفضل تأثيرها الديني والروحي، الذي يفرض احترام الجميع لها.

طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

نصيحة

عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: إذا رأيتم أخاكم ذا ذلة فقوموه، وسددوه وادعو الله أن يرجع به إلى التوبة فيتوب عليه، ولا تكونوا أعوانا للشيطان على أخيكم.

لعنه الله.. كثير الأسماء قليل القيمة

حكى أن أعرابياً اصطاد سنوراً، فرآه شخص، فقال: ماتصنع بهذا القط؟ ولقيه آخر فقال: ماتصنع بهذا الخيدع؟ ولقيه آخر فقال: ماتصنع بهذا الخيطل؟ ولقيه آخر فقال: ماتصنع بهذا الهر؟ قال: أبيعه، قال له: بكم؟ قال: بمائة درهم، فقال له: إنه يساوى نصف درهم. فرمى به، وقال: لعنه الله ما أكثر أسماءه وأقل قيمته.

سبعة لاينبغي لصاحب لب أن يشاورهم

جاهل، وعدو، وحسود، ومراء، وجبان، وبخيل، وذو هوى، فإن الجاهل يضل، والعدو يريد الهلاك، والحسود يتمني زوال النعمة، والمرائي واقف مع رضا الناس، والجبان من رأيه الهرب، والبخيل حريص على جمع المال، فلا رأى له في غيره، وذو الهوى أسير هواه فلا يقدر على مخالفته.

الناس فى الخير

الناس في الخير أربعة أقسام: منهم من يفعله ابتداءً، ومنهم من يفعله اقتداءً، ومنهم من يتركه حرماناً، ومنهم من يتركه استحساناً. فمن فعله ابتداءً فهو كريم، ومن فعله اقتداءً فهو حكيم، ومن تركه حرماناً فهو شقي، ومن تركه استحساناً فهو دنئ.

لأى حكمة خلق الله الذباب؟

كان المنصور جالساً فالح عليه الذباب حتى أضجره، فقال: انظروا من بالباب من العلماء؟ فقالوا: مقاتل بن سليمان فدعا به، ثم قال له: هل تعلم لأى حكمة خلق الله الذباب؟ قال: ليذل به الجبابرة، قال: صدقت. ثم أجازه.

قلت ذلك حين سكتت

شهد رجل عند ابن شبرمة، فرد شهادته، وقال: بلغنى أن جارية غنت، فقلت لها: أحسنت فقال: قلت ذلك حين ابتدأت أو حين سكتت؟ فقال: حين سكتت، قال: إنما استحسنت سكوتها أيها القاضى.

رسالة

كتب سفيان بن سعيد إلى محمد بن عبدالرحمن- رحمهما الله- رسالة جاء فيها: (سلام عليك فإنى أحمد إليك الله الذى لاإله إلا هو، وأوصيك بتقوى الله، فإنك إن اتقيت الله كفاك الناس، وإن اتقيت الناس فلن يغنوا عنك من الله شيئاً، فعليك بتقوى الله).

لا تلمه

قال محمد بن الحنفية: لا تلم من لا قوت له على طلب قوته، فبعدمه عدم عقله، وضجر نفسه وملّه أهله، وكان أكثر كلامه عليه لا له، فإن كان عالماً جهلوه، وإن كان أديباً نبذوه، لا يسمع كلامه، ولا يعرف مقامه، ويبغضه أهله وجيرانه.

صديق إبليس

قال إبليس - لعنه الله -: ثلاث من كن فيه أدركت حاجتى منه: من استكثر علمه، ونسى ذنبه، وأعجب برأيه.

حقا

شتم بعض السفهاء «سقراط» فاستأذنه تلامذته فى جوابه فقال: ليس بحكيم من أذن فى الشر.

دعاء

اللهم إنا دعوناك كما أمرتنا، فاستجب لنا كما وعدتنا، إنك لاتخلف الميعاد. ربنا ظلمنا أنفسنا، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

الحلم والصفح

من صفات الرسل والأنبياء

لفضيلة الشيخ / فوزي الزفزاف

الحلم من أجل صفات الفضائل وأعظمها، وأعلاها منزلة وأسماها قدراً، لأنه يدعو صاحبه إلى التحكم في غضبه وانفعاله، ويهديه إلى التفكير بروية في اتخاذ قراره، فيكون لباس السكينة والوقار، والرزانة والرصانة، وبذلك يحافظ الحليم على سلامة العشرة، وعلى بقاء صلة المودة بينه وبين الناس، وينجح في استقطاب عدوه وتوجيه سلوكه إلى ترك الشر وفعل الخير الذي يرتد أثره وينعكس على صلاح نفسه وصلاح المجتمع...

وإذا كان التحلي بصفة الحلم أمر مطلوب للإنسان على وجه عام، لأن الحلم يرفع من شأن صاحبه، ويعلي منزلته، ويعمل على انتشار الحب في المجتمع، ويعمم حسن المعاملة بين الناس، فإن الرسل والأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - كانوا قدوة حسنة، ومثالاً طيباً، ونموذجاً يحتذى في التحلي بصفة الحلم، وكانت تلك الصفة بالنسبة لهم عاملاً أساسياً من عوامل نجاح مهمتهم في أداء رسالتهم التي كلفهم الله - عز وجل - بها.

يقول الله تعالى:

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١١٣) وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾(١).

(١) التوبة (١١٣، ١١٤).

فيصف القرآن الكريم سيدنا إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ بأنه كان حليماً، ويؤكد تلك الصفة لسيدنا إبراهيم بأسلوب التوكيد المؤكد بأكثر من أداة توكيد «إن، واللام، وصيغة المبالغة»، قال الألوسي ـ رحمه الله ـ: قوله: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ أي لكثير التأوه، وأصل التأوه قوله: آه ونحوه مما يقوله الحزين... وهو عند جماعة كناية عن كمال الرأفة، ورقة القلب، وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما عن عبدالله بن شداد قال: قال رجل: يا رسول الله ما الأواه؟ قال: «الخاشع المتضرع الكثير الدعاء».

وقد بينت هذه الآية الكريمة السبب الذي حمل سيدنا إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ على الاستغفار لأبيه، ثم على ترك هذا الاستغفار بعد ذلك، لأن استغفاره له إنما كان بسبب وعد من سيدنا إبراهيم لأبيه، كما جاء في القرآن الكريم من قوله له:

﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾(٢)

وقوله:

﴿ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ﴾(٣)

فلما أصر ـ آزر ـ أبو سيدنا إبراهيم على كفره، ومات مشركاً بالله تبرأ سيدنا إبراهيم منه ومن عمله، وترك الاستغفار له.

وفي سورة أخرى من سور القرآن الكريم يقول الله ـ عز وجل ـ:

﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٦٩) فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ (٧٠) وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ (٧١) قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (٧٢) قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ (٧٣) فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ (٧٤) إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ (٧٥) يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾(٤).

فتؤكد هذه الآيات ـ مرة أخرى ـ وصف سيدنا إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ بأنه كان حليماً، وتؤكد ـ أيضاً ـ تلك الصفة لسيدنا إبراهيم بأسلوب التوكيد المؤكد بأكثر من أداة التوكيد «إن، واللام، وصيغة المبالغة».

ووصف سيدنا إبراهيم بالحلم في قوله سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾

بيان للدواعي التي حملت سيدنا إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ على مجادلة الملائكة في شأن إهلاك قوم لوط، لأن الحليم هو: الصبور على الأذى، الصفوح عن الجناية، المقابل لها بالإحسان، والأواه هو: الذي يكثر التأوه من خشية الله، والمنيب هو: السريع الرجوع إلى الله ـ تعالى ـ بالتوبة والاستغفار، أي أن إبراهيم لصبور على الأذى، صفوح عن الجناية، كثير التضرع إلى

---

(٢) مريم (٤٧). (٣) الممتحنة (٤). (٤) هود (٦٩ : ٧٦).

الله، سريع الرجوع إليه في كل ما يحبه ويرضاه، وبسبب ذلك جادل سيدنا إبراهيم الملائكة وحاورهم في شأن إهلاك قوم لوط طالبا إمهال عقوبتهم.. غير أن رد الملائكة كان الطلب من سيدنا إبراهيم بالإعراض عن هذا الجدال في أمر قوم لوط، وفي طلب إمهال عقوبتهم لأنه قد جاء أمر ربك بإهلاكهم بسبب إصرارهم على ارتكاب الفواحش، وهذا الأمر غير مردود لأن قضاء الله لا يرد عن القوم المجرمين.

يقول فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر(*): وقد ذكر الشيخ القاسمي بعض الفوائد والأحكام التي أخذها العلماء من هذه الآيات فقال: قال بعض المفسرين لهذه الآيات ثمرات وفوائد:

منها: أن حصول الولد المخصص بالفضل نعمة، وأن هلاك العاصي نعمة - أيضاً - لأن البشرى قد فسرت بولادة إسحق لقوله: ﴿ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ ﴾ وفسرت بهلاك قوم لوط، لقوله:

﴿ قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴾.

ومنها: استحباب نزول المبشر - بالكسر - على المبشَّر - بالفتح - لأن الملائكة أرسلهم الله - تعالى - لذلك.

ومنها: أنه يستحب للمبشر أن يتلقى البشارة بالشكر لله - تعالى - على ما بشر به، فقد حكى عن الأصم أنه قال: جاؤوه في أرض يعمل فيها، فلما فرغ غرز مسحاته وصلى ركعتين.

ومنها: أن السلام مشروع، وأنه ينبغي أن يكون الرد أفضل لقول إبراهيم «سلام» بالرفع وهو أدل على الثبات والدوام.

ومنها: مشروعية الضيافة، والمبادرة إليها، واستحباب مبادرة الضيف بالأكل منها.

ومنها: استحباب خدمة الضيف ولو للمرأة، لقول مجاهد: وامرأته قائمة: أي في خدمة أضياف إبراهيم.. وخدمة الضيفان من مكارم الأخلاق

ومنها: جواز مراجعة الأجانب في القول، وأن صوتها ليس بعورة.

ومنها: أن امرأة الرجل من أهل بيته، فيكون أزواجه ﷺ من أهل بيته.

ومنها: كما يقول الإمام ابن كثير - استدل على أن الذبيح هو إسماعيل لا إسحق، وأنه يمتنع أن يكون هو إسحق، لأنه وقعت البشارة به، وأنه سيولد له يعقوب، فيكف يؤمر إبراهيم بذبحه وهو طفل صغير، ولم يولد له بعد يعقوب الموعود بوجوده، ووعد الله حق لا خلف فيه؟، فيمتنع أن يؤمر بذبح إسحق والحالة هذه، فتعين أن يكون الذبيح إسماعيل، وهذا من أحسن الاستدلال وأصحه.

ويستمر القرآن الكريم في وصف الرسل والأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - بالتحلي بصفة الحلم، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على كمال صفة الحلم، وعلى حث الإسلام على التخلق بتلك الصفة الحسنة الجميلة.

يقول الله - تعالى -:

(*) التفسير الوسيط المجلد السابع ص ٢٤٤.

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ (٨٤) وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٨٥) بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ (٨٦) قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ (٨٧) قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾(٦).

كان النبي ـ ﷺ ـ إذا ذكر شعيب ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال: «ذلك خطيب الأنبياء»(٧) لحسن مراجعته لقومه، وقوة حجته، وقدرته على النصح والإرشاد، وتحمله سخرية قومه منه، وتحليه بصفة الحلم وسعة الصدر.

ففي الآيات الكريمة نجد سيدنا شعيباً ـ عليه الصلاة والسلام ـ يبدأ دعوته بأمر قومه بعبادة الله ـ تعالى ـ وحده، فإنه لا إله لكم على الحقيقة سواه، فهو الذي خلقكم، وهو الذي رزقكم، وهو الذي إليـــه مرجعكم..، ثم ينهاهم عن أبرز الرذائل التي كانت منتشرة في مجتمعهم وهو نقص المكيال والميزان عند الأخذ وعند الإعطاء، فيخاطبهم: لا تعطوا غيركم أقل من حقه إذا بعتم، ولا تأخذوا منه أكثر من حقكم إذا اشتريتم، ثم يبين الأسباب التي حملته ودعته إلى أمر قومه بعبادة الله والإيمان به، وإلى نهيه لهم عن نقص المكيال والميزان، وإلى طلبه منهم التزام العدل في معاملاتهم ـ مستعملاً أسلوب الترغيب والترهيب ـ فيقول لهم: إنه يراكم بخير تملكون المال الوفير، وتعيشون في رغد من العيش، وفي بسطة من الرزق،... ومن كان كذلك فمن الواجب عليه أن يقابل هذه النعم بالشكر لواهبها وهو الله ـ تعالى ـ وأن يستعملها استعمالاً يرضيه، وأن يعطي كل ذي حق حقه..، ثم يخوفهم ويرهبهم ـ إن هم استمروا في كفرهم بالله وظلمهم الناس في معاملاتهم ـ من عذاب يوم أهواله وآلامه شاملة لكل ظالم لا يستطيع أن يهرب منها، ولا يجد له ملجأ ولا مهرباً...، ثم ينهاهم نهياً عاماً عن الإفساد في الأرض، ويحذرهم من البطر والغرور، واستعمال نعم الله في غير ما خلقت له... ويرشدهم ـ مستعملاً أسلوب الترغيب مرة أخرى ـ إلى أن ما عند الله خير وأبقى مما يجمعونه عن الطريق الحرام، وأن الرزق الحلال مع الإيمان والاستقامة خير لهم من المال الكثير الذي يجمعونه عن طريق الفساد والظلم وبخس الناس أشياءهم، ثم ينبههم على أن الالتزام بتنفيذ هذه الخيرية، وإبقاء الله على نعمه لهم لا يتم إلا مع الإيمان والتصديق برسالته...، ثم يعود ـ مستعملاً أسلوب الترهيب مرة أخرى ـ فيحذرهم من مخالفة دعوته بأنه ليس عليهم بحفيظ بعد أن أدى ما عليه من بلاغ.

ولكن ماذا كان رد قوم شعيب عليه؟

«يتبـــع»

---

(٦) هود (٨٤ : ٨٨).

(٧) المستدرك ٢/٥٦٨.

الإسلام .. والحياة

للدكتور / حسين عباس الأنصاري

الإنسان برغم ما وهبه الله من نعمة العقل والفكر والقدرة على الاختيار، إلا أنه قاصر عن توجيه نفسه بنفسه إذ لا بد من قوة عالمة عليا تنير له الطريق، وتضع له منهج حياته، وقد وضع هذا منهج في رسالة الإسلام. فالإسلام هو عقيدة أنبياء الله ورسله جميعا، وعقيدة الصالحين، وهو صفة أهل الجنة وشرط لدخولها.

فأبو الأنبياء إبراهيم - عليه السلام - يحكي عنه القرآن، وعن ابنه إسماعيل عليهما السلام:

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾(١).

ونوح - عليه السلام- يقول لقومه:

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾(٢).

ويوسف - عليه السلام - يحكي عنه القرآن قوله: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾(٣).

وموسى - عليه السلام - يرشد قومه كما يحكي القرآن:

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾(٤).

وسليمان - عليه السلام - مع ما كان عليه من ملك لم يؤته أحد من بعده حيث سخر الله له الرياح والجن وعلمه منطق الطير كان مسلما ويتجلى ذلك واضحا في قول ملكة سبأ: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(٥)

(١) البقرة (١٢٨). (٢) يونس (٧٢). (٣) يوسف (١٠١).
(٤) يونس (٨٤). (٥) النمل (٤٤).

وسيدنا - عيسى عليه - السلام المبشر برسولنا ﷺ هو من المسلمين أيضا حيث يقول القرآن العظيم:

﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾(٦).

والجنة هي جزاء المسلمين، لأن معنى الإسلام هو الانقياد لله والتسليم بأمره ونهيه وعدم الشرك به سبحانه، لأن الشرك بالله يحبط الأعمال مهما كانت تحمل في ظاهرها من خير. يقول سبحانه:

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾(٧).

﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾(٨)

ويقول:

﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾(٩).

هذا هو الإسلام الذي ارتضاه الله دينا لجميع خلقه وجعل الفوز في الآخرة معلقا به، فهو سفينة النجاة، لأنه يحمل لبني البشر كل ما يسعدهم في الدنيا والآخرة. يقول سبحانه:

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾(١٠).

ويقول سبحانه:

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾(١١)

هذا هو قضاء رب العزة وحكمه، فهو منزل الرسالات ومرسل الرسل ولأنه واحد متفرد فلا بد أن تكون العقيدة التي يرتضيها للناس واحدة فهي ليست دين إبراهيم، ولا دين يوسف، ولا دين موسى، ولا دين عيسى، ولا دين محمد- عليهم جميعا أفضل الصلاة والتسليم- ولكنها عقيدة الإسلام المتمثلة حاليا في الرسالة الخاتمة العامة التي أنزلت على محمد ﷺ النبي الخاتم. وهي جماع الرسالات كلها. فما هي أهمية الإسلام لحياة الناس؟ هذا ما سنحاول الإجابة على بعضه في السطور التالية بحول الله وقوته.

العقيدة

العقيدة أو الاعتقاد أو التدين أمر فطري وهام في حياة الإنسان لكن هذه المعاني وتصوراتها تختلف من شخص إلى آخر، ومن بيئة إلى أخرى. ولن يستطيع العقل البشري أن يصل إلى العقيدة الصحيحة من تلقاء نفسه، لكنه قد يقترب منها إذا كان حسه صافيا وفطرته على سجيتها.

ومن هنا كان إرسال الرسل ضروريا لتوجيه الناس نحو القضية الصحيحة وتعريف الخلق بخالقهم، وهو الواحد الأحد، حتى يتجهوا نحو التوحيد الخالص.

وهكذا رسالات رسل الله جميعا جاءت لتوجه الناس إلى الإيمان بالله الواحد الذي لا

---

(٦) آل عمران (٥٢).
(٧) الزخرف (٦٩، ٧٠).
(٨) الفرقان (٢٣).
(٩) الزمر (٦٥).
(١٠) آل عمران (١٩).
(١١) آل عمران (٨٥).

شريك له ولا مثيل، والذى يتصف بجميع صفات الكمال، ويتنزه عن كل صفات النقص. وكيف يكون إلها، خالقا، رازقا من يتصف بأى صفة من صفات النقص، مثل الجهل والعمى والعجز والموت والفناء. وكل من عُبد من دون الله من ملك أو جن أو إنسان أو حيوان أو جماد كان متصفا بجميع صفات النقص وليس ببعضها. وبما أن رسالة الإسلام هى الرسالة الخاتمة وهى تشمل جميع الرسالات السماوية فى جوهرها، فهى تركز على هذه الحقيقة - حقيقة الإيمان بالله الواحد الأحد وتُكوِّن العمود الفقرى فى منهجها. وأول آية نزلت فى الدستور الإسلامى هى قوله تعالى:

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾(١٢).

فهى تلفت الأنظار والعقول إلى المعبود بحق ﴿ رَبِّكَ ﴾ وأنه هو الخالق، ولا خالق سواه.

وسورة الإخلاص أو سورة التوحيد توضح رسالة الإسلام بلا لبس وقد نزلت حينما سُئل رسول الله ﷺ عن الله:

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾(١٣).

فهذا هو جوهر رسالة الإسلام وهى تنفى عقائد تعدد الآلهة، كما كان فى بعض المعتقدات القديمة، حيث كان هناك إله للخير وإله للشر وإله للحب وإله للريح والمطر إلى آخر هذه العقيدة الفاسدة. كما أنها تنفى النفع والضر لغير الله. كما أن هذه السورة العظيمة التى تعدل ثلث القرآن كما أخبر بذلك ﷺ تنفى عقيدة التثنية أو التثليث فى ذات الله فهو واحد أحد لم يلد لأنه واحد ليس له صاحبة، ولم يولد لأنه أزلى وليس بحادث.

هذه هى عقيدة التوحيد فى رسالة الإسلام والتى تمثل جوهر الرسالات السماوية كلها، فما هو أثر هذه العقيدة فى حياة الفرد والأمم؟؟

حينما يؤمن الإنسان بوجود إله واحد متصف بجميع صفات الكمال والجلال والجمال، وأنه لا يرى هذا الإله بعينيه وإنما يراقب وجوده بقلبه فإنه لن يخشى سواه، وبذلك يصبح حائزا الحرية الإنسانية. كما أرادها له خالقه، فهو ليس مستعبداً لأحد لأنه يعلم أن الله هو الرازق وهو النافع الضار وأنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له، وبذلك ينطلق فى الحياة نافعاً لنفسه ونافعاً لغيره من بنى جنسه وإخوته فى الإنسانية، ينتج ويبدع لأن ذلك يرضى عنه ربه ويجعله يستمتع بحياته دون خوف أو قلق.

كما أن المؤمن بالله الواحد يُحسن عمله ويتقنه فى مجالات حياته، سواء كان ذلك فى بيته أو فى مصنعه أو فى حقله لأنه يؤمن أن الله يراه.

وإذا ما أتقنت الأعمال بوازع من عقيدة الإنسان فلن تجد مجتمعا أسعد من ذلك المجتمع.

كما أن صاحب العقيدة لا يظلم أحدا ولا يقبل أن يظلمه أحد دون وجه حق، سواء كان هذا الظلم فى النفس أو المال أو العرض.

---

(١٢) العلق (١)

(١٣) الإخلاص.

وبذلك يوجد المجتمع الآمن المتحاب الذى يجمع بين خيرى الدنيا والآخرة، فالمؤمن يُحسن دنياه لتكون آخرته حسنة.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾(١٤).

والعمل لا يكون إلا فى الدنيا، أما جزاء هذا العمل فهو فى الأخرى حينما تقف الخلائق بين يدى رب العالمين. وكما قال سبحانه:

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾(١٥).

فهذه أعمال أدوها فى الدنيا ابتغاء وجه الله وشكرا له على بعض نعمه فجزاهم عنها سبحانه بالجزاء الأوفى.

ولولا العقيدة الثابتة ما هاجروا وتركوا أوطانهم وقبلوا الإخراج من ديارهم، ولما قبلوا الإيذاء الذى منعهم من الاستمتاع بالحياة الدنيا بعضا من الزمن، ولما أجهدوا أنفسهم فى القتال وعرضوا أرواحهم للهلاك دفاعا عن الحق ودفاعا عن حرية الآخرين فى الاعتقاد الصحيح، لكنهم فعلوا كل ما فعلوا طاعة لبارئهم وإيمانا بعدله وطمعا فى فضله، ولولا هذه العقيدة الراسخة لتشبثوا بهذه الحياة الدنيا لأنها هى عالمهم الضيق فهم لا يرجون بعثا ولا نشورا ولا يعتقدون فى ثواب أو عقاب كما هى عقيدة الملحدين.

فالعقيدة الحقة التى جاء بها الإسلام وجاءت بها جميع الرسالات السماوية السابقة هى سر الصلاح والفلاح، وهى التى تنشئ المجتمع السعيد.

وإذا نظرنا إلى عالم اليوم فإننا نجده عالما مليئا بالأحقاد والأضغان كما أنه ملىء بالظلم والجور تطغى عليه أطماع المادة التى بسببها تنشب الحروب وتسيل الدماء، وتخرب الديار ويتكاثر عدد الجوعى والمرضى تكاثرا رهيبا فى عالم اليوم، وما ذلك إلا لغياب العقيدة الصحيحة التى وجه الله الناس إليها ووضع أسسها فى رسالة الإسلام. فالعقيدة السليمة تعمل عملها فى النفوس وينصلح بها أمر الدنيا والأخرى على السواء.

***

(١٤) الزلزلة (٧، ٨).

(١٥) آل عمران (١٩٥)

أضواء علمية على شعيرة إسلامية:

حكمة الإسلام فيما حرّم من الطعام

للأستاذ الدكتور/ عفيفي محمود عفيفي (*)

الطعام هو مادة بناء أجسامنا وأجسام غيرنا من الكائنات الحية، كما أنه هو الوقود مصدر الطاقة التى تدور بها عجلة الحياة فى كل كيان فيستمر سريان روح الخالق فيه.. ومهما اختلفت صور الأطعمة فإن مكوناتها لن تخرج عن عناصر الماء والتراب الأرضى التى نعلم عن يقين أنها هى أيضاً مادة الأساس فى بناء أجسامنا وأجسام ما نأكله من نبات وحيوان.. ولعل هذا التجانس المادى بين الطعام والمطعوم هو أحد أسباب الانسجام الذى يكمن وراءه سر الاشتهاء، وهو غريزة يشترك فيها الإنسان مع الحيوان، ولكن الذى خلقهما وأودع فيهما هذه الغريزة فضل الإنسان على الحيوان.. وهذا التفضيل هو جوهر تكريم الله للإنسان بأن منحه شرف التكليف، وأول مظاهره أن حرم عليه بعض ما تنازعه إليه نفسه من مطالبها المباحة أصلا فيأتيه فيقطع بذلك الخيط الرفيع بين الحلال والحرام.

حرية الفكر: أحد جناحىّ الإسلام

● من مظاهر تكريم الله للإنسان وتفضيله على غيره من المخلوقات: أنه - سبحانه - قد استخلفه فى الأرض وسخرها له بما فيها من ثروات وكنوز ومصادر قوة، وأمره بأن يمشى فى مناكبها ويأكل من طيبات رزقه الذى أودعه فيها.. ثم ابتلاه، بأن حرّم عليه بعض ما تدفعه إليه [نفسه] والرغبة فى التملك وغيرهما من الغرائز.. وفى مقابل ذلك أعانه على النجاح فى هذا الامتحان - الذى أعفى منه الحيوانات - بأن وهبه العقل ليميز الخبيث من الطيّب، وسلّحه بالإرادة ليختار ما يشاء، ومنحه القدرة على التحكم فى غرائزه

(*) كاتب المقال: أستاذ علم الحيوان بكلية العلوم بجامعة المنصورة، وخبير لجنة علوم الأحياء والزراعة بمجمع اللغة العربية بالقاهرة.

وتوظيفها وفقا للإرادة العليا - إرادة الله الذى خلقه وخلقها فيأخذ ما أحل الله له ويجتنب ما حرّم عليه.. ليكون فى النهاية جديرا بشرف الاختلاف فى الأرض، وأهلا لعبادة مستخلفه بكل جوارحه وجوانحه: عبادة تستمد تكاملها من تكامل الدين الذى بعث الله به أكرم رسله، وارتضاه لأفضل الأمم حيث يقول سبحانه:

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾(١).

● ويتصور مُسَطّحو الفكر أن أعماق الإسلام كديانة تنتهى عند مستوى ما يوحى به هذا اللفظ فى أذهانهم من معانى الاستسلام بما يتضمنه من تعطيل للفكر والتدبّر ونكوص عن تقصّى الأسباب.. وهم فى ذلك غافلون - أو متغافلون - عن حقيقة أن القرآن - الذى أنزل على نبىّ الإسلام حافل بالآيات التى تحث على - إعمال العقل والمنطق فى تدبّر كل القضايا وفى مقدمتها قضية الإيمان ذاتها. ولهذا فالمسلم الحق إنما هو مؤمن عاقل يحتم عليه إيمانه استعمال أعز ما وهبه الله - وهو العقل - فى تدبّر ما يقرأ من آيات الله - سبحانه: سواء فى كتابه المسطور - وهو القرآن - أم فى كتابه المنظور وهو الكون.. على أن تقصّى حكمة الله فى التحريم يجب أولا أن يكون مقرونا بالتسليم بحتميته وثانيا: محكوما بالنص القرآنى الذى نزل بشأنه، وبهذا الالتزام تيقّن الراسخون فى العلم من أن الحكمة فى التحريم تبدو لنا ذات أقطار متفرقة ولكنها جميعا تلتقى فى مركز الدائرة حيث يكمن إخلاص العبودية لله.

تمحيص الإيمان: أعدادا لحمل الأمانة

.. وهذا ثابت من أول حالة تحريم فى تاريخ البشرية: تلك التى نهى الله فيها آدم وزوجه عن الاقتراب من شجرة معينة دون غيرها من أشجار الجنة، كما تخبرنا بذلك الآية رقم ٣٥ من سورة البقرة حيث يقول أصدق القائلين:

﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

● ولقد كان تكرار ورود هذا الحدث التاريخى فى الكتب السماوية عامة وفى القرآن الكريم خاصة حافزا أغرى كثيرا من المستشرقين من أبناء الغرب والمستغربين من أبناء الشرق (ومنهم من ينتمى للإسلام) أغراهم بالتحليل والتأويل حول طبيعة هذه الشجرة وعلاقة الأكل منها بكشف العورة وإيقاظ الغريزة الجنسية ونشأة القدرة التناسلية وغير ذلك مما يوجب على كل مؤمن أن يربأ بفكره عن الانسياق وراءه أو الخوض فيه.. والأكرم لنا هو الالتزام بجوهر القضية وبالحقائق الثابتة التى لا يختلف عليهما اثنان من المفكرين أيا كانت عقيدتهما، ونكتفى بحقيقتين:

الحقيقة الأولى: هى أن الطعام المنهىّ عنه فى جميع الكتب السماوية لم يكن صيدا ولا ذبيحة، بل كان من خارج عالم الحيوان: كان شجرة مما تنبت الأرض، ومعنى ذلك أن النوع البشرى قد بدأ حياته على الأرض نباتىّ التغذية، وهذه الحقيقة التى أوحى بها إلى نبى الإسلام فى القرن السابع الميلادى لم يهتد إليها علماء التاريخ الطبيعى إلا بعد ذلك بألف ومئتى عام.

---

(١) المائدة (٣).

* **والحقيقة الثانية**: هي خلو الكتب السماوية من أية إشارة إلى نوعية الشجرة المحرمة أو طبيعتها أو علاقتها بما نتج عن أكلها، مع أن الله - سبحانه - قد علم آدم ما لم يُعلِّمه ملائكته، وأمرهم بالسجود له، ولكنه شاء أن يُخفي عنه هذا السر ليمتحن صدق إيمانه الغيبيّ، وقدرته على ردع نفسه عما نهى الله عنه ومخالفة عدوّهما إبليس الذي حذره الله من وسوساته التي ظل ينفثها في صدره وصدر زوجه (وقد جعل الله بينهما المودة).. وإذن فالحكمة من التحريم هي تنقية معدن عبوديّتهما لله وتمحيص إيمانهما به، بإدخالهما في امتحان يعلم الله نتيجته قبل إجرائه، ولكنه شاء أن يعطي عبده الفرصة ليختبر نفسه بنفسه ويتعلم بطريقة تنفع ذريته من بعده (وهي طريقة المحاولة والخطأ)، وأن يمارس المعصية، ويعايش الشعور بالندم عليها، ثم يتذوق حلاوة التوبة بعد أن يقبل الله استغفاره الذي أوحى به إليه.. وكل هذه كانت خطوات لما نسميه الآن «دورة تدريبية» لإعداد كيان الإنسان إعداداً يؤهله لرسالة استخلافه في الأرض، وتكليفه بعمارتها بوصفها مزرعة للآخرة.

تلوث الطعام نتيجة للتلوث العقائدي

* وعلى الأرض تناسل آدم وحواء، وذريتهما من بعدهما جيلا وراء جيل.. وباستمرار التناسل لم تعد الموارد الغذائية تفي باحتياجات بني آدم برغم انتشارهم في مختلف أنحاء الأرض، فبدأوا البحث عن موارد إضافية، واتجهت أنظارهم إلى المصادر الحيوانية للتنويع، وبهذا عرف الإنسان الصيد واستئناس الماشية.. وفي رحلات الصيد كان الرجال يتعرضون للمخاطر، ويشعرون بالخوف من الرعد والبرق والنار والرياح.. فتصوّروا وجود أرواح شريرة قوية وراء هذه الظواهر، وزين لهم الشيطان (ذرية إبليس الذي كان قد لازم أبويهم في الجنة وطرد منها ليلحق بهم في الأرض).. زين لهم تجسيد هذه القوى الخفية على هيئة تماثيل يرفعونها على أنصاب (منصّات) ليتقربوا إليها ملتمسين رضاها، واتخذ هذا التقرب صورة مادية هي تقديم القرابين (حيوانات تذبح على الأنصاب) مع (الدعاء) بالأسماء التي أطلقوها على هذه التماثيل التي جعلوا منها آلهة ثم عبدوها من دون الله أو مع الله.. وهكذا وُلدَت الوثنية في حجر الشرك، وتتابعت إلى أن جاء نبي الإسلام بأكمل رسالة بلغت بها دعوة التوحيد مرحلة النضج العقائدي فشرع تطهيراً للعقيدة تحريم الأكل من أي طعام تلوّث بممارسة طقوس الوثنيّة أو بطقوس الشرك.. فأما التلوث الوثني فمصدره الذبح على النصُب (المنصة المرفوع عليها الوثن أي الصنم).. وهذا الطعام محرَّم بنص الآية الثالثة من سورة المائدة، وأما التلوث بطقوس الشرك فمصدره التهليل على الذبيحة بذكر اسم معبود غير الله، والأكل من هذه الذبيحة محرّم بنص الآية ١٤٥ من سورة الأنعام حيث يقول رب العزّة:

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾

● وتحريم ما ذُبح على النُّصب وما أهل لغير الله به تحريم قطعيّ مطلق بمعنى أنه ينطبق على الذبيحة حتى ولو كانت قبل ذبحها بريئة من جميع شبهات التحريم الأخرى وفي هذا تأكيد للهدف التعبدي الذي يتضاءل إلى جانبه أي هدف ظاهري تدركه أفهامنا كاجتناب أن تسري عناصر الطعام المحرم في دماء من يأكلونه وتدخل في بناء مادة أجسامهم.

تحريم بعض الطيبات تأديبا للبغاة

● والبغاة هنا هم المارقون من بني إسرائيل الذين نجاهم الله من فرعون وأغرقه وجنوده أمام أعينهم، ومع ذلك تبجح بعضهم بقولهم: إنهم لن يؤمنوا لدعوة نبيهم حتى يروا الله عيانا، وانتهزوا فرصة غيابه لميقات ربه وصنعوا من حُليّ نسائهم تمثالا على صورة عجل وعكفوا على عبادته، ولم تردعهم الصاعقة ولا رفع جبل الطور فوق رؤوسهم ولا مسخ بعضهم إلى خنازير وقردة، ولم يقنعوا بأطيب طعام ساقه الله إليهم بلا جهد وطلبوا العدس والبصل، فحجب عنهم الذي هو خير وأعطاهم الذي هو أدنى، وزاد أن حرم عليهم بعض الطيبات، وهي مذكورة في الآية ١٤٦ من سورة الأنعام حيث يقول الحكيم الخبير:

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾

● والظفر - علميا - هو الجزء الصلب الذي يغطي طرف الأصبع ويمتد منه، وهذا معروف جيدا في الإنسان، ويقابله في الحيوانات الحافر والظلف غير المشقوق والمخلب (وهو معروف أيضا في الطيور) وبناء على هذه الحقيقة العلمية تتسع دائرة التحريم لتشمل كل ما طاب لحمه، وأحل أكله من الطيور (كالنعام والأوز) كما تشمل الإبل والماشية باستثناء البقر والغنم (وهي مشقوقة الظلف).. وحتى هذين النوعين ضيّق الله على اليهود فيهما فحرم عليهم شحومهما (الشحم علميا: هو الدهن الحيواني) إلا من مناطق صغيرة ومحددة في الآية (والحوايا هي الأمعاء بدءا من نهاية الإثنا عشر وحتى المبعر).. والدهن في هذه الأجزاء قليل يصعب استخلاصه كما أنه منخفض القيمة الغذائية.. بينما أطيب الدهن وأنفَسه فإنه يتراكم في ذيول الأغنام على شكل كتلة ضخمة تُسمىّ «الْيَة» وهو مشمول أيضا بالتحريم على اليهود، يمتد إلى ذريتهم من بعد موسى وإلى آخر الزمان، فقد كان في علم الله أنهم سيقتلون أنبياءهم، ويقولون على القديسة مريم البتول زورا وبهتانا عظيما ويناهضون دعوة ابنها النبي الذي أرسله الله لتصحيح مسار العقيدة اليهودية.

● وقبل الانتقال إلى الموضوع التالي يجب ألا يغيب عن أذهاننا أن التحريم المنصوص عليه في الآية ١٤٦ من سورة الأنعام مقصور على اليهود أما أمة محمد ﷺ فلم يحرم عليهم - إلا ما نصت عليه الآية الثالثة من سورة المائدة والآية ١٤٥ من سورة الأنعام

موقف الإسلام من الطعام المجهول الهوية

والمقصود هنا بالطعام المجهول الهوية: لحم الذبيحة البريئة من كل موجبات التحريم الواردة فى الآيتين المذكورتين، ولكنها لم يذكر اسم الله عليها عند الذبح فهى فى نظرى أشبه بخطاب غفل من التوقيع، أو بلاغ من مجهول لا يلتفت إليه - رغم افتراض صحة مضامينه وحكم هذا الطعام منصوص عليه فى الآية ١٢١ من سورة الأنعام حيث يقول رب العزة:

﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾

* وفى هذه الآية ما يستحق وقفه، فقد استعملت فيها صيغة النهى بدلا من لفظ التحريم الوارد بشأن ما ذبح على النصب وما أهل لغير الله به وغيرهما من المحرمات وعلى الرغم من أن الدلالة واحدة فى كلتا الحالتين (وهى عدم الحلّ) إلا أن اختلاف اللفظ إنما هو دقة فى التعبير عن فرق فى طبيعة علة التحريم بينهما، فالعلة فى الحالة الأولى إثم وقع ولا يمكن الرجوع فيه، أما فى حالتنا هذه فهى تجاوز عن شرط يمكن تداركه، وهذا هو ما أمر به نبى الإسلام - الذى لا ينطق عن الهوى - عندما سأله أعرابى :إن قومًا يأتوننا باللحم لا ندرى أذُكر اسم الله عليه أم لا. فقال: ﷺ «سموا عليه أنتم وكلوه»[٢]

ومعنى هذا أن ذكر اسم الله مكمل لشروط حل الطعام المأخوذ من مصدر حيوانى توفرت فيه كل شروط الحل الأخرى (وفى مقدمتها التذكية الأصلية بإراقة الدم والمنصوص عليها فى آية سورة المائدة)، وأن نسيان هذا الشرط عند الذبح لا يقضى بتحريم الذبيحة كما أنه لا يعفى من شرط استيفائه ولو قبل الشروع فى الأكل.

● وهكذا نرى أن صيغة النهى فى الآية ١٢١ من سورة الأنعام قد تركت باب التيسير مفتوحا أمام السنّة المحمدية - وهى مكملة للقرآن - وأن الاستفادة من هذا التيسير لم تكن مقصورة على المسلمين الذين عاصروا نبيهم، ولكنها شملت التابعين الذين هم أشد حاجة إلى هذه الرخصة لأنهم جاءوا فى عصور لاحقة لم يعد فيها الآكلون هم الذابحين، وربما استحال التواصل بينهما للتأكد من النطق باسم الله عند الذبح.. وهذا التيسير هو من أفضال الله على أمة نبى الإسلام، إذ يمكن استيفاء هذا الشرط بالتسمية قبل الشروع فى تناول هذه اللحوم، بل وبعد البدء فيه لمن نسى، ولئن كانت التسمية، مطلوبة قبل الشروع فى أى عمل، فإنها عند تلبية حاجات البدن واجبة لما فى ذكر اسم الله من صرف للشيطان عن الناطق به الذى يكون أشد حاجة إلى التحصّن من الشيطان عند مباشرة ما يغلب أن تلهيه به شهوته عن ذكر الله.

---

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه، كتاب الذبائح والصيد والتسمية على الصيد ١٠١/٧.

الاهتمام بأدب الطفل في الإسلام

للأستاذ الدكتور / صابر عبد الدايم يونس (*)

إن الاهتمام بأدب الطفولة فى مجتمعنا العربى والإسلامى يجب أن لا ينفصل عن الاهتمام بتكوين الطفل وتنشئته تكوينا صحيحا فى ظل الأصول والمفاهيم الأخلاقية التى حددها الإسلام، حتى ينشأ الطفل المسلم ووجدانه مشبع بأنفاس الحضارة الإسلامية وعبقها، وكيانه مهيأ لمعايشة واقع الحياة الإسلامية، سلوكا وتعليما وتربية ومشاركة مسئولة فى ميادين الحياة العملية،. وكل كتابة للأطفال لا تنطلق من هذا المنظور فهى كتابة تفتقد الرؤية الصحيحة، وتكتفى بالتسلية الوقتية للطفل، ولا تعنى بصنع مستقبله ومستقبل أمته.

وحين نتأمل موقف الإسلام من الطفولة نعثر على ملامح الرؤية المستقبلية لا لأدب الطفل فقط، ولكن لحياة هذا الطفل المستقبلية بكل أبعادها ومكوناتها النفسية والشعورية والعقلية والحسية التى تنمى فى الإنسان القدرات والمهارات المرتبطة بحركة الحياة.

(*) وكيل كلية اللغة العربية بالزقازيق.

فقد اهتم الإسلام بتكوين الطفل وعُني بمستقبله حتى وهو جنين، حيث حرم الإسلام إسقاط الجنين بعد نفخ الروح فيه، ويعاقب من يسقطه بدفع الدية الشرعية وتسمى «الغرَّة».

وقد حكم الله - عز وجل - على القاتل بالخسران والسفه والضلال فقال سبحانه:

﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾(١).

وقد هيأ التشريع الإسلامي للجنين كل سبل الرعاية والعناية، وهيأ من حوله للحفاظ على هذه الحقوق. يقول تعالى:

﴿ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾(٢)

ورعاية من الدين الإسلامي للجنين، نجد ان الحق - سبحانه وتعالى - وضع عن «الحبلى» الفرائض والقربات وإذا كان في هذه الطاعات إضرار للجنين أو الطفل بعد الولادة، فوضع عن الحبلى والمرضع الصوم - ولو كان صوم فريضة - إن كان ذلك يؤذي الجنين او الطفل او الام، وجعل قضاءه بعد زوال السبب، وينبه المصطفى ﷺ إلى ضرورة الاختيار الصحيح للزوجة الصالحة، حرصا على مستقبل الطفل ونشأته فيقول ﷺ: «تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس»(٣). فهل هناك حرص على مستقبل الطفل وحياته اعظم من هذا التوجيه النبوي الراشد.

وعناية من الإسلام بمستقبل الطفل امر الآباء بحسن رعاية ابنائهم، والقيام على تربيتهم وفق مفاهيم الإسلام، وارشد الآباء إلى ضرورة إكساب الطفل المهارات والقدرات التي تجعل منه رجلاً قوياً ثابتاً متزناً في مستقبله وفي عهد الشباب والفتوة، وكان المصطفى ﷺ هو القدوة والنموذج في ذلك، حيث كانت طفولته في صورتها المضيئة إعداداً لمستقبل حافل بالمسئوليات الجسام، وللقيام بأعباء الدعوة الإسلامية، فقد أرسل إلى البادية ليتلقى اللغة العربية صافية من الشوائب واللكنات والتحريف، ويتعود على حياة الصحراء وما فيها من كفاح وتقشف وتحمل، ويتشرب تقاليدها التي تبرز قيم الصحراء ورحابتها والانطلاق فيها على فطرة الإنسان، وحيث يكون لكل فرد دور بناء يقوم به لخدمة نفسه ومجتمعه.

ويقول عمر بن الخطاب: «علموا أولادكم السباحة والفروسية، وارووهم ما سار من المثل وحَسُن من الشعر» ووصية عمر تؤكد على تنمية الذوق الأدبي والمهارات اللغوية عند الابناء، وهذه رؤية مستقبلية لارتباط الاطفال بلغة امتهم وتراثها، ويحرص «الفاروق عمر» على منهج الانتقاء فيما يُرْوى للطفل المسلم «الأمثال السائرة النافعة والمفيدة والممتعة، وكذلك الشعر الحسن التربوي والاخلاقي».

ويقول هشام بن عبدالملك لمعلم ولده:

«وأول ما أوصيك به، ان تأخذه بكتاب الله،

---

(١) الأنعام (٣١)

(٢) الطلاق (٦)

(٣) العراقي ٢/٤٢.

ثم أروه من الشعر أحسنه، ثم تخلل به في أحياء العرب، فخذ من «صالح شعرهم» وبصر بطرف من الحلال والحرام، والخطب والمغازي».

والمنهج التربوي السديد، والرؤية المستقبلية المستنيرة في هذه الوصية الرائعة تقوم على عدة أسس؛ لتكوين مستقبل الطفل المسلم نفسياً وجسدياً وعقلياً وشعورياً، وأدبياً وهي:

أ) الاتكاء على التعاليم القرآنية في المنهج السلوكي للطفل، وهذا ليس اختياراً، ولكنه ضرورة وواجب، والنص يؤكد ذلك أن يأخذه بكتاب الله والأخذ هو «الإلزام بالأمر». والقرآن دستور المسلمين، وسرّ حضارة الأمم. وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تحث على العناية بالولد ورعايته، وآيات أخر تذكر لفظ الطفل صراحة، وتنبه إلى ضرورة التكوين المستقبلي للطفل، فقد أقسم الله تعالى «بالولد والوالد» في سورة البلد، وذكر الطفل في سورة النور وسورة الحج، ومَنّ على الناس أن أمدهم بالبنين في أربع سور مباركات، وهي الإسراء والمؤمنون ونوح والمدثر وعدّ الأبناء زينة الحياة «الدنيا» في سورة الكهف، وهم «قرة أعين» في سورتي الفرقان والقصص.

ب) تقويم لسان الطفل وتبصيره بتراث العرب المضيء، والنافع المفيد من الشعر العربي وهذا مدخل صحيح لتربية ملكة التذوق الأدبي عند الناشئة وأطفال المسلمين.

جـ) الترحل والتنقل ومشاهدة الآثار والاختلاط بأصحاب الخبرات الثقافية والعمرانية والتربوية من أسس أدب الطفولة، ومن أسس التكوين الوجداني المستقبلي للطفل، إذ يقول هشام بن عبدالملك لمؤدب ولده: ثم تخلل به في أحياء العرب، فخذ من «صالح شعرهم».

د) الحرص على التربية الدينية السوية، والسلوك الإسلامي السديد، وهذا المنهج يكون في ظل مراعاة سن الطفل، ومدركاته وحاجاته، وإشارة هشام بن عبدالملك ولفتته التربوية الدقيقة تبدو بجلاء وذكاء في قوله «وبصر بطرف من الحلال والحرام، والخطب والمغازي».

فالهدف ليس التلقين ولكن «التبصير» والتوعية.

ومن وسائل التبصير وأدواته «الخطب والمغازي» وهما مدخلان قويان للدخول إلى مستقبل أدب الأطفال، أبناء الإسلام وعلماء المستقبل وقادته، ويمكن أن تُعرض خطب الأقدمين الآن في صور مشوقة مشروحة مصحوبة بما يلائم العصر وما جد فيه من ظروف وملابسات، وكذلك أخبار «المغازي» والفتوحات الإسلامية، على امتداد التاريخ الإسلامي المشرق المجيد الزاخر بالبطولات الفريدة، رجالاً ونساء وأطفالاً.

هذا التصور السديد، وهذا الاهتمام الرشيد بالتكوين الكلي للطفل في مبادئ، ديننا الحنيف، وفي ضوء سلوك علمائنا وأولي الأمر وتوجيهاتهم في الدولة الإسلامية يجعلنا أمام تأملات وتساؤلات كثيرة تحيط بواقعنا الأدبي بعامة، وبواقع أدب الطفل بخاصة في حركتنا الأدبية المعاصرة.

ولنتساءل، ونحن نبحث عن ملامح مستقبلية لأدب الطفل:

أولاً: كيف نكتب للطفل الآن؟ وما سلبيات الظاهرة؟ وما إيجابياتها؟ وما الوسائل والأدوات المقترحة لتجاوز الأزمة؟ ويندرج تحت هذا التساؤل عدة ظواهر وممارسات لابد من إثارتها، ومعالجتها في ميدان الكتابة للطفل أو عن الطفل، وهي:

أ ـ ظاهرة قصص الأطفال بين الواقع الجميل والخيال العابث!

ب ـ ظاهرة قصص التاريخ ومحاولات تشوية الذاكرة!

جـ ـ ظاهرة قصص الخيال العلمي وحتمية تقريب الحقائق العلمية وتعميقها بأسلوب واقعي مشوق بعيد عن الإسفاف والابتذال.

د ـ البرامج التليفزيونية وخطورة ألعاب الكارتون على التكوين الإدراكي للطفل.

ثانياً: التراث العربي والإسلامي وخصوصيته في تنمية المهارات الأدبية لدى الطفل مع ضرورة الاطلاع على جهود الأمم الأخرى في مجال ثقافة الطفل وأدب الأطفال، وهذا التراث حافل بالمادة الغزيرة التي تثرى عالم الطفولة، وتسمو بخيال الأطفال وتجمل واقعهم، وتصبح بديلا عن الألعاب الكرتونية القائمة على الحيل والخدع، والتي لا تؤدي إلا دور التسلية والمتعة الوقتية وتسحر قلوبهم وعقول الأطفال بلا أية ثمرة واقعية تربوية توجههم إلى السلوك الإيجابي في الحياة، وإنما تدرب الأطفال على العنف، وعلى الحيل الخادعة والميول العدوانية، وتتنوع هذه المادة التراثية ـ كما يقول د. نجيب الكيلاني ـ «وعلى كتاب أدب الطفل أن يصوغوا من هذه المادة التراثية ما يرونه ملائماً من وسائل التعبير، والمشاهد الدرامية، والبرامج الإذاعية والتليفزيونية، وهذه المادة تتكون من المنابع التراثية التي تتشكل من فيوضاتها حضارة الأمة العربية والإسلامية وهي:

١ـ قصص الأخبار والمغازي والمثل وحكايات الأبرار والصالحين وهذا قصص واقعي تاريخي ووصية «هشام بن عبدالملك» لمؤدب ولده تشير إلى ذلك المصدر المهم.

٢ـ ما ورد في القرآن الكريم من قصص وأمثال، وتقديم هذه القصص يتم في إطار الالتزام بالمفاهيم الإسلامية، والبعد عن التفاصيل التي لا سند لها من التاريخ.

٣ـ ما ورد في الأحاديث النبوية من قصص، وهو يحمل المغزى الإصلاحي والتكوين الاجتماعي والنفسي.

٤ـ قصص الفتوحات الإسلامية، وقصص الشعوب الأخرى ـ غير العربية ـ التي تم فتحها ونشر الإسلام فيها، والقصص الشعبي.

٥ـ قصص الأسفار والتجار والرحلات.

٦ـ بعض قصص الجن والملائكة والسحر، وتعرض في أسلوب تربوي يبصر الطفل بهذه العوالم، وينزع من نفسه الخوف التقليدي، ويطرد عنه الأوهام.

وفيما قدّمناه ما يرسم خطوطا للتأليف التربوي الصحيح.

سبحانك بديع السموات والأرض

للدكتور/ علي أحمد علي

سبحانك بديع الكون كله، وصانعه الذي أتقن كل شيء خلقه.

وهذا قول الحق بعد لغو المفترين.. لقد مضى حديث د/ هندريك الذي صور فيه مذهب الطبيعيين في نشأة الأرض.. وتطور الحياة.. إلى نشأة الإنسان.. والذي قدم له بقوله: ومازال حظنا من العلم ضئيلا، ولكننا بلغنا المرحلة التي تمكننا من «التكهن» بجملة أشياء.[1]

وكانت الكهانة حديثه الذي أشرنا إليه.

وقد آن أن نتحدث عن الأرض كما صنعها الله - عز وجل - ونقصر حديثنا عليها فقط، فليس للقوم كهانة تخص السموات السبع، في حديث هندريك، فلا لهم إليها هُدى، ولا لها منهم دين.

وتحملنا الأمانة على الإقرار بأن ما نسطره في هذا المقال هو عين ما فهمناه من التنزيل العزيز بقدر ما شاء المولى - عز وجل - أن نستفيد.

وإذا أخذنا بمنهج الله - تعالى - في الخلق، وقلنا: إنه - سبحانه - خالق السموات والأرض، بل خالق الكون كله، فقد تلاشت - تماما - كل الأسئلة التي ألحت على أذهاننا، ونحن نقرأ تكوينات هندريك، سواء منها تلك الأسئلة التي كانت تطالبه بين سطر وآخر بالسؤال عن «الفاعل» أو بتلك الأسئلة المتعلقة بثغرات من حديثه جاوزها - برغم ضرورة جوهرها في الموضوع - كقوله - مثلا - عن ثبات البحر:

(1) انظر عدد ربيع الآخر ١٤٢٣هـ من مجلة الأزهر ص ٦٢٠ وانظر الأصل في قصة الجنس البشري للدكتور هندريك ص٧ كتاب الشعب ٣ - ١٩٥٧.

إن بعضنه آثر التنقل من مكان إلى آخر فنصت له أرحل.. وأخذ يدب هنا وهناك.. الخ.

وإذا أتى عرض الخلق ـ عن الخالق ـ جل علاه ـ كان الإيمان بقدرته المطلقة سدا على كل ما طرأ علينا من سؤال في عرض الكون بلا خالق.

●●●

وفي البداية لخلق السموات والأرض ـ شاء الخالق ـ جلّ عُلاهُ: ألا يَحْضُرَ هذا الخَلْقَ أحدٌ مِمَّنْ خَلَقَ، فما عَلِمَ مخلوق: كيف خلق الله السموات والأرض، قال ـ تعالى:

﴿ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾(٢).

لقد استأثر الله ـ تعالى وحده ـ بعلم هذه البداية. فما رأى أحد مادة الخلق ولا كيف خلق. ثم شاء ـ بعد ـ أن يدفعنا لاكتشاف مادة الأرض، وشيئا بعد شيء أخذنا نعلم بعض ما حوت من «عناصر» و«مكونات» فمن بسط لنفسه الحديث عن هذه النشأة، فهو ـ حقا ـ كاهن مضل.

يقول ـ تعالى ـ:

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾(٣).

وفي أكثر من آية يقول ـ سبحانه:

﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾(٤).

وإبداع الشيء كفطره سواء: يعني إنشاؤه بلا نظير له، ولا مثيل سبقه، أي أنه لم تكن هناك سماوات أو أرض.. قبل خلق هذه السموات وتلك الأرض.

و(الأرض) في هذا القول الكريم تعني: سَبْعَ أَرَضِين، لا أرضا واحدة، فهن سبع ذكرهن الصانع ـ جلَّ عُلاهُ ـ في قوله:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾(٥).

وعلى ذلك، فكل ما نذكره من أمر الأرض، لا يخص كوكبنا، بل كوكبنا والأراضي الست بعده فيه سواء وكذلك «الأرض» في كل ما ورد بالتنزيل العزيز إلا أن يصحب لفظها قرينة تجعلها أرضا خاصة بكوكبنا أو جزءا منه:

فقد حكى المولى ـ عز وجل ـ من حديث يوسف ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ يخاطب مَلِكَ مِصْرَ بقوله:

﴿ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ﴾(٦)، وقول بني إسرائيل لموسى ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام:

﴿ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ﴾(٧).

---

(٢) الكهف «٥١».

(٣) البقرة «١١٧»، الأنعام «١٠١».

(٤) الأنعام «١٤»، فاطر «١».

(٥) الطلاق «١٢».

(٦) يوسف «٥٥».

(٧) البقرة «٦١».

وقوله ـ سبحانه ـ للمعاندين من أهل مكة:

﴿ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾[٨].

فالأرض في كل ذلك من كوكبنا.

وليس الأمر كذلك في قوله ـ تعالى ـ:

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾[٩].

فالأرض ـ في الآية الكريمة ـ تعني الأرضين السبع، فهن مُسَبِّحات.

●●●

وعن بدء النشأة يقول ـ تعالى ـ في السموات والأرضين جميعا: ﴿ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾[١٠].

أي جسما واحدا، كتلة ملتحمة غير متميز بعضها عن بعض، كتلة لا ثقب فيها ولا ثقب، ففتقها ـ عز وجل ـ فجعل منها السموات السبع والأرضين السبع.

ومع استيعاب معنى «الرَّتْق» لغة، لابد أن تعتبر هذه الكتلة الواحدة، هي ـ نفسها ـ مجموعة من أجزاء تضامت وصارت كتلة قبل أن يحدث لها الفتق الذي فصلها إلى مجموعتي: السموات والأرضين، أي أن كل رتق سبقه فتق أو فتوق، وهو ـ في الآية ـ أعقبه فتق أيضا.

ذلك أننا نقول ـ لغة ـ عن ثقب خطناه بثوب أو جورب: رتقت الفتق، أي ضممت أطرافه فارتتق، قال ابن كثير ـ في تفسير «الرَّتْق»:

«كان (الجميع) متصلا بعضه ببعض، متلاصق، متراكم، بعضه فوق بعض في ابتداء الأمر، ففتق هذه عن هذه، فجعل السموات سبعا والأرضين سبعا»[١١].

وخلق الله ـ عز وجل ـ السموات والأرض ﴿ سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾، سبعا من هذه، وسبعا من تلك، وذكر الأيام الستة في سبع آيات بالكتاب العزيز[١٢] ـ بصيغة واحدة، لا تحمل إحداها أدنى إشارة إلى مجاز في تقدير اليوم على غير ما هو معروف لنا، وهذا التكرار «المتحد» كاف ـ وحده ـ في إرادة المعنى المعروف لليوم أنه يومنا هذا المساوي أربعا وعشرين ساعة فقط دون سواه، ذلك أن القرآن الكريم إذا ذكر لفظا له أكثر من معنى أضْحَتْهُ ما يحدد معناه، فمثلا لفظ «اليمين» له معان كثيرة لكننا أبدا لن يغمض علينا المراد منه في قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ﴾[١٣]

فذات اليمين في الآية هي جهة اليمين بدلالة: (وذات الشمال) قال الإمام المحلي: لئلا

(٨) النحل ٣٦.

(٩) الإسراء ٤٤.

(١٠) الأنبياء ٣٠.

(١١) تفسير ابن كثير في الآية ١٧٦/٣ طبع عيسى البابي الحلبي

(١٢) الأعراف ٥٤ - يونس ٣ - هود ٧ - الفرقان ٥٩ - السجدة ٤ - ق ٣٨ - الحديد ٤.

(١٣) الكهف ١٨.

تأكل الأرض لحومهم. وفي قوله ـ تعالى ـ :

﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴾[14].

هي يده ـ عليه السلام ـ الأكثر قوة من الشمال عادة.. وهكذا.

ولهذا، ما كان لي أن أعدل إلى رأي يُلقي بي إلى لقاء بفكر الطبيعيين في تكوين الأرض حيث رأوا قشرتها فقط «ظلت منصهرة ملايين السنين قبل أن تتجمد»[15].

ترى لو أن الأمر كذلك:

كم كان الزمن الذي ييبس فيه قعر البحر ليمر موسى ـ عليه السلام ـ ومن معه فوقه آمنين..؟ لكن موسى ما إن ضربه بعصاه حتى انفلق ويبست الأرض وقام الماء جُدرانا كالصخر ومر موسى وقومه في سلام. قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴾[16].

وكم كان الزمن الذي يستغرقه نقل عرش «ملكة سبأ» من مقره باليمن إلى قصر سليمان ـ عليه السلام ـ بالقدس من فلسطين، هذا الزمن ذكره التنزيل العزيز بقول ربنا ـ تعالى جده:

﴿ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾[17].

فوجده سليمان ـ عليه السلام ـ بين يديه، فقال: هذا من فضل ربي.

إن من أعجب الأمور مجاراة هذا الفكر الذي يقر أصحابه بأنه كهانة، وهو ـ فعلا ـ كهانة ـ يؤكدها القرآن العزيز.

أفكان شيء يعجز المولى ـ عز وجل ـ أن يخلق الأرض بكل «مكوناتها» و«عناصرها» في أربعة أيام هي ست وتسعون ساعة تصلح بعدها لكل شيء أراده.. حاش لله.

وأعجب من ذلك كله أن يصادر أحد المفسرين نظر الناس في الآيات محتميا أنها ـ أي هذه الأيام «لا نستطيع تقدير اليوم فيها بألف سنة أو بخمسين ألف سنة أو بأكثر من ذلك، حسب سنة «التطوير» التي أراد الله في تكوينها» ثم زاد:

«وحيث أمسك القرآن والسنة عن بيان مقدار اليوم في خلقهما، فعلينا أن نمسك عن الحدس والتخمين»[18].

---

(14) الصافات: 93.

(15) راجع للدكتور منصور حسب النبي – الكون والإعجاز العلمي للقرآن ص 236 دار الفكر العربي.

(16) طه: 77.

(17) النمل: 40.

(18) التفسير الوسيط ـ الحزب السابع والأربعون ص682.

والحمد لله، ليس بنا من حدس ولا تخمين، إنما نشيع بدهيات القرآن الكريم وخطابه الحريص على إرشادنا دون غموض أو التواء بما لا يصعب علينا فهمه، وحسب الكاتب أن يجاري «التطوير».!

ثم - بعد هذا كله: أين يغيب عنا قوله تعالى:

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾(١٩).

فهل يومنا هذا بألف سنة، أو بخمسين ألف سنة.؟ خَرِبنا - والله - وخسفنا - إن ذهبنا نؤول ونستسيغ!!

قال الإمام النيسابوري - غفر الله له - عن هذه الشهور:

«.. إن ذلك العدد واجب وثابت في علمه في أول ما خلق الله العالم»(٢٠).

في الحق أن الكرة الأرضية لم تكن كطبق حار من حساء يلزم لفتوره وقتا من ملايين السنين، أين غابت عنا آية التوبة، أو أين غابت عنا نيران إبراهيم - عليه السلام - وقد قال لها خالقها:

﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾(٢١).

لكن الأمر - في بساطة - ليس من حساب الله - تعالى في شيء، بل هو من حساب هندريك وشركاه. والله المستعان.

وكم أرجو أن نراجع - في أناة - «يوما كألف عام»، و«يوما كخمسين ألف سنة» في موطن كل منهما في التنزيل العزيز والحديث النبوي الصحيح، لنعلم المراد منهما على الوجه الصحيح، ولا ننزع أيا منهما انتزاعا عما يراد به، ثم نخلطه بـ «يوم ذي قار» و«يوم خزازى» و«يوم حليمة» وغيرها من أيام العرب، ونذيب كل ذلك في خليط نطلي به وجه الأيام الستة فتختفي حقيقتها، وتصبح بلا زمن محدود، لاسيما، ونحن - إذا التزمنا بمعنى خلق الأرض - وحدها - في أربعة أيام من أيامنا لن تفقد شيئا من مكوناتها، ولن يفسد شيء من عناصرها، وستظل - كما هي - بكرويتها ومائها وجبالها ووهادها وطبيعة فصولها، لا ينقص من أمرها شيء، فكل شيء عنده - تعالى - بمقدار.

●●●

ونخلص إلى ذات الأرض وجسمها:

وفيه حديث التنزيل العزيز بسورة فصلت حيث قال - عزوجل - في الآية التاسعة:

﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾(٢٢)

---

(١٩) التوبة ،٣٦.

(٢٠) نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري - غرائب القرآن ورغائب الفرقان - ٧٨/١٠ بهامش الطبري.

(٢١) الأنبياء ،٦٩.

(٢٢) فصلت ،٩.

وتعني الآية الكريمة بخلق الأرض في يومين: خلق جسدها الكروي المعروف على استدارة تأخذ منتهى الاتساع عند خط الاستواء حتى يصير قطرها نحوا من (١٢٧٥٦) ك م، ثم تنقص تلك الاستدارة شيئا فشيئا شمالا وجنوبا حتى إذا انتهت إلى القطبين صار قطرها نحوا من (١٢٧١٤) ك م.

وهيأها - سبحانه وتعالى - لسكنى البشر، فكان (يابسها) قرارا يمنع من يدب عليها أن يغوص فيها، و«فراشا» يمكنه الاستقرار عليها، و«ذلولا» يعمر فيها ما شاء كما شاء لا تستعصي عليه و«بساطا» يعين من يسعى لرزقه عليها. ثم قال - تعالى - :

﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴾(٢٣).

وجاءت هذه الآية تحدثنا عما أوجده - عز وجل - في الأرض - في اليومين التاليين لخلقها، فتم أمرها في أربعة أيام متساوية تامة كاملة علما للباحثين السائلين عن خلق الأرض.

في هذين اليومين أنشأ الله - تعالى - الجبال ثوابت في الأرض تحفظ توازنها، وتعادل بين ثقلها فلا تضطرب فتخرج عن فلكها، كذا أشار أهل التفسير، ورأى الأستاذ الدكتور محمد أحمد الغمراوي في بحوثه المتقدمة: الجبال تحفظ الغلاف الهوائي المحيط بالأرض، وتكفي الناس شر القَدْر المؤذي من أشعة الشمس البنفسجية وفوق البنفسجية، ورأى لارتفاعات بعضها دخلا في احتفاظ الأرض بجوها واستمرار الحياة عليها، كما أن وجود الجبال بالأرض عامل هام في جعل جاذبية الأرض كافية في الاحتفاظ بطبقة هوائها(٢٤).

و(بارك فيها) فأكثر خيرها، وجعله مباركا أي دائم الثمرات، دائم الإنتاج، فخيرها كثير برا وبحرا ونهرا

(وقدر فيها أقواتها) فأوجد في الأرض أنواع الخيرات المختلفة من نبات وحيوان وطير ومعادن، وخص أماكن بأنواع منها ليست في غيرها، فعمرت الأرض، وصار في اختلاف ثمارها ومعادنها وطيرها وحيوانها مستراح ومعاش وحاجة مطلوبة هنا وهناك، ليكون بين الناس علاقات نافعة وسياسات حكيمة طالما أسعدت البشر إذا نشدوا العدل والسلام.

●●●

وفي «نبات الأرض» كله آية واحدة جامعة تحدد مصدر حياته الذي أراده المولى لها. قال - تعالى -:

---

(٢٣) فصلت ١٠.

(٢٤) دكتور محمد أحمد الغمراوي - الإسلام في عصر العلم. راجع ص٢٢٥، ٢٢٦ نشر دار الكتب الحديثة

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾(٢٥).

فلا نبات فى بر ـ مهما كانت أرضه ـ أونهر، أوبحر إلا من ماء عذب أى أن نبات البحر لم يستثن من هذه الكلية .. «نبات كل شيء». فهذا النبات البحرى زوده الله ـ تعالى ـ بخاصية تمكنه من استخلاص الماء العذب وطرد المالح عن طريق آليات موجوده فى أنسجته وخلاياه مثله فى ذلك مثل بقية الكائنات البحرية.

وتكون النتيجة انه لا نبات قبل الماء العذب.. ماء المطر.. بحال.. وهذا المطر يهبط ـ فى اى الجهات ـ على برها وبحرها على سواء، فلا يسبق إلى البحر قبل البر لينمو نبات البحر قبل نبات البر.. ثم يتطور حتى تكون له أرجل.. ثم يضيق بالبحر.. الخ مقولة هندريك فى العدد السابق.

وبعـــد :

فلقـد أودع الله ـ عـز وجل ـ الأرض كل أسباب الحياة والنماء لساكنيها من الناس والأنعام والنبات.. صنعة الله الذى أتقن كل شيء، فعمرت الأرض بأزواج من نبات شتى، وحدائق ذات بهجة، ونخيل وزيتون، وجنات وعيون.. ليظل للأرض خيرها، وتدوم فيها أرزاقها.

وانتهت أيام الخلق الستة دون أن يعيا المولى ـ عز وجل ـ بخلقها، وقد خاب وافترى من زعم أن الله استراح فى اليوم السابع.. حاش لله. قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ ﴾(٢٦).

وقال ـ عز من قائل :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾(٢٧)، (٢٨).

***

---

(٢٥) الأنعام ،٩٩.

(٢٦) الأحقاف ،٣٣.

(٢٧) اللغوب: التعب واللفظ تصحبه (من الابتدائية) يفيد نفي أدنى لغوب

(٢٨) ق ،٣٨.

رسالة .. و .. رد

لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان

سنرد بمشيئة الله - تعالى - فى هذا العدد على عدة رسائل :

● الرسالة الأولى، من القارئ مشهور مصطفى غزال من بلبيس، محافظة الشرقية.

وهى رسالة تفيض أسى ولوعة وحسرة على ما وصل إليه حال الأمة الإسلامية من فرقة وضعف وهوان واستخذاء الأمر الذى أطمع فيهم أخس أجناس البشر اليهود فصاروا يستقوون عليها لضعفها وليس لقوتهم لأن الأمة أصبحت فى حالة من الضعف كأنها ميتة فصارت كما قال الشاعر: ما الجرح بميت إيلام.

وأنا مع الأخ القارئ فى كل ما قاله لكنه ينحى باللائمة كلها على العلماء وحدهم ولا شك أنه بهذا يعرب عن ثقته فى العلماء.

وليسمح لى الأخ مشهور أن أقول له إن العلماء لم يعودوا وحدهم المؤثرين على جماهير الأمة فهم يمثلون جزءاً قليلاً من وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية، وما يتاح لهم فى هذه الوسائل أقل القليل ولست بهذا أتنصل من مسئولية العلماء فى توجيه الأمة وإرشادها لكنى أريد فقط أن أضع الأمر فى نصابه وأضع النقط على الحروف، فهب أن العلماء جميعاً أدوا واجبهم فى هذا الأمر وقاموا به على الوجه الذى يتمناه كل غيور على الإسلام والمسلمين ثم تركوا الجماهير للإذاعة والتليفزيون وما فيهما من تمثيليات وكرة وأغان وأفلام فماذا سيبقى فى عقولهم وقلوبهم من الكم القليل جداً الذى استفادوه من العلماء أمام هذا الكم الهائل مما أشرنا إليه وكما يقول علماء الاقتصاد: العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة من السوق، أو كما يقول الشاعر:

متى يبلغ البنيان يوماً تمامه
إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

ولست أنكر أن بعض العلماء مقصرون في هذه الناحية لكن الغالبية العظمى بحمد الله يقومون بواجبهم على الوجه الكامل، إن لم يكن الأكمل، وهؤلاء المقصرون لهم عذرهم في معظم الأحيان.

وأنت يا أخ مشهور قد أشرت في رسالتك إلى واحد من أفاضل العلماء هو الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي وكتابه (علماء في وجه الطغيان) الذي جمع فيه نخبة من علماء الأمة منذ القرن الأول الهجري إلى هذا القرن الأخير منذ التابعي الجليل سعيد بن المسيب إلى علماء الأزهر الأجلاء: الجبرتي والعدوي والطويل والنواوي والإمبابي والإمام الشيخ محمد عبده.

أليس هذا العالم الجليل نموذجاً من العلماء الأجلاء الذين يؤدون الواجب على أكمل وجه ولم (يكتفوا بالجلوس على الكراسي الفارهة والمكاتب شديدة الرفاهية) على حد قولك في رسالتك.

ولو رجعت إلى مقدمة هذا الكتاب لعلمت السبب في تأليفه كما يقول أستاذنا الدكتور هو صدور مسرحية الكاتب الكبير توفيق الحكيم «السلطان الحائر» التي تحتوي على مواقف بطولية رائعة لسلطان العلماء العز بن عبدالسلام الذي تحدى الظلمة من سلاطين المماليك ولايعنيني هنا ماذكره مؤلفنا الكريم من دهشة بعض المثقفين من بطولة العز - رضي الله عنه - ولكن الذي يعنيني أنه كان في القرن الماضي من الكتاب المشاهير من يحرص على كتابة هذا اللون من المسرحيات الهادفة وهذا في حد ذاته يشجع العلماء على كلمة الحق.

ولا أحب أن أضع القلم وأنهي الرد على هذه الرسالة قبل أن أحاول تبديد اليأس الذي سرى إلى نفس الأخ مشهور مع جماهير الأمة الإسلامية كلها بسبب الضربات المتلاحقة التي وجهت إلى الأمة من أعدائها الظاهرين والمستخفين وهذا اليأس إذا استسلمت له النفوس «قتل فيها الهمم وخدر العزائم ودمر الطموحات» على حد تعبير الداعية الكبير الدكتور الشيخ القرضاوي في كتابه (المبشرات بانتصار الإسلام) وهذه المبشرات التي يريد بها فضيلته أن يبعث الأمل في نفوس المسلمين ويهزم اليأس الذي تسرب إلى نفوسهم تتمثل في نصوص من الكتاب والسنة كما يستمد بعضها من التاريخ الإنساني العام وبعضها من الواقع الذي يعيشه البشر، وأخيراً يذكر المؤلف أن سنن الله في خلقه إحدى هذه المبشرات أما المبشرات من الكتاب الكريم فمثل قوله - تعالى:

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾(١).

(١) التوبة (٣٢، ٣٣)

ومن المبشرات في السنة الشريفة قوله ﷺ «ليبلغن هذا الأمر مابلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت وبر ولا مدر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام وذلاً يذل الله به الكفر» وهذا الحديث يدل على أن الإسلام سيعم كل الدنيا وذلك لم يأت بعد وسيأتي لا محالة حيث إنه إخبار ممن لا ينطق عن الهوى.

ومن مبشرات السنة انتشار الرخاء والأمن وفيض المال وعودة الخلافة على منهاج النبوة وانتصار المسلمين على اليهود حتى يخبر الشجر والحجر عمن خلفه من اليهود (وكل ذلك لم يأت بعد وسيأتي إن شاء الله) أما مبشرات التاريخ فقد عودنا الله على مر التاريخ كله أن النصر لا يتنزل على المسلمين إلا حيث يكونون محتاجين إليه أشد الاحتياج كما حدث في الهجرة وفي بدر والأحزاب وحنين حين تنقطع أسبابهم العادية وتغلق كل الأبواب أمامهم إلا باب الله - تعالى - فيلجئون إليه داعين مضطرين فيجيبهم ولا يخيب رجاءهم وصدق الله العظيم:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[2]

- أما مبشرات الواقع فتبرز في حركة الإحياء والتجديد الإسلامية المتنامية في كل بقاع الأرض ودخول ملايين من الشرق والغرب في الإسلام وكذلك القوى الهائلة التي تملكها الأمة الإسلامية من بشرية ومادية وجغرافية وروحية وإن لم تكن قد استغلت بعد فسوف يأتي اليوم الذي تستغل فيه هذه القوى أحسن استغلال.

أما المبشرات من سنن الله في الخلق فمنها قانون المداولة أو التداول:

﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾[3].

﴿ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾[4].

ومنها سنة أو قانون التغيير:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[5]

وأظنك يا أخي السائل بعد هذه اللمحات السريعة من كتاب أستاذنا الشيخ القرضاوي قد تبددت غيوم اليأس والإحباط من نفسك وأضاء الأمل في قلبك على حد تعبير الشيخ أطال الله في عمره.

● **والرسالة الثانية**: من الأستاذ / سمير عبدالكريم فتح الله مدير المتابعة الفنية والتقارير العلمية بالمجلس الأعلى للآثار بطنطا، وهي رسالة أكثر قتاماً وسواداً من سابقتها وتسمى العرب كلهم أعراباً وتصفهم

(٢) يوسف (١١٠).

(٣) آل عمران (١٤٠).

(٤) الطلاق (٧).

(٥) الرعد (١١).

بالكفر والنفاق انطلاقاً من قوله تعالى:

﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا ﴾(٦) ويقول الأخ فيها: إن المسلمين خالفوا أمر الله فاتخذوا اليهود والنصارى أولياء وذهبوا إليهم ليحلوا لهم مشاكلهم ويختم رسالته بحكاية طريفة فقد ذهب أهل قرية إلى حكيم يسألونه كيف يصلحون الفساد الذى عم فى قريتهم فسألهم الحكيم كيف حال العدل فى قريتكم فأجابوه: لا يوجد عدل فقال: إذن فكيف الإصلاح ثم يذيل رسالته بقصيدة من شعره يبدأها بقوله:

ياسماء أمطرينا بحجارة
لا بماء جزاء وفاقا
يا أرض غيضى بمائك
لا تتركى جدولها رقراقا

ورغم ما فى القصيدة من تجاوزات فنية ولغوية إلا أنها تعبر عما فى نفسه تعبيراً دقيقاً، وأقول للأخ القارئ هناك فرق بين العرب والأعراب فالعرب سكان المدن والبيوت المبنية، والأعراب سكان البدو والخيام.

ثم إن القرآن الكريم لم يصف كل الأعراب بالكفر والنفاق، بل قال بعد هذه الآية مباشرة:

﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٧).

لأن القرآن لا يعرف التعميم فى الأحكام فالناس ليسوا متساوين:

﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾(٨).

ألم يقل ربنا فى نفس السورة:

﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ ﴾(٩).

والمدينة كما نعلم جميعاً حصن الإسلام التى يأرز إليها...، ولكل هذه الآيات أسباب نزول لم تعد موجودة وبناء على قانون عدم التعميم وهو إلهى اجتماعى أقول لك: إن المسلمين جميعاً ليسوا سواء ولا يستحقون كلهم أن تمطرهم السماء حجارة لا ماء فالخير باق ولو بنسبة قليلة فى أمة محمد ﷺ ولعلك لو أمعنت النظر فى ردى على الرسالة السابقة لاسترحت كثيراً.

● **والرسالة الثالثة**: فى هذا العدد من القارئ الأخ طاهر محمد نصر من شارع

(٦) التوبة (٩٧).
(٧) التوبة (٩٩).
(٨) هود (١١٨-١١٩).
(٩) التوبة (١٠١).

الجيش بكفر الدوار ـ بحيرة يقول فيها:
المسجد الذى أصلى فيه يقوم بجمع تبرعات يأخذ منها المفتش مبلغا كل شهر كما يأخذ مبالغ أخرى من المساجد التى يقوم بالتفتيش عليها وأنا أقول لهم: إن هذا حرام فيقول لى الإمام: ليس حراماً لأننا ندرأ عن أنفسنا أذى هذا المفتش، ثم إنهم يقيمون فى المسجد حفلات في بعض المناسبات الدينية كالمولد النبوى يوزعون فيها الحلوى والجاتوهات فهل هذا جائز شرعاً أفيدونا أفادكم الله..؟

وقبل البدء في الإجابة عن هذا السؤال أشكر المسلمين الذين يتبرعون بأموالهم للإنفاق منها على المسجد وهذه المبالغ لا يجوز لأحد من العاملين بالمسجد إماماً أو مفتشاً أو عاملاً أن يأخذ منها شيئاً إلا إذا كان محتاجاً إليها وعندئذ يحل له أن يأخذ منها بقدر حاجته، أما موضوع أخذ المفتش فأنا استبعده أولاً فإذا كان ماجاء فى السؤال صحيحاً فهو سحت يأكله فى بطنه أو ماعلم هذا المفتش أن المرء إذا قذف اللقمة الحرام فى جوفه ظل أربعين يوماً لا يتقبل منه صلاة ولا دعاء ولا أى عمل صالح!؟ أو تراه يعرف هذا جيداً ويعلمه للناس في مواعظه وخطبه ودروسه شأن علماء بنى إسرائيل الذين قال الله - تعالى- لهم:

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(١٠).

والأدهى مما يفعله هذا المفتش ـ إذا كان يفعل ـ تبرير الإمام لهذا الفعل المحرم وهو أنه وأمثاله من الأئمة يدرأون عن أنفسهم أذى المفتش بهذه الأموال.

وليقل لى هذا الإمام بربه أى أذى يدرؤه؟! أتراه يعنى غيابه عن المسجد وإغماض العين عن غيابه وغياب أمثاله من الأئمة وترك المساجد لمقيمى الشعائر والعمال ورواد المساجد المواظبين عليها من أهل الحي الذين يحسنون صلاة الجماعة.

إذا كان الأمر كذلك فلا غرابة ألا يجد الدعاة صدى لدعوتهم فى نفوس الجماهير ولا غرابة إذا قوبلوا بعدم التوقير من هذه الجماهير فأين هم من سلطان العلماء الذى أفتى ببيع حكام المماليك وتم تنفيذ هذه الفتوى على يديه؟!

***

(١٠) البقرة (٤٤)

الخطابة المثالية في مرآة النقد

٢

للأستاذ الدكتور/ أحمد منظور

يمتد الحديث عن الخطبة ليشمل مايتعلق بها تكويناً وبناء وخطة، أى أن الخطبة الناجحة تستمد المثالية فيها من وجود هذه المقومات الثلاثة، أعنى: التكوين أو الإعداد الداخلى، وتخير عناصر البناء، وإجادة الخطبة.

والمقصود بالإعداد الداخلى أن يعايش الخطيب محور موضوعه ويجيله فى نفسه حتى يتبلور فى ذهنه رؤية واضحة وإطاراً فنياً محدداً، وهدفاً لا يخطئ الوصول بالسامع إليه، وسبيل ذلك فيما نرى يتمثل فى طريقين هما: الانفعال والتفكير؛ وذلك أن انفعال الخطيب بموضوعه يمنحه سبلاً متنوعة للإبداع فى معالجته، والتحليق بفكره وخياله بحثاً عما يحقق له النجاح فى مهمته، والتفكير فيه يحقق له ثلاثة أمور ضرورية فى بناء خطبته، وهى: وحدة الموضوع، وتلاحم الأجزاء، وتدرج الأفكار وصولاً إلى الغاية المرجوة من الخطبة، ويتيح له النظر فى طبيعة العبارات والأساليب التى تتواءم مع موضوع خطبته وتبرز ماتقوم عليه فكرته.

وقد عرف دارسو الأدب العربى أهمية ذلك فى إطار ماأسموه بخاصية الإعداد فى الخطبة، على النحو الذى يفهم من قول عثمان بن عفان عندما استغلق عليه الكلام فى خطبته فقال: «إن أبا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالاً، وأنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام وخطيب، وستأتيكم الخطب على وجهها، وتعلمون إن شاء الله». أو من قول عبدالملك بن مروان عندما قيل له: عجل عليك الشيب ياأمير المؤمنين فقال: وكيف لا يعجل علىّ الشيب وأنا أعرض عقلى على الناس فى كل جمعة مرة أو مرتين»[1].

---

(١) أدب السياسة فى العصر الأموى. د. أحمد محمد الحوفى. دار نهضة مصر للطبع والنشر ط٢، ص٢٣٩.

ـ وأما عناصر البناء فهي تلتقي في نظرنا مع ماتذهب إليه في فن المقال من أنها تتمثل في أمور ثلاثة هي: المادة الثقافية، والأفكار، والأسلوب[٢].

ـ والمقصود بالمادة الثقافية: الخبرات الذاتية والتجارب المفادة من أحداث الحياة، والمعارف الإنسانية والمعلومات التي تتكون لدي الخطيب من التراث الإنساني في شتى نواحي الحياة، وثقافة العصر وتياراته الفكرية المتعددة. حيث يتفاعل الخطيب مع هذه الأشياء ويكون في عقله وقلبه تياراً متدفقاً من المعرفة النافعة يمتاح منه مادة خطبته وتتداعى إليه منه الأشباه والنظائر والدلائل والشواهد التي تمكنه من إثراء خطبته وتضوئ جوانبها بشذرات ثقافته الجادة المفيدة.

ـ والمراد بالأفكار: الحقائق الفكرية المتعلقة بموضوع الخطبة، أو العناصر المعنوية التي من لبناتها يقيم الخطيب محور خطبته وتتآزر في تشكيلها الفكري. وبقدر مايتاح للخطيب من خصب الفكر وعمق النظرة لموضوعه يتحقق لديه الاقتناع به، وتتردد أصداؤه في نفسه فتذكى لديه الإحساس به والتفاعل معه على نحو يمكنه من إثارة فكر سامعيه وتحريك مشاعرهم.

وفي عنصر الأفكار تتجلى قدرة الخطيب على إحكام موضوعه والنظر في أجزائه المتدرجة التي تكون هيكله الفكري وتجعل له تخوماً محددة الأبعاد حتى لا يوسم بالاستطراد الممل أو التقصير المخل. وفي النظر إلى البناء الفكري للخطبة مايمكننا من التعرف على موقف الخطيب من هذا العنصر ومدى اهتمامه به، وكيفية استشهاده بمأثور القول، والتماس السبل المنطقية للإقناع بفكرته، ومدى ماتتسم به أفكاره من صحة واستقامة وجدة وطرافة. ومن ثم انعكاس ذلك كله على تقويم خطبته.

ـ ويعني بالأسلوب مظهر القول الذي ينجم عن اختيار وسائل التعبير. هذه الوسائل التي تحددها طبيعة الموضوع ومقاصد المتكلم وطريقة الخطيب في التعامل مع اللغة، فطبيعة الموضوع إن كان إقناعياً أو حماسياً، جدلياً أو تهذيبياً، نجوى أو محاورة. ومقاصد المتكلم في تغليب أى من عنصرى الغاية في خطبته على الآخر وهما: الإقناع والاستمالة، وطريقة الخطيب في التعامل مع اللغة وكيفية بنائه لعباراته وصوغ سقارته المفصحة عما بداخله بما يقف وراء ذلك من عوامل التكوين الفكرى والنفسى، ورؤيته للفن وقدرته البيانية وثروته اللغوية، كل ذلك يقفنا على ألوان متعددة من الأساليب الخطابية التي تتوائم مع هذه الأشياء.

وهذه الأساليب في تعددها وتلونها يجب أن تتسم ببعض السمات العامة التي تلتقي مع طبيعة الفن، وهي: الوضوح والقوة والجمال، بما تقتضيه من كلمات لا تلتبس معانيها، وتجمع في مادتها وصياغتها بين الحسن والجزالة والسلاسة والعذوبة وقوة الإيقاع، بما تتطلبه

---

(٢) ينظر في بيان ذلك: فن المقال في الأدب المصري الحديث. د. أحمد محمد علي حنطور. التركي للكمبيوتر وطباعة الأوفست القاهرة ص٩٧.

من تخير الألفاظ التي تسهل في النطق ويقوى أثرها في النفس وتعهد الجمل التي يتوافق إيقاعها في السمع. وإثارة الشعور وإمتاع العقل، وذلك باستعمال الأساليب الإنشائية والاستعانة بالقياس والبراهين. وقصر الجمل وتكرار العبارات، ففي قصر الجمل مايعين السامع على الإحاطة بأبعاد المعنى، وفي تكرار العبارات مايعمق ذلك المعنى في نفسه.

ويعنى بالخطة طريقة السير في معالجة موضوع الخطبة بما تتطلبه من تحديد أجزائها وترتيب هذه الأجزاء وكيفية الانتقال بينها بما يحقق للخطة تسلسل المعاني وتواصل الأفكار وتتابع المقدمات والنتائج حتى يتم للخطيب الغاية المرجوة من إلقاء خطبته، وتتكون الخطة من أربعة أقسام هي: المقدمة، والعرض، والبيان، والخاتمة.

١ ـ فالمقدمة تعد مدخلاً طبيعياً للموضوع وتهيئة لذهن السامع وجذباً له نحو الاستماع لما يلقيه الخطيب، ومن ثم يشترط فيها أن تكون متخيرة اللفظ مشرقة الديباجة ناصعة البيان، وأن تكون موجزة مركزة ، وأن تدل على طبيعة الموضوع وتوحي بالاتجاه الفكري الذي يسلكه الخطيب في معالجته، وأن تكون ذات صلة وثيقة بموضوع الخطبة.

وتتنوع المقدمات تبعاً لنوع الخطبة. فالخطبة الدينية تبدأ بالحمد والاستعانة والاستعاذة والاستغفار والتوبة والشهادة والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وفي غير ذلك من الخطب قد تكون المقدمة ـ بعد البسملة والتحية ـ كلمة جامعة أو خاطرة معبرة، أو بيتاً سائراً، أو حقيقة مقررة، أو طرفة نادرة، وللخطيب أن يتخير من هذه المقدمات مايشاء شريطة أن تتسم بالتواؤم مع طبيعة الموضوع الذي يعالجه في خطبته، وذلك مايجب عليه أن يراعيه مرة أخرى عند بيان موضوعه فيتخذ من وسائل التوضيح والتدليل والتفنيد مايحقق له النجاح في مهمته.

٢ ـ والمقصود بالعرض: ذكر عناصر الموضوع الأساسية التي يعالجها الخطيب في موضوعه. وتأتي أهميته من ناحية أن الخطابة فن مسموع، والمستمع في حاجة إلى من يحدد له ضفاف الموضوع منذ البداية فإن ذلك أجدى له في المتابعة وحسن الإدراك لأبعاده، والخطابة ليست فناً مقروءاً كالمقالة ـ التي لا تحتاج إلى هذا العرض ـ حيث يتمكن القارئ من تروى النظر في الوقوف على محاور المقالة الفكرية.

وإذا كان ليس ثمة ضرورة لهذا العرض في الخطابة المحفلية أو السياسية أو القضائية فهي من الأهمية بمكان في الخطابة الدينية، وذلك لما تقوم به المقدمة في تلك الخطابة بدور الافتتاحية القائمة على عناصر ثابتة تدخل في مقومات الخطبة الدينية. ومن الواجب أن يتسم العرض في ماهيته بالتماسك والحيوية والجذب، وفي عرضه بالتحديد والترتيب والاستيعاب، وأن يكتفي في بنائه بالإيجاز دون الإطناب حتى لايتكرر القول فيه مع ماياتي في عنصر البيان، وبالإشارة دون التصريح حتى لا يرمى باتجاهه منذ البداية في معالجته لموضوعه وهو لا يعرف موقف المتلقي من هذا الاتجاه.

٣ ـ البيان، والمقصود بالبيان: الكشف عن حقائق الموضوع والتدليل على صحة مايدعو إليه الخطيب في خطبته، وهو بمثابة عمود البناء الفني للخطبة، وفيه تتجلى قدرات الخطيب على كيفية المعالجة والبراعة في التناول والنفاذ إلى عقل ووجدان المستمع بمواهبه وأدواته. ونحن نرى أن لهذا البيان عوامل تحقق جودته، ووسائل يستعان بها في إقامته.

فمن عوامل جودة البيان وحدة الموضوع والتجانس الفكري بين مفرداته، وترتيب أجزاء الموضوع وفق ماجاء في عرضه، وترابط الأفكار وتواليها في تواؤم وانسجام، ووضوح الأدلة والبراهين التي يستعين بها الخطيب في معالجته، وإثارة الحماس بما تتضمنه من مثيرات القول والفكر والإلقاء.

ومن وسائل البيان التي يستعين بها الخطيب: التوضيح والشرح للجوانب المعنوية في موضوعه بما يتطلبه من عمق تحليل وقوة تأمل وحسن استبصار. والتدليل على صحة مايدعو إليه بما يقتضيه من معرفة بألوان القياس والاستنتاج والاستنباط، وإلمام بالأدلة المنطقية والشواهد اليقينية، ووقوف على البراهين الخطابية والحقائق الظنية المقبولة التي تسعفه حين يعوزه الموقف عن الوصول إلى الحقائق الثابتة المطلقة. ثم التفنيد لحجج الخصم والمناوئين لدعوته وعدم التسليم لهم بما يستلزمه من قدرة على تتبع هذه الحجج والإتيان بما ينقضها ويهدمها من الحقيقة والواقع، وبراعة في التماس نقاط الضعف في مقدمات ونتائج تلك الحجج، والاستدراك على أفكار الخصم بالتساؤلات والاعتراضات التي تعصف بها قيمة وتماسكاً، «وأن يكون الخطيب متنبهاً يقظاً إلى كل مايعتمد عليه خصمه من دليل، وأن يكون في رده عليه واضحاً، معلناً أن الغرض والوصول إلى الحق لا الغلبة والسبق، وألا يحيد عن الاعتصام بآداب اللياقة وحسن الأخلاق»[٣].

٤ ـ والخاتمة هي نهاية المطاف التي ينتهي إليها الخطيب في معالجة موضوعه، والنتيجة التي يريد أن يصل إليها في خطبته، ولأهمية الخاتمة ومكانتها في نفس السامع يجب أن تتوجه إليها عناية الخطيب وأن يكون حريصاً على أن تتحقق فيها السمات الآتية:

ـ التلخيص الأمين لعناصر الموضوع والتركيز الوافي للحقائق الفكرية التي تتضمنها الخطبة.

ـ الالتقاء مع الروح العامة التي عاش فيها المستمع خلال الخطبة وشدته إليها المقدمة.

ـ التأكيد على لب الحقيقة في بيان الموضوع وعدم التأسيس لأدلة جديدة حتى لا تضيع الخاتمة وتتميع المعالجة.

ـ قوة التعبير والإلقاء حتى تهز مشاعر المستمعين وتجعل صوتها يتردد صداه في نفوسهم.

ـ أن تكون قصيرة قاطعة أشبه بفصل الخطاب في الموضوع حتى تثبت في عقل ووجدان المستمع.

---

(٣) الخطابة: أصولها، تاريخها في أزهى عصورها عند العرب. الشيخ محمد أبو زهرة. دار الفكر العربي. ط٢ ص١١٦.

وللتمثيل لذلك فإننا نفترض أن خطيباً يريد أن يتحدث عن الأخوة في الإسلام، فإنه يبدأ حديثه بمقدمة وعرض يقول فيهما:

ـ الحمد لله رب العالمين خلق الخلق وجعلهم شعوباً وقبائل ليتعارفوا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبدالله الذى كان حريصا على بذر الود بين أصحابه ليتآلفوا، وأشهد أن لا إله إلا الله القائل فى محكم كتابه:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾(١).

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله الداعى أتباعه إلى الخير بقوله: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تباغضوا ولا تنابذوا ولا تناجشوا وكونوا إخواناً»(٢). صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين منحهم الله نفوساً كبيرة فآثروا إخوانهم على أنفسهم، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم أن يلقى الناس ربهم، وبعد:

ـ فالأخوة فى الإسلام معنى جميل يربط بين الناس برباط وثيق.

ـ والأخوة فى الإسلام خلق نبيل دعا إليه الذكر الحكيم وحث على التحلى به الرسول الكريم.

ـ والأخوة فى الإسلام واقع عاشه الرعيل الأول من أصحاب رسول الله ﷺ.

ـ والأخوة فى الإسلام أساس كثير من الصفات النبيلة التى يتحلى بها كل مسلم.

ـ والأخوة فى الإسلام لها دور كبير فى علاج كثير من أدواء الأفراد والجماعات.

ـ ثم يأتى بعد المقدمة والعرض إلى بيان هذه النقاط الخمس بالتوضيح والتدليل، فهما من أكثر الوسائل ملاءمة لطبيعة الموضوع. ويتردد فى التوضيح بين مخاطبة العقل والوجدان، وينتقل فى التدليل بين المنقول والمعقول، وفى الاستشهاد بين الماضى والحاضر، وذكر آثار الحضور والغياب لتلك الصفة.

ـ وفى الختام يأتى إلى ثمرة الموضوع ليؤكد على أن الأخوة فى الإسلام ليست دعوة نظرية يدعو إليها وأمنية خيالية يتطلع نحوها، وإنما الأدلة والشواهد التى ذكرها تنطق بضرورة أن تكون مسلكاً خلقياً تهفو النفس المؤمنة إلى أن تراه روحاً سارية فى الناس تجمع بينهم وتؤلف بين قلوبهم.

ـ والإلقاء هو: فن نطق الكلام على صورة توضح ألفاظه ومعانيه، فهو ليس مجرد أداء قولى، وإنما أداء فنى يكشف عن طبيعة الألفاظ وحقائق المعانى التى تحملها هذه الألفاظ، ونحن نرى أن الإلقاء الخطابى ليس نمطاً واحداً، وإنما هو يتنوع تبعاً لعلاقته بالخطيب من ناحية، وتبعاً لطبيعة الموقف من ناحية ثانية. وعلى جودة الإلقاء يحدث التأثير المنشود، حيث يصل إلى السامع من طريق جيد مشوق.

---

(١) الحجرات (١٠).

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه، كتاب النكاح ٧/٢٦

خطبة الجمعة

الإسلام ضد الإرهاب

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصي

الحمد لله - عز وجل - وزن الأمور بتقديره، وأضاء الصدور بنوره:

﴿ قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾(١)

أشهد أن لا إله إلا الله، العدل دينه، والاستقامة طريقه:

﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾(٢). وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، إمام البشرية، في كل خير، وهاديها إلى كل بر، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، وجنوده وحزبه:

﴿ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾(٣).

يا أتباع محمد ﷺ: الإسلام دين الفطرة:

﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٤).

وهذه الفطرة التي براها الخالق - جل جلاله - وزكاها، تهدى صاحبها بتوفيق الله وعنايته إلى سواء السبيل، فتقوده إلى طرق الحق والعدل، والخير والبر، والإيمان والإحسان، وهذه

(*) ألقيت بمسجد الرفاعي في يوم الجمعة ٢٨ من جمادى الأولى سنة ١٣٨٥هـ الموافق ٢٤ من سبتمبر سنة ١٩٦٥م.

(١) الأنعام (١٠٤).

(٢) طه (١١١).

(٣) فاطر (١٨).

(٤) الروم (٣٠).

الفطرة الصافية الزاكية تعلم صاحبها أن التدين المستقيم ينشأ من النظر فى ملكوت السموات والأرض، والتدبر فى آيات الله وآلائه، وهذا يهدى إلى الشعور بوجود الخالق، وجلال البارىء المبدع، ويتساند القلب مع العقل فى التعرف إلى شواهد الإيمان ودلائل اليقين، فإذا الإنسان عبد من عباد الله المخلصين بلا قسر ولا إكراه ولا إرغام. وإذا جاز لنا أن نتصور الإكراه موجوداً فى ناحية من نواحى الحياة، فإن هذه الناحية ستكون بعيدة عن حقيقة التدين والإيمان، لأن التدين شعور ووجدان، ولأن الإيمان يقين ينبعث عن اقتناع وتصديق، والقرآن الكريم يؤكد هذا بوضوح حيث يقول:

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾(٥)

وحيث يقول:

﴿ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ﴾(٦).

وحيث يقول:

﴿ مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ ﴾(٧).

وليس فى المسلمين أعلى شأناً أو أرفع مكاناً من رسول الله ﷺ، فهو رحمة الله للعالمين، وهو البشير النذير، وهو السراج المنير، ومع ذلك يحدثنا القرآن بأن الله ـ تبارك وتعالى ـ طالب نبيه بأن يكون بعيداً عن معانى الإكراه والإرغام والتسلط، لأنه داعية إلى عقيدة، ورائد إلى الطريق، فعمدته البيان والتذكير والإقناع، فقال له:

﴿ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ۝ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ﴾(٨)

وقال له:

﴿ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾(٩).

ورسم له طريق دعوته، ومنهج تبشيره، وأسلوب تبليغه، فلم يجعل عماد ذلك الغلظة أو الفظاظة أو الإرهاب، وكيف وهو الذى قال له:

﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ ﴾(١٠).

بل جعل طريقته متمثلة فى قوله:

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾(١١).

وقد أمر الله عباده بأن يكونوا أمثلة للرقة والملاطفة حين الدعوة، حتى مع المخالفين لهم فى الدين، فقال:

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾(١٢)

---

(٥) البقرة (٢٥٦).
(٦) الكهف (٢٩).
(٧) فصلت (٤٦).
(٨) الغاشية (٢١، ٢٢).
(٩) يونس (٩٩).
(١٠) آل عمران (١٥٩).
(١١) النحل (١٢٥).
(١٢) العنكبوت (٤٦).

وأمر الله - تعالى - نبيه محمداً ﷺ بأن يقول لمخالفيه في الاعتقاد، متلطفاً في الحوار:

﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾(١٣)

والإسلام في دعوته الواضحة وطريقته الصريحة دين لا يعرف التخفي في الظلام، ولا يعرف الالتواء والإبهام، إنه دين يمشي في وضح النهار، ويضيء طريقه بالعشي والإبكار، وهذا هو القرآن يخاطب الرسول قائلاً:

﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾(١٤)

فهو يدعو على بصيرة، ويدعو على نور، ويدعو بلا استتار أو ائتمار، ويدعو إلى طريق الاستقامة وحسن المعاملة وكريم المسالمة، فالرسول يقول: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمن الناس بوائقه»(١٥)، أي أمنوا من اعتدائه عليهم في حواسهم أو نفوسهم. والإسلام يعادي المناجاة الباطلة الشريرة فيقول:

﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾(١٦).

ويحمل القرآن على النجوى الظالمة الآثمة التي يكون فيها شر أو معصية أو عدوان، فيقول:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ ﴾(١٧)

ويقول:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾(١٨).

والميل إلى الإكراه والإرهاب يؤدي إلى العدوان على الغير في حسه أو نفسه أو ماله أو أشباهه، والإسلام يقف في وجه الاعتداء على الغير بكل صرامة وقوة، فهو يحرم تهديد الناس في حياتهم أو أمنهم أو ممتلكاتهم أو معتقداتهم، والرسول صلوات الله وسلامه عليه يقول: «كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه»(١٩). بل أخبر النبي أن حرمة الإنسان المؤمن عند الله أكبر من حرمة الكعبة الحرام التي جعلها الله - تعالى - قياماً للناس وقد كرر القرآن الكريم النهي عن الاعتداء على الغير مثل قوله عز من قائل:

﴿ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾(٢٠)

والميل إلى الإكراه والإرهاب يدعو صاحبه

---

(١٣) سبأ (٢٤).

(١٤) يوسف (١٠٨).

(١٥) البخاري ١/٩،٨/٢٧.

(١٦) النساء (١١٤).

(١٧) المجادلة (٨).

(١٨) المجادلة (٩، ١٠).

(١٩)) أبو داود رقم ٤٨٨٢.

(٢٠) البقرة (١٩٠).

إلى التحريف والتضليل حتى يتلمس لنفسه حسب زعمه وهواه مستندا يعلل به عدوانه وبغيه، فينحرف في التأويل، ويعتسف في التعليل، وقد يفسر النصوص الدينية على غير وجهها ومرماها، والقرآن الكريم يهدد ويتوعد من يحرف أو يضلل أو ينقل عن الله - تعالى - ما لم يأمر به، أو يقول في الدين ماليس منه، وهذا هو كتاب الله - عز وجل- يقول في طائفة لم تسلم وجهها لله، ولم تؤمن الإيمان الحق، وادعت أنها على الحق تسير:

﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾(٢١).

يا أتباع محمد ﷺ : إن الدين الإلهي نعمة ورحمة، وسلام ومحبة، وإيمان وإحسان، ومعاملة واستقامة ودعوة بالحكمة، وإقناع بالحجة:

﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(٢٢)

وإن المسلم الحق هين لين، وإلف مألوف، كما يقول الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه، والله - تعالى - يصور عباده الأبرار بصورة شفافة جميلة فيقول:

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾(٢٣)

وهو القائل لهم:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾(٢٤)

واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون، إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون. أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم.

***

---

(٢١) آل عمران (٧٨).

(٢٢) المائدة (١٥، ١٦).

(٢٣) الفرقان (٦٣).

(٢٤) البقرة (٢٠٨، ٢٠٩).

اتقوا الله فى خير أجناد الأرض

للأستاذ / أحمد السيد تقى الدين

أخرج البخارى فى صحيحه، حدثنا آدم، حدثنا شعبة عن الأعمش، عن مجاهد عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: قال النبى ﷺ: « لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا ».

منذ ما يقرب من ١٤٠٠ عام هجرى شهدت مكة المكرمة حدثاً جللاً، إذ اقتحم الحجاج بن يوسف الثقفى قائد الجيش الأموى مكة المكرمة بعد أن ضرب الحصار حولها أمداً أمطرها فيه بالمنجنيق ليقتحمها على عبد الله بن الزبير ثم يقتله ويصلبه، ويمثل بجثته فى أول واقعة من نوعها فى تاريخ الإسلام، أن يقتل المسلم مسلما ويمثل بجثته ويعرضها للناظرين.

واليوم ظهر للحجاج حفيد أخرج امرءا مسلما من قبره ليعرض جثته على الناظرين.

صورة بشعة شنيعة نشرتها احدى الصحف المصرية -للأسف- للبطل الراحل محمد أنور السادات وهو مسجى، عارى الجسد تماما، وقد امتلأ جسده برصاصات الغدر والخيانة.

والجريدة المذكورة ليست من صحف الصف الأول، ولا الثانى، ولا الثالث، ولا الرابع، بل لعلها لا ترد إطلاقاً ضمن اهتمامات القارىء المصرى، ومعنى أن تصل مثل هذه الصورة إلى هذه الصحيفة أن الحصول عليها سهل ميسور بالنسبة للصحف الكبرى المصرية والعالمية، ولكن أياً منها لم يقم بنشرها، احتراما لحرمة جسد ميت بالدرجة الأولى، ولذكرى بطل قد قل أن يجود الزمان بمثله.

ولم تكن هذه الجريدة هى الوحيدة التى حاولت النيل من بطل مصر، فقد شاركتها آخرون، ولكنها ضربت المثل فى بشاعة الأسلوب.

هل يختلف معنا أحد فى أن السادات إنسان يجب أن يحظى باحترام من أجل كونه إنساناً والإنسان قال عنه الله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾(١) هذا البطل قاتل من

(١) الإسراء (٧٠).

أجل تحرير شعبه من نير الاحتلال الغاشم وكان ضمن ضباط الصف الأول في ثورة ٢٣ يوليو، وكان ثاني اثنين أعلنت أسماؤهم عشية قيام الثورة، الأول هو اللواء محمد نجيب بوصفه رئيساً لها، والثاني هو السادات نفسه بصفته الوحيد الذي حرز على إعلان بيان الثورة في الإذاعة المصرية قبل أن يتأكد نجاحها ليصبحا معاً كبشي فداء في حالة الفشل، ناهيك عما تعرّض له من قبل من اعتقال ومحاكمة وتشريد وعزل من الوظيفة العسكرية لثبوت تهمة الكفاح الوطني ضد نظام الحكم القائم في ظل احتلال غاشم.

وقبل ٢٣ يوليو كان له جهاده العسكري المشرف ضد إسرائيل في حرب ١٩٤٨ بصحبة أبطال مصر العظام: محمد نجيب، وأحمد عبدالعزيز، والضبع المصري، وجمال عبدالناصر، وعبدالحكيم عامر.. قاتلوا وصمدوا صمود الأبطال في معركة الفالوجا الشهيرة التي كانت وبحق أول مشاركة عسكرية عربية ضد إسرائيل، ناهيك عن أنها أول ظهور قوي للجيش المصري منذ معركة التل الكبير بقيادة البطل أحمد عرابي، بل هي رابع معركة كبرى في تاريخ العسكرية المصرية كلها، وكانت -برغم الهزيمة- بمثابة البعث من رقدة الموت.

وهنا يحضرني حديث رسول الله ﷺ: «إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا من أهلها جندا كثيفا فإنهم خير أجناد الأرض»(٢).

تأملوا معي لقد شاءت إرادة الله أن يتغير شكل نظام الحكم تماما في مصر عقب اعلان قيام دولة إسرائيل منذ ١٩٤٨ وبعد أقل من أربع سنوات وحتى اليوم تولى حكم مصر ضباط مصريون هم: محمد نجيب، جمال عبدالناصر، محمد أنور السادات، محمد حسني مبارك ليقف هؤلاء الضباط العظام في مواجهة العدوان الإسرائيلي ومحاولاته للهيمنة على الأمة العربية والإسلامية ويكون شغلهم الشاغل هو أن يبقى جيش مصر للأمة العربية والإسلامية درعاً واقياً وسيفاً مسلطاً في مواجهة ما يراد بها من دسائس ومؤامرات.

وعند الحديث عن السادات لا يمكن اغفال جمال عبدالناصر فالرجل ناله نفس ما لحق بالسادات بعد وفاته، قالوا فيه الكثير والكثير، واتهموه بكل نقيصة، بل وُجد من جرُؤ حتى من رحمة الله، وكأنه تعالى قد أطلعهم على غيبه، وانتشرت أحاديث الزيف بلا سند ولا دليل، اللهم إلا أقاويل مرسلة.

ألم يكن جمال عبدالناصر يستطيع الاكتفاء بكونه رئيسا لأقوى وأغنى دولة عربية وإسلامية في ذلك الوقت بدلاً من أن يندفع مقاتلاً ضد كل قوى الاحتلال ذات النزعة الصليبية التي لا تخفى على أحد كما حدث في الجزائر مثلاً عندما وقف مؤيدا لثورتها جاعلا من القاهرة مركزا لحكومتها المؤقتة ماداً لها يد العون بالسلاح والعتاد ضد الاحتلال الفرنسي.

---

(٢) كشف الخفا ٢/٢٩١.

ألم يكن يستطيع أن يركن إلى الراحة والدعة داخل حدود دولته بدلاً من أن يعلن تأميم قناة السويس ليؤلب عليه قوى الشر التى احتشدت لعدوان ١٩٥٦ وكادت تطيح به هو شخصيا ولكنه احتفظ برباطة جأشه وملك القلوب من حوله بخطبته المدوية فى الجامع الأزهر والتى استهلها بقوله: «الله أكبر.. الله أكبر».

وفى حرب ١٩٦٧ يعلم القاصى والدانى أن عبدالناصر كان قد أعد العدة للحرب ضد إسرائيل لتحرير فلسطين، ولكن حدثت أمور حالت دون ذلك.

وينتقل جمال عبدالناصر إلى جوار ربه، ويخلفه السادات ليعاهد الله بأنه لن يسلم الراية إلا عالية خفاقة، وأعلن ذلك مرات ومرات، وجعل شغله الشاغل هو حرب إسرائيل.

ويقف السادات على الضفة الغربية لقناة السويس متأملاً خط بارليف الحصين.. أقوى خط دفاعى عسكرى فى التاريخ، ويعد العدة ليوم المواجهة حتى يوم السادس من أكتوبر لعام ١٩٧٣م، ويمن الله بالنصر على خير أجناد الأرض.

وتتوالى معارك السادات مع اليهود ولا تنتهى ليقوم بزيارة مفاجئة للكيان الصهيونى فى تل أبيب.. زيارة مدوية عقدت الألسنة وألجمت الأفواه، حتى الصهاينة صعقوا وذهلوا، وعجزوا عن التعامل مع هذه الضربة المذهلة كانوا يدّعون أن العرب لا يريدون السلام والآن السادات جاء إليهم.

وتمر الأيام ويوقع السادات اتفاقية كامب ديفيد ويستعيد كل سيناء بدون حرب ليقلّص المساحة المغتصبة، حتى إن رئيس الوزراء الإسرائيلى فى ذلك الوقت مناحم بيجين كان يصر على وجود الرئيس الأمريكى جيمى كارتر فى كل مراحل التفاوض قائلا له: «لا تتركنى لهذا الرجل، إنه سيجعلنى أبيع له إسرائيل» جملة ذات مغذى تناقلتها الصحف العالمية ووكالات الأنباء.. ولكن ليت قومى يفقهون.

واليوم تصر إسرائيل على رفض أى وجود لأى مفاوض مصرى مع الجانب الفلسطينى، لأنهم لا يرغبون فى التوصل لاتفاق جديد مثل كامب ديفيد يقلّص مساحة الأرض المغتصبة مرة أخرى ويدمر حلمهم فى دولة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات.

فى يوم من الأيام قال السادات لوزير خارجيته (محمد إبراهيم كامل) الذى كان يفضل نجاح حزب العمل الإسرائيلى فى الانتخابات بدلاً من الليكود، قال له: «لا فرق فى إسرائيل بين حمائم وصقور» وها هى الأيام تثبت صحة كلام السادات، فها هو بيريز حمامة حزب العمل وزيرا للخارجية فى حكومة صقر الليكود الجامح (ارئيل شارون) ومن قبله كان (إيهود باراك) رئيس وزراء إسرائيل السابق وهو من حزب العمل أول من استخدم القوة العسكرية المفرطة من دبابات وطائرات ومدافع وصواريخ فى مواجهة الانتفاضة الفلسطينية الباسلة.

وعندما قرر السادات أن يختار نائبا له

اختار جنديا من جند مصر، خير أجناد الأرض، اختار رجلا قال منذ أيام قلائل فى مواجهة الهجوم الغربى على الإسلام: «معاذ الله أن تقف رسالة السماء موقف الدفاع أو يقف أتباع رسولها الكريم موقف الاعتذار».
اختار رجلا يواصل المسيرة فى قيادة خير أجناد الأرض:

﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾[٣]

يوم السادس من أكتوبر عام ١٩٨٠ فى نفس يوم انتصاره، يموت البطل برصاصات غادرة ليلقى ربه وهو يستعرض جيشه فى ذكرى يوم انتصاره، يموت وهو يُذكر شعبه بيوم النصر ينزع منه أى احساس بالخوف من عدو قهروه.

أجل يموت البطل وهو يستعرض قوة جيشه يُرهب بها العدو:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾[٤].

يموت البطل فى ثياب الحرب وعسى أن يصدق فيه حديث رسول الله ﷺ: «إن الميت يبعث فى ثيابه التى يموت فيها»[٥].

يقول شراح الحديث: «الثياب» كناية عن العمل الذى يموت عليه ويختم له به يدل على ذلك حديث رسول الله ﷺ «يبعث العبد على ما مات عليه»[٥].

رحل السادات له ما له وعليه ما عليه، وأحسب أن يصدق فى مثله حديث رسول الله ﷺ: «المؤمن مكفر»[٦].

قال الخطابى: معناه أنه مُرزأ فى نفسه وأهله، وأنه لايزال ينكب، وتصيبه المكاره، فتكون كفارة لذنوبه[٧].

قد أكون منحازا إلى السادات، ولكن لى عذرى فقد نشأت وأنا أرى شعور الكآبة على الوجوه نشأت وأنا أسمع دوى صفارات الإنذار، وفجأة علت البشاشة الوجوه يوم السادس من أكتوبر. ولن أنسى ما حييت يوم جلس السادات على منصة مجلس الشعب وعن يساره موبوتو سيسى سيكو رئيس جمهورية زائير وعن يمينه العقيد معمر القذافى قائد الثورة الليبية وقد امتلأت القاعة بقادة الحرب وأبطالها خير أجناد الأرض: أحمد اسماعيل على- محمد حسنى مبارك- محمد عبدالغنى الجمسى- محمد على فهمى- أحمد بدوى.. وغيرهم كثير جدا.

رحم الله السادات وأسكنه فسيح جناته.

---

(٣) الشعراء (٢٢٧).

(٤) الأنفال (٦٠).

(٥) أبوداود ٣/ ١٩٠.

(٦) الخطابى: غريب الحديث ١/ ٦٩٠.

(٧) أخرجه الحاكم فى المستدرك ١/ ٥٨،
غريب الحديث ١/ ٦٩٠.

بين الصحف والمجلات

إعداد الأستاذ/ محمود الفشني

أفيقوا

الحرب الإعلامية ازدادت خطورتها

كيف تكون المواجهة مع الإعلام الصهيوني المشوه للعالم الإسلامي.

وهاهي إسرائيل تطالعنا بقناة فضائية لبث أفكارها المسمومة وعدائها المستمر للعرب والمسلمين فماذا نحن فاعلون؟

المحرر

الإسلام أمر بالحوار بين الأديان وليس التصادم بينها

وهذه الإجابة رد على الصهيونية الغربية والنظام العالمي يقدمها محمد الطحلاوي في مجلة أكتوبر في عددها الصادر في ٧/٧/٢٠٠٢ قال فيه: بداية نؤكد أن من يغمض عينيه دون النور إنما يضير عينيه ولا يضير النور.. فالمتتبع لتاريخ الإنسانية منذ نشأتها الأولى في العصور السحيقة، حتى وقت غير طويل في العصر الحديث، يجد أن الظلم والاستغلال والاستعباد كان هو السمة السائدة في مسيرة الجماعة الإنسانية، باستثناء فترات غير طويلة، نعم فيها العالم بالعدل أثناء فترة تطبيق الإسلام والتمكين له في عصر نهضته وازدهاره، باستثناء ومضات أشعت على العالم على فترات متباعدة، ومبادرات فردية، لم تستطع أن تشكل التاريخ وتبرز المساواة كمعلم إنساني، وكمبدأ دستوري واجتماعي.. لذلك يبدو غريباً ومدهشاً لكل منصف، تلك الهجمات الشرسة التي يتعرض لها الإسلام والتي زادت حدتها وخطورتها هذه الأيام، والتي تُصور الإسلام على أنه خطر على الغرب والنظام العالمي، نذكر منها ما أعلنه كلايس السكرتير العام لحلف الأطلنطي، الذي يرى أن الخطر الجديد الداهم هو الأصولية الإسلامية القادمة من العالم العربي والشرق الأوسط، وهو على حد زعمه من أخطر التحديات التي لا ينبغي التقليل من شأنها، وهذا هو النطق المغلوط الذي يردده الغرب عن الإسلام الأصولي، قاصداً تشويه الإسلام، وتزييف الوعي لإعادة تشكيل الضمير العالمي وتعبئته ضد الإسلام والمسلمين.. حول هذه القضية المهمة جدا والمطروحة الآن على الساحة الإسلامية

والعالمية كان لقاؤنا مع الدكتور محمد الشحات الجندى عضو مجمع البحوث الإسلامية ورئيس قسم الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق جامعة حلوان.

قلت لفضيلته: الإسلام الآن فى مأزق، والاتهامات تكال له من كل اتجاه، والأمر يحتاج أكثر من أى وقت مضى إلى همة العلماء لتوضيح قيم ومحاسن دين الإسلام، وعلى رأس هذه القيم علاقة الإسلام بمخالفيه.. ترى ما رأى فضيلتكم فى هذه المسألة على وجه الخصوص؟

قال: الإسلام يقيم علاقاته مع غير المسلمين على أساس من الحق والعدل والقضية ويضع لأتباعه منهجا فى هذا الصدد هو التعارف، والتفاهم، والتعاون على ما فيه خير ومصلحة الإنسانية جميعا، ميثاق عالمى يتمثل فى قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾(١).

وبهذا الميثاق صارت الأخوة الإنسانية هى الرباط الجامع بين نوعى الإنسان الرجل والمرأة - فى نطاق التقسيم السياسى والجغرافى للأمم والشعوب، وبغض النظر عن نوع الاختلاف ومداه، فإن ذلك لا يؤثر على الحقيقة القرآنية المجسدة لحقائق الاجتماعى الإنسانى، ومادام الأمر كذلك، فإن التعايش والتفاهم والتقارب يجب أن يكون غاية الجميع لما فيه الخير والمصلحة، فى إطار التعددية الإنسانية، والخصوصية الثقافية، والهوية الخاصة لكل جماعة إنسانية.. وسندنا على تلك الحقيقة، هى مبادىء الإسلام نفسه، التى هى حاكمة لأى اجتهاد وملزمة له، نسوق منها قوله تعالى:

﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ﴾(٢)

وفى تعامله مع هذا الواقع الذى تجسده أحداث الزمان والمكان منذ بدء الخليقة حتى يوم الدين، إذ ينبه على أسلوب الحوار مع المخالفين له فى آيات عديدة منها قوله تعالى:

﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾(٣).

فى الآية الكريمة دعوة إلى الحوار بين الأديان، وليس التصادم بينها، وفيها الحفاظ على الهوية الإسلامية والتسليم بحق الغير فى الخلاف.

● هذا هو الإسلام المفترى عليه.. يتعامل مع مخالفيه تعاملا حضاريا غير مسبوق.. ويعرف الرحمة واللين، واحترام كرامة الفرد وحقوقه.. دين ملئ بالإنسانية حتى فى أوقات الحرب، فالمسلمون ممنوعون من الغدر بغير المسلمين، ومنهيون عن الغلول أى الخيانة، ومنهيون عن التمثيل بجثث الأعداء

(١) الحجرات (١٣).
(٢) هود (١١٨).
(٣) آل عمران (٦٤).

وقتل المدنيين والمرضى والصبيان والنساء والعميان والمقعدين والشيوخ الكبار ورجال الدين، إذا لم يشاركوا في الحرب برأي أو تحريض، وجيش المسلمين منهي عن قطع الأشجار والتحريق، واجتياح الأخضر واليابس وقتل الحيوان، واستخدام الأسلحة الكيماوية كالغازات السامة والقنابل الحارقة، ناهيك عن أسلحة الدمار الشامل والقنبلة النووية وغيرها من الأسلحة التي تستخدم في إبادة الجنس البشري، وذلك قياساً على ما ورد من نصوص تنهى عن التدمير والتخريب ومنها قوله تعالى:

﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾(٤).

خطوطنا الدفاعية

وها هو الدكتور محمد داود يحذر وينبه في جريدة اللواء الإسلامي قائلا في عددها الصادر في ٤/٧/٢٠٠٢.

● في عصر الأقمار الصناعية والبث الفضائي ومحاولة الغرب فرض ثقافته وسلوكياته على العالم الإسلامي إني أرى أن هناك خطراً على المسلمين.

– الغرب يعلن الحرب على الإسلام– والغزو الثقافي لديار المسلمين مستمر ومع انتشار الوسائل الحديثة والنفسية في علوم الاتصال فالغزو يزداد قوة ولابد من المواجهة، مواجهة هذا الغزو بكل قوة فكرياً وعقدياً وتربوياً.

● إن خطوطنا الدفاعية مهددة من الداخل من قبل العلمانيين والشيوعيين والمستغربين الذين يريدون ثقافة وفكر الغير ان يتحكم فينا.

● إنني أشعر وأحس أن خطوطنا الدفاعية مهددة من خلفها– وأن المؤامرات تحاك على الإسلام من كل جانب وأمة الإسلام غافلة وأن هذه المؤامرات أخذت أبعاداً جديدة.. لقد وهنت قوى المسلمين بسبب الضربات الشديدة التي وجهت إلى العالم الإسلامي– ثقافية وسياسية واقتصادية وعسكرية.

ومع ذلك سيبقى الخير في هذه الأمة بإذن الله.

● والبعض يرى أن هذا العقد من هذا القرن شهد انحساراً للصحوة الإسلامية وهناك من قال إن الصحوة الإسلامية في حالة جزر..!!

● هذا كلام غير صحيح فإذا كان هناك من يتخيل أن الصحوة الإسلامية في حالة جزر، فهم واهمون فإن الأمل في المسلمين ماداموا متمسكين بعقيدتهم.

● وقرن الحضارة الإسلامية قادم بعد نهاية الشيوعية وبداية تفكك المادية والرأسمالية ونقولها مرة أخرى قرن الإيمان قادم.

يقول تعالى:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾(٥).

---

(٤) البقرة (٢٠٥).

(٥) الفرقان (١).

التطرف ومزايدات الإعلام

وهذا الموضوع يقدم سلبياته الدكتور منصور حسن عبدالرحمن فى مجلة «روزاليوسف» فى عددها الصادر فى ٢٩ / ٦ / ٢٠٠٠ قائلاً: اخترق التطرف كل بيت مصرى من أقصى يساره إلى أقصى يمينه عن طريق وسائل الإعلام فى حقبة هيمنة الفضائيات الموجهة إلينا تبث علينا الثقافات والعادات المتطرفة التى أتى بها المصريون معهم بعد عودتهم من هجرة جماعية بحثا عن عمل خلال ربع القرن الأخير.

وحاول الإعلام المصرى مواجهة التطرف بأسلوب المزايدة غير المدروسة، مما ضاعف من خطورة ما أصاب العقل المصرى وثقافة المجتمع ونسيجه، ولقد وجد التطرف بيئة خصبة وآذانا صاغية وعقولا منقادة مسلوبة الإرادة والأكثر خطورة بين أوساط المثقفين والمهنيين ونقاباتهم والأكاديميين وتجمعاتهم، وكذلك بين الطلاب واتحاداتهم للأسباب التالية:

١- أوضاع المؤسسة التعليمية المتدنية وحيث أصبح دور المدرسة والجامعة هامشيا فى العملية التعليمية والغياب الجماعى الذى أصبح أشبه بالعصيان المدنى وتحول التعليم فى المدارس والجامعات إلى دكاكين الدروس الخصوصية وانعدام الأنشطة المدرسية والجامعية وانصراف الأساتذة إلى أعمالهم الخاصة فى مكاتبهم وعياداتهم وتجارتهم أو بيع الكتب والمذكرات الركيكة كرها وإذعانا لطالباتهم وطلابهم وأصبح تواجد الأستاذ لا يذكر فى عمله الفعلى والمسئولية والمساءلة منعدمة ولا محل لها من الإعراب، مما جعل الباب مفتوحا لاختراق التطرف للمؤسسة التعليمية.

٢- القصور الشديد فى الأندية والملاعب والساحات الرياضية ووسائل الترفيه وخاصة فى المناطق المكتظة بالسكان، وكذلك فى المكتبات العامة والتى تزود الشباب بالثقافة والفكر المستنير.

٣- الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية المتباينة وتفشى البطالة والتفاوت البين فى الدخول وربما بين العاملين فى داخل المؤسسة الواحدة ومستويات الأجور والتى لا تتماشى على الإطلاق مع احتياجات ومتطلبات الحياة اليومية.

٤- تناقض الإعلام وتخبطه وعدم وجود رؤية واضحة استراتيجية على أصول علمية.

٥- ضعف الممارسة الديمقراطية فى مصر وسلبية المواطن وعزوفه عن المشاركة فى القضايا العامة ووجود أحزاب هامشية إسمية وقصور أنشطة وفاعليات مؤسسات المجتمع المدنى.

٦- الشعور بالإحباط والعجز العربى فى مواجهة إسرائيل وردعها ضد ممارساتها العدوانية الإجرامية ضد الشعب الفلسطينى الأعزل وحقه المشروع فى إقامة دولته المستقلة، وكذلك لتهديدها لجيرانها والانحياز الأمريكى المطلق لإسرائيل.

إذا سارت الأمور فيما عليه فهذا هو طريق طبيعى إلى نمو الأفكار الفاشية FASCISM الهدامة فى ثالوث الإيمان والطاعة ثم الهجوم (TO BELIEVE, TO OBEY, TO COMBAT) والتى هى الأشد دمارا وخطرا على لاستقطاب الشباب.

شجب

* وأخيراً يجب فك الأيادى المغلولة التى لا تملك سوى الشجب والمناشدة وهذا على لسان السيد الغضبان فى جريدة الأسبوع فى عددها الصادر فى ١/٧/٢٠٠٢: عاش العرب زمناً يواجهون العدوان على أراضيهم وانتهاك كرامتهم واغتصاب حقوقهم بإصدار بيانات «الشجب» بعبارات نارية وتهديد بالثأر الذى لا يحدث أبداً!! وبدأت مرحلة ما بعد «كامب ديفيد» وعقد معاهدة الصلح المصرية - الإسرائيلية ليتخلى العرب تسبيا عن بيانات «الشجب» لتحل محلها بيانات «المناشدة» و«والتوسل» إلى أمريكا لتحميهم من العدوان الصهيونى ولتضغط على إسرائيل لتخفف من عدوانها مراعاة «لخاطر» أمريكا!!

فى المرحلتين كانت إسرائيل تمضى فى تنفيذ مخططاتها دون أن تلتفت إلى «الشجب» والتهديد الأجوف بالثأر!! أو المناشدات والتوسلات الموجهة لأمريكا لم تتوقف إسرائيل فى الحالتين عن التحرك بثبات لتحقيق أهدافها معتمدة على تقدير سليم لقدراتها الذاتية وقدرات العرب، مدركة أن العرب تشغلهم فى المحل الأول صراعاتهم التى تستنفد قدراتهم على القيام بأى فعل مؤثر، وينشغل حكامهم بقهر شعوبهم لضمان استمرارهم الأبدى على كراسى الحكم!! إسرائيل تعرف هذه الحقائق فلا تلقى بالاً «للشجب» أو «المناشدات»!!

وهذا هو الفرق بين موقفين، موقف العرب الذى يتسم بالسلبية المطلقة وموقف إسرائيل التى حدد قادتها منذ عشرات السنين أهدافهم وسعوا لتحقيقها بكل الوسائل المتاحة ولم يصبهم اليأس وأحلامهم تتعثر ومشروع دولتهم يواجه العقبات، فعرفوا مواطن الضعف فى حركتهم وأسباب الفشل فعالجوا القصور فى كل مرحلة وعملوا بكل دأب دون كلل أو يأس حتى حققوا أحلامهم ومازالوا يواصلون طريقهم بنفس الإيجابية.

أما العرب فمازالوا على حالهم من السلبية والتشتت، ولا يملكون سوى تقديم «التنازلات» حتى رضوا بالعيش الذليل وبالهوان الذى يسلبهم كل نخوة أو كرامة وكل أمنياتهم أن يقبلهم السيد الأمريكى عبيداً فى بلاطه وأن يهبهم بعض «العطف» الذى يبذله لحيواناته المدللة!!

رغم ذلك فإننى أتطلع إلى ميلاد عربى جديد يخرج من رحم العمليات الاستشهادية، وإلى جيل يتعلم الدرس ويعيه ويفخر بالانتساب إلى أبطال العمليات الاستشهادية هذا الجيل يعرف أن الحقوق لا تسترد «بالشجب» أو «بالمناشدة» أو «بالاستجداء» بل تسترد بالتضحيات الجسام وبالإصرار على استخدام كل وسائل القوة المتاحة ضد أمريكا وإسرائيل ثانيا. هذا هو الطريق.. طريق الشعوب الحرة.

***

الجـــار
حقوق وواجبات

للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

خلق الله البشر ورسم لهم طريق السعادة والهناء وجعل حسن الصلة بالجار معلما هاما من معالم المحبة والألفة. وكان رسول الله ﷺ هو القدوة فى توثيق عرى المودة بينه وبين جيرانه، وتأسست معاملاته على حسن الخلق ودماثته. فأكرم به من جارا ﷺ.

ونظرة شاملة على بعض ما ورد من نصوص فى القرآن والسنة تجلى لنا الأمر وتبين أن الإسلام الحنيف أرسى من قواعد التحضر والتمدن فى معاملة الجيران ما يعد بحق مأثره لا تدانى وفخرا لا يبارى.

ونبدأ بآية كريمة أطلق عليها العلماء «آية أصحاب الحقوق العشرة» يقول الله سبحانه:

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾(١).

وهي آية ـ كما نرى ـ جامعة لأصحاب الحقوق، ومن نافلة القول الخوض في تفسيرها وبيان المراد منها فهو أمر واضح لا لبس فيه ولكن كان إن للمرء من تعليق فليكن على ختام الآية التي وصفت المعرضين عن تنفيذ ما نصت عليه بالخيلاء والفخر الذي يخيل إليك أنه في غير موضعه وأخرجت أولئك العصاة من دائرة محبة الله. كما نرى فيها دعوة من طرف خفي إلى التواضع والتواصي بالبر والخير واجتناب كل ما يشي بصفة من صفات الكبر وفي الكبر ما فيه من المفاسد والمضار ـ سلمكم الله ووقاكم ـ أما التواضع فهو الباب المفتوح على مصاريعه إلى التعاون والتآلف والوحدة ولم الشمل وبهذه الفضائل يتحقق الأمن والأمان والرخاء وترفرف السعادة بأجنحتها في سماء الدنيا وتبسط العدالة سلطانها في معزوفة رائعة من كريم السجايا وحميد الخصال.

ولا يتحقق كل ذلك إلا بأداء الحقوق والواجبات، ترى إذن ما أنواع الجيران الذين انتدبنا الشرع الحكيم إلى الإحسان إليهم؟

أولا: الجار ذو القربى: وهو الذي قرب جواره أو منزله مع الجوار قرب أو اتصال بنسب أو الذي قرب مكانا أو دينا أو نسبا.

ثانيا: الجار الجنب: وهو الذي بعد جواره أو الجار الذي لا قرابة له أو الجار البعيد مكانا أو دينا أو نسبا إضافة إلى الصاحب بالجنب وهو الرفيق في الطريق وقد فصل الحديث الشريف القول في تصنيف الجار فقد روى البخاري بسنده أن رسول الله ﷺ قال: «الجيران ثلاثة: جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق. فأما الجار الذي له حق واحد فجار مشرك لا رحم له له حق الجوار، وأما الجار الذي له حقان فجار مسلم له حق الإسلام وحق الجوار، وأما الجار الذي له ثلاثة حقوق فجار مسلم ذو رحم له حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم».. بل إن حق الجار كاد أن يصل إلى مظنة التوريث فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» في الصحيحين وغيرهما.

---

(١) النساء (٣٦).

فما أعظمه من دين ذلك الذى يرفع من شأن الجيرة ويعلى من قيمة العلاقات الاجتماعية والحقوق المدنية.

فإذا انتقلنا إلى مظاهر تتمثل فيها بجلاء حقوق الجار رأينا عجبا وأثلج صدورنا حديث نبوى يعد دستورا لكل زمان، إذ يكاد لا يترك شاردة ولا واردة إلا عدها ونظمها فى عقد بديع الألوان متناسق متناغم يوشك أن يجعل من الدنيا جنة يعيش الإنسان فى وارف ظلالها فاقرأ بعين بصيرتك قبل بصرك عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ قال: «من أغلق بابه دون جاره مخافة على أهله وماله فليس ذلك بمؤمن وليس بمؤمن من لم يأمن جاره بوائقه ـ أى غشمه وظلمه ـ أتدرى ما حق الجار؟ إذا استعانك أعنته وإذا استقرضك أقرضته وإن افتقر عدت إليه وإذا مرض عدته وإذا أصابه خير هنأته وإذا أصابته مصيبة عزيته وإذا مات اتبعت جنازته ولا تستطل عليه بالبنيان فتحجب عنه الريح إلا بإذنه ولا تؤذه بقتار قدرك إلا أن تغرف له منها وإن اشتريت فاكهة فأهد له فإن لم تفعل فأدخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده»، تلك عشرة حقوق للجار فتعالوا نستعرضها فى إيجاز غير مخل ونلقى عليها بعض الضوء:

١- معاونة الجار المنبعثة من المبدأ القرآنى:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾(٢).

والمستمد من المبادىء النبوية التى بينت أن الله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه تلك المبادىء التى تنادى بتبادل المنافع فى إطار يتوخى الحلال المباح ويتحاشى الحرام بكل صوره وقد لخص الرسول ﷺ قيمة الإنسان فى جملة تقول: «خير الناس أنفعهم للناس».

٢- إقراض الجار إن طلب القرض وكانت ظروفك تمكنك من ذلك فمد يد العون واجب تحتمه النخوة والمروءة قبل أن يأمر به الدين وتحض عليه الشرائع والقرض هنا أخى المسلم ـ وفقك الله ـ مقدم على الصدقة فقد أخرج ابن ماجة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر ضعفا فقلت لجبريل: ما بال القرض أفضل من الصدقة فقال: لأن السائل يسأل وعنده وأما المستقرض فلا يستقرض إلا من حاجة» والقرض الحسن هو الذى يراعى فيه المقرض

---

(٢) المائدة (٢)

مشاعر المقترض ولا يؤذى أحاسيسه بمن ولا أذى مبتعدا عن الربى واستغلال الظروف واستثمار حاجة المقترض.

٣- مواساته بالمال فى حال العسر فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وتفريج كرب المؤمن طريق المغفرة فى الدنيا والآخرة.

٤- زيارة الجار فى أثناء مرضه للتخفيف من معاناته ومشاركته فى آلامه وأن تدعو له بالشفاء قائلا: لا بأس عليك طهور إن شاء الله وأنت حين تؤدى ما عليك من واجب تجاه جارك المريض أهل للبشرى التى جاءت على لسان الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ حينما قال: «ما من مسلم يعود مسلما غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسى وإن عاده عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح وكان له طريق فى الجنة» أى ثمر يجتنيه متلذذا بأطايبه متمتعا بحلو مذاقه.

٥- التهنئة فى المسرات من نجاح وتخرج ولد أو حصوله على وظيفة أو شهادة عالية أو زفاف أو ولادة أو ختان وغير ذلك من المناسبات السعيدة التى تدعو الله أن يكثر منها وإن بنى بيتا أو اشترى عقارا هنأته قائلا: هنيئا لك ما أنعم الله عليك وذكرته بحقوق الله فى الوكيرة وذلك فى أسلوب ينم عن الفرح والسرور بما أفاء الله عليه من نعمة ولم لا والرسول ﷺ يذكرنا صباح مساء قائلا: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

٦- ولأن الحياة لابد وسر صفوها فقد كان الأمر بالتعزية أمرا لازما والإيجاز بالصبر من عزم الأمور كل ذلك فى إطار من الموعظة الحسنة التى لا يشتم منه بحال رائحة الشماتة فالأيام دول. والأجر فى التعزية مضمون فعن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «من عزى مصابا فله مثل أجره».

٧- واتباع جنازته أمر واجب وهو أن تشيعه حتى يدفن وثوابك عند الله جزيل يقول ﷺ: «من تبع جنازة وصلى عليها فله قيراط ومن تبعها حتى يفرغ منها فله قيراطان أصغرهما مثل أحد» فى الصحيحين وغيرهما وعندما يعلم الصحابى بذلك يعلق قائلا: لقد فرطنا فى قراريط كثيرة.

٨- عدم الاستطالة عليه بالبنيان خشية أن تمنع عنه نسائم الصيف مثلا إلا بإذنه وهو احترام متبادل فيه الحفاظ على المصالح المشتركة فإنه لا يتعمد إيذاء جاره، إذ القانون السماوى يقول: «لا ضرر ولا ضرار» وفى هذا المجال ابتكرت المدنية الحديثة من الاختراعات ما يمتع أصحابها متاعا شكليا بالهواء الرطب صيفا

والدافيء شتاء غير عابئين بما يرسل كل منهم إلى جاره من سموم الصيف وزمهرير الشتاء عن طريق أجهزة التكييف فأين المحدثون من كياسة الإسلام وحرصه الشديد على عدم إيذاء الآخرين.

٩- عدم إيذاء مشاعر الجار بما يصدر من مطبخك من روائح الأطعمة التى يسيل لها اللعاب إلا أن تغرف له من ذلك الطعام حتى تجتث ما قد يدور بنفسه من مشاعر الحقد وتستأصل الحسد. ولعمرى أن المحدثين ليفعلون عكس ذلك تماما حين يقوم كل منهم بتركيب ما يعرف بالشفاط فى المطابخ وهو جهاز يقوم بطرد الروائح من البيت ونشرها إلى الخارج وقد تكون روائح أغذية شهية تنتشر إلى الشقق المجاورة. ولا يراعى أصحاب تلك الأجهزة حالة الجار الذى قد لا يذوق الطعام المطهى إلا لماما. أين هؤلاء من دعوة الرسول الكريم إلى السخاء والجود وعدم البخل.. وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «من أدخل على أهل بيت من المسلمين سرورا لم يرض الله له ثوابا دون الجنة» رواه الطبراني. وعن أنس عنه ﷺ قال: «ما آمن بى من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم».

وأوصى ﷺ أبا ذر الغفارى بقوله: «إذا صنعت مرقة فأكثر ماءها وتعهد جيرانك» فى رياض الصالحين فى باب الجار.

١٠- الإهداء له من الفاكهة التى اشتريت فإن أبيت فأدخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده مراعاة للأحاسيس والمشاعر، سمو خلقى ليتنا نفهمه ونطبقه فما بالنا اليوم بأناس كثرت الأموال فى أيديهم من حلال وحرام يؤذون بها عباد الله فى إسراف مقيت وسنة مرذولة نحن فى غنى عنها وكان الأولى بتلك الأموال أن تشبع بها من اكتوت أكبادهم بسياط الجوع وأن تكسى بها أجسام كادت ملازمتها لمن ارتدوها طويلا أن تنفضها ثائرة معترضة على طول مكثها لديهم وبقائها عندهم وانتهاء عمرها الافتراضى أو تعالج بها أمراض وعلل أخذت من المبتلين بها كل مأخذ إذ لم يجدوا ثمن العلاج الشافى الذى يؤذن بانتهاء المعاناة.

وبعد يا أخي المسلم ترى ما مدى التزامك بتلك الوصايا الخالدة؟

إن هناك بعض السلوكيات التى تتنافى مع تلك التعاليم. ماذا نقول مثلا لجار يقيم العرس فى منزله وفى الشقة المقابلة له ميت فى انتظار الدفن؟ ماذا نقول لجار أطلق لتلفازه العنان وملأ الدنيا صراخا عديدة وهو يشاهد مباريات كأس العالم غير مهتم ولا مبال بإخوة له وأخوات يؤذون

امتحانات تتحدد على أساسها مصائرهم وينبنى عليها مستقبلهم؟ وماذا نقول لمن أقض مضاجع الناس وزاد فى معاناة المرضى بمكبرات الصوت يطلقها فتشق صمت الليل الهادىء وتحيله إلى سوق لا يسمع فيه البائع صوت المشترى ماذا يمكن أن نقول لمن استغل وقت القيلولة فشغل أدوات النجارة والخراطة وآلات الهدم والبناء وأطلق العنان لأبواق الصخب فى مظاهر القصد منها إقلاق راحة من هم فى مسيس الحاجة إلى قسط منها يعينهم على مواصلة الكدح وماذا نقول لمهاويس كرة القدم المشغولين بتوافه الأمور المجاهدين بالألفاظ النابية والأفعال السوقية هداهم الله.

أختاما فإن نظرة على تراثنا التليد وسلوكيات سلفنا الصالح تربنا مدى التزامهم بمعالى الأمور وابتعادهم عن سفسافها فهل تعلم - سدد الله على طريق الهدى والخير خطاك - أن المفسر الأشهر الزمخشرى صاحب كتاب الكشاف كانت كنيته جار الله استئناسا واستبشارا بجواره عز وجل وأن امرأة فرعون هى أول من أرست مبدأ «الرفيق قبل الطريق والجار قبل الدار» حينما دعت ربها فيما سجله القرآن فى الآية ١١ من سورة التحريم ففى قولها «عندك» تحديد لجوار الله وذلك قبل طلبها ﴿ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ ﴾ فماذا تفيد الجنة إن لم تكن فى جوار الله عز وجل وقصة الإمام الأعظم أبى حنيفة مع جاره الإسكافى الذى كان يسهر حتى الصباح يغنى ويعربد قائلا:

أضاعونى وأى فتى أضاعوا
ليوم كريهة وشديد بأس

وظل على مجونه حتى جاء يوم لم يسمعه الإمام ليلا فخشى أن يكون قد أصابه مكروه رغم ما كان يسببه للإمام من إزعاج أثناء قيام الليل فلما علم الإمام أن الشرطة قد اعتقلته وأودع السجن توسط له عند السلطان حتى تم الإفراج عنه فلما لقيه الإمام سأله ملاطفا هل أضعناك يا فتى فشكر له الإسكافى مقابلة السيئة بالحسنة وعاهده على أن لا يعود إلى مجونه ابدا وتاب وحسنت توبته فالخلق الخلق يا عباد الله مع جيرانكم.

***

بين المجلة.. والقارئ

إعداد وتقديم/ عادل رفاعي خفاجة

البشاشة سلوك ودين

مازال يتردد في سمعي صدى تلك الكلمات منذ استمعت إليها من صديقي العائد من اليابان وهو يصف مشاعر الناس هناك.. كم كان جميلاً ذلك الوصف من رجل أعمال تفيض مشاعره بالإنسانية...

وكان سؤالي عن انطباعاته وأهم ما لفت نظره وشد انتباهه.

فجاءت الإجابة التي مازال يتردد صداها في سمعي، قال: الناس يعيشون في مظاهرة حب!!

فمازحته قائلاً: وماذا كانت تحمل لافتاتهم من كلمات؟!

قال: لافتاتهم، هي تلك الوجوه، وما كتب عليها، هي تلك الابتسامات التي لا تفارقها.

واستطرد صديقي قائلاً: لقد ظننت في بداية الأمر أن هذه الابتسامات لمرافقي من أهل البلدة وأنه يعرف هؤلاء الناس الذين يبتسمون له بقدر كبير من المودة..

غير أنني لاحظت أن النطاق الذي تحركنا فيه يزداد اتساعاً، ولاتزال الابتسامات تصاحب وجوه الناس فعلمت أن الناس يعيشون مظاهرة حب كبيرة تضمهم جميعاً.

أسعدتني تلك الكلمات، وأسعدتني أيضا نظراته التي تتشوف لمثل هذه المودة والبهجة أن تملأ شوارع قاهرة المعز.

منذ ذلك الوقت وأنا لا أطيق مدافعة تلك الرغبة في تفحص وجوه أهل بلدي من حولي، فما وجدت غير وجه غارق في التفكير.

أو مهموم لم تترك له هموم الحياة فرصة ليتبادل النظر مع الآخرين أو وجوه حيادية الملامح كان أصحابها يخشون إذا ما تبسموا لمن لا يعرفون أن يرميهم الناس بالسذاجة طاف بخاطري تساؤل: هل لمظاهرة الحب تلك أثر

فى تقدم مسيرة هذه الشعوب؟ ووجدتنى أجيب: هى بلا شك كذلك، فشعب هذا حاله لابد أن يتفرغ للإبداع والإنتاج ودفع مسيرة التقدم للامام.

ولم لا تكون مظاهرة الحب تلك نتيجة التقدم والحضارة لدى هذه الشعوب؟

ثمَّ، لم لا نجعلها مطلباً نسعى إلى تحقيقه وبين أيدينا وملىء مسامعنا حديث نبينا الكريم محمد - ﷺ - الذى يقول:

«ولا تزهدن فى المعروف ولو أن تلقى أخاك وأنت منبسطٌ إليه وجهك»(١).

وقوله - ﷺ -:

«تبسمك فى وجه أخيك لك صدقة...»(٢)

أى أن إظهار البشاشة والبشر لأخيك إذا لقيته تؤجر عليه كما تؤجر على الصدقة.

وقال بعض العارفين: «التبسم والبشر من آثار أنوار القلب.

وقال ابن عيينة: البشاشة مصيدة المودة، والبر شىء هين، وجه طليق وكلام لين.

وهذا عبد الله بن المبارك يقول عن حسن الخلق أنه: بسط الوجه، وبذل المعروف وكف الأذى.

وسئل سلام بن مطيع عن صاحب الخلق الحسن

فأنشد شعراً فقال:

تراه إذا ما جئته متهللاً
كأنك تعطيه الذى أنت سائلُه

ولو لم يكن فى كفه غير روحه
لجاد بها فليتق الله سائلُه

هو البحر من أىّ النواحى أتيته
فلجّتُهُ المعروف والجود ساحلُه

وقال اسحاق بن راهوية: حسن الخلق هو بسط الوجه وأن لا تغضب.

هذا بعض ما قاله وفعله السلف الصالح اقتداءً برسول الله الكريم

وبعد...

فكم نتمنى أن تعود نتحصّن بديننا فى كل ذهابنا وإيابنا وفى كل مناحى حياتنا لنحقق الأنموذج الإسلامى المتفرد الذى يتمنى أن يحتذيه كل إنسان متحضر يحب الخير والحق!!

لا أن نكتفى برؤية صورتنا فى مرآة الشعوب المتحضرة.

- ترى كم بقى من الوقت حتى نحقق تلك الصورة المفقودة، صورة المسلم الذى يحب لأخيه ما يحب لنفسه؛ حتى تشهد ديار المسلمين مثل هذ المظاهرة من الحب والرحمة والود التى نتشوف إليها والتى عاشها السلف الصالح اللهم مددك.

---

(١) مسند الإمام أحمد رقم ١٩٧٢٦.

(٢) الترمذى، وابن حبان، عن أبى ذر.

كيف نقي أنفسنا من القلق

ورد من القارئ «محمد عباس محمد عرابي» هذه الكلمة عن كيفية دفع القلق، ولعل في دفعه عن النفس ما يعين الإنسان على مواجهة الحياة، فيلقى أخاه هاشا باشا.

وفي رسالة الأستاذ محمد عباس:

يقول «ديل كارنيجي» صاحب الكتاب الشهير «دع القلق وابدأ الحياة»: لقيت «هنري فورد» قبل وفاته، فتوقعت أن أرى عليه سيماء رجل منهك القوى من فرط الجهد الذي بذله في إنشاء مؤسسة تجارية من أضخم المؤسسات في العالم، غير أني فوجئت حين وجدته على درجة كبيرة من الرزانة والهدوء، وكأنه آية في الاتزان والطمأنينة. برغم بلوغه الثامنة والسبعين من عمره. فلما سألته: هل عانى من القلق شيئا؟ أجاب: كلا، فإني أعتقد أن الله - سبحانه - قدير على تصريف الأمور، وأنه - تعالى - في غير حاجة إلى نصيحة مني، ولهذا فأنا أترك له تصريف أموري بحكمته (جل شأنه)! فعلام إذن يتولاني القلق؟؟

هل كان «فورد» زميلا لابن عطاء الله السكندري في هذا المنطق الممتلىء بالتسليم والثقة فيما تجيء به الأقدار؟

إن كان المستر «فورد» لم يعرف ابن عطاء الله ولم يأخذ عنه، فإليك خلاصة لكلام هذا العالم المسلم تلمح فيه قوة الشبه بين المنطقين، على تباعد الديار والأعصار!!!

قال ابن عطاء الله يحض على التسليم لله، ويحصي آداب التجرد:

الأول:- علمك بسابق تدبير الله فيك، وذلك أن تعلم أن الله كان لك، قبل أن تكون لنفسك!!! فكما كان لك مدبرًا قبل أن تكون ولا شيء من تدبيرك معه، كذلك هو سبحانه مدبر لك بعد وجودك! فكن له كما كنت له، يكن لك كما كان لك.

الثاني:- أن تعلم أن التدبير منك لنفسك جهل منك بحسن النظر لها.

الثالث:- علمك بأن القدر لا يجري على حسب تدبيرك، بل أكثر ما يكون هو مالا تدبِّر، وأقل ما يكون ما أنت له مدبر...!!!

الرابع:- علمك بأن الله (تعالى) هو المتولي لتدبير مملكته، علوها وسفلها، وغيبها وشهادتها، وكما سلمت له تدبيره في عرشه وكرسيه، وسماواته وأرضه، فسلم له تدبيره في وجودك بين هذه العوالم..!!

وسيثبُ إلى الذهن حتماً بعد الاستماع إلى هذه النصائح أن الإنسان لكي يتم يقينه يجب أن يتجرَّد من حَوْله وطَوْله وأن ينخلع من قواه، وأن يهمل الأسباب، وأن ينتظر من تدبير الله بعدئذ أن يقضي له ما يشتهي!! وهذا خطأ محض، وما إليه قصد ابن عطاء الله، ولا به عمل «مستر فورد».

فإن شعور الإنسان بحوله ضرورة. ونهوضه للأسباب المعتادة حقٌّ!

ولذلك يستدرك ابن عطاء الله بعد كلامه السابق فيقول «إن التسبُّب لا ينافي التوكُّل».

أخطــــــــــاء شـــائعة

● يواصل القارىء / إبراهيم نصحى محمد – المدرس بالأزهر الشريف حديثه عن الأخطاء الشائعة يقول:

– من الخطأ أن تقول: «للأسف مات الضمير وانعدمت القيم»

والصواب أن تقول: (بالأسف) لأن من المواضع التى لا يصح فيها حذف الحرف (يا) المنادى المتعجب منه.

– ومن الخطأ أن تقول: قصارى الحديث أو القول.

والصواب: خلاصة الحديث أو القول. لأن قصارى تعنى: الغاية

– ومن الخطأ: قد لا أحضر الامتحان.

والصواب: قد أغيب أو قد أتغيب. لأن (قد) حرف يختص بالفعل المثبت المتصرف الخبرى، المجرد من الناصب والجازم والسين وسوف كما لا يفصل بين (قد) والفعل إلا بالقسم مثل: قد والله أتمكن من أداء الامتحان.

– من الخطأ: حضر فلان افتتاح (المَعْرَض)

والصواب: مَعْرِض بكسر الراء. لأن إسمى المكان والزمان من الثلاثى على (مَفعل) إذا كان الفعل صحيح الآخر مكسور العين.

ومن الخطأ: وقع فلان فى مَأزَق بفتح (الزاى)

والصواب: مأزِق: وهو الموضع الضيق ويجمع على (مآزِق).

من صـــــفات المؤمنيـــــن

● ويرسل القارىء / خيرى محمد إبراهيم أبو الروس هذه الكلمة التى يوضح فيها الملامح والصفات التى يجب أن يتحلى بها كل مسلم – يقول:

لكى أعيش للإسلام لأبدَّ أن تتسم حياتى بسمات تُميزها عن حياة سائر الناس ومن هذه السمات الآتى ذكره:

أولاً: التزام عملى بالإسلام:– فالإيمان ليس بالتمنى ولكن هو ما وَقَر فى القلب وصدَّقه عمل الإنسان كما قال تعالى فى القرآن العظيم وهو أصدق القائلين «إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية» سورة البينة الآية رقم (٧)

ثانياً: تقضى مصلحة الإسلام لقوله ﷺ «ألا إن رحى الإسلام دائرة فدوروا مع الإسلام حيث دار» رواه الحاكم.

ثالثاً: الاعتزاز بالحق والثقة بالله – جل جلاله – وهى صفات المؤمنين كما قال تعالى فى القرآن العظيم وهو أصدق القائلين:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

سورة المنافقون الآية رقم (٨)

ورُوى أن المهاجرين الذين هاجروا من مكة إلى الحبشة فراراً بدينهم دخلوا على النجاشى فابتدرهم من عنده أن اسجدوا للملك فقام سيدنا جعفر بن أبى طالب - رضى الله عنه - وقال كلمته المشهورة «نحن قومٌ لا نسجُد إلا لله تعالى» .

رابعاً : التزام العمل للإسلام حيث إن التمائى للإسلام يفرض علىّ العمل له .. وذلك من خلال الامر بالمعروف والنهى عن المنكر واتباع الحلال والابتعاد عن الحرام والجهاد فى سبيل الله تعالى والتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان كما قال - تعالى - فى القرآن العظيم وهو أصدق القائلين :

﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾

سورة المائدة الآية رقم (٢)

رعايــة الأيتام فى الإسلام

وعن الاهتمام باليتيم وردت رسالة القارىء محمد محمود العطار من كفر الشيخ يقول فيها :

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ﴾

سورة البقرة الآية (٢٢٠)

حقاً لقد اهتم الإسلام باليتامى حيث كفل لليتامى نصيباً من الميراث ليحافظ على حياتهم الدنيوية وحث على حسن معاملتهم بحيث تكون المعاملة كريمة وتحافظ على كرامتهم وإنسانيتهم ولقد روى عن عبد الله بن المبارك عن النبى - ﷺ - أنه قال «خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر بيت فيه يتيم يساء إليه ثم قال أنا وكافل اليتيم فى الجنة كهاتين وأشار بأصبعيه الوسطى والسبابة» أخرجه ابن ماجة عن أبى هريرة .

ولقد حذر الإسلام من أكل مال اليتيم أو عدم إعطائهم حقوقهم وكذلك من محاولة تعرضهم للإساءة من جانب الآخرين: قال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾

سورة النساء الآية (١٠)

ولقد أكد الإسلام على ضرورة توفير الاحتياجات الضرورية لهم من مأكل وملبس وإيواء، قال تعالى :

﴿ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ۝١٧ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾

سورة الفجر، الآيات ١٧، ١٨ .

من ابداعات القراء :

شهيد الأقصى

بقلم/ متولى بصل

دعاني الموت يا أمي
فلا تبكي
فإن الموت مكتوب
على الأحياء
***
وإن أبصرت جثماني
فضميني
وصلي وافرحي إني
مع الشهداء
***
وإن قالوا غدا عني
شهيد المسجد الأقصى
فقولي
ليت لي عشراً من الأبناء
***
فإن القدس يا أمي
محاصرة
تدنسها عصابات
من الجبناء
***
مساجدها محرقة
مآذنها محطمة
تهدمها يد الأعداء
***
وإخواني وأهلي
في شوارعها
هم الجرحى
هم القتلى
هم الأشلاء
***
ودور القدس قد صارت مهدمةً
وتحت حطامها جثث
ونهر دماء
***
فلا تبكي
إذا ما مت يا أمي
بل ابتهجي
فموتى لن يكون هباء
***
فإني
وهبت للقدس الشريف دمي
وسوف أكون
للأقصى الحبيب فداء
***
أموت أنا
لكي تحيا انتفاضتنا
أهون أنا
ولا تذهب كرامتنا
أموت أنا
لتصعد في سماء القدس رايتنا
وتبقى راية التوحيد في العلياء

تحية إلى شعب فلسطين

شعر/ جابر عبد العليم مصطفى

يا أيهـا الشـعبُ الأبيُّ تحـيَّـة ** ولكل طفل في الخليل سلام
ولكل أمٍّ قـد تمزّق قلبـهـا ** ولكل شيخ في العذاب يسام
ولأهل جنين الكرام تحيـة ** ولكل من حرم الأمان وسام
مـاذا أقول لوصف شعب صامد ** أنثى وطفل كلهم ضرغام
حملوا الحجارة في أكُفٍّ آية. ** تشوى الوجوه كأنها ألغام
يا أم دُرة والحياة مريرة ** بئس الحياة يعمها الإظلام
لا تحزني فدماء دُرّة قد زكت ** وتعطرت أرض بها ورغام



حماس تتوعد بالانتقام لمقتل صانع الاستشهاديين

للأستاذ / محمد الشرقاوى

توعدت المقاومة الإسلامية «حماس» الكيان الصهيونى وآلته العسكرية بالثأر لمقتل المهندس «مهند الطاهر» القائد العسكرى لكتائب عزالدين القسام الجناح العسكرى لحركة حماس فى نابلس والملقب بصانع الاستشهاديين فى الوقت الذى أشادت فيه دولة الكيان بمقتل الطاهر واعتبرته انتصارا كبيرا بعد أن قالت إنه وجماعته مسئولون عن مقتل أكثر من (١١٧) صهيونيا فى سلسلة تفجيرات كان أهمها العملية الاستشهادية الأخيرة فى ١٨ يونيو الماضى بالقدس المحتلة والتى أدت إلى مقتل ما يزيد على ١٩ قتيلا وإصابة ٥٠ آخرين، وأكدت كتائب عزالدين القسام فى بيان لها أنها تزف الشهيد القائد المهندس «مهند الطاهر» و«عماد دروزة» اللذين رفضا تسليم نفسيهما للقوات الصهيونية وأصرا على مواصلة الجهاد حتى الرمق الأخير.

وأكد البيان أن كتائب القسام أودعت خبرات مجاهديها وما توصلت إليه عقولهم لدى الآلاف من المخلصين والشهداء الأحياء حتى تستمر مسيرة المقاومة والجهاد ويندحر الغزاة.

يذكر أن «مهند الطاهر» المهندس الرابع فى كتائب القسام بعد المهندس «يحيى عياش»، «عادل عوض الله»، «محمود أبوالهنود» وهو من مواليد ١٩٧٦م كما أنه كان طالبا بجامعة النجاح فى نابلس وزميلا للاستشهادى «محمد نزال» صاحب عملية القدس الأخيرة.

سكان جزر «فانواتو» منسيون من العالم الإسلامي

جزر «فانواتو» تقع في المحيط الهادي قرب «استراليا» وفيها عدد من المسلمين وقد قام مدير مكتب رابطة العالم الإسلامي في استراليا بزيارة لجزر «فانواتو» بشرق آسيا والتقى برئيس وأعضاء الجمعية الإسلامية في العاصمة «بورت فيلا» بحث معهم نشاطات الجمعية في المرحلة القادمة في مجال نشر الدعوة الإسلامية لكي تشمل باقي جزر «فانواتو» إضافة إلى مناقشة إنشاء مسجد للمسلمين في مقر جامعة جنوب الهادي في العاصمة وتزويد الجامعة بالمراجع الإسلامية في القانون والفقه الإسلامي وتخصيص منح دراسية لعدد من أبناء الجزر.

ومما يذكر أن «فانواتو» بلد مكون من (٨٠) جزيرة تقع في جنوب غرب المحيط الهادي ومساحتها (١٢,٢٠٠) كيلو متر مربع وأكبر الجزر فيها هي: «اسبوتيو»، «سانتو»، «مالا كيولا»، «ابنيت» وعدد سكانها خمسة عشر ألف نسمة وحكمت انجلترا بالاشتراك مع فرنسا تلك الجزر من عام (١٩٠٦) إلى سنة (١٩٨٠) حيث نالت استقلالها.

ودخل الإسلام الجزر بعد أن اختارت الكنيسة الكاثوليكية رجلا من السكان الأصليين من الجزيرة يدعى «ناباناء» وأوفدته إلى الهند لتعلم الديانة المسيحية وبدلا من تعلمها هداه الله إلى الإسلام واعتنقه وعاد إلى العاصمة وقام بتأسيس مركز للدعوة الإسلامية بدعم من ماليزيا وبعد وفاته تولى أبناؤه مهمة الدعوة الإسلامية وأسسوا أول جمعية إسلامية في العاصمة «بورت فيلا» وتسجيلها لدى السلطات الحكومية ويبلغ عدد المسلمين حاليا حوالي ثلاثمائة أسرة يتركز خمسون منها في العاصمة والبقية ينتشرون في جزيرة «ناتالا».

مسلمات هولندا يدعمن الانتفاضة بالذهب

تشهد حملات جمع التبرعات لدعم الانتفاضة ومساندة الشعب الفلسطيني انتعاشا ظاهرا بين مسلمي هولندا وخاصة بين النساء اللاتي تبرع العديد منهن بحليهن الذهبية بينما لم تجد أخريات سوى اقتطاع جزء من مصروف البيت لتقديم العون للفلسطينيات اللاتي يعانين تحت الاحتلال الإسرائيلي، فقد جمعت مجموعة من عضوات إحدى الجمعيات الإسلامية في هولندا تسعة آلاف يورو لصالح الانتفاضة الفلسطينية بينما تمكنت مجموعة صغيرة أخرى من الطالبات المسلمات من جمع مبلغ ثلاثة آلاف يورو.

وتواصل مجموعة ثالثة من الطلبة المسلمين في الجامعات الهولندية نشاطا خيريا طيلة الأشهر الماضية لجمع تبرعات لأبناء الشهداء الفلسطينيين في إطار صندوق دعم مالي اطلق عليه اسم «صندوق أيتام فلسطين».

ومن جهة أخرى تواصل العديد من الجمعيات والمؤسسات الثقافية والاجتماعية التابعة للأقلية المسلمة في هولندا تنظيم مظاهرات شعبية للتضامن مع انتفاضة الشعب الفلسطيني ومقاومته للاحتلال الإسرائيلي.

السلطات اليونانية تنتهك حقـــوق المســـلمين

تبحث مؤتمرات منظمة المؤتمر الإسلامي قضية الأقلية المسلمة باليونان ضمن قضايا الجماعات والأقليات المسلمة فى الدول غير الأعضاء التى تتعرض فيها حقوق الجماعات والأقليات المسلمة للانتهاك باستمرار وفى هذا الصدد صادقت المؤتمرات الإسلامية على قرارات تهدف إلى احترام الحقوق المدنية والدينية للأقلية المسلمة فى « تراقيا » الغربية وتنظم اتفاقية « لوزان » التى وقعت بين تركيا واليونان عام ١٩٢٣ العلاقة بين السلطات اليونانية والأقلية المسلمة هناك وقد نصت هذه الاتفاقية خاصة المادة (٤٠) على حق المسلمين هناك فى استخدام لغتهم التركية وممارسة شعائر دينهم واختيار ممثليهم فى الشئون الدينية والوظائف العامة بكل قرية ، كما نصت الاتفاقيات على استثمار أموال الأقلية المسلمة بما يخدم مصالحهم دون أية ضغوط أو قيود وعلى إمكانية تبادل السكان بين البلدين وبالفعل تم استبدال عدد من المسلمين المقيمين فى « تراقيا الغربية » بالأقلية اليونانية المسيحية المقيمة فى استانبول بتركيا وتنص اتفاقية « أثينا » الموقعة سنة ١٩١٣ على أن الأقلية التركية المسلمة هى التى تنتخب زعماءها الدينيين - رجال الإفتاء - غير أن السلطات اليونانية تتجاهل التزاماتها الدولية بموجب هذه الاتفاقية تجاه الأقلية المسلمة وتنتهك حقوقها انتهاكا كاملا وبصفة مستمرة.

إذ لا تعترف الحكومة اليونانية بالمؤسسات الإسلامية التى يختارها المسلمون فى « تراقيا الغربية » وحسب التقرير الذى أوردته وكالة الأنباء الإسلامية فقد أصدرت الحكومة اليونانية قانونا يحرم المسلمين من حقهم فى انتخاب أى مسئول أو ممثل لهم ومازال السلطات القضائية اليونانية تصر على الحكم الذى قضى بسجن مفتى « اكسانثى » المنتخب السيد / محمد أمين آغا وفقدت الأقلية المسلمة حقها فى إدارة الأوقاف التى يديرها الآن أشخاص تعينهم السلطات اليونانية وعينت السلطات اليونانية مجموعة من الأشخاص فى مجلس إدارة شئون الأوقاف فى « كومتين ».

أنباء مجمع البحوث الإسلامية

ريـــاض الصـــالحين

● قامت الإدارة العامة للمطبوعات بإصدار الجزء الرابع من كتاب « شرح رياض الصالحين » شرح وتحقيق فضيلة المرحوم الشيخ / الحسينى هاشم وكيل الأزهر الأسبق.

وأيضا قامت الإدارة بإصدار كتاب « الأخلاق فى ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية » لفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم - رئيس جامعة الأزهر.

وتوالى الإدارة عملها فى طبع أمهات الكتب لكبار العلماء.

المفقود ميت بعد مضى سنة ميلادية من تاريخ فقده

رأت لجنة البحوث الفقهية بمجمع البحوث الإسلامية في جلستها المنعقدة بتاريخ ١٤ من ربيع الأول ١٤٢٣هـ - ٢٦ من مايو ٢٠٠٢.

بالنسبة لكتاب السيد / محمد محمد جويلى - رئيس لجنة الاقتراحات والشكاوى بمجلس الشعب إلى فضيلة المفتى بشأن اقتراح بتعديل المادة (٢١) من القانون رقم (٢٥) لسنة ١٩٢٩م والخاص ببعض أحكام الأحوال الشخصية والمعدل بالقانون رقم (٣٣) لسنة ١٩٩٢م باعتبار المفقود ميتا بعد مضى سنة ميلادية من تاريخ فقده رأت اللجنة:

أنه لا مانع من تعديل الفقرة الثانية من المادة (٢١) من القانون رقم (٢٥) لسنة ١٩٢٩م الخاص ببعض أحكام الأحوال الشخصية والمعدلة بالقانون رقم (٣٣) لسنة ١٩٩٢م وذلك بإضافة عبارة «الحوادث الجسيمة التي يغلب فيها الهلاك» بحيث يصبح نص المادة كالآتي:

«ويحكم بموت المفقود بعد مضى سنة من تاريخ فقده في حالة ما إذا ثبت أنه كان على ظهر سفينة غرقت، أو كان في طائرة سقطت، أو في حالات الحوادث الجسيمة التي يغلب فيها هلاكه، أو كان من أفراد القوات المسلحة وفقد أثناء العمليات الحربية».

وقد استندت اللجنة في الموافقة على مدة السنة على أساس أن الحكم الاجتهادي الذي يقضى باعتبار المفقود ميتا بعد مضى أربع سنين من فقده كان مستندا للظروف والحالات الموجودة في العصر الذى صدر فيه هذا الاجتهاد دون نص قطعي أو ظني بهذا التحديد.. ونظرا لتغير الظروف والأحوال ووسائل الاتصالات والمعرفة فإنه لا مانع من مواءمة ما استجد من هذه الظروف وتغيير الاجتهاد بتغيير الزمان وما استجد فيه وذلك أمر مقرر شرعا.. وهو مراعاة الظروف والمستجدات.

وأخيرا حظر بيع وتداول وشرب الخمر في مصر

عقدت لجنة البحوث الفقهية بالمجمع جلستها في ٢١ من ربيع الأول ١٤٢٣ الموافق ٢ من يونيه ٢٠٠٢م، والخاصة بالكتاب الوارد من السيد الأستاذ الدكتور أحمد فتحي سرور رئيس مجلس الشعب إلى فضيلة المفتى بشأن اقتراح قانون مقدم من عضو المجلس حسين أحمد إبراهيم بشأن تعديل أحكام القانون رقم ٦٣ لسنة ١٩٧٦ بحظر شرب الخمر.

رأت اللجنة:-

- بعد دراسة هذا المشروع أن الشريعة الإسلامية تحرم بأدلة قطعية الثبوت والدلالة تناول الخمر ولذلك:

فاللجنة تطلب من مجلس الشعب الموافقة على ما اقترحه مشروع القانون بتحريم وحظر شرب الخمر وبيعها وشرائها وفتح محلات لبيعها وتداولها أما تفصيلات العقوبات وغيرها مما ورد بمشروع القانون فتشكل لجنة من أعضاء مجلس الشعب، ورجال القانون، وبعض أعضاء مجمع البحوث الإسلامية لتحديد العقوبات وما يتعلق بذلك.

التعاون بين مجمع البحوث الإسلامية والجامعـــــة

أوصت لجنة التعاون بين المجمع والجامعة فى جلستها المنعقدة بتاريخ ٧ من ربيع الأول ١٤٢٣هـ - ١٩ من مايو ٢٠٠٢م عند مناقشتها للمادة (١٥) من القانون رقم (١٠٣) لسنة ١٩٦١ بشأن علاقة المجمع بالجامعة بالآتى :

(١) يضم إلى لجنة الدراسات العليا بكل كلية عضو من أعضاء مجمع البحوث الإسلامية بداخل الكلية وفى الكلية التى ليس بها عضو من أعضاء المجمع يتم اختيار أحد أعضاء المجمع ليمثل المجمع فى هذه اللجنة .

(٢) مهمة اللجنة وضع خطة للدراسات العليا واختيار الموضوعات التى يسجل فيها رسائل الماجستير أو الدكتوراه .

(٣) فى حالة تعدد الكليات المناظرة فى الجامعة يكون مقر اللجنة وتشكيلها من اختصاص أقدم الكليات وتكون قراراتها ملزمة لجميع الكليات .

(٤) يضم عضو من أعضاء مجمع البحوث الإسلامية من داخل كل كلية إلى مجلس كل الكليات الإسلامية والعربية وسائر الكليات المتخصصة فى العلوم الشرعية، وفى حالة خلو الكلية من أحد أعضاء مجمع البحوث يتم اختيار عضو من بين أعضاء المجمع يكون ذا صلة وثيقة بتخصص الكلية المراد ضمه إلى أعضاء مجلسها .

(٥) يضم عضو من أعضاء مجمع البحوث الإسلامية حسب التخصص فى لجان الإشراف والحكم والمناقشة على رسائل الماجستير والدكتوراه .

(٦) تكون لجنة للتقييم والتطوير على مستوى الجامعة لنفس الغرض على أن يمثل فيها مجمع البحوث الإسلامية بعضوين .

الرد على المزاعم والمفتريات التى يتعرض لها الإسلام

عقدت لجنة التعريف بالإسلام بمجمع البحوث الإسلامية جلسة بتاريخ ٢٨ من ربيع الأول ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢/٦/٩م لمناقشة كلمة الأستاذ الدكتور أسامة الباز مستشار السيد رئيس الجمهورية للشئون السياسية أمام مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الثانى عشر والتى حدد فيها المخاطر التى تواجه الإسلام من خصومه فى الوقت الحاضر وقد أوصت اللجنة بما يلى :-

أن يستعرض كل ما صدر عن مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية ويؤخذ منه ما يرد على هذه النقاط، كذلك مؤتمرات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وجمع ذلك كله فى كتيب، ثم يترجم باللغات العالمية ويقدم من الأزهر الشريف كهدايا لدول الغرب وهيئاته المختلفة ويوضع عدد من هذه الترجمات لدى الملحقين الثقافيين فى السفارات وتنشر متتالية بواسطة أجهزة الإعلام المختلفة وعلى رأسها « الإنترنت » على موقع الأزهر الشريف .

لأن هذا سوف يبرز للأجانب حقيقة الإسلام وسماحته .

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

الإمام الأكبر فى الجزائر

● بدعوة شخصية من السيد الرئيس / عبدالعزيز بوتفليقة رئيس جمهورية الجزائر الشعبية الديمقراطية لفضيلة الإمام الأكبر د / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف لزيارة الجزائر الشقيقة قام فضيلته بهذه الزيارة حيث شارك فى تكريم حفظة القرآن الكريم وتوزيع الجوائز على الفائزين فى هذه المسابقة مؤكداً على أن حفظ كتاب الله هو أول ما ينبغى الحفاظ عليه وأول ما يعطى لحفظته الجوائز القيمة المجزية للطالب وللمحفظ أيضاً حتى يكون هناك التنافس على حفظ وتعليم كتاب الله - عز وجل - وتعليم القرآن الكريم منذ الصغر يقوم اللسان ويزكى النفس ويطهر القلب، وتعليم أحكام القراءة من الأمور الهامة حتى تكون القراءة صحيحة وتؤتى ثمارها الطيبة.

كما شارك فضيلته فى الندوات التى نظمتها وزارة الأوقاف والشئون الدينية بالجزائر وقد استقبل فضيلته السيد الرئيس الجزائرى وناقش معه سبل توحيد الصف والتضامن بين جميع القيادات لتجاوز الأزمة التى تعيشها الجزائر، ودفعها نحو التقدم مشدداً على ضرورة الابتعاد عن العنف موضحاً بأنه لا فرق بين الأحزاب سواء أكانت تحسب على التيار الإسلامى أو غير باعتبار أن الأهم والمطلوب هو أن يعمل الجميع على خدمة البلاد ومصالح الأمة كما بحث فضيلته مع سيادة الرئيس الجزائرى القضية الفلسطينية وضرورة توحيد الصف العربى والإسلامى لدفع القضية لتحقيق السلام، حتى يحصل إخواننا فى فلسطين على حقوقهم المشروعة، كما تم بحث سبل التعاون بين الأزهر الشريف ودولة الجزائر الشقيقة فى النواحى الدينية والثقافية والعلمية والتعليمية وأعلن فضيلته أن الأزهر على استعداد تام لاستقبال أعداد كبيرة من الائمة والوعاظ والعلماء من دولة الجزائر لحضور الدورات التدريبية التى ينظمها الأزهر الشريف كل ثلاثة أشهر ويشرف عليها اللجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف، وقد استقبل الأزهر الشريف علماء من الجزائر فى دورات سابقة، كما استقبل فضيلته أيضاً السيد / على بن فليس رئيس وزراء الجزائر وأشاد بالدور الفعال والإيجابى الذى يقوم به الأزهر الشريف فى نشر قيم الإسلام الحقيقية والصحيحة المبنية على

التسامح والوسطية، ونبذ العنف والعصبية، وطلب تنسيق الجهود للتصدى للمناورات التى تهدف إلى المساس بالإسلام والمسلمين، حتى تتضح وتظهر الصورة الطيبة الحسنة للإسلام.

الإمام الأكبر يستقبل وفد القضاء العسكرى

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد القضاء العسكرى برئاسة السيد المستشار أحمد صبرى المستشار بالمركز القومى للدراسات القضائية، حيث قام فضيلته بشرح وتوضيح وتعريف القضاء للدورة الحادية والأربعين للقضاء العسكرى، وقال: إن القضاء من الأعمال السامية التى وضعها الله ـ عز وجل ـ فى أعناق الصفوة من عباده لإحقاق الحق وإعلاء شأنه وإبطال الباطل وبين أن مهمة القاضى هى الفصل بين الناس بالحق، وهى الحكم العادل بين الناس حتى يأخذ كل ذى حق حقه فيأمن الناس على أنفسهم وعلى أموالهم فيعيشون فى أمان وفى اطمئنان وبذلك يتفرغون للعمل والإنتاج، وحين يشيع الأمن والأمان والاطمئنان بين الناس يسعد الأفراد وتسعد الأمم وترقى وتنهض والحكم العادل ينبع من ضمير القاضى قبل أن ينبع من القوانين واللوائح، لأنه بخبرته يستطيع إلى جانب الأدلة أن يميز بين الحق وبين الباطل، بين العدل وبين الظلم، والقاضى حينما يحكم بين الناس إنما يضع الأمور فى مكانها الصحيح بضمير القاضى ولا يخشى أحدا إلا الله ـ عز وجل ـ وقد أجاب فضيلته عن أسئلة واستفسارات أعضاء الوفد التى دارت حول معاملات البنوك موضحا الفرق بين الوديعة والقرض والاستثمار والصور المتعددة للتعاملات البنكية من الناحية الشرعية والأحكام المتعلقة بشأنها، كما أجاب فضيلته على أسئلة حول عمل المرأة وتوليها المناصب وأعمال القضاء.

وفى نهاية اللقاء شكر السادة القضاة العسكريين فضيلته عن المعلومات القيمة التى حصلوا عليها والمعرفة الحقيقية من منابعها الأصلية.

الإمام الأكبر يستقبل رئيس المجلس الإسلامى بجنوب تايلاند

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف فضيلة الشيخ/ عبدالرحمن عبدالصمد رئيس المجلس الإسلامى ورئيس جمعية الإيمان الخيرية ومدير مدرسة دار القرآن الكريم فى ولاية ناراتيوان جنوب تايلاند والوفد المرافق له.

رحب فضيلته بالسادة الضيوف معربا لهم بأن الأزهر الشريف دائما فى خدمة أبناء المسلمين وطلاب العلم فى شتى بقاع الأرض، ويقدم لهم العون والمساعدة والخبرات فى مجال التعليم الدينى وهى رسالة الأزهر الشريف منذ أكثر من ألف عام، يرسل العلماء والدعاة إلى كل الدنيا لينتشر دين الله فى الأرض بالحكمة والموعظة الحسنة ويبين ويوضح سماحة الإسلام ويسره ووسطيته عن طريق التعليم فى المعاهد الأزهرية الدينية، وعن طريق خطبة الجمعة بالمساجد وعن طريق الدروس الدينية والندوات فى المحافل وفى المناسبات المختلفة.

شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر على حسن اللقاء والحفاوة وأبلغه تحيات المسلمين التي تبلغ نسبتهم في جنوب تايلاند ٨٠٪ من إجمالي المسلمين البالغ عددهم ١٠ ملايين مسلم وتعيش تلك النسبة في ثلاثة ولايات في جنوب تايلاند وهي ولايات: ناراتيـوات وولاية فطاني وولاية جالا، والمجالس الإسلامية هي التي تقوم بتنظيم أحوال المسلمين، والأحوال الشخصية، كما تشرف على المساجد حيث توجد في ولاية ناراتيوات ٥٨٢ مسجدا، وفي ولاية فطاني ٦٣٠ مسجدا، وفي ولاية جالا ٤٢٠ مسجدا، وعدد المدارس الإسلامية الأهلية ٢٦٥ مدرسة، وطلب الضيف تخصيص عدد من المنح الدراسية السنوية من الأزهر الشريف لأبناء المسلمين في جنوب تايلاند للدراسة بالأزهر الشريف، كما طلب استمرار التعاون مع المجالس الإسلامية في جنوب تايلاند في الدورات التدريبية التي ينظمها الأزهر لعلماء وأئمة ووعاظ العالم الإسلامي كل ثلاثة أشهر، وقد وعد فضيلته بتلبية طلباتهم على أن يتم تقديم هذه الطلبات عن طريق السفارة المصرية وبالطرق الدبلوماسية.

الإمام الأكبر:

الإسلام حث على العمل البناء

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد/ علي ناصر محمد رئيس جمهورية اليمن السابق والرئيس الحالي للمركز العربي للدراسات الاستراتيجية، حيث أكد الضيف على أهمية دور الأزهر الشريف في المنطقة العربية، والإسلامية بل العالم أجمع، وأعرب عن تقديره لمواقف الأزهر وشيخه المشرفة تجاه القضايا التي تحدث على الساحة، ويشارك فيها الأزهر بفاعلية واقتدار، وأوضح سيادته أن هناك العديد من القضايا الخليجية التي يتبناها المركز العربي للدراسات لوضع الحلول الاستراتيجية لها من أجل دفع عجلة التنمية بالدول الخليجية، مشيرا إلى أن المركز عبارة عن مؤسسة علمية مستقلة تم تأسيسها عام ١٩٩٥ بهدف دراسة القضايا الاستراتيجية التي تتصل بواقع المنطقة العربية ومستقبلها على مختلف المستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ويساهم المركز في إحياء التراث العربي والإسلامي وإظهار ملامح الشخصية العربية، ووضع استراتيجيات وسياسات تنموية لصالح المنطقة العربية، كما أوضح الضيف بأن المركز الرئيسي مقره بالجمهورية العربية السورية ويتبعه مراكز في القاهرة والجمهورية اليمنية ودولة الإمارات العربية المتحدة.

وقد رحب فضيلته بكل الأنشطة التي تهدف إلى توثيق التعاون الإسلامي العربي من أجل خدمة المسلمين في شتى أنحاء العالم مشيرا إلى أن الإسلام حث على العمل البناء الذي يهدف إلى التعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان ليعيش المجتمع الدولي في أمان وسلام.

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد/ السيد عبدالله عبدالرشيد عمدة محافظ شينجيانج الإسلامية بجمهورية الصين الشعبية والوفد المرافق له، وقد رحب فضيلته بالوفد في مصر والأزهر الشريف

شارحا لهم نظام التعليم فى الأزهر الشريف وجامعته العريقة مشيرا إلى أن أبناء الصين الذين يتلقــون العلم فى الأزهر على منح دراسية يقيمون بمدينة البعوث الإسلامية ويصل عددهم إلى ١٠٨ طلاب وقال فضيلته إن الأزهر على استعداد لاستقبال أعداد أخرى من أبناء الصين للدراسة بالأزهر الشريف ورحب فضيلته باستقبال عدد من أئمة ووعاظ وعلماء الصين للدراسة بالدورات التدريبية التى ينظمها الأزهر كل ثلاثة أشهر، إضافة إلى الذين حضروا هذه الدورات.

شكر الضيوف فضيلة الإمام الأكبر على حسن اللقاء موضحا بأن الصين بها قوميات كثيرة، وأن محافظة شينجيانغ يبلغ عدد سكانها ١٨ مليون نسمة منهم ٦٠٪ من أبناء الأقليات القومية، وأن عدد سكان المقاطعة من المسلمين ١٠ ملايين نسمة يتمتعون بالحرية الكاملة، فى إقامة شعائرهم الدينية طبقا للقانون الصينى. كما أن بالصين ٢٤ ألف مسجد وأكثر من ٣٤ ألفا من رجال الدين الإسلامى ورجال الدين فى شينجيانغ تلقوا العلم بالمعهد الإسلامى فى المحافظة وفى بكين العاصمة، وهناك الكثير من أبناء الصين تلقوا تعليمهم فى الأزهر الشريف إلى جانب إخوانهم المصريين، وقال: إنه جاء لزيارة الأزهر الشريف لتوطيد التعاون وتطوير العلاقات وزيادة المعرفة المتبادلة وتوسيع مجالات التعاون بين مصر ومنطقة شينجيانغ ذات الحكم الذاتى.

الإمام الأكبر يستقبل المفوض السامى للأمم المتحدة

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد / رود لوبرز المفوض السامى للأمم المتحدة لشئون اللاجئين برافقه الفنان / عادل إمام سفير النوايا الحسنة للمفوضية فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا والوفد المرافق، حيث رحب فضيلته بالوفد مؤكدا على أن معاونة المحتاجين ورعاية حقوقهم أمر أقره الإسلام والقرآن الكريم بين لنا على أن الناس جميعا خلقوا من أب واحد وأم واحدة وهى حقيقة ثابتة.

وأولى الناس بهذا التعاون وتقديم العون لهم هم اللاجئون لأنهم جماعة من الرجال أو النساء أو الأطفال أخرجوا من ديارهم بغير حق، ويجب على الإنسانية جميعا أن تتكاتف من أجل تقديم ضروريات الحياة لهؤلاء اللاجئين حتى يعيشوا كغيرهم، وهى مسئولية رئيسية لمجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة، وأن عمل المفوضية السامية لشئون اللاجئين هى مسئولية سامية والأزهر الشريف يؤيدها كل التأييد، وقد أشاد رئيس الوفد بهذا اللقاء مع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر والكلمات الطيبة الحكيمة التى سمعها والوفد، وأنه والوفد يقدر هذه الكلمات، وأوضح أن هدف المفوضية منذ إنشائها هى مسئوليتها عن اللاجئين فى فلسطين، ولبنان، والأردن وسوريا، والاتفاق على أن يكون لكل شعب وطن يعيش فيه، ويدل على هذا انتهاء عهد الاستعمار، وأن

المفوضية تهتم بشئون حوالى ٢٢ مليون شخص، وإيجاد الحلول لهم للعودة إلى بلادهم، وأشاد بدور الإسلام الفعال وتعاليمه التى تسير عليها المفوضية فى مساعدة المحتاجين وتقديم العون لهم وحماية الأفراد ومساعدتهم للعودة لبلادهم ويعمل بالمفوضية، عدد كبير من المسلمين، وتأمل أن يكون للمفوضية دور أكبر لخدمة الإسلام والمسلمين، ونحن نؤمن بأن الإسلام والدين الإسلامى يجب أن يساعدنا للاهتمام بما نقوم به، وعلى الجميع أن يتعاونوا لتحقيق الأهداف المشتركة لخدمة اللاجئين وحقهم فى العودة لوطنهم، ونطلب من الأزهر وشيخه الجليل أن يدعو لنا للمضى فى تحقيق أهدافنا ودعم جهودنا.

وأشاد الفنان عادل إمام بصفته مواطن مصرى بإعجابه بمواقف فضيلة الإمام الأكبر الإيجابية تجاه القضايا الإسلامية، أما بصفته سفيراً للنوايا الحسنة فأثناء زيارته لمعسكرات اللاجئين فى جنوب اليمن ومشاهدته لما يلاقيه هؤلاء المواطنين من صعوبات وقسوة رغم منحهم قطعة أرض من الحكومة اليمنية يعيشون عليها إلا أنهم فى حاجة ماسة إلى التعليم والرعاية الصحية، وتوفير سبل المعيشة الكريمة، وهناك المساعدات المالية من الولايات المتحدة الأمريكية واليابان وفرنسا وبعض الدول الأوروبية ولكننا نرجو من فضيلة شيخ الأزهر الإمام الأكبر حث الدول الإسلامية للمشاركة الفعالة حتى يعيش هؤلاء عيشة طيبة كريمة شكر فضيلة الإمام الأكبر الضيف والوفد والفنان عادل إمام على زيارتهم لتلك البلاد ومعاونتهم لهؤلاء اللاجئين وقال: إنه عمل إنسانى طيب وعظيم ويجب أن نتعاون جميعا لمعاونة هؤلاء، وطالب فضيلته كل مسلم قادر أن يقدم العون لهم، لأن الدين الإسلامى يعتبر الناس جميعا إخوة، القوى يساعد الضعيف، والغنى يساعد الفقير والأزهر يتعاون فى إنجاح تلك المهمة الإنسانية السامية، وهى مهمة دينية وسياسية وقانونية واجتماعية.

الإمام الأكبر:

من لا يجد وسيلة يدافع بها عن نفسه إلا أن يفجر نفسه فهو شهيد

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وفد الكتاب الصحفيين الأمريكيين والكنديين أعضاء المؤتمر الوطنى لكتاب الصحفيين الذين يمثلون أوسع الصحف انتشارا بالولايات المتحدة الأمريكية وكندا وعددهم ٢٥ فردا من لوس أنجلوس، شيكاغو، دالاس، ديترويت، تريبيون، أوتاوا، هارتفورت كاونت.

رحب فضيلته بالسادة الضيوف مؤكدا على أن شعب مصر يعيش فى سلام وأمان ورضاء، وأننا كمسلمين ومسيحيين نعيش متساوين فى الحقوق والواجبات، ولكل إنسان الحرية فى اختيار عقيدته لأن العقائد لا إكراه عليها والإكراه على العقائد لا يأتى بمؤمنين صادقين وإنما يأتى بمنافقين كذابين، ونحن نعلم أن الله أوجدنا من أصل واحد لنتعاون ونتعارف، والتطور العلمى الذى نعيشه الآن جعل العالم كله كقرية صغيرة ما يحدث فى الشمال يعرفه من فى الجنوب، وما يحدث فى الشرق يعرفه من

فى الغرب فى ثوان معدودة، والتعاون والتعارف ينفع الجميع، ويشعر الناس بالراحة والطمأنينة، أما الحروب فكلها دمار وخراب، والأديان السماوية جميعها تدعوا إلى السلام، والقرآن الكريم يعتبر الاعتداء على النفس الواحدة كأنه اعتداء على الإنسانية كلها، والله أوجدنا لنعمر الأرض لا لنخربها، ولكل دولة حضارتها، والحضارات كأمواج البحر تنمو وتزدهر فى الدولة التى يكثر فيها عدد العقلاء، والعلماء، وتضمحل وتتلاشى الدولة التى يكثر فيها عدد الجهلاء. والحضارات عند العقلاء لا تتصارع وإنما تتعاون وتتآزر، والقوة عند أهل الحق والعدل تستخدم فى نصرة المظلوم ونصرة الحق والعدل، وعند أهل الغدر والظلم تستخدم فى التخريب وفى قتل الأبرياء وفى كل ما نهى الله عنه، والأديان السماوية ترحب بكل قوة عاقلة عادلة، حتى يأخذ كل ذى حق حقه وترد الظالم حتى يندحر، وقد أجاب فضيلته عن أسئلة واستفسارات الوفد التى دارت حول رأى الدين الإسلامى فى تعذيب الأسرى والسجناء، قال فضيلته: إن الدين الإسلامى أمرنا بإكرام الأسير وعدم الاعتداء عليه بل يجب أن يقدم له كل ما هو فى حاجة إليه من ضروريات الحياة وأن يعامله معاملة حسنة.

وحول سؤال عما إذا كان هناك فصل بين الدين والدولة والسياسة وهل يؤثر ذلك على المجتمع، أوضح فضيلته، بأن هناك ما يسمى بالتخصص فكل إنسان يتكلم فى تخصصه، فالجوانب الدينية يتحدث عنها أهل الدين، والجوانب الاقتصادية يتحدث عنها أهل الاقتصاد، والسياسية يتحدث عنها السياسيون وهكذا.

وحول سؤال عما إذا كانت قرارات المسئولين السياسية تتعارض مع الدين، قال فضيلته: إن الدولة حينما تضع أى قرار فإنه يتم عرضه على جهة الاختصاص لتقول رأيها فيه، فمثلا حينما طرح قانون الخلع عرض على الأزهر الشريف لدراسته، ثم بعد ذلك صدر القانون، وحول سؤال عن الذين يفجرون أنفسهم ويقولون بأنهم شهداء؟ قال فضيلته: إن من يدافع عن نفسه وأرضه المغتصبة وعن ماله وعن عرضه وحريته ولا يجد وسيلة يدافع بها عن نفسه إلا أن يفجر نفسه فى المعتدى فإنه شهيد فى الإسلام، أما الذى لا نقبله ولا نرضاه شرعا ولا خلقا أن يفجر نفسه فى الآمنين الذين لا صلة لهم بالحرب ولا بالعدوان.

وشرح فضيلته الفرق بين الجهاد فى الإسلام والإرهاب قائلا: إنه كالفرق بين السماء والأرض، فالجهاد فى الإسلام شرعه الله ـ عز وجل ـ للإنسان للدفاع عن نفسه وعرضه وأرضه وماله وحقوقه التى أعطاها الله له، أما الإرهاب: فهو عدوان سافر على النفس والعرض والأرض والمال وعلى الآمنين، واغتصاب حقوق الغير، وحول سؤال عن مساعدة أسر الذين يفجرون أنفسهم أوضح فضيلته بأن هذه ناحية إنسانية، والشرائع السماوية والقانونية الوضعية، تؤكد ذلك والتسامح مطلوب لأنه ربما يأتى بنتائج أفضل، أما التسامح الذى يزيد العدو فجورا، وعدوانا، فهنا لا يحق التسامح بل يجب أن يعاقب.

between any of them and believe in their Books. This is considered by Allah as the basis of belief in order to make it a global religion. He, the Al-Mighty, says :

Say (O Muslims), "We have believed in Allah, and whatever has been sent down to us, and whatever was sent down to Ibrahim, and Ismai'l, and Ishaq and Ya'qub and the Grandsons, and whatever was brought down to Musa and Isa, and whatever was brought to the Prophets from their Lord. We make no distinction between any of them, and to Him we are Muslims". [Al-Baqarah (The Cow):136]

No one can deny, after this clarification, that this religious basis which Islam came with is an organic structure calls for embracing one religion and brotherhood among religions. No doubt that this is a glorious far beyond miracle matter and that it ill put Islam in its intended position; the religion sent down to all people.

corrupted by misleading instructions. This nature, free from any blemish including illusion, imitation, love and education, is Islam itself,

This situation needs a guiding standard since people differ in natural instincts and genetic features ; careful and hasty, far-sighted and short-sighted, knowledgeable and ignorant and etc,... So it was necessary to resort to a standard agreed upon by all people, namely, reason. Since the existence of reason is crucial for obligations and its being the element of differentiation between right and wrong, it has to be up to this grave task. So, Allah, the True, urged us to complete and perfect it through mediating in His creation to be able to face whatever emerges and be able to recognize wrong in its all different forms.

The combination of the modified nature and the perfect intellect is the religious basis to which the last Prophet, Muhammad, is sent in order to establish and disseminate among nations; to embrace one religion and creed as they are in their humanity, nature and intellect.

The English professor, Beckon, the founder of the scientific constitution, succeeded – three centuries ago – in unifying science all over the world through basing it not only on observation, experiment, analysis and construction but also through getting rid of all opinions and suppositions from its material. So, if Beckon deserves the world admiration, Islam deserves respect and admiration more than what can be imagined for its revelation to the Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, with this religious constitution.

Since Islam aims at unifying nations for a new period for humanity, its principles of belief depended on this comprehensive standard; Islam ordered those who apply it to believe in all the messengers of Allah, not to differentiate

them, being inequitable among themselves. And whosoever disbelieves in the signs of Allah, then surely Allah is swift at the reckoning. [Al-Imran (The Household of Imran) : 19]

Is it possible that the cosmic science is the same everywhere; its principles are identical all over the world, and that religion, concerning its principles, has different aspects contradicting and encroaching upon each other? Islam's guaranty for eternity depends on two matters: The human nature and the perfect authority of intellect. All people share the common requisites of nature; what man sees by nature as good is seen by all people as good and vice versa unless nature is being corrupted by the parents and educators. So, Islam stipulated that nature should remain free from any blemishes deviate it from the prescribed way.

As for the perfect authority of intellect that can't be dispossessed of by any authority on earth, it is a blessing and gift from Allah. The previous religions tried, for generations, to efface it ; they severely punished whoever tried to use and resort to it. However, Allah guarded it against these wrongful forces aiming at fighting it. Allah, glory be to Him, kept its essence clear and free from any harm and it is regarded today as the element of differentiation between good and bad applied all over the world. Islam dependence on these two matters is similar to that of the building depending on two pillars as Allah, the Al-Mighty, says:

So set your face upright to the religion, unswervingly upright, the original (innateness) of Allah upon which He originated mankind. There is no exchange for the creation of Allah. That is the most upright religion, but most of mankind do not know. [Ar-Rum (The Romans):30].

Allah, the Creator, states to people that religion is what souls originated upon of the Divine nature provided that it is not

Islam's Mission In The World
By the great scholar:M. F. Wajdy.

People have lived, for a long period, in opposing factions and contradicting principles. The human mind was still naïve as it regarded this factionalism and contradiction as two strong factors to widen the human division. Moreover, people regarded religions as motives to continue this dispute until the means of communication among people were established that led to a vital need to exchange benefits. As a result, unprecedented feeling among nations emerged; the necessity of establishing a connection between them aiming at solidarity in life to perform integrity and perfection in great as well as simple needs.

Allah, glory be to Him, wanted – during this period – to turn this imaginary feeling into reality. So, He legislated Islam and ordered it to be disseminated all over the world. All nations had been urged to believe that religions are all fake and false except their own. So, it was impossible for all nations to embrace one religion. This was regarded as a rational impossibility. How did Islam solve this dilemma regarding the area of reason and logic? This is considered to be a miracle by a religion declares that it is the last Heavenly religion and the comprehensive religion to all humanity. After its signs and evidence being clarified in souls and everywhere, it will be the only religion that has no equal.

In its principles of belief, Islam declares that it is the first religion revealed to Noah and messengers following him. If people see different religions before them, concerning these principles, the reason behind this is their being distorted. Allah says:

Surely the religion in the Providence of Allah is Islam; and in no way did the ones to whom the Book was brought differ (among themselves) except after the knowledge came to

operations, for many years, from dealing in drugs. The United states of America is not far from violating human rights as happening in many places all over the world." He added that some of Washington's closest allies do not support or advocate democracy.

Human rights, democracy, etc., are nothing but mere slogans to touch and attack Islam as well as weakening Muslims by all possible means. Imperialism is ready to destroy all its idols if this is the only way to weaken Islam. Islam is the only religion that discussed and respected the other ones. All that it demanded is the truth in their display of facts. If they displayed the facts and declared them in a right way, the problem would be over. Nevertheless, they hide and confound truth with untruth. So, we say to all the population of the Books as Allah, glory be to Him, says:

And do not confound the Truth with the untruth and do not keep back the Truth and you know (it). [Al-Baqarah (The Cow) :42].

Does the west or even the east remember Hoffman, a German Muslim? He held high posts before embracing Islam; an ambassador for Germany in Morocco, then a secretary for the ***NATO***. After embracing and declaring Islam and publishing his book "*A German Muslim Memoirs*", Hoffman was degraded of all his ranks and totally forgotten.

The west aims, by all its actions, at nothing except destroying the Islamic Nations.

Dr. Mohamed Khalifa Hassan says: " The Islamic creed is considered to be one of the most important topics tackled by the orientalists as they directed most of their studies in search for means and factors to be developed to destroy and eliminate this creed and distort its principles. The west discovered, since the emergence of Islam and its dissemination all over the world, that it is considered as a threat to Christianity. The west, failed politically and military to overcome Muslims and to stop Islam's spread in the Christian countries, began to study the Islamic religion deeply to draw plans aiming at criticizing, abusing and distorting its image and to drive Muslims themselves to suspect their religion and creed. Moreover, the science of studying the Islamic creed began to develop as schools and methods were established. In addition, orientalism, religions comparing and orient-related Institutes in the western universities are nothing but an attack against Islam."

The west, in order to get rid of Islam, resorts to use media as a cover such as human rights, democracy or attacking drug dealers and confronting terrorism under which it can practice deceit and delusion. The west does not hesitate to resort to all the disgusting means or violate all principles to gain power over the other countries; always the Islamic east.

The Egyptian famous writer, Mohamed Hassanein Hekkal says: " ***CIA*** *(Central Intelligence Agency)* has funded its

as they imagined nor abuse Islam as they wished. However they exposed themselves and their hidden intentions.

Islam is void of fanaticism and we won't come with a proof from the first era of Islam as they hate most that Muslims be related, in thinking and method to this era so, they use every means to separate Muslims from this era.

The evidence on tolerance is magnificent in all the history of Islam today and yesterday. However, the evidence on fanaticism is hidden in the hearts of its enemies in their ancient and modern history. We won't narrate to them the story of the Jewish with our master, Umar Ibn Al-Khattab as he was an elderly man who used to beg the money of the tribute, so Umar ordered him to be relieved of the tribute. In addition to this, Umar assigned enough amount of money to be paid to him from the Muslims' public treasury.

Moreover, we won't mention how the population of the Books worked as doctors in the court of the Caliphs and as money-changers and treasurers in the public treasury while keeping to their religions without being asked even through persuasion to give up their religion in order to maintain their positions and ranks at the Caliphs. But we will state what they have done in the near past at Bosnia including tormenting and torturing the Muslims for nothing but being Muslims. The Serbian leader, Millosovich, being now accused as a criminal of war, did what he had done on public by the assistance of Europe and the United States. What happened to the famous French philosopher, Jarodi, after declaring being a Muslim? He was persecuted even he was presented before trials many times and sentenced to pay unbearable fines. In addition to this, publishing houses refused to deal with him after being enthusiastic of what he has been writing. Why? Due to his embracement of Islam.

[1] *Comments
on the words said by Dr. Ussama Al-baz.
By the dignified Sheikh : At-Taher Al-Hamidy.

At the twelve conference of the Islamic Research Academy at Al-Azhar held from 3 to 4 Safar for the year 1433 A.H. corresponding to 16 to 17 April for the year 2002 A.D., Dr. Ussama Al-Baz, the political advisor of the Republic's President, made a serious, deep and clear speech deserves careful study and quiet mindful responses and working to disseminate it among Muslims themselves to make the truth evident for those who have eyes. He said: "One of the old and new features is that some circles are unceasing and continuing in an approach to discredit, degrade and distort the image of Islam. The center of those wrongful approaches is the west.

He mentioned that the reasons behind this phenomenon and its continuity are the following:

First: fanaticism and partiality against whatever is different from the west.

Second: their wrong or superficial understanding of Islam as well as their ignorance of its essence and instructions.

Third: Muslims' failure, on the theoretical and practical level, to provide a right image of their creed.

The first of these wrong allegations is that the Islam is a religion based on fanaticism and intolerance as it doesn't approve any other religion and divides people as believers and polytheists and classifies them as enemies can't be accepted or lived with. So, first of all, we would like to say that those who accuse Islam with fanaticism neither satisfy, honor themselves

[1] * An article published (in Arabic) at Al-Azhar Magazine.

Abyssinian constitution that he belonged to the dynasty of Sulayman.

This is a very compacted summary to what is mentioned by the researcher following the first narration and the matter left without commentary. Did he think that the fabricated story stands on an equal footing with the Qur'anic Text? If it is permissible to the writers of biographies about the kings of Abyssinia to devise illusions, is it lawful to consider the Qur'anic Text as a compilation doing right and wrong.

The researcher's book, fraught with frequent suspicions regarding the history of Yemen, shed a lot of ambiguity on the established facts. The Arabic sources may not assimilate this history in its ancient times as similar to the history of the ancient world. What is mentioned by Ibn Khaldoun may be true regarding the weak transmitted narrations about Al-Tababi'ah who invaded the Berbers in Africa till they reached China.

All this is entirely far away from the established facts related to the history of Sulayman and Belqis. As this cloudy fog, raised by the researcher, doesn't hit shiny facts since some parts of history are difficult to be demolished and not subject to suspicion and weakening.

﴿Lord! I have done injustice to myself, and I (now) surrender with Sulayman to Allah, The Lord of the worlds.﴾

[An-Naml (The Ant): 44]

This is a part of what is mentioned in the Glorious Qur'an concerning the queen Belqis. The Saba'ian traces confirmed these facts as we'll discuss later.

I don't think that a sound-judging researcher sees clear evidence before him, then denies. If the researcher is a Muslim, familiar with the story in Qur'an and what has been mentioned by historians in reliable books and makes sure of the recorded inscriptions centuries ago, he won't leave this matter undecided.

However, we see the researcher mentioning this Islamic story and describes it as an Arabic narration to compare it to a legend claiming that an Ethiopian queen came from Africa to Juraslem to visit Sulayman. In brief, this story, as narrated historically by the researcher, which is not confounded with illusional imagination, says: " The queen of Ethiopia was of a fascinating beauty. She heard from the sailors who come to Jerusalem about Sulayman's wisdom and great sovereignty. Her unbelievable fortune, strong camels and spacious ships enabled her to establish a great fleet which motivated her to pay a visit to Sulayman, taking astonishing horses mules and camels loaded with fancy presents. Sulayman welcomed her greatly and assigned a special suite in his palace to be accommodated for her. He kept visiting her a lot and talking about Allah's blessings, as Allah endowed him with the language of birds, controlling wind, and subjected to him the Jinn and Satans to build his temple, then he married her off and she brought a child called Manyalik. When he reached maturity of age and learned wisdom from his father, he returned to Abyssinia to assume power following the death of his mother. Out of his offspring, the ruling dynasty came in Abyssinia. It was stated in the

have the decisive evidence from the established traces, inscribed on walls, where the consecutive times couldn't erase their realities in conformity with the Book of Allah. We state that for the non-Muslims hesitating in belief.

But the Muslim researcher has no room for waiting an old trace to be found, since he certainly knows that the Book of Allah is:

﴾Untruth does not come up to it before it nor from behind it; a successive sending down from (One) Ever-Wise, Ever-Praiseworthy.﴿ [Fussilat (Expounded): 42]

We all know that Saba' is a Yemeni kingdom from merry Arab countries, its queen visited Sulayman, may the peace of Allah be upon him, as Allah mentioned their story in the Glorious Qur'an. In this story, the sequence of events started from the absence of the hoopoe when Sulayman reviewed the birds, then he threatened it, but the absent bird brought a new tiding from Saba' where the hoopoe saw a woman ruling people and she has been brought much of every thing, but she as her people worshipping the sun apart from Allah. This is the matter in which Sulayman was interested so he sent a book to her calling her to come to his kingdom as a Muslim and by accord. The queen, Belqis, wasn't despotic or tyrannical as she gathered her people for telling them: "In no way have I affirmed a command until you bear witness".

It is, of course, apparent that they'll show their willingness for defense, but the judicious woman favored peace, so she sent a precious present to the prudent king. She supposed that her present will prevent dissention and dispute, but Sulayman persisted on releasing Saba' from polytheism and he threatened and menaced them with troops they can't face. As a result, she complied with his will and attended to see and listen to what proved her errancy, as she said:

Islam, sublime and dignified. Their selected commerce – upon faith in it and belief in its acquirements – won when Allah, glory be to Him, said: **"O you who have believed, shall I indicate to you a commerce that shall deliver you from a painful torment? You believe in Allah and His Messenger, and strive in the way of Allah with your riches and your selves. That is most charitable for you, in case you knew".**

[As-Saff (The Ranks): 10-11].

The Qur'anic Text Is The Decisive Criterion

By: Dr. M. R. Al-Baiomi.

﴿Yet he stayed (a while) without being far away, then said, "I have encompassed that which you haven't encompassed, and I have come from Saba to you with a tiding of certitude﴾. **[An-Naml (The Ant): 22]**

We read some historical studies related to the Book of Allah, where the Qura'n talked about its purport in unquestionable decisive logic. You never find anything indicating that the researcher did his best to clarify the fact as it is mentioned in the Noble Qur'an, regardless of his being an Arab Muslim, and mention various narrations in contrary to what is mentioned in the Glorious Qur'an. Not only did he leave the question undecided, but also leave the reader at confusion, unaware of any way he follows due to his lack of a sufficient amount of the Islamic immunity to encounter these imaginary delusions. You will be perplexed regarding accounting for this dubious method as it is true that following people bearing grudge against Islam will expose what they are doing of swindle. What is denied by the method of fair researched is writing the historical researches that are certainly related to the Texts of the Qur'an, then to remove the results, or wrench the introductions to leave the reader at confusion.

We never knew of a text contradictory to the explicit truth to consider as a cause to deliberately evade from making the Qur'anic Text the only preponderant evidence, especially if we

﴿Say, "Surely I am only a mortal the like of you: It is revealed to me that surely your God is only One God. So whosoever hopes for the meeting with his Lord, then let him do righteous deed (s), and not associate anyone in the worship of his Lord.﴾ [Al-kahf (The Cave): 110]

The Messenger's Humanity

By Dr. Ibrahim Al-Assil

The Messenger's life, may the blessing and peace of Allah be upon him, was a practical application to the principles of Islam. He was a human Messenger who eats food, walks in markets and liable to anything that might occur to mankind; sometimes sad and sometimes happy, healthy or ill. He was never proud when his army gained victory nor disparate when defeated. Moreover, he was forgiving and merciful when people were subjugated to him. He, may the blessing and peace of Allah be upon him, was never proud to claim that he was far beyond being a human nor resorted to overtransggression; destroys and tyrannizes. Furthermore, he never assumed a role not drawn up to him, which is obviously reflected when he joined the Highest Companion as some of the companions were astonished upon his death as they believed that he was immortal and far reach from death. The truth came in Abu Bakr's words as he said: ***"Whoever worships Muhammad, Muhammad is dead and whoever worships Allah, Allah is Ever-Living"***. Some one came to the Prophet and was terror-stricken owing to his great character, may the blessing and peace of Allah be upon him. The prophet said: "Take it easy, brother, I'm just the son of a woman used to eat jerked meat in Mecca".

The Messenger knew very well his status and taught this to his companions; he commanded them not to distinguish him from anyone of them as he said: "Don't stand when I come like the non-Arabs do". For the above mentioned, the call came void of the causes of polytheism and was far from the ideological exaggeration and deviation. The Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, first extended his call to his kinsmen the nearest kin and surrounding neighbors. He did not intend to exploit class divisions, political motives or economical conditions, but he focused on calling the polytheist, then he undertook whoever responded to his call by education and teaching, so he was the cause behind the graduation of men like the lofty steady proud mountains who loved Allah and Allah loved them. They established the nation of

AL-AZHAR MAGAZINE
Jumadah Alula 1423 A. H.

ENGLISH SECTION
August 2002

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL, Ph.D.

Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

الفهـــرس

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

• • •

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومى

مدير التحرير

الطاهر محمد الطاهر الحامدى

سكرتير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / م. نصر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

داخل العدد

الاشتراك السنوى

- داخل مصر ـــــــ ١٨ جنيها مصريا
- الدول العربية ـــــــ ٥٠ دولارا أمريكيا
- أوربا وأمريكا ـــــــ ٨٥ دولارا أمريكيا
- اليابان وشرق آسيا ـــــــ ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

☎ ..٥٧٨٦١٠ - ٨٥٧٦٢٠٠

جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ - أغسطس / سبتمبر ٢٠٠٢م - الجزء السادس - السنة الخامسة والسبعون

افتتاحية العدد

مصر عرفت التوحيد

«نشرنا من قبل ما يؤكد الرجوع إلى القرآن الكريم في الحديث عن التاريخ، وهذا المقال ينحو هذا النحو، وقد نشر من قبل في مجلة الهلال منذ سنوات عديدة فلقي اعتراضات كثيرة ممن صرّحوا بأن الآثار الفرعونية هي أهم وثيقة مهما خالفت القرآن، وهو كلام لا يصدر عن محقق ملتزم، لذلك أعيد نشره ليعصف بكل ما توهموه من أراجيف»

﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾

سورة يوسف: ٣٩، ٤٠

﴿ وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ﴾

غافر: ٣٤

حين كتب الأوربيون تاريخ مصر القديم، لم يدر بذهنهم أن يفكروا فيما جاء بالقرآن الكريم خاصاً بالعهد الفرعوني، ونحن لا نؤاخذهم على ذلك لأن كتاب الله ليس من مصادرهم المعتمدة، بل إن التوراة نفسها كانت بمنأى عن استشهادهم في كثير مما يتعلق بسيرة موسى - - عليه السلام - - وقيامه بالدعوة إلى التوحيد في وجه فرعون! وإنما نؤاخذ من كتبوا هذا التاريخ من المسلمين» ولم يفكروا بعض التفكير في الرجوع إلى كتاب يعلمون أنه حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه! ومن العجيب أنك تقرأ ما كتبه هؤلاء عن رمسيس الثاني وولده منفتاح فلا تجد إشارة إلى ما تضمنه كتاب الله بشأن موسى وفرعون، مع أن قصة موسى قد كررت في سور كثيرة من سور القرآن حتى

... من قبل إخناتون

أصبحت معروفة مشتهرة لدى العامة قبل الخاصة، وكل ما يتفضل به من الفوا الكتب المدرسية لطلاب المدارس الثانوية أو المذكرات التاريخية لطلاب الجامعة أن يقولوا فى جملة واحدة هذه العبارة، أو ما يدل عليها «ويقال إن هذا الفرعون كان فرعون موسى» أما ما فعل موسى حين قال لفرعون فيما حكى الله عنه حين قال جواباً عن سؤاله :

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ (٢٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

سورة الشعراء ٢٣ إلى ٢٨

أما هذا القول فى سورة الشعراء ونظائره الكثيرة فى شتى السور القرآنية فلا يلتفت إليه مؤرخ مسلم يتحدث عن فرعون لتلاميذ مسلمين يؤمنون بالكتاب، ولايزنون به أطنان الكتب المستوردة من الأثريين مشرقا ومغربا! وما إلى موسى - - عليه السلام - - قصدت فى هذا المقال ولكنى جعلته تكأة للحديث عن الوحدانية المنسوبة لإخناتون!

يوسف والتوحيد

● لقد اشتهر بين الكاتبين جميعا،حتى كاد يعد من المسلمات البدهية أن إخناتون أول من دعا إلى التوحيد فى مصر، وقد عد ذلك مصدر مباهاة بهذا الفرعون إذ اتجه إلى ما لم يخطر على بال سواه من قبل، وأنت تعلم أن الملك إخناتون كان من ملوك الأسرة الثامنة عشرة، هذا ما أجمع عليه الأثريون شرقاًوغربا دون أن يختلف فى ذلك أحد! كما تعلم

أن يوسف – عليه السلام – كان وزيراً لملك الهكسوس في إحدى الأسرتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة، وقد كان ملك الهكسوس لمصر مابين سنتي ١٧٢٠، ١٥٧٠ قبل الميلاد، وملك الأسرة الثامنة عشرة قد جاء بعد ذلك، فإذا كان يوسف – عليه السلام – قد عين وزيرا للمال في مصر وقد هتف بالتوحيد الصريح قبل إخناتون بأمد طويل حين نطق بما عبرالله عنه عز وجل في قوله:

﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

سورة يوسف ٣٩، ٤٠

ومن قبلها قال – عليه السلام – فيما رواه كتاب الله:

﴿ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾

سورة يوسف ٣٧،٣٨

أقول إذا كان يوسف – عليه السلام – قد هتف بالتوحيد، وقال للملأ حوله:

﴿ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ﴾ فكيف يكون إخناتون أول من دعا إلى التوحيد في مصر؟

وقد جعل يوسف من دعائه المشتهر قوله:

﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾

يوسف ١٠١

الا تستوقف هذه النصوص الباب من يكتبون تاريخ مصر في عهدها البعيد؟

قد يقول قائل إن يوسف قد آمن بإله واحد في مصر ولكنه لم يقم بالدعوة إليه، وهو قول مخطيء ينكره النص الصريح في كتاب الله إذا جاء في حوار مؤمن آل فرعون الذي سجلته سورة (المؤمن) ما يؤكد أن قوم فرعون يعلمون حقيقة يوسف ومجيئه بالبينات

داعياً إلى ربه، يقول الله عز وجل على لسان هذا المؤمن الشجاع مخاطبا فرعون المتغطرس وحاشيته الممالئة:

﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴾ المؤمن ٣٤

وإذن فالدعوة إلى التوحيد في مصر قد سبقت إخناتون بأجيال وعلى الذين يكتبون تاريخ إخناتون أن يرجعوا إلى كتاب الله فيما يقولون، أو على الأقل، أن يذكروا رأى الأثريين مقارناً بما جاء في القرآن، ليتركوا للقارىء حرية التمييز بين قول وقول، وإذا كان القارىء مسلما فلن يتردد في تصديق كتاب الله! وكيف لا؟.

هذا ملحظ أول، أما الملحظ الثاني فهو البعد الشاسع بين دعوة إخناتون إلى التوحيد، ودعوة يوسف – عليه السلام – في جوهرها الإيماني الخالص، لأن توحيد يوسف كان اتجاها إلى فاطر السموات والأرض وحده دون أن يرمز إليه بأثر مادى، أما إخناتون فقد رمز إلى إلهه بالشمس وجعلها وحدها المسيطرة على الكون فتوحيده «وثنى مادى» وقد يأتى من الملوك من يبحث عن كائن آخر يكون في نظره أعظم خطراً من الشمس فيجعله إلها ويترك الشمس! وإذن فقد انتفى التوحيد البرىء في دعوة إخناتون، واحتاج مذهبه الوثنى إلى تصحيح! وهو بهذا التقهقر المتراجع يعتبر ارتداداً عن دعوة يوسف، وقد كانت شائعة ذائعة بين المصريين حينئذ وامتدت شهرتها إلى بلاط فرعون، إذ لم يقل أحد «من الذين حضروا مجلس المؤمن الداعية من يوسف هذا؟ وماذا كانت دعوته؟ بل غشيهم السكوت؟

إن بعض المتآمرين من كتاب اليهود قد أفردوا الصحف للحديث عن «إخناتون» لا باعتباره سابقا عن وجود موسى كما هو الواقع المؤكد دون لبس، بل باعتباره قد جاء بعده، وتأثر بدعوته إلى التوحيد فهتف بها في مصر، وهذا ما كشفته مجلة الهلال حين نشرت مقالا تحت عنوان (إخناتون والصهيونية الثقافية» قال فيه كاتبه الأستاذ حمدى خضرى وفا بعد أن تحدث عن سرقة اليهود للتراث الفرعوني بشهادة الدكتور هنرى برستيد وايلمار من الغربيين وسليم حسن وأحمد بدوى من المصريين: قال الكاتب: وأنا أربأ بمثقفينا أن يكونوا أدوات طيعة في خدمة الحركة الصهيونية الثقافية الحديثة فيعملوا بحسن نية أو باسم الاجتهاد التاريخي على ترسيخ النظريات الزائفة التي يحاول الصهاينة الجدد تأصيلها تاريخيا ومنها محاولة إثبات أن حكماء القدماء من المصريين ومنهم إخناتون هم الذين سطوا على التراث التوراتي لليهود، وذلك عن طريق إثبات أن وجود موسى التاريخي يسبق وجود كل حكماء المصريين ومنهم إخناتون» فإذا كنا نرى هذا

التزييف السافر لدعوة إخناتون ومحاولة انتمائها إلى التوراة التى نزلت بعده بأجيال، إلا يكون من الرد المقنع أن نقول إن التوحيد قد سبق إخناتون وموسى مما فى أرض مصر منذ هتف به نبى الله يوسف، ودعا إليه، وهو وزير الدولة الذى جعله الله قائما على خزائن الأرض يتبوأ منها حيث يشاء وقال له مليكه الهكسوسى

﴿ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ﴾

يوسف: ٥٤

وأنا أعلم أن من المؤرخين من أثبت أن إدريس – عليه السلام – كان مصريا، وقد جاء بالتوحيد الخالص، كما أن زيارة إبراهيم – عليه السلام – لمصر وهو مسلم موحد مما دون فى تاريخه، ولكنى أترك هذين النبيين الكريمين مع سبقهما الزمنى البعيد لأن القرآن لم يتحدث عن وجودهما بمصر وإن أثبتته المصادر الأخرى، ليكون الحديث مقصورا على ما جاء فى الذكر الحكيم. مع احترامى لما جاء فى سنة رسولنا الكريم.

إيمـــــــان آدم وأولاده

إن الذين يتحدثون عن نشأة الأديان فى الأرض يتخبطون فى عمياء حين ينكرون أن الإنسان الأول قد نشأ موحدا مؤمنا، وأن آدم وأولاده قد سكنوا الأرض موحدين مؤمنين بفاطر السموات والأرض وموقنين بالثواب والعقاب وفقا للعمل الصالح والسيىء، وقد قال هابيل لأخيه:

﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٨ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

سورة المائدة ٢٨، ٢٩

وإذن فالعصور الأولى كانت مؤمنة موحدة، ثم طغت الأوهام، وغلبت الخرافات، فجعلت الرسل تتوالى لهداية الناس ورجوعهم إلى الدين الصحيح، ينكر الذين يتحدثون عن نشأة الأديان من الماديين هذه المقررات التى تتفق مع الفطرة الإنسانية المنجذبة تلقائيا إلى الإيمان بخالق رازق محيى مميت، ويتلمسون الأوهام المتخيلة لإيجاد أدوار متصلة تترقى فيها العقيدة من طور إلى طور، فالإنسان القديم فى منطقهم– مصرياً أو غير مصرى– قد اضطر إلى تأليه ظواهر الطبيعة من شمس ومطر ونجوم، حين وجدها مصدر الرزق كما اضطر فى طرف آخر إلى تأليه البرق والرعد والنار حين وجدها مصدر الرعب، حتى انتهى الأمر فى عصر إخناتون إلى عبادة الشمس باعتبارها كيانا واسع النفوذ رغبة ورهبة.

رغبة، حين تبعث الدفء، وتنمي الشمر والزرع، ورهبة حين ترسل شواظها الحارق فيشوى الجسوم هكذا يلفق الذهن البشرى أوهامه المتخيلة دون سند صحيح، غير الاعتزاز بالجحود المطلق لآراء الدين الصحيح ولنا أن نقول لهؤلاء الذين يرسمون الحلقات المتتابعة لتسلسل الآلهة الكونية؟ إنكم تجمعون على أنكم لاتعلمون شيئا من أحوال الإنسان قبل أن يهتدى إلى الكتابة بالرموز، وقد اهتدى إليها خلال القرن الثانى والثلاثين قبل الميلاد، فماذا كان دينه قبل هذا الاهتداء فى عصور لا تعلمون عن عبادتها قليلا أو كثيرا باعترافكم الصريح! لقد قرأتم المدونات على سطوح الرق والبردى وكسر الحجارة الرقيقة، فدلت على تعدد الآلهه! وهذا لا ينكره أحد، لأن اختلاف الأفكار وسيطرة الأوهام بتوالى العصور أدى إلى الوثنية، ولذلك جاءت الرسل لتنقذ الإنسانية من ضلالها المبين، وقد قال الله - عز وجل - فى تأكيد ذلك:

﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

سورة البقرة ٢١٣

والواضح الصريح من هذا النص الكريم أن الناس فى نشأتهم الأولى كانوا أمة واحدة فى الإيمان، ثم اختلفوا فبعث الله الرسل لهدايتهم، وما اختلف من هؤلاء غير أولى البغى مع وضوح البينة، فضلوا وأضلوا، ولكن الله هدى المؤمنين إلى الصواب، ولك أن تواجه هؤلاء المنكرين لحقيقة الإنسان الأول المتشيعة بالإيمان بهذا السؤال: لماذا كان البعث الأخروى والثواب والعقاب عقيدة خالصة بنيت بتأثيرها الأهرام، وكيف نبتت فكرة الخلود فى مصر إذا كانت لم تتصل من قبل بدين سماوى كان الناس فى اتباعه أمة واحدة؟ إن الذين شيدوا الآثار والمعابد، ونحتوا أبا الهول من الصخر، وأنشأوا النظم الدقيقة فى التحنيط وحفظ الأجساد، وصيانة المآكل والمشارب فى المقابر لتصلح للغذاء بعد النشور لم يفعلوا ذلك دون تأثير من وحى إلهى، ومن إله واحد، أفكانت الشمس والرعد والبرق والنار مما يصلح أن يكون مصدراً لتأكيد فكرة الثواب والعقاب، والخلود الدائم فى حياة بعد هذه الحياة، هذا ما لا يكون؟

على أن أصحاب هذا المنحى التطورى فى نشأة العقيدة الدينية ليسوا وحدهم الذين تذرعوا بأساليب البحث العلمى ليصلوا إلى ما يريدونه من النتائج فبإزائهم



ماكس موللر



فريد وجدى

نفر من أئمة البحث العلمى قد تحدثوا عن الفطرة الأولى ذات الإلهام الدينى الصحيح بما يدحض آراء معارضيهم عن إقناع تؤيده الحجة، ويسنده البرهان، يقول الأستاذ العلامه محمد فريد وجدى بهذا الصدد:

أما أن الأمم فى دور طفولتها لا تستطيع بحكم قصورها العقلى أن تدرك وحدة الذات الإلهيه وانه لا محيص من أن تمضى فى أول أدوارها الوثنية،فهذا القول سقط عن المرتبة العلمية بعد أن أثبت الأستاذ الألمانى الكبير (ماكس موللر) عمدة الباحثين فى الأديان البشرية القديمة ومناشئها وتطورها، أن الناس كانوا فى أول عهودهم موحدين للذات الإلهيه لا معددين للآلهه، عاشوا على ذلك التوحيد دهرا طويلا، ثم طرأت عليهم الوثنية بفعل زعمائهم الدينيين، فقد سولوا لهم تعدد الآلهه ليسهل قيادهم فى أيديهم، وليصرفوهم فيما يشتهرون، ويرتفعوا فى نظرهم إلى مرتبة خزنة الأسرار الإلهيه، ومهبط العلوم العلوية ثم قال الأستاذ وجدى - رحمه الله - هذا رأى العالم اليوم، والأستاذ ماكس موللر، لا هو من رجال الدين، ولا من العلماء الاعتقاديين، وإنما هو بحاثة فى تاريخ الأديان القديمة ومناشئها، وقد وقف على هذا الاكتشاف الأثرى الخطير من طريق تتبع سلسلة الأديان، بالاعتماد على الآثار والنقوش والكتابات، لا من طريق التوهم والظن». ولنا أن نقول بعد هذا: إن مصر قد عرفت التوحيد فى عصورها الأولى قبل زمن الأسر الفرعونية ثم طغى الضلال على فريق من الكهنة فضلوا وأضلوا... وجاء من دعاهم من الأنبياء إلى عبادة الله وحده، ومنهم يوسف بن يعقوب الذى امتد صيته الدينى إلى ما بعد عصره فعرفه إخناتون وعرفه أصحاب فرعون حين ذكرهم به هذا المؤمن الصريح! فهل لا تزال تردد فى مناسبة وغير مناسبة أن إخناتون كان أول داعية بمصر للتوحيد؟

د./ محمد رجب البيومى

تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال الله - تعالى :

﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾

البقرة: ٢٣٨ - ٢٣٩

أورد القرآن آيتين كريمتين تأمران بالمحافظة على الصلاة وبالمداومة على طاعة الله والملازمة لذكره ولعل السر فى توسط هاتين الآيتين بين آيات الأحكام التى تحدثت عن الطلاق، والعدة والرضاع والخطبة .. إلخ، لعل السر فى ذلك أن هذه الأمور كثيراً ما تكون مثار تنازع وتخاصم وتقاطع بين الناس، فأراد القرآن بطريقته الحكيمة، وبأسلوبه المؤثر أن يقول للناس: إن محافظتكم على الصلاة، ومداومتكم على طاعة الله وذكره كل ذلك سيغرس فى نفوسكم المراقبة له - سبحانه -، والخشية من عقابه، وسيعينكم على أن تحلوا قضاياكم التى تتعلق بالطلاق وغيره بالعدل والإحسان والتسامح والتعاطف، لأن من

حافظ على فرائض الله وأوامره، انصرفت نفسه عن ظلم الناس، وعاملهم معاملة كريمة حسنة. وقد بين القرآن في كثير من آياته أن المحافظة على الصلاة بخشوع وخضوع لله - تعالى - وأن المداومة على ذكره، والملازمة لطاعته كل ذلك من شأنه أن يمنع الإنسان من الوقوع فيما نهى الله عنه، قال - تعالى -:

﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ ﴾(١).

وقال - تعالى -:

﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴾(٢).

وقال - تعالى -:

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾(٣)

فكأن الله - تعالى - يقول للناس: لقد أمرتكم بالمحافظة على الصلاة، وبالمداومة على طاعتي وذكري خلال حديثي عن أحكام كثيراً ما تكون هذه الأحكام مثار تنازع بينكم، وذلك لكي تحلوا التسامح والتواصل والتقارب محل التشاحن والتدابر والتجافي، لأن من شأن المحافظة على هذه العبادات، أن تهدي إلى أكمل الأخلاق والصفات.

فسبحان من هذا كلامه، ومن تلك إرشاداته وتوجيهاته ووصاياه.

وقوله - تعالى -: ﴿ حَٰفِظُواْ ﴾ من الحفظ بمعنى ضبط الشيء، وصيانته عن كل تضييع، وهو خلاف النسيان. والخطاب لجميع المكلفين من أفراد الأمة.

والمعنى: حافظوا يامعشر المسلمين والمسلمات على أداء الصلوات في أوقاتها بخشوع وخضوع وإخلاص لله رب العالمين، وحافظوا بصفة خاصة على الصلاة الوسطى، لما لها من منزلة سامية، ومكانة عالية.

فقد أمر الله - تعالى - عباده بالمحافظة على الصلوات بصفة عامة، وأفرد الصلاة الوسطى بالذكر تفخيماً لشأنها، وإعلاء لقدرها من بين أفراد جنسها. والمسلم يكون محافظاً على الصلاة إذا أداها في وقتها مستوفية لآدابها وسننها وشرائعها وخشوعها وكل ما يتعلق بها، أما إذا قصر في شيء من ذلك فإنه لا يكون محافظاً عليها تلك المحافظة التامة التي أمر الله بها.

وفي قوله - تعالى -: ﴿ حَٰفِظُواْ ﴾ تنبيه إلى أن الصلاة في ذاتها شيء نفيس ثمين تجب المحافظة عليه، لأن هذه الكلمة تدل على

---

(١) العنكبوت ٤٥.
(٢) البقرة ٤٥.
(٣) هود ١١٤.

الصيانة والضبط بجانب دلالتها على الأداء والإقامة والمداومة.

قال الإمام الرازى: وقوله: ﴿حَٰفِظُواْ﴾ بصيغة المفاعلة التى تكون بين اثنين. للدلالة على أن هذه المحافظة تكون بين العبد والرب. فكأنه قيل: احفظ الصلاة ليحفظك الإله الذى أمرك بها. وهذا كقوله: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ وفى الحديث «احفظ الله يحفظك»[4]. أو أن تكون المحافظة بين المصلى والصلاة. فكأنه قيل: «احفظ الصلاة حتى تحفظك الصلاة بمعنى أنها تحفظك من ارتكاب المعاصى، وتشفع لمصليها يوم القيامة»[5].

وللعلماء أقوال فى المراد بالصلاة الوسطى التى أفردها الله - تعالى - من بين الصلوات فجمهور العلماء يرون أنها واحدة من بين الصلوات الخمس المفروضة، وأن الوسطى مؤنث الأوسط أى الشىء المتوسط بين شيئين، فالصلاة الوسطى هى الصلاة المتوسطة بين صلاتين إلا أنهم اختلفوا فى تعيينها.

فأكثر العلماء على أن الصلاة الوسطى هى صلاة العصر، لأنها تقع فى وسط الصلوات الخمس، إذ قبلها اثنتان وبعدها اثنتان، ولأنها وسط بين صلاتى النهار، وصلاتى الليل، فمعنى التوسط فيها واضح، ولأنها مظنة التقصير لمجيئها بعد وقت الظهيرة الذى يكون فى الغالب وقت كسل.

وفضلاً عن ذلك فقد صرحت بعض الأحاديث بأنها صلاة العصر، وقد ساق الإمام ابن كثير عدداً من هذه الأحاديث ومنها ما جاء فى صحيح مسلم ومسند الإمام أحمد عن على بن أبى طالب قال: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: «شغلونا عن الصلاة الوسطى «صلاة العصر» ملأ الله قلوبهم وبيوتهم ناراً»، ثم صلاها بين العشاءين المغرب والعشاء، وفى مسند الإمام أحمد عن سمرة أن رسول الله ﷺ قال: «الصلاة الوسطى صلاة العصر».

وقد خصت صلاة العصر بمزيد من التأكيد، وبالأمر بالمحافظة عليها، وبالتحذير من التقصير فيها، مما يشهد بأنها هى الصلاة الوسطى، فقد روى البخارى ومسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «الذى تفوته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله» أى: سلب من أهله وماله فبقى وحيداً بدونهما.

وقال بعضهم المراد بالصلاة الوسطى «صلاة الصبح»، وقيل صلاة الظهر، وقيل صلاة المغرب، وقيل العشاء، وقيل الجمعة، وقيل غير ذلك من الأقوال التى لا تبلغ فى قوتها مبلغ قول القائلين بأنها صلاة العصر، ولذا قال ابن كثير: وكل هذه الأقوال فيها

---

(4) أخرجه أحمد فى مسنده (١/٢٩٣، ٣٠٧)

(5) تفسير الفخر الرازى جـ٦ ص ١٥٧. بتلخيص.

ضعف بالنسبة إلى التي قبلها، ومعترك النزاع في الصبح والعصر، وقد أثبتت السنة أنها العصر فتعين المصير إليها - أي إلى أن المراد بالصلاة الوسطى «صلاة العصر»[٦].

ومن العلماء من اتجه في بيان المراد من الصلاة الوسطى اتجاهاً آخر فهو يرى أن المراد بالصلاة الوسطى «الصلوات كلها»، وأن الوسطى ليست بمعنى المتوسطة بين صلاتين، وإنما هي بمعنى الفضلى لأن وسط الشيء خياره وأعدله وأفضله فالمقصود بها فعلها أو أداؤها بطريقة سليمة كاملة. والمعنى على هذا الرأي: حافظوا يامعشر المسلمين على الصلوات كلها، وحافظوا على أن يكون أداؤكم لها بطريقة وسطى أي فاضلة بأن تؤدوها في أوقاتها كاملة الأركان والسنن والآداب والخشوع.

قال ابن كثير: «وقيل بل الصلاة الوسطى مجموع الصلوات الخمس رواه ابن أبي حاتم عن ابن عمر وفي صحته نظر. والعجب أن هذا القول قد اختاره الشيخ أبوعمر بن عبدالبر إمام ما وراء البحر، وإنها لإحدى الكبر، إذ اختار مع اطلاعه وحفظه ما لم يقم عليه دليل من كتاب ولا سنة ولا أثر».

ومن العلماء المحدثين الذين استحسنوا هذا الرأي الشيخ محمد عبده - رحمه الله - فقد قال: «ولولا أنهم اتفقوا على أنها - أي الصلاة الوسطى - إحدى الخمس لكان يتبادر إلى فهمي من قوله: «الصلاة الوسطى» أن المراد بالصلاة الفعل وبالوسطى الفضلى أي: حافظوا على أنواع الصلاة وهي الصلاة التي يحضر فيها القلب وتتوجه بها النفس إلى الله - تعالى - وتخشع لذكره، وتدبر كلامه لا صلاة المرائين ولا الغافلين»[٧].

والذي نراه أن ما عليه الجمهور من أن الصلاة الوسطى هي واحدة من بين الصلوات الخمس، وأنها صلاة العصر هو أقوى الآراء، لأنه - أولاً - يتفق مع أصحاب الاتجاه الثاني الذين يقولون بأن أداء الصلاة يجب أن يكون بطريقة تامة الأركان والسنن والخشوع وما قال أحد منهم بأن تحديدها بصلاة العصر ينفي أداء بقية الفرائض بكمال واطمئنان. ولأنه - ثانياً - قد امتاز عن رأي أصحاب الاتجاه الثاني بأنه أعمل النص الصحيح الثابت عن رسول الله ﷺ بأن الصلاة الوسطى هي صلاة العصر، ولا شك أن إعمال النص أولى من إهماله أو من تأويله تأويلاً ضعيفاً.

وقوله: ﴿ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ مؤكداً لما قبله من المحافظة على أداء الصلاة. والقنوت: لزوم الطاعة مع الخضوع والخشوع. أي قوموا في الصلاة مطيعين لله - تعالى - مؤيدين لها

---

(٦) راجع تفسير ابن كثير جـ١ ص ٢٩١ وما بعدها.

(٧) تفسير المنار جـ٢ ص ٤٣٨.

على وجهها الكامل في خشوع وخضوع واطمئنان.

والفاء في قوله:

﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾ للتفريع أي: حافظوا على الصلاة في كل وقت، وأدوها بخشوع واطمئنان، فإن كان بكم خوف من عدو في حال المقاتلة في الحرب أو من غيره لسبب من الأسباب، فصلوا راجلين أي ماشين على الأقدام، أو راكبين على ركائبكم بإيماء، سواء وليتم وجوهكم شطر القبلة أولا.

و(رجالاً) جمع راجل. وهو القوى على المشي برجليه. يقال: رجل الإنسان يرجل رجلاً إذا لم يجد ما يركبه ومشى على قدميه، والركبان جمع راكب للجمل أو الفرس أو غيرهما.

وجواب الشرط محذوف والتقدير: فإن خفتم فصلوا راجلين أو راكبين، وهذان اللفظان أي – رجالاً أو ركباناً – حالان من الضمير في «فصلوا» المحذوف.

والآية الكريمة تدل على شدة عناية الإسلام بشأن الصلاة، فقد أمر الله – تعالى – عباده بأن يحافظوا عليها في حالتي الأمن والخوف، والصحة والمرض، والسفر والإقامة.

وقد بسط هذا المعنى الأستاذ الإمام محمد عبده فقال ما ملخصه: وقوله – تعالى–:

﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾ هذا تأكيد للمحافظة على الصلاة، وبيان أنها لا تسقط بحال، لأن حال الخوف على النفس أو العرض أو المال هو مظنة العذر في الترك كما يكون السفر عذراً في ترك الصيام.. والسبب في عدم سقوط الصلاة عن المكلف بحال أنها عمل قلبي، وإنما فرضت تلك الأعمال الظاهرة لأنها مساعدة على العمل القلبي المقصود بالذات، وهو تذكر سلطان الله – تعالى – المستولي علينا وعلى العالم كله، ومن شأن الإنسان إذا أراد عملاً قلبياً يجمع فيه الذكر أن يستعين على ذلك ببعض ما يناسبه من قول وعمل.

ولا ريب أن هذه الهيأة التي اختارها الله – تعالى – للصلاة هي أفضل معين على استحضار سلطانه فإن قولك «الله أكبر» في فاتحة الصلاة وعند الانتقال فيها من عمل إلى عمل يعطيك من الشعور بكون الله أكبر وأعظم من كل شيء، ما يغمر روحك، ويستولي على إرادتك.. وكذلك الشأن في سائر أعمال الصلاة.

فإذا تعذر عليك الإتيان ببعض تلك الأعمال البدنية، فإن ذلك لا يسقط عنك هذه العبادة القلبية التي هي روح الصلاة وغيرها، وهي الإقبال على الله – تعالى – واستحضار سلطانه، مع الإشارة إلى تلك الأعمال بقدر الإمكان الذي لا يمنع من مدافعة الخوف الطارىء من سبع مفترس، أو عدو مغتال، أو لص محتال.. فالآية تعلمنا أنه يجب أن لا

يذهلنا عن الله شيء في حال من الأحوال..»[8].

وقال الإمام ابن العربي: قوله - تعالى -: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾ أمر الله - تعالى - بالمحافظة على الصلاة في كل حال من صحة ومرض، وحضر وسفر، وقدرة وعجز، وخوف وأمن، لا تسقط عن المكلف بحال، ولا يتطرق إلى فرضيتها اختلال. وقد قال ﷺ: «صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب»[9].

والمقصود من ذلك أن تفعل الصلاة كيفما أمكن، لا تسقط بحال حتى لو لم يتفق فعلها إلا بالإشارة بالعين لزم فعلها كذلك إذا لم يقدر على حركة سائر الجوارح، وبهذا المعنى تميزت عن سائر العبادات، فإن العبادات كلها تسقط بالأعذار، ولذلك قال علماؤنا: إن تارك الصلاة يقتل، لأنها أشبهت الإيمان الذى لا يسقط بحال، ولا تجوز النيابة فيها ببدن ولا مال»[10].

ثم قال - تعالى -:

﴿ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾

أى فإذا زال خوفكم وصرتم آمنين مطمئنين، «فاذكروا الله» أى فأدوا الصلاة تامة كاملة مثل ما علمكم إياها ربكم على لسان نبيكم ﷺ وقد منَّ الله - تعالى - عليكم بهذا التعليم الذى كنتم تجهلونه فضلاً منه وكرماً.

وعبر - سبحانه - «بإن» المفيدة للشك فى حالة الخوف، وبإذا المفيدة للتحقيق فى حالة الأمن، للإشعار بأن حالة الأمن هى الحالة الكثيرة الثابتة، وأن حالة الخوف هى الحالة القليلة الطارئة، وفى ذلك فضل جزيل من الله - تعالى - على عباده يحملهم على شكره وطاعته، حيث وهبهم الأمان والاطمئنان فى أغلب أوقات حياتهم.

وبذلك نرى أن هاتين الآيتين الكريمتين قد أمرتا المسلم بأن يحافظ على الصلاة محافظة تامة، إذ فى هذه المحافظة سعادة للإنسان، ودافع له على أداء الحقوق لأربابها، وزاجر له عن اقتراف ما نهى الله عنه.

«يتبع»

***

---

(8) تفسير المنار جـ2 ص 443.

(9) أخرجه أبو داود (952).

(10) أحكام القرآن لابن العربى جـ1 ص 227.

الإعجاز التربوي في القرآن الكريم

للأستاذ الدكتور / مصطفى رجب

لا مراء في كون القرآن الكريم معجزاً، هذا ما اجتمعت عليه كلمة علماء البيان العرب قدامهم ومحدثيهم. ولكنهم تماروا قليلاً أو كثيراً في تحديد القدر المعجز من القرآن الكريم، أيتحقق الإعجاز بسورة كاملة؟ أم بآية؟ أم بكلمة؟ أم بحرف؟ أم أن الإعجاز لا يتحقق إلا بالقرآن كاملاً أو بعشر سور منه؟ ومرد هذا الخلاف إلى تلك الآيات التي أنزلت في مناسبات مختلفة تحدياً لأولئك المشركين الألداء الذين تصدوا للدعوة الإسلامية في مهدها وزعموا أن بإمكانهم أن يأتوا بمثل

وعلى مر القرون منذ بدأ التأليف العربي في العلوم اللغوية والشرعية، جهد العلماء كثيراً في استنباط وجوه للإعجاز متعددة حتى وقفت مباحثهم في عصرنا الحاضر عند حدود الإعجاز العلمي، وهاهم أولاء يحاولون الآن مسايرة التقدم البحثي في علوم الحاسوب فيدرسون (الإعجاز الرقمي).

غير أن المتتبع لمباحث الإعجاز على مر تلك القرون يلحظ ملحظاً مهماً جديراً بالنظر: ألا وهو خلو تلك المباحث من مجال لم يكن للتأليف العربي به عهد في عصوره الزاهية القديمة، ونعني به الجانب التربوي وما ذلك إلا لأن العرب لم يكونوا ينظرون إلى (التربية) بوصفها علماً مستقلاً كما هو الحال الآن بفعل شيوع فكر التخصص وتفتيت العلوم. فقد كان شأن التربية في مفهوم العرب القدماء شأناً عاماً، إذ كان ينظر إليها في سياق الأخلاق الاجتماعية التي لم تكن تعلم (بضم التاء وتشديد اللام المفتوحة) وإنما كانت تمارس (بضم التاء وفتح الراء) في الحياة بصورة فطرية أو مكتسبة حسب نوعيتها.

ومن ثم، كان العرب يستخدمون لفظ (التأديب) ومشتقاته بديلاً لما نعنيه في لغتنا العصرية بلفظ (التربية). وقد جاء الذكر الحكيم باللفظ الثاني في قوله تعالى:

﴿ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾(١).

وجاء في حديث ضعيف لفظ (التأديب) بمعنى (التربية والتنشئة) وبذلك يكون اللفظان قريبين في الدلالة على توجيه السلوك الإنساني

(١) الإسراء، ٢٤.

الوجهة المقبولة. أما (التربية) فلم تعرف بوصفها علماً مستقلاً إلا في العصور الحديثة. وكانت لأول عهدها مقصورة على ما يعرف الآن بطرائق التدريس والوسائل التعليمية. فكانت تدرس في القرن التاسع عشر الميلادي بهذه المثابة في معاهد إعداد المعلمين أي بوصفها مادة مساعدة على فهم ما يدرس للناشئة من مواد تعليمية. ثم اتسع نطاقها وتولدت عنها علوم مختلفة حتى أصبحت تضم في الوقت الراهن عديداً من التخصصات منها: الأصول الاجتماعية للتربية، والأصول الفلسفية للتربية، والتربية المقارنة، والإدارة التعليمية، والمناهج، وطرائق التدريس، والوسائل التعليمية، والصحة النفسية، وعلم نفس النمو، والإرشاد النفسي، والفروق الفردية وتعليم الكبار، وعلم النفس التربوي وقد أدى الولع بالتفريع والإسراف في الفصل بين التخصصات بالتربية- شأن غيرها من العلوم- إلى المبالغة في التعمق في تلك الفروع المتقاربة حتى أصبح للبحث التربوي مناهجه الخاصة، التي باعدت نسبياً بينه وبين شقائقه من العلوم الإنسانية المساعدة كعلوم الاجتماع والاقتصاد والفلسفة وعلم النفس والتاريخ من جهة، وحولت بعض بحوثه من جهة أخرى إلى طلاسم تعنى بأخص المختص وأدق الدقيق من جزئيات العملية التربوية، بحيث أصبحت فنيات التعليم- بمعنى التدريس- هي الشغل الشاغل للبحوث التربوية، العصرية وتراجعت المفاهيم المرتبطة بمعاني التربية الخلقية (التأديب والتهذيب) بصورة ملحوظة.

الإعجاز التربوي في القرآن

وإذا كان العقل والوجدان العربي والمسلم قد استساغا أوجه الإعجاز المتعددة للقرآن الكريم، لاسيما إعجازه العلمي، فلا بد من بذل الجهد لتلمس مظاهر وآفاق الإعجاز التربوي للقرآن الكريم. ولا يتأتى ذلك بعقد الموازنات بين نظريات التربية الحديثة وما ورد في القرآن الكريم من قيم تربوية. فهذا خطل في التفكير، وخطأ في النظر وقع فيه الكثيرون من الباحثين التربويين العصريين الذين غلبتهم الحماسة، وحركتهم النيات الحسنة. فشتان بين ما جاء به بشر مغموزو السيرة، شائنو السلوك من أمثال جان جاك روسو، وجون ديوي، ووليم جيمس وغيرهم ممن يلوك ناشئتنا في كليات ومعاهد التربية أسماءهم منذ سبعين عاماً ويفتتنون بما قاءت قرائحهم المريضة، أقول: شتان بين هذا الغثاء الغث، وبين ما احتواه الذكر الحكيم من سمو في التوجيه، وروعة في الأداء تبلغ حد ما أسماه القدامى بالإعجاز.

وفي رأينا أن التربية القرآنية- بما هي تنزيل من عليم خبير- تمتاز بالإعجاز على مستوى الجملة، والآية بل والكلمة الواحدة.

الإعجاز التربوي بالكلمة

إن اختيار كلمة بعينها- دون سواها- في سياق آية تشريعية أو قصصية قد يحمل في تضاعيفه كنوزاً من قيم التربية الإلهية السامية فمن ذلك مثلاً كلمة ﴿ تَجِدُواْ ﴾ في قوله تعالى:

---

(٢) النور ٢٨.

﴿ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا ﴾(٣)

كان من الممكن ان يستعمل القرآن الكريم بدلاً منها كلمة أخرى مثل (فإن لم يكن) غير ان هذا الاستخدام يغلب عليه الجمود ولا دور للمخاطب فيه . أما استخدام فعل يكون المخاطب هو فاعله مثل ﴿ تَجِدُوا ﴾ ففيه حركة وفاعلية . والمقام مقام تهذيب وتأديب وتعليم أحكام شرعية تتعلق بالزيارات- فإشراك المخاطب وهو في حال التعلم- في العملية التعليمية هو غاية ما انتهت إليه نظريات التعلم التي تدرس الآن في كليات التربية .

فانظر إلى إعجاز القرآن الكريم : كيف أدى هذا المعنى بعفوية تعبيرية رائعة في سياق أفعال مضارعة تراوحت بين النفي :

﴿ فَلَا تَدْخُلُوهَا ﴾ - ﴿ لَّمْ تَجِدُوا ﴾

والإثبات ﴿ تَسْتَأْنِسُوا ﴾(٣) ﴿ وَتُسَلِّمُوا ﴾(٤)

وجميعها مسندة إلى المخاطب المعبر عنه هنا بواو الجماعة لأن الخطاب موجه إلى جماعة الذين آمنوا في مطلع الآية . وهو- من الوجهة الشرعية- يخاطب به كل فرد من المؤمنين على سبيل الإلزام .

ووجه آخر للإعجاز التربوي في هذه الكلمة ﴿ لَّمْ تَجِدُوا ﴾ يتجلى في أن البيوت المقصودة بالأمر الإلهي هي البيوت المأهولة- عادة- بالسكان الذين لا يبرحونها إلا لضرورة . وعلى ذلك فإن معنى ﴿ لَّمْ تَجِدُوا ﴾ قد يتسع ليشمل حالة ما اذا كان السكان موجودين بالفعل في داخل البيت ولكن ظروفهم لا تسمح بالإذن للطارق أو أنهم لا يرغبون في استقباله لأسباب تتعلق بهم أو به أو بالوقت الذي جاء فيه مستأذناً . وكل هذه المعاني لا يؤديها السياق لو كان نصه (فإن لم يكن بها أحد) أو (فإن لم يوجد بها أحد) مثلاً .

وقد ذهب الكاتبون في التربية الحديثة ممن تخصصوا في علوم الصحة النفسية وعلم النفس التربوي إلى أن تصويب السلوك الشائن الذي يبدر من المتعلم قد يتخذ صوراً مختلفة منها العقاب البدني كالضرب والجلد ومنها العقاب النفسي كالحرمان والنبذ والإهمال، ولكنهم اتفقوا على أن الغاية من ذلك كله واحدة وهي : التنفير من السلوك الخاطئ ودفع المتعلم إلى نبذه والتخلص منه . ويعبرون عن ذلك بقولهم (خلق اتجاهات إيجابية نحو كذا أو كذا) وهو ما يسمى باللغة العربية السليمة (الترغيب والترهيب) .

وفي القرآن الكريم أمثلة متعددة أدت فيها كلمة واحدة هذه الوظائف التربوية مجتمعة . ففي قوله تعالى :

﴿ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ﴾(٥) .

---

(٣) النور ، ٢٧ .   (٤) النور ، ٢٧ .

(٥) التوبة ، ٣٨ .

أدت كلمة: ﴿ أَثَّاقَلْتُمْ ﴾ معاني: تقاعستم، تكاسلتم، قصرتم، تجاهلتم، وغيرها، إلا أن أيا من تلك الأثقال لم تحمل ما حمله الفعل (اثاقل) من معاني الخمول والخيبة والإخلاد إلى الأرض. فإذا استمع المسلم إلى هذه الآية تتلى عليه اقشعر بدنه وهو يتخيل صورة بعض القادرين على الجهاد المخاطبين به وهم يتثاقلون ويودون لو لم يسمعوا الأمر الإلهي الصارم بالجهاد في سبيل الله. ففي الكلمة إعجاز تربوي بما توحيه- بحكم بنيتها الصرفية وقيمتها الدلالية- من ترغيب في الجهاد وترهيب من القعود عنه. أو بلغة التربويين العصريين: بما تخلقه من اتجاهات إيجابية نحو الجهاد. واتجاهات سلبية نحو الكسل والخمول والخوف من لقاء العدو.

إن الشحنة النفسية المشبعة في الفعل ﴿ أَثَّاقَلْتُمْ ﴾ تفعل فعلها في التربية والتهذيب. فالكلمة- بذاتها- تحمل كل ما يمور في النفس الإنسانية المحجمة عن الجهاد من خوف وتردد بين الإقدام طاعة لله، والإحجام حرصاً على الدنيا وحبا للحياة، وما يموج بداخل هذا الإنسان المتردد من صراع عنيف بين الرغبة في تلبية الأمر، والإشفاق من نتائج هذه التلبية فما إن يهم هذا المتردد بالقيام حتى يتلبسه خوفه من الموت أو الأسر أو إشفاقه على أمواله وأسرته فيقعد به عن القيام وهكذا يتعالى الصراع النفسي الداخلي العنيف حتى يبين أثره لا في وجهه المتردد فقط بل وفي يديه ورجليه وسائر بدنه حتى يبدو وكأنه عاجز عن القيام وما هو بعجز. كل تلك المعاني يؤديها القرآن الكريم بكلمة واحدة ﴿ أَثَّاقَلْتُمْ ﴾.

ومثال آخر للدور التربوي المعجز الذي تقوم به الكلمة في السياق القرآني نجده في قوله تعالى:

﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾(٦).

فقد يظن المتعجل أن كلمة ﴿ بِأَفْوَاهِكُم ﴾ لم تضف جديدا بعد الفعل «تقولون» إذ القول لا يكون إلا بالأفواه. غير أن القارئ المتأني الذي يقرأ القرآن بتدبر يرى أن هذه الكلمة أفادت فائدة عظمى إذ أوضحت أن ترديد الإشاعات- والآية خاصة بحادثة الإفك- إنما يكون في غيبة العقل وغفلة القلب. فلا عمل فيه إلا للألسنة، ولو تدبر مروجو الإشاعات فيما يرددونه وأعملوا عقولهم لاستبان لهم فيما يقولون خطأ كبير أو مبالغة ممقوتة أو كذب أعرج.

والتربويون العصريون في مباحثهم في مجال فلسفة التربية عندما يتحدثون عن نظرية المعرفة، يحددون مصادر المعرفة فيجعلون منها (ما يقوله الآخرون- والعقل- والحواس- إلخ) ويتشككون كثيراً في المعرفة التي لا تخضع للعقل لا سيما تلك التي ينقلها المتعلم عن الآخرين.

وقد أغنت هذه الكلمة (بأفواههم) غناء كبيراً في هذا الصدد. وحفلت بكثير مما ينتاب مروجو الإشاعات من الغفلة والاستسهال وعدم التفكر فيما يمكن أن يصيبوا به الأبرياء من ألسنتهم ولو عقلوا ما يقولون لانتهوا عنه.

والله أعلم

---

(٦) النور ١٥».

السنة

كسب الحلال والحرام

لفضيلة الأستاذ / عبد الرحمن الجزيري
عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر

إعداد الشيخ / علي حامد عبد الرحيم

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ:
«إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر المرسلين فقال:
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (١)
وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ (٢).
ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء، يارب، يارب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك» رواه مسلم والترمذي، ونقله الحافظ المنذري.

(*) من مختارات مجلة الأزهر «رمضان ١٣٥٧هـ».
(١) المؤمنون «٥١».
(٢) البقرة «١٧٢».

يتعلق بشرح هذا الحديث أمور:

(١) بيان معناه

(٢) بيان أن الرسل مكلفون بعمل الصالحات كغيرهم

(٣) ما المراد بالطيبات من الرزق؟

(٤) بيان أن أكل الحرام وشربه ولبسه يحول بين العبد وخالقه.

١ - أما معنى هذا الحديث إجمالا فهو أن رسول الله ﷺ يحث أمته على البر ومكارم الأخلاق، في كل شأن من شئون هذه الحياة الدنيا. ومما لا ريب فيه أن خير البر وأنفعه للمجتمع الإنسانى هو أن يسلك كل فرد من الأفراد المكلفين سبيل العفة والعدل في كل ملاذه وشهواته، فيتجافى في مطعمه ومشربه وملبسه ووسائلها كل بغى وعدوان، فلا يأكل إلا حلالا، ولا يشرب إلا حلالا، ولا يستمتع إلا بالحلال.

وقد يخيل للإنسان أن ملاذ الحياة الدنيا ومطالبها كثيرة لا تنتهى إلى غاية ولا تقف عند حد، فيساق بعوامل هذه الملاذ إلى النضال الدائم والجهاد المستمر في سبيل تحصيلها والوصول إلى أقصى حد ممكن منها، ولكن العاقل حقا إذا أمعن النظر في شهوات هذه الحياة الدنيا وملاذها يجدها منحصرة في دائرة ضيقة لا تستلزم الخروج عن السبل القويمة التى أمر الله عباده بسلوكها في تحصيل هذه الشهوات، ولا تحتاج إلى ذلك الصراع الذى كثيرا ما يذهب بكرامة الإنسان ومروءته وهو غافل لاه. ويمكن حصر مهام لذات الحياة الدنيا في شهوتى البطن والفرج وما يستلزمانه من مال وجاه وذرية وغير ذلك. وإلى هذا يشير قوله تعالى:

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ﴾[٣].

فهذه الآية الكريمة تدل على أن معظم الشهوات التى يفتتن بها الناس في حياتهم الدنيا هى هذه الشهوات، فهى محببة إلى الإنسان بطبيعته، ومع ذلك فهى مزينة له بعوامل مختلفة، ولذا لم تصرح بالفاعل الذى زينها لأنها متنوعة بتنوع تلك الشهوات. مثلاً: شهوة النساء قد حببت إلى الإنسان بفطرته، ولكن لا يزينها له ولا يدفعه إلى تحصيلها إلا ما يراه من جمال المرأة،واستعدادها لقضاء تلك الشهوة، فلو عاش الرجل بعيدا عن النساء لا يكون لتلك الشهوة سلطان عليه. وكذلك شهوة المال محببة إلى الإنسان، ولكن لا يزينها له إلا ما يترتب على المال من قضاء مآرب وغايات لا يمكن الحصول عليها إلا بالمال. وهكذا جميع الشهوات اللازمة لطبيعة الإنسان، فهى محببة إليه بفطرته، ومزينة له بعامل قوى يسوقه إليها. ثم إن كانت هذه العوامل مشروعة بقرها الدين كانت هذه الشهوات ممدوحة، وإلا كانت من شر الآفات المذمومة.

وقد أشارت الآية الكريمة إلى أن هذه الشهوات المحبوبة للإنسان بفطرته متاع الحياة الدنيا وزينتها،

(٣) آل عمران: ١٤٠.

ومهما بلغ من أمرها فإنها منقطعة لا تدوم، بل هي متاع قليل إذا قيست بالنعيم الدائم الباقي يوم القيامة، كما قال سبحانه في آية أخرى:

﴿ قُلْ مَتَـٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾(٤).

فينبغي للعقلاء أن يقفوا عند الحد المباح لهم، ويعلموا أن الخروج عن ذلك الحد موجب للشقاء والحرمان من النعيم الخالد الذي أشار الله إليه بقوله: ﴿ ذَٰلِكَ مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾(٥).

فالميزان المستقيم العادل الذي لا يختل أبدا هو اتباع أوامر الدين، واجتناب نواهيه في متاع الدنيا وشهواتها.

ولقد بين لنا الحديث الذي معنا أن شهوة البطن واللباس وما يستلزمانه من مال وبيع وشراء يجب أن تكون مقصورة على الحلال الطيب، فلا يحل لأحد أن تدفعه شهوته الزائلة إلى عصيان الله والخروج على النظم الاجتماعية الصالحة التي أمر الله بها عباده على اختلاف درجاتهم، فإن من تطغى عليه شهوته وتدفعه إلى الاعتداء على الناس في أموالهم وأرزاقهم بدون حساب كان مصيره إلى الهلاك العاجل، والعذاب الدائم، والحرمان من النعيم الخالد. وقوله: يطيل الرجل السفر إلخ كناية عن إظهار الزهد ابتغاء رضوان الله.

٢ ـ أما كون الرسل مكلفين بعمل الصالحات كغيرهم من الأفراد، فذلك مما لا نزاع فيه، بل هم معصومون عن الموبقات والكبائر قبل البعثة وبعدها على الصحيح، لأن الكبائر إما أن تكون شركا وهو أكبر الكبائر، وإما أن تكون غيره كالقتل والزنا والسرقة ونحوها. ولا ريب في أن الأنبياء الذين اصطفاهم الله من خلقه لا يصح أن يدنسوا بشيء من هذه القاذورات، لا قبل البعثة ولا بعدها. أما بعد البعثة فالأمر ظاهر، لأنهم بعثوا لإرشاد الناس، والمرشد الذي ينصبه الله قدوة لعباده لابد أن يكون طاهرا مطهرا، فلا ينهى الناس عن خلق قذر ثم يفعله هو، فإن ذلك موجب لانصراف الناس عنه، وفشله في وظيفته التي بعثه الله من أجلها لا محالة. وأما قبل البعثة فلأن المرشد الذي له ماض شائن يحتقره الناس ولا يصغون إلى دعوته، ويقولون له: ما شأنك وأنت منغمس في الخصال التي تأمرنا بالكف عنها ؟! فلذا كان من الضروري أن يعصم الله رسله الذين يعلم أنه سيرسلهم كما قال تعالى:

﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾(٦).

نعم: قد ورد في القرآن ما يفيد ظاهره أن بعض الأنبياء قد عصى ربه، ولكنها جميعها لا تخل بمقامهم الكريم، بل هي في الواقع صغائر صدرت منهم عفوا، وقد مجدهم الله في كتابه

---

(٤) النساء، ٧٧.
(٥) آل عمران، ١٤، ١٥.
(٦) الأنعام، ١٢٤.

تمجيدا يدل على أن كل ما صدر منهم كان أمرا صوريا، ومن ذلك ما قصه الله علينا من عصيان آدم حيث قال:

﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾[٧].

فالغواية والتوبة يدلان على أنه ارتكب كبيرة مع كونه رسولا. والجواب عن هذا ظاهر: وهو أن آدم ـ عليه السلام ـ فهم أن أمره بالكف عن الأكل لم يكن للوجوب، وذلك لأن أكل الثمر من جنة ملكه الله إياها ليس نقيصة في ذاته، وإنما وصفه بالعصيان، ووصف استغفار آدم بالتوبة، لأن اللائق بمقام الأنبياء أن لا يخالفوا أمر الله ـ تعالى ـ ولو كان للندب. والواقع أن آدم قد فعل ما ترتب عليه نظام الله في الخليقة، فكان عمله لازما لابد منه، وإنما نهاه الله في الظاهر للإشارة إلى أن النوع الإنساني سيكون على هذه الحال: من عصيان ربه تارة، والرجوع إليه تارة أخرى، وأنه سبحانه يقبل من يرجع إليه ويجتبيه ويغفر له عصيانه، فما وقع من آدم إنما هو حكاية لصورة حقيقية لذلك النوع، وتمثيل صادق لما سيقع منه في حياته الدنيا، وذلك أمر لابد منه قد سنه الله ـ تعالى ـ في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلا. فآدم وإن خالف الأمر في الظاهر، ولكنه فعل ما لابد منه في الواقع، ولذا قد امتدحه الله بعد ذلك فقال:

﴿ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾.

أما ما وقع من موسى ـ عليه السلام ـ من قتل القبطي فإنه كان خطأ لا شك فيه، لأن الوكز باليد مرة لا يراد به القتل حتما. وعلى هذا القياس في كل ما ورد من ذلك مما لا محل لذكره الآن. فالأنبياء مكلفون كغيرهم، بل كان رسولنا الأعظم ﷺ مكلفا أكثر من أمته، فكان مفروضا عليه قيام جزء كبير من الليل، وكان يعبد الله أكثر من أصحابه، حتى قال له بعض أصحابه: إنك تعبد الله أكثر منا مع أن الله قد غفر لك ما تقدم وما تأخر، وهموا أن يفعلوا مثله، فنهاهم عن ذلك، وقال: «إنني أعلمكم بعظمة الله، وأشدكم خشية له»[٨]، وذلك من أكبر العوامل الباعثة على العمل بدون مشقة ولا ملل، فإذا قلدتموني مللتم العمل وضعفتم عن القيام به.

٣ ـ أما المراد بالطيبات من الرزق، فهو كل مالم تحرم الشريعة الاستمتاع به من أكل وشرب ولبس وغيرها، على أن تسكن إليه النفس وتطمئن به، كما قال ﷺ: «البر ما اطمأنت إليه النفس، واطمأن إليه القلب، والإثم عكس هذا»[٩].

على أن الفقهاء قد بينوا ما يحل أكله ولبسه وشربه وبيعه وشراؤه وإجارته ونحو ذلك بيانا تاما، فشرحوا الأحاديث الصحيحة الواردة عن رسول الله ﷺ في البيع والشراء والإجارة ونحوها أحسن شرح، واجتهدوا في فهمها اجتهادا يدل على مالهم من ذكاء وفطنة في فهم معاني القول وإدراك ما يلزم لتطبيقه على أحوال الأمم، وأبانوا ما يحل أكله وشربه ومالا يحل، على وجه صالح مناسب للناس مع تفاوت حالهم واختلاف طبائعهم.

فأحل المالكية أكل كل شيء طاهر لا تعافه

---

(٧) طه ١٢١، ١٢٢.

(٨) فتح الباري (١٥١/٤).

(٩) أخرجه أحمد في مسنده (٢٢٨/٤).

النفس ولا يضر بالبدن، إلا بعض أشياء قد اختلفوا فيها، منها الحمر الأهلية والخيل والبغال، فالمشهور عندهم تحريمها لما ورد فيها بخصوصها. وبعضهم يقول: إن الحمر الأهلية والبغال مكروهة، والخيل مباحة. وذلك هو المشهور عندهم. وبعض المالكية يقول: إن جميع الحشرات من الخبائث لا من الطيبات، فلا يحل أكلها. وبالجملة فالمالكية توسعوا في معنى الطيبات من الرزق، فأحلوا كل طاهر لا يضر أو يتعلق به حق الغير، واختلف علماؤهم في الحشرات ونحوها. على أن الظاهر يؤيد من يقول بتحريمها لأنها من الخبائث جزما عند ذوى العقول السليمة.

أما الحنفية فقد حرموا أكل كثير من الحيوانات قالوا إنها من الخبائث، ومنها سباع البهائم كالسبع والنمر والضبع ونحوها، ومنها سباع الطير كالحداة والغراب الخ، وأحلوا أكل الخيل بدون كراهة. ومن أراد أن يعرف ذلك مفصلا في المذاهب فليرجع إلى أول مباحث الجزء الثانى من كتاب الفقه على المذاهب الأربعة.

٤ ـ كل من عرف الشريعة الإسلامية وآدابها، ونظر إلى أحاديث رسول الله ﷺ نظرة صادقة صحيحة، لا يسعه إلا أن يجزم بأنها مرتكزة إلى إله عليم خبير لا تخفى عليه من أحوال عباده خافية، فقد اشتملت على كل ما فيه صلاح الإنسان فى معاشه ومعاده فى جميع أطواره، فعنيت بمحاربة الشهوات الفاسدة وطغيانها عناية عظيمة، ووضعت لما يترتب عليها من آثار ظالمة حدودا فاصلة واضحة، ولم تترك نوعا من الأنواع اللازمة لحياة المجتمع إلا وضعت له حدودا صالحة، وحرمت مجاوزة تلك الحدود والخروج عنها تحريما غليظا، فكانت منار هداية للنوع الإنسانى فى كل زمان ومكان. على أننا ذكرنا فيما مضى أن العقوبات التى وضعت فى تأديب العصاة والمجرمين الخارجين على حدود الله تنقسم إلى أقسام، فمنها ما هو محدود، ومنها ما هو متروك لحالة الأمة واختلاف طبائع أفرادها، ومنها ما هو متروك للعقوبات الأخروية التى هى أشد وأنكى من عقوبات الدنيا. وهذا الحديث الذى معنا دلنا على نوع آخر من العقوبات قد يخفى أمره على كثير من الناس. وهو أن الجرائم التى يفلت صاحبها من الحد والتعزير فى الدنيا قد لا يفلت من عقوبة الله العاجلة فى الدنيا أيضا، فقال لنا: إن الذى يأكل الحرام ويشرب الحرام ويلبس الحرام لا يستجيب الله دعاءه فى الدنيا، فإن أكل الحرام يترتب عليه قسوة القلب وغفلته عن عظمة خالقه، وذلك ينافى الخشوع اللازم للدعاء، فمن أراد أن يناجى إلهه القاهر فوق عباده ويقف مستحضرا عظمته وقدرته على كل شىء، فإنه يجب أن يكون خاليا من الأقذار التى نهاه إلهه عنها، ولذا قال بعضهم: إن من شروط قبول الدعاء أن يكون المرء سليما من أكل السحت، فمن تعمد أكل الحرام أو لبس الحرام أو شرب الحرام فإن ذلك يحول بينه وبين خالقه، ومن أراد أن يقبله الله ويستجيب له فليتب من ذنوبه توبة صادقة ثم يقف بين يديه خاشعا خاضعا تائبا نادما، فإن الله ـ تعالى ـ يقبله ويحبه، لأنه يحب التوابين ويحب المتطهرين.

قبس من سيرة المصطفى ﷺ

دعوة الإسلام إلى حب الأوطان

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

إن محبة الأوطان من دلائل الإيمان، فما شرع الجهاد فى سبيل الله إلا دفاعا عن العقيدة والأوطان، وردا للظلم والطغيان، وتأمينا لدعوة الإيمان، ونشرا للسلام والأمان. ومما لا شك فيه أن فى الجهاد بذلا للمهج والأرواح فى سبيل الدفاع عن الدين والأوطان.

وقدوتنا فى حب الأوطان هو سيدنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، فعندما خرج مهاجراً من مكة إلى المدينة نظر إلى البيت الحرام نظرات حانية ثم قال مخاطباً مكة المكرمة، بلد الله الحرام ومسقط رأسه ومنزل الوحى وقبلة المسلمين: «والله إنك لخير أرض الله، وإنك أحب أرض الله إلى الله، ولو لم أخرج منك ماخرجت»[1].

ثم توجه الرسول ﷺ إلى الله - سبحانه وتعالى - بهذا الدعاء: «الحمد لله الذى خلقنى ولم أك شيئا، اللهم أعنى على هول الدنيا وبوائق الدهر ومصائب الليالى والأيام، اللهم اصحبنى فى سفرى واخلفنى فى أهلى، وبارك لى فيما رزقتنى، ولك فذللنى، وعلى صالح خلقى فقونى، وإليك ربى فحببنى، وإلى الناس فلا تكلنى.

رب المستضعفين، وأنت ربى، أعوذ بوجهك الكريم الذى أشرقت له السموات والأرض، وكشفت به الظلمات وصلح عليه أمر الأولين والآخرين أن تحل علىّ غضبك وتنزل بى سخطك، وأعوذ بك من زوال نعمتك، وفجأة نقمتك وتحول عافيتك وجميع سخطك لك العتبى عندى خيرما استطعت، ولاحول ولا قوة إلا بالله»[2].

(١) أخبار مكة للأزرقى ١٥٦/٢، إتحاف الورى بأخبار أم القرى لعمر بن فهد ٥٠٢/١.
(٢) أخرجه أحمد (١٤٤/٢)، (٨٣/٥).

وفي قوله ﷺ لمكة: «إنك لأحب أرض الله إليّ..» مايدل على حبه لها، وعدم رغبته عنها إلا للضرورة، ولذلك لما خرج عليه الصلاة والسلام من مكة، فبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة فأنزل الله:

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾(٣)

قال: إلى مكة.

ومما يدل على أن حب الوطن من الإيمان، قول الله تعالى: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا﴾(٤).

والناس يحبون أوطانهم ففيها حياتهم ونشأتهم وبها تعلقت عواطفهم، وفيها تواصل الأرحام والإحسان إلى أهل الوطن من فقراء ومحتاجين، وفي كل جزء في الوطن عاطفة للإنسان ترتبط به ولا تفرط فيه.

وإذا كانت مكة الوطن الأول لرسول الله ﷺ فإن المدينة المنورة كانت الوطن الثاني الذي هاجر إليه، ودعا للمدينة ولأهلها ودعا بالبركة فيها حيث قال: «واجعل بالمدينة ضعفي ماجعلت بمكة من البركة»(٥)، وتتجلى محبته صلوات الله وسلامه عليه للمدينة، ومحبة أهل المدينة له في استقبالهم وحفاوتهم به وبالمهاجرين من أول لحظة قدم فيها المدينة، كما تتجلى محبته للمدينة ومحبة أهلها له بعد أن فتح الله - تعالى - عليه مكة وفرح بالفتح فرحا عظيما، وكان حفيا بالكعبة المشرفة وبالمسجد الحرام... وعندئذ خاف الأنصار أن يقيم رسول الله ﷺ في مكة، ولا يرجع إلى أهل المدينة فيحرمون منه، فقال بعضهم لبعض: أما الرجل فأدركته رغبة في قريته، ورأفة بعشيرته، أترون رسول الله ﷺ إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها؟

فأوحى الله إليه بما جرى، فذهب رسول الله صلوات الله وسلامه عليه إليهم، فأخبرهم بما قالوا: فأقروا، فطمأنهم قائلا: «كلا إني عبد الله ورسوله هاجرت إلى الله وإليكم فالمحيا محياكم والممات مماتكم»، فأقبلوا إليه يبكون ويقولون: والله ماقلنا الذي قلنا إلا الضنّ بالله ورسوله فقال رسول الله ﷺ: «إن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم».

هذا هو النموذج الأمثل في حب الوطن والتعلق به، والوفاء له والانتماء الصادق إلى العقيدة الحقة التي تدعو إلى حب الوطن والانتماء إليه، وهذا يجعل الناس ينافحون عنه وينتصرون له، ويضحون بالنفس والنفيس في سبيله وتكون خيانته أو التفريط في حقه في الأمن والاستقرار من الخيانة العظمى التي تورد صاحبها موارد الهلاك.

إن حب الوطن، يدعو كل مؤمن صادق الإيمان، أن يكون وفيا لتراب الوطن الذي نشأ عليه، وأن يصونه من كل غائلة ومن كل ترويع أو اضطراب فلا إيمان لمن لا أمانة له، ولادين لمن لا عهد له.

إن سمات المؤمن أن يأمنه الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم بل يكون اسمه نداء النجدة للمكروبين والمفزعين ويكون في جواره الأمن والطمأنينة.

وإن الإسلام حين يدعو إلى حب الأوطان ونشر الطمأنينة فيها والأمان إنما يقرر المبدأ الإسلامي الذي يجب أن يسود في الأرض وهو مبدأ الحرية والسلام والأمن والاستقرار، بل إن الإسلام قرر مبدأ الجوار،

---

(٣) القصص (٨٥).

(٤) البقرة (٢٤٦).

(٥) أخرجه مسلم (٩٩٤/٢).

ومبدأ الأمن لمن يجير إنسانا ولو كان كافرا. فلا تمتد يد بسوء إليه.

فقد كانت السيدة أم هانيء بنت أبي طالب زوج هبيرة بن أبي وهب المخزومي قد أجارت بعض أقارب زوجها، بعد الفتح وهما: الحارث بن هشام وزهير بن أبي أمية المخزومي، فدخل عليها أخوها علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - يريد أن يقتل الرجلين فمنعته أم هانيء، ثم جاءت إلى رسول الله ﷺ، وهو في مكة، فلما رآها رسول الله ﷺ قال: «مرحبا بك وأهلا يا أم هانيء» ما جاء بك؟» فقالت: يانبي الله كنت أمنت رجلين من أحمائي فأراد عليٌّ قتلهما، فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام: «قد أجرنا من أجرت يا أم هانيء»[6].

فماذا كانت نتيجة هذا الجوار والأمان لهذين الرجلين؟

لقد أسلم الحارث وزهير وكانا عونا للإسلام وأهله، وهكذا كانت ثمرة تعاليم الإسلام في دعوتها إلى الأمن والاطمئنان، وحب الأوطان، ولله در القائل:

بلادي وإن جارت عليّ عزيزة
وأهلي وإن ضنوا عليّ كرام

معنى هذا أن الإنسان يعز عليه أن تشقى بلده، وحتى لو فرض وأنها جارت عليه، أو ناله منها عسف أو تعب أو نصب، فإنها مع هذا عزيزة على الإنسان لايرضى لها الضياع ولا الهوان ومعلوم أن الوطن بمؤسساته وتراثه وبحضاراته وخيراته، لا تكون هذه الأشياء هي الجائرة، ولكن مراد الشاعر أن الذين فيها قد يجورون، فلا يصح أن يكون هذا مسوغا للإنسان أن يكره الوطن برمته ولا أن يكون حربا عليه، بل تظل بلاده عزيزة عليه.

كما أن أهل الإنسان وعشيرته قد يبخلون عليه، فلا يكون بخلهم أو بخل أحدهم على الإنسان مسوغا له أن يبغضهم، بل عليه أن ينظر إلى زوايا أخرى ناله من خلالها وبسببهم خير كثير، فقد تربى بخيرهم ونشأ في جوارهم وإن ضنوا عليه في جانب، فقد كانوا كراما في جوانب أخرى.

ومن هذا تغنّى الشعراء بحب الأوطان وبالتفاني في سبيل رفعتها وسؤددها.

وطني لو شغلت بالخلد عنه
نازعتني إليه في الخلد نفسي

إن الإنسان المؤمن، يحب وطنه ويظل وفيا له، منافحا عنه وعونا لأهله في السراء والضراء يعز عليه أن يشقى الوطن أو أحد أهله مهما كانت الأحوال.

دم الأهل والقربى وإن كان ظالما
عزيز علينا أن نراه يسيل

إن الإنسان المؤمن، محب لوطنه، وفيٌّ له متعاون مع أهله مدافع عنه يعز عليه عنت الوطن أو شقاؤه أو ترويعه أو إرهاب أحد بنيه، بل يحب له الخير والسلام، والأمن والاستقرار، فالمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم.

روى الدينوري، عن الأصمعي قال: قالت الهند: «ثلاث خصال في ثلاثة أصناف من الحيوان: الإبل تحنّ إلى أوطانها، وإن كان عهدها بعيدا، والطير إلى وكره وإن كان موضعه مجدبا، والإنسان إلى وطنه وإن كان غيره أكثر له نفعا».

وعن الأصمعي قال: سمعت أعرابيا يقول:

«إذا أردت أن تعرف الرجل فانظر كيف تحننه إلى أوطانه؟ وتشوقه إلى إخوانه، وبكاؤه على مامضى من زمانه».

---

(٦) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٣٠٢/١، ٨٩٦/٣، أخبار مكة للأزرقي ١٦٢/٢، شفاء الغرام ١٥١/٢.

مواقف إسلامية

لحظة تفضل العمر

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

قالت أم سلمة لأبى سلمة ـ رضى الله عنهما ـ : بلغنى أنه ليس امرأة يموت زوجها ، وهو من أهل الجنة وهى من أهل الجنة ، ثم لم تزوج بعده ـ إلا جمع الله بينهما فى الجنة وكذلك إذا ماتت المرأة ، وبقى الرجل بعدها فتعال أعاهدك ألا تزوج بعدى ، وألا أتزوج بعدك .

قال : أتطيعينى ؟

قلت : ما استأمرتك إلا وأنا أريد أن أطيعك .

قال : فإذا مت .. فتزوجى ! ثم قال : اللهم ارزق أم سلمة بعدى رجلا خيرا منى لا يحزنها ولا يؤذيها .

قالت : فلما مات أبو سلمة قلت : من هذا الفتى الذى هو خير لى من أبى سلمة ؟ ! فلبثت ما لبثت ، ثم جاء رسول الله ﷺ »[1] .

تمهيد

من مظاهر الحياة فى القرية .. زمان .. أنهم كانوا يحدون على الميت بتحريم ألوان من الطعام حزنا عليه .. وكنت أقول لهم :

لماذا لا تحرمون على أنفسكم استنشاق الهواء .. وهو أغلى من الغذاء .. وأدل على الوفاء ؟ ! !

(١) الطبقات الكبرى ج٨/٨٦ .

الوفاء المشئوم

وهى صورة من الوفاء الأعمى يستمد وجود من الجاهلية الأولى.. والتى كانت الزوجة فيه تضيف إلى تحريم الطعام.. الامتناع عن الكلام!.. والبعد عن أولادها الأيتام سجينة فى كهف مظلم. بل قد تدفن الزوجة مع زوجها المتوفى.. تدفن حية.. لتكون إلى جواره تؤنسه كما كانت من قبل.. بل قد تحرق حية.. لتكون معه فى الجو هباء، ومن بقيت من بعده حية.. قد تجعل من عموده الفقرى عقداً تزين به جيدها فى المناسبات الكبيرة!

ولكن.. ما هى الثمرة العملية لهذا الوفاء السلبى ؟

لا شىء..

ولكن.. أم سلمة - رضى الله عنها - تعتصم بالوفاء الإيجابى عن طريق مشروع معاهدة هى : أن يضرب الطرف الثانى عن الزواج بعد رحيل صاحبه!

أولاً : رعاية للأيتام.. حتى لا يضيعوا فى الزحام.

وثانياً : ليكون ذلك الوفاء رسالة إلى المجتمع تؤكد له أن ما يربط الزوجين أعظم من مطالب الجسد وأن هناك ما هو أبقى وأتقى.

وثالثاً : إثبات قدرة الإنسان على ضبط نوازعه حين يربطها بمثل أعلى.. يغنيه عن كل عرض.

ورابعاً : أن الوفاء ليس حفلات تقام، وإنما هو قبل كل شىء تضحية تجعل منه قيمة باقية، ووفاء بلا تضحية لا جدوى منه، وإنما هو لقاء دورى تلقائى لا يعبر عن عواطف صادقة ثابتة.

من الحب.. إلى الود

إن العلاقة التى تربط الزوجين هنا هى علاقة : الود، والفرق هائل بين : الود والحب.

يقول بعض الباحثين :

[تأملت الآية الكريمة التى تقول :

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٢).

فتفكرت فيها وقلت : لماذا لم يقل الله - سبحانه وتعالى - « وجعل بينكم حبا وهياما »؟

ذلك أن عاطفة الحب متقلبة. قابلة للزوال. وان المودة والرحمة هما الأبقى. والأكثر دوما واتصالا. ثم اكتشف الباحث حكمة الله - تعالى - التى خفيت على العقول فى الزواج وهو أن يبنى على الأسس القابلة للدوام. وليس على الأسس الواهنة. المعرضة للانهيار.

ثم قال : « إن من يشكون من تغير أحوال الحب بعد الزواج.. لو تأملوا حكمة الله قليلا لادركوا أن الحب لم يخمد، وإنما تحول إلى العاطفة الأبقى وهى : الود. » ولو أنه بقى على نفس طبيعته السابقة على الزواج لظل قابلا للتغيير والزوال فى أية مرحلة من مراحل العمر»(٣).

---

(٢) الروم ٢١٠.

(٣) ذكرت هذا لطلابى منذ أربعين عاماً وهو ثابت فى بعض كتبى لكننى أذكره هنا.. ليتأكد القارىء الكريم إلى أى حد يكون توارد الخواطر وأذكر أننى ألحقت بهذا : إيثار السنة المطهرة لفظ «الطيب» على العطر لما فى هذه من إثارة.. وما فى الطيب من وقار.

وفى ضوء ما تقدم .. يمكننا أن نقول : إن عاطفة الحب مهما كانت عراقتها .. فلن تغنى عن هذا الود الوقور .. الذى جمع بين الزوجين فى لحظة جمع الزمان مكانها .. مؤكدا كيف تكون الحياة صحراء جرداء بلا رفيق ! وصدق القائل : أوقر ما يكون من الدواب لا بد له من سوط وعصا . وأعقل ما يكون من الرجال لا غنى له عن مشورة ذى عقل . وأعقل ما يكون من النساء .. لا غنى لها عن زوج . هذا الزوج الذى تناجيه واحدة ممن فاتهن قطار الزواج فتقول :

أرى روضة قد حان منى قطافها

ولست أرى الجانى يمد لها يدا

فوا أسفى : يمضى الشباب مضيعا

ويبقى الذى ما إن أسميه مفردا !

ولقد كانت .. أم سلمة - رضى الله عنها - أعقل النساء .. عندما لم تعلن عن حاجتها فقط إلى زوجها ، بل كانت تعبيرا عن الحقيقة القرآنية التى تجعل من الزواج ميثاقا غليظا .. ممتدا .. كما يشير إلى ذلك قوله تعالى :

﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(1) .

أجل كان موقف أم سلمة معبرا عن وفاء الزوجية كما أرادها الإسلام علاقة أبدية تتخطى الزمان والمكان ، لتكون فوق الزمان ، وفوق المكان ، لا كما تفعل بعض المتسرعات المهرولات اليوم .. تكتفى - بالإحداد - على زوجها أياما ، ثم ينتهى كل شىء .

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس

ولم يسمر بمكة سامر

ولكن الإحداد من بعده :

تربى أولاده .. وتدعو له .. ثم تترسم خطاه .. مجددة بالقدوة ذكراه .

ولاحظ أنها صاحبة مبادرة الوفاء الذى دل على أنها تحب زوجها مرتين : مرة لأنها تحبه ، ومرة لأنها تغار عليه . إنها بنص الآية الكريمة : لباسه ..

وما أكثر اللاتى يتخذن من اللباس زينة ودلالا .. وتفاخرا .. ولكنها لم تفهم من معانى اللباس هنا : أن كل واحد من الزوجين لباس لصاحبه .. لباس : موصول بالعروق .. وليس ستارا واقيا فقط .. لباس منسوج من وجيب القلب ، وتفكير العقل .. ومن أجل ذلك فهو غير قابل للانفصام مهما تقلبت الأيام .

لقد كانت تحب أبا سلمة حبا ملك عليها كل أقطار نفسها .. فاقترحت عليه أن يكون كذلك .. وعلى رجاء أن يلتقيا فى جنات عدن . فلا يفترقان .. فكانت بهذا الوفاء تلك الزوجة التى عناها الشاعر القائل :

وزوجة المرء عون يستعين بها

على الحياة .. ونور فى دياجيها

ملاذ فكرته : إن بات فى كدر

مدت له لتواسيه أياديها

فى الحزن فرحته تحنو فتجعله

ينسى بذلك آلاما يعانيها

كم زوجة ذات عقل غير مسرفة

تدبر الدار تدبيرا ينجيها

---

(1) غافر : 8 .

وجهة نظر أبى سلمة

وقد اعتذر أبوسلمة - رضى الله عنه فلم يوافق على الفكرة هذه الفكرة التى أسعدته كزوج يرى من زوجته هذا الوفاء الممتد والعميق. وقد كان لاعتذاره ما يسوغه.

أولاً : ما سمى الإنسان إلا لنسيانه والمرء قد يحزن إلى الحد الذى يوشك الغم أن يفلق كبده ولكنه ومع مر الغداة وكر العشى ينسى كل شىء، لا يستثنى من ذلك أحد!

ثانيًا : أن الغريزة باقية.. وقد يشتد ضرامها بالفراغ، ومن واقعية الإسلام أن تفسح لها الطريق فرارا من تداعياتها المرة لو كبتناها.

والتاريخ شاهد بحقية ما سبق :

أ- «أم هشام بنت عبدالله بن عمر» :

تزوجها عبد الرحمن بن سهيل بن عمرو وكان يحبها حبا جما فأوصاها فى مرض موته ألا تتزوج بعده. وقد أقسمت على الوفاء له. ثم تزوجها عمر بن عبدالعزيز فعير رجل بذلك قائلا :

تبدلت بعد الخيزران جريدة
وبعد ثياب الخز.. أحلام نائم

ولما حاول عمر - رضى الله عنه - الدفاع عنها تدخلت هى فدافعت هى عن نفسها، وكانت لها رفيقات على ذات الطريق لم يهدأن حتى عثرن على الرفيق!

وثالثًا : كان «أبوسلمة» رضى الله عنه - ملتزما بالسنة التى كان يحتكم إليها مؤيدا وجهة نظره : فقد روى الطبرانى فى الصغير بإسناد حسن عن جابر - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ خطب «أم مبشر» بنت البراء بن معرور فقالت : إن شرطى لزوجى ألا أتزوج بعده.

فقال ﷺ : «إن هذا لا يصلح»(*).

أجل لا يصلح.. وهذا ما تشهد به التجربة الإنسانية المؤكدة عرامة غريزة الجنس، والتى قد تسكت يوما تحت ضغوط الأحزان.. لكنها أبدا لا تموت.

جمال الواقع

أحيانا يضيق الإنسان بواقعه وما يضج به من متناقضات، وعندئذ قد يبحر فى أحلام يقظة فى عالم من الخيال أو الخيال يصنعه لنفسه حتى يرى فى هذا الخيال من الجمال ما لايراه فى واقعه الصارم..

وتلك سلبية تأباها إيجابية المؤمن الذى لا يفر من واقعه بل يحاول أن يطوره لصالحه.. وعندئذ يصبح الواقع - بالإيمان- أجمل من الخيال.

وما قدمناه من موقف الزوجين إنما هو ذلك الواقع الماثل.. وليس هو الخيال الجانح.. أو الجامح.. الواقع الذى يتراءى للمتوسمين على مدار الزمان يؤكد ماذهب إليه علماء النفس أخيرا :

[إن السعادة هى ذلك الشعور المستمر بالطمأنينة والبهجة، هذا الشعور السعيد يأتى نتيجة الإحساس الدائم بخيرية الذات والحياة والمصير. وللوصول إلى هذا الإحساس الإيجابى فعلى الزوجة أن تتجنب القلق والتفكير المستمر فى السعادة. والذى يؤدى بالضرورة إلى التفكير فيما كان من قبل. وفيما يكون

(*) نيل الأوطار ج٦/١٥٤.

من بعد. وهذا في حد ذاته يفسد الشعور بالسعادة، إن السعادة حقا هي : الرضا بالواقع.. ثم بتكيف النفس طبقا للظروف الواقعة]

مـــع ابـــن القيـــم

ونستأنس بما قاله ابن القيم وهو يتحدث عن هذه اللحظات التي يعيشها الزوجان خارج الزمن.. وكأنهما معا فوق السحاب.. فوق تصور العوام [ولا يفهم حقيقتها من الحب سوى المحبوب لموضع امتزاج الأسرار من القلوب.

يعني : أن حقيقة المحبة وسرها لا يفهمه من المحب إلا محبوبه. وذلك لشدة الاتصال الذي بينه وبين محبوبه في الباطن : فروحه أقرب شيء إليه. وأما الغير.. وإن علم أنه محب بظهور أثر المحبة عليه وقيام شاهدها لكن لايدرك تلك اللطيفة التي يدركها المحبوب من محبة لموضع الاتصال بين الزوجين. ولاسيما إذا كانت المحبة من الطرفين. فهناك المعجب والمناجاة والملاطفة والإشارة والعتاب والشكوى.. وهما ساكنان لا يدري جليسهما ما شأنهما على حد قول القائل:

تشير.. فأدري ما تقول بطرفها

وأطرق طرفي عند ذاك.. فتعلم

تكلم منا في الوجوه عيوننا

فنحن سكوت والهوى يتكلم !

رد الجميـــل

فقد كان جميلا أن يرد الزوج إلى زوجته ذلك الوفاء بأجمل منه، دعوة مخلصة : أن يرزقها الله - تعالى - زوجا خيرا منه لا يحزنها، ولا يؤذيها. ولقد أجيبت الدعوة على نحو لم يكن يخطر على بال، حيث كان هذا البديل هو خير البشر ﷺ..

إن قصارى ما يطلب من الزوج وهو يودع الحياة.. أن يسكت فلا يرضى لزوجته أن تكون من بعده تحت رجل غيره.. ليحكم دولة كان فيها السيد المطاع..

ولكن «أبا سلمة» رضي الله عنه - وبلا حساسية - يفترض أن يكون لها زوج يرث ما كان يملك.. ولا يرى غضاضة في أن يكون خيرا منه.. وتتحمل أعصابه قسوة هذا الموقف ولكنه الوفاء سبيلا إلى حسن الجزاء.. وأجمل بلحظة مباركة.. يظللها الإخلاص بين الزوجين وقد أوشكت أيام العمر أن تنصرم إنها «حبة الفاكهة» تلك الفاكهة التي يضاعف الله - تعالى - حلاوتها.. وقبل سقوطها !

أزواج اليـــوم

وإذ تبدو الزوجة هنا سماء لا تطاولها سماء، ولا يسعى لها على قدم، فإن على زوجة اليوم أن تقارب وتسدد.. وإذا لم تصل.. فإنها تقترب.. فما لا يدرك كله.. لا يترك جله.. ومسئولية الزوج عن صلاح الأسرة وتوثيق العلاقة الزوجية مسئولية مباشرة. فينبغي للعاقل أن يكون له وقت معلوم، يأمر زوجته بالتصنع له فيه ثم يغمض عن التفتيش ليطيب له عيشه. وينبغي لها أن تتفقد من نفسها هذا.. فلا تحضره إلا على أحسن حال. وبمثل هذا يدوم العيش.

فأما إذا حصل منها التبذل.. بانت بها العيوب فنبت النفس وطلبت الاستبدال. ثم يقع مع الزوجة الثانية مثل ما وقع في الأولى.

وكذلك ينبغي له أن يتصنع لها.. كتصنعها له ليدوم الود بحسن الائتلاف.

ومتى لم يجر الأمر على هذا في حق من له أنفة من شيء تنبو عنه النفس، وقع في أحد أمرين : إما الإعراض عنها وإما الاستبدال بها. ويحتاج في حالة الإعراض.. إلى صبر عن أغراضه وفي حالة الاستبدال إلى فضل مئونة. وكلاهما مؤذ.

ومتى لم يستعمل ما وصفنا لم يطب له عيش في متعة.. ولم يقدر على دفع الزمان كما ينبغي][6].

زوجة واحدة.. تكفي

وليت شعرى، إنها زوجة واحدة.. ومع ذلك فقد ملأت حياة زوجها أنساً.. بوفائها.. وحسن تبعلها.. فما لهؤلاء الذين يحاولون تجديد الفراش.. كلما هفت نفوسهم إلى التجديد.. وما فيهم من رجل رشيد وفيهم يقول ابن الجوزى حين يقول:[7]

[كنت أسمع على بن الحسين الواعظ يقول على المنبر : والله لقد بكيت البارحة.. فبقيت أنا أتفكر وأقول : أى شيء قد فعل هذا حتى يبكى؟ هذا رجل متنعم! له الجوارى التركيات، وقد بلغنى أنه تزوج في السر بجملة من النساء، ولا يطعم إلا الغاية من الدجاج والحلوى، وله الدخل الكثير والمال الوافر والجاه العريض والإفضال على الناس. وقد حصل طرفا من العلم، واستعبد كثيرا من العلماء بمعروفه، وراحته دائمة الندى.. فما الذى يبكيه ؟!

فتفكرت.. فعلمت أن النفس لاتقف عند حد بل تروم من اللذات ما لا منتهى له وكلما حصل لها غرض.. برد عندها.. وطلبت سواه.. فيفنى العمر ويضعف البدن ويقع النقص ويرق الجاه ولا يحصل المراد. وليس في الدنيا أبله ممن يطلب النهاية في لذات الدنيا.. وليس في الدنيا على الحقيقة لذة إنما هى راحة من مؤلم.

ولكن من هو السعيد حقا في هذه الدنيا ؟ يجيب ابن الجوزى : [السعيد من إذا حصلت له امرأة أو جارية.. فمال إليها.. ومالت إليه.. وعلم سترها ودينها.. أن يعقد الخنصر على صحبتها.. وأكثر أسباب دوام محبتها ألا يطلق بصره.. فمتى أطلق بصره أو أطمع نفسه في غيرها.. فإن الطمع في الجديد ينغص الخُلق وينقص المخالطة.. فتميل النفس إلى المشاهد الغريب.. ويتكدر العيش مع الحاضر القريب.. ثم تصير الثانية كالأولى.. وتطلب النفس الثالثة.. وليس لهذا آخر][8].

ثم يقول في موطن آخر:[9]

ومن أعظم الضرر الداخل على الإنسان كثرة النساء، إنه أولا: يتشتت همه في محبتهن .ومداراتهن وغيرتهن والإنفاق عليهن. ولا يأمن إحداهن أن تكرهه وتريد غيره. فلا تتخلص إلا بقتله].

هذه هي التجربة بدرسها المفيد، ولكن بعض الأزواج، يكره حين يكره.. ويحب حين يحب لا لعيب في الأولى ولا لمزية الثانية.. وإنما هو متبع هواه

فلا ذكاء.. ولا زكاء. لا قريحه وقادة.. ولا طبيعة منقادة! وإنما هو عذاب الهيام.. أو السباحة في بحر من الأوهام، لايموت في نار الشهوة

ولا يحيا! ثم صار أمره على ما قيل:

فأصبحت كالهيماء: لا الماء مبرد صداها.. ولا قاض عليها هيامها

---

(6) صيد الخاطر ـ 228.

(7) نفس المرجع/289.

(8) صيد الخاطر: 289ـ290.

(9) نفس المرجع ص289.

هوامش على كلمة الدكتور أسامة الباز

الجزء الثالث والأخير

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى

قد يكون من الأمور الصعبة أن تقنع خصما برأيك ومهما تكن من صعوبة فى إقناعك له فإنه ممكن على أى حال، لكن الأكثر صعوبة أن تقنع حاقدا أو ظالما مستبدا فإن الحاقد مهما كانت حجتك قوية فإن حقده عليك أكبر من أى حجة وأقوى من أى برهان، أما الظالم المستبد فإن ظلمه واستبداده يُعميانه عن النظر والتسليم بأى حجة فإن من طبيعة الظلم الاستبداد ومن طبائع الاستبداد التشفى، ونحن إذ نناقش أعداء الإسلام الحاقدين عليه الكارهين لمبادئه نعلم - سلفا - أن حقدهم طمس على قلوبهم وأن استبدادهم ألهب مطامعهم فباتوا لا يرقبون فينا إلا ولا ذمة.

قال صاحبى: ويحك من تجادل إذا؟ ولمن تفند ما زعموه حججا ومطاعن على الإسلام وأهله؟ قلت: رعاك الله إنه لكلام جيد واستفهام رشيد حيث إنى أناقش الحجج وأفند المزاعم لا من أجل أن يقتنع هؤلاء الناس فأنا أعلم سلفا أن الحقد أعمى قلوبهم وأن الإحساس بالقوة وطبيعة الاستبداد فى نفوسهم أعمتهم عن كل حق وباتوا لا يرون فى أمم الأرض وأجناس البشر إلا حشرات ضارة يجب أن يتخلصوا منها وفى أحسن الأحوال خدم يجب أن يعملوا فى المصانع والحقول لكى يعيش السادة ويتنعموا بالخيرات.

والحق أنى لا أناقش هؤلاء فلست أرى أملا فيهم إنما أناقش وأفند الحجج حتى لا يُرَوَّجَ لهذه الأباطيل فى بنى قومى فإن كثيرا منهم إما غر ساذج مخدوع

بدعايات الغرب وزخرف المدنية الغربية أو صنيعة للقوم تربوا على موائدهم واستأنسوا تحت أقدامهم يروجون لأفكارهم. لا نتهمهم بالعمالة وإن كانوا لا يتنزهون عنها فنحن لا نبغى إلا المحافظة على الشباب الغر الساذج تجلو له الحق وتبين له وجه الصواب وأثناء ذلك ومن قبله ومن بعده ندعو بالهداية للجميع وعلى نفس المنهج الذى اتبعناه فى تناول المزاعم نتناول ما بقى من هذه الأباطيل. وحيث كنا قد انتهينا من الزعم السابع يبقى لنا من الثامن حتى الثالث عشر وهو آخر الأباطيل، وهى كما وردت فى مقال الدكتور الباز بنصها على النحو التالى نذكرها حتى يكون القارىء الكريم معنا فيما نحن بصدده قال:

«**ثامنًا**: أنه أى الإسلام دين يتسم بالإيمانية الغيبية والاتكالية، والتسليم بالقضاء والقدر والسلبية، بدلا من الاحتكام إلى العقل وإعمال المنطق الذى يقوم على أسس موضوعية قابلة للتحليل والتمحيص والاختبار.

تاسعًا: إنه دين يبيح اللجوء إلى القوة والعنف بدعوى الجهاد فى سبيل الله، وهو ما يؤدى إلى الإرهاب ويضفى عليه شرعية دينية وأخلاقية واجتماعية فى أوساط المسلمين.

وهكذا نجد كثيرا من المفكرين والمسئولين فى الغرب يتحدثون عن «الإرهاب الإسلامى»، ويستدلون على هذا ببعض العمليات التى قام بها مسلمون إما دفاعا عن النفس أو سعيا لاسترداد الحقوق المغتصبة أو لتحرير الأرض، أو بما يقوم به بعض المسلمين دون وازع دينى أو لأغراض دنيوية أو انطلاقا من مفاهيم خاطئة، ثم يحاولون نسبة أعمالهم ومقاصدهم إلى تعاليم الإسلام ورغبتهم فى نصرة الأمة الإسلامية.

مثال حديث: أسامة بن لادن والمبررات التى ساقها لتفسير عدائه للغرب وخاصة الولايات المتحدة وإصراره على إلحاق الضرر به وإيذائه بدعوى أن العالم ينقسم إلى فسطاطين.

عاشرًا: غيبة الديمقراطية والتعددية فى النظام السياسى الإسلامى، طالما أن الحاكم يستمد السلطة من الله - تعالى - وطالما أن الناس يؤمنون بأن الإسلام دين ودولة وهو ما يستوجب قيام النظام السياسى على أساس فكر واحد مستمد من الإسلام، تسيطر عليه فئة تدعى لنفسها صفة «الجماعة الإسلامية».

حادى عشر: أن الإسلام سمح بقفل باب الاجتهاد، وهكذا ظلت نظم وأحكام إسلامية عديدة متسمة بالجمود وعدم الاستجابة إلى التطورات والمستجدات التى يشهدها المجتمع فى كل حقبة زمنية.

ثانى عشر: أن الإسلام عقيدة عدوانية، يحض المؤمن على قتل أى كافر يلتقى به أو يصادفه فى الطريق، لأنه لا يعطى البشر حرية اختيار عقيدتهم ولا يسمح بالتعايش بين أتباع الأديان المختلفة.

ثالث عشر: أنه نظراً لصرامة وحسارة المتطلبات التى يضعها الإسلام على كاهل المؤمنين، فإن الملاحظ أنه كثيرا ما يتسم سلوك المسلمين بوجود هُوة سحيقة بين القول والعمل، والمظهر والمخبر، وكثير من المسلمين يحرصون حرصا زائدا على أداء الفرائض والنوافل والشعائر، دون أن ينعكس هذا على سلوكهم الحياتى وقيمهم وأسلوبهم فى التعامل مع الآخرين، وبذلك يصبح الإيمان طقوسا غير ذات مضمون، لا تنعكس على أخلاقيات المؤمنين والمعايير التى يطبقونها فى حياتهم وفى تعاملهم مع الآخرين» انتهى بنصه.

ورداً على الزعم الثامن نقول:

الواقع أن من يتهم دين الإسلام بالاتكالية لم يفهم مبادىء الإسلام ولا فلسفته وثمة فرق واضح بين ما يسمونه بالاتكالية وبين إيمان المسلمين بالغيب. والغرب – فى تصورى – لا يمكن أن يفهم معنى الإيمان بالغيب، وفرق واضح بين الإيمان بالغيب فى شريعة الإسلام وبين التغييب والمغيب وما تحمله مادة غاب فى مفهوم الغرب المسيحى إذ أن الإيمان بالغيب فى شريعة الإسلام جاء نتيجة الإيمان بالله – تعالى – وبأنه – سبحانه – أرسل رسولا صادقا أمينا أخبر بأمور غيبية لا يمكن لبشر أن يتكلم فيها أو يعيها، فإنها غالبا خارج نطاق العقل البشرى بمعنى أن العقل البشرى لا يمكن أن يدرك على وجه اليقين أبعادها الحقيقية، إنما يصدق بها لأن الذى أخبر بها هو الصادق الأمين: مثل أمور الآخرة وما يحدث فيها من حساب وميزان وحشر.

وذلك بعيد عن التصور الغربى المعاصر الذى يحصر هذه الأشياء كلها فيما يسميه ميتافيزيقا «أى ما وراء الطبيعة» وتصوره عنها هلامى غير واضح، جُله من أساطير وأوهام، والذى يزعم غير هذا مضلل أو مدعٍ.

وعقيدة المسلمين فى اليوم الآخر واضحة الأبعاد والمفاهيم ولا يسبق إلى

الوهم أن عقيدة المسلمين تتشابه أو تتطابق مع تصور المصريين القدماء فى اليوم الآخر، فإننا نعتقد أن بعض الصواب فى تصور الفراعنة إنما كان من أديان سماوية سابقة اختلطت ببعض اجتهادات شخصية لبعض الفراعين.

وإن ما ينسب إلى إخناتون من انه نادى بالوحدانية فهو وحدانية وثنية، لا تمت إلى عقيدة الإسلام الواضحة عن الألوهية واليوم الآخر.

بعد هذا نقول: إن اتهام الغرب للإسلام بأنه عقيدة غيبية اتكالية ناتج من عجز اللغة وعدم الإدراك الحقيقى لمفهوم النبوة والرسالة والعصمة.

وتلك آفة نتحمل نحن المسلمين منها نصيبا كبيرا، فأنا أقصد بعجز اللغة عجز المسلمين عن تقديم ترجمة واضحة تنقل إعجاز المجاز القرآنى وإعجاز جوامع الكلم النبوى فإن أغلب الترجمات فيما يبدو لى كانت تتم بطريقة معجمية سطحية وقد لمست ذلك بنفسى أثناء انعقاد أحد مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية فقد شاء الأزهر أن يتم تكريم «جارودى» أثناء فترة المؤتمر ودعى الرجل فى احتفال مهيب داخل قاعة الإمام محمد عبده وتكلم بالفرنسية عن تجربته وإسلامه إلا أن الترجمة تمت بواسطة من يجيدون لغة معجمية صماء ولا يدركون روعة الأسلوب النبوى وسموه ولا إعجاز القرآن وبلاغته وكانت النتيجة استياءً لم يستطع الحاضرون كتمانه حيث إن أغلبهم من الطلاب المتحمسين لسماع الرجل العظيم. وتفلت الاحتفال من أيدى القائمين عليه والداعين له وانقلب الأمر إلى هجوم وفوضى وتدارك الأمر مفكر نبيل رحمه الله هو الدكتور رشدى فكار وقام بالترجمة بوعى لغوى وحس إسلامى فجذب الانتباه وعم الهدوء وساد صمت تجلى فى إصغاء الحضور خصوصا طلاب جامعة الأزهر وعم الإعجاب الذى عبر عنه تصفيق الطلاب ومقاطعة الدكتور رشدى فكار أكثر من مرة وانفرجت أسارير «جارودى» نفسه.

هذا مثال أقدمه لعجز اللغة نتحمل تبعته نحن وهو يتسبب فى فهم سيئ للغرب عن الإسلام أو على أقل تقدير تبرير معقول فى مواجهة إنكارنا عليهم.

فمثلا نرى فى تاسعا يُتهم الإسلام بأنه دين يبيح اللجوء إلى القوة والعنف وبتنا نسمع عما يسمى بالإرهاب الإسلامى فإن من الفهم الخاطىء أو المتعمد أننا نسمع من يقدم دليله على أن الإسلام دين الإرهاب قول الله تعالى:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[1]

ويفهم كلمة « ترهبون » على أنها دليل الإرهاب مع أن هذا المعنى لا يفهمه أى مسلم ينطق بالعربية إذ أن المعنى الواضح والمستقر فى أذهان المسلمين وضمائرهم أنه الاستعداد للردع وهو من الأمن الوقائى وليس من الإرهاب كما يزعمون[2]. لكن الغرب يتعامل مع المسلمين بسياسة الذئب والحمل حيث إنه بيت النية سلفا على الفتك بالحمل، ولم يبق إلا المبررات الساذجة غير المقبولة والتدخل الوقح فى شئون الغير.

فمثلاً عاشراً تراه يلوم المسلمين على غيبة الديمقراطية والتعددية فى النظام الإسلامى طالما أن الحاكم يستمد السلطة من الله.

وأمام هذا الادعاء القبيح أرانى مضطرا أن أذكرَ بكلمة « نهرو » وهى أن الغرب فى تعامله مع العالم الثالث يعتقد أن الحرية والديمقراطية فراء ثمين لا يناسب أبناء المناطق الحارة. فإذا كان الغرب يؤمن بالديمقراطية والتعددية ويلوم على الإسلام أنه لا يتعامل بها « فهل من الديمقراطية والمساواة ما ابتزت به أمريكا مجلس الأمن لإصدار قرار لتأجيل سريان قرار المحكمة الجنائية على جنود أمريكا - المشاركين فى قوات حفظ السلام الدولية والذين ارتكبوا بعض الجرائم - لفترة عام من المسائلة أمام المحكمة الجنائية الدولية »؟ أليست هذه نازية أمريكية جديدة؟.

أما عن زعم أن الحاكم يستمد سلطته من الله تعالى فى النظام الإسلامى فهذا ناتج عن سوء نية بالإضافة إلى قصور فى اللغة كما سبق أن قلت.

فإن عبارة المسلمين عن أن الحاكم ظل الله فى الأرض التى وردت فى بعض الأدبيات الإسلامية لا تعنى المعنى الحرفى أبدا إنما تعنى أنه مسئول عن تنفيذ شرع الله وإلا فليست العصمة لأحد بعد رسول الله ﷺ وإلا لما قال أبوبكر فى أول يوم تولى فيه الخلافة: « أطيعونى ما أطعت الله فيكم فإن عصيت الله فلا طاعة لى عليكم » وكما قال الخليفة الثانى

---

(١) الأنفال / ٦٠.

عمر نفس المعنى حتى قرت عينه بعبارة أحد المسلمين لما قال له «والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا».

فهل وصلت ديمقراطية الغرب إلى هذا المستوى أو تقاربه أكاد أقول إن حضارة الإسلام وثقافته عالمية وارفة يتفيؤ العالم ظلالها ربما كانت هي الينبوع الذى استقى منه العالم رشده وصلاحه.

أما حادى عشر وهو أن الإسلام سمح بقفل باب الاجتهاد الخ، هذا التعبير وهو قفل باب الاجتهاد نقيصة اتهم بها الغرب الإسلام وروج لها أتباعه زمنا رغبة فى تغيير كثير من أحكام الإسلام بحجة الاجتهاد ولم أجد تحجرا فكريا أكثر من هذا التعبير الذى ردده كثير من مثقفى مصر بعضهم للأسف الشديد نكن له احتراما كبيرا فإننى مهما تصورت الاجتهاد فى مجال الفقه أو الشرع فإننى لا يمكن أن أتصوره باب موصد فلا يلجه أحد.

قد ينعدم الاجتهاد فلا يوجد مجتهد، وما ذلك إلا لانعدام الذين تؤهلهم دراستهم وفكرهم إلى بلوغ هذه المنزلة. عندئذ ينعدم الاجتهاد أما أن يكون الاجتهاد بابا يغلق فلا يسمح بدخوله لأهله فهذه مغالطة فكرية لا يمكن أن نسلم بها. إنما انعدم الاجتهاد أو كاد لعدم وجود المؤهلين له ولانعدام أهله وفى غفلة من الزمن - كما يقولون - طفا على السطح علمانيون عاجزون عن فهم الفكر التشريعى فى الفقه الإسلامى - أو عامدون - بقصد التحلل من قواعد الشرع فباتوا يهرفون بما لا يعرفون.

ومهما يكن من أمر فإن الاجتهاد له قواعد وأصول يفهمها المتخصصون الدارسون المهتمون بهذا المجال ولا يمكن أن يكون كلأً مباحا لكل من هب ودب ممن يبغون التحلل من الإسلام عقيدة وشريعة باسم الاجتهاد.

وثانى عشر المفتريات أن الإسلام عقيدة عدوانية يحض أتباعه على قتل أى كافر يلتقى به.

نقول لو سلمنا جدلا بأن الإسلام عقيدة عدوانية وأنه يتخذ العدوان طريقه - لو سلمنا بذلك جدلا - فإن ما تفعله أمريكا اليوم من تدمير وتخريب وعدوان وتدخل سافر ومستتر فى شئون الأمم والأفراد هذا كله

فاق ما فعله المسلمون - إن كانوا قد فعلوا - إن الإجرام العالمي المقنن باسم الأمم المتحدة ومجلس الأمن لهو أفظع من العدوان نفسه لأنه تعد وتدمير وتغطرس بموافقة مجلس الأمن ورغم قسوة ما يعانيه العالم من نظام العولمة الظالم فإننا نؤمن بأن نهاية أمريكا قريبة وأنها تحفر قبرها بأفعالها لأن عدالة الله في أخذ الظالمين قائمة وباقية.

وأمريكا باستبدادها وظلمها تستوجب عقاب الله وأخذه للظالمين إن أخذه أليم شديد يقول تعالى:

﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَـٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾[3].

ويقول:

﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ﴾[4].

فإن الظلم من الأسباب التي تستوجب عقاب الله تعالى:

﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾[5].

أما آخر الملاحظ وهي ثالثة الأثافي[6] - كما يقولون - الزعم بوجود هوة سحيقة بين القول والعمل والمخبر والمظهر بسبب تعاليم الإسلام! وفي مواجهة هذا الخبث الماكر والخداع باسم المبادىء فإني أحب أن أسأل هل يحرص الغرب على أن نكون مسلمين صادقين نلتزم بالدين ظاهرا وباطنا؟ وهو لذلك يلوم علينا أننا أوجدنا هوة سحيقة بين القول والعمل وهو أحرص منا على أن نطبق مبادىء الدين الحنيف قولا وعملا؟ يا للعجب فلماذا يحرص على نشوز المرأة ولا يفتأ يترك فرصة على تحريضها بكل وسائل المغريات، ولماذا لا يمل من العمل على تفتيت الأسرة الإسلامية

---

(2) راجع الأهرام مقال د/عبدالله الأشعل ترجمة معاني القرآن وتحديات الحوار مع الغرب ٨يوليو ٢٠٠٢.

(3) الكهف/٥٩. (4) يونس / ١٣.

(5) الشعراء/٢٢٧.

(6) مثل عربي قديم والأثافي هي الضلع الثالث في الموقد الذي يوضع عليه القدر، وأصبح مثلاً يضرب لكل أمر سيء يلحق بسابقه في السوء.

التى أمر الدين ببنائها وتماسكها ولماذا يحارب العفة فى المجتمع الإسلامى ويدعو إلى الخلاعة والمجون ويحارب باسم ما يسميه الحداثة كل من يأمر بالفضيلة وينهى عن السفور بل لماذا يحرض على سن القوانين التى تجرم زواج صغيرات السن مع أن الزواج عمل مشروع ولم تسمع فى الوقت ذاته أنه حرك ساكنا من أجل أفعال الشذوذ الوقحة حتى مع الأطفال الصغار بل هو يحارب الذين يستنكرون هذه الأفعال، وبدعوى الحرية الشخصية يندد بالأسوياء سليمى الفطرة والطباع الذين يقاومون الشذوذ ويرفضونه إن ما يزعمه الغرب ضد الإسلام أراجيف تنطوى على حقد لا يغيب عن ذى فطنة وليست حججا ذات منطق يناقش.

وأجد من المناسب أن أنهى كلمتى بما ختم به الأستاذ الدكتور الباز كلمته حيث قال: ـ وهو موفق كل التوفيق ـ طالما أننا نستطيع أن نرصد هذه الظاهرة ـ يقصد ظاهرة الافتراء على الإسلام ـ فإنه يصبح من المتعين علينا أن نتصدى لهذه الأراجيف التى تقوم على الزيف والافتراء، لا من منطلق دفاعى نشعر فيه بأن علينا أن نعتذر عن بعض جوانب القصور فى الفكر الإسلامى والممارسة الإسلامية، أو نخفف من وقع هذه الجوانب على الآخرين، أو نحاول أن نخفى حقائق معينة أو نحجبها عن الآخرين لكى نمنعهم من مهاجمة الإسلام.

بل يكون واجبا علينا أن نأخذ المبادأة فى التصدى لتلك المزاعم والمفتريات، بحيث نكون نحن البادئين بعرض الأطروحات والنقاط التى تعكس صحيح الإسلام لتعريف الآخرين بهذا الدين دون أن تفترض فيهم سوء النية، أو نتصرف على أساس أن أعداء الإسلام ومنتقديه هم فى الموقف الأقوى، لأن الحقيقة هى أن الإسلام ـ هو خاتم الرسالات ـ هو دين الحق والعدل والتقدم، الذى يحض على العلم والمعرفة وتحكيم العقل، كما أنه دين التسامح والتعايش بين الأمم والشعوب وهو أبعد ما يكون عن التعصب والكراهية والعدوان.

والله الموفق والهادى إلى الصواب

عداوة أمريكا وصداقتها ٢

إسرائيل هي أمريكا الصغرى وأمريكا هي إسرائيل الكبرى

للأستاذ الدكتور/ عبد العظيم المطعني

يواصل الأستاذ الدكتور عبد العظيم المطعني تحليل آراء الأستاذ الدكتور عبد الحميد الأنصاري عميد كلية الشريعة والقانون بجامعة قطر في الحوار الذي نشرته جريدة الراية القطرية أوائل يناير الماضي مطلع عام ٢٠٠٢م.

يقول الدكتور العميد: نعم، أمريكا متحازة إلى إسرائيل، ولكن ماذا نستفيد من كسب عداوتها؟

ونقول: إن حريات الشعوب ثمنها غال، وسلم الصعود إليها شديد الوعورة، واسترجاعها إذا سلبت يبذل فيه كل غال ورخيص.

وإلى هذه المعاني أشار أمير الشعراء أحمد شوقي بقوله:

وللحرية الحمراء باب
بكل يد مضرجة يدق

ونحن لم نشتر عداوة أمريكا، ولم نكن مختارين لها، وإنما هي رد فعل قهري لما تصنعه أمريكا معنا، ليس في وقت دون وقت، ولكن في جميع الأوقات منذ أن تبنت أمريكا حماية إسرائيل، وحتى هذه اللحظة سيرة أمريكا معنا، تشير إلى حقيقة لا تقبل الجدل وهي:

إن أمريكا تعاملنا معاملة العدو اللدود لها، سواء قلنا نحن: إن أمريكا عدوة لنا، أو قلنا: إن أمريكا صديقة، أعني أن كلا موقفينا من أمريكا لا يغير من سلوكها نحونا شيئا، وما دام الأمر كذلك، فمن المفيد لنا أن نجاهر بأنها عدوة لنا... ولماذا؟

لأن ذلك سيترتب عليه احتمالات:

منها، ربما راجعت أمريكا موقفها منا في يوم من الأيام فتصلح في المستقبل ما أفسدته في الماضي والحاضر.

ومنها ألا تحسبنا أمريكا أغبياء لا تفرق بين من يحسن إلينا وبين من يسيء إلينا، وهذا قد يطمعها فينا أكثر وأكثر.

* تبصير شبابنا وأجيال المستقبل بموقف أمريكا منا، حتى لا تجرفهم كوارث الغفلة في المستقبل القريب أو البعيد، وبقيت ملاحظة مهمة على عبارة العميد الآنفة الذكر «نعم أمريكا منحازة لإسرائيل».

إن هذه العبارة وإن شارك في ترديدها آخرون غير العميد، لا تصور حقيقة العلاقة العنصرية بين أمريكا وإسرائيل، وإنما الذي يصور حقيقة تلك العلاقة الحميمة جدا أن يقال:

«إسرائيل هي أمريكا الصغرى، وأمريكا هي إسرائيل الكبرى».

فليست المسألة إذن مسألة انحياز أمريكي لإسرائيل بل هو تركيب عضوي شديد الحساسية، مثل تركيب الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر.

إن كل شيء تصنعه أمريكا مع إسرائيل يؤكد هذه الحقيقة ومن الأمثلة على ذلك:

* اعتزام أمريكا نقل سفارتها من تل أبيب إلى القدس الشرقية وهي تعلم يقينا أنها مدينة فلسطينية تاريخا وحاضرا.

* إن أمريكا هي الدولة الوحيدة التي تقف عقبة كئودا أمام إرسال قوات دولية، تحول دون الاعتداءات المستمرة من إسرائيل شارون على الشعب الفلسطيني الأعزل.

* لا يتحرك لأمريكا ساكن من غارات إسرائيل المستمرة على مقدرات الشعب الفلسطيني، وإذا قام بعض الفلسطينيين بعملية ردع ضد إسرائيل اهتزت أعصاب الإدارة الحاكمة في أمريكا، وصرحت بأن إسرائيل من حقها الرد على هذا الإرهاب.

* في أعقاب أي عمل إسرائيلي تدميري واسع النطاق على المدن والقرى الفلسطينية ـ لا تندد أمريكا بوحشية إسرائيل، وإنما تسرع بإمدادها بالمال والسلاح وفي إحدى المرات منحت أمريكا إسرائيل ثلاثة مليارات دولار مكافأة لإجرام إسرائيل ومجرميها؟!

* يرفض الرئيس الأمريكي مقابلة الرئيس ياسر عرفات إذا ذهب إلى أمريكا.. وإذا حضر شارون أخذه الرئيس بوش بالأحضان.

* لا تعتبر أمريكا ما تقوم به إسرائيل من جرائم وحشية ضد فلسطين إرهابا، وإذا فجر شاب فلسطيني نفسه في حافلة إسرائيلية علت أصوات أمريكا بإدانة هذا الإرهاب.

* إن أمريكا تضع العرب والمسلمين تحت أقدامها من أجل حماية إسرائيل، وتضع أمريكا إسرائيل أمام ناظريها لحمايتها من كل ما يعكر صفوها، لذلك نقول: «إن إسرائيل هي أمريكا الصغرى، وإن أمريكا هي إسرائيل الكبرى».

* ويقول الدكتور العميد: «أرفض الإسلام الذي يفرخ الإرهاب؟ ويجب وقف الخطباء الذين يزرعون الكراهية».

ونقول: على رسلك أيها الدكتور العميد، انظر ماذا تقول؟ إنك قلت منكرا من القول وزورا، فليس لدينا إسلام يفرخ الإرهاب. وإنما لدينا إسلام يدعونا أن نكون دائما أقوياء، ندفع العدوان عن حرماتنا ومقدساتنا وحرياتنا وديننا. وهذا هو ما يفعله الخطباء يعبئون الأمة لرد الخطر عنها، لا لنعتدى على غيرها. نحن لا يسمح لنا ديننا بظلم أحد وإن كان ملحدا، كما أنه لا يسمح لنا أن نكون جبناء مستعبدين فى الأرض، يسومنا الأعداء سوء العذاب.

وكتاب الله العزيز يأمرنا ويقول:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾(١)

فهل الله إرهابى ياسعادة الدكتور العميد؟

إن السبيل الوحيدة لدرء الأخطار المحدقة بالأمة الآن هى الوحدة الجامعة، وأفضل عناصر توحيد الأمة هى المساجد، ولولا المساجد لانحسر الإسلام بعد عصر الخلفاء الراشدين، ولما بقى منه شىء فى الوجود الآن.

وإذا تحققت وحدة الأمة هانت كل العيوب التى توجد فيها. وإذا غابت وحدة الأمة فلن يصلح شأن الأمة شىء سواها.

واستبعاد دور الدين فى تجميع صفوف الأمة وتوحيد كلمتها ضرب لها فى أقتل مقاتلها، وكل محاولة نحاولها لوحدتها الجامعة ـ بعيدا عن الدين لا يحقق للأمة رغبتها فى التحرر والبقاء، لأنها بمثابة مسكنات لا تقضى على الآلام ومسبباتها، ولكن تفقدنا مجرد الإحساس بها، وسريعا ما يزول مفعولها. ومتعاطى المسكنات يخدع نفسه، يظن أنه برأ من دائه، والداء كامن فيه، يفتك بكل قواه وهو لا يدرى، ورسولنا الكريم يقول مرغبا لنا فى الوحدة والحفاظ عليها: «من جاءكم وأمركم جمع يريد أن يفرق بينكم فاضربوا رأسه بالسيف كائنا من كان»(٢)، والتاريخ خير شاهد، على أن الأمة لا يجمعها إلا الدين، ولم تحقق انتصاراتها إلا بالدين. وممن لاحظ هذه الحقيقة ابن خلدون فى مقدمته المعروفة.

إن إسكات أصوات المنابر سوف يصيب ألسنة الدعوة بالبكم، ويلقى قيمها ومبادئها فى كهوف الظلام.

إلى هنا فرغنا من مناقشة أفكار الدكتور العميد، التى أبرزها محرر «الراية» فى مقدمة الحوار الذى أجراه مع سعادة الدكتور العميد، عبد الحميد الأنصارى عميد كلية الشريعة والقانون، بدولة قطر الشقيقة، وبقيت له أفكار أخرى لم يبرزها المحرر الأستاذ أنور الخطيب ـ أفكار جديرة بالمناقشة، وليس فى وسعنا استقصاء الحديث عنها كلها، لكثرتها، لذلك آثرنا قصر الحديث عن بعض منها فى الآتى:

* سأل المحرر الدكتور العميد:

دعوتك لإعادة النظر فى المناهج التعليمية فى العالم العربى هذه الدعوة ترافقت مع الدعوات الأمريكية بعد أحداث سبتمبر

---

(١) الأنفال ٦٠.

(٢) مسلم، باب الإمارة (٥٩).

الماضي لإعادة النظر في المناهج الإسلامية هل كان ذلك مصادفة ..؟

وقد جاء رد الدكتور العميد في فقرات نذكرها مفرقة مع مناقشة كل فقرة منها.

الفقرة الأولى:

«أنا من المهتمين بإعادة النظر في المناهج الإسلامية، وإزالة ما بها من بذور تورث الكراهية. ضد الآخرين. ضد المرأة، ضد المختلف معنا في الدين أو المذهب.

هذا قوله، ونقول:

إن ما ورد في هذا الشأن من كتاب الله وسنة رسوله لا يدعو إلى كراهية أحد بل على العكس يدعو إلى التسامح، ومعاملة المخالف لنا في الدين بالقسط، ويأمرنا كتاب الله بأن نبرهم ونحسن إليهم، ولكن بشرط الا يكونوا حربا علينا، ولا يظاهروا عدوا لنا على قتالنا في الدين، أو إخراجنا من أرضنا.

وهذا لا ينطبق على أمريكا التي يدافع عنها الدكتور العميد، لأنها تقاتلنا في الدين (...)، وتظاهر من يقاتلنا ويخرجنا من ديارنا (إسرائيل).

والإسلام جعل العلاقة بين المسلمين وغيرهم علاقة سلام لا علاقة كراهية وحرب ـ إلا من طعن في ديننا أو نقض عهده معنا وآذانا.

١ـ والله دعانا إلى السلام فقال:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾(٣)

هذا هو أصل العلاقة. وأما إذا حمل غيرنا السلاح علينا فليس له عندنا إلا التصدي لرد العدوان».

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾(٤)

﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾(٥).

فالقتال في الإسلام لا يكون إلا في مقابلة قتال بدأنا به العدو وهذه الآية:

﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾(٦).

توضح المعنى الذي تضمنته الآيات المذكورة، وتزيد عليه مبدأ المعاملة بالمثل» وهو مبدأ دستوري عام في كل النظم، حتى الوضعية منها.

***

أما أن في الإسلام ما هو ضد المرأة، فهذه كبوة في فهم العميد لموقف الإسلام من المرأة: في جميع مراحل حياتها بنتا، وزوجة، وأما، ويكفي أن نذكر في هذا الصدد قول الله تعالى:

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾(٧).

---

(٣) البقرة: ٢٠٨.

(٤) البقرة: ١٩٠.

(٥) التوبة: ٣٦.

(٦) البقرة: ١٩٤.

(٧) البقرة: ٢٢٨.

وهي درجة الرعاية والكفاية والحفظ والتوجيه (القوامة) وقوله:

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[8]

وقال صاحب الرسالة - ﷺ - في خطبة حجة الوداع:

«استوصوا بالنساء خيرا»[9].

وقوله:

«النساء شقائق الرجال»[10].

وكفى المرأة تكريمًا في الإسلام أنه انتشلها من الهوان الذي كان يمارس ضدها في حضارات الأمم الغابرة، الفرس والروم وعرب الجاهلية.. وهذا أمر شرحه يطول. ومن نماذجه أنها كانت توأد بعد ولادتها وهي حية أو تحرق إذا مات زوجها قبلها، لأنها تصبح غير ذات قيمة بعد مماته! أو تورث ضمن التركة بعد موته، أو تحرم من الميراث من والديها. وبعض الديانات الكتابية تعتبرها شرا خالصا لا خير فيها.

ثم جاء الإسلام فكرمها وجعلها هي والرجل سواء في الحقوق والواجبات، وأعفاها من كثير من الأعباء الثقال، التي لا تناسبها، وألقى بها على كواهل الرجال.

فأي شيء يراه الدكتور العميد ضد المرأة في التعليم الديني الإسلامي يا ترى؟

هل تعكس محاسنه سيئات، ومزاياه قوادح، ثم تتيح الفرصة للإسلام أن يقول كما قال الشاعر:

إذا محاسني اللاتي أدل به
عدت ذنوبي فقل كيف أعتذر؟

وما أفظع أن يظلم الإسلام على أيدي بنيه، بل على أيدي النابهين من بنيه.. وظلم القريب أشد إيلاما لقريبه من ظلم البعيد.

وفي هذا قال شاعرنا الحكيم قديما:

وظلم ذوي القربى أشد مرارة
على النفس من وقع الحسام المهند

وقال الدكتور العميد في فقرة أخرى:

«وجهودي في هذا المجال جزئية ضمن جهود مصلحين كانوا قبلي، الشيخ محمد الغزالي والشيخ محمد عبده».

ونقول للدكتور العميد: إنك تظلم الشيخين محمد عبده والغزالي إذا سويت بين جهودهما الإصلاحية في مجال الفكر والعلم، لأن جهودك في واد وجهودهما في واد آخر مع بعد الشقة بين الواديين.

الشيخ محمد عبده كان تلميذا للشيخ جمال الدين الأفغاني، وجمال الدين هو الذي قال لمسلمي الهند تحت الاحتلال الإنجليزي، وكان عدد مسلمي الهند إذ ذاك أربعين مليونا، قال لهم جمال الدين: «لو كنتم أربعين مليون ضفدعة لالقيتم بالإنجليز في قاع المحيط الهندي»!

---

(8) النساء، ١٩.

(9) البخاري (١٦٦/٤)، (٣٤/٧).

(10) كشف الخفا (٤٥٣/٢).

يحثهم على الجهاد لا الإرهاب، لطرد الإنجليز من بلادهم. وهذا هو الشيخ محمد عبده يحذو حذوه، ولكن من طريق آخر، هو إحياء روح الأمة وربط حاضرها بماضيها لتنفض النوم عن عينيها، وتقف أمام عدوها صفا واحدا، واتخذ من التربية الإسلامية وبث المعارف الدينية طريقه في الإصلاح.

لذلك ضيق عليه الإنجليز الخناق ونفوه من بلده اتقاء لشره - في نظرهم - وتأديبا له.

والذي ينبغي أن يعرف عن الشيخ محمد عبده أنه مر بمرحلتين من حياته العلمية المحفوظة للكافة.

- مرحلة ما قبل النفي الذي حدث له من الاحتلال الإنجليزي في مصر، وكان في هذه المرحلة مناضلا إسلاميا لا تلين له عريكة في نصرة الإسلام كما أنزله الله، ومن أجل هذه ضاق به الإنجليز ذرعا، ونفوه إلى خارج الديار المصرية.

- ومرحلة ما بعد العودة من النفي، وفي هذه المرحلة أصاب منهج الشيخ شيء من الليونة، وحدث بينه وبين رموز الاحتلال تقارب، كان من ثماره محاولة الشيخ فرض بعض أنماط الحضارة الغربية على واقعيات الإسلام، والميل إلى الفكر الغربي في كثير من اجتهاداته وفتاويه وتفسيراته لبعض آيات القرآن الكريم.

وربما كان الدكتور العميد ينظر إلى الشيخ محمد عبده، من هذه النافذة المعتمة في حياة الأستاذ الإمام - على حد تعبير تلميذه الشيخ رشيد رضا صاحب «المنار».

وأيا ما كان الشأن فإن جهود الشيخ محمد عبده في الإحياء والإصلاح، لا تماثل، بل ولا تشابه بينها وبين جهود الدكتور العميد، التي عرض نماذج وافرة منها في حواره مع محرر جريدة «الراية» القطرية - الأستاذ أنور الخطيب في أوائل يناير من هذا العام (٢٠٠٢).

أما الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله - فقد عايشناه في حياته الزاخرة بالعطاء الفكري الفياض. وقد عاش الرجل قرابة الستين عاما حاملا راية الجهاد، نصيرا للإسلام بوعي وحكمة حاملا هموم أمته في قلبه، معبرا عنها بلسانه وقلمه السيال الذي فقدناه.

وجهوده في مجال الدعوة يمكن - تواضعا - حصرها في محورين:

المحور الأول: التصدي لكل ما يقال عن الإسلام من الداخل والخارج، وتبيين افتراءات الخصوم، وإحلال حقائق الإسلام الناصعة محل تلك الافتراءات.

المحور الثاني: محاولات موفقة لبعث الأمة الغافية من جديد، وحثها على أن تأخذ بأسباب القوة، وتفجير كل الطاقات المتاحة، لتمتلك من فقه الدنيا وإعمارها مثل ما تملك من فقه الدين وقيمه الرفيعة، ومقاصده الشامخة حتى تنتج ما تحتاج إليه في حياتها المادية، لأن الذي لا يملك دنياه لا يملك دينه.

ومن يقرأ كتبه:

ظلام من الغرب، في موكب الدعوة، كفاح دين، لماذا تأخر العرب والمسلمون، الإسلام المفترى عليه، معركة المصحف في العالم، عقيدة المسلم، خلق المسلم، ركائز الإيمان، حصاد الغرور، الزحف الأحمر، مع الله، هموم داعية، من هنا نعلم، كيف نتعامل مع القرآن، الأصول الخمسة.

من يقرأ له هذه الكتب وغيرها من نتاجه الفكري الغزير يدرك أنه - رحمه الله - كرس حياته كلها لإيقاظ الأمة من سباتها العميق، لتأخذ مكانتها بين الأمم، مرهوبة الجانب، عالية الرأس، وتحقق العزة التي كتبها الله لذاته، ولرسوله وللمؤمنين.

فالشيخان: محمد عبده والغزالي، أبصرا في الأمة أمراضا وعللا، فاجتهدا في علاجها بما هداهما الله إليه من أدوية استمداها من منابعها الصافية (كتاب الله وسنة رسوله) وأنت يا سعادة العميد، أبصرت في الأمة أمراضا وعللا واجتهدت في وصف علاجها منها. فالمبدأ عندهما وعندك واحد. أما المنتهى فمختلف كل الاختلاف: هما حاولا شفاء الأمة بالأدوية حقا أما أنت فقد حاولت شفاء الأمة من أمراضها وعللها بأمراض وعلل أشد فتكا، وأسرع إهلاكا من الأمراض التي أردت طب الأمة منها؟

وليتك سلكت مسلكهما في دعوة الأمة للأخذ بأسباب القوة، لتكون ندا لمن يريد بها السوء. ومقتل الأمة الآن - بعد تمزقها وتفرقها - في تخلفها في فقه الدنيا، فهي لا تزال عاجزة عن صنع الآلات والأجهزة، وبخاصة الأسلحة، وما تحتاج إليه من مخترعات التكنولوجيا الحديثة فصارت مستهلكة لحضارة الغرب الحديثة.

هذا هو مركب النقص في حياة الأمة الآن. وهذا هو الفرق بين أفكار الشيخين الإصلاحية، وبين أفكارك أنت - موضوع الحوار - والبون شاسع جدا بينهما وبينك، لأن الأفكار التي تضمنها الحوار ليس لها من معنى، إلا الدعوة للاستسلام المخزي، أمام قوة غاشمة، لا ترى لنا معها وجودا على ظهر الأرض، إلا أن نكون عبيدا لها.. وهيهات هيهات لما يتصورون.

الفقرة الثانية:

قال الدكتور العميد: «ويجب أن نوضح مفهوم الإسلام للجهاد من أن الجهاد لم يشرع - يعني في الإسلام - إلا لتقرير حرية الاختيار أمام البشر، والقرآن يقول:

﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[11]

ونقول: إن هذا المفهوم الذي ذكره الدكتور العميد للجهاد في الإسلام، مفهوم غامض غير مفهوم، وحتى إن أمكن فهمه، فليس هو مفهوم الجهاد في الإسلام. ويبدو

(١١) الكهف: ٢٩.

من كلام العميد أنه يريد أن يبين سبب الجهاد (القتال) في الإسلام . فإن كان هذا مراده، فما قاله غير سديد .

إن السبب الرئيسي للقتال في الإسلام هو رد العدوان، وآيات القرآن التي ذكرناها من قبل نصوص صريحة في تقرير هذا السبب .

والإسلام لم ولن يضيق بمخالفيه في العقيدة، ولو عاشوا مع المسلمين في شبر واحد من الأرض، والكفر المجرد ليس سببا في مشروعية القتال في الإسلام . ولم يحدث هذا في تاريخ الإسلام قط، لكن الاعتداء على المسلمين قولا أو عملا أو قولا وعملا هو السبب المؤذن في القتال، إذا لم تفد وسيلة أخرى في كف الأذى ودحر العدوان . وفي ذلك يقول عز وجل:

﴿ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾(١٢) .

ورسول الله ﷺ ، لم يقاتل أحدا لأنه كافر، بل إن ربه أمره أن يقول لكفار قريش:

﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾(١٣) .. وحتى في أثناء القتال: إذا بدر من العدو عدول عن القتال فعلى المسلمين التوقف الفوري عن قتال ذلك العدو:

﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾(١٤) .

وعلى هذا فإن قول العميد : «والجهاد لم يشرع إلا لتقرير حرية الاختيار أمام البشر» فهم مغلوط، لا صلة له بالواقع التشريعي في الإسلام .

وبقيت ملاحظة : وهي أن العميد حذف من الآية مقطعا مهما جدا، حيث لم يذكر قوله تعالى :

﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا ﴾(١٥) بعد قوله عز وجل:

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾(١٦) .

وهذا الحذف يؤدي إلى فهم مرفوض، حيث يفهم منه التسوية التامة بين إيمان من يؤمن وكفر من يكفر، وهذا غير صحيح، لأن الإيمان والكفر وإن استويا في حرية الاختيار في الدنيا - إذ لا سلطة لأحد على أحد في إجباره على الكفر أو الإيمان - فإنهما مختلفان في المصير الأخروي عند الله - عز وجل .

وربما كان هذا الحذف من عجلة العمل الصحفي، وعلى كل، فإن لفت النظر إلى آثاره السيئة واجب وأمانة في عنق كل الدعاة .

«يتبع»

***

---

(١٢) النساء، ٩٠.

(١٣) الكافرون ٦.

(١٤) الأنفال ٦١.

(١٥) الكهف ٢٩.

(١٦) الكهف ٢٩.

عثرات الماضي والعبور إلى المستقبل

للدكتور/ عبد الحليم عويس

● بدرجة ما.. وفى إطار جماعات معينة.. يمكن أن يكون صحيحاً مايقدمه بعض أعداء الإسلام والمسلمين من اتهامات تتصل بقضية انسحابهم من مواجهة أعباء الواقع الحاضر والمستقبل المستشرف، وانغماسهم - أى بعض المسلمين - فى مشكلات الماضى لايريدون أن يقلعوا من موقعها، وأن يعتصموا بحبل الله مع المسلمين، لمواجهة التحديات المعاصرة... مع الإفادة من دروس الماضى بطريقة إيجابية بناءة...!!

● وبَعْدُ من أغرب ماوقع فيه بعض المسلمين حقد بعضهم على الأسلاف.. وجعل هذا الحقد مذهباً وموقفاً ثابتاً. مع أنهم لم يشهدوا هذا التاريخ، ولربما طويت منه صفحات، أو كانت هناك مؤامرات لم يكشفها التاريخ، ولربما كانت هناك ظروف لم تدرس كل أبعادها... نعم.... نحن نحكم على طرف بأنه مخطئ وطرف آخر بأنه مصيب.. وجمهور الأمة المسلمة من طنجة إلى جاكرتا تؤمن بأن على بن أبى طالب - رضى الله عنه - ومن معه كانوا على صواب. وبأن معاوية بن أبى سفيان - رضى الله عنه - كان ومن معه على خطأ... وهى تؤمن - مع ذلك - بأن الطرفين اجتهدا وكانا - معًا - (طائفتين مؤمنتين) بَغَتْ إحداهما على الأخرى، ووقعتْ بين الطرفين ملابسات وضبابيات جعلت صحابياً ورعاً شريفاً بإجماع الأمة هو (عبدالله بن عمر) يتوقف فى الأمر، ولايتحيّز لطرف ضد آخر... إن الأمة تؤمن بكل ذلك، بل إن قلب الأمة المسلمة كلّه - إلاّ من شذّ - مع على بن أبى طالب وأبنائه وآل البيت جميعًا، لدرجة انه يشاع عن شعب كالشعب المصرى بأنه شعب (يحب آل البيت حُبًّا جمًّا) إلا أنه لايتمذهب بمذهب التشيع!!

● ويرى جمهور الأمة أن الأمر يجب أن يقف عند هذا الحدّ، وأن نستفيد من درس هذه الفتنة أو المؤامرة، وأن يكون مثلنا الأعلى هو الآية الكريمة:

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(١).

(١) البقرة (١٣٤).

وأن نحفظ لجيل الصحابة كرامته التي تليق به، ولاسيما وقد نهانا الرسول الكريم ﷺ نهياً صحيحاً قاطعاً عن التجرؤ عليهم. فقال لنا فيما أخرجه البخاري: (لاتسبّوا أصحابي، فوالله لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا مابلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه).

● وقد وقع في كثير من النهضات والثورات كثير من الخلافات، ومع ذلك فإن أصحابها يبجّلون رموزها، ويعتبرونهم قمما تاريخية وصناع حضارة.. وماوقع بين الصحابة كان دفاعا حقيقيا عن وجهة نظر كل منهم، وعن قيمة أساسية من قيم الإسلام، - فهؤلا يدافعون عن حق الأمة وخليفتها الشرعي - أولاً - في ممارسة سلطانه.. وأولئك يدافعون عن (حق دم خليفة) قتل ظلماً حتى تستتبّ الأمور على رضا عام وقواعد سليمة!!

- ولسنا نريد أن نثير القضية أو نؤجّج نارها - استغفر الله - وإنما نريد القول: إن هذا الموقف نتيجةٌ طبيعية لبداية مرحلة جديدة كانت تمرّ بها الأمة المسلمة، وهي تواجه قوى العالم القديم بما درب عليه من مكائد وأساليب سياسية، وتواجهه - من جانب آخر - بكل مايطرحه من نقلة حضارية تخرج بالمسلمين من طبيعة الجزيرة بمنهجها البسيط الواضح إلى دنيا الحضارة الفارسية والرومانية بمنهجها السياسيّ المركب.... فكانت الفتن الكبرى أو المؤامرات الكبرى مأزقا كنا نتمنى أن ينجح جيل الصحابة العظيم في عبوره بأسلوب أكثر أناة وسلماً..

- ومع ذلك فهو درس.. ويجب أن يبقى درسا يُعالجُ بمنهج العلم والتاريخ والحب..!!

- لكن طائفة - أو شرائح من طوائف - تنْسب نفسها إلى الولاء لآل البيت قد عالجت الأمر بمنهجية مختلفة.... وقد حولّته إلى مذهب.. وهذا المذهب يصرّ على أن نعيش عند هذه النقطة ولانتجاوزها، وأن نضخّمها مااستطعنا، وأن نؤلف فيها مئات الكتب، ونقيم لها في كل عامٍ احتفالات تُلطم فيها الخدود وتشقّ فيها الجيوب، ويضرب بعضهم بعضا بالسلاسل الحديدية، ويقيمون أو يقيم جماعة منهم - مؤتمرات خاصة بلعن أبي بكر وعمر وعثمان - رضي الله عنهم - فضلاً عن اللعْن الثابت لمعاوية، وبني أمية، وبني العباس... أي لتاريخنا الإسلامي كله... لأن موقفهم من العثمانيين أيضا موقف عدائي... ودولة الصفويين الشيعة قد أوقفت زحف العثمانيين أيضا على أوربا، وطعنتهم من الخلف وشغلتهم بها عن أوربا.

انظر في هذا الاعتراف من المفكر الشيعي د. علي شريعتي في كتابه (العودة إلى الذات).. فكانت الكارثة التي انتهت بأن تحول العثمانيون إلى رجل مريض!! فلماذا هذا كله؟

- وماالجدوى منه إذا كنا جميعا مسلمين؟

- ولماذا لاندرس الدرس دراسة علمية محايدة، ونتجاوزُه، ونُبصر التحديات المتراكمة التي انتهت بأمتنا إلى هذه الصورة الشائهة حضاريا، والتي وَصَلتْ إليها في القرن الخامس عشر للهجرة والقرن الذي قبله. ونخشى أن تستمرّ لقرن قادم مالم تدركنا رحمة الله؟

● وعلام هذه الشحنات الدافقة الولود من الأحقاد على أبرار أطهار لم يستطع التاريخ البشري أن يجود بمثلهم من أمثال أبي بكر وعمر وعثمان؟

- ولنفترض أن معاوية وأحفاده، وأبا جعفر المنصور وأحفاده قد ارتكبوا أخطاء..

ـ فهل هم معصومون؟ وأيضاً: أليست لدولهم حسنات؟ ولماذا لا يكون ميزاننا إسلامياً عادلاً؟ بل لماذا لا نلتمس الأعذار ونستفيد من دروس التاريخ على أساس من الولاء لتاريخنا وعدم الوقوف مع أعداء الإسلام فى جهودهم لتشويهه.. وبالتالى نميل إلى الحب.. وإلى النظر إلى المساحة الواسعة البيضاء؟

● وهل من الإسلام أن يخون الصفويون الإسلام هذه الخيانة الكبيرة ويتعاونوا مع أوروبا فى إسقاط آخر خلافة إسلامية؟

إن كل الأمم تتغاضى عن بعض أخطاء عظمائها.. وإن عظماءنا ملائكة بالنسبة لعظماء هذه الأمم، وما وقعوا فيه إنما هو من قبيل (البشرية الحاكمة).. وهى أخطاء قد يكون من حقنا أن نقيسها بمقياس إسلامنا العظيم، ومسئوليتنا فى تقديم أفضل النماذج للبشرية، لأننا خير أمة، ولأننا الأمة الباقية الشهيدة على الناس.. لكن ليس من حقنا أن نجعلها ـ وحدها ـ هدفنا، ومجال اهتمامنا، وأن نظلم حضارتنا، فنتجاهل بقية المساحة القيمة الإيجابية التى انتظمت حياة هؤلاء، ونحن ـ مع هذا ـ ضد كل خطأ ارتكبه أسلافنا.. فلا أحد معصوم، ولا محاباة على حساب الحق!!

● لكننا لسنا ضد أشخاصهم العالية الزكية.. إنهم ليسوا هدفنا الذى نسعى إلى تشويهه وتجريحه، وإنما هدفنا أن نبصر الخطأ ونصحح المسار، ونعرف كيف نتجنب ما وقعوا فيه، ونعمق ما أحسنوا فيه ـ وهو كثير ـ!!

● فإذا كانت طبيعة عصورهم لم تضغط عليهم ليستحدثوا مؤسسات ثابتة ودائمة للشورى فإننا نأخذ عليهم ذلك.. ومع تقديرنا الكبير لما أورده المسعودى الذى لا يمكن اتهامه بموالاة معاوية ولا بنى أمية من أن معاوية ـ رضى الله عنه ـ كان يأذن للناس خمس مرات فى اليوم والليلة بلقائه.. كان إذا صلى الفجر جلس للقاص حتى يفرغ من قصصه، ثم يدخل فيؤتى بمصحفه فيقرأ جزأه، ثم يدخل إلى منزله فيأمر وينهى، ثم يصلى أربع ركعات، ثم يخرج من مجلسه (...) ثم يؤتى بالغداء وربما قدم عليه من أصحاب الحوائج أربعون أو نحوهم على قدر الغداء (...) وينادى بالمغرب فيخرج فيصليها، ثم يصلى بعدها أربع ركعات، يقرأ فى كل ركعة خمسين آية (...) ثم يؤذن للخاصة وخاصة الخاصة والوزراء والحاشية. (المسعودى، مروج الذهب ٣ / ٤٠).

وبعد أن انتهى المسعودى من سرده الذى ذكرنا بعضه، (ونحيل إليه لروعته..) يعقب على البرنامج اليومى لمعاوية ـ (رجل الحكم العظيم) فيقول: وقد كان هم بأخلاقه جماعة بعده مثل عبدالملك ابن مروان وغيره، فلم يدركوا حلمه ولا إتقانه للسياسة ولا التأنى للأمور، ولا مداراته للناس على منازلهم، ورفقه بهم على طبقاتهم (٣ / ٤٢). والمسعودى معروف بولائه لآل البيت!!

● ومع تقديرنا لهذا كله إلا أننا كنا نتمنى أن ينجح أسلافنا فى استحداث مؤسسات ثابتة للشورى، تجمع عقول الأمة وخبراتها، وتكفل لتاريخنا مساراً أزكى وأرقى..

ـ لكننا ـ مع ذلك ـ لا نحول هذا الخطأ إلى حقد عام، واتهامات جزافية، ثم نستمر فى تجاهل قيمة (مؤسسات الشورى) التى تفرضها علينا ـ بكل صور الفرض ـ تحديات عصرنا.. والتى لو وجدت لحالت دون ثورات كثيرة، وخلافات مدمرة.. كلا فلنقرر الحقيقة.. فهذا هو الدرس..

قومي بين الشرق والغرب[1]

للشاعر الكبير/ محمود غنيم

قومي، لأنتم عبرةُ الأقوام ... هل تنسبون ليافثٍ أو سام؟[2]
أبناءُ عمي من نزارَ ويعرب ... ليسوا بأعراب ولا أعجام
يترسَّمون الغربَ حتى يُوشكوا ... أن يعبدوه عبادة الأصنام[3]
ما قلدوهم مبصرين؛ وإنما ... تَبِعُوا نظامَهمو بغير نظام
للغرب عاداتٌ مسمَّمَةٌ، سرت ... في الشرق مسرى الداء في الأجسام
إني رأيت جيوشه لم تغزُنا ... في الحرب، بل في مشرب وطعام
لا تأمنوا المستعمرين؛ فكم لهم ... حربٌ تَقنَّع وجهُها بسلام
حربٌ على لغة البلاد وعادها ... ليست تُشَنُّ بمدفع وحسام[4]
والشعب إن سَلِمت له أخلاقه ... ولسانه، لم يخْشَ قطع الهام[5]
ما صاغ ربك من نضار خالص ... شعباً، وشعباً من حصى ورغام[6]
هي محضُ أوهام! أعيذ الشرق من ... أم تعيش أسيرة الأوهام
إني أعيذ الشرق من متمسِّح ... بالأجنبي، لقومه هدَّام!
إن لامه الغربيُّ في أوطانه ... أنحى بلائمه مع اللُّوَّام
وإذا رنا نحو الغريب، فإنما ... يرنو بمجْهر راصد الأجرام[7]

---

(١) ينعى الشاعر – في هذه القصيدة على بعض الشرقيين افتتانهم بكل ما هو غربي، وعلى من يتعلمون في أوروبا تنكرهم لأوطانهم بعد عودتهم إليها. (نشرت في مجلة الرسالة ١٧ من مارس سنة ١٩٣٩).

(٢) يشير إلى: ما تشير إليه الخرافة من: أن العرب من نسل سام بن نوح، والفرنجة من نسل يافث.

(٣) ترسمه: اقتفى أثره.

(٤) العاد: جمع عادة.

(٥) الهام: جمع هامة وهي الرأس.

(٦) النضار: الذهب. الرغام: التراب.

(٧) المجهر: المنظار المكبر، والمراد بالأجرام: الأجرام السماوية.

وإذا أعـــار بنى أبيــه نظرة ... فـبـمـقلة الأعـمى أو المتـعامى
والعـيـن تـخـدَعُ ربَّـهـا، ولربما ... خلقت عـمـالقـة من الأقـزام(٨)
وإذا تـنـكَّر لـلـحـمى أبناؤه ... فـهـمو أضرُّ له من الأخـصام

***

مـا بالُ بحـرِ الروم من بجـنـازهُ ... يومـا تـنـاسـى سـالفَ الأيام؟
فـإذا به خَلقٌ جديد مـا مـضى ... من عـمـره حُلمٌ من الأحلام
تـتـغـيـر الدنيـا عليـه، فكلُّهـا ... فى عـيـنه نقصٌ بغـيـر تمام
هل تـغـرق العـاداتُ من أربابهـا ... فى ذلك البـحـر الخِـضَمِّ الطامى؟(٩)
مـا اجـتـاز شـرقىٌّ عـجـاجـة موجـه ... إلا وعَـاد مـزودا «بمدام»
إن التكافـؤ فى الدمـاء فـريضـةٌ ... وسـواتهـا لم تأت فى الأحكام
وهو القـران إذا تخـالف أهلُه ... جـسا، فـعـقـدته لغـيـر دوام
كم زيجـةٍ مـازال يدمَى جـرحـهـا ... ومن الجـروح: ذوابلٌ ودوامى!

***

لا أعـرفُ العـربىَّ يكشفُ رأسـه ... نحـو المجالس مُـومـئـاً بسلام(١٠)
إنْ زيرَ، تَخْـرجُ عِـرسُـهُ من دُونِهِ ... للزائرين بثـغـرها البـسـام(١١)
بـدوارس الأطـلال يُلحقُ أمَّـه ... ويـرى أبـاه رابـعَ الأهـرام(١٢)
بعض الإله، فـإن أشارت عِـرسُـهُ ... بإشارة، فـالقـولُ قـولُ «حـذام»(١٣)
ويكاد يسلخ نفـسـه من قـومـه ... لو تـسـتطاع قطيـعـة الأرحـام
ويكاد يمسخ خلقـه، لو كـان فى ... يمناه قلْبُ مـعـالم الأجـسام

***

(٨) العمالقة: جمع عملاق، والأقزام: جمع قزم؛ وهما ضدان: الأول: الطويل، والثانى: القصير.

(٩) الخضم: الواسع. والطامى: الفياض الممتلئ.

(١٠) مومئ: اسم فاعل من أومأ بمعنى أشار.

(١١) زير: ماض بنى للمجهول بمعنى زاره زائر. والعرس - بكسر العين -: الزوجة.

(١٢) دوارس الأطلال: الآثار البالية، ورابع الأهرام: كناية عن العتق والقدم.

(١٣) «القول ما قالت حذام»: مثل مشهور، يضرب لمن لا يعارض له قول.

لا أعــرف العــربي يلوى فكّه ... إن هـمْ يـومـا فكّه بكلام

إن فـاه، تسمعُ لكنةً ممقوتة ... من فيه «سكسونيّة» الأنغام

لفظا من الفصحى، وآخرَ نابيا ... كالقار ممزوجا بكأس مُدام

لغة إذا قرعَت بجندل لفظها ... أذنَ السميع، شكت من الآلام

لهفى على الفصحى! رماها معشرٌ ... من أهلِهَا. شَلّت يمينُ الرامى

لم يهتدوا لكنوزها؛ فإذا همو ... يرمونها بالفقر، والإعدام

الدر فى طىّ البحور مخبا ... والتبرُ - إن تنشدهُ - تحت رغام

لن يستعيد العُرْبُ سالف مجدهم ... ولسانهم غرضٌ لكل سهام[14]

إن يرفعوا ما انقضَّ من بنيانهم ... فالضادُ أولُ حائطٍ ودعام

***

أبنى نزارَ ويعربٍ، أوصيكمو ... بذخيرتين: الضادِ، والإسلام

المسلمون - على شتات ديارهم - ... فرضَ الإلهُ خضوعهم لإمام[15]

الله بالجمعات وحّد بينهم ... وبحجِّ بيت فى الحجاز حرام

دين ابن عبدالله دينٌ باسمه ... قبض الرشيدُ على الورى بزمام

هو دولةٌ كبرى، وملكٌ شامخٌ ... لا محضُ تكبيرٍ، ومحضُ صيام

***

إن يَزهُ شرقىٌّ بغير العُرْب من ... أجداده الأتراك، والأروام

فأنا الفخورُ بأننى: لا ينتمى ... للغير أخوالى، ولا أعمامى

إن تسألوا عنى: إلى من أنتمى؟ ... فإلى رعاة النوق والأغنام

أبغير مجد بنى نزارَ ويعربٍ ... يُزهى عراقىٌّ ويفخر شامى؟

***

(١٤) غرض السهام: هدفها.

(١٥) يشير فى هذا البيت وما بعده إلى: ما فرضه الإسلام على أتباعه من مظاهر الوحدة، التى تكون منهم دولة ذات قوة ومنعة، وإلى أن الإسلام ليس دينا لاهوتيا محضا.

حوار حول فلسفة ابن رشد

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

أرسل إلينا الأستاذ/ محمد محمد طه الولى، من لبنان رسالة موضوعية رقيقة مهذبة أبدى فيها ملاحظات على الحلقة الثالثة من مقال الدكتور/ محمد عمارة نشرت فى الجزء الثالث السنة الخامسة والسبعين. عدد ربيع الأول ١٤٢٢ هـ. يونيو ٢٠٠٢ عن ابن رشد «الحفيد» تحت عنوان «الإبداع الرشدى فى تصور العالم».

وأرسلت المجلة خطابه إلى الدكتور/ محمد عمارة الذى وافانا برده الموضوعى الجيد. ونحن إذ نشكر الأستاذ/ محمد طه الولى على رسالته نحمد الله أن أتاحت لنا مكنوناً كان خافياً علينا من علم الدكتور/ محمد عمارة فى فلسفة ابن رشد وفلسفة الغزالى.

وأتاحت لنا الاطلاع على الفلسفة المستنيرة للعقل الإسلامى التى تتمثل فى رحابة الصدر واتساع أفق علماء المسلمين وأنهم أصحاب مدنية حقيقية وعقول وقلوب صافية وسوف يعرف القراء ذلك من خلال الرد الجميل.

لقد بدأت اهتماماتى بابن رشد وفلسفته منذ مرحلة طلب العلم بكلية دار العلوم، قبل ما يقرب من نصف قرن.. عندما درست كتب أستاذى المرحوم والدكتور محمود قاسم: (الفيلسوف المفترى عليه: ابن رشد) و (نظرية المعرفة عند ابن رشد وتأويلها لدى توماس الأكوينى).. وكذلك دراسته وتحقيقه لكتاب ابن رشد (مناهج الأدلة فى عقائد الملة)..

ثم تزايدت اهتماماتى بدراسة الآثار الفكرية لابن رشد، وماكتب عنه ضمن اهتماماتى ببعث تراث العقلانية الإسلامية المؤمنة، المتميزة عن العقلانية الغربية الوضعية والمادية ـ اللادينية ـ حتى لقد هممت أن أجعل ابن رشد موضوعاً لرسالتى للماجستير ـ فى ستينيات القرن العشرين ـ.. فلما عدلت عنه إلى «مشكلة الحرية الإنسانية عند المعتزلة»، واصلت الاهتمام به ـ كجزء من مشروعى الفكرى ـ فحققت كتابه المنهجى (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال)، وألفت حول فلسفته كتابين هما: (المادية والمثالية فى فلسفة ابن رشد) و (ابن رشد بين الغرب والإسلام)..

ولقد نشرت لى مجلة «الأزهر» ـ مشكورة ـ دراسة فى خمس حلقات عن محاولات المتغربين اغتيال إسلامية ابن رشد وفلسفته، وذلك بالسطو على هذه الفلسفة، وتأويلها

تأويلاً قسرياً فاسداً، كي تؤصل للمادية التي بها يبشرون، وللإلحاد الذي له يدسون..

وإذا كان المرء يسعد بالقارئين لأبحاثه ودراساته، فإن سعادته تزداد بالقراءة المتأملة، التي تقف وقفات متفكرة أمام هذه الأبحاث والدراسات، بصرف النظر عن الاتفاق والاختلاف بين الكاتب والقراء.. ولقد كان هذا هو شعوري عندما أحال إليّ الأخ الفاضل الشيخ محمد الطاهر الحامدي - مدير تحرير مجلة «الأزهر» - الرسالة التي وردت إلى المجلة من الأستاذ الفاضل محمد محمد طه الولي، تعليقاً على الحلقة الثالثة من دراستي حول فلسفة ابن رشد - والتي كان عنوانها: «الإبداع الرشدي في تصور العالم وفي علاقة الفلسفة بالدين»..

وها أنا أثبت نص الرسالة كاملاً.. ثم أتبعه بعدد من الملاحظات.. لنقدم للقراء الأعزاء في هذا الحوار العلمي نموذجاً للحوار الفكري اللائق بالعلم والعلماء، وبمجلة «الأزهر».. والذي يحمل المزيد من الرؤى المعمقة حول فكرنا الإسلامي بصفة عامة، وحول فلسفة ابن رشد على وجه الخصوص..

نص رسالة الأستاذ محمد محمد طه الولي

«الحمد لله رب العالمين - وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وسلم.

إلى فضيلة الشيخ الطاهر الحامدي مدير تحرير مجلة «الأزهر» الغراء:

لقد لفتتني في عدد ربيع الأول ١٤٢٣ - يونيه ٢٠٠٢، الجزء ٣ من السنة (٧٥) من مجلة الأزهر مقالة للدكتور محمد عمارة (ص ٤٠٩) عن ابن رشد الحفيد تحت عنوان الإبداع الرشدي في تصور العالم، ما كنت أظنها تنشر لولا كثرة أشغالكم وأشغال المشايخ الكرام المسؤولين عن المجلة حفظكم الله، ذلك أن في المقالة المذكورة مدح وتسويغ لما قاله ابن رشد في مسألة بدء الخلق وما ذكره في ردّه المعروف بتهافت التهافت على الإمام الغزالي الذي نقل في تهافت الفلاسفة إجماع المسلمين على وجوب تكفير الفلاسفة القائلين بقدم العالم، والتأويل في مثل هذه المسائل كما هو معلوم لجنابكم غير نافع إذ إن من أساسيات الإسلام المعلومة من الدين بالضرورة أن الله - عز وجل - كان ولم يكن معه شيء غيره كما هو لفظ حديث البخاري، وأن الله أحدث الأشياء من العدم إلى الوجود لا من علة تقدمت وجود هذا العالم، سواء سميت هذه العلة هيولى أو غير ذلك كما بينه الإمام أبو منصور عبدالقاهر ابن طاهر البغدادي في كتابيه أصول الدين والفرق بين الفرق، لا كما ذكر المقال من أن هناك «واسطة بين طرفين أولهما الله، والطرف الآخر الماء والهواء والأرض والحيوان وغير ذلك»، مضيفاً - أي المقال - أن «الواسطة بين

الطرفين هو العالم بأسره الذى أخذ شبهاً من الوجود الكائن الحقيقي ومن الوجود القديم فمن غلب ما فيه من شبه القديم على ما فيه من شبه المحدث سماه قديماً، ومن غلب عليه ما فيه من شبه المحدث أسماه محدثاً وهو في الحقيقة ليس محدثاً حقيقياً ولا قديماً حقيقياً، فإن المحدث الحقيقي فاسد ضرورة، والقديم الحقيقي ليس له علة»، انتهى بلفظه.

وقد رد جواز مماثلة شيء لله - تعالى - بأى وجه من الوجوه الشيخ العلامة محمود خطاب السبكى - رحمه الله - فى كتابه «الدين الخالص»، وهو ما قد بينه إمام أهل السنة الإمام أبو الحسن الأشعرى فى كتابه اللمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع وفيه ما نصه: «فإن قال قائل لم زعمتم أن البارى - سبحانه - لا يشبه المخلوقات؟ قيل: لأنه لو أشبهها لكان حكمه فى الحدث حكمها، ولو أشبهها لم يخل من أن يشبهها فى كل الجهات أو من بعضها، فإن أشبهها من جميع الجهات كان محدثاً مثلها من جميع الجهات، وإن أشبهها من بعضها كان محدثاً من حيث أشبهها، ويستحيل أن يكون المحدث لم يزل قديماً، وقد قال الله - تعالى -:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾(1) وقال تعالى:

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾(2). انتهى بنصه وحروفه.

ومثل ذلك قال الإمام أبو منصور الماتريدى فى كتابه التوحيد مستدلاً على ذلك باستحالة اجتماع حدوث وقدم بمعنى الأزلية فى شيء واحد، فعلم مما تقدم أنه لا يجوز أن يشبه الله - تعالى - بشيء من خلقه ولا شيء من خلقه به فى أى وجه من الوجوه. على أن فى المقالة المذكورة تناقض واضح، إذ إنه بعد أن يذكر اتفاق جميع الفرقاء على أن أحد الطرفين وهو المحدث المخلوق «هو الماء والهواء والأرض والحيوان والنبات وغير ذلك، إلا أنه يعود فيقول: إن «الصنف من الوجود الذى بين هذين الطرفين هو العالم بأسره»، فلا أدرى كيف يستثنى العالم بأسره فى كونه واسطة وفيه من شبه القديم تعالى، من سائر المخلوقات التى هى «الماء والهواء والأرض والحيوان والنبات وغير ذلك» والتى هى محدثة مخلوقة، وهذا استثناء للشيء من نفسه، فماذا عساه يكون «العالم بأسره» غير «الماء والهواء والأرض والحيوان والنبات وغير ذلك»، كما هو نصه وكلامه؟؟ إن هذا كلام لا يقبله العقل السليم بل هو كمن يمزج الماء بالنار، ولا شك فى أن الإسلام لا يقبل أن يكون لله شريك فى الأزلية، ولا يقبل أن يكون لله شبيه فى وجه من الوجوه، إذ لو أشبه الله - تعالى - شيء من وجه من الوجوه لجاز على الله - تعالى - الحدوث من حيث

---

(1) الشورى (11).

(2) الإخلاص (4).

أشبهه هذا الحدث، ولجاز على الله ما يجوز على هذا الحدث كما تقدم عن الائمة الإعلام - رضى الله عنهم - فالله وحده هو الأزلى وما سواه محدث له ابتداء، أحدثه الله من غير حاجة إلى واسطة ولا إلى غيرها، إذ الحاجة علامة الحدث تعالى الله عن ذلك، والإسلام لا يقبل إلا تنزيه الله - تعالى - عن مشابهة أى من خلقه فى الذات والصفات والأفعال كما لا يخفى على جنابكم حفظكم الله - تعالى.

وفى كتاب تشنيف المسامع للإمام بدر الدين الزركشى شرح جمع الجوامع لتاج الدين بن الإمام تقى الدين السبكى (ج ٢ ص ٢٣٩ طبع دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠ - بيروت) عند قول المتن: فليجزم عقده بان العالم محدث، ما نصه : « وهذا العالم بجملته، علويه وسفليه، جواهره وأعراضه، محدث، أى بمادته وصورته، كان عدماً فصار وجوداً، وعليه إجماع أهل الملل، ولم يخالف إلا الفلاسفة ومنهم الفارابى وابن سينا، قالوا: إنه قديم بمادته وصورته، وقيل قديم المادة محدث الصورة . . ، وكل هذه الأقوال باطلة وقد ضللهم المسلمون فى ذلك وكفروهم، وقالوا: من زعم انه قديم فقد أخرجه عن كونه مخلوقاً لله - تعالى »، ثم يقول الزركشى : إن الخلاف مع الفلاسفة مبنى على مأخذين: أحدهما أن القديم لا يجوز افتقاره إلى مؤثر عندنا لان الافتقار من لوازم الحدوث، فهو لا يجتمع مع القدم الواجب لله، أما عندهم فلا يمتنع افتقار القديم إلى المؤثر؛ وثانيهما أن البارئ - تعالى - عند المسلمين فاعل بالاختيار أى بالإرادة، أما عند الفلاسفة فهو فاعل بالذات، وقالوا: إن صدور العالم عن الله كصدور ضوء الشمس من الشمس، فقالوا: إن العالم قديم وإن كان المؤثر فيه هو الله - تعالى - ثم يقول الزركشى ما نصه : « وهذه العقيدة الفاسدة أصل لمسائل كثيرة ضلوا فيها وموّهوا بها على من لا قدم له راسخ فى الإسلام، نسأل الله - تعالى - العافية »، انتهى بنصه وحروفه من تشنيف المسامع (ص ٢٣٧ إلى ٢٤١).

فضيلة الشيخ الحامدى: لا حاجة إلى التطويل أكثر مما ذكرت فأنتم أعلم منى بما تقدم، واعتقادى بكم هو كل خير حفظكم الله، إلا اننى وجدت انه لابد لى من ان اكتب ما تقدم لاكون أخاً فى الله صادق الأخوة، إذ لا نفع من أخ لا يبذل النصيحة حيث تجب خاصة وأن « الدين النصيحة ».

وفقكم الله ورعاكم ونفع بكم وبمشايخ الأزهر الكرام المسلمين فى شرق الأرض وغربها، على أنى أرجو التكرم بنشر مقالتى أعلاه فضلاً منكم وكرماً، مشكورين مأجورين إن شاء الله تعالى.

(انتهت رسالة الأستاذ محمد طه الولى)

حـــوار.. وملاحظـــات

إن مجلة «الأزهر» تسعد بهذا اللون من القراءة، التي تقف وقفات فكرية عميقة أمام ما ينشر فيها من دراسات وأبحاث.. وترحب بالتعليقات على ما ينشر فيها، سواء اتفقت هذه التعليقات مع المادة المنشورة أم اختلفت.. بل إن ترحيبنا يكون أكثر بالنقد والإضافة منه بالتقريظ والإطراء.. فالرؤى النقدية هي التي تثرى الفكر، وتحرك الماء الراكد في المناخ الثقافي الذى يعانى منه الكثيرون..

وفيما يخص التعليق الذى كتبه الأستاذ الفاضل محمد محمد طه الولى على الحلقة الثالثة من دراستى عن ابن رشد - الحفيد - فإننى أسوق بعض الملاحظات المنهجية حول ما حملته رسالته الكريمة من أفكار..

أولها: ليس غريباً أن تأخذ فلسفة ابن رشد مكانها على صفحات مجلة «الأزهر».. فابن رشد أحد كبار فقهاء المذهب المالكى، وأحد كبار القضاة - بل وأحد كبار الذين تولوا منصب «قاضى القضاة» - فى تاريخ الإسلام.. وواحد من أبرز المتكلمين والفلاسفة المسلمين، الذين تباهى بهم حضارتنا الإسلامية غيرها من الحضارات..

وحياة ابن رشد وفلسفته وآثاره الإبداعية.. بل وشروحه على «أرسطو» (٣٨٤ - ٣٢٢ ق م) تأخذ مكانها فى مناهج الدراسة بالأزهر الشريف، مثلها كمثل غيرها من الآثار الفكرية لعلماء الأمة وأئمة المذاهب الإسلامية وتيارات الفكر الإسلامى، على ما بين هذه المذاهب والتيارات من اختلافات أثمرتها الاجتهادات فى الفروع..

يحتضن الأزهر الشريف - ومناهجه - مذاهب السلف والخلف، ويدرس هذه المذاهب جميعها، بروح نقدية واعية، مع المقارنة بينها وبين إبداعات الفكر فى الحضارات الأخرى..

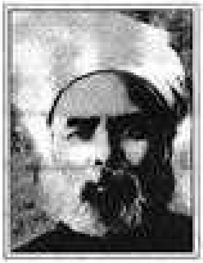
والمعيار الذى يحتكم إليه الأزهر الشريف، وهو يفتح الأبواب للإبحار بين مختلف التيارات، هو نفس المعيار الذى أجمع عليه سلفنا الصالح: العصمة للبلاغ القرآنى، وللبيان النبوى لهذا البلاغ القرآنى.. وبعد ذلك فكل فكر يؤخذ منه ويُرد..

وثانيها: أن تصنيف فلسفة ابن رشد بحسبانها فلسفة مغايرة لمذهب أهل السنة والجماعة، والقول بأنها فلسفة مادية، تقول بقدم العالم - على النحو الذى يقول به الماديون - هو ادعاء غربى، تبناه المتغربون فى بلادنا، محاولة منهم «لسرقة» رموز الفكر الإسلامى، وتأسيس تراث لماديتهم فى تراث المسلمين.. ولقد كان الأزهر الشريف واعياً بهذه المحاولات، منذ أن رد الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (١٢٦٥ - ١٣٢٣ هـ ١٨٤٩ - ١٩٠٥م) على فرح أنطون (١٢٩١ - ١٣٤٠ -

١٨٧٤ - ١٩٢٢م) الذى نقل هذه الدعوى عن الفيلسوف الفرنسى «أرنست رينان» (١٨٢٣هـ - ١٨٩٢م)[٣].. ويومها كتب الأستاذ الإمام - فى مجلة «المنار» - دراسته الفلسفية الكلامية، التى ختمها بقوله: «.. فابن رشد - رحمه الله - لم يخرج فى آرائه عن المليين، فلا يصح أن يكون مذهبه مذهب الماديين ولا قريباً منه..»[٤].



عبدالرحمن بيصار



محمد عبده



فرح انطون

ولقد تولى مشيخة الأزهر من كانت رسالته للدكتوراة: (فى فلسفة ابن رشد: الوجود والخلود) - وهو المرحوم الإمام الأكبر الشيخ محمد عبدالرحمن بيصار (١٣٢٦ - ١٤٠٢هـ ١٩٠٨ - ١٩٨٢) فـفلسفة ابن رشد ليست غريبة على الأزهر الشريف، حتى تكون غريبة على مجلته!..

وثالثها: أن ابن رشد لم يقل بقدم العالم، ولم يكن خصماً للذين قالوا بحدوثه.. وإنما كان صاحب منهج يقول: إن هذا الخلاف إنما هو خلاف وهمى، نشأ عن خطأ استخدام مصطلحات لم يستخدمها الشرع - هى مصطلحات «القدم» و«الحدوث» - ونشأ عن قياس «الغائب» على «الشاهد» ومحاولة معرفة حقيقة الذات الإلهية وصفاتها وأفعالها - وعالم الغيب - بمضامين ومفاهيم المصطلحات اللغوية، العاجزة - بحكم نسبيتها - عن التعبير عن كُنه هذه المعارف المطلقة وحقائقها، لأن النسبى لا يستطيع التعبير عن كنه المطلق وحقيقته..

وينبه ابن رشد على منهجه هذا عندما يلفت الأنظار إلى أن الشرع لم يستخدم مصطلحات «القدم» و«الحدوث» فى الكلام عن خلق الله للعالم «وإنما أطلق عليه لفظ الخلق ولفظ الفطور لأن حدوث العالم ليس هو مثل الحدوث الذى فى الشاهد[٥].. والعقل الإنسانى قاصر عن إدراك كيفية ذلك الفعل..»[٦].

فهذا الخلاف، الشهير والمزمن، عند ابن رشد، هو خلاف وهمى، سببه استخدام مصطلحات غير شرعية فى قضية شرعية، ومحاولة فهم الفعل الإلهى - الذى يفوق قدرات الإدراك العقلى للإنسان - بمعانى مصطلحات اللغة القاصرة والعاجزة عن إدراك كُنه الذات الإلهية وصفاتها وأفعالها..

---

(٣) فرح أنطون (ابن رشد وفلسفته) ص ٣٣، ٣٧. طبعة الإسكندرية سنة ١٩٠٣م.

(٤) (الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده) جـ٣ ص ٣٢٤. دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة القاهرة سنة ١٩٩٣م.

(٥) ابن رشد (مناهج الأدلة فى عقائد الملة) ص ٢٠٦. دراسة وتحقيق: د. محمود قاسم. طبعة القاهرة سنة ١٩٥٥م.

(٦) ابن رشد (تهافت التهافت) ص ١٠٥. طبعة القاهرة سنة ١٩٠٣م.

ولذلك، فابن رشد لا ينكر خلق العالم من العدم.. بل يرى أن هذا هو مذهب الفلاسفة الإلهيين، المتفق مع مذهب المتكلمين المسلمين.. فيقول: إن هؤلاء الفلاسفة «يعتقدون أن البارى ـ سبحانه ـ منفصل عن العالم، وهو فاعل، ليس بمعنى الفاعل الذى فى الشاهد.. وهو فاعل هذه الأسباب، مخرج الكل من العدم إلى الوجود، وحافظه على وجه أتم وأشرف مما هو فى الفاعلات المشاهدة.. ويجب أن لا تكون خلقة هذه الأجسام ومبدأ تكوّنها على نحو تكوّن الأجسام التى ههنا، وإن العقل الإنسانى يقصر عن إدراك كيفية ذلك الفعل، وإن كان يعترف بالوجود، فمن رام أن يشبه الموجودين أحدهما بالآخر، وأن الفاعل لهما فاعل بالنحو الذى يوجده الفاعلات ههنا، فهو شديد الغفلة عظيم الزلة..»[7]... ففى هذا النص يعلن ابن رشد أن الله ـ سبحانه ـ هو «مخرج الكل من العدم إلى الوجود..»

وبهذا المنهج الرشدى ـ الذى يحرر «المطلق» من سجن «المصطلحات النسبية»، التى تواضع عليها «العقل الإنسانى» ـ نسبىّ الإدراك ـ والذى يحرر «عالم الغيب» من أسر مفاهيم «عالم الشهادة»، إذ ليس بينهما سوى الأسماء والمثالات التقريبية للأذهان البشرية ـ بهذا المنهج عالج ابن رشد ـ أيضاً ـ الخلاف الشهير حول العلم الإلهى.. وهل يعلم الله ـ سبحانه وتعالى ـ «الجزئيات» مع «الكليات»؟ ـ كما قال المتكلمون ... أم يعلم «الكليات» دون «الجزئيات»؟ ـ كما هو منسوب إلى الفلاسفة الإلهيين.

فلم يقل ابن رشد بأى من هذين الرأيين، وإنما كشف عن خطئهما معاً، لأن القائلين بأى منهما قد قاسوا العلم الإلهى ـ الكلى والمطلق والمحيط ـ على العلم الذى نعرفه نحن، والذى فيه كلى وجزئى.. بينما كل فرقاء هذا الخلاف قد غفلوا عن أن العلم الإنسانى هو معلول للموجودات، بينما العلم الإلهى هو علة لهذه الموجودات.. فقياس الغائب على الشاهد هو الذى أوقع فرقاء هذا الخلاف فى الخطأ الذى طالهم جميعاً ـ كما حدث مع الذين تمترسوا عند المضامين اللغوية لمصطلحات «القدم» و«الحدوث».. عالج ابن رشد ـ بمنهجه العبقرى هذا.. والذى رجع فيه إلى استخدامات الشرع للمصطلحات ـ عالج قضية العلم الإلهى أيضاً، وذلك عند ما قال ـ ضمن ما قال ـ: «والذى ينحل به هذا الشك عندنا، هو أن يعرف أن الحال فى العلم القديم مع الموجود خلاف الحال فى العلم المحدث مع الموجود، وذلك أن وجود الموجود هو علة وسبب لعلمنا، والعلم القديم هو علة وسبب للموجود.. وإنما أتى هذا الغلط من قياس العلم القديم على العلم المحدث، وهو قياس الغائب على الشاهد، وقد عُرف فساد هذا القياس.. وهذا هو غاية التنزيه الذى يجب أن يُعترفَ به.. فواجب أن يكون هنالك للموجودات علم آخر لا يُكَيَّف، وهو العلم القديم، سبحانه..»[8].

(٧) المصدر السابق. ص ٤٢، ٥١.

(٨) ابن رشد (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال) ـ ضميمة فى العلم الإلهى ٣. ص ٧٥، ٧٦ دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة القاهرة سنة ١٩٩٩م.

ولو أننا استخدمنا هذا المنهاج الرشيد فى النظر إلى كثير من الخلافات الشهيرة والمزمنة فى المسائل الكلامية، لاكتشفنا زيف أسباب هذه الخلافات.. ومنها مسائل: القرآن: قديم؟.. أم مخلوق؟.. ومسألة الخلاف حول رؤية الخلق للخالق فى يوم ليس فيه من دنيانا إلا الأسماء والمثالات ـ مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.. ولا قدرة للغات على التعبير عن كنه ما فيه !!

ورابعها: أن حقيقة الخلاف بين ابن رشد وبين حجة الإسلام أبو حامد الغزالى (٤٥٠ ـ ٥٠٥ هـ ١٠٥٨ ـ ١١١١م) ـ والذى تجسد فى كتاب ابن رشد (تهافت التهافت) رداً على كتاب الغزالى (تهافت الفلاسفة) ـ لم تكن دفاع ابن رشد عن الفلاسفة فى المسائل الثلاث التى كفّرهم بسببها الغزالى ـ وهى: قدم العالم.. وعلم الله بالكليات دون الجزئيات.. وعدم بعث الأجساد.. وإنما كان جوهر الخلاف هو نفى ابن رشد أن يكون الفلاسفة الإلهيون قد قالوا بهذه المسائل الثلاث أصلاً..

فالغزالى ـ فى (تهافت الفلاسفة) ـ كان يجادل الفارابى (٢٦٠ ـ ٣٣٩هـ ٨٧٤ ـ ٩٥٠م) وابن سينا (٣٧٠ ـ ٤٢٨ هـ ٩٨٠ ـ ١٠٣٧م) فى هذه المسائل الثلاث، بحسبان أنهما قد نقلاها عن الفلاسفة القدماء فجاء ابن رشد فى (تهافت التهافت) ـ لينفى أن يكون الفلاسفة الإلهيون قد قالوا بذلك، وليرجع الخطأ إلى الفارابى وابن سينا عندما نسبا هذه الآراء إلى الفلاسفة القدماء..

فالخلاف، فى جوهره، ليس بين ابن رشد والغزالى، فهما متفقان فى الرأى حول هذه المسائل، وإنما الخلاف حول نسبة هذه المسائل إلى الفلاسفة القدماء.

وهكذا تجد القراءة الواعية، وغير المتحيزة مسبقاً، تكشف عن « منهاج رشدى » يعود بكثير من القضايا الخلافية، التى نشأت بفعل « شغب » نفر من المتكلمين والفلاسفة، ثم تكرست بفعل التقليد لهذا « الشغب ».. يعود « المنهاج الرشدى » بهذه المسائل الخلافية إلى المصطلحات الشرعية ـ لا الكلامية أو الفلسفية.. وإلى مبدأ التمييز بين « عالم الغيب » و« عالم الشهادة »، ورفض قياس « الغائب » المطلق على « الشاهد » النسبى.. تجد فى هذا « المنهاج الرشدى » سبيلاً لتصفية علم الكلام الإسلامى من كثير من « الشغب » غير الموضوعى وغير المبرر.. كما تجد فيه الطريق إلى اكتشاف عظم مساحة الاتفاق بين تيارات الفكر فى تراثنا الإسلامى..

ولعل هذا المنهاج هو الذى استخدمه الإمام محمد عبده فى تجريد علم الكلام الإسلامى من « شغب القدماء » عندما كتب كتابه النفيس (رسالة التوحيد)..

وأخيراً.. فإننا ـ قبل الإبحار فى كتب التراث، والاستشهاد بنصوص الأئمة والأعلام بحاجة ماسة إلى منهاج للتعامل مع اجتهادات هؤلاء الأعلام..

إن بعض الإسلاميين، عندما يناقشون قضية من القضايا، يرون الحق، مطلق الحق وكامل الحق، مع إمام من الأئمة، أو مذهب من المذاهب، أو فرقة من الفرق، مجردين الآخرين، كل الآخرين، من أى حق أو صواب.. صنع ذلك ويصنعه كثير من الذين قرأوا (تهافت الفلاسفة) للغزالى، فرأوا فيه كامل الحق، وجردوا ابن رشد ـ وكتابه (تهافت التهافت) ـ من الحق والصواب...

وفي مقابل ذلك، نرى كل العلمانيين والمتغربين، يرون الصواب والحق مع ابن رشد، حتى ليزعمون أنه آخر المبدعين في العقلانية والتفلسف بتاريخ الإسلام، مع الإدعاء بأن الغزالي قد مثل نكبة العقلانية ومقبرة التفلسف في تراث الإسلام!..

ولو قرأ الفريقان تراث الغزالي وابن رشد، قراءة الباحث عن الحق، وعن أصول المسائل وثوابت القضايا، لرأوا مساحة الاتفاق الكبيرة - بل والمدهشة - بين الرجلين، حتى في القضايا التي يحسبون أنها موضوع الخلاف - وفي مقدمتها العقلانية.. والتأويل.. ورفض أن يكون كامل الحق وقفا على مذهب من المذاهب أو اجتهاد من الاجتهادات.

فالمنهاج الإسلامي في التعامل مع الموروث، هو الإيمان بأن الحق المطلق والكامل إنما هو في الإسلام المعصوم، متمثلاً في البلاغ القرآني وفي البيان النبوي لهذا البلاغ القرآني.. أما مذهب الإسلاميين ومقالاتهم واجتهادات الأئمة، فإن الحق موزع فيها، دون أن يكون وقفاً على واحد منها، ومحجوباً عمن عداه، لأن هذه المذاهب هي ثمرة للاجتهادات النسبية غير المعصومة، بينما العصمة والإطلاق هما للمنابع المقدسة في الإسلام..

وإذا كان هناك من يرتاب في هذا الذي نقول - من الذين يتخندقون في كتاب من الكتب أو مذهب من المذاهب - ولا يراجعون مواقفهم إلا «بالنصوص»، فإننا نقدم لهم نصاً منهجياً، كتبه إمام كادت الأمة أن تجمع على أنه «حجة الإسلام» - هو أبو حامد الغزالي - الذي كتب - في (فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة) - يعيب على من يظن أن الحق محصور في مذهب واحد، حتى ولو كان هذا المذهب هو «الأشعرية» - الذي هو أحد أئمته وأعلامه! - أو في اجتهاد إمام بعينه - حتى ولو كان إمامه أبو الحسن الأشعري (٢٦٠ - ٣٢٤هـ ٨٧٤ - ٩٣٦م)!! - كتب الغزالي ليعلمنا هذا المنهاج الإسلامي في التعامل مع المذاهب والاجتهادات المختلفة والمتعددة.. فقال:

«.. فمن زعم أن حد الكفر ما يخالف مذهب الأشعري أو مذهب المعتزلي أو مذهب الحنبلي أو غيرهم، فاعلم أنه غرٌ بليد، قد قيّده التقليد، فهو أعمى من العميان، فلا تضيّع بإصلاحه الزمان، وناهيك حجة في إفحامه، مقابلة دعواه بدعوى خصومه، إذ لا يجد بين نفسه وبين سائر المقلدين المخالفين له فرقاً وفصلاً. ولعل صاحبه يميل من بين سائر المذاهب إلى الأشعري، ويزعم أن مخالفته في كل ما ورد وصدر كفر من الكفر الجليّ، فاسأله: من أين ثبت له أن كون الحق وقفاً عليه حتى قضى بكفر الباقلاني إذ خالفه في صفة البقاء لله - تعالى - وزعم أنه ليس هو وصفاً لله - تعالى - زائداً على الذات، ولم صار الباقلاني أولى بالكفر بمخالفته الأشعري من الأشعري بمخالفته الباقلاني؟ ولم صار الحق وقفاً على أحدهما دون الثاني؟ إن كان ذلك لأجل السبق في الزمان؟ فقد سبق الأشعريَّ غيره من المعتزلة، فليكن الحق للسابق عليه، أم لأجل التفاوت في الفضل والعلم؟ فبأي ميزان ومقدار قدّر درجات الفضل حتى لاح له أن لا أفضل في الوجود من متبوعه

ومقلده؟ فإن رخص للباقلاني في مخالفته، فلم حجر على غيره؟، وما الفرق بين الباقلاني والكرابيسي والقلانسي وغيرهم؟، وما مدرك التخصيص بهذه الرخصة؟ وإن زعم أن خلاف الباقلاني يرجع إلى لفظ لا تحقيق وراءه.. فما باله يشدد القول على المعتزلي في نفيه الصفات، وهو معترف بأن الله - تعالى - عالم محيط بجميع المعلومات قادر على جميع الممكنات، وإنما يخالف الأشعري في أنه عالم وقادر بالذات أو بصفة زائدة، فما الفرق بين الخلافين؟ وأي مطلب أجل وأخطر من صفات الحق - سبحانه وتعالى - في النظر في نفيها وإثباتها؟ فإن قال: إنما أكفر المعتزلي لأنه يزعم أن الذات الواحدة تصدر منها فائدة العلم والقدرة والحياة، وهذه صفات مختلفة بالحد والحقيقة، والحقائق المختلفة يستحيل أن توصف بالاتحاد أو تقوم مقامها الذات الواحدة، فما باله لا يستبعد من الأشعري قوله: إن الكلام صفة زائدة قائمة بذات الله - تعالى - ومع كونه واحداً هو توراة، وإنجيل، وزبور، وقرآن، وهو أمر ونهي وخبر واستخبار، وهذه حقائق مختلفة؟ وكيف لا وحدُّ الخبر: ما يتطرق إليه التصديق والتكذيب، ولا يتطرق ذلك إلى الأمر والنهي، فكيف تكون حقيقة واحدة يتطرق إليها التصديق والتكذيب ولا يتطرق، فيجتمع النفي والإثبات على شيء واحد؟.. ولعلك إن أنصفت علمت أن من جعل الحق وقفا على واحد من النظار بعينه فهو إلى الكفر والتناقض أقرب، أما الكفر، فلأنه نزله منزلة النبي المعصوم من الزلل، الذي لا يثبت الإيمان إلا بموافقته، ولا يلزم الكفر إلا بمخالفته، وأما التناقض فهو أن كل واحد من النظار يوجب النظر، وأن لا ترى في نظرك إلا ما رأيت، وكل ما رأيته حجة، وأي فرق بين من يقول قلدني في مجرد مذهبي وبين من يقول قلدني في مذهبي ودليلي جميعاً، وهل هذا إلا التناقض؟..»(٩).

هكذا تحدث حجة الإسلام أبو حامد الغزالي.. فقال: «إن من جعل الحق وقفاً على واحد من النظار بعينه فهو إلى الكفر والتناقض أقرب».. لأن هذا المجتهد ليس النبي المعصوم.. ولأن اجتهاد المجتهد ليس ملزماً للمجتهد الآخر.. وجواز النظر في حقه لا يحجر النظر عن غيره.

وبهذا المنهج في التعامل مع الموروث، تنفتح آفاق رحبة تخرجنا من التخندق وضيق الصدر عندما نتعامل مع الاختلافات.. حتى ولو كانت اختلافات حقيقية، غير موهومة!..

وختاماً.. فالشكر الجزيل للأستاذ محمد محمد طه الولي، على قراءته المتأملة.. وعلى رسالته التي كانت سبباً في تقديم هذه الملاحظات، التي نرجو أن تكون إضافات تلقي المزيد من الأضواء على فلسفة أبي الوليد ابن رشد.. التي هي كغيرها من إبداعات علماء الإسلام.. خاضعة للمزيد من الدراسة.. وللاتفاق والاختلاف.. وللقبول والرد.. فلا عصمة إلا للبلاغ القرآني، وللبيان النبوي لهذا البلاغ.

والله الموفق إلى سبيل الرشاد

(٩) (فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة) ص ٣، ٤ . طبعة القاهرة سنة ١٩٠٧م.

وبدأ خلق الإنسان من طين

للدكتور / على أحمد على

وبهذه الآية الكريمة تنتهى إلى ختام الحديث عن الكون والإنسان.

كنا قد بدأنا عرضه عند الطبيعيين، ثم عرجنا إليه بتفصيل فى خلق الأرض، وها نحن نختمه بالحديث عن ، الإنسان ، فى قول الحق رداً على خيال الكاهنين.

قال - تعالى - فى خلق الإنسان بعد ذكره خلق الكون:

﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴾ **السجدة - ٧**

والإنسان - فى الآية الكريمة - واحد فقط، هو الإنسان الأول.. آدم - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، و، الخلق، فى الآية تناوله - وحْدَهُ - دون نسله، ذلك أن لنسله سبيلاً آخر، قال - تعالى - عنه:

﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ **السجدة - ٨.**

وشاء - جلّ وعلا - أن يؤكد أن الطين طين، فلا ينصرف المجاز إليه بحال، فتناوله - جلّ علاه - من بدايته، (ماء وترابا) حتى كان طينا لازبا (أى لزجا) إلى أن جفّ فصار صلصالا كالفخار[1].

وإذ أراد النبى ﷺ أن يذم الكبر وأهله، وأن يُحط منه ومنهم - قال:

وإن الله - عز وجل - قد أذهب عنكم عُبّيّة[2] الجاهلية، وفخرها بالآباء: مؤمن تقى، وفاجر شقى، أنتم بنو آدم، وآدم من تراب ، الحديث[3].

وهكذا نشأ أول إنسان فى الوجود، من طين: تراب وماء، فما كان نتاجا لسلالة سالفة، ولا

(١) راجع الآيات: آل عمران - ٥٩، الأعراف - ١٢، الحجر - ٢٦، الإسراء - ٦١، الحج - ٥، المؤمنون - ١٢ - الروم - ٢٠، فاطر - ١١، الصافات - ١١، غافر - ٦٧.

(٢) الكبر والفخر.

(٣) أبو داود ٦٢٤/٢ - ط أولى مصطفى البابى الحلبى ١٣٧١ - ومثله مسند أحمد ط أولى ٣٦١/٢

« تطورا » عن حيوان سابق، وتمَّ على الطين خلقه، فاستحال – كذلك – أن يتطور إلى غيره، فإنه:

﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ الروم – ٣٠.

لم يتطور الإنسان الأول (آدم) عن حيوان ثَدْيِيّ كما تخيلته كهانة هندريك.

ولا كان – في الأصل – قرداً، كما رآه شركاء هندريك.

وفي الحق أننا – حين نُمعِنُ النظر – في رؤية هندريك نجدها هي القرد في الرؤية الأخرى عند غيره، وإنما احترز لنفسه بذكره (الثَّدْيِيَّات) ليكون على ركن أوسع من سلالة بعينها من القرود، فإن كثيرا من الباحثين – وهذا سأذكره – ينفي أن تكون القردة المعروفة لنا هي أصل للإنسان، فالقى هندريك بـ (الثدييات) لوجودها فيما نعرف وما لا نعرف من سلالات القرود، وغيرها.

كذلك لا يخدعنا – في المقام نفسه أن يقرر (د. آشلي مونتاجيو) « أنه ليس من بين العلماء قاطبة من اعتنق هذا الرأي »[٤] أي ظهور الإنسان عن قرد.

يقول ذلك، وهو في أعماقه يؤمن بالتطور إيمانا جازما؛ بل يؤمن بأنه سوف يعثر على القرد الذي يعتبر الحلقة المفقودة بين الإنسان وبقية القرود، لذا مضى يقرر أن الإنسان « يشبه القرد إلى درجة أعظم جدا مما يشبه أيا من الحيوانات »

وذهب يلتمس وجه الشبه فيما أسماه: القردة العليا: (الجيبون والأورنجوتان والشمبانزي والغوريلا) فافتقد فيها ما يريد، وارتد حسيرا ليبحث عن غيرها معتبرا إياها مما يتعذر أن يُوضع على الخط المباشر لتسلسل أسلاف الإنسان.

ومضى د. آشلي إلى النهاية مع قرود أفرد لها فصلا كاملا بعنوان « أسلاف الإنسان » فمضى إلى أعلاها قاطبة، وقد أطلق عليه اسم: « الأسترالوبيثيسينات » أي قردة الجنوب التي اكتشفت هياكلها العظمية في جنوب أفريقيا في العشرينيات من القرن العشرين.

وفيها – أيضا – لم يجد ضالته، وإذْ أحبط قال: « لكن هذا لا يعني استحالة أنها كانت أسلافا للإنسان، أو أنها وثيقة القرابة بمجموعة القردة العليا التي كانت هي الأسلاف المباشرة للإنسان ».

إنه لم يسعه إلا أن يعتبر كل ما هو موجود من القردة لا يمكن أن يأتي بإنسان، فلجأ إلى القول بوجود حلقة مفقودة في نوع بعينه من القردة لم يعثر عليه بعد، هو الأصل للإنسان وأفرد لهذه الحلقة المفقودة فصلا وضع فيه تفصيلا لما ينبغي أن يتوفر فيها من صفات لتكون هي الأصل المنشود بيقين – ثم قال: « والبحث عن الحلقة المفقودة لم يتم بعد »[٥].

فهل يمكن اعتباره مؤمنا بما قاله في صدر بحثه: « وليس من بين العلماء قاطبة من اعتنق هذا الرأي »؟

---

(٤) آشلي مونتاجيو Ashley Montagu – الملايين سنة الأولى من عمر الإنسان ترجمة د/ رمسيس لطفي – نشر مؤسسة سجل العرب – انظر ص ٢١.

(٥) راجع على التوالي الصفحات: ٢١، ٤٢، ٤٤، ٤٥ لآشلي.

ولقد كان ينبغي أن نتجاوز العبارات الإحصائية لوزن (المخ) وغيره بين هذه القردة والإنسان، فإن المقال لا يحتملها، كما أن النتائج المطلوبة ليست بحاجة إليها، فليرجع إليها من شاء.

وخلق الله - عز وجل - آدم وأنشأه إنشاءً من طين رجلاً ذكراً تام الرجولة، لا أنثى، ولا خنثى، وأقسم - سبحانه - في تكوينه، فقال:

﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾(٦)

و(أحسن تقويم) في الآية قيس يحمل كل ما نتصوره من جمال وجلال في هذا الرجل وذريته، لكنا نقتصر القول فيه على ما أبدعه قول المفسرين، فهو مستقيم القامة، غير منكب على وجهه، يأكل بيديه، متناسب الأعضاء، جميل الوجه، حسن الصورة، قوي الإحساس، سليم العقل، لطيف الذوق، متزين بالفكر، فصيح اللسان، قوي المنطق، مؤدبا للأمر، مهذبا بالتمييز، هو العالمُ الأصغر، فكل ما كان من جمال جُمع فيه.

نقل القرطبي عن «ابن العربي» في تفسير الآية:

«ليس لله تعالى خلق أحسن من الإنسان، فإن الله - سبحانه - خلقه حياً عالماً قادراً مريداً متكلماً سميعاً بصيراً مدبراً حكيماً.

وهذه صفات الرب سبحانه، وعنها عبر بعض العلماء، ووقع البيان بقوله: (إن الله خلق آدم على صورته) يعني على صفاته التي قدمنا ذكرها، وفي رواية (على صورة الرحمن) ومن أين تكون للرحمن صورة متشخصة؟! فلم يبق إلا أن تكون معاني..»(٧).

وشاء الله - عز وجل - أن يُعِدَّ لآدم الإنسان الأول حفلاً طيباً كريماً يغبطه به عند نفخ الروح فيه، حفلاً حضره الملائكة، وقال - سبحانه وتعالى - فيهم:

﴿ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾

ص ٧١ - ٧٢

وسَرَت الروح في آدم، ونظر، فإذا الملائكة سجود بين يديه تكريما من الله - تعالى - له - لقد كان حفلاً بهيجاً رغم كآبة إبليس التي جَنَتْ عليه، فمنعته السجود، وقال - لخالقه - في جحود:

﴿ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾

الأعراف - ١٢

﴿ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾

الإسراء - ٦١

على أن كآبة إبليس لم يفت آدمَ الإنسان الأولُ أن يعلم بسببها أن إبليس خلق من النار، فعرف آدم النار مع بداية خلقه - عليه السلام. كما كانت ضمن ما أعلمه الله به، إذ قال - سبحانه:

---

(٦) سورة التين - الآيات ١ - ٤.

(٧) انظر تفسير القرطبي في الآيات - سورة التين

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾

البقرة – ٣١

فارتقى آدمُ بعلمه فوق مستوى علم الملائكة .

وصارت النار – فى شريعته – آية صدْق تدل على قبول الله قُربان عبده، فإذا تقدم المؤمن بقربان لله صادقاً مخلصاً نزلت عليه النار فالتهمته، وفى حياته ﷺ كانت واقعة قربان ولَديْه: قابيل (قايين) وهابيل[٨].

وتوالت النِّعمُ على آدم، فما أن غفا غفوةً بعد هذا الحفل الكريم، فأخذته سِنَةٌ من النوم حتى استيقظ، فإذا بجواره خَلْقٌ رائع الجمال.. حواء الزوجة التى أراد الله تعالى لآدم أن تصحبه حياته.. كانت – عليها السلام – جزءاً من ضلعه فكانت كجزء من قلبه، سعد بها وسعدت به، قال تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾

النساء – ١

وأنزلهما اللهُ – تعالى – الجنة – حيث نعما بالإقامة واللباس، وما شاءا من طعام وشراب :

﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾

البقرة ٣٥

﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾

طه ١١٨ – ١١٩

وكانت تلك هى الفترة الأولى من حياته، وهى أشبه بـ (شهر العسل) فيما نطلقه اليوم.

ثم كانت الفترة الثانية والأخيرة حيث أمضى حياته على الأرض، فقد أراد الله له ولذريته من بعده أن يعمروها، وهنا توالت نِعَمُ الله – تعالى – عليه، جاء فى الحديث الصحيح عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه « موقوفاً » برواية الطبرى، مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ فى رواية أحمد – قال: « إن الله حين أهبط آدم من الجنة إلى الأرض عَلَّمَهُ صنعة كل شىء، وزوَّدَهُ من ثمار الجنة »[٩]. أى أن آدم نزل إلى الأرض غير ضائع، مشمولاً برحمة الله – تعالى مزوداً بالعلم الذى يوالى به عمارتها، وبين يديه وزوجه من الطعام الطيب ما يكفيه، ثم هو سوف يجد فى خزانة الأرض والزرع، فإنه مستقر آمن. ويعنى ذلك أن الزراعة والصيد نشئا معاً فى وقت واحد فى حياة الإنسان الأول.

ذاك هو آدم بين يدى الله الرحمن الرحيم، وتلك آيات الإبداع فيه.

وقدم الطبيعيون آدم أسوأ تقويم، إذ اعتبروهُ:

(٨) انظر – فى المائدة – الآيات ٢٧ – ٣١، وانظر فى آل عمران – ١٨٣ .

(٩) وهو الحديث الوحيد فى بابه – انظر تفسير الطبرى – طبع دار المعارف بمصر. المجلد الأول ١/٣٩٣ الحديث رقم ٥٣٧ رواه الطبرى مرفوعاً حكما موقوفا لفظا ورواه أحمد مرفوعا إلى رسول الله ﷺ صراحة.

حيواناً ثديياً، سمج المنظر، عظيم القبح، صغير الحجم جداً، رأسه ومعظم جسده وذراعاه وأرجله كُلٌّ مغطى بالشعر الخشن الطويل، يداه أشبه بأيدى القردة، ذو جبهة منخفضة، أى لا ترتفع فوق حاجبيه عمودياً أو شبه عمودى ولو قليلاً، بل تنسحب إلى الخلف مكونة شبه كرة خلفه، له فك أشبه بفك الحيوان المفترس، يعتمد على أسنانه اعتمادنا على الشوكة والسكين.. وفى البداية من تعلمه الكلام كان يأتى بصرخات عجيبة تطورت بعد مئات الآلاف من السنين إلى أصوات يستخدمها فى الحديث.

ولم يتخذ لنفسه لباساً، وقد اكتشف النار بعد حين، يأوى – إذا هبط الليل – بزوجه وولده فى جوف شجرة أو خلف صخرة ضخمة حفاظاً على نفسه وولده من الوحوش المفترسة.. إلخ[١٠].

لم يكن آدم بدائياً كما أراد له هؤلاء الطبيعيون، ولم تكن هناك من ضرورة تقتضى أن ينشأ بدائياً، ثم يَتَحضَّر، وما كان ذلك ليكون إلا فى خيال هؤلاء الطبيعيين وكهانتهم.

ثم ليس من شك فى أن «البدائية» مرحلة وقعت فى حياة الإنسان، لكنها لم تكن أولى مراحله، بل كانت مرحلة تابعة. ولازال للحضارة قانون حيوى تقوم بوجوده، وتندثر بعدمه، وقد قدم «ديورانت» هذا القانون – فى موسوعته – فإذا هناك ثلاثة عشر عاملاً – على الأقل تطيح بالحضارة إذا حَلَّت – أو بعضُها – بقطر أو إقليم هنالك «جاز للمدنية أن يتقوض أساسُها» أى فتفسح الطريق لبدائية آتية، قال – بعد أن ذكرها واحدة بعد واحدة.

«هذه هى بعض الوسائل التى قد تؤدى إلى فناء المدنية، إذ المدنية ليست شيئاً مجبولاً فى فطرة الإنسان، كلا، ولا هى شىء يستعصى على الفناء»[١١].

وهناك حقيقة ينبغى أن نلتفت إليها، فقد مضى القرن التاسع عشر، وأهمُّ العلوم الإنسانية الحيوية لا علم له بها مما أتاح لأولئك الطبيعيين أن يمرحوا فساداً: «خَلاَ لَكِ الجوُّ فبيضى

---

(١٠) راجع – هندريك – قصة الجنس البشرى ص ٨ – ١٠.

(١١) وهذه هى العوامل القاهرة للحضارة.

– انقلاب جيولوجى خطير.

– أو تغير مفاجىء شديد.

– أو وباء يفلت من الناس زمامه.

– الموت الأسود الذى زال بسببه العهد الاقطاعى.

– أو زوال الخصوبة من الأرض.

– أو فساد الزراعة بسبب طغيان الحواضر على الريف.

– أو استنفاد الموارد الطبيعية فى الوقود والمواد الخام.

– أو تغير فى طرق التجارة يبعد أمة من الأمم عن الطريق الرئيسى للتجارة فى العالم.

– أو انحلال عقلى أو خلقى ينشأ عن الحياة فى الحواضر.

– أو انهيار قوة الأصلاب لسبب اضطراب الحياة الجنسية.

– أو فلسفة تحفزهم على ازدراء الكفاح.

– أو ضعف الزعامة بسبب عقم يصيب الأكفاء أو بسبب القلة النسبية فى أفراد الأسرات. إلخ

– أو تركز الثروة تركزاً مجحفاً بأيدى أفراد قلائل ينتهى بالناس إلى حرب الطبقات والثورات الهدامة والإفلاس المالى.. إلخ

واصفرى » فلما توالت البحوث وتجمعت الحقائق، وانقشع الضباب عن حياة الإنسان فى بقاع الأرض، وجدنا البدائية فى أبشع صورها تعيش جنباً إلى جنب بجوار الحضارة، كذلك ليس يعنى وجود البدائية انعدام الحضارة، وقد أبت الحضارة ولازالت تأبى - أن تطارد تلك البدائية، بل اتخذ كثير من أغنياء الغرب عبيداً فى بيوتهم « واصطبلاتهم » ليكونوا نماذج تعكس غناهم وحضارتهم فى إذلال انعدم تماماً بين البدائيين الأوائل.

ولازال بين القبائل فيما أسماه « ديورانت » بالشعوب الفطرية قومٌ « يلتقطون القمل، بعضهم من رءوس بعض ويأكلونه مستمتعين بما يأكلون وإذا ما تجمع من القمل عدد كبير أقبلوا عليه يلتهمونه، وهم يصيحون صيحات الفرح باعتباره عدو الإنسان ».

إن البدائية لم تختف من كوكبنا، منذ نشأت من بعد الأسر الطيبة لآدم عليه السلام.. فهما قريبان إلى أن أكل أهل الدمارك لحوم البشر فى القرن الحادى عشر من الميلاد ثم إلى يومنا هذا[12].

وإذا كان لى أن أتحدث عن « البدائية الأولى » فى حياة الإنسان، فإنما أتناولها عن اجتهاد محض، قد يكون خطؤه أكثر من صوابه إلا أن يشأ الله - تعالى - له صواباً.

لست أرى لهذه البدائية إلا حادثاً أليماً وقع بتلك الأسرة الإنسانية الأولى، ذاك حادث النزاع المقيت بين قابيل (قايين) الممارس للحرث والزراعة، وأخيه (هابيل) الراعى صاحب الغنم، وكلاهما ولَدُ آدم لصلبه، فلما اشتد النزاع رأيا - قضاء للحق - أن يتقرب كل منهما بقربان لله - عز وجل - فأيها أكلته النار كان الحق مع صاحبه دون أخيه، فأكلت النار قربان هابيل، فأثار ذلك من حفيظة قابيل فعزم على قتل أخيه فقتله. وما أن قتله حتى فَتَرَ غضبه، وأحس بشناعة جرمه، وقرَّ فى نفسه أن رحمة الله - تعالى - نأت عنه، وأن بركته - سبحانه - زالت، ولم تكن هذه الأسرة الآمنة قد تُوفى لها أحد من قبل، فلذلك لم تمارس غُسْلاً لميت أو تكفيناً له، ولم يستطع قابيل أن يعود للأسرة، فقد قرَّ فى نفسه أنه لا مكان له بينها، وأنى يكون؟ فحمل قتيله، وساح به، حتى كان من لطف الله بالقتيل أن أُرْشد قابيل إلى دفنه فدفنه، ويبدو أنه استطاع أمام فرصة سنحت أن يختطف زوجته فاختطفها وهام بها فى الأرض، يأكل وإياها من صيده، وولت عنه حضارة والديه.

أليس ذلك كافياً فى إحداث البدائية الأولى؟!

---

(12) ول ديورانت - قصة الحضارة - المجلد الأول - الجزء الأول ص 7.

مع ملاحظة أن ديورانت يستخدم كلمتى (مدنية وحضارة) بمعنى واحد . انظر تعليق المعرب بالحاشية الأولى ص3 - نفس المرجع

(4) نفس المرجع ص 19.

(1) راجع فى القرآن الكريم - المائدة - 27 - 31.

وتفسير ابن كثير للآيات.

والعهد القديم - سفر التكوين 4/ 2-15.

كتاب الشهر

بين الإنسان الطبيعى والإنسان الصناعى

تأليف
محمد تقى الأمينى

٢

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

بعد أن عرف المؤلف بالنفس الإنسانية في الرؤية الإسلامية من خلال ذلك الاستعراض التحليلي المستفيض أعلن أنه يسعى من وراء هذا الاستعراض للتعرف على الغرائز وخواصها وتأثيراتها: للاستدلال على أن النشاط المادي والمعنوي والجسمي والروحي يمنحنا إشارة بارزة إلى أن نشأة الإنسانية وسموها، وارتفاع ملامحها يتوقف على تزكية الغرائز وتربيتها.

وبناء على هذا لم يختر الله ـ تعالى ـ لأحد أن يستأصل الجذور النفسية العميقة، ولا أن يمزق أوصالها الغائرة في الحياة الإنسانية.

كما أعلن أن خواص النفس وتأثيراتها وأنشطتها موجودة كلها من بدء الحياة، وليست ثمرات للارتقاء من أدنى حالة إلى أعلى. وأن القرآن الكريم لفت الأنظار إلى ذلك في قوله تعالى:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾(١)

ولكن للعقل المنحرف رؤية أخرى

ويستعرض المؤلف أبعاد الضلال عن حقيقة النفس الذي أدى إليه انحراف العقل حين استبد به الغرور مع التقدم الصناعي.

فهذا (داروون) لا يجد فرقا بين الإنسان وغيره من الكائنات المادية، لأن أصل الإنسان ـ في رؤية العقل ـ حيوان في طراز جسمه ونفسه. والخصائص الوجدانية والإنسانية ليس لها منهل فذ تستقي منه، اللهم إلا تلك النتائج والثمرات التي تنشأ عن استخراج الجبلات الحيوانية بمحاولات الارتقاء من الأدنى إلى الأعلى.

وبناء على هذا فإن أصل الإنسان الأعلى، والتيار الرئيسي المحرك له مادي. أما الجوهر الروحي، والأشواق العليا فليسا بموجودين في أصله، وإنما هي في جبلته التي تكون النزعات الطبيعية والخلقية أولا، ثم تنشيء ـ بعد ذلك ـ القوى الفكرية بواسطة النزعات الطبيعية والخلقية نفسها.

وهذا التحليل الميكانيكي للإنسان يعني أن الجبلة الحيوانية فقط هي مصدر الأسس النفسية، والنزعات الطبيعية والخلقية، وسائر الخصائص الوجدانية والإنسانية، وجميع الأفكار والحركات التي تقوم عليها الحياة.

وهذا (فرويد) جعله انحراف عقله يرجع الحركات الإنسانية إلى الشعور واللاشعور. أما الشعور فيعني به الطاقات التي زود بها الإنسان، من التفكر والتدبر، والتصرفات العقلية وغيرها. وأما اللاشعور فهو الذي تنبع منه العواطف والتخيلات والأوهام كلها، والعلاقة بين الشعور واللاشعور كالعلاقة بين الزبد والبحر.

ومن هذه الرؤية ينطلق (فرويد) مقررا أن فطرة الإنسان ـ أو ما هيته ـ ليست بجوهر مستقل، يمكن أن يكون له نشاط أرفع من العواطف الجنسية، والشهوات الحيوانية.

---

(١) الشمس (٧ - ١٠).

ومقررا أن الإنسان شقي وسيء الحظ من بداية خلقه، وهو عبد للحاجات الخزية الحيوانية من أول يومه، لأن اللاشعور - في تقدير فرويد - هو الينبوع العميق للخصائص الإنسانية والقيم الأخلاقية.

وهذا يعني: أن نشاط الإنسان في العلم والإبداع والفلسفة والأخلاق، وغير ذلك ليس نشاطا أصيلا له مكان مستقل وأساسي في الفطرة الإنسانية، بل هو مجرد متاع للتنفيس عن الشهوات المستوردة والمكبوتة رغما عنها.

ويعني: أن الدين ليست له حقيقة معنوية أساسية في الفطرة الإنسانية، بل إن الإنسان قد اخترعه من وحي الخيال، فأصول الأخلاق والأفكار العالية حواجز صناعية اخترعها المجتمع لئلا يلحق الضرر بالشهوات الجنسية الماجنة.

كما يعني: أن الخير والشر والتفريق بينهما لا حقيقة له في الواقع، بل هما من مبتكرات الإنسانية ومخترعاتها.

ومن هنا.. يقرر المؤلف أن رؤية العقل المنحرف للنفس الإنسانية تباين من كل وجه رؤية الإسلام لها، فبينما ينكر العقل المنحرف وجود الأسس الروحية للإنسان. نجد الرؤية الإسلامية لا تنكر وجود الأسس المادية له، بل إنها لتحمل على الاعتراف بامتزاج الأسس الروحية بالأسس المادية، وتفرض أن الأسس المادية تتطهر وتسمو بامتزاج الأسس الروحية بها.

ويقرر: أن هذا التباين بين الرؤيتين لا يتضح فحسب من الموازنة الفكرية أو الذهنية، ولكنه - إلى ذلك - يتضح من الموازنة الواقعية والتطبيقية، حيث يظهر أثر كل وجهة على الإنسان في تكوينه، وفي سلوكه الفردي والجماعي، وفي سائر مناحي الحياة.

الاندفاع إلى القلق والاضطراب

وبعد أن أوضح المؤلف - بالموازنة الفكرية والمنطقية - التباين بين الإنسان الطبيعي والإنسان الصناعي أخذ في استعراض مظاهر هذا التباين في حياة الإنسان.

فقدم صورة للإنسان الصناعي في مقابلة الإنسان الطبيعي، فأخذ في كشف النقاب عن أثر الهيمنة المادية على سلوك الإنسان حيث أرانا المادة تسري في جميع مظاهر حياة الإنسان الصناعي الشخصية ومقوماته، لأن القوى المنطلقة منه، والطاقات الكامنة فيه، والاستعدادات المذخورة في كيانه.. كلها قوى وطاقات مادية أصيلة، وليست ممتزجة بالطاقات الروحية في ذاتها، ولا هي متعلقة بواجبات الإنسان في ما هيتها، حتى لقد انحصر المثل الأعلى له في الحوائج الدنيوية ومتطلباتها، فلم يعد الهدف الصالح لطاقاته وجهوده إلا الغذاء والكساء، والإشباع الجنسي. أما القيم الأخلاقية والفضائل الإنسانية فلم يعد لها قيمة حقيقية، بل هي عنده تابعة للنتائج والأرباح على المستوى الميكانيكي، فإذا تغيرت هذه المنافع تغيرت القيم والفضائل معها.

فالقيم الأخلاقية التي تضبط المكاسب الدنيوية هي التي يتعاظم نفوذها، كالأمانة في التجارة والانضباط في الأعمال الشاقة، والالتزام بالوقت، وحب الوطن، إلى غير ذلك من القيم التي تتوافق مع المكاسب المادية.

أما القيم الأخلاقية التي لا تتفق مع المكاسب الدنيوية فإن نفوذها ليس عظيما، وذلك كقيمة العفة والشرف، والحياء والأدب، والحب، وصدق النية، والإخلاص، بل إن الأخلاق المضادة لها هي التي تسيطر، كالوقاحة والفاحشة والأنانية، وقسوة القلب، والنفاق، والظلم، ونحو ذلك.

وعلى هذا يصبح الرجل الصالح الناجح في مجتمع الإنسان الصناعي هو الذي يكون أوسع نفوذا وقوة، وإن كان كالحيوان المفترس.

ومع أن هذا الإنسان الصناعي - بما يبذله من جهد - قد كشف كثيرا من الأسرار المادية في الكون، وبلغ بالحضارة المادية شأوا بعيدا.. مع هذا نراه قد دمر القيم الأخلاقية والروحية، فلم يبق مكانا تطمئن فيه القلوب والأرواح، فاستبد به القلق والاضطراب، وتمكنت منه الحيرة، حيث يجد نفسه - على الرغم مما يملك - مازال مجهدا معنى، بل ازداد إجهادا وعناء، وخوفا ورعبا.

وما ذلك إلا لأنه حصر نفسه وحياته في دائرة المادة، فافتقدها الروحانيات، بما تحققه للإنسان من رؤية متوازنة، تجعل الحياة عنده غير محدودة بالدنيا، بل هي موصولة بما بعد الموت، وتوجهه إلى أن يغترف من معين الوحي الإلهي، كما يغترف من معين العقل المادي، فلا ينحصر ارتقاؤه في المجال المادي الدنيوي، بل يرتقي بجوهره إلى أعلى نواحي الحياة، فتنمحي القلاقل والاضطرابات من حياته، ويجد السكون والراحة.

نعم.. إن تمكن القيم المادية من الإنسان الصناعي ملأته بالغرور، فظن أنه لم يعد في حاجة إلى أحد غير كفاحه وعمله، وبالتالي: لم يعد في حاجة إلى الأسرة والتزاماتها، فصار بين الناس كائنا منعزلا، لا يستشعر أنساً ولا مساندة، ولا مواساة من أحد، إذ نضب معين العواطف الإنسانية في كيانه، حتى تلاشت، أو كادت تتلاشى.

ولذلك.. نجد قصارى ما يصنعه لأولاده - إن فرضت عليه الظروف أولادا - اختراع ما يسمى بمأوى الأطفال يلحق به أطفاله ودور المسنين يلحق بها الآباء، والشيوخ والأمهات العجائز، حتى يخلص لنفسه في مهاويها المادية.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل إن اندفاع الإنسان الصناعي في هذه السبل المادية، قد دفعه في كثير من المواطن إلى أن يرى في الزواج وزرا أو قيدا ثقيلا، فانطلق في سبيل الإشباع غير المقنن الذي هيأ له الدعارة أحد مظاهر الحرية، فسادت الفوضى والتحلل والانحلال.

المرأة بين الإنسان الفطري والإنسان الصناعي

ومن هذا المنطلق المتباين - في تقدير الأسرة - بين الإنسان الملتزم بقوانين الفطرة (الطبيعي)، والإنسان الخاضع لصنعة الرؤية المادية البحتة (الصناعي).. من هذا المنطلق تختلف حقيقة المرأة ودورها، ومكانتها في نظريهما.

فبينما نجد الإنسان الطبيعي يقدر المرأة حق قدرها، فيكفل لها مساواة تامة، من حيث الحقوق الإنسانية والدينية والروحية ويوزع المسئوليات بينها وبين الرجل ليقوم كل بدوره الذي هيئ له في تكوين الأسرة والحفاظ عليها، دون جور أو إهمال، انطلاقا من الدستور السماوي الذي يصرح بذلك في قوله تعالى:

﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾(٢).

وقوله تعالى:

﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾(٣).

وقوله تعالى:

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾(٤).

ولذلك فارتباط الرجل بالمرأة لابد من أن يقوم على أسس وقواعد، تتحقق بها وظائف كل منهما، فالزواج أساس الرعاية والقوامة، وهو ينبوع السعادة والهناءة، ولذلك عده الإنسان الطبيعي أقدس عقد في الوجود، تسكن به المودة والألفة، وتهدأ به الميول والشهوات، وتستقر به النزعات والرغبات، ويصان به الشيوخ من الانقباض والاستيحاش.

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾(٥)

أي إن هذا الارتباط الوثيق بين الرجل والمرأة يقوم على الحب والتضحية، والقيم العالية، والفضائل الروحية، لأن الإنسان الحقيقي يراعي - في هذا الارتباط - الجانب المعنوي المحقق لتجنب المحرمات، وحسن الطباع.

أما الإنسان الصناعي فإن كان رجلا وأراد اختيار زوجة لم يجذبه إليها إلا المظهر المادي، فغالبا ما يختارها من المسارح والملاهي والمتنزهات، حيث تبدي من مفاتن الجسم ما يثير ويغري.

وإن كانت امرأة لم تقبل إلا على الرجل الجسيم أو الثري، أو الذي ينمق الكلام، ويخفي السم في العسل.

فالرجل الطبيعي يرتبط بالمرأة لإعفاف النفس، وتحقيق الألفة والسكن، والحفاظ على النوع، ولذلك تفر من العزوبة التي يدعو إليها الإنسان الصناعي، ويحض عليها.

ولذلك أحاط الإسلام المرأة برعاية عائلية كبيرة، وبسياج من الحماية متين وكريم، وأقام الأسرة على دعائم من الرعاية، والقوامة، والمودة والرحمة، تهيىء لكل فرد أن ينطلق في أرجاء الحياة آمنا من عوائق الواقع، ومجاهيل المستقبل، بما تنشئه من تكافل وتآزر وتعاون.

أما العقل المادي فلا يعترف بشيء من ذلك، إذ يجعل الإنسان (الصناعي) لا يشعر إلا بوجوده وحده، حيث قوض هذا العقل في نفسه بناء الأسرة واقتلع جذور المجتمع، فصارت أحاسيس الاغتراب تطارده، فيهرب منها إلى المزيد من الأثرة والأنانية، حتى أصبح كالظمآن الذي يطلب الريَّ في الماء المالح، فلا يزداد إلا ظمأ، ويضطر إلى شرب مزيد من الماء المالح، فالعلاقة المادية والاقتصادية التي تبنى على المصالح الفردية المجردة والمنافع الشخصية البحتة تثير الأنانية البغيضة، والنفعية الانتهازية، والصراع الدائم

---

(٢) النساء (٣٢).
(٣) النساء (٣٤).
(٤) البقرة (٢٢٨).
(٥) الروم (٢١).

العنيف، وتجعل الهدف الأسمى: (كل وعش)، وتحبب إلى النفوس عبودية القوة المادية، وعبودية العقل المادى، الذى لا يدرك الصورة السليمة للإنسان.

ومن هنا.. حاول الإنسان أن يزيل عن نفسه ما ألم به من قلق وإجهاد، فالتجأ إلى خلق أشكال وأوضاع الهيت فيه نيران الشهوات، وهيجت نوازع الجنس، وشجعت الدعارة والفاحشة التى تحولت بها المرأة إلى سلعة تعرض للاستمتاع فقط. وبالغ فى الخوف فأطلق على كل ذلك وصف الحرية.

الاقتصاد بين الأثرة المادية والإيثار الفطرى

ولأن المادة شعار الإنسان الصناعى ومقصده.. قامت الغايات الاقتصادية عنده على تلبية الحوائج البدنية، والاقتضاءات الحيوانية فقط، من غذاء وكساء، ومتاع حسى، وإشباع جنسى.

والإنسان الصناعى -فى مسعاه لتحقيق تلك الغايات- قادته قدماه -أو عقله- فى طريقين متباينى المظهر، وإن اتفقت بهما الغاية.

١- فهو إما أن يطلق للفرد حريته فى السلوك الاقتصادى، فلا يعيب جشع الجشع، بل يحضه عليه ليستولى على ما يقدر من ثروات ومصادر إنتاج، دون اكتراث بما يؤدى إليه ذلك من إخلال بالتوازن، وصراع يجعل الناس طبقتين متنافرتين، إحداهما ضعيفة، تبذل كل طاقاتها، ولا تحصل إلا على الكفاف. والأخرى قوية، تتحكم فى كل شىء، وتستغل ضعف الضعيف لتستمتع بكل ما تريد، دون نظر إلى ما يترتب على ذلك من إهدار كرامة الإنسان وشرفه، وإفساد خلقه وضميره، وإشاعة الحقد فى النفوس.

٢- وإما أن يستغل حقد الحاقدين على الأثرياء، فيثير ثائرتهم، ويهيج أحقادهم، ويواصل خداعهم بدعوى أن كل أسباب الترقى الإنسانى تقوم على العوامل الاقتصادية، فهى وحدها التى تبنى عليها حياة الإنسان ومكانته، ومقوماته، أما القيم الروحية فما هى إلا مخدر اخترعه الأثرياء ليبقوا الضعيف على ضعفه، فلا ينهض لينازعهم حول ما اغتصبوا من الثروات، ولا ينافسهم فى السعى وراء المزيد.

ولذلك.. تراه يدعو هؤلاء الضعفاء المعوزين إلى التخلص من تخدير تلك القيم، ونبذ هذا الأفيون المسمى بالدين السماوى، والثورة على الأغنياء وانتزاع ما بين أيديهم ليعاد توزيعه من جديد.

فالطريقان -على اختلافهما الظاهرى- يتفقان حول جحود العقيدة الربانية، وإنكار العوامل الروحية وآثارها. وما الفرق بينهما فى الحقيقة إلا كالفرق بين المنافق والكافر الصريح، فهما يقومان على تمجيد المادة، بيد إن أحدهما سخر الفرد فى التنسك لها، والآخر سخر الجماعة فى ذلك.

أما الإنسان الطبيعى، فلأن شعاره الإيمان بما وراء المادة، فهو يبنى نظامه الاقتصادى على أساس يجمع بين النفع المادى، والطاعة لله الخالق، حتى إن تصرفاته الاقتصادية تسلك فى ضمن عبادته لله، وطاعته إياه، ولذلك تراه يقيم بناءه الاقتصادى على كل ما يدور داخل هذا الإطار الإيمانى:

١- فلا يحق لفرد -باسم الحرية- أن يهيمن على كل مصادر الرزق الأساسية، لأنها عامة مشاعة، ومسموح للجميع أن يفيدوا منها، لكل قدر ما يبذل من طاقة.

﴿ هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾(٦)

---

(٦) البقرة (٢٩)

٢ـ ملكية الأشياء ـ بالأصالة ـ لله وحده، وملكية الأفراد إنما هي بالإنابة، ليعين بعضهم بعضا على صيانة الحياة وتنميتها ورقيها.

﴿ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾(٧).

﴿ وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ﴾(٨).

٣ـ لذلك.. فإن النواحي الاقتصادية في الإسلام تقوم على القيم العالية، والمثل الروحية، فلا يصح أن يتوصل بالخداع والغش في تحصيل المال، فهو ـ لذلك ـ أنهى ممارسة الربا والقمار، والميسر والغش، والاحتكار، وغير ذلك من الوسائل الشاذة.

وما يملك المرء ليس كله خالصا له، وإنما فيه حقوق للآخرين. يجب عليه أن يؤديها لهم، كالزكاة والصدقات.

٤ـ لا يجوز أن يحرم فرد من ضرورات الحياة والمعاش في حال من الأحوال، فالفرص متاحة لكل فرد حسب استعداده ومؤهلاته. وعلى كل فرد أن يبذل قصاراه في اكتساب ما فوق الضرورات الأساسية، ملتزما بقيم الإسلام.

﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ﴾(٩).

﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾(١٠)

ففي ظل الاقتصاد الطبيعي (الإسلامي) يجب على الدولة أن تؤدي واجباتها الاقتصادية نحو الأمة أفرادا وجماعات، ولها أن تسن من التشريعات ما ينظم الثروات والملكيات داخل الإطار الإسلامي، كي تكفل تحقيق تلك الحاجات الأساسية.

مكان الأخلاق والقيم من السياسة

وفي الفصل التاسع [النظام السياسي بين الإنسان الطبيعي والصناعي] يقفنا المؤلف على دور التجرد المادي في نظم الحكم وسياسة البلاد، فيذكر أن الإنسان الصناعي قاده خلوصه المادي إلى الاسترشاد بفكر (ميكافللي) الذي حطم في الإنسان القيم العالية، والفضائل الإنسانية، وحولته إلى آلة صماء جافة تضحي بكل شيء في سبيل غايتها، وتصنع كل شيء ترى أنه يحقق ما تريد، وتسلك كل طريق يقودها إلى مبتغاها، فالدولة ـ كما قال ميكافيللي ـ سياسية فقط، لا أخلاقية، ولا قانونية، فكل كذب وخداع واضطهاد مباح مادام يشبع رغبة قومية، أو يمكن من توسيع حدود دولية، أو يمكن من إحكام سلطة سياسية.

ومن هنا.. اتخذ هذا الإنسان الصناعي شتى الوسائل التي تمكنه من غايته المنشودة.. تدفعه قوى النفعية والانتهازية والأنانية البغيضة، فاستباح لنفسه كل شعار يتمكن به من تحقيق مآربه، فاتخذ من الديمقراطية ـ التي هي أروع مظاهر التآزر الاجتماعي، وأرقى أشكال الحكم ـ شعارا يخدع به الآخرين بما يلفه من إبهام وغموض يجعل منه نظما عديدة، لا تقف عند حد، فالديمقراطية التي يعتنقها الإنسان الصناعي تستغل نسبة الحاكمية للشعب والجمهور الذي يقوده الرغبات والعواطف الرديئة، بل إنه ليفوض إلى هذا

---

(٧) الحديد (٧).

(٨) النور (٣٣).

(٩) الملك (١٥).

(١٠) هود (٦).

الجمهور - بوضعيته المادية السافلة - حق التشريع، وتحديد الخير والشر، والتمييز بين المعروف والمنكر.

بل إن اعتماد الإنسان الصناعي - في السياسة - على ما تفرضه المادة من قيم يقوده إلى جعل العقل وحده مصدر التشريع ووضع برامج الحياة، على الرغم من أن تجارب الحياة اثبتت أن هذا العقل تتغير رؤاه بتغير الأحوال التي يمر بها الإنسان، فما يحلم به اليوم، ويسعى إليه قد يطرأ عليه ما ينفره منه ويبغضه فيه، لأنه خلق هلوعا، إذا مسه الشر يصير جزوعا، وإذا مسه الخير يصير منوعا، فلم - ولن - يوجه عقل يدرك غوامض الحياة الإنسانية في أبعادها.

وفي المقابل يقدم المؤلف النهج السياسي الذي يلتزمه الإنسان الطبيعي، حيث يعتنق فكرة الإيمان بالسيادة الكاملة والحاكمية المطلقة، والنفوذ الأعلى لله - تعالى:

﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾(١١).

ويتحرك إلى غاية واضحة محددة. هي العبودية لله - تعالى، وإقامة الحق والعدل.

﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾(١٢).

ويدور في محور الدستور الأساسي له، وهو كتاب الله خالق الإنسان الذي لا تبديل لكلماته

﴿ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾(١٣).

ومن هنا.. يقيم الإنسان الطبيعي نظامه السياسي على:

١- الخلافة العمومية، لا الحكومة المستقلة، ولا السيادة المتجبرة التي يقودها الهوى.

﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾(١٤).

٢- العدالة الشاملة التي لا يخل بميزانها الحب أو البغض، ولا تغير قواعدها المودة والشنآن.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾(١٥).

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾(١٦).

٣- التشاور مع أهل الحل والعقد، مع المرونة في التطبيق وفقا للظروف والمتغيرات.

---

(١١) الزخرف (٨٤).
(١٢) الحج (٤١).
(١٣) فصلت (٤٢).
(١٤) ص (٢٦).
(١٥) النساء (١٣٥).
(١٦) المائدة (٨).

﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾(١٧).

٤ـ المساواة الإنسانية فى الإكرام، وحفظ النفس والعرض والمال، وحرية الفكر والدين.

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾(١٨).

٥ـ إقامة العلاقات الدولية على السلام والوفاء بالعهود.

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾(١٩)

٦ـ الاجتهاد المتصل والدائر فى داخل الإطار القرآنى مع أهل العلم والخبرة فى استنباط الأحكام المتعلقة بما يجد من الأمور.

فالإنسان الطبيعى ـ فى سياسته ـ متوازن، لا يميل إلى التضييق فى الأمور، ولا يسمح بتكلف الاتساع إلى درجة تتعدى حدود الله.

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾(٢٠).

وبعد:

فالكتاب ـ فى مجمله ـ يقدم مضمونا يسهم فى كشف ما وقع فيه الإنسان فى العصر الحديث، حين خدعه التقدم العلمى الهائل الذى قاد إليه العقل البشرى، وحين فتنته القوة المادية الجبارة التى أوصله إليها هذا العقل، فوجد أنه قادر على تذليل كثير من ماديات الحياة، فأغفله كل ذلك عن حقيقة كينونته، وتوهم أنه بهذا العقل يستطيع أن يهمل الجانب الروحى والوجدانى للحياة، فاعتقد أن بيده وحده تنظيم حياته، وأنه ليس فى حاجة إلى الإيمان بوجود إله خالق، ينظم للإنسان حياته، ويحاسبه على ما قدم فى الحياة الآخرة. فالعقل المادى هو إلهه الذى لا يخضع إلا له.

ومع يسر أسلوب المؤلف.. ووضع عباراته.. نرى أنه اندفع وراء تحمسه وانفعالاته، فلم يكن دقيقا فى ترتيب فصول الكتاب، فجاء الفصل السادس (التعليم ومعاييره بين الإنسان الحقيقى والصناعى) فاصلا بين الفصلين الرابع والخامس، ويتعلقان بالحياة الشخصية والأسرية والمرأة، وبين الفصل السابع (المسئولية الاجتماعية بين الإنسان الحقيقى والإنسان الصناعى)، كما أنه لم يلتزم نهجا محددا فى كل فصل، فمرة يبدأ بالإنسان الصناعى، وأخرى يبدأ بالإنسان الطبيعى، وقد اضطره ذلك إلى الوقوع فى التكرار المثقل.

أيا ما يكن.. فإن تلك الملاحظات إن هى إلا ملاحظات جانبية، لا تنتقص من أهمية الكتاب، خصوصا فى ظل الدعوة العارمة إلى العولمة الأمريكية بمفاهيمها المادية المتسلطة بخدعها وأوهامها، فالرجل يهتف بما هتف به شعيب عليه السلام فى قومه:

﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ﴾(٢١).

---

(١٧) آل عمران (١٥٩).
(١٨) البقرة (٢٥٦)
(١٩) الممتحنة (٨).
(٢٠) المائدة (٣).
(٢١) هود (٨٨).

قراءة نقدية فى كتاب

عرض وتعليق
الأستاذ الدكتور
أحمد فؤاد باشا(*)

١

عالم المعرفة
سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت
صدرت السلسلة في يناير 1978 بإشراف أحمد مشاري العدواني 1923-1990

281

تاريخ الطب

من فن المداواة إلى علم التشخيص

تأليف: جان شارل سورنيا
ترجمة: د. إبراهيم البجلاتي

تمهيد : إن الحملة على الإسلام ومصادره لم تهدأ منذ بزغ نوره، ومحاولات التهوين من دوره فى تشييد صرح الحضارة الإنسانية تتخذ أشكالاً مختلفة وأساليب متنوعة منذ ظهور الاستشراق الذى كان فى الأغلب - ولايزال - يشكل الجذور الحقيقية لتغذية عمليات التبشير، ويوفر المناخ الفكرى الملائم لفرض السيطرة الاستعمارية على بلاد العالم الاسلامى، والذى كان فى الأغلب - ولايزال - يعمل فى المقام الأول بكل مالديه من أدوات وأساليب من أجل أن يحول بين العقل الأوروبى وبين معرفة حقائق الإسلام.

وإذا كانت التيارات المعادية للإسلام قد دأبت على التشكيك فى أمور من صميم العقيدة الإسلامية ذاتها، وسعت جاهدة إلى تشويه الصورة الحقيقية للإسلام بتأويل نصوصه المقدسة

(*) الكاتب نائب رئيس جامعة القاهرة

والبحث عما يدعم حجتهم من أحداث شاذة في التاريخ الإسلامي ليس لها صفة العموم، إلا أن عدداً من المنتمين لبعض هذه التيارات لجأ بخبث خلال العقود الأخيرة إلى مهاجمة الإسلام دينا وحضارة، متخذاً من العلم الحديث ومنهجه رداءً خادعاً لكي تبدو مزاعمه وكأنها نتاج منطقي للمعرفة العلمية وتعبير حقيقي عن الواقع الإنساني وزاد من ضراوة هذه الحملة المسعورة في السنوات الأخيرة ماوفرته تقنيات الاتصال والمعلومات من منافذ لإثارة العديد من الشبهات ضد الإسلام وحضارته في مقابل الأدبيات العديدة التي ظهرت لتحذر من خطر الإسلام على أي نظام عالمي جديد يستبعد الدين من دائرة التأثير في توجيه شئون الحياة الدنيا واستدعاء العلم وحده لكي يقوم بهذا التأثير.

إننا ننبه هنا إلى وجود نوع جديد من الاستشراق لايكتفي بمعرفة الشرق من أجل اختراقه وإحكام السيطرة عليه، ولكنه يهدف أيضا ـ باسم العلم ومن خلاله ـ إلى بث أفكار خاطئة عن الإسلام والمسلمين باختراق الثقافة الإسلامية ذاتها . وعرضنا لمثل هذه القضية ـ التي تستحليها من لسان الحال في عصر العولمة والمعلومات، ويؤيدها العلماء المستشرقون أنفسهم بلسان المقال، يمثل من جانبنا دعوة إلى فهم أعمق لطبيعة علاقتنا مع حضارة العصر المادية . . وهذا بدوره يمثل جزءاً من الإجابة عن سؤال أعمّ وأخطر هو: كيف نريد لمستقبل أمتنا الإسلامية أن يكون؟!! . .

دعـــاوى مفنـــدة

كان آخر ماقرأت في الأسابيع الماضية كتاب «تاريخ الطب من فن المداواة إلى علم التشخيص»، تأليف أستاذ الطب الفرنسي جان – شارل سورنيا وترجمة د. إبراهيم البجلاتي، وهو إصدار مايو ٢٠٠٢ من سلسلة عالم المعرفة التي يشرف عليها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت. ويعرض هذا الكتاب لسيرة علم الطب منذ ماقبل التاريخ، مروراً بالعصور الوسطى وعصر النهضة الأوربية الحديثة، ووصولاً إلى عصر انفجار المعرفة والتقنيات. وقد لاحظت منذ البداية تحيز المؤلف لثقافة الغرب المادية ومحاولة التأصيل لها بالرجوع إلى ما أسماه «التراث اليهودي المسيحي المشترك»، وهو اتجاه سبقه إليه عدد من المؤرخين والمستشرقين غير المنصفين الذين يتعاملون مع التاريخ وفق منهج انتقائي يختارون من أحداثه وحقائقه مايخدم ميولهم التعصبية. وظهور هذا الكتاب الذي انبثق من قلب الثقافة الغربية يرتبط هذه الأيام ارتباطا وثيقا بالجدل الدائر بين المثقفين حول طبيعة العلاقة بين الحضارات والثقافات، حيث ينقسم المفكرون شرقا وغربا بشأن هذه القضية إلى تيارين كبيرين: أحدهما ـ وهو الأعلى صوتا والأضعف حجة ـ يؤسس هذه العلاقة على مبدأ «الصراع الداروني» الذي يحدد البقاء للأقوى، والآخر – وهو الأخفض صوتا والأقوى حجة وإقناعا – يؤسسها على مبادئ الحوار والتكامل والتفاعل والتواصل.

(١) وقد تبنى الكتاب الذى أشرنا إليه دعاوى وافتراءات عدة فى حق الإسلام والحضارة الإسلامية، منها «أن المؤمنين فى بلاد الإسلام اليوم يؤسسون علمهم الطبى على «الطب النبوى» (ص٨٤)، وأن «كتاب القانون فى الطب لابن سينا ركام غامض لاتستطيع أن تستخرج منه أى استنتاج ذى فائدة عملية للمرضى»، فالمؤلف يؤكد تقديره لابن سينا كفيلسوف، ولكنه يحتفظ بإعجابه للرازى كطبيب (ص٨٩) وهو بهذه العبارة يحاول أن ينفى صفة التجريبية عن واحد من رواد العلم الإسلامى التجريبيين. ولو كان مؤرخا منصفا لعلم أن الأطباء فى عصر الحضارة الإسلامية ينقسمون - فيما يرى جورج سارتون - إلى مجموعتين: الأولى مجموعة الممارسين الذين اهتموا فى المقام الأول بالمرض والتشخيص والعلاج معتمدين على الملاحظات والمشاهدات، والفلسفة عندهم وسيلة لبلوغ الغاية، ويمثل هذه المجموعة أبو بكر الرازى الطبيب الفيلسوف.. أما الفريق الثانى فهو فريق المدرسيين الذين درسوا الطب على أنه جزء من المعرفة لاغنى عنه، وسعيهم إلى استكمال المعرفة هو الذى دفعهم إلى الطب وممارسته بأسلوب منطقى، ولهذا أطلق عليهم «الفلاسفة الأطباء» ويمثلهم الشيخ الرئيس ابن سينا صاحب كتاب «القانون» الذى جمع خلاصة الفكر اليونانى واحتوى على غاية ماوصلت إليه الحضارة الإسلامية فى مجال الطب تجربة ونقلا وتصحيحا وابتكاراً. والواضح أن كلا الفريقين



صفحة من مخطوط «المنصورى فى الطب» لأبى بكر الرازى
(من مقتنيات دار الكتب المصرية).

من الأطباء يتبع المنهج التجريبي في البحث الطبي ويعتمد عليه بصرف النظر عن أنه غاية أو وسيلة ، فالتقدم نحو إدراك الحقيقة أو الاقتراب منها لا يتحقق إلا بالتجربة العملية.

وكيف لايكون ابن سينا طبيبا تجريبيا وهو الذي يؤكد على أهمية اتباع المنهج التجريبي والتريث قبل استخلاص النتائج ، فيقول: «علينا الا نثق بنتائج تحليل البول إلا إذا توافرت الشروط التالية: أن يكون البول أول بول من المريض، أي بول الصباح، على الا يكون المريض قد شرب ماء بكثرة أو أكل مايمكن تلوين بوله كالزعفران. كذلك يجب على المريض الا يقوم بحركات خاصة أو يتبع نظاما على غير عاداته. لأن كل هذا يؤثر كثيرا في تركيب البول.. إذن فالنتائج التي نصل إليها من تحليلنا لبول تعتمد على لونه وكثافته.. ومدى صفائه أو تعكره وعلى رائحته ورغوته..» وعن الاستدلال على المرضى من البراز قال ابن سينا أقوالاً مشابهة لما قيل في الاستدلال بالبول.، فهو يرى أن البراز يدل بلونه ومقداره وقوامه ورائحته ووقته.

نعم.. كيف يكون ابن سينا في نظر مؤلف كتاب «تاريخ الطب» مجرد فيلسوف وهو الذي اكتشف داء الفيلاريا والحمرة الخبيثة المسببة للحمى الفارسية، ووصف بدقة تقيح التجويف البلوري، وميز بين الالتهاب الرئوي الحاد والالتهاب السحائي الحاد، وفرق ـ فيما ذكر المترجم في الحاشية ـ بين المغص الكلوي والمغص المعوي، وبين شلل الوجه الناشئ عن سبب مركزي في المخ وماينشأ عن سبب موضعي. واكتشف ابن سينا طفيلية الانكلستوما ووصفها بالتفصيل لأول مرة في الفصل الخامس الخاص بالديدان المعوية من كتابة «القانون في الطب» وسماها «الدودة المستديرة» وتحدث عن أعراض المرض الذي تسببه، وأعاد «دوبيني» اكتشافها بإيطاليا عام ١٨٣٨م، أي بعد اكتشاف ابن سينا لها بتسعمائة سنة تقريبا، وقد أخذت بهذا التصحيح مؤسسة «روكفلر» الأمريكية التي تعنى بجمع كل مايكتب عن هذا المرض.

(٢) لم ير أستاذ الطب الفرنسي «جان ـ شارل سوريا» في كتاب «القانون» لابن سينا أي فائدة عملية للمرضى، ولم يعترف به كطبيب مثل الرازي.. بينما شهد مؤرخو العلم وفلاسفته بأن كتاب القانون نموذج رائع في فن التأليف من ناحية التبويب وجودة العرض ومنطقية الترتيب، وذلك بالمقارنة مع الكتب الطبية الحديثة، مما يعكس الخبرة الطبية لمؤلفه.. فالكتاب يبدأ بالتشريح، ويثني بعلم وظائف الأعضاء، ويتبع ذلك بعلم طبائع الأمراض، أو الباثولوجيا، وأخيرا ينتهي بعلم العلاج.، ولقد عرض ابن سينا نفسه مضمون هذا المنهج في مقدمة كتاب القانون. وشرح الطابع الفلسفي لهذا المنهج ومحاولة تطبيق الاعتبارات الفلسفية كوسيلة لبلوغ الغاية الطبية، بقوله: «رأيت أن أتكلم أولاً في الأمور العامة الكلية في كلا قسمي الطب.، أعني القسم النظري والقسم العملي. ثم بعد ذلك أتكلم في كليات أحكام قوى الأدوية المفردة ثم

جزئياتها ثم بعد ذلك فى الأمراض الواقعة بعضو عضو: ابتدأ أولا بتشريح ذلك العضو ومنفعته، ثم إذا فرغت من ذلك ابتدأت فى أكثر المواضع بالدلالة على كيفية حفظ صحته، ثم دللت بالقول المطلق على كليات أمراضه وأسبابها وطرق الاستدلال عليها وطرق معالجتها بالقول الكلى.. فإذا فرغت من هذه الأمور أقبلت على الأمراض الجزئية ودللت أولا فى أكثرها أيضا على الحكم الكلى فى حده وأسبابه ودلائله. ثم خلصت إلى الأحكام الجزئية، ثم أعطيت القانون الكلى للمعالجة، ثم نزلت إلى المعالجات الجزئية».

واشتهر كتاب القانون فى أوروبا شهرة عظيمة، وطبعت ترجمته كاملا إلى اللاتينية ست عشرة مرة فى الثلث الأخير من القرن الخامس عشر الميلادى، ثم أعيد طبعه عشرين مرة فى القرن السادس عشر. أما الطبعات التى تقتصر على جزء أو أجزاء منه فهى كثيرة ويصعب حصرها لأنها تتجاوز التصور عددا.

وطبع «القانون» بالعبرية فى نابلى عام ١٤٩٢م، كما طبع بالعربية مرتين.. الأولى بروما عام ١٥٩٣م والثانية بالقاهرة عام ١٨٧٧.. كان هذا حظ «القانون» لابن



٦٣

المذكورة في ساير الفصول ...

الفصل الثامن عشر في تشريح العضد
عظم العضد خلق مستديرا ليكون ابعد من
قبول الافات وطرفه الاعلى محدب يدخل في نقرة
الكتف بمفصل رخو غير وثيق جدا وبسبب
رخاوة هذا المفصل يعرض له الخلع كثيرا والمنفعة
في هذه الرخاوة امران حاجة وامان اما الحاجة
فسلاسة الحركة في الجهات كلها واما الامان فلان
العضد وان كان محتاجا الى التمكن من حركات شتى
الى جهات شتى فليست هذه الحركات تكثر عليه
وتدوم حتى يخاف انهتاك اربطته وتخلعها بل
العضد في اكثر الاحوال ساكن وساير اليد متحرك
وكذلك اوثقت ساير المفاصل ومفصل العضد
تعضده اربعة اربطة احدها مستعرض غشائي
محيط بالمفصل كما في ساير المفاصل ورباطان
نازلان من الاخرم احدهما مستعرض الطرف يشتمل
على طرف العضد والثاني اعظم واصلب ينزل
مع رابع ينزل ايضا من الزيادة المنقارية في جزء
معه لها وشكلها الى العرض ما هو خصوصا عند
مماسة العضد ومن شانهما ان يستبطنا العضد
فيتصلا بالعضل المنضودة على باطنه والعضد
مقعر الى الانسي محدب الى الوحشي لتكن بذلك
ما يتعمد عليه من العضل والعصب والعروق

صفحة رقم «٦٣» مخطوط «القانون فى الطب» لابن سينا
(من مقتنيات دار الكتب المصرية)

سينا، فى الوقت الذى لم تنل فيه مؤلفات اليونان الطبية إلا قدرا ضئيلا من الحظوة يتمثل فى الأقوال المأثورة عن أبو قراط وجالينوس.

«يتبع»

التأثيرات الإسلامية في العبادة اليهودية

تأليف: نفتالى فيدر

ترجمة: د. محمد سالم الجرح

عرض وتحليل:
الأستاذ الدكتور
محمد إبراهيم الفيومى

(١)

قصة ترجمة الكتاب

هذا عنوان بحث أصدره الباحث اليهودى نفتالى فيدر باللغة العبرية فى أكسفورد ١٩٤٧م.

عالج فيه أثر العبادة الإسلامية على العبادة اليهودية مثل: غسل الرجلين، اغتسال الجانب، إلغاء صلاة السر، اصطلاحات جماعة الحسيدين (الناسكين) فى الصلاة، السجود، جلسة البارك، استقبال القبلة أثناء الجلوس الاصطفاف، بسط اليدين.................. إلخ.

قام بترجمته أستاذ اللغات السامية د. محمد سالم الجرح، ومن العرفان بالجميل فقد صدره الأستاذ المترجم بتصدير أعرب فيه عن شكره للأستاذ الكبير المرحوم عباس محمود العقاد فهو الذى طلب ترجمة هذا السفر الذى يتحدث بإنصاف منهجى بالغ عن علاقة العبادة اليهودية بالدين الإسلامى يقول فى تصديره: الحق أنه ينبغى أن أهدى هذه الرسالة عن «التأثيرات الإسلامية فى العبادة اليهودية» إلى الذكرى الخالدة لفقيدنا الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد، فلولاه ما أعرت هذه الرسالة أو موضوعها أى اهتمام. لقد أصدر الباحث اليهودى Naphtali Wieder بحثا باللغة العبرية بهذا العنوان فى أكسفورد عام ١٩٤٧م. وخرج الكتاب يحمل على غلافه الخلفى العنوان الإنجليزى Islamic Influences on the Jewish Worship ووقعت عين الأستاذ العقاد على هذا العنوان الشيق فى إحدى قوائم الكتب التى كان المغفور له لا يكف عن فحصها، فطلب الكتاب لفوره وفوجئ، عند وصوله أنه باللغة العبرية

وليس فيه ما حرر بالإنجليزية غير صفحة العنوان الخلفية، فترك الكتاب جانبا بعد أن أحس دون شك بقدر كبير من الأسف لعجزه عن الإلمام بوجهة نظر الباحث في مثل هذا الموضوع الهام.

ومضت السنون، وجاءني في نهاية صيف ١٩٦٢ أحد أصدقائي من تلامذة الأستاذ العقاد، هو الزميل الأستاذ أحمد حمدى إمام، يقترح عليّ أن أقوم للأستاذ العقاد بترجمة هذا الكتاب العبري إلى اللغة العربية، وقبلت مغتبطا ولكني لم أكد أبدأ العمل فيه حتى جد موضوع سفرى إلى الولايات المتحدة الأمريكية للعمل محاضرا زائرا في الدراسات العربية والسامية بجامعتها ودفعني حرصي على إرضاء المرحوم الأستاذ العقاد بترجمة هذا الكتاب من جهة، وعلى خدمة الوطن والعلم بالتأهب للرحلة إلى أمريكا من جهة أخرى أن أنتدب لمساعدتي في ترجمة الكتاب أحد طلابي النجباء وهو الأستاذ عرفة حسين مصطفى الذى كان قد تخرج في آداب عين شمس بدرجة الليسانس في اللغة العربية وآدابها بجدارة وتفوق. وأنجزنا ترجمة البحث، وأعدت الأصل والترجمة إلى الأستاذ العقاد وطرت إلى أمريكا في نوفمبر سنة ١٩٦٢، وخلت أن صلتي بهذا البحث قد انتهت ربما إلى الأبد، وخلال إقامتي بالولايات المتحدة، وقيامي بالتدريس في جامعة بنسلفانيا بمدينة فيلادلفيا نمى إليّ خبر وفاة الأستاذ العقاد ولم تكد تتخلى عني قليلا موجة الأسى على فقدنا لهذا الأديب الكبير حتى وقع في ذهني ذكر هذا البحث وترجمته، وأحسست أنهما قد يقبعان تحت غبار النسيان بين الأكوام الهائلة من الكتب التي تضمها مكتبة الأستاذ العقاد دون خلاص أو إنقاذ فبدأت لفوري أفتش عن نسخة أخرى من البحث العبري لاقتنيها، ولكن نسخه جميعا كانت قد نفدت، فاستعرت النسخة الخاصة بالدكتور S.D Coition الأستاذ بجامعة بنسلفانيا، وكان عليها إهداء المؤلف له وقمت بتصويرها، ثم انتهزت فرصة وجودى بين كثيرين ممن يجيدون اللغة العبرية في جامعة بنسلفانيا، فطلبت من أحدهم أن يسجل البحث على شريط، وبدأت مستعينا بهم وبالصور الشخصية والشريط المسجل للبحث أعيد النظر في ترجمته وأعلق على ما يستدعي التعليق من فقراته.

ثم يتحدث عن دوافع سعيه لنشره فيقول:

والذى يجعلني أسعى لنشر هذا البحث باللغة العربية هو طرافة موضوعه واتخاذه في عرض العلاقة بين اليهودية والإسلام اتجاها مضادا لما درج عليه الباحثون من اليهود خاصة، والمستشرقين عامة، من التصدى في أبحاثهم لتأثير اليهودية على الإسلام[1] اعتمادا منهم على أنه مادام ظهور اليهودية على مسرح التاريخ أقدم من ظهور الإسلام، فإنه لا مفر من أن يؤثر السابق في اللاحق. وقد فندنا نحن خطأ هذا الزعم في أول حاشية لنا على مقدمة مؤلف هذه الرسالة[2] أما هذا البحث فإنه يتعرض للاتجاه المقابل فيوضح كيف تأثرت

---

(١) ـ من أحدث ما ظهر في هذا الموضوع كتاب Judaism in Islam للباحث اليهودى Abrahab J.Katsh نيويورك ١٩٥٤ ويضم في نهايته قائمة طويلة بما سبقه من أبحاث لليهود والمسيحين في نفس الموضوع

(٢) ـ انظر ص٩ هامش١ من هذه الرسالة

مظاهر العبادة في الديانة اليهودية بالنظم الإسلامية، ومن ثم تأتي طرافة هذا البحث من الناحية العلمية من جهة وأهميته لنا كمسلمين من الجهة الأخرى. وصحيح أن البحث يتناول جزيئات قد لا تعبر عن تأثير جذري للإسلام على اليهودية ولكن الباحث وهو يهودي يكرر خلال بحثه أن ظهور التأثير في هذه الجزيئات لم يكن عرضا مظهريا لتأثر قادة اليهود وزعمائهم في الدولة الإسلامية بروح الإسلام وفلسفته واتجاهات مبادئه إلى النظافة والنظام في المظهر وإلى الزهد والإخلاص في النفس بل إنه كثيرا ما يسمى التأثير الإسلامي الذي أدخله قادة اليهودية إصلاحا[٣].

أثر البيئة الإسلامية على المدارس اليهودية

يبدأ الأستاذ نفتالي بحثه عن أثر الإسلام في اليهودية من نقطة الاستشراق الأساسية التي تحكم عمل الاستشراق في بحوثهم عن الإسلام وهي التي عبر عنها الأب «روبير كاسبار» بقوله «لا شك أن للديانة اليهودية تأثيرا كبيرا واضحا على نشأة الدين الإسلامي وتطوره، فكثيرا من أسس هذا الدين ترتد إلى مصدر إسرائيلي فضلا عن أن كثيرا من معتقداته كانت قد نبتت في تربة اليهودية أولا واتسمت بطابعها[٤].

إن الغرب لم يفهم الإسلام على حقيقته بل ولم يحاول ذلك مطلقا وحتى خيرة المسيحيين القلائل الذين كانوا يعيشون على مقربة من الإسلام من أمثال «يوحنا الدمشقي، تيودور أبي قرة» لم يتمكنوا من إدراك جوهر الإسلام وعظمته التي تتمثل في السمو إلى الله الواحد. ولعل ذلك يرجع أساسا إلى أن الغرب المسيحي قد اكتفى لعدة قرون طويلة بتشويه الإسلام ومؤسساته بأسخف الأقوال دون أن يكلف نفسه عناء دراسة هذه العقيدة.

فأول ترجمة لاتينية للقرآن لم تظهر إلا في القرن الثاني عشر أي بعد خمسة قرون من ظهور الإسلام وقد تمت بناء على مبادرة «بطرس المبجل» وتمت تحت إشراف أسقف دير كلوني ولابد لنا من إضافة أن هذه الترجمة وكل الترجمات التي تمت بعدها لم يكن لها أي هدف سوى أن تكون الأساس لتوجيه المزيد من الاتهامات ضد القرآن وتلك الاتهامات التي امتدت سلسلتها على مدى قرون تتناثر عليها بعض أشهر الأسماء[٥]، وكان أركون شديد الحذر من أن يغلب عليه مناهج الاستشراق فيقع في أخطائه وهو يعالج كتابه الفكر الإسلامي «نقد واجتهاد» فنراه يقول:

---

(٣) ـ يقول المؤلف في مقدمته مثلاً: إن الديانة اليهودية تأثرت تأثرا عظيما بالبيئة الإسلامية فقد أدت التيارات الروحية التي غمرت هذه البيئة طوال مئات السنين إلى ثورة في الحياة الروحية لليهود المقيمين في الأصقاع العربية...... وقد عظم هذا التأثير أولا وقبل كل شيء في ميدان الفكر الديني والنظر الفلسفي..... إلخ..... يتكرر هذا المعنى خلال صفحات بحثه كله.

(٤) ـ يرجع المؤلف نواحي الشبه بين اليهودية والإسلام إلى تأثير الديانة الأولى على الثانية نظرا لأن الأولى أسبق في التاريخ ومن الممكن مناقشته بأنه مادام مصدر الأديان السماوية واحداً وهو الله. ووسيلة تبليغها للبشرية واحدة وهي الوحي والرسل، وهدفها واحد وهو بث الخير بين البشر. وحتى بيئتها الجغرافية واحدة وهي الوطن السامي فلا يكون من الغريب أن تتفق في كثير. ولا ينبغي أن يعزى كل اتفاق بينها إلى تأثير السابق في اللاحق (الجرح).

(٥) ـ دفاع عن القرآن ضد منتقديه باللغة الفرنسية د. عبد الرحمن بدوي ترجمة كمال جاد الله.

«آمل ألا أكون في الصفحات التالية قد استسلمت للمماحكات الجدلية أو انسقت إليها أقول ذلك على الرغم من أن بعض الأحكام المسبقة الشائعة والرازحة بعناء في المجتمعات الأوروبية تجاه العرب والإسلام تبرر أحيانا تقديم الأجوبة الحادة، ليس فقط من أجل التنديد بالجهل العام، وإنما من أجل التنديد بالموقف السائد للفكر الغربي تجاه الثقافات الأخرى التي يتحكم مسارها وتطورها عن طريق فرض نماذجه وقوالبه عليها[٦]».

لكن بعد الدراسات المتأنية لدى بعض المستشرقين الأكاديميين صورة أخرى للإسلام ناصعة غير ما كانت عليه من قبل، فبعد ما كان الإسلام صورة مشوهة لليهودية والمسيحية، غدا الإسلام نظاما له أصوله وله عقيدته وله شعائره المتميزة وذلك ما قام به البروفيسور نفتالي فيدر في بحثه الذي نعرض له، وشأن الدراسات المنهجية قام الباحث بعرض موجز تتبع فيه أثر البيئة الإسلامية على المدارس اليهودية فيقول:

والمعروف من الجانب الآخر أن الديانة اليهودية تأثرت تأثيرا عظيما بالبيئة الإسلامية، فقد أدت التيارات الروحية التي غمرت هذه البيئة طوال مئات من السنين -إلى ثورة في الحياة الروحية لليهود المقيمين في الأصقاع العربية؛ إذ أن المسائل الدينية التي قتلتها المدارس الإسلامية بحثا عرفت طريقها إلى مدارس أحياء اليهود، وقد عظم هذا التأثير أولاً وقبل كل شيء في ميدان الفكر الديني والنظر الفلسفي حين شعرت المراكز الثقافية اليهودية بالحاجة إلى حل المشكلات الدينية الفلسفية التي صارت موضوع نقاش وبحث، بسبب ما وقع فيها من تضارب في الآراء بين الفرق الإسلامية المختلفة.

ومن الناحية الشكلية اتخذ اليهود لأنفسهم مناهج العرب العلمية في فروع الدين، والأخلاقيات، والنحو، وتفسير الكتاب المقدس.

بل حتى في ميدان الشريعة فإن كتاب MISH nah Totah [٧]. الذي يبهرنا ببنائه وترتيبه ليس سوى ترتيب لمواد الشريعة الضخمة وفقا للنظام الذي وضعه علماء الفقه المسلمون[٨].

وليس هذا فحسب بل إن كبار المشرعين لم يتحرجوا من أن يستخدموا في تآليفهم أفكار وخواطر مأخوذة من التأليف في الإسلام وفلسفته. وكثيرا ما توغل هذا التأثير حتى في استعمال كلمات نجدها حيث لم نكن نتوقعها تماما، ويكفي ذكر شاهد واحد هو هذه العبارة:

«y wrnw rbnw wshkhrw kfwl mn hshmym».

«فليفتنا سيدنا وأجره مضاعف في السماء» فهذه العبارة التي اقترنت طوال مئات السنين

---

(٦) ـ الفكر الإسلامي نقد واجتهاد د. من أركون ترجمة هاشم صالح دار الساقي.

(٧) ـ كتاب وضعه موسى بن ميمون الحكيم اليهودي الذي توفي بمصر عام ١٢٠٤م ومعنى عنوانه «تثنية التوراة» وهو بحث منظم عن الفقه والتشريع اليهودي استمده وألفه من التلمود وشروحه وهوامشه. وقسمه إلى أربعة عشر كتابا عبر اللاحقون به عن إعجابهم ـ بها عندما أطلقوا عليها Ydhhzqh «يد القوة» والقيمة العددية للكلمة الأولى هي ١٤ أي عدد الكتب التي يضمها هذا المؤلف.

وقد جاء في كتاب إسرائيل ولفنسون «موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته» ص٤٥ وما بعدها عرض لهذا المؤلف «الجرح».

(٨) ـ انظر جولد تسهير SDMG XXXV, 774 -775.

بالأسئلة التي كانت تعرض على الجاءونم رؤساء الطائفة اليهودية ومن خلفهم - مصدرها هي الأخرى من الخارج.

اليهودية والمسيحية والإسلام

يعرض نفتالي في بحثه للإسلام والمسيحية وعلاقة اليهودية بهما ويقدم به للموضوع لجدارته بالدراسة فهو لم ينل ما يستحقه من البحث ولا يزال يحتاج إلى كثير من الدرس العلمي الصحيح وكانت قضية التأثر والتأثير بين اليهودية والمسيحية والإسلام دائما كان الإسلام هو المدان لأنه الأخير زمانه لكن نفتالي قلب القضية وأقامها على رأسها حين رأى أن ظاهرة التأثير قد تغلغلت أيضا إلى قلب العمل الديني والعبادة الدينية، كما ظهر في شعائر الصلاة في الكنيس.

وهذه الظاهرة تنطوي على تجديد زائد؛ فإن اليهودية منذ القدم شادت من حول حدود العمل الديني سورا عاليا كي تمنع تسلل التيارات الخارجية، والعقيدة الكامنة في وصايا التوراة «هي لا تقلدوا عادات الأمم» فمثل هذه العقيدة لم تنشأ إلا لتكون سدا في وجه المؤثرات الخارجية. وعلى الرغم من كل هذا فالمعروف عن الديانة اليهودية أنها لم تسلم من المؤثرات. وفيما يتعلق بدين العرب فقد تضافرت عوامل عدة على تهيئة القلوب لقبول تأثيره وارتضائه: الأخوة في الأصل واللغة، والتقارب في الطباع، ثم قبل كل شيء التوحيد الشريف الذي امتاز به ذلك الدين، الأمر الذي أدى إلى استثناء عدد من الجاءونيم «أي رؤساء الدين» للمسلمين من بقية الأمم فيما يتصل بالقوانين الخاصة المنصوص عليها بحسب حكم التلمود. وتبعهم أيضا الحبر موسى بن ميمون، فالدين الإسلامي وحده لا يعد في نظره دينا وثنيا تماما.

ثم سار ابنه الحبر إبراهيم الميموني خطوات أبعد من ذلك فجاء فأخرج المسلمين من القاعدة القائلة «لا تقلدوا عادات الأمم» وأفتى بأن ذلك يحاكي عاداتهم لا يعد مستبيحا لما حرمته القاعدة. ولا شك أن مثل هذا الموقف المتسامح كان يهدف إلى فتح ثغرة أكبر من رأس الإبرة ينفذ منها التأثير الأجنبي على العادات اليهودية.

غســـل الرجليـــن

ظهر هذا التأثير أساسا بطريقتين:

أولاً: باستيعاب عادات تختص بالعبادة لا أساس لها في التقاليد الإسرائيلية.

ثانياً: بإحياء عادات قديمة قد اندثرت من عند اليهود تحت تأثير أسباب معينة.

وهنا يجدر بنا أن نشير على وجه الخصوص إلى ظاهرة هامة وهي أن العادات التي هجرها اليهود بدافع العزلة والابتعاد عن النصرانية ارتدت ثانية إلى اليهودية بتأثير من الدين الإسلامي. وعلى أي حال فليست الغاية من هذا البحث استقصاء الموضوع والإحاطة به من كل جوانبه بل فتح باب البحث فيه.

كان ذلك التشريع الوارد في «تثنية التوراة» والذي يقضي بغسل القدمين قبل صلاة الصبح SH hryt في نظر الحبر إبراهيم بن داود لغزا لم يجد له حلا «لست أدري لماذا رجليه؟» ولم يجهر بمثل هذه الكلمات

ليخالف الحبر موسى بل أتى ليعبر عن دهشته: «من أين جاء بمثل هذا الفرض؟ وما أصله؟ وما مصدره؟». وقد تعب شراح الحبر موسى ومفسروه في أن يميطوا اللثام عن هذا التشريع ويكشفوا عن مصدره. وهناك حقيقة تنطوي على فائدة جليلة، وهي أن ما عثروا عليه بعد البحث والتنقيب في التلمود هي الفقرة التالية، غير أن شرحهم على هذه الفقرة لا يثبت أمام النظرة الناقدة:-

فممن خفيت عليهم كلمات الحبر موسى بن ميمون في هذا الصدد الحبر عزائيل هيلد سهيمر الذي عثر على نص في «هلخوت جدلوت» مخالف للنسخة التلمودية المتفق عليها وهو «من يريد أن يأخذ على عاتقه ثقل السماوات والأرض فليتوجه ويغسل يديه ورجليه» فلم يستطع أن يقدم أي تفسير لهذه الكلمات الزائدة «ورجليه» سوى أن تكون خطأ من الناسخ. ومنذ عدة سنوات وجد جاكوب مان - في إحدى قطع الجنيزة(٩) «سفر الأعمال لبناء فلسطين» الذي يرجع إليه الفضل في نشره وفيه وجوب غسل الرجلين. فنبه إلى أنه لم يعثر على ما يدعم ذلك في الوقت الحاضر.

نشأت هذه الحيرة بسبب الحقيقة القائلة بأن هذه العادة التي نحن بصددها ليس لها أساس في الشريعة التلمودية من ناحية، وبسبب قلة المصادر عن وجودها بين الأقطار الشرقية - من ناحية أخرى، والمصادر التي نذكرها تدل على سعة انتشار هذه العادة وأنها شملت تقريبا في كل الأقطار الإسلامية «سفر الأعمال لأبناء فلسطين».

إن عادة غسل الرجلين قبل الصلاة مأخوذة من العبادة الإسلامية وعندما تتمثل أمام أعيننا الأهمية البالغة التي انفرد بها الوضوء في الإسلام تتكشف لنا حقيقة قبول هذه السنة وانتشارها العظيم بين اليهود في الشرق. وكان لأهمية الوضوء البالغة أن أطلق عليه في واحد من الأحاديث النبوية عبارة «نصف الإيمان» وليست ماهية هذا الوضوء كماهية الوضوء اليهودي. فيتحتم في الوضوء الإسلامي بالإضافة إلى غسل اليدين إلى المرفقين غسل الرجلين إلى الكعبين، ومسح الرأس، ومسح الأذنين وما خلفهما، والمضمضة. والاستنشاق... إلخ.

وإزاء هذا الفارق الكبير لم يتمكن اليهود أن يدفعوا الشعور بالاستياء الذي لحقهم من جراء وضوء المسلمين البالغ العناية، بل كانوا يشعرون بالضعة لأنهم يتسرعون في عبادة الله إذا قيسوا بجيرانهم المسلمين. وتعجب اليهود من سبق العرب لهم في هذا المضمار وهم في رأيهم أدنى منهم مرتبة. ونحن نجد تعبيرا عن هذا الشعور لدى الشاعر الصوفي. مناحيم دي لونزانو الذي حض على العناية بغسل الرجلين بقوله:

لا يكن العربي أكثر منك طهارة..........

الذين يغسلون أيديهم وأرجلهم بالماء في الفجر، وظهرا وعشية.

---

(٩) وجدت بكنيسة الشاميين بالفسطاط - بقرية كنيسة بربرة التابعة للأقباط الأرثوذكس مخطوطات كثيرة يرجع بعضها إلى العصر الذي سبق ظهور المسيحية ومعظمها يرجع إلى العصر الفاطمي والأيوبي وهذه المخطوطات تعد من أنفس المصادر وأقدمها في تاريخ اليهود في مصر والبلدان المجاورة باسم أدب الجنيزة - والجنيزة hgnyzh كلمة عبرية تعني الكنز أو الدفين وتطلق على مخزن في المعبد تدفن فيه الأوراق المهملة ولذا أطلق اسم أدب الجنيزة على ما وجد مدفونا من أوراق.

وحتى فى الليل؛ بينما يشتد البرد ويسقط الثلج.

وفى ضوء الحقائق التالية تتضح أيضا قوة التأثير الذى صدر عن البيئة الأجنبية فقد كانت مسألة الوضوء قبل جميع الصلوات بصفة عامة وغسل الرجلين فى حالات خاصة نقطة الخلاف بين الفرقتين الدينيتين الإسلاميتين أعنى الشيعة وأهل السنة، فنادى أصحاب مذهب أهل الشيعة استنادا إلى نص القرآن بوجوب الوضوء قبل كل صلاة من الصلوات الخمس اليومية بينما اكتفى أصحاب السنة بوضوء واحد لسائر الصلوات ما دام لم يأت فى غضون ذلك ما يوجب التطهر من جديد من قضاء حاجة أو نوم.... إلخ، وقد احتدم الجدل فى العالم الإسلامى حول هذه المسألة إلى الحد الذى اتهم فيه السنيون بمحاولة تزييف نص القرآن حتى يتفق ونظامهم.

ونشب خلاف آخر أشد عنفا حول مسألة أخرى. فإزاءالشروط الثقيلة لغسل الرجلين أجازت المذاهب الأربعة المسح على الخفين بدلا من غسل القدمين ولكن فقهاء الشيعة عارضوا هذه الرخصة. ومما أجج نار الخلاف اعتبار علماء السنة أن رخصة المسح على الخفين تمثل أصلا من أصول الدين وأن من لا يقره يكن زنديقا.

ومما يدل على هذا التأثير أن تطهير الرجلين لم يكن وحده هو الذى صادف هوى وقبولا بين اليهود، بل اقتبسوا أيضا سائر أركان الوضوء نحو غسل الذراعين وما وراء الأذنين ومسح الرأس والاستنشاق. وهذه الظاهرة التى يستنكرها الحبر إبراهيم بن داود تستحق تأكيدا خاصا. لأنها تلقى كثيرا من الضوء على عظمة التأثير الإسلامى فى العبادات اليهودية.

ويأخذ بهذا الرأى أيضا الحبر الفانت إبراهيم بن راميام الذى سنجده فيما بعد يدخل الإصلاحات على شعائر الصلاة طبقا للعبادة الإسلامية وقد خصص للمسألة التى نحن بصددها شبه ملحق خاص فى كتابه «كفاية العابدين» ويجدر بنا هنا أن نذكر كلماته بحذافيرها؛ فهو يقول فى معرض كلامه عن غسل اليدين، وكتب فى الملحق:

والذى يجب أن نضيفه إلى وجوب تطهير الرجلين، هو أنه إذا كان غسل اليدين ضروريا لا يمكن التخلص منه فالمستحب والمفضل هو غسل اليدين والرجلين معاً، وليس هذا فقط.

الصلوات بالمقارنة إلى التقربات تعتبر تنظيمات، ولأن الصلوات تحل محل الصلوات القرابين ولأن التوراة قالت «.... أو عند اقترابهم إلى المذبح يغسلون أيديهم وأرجلهم لئلا يموتوا.. إلخ» فمن الضرورى أن يحرص على غسل يديه ورجليه عند كل صلاة وإلا يكف عن فعل ذلك حتى لم تجد ضرورة لأننا استندنا إلى قول دواود: «أغسل يدى فى النقاوة» نستند أيضا إلى الآية: «ويغسلون ... إلخ. لأن هذا مماثلة عبادة «بيت المقدس».

والذى يمعن فى هذه الكلمات يرى أنها تبدأ بالوصية وبالثناء على التوسع فى غسل الرجلين عند كل صلاة وتنتهى بالدفاع عن هذا الغسل عموماً.

وهذه الظاهرة، أعنى ما رآه الحبر إبراهيم يحتم عليه أن يدافع عن هذه العادة القديمة تفيدنا أنه كان فى أيامه من يعارضها. ولا يبتعد عن جادة الصواب إذا فرضنا أن هذه المعارضة قامت من بين الأوساط التى ناوأت إبراهيم الميمونى من جراء إصلاحاته والتى يجب أن تعتبر منها طلبه غسل الرجلين قبل كل صلاة.

الأقلية العربية في إسرائيل

للأستاذ/ صلاح عبد الرحيم محمد

تمثل الأقلية العربية فى إسرائيل، بقية الفلسطينيين من «عرب ١٩٤٨»، الذين ظلوا يعيشون، حتى الآن، فى فلسطين التاريخية، وقد ألجأتهم ظروف الاحتلال الإسرائيلى لأرضهم عام ١٩٤٨ إلى حمل الجنسية الإسرائيلية وصاروا، تبعاً لذلك، من مواطنى إسرائيل التى أطلقت عليهم اسم «عرب إسرائيل».

ويبلغ عدد هذه الأقلية الفلسطينية الآن ما يزيد على مليون نسمة، وهم يشكلون حوالى ٢٠٪ من سكان إسرائيل، الذين يبلغ عددهم ٦,٣ مليون نسمة. وتنقسم هذه الأقلية العربية إلى عدة فئات، أكبرها الأغلبية المسلمة التى يصل عددها إلى ٧٥٠ ألف نسمة، ويمثل البدو العرب ١٠٪ من هذه الأقلية وكان معظم هؤلاء البدو من الرعاة الرحل الذين يقيمون الآن، فى المناطق الجنوبية حول بئر سبع، ثم يليهم المسيحيون العرب فى المرتبة التالية من حيث عددهم، وهم ينتمون إلى الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية أما الدروز فيعيشون فى ٢٢ قرية ومدينة، ويبلغ عددهم ١٠٠,٠٠٠ نسمة، وهم يمارسون حياتهم فى نطاق ثقافى واجتماعى خاص.. وتأتى الفئة الأخيرة التى تصنفها إسرائيل فى إطار الأقلية العربية وهم «الشراكسة» الذين يصل عددهم إلى ٣٠٠٠ نسمة، وهم ينتمون إلى المسلمين السُّنة، إلا أنهم ليسوا من أصول عربية. واللافت للنظر أن إسرائيل تعفى أبناء الأقلية العربية من الخدمة العسكرية فى الجيش الإسرائيلى، إذ ترى فيهم أقلية معادية، وخطراً على أمن الدولة، باستثناء الدروز والشراكسة، ولذلك فإن هاتين الفئتين تتمتعان بمكانة خاصة متميزة فى المجتمع الإسرائيلى.

وفيما يتعلق بوضع الأقلية العربية داخل إسرائيل، وطبيعة العلاقة بدولة الاحتلال فيمكن رصد تيارين سياسيين رئيسيين: التيار الأول يدعو إلى استمرار الاندماج من جانب الأقلية العربية فى الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى إسرائيل على أساس جديد يحقق



عزمي بشارة: لم تحمه عضويته بالكنيست الإسرائيلي من الضرب والإهانة عندما احتج على أوضاع العرب داخل إسرائيل

مساواة أكبر.

ويأتي على رأس الجماعات الداعية للاندماج العربي «الحزب الاشتراكي الإسرائيلي» المعروف باسم «ماكي» وحلفاؤه في «الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة» وأيضاً حركة التجديد العربية التي يرأسها عضو الكنيست العربي «أحمد الطيبي». وكل هذه الجماعات والأحزاب السياسية تجد نفسها في صراع دائم مع القوى المهيمنة من الصفوة اليهودية الإسرائيلية الحاكمة، التي تخطط لعزل الأقلية العربية عن الدوائر السياسية والاجتماعية في إسرائيل، وحرمانها من نصيبهم في الرفاه الاجتماعي والاقتصادي. وقد عبرت الحركة المطالبة بالاندماج عن معارضتها لإنشاء برلمان عربي إسرائيلي، لكن على الرغم من ذلك، فإنها أكدت على أهمية المشاركة الإيجابية في الكنيست الإسرائيلي خاصة فيما يتصل بالتشريعات المتعلقة بالمساواة المدنية، ومنح العرب حقوقهم الوطنية كأقلية قومية معترف بها. وفي هذا الإطار يؤكد الداعون للاندماج على تعزيز التعاون مع العناصر المتعاطفة في المجتمع اليهودي، إذ يعتبرون هذه العناصر هي الحليف الطبيعي مع الأقلية العربية في نضالهم للحصول على المساواة الفردية، والاعتراف بهويتهم القومية، ودعم مبدأ تسوية الصراع الإسرائيلي الفلسطيني على أساس دولتين لشعبين. أما التيار الثاني فيدعو إلى الانعزال عن المجتمع الإسرائيلي العام، إما على أساس علماني وطني، أو ديني إسلامي. ويمكن تقسيم الحركات المطالبة بالانعزال إلى فرعين أساسيين: الأول الفرع العلماني الوطني، ويمثله الائتلاف الوطني الديمقراطي الذي يرأسه عضو الكنيست العربي «عزمي بشارة» والثاني الفرع الأصولي الإسلامي الذي تمثله الحركة الإسلامية التي تتألف من جماعتين ترأسها الجماعة الأشد تطرفاً بزعامة «رائد صلاح» عمدة مدينة أم الفحم.. وتعارض الحركتان العلمانية والإسلامية فكرة اندماج العرب في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في إسرائيل حيث يرون هذا الاندماج بأنه عملية «أسرلة» كما يرى المطالبون بالانعزال أن عضويتهم في الكنيست

هي شر لابد منه من أجل حماية حقوقهم في مواجهة حكومة إسرائيل المعادية، بالإضافة إلى ان تواجدهم داخل الكنيست قد يسمح لهم بوضع خطة لتسوية إشكالية انتماء الأقلية العربية في إسرائيل، كما يضع المطالبون بالانعزال خطوطاً فاصلة بين قضية المساواة المدنية على المستوى الفردي والتي يمكن تحقيقها بتحويل إسرائيل إلى «دولة لكل مواطنيها»، وبين موضوع اليهودية القومية الجماعية إذ إن هناك بالفعل شعبين منفصلين، يعيشان في نفس الدولة هما الشعب اليهودي، والشعب الفلسطيني، ومن الأهمية بمكان ان نذكر أن ثمة عدداً من المسلمات الرئيسية التي تحكم سياسة الحكومة الإسرائيلية حيال الأقلية العربية في إسرائيل ان تنظر دولة إسرائيل إليهم باعتبارهم طابوراً خامساً، وانهم ضيوف غير مرغوب فيهم، كما تعتبر حاجات، ومطالب القطاع العربي غير مشروعة، وليست ملحة كحاجات القطاع اليهودي، فنجد طوال سنوات الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين التاريخية منذ عام ١٩٤٨ أن هذه الرؤية المتعصبة هي التي تحكم سياسات الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة تجاه القطاع العربي في إسرائيل. هذا وقد ترتب على هذه الرؤية التمييزية ضد العرب في إسرائيل ما يلي:

ـ وجود عشرات القوانين المنحازة ضد السكان العرب انحيازاً واضحاً، بما فيها القوانين المنظمة لمكانة الوكالة اليهودية، واتحاد نقابات العمال اليهود «الهستدروت».

ـ وجود الكثير من الأنظمة التي كرست مصادرة الأراضي والأملاك العربية من قبل الدولة، وتحويلها إلى أملاك يهودية.

ـ استخدام القوانين والأنظمة التي تميز بين العرب، واليهود على أساس فوارق شكلية تحت مسميات خادعة متحازة مثل «مهاجر جديد»، أو «متخرج من الجيش».

ـ التمييز في مخصصات الميزانية في غير صالح الأقلية العربية في مختلف المجالات كالتعليم والرفاه، والشئون الدينية.

ـ قد يتمتع العرب في إسرائيل بالحقوق مادامت لا تتعارض مع النصوص الصهيونية التي تعلن «ان إسرائيل هي في الأساس دولة الشعب اليهودي».

ـ المعاملة القاسية التي يعامل بها الجيش والشرطة الإسرائيلية الأقلية العربية، أثناء الاضطرابات والتظاهرات، مثلما حدث في أكتوبر ٢٠٠٠ عندما ثار عرب الناصرة، وأم الفحم في تظاهرة وطنية تضامناً مع أبناء الضفة الغربية وغزة في انتفاضتهم ضد العدوان الإسرائيلي، فقد قتل في هذه المواجهة مع الشرطة وحراس الأمن الإسرائيلي ١٣ فلسطينياً من عرب ١٩٤٨، بالاضافة إلى إصابة ما يزيد على ١٠٠٠ فلسطيني.

ومما يجدر ذكره ان ما حدث في أكتوبر ٢٠٠٠، قد كشف النقاب عن التفصيلات الملموسة المتعلقة بالمظالم التاريخية التي مازالت الأقلية العربية تعاني من جرائها في إسرائيل.

ومنذ عام ١٩٤٨، وهو عام النكبة، وحتى الآن، فإن إسرائيل تتابع تنفيذ «المشروع

الصهيوني » بتغريب الأقلية العربية فيها من خلال منظومة من السياسات الحكومية التمييزية، وأساليب مصادرة الأراضي العربية، ونقل ملكيتها من العرب إلى اليهود، وقد أصبح الصندوق القومي اليهودي، والوكالة اليهودية، وإدارة أراضي إسرائيل أدوات أساسية لتحقيق أهداف المشروع الصهيوني في الاستيلاء على أراضي العرب. ومن المعروف أن اليهود عام ١٩٤٨ كانوا لا يمتلكون بصورة شرعية إلا نحو ٥٪ - ٧٪ من أراضي فلسطين التاريخية ولكن بسبب أساليب المصادرة للأراضي العربية صار العرب الفلسطينيون في إسرائيل اليوم لا يملكون أكثر من ٣,٥٪ من الأرض. وأحب أن ألفت الانتباه إلى أنه في حين تم إنشاء أكثر من ٧٠٠ مستعمرة يهودية في إسرائيل منذ اغتصاب فلسطين عام ١٩٤٨، فإن القطاع العربي لم يشهد إنشاء بلدة عربية واحدة حتى الآن. ومن جهة أخرى فإن القرى العربية التي تم الاعتراف بها من جانب السلطات الإسرائيلية مثل قرية « عين حوض » و« عرب النعيم ». مازالتا محرومتين من وجود شوارع وكهرباء ولا يسمح لسكانها بالحصول على تراخيص للبناء بسبب عدم الانتهاء من التخطيط الهيكلي لهاتين القريتين. ولا يفوتني أن أشير إلى أن ٦٧٪ من البيوت التي يسكنها العرب في المدن المختلطة تعود ملكيتها إلى الحكومة الإسرائيلية بموجب قانون نزع الملكية العنصري عام ١٩٤٨ إذ أن هذا القانون يسمح لحكومة إسرائيل أن تستولي على ما تبقى من هذه البيوت، وتحويلها إلى شقق سكنية للمهاجرين اليهود الجدد، ولايزال المواطنون يعانون من سوء الأوضاع في المدن المختلطة. وحول البطالة التي يقاسي منها الوسط العربي في إسرائيل يشير أحد التقارير الصادرة من الحكومة الإسرائيلية في أغسطس ٢٠٠٠ أن نسبة البطالة على المستوى القومي هي ٨,٥٪، بينما تراوحت في الوسط العربي بين ١٢٪ - ١٥٪، بل تجاوز التمييز في مجال العمالة إلى عدم تشغيل العرب في مؤسسات الدولة، والشركات الحكومية مثل « شركة بيزك للاتصالات العامة ». و« شركة الكهرباء القطرية » وإلى الآن لم يتم توظيف أي عربي، برغم محاولات جادة ومتكررة لأعضاء الكنيست العرب سن قوانين تسمح بتشغيل العرب داخل هذه المؤسسات والشركات. كما تشير الإحصاءات إلى أن فرص العمل أمام النساء العربيات محدودة للغاية، فنجد أن نسبة عمل النساء العربيات هي ٢٤,٧٪ مقابل ٤٧٪ من النساء اليهوديات. كما يتميز الاقتصاد الإسرائيلي بتقسيم عرقي للعمل، فاليهود يهيمنون على معظم مهن « الياقات البيضاء » في التجارة والشئون المالية، بينما العرب يشكلون نصيب الأسد في مهن « الياقات الزرقاء » خاصة في البناء والزراعة ومن المفيد أن أشير إلى أن قوة العمل العربية هي في الغالب الأعم في الأعمال الخشنة مثل النسيج والمعادن والمطاط، بينما اليهود يشكلون السواد الأعظم في الصناعات المتطورة التي تحتاج إلى رأسمال ضخم، وتكنولوجيا متقدمة. أما في مجال التعليم فنجد المدارس العربية تعاني من نقص الاعتمادات

المالية، وقلة التجهيزات الضرورية للعملية التعليمية، بالإضافة إلى العنصرية الواضحة من وزيرة التعليم الإسرائيلي «ليمور ليفانت»، وإهمالها للمدارس العربية، مما دفع القادة العرب في إسرائيل في أغسطس عام ٢٠٠١ إلى التهديد بمنع ما يزيد على ٣٠٠,٠٠٠ طالب عربي من الذهاب إلى مدارسهم.

كما تشير الإحصاءات إلى وجود فجوات في التعليم بين اليهود والعرب في إسرائيل، فنجد في عام ١٩٩٦ أن نسبة اليهود الذين حصلوا على الثانوية العامة هي ٦٧,٤٪ مقابل ٤٩,٤٪ في الوسط العربي، لكن المعيار الرئيسي الذي يُجسِّد هذه الفجوة بين العرب واليهود هو مستوى التعليم العالي في الوسطين اليهودي والعربي، إذ تشير الإحصاءات إلى أن نسبة الحاصلين على الليسانس والبكالوريوس في القطاع العربي هي ٧٪ ونسبة الحاصلين من العرب على الماجستير هي ٣٪، ونسبة الحاصلين من العرب على الدكتوراة هي ٢,٥٪ فقط. لذلك يناشد بعض رجال التربية الحكومة الإسرائيلية إنشاء جامعة عربية، على أن تكون في نفس مستوى الجامعات القومية الإسرائيلية، على أن تنال العناية الفائقة، حتى لا تتحول إلى «جيتو ثقافي» للتعليم العالي العربي.

ولم تعد المشكلة تتوقف فقط عند الفجوات في المنجزات التعليمية، والتمييز في المخصصات المالية، بل هي مرتبطة أيضاً بإنكار حق رجال التربية والتعليم العرب في المشاركة الفاعلة في تحديد برامج التعليم في القطاع العربي، إذ أنه بالفعل لم تجد نداءات التربويين العرب أذانا صاغية، أو استجابة تُذكر من جانب وزارة التعليم الإسرائيلية للسماح لهم بالمشاركة بصورة عملية في تشكيل مضامين برامج التعليم العربي بالشكل الذي يعكس الهوية القومية والثقافية للأقلية العربية، ولا يفوتني أن استرعي الانتباه إلى أن التشريع الإسرائيلي العنصري، مازال قائماً، لم يراع مطالب، وحاجات العرب في إسرائيل، وأخص بالذكر «قانون حق العودة»، الذي بموجبه يحق لكل يهودي في العالم العودة إلى إسرائيل، والتحول تلقائياً، إلى مواطن إسرائيلي، في نفس الوقت الذي لا يسمح فيه للفلسطينيين الذين هُجِّروا بالقوة من فلسطين التاريخية، بالعودة إلى أرضهم، واستعادتهم لممتلكاتهم المغتصبة. وذلك يؤكد، بما لا يدع مجالاً للشك أن إسرائيل ماضية في سياسة التمييز العنصري حيال الأقلية العربية في كافة المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. على أن ما يجب التأكيد عليه، في الختام، أن مسألة المواطنة المتساوية بين العرب واليهود في إسرائيل لن تجد الحل المقبول، ما لم يتم السعي إلى تغيير طابع الدولة العنصري المناهض لأبسط المبادىء الديمقراطية بتحويل إسرائيل من «دولة يهودية ديمقراطية» لجميع مواطنيها عرباً ويهوداً على السواء، مما يمهد السبيل لتغيير سياسة العداء تجاه الأقلية العربية، والاعتراف بهم كأقلية قومية لها حقوقها السياسية والاقتصادية، والاجتماعية والثقافية التي تقرها المواثيق والمعاهدات الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان بصفة عامة، وحقوق الأقليات بصفة خاصة.

عودة ابن بطوطة

للأستاذ / أحمد السيد تقى الدين

محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم اللواتى الطنجى، رحالة مشهور عرف باسم (ابن بطوطة) ولد فى طنجة بمراكش، فى سابع عشر رجب الخير سنة ٧٠٣هـ لأسرة ميسورة الحال، ولما بلغ الثانية والعشرين من عمره خرج قاصدا حج بيت الله الحرام، ليبدأ رحلته التى بدأت يوم الخميس الثانى من شهر رجب الفرد عام ٧٢٥هـ وانتهت بعودته إلى فاس ليلة عيد الأضحى سنة ٧٥٤هـ أى ما يقرب من ثلاثين عاما زار خلالها الجزائر، وتونس، وطرابلس، ومصر، والشام، والحجاز، والعراق، والهند، والصين، والأندلس، وبلاد السودان، (إفريقيا) ورأى فى رحلته مشاهد أدهشت العقول والألباب، وفى ذلك يقول ابن خلدون فى مقدمته: «ورد بالمغرب لعهد السلطان أبى عنان من ملوك بنى مرين رجل من مشيخة طنجة يعرف بابن بطوطة كان رحل منذ عشرين سنة قبلها إلى المشرق وتقلب فى بلاد العراق واليمن والهند، ودخل مدينة (دهلى) حاضرة ملك الهند واتصل بملكها لذلك العهد وهو (فيروزجوه) وكان له منه مكان واستعمله فى خطة القضاء على مذهب المالكية فى عمله ثم انقلب إلى المغرب واتصل بالسلطان أبى عنان، وكان يحدث عن شأن رحلته وما رأى من العجائب بممالك الأرض، وأكثر ما كان يحدث عن دولة صاحب الهند، ويأتى فى أحواله بما يستغربه السامعون، مثل أن ملك الهند إذا خرج إلى السفر أحصى أهل مدينته من الرجال والنساء والولدان، وفرض لهم رزق ستة أشهر تدفع لهم من عطائه، وأنه عند رجوعه من سفره يدخل فى يوم مشهود يبرز فيه الناس كافة إلى صحراء البلد ويطوفون به، وينصب أمامه فى ذلك الحفل منجنيقات على الظهر ترمى بها شكائر الدراهم والدنانير على الناس إلى أن يدخل إيوانه، وأمثال هذه الحكايات فتناجى الناس بتكذيبه..»[1].

(١) مقدمة ابن خلدون، تحقيق الدكتور على عبدالواحد وافى، (٢/٥٦٥) الطبعة الثالثة، دار نهضة مصر للطبع والنشر ـ القاهرة.

ويكلف السلطان المغربي (أبي عنان) وزيره الأديب محمد بن جزي بأن يكتب ما يمليه عليه ابن بطوطة من مشاهداته في رحلاته وأسفاره فتفرغ من كتابتها في ثالث ذي الحجة عام ٧٥٦هـ وأسماها «تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار»[٢].

أتدرون لماذا اخترت ابن بطوطة ورحلته مادة لمقال هذا الشهر؟ لعلكم تجدون الإجابة في رائعة علي محمود طه:

أخي جـاوز الظالمون المدى

فـحق الجـهـاد وحق الفـدا

وأنا لا أملك من عدة الجهاد سوى القلم.. لاتسخروا.. ولاتستنكروا.. ولاتشجبوا.. بل لاتستهينوا.

منذ إعلان قيام دولة إسرائيل هدم الصهاينة ما يقرب من ١٢٠٠ مسجد، وقاموا بتحويل ما يقرب من خمسة وثمانين مسجدا ومقاما أثريا إلى حظائر للخراف والأبقار، ومحطات للوقود، ومخازن، ومطاعم، وخمارات، ومواخير، وكنس ومعابد لليهود.

وفضلا عن ذلك منع أحفاد القردة والخنازير الآذان في المساجد وأحرقوها وقصفوها ودمروها، كما حدث في مسجد عمر بن الخطاب في بيت لحم، ومسجد آل سعد في جنين، ومسجد طولكرم، ومسجد الخضر في نابلس، ومسجد النور في رفح، ومسجد بلال بن رباح في بيت لحم.

وقبل هذا كله لا زال المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة الشريفة والمسجد الإبراهيمي، لا زالت هذه المساجد مغلقة في وجه المصلين لا يرفع منها الآذان، يعبث فيها اليهود فسادا.

ويوما بعد يوم يمضي بنو صهيون قدما نحو إزالة الطابع الإسلامي لفلسطين الحبيبة، فلسطين السليبة، ولكن لن ينجحوا.. بُعْدٌ وهيهات أن يكون لهم ذلك.

من أجل ذلك نستحضر على صفحاتنا اليوم رائدا من رواد الحضارة الإسلامية ليحدثنا عن فلسطين ومشاهداته فيها نستضيف اليوم (ابن بطوطة) محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم

---

(٢) طبعت في لندن للمرة الأولى سنة ١٨٢٩م عندما قام (القس صموئيل لي) بترجمة قسم كبير منها إلى اللغة الإنجليزية.

ثم قام العالمان الفرنسيان (دي سلان) و(إدوارد ديلوريه) بترجمة جزء كبير منها نشر في المجلة الأسيوية سنة ١٨٤٢ ـ ١٨٤٧ باللغة الفرنسية.

ثم طبعت باللغة اللاتينية سنة ١٨٨١م عندما عثر المستشرق (كوسغارتن) على أسفار منها توضح رحلات ابن بطوطة إلى بلاد أفريقية، وفارس، وبلاد التتر، والجزائر.

ثم عثر المستشرقان (دفريمري) و(سانجونتي) على نسخة كاملة من الكتاب باللغة العربية فقاما بترجمتها إلى اللغة الفرنسية ونشرها في أربعة مجلدات.

كما ترجمها المستشرق الألماني (مزيك) إلى الألمانية سنة ١٩١١، ونشرها في هامبورج.

وترجمت كذلك إلى اللغة التركية باسم (تقويم وقائع).

أما الطبعة العربية الأولى منها فصدرت في القاهرة مترجمة عن الطبعة الفرنسية في مجلدين سنة ١٨٧١م، ثم صدرت منها طبعة ثانية سنة ١٩٠٤م (انظر مقدمة مهذب رحلة ابن بطوطة للمرحومين الأستاذين: أحمد العوامري، ومحمد أحمد جاد المولى)

اللواتي الطنجي، فإذا كان بنو صهيون يستندون في ادعاءاتهم في أرض فلسطين إلى خرافات وأساطير فنحن نستند إلى تاريخ وماض لاينكر.

قلت: مرحبا بك يابن بطوطة في مجلة الأزهر.

ابن بطوطة: الأزهر! أنا إذن بمصر، أم البلاد، وقرارة فرعون ذي الأوتاد ذات الأقاليم العريضة، والبلاد الأريضة[٣]، المتناهية في كثرة العمارة، المتباهية بالحسن والنضارة، مجمع الوارد والصادر، ومحط رحل الضعيف والقادر.

سألته: نشأت في بسطة من العيش، وسعة من الرزق، ثم خرجت من مدينة طنجة وأنت في الثانية والعشرين من العمر بادئا رحلتك، فما هو دافعك من وراء هذه الرحلة وماذا كان شعورك إزاءها؟

ابن بطوطة: كان خروجي من طنجة مسقط رأسي في يوم الخميس، الثاني من شهر الله رجب الفرد عام خمسة وعشرين وسبعمائة، معتمدا حج بيت الله الحرام، وزيارة قبر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام منفردا عن رفيق آنس بصحبته، وركب أكون في جملته، لباعث في نفسي شديد العزائم وشوق إلى تلك المعاهد الشريفة كامن، فحزمت أمري على هجر الأحباب من الإناث والذكور، وفارقت وطني مفارقة الطير للوكور وكان والداي بقيد الحياة فتحملت لبعدهما وصبا، ولقيت كما لقيا من الفراق نصبا، وسني يومئذ ثنتان وعشرون سنة.

قلت: حدثنا عن رحلتك.

وبدأ ابن بطوطة حديثه الشيق، فقال: قمت بثلاث رحلات، الأولى استغرقت خمسا وعشرين عاما، انتهت يوم وصلت يوم الجمعة في أواخر شهر شعبان المكرم من عام خمسين وسبعمائة إلى حضرة فاس.. أما الثانية فكنت توجهت إلى مدينة سبتة فأقمت بها أشهرا، وأصابني بها المرض ثم عافاني الله، فأردت أن يكون لي حظ من الجهاد والرباط، فركبت البحر من سبتة فوصلت إلى بلاد الأندلس، وقضيت بها زمنا أتنقل بين مدنها حتى عدت إلى حضرة فاس حرسها الله ـ تعالى ـ نهاية عام ٧٥٢هـ أما الثالثة فبدأت يوم سافرت إلى بلاد السودان وانتهت بعودتي إلى حضرة فاس يوم الأضحى من عام ٧٥٤هـ.

قلت له: حسبك.. أريد تلك التي زرت فيها الديار الشامية وبالتحديد فلسطين.

ابن بطوطة: أنت إذن تعود بي إلى بداية الرحلة.. حسنا ولكن خبرني أولا: لم فلسطين تحديدا؟

قلت: فلسطين سقطت فريسة في أيدي عصابة مجرمة تدعى (إسرائيل) وهؤلاء ارتكبوا جريمة كبرى، حيث طردوا أهل البلاد الفلسطينيين، وصادروا أرضهم، وقتلوا رجالهم، ويتموا أطفالهم ورملوا نساءهم وهدموا المساجد، وعاثوا فسادا، وارتكبوا جرائم عديدة، وهل هناك جريمة أشد من طرد الإنسان من الأرض التي ولد عليها وأكل من خيرها، وشرب من مائها، واستظل بظلها، ولعب وشب بين ربوعها.

---

(٣) (أرضت) الأرض والروضة - أرضا، كثر نبتها، وحسن مرآها. انظر المعجم الوسيط (١٤/١) الطبعة الثالثة، مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

هل تصدق أن أحفاد القردة والخنازير أضرموا النيران في المسجد الأقصى ودمروا منبر البطل صلاح الدين وجعلوه أثراً بعد عين[٤]؟ في يوم من الأيام قتلوا تسعة عشر مصليا داخل المسجد الأقصى[٥] هل تعلم أنهم دمروا القصور الأموية المقامة قرب الجهة الجنوبية من المسجد أثناء حفرهم أسفله؟

هل تصدق أنهم قتلوا خمسة وثمانين رجلا دافعوا عن المسجد وحرمته[٦]؟

هل تصدق أنهم ألقوا رأس خنزير في ساحة المسجد الأقصى المبارك وارتكبوا فيه أعمال مشينة ومنذ سنوات أحرقوا باب الغوانمة[٧]؟

بل هل علمت أنهم هدموا حي المغاربة[٨]؟

هؤلاء الفجرة الكفرة قام أحدهم بقتل ستين مصليا داخل الحرم الإبراهيمي وجرح المئات[٩]

ابن بطوطة: حسبك يارجل حسبك لقد أوجعتني إنا لله وإنا إليه راجعون.

قلت: بل ما قلته لك هو أقل القليل.. ماذا عساك أن تقول لو رأيت جثث الضحايا تفترش الأرض على مساحات شاسعة من الأراضي تنهشها الكلاب والغربان؟!

ابن بطوطة: رحماك ربي.

قلت: فلسطين عربية.. فلسطين إسلامية، ولكننا ابتلينا بمن ينكر هذا.. أريدك أن تساعدني، احك لنا ما شاهدته في فلسطين في زمانك الجميل، احك لنا حتى تعلم الأجيال، ويعلم الذين ينكرون حق العرب في بلادهم وليت قومي يفقهون!!

ابن بطوطة: حبا وكرامة، أحدثك عن فلسطين ومدنها ومساجدها ومزاراتها وأهلها.

قلت: تفضل.

ابن بطوطة: كانت أياما رائعة، تجردنا للسير وواصلنا الجد، وأصابتني الحمى، فكنت أشد نفسي بعمامة فوق السرج خوف السقوط بسبب الضعف وكانت مدينة (قوص) هي أبعد ما زرت بالديار المصرية ومنها عدت بعد مسيرة ثمان إلى مصر، فبت بمصر ليلة واحدة وقصدت بلاد الشام وذلك في منتصف شعبان سنة ست وعشرين وسبعمائة فوصلت إلى مدينة (بلبيس).. ثم وصلت (الصالحية) ومنها دخلنا (الرمال)[١٠] ونزلنا منازلها مثل (السوادة) و(الورادة) و(المطيلب) و(العريش) و(الخروبة)...

ثم سرنا حتى وصلنا إلى مدينة غزة، وهي أول بلاد الشام مما يلي مصر، متسعة الأقطار كثيرة العمارة، حسنة الأسواق، بها المساجد الكثيرة، والأسوار عليها وكان بها مسجد جامع حسن، والمسجد الذي تقام الآن به الجمعة فيها، بناه الأمير

---

(٤) ٦٩/٨/٢١.

(٥) ٩٠/١٠/٨.

(٦) ٦٩/٩/٢٤.

(٧) ٩٨/٥/١٣.

(٨) بعد حرب ١٩٦٧.

(٩) هو المجرم (باروخ جولدشتاين) والجريمة حدثت في صلاة الفجر يوم الجمعة، الخامس عشر من شهر رمضان المبارك لسنة ١٤١٤هـ الموافق ٢٥/٢/١٩٩٤م، وقد برأته المحكمة الإسرائيلية بحجة أنه مريض نفسي ولا يُسأل عن أفعاله، وأوصت بإيداعه إحدى المصحات.

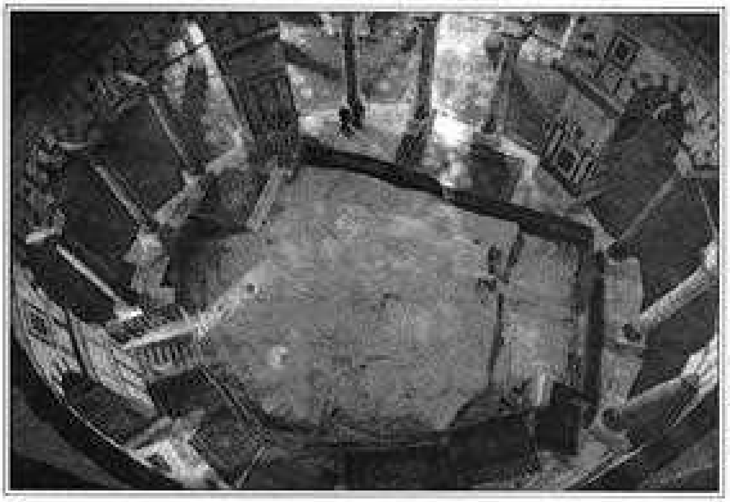
(١٠) يقصد سيناء.

المعظم (الجاولى) وهو أنيق البناء محكم الصنعة ومنبره من الرخام الأبيض.

سألته: وماذا عن علمائها؟

ابن بطوطة: قاضي غزة بدرالدين السلختي الحوراني، ومدرسها علم الدين بن سالم، بنو سالم هم كبراء هذه المدينة ومنهم شمس الدين قاضي القدس.

قلت: هل زرت الخليل؟



الصخرة المشرفة بمسجد قبة الصخرة

ابن بطوطة: نعم، سافرت من غزة إلى مدينة الخليل صلى الله على نبينا وعليه وسلم، وهي مدينة صغيرة المساحة ، كبيرة المقدار مشرقة الأنوار، حسنة المنظر، عجيبة المخبر، في بطن واد، مسجدها أنيق الصنعة محكم العمل، بديع الحسن، سامي الارتفاع، مبني بالصخر المنحوت، في أحد أركانه صخرة، أحد أقطارها سبعة وثلاثون شبرا، ويقال: إن سليمان عليه السلام ـ أمر الجن ببنائه.

وفي داخل المسجد الغار المكرم المقدس، فيه قبر إبراهيم وإسحاق ويعقوب – صلوات الله على نبينا وعليهم – ويقابلها قبور ثلاثة هي قبور زوجاتهم.

وعن يمين المنبر بلصق جدار القبلة موضع يهبط منه على درج رخام محكمة العمل، إلى مسلك ضيق، يفضي إلى ساحة مفروشة بالرخام.

وكان هناك مسالك في الغار المبارك وهو الآن مسدود وقد نزلت بهذا الموضع مرات ومما ذكره أهل العلم دليلا على صحة كون القبور الثلاثة الشريفة هناك، ما نقلته من كتاب علي بن جعفر الرازي الذي سماه (المسفر للقلوب عن صحة قبر إبراهيم وإسحاق ويعقوب) أسند فيه إلى أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أسري بي إلى بيت المقدس، مرَّ بي جبريل على قبر إبراهيم، فقال: انزل هاهنا فصل ركعتين، فإن ها هنا قبر أبيك إبراهيم ثم مر بي على بيت لحم، فقال: انزل فصل ركعتين فإن ها هنا ولد أخوك عيسى ـ عليه السلام ـ ثم أتى بي إلى الصخرة»[11] وذكر بقية الحديث.

ولما لقيت بهذه المدينة المدرس الصالح المعمر الإمام الخطيب برهان الدين الجعفري أحد الصلحاء المرضيين والأئمة المشهورين سألته عن

(١١) أخرجه السيوطي عن عبدالله بن المبارك، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن زرارة بن أبي أوفى، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ اتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، تحقيق الدكتور أحمد رمضان ص١٦٧، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة.

صحة كون قبر الخليل ـ عليه السلام ـ هنالك، فقال: كل ما لقيته من أهل العلم يصححون أن هذه القبور.. قبور إبراهيم وإسحاق ويعقوب ـ على نبينا وعليهم السلام ـ وقبور زوجاتهم ولايطعن في ذلك إلا أهل البدع، وهو نقل الخلف عن السلف لا يشك فيه.

ويذكر أن بعض الأئمة دخل إلى هذا الغار ووقف عند قبر سارة فدخل شيخ، فقال له: أي هذه القبور هو قبر إبراهيم؟ فأشار له إلى قبره المعروف، ثم دخل شاب فسأله كذلك فأشار إليه، ثم دخل صبي، فسأله ـ أيضا ـ فأشار له إليه، فقال الفقيه: أشهد أن هذا قبر إبراهيم ـ عليه السلام ـ لاشك، ثم دخل إلى المسجد فصلى به، وارتحل من الغد.

ويضيف: وبداخل هذا المسجد ـ أيضا ـ قبر يوسف ـ عليه السلام ـ وبشرقي حرم الخليل تربة لوط ـ عليه السلام ـ وهي على تل مرتفع يشرف منه على غور الشام، وعلى قبره أبنية حسنة وهو في بيت منها حسن البناء مبيض، ولاستور عليه وهناك بحيرة لوط، وهي أجاج[١٢]، يقال: إنها موضع ديار قوم لوط.

وبمقربة من تربة لوط مسجد اليقين، وهو على تل مرتفع له نور وإشراق ليس لسواه، ولايجاورها إلا دار واحدة يسكنها قيمه.

وفي المسجد بمقربة من بابه موضع منخفض في حجر صلد قد هيىء في صورة محراب لايسع إلا مصليا واحدا، ويقال: إن إبراهيم سجد في ذلك الموضع شكرا لله ـ تعالى ـ عند هلاك قوم لوط، فتحرك موضع سجوده وساخ في الأرض قليلا.

وبالقرب من هذا المسجد مغارة فيها قبر فاطمة بنت الحسين بن علي ـ رضي الله عنهما ـ وبأعلى القبر وأسفله لوحان من الرخام في أحدهما مكتوب منقوش بخط بديع: «بسم الله الرحمن الرحيم، لله العزة والبقاء، وله ماذرأ وبرأ، وعلى خلقه كتب الفناء، وفي رسول الله أسوة، هذا قبر أم سلمة فاطمة بنت الحسين ـ رضي الله عنه».

وفي اللوح الآخر منقوش: «صنعة محمد بن أبي سهل النقاش بمصر» وتحت ذلك هذه الأبيات:

أسكنت من كان في الأحشاء مسكنه
بالرغم مني بين الترب والحجر
ياقبر فاطمة، بنت ابن فاطمة
بنت الأئمة، بنت الأنجم الزهر
ياقبر، مافيك من دين ومن ورع
ومن عفاف ومن صون ومن خفر.

سألته: وماذا عن القدس؟

ابن بطوطة: سافرت من هذه المدينة إلى القدس، فزرت في طريقي تربة يونس ـ عليه السلام ـ وعليها بنية كبيرة ومسجد.

وزرت أيضًا بيت لحم موضع ميلاد عيسى ـ عليه السلام ـ وبه أثر جزع النخلة، وعليه عمارة كثيرة، والنصارى يعظمونه أشد التعظيم، ويضيّفون من نزل به ثم وصلنا إلى بيت المقدس ـ شرفه الله ـ ثالث المسجدين الشريفين في رتبة الفضل، ومصعد رسول

---

(١٢) يقصد البحر الميت.

الله ﷺ تسليما، ومعرجه إلى السماء، والبلدة كبيرة منيفة، مبنية بالصخر المنحوت، وكان الملك الصالح الفاضل صلاح الدين بن أيوب ـ جزاه الله عن الإسلام خيرا ـ لما فتح هذه المدينة هدم بعض سورها، ثم أتم الملك الظاهر هدمه خوفا أن يقصدها الروم[١٣] فيمتنعوا بها، ولم يكن في هذه المدينة نهر فيما تقدم وجلب لها الماء في هذا العهد الأمير سيف الدين تنكيز أمير دمشق.

قلت: وماذا عن المسجد الأقصى ؟

ابن بطوطة: هو من المساجد العجيبة الرائقة الفائقة الحسن، يقال: إنه ليس على وجه الأرض مسجد أكبر منه، وأن طوله من الشرق إلى الغرب سبعمائة واثنتان وخمسون ذراعا بالذراع المالكية وعرضه من القبلة إلى الجوف أربعمائة ذراع وخمس وثلاثون ذراعا، وله أبواب كثيرة[١٤] في جهاته الثلاثة وأما الجهة القبلية منه، فلا أعلم بها إلا بابا واحدا وهو الذي يدخل منه الإمام، والمسجد كله فضاء غير مسقوف إلا المسجد الأقصى فهو مسقوف، في النهاية من إحكام العمل، وإتقان الصنعة، مموه بالذهب والأصبغة الرائقة وفي المسجد مواضع سواه مسقوفة.

وعن قبة الصخرة يقول ابن بطوطة:

هي من أعجب المباني وأتقنها وأغربها شكلا وقد توافر حظها من المحاسن، وأخذت من كل بديعة بطرف، وهي قائمة على نشز[١٥] في وسط المسجد يصعد إليها في درج رخام، ولها أربعة أبواب، والدائر بها مفروش بالرخام ـ أيضا ـ محكم الصنعة، وكذلك داخلها. وفي داخلها وباطنها من أنواع التزويق، ورائق الصنعة، ما يعجز الواصف، وأكثر ذلك موشى بالذهب، فهي تتلألأ أنوارا وتلمع لمعان البرق يحار بصر متأملها في محاسنها ويقصر لسان رائيها عن تمثيلها.

وفي وسط مسجد قبة الصخرة الكريمة التي جاء ذكرها في الآثار، فإن النبي ﷺ عرج منها إلى السماء وهي صخرة صماء، ارتفاعها نحو قامة، وتحتها مغارة في مقدار

(١٣) يقصد الصليبيين.

(١٤) أبواب المسجد الأقصى: تقوم في جهات الحرم القدسي الشريف الأربعة: أربعة عشر بابا، منها عشرة أبواب مفتوحة، وزعت في جهته الشمالية والغربية، وأربعة مغلقة منذ فتح صلاح الدين الأيوبي، وهي في الجهة الشرقية والجنوبية، وكان هناك ما يزيد على العشرين بابا في العصور الإسلامية المبكرة.

والأبواب الحالية للحرم: من الجهة الشمالية: باب الأسباط، باب حطة، باب شرف الأنبياء، ومن جهة الغرب: باب الغوانمة، بابا الناظر، باب الحديد، باب القطانين، باب المطهرة، باب السلسلة، باب المغاربة.

أما أبواب الحرم المغلقة فهي: باب السكينة، باب الرحمة، باب التوبة، باب البراق.

(١٥) (نشز) الشيءُ نَشْزاً، ونُشوزاً: ارتفع، والمعنى أنها قائمة على مكان مرتفع. المعجم الوسيط (٢/٩٥٩).

بيت صغير ارتفاعه نحو قامة ـ أيضا ـ ينزل إليها على درج، وهنالك شكل محراب، وعلى الصخرة شباكان اثنان محكما العمل يغلقان عليها، أحدهما ـ وهو الذي يلي الصخرة ـ من حديد بديع الصنعة والثاني من خشب، وفي القبة درقة[١٦] كبيرة من حديد معلقة هنالك، والناس تقول: إنها درقة حمزة بن عبدالمطلب ـ رضي الله عنه ـ.

وهناك بعض المشاهد المباركة بالقدس الشريف فمنها بعدوة[١٧] الوادي المعروف بوادي جهنم، وفي شرق البلد على تل مرتفع هنالك بنية يقال: إنها مصعد عيسى عليه السلام ـ إلى السماء، ومنها أيضا قبر رابعة البدوية (منسوبة إلى البادية)، وهي خلاف رابعة العدوية الشهيرة.

وفي بطن الوادي المذكور كنيسة يعظمها النصارى ويقولون: إن قبر مريم ـ عليها السلام ـ بها وهناك أيضا كنيسة أخرى معظمة يحجها النصارى وهناك موضع مهد عيسى ـ عليه السلام ـ يتبرك به.

سألته: وماذا عن علماء القدس؟

ابن بطوطة: منهم القاضي العالم شمس الدين محمد بن سالم الغزي وهو من أهل غزة وكبرائها.

ومنهم خطيبه الصالح الفاضل عماد الدين النابلسي، ومنهم المحدث المفتي شهاب الدين الطبري، ومنهم مدرس المالكية وشيخ الخانقاه الكريمة أبوعبدالله محمد بن مثبت الغرناطي نزيل القدس، ومنهم الشيخ الزاهد أبوعلي حسن المعروف بالمحجوب من كبار الصالحين، ومنهم الشيخ الصالح العابد كمال الدين المراغي، ومنهم الشيخ الصالح العابد أبوعبدالرحيم عبدالرحمن بن مصطفى، من أهل أرز الروم، وهو من تلاميذ تاج الدين الرفاعي صحبته وليست منه خرقة التصوف.

قلت محدثي: حديثك ممتع يابن بطوطة ولكن خبرني بربك، أنت في كل ما ذكرت لم تتحدث عن أثر يهودي واحد، واليهود في زماننا يزعمون أن هذه البلاد أرضهم من قديم.

ابن بطوطة: كذبوا والله.. لايوجد لهم فيها أثر واحد ولكي أكون دقيقا لم أعثر لهم على أثر واحد يدل عليهم وعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه لم يتناولهم بالحديث عندما كتب عهد الصلح المشهور باسمه الذي كتبه لصفرونيوس بطريرك النصارى يوم فتح المسلمون القدس صلحاً.

قلت: شكرا لك على هذا الحديث ونفع الله المسلمين بعلمك.

ابن بطوطة: أنا الذي أشكرك أن تذكرتني وعسى أن تكون كلماتي عونا لكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

(١٦) ما يُتوقى به، يُقال: تدرَّق به: احتمى به. المعجم الوسيط (١/٢٩٠).

(١٧) العُدْوَةُ: المكان المرتفع، وفي التنزيل «إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى». المعجم الوسيط (٢/٦١٠).

نعمة*

رواية لـ: يهودا بورلا

عرض وتعليق الدكتور / محمد محسن عبد الخالق

تتحدث الرواية عن مجموعة من الشباب اليهودى الذين جاءوا من أكثر من دولة وكل منهم يحمل أفكاراً مغايرة للآخرين جمعهم الأديب فى فلسطين والرواية تتحدث عن الفتاة اليمنية اليهودية «نعمة» التى تتمتع بجمال فائق بالإضافة لكونها مثقفة ذات نفس متطلعة للمعرفة... للانطلاق والحرية. وهى شخصية إيجابية طوال الرواية ويقول الأديب عنها: «ربما كانت هذه هى الصورة اليهودية القديمة التى حفظت بين جبال اليمن. ولم تبعثر أو تفقد بمرور الأجيال (ص ٣٧). وبرغم فقرها فقد حافظ الأديب على عفتها. ويعترف قائلاً: «لأن لها ضميراً دينياً قوياً، لتأثرها بالعالم الإسلامى الذى كانت تعيش بين أحضانه بالإضافة إلى تراثها الشرقى الأصيل» (ص ٥٤).

وتموت أمها وهى صغيرة ويخرجها والدها من المدرسة كى تعمل خادمة فى منازل يهود الغرب «الاشكنازيم» وقد وصفت حياتهم وقارنتها بالحياة التعسة التى تحياها. ووجدت خلاصها فى الالتحاق بالكيبوتس «المستوطنة الزراعية» وتقع فى حب العامل المثقف الروسى: «يوسيفون» الذى كان يحاضر فى «قيمة العمل» وتتشرب منه ميثاق ماركس أما هو فلم يكن يبادلها الحب.

وكما هو معروف أن السقوط الطبقى يفضى إلى السقوط الأخلاقى ولا سبيل إلى القفز فوق الجدار بمحاولة فردية تنتهى حتماً بالفشل اختياراً أو اضطراراً مهما بدت المحاولة مشروعة ومهما عانى بطل القفزة من آلام[1].

(*) يستتار «أو ينجلى» وتختفى فى السر والعلن، رواية للأديب الصهيونى يهودا بورلا إصدار مشفه - تل أبيب.

(١) عباس عبدالجبار: فى النقد القصصى. منشورات وزارة الثقافة بالعراق ١٩٨٠ ص ٦١

وإن كان الأدب العبرى غير محدد لهذا الخط فى اليهودى اليمنى الذى لم يحظى بفرص التعليم ولكنه يتطلع للثقافة الغربية كى يزهو بنفسه وبقدرته على النمو السريع فى مواجهة المجتمع الاشكنازى.

وقد أوضح الأديب شخصية «يوسيفون» وهى شخصية إيجابية طوال العمل يرضى عنها الأديب: فهو مثقف، خبير بالاقتصاد يحاضر فى قيمة العمل. قوى الإرادة: لأنه ترك أهله فى روسيا وهاجر إلى فلسطين ولم تنفع توسلات حبيبته «فلارة» ابنة الرَّبى التى ركعت تحت قدميه كى تثنيه عن عزمه ص (٣٧).

وكذلك حبيبته الثانية «ويراه» وكل هذا لأجل فلسطين ص (٣٨).

بالإضافة إلى أنه لم يترك لقلبه أن يتأثر بنعمة.

وعندما سألته نعمة عن أخويه الموجودين فى روسيا قال: «لم يكتبا لى ولم أكتب لهما.. لأنهما مخلصان للحكم الروسى ولم يؤمنا بالصهيونية.. وحتى حبيبته «رفقه» التى أنجبت منه طفلاً غير شرعى[٢]. تركها هى الأخرى - حيث يقول:

افترقنا بسلام. وضعت روسيا نصب عينيها ووضعت أنا إسرائيل نصيب عينى (ص٥٠).

وعندما سألته نعمة: هل تتوق نفسك إلى ابنك.. أجاب: لا وفى خبث ودهاء شديدين نراه رغم تخبطه فى روسيا بين الدراسة والحب والزواج الغير الشرعى. يصبح مثالياً فور وصوله فلسطين ولم تصدر عنه أية أعمال شائنة. وقد أحبته نعمة لمثاليته الزائدة وقالت عنه «ليس تصرفه كتصرف سائر البشر.. إنه يسمو على العديدين - ص٥٣»

وهى دعوة بين السطور لحث اليهود بشتى انتماءاتهم على الهجرة.

والشخصية الثالثة: هى شخصية «ميخائيل سولار» الاشكينازى الأمريكى والذى يقول عن نفسه «أعرف نفسى جيداً شاب متطوى. لست بجميل. فاشل رغم ثرائه بعد أن ورث أموالاً طائلة من عمه الذى توفى بأمريكا».

فهو شخصية سلبية طوال الرواية. أحب «نعمة» رغم علمه بأنها تحب يوسيفون الروسى.

والشخصية الرابعة: هى شخصية «يوحنان» اليهودى اليمنى وهذه الشخصية يرى فيها المؤلف شأنه شأن بقية الأدباء أنها الجيل الثالث.

وكالعادة الجيل الأول يمثل الجد يعيش فى جهل وتخلف الماضى، ولابد من قتله وموته أو إلحاقه بمستشفى للأمراض النفسية، والجيل الثانى الذى يمثل الأب فهو جيل مزعزع.

والأمل المنشود لدى كافة الأدباء العبريين هو الجيل الثالث وما يليه من أجيال أعدت جيداً لأهداف صهيونية محددة ويعقد عليه الآباء الأمل فى تحمل المسئولية ولابد من مد يد العون

---

(٢) ويسمى بالعبرية (ممْزير) وبالعربية «نغل» وهو ثمرة علاقة غير شرعية أو زواج غير قانونى. فالنتائج المترتبة على هذا من الناحية الدينية اليهودية أنه لا يدخل ضمن جماعة الرب. ويحرم زواج اليهودية من (ممْزير) واليهودى من «ممزراه» أى نغلة

ELON menachem: The Principles of Jewish Law (mamzer)

له وقد صور الأديب قصة كفاحه في صفحات عديدة كنموذج يحتذى به هذ الجيل برغم فقره ويتمه، حتى إنه يترك المستوطنة ويسافر تاركاً رسالة يقول فيها إنه لن يعود حتى يحقق ما يريد من علم ومعرفة وثقافة ٨٠ / ١٤ .

ولعقدة فقره التي لازمته منذ البداية، ولتطلعه لحياة أفضل بعد حصوله على شهادة دراسية وتقلده إحدى الوظائف، ولحبه الجارف لنعمة سعى جاهداً للزواج منها وقد ظفر بما يريد.

ويثقل القدر كاهل «يوحنان» بعد إنجاب طفلين ويمد يده للمال العام ويحكم عليه بالسجن لمدة ستة أشهر ولكنه يموت بعد أسبوعين. وينقل للمقابر على حساب الطائفة. ص ٩٦

وهذه النتيجة غير متوقعة، فكيف يرضى عنه الأديب ثم يشوه صورته ويقتله، إنه فكر صهيوني، يخلص منه أن على اليهودي اليمني الا يعتمد على يهودي يمني آخر لان الإثنان في حاجة إلى مساعدة، وحتى عندما تقدم «ميخائيل سولار» لخطبة نعمة فرح والدها وحاول معها كثيراً بلا جدوى حيث كان يقول لها «لن تجدي من يحبك أكثر من السيد ميخائيل سولار الذي ترك كل البنات الثريات وجاء يطلب يدك. ص ١٢٦ .

وإن كان الموقف الذي يرمز إليه هنا هو التفاعل على المحور الطبقي «الفقر والثراء» وهناك من يرى أن والد نعمة هو المقياس الذي يستخدمه الأديب لقياس مدى تطور نعمة لانه لا يمكن تحليل شخصية نعمة إلا من خلال والدها وهي قضية خلافية وحتى عندما ذهب «ميخائيل سولار» ليطلب يدي نعمة من والدها فرح كثيراً وقال «إنها معجزة أن يأتي رجل مثله ويطلب يد ابنتي ص ١٢٣ .

وكانت نعمة طوال الأيام تكتب مذكراتها يومياً في سجل كبير دونت فيه أفراحها وأتراحها لحظة بلحظة وكما هو مفهوم فقد تشرب يهود اليمن كثيراً من العادات والتقاليد العربية الأصيلة وقد نجح الأديب إلى حدٍ كبير في تأكيد هذا المفهوم سواء عن وعي منه أو لا فبعد أن عصفت الأقدار بنعمة وتوفي زوجها عادت إلى الخدمة في المنازل مرة أخرى واستأجرت غرفة بسيطة تعيش فيها مع طفليها وكان الصراع بالنسبة لها هو صراع صاعد أي متدرج في بطئ طوال العمل الأدبي فقد ابتدأت حياتها خادمة ثم عادت للخدمة مرة أخرى وطوال هذه الفترة لم يخبُ صراعها الداخلي.

وقد صور الأديب صراعها بين الخير والشر المفروض عليها ثم صراعها الداخلي بين التراث الديني والحاجة حتى إنها فكرت في بيع جسدها ولكنها تراجعت في النهاية وتكالبت عليها الهموم وقررت الانتحار وكتبت في مذكراتها أن الحياة أصبحت بلا معنى ولا هدف وأنها ستلحق طفليها بملجأ للايتام ثم تذهب لتلقى بنفسها في البحر وفي هذه الاثناء كان «ميخائيل سولار» الامريكي يبحث عنها ويتمنى الزواج منها ويصل إلى غرفتها ويتصفح مذكراتها ويعلم مكان انتحارها فيهرع إليه ويراها وهي تلقي بنفسها في الماء فيلقي بنفسه خلفها وينقذها في اللحظة الاخيرة وجاء الإنقاذ

على يد الأمريكي القبيح حتى وإن حدث هذا زمن كتابة الرواية عام ١٩٣٤ أى قبل قيام الدولة، والصراع في الرواية يبدأ مع بداية الحبكة وينتهي بنهايتها وبداية الصراع ونهايته هما قطبا الحبكة وما يجرى بين هذين القطبين يكون تطوراً للأحداث والبطلة تناضل من أجل الخلاص وإن كان مفهوم الخلاص هنا هو الخلاص القومي من فكرة الاضطهاد التي تعرضوا لها في المجتمعات الخارجية وأن الصهيونية قد أعطته هذا الخلاص عندما انتقل إلى فلسطين وأن حياته في اليمن (الغربة) كفقير أولاً ثم بعد ذلك مواطن من الدرجة الثانية حسب ما كانوا يعتقدون هو ما دفعه إلى الصهيونية كحل لا بديل له لأنه يحلم أيضاً بخلاصين وعلى الصهيونية إيجاد الحل له كي يصبح مواطناً من الدرجة الأولى ثم بعد ذلك الخلاص من مأساة التخلف الحضاري والطبقي.

والسؤال الذي يطرح نفسه:

ماذا فعلت له الصهيونية؟ وهي الفكرة الأساسية في الرواية وكما هو مفهوم فإن التجربة الصهيونية هي صراع ومزج بين ثقافات مختلفة جمعت على معيار الأرض والدين وأن الأدب والصحافة هما أعظم أداة للسيطرة الفكرية فقام الأديب بهذه التجربة واختار نعمة من اليمن و«بوسيفون» من روسيا و«ميخائيل سولار» الأشكنازي الأمريكي فأمامنا عناصر متباينة أصلاً في وضعها الطبقي وفي نفس الوقت متصارعة لوضعهم في بوتقة الأرض الغير ممهدة «في هذه الفترة» كي يستخلص النتائج الأولية لأنه يؤمن من البداية بأن هذه الأطراف سوف تلتقي إن عاجلا أم آجلاً وتتصارع على الأرض بعد تمهيدها فاشعل فتيل الصراع وترقب النتائج هل سيحدث صهر ودمج أم سيحدث تقارب أو تنافر ومن خلال النتائج يمكن تحديد العقبات وكيفية حلها وهي الرسالة التي حملها الأديب على عاتقه.

والرواية بها جميع أنواع الصراع وهو المحور الذي تعيش عليه إسرائيل أمس واليوم وغداً فالصراع هو الوقود الذي يغذي وجودها وإلا كُتب عليها الفناء وكلما اتسعت دائرة الصراع كلما أحست بوجودها وقوتها وما يفعله شارون اليوم من تأجيج هذا الصراع ولو على حساب الأبرياء العُزل، فهو بالنسبة لهم بطل أسطوري يأجج الصراع حتى وإن كان بجيش مدجج بأحدث تكنولوجيا العصر في صراع مع أطفال عُزل في عمر الزهور شاء قدرهم أن يدافعوا عن أرضهم بعد فطامهم بحبات من الحصى يقذفون بها آلة عسكرية لا تبقي ولا تذر.

والصراع والتقريب في العمل الأدبي الذي نحو بصدده هما قطبا الحبكة الروائية بالإضافة إلى صراع الأجيال والصراع الداخلي في نفوس الشخصيات والصراع الخارجي والصراع العاطفي وحتى الصراع الفكري.

إنها سيناريوهات جاهزة التحضير حتى قبل قيام الدولة والبطل القومي لديهم من يغتنم الفرص وينقذ أكبر عدد منها حتى وإن خيل للبعض أن في قدرتهم أن يقذفوا بهم في البحر فإن البطل الأمريكي القبيح مستعد لإلقاء نفسه وإنقاذهم وأتمنى – نحن العرب – أن نعي الدرس جيداً!!



شعر / محمد فهمي سند

اصرخْ عسى أنْ يسمع الصنمْ

اصرخْ فهذا الجرح مُتَّهمْ

اصرخْ فنحن نئنُّ من زمنٍ

لمْ تستجبْ لأنيننا الأمم

اصرخْ فقلبُ جُناتنا صخرٌ، وأعينُهم أصاب ضياءها العَتَمْ

اصرخْ فعدْلُ الظالمين تكاثرتْ

أرجاؤه، والأرض تضطرم

اصرخْ بوجه الريح حتى يستفيق الكون،

أوْ تنتهي به الرقمْ

اصرخْ، وسلَّ السيف،

وابعثْ من حجارة أرضك النيران تحتدمْ

اصرخ أخي، فدماؤنا مسفوحةٌ
ونـام فـوق الذُّلِّ تختصم
مُنذُ انفرطنا في يد الشيطان،
يأخذنا، ويرمينا، ويبتسم
مُنذُ انكفأنا فوق جرح الضَّيم،
نلعقه ولا برءٌ ولا ندمُ

***

هذا زمان الكيل بالأهواء،
قلبٌ للبغاة تخوطه الظُّلَمُ
وهوًى يرى أنَّ الحضارة وثبةٌ
تعدو على حقٍّ فتلتهمُ
وهوى يرى شُذَّاذ إسرئيل بُغْيَتهُ،
ونار الحقد تضطرم

العالم الهمجيُّ مُنقادٌ كما تنقاد خلف كباشها الْغَنَمُ
فتصير أرض الله تحت نعالهم جُثثاً تُداس فتُصرع الذمم
لكنَّنا يا عصبة الظُّلام نَدْ عُو للسَّلام لِتَسْعَدَ الأُمم

إنّا نرى الإسلام حصن العدل سوف يطهر الدنيا ويختتم
فاصرخ فقد أهداك ربُّ الكون وَعْد النصر تحمله وتنتقم
واصرخ فسوف تُفجِّر الأنهار، والأحجار، والأطفال، والْعدمُ

التدابير الوقائية للحد من ظاهرة الطلاق في المجتمع الإسلامي

للأستاذ الدكتور
محمد الدسوقى

١

تمهيد:

مما لا مراء فيه ولا خلاف عليه أن ظاهرة الطلاق فى المجتمع الإسلامى المعاصر، تعد من أهم عوامل التفكك الأسرى، والتمزق الاجتماعى، لقد أضحت هذه الظاهرة غير طبيعية، لأنها تجاوزت النطاق الذى ينبغى أن تظل فى إطاره، ومن ثم أزعجت فقهاء الشريعة وعلماء التربية والاجتماع، فقد مثلت خطراً داهما على استقرار الأسرة، ومتانة العلاقة بين أفرادها، وقيامها برسالتها كما ينبغى أن تكون.

ولأهمية الأسرة ورسالتها المقدسة جاءت الشرائع الإلهية بالقواعد والمبادئ، التى تؤسس عليها الأسرة، وتكفل لها الترابط والتراحم والحماية والوقاية، حتى تظل لبنة قوية فى بنيان المجتمع، تشد أزره، وتدفع عنه أسباب الضعف والانهيار، وحتى تظل كذلك بيئة صالحة لتربية الأجيال الصاعدة تربية قويمة تجعل منهم قوة الغد التى تواصل حمل الرسالة وأداء الأمانة التى عرضت على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان.

والشريعة الإسلامية وهى خاتمة الشرائع السماوية ومهيمنة عليها وضعت للأسرة أمثل التشريعات التى تحقق لها الاستمرار والاستقرار، والتى لا تبيح انفصام رابطة الزوجية إلا بعد استفراغ كل وسائل العلاج والإصلاح ويصبح من الخير للزوجين أن يتفرقا ويغن الله كلا من سعته.

والناظر في تشريعات الأسرة في الإسلام نظرة دقيقة فاحصة يقرر أن هذه التشريعات تعبر عن تدابير وقائية للحفاظ على الأسرة ورعايتها ودفع كل ما يتهددها من مخاطر، أو تتعرض له من مشكلات.

على أن تشريعات الأسرة في الإسلام جزء من التشريعات الإسلامية التي جاءت صالحة للتطبيق الدائم، والتي تقود الحياة الإنسانية في شتى مجالاتها، وتطبعها بطابع العبودية الخالصة لله رب العالمين، ولهذا لا يجوز أن ننظر في تشريعات الأسرة دون ربطها بسائر التشريعات الإسلامية كلها، فتعاليم الإسلام وحدة متكاملة ومن يفرق بينها في الالتزام بها يكون كمن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض. ويقتضي تفصيل القول في التدابير الوقائية للحد من ظاهرة الطلاق الحديث عن القضايا التالية:-

أولاً: طبيعة عقد الزواج وحكم الطلاق.

ثانياً: التدابير الوقائية قبل العقد.

ثالثاً: التدابير الوقائية بعد الزواج.

رابعاً: التدابير الوقائية بعد الفراق.

خامساً: التدابير الوقائية عن طريق التحصين الثقافي والقوانين العلاجية.

أولاً: طبيعة عقد الزواج وحكم الطلاق:

ليس المراد بالحديث عن طبيعة عقد الزواج تعريفه، أو بيان أهدافه والصفة الشرعية له من وجوب أو ندب أو كراهية أو حرمة، وإنما الإشارة الى مدى عناية الإسلام به، وذكر أهم خصائصه، حتى تتضح أهمية هذا العقد، ووجوب الوفاء به، والحفاظ عليه، وعدم التفريط فيه.

أما عن مدى عناية الإسلام بعقد الزواج فيبدو من خلال سنة الله في كونه، هذه السنة التي تبين أن الكون كله يقوم على التزاوج فيما نعلم وفيما لا نعلم قال تعالى:

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1].

وقال سبحانه:

﴿ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[2]

وكون التزاوج هو السنة التي يقوم عليها الكون في أنفسنا وفي غيرها مما نعلم ومما لا نعلم يوحي إلينا بخطر شأنه وجلال قدره، وبأن ننظر إليه نظرة جادة، ونعتبره ركنا أساسيا في الحياة لاغنى عنه، ولا ينبغي أن نرتكب ما يزلزله، أو أن نستهين بأحد طرفيه وهما الذكر والأنثى.

إن الإنسان لمنزلته في الكون ورسالته في الحياة لم يترك أمر التزاوج بالنسبة له دون ضوابط أو قواعد كما هو الحال بالنسبة للحيوان الأعجم، لأن العلاقة بين الذكر

---

(١) الآية ٣٦ في سورة يس.

(٢) الآية ٤٩ في سورة الذاريات.

والأنثى يجب أن تحكمها أصول ومبادئ تكفل بناء أسرة سعيدة، وإرواء غريزة فطرية على نحو من السمو والاعتدال والفضيلة، ولذا أحاط الإسلام الزواج بكل المبادئ والقيم التى تحفظ عليه منزلته وأثره فى الحياة البشرية، فيغدو وحده السبيل لبناء الأسرة كما يغدو كذلك السبيل المستقيم لإشباع الغريزة الجنسية.

ومن شواهد أهمية عقد الزواج وجلال قدره أنه يختلف عن غيره من العقود من حيث موضوعه ووجوب إشهاره، والاحتفاء به، وأن الأصل فيه التنجيز والتأبيد.

إن موضوع عقد الزواج هو الإنسان، والإنسان أكرم المخلوقات، وقد سخر الحق - تبارك وتعالى - له كل الكائنات، ولهذا تميز ذلك العقد بموضوعه تميزا يضعه على قمة العقود التى يمارسها الإنسان من حيث المنزلة والأهمية.

إن كل العقود التى تتم بين الناس - ما خلا عقد الزواج - لا يخرج موضوعها عن قضايا التعامل المالى، فهى عقود تيسر للناس وسائل العيش، وتبادل المنافع، وتحقيق التكامل والتكافل فى المجتمع، بيد أن عقد الزواج يمثل ارتباطا مشروعا بين الرجل والمرأة، ارتباطا قوامه الرغبة المشتركة والمودة المتبادلة، ارتباطا يسمو بالغريزة الجنسية إلى أفق طاهر يثاب عليه الإنسان، ارتباطا يثمر بقاء النوع البشرى على الوجه الأفضل الى أجل معلوم، فلا غرو أن سماه القرآن الكريم ميثاقا غليظا، وأرشد إلى مقدمات له، حتى يظل هذا الميثاق حيا قويا، يعبر عن علاقة الامتزاج الكامل بين الزوجين، فهما به أصبحا كفرد واحد.

وإذا كان عقد الزواج أهم عقد فى حياة الإنسان فإن من دلائل هذه الأهمية وجوب إشهاره للناس والاحتفاء به بالطعام والشراب والسرور والحبور والدعاء للزوجين بالخير والبركة، فنكاح السر فى الشريعة باطل، لأن العلاقة الزوجية المشروعة ينبغى أن تتم فى النور، وعلى معرفة ومشهد من الناس حتى لا تحوم شبهة الارتياب حول هذه العلاقة الطاهرة، وما يترتب عليها من الآثار.

وإشهار عقد الزواج قد يكون فى رأى الجمهور بوجوب الإشهاد عليه وقت إنشائه، أو بإعلان أمر الزواج والإخبار عنه قبل الدخول، أو فى يومه كما يرى بعض الفقهاء.

وعقد الزواج فضلا عما أومأت اليه آنفا لا يعرف التعليق أو التأقيت، وإنما يقوم على التنجيز والتأبيد، وذلك لأن تعليق صيغة هذا العقد يجعلها غير معبرة عنه تعبيرا يتلاءم مع أهميته ورسالته، بل قد يوحى هذا التعليق بلون من الاستهانة أو العبث والمخاطرة والمقامرة بعقد الزواج وعدم الجدية فى إنشائه..

وقد أثار الفقهاء، وهم يتحدثون عن

التنجيز فى صيغة العقد ما قد يشترطه أحد العاقدين من شروط فى صالحه غالبا، فالصيغة تقع منجزة، ولكن يقرنها أحد العاقدين بشرط له فيه منفعة، وقد اختلفت آراؤهم حول هذه الشروط ومدى تأثيرها فى صحة عقد الزواج، ولكنها مع هذا تلتقى عند إلغاء كل شرط دل على بطلانه دليل شرعى، كأن يشترطا التوارث مع اختلاف الدين، أو يشترطا عدم التوارث مع اتحاده، فإن الإرث وعدمه من الأحكام الشرعية التى يقتضيها العقد ولا دخل لأحد المتعاقدين فى إيجادها[٣].

فإن كان الشرط منافيا لمقتضى العقد فإنه يصح ويلغو الشرط، لأنه لا اعتبار له كما لو اشترطت المرأة على الرجل أن يسكنها فى بيت أبيها، أو اشترط عليها ألا نفقة لها ولا مهر، فقبل كل منهما ما اشترطه الآخر.

أما إذا كان الشرط صحيحا فإن العقد يصح، وكذلك الشرط.

وكما لا يصح فى صيغة العقد التعليق أو اقترانها بشرط مناف لمقتضاه، لا يصح أن تكون هذه الصيغة دالة على تأقيت العقد بمدة محددة ينتهى بعدها، فوظيفة الأسرة فى المجتمع ورسالتها المقدسة فى الحياة تقتضى أن يكون عقد الزواج مؤبدا، فضلا عن أن التأقيت فى هذا العقد يجرد العلاقة الزوجية من معانى المودة والرحمة، والأبوة والأمومة، ويحصرها فى نطاق الغريزة الجنسية وكأن العلاقة بين الذكر والأنثى فى عالم الإنسان كالعلاقة بينهما فى عالم الحيوان. وفى ذلك إهدار للكرامة الإنسانية، وتدمير للأسرة، التى هى عماد المجتمع والتى بقوتها يقوى ويشتد، وبضعفها يضعف وينهار[٤].

وما دام لعقد الزواج تلك المنزلة والأهمية ومادامت له تلك الخصائص التى تميزه عن غيره من العقود، فما الأصل فى مشروعية الطلاق الذى ينهى هذا العقد؟.

لقد اختلف الفقهاء فى الأصل فى مشروعية الطلاق، فبعضهم يرى أن الأصل فيها المنع حتى توجد حاجة أو ضرورة، لقوله تعالى:

﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾[٥].

أى إذا أطاعت المرأة زوجها فى جميع ما يريده منها مما أباحه الله له منها فلا سبيل له

---

(٣) انظر الزواج فى الشريعة الإسلامية للأستاذ على حسب الله ص٤٤.

(٤) يذهب الشيعة الإمامية إلى أن زواج المتعة مباح، بل هو من القربات، ولكن حرمة هذا النكاح لاخلاف عليه بين أهل السنة قاطبة وكذلك الشيعة الزيدية (وانظر نكاح المتعة فى الإسلام حرام للشيخ محمد الحامد).

(٥) الآية: ٣٤ فى سورة النساء.

عليها بعد ذلك، وليس له ضربها ولا هجرانها، ومن باب أولى ليس له طلاقها دون حاجة، فالطلاق فى هذه الحالة بغى عليها، وظلم لها، واتخاذه سبيلا للفراق الظالم حمق وجحود بنعمة الزواج.

وجاء ختام الآية تهديدا للرجال إذا بغوا على النساء من غير سبب، فلا يجوز أن يستعلى الرجل على امرأته، فالله بالمرصاد وهو العالى الكبير ينتقم ممن ظلم وبغى[6].

ومن الفقهاء من يذهب الى أن الأصل فى الطلاق الإباحة، ويحتج بقوله تعالى:

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾[7].

ونفى الجناح معناه نفى الإثم، وذلك يقتضى الإباحة، كذلك يحتجون بأن أصحاب النبى ﷺ كانوا يطلقون ولا يُسألون عن وجه الحاجة[8].

والراجح أن الأصل فى الطلاق الحظر، وأن الإباحة مقيدة بالضرورة، والدليل على ذلك أن الطلاق علق بإذا الشرطية فى قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾[9]

وفى هذا إشارة الى أن الطلاق خلاف الأصل فى العلاقة الزوجية، فالزواج أبدى لازم، ومالم تكن هناك ضرورة ملجئة للفرقة بين الزوجين كان المنع من الطلاق هو الأصل.

وما استدل به القائلون بغير ذلك يُرد عليه بأن نفى الجناح فى الآية منصب على الطلاق قبل التسمية وقبل الدخول، فالقيد هو الملاحظ، لأن نفى شئ مقيد بقيد يكون القيد ملاحظا فى النفى.

إن الفقه الواعى بأهمية عقد الزواج وخصائصه، والإدراك السليم للأصل فى مشروعية الطلاق يأتى على رأس التدابير الوقائية فى الشريعة الإسلامية، تلك التدابير التى تحمى الأسرة من التفرق والتمزق، وذلك لأن من يتمتع بهذا الفقه والإدراك لن يقدم على التلفظ بكلمة الطلاق إلا إذا أمست العلاقة الزوجية أوهى من بيت العنكبوت وكانت الفرقة بين الزوجين هى العلاج الأمثل لمشكلة عجزت كل محاولات الإصلاح عن علاجها أو حلها.

«يتبع»

***

---

(٦) انظر المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لابن عطية جـ١ ص ٤٧ ط قطر.

(٧) الآية ٢٣٦ فى سورة البقرة.

(٨) انظر الأحوال الشخصية للشيخ محمد أبو زهرة ص ٢٤٨.

(٩) الآية الأولى فى سورة الطلاق.

قصة العدد

قبل انبثاق الفجر

للأستاذ/ محمد سعيد العريان

- «أبى!».

- «سلمان!».

- «ما أريد يا أبى أن أكون بعد اليوم قطين النار!».

- «وى! ما تقول يا بنى؟ لقد نذرتك للنار قبل أن تخرج إلى الحياة فأنت هبة الرب إلى أبيك، وأنت وفائى للرب بما نذرت.

أضلالا بعد هدى، وكفراً بعد إيمان...؟».

- «إن روحى لتتمرد على هذه العبودية؛ فما أرى هذه النار المعبودة تملك لى نفعا أو تمنعه؛ إننى أنا أوقدها وأذكيها، ولو شئت لصببت عليها ذنوباً من ماء يردها رماداً رطبا!».

- «أى بنى، إنه دينك ودين آبائك. أى نازية نزت بك فتمردت على ربك؟».

- «هيهات منى ما تريد يا أبى، وبرغمى هذا العصيان! إن فى السماء إلها يقتضينى حقه من العبادة والتقديس، وإن صوته ليهتف بى فى سدفة الليل، وفى وحدة القلق، وفى ظلمة اليأس، فما أجد لى طاقة على الإفلات من صوت الله...!».

جثا الشيخ الأصبهانى بين يدى ربه مطأطئاً رأسه فى ذلة وانكسار، وبسط ذراعيه إلى النار فى ضراعة واسترحام يسأل الهدى لولده الذى يؤثره بالحب من دون ما يتمتع به من زينة الحياة. وراح اللهب المتراقص يعكس على وجهه المتغضن أضواء تكشف عما يعتلج فى نفس الشيخ من حسرة وأسى.

وعلى مقربة من مجلس الشيخ جلس فتاه الأمرد «سلمان» معتمداً رأسه بين راحتيه وسبح فى أحلامه. كان ما يزال يرن فى أذنيه صدى تلك الأنغام الندية التى سمعها منذ قريب فى معبد المسيحية على أطراف المدينة، فشغل بها عما أرسله أبوه لقضائه من حاجته.. وهفت نفس الفتى إلى زورة ثانية لرهبان المعبد، يستمتع فيها بما استمتع منذ ليال من عذب الأناشيد وحلو النغم، وبما يسمع من أحاديث الرهبان عن الرب الموجود فى كل مكان ولا تراه العين..

وغدا الفتى مع الصبح على الكنيسة، يشهد مع الرهبان صلاتهم ويستمع إلى أناشيدهم. لقد عاش قطين النار فى المجوسية بضع عشرة سنة لم يحس فيها بمثل هذا الجلال الروحانى الذى يغمره وهو يستمع إلى أناشيد النصرانية بين جدران هذا المعبد القائم على حدود الصحراء. فما فرغ الرهبان من صلاتهم حتى دلف الفتى إلى كبيرهم يسأله أن يعقد بينه وبين هذا الدين آصره...

وربت الراهب على كتف الفتى وهو يقول: «لله هذا الإيمان فى فتى مثلك ريان العود لم تفتنه مباهج الحياة عن معرفة الرب الأعظم.. ما اسمك يا فتى؟».

- «سلمان الفارسى!»

- «ليباركك الله يا سلمان وليمنحك التوفيق والهدى!»

واعتنق سلمان النصرانية عن إيمان وتقى؛ ولكن الفتى لم يقنع بما أفاء الله عليه حتى يعرف أين أصل هذا الدين فيسعى إليه.

وفارق الفتى أصبهان وخلف وراءه مولده ومَرْباه، وأبا له جاه وسلطان ومال، لم يكن أحد أحب إليه من ولده. وتلفت الفتى إلى وراء، فتحدرت على خديه دمعتان وهو يقول: «وداعاً يا بلادى الحبيبة، وداعا لا أدرى متى الملتقى إلا أن يأذن الله..!» وتلاشت آخر كلماته فى زفرة حزينة، ثم طأطأ رأسه ومسح دمعته واستأنف سيره إلى دمشق، إلى حيث يعرف أصل هذا الدين..

●●●

والتقى سلمان وأسقف الكنيسة فى دمشق، فلزمه يستمع إليه ويأخذ عنه ويصلى معه؛ ولكن سلمان لم يجد فى الأسقف ما كان ينتظر أن يجد فى رجل نذر نفسه لله؛ لقد كان رجل سوء يأمر بالصدقة ويرغب فيها، فإذا اجتمع إليه شئ منها اكتنزه لنفسه فلا يتصدق به، فإن المال عنده لاكداس، وإن المساكين لعلى الأبواب يستندون الأكف ويبيتون على الطوى!

وضاقت نفس الفتى بما وجدت فلم يجد حيلة لنفسه مما يرهق نفسه، لقد فر من المجوسية إلى دين البر والرحمة والسلام، فما وجد عند أهله شيئاً من البر والرحمة والسلام، وعاد التمرد إلى الفتى وشغلته أشجانه فما يستبين طريق الرشاد..

- «أى ربى، إنك لتسمع دعائى، وإنى لأراك فى قلبى، ولكنى لا أجد سبيلاً إليك.. فى بيت النار سلخت بضعة عشر عاماً من الشباب التمس الزلفى إليك بين البخور واللهب فما بلغت إليك، وفى معبد المسيحية بين الهيكل والصليب وتماثيل القديسين ركعت ألتمس الزلفى إليك فما بلغت.. تنزهت يا رب أن تأمر بعبادة النار وإنها لجمر ودخان، وتقدست يا إلهى أن تكون عبادتى لك سجوداً للتصاوير وركوعاً للصليب، وخشوعاً لتمثال العذراء، وحرصاً على جمع المال فى القلال ليحرم منه الفقير والمسكين..!»

«ربى سألتك الهدى فأنر سبيلى!»

●●●

وكانت الفتنة تعصف عصفها في كل مكان، والشهوات يتسلط سلطانها على كل نفس، والناس في الشرق والغرب، في فارس وقسطنطينية، وفي دمشق، وفي الحبشة وبلاد العرب، تعيش عيش البهم: لا وازع من دين، ولا حرج من ظلم، فلم ينج من فتنة الشهوات إلا من عصم الله.. والفتى «سلمان» من أشجانه في هم ناصب، يتوزعه الشك واليقين، يتعاوره الإيمان والكفر، ويراوح القلق بين نفسيه في وحدته واجتماعه، فما يجد له مناجاة من أشجانه إلا الصبر والاستسلام حتى يجد لنفسه فرجاً من ضيق..

وكان ثمة أربعة من الرهبان جمعتهم على دين الرب عقيدة راسخة، وقلوب عامرة، وإيمان بالله وطيد، وكان لهم في كل عام مزار يجتمعون إليه أياماً ثم يذهب كل إلى واديه. كانوا من الصلاح والخير وصفاء النفس بقية من الحواريين المخلصين، عرفوا دين السلام عرفان الحق، فأقاموا على هدى المسيح خالصاً يعبدون الله لا شريك له، فاطمأنت نفوسهم على قلق الحياة، واستراحت قلوبهم على شغب الفتنة، فأصموا آذانهم عما ابتدع الرهبان في الدين وما زادوا ونقصوا، فبقوا على المسيحية الأولى حنفاء لله، يدعون إلى الله ما قدروا على الدعوة، أو يلزمون صوامعهم لتسبيح الديان.

●●●

واستجاب الله دعاء «سلمان» فوصل بهم حبله ليهدوه سبيل الرشاد.

كانوا أربعة تفرقت بهم البلاد: فراهب في دمشق، وراهب في الموصل، وثالث في نصيبين، ورابع في عمورية من أرض الروم. قد تقدمت بهم السن حتى أشرفوا على الآخرة، ولكنهم جد حراص على الحياة، لأن لهم في الحياة أمنية موروثة يستشرفون إليها من بعيد.

ولقى «سلمان الأصبهاني» أولهم في دمشق فلزمه، فلما صفا بينهما المورد جلس الراهب يتحدث إلى فتاه:

- «أي بني، إنها فتنة الحياة للأحياء، ولكن صبراً صبراً يا بني؛ إن شعاعة من النور تلوح من بعيد، وإنه ليوشك أن يشرق بعدها صبح أزهر. هنا من هذه الصحراء سينبثق النور الأعظم الذي يغمر الدنيا ويشرق بالخير والسلام على البشرية كلها، إنه نبي قد أظل زمانه.. يا ليتني فيها جذع..!»

وانتفض الفتى وقد غمرته موجة من السرور فهزت أعطافه فمال على الراهب وقد أمسك بكلتا يديه يهزهما في فرح ونشوة، وهو يقول:

«.. نبي قد أظل زمانه؟ من هذه البادية؟ حدثني يا أبي إن حديثك لينفذ إلى قلبي بكل مسرات الحياة:»

وابتسم الراهب وربت على ظهر الفتى وهو يقول: «صبراً، صبراً يا بني.. إن حديث هذا النبي لمسطور في فؤادي، وإني به لمؤمن قبل مبعثه، إنها لأمنية الحياة يا بني أن أعيش حتى أراه..!»

ولكن الراهب الشيخ لم تمهله المنية حتى يحقق أمله، فلم يلبث أن ذهب إلى ربه!

عاد السلام والأمن إلى قلب الفتى الفارسي، وتقشعت ظلمات الشك والحياة في نفسه، ولكن الأمل الجديد الذي بعثته في نفسه كلمات الشيخ لم تدع له أن يستقر، فقرر رحلة ثانية من دمشق لعله يعرف جديداً من راهب الموصل عن النبي الذي أتى وقته ليرسم للإنسانية الضالة حدود سعادتها في معاني البر والرحمة والمساواة!

فتى لدن العود غض الإهاب، يهاجر هجرتين في سبيل الله، من أصبهان إلى دمشق، ومن دمشق إلى الموصل، وليس معه مال ولا زاد، إلا الإيمان والتقى وقلب عامر بمحبة الله، وقد خلف وراءه المال والأهل والسيادة، وأبا لم يكن أحد أحب إليه من ولده!

●●●

– «سيدى»

– «ممن أنت يا فتى؟ إن في وجهك لنضرة أبناء الدهاقين والسادة، ولكن عليك من عناء السفر مثل أبناء السبيل!»

– «سيدي!...»

– «سمعاً يا بني!»

«أنا رسول (فلان) إليك – يرحمه الله – أفتأذن لي أن أقيم عندك لآخذ عنك من أمور ديني..؟»

– «سهلاً وكرامة يا ولدي، بارك الله عليك!»

– «أبي، إن الفتنة لتعصف عصفها، وإن شهوات الناس لتبلغ بهم مبلغ الحيوان، أفترى للإنسان منقذاً من ضلالها يهديها سواء السبيل؟»

– «أراك تعرف بعض ما أعرف يا بني، وإنك لتستشرف إلى أمل قريب.. إن نبيا قد أظل أوانه، إن لم يكن فكان قد.. ياليت لي فسحة في العمر حتى أراه فأومن به! إن موجة الاصلاح ستمد مدها عما قريب من هذا الجزيرة العربية حتى تفيض على البشرية جميعها من برها خيراً ورحمة، وستغسل هذه الموجة أدران البشرية وتمسح على قلبها بالطهر القدسي حتى يمتلئ العالم سلاماً ومحبة.

«سيمتد بك العمر يا بني – إن شاء الله – حتى ترى هذا النبي، فلا تتلبث في اتباع دعوته، إنه يدعو إلى خير الدنيا وخير الآخرة.. أتراك ستعرفه يا بني حين تلقاه إن وصفت لك من خيره...؟»

وآثر راهب الموصل جوار الله، وخلف الفتى الفارسي وليس معه إلا ربه، فأزمع الرحلة الثالثة إلى نصيبين.

وأقام «سلمان» عند راهب نصيبين ما شاء الله أن يقيم، لا يشغله من دنياه إلا ذكر الله، وأمل جياش يخفق به قلبه الكبير، أن يرى ذلك النبي الكريم الذي تنميه الصحراء لينشر الخصب والرخاء في ربوع البشرية ويغسل نفوس الإنسانية من أدران الشهوات.

ثم هاجر هجرته الرابعة إلى عمورية بعد ما فارق صاحب نصيبين إلى جوار ربه..

«.. أي بني، والله ما أعلم اليوم أحداً على مثل ما كنا عليه من الناس آمرك أن تأتيه

بعدى، ولكنه قد أظل زمان نبى، وهو مبعوث بدين إبراهيم - عليه السلام - يخرج بأرض العرب، مهاجره إلى أرض بين حرتين، بينهما نخل به علامات لا تخفى، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، وبين كتفيه خاتم النبوة. فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل..»

وأقام سلمان بأرض عمورية ما شاء الله وهو يعمل لمعاشه، وإن الأمل العذب فى لقاء النبى العربى ليداعبه فى يقظته وفى أحلامه، واجتمع له مما يعمل بقرات وغنيمة، فظل يتربص حتى مر به نفر تجار من العرب، فساومهم أن يعطيهم بقراته وغنيمته ويحملوه إلى بلاد العرب.. وسار الركب منطلقاً إلى الصحراء يحمل سلمان إلى أرض الميعاد..!

يا للفتى مما احتمل فى سبيل الله!

خمس رحلات بلا زاد ولا مال، وليس له من أمل فى دنياه إلا ربه، وكل شأن من شئون الحياة يتصاغر فى عينيه حتى أهله ووطنه وجاه أبيه...!

العثير تثيره الرياح إلى الحلقوم والخياشيم، وذرات الرمال الساخنة تلطم الوجه بمثل أطراف الإبر، والشمس الحارة ترسل من أشعتها سهاماً من نار تشوى الوجوه والأقفاء، والماء فى القرب يوشك أن يجف من حر الصحراء، والحادى يحدو البُعْران فى طريق لم يزل بعد للأسفار، والفتى على بعيره شارد الفكر مذهوب اللب.

هذه رحلته الخامسة فى سبيل الله، وقد خلف الدنيا كلها وراءه لا يقيم لها وزناً ولا تخطر له على بال، لأنه مقبل على مهبط الوحى وأرض النبوة.. والحادى يحدو وفى نبراته حنين، وفى نغماته حزن وأسى، فهتف الفتى وقد هاج الحداءُ ذكرياته:

«يا لأبى الشيخ المسكين! يا لوطنى الذى فارقته منذ سنوات ولا أدرى متى أعود إليه.. رب، فى سبيلك هجرتى وإليك وجهت وجهى، فاكتب لى الكرامة والظفر بلقاء نبيك المختار، وأسبغ رحمتك يارب على أصبهان. إن فى أصبهان أبى. وإن لى بأصبهان هوى الحبيب إلى الحبيب...!»

●●●

ومضى الركب إلى غايته، فلما بلغ وادى القرى، همس الركب بعضهم إلى بعض يتآمرون على الفتى الفارسى، فباعوه من رجل يهودى عبداً..!

لقد بلغوا بالفتى حيث أراد ولكنهم جعلوا غُلاً فى رقبته، والفتى راض صابر، لأنه مؤمن بقضاء الله، لأن له أملا يريد أن يبلغ إليه فلا عليه مما يناله فى سبيله.. رحمة الله له!

وأرسل الفتى أذنه وراء كل اثنين يتهامسان، لعله يسمع نبأ عن النبى العربى.. وبلغ فى النهاية ما أراد: هذه هى الأرض الموعودة، أرض بين حرتين، بينهما نخل به علامات لا تخفى، إنها هى، فأين هو؟ فإنه لفى رأس عرق يعمل فيه ذات يوم لسيده بعض العمل، وسيده جالس تحته، إذ جاءه النبأ:

هذا رجل قادم يتحدث إلى سيده حديثاً ذا بال: «إن بني قلانة مجتمعون اليوم بقباء على رجل قدم عليهم من مكة يزعم أنه نبي..!»

يا للبشرى أيكون هو النبي الموعود؟

وسمعها الفتى فانتفض انتفاضة أوشك منها أن يسقط على سيده، فما هو إلا أن تمالك حتى نزل عن النخلة يستمع النبأ.

- «ماذا تقول يا رجل؟»

هكذا أقبل سلمان على القادم يستنبئه وإن سيده ليشهد. فما إن سمعه يسأل حتى غضب فلكمه لكمة شديدة وهو يقول:

«مالك ولهذا؟ أقبل على عملك!»

قال سلمان: «لا شيء، إنما أردت أن أستثبته عما قال!» ثم دار على عقبه ليخفي عبرة تنحدر على خده، وإن صدره ليجيش بعواطف شتى. فلما كان المساء جمع شيئاً من طعام كان له ثم ذهب إلى محمد بقباء:

«سيدي، إنه قد بلغني أنك رجل صالح، ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، وهذا شيء كان عندي للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم..!»

وتناول النبي الكريم من يد الفتى الفارسي ما قدم إليه، فدفعه لأصحابه لم يأخذ شيئاً منه. وتحققت للفتى أمارة..

ثم انصرف الفتى فجمع شيئاً وعاد إلى رسول الله يقول: «سيدي، إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة، فهذه هدية أكرمتك بها...!»

فمد النبي إليها يده فأكل وأكل أصحابه معه. وتحققت أمارة..

وطغى شعور الفرح على سلمان حتى أنساه قيد الرق وذل الإسار، فسار خلف النبي يتبعه لينظر منه شيئاً قد بقي من أمارات النبوة. فإن النبي ليمشي إذ انحسر رداؤه عن ظهره فرآى..

وتحقق الوعد المأمول فما تلبث الفتى حتى أكب على النبي الكريم يقبله ويبكي..

وآمن سلمان الفارسي بأن محمداً رسول الله ﷺ وانبثق الفجر الذي كان يرقب شروقه منذ سنوات وسنوات، وأضاء في قلبه النور الذي غمر البشرية كلها فحدد لها حدود سعادتها ورسم لها غايتها. ولم يمت سلمان حى انتشر الصبح وأشرق على ربوع فارس وأصبهان، وانتظمتها الدولة الإسلامية فصارت جزءاً من الوطن الإسلامي الذي يعيش فيه سلمان الفارسي.

ومازال النور ينتشر وينتشر حتى عم أقطار الأرض. ومات محمد بن عبدالله ولكن شريعته ظلت باقية تمد مدها ذات اليمين وذات الشمال، حتى عبرت المحيط، وجازت الجبال، وحطمت الحدود، وأزالت السدود، ورسمت حدود «الدولة الإنسانية» التي مازال المصلحون يعملون جاهدين ليبلغوا إلى تحقيقها كي يعم السلام الأرض وينتشر الأمن والرخاء، ولن يبلغوا إلى تحقيق هذه «الوحدة الإنسانية» إلا أن يعملوا على شريعة محمد. حينئذ تمحى الجنسيات، وتزول العصبيات، ويذهب الطغيان، ويعيش الناس إخواناً متحابين كما ينبغي أن يعيش أبناء الإنسانية.

طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

اذكر يوم الأذان

دخل رجل في جماعة من الناس على سليمان بن عبدالملك وهو جالس للعامة، فقال: يا سليمان اذكر يوم الأذان، فارتاع لما دعاه باسمه، وقال: ويحك، وما يوم الأذان؟ قال: قول الله - عز وجل -:

﴿ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(١)

فبكى سليمان، وقال: ما حاجتك؟ فقال: انا جار في ضيعتك الفلانية، وقد ظلمني وكيلك، فاضر ذلك بي وبعيالي، قال: قد وهبت لك الضيعة، وكتب إلى وكيله بتسليمها إليه.

حقاً

إحرص على ود القلوب من الأذى
فرجوعها بعد التنافر يعسر
إن القلوب إذا تنافر ودها
مثل الزجاجة كسرها لا يجبر

نصيحة

قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: لا يزهدنك في المعروف كفر من كفره، فقد يشكر الشاكر بأضعاف جحود الكافر، وقال الحطيئة:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه
لا يذهب العرف بين الله والناس

وقال آخر:

يد المعروف غنم حيث كانت
تحملها كفور أم شكور
ففي شكر الشكور لها جزاء
وعند الله ما كفر الكفور

لأنك تابع

عدا كلب وراء غزال، فقال الغزال:

إنك لن تلحقني، قال الكلب: ولم؟! قال الغزال: لأني اعدو لنفسي، وأنت تعدو لصاحبك.

(١) الأعراف ٤٤.

هــذا أشــعر النــاس

من لطائف المنقول عن المغفلين من الشعراء أن بعضهم دخل مسجد الكوفة يوم الجمعة، وقد نُعي خبر المهدي أنه مات، وهم يتوقعون قراءة الكتاب عليهم بذلك فقال رافعا صوته: **مات الخليفة أيها الثقلان.**

فقالوا: هذا أشعر الناس، فإنه نعى الخليفة إلى الإنس والجن في نصف بيت، وحدت الناس أبصارهم وأسماعهم إليه، فقال:

فكأنني أفطرت في رمضان

قال: فضحك الناس وصار شهرة في الحمق

نــادرة للعــز بن عبد الســلام

حكي أن شخصا جاء إلى الشيخ العز بن عبدالسلام الشافعي سلطان العلماء، فقال: رأيتك في المنام تنشد:

وكنت كذي رجلين رجل صحيحة
ورجل رمى فيها الزمان فشلت

قال: فسكت ثم قال أعيش ثلاثا وثمانين سنة، فإن هذا الشعر لكثير عزة، وقد نظرت فلم أجد بيني وبينه نسبة، فإني سني وهو شيعي، وأنا طويل وهو قصير، وشاعر ولست بشاعر، وأنا سلمي وهو خزاعي، وشامي وهو حجازي، فلم يبق إلا السن فأعيش مثله، فكان كذلك.

النــاس ثــلاث طــبقات

قال أنو شروان: الناس ثلاث طبقات تسوسهم ثلاث سياسات؛ طبقة هم خاصة الأبرار تسوسهم بالعطف واللين والإحسان، وطبقة هم خاصة الأشرار تسوسهم بالغلظة والعنف، وطبقة هم العامة تسوسهم بالشدة واللين كيلا تخرجهم الشدة، ولا يبطرهم اللين.

قــالوا..

من أسرع إلى الناس بما يكرهون، قالوا فيه ما لا يعلمون، ومن تتبع مساوىء العباد فقد تحلهم عرضه قال الشاعر:

لا تكشفن من مساوى الناس ما ستروا
فيكشف الله سترا من مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم إذا ذُكروا
ولا تعب أحدا منهم بما فيكا

دعــاء

اللهم يا أبصر الناظرين، ويا أسمع السامعين، ويا أسرع الحاسبين: أغثني بالعلم وزيني بالحلم، وأكرمني بالتقوى، وجملني بالعافية.

الحلم والصفح

من صفات الرسل والأنبياء

٢

لفضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف

لقد كان رد قوم شعيب عليه هو ، عدم استجابتهم لما يدعوهم إليه، بل كان ردهم طافحا بالاستهزاء به والسخرية منه، فقد قالوا له : يا شعيب إن كانت صلاتك تأمرك أن نترك عبادة الأصنام، وتأمرك أن نترك ما تعودنا على فعله فى أموالنا من التطفيف فى الكيل والميزان فصلاتك فى نظرنا لا قيمة لها ولا وزن عندنا.. وزيادة منهم فى السخرية منه، والاستهزاء به والتهكم عليه - عليه الصلاة والسلام - قالوا له : إن ما تأمرنا به من ترك عبادة الأصنام، ومن ترك النقص فى الكيل والميزان لا يتفق ولا يطابق حالك وما اشتهرت به بيننا من أنك الحليم الذى يتأنى ويتروى فى أحكامه، الرشيد الذى يرشد غيره الى ما ينفعه !! أى أن هذين الوصفين لا يليقان بك ما دمت تأمرنا بذلك، مع علمك اليقينى بأن هذين الأمرين قد بنينا عليهما حياتنا، وإنما اللائق بك أن تتصف بأضدادهما ، أى تتصف بالجهالة والسفه.. فعكسوا صفاته الحقيقية ليتهكموا عليه..

ولكن مع كل هذه السفاهة التى قوبل بها شعيب من قومه، نرى شعيبا - عليه الصلاة والسلام - ولأنه الحليم الرشيد حقيقة ، يتغاضى عن سفاهة قومه، لأنه يدرك جهلهم وعنادهم، وفى الوقت نفسه يؤمن بقوة الحق الذى أتاهم به من عند ربه، فيوجه حديثه إليهم بأنه لا يريد إلا إصلاحكم وسعادتكم، وما دمتُ أستطيع ذلك وأقدر عليه فلن أقصر فى إسداء الهداية لكم، ثم يفوض الأمور كلها بعد ذلك إلى الله، فهو وحده الذى عليه أتوكل وأعتمد فى كل شئونى، وهو وحده الذى إليه أرجع فى كل أمورى..

ثم توضح آيات القرآن الكريم - التالية لهذه الآيات الكريمة - معاودة شعيب -

عليه الصلاة والسلام - مخاطبة قومه بأسلوب مهذب حكيم، ناصحا لهم، منشطا لذاكرتهم بأن يتذكروا مصارع السابقين من أقوام سبقتهم كذبوا رسلهم : ما أصاب قوم نوح من غرق، وما أصاب قوم هود من ريح دمرتهم، وما أصاب قوم صالح من صيحة أهلكتهم.. فإذا لم تتعظوا بذلك فاتعظوا بما أصاب قوم لوط من عذاب جعل أعلى مساكنهم أسفلها، وهو حدث قريب منكم في الزمان والمكان «فزمن لوط ـ عليه السلام ـ كان غير بعيد من زمن شعيب ـ عليه السلام ـ وديار قوم لوط كانت قريبة من ديار قوم شعيب».. فاتحاً لهم باب الأمل في التوبة والاستغفار..

غير أن القوم كانوا قد بلغوا من الفساد نهايته، ومن الجهل أقصاه، ومن التحدي والتكذيب ما لا يؤمل فيهم رجاء، ومن الاستهانة بشعيب، وإظهار ضعفه ما يؤكد غرورهم وبطرهم، فيقولون له بكل كبر وتعال : إنه لولا عشيرتك التي هي على ملتنا وشريعتنا لرجمناك بالحجارة حتى تموت، ولكن مجاملتنا لعشيرتك التي كفرت بك هي التي جعلتنا تُبقي عليك، وما أنت علينا بمكرم، أو عزيز، أو محبوب، أو قوي، حتى تمتنع عن رجمك، بل أنت فينا الضعيف المكروه..

وهنا نجد شعيباً - عليه السلام - يغير في أسلوب مخاطبته لهم، فيهددهم بوقوع عذاب الله - الذي نزل عليهم بعد ذلك - على النحو الذي ورد في القرآن الكريم في بقية الآيات السابقة. «سورة هود الآيات من ٨٩ - ٩٥، وما ورد في سورتي : الأعراف والشعراء»...

وتنتقل آيات القرآن الكريم إلى سورة أخرى من سوره لتحكي لنا عن نبي آخر من أنبياء الله - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - وصفه القرآن الكريم بصفة الحلم، وهو سيدنا إسماعيل، يقول الله ـ تعالى ـ على لسان سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام :

﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾(١).

فتصف لنا هذه الآيات الكريمة سيدنا اسماعيل - عليه الصلاة والسلام - بصفة الحلم، وسيدنا اسماعيل هو الذي استجاب الله لدعاء أبيه سيدنا ابراهيم بأن يهب الله له ولدا صالحا يستعين به في نشر دعوة التوحيد، فبشره الله على لسان ملائكته بغلام ذكر من صفاته أنه يكون حليما.

وعندما نتابع الحوار الذي دار في هذه

(١) الصافات (١٠٠ : ١٠٩).

الآيات الكريمة في شأن تنفيذ رؤيا الذبح، بين سيدنا ابراهيم - الرجل الكبير الطاعن في السن الذي تمنى الولد على كبر فحقق الله له هذه الأمنية ثم يؤمر بأن يذبحه بيده - وبين ولده اسماعيل - الذي هو في أولى مراحل الشباب فقد كان سنه في ذلك الوقت ثلاث عشرة سنة، ونقرأ بتفكر وتدبر وإمعان رد اسماعيل - الصريح الواضح - على أبيه بالامتثال لامر الله، وطلبه من أبيه أن يفعل ما أمر به، وانه سيجده إن شاء الله من الصابرين المستسلمين لقضاء الله وقدره، الذين يتحملون البلاء بثبات إيمان، تدرك معنى ربط بشارة سيدنا ابراهيم بأن الله سيهب له ولدا، واتصاف هذا الولد بصفة الحلم.

وقد ذكر المفسرون آية اسماعيل - عليه السلام - لما هَمَّ أبوه بذبحه قال له : يا أبت اشدد رباطي حتى لا اضطرب، واكفف عني ثيابك حتى لا يتناثر عليها شئ من دمي فتراه أمي فتحزن، وأسرع مَرّ السكين علي حلقي ليكون أهون للموت عليّ، فإذا أتيت أمي فاقرأ عليها السلام مني».

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نموذجا فريدا، ومثلا طيبا، وقدوة حسنة في التحلي بالحلم والصفح، وقد حفلت السيرة النبوية بالكثير من أقواله وأفعاله التي تنطق بأنه ﷺ بلغ في التحلي بالحلم والصفح مرتبة لا يدانيها بشر، ولن يتسع المقام لبيانها تفصيلا، ولذا سأشير الى بعضها كامثلة، ومن رغب في المزيد فليرجع الى كتب السيرة النبوية فسيجد فيها ما يروى ظمأه ويشفى صدره وتقربه عينه ويطمئن به فؤاده.

عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت للنبي ﷺ : هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ من يوم أحد؟ قال «لقد لقيتُ من قومك ما لقيت، وكان أشدُّ ما لقيتُ منهم يومَ العقبة، إذ عرضْتُ نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كُلال فلم يُجبْني إلى ما أردت، فانطلقت. وأنا مهموم على وجهي، فلم أستَفِق إلا وأنا بِقَرْن الثعالب، فرفعتُ رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال : ان الله قد سمع قول قومك لك وماردُّوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم عليّ ثم قال : يا محمد، فقال : ذلك فما شئت، إن شئتَ أن أطبق عليهم الأخْشَبَين، فقال النبي ﷺ : «بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم مَنْ يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا».

وعن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت : استأذن رهط من اليهود على النبي ﷺ، فقالوا : السَّام عليك. فقلتُ : بل عليكم السَّامُ واللّعنة، فقال : ياعائشة ان الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله قلت : أو لم تسمع ما قالوا؟ قال : «قلتُ : وعليكم»[٢].

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أنه

(٢) البخاري (١٤/٨، ٧١، ١٠٤)، (٢٠/٩).

قال : كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه بُرْدٌ نجْرانيٌّ غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجذبه بردائه جذبة شديدة، حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثَّرت بها حاشيةُ البرد من شدة جذبته ثم قال : يا محمد مُرْ لي من مال الله الذي عندك، التفت إليه رسول الله ﷺ ثم ضحك ثم أمر له بعطاء»[٣].

وقد أراد الرسول ﷺ أن يُعَلِّم أصحابه هذا الدرس في الأناة وضبط النفس والحلم والصفح : فروى أن أعرابيا جاءه يطلب منه شيئا، فأعطاه الرسول ﷺ ثم قال له : أحسنتُ إليك؟ قال الأعرابي : لا، ولا أجملتَ !! فغضب المسلمون وقاموا إليه، فأشار ﷺ إليهم أن كُفُّوا.. ثم قام ودخل منزله، وأرسل إليه، وزاده شيئا، ثم قال له : أحسنتُ إليك؟ قال : نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا، فقال له الرسول : إنك قلت ما قلت آنفا، وفي نفس أصحابي من ذلك شيء، فإن أحببتَ فقل بين أيديهم ما قلت بين يديّ حتى يذهب ما في صدورهم عليك !! فقال الإعرابي : نعم، فلما كان الغد جاء، فقال النبي ﷺ : إن هذا الأعرابي قال ماقال فزدناه، فزعم أنه رضي، أكذلك، - موجها حديثه الى الإعرابي - قال : نعم فجزاك الله خيرا من أهل وعشيرة خيرا...

فقال رسول الله ﷺ : «مثلي ومثل هذا كمثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس - جروا خلفها - فلم يزيدها إلا نفورا، فناداهم صاحبها، فقال لهم : خَلُّوا بيني وبين ناقتي، فإني أرفق بها منكم وأعلم.. فتوجه لها بين يديها فأخذ من قمام الأرض، فردَّها حتى جاءت واستناخت، وشدَّ عليها رحلها، واستوى عليها، وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال، فقتلتموه دخل النار»[٤].

إن الرسول الحكيم لم تأخذه الدهشة لكنود الأعرابي أول الأمر، فقد عرف فيه طبيعة صنف من الناس مرد على الجفوة في التعبير والإسراع بالشر، وأمثال هؤلاء لو عوجلوا بالعقوبة لقضت عليهم - ولما كانت ظلما - ولكن في الوقت نفسه لن يسلم من عاجلوا بالعقوبة بعد ذلك من النقد والتجريح والذم.. وقد تتفاقم الأمور وتتدخل فيها العصبيات والقبليات وتسفك بسبب ذلك الدماء.

لكن المصلحين العظماء لا ينتهون بمصاير العامة إلى هذا الختام الأليم، إنهم يفيضون من أناتهم وحلمهم على ذوى النزق حتى يلحقوهم إلى الخير، ويطلقوا ألسنتهم تلهج بالثناء.

وهكذا الرسل والأنبياء عليهم جميعا الصلاة والسلام يلهمهم الله - سبحانه وتعالى - في جميع مراحل حياتهم ما يجعلهم في أعلى درجات السمو النفسي، واليقين القلبي، والكمال الخلقي.

---

(٣) فتح الباري ٦/٢٥١.

(٤) إتحاف السادة المتقين ٧/١٣٨.

رسالة .. و .. رد

لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان

الرسالة الأولى فى هذا العدد وردت من قارئ لم يذكر اسمه وأرسل مع رسالته القصيرة صفحات مصورة من كتاب الفقه على المذاهب الأربعة للشيخ الجزيرى من كتاب «النكاح» فى الجزء الرابع الذى يذكر فيه حكم النكاح قائلاً (النكاح ترد عليه الأحكام الشرعية الخمسة: الوجوب والحرمة والندب والإباحة والكراهة ويفصل ذلك كعادته بذكر آراء المذاهب فيما أجمل.

ويقول السائل فى رسالته الموجزة: ما المقصود أولا: بالكسب الحرام هل هو كسب الزوج فقط أو يدخل فيه كسب والدى الزوجين، ثانيا: عندما يكون الزواج حراماً هل يكون الزواج - يقصد العقد - صحيحا أم لا؟)

وإجابة على السؤال الأول فى هذه الرسالة أقول وبالله التوفيق:

لعل السائل يقصد بالمال هنا المال المدفوع مهراً للزوجة وما جهزت به لتأثيث بيت الزوجية.

وبداية أقرر أن من مفاخر الإسلام وحسن رعايته للمرأة واحترامه لها أن أعطاها حقها فى التملك بعد أن كانت فى الجاهلية مهضومة الحق لا يدع لها وليها فرصة التملك قبل الزواج ولايدع لها زوجها هذا الحق بعد الزواج.

فجاء الإسلام الحنيف وفرض لها المهر وجعل لها نصيبا فى الإرث قال تعالى:

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾(١).

أما المهر فهو فرض بنص الكتاب الكريم قال تعالى:

﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾(٢).

(١) النساء: ٧.

(٢) النساء: ٤.

ولم يجعل الإسلام حداً أقصى للمهر قال تعالى:

﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾(٣).

وهذا المهر المفروض إلى جانب أنه يحقق الذمة المالية للمرأة يجعلها طيبة النفس راضية بقوامة الرجل عليها قال تعالى:

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾(٤).

وبداهة نقول: إن هذا المهر مطلوب من الزوج للزوجة فلا تكلف المرأة بشئ من المال فى الزواج حتى نفقتها، فقد قرر العلماء أن المرأة ولو كانت غنية تجب نفقتها على زوجها لقوله تعالى:

﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ﴾(٥). وقول الرسول ﷺ «ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف»(٦). والنفقة المفروضة للزوجة على الزوج تشمل الطعام والشراب والكسوة والمسكن والخادم والدواء.

مما سبق يتبين أن المرأة لاتكلف بشئ من مالها فى الزواج لاقبله ولابعده، وعليه فالمراد بالمال الحلال مال الزوج، أو مال وليه، ومع ذلك يجب أن يراعى أن يكون مال الزوجة من حلال فربما طابت نفسها عن شئ منه لزوجها أو أطعمت بعض أولادها منه فيكون ما أكله هو وأولاده حلالاً.

وبالنسبة للإجابة عن الثانى نقول: إن الزواج المحرم الذى ذكره الشيخ الجزيرى فى كتابه كما ذكره غيره من العلماء فى كتبهم هو الذى يكون الزوج فيه غير قادر على أعباء الزواج من جماع ونفقة وخاف إن تزوج أن يقع فى المحظور كأن يجد نفسه مضطراً إلى كسب رزقه من طريق غير مشروع، فإنه يحرم عليه الزواج فى هذه الحالة ويجب عليه ألا يقدم على الزواج صيانة لدينه حتى تتوافر له أسبابه أو يقضى الله أمراً كان مفعولاً عملاً بقول الرسول ﷺ «يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»(٧). والباءة تكاليف الزواج وأعباؤه ومع أن هذا الزواج محرم لكن إذا أقدم عليه الزوج أو الشخص الذى حالته كذلك وتم الزواج بشرطه من ولى ومهر وإيجاب وقبول وشاهدين، فالزواج صحيح وتترتب عليه آثاره الشرعية، ويجوز للزوجة حينئذ أن تطلب الطلاق فإن أبى الزوج أن يطلقها جاز لها أن تطلب التطليق من القاضى بسبب عدم القدرة على المعاشرة

(٣) النساء: ٢٠.
(٤) النساء: ٣٤.
(٥) الطلاق: ٧.
(٦) البخارى ٣/٧.
(٧) شرح السنة ٩/٣٤١.

الجنسية أو بسبب عدم القدرة على الإنفاق والله أعلم.

والرسالة الثانية في هذا العدد وردت من القارئ الذي يرمز لاسمه بـ «و.ع» من منوف محافظة المنوفية يقول فيها: لقد تخرجت في إحدى الكليات النظرية ولم أتمكن من الحصول على عمل، وأشار على البعض باللجوء إلى أحد الأشخاص الذي يستطيع تعييني في وظيفة حكومية مقابل الحصول على مبلغ من المال وقد فعل هذا مع الكثيرين فهل هذا الأمر جائز شرعاً، أم أنه يقع في نطاق الرشوة؟ وعليه فهل أقبل هذا العمل أم لا؟ أفيدونا أفادكم الله.

– وقبل أن أجيب الأخ السائل عن سؤاله أود أن أقول له: إن الحصول على الشهادة من كلية أو أي جامعة ينبغي أن لاتكون وسيلة إلى الوظيفة بل المفروض أن يكون التعليم غاية لا وسيلة.. غاية للتنوير والتثقيف، فإذا سلك المتعلم الذي حصل على شهادة سبيل العمل أيا كان نوعه أعانه ذلك على الإتقان فيه والتبريز والتجويد ولعلك يا أخي سمعت عن قمم العلماء الذين كانوا ينتسبون إلى حرف وأعمال لاتمت إلى العلم الذي نبغوا فيه بأي صلة كالقفال والنجار والحداد وما إلى هؤلاء العلماء الافذاذ، لكن الشباب في مصر تعودوا على أن من حصل على شهادة يجب أن يعمل بها وإلا فلا فائدة لهذه الشهادة، عملا بالحكمة التي ورثناها من أجدادنا من قديم الزمان (إن فاتك الميري تمرغ في ترابه).

والآن جاء دور الإجابة عن سؤال الرسالة وقل لي بربك: إن لم يكن ما يأخذه منك هذا الشخص من مال لتعيينك رشوة فماذا يكون؟! وهل يفعل هذا مع كل الناس بلا مقابل؟! طبعاً لا، وإذن فأنت الراشي وهو المرتشي والشخص الذي دلك عليه هو الرائش بينكما أو الوسيط وقد جاء في الأثر «لعن الله الراشي والمرتشي والرائش بينهما»[8].

وقال تعالى:

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[9]

قال كثير من المفسرين: إن المراد بقوله:

﴿وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾ هو أموال الرشوة التي يقدمها الراشي إلى الحاكم أو غيره ليحصل على ماليس له.

فإذا كنت مضطرا إلى هذا العمل ولاسبيل لك إليه إلا هذه الطريقة فالحرمة تقع على المرتشي وحده بشرط ألا تحصل على عمل هو من حق غيرك، هذا والله أعلم وبه التوفيق.

(8) ابن عدي ٦/٢٠٠٩.

(9) البقرة (١٨٨)

من أصول تربية النشء

للأستاذ / مجدى عبدالحميد بشير

تربية النشء مهمة دقيقة لا يقوم بها إلا من فهمها حق الفهم ولهذه التربية أصول مرعية وآداب شرعية أدركها سلفنا الصالح بثاقب رأيهم وبعيد نظرهم وبصيرتهم التى تستقى من الكتاب والسنة ما يوائم كل عصر.

وتقدم فى هذه العجالة أمثلة ثلاثة تربى فيها النشء على الجرأة المهذبة والشجاعة الأدبية التى تنأى عن التهور والاندفاع فى أسلوب يتخذ من كريم السجايا وحميد الخصال دستورا لا يحيد عنه فقد روى الإمام مسلم عن سهل بن سعد رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى بقدح فيه شراب فشرب منه وعن يمينه غلام وعن يساره أشياخ فقال للغلام أتأذن لى أن أعطى هؤلاء فقال الغلام لا والله لا أوثر بنصيبى منك أحدا فتله رسول الله ﷺ فى يد الغلام أى وضعه فى يده فانظر رعاك الله كيف يستأذن الرسول ذو المقام الرفيع من الغلام الصغير وكيف يرد الغلام فى أدب جم.

وأما المثل الثانى فيتضح فيه شفقة الأب وحبه لولده بالإضافة إلى فقه الابن وحرصه الشديد على رضا أبيه فى أسلوب يشى بتربية خلقية رفيعة فقد دمعت عين عمر بن عبدالعزيز وهو يرى ولده عليه ثوب خرق فى يوم عيد انه منظر يثير الشفقة والتحسر فرآه ولده على هذه الحال فقال ما يبكيك يا أمير المؤمنين قال يا بنى أخشى أن ينكسر قلبك إذا رآك الصبيان بهذه الثوب الخرق البالى فقال يا أمير المؤمنين إنما ينكسر قلب من أعدمه الله رضاه أو عق أمه وأباه وإنى لأرجو أن يكون الله تعالى راضيا عنى رضاك فما أشد حرصهم على طاعة الله وابتغاء مرضاته فى الأعمال الدنيوية والأخروية.

وأما المثل الثالث فتظهر فيه مقارعة الحجة بالحجة واستخدام المنطق بكيفية لا تخالف الذوق السليم وتصطبغ كياسة وذكاء وفطنة نحس منها استيعاب المخاطب لما يقول فقد دخل وفد المهنئين على خامس الخلفاء الراشدين فى أول خلافته فتقدمهم غلام صغير لم يتجاوز عمره إحدى عشرة سنة فقال عمر ارجع أنت وليتقدم من هو أسن منك فقال الغلام أيد الله أمير المؤمنين، إنه افتتاح جميل يعطى كل ذى قدر قدره ثم يواصل الغلام فيقول المرء بأصغريه قلبه ولسانه إنه يذكرنا بقول الإمام على المرء مخبوء تحت طى لسانه لا تحت طيلسانه ثم يستطرد الغلام قائلا فإذا منح الله العبد لسانا لافظا وقلبا حافظا فقد استحق الكلام.

إنها مسوغات منطقية وحجج عقلية مقبولة تمهد لما يلى من الكلام حيث يقول الغلام، ولو أن الأمر بالسن لكان فى الأمة من هو أحق منك بمجلسك هذا ويقبل أمير المؤمنين فى رضا وتواضع نعم أليس هو عمر بن عبدالعزيز!

وبعد: فإن تربية النشء على الأخلاق الفاضلة مهمة لا يقوم بها إلا من فهمها حق الفهم وأدرك أن التربية السليمة أساس كل تقدم حضارى.

بين الصحف والمجلات

إعداد الأستاذ/ محمود الفشني

في غـــزة

إسرائيل تضرب الأطفال بالطائرات

هذا ما تحدث الأستاذ عنه عباس الطرابيلي رئيس تحرير الوفد في افتتاحية يوم الخميس ٢٠٠٢/٧/٢٥ حيث قال:

واضح أن إسرائيل عجزت عن اصطياد الرجال.. فـفكرت في اصطياد الأطفال.. وإذا كانت إسرائيل تشكو لطوب الأرض من نسف أتوبيس أو ملهى ليلي أو محطة باصات، فإن إسرائيل لم تعد قادرة على مواجهة رجال فلسطين.. فـفكرت في أن تواجه أطفال فلسطين.

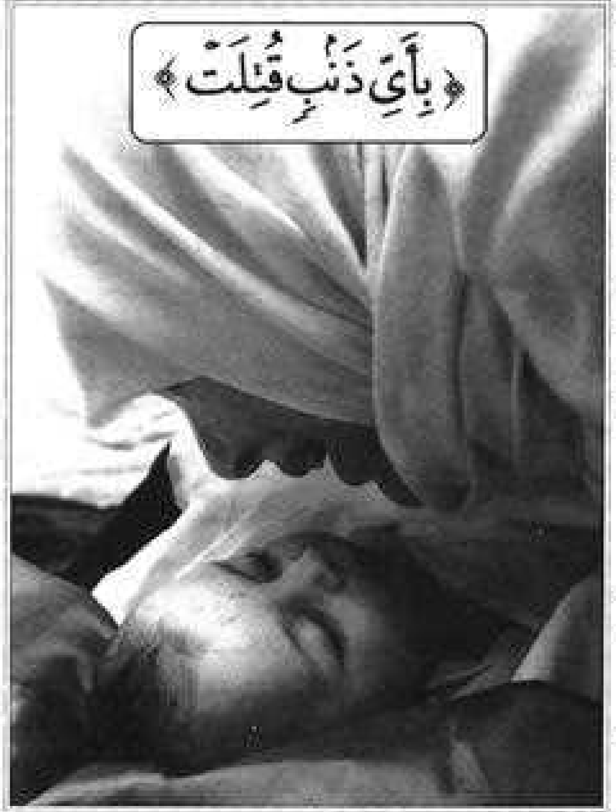
وما بين الرضيعة دنيا رامي مطر «شهران» والصبية إيمان شحاتة «١٤ عاما» كان أطفال فلسطين هم الهدف العسكري الذي وجهت إسرائيل أبشع أسلحتها وهي الطائرة المقاتلة «إف - ١٦» ولم ترتكب إسرائيل هذه المجزرة برشاشات هذه الطائرة المرعبة ولكنها نفذت من خلال قنابل زنة الواحدة ١٠٠٠ كيلو جرام.. وتخيلوا قنبلة بهذا الوزن وما تحدثه من دمار في الحصون.. وعدد شظاياها الرهيبة وما تحدثه في بيوت من طوب وأسقف من صفيح.. وكان أن اختلطت دماء الأطفال بطعام العشاء في سكون الليل في أزقة مدينة غزة، التي تعد من أكثر مدن العالم في كثافة السكان.

●● هي إذن حرب ضد أطفال فلسطين أعلنها السفاح شارون وتابعه اليعازر، ذلك اليهودي العراقي الذي كان يحمل اسم فؤاد حتى تجاوز عمره العاشرة.. وإلا فماذا نسمي عملية غزة الأخيرة؟!.

لقد سقط فيها أطفال صغار: أيمن ١,٥ سنة ومحمد الحويطي ٣ سنوات وشقيقه الأكبر محمود ٤,٥ سنة. وأحمد الشوا ٣ سنوات ودنياه ٥ سنوات ومحمد ٤ سنوات أبناء الشهيدة إيمان حسن مطر الذين سقطوا في أحضانها ضحية نذالة جيش إسرائيل.

ويستمر مسلسل الأطفال الذين أرهبوا إسرائيل فأرادت أن تحرمهم من الحياة، لأنها تخشاهم عندما يبلغون الحلم. ولم تفرق ترسانة شارون بين صبي وصبية.. لم تفرق بين إيمان الحويطي «١٠ سنوات» وآلاء مطر «١١ سنة» أو

إيمان شحاته «١٤ سنة».. ولم تفرق بين الأطفال والأمهات، وبات واضحا أن إسرائيل تخشى أطفال فلسطين.. تماما كما تخشى أمهات فلسطين الولودات.. فقررت إسرائيل أن توجه أسلحتها إلى أمهات وأطفال فلسطين.. وهذه هي شجاعة المقاتل الجبان الذى يقاتل من وراء جدار أو متدرعا بالدبابات والمصفحات.. أو قاصفا من أعلى حيث لا يستطيع أحد أن يناله، خصوصا في بهيم الليل.



من يحاكم إسرائيل على فظائعها

وعلى صفحات الأهرام كانت هذه الصرخة للأستاذ ابراهيم نافع نقيب الصحفيين

فى افتتاحية الأهرام فى ٢٠٠٢/٧/٢٦

ارتكبت إسرائيل جريمة نكراء ضد أبناء الشعب الفلسطينى، تضاف إلى سلسلة فظائعها وجرائمها، التى لم تنقطع، منذ أن أعلنت كدولة على جزء من أرض فلسطين بموجب قرار التقسيم. والجريمة الإسرائيلية الجديدة وقعت حين حلقت طائرتان هجوميتان من طراز «إف - ١٦» الأمريكية المتطورة، وأطلقت إحداهما صاروخا باتجاه مبنى سكنى وسط حى مدنى، وفى ثوان معدودات، تحول المبنى المكون من طابقين إلى كتلة من الحطام، وانهار بالكامل فوق رءوس السكان النائمين.

وقد أسفر هذا الهجوم البربرى عن استشهاد ثمانية عشر فلسطينيا، من بينهم ثمانية أطفال أصغرهم طفلة عمرها شهران فقط، كما أصيب فى الغارة أكثر من مائة وخمسين فلسطينيا كلهم من المدنيين الأبرياء.. فأى وحشية وأى همجية بربرية ممن تزعم أنها الدولة المتحضرة التى تحارب الإرهاب وتتهم الفلسطينيين المكافحين!!

وكان هذا التعجب للأستاذ أحمد بهجت فى الأهرام قال فيه:

لم نسمع عن جيش خرج يطارد شخصا إلا فى زماننا بغرائبه وأعاجيبه، إن الغارة التى قامت بها القوات الإسرائيلية على غزة كانت تستهدف فى



الأساس مجاهدا فلسطينيا هو صلاح شحادة (٤٩ سنة) مؤسس وقائد كتائب عزالدين القسام، الذراع العسكرية لحركة المقاومة الإسلامية «حماس»، وقد ضربت إسرائيل بيته بصاروخ من طائرة (إف ـ ١٦) وهو صاروخ يحمل أكثر من طن من المتفجرات.

واستشهد مع زوجته وإحدى بناته الست، ولم يعثر على جثته لأن الصاروخ دمر المبنى المستهدف ودمر خمسة منازل مجاورة، واختلطت أشلاء الشهداء بعضها ببعض، كما اختلطت بقطع الحجارة والملابس والأثاث التي تناثرت في المكان المستهدف وهو حي سكني مكتظ بالسكان، وتم التعرف على الشهداء بصعوبة بالغة بعد أن تحولت أجسادهم إلى شظايا صغيرة من اللحم المحترق والممزق.

وهذه هي المرة الثانية التي تقصف فيها مقاتلات إسرائيلية من طراز (إف ـ ١٦) منازل سكنية بهدف اغتيال المجاهدين، وهؤلاء تعتبرهم إسرائيل من الإرهابيين، وتسمح لنفسها بقتلهم دون محاكمة أو اتهام.

ماذا نحن فاعلون

وكتب يقول أحمد صالح في جريدة الأسبوع في ٢٩ / ٧ / ٢٠٠٢ صارخا ومستنجدا ماذا نحن فاعلون؟

حينما قامت طائرات (الـ اف ـ ١٦) بقصف منازل الفلسطينيين ليلة الثالث والعشرين من يوليو كنا نتابع في نفس الوقت احتفالات مصر بثورة ٢٣ يوليو المجيدة وبينما كانت الأغاني والأفلام التي تمجد الثورة تصدح من على ضفاف النيل كانت يد الغدر تغتال براءة تسعة من الأطفال ورجلين أحدهما قائد الجناح العسكري لحركة المقاومة الفلسطينية حماس صلاح شحادة ومساعده وزوجته وابنته ذات الاثنى عشر عاما وتصيب ١٥٠ آخرين بعدما هدمت طائرات العدو أربعة منازل على من فيها إضافة إلى ورشة صغيرة.

المذبحة لم تكن عابرة، وتوقيتها لم يكن عشوائيا والأدوات المستخدمة فيها صفعت الوطن العربي من المحيط إلى الخليج على وجوههم فمشهد جثث الأطفال الطرية وهي تخرج من تحت ركام المنازل كان موجعا، والأذرع والأرجل التي استخلصها أقارب الشهداء وهي ملوثة بالتراب، أهالت على كرامتنا وعزتنا الوحل، وخزتنا المناظر.. التي تبثها الفضائيات من كل حدب وصوب في عيوننا وأدمت قلوبنا وبالرهافة احساساتنا ونحن نبعد أطفالنا ونساءنا عن متابعة المشاهد، لم نخش جرح مشاعرهم، ولكننا لم نكن نملك إجابات.

بين المجلة.. والقارئ

إعداد وتقديم / عادل رفاعى خفاجة

حبة القمح

كلما تمر السنون يزداد الإنسان شوقاً لأيام خلت ويجذبه الحنين لتلك الذكريات، وبخاصة تلك الذكريات التي صاغها رجال أحبوا العمل لوجه الله الكريم.

أذكر من هذه الذكريات قصة حكاها لنا أستاذنا، ونحن لم نزل بعدُ في مرحلة الطفولة ولعل هذه السن المبكرة هي التي حدت بأستاذنا أن يتبسط في سرد حكايته، بل ويدعمها بوسيلة للإيضاح.

ذلك أن أستاذنا ـ نسأل الله أن يرحمه ويرزقه الجنة بفضله ـ جاءنا في اليوم المخصص للقصة، يحمل صرة متواضعة الحجم، وضعها أمامنا في حرص شديد، ليلفت انتباهنا، ثم شرع يحكي لنا قصة دارت حول أهمية العمل للإنسان، حيث خرج بطل القصة سعياً وراء رزقه بعد أن صلى الفجر ودعا الله أن يرزقه لقمة عيشه.

وتوجه الأستاذ إلينا بالسؤال، يستفسر عن معنى لقمة العيش؟! وهكذا كان يفعل، ليدربنا على معرفة المترادفات ولم تخرج إجاباتنا عن قولنا: لقمة الخبز، ولاشك أن أستاذنا كان يعلم تماماً أننا سنجيب بهذه الإجابة التي تناسب أعمارنا الصغيرة، ولم يكن يريد منا أكثر من هذه الإجابة التي جعلها نقطة انطلاق لهدفه، الذى أعد له عدته، فقد أتى بالصرة التي كان قد وضعها أمامنا وفتحها، ومرَّ بيننا جميعا لنرى ما بداخلها، ولم يكن من الصعب علينا أن نتعرف على حبيبات القمح التي بداخلها، وكم كان سروراً عندما وزع على كل واحد منا حبة، وطلب منا أن يحافظ كل منا على حبة القمح في يده واستمر كلامه عن أهمية العمل للحصول على لقمة العيش، وأفاض في توضيح أهمية تلك القمحة التي في يد كل واحد منا وأنها أساس لقمة العيش، ثم أهمية العمل للحصول على

تلك اللقمة. ويومها قال - ما شاء الله له أن يقول - موضحا الجهد البالغ الذى بذله الفلاح حتى منّ اللهُ عليه بهذه الحبوب وضرورة الحفاظ عليها وعدم التفريط فيها!!

وأنهى سرده لقصته الجميلة الشيقة التى كنا ننتظرها كل أسبوع وكنا نحب المدرس من أجلها كثيراً، وأنهى كذلك تعليقاته على القصة وأسئلته التى كانت تؤكد على بعض المعانى وتلقى عليها الضوء.

ولعله كان يرمى من وراء ذلك أن يعلمنا: أهمية الصلاة، ضرورة الاستيقاظ المبكر، أهمية العمل، توضيح الدور الذى يبذله الفلاح الذى زرع القمح من أجلنا.. إلخ.

غير أن درسا آخر وجد طريقه إلى نفوسنا حينما مرَّ بيننا ليجمع حبات القمح مرة أخرى وقد علت على وجهه ابتسامة، وهو يردد مع كل حبة قمح يأخذها: «حافظ على لقمة العيش» بالإضافة إلى عبارات أخرى تؤكد أن هذه الحبة الصغيرة فيها من الخير الكثير.

●●●

لقد استطاع أستاذنا النابه، والمحب لعمله أن يزرع بداخلنا حب العمل، والصبر، والتعلق بالخير والحرص عليه مهما كان صغيراً بسيطاً.

فلما مرت السنون علمت أن أستاذنا ما قصد بحبة القمح إلا الرمز لكل ما يأتى به السعى من رزق أو العمل الذى يتوصل به الإنسان إلى رزقه الذى قسم الله له.

عادت إلى ذكراتى هذه القصة حينما رأيت أحد رجال البلدية يلقى بعربة أحد الباعة الجائلين، وما عليها فى عرض الطريق، لتتناثر ثمار البطيخ - التى كانت على تلك العربة - متهشمة لتختلط برمال الطريق.

لقد تجاوز واجبه القانونى حيال إنسان، ربما كان مخطئا بعدم حيازته ترخيصا أو ما أشبهه من أمور لابد أن رجل البلدية يحفظها عن ظهر قلب، وهو مخطىء - بكل حال - بإلقائه بنعمة الله تعالى فى عرض الطريق، وإثارة غضب المارة.

وقد تعالت همهماتهم، وتداخلت، فمنهم من يقول: رجل غليظ القلب، ليس عنده رحمة. ومنهم من يقول: هذا حسن، لابد أن يكون الطريق على اتساعه ليعطى سهولة فى المرور.

ومن بين العديد من الكلمات المتداخلة التى تشابه وتحاكى اختلاط الناس وازدحامهم.. استطاعت بعض الكلمات أن تجد طريقها إلى سمعى بوضوح برغم خروجها متعثرة من ذلك الشيخ العجوز: «ماذا يفعل هذا المسكين؟ هل يسرق بعد أن ألقوا لقمة عيشه على الأرض؟»

أعادت كلمات العجوز إلى ذكراتى حبات القمح التى حرص المدرس أن يجمعها منا بحرص شديد، ولم يتركنا نرمى بها على الأرض - برغم أن كل منا لا يحمل غير حبة واحدة - ومع نظراتى لتلك الثمار التى تهشمت واختلطت برمال الأرض.. تمنيت لو أن رجل البلدية هذا كان معنا فى الفصل يضم يده فى حرص على حبة قمح.. إذاً لوعى الدرس، ولما فعل هذا!!

فليرحم الله ذلك المدرس وأمثاله الذين آمنوا بأن التعليم رسالة.

وليرحم - كذلك - مدرسى هذا الجيل الذين يعانون من غلاء ضاغط لم يجعل لهم سبيلاً لاقتفاء آثار الصالحين من سابقيهم.

أيـــن الثقافـــة السياســـية

ما أجمل أن يعايش الشاب قضايا بلاده ويهتم بها حتى يعرف أين موقع بلاده – بموضوعية – من الدول الأخرى، وما الذى يجب عليه أن يعمله حتى يرتقى ببلاده إلى حيث يجب أن تكون، وعن هذا يقول القارىء: أحمد محمد خلف / سمالوط. المنيا.

هالنى ما رأيته من عدم معرفة الشباب أسماء الوزراء ولا المسئولين حتى فى مجالسهم المحلية فهم لا يعرفون اسم المحافظ ولا رئيس مجلس المدينة وقد سألت بعض الطلبة الزملاء فى المرحلة الثانوية فإذا بهم لا يعرفون وزير الخارجية السيد / أحمد ماهر وإذا بأحدهم يفكر ويطيل التفكير ليقول – الرجل الذى جاء بعد عمرو موسى وزير الخارجية السابق – فإذا كان وزير الخارجية بهذا القدر من المنصب الدبلوماسى الخطير، والحيز الإعلامى الذى يشغله، لا يعرفه الكثير من الشباب، فما بال الوزراء الآخرين.

– لقد استمعت فى برنامج « منتدى الشباب » إلى إحصائية عن معرفة الشباب بالوزراء، حيث وصلت معرفتهم برئيس الوزراء إلى نسبة ٧٠٪ ووزير الإعلام ٦٥٪ ووزير التربية والتعليم ٥٥٪ ووزير الشباب ٣٥٪ ورئيس مجلس الشعب ٣٥٪ ورئيس مجلس الشورى ١٥٪ وهذه النسب ضئيلة جداً فكيف يكون الحال بالنسبة لوزراء مثل وزير التنمية المحلية ووزير التنمية الإدارية ووزير البيئة؟ بالتأكيد ستكون نسبة المعرفة بهم أقل من سابقيهم. وأما عن رؤساء ووزراء الدول الكبرى فحدث ولا حرج.

– وأنا أرجع هذا الحال المتردى من الثقافة السياسية – وإن كنت لا أعتبرها سياسية بقدر ما هى « معلومات عامة » – إلى عدة أسباب منها:

١– النظام التعليمى: الذى يعتمد على الحفظ والتلقين حيث يكب الطالب على الدراسة ليحفظ الأسئلة والأجوبة فإن اشترى بعض الصحف التى يداخلها وريقات بها بعض الامتحانات فإنه يرى الامتحانات دون النظر إلى ما تبقى من أوراق الصحيفة وهذا عن الطالب المتميز.

٢– أما الطالب الكسول فقد انشغل بما تقدمه بعض الفضائيات الغربية من أفلام وأغان هابطة تعين على الفاحشة والمنكر ومعصية الله وهكذا يكون قد استجاب للغزو الفكرى الغربى الذى حرص على أن يدمر هذه الأمة أخلاقياً وعلمياً.

٣– كان ما سبق عن الشباب الذين ما يزالون فى المراحل التعليمية المختلفة، أما الذين أنهوا دراستهم فهم إما يبحثون عن وظيفة – منشغلين بهذا الأمر وليس على بالهم ما يدور من أحداث خارجية أو داخلية.

أو يعملون فى وظيفة وقد شغلتهم الحياة ومتطلباتها وليس لديهم وقت لمشاهدة البرامج السياسية أو حضور الندوات.

● ويقع الدور على الحكومة فى تنشئة جيل يعرف قدراً من الأحداث التى تدور حوله وتوفير

ذلك له، فمثلاً وزارة التربية والتعليم عليها أن ترسل للطلبة بعض المتخصصين لشرح ما يجرى فى الدولة من أحداث هامة وتطورات الأوضاع فى الأراضى الفلسطينية، قبل أن ينشأ جيل لا يستطيع أن يرد على الأباطيل التى يرددها الإعلام الغربى ضد الإسلام والمسلمين والعرب ولا يستطيع أن يقرع الحُجة بالحجة لأنه خاوٍ من الثقافة السياسية.

– وعلى وزارة الإعلام أيضا تخصيص مواعيد متقدمة للبرامج السياسية والاجتماعية والدينية على أن تكون نهاراً أو مبكراً عن مواعيدها الحالية حتى يتسنى لأكبر عدد من المشاهدين مشاهدتها والاستفادة منها.

– لقد قال الدكتور/ محمد مندور [إن المواطن الذى لا يهتم بسياسة وطنه، ولا يبدى فيها رأياً ولا يتخذ حيالها وضعاً، هو المواطن الفاسد بل الكائن الطفيلى الذى لا يحق له أن يتمتع بخيرات وطنه وشرف انتمائه له] (د. محمد مندور: الديمقراطية السياسية ط الهيئة المصرية العامة للكتاب – مكتبة الأسرة).

– فعلينا أن نُنشئ جيلا يعرف ما يدور حوله من أحداث حتى يكون قادراً على تحمل أعباء المستقبل!

الموهبة والإبداع فى الشعر

أما القارىء/ على اسماعيل درويش / الطالب بكلية اللغة العربية بالمنصورة.

فقد أرسل هذه الكلمات الطيبة عن الإبداع فى الشعر تقدمها لكثير من القراء الذين يظنون أن كتابة الشعر مجرد قوالب وأوزان.

يقول القارىء:

لأى عمل شعرى متطلبات يجب على المبدع أن يعيها جيداً والأمر الأول هو الموهبة والموهبة موضوع حديثنا.

ولابد لهذا الأمر – الموهبة – أن يسرى فى جسم صاحبه ويجرى منه مجرى الدم فى العروق حتى يلهبه ويوقد فيه جذوة الحمية التى بها تجود خاطرته بأعذب الألفاظ وأنقى العبارات تكون هى الرابطة الوطيدة بين المبدع والمتلقى. وعلى ذلك فإن الموهبة إذا انعدمت فى شخص وراح بدونها يصطنع العمل الإبداعى فهو كأعرج يتكىء على عصا مكسورة وليس خليقاً أن يكون لعمله أثر فى نفس المتلقى وسرعان ما تذوب شاعريته كما يذوب الليل فى أنفاس الصباح. أما الموهوب فإن عمله يهطل على المتلقى كهطول الأمطار على الأرض العطشى لتخضر أرجاؤها وتكسوها روائع الفل والياسمين.

– ولقد تنبه الجاهليون لهذا العنصر واقتصر قول الشعر فيهم على من وجد فيه الحس الأدبى المرهف والمشاعر الجياشة حتى سموا بعض الشعراء بالنوابغ منهم من نبغ فى الشعر وهو صغير السن والآخر قال الشعر وهو كبير.

ولعل أجدرهم وأقواهم شعراً هو النابغة الذبياني الذي إليه احتكم العرب وتصبوه على مائدة القضاء الإبداعي يشهد لشعرائهم بالجودة والنقاء.

وأشعار الجاهليين شاهدة على ذلك وقلما أن نجد فيهم شاعراً ركيكاً مسفاً حتى في الشاعرات منهم فقد اتسمن برصانة العبارة وجزالة الأسلوب بعد أن سيطرت عليهن الموهبة الشعرية وملكت عليهن كل فؤادهن.

* (فالخنساء) مثلاً تئن وتتوجع وتصرخ في شعرها لفراق أخيها صخر قائلة..

فلا والله لا أنساك حتى
أفارق مهجتي ويشق رمسي
فقد ودعت يوم فراق صخر
أبي حسان لذاتي وأنسي
فيا لهفي عليه ولهف أمي
أيصبح في التراب وفيه يمسي

فترى الخنساء تصور نيران الحزن المتأججة في صدرها في قوالب شعرية لا يمتد أثرها إلى الإنسان فحسب بل يسرى إلى الجمادات حتى إن الصخور الصماء تكاد من شدة أثرها تبكي.

* وها هي الأخرى (جليلة بنت مرة) تدافع عن نفسها أمام أخت زوجها بعد أن قتل أخوها زوجها (جساس كليب بن ربيعة) وهذا موقف يحتار له الحكماء ويتوقف من شدته فكر أولى الألباب فالقاتل أخ والمقتول زوج ولكن الملكة الشعرية تنضح بما يختلج في نفس هذه الشاعرة وما يصوره فكرها لينصدع لها أهل زوجها فتقول لأخت زوجها:

يا ابنة الأقوام إن شئت فلا
تعجلي باللوم حتى تسألي
فإذا أنت تبينت الذي
يوجب اللوم فلومي واعذلي
إن تكن أخت امرىء ليمت على
شفق منها عليه فافعلي

وتصور لها هذا الحادث الجلل الذي ألم بها فتقول..

يا قتيلاً قوض الدهر به
سقف بيتي جميعاً من عل
هدم البيت الذي استحدثته
وانثنى في هدم بيتي الأول
ورماني قتله من كثب
رمية المصمي به المستأصل

وأخيراً تفوض الأمر إلى بارئها فتقول..

انني قاتلة مقتولة
ولعل الله أن يرتاح لي

والمتأمل في هذه الأبيات يرى فيها دقة التصوير والجمال الفائق الذي طغى عليها.

إذن فالموهبة عنصر ضروري في العمل الشعري كي يخلد ذكراه ويطول أثره لأن الإبداع الشعري ليس شيئاً مصطنعاً يتكلفه المتشاعرون، وإن تكلفوه رك شعرهم وصال في دائرة الإسفاف لأنهم ليسوا موهوبين.

والموهبة مثلها مثل أي كائن حي تحتاج إلى رعاية فتولد صغيرة تحبو في مهدها الأول ينثني عليها صاحبها ويرعاها ويضفي عليها زيادات تجعلها فتية شابة.

وكذا تحتاج من صاحبها الاندماج في حومة مجتمعه فإن فحول الشعراء أمثال الفرزدق والمتنبي وشوقي قد فرضوا أنفسهم على الساحة الشعرية وتربعوا على عرشها لأنهم عايشوا الناس أفراحهم وأحزانهم وهذا ما جعل المتنبي يقول..

أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى
وأسمعت كلماتى من به صممُ

* أزيد على هذا قائلاً: إن التنقل من بيئة إلى أخرى تضفي على الموهبة تغيرات عدة فالبيئات هي مصدر الإلهام للشعراء وخير مثال على ذلك الشاعر البدوى الذى أراد أن يمدح فلم تجد قريحته إلا أن يصف محاسن ممدوحه بقوله..

أنت كالكلب فى حفاظك للعهد
وكالتيس فى قراع الخطوب

فذلك الشاعر لم يرَ إلا الصخور الصماء والطبيعة الخشنة التي أثرت على قريحته. وانظر إليه عندما انتقل إلى بغداد وعايش الحضارة والمدنية، انهمرت على جعبته الفيضانات العذبة وخالطت الرقة فيه شعوره فتغزل وقال..

عيون المها بين الرصافة والجسر
جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

وأخيراً فإن الموهوب دائماً يهتبل كل فرصة تواتيه لإخراج إبداعاته القيمة فهو يعشق الجمال وينأى عن الردىء.

لبن العصفور

أرسل القارىء / محمد ناجي أحمد صابر.. كلية التربية - جامعة عين شمس يقول كنت أظن أن «لبن العصفور» لا وجود له، حتى قرأت هذه الكلمة في مجلة العلم العدد ٣٠٩ ص ٥٢ حيث ورد بها:

« كثيراً ما نسمع عن لبن العصفور في أمثالنا الشعبية فهل للعصفور لبن؟ والاجابة: نعم للعصفور لبن لا يختلف في جوهره وتركيبه عن لبن أى حيوان من الكائنات الحية.. فهو يحتوى على مادة بروتينية تسمى « كازينوجين » ودهن وسكر اللاكتوز وهي نفس مكونات اللبن الطبيعي المعروف لنا جميعا.. إلا أن لبن الطيور بصفة عامة يختلف عن لبن الحيوانات الأخرى في بعض الخواص الطبيعية.. لأنه ليس سائلاً ولكنه على هيئة فتات أبيض اللون هش سريع التكسر أشبه بما يكون بفتات الجبن الأبيض - وللعلم أن لبن الطائر تفرزه حويصلة الأنثى والذكر على السواء، ولذلك يشترك الذكر والأنثى معاً في إطعام أفراخهما الصغيرة وعندما تضع العصفورة منقارها في فم أفراخها الصغار فإنها في الواقع تطعمهم لبناً حقيقياً.. ومن هنا فلبن العصفور حقيقة علمية وليس خرافة ».

وإني أرجو أن تخصصوا جزءاً، وليكن تحت عنوان قرأت لك، أو من مطالعات القراء، تنشرون فيه الطريف أو الجديد في دنيا العلم. فكم هو جميل أن نتابع ما يصل إليه العلم لنعرف أن العالم مليء بالأسرار فنقول: « سبحان الله ».

● **المحرر:** مرحباً بك يا أخ محمد وأحب أن تعلم أن القراء كتبوا من قبل تحت هذا العنوان، ولكنهم توقفوا فأهلاً بك لتكمل المسيرة.

دعابة شعرية

رزق الأديب السورى أمين تقي الدين ولداً سماه (حافظ) إعجابا بحافظ إبراهيم، ودارت حول ذلك مساجلة أدبية رصدها الأستاذ هلال الحبشي من برهمتوش بقلمه القاحص النقاب يقول:

رزق الشيخ أمين تقى الدين الأديب السورى بمولود سماه حافظاً وقال فيه:

لى ولد سميته حافظاً ...
تيمنا بحافظ الشاعر

فقال حافظ:

كحافظ إبراهيم لكنه ...
أجمل خلقاً منه فى الظاهر

فلعنة الله على (حافظ) ...
إن لم يكن بالشاعر الماهر

لعل أرض الشام تزهى به ...
على بلاد الأدب الزاهر

على بلاد النيل تلك التى
تاهت بأصحاب الذكا النادر

(شوقى) و(مطران) و(صبرى) ومن
سميته فى مطلعى الباهر

فقال الشيخ أمين:

وا خجلتى إن لم يجىء شاعراً ...
ينسى أباه حكمة السائر

شعر نظمناه ولولا الذى
رزقته ما مر بالخاطر

فقال حافظ:

فيا وليدى كن غداً شاعراً ...
وابدأ بهجو الوالد الآمر

فالذنب ذنبى وأنا المعتدى ...
هل يسلم الشاعر من شاعر

يا مسلمون تذكروا!

للقارىء / عبدالرحمن حمدى والى - الطالب بمدرسة الهدى والنور بالمنصورة:

اشتد بى ضيق الكروب
وتمزقت منا القلوب

وشرعت أمضى فى طريقى
هائما بين الدروب

الحق ودع راحلاً
والشمس كاسفة تغيب

والكفر يهتف فى جحود بين رايات الصليب
والنار تأكل مصحفاً وتبث فى الكون اللهيب
والحائرون بكل درب يهتفون ولا مجيب
بلداننا بين الممزق والمدنس والسليب
فرجالنا عشقوا التخاذل والتقاعس والنحيب
القدس تصرخ تستغيث .. وتستجير .. ولا مجيب
يا مسلمون تذكروا، وتدبروا هدى الحبيب

أنباء العالم الإسلامى



للأستاذ / محمد الشرقاوى

إسرائيل استخدمت قنابل زنة طن فى غزة

نقلت صحيفة «هاآرتس» عن وزير الدفاع الإسرائيلى «بنيامين بن اليعازر» اعترافه بأن الجيش الإسرائيلى استخدم قنابل زنة طن «٤٧» مرة «فى ضرب أهداف فى الأراضى الفلسطينية قبل المذبحة الأخيرة فى غزة جاء اعتراف بن اليعازر أمام أعضاء لجنة الشئون الخارجية والدفاع فى الكنيست فى جلسة لبحث الإدانات الدولية للمجزرة التى أودت بحياة ١٥ فلسطينيا.

المحرر: ٤٧ طن من المتفجرات ألقيت على الأراضى الفلسطينية فهل لنا أن نتصور مدى الدمار والخراب الذى أحدثته هذه الأطنان الهائلة من المتفجرات بالشعب الفلسطينى الأعزل، ترى من الإرهابى الحقيقى الفلسطينيون أم اليهود؟!

بشهادة مسئول إسرائيلى
المستوطنون ارتكبوا مذبحة فى الخليل

نقلت صحيفة «هاآرتس» الإسرائيلية عن أحد مستشارى وزير الداخلية الإسرائيلى «عوزى لاندو» وصفه للممارسات الهمجية التى قام بها المستوطنون فى مدينة الخليل «بالمذبحة» وقال مستشار «عوزى» ويدعى «موسى جيفاتى» إن المستوطنين ارتكبوا مذبحة بحق مواطن الخليل – أثناء جنازة مستوطن – بدون أى استفزاز من جانب الفلسطينيين حيث اقتحموا المنازل وحطموا نوافذها وقتلوا صبية فلسطينية عمرها ١٤ عام.

مؤتمر دولى لرابطة الأدب الإسلامى العالمية

تقيم رابطة الأدب الإسلامى العالمية مؤتمرها الدولى السادس فى الفترة من ١٥ أغسطس ولمدة أربعة أيام وقال الدكتور / عبد المنعم أحمد يونس – رئيس مكتب الرابطة بالقاهرة إنه سيناقش تقريب المفاهيم عن الأدب الإسلامى بالإضافة إلى أبحاث مقدمة يشارك فيها أدباء من (١١) دولة عربية وإسلامية وعدد من رموز الفكر والأدب والشعر.

مخيمات صيفية فى روسيا لتعليم مبادىء الإسلام

قامت اللجان الدينية بالجمهوريات الإسلامية الروسية بالاستعداد لإقامة ثلاثة آلاف مخيم صيفى إسلامى فى المدارس الدينية والمساجد المنتشرة وذلك فى إطار اهتماماتها التى تهدف إلى تعليم أطفال المسلمين الروس مبادىء الدين الإسلامى الحنيف وأحكام القرآن الكريم ومطالعة السيرة النبوية وتستمر حتى الأول من شهر سبتمبر المقبل.

ففى مسجد « زاكابانيا » بمدينة « ابلابوخا » الواقعة شرق جمهورية « تتارستان » تقرر بدء المهرجان والمخيم الإسلامى الصيفى بمسجد الجامعة كما افتتحت فى مدينة « قازان » عاصمة جمهورية « تتارستان » (٥٧) مخيما صيفيا بهدف تعليم الطلاب مبادىء الإسلام وتفقيههم فى أمور دينهم فضلا عن تعلم أحكام قراءة القرآن الكريم حيث أكد مدير مسجد « المرجنى » أن الأطفال من الجنسين سيدرسون اللغة العربية وبعض سور القرآن الكريم.

كما سيتم افتتاح عدد من المخيمات الإسلامية الأخرى بمدن « بينزا » و« تولا » و« بنجنى » و« فارتوفسك » و« سامارا » و« مخاشاكلا ».

عائلة يهودية تعلن إسلامها

أعلن مواطن يهودى يدعى « يوسف كوهين » وجميع أفراد عائلته إسلامهم وانتقلوا للعيش فى القدس الشرقية.

وقالت صحيفة « يديعوت أحرونوت » الإسرائيلية إن « يوسف كوهين » البالغ من العمر ٣٤ عاما من سكان مدينة « نتيفوت » كان من أتباع تيار يهودى متعصب وقدم إلى إسرائيل قبل أربع سنوات من الولايات المتحدة وقبل بضعة شهور قرر إعلان إسلامه وغير اسمه ليصبح « يوسف خطاب » وغيرت زوجته اسمها وكذلك أولاده الذين يتعلمون حاليا فى مدرسة إسلامية.

الإسلام.. الدين الأول فى « أمستردام » و« لاهاى »

أحدث الإحصائيات السكانية الهولندية تشير إلى أن الإسلام أصبح الدين الأول فى العاصمة « أمستردام » متقدما على الكاثوليكية والبروتستانتية الإصلاحية واليهودية.

صحيفة « مترو » الهولندية أشارت إلى أن هذا يرجع إلى كون ٥٩٪ من سكان العاصمة « لادينيين » بالإضافة إلى تراجع تأثير الكنائس بمختلف طوائفها على الهولنديين.

ولأن الكنائس والمؤسسات الدينية الأخرى أغلقت أبوابها وباعت ممتلكاتها نتيجة لضعف المترددين عليها.

المسلمون أكدوا أن الإسلام هو الدين الأول فى مدن « روتردام » و« لاهاى » و« أوتروخت » وأن كل اثنين من أربع ولادات فى هولندا مسلمين.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ/ عمر البسطويسى

استقبالات فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

● استقبل فضيلة الإمام الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الدكتور / عصام البشير وزير الأوقاف السودانى والوفد المرافق لسيادته، حيث رحب فضيلة الإمام الأكبر بالضيف ومرافقيه فى الأزهر الشريف، وقد ناقش السيد الوزير مع فضيلته بعض الأمور التى تتعلق بالجانب الدينى بين مصر والسودان والتى تدور حول توفير عدد من المدرسين المتخصصين من الأزهر الشريف لتعليم أبناء السودان ولتدريب الدعاة والأئمة، كذلك الموافقة على انشاء معهد أزهرى فى السودان تدرس فيه المناهج والكتب الأزهرية، وتوفير عدد من الوعاظ والأئمة يذهبون إلى جنوب السودان وذلك فى شهر رمضان المعظم من كل عام، كذلك زيادة عدد المنح الدراسية سنوياً من الأزهر وجامعته على أن يخصص النصيب الأكبر منها لأبناء جنوب السودان وذلك حفاظاً على وحدة السودان، وأيضاً يتبادل مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ومجمع الفقه الإسلامى بالسودان الكتب والمطبوعات والقرارات والدراسات والأبحاث للاستفادة منها، وقد وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على هذه الطلبات فوراً وتم إبرام اتفاقية وقعها فضيلته، كما وقعها السيد الوزير هذا إلى جانب طلاب السودان الذين يدرسون بالأزهر الشريف وجامعته وهم كثيرون كما يحضر فى كل دورة تدريبية يعقدها الأزهر الشريف كل ثلاثة أشهر عدداً كبير من الأئمة والوعاظ وكما يرسل الأزهر كل عام عدداً كبيراً من السادة الوعاظ فى شهر رمضان المبارك للتوعية الدينية كما هو الحال فى معظم الدول.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ سيد وفا أبوعجور الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية وفضيلة الشيخ عمر البسطويسى رئيس الإدارة المركزية للإعلام والعلاقات.

● كما استقبل فضيلته الدكتور باقر منان رئيس المحكمة العليا بأندونيسيا والدكتور / توفيق نائب رئيس المحكمة العليا، والدكتور شمس الهادى رئيس شئون المحاكم الشرعية يرافقهم الدكتور محمد نور عبدالصمد المستشار الثقافى لسفارة أندونيسيا بالقاهرة، رحب فضيلته بالسادة الضيوف مشيداً

بالعلاقة القوية والقديمة بين مصر وأزهرها الشريف ودولة أندونيسيا الشقيقة.

ومن جانبه شكر الدكتور باقر متان فضيلة الإمام الأكبر على حسن اللقاء وإتاحة هذه الفرصة وتلك الزيارة التي سعد بها هو والوفد المرافق ولتواجده في هذا الصرح العظيم ومع شيخ الأزهر الجليل، مؤكدا على ان أبناء أندونيسيا من خريجي الأزهر الشريف يشغلون المناصب العليا في الدولة في مجال التدريس وفي مجال الدعوة الإسلامية، وأوضح ان الدستور الأندونيسي يسمح بتطبيق الشريعة للمسلمين.

وفي نهاية اللقاء شكر السادة الضيوف فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على هذا اللقاء الطيب والتعاون المثمر بين الأزهر الشريف ودولة أندونيسيا، حضر اللقاء فضيلة الشيخ/ عمر البسطويسي رئيس الإدارة المركزية لمكتب شيخ الأزهر للإعلام والعلاقات.

● واستقبل فضيلته الدكتور/ محمد قريش شهاب سفير أندونيسيا بالقاهرة بمناسبة انتهاء عمله كسفير لبلاده بالقاهرة، حيث رحب فضيلته بالضيف الكبير مشيداً بدوره الفاعل مع الأزهر الشريف خلال فترة عمله بالقاهرة لخدمة أبناء بلده أندونيسيا الذين يدرسون في الأزهر الشريف وعددهم ٤٨٨ طالبا وطالبة وكان دائماً له تواجد وحضور وكان على صلة بالأزهر الشريف وبطلاب أندونيسيا موفرا كل سبل التعاون حيث كان يلتقي بهم محل إقامتهم بمدن البعوث الإسلامية يحاضرهم ويقف إلى جانبهم ويتباحث مع الأزهر من أجلهم حتى يتفرغوا لطلب العلم النافع ولينهلوا منه بكل جد ورغبة ونشاط ليعودوا إلى بلادهم لينقلوا ما تعلموه إلى أهليهم في بلادهم، وقد شكر الضيف فضيلة شيخ الأزهر على حسن الاستقبال والحفاوة البالغة قائلا: بأنه قضى أوقات شبابه في الدراسة بالأزهر الشريف وختمها بفترة توليه منصب السفير لبلاده في القاهرة معبرا عن حبه لمصر ولأزهرها الشريف وبأنها من أسعد أيام حياته، وقد تمنى له فضيلة الإمام الأكبر كل تقدم ورقي وسعادة، كما التقى سيادته بفضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف ودار الحديث حول الفترة التي قضاها في مصر وكان التنسيق بينهما قائم على الحب والإخلاص فيما يعود بالنفع على الطلاب أبناء أندونيسيا وذلك لتوفير سبل الراحة لهم أثناء دراستهم بالأزهر الشريف وتذليل كافة الاحتياجات لهم في مدن البعوث الإسلامية حيث إقامتهم، ومما يذكر ان السيد السفير كان يشغل منصب مدير الجامعة الإسلامية بأندونيسيا ثم وزيراً للأوقاف ثم سفيراً لبلاده في القاهرة وقال إنه سيعود إلى الجامعة الإسلامية بأندونيسيا يعمل مدرسا.

● كما استقبل وفدا قضائيا من دولة أندونيسيا برئاسة السيد المستشار شمس الهادي نائب رئيس المحكمة العليا، وتأتي هذه الزيارة في إطار استضافة وزارة العدل المصرية للدورة التدريبية لعدد ٣١ من قضاة أندونيسيا وقد رغب الوفد في زيارة الأزهر ولقاء فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر، حيث رحب فضيلته بالوفد قائلا: ان صلة الأزهر بدولة أندونيسيا صلة قديمة.

وأشار إلى ان القضاة في كل دولة هم صمام العدل، ووظيفة القضاء إقامة العدل بين الناس، وإذا سادت فضيلة العدل في أمة سادها الأمان والاطمئنان والسلام والرخاء، والله تعالى أمرنا بالعدل في الأقوال وفي الأحكام وعند أداء الشهادة، والعدل مع الصديق ومع العدو، ومع الغني ومع الفقير، ومع القوي ومع الضعيف، وأولى الناس بإقامة العدل وتحقيقه هم

القضاة، وشريعة الإسلام تقوم على الحق وعلى العدل واعطاء كل ذى حق حقه، شكر رئيس الوفد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على حسن استقباله للوفد واضاف ان تعداد اندونيسيا ٢١٠ مليون نسمة منهم ٨٦٪ من السكان ينتمون إلى الإسلام وان فتاوى شيخ الأزهر الشريف لها أثر كبير فى نفوس الاندونيسيين وتطبق فى بلادهم ويوجد فى اندونيسيا سبعة آلاف قاض، وحكومة اندونيسيا أعطت لبعض المحافظات الحق فى تطبيق الشريعة الإسلامية كاملة، وسيتم تطبيقها فى المحافظات الأخرى فيما بعد، وقد استمع فضيلته إلى أسئلة واستفسارات الوفد وأجاب عنها فضيلته.

● والتقى فضيلته مع وفد من قضاة ألبانيا برئاسة السيد / برهان الدين ماليقى القاضى بالتفتيش القضائى بوزارة العدل الألبانية، وقد أشاد فضيلته بالعلاقة الطيبة بين مصر وأزهرها الشريف ودولة ألبانيا ووصفها بأنها علاقة قديمة ووثيقة وان عدداً كبيراً من الطلاب الألبان فى مصر يتلقون العلم النافع فى الأزهر الشريف وجامعته العريقة حيث ان الدراسة فى الأزهر الشريف تتسم بالوسطية والاعتدال وهى تجمع بين علوم اللغة والشريعة والعلوم الأخرى، وهناك رؤساء للجمهوريات ووزراء فى بعض الدول تخرجوا من الأزهر الشريف وقد تخرج من الأزهر مئات من الطلاب الألبان خلال السنوات السابقة، وشهادة جامعة الأزهر معترف بها فى فى كثير من دول العالم، وتناول الحديث النظام القضائى فى مصر وانهم فى دولة ألبانيا يتلقون النظام القضائى فى مصر ويحاولون تطبيقه.

● والتقى فضيلته مع السيد / ادوارد توارميتا مستشار رئيس جمهورية الفلبين والسيد / سولان بريمنا قبرا سفير الفلبين بالقاهرة فى بداية اللقاء رحب فضيلة الإمام الأكبر بالضيف والوفد المرافق، وشرح دور الأزهر الشريف فى توصيل رسالة العلم إلى الطلاب وارسال الأزهر بعثات من العلماء إلى الفلبين للتعاون فى تعليم أبناء الفلبين وحتى تتقارب الصلة بين المسلمين بعضهم البعض لأن الأزهر يمتاز فى تعليمه وعلومه بالوسطية والاعتدال.

وقد أوضح السيد المستشار إلى انه من أبناء الفلبين الذين قاموا بعرض وجهة نظر المسلمين والمسيحيين حتى يتم التقارب بينهم ويعود الإسلام والوئام بين الشعب الفلبينى وحتى يعيشوا فى سلام وأمان وتدريس اللغة العربية فى الفلبين ليس قاصراً على المسلمين وحدهم ولكن يتعلم المسيحيون أيضاً اللغة العربية حتى يتسنى لهم فهم الدين الإسلامى وتعاليمه السمحة.

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر على ان بعثة الأزهر الشريف التى أرسلت للفلبين إنما هى لتوطيد العلاقة بين المسلمين والمسيحيين وعودة السلام إلى الفلبين، وأوضح السيد المستشار فى حديثه بأن ندوة ستعقد للعلماء والأساقفة للتفاهم وشرح العقيدة الإسلامية والمسيحية للشعب الفلبينى حتى يتعاون الشعب الفلبينى كله فى بناء دولته فى جو من الحب والإخاء، وقد أعرب السيد المستشار عن رغبة بلاده بأن تكون هناك جامعة أزهرية فى الفلبين وأن يقوم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بزيارة الفلبين، حيث إنها رغبة رئيس الفلبين، وقد أرسلت شكرها وتحياتها وتقديرها لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر، وقد حمل فضيلته تحياته وتحيات الأزهر إلى رئيس وحكومة وشعب الفلبين شاكراً لهم الزيارة والدعوة ووعد

بتلبيتها في الوقت المناسب، حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف.

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الدكتور المطران / ماركو دينو بروجي بمناسبة تعيينه كسفير للفاتيكان بالقاهرة حيث قدم الضيف تحيات قداسة بابا الفاتيكان وتهانيه لفضيلة الإمام الاكبر شيخ الأزهر الشريف، وقد رحب فضيلته بالضيف مؤكداً على أهمية الحوار البناء في تقريب المفاهيم والتأكيد على توطيد العلاقة بين الأزهر والفاتيكان، في ظل توقيع اتفاقية الحوار بين الأزهر والمجلس البابوي للحوار في الفاتيكان ، وقال ان الأزهر الشريف به لجنة للحوار واللقاءات تتسم بصفة تكاد تكون دورية في الأزهر والفاتيكان، وهي تؤدي دورها على نحو طيب وان الأزهر قلبه مفتوح للحوار دائماً، والدراسة في الأزهر الشريف تؤكد على الجوانب الإسلامية المعتدلة المتسامحة لأننا جميعاً جئنا من أب واحد وأم واحدة ولابد ان نتعاون من أجل سعادة بني البشر جميعاً وهذه هي مهمتنا كرجال دين، وأكد الضيف على أهمية زيادة دعم الحوار بين الجانبين لما له من اثر فعال في التقارب بين الشعوب، خاصة وان الأزهر الشريف له مكانته ومنزلته لدى المسلمين عامة لانه يمثل الوسطية المعتدلة للإسلام، والتي تنال تقدير واحترام جميع الأديان الأخرى، كما أشار سيادته إلى انه سيعمل على توثيق هذه العلاقة في المستقبل، وان اختياره شخصياً ليكون سفيراً للفاتيكان بالقاهرة، كان مقصوداً وذلك لخبرته السابقة ولعمله في القاهرة قبل ذلك، وقد أكد فضيلة الشيخ فوزي الزفزاف رئيس لجنة الحوار بالأزهر على ان الحوار في الأمور المتفق عليها بين الأديان جميعاً وهي الفضائل كالعدل والأمانة والصدق والرحمة والوفاء بالعهود إلى غير ذلك من الأمور التي تتفق فيها الأديان، أما الأمور العقائدية فلا حوار حولها، ولكل إنسان عقيدته، حضر اللقاء فضيلة الشيخ عمر البسطويسي رئيس الإدارة المركزية للإعلام والعلاقات.

● كما استقبل السيد / لويس فراخان (محمد فرقان) زعيم المسلمين بالولايات المتحدة الأمريكية، رحب فضيلته بالضيف والوفد المرافق له بمصر وأزهرها الشريف، وقال السيد محمد فرقان انه جاء لمنطقة الشرق الأوسط لمهمة كبيرة ولمسعى عظيم وهو وقف أعمال العنف من الجانبين الإسرائيلي والفلسطيني، وقد اقترح فترة ١٢٠ يوما تبدأ بعدها أعمال المفاوضات من أجل احياء عملية السلام والأخذ بالمبادرة السعودية التي وافقت عليها الدول العربية، وحتى يشعر الجميع بالاطمئنان والسلام، وأن تتوقف إسرائيل عن بناء ذلك الحائط الذي تتولى بناءه، وأن تسحب كافة قواتها من الضفة الغربية، وقال أيضاً انه حضر إلى مصر لمقابلة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف للاسترشاد بآرائه وطلب النصح والإرشاد من فضيلته وقد شكره فضيلة الإمام الاكبر شيخ الأزهر على هذه الزيارة الكريمة، وأيد مساعيه وجهوده وجهود الوفد المرافق له في نشر ودعم السلام، وأوضح فضيلته أن شريعة الإسلام انما تقوم على الحق وعلى العدل والمساواة ونبذ العنف والعدوان، وتدعو إلى السلام وإلى التعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، كما تدعو إلى نشر الفضائل والخير من أجل الإنسانية عامة، كما دعا فضيلته للوفد ان يبارك الله خطاهم ويكلل مساعيهم في خدمة الإسلام والمسلمين وفي خدمة السلام، وفي توضيح صورة الإسلام الحقيقية الصحيحة التي تدعو إلى كل خير وتنبذ كل شر، وأن يكون السيد / محمد فرقان وجماعته في الولايات المتحدة الأمريكية وفي

عموم أمريكا خير نموذج وخير مثال طيب يحتذى للإسلام والمسلمين ونحن نعلم ان وراءه الآلاف بل الملايين من المسلمين.

● واستقبل فضيلته السيد / جون ساورس سفير انجلترا بالقاهرة، رحب فضيلة شيخ الأزهر بالضيف مشيداً بعمق العلاقات والتفاهم بين مصر والمملكة المتحدة، وبين الأزهر الشريف ورئيس أساقفة كانتر برى، والسيد توني بلير رئيس وزراء انجلترا، وقد أشاد السيد السفير بموقف فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف تجاه الأحداث التي شهدتها وتشهدها الساحة الآن، كما أعرب الضيف عن القلق الذي تعيشه المنطقة الآن وطلب النصح من فضيلته للقيادات الدينية لخدمة السلام.

وقال فضيلته إن ما تشعرون به نحن نشعر به وان القيادات الإسلامية ليست وحدها التي تؤثر، بل ان جميع القيادات الدينية الأخرى سواء كانت مسيحية أو غيرها مسئولة، وأرى ان الكل متفق على ان الحل هو عن طريق التفاوض والشرائع السماوية كلها تتفق على ان أفضل طريقة للوصول إلى الحل في أي مشكلة انما يكون عن طريق الحوار والتعاون والتقارب وان تكون هناك من الداخل رغبة قوية في الحل إلى جانب القلب المفتوح والعقل المفتوح أيضاً، ومراعاة الظروف والابتعاد عن المطامع، والاتجاه للسلام، والبعد عن التشدد والتعصب الأعمى، وعندما توجد النية الطيبة سيكون هناك الوصول للحل، ولعلكم سمعتم ما قاله السيد محمد حسني مبارك رئيس الجمهورية، يقول: ان القوة لا تحل المشاكل، وإذا أصر الخصم على استخدام القوة وظن ان القوة توصله إلى ما يريد فهو مخطيء، لان هذا يولد غل القلوب، والمعتدى عليه لا ينس العدوان، وإذا نسيه اليوم لا ينساه في الغد، وإذا نسيه الأب لا ينساه الابن.

وقد أعرب السيد السفير عن موافقته لآراء فضيلة الإمام الأكبر الراجحة التي يعهدها العالم كله، وقد تساءل السفير عن الوضع في مصر والاستقرار الذي تشهده، وعدم وجود أفكار متطرفة على الساحة، ورغم ذلك هناك بعض الحركات المتشددة من المسلمين وتساءل عن سبل مواجهتها، وقال فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر، ان الكون منذ أوجده الله والناس مختلفون في مقاصدهم واتجاهاتهم وأفكارهم، وكل دولة فيها العقلاء وغير العقلاء، وكل ما نتمناه ان يكون عدد العقلاء أكثر من غيرهم، ومصر بفضل الله وبحكمة رئيسها، وبوجود الأزهر الشريف بها، وبطبيعة شعبها السمح الطيب تستجيب للخير والعدل والرخاء، ومادامت هناك الرؤية الواضحة، وعدم التستر على الجريمة، ومادام الشعب يرى بعينه وبموضوعية وقناعة فإنه يعيش في سلام وأمان ورخاء وهذا هو السلام ونحن نؤمن بالتخصص الدقيق فكل يعمل في مجاله، والحياة كأمواج البحر ترتفع تارة وتنخفض أخرى، وهذا ما ينطبق على العالم كله، والحكماء هم الذين يسلكون السياسة العادلة القائمة على الصدق والواقع بدون تزيد أو نقصان، مما يولد الثقة عند الشعب مما يجعل الأمور في نمو وتقدم، وفي نهاية اللقاء شكر الضيف فضيلة الإمام، وقد أبلغه فضيلة الإمام تحياته إلى السيد / كبير أساقفة كانترى برى والسيد توني بلير رئيس وزراء بريطانيا وإلى الشعب البريطاني، حضر اللقاء فضيلة الشيخ / عمر البسطويسي رئيس الإدارة المركزية لمكتب شيخ الأزهر الشريف للإعلام والعلاقات.

certain amount of money (pension) for this non-Muslim from Treasury (***Baitul mal***).

﴿And fight in the way of Allah the ones who fight you, but do not transgress; surely Allah dose not love transgressors﴾.

[Al-Baqarah (The Cow): 190]

The order not to transgress in the last verse encompasses all these orders in this code of ethics in war.

By comparing what is happening in Palestine to this Islamic code of ethics, we cannot keep ourselves from admiring this code and hope other parties will adopt it.

Truly Islam is the religion of peace and mercy. The teachings in the Holy Qur'an and the traditions of the Messenger of Islam command Muslims to act honorably. These ethics would lead to happiness in this life and in the Hereafter.

﴿And in no way have We send you except as a mercy to the world﴾. **[Al-Anbiya' (The Prophet): 107]**

Truly the Prophet Muhammad, may the blessing and peace of Allah be upon him, was sent by Allah to our world but as a mercy for all creatures, man and animals. He was sent for all races, colors and followers of all religions. This code benefits the non-Muslims who oppose Muslims and fight them.

Moreover, it should not be for personal gains or seek of leadership, wealth or bravery. A Muslim fighter should not take booties for himself even as cheap as a sandal.

In Jihad, the Muslim army offers, to his enemy, three choices; embracing Islam, paying of tribute or war. When fighting starts, and the enemy resorts to peace, the Muslim army stops fighting at once. In Jihad, Muslim fighters do not kill those who do not participate in war such as children, women, old people or those who are wounded in the battle.

Prisoners of war should not be killed; on the contrary they should be treated kindly. They should be given food and clothes. For those captives and in order to win their freedom, they can teach ten Muslims how to read and write.

Muslims respect places of worship of other religions and do no desecrate them. Moreover, they should not consider its treasures as booty. When the second Caliph Umar went to restore Jerusalem from its patriarch, he signed a treaty whereby all Christian churches should be preserved as well as their crosses. It happened that when noon prayers approached and Umar wanted to pray, the patriarch offered him a place inside the church. Umar refused and went to pray outside the church. He was keen not to pray inside the church lest Muslims, later on, should take him as a model in this context and pray in places of worship of other religions.

Muslim fighters were commanded to buy their food from the local people. They should not resort to confiscation of food materials as many armies usually do.

Tribute ***(Giziah)*** was only collected from able men. Once, Caliph Umar saw an old non-Muslim man begging so, he ordered that old non-Muslim not to pay *Giziah*. Then he ordered paying a

Islamic Code Of Ethics In War

By

Dr. A. S. Arafa

Islamic code of ethics controls every action or deed in Muslim's life. Relationship between people, whether Muslims or non-Muslims, is ruled by ethics particularly in Islam. Muslims take great care to follow them. In doing so, they hope to win the satisfaction of Allah in order that they may be admitted to the Gardens on the Day of Judgment. Fighting is one of these dealings. Fighters have to observe the Islamic code of ethics for war in particular.

Fighting in Islam is described as Jihad. It is ordained by verses of the Glorious Qur'an.

﴿The ones who are (drawn into) fighting are permitted (to defend themselves) for that they are unjustly (attacked); and surely Allah is indeed certainly able to give them victory. Who have been driven out of their homes untruthfully except that they say, "Our Lord is Allah"﴾.

[Al-Hajj (The Pilgrimage): 39:40]

Those who have been expelled from their homes have the right to fight back. Also other Muslims should come to their aid. Muslims who have been oppressed can fight for their lives, land, houses or wealth. Also those who have been prevented from performing rites or from spreading the word of Allah have the right to fight.

Since this Jihad is in the sake of Allah, those who are killed during this fight are martyrs, and have been promised the Gardens of Eden at Heaven.

The sole aim of fighting – that is ordained by Allah in Islam – should be for the sake of spreading the word of Allah and in defending the Muslim and in self-defense. It should not be for any other purpose such as the spoils of war, seeking honor or fame.

Moreover, the orientalists alleged that the majority of the Arab tribes didn't accept Islam especially the Jews and Christians. This allegation resulted from ignorance and inattention since the established fact stated that all tribes undergone a struggle between Islam and disbelief; some of the families of each tribe believed while the others kept to the religion of their fathers.

From the darkness of the orientalists' allegations, two more allegations resulted. One of them states that the Islamic nation was confined in the center of the Arab Peninsula. As for the other, it states that the Islamic nation lacked centralism as it was based on the ancient tribal regime. Concerning the first allegation, they disregarded that the Islamic nation – at its beginning – was an urban state and began to extend gradually everywhere as a result of the first missions, treaties, the Prophet's biography, battles and invasions. With regard to the second allegation, they disregarded that the Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, established a military, civil and financial system. He was the supreme commander in the army where he transferred the responsibilities of the army to his selected deputies. In civil system, he divided it into a coherent regional and central regime. The government affairs were conducted in coordination with the local and regional officials and central government officials under the supervision of the Messenger, may the blessing and peace of Allah be upon him, and upon the instructions of the Glorious Qur'an.

Undoubtedly, precision and accuracy in system were the result of Islam's being a religion and state at the same time.

obtain political distinction. They classified tribes into lists including the immigrants of Mecca and their families, dropping a lot of men and women's names, as though they never acknowledge their presence and vital role.

The purpose of the orientalists was to prove the allegation of the weakness of Islam's spread at the Meccan stage. From here, they paid no attention to many other tribes embraced Islam such as Khuza'h and Azad Shono'ah. Most importantly, they disregarded the Islam of the majority of the Medina's people. They disregarded that Islam honored them, where the majority of Al-Aws and Al-Khzrag embraced Islam before migration from Mecca. All this confirmed that the all-out success is a fruit of the Prophet's struggle at Mecca.

Islam as a Religion and State

The orientalists confined themselves to the narrow concept of religion to which they accustomed in Europe since they lack the historical sense as Islam is based on no differentiation between the religion and this world. Being knowledgeable of the Prophet's life at Al-Medina, we can decide that the Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, established the nation and regulated the Islamic government according to what is mentioned in the Ever-Glorious Qura'n, making the political behavior characterized by the religious flavor. As well as we can decide that all the invasions and battles made by the Prophet were for the purpose of strengthening Islam.

In addition to this or that and during the Prophet's political and military struggle, he didn't halt exerting efforts to proclaim and propagate Islam whether by calling the Jews to Islam at Al-Medina or sending callers to proclaim religion everywhere.

But the misleading bias blinded the orientalists to find out the reality and turned them away from understanding the nature of the Prophet's policy and its variables.

Though the orientalists encountered difficulty in proving their handed down allegations and thoughts, they totally disregarded all the transmitted Islamic biographies and turned a blind eye to what is mentioned in the Bible including evidence and testimonies, they interpreted it in conformity with their misleading purposes.

In addition to this or that, the orientalists turned down all that signifying the universality of the Islamic Message in its humanity, despite the presence of the huge communities embracing Islam, varying in nationalities and residences, that acknowledge the Prophet as a Messenger for all people in addition to the preservation of the Qura'n up till now including the various inimitable proofs. All this proves that those orientalists are totally deviated from the established scientific methods and the old and modern research rules as well as they are soaked in arrogance, persistence and disregarded all facts and established evidence.

The orientalists – on the way to enhance the false delusions – underestimated the extent to which Islam spread in the Prophet's era. They mentioned that Islam's spread in the Prophet's era was at a very narrow scale, alleging that the success of the Prophet's life in Mecca was very limited, and the Prophet at Al-Medina couldn't perform proclamation since he was obliged to be involved in war with Quraysh and other tribes.

To support these allegations, some orientalists divided the Messenger's life, may the blessing and peace of Allah be upon him, into two parts: A Meccan Messenger and a Medinian one. Then they decided that he started in Mecca as a Messenger, while started as a Caesar and political ruler at Al-Medina where he brought the Message into an end, invalidated the proclamation of religion, spent the greater part of his life at war, and established the political regime. Even such tribes as Hawzan and Ghatfan embraced Islam to

*The Purposeful Attacks against the Islamic History

By: Dr. M. Y. Siddiqi. & Dr. I. Awadin

When orientalists and their followers, inimical to Islam, realized the danger of interconnection among Muslims and their heritage void of blemishes, their sharpest weapon for turning Muslims and non Muslims away from the Islamic religion was the relentless efforts to distort the image of Islam whether presenting its components and values in a disgusting way or its legacy in a disgraceful way making the Islamic figures lose their powerful influence and the Islamic thought be superficial and has no vital role in drawing up a true image about Islam and its contribution to culture and civilization.

Consequently, Muslim and non-Muslim intellectuals and historians deeply concerned themselves with detecting this distorted and false action by which the Islamic history was afflicted since the beginning of the Crusade Wars, keeping to clarify the fact and believing that this is necessary in contribution to rejuvenate the Islamic revival and enable Muslims to perform their essential role in life.

Rejecting The Universality Of The Islamic Message

Concerning the evaluation of the Prophet's Message, the orientalists depended on allegations contrary to the historical fixed points, disregarded the Islamic Texts and paid no attention to the logical resolutions.

They claimed that Muhammad was only a Messenger for the Arabs and his Message was restricted to the region in which he lived and confined to his time. They alleged that the Prophet's Message was a revolution, since the Arabic society was thirsty to this social and moral revolution, and when the society found the potentialities of the coming revolution in the form of Islam, it welcomed Islam.

An article published (in Arabic) at Al-Azhar Magazine.

pulpit, evil and wrong shake and a war without quarters between right and its opposes starts. However, among all this, Al-Ezz, always gets out victorious and stronger. For the above-mentioned reasons, sultan of Damascus, Al-Ashraf Musa Ibn Al-Adel, became angry with him. So, the great man left to *Misr* 'Egypt' preceded by his glory and juristic opinions so he was received by the scholars with great ovation and honor. Egypt's great orator, Al-Hafez Al-Monzery, abstained from giving *fatwas* due to his great respect concerning Al-Ezz's rank. The man perceived how much he was honored by the sultan, Al-Salih Ayoub; appointed him as an orator at Amr Ibn Al-A's mosque and the judge of Egypt and the Southland. He resumed his way; commanding beneficence and forbidding maleficence. In addition, he took his new pulpit as a new microphone by which he could spread opinions, advices and arguments.

﴾Whosoever perished might perish by a clear evidence, and whosoever lived might live by a clear evidence﴿.

[Al-Anfal (War Gains): 42].

Historians stated that Al-Ezz – during the battle between the Egyptian army and the crusade's and while the wind was blowing against the Egyptian fleet – raised his hands to heaven saying: *"O, Allah, turn the direction of wind from the way of Your Muslim bondsmen"* while pointing to the direction of the enemy. Immediately, matters changed and the wind started to blow against the enemy's fleet. That attitude of Al-Ezz was a source of good fortune and blessing.

Al-Ezz Ibn Abd Al-Salam
Scholars' Sultan

By: Dr. M. R. Al-Baiomi

Jurists, contemporary to his age, agreed unanimously that he is the sultan of scholars. He was highly versed in all different fields; wrote many compilations in jurisprudence, principles, deity, interpretation, Hadith and eloquence. Moreover, he participated scientifically and practically in Sufism and practiced asceticism. Not only Al-Ezz was the sultan of scholars, but also he was the sultan of the entire state including kings and princes.

In addition, he was known at his age as a person who commands to beneficence and forbids maleficence. His fearlessness, concerning right, was the object of amazement and admiration. He confronted many tyrants while proud of his righteousness. Moreover, fear and threat did not stop him. He suffered the darkness of imprisonment many times, however this filled him with confidence; he kept fighting darkness until all around him subjected to his will and he became the man of country and sultan of people.

This jurist was born at Damascus so he was taught at the hands of its leaders as Fakhr Al-Din Ibn Asakker, Gamal Al-Din Al-Khorasany and Seif Al-Amdy then he left to Baghdad and met its scholars and attended its jurists. Consequently, he returned to his country having tremendous knowledge and wide experience. All this led to be highly versed in jurisprudence till he reached the degree of *Ijtihad* 'practicing one's opinions'. Moreover, many jurists deposed themselves from delivering legal opinions '*fatwas*' – like Al-Hafez Al-Monzery – justified by his opinions and judgments.

In Damascus, he was appointed as an orator so he considered his position as a means to launch war against wrong injustice and evil, eliminate innovated actions and superstitions and face tyrants until he caused panic and grew more weighty. The one who considers his fearless attitudes has to admire his strong faith that turned him into a furious lion feared by rulers; when he roars on his

Monotheism (of Allah) is
The Slogan of all Messengers

From a book of the Grand Imam, Dr. Muhammad Sayyed Tantawy, the Grand Shiekh of Al-Azhar, entitled "Religious Address and how it should be".

By : Dr. Ibrahim Al-Assil.

Allah, the Al-Mighty, says in His Ever-Glorious Qur'an:

﴿And in no way did We send (any) Messenger even before you except that We revealed to him, (saying), "There is no god except I; so worship Me" ﴾. **[Al-Anbiya' (The Prophets): 25].**

In this verse, Allah, the Most High states clear evidence about the monotheism of Allah, glory be to Him, as well as the obligation of offering loyal worship to only Him.

Parables are set to show the covert meaning, link reason to matter and present the absent thing in a form making it clear. Allah, the Ever-Truthful, says:

﴿And those similitudes We strike for mankind, that possibly they would meditate﴾. **[Al-Hashr (The Mustering) : 21].**

The Glorious Qur'an likens the disbeliever worshipping many gods to a slave owned by opposing people; each one of them has a demand contradicts the others'. So, their slave is distracted and helpless as stated in Allah's Words:

﴿Allah has struck a similitude: a man in whom associates are at variance with each other, and a man wholly submissive to (one) man. Are the two equal (in likeness)? Praise be to Allah; no indeed, (but) most of them do not know﴾. **[Az-Zumar (The Hordes) : 29].**

However, it likens the believer to a slave owned by one master so he is a source of comfort and peace of mind to his master. Then, the Ever-Glorious Qur'an presents the end of the disbeliever in a horrifying form as it says:

﴿And whosoever associates with Allah (anything), then it is as though he has collapsed from the heaven, and so the birds snatch him away, or the wind sweeps down him into a far off place﴾.

[Al-Hajj (The Piligrimage) : 31]

AL-AZHAR MAGAZINE

Jumadal Akhera 1423 A. H.

ENGLISH SECTION

Aug. / Sep. 2002

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL, Ph.D.

Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

الفهـــرس

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
في مطلع كل شهر عربي

المراسلات باسم
مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / ج.م.ع
ت: ٢٦٣٨٥٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

داخل العدد

الاشتراك السنوى

- داخل مصر ـــــ ١٨ جنيها مصريا
- الدول العربية ـــــ ٥٠ دولارا أمريكيا
- أوربا وأمريكا ـــــ ٨٥ دولارا أمريكيا
- اليابان وشرق آسيا ـــــ ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة
☎ ..٥٧٨٦١٠٠ - ٨٥٧٦٢٠٠

رجب ١٤٢٣هـ - سبتمبر / أكتوبر ٢٠٠٢م - الجزء السابع - السنة الخامسة والسبعون

افتتاحية العدد

السيرة النبوية

اتجهت بعض الدراسات الجامعية إلى تدوين ما يسمى بالأدب الشعبي، مما يدور على ألسنة الناس من شعر عامي وقصص بطولي وأمثال شائعة وتوسع في هذا المجال من خصصوا الأقسام العلمية، وأقاموا الأساتذة المنهجيين، وخططوا الرسائل الجامعية لتحليل هذا الأدب الذائع، وقد عده عشاقه من أثمر الفنون فائدة، وأصدقها دلالة على نفسيات الشعوب، وأخلاق المجتمعات، فظهرت دراسات عن أمثال عنترة، والظاهر بيبرس، وسيف ابن ذي يزن، والأميرة ذات الهمة، وأبي زيد الهلالي، وحمزة البهلوان، وكلها تهدف إلى تصوير هذه الشخصيات التاريخية لا كما وردت أخبارها عن الثقات من المؤرخين، بل كما ترددت في الأساطير المتداولة على ألسنة العامة منذ قرون عدة، حيث يضيف الخالف إلى السالف من العجائب والغرائب ما لا يقف عند حد، وبحيث يكون رجل كعنترة في القرن الأول الهجري غيره في القرن الثاني وفي القرن الثالث غيره في القرن الرابع وهكذا تتضخم الأخبار لتصور خيالات الشعوب عن الباطل بصرف النظر عن واقعه التاريخي.

ودعك مما يسرف فيه المحبذون من تمجيد هذه الدراسات وعدها فتحاً مبيناً في البحث الأدبي! ومع عدم الاقتناع مما يقوله أنصار هذا الاتجاه حين أعطوا للأساطير الخرافية أكثر مما تستحق، فإن الكثيرين من مخالفي هذا الاتجاه لم يشاءوا أن يقفوا في طريق هؤلاء الهواة، لأن الخطر الناجم عن تضخيم الأحداث بالنسبة لهؤلاء غير ذي بال! ولكن اتجاه فريق من الباحثين إلى رصد الأساطير الشعبية التي أضيفت للسيرة النبوية، والاهتمام بتسجيل ما لفقه القصاص حول سيرة الرسول، وعده أثراً أدبياً يجب أن يأخذ مكانه من الرصد والتدوين.

هذا الاتجاه الذي يخلط الواقع بالخيال ويموّه الحق بالباطل في سيرة سيد الأنبياء ﷺ هو خطر شنيع يهدد السيرة الصادقة، حين يسمح أن تمتزج بأساطير المخرفين، واختلاق من لا

ـــة والأدب الشعبى

يقدرون خطر الكذب على رسول الله، إذ هم فى الواقع يساعدون على ذوبان الحقائق فى خضم الأباطيل، وإذا اتسع هذا النطاق إلى مداه المرتقب دون أن يجد من يقف فى طريقه فسيأتى زمن يحار فيه القارئ، بين ما يأخذ وما يدع مما يرى ويقرأ من الأخبار، بل ربما تملكه الشك فى كل ما يقرأ . . .

وتلك هى الغاية التى اتجه إليها المستشرقون حين اهتموا بدراسة الأساطير الشعبية لتصبح تاريخاً فيما بعد ! ولتمتد إلى سيرة رسول الله ﷺ فتحوطها بركام كثيف يحجب الساطع من لألائها المنير، وقفى على أثر هؤلاء من بنى الإسلام من جهلوا عاقبة ما يصنعون، فاندفعوا إلى شفير الهاوية غير متدبرين وإلى هؤلاء نتوجه بالحديث .

ســـؤال حائـــر

ونتساءل عن السر فى الاهتمام بهذه الأساطير الشعبية لدى من يحرصون على جمعها ودراستها، فنجد الدكتورة الفاضلة (نبيلة إبراهيم سالم) أستاذة الأدب العربى بكلية الآداب جامعة القاهرة تقول بصدد هذا الاتجاه فى بحث ضاف نشرته بمجلة (عالم الفكر)، وهى بالضرورة فى طليعة من يأخذون بهذا الاتجاه[1]:

تقول الكاتبة الفاضلة : (إن الرواة اعتمدوا فى هذه الرواية (رواية الأساطير الشعبية فى قصة المولد النبوى) على خيالهم أكثر من اعتمادهم على النص الأصلى للسيرة أو النصوص المدونة الأخرى، إذ لم تكن الأحداث التى روتها السيرة وألفها الناس هى التى تثير شعور الجماعة، بل هى الإضافات التى تنبع من وحى مشاعرهم وتصور لهم كيف احتفل الكون بأسره بميلاد الرسول ﷺ منذ كان بذرة فى بطن أمه إلى أن خرج من الوجود) .

---

(١) مجلة عالم الفكر - عدد (يناير، فبراير، مارس) فصلية سنة ١٩٨٢، ص ٣٦٥

وتعليقاً على هذا الرأى نقول: أما أن الرواة قد اعتمدوا في قصة المولد النبوى على خيالهم أكثر من اعتمادهم على النص الأصلى للسيرة أو النصوص المدونة الأخرى فنعم! وهذا مصدر الخطأ من الرواة، إذ لا يجوز لهم أن يخلطوا بين الواقع والخيال في سيرة صادقة لنبى صادق مشهود الوقائع، متواتر الأحداث، مشتهر الصفحات؟ وأما أن الأحداث التى روتها السيرة وألفها الناس لا تثير شعور الجماعة، وإنما تثيرها الإضافات التى تنبع من وحى مشاعرهم وتصور لهم كيف احتفل الكون بأسره بميلاد الرسول ﷺ، فهذا ما نخالفه كل المخالفة، لأن عظمة الرسول منذ مولده إلى وفاته لم تقم على الإضافات التى نسبت إليه، ولم تتأجج عاطفة الحب للنبى العظيم لدى الخاصة والعامة من المسلمين لما أضافه الخيال في سيرته المطهرة، ولكن لما في واقع هذه السيرة من نماذج عليا للمثل الرفيعة، إذ أن أخلاق الرسول المثالية ومواقف جهاده الصابرة الثابتة، وتأديته رسالة السماء على نحو ما كان ليبلغه سواه حتى أخرج الناس من الظلمات إلى النور، هذا كله هو الذى أجج مشاعر المسلمين نحو نبيهم الكريم! أما الأساطير المضافة فاهون بها في هذا المجال، وقد أضيفت أساطير هائلة إلى سير أقوام فلم تفعل شيئاً!!

إن الكاتبة الفاضلة ذكرت في مجال القصص الشعبى الخاص برسول الله، قصة عامر اليهودى، وقصة اليتيم المظلوم، وقصة الجمل والغزالة، وقصة معاذ بن جبل مع الإضافات التى ألصقها الرواة بقصتى الإسراء والمولد النبوى واعتبرت ذلك خيالاً شعبياً رائعاً يضيف الحماسة الدافقة، والحنان المتوقد لذكرى رسول الله! وهو رأى يزداد عجبنا من سرده، لأن هذه الأساطير وحدها لا تقدم ولا تؤخر في مقياس العظمة النبوية التى تُغنى بجهادها وصفاتها وأثرها في المحيط الإنسانى بأجمعه عن كل تلفيق زائف تسطع عليه شمس الحقيقة فيتحول إلى سراب!

أيتأجج شعور المسلمين نحو رسول الله لأن ما يدعى (خيالاً دون حقيقة) بعامر الراهب، كانت له ابنة كسيحة مُقْعَدة ورأت نوراً من السماء، ليلة مولده فبرئت ودُهش والدها فسار معها إلى منزل الوليد الجديد ليراه مؤتلق الضياء! أيتأجج الشعور بهذا القصص الكاذب، ولا يتأجج بمواقف جهاده ﷺ منذ قام وحده داعياً إلى الله صارخاً في قومه: لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم، إن الرائد لا يكذب أهله، ومتحملاً أشد بلاء الاضطهاد من عمه وذوى قرباه فضلاً عن الأبعدين الغرباء، حتى جاء نصر الله والفتح.

أتتأجج مشاعر المسلمين نحو رسول الله لأن الغزالة والجمل كان له شأن معهما إذ رهن نبى الإسلام (كما تدعى القصة كذباً) نفسه عند صاحب الغزالة كى يفك أسرها لتذهب حيث ترضع أولادها وتعود، ثم يتحدى اليهودى رسول الله أن يجعله ينطق الجمل، فما كان من النبى إلا أن أنطق الغزالة ليكون نطقها معجزة كافية لا تقبل الإنكار! أتتأجج مشاعر المسلمين بهذا الاختراع الساذج، ولا تتأجج بموقف كموقفه يوم الهجرة حين خرج فاراً بدينه، وكان:

﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ﴾[٢].

أتناجح مشاعر المسلمين لقصة يتيم مخترعة عن طفل رآه الرسول بعد رجوعه من غزوة ظافرة، فاجتباه وأهداه لابنته فاطمة – هكذا تزعم الرواية – ثم وجدها تضربه ذات يوم لخطأ وقع فيه، فلامها أبوها، ونزل قول الله عز وجل ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾[٣]! ولا تناجح لمواقف الرحمة المتكررة في حياته الشريفة وهي مواقف حقيقية ذائعة مشتهرة في المأثور الصادق من الأخبار، وزكاها الله بقوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[٤]

أتناجح مشاعر المسلمين لعودة معاذ بن جبل – رضي الله عنه – من اليمن حين علم بوفاة الرسول، واتصاله بكبار الصحابة ليحدثوه عن اللحظات الأخيرة من حياته الشريفة وعن حضور جبريل وميكائيل وتردد عزرائيل، مما نسجه خيال القصاص الملفق، ولا تناجح لاحتمال الرسول أعباء الجهاد في بدر وأحد والخندق يوم تألبت الجزيرة العربية كلها عليه، خارج المدينة، وانتقض اليهود معهم داخلها، يقول المولى سبحانه:

﴿ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ ﴾[٥] لدى المترددين، أما الرسول وأصحابه فهتفوا قائلين حين رأوا الأحزاب:

﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾[٦].

أتناجح مشاعر المسلمين لإضافات المولد النبوي وحواشي قصة المعراج ولا تناجح للنصر النهائي الذي تم على يده ﷺ حين رجع ظافراً إلى مكة وعفا عن خصومه فقال في سماحة: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»[٧] وهو يومئذ سيد العرب جميعاً!!.

---

(٢) سورة التوبة الآية ٤٠.

(٣) سورة الضحى الآية ٩.

(٤) سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.

(٥) سورة الأحزاب الآية ١٠.

(٦) سورة الأحزاب الآية ٢٢.

(٧) سيرة ابن هشام جـ ٢.

لو كان الذين وضعوا قصة المولد قد احتفلوا بروائع الأحداث الخطيرة في السيرة النبوية الزكية لأغنتهم أعظم الغناء عن فرار وحوش المشارق إلى وحوش المغارب يوم الميلاد، وما نعرفه مما تزيّد فيه الواضعون، ورسول الله نفسه يقول: «إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة»[٨]، ولم يقُل إن آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران قد حضرتا ميلاده السعيد! وإنما قاله الواهمون، أفيكون هذا القول وحده هو الذي يؤجج مشاعر المسلمين!!.

أظن الباحثة الفاضلة قد استرسلت في أوهام خادعة حين ظنت أن الأساطير الملفقة تفوق الحقائق الصادقة! ولو كان ذلك أمراً حقيقياً لاستطاع الصغار أن يكونوا كباراً بمحض التلفيق، ولأخذوا أماكنهم الرفيعة في سجل التاريخ بخيال زائف ترتجف قدماه! فلا يستطيع النهوض.

قصــــة المولــــد

كانت وزارة الأوقاف المصرية منذ أكثر من نصف قرن قد دعت إلى مسابقة أدبية لتأليف قصة للمولد النبوي تبعد عن الأساطير الخرافية التي لا تمت إلى الواقع بسبب، لأن القصص المتداولة حينئذ كقصص البرعي والبرزنجي والخنيهي والمناوي قد احتفلت بهذه الأساطير على نحو يجعلها في أذهان العامة حقيقة واقعة، وهذا ما يباعد بينهم وبين السيرة الصحيحة في مسارها القويم، وقد رحبت الهيئات العلمية باتجاه الوزارة ورأت فيه خطوة سديدة لارتقاء المعلومات الدينية، وتصحيح القيم النبوية، ولكن الدكتور طه حسين قد اعترض وحده على هذا الاتجاه القويم، وكتب مقالاً ضافي الذيول يعارض به فكرة المسابقة التي عقدتها وزارة الأوقاف، ولم أكن لأتعرض لهذا الموضوع اليوم فقد أشرت من قبل[٩] لولا أن الدكتورة الفاضلة نبيلة إبراهيم سالم قد باركته وأيدته واستشهدت ببعض ما ذكر الدكتور طه حسين، من مثل قوله[١٠]:

«وأي بأس على المسلمين في أن تتحدث إليهم قصص كهذه الأحاديث الحلوة، فتنبئهم بأن أمم الطير والوحش كانت تختصم بعد مولد النبي، كلها يريد أن يكفله، ولكنها ردت عن هذا لأن القضاء سبق بأن رضاع النبي سيكون إلى حليمة السعدية، وأي بأس على المسلمين في أن يسمعوا أن الجن والإنس والحيوان والنجوم تباشرت بمولد النبي، وأن الشجر أورق بمولده، وأن الروض ازدهى لمقدمه وأن السماء دنت من الأرض حين مس الأرض جسمه الكريم؟ لم تأت الأحاديث بشيء من هذا؟».

---

(٨) كنز العمال، جـ ٦، حديث رقم: ١٤٩٦٥.

(٩) قضايا إسلامية للمؤلف ج ٢ ص ٢٠٣.

(١٠) عالم الفكر ص ٢٨٦ السابق.



د. محمد حسين هيكل

ولكن الناس يحبون أن يسمعوه ويرون في التحدث به والاستماع إليه تمجيداً للنبي الكريم، لا بأس به، ولا جناح فيه، وأي بأس على المسلمين في أن يسمعوا أن نفراً من الملائكة أقبلوا إلى النبي وهو طفل يلعب فاضجعوه وشقوا عن قلبه، وغسلوه حتى طهروه، ثم ردوه كما كان، وأقاموه كأن لم يصبه مكروه، لم يصح الحديث بهذا ولكن المسلمين يتحدثون به ويستمعون له منذ أكثر من اثني عشر قرناً، لم يفسد لذلك ذوقهم، ولم يضعف إيمانهم، إن من فاحش الخطأ أن يضيق على الجماهير حتى في القصص البرىء، وإن من فساد الذوق ألا يباح للجماعات إلا الحق الذى لاحظ للخيال فيه، إن من سوء العناية بالدين أن يكف الخيال عن تأييد الدين».

الإسرائيليات والشعبيات

ولعل الدكتور محمد حسين هيكل صاحب كتاب (حياة محمد) كان أقوى من تصدى لمجابهة الدكتور في شططه فكتب في ملحق (السياسة الأسبوعية)(١١) يعلن أن ما ذكره طه حسين ليس حقاً إذ يعني بإسرائيليات سُطِرَت لإفساد العقول وتشكيك المستنيرين ودفْع الريبة إلى نفوسهم في شأن الإسلام ونبيه الكريم، وقد وضعت مثل هذه الأساطير في تواريخ بعض الأديان السابقة فنادى المصلحون بضرورة محوها!.

وأزيد على ما كتبه الدكتور محمد حسين هيكل فأقول: إن جهداً جاراً من جهود الباحثين اليوم قد اتجه إلى تفنيد ما ذكر خطأ في كتب التفسير والسيرة النبوية، وقصص الأنبياء من إسرائيليات تحط من مقام النبوة الكريم فإذا جئنا اليوم ودعونا إلى تسجيل (الشعْبيات) التي يرددها العامة، فستكون أداة طعن في الإسلام حين ينهض من الخصوم من لا يفرق بين الواقع والخيال، فيهاجم هذه الأباطيل، وكأنها حقائق يعتنقها المسلمون، وتؤلف الكتب الجامعية في تحليلها بدءاً بعدِّها في الأسطورة، ثم يزول هذا المعنى لتنتقل من الخيال إلى الحقيقة، ونحتاج إلى تنقية السيرة منها وكتابة مؤلفات عن الشعبيات، كما كتبت المؤلفات عن (الإسرائيليات) لا لشيء إلا لأن أهل الغرب قد دعوا إلى دراسة الأدب الشعبي لحاجة في نفوسهم، فسرْنا وراءهم شبراً شبراً، حتى إذا تجرءوا على تاريخ نبي الإسلام تابعناهم مرحبين، وعددنا ذلك عملاً فنيا تارة، وبحثاً منهجياً تارة أخرى، ولابد أن تتيقظ العقول فلا تندفع في شطط مريب.

د./ محمد رجب البيومي

---

(١١) ملحق السياسة الأسبوعية ديسمبر سنة ١٩٩٣ م.

بمناسبة ذكرى الإسراء والمعراج نقدم لقرائنا هذا الشهر تفسير آيات بينات من سورة «النجم» لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

مِنْ تَفْسِيرِ سُورَةِ النَّجْمِ

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال الله - تعالى -:

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ٢ وَمَا يَنطِقُ
عَنِ الْهَوَىٰ ٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ٥
ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ٨
فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ٩ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ١٠
مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ١١ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ١٢ وَلَقَدْ رَآهُ
نَزْلَةً أُخْرَىٰ ١٣ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ١٤ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ١٥
إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ١٦ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ١٧ لَقَدْ رَأَىٰ
مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾ النجم: ١ – ١٨

افتتح الله - تعالى - هذه السورة بهذا القسم العظيم، للدلالة على صدق رسوله ﷺ وللرد على أولئك المشركين الجاهلين، الذين زعموا أن النبي ﷺ قد اختلق القرآن الكريم.

والنجم: هو الكوكب الذي يبدو للناظرين، لامعا في جو السماء ليلا.

والمراد به هنا: جنسه، أي ما يشمل كل نجم بازغ في السماء، فأل فيه للجنس، وقيل: أل فيه للعهد والمراد به نجم مخصوص هو: الشعرى، وهو نجم كان معروفًا عند العرب، وقد جاء الحديث عنه في آخر السورة، في قوله - تعالى -:

﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴾(1). قالوا: وكانت قبيلة خزاعة تعبده.

وقيل المراد به: الثريا، فإنه من النجوم المشهورة عند العرب.

وقيل: المراد به هنا: المقدار النازل من القرآن على النبي ﷺ وجمعه نجوم، وقد فسره بعضهم بذلك في قوله - تعالى -:

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾(2).

ومعنى «هوى»: سقط وغرب، يقال هوى الشيء يهوى - بكسر الواو - هويا - بضم الهاء وفتحها - إذا سقط من أعلى إلى أسفل.

قال الآلوسي: وأظهر الأقوال، القول بأن المراد بالنجم، جنس النجم المعروف، فإن أصله اسم جنس لكل كوكب. وعلى القول بالتعيين، فالأظهر القول بأنه الثريا ووراء هذين القولين، القول بأن المراد به: المقدار النازل من القرآن.(3).

وقوله - سبحانه -:

﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾

جواب القسم و«ما» نافية، و«ضل» من الضلال، والمراد به هنا: عدم الاهتداء إلى الحق، وإلى الطريق المستقيم.

و«غوى» من الغي، وهو الجهل الناشيء من اعتقاد فاسد، وهو ضد الرشد.

و«الهوى» الميل مع شهوات النفس، دون التقيد بما يقتضيه الحق، أو العقل السليم.

والمعنى: وحق النجم الذي ترونه بأعينكم - أيها المشركون - عند غروبه وأفوله، وعند رجمنا به للشياطين.. إن محمدا ﷺ الذي أرسلناه إليكم:

﴿ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾(4)، ما ضل عن طريق الحق في أقواله وأفعاله، وما كان رأيه مجانبا للصواب في أمر من الأمور، وما ينطق بنطق صادر عن هوى نفسه ورأيه، وإنما ينطق بما توحيه إليه من قرآن كريم، ومن قول حكيم، ومن توجيه سديد.

وقد أقسم - سبحانه - بالنجم عند غروبه، للإشعار بأن هذا المخلوق العظيم مسخر لإرادة الله - تعالى - وقدرته، فهو مع لمعانه وظهوره في السماء لا يتأبى عن الغروب والأفول، إذا ما أراد الله - تعالى - له ذلك، ولا يصلح أن يكون إلها، لأنه خاضع لإرادة خالقه.

---

(1) النجم (49).

(2) الواقعة (75).

(3) تفسير الآلوسي جـ27 ص45.

(4) الأحزاب (45).

ولقد حكى – سبحانه – عن نبيه إبراهيم أنه حين:

﴿ جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ ﴾(٥).

قال بعض العلماء: والوجه أن يكون قوله: ﴿ إِذَا هَوَىٰ ﴾ بدل اشتمال من النجم، لأن المراد من النجم أحواله الدالة على قدرة خالقه ومصرفه، ومن أعظم أحواله حال هويه وسقوطه، ويكون ﴿ إِذَا ﴾ اسم زمان مجردا عن معنى الظرفية، في محل جر بحرف القسم..(٦).

وقال – سبحانه –: ﴿ صَاحِبُكُمْ ﴾ للإشارة إلى ملازمته ﷺ لهم، طوال أربعين سنة قبل البعثة، وأنهم في تلك المدة الطويلة لم يشاهدوا منه إلا الصدق، والأمانة، والعقل الراجح، والقول السديد.. وأنهم لم يخف عليهم حاله بل كانوا مصاحبين له، ومطلعين على سلوكه بينهم، فقولهم بعد بعثته ﷺ إنه ساحر أو مجنون.. هو نوع من كذبهم البين، وجهلهم المطبق.

وقوله: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ استئناف بياني مؤكد لما قبله.

والضمير ﴿ هُوَ ﴾ يعود إلى المنطوق به، المفهوم من قوله – تعالى –: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾.

أي: إن الرسول ﷺ لا يصدر نطقه فيما يأتيكم به عن هوى نفسه ورأيه، وإنما الذي ينطق به، هو وحي من الله – تعالى – أوحاه إليه على سبيل الحقيقة التي لا يحوم حولها شك أو ريب.

ومتعلق ﴿ يُوحَىٰ ﴾ محذوف للعلم به. أي: ما هذا الذي ينطق به إلا وحي أوحاه – سبحانه – إلى نبيكم ﷺ.

قال الإمام ابن كثير: قوله: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ أي: إنما يقول ما أمر بتبليغه إلى الناس كاملا موفورا من غير زيادة ولا نقصان.. فعن عبدالله بن عمرو قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهتني قريش فقالوا: إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب، فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك له، فقال: «اكتب فوالذي نفسي بيده، ما خرج مني إلا الحق»(٧).

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا أقول إلا حقا» فقال بعض الصحابة: فإنك تداعبنا يا رسول الله؟ قال: «إني لا أقول إلا حقا»(٨).

وقال صاحب الكشاف: ويحتج بهذه الآية من لا يرى الاجتهاد للأنبياء، ويجاب بأن الله – تعالى – إذا سوغ لهم الاجتهاد، كان الاجتهاد وما يستند إليه كله وحيا لا نطقا عن الهوى(٩).

ثم بين – سبحانه – بعد ذلك جانبا من صفات جبريل – عليه السلام – الذي ينزل بالقرآن على النبي ﷺ فقال:

---

(٥) الأنعام (٧٦).

(٦) تفسير التحرير والتنوير جـ٢٧ ص٩٠ للشيخ محمد الطاهر بن عاشور.

(٧) فتح الباري ١/٢٠٧، وأحمد ٢/١٦٢.

(٨) راجع تفسير ابن كثير جـ٤ ص٢٤٧.

(٩) تفسير الكشاف جـ٤ ص٢٨.

﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾.

أى: علم النبى ﷺ القرآن، ملك من ملائكتنا الكرام، وهو جبريل - عليه السلام - الذى أعطيناه قوة شديدة، استطاع بها أن ينفذ ما كلفناه بتنفيذه.

والضمير المنصوب فى «علمه» هو المفعول الأول، والثانى محذوف. أى: القرآن، لأن علم تتعدى إلى مفعولين.

وقوله: ﴿ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ صفة لموصوف محذوف. أى: ملك شديد القوى.

قالوا: وقد بلغ من شدة قوته، أنه اقتلع قرى قوم لوط - عليه السلام - ثم رفعها إلى السماء، ثم قلبها، بأن جعل أعلاها أسفلها.

وقوله - تعالى -: ﴿ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴾ صفة أخرى من صفات جبريل - عليه السلام -، والمرة - بكسر الميم - تطلق على قوة الذات، وحصافة العقل ورجاحته، مأخوذ من أمررت الحبل، إذا أحكمت فتله.

وشبيه بهاتين الآيتين قوله - تعالى -:

﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾(١٠).

وقوله: ﴿ فَٱسْتَوَىٰ ﴾ أى: فاستقام على صورة ذاته الحقيقية، دون الصورة الآدمية التى كان ينزل بها على الرسول ﷺ.

﴿ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ أى: وهو - أى جبريل - بالجهة العليا من السماء المقابلة للناظر إليها: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾ أى: ثم قرب جبريل - عليه السلام - من النبى ﷺ ﴿ فَتَدَلَّىٰ ﴾ أى: فانخفض من أعلى إلى أسفل.

وأصل التدلى: أن ينزل الشىء من طبقته إلى ما تحتها، حتى لكأنه معلق فى الهواء، ومنه قولهم: تدلت الثمرة إذا صارت معلقة فى الهواء من أعلى إلى أسفل.

ثم صور - سبحانه - شدة قرب جبريل من النبى ﷺ فقال: ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ والقاب: المقدار المعين: وقيل: هو ما بين وتر القوس ومقبضها.

والقوس: آلة معروفة عند العرب، يشد بها وتر من جلد، وتستعمل فى الرمى بالسهام.

وكان من عادة العرب فى الجاهلية، أنهم إذا تحالفوا، يخرجون قوسين ويلصقون إحداهما بالأخرى، فيكون قاب إحداهما ملاصقا للآخر، حتى لكأنهما قاب واحد، ثم ينزعونهما معا ويرمون بهما سهما واحدا، فيكون ذلك دليلا على التحالف التام والرضا الكامل.

والمعنى: أن جبريل - عليه السلام - بعد أن كان بالجهة العليا من السماء، ثم قرب من النبى ﷺ، ثم زاد فى القرب، حتى كان على مقدار مسافة قوسين منه ﷺ أو أقرب من ذلك.

قال صاحب الكشاف: قوله:

---

(١٠) التكوير (١٩ - ٢١).

﴿ قَابَ قَوْسَيْنِ ﴾ مقدار قوسين عربيتين، والقاب والقيب، والقاد والقيد، المقدار.. وقد جاء التقدير بالقوس، والرمح، والسوط، والذراع، والباع، والخطوة والشبر.. ومنه الحديث الشريف: «لقاب قوس أحدكم من الجنة، وموضع قده، خير من الدنيا وما فيها»[11] والقد السوط.

فإن قلت: كيف تقدير قوله:

﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ ﴾، قلت: تقديره فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين، فحذفت هذه المضافات..[12].

و«أو» في قوله: ﴿ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ للشك، ولكن هذا الشك من جهة العباد، أي: أن الرائي إذا رأى هذا الوضع قال: هو قاب قوسين أو أقرب من ذلك، ويصح أن تكون بمعنى «بل».

قال الجمل: قوله: ﴿ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ هذه الآية كقوله:

﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾[13].

لأن المعنى: فكان - جبريل - بأحد هذين المقدارين في رأى الرائي. أي: لتقارب ما بينهما يشك الرائي في ذلك.

وأدنى: أفعل تفضيل، والمفضل عليه محذوف. أي: أو أدنى من قاب قوسين، ويصح أن تكون بمعنى بل، أي: بل هو أدنى..[14].

وقوله:

﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ أي: فأوحى جبريل - عليه السلام - إلى عبدالله ورسوله محمد ﷺ ما أوحى من قرآن كريم، ومن هدى حكيم.

فالضمير في قوله: ﴿ فَأَوْحَىٰ ﴾ أي: جبريل، لأن الحديث في شأنه، وإيحاؤه إنما هو بأمر الله - تعالى - ومشيئته، ويرى بعضهم أنه يعود إلى الله - تعالى -.

قال الآلوسي: قوله: ﴿ فَأَوْحَىٰ ﴾ أي: جبريل ﴿ إِلَىٰ عَبْدِهِ ﴾ أي: عبدالله، وهو النبي ﷺ، والإضمار - ولم يجر له - تعالى - ذكر، لكونه في غاية الظهور، ومثله كثير في الكلام، ومنه:

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ ﴾[15].

﴿ مَا أَوْحَىٰ ﴾ أي: الذي أوحاه، والضمير المستتر لجبريل - أيضاً -.

وقيل: الضمير المستتر لله - تعالى - أي: أوحى جبريل إلى عبدالله، ما أوحاه الله إلى جبريل.

والأول مروى عن الحسن، وهو الأحسن.

وقيل: ضمير أوحى الأول والثاني لله - تعالى - والمراد بالعبد جبريل - عليه السلام - وهو كما ترى..[16].

---

(11) أحمد ٣/١٥٣، البخاري ٤/٢٠.

(12) تفسير الكشاف جـ٤ ص٢٩.

(13) الصافات (١٤٧).

(14) حاشية الجمل على الجلالين جـ٤ ص٢٢٨.

(15) فاطر (٤٥).

(16) تفسير الآلوسي جـ٢٧ ص٤٩.

وأبهم - سبحانه - ما أوحاه، لتفخيم شأنه، وإعلاء قدره، حتى لكأنه لا تحيط به عبارة، ولا يحده الوصف، وشبيه بهذا التعبير قوله - تعالى -:

﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾(١٧)

وعبر - سبحانه - عن رسول ﷺ بعبده، وأضافه إليه، للتشريف والتكريم، ولبيان أنه عبد من عباده - تعالى - الذين اصطفاهم لحمل رسالته، وتبليغ ما أوحاه إليه.

وقوله: ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾ رد على المشركين، وتكذيب لهم، فيما زعموه من أن الرسول ﷺ لم يتلق الوحي عن جبريل، ولم يشاهده.

واللام في قوله: ﴿ الْفُؤَادُ ﴾ عوض عن المضاف إليه، والفؤاد: العقل أو القلب، ومنه قوله - تعالى -: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ ﴾(١٨).

وقراءة الجمهور ﴿ كَذَبَ ﴾ بفتح الذال مع التخفيف، وقرأ ابن عامر بفتحها مع التشديد، و«ما» موصولة، والعائد محذوف.

أي ما كذب فؤاد النبي ﷺ وما أنكر، الذي رآه ببصره من صورة جبريل - عليه السلام - لأنه لم يكن يجهله، بل كان معروفا لديه، وصاحب الوحي إليه، فهو ﷺ عرفه بقلبه، وتأكدت هذه المعرفة برؤيته له بعينيه.

فالكذب هنا: بمعنى الإنكار والتردد والشك في صحة ما يراه.

قال صاحب الكشاف قوله:

﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾ أي: ما كذب فؤاد النبي ﷺ ما رآه ببصره من صورة جبريل - عليه السلام -.

أي: ما قال فؤاده لما رآه لم أعرفك، ولو قال ذلك - على سبيل الفرض - لكان كاذبا لأنه عرفه، يعني أنه رآه بعينه، وعرفه بقلبه، ولم يشك في أن ما رآه حق.

وقرىء ﴿ مَا كَذَّبَ ﴾ - بالتشديد - أي: صدقه ولم يشك أنه جبريل بصورته(١٩). ثم وبخ - سبحانه - المشركين على تكذيبهم للنبي ﷺ فيما يخبرهم عنه من شئون الوحي، فقال:

﴿ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾.

والممارة: المجادلة والملاحاة بالباطل. يقال: مارى فلان فلانا مماراة ومراء، إذا جادله، مأخوذ من مرى الناقة يمريها. إذا مسح ضرعها ليستدر لبنها، ويأخذه كاملا، فشبه الجدال بذلك، لأن كل واحد من المتجادلين يمرى ما عند صاحبه، أي: يسعى لاستخراج كل ما عنده، حتى يقيم الحجة عليه.

---

(١٧) سورة طه الآية ٧٨.

(١٨) سورة القصص الآية ١٠.

(١٩) تفسير الكشاف جـ ٤ ص ٢٩.

وعدى الفعل بعلى لتضمنه معنى المغالبة. أى: افتجادلون نبينا محمد ﷺ فيما رآه بعينيه، وتجادلونه فى شىء هو تحقق منه بعقله وبصره، وهو ملاقاته ورؤيته لأمين وحينا جبريل - عليه السلام -؟ إن مجادلتكم له فى ذلك، هو من قبيل التعنت الواضح، والجهل الفاضح، لأنكم كذبتموه وجادلتموه فى شىء هو قد رآه وتحقق منه، وأنتم تعلمون أنه صادق أمين.

فالمقصود بالاستفهام تبكيتهم وتجهيلهم على جدالهم بالباطل.

هذا وقد ذكر العلماء، أن هذه الآيات، تشير إلى رؤية النبى ﷺ لجبريل، على الهيئة التى خلقه الله - تعالى - عليها، فقد كان جبريل يأتى النبى ﷺ فى صورة آدمى، فسأله أن يريه نفسه على صورته التى خلق عليها، فأراه نفسه مرتين: مرة فى الأرض وهى التى تشير إليها هذه الآيات، ومرة فى السماء، وهى التى تشير إليها الآيات التالية.

وقد توسع الإمام ابن كثير فى ذكر الأحاديث التى وردت فى ذلك فقال ما ملخصه: عن عبدالله بن مسعود، أن رسول الله ﷺ لم ير جبريل فى صورته إلا مرتين، أما واحدة فإنه سأله أن يراه فى صورته، فسد الأفق، وأما الثانية فإنه كان معه حيث صعد..(٣٠).

وقوله - سبحانه -: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ إشارة إلى المرة الثانية التى رأى فيها الرسول ﷺ جبريل على هيئته التى خلقه الله - تعالى - عليها، وكان ذلك فى ليلة الإسراء والمعراج. أى: والله لقد رأى محمد ﷺ جبريل فى صورته التى خلق عليها، حالة كونه نازلا من السماء نزلة أخرى.

وقد جاء الإخبار عن هذه الرؤية بصيغة مؤكدة بلام القسم وبقد.. للرد على المشركين الذين أنكروا ذلك، فكأنه - سبحانه - يقول لهم: لئن كنتم قد أنكرتم هذه الرؤية فى الأرض، فإنه ﷺ لم يره فى الأرض فقط، بل رآه رؤية أعظم من ذلك، وهى رؤيته له فى السماء، حين كان مصاحبا له فى رحلته ليلة الإسراء والمعراج.

قال الآلوسى: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ أى: رأى النبى ﷺ جبريل فى صورته التى خلقه الله عليها ﴿ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ أى: مرة أخرى، وهى فعلة من النزول، أقيمت مقام المرة، ونصبت نصبها على الظرفية، لأن أصل المرة مصدر مر يمر، ولشدة اتصال الفعل بالزمان يعبر به عنه، ولم يقل مرة بدل نزلة، ليفيد أن الرؤية فى هذه المرة، كانت بنزول ودنو، كالرؤية فى المرة الأولى، الدال عليها ما مر.

والمراد من الجملة القسمية، نفى الريبة والشك عن المرة الأخيرة، وكانت ليلة الإسراء(٣١).

وقوله: ﴿ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ بيان للمكان الذى تمت عنده الرؤية الثانية.

والسدرة فى الأصل: تطلق على شجرة النبق، وهو ثمر معروف فى بلاد العرب.

والمنتهى: اسم مكان، أو مصدر ميمى بمعنى

---

(٣٠) راجع ابن كثير تفسير جـ٤ ص٢٤٧.

(٣١) تفسير الآلوسى جـ٢٧ ص٥٠.

الانتهاء، وإضافة السدرة إليه، من باب إضافة الشيء إلى مكانه، كما في قولهم: أشجار البستان. أو من إضافة المحل إلى الحال، كما في قولك: كتاب الفقه أو النحو.

وسمى هذا المكان بسدرة المنتهى، لانتهاء علوم الخلائق عنده، وما وراءه لا يعلمه إلا الله – تعالى –.

أخرج الإمام أحمد عن عبدالله بن مسعود قال: لما أسرى برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى، وهى فى السماء السابعة وإليها ينتهى ما يعرج من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهى ما يهبط من فوقها فيقبض منها(٢٢).

ثم بين – سبحانه – ما يدل على شرف هذا المكان فقال: ﴿ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴾.

أى: عند سدرة المنتهى، جنة المأوى. أى: الجنة التى تأوى وتسكن إليها أرواح المؤمنين الصادقين، الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه.

ثم نوه – سبحانه – بما يحيط بذلك المكان من جلال وجمال لا تحيط العبارة بوصفه فقال:

﴿ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴾.

والظرف «إذ» فى موضع الحال من: ﴿ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴾، لقصد الإشادة بما أحاط بذلك المكان من شرف وبهاء.. أو هو متعلق بقوله: ﴿ رَآهُ ﴾.

أى: ولقد رأى محمد ﷺ جبريل – عليه السلام – على هيئته التى خلقه الله عليها مرة أخرى، عند ذلك المكان الجليل المسمى بسدرة المنتهى، حالة كون هذا المكان ينزل به ما ينزل، ويغشاه ما يغشاه من الفيوضات الربانية، والأنوار القدسية، والخيرات التى لا يحيط بها الوصف.

فهذا الإبهام فى قوله: ﴿ مَا يَغْشَىٰ ﴾ المقصود به التهويل والتعظيم والتكثير، لما يغشى هذا المكان من خيرات وبركات.

وقوله – تعالى: ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ بيان لما كان عليه النبى ﷺ من ثبات واطمئنان عند رؤيته لما أذن الله – تعالى – له فى رؤيته.

والزيغ: هو الميل عن حدود الاستقامة. والطغيان: تجاوز الحدود المشروعة.

أى: ما مال بصر النبى ﷺ عما أذن الله – تعالى – له فى رؤيته. وما تجاوزه إلى ما لم يؤذن له فى رؤيته، بل كان بصره ﷺ منصبا على ما أبيح له النظر إليه. فالمقصود من الآية الكريمة، الثناء على النبى ﷺ، ووصفه بما هو أهله من أدب وطاعة لخالقه – عز وجل –.

قال ابن كثير: قوله:

﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ قال ابن عباس: ما ذهب يمينا ولا شمالا، وما جاوزنا ما أمر به، وهذه صفة عظيمة فى الثبات والطاعة، فإنه ما فعل إلا ما أمر به، ولا سأل فوق ما أعطى، وما أحسن قول القائل:

رأى جنة المأوى وما فوقها ولو
رأى غيره ما قد رآه لتاها(٢٣)

---

(٢٢) تفسير ابن كثير جـ٤ ص٢٥٢.

(٢٣) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٢٥٢

ثم عظم - سبحانه - من شأن ما أراه لنبيه ﷺ فقال: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾.

والكلام جواب لقسم محذوف، والآيات جمع آية، والمراد بها العجائب التي أطلع الله - تعالى - عليها نبيه ﷺ في تلك الليلة، وهي ليلة الإسراء والمعراج.

والكبرى: صفة لهذه الآيات، وحذف المرئي: لتفخيم أمره وتعظيمه.

أي: والله لقد رأى محمد ﷺ في تلك الليلة أمورا عظاما لا يحيط بها الوصف، وقد أكرمناه برؤيتها ليزداد يقينا على يقينه، وثباتا على ثباته، وقوة على قوته في تبليغ رسالتنا، وحمل أمانتنا.

هذا، وقد جرينا في تفسيرنا لهذه الآيات على الرأي الذي سار عليه المحققون من العلماء وهو أن هذه الآيات تحكي رؤية النبي ﷺ لجبريل مرتين، كما سبق أن بينا، وأن الضمائر في تلك الآيات منها ما يرجع إلى جبريل، ومنها ما يرجع إلى الله - عز وجل -.

وقد أعدنا كل ضمير إلى مرجعه الذي نراه مناسبا للمقام:

فمثلا: الضمير المنصوب في قوله - تعالى -: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ قلنا: إنه يعود إلى جبريل. أي: أن الرسول ﷺ رأى جبريل على هيئته التي خلقه الله عليها مرة أخرى، غير المرة الأولى التي كانت في أوائل بعثته ﷺ.

ولكن بعض المفسرين يرون أن مرجع الضمير في هذه الآية وغيرها، يعود إلى الله - تعالى -، ويستدلون بذلك على أن الرسول ﷺ رأى ربه.

وقد فصل القول في هذه المسألة الإمام الآلوسي فقال ما ملخصه: فالضمائر في «دنا» و«تدلى» و«أوحى..» وكذلك الضمير المنصوب في «رآه» لله - عز وجل -.

واستدل بذلك مثبتو رؤية النبي ﷺ لله - عز وجل - كابن عباس وغيره.. وخالفت في ذلك عائشة - رضي الله عنها - فقد أخرج مسلم عن مسروق قال: كنت عند عائشة فقالت: ثلاث من تكلم بواحدة منهن، فقد أعظم على الله - تعالى - الفرية.

قلت: ما هن؟ قالت: من زعم أن محمدا يعلم الغيب فقد كذب، ومن زعم أن محمدا كتم شيئا فقد كذب، ومن زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، فقلت: يا أم المؤمنين: ألم يقل الله - تعالى -: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾؟ فقالت: أنا أول من سأل رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «لا، إنما هو جبريل، لم أره على صورته التي خلق عليها سوى هاتين المرتين. رأيته منهبطا من السماء سادا ما بين السماء إلى الأرض».

ثم قال الآلوسي: ولا يخفى أن جواب الرسول ﷺ على عائشة، ظاهر في أن الضمير المنصوب في ﴿ رَءَاهُ ﴾ ليس راجعا إليه - تعالى -، بل إلى جبريل - عليه السلام -.. (٢٤).

والمتأمل في هذه الآيات الكريمة يراها ترد على المشركين مزاعمهم، بأبلغ أسلوب، وأقوى بيان، وأنه - سبحانه - قد أعطى نبيه ﷺ من المعجزات، ومن الخيرات والبركات.. ما لم يعط غيره.

---

(٢٤) راجع تفسير الآلوسي جـ٢٧ ص٥٢ وابن كثير جـ٤ ص٢٤٨ وما بعدها.

مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا

من صور الإعجاز البياني في القرآن الكريم

لفضيلة الشيخ/ صديق بكر عيطة

ورد هذا المثل فى ثلاث سور من القرآن الكريم: الأول فى سورة «يونس»، والثانى فى سورة «الكهف»، والثالث فى سورة «الحديد»، وترتيبها فى النزول هو نفس ترتيبها فى التلاوة. وإن من يقرأ هذه الآيات فى مواضعها من السور الثلاث، ويتأملها، يرى فيها التقاء وافتراقا حول ما بينها من أهداف يتجلى من خلالهما روعة الأداء القرآنى، ودقة النسق فى طريقة العرض القرآنى لمثل هذا المثل، ورسم صورته المعبرة الموحية.

* يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ فى سورة يونس:

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(1).

جاءت هذه الآية المباركة، عقب مجموعة من الآيات تصور قدرة الله

(1) يونس (24).

ـ تعالى ـ التي لا يحيط بها عقل، وتبرز كذلك طبيعة الإنسان الذي جبل على البغي، والطغيان، في كل جيل وفي كل مكان «سواء أكان بغيا على النفس خاصة، بإيرادها موارد التهلكة، والزج بها في ركب الندامة الخاسرة بالمعصية، أو كان بغيا على الناس؛ فالناس نفس واحدة»(٢) استمع إلى قوله ـ تعالى ـ قبل الآية التي معنا:

﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ ٢١ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٢٢ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾(٣)

ثم تأتي هذه الآية المباركة:

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ لتعطي المعيار الحقيقي لمتاع الحياة الدنيا من خلال هذه الصورة الفنية، ذلك المتاع الذي لا يملك الإنسان أطول منه، ولا أكثر؟ مهما علا شأنه وزادت قوته؛ حيث يردّ سريعا إلى الله الذي يحصي عليه كل صغيرة وكبيرة ليحاسبه عليها.

والصورة الفنية التي معنا:

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ من النوع الذي يطلق عليه علماء البيان «التشبيه التمثيلي» وهو يقوم على تصوير حالة في صورة حالة أخرى.. ليصل المتأمل في نهاية المشهد إلى حقيقة كونية كبرى، هي أن الدنيا مهما طال أمدها، ومهما اتسعت آمال الناس فيها، ومهما أيقن الناس أنهم قادرون عليها، فلابد لها من نهاية سريعة مفاجئة، تطوي الأخضر واليابس في أقل من لمح البصر. وهذه العبرة يراها الناس في كل لحظة من لحظات حياتهم، وفي كل خلجة من خلجات نفوسهم، من خلال تتابع شريط الأحداث في الأرض التي يعيشون عليها. فـ«هذا هو الماء ينزل من السماء، وهذا هو النبات يمتصه ويختلط به، فيمرع ويزدهر، وها هي ذي الأرض كأنها عروس مجلوة تتزين لعرس وتتبرج، وأهلها مزهوون بها، يظنون أنها بجهدهم ازدهرت، وبإرادتهم تزينت، وأنهم أصحاب الأمر فيها، لا يغيرها عليهم مغير، ولا ينازعهم فيها منازع».

«وفي وسط هذا الخصب المُمرع، وفي نشوة هذا الفرح الملعلع، وفي غمرة هذا الاطمئنان الواثق..

﴿أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ﴾

«في ومضة، وفي جملة، وفي خطفة.. وذلك مقصود في التعبير بعد الإطالة في عرض مشهد الخصب والزينة والاطمئنان»(٤).

---

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن.

(٣) يونس (٢١ : ٢٣).

(٤) سيد قطب، في ظلال القرآن.

فهي في إزالتها والقضاء عليها، لا تحتاج إلى أكثر من أن يصدر لها الأمر في لحظة من ليل أو نهار -وسبحان من يعلم متى سيكون ذلك- فتصبح في غمضة عين.. لاشيء!!.. وكأن لم تغن بالأمس!! وكأن لم تقم لها قائمة.

* * *

ولنترك صورة الدنيا من هذه الزاوية إلى حين؛ لنتأملها من زاوية أخرى في سورة «الكهف»؛ لنتابع سويا عظمة الأداء الفني القرآني، عندما يعمد إلى تحويل الفكرة من الذهنية الخالصة إلى مشاهد وأحداث حية، تجرى تحت سمعنا وبصرنا بكل ما ينتج عن ذلك من أصوات وظلال وألوان.

قال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾(٥)

وسورة الكهف بصفة عامة تدور حول محور واحد «ترتبط به موضوعاتها ويدور حوله سياقها [وهو] تصحيح العقيدة وتصحيح منهج النظر والفكر، وتصحيح القيم بميزان هذه العقيدة»(٦).

وتمشياً مع هذا الإطار العام، فقد جاءت الآية التي معنا بمثابة التعقيب الموجز على قصة الرجلين اللذين يعتز أحدهما بماله وجنتيه، ويعلى من شأنهما أكثر مما يعلى من شأن العقيدة، في مواجهة صاحبه الذي يقيم من دينه وعقيدته معيارا صحيحا، يزن به حياته الخاصة والعامة.

وقبل هذه القصة، كان توجيه الله لرسوله ﷺ، بأن يصبر نفسه على مصاحبة دعاة الحق والإيمان، مهما كانوا في فقر ومسكنة؛ لأنهم -في حقيقة الأمر- أصحاب الميزان الصحيح، الذي لا تطيش كفته، ولا تخبو أضواء الحق في ناظريه.

جاءت هذه الآية:

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ لتضع القضية كلها في بؤرة ضيقة المساحة عميقة الجذور في كل نفس، قوية الإيمان بمرادات الله - تبارك وتعالى - في المقطع السابق عليها، لتسلط عليها أضواء الحقيقة، وتشتد، من خلال هذا المثل الذي بلغ الغاية في الدقة والإحكام. بما اشتمل عليه من وجازة اللفظ، وعمق الأثر، واتساع رقعة الظل، التي لا تترك للنفس لفتة في حياتها، ولا للضمير همسة من همساته، إلا كانت لهما بالمرصاد، حيث تذكره بالمصير المحتوم، الذي لا يفيد معه مال، ولا ينفع عنده جاه، ولا يخفف من وقعه أبناء أو خلان.

فها هي ذي الحياة الدنيا بكل مظاهرها وعناصرها، وبكل زينتها وبهجتها، وقد اغتر بها المغترون.. لا تكاد تبدأ حتى تنتهي، وكأن شيئا لم يكن، وكأن أولها هو آخرها، فلم يكد الماء ينزل من السماء ويختلط بالتراب والنبات ليبدأ دورة حياة، حتى يصير هو نفسه ومعه التراب والنبات هشيما، لا وزن له ولا اعتبار؛ تنسفه الرياح نسفا. فهل هذه الحياة تستحق أن يتشبث بها صاحب الجنتين وضرباؤه؟!! ويقيموا من المال والجاه حكما بين أقدار الناس وقيم الحياة؟!! ألا ما أقصرها حياة!! وما أهونها حياة!!

* * *

---

(٥) الكهف (٤٥).

(٦) سيد قطب، في ظلال القرآن.

ولنترك الحديث في هذه اللقطة بعض الوقت أيضا لنتأمل الصورة نفسها من زاوية أخرى في سورة الحديد . يقول الحق ـ تبارك وتعالى :

﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾(٧).

جاءت هذه الآية المباركة « تعقيبا على دعوة الإيمان والبذل، ودعوة الفداء والتضحية، تعقيبا بصور الدنيا كلها بصورة هزيلة زهيدة تهون من شأنها وترفع النفوس عنها »(٨).

فما قيمتها وقد بدت لعين المتأمل الفاحص كلعب الأطفال التي لا يفرح بها غير الصغار، ولذا كان مصيرها إلى زوال؟!! لقد صورها القرآن في صورة الغيث الذي ينزل من السماء، فينبت النبات الذي يعجب به الزراع ويفرحون؟ لما فيه من نضارة وجمال وبهجة، تعطي الأمل في حياة أطول وخير أوفر. ثم ترى هذا النبات وقد هاج وعلت سيقانه، ثم يتحول بعد ذلك إلى حطام، وهنا ينتقل المشهد إلى الحقيقة الكبرى، التي تستيقظ على وقعها القلوب الوسنى، والعقول الغافلة عما ينتظرها من عذاب شديد للعاصين المغرورين، ومغفرة من الله ورضوان للمؤمنين الذين لا يعطون الحياة الدنيا أكثر مما تستحق من اهتمام.

* * *

إن من يتأمل هذه الصورة ذات اللقطات الثلاث، يراها من التشبيه التمثيلي الذي تشبه فيه حالة بحالة : حالة الدنيا وقد ازينت لأهلها بكل مغرياتها وأسباب زينتها؛ حتى اطمأن إليها من اغتروا بها، وظنوا أنهم قادرون عليها، ثم ما يحدث لها بعد ذلك من خراب ودمار .. بحالة الأرض حينما ينزل عليها المطر، فتنبت وتثمر فإذا فرح بها الزراع، وتهيأوا للانتفاع بها، تحولت إلى هشيم تذروه الرياح، فلا يبقى منها إلا الحسرة والندامة . تلك هي الصورة العامة التي تشترك في عرضها اللقطات الثلاث، على اختلاف مواضعها وملابساتها.

غير أن من يمعن النظر إليها من الوجهة الفنية، يرى أن هذه اللقطات الثلاث، ليست على قدر واحد من اتساع المساحة، وإنما يرى فيها من التفاوت في التفصيل، والإجمال، ما يثير التأمل والتفكير.

ـ فاللقطة الأولى :

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ ﴾

[سورة يونس] فيها من التفصيل وتوسيع رقعة العرض، ما يشمل كل خطوات تتابع الصورة المتمثلة : ففيها نزول الماء من السماء، فاختلاطه بنبات الأرض : سواء في ذلك ما يأكله الناس وما يأكله الحيوان، ثم يأتي إيقاع المشهد بعد ذلك بطيئا في انتقاله من مرحلة إلى التي تليها . . :

---

(٧) الحديد (٢٠).

(٨) سيد قطب، في ظلال القرآن.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ ﴾

إذا حدث هذا بعد هذا وذاك ... :

﴿ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا ﴾ والأمر هنا جاء مغمض المضمون لتفاجأ بسرعة في الإيقاع، لم تكن على استعداد لها لتنقلب الصورة قاتمة، ليس فيها إلا كل ما هو دمار وخراب شاملين ... :

﴿ فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ ﴾.

شيء مخيف وفظيع قد حدث طي ذلك الأمر الذي صدر في التو واللحظة.

إذن هنا عرض مسهب، فيه تطويل في سرد أسباب السعادة والراحة النفسية ثم سرعة غير متوقعة ليطوي ما حدث بعد ذلك الأمر، لنرى الصورة غاية في القتامة والحسرة. تلك هي اللقطة الأولى.

ـ أما اللقطة الثانية :

﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ ﴾

« الآية » [سورة الكهف] فهي غاية في الاختصار في عرض المشهد : فدورة الحياة لا تكاد تبدأ على الأرض حتى تنتهي؛ دون أن نرى فيها شيئا مما شاهدناه من شريط النعمة الوافرة في اللقطة الأولى.

ـ وأما اللقطة الثالثة :

﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ﴾

« الآية » [سورة الحديد] فإن من يتأملها يراها قد تحقق فيها نوع من التفصيل، الذي لا يبلغ ما بلغته اللقطة الأولى، وهو في ذات الوقت أوسع رقعة مما في اللقطة الثانية. أي أن ترتيب اللقطات الثلاث كالتالي: الأولى يليها الثالثة، وأخيرا الثانية. وهو ترتيب تنازلي كما نرى. فما سر ذلك ؟

إن من يعيد قراءة آية يونس :

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾

إلخ، وقراءة ما قبلها وما بعدها، يجد أن هذا الشوط من السورة فيه بسط لنعم الله ـ عز وجل ـ وفضل تفصيل في ذكرها، مع بيان ما يقابله به الإنسان من مكر هو في حقيقته كفر بنعمة المنعم.

﴿ وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ
ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ
(٢١) هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ
وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ
وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ
ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ
ٱلشَّٰكِرِينَ (٢٢) فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ
ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ
ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ (٢٣)
إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ
نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ
زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ

﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢٤) وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢٥) ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾(٩).

فالمجال هنا عامة، مجال بسط لنعم الله وتعداد أوجه فضله، مع ما يواجهه به الإنسان من عبادة غير المنعم. اقرأ قبلها:

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾(١٠).

واقرأ بعدها:

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ﴾(١١).

أما آية الكهف:

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾

فالمشهد فيها يعرض عمر الدنيا «قصيرا خاطفا ليلقى في النفس ظل الفناء والزوال، فالماء ينزل من السماء فلا يجرى ولا يسيل، ولكن يختلط به نبات الأرض. والنبات لا ينمو ولا ينضج ولكنه يصبح هشيما تذروه الرياح. وما بين ثلاث جمل قصار، ينتهي شريط الحياة»(١٢). هذا الاختصار البالغ في عرض مشهد الحياة تراه وفيه رد بليغ موح على من يغترون بزينة الدنيا، سواء في ذلك أشراف قريش الذين يطلبون من الرسول ﷺ، وقد غرتهم الدنيا بزخرفها وزينتها، أن يطرد فقراء المؤمنين من مجلسه، حتى يجلسوا هم إليه، ويستمعوا إلى دعوته.

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾(١٣).

أو صاحب الجنتين الذى اغتر بماله وأهله:

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾(١٤).

ومما يؤكد على أن ذلك الاختصار في عمر الدنيا مقصود من وراء هذا العرض في هذا المقطع بكامله، ذلك التفصيل في تعداد فضل الله على المؤمنين، الذين يعملون الصالحات، وما أعد الله لهم من الجنات الباقيات الخالدات وما يمتعون به فيها:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (٣٠) أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾(١٥).

---

(٩) يونس (٢١ : ٢٦).

(١٠) يونس (١٨).

(١١) يونس (٢٨).

(١٢) سيد قطب، في ظلال القرآن.

(١٣) الكهف (٢٨).

(١٤) الكهف (٣٢).

(١٥) الكهف (٣٠ ، ٣١).

وفيه مقارنة بين الدنيا وما فيها من زخرف يغتر به طلابها، مع أنها لا تكاد تبدأ حتى تنتهي .. وبين ما أعده الله للمؤمنين الذين لا يغترون بالدنيا، ولا يقيمون من مظاهرها ميزانا للقيم الإنسانية . بين جنات باقيات خالدات لا تنتهي، وبين جنة الدنيا التي لا تثبت عند الشدائد .. وإن بلغت من الروعة والجمال ما بلغت حتى ركن إليها صاحبها وقال :

﴿ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً ﴾(١٦) .

وإن من يتأمل المشهد الذي في سورة الحديد :

﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾

هذا المشهد -قلنا- فيه نوع من التفصيل الذي لا يبلغ ما بلغه المشهد الأول الذي في سورة (يونس) وهو يزيد عما في المشهد الثاني الذي في سورة (الكهف) . ونلاحظ أن هذا التفصيل المحدد يكاد يتركز في المرحلة الثانية من الصورة، مرحلة الفناء ومقدماته، وما بعده . وهي تبدأ من

﴿ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ﴾

أما المرحلة الأولى ففيها لفّ للصورة وإجمال :

﴿ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ﴾ .

أما المشهد الذي في سورة (يونس) :

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾

[الآية] فهو على عكس ما في سورة الحديد من هذه الناحية : بمعنى أن الصورة هنا فصلت في المرحلة الأولى منها وهي التي تبدأ من أول الآية وتمتد إلى

﴿ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ ﴾ أما المرحلة الثانية، ففيها لفّ وإجمال حتى لتكاد تتركز في كلمة بعينها

﴿ حَصِيدًا ﴾، ولا يقولن قائل إن جملة :

﴿ كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ﴾ داخلة في هذه المرحلة الثانية، لأنها هنا إلماع للمقارنة بين حالتين : حالة الدنيا قبل زوالها، وحالتها بعد زوالها، وليس فيها تفصيل يضاف للمرحلة الثانية .

أما عن السبب في التفصيل هنا الذي يقابله إجمال هناك، والذي يتلوه إجمال هنا يقابله تفصيل هناك . فهو - فيما نحسب - أن التفصيل في المرحلة الثانية من الصورة التي في آية الحديد، كان مقابلة عادلة للتفصيل في عرض حقيقة الدنيا ؛ فالدنيا التي هي : لعب .. ولهو .. وزينة .. وتفاخر .. وتكاثر، سوف يكون مصيرها مصير النبات الذي يهيج .. ويصفر .. ويتحطم، ليصل طالبها بعد ذلك إما إلى عذاب شديد، إذ طلبها من حرامها .. وإما إلى مغفرة من الله ورضوان إذا هو طلبها من حلالها، وجعلها مطية للآخرة .

---

(١٦) الكهف (٣٥، ٣٦).

أما آية (يونس)، فمجال عرض الصورة الفنية فيها يغلب عليه طابع سرد مظاهر النعمة، التى يتحبب الله بها إلى عباده ويتودد:

﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾

إلى آخر المقطع. وتتضح فيه جوانب الرحمة وآفاقها، وقد أنعم الله بها على عباده.. وهذا السبب هو نفسه الذى دعا إلى الإجمال فى ذكر النقمة بالمرحلة الثانية من الصورة ذاتها:

﴿ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا ﴾.

نقطة أخرى تبين مدى دقة التعبير القرآنى المبارك وعظمته وشفافيته فى رسم الصورة الفنية، هى ما أطلق عليه البلاغيون مراعاة النظير فى وضع الكلمة. ونعنى به هنا، وضع كلمة ﴿ حَصِيدًا ﴾ فى نهاية المشهد الذى فى سورة (يونس) يقابلها كلمة ﴿ هَشِيمًا ﴾ فى نهاية المشهد الذى فى سورة (الكهف)، وكلمة ﴿ حُطَٰمًا ﴾ فى المشهد الذى فى سورة الحديد.

ومن يتأمل « الحصيد » يراه النهاية الطبيعية لدورة النبات مما يأكل الناس والأنعام، وإن كان الحاصد هنا هو الله تبارك وتعالى.

أما « الهشيم » فهو الذى يصور واقع الحياة التى يتمسك بها طلابها المتعلقون بمظاهرها، كما هو الحال لدى صاحب الجنتين، فما أن تهب ريح عاصفة من غضب الله ونقمته، حتى يتبين أن ما يرونه ليس إلا شيئا هشا لا وزن له ولا قيمة، فقد ذهب مع الريح، ولم يبق لصاحبه إلا أن يقلب كفيه حسرة وندامة على ما أنفق فيها.

وأما « الحطام » فهو المصير المحتوم لما يعجب به الكفار من مظاهر الدنيا.. ويراد بالكفار فى الصورة الفنية الزراع؛ لأنهم يكفرون الحبة، أى يسترونها فى التربة، والتعبير عنهم هنا بالكفار « فيه -كما قال الشهيد سيد قطب- تورية وإلماع إلى إعجاب الكفار بالحياة الدنيا ».

ننتقل الآن إلى تذييل كل مشهد من هذه المشاهد الثلاثة لنتأمل أيضا بلاغة التعبير القرآنى. فإذا كان المشهد الذى فى سورة « يونس » قد ختم بقوله تعالى:

﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾، فإن نظير ذلك فى سورة (الكهف) قوله تعالى:

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾، وفى سورة (الحديد).

﴿ وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَـٰعُ الْغُرُورِ ﴾، وذلك لأن المشهد الذى فى سورة (يونس) جاء تتويجا لشوط من السورة فيه تفصيل فى عرض موقف الإنسان من قضية الوحي والعقيدة، من خلال مناقشة عدد من القضايا الجزئية، التي تصب جميعها فى مجرى تصحيح العقيدة التى انحرفت لدى فريق من الناس و ترسيخها فى مفهوم فريق آخر آمنوا بالله تعالى وعملوا الصالحات.

فإذا كان المثل الذى ضربه الله تعالى للحياة الدنيا فى قوله:

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ ﴾ فيه تركيز للعبرة والدرس، فإن ذلك التركيز إنما هو دفعة فى طريق التفصيل؛ لأن حرارة الوجدان الحذر من الدنيا، سوف تدفع إلى تأمل ما مر من قضايا جزئية ناقشتها الآيات المباركات :

﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.

أما فى سورة (الكهف):

﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ فالمجال مجال استعراض للقوة: سواء من جانب أولئك الذين يعتدون بقوتهم ويستعرضون مكانتهم وهم يطلبون من الرسول ﷺ ألا يسوى بينهم وبين الفقراء فى الجلوس إلى حضرته الشريفة، أو ذلك الرجل الذى يستعرض قوته ومكانته بين ماله وأهله فى مواجهة صاحبه. ولذا كان الرد:

﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا ﴾(١٧).

فى القصة الأولى، و ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ ﴾(١٨)

و ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾(١٩)

فى القصة الثانية. قدرة فى مواجهة قدرة.. والنتيجة معروفة..!!

وأما فى سورة (الحديد):

﴿ وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَـٰعُ الْغُرُورِ ﴾ فالمجال مجال التحذير من عاقبة الركون إلى الدنيا والاغترار بها؛ ولذا حينما ضرب الله لها المثل، بدأه بأن حصر شأنها وقيمتها فى اللعب واللهو والزينة والتفاخر.. والتكاثر.. مما يجب أن يفر منه العقلاء، ويتعاملوا معه بحذر شديد، وختمه بأن حصرها أيضا فى المعنى ذاته:

﴿ وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَـٰعُ الْغُرُورِ ﴾.

●●●

---

(١٧) الكهف (٢٩).
(١٨) الكهف (٤٢).
(١٩) الكهف (٤٣).

كليات القرآن الكريم

للدكتور / على أحمد على

ونعنى بـ «الكلية» من هذه الكليات ما حملته الآية من آيات القرآن الكريم من «لفظ كل أو معناه». ذلك أن كثرة فوق الحصر من آيات التنزيل العزيز لا ينفصل المراد منها عن «الكلية» مطلقاً، وليس يفهم معناها إلا مقترناً بـ «كل» ولو لم تحمل الآية هذا اللفظ: (كل)، أى أن تجردها لفظاً من «كل» لا يعنى خلوها من «كل».

لذلك كان لابد ابتداء من الإشارة إلى هذه الحقيقة، وضرب الأمثلة لها، وإن كان البحث أساساً أعد لدراسة «الكليات اللفظية» فى الكتاب الكريم:

فأما «الكليات المعنوية» فلها فى القرآن الكريم أكثر من قرينة تهدى إليها، كذلك منها ما يطابق معناه «كل» تمام المطابقة:

فمن الأولى ذوات القرائن قوله تعالى: ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[1]. فعقيدتنا إزاء الآية الكريمة تعطى معنى «كل» حتماً، أى أن لله كلَّ ما فى السماوات وما فى الأرض: ذلك أن الله - سبحانه - ﴿ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[2]، وهو أيضاً مالك كل شئ ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[3]، ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ ﴾[4].

فالكلية ملازمة للآية ولا جدال.

ومن هذا اللون ذى القرينة العقلية أيضاً قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ﴾[5]

أى جئتمونا واحداً واحداً، كل واحدٍ منكم منفرداً بلا أهل ولا مال ولا ولد ولا ناصر، عراة كما خرجتم من بطون أمهاتكم. ليس فى أيديكم شئ مما ملكتم فى دنياكم فقد تركتم كل شئ مرغمين[6].

---

(١) البقرة (٢٨٤).
(٢) الأنعام (١٠٢).
(٣) النور (٤٢).
(٤) الإسراء (١١١).
(٥) الأنعام (٩٤).
(٦) راجع القرطبى فى تفسير الآية.

ومن الثانية، أي التي يتطابق معناها مع «كُلّ» حتماً قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ ﴾(٧).

أي عنده ـ سبحانه وتعالى ـ مفاتيح الأرزاق كلها(٨). فالآية الكريمة مطابقة لمعنى: كل شئ عندنا خزائنه.

ونجد هذا اللون بكثرة في الآيات التي جاءت فيها (النكرة) في سياق النفي، وذلك أمر معروف في قواعد اللغة.

●●●

مع الكليات اللفظية:

١ـ وجاءت في القرآن الكريم في خمسة ألفاظ:

● «كل» رفعاً، ونصباً، وجراً.

● و«كُلّهُ» مثله إعراباً، وهو مضاف إلى ضمير المفرد المذكر.

● و«كُلّها» مضافاً إلى المفرد المؤنث منصوباً، إلا في الآية الكريمة:

﴿ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾(٩)

فقد جاءت في الآية الشريفة بالجر توكيداً للآيات المجرورة.

و«كُلّهم» مرفوعاً فقط، مضافاً إلى ضمير الجمع المذكر.

و«كُلّهن» مثله مرفوعاً فقط، ولم يأت في التنزيل العزيز إلا مرة واحدة في نسائه ﷺ وذلك في قوله ـ تعالى ـ:

﴿ تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴾(١٠).

فأما الكليات الأربع خلافها، فمواقعها في القرآن الكريم كثيرة، ويبلغ عددُها جميعاً سبعاً وخمسين وثلثمائة آية(١١).

والبحث مختص بـ«كل» في هذه الأوضاع الخمسة.

●●●

٢ـ و(كل) لفظاً ـ بحسب وضعه ـ شامل لجميع «أفراد» أو «أجزاء» ما يضاف إليه من «جنس» أو «نوع» فهي جميعاً منطوية فيه، يستغرقها تماماً: مادية كانت أم معنوية، وينبغي أن نوضح أن هذا الاستغراق يفسره مضمون ماورد فيه، فيكون ـ تارة ـ عاماً كقوله ـ تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(١٢).

فالمضاف إليه (شيء) في الآية شامل لكل الكون،

---

(٧) الحجر (٢١).

(٨) راجع القرطبي في تفسير الآية.

(٩) القمر (٤٢).

(١٠) الأحزاب (٥١).

(١١) هذا الحصر عن (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) للأستاذ محمد فؤاد عبدالباقي، ومنه نعلم أن لفظ (كل) حظي بالعدد الأوفر، حيث ذُكِرَ في القرآن الكريم خمساً وعشرين وثلثمائة مرة (٣٢٥) بين رفع وخفض، فأما في حال النصب (كُلاً) فقد ذُكِرَ خمس عشرة مرة، وجاء (كُلّه) في سبع، و(كُلّها) في خمس، و(كلهم) في أربع، و(كلهن) ما ذكرت.

(١٢) البقرة (٢٠).

فما فيه من جزء أو ذات إلا شملها حكم القدرة، وهي خاضعة لقدرة الله تعالى.

ويكون الإستغراق الكلي خاصا، أي ليس على هذا العموم ـ كما في قوله ـ تعالى ـ في عقوبة قوم عاد بالريح الصرصر:

﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ﴾(١٣).

فـ(شيء) في الآية شملت كل حي إنساناً أو حيواناً على أرض عاد، وليس الكون كله، ومن ثم، فإن الحكم الوارد في الآية ينطبق على أجزائها، أو ذواتها ـ حسب ما هي عليه من عموم أو خصوص ـ جميعا ويشملها فرداً فرداً.

وعودة إلى المضاف إليه المادي والمعنوي نجد منه في كليات القرآن الكريم الكثير، نكتفي منه بمثال للمادي وآخر للمعنوي:

فمن الأول قوله ـ تعالى:

﴿ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ ﴾ الواردة بالآية الكريمة:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(١٤).

فـ﴿ دَابَّةٍ ﴾ في الآية تجمع الحيوان كله(١٥)، وهي ـ جميعاً وما ورد في الآية دلالات على وحدانيته ـ تعالى ـ وقدرته.

ومن الثاني:

قوله ـ تعالى ـ في العدل بين الزوجات لدى من تزوج بأكثر من واحدة:

﴿ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ﴾

من الآية الكريمة:

﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾(١٦).

يقول مولانا الشيخ حسنين محمد مخلوف ـ مفسراً للآية:

﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا ﴾ أي العدل المطلق الكامل بين زوجاتكم في القَسْم والنفقة والتعهّد والنظر والإقبال والممالحة والمحبة والانعطاف.. وغير ذلك ﴿ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾ عليه أتم الحرص، ولذلك لم يكلفكم الله به، إذ التكليف إنما يكون في الوسْع والطاقة، فقاربوا واجتهدوا ألا تميلوا الميل المحظور إلى واحدة منهن في حقوق الزوجية بحيث تكون الأخرى كأنها

---

(١٣) الأحقاف (٢٥).

(١٤) البقرة (١٦٤).

(١٥) راجع تفسير القرطبي للآية.

(١٦) النساء (١٢٩).

معلقة، لا هي مطلقة، ولا هي ذات بعل، وجاهدوا أنفسكم حتى تصلوا إلى الحد المستطاع من العدل الذي يباح لكم معه تعدد الزوجات. اهـ.

وواضح أن الحكم بالنهي عن الميل شامل لكل ألوانه.

٣ـ و «الأجناس» و «الأنواع» المصاحبة لـ «كُلّ» ـ أعني المضاف إليه ـ عديدة في القرآن الكريم، غير أنها لا تصعب على الحصر، فليس تطلب إلا نظرة فاحصة إلى هذا المضاف إليه فيقع الحصر، وينتهي إلى عدد محدد، دون تعداد المكرر.

ثم هذا المضاف إليه (المتمثل في الجنس أو النوع) ألوان عديدة مع (كل)، شاملة جميع ما يخطر للإنسان المخاطب بالقرآن من شأن:

فهي تارة مضافة إلى (عامٍ) لا يستثني شيئاً، ومنه قوله ـ تعالى ـ آمراً رسوله ﷺ بالرد على المنافقين في (أُحُد):

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾(١٧).

وتضاف (كل) تارة إلى الإنسان، لتسفر عن أنواعه المختلفة، ومنازله المتباينة، وجماعاته المتنوعة، وهنا يحظى الإنسان بالقدر الأكبر من هذه الإضافات:

فإضافة تسفر عن أعلى منازله ـ منزلة النبوة ـ قال ـ تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾(١٨).

وعدا الأنبياء تتفاوت الصفة؛ فإما رفيعة القدْر، أو من سَقط الأخلاق، ولله ـ جلّ عُلاه ـ تسجيلٌ لهذه الأخلاق المتردية، نذكر منها بعض ما جاء في الكتاب الكريم صُحْبَةَ (كل). قال ـ تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾(١٩).

وقال ـ تعالى:

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾(٢٠).

﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾(٢١)

﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴾(٢٢).

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾(٢٣).

وحسبنا من هذا الصنف أولئك المعتدون، فلا ترى سُمُوّاً ولا جزاء حَسَناً ولا نعمة في أعين الناس لكل خوان أو أفاك أو ختار كفور أو حلاف مهين(٢٤)، ويندر أن تنفرد صفة واحدة من هذه الصفات في إنسان، بل لابد أن يجمع منها الكثير.

ثم من بعد ذلك منازل يرتفع فيها الإنسان إلى

---

(١٧) آل عمران (١٥٤).

(١٨) الأنعام (١١٢).

(١٩) الحج (٣٨).

(٢٠) الجاثية (٧).

(٢١) لقمان (٣٢).

(٢٢) القلم (١٠).

(٢٣) لقمان (١٨).

(٢٤) الخوان ـ معروف ـ فهو الفاقد للأمانة تماماً، والكفور: الجاحد للنعمة، وفي أول تلك النعم الإيمان بالله، والأفاك: الكذاب، الأثيم: اللازم للإثم، والختار: الغدار، والحلاف: الكثير الحلف بالباطل، وهو (مهين) أي حقير، والمختال: الزهو بنفسه، المتبختر في مشيه الفخور على الناس بذاته، أو ماله، أو منزلته.

﴿ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴾[25] أى كثير الرجوع إلى طاعة ربه، حافظ لحدوده، أو ينتهى إلى:

﴿ كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴾[26] لا تجد الإنسانية منه إلا شراً فإذا تجاوزنا الأخلاق نجد (كُلّاً) تضاف تارة إلى المعجزة، فهذا موسى - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - ومعه قومُه يطاردهم فرعونُ بجنوده، فيُوحى الله - تعالى - إليه:

﴿ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ ﴾ أى البحر ﴿ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ ﴾ من مياه البحر:

﴿ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ أى الجبل الضخم[27].

وتارة تصحب (كل) أجناسا شتّى من خلقه تعالى - فتصحب الحيوان عامة:

﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ ﴾[28].

والحيوان من الإنسان، فقد ذكر المولى - عز وجل - الزلزلة التى تشمل الأرض جميعا قبل الساعة أى قبل القيامة، فقال:

﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ﴾[29].

يقول الحسن البصرى - رضى الله عنه: تَذهَلُ المرضعةُ عن ولدها لغير فطام - أى الذى لم يفطم بعدُ - وتضع الحامل ما فى بطنها لغير تمام[30].

واصطحبت (كل) أجناسا ذات دلالات شرعية: فالمشركون المعاندون لا يؤمنون بوحدانيته تعالى - وفيهم نزل قوله - عز وجل:

﴿ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ﴾[31].

وتصحب ﴿ كُلّ ﴾ النبات والطعام والمكان والزمان، ففى التنزيل العزيز:

﴿ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾[32].

﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ﴾[33].

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴾[34].

﴿ يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾[35]

وأضيفت ﴿ كُلّ ﴾ إلى الضمير، فلم تفقد خاصيتها، إذ الضمير لجنس أو نوع، وإذا هى على « العموم » المناسب لما أضيفت إليه، من ذلك قوله - تعالى:

﴿ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا ﴾[36].

وقوله: ﴿ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾[37]

فكلها فى الآية الأولى تعنى (كل الأزواج)

---

(٢٥) ق (٣٢). (٢٦) الطففين (١٢). (٢٧) الشعراء (٦٣).
(٢٨) الرعد (٨). (٢٩) الحج (٢). (٣٠) راجع تفسير الخازن والنسفى فى الآية.
(٣١) الأنعام (٢٥). (٣٢) البقرة (٢٦٦). (٣٣) آل عمران (٩٣).
(٣٤) الفرقان (٥١). (٣٥) الرحمن (٢٩). (٣٦) الزخرف (١٢).
(٣٧) مريم (٩٥).

أى الأصناف من خلقه – تعالى – وكلهم – فى الثانية – تعنى خلقه العائد إلى الله يوم القيامة بلا مال ولا نصير يمنعه من قضاء الله فيه.

٤– وتأتى ﴿ كُلٌّ ﴾ منونة، رفعًا ونصبًا وجرًا، فلا يصحبها المضاف إليه قرينا لها، ولكنه حاضر قائم بها غير عسير مطلقا معرفته، يقول – تعالى:

﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾(٣٨).

وتقدير هذا المضاف المحذوف يسير، فهو الرسول ﷺ والمؤمنون – رضى الله عنهم– أى أن كلا من الرسول والمؤمنين آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله.

وفى «سورة الأنعام» ذكر عز وجل – ثمانية عشر نبيا رسولا فى أربع آيات من رقم (٨٣) ثلاثة وثمانين إلى رقم (٨٦) ستة وثمانين، وفى الأخيرة منها قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَٰلَمِينَ ﴾

والمضاف المحذوف كأنْ لا حذف له، فهو واضح مقصود به هؤلاء الرسل الكرام أفضل الآدميين فى عصورهم.

ومثال المجرور قوله تعالى:

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾(٣٩).

والآية الكريمة ذكرها سبحانه وتعالى – فى النهاية من ذكر الجن والإنس، وما أقامه سبحانه عليهم من حجة بإرساله الرسل لديهم يدعونهم للإيمان باذلين كل جهد فى توعيتهم وهدايتهم، فمنهم من آمن ومنهم من عصى.

ذكر – سبحانه وتعالى – هذه الحقيقة بشأنهم فى الآيتين (١٣٠، ١٣١) ثم عقب على ذلك بقوله:

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ ﴾.. الآية، فكان السياق موضحًا بلا لبس إطلاقا هذا المضاف المحذوف فى شخص هؤلاء المكلفين الذين أعلمهم الله – تعالى – بالواجب عليهم، وعنت الآية أن لكل من المكلفين درجات متفاوتة من أجل ما عملوه فى دنياهم من طاعة أو معصية.

٥– وإذ انتهينا من دراسة (كل) من حيث ورودها معنى ولفظا فى الآى الشريف، ثم انثنينا إلى دراسة (كل) نفسها من حيث ورودها مصاحبة للمادة تارة، وللمعنى تارة أخرى ثم عرجنا إلى النظر فى ذات (المضاف إليه) الذى لابد من مصاحبته لـ (كل) وإن لم يذكر معها نصا، ووجدنا هذا المضاف إليه جنسا كان أو نوعا، شاملا مستوعبا لكل ما خلق الله – تعالى – أو أراده فى (كونه) من مادة أو فكر أو نظر أو خاطر قد يعلق بذهن إنسان، فيتساءل عنه!!! فماذا بعد..؟

نقول: إن كل ما قدمناه فى هذه الصفحات أشبه بـ (المبتدأ) الذى لم نتحدث بعد عن خبره – وإنه لخبر مستحق بدوره لدراسة نسأل الله – تعالى – عونا عليها وتوفيقا إليها، ولن يمنعنا ذلك من نظرة سريعة إلى (خبر) من هذه الأخبار، ولنستشهد له بقوله – تعالى:

﴿ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾(٤٠). لنجد حكمه – تعالى – على كل نفس بأنها مأخوذة مرهونة بعملها مستحقة لما نالها من جزاء، فلا نجاة من النار إلا لأولئك الذين استثناهم المولى – عز وجل – فى قوله:

﴿ إِلَّآ أَصْحَٰبَ الْيَمِينِ ﴾.

(٣٨) البقرة (٢٨٥). (٣٩) الأنعام (١٣٢). (٤٠) المدثر (٣٨).

السنة

الحكم في نظر الإسلام

لفضيلة الأستاذ / عبد الرحمن الجزيري
عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر

إعداد الشيخ / علي حامد عبد الرحيم

عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: «قلت يا رسول الله ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي ثم قال: يا أبا ذر إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذ بحقها، وأدى الذي عليها فيها».
رواه مسلم

يتعلق بهذا الحديث أمور:

(١) بيان معناه إجمالاً.

(٢) بيان الصفات التي يجب أن يكون عليها الحاكم.

(٣) واجب الرئيس الأعلى بإزاء ذلك.

(٤) خطورة الحكم وعاقبة أمره.

(٥) حقوق المنصب.

١ ـ معنى الحديث ظاهر، وهو أن أباذر رضي الله عنه (من مشاهير الصحابة الذين لهم سبق

● من روائع «مجلة الأزهر» عدد ربيع الثاني ١٣٥٧هـ.

فى الإسلام) طلب من رسول الله ﷺ أن يسند اليه رياسة عمل من الأعمال فأبى رسول الله عليه ذلك لأنه لم ير فيه الصفات التى يجب أن يكون عليها الرئيس، ثم أبان له خطورة الحكم وعظم مسئوليته فقال له: إن رياسة الأعمال أمانة، وإنها يوم القيامة خزى وندامة الخ.. ومعنى كونها أمانة أنها تستلزم القيام بحقوق الناس على الوجه الكامل، وهذه الحقوق فى عنق الرئيس، فلابد له من أدائها لهم كاملة فى هذه الحياة الدنيا، وإلا كانت عاقبة أمرها خُسرا ووبالا عليه يوم القيامة، فليس الحكم مجرد لذة من اللذات العظيمة التى تستعذبها النفس ولايسأل المرء عنها، كلا بل هى تكليف شاق وحمل ثقيل، فلا ينبغى لأحد من المسلمين أن يلى أمرا من أمورهم وهو ضعيف فى أية ناحية من نواحيه.

ومن أحسن العظات التى تؤخذ من هذا الحديث أن أبا ذر لم يعارض فى وصفه بالضعف، ولم يحاول الدفاع عن نفسه، ذلك لأن الرسول صلوات الله عليه لفته الى حقيقة أغفله عنها ماهو كامن فى طبيعة الإنسان من حب المنصب والجاه، فلما أدرك ذلك أذعن للحق خاضعا. وأروع من هذا وأجمل أن هذا الرجل العظيم يحدث بذلك عن نفسه وهو قرير العين منشرح الصدر، فلم يبال أن يقال عنه إنه ضعيف غير صالح لولاية الأعمال. وليس هذا بغريب؛ لأن هؤلاء السادة البررة لايرون وجودهم لأنفسهم فحسب، بل يرون وجودهم لخدمة المجتمع الإنسانى، فكل همه منحصر فى خدمة المجتمع الإسلامى بنقل شريعة رسول الله ﷺ إليه بالدقة والأمانة كى ينتفع بها، سواء عليه بعد ذلك أن يعظم أو يصغر، أو يساء أو يسر، على أن فى ذلك أيضا تبصرة وذكرى لهؤلاء الذين يتهافتون على المناصب تهافت النسور على الجيف وهم ليسوا بأكفاء لها، وإذا تخطتهم رياسة ملأوا الدنيا ضجيجا وجاءوا بالشفعاء من كل صوب لاغتصابها من يد مستحقيها، فإن هؤلاء الأشرار من أشد الجناة على العدل والنظام.

٢ ـ أما الصفات التى يتصف بها الحاكم فقد أجملها الحديث بقوله: « يا أباذر إنك ضعيف »، والاضطلاع بمسئولية الرياسة يستلزم القوة بكل معانيها. فالحاكم يجب أن يكون قادرا على إقامة العدل بين الناس، فلا يظلمهم ولايتركهم يتظالمون، قادرا على حفظ أموالهم وأعراضهم ودمائهم، كما قال عمر بن الخطاب لرؤساء القبائل: إنى لم أرسل عمالى إليكم ليضربوا وجوهكم ولاليأخذوا أموالكم، وإنما أرسلتهم إليكم ليصونوا دماءكم وأعراضكم وأموالكم، ويقسموا بينكم مارزقكم الله من فئ... إلخ.

وأن يكون قادرا على معرفة أحوال رعيته والنظر فى كل شئونها المادية والأدبية، عاملا على ترقيتها والنهوض بها الى المستوى اللائق بها. ومن أحسن ماروى فى هذا أن عمر قال: والله لو عثرت دابة فى العراق لرأيتنى مسئولا عنها. فقيل له وماذنب أمير المؤمنين فى ذلك؟

فقال: أمير المؤمنين مكلف بإصلاح الطرق وتسويتها ليمشى عليها الناس والدواب بدون عثار واضطراب.

وأن يكون قادرا على الدفاع عن رعيته بالقول والفعل، فلا يسمح لأحد أن يعتدى عليها أو

يهين كرامتها، أو يطمع في استخدامها بكل مايمكنه من حول وطول.

وأن يكون حازما لاينثني عن الحق بشفاعة الشافعين، ولايميل مع العاطفة فيغدق على من يحب ويحرم من يبغض.

وأن يكون رحيما فلا يقسو في مواطن الرحمة.

وأن يكون قادرا على تأديب العصاة والمجرمين الذين يسعون في الأرض فسادا.

وأن يكون قادرا على ضبط نفسه عند الغضب، فلا يحمله نزق السلطان وكبرياؤه على المظالم والاستبداد بالناس انتقاما لشهوته وإرضاء لغضبه.

وبالجملة فشرط الحاكم أن يكون قويا في عقله وتفكيره، قويا في إرادته ونفوذه، قويا في عدله وحلمه وضبط شهوته، قويا في جلده وصبره على سياسة رعيته بما يناسب حالها مهما ترتب على ذلك من مشقة وتضحية، قويا في معرفة أحوال رعيته بنفسه، فلا يصغي لوشاية واش ولايعبأ برأى جاسوس كاذب، وإلا كان ضعيفا لا يحل للرئيس الأعلى أن يسند إليه أمرا من أمور المسلمين. وهذه الأوصاف كلها مصرح بها في كثير من الأحاديث الصحيحة ووصايا الخلفاء الراشدين وكتبهم إلى عمالهم. فكل من ولى أمرا من أمور المسلمين فإنه يكون مسئولا عن حياطته والقيام عليه بكل مايصلحه، فإن عجز وجب عليه أن يتخلى عنه لغيره، وإن قصر أو أهمل كان جزاؤه الخزى في الدنيا والآخرة.

ومن هذا تعلم أن كل شئ يرهق المحكومين ويضيرهم، ويفسد أخلاقهم ويضيق عليهم وسائل معاشهم، ويسلب منهم حقوقهم ويقعد بهم عن الرقى العلمى والمادى، يكون الحاكم مسئولا عنه ولا ينجيه عند الله عجزه، لأنه إن عجز وجب عليه أن يترك المنصب للقادر عليه.

وكل شئ ينهض بالأمة الى ذروة المجد ويحفظ أخلاقها، ويبث الأمن بين ربوعها ويجعلها عزيزة الجانب فإنه واجب مقدس على الرئيس أن يقوم به.

٣ ـ أما واجب الرئيس الأعلى وهو الإمام الأعظم أو خليفة المسلمين ومن يقوم مقامه بإزاء ذلك، فهو أنه لايحل له أن يسند أمرا من الأمور إلى غير أهله. لايحل له أن ينيب عنه في مصالح المسلمين ضعيفا في إرادته أو في شهوته، أو في عقله، أو في دينه، أو في سياسته العامة أو الخاصة على الوجه الذى بيناه. بذلك أمر الله الخلفاء صريحا في قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾(١).

ومعنى الآية الذى يدل عليه السياق بوضوح: أنه سبحانه يقول: إننى آمركم أيها الخلفاء والرؤساء الأعلون أن تسندوا المناصب الى أهلها اللائقين بها القادرين عليها وعلى أدائها على الوجه الأكمل. فالمراد بالأمانات المناصب كما هو صريح الحديث الذى معنا، فقد قال النبى ﷺ لأبى ذر: إن المنصب أمانة، أى حق من الحقوق

---

(١) النساء (٥٨).

المتعلقة بذمة الرئيس، فلا يصح أن يحتمله ضعيف ليس أهلا له.

وقوله سبحانه:

﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾

خطاب لكل من ولى من أمر المسلمين شيئا سواء أكان: إماما، أم أميرا، أم قاضيا، أم رئيس قبيلة، أم رئيس أسرة، أم رئيس جماعة. فكل واحد من هؤلاء يفترض عليه أن يقضى بين الناس بالعدل، وإلى ذلك يشير قوله ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيتها ومسئولة عن رعيتها.. إلخ»[٢].

وقال ﷺ: «إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع»[٣].

ومما لاخفاء فيه أن الأمة التى بيدها انتخاب الحاكم أو انتخاب من ينتخبه، مسئولة عمن تختاره للحكم كمسئولية الإمام الأعظم سواء بسواء، فإذا لم تنتخب الكفء القادر اللائق للحكم كان وزرها عند الله عظيما وعقوبتها شديدة.

٤ ـ وأما خطورة الحكم وعاقبة أمره، فإن الحكم تارة يكون أداة صالحة ينفع الحاكمين والمحكومين، وتكون عاقبته سعادة فى الدنيا والآخرة، وتارة يكون من شر الوسائل المردية لصاحبه فى الدنيا والآخرة. وقد رغبت الشريعة الإسلامية فى الحكم الصالح، وحثت عليه، وحذرت من الحكم الظالم الفاسد ونهت عنه نهيا شديدا، فمن الأول قوله ﷺ: «سبعة يظلهم الله يوم لاظل الا ظله: أمام عادل، وشاب نشأ فى طاعة الله»[٤].. إلخ. فأنت ترى أنه قد بدأ السبعة بإمام المسلمين وخليفتهم العادل. وقوله: «أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى مسلم، وعفيف متعفف ذو عيال»[٥]. ومعنى قوله: ذو سلطان مقسط، ذو ملك عادل. وقوله ﷺ «يوم من أيام عادل أفضل من عبادة ستين سنة»[٦] إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على فضل الرئيس العادل والحاكم الموفق القادر.

ومن الثانى قوله ﷺ: «من ولى شيئا من أمر المسلمين أتى به يوم القيامة حتى يوقف على جسر جهنم، فإن كان محسنا نجا، وإن كان مسيئا انخرق به الجسر فهوى فيه سبعين خريفا»[٧]. وقوله: «إنكم ستحرصون على الإمارة، وستكون ندامة يوم القيامة»[٨]. وقوله: «الإمارة أولها ملامة، وثانيها ندامة، وثالثها عذاب يوم القيامة، إلا من عدل، وكيف يعدل مع قريبه»[٩].

وقوله ﷺ: «من ولاه الله شيئا من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم، احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره

(٢) البخارى ٦/٢، ١٩٦/٣.
(٣) أخرجه ابن حبان فى صحيحه.
(٤) البخارى ١٦٨/١، وأحمد ٤٣٩/٢.
(٥) أخرجه مسلم.
(٦) البيهقى ١٦٢/٨.
(٧) مجمع الزوائد ٢٠٥/٥، ٢١١.
(٨) أخرجه البخارى.
(٩) أخرجه الطبرانى وغيره.

يوم القيامة»[١٠] وقوله : «لاتقدس أمة لايقضي فيها بغير الحق، ولايأخذ الضعيف حقه من القوى غير متعتع» إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على خطورة الحكم في نظر الدين الإسلامي، وكلها أحاديث صحيحة.

لقد نظر المسلمون الأولون الى أوامر الدين نظرا صادقا مقدسا، فكانوا يستمعون القول فيعضون عليه بالنواجذ ولايحيدون عنه قيد شعرة، وهؤلاء هم المؤمنون حقا الذين عرفوا قدر الدنيا وقيمتها، وأيقنوا أن شهواتها لاثبات لها ولا استقرار، فلم تخدعهم شهوة الجاه والسلطان، ولم تغرهم لذة الرياسة وشهوة النفوذ، ولم يفتنهم ملق الناس وطاعتهم إياهم وتفانيهم في الزلفى منهم والتهافت على إرضائهم بحق وبغير حق، فكل ذلك لم تكن له أية قيمة في نظر أسلافنا الصالحين، فكانوا يفرون من المناصب فرار السليم من الأجرب والشاة من الذئب، ومنهم من آثر السجن والتعذيب على تولى منصب لأنه كان يخشى أن لايؤديه كاملا فيعرض نفسه لظلم الخلق وسخط الخالق. ولو أن هذه الروح الطيبة قد استمرت حية بين المسلمين لما كانت المناصب مصدر فرقة وبلاء على الأمم والشعوب كما نرى بعضه الآن، فقد منى الناس بعشاق المناصب الذين لايرون لأنفسهم حياة إلا إذا غمرتهم أبهة المنصب واستمتعوا بثمراته الطيبة ونعيمه اللذيذ، فطفقوا يتهافتون عليها تهافت الفراش على النار من غير شعور بواجب أو دين أو خلق كريم. فها نحن أولاء نرى المناصب قد جذبت إلى حبها الناس شبابا وشيوخا وكهولا كما تجذب قوة (المغناطيس) قطع الحديد بدون إرادة واختيار، وكل يدعى أنه أهل وغيره ضعيف، وكل يقذف صاحبه في عرضه وكرامته وخلقه ودينه، ويرمى به من حالق في سبيل شهوة الجاه والسلطان والمال، حتى لقد يخيل إلى من ينظر إلى تهافت الناس على المناصب وتنازعهم في سبيل الحصول عليها أنه إذا أمكن أحدهم القضاء على منافسه لم يتأخر. وذلك واضح، فقد رأينا بعض الناس لايبالى باتهام الصالحين الذين لاتحوم حولهم الريب بأقبح التهم كذبا من أجل المنصب، رأيناهم يسلطون أذنابهم وسفهاءهم على الخوض في المصلحين العاملين على تهذيب الأخلاق وخدمة الدين لتوهم أنهم يحولون بينهم وبين المناصب، رأيناهم يتهمون الأئمة الذين لاهم لهم إلا الإصلاح الخلقى والدينى بما هم براء منه لتوهم أنهم من العوامل التى تحول بينهم وبين لذاتهم الفاسدة. ورأينا غير الأكفاء يبذلون الأموال والشفعاء ليظفروا بالمنصب ولايبالون باتهام الأكفاء الأبرياء الغافلين بما لو ثبت عليهم لقضى على حياتهم قضاء مبرما. ورأينا الناس يصلون الى المناصب فيضعون أصابعهم في آذانهم كي لايستمعوا صيحات المظلومين، ولايكون لهم هم إلا ملء بطونهم وبطون أهليهم وأقربائهم ومحسوبيهم. رأينا كل ذلك بأعيننا وسمعناه بآذاننا، فهل الذى يفعل ذلك مسلم يدين بالإسلام بعد ماقدمناه من هذه الأحاديث؟ اللهم كلا! فهذا هو الإسلام شاهد عليهم، وهذا هو رسول الله ﷺ حذرهم وبشرهم فقال: «لايحل لأحد أن يأخذ منصبا وهو غير أهل له، ومن وصل

(١٠) أبو داود ٢٩٤٨، والبيهقى ١٠/ ١٠١.

إلى منصب وهو له أهل فإنه يجب عليه أن يجرد نفسه من كل شهوة، وأن يعدل بين الناس بكل معنى العدل، بصرف النظر عن قريب وأجنبي وعدو وصديق، ومن حكم فعدل كان له عند الله أحسن المثوبة، ومن حكم وجار وفجر كان له عند الله أسوأ الجزاء، ومن عجز عن إقامة العدل وجب عليه أن يترك المنصب للقادر على العدل، وإلا غضب الله عليه، ولم يشفع له عجزه.

هذا هو الاسلام وهذه نصوصه الحكيمة تبين لنا قيمة المناصب، وتوضح لنا الغرض منها أوضح بيان فهي تحرم على غير الكفء القادر أن يلي أمرا من الأمور وهو عاجز عن أدائه على الوجه الأكمل، وتوجب على القادرين أن يعدلوا فيما يسند إليهم من الأمور كما أمرهم الله ورسوله. وهذا المعنى كان له أعظم الأثر في نفوس أسلافنا من أئمة الإسلام وعلمائه العاملين، فقد كانوا يساقون إلى السجون من أجل أن يتقلدوا منصبا عاليا، فلا يرضون ويفضلون السجن والتعذيب على المنصب الذى يظنون أنهم لايستطيعون القيام بحقه على الوجه الأكمل. والحق أنهم كانوا فى ذلك مثلا أعلى لمن كان له قلب.

٥ ـ أما حقوق الإمارة فتؤخذ مما بيناه آنفا. وأهم حقوق الرياسة إقامة العدل بين المرءوسين. فأما عدل الإمام الأعظم أو خليفة المسلمين فأهمه إسناد المناصب إلى مستحقيها، ورد المظالم إلى المظلومين من رعاياه، وتأديب الخارجين على القوانين الشرعية التى تنتظم صلاح المعاش والمعاد، ومراقبة رعيته بكل مايستطيع من قوة، فلا يهمل أمرا يرقى عقولهم وأخلاقهم، ولايدخر وسعا فى الوسائل التى تحفظ عليهم أموالهم ودماءهم وأعراضهم، ويكون لهم مثلا كاملا فى معاملة بعضهم بعضا بالعدل والإنصاف. فالإمام الأعظم العادل هو مصدر سعادة أمته وهنائها.

وأما عدل الولاة والحكام ومن يليهم من الرؤساء فإنه من أقوى الأركان التى تقوم عليها سعادة المرءوسين، ويستقر عليه الأمن والنظام. فإذا جار الحاكم وفشت المظالم بين الناس كان ذلك شرا ووبالا عليه وعلى مرءوسيه، فإن المظلوم منهم يحقد عليه وعلى من حاباه فى سبيله، فتتقطع بينهم روابط المودة، ويمعن كل منهما فى الإضرار بصاحبه، فضلا عما يسرى لهم من خلق الظلم، فيتسلطون على خلق الله فيظلمونهم كما ظلموهم، وبذلك تسود الفوضى وتحيب المظالم إلى الأقوياء، ويحل بالناس الشقاء، وتنهار دعائم العمران. ويتبع ذلك عدل القضاة وعدل الشهود، فإذا جار القاضى ولم تقسط الشهود كان فى ذلك البلاء كل البلاء، فإن النظام العام يختل بعد ذلك كل الخلل، وتهدر الدماء والأموال والأعراض بدون أن يجد المظلوم ملجأ ينصفه. ولذا قال رسول الله ﷺ: «القضاة ثلاثة: واحد فى الجنة، واثنان فى النار، فأما الذى فى الجنة فرجل عرف الحق فقضى به، ورجل عرف الحق فجار فى الحكم فهو فى النار، ورجل قضى للناس على جهل فهو فى النار»[١١]. فالقاضى الممدوح فى نظر الدين هو الذى يعرف الحق ويقضى به. وذلك يحتاج إلى جهاد عظيم حتى يتنزه القاضى عن التحيز

---

(١١) أخرجه أبو داود وغيره.

والميل مع أقربائه وأصدقائه أو من تربطه بهم رابطة أو تجمعه معهم جامعة، أو يكون له في الميل معهم غرض يناله من مال أو رقى، أو شهوة، فالقاضي لاينجو إلا إذا كان بالنسبة للخصوم كالميزان المنضبط، فلا يميل مثقال ذرة إلى أحد منهم إلا بالحق. ومما لاريب فيه أن عمدة القاضي في معرفة الحق إنما هم الشهود، فإذا تحيز الشاهد أو شهد زورا وضلل القاضي أو امتنع عن أداء الشهادة فقد احتمل كل هذه المسئولية، وكان من أشقى خلق الله وأتعسهم عند الله وعند الناس.. ويكفي في الحث على ذلك قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾(١٢).

ومعنى ﴿ قَوَّٰمِينَ ﴾ مواظبين على أداء العدل. ومعنى ﴿ شُهَدَآءَ لِلَّهِ ﴾ تشهدون بالحق ابتغاء مرضاة الله. وقوله:

﴿ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ ﴾ مبالغة في الحث على أداء الشهادة، فكأنه يقول: ينبغي أن يقول الإنسان الحق ولو على نفسه التي بين جنبيه أو ولده الذي هو الصق الناس به، لأن مايقوله الإنسان على نفسه إقرار لاشهادة، إلا إذا أريد من الشهادة بيان الحق مطلقا، ولكن الأول أوضح بدليل قوله: ﴿ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ ﴾ الخ، فإن شهادة الوالد لاتصلح، وكذا شهادة الولد.

فالغرض من الآية المبالغة في قول الحق بحيث لوفرض وشهد الإنسان على نفسه أو على ولده أو والده فإنه يجب عليه أن يقول الحق.

وكان بعض السلف يرى جواز شهادة الوالد لولده وبالعكس عند صلاح الدين والأخلاق، عملا بهذه الآية الكريمة. ومعنى قوله:

﴿ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ ﴾(١٣)

أن الشاهد ينبغي له أن يغض النظر عن كل اعتبار، فلا يتحيز لخصم أيا كان حاله، فلا تحمله العاطفة أو الرحمة أن يشهد لمصلحة أحد بغير حق، ولاتحمله القرابة أن يتحيز لأقربائه، فلا يراعي في هذا المقام إلا الله ـ عز وجل ـ الذي أمره أن لا ينثني عن ذكر الحق قيد شعرة، والله أولى بالفقير منه. ومعنى قوله تعالى:

﴿ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾(١٤).

إن تلووا ألسنتكم عن قول الحق فلا تنطقوا به، أو تعرضوا عن أداء الشهادة رأسا، فإن الله خبير بكم لاتخفى عليه خافية من أمركم فيجزيكم على مافعلتم شر الجزاء في يوم لاينفع فيه مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

هذه صورة مصغرة لآداب الحكم في الإسلام، فالله المسئول أن يوفق المسلمين إلى مافيه صلاحهم وفلاحهم، إنه سميع الدعاء،

---

(١٢) النساء (١٣٥)

(١٣) النساء (١٣٥)

(١٤) النساء (١٣٥)

من نفحات الإسراء والمعراج

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدي

إن معنى النفحة كما أفهمها وكما أقصدها - أيضا - هي ومضة نور وجرعة إمداد تبعث الحياة في موات النفوس فتشرق بالنور وبالعزم وتتطلع النفوس بها إلى منابع الضوء.

وتمضي بالحياة صاعدة إلى القيم العليا على المستوى العام. ترفض الظلم والطغيان، جسورة غير هيابة.. وتأبى الزيف والنفاق واضحة جلية.

وعلى المستوى الشخصي تمتلك حزمة من ضوء النور الهادي مصداقا لقول الله تعالى:

﴿ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ ﴾[1] الآية.

لكنها مع ذلك قد تخطيء في دنيا الناس ولا تملك قسطا منها كما يحبها أهلها لأنها لا تعنيها ولا تكترث لها ولكنها بما تمتلك من نور تتلذذ بالزهد وتقنت الورع.. وتموت ولا تشم رائحة حرام لأنها تعيش قول المصطفى ﷺ: «كل جسم نبت من حرام فالنار أولى به»[2] وسيدنا أبو بكر الصديق كان يعيش هذا المعنى لما وضع أصبعه في حلقه يتقايأ لقمة وصلت جوفه يقول لها: لو لم تخرجي إلا بروحي لأخرجتك[3].

والحرام ليس فقط أن تضع يدك في جيب الناس بل أن تحتال فيقدم لك الناس ما في جيوبهم وربما احتلت بالدين ويا سوء ما فعلت.

والنفحة لحظة ميلاد، لحظة إشراق وأروع ما في الكون إشراق الميلاد وميلاد الإشراق ودائما ما يكتنف الميلاد ويسبقه آلام مخاض وحتى ينبثق الضوء لابد من وهج احتراق، والإسراء والمعراج نفحة ربانية سبقها الاحتراق.. وعاناها المصطفى ﷺ الكامل المكمل ولم تكن هذه المعاناة ضرورة استحقاق لرسول الله ﷺ وإنما هي لأمته حتى تجد في طلب الارتقاء النفسي والقيمي ولنا في رسول

(١) سورة الحديد (٢٨). (٢) سيرة أبو بكر الصديق. (٣) الإصابة.

الله ﷺ أسوة حسنة فعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم، فقبل الإسراء والمعراج رزء رسول الله ﷺ بوفاة اللذين كانا من أحب الناس إليه وأقربهم إلى قلبه وأكثرهم عونًا على الدعوة وأشدهم في الدفاع عنه وهما: زوجه البارة والوفية المؤنسة الحبيبة إلى قلبه خديجة بنت خويلد حتى كانت السيدة عائشة – رضي الله عنها – تغار عليه ﷺ من شدة حبه وإعزازه لها حتى بعد مماتها، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن الثناء عليها فذكرها يومًا من الأيام فأخذتني الغيرة فقلت: «هل كانت إلا عجوزًا قد أبدلك الله خيرًا منها» فغضب ثم قال: «لا والله ما أبدلني الله خيرًا منها، آمنت إذ كفر الناس وصدقتني إذ كذبني الناس وواستني بمالها إذ حرمني الناس ورزقني منها الله الولد دون غيرها من النساء» قالت عائشة فقلت في نفسي لا أذكرها بعدها بسبة أبدًا[٤] هذه السيدة الوفية الزوجة الحبيبة التي لم يحتمل فيها كلمات ضُرة. ولن نستطيع أن نعبر عن مدى إعزازها في قلبه ﷺ. ولا عن مكانها ومكانتها في قلبه ﷺ لن نستطيع أن نعبر عن ذلك بأبلغ من كلماته ﷺ حين قال آمنت إذ كفر الناس وصدقتني إذ كذبني الناس وواستني بمالها إذ حرمني الناس.

وكما رزء بوفاة الزوجة في العام نفسه رزء بوفاة عمه أبي طالب ذلك النصير والمعين الحامي والمدافع فأصبح البيت خاويًا ومكة خاوية وأصبح الهجير في بطاح مكة كما هو في صحن الدار وتضيق مكة فلا يمكن بها قرار ويهرع النبي ﷺ إلى الطائف يفتح للدعوة أفقًا ولنفسه متنفسًا فكان كالمستجير من الرمضاء بالنار وبالسوء استقبال أهل الطائف له ﷺ وبرغم ما كان فيه من الألم. وكما يقولون: إن المحن تلد المنح مادام قلب الإنسان عامرًا باليقين فما بالك بقلب سيد المرسلين ﷺ وبعد ما لاقاه المصطفى ﷺ من أهل الطائف من سخرية وعنف، وعز النصير والمعين وكان الأرض أجدبت ممن يؤمن بالله وكان الرحمة قد انتزعت حتى من البطحاء.

وهنا خرجت كلمات «رسول الله ﷺ من فمه الطاهر تهز أركان السماء هزًا بل تهز الكون كله ففيها صدق اللجوء إلى الله تعالى والافتقار إليه وحده فلم تعد في الأرض قوة تركن الدعوة إليها لتعيش في كنفها وتقطعت أسباب الأرض كلها ولم تبق إلا أسباب السماء قال رسول الله ﷺ اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس اللهم رب المستضعفين أنت ربي إلى من تكلني إلى قريب ملكته أمري أم إلى بعيد يتجهمني إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي.. على تعدد الروايات في ألفاظ الدعاء فينزل جبريل الأمين يقول له إن ربك يقول «لو شئت أن أطبق عليهم الأخشبين لفعلت» هذا جزاء ما اقترفوا وذلك هو العدل. لكن قلب رسول الله ﷺ الذي يفيض رحمة والرحمة فوق العدل فيقول أسأل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله و يوحده[٥] قبل هذا الموقف العظيم كانت المساومة الدنيئة من المشركين في مكة يوم أن عرضوا على رسول الله ﷺ عن طريق عمه أبي

---

(٤) سيرة ابن هشام

(٥) إتحاف السادة المتقين ١٠/٤٢.

طالب أن يترك الدعوة ويعطوه ما يشاء من مال أو ملك أو رياسة .. إلخ. لكنه أبى لأن المبادىء لا تقبل المساومة.

هل فى هذا الدرس الأخلاقى نفحة من نفحات الإسراء؟ تدفعنا نلجأ إلى الله تعالى أن يرفع عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم.

قال صاحبى فى ضجر غير خاف وتهكم ممزوج بشماتة: مالك ما الذى دهاك؟ لم تقدم الإسراء قصة نرتاح لها ولم تمنحنا شيئا من نفحات لوحت بها فى صدر مقالك؟. قلت فى ضيق مكتوم. أعجب لأمة منهزمة جعلت من مواقف دينها قصصا تريد أن ترتاح إليه وبه؟ ما الذى أضناها حتى تطلب الراحة. وما الذى قدمته حتى تطلب ما تأخذه؟ بل وما الذى أرهقها حتى لم تعد تفرق بين الجد والهزل بين الضرورى والثانوى؟ هل كنت تتوقع منى أن أجعل نفحات الإسراء خبزا يطعم الكسالى أو وسائد يرتاح إليها المتخمون؟ إن النفحات وهج صدق تولد من معاناة حقيقية وثبات على المبدأ عايشها نبلاء لا يعرفون خيانة الوطن ولا بيعه للأجنبى والأنجار فى وحدته وتماسكه، ولا بسرقته واختلاس قوت الفقراء الكادحين من أبنائه. أقول هذا بمناسبة هجمة الجراد البشرى الذى يأكل الأخضر واليابس فى شتى مواقع مصر حتى كاد الأمل يتسرب من نفوسنا ويتسلل إليها اليأس والإحباط.

قال صاحبى فى دهشة هى أقرب إلى طلب الاستزادة من الحوار منها إلى رفضه تنم عن بداية استيعاب للموضوع.

قال: يعجبنى فى منهجك أنك تربط ما هو دينى بالدنيا. فلا تتحدث لأناس انقطعوا عن الحياة أو بتعبير أدق من يعيشون بشخصيتين واحدة للدين والتاريخ وأخرى للدنيا ومباهجها.

قلت لصاحبى والبهجة تملأ جوانحى أعزك الله وبارك فيك هذا هو منهجى فى الحياة وفى الدعوة وهذا هو فهمى للإسلام، قاطعنى صاحبى قائلاً: مهلاً: أريد توضيحا لما تقول، ما معنى منهجك فى الحياة وفى الدعوة وفهمك للإسلام؟

قلت: الأمر أبسط مما تتوهم يا صاحبى. أما عن أنه منهجى فى الحياة فذلك أننى أؤمن بأن الدين جاء ليقوّم اعوجاج الحياة إذا جنحت بها سفينة الشهوات والاستبداد فعلينا أن نقوّم الحياة حتى توافق الدين ولا نلوى الدين حتى يتوافق مع دنيا الناس. أما عن منهجى فى الدعوة فلا أدعو إلى الإغراق والتشدد فى طلب التدين من الناس لكن أن نبين لهم الحد الوسط فذلك لازم وضرورى. كل هذا بشكل فهمى للإسلام وفى ذات الوقت أستطيع أن أقول إنه نابع من فهمى للإسلام، فالإسلام منهج غض طرى سلس ليس فيه رعونة ولا تشدد ولا تسيب ولا إفراط إنه اعتدال قويم. ومن منطلق مبادىء الإسلام الرشيدة التى تؤسس اللبنة الصالحة أولاً. أى الإنسان المستقيم فإنه هو قوام الحياة المستقيمة والمجتمع المستقيم النظيف وبه يكون النصر والسيادة الحقيقية ومن هذا المنطلق وانسياقا مع هذا الفهم فإن الذى يزعجنى ويؤرقنى فساد اللبنة -- فساد الداخل -- ولا أنزعج أبدا لأى هجوم خارجى مهما عظم.

قال صاحبى: عجبا لك كلما اقتربت من التآلف مع أفكارك وفهمك أراك توشك أن تبحر عنى بعيدا لا أقول فى أعماق خطرة

ولكنها بعيدة وعميقة قلت : رعاك الله لا تخش شيئا يا صاحبي فالله معنا .. ما دمنا صادقين جادين وعلينا أن نسعى أريد أن أقول إن المسلم فرداً وأمة لابد أن تكون صلته بالله قوية عامرة .. المسلم لا يعرف الكذب ولا النفاق ولا الدنس يموت ولا يسرق ولا يتاجر بدينه أو عرضه يهرب من الخنا كما يهرب السليم من الأجرب ولا يرضى بأى من ذلك . وما دام كذلك فتصبح علاقته بالله قوية فكان الله سمعه وبصره ورجله ويده التى يبطش بها . فالمسلم راهب بالليل عامل بالنهار يبتغي فضل الله، فالمسلم لا يعرف ما يسمونه أزمة اقتصادية مثلاً قد تحصل ندرة فى القوت، لكن ذلك لا يشكل ما يسميه الناس أزمة، وعلاج الندرة فى المجتمع المسلم الإيثار والعطاء ممن يملك لوجه الله . «من كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له ومن كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له» .

● فأنا لست منزعجاً لأن أمريكا تمنع المعونة بل ولماذا تقدمها أصلاً

فهل وصلت إلى درجة السخاء .. أبداً إنها تشترى مصالحها الخاصة .

إن الذى يزعجنى أن يقبل إنسان مسلم هذا الصغار الحقير .قلت لصاحبى أحس كأنى قد أطلت عليك لكنى أقول لك إن النفحة التى نرجوها فى ذكرى الإسراء والمعراج .قمٌ طاهرٌ يدعو فيستجاب له وليس ذلك وليد رهبنة وانقطاع إنه معايشة نظيفة فى مجتمع نظيف، إن الذى يؤلمنى تفشى الأمراض فى المجتمع المسلم ولا يزعجنى تكالب الأعداء من الخارج ذلك أن عوامل النصر فى الإسلام تختلف عنها عند غير المسلمين حيث إن صلة المسلم بربه هى أساس النصر فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ إِن تَنصُرُواْ اللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾[٥] وقوم تفشى فيهم النفاق والكذب والسرقة والاختلاس لا يمكن أن يكونوا ممن ينصرون الله . فهى معادلة لابد من تحقق الطرف الأول حتى يتحقق الطرف الآخر.

ويقول الرسول ﷺ إنما تنصرون وترزقون بضعفائكم[٦] هذه مفاهيم لا يعيها الغرب كله ولا يمكن أن يستوعبها ضميره القلق ونفسيته الخبيثة حيث دور المسنين والرفق بالحيوان .. لافتات زائفة يخدع بها سذج المترفين المغرمين بالفكر الغربى والنموذج الغربى .

لذا قلت لصاحبى أنا لا أخاف جبروت أمريكا وطغيانها شريطة أن نكون نحن صالحين .. لأن الله سبحانه الذى نؤمن به تكفل بالظالمين بقول النبى ﷺ إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»[٧] لكن لابد من مجتمع مسلم صالح فعلاً لا قولاً وادعاء .

تلك هى نفحة الإسراء التى نطلبها فى ذكرى الإسراء المباركة ولنا حديث آخر إن شاء الله .

---

(٦) سورة محمد (٧)

(٨) البخارى ٦/ ٩٤.

(٧) اتحاف السادة المتقين ٦/ ٩٤.

مواقف إسلامية

زيارة .. الى بيت النبوة

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

يقولون: حتى ينجح مشروع ما.. لابد لنجاحه من توافر أمرين:

١ - تحديد الهدف. ٢ - ثم توفر الوسائل المحققة له.

والزواج.. لايخرج عن هذه القاعدة.

ولكن بعض الناس يعرفون الهدف.. بيد أنهم لايملكون وسائل تحقيقه.. أو يملكون.. لكنهم لايحسنون الأداء.. وبعضهم لديه من الوسائل مايكفى.. لكن الهدف غائم عائم فى أذهانهم.. ومن ثم يتخبطون.. ثم لايصلون..

وقد حدد الإسلام هدف الزواج وهو: السكن ثم كشف النقاب عن الأسباب الحاملة إليه.. مركزا على عنصر التدين الواصل بالزوجين إلى هذا السكن المنشود منكرا حصر الهم فى ذات المال أو الجمال.. رقيقة الدين..

هذا التدين الذى كشف المجربون اليوم صدقه وتفرده بتحقيق السلام النفسى بين الزوجين.

يقول أحد الأدباء: فالبنت الجميلة يعاملونها منذ طفولتها معاملة خاصة وهذه المعاملة الخاصة تؤكد لها أنها غير الناس وهذا الإعجاب المستمر بها. يعزلها عن الناس. وفى الوقت نفسه يدعو الناس إلى الإقبال عليها والدوران حولها، وهذا الزحام حولها.. يهدد أمنها وحريتها، فهى لاتستمتع بحرية الفتيات اللاتى هن دونها فى الجمال.

ثم إن هذا الجمال يفرض عليها أسلوبا فى الزى والكلام.. ويقف بها أمام المرآة طويلا.

ثم يواصل الأديب حديثه موضحا كيف ينحدر الجمال الصارخ بها وبالأسرة كلها إلى الهاوية:

.. إنها دائمة النظر إلى نفسها.. راغبة فى نظر الناس إليها لا كما هى على طبيعتها.. وإنما طبق ما يتصورها الآخرون.. وإذا تزوجت فسوف يتقدم لها الشاب الوسيم مثلها أو الغنى وسوف يكون الاثنان معا متنافسين فى جذب الناس وتتكاثر حولها وتتكاثر حوله العيون.. ويبدأ الخلاف ويبدأ السباق على نهاية الحياة الزوجية..

وأوضح صورة لذلك نجوم السينما وفشل حياتهم الزوجية، ففي الأفلام يلتقي اثنان، أحدهما جميل أو الاثنان معا ويخرجان من قصة الحب في الفيلم إلى حب حقيقي وزواج وبعد الزواج يكتشف الاثنان أن الذي بينهما ليس حبا وإنما هي معاشرة فنية أفضت إلى زواج وأنهما (اندمجا) في التمثيل ولكن أحداً منهما لم يحب الآخر.. وفي الصحف والمجلات العالمية عشرات من قصص الطلاق والفشل في الحب بين جميلات الشاشة، والسبب أن الجمال كان جناية عليها، فقد حشرت في سجن ذهبي ضيق.. وأدى السجن إلى خنقها إلا إذا حطمت السجن وتحررت لتدخل في سجن آخر.. بينما الفتاة التي ليست جميلة جدا أحسن حظا.. لأنها تحاول طول الوقت أن تكون جميلة، وتحاول أيضا أن تبذل جهداً في إقناع الطرف الآخر بأنها جميلة عاقلة وست بيت وأم، بينما الجميلة جدا لاتحاول، وإنما تنتظر دائما ولكن السعادة لا تجيء وحدها وإنما يجب أن تذهب إليها وتفرش لها الطريق بالعقل والصبر.

وفي هذه الصفحات التالية.. دعوة إلى عودة راشدة إلى ماضينا المجيد.. ونحن واجدون فيه من القيم ما تعدل به مسير حياتنا.. وبخاصة عبر هذه المواقف.. في دوحة النبوة.. ومن بيت الزهراء ـ رضي الله عنها ـ تذكرة لأولي الألباب.

الشقاء بالثمن والسعادة بالمجان!

من أسباب سعادة الأسرة تلك البساطة في تأثيث البيت والتي لا ترهق الزوج بالديون التي تصبح هما بالليل وذلا بالنهار.. إن بعض الآباء ـ مدفوعا بغريزة حب الظهور ـ يكلف الفتى من أمره عسرا.. وما يراه العقلاء من الكماليات.. يظنه هو في طليعة الضروريات!

ويحس الفتى بالتمزق: فهو واقع تحت ضغط نفسي.. ولابد من تلافيه بتلبية حاجات من يحب!

ثم هو واقع ثانيا تحت ضغط مجتمع لايرحم.. لأن المقياس في يده يجعل عنصر الأخلاق في مرتبة تالية.. وأهم من الأخلاق: كم قدم من الأطباق؟!

ونحن مدعوون إلى رحلة نزور فيها بيت النبي ﷺ.. وكيف كان جهاز «فاطمة» الزهراء؟

روى جابر ـ رضي الله عنه ـ قال:

حضرنا عرس علي وفاطمة فما رأينا عرسا كان أحسن منه:

حشونا الفراش: الليف.

وأتينا بتمر وزبيب فأكلنا وكان فراشها ليلة عرسها: إهاب كبش[1] بل إن العروس نفسه ـ وهو علي رضي الله عنه ـ يذكر ذلك على الملأ.. وبلاحرج قال:

جهز رسول الله فاطمة في خميل وقربة ووسادة في حشوها إذخر[2].

ومن مجموع الروايات يتلخص لك حجم الأثاث.. أثاث الماجدة «فاطمة» بنت رسول الله ﷺ.. أحب أولاده إليه:

---

(١) رواه البزار.

(٢) الخميل: قطيفة لها أهداب. والإذخر: نبات طيب الرائحة.

١ـ خميلة.

٢ـ وسادة حشوها إذخر.

٣ـ رحاءان وسقاءان.

٤ـ قليل من الطيب.

٥ـ فراش هو: إهاب كبش حشوه ليف!

من الكماليات إلى الكمال

وعلى ـ رضى الله عنه ـ وهو العروس ـ يتحدث راضيا عما جهز به الرسول ابنته.. متحررا من ضغط النفس فهو يتزوج الكمال.. ولا تعنيه الكماليات.. ومتحررا كذلك من ضغط مجتمع لا يلاحق بالنقد هذا الأثاث البسيط.. بل إنه يدل الكلام والملام يتنادى أفراده ليكونوا جميعا خدماً له في ذلك اليوم.. يعدون له غرفة النوم..

وتأمل ذلك الحس الجمالي.. حين يختارون أن يكون الإذخر حشو الوسادة.. بالذات.. ليكون ريحها الطيب روح النفس وريحانها!

وليكن «السرير» بعد ذلك إهاب كبش أو إهاب غزال.. فيكفي من نساء العالمين زوجة واحدة.. تملأ على الفتى حياته وتجعل من بيته جنة وارفة الظلال.

وبينما طلاب الدنيا يتلاومون.. بل قد ينفض سامرهم عن الفراق.. إذا بطلاب الآخرة سعداء.. يتمتعون بقيمة البساطة بعيدا عن التعقيد.. إنهم يعيشون في صميم الدنيا.. لكن همتهم معلقة بالآخرة.. فاستمتعوا بالدنيا.. وبالآخرة. معا!

وهكذا تفرق المبادىء بين الناس: فمنهم شقى.. وسعيد.. إن صاحب الحق.. يستعصى على الهوى.. و من ثم ملك السيطرة على رغباته.. ومن ملكه الهوى.. صار عبدا لرغباته فتاهت به في الأرض حيران.

وهكذا.. وفي بيوت الصالحين.. تبدأ الخطوة الأولى في عمر الزوجين.. بلا صدام.. حين كان للقيم دورها في صنع علاقة لاتنفصم عراها.

ذلك بأن أهل الفتاة يرون ما أنفقوه قليلا.. بينما يراه أهل الزوج كثيراً.

وإذن.. فقد فعل كل من الفريقين أجمل ما يليق به.. لينعكس على علاقة العروس وفاقا وسلاما.

ثم يدخل المساء.. ليلتقي العروسان على هذا الأثاث البسيط.. كل في مكانه.. بلا زحام يزكم الأنوف.. وبلا احتشاد يصدم العيون..

ويتم السرور بلقاء الصاحبين على نفس البساطة بجمالها وجلالها.. قال محمد بن سيرين: تزوجت امرأة من بنى تميم فلما كانت ليلة البناء ـ الزفاف ـ دخلت عليها فإذا هي جالسة على باب خدرها فأهويت إليها بيدى فقالت: مهلا على رسلك فحمدت الله وأثنت عليه ثم قالت: إن الله ـ عز وجل ـ يضع العلم حيث يشاء وإنه بلغني أن الرجل إذا دخل بيته يؤمر أن يصلى ركعتين وتصلى المرأة خلفه.. فإذا فرغ قال: اللهم بارك لى في أهلي وبارك لأهلى فيّ.. اللهم ارزقني منهم وارزقهم منيّ.. اللهم ارزقني ألفتهم ومودتهم وارزقهم ألفتي ومودتي وحبب بعضنا إلى بعض.

قال ابن سيرين: فقمت ففعلت ذلك.. فلما فرغت أهويت إليها فقالت: مهلا على رسلك،

إن الرجل إذا إراد غشيان أهله أن يدعو قبل ذلك فيقول: اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ولا تجعل له فينا نصيبا.

قال ابن سيرين: ففعلت ذلك

فلم أزل أعرف بعد ذلك: الألفة واللطف والخير.

ويشرق الصباح في البيت على رزق ساقه الله إلى هذا البيت في شخص عروس تملك من قوة الإرادة ما تستعلي به على أحداث الزمان وما تنضم به إلى ركب الأسرة التي صارت عضوا فيها.. لا حربا عليها وفي الوقت الذي تصرخ فيه الشهوة طالبة الإشباع.. تسكتها الحكمة البالغة على لسان زوجة صالحة مصلحة.. وملكة غير متوجة: رب مستور سبته شهوة فعرى عن ستره والتهك صاحب الشهوة عبد.. فإذا ملك الشهوة أضحى ملكا.

أسوة في التعامل مع أصهارنا

وحين يترنح السفين فوق الأمواج العاصفة.. فقد يحلو للزوج أن ينتصر على أهل زوجته في معركة تنتهي حتما بهزيمة الفريقين!.. فإذا تحققت أمنيته.. فتلك سعادته.

ولكن عليا ـ رضي الله عنه ـ كان همه الأكبر أن يفوز بحب والد زوجته ﷺ وأن يتحسس مشاعره ليعرف أين هو من قلبه الكبير، قال للرسول ﷺ يوما: أيهما أحب إليك يارسول الله: علي؟ أم فاطمة؟

فقال ﷺ: «فاطمة: أحب إلي منك. وأنت أعز علي منها».

وما أسعد والد الزوجة هنا بزوج ابنته.. والذي أحبه حبا ملك عليه أقطار نفسه.. ثم راح يتلمس مظاهر هذا الحب عنده ليطمئن قلبه..

وجاء الجواب الجامع المانع: فهي أحب إليه.. لأنها قطعة من أبيها..، وهو ـ لأنه حاميها ـ أعز عليه.

وعلي ـ رضي الله عنه ـ يحبه ﷺ.. صادرا في هذا الحب عن روافد تصب فيه:

فهو ابن عمه.. أولا.

ثم إنه تربى في حجره منذ نعومة أظفاره.. وهو الذي قدم إليه هدية عزيزة عليه.. أثيرة لديه هي فاطمة الزهراء..

ثم هو فوق هذا رسول الله ﷺ والذي هو أحب إليه من نفسه.. ومن الناس أجمعين.

ولاشك أن الزوجة سعيدة بأبيها.. وبزوجها: ذلك الفارس رب السيف.. والقلم والذي نشأ في الإسلام صغيرا..

الرجل الذي ولد رجلا بلا طفولة.. حيث لم يترك له الإحساس بالمسئولية وقتا يلهو فيه كما يلهو الصبيان.

ومن شأن هذا الحب العميق المتبادل أن يصمد أمام الأحداث الطارئة.. والأحداث الطارئة قدر الأسرة.. كل أسرة.. ولكن المهم: كيف نتصرف؟ ما هو موقف أهل الزوجة إذا ما تأزمت الأمور؟ لقد كان علي ـ رضي الله عنه ـ عاملا آملا.. يأكل من عمل يده وكانت فاطمة ـ رضي الله عنها ـ تنهض بعبء العمل في البيت.. ولكن هموم البيت كانت فوق طاقتها. فماذا تفعل.. و ما هو موقف أبيها من هذه المشكلة بما

يصبح مقياسا.. نقيس عليه اليوم حياتنا في علاقتنا بأصهارنا؟

روى البخاري: أن فاطمة شكت إلى رسول الله ﷺ ما تلقى في يدها من أثر الرحى فأتت النبي ﷺ تسأله خادما.. فلم تجده.

فذكرت ذلك لعائشة ـ رضي الله عنها ـ فلما جاء أخبرته.. قالت فاطمة: فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا.. فذهبت أقوم فقال: مكانك فجلس بيننا حتى وجدت برد قدميه في صدري فقال: «ألا أدلكما على ما هو خير لكما من خادم؟

إذا آويتما إلى فراشكما وأخذتما مضاجعكما: فكبرا ثلاثا وثلاثين وسبحا ثلاثا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين فهو خير لكما من خادم» ثم قالت: رضيت عن الله ـ عزوجل ـ ورضيت عن رسول الله ﷺ.

وهكذا يمتص والد الزوجة فورة الغضب.. ويعود بالنفوس إلى أمنها وسلامها.. والذي بدا على لسان الزهراء التي قنعت بما رزقت.. راضية بحكم الله ـ تعالى ـ ورسوله ﷺ.

من دروس الموقف

إن بعض «الحموات» لهن إلحاح في إرهاق الزوج بما لاتسمح به ميزانيته.. ثم يكون الشقاق الذي لاينجو من آثاره أحد من الطرفين.. ولكن في بيت النبوة.. ومع أن القضية خطيرة فيما بدا من آثار العمل في يدى الزهراء ـ رضي الله عنها ـ إلا أن ذلك لم يشكل عقدة يتعقد بها الموقف.. ولم يتخذه الزوج ذريعة لافتعال معركة ساخنة أو باردة..

وها هو ذا والد الزوجة ينتقل.. وبنفسه.. ليقف معهما في محنتهما.. جاعلا من الثقة بالله بديلا هو أغلى من كل ما في البيت.. عن طريق الدعاء الذي تعلماه.

وتستجيب الزوجة لأمر الله ـ تعالى ـ ثم تواصل معاناتها خدمة لزوجها.. مع أنها ابنة رسول الله ﷺ.. لقد كان زوجها أول من قدم بين يدى نجواه صدقة وها هي ذي فاطمة أول من تتنازل عن حقها.. لتبقى المبادىء فوق المنافع وتبقى صورة أقارب الحاكم الذين يعطون.. ولا يأخذون.

وإذا كانوا يقولون: الزوجة الحمقاء تزيد المشكلات.. والزوجة العاقلة تخفف من حدتها.. والزوجة الجميلة تخلقها.. فإن الزوجة المؤمنة تحل المشكلات..

وكذلك كانت الزهراء ـ رضي الله عنها.

المثل الأعلى

لقد ضاقت يد الزوج عن تدبير خادم يخفف من عناء زوجته.. فلم يجد أمامه إلا والد الزوجة.. ويعني ذلك أن الوالد هو مسؤليه بعد الله ـ تعالى ـ هذا الوالد الذي لم يتخل عن مسئوليته تجاه ابنته بعدما سلمها لزوجها ولم يلجئهما إلى جار أو زميل يبيع فيهما ويشتري وهو النجاء محسوب لعلي ـ رضي الله عنه ـ أن حصر المشكلة ولم يوسع مداها باللجوء إلى الآخرين.. أو الشكوى إليهم.

أما عن فاطمة ـ رضي الله عنها ـ فهي على أي حال: امرأة وزوجة.

ولكن فاطمة ـ رضى الله عنها ـ رضيت بحياة التقشف عائدة إليها بعدما اعتذر والدها.. مع أنها كانت تطلب حقها الشرعى.

الزوج.. يشفق على زوجته

تقول الروايات الأخرى ما ملخصه: إن عليا ـ رضى الله عنه ـ أشفق عليها من إرهاق العمل: فأشار عليها أن تذهب إلى أبيها تطلب خادما.. وكان ذلك فى التوقيت المناسب:

وذلك حين علم أنه ﷺ عاد من إحدى الغزوات بغنائم وسبايا.

ولقد ذهبت فعلا.. ولكن الحياء عقد لسانها.. فاستحيت أن تسأل الرسول ﷺ.

وفى المرة الثانية صحبها زوجها ـ رضى الله عنه ـ ثم ناب عنها فى الطلب.

الوالد يعتذر

ولقد أحس ﷺ بمشاعر الأبوة تجاه أعز أولاده لديه.. ولكن مشاعره الخاصة تصطدم بالمصلحة العامة.. ولم يتردد فى الانحياز إلى ما تمليه مصلحة الأمة.. ولو أغضب ذلك أحب أولاده إليه.. فقال معتذرا قاطعا أملهما فى الخادم بالقسم:

«لا والله ـ أنا لا أعطيكما وأدع أهل الصفة تتلوى بطونهم لا أجد ما أنفق عليهم»

لكنه لم يكن ذلك الحاكم الذى يطبق الشرع نصوصا وفقط وإنما كان قبل ذلك إنسانا تغمر قلبه أرق مشاعر الإنسان.. وذلك عندما خف إليهما مسرعا.. ثم كانت هذه الجلسة الوادعة والزوجان من حوله راقدين.. ولم تحس الزهراء فقط ببرد قدمه الشريفة فى صدرها.. بل أحست فى نفس الوقت ببرد الرضا خلف ضلوعها.. ولقد رضى معها الزوج بل قبلها.. بما قسم الله ـ تعالى ـ ورضى به رسوله الحاكم.. الحكيم.

إنه الحاكم الحكيم.. وليس المتحكم!

لقد ضاقت موارد الدولة عن تدبير خادم لابنته.. فلم يوقع قرارا استثنائيا بتدبير خادم لا تسمح به خطة الميزانية.. ومن ناحية أخرى.. ولما يعلمه من فقر الزوج.. فإنه لم يرهقه من أمره عسرا فيكلفه أن يدبر هو خادما.. وإنما شدد على ابنته لتواصل جهادها فى خدمة بعلها وأولادها.

وبعض الناس اليوم يكلفون الزوج أن يقتنى سيارة.. استجابة لدلال بنت يدمى أصابعها لمس الحرير! ثم يتعقد الموقف حين يعجز الزوج المسكين عن تحقيق الأمل المستحيل.. ثم تكون المعارك التى تأكل الأخضر واليابس.. ومن معانى موقفه ﷺ:

أن البنت إذا تزوجت.. فليس معنى ذلك انفصالها عن الأسرة.. بل ما تزال جزءا منها.. وفى السويداء من قلبها.. تراعيها وتتابع حياتها.. وإذا كان هناك ولابد من انحياز فهو الانحياز إلى الزوج الذى سوف يرد الجميل إلى أهلها.. تقديرا لابنتهم.. وعونا لها على وعثاء الطريق.

السلام يرفرف على البيت

ولقد كان من الممكن أن تقوم معركة بين الزوج والزوجة هنا بسبب تفضيل أهل الصفة على فاطمة.. وما أدراك ما فاطمة؟؟

إن لها فى خدمة الدعوة قدم صدق، لقد كان لها فى المعارك العسكرية دور مرموق، تضمد الجراح وتسقى المحتضرين.. ثم إنها فلذة كبده

الباقية.. بعد موت أولاده جميعا، وكانت مع ذلك أشبه بأبيها سمتا وهديا.. وهى التى قال لها: [وإنك أول أهلى لحوقا بى].

ومع هذا.. فقد كان الحق أولى.. ومن بركة هذا الحق.. ذلك السلام الذى عم أرجاء البيت.. وذلك الود السابغ الذى ألقاه على قلبيهما.. ثم خلفهما من ورائه فى سجوة الليل فى وئام وسلام.

دور زوجة الأب

ولاحظ أن فاطمة ـ رضى الله عنها ـ ذهبت أولا لطلب الخادم ثم عقد الحياء لسانها.. ومع ذلك فقد تركت لأبيها ﷺ رسالة ضمنتها أمنيتها.. والغريب أنها حملت الرسالة.. أم المؤمنين عائشة وأنا أتصور الآن ما كان يحدث من بعض زوجات الأب لو أن ابنة زوجها تطلب شيئا ما.. والقارىء العزيز يتصور ذلك ولكن عائشة ـ رضى الله عنها ـ تبلغ الرسالة بأمانة.. مؤكدة أنها أم المؤمنين ويجب أن يكون قلبها من الاتساع بحيث يستوعب آمال المؤمنين.. والمؤمنات..

ثم إنها تحب زوجها ﷺ. ومن حبها له أن تحب من يحبه هو..

وفى عالمنا اليوم حب مغشوش.. حب مقصوص الجناح ذلك الذى يدعيه بعضنا حين يقول: إنه يحبك.. لكنه فى نفس الوقت يكره من يحبك؟ شاهدا على نفسه بالنفاق!!

وظيفة الزوجة

والحديث الشريف دعوة إلى كل زوجة أن تلتزم بأداء وظيفتها التى هى أوسع من «المطبخ» وأهم من تنسيق الفراش؟ إن وظيفتها الأولى هى: توثيق الصلة بربها ـ عزوجل ـ أولا، حتى إذا ذكرته فى الرخاء كان معها فى الشدة.

ومن ذكر الله ـ تعالى ـ ذكر «عياله» وحقوقهم عليها.. ومن هؤلاء «العيال» أو «الرجال».. زوجها الذى يجب أن توثق صلته.. بأهله.. وأهلها.. وعدم إرهاقه بالمطالب والزهراء هنا.. والدها ﷺ كانا معا عونا للزوج على تجاوز الموقف الحرج، ولم يكونا عونا للحرج عليه وحتى لايموت الزوج موتا بطيئا.. يموت به خلق كثير فى طليعتهم: الزوجة والأولاد.. فإن فعلت الزوجة ذلك.. كان أمرها وأمر بيتها على ما يقول الشاعر:

لبيت تخفق الأرواح فيه
أحب إلىَّ من نقر الدفوف
وأكل كسيرة فى كسر بيتى
أحب إلىّ من أكل الرغيف

وقد حفل تاريخنا العظيم بزوجات كن على هذا المستوى: أوفياء للميثاق الغليظ الذى لاينقض غزله من بعد قوة أبدا.. ثم للأولاد الذين يشاهدون.. فيتأثرون وكان هذا الود الذى قيل فيه:

أغيب عنك بود لايغيره
نأى المحل.. ولاصرف من الزمن
تعتل بالشغل عنا.. لا تكلمنا
الشغل للقلب.. ليس الشغل للبدن.

مفارقات عجيبة

إن المرأة العصرية اليوم.. تطالب بحقها فى العمل.. وبإلحاح وفى الوقت تطلب خادما..

وبإلحاح أيضا! ولو أنها فضلت البيت وآثرت عمارته.. على العمل خارجه.. لاستغنت عن كائن غريب يشكل حارسا مقيما في البيت: يرى ويسمع ما ينبغي أن يكون سرا!

ويمكن بهذه القناعة - أن تخلي مكانها في الديوان لشاب يعول أسرة.. لتسهم بذلك في التخفيف من مشكلة البطالة.. ومن الناحية الأخلاقية: فقد تسد بابا إلى الفتنة.. فيحدث من الفساد ما لا يعوضه عملها.. العمر كله! ولكنه التقليد والتنكر لماضينا التليد: ولابأس من التقليد ما دام مفيدا.. يضيف إلينا جديدا.. مع بقاء الشخصية مستقلة! وتاريخنا شاهد بأنه في أول العهد العباسي أخذ آباؤنا كل نافع من بلاد فارس.. لكنهم لم يصيروا بهذا التقليد فرسا! بل إنهم قلدوهم.. وفي نفس الوقت فرضوا عليهم هيبتهم.. فجعلوا من الفرس عربا!!

ومازال هذا المشهد في خيالي:

زوجة عاملة.. تخوض كل يوم معركة المواصلات ذاهبة آيبة من أجل مبلغ زهيد.. وكانت مشكلة وحل المشكلة هنا هو أن يكف زوجها عن التدخين ليريح زوجته.. ويريح أعصابه.. ثم يحتفظ بعافيته التي تتسرب مع كل نفس بينه في الهواء!

يقول الشيخ علي الطنطاوي:

نقلد الأجانب.. فنأخذ السم.. وندع الترياق!!

في السويد جمعية «أمناء الأزهار» عملها هو جمع الأموال التي يشتري بها أهل الميت وأصدقاؤه طاقات الزهور التي تحمل مع الجنازة ثم توضع على القبر ثم إنفاقها في بناء مساكن صحية للعمال والفقراء.. وقد شيدوا في مدة قصيرة ألف مسكن!! لماذا نستمسك بما لا يعود بعائدة.. ولايحقق فائدة.. في الأفراح.. والأتراح: هل تذهب بهجة العيد لو اتفقنا في تحيته على كوب من عصير الليمون؟ وهل تذهب بهجة العرس إذا لم يكن ثوب الزفاف بألف؟ ثم هل يمنع الميت من دخول الجنة لو مضى إلى ربه بلا باقات من الزهور؟

اللهم أعط المخلصين من الفقراء.. قدرة.. وأعط القادرين إخلاصا.. لتجتمع همة الواجدين والفاقدين على البر والتقوى!

لجنا يارب من ضعف من ضعف التقي وفجور القوي!

ولنبدأ بالعيد مرحلة جديدة تسعد بها الفقراء.. الذين يزرعون لنا القمح.. ولايجدون حتى الشعير.. ويبنون لنا القصور ولايجدون حتى الأكواخ!

وللأسف: بقي الأمر كما هو: تبدلت الوجوه.. وبقي العمل المشبوه! الأسلوب واحد.. والسياسة واحدة يتبدل الوزان ويبقى الميزان.. والميزان مختل والقب مائل.. والصنجات ضائعات.

الأبــــوة الحازمــــة

وهكذا كان ﷺ - رءوفا رحيما بابنته فاطمة.. وزوجها الفارس «علي» رضي الله عنهما. ولكنه ﷺ حين علم بعزم علي أن يتزوج بنت أبي جهل تغير كل شيء إنه لم

يذهب إلى عليّ في بيته هذه المرة.. ولكنه ذهب إلى المسجد.. ثم خطب في الناس قائلاً:

(إن بني هشام بن المغيرة استأذنوني أن ينكحوا ابنتهم على بن أبي طالب، فلا آذن لهم.. لا آذن لهم.. ثم لا آذن لهم! اللهم إلا أن يحب ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم: فإن ابنتي بضعة مني: يريبني ما أرابها ويؤذيني ما آذاها وإني أخاف أن تفتن في دينها).

ولم يكن رسول الله ﷺ ليحرم ما أحل الله - تعالى - ولكنه خشي من فتنة الزهراء في دينها حين يجمعها بيت واحد مع بنت فرعون هذه الأمة.

ولقد استمع على - رضي الله عنه - إلى ما قاله الرسول ﷺ.. فهب مذعورا عائدا إلى بيته معتذرا إلى فاطمة التي قبلت اعتذاره بثقة وأمان.

ولئن كنا سعداء بعودة المياه إلى مجاريها.. فإن سعادتنا لاتنسينا دور أهل الزوجة في عودة الصفاء.. لو أنهم فعلوا مثلما فعل ﷺ.. وياليت قومي.. يعلمون.. ثم يعملون:

يعلمون أن من سننه ﷺ إعانة الزوجين على الوفاق.. والبعد بهما عن أسباب الشقاق.. وأن مسئولية الأهل هنا وهناك عن هذا الوفاق مباشرة..

وما أكثر الحراص على السنن القولية.. بينما رصيدهم صفر من السنن العملية.. وفي مقدمتها التضحية من أجل أن تسعد أولادنا..

وإذا كنا نجأر اليوم بالشكوى.. ثم نسكب الدمع المسفوح حزنا على ضياع آمالنا فيمن صاهرنا.. فلنعلم أننا ما حصدنا إلا ما زرعنا:

نفتش عن ينابيع المياه.. ومن حولنا الجفاف والعطش.

تدعي التفاؤل بينما يحاصرنا الإحباط، نبشر بالاطمئنان.. والقلق يفترسنا ليل نهار، نطلب الحب.. وليس هناك سوى الأشواك وأسلاك الكراهية..

.. نحن في حاجة إلى «المودة» من أجل أن تتفتح الوردة وتختفي الرصاصة.

من أجل أن يطول عمر القبيلة.. وتقصف عمر القنبلة!

فليشكل الأهل سياجا واقيا حول الزوجين.. وإلا فلا نلومن إلا أنفسنا:

وصدق القائل:

لو كان حولي بنو أمية لم
ينطق رجال إذا هموا نطقوا
إن جلسوا.. لم تضق مجالسهم
أو ركبوا.. ضاق عنهمو الأفق
كم فيهموا من أخ وذي ثقة
عن منكبيه القميص منخرق

***

الحدود بين الرحمة والقوة

للأستاذ الدكتور/ عبد الحليم حفني

من المعروف أن العقوبات في الإسلام ثلاثة أنواع، الحدود والقصاص والتعزير، فأما الحدود فهي من حيث العدد خمسة:

١- حد السرقة.

٢- حد الزنا.

٣- حد القذف.

٤- حد الإفساد في الأرض أو قطع الطريق.

٥- حد شرب الخمر.

وأما الحدود من حيث الخصائص التي تميزها عن غيرها من موجبات العقاب في الإسلام فهي كما يلي:

أولاً: أنها حق لله، وليست حقاً للعباد، أو بتعبير القوانين الوضعية هي حق جنائي وليست حقوقاً مدنية، ويترتب على ذلك أن الحد حين يثبت لا يملك أحد إعفاء الجاني من العقوبة، لا ولي الأمر صاحب السلطان، ولا المجني عليه كما في حالة السرقة، فالمسروق منه يملك عدم إقامة الدعوى على السارق، ولكن إذا قامت الدعوى وثبتت السرقة على السارق بأية وسيلة من وسائل الإثبات فلا يملك المسروق منه حينئذ أن يعفو عن السارق، وقد حدث أن سرق من أحد أصحاب النبي ﷺ رداؤه الذي كان يضعه تحت رأسه وهو نائم في المسجد، وثبتت سرقة الرداء على شخص، وعند تنفيذ العقوبة قال صاحب الرداء- وهو صفوان بن أمية - يارسول الله ما أردت قطع يده، ولكن أبيعه إياه ويعطيني ثمنه مؤجلاً، فقال النبي (هلا فعلت هذا قبل أن تأتيني به)[1] وأمر بالسارق فقطعت يده.

وهذا بخلاف القصاص الذي يلتزم القرآن في شأنه دعوة المجني عليه إلى العفو ولو في أية مرحلة من مراحل القضية قبل تنفيذ القصاص، فنجد الدعوة إلى العفو في كل الآيات التي تذكر القصاص.

وقد يبدو شيء من التناقض في ظاهر الأمر في التشريع الإسلامي بين الدعوة إلى العفو في كبرى الجرائم وهي القتل، بينما يمنع العفو فيما دونها

(١) أحمد ٣/٤٠١، والبيهقي ٢٥٩٥.

يكثر وهى الحدود.

ولكننا نستطيع أن نلمح أن الإسلام لا ينظر إلى الجرائم من الناحية الفردية، أو لذات الجرائم فحسب، وإنما يركز اهتمامه أولاً فى أثر الجريمة فى المجتمع، من حيث صلاح المجتمع وفساده، فهو فى الجريمة يحافظ على حق المجنى عليه، ولكنه يركز اهتمامه فى منع تأثير هذه الجريمة فى إفساد المجتمع.

وهنا نحتاج إلى تأمل الفارق الدقيق فى علاج الإسلام لكل من جرائم القصاص والحدود، فمن أهم الفروق بينهما أن الجريمة فى حالة القصاص وهى القتل جريمة فى العادة فردية وطارئة ومرتبطة بدافع معين أدى إليها، ولا يخشى أن تؤدى جريمة القتل إلى الاحتراف بحيث يتعود القاتل القتل فيصبح عادة لديه، بخلاف جرائم الحدود، بمعنى أن القاتل إنما يلجأ إلى القتل فى العادة لأسباب ودوافع تدفعه إلى قتل شخص معين، وحتى لو افترضنا تعدد لجوئه إلى القتل فلا يتصور أن يؤدى به هذا إلى احتراف القتل بحيث يقتل كل من يلقاه، أو من يتمكن من قتله، بخلاف السرقة مثلاً فإن تكرار مزاولتها يدعو فى أغلب الأحيان إلى احتراف السرقة، وكذلك تكرار قطع الطريق يؤدى عادة إلى احتراف هذه الجريمة، وأيضاً تكرار مزاولة الزنا يدعو فى العادة إلى مزاولة الزنا بحيث يصبح عادة لديه، وكذلك تعود اللسان على القذف يدعو إلى استمراره، وأيضاً تكرار شرب الخمر يؤدى إلى إدمانها.

وإذن فجريمة القتل لا يخشى أن تؤدى إلى الاحتراف، بخلاف سائر جرائم الحدود فإنها يتنظر أن تئول إلى الاحتراف، واحتراف الجريمة معناه شيوعها فى المجتمع، وبالتالى فقدان الأمن فى هذا المجتمع فيما يتعلق بهذه الجريمة، فإذا شاعت السرقة انعدم الأمن على المال، وإذا شاع الزنا انعدم الأمن على الأعراض، وإذا شاعت الخمر وما يترتب عليها من السكر وغيره انعدم الأمن على أى شىء، وعلى سبيل المثال فإن كثيراً من حوادث السيارات يكون وليد الخمر والمخدرات وما تحدثه من سكر أو فقدان تركيز لدى السائقين.

وحينئذ يظهر لنا جانب مهم من حكمة التشريع الإسلامى فى جعله القصاص حقاً مدنياً للمجنى عليهم، يملكون العفو فيه، لأن الجريمة حينذاك لا يخشى أن تؤدى إلى الاحتراف وإفساد المجتمع، وفى جعله العقوبة فى الحدود حقاً لله لا يملك أحد إطلاقاً العفو فيها عن الجانى بعد ثبوتها، لأن الجناة فى جرائم الحدود ينتظر احترافهم الجريمة، وعلمهم بأنه لابد من إيقاع العقاب، وأنه لا شفاعة ولا عفو، لا شك أن فيه زجراً و تخويفاً لهم ولغيرهم، وقد غضب النبى ﷺ غضباً شديداً حين أرادوا الشفاعة فى المرأة المخزومية القرشية التى سرقت وأمر بقطع يدها قائلاً: (لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)[٢].

وينبغى أن يكون واضحاً أن نسبة الحق لله فى الحدود لا يقصد بها أثر الجريمة، وإنما يقصد بها ملكية العقوبة، بمعنى أنه حين يقال مثلاً: إن حد السرقة حق لله وليس حقاً للناس، فإن المراد بهذا التعبير أن الله وحده هو الذى يملك العقاب، ولا ينوب عنه أحد فيه، أما الجريمة نفسها وهى السرقة فهى عدوان من السارق على المسروق منه، كما أن القتل عدوان من القاتل على المقتول.

ثانياً: تلغى عقوبة الحدود عند وجود أية شبهة، وفى الحديث النبوى (ادرأوا الحدود بالشبهات)[٣].

---

(٢) البخارى ٤/٢١٣، ٨/١٩٩.

(٣) الخطيب البغدادى ٩/٣٠٣، نصب الراية ٣/٣٣٣.

فبينما يتلمس التشريع الإسلامي كل وسيلة مشروعة لإثبات حق القصاص، نجده يلتمس كل شبهة مقبولة لرفع الحد عن الجاني، والسبب الواضح في ذلك أن الإسلام في حالة القتل يحاول بكل وسيلة مشروعة أن يشعر أولياء الدم بالتمكن من حقهم ليطفيء جذوة الغضب والحقد في نفوسهم فيصبحوا مهيئين لدعوتهم إلى العفو عن الجاني أو قبول الدية، وبذلك تنقذ حياة القاتل مع حسم المشكلة اجتماعياً بحيث لا يلجأ أولياء الدم إلى الثأر، ولكن من أهم الأهداف في النهاية إنقاذ الجاني نفسه، وهذا الهدف نفسه هو هدف التشريع الإسلامي في درء الحدود بالشبهات لإنقاذ الجاني من العقوبة، وذلك لأن الأصل في الثواب والعقاب على كل أنواع السلوك في كل الأديان السماوية هو الآخرة، أما عقاب الدنيا فإن الغاية النهائية فيه هو إصلاح المجتمع، فالغاية واحدة، ولكن الوسائل تختلف في بعض المواقف عنها في بعض آخر.

ثالثاً: تتميز الحدود أيضاً عن غيرها بأنها لا تقبل فيها شهادة النساء، فالقاعدة في التشريع الإسلامي أن الشهادة من حيث العدد لابد أن تكون شهادة رجلين أو رجل وامرأتين، وهذا يسري على كل مواقف التقاضي، وعلى القصاص، ولكن التشريع الإسلامي يستثني من ذلك الحدود، فلا تقبل فيها شهادة النساء، وهو من باب درء الحدود بالشبهات، لأن شهادة المرأة في الإسلام دون شهادة الرجل، وهذا يتضمن نوعاً من الشبهة فلا يثبت بها الحد.

رابعاً: من الواضح في كل العقوبات الإسلامية، وبصفة خاصة الحدود، أن هناك فجوة بين الجانب النظري التشريعي والجانب التطبيقي التنفيذي، وتتمثل هذه الفجوة أو هذا الاتساع في أن التشريع الإسلامي يجعل العقوبات في مظهرها أو فيما يمكن وصفه بالجانب الإعلامي بالغة العنف والشدة والرهبة، وهذا ما يجعل البعض يصفون العقوبات الإسلامية بالقسوة، ولكن التشريع الإسلامي يجعل الوضع عند التطبيق والتنفيذ يختلف اختلافاً واضحاً عن مظهر التشريع، وهذه الفجوة ليست في الأحكام نفسها، وإنما في وسائل التنفيذ والتطبيق، ففي القصاص مثلاً نجد المظهر التشريعي قتل القاتل المتعمد على الإطلاق ودون تقييد، وهذا يوحي بمظهر دموي رغم أنه عدل، ولكننا نجد التشريع الإسلامي نفسه عند التنفيذ يسلك أكثر من وسيلة بحرص واضح على إنقاذ القاتل من الموت، مما هو معروف من الدعوة إلى العفو، ثم الإغراء المادي في الدية، وغير ذلك.

وكذلك في الحدود نجد المظهر التشريعي مثلاً قطع يد السارق على الإطلاق، وهذا يوحي بمظهر قسوة شديدة، ولكن الإسلام عند التنفيذ يحرص حرصاً واضحاً على إنقاذ السارق من قطع يده، ومن ذلك الحديث النبوي المشهور الذي يكلف ولي القضاء أن يلتمس أية شبهة تدفع عن الجاني تنفيذ العقوبة مع أنها عدل في الحديث المشهور عن درء الحدود بالشبهات، فإذا وجدت شبهة مهما ضعفت لإنقاذ الجاني كانت هي الراجحة على الحكم التشريعي العام.

وأيضاً في جريمة الزنا يبدو المظهر التشريعي بالغ القسوة، وهو رجم الزاني المتزوج بالحجارة حتى الموت، ولكنه عند التنفيذ نجد العكس، فإن النبي ﷺ يتجاوز مرحلة الدرء بالشبهات إلى الرغبة الواضحة في عدم إثبات هذه الجريمة، فقد كان يوحي إلى من يجيئه معترفاً بجريمة من جرائم الحدود بالرغبة في عدم الاعتراف، فقد جاءه رجل من قبيلة أسلم، فشهد على نفسه بأنه أصاب إمرأة حراماً، فأعرض عنه النبي ﷺ بوجهه إلى الجهة الأخرى، وهكذا أربع مرات في كل

منها يعترف الرجل بالزنا والنبي يعرض عنه، فلما وجده النبي مصراً قال: «أنكحتها؟ قال: نعم قال: حتى غاب ذلك منك في ذلك منها؟ قال: نعم، قال: كما يغيب المرود في المكحلة؟ وكما يغيب الرشا في البئر؟ قال: نعم، قال: فهل تدرى ما الزنا؟ قال: نعم أتيت منها حراماً مثل ما يأتى الرجل من امرأته حلالاً، قال: فما تريد بهذا القول؟ قال: أريد أن تطهرني، فأمر به فرجم»[٤] وكان النبي يسلك مثل هذه المحاولات مع كل من يجيئه معترفاً، وكذلك في السرقة، جاءه ذات مرة شخص يعترف بالسرقة، فقال له النبي: «أسرقت؟ ثم أردف النبي قائلاً (ما إخاله سرق) يعني ما أظنه سرق، ولكن الرجل أصر على الاعتراف فأقام عليه الحد»[٥]، وقد أقيم حد الرجم ذات مرة على رجل معترف بالزنا، فلما اشتد عليه الضرب هرب، فلاحقوه بالضرب حتى مات، فلما سمع النبي قال: «فهلا تركتموه»[٦]، وفي حادثة أخرى كانوا يرجمون امرأة زانية، فأصاب دمها ملابس خالد بن الوليد، فسبها، فقال النبي: «مهلاً ياخالد، لقد تابت توبة لو وزعت على أهل المدينة لوسعتهم»[٧]، وهذه الرحمة هدف كل الأديان السماوية، فمن هذا القبيل قول المسيح ـ عليه السلام ـ حينما أرادوا رجم امرأة زانية: من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر.

وهذا عن الذين يعترفون من تلقاء أنفسهم بالزنا خوفاً من الله ورغبة في تطهير أنفسهم من الإثم، أما الذين لا يعترفون فإن الإسلام يؤثر إزاءهم الستر وحفظ كرامة الأعراض، ويكلهم إلى دينهم وربهم، ولا يرضى بأن يكشفوا ما ستره الله عليهم، ففي الحديث النبوي: «إن من المجاهدة أن يعمل أحد عملاً بالليل ثم يصبح فيحدث الناس به، يبيت يستره ربه، فيصبح يكشف ستر الله عنه»[٨].

وهذه الفجوة التي تبدو في مظهرها بين أحكام التشريع الإسلامي في العقوبات وواقعية تنفيذها ليست غريبة إذا فهمنا حكمة تشريعها وأهدافه، فإن الأصل في الثواب والعقاب في كل الأديان أن يكون في الآخرة، وكل عقوبات الدنيا إنما يقصد بها إصلاح المجتمع وزجر الناس عن الإفساد فيه، لأن عقاب الدنيا مهما يبلغ لا يزن شيئاً بجوار عقاب الآخرة، وكذلك الثواب، على أن العقوبة مهما تبلغ فلا أثر لها في التطهير من الذنب ما لم تصحبها التوبة والرجوع إلى الله، والمجرم المصر على مزاولة الجريمة بعد العقاب من الواضح أن العقاب لم يصلحه، ومعنى ذلك أن العقاب لا فائدة منه بالقياس إليه، وإنما فائدته زجر الآخرين.

ومسلك النبي ﷺ في محاولته إنقاذ المعترفين بجرائمهم من العقاب يتضمن الدليل على أن هدف العقوبة هو إصلاح المجتمع، فإن الذي يجيء من تلقاء نفسه معترفاً بذنبه طالباً عقابه معناه أنه نادم على جرمه، ولا يعقل أن يعاود الجريمة مرة أخرى، فلا خوف على المجتمع منه بعد ذلك، وبهذا يتحقق الهدف الأهم من أهداف العقاب وهو إصلاح المجتمع، فلا ضرورة لتنفيذ العقوبة، بل يمكن أن تبقى على الأصل، وهو عقاب الآخرة إن أراد الله عقابه، أو تقبل توبته في واسع رحمته.

---

(٤) البخاري ٨/٢٠٧، وأحمد ١/٢٧٠.

(٥) الدارقطني ٣/١٠٢.

(٦) أحمد ٢/٤٥٠.

(٧) مسلم، الحدود (٢٣)، أحمد ٥/٣٤٨.

(٨) اتحاف السادة المتقين ٦/٢٧٢، فتح الباري ١٠/٤٨٦.

الإنسان بين الحرية والسنن الإلهية

للدكتور / عبد الحليم عويس

يحاول بعضهم أن يستثنى الإنسان من السنن الإلهية التى تحكم الحياة والكون وكأنه ـ فى رأيهم ـ الوسيلة والغاية، والسيد المطاع فى هذا الكون.

وفى البداية نورد هاتين الآيتين الكريمتين من كتاب الله ودلالتهما لاتحتاج لبيان، أما أولهما فقول الله تعالى:

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(١)

وأما الآية الثانية فقوله تعالى على لسان الكافرين:

﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾(٢).

ثم نقول: إن الإنسان لايقوم وحده، وإنه فى حاجة أساسية للوحى والعقل معا، ولقد وفر الأنبياء ـ عليهم السلام ـ بدءا من آدم، وانتهاء بمحمد ـ خاتم المرسلين ـ على الإنسان جهودا كبيرة كان من الممكن أن يقضيها فى التيه العقلى والتخبط الفكرى، حين علموه أن لكل شىء سببا وغاية، وأن وراء كل سبب مسببا، ووراء كل صنعة صانعا، وأن هذا الكون ـ بالتالى ـ ينعم برعاية صانع خبير عليم حكيم، يدير حركته وفق قوانينه، ويدفعه ـ والإنسان جزء منه لغايات مرسومة.. ومع أن تعاليم الأنبياء كثيرا ما كانت تتعرض للضياع والتدخلات البشرية، فإن عقل الإنسان ـ فى عصر الضياع هذه ـ كان كثير التساؤل والحيرة والتأمل.

إن حركة الكون المكرورة أمامه من ليل ونهار، وشمس وقمر ونجوم، وعواصف وزلازل، لاشك ستدفعه إلى التساؤل:

---

(١) الروم (٥٦).

(٢) الملك (١٠).

١ـ من يصنع هذا؟

٢ـ وكيف يصنع؟

٣ـ ولماذا يصنع؟

وفي الواقع البشرى الاجتماعي والفردى يجد الإنسان نفسه محاصرا بمجموعة من الظواهر التى تشبه الظواهر الكونية، فى ضرورتها وتكرارها.

ـ فحاجة الإنسان إلى الطعام حاجة أساسية ومتجددة لا تنتهى.

ـ وحاجة الإنسان إلى الشراب.

ـ وحاجة الإنسان إلى النوم.

ـ وحاجة الإنسان إلى اللباس والمسكن:

فكل هذه حاجات فردية، تجعل الإنسان يتساءل: هل هو مجموع هذه الحاجات؟ وهل حياته لاتخرج عن نطاق إشباع هذه الجوانب.

وعندما يصل الإنسان إلى سن البلوغ، ويندمج اجتماعيا، تظهر فى حياته حاجات أخرى:

ـ حاجته إلى الزواج والأولاد.

ـ حاجته إلى البيئة.

ـ حاجته إلى المجتمع.

فربما تساءل الإنسان فى مرحلة معينة: هل هو رهن هذه الحاجات؟ وهل هو كائن أسرى أو بيئى أو اجتماعى؟ وهل يكفى إشباع هذه الجوانب ـ بعد الحاجات الفردية ـ لضمان مسيرة الإنسان فى الحياة؟ لكن الإنسان عندما تكتمل له حاجاته الفردية وحاجاته الاجتماعية سيشعر بحاجة ملحة إلى نوع آخر من الحاجات.

فهذا الإنسان يتميز عن الكائنات الأرضية الأخرى بأنه يحمل (روحا واعية) ذات تطلع دائم إلى الأشواق العليا.. وإنها لتحس بالسأم والملل ـ حتى بعد إشباع سائر الجوانب ـ إذا لم تحقق إشباعها فى الجانب الروحى.

فهل الإنسان كائن روحى؟ على أساس أن هذه هى ميزته التى ينفرد بها عن سائر المخلوقات الأرضية الأخرى التى تشاركه بقية حاجاته الفردية والاجتماعية؟

لقد أدرك الإنسان هذا منذ ظهر، ومنذ غرست الأديان السماوية ـ فى فطرته ووعيه هذه الحقيقة الأزلية، وأزالت عنها ـ بين الحين والحين ـ كل ما يطرأ عليها من تحريف وتشويه.. ولئن كان الإنسان قد أدرك هذا، فإن هذا الإدراك القائم على أن الله هو الصانع، وهو الخالق، ليس كافيا للإجابة عن الأسئلة الملحة التى تطرح نفسها على الوعى البشرى الموصول.

إن الإنسان يدرك حاجته اليومية المتجددة للطعام والشراب والهواء والماء والملبس والمسكن، ثم يدرك حاجته الاجتماعية التى يقوم على أساسها كيانه الاجتماعى وبقاء نوعه.. فإلى أى مدى يصل الدور الذى تقوم به هذ الحاجات فى استمرار حركته ونموها، وفى ضمان تفاعله مع ما حوله؟

وهل هذه الحاجات هدف فى حد ذاتها تنتهى رسالته إذا حققها؟ وأهم من ذلك كله أنه يريد أن يفهم نواميس الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ التى أخضع لها ـ سبحانه ـ الكون والإنسان والمجتمع، لأن فهم الإنسان لهذه النواميس أمر ضرورى بالنسبة له، سواء فى مستوى حياته العملية، الرعوية أو الزراعية أو فى مستوى تحقيق تقدمه الحضارى.

وإن ما أعطته رسالات السماء فى تفسير حركتى الكون والمجتمع، إنما هو إطار كلى، ترك للعقل البشرى أن يقوم فيه بالفهم والتفسير، فهذا هو مجال الاختيار، وشأن (تفسير التاريخ) هنا شأن بقية المجالات، التى طرقها الوحى الكريم، فثمة قوانين كلية حاكمة وضابطة، وثمة مساحة للاختيار الإنسانى واسعة وفسيحة

فحتى فى علاقة الإنسان المخلوق بالله الخالق ثمة أوامر تكوينية فطرية، وثمة أوامر تشريعية وعبادية، وهناك ـ فى المقابل ـ مساحة لحرية الإنسان هى مناط الثواب والعقاب، فى تفاعلها ـ إيجابا أو سلبا ـ مع القوانين الفطرية والكونية والتشريعية.

وفى ظل هذه الرؤية الإسلامية لعلاقة الإنسان بالكون والأوامر الإلهية الكونية والتشريعية، يتجلى حظ الإنسان المتاح له من الحرية والإرادة وتتضح (المعادلة) الإنسانية المتوازنة، القائمة على تقنين الحرية من جانب، ورفض نظريات أو أيدولوجيات الحتمية الجبرية من الجانب الآخر.

والحق أن المذاهب (الجبرية) أو (الحتمية قد اهتزت حتى فى مجالها الطبيعى المادى، وإننا لنجد مفكرا كالأستاذ (أوبحنون) يصور لنا هذا الاهتزاز بأسلوب حاسم فيقول : (لابد لى أن أوضح أن النظرة العلمية للمذهب اللاحتمى لاتعنى أن هناك أحيانا استثناءات للقانون الحتمى، لكنها تعنى أن كل ظاهرة لاحتمية بدرجة كبيرة أو صغيرة).

ويقول (أوبحنون) أيضا : (طالما أن الحتمية قد أزيحت من وضعها الذى يبدو منيعا فى علم الطبيعة فإن الطبيعى أن تشك فى قولها حين تزعم أنها اتخذت لنفسها وضعا مؤكدا فى مناطق أخرى من الخبرة)(٣).

وليس أروع من القرآن الكريم، وهو يرفض تلك الحتمية الجماعية، أو تلك الجبرية الفردية، فيوجه النظر إلى أنه لاحتمية هنا ولاهناك، وإلا انعدم معنى (المسئولية) وانعدم ـ بالتالى ـ معنى الثواب والعقاب.

يقول القرآن الكريم:

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٤).

---

(٣) د/زكى نجيب محمود، الجبر الذاتى ص٢٤٥، ٢٤٦، طبع الهيئة المصرية العامة بالقاهرة سنة ١٩٧٣.

(٤) البقرة (١٣٤).

﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾(٥)

أجل .. ليس الإنسان مجبرا أو آلة تحركها أية عوامل، وإنما هو ـ قبل أى مؤثر ـ المسئول الأول عن صناعة الحضارة، وهو المحرك الأول للحضارة في مرحلة نموها واستمرارها وازدهارها.

إنه (الخليفة) على هذا الكوكب، وإن التاريخ إنما هو شأنه ، سواء كان فردا .. أو فردا ممتازا فى هيئة بطل، أو جماعة آمنت بمبدأ إيجابى، ومتى تزايد إقبال الأفراد والشعوب على الطاعة لإرادة الله تحسنت الأمور، أى أن مقياسا أساسيا من مقاييس التقدم الحضارى هو المجاهدة فى سبيل التقدم، وفى النهاية فإن كل شعب سيحصل على مايستحق بالعدل الإلهى!! لكن ذلك لايعنى أن الإنسان هو وحده فى هذا الكون، وأنه حر فى أن يحطم كل (نظام) ويتمرد على كل أصول عقلية أو قانونية، كسائق السيارة المجنون الذى يعتقد أن إشارات المرور إنما هى قيود وأصفاد، ويرى أن تحقيق حريته يقتضى حرية الانفلات من هذه القواعد المرورية.

إن هذه (الحرية الفردية اللامبالية) مرفوضة، لأنها تعنى العشوائية التى هى سلب للعقل والقانون، ومن الواضح أن هذا المذهب (الحر) إذ يمارس (حرية اللامبالاة) هذه، إنما يقضى على (حرية المجموع) من جانب، ويقضى على المسئولية الخلقية من جانب آخر.

﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ (٦٢) لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾(٦).

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾(٧)

﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾(٨).

كما ينبغى للإنسان ـ كذلك ـ ألا ينسى أنه محكوم بسنن ونواميس إلهية تفوق طاقاته وقدراته جميعا، وبدونها لايمضى حق وعدل ولايستقيم نظام كونى ولا وجود بشرى، ولا تتحقق حكمة الله سبحانه وتعالى من تسيير الكون، والخلائق جميعا وفق طرائق محدودة تئول بهم إلى الأهداف التى رسمها علم الله المطلق، ورفعتهم إليها إرادته التى لا راد لها(٩) (سبحانه وتعالى) ..

إنه إنسان حر.. لكنه كذلك مسئول ومحكوم بالسنن الإلهية.

---

(٥) الأنعام (٤٧).
(٦) الزمر (٦٢، ٦٣).
(٧) الرعد (١٥)
(٨) الروم (٢٦)
(٩) د/عمادالدين خليل: التفسير الإسلامى ص١٨١ ـ لبنان ـ المكتب الإسلامى

قالوا عن الحضارة الغربية

للدكتور/ حمدى فتوح والى

«إن شجرة الحضارة البشرية تترنح اليوم وتهتز كما كانت تهتز وتترنح قبيل مولد «الرجل الذى وحد العالم جميعه». فما أشد حاجة البشرية إلى رسالة محمد لتنقذها مرة أخرى»[1].

لقد أصبح الإسلام - اليوم - لأهل الأرض جميعا ضرورة بشرية فضلاً عن كونه فريضة شرعية. خاصة بعد أن شهدت البشرية أفظع فواجعها وأبشع جرائمها، بما جنته حضارة الغرب المادية الجسدية وبما خلفته حضارة الشرق الإلحادية الدموية. دفعت البشرية ثمنها حروبا وويلات وأوبئة ومجاعات ومطامع وصراعات.

وقد أجاد أحد أبناء عصرنا وصف تلك الحضارة المادية القاسية فقال:

«إن العاقل الواعى لم يأخذه الدوار الذى يأخذ البشرية اليوم حين ينظر إلى هذه البشرية المنكودة، يراها تتخبط فى تصوراتها وأنظمتها، وأوضاعها وتقاليدها، وعاداتها وحركاتها كلها، تخبطا منكرا شنيعاً.. يراها تخلع ثيابها وتمزقها كالمهووس! وتتشنج فى حركاتها، وتتخبط وتتلبط كالممسوس.. يراها تغير أزياءها فى الفكر والاعتقاد، كما تغير أزياءها فى الملابس، وفق أهواء بيوت الأزياء! يراها تصرخ من الألم، وتجرى كالمطارد، وتضحك كالمجنون، وتعربد كالسكير. وتبحث عن لا شيء! وتجرى وراء الخيلة! وتقذف بأغلى ما تملك، وتحتضن أقذر ما تمسك به يداها من أحجار وأوضار! لعنة! لعنة كالتى تتحدث عنها الأساطير!

إنها تقتل الإنسان، وتحوله إلى آلة.. لتضاعف الإنتاج! إنها تقضى على مقوماته الإنسانية، وإحساسه بالجمال والخلق والمعاني السامية، لتحقيق الربح لعدد قليل من المرابين، وتجار الشهوات، ومنتجى الأفلام السينمائية، وبيوت الأزياء. وتنظر إلى وجوه الناس ونظراتهم، وحركاتهم وأزيائهم، وأفكارهم وآرائهم ودعواتهم، فيخيل إليك أنهم هاربون!

(١) ج.هـ دينسون من كتابه «العواطف كأساس للحضارة».

مطاردون! لا يلوون على شيء، ولا يتشبثون من شيء! ولا يتريثون ليروا شيئاً ما رؤية واضحة صحيحة. وهم هاربون فعلا! هاربون من نفوسهم الجائعة القلقة الحائرة، التي بين جنوبهم، التي لا تستقر على شيء ثابت ولا تدور على محور ثابت ولا تتحرك في إطار ثابت.. وحول هذه البشرية المنكودة زمرة من المستنفعين بهذه الحيرة الطاغية، وهذا الشرود القاتل.. زمرة من المرابين، ومنتجي السينما، وصانعي الأزياء والصحفيين والكتاب.. يهتفون لها بالمزيد من الصرع والتخبط والدوار، كلما تعبت وكلت خطاها، وحنت إلى المدار المنضبط والمحور الثابت، وحاولت أن تعود.

● زمرة تهتف لها.. التطور.. الانطلاق.. التجديد.. بلا ضوابط ولا حدود.. وتدفعها بكلتا يديها إلى المتاهة كلما قاربت من المثابة.. باسم التطور.. وباسم الانطلاق.. وباسم التجديد.. إنها الجريمة. الجريمة المنكرة. في حق البشرية كلها.. وفي حق هذا الجيل المنكود.. تلك هي حضارة الغرب في نظر المفكر الإسلامي سيد قطب عندما زار أمريكا في أواخر الأربعينيات من القرن الماضي.

فأي خير يرجى من حضارة كهذه.. حضارة أرادت أن تسعد الإنسان فاشقته، وأن تريحه فأتعبته وأن تكون خادمة له فاستعبدته وأذلته.

لقد تعبت البشرية من الارتكاس في حمأة اللذائذ ومن عبادة المادة واللذة والإنتاج. فبدلا من أن يكون الإنتاج خادما للبشرية أصبحت البشرية خادمة له. وبدلا من أن تكون اللذة ملكا لصاحبها أصبحت تستعبده وتستذله.

ومن هنا يبرز دور الإسلام، وتتميز دعوته، وتتجلى حاجة البشرية إليه في هذا الزمان.

ومن هنا تبدو جسامة الجريمة التي يرتكبها من يحاولون تذويبنا في أية حركة، أو أية منظمة، أو أي اتجاه عالمي جديد، إنهم حين يرتكبون جريمتهم تلك، يكونون قد أجرموا في حق البشرية كلها، لا في حق الإسلام وحده، ولا في حق الوطن الإسلامي.

وعندما تسقط أمتنا الإسلامية في هذا «الشرك» وتستدرج إلى هذه التبعية المهينة، تكون قد أجرمت في حق ربها مرتين: مرة حين دعيت إلى مقام الخيرية فأبت، وانتدبت إلى مقام القيادة فنكصت وأحجمت، فكانت بهذا النكوص والإحجام من أعظم الأمم جهلاً، وأشدها حمقا.

ومرة أخرى: حين هيأت الفرصة - بإخلاء مقام القيادة - لمن ليسوا لها أهلاً، فانحرفوا بالبشرية عن طريقها، وارتكسوا بها إلى هوة سحيقة، وأوردوها موارد الدمار الرعيب، والفناء الرهيب.

لقد نجحت الحضارة الغربية في إحراز انتصارات باهرة في عالم الفضاء، وأجهزة الاتصال، ووسائل النقل، وشبكات المعلومات والحاسبات. كما نجحت في اختراع وسائل التدمير والإهلاك والإفناء. لكنها أخفقت إخفاقا ذريعا في أن تحقق لأصحابها لحظة من الهدوء النفسي، أو الانسجام الروحي، أو الارتواء العاطفي. ومايزال عقلاء الغرب يستشعرون بشاعة الجريمة، وخيبة الأمل، وسواد المصير. ويحاولون عبثا أن يوقفوا تيار هذا السعار المجنون فلا يستطيعون.

يقول المفكر الإنجليزى جود: «إن العلوم الطبيعية قد منحتنا القوة الجديرة بالآلهة، ولكننا نستعملها بعقل الأطفال والوحوش»[٢].

ويقول فى موضع آخر من نفس الكتاب:

«إن هذا التفاوت بين فتوحنا العلمية المدهشة، وطفولتنا الاجتماعية المخجلة، نواجهه على كل منعطف ومنعرج، نستطيع أن نتحدث من وراء القارات والبحار، ونرسل الصور بالبرق، ونستمع فى سيلان إلى دقات (Big Ben - الساعة العظمى تضرب فى لندن، ونركب فوق الأرض والبحر وتحتهما، والأطفال يتحدثون على الأسلاك البرقية، والزروع تنمى بالكهرباء والشوارع تفرش بالمطاط والأشعة نوافذ تطل منها على داخل أبداننا، والصور المتحركة تتكلم وتغنى، والغواصات تذهب إلى القطب الشمالى، والطيارات تطير إلى القطب الجنوبى، ومع ذلك كله لا تقدر فى وسط مدننا الكبرى أن نخصص رحبة يلعب فيها أطفال الفقراء فى راحة وسلام، ونتيجة ذلك أنا نقتل منهم ألفين (٢٠٠٠) ونجرح منهم تسعين ألفا سنويا»[٣].

وهذا شاهد آخر من أبناء الحضارة الغربية ممن أصطلوا بنارها هو الدكتور «ألكيس كاريل» يقول فى كتابه: «الإنسان ذلك المجهول»:

«يظهر أن الحضارة العصرية لا تستطيع أن تنتج رجالاً يملكون الابتكار والذكاء والجراءة، ففى كل قطر تقريبا يرى الإنسان فى الطبقة التى تباشر إدارة الأمور، وتملك زمام البلاد، انحطاطًا فى الاستعداد الفكرى والخلقى، إننا نلاحظ أن الحضارة الغربية لم تحقق الآمال الكبيرة التى عقدتها عليها الإنسانية، وأنها أخفقت فى تنشئة الرجال الذين يملكون الذكاء والإقدام، الذى يسير بالحضارة على الشارع الخطر الذى تتعثر عليه، إن الأفراد والإنسانية لم تتقدم بتلك السرعة التى تقدمت بها المؤسسات التى نبعت من عقولها. إن علمنا بالحياة وكيف يجب أن يعيش الإنسان، متأخر جداً عن علمنا بالماديات وهذا التأخر هو الذى جنى علينا»[٤].

ويصور العالم النمسوى المهتدى محمد أسد حالة الحضارة الغربية التى تتزعمها أمريكا وأوروبا اليوم، ويريدون أن يفرضوا نظامها القائم على العالم كله فيقول: «لا شك أنه لايزال فى الغرب أفراد يعيشون ويفكرون على أسلوب دينى، ويبذلون جهدهم فى تطبيق عقائدهم، بروح حضارتهم، ولكنهم شواذ. إن الرجل العادى فى أوروبا، ديمقراطيا كان أو فاشيا، رأسماليًا كان أو اشتراكيا عاملاً باليد أو رجلاً فكريًا، إنما يعرف دينًا واحداً، وهو عبادة الرقى المادى والاعتقاد بأنه لا غاية فى الحياة، غير أن يجعلها الإنسان أسهل، وبالتعبير الدارج «حرة مطلقة» من قيود الطبيعة، أما كنائس هذا «الدين» فهى المصانع الضخمة، ودور السينما، والمختبرات الكيماوية، ودور الرقص، ومراكز توليد الكهرباء. وأما كهنتهم فهم رؤساء المصارف، والمهندسون، والممثلات وكواكب

(٢) الأستاذ جود، هو رئيس قسم الفلسفة وعلم النفس فى جامعة لندن والنص منقول من كتابه (Guide To Modern Wickedness.)

(٣) كان هذا الكلام فى الأربعينيات من القرن الماضى. فانظر كيف يكون الأمر الآن.

(٤) Alexis carrel, Man, The, Unk nown, 141.

السينما، وأقطاب التجارة والصناعة والطيارون، والنتيجة التي لا مفر منها في هذه الحال هي ظهور طوائف متنافسة مدججة بالسلاح، والاستعدادات الحربية، مستعدة لإبادة بعضها بعضا إذا تصادمت أهواؤها ومصالحها. أما في جانب الحضارة فنتيجتها ظهور نوع من البشر تنحصر فلسفته الأخلاقية في الفائدة العملية، ويكون أسمى فارق لديه بين الخير والشر هو النجاح المادي لا غير»(٥).

ويلخص الصحفي الأمريكي المشهور «جون جنزه» نفسية تلك الحضارة في كلمات قليلة فيقول: «إن الإنجليز إنما يعبدون بنك إنجلترا ستة أيام في الأسبوع، ويتوجهون في اليوم السابع إلى الكنيسة».

وأمام هذه الشهادات المتواترة من أقوال عقلاء الغرب ومفكريه، وكذلك شهادة الواقع الذي ينطق في كل لحظة ويؤكد في كل لفظة، أن حضارة الغرب لم تنجح في قيادة الأمم إلى ما يحقق طموحها، ويشبع رغباتها، ويروي ظمأها الروحي، والعاطفي، ولم يبق إلا أن يتقدم المسلمون إلى هذه البشرية بالإسلام.

هذا هو الأمل الباقي للبشرية كلها اليوم. والذي لا يوجد على وجه الأرض كلها غيره. ويكفينا في ذلك قول الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾(٦) وقوله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(٧).

وليقيننا الكامل والعميق في كلام ربنا ـ سبحانه ـ ما كنا لنحتاج إلى كلام آخر، لكن لأن الخطاب موجه إلى غير المسلمين، وهم المقصودون بدعوتنا. فإننا سنسوق نماذج من أقوال علماء الغرب، يشهدون بها على أن الإسلام هو أمل أهل الأرض جميعا للخروج بالبشرية من هذا الجحيم الرهيب.

يقول ج. هـ. دينسون. في كتابه «العواطف كأساس للحضارة»: «إن شجرة الحضارة البشرية تهتز وتترنح اليوم كما كانت تهتز وتترنح قبيل مولد «الرجل الذي وحد العالم جميعه» فما أشد حاجة البشرية إلى رسالة هذا الرجل لتنقذها مرة أخرى.

ويقول العالم النمسوي «ليبولد فايس» مبينا سبب دخوله في الإسلام «لقد تمكنت من المقارنة، بين أكثر وجهات النظر الدينية والاجتماعية التي تسود العالم الإسلامي في أيامنا. وهذه الدراسات والمقارنات خلقت فيّ العقيدة الراسخة بأن الإسلام من وجهتيه الروحية والاجتماعية لايزال بالرغم من جميع العقبات التي خلفها تأخر المسلمين ـ أعظم قوة نهاضة بالهمم عرفها البشر. وهكذا تجمعت رغباتي كلها منذ ذلك الحين حول مسألة بعثه من جديد»(٨).

ويقول في موضع آخر من كتابه: «**الإسلام على مفترق الطرق**»: «نحن نعد الإسلام، أسمى من سائر النظم المدنية، لأنه يشمل الحياة بأسرها إنه يهتم اهتماما واحدا بالدنيا والآخرة، وبالنفس والجسد، وبالفرد وبالمجتمع، إنه لا يهتم فقط، بما في الطبيعة الإنسانية من وجود الإمكان إلى

---

(٥) انظر: الإسلام على مفترق الطرق/ محمد أسد ص٤٧.

(٦) آل عمران (١٩)

(٧) آل عمران (٨٥)

(٨) الإسلام على مفترق الطرق/ محمد أسد ص١٦.

السمو، بل يهشم أيضا بما فيها من قيود طبيعية.. إنه ليس سبيلاً بين السبل، ولكنه هو السبيل! وإن الرجل الذي جاء بهذه التعاليم ليس هاديا من الهداة، ولكنه الهادي. فاتباعه في كل ما فعل وما أمر اتباع للإسلام عينه، وأما إطراح سنته فهو إطراح لحقيقة الإسلام»(٩).

ويقول الكاتب الإنجليزي (Robert Briffault) في كتابه (The Making Of Humanity): «ما من ناحية من نواحي تقدم أوروبا إلا وللحضارة الإسلامية فيها فضل كبير وآثار حاسمة لها تأثير كبير»(١٠).

ويقول في موضع آخر: (لم تكن العلوم الطبيعية (التي يرجع الفضل فيها إلى العرب) هي التي أعادت أوروبا إلى الحياة، ولكن الحضارة الإسلامية قد أثرت في حياة أوروبا تأثيرات كبيرة ومتنوعة منذ أرسلت أشعتها الأولى إلى أوروبا)(١١).

وإذا كان للمسلمين أن يفخروا- وبحق- بأنهم يملكون أعظم منهج شهدته الأرض، وأكمل نظام عرفته البشرية منذ خلقها الله وإلى أن تقوم الساعة، فإن عليهم أن يذوبوا خجلا، وأن يحترقوا ألمًا، أن صار حالهم إلى هذا الحال، وآل أمرهم إلى هذا المآل، فأصبحوا وهم يملكون مقومات السيادة أذلاء، وصاروا وهم يستجمعون كل أسباب القوة ضعفاء. إنها حالة من الذهول عن الذات، تصل إلى درجة الغيبوبة الكاملة

وهذه الحالة هي التي أثارت عجب أمير الشعراء أحمد شوقي فقال يخاطب الرسول ﷺ معتذرًا شاكيًا:

شعوبك في شرق البلاد وغربها
كأصحاب كهف في عميق سبات
بأيمانهم نوران: ذكر وسنة
فما بالهم في حالك الظلمات

وإذا كان حال الأمة الإسلامية اليوم قد أصبح يدعو للألم والحسرة، فإن الذي يبشر بالخير، أن العقلاء من هذه الأمة، ساهرون على أمرها، مشغولون بإيقاظها، حريصون على استعادة مجدها ومكانها. يستمدون العون في ذلك من الله سبحانه وتعالى -القائل:

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾(١٢).

وإذا كنا نحن -المسلمين -مطالبين جميعا- ضرورة وواجبا- بالتقدم لحمل الرسالة وأداء الأمانة، والتقدم إلى أهل الأرض بالإنقاذ، فإن ذلك يحتاج منا إلى إحسان التلقي، وإخلاص النية، ووضوح الغاية، وجدية العمل لهذا الدين، مع فهم عميق لطبيعة المهمة التي انتدبنا الله سبحانه وتعالى لحملها ومعرفة بطبيعة الميدان الذي نتحرك فيه على أن يكون ذلك كله ممتزجا بحالة من المعية الصادقة الموصولة بالله. واحتساب كل ما نلقى في الطريق من شدائد، وما يعترضنا من أهوال- جزءاً من طبيعة المهمة، وبعضا من مهر الحسناء. وقديما قيل:

ومن يخطب الحسناء لم يغلها المهر.

---

(٩) الإسلام على مفترق الطرق. ص:١١٠.

(١٠) P.190 .

(١١) P.202 .

(١٢) غافر (٥١).

الإسراء والمعراج

شعر المرحوم العارف بالله الشيخ/ محمد الطاهر الحامدى

إذا كان الإسراء بمعناه الروحى وعروجه الربانى فإن أنفس ما يقال فيه ما جاء على لسان صوفى عارف بربه شاهد أنوار السماء، فعبر عنها بإلهام شارك فيه الإمام البوصيرى.

(رجب البيومى)

عُلاك قد جل عن قولى وعن كلمى ** يا أشرف الخلق من عرب ومن عجم
حللت فوق سماء المجد منزلة ** تسمو على كل منثور ومنتظم
أنىّ لمثلى أن يهدى إليك ثنا ** وأين يبلغ منه ساعدى وفمى
ما حام حول حماك العقل ممتدحا ** إلا وناداه فرط العجز لا تحم
لكن لى غرضاً فى المدح أنشده ** ياخير من ضرب الأمثال فى الكرم
يا فائق البحر فى فيض وفى مدد ** وسابق الدهر فى عزم وفى همم
ذرات هذا الورى لولاك ما عرفت ** فى ذا الوجود ولم تخرج من العدم
ما فى السماء ولا فى الأرض كائنة ** إلا وإمدادها من فيضك العمم
لك النبوة عند الله.. ثابتة ** من عالم الذر... بل من عالم القدم
أقسمت أنك أسمى الخلق مرتبة ** وإن أكن غير محتاج إلى القسم

الأنبـــاء وإن فـــاقـــو الأنام عـــلاً ** فـــأنت من ذروة العليـــاء في القـــمم
قـلدت كـل عـظـيـم فـي الـورى منـنـا ** وأنت بـالـغ أقـــصـى الحـــد في العظم
ســـريت بالروح والجـــسم الكريم إلى ** مـــقـــام عـــز وطـيـــد شـــامخ سنم
ســـريت من مكة والنـاس قـــد رقـــدوا ** وعـــدت والنـاس غـــرقـى في رقـــادهم
في ليلة من لـيـــالي الأنـس واحـــدة ** كـــأنهـــا غـــرة في الأعـــصـــر الدهم
لو كـان مـــسـراك أقـصى الشام غـايتـه ** أو كـــان بـالروح أو في عـــالم الحلم
لكنه لبـــســـاط الـعـــرش حـــيث رأت ** عـيـنـاك مـــا قـــد رأت من حـــضـــرة القـــدم
تنزه الله لـيـس الله وجـــهـــة ** وأنـت لـسـت عـلـى الرؤيـا بمتـــهـم
في العـــرش رؤياه أو في الأرض ممكـنـة ** في مـــســجـــد الشام أو مـــســجـــد الحرم

●●●

كـــأنما اشـتـــاق سكان الســمـــاء إلى ** حـــسن بوجـــهك فـــرد غـــيـــر منقـــسم
فـــرحت للمـــلأ الأعلى تـشـرفـــه ** يـا صـــفـــوة الله من خلق ومن نسم
فـــيـــالهـــا منة لله ســـابغـــة.. ** لغـــيـــر ذاتك لم تقـــسم ولم تـــم
ولسـت أعـــجب ممن يكفـــرون بهـــا ** كـم في بـني آدم أعـــمـــى من الـنـعم
دعـــيت في الذكـــر بالأمي تـكرمـــة ** يـا مـــعـــجـز القـول والأفـــعـال والشيم
لم تفش للعلم قـــبل الوحى مـــدرســـة ** تنعـــم ولا كـــنـــت ذا لـــوح ولا قـــلـم
نشـــأت بين أناس لا خـــلاق لـهـم ** والجـــهل قـــد عم في ســـهـل وفي علم
فـــأين أهل كـــتـــاب لا وثوق بـه ** قـــد حـــرفـــوه وقـــوم عـــابدى صنم
من ذا هداك إلى الإســـلام من صـــغـــر ** فـلـم تـهـم إلى فـــحـــش ولـم يـهـم
حـــتى أتاك أمين الوحى منتـــدبـا ** لتـــخـــرج النـاس من ظُلم ومن ظُلم

فجئتنا بكتاب كله عجب .. فيه انطوت أعدل الأحكام والنظم
حوى العقائد والأخلاق واكتملت .. فيه السياسة للأفراد والأمم
أهديت للدين والدنيا به قبسًا .. من العلوم ونبراسا من الحكم
وقد تحديت أرباب البيان به .. فلم يحاكوه في معنى ولا كلم
هذا هو الحق وحي الله جئت به .. وقد هديت به جمعا من الأمم
يا خير منتصف للحق منتصر .. وخير متصف بالعدل متسم
رمت الخلافة للصديق مؤثره .. على ابن عمك رب السيف والقلم
لأنه كان ذا فضل وسابقة .. وكان عندك أوفى صحبك القدم
أمرتهم أن يصلوا خلف حضرته .. ليعرفوا أنه الوالي لأمرهم
وقد أتتك سبايا الحرب وافرة .. والجود مقتبس من بحرك الخضم
كم حاولت بنتك الزهراء طالبة .. من تستعين به في البيت والخدم
فقلت والله لا أعطيك خادمة .. وأترك الناس في ضيق وفي أزم
أبيع ما ملكت كفي وأطعمهم .. وأنت يكفيك ذكر الواحد الحكم
لله لله ما أسماك من بشر .. ثانيك والله لم يعهد ولم يشم
طويت بطنك من جوع على حجر .. وأنت ما لك ما في الأرض من نعم
أو شئت مثل الجبال الشم من ذهب .. أو شئت مثل الملوك الغر من خدم
لكن عففت عن اللذات مكتفيا .. بالباقيات وفيها منتهى الشمم
أعطيت فوق ذوي الأموال أي غنىً .. وصولة فوق ما للأسد في الأجم
كم من ملوك لك انقادوا طواعية .. قد آثروك على تيجان ملكهم
لم يرغبوا منك في مال ولا نشب .. أو يسلموا لك عن خوف من النقم

كانوا عظاما وكانوا مثل آلهة .. يسخرون عباد الله كالغنم
فأصبحوا ورعاياهم سواسية .. بعزة الملك قد ضحوا وبالحشم
دعاهمو لك دين واضح وسنا .. على محياك باد غير... منكتم
يا نفس لا تضجرى هما ولا جزعا .. فقد وثقت بخير الخلق كلهم
إن لم أكن أنا.. ذا تقوى وصالحة .. كفى النجاء لجاه المفرد العلم
تأملى أنت يوم الفتح كيف عفا .. عن المشين لم يثأر ولم يلم
جفوا على صحبه شجوه فى أحد .. تناولوا فيه شر القول والتهم
فلم يكلفهمو عن نفسه عوضا .. ولم يطالبهمو عن صحبه بدم
لوذى بساحته تلقى براحته .. منا جزيلا بلا من ولا سأم
وكيف يقطعنى الهادى ولى نسب .. فى عمه السيد العباس ذى القدم
وإن لى ذمة منه بتسميتى .. محمداً وهو أوفى الخلق بالذمم

●●●

تحية يا أبا الزهراء طيبة .. من أطهر الحب لا من أطرب النغم
ياليت ريح الصبا تسرى بها سحراً .. إلى ضريحك معنى الجود فى اضم
إلى الضريح الذى لما وقفت به .. جرت دموعى له تنهل كالديم
الآن قد بعدت دارى وجدد لى .. بعد المسافة أضعافا من الألم
لكن روحك فى الآفاق سارية .. ترى وتسمع من بعد ومن أمم
فأنت تسمعها منى وبعدتى .. منك القبول ولو أنى أخو صمم
ورب نظرة عطف منك واحدة .. تحمى مواتى وتشفينى من السقم
دامت عليك صلاة الله ما طلعت .. شمس النهار ولاح البدر فى الظلم

عداوة أمريكا وصداقتها ٣

الشعوب ليست قطعانا من الماشية إنما هي مخلوقات رفيعة المستوى

يواصل الأستاذ الدكتور عبدالعظيم المطعني تحليل آراء الأستاذ الدكتور عبدالحميد الأنصاري عميد كلية الشريعة والقانون بجامعة قطر في الحوار الذي نشرته جريدة الراية القطرية أوائل يناير الماضي مطلع عام ٢٠٠٢م.

مع ملاحظة أن هذا الرد تسلمته المجلة كاملاً وتنشره على حلقات. فهو لا يعلق على أحداث جارية أو مصاحبة للنشر.

للأستاذ الدكتور / عبدالعظيم المطعني

سأل المحرر الدكتور العميد هذا السؤال: «في تصورك هل أمريكا على علاقة عدائية مع الإسلام والمسلمين والعرب، كما هو الطرح السائد لدى قطاع من الرموز الدينية والفكرية والسياسية، ولدى الأوساط الشعبية؟».

وكان مما ذكره العميد في الإجابة:

«من الأخطاء الكبيرة التي نرتكبها بحق أنفسنا أن نصف علاقتنا بالغرب أو بأمريكا بالعداء، بل إن ذلك من الخطورة التي تصل إلى حد التهلكة والانتحار والعزلة والتهميش. والسماح بوصول العلاقة إلى حالة العداء يعني أننا على استعداد للتفريط بكل المنجزات التي حققناها على مستوى المعيشة التي نحياها، لنقبل بمستويات عيش دول صنفت بمعاداة أمريكا، كالعراق والسودان وإيران.. بل إنه من الحماقة أن نترك المشكلات المتعلقة بقضية الصراع العربي الإسرائيلي لتدفعنا إلى حافة الهاوية.».

هذا الكلام سبق الرد على بعضه من قبل، بيد أن فيه جديدا يجب مناقشته.

فالعميد يخشى كل الخشية إذا سلمنا بأن أمريكا عدوة للإسلام والمسلمين والعرب، يخشى أن تنقطع أرزاقنا ويهلكنا الحرمان، وكأن أمريكا هي الخالق الرازق المدبر لشئون العباد!.

ويضم الدكتور العميد إلى هذه العلة المرفوضة، علة أخرى منكرة، هي دعوته إلى التخلي عن الصراع العربي الإسرائيلي، وفي مقدمته - بالطبع - مشكلة بيت المقدس ومسجده الشريف، ناهيك عن مأساة الشعب الفلسطيني المتآمر عليه عالميا.

فمن نصائح الدكتور العميد لأمته: أن تترك الاهتمام بالصراع العربي الإسرائيلي - بكل أشكاله؟ ولماذا تتركه الأمة يا ترى؟

يقول الدكتور العميد: لئلا يدفعنا إلى حافة الهاوية؟! هكذا ورب المشارق والمغارب..؟

أليست هذه دعوة إلى الاستسلام المهين؟! حتى أمام أعدى أعداء الله والإنسانية (إسرائيل).. إن معنى ترك الأمة للصراع العربي الإسرائيلي هو - لا محالة - إسقاط الطرف الأول (العرب) من طرفي ذلك الصراع؟

ومعنى هذا - مرة أخرى - أن يبقى الطرف الثاني وحده (إسرائيل) في ميدان الصراع دون مصارع يصارعه.. ولتفعل إسرائيل - بعد ذلك - ما تشاء.

تهدم المسجد الأقصى، وتقيم على أنقاضه معبدا يهوديا وتنقل عاصمتها من تل أبيب إلى القدس الشرقية، ثم يتتابع نقل السفارات الغربية، وفي مقدمتها سفارة أمريكا وأول الغيث قطرة ثم ينهمر، كما يقول المثل العربي الحكيم.

ثم لتقم إسرائيل مملكتها الكونية، التي تعدهم بها توراتهم المحرفة عاصمتها من النيل إلى الفرات.. أليس هذا هو المصير لترك الأمة الحبل على الغارب لإسرائيل، وتقول لإسرائيل ما قاله «متيم عزة» لـ «عزة»:

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة
لعزة من أعراضنا ما استحلت

أرى بكل وضوح أن الدكتور العميد أبعد النجعة في أفكاره هذه عن أصول الإسلام وفروعه، وعن الواقع المرير الذي تعيشه أمته، وعن الإجماع العربي والإسلامي على حد سواء.

عزيزنا الأستاذ الدكتور العميد:

إن الشعوب ليست قطعانا من الماشية تعلف لتسمن ويطيب لحمها لآكليها، وإنما هي مخلوقات لله رفيعة المنزلة، كرمها الله وفضلها على كثير ممن خلق تفضيلا، ووهبها من الخصائص الجسدية والعقلية والنفسية ما جعلها أهلا لحمل أرفع مسئولية في الوجود، مسئولية التكليف وحمل الرسالة الإلهية لتعرف لله قدره، وتخصه بالولاء في كل ما تقول، وفي كل ما تفعل.

فكيف يسوغ لنا، ونحن أمة حملها الله آخر رسالاته وأخلدها وأعمها.. كيف لنا أن نقدم امتلاء بطوننا بما لذ وطاب من الطعام والشراب، والنوم على الفراش الوثير، والراحة والدعة، على القيام بواجبنا نحو الله ونحو أنفسنا ونحو الإنسانية جمعاء؟

عزيزنا الدكتور العميد:

إن عمداء الكليات العلمية عهدناهم متجانسين مع مناهج الدراسة في كلياتهم، وأنت منهم، ولا نظن أن الآية التي سنذكرها غائبة

عنك، لأنها من أشهر أدلة الشريعة، التي أنت عميد لإحدى كلياتها، والآية هي: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾(١).

قارن ما دعوت أنت إليه، وما خاطب الله به الأمة وتبين هل بين القولين وفاق أم بينهما تناقض مائة في المائة.

ولمن تستجيب الأمة يا ترى لك أم إلى الله مالك السموات والأرض؟

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾(٢)

وتأمل جيدا عبارة «لما يحييكم» أي لما يرفع شأنكم ويحفظ عليكم عزتكم بالإيمان والطاعة.

ومن اللافت للنظر حقا، أن هاتين الآيتين وردتا في سورتين جاءتا في المصحف (الأنفال - التوبة) متجاورتين.

وأن كلا منهما يحمل الرقم (٢٤) يا سبحان الله:

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾(٣).

وهل نسي الدكتور العميد عبر التاريخ ومواعظه، وكيف يفعل الترف والاسترخاء بالأمم والدول والشعوب؟

فقد أجمع المؤرخون، أن دولة بني العباس، وكانت أرسى قواعد من دولة بني أمية، وأطول عمرا، كان من أبرز عوامل سقوطها، الانغماس في الترف وأفانين النعم والملذات والارتماء في أحضان القيان والحظيات، والانصراف عن حماية الحق، ورعاية الفضائل.

وكذلك سقوط الدولة الإسلامية في الأندلس. أفني شبابها وحطم عودها الإغراق في الشهوات الماجنة، وليالي الأنس والطرب. حتى لقد نعى شاعرهم حظ الدولة، وبين أسباب ضعفها وانحسارها، مصورا ذلك في هذه الأبيات الباكية بغير دموع:

كنا ملوكا في أرضنا دول
نما بها حتى أفنان من النعم
فأيقظتنا سهام للردى لضبت
ترمي بأقطع رمي من بهن رمي
وصار ما كان من ملك ومن ملك
أشلاء شالت مع العقبان والرخم

إنها لقطات بالغات في سنن الحياة والملمات، ومن قبل، قال شاعر عربي يمدح قومه، لأنهم لم يكونوا في الشدائد عبيدا لشهواتهم، وإن كانت من الحلال الطيب:

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم
عن النساء وإن باتت بأطهار

حتى امرؤ القيس، شاعر الفسق والمجون، تنبه إلى هذه الطريقة في ملاقاة الخطوب.

---

(١) التوبة: ٢٤.
(٣) ق: ٣٧.
(٢) الأنفال: ٢٤.

فقد قتل أبوه، وهو - أعنى امرأ القيس - مخمور لا يكاد يفيق من غيبوبة الخمر. فقال له الناس: «كيف تحتسى الخمور وأبوك قد قتل، أرادوا أن يحمسوه للأخذ بثأر أبيه فقال لهم:

«اليوم خمر وغدا أمر» واعدا إياهم بترك الملذات، والتفرغ لدفع العار عنه.

مع هذا كله تأتى دعوة الدكتور العميد للأمة كلها بأن تبيع عزتها وكرامتها وحرماتها ومقدساتها بامتلاء البطون، ولذة الجسوم، ومتعة الملمس والمنظر، ولو فعلت الأمة هذا خاصمها خالق الأرض والسموات، وما فيها وما بينهما، فوق خصومة أعدائها لها، ألم يقل رب العزة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ۝ إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(1).

ومما غاب عن الدكتور العميد أن استرداد القدس ومسجده الشريف، واجب على المسلمين كلهم، لا على العرب وحدهم، ولا على الشعب الفلسطينى وحده، فكيف يدعو الدكتور العميد الأمة إلى ترك دورها فى الصراع العربى الإسلامى، الإسرائيلى؟ ولأى شىء تتفرغ الأمة بعد انسحابها من هذا الصراع؟ أتتفرغ للأكل والشرب وركوب السيارات الفارهات، والتردد بين المتنزهات والأندية؟ أم ماذا تفعل ياترى؟

ثم يقول ضمن هذه الفقرة:

«إن جانبا كبيرا من الطرح الدينى والقومى طرح انتحارى مهلك، ونحن غير مستعدين لتكلفته.. وكان من قلة المسئولية، وعدم الوعى أن ندع هذا الخطاب الأعمى يقودنا إلى التهلكة معصوبى الأعين».

ونقول: هذه العبارة وصلة بين ما تقدم عليها، وما تأخر عنها، لأن الدكتور العميد أخذ على عاتقه الدفاع عن أمريكا، وإظهارها فى كل سطر من كلامه على أنها هى الضحية المعتدى عليها. وأن العرب والمسلمين هم المعتدون الآثمون على الحمل الوديع أمريكا. ويصف حركات بعث الوعى فى فصائل الأمة دينيا وقوميا بأنها طرح انتحارى مهلك، ومع هذا - وهو يدعو الأمة للاستسلام - يقول: «وليس المقصود هنا تثبيط الهمة، أو التخويف، أو عدم التضحية فى سبيل الدين والوطن».

ولست أدرى بأى وجه من وجوه الاعتذار المقبول، ينفى أن كلامه هذا ليس تثبيطا. وهو فى الواقع عين التثبيط، ودعوة إلى تجريد الأمة من عناصر القوة فى عصر لا يفهم إلا القوة، بل القوة الغاشمة، وهى التى تكتوى بلهيبها الآن، ثم أخذ الدكتور العميد يسرد حسنات أمريكا نحونا، ونسى فى غمرة الانتشاء بالدفاع عنها، فعد خروج إسرائيل من لبنان حسنة من حسنات

---

(1) التوبة: ٣٨، ٣٩.

أمريكا، ولولا أمريكا ما خرجت إسرائيل من جنوب لبنان؟!

يا سعادة العميد، أنت تعلم، والعالم كله يعلم، أن إسرائيل خرجت من لبنان هاربة مذعورة، وأن الذى أخرجها ليس أمريكا ولا مفاوضات جرت بين الطرفين، بل إن أمريكا فوجئت بهروب إسرائيل من لبنان.

إن الذى أخرج إسرائيل من لبنان هو الجهاد الإسلامى، الذى تدعو أنت لإلغائه، باعتباره شكلا من أشكال الإرهاب فى نظر أمريكا، بل وفى نظر إسرائيل!

وكاتب هذه الرسالة سمع المجاهد الكبير حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله البطل، فى مؤتمر علماء الإسلام الذى انعقد فى بيروت (٩-١٠ يناير ٢٠٠٠م) وكنت واحدا من المشاركين فيه، سمعناه يقول فى أحد اللقاءات التى تمت على هامش المؤتمر:

«إن الرجال الذين حرروا لبنان من الاحتلال الإسرائيلى لم يكونوا خريجى جامعات، بل كانوا خريجى المساجد» الله أكبر، الله أكبر. بل كانوا خريجى المساجد، فأين فضل أمريكا - أيها العميد - فى هذا الحدث العظيم؟ إنه نصر مشرف حققه الجهاد الإسلامى، على أيدى فتية آمنوا بالله وزادهم هدى.

ولهذه الاعتبارات أدرجت أمريكا حزب الله فى قائمة الجماعات الإسلامية الإرهابية؟!

ولهذه الاعتبارات - كذلك - طالبت أمريكا بعض الدول الإسلامية بإعلامها بأسماء خطباء المساجد النشطين، الذين يبثون روح الجهاد لمقاومة أى عدوان تتعرض له الأمة، لتعاقبهم أمريكا باعتبارهم أفرادا «ضمن قاعدة» أسامة ابن لادن.

ولهذه الاعتبارات كذلك، يؤسفنا نحن العرب والمسلمين أن نرى قائدا منا فى مجال العلم والمعرفة ينساق وراء أهواء أمريكا، ويدعو إلى وقف خطباء المساجد الذين يبثون الوعى الدينى والسياسى والقومى بين شباب الأمة، التى تكالبت عليها الأمم، كما تتكالب الأكلة على قصعتها.

أليس من حق الأمة رد أى عدوان يقع عليها بكل ما تملك من وسائل، أم عليها أن تأخذ جلاديها وسلاخيها بالأحضان.

رحم الله الشاعر حسن الغاياتى إذ يقول:

لا نلوم المستبد إذا استبد

فشأنه أن يستبد، وشأننا أن نستعبد

ولم يقف دور المساجد عند تحرير لبنان، بل كان له وجود فى الجزائر ضد فرنسا، وفى ليبيا ضد إيطاليا، وفى أفغانستان ضد الإنجليز، وفى إيران ضد الإنجليز كذلك، ثم فى فلسطين الآن كما يعلم الخاصة والعامة.

فالانتفاضة الشعبية الفلسطينية الباسلة، التى تصنع المعجزات الآن، هى وليدة المساجد، وكانت تسمى فى أول عهدها: «انتفاضة أطفال المساجد» ثم سميت فيما بعد، ولست أدرى لماذا؟ بـ «انتفاضة أطفال الحجارة»، وها هى ذى قد شبت عن «الطوق» وبلغت أشدها، وزلزلت الأرض تحت أقدام إسرائيل، غير عابئة بما يصيبها من عدو مدجج بأحدث أنواع الأسلحة،

التي تمدها بها أمريكا أو تصنعها هي. ولكن ذلك لم يفت في عضد الشعب المؤمن البطل، الذي يحمل أرواحه في يديه، ويتصدى بكل قوة لحماقات العدو، لم يرهبه أزيز طائراته، ولا هدير مدافعه، ولا تساقط صواريخه، ولا محاصرات قواته، وقد أصابت هذه الانتفاضة المباركة إسرائيل بأضرار جسيمة:

سلبتهم الأمن وأذهبت النوم عن أعينهم، وهجرت سبعمائة ألف يهودي من إسرائيل إلى خارج إسرائيل.

وحولت فنادقها السياحية إلى كهوف مظلمة مهجورة وأنطقة الركوع لغير الله - عز وجل - وإنهم لمصممون على مواصلة النضال مهما طالت المعارك، ومهما تخلى عنهم العالم.. هذا هو دور المساجد في دحر الأخطار والحفاظ على الحرمات والمقدسات.

عزيزنا الدكتور العميد: إن الدعوة إلى إعدام دور المساجد، أشد خطورة على الأمة من الدعوة إلى تسريح جيوشها، كلتاهما موت.

إن الدكتور العميد ركز كثيرا في حواره مع جريدة «الراية» على المساجد وخطبائها، وعلى المقالات الصحفية، والندوات القضائية، التي تندد بمواقف أمريكا من المشكلات والقضايا العربية والإسلامية، ويتحمس كثيرا لوصف هذه الجهود بالطرح الناري، ويظهرنا - نحن العرب والمسلمين - بالمعتدين على أمريكا المتطاولين على «قداستها وطهرها وبراءتها» ولم يذكر لنا حسنة واحدة صنعتها مع أمريكا وهذا تحريف فظيع للواقع المحسوس، الذي لا يخفى على أحد ثم يصر على تخطئتنا إذا قلنا: إن أمريكا والغرب يعاديان الإسلام؟

وفي الرد على هذا الادعاء نختصر الحديث في أمرين:

الأول: بعد الحرب العالمية الأولى، وسقوط الدولة الإسلامية الكبرى كتب الغربيون سياسيون، وعسكريون، ورجال دين، ومفكرون، كتبوا مائة مشروع في صورة مقترحات لاحتواء العالم الإسلامي أو القضاء عليه، وقد ذكر هذه المشروعات ومضامينها المجاهد الإسلامي الكبير، الأمير شكيب أرسلان في تعليقاته على كتاب «حاضر العالم الإسلامي» تأليف لوثروب ستودارد الأمريكي (جـ ١ من ص ٢٠٨ إلى ص ٣٢٣) أي: خمس عشرة ومائة صفحة، وليرجع القارئ إليه إن شاء، لأن فيه مفاجآت كثيرة مذهلة.

الثاني: الإحصائية التي قام برصدها الأستاذ إدوارد سعيد (مسيحي فلسطيني) حول ما كتبه المبشرون والمستشرقون الغربيون، فقد بلغت ثلاثة وستين مجلدا خلال مائة وخمسين عاما، من عام ١٨٠٠م إلى ١٩٥٠م. وكلها ضد الإسلام وتشويه حقائقه؟!

ومن يدري كم كتبوا في المدة من ١٩٥٠ م إلى عام ٢٠٠٠م.

فماذا يقول الدكتور العميد بعد هذا؟ أيصر على رأيه أن الغرب وأمريكا يعاديان الإسلام؟

ثم بماذا يفسر حماية إنجلترا لسلمان رشدي بعد تهجمه على الإسلام، والطعن في رسوله الكريم، وزوجاته أمهات المؤمنين؟

أهذا يصدر عن محب للإسلام أم عن كاره له يناصبه العداء وبلا مبرر؟

كتاب الشهر

من هو اليهودي؟!

تأليف

د/ عبدالوهاب المسيري

١

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

من ينظر إلى اليهود عبر تاريخهم الممتد يجد نفسه يتعامل مع كيانات ضبابية ملساء، فلا يكاد يقترب منها حتى تزداد المسافة بينه وبينها اتساعا. وإذا ما حاول أن يتلمسها أو يتحسسها وجد يديه تطيشان فى الهواء، فيخيل إليه أنه ساذج رأى خيالا مثل تلك الخيالات التى تصنع بأشعة الليزر فظنها حقيقة جسمية، فلما أقدم على تلمسها أدرك أنه يتلمس الهواء.

فإذا ما حاول التعرف على هذا الكيان من اليهود أنفسهم لم يحصل إلا على ذلك الوهم الخيالى، حتى أصبح اليهودى طلسما لا تدرى هويته، ولا تحد أبعاده، ولا يوقف على كنهه.

وليس هذا الغموض والإبهام ناشئا عن خصوصية فى أصل التكوين، أو شذوذا عن سائر الأمم والأجناس، وإن كانوا هم - فى مزاعمهم - يتوهمون ذلك، ويوهمون الآخرين به؛ إذ أداروا حياتهم على هذا المحور المزعوم (شعب الله المختار).

اليهود فى تعريف القرآن وغيره من الكتب السماوية

فاليهود - كغيرهم من الشعوب - ناس من الناس الذين خلقهم - الله سبحانه وتعالى - من ذكر وأنثى، وجعلهم شعوبا وقبائل مختلفة الألسن والألوان بسبب البيئات والمواقع؛ لينتشروا فى الأرض، ويحصلوا ما بث الخالق فيها من المعارف والمعالم والعلوم، كى تكون وسيلة التقاء من جديد وتعارف وتآزر على أداء دور الخلافة، والإفادة مما تضمه الأرض من معادن وكنوز، لا وسيلة تنافر، ولا سبب تعال وتكبر وتجبر، وهيمنة، ولا أساس تميز وتفاضل.

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾(١).

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(٢)

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ﴾(٣).

وقد أطلق على هذا الشعب من الشعوب البشرية اسم (اليهود) إما لانتسابهم إلى (يهوذا) أكبر أولاد يعقوب - عليه السلام - حيث تجيز العربية قلب الذال دالاً. وإما لانتمائهم إلى تلك الجماعة من بنى إسرائيل الذين اتخذوا من عجل السامرى إلهاً، ثم هادوا إلى بعد ذلك ورجعوا،

(١) الروم: [٢٠]

(٢) الحجرات: [١٣]

(٣) الروم: [٢٢]

وأعلنوا توبتهم ورجوعهم عن عبادته فقالوا:

﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾(٤).

إذ الهوْد يعني التوبة، على ما رواه القرطبي عن مجاهد وأبي العالية وقتادة(٥) فهم - على كلا الاحتمالين - فرع من بني إسرائيل.

ثم إن من هؤلاء اليهود من تلاعب بالحقيقة، وحرف كلام الله عن مواضعه، فإذا كلم رسول الله ﷺ لوى لسانه ليعيبه، ويطعن في الإسلام.

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ﴾(٦).

ومنهم من آثر الاستجابة للكذب وترويجه في مواجهة الإسلام، وآزر كل من يعادي الإسلام من أهل الشرك وغيرهم، وطووا قلوبهم على الرجس والحقد والبغضاء.

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟﴾(٧).

فما بين اليهود وبين غيرهم من الناس، وما بين بعض اليهود وبعضهم الآخر من تباين لا صلة له بالأعراق، وأصول الإنسان، وإنما منشأ ذلك هو السلوك والمعتقد والأخلاق.

فاليهود - في المفهوم القرآني - أولا وآخرا شعب من الشعوب التي جعلها الله، حيث خلق الناس جميعا من ذكر واحد وأنثى واحدة استلت من هذا الذكر الواحد، من كل ما يزيل شبهات التنوع العرقي ... وهؤلاء اليهود جميعهم - كذلك - أبناء يهوذا أو أبناء من هادوا إلى الله ورجعوا عن عبادة العجل.

وقد ظل مفهوم اليهود محصورا داخل هذا الإطار القرآني والسلوكي حتى مشارف العصر الحديث، حيث عمل بعض السياسيين وذوي المآرب على استغلال التراث اليهودي في استحداث مفاهيم أخرى لليهود، صنعت منهم تلك الكيانات الضبابية التي كادت تجعلهم كيانات خيالية أسطورية لا وجود لها في الحقيقة.

الفرار من شتات إلى شتات

ولكن الأستاذ الدكتور عبدالوهاب المسيري رأى أن يقتحم تلك الظلمات المتراكمة؛ باحثا عن حقيقة اليهودي الذي نتعامل معه في هذا العصر الحديث، والتي يشار لها في الخطاب السياسي والإعلامي الإسرائيلي والغربي، فكان هذا الكتاب (من هو اليهودي؟!)

وهو كتاب صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٩٧م، وفي سنة ٢٠٠١ قدمته دار الشروق

---

(٤) الأعراف: [١٥٦].
(٥) تفسير القرطبي: ١/ ٢٩٤، ٧/ ١٨٨.
(٦) النساء: [٤٦].
(٧) المائدة: [٤١].

بمصر في طبعته الثانية مع إضافة المبحثين الأخيرين، فشغل اثنتي عشرة صفحة ومائة من القطع المتوسط، وضم مقدمة وثلاثة عشر فصلا.

ولقد أدار الدكتور المسيري بحثه هذا في أربعة محاور، تردد فيها بين الرؤية التاريخية، والاجتماعية، والسياسية، والدينية، منبهاً في مقدمته إلى ما يتعرض له المجتمع الإسرائيلي من اضطرابات خطيرة تتهدده بسبب التيه الذي يطوي الهوية اليهودية، فيفرض عليهم شتاتا من نوع آخر أوقعتهم فيه أطماعهم ونزواتهم، بدلا من شتات التوزع بين قارات العالم المختلفة، على الرغم من تجمعهم في تلك البقعة المحدودة من الأرض التي انتزعوها من أصحابها، وأطلقوا عليها (دولة إسرائيل) على أمل خلاصهم من الشتات الذي ورثوه عن الآباء والأجداد.

فإن تجمعهم في الأرض الجديدة، وتوافدهم عليها من شتى الأصقاع استوجب البحث عن هوية يتمركزون حولها، ويتوافدون تحت لوائها، ويتخلصون بها من الصراعات العرقية والعنصرية التي توشك أن تقضي على هذا الكيان الملفق المصطنع، وتجعل من دولتهم الوليدة سرابا.

وقد رصد الدكتور - في مقدمة الكتاب - نماذج من هذا الصراع، كل نموذج منها يمثل توجهاً من توجهات هؤلاء المتوافدين والمهجَّرين من شتى بلاد العالم ليقيموا دولة يأملون بها أن يقضي على ما أصيبوا به من شتات وتوزع عبر قرون متطاولة.

ومن هذا الرصد يقرر الدكتور أن قضية تعريف اليهودي قضية دينية وسياسية، بل وقضية مصيرية تنصرف إلى رؤية العالم والذات، وإلى الأساس الذي يستند إليه تضامن هذا المجتمع الجديد.

ولا أدل على ذلك من أن هذه القضية قد أثيرت بشكل دائم في الكيان الصهيوني منذ تأسيسه، ومازالت مثارة بشكل حاد إلى يومنا هذا. من كل ما يؤكد زيف الفكرة القائلة: (إن اليهود يشكلون شعبا لا أرض له) كما يصرح بذلك الواقع العرقي للمستوطنين من الصهيونيين في أرض فلسطين.

بل إن واقع الجماعات اليهودية خارجها يتحدى تلك المزاعم الصهيونية، ويقرر أن شتات الفكر والعرق قد طواهم بعد أن توهموا أنهم تخلصوا من شتات الأرض.

فرض قضية (الهوية اليهودية)

وينبه الدكتور المسيري إلى أن الجميع - يهودا وغير يهود - يقعون في خطأ حين يتحدثون عن اليهود، كما لو كانوا كيانا واحدا، لأنهم بذلك يخضعون للرؤية المثالية للهوية اليهودية، ويغفلون الواقع اليهودي وما يضم من تناقض صارخ، وتعارض بيِّن.

ويصرح بأن إغفال هذا الواقع اليهودي إنما نشأ عن أن التركيب الطبقي في الهويات اليهودية لم يلحظ من الكثيرين بسبب انفصال أعضاء الجماعات اليهودية ووجودهم في أماكن متفرقة من العالم فرضت على الهوية اليهودية أن تكون هويات مختلفة؛ لتحددها

فى غياب سلطة يهودية مركزية دينية أو دنيوية؛ فيهود (اليديشية) - وهم يهود شرق أوروبا - نتاج مجتمعاتهم، من روسى إلى بولندى إلى أوكرانى إلى غير ذلك، وكذا يهود اليمن، ويهود فرنسا.. وغير ذلك، إلى جانب من استقر فى ألمانيا وفرنسا، وانجلترا، والولايات المتحدة من يهود (اليديشية) حيث يتكلم كل بلغة موطنه.

ومع هذا التعدد والتباين فى الهويات.. يشار إليهم جميعا باسم (الشعب اليهودى) انطلاقا من افتراض وجود وحدة ما ينتظمون فى سلكها.

ولكن هذا التجمع حين وضعه الواقع موضع الاختبار - بعد إنشاء دولة إسرائيل - ظهرت آثار تلك التراكمات الطبقية، فتفجرت قضية البحث عن الهوية اليهودية الموحدة، تعبيرا عن اكتشاف أن ما يسمى (الهويات اليهودية) ليست كلاً، يتسم بقدر من التجانس، وإنما هى فى واقع الأمر تركيب جيولوجى تراكمى، وقد أظهرت مجتمعات كل من أمريكا اللاتينية، وجبال القوقاز هذه الخاصية الجيولوجية التراكمية فى الهويات اليهودية بشكل واضح.

وعلى الرغم من ذلك... ينكر الفكر الصهيونى واقع الجماعات اليهودية الحضارى الفسيفسائى التركيبى التراكمى - أو يتجاهله - ويصر على طرح فكرة الهوية اليهودية العالمية الواحدة، متوهما أن فى المقدور معالجة التعدد التراكمى باختراع مصطلحات توهم وحدة اليهود، مثل: (يهود الدياسبورا)، و(يهود المنفى)، و(الشعب اليهودى).

ولكن هذا الاختراع الوهمى لا يلبث أن يتبدد حين يصل أصحاب هذه الهويات إلى أرض إسرائيل، حيث يتضح للجميع أنهم ليسوا مجرد يهود؛ إذ يصبحون مرة أخرى مصريين، ومغاربة، وروساً.. إلى غير ذلك. ثم تتحدد مكانتهم الاجتماعية وفق تلك الهويات الوطنية أو العنصرية.

من كل ما يفرض طرح قضية (الهوية اليهودية).

تباين الهويات اليهودية عبر التاريخ

ومن خلال جولة تاريخية تأملية استقصائية قدم الدكتور المسيرى استعراضا للهويات اليهودية فى ثنايا تاريخهم الممتد، كاشفا به ما يتسم به تاريخ الهويات اليهودية من طول وتركيب، حيث غطى عدة أزمنة وأمكنة شتى، لا يربطها رابط فى كثير من الأحيان.

١ - وكانت الهوية العبرانية أولى هذه الهويات اليهودية، وقد اتسموا بها قبل تهجيرهم إلى آشور وبابل وهى هوية تستند إلى تعريف دينى قومى

وبعد التغلغل العبرانى فى أرض كنعان امتزج العبرانيون بالكنعانيين، وتزاوجوا بهم.

وبذا يمكننا أن نقول إن رؤية العبرانيين لهويتهم وتعريفهم لها كان مرناً منفتحاً إلى حدٍ ما. أما على مستوى الممارسة فكان منفتحا تماما؛ فالعبرانيون الذين تسللوا إلى كنعان كانوا قد أحضروا معهم من مصر وأرض مدين فكرة الإله الواحد، فى الوقت الذى لم تكن فيه اليهودية قد اكتمل تكوينها.

وتبنى العبرانيون كثيرا من أعياد الكنعانيين وعباداتهم وثقافاتهم، وتحدثوا بإحدى اللهجات الكنعانية والتى أصبحت تدعى (العبرية).

وحينما انتصر داود على اليبوسيين في القدس - وهم أحد بطون كنعان - ثم استيعاب هؤلاء اليبوسيين فى الجماعة العبرانية حسبما يقال.

وبعد موت سليمان انحلت تلك المملكة إلى دويلتين عبرانيتين هما: المملكة الشمالية والمملكة الجنوبية، وكان لكلٍّ مركز دينى مستقل عن الآخر، وكان ملوك هاتين الدولتين يتزوجون من أميرات أجنبيات كن يحضرن آلهتهن معهن، ويقمن المعابد لها، وينشرن العبادات الخاصة بهم بين الأثرياء. الأمر الذى يزيد من التعددية الدينية.

وثمة رأى يذهب إلي أن العبرانيين كانوا يتحدثون في تلك الرحلة بلهجات مختلفة، فلم تكن هناك هوية لغوية موحدة.

كما إن هاتين الدويلتين كانتا في حالة حرب دائمة.. ألجأت كلا منهما إلى الاستعانة بالدول الأخرى. وفي هذا الإطار يكون الحديث عن هوية عبرانية متسماً بالتجاوز، دون شك.

ومع هذا.. فإننا نستخدم أحيانا مصطلح (الهوية العبرانية اليهودية) للإشارة إلى الهوية اليهودية بعد العودة من بابل بتصريح من (قورش الأخمينى) إمبراطور فارس، فهى عبرانية فى جانبها القومى المحدد، ويهودية فى جانبها الدينى الذى لم يستكمل تحدده.

وهذا يعنى أن مصطلح (الهوية العبرانية اليهودية) قائم على التجوز والتجاوز، كما يعنى قيام مصطلح (يهودى) على التجوز والتجاوز؛ لأن معظم العبرانيين كانوا قد فقدوا لغتهم إبان الإقامة فى بابل، وبدأت أغلبيتهم تتحدث الآرامية.

فتعريف (الهوية العبرانية اليهودية) فى فلسطين لم يكن متسماً بكثير من المرونة، ولذلك طالب (عزرا) كل من يود أن ينتمى إلى الجماعة اليهودية العبرانية بأن يطلِّق زوجته الأجنبية.

مما دفع إلى ظهور جماعة السامريين التى شكلت جماعة دينية مستقلة ذات هوية دينية مستقلة، ترفض الخضوع لأوامر (عزرا) وتقاوم تعاليم الحاخامات وتفسيراتهم لأسفار موسى (التلمود)

ولكن تعريف (عزرا) الصارم للهوية اليهودية ظل سائدا حتى العصر الهلينى.

الجماعات الوظيفية

ومن هنا انتشر خارج فلسطين جماعات يهودية تشكل - فى معظم الأحيان - جماعات وظيفية، أى جماعات بشرية يستوردها المجتمع من خارجه أو يجندها من داخله، ويوكل إليها وظيفة محددة، ويعرفها فى إطار وظيفتها.

وقد التزمت هذه الجماعات بالاحتفاظ بعزلتها الأصلية والدينية عن مجتمع الأغلبية، وذلك بالتمسك الشديد بالهوية، والاحتفاظ بقدر من الاستقلال عن المحيط الحضارى الذى يعيش فيه أعضاء الجماعات اليهودية، فى الرؤية والمأكل والملبس، واللغة والعقيدة.

ويلاحظ أن أعضاء الجماعة الوظيفية لا يعيدون صياغة هويتهم من خلال عناصر

مستمدة من التراث اليهودى، وإنما من عناصر مستمدة من المجتمع المضيف الذى يعيشون فى كنفه، أو من مجتمع مضيف سابق، أو منهما مجتمعين.

وكانت أولى هذه الجماعات الوظيفية اليهودية هى الحامية العبرانية فى جزيرة (إلفنتاين) التى وطنها فراعنة مصر فى أسوان لحماية حدود مصر الجنوبية، ففقدوا علاقتهم بفلسطين، ونسوا شعائر دينهم، واختلطوا بالمحيط المصرى.

كما كانت أهم هذه الجماعات الوظيفية الجماعة اليهودية فى بابل، التى رفضت العودة إلى فلسطين، واشتغل أعضاؤها بالتجارة والربا، فتحولوا بالتدريج حتى صاروا جماعة وظيفية وسيطة، ونسوا العبرية، وكان لهم علماؤهم ومدارسهم الدينية، وتوجههم الثقافى الذى تطور بهم حتى أصبحوا فى مرحلة من المراحل مركز اليهودية الأساسى فى العالم.

وهكذا تفتت الهوية اليهودية فى هذه الجماعات مع ظهور المفهوم الدينى القائل بأن شريعة الدولة هى الشريعة التى يجب أن يتبعها اليهودى فى حياته العامة.

وهكذا ... شهد العصر الهلينى تخلخلا فى الهوية العبرانية اليهودية فى فلسطين، خصوصا فى القرن الأول قبل الميلاد، والقرن الأول بعد الميلاد لأسباب عديدة أدت إلى ذلك التخلخل، من أبرزها:

١ - جاذبية الحضارة الهلينية وقبولها أى يهودى متى أجاد اللغة اليونانية، ومارس أسلوب حياتها؛ ولذا انجذب أعداد كبيرة من العبرانيين اليهود إليها.

٢ - عدم تحدد الهوية العبرانية اليهودية بشكل صارم داخل فلسطين ذاتها.

٣ - خوض الدين اليهودى تحولات عميقة فى تلك المرحلة نتيجة احتكاكه بالفكر الهلينى، حتى كانت كلمة (يهودى) فى تلك المرحلة التاريخية تضم تعريفات كثيرة متضاربة.

٤ - قيام اليهود الفريسيين - وهم أبناء الطبقة الوسطى - بطرح رؤية جديدة للهوية تحررها من المفهوم القديم المرتبط بالمجتمع القبلى العبرانى، أو المجتمع الزراعى الملكى، أو المجتمع الكهنوتى.

٥ - نشوب الصدام بين الإمبراطورية الرومانية والقيادات الشعبية العبرانية اليهودية فى فلسطين، التى أجهدها دفع الضرائب.

٦ - انتشار الجماعات اليهودية فى العالم نتيجة الهجرة من فلسطين والتهود.

إلى غير ذلك من الأسباب والعوامل التى كانت وراء هذا التخلخل.

جماعات.. لا هويات

لقد كان لهذه العوامل وغيرها دور فعال فى تفتيت الهوية اليهودية على المستويين الدينى والقومى داخل فلسطين وخارجها، من كل ما يؤكد أن تحطيم الهيكل على يد (تيتوس) لم يكن سبباً مباشرا فى القضاء على الهوية

العبرانية اليهودية. وإنما كان تجسيداً لعملية تاريخية مركبة وتعبيرا نهائيا عنها، أدى إلى القضاء على هذه الهوية، بعد تفتيتها.

ويمكن القول بأن الهوية العبرانية، والهوية العبرانية اليهودية ذات التوجه القومي قد اختفت تماما، عند هذه النقطة التاريخية؛ فلم يعد ممكناً – منذ ذلك التاريخ – التحدث عن (عبرانيين)، ولا عن (عبرانيين يهود)، وإنما عن (أعضاء الجماعات اليهودية)، وعن هوياتهم المختلفة.

فعلى المستوى الديني.. كان هناك تجمع (السامريين) بمفهومه الديني، في مقابلة التجمعات الأخرى بمفاهيمها الخاصة كذلك، مثل (الصدوقيين)، و(الفريسيين).

وعلى المستوى القومي.. كان يهود فلسطين المتأغرقون، ويهود فلسطين السامريون، ويهود فلسطين المتهودون من أبناء (الإيطوريين)، و(الأدوميين)، ويهود مصر المتأغرقون، ويهود جزيرة (الفنتاين)، ويهود روما الذين كانوا يتحدثون اليونانية واللاتينية، كما كانت توجد جماعات يهودية في آسيا الصغرى، وفي ليبيا، وفي أنحاء أخرى متفرقة من أوروبا.

ومما زاد من عدم تجانس الجماعات اليهودية، انتشار اليهود في أنحاء العالم دون وجود سلطة مركزية دينية أو قضائية في فلسطين، أو في غيرها من الأماكن.

لكل هذا تطورت كل جماعة يهودية على حدة – دينياً وقومياً – بمعزل عن الأخرى.

وظلت كذلك إلى أن انتشرت المسيحية في الغرب، وانتشر الإسلام في الشرق، فظهرت جماعات أخرى احتفظت بعناصر من التجمعات القديمة، إلى جانب ما دخل عليها من عناصر جديدة.

ومن هنا.. ظهر ما يمكن أن يطلق عليه (هوية يهودية عربية إسلامية)

وازدادت الهوة اتساعا بين الهويات اليهودية في الشرق والغرب؛ فيهود الأندلس والعالم العربي يتحدثون العربية ويكتبون بها، ويهود فرنسا يتحدثون برطانة فرنسية ويكتبون بالعبرية، ثم ظهرت (اليديشية) لغة (الأشكناز) في شرق أوروبا، و(اللادينو) لغة اليهود (السفارد) في حوض البحر المتوسط، ويهود (الرومانيوت) الذين يتحدثون اليونانية، ويهود إيطاليا الذين يتحدثون الإيطالية.

وإلى هذا وذاك.. كان هناك (الخزر) في منطقة القوقاز، و(الفلاشاة) في إثيوبيا، وبني إسرائيل في الهند، ويهود الصين في كايفنج، ويهود مانيبور، والشوبشاس، واليهود السود، واليهود الأكراد، ويهود إيران، وأفغانستان، والقوقاز، ويهود البربر، والمارانو، والدونمة.

ولم يكن انتماء هؤلاء الذين إلى اليهودية الحاخامية، وإنما كان انتماؤهم إلى تقاليد دينية مختلفة، دخلت عليها عناصر دينية، وقومية محلية.

«يتبع»

معركة فى كتاب:

تهافت الفلاسفة

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

مؤلف هذا الكتاب هو حجة الإسلام، أبو حامد الغزالى، محمد بن محمد بن محمد الغزالى [٤٥٠ - ٥٠٥ هـ/ ١٠٥٨ - ١١١١م].. فقيه شافعى، ومتكلم أشعرى.. بل هو واحد من أبرز الذين طوروا مقالات ونظريات الأشعرية.. وهو، أيضا، أصولى.. وفيلسوف.. وفوق كل ذلك، ومعه، متصوف شرعى..

ولقد كان ميلاد الغزالى، وكذلك كانت نشأته، ثم وفاته بخراسان. ولد فى «الطابران» من أعمال «طوس».. ثم رحل - طالبا للعلم، ومعلما - إلى كثير من أقاليم وحواضر الإسلام.. مثل: نيسابور، وبغداد، والحجاز، والشام، ومصر.. وغيرها..

ولقد تجاوز الغزالى، فى معيار العلم الإسلامى، درجة المجتهد والمجدد، إلى حيث أصبح، فى تاريخ الفكر الإسلامى، «ظاهرة فكرية» ميزت عصره، وتركت بصماتها على مسيرة الفكر الإسلامى فيما تلا عصره من عصور.. بل لا تزال اجتهاداته وآثاره الفكرية تطبع قطاعات واسعة من الثقافة الإسلامية حتى الآن.

ومؤلفات الغزالى قد بلغت نحوا من مائتى كتاب ورسالة، كتب أغلبها باللغة العربية.. وبعضها باللغة الفارسية - ولقد ترجمت إلى العربية - .. كما ترجمت العديد من مؤلفاته إلى العديد من اللغات - الإسلامية والأجنبية - .. ومن أهم كتبه - غير كتاب (تهافت الفلاسفة) - .. (إحياء علوم الدين) و(الاقتصاد في الاعتقاد) و(معيار العلم) و(فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة) و(معارج القدس) و(المنقذ من الضلال) و(مقاصد الفلاسفة) و(فضائح الباطنية) و(المعارف العقلية) و(المضنون به على غير أهله) و(جواهر القرآن) و(التبر المسبوك فى نصيحة الملوك) و(منهاج العابدين) و(المستصفى من علم الأصول) و(ياقوت التأويل فى تفسير التنزيل) و(عقيدة أهل السنة) و(ميزان العمل) و(المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى).. إلخ.. إلخ..

ولقد جمع الغزالى، فى تآليفه ودروس تعليمه، موسوعية المجدد إلى عمق المجتهد.. مع التميز بالاهتمام بتقعيد «المنهج» فى العلوم التى كتب فيها.. اهتم بهذه «المنهجية» فى مقدمات مؤلفاته، وفى ثناياها، بل وأفرد عددا من آثاره الفكرية لقضية «المنهج»، كما صنع فى (فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة) وفى (معيار العلم).. وغيرهما.

ومن أبرز الإنجازات الفكرية، التى سرت معالمها فى كل كتابات الغزالى، مواجهته الحاسمة لذلك الفصام النكد، الذى كان قد ساد فى الثقافة الإسلامية، بين «العقل» و«القلب» و«النص»، عندما غلب على الفقهاء مجافاة القلب، وعلى الصوفية مجافاة الشرع، وعلى الفلاسفة عقلانية منفلتة من الشرع والقلب معا، فدعا الغزالى إلى إحياء كل العلوم، باقتران وامتزاج العقل والشرع والقلب جميعا، لتفقه القلوب بنور العقل والشرع معا.. فيكون للناظرين نور مبعثه العقل والشرع جميعاً.

وكما كان كتابه الفذ (إحياء علوم الدين) إحياء للعلوم الشرعية بروحانية القلب المؤمن، إنقاذا لها من جفاف الشكل والصور والحركات.. فلقد كان كتابه (تهافت الفلاسفة) إسهاما فى إعادة الفلسفة إلى إطار الوحى الإلهى، وضبط العقلانية بثوابت الإيمان الدينى، وذلك من خلال الدراسة النقدية- التى قدمها هذا الكتاب- نقضا لما رآه الغزالى باطلا فى مقولات الفلاسفة القدماء- أى الإغريق-..

فمع إبداع الغزالى فى ميادين العقلانية الإسلامية الخالصة، كما تجلت فى علم أصول الفقه، وعلم أصول الدين -علم الكلام- أراد توجيه النقد لتجليات الفلسفة اليونانية فى المحيط الإسلامى، تلك التى تحررت عقلانيتها من «النقل» والوحى، فكان كتابه (تهافت الفلاسفة) نقدا للنظريات الفلسفية، ذات الأصول اليونانية، التى تبناها بعض فلاسفة الإسلام- وخاصة الفارابى [٢٦٠- ٣٣٩هـ/ ٨٧٤- ٩٥٠م] وابن سينا [٣٧٠- ٤٢٨هـ/ ٩٨٠- ١٠٣٧م]- فاقتصر النقد- فى هذا الكتاب- «على إبطال ما اختاره ورآه الصحيح من مذاهب رؤسائهم» من الفلاسفة القدماء- أى اليونانيين-..

منهاجه فى النقد

وإذا كانت العقلانية الإسلامية -كما فهمها الغزالى، ودافع عنها، وحددها- هى العقلانية المؤمنة، التى تؤاخى بين «نور العقل» و«نور الشرع»، والتى رآها «الوسطية الإسلامية الجامعة» بين النورين، والمتميزة عن غلو الظاهرية النصوصية الحرفية، وعن غلو الفلاسفة.. وهى عقلانية «أهل السنة، الذين تحققوا أن لا معاندة بين الشرع المنقول والحق المعقول.. لأن مثال العقل: البصر السليم عن الآفات والأذاء. ومثال القرآن: الشمس المنتشرة الضياء.. فالمعرض عن العقل، مكتفيا بنور القرآن، مثاله: المعترض لنور الشمس مغمضا للأجفان، فلا فرق بينه وبين العميان. فالعقل مع الشرع نور على نور»..(١)

(١) الغزالى (الاقتصاد فى الاعتقاد) ص٢، ٣ طبعة القاهرة، مكتبة صبيح، بدون تاريخ.

إذا كانت هذه هى العقلانية الإسلامية، كما آمن بها الغزالى- وكل أهل السنة- فإن منهاجه فى نقد نظريات هؤلاء الفلاسفة كان بمعيار هذه العقلانية الإسلامية المؤمنة.. فهو لم يحاكم نظرياتهم إلى الشرع الإسلامى وحده، وإنما حاكمها إلى العقل أيضا، فكان - فى هذا الكتاب- فيلسوفا إلهيا، يكشف تهافت مقولات فلسفية رآها منفلتة من ضوابط الشرع الإسلامى، ومن ضوابط العقل المؤمن أيضا..

وهو -فى هذا الكتاب- يرد على «الفلاسفة القدماء» -أى الإغريق- وعلى «المقلدين لهم».. وهو لا يكفّر الفلاسفة بتعميم وإطلاق- فلقد كان من أكثر العلماء تحرجا من التكفير-.. وإنما رأيناه يتحدث عن هؤلاء الفلاسفة فيقول: «إنهم مؤمنون بالله، ومصدقون لرسله، ولكنهم اختبطوا فى تفاصيل بعض هذه الأصول، قد زلوا فيها، فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل» فلقد «اتفق كل مرموق من الأوائل والأواخر على الإيمان بالله واليوم الآخر.. والاختلافات راجعة إلى تفاصيل خارجة عن هذين القطبين، اللذين لأجلهما بُعث الأنبياء المؤيدون بالمعجزات، ولم يذهب إلى إنكارهما إلا شرذمة يسيرة.. لا يؤبه بهم»..[2]

فهو لا يصنف عموم الفلاسفة فى خانة القلة الدهرية، الذين كفروا بالله واليوم الآخر.. فالخلاف مع هذه القلة فى الأصول، بينما الخلاف فى التفاصيل مع الفلاسفة الذين توجه إليهم بالنقد فى هذا الكتاب.

ولذلك، حصر الغزالى المقولات الفلسفية التى رأى كفر قائليها فيما رآها متعلقة «بالأصول».. وهى- فى كتابه هذا- ثلاث مسائل:

إحداها: مسألة قدم العالم، والقول بأن الجواهر فيه كلها قديمة..

والثانية: القول بأن الله ـ تعالى ـ لا يحيط علما بالجزئيات الحادثة من الأشخاص، وإنما يقف علمه عند ذاته فقط..

والثالثة: إنكار بعث الأجساد والأبدان وحشرها يوم القيامة..»[3]

وذلك، لأن القول القاطع بهذه المسائل الثلاث، فيه إنكار وتكذيب لما أخبر به الأنبياء والمرسلون جميعا، وهو مالم يعتقده أحد من فرق المسلمين ومذاهبهم.. أما ما عدا ذلك من مقولات الفلاسفة- الأوائل والأواخر- فإن لها شبها بمقالات فرق إسلامية، إن عدها البعض فى «أهل البدع»، فلقد رفض الغزالى تكفيرها.. فالتكفير خاص «بما يتعلق النزاع فيه بأصل من أصول الدين، كالقول فى حدوث العالم، وصفات الصانع، وبيان حشر الأجساد والأبدان. وقد أنكروا جميع ذلك..»[4]

●●●

(٢) الغزالى (تهافت الفلاسفة) ص٢. طبعة القاهرة سنة ١٩٠٣م.

(٣) المصدر السابق. ص٩١.

(٤) المصدر السابق. ص٩.

المقدمـــات..والفصـــول

ولقـد قسَّم الغزالى كتـابه هذا إلى أربع مقدمات، وعشرين مسألة، وخاتمة..

تحدث فى المقدمة الأولى عن طول اختلاف الفلاسفة، وكثرة نزاعهم، وتباعد طرقهم.. الأمر الذى يقطع بلا يقينية معقولاتهم، التى تغاير فى اليقين المقولات الرياضية والهندسية التى ألفوا فيها..

وتحدث فى المقدمة الثانية عن أقسام الخلاف بين الفلاسفة وبين غيرهم من الفرق..

وتحدث فى الثالثة عن منهجه فى إبطال الباطل من معقولاتهم، وكيف أنه استعان فى هذا المقام بحجج الفرق الإسلامية، حتى تلك التى يختلف معها الغزالى والأشعرية.. لأن التناقض بينه وبين هذه المقولات الفلسفية مقدم على التناقضات مع الفرق الإسلامية الأخرى «فإن سائر الفرق ربما خالفونا فى التفاصيل، وهؤلاء (الفلاسفة) يتعرضون لأصول الدين، فلنتظاهر عليهم، فعند الشدائد تذهب الأحقاد»!- وهو، بهذا المنهاج، يقدم مذهبا فى فقه وترتيب الأولويات!..

وفى المقدمة الرابعة تحدث الغزالى عن «حيل الفلاسفة»، الذين خلطوا يقين المعقولات بظنونها، وذلك عندما خلطوا علومهم الرياضية والهندسية والمنطقية بمقالاتهم فى الإلهيات، على حين أن الرياضيات راجعة إلى الحساب والهندسة، وهى لا إنكار لها ولا اختلاف فى حقائقها وقوانينها.. بينما كان الخطأ فى علومهم الطبيعية يسيرا.. وفى الإلهية كثيرا.. ولقد استعانوا بهذا الخلط، على تمويه أخطائهم فى الإلهيات بإيهام صحتها عن طريق الطبيعيات والرياضيات.. بزعم التسوية بين جميعها..(*)

... وحديث الغزالى، فى هذه المقدمة الرابعة، يعالج ذات القضية الحديثة التى تبنتها الفلسفة الوضعية الغربية، وفلاسفة التنوير الغربى- منذ عصر النهضة الأوروبية- عندما أرادوا تطبيق مناهج العلوم الطبيعية- الدقيقة والمحايدة- على العلوم الاجتماعية- علوم النفس والسياسة والاجتماع والاقتصاد.. بل والفنون والفلسفات والآداب- مضفين على نظرياتهم فى العلوم الاجتماعية والإنسانية وعلى معقولاتهم الفلسفية يقين حقائق العلوم الطبيعية وقوانينها.. الأمر الذى يختلف معهم فيه الكثيرون..

وبعد هذه المقدمات الأربع، عرض الغزالى للمسائل العشرين، التى تناول فيها تناقضات مذاهب الفلاسفة فى قضايا مثل: أزلية العالم وقدمه.. وأبديته وخلوده.. وعجز مذهب الفلاسفة عن البرهنة على أن صانع العالم هو الله.. وعلى وحدانيته، واستحالة إلهين.. وإبطال مذهبهم فى نفى الصفات الإلهية.. ولزوم القول بالدهرية لمذهبهم، ومن ثم تناقضه مع دعواهم الإيمان بالله.. ومذهبهم فى العلم الإلهى، الذى أنكروا فيه علم الله للجزئيات، وزعموا أن «نفوس السموات» هى التى تعلمها.. وكذلك مذهبهم فى السببية، الذى هو فى حقيقته مذهب «الحتمية المطلقة»، المنكرة لإمكانية خرق

(*) المصدر السابق. ص٢ - ٦.

العادة من قبل مسبب الأسباب.. ومذهبهم في استحالة الفناء على النفوس البشرية.. وإبطال قولهم إن البعث والحشر والتلذذ والتألم في الجنة والنار إنما هو بالمعاني والأرواح، لا بالأجساد والأبدان..»[6]

وكمثال على حقيقة موقف الغزالي في هذه «المسائل» -وهو موقف قد أسيء فهمه كثيراً- رأيه في «السببية».. فلقد شاع- شيوع «الخطأ الشائع»- إنكار الغزالي لعلاقة الضرورة بين الأسباب والمسببات، بينما الذي أنكره الرجل على الفلاسفة هو القول «بالحتمية المطلقة» التي لا تتخلف، في علاقة الأسباب بالمسبَّبات.. فعنده أن الضرورة- التي سماها «الاقتران» قائمة بين الأسباب والمسبَّبات، اللهم إلا إذا أراد مسبِّب الأسباب وخالقها إظهار «الإعجاز»، فإنه قادر على إحلال القوانين غير المعتادة محل الأسباب المعتادة، ليخرق بها العادة والاقترانات المعتادة.. وتأمُّل عبارات الغزالي، في هذه المسألة، لا يدع مجالاً للشك في أن هذا هو مراده.. فهو يقول: «إنا نسلم أن النار خلقت خلقة إذا لاقاها قطنتان متماثلتان أحرقتهما، ولم تفرق بينهما إذا تماثلتا من كل وجه» ثم يضيف حديثه عن الإيمان بقدرة مسبِّب الأسباب على خرق هذه الاقترانات المعتادة بإيجاد أسباب غير معتادة، فيقول -مستطرداً-: «ولكنا، مع هذا، نجوِّز أن يُلقى شخصٌ في النار فلا يحترق، إما بتغير صفة النار أو بتغير صفة الشخص، فيحدث من الله -تعالى- أو من الملائكة صفة في النار تقصر سخونتها على جسمها بحيث لا تتعداها، وتبقى معها سخونتها، وتكون على صورة النار حقيقتها.. أو يحدث في بدن الشخص صفة، ولا يخرجه عن كونه لحماً وعظماً فيدفع أثر النار».

فالغزالي لا ينكر ضرورة عمل الأسباب في المسببات، وإنما «يجوِّز» استبدال الأسباب بأخرى توقف عمل الأولى، وتعمل هي بدلاً منها.. وكما أن الجسم لا يحترق إذا هو طلي بمادة عازلة- «كالطلق»- الذي تحدث عنه الغزالي- فإن العقلانية المؤمنة «تُجوِّز» استبدال الأسباب من قبل مسبِّب الأسباب -سبحانه وتعالى- وذلك إيماناً «بمقدرات الله، التي لم نشاهد جميعها، فلا «ينبغي إنكار إمكانها، والحكم باستحالتها»..[7]

ولذلك، فنحن لا ندهش عندما نرى أن رأى الغزالي هذا- في كتابه (تهافت الفلاسفة)- هو نفسه رأى ابن رشد [٥٢٠- ٥٩٥هـ/ ١١٢٦- ١١٩٨م] في كتابه (تهافت التهافت).. الذي رد فيه على الغزالي!- فابن رشد، المناصر لعلاقة الضرورية بين الأسباب والمسببات، هو -مثل الغزالي- مؤمن بأن هناك فاعلاً وراء الأسباب المعتادة، له في المسببات فعل- بل إنه هو فاعل وموجد هذه الأسباب.. وعنده: «لا ينبغي أن يُشكّ في أن هذه الموجودات قد يفعل بعضها بعضاً ومن بعض، وأنها ليست مكتفية بأنفسها في هذا الفعل، بل بفاعل من خارج، فعله شرط في فعلها، بل في وجودها، فضلاً عن فعلها.. ولا يشك أحد من الفلاسفة في أن الإحراق الواقع في القطن من النار مثلاً، أن النار هي الفاعلة له، لكن

(٦) المصدر السابق ص٦ - ٩٠.

(٧) المصدر السابق ص٦٧، ٦٨.

لا بإطلاق، بل من قبل مبدأ من خارج، هو شرط في وجود النار، فضلا عن إحراقها»(٨)!

فلا خلاف في السببية، ولا في علاقة الضرورة بين الأسباب والمسبَّبات.. وإنما الخلاف مع القائلين «بالحتمية المطلقة»، لأن مذهبهم هذا يجعل المسبَّبات مفعولا للأسباب المادية وحدها، منكرين بذلك قدرة خالق الأسباب ومسببها على إحلال الأسباب غير المعتادة محل هذه الأسباب المعتادة..

●●●

والغزالي، الذي صاغ –في تراثنا– عبارة: «إنه لا مشاحة في الألفاظ» والمصطلحات.. هو الذي نبه على ضرورة تحديد المراد والمفهوم والمضمون من المصطلحات، كشرط من شروط صحة الجدال مع الفلاسفة، وجدوى الحوار مع الخصوم.. فإذا كان «المنطق» هو «آلة الفكر» في المعقولات، فلابد من الاستعانة على فهم الفلاسفة بفهم مصطلحاتهم المنطقية، وطرائقهم في النظر.. ولذلك، وجدناه –في (تهافت الفلاسفة)– ينبه على ضرورة الاطلاع على كتابه (معيار العلم)، الذي تناول فيه ما يسميه الفلاسفة علم المنطق.. وصولا إلى تحرير وتحديد المفاهيم، كشرط لموضوعية الحوار والجدل..(٩)

●●●

وللمكانة المحورية لكتاب الغزالي هذا، في المسيرة الفلسفية لحضارتنا الإسلامية، كان الاهتمام به– نظرا.. وشرطا.. وتعليقا.. ونقدا– من قبل كثير من العلماء والفلاسفة والنظار..

فابن رشد قد سعى إلى نقضه في كتابه (تهافت التهافت).. كما طلب السلطان العثماني محمد الفاتح [٨٣٣– ٨٨٦هـ/ ١٤٣٠– ١٤٨١م] من العلامة مصطفى بن خليل البرسوي، الملقب بـ «خوجة زادة» [٨٩٣هـ – ١٤٨٨م] أن يكتب «تحكيما» بين الغزالي وابن رشد، فكتب كتابه (تهافت الفلاسفة) الذي اقتفى فيه مذهب الغزالي، مع انتقادات وشروح وتعليقات..

بل لقد وجدنا مقالات الغزالي– في هذا الكتاب– سلاحا استخدمه خصوم «الرشدية اللاتينية– في أوربا– إبان النهضة الأوربية الحديثة.. منتصرين بهذه المقالات للإيمان المسيحي، في مواجهة «وضعية ومادية» فلاسفة التنوير..

ولقد عرف هذا الكتاب طريقه إلى الطباعة منذ مايزيد على المائة عام.. فصدرت له «طبعة حجر» في «بومباي» –بالهند– سنة ١٣٠٤هـ– ١٨٨٧م.. ثم طبعته المطبعة الخيرية –بمصر– سنة ١٣١٩هـ– ١٩٠١م– ومعه (تهافت التهافت) لابن رشد، و(تهافت الفلاسفة) لخوجه زاده.. ثم أعيدت هذه المجموعة– في طبعة الحلبي– سنة ١٣٢١هـ– ١٩٠٣م.. ثم طبع بتحقيق «الأب بويج» –ببيروت– سنة ١٣٤٥هـ – ١٩٢٧م.. ثم بتحقيق وتعليق الدكتور سليمان دنيا – في طبعة الحلبي– سنة ١٣٦٦هـ – ١٩٤٧م.. وهي الطبعة التي أخرجتها دار المعارف –بمصر– سنة ١٣٧٤هـ – سنة ١٩٥٥م.. إلى غير ذلك من الطبعات، التي تناولت حظوظها من التحقيق والدرس والتعليق.

---

(٨) ابن رشد (تهافت الفلاسفة) ص١٢٥، طبعة القاهرة سنة ١٩٠٣م.

(٩) الغزالي (تهافت الفلاسفة) ص٥، ٦.

قراءة نقدية في كتاب

عرض وتعليق
الأستاذ الدكتور
أحمد فؤاد باشا(*)

٢

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

صدرت السلسلة في يناير 1978 بإشراف أحمد مشاري العدواني 1923-1990

281

تاريخ الطب

من فن المداواة إلى علم التشخيص

تأليف: جان شارل سورنيا

ترجمة: د. إبراهيم البجلاتي

(٣) نواصل قراءتنا في كتاب «تاريخ الطب» الذي صدر مؤخراً برقم ٢٨١ في سلسلة «عالم المعرفة» التي يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون بالكويت. ومؤلف هذا الكتاب هو: جان ـ شارل سورنيا الأستاذ بالأكاديمية الطبية الفرنسية الذي ترأس الجمعيتين الفرنسية والدولية لتاريخ الطب وله العديد من المؤلفات في المجال نفسه منها كتاب «الأطباء العرب في القرنين العاشر والحادي عشر» (١٩٨٦).. وخبرة المؤلف في مجال تاريخ الطب تدعونا إلى التركيز على بعض ألفاظه وعباراته التي قصدها قصداً في ثنايا السطور.. فهو يقول: «مع نهاية القرن الحادي عشر (الميلادي) ندر الأطباء الكبار المتكلمون باللغة العربية في الشرق».. متجاهلاً بذلك أن اللغة العربية في ذلك الوقت كانت لغة العلم العالمية وقد أحبها الموالي حتى إنهم فضلوها على لغاتهم الأصلية.. وقال أحدهم، وهو أبو الريحان البيروني، إن الهجو بالعربية أحب إليها من المدح بالفارسية.

(*) الكاتب: نائب رئيس جامعة القاهرة.

ثم لا يلبث المؤلف أن يقع - كالعادة - في تناقض عجيب عندما يقرر بعد ذلك بقليل أننا تمتلك اليوم سلسلة من البيوجرافيا الطبية، من القرن التاسع حتى القرن الثالث عشر.. حوالى أربعمائة عام من التاريخ، مليئة بالطب والأطباء .. خلفوا لنا مؤلفات قيمة . أغلبها باللغة العربية ويعترف في الوقت نفسه بأن الجانب الآخر من الأبيض المتوسط .. في المغرب وفي أسبانيا .. وقد شهد الازدهار نفسه الذي شهده الجانب الشرقي، حيث تلالات أسماء: ابن زهر، وابن رشد، وابن جلجل، والزهراوي، وغيرهم .

وأشار المؤلف إلى موسوعة الزهراوي التي تقع في ثلاثين جزءاً وسماها «التصريف» ولم يصوبها المترجم . وصحتها «التصريف لمن عجز عن التأليف» وهو من أشهر المؤلفات الطبية في علم الجراحة وقد ضمنه الزهراوي نظريات مهمة غير مسبوقة وزوده برسوم توضيحية لأكثر من مائتي آلة جراحية معظمها من ابتكاره وتطويره ، ورغم هذه الحقيقة المعروفة تاريخيا فإن مؤلف كتاب «تاريخ الطب» يحرص على أن يؤكد على أن الأطباء والجراحين المسلمين لم يظهروا ميلاً خاصا نحو كتابة المراجع أو الملخصات أو الموسوعات، كما يحرص - بافتعال ملحوظ - على تأكيد ما أسماه بالدور الذي لعبه الأطباء اليهود في الإنتاج الطبي واستمرار ما أسماه بالعطاء الطبي العربي واليهودي في مراكز ثقافية نشطة - مثل فاس ومراكش وتونس والقيروان.

(٤) من ناحية أخرى، إذا عدنا لرأى المؤلف بأن «المؤمنين في بلاد الإسلام اليوم يؤسسون علمهم الطبي على «الطب النبوى» » فإن هذا الرأى تكرار لما جاء في مؤلفات عدد من المؤرخين منها دراسة حديثة حول «الاتجاهات الجارية في دراسة العلوم والطب عند المسلمين في العصر الوسيط» (مجلة الثقافة العالمية . العدد ٤٤، الكويت ١٩٨٩م) أورد فيها «إميلي سفيج - سميث» كلاما مبتسراً عن «الطب النبوى» والرسائل المؤلفة فيه من قبل علماء الدين وليس من قبل الأطباءعلى أساس اعتقادهم بأن المعرفة يمكن الحصول عليها فقط عن طريق الوحي والنبي محمد ﷺ وأعراف الصحابة المقربين . ويزعم «سميث في دراسته أن رسائل الطب النبوى قد شاعت في مقابل الطب القائم على أساس إغريقي على أيدى فريق من الأطباء النطاسيين أمثال ابن جميع وابن رضوان وغيرهما. والحق أن مايعرف بالطب النبوى أو الطب الإسلامي قد نشأ بظهور الإسلام ونما وتطور نظريا وعلميا على أيدى علماء الأمة الإسلامية وأصبحت له فروع تبحث في أسرار القرآن الكريم وأحكامه وشرائعه وعلاقتها بالصحة والوقاية والبيئة والعلاج والتربية وغيرها من المباحث الطبية المختلفة.

وفي مقال آخر ظهر بمجلة «العلم والمجتمع». Impact of Science on Society, UNESCO, No159, 245 (1990).

نجد مثالاً واضحا يجسد محاولات التستر بالعلم لتشويه الإسلام من خلال الثقافة

الإسلامية، حيث يكتب « ديفيد كنج » عن « العلم في خدمة الدين، بحيث تبدو آراؤه وكأنها تعبير صادق عن واقع الإسلام والمسلمين. ففي غمرة انشغاله بقضايا التراث العلمي الإسلامي المتعلقة بمسائل تحديد اتجاه القبلة واستطلاع أهلة الشهور القمرية، نجده يتطرق بدون مناسبة إلى مناقشة أمور هي من الثوابت العقدية، ويثير أسئلة لاتؤهله ثقافته للرد عليها. فهو مثلا يتساءل عن سبب اعتماد المسلمين لخمس صلوات رتيبة زاعما أن هذا التحديد لم يرد بشأنه نص صريح في آيات القرآن الكريم، أو في أحاديث الرسول محمد ﷺ. ويظهر من خلال مناقشته لهذه المقولة التي أقحمها على موضوع بحثه إقحاما أنه يخلط بين الصلوات المفروضة وصلوات التطوع. وكان الأجدر بمثل هذا الباحث (المدقق) أن يستخدم منهج البحث العلمي في الرجوع إلى المصادر الموثوقة من الأصول الإسلامية. أو يسأل أهل الذكر والاختصاص، قبل إصدار أحكام قاطعة لايوجد دليل على صحتها. ولو قرأ أو سأل لعلم أن الصلوات الخمس المفروضة هي ركن من أركان الإسلام الخمسة التي نص القرآن الكريم على وجوب أدائها في العديد من



صفحة ١٢٧ من مخطوط «التصريف لمن عجز عن التأليف» للزهراوي
(من مقتنيات دار الكتب المصرية)

الآيات القرآنية الكريمة، وترك للرسول الكريم بيان تفصيلها قولاً وأداء وتوقيتا، وعنه - ﷺ - تنوقلت إلى يومنا هذا . ولو قرأ «ديفيد لنج»، أو سأل أهل الذكر، لعلم أيضا أن صلاة الضحى عبادة مستحبة، من شاء ثوابها من المسلمين فليؤدها وإلا فلا تثريب عليه في تركها، وليس صحيحا ماذكره «ديفيد لنج» عن الرسول ﷺ . من روايات تنسب إليه قوله بأنها بدعة موروثة، وأن هذا كان سببا واضحا - فيما يزعم - لحيرة المتأخرين وترددهم في ضم صلاة الضحى إلى الصلوات الخمس الرئيسية فقد جاء فيما روى الترمذى وحسنه عن أبي سعيد - رضى الله عنه - قال: «كان ﷺ يصلى الضحى حتى نقول: لا يدعها، ويدعها حتى نقول لايصليها».

(٥) أما ما لاحظناه على مؤلف كتاب «تاريخ الطب» من تحيز واضح لثقافة الغرب المادية ومحاولة التأصيل لها بما أسماه «التراث اليهودى المسيحى المشترك» فهو اتجاه يروج له بعض المؤرخين ونجده واضحا في سلسلة «تاريخ العلوم العام» التي تقع في أربعة أجزاء ساهم في تأليفها أكثر من مائة باحث بإشراف «رينيه تاتون» (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٨) حيث يكال المدح والثناء على مايسمى «بالعلم العبرى» وتساق التبريرات الواهية لاعتبار إسرائيل ضمن الحضارات الكبرى القديمة في الشرق، وللإشادة بالعصر الذهبى «للعبقرية السامية» في حضارة بابل وآشور.

ويتضح هذا الاتجاه أيضا عند «جورج سارتون» الذى حاول إخفاء دوافعه النفسية وراء عبارات إنشائية معسولة الألفاظ عندما ذكر في كتابه «تاريخ العلم» (الترجمة العربية، دار المعارف بمصر، ١٩٧٦م، ص٢٣-٢٤) مانصه:

« .. وحديثنا عن الماضى محدود من عدة وجوه.. واحد هذه الوجوه الضرورية أنه يجب علينا أن نقتصر أنفسنا على أسلافنا فحسب.. والواقع أن ثقافتنا التابعة من الأصل الإغريقى والعبرى هى الثقافة التى تعنينا كثيرا، إن لم تكن هى كل مايعنينا، والزعم بأنها بالضرورة أرقى الثقافات فيه خطأ وشرٌّ لأننى إذا كنت أرقى من جيرانى، فليس لى أن أقول ذلك. ولكن لهم فقط أن يقولوه، وإذا زعمت لنفسى شيئاً من العلو لا يستطيعون - أو يقبلون - أن يصادقوا عليه، فإن ذلك لايثمر سوى العداوة بيننا».

حتى عندما اتجه بعض المؤرخين الغربيين إلى التأليف في تاريخ العلم لإزكاء النزعة القومية.، نجد بينهم من يكتب عن علم غير غربي، لا ليؤكد حق حضارة أخرى أسقط دورها من حركة التاريخ الإنسانى ، ولكن لكي يثبت أن أسطورة تفوق الجنس الآرى ومقولة أن العلم لايمكن إلا أن يكون غربيا، فعندما ألف «جوزيف نيدهام» وزملاؤه سبعة مجلدات ضخمة (بدأ إصدارها في عام ١٩٥٤م) عن العلم والحضارة في الصين، كان يحاول أن يفسر السبب الذى حال دون أن تتبع التنمية في الصين نفس المسار الذى اتبعته الثورة العلمية الحديثة في أوروبا، ثم يسعى من خلال ذلك إلى تأكيد فرض ضمنى مفاده أن العلم الذى

أينع بالفعل في أوروبا النهضة عالمي، وأن كل ماهو أوربي عالمي.

وعلى غرار «جوزيف نيدهام» في كتابه عن العلم الصيني:

J.Need ham, the Chinese Scientific Tradition, 1962.

(عن مجلة العلم والمجتمع، الترجمة العربية، اليونسكو، ع٧٣، ١٩٨٩م) جاء «توبي هاف» حديثا، في كتابه «فجر العلم الحديث، الإسلام. الصين - الإسلام» (الترجمة العربية، عالم المعرفة، الكويت، مارس وأبريل ١٩٩٧م) محاولاً الإجابة عن سؤال: لماذا نشأ العلم الحديث في الغرب دون حضارتي الإسلام والصين، مع أنهما كانتا في العصر الوسيط أكثر تقدما في العلم؟ ولتفسير ذلك جعل المؤلف من هذا السؤال «إشكالية» تناول من خلالها اختلاف الأنظمة الدينية والفلسفية والتشريعية في الحضارات الثلاث، وساق مبررات خاصة تساعده على بلورة نسق مميز لبنية المجتمع الغربي جعله الأصلح - من وجهة نظره - لإتاحة مناخ الحيدة والحرية في ممارسة البحث العلمي.

● **خاتمة:**

وهكذا نجد التحيز واضحا بدرجات متفاوتة في كتابات المؤرخين الغربيين لأسباب لم تعد خافية على أحد، وربما نكون على صواب إذا مااعتقدنا أن تاريخ العلم والتقنية يصاغ الآن - في عصر العولمة - في إطار أنساق معرفية - اجتماعية وسياسية وعقدية - متحيزة وغير موضوعية يمكن أن تغير مستقبلا في أساليب العديد من المؤرخين، وتحدد ملامح نوع من الاستشراق الجديد والعلمانية المحدثة التي تتستر بالعلم لإثارة الشكوك حول الإسلام عقيدة وشريعة وتاريخا وحضارة.

إن أخطر مايواجه أعداء الإسلام في عصرنا هو إمكانية البعث الحضاري للأمة الإسلامية ،ومن ثم فإنه لم يعد كافيا بالنسبة لهم أن يبدوا عدم ارتياحهم للربط بين العلم والإسلام في أية صورة من الصور التي ينادي بها الإسلاميون، بل إنه لم يعد كافيا أن تقتصر دعوتهم على مجرد الفصل بين المقومات المادية لقيام النهضة والطاقات الروحية المغذية لها، وذلك باستبعاد الدين عن مجال التأثير، والتعويل على قوة العلم وحده لتحقيق الجنة الموعودة. ولذا فانهم يتصدون بكل قوتهم وإمكاناتهم لكبت أية جهود تهدف إلى ترشيد العقل الإسلامي لينطلق في تفكيره ، كما كان من ثوابت الدين الإسلامي الحنيف: العقدية والعملية، ثم يتحرك في إطار المتغيرات المرتبطة بهذه الثوابت والمناسبة لطبيعة العصر والمستشرفة لطموحات المستقبل. ولعل أكثر مايزعج أنصار التيارات المعادية للإسلام ويؤرقهم هو تصحيح واقع الفكر الإنساني المعاصر لدى عقلاء العالم ومفكريه إذا ماوصلت اليهم حقائق الإسلام واستفادوا منها في إصلاح شئون حضارتهم المهددة بالانهيار.

تنويـــه

حضرة الفاضل العالم الأستاذ الدكتور/ **محمد رجب البيومى**

رئيس تحرير «مجلة الأزهر»

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

عند قراءتي للعدد الأخير من مجلة الأزهر (ربيع الأول ١٤٢٣ يونية ٢٠٠٢) لاحظت خطأين تاريخيين لا يمكن السكوت عنهما في مقالة الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم الفيومي (الأمويون وتأكيد هوية القدس الإسلامية).

ـ **الخطأ الأول:** في أول سطر من الصفحة رقم ٤٢٦ حيث ورد: وبعد وفاة يزيد (يزيد بن معاوية بن أبي سفيان) تمكن ابنه مروان الأول ٦٨٤ ـ ٦٨٥م ثم ابنه عبدالملك....

والمعروف أن مروان الأول هو مروان بن الحكم وليس ابن يزيد.

تابع الخطأ الأول: أن الذي تولى بعد يزيد هو ابنه معاوية الثاني ثم أتى بعده مروان الأول وهو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية.

ـ **الخطأ الثاني:** ورد في أسفل العمود الثاني من الصفحة رقم ٤٢٨ مايلي: ومما لا شك فيه أن المدينة [يقصد القدس] جذبت اهتمام ابن الوليد سليمان ٧١٥ ـ ٧١٧م.

مع أن سليمان بن عبدالملك هو أخو الوليد بن عبدالملك وليس ابنه.

مهندس مدني / أبو السعود السعيد الدسوقي

الإدارة العامة لري شرق الدقهلية

التأثيرات الإسلامية فى العبادة اليهودية

تأليف: نفتالى فيدر
ترجمة: د. محمد سالم الجرح

عرض وتحليل:
الأستاذ الدكتور
محمد إبراهيم الفيومى

٢

اغتسال الجانب

من أظهر الأمثلة على تأثير الإسلام على العوائد اليهودية عادة اغتسال الجانب. ومن الممكن أن نستخدم هذا المثل نموذجاً لسائر الأمثلة التى يتناولها بحثنا ونستطيع أن نستعين بما يتضح بصدده من حقائق على فهم ما يكون غامضاً فى غيره.

ولسنا بحاجة إلى أن نقف هنا على هذه العادة فى العصر التلمودى وما تعرضت له من تغير فى بابل أو فلسطين لأن كثيرين قد قاموا بدراسة ذلك كله ولا سيما العلامة ليفى جينسبورج الذى وفى هذا التشريع حقه من البحث والتحقيق، ومايعنينا هى تلك الحقيقة التى قررها جينسبورج والتى مؤداها أن هذه العادة ليس لها ما يثبتها فى حكم التلمود البابلى، وأنها فى الواقع لم تكن مألوفة فى بابل لا فى العصر التلمودى ولا فى عصر الجاءونيم الأوائل. بيد أنه ابتداء من العصر الوسيط للجاءونيم نرى أن هذه العادة قد ضربت جذورها فى بابل أيضا.

فما الذى دعا إلى هذا التحول؟

إننا نجد الإجابة عن هذا السؤال لدى الحبر «كوهين صيداق جاءون فومبديتا» الذى طلب التدقيق فى اغتسال الجانب «لأجل النظافة وتقديس الله أمام الشعوب».

فهذه الكلمات لا تحتاج إلى إيضاح وهى تطالعنا بجلاء تام على العوامل الخارجية لهذا التحول المشار إليه وغنى عن البيان أن العبادة

الإسلامية تدقق تدقيقاً شديداً في هذا الاغتسال.

وكل ذلك يشير إلى مدى تغلغل هذا التأثير الأجنبي، وبدافع من هذا التأثير لم يأخذ اليهود على عاتقهم أن يغتسلوا في حالة إذا ما وجد ماء فحسب بل أصبح الاغتسال بعد ذلك شرطاً تبطل الصلاة بدونه. وقرر الحبر هائي الجاءون أن الذي ليس لديه ماء لا يصلي. ويدل على ذلك بقوله: «ونحن نتذكر عدة سنوات كنا نصلي عن الحبر هارون الجاءون تبارك ذكره في بيته بينما هو قاعد عن الصلاة حتى الغروب» وفي مصر ذهبوا إلى أبعد من ذلك بكثير فحرموا على الجانب الدخول إلى الكنيسة.

إن أمامنا تأثير من البيئة الأجنبية وذلك ما يتضح من رسالة رامبام إلى الحبر فنحاس بن مشلوم قاضي اليهود في الإسكندرية. ويجب أن نعرض هنا خلاصة الرسالة لما لها من الأهمية من نواح عدة. فإن الحبر فنحاس يحمل إليه خبر المعارضة القوية التي تعرض لها رأيه المتهاونون في هذا الاغتسال بين جمهور يهود الإسكندرية ويصف ذلك قائلاً «هب الناس من جميع الأنحاء وجاءوني قائلين: نحن لم نعد نحتمل أقوالكم فأنتم تحلون ما تشاءون وتحرمون ما تشاءون أليس هناك تقاليد أثرت على أسلافنا ومن أتو من قبلنا تقضي بأن لا يقرب الإسرائيلي الصلاة إذا كان مجانباً حتى يغتسل في الحمام أو في البحر ويتطهر وينظف نفسه؟ والآن يجيزون الصلاة ودخول الكنيس وتلاوة التوراة دون اغتسال أو تطهر. إذا كان الدين كذلك فإنا ذاهبون كي نرفع أمرنا إلى القضاء».

هذه الكلمات تنطوي على معان عدة وعلى وجه الخصوص الجملة الأخيرة التي نستطيع هنا أن ندرك من خلالها واحدة من التفصيلات المهمة والشائعة في القضية المعروضة أمامنا: لقد هدد المعارضون أولئك الذين يتساهلون في هذا الاغتسال بأن يشوا بهم لدى السلطات العربية الإسلامية لأنهم رأوا في الصلاة دون اغتسال أمراً منكراً. فأنت ترى في هذا دلالة قطعية على أن اكتراثهم لرأي العرب كان عملاً له أهميته في هذا الشأن.

إصلاحات الحسيديين في الصلاة(١)

أ- الإصلاح النسكي ودوافعه:

إن الغاية التي تضمنتها إصلاحات الميموني استمر تحقيقها وبصورة متطرفة في مجموعة الإصلاحات التي أدخلها ابنه الحبر إبراهيم على نظم الصلاة المتفق عليها. ومما لا شك فيه أن مثل هذا الإقدام وذلك الحزم الذي لا يشوبه وجل وهو ما تميزت به خطوة الأب الجريئة كان للابن بمثابة قدوة يحتذي بها كما كان يحده بالتشجيع في صراعه من أجل تحسين شعائر الصلاة.

---

(١) فرقة يهودية.

وعلينا أن نقرر من البداية أن الأنظمة الحديثة التى أسسها الحبر إبراهيم الميمونى قد نقلت من المسجد إلى الكنيس وأن فيها ما يعد تطاولاً جوهرياً على نظم الصلاة التقليدية وملاءمتها شعائر العبادة الإسلامية، وهذه النظم هى :

أ- السجود .

ب- الجلوس على هيئة البارك .

جـ- استقبال القبلة وقت الجلوس أيضا .

د- وقوف المصلين فى صفوف .

هـ- بسط اليدين .

وليست هذه كلها سوى تعديلات تتسم بطابع الإصلاح . غير أن الحبر إبراهيم الميمونى لم ير نفسه مصلحاً مجدداً بل باعثاً لعادات قديمة .

فقد تكاتفت عوامل شتى لتنتهى إلى اتجاه واحد : رد فعل الآراء الإسلامية على العبادة والخوف على وقار بنى إسرائيل ودينهم، وهذان الاعتباران هما اللذان دفعا موسى الميمونى إلى الإصلاح وكانا دافعين هامين بالنسبة لابنه . وليس هذا فقط بل فى مقدورنا أن نقول: إن تأثير رد الفعل القوى هذا كان أعنف فى قوة التأثير على ابنه، لأنه كانت تربطه بالنساك المسلمين قرابة روحية، فلا شك أنه اتصل بهم اجتماعيا، وأعظمهم وأكن لهم ولعاداتهم السلوكية كل الاحترام، وقد أدى به تبجيله إلى إمعان النظر فى آرائهم . وسوف نجد مفتاحا هاما لفهم روح إبراهيم الميمونى فى أقواله .

السجود

كونت أوضاع التعبد الجسمانية على اختلاف أنواعها جزءاً هاماً من الحياة الدينية اليهودية فى أعصرها القديمة . وصور العبادة هذه : البروك، الركوع، السجود، الجثو، وإكفاء الوجه . ويكثر ورودها فى الكتاب المقدس ومعروف أنها كانت متبعة حتى فى عصر الهيكل الثانى . وبعد تخريبه كان هناك ميل واضح لهجر هذه العادة القديمة .

وعندما أدخل الأحبار الأوضاع الجسمانية فى الصلاة العادية شرعوها على أساس انحناء القامة والركوع فقط . وقد حدد أحبار التلمود كيفية الركعات وعارضوا انحناء الجسم أكثر من اللازم . ويتجلى هذا الاعتراض وبوضوح فى موقف الحبر يهوذا لبناسى، الذى حكى عنه أنه رأى أن أحدهم انحنى أكثر من اللازم فأبعده الحبر ومن المفيد أن نقارن سجودهم فى الهيكل بهز الرأس الذى اكتفوا به فى الصلاة كما أنهم حددوا عدد الركعات حتى لا تزيد على أربعة .

إحياء السجود

بعد هذا العرض المجمل علينا أن نبحث هذا التغير الذى حدث فى عصر إبراهيم الميمونى أى: إرجاع السجود إلى سابق عهده . وهذا التغير يفسر أولاً بأنه تأثير البيئة الإسلامية على وجه العموم . فمن المعلوم أن للسجود منزلة هامة ومرموقة فى الصلاة الإسلامية التى جوهرها ليس سوى سلسلة من الأوضاع الجسمانية المعينة تصحبها آيات قصيرة فى الحمد والتسبيح

وتختلف عن الصلاة في معناها المعتاد اختلافا جوهريا وكان حتما أن يصبح اليهود في نظر المسلمين تاركين للأصل ومكتفين بالفرع ونستطيع أن نقف على طبيعة رد فعل المسلمين من النزاع الذي يكشفه لنا إبراهيم الميموني والذي نلم من خلاله أيضا بالقضية كلها. فهو يشكو من إبدال عادة إكفاء الوجه بالإمالة أو إدارة الوجه مرتفعا كمن يتطلع إلى السماء. ويتحسر لذيوع صورة هذا الركوع بين الأمم على أنه ركوع يهودي ويقول: لقد نسجوا من هذا حكايات وتحقق فينا القول «تجعلنا عار على جيراننا، هزأة وسخرية لمن حولنا».

وهذا الاكتراث لرأى المسلمين يزداد وضوحا إذا ما لاحظنا الخلف الذي كان بين الربانيين والقرائين، وقد مارس الآخرون السجود وإكفاء الوجه حقيقة وكان هذا دليلا منقطع النظير على أن القرائين هم الذين يتمسكون باليهودية الحقة وإن الربانين هم الذين يزيفونها ويزورونها بجهلهم نصوصا بينة متكررة في الكتاب المقدس وبإلغائهم عادة عتيقة لها تقاليد مورثة. وكان في هذه الحقيقة تدعيم وتقوية لدعائم الربانين في الأوساط العربية ومن المحتمل أن تكون شهرة «إكفاء الوجه» قد ذاعت من معسكر الربانين بين المسلمين. وقد ورد في كتاب الأنوار تنديد بالربانين من جراء ذلك «وحرموا على الناس أن يلصقوا وجوههم بالأرض وقت السجود وذلك خلاف قول الكتاب «وخروا على وجوههم إلى الأرض على البلاط وسجدوا». ولا يفوت يهودا هدسي صاحب كتاب «أشكول» فرصة لا يؤكد فيها أو يكرر أن القرائين يلصقون وجوههم في الأرض: يحنون قامتهم ووجوههم في غبار الأرض يمرغون خدودهم في تراب الأرض... إلخ.

هذا التأكيد المتكرر لتراب الأرض يفهم في ضوء الحقيقة: أن نساك الإسلام حرصوا على الظهور في الطريق بعد صلاتهم وقد علا التراب جباههم بسبب السجود. الأمر الذي عدوه من أعمال التنسك.

وقد تكاتفت الأسباب التنسكية مع هذه الدوافع العامة لدفع محاولة إعادة السجود إلى الكنيس دفعة قوية. ولا كان إبراهيم الميموني ومن تبعه قد أعطوا للصلاة أهمية صوفية واجتهدوا في أن يضفوا عليها «صورة خوف.

«ويجعلوا منها صورة للوصول فقد أباحوا دخول السجود بين جمهورهم لتعظم بواسطته «قوة نيتهم الباطنة» وليساعدوا على شد أزر «القوة الظاهرة والباطنة» والوصول إلى «تحرك القلب نحوه تعالى».

استقبال القبلة أثناء الجلوس

أدخل الحبر إبراهيم الميموني والحبر إبراهيم الحسيد تعديلا هاما يتصل بالجلوس سواء للجمهور أو بالنسبة للشيوخ وهو أن يستقبلوا جميعا القبلة في أثناء جلوسهم كذلك.

وتقضي العادة التقليدية باستقبال القبلة في وقت الصلاة العادية التي تقال وقوفا ليس غير، وفي أجزاء الصلاة التي تقال جلوسا يحق للمصلي الاتجاه إلى أي جهة يشاء. وقد أدت هذه الحرية إلى جلوس غير منتظم في الكنيس.

ويذكر لنا إبراهيم الميموني تصور الاضطراب الذي ساد في عصره: منهم من يقع استقبال القبلة اتفاقاً ومنهم من يستدبرها ومنهم من يجانبها أعني أن تكون عن يمينه أو يساره.

كانت جذور هذا الإصلاح أيضا ضاربة في البيئة الإسلامية، كما ادعى أنصار القديم المعاصرين لإبراهيم الميموني. وقد وقفنا من قبل على النظام الدقيق الذي تفرضه قوانين الصلاة الإسلامية على المصلي، والتي تحرم عليه أقل الحركات شأناً فما بالك بتحول الوجه عن القبلة الأمر الذي يبطل الصلاة ويوجب إعادتها؟ ومن اليسير علينا أن نتصور الصورة التي تركها النظام المضروب في الكنيس على المسلمين حيث كان المصلون يجلسون جلوس راحة، مستندين للحيطان هذا يستقبل جهة الشرق وذلك يستقبل جهة الغرب أحدهم يستقبل الشمال والآخر الجنوب. أضف أن تحويل الوجه عن جهة الشرق يجر وراءه اضطرابات أخرى، وفيه حسب رأي إبراهيم الميموني إثم، إذ أنه يؤدي إلى فتور الهمة بل والنوم في الأسحار وفي أوائل النهار والاشتغال برؤية الداخل والخارج والوقوف للآدميين وقت عبادة الله - تعالى - وهو يشير إلى ذلك بقوله: «وقد رأيت بعيني وليس بغريب الحبر أو الشيخ يدخل والناس يتلون «تلاوة أسمع» فيقف الناس كلهم أو بعضهم يحيون ذلك الآدمي وفي مثل هذا يشكي القائل «تضطجع في خزينا ويغطينا خجلنا». ولا ينطبق هذا التعبد على ما ذكر «أعبدوا الرب بخوف». وإذا كانت هذه الفوضى المنتشرة في الكنائس الواقعة في بلاد النصارى قد جلبت العار على شعبنا، حتى صار الأمر مضرب الأمثال، ومدعاة للتشنيع والهجاء، ورمزاً للفوضاء والاضطراب فما بالك به في البلدان الإسلامية؟ ولكم نرى من الطريف ذلك التفسير الاشتقاقي الذي ذكره علماء العرب للفظ «يهودي» حيث اشتقوه من مادة «هـ ود» = اهتز تحرك ووفقا لرأيهم سمى اليهود كذلك لأنهم يتحركون أثناء الصلاة وعلى الرغم من أن هذا التفسير الاشتقاقي بين الخطأ فإنه مفيد إلى حد كبير وهو يكفي لأن يقف على ما أحس به العرب من غرابة نحو صلاة اليهود وإذا كان سلوك النصارى المتأدب في كنائسهم قد صار قدوة للحدسيدين الأشكنازيين فما لاريب فيه أن النظام العتيق الذي ساد في المساجد الإسلامية كان قد أدى للتأثير على الحسيدين الشرقيين.

وقد كان الخوف من أن يحول جمهور اليهود وجهه عن الشرق أثناء الصلاة وأن يؤدي ذلك إلى اضطراب في الصلاة من الأسباب التي كانت وراء إصلاح والد إبراهيم الميموني بإلغاء صلاة الهمس. على أن الابن كان أكثر فاعلية من أبيه فبينما لم يهدف إصلاح الأب إلا إلى أن يجعل ذلك الذيغ من غير الممكن في حالة الوقوف، جاء إصلاح الابن ليمنع ذلك الزيغ في كل الحالات وحتى في ساعة الجلوس. ومما يجدر ذكره، أن الشاعر القبالي مناحيم دي لو نزانو انتقد عادة التدقيق في استقبال القبلة، ولا شك أننا لا نبتعد عن الصواب إذا قررنا أنه أيضا تأثر بالأنظمة المثالية في المساجد الإسلامية. وقد ظهر ذلك شعائر أخرى فهو فمثلا يضع العرب كأنموذج لأبناء عصره لحرصهم على تطهير أرجلهم.

طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

حقوق الزوجة

● الصداق (المهر) قال تعالى:

﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾(١).

● النفقة.. لقوله تعالى:

﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ﴾(٢).

● إحسان العشرة واحتمال الأذى..

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾(٣).

● أن يُعلم زوجته أمور الدين:

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾(٤).

● العدل بين الزوجات..

﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً ﴾(٥).

قالــــــوا.....

● إرض بالله صاحباً، ودع الناس جانباً.

● رُبَّ صدقة من بين فكَّيْك، خيرٌ من صدقة من بين كفَّيْك.

● قد أمن الحرمان، من سأل الرحمن.

● النفس الذليلة لا تجد ألم الهوان، والنفس الشريفة يؤثر فيها يسير الكلام.

● إن من البلاء أن يكون الرأى عند مَنْ يملكه، لا مَنْ يبصره.

● ما أنكرت من زمانك فإنما أفسده عليك عملك.

● الإخلاص لا يتم إلا بالصدق فيه، والصبر عليه

.. والصدق لا يتم إلا بالإخلاص فيه، والمداومة عليه.

(١) النساء (٤)
(٢) الطلاق (٧)
(٣) النساء (١٩)
(٤) طه (١٣٢)
(٥) النساء (٣)

أبواب السلطان

قد يسعى إلى أبواب السلطان أجناس من الناس كثير، أما الصالح فمدعو، وأما الطالح فمقتحم، وأما ذو الأدب فطالب، وأما من لا أدب له فمختلس، وأما القوى فمدافع، وأما الضعيف فمدفوع، وأما المحسن فمستثيب، وأما المسيئ فمستجير.. فهو مجمع البر والفاجر، والعالم والجاهل، والشريف، والوضيع.

رأيت الجنة فى منامى

قال رجل من العرب: رأيت البارحة الجنة فى منامى، فرأيت جميع ما فيها من القصور، فقلت: لمن هذه؟!.. فقيل لى: للعرب، قال له رجل من الموالي: أصعدت الغُرفْ؟!.. قال: لا، قال: تلك لنا.

هبات الفضل بن يحيى

وهب الفضل لطباخه مائة ألف درهم، فعاتبه أبوه فى هذا، فقال: إن هذا صحبنى وأنا لا أملك شيئاً واجتهد فى نصيحتى.

.. وقال الشاعر:

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا

من كان يصحبهم فى المركب الخشن

حقيقة

شكوتُ، وما الشكوى لمثلى عادة

ولكن تفيض النفس عند امتلائها

رءوس النعم ثلاث

أولاها: نعمة الإسلام التى لا تتم نعمة إلا بها.

والثانية: نعمة العافية التى لا تطيب الحياة إلا بها.

والثالثة: نعمة الغنى التى لا يتم العيش إلا بها.

حقا

مَنْ وعظ أخاه سراً فقد نصحه وزانه.

.. ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه.

دعاء

يا أكرم الخلق مالى مَنْ ألوذ به

سواك عند حدوث الحادث العمم

من رجال التشريع الإسلامى

إلكيا الهراس
قرين الإمام الغزالى والمناظر الكبير

للأستاذ الدكتور عبد اللطيف الحسينى

إلكيا باللغة الفارسية هو الرجل الكبير القدر، العظيم المقام، وهكذا كان عماد الدين شمس الإسلام أبو الحسن على بن محمد بن على الطبرى شيخ الشافعية فى عصره وقد ولد سنة ٤٥٠هـ ومات سنة ٥٠٤هـ[1] وعاش عيشة حفيلة جليلة قضاها فى التأليف والتدريس والمناظرة الفقهية، حتى ضرب به المثل فى حجته الدافعة وبرهانه الساطع، وشهد له منظاروه بالتفوق الجدلى، والغوص العلمى، وهذه عجالة عن فضله العلمى.

فقد نقل صاحب (طبقات الشافعية)[2] عن الفقيه أبى الحسن عبد الغافر بن إسماعيل موازنة بينه وبين زميله حجة الإسلام الغزالى قال فيها عن إلكيا الهراس: «إنه حسن الوجه مطابق الصوت للنظر، مليح الكلام، فحصل طريقة إمام الحرمين وتخرج به وصار من رءوس الأصحاب، ورءوس المعيدين، وكان ثانى الغزالى، بل أملح وأطيب فى النظر، وأبين فى العبارة والتقرير منه، وكان يعيد الدرس على جماعة حتى تخرجوا به، وكان مواظبا على الإفادة والاستفادة».

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ص٤٤٨ ج٢ تحقيق الشيخ محيى الدين عبد الحميد.

(٢) طبقات الشافعية للسبكى ج٧ ص٢٣٢ تحقيق الحلو والطناحى.

وقد وقفت كثيراً عند قول أبي الحسن عبدالغافر: «إن إلكيا كان أبين من الغزالي»، لأن كتب الغزالي تدلّ على فصاحة لا يرقى إليها النظراء، فكيف يكون إلكيّا الهراس أبين من الغزالي ولكني أظن أن الموازنة تتعلق بمجالس المناظرة، فقدْ يكون إلكيا في مواقف الجدل الشفوي أبين عبارة من حجة الإسلام، لأن الهراس كان متئداً في حديثه، غير متسرع في جداله، ومن له هذه الصفات يكون حريصا على انتقاء العبارة وصفاء الأسلوب.

على أن إلكيّا الهراس كان متواضعا لا يرى لنفسه التقدم في المجال الأسلوبي، ويروى أنه كان يفتح مناظراته قائلاً لمن يناظره في أدب[3]:

أرفق بعــــيدك إن فيـــه يبوســـة

جـــبليـــة ولك الفـــرات ومـــاؤه

فهو يعترف - متواضعا - أن لسانه الجبلي، لا تجري فيه العذوبة المعهودة عند فقهاء العراق، وبهذا التواضع ملك إلكيّا قلوب خصومه المناظرين، حتى بكوا عليه يوم تشييع جنازته، يقول مؤرخوه: «وقد حضر دفنه الشيخ أبوطالب الزينبي - وقاضي القضاة أبوالحسن بن الدامغاني، وكان من رؤساء الحنفية في بغداد، وبينهم وبينه من المنافسة في المسائل الفقهية ما استدعى الحوار في مسائل دقيقة، في مواقف مشهودة يحضرها الوزراء والكبار من العلماء، ولكنهما بكيا يوم وفاته ووقف أحدهم عند رأسه، والآخر عند رجليه، وأنشد ابن الدامغاني[4]:

ومــــا تُغني النوادب والبــــواكي

وقــد أصــبحت مــثل حديث أمس

وأنشد أبوطالب الزينبي:

عـقم النســاء فـمـا يلد شـبيـهه

إن النســــــاء بمثله عـــــقم

وقام الشاعر المشهور أبوإسحق الغَزّيّ فأنشد في رثائه قصيدة طويلة قال فيها:

لئن طوته المنايا تحت إخمصها

فـعلمـه الجم في الآفـاق منتشر

حبر عـهدناه طلق الوجه مبتسما

والبشر أحسن ما يلقى به البشر

من فـاز منه بتعليق فـقـد علقت

يمينه بشهــاب ليس ينكدر

وفي البيت الثاني ما يدل على طلاقة الوجه، وابتسام الثغر في موقف المناظرة، وهذا يرجع إلى هدوء النفس، واطمئنان الثقة، وهو مما جعل مناظريه يستحيون من اللجاج معه وقد يعجب القارىء اليوم من حديث المناظرات الفقهية في عصر الهراس والغزالي ولكن كتب التاريخ الفقهي، تؤكد أن الأمراء كانوا يترضون العامة بحضور مجالس المناظرات وتشجيعها وقد اشتهر

---

(٣) الطبقات ص٢٣٣.

(٤) الطبقات الوسطى نقلا عن الحافظ بن عساكر في هامش ص٢٣٤ من الطبقات الكبرى

علماء الأحناف والشافعية بالصيال في هذه الحلبات، لأن المالكية والحنابلة قد تركوا الميدان حين علموا أن هوى الدولة مع الشافعية وهوى كثير من العامة مع الأحناف وهم بالنظر إلى الفريقين لا يجدون النصير وحين اتسعت شقة الخلاف بين بعض المتناظرين وضع الإمام الغزالي شروطا للمناظرة الفقهية، اشترط فيها أن يكون المناظر مجتهداً يفتي برأيه إذا ظهر أن الحق في غير مذهبه بحيث لا يقدر حكماً إلا إذا اعتقد صحته، وإن خالف مذهبه، وهذا الشرط لم يعمل به، لأن التعصب حينئذ بدأ يأخذ دوره، ولأن التنافس على المناصب كان يدعو المتنافسين إلى إرضاء تلاميذهم من رجال المذهب، ونحمد الله أن ريح التعصب المذهبي قد خفتت الآن، وأصبح المفتي غير مقيد بمذهب خاص، وهي روح ظهرت بواكيرها منذ ولي الأستاذ الإمام محمد عبده منصب الإفتاء، وخلفه من اهتدى بهداه.

هذا وللكيا الهراس مؤلفات فقهية كثيرة، ضاعت في مهب الأحداث، ولم ترزق مؤلفاته شهرة كمؤلفات الغزالي، وقد ذكر مؤرخوه بين مؤلفاته المفقودة

١ ـ كتاب (شفاء المسترشدين في مباحث المجتهدين)

٢ ـ وكتاب (لوامع الدلائل في زوايا المسائل)

٣ ـ وكتاب (نقد مفردات الإمام أحمد)

٤ ـ وكتاب (أصول الفقه الشافعي)

وعناوين هذه المؤلفات تدل على دقة في اختيار موضوعات التأليف، ومن حسن الحظ أن كتاب (تفسير أحكام القرآن للهراس) قد بقي وطبع وتداول العلماء مباحثه فأظهر فضل الرجل وأبان معدنه العلمي الأصيل، وذلك أن علماء كل مذهب جعلوا يؤلفون كتبا خاصة بتفسير آيات الأحكام ومدلولها عن الأئمة الكبار فوجدت لدينا ثروة كبيرة تحدث عنها حاجي خليفة في كتاب (كشف الظنون)(*) فقال:

« إن أول من صنف في هذا النوع من التفسير هو الإمام المجتهد محمد بن إدريس الشافعي المتوفى سنة ٢٠٤هـ ثم الشيخ أبوالحسن علي بن حجر السعدي المتوفى سنة ٢٤٤هـ ثم القاضي أبوإسحق الأزدي البصري المتوفى سنة ٢٨٣هـ ثم أبوالحسن القمي المتوفى سنة ٣٠٥هـ ثم الإمام أبوجعفر الطحاوي المتوفى سنة ٣٢١هـ ثم الشيخ أبومحمد بن القاسم بن الأصبغ المتوفى سنة ٣٤٠هـ ثم الشيخ الإمام أبوبكر الجصاص الرازي الحنفي المتوفى سنة ٣٧٠هـ ثم الشيخ الإمام أبوالحسن علي بن محمد المعروف بالكيا الهراس الشافعي المتوفى سنة ٥٠٤هـ.

هذا ما ذكره صاحب كشف الظنون، وقد ترك حاجي خليفة كتاباً جليلاً في تفسير أحكام القرآن على المذهب المالكي للإمام أبي بكر بن العربي وقد طبعه الأستاذ علي البجاوي فانتشر في نطاق واسع.

(*) كشف الظنون لحاجي خليفة ج(١) ص٣٠ ط بولاق

أما كتاب «أحكام القرآن» للكيا الهراسي فقد قال بصدد الحديث عنه بعد أن قرر أن مذهب الشافعي في رأيه أدق المذاهب إذ وصل إلى درجة اليقين الجازم في أحكامه السديدة قال ما نصه[٦]:

«وقد رأيت أن أصنف كتاباً في أحكام القرآن أشرح فيه ما انتزعه الشافعي ـ رضي الله عنه ـ من أخذ الدلائل في غوامض المسائل، وضممت إليه ما نسجته على منواله، واحتذيت فيه على مثاله على قدر طاقتي وجهدي، ورأيت بعض من عجز عن إدراك (مسائلك) فهمه، ولم يصل إلى أغراض معانيه، جعل عجزه عن فهم معانيه سببا للقدح في معانيه، ولم يعلم أن الدرّ درٌّ برغم من جهله، وأن آفته من قصور فهمه، وقلة علمه، وما يضر الشمس قصور الأعمى عن إدراكها، والحقائق عجز البليد عن لحاقها.

ولم رأيت أقاويل المفسرين في أحكام القرآن متجاوزة حد البيان، آخذة بطرفي الزيادة والنقصان، جردت في شرحها هذه الفصول، المتضمنة من اللفظ والمعنى شفاء كل عليل، مع انتحائي فيها قصد السبيل، وتوقي التطويل».

والحق أن الرجل قد أفصح عن عمله ومجهوده دون تزيد أو مباهاة ومهاجمته لخصومه ناشئة عن الروح العام الذى شمل فقهاء هذا العصر حين حاولوا نصرة المذهب الخاص بهم مهما ظهر ضعفه ولعل من باحثي هذا العصر من ينهض بتأليف كتاب يوازن فيه بين اتجاه فقيه شافعي في التفسير كالكيا الهراسي، واتجاه فقيه حنفي كالجصاص، أو مالكي كابن العربي، فيكون نموذجا من الفقه المقارن الذى نحتاج إليه في هذا الخضم الواسع من كتب التشريع.

هذا وإذا كانت مباحث الفقه هي جوهر كتاب أحكام القرآن للهراسي، فإن مباحث أخرى تتصل بالأخلاق والتاريخ والسيرة النبوية تجد محلها الطيب في كتاب تفسير الأحكام، ونضرب لذلك مثلا بما كتبه المؤلف حول قوله تعالى:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[٧]

فقد قال ما نوجزه في هذه السطور مع التصرف اليسير[٨]:

قدّم الله ذكر ما علم أنه سيصيب المؤمنين ليوطّنوا أنفسهم عليه، فيكون أبعد لهم من الجزع، ويكونون مستعدين له، فلا يكون كالهاجم عليهم، كما فيه تعجيل ثواب الله على العزم وتوطين النفس، أما قوله:

﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[٩]

---

(٦) أحكام القرآن (مقدمة المؤلف ص٢ تحقيق موسى محمد علي وعزت عطية.

(٧) البقرة (١٥٥).

(٨) أحكام القرآن ص٥١ للهراسي، بتحقيق موسى محمد علي وعزت عطية

(٩) البقرة (١٥٦).

ففيه إقرارهم بالعبودية في تلك الحالة، إذ فوضوا الأمور إليه، ورضوا بقضائه وسلموا بذلك، لأنه لا يقضي إلا بالحق كما قال تعالى:

﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ﴾[١٠].

ثم إن الصبر على جهات مختلفة، فما كان من فعل الله فله التسليم والرضا، وما كان من فعل العدو فهو بالصبر على جهاده والثبات على دين الله، وفي التلفظ بقول الله تعالى:

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ غيظ للأعداء لعلمهم بجد الصابر واجتهاده وربما ترقى الأمور بالصبر إلى أن يزهد الصابر في مغريات الدنيا والرضا بما قسم الله، إذ صدر عن مالا يتهم في عدله.

ولعل من الفتاوى التي أحدثت ضجيجا في بغداد وقام بسببها خلاف كبير بين الفقهاء ما أفتى به الهراس في لعن يزيد بن معاوية حيث قال فيما قال[١١]: إنه لم يكن من الصحابة، لأنه ولد في أيام عمر بن الخطاب، وللأئمة فيه أقوال مختلفة، ولنا قول واحد نصرح به ولا نلوح وكيف لا يكون ذلك - وهو جواز اللعن - وهو اللاعب بالنرد والمتصيد بالفهود، ومدمن الخمر.

وقد عارض الإمام الغزالي هذه الفتوى معارضة شديدة يجدها القارىء في وفيات الأعيان[١٢] لابن خلكان حيث حرم لعن يزيد، وذكر أن قتل الإمام الحسين لم يكن بأمره، وأشبع هذا الموضوع إشباعًا، وأنا أشير إلى ذلك كي أؤكد أن فتاوى إلكيا الهراس وفقهاء عصره لم تكنْ مقصورة على أحكام الفقه وحدها بل تعدتها إلى مسائل من التاريخ واللغة، ومن أطرف ما يروى من فتاواه أنه سئل عن الحكم في رجل أوصى بنصف ماله للعلماء والفقهاء، فهل يدخل كتبة الحديث في هذه الوصية[١٣] بدخولهم مع العلماء والفقهاء لأن النبي ﷺ قال: «من حفظ على أمتي أربعين حديثا من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة فقيها عالما»[١٤].

هذه عجالة تذكر بفقيه مفسر كان قرين الغزالي في عصره، ولولا ضياع أكثر آثاره لتناقل العلماء آراءه على مر العصور، وها أنذا ألفت إليه أنظار الباحثين فقد يجدون مخطوطات له في المكتبات العالمية فيسعون إلى نشرها مشكورين.

---

(١٠) غافر (٢٠).

(١١) الوفيات ج (٢) ص٤٤٨.

(١٢) الوفيات ج (٢) ص٤٤٨.

(١٣) الوفيات ج (٣) ص٤٤٨.

(١٤) هكذا جاء في وفيات الأعيان ولم أستطع تخريجه.

قصة العدد

رجولة وإباء

للأستاذ / شوقى محمود أبو ناجى

كانت الهزائم المروعة أكبر من أن يحتمل صدماتها إنسان مهما أوتى من الحنكة والجلد، حتى لو كان هذا الإنسان عظيم الروم الذى استطاع أن يثأر من الفرس [1] بعد توليه مقاليد الحكم، وقبل أن تمضى عشر سنوات على هزيمة الروم، وأجلاهم عن مصر والشام، واسترد الصليب الأعظم، ثم أعاده إلى بيت المقدس فى حفل بهيج. كما أن جيش الروم - الذى لقى المسلمين، أضعاف أضعاف جيوشهم، ولا يقاس ما لدى المسلمين من عدة وعتاد إلى ما توفر على حشده وتطويره خبراء الحروب فى الإمبراطورية منذ عقود خلت. لقد بدأت الهزائم فى اليرموك، ولم تنته بأنطاكية مرورا بعشرات النوازل التى روعت جيوشه فى دمشق وفحل وطبرية وبيسان وبعلبك وحمص وحماه وشيزر واللاذقية وغيرها، وليست هذه الهزائم بأقل من مصيبته فى فقد كبار قواده الذين كان آخرهم «ميناس» [2] أعظم رجل فى المملكة بعد هرقل، وخرج عظيم الروم مضطرا من أنطاكية قاصداً القسطنطينية، وعندما وجد نفسه على ربوة تشرف على سورية الجميلة، نظر إليها والدمع يترقرق فى مآقيه قائلاً: «سلام عليك يا سورية سلاماً لا اجتماع بعده ولن يدخل إليك رومىّ إلا خائفا».

---

(١) هزم هرقل الفرس سنة ٦٢٥م.

(٢) «ميناس» كان ثانى رجل فى الامبراطورية بعد هرقل، قتل فى وقعة قنسرين وكان المسلمون بقيادة خالد بن الوليد، وقد علق عمر - رضى الله عنه - على بطولات خالد بقوله «رحم الله أبا بكر، كان أعلم بالرجال منى» وأمّره عليها.

ظل هرقل ذاهلاً عن نفسه أياماً لا يطاوعه عقله على التفكير في شيء، فقد كان ما حدث أكبر من أن يستوعبه أو من أن يجد لنتائجه مقدمات مقنعة، وإن كانت تساؤلاته قد وجدت إجابة على ألسنة جواسيسه الذين نقلوا إليه صورة عن حال المسلمين في اليرموك، فاستحضر ذهنه النتيجة الحتمية في تعليق محكم «لئن كانوا كذلك ليملكن موضع قدميّ هاتين» ولكنه لا يزال في حيرة من أمر هؤلاء الذين يريد كل واحد منهم أن يموت قبل صاحبه.. ولم يشعر بشيء من السعادة أو الرضا عندما عرض عليه أحد قواده جماعة من أسرى المسلمين، إلا أن الأسئلة الكثيرة التي تتصارع في بؤرة تفكيره دعته أن يأمر بتخير واحد من هؤلاء.

كان عبدالله بن حذافة السهمي جنديا في جيش معاوية الذي وجهه يزيد بن أبي سفيان لفتح قيسارية حتى لا يصل إلى «أرطبون»[٣] مدد من البحر عن طريقها، وطال حصار أهلها، ولكن لسان الثقة بالنصر جعل يردد صدى ما قال خالد بن الوليد لأهل قنسرين: «لو كنتم في السحاب لحملنا الله إليكم أو لأنزلكم إلينا».

وتصل أخبار علقمة بن مجزز وحصاره لغزة وقصته مع «القيقار» وينتشي عبدالله بن حذافة لذكاء صديقه، ويستعيد ذكرياته معه، ويحاول أن يقتدي به[٤]، ويغري جماعة معه بعمل فدائي ومبايعة على الموت فيقع بعضهم أسرى في أيدي حامية المدينة التي تحتفظ بهم حتى بعد هزيمة الروم ومقتل ما يزيد على ثمانية آلاف، بلغوا بعد الهزيمة والفرار مائة ألف.

لم يدر عبدالله لم وأين ذهب الجند برفاقه من الأسرى وجيء به إلى هذه الغرفة الجميلة في هذا القصر الفاخر، كما جيء له بأثواب من الحرير ولحم خنزير عزف منه، ولم يتبلغ إلا بكسرة من خبز وملح وحُمل الطعام لتدخل عليه فتاة بارعة الجمال في أبهى زينة جعلت تغازله وتعابثه، وتميل عليه في دلال فيتقلت منها حتى أيأسها، فراودته عن نفسه في صراحة فدمعت عيناه، وجعل يردد مرتجفاً «إني أخاف الله رب العالمين».

وتركته الغانية بعد أن استيأست منه ليغلق عليه الحراس الباب يوماً كاملاً دون أن يُقدم إليه طعام أو شراب، وينظر إليه الحارس من كوة صغيرة بالباب فيجده إما مصليا أو جالسا يتأمل، ورغم جلسته

---

(٣) «كان أدهى الروم وأنكاها فعلاً (وأقام عمرو على أجنادين لا يقدر من الأرطبون على سقطة ولا تشفية الرسل فوليه بنفسه، فدخل عليه كأنه رسول عمرو، فأبلغه ما يريد وسمع كلامه، وتأمل حضرته حتى عرف ما أراده فقال الأرطبون في نفسه: والله هذا لعمرو، أو أنه الذي يأخذ عمرو برأيه، وما كنت لأصيب القوم بأمر هو أعظم من قتله، فدعا حارسا فأمره بقتله، فقال: اذهب إلى مكان كذا فإذا أمرٌ بك فاقتله. ففطن عمرو بن العاص فقال للأرطبون: أيها الأمير، إني سمعت كلامك وسمعت كلامي، وإني واحد من عشرة بعثنا عمر بن الخطاب لنكون مع هذا الوالي لنشهد أموره، وقد أحببت أن آتيك بهم ليسمعوا كلامك ويروا ما رأيت، فقال الأرطبون: نعم فاذهبْ فأتني بهم، ودعا رجلاً فساره فقال: اذهب إلى فلان فرده، وقام عمرو فذهب إلى جيشه، ثم تحقق الأرطبون أنه عمرو بن العاص، فقال: خدعني الرجل، والله هذا أدهى العرب أ. هـ (عن البداية والنهاية جـ٤ ص٧٣).

(٤) كان علقمة بن مجزز قد حصر القيقار بغزة وجعل يراسله فلم يشفه أحد فأتاه كأنه رسول علقمة وكان بينه وبين القيقار مثلما كان بين عمرو ابن العاص والأرطبون، وكان عبدالله بن حذافة قد اشترك معه في سرية (الكامل في التاريخ ج٢، الواقدي ص٦٣، ٦٨٩/١١٠٩، ابن هشام ص٦١١ البداية والنهاية جـ٢، جـ٤، تاريخ الخميس الديار بكري ص١٣٢، تفسير القرطبي جـ٥ تفسير ابن كثير جـ٢، أسد الغابة جـ٣.

وحيدا فى محبسه إلا أن الحارس يراه يبتسم بين الحين والآخر ولا يعلم الحارس أن عبدالله كان يستعرض شيئا من ذكرياته، فيرى نفسه وهو يحل حزام راحلة رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره حتى كاد ﷺ أن يقع(٥) ويستشعر شيئا من الندم على هذه وأشباهها، كما يشعر بالخجل الذى أسال عرقه عندما علمت أمه أنه سأل رسول الله ﷺ: «من أبى؟ فأجابه ﷺ: أبوك حذافة(٦).

كانت هذه الأحداث وأشباهها صغيرة فعلها من قبيل الدعابة التى عُرف بها. ولكنه الآن يشعر بالخجل من إتيانها.

ويبتسم عندما يقارن بين موقفيه:

الأول: فى بلاد الفرس عندما أرسله النبى ﷺ بكتابه إلى كسرى.

والثانى: فى بلاد الروم.

انصرف يوم بليلة دون أن يدخل فى جوف عبدالله طعام أو شراب، ثم دخل عليه الحارس وهو يحمل مائدة حافلة بلحوم الخنزير، فلا يتحرك ليصيب شيئا منها وإن ابتسم عندما تذكر حجه مع النبى ﷺ وقد بعثه بعد انتهاء المناسك ينادى فى الناس: «أيها الناس.. إنها أيام أكل وشرب وذكر لله(٧) وقد كان هذا النداء مدعاة لممازحته من بعض أصدقائه وهم يصفونه بحب الطعام وإعزازه للثريد وها هوذا ليوم كامل لا تمتد يده إلى طعام لأن الله حرمه ولا إلى شراب أمر المؤمنين ألا يقربوه.

بلغ هرقل ما كان من عبدالله بن حذافة، كما أخبروه بما كان من بلائه وشراسته فى القتال، وجاءته الأخبار عن طريق أسرى المسلمين- أنه كان من الصحابة ذوى المكانة المتميزة، وأنه حمل رسالة الرسول ﷺ إلى كسرى، وكيف دخل مرفوع الهامة ولم يسجد أو يقبل الأرض أمام ملك الفرس الذى مزق الرسالة لأن الرسول ﷺ بدأها بنفسه، ثم استجابة رب محمد لدعائه عندما قال: «مزق الله ملكه» فقتله ابنه شيرويه.

ويعود هرقل بذكرياته إلى ثمانى سنوات خلت عندما أدخلوا عليه دحية بن خليفة مبعوثا من النبى ﷺ(٨).

وأكرم وفادته ورده ردا جميلا، ولم يكن يتصور أن صاحب الرسالة التى حملتها إليه دحية بن خليفة

---

(٥) تفسير القرطبى جـ٥ ص٢٦ طبعة دار الشعب، أسد الغابة جـ٣.

(٦) نفس المصدر السابق.

(٧) بعثه الرسول ﷺ ينادى فى الناس: إنها أيام أكل وشرب.. إلخ وردت فى جميع كتب السيرة والتاريخ.

(٨) الذين بعثهم الرسول ﷺ فى العام السادس للهجرة هم: - دحية بن خليفة الكلبى إلى قيصر ملك الروم واسمه هرقل.

- عبدالله بن حذافة السهمى إلى كسرى أبرويزبن هرمز ملك الفرس. - عمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى ملك الحبشة.
- حاطب بن أبى بلتعة اللخمى إلى المقوقس صاحب الإسكندرية ومصر.
- عمرو بن العاص إلى جيفر وعباد (فى ابن سعد/ وابن سيد الناس) ابنى الجلندى الأزديين ملكى عمان.
- العلاء بن الحضرمى إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين.
- شجاع بن وهب الأموى من أسد خزيمة إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى وابن عمهم جبلة بن الأيهم ملكى البلقاء من أعمال دمشق.
- المهاجر بن أبى أمية إلى الحارث بن عبدالملك الحميرى (فى ابن هشام عبد كلال الحميرى).

سوف تبلغ دعوته ما بلغت في هذه السنين القصار، فيتوغل جنده في دولة الأكاسرة في الشمال الشرقي، وهاهم يجلونه عن الشام في الجنوب الغربي، ولا يعلم إلا الله وحده متى وأين يقف زحفهم.

وتوقفت الخواطر التي تداعت على رأس هرقل عندما أوقفوا أمامه عبدالله بن حذافة مكبلاً بالحديد ليسأله: هل لك أن تتنصر وآمر بإخلاء سبيلك؟

– لا.

– إني أرى فيك مخايل الشهامة، ولو تنصرت زوجتك ابنتي وأشركتك في ملكي.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾(٩).

– إذاً لابد من قتلك.

– افعل ما بدالك.

وأمر به فصلب، وطلب –بالرومية– من الرماة أن يرموا، قريبًا من جسده، بينما يطلب منه هرقل –بين الحين والآخر– أن يتنصر فلا يجيب إلا بالنفي القاطع.

ويزداد عجب عظيم الروم من هؤلاء المسلمين الذين لا يبالون بالموت المحقق، ولا يزدادون إلا تمسكًا بعقيدتهم بينما تصله الأنباء عن دخول الآلاف ممن كانوا رعاياه في دين الفاتحين.. ويأمر بإنزال عبدالله كما يأمر ببقرة النحاس المملوءة زيتا فيوقد تحتها حتى يغلي الزيت ثم يؤتى بأحد الأسرى، ويطلب منه هرقل أن يتنصر فيأبى فيأمر بإلقائه في البقرة فإذا عظامه تلوح، ويصرخ هرقل في عبدالله:

– تنصر وإلا ألقيتك في هذه البقرة.

– ما أفعل.

فأمر أن يلقى في البقرة فبكى، فقال الجند لهرقل:

– إنه جزع وبكى.

– ردوه.

فقال له عبدالله وهو رابط الجأش:

– لا ترى أني بكيت جزعًا، ولكني بكيت حيث ليس لي إلا نفس واحدة يفعل بها هذا في الله.. كنت أحب أن يكون لديّ من الأنفس عدد كل شعرة فيّ، ثم تسلط عليّ فتفعل بي هذا.

فلا يزداد هرقل إلا إعجابًا، واستيقظت فيه أريحية القائد فرأى أنه ليس من الشجاعة الانتقام من هذا البطل وهو مكبل بالقيود فعاود عليه العروض المغرية من زواج ابنته ومقاسمته ملكه فيجيب بقوة: «لا أفعل» فيقول له هرقل: قبّل رأسي وأطلق سراحك.

– أفعل على أن تطلق معي ثمانين من أسرى المسلمين.

– أفعل.

وصلت هذه القصة إلى عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– قبل أن يصل عبدالله بن حذافة ومعه الثمانين، حتى إذا وصل المدينة لقيه بعض من كان بينه وبينهم دعابة فقال له: قبلت رأس علج.

– أطلق الله بتلك القبلة ثمانين من المسلمين.

وما أن رآه عمر –رضي الله عنه– حتى تلقاه بين أحضانه وجعل يقبل رأسه قائلاً: «حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبدالله بن حذافة، وأنا أبدأ بذلك».

---

(٩) الزمر (٤٧).

الدراسات الاستشراقية والأدب العربي

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

... ووضح اليوم مكان المستشرقين فى الدراسات العربية وسائر الدراسات الشرقية. فإذا صرفنا النظر عن عمل الكثيرين منهم فى دراسة اللغة لأغراض دينية أو سياسية، فهم قبل كل شىء مؤرخون أو أصحاب إحصاء وتسجيل، لم يعهد فيهم أنهم حجة فى آداب بلادهم.. فهم أحرى ألا يكونوا عندنا حجة فى آدابنا العربية. وبخاصة فى مسائل الذوق الفنى، واختيار الشعر، والحكم على الشعراء.

وهم بعد ذلك يجهلون روح اللغة، ويجهلون معانى الكلمات، وليس من الشائع بينهم أن يتوسعوا فى دراسة التاريخ العام للبلاد الشرقية إلى جانب دراسة اللغة. فيكثر عندهم من أجل ذلك أن يخطئوا فهم أطوار اللغة، جهلا منهم بأطوار التاريخ، وبما يستلزمه من موضوعات الشعر والخطابة وغيرها من التعبيرات القومية.

تذكرت هذه السطور اللامعة التى كتبها العقاد فى كتابه الممتع: (اللغة الشاعرة) وأنا أقرأ كتاب المستشرق الفرنسى ريجيس بلاشير: (تاريخ الأدب العربى - العصر الجاهلى).. لأن بعضا من الأحكام النقدية التى تضمنها هذا الكتاب، يمكن - بكل المقاييس - أن تعد أخطاء جسيمة، حرإليها ربما تعميم الأحكام، أو ربما تلقى هذه الأحكام عن الأغيار بشكل شمولى، دون أية استقصاءات نقدية تضع إبداع الشاعر أولا وأخيرا محورا لاهتمامات الدراسة الأدبية، ومعروف أنه بدون تأمل هذا الإبداع المحور والأساس، تبقى كل الدراسات سماعا يحتمل الصدق والكذب، وشهادة تحتمل الإنصاف والوشاية بلا تفريق.

فحين يؤكد (بلاشير) فى مقدمة كتابه، (تاريخ الأدب العربى - العصر الجاهلى) أن الباحث فى الأدب العربى يجد نفسه مضطرا

لتأييد نظرية تأثير الوسط على الأشكال الأدبية، وبالتالي عدم استطاعته تجاوز الوقائع أو الحط من أثر العباقرة والنوابغ في عالم الأدب، فذلك - هنا - كما يرى (بلاشير) لأن (الفعالية الأدبية في أدوار عدة، بل في الأدوار الهامة، تظل جماعية، مجردة من كل خلق فردي أصيل، وإذا ما اتفق أن وجدنا خلاف ذلك، فإننا لا نلبث إذا أمعنا النظرة أن ندرك أن الظاهرة حركة تجديد أوجدتها فئة أو جماعة أدبية، أو هي صفة خاصة إقليمية).. وتأسيسا على ذلك يقرر (بلاشير) أننا بلاشك - كما يقول: (نلحظ في الأدب العربي، في زمن معين، جهودا بذلت للخروج من نطاق اللاشخصية والارتفاع إلى مستوى إنتاج شخصي هو انعكاس لخلق المؤلف ومزاجه، غير أن تحقيق مثل هذه الأمور يظل في حكم النادر، وينطبق على شخصيات فذة أمثال: المعري والغزالي وابن خلدون، أو من هم دون هؤلاء أمثال أبي نواس والجاحظ والمتنبي، وكم من المفتنين الذين عجزوا - على مابذلوا من جهود - عن الخروج على القواعد الموضوعة والأذواق المؤقتة السائدة).

ثم يعمّم (بلاشير) الحكم فيقول: (وعلى الجملة فالأدب العربي - وقد تلحق به آداب الشرق الأدنى - لم يعرف إلا في ومضات خاطفة تلك الحاجة المرهفة الخصبة للتجديد والتمييز والمقارنة، وكل محاولة ملحة لكشف حالة أدبية متميزة عند أمثال أبي نواس وأبي العتاهية وابن الرومي، تؤدي بنا إلى تأويلات خاطئة).. ويذهب إلى ترتيب هذه النتيجة على كل هذه المقدمات.

ويظهر أن الوضع الملائم هو إظهار الوشائج الكائنة بين أصحاب الآثار الأدبية والشعراء، وبين الوسط الذي عاشوا فيه، ثم في إظهار الملامح التي تشكل النواحي المشابهة لتؤلف فيما بعد مجموعات أو «زمرا عقلية».. إن مثل هذه الطريقة تقودنا إلى نتائج مخيبة، ولكنها الوحيدة التي تبعدنا عن الأهواء وتحول دون اطلاق صفتي الجدة والطرافة على آثار لاتملكها، والتي تنحصر فائدتها في تجردها من هاتين الصفتين، وعندها تتبدل مرامي تلك الآثار، على اعتبار أنها ليست شواهد فردية بل تعبيرات منبعثة عن طبقة اجتماعية، أو طائفة تعكس في آن واحد حياتها ومثلها العليا) - (المقدمة - ص١٤ - ١٥).

- ٢ -

فهل صحيح كل هذا الذي زعمه (بلاشير)؟

هل يمكن الموافقة على أن الإبداع (العرقي) (كله) ليست فيه خصوصية تنبيء عن فرادة المبدع، وإنما هو مجرد صورة جماعية مكرورة، وفنانوه (زمر) تردد ماقيل بلا أية قدرة على إمكانية التجديد والابتكار، وتختفي فيه ملامح (الشخصية) لتذوب في محيط (اللاشخصية) العام، ويتنوع على أساس (القواعد الموضوعة) (والأذواق المؤقتة السائدة)؟؟؟

وهل حقيقي أن الأدب العربي لم يعرف إلا (ومضات خاطفة) من التجديد والتمييز

والمقارنة؟؟؟؟

وهل كان (الوسط) الذى عاش فيه الشعراء العرب بالفعل جبريا فى توجيههم وجهة واحدة، وساحقا فى هذا التوجيه إلى هذا الحد الذى يجعل من جميعهم مجرد نسخ مكروررة أو حتى متشابهة؟؟؟؟

وهل ظل شعراء العربية يعبرون - كما يقول - ليس عن (عوالمهم الخاصة) وإنما عن (طبقة اجتماعية أو طائفة تعكس فى آن واحد حياتها ومثلها العليا)؟؟؟

لانريد أن نستعرض الأدب العربى كله، ولانستطيع أن نستعرضه كله، وإنما سنكتفى بتأمل بعض نماذج (الشعر الجاهلى) (والشعر الإسلامى)، وهما أقرب مراحل الإبداع العربى إلى هذه الصيغة الظالمة التى وضع بها (بلاشير) طوق الاتهام حول عنق كل هذه الظاهرة الشعرية العربية منذ الجاهلية حتى بدايات العصر الحديث.

فهل كان عالم امرىء القيس هو نفس عوالم طرفة بن العبد.. وزهير بن أبى سلمى.. وعنترة بن شداد.. وعمرو بن كلثوم.. والحارث بن حلزة.. ولبيد بن ربيعة.. شعراء المعلقات؟

وهل كانت عوالم هؤلاء الشعراء هى نفس عوالم الشعراء الصعاليك.. والشعراء الفرسان.. والشعراء المتألهين؟

ثم هل كانت دواوين القبائل نسخا لدواوين القبائل الأخرى، بلا تمايز يعبر عن خصوصية الإنسان، أو خصوصية الزمان، أو خصوصية المكان؟

نحن نعرف أن العالم الشعرى لطرفة بن العبد يتميز بعشق المغامرة.. والإحساس بالعرضية.. ونسيان الواقع الظالم فى أحضان المتعة والغياب:

ونعرف أن العالم الشعرى لزهير بن أبى سلمى يتميز برحابة التجربة. وحكمة الأشياء وأخلاقية الاتجاه.

ونعرف أن العالم الشعرى لعروة بن الورد يتميز بالتمّرد على واقع التفاوت، والانحياز إلى الجائعين والمتعبين.. والإلحاح المستمّر على عبور الذات إلى الآخرين.

فاذا انتقلنا من الجاهليين إلى الإسلاميين.. وجدنا العالم الشعرى لأبى نواس يتميز بعشق اللذة والذات.. والسخرية من كل المواضعات الاجتماعية والأخلاقية.. والصحْو آنا بعد آن فى بكائيات شفيفة ضارعة.

ووجدنا العالم الشعرى للمتنبى يتميز بطغيان الإحساس بالقوة.. وفلسفة الأشياء والقيم.. والتمزق النبيل بين محدودية الطاقة ولامحدودية الطموح.

ووجدنا العالم الشعرى للمعرى يتميز بتأمل الحياة والكون والمصير.. وتعرية الباطن الإنسانى وعرضه فى قسوة على ذاته.. والدعوة إلى رفض الافتراس فى تعاملنا مع الأحياء والأشياء.

فهل يمكن أن يقال - بعد كل ذلك - أن الإبداع العربى ليست فيه أية خصوصية مميزة؟

وليس لمبدعيه أية قدرة على الابتكار والتجديد؟ ولم يستطع أن يجسد ملامح (الشخصية) لفنانة؟ وأنه ظل طوال تاريخه أسيرا للأنماط السائدة والقواعد الموضوعة، والوسط الجبرى، والطبقة الأم؟

لقد أنصف النقد العربى القديم جهد الإبداع الشعرى لشعراء الجاهلية والإسلام، وحدد لكل عبقرية شعرية مجالها وخصوصيتها، فقال ابن سلام مثلا: (سألت يونس النحوى عن أشعر الناس، فقال: لا أومىء إلى رجل بعينه، ولكنى أقول: امرؤ القيس إذا غضب، والنابغة إذا رهب، وزهير إذا رغب).. ويبدو ذلك تحديدا علميا لخصوصية كل واحد من هؤلاء، وتركيزا على المنحى الذى يشكل جوهر عالمه الذاتى.. وأمثال هذا التحديد كثير فى تراثنا النقدى القديم.

ولكنا ندرك أن أمثال (بلاشير) قد لايسلمون بالأحكام النقدية التى تنسب إلى علماء التراث العربى، على الرغم من علميتها وموضوعيتها معا، ومن هنا يجوز أن نجبههم بأحكام نقدية أطلقها مستشرقون معاصرون، أكدوا من خلالها خصوصية كل شاعر من شعراء العرب الكبار، على نحو يقطع بأن غياب (العالم الخاص) لكل شاعر منهم، فرضية لاتسكن غير عقول المتسرعين الذين لم يستطيعوا قراءة الموروث الشعرى العربى قراءة فاهمة.

يقول بروكلمان عن خصوصية عالم عنترة الشعرى: (وفن عنترة الشعرى، الذى نعرفه من معلقته بصورة أساسية، هو فى حقيقته فن بدوى نموذجى) (تاريخ الأدب العربى (١ / ٩١).

ويقول عن خصوصية عالم طرفة الشعرى: (وفضل النقاد العرب طرفة على سائر الشعراء بإجادته وصف الناقة فى معلقته على نحو لم يسبق إليه، ويميل بعضهم إلى عده أشعر شعراء الجاهلية) (تاريخ الأدب العربى - جـ ١ - ص٩٢).

ويقول عن خصوصية عالم زهير الشعرى: (ويروى لزهير سبع قصائد نظم كلامنها فى عام كامل، ومن ثم سميت الحوليات، وقد برز عنصر التهذيب والتعليم بقوة فى شعر زهير، ولاسيما فى معانى العتاب والزهد، حتى ظن بعض العلماء أنه خاضع لتأثير النصرانية، نعم كان تأثير النصرانية واسع الانتشار قديما فى جزيرة العرب، بيد أنه لايجوز من أجل ذلك عده نصرانيا) (تاريخ الأدب العربى - جـ ١ - ص ٩٥).

ويقول عن خصوصية عالم امرىء القيس الشعرى: (ويرى النقاد العرب أن امرأ القيس أول من استعمل النسيب وغيره من معانى الشعر فى أسلوب القصائد، ومن الخصائص العروضية فى شعره كثرة استعمال الضرب المقبوض فى الطويل، وكثرة الإقواء فى القافية، وكثرة التصريع فى غير أول القصيدة). (تاريخ الأدب العربى - جـ ١ - ص٩٩).

ويقول عن عالم الشنفرى الشعرى: (... أما فى لامية الشنفرى فيواجهنا مذهب شعرى مستقل، كما أكد ذلك بحق جورج ياكوب فى تقديمه للأمية، وعلى حين يجعل الشعر الجاهلى وصف الطبيعة من الجبال والفيافى وغيرها، غرضا مقصودا لذاته، يتخذ شاعر اللأمية هذا الوصف

بمثابة منظر أساسي بهيج لتصوير الإنسان، نفسه وأعماله، وإذا فليس هناك مايحملنا على موافقة قدامى اللغويين الذين اقتفى أثرهم كرنكو في دائرة المعارف الإسلامية، والذين افترضوا لهذه القصيدة اللامعة بين قصائد الشعر الجاهلي شاعرا آخر غير الشنفرى الذي رويت له القصيدة). (تاريخ الأدب العربي - جـ ١ - ص ١٠٦ - ١٠٧).

ويلفتنا هذا النص الأخير إلى حقيقة نقدية ساطعة، وهي أن موافقة بروكلمان للنقاد العرب في تحديد خصائص العوالم الشعرية لكل من عنترة وطرفة، وزهير، وامرئ القيس، ليست مجرد موافقة ناقلة، وإنما هي موافقة معقّلة، بدليل أنه حين لم يقتنع بما قاله النقاد القدماء الذين اقتفى أثرهم كرنكو، في انتماء لامية الشنفرى، إليه أو إلى غيره، رفض وجادل وقرر.. وهذا يطمئننا إلى مدى بعيد بأن بروكلمان كان شريكا فكريا للنقاد العرب في تأكيدهم على خصوصية كثير من شعراء الجاهلية واستقلال كل منهم بعالم خالص.

فإذا زعم بعض المستشرقين بعد ذلك- أن مجرد اشتراك هؤلاء الشعراء في «الاتجاه العام» في عصرهم، يلغي خصوصيتهم الفنية فهذا الزعم غير العلمي يسحب كل الأرض من تحت أقدام كل المذاهب الأدبية في القديم والحديث على السواء.. إذ كيف إذن تكونت المذاهب الأدبية والفنية، في القديم والحديث، في الشرق والغرب، إن لم يكن من «هذا التوجه العام» الذي يعقد وشائج فنية بين «زمر» معينة؟ أو من مجموع إبداع عقليات أدبية وفنية استقطبت همًا وجوديا وفنيا مشتركا، أسهم فيه كل عقل بمنظوره الخاص ورؤيته المتفردة؟ أو من التوفر على مضامين بذاتها شكلت توجه العنصر الفني إلى استقصاء هذه المضامين وصياغتها في شكل فني؟ أو من الالتقاء- حتى في الشكل- صورا، وأبنية، وتصاميم، ليؤكد أن حركة فنية ما لابد أن تتبادل عملية التأثير والتأثر، وتشكل بقبضها على هذه الملامح الشكلية عصراً فنياً له طبيعته الخاصة، وحضوره الخاص؟

على أنه من المعروف أن شعر المقطوعة مرحلة سابقة على شعر القصيدة وغالبا ما كان الشاعر يعبر من خلال المقطوعة عن ذاته وهمومه الخاصة، أي عن وجدانه الفردي، فلما طغى الإحساس بالجماعة، انعكس ذلك على الشعر، ولم يكن طغيان هذا الإحساس الجمعي سوى نتيجة لما أحاطت به الجماعة شاعرها من تكريم وحفاوة تاريخية، ولما أحاطت به شعره من تقدير يوشك أن يكون طقوسياً، ولما أحسه الشاعر- وسط ذلك كله- من دور قيادي جعل من انتمائه ضرورة حياتية وفنية لازمة، فغنى هموم الجماعة في شعره، وكانت تلك مرحلة من مراحل تاريخية الشعر العربي.

ومع ذلك فقد ظل للشاعر صوته الخاص، وعالمه الخاص، الذي إن عجز- لهذا السبب التاريخي السالف- عن تضمينه في قصيدته بكاملها، فإنه استبقى هذا العالم وهذا الصوت الخاص، في مقدمات قصائده من جهة، وفي المنظور الفلسفي والموقف الفني الذي يعكس

من خلاله تجاربه الشعرية من جهة أخرى.. مع ملاحظة أن الشعر إذا صار وجدانا جماعيا فتلك مرحلة تقدم وليس دليل اتهام.

إن اشتراك مجموعة من العبقريات الفنية في عصر واحد، يعني- على الفور- توجهها العام إلى همسوم بذاتها، ومع ذلك فهو لا يلغي خصوصيتها في الرؤية والإحساس والتشكيل، كما يعني أن الحركة الإبداعية لهذه العبقريات تمتلك نوعا من الوعي الجماعي الذي يقود الإبداع في اتجاهه، حتى يكون قادرا على التعبير عن مخاض عصره بلا غياب في أنانيات تعبيرية مسطحة.

وقد يخيل إلينا أن الذي جرّ إلى هذا الموقف التعميمي، لدى بعض هؤلاء المستشرقين أنهم وجدوا «موضوعات» بذاتها تتكرر في الشعر العربي، والجاهلي منه على وجه التحديد، فشبّه لهم أن تكرار هذه الموضوعات تكرار للمنظور الفني الذي واجهها به هؤلاء الشعراء، ومن ثم شبه لهم أن البناء الفني للشعر الجاهلي مجرد تنويع على أساس واحد بلا تجديد.

مع أنه معروف - من الوجهة النقدية - أن «الموضوع» لا يحدد قيمة الإبداع، فقد يتناول الموضوع الواحد شعراء متعددون، ويبدع كل واحد منهم، من هذا الموضوع الواحد، تشكيلا جمالياً مختلفاً في تكويناته وإيحاءاته بلا حد.

كما أن «الموضوع» في «الشعر بالذات» لا يشكل سوى مجرد مُثير محرّض على الإبداع، مع التسليم بأن وحدته نابعة من تشابه الإطار المادي الذي يحيا فيه الشعراء ويعبرون عنه، ومن ثم تصبح هذه الوحدة وحدة مراوغة، لأنها تخدع المتلقي الساذج فتخيل إليه أنها هنا كما هي هناك، مع أن قليلاً من الغوص والتعمق يقفنا على حقائق المسافة الفاصلة بين قصيدة الطبيعة مثلا عند شاعرين يمتلكان منظورين مختلفين.

فإذا وصف شعراء الجاهلية مناذج الطبيعة، أو مفاوز الصحراء، أو هذا النوع من الأحياء التي تشاركهم حركة واقعهم اليومي، فليس معنى ذلك أن كلا منهم يكرر الآخرين هكذا بلا تمييز، فبعضهم- كما حدثنا بروكلمان- كالشنفرى، لا يكرر وصف الطبيعة ككائن حيادي، أو حتى ككائن مراوغ، وإنما يصفها كإطار عام يتحرك داخله الإنسان فيترك عليه من طابعه، ويأخذ هو كذلك من طوابعه.. وقل مثل ذلك في وصف الأطلال والناقة والرحلة.. إن كلا منها يبوح بمضمون إنساني مختلف، في هذا العمل الشعري أو ذاك، لهذا الشاعر أو ذاك، مع تكررها بأعيانها الظاهرة في كل القصائد تقريبا.

وهكذا يتحدد الحجم الحقيقي لمثل هذه الدراسات الاستشراقية، كما يتحدد حجم الدور المنوط بنا في قراءة هذه الدراسات، وتقويمها، والتنبيه على بعض ما فيها من مغالطات فكرية، قد تكون نتيجة القصد، أو نتيجة القصور، أو نتيجتهما معاً، فشبابنا الطالع يظل أمانة في أعناقنا، حتى يقوى عقله على التفكير المستقل، وجناحاه على التحليق البعيد.

مسئولية العلماء

لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف

العلم أمانة استودعها الله لدى العلماء الذين اصطفاهم من خلقه، ونوه بقدرهم ومكانتهم ومنزلتهم، وأشاد القرآن الكريم بهم فى كثير من سوره مبيناً وموضحاً صور تفضيلهم..

فتارة يحكم بنفى التسوية بينهم وبين غيرهم، فيقول سبحانه وتعالى:

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(١)

فقد نفى ـ سبحانه ـ المساواة بين العالم والجاهل، فلا يستوى عند الله العلماء الذين يعلمون ويعملون بمقتضى علمهم، والذين لا يعلمون ويعملون بمقتضى جهلهم.

وتارة يقصر خشية الله على العلماء، فيقول جل شأنه:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾(٢)

أى: إنما يخاف الله ـ تعالى ـ ويخشاه العالمون بما يليق بذاته وصفاته من تقديس وطاعة، وإخلاص فى العبادة، وإدراك وفهم لما يحيط بهم من أسرار خلق الله فى كونه، واستيعاب وتحصيل علوم الدين والدنيا، والعمل فى طاعة الله بمقتضاها... وكفى بهذه الآية الكريمة مدحاً للعلماء، حيث قصر ـ سبحانه وتعالى ـ خشية الله والخوف منه على العلماء..

وتارة يقصر الفهم السليم، والإدراك العميق لمعانى آيات القرآن الكريم، وفهم المقاصد والغايات والأهداف من الأمثلة التى يضربها فى القرآن الكريم على العلماء، فيقول عز وجل:

﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾(٣).

---

(١) الزمر (٩). (٢) فاطر (٢٨).

(٣) العنكبوت (٤٣).

فقد ساق القرآن الكريم أمثلة كثيرة ومتنوعة في آيات سوره على سبيل الإرشاد والتوضيح، والتنبيه والتحذير، والترغيب والترهيب . . . غير أنه لا يعقل هذه الأمثال، ويفهم معانيها ومقاصدها، والهدف والغاية من ضربها إلا الراسخون في العلم، المتدبرون في خلق الله، الفاقهون لما يتلى عليهم.

وتارة يقصر توريث القرآن الكريم وما اشتمل عليه من عقائد وأحكام، وعبادات ومعاملات، وآداب وتوجيهات على الذين اصطفاهم من عباده، فيقول سبحانه:

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾(١)

أي أعطينا العلم لمن اخترناهم من عبادنا المؤمنين، فهم مختارون من الخيار.

وتارة يعظم العلماء ويشرفهم بأن يقرنهم باسم الله واسم ملائكته. يقول الله ـ تعالى:

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾(٢).

فبدأ تعالى بنفسه وثنى بملائكته وثلث بأولي العلم، فهذا شرف عظيم للعلماء لايدانيه شرف، ودليل على فضل العلماء وعلى مكانتهم ومنزلتهم عند الله، فلو كان يوجد أحد أشرف من العلماء لقرنهم الله باسمه واسم ملائكته كما قرن العلماء الذين سخروا ما أعطاهم الله من معارف في خدمة دينهم وعقيدتهم، وفيما ينفعهم وينفع غيرهم، وأخلصوا لله في عبادتهم، وصدقوا في أقوالهم وأفعالهم، فاستحقوا أن ينالوا هذا الشرف العظيم . . .

إذن فمسئولية العلماء كبيرة، فهم مأمورون بحفظ هذه الأمانة وأدائها بنشر العلم وتعليم الناس، وتبصيرهم بأمور دينهم ودنياهم، وحثهم على عمل ماينفعهم في الدنيا والآخرة، ولن تؤدى هذه المسئولية على وجهها الصحيح إلا إذا كان العلماء قدوة حسنة فيما يأمرون به وفيما ينهون عنه . .

وجزاؤهم عند الله كبير في حالة قيامهم بأداء واجباتهم بإخلاص لله من غير كبر ولا غرور، ولا نفاق ولا رياء، ولا تطلعاً لشهرة، ولا جرياً وراء الحكام للحصول على منصب أو جاه، ولا إراقة لماء وجوههم لتحصيل كسب مادي . . .

أما إذا قصّر العلماء في أداء واجباتهم، وخانوا الأمانة التي ائتمنهم الله عليها، واشتروا الدنيا بالآخرة، وتملكهم الكبر والغرور، ونسوا فضل الله عليهم فحجبوا علمهم عن الناس، أو استعملوه في غير مايرضى الله، أو تملقوا الحاكم ونافقوا السلطان، وأهدروا كرامة العلم والعلماء جرياً

---

(١) فاطر (٣٢).

(٢) آل عمران (١٨).

وراء تعيينهم في مناصب دنيوية زائلة، وغرّتهم الدنيا فوقعوا أسرى في زينتها وشهواتها.. فإن حسابهم - في تلك الحالة - عند الله عسير، وجزاؤهم في الآخرة النار وبئس المصير..

يقول الله تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾(٦).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «مَنْ سُئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة»(٧)، وعن كعب بن مالك عن النبي ﷺ قال: «مَنْ طلب العلم ليُجاري به العلماء، أو ليُماري به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار»(٨)، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «مَنْ تعلم علماً مما يُبْتغى به وجه الله لايتعلمه إلا ليُصيب به عَرَضا من الدنيا لم يجد عَرف الجنة يوم القيامة»(٩)، وعن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «مَنْ تعلم علماً لغير الله، أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار»(١٠).

وقد ذُكر عن موسى بن عمران - عليه السلام - أنه لما كلّمه الله تعالى - تكليماً، ودرس التوراة وحفظها، حدثته نفسه أن الله لم يخلق خلقاً أعلم منه، فهوّن الله إليه نفسه بالخضر - عليه السلام.

وقال مقاتل بن سليمان - وقد دخلته أبهة العلم -: سلوني عما تحت العرش إلى أسفل من الثرى.

فقام إليه رجل من القوم فقال: ما نسألك عما تحت العرش ولا أسفل من الثرى!!

ولكن نسألك عما كان في الأرض وذكره الله في كتابه: أخبرني عن كلب أهل الكهف ماكان لونه؟ فأفحمه.

وقال ﷺ: «ألا أخبركم بشر الناس؟ قالوا: بلى يارسول الله. قال: العلماء إذا فسدوا»(١١).

وقال عيسى بن مريم - عليه السلام: «سيكون في آخر الزمان علماء يُزهّدون في الدنيا ولا يَزهدون، ويرغّبون في الآخرة ولا يَرغبون، يَنهون عن إتيان الولاة ولا ينتهون، يُقرّبون الأغنياء ويُبْعدون الفقراء، ويتبسّطون للكبراء، وينقبضون عن الفقراء، أولئك إخوان الشياطين وأعداء الرحمن»(١٢).

---

(٦) آل عمران (١٨٧).

(٧) أخرجه أحمد ٢/ ٢٦٣، ٣٠٥، ٤٩٥.

(٨) أخرجه الترمذي رقم ٦٥٤، وابن عدي ١/ ٣٢٦.

(٩) أخرجه أبو داود ب١٢، وأحمد ٢/ ٣٣٨.

(١٠) ابن عدي ٥/ ١٨٢٧.

(١١) أخرجه أحمد ١/ ١٣٩.

(١٢) اتحاف السادة المتقين ٦/ ١٢٦.

وقال الفضيل بن عياض: كان العلماء ربيع الناس، إذا رآهم المريض لم يسره أن يكون صحيحاً، وإذا نظر إليهم الفقير لم يود أن يكون غنياً، وقد صاروا اليوم فتنة للناس.

وذكر عبدالرحمن بن عفان قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: ماأقبح بالعالم يؤتى إلى منزله، فيقال: أين العالم؟ فيقال: عند الأمير، أين العالم؟ فيقال: عند القاضي، ما للعالم وما للقاضي، وما للعالم وما للأمير؟ ينبغي للعالم أن يكون في مسجده يقرأ في مصحفه.

وقال سفيان الثوري: العالم طبيب الدين، والدرهم داء الدين، فإذا جَرّ الطبيب الداء إلى نفسه فمتى يداوي غيره؟

أما العلماء الحافظون لأمانة العلم، المؤدون حقها كما أمر الله، العاملون بعلمهم، المخلصون في أداء رسالتهم، المتعففون عن جاه ومناصب الحكام، الزاهدون في تواضع فلا تغرنهم الحياة الدنيا بزينتها ومفاتنها.. فهنيئاً لهم بما يدخره الله لهم من ثواب، ومايجازيهم به من حسنات.

فعن أبي أمامة الباهلي قال: ذُكر لرسول الله ﷺ رجُلان: أحدهما عابد والآخر عالم، فقال رسول الله ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضْلي على أدناكم، ثم قال ﷺ: إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليُصلّون على مُعلّم الناس الخير»(١٣).

وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «فقيه أشد على الشيطان من ألف عابد»(١٤).

وعن عثمان ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء»(١٥).

وقال رسول الله ﷺ: «يقول الله ـ عز وجل ـ للعلماء يوم القيامة إذا قعد على كرسيه لفصل عباده: إني لم أجعل علمي وحلمي فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم على ماكان فيكم ولا أبالي»(١٦).

وللبيهقي: يبعث العالم والعابد، فيقال للعابد: ادخل الجنة، ويقال للعالم: اثبت حتى تشفع للناس بما أحسنت أدبهم.

***

(١٣) الترمذي ٢٦٨٥، الدارمي ١/ ٧٧.

(١٤) الترمذي ٢٦٨١، ابن ماجه ٢٢٢.

(١٥) اتحاف السادة المتقين ١/ ٨٠، القرطبي ١٧/ ٣٠٠.

(١٦) الترغيب والترهيب ١/١٠١، الدر المنثور ١/٢٥١.

خطبة الجمعة

ملامح القوة فى الإسراء والمعراج(*)

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى

الحمد لله عز وجل، يحب معالي الأمور ويكره سفسافها ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾(١)، أشهد أن لا إله إلا الله، يوسع فضله للمؤمنين الأتقياء، ويؤيد بعزته المناضلين الأوفياء: ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾(٢). وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، هو بالمؤمنين رءوف رحيم، وللكافرين مقاوم خصيم، فصلوات الله عليه وسلامه، وعلى آله وأصحابه، وأتباعه وأحبابه: ﴿ لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾(٣)

يا أتباع محمد ﷺ:

نحن نتطلع الآن إلى نفحات ذكرى الإسراء والمعراج، وهي ذكرى تضم الكثير من العبر والعظات، واللائق بالمعتبرين أن يأخذوا من هذا الكثير الغزير ما يناسب ظروف حاضرهم، وما يحتاجون إليه في إصلاح أمرهم، ونحن الآن في مرحلة من الزمن تتطلب منا أن نكون أقوياء في كل جانب من جوانب حياتنا، أقوياء في إيماننا، أقوياء في بنياننا، أقوياء في أوطاننا، أقوياء في عتادنا وجهادنا، أقوياء في أخلاقنا وأرواحنا، حتى نحقق في أنفسنا قول خالقنا جل جلاله:

(*) ألقيت في يوم الجمعة ٢٥ من رجب سنة ١٣٨٨هـ الموافق ١٨ من أكتوبر ١٩٦٨م.

(١) الحج (٧٤) (٢) الذاريات (٥٨) (٣) الأنفال (٤)

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾(٤).

وللقوة فى حادث الإسراء والمعراج ملامح ماجدة متعددة، تتوجها قوة الله العلى الكبير، رب العزة والجبروت، وصاحب الملك والملكوت، الذى مجد نفسه، وعظم شأنه، وقدس ذاته، وأظهر قدرته على ما لا يستطيعه غيره، فقال مصورا جلال سلطانه، وعظيم فضله على إمام رسله فى معجزة الإسراء:

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾(٥).

ثم عاد فزكى رسوله صاحب المعراج عليه الصلاة والسلام بالقوة الربانية والعصمة الإلهية التى تجعله يعلو إذا هوت النجوم، ويهدى حين تضل العقول والقلوب فقال:

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴾(٦).

وهذا صفوة الخلق محمد تحيط به وهو يسرى إلى ربه مظاهرة القوة المادية والمعنوية، الحسية والنفسية، القلبية والروحية، ليكون المثل الأعلى لأمته التى يطالبها ربها بأن تتحلى بكل ما يزينها من قوة، وأن تعد كل ما تستطيع من قوة، وأن تأخذ كل ما أتاها ربها بقوة، وأن تصون عزتها وكرامتها بالقوة:

﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(٧)

هذا رسول الله فى ليلة الإسراء والمعراج يتدرع بقوة القلب ونقاء الصدر، فيأتيه جبريل ليطهر أحناء قلبه بأمر ربه، ويملأه إيمانا وحكمة، ونورا ورحمة كما حدثنا نبأ الشق للصدر الكريم من النبى العظيم عليه الصلاة والتسليم، ثم انتظم موكب الرحلة، فى جلاله وجماله، فجبريل يقوم مقام الرفيق، وميكائيل يمسك بالزمام ليقود، وجبريل وميكائيل علمان من أعلام الملائكة، والملائكة فيهم غلاظ شداد، وهم أيضا عباد مكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ووسيلة الركوب والانتقال هنا ترمز إلى الخفة والسرعة والاقتدار على قطع المسافات فى أقل الأوقات، وهذه الوسيلة هى «البراق» والبراق يذكر بالبرق الخاطف السريع المضئ، ولذلك قالت السيرة: إن البراق لونه أبيض، فى فخذيه جناحان يحفز بهما رجليه، ويخطو الخطوة فإذا حافره فيها يقع عند نهاية بصره، فكان سرعته أكثر من

---

(٤) الفتح (٢٩).
(٥) الإسراء (١).
(٦) النجم (١-٧).
(٧) آل عمران (١٣٩).

سرعة انتشار الضوء، وما هي إلا لحظات حتى حل سيد الخلق ضيفاً كريماً على بيت المقدس والمسجد الأقصى، ليتسلم مواريث النبوة وألوية الرسالات، بحكم أنه الرسول الخاتم، وأنه لا نبي بعده، وهناك تجلى عليه ربه بغرة القيادة وقوة الزعامة، فجمع له كيفما شاء جموع الأنبياء والمرسلين، ليبايعوه ويقدموه فيكون لهم إماما في صلاة ردد ذكراها لسان الزمان كأنها ترتيمة الوحدة في هذه الحياة:

﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾(٨).

ثم بدأت الرحلة لارتياد الفضاء وزيارة السماء، والصعود إلى أوج العلا والسناء، بدأت رحلة المعراج فكانت أول إشارة في تاريخ البشرية تعلم أمة نبي العلم والرفعة «محمد» أن تستجيب لهدى ربها حين يحثها ويدفعها إلى دراسة السماء مع الأرض، فيقول:

﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾(٩).

وتدثرت روح محمد ﷺ بما تدثرت به من سمو، وتدرعت ذاته بما تدرعت به من حصانة، وركب المعراج بقوة من هيأ له ربه الانعتاق من كثافة الحس البشري الأرضي، والانطلاق إلى آفاق الملكوت الأعلى الرباني وأخذ يعلو ويعلو، وظل يسمو ثم يسمو، حتى جاوز مراتب الأنبياء كلهم في السماء، وبلغ ما لم يبلغه سواه، وهو في حال من الثبات العظيم والأدب الكريم، فالعقل مكين مجيد، والحس وقور وطيد، والبصر مستقيم رشيد:

﴿ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾(١٠).

ولقد كان الرسول ﷺ وهو يتنقل في رحلة الإسراء والمعراج يرى جموعا من الملائكة وراء الجموع، وتحدث عن كثرتهم الهائلة، ثم استشهد على ذلك بقول ربه:

﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾(١١) وكلمة «الجنود» هنا تذكر بالجيش، والجيش مظهر للقوة، فكأن معاني القوة كانت تحيط برسول الله ﷺ عن يمين وشمال.

وعاد صلوات الله وسلامه عليه إلى مكة مغمورا بفضل الله، مؤزرا بعناية مولاه، محفوفا بحراسته وقوته وهداه، عاد إلى مكة، وأصبح كما تروي السيرة، وهو في غاية الثبات والسكينة والوقار، بعد أن شاهد في تلك الليلة من المشاهد والآيات ما لو رآه غيره لطاش منه العقل وتزلزل الفؤاد، ولكنه النبي الفتى القوي العلي، الذي كان من أمر ربه على يقين، فلا تخيفه

---

(٨) القصص (٦٨)

(٩) يونس (١٠١)

(١٠) النجم (١٦ - ١٨)

(١١) المدثر (٣١)

معارضة المعارضين، ولا يزلزله شك المرتابين، ولقد تعلقت بثوبه بنت عمه أم هانىء مشفقة من مواجهته المشركين بحادث الإسراء والمعراج، وقالت له راجية: «يا نبى الله، لا تحدث الناس بهذا الحديث لئلا يكذبونك ويؤذوك، فيقسم لها بالله مؤكدا أنه لابد أن يحدثهم به، لأنه الحق، فماذا بعد الحق إلا الضلال؟ ومضى فأعلن النبأ وقص الخبر، لا يبالى لومة لائم، ولا سخرية كافر، وصارت معجزة الإسراء تكريما لرسول الله أى تكريم، وتمحيصا للمؤمنين أى تمحيص، وتمييزا بين من يصلح للجهاد والهجرة فى سبيل الدعوة ومن لا يصلح، وكثر المكذبون، وقل الموقنون، ولكن القلة المؤمنة تزايدت مع الأيام، وتضاءلت الكثرة الكافرة حتى أصبحت كالهباء، وأبى ربك العلى الكبير إلا أن ينصر عبده، ويعز جنده ويهزم الأحزاب وحده، وجاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقا هكذا كانت ملامح القوة تحيط برحلة الإسراء والمعراج من كل جانب، لتكون تصديقا لقول الحق:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(١٢).

يا أتباع محمد ﷺ.

لا ينبغى الاقتصار فى ذكرى الإسراء والمعراج على الانبهار بجلال المعجزة وروعة الخوارق، بل ينبغى مع ذلك أن نستلهم فى هذه الذكرى كل معانى القوم لنحققها فى حياتنا فنلقى بها عدونا غدا، فنكون من المفلحين:

﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾(١٣)

واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون،،،

***

(١٢) المنافقون (٨).

(١٣) الأنفال (٦٠).

مؤسسات الاستيطان اليهودى فى إسرائيل

للأستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد

الحقيقة التى لا يجادل فيها أحد أن الاستيطان اليهودى هو جوهر المشروع الصهيونى، إذ يستهدف، فى المقام الأول، احتلال أرض فلسطين، واستقدام يهود العالم من شتاتهم فى كل أنحاء المعمورة، لتوطينهم فيها، بعد طرد سكانها الأصليين العرب، وترحيلهم منها بالقوة القاهرة، كما تشهد بذلك حقائق التاريخ الحديث والمعاصر. ويعتمد الاستيطان اليهودى على مفهوم صهيونى مفاده: «الدمج بين الاستيطان والدفاع من جهة، وبين الاستيطان والأمن من جهة أخرى»، إذ يعتقد القادة الصهاينة أن الربط بين النشاطين الاستيطانى والأمنى هو أحد الشروط الجوهرية من أجل تحقيق أهداف المشروع الصهيونى التى يأتى فى طليعتها خلق كيان يهودى نقى لا يخالطه أحد من غير اليهود. وفى هذا الإطار صار الاستيطان والأمن عنصراً رئيسياً واحداً لضمان تأمين الوجود اليهودى فى فلسطين، وأصبح إقامة أى مستوطنات جديدة فيها بمثابة تجمعات يهودية عسكرية، مجهزة للدفاع عن نفسها ضد أى تهديد عربى أو فلسطينى.

وفى هذا المقام فإن أسلوب الحياة الذى يمارسه المستوطنون داخل هذه الخلايا الاستيطانية قائم على دمج العمل الزراعى مع التدريب العسكرى لحماية أنفسهم، وضمان سلامتهم. ذلك ما يؤكده «بن جوريون» أول رئيس حكومة إسرائيلية، ووزير دفاع بقوله: «إنه بدون المستوطنات كان من الصعب قيام دولة إسرائيل الوليدة، فلم نكن لنصمد فى هذه المعركة غير المتكافئة بيننا وبين العرب، فقد خضنا، بمفردنا، حرباً عام ١٩٤٨ أمام أربعة جيوش عربية هى مصر والأردن والعراق وسوريا. ولولا استيطاننا، وعلى رأسه الاستيطان العامل، لم نكن لنبقى قوة جيشنا، ولم نكن لنتمسك بمواقعنا فى غور الأردن، ولا فى الجليل الأعلى» ولتأكيد أهمية الاستيطان فى حياة الكيان الإسرائيلى الوليد، يضيف «بن جوريون» قوله: «يجب علينا أن نبنى سلسلة من المستوطنات، تمثل أكاديمية عسكرية من مستوطنين ومقاتلين،



مستوطنون صهاينة يطوفون في شوارع القدس العربية ببنادقهم يبحثون عن أماكن جديدة يقيمون فيها مستوطنات بقوة السلاح

من مزارعين وجنود، وهذا ماتفرضه علينا الظروف الجغرافية والسياسية والاقتصادية، فبدون حرب لن نقيم مستوطنات، وبدون مستوطنات لن ننتصر في الحرب». وغني عن القول أن هذه المستوطنات، والحال هذه، ليست تكتلات مدنية فقط، بل هي تكتلات عسكرية في الدرجة الأولى.

لذلك يجب لفت الأنظار إلى أن سياسة الاستيطان تسعى لضمان السيطرة، والسيادة اليهودية على أرض فلسطين العربية، ولقد شاركت العديد من المؤسسات المعنية بالنشاط الاستيطاني في تنفيذ هذه السياسة الاستيطانية منذ قيام الكيان الإسرائيلي الغاصب على الأرض الفلسطينية عام ١٩٤٨، وسوف أتناول فيما يلي بالبيان الواضح ماقامت به هذه المؤسسات الصهيونية من جهود في هذا الصدد لتكريس الاحتلال اليهودي في فلسطين العربية، وقطع التواصل الجغرافي لها بما تقيمه عليها من مستوطنات.

لجنة مشكلات الاستيطان والري

تشكلت هذه اللجنة من شعبة الاستيطان التابعة للوكالة اليهودية، والصندوق القومي الإسرائيلي، والمركز الزراعي التابع للهستدروت (اتحاد نقابات العمال الإسرائيلي)، وممثلي سكرتارية حزب الماباي (وهو أساس حزب العمل الحالي) وممثلي قيادة «الهاجاناه» في ذلك الوقت قبل إدماجها في إطار الجيش الإسرائيلي. وقد كُلفت هذه اللجنة بإعداد خطة الاستيطان لسنوات ١٩٤٧ ـ ١٩٥١ التي تضمنت الاستيطان الأمني للحدود الشمالية لفلسطين، وتعمير صحراء النقب. وتلفت الانتباه إلى أن هذه اللجنة تحولت إلى هيئة حكومية باسم «لجنة التنسيق بين المؤسسات الاستيطانية».

وبذلك انحصر نشاطها على التنسيق بين المؤسسات المشتغلة بالأنشطة الاستيطانية في دولة الكيان الصهيوني. ولا يفوتني أن أذكر أن «ليفي أشكول» كان على رأس هذه اللجنة في بداية عملها، بالإضافة إلى رياسته لشعبة الاستيطان التابعة للوكالة اليهودية التي سأتناولها بالبيان فيما بعد.

شعبة الاستيطان التابعة للوكالة اليهودية

بدأت هذه الشعبة أول نشاطها في العشرينات بوضع حجر الأساس لمشروع الاستيطان اليهودي في فلسطين، وقد تولت - عقب قيام إسرائيل - مسئولية التخطيط لبناء المستوطنات، وتعيين مواقع بنائها بالتنسيق مع الوزارات الحكومية الإسرائيلية المسئولة عن الأمن والدفاع والاقتصاد، بالإضافة إلى إقامة البنية التحتية للمستوطنات الجديدة، من طرق، ومياه، وكهرباء، واتصالات، وتدبير التمويل اللازم لمختلف الأنشطة الاستيطانية. هذا وتولى «ليفي أشكول» رياسة هذه الشعبة، وأصبح هو الرجل الأول - منذ نشأة الدولة ولمدة ١٥ عاماً - والمسئول عن مؤسسات النشاط الاستيطاني إلى أن انتخب في عام ١٩٦٣ رئيساً للحكومة الإسرائيلية، وظل على رأس الحركة الاستيطانية لسنوات طويلة، قام خلالها بتأسيس شركة «مكوروت» للمياه التي تمد المستوطنات الجديدة والقائمة بالمياه اللازمة لها.

الصندوق القومي الإسرائيلي

يعتبر الصندوق القومي الإسرائيلي شريكاً رئيسياً مع الوكالة اليهودية في مشاريع الاستيطان إذ يقوم بتمويل شراء الأراضي فقد اشترى، في بداية نشاطه، حوالي ٢ مليون دونم من الأراضي الزراعية من حكومة إسرائيل، ونقلها إلى ملكية الشعب الإسرائيلي، وشارك في بناء المستوطنات الجديدة وساهم في تجديد القائم منها. ومن أهدافه شق الطرق، وتعبيدها، والمحافظة على الثروة الغابية، والتوسع في أعمال التشجير. وتجدر الإشارة إلى أن الصندوق القومي الإسرائيلي يتلقى الكثير من الأموال من يهود العالم لتمويل النشاط الاستيطاني. هذا وقد تحمس القائمون على رأس الصندوق لفكرة الاستيطان في الأراضي العربية التي يجري احتلالها عسكرياً لخلق حقائق يهودية جديدة على الأرض العربية، قد تكسبهم واقعاً يهودياً يتذرعون به لإثبات حق ليس لهم في أي تسوية سياسية قادمة.

المركز الزراعي التابع للهستدروت

وهو من أقدم المؤسسات الاستيطانية التي تقوم بالتنسيق بين الحركات الاستيطانية، وتمثيلها في أي اجتماعات، والتعاون في تخطيط المستوطنات الزراعية الجديدة، وتدبير الموارد المالية لأي موازنات يتم وضعها، بخصوص المستوطنات، وإعداد البرامج التدريبية لتأهيل المرشدين الزراعيين للعمل في المستوطنات الكيبوتزيه (المزارع الجماعية) بالإضافة إلى إعادة تأهيل الجنود العسكريين الراغبين في الانخراط في هذه المستوطنات الزراعية بعد تسريحهم من الخدمة العسكرية، ولم يقتصر دور المركز الزراعي عند هذه المهام، بل قام بإنشاء المدارس الزراعية لتدريب الفلاحين القدامى والجدد على اكتساب المهارات الزراعية التي تعينهم في العمل بالمستوطنات الزراعية.

وزارة الدفاع الإسرائيلي

شاركت أول وزارة للدفاع الإسرائيلي برياسة «بن جوريون» في النشاط الاستيطاني، بوصفه

جزءاً من النشاط الأمني على ثلاثة مستويات:

الأول قام فيه «دافيد بن جوريون» برياسة لجان الحوار، حول أمور الاستيطان، مما ساعد على إزالة الكثير من المعوقات البيروقراطية، وإيجاد الحلول الملائمة للعديد من مشكلات الاستيطان اليهودي،

والثاني بادر فيه «بن جوريون» بترشيح عدد من الشخصيات الخبيرة بأمور الاستيطان في مناصب الحكومة الهامة.

والثالث سارع فيه وزير الدفاع الإسرائيلي بإنشاء عدة هيئات تتولى مهمة التخطيط، والتنفيذ لسياسات الاستيطان في الأرض العربية المحتلة، وفي سياق العمل الاستيطاني انشأت وزارة الدفاع «شعبة تأهيل وتوطين الجنود» مهمتها تأهيل الجنود المسرحين من الخدمة العسكرية للدفاع عن المستوطنات، وإعادة تأهيل الجنود المصابين في العمليات الحربية، ورعاية أسر الضحايا. وقد تفرع من هذه الشعبة «قسم الاستيطان الزراعي» لتأهيل الجنود الذين اختيروا للعمل الزراعي في المستوطنات الزراعية، وإعداد برامج التدريب الاستيطاني، وتحديد إمكانيات الاستيعاب في الاستيطان الزراعي، وإدارة النشاط الإعلامي بين الجنود من خلال إعداد الندوات، والمؤتمرات، والمحاضرات، ومدهم بالمطبوعات والكتيبات لرفع المستوى العلمي، وتحسين قدرات هؤلاء الجنود المرشحين للعمل في المستوطنات، وربط الخلايا الاستيطانية بشبكة من الطرق الاتفاقية، ووضع ميزانيات المستوطنات بالتعاون مع المؤسسات الاستيطانية الأخرى التابعة للحركة الصهيونية.

القيادة العامة لهيئة الأركان الإسرائيلية

إنشئ فرع للاستيطان في قيادة الأركان بالجيش الإسرائيلي برياسة «ضابط استيطان» يتولى مايتعلق بالنشاط الاستيطاني الجديد. وقد قام فرع الاستيطان بتقديم أول خطة استيطانية عاجلة في ١٨ / ٤ / ١٩٤٩ لإقامة مستوطنات متتالية على طول الحدود الفلسطينية الإسرائيلية كنقاط للحماية العسكرية، ومستوطنات في خط ثان لتأمين مؤخرة استيطانية للنقاط الحدودية، وتأمين اتصالات منتظمة مع مراكز الاستيطان، ودعم السيطرة الكاملة على طرق النقل الرئيسية في إسرائيل، وتهويد كل المناطق التي تتمتع بأهمية استراتيجية مثل الجليل الأعلى والأوسط - ويجدر ذكره أن القسم التنفيذي بشعبة العمليات في الجيش الإسرائيلي لفرع الاستيطان، قد ساهم في وضع سبعة مبادئ أو أسس أمنية لأي استيطان جديد نذكر منها القدرة على الدفاع المدني لكل مستوطنة، وإمكانية التعاون المتبادل بين المستوطنات، والدفاع في العمق، وبناء نظام استيطاني يكفل السيطرة الكاملة على المناطق الحيوية لسد محاور احتمالات الغزو العربي، والقدرة على التصدي الفوري لأي هجوم عربي معاد، وخلق قاعدة قوية لقوات الجيش النظامي العاملة في منطقة الاستيطان. واللافت للانتباه أنه يوجد «سلاح الهندسة» التابع لهيئة الأركان، مهمته التعاون مع قسم التخطيط بالوكالة اليهودية في إعداد نماذج جديدة تلبي المتطلبات الأمنية للمستوطنين، حتى يمكن تخطيط الاستيطان الزراعي على منوالها.

مكتب رئيس الوزراء

تم إنشاء جهاز للتخطيط تابع لمكتب رئيس الحكومة، في إطار اهتمام الحكومة بالاستيطان، وقد تفرع من هذا الجهاز وحدتان رئيسيتان، إحداهما للتنسيق والتخطيط الاقتصادي، والأخرى للتخطيط الهندسي، إذ تولت الوحدة الأولى تنسيق الأعمال المرتبطة بالشئون الاقتصادية في مختلف وزارات الحكومة الإسرائيلية، والتعاون مع الوكالة اليهودية في تأهيل المستوطنين المرشحين للعمل في المستوطنات الجديدة. وتقوم وحدة التخطيط الهندسي برسم نقاط الحدود الاستيطانية، وتحديد المواقع الملائمة لإقامة المستوطنات، وكيفية الربط بينها، ورسم خريطة أهداف الاستيطان، ويأتي على رأسها، دمج الاستيطان في نظرية الأمن القومي الإسرائيلي.



على انقاض بيتهم جلسوا وهم وضرباؤهم انتظاراً لترحيلهم تمهيداً لإقامة مستوطنات جديدة للصهاينة

وفي إطار السياسة الاستيطانية في إسرائيل تشارك وزارات الزراعة، والبناء والإسكان، والبنى التحتية، كل فيما يخصه في خطة الاستيطان العامة وتخصيص الاعتمادات المالية اللازمة لتمويل بناء الوحدات السكنية في المستوطنات.

وفي الختام يمكن التأكيد على أن التعاون والتنسيق القائم بين المؤسسات الاستيطانية التي جرى عرضها في هذا المقال هو ترجمة واقعية لأهداف المشروع الصهيوني الذي يهدف إلى نقل الفائض البشري اليهودي من بلاد الشتات إلى فلسطين العربية، وتحويله إلى مادة حربية مقاتلة، لذلك تستند كل خلية استيطانية يهودية إلى قوة ذاتية عسكرية من سكانها، تتولى الدفاع عنها.

ويمكن القول ان فكرة الاستيطان اليهودي لا تهدف فقط إلى اغتصاب كل قطعة أرض من فلسطين، بل تهدف، في المقام الأول، إلى خلق واقع يهودي جديد بما تزرعه المؤسسات الاستيطانية الصهيونية من مستوطنات على الأراضي الفلسطينية المغتصبة لطمس معالمها العربية، ومحو ملامحها الإسلامية.

رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا

للأستاذ / أحمد السيد تقى الدين

«اللهم إليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى، إلى من تكلنى؟.. إلى بعيد يتجهمنى أم إلى عدو ملكته أمرى؟.. إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى، غير أن عافيتك هى أوسع لى، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تنزل بى غضبك، أو يحل علىّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بالله»(١).

دعاء نكاد نحفظه، أو نحن نحفظه بالفعل.. دعا رسول الله - ﷺ - به ربه بعدما لقى من الكفار ما لقى من عنت وأذى فى سبيل نشر كلمة التوحيد، كلمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله).. وأراد المولى - عز وجل - أن يسرى عن نبيه الكريم.. صلوات الله وسلامه عليه، فكانت رحلة الإسراء والمعراج من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم إلى السماوات العلا.. إلى سدرة المنتهى.

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(٢).

ليزداد الارتباط الإسلامى قوة بمدينة المسجد الأقصى.. بعد أن أصبح أولى القبلتين، وثالث الحرمين بمقتضى الحديث الشريف: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجد الرسول ﷺ ومسجد الأقصى».

صارت القدس، وصار المسجد الأقصى معراج رسول الله ﷺ إلى السماوات العلا.

.. ولكن اليهود فى المدينة أصابهم الجنون من جراء خروج النبوة منهم وانتقالها إلى العرب، فناصبوا نبى الإسلام - ﷺ - العداء لتبدأ القصة الحقيقية لحقيقة ما يجرى اليوم على أرض فلسطين..

فالعداء دينى، ودينى محض، وهم الذين صنعوا هذا العداء، فبينما حرص رسول الله - ﷺ - بمجرد مقدمه المدينة المنورة على إعلان دستور ينظم العلاقة بين جميع الطوائف التى

---

(١) سيرة بن هشام.

(٢) الإسراء (١).

تعيش فيها بشكل يساوي بين الجميع.. مسلمين ويهود فيما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات، كانت قصص الجنة التي حكى عنها قرآننا وتوراتهم، وأقل القليل من ذلك ما ورد عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت: استأذن رهط من اليهود على النبي ـ ﷺ ـ فقالوا: السامُ عليك (بدلاً من أن يقولوا السلام عليك) فَقُلْتُ: بل عليكم السام واللعنة.. فقال: يا عائشة، إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله. فقلت: أولم تسمع ما قالوا؟.. قال: قلت: وعليكم[٣].

ذهبوا ليتحدثوا مع رسول الله ﷺ ليسمع منهم ويسمعوا منه، وبدلاً من أن يبتدروه بالسلام، ابتدروه بما هم أهل له، فهم ليسوا أهل سلام، بل أهل شر، وهلاك.

وينتقل الرسول الكريم إلى جوار ربه، لتبدأ مرحلة جديدة في تاريخ الدولة الإسلامية وتُصبح فلسطين بما فيها القدس جزءاً لا يتجزأ من الدولة الناشئة طوال ما يزيد على ألف وأربعمائة عام. أجل، القدس كانت ولازالت وستظل إسلامية، وإن كان قد أتى عليها حين من الدهر واحتلها الصليبيون ما يقرب من مائة عام.

إلا أن هذا الاحتلال لم يَلْغِ إسلاميتها، ولا عروبتها، والدليل على ذلك أنه بعد مائة عام لم يعد هناك أثر للممالك والإمارات الصليبية التي جرى إنشاؤها آنذاك في فلسطين بصفة عامة، والقدس بصفة خاصة.

والاحتلال الصهيوني الذي ابْتُلِيَت به فلسطين منذ بدء استيطان العصابات الصهيونية لها في نهاية ثلاثينيات القرن المُنْصَرِم لم ولن يلغي عروبتها وإسلاميتها.

ويخطىء من يظن أن هناك مأزقاً فلسطينياً، الفلسطينيون لا يواجهون أية مأزق، إنهم يناضلون، يقاتلون من أجل استرجاع حقوقهم، ومن يقاتل من أجل الحصول على حقه لا يواجه مأزقاً، فهو إن قُتل فلا إثم عليه ولا تثريب، وإنما هي الجنة، وإن ظفرَ فذلك هو غاية المرام.

أما الذي يواجه المأزق فإنهم (المُهَجَّرون) المنْفيون من رحمة الله. ودائماً اللص يخاف عاقبة لصوصيته، دائماً هو في خوف وهلع وذعر.

فعلى مدار ما يقرب من ثلاث سنوات متصلة عجزت آلة الحرب الأمريكية ـ الإسرائيلية عن دحر أبطال جيش التحرير الفلسطيني، بل على العكس، أدى العدوان الأمريكي ـ الإسرائيلي إلى حشد الشعب الفلسطيني كله بأطفاله قبل شيوخه، وشيوخه قبل نسائه، ونسائه قبل شبابه ورجاله، حَشَدَهُم جميعاً تحت راية المقاومة... الكل يعيش الآن تحت السلاح، يستظل بظله، الكل يعيش المواجهة، المقاومة، الحرب (الجهاد) والكل يحدوه (الحماس) انتظاراً لـ (فتح) قريب إن شاء الله، وتلاحمت الصفوف واختفت الخلافات وفشلت سياسة (فَرِّقْ تَسُدْ).

أجل هناك ألم، هناك حزن، هناك صراخ، لكن لا مكان لليأس ولا للهزيمة أو الخوف، لم يُهاجر الفلسطينيون فراراً من آلة العدوان الأمريكية ـ الإسرائيلية كما حدث عام ١٩٤٧، عقب مذابح دير

(٣) البخاري ١٤/٨، ٧١، ١٠٤، ٢٠/٩.

ياسين وكفر قاسم، وغيرها، بل صمدوا وقاتلوا، وهذا هو ما يدفع أمريكا وإسرائيل إلى الجنون.. شيمون بيريز قال: (رجل عجوز تجاوز السبعين يدفعنا جميعاً للجنون).. إنه يقصد الرئيس الفلسطيني، أو المجاهد الفلسطيني الكبير ياسر عرفات.

.. والغريب أن بيريز يعلق على المطالبة الأمريكية ـ الإسرائيلية بعزل عرفات بقوله: «ليس من مسئوليتي إعفاء أي شخص من وظيفته، والأمر متروك للفلسطينيين»(٤).

.. وعرفات رئيس مُنْتَخَب من قِبَلْ الشعب الفلسطيني، وانتخابه تم تحت إشراف دولي، وكانت الولايات المتحدة نفسها إحدى الدول المشاركة في الإشراف على هذه الانتخابات، ثم إذا كان الإسرائيليون لا يرغبون في وجود عرفات كرئيس للسلطة الوطنية الفلسطينية، فهل يتصور أحد أن الفلسطينيين يوافقون على وجود شارون كرئيس لوزراء إسرائيل؟!..

المشكلة الحقيقية التي تؤرق إسرائيل اليوم هي صمود القيادات الفلسطينية، قيادات الصف الأول، وثباتها في المقاومة، في حين أن الذي يهرب ويفر الآن، هم الإسرائيليون أنفسهم، فالتقارير الإعلامية الدولية، بل والإسرائيلية تتحدث عن هجرات معاكسة يقوم بها الإسرائيليون من الداخل إلى الخارج.. خارج أرض الميعاد المحتوم..

﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾(٥).

مؤخراً ذكرت مجلة «دير شبيجل» الألمانية أن نحو ألفي إسرائيلي تقدموا بطلبات إلى وزارة الخارجية الألمانية للحصول على الجنسية الألمانية بسبب فقدانهم الأمل داخل إسرائيل، مما جعلهم يفكرون في الهجرة العكسية إلى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، توقعت المجلة أن يرتفع عدد طالبي الجنسية الألمانية من الإسرائيليين إلى ما لا يقل عن ثلاثة آلاف!!..(٦).

ثلاثة آلاف إسرائيلي يطلبون الجنسية الألمانية! وألمانيا دولة مكروهة إسرائيلياً على المستوى الشعبي بسبب مذابح النازي ضد اليهود، معنى هذا أنه إذا هاجر ثلاثة آلاف إسرائيلي إلى ألمانيا، فلابد أن يكون عدد المهاجرين إلى الولايات المتحدة لا يقل عن ثلاثين ألفاً، وربما ثلاثمائة ألف.

إنهم يخافون الهجمات الانتحارية التي صارت أمضى سلاح فتاك يشهده الصراع الإسرائيلي ـ الفلسطيني في تاريخه، استطاع الفلسطينيون باللجوء إلى هذه العمليات الانتحارية خلق معركة جديدة يقف في مواجهتها الجيش الإسرائيلي، أحد أقوى جيوش العالم وأكثرها تسليحاً عاجزاً عن توفير الأمن لنفسه ولشعبه.

وهناك أنباء عن تحقيقات واسعة النطاق تجريها الأجهزة الأمنية الإسرائيلية مع عدد من ضباط وجنود جيش الاحتلال الإسرائيلي تم اعتقالهم مؤخراً، أتدرون ما تهمتهم؟!.. إنها بيع أسلحة للفلسطينيين، أسلحة تخص الجيش الإسرائيلي، يبيعونها بنصف وربع ثمنها، وأحياناً يباع الرشاش ومعه رشاش آخر هدية

---

(٤) الأهرام ١٧ من أغسطس ٢٠٠٢م.

(٥) الشعراء (٢٢٧).

(٦) الجمهورية ١٨ من أغسطس ٢٠٠٢م.

على سبيل إغراء المشترى الفلسطيني.

حتى وهم يواجهون المحنة، لم ينس أحفاد (السامرى و (قارون) وأبناء (شايلوك) صفاتهم الأخلاقية المكتسبة.. الاتجار بكل شيء حتى ولو كان هذا الشيء أجسادهم هم أنفسهم، فالمهم عندهم فقط هو المال، لا أمانة ولا مبدأ ولا شرف ولا أخلاق!!!...

إنهم هم الذين يواجهون المازق لا نحن... انتصر أطفال الحجارة على آلة الحرب الأمريكية الإسرائيلية... انتصروا حتى الآن.. أتدرون لماذا؟!.. لأنهم ببساطة شديدة لم يُهزَموا، لم يركعوا، والرأى العام الإسرائيلي يقول حالياً: (إذا كنا عجزنا بما نملك من أحدث ما هو موجود في ترسانات السلاح العالمية، وبكم يتفوق على الجيوش العربية مجتمعة عن تحطيم شوكة هؤلاء الأطفال، فماذا يمكن أن نفعل في مواجهة الجيوش العربية النظامية إذا وقعتْ الحرب؟!..).. من هنا كان الفرار الإسرائيلي من الداخل إلى الخارج، من هنا كان التراجع عن الهجرة إلى أرض الميعاد، بعد أن أدرك هؤلاء حقيقة ذلك الميعاد.

جورج بوش الابن، رئيس الولايات المتحدة الأمريكية حاول أن يخفف من حالة الهلع التى تنتاب الشارع الإسرائيلي فقال: (لن نسمح لأحد بأن يسحق إسرائيل).. فهل حقاً إسرائيل مهددة بالانسحاق تحت وطأة الانتفاضة الفلسطينية؟.. حتى أن الولايات المتحدة نفسها تهدد بالتدخل العسكرى بجوار إسرائيل.

شيمون بيريز يخشى من غضبة جيش التحرير الفلسطيني، جيش أطفال الحجارة فقال معتذراً عن مجزرة ارتكبتها القوات الإسرائيلية ضد عدد غير قليل من الأطفال في غزة.. (الخسائر البشرية في غزة أسْئَ تقديرها)[٧].

.. وقال في مناسبة أخرى: «إسرائيل أصبحت بالفعل مسئولة عما يحدث في المناطق الفلسطينية، وأنه يتوجب عليها الاعتناء بتحسين الوضع الاقتصادى والتغلب على المشاكل الإنسانية الأكثر إلحاحاً»[٨].. وفي مناسبة تالية قال: «إن الأعمال العدائية تتسبب في ضياع الوقت، ولابد من اللجوء إلى المفاوضات»[٩].

إنه اعتذار الخائف المُرْتَعِد من العواقب الوخيمة للعدوان الأمريكي - الإسرائيلي.

الشعب الفلسطيني لا يواجه أى مأزق، وتخطئ وسائل الإعلام العربية إن اعتقدت ذلك أو حاولت استجداء المشاعر نحو الشفقة بالشعب الفلسطيني البطل المقاتل بحثاً عن نيل حقوقه المشروعة.

الذى يواجه المأزق حقاً هو شارون، الذى فشل حتى الآن في استدراج مصر إلى حرب أعد هو عدتها على غرار ما حدث عام ١٩٦٧، ويوماً بعد يوم يقوم باستدعاء قوات جديدة من الاحتياط بزعم مواجهة أبطال جيش التحرير الفلسطيني، أطفال الحجارة.. طائرات، دبابات، صواريخ، مدفعية بعيدة المدى في مواجهة الحجارة والبنادق الآلية، كانوا يتوقعون منا أن تَغْلبنا العاطفة على الحكمة، فنبدأ في حشد الجيوش وإطلاق التصريحات

---

(٧) الأهرام ٧ من أغسطس ٢٠٠٢م.

(٨) من تصريحات لراديو إسرائيل نشرتها جريدة «الأخبار» الأربعاء ٧ من أغسطس ٢٠٠٢م.

(٩) في مقابلة مع برنامج «صباح الخير يا مصر» في ٢٠٠٢/٨/٦م.

العنترية التي تكون مسوغاً لهم لشن ما يسمونه بالهجوم الوقائي في وقت تكون فيه جيوشهم أكثر استعداداً.. كانوا يتوقعون أن تستفزنا تصريحات أحد وزرائهم الذي هدد علناً بإعادة احتلال سيناء والهجوم على السد العالي وتدميره، ولكن صدمهم رد الفعل غير المتوقع من الرئيس مبارك: «ما حدث عام ١٩٦٧ لن يتكرر».. ليجن جنونهم وفي مقدمتهم شارون الذي أصبح في وضع لا يحسد عليه، فلا هو نجح في استفزاز مصر، ولا هو نجح في ردع الفلسطينيين، وانسحابه اليوم من الأراضي الفلسطينية سيفسر بأنه انتصار فلسطيني غير مسبوق.

الضباط والجنود الإسرائيليون أنفسهم.. (أكدوا أنهم أسرى للخوف والرعب من العمليات الفدائية الفلسطينية واعترفوا بأنهم فقدوا القدرة على النوم خلال وجودهم في المناطق الفلسطينية مما أثر في معنوياتهم وحالتهم النفسية بشكل كبير).

مشكلة الإسرائيليين أنهم لا يخضعون إلا لمنطق القوة إذا استشعروا ضعفهم، أما إذا شعروا بأنهم هم الطرف الأقوى، فإنهم عندئذ يبغون ويطغون، والغريب أن رجلاً مثل شيمون بيريز وزير خارجية هذا الكيان الغريب قال: «قيل من قبل إن تحقيق السلام مع مصر أمر مستحيل، ونفس الشيء حدث مع الأردن، لذلك ليس هناك ما يمنع من صنع السلام مع الفلسطينيين».. إنه يتغافل أن السلام الذي تم توقيعه بين مصر وإسرائيل، كان محصلة انتصار مصر في السادس من أكتوبر سنة ١٩٧٣.. وما أعقبه من إحساس إسرائيل بافتقاد القوة، أو على الأقل أن هناك من يستطيع دحرها والانتصار عليها.. ومن هنا كان السلام والانسحاب من الأراضي المصرية المحتلة كلها انسحاب الصاغر الذليل المضطر.

* الولايات المتحدة أعلنت منذ أيام على لسان وزير دفاعها دونالد رامسفيلد «أن الأراضي المحتلة هي مكسب جنته إسرائيل بالحرب، ولا تعتبر تلك الأراضي محتلة»(١٠).. ومن ثم فإنه بناء على وجهة النظر الأمريكية هذه لا يبقى أمام الشعب الفلسطيني إلا أن يستعيد ما خسره بالحرب، وبالحرب فقط، تماماً كما فعلت مصر عام ١٩٧٣، وكما فعل الفرنسيون في مواجهة هتلر في الحرب العالمية الثانية، حيث كان الأخير قد اعتبر الأراضي الفرنسية التي احتلتها ألمانيا مكاسب جنتها ألمانيا بالحرب.. هتلر كان قد احتل فرنسا.. أتذكرون؟!..

فلابد إذن أن يحظى الفلسطينيون بانتصار مدوٍ على الإسرائيليين، وصولاً إلى سلام متكافئ بين طرفين متعادلين في القوة، القوة القائمة على: العين بالعين، والسن بالسن، وقتيل بقتيل، وهو وضع يقبله ويرحب به الفلسطينيون من منطلق «قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار».. وهم في هذه الحالة في وضع معنوي أفضل بكثير من الجانب الإسرائيلي الذي أصبح في حالة رعب وفزع.

.. والرئيس محمد حسني مبارك أعلن وحذر بشكل واضح في تصريحات للصحفيين الإسرائيليين عقب لقائه مع وزير الخارجية

---

(١٠) الأهرام ٩ من أغسطس ٢٠٠٢م

الإسرائيلي شيمون بيريز يوم الاثنين ٥ أغسطس ٢٠٠٢م: «من استمرار تردي الوضع واستمرار العنف المضاد مادام الفلسطينيون تحت الحصار في مدنهم وقراهم دون أن يستشعروا أي أمل في التوصل إلى تسوية مُرْضية وعادلة لقضيتهم، وحصولهم على حقوقهم المشروعة، وقال: إن الفلسطينيين لن يتنازلوا عن حقوقهم، فقد ناضلوا من أجلها نصف قرن مضى، وسيواصلون هذا النضال لنصف قرن آخر إذا لزم الأمر»[١١].

.. ورؤية الرئيس مبارك سليمة مائة في المائة، فالفلسطينيون لا يوجد لديهم ما يخسرونه، فأرضهم محتلة، وبيوتهم مستباحة، وبالتالي ليس لديهم شئ يبكون عليه، أما الجانب الإسرائيلي فلديه ما يخسره ويخشى عليه وهو كثير: تقلُّصُ مساحة الأرض المغتصبة التي يقفون عليها، انهيار الأمن القومي بشكل يجعل الهجرات اليهودية إلى إسرائيل مسألة مستحيلة، مما يؤدي إلى انهيار مروع على المدى البعيد، فضلاً عن الخسائر الاقتصادية، وغير ذلك كثير.

وقد كان من المضحك جداً بعد تلك الجرائم المرتكبة في حق شعبنا العربي في فلسطين أن يوجه القتلة والمغتصبون الاتهام إلى عدد من الكُتّاب المصريين بمعاداة السامية من منطلق معاداتهم لليهود، وكأنهم نسوا أن الدولة الصهيونية تسمى في الدوائر العالمية والإسرائيلية نفسها بـ(الدولة العبرية) أي أنها بالتأكيد، دولة تخص اليهود، واليهود وحدهم هم الذين ذبحوا الأطفال والنساء



أطفال إرهابية!!

والشيوخ وبقروا بطون الحوامل في دير ياسين، واعتدوا على بلادنا سنة ١٩٥٦ و ١٩٦٧.

فهل يتوقع منا هؤلاء بعد ذلك الماضي الحربي التليد أن نكون أصدقاء؟!!.. هكذا بين عشية وضحاها، ما الذي قدموه حتى تكون هناك صداقة؟!.. انسحبوا من أرضنا التي احتلوها!!.. هل يعتبرون هذا مبرراً للصداقة؟!!.. وهل جواسيسهم الذين يتساقطون يوماً بعد يوم هم سفراء تلك الصداقة؟!!..

ما الذي يتوقعون أن يقال عنهم، وتحديداً ما نقوله عنهم هنا في مصر؟!!.. هل يتوقعون أن نقول إننا نحبهم، أو أننا على استعداد لأن نكون

(١١) الأخبار ٦ من أغسطس ٢٠٠٢.

أصدقاء حميمين لهم؟!!.. تلك هذه البلاهة بعينها.. كيف أحب مَنْ هدم المسجد ومزق المصحف وقتل الأطفال والرُّضَّع على نحو دفع وزير خارجيتهم للاستياء؟!!.. كيف أحب مَنْ منع الأذان؟!!..

هل يتصورون أننا لن نُعَبِّر عن كرهنا لهم؟!!.. وأننا لن نحض على كراهيتهم؟!!.. يا للبلاهة..... أولا يعلمون إن الحب والكره شعور وجداني محض لا يمكن التحكم فيه أو السيطرة عليه؟!!.. ألم يقل كبير من كبرائهم وهو ذلك المدعو (يوسف عوفاديا): «عليكم اللعنة أيها العرب، إنكم تتكاثرون وتتناسلون مثل النمل».. وقال: «حُرِّمَ علينا إبداء أي رحمة تجاه العرب.. عليكم أن تمطروهم بالصواريخ».. هذا الشخص يدعونه بـ(الحاخام الأكبر) وهو يعد الزعيم الروحي لحزب شاس، أحد أقوى الأحزاب الدينية المتطرفة الإسرائيلية التي يعتمد عليها شارون في التصويت على سياساته العدوانية تجاه العرب داخل الكنيست الإسرائيلي.. أي أن هذه التصريحات محسوبة بالضرورة على الحكومة الإسرائيلية.

وعندما يأتي من يتناول تاريخهم وسيرتهم العَفنة التي يحفظها العالم أجمع، بل وتُتلى في الصلوات إنجيلاً وقرآناً تثور ثائرتهم، ويحشدون أبواق الدعاية وينظمون المحاكمات.

سيتأسدون علينا بامتلاكهم أسلحة الدمار الشامل وامتلاك القدرة على إفناء الحياة من على وجه الأرض، وهي أسلحة لم ولن نسعى إلى امتلاكها لأننا كما قال المولى - عز وجل -:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾(١٢).

وليس في قرآننا ما يدعونا إلى إهلاك البشر.. ولماذا نسعى إلى امتلاكه ولدينا السلاح الأمضى والأشد؟!!.. لدينا الدعاء إلى الله:

﴿ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ ﴾(١٣).

﴿ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴾(١٤)

﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ۝ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾(١٥).

ومع هذا، فإننا نحن المصريين مدعوون إلى وقفة جادة مع النفس، وقفة نعلن فيها أن الكرامة لا تُباع ولا تُشترى، وقفة نلتف فيها حول قائدنا، نُدَعِّمه ونؤيده.

وقفة نُعْلِن فيها أننا لن نأكل إلا حصاد زرعنا.

لقد وفرت الدولة آلاف الأفدنة تنتظر شبابنا لكي يكد ويشقى في زراعتها، ولكننا نكتفي بالنظر إليها عندما نمر بجوارها على طرق السفر السريعة منطلقين إلى الشواطيء.

أيها المصريون.. املكوا قُوتكم لتملكوا قراركم.

---

(١٢) آل عمران (١١٠).

(١٣) آل عمران (١٣).

(١٤) العنكبوت (٣٠).

(١٥) نوح (٢٦، ٢٧).

لن نصبح شعوبا إسلامية بسمات أمريكية

للدكتور / محمد حسن عبد الخالق

فى حياة الأمم، كل الأمم، انتصارات وكبوات، والحياة تستمر والأجيال تتعاقب، وننسى أو نتناسى فى خضم الأحداث ومشاكل الحياة، والتاريخ وحده هو الذى يسجل بلا تدخل من أحد ومهما حاول أى طاغية أن يزيف الحقائق أو يضفى على عمله الإجرامى شرعية من نسج خياله مهما استخدم من عبارات هلامية ليس لها معنى محدد مثل، محاربة الإرهاب، أو، الدرع الواقى، أو حتى معادات السامية فما سجله التاريخ لا يخفى على أحد وقد أصبح واضحا لدى العيان أننا نعيش عصر القوة الغاشمة، عصر القطب الواحد عصر من معنا؟ ومن ضدنا؟ عصر من يسبح فى فلكى نجا من الهلاك ومن يسبح ضد تيارى تحطم على صخرة جبروتى.

ورب ضارة نافعة، فأحداث الحادى عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١، برغم رفضنا لها وبكل المقاييس، وبرغم إدانة العالم العربى والإسلامى لهذا العمل الإجرامى الذى اهتزت له مشاعر العالم والذى لم يعلن بعد عن فاعله الحقيقى ومن شاركوه وجنسياتهم برغم مرور عام كامل والواضح ان التحقيقات لن تنتهى.

فقد وجدت أمريكا فرصة فرض الهيمنة على العالم أجمع، وكانت التجربة الأولى لنجاحها فى أفغانستان المسلمة، وما حدث هو بداية وليس نهاية والحقيقة أن صدمة الحادى عشر من سبتمبر تركت آثارها على المستوى الأمريكى والعالمى.

والسؤال الذى يطرح نفسه: هل تسعى الولايات المتحدة الأمريكية إلى الأخذ بالثأر؟ وممن؟ لو أنها تقصد القاعدة وتنظيم طالبان، فقد حققت هدفها فى أفغانستان، ووجدت بديلا يحظى بالدعم الأمريكى المطلق.

وليس لأمريكا هدف واحد بل لها أهداف تالية، فقد طالعتنا بالمرحلة الثانية، وهى فكرة «محور الشر» التى تشمل بلدين مسلمين بالإضافة إلى كوريا الشمالية برغم أننا لا نعرف الرواية الكاملة عما حدث فى ١١ سبتمبر، لكن الإدارة الأمريكية نجحت فى استغلال الحدث وتوظيفه، وإلقاء التبعة على الإسلام والمسلمين!!.

وهناك قاسم مشترك بين حكومة بوش الإبن،

وحكومة شارون وكلنا يعرف الظروف والملابسات فى نجاح بوش، وأنه وصل إلى الحكم بالقضاء ولسنا هنا فى مقام الحديث عن السياسة الأمريكية داخل أمريكا، ولكننا ننظر إلى السياسة الأمريكية وتداعياتها على العالم العربى والإسلامى.

فبعد القضاء على حكم طالبان وتنظيم القاعدة ارتفعت أغلبية بوش إلى ٨٨٪ ومع الإصرار على ضرب العراق انخفضت إلى ٦١٪ وكذلك فى إسرائيل فقد زادت أغلبية شارون بين ٥٤٪ إلى ٦٦٪ وهى إدارة حكومية يمينية متطرفة.

ونسمع الآن عن المعاهدة الأمريكية الإسرائيلية بعدم تسليم أى مجرم حرب للمحكمة الدولية، حيث لم توقع أى منهما على معاهدة جرائم الحرب فى لاهاى والتى دخلت حيز التنفيذ منذ يوليو ٢٠٠٢ وما حدث فى فيتنام ليس ببعيد.

ونرى كذلك انتهاك إسرائيل لقواعد وشروط استخدام الأسلحة الأمريكية المنشأ.

وأود أن أشير إلى أن دافع الولايات المتحدة ليس تعزيز الديمقراطية وإنما تغيير النظم على أهوائها وإيجاد من يقبل الإسلام والنظام والحكم على الطريقة الأمريكية.

أود أن أشير إلى الأقلام اليهودية الصهيونية المسمومة التى تعتبر كل من يجرؤ أو يتطاول لكشف جانب من جوانب الظلم الإسرائيلى الصارخ إنما يعادى السامية، كيف نعاديها ونحن أصلا ساميون من نسل سام بن نوح عليه السلام؟!، بل إنهم قد استطاعوا فى غفلة من الزمن ومن الدول العربية انتزاع قانون فرنسى يحرم بل ويجرم كل من يتطاول عليهم، ومن يشكك فى افتراءاتهم، ويخضع للمحاكمة والحبس.

وحاخامات إسرائيل على المستوى الدينى وراء ارتكاب كافة أنواع الجرائم ضد الأغنياء «غير اليهود» وتضع نفسها فى خدمة جيش الدفاع الإسرائيلى ضاربة بالأوامر والنواهى الدينية عرض الحائط والفتاوى جاهزة وعقول الغرب تحت السيطرة اليهودية بما لديهم من وسائل الإعلام وبتخصصهم فى غسل العقول.

فقد غرس حاخامات اليهود فى عقول شعبهم كره جميع الشعوب الأخرى لأنها فى نظرهم شعوبا وثنية، لذلك أفتوا بأنه لا يصح لشعب الله المختار أن يصاهر الوثنيين واعتبارهم خطرا على الدين اليهودى، على اعتبار أن الزواج بالأجنبيات زواج غير مقدس.

وقد طفت على السطح مسميات تدعو للعجب مثل «ظاهرة الإسلام السياسى بعد أحداث ١١ سبتمبر.. الخ».

وأود أن أشير إلا أن الإسلام دين كامل متكامل يصلح لكل العصور دين إرتضيناه، ولا نجبر أحداً على الدخول فيه واعتناقه ولا نخشى من ضياعه، فالله سبحانه وتعالى هو الذى يحفظه:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾(١).

وتمخض فكرهم عن عمل دراسة للعالم العربى يقوم بها نخبة من الأساتذة الأجانب والعرب الذين تعلموا فى أحضانهم والهدف مساعدة الغير وخرجت النتيجة: ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب.

ويهمنى فى هذه النتيجة وضع المرأة العربية، حيث زعمت تقاريرهم المشبوهة أنه وضع متدن للغاية وأنها لا تتمتع بحقوقها، وتعيش تحت ظلم صارخ بدءا

---

(١) (الحجر ٩)

بالختان وإنتهاء بعدم ممارستها حقها الانتخابى، بالإضافة لكونها قد تكون الزوجة الثانية أو الثالثة أو الرابعة . . . الخ .

والسؤال الذى يطرح نفسه هل وصل بكم الحقد لمحاربة الإسلام عن طريق المرأة المسلمة؟ هل تدخلنا فى شئون المرأة اليهودية مثلا : وإنها حتى الآن تستيقظ فى الصباح وتقول : أنا امرأة وما قيمتى .

إن الدين الإسلامى الحنيف هو الذى أنصف المرأة وأعطاها كافة حقوقها .

إنها حرب ضروس بعيدة عن آلة الحرب ولكنها أكثر تأثيرا من القنبلة الذرية وهذا ليس بجديد ولا ننسى الحرب ضد الختان ثم « الحجاب » الذى أصبح الآن مرادفا للإرهاب والقاعدة وطالبان .

والجهود خلف الكواليس والمساومات من أجل حصول أمريكا على تأييد الدول الأوروبية لتبنى وجهات النظر الأمريكية، لفرض الرؤية الأمريكية .

وللإعلام دوره : فقد فاجئتنا نجمة الإغراء الفرنسية « برجيت باردو » وهى تهاجم الإسلام الذى يسمح بذبح الحيوانات وأكلها .

وأقول لها : أبناؤنا فى فلسطين يذبحون يوميا وتنهش لحومهم الكلاب الضالة فهل تتأثرين للبشر كما تأثرت للحيوانات!! .

وأود أن أقول إلى أننا فى أشد الحاجة اليوم أن نتكاتف ونمد الجسور بيننا بعد أن تركنا الساحة خالية للصهيونية وحدها ورأينا تركيا وريثة الخلافة العثمانية، وهى تعلن علمانية الدولة التى يبلغ عدد المسلمين فيها ٩٩٪ وترتمى فى أحضان إسرائيل، وتعقد معها العديد من الاتفاقات التى تصل إلى حد الدفاع المشترك .

وليبيا المحاصرة بتهمة طائرة لوكيربى، وإسرائيل تهدم أحياء بكاملها على من فيها .

والعراق التى تصمم واشنطن على ضربه وتغيير حكومته، من أعطى أمريكا حق تغيير الحكومات، ألانها القطب الوحيد؟!! .

والحملات المسعورة تملأ صفحات الجرائد الكبرى التى يسيطر عليها اللوبى الصهيونى، وتروج حاليا إلى أن تمويل الإرهاب سعودى .

لتنضم السعودية، إلى من سبقوها من الدول العربية .

وجيش الدفاع الإسرائيلى يعيث فى الأرض فساداً يحرق الأخضر واليابس، ورحم الله شهداء الانتفاضة، وأود أن أذكر بقرون العذاب والدموع ودموع يوم الغفران « كيبور » هل ستسيل كما كانت على الظلم الواقع عليهم، أم أنها ستسيل فرحاً بما يرتكبون فى حق شعب أعزل وللدموع دلالة خاصة فى الفكر الدينى اليهودى .

والأدب زاخر بدموع أبطاله وأصبحت الدموع سمة يتمتع بها اليهودى عبر الزمان من بداية تاريخهم المرير، الدينى والدنيوى ويطلقون عبارة « شعر دماعوت » أى أبواب الدموع، كناية عن أبواب موجودة فى السماء يعتقدون بأن دموع المظلومين من اليهود تنفذ عبرها إلى الله سبحانه وتعالى .

وفى « المزامير »[٢] ورد نص : هزروعيم بدمعاه برناه يقصوروا أى « الزارعون بالدموع بالبهجة يحصدون » .

ويبدو أن جيل شارون فسرها أن المقصود هو : دموع الفلسطينيات حسرة على أبنائهن وأطفالهن،

(٢) مزامير١٢٦/٥ .

فى الرؤى والأحلام

للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

شغف الإنسان بمعرفة الغيب أمر لا جدال فيه، وولعه بما خفى عنه غالباً ما يكون مبعث متاعبه وسر شقائه. وحذر المسلم من الخوض فى ذلك التيه المظلم هو إيمانه بالله واستمساكه بدينه لعلمه أن كل الأمور بيد الله حاضرها وماضيها ومستقبلها، فهو يتلو ليل نهار قوله تعالى:

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾(١).

وهو يقرأ صباح مساء ما يقيه من أن يقع فريسة للخرافة والكهانة والسير خلف محترفى التحصين ومدعى الغيب الذين يوهمون البسطاء وهم فى الحقيقة يهرفون بما لا يعرفون. يقول سبحانه:

﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾(٢).

كما أنه يسمع بكرة وعشية قول المصطفى ﷺ: «خمس لا يعلمهن إلا الله - عز وجل - أن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت»(٣).

فهل بعد حديث الوحيين إلا التخرصات؟ وهل بعد الكتاب والسنة إلا الأوهام والأباطيل؟ غير أن هناك باباً آخر يطرقه الكثيرون لاستجلاء المستور وكشف المخبوء ألا وهو باب الرؤى والأحلام وهو باب واسع رحب يلجه الصغير والكبير والعظيم والوضيع فكم أفضت رؤيا

(١) الجن (٢٦، ٢٧).
(٢) النمل (٦٥).
(٣) أخرجه الترمذى.

عظيماً من مضجعه وكم بشرت أفراداً بمستقبلهم وكم رسمت لشعوب قصوراً فرشتها بالورود والرياحين ولا يغيب عن البال هنا رؤيا الدكتور/ عبدالحليم محمود شيخ الأزهر- رحمه الله- التي بشر فيها الرئيس/ السادات بالنصر في حرب رمضان المباركة وما رؤيا يوسف بغائبة عنا ولا رؤيا ملك مصر بخافية علينا.

ولقد أنكر الفلاسفة الرؤى ونسبوها إلى الأخلاط التي في الجسد وبينوا أن لها انعكاساً على ما يرى النائم كما أن لعلماء النفس موقفاً سلبياً من الرؤى تبنوا فيه وجهة نظر الفلاسفة فجعلوها خليطاً من الأمزجة والرواسب الكامنة في ذاكرة الإنسان والتي يهيجها المنام حتى إنهم حصروها في قالب بيولوجي ومفهوم جنسي كما قال فرويد وكل تلك مزاعم وأكاذيب لا أساس لها من الصحة وأما علماء الإسلام فقد استقوا علمهم من مشكاة النبوة والإلهام الرباني فذهبوا إلى أن الرؤيا المنامية الصالحة الصادقة حق من عند الله وقسموها إلى مبشرة ومنذرة.

فقد روى مالك في الموطأ عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: ذهبت النبوة وبقيت المبشرات. قيل: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له.

وقال أيضاً: «إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة»[4]. ومع هذا الوضوح تعلقت نفوس البعض بالرؤى تعلقاً أوصلها إلى ضروب من الأوهام كان الدافع إليها الخواء الروحي والجزع النفسي والفرق القلبي ليس إلا. لقد أصبحت الرؤى شغلهم الشاغل في المجتمعات والمنتديات والفضائيات يضيعون فيها الساعات في تعاطي الترهات، الأمر الذي جعلها تطغى على الفتاوى الشرعية حتى غلب السؤال عن الرؤى على التفقه في أمور الدين الذي هو لحمة المرء وسداه. ترى ما الأدب الإسلامي إذن في التعامل مع الرؤى؟ وهل من الإيمان أن يرى أحدنا الرؤيا فتضطرب لها نفسه وترتعد منها فرائصه وكيف يسمح أي مسلم لنفسه أن تستقطبه الفضائيات فيلقي أصحابها في رأسه ما لذ لهم وطاب من أفكار تميل به ميلاً عن صحيح الدين وما ارتضاه لنا ربنا من مثل أخلاقية هي المفتاح الذي تدلف به إلى القلوب الظمأى للخير.

وقد روى مسلم في صحيحه أن أبا سلمة قال: كنت أرى الرؤيا أعرى منها- أي أمرض- غير أني لا أزمل حتى لقيت أبا قتادة فذكرت ذلك له فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الرؤيا من الله والحلم من الشيطان فإذا حلم أحدكم حلماً يكرهه فلينفث عن يساره ثلاثاً وليتعوذ بالله من شرها فإنها لن تضره» وفي رواية عند مسلم أيضاً قال أبوسلمة: «إن كنت لأرى الرؤيا أثقل عليّ من جبل فما هو إلا أن

(٤) أخرجه الشيخان.

سمعت بهذا الحديث فما أباليها»، وفي الحديث كما ترى كثير من الآداب الواضحة.

والرؤيا تنقسم إلى ثلاثة أقسام كما عند ابن ماجة من حديث عوف بن مالك عن النبي ﷺ قال: «إن الرؤيا ثلاث منها أهاويل من الشيطان ليحزن بها ابن آدم ومنها ما يهتم به الرجل في يقظته فيراه في منامه ومنها جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة»، ومثال الأولى ما رواه مسلم في صحيحه أن أعرابياً جاء إلى النبي فقال: يا رسول الله رأيت في منامي كأن رأسي ضرب فتدحرج فاشتددت على أثره فقال رسول الله ﷺ للأعرابي: «لا تحدث الناس بتلعب الشيطان بك في منامك». والمعنى أن يقابل مثل هذا النوع من أضغاث الأحلام بما يلي: التعوذ بالله من شر هذه الرؤيا ومن شر الشيطان وأن يتفل الرائي ثلاثاً عن شماله وأن لا يذكرها لأحد وأن يصلي ما كتب له وأن يتحول عن جنبه الذي كان عليه وزاد بعض أهل العلم قراءة آية الكرسي. وأما حديث النفس في اليقظة فمثله أن يشتغل أحدهم بتجارة أو غيرها فينام فيرى ذلك في منامه وهو من أضغاث الأحلام التي لا تعبير لها.

وأما النوع الثالث وهو الرؤيا الصادقة الصالحة التي تكون من الله وهي إما بشارة أو نذارة وقد تكون واضحة ظاهرة لا تحتاج إلى تأويل كما رأى إبراهيم أنه يذبح ابنه في المنام وقد تكون رمزية كرؤيا صاحبي السجن التي فسرها يوسف وهي رؤى لا تقص إلا على عالم أو ناصح فقد قال ﷺ «لا تقص الرؤيا إلا على عالم أو ناصح»(٥). وما عدا ذلك من الرؤى التي تتعلق بشيء من إثبات الأحكام الشرعية من حلال أوحرام أو فعل عبادة أو تحديد ليلة القدر التي أريها النبي ﷺ ثم أنسيها فرؤى محمودة أما الرؤى التي ينبني عليها آثار تتعلق بحقوق الناس وحرماتهم وإساءة الظنون بهم أو الحكم على عدالتهم ونياتهم فإن ذلك كله من أضغاث الأحلام والظنون التي لا ينبغي الاعتماد عليها في قول جمهور أهل العلم. فقد تراجع الخليفة العباسي المهدي عن قتل شريك بن عبدالله القاضي لما نبه إلى أن ما رآه في منامه من قتل ذلك الفقيه ما هو إلا أضغاث أحلام.

وبعد.. فيقول ابن القيم في توجيه كريم لا يفوتنا العمل به يقول: المفتي والمعبر والطبيب يطلعون من أسرار الناس وعوراتهم على ما لا يطلع عليه غيرهم فعليهم استعمال الستر فيما لا يحسن إظهاره. انتهى.

وليعلم أن تعبير الرؤى قرين الفتيا قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾(٦)

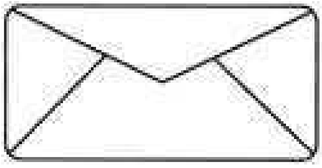
فهلا اتعظ من يتصيدون تفسير الأحلام بغير علم.

---

(٥) أخرجه الترمذي.

(٦) يوسف (٤٣) ص ٢٤٠.

رسالة .. و .. رد



لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد فسنرد فى هذا العدد بمشيئة الله على رسالتين من رسائل القراء الأعزاء.

● الرسالة الأولى من قارئة ذكرت أنها أم أسامة من محافظة الغربية وحاصلة على ليسانس تربية تقول فى رسالتها، إنها متزوجة منذ خمس سنوات وأنها اختارت زوجها بمحض إرادتها وموافقة أهلها، وأنها استخارت الله فى هذا الزواج، فرأت زوجها فى الرؤيا قبل أن تتعرف عليه وأن المقربين منه ذكروا لها أنه ذو خلق ودين ولم تلتفت إلى يساره وثروته بل كانت تتمنى على الله أن يرزقها زوجا ذا دين ولهذا لم تطل فترة الخطبة، لكنها تقول، إن حماتها لم تستقبلها ليلة الزفاف استقبالا حسنا بل لم تقابلها بالمرة لكنها نزلت على رأى أهلها المسالمين فصعدت إليها فى شقتها بفستان الزفاف وسلمت عليها وبعد شهر من الزفاف صعدت إليها مرة ثانية ومعها هدية متواضعة لمؤانستها فما كان منها إلا أن اتهمتها بالكذب على ابنها حتى تزوجته وبأنها أقل منهم مستوى وأن أهلها لم يجهزوها جهازا يتناسب مع حالتهم الاجتماعية وأنها أى حماتها تعتبرها خادمة لها ولابنها ولكل أبنائها ومع كل هذا فإنها أى الزوجة تعاملها بما يرضى الله - تعالى - وفى ختام رسالتها تطلب من المجلة التى تعتبرها رزق الله إليها وإلى أمثالها أن توجه كلمة لهذه الحماة وأمثالها أن ترحم زوجة ابنها وألا تغالى فى موضوع الجهاز.

وبداية أقول للأخت السائلة إنك تكبرين المسألة أكثر من اللازم بسبب حساسيتك الزائدة وما كنت تنتظرينه من حماتك ولم تجديه فهذه الحماة تعتبر ضيفة عندكم فاحتمليها المدة التى تعيشها بينكم حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا وبعدها يكون الفرج إن شاء الله خاصة وأنك لم تذكرى شيئا يقدح فى سلوك زوجك وأخلاقه وإلا ما استمرت العشرة بينكما خمس سنوات كوامل وأنت بحمد الله سيدة مثقفة تتصفين

بالتدين والحكمة والأناة وكثير من الصبر، تستطيعين بشيء من اللباقة والمودة أن تقتربي من زوجك أكثر وأن تقربيه منك أشد، إنك إن فعلت ذلك صفت نفسك وارتاح ضميرك ولم تبالي بما يظهر من حماتك من جفوة ومع مرور الزمن سيتغير حالها وإذا رأت أن ابنها سعيد معك خاصة وأن لك منه أولادا يملئون عليكما حياتكما بهجة وسعادة أما حماتك فأقول لها: إن العبرة بالشخص لا بالأثاث والرياش فما قيمة الجهاز لو كان قيمته مائة ألف جنيه وابنك يعيش في نكد وقلق محروما من السعادة والأولاد وعلى كثرة الأحاديث المذكورة في هذا الباب أذكرها فقط بقول رسول الله ﷺ كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك».

قال العلماء في شرح هذا الحديث «إن ذات المال فيهن طاغية ما لم يكن لها دين يمنعها من الرذائل وسوء الخلق».

وعن عائشة -رضي الله عنها- أن النبي ﷺ قال: «إن أعظم النكاح بركة أيسره مئونة».

وقال: (يُمن المرأة خفة مهرها ويسر نكاحها وحسن خلقها، وشؤمها غلاء مهرها وعسر نكاحها وسوء خلقها).

واعلمي أيتها الحماة -هداك الله- أن رسول الله ﷺ جهز سيدة نساء أهل الجنة فاطمة الزهراء -رضي الله عنها- عند زفافها لعلي - كرم الله وجهه- كما في النسائي جهزها في خميل وقربة ووسادة حشوها إذخر، والخميل كل ثوب من القطيفة له وبر، والإذخر نبت طيب الرائحة يحشى به الوسائد.

واحمدى الله أيتها الحماة أن رزقك الله بكنّة (زوجة ابن) تتقى الله في ابنك وتحفظه حاضراً وغائبًا واجعلى هذه الكنة كابنتك وعامليها على هذا الأساس يعطك الله الأجر الوفير والثواب الكثير ويبارك الله لك في كل شيء.

وقد قال العلماء: إن المرأة ليست مسئولة عن تجهيز بيت الزوجية وإنما المسئول عن ذلك الرجل وحده، ولكن إذا جرى العرف بأن المرأة هي التي تجهز بيتها من مالها الخاص أو من المهر الذي تقبضه من الزوج أو جرى العرف باشتراك الزوجين في التجهيز كان ذلك في مقام الشرط ينبغي الأخذ به والعرف هنا محكم كما يقول الفقهاء[1].

ولا يفوتني في هذا المقام أن أذكر هذه الحماة بأن الدنيا كلها متاع زائل وعارية مستردة، ورحم الله الذي قال:

إنما نعمة قوم متعة
وحياة المرء ثوب مستعار.

وقد دخل بعض الناس بيت أحد الصالحين فلم يجد فيه أثاثا على الإطلاق فسأله أين أثاث منزلك: فأجابه إن لنا دارا أخرى جعلنا فيها أثاثنا وهو يقصد الدار الآخرة وكما أن الإسلام طلب من ولي الزوجة عدم المغالاة في المهور استرشادا بقول

(١) من كتاب الفقه الواضح للدكتور محمد بكر إسماعيل ٢/ ٥٩.

المصطفى ﷺ «التمس ولو خاتما من حديد» حتى إن عمر -رضي الله عنه- هم بأن يجعل للمهر حدا أقصى لايزيد الأولياء عليه لولا أن امرأة ذكرته بقوله تعالى:

﴿ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا ﴾(٢)، ويبقى مع ذلك يكره المغالاة في المهور وينهى عنه.

أقول كما نهى الإسلام عن المغالاة في المهور نهى أيضا عن طلب الزوج وأهله من أهل الزوجة شيئا يشق عليهم الإتيان به أو يكلفهم من أمرهم عسرا قال تعالى:

﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾(٣).

والله ولى التوفيق.

● أما الرسالة الثانية في هذا العدد فقد وردت من القارىء عبدالله محمد سيد يقول فيها: كنت أقرأ في كتاب الله فوقفت عند قوله تعالى:

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾(٤).

وذهلت عندما تخيلت مدى الحساب الواقع على الحكام والملوك وبعض المشايخ الذين يسايرونهم، ثم يسأل: هل سيحاسب الله -عز وجل- الحكام والملوك على كل مثقال ذرة من قول أو فعل؟ وهل يتحمل أحد هذا الحساب؟ ويسأل أيضا هل موضوع القدس يعتبر عاما للأمة الإسلامية كلها أم يخص الفلسطينيين وحدهم؟

وبداية أؤكد للأخ السائل إن الحق -سبحانه تعالى- سوف يحاسب كل العباد على كل شيء على القليل والكثير والقطمير وشرو النقير مصداقًا لقوله تعالى:

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾.

وقال -عز من قائل- حكاية قول لقمان لابنه وهو يعظه:

﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾(٥).

وهذا يا أخي من حقائق الإيمان المقررة في الكتاب والسنة لأن من عناصر الإيمان التي لا يكمل إيمان المسلم إلا به الإيمان باليوم الآخر وما يحدث فيه من ثواب وعقاب وحساب وميزان وصراط.. إلخ.

هذا وكما فهمت من الآية الكريمة فإن حساب الحكام والولاة والقضاة حساب عظيم ويعظم هذا الحساب بحسب المسئولية الملقاة على عاتق كل مسئول أو راع ولهذا حذر الرسول ﷺ من هذه المسئولية ونهى الضعاف من الصحابة عن تحملها فعن أبي ذر - رضي

(٢) النساء (٢٠) ص٨١.
(٤) الزلزلة (٧، ٨) ص٥٩٩.
(٦) أخرجه مسلم.
(٣) الطلاق (٧) ص٥٥٩.
(٥) لقمان (١٦) ص٤١٢.

الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر إني أراك ضعيفا وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمرنَّ على اثنين ولاتولين مال يتيم»(٦).

وعنه رضي الله عنه فيما يرويه مسلم قال: قلت يا رسول الله ألا تستعملني؟ فضرب بيده على منكبي ثم قال: «يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها».

وروى البخاري عن أبي هريرة – رضي الله عنه– أن رسول الله ﷺ قال: «إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة» والندامة تكون على الحكام والولاة والرعاة المقصرين لأن الولاة مسئولون عن كل شيء في الدولة والرعية لا أقول عن كل فرد بل عن كل شيء.. عن الطرق والبنايات والمدارس والمستشفيات ولذا قال سيدنا عمر – رضي الله عنه – وأقسم (لو أن بغلة عثرت في العراق لرأيتني مسئولا عنها يوم القيامة لِمَ لمْ تمهد لها الطريق؟).

هذا عن الحكام العادلين فما ظنكم بالحكام العصاة الظالمين؟! إن حسابهم عسير وعذابهم شديد، قال صلوات الله عليه: «ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة» وعن عائشة –رضي الله عنها– قالت «سمعت رسول الله يقول في بيتي هذا: اللهم من ولي أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به».

أما الحكام المقسطون العادلون فأمرهم مختلف فهم آمنون يوم الفزع الأكبر والإمام العادل أول السبعة الذين يستظلون بظل الله يوم لا ظل إلا ظله كما أخبر بذلك الصادق المصدوق.

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وماولوا»(٧) وعن عوف بن مالك –رضي الله عنه– قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم قال: قلنا يا رسول الله أفلا ننابذهم؟ قال: لا ما أقاموا الصلاة فيكم.. لا ما أقاموا الصلاة فيكم» ومعنى تصلون عليهم: تدعون لهم.

أما موضوع القدس فشأن يخص المسلمين جميعا حكاما ومحكومين، فلسطينيين وغير فلسطينيين في شرق البلاد وغربها وشمالها وجنوبها سواء كانوا في أوروبا أو أفريقيا أو آسيا ولكن المسئولية التي تقع على عاتق المسلمين العرب أكبر وأخطر، والحكام أول من يسأل عن موضوع القدس وهنا تتضاعف

---

(٧) أخرجه مسلم.

المسئولية على الحكام لأنهم هم الذين بيدهم الأمر والنهي والشعوب تتحرك بأمرهم.

وقديما ظلمت امرأة مسلمة على حدود أوروبا فصرخت واستنصاه تنادى الخليفة المعتصم في بغداد فخف لنجدتها بجيش جرار وهزم المعتدين في موقعة عمورية المشهورة التي خلدها أبو تمام في قصيدة من عيون الشعر العربي، وذلك لأن المسلمين كانوا متحدين ولهم رئيس واحد نادته هذه المرأة المسلمة ولكن المسلمين الآن أكثر من خمسين دولة فمن ينادى الفلسطينيون؟! إن ذنبهم ودماءهم في رقبة المسلمين كلهم وبالأخص الحكام لأن العلماء قد قرروا أنه إذا احتلت أرض المسلمين أو جزء منها صار الجهاد فرض عين على كل مسلم «ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم».

والجهاد الذى هو فرض عين على كل المسلمين الآن لا يأمر به ولا يستعد له إلا الحكام والولاة والرؤساء وحقا إن الحرب خراب ودمار ولكن ماذا يفعل المسلمون إذا فرضت عليهم الحرب فرضا؟ هل ينكصون أم يتقدمون؟ إن نكوصهم لن يعفيهم من الموت ولن يطيل في أعمارهم لحظة واحدة، وبحق قال الشاعر:

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره

تعددت الأسباب والموت واحد

وأسباب الموت في هذا العصر سوى الحرب أكثر من أن تعد ويكفى أن تعمل إحصائية سريعة مما ينشر في الصحف عن موتى حوادث المرور في بلد واحد ناهيك عن الكوارث الطبيعية والأمراض والأوبئة التي ابتلينا بها بسبب إخلادنا إلى الحياة.

أما عن العلماء الذين يمالئون الحكام ويغيرون الدين على حسب أهوائهم أجيب عن هذه الجزئية من سؤاله بأن التغيير في دين الله خروج عن الدين بالكلية ولا أظن أحداً من العلماء يقدم على هذا الأمر الخطير إلا أن يكون قد فقد عقله أو فقد دينه.

وعلينا أن نشير هنا إلى أنه في بعض الحالات يؤمر الناس بالصبر على ظلم الرعاة حتى لا تكون فتنة، وفى حديث عوف بن مالك السابق عندما قال الصحابة لرسول الله ﷺ حينما ذكر لهم شرار الأئمة (أفلا ننابذهم قال: لا ما أقاموا الصلاة فيكم.. لا ما أقاموا الصلاة فيكم) وعن ابن عمر - رضى الله عنهما - عن النبى ﷺ قال: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»[٨].

هذا والله أعلم وبه التوفيق

---

(٨) متفق عليه.

بين الصحف والمجلات

إعداد الأستاذ / محمود الفشني

الوحدة الإسلامية ضرورة لمنع الاعتداءات الأمريكية

كان لنا وقفة مع الأستاذ عبداللطيف فايد في الجمهورية الأسبوعي في ١٥ / ٨ / ٢٠٠٢ قال فيه:

إذا لم يتدارك المسلمون أنفسهم الآن بالتضامن والوحدة فإن الوحش الأمريكي سيلتهمهم دولة بعد دولة، فهذا الوحش انفرد بالقوة الضاربة في العالم ويريد أن يستذل كل دولة فيفرض سيطرته عليها ويستنزف خيراتها، وهو يستهدف أولا الدول الإسلامية وبخاصة في المنطقة العربية التي أقام وسطها إسرائيل لتكون رأس جسر للعدوان، فأي منطق في الدنيا بل أي منطق في التاريخ يجيز حرمان شعب من بلده وحريته ويضع مكانه أشتاتا من الأرض تصبح لها دولة مدعومة ومؤيدة بأفتك الأسلحة، وليست لها أية مهمة سوى العدوان، ومن شأن أمريكا أن تحب إسرائيل وأن تدعمها كما تشاء، ولكن ليس من شأنها أن تضع إسرائيل وحدها في كفة، وتضع العالم كله في كفة أخرى وهدفها ترجيح إسرائيل على العالم كله، فقد حدث في الأيام الأخيرة الماضية أن اقترعت دول العالم في الجمعية العامة للأمم المتحدة على جلاء إسرائيل عن الأرض التي تحتلها في فلسطين فوافقت على الجلاء (١١٤) دولة ولم تعارض سوى أمريكا وإسرائيل ومعنى هذا أن أمريكا تضع إسرائيل في مواجهة العالم كله، ومن سوء حظ هذه المنظمة العالمية أنها لا تستطيع أن توقف أي عدوان على دولة ما لأنها تملك القوة الجاهزة المسلحة لرد العدوان، ومن هنا تدخل أمريكا اللعبة لأنها تعتدي باسم الأمم المتحدة ولا تجد من يرد عدوانها، ولذلك فإن الموقف في فلسطين مأساوي وسيظل مأساويا لغياب العدل.

فإذا انتقلنا من فلسطين إلى العراق وجدنا أن ضعاف النفوس من حكام الدول الإسلامية يصنعون المشكلات لدولهم وللدول الإسلامية جميعا فقد نجحت الدسيسة مع صدام حسين حاكم العراق ليعتدي على الكويت، فتنتهزها أمريكا فرصة لضرب العراق باسم الأمم المتحدة وتدمير قوته الذاتية بحجة القضاء على أسلحة الدمار الشامل، وفي سبيل ذلك أعلنت الحصار على العراق وحرمانه من بيع بتروله ومنع الغذاء والدواء عنه ورتبت قوة تفتيشية باسم الأمم المتحدة لتنتهك سيادته وظلت أمريكا ترتب لضرب العراق ضربات موجعة بالطائرات والأسلحة الفتاكة التي تترك وراءها أمراضا لا يمكن مقاومتها وإجماع الدول العربية الأخير على معارضة

ضرب أمريكا للعراق هو جزء مما يجب أن يكون من الدول الإسلامية كلها لتقف وقفة باسلة أمام عدوان أمريكا على العراق وتستخدم في ذلك كل إمكاناتها السياسية والاقتصادية لا لتمنع أمريكا من ضرب العراق، وإنما لتقتصر على مؤامرات أمريكا ضد الدول الإسلامية.. وتظن أمريكا أنها تخدع العالم حينما تزعم أنها تضرب العراق لإسقاط حكم صدام حسين وتعد لذلك ست خطط كما جاء في تصريحات أحد المسئولين الكبار بها مع أن صدام حسين يحكم العراق ولا يحكم أمريكا، ومن شأن شعبه فقط إبقاؤه أو إسقاطه إذا أراد، وأمريكا تفعل ذلك محتجة بضرورة تدمير أسلحة الدمار الشامل بينما هي نفسها تملك هذه الأسلحة وتهدد بها العالم كله، وتترك إسرائيل تتملكها وتهدد بها المنطقة العربية من العالم الإسلامي، ولا تعمل على تدميرها أسوة بما تدعيه نحو العراق.

وليس بعيدا عن أذهاننا ما فعلته أمريكا مع ليبيا وحصارها إياها ومنع الدخول إليها والخروج منها بهدف قتلها، وقد سبق أن اعتدت عليها عدوانا سافرا فهدمت وقتلت بطائراتها ما استطاعت أن تهدم وتقتل وسبق أن اتهمتها بأنها تملك الأسلحة الكيمياوية تمهيدا للاعتداء عليها باعتبارها قوة اقتصادية عالية الشأن في المنطقة.

ودور أمريكا واضح في أفغانستان لتدمير قوتها الذاتية وعسكرتها هناك بعد شن حرب ضدها للقضاء على ما تسميه إرهابا، كما أن دورها واضح في جعل القلاقل والأزمات مسيطرة على باكستان وبخاصة بعلاقاتها مع الهند بسبب مشكلة كشمير التي عطلت الهند فيها اتخاذ إجراءات عادلة ليقوم أهل كشمير بتقرير مصيرهم بأنفسهم.

أحدث المشكلات التي تقوم بها أمريكا في الدول الإسلامية هي مشكلة السودان فمنذ أن وقعت مصر وبريطانيا اتفاقية الجلاء عن السودان بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م وبريطانيا تعمل على تأكيد دورها الاستعماري بفصل جنوب السودان عن شماله هذا الدور الاستعماري الذي ورثته أمريكا بعد بريطانيا فحاربت عرى الوحدة السودانية حتى لا يتجه السودان إلى مصر ويشكلا وحدة سياسية قوية إلى جانب الوحدة الجغرافية التي تربط بينهما وبخاصة أنهما يشربان من نهر واحد هو أطول أنهار العالم بعد نهر المسيسبي في الولايات المتحدة الأمريكية، وكان دورها واضحا في تدمير إنشاءات قناة جونجلي بعد أن قاربت على التمام وتحويل منطقة المستنقعات بجنوب السودان إلى أرض زراعية خصبة تزيد على ثلاثة ملايين ونصف المليون فدان، وكان ضغط أمريكا واضحا في المفاوضات التي جرت بين حكومة السودان وممثلي الجنوب التي جرت أخيرا في كينيا لمنع وحدة السودان شماله وجنوبه والأمل في شعب السودان نفسه أن يتمسك بوحدته في المراحل القادمة من مباحثات تقرير المصير لأن وحدة السودان تعني قوته وسياسة تقسيمه هي سياسة استعمارية سبق أن مارسها الاستعمار ضد الدول الإسلامية وهو يحارب دولة الخلافة العثمانية التي قويت ونشطت ورفعت راية واحدة على الأمة الإسلامية كلها وامتدت منها إلى أوروبا التي لا تزال فيها حتى الآن جذور إسلامية لهذا الامتداد.

والوحدة قوة ما في ذلك شك.. وتجنيد الإمكانات لتدعيم هذه الوحدة هو طريق النجاح للمستقبل حتى لا تمارس أمريكا سياستها العدوانية على أرض المسلمين.

بين المجلة .. والقارئ

إعداد وتقديم / عادل رفاعي خفاجة

بين القصاص والثأر

دهمتني أخبار حادثة الثأر التي راح ضحيتها «اثنان وعشرون» من أبناء الصعيد، تماماً كما تدهمنا أخبار الطلعات الجوية الآثمة التي تشنها قوات الاحتلال الإسرائيلي على العزل الآمنين في فلسطين.

فالظلم لايختلف صداه مهما تعددت وترامت جهاته.

فالجنود الإسرائيليون .. مسلحون، والفلسطينيون مدنيون عزل، ويقود الشيطانُ القويَ الظالم ليفترس الضعيفَ متخذاً ذريعة ما، فيقع عشرات القتلى الأبرياء مع كل طلعة جوية، لا لذنب إلا لأنهم فلسطينيون.

وكذلك قاد الشيطان طلعة آثمة أخرى مماثلة لتحصد رشاشات الثأر الغادر اثنين وعشرين من الأبرياء، لا لذنب جنوه ولكن لأنهم أقارب «قاتل»!!

الظلم هو هو .. غير أنه يتلون كالحرباء وإذا كان الظلم متوقعاً من العدو الإسرائيلي فكيف نتوقعه من بني جلدتنا!

كيف يقع مثل هذا الظلم الظلوم بأيدي أناس يحفظون- أو على الأقل سمعوا- قول الحق: «ياعبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا»(1).

وقوله ﷺ: (اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة)(2).

وكيف يختفي هذا النور من قلب رجل

(1) صحيح مسلم جـ3 ص1996 كتاب البر والصلة وتحريم الظلم

(2) المرجع السابق ص1996.

مؤمن، ليحل محله الحرص على طلب الثأر!!

تتابعت أخبار الواقعة المؤلمة، وحملت الصحف الكثير من التفاصيل.. غير أني توقفت والأسف يعتصرني أمام عنوان يقول «١٠٠ حالة ثأر تحت الرماد في قنا»[٣].

أي أن هناك مائة لغم قابل للانفجار، قد يسفر أحدها عن مجزرة أخرى أليمة.. وإذا كان هذا هو الرقم المعلن أي المعروف لدى سلطات الأمن، فكم يبلغ الرقم إذا أضفنا أصحاب ثأر آخرين لم يعلنوا عن رغبتهم في الأخذ بالثأر.

ثم كم يبلغ هذا الرقم إذا أضفنا حالات الثأر المعلنة وغير المعلنة في المحافظات الأخرى؟!! اللهم لطفك

وقد شاءت الأقدار أن ألتقي بأحد أهل الصعيد المتشددين كان الرجل يهجو أهل القاهرة ويصفهم بالرخاوة والليونة.

فوجدت فيه الرجل الذي أود أن أسمع إجابته عن موضوع الثأر.. فعاجلته قائلا: قد يكون أهل القاهرة كما تقول، ولكنهم ليسوا ظلمة، ماذا تقول في مذبحة سوهاج؟ فأجاب بأسرع مما كنت أظن: هذا جهل!!

ثم أردف قائلاً: إننى من قنا، نحن لا نقتل إلا رجلاً برجل. قلت: لكنكم أحياناً تقتلون غير القاتل!!

وكانت إجابته (إن الذى يُقتل عندنا هو أحب أفراد العائلة عندنا ولذلك نقتل أحب وأهم أفراد عائلة القاتل).

قالها الرجل- برغم ما تحمل من خطأ واضح- وكأنه جاء باليقين المطلق!!

ومن هنا يتضح أن السبب الأول في حدوث الثأر هو:

التقاليد والعادات والمفاهيم القبليه، التي تقوم على التفاخر.

ولا بد أن يكون واضحاً- أيضاً- أن علاج ذلك أساسه التوعية الدينية.

ولنتأمل قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ١٧٨ البقرة

فالآية الكريمة ترسى أولاً أهم المبادئ وهو العدل ثم تحبب في العفو، فليس الإسلام دينا يحب سفك الدماء أو ينادى به، ولنتأمل قول العلماء في تفسير قوله تعالى:

﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ ﴾.

(المراد من أخيه: ولي الدم، أي فالجاني الذى عفي له من ولي الدم شئ من العفو، ولو أقل القليل. كأن يعفو بعض الورثة عن حقهم في

(٣) جريدة الجمهورية الصادرة في ٢٩/٨/٢٠٠٢ ص٣٦.

القصاص، فإن ذلك يسقط القصاص كالعفو التام، وسماه «أخاه» استعطافاً بتذكير أخوة الدين»[٤].

ولنتأمل أيضاً قوله تعالى:

﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ﴾ يقول فضيلة الإمام الأكبر فى تفسير هذه الآية: فيها تحريض على العفو والصفح والعفو معناه التجاوز عن خطأ المخطئ ونسيانه مأخوذ من عفت الريح الأثر إذا طمسته وأزالته والصفح مقابلة الإساءة بالإحسان، فهو أعلى درجة من العفو أى قابلوا أيها المؤمنون إساءة المسئ بنسيانها وبمقابلتها بالإحسان.

وقوله: ألا تحبون أن يغفر الله لكم: أى ألا تحبون أيها المؤمنون أن يغفر الله لكم ذنوبكم بسبب عفوكم وصفحكم عمن أساء إليكم.

والجملة الكريمة ترغيب فى العفو والصفح بأبلغ أسلوب وقد صح أن أبا بكر رضى الله عنه لما سمع الآية قال بلى والله ياربنا إنا لنحب أن تغفر لنا، وأعاد إلى مسطح نفقته، وفى رواية أنه رضى الله عنه ضاعف لمسطح نفقته[٥].

ويمكننا أن نقول باعتزاز «هذا هو الإسلام» بعد أن يعطى كل ذى حق حقه، يطالب بالعفو إن حب الناس للإسلام هو السبيل إلى محو «عادة الثأر الجاهلية».

ثم نعود إلى سبب آخر وهو بطئ التقاضى.. إذ يدفع هذا البطء ولى الدم إلى طريق الثأر.. عندما يرى القاتل حراً لسنوات.

لذلك نرى أن قضايا الثأر تحتاج إلى معالجة خاصة تتطلب:

(١) تشكيل مجالس عرفية تضم حكماء هذه القبائل وكبارهم وأصحاب الكلمة المسموعة لديهم مع بعض القيادات الرسمية وياحبذا لو كانت تلك القيادات من أهل البلد. يكون هدف هذه المجالس الاستماع لأهل القاتل والمقتول والوصول إلى الحلول التى ترضى الطرفين ويكون ذلك معلناً مع أخذ التعهدات على ذلك (وأهل الصعيد خير من ينفذون ماتعهدوا به فهم يعتبرون ذلك مسألة كرامة، وهى نقطة تحمد لهم).

(٢) القضايا التى تستعصى على المجالس العرفية تلك تحول إلى القضاء، على أن يتولاها قضاء خاص عاجل قبل ان تنفجر، فمصلحة الوطن قبل كل اعتبار.

(٣) ثم الدور الرئيسى الذى يصاحب كل هذه المراحل يقوم به الأزهر الشريف وهو دور التوعية الدينية وترسيخ مبدأ العفو لدى الجميع على أن تجند له كل الطاقات الممكنة، من أجهزة شعبية ورسمية رجالاً ونساء، حتى نصل إلى نبذ هذه العادة الذميمة البغيضة ولتبقى كلمة الله هى العليا.

---

(٤) التفسير الوسيط (مجمع البحوث الإسلامية) الحزب ٣ ص٢٧٦.

(٥) تفسير القرآن الكريم (أ.د محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر) تفسير سورة النور - الآية ٢٢

سرقة علمية فاضحة

أخي الأستاذ الناقد / عادل خفاجة

سلامًا وتحية وبعد:

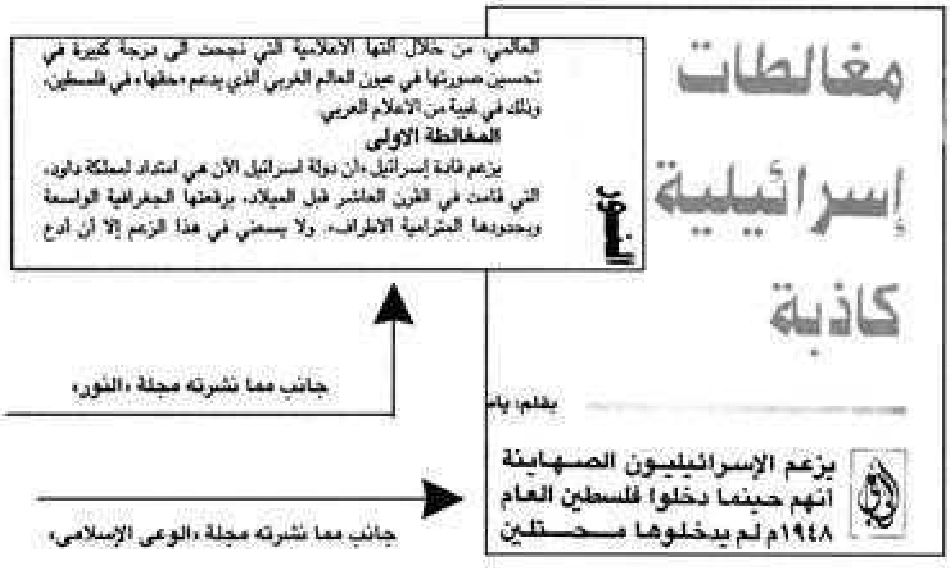
فأرجو أن تشيروا في بابكم الذائع (بين المجلة والقارىء) إلى أن مدعيا بمجلة الوعي الإسلامي في العدد الصادر بتاريخ جمادى الآخرة ١٤٢٣ هـ قد سطا على مقالي المنشور بمجلة الأزهر بعدد (ربيع الأول سنة ١٤٢٣)، فنقله حرفيا، وتوّجه باسمه، والمقال تحت عنوان: (مغالطات إسرائيلية وحقائق تاريخية)

وهذا المدعى الناسخ يسمى (ياسر دويدار) وهو اسم لم أعرفه من قبل، وقد شاء أن يبدأ كتابته في الصحف بهذه السرقة، والعجيب مرة أخرى أنه نشر مقالي ذاته بمجلة النور اللبنانية عدد (جمادى الأولى) حرفيا، فما معنى هذا كله؟

وختاما تقبلوا تحياتي

صلاح عبدالرحيم محمد

●●●


مغالطات إسرائيلية كاذبة

بقلم: ياسـ

يزعم الإسرائيليون الصهاينة انهم حينما دخلوا فلسطين العام ١٩٤٨م لم يدخلوها محتلين

العالمي من خلال ألتها الاعلامية التي نجحت الى درجة كبيرة في تحسين صورتها في عيون العالم الغربي الذي يدعم «حقها» في فلسطين، وذلك في غيبة من الاعلام العربي

المغالطة الاولى

يزعم قادة إسرائيل «أن دولة اسرائيل الآن هي امتداد لمملكة داود، التي قامت في القرن العاشر قبل الميلاد، برقعتها الجغرافية الواسعة وبحدودها المترامية الاطراف». ولا يسعني في هذا الزعم إلا أن ادرج

جانب مما نشرته مجلة «النور»

جانب مما نشرته مجلة «الوعى الإسلامي»

إلى الأستاذ الفاضل / صلاح عبدالرحيم محمد: اطلعت على مقالك المنشور بمجلة الأزهر بعدد ربيع الأول ١٤٢٣ هـ وعلى ما نشر بمجلة النور بعدد ربيع الآخر ١٤٢٣ هـ وعلى ما نشر بمجلة الوعي الإسلامي في عدد جمادى الآخرة ١٤٢٣ هـ وقد اتضح تطابق النصوص

الثلاثة مطابقة تامة لم يشذ غير الأخطاء الطباعية .

وبذلك يستبين أنك صاحب النص لأنك صاحب السبق في النشر بعدد ربيع الأول ١٤٢٣هـ بمجلة الأزهر.

ولك يا أستاذ صلاح أن تطيب نفسك لنشر مقالك ثلاث مرات من ثلاث جهات نشر محترمة، وهذا ما أتاحه لك القدر.

ويمكنك يا أستاذ صلاح أن ترسل إلى جهات النشر المعنية حتى تحفظ حقك ونسبة المقال إليك «على أن ترسل نسخة من مجلة الأزهر عدد ربيع الأول ١٤٢٣ هـ إلى كل منهما».

ويكفي أن أقول لك يا أستاذ صلاح: إن من سطا على مقالك في الحقيقة غاب عن الوعي مرتين مرة حين نسب إلى نفسه ما ليس له، والأخرى حين يعلم المسئولون عن تحرير «الوعي» بهذا الأمر وبعدها سيكون غيابه عن «الوعي» طويلاً أكثر مما يظن، وعن النور أيضاً.

الظلم وخيم العاقبة

وعن الظلم أرسل القارىء/ ياسر فكرى السيد من شبين الكوم - ميت خاقان. يقول:

مما لاشك فيه أن العدل شريعة الله في خلقه وميزان الله في الأرض الذي يؤخذ به للضعيف من القوى ومن الظالم للمظلوم.

ولذلك حذر الله من الظلم وعاقبته فقال:

﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾.

الشعراء «٢٢٧»

وقال رسول الله ﷺ «من اقتطع حق امرىء مسلم أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة».

وكان معاوية يقول «إني لأستحي أن أظلم من لايجد عليَّ ناصرا إلا الله».

- فاحذر أيها الإنسان من دعوة المظلوم فإنها تسري بالليل والناس نيام فتتلقاها يد العناية الإلهية وتنتقم لصاحبها وترد له حقه ولو بعد حين.

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً
فالظلم مصدره يفضى إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه
يدعو عليك وعين الله لم تنم

فيتعين على كل ولي أمر أن يعدل في رعيته وعلى كل إنسان أن يكف يده عن الظلم ويسلك طريق العدل ويراقب الله في السر والعلن ويعلم أن الله مطلع على كل أعماله ويجازي على الخير والشر ويعاقب الظالم على ظلمه وينتصر للمظلوم وإذا أخذ الظالم لم يفلته، فاحذر أيها العاقل دعاء المظلوم عليك فإن - الله تعالى - لا يرده.

رسالة قارىء

وردت هذه الرسالة من القارىء / محمد محمود عطار - كفر الشيخ يقول:

السيد الأستاذ / عادل رفاعي خفاجة - محرر باب بين المجلة والقارىء مجلة الأزهر.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد،،،

إنه ليسعدني ويشرفني أن أرسل لسيادتكم كل تقدير واحترام وأحيي فيكم روح الدفاع عن الإسلام وذلك في ضوء رد سيادتكم على الرسالة التي تقدم بها القارىء / م. م. ع من القاهرة في عدد ربيع الآخر ١٤٢٣ هـ وأهنيء سيادتكم على هذا الرد الطيب ولكن لي رد على هذه الرسالة حيث أقول وبالله التوفيق:

القرآن الكريم هو خاتم الكتب السماوية، وهو كلام الله المنزل على رسوله سيدنا محمد ﷺ والمتعبد بتلاوته.. والمتحدى به. والقرآن الكريم كتب كله في عهد النبي ﷺ لكنه كان غير مجموع في مصحف واحد مرتب، فلما انقضى نزوله بوفاته ﷺ ألهم الله الخلفاء الراشدين جمعه وترتيبه، وذلك وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة في قوله تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

الحجر ٩

ويقول الإمام السيوطي في كتابه «الاتقان في علوم القرآن» عن زيد بن ثابت قال: «قبض النبي ﷺ ولم يكن القرآن جمع في شيء» ولقد ذكر الأستاذ / م.م.ع أن الورقة التي أرسلت إليه بأن الآية رقم (١٠٩) من سورة التوبة تقع في الجزء رقم (١١) وأنها تدل وتشير إلى يوم الانهيار وهنا أشير إلى أن مجموعة من العلماء قد قامت بتقسيم القرآن ثلاثين قسماً وأطلقوا على كل قسم منها اسم الجزء ثم قسموا الجزء إلى حزبين، وقسموا الحزب إلى أربعة أقسام كل قسم منها يسمى ربعا فالقرآن الكريم لم ينزل من عند الله مقسماً إلى أجزاء أو أحزاب أو أرباع.

وأخيرا وليس آخرا تدعو المسلمين بالبعد عن هذه الأمور التي تضيع الوقت والمال وعدم أخذ كتاب الله - سبحانه وتعالى - وسيلة لأغراض أخرى الهدف منها تضليل الواقع والمؤمنين وندعو المولى - عز وجل - أن يهدي الجميع لما فيه خير الصلاح وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

محمد محمود العطار - كفر الشيخ

● **المحرر**: نذكر القراء إلى أننا في ردنا على هذه الرسالة قدمنا قوله تعالى:

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾

التوبة ٣٦

دليلاً على كذب الادعاء وقلنا: ان الشهور العربية «محرم - صفر...... إلخ» هي المقصودة في قوله تعالى وليس «سبتمبر» أو غيره وبذلك يسقط الادعاء.

غير أننا نعتقد بكل رأي طالما أن الحق إمامه.

ونشكر للقارىء حسن المتابعة وندعو الله أن يوفقنا جميعاً لما يحب ويرضى.

من إبداعات القراء :

● نقدم هذه الأبيات التى يهديها القارئ / نجاح عبدالقادر سرور من كفر بولين - بحيرة إلى أستاذه بمناسبة تقاعده ونحن بدورنا نهديها لكل من بلغ سن التقاعد وساهم فى تشييد صرح العلم فى بلدنا لهم منا جميعا كل محبة واعتزاز وتقدير.

إلى معلمى

افخر كما شئتَ.. بين اليوم والأمسِ
يا مَن رفعتَ أساسَ العلم فى نفسى

أنساكَ كيف.. وقد كنتُ اليتيمَ أنا
وكم مَسحْتَ بكَفِ الحب لى راسى؟!

أنساكَ كيف.. ومازلتم لنا مَدداً
من يوم أشرقتمو.. فى قاعة الدرسِ؟!

لكن مثلك.. مَن أبقاه خالقُنا
نورَ الزمانِ.. بقاءَ النجم والشمسِ

فافخرْ.. فأنتَ الذى علَّمتَ جاهلنا
وجميلُ صُنعِكَ.. فوق العينِ والرأسِ

هل من مجيب

أبكى على ضعفى وقلة حيلتى
والله يعلم أن بى هم كبير

يا ويلنا حل الهوان بأرضنا
القبلة الأولى تهان ولا نثور

المسجد الأقصى ينادى أين هم
من آمنوا بمحمد الهادى البشير

يا قدس لن ينساك ربٌ قائل
إن تنصروه فإنه نعم النصير

يا قدس سوف تكون يوما سيدا
ليلُ الشتاء يليه إشراق ونور

محمود محمد حسن - قرنفان / ديرب نجم - شرقية



للأستاذ / محمد الشرقاوى

مفتى السعودية يحذر من انتشار ظاهرة تفسير الأحلام بين المسلمين

انتشرت مؤخراً بشكل واسع ظاهرة تفسير الأحلام باسم الإسلام وتوسعت فى محطات التليفزيون والصحف والمجلات والمنتزهات كوسيلة لكسب المال والشهرة، وأصبحوا فى الأساس يدعون معرفة المستقبل من خلال الأحلام، وهذا يدخل فى علم الغيب. وقد حذر مفتى عام المملكة العربية السعودية الشيخ / عبدالعزيز آل الشيخ من هذه الظاهرة وانتشارها وقال: إنها أكل لأموال الناس بالباطل وأن المسلم إذا رأى فى منامه رؤيا، فعليه أن يتبع الأدب النبوى فى ذلك، فإن كانت رؤيا تسره ويحبها، فليحمد الله ولا يحدث بها إلا من يحب. وإن رأى ما يكره، فليتعوذ بالله من شرها ومن شر الشيطان، ويتفل ثلاثاً ولا يحدث بها أحداً، ويتحول عن شقه الذى كان عليه.. ولا تضره الرؤيا.

وأكد أن تفسير الأحلام ليس من العلم العام الذى يحسن نشره بين المسلمين ليصححوا اعتقاداتهم وأعمالهم، وأن التوسع فى باب تفسير الأحلام فى القنوات الفضائية والصحف والمجلات والمنتديات جذباً للناس وأكلاً لأموالهم بالباطل، كل هذا شرٌ عظيم، وأنه يجب على المسلمين التعاون فى منع هذا الأمر. ويجب على ولاة الأمور السعى فى غلق هذا الباب لأنه أصبح باب شر وذريعة إلى التَخَرُّصْ، أى الكذب والاستعانة بالجن وجر المسلمين إلى الكهانة زيادة على ما فيها من الأضرار ومن إحداث النزاعات والشقاق

والتفريق بين المرء وزوجه، والرجل وأقاربه وأصدقائه، بدعوى أن ما يقوله العابر فى تفسير الأحلام يؤخذ على أنه حق محض، لا جدال فيه وتبنى عليه الظنون، وهذا من أبطل الباطل.

*** صحفية بريطانية بعد إسلامها:**

الإسلام دين عادل لحقوق المرأة

استضاف برنامج أخبار لندن المحلية فى محطة تليفزيون الإذاعة البريطانية «B.B.C» الصحفية البريطانية «جوان برادلى» التى اعتقلت فى أفغانستان من قبل قوات طالبان قبل أسابيع من بدء الهجوم الأمريكى، وكان سبب اللقاء هو إعلان الصحفية إسلامها بعد عشرة أشهر من الإفراج عنها وعودتها لبريطانيا. وحول أسباب اعتناقها الإسلام قالت «برادلى»:

عند اعتقالى فى أفغانستان سجنت مع عشرة مسيحيين، حينها قطعت عهداً على نفسى أن أدرس الإسلام بطريقة أكثر توسعاً وبعد عودتى بدأت فى دراستى فوجدته ديناً جيداً ومخاطباً للروح ومتماشياً مع الحياة. وأضافت: عندما درست الإسلام وتفهمته وجدته ديناً يملك العديد من الصفات مثل الانفتاح والتسامح.. ويحترم المرأة، وهذه جميعاً صفات وأشياء أذهلتنى!!..

ورداً على سؤال المذيعة التى قالت: الإسلام بتطبيقاته فى بعض الدول بالشرق الأوسط وبعض دول آسيا المسلمة لا يعطى إشارات بذلك، خصوصاً فى موضوع حقوق المرأة وحالات عدم العدالة..

فردت «برادلى»: هذا اعتقاد خاطئ.

*** فى الدانمارك..**

ارتفاع أعداد الطلاب الدارسين للدين الإسلامى

أكدت دراسة دانماركية ازدياد نسبة المقبلين على دراسة الدين الإسلامى ومعتنقى الإسلام وسط «الدانماركيين» وبينت الدراسة أن دانماركياً واحداً على الأقل يعتنق الإسلام يومياً.

ووفق إحصائيات مكتب القبول فى جامعة «كوبنهاجن» فإن ارتفاعاً سُجل فى عدد الطلاب الراغبين بمتابعة الدراسة فى كلية الدراسات الشرق أوسطية وبالذات دراسة الثقافة والدين الإسلامى بنسبة «٦٠٪» مقارنة مع العام الماضى.

قال أحد الباحثين: إنه باعتناق عدد كبير من الدانماركيين للإسلام وازدياد عدد المسلمين الذين يولدون فى الدانمارك فإن هذا سيؤدى قريباً إلى ولادة ثقافة إسلامية أوروبية

غالبية مسلمى أمريكا تعرضوا للتمييز

أظهرت نتائج استطلاع للرأى أجراه مؤخراً مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية «كير» أن أكثر من نصف مسلمى الولايات المتحدة تعرضوا للتمييز بسبب انتمائهم الدينى منذ وقوع هجمات سبتمبر. وأشار الاستطلاع إلى أن ٨٧٪ من مسلمى أمريكا يعرفون مسلماً واحداً على الأقل تعرض للتمييز خلال تلك الفترة. بينما أوضح «٧٩٪» من المشاركين فى الاستطلاع أن أكثر أنواع التمييز التى تعرض لها المسلمون فى الولايات المتحدة كانت الإساءات اللفظية، ثم التمييز الدينى والعرقى، ثم التمييز فى أماكن العمل.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

الإمام الأكبر يستقبل وفدا من البوسنة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف وفداً من طلاب وطالبات مدارس التعليم الاساسى والتعليم الثانوى من مدينة سراييفو بالبوسنة والهرسك برياسة السيدة / عايدة عمر سوفيتش مديرة مدرسة أدهم مولابد يتش بسراييفو، رحب فضيلته بالوفد فى مصر وأزهرها الشريف مشيراً إلى أن مصر رئيسا وحكومة وشعبا تولى اهتماما كبيرا بأبنائنا وبناتنا فى البوسنة والهرسك، وأن الأزهر الشريف يفتح أبوابه دائماً لمن يريد الدراسة بالأزهر الشريف، كما أشار فضيلته إلى أنه يوجد عدد كبير من أبناء البوسنة والهرسك يدرسون فى الأزهر الشريف ويقيمون بمدينة البعوث الإسلامية، ويتعلمون بجانب إخوانهم فى مصر، وقدم فضيلته شرحا مبسطا لدور الأزهر الشريف فى تعليم أبناء المسلمين حيث يوجد طلاب من خمس وتسعين دولة يدرسون بالأزهر الشريف من البنين والبنات ويتعلمون فى الأزهر الدين الإسلامى بيسر وسماحة واعتدال ووضوح، مؤكدا على أن الأزهر الشريف يهتم بحفظ القرآن الكريم، وبدراسة الأحكام الشرعية ودراسة اللغة العربية والعلوم الحديثة على اختلاف أنواعها، كما أشاد فضيلته بما شاهده أثناء زيارته لمدارس البوسنة والهرسك ومدى تفهمهم لما يتلقونه من علوم دينية.

ومن جانبه أكد فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف وقوف الأزهر إلى جانب أبناء البوسنة والهرسك وبخاصة بعد الحروب الطاحنة التى عاشوها، مشيرا إلى أن الأزهر يرسل علماء أزهريين لتعليم أبناء البوسنة والهرسك الدين الإسلامى وعلوم اللغة العربية والعلوم الدينية فى بلاده، ثم قام بشرح لمراحل التعليم الأزهرى فى مصر من الحضانة ثم الابتدائى ثم الإعدادى ثم الثانوى ثم يذهبون إلى الجامعة الأزهرية، وقد بلغ عدد المعاهد الأزهرية ستة آلاف ومائتى معهد منها معاهد نموذجية، كما أن الكليات التابعة لجامعة الأزهر الشريف بلغت حتى الآن أكثر من سبعين كلية، فى جميع التخصصات المختلفة فى القاهرة وفى محافظات الجمهورية، كما أوضح فضيلة وكيلة الأزهر الشريف أن الأزهر أخذ بتطوير العلوم لمسايرة مستجدات العصر كدراسة الكمبيوتر والحاسب الآلى وذلك فى المعاهد والكليات.

تهنئـــــة

● تتقدم أسرة تحرير (مجلة الأزهر) بأطيب التهاني إلى فضيلة

الشيـخ/ محمـــود عاشــور

وكيل الأزهر الشريف بمناسبة صدور قرار السيد رئيس الجمهورية رقم ٢١٢ لسنة ٢٠٠٢ بمد خدمة فضيلته لمدة سنة اعتبارا من ١٣ / ٨ / ٢٠٠٢.

راجين لفضيلته دوام التوفيق



فضيلة الشيخ/ محمود عاشور

الإمــام الأكبــر يســتقبل رئيس الجامعة الإسلامية بأندونيسيا

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الأستاذ الدكتور / أزيو مارينى آزرا رئيس الجامعة الإسلامية بأندونيسيا والوفد المرافق لسيادته.

رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى الأزهر الشريف مشيدا بعمق التعاون بين الأزهر الشريف ودولة أندونيسيا الشقيقة فى مجال التعليم حيث يوجد فى الأزهر طلاب وطالبات من دولة أندونيسيا يدرسون فى الأزهر الشريف وجامعته العريقة، شكر الضيف فضيلة الإمام على حسن اللقاء وعلى التعاون البناء المثمر بين الأزهر الشريف وجامعته وبين معاهد وجامعات جاكرتا، كما رغب فى زيادة هذا التعاون وطلب معادلة شهادة الدراسات الإسلامية بجامعة جاكرتا من الأزهر الشريف، كما طلب إمداد الجامعات والمعاهد بالمراجع والكتب والأبحاث العلمية للرجوع إليها والاستفادة منها، كذا إرسال المحفظين للقرآن الكريم لدولة أندونيسيا، ومن جانبه أكد فضيلة الإمام الأكبر بأن الأزهر دائما يقدم العون والمساعدة لأبناء المسلمين فى شتى بقاع الأرض وخاصة لأبناء أندونيسيا، والحمد لله التعاون قائم على الوجه الأكمل، وقد وعد فضيلته بدراسة طلبات الوفد تمهيدا لتلبيتها.

الإمام الأكبر يرأس اجتماع رؤساء المناطــق الأزهريــة

● ترأس فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الاجتماع الموسع لرؤساء ومديرى عموم المناطق الأزهرية على مستوى الجمهورية، حيث تم استعراض الجوانب المتعلقة بمسيرة التعليم قبل الجامعى، من حيث الاطمئنان على ما اتخذته المناطق الأزهرية من إجراءات وترتيبات لاستقبال العام الدراسى ٢٠٠٢ / ٢٠٠٣ من تجهيز لمقار الدراسة وصيانتها طبقا للمبالغ المخصصة لها فى هذا الغرض.

وأكد فضيلته على أهمية المحافظة على المياه داخل المبانى الدراسية لما لها من أهمية قصوى فى حياتنا وحفاظا على المبانى أيضا وصيانتها والتأكيد على أن تكون الكتب الدراسية فى أيدى الطلاب والطالبات مع بداية العام الدراسى وهى متوفرة فى مخازن الأزهر الشريف ومطلوب من المناطق استلامها سواء فى ذلك الكتب الشرعية واللغوية أو الكتب الثقافية.

وأكد على أهمية دعم المكتبات فى المعاهد فى جميع المراحل الدراسية وتوفير الكتب المناسبة لكل مرحلة دراسية بما يتناسب والعمر الزمنى للطلاب. وتوجد ميزانية مخصصة لشراء هذه الكتب، وذلك لإثراء الجوانب المعرفية والثقافية للطلاب، كما ناقش فضيلته الإجراءات التى اتخذتها المناطق للانتهاء من حركة الندب الداخلى فى جميع التخصصات قبل بداية العام الدراسى على نحو يحقق التوازن فى العمالة بين جميع المواقع، مع الوضع فى الاعتبار تحقيق التوازن الأسرى من نقل الزوجة لمقر عمل الزوج وأضاف فضيلته: إننا مع الرحمة فى أن ينقل الزوج أيضا لمقر عمل الزوجة لتحقيق الاستقرار الأسرى، كما أكد فضيلته على أهمية دعم المعامل ووضع المناطق والأجهزة المعنية أمام مسئولياتها من حيث توفير الكوادر المتخصصة والوسائل المعملية اللازمة لهذا الغرض، وبخصوص مسابقة القبول للصف الأول الإعدادى الأزهرى للطلبة المحولين من مدارس التربية والتعليم فقد وافق فضيلته على النزول بالسن إلى احدى عشرة سنة، حيث إن التلميذ فى المدارس يحصل على الابتدائية فى سن احدى عشرة سنة لأنهم يدرسون الابتدائية خمس سنوات الآن، بعد استيفاء الضوابط الأخرى من حفظ ١٨ جزءا من القرآن الكريم، وعلى المناطق متابعة الكثافة الطلابية والأعداد اللازمة لتحديد المقبولين كما أكد فضيلته على أهمية التوسع فى المعاهد النموذجية فى حدود الإمكانيات المتاحة لكل منطقة - وبالنسبة لتحويل المعاهد العادية إلى نموذجية فيتم ذلك اعتبارا من المرحلة التمهيدية ليتم التحويل تدريجيا طبقا لإمكانيات كل منطقة الموافقة على تحويل تلاميذ المرحلة الابتدائية والإعدادية بالأزهر الشريف إلى الصفوف المناظرة بمدارس التربية والتعليم، وأيضا التحويل من التعليم العام للأزهر الشريف بتلك الصفوف على أن يجتاز الطالب امتحان القرآن الكريم المقرر والتحويل فى الإعدادى مقصور على الصف الأول والثانى فقط.

وفيما يخص المعاهد المضارة بالزلزال فقد أكد فضيلته بأننا نسير فيها طبقا للخطة الموضوعة وهى تؤدى نتائجها على نحو طيب وتم الاتفاق مع وزارة المالية على النظام المتبع لدعم بناء وترميم هذه المعاهد.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ عبدالكريم محمد عبدالرحمن الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر وفضيلة الشيخ شوقى النوبجى رئيس قطاع المعاهد الأزهرية والسادة أصحاب الفضيلة القائمين على العملية التعليمية بقطاع المعاهد الأزهرية.

دورة تدريبية جديدة لأئمة ووعاظ العالم الإسلامي

● شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف حفل تخريج الدورة التدريبية العالمية السابعة والخمسين للأئمة والوعاظ والتي استمرت ثلاثة أشهر وانتهت في آخر يوليو ٢٠٠٢ وقد حضرها أربعة وعشرون واعظا وإماما من دول: أندونيسيا، كوت ديفوار، الكاميرون، تايلاند، سيرلانكا، غانا، بنجلاديش وقد تحدث فضيلته إلى السادة الدعاة قائلا: إن شريعة الإسلام تقوم على أصلين أساسيين هما القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، وإننا جميعا نتعاون من أجل خدمة ديننا الحنيف، وإن الشريعة الاسلامية تقوم على الوضوح في آدابها، ومعاملاتها، وتعطى كل ذي حق حقه، كما أوضح بأن الدراسة في الأزهر الشريف تقوم على الوسطية والاعتدال، ودراسة جميع المذاهب الإسلامية بدون تفرقة، وأصحاب المذاهب الأربعة لم يختلفوا في أصل من الأصول في الدين، ولكن الاختلاف في الأمور الفرعية التي تقبل الاجتهاد، وحث فضيلته الأئمة والدعاة على التمسك بحفظ القرآن الكريم ودراسته المستمرة ودراسة السنة النبوية المطهرة، كما حثهم على ضرورة الاهتمام بفهم القرآن الكريم وفهم السنة النبوية المطهرة، حتى يستطيعوا الرد على الشبه التي توجه للمسلمين وللإسلام أيضا، وأن تكون الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن مصداقا لقول الله تبارك وتعالى:

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(١).

وأيضا يتمثل في هؤلاء الفئة من العلماء قول الله تعالى:

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٢).

فأنتم قد تعلمتم على أيدى أساتذة وعلماء أجلاء من الأزهر الشريف وجامعته، وعليكم أيها العلماء أن تكونوا قدوة طيبة لإخوانكم في بلادكم فالقدوة الطيبة هي الأسوة الحسنة التي يقتدى الناس بها، كما أوصاهم فضيلته أن يكونوا أوفياء وأن يذكروا مصر وأزهرها الشريف وعلماءها بالخير دائما، ومصر وأزهرها الشريف تفتح قلوبها وأبوابها لكل قاصد إليها، نحن نستقبلكم ونودعكم بكل الحب والاعتزاز والتقدير وندعو الله لكم بدوام التوفيق والسداد.

كما افتتح فضيلته الدورة العالمية التدريبية الثامنة والخمسين لتدريب الأئمة والدعاة الوافدين من العالم الإسلامي للأزهر الشريف لمدة ثلاثة أشهر أيضا وتبدأ اعتبارا من أول أغسطس سنة ٢٠٠٢ وعدد السادة العلماء في هذه الدورة عشرين عالما من دول زامبيا، كوت ديفوار، موريتانيا، وأوغندة، والجزائر، حضر اللقاء فضيلة الشيخ سيد وفا أبو عجور الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، وفضيلة الشيخ عبدالخالق

---

(١) النحل (١٢٥).

(٢) آل عمران (١٠٤).

تضيير أمين عام اللجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف، والسادة السفراء من دولتي غانا والكاميرون.

الإمام الأكبر:

الجهاد شرع للدفاع عن الحق والنفس

* قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بزيارة محافظة الدقهلية، حيث استقبله السيد الدكتور / سعيد عبوال محافظ الدقهلية والسيد المحاسب / محمد محمود عبدالرحمن أمين عام الحزب الوطني ورئيس المجلس الشعبي المحلي وفضيلة الشيخ / محمد عبدالعظيم رئيس الإدارة المركزية لمنطقة المنصورة الأزهرية وعلماء الأزهر والوعظ من منطقة المنصورة الأزهرية والقيادات الشعبية والحزبية بالمنصورة وبدأت الزيارة بافتتاح المقر الجديد لمنطقة الدقهلية الأزهرية، كما تم وضع حجر الأساس للجناح الجديد للمعهد النموذجي بالمنصورة بتكلفة إجمالية قدرها ٢٥ مليون جنيه، كما حضر فضيلته الاحتفال بتوزيع الجوائز على حفظة القرآن الكريم وعلى المحفظين وقام فضيلته بتوزيع الجوائز وقيمتها ٨٧٥,٠٠٠ ألف جنيه وقد وزعت على المتفوقين من الطلبة أبناء الدقهلية وكان ذلك في قصر ثقافة المنصورة وقد ألقى الشيخ محمد عبدالعظيم رئيس المنطقة كلمة رحب فيها بفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف لتشريفه المحافظة وتحمله المشاق للافتتاحات ولتوزيع الجوائز على أبنائه الطلاب حفظة القرآن الكريم كما رحب بالسيد المحافظ وبالقيادات بالمحافظة وتحدث عن فضل الأزهر الشريف وقيمته العالمية من خلال علماء الدعوة والتعليم في تحفيظ الطلاب والتدريس لهم وتعليمهم وإلقاء الخطب والمحاضرات وتثقيف الشباب وغيرهم وتحدث عن بعض الإنجازات في منطقة الدقهلية، حيث بلغت جملة المعاهد الأزهرية الحضانة والابتدائي والاعدادي والثانوي بنين وبنات حوالي ٥٠٠ معهد منها ٤٦٠ معهدا بنيت بالجهود الذاتية، وأربعين معهدا فقط بنيت بخطة الأزهر وهو ما قامت ببنائه الدولة.

ثم تحدث السيد المحافظ فرحب بفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف في محافظة الدقهلية، وشكر له هذا الحضور الطيب الذي سعدت به المحافظة لتشريف شيخ الأزهر وإمام المسلمين وأثنى على منطقة الدقهلية وقياداتها من السادة العلماء الذين يعملون في صمت ويحصلون على التفوق دائما ولسنوات متتالية، فحيث يوجد الأزهر يوجد العلم والعلماء.

ثم تحدث فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف فرحب بالسادة الحضور جميعا وأثنى على مسابقة القرآن الكريم وعلى الطلاب الفائزين ومعلمي القرآن الكريم مشيدا بفضل القرآن الكريم.. وفضل الحفاظ عليه مرددا الشعار الذي اتخذه الأزهر له: «ليس بأزهري من لم يحفظ القرآن الكريم» كما أثنى على شعب الدقهلية، مشيدا بخلقه، كما أشاد بالمنطقة الأزهرية وعلمائها والعاملين بها ودعا لهم جميعا بالتوفيق والسداد، وأضاف فضيلته أن الأزهر حريص على إرسال علمائه لجميع بقاع الأرض لشرح الإسلام، ولتعليم أبناء المسلمين الرد على الافتراءات التي تلصق بالإسلام والمسلمين، وبيان حقائقه الناصعة

وتعاليمه السمحة، وأن شريعة الإسلام تعطي لكل ذي حق حقه، ومن هذا المنطلق طالب فضيلته بدعم صمود الشعب الفلسطيني وأنه واجب على كل مسلم ومسلمة، كما طالب المجتمع الدولي باتخاذ موقف حاسم تجاه الممارسات الوحشية التي ترتكبها إسرائيل ضد الشعب الفلسطيني حتى تقوم دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشريف أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، وقال: إن شريعة الإسلام ترفض محاولات البعض الصاق تهمة معاداة السامية بالعرب والمسلمين بهدف إيجاد موقف عدائي ضد المسلمين، وقال: إن علماء المسلمين ومفكريهم يتسمون بروح التسامح ويقدرون حق الإنسان في الحياة والحرية وأنه لا مجال إطلاقا لفكرة معاداة السامية، وأن ما كتبه الأستاذ إبراهيم نافع باعتباره واحدا من كبار المفكرين المصريين ونقيبا للصحفيين المصريين والعرب لا يعدوا توضيح المفاهيم وتأكيد أن الاسلام دين السماحة ويدعو لنشر الفضائل ويرفض الظلم والقتل والتشريد للآخرين بدون حق بما يخالفه تعاليم كل الاديان ويتنافى مع كل القيم والمبادئ الإنسانية، وقال: إن هناك فرقا كبيرا بين الجهاد والإرهاب في الإسلام، وإن الجهاد إنما شرع في الإسلام للدفاع عن الحق والنفس وليس للاعتداء على الآخرين وتقييد حرياتهم.

بعثات أزهرية جديدة

* اعتمد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف حركة ابتعاث العلماء الأزهريين إلى دول العالم المختلفة للعام الدراسي ٢٠٠٢ / ٢٠٠٣ وذلك إلى ٢٨ دولة أفريقية وآسيوية وأوروبية وعربية وذلك لنشر الثقافة الإسلامية وتدريس العلوم العربية والشرعية والمواد الثقافية وعلوم القراءات ضمت هذه الحركة ٢٨٥ مدرسا وواعظا وكانت على النحو التالي: -١٣٣ مدرسا للعلوم العربية، ١٢٠ مدرسا للعلوم الشرعية، ١٢ واعظا، ١٦ مدرسا للمواد الثقافية، ٤ علماء للقراءات.

وكيل الأزهر يشارك في اجتماعات وزارة التعليم بجنوب إفريقيا

صدر قرار فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر رقم ١٠٨٨ لسنة ٢٠٠٢م.

بالموافقة على سفر فضيلة الشيخ محمود عبدالغني محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف إلى مدينة (دربن) بدولة جنوب افريقيا لمدة ستة أيام اعتبارا من ١٦ / ٩ / ٢٠٠٢ وذلك للمشاركة في اجتماعات مسئولي وزارة التعليم والثقافة بجنوب أفريقيا وزيارة معهد دربن الأزهري وبعض المدارس الإسلامية بالدولة المذكورة بناء على الدعوة الموجهة من دولة جنوب أفريقيا.

الأزهر يشارك في ندوة بمدينة طهران

صدر قرار فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر الشريف رقم ١٠٩٧ لسنة ٢٠٠٢ بالموافقة على سفر فضيلة الشيخ فرحات السيد المنجي المشرف العام على مدينة البعوث الإسلامية ممثلا للأزهر الشريف إلى دولة إيران لمدة خمسة أيام تبدأ من تاريخ السفر وذلك لحضور الندوة التي سوف تنعقد بمدينة طهران بتاريخ ١٨ / ٩ / ٢٠٠٢م تحت عنوان (السيدتان المقدستان السيدة فاطمة الزهراء والسيدة مريم - عليها السلام).

knowledge about Allah's signs in the universe because this strengthens faith in Allah's power and oneness.

‹And have not the ones who disbelieved seen that the heavens and the earth were an integrated (mass), then We unseamed› **[Al-Anbiyaa (The Prophets): 30]**

Before the creation of the heavens and the earth, Allah knows everything that ever existed in the past, that is existing now, and all that will exist in the future. This divine knowledge is registered in a guarded Tablet. Therefore, the Muslim believes strongly that nothing can ever exist except by the will of Allah.

If we knew that Allah is our Lord who created us, we should also perceive that He did not create us without a purpose, but to worship Him. Revelation is not a mere chance or haphazard thing. By meditating on it, man may learn about himself, and his relation to nature around him and to Allah the Originator of all. There is a Hereafter and Allah will not treat the ones who do good like the ones who do evil. He will fully restore the balance disturbed in this life.

‹And in no way have We created the heaven and the earth, and whatever is between them, untruthfully. That is the surmise of the ones who have disbelieved. So woe to the ones who have disbelieved, from the fire!› **[Sad:27]**

The divine words are meant to make man look deeply at the universe to be able to understand the tokens that reveal the power of Allah. Allah subjects everything for man's benefit. All is created out of naught and nothing; whatsoever can do harm or good for itself without Allah's command. Contemplating on Allah's creation and thanking Him for His blessings is very important.

﴾Allah is He Who has subjected to you the sea, that the ships may run in it at His command, and that you may seek of His Grace, and that possibly you would thank (Him).﴿ [Al-Jathiyah (Kneeling) :12]

According to the Qur'an, the heavens and earth were one unit, then Allah separated them. Later on, scientists proved that with the theory of the Big Bang. Since the Big Bang, the universe has probably been expanding outwards, perhaps it will go on expanding forever or perhaps it could be slowing down, and eventually starts to contract and return to nothing again.

Allah informed us through the Books He revealed to His messengers that He is the Originator and Sustainer of all creatures. The role of His messengers was to convey Allah's words to mankind and call people to believe in Allah and worship Him alone. The Qur'an is a constant challenge to science with all the facts presented by Allah about the universe. However, Islam does not prohibit scientific research as it encourages the efforts for obtaining more

The Universe

By: Hanan Abdou At-Tahtawy

Allah is the sole owner and creator of universe. He alone is worthy of worship. Several verses in the Qur'an incite mindful people to contemplate the universe in order to grasp the truth behind its existence. The universe is the source of knowledge and a clear evidence for the singleness of the All-Knowing Creator Who revealed in the universe the signs that reflect his knowledge and wisdom. Allah states in the Qur'an:

﴾Surely in the creation of the heavens and the earth and in the alternation of Night and Day there are indeed signs for ones endowed with intellects.﴿

[Al Imran (The Household of Imran) : 190].

The heavens and the earth are but two brief symbols and reminders of the glorious majesty of Allah and His goodness to man. Allah created the whole universe and He only knows everything about it. Allah swears by His mighty works in nature, which are token of His providence.

﴾And by the sun and its for forenoon radiance. And by the moon when it ensues her.﴿ **[Ash-Shams (The Sun): 1,2]**

So, people are equal in humanity; ruler and ruled, rich and poor, blue-blooded and others etc... There is nothing to distinguish between them except good deeds.

2- The right to live: Islam honored human life and considered it as a right not to be encroached upon. According to the equality between people in rights and duties and preventing a class to be put under control of another, Islam prohibited taking the life of others without right. Therefore, Islam put deterrent penalties to preserve and keep man's right to live. Allah says:

❨O you who have believed, prescribed for you is retaliation concerning (the ones) killed.❩ [Al-Baqarah (The Cow) :178]

So, Islam stated retaliation in case of killing on purpose and blood-money in case of killing unintentionally. Moreover, it stated that the disbeliever who had compact with Muslims must be treated like Muslims concerning killing by mistake in expiation and blood-money.

Furthermore, Islam prohibited killing the children for fear of want as He says: **❨And do not kill your children, in apprehension of want; We provide for them and for you (too), surely the killing of them has (ever) been a great sinning.❩** [Al-Isra' (The Night Journey) : 31]

In addition, Islam allowed and legalized *jihad* to face any aggression on both soul and religion as He says:

❨And fight in the way of Allah the ones who fight you, but do not transgress; surely Allah does not love transgressors.❩

[Al-Baqarah (The Cow): 190].

In conclusion, Islam shows interest in all kinds of rights applied to man such as captives' as it commands Muslims not to cause them to starve unlike enemies. Allah, glory be to Him, says: **❨And they give feed for the love of it, to the indigent, the orphan, and the captive.❩** [Al-Insan (Man) :8].

was regarded as a hope that a new atmosphere of equity, peace and security in the world would prevail.

What came in Islam as preserving man's rights was a symbol of balance between the materialistic attitude and the religious spiritual one. So, if man's rights – according to the international customs – are nothing but mere civil rights, they are obligatory duties in Islam; rewarded when done and punished when left. When Islam came, man was suffering from humiliation and ignominy in countries described by civilization and modernity such as the Persian and Roman empires; the strong exploits the weak. So, Islam came with the most honorable rights (to be proud of):

1- To honor humans and to let equality prevails among them. Allah, glory be to Him, appointed man as His successor in earth as He says: **﴾And as your Lord said to the angels, "Surely I am making in the earth a successor".﴿** [Al-Baqarah (The Cow) :30].

Moreover, Allah graced man over His other creatures as He says: **﴾And indeed We have already honored the Seeds of Adam and carried them on land and sea, and provided them of the good (things), and graced them over many of whom We created with marked graciousness.﴿**

[Al-Isra' (The Night Journey): 70]

The man honored by Allah is man in general; no difference between them concerning race, color, religion and etc,.... They are all equal as Allah says: **﴾O you mankind, surely We created you of a male and a female, and We have made you races and tribes that you may get mutually acquainted. Surely the most honorable among you in the Providence of Allah are the most pious; surely Allah is Ever-Knowing, Ever-Cognizant.﴿** [Al-Hujurat (The Apartments):13]

*Islam and Human Rights

By: Dr. Abd Al-Ghafar Hamid Helal

According to the Islamic law, man is Allah's successor in earth who is supposed to develop and elevate it. Moreover, he should draw balance between the materialistic and spiritual life in accordance with Allah's piety and the values and principles that control man's behavior.

Anything organizing community in all different fields, politically, socially and economically, goes back to an Islamic source. So, organizing man's life and activity depends on this rule in which the individual does his duty as he lives, works and produces in return for getting security, peace, justice and controlled freedom that does not lead to confusion, chaos and waste of rights.

The Islamic law protects man and universe and what is happening in it, namely, confusion in order to guarantee its safety, security and stability in an energetic, pure, pious way.

Considering the facts of the Islamic history and its glorious Texts proves the existence of a true construction of life in politics, sociology, science and culture. The connection between each one of them and the principles of morality should allow the masses all over the world to find out its rightful truth for the scientific and cultured specialists and researchers. All this shows the pure essence of Islam and its message in reforming and developing life.

The international organizations, at the beginning of fifties, began to show interest in human rights as a result of people's sufferings relating to wars and the Nazi and Fascist consequences that affects nations life. The end of the World War

---

* An article published (in Arabic) at Al-Azhar Magazine.

against Muslims so, where was your Islam?" The tyrant felt perplexed and found nothing to say but: "I'm a Muslim and I brought a muezzin, judge and Imam with me." Ibn Taymia said: " What did you do with your Islam? Your father and grandfather were disbelievers, however, they did not commit what you have done of crimes". Then, he returned to Damascus to instigate people to fight. Moreover, he led the jurists to train them horsemanship and Jihad. After a period, the enemy attacked again and Ibn Taymia prepared himself to join – with no fear – the Muslim army to fight back while asking martyrdom. This attitude of Ibn Taymia made the sultan, An-Nasser, Mohamed Ibn Qallawoon, feel amazement and he offered Ibn Taymia some gifts but he disdained from taking the price as he expects more when joins Allah.

One of his unforgettable attitudes is his unique stance towards king, An-Nasser. Some denouncers went to the sultan to turn him against Ibn Taymia saying that he is beloved by people and that he fought and invaded aiming at nothing but usurping the throne. An-Nasser was known for his rashness so he immediately sent for the sheikh and asked him angrily: "Why do you gather people around you?" The sheikh replied: "To support Islam as you witness". The sultan shouted at him saying: "No, but because you want to be the ruler and you exert much efforts to achieve your aim". Ibn Taymia smiled and said: "I swear by Allah that your throne besides the Tatars' do not worth a penny for me". Upon hearing this, the sultan felt ashamed and apologized.

The Imam resorted to the right so it protected him against tyrants.

﴿and it is (ever) truly (binding) on Us to (give) victory to the believers.﴾ **[Ar-Rum (The Romans): 47].**

evil to join them. All this put the creed of monotheism at the mercy of violent storms. Upon witnessing this, Ibn Taymia assumed the responsibility of restoring right. So, he began to confront his opponents using opinion, reason and arguments. In addition, he held meetings to discuss and argue. All this made those who had the upper hand, namely, the sects' leaders, feel endangered. So, they conspired with the sultan and conducted trails and judged him to be returned to prison as if he was a true guilty.

This is considered to be little in comparison with what he had faced in the outside field. It was rife with attitudes to be admired. For example, when the Arabs defeated the fleets of the Tatars at Ain Gallout, they retreated to their homes feeling infamy and bitterness of defeat. In 699 A.H. their king, Qazan, prepared his army to invade the Arab lands and then take hold of the land of the Nile. So, some of the Arab princes surrendered out of fright. The Tatarian sultan was pretending being a Muslim and so he accompanied a muezzin, judge and Imam as a camouflage to pave the way for him to fulfill his invasion and practice shedding blood and torturing. When Damascus opened its gates to receive him, Ibn Taymia felt pain to see this tyrant practices all sorts of torment under the guise of Islam. So, he decided to face this bloody tyrant. He went to him accompanying some of Damascus' dignitaries. Qazan received them while tending to sweet talk and ordered a feast. They ate out of fright except Ibn Taymia who abstained from eating. So, the sultan wondered and asked: " Why don't you eat, sheikh? " Ibn Taymia replied: " How can I eat from the food you cooked from people's sheep and trees with no right to do so?" Qazan said while astonished: "But I'm a Muslim, sheikh". Ibn Taymia answered him saying: "You took the side of the crusader king

Ibn Taymia
Making Right Public
By : Dr. M. R. Al-Biomi

Ibn Taymia was a matchless hero as no one dares – even his rivals – to question his being a great example. This honorable scholar was not fighting in one field on which he can focus his ideas, thought and strength but he was dealing with two different fields however, they share the topic of declaring truth and raising Allah's Word.

The great Imam fought in two different directions, inside and outside. As to the first field, it was full of those who oppose and contradict him, namely, imitators and knowledge and righteousness pretenders. Despite his being imprisoned and exiled at the hands of those who held great rank at the sultan, he never surrendered.

The society in which Ibn Taymia was living, was fraught with different factions that had different opinions and ideologies which they relate to the Shari'ah but in fact they are very far from the true soul of Islam. Moreover, they were leading the common to new delusive acts and corruption. Given this, the Imam looked deeply into this and was furious to see misinterpretation, corruption, rigorism and defending wrong. So, he determined to face and fight all this till he overcame it and achieved his goal aiming at defending right.

Ibn Taymia perceived that the commons were misled by some factions that impose their innovated matters on the Islamic thought and creed. Moreover, they were stating obligations that are not stated in the Islamic Shari'ah. Furthermore, they considered their innovations as evident Islamic Texts and encouraged those who do not differentiate between good and

﴾Indeed he has already seen of the signs of his Lord, the greatest﴿ [An-Najm (The Star): 18]

Al-Isra' and Al-Mi'raj

[The Night Journey and the Ascent]

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

Whenever we witness the month of Rajab, we recall back the memories of the bitter struggle shouldered by the Messenger, may the blessing and peace of Allah be upon him, for the sake of the call. Allah, glory be to Him, sought to sorely try the prophet by the death of two of his dearest in one year namely, his wife, Khadija, may Allah be pleased with her, and his uncle, Abu Talleb. They used to support him (in his call). So, this year was called '***The Year of Mourning***'. This happened before the honorable migration a year or so.

To relieve sadness, Allah, glory be to Him, set a great miracle for him; he was carried in body from the Sacred Mosque in Mecca to Al-Aqsa Mosque in Jerusalem then he was ascended to heavens and saw marvels not available to anyone else, then his return to Mecca at the same night. As soon as he informed the disbelievers of Mecca about this miracle, a great deal of argument arose concerning the possibility of this. Those people – out of ignorance – forgot the mighty of Allah that has no limits and adhered to the human laws as some of them said: " Do you claim that you went there in a single night and we take a whole month by camels?" Their objection was considered as an answer for those who said that it was just a dream. If it was a dream, they would not have objected and complained to Abi Bakr thinking that this would shake his faith. However, Abu Bakr said his well known words " ***If he said this, he is true***", really, he is the truthful.

AL-AZHAR MAGAZINE
Rajab 1423 A. H.

ENGLISH SECTION
October 2002

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL, Ph.D.

Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

الفهـرس

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومي

مدير التحرير

الطاهر محمد الطاهر الحامدي

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

داخل العدد

الاشتراك السنوي

- داخل مصر ــــــ ١٨ جنيها مصريا
- الدول العربية ــــــ ٥٠ دولارا أمريكيا
- أوربا وأمريكا ــــــ ٨٥ دولارا أمريكيا
- اليابان وشرق آسيا ــــــ ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

☎ ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠..

شعبان ١٤٢٣هـ - اكتوبر ٢٠٠٢م - الجزء الثامن - السنة الخامسة والسبعون

افتتاحية العدد

النقد الهادف لا الـ

جميلٌ جداً أن نغارَ على الإسلام، وعلى مبادئه أنْ تُهدر فالمُسلم غيور ولكن الغيرة تُخطئ، طريقها الطبيعي لدى أناس يُحاولون أن يهتفوا بالإسلام في سبيل شائك هو التطرُّف المقيت في تكبير التهم، واختلاقها أحياناً، لتُلصق التصاقاً بنفر من المُجاهدين، وهمْ شرفاء! وكُنا في كُتُب الجدل القديمة نرى أناساً يتصيدون التهم لنفر من الأعلام ليخرجوا بهم عن حظيرة الإسلام، فنظن أن هذا المرض الكريه قد مضى زمنه في عُهود التقدم، ولكننا ننظر فيما يكتب الآن فنجد الداء هو الداء، ونرى أن الخطب قد استشرى إذ اتسعت وسائل النشر ووجدت ثمرات الأقلام رواجها الهائل لدى القراء، وبذلك أصبحت التهم الكاذبة لا يقتصرُ تداولها على نفر خاص، بل عمَّت بها البلوى إلى ما لا يُحد من الأبعاد.

وطبيعة التنقص من الطبائع المنحرفة في بعض النفوس، وهي ترمز إلى علل نفسية تدل على الكراهية والمقت وتُبعد بصاحبها عن السلوك السّوي، فيظل أسير أنانيته المريضة وأشدّ ما يؤلم في هذا المنحدر أن صاحبه لا يستشعرُ مرضه الدفين، بل يعتقد أنه سليم مُعافى، وأنه يَصدُر عن نيّة طيبة وصدر سليم، لقد ظهر لدينا نفر من كبار المصلحين قاوموا أبالسة الشر، وواجهوا الخطوب السود في مَعارك النضال، حتى أيقظوا العيون الهاجعة، وأناروا الطرق الدامسة، وواجهوا من العقبات ما تنوء به العصبة أولوا القوة ثم أفضوا إلى ربهم فَعرف لهم المخلصون جهادهم الباسل، وأولُوهم مكان الصدارة بين زعماء الإصلاح وأصبحوا أعلام العصر وهداته فبُسطت آراؤهم النظرية وحُللت مواقفهم العملية، وصَدرت المؤلفات لتتحدّث عما فعلوه، والإنسان بشر يُخطئ ويصيب، فلابد أن يقع هؤلاء في بعض ما يؤخذ عليهم، ويُصبح موضع انتقادهم، وطبيعي أن يُسجل التاريخ ما كان كما كان، وأن يرصد الحسنات، ويسجل الهنات! وهذا وجه لا اعتراض عليه ولا انتقاد، بل إننا نرى أن تسجيل الهنات يدعو إلى تلافيها، ويفسحُ مَجال العبرة منها، فيفيدُ المصلح من يقرءون تاريخهُ مُخطئا

ـهدم الجــارف



جمال الدين الأفغاني



الإمام محمد عبده



الشيخ/ محمد المراغي

ومضيئا، يُفيدهم مضيئا حين يجعلونه موضع القدوة فيما أصاب، ويُفيدهم مخطئا حين يتجنبون ما تورط فيه من خطأ فيسلمون ويهتدون.

ولكن فريقا من الكتاب يتحدثون عن هؤلاء الأعلام حديث من يراهم موضع الاتهام والازدراء، فهم لا يهتفون إلا بما توهموه من مآخذ! ثم لا يفتأون يكررون الاتهام في إصرار ممل، ويقيمون الدنيا ويُقعدونها سخطا على قوم يرونهم مارقين ناشزين، وقد يجدون من يرد عليهم في أدب فيبيّن لهم موضع الخطأ فيما يصنعون ولكنهم لا يستمعون إلى نُصح ولا يبحثون عن مكمن الحق فيما يقولون، ثم لا يزالون بعد وضوح الجادّة، واستواء الحجة يشنّون الغارة على هؤلاء المصلحين كأنما يؤلمهم كلّ الإيلام أن تظهر براءة متّهم أو تستقيم سيرة مناضل!.

نعرف أن جمال الدين الأفغاني قد أدى دوره الناهض في إيقاظ الوعي الإسلامي، وقفى على أثره تلميذه الشيخ محمد عبده فأكمل خطوات الطريق بما بذل من جهد ثم تتابع تلاميذهما المخلصون من أمثال: محمد مصطفى المراغي، ومحمد رشيد رضا، ومحمد فريد وجدي، فأسهموا خير إسهام في استنارة العقول وبعث النهضة الإسلامية المعاصرة، وهؤلاء جميعا قادة روّاد، تعرف نور الحق في أعمالهم، وترى هداية الإسلام في مقالاتهم ومؤلفاتهم ولهم لدى المنصفين مكان مرموق، وفي صفحات التاريخ سطور من نور.



محمد رشيد رضا



محمد فريد وجدى

ولكن نقرأ من ذوى الغيرة لايزالون يكتبون المؤلفات وينشرون المقالات، وفيهم من يُدعى لإلقاء المحاضرات فى بعض حواضر الإسلام إذ عُرفوا بالحماسة الدينية المُفرقعة والهتاف الإصلاحى الصاخب فتراهم يعبئون جهودهم للدعوة إلى مُقاومة الانحراف، وهذا ما يُحمد لهم دُون نزاع إذ يسُرّ كل مسلم أن يتبين وجوه أعدائه من ذوى الأربة المريضة فيعرف ما يبثّه الاستشراق والتبشير من سموم فى كيان المجتمع الإسلامى المعاصر، ولو اقتصر هؤلاء المستشرقين والمبشّرين والمستغربين ما اعترضَ طريقهم معترض بل وجدوا التأييد القوى والاحتفاء البالغ ولكنهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا حين أخذوا يلحون فى انتقاص زعماء الوعى الإسلامى دُون إشفاق فهم يتتبعون أمثال جمال الدين، ومحمد عبده، ومحمد مصطفى المراغى فى تشفٍّ لا أدْرى بواعثه، وكأنهم من طراز المُبشرين وغُلاة المستشرقين! فيهولُك كل الهول أن تُسْمع من هؤلاء من يكرّر فى لغط كريه أنّ جمال الدين الأفغانى من دُعاة الماسونية وأن محمد عبده هو صاحب الدعوة إلى تبرّج المرأة، وأن المراغى صديق الاستعمار وحليفه فى مصر والسودان! ثم يشفعون بذلك بالتحذير من آرائهم، والتهوين من نضالهم! وقد تظنّ بهم الجهل البرىء فترشدهم إلى وجه الحق وتدلُّهم على شهادات الأحرار من المخلصين وتزكياتهم الرائعة لمواقفهم الجهيرة، ثم تختارُ لهم من مؤلفات المنصفين ما يرد على كلّ شبهة تُحاك! قد تفعلُ ذلك كله لتجد آذانا تسمع أو عينا تقرأ، أو قلما يناقش ثم تنظر فلا ترى غير التعصب المقيت والاستهانة بكل تعليل، والتحيف لكل إنصاف، حتى لتظن أن هناك حرصا قويا على تثبيت الاتهام، وإذاعة السوء، وإلصاقه بالشرفاء، وإلا فماذا تصنع فيمن تدله على الحق فيجتويه وتُحذره من الباطل فيأتيه، وله أذن تسمع وعين ترى، وعقل يميز الطيب والخبيث!.

نقول لهؤلاء: إن الأفغانى قد خُدع بالماسونية بدءا ثم اكتشف بواعثها المغرضة فنابذها واحتقرها، وأن محمد عبده قد دعا إلى تعليم المرأة وتثقيفها والتمتع بما أوجبه لها الإسلام من امتيازات دون أن يدعو إلى التبرج والاستهتار، وأن المراغى قد كَسَبَ مُسالمة العدوّ لاعتزازه بكرامته وتمسّكه بإسلامه، ومناقشة الآراء فى حصافة واقتدار حتى يُسكت خصيمه فلا يلج فى عناد! نقولُ ذلك ثم نَسْتشهد بالوقائع ونستدلُ بالمؤلفات ونستعينُ بالعُدول من الثقات، ونعتقدُ بعد هذا الجهد الجاهد أن الباطل قد هَوى وأن الحق قد ارتفع

ثم يهولك الإصرار كل الإصرار على اتهام الشرفاء وانتقاص الأحرار، مع ما قدمت من البرهان!.

فإذا تركت حديث هؤلاء عن الأحرار من الزعماء، والصادقين من الشرفاء إلى حديثهم عن المستشرقين والمبشرين من أرباب الجدل الواضح والحقد المتين فلن تجد دراسة هادية، أو حججا مقنعة، أو تعمقا بصيرا ولكنك تجد مظاهرات صاخبة تجمع شتى الأسماء في نطاق واحد! إذ ترى حشدا من الأسماء المستشرقة ما بين أمريكية وإنجليزية وهولندية وألمانية ومجرية وفرنسية! وكلهم مستشرقون مبشرون! تجمع هذه الحشود في مُحاضرة أو مقالة أو صفحات كتاب لا لتناقش الأفكار جُزئية جُزئية! بل لتسبّ المستشرقين وتلعنهم، دُون هدم لفكرة أو تفنيد لرأى!! وتكتب لهؤلاء فتدلهم على الطريق الأصوب لمقاومة التبشير والاستشراق، وتدعو إلى التخصص في الرد، فيرد صاحب الدراسات القرآنية على أخطاء المغرضين، ويُفنّد صاحب الدراسة التاريخية أوهام من خبطوا في التاريخ الإسلامي، ويتجه علماء الحديث إلى تقويض أراجيف الزائغين بدلا عن محاضرة لا تزيد عن ترديد الأسماء، وذكر رؤوس الموضوعات! وصاحبها عند نفسه - وعند نفسه فحسب - مُدافع مناضل يقف على ثغر من ثغور الإسلام يُعرض صدره للسهام حبا في الاستشهاد! هو وحده الذي يضرب بالسيف، أما جمال الدين ومحمد عبده ومصطفى المراغي، فمنحرفون مضللون!.

هؤلاء هم زعماء الدين وقد وُصفوا بالإفك ووُصفوا بالبهتان، فإذا انتقلنا منهم إلى زعماء الأدب فلابدّ أن يكونَ ميدان السّباب فسيحا متسعا، ولابد أن تثور براكين الأرض، نقمة على ما اقترفوا من كتب وما دبجوا من أبحاث!.

وأعجبُ ما يثيرُ العجب أنّ كتب هؤلاء التي اتجهت وجهة الإسلام، قد صدرت منذ سبعين عاما وأكثر وقد حظيتْ من القبول والرواج، وتعدد الطبعات، ونباهة الذكر ما أورثَ المكتبة الإسلامية خصباً ناضراً كانَ من قبل جدبًا موحشاً، إذ قدمت سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الطاهرين بأحسن ما يُنتظر أن يجذب أفئدة الملايين من القرّاء في عصر تقدم فيه الأسلوب الكتابي بما لا يُغنى معه الاكتفاء بسيرة ابن هشام والسيرة الحلبية ونور اليقين ونحوها بل لا يُغنى معه ما كتبه كثير من أساتذة الكليات الجامعية الذين يتحدثون عن نبيّ الإسلام في «مؤلّفات» تقرر على الطلاب ولا تجد ذيوعَها عدة أمتار بعد عتبات الكلية، وأقولُ «مؤلفات» تجوّزا لأنها ملخصات لا ترشح بالجديد في الفكرة ولا تتألق بالناضر من التعبير، ولست أعنى أحدا بذاته ولكنى أتكلم عما رأيت، فما شهدت إلا بما علمت.

هذه الكتب التي أخصبت المكتبة الإسلامية بثمرها المستطاب، ضاقت بها أقلام يعزُّ عليها أن تعترف بالحق لأهله «فحياة محمد» الخالدة التي سطرها الكاتب البارع الدكتور محمد حسين هيكل - رحمه الله - منقولة - في زعمهم - عن مؤلف فرنسي كتبه درمنجم، ومحشوة بمفتريات هذا الفرنسي: هكذا قال هؤلاء السبّابون في جرأة فاضحة! وقد ترجم المرحوم الأستاذ عادل زعيتر كتاب درمنجم منذ عشرات السنوات، وقرأه الناس في ترجمته العربية فما وجدوا بينه وبين «حياة محمد للدكتور هيكل» مشابهة تذكر، فالأسلوب غير الأسلوب تبويباً وتفكيراً وقضايا، ولئن كان هيكل قد اعترف بأن كتاب درمنجم قد جذبه إلى كتابة مؤلفه، فهذا شيء والنقلُ عن المستشرق الفرنسي شيء آخر، ولكنّ الساخطين لا يُعجبهم أن يكتبَ هيكل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدل أن يُمدح اتجاهه النبيل فلابد أن يذم، ولابد أن يكون عمله الرائع محسوبا عليه لا له! ولابد أن يكون كتابه ستارا استشراقيا باطنه العذاب وظاهره الرحمة.

والعقاد: رحمه الله العقاد! لقد آثار حفيظتي ودفعني رأسا لكتابة هذا المقال، ما قرأته في ماضي السنين بجريدة الأهرام تحت عنوان مثير يقول: «صدمة للثانوية» بالبنط العريض، أتدرون ما هذه الصدمة التي صرخت منها جريدة الأهرام وعدتها خطرا مزعجا يتهدد آلاف الطلاب، إنها تقرير كتاب «عبقرية عمر» هذا العام على التلاميذ! وقد قُررت العبقريات عدة أعوام فكانت وحدها الشيء الجديّ في مقررات اللغة العربية إذ فرضتْ على الطلاب وهم مقبلون على الأسلوب الجامعي نمطا رفيعا من التأليف البياني تحليلا وتشريحا وجدلا وإفحاماً، وقد قيل إنها تتطلب الجهد!! وأي عمل مدرسي لا يتطلب الجهد؟ ولماذا يُقرر على الطلاب أنفسهم روايات الكبار من أدباء الغرب في اللغة الإنجليزية، فيضطرون إلى فهمها في لغتها الأجنبية، ثم لا يعترضُ على ذلك معترض، فإذا كتب العقاد بأسلوب عربي مبين عن محمد صلى الله عليه وسلم، والصديق وعمر وخالد! صاح الصائحون وصرخت الأهرام، واستعدت المسئولين!! إنه زمن مضى بآثامه، وأرجو ألا يعود.

ثم نأتي لطه حسين! وقد مات طه حسين، فاقتضى عمل المؤرخ الجاد أن يقسم حياته إلى فترتين مختلفتين فترة ناشزة ضلّ فيها الطريق وفترة أخيرة رجعت به إلى السنن القويم حين كتب «الوعد الحق» بأفصح ما يُكتب به من البيان الرائع عمّا لاقاه المستضعفون من تعذيب وحينَ كتب «مرآة الإسلام» في وضوح مشرق ساطع الدليل، وقد قُرّر الكتابان عدة سنوات على آلاف الطلاب فكانا موضع استفادة

محققة تنشرح لها صدور المنصفين! كما وقف الدكتور أمام الشيوعيين وقفات رائعة تنتصر للغة العربية المهضومة والأدب العربي المهبط والتراث الإسلامي المنتقص فكان صوته الأعلى لدى من يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وكم ضاقت به أقلام شيوعية مستأجرة تراه حاجزا دون ازدراء اللغة العربية والأدب العربي، وكان يرمض نفوسها أنها لا تستطيع مقاومة طه حسين! هذا الرجل قد تواطأ بعدُ وفاته جماعة من الكتاب على سبّه والخروج به عن حظيرة الإسلام! ثم يبلغ بهم العناد أن يقولوا إن ما كتبه في مثل مرآة الإسلام، والوعد الحق، لا يصور اتجاهه المستتر، وإنما هو تمويه وتدجيل! وكأنهم قد شقوا عن صدره فعرفوا أنه مُلحد منافق ومموه دجال!.

ونحن نقول لهؤلاء: إنكم تخالفون الإسلام صراحة حين تتحدثون عن النيات المستترة والخوالج الباطنة، فذلك كله من شأن عالم الغيب والشهادة، وسبيلكم الصائب، أن تسردوا للرجل ما له وما عليه، فإذا انتقدتموه في عهده الأول عن حق، فليس لكم أن تشوّهوا ما ختم به حياته من اتجاه، وليس لكم غير الظاهر دون سواه.

على أني بعد ذلك أسأل في غيظ: أيّ معسكر سَيَسْتفيد من تحقير مواقف جمال الدين، ومحمد عبده ومحمد مصطفى المراغي؟ وأي معسكر سيكسب من إهمال «حياة محمد» و«عبقريات العقاد» و«مرآة الإسلام».. لا شك أن قراء المسلمين هم الخاسرون، وأن المستفيد عن يقين هم أعداء الإسلام وشانئوه، فعلام التشنج الصاخب في سب المصلحين من رجال الدين، والتنطع الخائب في تسفيه الرائع من صحف الأدباء؟ وما ثمرة ذلك كله التي يحرص عليها المندفعون؟.

تسأل ما تسأل فلا تجد إجابة تشفي أو منطقا يفيد، وفي النفس ما فيها مما يضيق به الصدر ولا يترجم عنه اللسان.

د. / محمد رجب البيومي

تفسير سورة البقرة

قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً
لِأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن
مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ
بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ
اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

الآية: ٢٤٠ : ٢٤٢

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

والآية الأولى من هذه الآيات تبين بعض الحقوق التي شرعها الله - تعالى - للمرأة التي توفي عنها زوجها.

والمعنى: لقد شرع الله لكم فيما شرع من أحكام، أن على المسلم قبل أن يحضره الموت أن يوصي لزوجته التي على قيد الحياة بما تنتفع به انتفاعاً مستمراً لمدة حول من وفاته، ولا يصح أن يخرجها أحد من مسكن الزوجية.

وقوله: ﴿وَصِيَّةً﴾ فيه قراءتان مشهورتان.

القراءة الأولى بالنصب، والتقدير: والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً فليوصوا وصية، أو كتب الله عليهم وصية لأزواجهم.

والقراءة الثانية بالرفع والتقدير: فعليهم وصية لأزواجهم.

وعلى قراءة النصب تكون كلمة ﴿وَصِيَّةً﴾ مفعولاً مطلقاً أو مفعولاً به، وعلى قراءة الرفع تكون مبتدأ محذوف الخبر. وقوله:

﴿لِأَزْوَاجِهِم﴾ جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة لكلمة ﴿وَصِيَّةً﴾ على القراءتين. أى: وصية كائنة لأزواجهم.

والمراد بقوله: ﴿مَّتَاعًا﴾ ما تتمتع به الزوجة من السكن والنفقة بعد وفاة زوجها بوصية منه وهو منصوب على المصدر أى متعوهن متاعاً أو على المفعولية. أى جعل الله لهن ذلك متاعاً.

وقال - سبحانه -: ﴿مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ﴾ للتنصيص على أن هذه المدة تمتد حولاً كاملاً منذ وفاة زوجها، إذ كلمة حول تدل على التحول أى حتى تعود الأيام التي حدثت فيها الوفاة. وقوله:

﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ حال من أزواجهم أى غير مخرجات من مسكن الزوجية، فلا يصح لورثة الميت أن يخرجوهن من مسكن الزوجية بغير رضاهن، لأن بقاءهن في مسكن الزوجية حق شرعه الله لهن، فلا يجوز لأحد أن يسلبه منهن بغير رضاهن.

ثم قال - تعالى -:

﴿فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ﴾

أى: ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ من منزل الزوجية برضاهن ورغبتهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أى فلا إثم عليكم أيها المسلمون:

﴿فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ﴾.

أى فيما فعلن في أنفسهن من أمور لا ينكرها الشرع كالتزين والتطيب والتزوج بعد انتهاء عدتها وهي أربعة أشهر وعشرة أيام. هذا، وللعلماء في تفسير هذه الآية اتجاهان مشهوران:

أما الاتجاه الأول: فيرى أصحابه أن هذه الآية منسوخة لأنها توجب على الزوج حين مشارفة الموت أن يوصي لزوجته بالنفقة والسكنى حولاً، ويجب عليها الاعتداد حولاً، وهي مخيرة بين السكنى في بيته حولاً ولها النفقة، وبين أن تخرج منه ولا نفقة لها، ولم يكن لها ميراث من زوجها.

قالوا: وكان هذا الحكم في ابتداء الإسلام.

وقد نسخ وجوب الوصية بالنفقة والسكنى بآية المواريث وبحديث «ألا لا وصية لوارث» حيث جعل لها الربع أو الثمن عوضاً عن النفقة والسكنى ونسخ وجوب العدة حولاً بقوله - تعالى - قبل ذلك:

﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾

قالوا: ومما يشهد لذلك ما أخرجه أبوداود والنسائي عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية: نسخت بآية الميراث بما فرض الله لهن من الربع والثمن «ونسخ أجل الحول بأن جعل أجلها أربعة أشهر وعشراً»(١).

وقد حكى هذا الرأي صاحب الكشاف فقال: والمعنى: أن حق الذين يتوفون عن أزواجهم أن يوصوا قبل أن يحتضروا بأن تمتع أزواجهم بعدهم حولاً كاملاً، أي: ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن. وكان ذلك في أول الإسلام ثم نسخت المدة بقوله:

﴿ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ وقيل نسخ مازاد منه على هذا المقدار. ونسخت النفقة بالإرث الذي هو الربع والثمن.

واختلف في السكنى فعند أبي حنيفة لا سكنى. ثم قال: فإن قلت كيف نسخت الآية المتقدمة المتأخرة؟ قلت: قد تكون الآية متقدمة في التلاوة وهي متأخرة في التنزيل، كقوله - تعالى -:

﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ مع قوله:

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾(٢).

وعلى هذا الاتجاه سار جمهور المفسرين.

أما الاتجاه الثاني: فيرى أصحابه أن هذه الآية محكمة وليست منسوخة وممن ذهب إلى هذا الاتجاه مجاهد، فقد قال ما ملخصه: دلت الآية الأولى وهي:

﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾

على أن هذه عدتها المفروضة تعتدها عند أهل زوجها. ودلت هذه الآية بزيادة سبعة أشهر وعشرين ليلة على العدة السابقة تمام الحول، وأن ذلك من باب الوصية للزوجات أن يمكن من السكنى في بيوت أزواجهن بعد وفاتهم حولاً كاملاً ولا يمنعن من ذلك لقوله:

﴿ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾ فإذا انقضت عدتهن بالأربعة أشهر والعشر - أو بوضع الحمل - واخترن الخروج والانتقال من ذلك المنزل فإنهن لا يمنعن من ذلك لقوله: ﴿ فَإِنْ خَرَجْنَ ﴾.

---

(١) أخرجه أبوداود في كتاب الطلاق باب نسخ متاع المتوفى عنها زوجها بما فرض لها من الميراث.

(٢) تفسير الكشاف جـ١ ص ٢٨٩.

ومن المفسرين الذين أيدوا هذا الاتجاه الإمام ابن كثير فقد قال - بعد أن ساق قول مجاهد - وهذا القول له اتجاه وفي اللفظ مساعدة له وقد اختاره جماعة منهم الإمام أبو العباس بن تيمية[٣].

كما أيده أيضاً الإمام الفخر الرازي في تفسيره، فقد قال بعد أن ساق بعض الأدلة التي تثبت ضعف قول من قال بالنسخ: «فكان المصير إلى قول مجاهد أولى من التزام النسخ من غير دليل»[٤].

والخلاصة أن أصحاب هذا الاتجاه الثاني لا يرون معارضة بين هذه الآية وبين آية:

﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾

لأن الآية التي معنا لا تتحدث عن عدة المتوفى عنها زوجها وإنما تتحدث عن حقها في البقاء في منزل الزوجية بعد وفاة زوجها، وأن هذا الحق ثابت لها فإن شاءت بقيت فيه، وإن شاءت خرجت منه على حسب ما تراه مصلحة لها، ولأنها لا يوجد في ألفاظها أو معانيها ما يلزم المرأة بالتربص والامتناع عن الأزواج مدة معينة.

أما الآية الثانية فنراها واضحة في الأمر بالتربص أربعة أشهر وعشراً، وهي العدة التي يجب أن تمتنع فيها المرأة التي مات عنها زوجها عن التزين والتعرض للزواج. إذن فلا تعارض بين الآيتين ومتى انتفى التعارض انتفى النسخ.

ثم ختم - سبحانه - الآية بقوله:

﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ أي: عزيز في انتقامه ممن تعدى حدوده، إذ هو القاهر فوق عباده، حكيم فيما شرع لهم من آداب وأحكام فينبغي أن يمتثل الناس أوامره ويجتنبوا ما نهاهم عنه.

ثم بين - سبحانه - حق المطلقات فقال:

﴿ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾

أي: وللمطلقات على أزواجهن الذين طلقوهن متاع بالمعروف أي: شيء ينتفع به انتفاعاً ممتداً لمدة من الوقت مما تعارف العقلاء عليه وعلى فائدته للمرأة، وهذا المتاع جعله الله حقاً على المتقين الذين يصونون أنفسهم عن كل ما يبغضه الله - تعالى -.

وقد جعل الله هذا الحق للمطلقة على مطلقها جبراً لوحشة الفراق وإزالة لما قد يكون بين الزوجين من شقاق، وتخفيفاً لما قد يحيط بجو الطلاق من تنافر وتخاصم وعدم وفاق.

قال ابن كثير: وقد استدل بهذه الآية من ذهب من العلماء بوجوب المتعة لكل مطلقة سواء كانت مفوضة، أو مفروضاً لها، أو مطلقة قبل المسيس، أو مدخولاً بها. وإليه ذهب سعيد بن جبير وغيره من السلف واختاره ابن جرير، وهو قول عن الشافعي[٥].

---

(٣) تفسير ابن كثير جـ٣ ص ٢٩٧ بتصرف يسير.
(٤) راجع تفسير الفخر الرازي جـ ٦ ص ١٦٨.
(٥) تفسير ابن كثير جـ١ ص٢٩٧.

وعلى هذا التفسير يكون المراد بالمتاع ما يعطيه الرجل لامرأته التي طلقها زيادة عن الحقوق المقررة لها شرعا ليكون التسريح بإحسان.

ومن العلماء من يرى أن المراد بالمتاع هنا: النفقة التي تكون للمطلقة في العدة قال الفخر الرازي: واعلم أن المراد بالمتاع ههنا فيه قولان:

أنه هو المتعة فظاهر هذه الآية يقتضي وجوب هذه المتعة لكل المطلقات.

والقول الثاني: أن المراد بهذه المتعة النفقة، والنفقة قد تسمى متاعا، وإذا حملنا هذا المتاع على النفقة اندفع التكرار فكان ذلك أولى[1].

ويظهر أن مراد الفخر الرازي بقوله: «اندفع التكرار» أي ما بين هذه الآية والآية التي سبقت وهي قوله - تعالى -:

﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴾

ولك أن تقول: إنه لا تكرار مع إرادة المتعة التي ليست هي النفقة لأنه في السابقة بين أنها حق للمرأة حين تطلق ولم يكن قد قدر لها مهر معين، وهنا ذكرت عقب آية الوفاة لدفع ما يتوهم من أن المتوفى عنها زوجها لها حق في المتعة إذا لم يوص لها زوجها بالنفقة.

ثم ختم - سبحانه - هذه الآيات المتعلقة بأحكام الأسرة بقوله:

﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

أي: مثل هذا البيان الحكيم الواضح الذي بين الله لكم به الأحكام السابقة، يبين لكم جميع آياته وأحكامه التي أنتم في حاجة إليها لكي تفهموا ما فيها وتعقلوه وتعملوا به فتنالوا السعادة في الدنيا والآخرة.

وإلى هنا تكون السورة الكريمة قد بينت لنا في أكثر من عشرين آية بعض الأحكام التي تتعلق بالأسرة وصيانتها وسعادتها بأسلوب مؤثر حكيم وبطريقة تهدي إلى أفضل الأخلاق، وأقوم العلاقات بين الأفراد والجماعات، وإن المتأمل في هذه الآيات وما اشتملت عليه من توجيهات سامية ليوقن بأن هذا القرآن إنما هو من عند الله، الذي شرع لعباده ما فيه صلاحهم وسعادتهم.

وبعد هذا البيان الحكيم عن الأسرة وما يتعلق بها من زواج وطلاق وغير ذلك، ساق القرآن من القصص ما من شأنه أن يدعو إلى التذكر والاعتبار ويحرض على الجهاد في سبيل الله.

***

---

(١) تفسير الفخر الرازي جـ٦ ص ١٧٣

فاتحة الكتاب بين تفسيرين

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

(١) لعلنا لا نجاوز الحقيقة إذا قلنا: إن (فاتحة الكتاب) هي من أهم ما ينبغي على المسلم استقصاؤه وتعمقه والوقوف على ما ينطوي عليه من دلالات وإشارات، لأنها النداء العقيدي الذي يردده الإنسان المسلم في صلواته الخمس على تعدد ركعاتها، وفي سننه ونوافله التي يأتي منها بقدر ما يستطيع وما يسعه الجهد، وفي توجهاته الحياتية التي يبدؤها باسم الله، ويختتمها بالابتهال إليه والاستعانة به.

ولعل أول ما يلفتنا في فاتحة الكتاب هو أنها - على الرغم من آياتها السبع القصار، وعلى الرغم من تكرارها في شفاه الملايين المسلمة ربما بلا انقطاع لا تستحيل في لحظة من اللحظات إلى نبع جامد ليس يتدفق بالعطاء، مع أن من المعروف أن أي نص مهما كان سموقه البلاغي والروحي يستحيل بعد تكراره إلى مجرد صيغ ناضبة لا توحي بشيء ذي بال، وربما رفض المتلقي قراءته لأنه لم يعد يوحي له بشيء، ولكن الفاتحة تبقى على الرغم من كل ذلك التكرار مصدراً من مصادر الوحي الذي يهب إنسانه المسلم - إذا هو فهم عنه - نوعاً من السلام الداخلي الذي يعيد إليه تعادله واتزانه، ويشعره بأن الله الخالق يرعى خطواته على الأرض، وأن كل عذابات الدنيا تتلاشى في نبضة رحمة من رحماته، وأن العبادة له ليست هروبا من واقع ضاغط، بقدر ما هي استعانة به على هذا الواقع الضاغط، وأن كل السبل تتشاجن وتتقاطع، ويبقى وحده (الصراط) الذي ارتضاه مستقيماً لا أمت فيه ولا تفاريق.

ويرى المتأمل أن من جملة الخصائص التي وهبت الفاتحة هذا الاقتدار المتفرد على العطاء والإيحاء، أنها دفقات روحية هائلة بقدر ما هي إحالة على حركة الواقع الوجودي الحي، فهي لا تذبل في ملايين الشفاه المرددة، لأنها مزيج رائع من حركة الروح وحركة الواقع، ومعروف أن تعاليات الروح لا تنتهي عند حد، كما أن من المعروف كذلك أن حركة الواقع الوجودي أمواج متجددة، وعلاقات تتآمر وتفترق دائماً لتشكل ديمومة مستمرة.

فالرحمة، والمالكية، والغيب، والعبادة، والاستعانة، والهداية، والصراط، والاستقامة، والهدى، والضلال، كلها مزيج من تعاليات الروح وحركة الواقع، وهي تتراحب بتراحب حركة الكائن الحي في علاقاته وتفاعلاته وقيمه.. وهذا هو الذي يمنحها هذا التجدد وهذا الخلود.

وإذا كنا هنا نتأمل تفسيراً مغايراً وتفسيراً معاصراً للفاتحة، فإنما لكي نرى منطلقات الذهنية المسلمة في فهم إيقاع هذه الآيات السبع، ومدى تحليلها لنوعية الإعجاز الخارق الذي ضمن لهذا النصِّ القرآني - على الرغم من كثرة الترداد والتكرار - هذا الاقتدار الرائع على الإيحاء والإلهام، وما نظن أن المنطلقات اختلفت، أو أن الرؤية غامت، أو أن الإيقاع تغير.. ولكن الذي تغير ربما هو (المنظور) الذي أطل منه أولئك وهؤلاء، فبينما هو في القديم - غالباً - منظور (لغوي) يستمد تأملاته الروحية للآيات من واقع خبرته اللغوية بالمفرد والتركيب جميعاً.. إذا به في الحديث - غالباً كذلك - منظور (جمالي) يستمد تأملاته الروحية للآيات من واقع خبرته الجمالية بالمفرد والتركيب جميعاً.. أي أننا مع (ابن كثير)، وهو الذي اخترناه ليمثل المنظور القديم، مع عالم يحاول تجسيد فهمه لفاتحة الكتاب من خلال استبطانات لغوية فذة تصله بغايته من تفسير الآيات إلى ما يريد.. ومع (سيد قطب)، وهو الذي اخترناه ليمثل المنظور المعاصر، مع فنان يحاول تجسيد فهمه لفاتحة الكتاب من خلال استبطانات جمالية فذة تصله بغايته من تفسير الآيات إلى ما يريد كذلك.

٢

وقد أطلق الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت٧٧٤ هـ) على تفسيره اسم: (تفسير القرآن العظيم) وهو يشارك عديداً من التفاسير الأخرى في اتجاه (التفسير بالمأثور).. من مثل: (جامع البيان في تفسير القرآن) لابن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)، و(معالم التنزيل) لأبي محمد الحسين البغوي (ت ٥١٠ هـ) - و(الدر المنثور) لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ).

ويحدد ابن كثير منهجه في تفسيره على هذا النحو: (إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكانه فإنه قد فسر في موضوع آخر.. فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له.. وإذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك، لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم كالخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، وعبدالله بن مسعود، فقد قال ابن مسعود: «والذي لا إله غيره، ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت، وأين نزلت، ولو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته» - المقدمة - ص١٢.

ثم يقول ابن كثير: (وإذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة إلى أقوال التابعين كمجاهد بن جبر فإنه كان آية في التفسير، فقد قال: «عرضتُ المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات، من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها» ولهذا قال سفيان الثوري: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به) - المقدمة - ص١٢ - ١٣.

فأما تفسير القرآن بمجرد الرأى فحرام، لما روى عن النبى ﷺ أنه قال: «من قال فى القرآن برأيه، أو بما لا يعلم، فليتبوأ مقعده من النار» – المقدمة – ص١٣.

وإذن فمنهج ابن كثير فى التفسير هو الجمع بين الرواية والدراية، وتفسير القرآن بالقرآن، والسنة، وأقوال الصحابة، والتابعين، فإذا لم نجد قلنا بما نعلم مع تحرز واجتهاد وتوثيق.

وقبل دخوله فى التفسير يذكر ابن كثير ما سماه (مقدمة مفيدة تذكر فى أول التفسير قبل الفاتحة) يعدد فيها السور التى نزلت فى المدينة من القرآن الكريم وهى كما يقول: (البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، وبراءة، والرعد، والنحل، والحج، والنور، والأحزاب، ومحمد، والفتح، والحجرات، والرحمن، والحديد، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والصف، والجمعة، والمنافقون، والتغابن، والطلاق، وعشر من التحريم، وإذا زلزلت، وإذا جاء نصر الله)، هؤلاء السور نزلت فى المدينة، وسائر السور بمكة.

ويذكر أن عدد آيات القرآن العظيم ستة آلاف آية، ثم اختلف فيما زاد على ذلك وأما التحزيب والتجزئة فقد اشتهرت الأجزاء من ثلاثين كما فى الربعات بالمدارس وغيرها.

ويعقب ابن كثير بفصلين صغيرين، يتعرض فى أولهما لمعنى (السورة) ومعنى (الآية) ومعنى (الكلمة) من الجهة اللغوية فيقول:

واختلف فى معنى السورة مما هى اشتقت؟ فقيل من الارتفاع، فكأن القارىء يتنقل بها من منزلة إلى منزلة، وقيل لشرفها وارتفاعها كسور البلد لإحاطته بمنازله ودوره، وقيل سميت سورة لكونها قطعة من القرآن وجزءاً منه... وأما الآية: فأصل معناها العلامة، سميت بذلك لانقطاع الكلام الذى قبلها عن الذى بعدها وانفصالها، أى هى بائنة عن أختها ومنفردة، قال تعالى:

﴿ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ ﴾[1]

وأما الكلمة: فهى اللفظة الواحدة، وقد تكون على حرفين مثل: «ما» و«لا» ونحو ذلك، وقد تكون أكثر، وأكثر ما تكون عشرة أحرف مثل «أسقيناكموه». وقد تكون الكلمة الواحدة آية مثل: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ﴾[2] ومثل: ﴿ وَٱلْفَجْرِ ﴾[3]. (المقدمة – ص١٤).

وفى الفصل الثانى يتعرض ابن كثير لقضية ورود غير العربى فى القرآن الكريم، فيقول: (قال القرطبى: أجمعوا على أنه ليس فى القرآن شىء من التراكيب الأعجمية وأجمعوا أن فيه أعلاماً من الأعجمية كـ «إبراهيم» و«نوح» و«لوط» واختلفوا: هل فيه شىء من غير ذلك بالأعجمية؟ فأنكر ذلك الباقلانى والطبرى وقالا: ما وقع فيه مما يوافق الأعجمية فهو من باب ما توافقت فيه اللغات فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة وغيرهم) – المقدمة – ص١٤.

وواضح أن ابن كثير فى الفصل الأول يركز على (المنحى اللغوى) من خلال تحديده لمعنى السورة والآية والكلمة.. ويركز على نفس

(١) البقرة (٢٤٨).
(٢) الضحى (١).
(٣) الفجر (١).

(المنحى اللغوى) فى الفصل الثانى، وإن كان من طريق السلب الذى ينفى حلول التراكيب غير العربية في القرآن الكريم.

وهكذا يتشكل المدخل المنهجى الذى قدّم به ابن كثير لتفسيره، وهو كما نرى مدخل ينشق عن منهجية رصينة، وعن اتجاه ينزع فى أساسه إلى فهم حقيقى لطبيعة المصطلح اللغوى للكلمات والتراكيب، وعن توفر دائب على استبطان أعماق النصّ القرآنى من خلال تأمل سياقاته المعجزة، كل أولئك فى إطار من التحرك فى دائرة التحرزّ العلمى الذى لم يعتمد غير المصادر المطمئنة الموثّقة إلا قليلاً.

(٣) ويفتتح ابن كثير تفسيره لسورة الفاتحة بهذا الإيقاع العاكس لمنهجه الذى يعتمد على تحديد المصطلح، واستكناه حقائق التركيب من طبيعة الحسّ اللغوى فيقول: (تسمّى « الفاتحة » لأنه تفتتح بها القراءة فى الصلوات، ويقال لها أيضاً: « أم الكتاب » ولها أسماء منها « الحمد » و« الشفاء » و« الواقية » و« الكافية » و« أساس القرآن ». قال البخارى: وسميت – أم الكتاب – لأنه يبدأ بكتابتها فى المصاحف، ويبدأ بقراءتها فى الصلاة. وقال الطبرى: والعرب تسمى كل جامع أمراً أو مقدم لأمر « أمّاً » فتقول للجلدة التى تجمع الدماغ: « أمّ الرأس » ويسمى لواء الجيش ورايتهم التى يجتمعون تحتها: « أمّا » قال ذو الرمة:

على رأسه أمّ لنا نقتدى بها
جماع أمور ليس نعصى لها أمراً)

ثم يلقى ابن كثير بعض الضوء على ما ورد فى فضل فاتحة الكتاب من أحاديث، وهى فى مجملها تجمع على أن فاتحة الكتاب هى السبع المثانى والقرآن العظيم. وأنها نور من نورين لم يؤتهما نبى قبل نبينا محمد ﷺ، وأن من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهى خداجٌ – ثلاثا – غير تمام، وأنها كذلك فاتحة حوار بين العبد المصلّى وربه، فإذا قال العبْد:

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ قال الله: حمدنى عبدى، وإذا قال: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ قال الله: اثنى علىّ عبدى، وإذا قال:

﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ قال: مجّدنى عبدى، وقال مرة: فوض إلىّ عبدى، فإذا قال:

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ قال: هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل، فإذا قال:

﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾

قال: هذا لعبدى، ولعبدى ما سأل!!

ثم يبدأ فى تحليل رؤية لغوية حول متعلق الباء فى قوله تعالى: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ﴾ فقد قدره بعضهم ﴿ بِسْمِ ﴾ تقديره: باسم الله ابتدائى، وقدره بعضهم بفعل) تقديره: أبدأ باسم الله، أو ابتدأت باسم الله، ويرى أن كليهما معاً صحيح، فإن الفعل لابد له من مصدر، فلك أن تقدر الفعل ومصدره، فالمشروع ذكر اسم الله فى الشروع فى ذلك كله تبركاً وتيمناً واستعانة على الإتمام والتقبل، ويدلّ للاول قوله تعالى:

﴿ بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ﴾[1] ويدل للثاني قوله تعالى:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾[2].

ويقول ابن كثير إن ﴿ اللَّهِ ﴾ علم على الرب، لأنه (الاسم الأعظم) والأسماء الباقية كلها صفات، وهو اسم لم يسمّ به غيره – تبارك وتعالى– ولهذا لا يعرف له في كلام العرب اشتقاق، وقيل مشتق من اله يأله إلهه، وقيل من وله إذا تحيّر لأنه تعالى يحير الفكر في صفاته، وقيل من ألهت إلى فلان، أى سكنت إليه، فالعقول لا تسكن إلا إلى ذكره، والأرواح لا تفرح إلا بمعرفته.

ويذهب إلى أن ﴿ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ إسْمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة، و(رحمن) أشد مبالغة من (رحيم)، وزعم بعضهم – كما يقول ابن كثير – أنه غير مشتق، وحين أنكرت العرب اسم ﴿ الرَّحْمَٰنِ ﴾ كان ذلك لجهلهم بالله وما وجب له، وبناء فعْلان ليس كفعيل، فإن (فعْلان) لا يقع إلا على مبالغة الفعل، وفعيل قد يكون بمعنى الفاعل والمفعول، وحين يزعم بعضهم أن ﴿ الرَّحِيمِ ﴾ أشد مبالغة من ﴿ الرَّحْمَٰنِ ﴾ لأنه أكّد به، والمؤكّد لا يكون إلا أقوى من المؤكَّد، يجيب ابن كثير بأن هذا ليس من باب التأكيد وإنما هو من باب النعت.

وواضح أنه هنا ينطلق من منطلق لغوى كما نرى، يتكىء في تأكيد منظوره من خلاله على (تحليل القاعدة اللغوية) وشدة حساسيته بما تُفيئهُ الصّيَغُ المختلفة على المعنى من ظلال وإيحاءات.

ويورد في تفسير قوله تعالى:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ رأى ابن جرير الذي يرى أن الآية تُمحّض الشكر خالصاً لله، وتشكّل ثناءً أثنى به على نفسه، وضمّنه أمر عباده بالثناء عليه، ولكنه يستدرك عليه قوله: (وأهل المعرفة بلسان العرب يوقعون كلا من الحمد والشكر مكان الآخر) فيقول: (وهذا الذى ادعاه ابن جرير فيه نظر، لأنه اشتهر عند كثير من المتأخرين أن الحمد هو الثناء بالقول على المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية، والشكر لا يكون إلا على المتعدية ويكون بالجنان واللسان والأركان).. ثم يستعين برأى الجوهرى في التفرقة بين الحمد والشكر، حيث يذهب إلى أن بينهما رابطة عموم وخصوص – فالحمد أعم من الشكر.. ولا ينسى ابن كثير أن يشير إلى أن الألف واللام في ﴿ الْحَمْدُ ﴾ لاستغراق جميع أجناس الحمد وصنوفه.

ثم يشير في تفسير قوله تعالى:

﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ إلى أن الرب هو المالك المتصرف، والعالمين كل موجود سوى الله– عز وجل–.

وفي قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ بعد

---

(1) هود (41)

(2) العلق (1)

قوله: ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ إلى ضرب من قرن الترغيب بالترهيب.

وفي قوله تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ إلى قراءتين يوردهما ويعقب عليهما بتحليل لغوي حساس، يضع بينهما فروقاً مرهفة، فقد قرأ بعضهم: (ملك) وآخرون: ﴿ مَٰلِكِ ﴾ وكلاهما صحيح متواتر، و ﴿ مَٰلِكِ ﴾ مأخوذة من الملك، و ﴿ مَٰلِكِ ﴾ مأخوذة من الملك.. أما ﴿ ٱلدِّينِ ﴾ فهو الجزاء والحساب.

ولأن العبادة هي ما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف، قال تعالى:

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾، وإذا كانت العبادة هي المقصودة فإن الاستعانة وسيلة إليها.

ولما تقدم الثناء على المسئول- تبارك وتعالى- ناسب أن يعقب بالسؤال، وهذا أكمل أحوال السائل بمدح مسئوله، ثم يسأل حاجته، لأنه أنجح للحاجة، وأنجع للإجابة، ولهذا أرشد الله إليه لأنه أكمل:

﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾.. أما الذين أنعم الله عليهم المشار إليهم في قوله:

﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ فقد ذكرتهم سورة النساء في قوله تعالى:

﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ﴾(٦).

وهم الوجه المقابل للذين علموا الحق وعدلوا عنه ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾، وللذين فقدوا العلم فهم هائمون في الضلالة لا يهتدون إلى الحق: ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾.

ثم يعقد ابن كثير فصلاً موجزاً فيما اشتملت عليه سورة الفاتحة وهي سبع آيات من القيم النبيلة الفاضلة التي تضع إنسانها المسلم على خط الطهارة وصميمية الانتماء.. ويدلف من ذلك إلى تأملات لغوية مرهفة، من مثل إسناد الإنعام إليه تعالى في قوله:

﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾، وحذف الفاعل في الغضب في قوله: ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ وإن كان هو الفاعل لذلك في الحقيقة، وكذلك إسناد الضلال إلى من قام به وإن كان الذي أضلهم بقدره كما قال تعالى:

﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ﴾(٧) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أنه سبحانه هو المنفرد بالهداية والإضلال.

وهكذا نرى في تفسير ابن كثير لفاتحة الكتاب أننا أمام عقل منهجي، يتجه في تفسيره وتحليله اتجاهاً هو إلى الرؤية اللغوية أقرب منه إلى غيرها من الرؤيات، وإن كان بالطبع لم يهمل ما تضمنه النص من دلالات فقهية وعقيدية ووصفية.

---

(٦) النساء (٦٩).

(٧) الأعراف (١٨٦).

السنة

أخذ الله للظالمين (*)

لفضيلة الأستاذ الشيخ/ طه الساكت

إعداد الشيخ/ علي حامد عبد الرحيم

عن أبي موسى - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته. قال: ثم قرأ:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾(1)

[أخرجه الشيخان]

المفردات

الإملاء: الإمداد في الزمن والإمهال والتأخير، مأخوذ من الملوة، والملاوة -مثلثتين- وهي الطائفة الطويلة من الزمن، وأملى للبعير أرخى له الزمام ووسع له في القيد، ليتسع له المرعى. والملوان: الليل والنهار.

والظلم: وضع الشيء في غير موضعه. وفي المثل «من استرعى الذئب فقد ظلم». وأصل الظلم،

● من روائع «مجلة الأزهر».

الجور ومجاوزة الحد . وهو ثلاثة أقسام تأتي .

وأفلته من الورطة، وفلّته: خلصه وأنقذه . وأفلت منها بنفسه، وأفلتها: تخلص . يتعدى ويلزم .

المعنـــى

تمهيد :

لا نستطيع أن نفهم الحديث حق فهمه، ولا أن نجلّيه كما ينبغي له، إلا إذا أوضحنا المراد « بالظلم » وكشفنا الغطاء عنه . ذلك أننا لا نكاد نفهم من « الظلم » عند إطلاقه إلا أنه انتهاك حرمات الناس والتعدى على حقوقهم . وهو على هذا الوجه شائع معروف فى كتاب الله وسنة رسوله، وفى لغة العامة والخاصة . حتى قال الأستاذ « الجزيرى » -رحمه الله- فى صدر كتابته على حديث « الظلم والشح[2] » : « كل الناس يعرفون معنى الظلم، ويدركون معنى العدوان على الأنفس والأعراض والأموال والحقوق العامة والخاصة، فإذا اعتدى أحد على غيره فى نفسه أو ماله أو عرضه، أو سلبه حقا من حقوقه فقد ظلمه، ومن يفعل ذلك فقد خسر خسرانا مبينا وكان عرضة للهلاك فى الدنيا والآخرة » . وهو -رحمه الله- منصف فى حمل الحديث على هذا المعنى؛ لأنه لا يكاد يحتمل غيره، وإن كان ذلك فى حقيقة الأمر نوعا من أنواع الظلم، على ما نوضحه .

ذلك بأننا نجد القرآن المبين، وقد ذم الظلم وأهله مائة مرة ونيفا، يطلق « الظلم » فى أغلب الأحيان على معنى عام، هو مخالفة أمر الله وتعدى حدوده التى حد لعباده، فيشمل كبائر الذنوب وصغائرها أيا كان نوعها ومناطها . ومن هنا نقل الراغب عن بعض الحكماء أن الظلم ثلاثة؛ ظلم بين الإنسان وبين الله – تعالى – وأعظمه الكفر والشرك والنفاق؛ ولذلك قال:

﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[3]، وظلم بينه وبين الناس وإياه قصد بقوله :

﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[4] .

وظلم بينه وبين نفسه وإياه قصد بقوله :

﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾[5] . وكل هذه الثلاثة فى الحقيقة ظلم للنفس؛ فإن الإنسان أول ما يهم بالمعصية فقد ظلم نفسه وعدا عليها وعرضها لسخط الله – عز وجل – ولذلك قال الله – تعالى – فى غير موضع :

﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[6]

ولا ريب أن من ظلم نفسه التى بين جنبيه كان لغيره أظلم، وإن كان يجهل أو يتجاهل أنه ظالم لنفسه؛ لأنه يتجلى له ظلمه فى صورة المنفعة، وتتمثل له نفسه فى صورة الأخيار المصلحين . وهكذا شأن الظالمين المجرمين . ويؤيد هذا الذى

---

(١) هود (١٠٢) .
(٢) أنظره فى المجلد الحادى عشر من هذه المجلة ص ٣٩٤ .
(٣) لقمان (١٣) .
(٤) الشورى (٤٠) .
(٥) فاطر (٣٢) .
(٦) البقرة (٥٧) .

نقله الراغب ما يؤثر عن علي - رضي الله عنه - في بعض خطبه «ألا وإن الظلم ثلاثة؛ فظلم لا يغفر، وظلم لا يترك، وظلم مغفور لا يطلب. فأما الظلم الذي لا يغفر فالشرك بالله، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾[7] وأما الظلم الذي يغفر فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات[8] وأما الظلم الذي لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضا. القصاص هناك شديد، ليس هو جرحا بالمدى ولا ضربا بالسياط، ولكنه ما يستصغر ذلك معه.

المراد بالظلم في الحديث

وواضح بعد أقسام الظلم التي أوضحنا أن المراد به في الحديث ما يشملها جميعا؛ من الإفساد في الأرض والتعالي فيها، وانتهاك حرمات الله وحرمات عباده، ويتناول ذلك أول ما يتناول الاستهزاء بالرسل وما جاءوا به، وذلك أقبح الظلم وأشنعه. وهو -ولا ريب- دركات متفاوتة بتفاوت الظالمين في الشر والإفساد.

ويؤيد هذا المعنى العام الذي ذهبنا إليه، استشهاده ﷺ بالآية الكريمة في وعيد الظالمين وتهديدهم، بأن عاقبتهم هي عاقبة المكذبين لرسلهم؛ من قوم نوح وعاد وثمود، وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وقوم موسى، ومن إليهم. وقد أملى لهم الله فلم يزدهم الإملاء إلا عتوا وفسادا، وبالغت الرسل في نصحهم فلم تزدهم النصيحة إلا بغيا وعنادا:

﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾[9]

إملاء الله للظالمين

وإملاء الله للظالمين هو إرجاء عقوبتهم، وإمهالهم إلى أجل مسمى، مع إمدادهم بالنعم وإمتاعهم بزهرة الدنيا وزينتها، مكرا بهم وكيدا لهم؛ ليزدادوا إثما وبغيا وطغيانا وكفرا. حق عليهم ذلك بما أفسدوا من فطرة الله وكفروا بأنعم الله، واغتروا بحلمه - تعالى - وما علموا أن الله يستدرجهم من حيث لا يعلمون، ثم يأخذهم بغتة وهم لا يشعرون.

ولعل من حكمته - تعالى - في هذا الإملاء، وله الحجة البالغة، أن يُعذر إلى الظالمين[10]، لئلا تكون لهم عند الله حجة، ولا تنفعهم لديه معذرة. وعسى أن يكون في بعضهم أثارة من خير، فيتذكر ما قدمت يداه، ويندم على ما فرط في جنب الله:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾[11].

هذا إلى ما كتب الله للأرض من أجل تبلغ فيه عمارتها، وتأخذ فيه زخرفها وزينتها:

---

(7) النساء (48).

(8) الأمور الحقيرة، وأراد بها الإمام: صغائر الذنوب.

(9) غافر (21).

(10) يزيل عذرهم، فلا يبقى لهم موضعا للاعتذار، وفي حديث البخاري: «أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى بلغه ستين سنة».

(11) الشورى (25).

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾(١٢).

جـــزاء الظـــالمين

ومن العدل الإلهي، وقد حرم الله الظلم على نفسه، ووكد تحريمه على عباده، أن يجعل عقابه أليما، وجزاءه وخيما، وقد قص – سبحانه – من أنباء الظالمين، أفرادا وأمما، ما فيه العبر الناجعة، والعظات البالغة، لمن كان له قلب أو ألقى السمع؛ فصّل أخذه للظالمين في مئين من آي الذكر، وأجمله في غير آية منه:

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾(١٣).

﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾(١٤).

وليس أخذ الله للظالمين مقصورا على الإهلاك الحسي، والتدمير المرئي، بل إن من ضروب الأخذ ما هو أشد أثرا في النفوس، وأفعل فتكا في الأمم، ألا وهو فقدان عزتها وذهاب قوميتها واستعباد الأمم لها حتى يهي بناؤها وتنفصم عروتها وتصبح مثلا في الأذلين. ومن الأدلة على هذا ما نشاهده من أن الأمة القوية إذا غُلبت على أمرها فإنها تؤثر الفناء على الاستعباد، وتختار الهلاك في سبيل عزتها على البقاء على ربقة الذل والهون. وما أحكم أبا الطيب إذ يقول:

ذلّ من يغبط الذليل بعيش
رُبَّ عيش أخف منه الحمام

ومن ضروب الأخذ، أن يبتلي الله ظالما بظالم، وينتقم من فاسق بفاسق، ثم ينتقم منهم جميعا؛ وها هي ذي بلاد البغي والفجور، لا تزال غارقة في بحار من الدماء، هائمة في وديان من البؤس والشقاء، بما اقترفوا من الشهوات، واجترحوا من فنون الموبقات؛ كما اعترف بذلك أساطينهم، وأهل الرأي فيهم:

﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾(١٥)

وليقرأ في قصص القرآن، وفي تاريخ الممالك والدول، وفي قضاء الله – تعالى – في بني إسرائيل وأشباههم – من شاء أن يتبين قوله تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾(١٦)

---

(١٢) النحل (٦١).
(١٣) النحل (١١٢، ١١٣).
(١٤) العنكبوت (٤٠).
(١٥) الرعد (٣١).
(١٦) الأنعام (١٢٩).

ومن أنواع العقوبة على الظلم، أن تفترق الأمة أحزابا وشيعا، فيتصدع جمعها، وتختلف كلمتها، وتتشعب أهواؤها، فيطمع العدو فيها، ويهون عليه أمرها. وهذا الذى أنزله الله بالأمة المحمدية لما ظلمت نفسها وحادت عن تعاليم نبيها. روى البخارى عن جابر - رضى الله عنه - قال: لما نزلت هذه الآية:

﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾(١٧).

قال رسول الله ﷺ: «أعوذ بوجهك! قال:

﴿ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾(١٨) قال: أعوذ بوجهك!

﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾(١٩)

قال رسول الله ﷺ: هذا أهون أو هذا أيسر(٢٠)».

وقد جمعت هذه الأمة من المنكرات ما تفرق فى الأمم السابقة مما تستحق على بعضه عذاب الاستئصال، ولكن الله حماهم منه ببركة نبيهم ﷺ، فهل لهم فى ذلك معتبر؟

ومن شؤم الظلم أن عقوبته تعم الظالمين وغيرهم، يؤيد ذلك قوله تعالى:

﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾(٢١)

وكذلك ما رواه الشيخان عن زينب بنت جحش - رضى الله عنها - أنها سألت رسول الله ﷺ: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كثر الخبث!

أما بعد، فهذا بعض عقاب الله للظالمين، على ما مضت به سنته، وجرت به عادته. ولا ملجأ لهم من بطشه وأخذه، إلا أن يتوبوا إلى رشدهم، ويكفوا عن ظلمهم، ويؤدوا حقوق الله وحقوق عباده:

﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾(٢٢)

فإن لم يفعلوا فليصبروا على عذاب الله فى الدنيا:

﴿ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾(٢٣).

***

(١٧) الأنعام (٦٥).
(١٨) الأنعام (٦٥)
(١٩) الأنعام (٦٥).
(٢٠) الشك من الراوى، وانظر شرح الحديث فى المجلد الثانى عشر ص٢٧٣.
(٢١) الأنفال (٢٥).
(٢٢) البقرة (١٢٣).
(٢٣) طه (١٢٧).

من نفحات الإسراء (٢)

جلسة هادئة وحوار بناء

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى

جلسنا صاحبي وأنا في هدوء نتحاور ونتبادل أطراف الحديث في ود ظاهر نتحاور حوار المتفقين لا المختلفين وإن كان اتفاقنا لا يعني تطابق وجهات النظر في كل شيء! إذ أن هناك بعض اختلاف بل واختلاف كثير، لكنه اختلاف في الفهم واختلاف عقول واعية. وليس اختلاف قلوب - نعوذ بالله من ذلك - فاختلاف العقول أمر وارد ومقبول ودليل الصحة النفسية والعقلية وهو كما يقولون لا يفسد للود قضية بل ربما يزيد الود، فإن المناظرة تثرى المعلومات وتقوى الرغبة في التعلم وذلك هدف طلاب المعرفة فاختلاف العقول مقبول ومحمود.

أما اختلاف القلوب - نعوذ بالله منه - فهو غير مقبول ولا محمود بل يصعب جمعها وتألفها إذا تنافرت - إلا من رحم ربك - وكما يقول الشاعر:

إن القلوب إذا تنافر ودها

مثل الزجاجة كسرها لا يجبر

بادرني صاحبي قائلاً: لفت نظري في نهاية حديثك السابق وأنت تتكلم عن نفحات الإسراء أنك لم تجعلها في شكل منحة أو هدية من السماء أو جائزة مثلاً. فأغلب الناس يفسرونها كذلك. وبعضهم يقصرها على عطاء دنيوى مادى ولكني أحس أن تفسيرك مختلف فما قولك؟

قلت: عافاك الله يا صاحبي وبارك فيك لقد سألت عن عظيم وهو يسير على من يسره الله له فأغلب الناس يفهم النفحة جائزة مادية دنيوية في أغلب الأحيان أما أنا فأراها أكثر في الأمور المعنوية التي تزيد الإيمان بالله والمعرفة والعلم به

سبحانه وتعالى وعاء اليقين في القلب.

قال: كيف؟

قلت: أكثر شيء يوضح المسألة ويزيدها بياناً المثال وخير ما نهتدي به هو حديث رسول الله ﷺ ففيه خير مثال وخير جواب.

عن الحارث بن مالك الأنصاري: أنه مر بالنبي ﷺ «يوماً» ودار بينهما الحوار الآتي:

قال النبي ﷺ: «كيف أصبحت يا حارثة»؟

حارثة: «أصبحت مؤمنا حقاً.»

النبي ﷺ: انظر ما تقول؟ فإن لكل قول حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟»

حارثة: «عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزا وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها وكأني أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها - يضجون ويتصايحون -»

النبي ﷺ: «يا حارثة عرفت فالزم ثم قال النبي ﷺ: مؤمن نور الله قلبه»[1].

ولما رأى الناس شدة يقين الإمام - علي كرم الله وجهه - كأنه خيل إليهم أنه يعايش الله ويراه.

فقالوا: له هل رأيت ربك؟

فأجاب في ثقة ويقين: وهل أعبد ما لا أرى؟

وقال أحد الصوفية: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً.

بمعنى أن إيمانه بالغيب وبما أخبر به - سبحانه وتعالى - من أمور غيبية إيمان ثابت لا يشوبه ريب، ثابت لا يتزعزع، ليس في حاجة إلى يقين بعد قول - الله تعالى - أو إخبار الصادق المصدوق ﷺ. في هذا الجو المضمخ باليقين نفهم قول النبي ﷺ لما قيل له: إن بني حارثة أخبروا بأن رسول الله ﷺ اتجه في صلاته إلى الكعبة بعد أن كانت القبلة إلى بيت المقدس فتحولوا وهم في صلاتهم بمسجدهم ذو القبلتين.

قال النبي ﷺ يصف هذه الاستجابة الفورية والتصديق اليقيني: «أولئك قوم يؤمنون بالغيب.»

هذه في رأيي هي النفحات المرجوة والجديرة بأن تسمى نفحات.

---

(١) مجمع الزوائد ج١ ص٥٧، الطبراني في الكبير، البزار.

اللهم زد في إيماننا وقـو يقيننا وأرزقنا من اليقين ما تبلغنا به جنتك ومن الخوف ما تجنبنا به معاصيك.

على أنني لا أقول بنفي النفحات الدنيوية التي تتمثل في تيسير الأمور ويسر المعيشة فذلك يكسب الرضا، والرضا يجلبه أيضا.

قال صاحبي: أراك طوحت بعيداً.

قلت مبادراً: أنا لا أتخيل حديثي معك درساً محدداً يلقى في مدرسة ثانوية نلتزم به سوياً أنا وأنت، لأننا مطالبون أن ننتهي من منهج محدد في وقت محدد، إنما هي: «جلسة هادئة وحوار بناء» فذلك يعطيني الحرية في التنقل بين موضوعات عدة أحسب أنك وأمثالك من الشباب في حاجة إليها خصوصا وأننا نتكلم في موضوعات عن التصوف، وأحسب أن التصوف واصطلاحاته في حاجة إلى كثير بيان وتحديد، وأن الصوفية أنفسهم في حاجة – الآن – إلى ترشيد وتقويم وفحص وبيان حيث قد اختلط الأمر لا أقول على كثير من الناس بل على كثير ممن يزعمون أنهم من رجال التصوف، وأصبح الأمر عند كثير منهم في أحسن حالاتهم هو جمع الأتباع وكثرة المترددين بكلمات فيها من الذكاء الفطري وفيها من الهلامية وعدم التحديد ما يجعل الأمر ميسوراً مرغوباً فيه عند الزائر والمزور لأسباب تخص كل واحدٍ منهما وترضيه، ولا علاقة لها بالتصوف كتربية ومنهج فالتصوف هو: العمل على الوصول إلى المعرفة واليقين اللذين أشرنا إليهما بحديث النبي – ﷺ – السابق فهل تجد في مجالس القوم ما يقرب إلى هذه الأهداف أو يرغب فيها؟! أو من يعمل من أجلها؟!

وتأملت وقع كلماتي على صاحبي وأدركت من ملامحه شبه تحفز هو أقرب إلى النفور لصعوبة الموضوع، فبادرته على الفور بأن هذا الموضوع سوف نتناوله في أحاديث أخر، فهون عليك ولا تضجر.

وقبل أن أعلق بكلام بادرني قائلاً: ما الذي تحمله في رفق بين يديك في إعزاز ظاهر، قلت على الفور: إنها جبة شيخي أرجو بركته بإذن – الله تعالى –.

قال – مقاطعاً: ما الذي حملك على هذا؟! قلت: وأي شيء في هذا؟ إنني باختصار شديد أعمل بنص القرآن الكريم، وليس فيما أفعل خروج عن الشرع، فأنا فعلت ما أشار به نبي على نبي بأمر – الله تعالى – الم تقرأ يا أخي سورة يوسف حيث يقول – الله تعالى – على لسان سيدنا يوسف – عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام – لما أصاب والده يعقوب – عليه السلام – العمى وكف بصره قال – عليه السلام:

﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا ﴾[٢] وهـذا الكلام صادر من نبي موجه إلى نبي وحكاه رب العزة ولم يعترض سيدنا يعقوب النبي ويرفض عرض الابن «النبي» بدعوى أن فيه شركاً أو خروجاً عن أمر الله، بل استجاب وامتثل للأمر فكان فيه - بإذن الله - الشفاء ورد البصر، وفوق ذلك فإن الأب «النبي» يعقوب - عليه السلام - ما إن تحرك الركب المبارك بالقميص من عند يوسف «النبي» حتى أدرك الأب شذى عبق به الكون كله فهتف على الفور قائلاً: ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ ﴾[٣].

فهل فيما افعله انا من غضاضة أو شرك؟ إن الأمر في رأيي أكبر من هذه القضية، فنحن في حاجة إلى أن نتصالح مع أنفسنا ونقيم الأمور والتراث تقييما معتدلاً بعيدا عن التعصب والعصبية.

فأنا أقول وأكرر: إن المسلمين في حاجة إلى قراءة متأنية لكتاب ـ الله تعالى ـ بعيداً عن صخب الأشرطة ومكبرات الصوت، كما أننا ونحن نقلب في التراث في حاجة إلى أن نقلب العقول ونجدد شبابها ونزيل عنها غبار تراكمات حجبت عنا كثيراً من نضارة الوحي، تكشف أبعاداً من سعة التشريع.

أقول هذا بمناسبة إحساسي بأننا منذ أكثر من ستمائة سنة نعيش عالة على ما قدمه أسلافنا ذوو العقول النيرة. ونحن في الواقع لم نقدم شيئاً إلا الشرح والاختصار في أكثر الأوقات وفي أقلها تقدم عرضا وافيا لما ابدعوه.

هذا إلى جانب فكرة المؤامرة التي تسيطر علينا في كل حياتنا السياسية والعلمية، فنحن أسرى هذه الفكرة إلى درجة تصيبنا بالحيرة حتى يسيطر علينا العجز

إن التآمر على أي أمة قائم وموجود ولسنا بدعاً بين الأمم، لكننا نبالغ فيما نتناوله ونتعصب لما نتوهم ونرفض أي حوار قد ينقذنا من عواقب تحيق بنا أو بتراثنا.

قال صاحبي: لقد استدرجتنا إلى حوار الكرامات والتبركات وتلك قضايا صوفية أحسب أنها تدخل ضمن ما اتفقنا على تأجيله.

قلت: لا تثريب عليك يغفر الله لي ولك، لقد اتفقنا على الحديث في

---

(٢) يوسف (٩٣) (٣) يوسف (٩٤)

موضوعات صوفية في حلقات قادمة وأنا عند اتفاقنا لكنك أنت الذى ألزمتني باعتراضك على حفاوتي بحبة شيخي وزعمت أن ما أفعله يخالف الشرع فقلت لك: إنني متبع لا مبتدع، متبع لنبي ابن نبي قال عنه رسول الله ﷺ «الكريم بن الكريم».

ثم أردفت قائلاً: دعك من اللجاجة واللدد، فنحن طلاب حق نسعى إليه، وأرجو أن لا يكون هدفنا مجرد الغلبة والنصر.

وتعال بنا إلى ساحة القرآن الكريم. وتأمل معي قوله تعالى:

﴿ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا ﴾. وتأمل معي قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ﴾[4].

تأمل في الآية الأولى جملة ﴿ يَأْتِ بَصِيرًا ﴾ وهي قول سيدنا يوسف وتأمل في الآية الثانية جملة ﴿ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ﴾ ألا توحي الآية الأولى بمجيء سيدنا يعقوب إلى مصر، حيث يوسف عليه السلام؟ وذلك غيب أعلمه الله نبيه يوسف ـ عليه السلام ـ مصداقا لقوله تعالى:

﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾[5]

فأخبر النبي يوسف ـ عليه السلام ـ بهذا الغيب في رفق مغلف حتى يكاد المتعجل لا يدركه وهو يقرأ في عجالة، أن الفعل اختلف مع البشير حين قدم بالقميص فلم يقل فألقاه على وجهه فأتى بصيرا لأن البشير لم يعلم مراد الله ولا يصلح الفعل ساعتها وهما «البشير وسيدنا يوسف» في بيت المقدس معا.

أليس هذا من وهج الكلمات وإيماء بمعان ودلالات لا يمكن أن يستخدمها إنسان لتؤدي هذا المعنى القاهر المعجز، للقرآن حين تشرق كلماته، وأحسب أن العجز البشري يكون واضحا في ترجمة القرآن أيضا أكثر من ذلك.

---

(٤) يوسف (٩٦)　　　　(٥) الجن (٢٦، ٢٧)

مواقف إسلامية

بريرة .. وتكاليف الحرية

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

عن عكرمة عن ابن عباس
« أن زوج بريرة كان عبدا يقال له مغيث.
كأنى أنظر إليه يطوف خلفها يبكى ودموعه تسيل على لحيته »..
فقال النبى ﷺ للعباس: يا عباس: ألا تعجب من حب مغيث بريرة، ومن بغض بريرة مغيثا؟
فقال النبى ﷺ لبريرة: لو راجعته. قالت: يا رسول الله: تأمرنى؟ قال: إنما أنا أشفع. قالت: لا حاجة لى فيه »[١].
وفى رواية ابن ماجة: [فإنه أبو ولدك].
وفى رواية [لو أعطانى كذا وكذا ما كنت عنده].. علامة على شدة البغض».

تمهيد:

يقول: «ابن مسكوية» فى كتابه (تهذيب الأخلاق):

المحبة أربعة أنواع: منها ما ينعقد سريعا، وينحل سريعا. وهى المحبة التى تكون بسبب اللذة فقط.

ومنها ما ينعقد سريعا، وينحل بطيئا.. وهى المحبة التى سببها الخير.

ومنها ما ينعقد بطيئا، وينحل سريعا. وهى المحبة التى تكون بسبب المنافع.

ومنها ما ينعقد بطيئا، وينحل بطيئا. وهى المحبة التى تتركب من هذه الأنواع كلها، وهى: محبة الزوجين كل منهما للآخر. فإن فيها اللذة المشتركة.

---

(١) البخارى ـ كتاب الطلاق ٤٠٨/٩.

والخيرات المتبادلة . والمنافع المختلطة . وهما يتعاونان عليها :

فالمرأة تنتظر من زوجها الحبّ . وهو ينتظر منها الحفظ لتثمر الحبة فلا تضيع . ومتى قصر أحدهما . . اختلفت المحبة وحدث الخلاف بينهما ».

وفي قصة بريرة لا ندري : هل انعقد الحب بينهما سريعا . . أم انعقد بطيئا ؟ لانهما هنا البداية ، والذي نعلمه : أنه انحل بطيئا كما تفيد الرواية القائلة إنه كان لزوجها منها أولادا . .

ويعني ذلك : طول مدة الوفاق . . والذي ظهر من بعد أنه كان يخفي من ورائه تراكمات من الخلافات انفجرت فجأة . . وعلى غير ميعاد . . وصار أمر الزواج على ما قيل :

وبلاه إن هي واصلت أو باعــــدت

وقع الســـــهام . . ونزعــــهن أليم

فإذا كان ذلك التباعد من قبل الزوجة . . وبعد هذا الزمـــان المتطاول . . وفي البـــيت زغب الحواصل . . يتضورون جوعا إلى رعاية الأب . . وحنان الأم . . فـإن الالم عندئذ يبلغ درجـة التشبع .

فليس من فوقه مزيد . . ولا من بعده جديد . . وذلك حال « مغيث » زوج بريرة . . والذي كان يدور معها في سكك المدينة يخطب ودها . . ولكن « مغيثا » لم يجد من مغيث !!

وكأني به يبثها شكواه أو نجواه بما قاله هائم على درب الحب :

وبتنا ومــــا بيني وبينك ثالث

كزوج حمام . . أو كغصنين هكذا

فـــمن بعـــد هذا الوصل والود كله

أكان جميلا منك . . تهجر هكذا ؟!!

وفي نفس اللحظة . . ومن وحي الإباء . . إباء بريرة . . أتخيلها ترد عليه قائلة في تحد وإصرار :

لــــو أراد البعــــد عنـــــي

نــــور عينــــي . . ما تبعته

إن قــلــبـــي . . وهــو قــلــبــي

لو تجني . . مــــا تبعــــته !

كـــل شــيء من رفيقـــي

مــا خــلا الغدر . . احــتملتــه !!

ويبدو أن « مغيثا » لم يغدر . . ولم يخن عهد الوفاء . . ولكنها تكاليف الحرية . . التي ذاقت بريرة طعمها بالعتق ويفرض عليها الإحساس بها . . أن تتحرر من أن تكون تحت رحمة عبد . . مملوك . . فاتخذت قرارها الصعب بخلع . . مغيث . . وإن كان رد الفعل مر المذاق في حلق وليدها الذي يبدو بين يديها يتيما . . وإن كان والداه أحياء !

لقد كان من ثمرات الحرية بزوغ قيمة التضحية . . التضحية في سبيلها بكل نفيس !

ولا عليها إذا صار مغيث على ما قيل :

لا جــزى الله دمع عيني خيـــرا

وجــزى الله كل خيــر لســاني

نمّ دمــعي . . فليس يكتم شيــئــا

ووجــدت اللســان ذا كتــمــان !!

لقد كان من سوء حظه أن يكون تحت رحمة المخلوق الضعيف . .

والذي كانت قوته في ضعفه ، إن المرأة التي

تحب يوما.. بكل قلبها.. سوف تنتقم غدا.. وبلا قلب!

ولقد كان الوفاء يفرض عليها أن تعفى «مغيثا» من هذا الهوان.. على قارعة الطريق ذاهبا آيبا من خلفها.. منطلقة من قول الشاعر:

أحسن إلى الأعداء والأصدقاء

فإنما أنس القلوب الصفاء

لكنها لم تفعل.. منطلقة من قاعدة تقول:

أيها الباحث عن شريكة الحياة المناسبة.. كن أنت قبل ذلك مناسبا!

ولم يعد مغيث فى ظل الوضع الجديد مناسبًا!

وإذا كان من عادة الرفاق أنه إذا تصورت رفيقك ضاحكا.. اشتقت إليه وإذا تخيلته باكيا.. اشفقت عليه.. وإذا كانت هذه إحدى قواعد التعامل بين الرفاق.. فإن بريرة.. لم تتخيل رفيق الأمس يبكى.. بل رأته فعلا وعلى الطبيعة.. وها هى ذى دموعه تتخلل لحيته.. ولا قلب هناك..

إن القلوب إذا تنافر ودها

مثل الزجاجة كسرها لا يجبر.

المفارقة العجيبة

لقد كان من وصايا الإسلام أن يحسن الرجل عشرة زوجته.. بمثل هذه الوصايا:

الا يعبس فى وجهها بغير ذنب. والا يكون فظا غليظا. ولا مظهراً ميلا إلى غيرها.

ولكن موقف «بريرة» من «مغيث» عكس القضية!.. على نحو أكد لنا صدق من قال: إذا كان هناك رجال لا تتفتح لهم الأبواب.. مهما دقوا عليها.. فإن هناك رجالا تتفتح لهم الأبواب.. دون أن يدقوا عليها! مما يحملنا على التريث فى مجالس الصلح.. وعندما نحس اتساع الفجوة بين الطرفين.. فلعل له عذرا وأنت تلوم: وقد كنت أجد نفسى منحازا للزوجة الشابة وهى تلح فى طلب الطلاق.. وبلا برهان.. وأقول:

إن حساسية العلاقة الزوجية ودقتها قد تسوغ هذا الانحياز أحيانا.. فقد تكون لدى الزوجة هذه من الأسرار ما لا تبوح به حياء.. أو تقى.. ومن مصلحة الطرفين أن لا يستمع إليها.. لا سيما إذا طالت مدة العشرة ونضجت التجربة.. بل ومن مصلحة المجتمع أن نحميه من تجاوزات.. سوف تعكر الجو الطهور.. ويكفى إصرار الزوجة دليلا على فشل كل محاولة تجىء فى الوقت الضائع.. وبعد فوات الأوان.

من دروس المشهد

(١)

كان الرجل الصالح يقول لصديقه الغنى:

هذا «السائل الذى يطرق بابك.. هو هدية الله ـ تعالى ـ إليك.. فأحسن استقباله».

وبنفس القوة كنت اعتبر دعوتى إلى مجلس من مجالس الصلح هو هدية الله ـ تعالى ـ إلىّ.

وكنت احاول حسن استقبالها بدراستها، وأحيانا تسفر الدراسة عن العثور على مفتاح الموقف كله:

فقد تكون الأزمة بين الحموات.. وقد يكون النفور بين الزوجين..

في الحالة الأولى: فأهل الزوجين يملكون الحل.. بالتخلي عن زوجين حبيبين.. إن حاميها هنا هو: حراميها!

أما إذا كان النفور بين الزوجين أحدهما.. أو كليهما.. فإن الأمر يختلف.. وينبغي البدء في اتخاذ الإجراءات التي تحسم الموقف: رأبا للصدع.. أو الطلاق!!

ربما كانت المشكلة مالية.. وهنا لابد من التقشف.

وربما كانت غشما.. وهنا تكون الوصاة بالصبر.

لكن المشكلة إذا كانت «عاطفية» فلا حيلة لنا.. لأن القلوب بيد الله - سبحانه وتعالى -.

وهذا ما فعله ﷺ.. عندما لم يفرض على بريرة أن تعود وهي كارهة.

٢

من أدب الصحبة

ينبغي أن ينبه الصديق صديقه.. وليعتبر بآيات الله - تعالى - في الأنفس والآفاق.

فقد فعل ﷺ ذلك.. حين عجب العباس من حب مغيث بريرة.. ونفرتها منه.

إنها آية من آيات الله - تعالى - ينبغي أن تمر عليها ونحن أيقاظ.. لا معرضون.

٣

وفي الاجتماع

لكل مجتمع تقاليده التي اصطلح عليها. وعاداته التي تكونت على مر السنين..

ومنها عادات وتقاليد لا تصطدم بحقائق الدين.. فإذا وجدنا من يخرج على هذه العادات.. فمن حقنا أن نتساءل وأن نتعجب..

وقد تعجب ﷺ من الموقف، فقد جرت العادة أن المحب لا يكون إلا محبوباً.. والعكس صحيح..

ومن ذلك قول أحدهم لمن معه مشيرا إلى رجل آت من بعيد:

هذا الرجل القادم يحبني.. فلما سئل في ذلك قال: لأنني أحبه!

وكأنما هناك بين القلوب رسائل موجهة عبر الأثير.. والأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف.

ولكن موقف بريرة هنا كان استثناء من هذه القاعدة.. وهذا سر تعجبه ﷺ.. والذي بلغ من قوته أنه يعجِّب منه العباس - رضي الله عنه - وكأنما كانت شحنة التعجب أكبر من أن يتحملها واحد.. بمفرده!

٤

يجوز لمن كانت له مكانة مرموقة في المجتمع.. ولو كان الحاكم نفسه.. يجوز له أن يشفع عند الخصم في خصمه ليحط عنه. أو يسقط.. أو

يتنازل عن الدعوى برمتها، على أن يتم ذلك فى جو من اللطف والتودد.

٥

درس للخلطاء

إذا خيِّر الشريك بين مباحين.. فآثر اختيار ما ينفعه.. لم يلحقه لوم.. حتى ولو أضر اختياره برفيقه.. وعلينا أن نلتمس له العذر.. ما دام ذلك الاختيار قد تم بغير اختياره.

لقد كان من مصلحة «مغيث» أن تعود إليه «بريرة» لكن ذلك العود لم يكن حميدا بالنسبة لها.. فلا ضير عليها حتى الساعى بينهما يكون مأجورا.. وإن لم تنقض الحاجة على يديه.. ولو كان هذا الساعى أعلى مرتبة ممن يرجوه فإن ذلك لا يقدم فى موقف المشفوع عنده.. فالأشخاص تتوارى وتبقى المصلحة الحقيقية سيدة الموقف.

٦

فى آداب الزوجية

كان نفور «بريرة» ظاهرا. وكان العزم على الفراق أكيدا.. بدليل:

أ- كان لها منه ولد. ومع ذلك لم يرق ليتمه قلبها.

ب- ومع ذلك تعتذر عن العود إليه حتى لو أعطاها كذا وكذا!!

ونستطيع أن نقول: إن حجم النفور هنا يحملنا على الظن بأنه لم يولد فى يوم وليلة وإنما تخلّق على المدى الطويل.. ثم ظهر على السطح لما فاض الكأس!

ويعنى ذلك أن الزوجة قد تبغض زوجها أشد البغض.. ثم لا يظهر ذلك.. ولا ترتب عليه آثاره.. بل هى مطيعة له حافظة غيبته مادامت علاقة الزوجية قائمة. فإذا جاءت ساعة الصفر. تغير كل شيء.. إلى الحد الذى يتدخل فيه الحاكم لفض هذا الاشتباك.. دون جدوى وقد كانت بريرة جديرة بالاحترام:

أ- بما أظهرت من فقهها الذى به عرفت أن أمره ﷺ لا يخالف.. إلا إذا كان على سبيل الشفاعة.

ب- ثم بأدبها فى الخطاب لما قالت: لا حاجة لى فيه.. ولم تصرح برد الشفاعة. وحتى لما تصاعد نفورها لم تزد على أن قالت: لا عود إليه.. ولو أعطانى كذا وكذا..

تكتفى بذلك غير معرضة بأسباب هذا النفور مما يحرج الرجل الذى هو على أى حال.. وإن لم يعد زوجا.. فقد بقى «أبا» لوحيدها.. الذى كان من حبها له أن يظل أبوه كريما!!

٧

يشير الحديث الشريف إلى قانون من قوانين النفس الإنسانية وهو: أن فرط الحب مضر..

ذلك بأنه يذهب بالحياء.. كما بدا من مشهد «مغيث» وهو يطوف خلف «بريرة» يبكى عبر الطرق.. وتفرض الرجولة على الرجل أن يتجمل.. لتبقى له بقية من الحياء- يستألف بها الحياة!

(٨)

إن الحب والبغض واردان فى حياة الزوجين.. ولا لوم فيه.. لأنه اضطرارى لا حيلة لهما فيه.. ولا ملام أيضا لو تطورت العاطفة فكانت عاصفة من البكاء والنشيج.. ولا يخدش ذلك معنى الرجولة.. ولا بأس أن يبكى الرجل على حظوظه الدنيوية.. وبخاصة على الزوجة الوفية.. لا كما يتباكى الفارغون اليوم قائلين:

خلقت الجمال لنا آية وقلت الا يا عبادى اتقون.

وأنت جميل تحب الجمال فكيف عبادك لا يعشقون!

ولكن قلب العابد يحب.. وعقله فيه ودينه!

(٩)

ولا يجلس المجتمع هنا على كراسى المتفرجين.. تاركا الأمور تجرى فى أعنتها لينام خالى البال..

ولكن المجتمع المؤمن شخصه ﷺ مشغول بما يحدث فيه ثم يتدخل بمنطق الحكمة والحزم.. ليخفف على الأقل من حدة التوتر.. وهو درس للفارغين اليوم.. الذين يسمتون على «حكايات» الآخرين.. والتى تغذى فيهم غريزة حب الاستطلاع.. والتى يشبعونها بما تصنعه مخيلاتهم من أقوال وأفعال.. غافلين عن دورة الفلك.. والتى سوف تنتزعهم من دنياهم المؤثرة.. ليشربوا من نفس الكاس.. غدا.. أو بعد غد ليكونوا على ما يقول الشاعر:

بينا يرى الإنسان فيها مخبرا

حتى يرى خبرا من الأخبار

(١٠)

والموقف درس للذين يعرفون نعمة الزوجة ثم ينكرونها.. غير مستشعرين من طول الألفة أنهم يملكون بالزوجة الوفية كنزا، كنزا من الحب والوفاء يغنيهم عن كل نساء الدنيا.

وقد لا تملك الزوجة رياشا.. لكنها فى الميزان أثقل ممن يملكن الرياش.. ويجدد بهن الفراش!

ويا لها من نعمة على المحبين سابغة، تالله لقد سبق القومُ.. السعاة وهم على ظهير الفرش نائمون.

وقد تقدموا الركب بمراحل.. وهم فى سيرهم والقفون.

هذا الأنموذج الذى يصوره المتصوفون فيقولون:

من لي بمثل سيرك المدلل
تمشي رويدا .. وتجي في الأول!

أجابوا منادي الشوق إذ نادى بهم: حي على الفلاح.

وبذلوا نفوسهم في طلب الوصول إلى محبوبهم.

تالله لقد حمدوا عن الوصول سُراهم.

وشكروا مولاهم على ما أعطاهم.

إنما يحمد القوم السرى .. عند الصباح(٢).

١١

والحديث الشريف يحل مشكلة اجتماعية وهي:

هل يجوز للمطلق أن يكلم مطلقته .. وفي الطريق .. ؟ أو عبر الهاتف؟!

والجواب بالإيجاب .. مادام ذلك الكلام تعبيرا عن رغبة صادقة في عودة المياه إلى مجاريها.

١٢

لقد كان موقف بريرة باعثا لمشاعر التعجب من قسوة قلبها ..

لكننا في النهاية نتحول من «التعجب منها» إلى «الإعجاب بها» فلقد كان موقفها صعبا.

ومع ذلك لم يتخل عنها فقهها ولا أدبها .. وهي تتساءل في إخبات:

يا رسول الله: تأمرني؟ أهو أمر .. أم شفاعة .. فإذا كان أمرا .. تجاهلت كل مشاعري راضية بما اختاره لي رسول الله.

إنها تجسد معنى .. الالتزام بالسنة النبوية .. كما خلت لها من قبل: «أم حكيم» - رضي الله عنها - فلقد روت حديثا يذكر فضل الإحرام من بيت المقدس .. فتجشمت متاعب السفر إلى هناك .. ثم أحرمت بعمرة!

إنها المرأة المؤمنة التي لا تجعل قصارى دورها أن تكون على السنة «شكلا» لكنها قبل ذلك .. تركب الصعب .. حيث تجعل من السنة العملية .. شرعتها في الحياة .. ومنهاجها.

١٣

لقد فرضت تكاليف الحرية على «بريرة» أن تبدو هكذا قاسية. والتي حملتها على أن تأخذ هذا الموقف الغريب من رفيق العمر.

إن للحرية ضغوطها التي لا يسع الأحرار إلا الاستجابة لها مهما كان الثمن ..

لقد كان عنترة عبدا .. ولا يحسن إلا الحلاب والصر .. أما بعد أن ظفر بالحرية فقد تغير في مذاقه كل شيء بالحرية .. التي كانت إكسير حياته. فصار على ما قال هو بعد أن ظفر بها:

قد كنت فيما مضى أرعى جمالهمو
واليوم .. أحمي حماهم كلما نكبوا

وبعد:

فإن اعتزازنا بالإسلام ليتزايد ويعمق .. هذا الإسلام الذي شرع الكفاءة بين الزوجين سبيلا إلى الوفاق .. هذه الكفاءة التي إذا غربت قالت لها السعادة: خذيني معك ..

وإذا حضرت .. فكل شيء إذن حضر!

---

(٢) نضرة النعيم ٨/٣٢٢٦ - ٣٢٢٧.

منهج الإسلام في العبادة والعمل

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

قال الله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾(١).

وقال سبحانه: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾(٢).

وقال: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾(٣).

قال الإمام مسلم رحمه الله: حدثنا زهير بن حرب وإسحاق بن إبراهيم قال زهير: حدثنا جرير عن منصور عن إبراهيم عن علقمة قال: سألت أم المؤمنين عائشة قال: قلت، يا أم المؤمنين كيف كان عمل رسول الله هل كان يخص شيئا من الأيام؟ قالت: كان عمله ديمة، وأيكم يستطيع ما كان رسول الله ﷺ يستطيع».

وقال الإمام مسلم: وحدثنا ابن نمير حدثنا أبي حدثنا سعيد بن سعيد أخبرني القاسم بن محمد عن عائشة قالت: «قال رسول الله ﷺ: «أحب الأعمال إلى الله ـ تعالى ـ أدومها وإن قل. قال: وكانت عائشة إذا عملت العمل لزمته».

وروى الإمام البخاري بسنده عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة فقال: «من هذه؟ قالت: فلانة تذكر من صلاتها. قال: مه عليكم بما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا وكان أحب الدين ما داوم عليه صاحبه». وجاء في رواية الإمام مالك أن المرأة المذكورة من بني أسد. وفي رواية الإمام مسلم إنها الحولاء بنت تويت بن حبيب بن أسد عبد العزى من رهط خديجة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ وقيل عنها: إنها كانت لا تنام الليل.

وأما ذكر السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ للمرأة ومدحها لها مع النهي عن المدح فلعلها أمنت عليها الفتنة فلذلك مدحتها في وجهها ولكن رواية حماد بن مسلمة عن هشام في هذا الحديث تدل على أنها ما ذكرت ذلك إلا بعد أن خرجت المرأة. أخرجه الحسن بن سفيان في مسنده من طريقه، ولفظه «كانت عندي امرأة فلما قامت قال رسول الله ﷺ: «من هذه يا عائشة قالت: يا رسول الله هذه فلانة وهي أعبد أهل المدينة» الحديث.

(١) البقرة (٢٨٦). (٢) البقرة (١٨٥). (٣) الحج (٧٨).

وكلمة مه مبنية على السكون وهي اسم فعل بمعنى اكفف وهذا النهي متجه إلى السيدة عائشة حتى لا تمتدح المرأة بما ذكرت كما يحتمل أن يكون نهيا عن الفعل المذكور وهو قيام الليل كله وقد قال بعض الأئمة بكراهة صلاة جميع الليل ومعنى عليكم بما تطيقون أى افعلوا من الأعمال ما يمكنكم أن تداوموا عليه ومنطوقه. يقتضي الأمر بأن يقتصر المسلم على ما يطيقه من العبادة ومفهومه يقتضي النهي عن تكلف مالا يطاق ولئن كان سبب ورود هذا الحديث خاصا بالصلاة إلا أن لفظه عام وجاء الخطاب به عاما في قوله: عليكم، مع أن المخاطب النساء، ومعنى «لا يمل الله حتى تملوا»: - الملال هو استثقال الشيء، والنفور عنه بعد محبته وهذا المعنى لا يمكن أن يستقيم بالنسبة لله - تعالى - بل هو محال، ولكن جاء التعبير به على جهة المقابلة اللفظية مجازا كقوله - تعالى -:

﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾[٤] وقال الهروى: معناه لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا سؤاله فتزهدوا في الرغبة إليه وقيل: إن حتى بمعنى الواو وعليه فيكون التقدير لا يمل وتملون **والأولى** أنه من باب المقابلة ومعنى «أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه» المحبة من الله - تعالى - إرادة الثواب أى أكثر الأعمال ثوابا أدومها لأن بدوام العمل القليل تستمر الطاعة والإخلاص والإقبال على الله بخلاف الكثير الشاق فإن العمل الدائم ولو كان قليلا ينمو ويصبح أكثر من الكثير المنقطع أما الذى يترك العمل بعد الدخول فيه فهو كالمعرض بعد الوصل.

ولطالما وجه الرسول ﷺ المسلمين بأن يأتوا من الأعمال ما يوافق استطاعتهم كقوله: «إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم»[٥].

وهذا عبدالله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «ياعبد الله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟ فقلت: بلى يارسول الله، قال: فلا تفعل صم وأفطر وقم ونم فإن لجسدك عليك حقا، وإن لعينيك عليك حقا، وإنه بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها»[٦].

ومن المعلوم أن منهج الإسلام قام على الاعتدال والقصد في الأمور كلها لا إفراط ولا تفريط قال تعالى:

﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ ﴾[٧].

وقال:

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾[٨].

وقال تعالى:

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ ﴾

وقال:

---

(٤) الشورى (٤٠)

(٥) أحمد ٢/٢٥٨، والبيهقي ١/٢٨٨.

(٦) أخرجه البخاري.

(٧) الأعراف (٣١)

(٨) الفرقان (٦٧)

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾.

وقال ﷺ: «هلك المتنطعون»[9] أي الذين يبالغون ويتشددون في الأمور وقال: «إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا واغدوا وروحوا» وهكذا يتبين لنا حرص الشريعة الإسلامية على اليسر فمعروف أن العمل القليل الذي يكون متصلا يكون صاحبه منشرح الصدر نشيطا للعبادة بخلاف الكثير الشاق فإنه بصدد أن يتركه الإنسان أو أن يفعله بتكلف وبغير انشراح وقد ذم الله - تعالى - من اعتاد عبادة ثم أفرط فيها فقال:

﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾[10].

وكثيرا ما نادى الإسلام بتواصل أعمال الخير ودوامها وعدم احتقار اليسير منها قال ﷺ: «يانساء المسلمين لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة» والفرسن هو عظم قليل اللحم ويطلق على الظلف وقد قال تعالى:

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ وقد قاوم الرسول ﷺ الذين يغالون في أعمالهم، روى أنس - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ دخل المسجد فإذا حبل ممدود بين السارتين فقال: ما هذا الحبل؟ قالوا: هذا حبل لزينب تقوم تصلي فإذا فترت قامت فتعلقت به، فقال النبي ﷺ «حلوه» ثم قال: «ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليرقد»[11]، كما روى أنس - رضي الله عنه - أيضا قال: «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها - أي عدوها قليلة - وقالوا: أين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبدا، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا.. فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني»[12].

وقد حكى أن أقواما أتوا قيس بن عبادة يسألونه أن يعاونهم على أداء دية لزمتهم فنظروا إليه فرأوه وهو في البستان يجمع ما يتساقط من الثمر ويميز بين الجيد والرديء، فلما انتهى من عمله سألوه ما أرادوا فأعطاهم ما طلبوه، فقال له بعضهم: لقد داخلنا بعض الشك في جودك بعد أن رأينا ما تصنعه في البستان، فأجابهم: إن ما رأيتم من حرصي على مالي هو الذي مكنني من تحقيق غرضكم، أي أن الاعتدال في الأمور كلها والتوسط بين الإفراط والتفريط، يحفظ على الإنسان مواصلة العمل، والاستمرار في وجوه الخير والنفع العام، وقد كان منهج الإسلام فيما يتصل بهذا الجانب عاما وشاملا لسائر العبادات والأعمال، ووجوه النفع الشامل، ولم

(9) اتحاف السادة المتقين ٢/٥٠، فتح الباري ٢٦٧/١٢.

(10) الحديد (٢٧).

(11) البخاري ٦٧/٢، وأبو داود ص ١٥.

(12) البخاري ٢/٧.

يدع جانبا من تلك الجوانب إلا وجه المسلم إلى الاعتدال فيه، بحيث لا يكون هناك إفراط ولا تفريط، ولا مغالاة ولا تقصير.

ففي جانب الأكل والشرب، قال تعالى:

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾.

وفي جانب الإنفاق والصدقة نادى القرآن بالاعتدال بحيث لا يكون المسلم بخيلا ولا مبذرا فقال تعالى:

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾(١٣).

وفي جانب العبادة، لم يكلف الله الناس ما لا طاقة لهم به، قال تعالى:

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾.

وروى الإمام أحمد بسنده عن أبي هريرة قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ:

﴿ لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(١٤).

اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فأتوا رسول الله ﷺ ثم جثوا على الركب وقالوا: يارسول الله كلفنا من الأعمال ما نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، قد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها فقال رسول الله ﷺ «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا:

﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾(١٥)

فلما أقر بها القوم ونطقت بها ألسنتهم أنزل الله في أثرها:

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾(١٦).

فلما فعلوا ذلك نسخها الله فأنزل قوله:

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾(١٧).

وقد كشفت السنة الشريفة عن هذا الجانب من التجاوز والعفو.. روى البخاري بسنده عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله تجاوز لي عن أمتي ما وسوست به صدورها مالم تعمل أو تكلم».

---

(١٣) الإسراء (٢٩)

(١٤) البقرة (٢٨٤)

(١٥) البقرة (٢٨٥)

(١٦) البقرة (٢٨٥)

(١٧) البقرة (٢٨٦)

وقد اجتهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه في تثبيت منهج الاعتدال في الأعمال والعبادات عند المسلمين، حرصا منه على استمرارهم في العمل ورأفة منه ورحمة بهم، وصدق الله - تعالى - إذ يقول:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾(١٨) لقد حرص على ترسيخ هذا المنهج المعتدل حتى انه كان يترك - في بعض الأحيان - بعض الأعمال، فلا يقوم بأدائها أمام الناس مخافة أن يواظبوا عليها فتفرض عليهم، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: وإن كان رسول الله ﷺ ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل الناس به فيفرض عليهم، وما سبح رسول الله ﷺ سبحة الضحى قط وإني لأسبحها، وهي نافلة الضحى.

وصدق الله تعالى إذ يقول:

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(١٩).

ومعنى الآية: أن الله - تعالى - يمن على المؤمنين حيث أرسل إليهم رسولاً من جنسهم وعلى لغتهم، كما دعا إبراهيم - عليه السلام - كما قال الله - تعالى - حكاية عنه:

﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾(٢٠).

وقال تعالى:

﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾(٢١).

وإنه يعز عليه ما يعنت أمته أو ما يشق عليها، لأنه بعث بالحنيفية السمحة وهو حريص كل الحرص على هداية أمته والتيسير عليها ووصولها إلى سعادة الدنيا والآخرة، وفيما رواه الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس.. أن رسول الله ﷺ أتاه ملكان فيما يرى النائم فقعد أحدهما عند رجليه والآخر عند رأسه.. فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه.. أضرب مثل هذا ومثل أمته، فقال: إن مثله ومثل أمته كمثل قوم سفر انتهوا إلى رأس مفازة، ولم يكن معهم من الزاد ما يقطعون به المفازة ولا ما يرجعون به، فبينما هو كذلك إذ أتاهم رجل في حلة حبرة، فقال: أرأيتم إن وردت بكم رياضا معشبة وحياضا رواء تتبعوني؟ فقالوا: نعم. قال: فانطلق بهم فأوردهم رياضا معشبة وحياضا رواء فأكلوا وشربوا وسمنوا فقال لهم: ألم ألقكم على تلك الحال فجعلتم لي أن وردت لكم رياضا معشبة وحياضا رواء أن تتبعوني؟ فقالوا: بلى فقال: فإن بين أيديكم رياضا هي أعشب من هذه وحياضا هي أروى من هذه فاتبعوني فقالت طائفة صدق والله لنتبعنه وقالت طائفة: قد رضينا بهذا نقيم عليه، كل هذا يدل على رأفة الرسول ﷺ ورحمته بأمته واتباعه معها طريق اليسر

---

(١٨) الأنبياء (١٠٧).

(١٩) التوبة (١٢٨).

(٢٠) البقرة (١٢٩).

(٢١) آل عمران (١٦٤).

والتسامح فإنه يعز عليه أن ترى شيئا يشق عليها أو حرجا تلاقيه لأنه بعث رحمة للعالمين، وقال ﷺ: «إنما أنا رحمة مهداة»[٢٢] فالرحمة جوهر رسالته قال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ والطريق إلى هذه الرحمة يسير في اتجاهين مستقيمين مستنيرين أحدهما: في التيسير في التكاليف والعبادات، والرحمة بالأمة في كثير من أحكام الإسلام كما هو معروف.

والثاني: بدوام العمل والعبادة، واستمراره، وعدم انقطاعه، فكلما استمر المسلم في العبادة وداوم عليها وإن كانت قليلة داوم الله – تعالى – بإسباغ رحمته عليه، ورفقه به، ورعايته له وحبه إياه، لأن هذا المنهج من السلوك هو أحب الأعمال إلى الله – سبحانه وتعالى – ، كما قال الرسول ﷺ: «أحب الأعمال إلى الله – تعالى – أدومها وإن قل»[٢٣] أما نتيجة هذا الحب من الله – تعالى – فقد بينه فيما جاء في الحديث القدسي: «... فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذ بي لأعيذنه»[٢٤].

ومن مظاهر حرص الرسول ﷺ على أمته اجتهاده معهم في جانب التكليف والعبادة ألا يفعلوا ما يتسببون به في الزيادة وما لا يستطيعون القيام به، عن أبي هريرة قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا» فقال رجل: أكل عام يارسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثا، فقال النبي ﷺ: «لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم» رواه أحمد ومسلم والنسائي.

وروى أحمد والنسائي بمعناه: عن ابن عباس قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس كتب عليكم الحج فقام الأقرع بن حابس فقال: أفي كل عام يارسول الله؟ فقال: لو قلتها لوجبت، ولو وجبت لم تعملوا بها ولم تستطيعوا أن تعملوا بها، الحج مرة فمن زاد فهو تطوع» ومن مظاهر التيسير أن الرسول ﷺ كان لا يشق على المسلمين ويتحاشى ما يكون سببا في تسرب الملل إلى نفوسهم حتى ولو كان ذلك في توجيهه وإرشاده فكان ﷺ يتخول المسلمين بالموعظة كراهة السآمة عن ابن مسعود قال: كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا وكان يخشى إذا استمر في التوجيه والتعليم أن يتسرب الملل إلى أصحابه أو يأخذ التعب طريقه إليهم فكان يعطيهم فرصة للراحة والاستجمام والتشويق لتتمكن معلوماتهم فيها من التثبيت والتركيز ولهذه الطريقة الرشيدة تدين مؤسسات التربية اليوم التي استمدت نظمها الناجحة من هذا المنهج النبوي الحكيم، وحين بعث رسول الله ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن

---

(٢٢) تفسير ابن كثير ٥/٣٨١، اتحاف السادة المتقين ٧/١٦٢.

(٢٣) مسلم، المسافرين، رقم ٢١٨، أحمد ٦/١٦٥.

(٢٤) اتحاف السادة المتقين ٧/٣٣٣، أحمد ٣/٥٠٩.

زوده بالتوجيه الكافي وأمره أن يسير على سنن التدريج معهم فيقول له: «إنك تأتي قوما من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»[٢٥].

ويتبادر هنا سؤال هو، إن الله - تعالى - قد أمرنا بالاقتداء بالرسول ﷺ قال تعالى:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[٢٦]

ومن المعلوم أن الرسول ﷺ كان يقوم الليل متهجدا راكعا ساجدا حتى تتورم قدماه وتفيض عيناه بالدمع من خشية الله وحتى يسمع لصدره أزيز المرجل من البكاء فتقول له في ذلك السيدة عائشة - رضي الله عنها -: أتفعل ذلك يارسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! فيجيبها: «أفلا أكون عبدا شكورا» وكان يواصل الصيام والوصال: وهو الترك في ليالي الصيام لما يفطر بالنهار بالقصد ومع هذا فقد نهى عن الوصال بالنسبة للمسلمين فلم لم يكن الاقتداء به في مثل هذه الأمور؟ أو بمعنى آخر كيف يأمر بالتيسير وهو يأتي مثل هذه الأعمال الشاقة.

وللإجابة على هذا نقول: إن كل حكم يثبت في حق النبي ﷺ فهو ثابت أيضا في حق أمته إلا ما استثنى بدليل كبعض خصائصه ﷺ، فإن خصائص الرسول ﷺ لا يتأسى به في جميعها وقد توقف في ذلك إمام الحرمين. وقال أبو شامة: ليس لأحد التشبه به في المباح كزيادة على أربع نسوة، ويستحب التنزه عن المحرم عليه «كالأكل من الصدقة ويستحب التشبه به في الواجب عليه كالضحى» ، قال الحافظ ابن حجر: وأما المستحب، أي في حقه ﷺ فلم يتعرض له والوصال فيه - أي وصال الصيام - من قبيل المستحب في حق النبي ﷺ فيحتمل أن يقال: إن لم ينه عنه لم يمنع الإتساء به فيه ولعل مراده بقوله: «إن لم ينه عنه» أي بالنسبة لبعض الناس وفي بعض الأحوال وهذا نادر وأما الأعم الأغلب فهو ما ورد بشأنه السنة الصحيحة الصريحة في ذلك في النهي عن الوصال، روى الإمام البخاري - رحمه الله - بسنده: عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «إياكم والوصال مرتين قيل: إنك تواصل قال: إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني فاكلفوا من العمل ما تطيقون».

***

(٢٥) مسلم، الإيمان (٢٩)، صحيح ابن خزيمة ٢٣٤٦.

(٢٦) الأحزاب (٢١)

الإنسان والكون بين الإيمان العلمي والإلحاد الخرافي

للدكتور/ عبد الحليم عويس

نظام الكون يدل على الخالق العظيم

- الكون كتاب مفتوح تتجلى فيه آيات الإبداع الإلهي الدالة على وجود الله ووحدانيته وقدرته وهيمنته.

- ولهذا كان محور الكون من المحاور الأساسية في كتاب الله.. القرآن الكريم.

- فثمة آيات قرآنية كثيرة تتصل بالكون، وتتحدث عن عوالمه المختلفة، المشاهد وغير المشاهد، والمعلوم وغير المعلوم:

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝٣٨ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴾(١).

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾(٢).

وكثير من الآيات تتكلم عن صور من الإبداع الإلهي في عالم النبات، وعالم الحيوان، وعالم الطبيعة والإنسان:

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾(٣).

وكثير من الآيات تتحدث عن مفردات دقيقة في عوامل الكون. وهكذا بصفة إجمالية نجد القرآن الكريم حافلاً بالآيات العظيمة التي تشد انتباهنا وتلفت نظرنا إلى ذلك الكون البديع الذي نعيش فيه، لنرى كيف يسير بدقة وعظمة تنبئان عن أن لهذا الكون خالقاً، خلق وقدر ودبر، ومن هذه الآيات الآية التي تقول:

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾(٤).

والسماء هي أسطع لوحة تدل على وجوب وجود الخالق

(١) الحاقة (٣٨، ٣٩).

(٢) الواقعة (٧٥، ٧٦).

(٣) فصلت (٥٣).

(٤) الإسراء (٤٤).

وعظمته سبحانه مما تمتلئ به من الأجرام السماوية الضخمة التي يبلغ حجم بعضها أكبر من أرضنا ألف مرة.. والتي يسير بعضها بسرعة أكبر من انطلاق القذيفة.. تسير كلها بلا مزاحمة ولا تصادم. وتسير بلا ضوضاء ولا اعطال.. تحوى آلافاً من القناديل المضاءة التي تساعد الناس في سيرهم. وهي تضاء بلا زيت ولا كهرباء وتجمل السماء وتجعلها زينة للناظرين[٥].

– ومازالت السماء مع التقدم العلمي الهائل- وستبقى- مجالاً خصباً للبحث والاستكشاف، حيث يمكن القول أن ما عُرف عنها لا يساوي إلا نسبة مليونية مما يمكن أن يُعرف.. ومع ذلك فكثير من تجليات الإبداع واضحة لكل من ينظر بعقل وبصيرة معاً إلى السماء وما فيها.

– فإن من ينظر في السماء بلمح بجلاء – لو اعمل عقله وخلصت نيته – أن السماء وما فيها مسخر ومدبر وموظف، فمن يا ترى فعل ذلك بهذه القدرة الفائقة المعجزة... إنه الله الذي لا إله إلا هو.. إنها تمضي منذ خلقت وفق ناموس لا يختل قط..!!

– وعندما ننظر في الفضاء ونجده معرضا للعجائب والخوارق كذلك، ففيه السحاب المعلق بين السماء والأرض، يسقي ساكنيها بالماء، الذي هو أساس الحياة عليها، ويلطف من حرارتها.

– فمن الذي سخره وجمعه وأمره أن ينزل الماء؟ إنه الله[٦] سبحانه وتعالى..

– ثم هذا هو الهواء الذي يملأ الفضاء.. فكل ذرة من ذرات ذلك الهواء الجامد الذي لا يملك شعوراً، تسمع وتعي ما يلقى إليها من الأوامر الإلهية.. فيستنشقها جميع الأحياء.. وتنقل الأصوات وتنقل الحرارة والضوء والكهرباء.. وتصير وسطا صالحاً لتلقيح النباتات... وغير ذلك من الوظائف، فكيف انتظمت وأدت ذرات الهواء دورها على هذا النحو؟!!

– ثم لننظر إلى المطر الذي يغدقه الله – تعالى – علينا من خزائن رحمته على صورة تلك القطرات المتهاطلة، ولذلك أطلق على المطر اسم الغيث والرحمة[٧].. كيف استقام أمر المطر على هذا النحو؟ وكيف أن أمما تعيش على المطر في زراعتها وحيواناتها؟

فهل كان ذلك كله احتمالاً أو صدفة؟ وكيف بقيت هذه الصدفة ثابتة آلاف السنين؟!!

– أو أنها قدرة الله القوى اللطيف الكريم المحيط بكل شئ علما، والذي عنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو، وينزل الغيث، وينشر رحمته، ويمسك السموات والأرض أن تزولا.. وصدق الله العظيم القائل في كتابه المبين:

---

(٥) بديع الزمان سعيد النورسي: الآية الكبرى ص ٣٠- ٤٢ نشر شركة سوزلر القاهرة.

(٦) المرجع السابق ص ٣٤

(٧) المرجع السابق ص ٣٥- ٣٦.

﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ۝٦٨ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ۝٦٩ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾(٨)

والأرض وما فوقها تدل على الخالق الكريم

– وعندما ننظر أيضا فوق الأرض، فنبصر عالم الحيوانات، وبين السماء والأرض فنبصر أسراب الطيور التى لا يمسكهن إلا الله وحده، والتى تمضى عابرة المحيطات بذاكرة كمبيوترية لا تخطئ طرقها ولا مساكنها.. عندما يتعمق تفكير الإنسان، بعقله الواعى – فى عالم الطيور والحيوانات على هذا النحو – يجد تلك الحيوانات والطيور تتكلم بمئات الألوف من الأصوات المتباينة، والألسنة المختلفة، وسوف يجد ذلك الإنسان ثلاث حقائق عظيمة محيطة تشهد على وحدانية الله – جل جلاله – وهى: حقيقة الإيجاد والصنع والإبداع (أى حقيقة الإحياء ومنح الروح)، وحقيقة التميز مع الجمال، التى تتضح من خلال تلك المخلوقات غير المحدودة، والتى يختلف بعضها عن بعض بعلامات فارقة وبأشكال مزينة وبمقادير موزونة وبصور متسقة، ثم حقيقة خروج كل هذه الأنواع غير المحدودة من بيضات متماثلة معدودة ومن قطرات بسيطة متشابهة أو مختلفة بفارق طفيف(٩).

– فهل تم كل ذلك بالصدفة أو الاحتمال؟ وأى صدفة أو احتمال يصل إلى هذه العبقرية العجيبة: عبقرية عجيبة فى الإيجاد.

– وعبقرية فى حفظ التميز الدقيق بين الأنواع حتى فى الصنف الواحد.

– وعبقرية فى إخراج كل هذا الإعجاز من بذور ضعيفة، وبويضات ضئيلة.. ومع ذلك فمع ضعفها وضآلتها – تحمل فهرستا كاملاً بخصائص النوع ووظائفه لا تحيد عنه!!

– وإذا تركنا السماء والفضاء والماء والهواء والمطر.. ثم أدرنا النظر إلى الركن الأسفل الذى نبصره، أى إلى الأرض التى نسير فوقها بأقدامنا وننام بأجسادنا، ويخيل إلينا أنها منبسطة ساكنة خامدة جامدة، بينما هى تمر مر السحاب، وتدور عدة دورات كما تدور عقارب الساعات.

– ومع ذلك نجد فوقها جبالاً كالأوتاد.. هائلة ضخمة رهيبة.. والعجيب أننا عندما نتأمل بفكرنا وعقلنا فى عالم الجبال والصحارى، نجد أن وظائف الجبال الكلية وفوائدها العامة من العظمة والحكمة بما يُحيِّر العقول، فمثلاً نجد بروز الجبال واندفاعها من باطن الأرض بأمر ربانى يهدئ من هيجان الأرض، ويخفف من حدتها الناجمة عن تقلباتها الباطنية، فتتخلص بذلك من الزلازل المهلكة والتصدعات المدمرة، فالجبال أوتاد للأرض تحفظ توازنها.. قال تعالى:

﴿ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾(١٠). وقال:

﴿ وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ ﴾(١١) يضاف إلى

---

(٨) الواقعة (٦٨ – ٧٠).

(٩) النورسى: الآية الكبرى ص ٥٢ – ٥٥.

(١٠) النبأ (٧).

(١١) الحجر (١٩).

ذلك مافي جوف هذه الجبال من أنواع الينابيع والمياه والمعادن والمواد والأدوية التي ادخرت بحكمة وكرم وتدبير(١٢).

الكائنات كلها منظومة متكاملة موظفة

ومع كل ذلك، فهذه الكائنات.. تتكامل في أداء أدوارها، وتمضي لوظائفها بحب وشوق وفاقا لقانون الجاذبية بين السالب والموجب، والذكورة والأنوثة في كل شيء، وحتى علاقة الإنسان نفسه بالكون، مع أنها علاقة تسخير بين (فاعل) هو الإنسان و(موضوع) هو الكون، إلا أن التسخير هنا ـ في الرؤية الإسلامية ـ ليس تسخير إذلال وصراع، بل هو تسخير ودود كريم استئناسي، فالرسول يحب جبل أحد، كما أن جذع الشجرة كان يحن لرسول الله ﷺ...!!

ـ وأياً كان الأمر فإن مفردات الكون، أو ماتسميه عالم الأشياء ينقسم إلى ثلاثة أقسام(١٣):

قسم منها كالماء: يرى ويحس، ولكن لايمسك بالأصابع.. ففي هذا القسم المادي ينبغي التجرد عن الخيالات والانغماس فيه بكليتك.. بالطرق العلمية البحتة.. وسوف تكتشف أسراراً عجيبة في الماء وأشباهه تؤكد لك وجود الخالق العظيم.

والقسم الثاني: كالهواء، يحس ولكن لايرى، ولايتخذ ولايمسك.. فهو نصف مادي ونصف معنوي، وهو بحاجة إلى العلم والبصيرة، وبهما تدرك عظمة اللطيف الرحيم الذي يقيم حياة الناس والكون على كائن لطيف على هذا النحو.

والقسم الثالث: كالنور، يرى ولكن لايحس، ولا يؤخذ ولايستمسك، فيحتاج لعمل الكيان الإنساني كله.. من بصيرة القلب إلى الروح.. لأن النور لا يؤخذ باليد، ولايصاد بالأصابع، وهو يعالج بالفكر والبصيرة(١٤).. وبالفكر (الموضوعي النقي) والبصيرة (النقية القوية) نستطيع أن ندرك بعض آفاق عظمة الله في الكون، ولكننا سندرك أول ماندرك أن هذا الكون لايقوم بغير خالقه الحكيم المدبر الخبير المهيمن الرحيم.

وسوف يدلنا كل شيء في الوجود على وجوب وجود الله القدير، وعلى عظمته المطلقة من جهتين:

الجهة الأولى: قيام كل كائن من الذرات حتى المجرات، ومن النملة حتى الفيل بوظائف تفوق طاقته المحدودة بآلاف المرات، مع أنه عاجز عن ذلك، فيشهد كل كائن بلسان عجزه على وجود الله القدير المطلق.

الجهة الثانية: توافق حركة كل كائن مع الدساتير التي تكون نظام العالم وانسجام عمله مع القوانين التي تديم توازن الموجودات، فيشهد ـ بهذا الانسجام والتوافق ـ على وجود الله العليم القدير.

---

(١٢) النورسي: الآية الكبرى: ٥٥.
(١٤) المكان السابق.
(١٣) النورسي: الآية الكبرى: المكان السابق.

معركة فى كتاب

تهافت التهافت

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

مؤلف هذا الكتاب هو ابن رشد الحفيد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد [٥٢٠ - ٥٩٤ هـ، ١١٢٦ - ١١٩٨م].. فيلسوف حكيم.. ومتكلم مسلم.. وفقيه مالكى.. وقاضى القضاة.. وطبيب عظيم.. وأديب.. ولغوى.. أبدع فى ميادين هذه العلوم والفنون آثارا فكرية خالدة، تشهد على «التخصص العميق» مع «الموسوعية» التى أحاطت بكل هذه الميادين.

فله فى علم الكلام: «مناهج الأدلة فى عقائد الملة» بسط فيه الشريعة ليثبت لمن ظن - من المتكلمين - مخالفتها للحكمة والفلسفة أنهما متآخيتان.. وله فى المنهج: [فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال] بسط فيه الحكمة ليثبت لمن ظن - من المنتسبين إليها - مخالفتها للشريعة أنهما الأختان المتفقتان.. وله فى الفقه: [بداية المجتهد ونهاية المقتصد] وهو الذى فلسف فيه اختلافات الفقهاء.. وله فى اللغة والأدب والنحو: [تلخيص كتاب الشعر] و[الضرورى فى النحو] و[كلام على الكلمة والاسم المشتق].. وله فى الطب أكثر من عشرين كتابا، أشهرها: [كتاب الكليات].. وله فى الفلسفة - وخاصة شروحه لفلسفة أرسطو [٣٨٤ - ٣٢٢ق.م] - ما يزيد على التسعين كتابا.. أما كتابه [تهافت التهافت] فلقد ذاعت شهرته، لأنه كان الميدان الذى دافع فيه ابن رشد عن الفلسفة والفلاسفة، عندما كرسه لرد الهجوم الذى شنه عليها أبو حامد الغزالى [٤٥٠ - ٥٠٥ هـ، ١٠٥٨ - ١١١١م].

وكما تميز ابن رشد بالاجتهاد فى كل ما كتب عنه وألف فيه، كذلك تميز «بعدالة العلماء» التى تجعلهم متجردين للحق الذى هو رسالتهم فيما يكتبون..

فعنده: «أن العالم، بما هو عالم، إنما قصده: طلب الحق، لا إيقاع الشكوك وتحيير العقول»[1].. و«حياة» العالم لابد أن تكون تجسيدا «لفكره» حتى يكون قدوة جاذبة للفضائل التي يبشر بها بين الناس «فإنما تكون الأقاويل التي يحث بها على السنن مقنعة، إذا كان المشيرون بها ذوى صلاح وحسن فعل، حتى تكون هذه الأشياء المذكورة ها هنا معلومة لنا وموجودة فينا، فإنه إذا وجد فينا الخلق الذى نحث عليه كان قولنا في الحث عليه أشد إقناعا»[2].

ولأن ابن رشد قد جمع بين الإبداع الإسلامي، في الفقه والفلسفة والكلام، وبين تقديمه لأكبر مشروعات الفلسفة اليونانية - فلسفة أرسطو - فلقد وضع منهاجا عادلا لتفاعل الأفكار بين الحضارات المختلفة، وبين المتقدمين واللاحقين.. فالعدالة مع «الذات» تقتضى العدالة مع «الآخرين».. و«قد يجب علينا أن ألفينا لمن تقدم من الأمم السابقة نظرا في الموجودات، واعتبارا لها، بحسب ما اقتضته شرائط البرهان، أن ننظر في الذي قالوه من ذلك، وأما ما أثبتوه في كتبهم، فما كان منها موافقا للحق قبلناه منهم، وسررنا به، وشكرناهم عليه. وما كان منها غير موافق للحق، نبهنا عليه وحذرنا منه، وعذرناهم»[3].

ولقد أجاد «ابن الأبار» [٥٩٥ - ٦٥٨ هـ، ١١٩٩ - ١٢٦٠م] عندما وصف ابن رشد، فقال: «كانت الدراية أغلب عليه من الرواية. درس الفقه والأصول وعلم الكلام، وغير ذلك. ولم ينشأ بالأندلس مثله كمالا وعلما وفضلا. وكان، على شرفه، أشد الناس تواضعا واخفضهم جناحا. عنى بالعلم من صغره إلى كبره، حتى حكى عنه أنه لم يدع النظر ولا القراءة منذ عقل إلا ليلة وفاة أبيه وليلة بنائه على أهله، وأنه سوّد فيما صنف وقيد وألف واختصر نحوا من عشرة آلاف ورقة. ومال إلى علوم الأوائل، فكانت له فيها الإمامة دون أهل عصره. وكان يفزع إلى فتواه في الطب كما يفزع إلى فتواه في الفقه مع الحظ الوافر من الإعراب والآداب..»[4].

معركة التهافت

لقد وُلد ابن رشد بعد وفاة حجة الإسلام أبوحامد الغزالي [٤٥٠ - ٥٠٥ هـ، ١٠٥٨ - ١١١١] بخمسة عشر عاما.. أى أنه ولد وعاش في ظل سلطان الهيمنة الفكرية للغزالي على مختلف ميادين الفكر في عالم الإسلام.. فلما عهد سلطان «الموحدين» أبويوسف يعقوب بن يوسف [٥٥٥ - ٥٩٥ هـ، ١١٦٠ - ١١٩٩م] إلى ابن رشد [٥٦٤ هـ -

(١) [تهافت التهافت] ص٦٧ طبعة القاهرة ١٣٢١هـ سنة ١٩٠٣م.

(٢) [تلخيص الخطابة] ص١٤٠، ١٤١. تحقيق د. محمد سليم سالم. طبعة القاهرة سنة ١٩٦٧م

(٣) [فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال] ص٢٨. دراسة وتحقيق. د. محمد عمارة. طبعة القاهرة سنة ١٩٨٢م.

(٤) إرنست رينان [ابن رشد والرشدية] ص٤٣٥، ٤٣٦. ترجمة عادل زعيتر. طبعة القاهرة سنة ١٩٧٥م

١١٦٩م] بتقديم فلسفة أرسطو إلى الناطقين بالعربية، تقديما يصلح عبارتها، التى أفسدها المترجمون، ويضبط معانيها، التى اختلف فيها المفسرون.. نهض ابن رشد بهذه المهمة، فقدم لأعمال أرسطو أوفى الشروح وأدق التفسيرات، حتى لقد عد الشارح الأكبر لأرسطو على النطاق العالمى.. بل ويسر هذه الفلسفة للمستويات المختلفة من القراء، وذلك عندما قدم لكل كتاب من كتبها ثلاثة شروح - المطول.. والمتوسط.. والموجز - مع إضافات وانتقادات..

وكان لابد لمن يقدم أعمال أرسطو لقراء العربية من أن يدلى بدلوه فيما كتبه الغزالى - فى [تهافت الفلاسفة] - عن حكيم اليونان ومن تبعه من الفلاسفة المشائين القدماء.. فكان كتاب ابن رشد [تهافت التهافت] الذى تصدى به لاتهامات الغزالى للفلاسفة.

وإذا كان ابن رشد قد قدم أدق الشروح العربية لفلسفة أرسطو، فلقد رأيناه يتتبع فى كتابه هذا كل الأقاويل التى نسبها الغزالى للفلاسفة، فيقومها، كاشفا عن حظها من الدقة، وهل بالفعل قد قال الفلاسفة أو قصدوا هذا الذى فهمه الغزالى، فنسبه إليهم، ورده عليهم؟ أم أن هذا الذى نسبه الغزالى للفلاسفة، واتهمهم به، هو فهم خاطئ، وقاصر، فهمه البعض من كلامهم، وهم منه براء؟؟..

وابن رشد، الذى آمن - ككل فلاسفة الإسلام - بوحدة الحقيقة، قد رأى أن أساليب التعبير عن الحقيقة متفاوتة بتفاوت مراتب المتكلمين ومراتب المخاطبين فى صناعة الفلسفة والبرهان.. فهناك الجمهور، الذين لا دُربة لهم على صناعة الفلسفة، ولا طاقة لهم بفقه مصطلحاتها ومفاهيمها.. ولهذا الجمهور الأساليب الخطابية والوعظية والشعرية، التى يحّصلون بها يقينا مناسبا لمستوياتهم فى الإدراك.

وهناك أوساط الناس، الذين ناسبتهم أساليب المتكلمين فى الجدل والحجاج، دفعا لما يرد على العقائد من شبهات.

وهناك القلة من أهل صناعة الفلسفة والحكمة والبرهان، الذين ناسبت الفلسفة عقولهم، فاتخذوا براهينها سبلا لتحصيل اليقين.[٥]

ولما كان الغزالى - فى كتابه [تهافت الفلاسفة] - يجادل الفلاسفة، فى مقولات فلسفية، فلقد عرض ابن رشد الأقاويل التى نسبها الغزالى لهم على ما رآه المعايير البرهانية، ليكشف لقرائه حظها من اليقين.. فرأيناه يفتتح كتابه - [تهافت التهافت] - ببيان هذا الغرض من تأليفه له.. «فإن الغرض من هذا القول أن نبين مراتب الأقاويل المثبتة فى كتاب [التهافت] فى التصديق والإقناع، وقصور أكثرها عن رتبة اليقين والبرهان»[٦].

ولأن هذا هو منهاج ابن رشد، فى كتابه هذا، رأيناه فى الكثير من المسائل لا يختلف

---

(٥) [فصل المقال] ص٥٨ - ٦٢.

(٦) [تهافت التهافت] ص٢.

مع مقاصد الغزالى، بقدر ما كان خلافه مع الفهم الذى فهمه الغزالى من كلام الفلاسفة، والذى رآه ابن رشد فهما خاطئا، أخطأ الذين فهموه، فنسبوه إلى الفلاسفة، وجاراهم فى هذا الفهم صاحب [تهافت الفلاسفة] . .

فالمنطلقات الإسلامية الثوابت، قد جمعت بين الغزالى وابن رشد، فلم تكن المواجهة بينهما، فى كتابيهما هذين، خلافا فى العقائد الإسلامية، بل ولا فى التصورات الأساسية لهذه العقائد، بل ولا حتى فى التأويلات، فابن رشد لا يختلف مع الغزالى فى قواعد وضوابط التأويل، بل لقد كان أكثر تحرجا فى استخدام التأويل! . .[7] بقدر ما كانت المواجهة بين هذا الذى فهمه الغزالى، مما هو منسوب إلى الفلاسفة، وبين ما كشف عنه ابن رشد من خطأ فى هذا الفهم، وتبيان حقيقة مقولات الفلاسفة ومقاصدهم.

لقد رأى ابن رشد أن الغزالى قد وجه انتقاداته إلى التصورات التى قدمها الفارابى [٢٦٠ - ٣٣٩ هـ، ٨٧٤ - ٩٥٠م] وابن سينا [٣٧٠ - ٤٢٨هـ، ٩٨٠ - ١٠٣٧م] لمقالات الفلاسفة القدماء. . ولما كانت مقالات الفارابى وابن سينا، فى هذه التصورات - برأى ابن رشد - لا صحة لها، فإن «التهافت» إنما هو فيما فهماه ونسباه للفلاسفة، وليس للفلسفة ذاتها. . فأبو نصر وابن سينا وغيرهما، الذين غيروا مذهب القوم فى العلم الإلهى حتى صار ظنيا - من جنس الأقاويل الظنية . التى لا تبلغ مرتبة الإقناع الخطبى، فضلا عن الجدلى. . وذلك لقلة تحصيلهم لمذهب القدماء. . ولذلك، يحق ما يقول أبو حامد، فى غير موضع من كتبه، إن علومهم الإلهية ظنية»[8].

تلك هى الحقيقة، التى تحتاج إلى تدبر جديد. . وكبير! . .

المواجهة حول الأصول

وإذا كان الغزالى قد حدد - فى [تهافت الفلاسفة] - أن الأخطر فى مواجهته مع الفلاسفة، إنما هو الخلاف معهم فى «الأصول» وليست الاختلافات فى «الفروع والتفاصيل والجزئيات» . وأن أخطر هذه الخلافات هى تلك التى رآها مخرجة لهؤلاء الفلاسفة من الملة، مؤدية بهم إلى الكفر. . . وهى قولهم:

١ - بقدم العالم والجواهر التى فيه. . الأمر الذى يبطل الدليل على وجود الخالق - دليل حدوث العالم، الذى لابد له من محدث.

٢ - وبأن الله - سبحانه وتعالى - لا يعلم الجزئيات الصادرة من الأشخاص، لأن علمه قاصر على ذاته.

٣ - وبأن البعث والحشر والجزاء - نعيما وآلاما - إنما هو بالمعانى والأرواح، لا بالأجساد

---

(٧) انظر [فصل المقال] ص٣٢. و[تهافت التهافت] ص١٢٤، ١٢٥. والغزالى [فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة] ص٤ - ٩ طبعة القاهرة سنة ١٩٠٧م.

(٨) [تهافت التهافت] ص٤٩، ٨١، ٣١، ٤٧.

والأبدان.. إذا كانت هذه المقولات الثلاث هي أبرز وأخطر القضايا التي دار حولها الجدال بين ابن رشد والغزالي - في كتابيهما - فإن الوقوف أمام مقالات ابن رشد إزاء هذه المقولات، سيكون شاهد صدق على وحدة المنطلقات والاعتقادات والتصورات لديهما.. وعلى أن جوهر الخلاف بينهما إنما كان حول دقة وصدق هذا الذي فهمه الغزالي فحسبه مقالات الفلاسفة القدماء، ثم تصدى لهم فيه.

● ففي مسألة قدم العالم: التي رأى الغزالي أن قول الفلاسفة بها مخرج لهم من الملة، لأن حدوث العالم هو الدليل على وجود الخالق القديم.. لا يختلف ابن رشد مع الغزالي في هذا الذي اجتمع على اعتقاده المسلمون، وإنما يختلف معه في أن هذا - القول بقدم العالم - هو رأي الفلاسفة القدماء.. فهو يرى أن المتكلمين - الذين ينطق بمنطقهم الغزالي - قد أخطأوا عندما قاسوا «الغائب» على «الشاهد» - أي قاسوا حقائق عالم الغيب على حقائق عالم الشهادة - بينما يجب - في الحديث عن الله، وخلقه للعالم - ألا يكون «الشاهد» هو معيار تصوراتنا لخلق الله وفعله، فضلا عن ذاته، سبحانه.. «فالعقل الإنساني قاصر عن إدراك كيفية ذلك الفعل».. وقياس الغائب على الشاهد هو الخطأ الذي وقع فيه المتكلمون»، حتى ليظهر كلامهم «أنهم قد جعلوا الإله إنسانا أزليا».

أما الفلاسفة فإنهم «يعتقدون أن الباري - سبحانه - منفصل عن العالم، وهو فاعل، ليس بمعنى الفاعل الذي في الشاهد.. وهو فاعل هذه الأسباب، مخرج الكل من العدم إلى الوجود، وحافظه على وجه أتم وأشرف مما هو في الفاعلات المشاهدة.. ويجب ألا تكون خلقة هذه الأجسام ومبدأ تكونها على نحو كون الأجسام التي ههنا، وإن العقل الإنساني يقصر عن إدراك كيفية ذلك الفعل، وأن كان يعترف بالوجود، فمن رام أن يشبه الموجودين أحدهما بالآخر، وأن الفاعل لهما فاعل بالنحو الذي يوجد الفاعلات ههنا، فهو شديد الغفلة عظيم الزلة..»(٩).

أما علاقة العالم «بالقدم» أو «بالحدوث» فيجب أن تبرأ من المفاهيم التي صاغها المتكلمون لكل من القدم والحدوث.. فالقديم عندهم هو ما لا فاعل له، ولم يتقدمه زمان.. والحادث هو المخترع من لا شيء.. أما الفلاسفة فإن لهذين المصطلحين عندهم - في هذا المبحث - معاني أخرى.. ومن ثم فإن الواجب - لحل الإشكال - هو تحرير مضامين مصطلحي «القدم» و«الحدوث».. وهذا هو ما صنعه ابن رشد، عندما قال: «وأما مسألة قدم العالم، وحدوثه، فإن الاختلاف فيها بين المتكلمين - من الأشعرية - وبين الحكماء المتقدمين يكاد أن يكون راجعا للاختلاف في التسمية، وبخاصة عند بعض القدماء. وذلك أنهم اتفقوا على أن ها هنا ثلاثة أصناف من

---

(٩) المصدر السابق ص٥: ١٠، ٤٢.

الموجودات، طرفان ، وواسطة بين الطرفين. فاتفقوا في تسمية الطرفين، واختلفوا في الواسطة.

فأما الطرف: فهو موجود وُجد من شيء غيره، وعن شيء، أعني عن سبب فاعل، ومن مادة، والزمان متقدم عليه، أعني على وجوده، وهذه هي حال الأجسام التي يدرك تكونها بالحس، مثل تكون الماء والهواء، والأرض والحيوان والنبات، فهذا الصنف من الموجودات اتفق الجميع من القدماء والأشعريين، على تسميتها محدثة.

وأما الطرف المقابل لهذا، فهو: موجود لم يكن من شيء، ولا عن شيء، ولا تقدمه زمان. وهذا، - أيضا - اتفق الجميع، من الفرقتين، على تسميته قديما، وهذا الموجود مُدرك بالبرهان، وهو الله، - تبارك وتعالى - الذي هو فاعل الكل وموجده والحافظ له - سبحانه وتعالى قدره.

وأما الصنف من الموجود الذي بين هذين الطرفين، فهو: موجود لم يكن من شيء، ولا تقدمه زمان، ولكنه موجود عن شيء، أعني عن فاعل، وهذا هو العالم بأسره.. فهذا الموجود قد أخذ شبها من الوجود الكائن الحقيقي، ومن الوجود القديم، فمن غلبَ ما فيه من شبه القديم على ما فيه من شبه المُحْدَث، سماه قديما، ومن غلب ما فيه من شبه المحدث، سماه مُحْدَثا. وهو في الحقيقة، ليس مُحْدَثا حقيقيا ولا قديما حقيقيا، فإن المحدث الحقيقي فاسد ضرورة، والقديم الحقيقي ليس له علة». (١٠)

هكذا كشف ابن رشد عن مبررات انتفاء الخلاف، فتحديد مضامين مصطلحات «القدم» و«الحدوث» يكشف عن أمر جديد، غاب عن الذين جعلوا من هذه القضية تهمة اتهموا بها الفلاسفة القدماء.

وحتى «ظاهر الشرع»، فإنه لا يشهد لما قال به المتكلمون من أن معنى حدوث العالم هو الاختراع من غير شيء.. «فالحدوث، الذي صرح الشرع به في هذا العالم، هو من نوع الحدوث المشاع ههنا، وهو الذي يكون في صور الموجودات، التي يسميها الأشعرية صفات إنسانية، وتسميها الفلاسفة صورا، وهذا الحدوث إنما يكون من شيء آخر، وفي زمان، ويدل على ذلك قوله تعالى:

﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا ﴾(١١)

وقوله تعالى:

﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾(١٢).

وأما حال طبيعة الوجود الممكن مع الوجود الضروري فسكت عنه الشرع، لبعده عن أفهام الناس، ولأن معرفته ليست ضرورية في سعادة الجمهور.

وأما الذي تزعم الأشعرية من أن طبيعة الممكن مخترعة وحادثة من غير شيء، فهو الذي يخالفهم

(١٠) [فصل المقال] ص٤٠، ٤٢. و[تهافت التهافت] ص٧١.
(١١) الأنبياء: ٣٠.
(١٢) فصلت: ١١.

فيه الفلاسفة، من قال منهم بحدوث العالم أو لم يقل، فما قالوه - [أى الأشعرية] - إذا تأملته بالحقيقة ليس هو من شريعة المسلمين، ولا يقوم عليه برهان».(١٣)

فالعالم حادث، بمعنى أنه مفعول ومخلوق لله الخالق، حادث من شيء - مثل الدخان الذى سبق حدوث السماء، وهذا الحدوث لا يقتضى الاختراع من لا شيء كما تصورته الأشعرية.

● وفى قضية العلم الإلهى - التى كانت التهمة الثانية من الغزالى للفلاسفة - عندما قال إنهم ينفون علم الله بالجزئيات الحادثة من الأشخاص - يدافع ابن رشد عن الفلسفة، ويدفع هذه التهمة عن الفلاسفة، مؤكدا قولهم بأن الله - سبحانه وتعالى - عالم بالجزئيات، كما هو عالم بالكليات.. لكن، على نحو مغاير للعلم الإنسانى، ذلك لأن العلم الإنسانى معلول للموجودات، بينما العلم الإلهى هو سبب وجود الموجودات، وعلم الله لذاته يعنى علمه لكل موجوداته وجميع مصنوعاته.. ولا يعنى وقوف علمه عند الكليات دون الجزئيات.. «فالعلوم الإنسانية كلها انفعالات وتأثيرات عن الموجودات، والموجودات هى المؤثرة فيها.. والعلة فى الادراك هو المُدْرَك نفسه، فلاشك فى تغير الإدراك بتغير المدركات، وفى تعدده بتعددها.. وإذا كان علمنا معلولا للمعلوم به، فهو مُحْدَث بحدوثه، ومتغير بتغيره، فعلم الله - سبحانه - بالموجود على مقابل هذا، فإنه علة المعلوم، الذى هو الموجود.. وذات الصنع، التى يسمى بها صانعا، ليست شيئا أكثر من علمه بالمصنوعات.. وقولهم: «إنه لا يعرف إلا ذاته» يعنى أنه يعرف جميع الموجودات.. وتعلق علمه بالموجودات على نحو تعلق علمنا بها مستحيل، فوجب أن يكون تعلق علمه بها على نحو أشرف ووجود أتم لها من الموجودات التى تعلق علمنا به، لأن العلم الصادق هو الذى يطابق الموجود..»(١٤).

فالقضية، عند الفلاسفة، ليست التمييز بين العلم بالكليات والعلم بالجزئيات - كما فهم الغزالى من مقالاتهم - وإنما هى تمييزهم بين العلم الإلهى والعلم الإنسانى.. فتعلق العلم الإلهى بالموجودات مغاير لتعلق علمنا بها، سواء أكان ذلك فى العلم بالكليات أم الجزئيات.

● وفى «التهمة» الثالثة - المتعلقة «بحشر الأجساد».. يرى ابن رشد أن الفلاسفة قد قالوا وآمنوا بالمعاد والجزاء، دون تحديد لصورتيهما.. وهم يعظمون الشريعة ويؤمنون بمبادئها تسليما وتقليدا، لأن هذه المبادئ، عندهم، مما يفوق العقول الإنسانية، فنحن نأخذها كما جاءت من واهب العقول الإنسانية.. ولذلك فهم يؤمنون بما جاء عن البعث والجزاء فى الشريعة إجمالا.. وأن قول من قال من الفلاسفة «بشريعة عقلية» لا يقلل عندهم من مقام الشريعة المنزلة، لأن الشريعة الإلهية، عندهم، قائمة على «العقل والوحى»، ومن ثم فإن كفتها راجحة على شريعة العقل وحده.. ثم إن مذهبهم فى التأويل يمنع التصريح بهذا التأويل، الأمر الذى ينفى قولهم بتأويلات تجعل البعث والجزاء روحانيا، لا جسديا.

---

(١٣) [تهافت التهافت] ص٩٨.

(١٤) المصدر السابق. ص٨٤، ١٠٩، ١١٠، ١١٢، ١٢٣. و [فصل المقال] ص٣٩.

وأخيراً، فإن مغايرة عالم الغيب لعالم الشهادة - ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر(١٥) - يدل على أن ظاهر الشريعة يرشح أن العودة - في البعث - إنما هي لأمثال هذه الأمثال التي في الدنيا، لا لأعيانها.. فلو قلنا ببعث الأجساد، فإن ذلك لا يقتضي عودة ذات الأجساد الدنيوية، وإنما عودة أجساد مثلها، لأن المعدوم لا يعود بالشخص، وإنما يعود الوجود لمثل ماعدم.

وينبه ابن رشد على أن هذا المعنى الأخير قد قال به الغزالي.. بل وقال - في غير كتابه [تهافت الفلاسفة] - إن الصوفية يقولون بالبعث الروحاني - ولم يكفرهم! -..

على هذا النحو، عرض ابن رشد للقضية، فدفع التهمة، ومن ثم الحكم بالكفر، عن الفلاسفة، في تصوراتهم للبعث والجزاء.. فالقول بنفي البعث الجسدي، هو «شيء ما وُجد لواحد ممن تقدم فيه قول.. وهم أشد الناس تعظيما للشريعة وإيمانا بها، والسبب في ذلك أنهم يرون أنها تنحو نحو تدبير الناس، الذي به وجود الإنسان بما هو إنسان، وبلوغه سعادته الخاصة به، وذلك أنها ضرورية في وجود الفضائل الخلقية للإنسان، والفضائل النظرية، والصنائع العملية.. فيجب التسليم بها والتقليد فيها مع جهل أسبابها لأنها من مبادىء الشريعة، وهي أمور تفوق العقول الإنسانية، نأخذها من واهب العقول الإنسانية..

ويرون أنه لا ينبغي أن يُتعرض بقول في سائر مبادئها، مثل القول في السعادة الأخيرة وفي كيفيتها، لأن الشرائع كلها اتفقت على وجود أخروي بعد الموت، وإن اختلفت في صفة ذلك الوجود.

ومن صرح بشك في المبادىء الشرعية التي نشأ عليها، أو بتأويل مناقض للأنبياء - صلوات الله عليهم أجمعين - وصارف عن سبيلهم، فإنه أحق الناس أن ينطلق عليه اسم الكفر، ويوجب في الملة التي نشأ عليها عقوبة الكفر.

وكل شريعة كانت بالوحي فالعقل يخالطها، ومن سلم أنه يمكن أن يكون ههنا شريعة بالعقل فقط، فإنه يلزم ضرورة أن يكون أنقص من الشرائع التي استنبطت بالعقل والوحي.

والوجود الأخروي هو طور آخر أفضل من هذا الطور.. والتي تعود هي أمثال هذه الأمثال التي كانت في هذه الدار، لا هي بعينها، لأن المعدوم لا يعود بالشخص، وإنما يعود الوجود لمثل ما عدم، لا لعين ماعدم - كما قال أبوحامد.

ولقد قال أبوحامد - في هذا الكتاب [تهافت الفلاسفة] -: إنه لم يقل أحد من المسلمين بالمعاد الروحاني. وقال في غيره: إن الصوفية تقول به. وعلى هذا فليس يكفر من قال بالمعاد الروحاني، ولم يقل بالمحسوس إجماعا، وجوز القول بالمعاد الروحاني».(١٦)

---

(١٥) نعتقد أن هذا في النعيم الحاصل لأهل الجنة فإنه اختراع لم يخطر على قلب بشر. أما البعث فإنه إعادة لأعيان الأجسام التي كانت في الدنيا وتلك هي قدرة الخالق، وقولهم: إن المعدوم لا يعود بالشخص غير مُسَلَّم في حقه تعالى. أما قوله: إن الصوفية يقولون للبعث الروحاني فإننا لم نعثر عليه وإن قالوه فهو غير مُسَلَّم (المجلة)

(١٦) [تهافت التهافت] ص ١٢٤، ١٢٣ - ١٢٥

هكذا دفع ابن رشد عن الفلاسفة تهمة الكفر، في تصوراتهم لكيفية البعث والحساب والجزاء.

السببية

ويشهد، أيضاً، على أن اختلاف ابن رشد مع الغزالي - في كتابيهما - لم يكن في المطلقات والعقائد، بل ولا في التصورات الأساسية، بقدر ما كان حول «صحة المروى» عن الفلاسفة، و«المنسوب» إليهم.. يشهد على ذلك، أيضاً، موقفهما من «السببية» - والذى حسبه الكثيرون موضوعاً للخلاف، بينما هما فيه متفقان.

فالغزالي لم تكن قضيته مع القائلين بالسببية، وعلاقة الضرورة بين الأسباب والمسبَّبات، وإنما كانت مع القائلين «بالحتمية المطلقة» في عمل الأسباب بالمسببات، على النحو الذى ينكر قدرة مسبِّب الأسباب على إيقاف عملها، إذا هو أراد استبدالها، في المعجزات.

وهذا هو الذي قدمه ابن رشد، كرأى للفلاسفة، الذين يؤكدون على وجود الأسباب الفاعلة - الذاتية - وعلى عملها في المسببات، دونما إنكار لوجود سبب فوق هذه الأسباب الذاتية، فمسبب الأسباب هو موجدها، وهو خالق فعلها في المسببات.. ذلك «أن إنكار وجود الأسباب الفاعلة، التي تشاهد في المحسوسات، قول سفسطائي، والمتكلم بذلك إما جاحد بلسانه لما في جنانه أو منقاد لشبهة سفسطائية عرضت له في ذلك، ومن ينفي ذلك فليس يقدر أن يعترف أن كل فعل لابد له من فاعل.. وماذا يقولون في الأسباب الذاتية، التي لا يفهم الموجود إلا بفهمها؟.. والعقل ليس أكثر من إدراكه الموجودات بأسبابها، وبه يفترق من سائر القوى المدركة، فمن رفع الأسباب فقد رفع العقل، وصناعة المنطق تضع وضعاً أن ههنا أسباباً ومسببات، وأن المعرفة بتلك المسبَّبات لا تكون على التمام إلا بمعرفة أسبابها، فرفع هذه الأشياء يبطل العلم.. ولايشك أحد من الفلاسفة في أن الإحراق الواقع في القطن من النار، مثلاً، أن النار هي الفاعلة له، لكن لا بإطلاق، بل من قبل مبدأ من خارج، هو شرط في جود النار، فضلاً عن إحراقها..»[(١٧)]

فلا خلاف بين صاحبي [التهافت] على وجود الأسباب.. وفعلها.. ولا على أن هذا الوجود والفعل إنما هو بقدرة موجودها وموجد فعلها، سبحانه وتعالى.

نقد المنهج

ولقد تناثرت في كتاب ابن رشد [تهافت التهافت] إشارات نقدية للمنهج الذى استخدمه الغزالي في كتابه [تهافت الفلاسفة].. من أهمها:

● أن الغزالي بدلاً من أن يقرر المذهب الحق، مع نقضه لما رآه باطلاً، اكتفى بنقض الباطل، دون تقرير المذهب الحق.. الأمر الذى يترك القارىء في الحيرة والشكوك.. لقد قال - [الغزالي] -: «إن

---

(١٧) المصدر السابق. ص١٤٢، ١٤٣، ١٤٥.

قصده ههنا ليس هو معرفة الحق، وإنما قصده إبطال أقاويلهم وإظهار دعاويهم الباطلة.. وهو قصد لا يليق به، بل بالذين في غاية الشر!.. وقد كان واجبا عليه أن يبتدىء بتقرير الحق قبل أن يبتدىء بما يوجب حيرة الناظرين وتشككهم»[18].

● كذلك أبصر ابن رشد - بملكة الفيلسوف - مقام الفلسفة في إبداع الغزالي.. فقدم تفسيرا لموقفه هذا من الفلاسفة والفلسفة، باحتمال أن يكون «لزمان» الغزالي وعصره، وأهل ذلك الزمان، والاتهامات التي وجهت إليه - والتي بلغت حد اتهامه بالزندقة -.. احتمال أن يكون الرجل قد أراد مداهنة أهل زمانه بهجومه هذا على الفلسفة والفلاسفة!.. ذلك أن «معظم ما استفاد هذا الرجل - [الغزالي] - من النباهة، وفاق الناس فيما وضع من الكتب التي وضعها، إنما استفادها من كتب الفلاسفة ومن تعاليمهم.. فإتيانه بمثل هذه الأقاويل السفسطائية قبيح، فإنه يظن أنه ممن لا يذهب عليه ذلك، وإنما أراد مداهنة أهل زمانه، وهو بعيد من خلق القاصدين لإظهار الحق، ولعل الرجل معذور بحسب وقته ومكانه، فإن الرجل امتحن في كتبه»!..[19]

ولا ينسى ابن رشد.. - رغم دفاعه التاريخي عن الفلسفة - الموضوعية التي جعلته يتفق مع الغزالي على أن تراث الفلاسفة في العلوم الإلهية إنما هو «ظني» لم يبلغ مرتبة «اليقين».. فيقول: «إن قصدهم إنما هو معرفة الحق، ولو لم يكن لهم إلا هذا المقصد لكان ذلك كافيا في مدحهم. مع أنه لم يقل أحد من الناس في العلوم الإلهية قولا يعتد به»[20].

فمقاصد الفلاسفة الإلهيين كانت معرفة الحق.. وحسبهم هذا سببا للمديح والثناء.. أما ثمرات فلسفتهم في العلوم الإلهية فليس فيها ما يعتد به!..

وهو اعتراف صريح.. وخطير من أبي الوليد!

ولأن هذه المعركة الفكرية - بين ابن رشد والغزالي - في هذين الكتابين - [تهافت التهافت] و[تهافت الفلاسفة] - كانت من أشهر وأخطر المعارك الفكرية في تراث الإسلام الفلسفي، حتى لقد أخذت طريقها إلى ما وراء حضارة الإسلام.. فلقد لقي كتاب ابن رشد [تهافت التهافت] - كما لقي كتاب الغزالي - الكثير من الاهتمام.. فطبع بالقاهرة - بالمطبعة الإعلامية سنة ١٣٠٤ هـ سنة ١٨٨٤م.. ثم - مع كتاب الغزالي.. وكتاب خوجة زادة [٨٩٣ هـ ١٤٨٨م] [تهافت الفلسفة] الذي كتبه تعليقا عليهما.. طبعتهم - كمجموعة - المطبعة الخيرية - بمصر سنة ١٣١٩ هـ سنة ١٩٠١م.. ثم طبعهم الحلبي - بمصر - سنة ١٣٢١هـ سنة ١٩٠٣م.. وله طبعات محققة، أولاها «للأب بويج» - بيروت - سنة ١٣٤٨ هـ سنة ١٩٣٠م.. وثانيتها للدكتور سليمان دنيا - القاهرة - سنة ١٣٨٤ هـ سنة ١٩٦٤م.. كما ترجمه إلى العبرية واللاتينية والإنجليزية.. وغيرها من اللغات.

---

(١٨) المصدر السابق. ص٨٨، ٣٤.

(١٩) المصدر السابق. ص٨٨، ١١.

(٢٠) المصدر السابق. ص٨٨.

تعقيب على رد

وردت إلى المجلة رسالة الأستاذ محمد محمد طه الولى تنشرها المجلة بنصها:

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وسلم.

إلى فضيلة الشيخ الطاهر محمد الطاهر الحامدى المحترم، مدير تحرير، مجلة الأزهر، حفظكم الله:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد.

فإنى أكتب رسالتى هذه شاكرا لكم نشر مقالتى الأولى المتعلقة بابن رشد الحفيد فى عدد أغسطس / سبتمبر ٢٠٠٢، وثناءكم الذى أرجو خيره ونفعه لى ولسائر المسلمين، وأثمن للدكتور محمد عمارة. حفظه الله.. بالقراءة المتأملة بصرف النظر عن الاتفاق والاختلاف.. والتى أرجو أن أحظى بها دوما من طرفه وطرفكم مشكورين حفظكم الله. وقد وجدت فى كلمة الدكتور عمارة عن «الحوار العلمى نموذجا للحوار الفكرى اللائق بالعلم».. و«أن مجلة الأزهر تسعد بهذا اللون من القراءة التى تقف وقفات فكرية عميقة» ما شجعنى على متابعة الموضوع لأهميته الكبرى فى التاريخ الفكرى العربى، شاكرا لكم سلفا نشر مقالتى هذه كرما منكم وفضلا. وهذه بعض تعليقاتى أختصرها من غير إخلال بإذن الله:

● من المعروف أن «آثار ابن رشد الفلسفية وشروحه على أرسطو» ليست من «ثمرات اختلاف اجتهادات المذاهب والتيارات الإسلامية فى الفروع» كما ذكر الأستاذ الدكتور ـ حفظه الله ـ وذلك ببساطة بسبب بُعد أفكار أرسطو وما تفرع منها عن فكر نبى الإسلام محمد ﷺ فضلاً عن بُعد فروعها من فروع فقه الإسلام التى ليست هى مجال بحثنا هنا. على أننا لا ننكر كل ما قاله أرسطو رأسا إلا أن نعرضه على ميزان الشريعة المرفوعة: مؤكدا فى هذه المناسبة أن مسألة حدوث العالم كله من غير استثناء ليست من الفروع الفقهية. بل هى من أصول الاعتقاد كما هو مبين فى مظانه من كتب أهل هذا الشأن كالجوينى والباقلانى. وقد ذكرها ابن حزم فى كتابه مراتب الإجماع تحت عنوان: «باب من الإجماع فى الاعتقادات يكفر من خالفه بإجماع».. مستدلا بحديث البخارى: «كان الله ولم يكن شئ غيره».

وذلك بغض النظر عن إثبات نسبتها لابن رشد أو عدمه.

● مازلت أؤكد أن فلسفة ابن رشد وغيره كابن سينا والفارابي مغايرة لطريقة أهل السنة والجماعة، يدل على ذلك اسمها اليوناني كما ذكر الأستاذ مصطفى عبدالرازق في كتابه في تاريخ الفلسفة وغيره كثيرون. ثم إن أهلها لم يعتبروها من العلوم الشرعية المستمدة من الكتاب والسنة إذ إنهم قد استقوا آراءهم من كلام أساطينها السبعة القدماء من اليونانيين؛ فلا أجد أي مناسبة بين قواعد الإسلام المبنية على الكتاب والسنة، وفلسفةاليونان التي لم ينسبها أحد من أهلها من أولهم إلى آخرهم إلى صاحب الشريعة المطهرة، إنما اتفقوا على نسبتها إلى أرسطو وغيره من واضعيها الأوائل، وليس ما أقوله في هذا الشأن إلا مستمدا من فتاوى شيخ الأزهر الشيخ محمد مصطفى المراغي ـ رحمه الله ـ والشيخ عطية صقر عضو لجنة الفتوى في الأزهر الشريف الذي قال في فتوى له (مايو ١٩٩٧) ما نصه: لا مانع من دراسة المواد الفلسفية إذا كانت الدراسة للإحاطة بالأفكار ومقارنتها بالدين، فإن كانت متفقة معه قبلت وإلارفضت. أما دراستها لمن لا يعرف الحق من الباطل، وترك الباطل منها دون بيان بطلانه ففيها ضرر كبير. وعيب بعض المؤلفات التي تدرس في بعض مراحل التعليم الآن أنها تعرض الأفكار ولا تناقشها مناقشة علمية على ضوء الدين. فيحسبها البعض أنها أمور مسلمة مادامت منسوبة لكبار العلماء، وكم في هذه الآراء مما يتنافى مع مقررات الدين ولا يتفق ومكارم الأخلاق. وللإمام الغزالي في كتابه «إحياء علوم الدين» كلام طويل في العلوم المحمودة والعلوم المذمومة، وهو نفسه ألف في الرد على الفلاسفة بعد دراسة مذاهبهم.

هذا، وقد كتب عنه شيخ الأزهر الشيخ محمد مصطفى المراغي وأجمل رأيه فيه أنه هو الذي ناهض الفلسفة وكشف ما فيها من زخرف وزيف. اهـ.

فلم يكن رأيي في الفلسفة إلا موافقاً لموقف علماء الأزهر الشريف، على أن لابن خلدون في مقدمته فصلا قال: إنه «مهم» بعنوان «إبطال الفلسفة» يبين فيه بعدها عن مقاصد الشريعة واختلاف مشارب أهلها عن مشارب أهل الشريعة فليراجع.

● أما قول ابن رشد بقدم الوجود والزمان وأنهما لا يتناهيان من جهة الماضي، فلست أول من ذكر عنه ذلك، بل هو واضح في عدد من كتبه، ومنها ما هو بتعليق الدكتور عمارة نفسه، وأعني كتاب «فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال» (طبع دار المعارف، ط ٣ - ص٤٢) تحت عنوان: «العالم بين القدم والحدوث»، وفيه ما نصه بعد طول كلام: «أن صورة

العالم محدثة بالحقيقة، وأن نفس الوجود والزمان مستمرّ من الطرفين، أعني غير منقطع»، فهذا يظهر بوضوح قوله بأزلية شيئين مع الله هما الوجود والزمان، وأنه لا ابتداء لهما ولا انتهاء، علما أن هذا الأمر ليس مما انفردت أنا به عن ابن رشد بل هو مشهور عنه كما ذكر الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه «ابن رشد» (طبع دار المعارف، بيروت - ١٩٥٣ ص ٣٩) حيث يقول: «وعند ابن رشد إن العالم قديم»، وكما ذكر الأستاذ عبد الرحمن بدوى تحت عنوان الإلهيات عند ابن رشد من موسوعة الحضارة العربية، وهو مما لا يشك فيه من قرأ تهافت التهافت (طبع مركز دراسات الوحدة العربية بتعليق الجابرى، ١٩٩٨) ولا سيما ربعه الأول وما فيه تحت عنوان: «كل موجود ففعله مقارن له في الوجود»، وفيه (ص٢٠٢) يصرح قائلاً: «وبهذا الموجود الأول يعني ـ الله تعالى ـ يمكن أن توجد أفعال لم تزل ولا تزال»، وفي موضع آخر منه (ص٢٣٣) يقول: «وإنه - أى العالم - ليس لحدوثه أول ولا منتهى»، وهذا كله بناء على ما يراه ابن رشد ـ كما رأى أرسطو أن العالم قديم أى ليس له بداية، وأنه لم يزل موجوداً مع الله تعالى ومعلولاً له ومساوقاً له غير متأخر عنه بالزمان مساوقة المعلول للعلة ومساوقة النور للشمس، وأن تقدم البارئ عليه كتقدم العلة على المعلول» من كلام الأستاذ الدكتور بدوى في موسوعة الحضارة العربية.

والخلاصة أن المتمرّس في أفكار ابن رشد وكلامه للدكتور عمارة ـ حفظه الله ـ لا شك في أنه يجدها مجافية لسعة الصدر التي هي حلية العلماء العاملين خاصة مع كثرة وصفه الغزالي ـ رحمه الله ـ في تهافت التهافت بالـ «سفسطائي الخبيث» والـ «مغالطي الخبيث» إلى ما هنالك من نابي العبارات التي هي بعيدة كل البعد من الطريقة التي كان عليها السلف الصالح ومن اتبعهم بإحسان من الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه.

هذا ما أحببت أن أكتبه في هذه العجالة شاكرا لكم ولمجلة الأزهر الشريف اهتمامكم الكريم.

***

ما يقال عن الإسلام
عداوة أمريكا وصداقتها

الحلقة الأخيرة

للأستاذ الدكتور / عبد العظيم المطعني

يواصل الأستاذ الدكتور عبد العظيم المطعني تحليل آراء الأستاذ الدكتور عبد الحميد الأنصاري عميد كلية الشريعة والقانون بجامعة قطر في الحوار الذي نشرته جريدة الراية القطرية أوائل يناير الماضي مطلع عام ٢٠٠٢م.

مع ملاحظة أن هذا الرد تسلمته المجلة كاملاً وتنشره على حلقات، فهو لا يعلق على أحداث جارية أو مصاحبة للنشر.

الفقرة الخامسة :

ليسمح لنا القارئ في اختصار عبارات الدكتور العميد فيما يأتي :

«حرصت الحكومة- يعني الأمريكية بعد أحداث سبتمبر- على تمثيل الإسلام والمسلمين بممثل عنهم في كل المناسبات، وأصدرت هيئة البريد أول طابع لتمجيد «الأعياد الإسلامية، وافتتح مجلس النواب إحدى جلساته بقراءة الفاتحة، فهل مثل هذه الحكومة وهذا الشعب يصح وصفهما بعداوة الإسلام والمسلمين»؟

ونقول :

إن هذه الأمور التي ذكرها العميد مواقف خادعة، وقد حدث قبلها الكثير والكثير من دول غير إسلامية، فعلى سبيل التمثيل لا الاستقصاء نذكر بعض النماذج :

● في يوم ٢٤ / ١١ / ١٩١٧م، بعد ستة أسابيع بقليل من وقوع الانقلاب البلشفي في روسيا، ووصولهم إلى مقاليد الحكم فيها، وجهت الحكومة السوفيتية الجديدة نداء إلى كل المسلمين، وقد جاء في هذا النداء :

«يا مسلمي روسيا، يا من خربت مساجدكم، وهدمت بيوت عبادتكم، نعلن لكم :

«إن عقائدكم الدينية، وشعائركم ومنشآتكم الحضارية والقومية، ستصبح ابتداء من اليوم مصونة لن تمتد لها يد آثمة. فاقيموا حياتكم القومية في جو من الحرية دون أن يعوقها عائق، فلكم الحق في ذلك».

هذا النداء كان موجها للمسلمين داخل روسيا ثم وجهوا نداء آخر لكل الشعوب الإسلامية. وقد جاء فيه:

«يا مسلمي الشرق، يا إيرانيون، يا أتراك، يا عرب، يا من مارس المغتصبون الاستعماريون، القادمون من أوروبا للتجارة بأرواحكم قرونا، وبأموالكم وحرياتكم، وأوطانكم، يا من قسم دياركم هؤلاء النهاب، الذين أشعلوا الحرب العالمية ضدكم، نعلن لكم:

إن معاهدات القيصر المخلوع السرية، التي نص فيها على السماح له بغزو القسطنطينية بالقوة، قد مزقت ومحيت من الوجود، فالجمهورية الروسية وحكومتها ترفض الغزو المسلح لأراضي أي دولة أجنبية؟

«إن معاهدة تقسيم إيران قد مزقت وأزيلت من الوجود، فبعد انتهاء العمليات الحربية، ستنسحب القوات الروسية (يعني القيصرية قبل الثورة البلشفية) مباشرة من إيران، وستكفل الحرية للشعب الإيراني ليقرر مصيره السياسي عن طريق استفتاء شعبي حر؟!».

«إن معاهدة تقسيم تركيا واغتصاب أرمينية قد مزقت ومحيت من الوجود...».

بهذا الأسلوب الخادع أراد البلشفيون تجنيد كل القوى الإسلامية للاستعانة بها على قوى الغرب والخداع المسلمين والطمع فيهم.

ثم ماذا حدث بعد ذلك؟ باختصار شديد ابتلعت روسيا البلشفية الشعوب الإسلامية الواقعة ضمن حدودها الجغرافية، وحاربت الإسلام واضطهدت المسلمين ومنعت دخول المصحف إليهم، وحرمتهم من حرياتهم الدينية.

لذلك سارعت تلك الشعوب إلى المطالبة بالاستقلال بعد سقوط الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١م.

ومن قبل خداع البلشفيين للعرب والمسلمين فعل الشيء نفسه نابليون بونابرت في أثناء حملته على مصر، حيث بعث بمنشور عسلي المذاق فور وصوله الإسكندرية يعلن فيه أنه مسلم، وأن الفرنساويين كذلك مسلمون، ثم أرخى لحيته، وحمل مسبحة بيمينه ومبالغة في التمويه والخداع، تسمى باسم إسلامي ثم ماذا كان بعد أن دخل القاهرة؟

لقد ظهر ما كان يضمره من سوء واحقاد، فاحتل الجامع الأزهر، واتخذ منه «اسطبل» لخيول الغزاة؟ إضافة إلى الجرائم التي ارتكبها ضد الإسلام والمسلمين؟!

وبعد نابليون (الفرنسي) حدث الأمر نفسه من لورد لويد، المندوب السامي لإنجلترا في مصر في عهد الاحتلال الإنجليزي لها، فقد خطب هذا «اللورد» خطبة جامعة في أحد مساجد لندن، أشاد فيها بالإسلام والمسلمين، وأن حكومة صاحبة الجلالة لا يمكن أن تستغني عن العالم الإسلامي أو تحرم من حمايته لها، وأن الإسلام يجب أن تعود إليه قوته من جديد.

وبعد هذا الكلام المعسول ظهرت مواقف إنجلترا مخالفة لما قاله مندوبها السامي.

ومما قاله لورد لويد في تلك الخطبة:

«اعتقد أن الإمبراطورية البريطانية لا يمكنها البقاء، دون حماية كاملة من المسلمين، في جميع أنحاء العالم، فالإسلام -على ما اعتقد- بإمكاناته الروحية والفكرية هو إحدى القوى الجوهرية في العالم، وسوف أعمل دائما ما استطيعه لتوجيه إنجلترا في إنشاء علاقات ود وصداقة، مع الإسلام في كل مكان من العالم»[1].

ثم ماذا كان بعد ذلك:

إنجلترا هي التي مهدت لقيام دولة إسرائيل في فلسطين (البلد المسلم) وهي التي كانت العضو المنشط الفعال في العدوان الثلاثي على مصر، بلد الأزهر والإسلام، واختفت من قاموس العمل البريطاني تلك الوعود الكاذبة.

وفي الوقت نفسه الذي ألقى فيه اللورد لويد خطبته تلك، حاول موسوليني، في أثناء رحلته إلى ليبيا عام ١٩٣٣م كسب الإسلام وشعوبه إلى جانبه، فادعى أنه صديق الإسلام، والمدافع بإخلاص- عنه!

هذا هو مسلك زعماء الغرب معنا، يفترضون أننا أغبياء لنغمض أعيننا عما يريدون صنعه معنا، وفينا كما يقول القرآن:

﴿ سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ ﴾[2].

وفي هذا الإطار الخداعي الماكر، تأتي الوقائع الأمريكية التي خُدِعَ بها الدكتور العميد، أما الأمة فلن تنخدع بها مهما كانت براقة، حتى ولو قرأ أعضاء الكونجرس الأمريكي القرآن كله في افتتاح جلساتهم، لأن الأمة تهتدي بهدي رسولها القائل:

«لن يلدغ المؤمن من جحر مرتين» وجحر أمريكا حاول أن يلدغنا مئات المرات، وليست العبرة بالأقوال، بل بالأفعال، وأفعال أمريكا معنا لم تترك مثقال ذرة في قلوبنا لتصديقها.

الفقرة السادسة:

ونستأذن القارئ مرة ثانية من إعفائنا من ذكر كلام العميد بطوله، وأن نكتفي بموضوع المناقشة فحسب، وذلك على الوجوه الآتية:

● في نشوة الدفاع عن أمريكا، وتضخيم حسناتها نسب العميد لأمريكا ما لم تصنعه معنا، انظر إلى قوله:

«ولكن الإيجابيات -يعني إيجابيات أمريكا معنا- أكثر من السلبيات، ويكفي أن نذكر بعضها:

«الإنذار الأمريكي في حرب السويس».

العميد -هنا يتحدث عن العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦م الذي قامت به إنجلترا وفرنسا وإسرائيل ضد مصر ردا على تأميم قناة السويس.

والمعروف أن الذي أنهى تلك الحرب هو الإنذار الروسي والذي أصدره هو بولجانين «فليس

---

(١) الإسلام قوة الغد العالمية. تأليف باول شمتز. تعريب دكتور/ محمد شامة ص: ٣١، مكتبة وهبة - القاهرة.

(٢) التوبة (٤٧).

هو إنذارا أمريكيا، وهذا لا يكاد يجهله أحد الآن، هذه مجرد ملاحظة وتصويب لازم، لئلا يعتقد الشباب صحة ما أورده الدكتور العميد من قلب لحقائق التاريخ. أما إنذار أمريكا فكان متأخرا، وفيه مقال.

● ثم يسترسل -سعادته- في سرد حسنات أمريكا علينا فيقول:

«مبيعات الأسلحة الأمريكية للدول العربية ضخمة، وآخر صفقة مع السعودية بـ ٤,٢ مليار.. أمريكا مصدر التسليح والتكنولوجيا والتدريب للقوات المسلحة لكثير من الدول العربية، القوات العسكرية العربية تعتمد على السلاح الأمريكي في التصنيع، وفي تطوير قدراتها الحربية، وفي تدريبها وقطع غيارها».

ونقول تعقيبا على هذا الكلام:

إن رؤية العميد بدت قاصرة هنا عن إدراك الحقائق، لأنه كان عليه أن يعرف:

أولاً: إن أمريكا في المجالات التي أشار إليها لم تكن صاحبة فضل علينا، لأنها في مبيعات الأسلحة وجدت سوقا رائجة لفائض منتجاتها العسكرية، وهي بهذه المبيعات تدعم اقتصادها دعما هي في حاجة إليه، والاقتصاد عند أمريكا إله يعبده الكبار والصغار.

وكذلك كل ما يتم جلبه من أمريكا من خبرات وتدريبات، فهي تبيع خبراتها كما تبيع منتجاتها الحربية وغير الحربية.

إذن هذه التعاملات تستفيد منها أمريكا كما تستفيد الدول العربية، فليس هنا محسن ومحسن إليه.

ثانيا: إن أمريكا تعلم أنها إذا لم تقم بهذه المهام، فإن العرب سوف يحصلون عليها من مصادر أخرى تنافس منتجاتها وخبراتها منتجات أمريكا وخبراتها، مثل الصين، واليابان، وروسيا حتى بعد سقوط الاتحاد السوفيتي.

ولو كان هذا قد حدث لضاقت الأرض بما رحبت أمام أمريكا. ولولا الأسواق العربية المفتوحة على مصراعيها أمام أمريكا لكل ما تنتجه مصانعها لتوقف ثلث أو نصف تلك المصانع عن الحركة، ولغزت صناعات أخرى غير الصناعات الأمريكية الأسواق العربية، ولمنيت أمريكا بضربات قاتلة في اقتصادها.

ثالثا: إن إتاحة الفرصة لأمريكا، من خلال هذه المنافذ تمكن أمريكا من الاطلاع على أحوال الدول العربية والإسلامية، وتعرف -عن كثب- مواطن القوة والضعف، ولا يكون عندنا مجهول تتشوق أمريكا إلى معرفته عن طريق التجسس غير الموثوق فيه.

ولو أحسنت التفكير يا سعادة العميد، لأدركت أن العرب هم أصحاب الفضل على أمريكا، في كل ما عددته أنت إنه من حسنات أمريكا على العرب والمسلمين.

رابعا: كل ما ذكره العميد في الشئون العسكرية والحربية التي رأى أنها من علامات صداقة أمريكا للعرب والمسلمين، كل هذه الأمور خاضعة عند أمريكا لضوابط شديدة الخطورة، كان حريا بالعميد الأنصاري أن يضعها في الحسبان:

ذلك الضابط هو حرص أمريكا أن تكون إسرائيل هي المتفوقة دائما على جيرانها، فهي مع إسرائيل قلبا

وقالبا لضمان انتصارها على كل من حولها إذا نشبت بين الفريقين حرب عاجلة أو آجلة.

وجانب آخر من علاقات أمريكا بنا أشار إليه العميد، ولكن لم يفصح عنه، وله صلة خطيرة ببيان هل أمريكا تعادى الإسلام أم تحترمه وتدافع عنه، كما ادعى العميد.

ذلك الجانب هو صلة أمريكا التعليمية والثقافية بنا، ونوجز الحديث عنه في ما يأتي:

لأمريكا في بعض الدول العربية جامعات، تعرف بـ «الجامعات الأمريكية»، وأشهرها الجامعة الأمريكية في مصر «القاهرة»، والجامعة الأمريكية في لبنان «بيروت».

هذه الجامعات لها تاريخ سيىء ضد الإسلام، بالإضافة إلى أننا لا نجني منها ثمارا مفيدة نحن في أمس الحاجة إليها.

لأن الدراسة التي تتم فيها تتعلق بمواد تقليدية، لها نظائر في مؤسساتنا التعليمية الوطنية، وليس بها كلية واحدة يستفيد منها طلابنا في مجال الطاقة والتكنولوجيا الحديثة.

ولا توجد في أي منها كلية للطب مثلا، لأن أمريكا تضن بخبراتها «الاستراتيجية» على غيرها من الشعوب وبخاصة الشعوب العربية الإسلامية.

بالإضافة إلى هذه الجوانب السلبية للجامعات الأمريكية عندنا، والخطب فيها يسير لو لم تكن لها سيئات أخرى ضارة ومتعمدة.

فلنأخذ نماذج من سيئات الجامعة الأمريكية في القاهرة:

منذ ثلاثة أعوام ضبط كتاب مخالف يدرس في إحدى كليات الجامعة الأمريكية بالقاهرة.



ماكسيم رودنسن

ذلك الكتاب هو «محمد» تأليف المستشرق اليهودى الأصل: ماكسيم رودنسن، والذى كان يدرس هذا الكتاب للطلبة والطالبات مدرس أمريكي.

وكتاب «محمد» هذا معروف لدى المهتمين بمتابعة ما يكتبه المستشرقون والمبشرون عن الإسلام منذ زمن طويل.

وقد ملأه مؤلفه افتراءات على الإسلام وعلى رسوله الكريم.

وقد تضمن طعونا سافرة في حق القرآن، وفي حق الرسول ﷺ.

فقد أظهره هذا اليهودى الحاقد في مظهر سيىء للغاية، حيث وصفه بأنه كان «زير نساء» لا هم له إلا إشباع نزواته الجنسية، وبأي ثمن يمكن بذله.

ولو أن أمريكا درست هذا الكتاب في إحدى جامعاتها بأمريكا لما تدخل في شئونها أحد، ولما حز في أنفسنا كما حز تدريسه في عقر دارنا.

أليس هذا طعنا خطيرا في ديننا، وتعديا أحمق على مقدساتنا وإساءة ما بعدها إساءة إلى مليار ونصف المليار مسلم في شرق الأرض وغربها وشمالها وجنوبها؟

وهل سمحت مصر للجامعة الأمريكية بها أن تمارس هذا النوع من التخريب والحماقة؟

اكتفت الحكومة المصرية بمصادرة الكتاب أو

بمعنى أصح منع تدريسه لطلابها، ولم تتخذ أى إجراء آخر ضد الجامعة الأمريكية بها. وكان المنتظر هو سحب ترخيص قيام الجامعة الأمريكية بالقاهرة. ولو كانت مصر قد اتخذت هذا الإجراء لما لامها أحد، ودستورها العام الدائم ينص على أن الإسلام: هو الدين الرسمي للدولة.

أليس هذا تسامحا من مصر مع أمريكا التي يدافع عنها الدكتور العميد؟

ثم بعد عام واحد من هذه الواقعة لجأت الجامعة الأمريكية بالقاهرة، إلى تدريس رواية ساقطة منحطة، هي رواية «الخبز الحاف» -أو «الحاف»، ولا أدرى -لمؤلف عربي سخيف يحرض في روايته هذه الشباب على الدعارة والمجون والانتحار الأخلاقي المميت.

وقبل هاتين الواقعتين، حدث ما يحيل الولدان شيبا فقد تم في أوكار الجامعة الأمريكية بمصر تأليف كتاب ضخم باللغة الإنجليزية عنوانه بالإنجليزية (the christion egypt ancient and vecent) وترجمته بالعربية: «مصر مسيحية قديما وحديثا» جرى تأليفه في مصر، وتم طبعه من وراء الكواليس في القاهرة وتم توزيعه في عواصم كثير من الدول الأوروبية، مثل لندن، واشنطن، باريس.. إلخ.

أما في القاهرة فكان لا يباع إلا داخل أوكار الجامعة الأمريكية؟!

أما موضوع الكتاب فهو في إيجاز:

في عام ١٩٨٥م حصل أستاذ بجامعة الأزهر (د/يس مراد) على نسخة منه في إحدى مكتبات لندن، ثم قدمها للجنة التعريف بالإسلام، إحدى لجان المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وكنت عضوا فيها. وكان مقررها المستشار عبدالحليم الجندي رئيس إدارة قضايا الحكومة آنذاك، وقد أحالت اللجنة الكتاب إلى أحد أعضائها (د/محمود دياب) ليقرأه ويقدم عنه تقريرا للجنة.

وقد تضمن التقرير أمورا مفزعة، لأن الفكرة التي وضع من أجلها الكتاب تدور حول صبغ مصر صبغة مسيحية خالصة في جميع عصورها القديمة والحديثة، وأن دخول الإسلام لم يغير من «هويتها» المسيحية شيئا.

وأن الكتاب يتجاهل وجود الإسلام في مصر تجاهلا تاما وعلى كثرة صفحات الكتاب (٧٠٠ صفحة) لم يتضمن أى حديث عن الإسلام سوى فصل صغير جدا عن الغزو العربي لمصر بقيادة عمرو بن العاص. صفحاته دون العشرين صفحة.

وأن في الكتاب نداء وجهه مؤلفوه لأقباط مصر، حاصلة: لا تيأسوا فبعد الظلام الطويل لابد من طلوع الفجر!!

وهذا كلام خطير للغاية، يثير فيه كاتبوه الفتنة الطائفية بين الأقباط والمسلمين ويحثون الأقباط على استرداد أرضهم المغصوبة كما استرد اليهود فلسطين، والأسبان الأندلس!

والتقرير أودع في أعمال اللجنة منذ أكثر من سبعة عشر عاما.

هذه خلاصة التقرير:

أما إخراج الكتاب فقد تضمن خريطة طولية لوادى النيل، من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال، هذه الخريطة موضح عليها أماكن

الكنائس والأديرة برسومات بارزة، ومبالغ فيها إلى حد كبير، بحيث يخيل للناظر فيها أنه يرى وطنا ليس فيه أي أثر إسلامي في طول البلاد وعرضها!

فبم يفسر الدكتور العميد العمل الذي قامت به الجامعة الأمريكية في القاهرة؟

هل هو نابع من حب أمريكا للإسلام؟

هل هو صادر عن صداقة أمريكا للعرب والمسلمين؟

هل هو مما تحتاج إليه مصر في حاضرها أو مستقبلها؟

هل هو عمل يدخل في صميم وظيفتها التعليمية، التي من أجلها رخص لها بالإنشاء والاستمرار في مصر؟

أليس هذا بعثا لفتنة لا يعلم غير الله آثارها؟ وهل هذه الحماقات تدعونا للاعتقاد بصداقة أمريكا لنا أم العكس هو الصواب؟

أما الجامعة الأمريكية في بيروت فسيرتها هي سيرة أختها في القاهرة، ومن نماذج عدائها للعروبة والإسلام ما يأتي:

● بعد سقوط دولة الخلافة العثمانية، التي انضوى تحت لوائها كل الشعوب والجنسيات الإسلامية، حن المسلمون إلى إحيائها من جديد وسيطرت فكرة إحياء الخلافة على الساحة الفكرية في كل مكان، وكادت تأخذ طريقها إلى العودة. فما الذي حدث لوأد تلك الفكرة في مهدها يا ترى؟

إن الذي حدث هو معارضة «اليسوعيون» في لبنان والشام وهم خريجو الجامعة الأمريكية في بيروت، وفي جامعات أمريكا نفسها.

لقد سعوا سعيا ملحوظا لوقف تلك الفكرة، ونادوا بقيام جامعة أخرى بدل الجامعة الإسلامية، وهي الجامعة العربية، وترتب على تلك الدعوة دعوى أخرى إلى «القومية العربية»، وسموا أنفسهم به «القوميون العرب»، وصارعت هذه الفكرة فكرة الجامعة الإسلامية، وشاءت الأقدار أن تموت فكرة الجامعة الإسلامية، وتقوم على أنقاضها فكرة القومية العربية.

وفي هذا الجو المعاكس لأي عمل إسلامي جامع قال أحد القوميين العرب في غير حياء:

سلام على كفر يوحد بيننا

وأهلا وسهلا بعده بجهنم

هذه إحدى إفرازات الجامعة الأمريكية في بيروت، فهل هي خطوة في دعم الإسلام تدل على حبه والدفاع عنه أم هي آفة قاتلة لكل عمل إسلامي قوي في مواجهة الزحف الغادر لطمس معالمه من الوجود، أو ليعيش ذليلا كليلا مهيض الجناح؟

● أما الإساءة الثانية، فهي ما قام به اليسوعيون للقضاء على اللغةالعربية الفصحى، وإحلال اللهجات العامية المحلية محلها.

كان اليسوعيون من أنشط الدعاة إلى نصرة العامية على الفصحى، وجهود أنيس فريحة في هذا المجال معروفة ونصائحه للمسلمين بأن سيطرة العامية على لغة الحديث والكتابة لا يهدد وجود العربية الفصحى، لأن القرآن سيقرأ في المساجد والمحاريب بلغته الفصحى، ثم يخلص من نصائحه الخادعة، بأن اللغة المصرية القديمة (الهيروغليفية) مازال لغة الطقوس الدينية في الكنائس والأديرة إلخ.

والقضاء على الفصحى كان هدف الاستعمار الصليبي الغربي، وقد بلغ عداء العربية الفصحى أقصى مدى له في عهد الاحتلال الإنجليزي لمصر.

● ومن مظاهر العداء للإسلام على أيدي اليسوعيين خريجي الجامعة الأمريكية ببيروت أمران آخران- طعون خوري حداد في القرآن الكريم مفردات، وتراكيب ومعان ومضامين وقد رصد أحقاد هذا الرجل (خوري حداد) الأستاذ محمد دروزة في كتابه القيم (القرآن والمستشرقون)، وكذلك الأستاذ الدكتور عمر فروخ، في بعض مؤلفاته «التبشير والاستعمار».

ومن اليسوعيين المتامريكن القس أنيس المقدسي وبخاصة في كتابه «تطور الأساليب المنثرية»، فقد زعم أن القرآن في المرحلة المكية تأثر فيه النبي ﷺ بسجع الكهان، فجاءت جمله قصيرة مسجوعة كما كان يفعل الكهان في كلامهم، ثم يوغل في التحريف فيوازن بين السور القرآنية المكية القصيرة، وبين مقطوعات من كلام الكهان، ولهذا الرجل طعون مليئة بالحقد في سيرة النبي ﷺ وبخاصة كتبه ورسائله التي كان يبعث بها إلى رؤساء القبائل والعشائر، وإلى ملوك الشعوب كالفرس والروم. ويدعي أنها مكذوبة مفتراة لأن محمدا ﷺ لم يكن يملك من القوة والسلطان ما يشجعه على مخاطبة الملوك والرؤساء، وبخاصة في بدايات دعوته!

هذا هو في إيجاز بعض ما أثمرته الجامعات الأمريكية في البلاد العربية. فهي -أعني أمريكا- تنتهز وجودها في أي شكل من الأشكال في الدول الإسلامية والعربية وتباشر أعمالا غير مأذون لها بها، بقصد النيل من الإسلام والمسلمين، والعروبة والعرب.

إن أمريكا في هذه العلاقات تهدف إلى تحقيق مآرب لها، وتتخذ من هذه العلاقات وسيلة لإنجاح مقاصدها الباطنة والظاهرة، لا كما يصورها الدكتور العميد، في صورة المحسن الذي لا يريد جزاء ولا شكورا.

ومن التقصير في الفهم، أن نخدع بالظواهر البراقة المعسولة ونعرض عما تخفي وراءها من سموم وما أصدق قول الشاعر في هذا المعنى:

وإن طرة راعتك فانظر فربما
أمر مذاق العود والعود أخضر

وأحكم من قول الشاعر ما ينسب إلى النبي ﷺ أنه قال:

«إياكم وخضراء الدمن؟ قالوا، وما خضراء الدمن يا رسول الله؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء».

والدمن هي: أماكن إلقاء القاذورات، والنبات الذي ينبت فيها يكون زاهيا جميل المنظر، لكن المكان الذي نبت فيه يجعله خبيث الجنى. وإن جذب الأنظار بخضرته وحسنه الخادع.

الفقرة السابعة:

هذه الفقرة تركز على حجم الاستثمارات الأمريكية في الدول العربية، وقد أشار إليها العميد بقوله: «والاستثمارات الأمريكية في الدول العربية من أكبر الاستثمارات الأجنبية».

ونقول: لقد نسي العميد أن استثمارات أي دولة في دولة أخرى، تقوم على المنافع المتبادلة بين الدولتين، ولا يمكن أن يعد طرف من أطرافها صاحب فضل على الطرف الآخر.

واستثمارات أمريكا في الدول العربية تقابلها استثمارات عربية في البنوك والمصارف الأمريكية، والمعروف أن حجم الأموال العربية في الغرب بلغ ١٤٠٠ مليار دولار، لأمريكا منها نصيب الأسد، فالأولى ترك هذا الجانب، فهو ليس من الحسنات التي تحسب لأمريكا علينا.

الفقرة الثامنة:

وفيها يعدد العميد مآثر أمريكا في تحرير بلاد المسلمين فيقول:

«لولا التدخل الأمريكي المسلح لحماية المسلمين في كوسوفو عام ١٩٩٨م والبوسنة قبلها ضد الصرب لما تحررت.. ولولا التدخل الأمريكي والسلاح الأمريكي في أفغانستان ضد الروس لما تحررت».

ونقول: هل يتذكر الدكتور العميد بعد كم سنة من نشوب الحرب الصربية ضد البوسنة والهرسك تدخلت أمريكا في فض الاشتباك بين الطرفين؟

وما هي حجم الأضرار التي منيت بها البوسنة في الأموال والأرواح والمنشآت، والمقدسات الدينية، وأعراض النساء؟

إنها مهازل لم يعرف لها التاريخ مثيلا من قبل، أكثر من خمسين ألف فتاة اعتدى عليهن وتحرش بهن الصرب، وانتهكوا حرماتهن.

مئات الآلاف من الرجال والشباب من مسلمي البوسنة والهرسك قطعت رقابهم، ورأيناهم رأي العين مصورين بأجهزة «الفيديو» وهم محزوزو الرقاب، استمرت تلك المآسي ما يقرب من خمس سنوات والعالم كله، وفي مقدمتهم أمريكا، واقفة تتفرج في صمت، أما تدخل أمريكا بعد خمس سنوات من المجازر البارية فكان له سبب آخر:

أن الغرب الصليبي كان يترقب نهاية مسلمي البوسنة أمام الصرب الحقود المتعصب. ولما لم يحدث هذا، وقرر مسلمو البوسنة المضي في النضال، خشي الغرب أن يحقق مسلمو البوسنة انتصارا على الصرب، أو على الأقل يطول كفاحهم أمام الصرب، وهذا في نفسه يضاف إلى الإسلام والمؤمنين به، وهذا ما لايريده الغرب ولا أمريكا. ومن هنا قرر الغرب وأمريكا التدخل لوقف الحرب، حتى يقال إن الذي أوقف الحرب هي أمريكا والغرب، وحتى لا يقال: إن المسلمين صمدوا ولم يهزموا، أو إنهم حققوا انتصارا على ألد الخصوم في يوما ما من الأيام.

ورغم ذلك فإن دحر أعداء مسلمي البوسنة إنما هو ثمرة حلوة المذاق لجهادهم البطولي، الذي طبعهم عليه الإسلام، ليس لتدخل أحد من الخارج، لأن هذا التدخل نفسه إحدى ثمرات العمل الذاتي لأولئك الأبطال.

● أما إمداد أمريكا لمسلمي أفغانستان في حربهم ضد الروس، فلم ترد به أمريكا تحرير أفغانستان المسلمة من الأسر الروسي، وإنما كانت أمريكا تريد منع روسيا -عدوة أمريكا- من التوسع من جهة، وإلحاق الضعف بها من جهة أخرى، إبان وجود الاتحاد السوفيتي، والذي كانت أمريكا أو العالم الرأسمالي الغربي يخشاه، ويعمل له ألف حساب.

أما كوسوفو، فإن الذي كان يحاربهم وكر من أوكار الشيوعية التي كانت أمريكا تناصبها

العداء، وقد تباطأت أمريكا في التدخل كما تباطأت في البوسنة من قبل.

وللدكتور العميد أن يقارن بين هذه التباطؤات، وبين السرعة المذهلة، التي حدثت من أمريكا والغرب في مسألة تيمور الشرقية، وتيمور الغربية.

إن الغرب كله، وليست أمريكا وحدها، كان في قلب الأحداث بعد أربع وعشرين ساعة من حدوث المشكلة.

وجندت أمريكا كل قوى الغرب المادية والمعنوية حتى هيئة الأمم والبنك الدولي لخدمة الغرض المنشود في أسرع وقت من الزمان.

بينما لاتزال أمريكا تعارض إرسال قوات أمن دولية لحماية الشعب الفلسطيني الأعزل، من وحشية شارون وعصابات جيش الدفاع (الهجوم) ضد الشعب الفلسطيني، وتدنيس المقدسات، وانتهاك الحرمات، وإسالة الدماء، وإزهاق الأرواح وتحطيم المنشآت، وإحكام الحصار على الشعب الفلسطيني ورئيسه.

سؤال نوجهه إلى الدكتور العميد:

بم تفسر التباطؤات التي أشرنا إليها في قضايا الإسلام والمسلمين؟

وبم تفسر السرعة المذهلة في مشكلة تيمور الشرقية وتيمور الغربية؟

وبم تفسر اعتراض أمريكا على إرسال قوات أمن دولية إلى فلسطين؟ أهذا حب في الإسلام من أمريكا؟ أم لعداء له؟ نترك هذه الإجابات إليك شخصيا.

الفقرة الأخيرة: «وفيها يدعونا الدكتور العميد إلى أن نتعامل مع أمريكا على أساس المصالح، لا أساس العقائد»؟!

ونقول: هذه الدعوة أخطر على الأمة: حاضرها، ومستقبلها من غزو أمريكي جوي وبري وبحري شامل؟!

لأن العقيدة ليست محل مساومة، ولا هي سلعة تعرض للبيع والشراء، وهذا هدف قديم طرحه الاستعمار من قبل في بعض المعاهدات أو المؤتمرات بأن تنحو الدول الإسلامية في تشريعاتها منحى لا يرتبط بالعقيدة ولا الشريعة الإسلامية، وإنما يخضع لمفاهيم وأطر الحضارة الغربية الحديثة[٣]. وهذا أيضا ما فعلته دول الاستعمار في البلاد الإسلامية عربية وغير عربية.

وليست كل أشكال التعامل مع غيرنا، سواء كان أمريكا أو غير أمريكا تخضع لسلطان العقيدة، هذا محال. وإنما الذي نعنيه هنا محصور في بعض الصور أبرزها ثلاث:

● العقائد.

● التشريع.

● الأخلاق.

فهذه الميادين الثلاثة يجب أن تكتفي الأمة فيها بما لديها. ولا يجوز لها بحال أن تتطلع لغيرها فيها، وإلا أخرجت نفسها أمام ربها.

أما كافة صور التعامل الأخرى مما لا مساس له بالعقيدة ولا بالتشريع (الحلال والحرام) والأخلاق فلا حرج على الأمة فيها إذا تحققت فيها ضوابط

(٣) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي للدكتور محمد البهي مدير جامعة الأزهر الأسبق وزير الأوقاف الأسبق.

معينة، سواء كانت معدات أو خبرات بلا قيود وتفرض علينا.

أما إذا فرضت علينا قيود تمس هوية الأمة فلا والف لا.

ولا حرج علينا أن نتعامل مع مخالفينا فى العقائد أو الدين فى كل ما هو نافع، مع الحفاظ التام على كرامتنا وحرياتنا.

فإن كان الدكتور العميد يشير علينا بعدم الاكتراث بعقيدتنا حين نتعامل مع أمريكا أو غيرها، فهذه كبوة يتعذر النهوض منها أو يستحيل.

والويل للأمة كل الويل إذا باعت دينها نظير نفع عاجل فى هذه الحياة الدنيا. فما عندنا ينفد وما عند الله باق.

كلمة أخيرة

هذه هى أفكار الدكتور العميد -عبدالحميد الأنصارى- ناقشناها بكل حيدة وموضوعية، ورصدنا الكثير من مواقف أمريكا من قضايا العروبة والعرب، والإسلام والمسلمين، وقلنا إننا لم نشتر عداوة أمريكا، ولا نحن أعداء لها، وإنما مواقفها المتكررة المتعمدة هى التى حملتنا على القول بأن أمريكا عدو لنا، ونحن لسنا أعداءها، وحتى هذه اللحظة، أما قولنا إنها هى عدو لنا، فهذا القول رد فعل قهرى لسياسات أمريكا تجاه العرب والمسلمين والإسلام.

وإننا لنرجو أن يحدث تغيير فى سياسات أمريكا يجعلنا نعدل على اعتقادنا بأنها عدوة لنا، أما إذا استمرت على هذه المواقف فمن الغباء المستحكم أن نفهم أن أمريكا ليست عدوتنا، والأمر كما قال الشاعر:

العين تعرف من عينى محدثها
إن كان من حزبها أو من أعاديها

أما ما ذكره الدكتور العميد من حسنات أمريكا فإن الرد عليه جاهز، ومن أقصر طريق، لأن ما عده العميد إيجابيات لأمريكا معنا، النفع فيه مزدوج، حتى فى إمدادها لنا بالسلاح والتدريب وأشكال التكنولوجيا، فهذه الأمور نحصل عليها بالنقد العاجل، أو القروض بفوائد باهظة. فإن كان هذا محسن ومحسن إليه، فنحن المحسنون، وأمريكا هى المحسن إليها، لأننا فتحنا لها أسواقنا لترويج منتجاتها فى شتى الميادين، ولو أغلقنا أسواقنا أمام منتجاتها لأحدثنا شروخا غائرة وواسعة فى اقتصادها، ولقامت فى داخلها ثورات وضغوط من أصحاب الشركات والمصانع ضد الإدارة الأمريكية، التى تسببت لمنتجاتهم فى الكساد والبوار. ولن تجد أمريكا لأسواقنا بديلا.

أما نحن فسنجد عشرات المصادر الصناعية نتبادل معها التعامل فى حرية وكفاءة.

ومرة أخيرة نقول:

نحن لم نشتر عداوة أمريكا، وليس لنا مصلحة فى كون أمريكا عدوة. بل العكس، لكن بشرط أن تعرف أمريكا أننا أمة لها كرامة يجب أن تصان تحسن لمن أحسن إليها، وتصد عمن يسيء إليها مهما كان.

وصدق حكيمنا الذى قال:

«اعترف لى بحقى فى الحياة اعترف لك بذلك الحق. أمنى على حاضرى ومستقبلى لا أجد مبررا لمخاصمتك».

والحمد لله فى الأولى والآخرة.



من هو اليهودى ؟!

تأليف

د/ عبدالوهاب المسيرى

٢

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

على الرغم من أن دولة إسرائيل التي زرعت في الأرض الفلسطينية منذ منتصف القرن العشرين.. على الرغم من أن هذه الدولة تعلن أنها الممثل السياسي والواقعي ليهود العالم بما للأحزاب الدينية فيها من دور توجيهي، على الرغم من هذا!.. نراها -في الوقت نفسه- تعلن أنها تعتمد في مسارها على الأسس العلمانية الحادة، حتى بدت كياناً عائماً، غير واضح المعالم.

وفي تلك الدراسة التاريخية الجادة المتعمقة كشف الدكتور المسيري أن للضباب الذي يطوي الهوية اليهودية جذوراً تاريخية عميقة، وانتشاراً جغرافياً شاملاً.. كان له أثره البالغ في جعل الدولة الإسرائيلية كياناً اجتماعياً متعارض العناصر، متناقض المشارب، وظلت ملتقى لعدة تجمعات متنافرة الجذور والأعماق، وإن حاولت أن تبدو في السطح متلاحمة موحدة.

تباين الهويات اليهودية في التعريف الديني

وبعد أن أبرز الدكتور المسيري عسر -أو صعوبة- التعرف على الهوية اليهودية في ذلك الكيان الفسيفسائي الذي اتسم به الوجود اليهودي على مدى تلك القرون الممتدة منذ ما قبل الميلاد إلى أن ظهرت المجتمعات العلمانية التي زلزلت اليهودية الحاخامية، وعمقت عدم التجانس، أو أظهرت هذا التنافر المتخفي.

وبعد هذا.. أخذ الدكتور في استعراض الهويات اليهودية من خلال التعريف الديني لها، فذكر أن اليهودية -في العصور القديمة- كانت ديانة توحيدية في محيط وثني، ولكنها في العصور الوسطى الغربية، وفي العالم الإسلامي وجدت نفسها في محيط توحيدي إسلامي أو مسيحي، فحاول علماء اليهود أن يخلقوا هوة بين اليهودية وأعضاء الديانات التوحيدية الأخرى، فاصطنعوا (التلمود).

ومن هنا.. عُرِّف اليهودي بأنه من ولد لأم يهودية، أو من تهوَّد. وهو تعريف ديني قومي.

وقد صار هذا التعريف الإطار المرجعي لكثير من الكتابات، مع تضمنه إشكالية أساسية نشأت من أنه يعني: أن من ولد لأم يهودية يظل يهودياً، حتى لو لم يمارس تعاليم اليهودية؛ فهو يهودي بالمعنى العرقي الإثني. أما المتهود فعليه أن يقوم بتنفيذ جميع الأوامر والنواهي اليهودية.

وتظهر هذه المشكلة عند الإقراض: حيث يباح لليهودي أن يقرض غير اليهودي بالربا، فإذا ما طلب يهودي متنصر قرضاً ظهرت قضية يهوديته؛ فبعض الحاخامات يجيز إقراضه بالربا باعتباره ليس يهودياً، وبعضهم الآخر لا يجيزون ذلك لأنه ولد لأم يهودية.

وكان من أهم المشكلات التي واجهها الفقه اليهودي.. مشكلة يهود (المارانو) الذين لم يشركوا شبه جزيرة (إيبيريا) وتظاهروا باعتناق المسيحية، فعدهم الفقه اليهودي يهوداً. ولكن مع مرور الزمن ضعف انتماؤهم اليهودي، حتى أصبح من الصعب عليهم التأقلم مع اليهودية الحاخامية.

وقد خلق يهود (الدونمة) مشكلة أخرى، حيث أعلنوا الإسلام، وأسروا انتماءهم اليهودي، ولم يكن الفقه اليهودي منذ (موسى بن ميمون) يعد اعتناق الإسلام -في حالة الاضطرار- شركاً.

ولأن (الدونمة) لم يرغموا على اعتناق الإسلام، ولأن الحاخامات قابلوا ادعاءتهم بحرب شرسة، وأعلنوا أن ذلك منهم هرطقة وتجديف؛ لهذا وذاك كان من الصعب تقرير ما إذا كان (المارانو) ، والدونمة يهوداً أم لا.

فكانت مشكلة لم يحسمها الفقه اليهودي.

ثم ازدادت المشكلات تفاقماً مع ظهور العلمانية، فقد دخلت اليهودية في الغرب مرحلة الأزمة حيث ظهر فكر حركة التنوير، وظهرت اليهودية الإصلاحية، واليهودية المحافظة، واليهودية التجديدية.. فإن اليهودية الأرثوذكسية لم تعترف بأتباع هذه الفرق، ولا بحاخاماتها يهوداً.

هذا... إلى جانب انتشار نزعات الإلحاد والشك الديني بين اليهود، وظهور ما يسمى (اليهودية الإثنية) في الولايات المتحدة، وروسيا، وأوكرانيا، وغيرها.

و (اليهودية الإثنية) هي يهودية من لا يؤمنون بالعقيدة اليهودية، وإن كانوا يمارسون بعض شعائر باعتبارها شكلاً من أشكال (الفلكلور) الذي يدعم أثنيتهم وقوميتهم اليهودية.

كما ظهرت اليهودية الإنسانية التي لا تستند إلى الإيمان بالشريعة الموحى بها، وإنما الإيمان بالقيم الإنسانية العامة.

وظهرت جماعات أخرى مثل: جماعة العلماء اليهود الذين يؤمنون بأن الطب الحديث لا طائل من ورائه، وأن سر الشفاء يوجد في العهد القديم.

ومثل جماعة (اليهود من أجل المسيح) وهم الذين اعتنقوا المسيحية، واعتبروا المسيح هو الماشيح اليهودي.

وقد أصر كل هؤلاء على أن يُسموا (يهوداً) على الرغم من إلحادهم الكامل، أو رفضهم معظم مقولات الشريعة اليهودية؛ فلم يعد مصطلح (يهودي) حسب التعريف الحاخامي ينطبق على الغالبية العظمى ليهود العالم، ولا يوجد سوى أقلية صغيرة للغاية هي التي تلتزم بالشريعة اليهودية، وتحتفظ بلقب (يهودي) مثل تلك الغالبية العظمى، وتدعي لنفسها حق تقرير من هو اليهودي.

الواقع اليهودي في ظل هذا التباين

وخلص الدكتور المسيري من هذا الاستعراض إلى أن كلمة (يهودي) -منذ نهاية القرن التاسع عشر حتى ظهور الدولة الصهيونية) تشير إلى أشخاص يؤمنون بأنساق دينية متعارضة من بعض النواحي، وينتمون إلى تشكيلات حضارية مختلفة، تمثلت في عشرات الهويات والانتماءات الدينية، والوثنية، والطبقية، مثل:

١ - يهود اليديشية -وهم يهود شرق أوروبا أو الأشكناز- المتدينون والعالمانيون.

٢ - يهود العالم الغربي.

٣ - يهود أمريكا اللاتينية.

٤ - يهود الشرق والعالم الإسلامي، والعالم العربي.

٥ - الجماعات اليهودية المتفرقة (مثل الفلاشاة، ويهود بني إسرائيل).

وقد تم تصنيف هذه الجماعات إلى يهود

غربيين يسمون (الاشكناز)، ويهود شرقيين يسمون (السفارد) أحياناً برغم خطأ التسمية.

ويرى الدكتور أن هذه التقسيمات آخذة في الاختفاء، والاندماج في ثلاثة أقسام أساسية هي:

١ ـ الهوية اليهودية الجديدة التي ظهرت في المجتمعات الغربية الحديثة بملامحها الإثنية القومية، أو الدينية، ولكن البعد اليهودي فيها هامشي، لا تأثير له في سلوكها.

٢ ـ جيل (الصابرا) وهم الذين ظهروا داخل المستوطن الصهيوني، ولا تربطهم بأعضاء الجماعات اليهودية في العالم سوى روابط واهية، تشبه علاقة اليونانيين المحدثين بالإغريق القدامى.

٣ ـ الأرثوذكس، وهم يهود متدينون، يوجد أقلية صغيرة منهم خارج إسرائيل، وأقلية كبيرة داخلها.

فنحن أمام جماعات غير متجانسة، تفصل بعضها عن بعضها الآخر هوة الخلافات، وتتحدث عشرات اللغات واللهجات، وتقع ضمن تشكيلات اجتماعية وثقافية لا حصر لها، ابتداء من يهود الغرب المندمجين في مجتمعاتهم الرأسمالية، ومروراً بيهود اليمن، وانتهاء بيهود الفلاشاة في أثيوبيا.

وهذه الهوايات اليهودية المختلفة لا وجود لها خارج محيطها الحضاري، فإن فقد يهود الفلاشاة الأمهرية والجقرية والشعائر الدينية المختلفة التي استقوها من محيطهم الحضاري.. فإنهم يفقدون هويتهم التي يقال لها (يهودية).

ويسري الشيء نفسه على يهود الولايات المتحدة؛ فخصوصيتهم تابعة من انتمائهم إلى المجتمع الامريكي، ولا يمكن تخيلهم خارج هذا الخيط الثقافي.

وهذا يعني : أن هناك هويات يهودية مختلفة متعددة بتعدد المجتمعات التي تتواجد فيها هذه الهويات، لأن انفصالها النسبي لم يؤد بالضرورة إلى ترابط الواحدة مع الأخرى.

الهوية اليهودية في ظل العلمنة

ويواصل الدكتور المسيري رصده للهوية اليهودية في واقعها، فيكشف أن يهود الغرب خضعوا -بعد القرن التاسع عشر- لعملية ضخمة من العلمنة والتحديث التي لا تتبنى أية معايير دينية، أو أخلاقية للحكم على الفرد؛ إذ لا تحكم على الفرد إلا على أساس كفاءته، ومدى نفعه، وتكيفه مع قيم المجتمعات، بحيث يصبح مواطناً يتوجه ولاؤه نحو الدولة، قادراً على البيع والشراء، والبحث عن اللذة، وتعظيم الإنتاج، والإشباع، والقتال حينما يطلب منه ذلك.

ولأن هذه المجتمعات الغربية التي يعيش فيها اليهود الجدد لا تهتم كثيراً بالدين لم تعد ترى في اليهودي قاتل المسيح، أو عدوّ الإله، فهي مجتمعات فقدت الاكتراث بالشعائر المسيحية، والإحساس بقيمة الأعياد المسيحية، باستثناء (الكريسماس) الذي فرغ من مضمونه الديني، وأصبح مناسبة اجتماعية، وبدلاً من العقيدة المسيحية ظهرت مجموعة من العقائد العلمانية، مثل الوجودية، والماركسية، والنازية، والليبرالية، بل حتى الاستهلاكية يمكن أن يؤمن بها كل من يشاء.

في هذا المجتمع العلماني ظهرت الهوية

اليهودية الجديدة، التي يطلق على أصحابها (اليهود الجدد)؛ لتمييزهم عن يهود ما قبل القرن التاسع عشر.

وقد ساهمت خصوصية الولايات المتحدة الأمريكية في سرعة ظهور هذه الهوية اليهودية الجديدة.

ولذلك... يمكن القول : إن الهوية اليهودية الجديدة هي ثمرة التفاعل التلقائي واليومي بين أعضاء الجماعات اليهودية ومجتمعاتهم العلمانية، والقول : إن هذا التفاعل كان ثمرة التخطيط الواعي لبعض قيادات الجماعات اليهودية الفكرية الذين أدركوا ضرورة تحديث الهوية اليهودية لتتفق مع الأوضاع الجديدة.

وقد كان متصوراً أن تحديث الهوية اليهودية هو السبيل الوحيد لاحتفاظ اليهودي بيهوديته الدينية أو القومية.

ولكن ما حدث كان عكس المتوقع؛ إذ اندمج اليهود تماماً في مجتمعاتهم. أما البعد اليهودي في هويتهم فقد أصبح هامشياً للغاية، وتأكد أن الهوية اليهودية الجديدة هوية هشة رخوة، تنتمي إلى المظهر والقشرة، لا إلى المخبر والجوهر؛ فهذا اليهودي الجديد قد يذهب إلى المعبد، ولكنه يفعل ذلك مرة أو مرتين في السنة. أما الشعائر اليومية والأسبوعية والشهرية فقد اختفت، ولم يبق سوى بعض الشعائر السنوية، ذات الطابع الاحتفالي، والتي لا تتطلب أية عملية ضبط للذات، بل إن هذه الشعائر الاحتفالية لا تقام باعتبارها شعائر دينية، وإنما تقام باعتبارها حدثاً اجتماعياً.

وهذه اليهودية الجديدة لم تفرغ الهوية اليهودية من حقيقتها الدينية فحسب، بل فرغتها كذلك من مضمونها الإثني أو القومي، حتى إنهم تحوّلت لغتهم العبرية عن الحديث، اللهم إلا بعض المفردات التي قد ترد في ثنايا الحديث.

بل إن اليهود الجدد لا يتفاعلون مع ثقافة إسرائيل العبرية إلا باعتبارها ثقافة أجنبية، يربطهم بها اهتمام خاص.

وكان من أبرز علامات تآكل الهوية اليهودية وتهميشها :

١ - تزايد معدلات الزواج المختلط؛ فلم يعد اليهودي يتردد في الزواج من غير يهودي.

٢ - الاندماج الاقتصادي؛ فلم يعد اليهود يشكلون كتلة اقتصادية مستقلة داخل المجتمعات الغربية.

٣ - الاندماج الاجتماعي، فلم يعد يهود الغرب الجدد يعيشون في جيتوات) مقصورة عليهم، حتى اعتبر الحراك الاجتماعي من أهم أسباب تشتت اليهود الجدد وارتقائهم في سلم المجتمع في مراحل التعليم العالي.

ومن هنا.. يلاحظ الدكتور المسيري أن توجهات يهود العالم الغربي السياسية لا يختلف عن الأنماط السياسية السائدة في المجتمع، حتى في تأييدهم لإسرائيل وللصهيونية.

ويلاحظ أن أزمة الهوية، والإحساس بالاغتراب قد أصابا اليهود الجدد، كما أصابا المجتمعات الغربية، فراحوا يبحثون -في دأب- عن هوية، حتى إن المؤسسة الصهيونية -وقد أدركت هذه الحاجة النفسية للأمريكيين اليهود-

تقوم بتعميق إحساسهم بالمخاطر -الحقيقية أو الوهمية- المحيطة بهم، والمؤامرات التي تحاك ضدهم، وتؤكد على الإبادة النازية (الهولوكوست) .

وكان ثمرة ذلك .. أن أصبح الشكل الأساسي للهوية المعلنة بين الأمريكيين اليهود، واليهود الجدد هو إعلان الانتماء الصهيوني بشكل متشنج.

ويلاحظ الدكتور المسيري أن هذا الانتماء الصهيوني يخبيء الكثير من التناقضات والمفارقات التي من أبرزها :

١ ـ أن أسطورة الصهيونية -في محاولة التكيف مع الواقع الأمريكي- قضت على نفسها؛ فإذا كانت إسرائيل هي حقاً البلد الأصلي، فإن هذا يعني : أنه البلد الذي هاجر المهاجر منه، لا البلد الذي يهاجر إليه.

٢ ـ أن هذا الانتماء الصهيوني السطحي يساعد على مزيد من الاندماج والانصهار، كما يصبح معه مضمون الحياة اليهودية الوحيد مقصوراً على دفع التبرعات إلى إسرائيل، وحضور المظاهرات التي ينصرف بعدها هذا اليهودي الجديد إلى بيته الوثير في الضاحية.

وبذلك... نستطيع أن نصف اليهود الجدد بأنهم مقلوب (المارانو) .

فإذا كان (المارانو) يبطنون اليهودية، ويظهرون أي دين آخر، فإن هؤلاء اليهود الجدد يظهرون اليهودية بطريقة صاخبة يسلكون بها شتى المسالك التي تعلن عن يهوديتهم، ولكنهم -في الوقت ذاته- يبطنون العلمانية الملحدة ويباشرون الاستهلاكية الأمريكية.

اليهودي غير اليهودي واليهودي الذي يدعي اليهودية

ويضيف الدكتور المسيري إلى تلك الإشكاليات المتراكمة والناشئة إشكالية أخرى تولد شخصية جديدة في ظلال الصهيونية، هي شخصية (اليهودي غير اليهودي) التي تمثلت في ذوي الأصل اليهودي الذين فقدوا إيمانهم بمنظومتهم اليهودية، وقد جعلوا همهم القضاء على ما تبقى من جيوب قومية يهودية؛ ليدمجوا اليهود في مجتمعاتهم.

ورغم العداء الشرس من هؤلاء لليهود واليهودية... ظلت الجماهير الشعبية تصنفهم على أنهم يهود، حتى إن الثورة البلشفية كانت تُدعى (الثورة اليهودية) .

فهؤلاء الذين تآكل انتماؤهم اليهودي يصنفون على أنهم يهود إما من قبل ذواتهم أو من قبل الآخرين؛ أي إن يهوديتهم إما ادعاء ليس له ما يسانده في السلوك والرؤية، وإما فرض الصقه بهم الآخرون.

ولذلك... ترى الواحد منهم -عادة- لا يكترث بجوانب سلوكه أو شخصيته التي يسميها الآخرون (يهودية)، بل إنه ليحاول قدر استطاعته أن يبين أن يهوديته تلك هامشية.

ومن هنا... يمكن القول بأن كل الصهاينة (يهود غير يهود)؛ لأن المضمون اليهودي لحياة معظمهم يكاد يكون منعدماً، بل إنهم ليودون إلغاء الوجود اليهودي في العالم؛ ليحلوا محله نمطاً آخر يسمى (الإنسان العبري الجديد) .

وفي هذا الإطار الاندماجي ظهرت مقولة جديدة هي (يهودي بشكل ما).

أما اليهودي غير اليهودي الذي يتباهى باليهودية فهو نمط تماماً عن ذلك، حيث يتباهى بانتمائه اليهودي، مع أن حياته وسلوكه وهويته خالية تماماً من أي مضمون يهودي... ديني أو قومي.

ويلاحظ أن هذا النمط المدّعي قد ساد وانتشر بعد وعد (بلفور).

لقد كان التهود يعني : الانضمام لأقلية لها طقوسها وشعائرها ووظائفها التي تعزلها عن المجتمع.

ولكن -بعد ظهور الصهيونية، وإقامة دولة إسرائيل- صار هذا المصطلح يشمل من يدعي اليهودية وليست له أية جذور يهودية، واليهودي غير اليهودي، واليهودي بشكل ما... حيث أعاد هؤلاء اكتشاف علاقتهم باليهودية؛ ليفيدوا من التسهيلات المادية، والعينية والمنح المالية التي قدمتها الحركة الصهيونية لمن يهاجر إلى إسرائيل.

قرأينا اليهود المتخفين من مواطني السوفييت عادوا يؤكدون يهوديتهم... بعد أن كانوا قد سجلوا أنهم غير يهود، وانضم إليهم أعداد كبيرة لم يكونوا يهوداً من قبل، ادعوا اليهودية.

وحدث مثل ذلك في (مكسيكوسيتي)، وفي أثيوبيا، فالفلاشاة ليسوا يهوداً بالمعنى الحاخامي.

وقد أخذت هذه الظاهرة شكلاً حاداً في آسيا وأفريقيا، حيث بدأ أفراد بعض القبائل في آسيا وأفريقيا يعلنون يهوديتهم.

ومن هنا... عرّفت المحكمة الإسرائيلية العليا اليهوديَّ بأنه من يرى نفسه يهودياً... من كل ما خلق ورطة حقيقية للمستوطن الصهيوني، فتعالت الأصوات -ولأول مرة- مطالبة بإلغاء قانون العودة.

المعالجة الصهيونية لمشكلات الهوية

وذكر الدكتور المسيري أن اضطرار اليهود في الغرب إلى الاستجابة لمطالب الدولة القومية الحديثة بالتخلص من خصوصيتهم الدينية، والقومية، والعرقية، والتخلص من تمايزهم الوظيفي، والاقتصادي... اضطرارهم إلى هذا وذاك ألجأهم إلى اصطناع «اليهودية الإصلاحية» التي فصلت الهوية الدينية عن الهوية القومية، وعرفت اليهودية تعريفاً دينياً خالصاً. وماثلت (اليهودية الإصلاحية) في ذلك، (اليهودية الأرثوذكسية).

ومع تصاعد العلمنة اضطر هؤلاء وأولئك إلى التراجع عن البعد الديني، وإعادة تعريف الهوية اليهودية على أساس قومي علماني.

وما كان من يهود غرب أوروبا حدث مثله من يهود شرق أوروبا، ولكن تخلف أوروبا الشرقية كان وراء تأخرهم في ذلك، ووراء اختلاف الهوية، حيث طرحت عدة تصورات للهوية اليهودية تستند إلى تجربة أعضاء الجماعات اليهودية هناك.

وإزاء تفاقم المشكلات الناجمة عن هذا التعدد المفتوح للهويات... حاول الصهيونيون العلمانيون إعادة تعريف الهوية اليهودية تعريفاً يؤكد الجانب القومي، ولا يعنى بالجانب الديني

إلا بمقدار تعبيره عما يسمى (القومية اليهودية) .

ويرى الدكتور المسيرى أن الصهيونية فى أحد جوانبها تعد محاولة لإعادة تعريف اليهود، فهى محاولة مثل (اليهودية الإصلاحية) و(اليهودية الأرثوذكسية)، و(قومية الدياسبورا) .

فالصهيونيون يرون أن ثمة هوية قومية يهودية واحدة متميزة متجانسة تميز اليهود من سائر الأقوام والشعوب فى كل زمان ومكان .

١ ـ ومنهم من يرى أن هذه الهوية صادرة بفعل الضغوط الخارجية؛ فهى مجرد رد فعل لهجمات أعداء اليهود عليهم، أو بفعل الوضع الطبقى المتميز لهم فى المجتمع الغربى، فاليهودى ـبتلك الرؤيةـ يكتسب هويته من الغير .

٢ ـ ولكن معظم الاتجاهات الصهيونية ترى أن الهوية اليهودية شىء نابع من مصدر آخر، هو حركيات، ما يسمى (التاريخ اليهودى) المرتبط بفلسطين .

وبناء على هذا يرى الصهيونيون أن هوية يهود المنفى المندمجين إن هى إلا انحراف عن مسار هذا التاريخ .

ويرون أن تطبيع اليهود يعنى منحهم هوية يهودية جديدة سوية، هى (اليهودى مائة بالمائة) .

ولكنهم ـمع هذه الرؤية الموحدةـ تشعبت بهم السبل، فظهرت عدة تصورات لمصدر يهودية هذا اليهودى الخالص، كان من أبرزها: التعريف العرقى، التعريف القومى أو التراثى والتعريف الدينى .

١ ـ أما العرقيون فيرون اليهود عنصراً عرقياً متميزاً، ولذلك فهم يرون أن التزاوج من الأجانب سيؤدى إلى تدهور العرق اليهودى، وأنه لا بد من تأسيس وطن قومى .

ولكن تم التخلى عن هذا التعريف تماماً فى هذه الأيام؛ استجابة لما اتجه إليه الغرب من رفض النظريات العرقية .

٢ ـ وأما القوميون فيرون أن اليهود جماعة مترابطة، ذات تاريخ مشترك، وأن ثمة روابط تراثية بين اليهود منذ أربعة آلاف سنة . ويرون أن ما حفظ وحدة اليهود هو الدين اليهودى، لا من حيث هو عقيدة، وإنما من حيث هو إطار رمزى .

٣ ـ والدينيون يرون أن هوية اليهود القومية مصدرها الدين؛ إذ لا يمكن التفرقة بين القومية اليهودية، والعقيدة اليهودية، فاليهود أمة مقدسة، وكيان منعزل غريب مقدس، يكتسب هويته من علاقته الخاصة مع الرب .

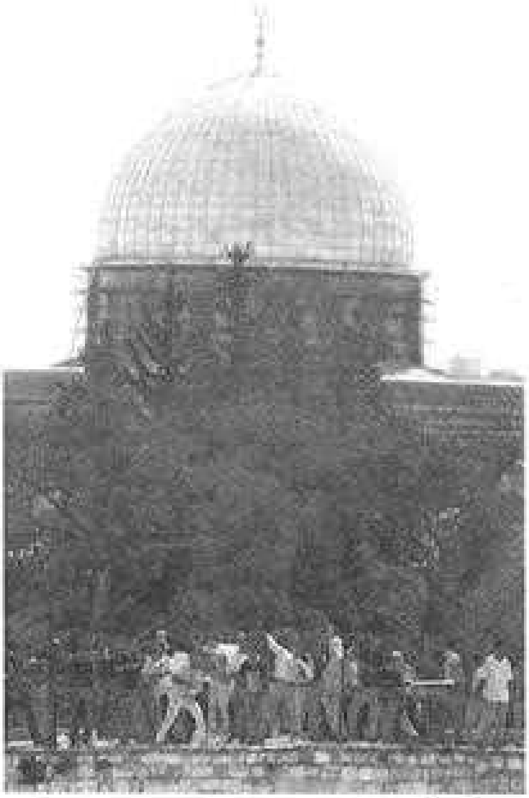
فمصدر الشرعية والقداسة ـفى القول الصهيونى العلمانىـ هو الشعب اليهودى ذاته، أما فى القول الدينى فإن مصدر الشرعية هو الحلول الإلهى فى هذا الشعب .

والتعريف السائد الآن ـفى المستوطن اليهودىـ هو التعريف الصهيونى اللادينى القومى بالدرجة الأولى . ويليه التعريف الصهيونى الدينى القومى .

ويلاحظ أن التعريف الدينى أخذ فى الانتشار منذ نهاية الستينيات، وأن الصراع بين التيارين يفجر قضية الهوية التى تفرض السؤال: من هو اليهودى؟

«يتبع»

الاقتصاد الإسرائيلى فى ظل انتفاضة الأقصى



للأستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد

يعانى الاقتصاد الإسرائيلى، فى معظم قطاعاته من أزمة اقتصادية طاحنة، منذ اندلاع انتفاضة الأقصى، التى أصابته بأضرار كبيرة، مازال يقاسى من آثارها حتى الآن خاصة قطاع السياحة الذى يعتمد عليه الكيان الصهيونى، اعتماداً أساسياً فى تمويل بنود ميزانيته العامة، فقد أدت الأخطار الأمنية للانتفاضة الوطنية للشعب الفلسطينى، سواء فى مناطق السلطة الفلسطينية، أو داخل إسرائيل، إلى انخفاض عدد السائحين إلى إسرائيل، وتباطؤ الحركة السياحية، وتدنى الدخل السياحى، بالإضافة إلى الاستغناء عن كثير من العاملين فى الفنادق، والمطاعم، والإرشاد السياحى، ومؤسسات النقل السياحى، ناهيك عن إلغاء العديد من الرحلات السياحية إلى إسرائيل بواسطة شركات السياحة فى الخارج.

ومن جهة أخرى، فإن هذه الأضرار لم تقتصر فقط على القطاع السياحي، بل امتدت آثارها أيضاً، إلى قطاع الزراعة والبناء والإسكان، فأصابته في الصميم حيث يمثل العمال الفلسطينيون ٢٥٪ من القوة العاملة في هذا القطاع، وقد رفض هؤلاء العمال الذهاب إلى أعمالهم داخل إسرائيل، رافعين شعار عدم التعاون مع العمل العبري، ومقاطعة شراء السلع الإسرائيلية، وترتب على هذا الوضع صعوبة تنفيذ مشروعات الزراعة والبناء، وتأخير الانتهاء من إتمام المشروعات القائمة في هذا القطاع، ومن ثم ارتفعت أصوات إسرائيلية تطالب بالاستعانة بالعمالة الأجنبية لإنهاء هذه المشروعات المتأخرة.

ومن اللافت للنظر أن الاستثمارات الأجنبية قد نالها نصيب من هذه الأضرار، إذ انخفضت معدلاتها في إسرائيل، بسبب عزوف أصحاب رؤوس الأموال عن استثمارها في الكيان الإسرائيلي نتيجة للأخطار الأمنية. وكما هو معلوم، اقتصادياً، أن رأس المال لا يمكنه أن يتجه إلا إلى مناطق مستقرة أمنياً وسياسياً، وبالتالي فقد حرمت انتفاضة الأقصى، الاقتصاد الإسرائيلي من الاستفادة من هذه الاستثمارات الأجنبية، وكان من نتيجته تدني معدل النمو الاقتصادي في إسرائيل، وارتفاع معدلات البطالة، وسيادة الركود الاقتصادي. لذلك فقد أبقى – خبراء الاقتصاد بشركة «ستاندرد فورس» المعنية بترتيب الدول، تبعاً لمستواها الاقتصادي – ترتيب الاقتصاد الإسرائيلي على ما هو عليه، غير أنهم هبطوا بطموحات ترتيبه من مستقر إلى سلبي. وهذا معناه في نظر هؤلاء الخبراء أن إسرائيل ستواجه صعوبات شديدة في الحصول على قروض، أو أي تسهيلات ائتمانية من الخارج، بالإضافة إلى ما تدفعه، في مقابل ذلك، من مبالغ طائلة".

وفي إطار التخفيف من الآثار السلبية للانتفاضة على الاقتصاد الإسرائيلي، بذل رئيس الوزراء الإسرائيلي «أرئيل شارون» جهوداً مضنية حتى حصل على تأييد غالبية أعضاء الكنيست (البرلمان الاسرائيلي) لخطة طوارئ اقتصادية تشمل خفضاً للنفقات على البرامج الاجتماعية، بقيمة ٦ مليارات شيكل، وزيادة الضرائب ٣ مليارات شيكل. وسوف أتناول بالتفصيل – بعد هذه العجالة – بيان هذه التأثيرات التي أصابت أهم قطاعات الاقتصاد الإسرائيلي بأضرار فادحة نتيجة للانتفاضة الوطنية للشعب الفلسطيني، ففي القطاع السياحي، كانت إسرائيل تتوقع أن يصل عدد السائحين إلى ٣,٢ مليون سائح في نهاية عام ٢٠٠٠، ولكنها فوجئت بتراجع ملحوظ في الحركة السياحية بنسبة ٥٠٪، وتوقف عدد السائحين عند ٢,٦٩ مليون سائح، وهذا ما أكده تقرير بنك إسرائيل رقم ٩٥، فقد أشار إلى أن الانتفاضة الفلسطينية أضرت كثيراً بالاقتصاد الإسرائيلي، خاصة في قطاع السياحة. وفي هذا السياق ذكرت وزارة السياحة الإسرائيلية أنه في خلال الشهور الخمسة الأولى للانتفاضة «من أكتوبر إلى فبراير ٢٠٠١» شوهد تراجع في عدد السائحين بنسبة ٤٤٪ قياساً بالفترة المقابلة عام ٢٠٠٠، وخسارة بلغت ٣ ملايين شيكل، واستغناء عن ١٢٠٠٠ عامل في فرع الفنادق، ونحو ١٢٠٠٠ عامل في فرع خدمات الضيافة والمآكل، وتشير الإحصاءات الصادرة عن وزارة السياحة أيضاً إلى أن انخفاضاً في الطلب على الغرف في فرع الفنادق بنسبة

٤٫٥٥٪ قد لوحظ في الربع الأول من عام ٢٠٠١ بالقياس بالفترة المقابلة من عام ٢٠٠٠، كما بلغ عدد ليالي المبيت في الفنادق خلال نفس الفترة ١٫١٩٤٫٠٠٠ ليلة في مقابل ٢٫٦٧٣٫٠٠٠ ليلة خلال الربع الأول من عام ٢٠٠٠. وإذا كانت السياحة، بصفة عامة، تعتمد على التنظيم المنسق والتخطيط طويل الأجل، فقد أثرت الانتفاضة سلبياً في خطط الشركات السياحية الكبرى العاملة في الخارج، والمعنية بتنظيم الرحلات إلى إسرائيل، وأصبح المسئولون عن تنظيم السياحة الوافدة إلى اسرائيل قلقين على مصير السياحة في السنوات القادمة، لا سيما أن شركات التعهدات السياحية الكبرى، والمنظمات الدينية المسيحية في الخارج، المسئولة عن تقرير وجهة السياح، هي التي تتولى وضع برامج الرحلات الخارجية مقدماً، ولعدة سنوات قادمة، وهذا ما أثار مخاوف إسرائيل على السياحة الوافدة إليها من الخارج، لذلك ترصد إدارة التسويق في وزارة السياحة الإسرائيلية ما يعادل نحو ٤٥ مليون شيكل لدعم شركات التعهدات السياحية الخارجية لتتفادى بذلك احتمالات شطب إسرائيل من برامجها السياحية. أما فيما يتعلق بالوضع السياحي الحالي في إسرائيل، فيشير مكتب الاحصاءات المركزي الإسرائيلي في أحد تقاريره أنه قد حدث تراجع في عدد السائحين الذين زاروا إسرائيل في الشهور السبعة الأولى من عام ٢٠٠٢ بنسبة ٤١٪ بالقياس بالفترة نفسها من عام ٢٠٠١، وأن عدد السائحين الذين وصلوا إلى إسرائيل في الفترة من يناير إلى يوليو ٢٠٠٢ بلغ حوالي ٤٧٣ ألف سائح مقابل ٨٠٧ آلاف سائح بالقياس بنفس الفترة من عام ٢٠٠١، وأن ٧٣٢٥ سائحاً فقط قاموا بزيارة إسرائيل في شهر يوليو ٢٠٠٢ مقابل ١٣ ألف سائح خلال الشهر نفسه من عام ٢٠٠١. ويذكر التقرير أيضا أنه في حالة استمرار هذا المعدل في الفترة المتبقية من عام ٢٠٠٢، فستصبح السياحة في أدنى مستوياتها.

ومن الثابت أيضا في هذه الأحصاءات الإسرائيلية حدوث تراجع في دخل السياحة الإسرائيلية من ٤ مليارات دولار إلى ٢ مليار دولار، واحتمال الاستغناء عن ٧٠ ألف عامل في قطاع الفنادق والمطاعم والإرشاد السياحي. أما فيما يتعلق بقطاع الزراعة والبناء والإسكان، فإنه في أواخر مارس ٢٠٠١ قام رئيس اتحاد منظمات المزارعين في إسرائيل بتقدير الأضرار التي لحقت بقطاع الزراعة بسبب نقص العمالة الفلسطينية في هذا القطاع، منذ اندلاع الانتفاضة، فبلغت نحو ١٥٠ مليون شيكل، ولذلك طلب رئيس الاتحاد من رئيس الوزراء «شارون» جلب ٢٠٠٠ عامل زراعي من تايلاند بدلاً من العمال الفلسطينيين الذين رفضوا العمل في القطاع الزراعي في إسرائيل. وفي قطاع البناء والإسكان نجد أن العمالة الفلسطينية تشكل حوالي ٢٥٪ من قوة العمل في هذا القطاع. ومع امتناع العمال الفلسطينيين - بسبب الانتفاضة - عن التعاون مع مسئولي البناء والإسكان، طلب المدير العام لاتحاد المقاولين الإسرائيلي من وزارة العمل التصريح لحوالي ١٤٠٠٠ عامل أجنبي ليحلُّوا محل العمالة الفلسطينية الرافضة، معللاً طلبه بقوله: «أن الوضع الأمني الحالي يترك قطاع البناء بلا عمل، وثمة ضرورة ملحة تستدعي استقدام ١٤٠٠٠ عامل أجنبي إضافي خشية تعرض قطاع البناء، والبنى التحتية للتوقف محلياً

خلال الفترة القادمة». وجدير بالذكر أن الطلب على المساكن، قد أضير، أيضاً، بسبب حالة عدم اليقين الأمني، إذ أن الأفراد الذين كان من المقرر، أنهم يخططون لشراء مسكن في مناطق، تفاقم فيها الخطر الأمني فجأة، بسبب الانتفاضة، فضلوا تأجيل الشراء إلى حين استقرار الأوضاع الأمنية. كما تأثر الطلب على المساكن أيضاً بسبب انخفاض الهجرة اليهودية الوافدة إلى إسرائيل لدواع أمنية، فقد بلغ عدد المهاجرين اليهود إلى إسرائيل - منذ بداية عام ٢٠٠١ وحتى يوليو من نفس العام - ٢٤٠٠٠ مهاجر يهودى فى مقابل ٣٢٠٠٠ مهاجر يهودى عام ٢٠٠٠ خلال نفس الفترة. كما تراجع النشاط في مجال البناء والإسكان بنسبة ١٠٪ في عدد الصفقات التي عقدت لشراء مساكن خلال الشهور السبعة الأولى من عام ٢٠٠١، قياساً بنفس الفترة من عام ٢٠٠٠. ومن اللافت للانتباه أنه منذ أكتوبر ٢٠٠٠ وفى بداية انتفاضة الأقصى، تم إغلاق ما لا يقل عن ٢٥ فندقاً في إسرائيل، عشرة منها في مدينة الناصرة وحدها، بالإضافة إلى حالة الجمود التي أصابت سوق العقارات في المناطق الحلقية من تل أبيب حيث تتمركز صناعة التكنولوجيا المتطورة.

وفى القدس، قيل أنه شوهدت الشقق السكنية الواقعة على منحدرات التلال المطلة على مسرح المواجهات مع الفلسطينيين، خالية تماماً من ساكنيها.

ولا يفوتنى الإشارة إلى أن تأثير الانتفاضة، امتد أيضاً إلى المستعمرات اليهودية، وهذا ما ذكره «دانييل بن سيمون» في مقاله بجريدة «هآرتس» الإسرائيلية في ٢/٣/٢٠٠١ بقوله: «إن أول حى سكنى في مستعمرة «هارجوما» شمالي بيت لحم بالقرب من حى «جيلو» الاستيطاني، الذى يشمل على أكثر من ٢٠٠٠ وحدة سكنية، لا يلاقى إقبالاً من المستوطنين بسبب الأخطار الأمنية».

وهذا يُبيِّن بوضوح الرعب الذى يسيطر على المستوطنين اليهود ويجعلهم لا يقبلون السكن في هذه المستوطنات التي تعانى من الأخطار الأمنية بسبب الانتفاضة الباسلة للشعب الفلسطينى. أما فيما يتصل بالاستثمارات الأجنبية فى إسرائيل فيشير الخبراء الاقتصاديون في «دائرة العملة الصعبة» في بنك إسرائيل إلى أن انتفاضة الأقصى قد أضرت كثيراً بتدفق الاستثمارات الأجنبية إلى إسرائيل إذ بلغ إجمالى هذه الاستثمارات فى إسرائيل ١,٦ مليار دولار خلال الربع الأخير من عام ٢٠٠٠ مقابل ٣,٣٧ مليار دولار خلال الأرباع الثلاثة الأولى من نفس العام، وتخشى الدوائر الاقتصادية الإسرائيلية أن تصل الأزمة إلى قطاع التكنولوجيا المتطورة الذى يشكل المحور الرئيسى في الازدهار الاقتصادى الذى حققه الاقتصاد الإسرائيلى خلال السنوات الإثنى عشرة الماضية. وفى هذا السياق، جاء تصريح مدير «دائرة العملة الصعبة» في بنك إسرائيل بقوله: «إذا تفاقمت الحوادث الأمنية، فمن المتوقع أن يصاب القطاع المالي بضرر بليغ، يتمثل في تراجع تدفق رؤوس الأموال لفرع التكنولوجيا المتطورة، قد ينجم عنه ضغوط على سوق العملة الصعبة، وسوق الأسهم، وانخفاض في سعر صرف الشيكل». ومن جهة أخرى يُجمع رجال الاقتصاد في إسرائيل على أنه إذا استمرت الانتفاضة الفلسطينية، وما يصاحبها من تدهور أمني، قد يلجأ المستثمر الأجنبى إلى

إعادة استثمار أمواله خارج إسرائيل. ومن هذا المنطلق تأتي الخطورة، إذ سيرتفع الطلب على العملة الصعبة، وسيرتفع سعرها، ويترتب، تبعاً لذلك، انخفاض سعر الشيكل، وحدوث موجات تضخمية متزايدة، وتصفية الاحتياطي الإسرائيلي من العملات الصعبة، مما يؤدي إلى ارتفاع في أسعار العملات الصعبة ارتفاعاً شديداً، وهذا ما يخيف الدوائر الاقتصادية في إسرائيل، ويقلقها كثيراً.

وأخيراً لن يتبقى سوى قطاع الصناعة الذي لم يفلت أيضاً من آثار الانتفاضة، إذ تشير الإحصاءات الإسرائيلية إلى أنه خلال الشهور الخمسة الأولى منها هبطت مبيعات الصناعة الإسرائيلية بنسبة تتراوح بين ٣٠٪ – ٥٠٪، أي ما يعادل ٣٠٠–٥٠٠ مليون شيكل. ويذكر رئيس الشعبة الاقتصادية في اتحاد الصناعيين « أن نسبة التراجع في النمو الصناعي بلغت ٣,٤٪ خلال الربع الأخير من عام ٢٠٠٠، وأنه فُصل ٤٥٠٠ عامل بنسبة ١,١٪ من العاملين في الصناعة ». ومن ناحية أخرى يصف المعلق الاقتصادي الإسرائيلي « إبراهام طال » الوضع الاقتصادي المتردي لإسرائيل، وذلك بجريدة « هآرتس » الإسرائيلية بتاريخ ٥/٣/٢٠٠١، فيقول: « إن أكتوبر ونوفمبر، أول شهرين من الانتفاضة شهد انحساراً في النشاط الاقتصادي، يمكن وصفه بالانهيار ».

وليس بعد ذلك من شهادة صريحة من جانب أحد المعلقين الاقتصاديين اليهود، بمدى الانهيار الذي أصاب الاقتصاد الإسرائيلي، من جراء انتفاضة الأقصى. ومن الأهمية بمكان أن نلفت الانتباه إلى أنه كان للانتفاضة أيضاً تأثيراتها السلبية على « المناطق الصناعية الحدودية » التي تقع على الحدود بين إسرائيل ومناطق السلطة الفلسطينية، لكن قسماً منها يقع في عمق المناطق الفلسطينية مثل « عطروت »، شمالي القدس، و« برقان » في منطقة نابلس، و« إيريز »، و« دكرتي » على حدود غزة، و« نفيه كاليم » داخل قطاع غزة. وجدير بالذكر أن هذه المناطق الصناعية أنشئت في الأراضي العربية المحتلة بعد عام ١٩٦٧، وقامت سلطات الاحتلال الإسرائيلي بتوسيعها عقب اتفاق أوسلو ١٩٩٣. وترتكز هذه المناطق الصناعية على عنصرين رئيسيين: الأول استثمارات إسرائيلية، والثاني عمالة فلسطينية. ومن الملاحظ أن منطقة « عطروت » الصناعية تضم ٢٠٠ مصنع، وتستخدم ٤٠٠٠ عامل، وقد تعرضت لخسارة توازي ٣٠٠ مليون شيكل، منذ بداية الانتفاضة، بالإضافة إلى انخفاض مبيعاتها بنسبة ٥٠٪، وفوق ذلك توقف ما يزيد على ٥٠٪ من العمالة الفلسطينية المستخدمة عن العمل، وتأجيل تنفيذ استثمارات في هذه المنطقة بما يعادل ١٢٠ مليون شيكل، كانت مخصصة لإنشاء عدة مصانع جديدة، وتوسيع مناطق قائمة، وذلك لدواع أمنية.

وفي الختام يمكن القول أن الانتفاضة الوطنية للشعب الفلسطيني أثرت سلباً على الاقتصاد الإسرائيلي، وأوقعته في أزمة اقتصادية حادة، يحاول خبراء الاقتصاد الإسرائيليون الخروج منها، وهذا ما أكده «دكتور ديفيد كلاين» محافظ بنك إسرائيل في محاضرته أمام مؤتمر «قيسارية» الاقتصادي عندما ذكر أن الوضع الأمني كان سبباً في الأزمة الاقتصادية التي تعاني منها إسرائيل الآن.

بعد النكبة

للشاعر العراقي الكبير الأستاذ
محمد بهجة الأثري(*)

يا أباةَ الضَّيمِ من مُضَرٍ ... هل لكُمْ في الأرضِ من خَبَرِ(١)
آيةً ولَّى الزمانُ بكُمْ ... بينَ سمعِ الأرضِ والبصرِ؟(٢)
غابَ عن سمعي زئيرُكُمُ ... حينَ نابَ العزفُ بالوترِ

***

كيفَ يُدني نُجْحَهُ وطنٌ ... ما لَهُ في المجدِ من وطرِ؟(٣)
حظُّ رُوَّادِ العلاءِ لَهُ ... حظُّ مغبونٍ من البشرِ(٤)
وطنٌ باتَتْ مغارِمُهُ ... نهبَ أوْشابٍ من الزُّمَرِ(٥)
لعبتْ أيدي الطُّغاةِ بهِ ... لعبَ الصبيانِ بالأُكَرِ(٦)
وعَنَتْ في النَّاسِ مُفْسِدةٌ ... سادةَ البادينَ والحَضَرِ
وكأنَّ النَّاسَ في عَمَهٍ ... من ضلالِ النفسِ مُعْتَكِرِ(٧)
كُلُّ من تلقاهُ مُنْتَبِذٌ ... عن مجالِ الجِدِّ والخطرِ(٨)
يُؤثِرُ السَّفسافَ مَعْجِزَةً ... ويُجافي طيبَ النَّبْرِ(٩)

(*) الشيخ بهجة الأثري من رجالات العراق وعضو المجامع العربية في القاهرة ودمشق وبغداد.

(١) مضر: والد العرب.

(٢) أيّة: في أي مكان.

(٣) يدني: يقرب. وطر: مأرب.

(٤) مغبون: منحوس.

(٥) أوشاب: أخلاط. الزمر: الجماعات.

(٦) الأكر: جمع أكرة، وهي الكرة.

(٧) عمه: ضلال. معتكر: مظلم.

(٨) منتبذ: بعيد.

(٩) السفساف: التافه الحقير. معجزة: ضعف.

فإذا زينت مكرمة ... مالت الأعناق من ضجر
وإذا جاهدت منكرة ... جاءك المكروه كالمطر
عاد مذموما، بلا نظر، ... كل محمود من الفكر![10]

***

أيها اللاهون في وطن ... وطن العادين بالغير[11]
هل أمنتم بغيهم سفها ... وهم منكم مدى النظر؟[12]
جدهم جد وجدكم ... هزل مجان من الغثر[13]
في (فلسطين) لكم عبر ... لو أفدتم حظ معتبر[14]
قطعوها، وهي آمنة ... مثل قطع الشاة بالشفر[15]
ريع أهلوها، فما انتصروا ... بل لقد أوذوا بمنتصر[16]
رب من أيدي حماتها ... شقيت منه بذي خور[17]
خاذل في زي منتصر ... عاجز في ثوب مقتدر[18]
أين أهلوها.. غدوا بددا ... ما لهم في الأرض من وزر[19]
يالأعراض بها هتكت ... لم تجد عونا على الخفر[20]
يالأرواح بها قتلت ... لم تجد ركزا لمزدجر[21]
أدهقوا الكاسات واصطبحوا ... طابت الدنيا لذي الأشر[22]
يمرح الغاوون من طرب ... مرح الغادات في الحبر[23]

---

(١٠) بلا نظر: بلا عقل ورأي.
(١١) الغير: النوائب.
(١٢) بغيهم: اعتداؤهم.
(١٣) الغثر: الرعاع.
(١٤) عبر: عظات.
(١٥) الشفرة: حد السكين.
(١٦) ريع: فزع، المنتصر: من دعوته للنصرة.
(١٧) خور: ضعف.
(١٨) زي: هيئة.
(١٩) بددا: متفرقين، وزر: ملجأ.
(٢٠) خفر: حياء.
(٢١) ركزا: صوتا.
(٢٢) أدهقوا: ملئوا، اصطبحوا: شربوا الخمر في الصباح، الأشر: البطر.
(٢٣) الحبر: ملابس الحرير.

مـا عليـهمْ إنْ هُمْ نعِمُوا … أنْ يعيثَ الذئبُ في الحُمُرِ[٢٤]

***

قُلْ لمغرورين قدْ سفِهوا … أنفساً نامتْ عن العِبَرِ[٢٥]

غدُكُمْ.. ساعٍ على قدمٍ … وغدٌ.. أدنى لمنتظِرِ[٢٦]

إنْ منْ أجلَوْا عمومتَكُمْ … حاضرو العُدوانِ والضررِ[٢٧]

ولقدْ شادُوا قلاعهُمْ … في تُخُومِ البيدِ والمدرِ[٢٨]

وأعدُّوا منْ فوافرِهِمْ … كلَّ ماضي الحدِّ كالقدرِ[٢٩]

في جُنُودٍ لا عِدادَ لها … ولظىً تطغى على سقرِ[٣٠]

ووراءَ النارِ أفئدةٌ … تغتلي بالحقدِ والشررِ[٣١]

وأراكُمْ في بُلَهْنِيَةٍ … منْ لذاذاتٍ ومنْ سمرِ[٣٢]

ما لكُمْ في الناسِ واقيةٌ … غيرَ ألقابٍ لمُفتخِرِ[٣٣]

رُقيةٌ منْ كلِّ نازلةٍ … عوذةٌ تنفي أذى النظرِ[٣٤]

علِّقوها في مواطنكُمْ … ينهزمْ باغٍ ويندحرِ![٣٥]

فيمَ إعدادُ القُوى لغدٍ؟ … حسبُكُمْ شُربٌ على الطُّررِ![٣٦]

رُبَّ جامٍ في تلهِّيهِ … بالطِّلا يحكي سنا الدُّررِ[٣٧]

باتَ مشروباً على قمرٍ … حُسنُهُ يُزري على (القمرِ)[٣٨]

كذبتْ أوهامُ عيشكُمْ … كُلُّكُمْ غادٍ على الخطرِ[٣٩]

---

(٢٤) يعيث: يفسد ويقتل.

(٢٥) العبر: العظات.

(٢٦) أدنى: أقرب.

(٢٧) عمومتكم: أقاربكم الأدنون.

(٢٨) المدر: الحواضر.

(٢٩) فوافرهم: نوافيهم، ماضٍ: قاطع.

(٣٠) سقر: جهنم.

(٣١) الشرر: لهيب البغضاء.

(٣٢) بلهنية: نعيم.

(٣٣) واقية: مانعة.

(٣٤) عوذة: تعويذة لمنع الحسد.

(٣٥) الضمير يعود إلى الرقية والتعويذة.

(٣٦) الطرر: يريد الوجوه الحسان.

(٣٧) جام: كأس، الطلا: الخمر.

(٣٨) قمر: حسناء جميلة.

(٣٩) الخطر: الشر العظيم.

يشحذ (الجزار) شفرته … وتنام الشاة في غرر(40)

غافلات في حظائرها … والردى دان مع السحر(41)

***

يوقظ الساهين من سنة … صائح الأيام بالنذر(42)

وأراكم لا ينبهكم … صور (إسرافيل) من خدر(43)

كلما زيد الهتاف بكم … زاد فيكم عنصر الحجر(44)

(لليهود) اليوم ذلتكم … وغدا لا شك (للنور)!(45)

خبروني.. أين حسكم … لأزيد الوخز بالإبر؟

شككت نفسي مهانتكم … إنكم يا قوم من مضر!(46)

***

كيف تحيا أمة ودعت … في زمان صال كالنمر؟!(47)

تحمل الريحان في يدها … وهو دامي الناب والظفر!(48)

وترود السلم في أمم … تتحرى مقتل الأخر(49)

ويحها.. ! ماذا يراودها … من خيالات ومن سدر؟(50)

أتراها غاب من خدر … وغبيها؟ أم نام من سكر؟

أم غرتها في تخبطها … ظلمة غطت على البصر؟

ذاك - والله - الغباء.. إذا … لم يكن أفعال منتحر!

---

(40) الشفرة: حد المدية. غرر: غفلة.

(41) دان: قريب آت.

(42) سنة: نوم.

(43) صور: بوق. خدر: سكر.

(44) الهتاف: النداء. عنصر الحجر: يريد عدم الإحساس.

(45) النور: الفجر.

(46) مهانتكم: ذلتكم.

(47) ودعت: استكانت.

(48) دامي الناب: يخبىء الخطر ويستره.

(49) ترود: تطلب. تتحرى: تبتغي.

(50) سدر: غفلة.

خطبة الجمعة

الإسلام والتفرقة العنصرية

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصي

الحمد لله عز وجل، أوضح الحق وحث عليه:

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(١)

أشهد أن لا إله إلا الله، يميز الخبيث من الطيب، ويفرق بين الضلال والهدى:

﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾(٢).

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، ثبت دعائم اليقين والإيمان، وأقام دعوة العدالة والإنصاف، فعليه صلوات ربه وسلامه، وعلى آله القائمين بالحق، وأصحابه الناطقين بالصدق، وأتباعه الهادين للخلق:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾(٣).

من الأمور الواضحة أن مبادىء الإسلام بحاجة إلى نشر بين أهله وغير أهله، بينما تنتشر في أرجاء العالم دعايات كثيرة مختلفة تجند لها الجنود، وتحشد من أجلها الحشود، وهناك الآن فرصة مواتية للإعلان عن عظمة الإسلام، وهي فرصة ما تسمعه وتطالعه من أخبار عن

(١) آل عمران (١٠٤).

(٢) الأنعام (١٠٤).

(٣) فصلت (٣٣).

الحوادث الدامية المخجلة التى تقع فى أمريكا وأوربا ومستعمراتها بسبب التفرقة العنصرية بين البيض والسود، ففى القارتين الكبيرتين اللتين طال منهما الحديث عن الحرية والإخاء والمساواة، واللتين امتد منهما الادعاء بأنهما حاميتان للعدالة والإنسانية والحقوق البشرية والأخوة العالمية، تقع أحداث مخزية، لا محرك لها سوى أن الرجل الأبيض الذى يدعى أنه مؤدب ومهذب ومثقف، يضيق بلون الرجل الأسود، مهما كانت درجة ثقافته، فهو من أجل هذا يريد القضاء على مئة وخمسين مليوناً من السود فى الأرض، لا لعيب فيهم، ولا لذنب جنوه، سوى أن البارئ المقتدر خلقهم بلون أسمر لا بلون أبيض.

فالبيض فى الغرب يطردون السود من الجامعات والفنادق والمطاعم. ويركلونهم فى الشوارع بالأقدام، ويطعنونهم بالمدى والخناجر، ويحرمونهم حقوقهم الطبيعية الأساسية التى جعلها الخالق العظيم حقاً مشاعاً لكل إنسان، وهم يضطهدونهم حتى فى العبادة، فالسود محرومون من الدخول إلى كنائس البيض، كأن للبيض رباً وديناً عندهم، وللسود رباً وديناً، فأين هذا من هدى الإسلام العظيم الذى يقرر أن الرب واحد، وأن الرسول واحد، والكتاب واحد، والمسجد واحد، والخادم الفقير يقف بجوار أكبر فرد فى الأمة أثناء الصلاة، ويسير إلى جواره كتفاً بكتف أثناء الطواف حول الكعبة، وأثناء السعى بين الصفا والمروة، وفى غير ذلك من العبادات؟!

وتصل بهؤلاء شناعة التفرقة العنصرية إلى التمييز بين البيض والسود حتى فى القانون والعقاب، فهذا رجل أسود يسرق دولارين فيحكم عليه البيض بالإعدام جزاء لهذه السرقة، ونحن لسنا من أنصار السلب والنهب، ولكننا من أنصار العدالة والحياء، وهذا الحكم لا عدالة فيه، لأن قانونهم العام نفسه لا يقضى به، وليس فيه رائحة حياء، لأنه يوجد فى الغرب مئات آلاف سرقوا الملايين ولم يلاقوا الجزاء، ونهبوا الأمم وأزهقوا أرواح الشعوب وما زالوا طلقاء، ولقد دخل الرجل الأبيض أفريقيا فحمل إليها الذل والهوان، ونشر فيها تجارة الرقيق، ونهب من خيراتها ما نهب، وسلب من أجلها ما سلب، ثم بقى سالماً، وزاد فتبجح وزعم أنه حمل إلى أفريقيا المدنية والنور.

إنها نكبة يتطلب أهلها النجدة، وإنه سرطان خبيث يتفشى ويحتاج إلى الدواء والعلاج، وإنه بلاء يصيب الإنسانية فى صميمها، فتتطلع ذات اليمين وذات الشمال باحثة عمن يعيد إليها إيمانها بنفسها، وثقتها بدينها، واستقامتها على طريق ينقذها من هذا البلاء.. وهنا تتهيأ الفرصة لأبناء الإسلام كى يبشروا به، ويدلوا الناس عليه، لينعموا بما شرعه من حرية وعدالة وإنصاف. ولن تكون فائدة هذا الخير مقصورة على المجال

الدينى وحده، بل سيفيدنا أعظم الفوائد فى الحالات القومية والوطنية، لأن الإسلام له تاريخه الطويل العاطر بمفاخر أجدادنا، فكأننا سننشر جوانب من مآثرنا وصفحات من ماضينا، ولأن الإسلام قارورة دواء ومضخة إطفاء، فمن اهتدى إليه على أيدينا من الحائرين فى الغرب سيعتبرنا مرشدين له هادين إياه إلى صراط المستقيم والنور المبين.

إن الإسلام حينما يعرفه أولئك الملونون الأشقياء باضطهاد البيض ويعرفون ما يدعو إليه من أخوة وتسامح ومساواة بين الناس سيكون أقوى جاذب لهم إلى رحابه وكتابه، فإن القرآن المجيد يضع قاعدة الأخوة الإنسانية الراسخة حين يهتف بالبشر جميعاً فيقول لهم:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾(٤).

كما يضع القاعدة الصريحة فى التفضيل بين الناس، فلا يجعلها قائمة على اللون أو المال أو النسب، بل يجعلها قائمة على الاستقامة والعمل الصالح فيقول:

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾(٥).

ويقول:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾(٦).

ولقد قال أحد الذين يدعون الانتساب إلى الأشراف لرجل آخر: لعلك تتزوج بشريفة. فقال الرجل: قد فعلت. قال المدعى للشرف: ممن؟ قال: من الذين قال الله فيهم:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾

وهذا أبو لهب القرشى الغنى المقتدر بين أهله يأتى إلى رسول الله ﷺ وهو الذى أرسله ربه للناس جميعاً، وجعله رحمة للعالمين، يأتيه أبو لهب مزهواً بحسبه وجنسه وماله ومكانته فيقول: ماذا أُعطى إن آمنت بك يا محمد؟ فيجيب الرسول فى هدوء: «كما يعطى المسلمون». فيقول أبو لهب مستنكراً هذه المساواة: أما لى عليهم فضل؟ فيجيبه: «وأى شئ تبغى؟» فضاق أبو لهب بهذا الدين السمح الكريم، الذى يسوى بين الحر والعبد، والأبيض والأسود، والغنى والفقير، وعبر أبو لهب عن ضيقه وفجوره بقوله الأثيم: تبا لهذا من دين أن أكون أنا وهؤلاء سواء، فكان الرد على ذلك التبجح أن نزل القرآن يقول:

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ① مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ② سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ③ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ④ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾(٧).

---

(٤) النساء (١)

(٥) الحجرات (١٣)

(٦) البينة (٧)

(٧) المسد

ولم يغن أبا لهب شئ، لم يغنه قومه ولا حسبه ولا ماله، لأن الأسباب أمام الإسلام تتقطع، والأحساب تضيع، ولا يبقى إلا سبب الإيمان وحسب اليقين.

ولقد سمع نبى الإسلام رجلا يقول يا ابن السوداء. فغضب محمد غضبته وقال: «طف الصاع (أى طفح الكيل) أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية، ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى والعمل الصالح» فهل يسمع هذا الذين وقعوا وثيقة حقوق الإنسان من سنوات؟

وهذا تاريخ الإسلام يزدان بسير الأقطاب الأعلام الذين كان لونهم أسود ولكنهم بأخوة الإسلام مع كفاحهم العظيم بلغوا أرفع الدرجات بين الناس وهذا مثلا عطاء بن أبى رباح سيد التابعين علماً وعملاً، وفقيه مكة والحرم، وخليفة ابن عباس فى الإفتاء والذى كان يقال لأهل مكة عنه: كيف كان عطاء ابن أبى رباح فيكم! فيجيبون: كان مثل العافية التى لا يعرف فضلها حتى تفقد. وكان عطاء هذا أسود أعور أفطس أشل أعرج، ثم كف بصره، وكانت أمه سوداء تسمى «بركة»!

وهذا عمر بن عبدالعزيز يعرف أخوة الإسلام ويطبقها، فيأذن لزياد بن أبى زياد العبد الأسود الصالح، يأذن له والأمويون ببابه ينتظرون الدخول عليه، حتى يضج من ذلك هشام بن عبدالملك، فيقول غاضباً: أما رضى ابن عبدالعزيز أن يصنع ما يصنع، حتى أذن لعبد ابن عباس أن يتخطى رقابنا؟. وكان عمر يطلب من هذا الأسود أن يعظه وينصحه، وذات مرة نصحه زياد فقال له فيما قال وهو يذكره بتبعة الأمة فى عنقه: والله يا أمير المؤمنين ما هناك أحد من أمة محمد إلا وهو خصم لك أمام الله - تعالى - فبكى عمر بكاء شديداً، حتى تمنى أنه لم يكن قال له ذلك.

هذا هو الإسلام، وهذا تاريخ أبنائه، فإذا أردنا عز الدنيا ونعيم العقبى فلنستمسك بالعروة الوثقى: عروة الله، ولندع إليها عباد الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وسبحان من لو شاء لهدى الناس جميعاً إلى سواء السبيل، واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون، إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون. أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم.

***

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

يعد باب الفتوى من الأبواب الثابتة والضرورية في «مجلة الأزهر» وتحت ظروف قاهرة حُجب عن الظهور فترة وجيزة إلا أن قراء المجلة لم يحتملوا ظهورها من غير باب الفتوى، وكتبوا إلى المجلة يسألون عنه، ويلحون في طلبه، واستطاعت المجلة بعون الله أن تُرضي قراءها الأعزاء، وأن تحافظ على مستواها الرفيع، فتوجهت إلى فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد الطيب مفتي الجمهورية أن يتولى فضيلته إجابة السائلين، فقبل فضيلته مشكوراً، وإدارة المجلة ترى أن هذا من توفيق الله تعالى لها، ونحن إذ نحمد الله تعالى، ونشكر فضيلته على قبوله الكريم نزجي إلى القراء أننا توافقنا مع فضيلته على مشاركة أكبر تسعد القراء، وتثرى المجلة بفكر ملتزم مستنير.

(مجلة الأزهر)

حكم ختام الصلاة جهرا

■ السؤال من السيد / م. ن. ع بالمحلة الكبرى:

ما حكم الشرع في ختام الصلاة جهراً؟

●● الجواب:

ختام الصلاة جهرا عقب الصلاة المكتوبة لا بأس به وجائز شرعا. فقد روى عن علي - كرم الله وجهه - أن النبي ﷺ قال: «من قرأ آية الكرسي دبر الصلاة المكتوبة كان في ذمة الله إلى الصلاة الأخرى» رواه الطبراني بإسناد حسن - وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، وحمد الله ثلاثاً وثلاثين وكبر الله ثلاثاً وثلاثين، فتلك تسعة وتسعون وقال تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر [صحيح مسلم - كتاب المساجد ومواضع الصلاة -

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور
أحمد الطيب
مفتي جمهورية مصر العربية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

٩٣٩] ولا عبرة لما يقال أن النبي ﷺ أمر بالتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل عقب الصلاة سراً، لأنه قول بلا دليل، فقد روى مسلم عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال: كنا نعرف انقضاء صلاة رسول الله ﷺ بالتكبير. وفي رواية البخاري عن أبي معبد مولى ابن عباس - أن ابن عباس رضي الله عنهما - أخبره أن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد النبي ﷺ. وقال ابن عباس: كنت أعلم إذا انصرفوا بذلك إذا سمعته. [صحيح البخاري - كتاب الأذان - ٧٩٦] وهذا يدل على رفع الصوت بالذكر بعد الصلاة، بل يرى بعض السلف استحباب رفع الصوت بالذكر والتهليل في أعقاب الصلوات. قال النووي في شرح مسلم [ج٥ ص٨٤]: تعقيباً على هذا الحديث: - هذا دليل لما قاله بعض السلف من أنه يُستحب رفع الصوت بالتكبير والذكر عقب الصلاة المكتوبة ولا دليل يمنع الجهر بختام الصلاة لاسيما ونحن في زمن تغلبت فيه شواغل الحياة على الناس فهم في أمس الحاجة إلى تذكيرهم بالله على أنه ينبغي مراعاة التوسط والاعتدال في ختام الصلاة جهراً حتى لا يؤدي ذلك إلى التشويش على من لم يدرك الجماعة أو على من أدركها مسبوقاً لقوله تعالى:

﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾

(الإسراء ١١٠)

وقد أفتى بجواز ختام الصلاة جهراً كثير ممن تولوا مهمة الإفتاء في مصر، منهم: -

فضيلة الشيخ حسن مأمون - المجلد العشرون.

وفضيلة الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوي - المجلد الحادي والعشرون.

وفضيلة الأستاذ الدكتور / نصر فريد واصل.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

لا فرق بين بول الصبي والصبية

■ السؤال من علي . س . ى من جرجا :

قيل : إن بول الطفل الرضيع طاهر بينما بول الطفلة الرضيعة نجس ؟

وأن تطهير الأول يكون بالنضح ، وتطهير الثاني بالغسل ؟ فهل هذا صحيح ؟ ولماذا هذه التفرقة ؟

●● **الجواب :**

هذا السؤال ينطوي على مسألتين :

الأولى : أن بول الصبي الرضيع الذي لم يأكل الطعام طاهر بينما بول الأنثى الرضيعة نجس .

الثانية : كيفية تطهير الثوب أو الجسد منهما تختلف : بحيث يكتفى في التطهير من بول الرضيع الذكر برش الماء ونضحه فقط ، ولا يكتفى في بول الأنثى إلا بالغسل .

وفيما يتعلق بالمسألة الأولى ، فإن البحث الفقهي يتأدى إلى اتفاق جمهور الفقهاء على نجاسة بول الرضيع والرضيعة على السواء ، وأنه لا فرق بينهما في حكم النجاسة والطهارة ، فكل منهما نجس . . وعليه فلا معنى للتساؤل عن العلة وراء نجاسة أحدهما وطهارة الآخر .

نعم ينسب القول بطهارة بول الصبي الرضيع في بعض عبارات الفقهاء ، إلى الإمام الشافعي ، ولكن يجب ألا نأخذ هذه الأقوال على أنها قضايا مسلمة نلزم بها مذهب الإمام الشافعي ، بهذه التفرقة بين الصبي والصبية . . ويحسن أن نستعرض هنا آراء أئمة المذاهب في هذه المسألة :

١ - المذهب المالكي :

جاء في المدونة (١ / ٧٥) : « وقال مالك في الجارية والغلام بولهما سواء ، إذا أصاب بولهما رجلاً أو امرأة غُسل ذلك ، وإن لم يأكل الطعام » وواضح من هذا النص أن الإمام مالكاً لا يرى بينهما فرقاً « فكل منهما نجس ، وكل منهما يجب غسله سواء بسواء ، وجاء في كتاب التمهيد للحافظ ابن عبدالبر القرطبي المالكي (٩ : ١٠٨) ما يلي : « أجمع المسلمون على أن بول كل آدمي يأكل الطعام نجس : واختلف العلماء في بول الصبي والصبية إذا كانا مُرضعين لا يأكلان الطعام . فقال مالك وأبوحنيفة وأصحابهما : بول الصبي والصبية كبول الرجل (....) وقال الشافعي : بول الصبي ليس بنجس » ، ولا يبين لي فرق ما بينه وبين الصبية ، ولو غُسل كان أحب إليّ ويقول ابن عبدالبر - أيضاً - في كتابه : الاستذكار (٣ : ٢٥٣) : « قال الشافعي : بول الصبي الذي لم يأكل الطعام ليس بنجس » .

ويؤخذ من كلام الحافظ ابن عبدالبر أمران :

الأول : أن بول الصبي والصبية (الرضيعين) نجس في مذهب مالك وأبي حنيفة وصاحبيه .

الثاني : أن الإمام الشافعي يفرق بينهما فيرى طهارة بول الصبي الرضيع في مقابل نجاسة بول الصبية الرضيعة ، وأن ابن عبدالبر يرفض هذه التفرقة ، لأنه لا يظهر أي فرق بينهما يجعل هذا طاهراً وذاك نجساً .

٢ - مذهب الإمام أحمد :

جاء في كتاب المغني لابن قدامة (٢ : ٤٩٥ ط . هجر) « ليس معنى الكلام طهارة بول الغلام . إنما أراد أن بول الغلام الذي لم يطعم الطعام يجزيء فيه الرش وهو أن ينضح الماء عليه حتى يغمره (......) وبول الجارية يُغسل وإن لم تطعم ، وهذا قول - علي رضي الله عنه - وبه قال عطاء والحسن والشافعي » .

ويفهم من هذا النص أن الإمام أحمد قال بنجاسة بول الرضيع مثل ما قال الإمام مالك وأبوحنيفة .

٣- مذهب الإمام الشافعي:

ويتضح من الرجوع إلى كتب الشافعية أنها تميل إلى القول بنجاسة بول الرضيع ونفي الطهارة عنه، وإن كان بعض علماء المذهب يصف بول الرضيع بأنه من النجاسات المخففة.. جاء في زاد المحتاج بشرح المنهاج (١: ٨٠) في ذكر الأشياء النجسة قوله: «وما تنجس ببول صبي لم يطعم غير لبن، نُضح» ويؤخذ من هذا النص أن بول الصبي الرضيع نجس وأن الموضع الذي يصيبه هذا البول يتنجس بنجاسته.. والشافعية يدفعون عن إمامهم نسبة القول إليه بطهارة بول الصبي الرضيع.

ونستطيع أن نقرر بعد استعراض هذه النصوص أن بول الصبي والصبية الرضيعين، نجس، ولا فرق بينهما، وأن ما ينسب إلى الإمام الشافعي من التفرقة بينهما هي أقوال غير ثابتة ولا ممحصة.

أما فيما يتعلق بكيفية الغسل فإننا نجد تفرقة واضحة تتلخص في أن مذهب الإمام مالك ومذهب الإمام أبي حنيفة لا يفرقان بينهما في وجوب غسل كل منهما فكل من البولين نجس وكل منهما يجب غسله.

أما الشافعية والحنابلة فإنهما يفرقان بينهما في كيفية التطهر من كل منهما، فعندهما أن ما تنجس ببول الصبي - الرضيع - يطهر برش الماء على الموضع المتنجس من غير غسل ولا دلك ولا عصر.. بينما الموضع المتنجس من بول الرضيعة يجب غسله ودلكه وعصره.. وقد استند المالكية والحنابلة إلى الأحاديث الواردة في عموم نجاسة البول والتي تأمر بالاستبراء منه، وأن عامة عذاب القبر منه، وقاسوا بول الرضيع والرضيعة على بول الكبار نجاسة وغسلاً.. أما الشافعية والحنابلة فقد استندوا إلى أحاديث وردت في هذا الموضوع، منها ما روته عائشة - رضي الله عنها - قالت: «أتي رسول الله ﷺ بصبي فبال على ثوبه فدعا رسول الله ﷺ بماء فأتبعه إياه» وأيضاً ما روي عن أم قيس بنت محصن من أنها «أتت بابن لها صغير، ولم يأكل الطعام، إلى رسول الله ﷺ، فأجلسه رسول الله ﷺ في حجره، فبال على ثوبه، فدعا بماء فنضحه ولم يغسله»..

وقد نص الفقهاء على أن الطب لا يفرق بين بول الصبي والصبية على الإطلاق وفندوا قول من زعم أن بين البولين فروقاً كيميائية.. ومالوا إلى تعليل هذه التفرقة بالتيسير ورفع الحرج حيث إن العرب يميلون إلى الصبيان ويخالطونهم ويحبون حملهم ومداعبتهم أكثر من البنات ولكي لا يشق عليهم النبي ﷺ أذن لهم في رش الماء فقط على ما يتنجس من ثيابهم ببول الصبيان.

ويتبين مما سبق:

أولاً: لا فرق بين الصبي والصبية في أن بول كل منهما نجس.

ثانياً: لا فرق في كيفية التطهير منهما عند مالك وأبي حنيفة.

ثالثاً: من فرق في كيفية التطهر رجح الأحاديث الواردة التي ذكرنا منها حديث عائشة - رضي الله عنها - وحديث أم قيس، ومن سوى بينهما في وجوب الغسل رجح عموم الأحاديث الواردة في وجوب الغسل والتنزه من البول، وقاس بول الأطفال على بول الكبار.

وهكذا يتضح أن الخلاف منحصر فقط في كيفية التطهر، وأنه قائم على اليسر والتوسعة كشأن أحكام الشريعة الإسلامية، وأن هذا الخلاف لا يفهم منه - لا من قريب ولا بعيد - أي تفضيل للطفل الذكر على الأنثى في هذه المسألة.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

حكم النقاب في الإسلام

■ وكتبت القارئة ع. س. ك من أسوان تسأل عن حكم النقاب في الإسلام.

●● الجواب :

جمهور العلماء والفقهاء في المذاهب الأربعة متفقون على جواز كشف المرأة وجهها وكفيها وقدميها - فيما يقول الإمام أبوحنيفة - وأنه لا يجب عليها تغطيتهما وقد أورد فضيلة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي في فتاواه (٢ : ٣١٤ وما بعدها) النصوص التي حفلت بها كتب المذاهب الأربعة في جواز كشف وجه المرأة وكفيها، ونحن ننقلها عنه كما يلي:-

١ - مذهب الأحناف:

جاء في كتاب الاختيار لتعليل المختار (٤ / ١٥٦) : «ولا ينظر إلى الحرة الأجنبية إلا إلى الوجه والكفين، إن لم يخف الشهوة. وعن أبي حنيفة: أنه زاد القدم. . . . ».

٢- مذهب المالكية:

قال أبوالبركات الدردير في كتابه: «الشرح الصغير» (١ / ٢٨٩ ط دار المعارف) : «وعورة الحرة مع رجل أجنبي منها، جميع البدن غير الوجه والكفين وأما هما فليس بعورة» ويعلق الإمام الصاوي في حاشيته على هذا النص بقوله: «أي فيجوز النظر لهما، لا فرق بين ظاهرهما وباطنهما، بغير قصد لذة ولا وجدانها وإلا حرم».

٣- مذهب الشافعية:

جاء في المهذب للشيرازي: «وأما الحرة فجميع بدنها عورة إلا الوجه والكفين».

٤- مذهب الحنابلة:

يقول صاحب المغني: «لا يختلف المذهب في أنه يجوز للمرأة كشف وجهها في الصلاة، وأنه ليس لها كشف ماعدا وجهها وكفيها، وفي الكفين روايتان».

ويؤخذ من هذه النصوص:

أولاً: جواز كشف وجه المرأة وكفيها، وزاد أبوحنيفة جواز كشف قدميها.

ثانياً: هذا الجواز مشروط بقصد البراءة في النظر، فإن كان القصد منه التلذذ والاستمتاع بتقاطيع الوجه حرم النظر، لأنه نوع من الخيانة والاجتراء على حرمات الله وهو من معاصي القلوب.

ثالثاً: بناء على هذه النصوص فإن النقاب ليس واجباً ولا فرضاً، ولا سنة ولا مندوباً، وقصارى أمره أن يكون أمراً مباحاً إن شاءت المرأة ووضعته على وجهها اختياراً منها فلا بأس، وإن خلعته فلا بأس أيضاً.. وهذا هو مذهب جمهور الفقهاء، وهو الذي يُدرّس في مقررات الفقه في غالبية الدول الإسلامية.

وبعض العلماء المعاصرين يذهبون إلى وجوب النقاب انطلاقاً من فهم خاص لبعض النصوص الشرعية المتعلقة بالحجاب وهذه الأدلة مردود عليها بأدلة أخرى كثيرة لا تقل في قوتها عن الأدلة المعارضة.

والله سبحانه وتعالى أعلم

ترسل الاستفتاءات إلى العنوان التالي: مجلة الأزهر - مدير التحرير - بريد رابعة العدوية - مدينة نصر

شهر شعبان وضوء لرمضان

للأستاذ/ محمد مصطفى البسيوني

من الأشهر الغنية والمتميزة بمواطن العظة والاعتبار شهر شعبان المكرم، وهو شهر لا يكاد يقف الناس عنده كثيراً إلا إذا جرى بينهم بعض الجدل حول ليلة النصف منه، وما يرتبط بها من دعاء وابتهال.. ليس إلا!!

ويغيب عن الكثير منا أن، شعبان، شهر ضم المواقف الرائعة الساطعة التى كان لها دورها المشهور والمشهود فى تثبيت العقيدة المطهرة، كما كان لها إشاراتها السماوية الباهرة نحو روح الإيمان لدى المسلمين الصادقين.

فهل يذكر من وفقه الله لزيارة «مسجد القبلتين» بالمدينة المنورة أن فى هذا المسجد المبارك تم تحويل قبلة المسلمين من بيت المقدس - نصره الله بأيدينا وأيدى المؤمنين - إلى المسجد الحرام الذى جعله الله مثابة للناس وأمناً - استجابة لأمر الله - عز وجل - وكان ذلك فى شهر شعبان حيث أنزل الله - سبحانه - على نبيه المصطفى ﷺ قوله العظيم:

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾(١).

وهو الحدث الهائل الذى أشعل جدل المشركين والمنافقين، والذى حسم فيه القرآن الكريم الموقف حسماً قاطعاً أسكت المرجفين، وأفحم المبطلين.

وكم من المسلمين الآن يذكر أن شهر شعبان الكريم هو الشهر الذى شهد انتصار الإسلام والمسلمين فى غزوة بدر الآخرة، وذلك فى السنة الرابعة للهجرة؟

إذ عندما أهل شعبان من تلك السنة كان ذلك موافقاً لموعد ضربه أبو سفيان بن حرب حين صاح فى المسلمين صيحة الصلف والغرور بعد انقضاء غزوة أحد: «موعدنا بدر العام المقبل» وكأنه

---

(١) البقرة(١٤٤).

يهددهم ويتوعدهم. هيهات..

وعندما حان الأجل كان الجدب قد حل بقريش، وأصبح خروجهم للقاء المسلمين لا مبرر له لأنهم لن يحضروا سوق بدر التي كانت تعقد كل عام للتجارة في شهر شعبان لمدة ثمانية أيام.

هنالك لم يتمكن أبوسفيان من الوفاء بتهديده وتنفيذ وعيده، فأراد أن يلصق تهمة خلف الوعد بالمسلمين، وذلك بأن يفت في عضدهم حتى يحجموا هم عن الخروج وعندئذ يذيع أبو سفيان في صلف وتبجح أمام الناس أنه قد خرج للقاء المسلمين ولكنهم لم يجرؤوا على لقائه..

هنالك بعث بعملائه المرجفين ليشيعوا في المدينة أن أبا سفيان قد قدم في جموع عظيمة لا قبل للمسلمين بها.

ولكن النبي ﷺ المؤيد بنصر الله لم يلتفت لهذا الإرجاف، وخرج بألف وخمسمائة من أصحابه بعد أن استخلف على المدينة عبدالله بن عبدالله بن أبي - رضي الله عنه - حتى إذا أتوا بدراً لم يجدوا بها أحداً، وعرفوا أن أبا سفيان هو الذي أخلف وعده.

وهكذا خلت سوق بدر للمسلمين دون المشركين فربحت تجارتهم مع الله ومع الناس.

ولك أن تتأمل في ذلك قول الله - عز وجل - ولا تغادر هاتين الآيتين إلا بعد أن تتغلغل في أعماقك معاني النصر التي وردت فيهما من زيادة الإيمان ونعمة الله، وفضله، والنجاة من السوء وغير ذلك من الخير العميم والفضل العظيم، يقول سبحانه:

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾(٢).

وكان ذلك نصراً مؤزراً حين اهتز شأن أبي سفيان أمام قومه، وازداد شأن محمد ﷺ وجنوده قوة، ومنعة، وعزة.

ولنا في أحداث التاريخ الغابرة والمعاصرة ما يؤكد هذه العبر التي تشير دائماً إلى أن الأمة التي يسيطر عليها الغرور وتستبد بها الأنفة الزائفة والكبرياء الكاذبة، ويصور لها تقدمها المادي في المال والعتاد أنها وصلت لها الهيمنة على الناس والسيطرة على الشعوب دون التأمل في قدرة الله - عز وجل - الذي هو المهيمن وحده على كل شيء والقادر وحده على كل شيء.

ولقد كان لنا في هذا المجال عبرة في أباطرة الروم وأكاسرة الفرس وعتاة الصليبيين، وهمج التتار، وغيرهم وغيرهم الذين كم أمهلهم الله في

(٢) آل عمران (١٧٣، ١٧٤).

استبدادهم بالبشر واستعلائهم على الخلق، ولكنه سبحانه لم يهملهم لأنه عز وجل يمد لعبده المستبد الذى يعيث فى الأرض عتوا وفسادا حتى إذا أخذه لم يفلته، سبحانه العزيز الجبار.

ومن مشاهد شهر شعبان المضيئة غزوة (بنى المصطلق) وهى الغزوة التى اختار الله- عز وجل- لها شهر شعبان ساحة زمنية ظاهرة من السنة الخامسة للهجرة.

فلقد بلغ النبى ﷺ أن الحارث بن ضرار سيد بنى المصطلق الذين ساعدوا قريشا على حرب المسلمين فى (أُحد) أخذ يجمع الجموع لحرب محمد، فخرج ﷺ فى جمع كبير، وعرض عليهم الإسلام فرفضوا فى رعونة وضلال، وحينئذ حمل عليهم المسلمون حملة رجل واحد، ولم يتركوا لهم مجالا للفرار، وقتلوا فريقا منهم وأسروا الباقين مع نسائهم وذرياتهم، واستاقوا من إبلهم ألفين، ومن شياههم خمسة آلاف.

ومواقف النبى ﷺ والمسلمين إبان هذه الغزوة وبعدها من بنى المصطلق هى دروس رائعة فى الخلق العظيم والسياسة الحكيمة جديرة بالدرس الدقيق، والتأمل العميق.

« وبنو المصطلق هم عرب من خزاعة، والكلمة من « الصلق » وهو: « رفع الصوت ».

ثم هذه غزوة ذى قرد[٢] وتسمى أحيانا « غزوة الغابة » أى الشجر الملتف الكثيف وهى الغزوة التى وقعت فى شهر شعبان من العام السادس للهجرة حيث أبلى المسلمون فيها بلاء حسنا رداً على غارة عدوانية على بعض الإبل الحوامل التى كانت لرسول الله ﷺ بموقع الغابة القريب من المدينة المنورة، وكان أهل المدينة يجعلون أموالهم فى ذلك المكان.

ولقد شن هذه الغارة العدوانية الغاشمة « عيينة بن حصن الفزارى » الذى انقلب على عقبيه هو وعصابته وولوا الأدبار أمام النبى ﷺ ورجاله والمؤمنين بعد أن استعمل النبى ﷺ على المدينة المنورة أثناء ذلك عبدالله بن أم مكتوم – رضى الله عنه – الذى كرمته السماء عندما عاتب فيه الله- عز وجل- نبيه الكريم فى سورة (عبس) حتى لقد كان النبى ﷺ يقول له: « أهلاً بمن عاتبنى فيه ربى ».

وبعد.. فهلا تأملت هذا التتابع البين فى الانتصارات (الشعبانية) للمسلمين على عهد النبى ﷺ، والتى كانت خطوات مبشرة بقرب الغزوة الكبرى، وهى غزوة الفتح الأكبر الذى جاء به الحق وزهق الباطل؟

---

(٢) بفتح القاف والراء أو بضمهما أو بضم القاف وفتح الراء، ومعناها الصوف الردئ، وذو قرد هذا هو شعب به ماء ناحية خيبر على مسافة من المدينة المنورة.

ثم هلا تكشفت أمامك بعد كل ذلك منزلة هذا الشهر أو هذا الوعاء المطهر الذى اختاره الخالق - عز وجل - لتصب فيه هذه الأحداث الكبرى؟

إن هذه لصفحة مشرقة تضيء بشهر شعبان، وتبين لنا الحكمة فى أن الله - جلت حكمته - جعله شهراً ترفع فيه الأعمال إليه - عز وجل - كما أخبر النبى ﷺ عندما سئل عن كثرة صومه فى هذا الشهر.. العظيم فأشار إلى أنه شهر ترفع فيه الأعمال وأنه ﷺ يرجو أن يرفع عمله وهو صائم.

وإذا أيقنت النفوس المؤمنة أن أعمالها ترفع إلى بارئها فى شهر شعبان علمت أن هذا الشهر شهر ابتلاء وتمحيص فتصدق فى القول، وتخلص فى العمل.

وشعبان بهذا المعنى هو شهر رمضان بمثابة الوضوء من الصلاة.

وما أجمل أن نتأمل فى هذا المجال الإرشادات التربوية الرائعة حيث نرى صوم شعبان - الذى حرص عليه الأسوة الحسنة عليه الصلاة والسلام هو دربة للمسلم على استقبال فريضة الصوم فى رمضان، والنهوض بتبعاتها بضمير خالص وقلب سليم حيث يتجه المرء إلى بارئه - عز وجل - وحده واضعا نصب عينيه الحديث القدسى الشريف «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به»[1] صدق الله وصدق نبيه فيما بلغه عن ربه.

فما أحرى بالمسلم الصادق الذى يرجو أن يتجلى عليه ربه - عز وجل - بصوم رمضان المعظم أن يغتنم فرصة شعبان كمدرسة إيمانية تربوية يتحلى فيها المسلم بالخلق الفاضل مع نفسه ومع الناس ومع الله - عز وجل - وكأنه يتطهر مما علق به من شوائب طيلة العام ليقدم على شهر الصوم بنية خالصة وإرادة حية طمعا فى رحمة الله ومغفرته.

ولله درّ النبى ﷺ عندما يقول: «إن لربكم فى أيام دهركم لنفحات، ألا فتعرضوا لها».

وأما ليلة النصف من شعبان فإنه مما يروى عن عائشة - رضى الله عنها - أنها سمعت النبى ﷺ فى هذه الليلة يدعو فى سجوده مبتهلاً:

«أعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ بك منك، جل وجهك، لا أحصى ثناء عليك.. أنت كما أثنيت على نفسك» ثم نصح عليه السلام عائشة قائلاً:

«تعلميهن وعلميهن فإن جبريل - عليه السلام - علمنيهن وأمرنى أن أرددهن فى السجود»[2].

ألا تستنتج من كل هذا - كما ذكرنا - أن مكانة شعبان من رمضان هى مكانة الوضوء من الصلاة طهراً ونقاء وتزكية؟

(١) أخرجه البخارى.

(٢) أخرجه البيهقى.

الكليات .. والأسماء الحسنى

للدكتور / على أحمد على

..وأصحب القارئ إلى الفقرة الخامسة من مقالنا السابق فى العدد الماضى ص (١٠٥٥) حيث استعرنا (مجازا) جزء الجملة (المبتدأ) لنبين أن ما قدمناه من دراسة يقع موقع المبتدأ من الجملة وأن ما سنقدمه فى هذا المقال إنما هو بمثابة الخبر وهذا ما أود أن أسطره فى هذا المقال مستعينا بالله أن يرزقنى التوفيق فيه عرضا واستيعابا، وأيضا لما فى هذه الكليات من إعجاز، وما فى أسرتها من بيان.

وبين أيدينا لذلك مقدمة سريعة مختصرة عن (مقام كلّ) فى هذه الكليات، ليتيسر لنا متابعتُها أنّى كانت، إذ هى حيثما وقعت مدار (حُكْم):

أ- (حُكْم) عليها كقوله - تعالى -:

﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ القصص - ٨٨.

﴿ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ ﴾ الإسراء - ٨٤ أى على طريقته ومذهبه الذى ارتضاه لحاله، ثم فى النهاية:

﴿ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴾ الأنبياء - ٩٣.

ب- أو حُكْم كائن بها، ومنه قوله تعالى:

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ﴾ الأنعام - ٣٢.

﴿ لِكُلٍّ ضِعْفٌ ﴾ الأعراف ٣٨ أى لكل من المُضلين ومن تَبعَهُم من الضالين العذابُ مضعفا.

جـ- أو حُكْم بها، إذ هى العُمْدَة فى الكلية، ومنه قوله - تعالى - يذكر لنا من حديث الرؤساء المضلين لأتباعهم الضعفاء، وهم فى النار، إذ يقول هؤلاء الضعفاء لأولئك الرؤساء المستكبرين:

﴿ كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴾

فيقول أولئك الرؤساء، وقد ذلّوا:

﴿إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ﴾ غافر – ٤٨ – وهذا الجزء الأخير شاهدنا[1].

د– أو ملازمة للحكم مرتبطة به لاتنفك عنه كقوله – تعالى –:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ البقرة – ٢٠.

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ البقرة – ٢٨٢.

﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ﴾ هود – ٥٧.

أى أن الله – سبحانه وتعالى – قدير على كل شئ، عليم بكل شئ، حفيظ لكل شئ.

هكذا نجد (كُلاً) مدار الحكم فيما جاءت فيه من آيات التنزيل العزيز على نسق ما قدمناه فى هذه الفقرة.

●●●

الكليات.. والأسماء الحسنى

حظيت عبارة (كل شئ)، وهى تعنى فيما نحن بصدده (الكون) كله، أقول: حظيت هذه العبارة فى التنزيل العزيز بملازمتها لاثنى عشر اسماً من أسماء الله الحسنى، أحاط بـ (الكون) أثر كل منها، فكان منها جميعا ست وثمانون كلية من كليات القرآن الكريم. وتلك الأسماء الحسنى هى:

القدير، العليم، الشهيد، المقيت[2]، الحسيب، المحيط، الخالق، الوكيل، الحفيظ، المقتدر، الرقيب، البصير، سبحانه وتعالى[3].

والمعنى المباشر لهذه الأسماء الحسنى المسيطرة (على كل شئ):

أن الله – تعالى – الخالقُ هذا الكونَ قادرٌ

---

(١) انظر الفتوحات الإلهية للجمل فى إعراب الآية وتفسيرها.

(٢) هو القدير – فى أحد معنييه – انظر النساء: ٨٥.

(٣) وهذه مواقع الكليات الأربع والثمانين المختصة (بكل شئ) نستثنى منها (القدير) لتقديمنا دراسة عن مواقع هذا الاسم الجليل فى هذا المقال، ومجموع مواقعه – بعامة سبعة وثلاثون، وأما بقية هذه الأسماء الجليلة فمواقعها هى:

«العليم، العلم»: (البقرة) الآيات ٢٩، ٢٣١، ٢٨٢. (النساء) ٣٢، ١٧٦. (المائدة) ٩٧. (الأنعام) ٨٠، ١٠١. (الأعراف) ٨٩. (الأنفال) ٧٥ (التوبة) ١١٥. (الرعد) ٨. (طه) ٩٨. (الأنبياء) ٨١. (النور) ٣٥، ٦٤. (العنكبوت) ٦٢. (الأحزاب) ٤٠، ٥٤. (يس) ٧٩ «وهو بكل خلق عليم» (الشورى) ١٢. (الفتح) ٢٦. (الحجرات) ١٦. (الحديد) ٣. (المجادلة) ٧ (التغابن) ١١

(الشهيد): (النساء) ٣٣. (المائدة) ١١٧. (الحج) ١٧. (سبأ) ٤٧ / (الأحزاب) ٥٥. (فصلت) ٥٣. (المجادلة) ٦. (البروج) ٩.

«الحسيب»: (النساء) ٨٦.

«المحيط»: (النساء) ١٢٦. (فصلت) ٥٤.

«الخالق»: (الأنعام) ١٠٢. (الرعد) ١٦. (الزمر) ٦٢. (غافر) ٦٢.

«الوكيل»: (الأنعام) ١٠٢. (هود) ١٢. (الزمر) ٦٢.

«الحفيظ»: (هود) ٥٧. (سبأ) ٢١.

«الرقيب»: (الأحزاب) ٥٢.

«البصير»: الملك ١٩.

عليه، محيط به، شهيد عليه، بصير به، متصرف فيه، حفيظ عليه، حسيب له، رقيب عليه.

فأنى يفر هذا الملكوت الذى هو ﴿ كُلُّ شَيْءٍ ﴾ إلا إليه جلّ علاه.

إن الله على كل شئ قدير

أولى كليات القرآن الكريم، نجدها فى ختام الآية العشرين من «البقرة»، وهى إحدى سبع وثلاثين كلية، وردت بنص (قدرته تعالى) حيثما كانت من الكتاب العزيز، تنتشر فيه من «البقرة» حتى «الملك» فى ثمان وعشرين سورة.

وهذه الكلية تأتى ـ دائماً ـ فى ختام الآية إلا التى جاءت فى النهاية من سورة الطلاق، فقط، وباقيها فى النهاية من الآيات، والحال كذلك مع اسمين جليلين يدلان على القدرة دلالة مباشرة، هما: «المقتدر» و«المقيت» فالأولى فى ختام الآية الخامسة والأربعين من سورة الكهف، حيث يقول – تعالى:

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾

وختمت (كلية المقيت) الآية الخامسة والثمانين من النساء، وفيها يقول – جلّ علاه:

﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴾

أى مقتدراً يجازى كل أحد بما عمل[4].

●●●

وفى تفسير «القدير» قال الإمام الهروى: والقدير والقادر بمعنى واحد[5]. ا هـ.

وهذا هو الحق، فإن (قدير) لا نزاع فى معناها من حيث الاشتقاق أنها صفة مشبهة، لدلالتها على الثبوت والدوام مثل: كريم، وشجاع، وأمين، . الخ

ومثل ذلك ـ تماماً ـ ما جاء بوزن (فاعل) دالاً على الثبوت والدوام:

فإذا قلنا – مثلا: (هذا فلان «القائم» بشئون كذا بوزارة كذا)، فليس هو مماثلا لقولنا (هذا رجل قائم يسلم على صديقه، ثم جلسا)، فقائم فى هذا الأخير وصف غير دائم.

ومن هنا تساوى القدير والقادر، فهما من أسماء الله الحسنى، سبحانه وتعالى.

قال الإمام القرطبى:

«والاقتدار على الشئ: القدرة عليه، فالله – جل وعز – قادر مقتدر قدير على كل ممكن يقبل الوجود والعدم، فيجب على كل مكلف أن يعلم

---

(4) راجع تفسير السيوطى للآية فى (الجلالين)

(5) تفسير القرطبى ١/ ٢٧٠ ط ثالثة دار الغد العربى ١٤٠٩هـ.

أن الله - تعالى - قادر، له قدرة بها فعلَ ويفعل ما يشاء على وفق علمه واختياره »(٦).

●●●

و« كليات القدرة » وردت جميعاً في التنزيل العزيز جُملاً اسمية ما عدا سبعاً، مواردُها فعلية، وغيرها - وهو ثلاثون - كلها « اسمية »، والفعلية:

أولاها: في آية النسخ حيث قال - تعالى:

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

البقرة - ١٠٦

ثانيها: في سؤال إبراهيم - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - ربه: كيف تحيي الموتى - جاء ختامها:

﴿ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

البقرة - ٢٥٩

ثالثها: في آية الشفاعة بسورة النساء - ٨٥:

﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴾.

رابعها: في مَثَل الحياة الدنيا، قال تعالى:

﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾.

الكهف - ٤٥

خامسها: في تمليك الله أرض أعداء المسلمين للمؤمنين، وجاء ختامها:

﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾.

الأحزاب - ٢٧

سادسها: في غنائم ما كان يتيسر للمسلمين الاستيلاء عليها لولا تيسير الله:

﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ الفتح ٢١.

سابعها: في النهاية من سورة الطلاق حيث ذكر الله تعالى أمره المنزل بين السموات والأرضين السبع حيث قال - تعالى:

﴿ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾

هذا: وجميع كليات القدرة « جاءت خاتمة لآياتها ما عدا الواردة بسورة الطلاق هذه فقد أعقبها الختام بقوله تعالى:

﴿ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾.

●●●

ولكليات القدرة إعجاز يخصها، فنادراً ما يتكرر في آياتها معنى دون زيادة تخصه، بينما جاءت كل آية منها تحمل قضية أساسية لم ترد في غيرها من أخواتها، وتعرض للأمرين - بمشيئة الله - عز وجل - بقدر ما يسمح به « مقال »:

فالكلية الأولى وردت في المنافقين، وجاءت خاتمة لسبع عشرة آية قبلها عنيت بوصف حال المنافقين، وما تمتعوا به من أمن في أنفسهم وأهليهم وأموالهم في ظل إعلانهم الإسلام، وما كان متاعهم هذا إلا متاع الدنيا، وانه لقليل تعقبه

---

(٦) نفس المرجع ١/ ٢٧٠.

حياة سرمدية في الجحيم، وقد ظلوا صماً عن الحق لا يستمعون له سماع قبول، بُكْماً لا يتحدثون بنعمة الإسلام، عمياً لا يرون هدى ولا يرجعون عن ضلالة، قال - تعالى:

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٧).

قال القرطبي:

والمعنى: ولو شاء الله لاطلع المؤمنين عليهم، فذهب منهم عز الإسلام بالاستيلاء عليهم وقتلهم وإخراجهم من بينهم.

قال: وإنما خص هنا - تعالى - صفته التي هي القدرة بالذكر، لأنه تقدم ذكر فعل مُضَمَّنُهُ الوعيد والإخافة، فكان ذكر «القدرة» مناسباً والله أعلم(٨).

يريد - والله أعلم - بالفعل قوله - تعالى:

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ﴾

ثم تتوالى كليات القدرة مع كل منها آيتها، فيها قضيتها الخاصة:

فكانت الثانية خاصة بموضوع «النسخ»؛ يقول - تعالى:

﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

البقرة - ١٠٦

وهي آية غنية بالتوجيه الراشد إلى الأحكام، وسياسة الأخذ بها دونما اهتمام بما يثيره المتقولون حسدا أو بغيا أو ضيقا بتجديد الأوضاع لضرب من المصلحة.

ضاق اليهود بتحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى الكعبة، ولعلمهم الأكيد من كتابهم أن محمدا عليه الصلاة والسلام نبي حقا، وأن انصرافه والمسلمين إلى الكعبة ليس اجتهادا منه، ثاروا حسدا وطعنوا في الإسلام وقالوا: إن محمدا يأمر أصحابه بشيء ثم ينهاهم عنه.

يريدون خبثا منهم أن يتهموه ﷺ به «البداء» وهو - أي البداء - أمر يعرض للإنسان حين يقدم على عمل فيتبين له خطؤه؛ فينصرف عنه إلى غيره.

وليس الأمر كذلك؛ فإن محمدا ﷺ لم يكن مشرعا لهذا الأمر، ولا لغيره والله - تعالى - يخاطبه ﷺ بقوله:

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾،

آل عمران - ١٢٨

﴿ بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾ يوسف - ٣١.

﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾.

الأحزاب - ٣٨

﴿ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾

البقرة - ١١٧

---

(٧) (البقرة) ٢٠.

(٨) تفسير القرطبي ١/٢٧٠.

فالناسخ هو الله - عز وجل - وإنما ينسخ لحكمة فى مقدمتها التخفيف، وهو - وحده - المشرع، ولله - عز وجل - المثل الأعلى.

ها نحن تعلم علم اليقين أنه نشأ فى أيامنا هذه تفتيت «الحصوة بالليزر» فهل كان استخراجها قبل بالجراحة بَداء؟ وهل إذا كانت الحصوة عصية على التفتيت فأجريت الجراحة، فهل فى ذلك بداء؟

وإذا أحكم قائد خطة للقضاء على كمين ونجح فى مقصوده، ثم غير الخطة فى عمل آخر: هل يعتبر ذلك بداء، أو أنه المصلحة وبُعد النظر الذى يكلل مسعى الإنسان بالنجاح.

إنما البَداءُ فيمن يمارس أمرا خطأ ثم يغيره، وحاش الله أن يكون كذلك؛ فإنه سبحانه حكيم عليم، ثم هو الذى بدأ الخلق ثم يعيده فكيف يجوز البداء عليه.

ثم هذا النسخ معروف فى الشرائع قبل الإسلام، مقرر فى «العهد القديم» - كتاب اليهود المقدس - فإنهم يزعمون «أن الله - تعالى - قال لنوح - عليه السلام - عند خروجه من السفينة: إنى جعلت كل دابة مأكلا لك ولذريتك، وأطلقت ذلك لكم كنبات العشب ما خلا الدم فلا تأكلوه[9]، ثم قد حرّم على موسى وعلى بنى إسرائيل كثيراً من الحيوان»[10] أى بعد هذا الحلّ المطلق، وهذا عين النسخ.

وفى كتاب «الصيام من البداية حتى الإسلام[11]» تفصيل بما حُرِمَ عليهم من الحيوان وغيره وليس النسخ إلا سنة التطور، بدونه تقبع الإنسانية فى كهف البداوة إلى أبد الآبدين وهذا عين المستحيل.

والله نرجو أن نواصل إتمام كليات القدرة فى العدد القادم، والله ولى التوفيق والرشاد.

***

---

(9) انظر العهد القديم - التكوين ٩/٣.

(10) تفسير القرطبى ٦٠/٦.

(11) للدكتور/ على الخطيب - سلسلة البحوث الإسلامية ص ١٨٢ السنة ٢٧ الكتاب الثالث، طبع الأزهر.

من معاني الحكمة

لفضيلة الشيخ/ فوزي الزفزاف

للحكمة أثر كبير في نجاح واستقرار حياة الفرد والمجتمع، وهي من أهم الأسباب المعينة على سعادة الإنسان في دنياه، والمدخل إلى العمل الصالح الذي يوصل الإنسان إلى النعيم في أخراه.

ولأهمية الحكمة جعلها الله - عز وجل - إحدى وظائف النبوة التي كلف الرسول ﷺ بأدائها، يقول سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾[1].

وجعلها الله - عز وجل - ثلث الدين الذي أتى الرسول ﷺ لتبليغه إلى الناس كافة، يقول جل شأنه:

﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾[2].

فتزكية النفس ثلث، وتعلم الكتاب ثلث، وتعلم الحكمة ثلث، فمن تعلم الحكمة وأخذ بها فقد أخذ وحاز ثلث الدين، ومن أهملها وتركها فقد أضاع ثلث الدين.

ويبين لنا الله أن من فضله ونعمه على أنبيائه ورسله وعباده الذين اصطفاهم أنه جلا وعلا آتاهم وعلمهم الحكمة، يقول الله تعالى:

﴿فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا﴾[3].

ويقول سبحانه:

﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا﴾[4].

---

(١) الجمعة (٢).
(٢) آل عمران (١٦٤).
(٣) النساء (٥٤).
(٤) النساء (١١٣).

ويقول سبحانه: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾(٥).

ويقول عز شأنه:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾(٦).

ويكفي الحكمة شرفاً وفضلاً، ورفعة وعزة أن الله - عز وجل - اتّصف بها وتسمّى بها، ووصف كلامه بها فقال سبحانه:

﴿يس ۝ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾(٧).

وجعلها الله من أجل وأعظم النعم التي يخص بها من يشاء من عباده الذين رضي عنهم، يقول تبارك وتعالى:

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾(٨).

وأفعال الرسول ﷺ لم تخرج قيد أنملة عن الحكمة، وأقواله دعت إلى الحكمة وأثنت عليها وأشارت إلى ضرورة تعلمها، يقول ﷺ: «الحكمة ضالة المؤمن يأخذها ممن سمعها ولا يبالي من أي وعاء خرجت»(٩)، ويقول ﷺ: «لا حسد إلا في اثنين: رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها»(١٠).

ويرشدنا رسول الله ﷺ إلى طريق تعلم الحكمة فيقول ﷺ: «ما أخلص عبد العمل لله أربعين يوما إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»(١١).

ودعا الحكماء إلى الأخذ بالحكمة، والحث على التمسك بها، قال زياد: أيها الناس، لا يمنعكم سوء ما تعلمون منّا أن تنتفعوا بأحسن ما تسمعون منا، فإن الشاعر يقول:

اعمل بعلمي وإن قصّرت في عملي
ينفعْك قولي ولا يضررك تقصيري

ولقد وردت كلمة الحكمة في القرآن الكريم في تسعة عشر موضعا، وسمى الله نفسه حكيما في واحد وتسعين موضعا، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على بيان أهمية الحكمة، والدعوة إلى تعلمها والأخذ بها.

ولكن ما هي الحكمة وما تعريفها؟ لقد وردت تعريفات كثيرة للحكمة في تفاسير القرآن الكريم، وفي كتب الحكماء والفلاسفة، وفي معاجم اللغة، منها:

هي: الإصابة في القول والفعل.

هي: العلم الذي تجل فائدته وتعظم منفعته.

هي: معرفة حقائق الأشياء.

هي: معرفة معاني الأشياء وفهمها.

هي: الحصافة في الأعمال مع المعرفة الكاملة لكل الأشياء التي يستطيع الإنسان أن يعرفها.

---

(٥) المائدة (١١٠).

(٦) لقمان (١٢).

(٧) ياسين (٢،١).

(٨) البقرة (٢٦٩).

(٩) ابن كثير ٦/٣٥، كشف الخفا ١/٤٣٥ بلفظ مختلف.

(١٠) مسند الحميدي ص٦٩ مع اختلاف في الألفاظ.

(١١) الدر المنثور ٢/٣٣٧، إتحاف السادة المتقين ١٠/٤٢.

هي: العلوم النافعة، والمعرفة الصائبة، والعقول المسددة، والألباب الرزينة، وإصابة الصواب في الأقوال والأفعال.

هي: وضع الأشياء مواضعها وتنزيل الأمور منازلها، والإقدام في محل الإقدام، والإحجام في موضع الإحجام.

هي: معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم.

هي: توخي القصد والاعتدال، وإدراك العلل والغايات، ووضع الأمور في نصابها في تبصر وروية وإدراك.

هي: الكلام الموافق للحق.

هي: العلم والإصابة فيه، ومعرفة الأشياء بذواتها.

هي: معرفة الحقائق على ما هي عليه، ثم العمل بمقتضاها، مع الإصابة في القول والعمل.

وقال ابن القيم الجوزية: إن الحكمة قسمان: علمية وعملية.

فالحكمة العلمية: هي الاطلاع على بواطن الأشياء، ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها خلقًا وأمرًا، قدرًا وشرعًا.

والحكمة العملية: هي وضع الشيء في موضعه.

ويمكن إجمال كل ما تقدم من تعريفات للحكمة في الآتي:

الحكمة هي فعل ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي.

قيل لقسّ بن ساعدة: ما أفضل المعرفة؟ قال: معرفة الرجل نفسه.

قيل له: فما أفضل العلم؟ قال: وقوف المرء عند علمه.

قيل له: فما أفضل المروءة؟ قال: استبقاء الرجل ماء وجهه.

وقال الحسن: التقدير نصف الكسب، والتؤدة نصف العقل، وحُسن طلب الحاجة نصف العلم.

وقالوا: لا عقلَ كالتدبير، ولا ورَع كالكف، ولا حَسَب كحُسْن الخلق، ولا غنى كرضا عن الله، وأحقُّ ما صُبر عليه ما ليس إلى تغييره سبيل.

وقالوا: التفكُّر نور والغفلة ظُلمة، والجهالة ضلالة، والعلم حياة، والأول سابق والآخر لاحق، والسعيد من وُعظ بغيره.

اجتمع عمرو بن الظَّرِب العدواني، وحُممَة ابن رافع الدَّوسي عند ملك من ملوك حِمْير، فقال الملك: تساءلا حتى أسمع ما تقولان.

فقال عمرو لحممه: أين تحبُّ أن تكون أياديك؟

قال: عند ذي الرَّثْية العديم، وعند ذي الخَلّة (الحاجة) الكريم، والمعْسِر الغريم، والمستضْعف الهضيم.

- مَنْ أحق الناس بالمَقت (البغض)؟

- الفقير المختال، والضعيف الصوّال، والعَيّ (الذي في كلامه عجز) القوّال.

- فمن أحقّ الناس بالمنع؟

- الحريص الكائد (الذي يكفر بالنعمة)، والمستميد الحاسد، والمُلْحِف الواجد (الحاقد).

- من أجدرُ الناس بالصنيعة؟

- من إذا أُعطي شكر، وإذا مُنع عذَر، وإذا مُطِل صبَر، وإذا قُدم العهْد ذكر.

- من أكرم الناس عِشرة؟

- من إذا قرُب منَح، وإذا بَعُد مَدح، وإذا ظُلم صفح، وإذا ضُويق سَمَح.

- من ألأمُ الناس؟

ـ من إذا سأل خضع، وإذا سُئل منع، وإذا ملك كنع «تقبض. ممسك بخيل»، ظاهره جشع «الجشع: أسوأ الحرص»، وباطنه طَبع «الطبع: الدَّنس».

ـ فمن أحلم الناس؟

ـ من عفا إذا قدر، وأجمل إذا انتصر، ولم تُطغه عزةُ الظفر.

ـ فمن أحزم الناس؟

ـ من أخذ رقاب الأمور بيديه، وجعل العواقب نُصب عينيه، ونبذ التهيُّب دبْر أذنيه.

ـ فمن أخرق الناس؟ «أحمق».

ـ من ركب الخطار «الهلاك»، واعتسف العثار «ركب الزلل»، وأسرع في البدار قبل الاقتدار.

ـ قال: من أجود الناس؟

ـ قال: من بذل الموجود، ولم يأسْ على المعهود.

ـ قال: من أبلغ الناس؟

ـ قال: من حلّى المعنى المزيز باللفظ الوجيز، وطبّق المفصل قبل التحزيز.

ـ قال: من أنعم الناس عيشًا؟

ـ قال: من تحلّى بالعفاف، ورضي بالكفاف، وتجاوز ما يخاف إلى ما لا يخاف.

ـ فمن أشقى الناس؟

ـ من حسد على النعم، وسخط على القسم، واستشعر الندم على فوت ما لم يُحتم.

ـ من أغنى الناس؟

ـ من استشعر اليأس وأظهر التجمّل للناس، واستكثر قليل النعم، ولم يسخط على القسم.

ـ فمن أحكم الناس؟

ـ من صمت فادّكر، ونظر فاعتبر، ووُعظ فازدجر.

ـ من أجهل الناس؟

ـ من رأى الخُرق مغنمًا، والتجاوز مغرمًا.

وقال عمرو بن العاص: ثلاث لا أناة فيهن: المبادرة بالعمل الصالح، ودفن الميت، وتزويج الكفء.

وقال: ثلاثة لا يندم على ما سلف إليهم: الله ـ عز وجل ـ فيما عُمل له، والمولى الشكور فيما أُسدي إليه، والأرض الكريمة فيما بُذر فيها.

وقالوا: ثلاثة لا بقاء لها: ظل الغمام، وصحبة الأشرار، والثناء الكاذب.

وقالوا: ثلاثة لا تكون إلا في ثلاثة: الغنى في النفس، والشرف في التواضع، والكرم في التقوى.

وقالوا: ثلاثة لا تُعرف إلا في ثلاثة: ذو البأس لا يُعْرف إلا عند اللقاء، وذو الأمانة لا يعرف إلا عند الأخذ والعطاء، والإخوان لا يعرفون إلا عند النوائب.

وقالوا: عليكم بثلاث جالسوا الكبراء، وخالطوا الحكماء، وسائلوا العلماء.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أخوف ما أخاف عليكم: شح مُطاع، وهوى مُتّبع، وإعجاب المرء بنفسه.

واجتمع علماء العرب والعجم على أربع كلمات: لا تحمل على ظنّك ما لا تطيق، ولا تعمل عملا لا ينفعك، ولا تغتّر بامرأة، ولا تثق بمال وإن كثر.

وقال أبو عمرو بن العلاء: خذ الخير من أهله، ودع الشر لأهله.

وقالوا: إحسانُ المسيء أن يكفّ عنك أذاه، وإساءة المحسن أن يَمْنعك جدواه.

قصة العدد

مصرع خبيب (*)

للأستاذ / ناجى الطنطاوى

سار الرجال صامتين، يخبون بأقدامهم على رمال الصحراء الملتهبة، لا يثنيهم عن غايتهم شىء، ولا يشغلهم عن مرماهم أمر، وكان عددهم عشرة يرأسهم فتى غض الإهاب، ذو عزم ومنة، هو عاصم بن ثابت، أرسلهم النبى ﷺ عيناً على الأعداء فى بعث الرجيع (١)، يستطلعون أخبار العدو ويتعرفون إلى عدده وعدته... كانوا يسيرون مطمئنين آمنين لا يداخل نفوسهم حذر ولا ريب، وماذا يحذرون وهم فى هذه الصحراء المترامية الأطراف، نفر قليل لا يتميزون عن سواهم من العرب وليست تبدو عليهم أية شارة تبعث الشك فى نفوس من يراهم، كانت نفوسهم تفيض ثقة بالله وكانت قلوبهم عامرة بالإيمان الثابت الذى لا تزعزعه العواصف ولا توهنه النكبات، وكانوا قد وطدوا العزم على القيام بما عهد إليهم رسول الله ﷺ مهما لاقوا فى طريقهم من المصاعب والأخطار، لا يثنيهم عنه إلا الموت.

ولما مروا فى طريقهم بمكان يقال له الهدأة (٢) جاء رجل من قريش إلى بنى لحيان (٣) وأخبرهم أنه رأى نفراً من المسلمين يجتازون بهم ولا يدرى أين يريدون، فلم يكد القوم يسمعون كلامه حتى داخلهم الشك فى أمر هؤلاء، وتبادلوا النظرات، وصمتوا يفكرون، ثم ثاروا إلى نبالهم فاحتملوها وساروا يقتفون آثار المسلمين ويجدون فى طلبهم. وكانوا مائة رجل نصفهم رماة.

(*) مجلة الرسالة المجلد السابع سنة ١٩٣٩م

(١) فى أواخر السنة الثالثة للهجرة. والرجيع اسم ماء لهذيل بين مكة وعسفان.

(٢) موضع بين عسفان ومكة على سبعة أميال من عسفان، قريب من الرجيع مكان الوقعة.

(٣) حى من هذيل.

أحس أصحاب عاصم بالخطر الداهم الذى تهددهم، ورأوا أنهم قد أخذوا على غرة، فاضطربوا ووجموا وعراهم الذهول، ولكن عاصماً صاح بهم قائلاً: «لا تقفوا هكذا، أسرعوا إلى هذا الفدفد[4] الذى أمامكم تمتنع به قبل أن تصبح فريسة فى أيدى الأعداء»..

فاسرعوا إليه كما أمرهم،، وتحصنوا فيه، ولبثوا ينتظرون قضاء الله فيهم.

وبأسرع من لمح البصر، كان الرماة ومن معهم محيطين بالمسلمين إحاطة السوار بالمعصم ينظرون إليهم نظر الذئب إلى فريسته التى يخاف أن تفر من بين يديه، ووطد المسلمون العزم على استقبال الموت بثغور باسمة وقلوب مطمئنة وهم يتحرقون شوقاً إلى رؤية الجنة وما أعد الله لهم فيها من نعيم مقيم وسعادة خالدة.

- انزلوا واعطوا بأيديكم، ولكم العهد والميثاق الا نقتل منكم أحداً.

سمع المسلمون هذا البلاغ، فوقفوا واجمين للمرة الثانية، وفكروا فى هذا الذى قاله المشركون،، أهو قول صدق وشرف، أم هو مَيْن وخديعة؟ ومتى كان المشركون يصدقون فى أقوالهم ويوفون بعهودهم؟ وهل يجدر بالمسلم أن يركن إلى مثل هذا الوعد؟.

أسئلة متوالية، جالت فى خواطر المسلمين فى تلك اللحظة الرهيبة الحاسمة، ولبثت تطلب جواباً، وفكروا قليلاً ثم اتجهوا بأبصارهم إلى رئيسهم ليسمعوا جوابه، وليعرفوا موقفه، فما لبث أن خاطبهم بقوله:

- أما أنا، والله لا أنزل فى ذمة كافر، اللهم أخبر عنا نبيك وانتظر المشركون قليلاً، ليعلموا أثر كلامهم فى نفوس المسلمين وليسمعوا جوابهم، ولم يطل بهم الانتظار، إذ وجهوا نبالهم إلى صدور المسلمين وأطلقوها فأصابت عاصماً وسبعة من أصحابه سقطوا شهداء فى سبيل الله، وطارت أرواحهم الطاهرة لترفرف فى سماء الخلود، وتحظى بنعيم الله الأبدى، وبقى منهم ثلاثة لم يكتب لهم أن ينالوا ما نال إخوانهم من شرف الشهادة، فأرادوا أن يضحوا بأنفسهم فى سبيل تجربة أحبوا أن يقوموا بها، وفى سبيل درس رغبوا أن يستفيد منه المسلمون بعدهم؟ تُرى هل يفى المشركون بعهدهم ويصدقون وعدهم؟ ما دمنا على أبواب الآخرة فلنقم بهذه التجربة، ونزلوا فسلموا أنفسهم على العهد والميثاق، ولم يكد المشركون يستمكنون منهم ويعلمون أنهم صاروا فى قبضتهم حتى أطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم بها، فصاح أحد المسلمين:

- هذا أول الغدر، والله لا أصحبكم، إن لى أسوة بأصحابى الذين قتلوا.

---

(٤) الفدفد هو الرابية المشرفة

وأبى أن يسير معهم فقتلوه، وساقوا الاثنين الباقيين، وكان أحدهما يدعى خبيب بن عدى، صمم على أن يتم التجربة التى بدأ بها مهما كلفه ذلك من المتاعب ليرى نتيجتها، وليختم الدرس الذى أحب أن يستفيد منه المسلمون.

***

- من هذا الذى أراه عندك ياماوية(٥)؟

- هذا أسير لدىّ. ألا ترين القيد فى رجليه؟

- ما اسمه؟

- إنه يدعى خبيب بن عدى الأنصارى

- وماذا جاء به إلى دارك؟

- أغار قومى على نفر من المسلمين فقتلوهم وأسروه وابتاعه بنو الحارث بن عامر(٦) إذ يقال إنه هو الذى قتل الحارث يوم بدر، وأبقوه عندى حتى تنقضى الأشهر الحرم ليقتلوه.

- وكيف رأيت سيرته ومعاملته؟!

- أشهد أنه لمن أفضل الناس وأشرفهم ما عهدت فيه الكذب ولا الفحش فى القول، وما رأيت منه إلا اللطف والدعة والمعاملة الحسنة، ما دخلت عليه فى ساعة من ليل أو نهار إلا رأيته يقوم ويقعد ويخر ساجداً، فسألته عن ذلك فأجابنى: إنه يعبد الله ويصلى له، وهو يرتل كل ليلة كلاماً جميلاً يسميه القرآن بصوت عذب فتننى وفتن كل النساء اللاتى سمعنه وإنهن ليجتمعن عندى فى كثير من الأحيان فيسمعن صوته فيسكن وترق له قلوبهن، وإنى لأقول له: هل لك من حاجة؟ فيجيبنى قائلاً: لا، إلا أن تسقينى الماء العذب، ولا تطعمينى ما ذبح على النصب وتخبرينى إذا أرادوا قتلى.

- أهو كثير الجزع من الموت ياماوية؟

- كثير الجزع؟ إنى لم أره ذكر الموت إلا ابتسم وطرب، ولقد عجبت من حاله هذه فسألته عنها فقال: أو لا يسر ويطفر طرباً وسروراً من ينتقل من دار شقاء إلى دار نعيم وهناء؟ إنى إذا مت انتقلت إلى جنة عرضها السموات والأرض فلم لا ابتسم وأسر.

فحدقت المرأة فى وجه مضيفتها وقالت متعجبة:

- عجيب أمر هذا الرجل، إننى لا أعرف رجلاً آخر بهذه الشمائل والصفات إلا أن يكون من أصحاب محمد.

فاقتربت ماوية منها وسارتها قائلة:

- إننى أقسم لك أننى رأيته أمس بعينى هاتين يأكل قطفاً من عنب وهو موثق فى الحديد ولا يدخل عليه أحد غيرى وما أراك مصدقتى فيما أقول.

فضحكت المرأة وقالت:

كيف تريدين منى أن أصدقك ياماوية وليس

---

(٥) هى ماوية مولاة حجير بن أبى إهاب، أسلمت فيما بعد.

(٦) وهم عقبة وأبو سروعة وأخوهما لأمهما حجير بن أبى إهاب.

هذا أوان العنب وما في مكة كلها من ثمره شيء؟

- هذا ما أعجب له، وأقسم أنني غير واهمة ولا متخيلة، وما أدري تفسير ذلك.

ونهضت ماوية تحملت ما عندها من طعام، ودخلت به على السجين، ووضعته بين يديه، وانتظرت حتى أتمّ صلاته، فالتفت إليها وابتسم، وتناول الطعام من يدها دون أن يفوه بكلمة ولم يرق لماوية صمته فقالت له:

- هل لك من حاجة؟

فقال: لا، إلا أن تسقيني الماء العذب، ولا تطعميني ما ذبح على النصب، وتخبريني إذا أرادوا قتلي.

ولما علمت أن جوابه لن يتبدل، طمأنته وتركته.

***

- ياللهول! ماذا ترى عيناي؟ أهذا جزاء إكرامي لك وثقتي بك؟

- خفضي عليك ياماوية، إنني لا أزال عند حسن ظنك بي.

- أتقول هذا، وابني في حضنك والموسى في يدك؟ ليتني لم أعرك هذا الموسى.

فابتسم الأسير وأجابها قائلاً:

- لا تغضبي هكذا يا ماوية، إنني لم أطلب منك إعارتي هذا الموسى لأقتل به ابنك، معاذ الله أن أفكر في هذا العمل الشائن، إن ديني يمنعني من ذلك ياماوية، وما كنت لأفعل ذلك ما حييت، ولكن ابنك حبا حتى وصل إليّ، وجلس على ركبتي، وكان الموسى في يدي، فلاطفته وداعبته، ولم يخطر لي أن أمسه بأذى، ولعلك ذكرت واقعة الأمس فجزعت.

- أجل ياخبيب، ذكرت مزاحك بالأمس عندما طلبت مني أن أعيرك الموسى، وقلت لي عندما صار في قبضة يدك: قد أمكن الله منك... أتدري أنك أخفتني بهذ المزاح؟

- إنك لم تعرفيني بعد، ولا أراك تعرفينني إلا يوم تُسلمين، فتنجلي لك إذ ذاك حقيقة المسلم. والآن دعيني وشأني، إنني أريد أن أستعد للموت، ألم تقولي لي إنهم أزمعوا قتلي اليوم؟

- بلى

ولم تمض ساعة حتى أقبل القوم يهرولون، حاملين حرابهم ونبالهم، وهم مستبشرون فرحون، ولما دخلوا على خبيب فكوا القيد من رجليه وقالوا له:

هلم ياخبيب، استعد للموت، إنه ليزعجنا أن تبقى حياً إلى اليوم، ولولا الأشهر الحرُم لقتلناك يوم أسرك.

فرفع خبيب رأسه، ونظر إليهم طويلاً، وكانت الابتسامة لا تفارق شفتيه، ثم أطرق ولم يُجب.

ولما خرجوا به إلى ساحة الإعدام وأجمعوا على قتله التفت إليهم قائلاً:

- هل تأذنون لي أن أركع ركعتين قبل أن أموت؟

فنظر بعضهم إلى بعض في دهشة وعجب وقالوا: أتصلي وأنت على هذا الحال؟ ألا ترى الخشبة التي ستصلبك عليها؟ ألا ترى رماحنا ونبالنا مصلتة عليك؟ ألا تبكي وتطلب الصفح والعفو؟ إفعل ما شئت.

فقام خبيب بين يدي الله، متوجهاً بقلبه وجوارحه إليه وصلى صلاة كلها اطمئنان وكلها خشوع، لم يضطرب قلبه، ولم يتلجلج لسانه، ولم يتبدل لون وجهه، وكان في صلاته هادئاً ساكناً آمناً ولما انتهى التفت إليهم وقال بصوت هادىء عذب:

– والله لولا أن تحسبوا أن مابي جزع لزدت. اللهم احصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تبق منهم أحداً ثم أنشأ يقول:

لقد جمع الأحزاب حولي وألبوا
قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم
وقربت من جذع طويل ممنع
إلى الله أشكو كربتي بعد غربتي
وما جمع الأحزاب لي حول مصرعي
وقد خيروني الكفر والموت دونه
وقد ذرفت عيناي من غير مجزع
وما بي حذار الموت إني لميت
ولكن حذاري جحم نار ملفع
وذلك في ذات الإله وإن يشأ
يبارك على أوصال شلو ممزع
فلست بمبد للعدو تخشعاً
ولا جزعاً إني إلى الله مرجعي
ولست أبالي حين أقتل مسلماً
على أي جنب كان في الله مصرعي

ولم يكد يتم الأبيات ويستغفر الله ويذكره حتى رفعوه على الخشبة وأوثقوه بها فقال:

– اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك، فبلغه الغداة ما يُفعل بنا وبدأ المشركون يرمونه بنبالهم ويطعنونه برماحهم، فلما بضع لحمه وسال دمه قالوا له:

– أتحب أن محمداً مكانك؟

فأجابهم وهو يغالب نفسه من الألم:

– والله ما أحب أني في أهلي وولدي وأن محمداً ﷺ شيك بشوكة.

الله أكبر، هكذا فليكن الإيمان، وهكذا فليكن حب محمد ﷺ أما والله لو لم يكن لخبيب إلا هذا الموقف لكفاه شرفاً وفخراً وخلوداً، وإن رجلاً في مثل هذا الموقف وعلى مثل هذه الحال، بين الحياة والموت، يجيب بمثل هذا الجواب لهو مسلم بكل ما في كلمة الإسلام من معنى، وبأمثال خبيب هزم المسلمون – على قلتهم – جيوش الشرك والطغيان والظلم وفتحوا ثلاثة أرباع العالم، وبنوا حضارة ونشروا ديناً سيبقى لواؤه مرفوعاً في مشارق الأرض ومغاربها إلى يوم القيامة.

طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

من تلبيس إبليس

اعتاد رجل أن يعتذر عن ارتكابه المعاصي، بأن رحمة الله وسعت كل شيء، فاعترضه الحسن البصري - رضي الله عنه - وقال له: هذا من تلبيس إبليس عليك، إنما الرحمة للمتقين ألم تقرأ قول الله - تعالى -:

﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾(١).

إن من الشعر لحكمة

ولقد أمر على اللئيم يسبني
فمضيت ثمت قلت لا يعنيني

نصيحة

بعث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - شريحا على قضاء الكوفة وقال له: «ما تبين لك في كتاب الله فلا تسأل عنه أحدا، وما لم يتبين في كتاب الله فاتبع سنة رسول الله ﷺ وما لم يتبين في السنة فاجتهد رأيك».

إنها لا ترثني

من لطائف المنقول عن المغفلين، قيل لبعضهم: عندك مال جزيل وليس لك إلا والدة عجوز، وإن مت ورثتك فأفسدت مالك فتصدق بجزء منه. فقال: إنها لا ترثني، قيل له: وكيف ذلك، قال: لأن أبي طلقها قبل أن يموت.

---

(١) الأعراف (١٥٦)

متوكل على القافلة

عزم جماعة من طلبة العلم على الحج، وأحب الإمام أحمد بن حنبل أن يطمئن عليهم، ولفت انتباهه شأن أحدهم، حين استعد كل واحد من الجماعة بالزاد والنفقة إلا هذا الطالب فما جهز شيئا.

فسأله الإمام أحمد بن حنبل عن سبب ذلك؟

فقال: إنما أنا متوكل على الله!!

فقال له الإمام أحمد: ألست مع القافلة؟

فقال الطالب: بلى، إني معهم

فقال له الإمام أحمد: أنت متوكل على القافلة.

على قدرك

نظر رجل من الحذاق إلى رجل من جهال الناس عليه ثياب حسنة، ويتكلم ويلحن، فقال له: تكلم على قدر ثيابك، أو البس على قدر كلامك.

من أحب الناس إليك

قيل لإبليس: من أحب الناس إليك؟ قال: عابد بخيل، قيل فمن أبغض الناس إليك؟ قال: فاسق سخي فينجيه سخاؤه.

قضاء حوائج الناس

من كثرت نعم الله عليه، كثرت حوائج الناس إليه، فإن قام بما يحب الله فيها عرَّضها للدوام، وإن لم يقم بما يحب الله فيها عرضها للزوال.

أوجع بيت هجاء

قال عبدالملك بن مروان: ما هجاني أحد بأوجع من بيت هجاني به ابن الزبير وهو:

فإن تصبك من الأيام جائحة

لم نبك منك على دنيا ولا دين

دعاء

اللهم صل على محمد وآله، وارزقني سلامة الصدر من الحسد حتى لا أحسد أحداً من خلقك على شيء من فضلك، وحتى لا أرى نعمة من نعمك على أحد من خلقك - في دين أو دنيا أو عافية أو تقوى، أو سعة أو رخاء - إلا رجوت لنفسي أفضل ذلك بك، ومنك وحدك: لا شريك لك.

الراحمون يرحمهم الرحمن

للأستاذ / أحمد السيد تقى الدين

رعاية الطفولة كانت ولازالت واحدة من أهم الموضوعات التى ناقشها ولازال يناقشها الجهاز الإعلامى بمختلف تخصصاته واتجاهاته. واهتمت بها أجهزة الدولة فخصصت معاهد بحثية وأجهزة متخصصة لبحث ومعالجة مشكلات الطفولة فى مصر.

ومن يتابع جهاز التليفزيون المصرى يجده عامرا بمختلف البرامج المخصصة لمخاطبة الطفل وبحث ودراسة مشكلاته وبرغم هذا بقيت البرامج والأبحاث عاجزة وقاصرة عن أداء مهمتها لسببين الأول أنها تخاطب طبقات ذات مستوى ثقافى غير منخفض فى أغلب الأحوال. أى أنها تخاطب فئة من المجتمع تملك الوعى الذى يؤهلها لرعاية أطفالها وماعدا ذلك من فئات المجتمع لاتستفيد من هذه البرامج والأبحاث.

والثانى - وهو موضوع مقالنا - أن القائمين على التنفيذ فيما يتعلق برعاية الطفولة غير مؤهلين أو هم غير مدركين لأهمية الدور الذى يقومون به، وحديثى هنا لن يكون عن التليفزيون أو الصحافة أو الجامعات والمعاهد المتخصصة. إنما سيكون عن دور المسجد من خلال قصتين الأولى سمعتها والأخرى عايشتها.

القصة الأولى: وقعت فى يوم قائظ من أيام الصيف الذى عشناه جميعا فى القاهرة تجمع عدد من الأطفال ممن يطلق عليهم اسم «أطفال الشوارع» يسيرون حفاة يرتدون أسمالا بالية ولم يجدوا مكانا يحتمون به من وهج الشمس سوى بيت من بيوت الله.. وكان الوقت وقت صلاة الظهر فدخلوا المسجد، ومنه إلى دورات المياه ملتمسين ماء يطفئون به لهيب الحر، وبدلا من أن يتوضأوا للصلاة بدأوا فى الاستحمام بعد أن تخففوا من أسمالهم فصاروا عراة، وهم أطفال دون العاشرة، وفوجىء بهم خادم المسجد وهم يلهون بالمياه فألقى بهم خارج المسجد على عريهم وهو يدفعهم بالعصا، وألقى لهم بأسمالهم فى الشارع فأمسكوا بها بهدوء يلبسونها، وعادوا ثانية يهيمون على وجوههم.

وواصلوا السير، قال لي صديقي بعد أن روى لي هذه القصة: لقد توجهت إلى شيخ المسجد وقلت له: هل ما حدث مع هؤلاء الأطفال سلوك إسلامي؟

فرد قائلا: المسجد به عهدة يخشى عليها من السرقة أو على الأقل الإتلاف.

فقلت له: إن رسول الله ﷺ قال: «إن الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا، ولكن بعثني معلما ميسرا»[1].

وما حدث مع هؤلاء الأطفال هو العنت بعينه، لقد جاءوا إلى المسجد ينشدون الظل والماء والأمان، وكان من الممكن احتضانهم داخل المسجد ساعات الصلاة وتعليمهم أمور دينهم، وكانوا سيجدون من يمد لهم يد المساعدة من أهل الخير.

جماعات التبشير في أفريقيا وآسيا لا تغلق كنائسها في وجه أمثال هؤلاء بل ترحب بهم وتحتضنهم وتقدم لهم المسكن والملبس والطعام وبعد ذلك يبدأون في مباشرة عملهم فما المانع في أن نكون مقلدين لهم في هذا، لاسيما وأن هؤلاء الأطفال لا يجدون من يعلمهم من أمر دينهم شيئا فهم هائمون على وجوههم في الشوارع.

هؤلاء الأطفال لم يجدوا داخل المسجد عدلا ولا إحسانا والله ـ سبحانه وتعالى ـ يقول:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾[2].

لم يجدوا الداعية الذي يعمل بكتاب الله:

﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[3].

لم يجدوا من يطبق حديث رسول الله ﷺ «الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[4].

القصة الثانية: عايشتها عن قرب، فقد كان بطلها لجلي الذي لم يكن قد أكمل عامه التاسع.

اعتاد حسين منذ فترة وجيزة على الذهاب للمسجد لأداء الصلاة بصحبة عدد من قرنائه، ووجدوا المسجد يقوم بتحفيظ القرآن وتعليم العبادات من خلال عدد من الشباب.

كان الأطفال يتجمعون في غرفة ملحقة بالمسجد، وذات يوم وأثناء الدرس ارتكب أحد الأطفال جريمة الضحك فعوقب بالطرد، وارتكب آخر جريمة السرحان فعوقب بالطرد ثم ارتكب ابني جناية الكلام بدون إذن فعوقب بالطرد أيضا، وتكررت تلك الجرائم المنكرة من جانب هؤلاء الأطفال المتراوحة أعمارهم بين سبعة وتسعة أعوام فكان

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١/٨٠، ٨١ ط دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٢) النحل (٩٠)

(٣) البقرة (٨٣)

(٤) أخرجه أبو داود والترمذي.

تصيبهم الطرد المتكرر وضحت زوجتى من هذا الأمر خاصة وأن حسين اتخذ قرارا بمقاطعة المسجد وعدم دخوله مطلقا لا للصلاة ولا للدرس، وعبثا حاولت معه إلا أنه أبى ولم يُجْد معه النصح.

وكان منطقه هو: الشيخ يقول: ممنوع الضحك، وممنوع الكلام وأنا سأضحك وأتكلم بدون قصد والشيخ قال: لا تعودوا إلى الجامع.. الجامع للعاقلين وأنتم مجانين.

غير أن والدته نجحت فى إقناعه بأن يذهب إلى مسجد آخر للصلاة وسماع الدرس فوافق ولكن على الصلاة فقط أما الدرس فلا!!

فقررت أن تذهب للمسجد معه للبحث عن هذا الشيخ فوجدته شابا فى مقتبل العمر فلما سألته عما جناه الطفل حتى يطرد المرة تلو الأخرى فكان الجواب المذهل: أولياء الأمور يرفضون ضرب أبنائهم، ولابد من امتلاك وسيلة عقاب ولا يوجد أمامنا إلا الطرد، واستطرد: الحكومة ألغت الكتاتيب بحجة أنها تعتمد على الضرب كوسيلة عقابية مع المقصرين فى حفظ كتاب الله وهذا هو سبب قلة حُفّاظ كتاب الله اليوم.

فردت عليه زوجتى: الرسول ﷺ قال: «مروا أبناءكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم فى المضاجع»[٥].

هذا هو العقاب الإسلامى للطفل إذا أهمل الصلاة، والصلاة كما قال عنها رسول الله ﷺ: «الصلاة عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين».

ولكن الشيخ قال: الكلام سهل المشكلة إن العيال دى «مدلعة» ومرفهة ولا يصلح معها غير العقاب الرادع إما الضرب وإما الطرد.

والآن وبعد الفراغ من عرض القصتين نتساءل: ما هى رسالة المسجد فى الإسلام؟ هل المسجد مجرد عهيدة وأثاث فاخر يخشى عليه من التلف أو السرقة فنحجب عنه اللائذين به الآملين فى رحمة الله؟ وهل الضرب والطرد وسيلتان وحيدتان لتعليم كتاب الله للأطفال؟

الجواب نجده فى كتاب الله ـ عز وجل:

﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[٦]

أقول: لابد من الرفق واللين والرحمة، والرسول ﷺ قال: «لاتنزع الرحمة إلا من قلب شقى»[٧] وقال: «لن تؤمنوا حتى تراحموا»[٨] بل إن الجنة وسعت بغيا سقت كلبا، ووسعت النار أخرى حبست هرة حتى ماتت.

فأين دور المسجد من برامج التليفزيون فى تربية الأطفال.

---

(٥) أخرجه الحاكم وأبو داود.

(٧) أخرجه الترمذى وأبو داود.

(٦) آل عمران (١٥٩)

(٨) أخرجه الطبرانى.

صورة مشرقة من أدب المتعلمين مع معلميهم

للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

أدب الله رسوله ﷺ فأحسن تأديبه وعلمه فكان علمه وأدبه وحيا متصلاً بالسماء هدفه الرقى بالإنسان والسمو بأخلاقيات البشر وانتشالهم من حمأة الرذيلة إلى آفاق الفضيلة والسير بهم فى طريق الرشاد تكريما من الحق للخلق. ولقد تميز الإسلام الحنيف على شتى القوانين الوضعية بإعلاء قيمة الخلق الرفيع وتفضيل الأدب على العلم - لأن العلم مالم يتوج بتاج من القيم والمبادىء والمثل التى تتغيا رفعة الإنسان وجعل سلوكياته أكثر تحضراً وعدم حصرها فى إطار من الماديات الضيقة - العلم بهذا المنظور يفرغ نفسه من جوهره ويحد من ذاته فى إطار حسى بحت ينأى به عما خلق له.

ومن هنا قال الشاعر:

لا تحسبن العلم ينفع وحده
ما لم يتوّج ربه بخلاق

وقال آخر:

وارفعوا دولتى على العلم والأخلاق
فالعلم وحده ليس يجدى

وهى مسألة دقيقة تضيع وتغيب أو تُغيّب فى زحام الأحداث المتتابعة وتفقد محتواها وسط جلبة الضجيج الإعلامى الهادر الذى لا يعطى الكثيرين فرصة التريث والتأمل ووضع الأمور فى نصابها. ومن هنا تأتى أهمية القضية المطروحة على بساط البحث وأعنى بها أولوية الخلق على العلم، الأمر الذى يستوجب احترام التلميذ لأستاذه والطالب لمعلمه وهو أمر يزيد فى أهميته تزامنه مع ابتداء عام دراسى جديد وانتظام البنين والبنات فى مدارسهم ومعاهدهم وجامعاتهم بغية التخلق بالأدب الجم والعلم المفيد النافع.

إن خير ما تحلى به طالب العلم وازدان به المتعلمون أدب يدفع كلاً منهم إلى الاهتمام بمعالى الأمور والبُعد عن سفسافها ويبلغ بصاحبه من الكمالات النفسية والعقلية والذهنية أوجها. إنه الأدب الذى يُبوء صاحبه حظاً من التوفيق يجعله لبنة صالحة فى بناء أمته، إنه الخلق الذى تصبح به صورة

المتعلم المسلم أكثر وضاءة، وأشد سطوعاً، وأبهى معنى، وأعظم مغزى يجعله يتفوق على من سواه من المتعلمين كيف لا وهو فى كل ما يحصل من علم ويأتى من خلق يضع نصب عينيه نبراساً ينير له السبيل من قوله ﷺ: «ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة»(١).

ولقد اهتم أساطين الفكر الإسلامى أشد الاهتمام بهذا الموضوع وألفوا فيه من بدائع الكتب ما احتوى خالص التوجيهات التى تعد بحق إحدى مفاخر الحضارة الإنسانية ومآثر التربية الإسلامية التى تُعلى من شأن القيمة والجوهر والمضمون والمحتوى دون التقليل من أهمية الشكل والقالب الذى ينبغى أن يكون مقبولاً مستساغاً. وليس الأمر مجرد وضع للقواعد والأصول والأطر، وإنما الأهمية الفعلية تكمن فى ارتباط القول بالفعل والتنظير بالتطبيق العملى حتى لا يقع المسلم تحت طائلة قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾(٢).

لأن السلوكيات حين تصطبغ بالتطبيق العملى تصبح ذات تأثير فعّال فى الواقع المعاش. والسنة النبوية رسمت فى الحديث الشريف صورة لأولئك الذين فصلوا بين القول والفعل صورة تجعل المطلع عليها يشمئز أن يكون واحداً منهم بل إنها تحفزه إلى المسارعة إلى ربط القول بالفعل والخلق بالعلم حتى يكون أهلاً لأن يتخذ قدوة تحتذى وأسوة تتبع.

وقد كان نتاج هذا الغراس الطيب الزاكى نماذج مشرقة وأمثلة مضيئة تعطى المعلم حقه من المكانة والرفعة فى أمور يراها أبناء الجيل الحالى أموراً معتادة لكنها تنبئ بصدق عن أناس صاروا بحسن خلقهم عطراً شذياً تزكو به الحياة وضوءاً ستيباً ينير على مدى الأيام وأحاديث طيبة تتعطر بها الألسن ولِمَ لا وهم أزاهير الدوحة النبوية والروضة المحمدية وأطيارها الغردة التى تنشد من الألحان أعذبها وتقدم من الخصال أنجبها وأطيبها، فافتح إذن قلبك وعين بصرك وأجبنى -رعاك الله- هل هناك أدب يراعى فى تقليب صفحات الكتاب حين قراءته؟ وقبل أن تجيب هذا هو الإمام الشافعى -رحمه الله- يخبر عن حاله مع شيخه الإمام مالك -رحمه الله- حين كان يقرأ الموطأ عليه فيقول: كنت أصفح «أى أقلب الورق» بين يدى مالك صفحاً رقيقاً هيبة له لئلا يسمع وقعها. فهل رأيت تلميذاً أكثر فى دماثة خلقه وأدبه الجم من تلميذ لا يود أن يسبب أدنى إزعاج لأستاذه حتى ولو كان مصدره صوت صفحات كتاب يقلبها

---

(١) أخرجه مسلم

(٢) الصف (٢، ٣)

بين يديه فما أجمله من إحساس رقيق!. ثم قل لي بربك هل هناك حرج أو غضاضة في أن يشرب تلميذ ماء أمام معلمه؟ ولا أقول يدخن أو يأتي من الأفعال ما يندى له الجبين، يجلي لنا هذه الصورة الربيع بن سليمان -غفر الله له- وهو تلميذ الإمام الشافعي وأحد رواة مذهبه حين يقول: والله ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إليّ هيبة له. فما بالك بأناس يجعلون من معلميهم مادة للسخرية والتندر!.. وأما عن الاعتراف بالجميل فحدث ولا حرج حتى ولو كان علماً يسيراً فهذا هو الإمام الحافظ شعبة بن الحجاج -رحمه الله- يقول: كنت إذا سمعت من الرجل الحديث كنت له عبداً مادام حياً. ويذكرني ذلك القول الكريم بأحدهم حين سمع القول المأثور: من علمني حرفاً صرت له عبداً. فثارت ثائرته وقال: بل قل من علمني حرفاً صرت له وداً. فقلت له على الفور: يا أخي تحملنا مالم نقصد إليه؛ فالعبد هنا ليس معناه أنك تعبده من دون الله أو تتخذه إلهاً والعياذ بالله فحاشى لله أن يكون ذلك هو القصد، أو تلك هي النية، بل المقصود صرت معترفاً بجميله، ذاكراً لفضله غير جاحد أو منكر له، أقدم له من الخدمات ما أحس معه أني قد كافأته ولو بأقل القليل ألم تسمع -هداك الله- أو تقرأ قول الشاعر وهو يحتفي بضيفه:

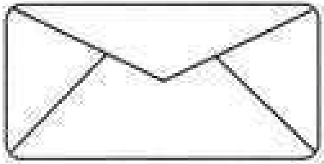
وإني لعبدُ الضيف مادام ثاوياً
وما بي شيمة بعدها تشبه العبد

فهو يخدمه ويتفانى في الترحيب به مدة إقامته عنده لا أنه يعبده أو أنه مملوكه.

ولا يقف التكريم للعلماء عند حد التكريم المادي بل يسمو إلى حد التكريم المعنوي، ومن أخص خصائصه الدعاء لهم بالخير والثناء عليهم بما هم أهل له ابتغاء رضا الله فيهم، فهذا هو الإمام أحمد - رحمه الله - يقول لابن شيخه الإمام الشافعي: أبوك من الخمسة الذين أدعو لهم كل سحر. قال: ولِمَ ذاك؟ قال أحمد: إن الشافعي كان كالشمس للدنيا وكالعافية للبدن فانظر هل لهذين من خلف؟. ثم هناك نقطة جوهرية تحراها الأقدمون تنبيهاً للمحدثين من خطر الخوض فيها وهي التغاضي عن عيب المعلم والتغافل عنه إن وجد له عيب والتماس العذر، له فقد كان بعض السلف إذا ذهب إلى معلمه تصدق بشيء ثم قال: اللهم استر عيب معلمي عني ولا تذهب بركة علمه مني. فهل بعد ذلك من تألق وحسن أدب وهل بقي في ذاكرة الأجيال من هذه المبادىء إلا عبقها الزكي وأريجها الفواح؟ فياليت أبناءنا وبناتنا يستمسكون بتلك السلوكيات التي اتخذها أقرانهم من السلف دستوراً وشعاراً ودثاراً ففازوا وربحوا لأنهم صدقوا الله فصدقهم وأخلصوا له النية فاجتباهم وعملوا بما علموا فأكرمهم وحباهم.

***

رسالة .. و .. رد



لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان

باسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فنبدأ إن شاء الله برسالة الأخ رفيع عبد اللطيف النجار من دراجيل مركز الشهداء محافظة المنوفية التى يقول فيها: عند قراءتى للآية العشرين من سورة المزمل وجدت قوله تعالى:

﴿ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾[1] فى المصاحف التى تسلمها طلبة المعاهد الأزهرية بينما هى مكتوبة فى المصاحف الأخرى التى طبعت بمطابع الأزهر الشريف بهذه الصورة:

(علم ألن تحصوه فتاب عليكم) فلا أدرى أهو خطأ طباعى أم لا؟ فإذا كان خطأ طباعياً فأرجو التنويه إلى ذلك فى مجلة الأزهر وإذا كانت الأخرى فأرجو توحيد الطبعات حتى لا يحدث لبس عند بعض الناس.

وقبل أن أجيب الأخ رفيع عن سؤاله أود أن أشير إلى أن سؤاله يتصل بما يسمى رسم المصحف وهو أحد علوم القرآن الكريم الذى مازال يدرس – بحمد الله تعالى – فى معاهد القراءات، ذلك أن خط المصحف الشريف يخالف الخط الإملائى الذى تعرفه ونسير عليه فى كتاباتنا ومطابعنا سوى مطابع المصحف الشريف، والمراد برسم المصحف الخط الذى كتب به فى عهد عثمان – رضى الله عنه – وهو خط متميز يختلف بعض الشىء عن القواعد الإملائية التى وضعها علماء اللغة بعد كتابة المصاحف

(١) المزمل (٢٠)

العثمانية. ومن مظاهر اختلاف خط المصحف عن الخط الإملائي زيادة الألف بعد الواو المتطرفة في نحو (ملاقوا، بعقوا) وزيادة الفتحة الممدودة واواً أو ياء في مثل «الصلوة، الزكوة» وما شابه ذلك مما يخالف النطق والكتابة الإملائية في جزء يسير منه وعناية العلماء برسم المصحف ودراسته يشير إلى أي مدى بلغت عناية الأمة واهتمامها بالقرآن الكريم وهو ما قيضه الله - تعالى - لهذا الكتاب العزيز ليظل محفوظاً كما وعد سبحانه في نطقه ورسمه وليتحقق قوله تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[٢].

فليس الحفظ خاصاً بصوت الكلمات ونطقها بل بصورتها وشكلها كذلك».

والتزام الرسم العثماني في كتابة المصاحف وطبعها هو رأى جمهور العلماء.

ذكر الإمام السيوطي في الإتقان: «سئل مالك هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء فقال: (لا إلا على الكتبة الأولى) رواه الداني في المقنع. ثم قال: (لا مخالف له من علماء الأمة) وسئل - رضي الله عنه - مرة أخرى عن الحروف المزيدة في الرسم المعدومة في اللفظ في نحو (أولوا) فالواو الأولى وكذا الألف تكتب ولا تنطق أترى أن يغير رسمها في الصحف يعني المصحف. (قال: لا)، وقال الإمام أحمد - رضي الله عنه: يحرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو أو ياء أو ألف. وقال البيهقي في شعب الإيمان: من يكتب مصحفا فينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به تلك المصاحف ولا يخالفهم فيه ولا يغير مما كتبوه شيئاً فإنهم كانوا أكثر علما وأصدق قلباً ولساناً وأعظم أمانة منا فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكاً عليهم[٣].

ونأتي إلى الجزئية التي التبست على الأخ رفيع وهي قوله تعالى في الآية العشرين من سورة المزمل: (ألن تحصوه) التي كتبت في مصحف الإمام، الموزع على طلاب المعاهد بوصل النون مع اللام أي الإدغام وفي باقي المصاحف حتى المطبوعة في الأزهر ﴿ أَن لَّن تُحْصُوهُ ﴾ بفصل النون عن اللام وهذا يسمى في علم رسم المصحف بالوصل والفصل.

واطمئن الأخ السائل إلى أن المسألة ليست فيها خطأ مطبعيٌّ ولا شيء، والأمران جائزان كما قال علماء الرسم الذين قرروا أن كل موضع فيه ﴿ أَن لَّن ﴾ يجوز فيه الوصل والفصل إلا في موضعين هما قوله تعالى من سورة الكهف:

---

(٢) الحجر (٩).

(٣) الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي جـ٢ ص٢٧٣ ط. المعاهد الأزهرية بتصرف يسير جداً.

﴿ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴾(٤).

وقوله تعالى في سورة القيامة:

﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ﴾(٥).

ففي هذين الموضعين لا يجوز الفصل:

﴿ أَن لَّن ﴾ بل يجب الوصل بمعنى وصل النون باللام أي الإدغام.

وفي باقي المواضع ومنها آية المزمل يجوز الأمران الوصل ﴿ أَلَّن ﴾ والفصل:

﴿ أَن لَّن ﴾ ذكره السيوطي في الإتقان(٦).

هذا والله أعلم وبه التوفيق،،

لمن تكون الشبكة عند فسخ الخطبة؟

● **والرسالة الثانية في هذا العدد من الأخ القارىء -تعمد ألا يذكر اسمه حتى لا يُعرف- لأنه من الريف -كما يقول- ويطلب في رسالته الرد السريع على هذه الاستفسارات:**

١- لمن تكون الشبكة عند فسخ الخطبة؟

٢- وكذلك المواسم النقدية والذهبية تكون من حق من؟

٣- وأيضا فستان الخطوبة ومحتوياته تكون من حق من؟

٤- تكاليف الخطبة من جاتوهات وأنوار هل ترد إلى العريس (يقصد الخاطب)؟ ثم يقول: وهل يوجد فرق بين أن يكون فسخ الخطبة بسبب العروس أو العريس (يقصد الخاطب والمخطوبة) ويسأل في آخر رسالته قائلاً: هل إذا خطبتُ ثانيا أكون مذنبا؟

- وبداية أقول للأخ السائل: إن الخطبة (بكسر الخاء) وعد بالزواج ونقدمة له تسبق العقد وغالبا ما يكون معها أو بعدها تقديم الهدايا والهبات وربما بعض المهر أو كله ومما أن الخطبة مجرد وعد بالزواج فيجوز لكل واحد من الطرفين الرجوع فيها وفسخها إذا رأى مصلحة في ذلك فإذا لم يكن ثمة سبب للفسخ كان ذلك من باب خلف الوعد الذي جعله الرسول ﷺ علامة من علامات النفاق؛ فقد روى أن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - لماحضرته الوفاة قال: «انظروا فلانا -لرجل من قريش- فإني قلت له في ابنتي قولاً كشبه العدة وما أحب أن ألقى الله بثلث النفاق وأشهدكم أني قد زوجته».

وقد جُعلت الخطبة ليتعرف كل من الخاطب والمخطوبة على أخلاق بعضهما البعض وأحواله لكن ينبغي لكل منهما أن يحاول السؤال والتحري قبل الإقدام على الخطبة وإشهارها ليكون ذلك أدعى لعدم الفسخ لأن في الفسخ كسراً لخاطر أحدهما ومجالاً لإشاعات السوء.

---

(٤) الكهف (٤٨).

(٥) القيامة (٣).

(٦) الإتقان جـ٢.

وإذا كان الخاطب قد قدم المهر أو بعضه ثم فسخت الخطبة فله الحق في استرداده لأنه دفعه في مقابل الزواج وعوضا عنه والزواج لم يتم فله استرداده عند كل العلماء، أما الشبكة فقد ذهب الأحناف إلى أن الشبكة وكل الهدايا تأخذ حكم الهبة فلا يستردها الخاطب إلا إذا كانت قائمة على حالتها لم تتغير فإن لم تكن قائمة بأن فقدت أو بيعت أو كان طعاماً فأكل أو قماشاً فصار ثوباً فليس للخاطب شيء منه أو استرداد بدله، وبهذا الرأي أخذت المحاكم الشرعية في قوانين الأحوال الشخصية وعليه فهلاك الشبكة أو استهلاكها مانع من رجوعها، أما إذا كانت قائمة على حالها لم تتغير فيستردها الخاطب عند الفسخ كالأسورة والساعة والعقد والخاتم ونحو ذلك، هذا رأي الحنفية، أما المالكية فقد فصلوا فقالوا: إذ كان فسخ الخطبة من جهة الخاطب لا يسترد من الشبكة أو الهدايا أو النقود في المواسم وما شاكل ذلك، أما إذا كان الفسخ من جهة المخطوبة أو وليها فيأخذ الخاطب كل شيء من ذهب ومال سواء كان باقيا على حالته أم لا، فإذا كان قد هلك أو بيع أو استعمل فيأخذ قيمته إلا إذا كان هناك شرط بغير ذلك، وهذا المذهب قريب من الواقع وارتضاه كثير من العلماء. ولا يفوتني أن أذكر أن تكاليف حفل الخطوبة من طعام وشراب وأنوار وخلافه فلا رجوع وكذا فيما اعتقد فستان الخطوبة.

هذا وإذا كان العرف قد جرى بأن الشبكة تعتبر جزءاً من المهر فقد رأينا بعض الناس يتفقون على الشبكة وحجمها ونوعها وقيمتها كالمهر سواء بسواء، فعندئذ العرف محكم ولابد من ردها حتى ولو كان الفسخ من جهة الخاطب.

ويسأل الأخ القارىء: هل إذا فسخ خطوبته وخطب فتاة أخرى هل يكون مذنباً؟

- والجواب: إذا كان الفسخ لمبرر فليس عليك ذنب إذا خطبت فتاة أخرى لأن المراد بالخطوبة تعرف كل واحد من الخاطب والمخطوبة على الآخر فإذا كان هذا التعرف قد أسفر عن أن هذه الفتاة لا تصلح له فيفسخ الخطبة ويخطب غيرها فلا ذنب عليه، أما إذا كان فسخ الخطبة لأنه رأى واحدة أجمل أو أغنى فقد ارتكب ذنباً.

هذا والله أعلم وبه التوفيق.

***

اليهود وتهمة الدم

للدكتور / محمد حسن عبد الخالق

لقد اتهم اليهود بالقتل واستعمال الدماء فى طقوسهم الدينية وأعيادهم وخصوصا (عيد الفصح) الذى يقال إن خبزه المقدس يعجن بدماء الضحايا من غير اليهود وقد اخذت تهمة الدم بعدها الجاد فى القرون الوسطى وأدت هذه التهمة إلى محاكمات ومذابح لليهود على مر العصور وقد حاول كثير من اليهود تفنيد التهمة وإقناع الناس ببطلانها ولكنهم فشلوا واستمرت تهمة الدم مرتبطة ارتباطا وثيقا بصورة اليهودى طوال العصور.

وجرائم تهم الدم عديدة منها ما ذكره المؤرخ الفرنسى «شارل لوران» فى كتابه الشهير «المسائل التاريخية عما جرى فى سوريا سنة ١٨٤٠» عن مقتل الأب توما وخادمه إبراهيم عمار .. فى دمشق.

وقد لخص الدكتور يوسف نصر الله هذا الحادث فى مقدمة الترجمة العربية للكتاب على النحو الذى ننقله هنا بالحرف الواحد.

«وفى مساء اليوم الخامس من شهر فبراير سنة ١٨٤٠م قصد الأب توما حارة اليهود بقصد تطعيم ولد للوقاية من الجدرى فلبى الدعوة فى الحال ولما أن شاهد أن الولد المطلوب لأجله مريض وفى درجة الخطر لم يرَ إجراء التطعيم موافقا فرجع لديره وكان بالقرب من بيت الولد المريض دار «داود هرارى» وكان هذا الرجل معدودا من أتقى اليهود فى الشام، وكان النصارى يبالغون فى اعتباره وتوقيره وإكرامه، حتى إنهم كانوا يقولون عنه يهودى نصرانى صالح، وكان داود هرارى صديقا للأب توما فلما رآه مارا أمام داره استدعاه للدخول فلبى الأب دعوته ودخل فوجد هناك أخا داود وعمه واثنين من عظماء اليهود فلما صار فى إحدى الغرف أغلق الباب، وانقض الجميع عليه كالذئاب الكاسرة، ووضعوا على فمه منديلا وربطوا يديه ورجليه ثم نقلوه إلى غرفة بعيدة عن الشارع وألقوه هناك إلى أن أظلم الليل وأخذوا فى الاستعدادات اللازمة لذبحه فلما جاء حضرة

الحاخام استدعوا حلاقا يهوديا اسمه « سليمان » وأمروه بأن يذبح القسيس فخاف هذا الرجل وامتنع عن الإقدام على العمل فجاء الرجل التقي بين اليهود.. الرجل الوقور داود هراري صديق الأب توما بنفسه فأخذ السكين ونحره ».(١)

ويمضي الدكتور يوسف نصرالله في تلخيص الحادث المروع من واقع التحقيقات الرسمية التي قدمها المؤرخ الفرنسي في كتابه، ويذكر كيف ارتجفت يد القاتل وهو يذبح صديقه، فتقدم أخوه هارون وأكمل الذبح، وكان سليمان الحلاق قابضا لحية الأب توما، وكان الحاضرون يتناولون الدم في إناء ثم يضعونه في زجاجة بيضاء أرسلت فيما بعد إلى الحاخام باشا يعقوب العنتابي، وبعد أن تمت تصفية دم الذبيح على هذه الحالة نزعوا ثيابه عن جثته وأرقوها ثم قطعوا الجسد قطعا وسحقوا العظام بيد الهاون وطرحوا الجميع في أحد المصارف المجاورة لمنزل الحاخام موسى أبو العافية وظنوا أنهم بهذه الوسيلة قد دفنوا الحادثة في قبر عميق، ولكن الدم البريء بقي يصرخ إلى الله كصراخ هابيل عندما قتله قابيل أخوه، فلما طال وقت رجوع الأب توما إلى ديره قلقت أفكار خادمه إبراهيم عمار، وبما أنه كان عالما بتوجه معلمه لحارة اليهود فقد ذهب اليها يسأل عنه فدخل دار داود هراري وسأل من كان فيها عن سيده فأدخلوه منزل بعض المتهمين وذبحوه كما ذبحوا معلمه، وكان الأب توما دعي لوليمة عند طبيب والي دمشق في ٦ فبراير، ولكنه لم يذهب في الميعاد المحدد بسبب فقده قبل ذلك اليوم وعدم رجوعه إلى الدير وجرى البحث عنه إذ ذاك بدون فائدة.

« أما كشف الحادثة فكان على الصورة الآتية : وهو أنه في صباح اليوم الثاني ٦ فبراير جاء الذين كانت عادتهم الحضور لسماع قداس الأب توما فمن حضر منهم أولا ظن أنه نائم ومن حضر أخيرا حسب أن القداس انتهى، والقسيس خرج لأشغاله مع أنه شاهد الأب توما عشية أمس متوجها لحارة اليهود فقلقت أفكارهم فأعلموا الباقين بالأمر فوقع بين الشعب هيجان وسار البعض إلى سراي الحكومة وطالبوا بالبحث والتدقيق عن هذا الأب ».

« واشتغل قنصل فرنسا بهذه القضية وأعطاها ما تستحقه من الأهمية فظهر أثناء التحقيق أن الحلاق اليهودي دعي ليلا عند التاجر اليهودي هراري فنظر الأب توما مكتفا ومطروحا على الأرض، ثم جرى ما جرى كما سلف، وعند وجود الجثة عثر على قطعة من الطاقية التي كان يلبسها الراهب وهي معروفة في كل دمشق ».

واعترف إذ ذاك سبعة من المتهمين قائلين أنه قبل الواقعة بأيام أخبرهم الحاخام باشا أنه يلزم الاستحصال على دم بشري لاستعماله في عيد الفصح القريب فأجابه داود هراري أنه سيتحصل

(١) د/ فتحي الرملي.. الصهيونية أعلى مراحل الاستعمار.

على ذلك ولو كلفه من الأموال ما لا يعد. وكان المتهمون وقت اعترافهم محبوسين فى حبس الانفراد واعترافاتهم جاءت مطابقة لبعضها وبواسطتها صار الاستكشاف على الجثة وعلى بعض الملابس».

ويختتم المترجم تلخيصه لهذه الجريمة الوحشية قائلا:

«وبعد ان تمت التحقيقات ثبتت التهمة ضد المتهمين وتوفى اثناء المحاكمة اثنان منهم، ونال العفو أربعة لأنهم أقروا بالحقيقة، وحكم على العشرة الباقين بالإعدام».

ولكن بعد الوسائط الفعالة صدر عفوا عن المجرمين إجابة لاسترحام عموم الشعب الإسرائيلى.[2]

ولنرجع إلى التعاليم الدينية اليهودية لنرى ان الدماء والإبادة لغير اليهود تعتبر عبادة:

فالتحريم فى المعنى اليهودى هو إبادة كل شيء فى مدينة مهزومة او إهلاكها أوتخريبها تخريبا تاما ومعنى ذلك فى المفهوم اليهودى والفكر الدموى انه إذا انتصر الجيش اليهودى على اعدائه فإن الدولة المهزومة يجب ان تهدم وتخرب تخريبا تاما ويقتل أهلها جميعا ذكورا وإناثا اطفالا وشيوخا وكذلك كل ما فيها من حيوانات ومواش وغير ذلك مما هو موجود فى المدينة او الدولة المهزومة.

اما المعادن فتبقى وتطهر وتنقل إلى المعبد اليهودى وتودع فيه إذ هى مستثناه من التخريب.[3]

اليس هذا ابلغ دليل على انهم منذ نشأتهم الأولى ميالون إلى سفك الدماء، وتشريد غير اليهودى اى البشر جميعا وأحكام التلمود خير دليل على اقوالى وانهم بفطرتهم ميالون إلى جمع الذهب والفضة والمعادن الثمينة الاخرى ونقلها الى المعبد كي تكون فى يد كهنتهم الذين يحرمون ويحللون مايحلوا لهم. اما القتل وسفك الدماء فمن نصيب غير اليهود وقد ورد فى التلمود: «من العدل ان يقتل اليهودى بيده كل كافر لان من يسفك دم الكافر يقرب قربانا إلى الله» وقد اعتمد اليهود على أن التحريم هو أمر إلهى وأن ابادة المدن المهزومة تنفيذا لما جاء فى التوراة عندما أمر الرب موسى بتنفيذ التحريم فقد جاء فى التوراة «متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التى انت داخل إليها لتمتلكها وتطرد شعوبا كثيرة من امامك..... لاتقطع لهم عهدا ولاتشفق عليهم».[4]

ومايجرى الآن على الساحة الفلسطينية من سفك دماء تروى بها الأرض على مسمع ومرأى من العالم من اجل صنع فطيرة عيد الفصح.

---

(٢) د/ فتحى الرملى، الصهيونية أعلى مراحل الاستعمار ص٧٠ - ٧٢.

(٣) د/ حسن ظاظا، السيد محمد عاشور: شريعة الحرب عند اليهود ص٢٠٦.

(٤) سفر التثنية ٧/١.

بين الصحف و المجلات

إعداد الأستاذ
محمود الفشني

الحرب الشرسة على الإسلام

نشرت مجلة المصور في عددها الصادر في ١٣ من سبتمبر في حوار أجرته الكاتبة سناء السعيد مع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى.

بدأت الكاتبة حديثها مع فضيلة الإمام الأكبر بقولها:

● الغريب أن بعض المسلمين والعرب تقبلوا الاتهام الذى ألصق بهم زورا وبهتانا وكأنما كان من المفروض عليهم المصادقة على كل ما تدعيه أمريكا.

فقال فضيلته:

●● هؤلاء بالقطع مخطئون وما كان يصح لهم أن يصادقوا على الاتهامات الموجهة بدون قرائن وأدلة ثبوتية.

● ألا ترون أن مسارعة أمريكا بإلصاق الجريمة بالمسلمين إنما يكشف عن كراهية دفينة نحو الإسلام وأهله؟

●● لاشك أن إلصاق التهمة بالمسلمين هو لون من التسرع في الحكم الذى يجب على العقلاء أن يتنزهوا عنه. ولكن هذا لم يمنع من أن هناك قلة تحفظت وقالت نحن لا نستطيع أن نوجه التهمة إلا بعد أن تثبت لنا الجهات الرسمية المختصة الأدلة التى يمكن بواسطتها توجيه الاتهام لمن ارتكب هذه الجريمة والدولة التى ينتمي إليها، فلا يمكن أن نلقي التهم جزافا على الآخرين.

● ماذا لو أن أمريكا مضت في غيها ووجهت ضربة للعراق؟

●● قال فضيلة الإمام: هناك وسيلتان.. الأولى أن القوة الظالمة الباغية يجب ألا تقابل مقابلة سلبية وإنما يجب على المعتدى عليه أن يقاوم والأعمار بيد الله، ومن لم يمت بالسيف مات بغيره.

فالأجل بيد الله ومن قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون عرضه فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد قال تعالى:

﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾(١).

إذن يجب الا نقف موقفا سلبيا إزاء من أصر على العدوان علينا واعتدى علينا فعلا، علينا أن نقاوم على قدر استطاعتنا، هذه هي الوسيلة الأولى، أما الوسيلة الثانية فهي أننا يجب أن نعلم بأن مصير الباغين والظالمين والمعتدين إلى الخسران وهذه سنة الله. على الذين يفرحون بقوتهم أن يعلموا بأن القوة إذا استعملت في الظلم والعدوان وقتل الأبرياء، فإن الله - عز وجل - سينتقم منهم إن عاجلا أو آجلا.

● هناك من طرح أسلوب المهادنة والتوسل مع أمريكا بدعوى أننا أمة مغلوبة على أمرها، هل يقبل الإسلام بهذا الطرح؟

●● هذا أسلوب لا يقبله الإسلام. ولكن إذا كانت المسألة تخضع لتقييم السياسيين فأحيانا أهل الخبرة تكون لهم نظرات فاحصة تختلف عن نظرات غيرهم.

فهي مسائل تقديرية تخضع للظرف، لكني ومن الناحية الشرعية أعود لأقول بأن من اعتدى عليّ وأصر على الاعتداء ظلما وعدوانا ووصل هذا العدوان إلى بيتي وبلدي فلابد أن أقاوم بالطريقة التي أملكها ثم بعد ذلك الأعمار بيد الله - عز وجل.

● تمادت أمريكا في سياسة الكيل بمكيالين ففي حين يطلق بوش على شارون رجل السلام ويسمي جرائم إسرائيل ضد الفلسطينيين دفاعا عن النفس نجده يدرج المقاومة الفلسطينية على لائحة الإرهاب ما هي رؤيتكم؟

●● رؤيتي كرؤية الكثيرين وهو أن هذا ظلم بين، وإذا كانت أمريكا تكيل بمكيالين فعلينا أن نقنعها بالأدلة المنطقية أن هذا يخالف شريعة الله، والعقل الإنساني السليم، ونسوق لها الأدلة التي تدل على أن إخواننا في فلسطين يجب أن نمد لهم العون ونقف إلى جانبهم حتى يأخذوا حقوقهم كاملة غير منقوصة وحتى تقام لهم دولتهم المستقلة الحرة ويجب على أمريكا أن تدرك أن من يؤيد المعتدي يكون ظالما ويكون مخطئا.

● أمريكا تعتزم إجراء ثورة إصلاحية في العالم العربي والإسلامي، ويقال إن كولن باول يجهز نفسه لهذه المهمة لطرح برنامج للإصلاح الديمقراطي في المنطقة يتضمن عددا من البرامج للتدريب على مسائل تعليمية وإعلامية وسياسية وأنه يعتزم القيام بجولة في المنطقة لتحقيق هذا الهدف الذي رصد له مبدئيا ٢٥ مليون دولار والهدف هو التدريب على نمط معين يتسق مع الغرب للتقليل من الامتعاض ضد أمريكا؟

●● هذا توجه غير سليم لأننا كمسلمين وعرب لنا قيمنا ولسنا في حاجة إلى من يعلمنا وإنما من أراد أن يأتي إلينا لكي يتعلم فمرحبا به، نحن على استعداد أن نعلمه، أما من يريد أن يأتي إلينا ليفرض علينا رأيا معينا أو منهجا معينا أو يفرض علينا وصاياه، فنحن نقول له لقد ضللت طريقك ولن نلتفت لا إلى آرائه ولا إلى نصائحه ليحتفظوا بإصلاحاتهم لأنفسهم فلسنا في حاجة إلى من يدربنا أو من يعلمنا.

---

(١) آل عمران (١٥٤)

هل أصبح الإسلام (عدوا) فى أمريكا و(مشكلة) فى أوروبا ؟

وفى «مجلة أكتوبر» فى عددها الصادر فى ٨ من سبتمبر كتب الأستاذ رجب البنا رئيس التحرير مقالاً قال فيه :

فى واشنطن تجمع ٣٠ ألف أمريكى مسلم ممن عانوا من المضايقات بعد الهجمات على نيويورك وواشنطن فى ١١ من سبتمبر. بدأ مؤتمر الأمريكيين المسلمين يوم ٣١ أغسطس ٢٠٠٢ بمناسبة مرور عام على الحادثة واستمر أربعة أيام، وقال رئيس الجمعية الإسلامية فى أمريكا الشمالية التى نظمت المؤتمر : إن هذا بلدنا، ونحن نحرص على الخير لهذا البلد ولكل إنسان، ولكننا نعانى من آثار ١١ سبتمبر على الحريات المدنية، وعلى الإسلام، وعلى الحياة السياسية فى الولايات المتحدة.

وقال أمين عام الجمعية سيد سعيد : إن الجمعية تسعى جاهدة للتصدى للتشويه الذى يتعرض له الإسلام والمسلمين، وتعمل على إبراز الفرق بين الصورة الحقيقية للإسلام والصور المتطرفة منه، وفعلنا كل ما فى وسعنا لتوضيح أن الإسلام لا يقدم هذا النوع من التطرف، ولكن كثيرا من المسلمين فى أمريكا عانوا من أوقات صعبة، داهمت الشرطة عددا من الجمعيات الخيرية الإسلامية كما داهمت عددا كبيرا من المساجد... وكان تعليق مراسل الإذاعة البريطانية فى واشنطن، اليكس قال، إنه على الرغم من جهود المسلمين للحيلولة دون اعتبار دينهم دين «الشيطان» فإن الهجمات غيرت من صورة الإسلام، ولفترة من الوقت شعر المسلمون فى أمريكا بالخطر يتهددهم، ولا يزال كثير منهم حتى الآن يرون أنه عليهم الدفاع عن أنفسهم من الاتهامات الموجهة إلى الإسلام.. وأخيرا تجمع عدد كبير من «التحالف لحماية الحرية السياسية» فى مسيرة كبيرة فى ميدان الحرية فى العاصمة الأمريكية.

هكذا، لم يجد المسلمون فى أمريكا وسيلة للتعبير عما يلاقونه من متاعب وتحيز ضدهم سوى عقد المؤتمرات والقيام بالمسيرات، ومع ذلك استمرت الحملة على الإسلام والمسلمين ولم يشفع لهم احتفال المسلمين بذكرى هجمات سبتمبر وإقامة الصلاة على أرواح الضحايا، وكشف إستطلاع أجراه مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية أن ٥٧٪ من مسلمى أمريكا تعرضوا لممارسات عانوا فيها من العنصرية والتمييز، وأن ٨٧٪ يعرفون زملاء لهم تعرضوا لهذه الممارسات، و٤٨٪ حياتهم تحولوا إلى الأسوأ، وأنهم ٦٧٪ وسائل الإعلام الأمريكية بأنها أصبحت أكثر عدائية للإسلام والمسلمين.

فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ

وعلى الصفحة الثالثة من جريدة (اللواء الإسلامى) الصادرة فى ٢٦ من رجب ١٤٢٣هـ كانت هذه الكلمة التى جاءت تحت عنوان «ليلة بكى فيها شارون ورفاقه»:

ماذا يقول شارون عن حرب أكتوبر؟!

شارون واحد من كبار القادة الذين عاصروا تلك الحرب، وخاضوا غمارها وبمناسبة الذكرى التاسعة والعشرين للحرب، فإن شارون تحدث قليلا عن حرب أكتوبر، فكان حديثه يقطر بالمرارة والحزن، فماذا قال؟!

فى البداية يؤكد أنه لم يعرف البكاء طيلة حياته العسكرية حتى استدعوه بعد تقاعده خلال الحرب الملعونة التى صبت لعنتها على إسرائيل، وقتها فقط عرفت معنى البكاء، فقد بكيت كثيراً بعدما شاهدت بنفسى مستقبل إسرائيل المظلم وحجم الضحايا من شباب إسرائيل.

ويضيف شارون: إن المصريين خدعونا بطقوسهم الدينية مرتين، مرة عندما أوهمونا أن القيادات العسكرية المصرية ستذهب لتأدية طقوس العمرة والحج، فاستكان اليهود، والمرة الأخرى عندما شنوا الحرب فى شهر صومهم، ولم يكن أذكى شخص فى العالم بأكمله قادر على تخيل حدوث ذلك.

ويقول شارون: إن المصريين لم يخدعونا بدينهم فحسب، ولكن بديننا ففى يوم الغفران، وجميع أفراد الجيش الإسرائيلى فى حالة استرخاء والقادة العسكريون يحتسون (الخمور والكونياك الفاخر) فى الغرف المكيفة كان المارد المصرى بدأ الضرب وبلا



رحمة محطماً سياج الغرور اليهودى.

ويقول شارون: إن اليأس تملكه فى تلك الليلة، وظلت الهواجس والكوابيس تطارده، وتيقن أن إسرائيل فى طريقها إلى هاوية سحيقة.

و «مجلة الأزهر» تكمل تصريح شارون بنشر صورة معبرة عن ذهوله، والضمادات تلف رأسه وهو يراجع الموقف العسكرى المتردى لجيش إسرائيل.

بين المجلة .. والقارئ

إعداد وتقديم / عادل رفاعى خفاجة

أمن الأمة فى الاعتصام بحبل الله

إصرارٌ متزايد من أمريكا على ضرب العراق، تنقل الصحافة العالمية أخباره بشكل متواصل، وأنباء عن تلك الضربة المتوقعة سواء بموافقة الأمم المتحدة أم بدونها!!

وفى ذات الوقت تنقل الصحافة أيضاً قول ميليسا فليمنج المتحدثة باسم الوكالة الدولية للطاقة الذرية: «إن الوكالة لم تنشر أى تقارير حول تطوير العراق للبرنامج النووى.. وكل ما صدر عن الوكالة مجرد نشرة الجمعة الماضية تؤكد أنه لا جديد بشأن هذا البرنامج».(١)

وبرغم أن إسرائيل لديها من الأسلحة ما يفوق كل ما تملكه الدول العربية مجتمعة.. بل هى تهدد أمن جيرانها إلا أن أمريكا تنظر إلى هذه الترسانة الضخمة - من السلاح بكافة أنواعه - على أنها لا تشكل خطراً.

فأمريكا فى الحقيقة لا تنظر إلا إلى مصالحها فى المقام الأول وهى لا تجد فى الدول العربية بوضعها الراهن المتفكك مصالح ذات بال.

وقد صرنا إلى هذا الحال برغم قول الله تعالى لنا:

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾(٢)

وفى الآية الكريمة حث على الوحدة وتحذير من التفرق.

والوحدة الشاملة مطلب إسلامى أمرنا الله بها حماية لأفراد المجتمع وتقليلا لمطامع الدول الأقوى. ونحن مسئولون أمام الله عن تنفيذها فإن لم نستطع تنفيذها، فلا نخلى أنفسنا من صورة من صورها بحسب ما نستطيع - فالتكامل الاقتصادى والارتقاء بمستوى التعليم

---

(١) جريدة الجمهورية فى عددها الصادر فى الاثنين ٢٠٠٢/٩/٩.

(٢) آل عمران - ١٠٣.

والبحوث دعامتان أساسيتان لتحقيق صورة من صور الوحدة الشاملة، وحسبنا قول رسولنا الكريم ﷺ : «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»[3].

وقوله ﷺ : «إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا......»[4].

ومعنى سددوا أى: الزموا السداد وهو الصواب من غير إفراط ولا تفريط فإن كان السداد - في أمرنا هذا - هو الوصول الى الوحدة الشاملة فإن المقاربة هي تحقيق صورة من صورها «أى التكامل الاقتصادى».

فإذا نجح العرب في تحقيق هذا التكامل الاقتصادي - الذي كثيراً ما نادت به مصر - لأصبحنا كتلة اقتصادية هامة في عالم مليء بالتكتلات، وبخاصة وقد أفاء الله على الأمة العربية بالخير الوفير الذي يتمثل في المواد الخام من «فوسفات - حديد - منجنيز ... إلخ» بالإضافة إلى البترول.

أقول: إذا نجح العرب في تحقيق هذا التكامل فإن العرب سيكون لهم شأن آخر يدفع الآخرين - ومن بينهم أمريكا - إلى تغيير حساباتهم معنا.

وإذا اقترن هذا التكامل الاقتصادي بالارتقاء في المستوى التعليمي والبحث العلمي في جميع فروع الحياة: «زراعة - صناعة - طب - اقتصاد... إلخ». فإن ذلك سيؤدى إلى ارتفاع مستوى معيشتنا ويقلل من اعتمادنا على الآخرين ويزيد من قدراتنا على التحاور ويزيد من فرص إحلال السلام في المنطقة لأن أمريكا قبل أن تخطط لضرب العراق أو أية دولة عربية أخرى ستفكر حينئذ في مصالحها التي ستصبح مهددة بالخطر، نتيجة للمقاطعة العربية مثلا!! وليكن ما ورد في الحديث السابق لرسول الله ﷺ من بشارة يتحقق في ذلك الازدهار الاقتصادي للأمة الذي يمنحنا الله - بفضله - سلاما من عنده أفضل من ذلك السلام الذي نستجديه من أمريكا!!

وأخيرا.. وعلى طريق الحل لمشكلة العراق لماذا لا يقترح العرب أن يكونوا «هم وبعض الدولة الصديقة» ممثلين ضمن أعضاء فرق التفتيش التي يسمح العراق لها بالدخول على أن ينتهي الحصار الذي دام أكثر من عشر سنوات للشعب العراقي عانى فيها الأطفال والنساء ألوانا من الظلم والبغي.

وليس في كتاب الله آية واحدة تأمر بالبغي أو الظلم، بل أمر دائم بالعدل مقترن بالنهي عن الظلم والبغي.

يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[5]

«المحرر»

---

(3) صحيح البخاري - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث رقم ٧٢٨٨.

(4) صحيح البخاري - كتاب الإيمان - باب الدين يسر حديث رقم ٣٩.

(5) النحل - ٩٠.

هجمات أمريكا لن تقتصر على العراق

وفى نفس الاتجاه أرسل القارئ الأستاذ / إبراهيم عبدالوهاب شرف مدير الإدارة القانونية بجامعة المنصورة.. يقول:

«... رسالتى إلى المجلة وبالذات إلى باب «بين المجلة والقارئ» عما يحدث اليوم على الساحة العالمية وبالذات الهجمات التى تقوم بها الولايات المتحدة الأمريكية ضد دول الإسلام فى جميع أنحاء المعمورة.. بدعوى أن بعض الدول الإسلامية وضعت على قائمة الإرهاب ومنها بعض الدول العربية وبالذات العراق وسوريا وليبيا وفلسطين وغيرها.

وما حدث فى أفغانستان ليس ببعيد، تلك البلدة المسلمة التى عانت من كثير من الضربات الأمريكية وباستخدام الأسلحة المحرمة دولياً حتى لقد أتوا على معظم مدن هذه الدولة الضعيفة وقراها وحولوها إلى خراب ودمار لم يشهد العالم مثله منذ الحرب العالمية الثانية حتى وصل بهم الأمر أنهم حوّلوا أفراح بعض الناس إلى مآتم وأحزان إذ تناقلت وسائل الإعلام العالمية.. ضرب الطائرات الأمريكية لفرح فى إحدى القرى الأفغانية بالقنابل حتى تقضى على أهل الفرح تماماً وذلك باستخدام أشد أنواع القنابل فتكاً.. تحول الفرح إلى مأتم وتحول جو السرور إلى موت وخراب.

وكل ما وعدوا به هو إجراء التحقيقات فى هذا الشأن ولا أدرى أى تحقيق تجريه الولايات المتحدة فى هذا الصدد؟!

وأقول ما أشبه الليلة بالبارحة.. هذا الذى حدث بالفعل وتم فى مجزرة غزة بأرض فلسطين.. إذ قامت القوات الإسرائيلية ـ بعد إجتماع مع ولاة الأمور بأمريكا قبل وقوع المجزرة بساعات ـ باستخدام طائرات أمريكية تحمل قنابل أمريكية الصنع لإتمام هذه المجزرة الأليمة فى قطاع غزة.. إذ قاموا بضرب بناية سكنية مكونة من ثلاثة طوابق وهدموها على سكانها وقاطنيها فى جنح الليل.. وكانت النتيجة والمحصلة استشهاد ١٧ شهيداً مع إصابة حوالى ١٥٠ جريحاً معظمهم فى حالات حرجة واجتمع مجلس الوزراء الإسرائيلى ليقول بأن العملية التى حدثت فى غزة كانت ناجحة جداً.. وتحاك المهازل ضد العرب وتعلن أمريكا بأنها سوف تحقق فى مجزرة غزة والسلاح المستخدم.. وإنى أسأل ثانية أى تحقيق هذا.. وماذا يفيد بعد وقوع المجزرة.

أقول فى النهاية.. يجب أن يتنبه العرب والمسلمون فى جميع البقاع من المعمورة أنهم مستهدفون من أمريكا.. يجب أن نستيقظ ونصحو من سباتنا العميق.. قبل وقوع الطامة الكبرى التى لا تبقى ولا تذر.. ألا هل بلغت.. اللهم فاشهد.

* * *

عبدالله بن المبارك

استجابة لرغبة عدد من القراء أن يحتوى باب «بين المجلة والقارىء» على تعريف لأحد الصحابة.

تقول: إن هذا يسعدنا جداً ونرجو أن نرى إسهامات جادة فى هذا الشأن، وحتى تصلنا مثل هذه الإسهامات نقدم هذه الكلمة التى وردت من القارىء الأستاذ/ محمد عباس عرابى الذى يقدم فيها تعريفاً بالتابعى الجليل عبدالله بن المبارك.

يقول: «فى مدينة «مرو» ببلاد فارس، ولد عبدالله ابن المبارك سنة ١١٨هـ، فحفظ القرآن الكريم، وتعلم العربية، وحفظ أحاديث كثيرة من أحاديث رسول الله ﷺ ودرس الفقه.

وأنعم الله عليه بذاكرة قوية منذ صغره، فقد كان سريع الحفظ، لا ينسى ما يحفظه أبداً.

* **رحلته فى طلب العلم**: وفى الثالثة والعشرين من عمره، رحل طلباً للعلم فسافر إلى العراق والحجاز وغيرهما، والتقى بعدد من علماء عصره كالإمام مالك، وسفيان الثورى، وأبى حنيفة النعمان.

وكان عبدالله كلما ازداد علماً، ازداد خوفاً من الله، وزهداً فى الدنيا، وكان إذا قرأ كتاباً من كتب الوعظ يذكره بالآخرة وبالجنة والنار، وبالوقوف بين يدى الله للحساب بكى بكاء شديداً، واقشعر جسمه وارتعدت فرائصه.

* **كرمه**: وكان عبدالله يكسب من تجارته مالاً كثيراً، وها هو ذا يعطينا درساً بليغاً فى السلوك الصحيح للمسلم، وذلك حين أتاه أحد أصدقائه واسمه أبو على، وهو يظن أن الزهد والتجارة لا يجتمعان قائلا لعبدالله: أنت تأمرنا بالزهد، ونراك تأتى بالبضائع من بلاد خراسان إلى البلد الحرام، كيف ذا؟ فقال له عبدالله بن المبارك: يا أبا على، إنما أفعل ذا لأصون وجهى، وأكرم عرضى، وأستعين به على طاعة ربى، لا أرى لله حقاً إلا سارعت إليه حتى أقوم به.

وكان عبدالله بن المبارك كريماً، ينفق على الفقراء والمساكين فى كل سنة مائة ألف درهم.

وكان ينفق على طلاب العلم بسخاء، حتى عوتب فى ذلك فقال: إنى أعرف مكان قوم لهم فضل وصدق، فطلبوا الحديث، فأحسنوا طلبه لحاجة الناس إليهم، فإن تركناهم؛ ضاع علمهم، وإن أغناهم بثوا العلم لأمة محمد ﷺ لا أعلم بعد النبوة أفضل من بثّ العلم.

وأحب عبدالله بن المبارك أحاديث رسول الله ﷺ حباً عظيماً، وكان لا يجيب أحداً يسأله عن حديث منها وهو يمشى بل يجلس، ويقول للسائل: «ليس هذا من توقير العلم».

وكان حُفَّاظ الحديث فى الكوفة إذا اختلفوا حول حديث قالوا: مروا بنا إلى هذا الطبيب نسأله «يقصدون عبدالله بن المبارك».

* **فضائل ابن المبارك**: ولقد اجتمع نفر من أصحابه يوما وقالوا: تعالوا نعد خصال ابن المبارك من أبواب الخير، فقالوا: جمع العلم، والفقه والأدب، والنحو، واللغة، والشعر، والفصاحة، والزهد، والورع، والإنصاف، وقيام الليل والعبادة، والفروسية، والشجاعة، والشدة فى بدنه، وترك الكلام فى ما لا يعنيه.

* **وفاته**: وفى رمضان سنة ١٨١هـ توفى ابن المبارك وهو راجع من الغزو، وكان عمره ٦٣ عاماً، ويقال: إن الرشيد لما بلغه موت عبدالله، قال: مات اليوم سيد العلماء.

أحسن كما أحسن الله إليك

أما القارىء الشيخ / وائل على عبدالعزيز - مدرس أول علوم شرعية فينقل لنا بعض نفحات تلك الجلسة بينه وبين إخوانه فيقول:

كنت ذات يوم فى جلسة إيمانية مع أحد الأخوة الأفاضل فقال لى: «إن الإنسان فى عصرنا أفضل من الملوك والأباطرة السابقين» فقلت له: كيف؟ قال: «إن إنسان العصر الحديث يمتلك من وسائل الرفاهية ما لم يملكه أعظم الملوك، فقلت له: أوضح، فقال: «إن الملوك السابقين مع ما أوتوا من قوة وجاه وسلطان إلا أنهم لم يتمتعوا بأقل المزايا التى يتمتع بها الإنسان البسيط فى عصرنا.

فالإنسان العادى يستطيع أن يتحدث مع آخر يبتعد عنه آلاف الكيلو مترات بالتليفون مثلاً، فضلاً عن التقنيات الحديثة، الفاكس والتلكس والفاكسميلى، ناهيك عن الإنترنت.

فهل كان الملوك السابقون يتمتعون بمزية واحدة من هذه المزايا؟ فقلت: ولكن مع كل هذه المزايا؛ هل يتمتع الإنسان بالصحة النفسية، أو هل هو راض عن نفسه، وهل هو مطمئن وسعيد فعلاً، هنا يأتى دور الإسلام، فالإسلام يأمر بالعمل للدنيا والآخر معاً، كما ورد فى القرآن الكريم على لسان الصالحين لقارون:

﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾

القصص ٧٧

ولكن الإنسان يعمل للدنيا فقط، وينسى أمر آخرته برغم أن الدنيا كلها بما فيها وما عليها مذللة له كى يستخدمها فى طاعة الله - عز وجل - فالحق سبحانه وتعالى يقول:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾.

الذاريات ٥٦

ولذلك نرى الإنسان المهموم بأمر دنياه فقط فى هم دائم وغم وشقاء، لأنه نسى الله - تعالى - وعمل للدنيا فقط، واستخدم نعم الله الكثيرة فى غير طاعته.

إن السعادة الحقيقية هى أن يوازن الإنسان بين متطلبات الروح والجسد، بين الدين والدنيا، بحيث لا تطغى الدنيا على الدين، فالحق سبحانه وتعالى يقول:

﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

الأنعام ٣٢

وينهى الله سبحانه وتعالى عن التعلق بالدنيا ونسيان الآخرة، أما عاقبة من يفعل ذلك فالله - تعالى - يبين عاقبته فيقول:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾

المنافقون ٩

فإذا كانت هذه هى الدنيا، وإذا كان الإنسان الحاضر قد امتلك الكثير من مقوماتها، ووسائل التمتع والرفاهية فيها، فالواجب عليه أن يشكر الله على كل هذه النعم التى لا تحصى ولا تعد، فكم من نعم كثيرة أنعم الله علينا ولم نشكره عليها، بل للأسف نستخدم هذه النعم فى المعاصى والذنوب، فهل من مستجيب قبل فوات الأوان؟!

رسالة إلى أطفال العالم

د. / غناج عبدالعليم أبوالفتوح
كلية البنات الإسلامية / جامعة الأزهر

بالأمس كُنّا أسرةْ
نرجو حياةً هانيَهْ
أبي وأختي
والعزيزة أمُّيَهْ
بالأمس كُنّا صحبةْ
وقلوبُنا ملأى بحُبٍ
حانيَهْ
ورأيتُ مريم في المنام
تضمّني
ورأيتُ عيسى
والنبيَّ محمدا
ورأيت موسى غاضباً متنهّدا
وصحوتُ أدعو ربّيَهْ
وسمعتُ صاعقةً
تهزُّ مسامعي
أصواتها
كرياحِ عادٍ عاتيَهْ
سُكِبَ اللبنْ
صَمَتَ القلمْ
ونظرتُ منْ خلف النوافذ كيْ
أرى
ماذا جرى
فرأيتُ أشباحاً
تحاصر بيتيَهْ
وسمعتُ أجراس الكنائس شاكيَهْ
وسمعتُ أنات المساجد باكيَهْ
وجثوتُ تحتَ أريكتي
والرُّعبُ يملأ حجرتي
ورأيتُ أدمعَ قطتي
أختي تلوذُ بأمّيَهْ
أمي تلوذُ بأختيَهْ
ورأيتُ في عينيْ أبي
أحزانيَهْ
غضبتْ قواعدُ بيتنا
فتصدّعتْ
ورصاصةٌ قتلتْ أبي
قتلتْ ملاذَ فؤاديَهْ
وجثتْ حبيبةُ قلبه
لتلُمَّ أشلاءَ الردى
منْ فوقه
سقطتْ صريعةَ غدرهم
وشقيقتي صارتْ
شعاعاً بعدما
نثرتْ ورودَ دمائها
ناراً لتحرق بغضهم
لم يبق لي من أسرتي
غير الحجارة والمرارة
والثّرى
والحُرّ منْ كُلِّ الورى
وعقيدتي
وجهاديَهْ

نعتذر للسادة القراء لعدم نشر رسائلهم كاملة، وذلك حرصاً من المجلة على أن يشارك أكبر عدد ممكن من القراء. ونود أن نشير إلى أن للمجلة الحق في اختصار الرسائل وتنقيحها بما يتلاءم وسياسة النشر لديها. كما نقدم اعتذارنا للسادة الذين لم تسمح الظروف بنشر رسائلهم ونواصل نشرها تباعا.



أنباء العالم الإسلامى

• رداً على قوى التطرف الغربى:

القضاء الأمريكى يوافق على تدريس كتاب «الاقتراب من القرآن»

قررت المحكمة الأمريكية بولاية «نورث كارولينا» الموافقة على تدريس كتاب «الاقتراب من القرآن» لطلاب الجامعة فى الولاية، ورفضت المحكمة دعوى بعض القوى المسيحية المتطرفة التى طالبت برفض تدريس الكتاب للطلاب بزعم أنه يحمل أفكاراً متطرفة، لا يجوز لدافع الضرائب الأمريكى الاطلاع عليها.

واعتُبر قرار المحكمة هزيمة لـ «مركز اتحاد الأسر الأمريكية للقانون والسياسة» الذى تزعّم الهجوم على الكتاب ومؤلفه «مايكل سيلز» وانتصاراً للاعتدال والإنصاف الذى تبناه الكتاب.

.. والكتاب يُعَد محاولة موضوعية لفهم القرآن

للأستاذ / محمد الشرقاوى

بعيداً عن الصورة النمطية السيئة التى يعتقدها الأمريكيون عن القرآن والرسول ﷺ والمسلمين.. يقع الكتاب فى نحو «٣٠٠» صفحة ويتناول فهم «٣٥» سورة نزلت فى بدايات الوحى، ويحاول تفسير انتشار الإسلام بين نحو ـ مليار و ٣٠٠ مليون مسلم ـ كما يناقش فهم الغرب للقرآن من خلال فهمهم لواقع المسلمين بأخطائه.

وقد رحب مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية «كير» بقرار المحكمة واعتبر المجلس الذى يعنى بحقوق المسلمين السياسية والقانونية أن السماح بتدريس مثل هذا الكتاب على طلاب الجامعة، يُعَد رداً عملياً على قوى التطرف التى حاولت الإيحاء بأن الكتاب غير موضوعى فى تناوله لقضايا الإسلام والمسلمين.

.. وأعلن مؤلف الكتاب أن مشكلته ليست في الكتاب، بل في فهمه، وأشار إلى أن الذهنية الأمريكية باتت أكثر استنفاراً بعد أحداث سبتمبر وعلى استعداد لتقبل مقولة أن كل ما هو إسلامي يُعد إحدى قوى « الشر ».

لأن الدين الإسلامي الحنيف من عند الله - تعالى - فلابد أن تتفق أفكار معتنقيه مع أهل الفكر المتزن الملتزم وهو ما أقره أصحاب فكر هادئ، بعيداً عن التشنجات، تمثل في قرار الحكمة.

ويبدو أن القضاء أصبح هو طوق النجاة في كثير من بلاد العالم.

في لندن .. خط تليفوني للمرأة المسلمة

نجحت مجموعة من المتطوعات من الجالية المسلمة المقيمة في بريطانيا في كسب ثقة من يرغبن في الحصول على صحيح المعلومات الدينية المتعلقة بشئون المعيشة من خلال خدمة هاتفية أطلقن عليها اسم « خط المساعدة » للرد على استفسارات المرأة المسلمة في بريطانيا والدول الأوروبية حول المسائل المتعلقة بالدين والأسرة.

نود أن يكون هذا العمل بهدف نشر الثقافة والوعي الإسلامي يبتغي به وجه الله - تعالى - لا يكون المقصد منه تحقيق مكاسب مادية.

مجلة الأزهر تستقبل وفداً من جامعة فطاني

تأكيداً على أهمية الدور الذي تقوم به (مجلة الأزهر) فقد وفد إليها وفدٌ من جامعة (الشيخ داود الفطاني) الإسلامية بمدينة (جالا) جنوب تايلاند يوم الأربعاء ٢٥ من رجب ١٤٢٣ هـ الموافق ٢ من أكتوبر سنة ٢٠٠٢. ضم الوفد الزائر عدداً من المسئولين بالجامعة وهم :

الأستاذ وان حسن وان إبراهيم مدير العلاقات الثقافية الخارجية بالجامعة، والأستاذ عبدالرشيد عبدالله، والأستاذ/ يحيى ميتى فيتى، والأستاذ اسماعيل سامار، والأستاذ عبد العزيز سارتيج، والأستاذ كوتيا لوهماء، وكان في إستقبالهم فضيلة الشيخ الطاهر الحامدي مدير عام مجلة الأزهر وعدد من محرري المجلة دار الحديث حول الإسلام والمسلمين في تايلاند حيث أكد الضيوف أن نسبة المسلمين في تايلاند تبلغ ١٢٪ من عدد السكان البالغ عددهم ٦٣ مليون نسمة، حيث يبلغ عدد المسلمين في تايلاند نحو سبعة ملايين مسلم، مؤكدين على أن الهدف الأول لجامعة (الشيخ داود فطاني الإسلامية) تعميق وترسيخ قيم الإسلام وتعاليمه النبيلة السمحة في نفوس مسلمي تايلاند، وشرح وبيان صحيح الدين الإسلامي وغاياته وأهدافه للمجتمع كله في عصر صار فيه الإسلام متهماً يتهم هو منها براء.

وقد عبر الزائرون عن رغبتهم في إنشاء نوع من العلاقات والتبادل الثقافي بين جامعة (الشيخ داود الفطاني) وبين (مجلة الأزهر) عملاً بقول المولى عز وجل :

﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾(١).

وفي نهاية اللقاء شكر الوفد للقائمين على العمل بالمجلة حسن إستقبالهم وتمنوا لهم التوفيق والسداد.

---

(١) المائدة (٢).

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسي

الإمام الأكبر يستقبل رئيسة جمهورية أندونيسيا

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف السيدة الرئيسة / ميجاواتي أحمد سوكارنو رئيسة جمهورية أندونيسيا والوفد رفيع المستوى يرافقهم معالي الأستاذ الدكتور / محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف وسعادة سفير مصر في أندونيسيا، وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بالرئيسة والوفد المرافق في مصر وأزهرها الشريف مشيدا بعمق العلاقة بين البلدين والتعاون المشترك في مجال التعليم الأزهري وأشار إلى أن لأندونيسيا طلابا وطالبات يدرسون بالأزهر الشريف في مراحله المختلفة ويبلغ تعدادهم حوالي ألفين وخمسمائة طالب وطالبة، كما تخرج في الأزهر الشريف طلاب أندونيسيون يحتلون مناصب قيادية في أندونيسيا، ومما يذكر أن الأزهر الشريف يستقبل طلابا وطالبات من أكثر من خمس وتسعين دولة من دول العالم يقيمون في مدن البعوث الإسلامية، وقدم فضيلته شرحا مبسطا للتعليم بالأزهر في مراحله المختلفة من الحضانة وحتى الجامعة مؤكدا على أن الدراسة بالأزهر تهتم بحفظ القرآن الكريم والتوسع في العلوم الشرعية والعلوم العربية إلى جانب المواد الأخرى التي تدرس في مدارس التربية والتعليم وتمتاز الدراسة بالأزهر الشريف بالاعتدال والتوسط والبعد عن التعصب الأعمى والعنصرية البغيضة كما تدرس في الأزهر المذاهب الإسلامية المختلفة ويأخذ الجميع فقههم من الكتاب والسنة النبوية المطهرة والأصول لا خلاف عليها وإذا وجد اختلاف فإنما هو الفروع التي تقبل الاختلاف، وكل من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويؤدي أركان الإسلام من صلاة وزكاة وصيام وحج ولا ينكر أمرا معلوما من الدين بالضرورة فهو مسلم.

وقد شكرت الرئيسة فضيلة الإمام الأكبر عن حفاوة اللقاء وأجاب فضيلته عن الأسئلة والاستفسارات مؤكدا على أن الأزهر الشريف احدى مؤسسات الدولة وهو جهة حكومية ويتم تمويله من ميزانية الدولة شأنه في ذلك شأن كل الوزارات في مصر، وقدمت السيدة الرئيسة الدعوة الرسمية لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

الشريف لزيارة جمهورية أندونيسيا حيث تتطلع أندونيسيا رئيسا وحكومة وشعبا لهذه الزيارة، وقد رحب فضيلته بالدعوة وسيتم تلبيتها - بإذن الله تعالى - حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف وجمع من السادة علماء الأزهر الشريف وقياداته.

الإمام الأكبر يستقبل سفير تشاد

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير أمين أبا صديق سفير جمهورية تشاد بالقاهرة برافقه الحاج فضل جمعة آدم المستشار بالسفارة، رحب فضيلته بالضيف ومرافقيه في الأزهر الشريف مؤكداً على عمق العلاقة في مجال التعليم، والأزهر الشريف يقدم العون والمساعدة العلمية والتعليمية والثقافية لأبناء تشاد، ويوجد عدد كبير من طلبة دولة تشاد يدرسون بالأزهر الشريف على منح من الأزهر، كما يوفد الأزهر الشريف العلماء لدولة تشاد لتعليم أبناء دولة تشاد في المعاهد الدينية هناك وترسل المناهج والكتب المقررة، وقد شكر السيد السفير فضيلته على هذا التعاون المستمر وأبلغ فضيلته تحيات رئيس وحكومة وشعب تشاد لمصر وأزهرها الشريف على ما يقدم من مساعدات في مجالات كثيرة معربا على أن اللغة العربية أصبحت هي اللغة الدستورية والرسمية في البلاد الآن بعد أن كانت الفرنسية هي السائدة، وطلب إمداد دولة تشاد بالكتب الدينية والثقافية واللغوية والعلمية على أن تُرسل للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بتشاد، كما طلب معادلة الشهادات الثانوية من مركز الفيصل الإسلامي بتشاد بشهادات الأزهر الشريف كما طلب إلحاق الطلبة الحاصلين على الثانوية الأزهرية بالكليات العملية، وكذا إلحاق الطلبة الحاصلين على المؤهلات العليا بجامعة الأزهر بأقسام الدراسات العليا بها لاستكمال دراستهم بالماجستير والدكتوراة، وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر بدراسة هذه الطلبات تمهيدا لتلبيتها، كما استقبل فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف السيد السفير وتدارس معه ما طلبه من فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف.

سفير بنجلاديش يؤكد:

مصر وأزهرها الشريف تفيض بكرم العطاء

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر سعادة السفير محمود حسن سفير دولة بنجلاديش بالقاهرة، حيث رحب فضيلته بالضيف وأشار إلى أن الأزهر يستقبل الطلاب من بنجلاديش على منح يدرسون بالأزهر في معاهده وجامعته العريقة، كما يستقبل علماء من بنجلاديش يحضرون الدورات التدريبية التي يقيمها الأزهر كل ثلاثة أشهر لأئمة ووعاظ وعلماء العالم الإسلامي، موضحا على أن الدراسة بالأزهر الشريف تقوم على الوسطية والاعتدال والسماحة، كما يستقبل الأزهر الشريف طلابا وطالبات من خمسة وتسعين دولة يصل عددهم إلى أكثر من خمسة آلاف طالب وطالبة منهم طلاب وطالبات من بنجلاديش، والأزهر يرحب بهم ويعلمهم بجانب إخوانهم الطلاب المصريين، وبعد تخرجهم في الأزهر الشريف يؤدون رسالتهم نحو تعليم أبناء بلادهم وهم رسل الأزهر لدى شعوبهم.

شكر السيد السفير فضيلة الإمام الأكبر على إتاحة هذه الفرصة الطيبة موضحا بأن دولة بنجلاديش دولة إسلامية تتمتع بسمات طيبة، ولدى أبناء بنجلاديش طموح عظيم للمجيء للأزهر للتعلم به، وأن مصر وأزهرها الشريف تفيض بكرم العطاء لتوفير المنح الدراسية ليحظى الطلاب بدراسة العلوم الدينية والعربية والثقافية وهو التعليم المعتدل من أقدم الجامعات وهو الأزهر الشريف، وأضاف السيد السفير أن التواصل الدائم بين بلدينا هو ما يشغلنا وخاصة في هذه الظروف الراهنة التي يشهدها العالم الآن، وفي نهاية اللقاء دعا فضيلته للسيد السفير بالتوفيق في عمله ولدولة بنجلاديش بدوام الأمن والاستقرار.

الإمام الأكبر يستقبل وفدا من قضاة عمان

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الشيخ خليفة بن سعيد البوسعيدي قاضي المحكمة العليا ورئيس التفتيش القضائي بسلطنة عمان، ووفد قضاة المحكمة العليا ومحكمة الاستئناف بدولة عمان الشقيقة، وتأتي زيارة الوفد ضمن حضوره دورة الدراسات القضائية التي تنظمها وزارة العدل المصرية، وقد تحدث فضيلته عن العدل في الشريعة الإسلامية، وأوضح بأنه أساس الملك وبين أن شريعة الإسلام واضحة في عقائدها ومعاملاتها فهي تحق الحق وتبطل الباطل وتساعد المظلومين حتى يستردوا حقوقهم وأشار فضيلته إلى أن من صفات القاضي أن يكون عادلا منصفا منزها عن المقاصد الشخصية ليحظى باحترام نفسه واحترام المجتمع له لأنه الذي يحتكم الناس إليه ليطبق شرع الله، والقضاء من الأعمال السامية التي وضعها الله - سبحانه وتعالى - في أعناق الصفوة من عباده، وأن مهمة القاضي هي الحكم بالعدل بين الناس، والحكم ينبع من ضمير القاضي قبل أن ينبع من القوانين، وبخبرته إلى جانب الأدلة يستطيع أن يميز بين الحق والباطل، وبين العدل والظلم، والقاضي حينما يحكم بين الناس فإنما يضع الأمور في نصابها وفي مكانها الصحيح بضمير القاضي ولايخشى أحدا إلا الله - عز وجل - وبذلك يعيش الناس في أمن وأمان واستقرار.

كما أجاب فضيلته عن أسئلة واستفسارات الوفد التي دارت حول نظام التعليم في الأزهر الشريف وفي جامعة الأزهر، النظام الإداري.

شكر الوفد فضيلته على حسن اللقاء، وعلى المعلومات القيمة التي استمعوا إليها لتكون نصب أعينهم في عملهم وفي أحكامهم وطلب الوفد زيارة مكتبة الأزهر الشريف وهيئت لهم زيارة مكتبة الأزهر الشريف بمصاحبة العلاقات العامة بالمشيخة.

الإمام الأكبر:

شريعة الإسلام جاءت لتحافظ على الإنسان

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد من السادة ضباط الشرطة العاملين في مكافحة المخدرات وأمن الموانىء والمسطحات المائية والقضاء العسكري والشرطة العسكرية وضباط حرس الحدود والسواحل ومأموري الجمارك وأخصائي المعامل من الطب الشرعي وأطباء الصحة النفسية من مصر والدول العربية الدارسين بالدورة الثانية والثلاثين من البرنامج التدريبي العربي لمكافحة المخدرات ترافقهم الأستاذة الدكتورة نجوى أمين الفوال مديرة المركز

القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، والأستاذة نادية جمال المشرفة على الدورة.

رحب فضيلته بالسادة الحضور وتحدث عن رأى الدين في مشكلة المخدرات وأوضح أن شريعة الإسلام جاءت لتحافظ على الإنسان في دينه وماله ونفسه وعرضه وعقله، وأمرته بإخلاص العبادة - لله عز وجل - والتحلي بمكارم الأخلاق، كما أمرت باجتناب الفواحش ما ظهر منها وما بطن مؤكدا على أن العقلاء من الرجال والنساء منذ أوجد الله الكون اتفقوا على أن هناك رذائل يجب أن تجتنب كالكذب والظلم ونقض العهد والتعدى على الغير، وهناك فضائل يجب أن تعتنق كالصدق والمروءة والعدل وأداء الأمانة والوفاء بالعهد، وقد حرم الله قتل النفس بغير حق واعتبر العدوان على النفس الواحدة كأنه عدوان على الناس جميعا مسترشدا بآيات القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ، ولكون شريعة الإسلام صانت الإنسان في نفسه وماله فجعلت من يدافع عن نفسه أو عن ماله أو عن عرضه ويقتل فهو شهيد، ولأن شريعة الإسلام أمرت المسلم بأن يتحلى بالفضائل ويبتعد عن الرذائل فقد حرمت كل ما يضر بجسد الإنسان وعلى رأس هذه الرذائل المخدرات بكل أنواعها وأشكالها لما لها من أضرار مؤكدة على البدن وعلى صحة الإنسان وماله وعقله ليس على الفرد فقط بل على المجتمع وعلى الأمة كلها، فكل أنواع المخدرات تحت أى مسمى حرمتها الشريعة الإسلامية السمحة والقوانين الوضعية، وفي مصر وصلت العقوبة إلى حد الإعدام طبقا لجسامة الجريمة، لأنها إفساد للأمة في عقول أبنائها وكرامتهم وتدمير لاقتصادهم ولابد من القصاص العادل، والمحاكمة تتم طبقا لجسامة الجريمة، كما أوصى فضيلته السادة الحضور بعدم التهاون أو التستر في القبض على مرتكب الجرائم، لأنه تهاون في حق الأمة والمجتمع، كما أوصاهم بأن لا يخشوا في الحق لومة لائم، فعليهم التصدى بكل حزم وقوة، كما أوضح فضيلته بأن مهمة رجال الدين هي النصح والإرشاد والتوضيح ومهمة رجال الشرطة والقانون هي تنفيذ وتطبيق شريعة الله والقانون وقد أجاب فضيلته عن أسئلتهم واستفساراتهم في مسائل شتى وكانت حول المعاملات البنكية المختلفة، وحول زكاة المال، وحول وسائل علاج المدمنين، إلى غير ذلك من الأسئلة التي طرحت من السادة الضيوف وعددهم خمسون دارسا.

من يدافع عن نفسه وأرضه وعرضه مجاهد في الإسلام

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفدا يابانيا من مجلس المستشارين الياباني برئاسة السيد / سيكيا وزير التعمير السابق ورئيس لجنة البحوث الخاصة بالشئون الدولية يرافقه السيد / تاكايا سفير اليابان بالقاهرة، رحب فضيلته بالضيفين والقى نبذة سريعة عن التعليم بالأزهر ونوع الدراسة به من مرحلة الحضانة حتى المرحلة الجامعية، وتطرق الحديث حول صراع الحضارات ودور الأزهر تجاه ذلك، وأوضح فضيلته بأن الأزهر مع التطور الذى يخدم المجتمع بل والإنسانية كلها بما لا يتعارض مع القيم الأخلاقية موضحا أن الحضارات عند العقلاء لا تتصادم، وإنما الحضارات تتعاون فيما بينها ولكل بلد حضارته التي يعتز بها وكل حضارة تأخذ من الحضارة الأخرى مؤكدا بأن المتغيرات التي توافق عليها الأديان فنحن نرحب بها وأما إذا جاءت لتغير القيم فنحن نرفضها،

وحول سؤال من الضيف عما إذا كان الأزهر مؤسسة خيرية أم حكومية، أجاب فضيلته بأن الأزهر الشريف مؤسسة من مؤسسات الدولة، مؤسسة حكومية شأنه في ذلك شأن باقي المؤسسات كالصحة والصناعة والمالية والخارجية وهو بذلك يتبع ميزانية الدولة.

وحول سؤال عما إذا كان بالأزهر دارسون من خارج مصر، أجاب فضيلته بأنه يوجد طلاب من أكثر من خمسة وتسعين دولة من دول العالم يدرسون في الأزهر الشريف من أوروبا وآسيا وأفريقيا واستراليا ولدينا طلاب من اليابان.

وحول سؤال عن رأى فضيلته في العمليات الاستشهادية أجاب فضيلته بأن من يدافع عن نفسه وعرضه وأرضه وماله وممتلكاته فهو مجاهد يستحق الشكر والتقدير، وأن من يقتل طفلا أو امرأة أو شيخا مسنا لا شأن لهم بالحروب فنحن ضد من يفعل ذلك، وأما من يدافع عن نفسه وعرضه وماله وأرضه وممتلكاته فهو مجاهد في الإسلام، ومن يعتدى على أرض الغير أو ممتلكاته فهو إرهابي وقد قلنا عقب أحداث ١١ سبتمبر أن الفرق بين الإرهاب والجهاد كالفرق بين السماء والأرض.

وحول سؤال عما إذا كان عصر التكنولوجيا يتعارض مع الدين الإسلامي قال فضيلته: نحن مع التطور الذى ينفع الإنسانية والدين الإسلامي يرحب به.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ سيد وفا الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، وفضيلة الشيخ شوقي نويجي رئيس قطاع المعاهد الأزهرية.

الإمام الأكبر يستقبل وفد الجامعات السويدية

● استقبل فضيلة الامام الاكبر شيخ الأزهر الشريف وفد الجامعات السويدية برئاسة الدكتور/ سامح ايجتسون أستاذ مادة الحوار بين الأديان والحضارات بجامعة لوند بالسويد يرافقهم الأستاذ الدكتور عبدالمعطى بيومى عضو مجمع البحوث الاسلامية وعميد كلية أصول الدين السابق، رحب فضيلته بالسادة الضيوف في مصر، وأزهرها الشريف، ودار الحديث حول طرق الحوار بين الأديان، وأكد فضيلته أن الحوار بين العقلاء يؤدى إلى نتائج طيبة والحوار دائما بابه مفتوح في الأزهر الشريف حيث توجد لجنة بالأزهر للحوار، وأشار إلى أن البشر جميعا أوجدهم الله من أب واحد وأم واحدة، وهذه الأخوة الإنسانية تستلزم منهم أن يتعاونوا على الخير لا على الشر، وقال: إنه من المتفق عليه بين العقلاء أن الخلاف في العقيدة لا يمنع من التعاون ومن تبادل المنافع ومن المحبة والمودة والذى يحاسب على العقائد هو الله - عز وجل - والعقائد لا تباع ولا تشترى ولا اكراه لأن الاكراه على العقائد لا يأتى بمؤمنين صادقين وإنما يأتى بمنافقين كذابين، وقد اتفقنا على انه لا حوار في العقائد، وإنما الحوار في أمور معينة، منها التعاون لمساعدة المحتاج، من أجل تقديم الخير للمحتاج وللضعيف، من أجل نصرة المظلوم سواء كان على مستوى الأفراد أو الجماعات أو الأمم، ووظيفتنا أن نرشد وأن نوضح وأن نبين.

كما أجاب فضيلته عن أسئلة الوفد واستفساراته والتى دارت حول امكانية تعاون

الإسلام والمسيحية لمقاومة الأمراض الاجتماعية وتحقيق العدالة والتعاون لما ينفع البشرية، وقد أوضح فضيلته أنه بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر قد استقبل وفوداً كثيرة من وسائل الإعلام المختلفة بل من كل أنحاء العالم وشرح سماحة الإسلام ووسطيته وبين الوجه الحقيقي للإسلام وفي نهاية اللقاء شكر الحضور فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على ما سمعوه من شرح واضح لبيان حقيقة الإسلام ووجهة نظر الأزهر من المنظور الإسلامي الذى يتبناه الأزهر في تناوله لقضايا الساعة وللتصدى للتيارات الهدامة المعادية وخاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر، وأشاروا إلى أنهم يقدرون فضيلته بوصفه أنه يمثل قمة التسامح والروح الطيبة التي تعبر عن الإسلام، كما التقى الوفد بفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف رئيس لجنة الحوار بالأزهر والذى قام بدوره بشرح عمل لجنة الحوار والهدف منها.

التقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بالسادة أصحاب الفضيلة علماء الأزهر الشريف الذين تم اختيارهم للسفر إلى دول العالم المختلفة للتدريس بالمعاهد الأزهرية الموجودة ببعض دول العالم، ولإلقاء الدروس الدينية بالمساجد وخطبة الجمعة وإلقاء المحاضرات في المناسبات المختلفة وعددهم أربعمائة عالم، وقد نصحهم فضيلته بأن عليهم واجب مقدس تجاه توضيح صورة الإسلام الصحيحة والحقيقية، والرد على الشبهات التي تثار ضد الإسلام والمسلمين، وتصحيح المفاهيم المغلوطة وبيان سماحة الإسلام ويسره ووسطيته، كما أوصاهم بأن يكونوا قدوة طيبة لغيرهم ومثلا أعلى يحتذى بهم في السلوك، وأن يؤدوا واجبهم بإخلاص وتفان على أكمل وجه، وأن يبتعدوا عن الخلافات المذهبية، وأن يداوموا على القراءة والاطلاع وأن تكون دعوتهم إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، وبيان أن الدين الإسلامي ينشر الفضائل ويعطى كل ذى حق حقه، وينصر المظلوم، ويقف في وجه الظلم لأنه دين العدالة والطهارة والعفاف، دين يسمو بالنفس الإنسانية ويطهرها من الظلم ومن العنف والقهر، كما أوصاهم بحسن المظهر والمخبر لأنهم رسل الأزهر الشريف الذى عمره الآن أكثر من ألف عام يهدى الناس إلى طريق الحق والخير والعدل كما أكد عليهم أن يحافظوا على اسم مصر وأزهرها الشريف.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ سيد وفا الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية وفضيلة الشيخ شوقي نويجى رئيس قطاع المعاهد الأزهرية والسادة العلماء وقيادات الأزهر الشريف.

إجازة نصف العام بالمعاهد الأزهرية

قرر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر أن تبدأ إجازة نصف العام الدراسي للعام ٢٠٠٢ / ٢٠٠٣ عقب دروس يوم الخميس الموافق ١٦ / ١ / ٢٠٠٣ على أن تستأنف الدراسة يوم السبت الموافق ١ / ٢ / ٢٠٠٣ وتتخذ هذه الخطوة كمبادرة للاستقرار وحتى يعلم الطلاب الجدول الزمني لمتابعة دروسهم الأمر الذى يهيء الجو النفسي للطلاب وللمدرسين ولتكون خطوة إيجابية لتنظيم الوقت للاستذكار والتحصيل وبما يعود على الجميع بالراحة والهدوء النفسي.

As a result, a feeling was brought into existence that religion is mind's enemy and that its principles are in contrast with sciences. The more the usurpers of spiritual superiority go far in their intransigence, the more this feeling gets stronger till it became a firm ideology.

With the advent of Islam, the whole world was suffering from this appalling role; the weak was suffering from the arbitrariness of the strong. Due to its foundation on reason, mind, thinking, non-imitation, motivation for wisdom and giving freedom of thought and deduction, Islam was the light that dispersed this darkness. This resulted in harmonizing between soul's demands and mind's for the first time in the history of mankind.

At the first sight, combining between those two aspects appears confusing to those ignoring the wisdom and sublime principles on which this religion was based. Islam did not confine spiritual sublimity to observances but it generalizes it in all moral and formal deeds.

If Muslims wished to surprise humanity with their fast renaissance and restore their previous glory, they have to work according to what Allah had commanded them to reach the rank of their ancestors and be an example for others. And if the world desired to restore peace and tranquility and achieve progress and urbanization, so it has to respond to Allah's call.

﴾O you mankind, a proof has already come to you from your Lord; and We have sent down to you an evident light. So, as for the ones who believed in Allah and firmly adhered to Him, then He will soon cause them to enter into a mercy from Him, and Grace, and will guide them to Him on a straight path.﴿ **[An-Nisa' (Women) : 174-175]**

backwardness. Consequently, this motivated them to call for salvation and elimination of their suffering. They strove for consecutive centuries, till they accomplished their call after exerting tremendous sacrifices.

In Asia, numerous nations had lived for centuries under the yoke of restrictions alleged to be spiritual. This era continued till the nineteenth century when they were awakened by the international stimulants. When one of the governments expanded a railway in its country connecting its vast regions, it came under the fire of the extremist spiritualists who protested against this government asking for removing those tracks under the pretext that the souls of the dead buried near them will be disturbed. Consequently, the government had to comply with the demand of those controlling the minds of subjects.

One of the requirements of this alleged spiritual superiority, is to dominate over minds and sciences in order prevent any intellectual, thinker or philosopher from resorting to thinking or laying down a theory contradicting their teachings, instructions and beliefs inherited from their ancestors or invented by their own opinions; if someone dared to be indifferent to their shabby teachings and came with what is contradictory to them, they would have punished him aggressively and sentenced him to a penalty not less than life imprisonment or exile. In many cases, the trials ended in killing, burning or tying hands and legs to horses then lashing them with whips turning anyone into torn-off limbs.

This pseudo-spiritual dominance was the practice of the dictators on people's religions for several centuries. This led to narrow-mindedness, short-sight confined to temples and leaving the public in the darkness of ignorance imitating their leaders blindly as if they were only created for them.

Harmonizing
Between soul's demands and mind's
By the great scholar : M. F. Wajdy

Allah created man and made him a world intermediating between two different natures: spiritual and material. The spiritual one aims at alleviating man from the materialistic world to be far above falling in its repercussions. It also aims at making the abstract soul stick to its world and sail in its knowledge.

As for the material aspect, it aims at making man ease in its desires, expand in justifying its needs, get busy with materials to recognize their identity and extract their blessings. All this is to ease life and its hardships. These two instincts are of much help in maintaining, integrating and preparing human character to be Allah's successor in earth. Earth is not just a spiritual world, to survive on it with only a spiritual tendency. Man is not a soul without material so, he can't avoid it by his nature. If man is left on his matter, non of his instincts will overcome the other. However, they will agree and cooperate to continue their related common life. However, the leaders who are quarreling to rule man, made use of this spiritual nature to subjugate him to their will. They exaggerate in making him forget about his world and motivate him to renounce worldly pleasures. So, they succeeded in employing millions of people to follow their teachings. This resulted in their being living in a ossification for centuries. Europe, for example, that now fascinates us with its sciences, arts and technology stayed for more a thousand year under the reign of those curbing this spiritual view. As a result, Europe did not give birth to any thinker till Allah sent Muslims ravaging amidst their homes. So, their mingling with them was a reason behind their feeling of

man entered Paradise and was forgiven by Allah because he gave some water to a dog while a woman entered Hell as she imprisoned a cat without food or water. How great this civilization! Can anyone dare to say that it recedes? Can this religion be called a religion of terrorism? What a lie!

When the Messenger, may the blessing and peace of Allah be upon him, established this nation, he established it on belief, equity, right, spreading virtue, removing vice, peace, tolerance, commanding to beneficence, forbidding maleficence, unity, and essence of his Message that can be summarized in a single word '*mercy*'

﴾ And in no way have We sent you except as a mercy to the worlds. ﴿. **[Al-Anbiya' (The Prophets) : 107].**

This is our civilization and instructions of our creed that invites to forgiveness among all people as well as defending the soul of humans. So, it is not a religion of terrorism or a religion disseminated by force (sword) but by its great forgiveness, tolerance and right principles. The Messenger of Allah, may the blessing and peace of Allah be upon him, was dealing by this forgiveness even with his enemies and the non-Muslims. He says: ***"Allah refused to accept the repentance of believer's killer".***

Nowadays, our Arab and Muslim nation as well as the whole world go through a dangerous turning point. So, we have to join ranks and listen to the sound of reason in the president Mubarak's words in which he declared clearly that all the nations of the world must meet together aiming at healing the rift and cooperating to get rid of all the roots of terrorism allover the world, not through violence or force but through reason and wisdom.

❨ And indeed you shall definitely know its tiding after a while. ❩ **[Sád : 88]**

and that they will witness the secrets of the universe created by Allah, the Great Creator. Moreover, He commanded that this civilization should be based on the constant preparation of power as Allah says:

❨ And prepare for them whatever power you can. ❩

[Al-Anfal (The Spoils): 60]

So, the Islamic civilization was based on scientific, material and human principles in which connections and pillars are linked with Allah. Concerning this, it does not, in all its fields, transgress and the same are Muslims.

❨ And fight in the way of Allah the ones who fight you, but do not transgress; surely Allah does not love transgressors. ❩

[Al-Baqarah (The Cow): 190]

Islam forbade – even in wars – transgression upon those who do not participate in war including the elderly, women and children as well as not transgressing upon establishments and fields. Moreover, the humanity of the Islamic civilization and its relation to Allah makes it achieve progress everyday. Due to these human meanings, hundreds of people embraced Islam as they saw the greatness that Islam reached; it protects and defends man's right to live as stated in Allah's Words:

❨ And he who kills a believer premeditatedly, then his recompense is Hell, eternally (abiding) therein, and Allah will be angry with him, and will curse him, and has prepared for him a tremendous torment. ❩

[An-Nisa' (Women): 93]

In addition to this, Islam defends the non-Muslim, birds and animals the same as the Muslim. There is a story saying that a

The Islamic Civilization
Exceeds and never Recedes.
By : Dr. Ahmed Umar Hashem
The Director of Al-Azhar university

Islam has established the best nation based on solid bases and formed the great Islamic civilization on stable pillars in which it did not justify by material or humane aspects but linked its civilization with Allah, the Everlasting, and His instructions stated in the Ever-Glorious Qur'an as well as with instructions of the best of humans, may the blessing and peace of Allah be upon him. As a result, the great Islamic civilization exceeded all the other civilizations. Consequently, all nations rushed to take all whatever they wish (quote) from it through translations and travel. So, the sun of the Islamic civilization lit the whole world and Allah, glory be to Him, commanded Muslims not to be satisfied by their present state and that they must always try to exceed time and He, the Al-Mighty, was motivating Muslims by letting them know what He is going to show the world of the secrets of the universe as He says:

﴾ We shall soon show them Our signs in the horizons and in themselves till it is evident to them that it is the truth. ﴿

[Fussilat (Expounded) : 53].

The first verses of the Divine revelation are considered to be an invitation for reading, science, knowledge and civilization as Allah says:

﴾ Read: In the Name of your Lord Who Created. ﴿

[Al-Alaq (The Clot): 1]

The Qur'an refers to what will happen in the future and that they will know it later as Allah, the Al-Mighty says:

usual clothes carrying a bag containing the official clothes and gave it to the Khedive saying simply: "If you want the gown and caftan, here they are and if you want Hassan Al-Taweel, here I am." Then he said to his attendants: "How could I adorn myself to Tawfik with clothes I do not wear to my Lord while praying?" How admirable faith!

There is another example, namely, Al-Imbaby, the sheikh of Al-Azhar Mosque. Once, the lord Cromer called on him and greeted him and the sheikh greeted him back while sitting. Lord Cromer took it hard and asked him: "Don't you stand for the Khedive?" The sheikh replied: "Yes, I do as he is our ruler and he is one of us but you are not." The sheikh did not say this out flattery or seeking approach to the khedive, as he is the one who faced Tawfik and fearlessly gave a *fatwa* to depose him.

Also, the sheikh of Al-Azhar Mosque, An-Nawawi. It happened that the government of Moustafa Fahmi wanted to weaken the legal judicature in a respond to the wishes of the British Commissioner. So, the sheikh An-Nawawi took on the responsibility of defending judicature using a brief speech that compelled the government to take its project back. If this attitude was the attitude of a political leader, our (fair) press would have tackled it every now and then.

These are some of the admirable attitudes at Al-Azhar history. Unfortunately, some of the hirelings cooperate to efface and conceal these attitudes to prevent an everlasting Egyptian history from being recorded. And if they want to extinguish Allah's light, Allah will keep His light and the right will always have a tongue as Allah says in His Ever-Glorious Book:

﴿(Now), here you are! Read my book.﴾

[Al-Haqqa (The Inevitable Truth) : 19].

Mohamed Ali ruled Egypt during a very difficult era. So, who dared to declare his mistakes and wrong deeds? Abd Ar-Rahman Al- Gabarty was the first to state the wrong deeds of this arbitrary ruler. He kept moving from place to another to escape from the threats of this powerful ruler. His family and people were suffering from imprisonment, insult and assassination. However, the great historian remained recording the words of right clearly for the coming generations without being stopped by terror and menaces. If he wished glory and prestige, he would have walked in the procession of hypocrisy. He was a friend of Ali (bey) Al-Keebir and Mohamed (bey) Abu Al-Dahab however, this did not drive him to bypass what he have seen of injustice so he elevated history to a high rank free from bias and inclination. Opinions differ about his death and it is more likely that he was murdered while defending right.

The honorable Imam, Hassan Al-Taweel was a man of dignity and he trusted much in Allah. Once, Riyad (pasha) entered while this Imam was lecturing his students at Dar Al-Uloum but he did not change his way of sitting. When the visitor intended to leave, the Imam said addressing him: "Why don't you appoint me as a minister with you, pasha? The visitor was astonished and replied: "Which ministry do you want?" The Imam said: "The Treasury Department so I can appropriate the money you appropriate." It was a strong painful blow directed to an aristocratic governor who was not accustomed to such criticism and sarcasm. So, he left furious and summoned Ali Mubarak as the minister of education to instigate him to fire the Imam Hassan Al-Taweel but a higher hand than Riyad's stopped him from doing this. This situation made Riyad (pasha) abstain from visiting any school or institute. There is another attitude of the Imam in which he was asked to put on special clothes to be able to meet the khedive Tawfik. However, he came wearing his

Al-Azhar Scholars' Unforgettable Attitudes
By: Dr. M.R. Al-Biomi

Many of the purposeful tend to accuse and attack Al-Azhar and its scholars. They not only accuse them with sinful accusations but they aim at attacking Islam itself hiding under a cover to reach their evil goals which they cannot declare publicly.

The outstanding accusation which they introduce using arguments and reasons is Al-Azhar's men approach to rulers including kings and ministers and following their way regardless of their injustice and wrong deeds. If we read about the great scholars of Al-Azhar in the modern history, we will find great signs in their attitudes defending right and confronting wrong. These attitudes are proofs of their fearfulness from Allah, glory be to Him.

Unfortunately, despite these numerous honorable attitudes, no one dared to state them in books or write them down in history. Fear from those who have power and authority is the reason behind this. However, the historical memory, despite this clear silence and reservation, stated a great example of a believed group of some of the outstanding scholars commanding to beneficence and forbidding maleficence.

We will state some of these great attitudes to inform the ignorant that among the scholars of Al-Azhar are those who carried the flag of right in their call to Allah. Those scholars proved that the Qur'anic soul that inspired Sa'eed Ibn Gubair, Sa'eed Ibn Al-Musayab, Amr Ibn Ubaid, Al-Awza'y, Ibn Hanbal and Al-Ezz Ibn Abd Al-Salam at the past is the same strong soul that runs in the souls of Al-Azhar scholars and enabled them to face wrong with evident, honest tongue.

The Grace of Sha'ban

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

The Messenger of Allah, may the blessing and peace of Allah be upon him, was practicing fast a lot in Sha'ban to the degree that he was imagined to fast the whole month. He was asked about this so, he replied: "It is a month in which deeds be ascended to Allah and I love my deeds ascend while fasting". The apparent aim of fasting a lot in Sha'ban is to prepare the soul to Ramadan, as it is an obligation. To be able to perform this obligation perfectly, one has to practice it beforehand to strengthen soul and make it able to perform this obligation without difficulty. Concerning fast in Ramadan, Muslims live in an atmosphere of faith where all Muslims share fast. So, the fasting person finds others cooperating in doing good, on the contrary to Sha'ban and hence, the reward of fast increases even it was voluntary.

Concerning the grace of the mid of Sha'ban's night, the Imam Mohamed Ibn Wadah said : "I did not recognize anyone of our scholars nor jurists pay attention to the mid of Sha'ban's night." The author of "Al-Tag Al-Gam' (The Comprehensive) of the principles in the Messenger's Hadiths" dedicated a part of the chapter of fast to show the grace of the mid of Sha'ban's night in which he stated some hadiths such as what was related on the authority of Abu Musa Al-Ash'ry, may Allah be pleased with him, that the Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, said: ***"At the mid of Sha'ban's night, Allah views all His creatures and forgives them except the disbelievers and wranglers."***

It was related by Ibn Magah and Ahmed.

AL-AZHAR MAGAZINE
Sha'ban 1423 A. H.

ENGLISH SECTION
Oct./ Nov 2002

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

الفهرس

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

• • •

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومي

مدير التحرير

الطاهر محمد الطاهر الحامدي

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / بمجمع البحوث الإسلامية / بالأزهر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

داخل العدد

الاشتراك السنوى

- داخل مصر .... ١٨ جنيها مصريا
- الدول العربية .... ٥٠ دولارا أمريكيا
- أوربا وأمريكا .... ٨٥ دولارا أمريكيا
- اليابان وشرق آسيا .... ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة
☎ ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

رمضان ١٤٢٣هـ - نوفمبر ٢٠٠٢م - الجزء التاسع - السنة الخامسة والسبعون

افتتاحية العدد

الصوم فى مرآة الغزالى

كنا فى مجلس علمى نتحدث عن حجة الإسلام الإمام أبى حامد الغزالى - رضى الله عنه - وفينا من يرتفع به إلى مستوى الزعامة الفكرية فى عصره. ويحيب فى تدفق عن كل مأخذ يوّجه إلى بعض ما كتب، وقد قال بعض الحاضرين: إن الغزالى قد تردّد فى بعض آرائه، فهو فى كتاب ما يتحدث عن موضوع دينى بغير ما يتحدث عنه فى كتاب آخر، وضربَ الأمثلة، على ذلك من واقع مؤلفات حجة الإسلام، ولكنّ عاشق الغزالى من أصحابنا قد عقّب يقول فى استفاضة: إن هذا التطور فى آراء الإمام مما يحسب له، لا مما يحسب عليه، فالرجل الكبير دائم التفكير فيما يصدر من أحكام. ولابد أن تجد له ما يصحح الخطأ أو يتم النقص، وتلك سمة العقل المتجدد! لقد تحدث أبو حامد عن العبادات من طهارة وصلاة وصيام وزكاة فى بدء حياته العلمية، ثم تحدث عنها بعد استوائه على القمة الفكرية فأضاف الكثير. وحلل وعلل وفصل وفسر، وقد ظهر كتاب «إحياء علوم الدين» ليكون الأنموذج الكامل لمعارف الإمام، فهو فى كل أبوابه يضيف من المعارف ما يعمق الفكرة ويؤيد الحكم بل إنه يضيف من خواطره الصافية ما يدل على شفافية نقية، وما يكاد يُعد به شاعراً ذا قلب، لا عالماً ذا عقل، لذلك كان كتاب «الإحياء» صورة لقلبه، ومرآة لوجدانه، مع ما يحمل من ثمار الفكر الواعى، والعقل البصير، وهنا ارتفع صوت يطلب التمثيل، فأشرق وجه صاحبى المتكلم، وقال فى هدوء: ليكن موضوع الصوم عند الغزالى هو موضع التدليل!

لقد كان الإمام أستاذاً للفقه فى المدرسة النظامية ببغداد، بل كان أول أساتذة التشريع الإسلامى بهذه المدرسة، وكان يحضر مجلس درسه ثلثمائة عالم من الكبار، فهو أستاذ العلماء جميعاً، تشد إليه الرحال، ويستفتى فى العصىّ من دقائق المعضلات على أنه كان يشرح أبواب الفقه بما تعورف بين الدارسين، ففى باب الصوم يتحدث عن تعريفه وواجباته وسننه وأنواعه ومبطلاته، ودواعى الإفطار التى تباح، والمبطلات التى يفسد بها الصوم،

يتحدث عن ذلك بما هو مدون فى كتب السابقين، وإن زاد شيئا ففى صحة التعليل، واستيفاء الدليل، والمقارنة بين الأحكام فى مذاهب أهل السنة، وله فى ذلك كله لسان فصيح، وفكر صوال، ويقظة واعية فى فهم السؤال وتسديد الجواب، والرجل الكبير بعد ذلك كله عقل مستوعب دارس، يعرف أن أدوات العلم هى التفكير، والاستظهار، والارتكاز على النظر المنطقى والدليل الشرعى فى التحليل والتعليل والتخريج، وإلى هنا يقف الإمام الغزالى دون أن يخترق هذه المسافة، صاعداً إلى أفق أعلى، أما ما كتبه الغزالى عن الصوم فى كتاب «الإحياء» فلا يقف عند العلم المنقول وحده، بل يضيف إليه ما توحى به البصيرة الكاشفة والقلب الذواق والوجدان الصافى، ولن أتحدث إليكم عما ذكره الغزالى فى كتاب «الإحياء» فى باب الصوم من المسائل المعلومة المشتهرة، فهو فى هذا المجال متبع غير مجدد، ولكنى أتحدث عما ذكره الغزالى فى باب الصوم مما أوحت به البصيرة الكاشفة والعقل الذواق.

أقســــام الصــــوم

لقد قسم الإمام الغزالى الصوم إلى ثلاثة أقسام فقال - رضى الله عنه - تحت عنوان (أسرار الصوم وشروطه الباطنة) ما يمكن أن نلخصه فيما يلى:

إن الصوم ثلاث درجات: صوم للعامة، وصوم للخاصة، وصوم لخاصة الخاصة.

أما صوم العامة فهو الذائع المشتهر، الذى يمسك فيه الإنسان عن شهوة الطعام والشراب وشهوة الجنس من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وقد يرتكب الصائم من الصغائر ما لا يلتفت إليه دون أن يفسد صومه، بل قد يرتكب من الكذب والنفاق والرياء ما لا يظن معه أنه ارتكب ما يبطل به الصوم فيظل طيلة يومه ممسكا عن الطعام والشراب حتى يؤذن المغرب فيقبل على الطعام معتقدا أنه قضى يومه صائما طائعا ومنتظرا مثوبة الله على ما كابد من حرمان.

هذا صوم العامة؛ أما صوم الخاصة فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والجوارح عن الآثام، فالصائم فى عبادة متصلة وصاحب العبادة عليه أن يحترز من المعصية إذ لا يليق به أن يمتنع عن الشراب والطعام قياماً بفريضة الصوم، وهو يسمع إلى الغيبة دون أن يكف سمعه، وينظر إلى المحارم دون أن يكف بصره، ويخوض فى أعراض الناس دون أن يكف لسانه، ويغتصب مال الغير دون أن يكف يده! إنه إذا فعل ذلك فقد أخل بفريضة الصوم إذ خلط عبادته بما يهوى بها إلى حيث تضيع ثمرتها المشتهاة ومثوبتها المرتجاة.

فإذا انتقلنا إلى صوم خاصة الخاصة فإننا نرى الإمام الغزالى يراه فى صوم القلب عن كل مسائل الدنيا وعن التفكير فيما سوى الله - عزوجل - ويحدث الفطر فى هذا النوع

للصائم إذا كان من خاصة الخاصة متى فكر فى غير ربه وفى غير ما يتعلق بالحساب والجزاء والموت والبعث، حتى قال بعض أرباب القلوب: من تحركت همته بالتصرف فى نهاره لتدبير ما يفطر عليه كُتِبَتْ عليه خطيئة، لأن ذلك من قلة الوثوق بفضل الله - عز وجل - وقلة اليقين بتوالى رزقه، وفيض نعمه، وهذه رتبة الأنبياء والصديقين، إذ هى إقبال بجميع الهمة على الله وانصراف بالعزيمة عما سوى الله.

قال ذلك صاحبى ثم سكت، فجاءنا بعض أصحابنا باعتراض على القسم الأخير، لأن الإمام الغزالى قد حجر واسعا وضيق فسيحاً حين جعل الصوم فى هذا القسم وقفا على التفكير فى ذات الله وحده، فكيف يستطيع الإنسان وهو صاحب عمل كادح أن يترك ميدان رزقه ليتفرغ طيلة الشهر للصوم الصامت؟ ومن أين يقطف ثمار عيشه وهو منعزل فى صمته لا يضرب فى مناكب الأرض مرتزقا كاسبا؟ والإسلام دعوة للعمل وصيحة للكفاح وقد انتصر المسلمون فى غزوة بدر، وفى فتح مكة لدى عهد رسول الله وهم صائمون. والغزالى يقول عن القسم الأخير: إنه مرتبة الأنبياء، وسيد الأنبياء كان يناضل العدو غازيا فى شهر رمضان، وهو صائم متعبد وإذا لم يكن رسول الله من خاصة الخاصة فمن يكون إذن؟

الحق أن الاعتراض وارد على القسم الأخير من تقسيم الإمام الغزالى ولعله يقصد به جماعة لعهده قد فرغوا من الدنيا، وعكفوا فى المساجد راكعين ساجدين.

دفـــــاع وتفنيـــــد

لم يطق تلميذ الغزالى صبراً على ما وجه إليه من اعتراض فاندفع يقول: إن صوم الخاصة الذى ذكره الغزالى لا اعتراض عليه من أحد، بل من الواجب أن يرتفع العامة إلى مستواه، لأن الرسول ﷺ يقول: «كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش»[1] وقيل فى تفسيره: «هو الذى يمسك عن الطعام ويفطر على لحوم الناس بالغيبة ولا يحفظ جوارحه من الآثام» ومتى التزم كل صائم بآداب الإسلام الخلقية فقد جاوز الطبقة الأولى إلى الطبقة الثانية أما الطبقة الثالثة وهى موضع الاعتراض، فإنى أرى أن الانصراف إلى الله - عزوجل - لا يمنع الإنسان من العمل الجاد، فقد يكون الصائم محاربا غازيا وربه لا يغرب عن تفكيره، بل إنه يتقدم إلى حومة الجهاد معتقدا أن الله - عزوجل - يدخر له أجزل الثواب وأنه بمرأى ومسمع ممن يعلم السر والنجوى، فإذا كان الأنبياء يصومون ويحاربون ويناضلون، فهم مع الله فى كفاحهم الشاق، وصومهم إذن هو صوم الطبقة الثالثة! ومن

---

(١) أخرجه أحمد ٢/٤٤١

يسعى إلى الرزق صائما، وهو يفكر في طاعة الله فصومه عبادة، وإذا كان صوم رمضان تمرينا على الصفاء النفسي طيلة العام في غير رمضان، فإن التفكير في الله سيكون ديدن الصائم في غير رمضان! وهنا تتحقق جدوى الصيام، إذ تمتد إلى سلوك المسلم اليومي صائماً أو غير صائم، حين ينهاه الصوم عن اقتراف الموبقات بعد أن ينقضي أمده الزمني وتحين أيام الفطر في غير رمضان.

العبـــادات الأخـــرى

ثم استطرد صاحبي يقول: لم يكن الصوم وحده مجال الغوص النفسي لدى الغزالي دون سائر العبادات، إذ أن حجة الإسلام قد وقف موقف المتأمل الفاحص فيما عالجه من شئون الطهارة والصلاة والزكاة والحج، حيث لم يكتف بما قرره الفقهاء من أحكام، بل تغلغل إلى اللباب الصميم في فلسفة هذه الفرائض، وله مع كل فريضة نظره الكاشف وسعته الرحيبة، فهو في حديثه عن الوضوء والغسل مثلا لا يقف عند الفعل الظاهري، بل ينص على أن للطهارة ذات مراتب أربع: فالمرتبة الأولى هي المعروفة في أبواب الفقه، والمرتبة الثانية هي تطهير الجوارح من الجرائم والآثام، والمرتبة الثالثة هي تطهير القلب من الأخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة، والمرتبة الرابعة هي تطهير السر عما سوى الله، وهي مرتبة الأنبياء والصديقين.

يقول الغزالي: إن من عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات لا يفهم من الطهارة إلا مرتبة الوضوء والاغتسال وهي القشرة الظاهرة بالإضافة إلى اللب المطلوب، وكم رأينا من يهتم بنظافة الأيدي والأرجل والوجوه دون أن يهتموا بتطهير القلوب من أقذار الحسد والنفاق والكيد، مع أن الطهارة كل لا يتجزأ.

وفي حديث الغزالي عن الصلاة يوجه اهتمامه إلى الخشوع ويراه مناط الكمال لصحة الصلاة، وإذا كان الفقهاء يفتون بصحة الصلاة لغير الخاشع في كل صلاته فإن مقام الفتوى يتلمس الأعذار اعترافا بقصور الإنسان وتقصيره، لأن اشتراط الخشوع في جميع الصلاة وإحضار القلب دون شرود مما يعجز أكثر الناس، فلابد من الخشوع في بعض اللحظات، بالنسبة إلى العامة، أما الخاصة فعليهم أن يشمل الخشوع كل لحظة يقف فيها المصلي بين يدي ربه. ليمتد الخشوع إلى غير وقت الصلاة، فيصبح المسلم بعيداً عن المحرمات إذ نهته الصلاة عن الفحشاء والمنكر تصديقا لقول الرسول: «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا»[٢].

---

(٢) مجمع الزوائد ٢/٢٥٨.

أما الزكاة فلها كالصوم ثلاث مراتب أدناها مرتبة من يقصرون على الواجب المشروع فلا يزيدون عليه، وفوقهم من ينفقون على قدر حاجاتهم، ويدفعون إلى الفقراء ما يزيد عن هذه الحاجة، أما المرتبة الأعلى فلمن صدقوا التوحيد ونزلوا عن جميع أموالهم للفقراء، وهكذا نرى الغزالي يطمح إلى مالا مزيد وراءه في هذه الفروض وتلك منزلة لا يبلغها غير الآحاد.

وفي حديث الغزالي عن الحج إفاضة في ضرورة التجرد والتنزه عن الشهوات، والاقتصار على الضرورات، وتفسير لمعاني الإحرام والسعي والطواف ورمي الجمار والتلبية، بما يضفي على هذه المعاني من الروعة والسمو والصفاء ما يجعل الحاج مولوداً جديداً يستقبل الأرض بروح السماء.

عود على بدء

قلت لصاحبي: ألا ترى أن الغزالي غير واقعي في بعض ما يتحدث عنه من أمور الصوم والصلاة والزكاة؟ فقال متحمسا: لنعتبر الغزالي غير واقعي لو جعل المسلمين طبقة واحدة في العبادات، ولكنه قسم الناس مراتب، ولاشك أن فيهم آحادا يرتفعون إلى الذروة في إخلاصهم، وهم من يتشدد معهم في بلوغ الغاية أما سواهم فقد سار معهم على سواء الطريق.

ففي باب الصوم مثلا ذكر أن كل فرد عليه أن ينظر إلى استعداده الروحي والجسمي فمن أطاق الصوم في أكثر الأيام في غير رمضان فتلك عبادة راقية، تجد وقودها في استعداده الناهض، وليس لأحد أن يقوم في وجهه فيصده عن معراج يحاول أن يرتقي به، ومن أطاق الصوم في أيام خاصة تتوالى في الشهر أو تتفرق فله أن يسير مع استعداده المناسب، ومن لم يطق غير المفروض في شهر الصيام فله أن يلتزم به دون أن يتعداه، بل إن الذي لا يطيق الصوم المفروض في رمضان لاجناح عليه أن يفطر إذ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها، لذلك كان محمد ﷺ يصوم ويصوم حتى يقال لا يفطر، وكان يفطر ويفطر حتى يقال لا يصوم.

وقارىء باب الصوم في كتاب «الإحياء» يجد من الإرشادات الواقعية ما يجنبه الشطط والانهماك في الملذات فقد فطن الغزالي إلى جماعة من الصائمين يمسكون عن الطعام والشراب طيلة النهار، حتى إذا أذن المغرب انكبوا على الموائد فاستكثروا مما يجلب التخمة والبشم وفيهم من يواصل ملذاته طيلة الليل على أبعاد متقاربة، والغاية من الصوم هي كسر الهوى واعتياد الصبر على الجوع، وراحة المعدة، وقد أخل هؤلاء النهمون بغاية الصوم

فأبطلوا فائدته، فكأنهم جمعوا ما كانوا يتناولونه في الصباح والظهيرة وكدسوه في بطونهم بين المغرب والفجر، فلم يصلوا إلى شيء من تعويد الحرمان وكسر الهوى وفاتتهم الفائدة المرتجاة من الصيام؛ يقول الإمام الغزالي: ومن جعل بين قلبه وصدره مخلاة ممتلئة بالطعام والشراب، فهو عن الله محجوب لأن امتلاء البطن يقف حائلا دون مواصلة الصلاة في التراويح، ودون التهجد في شهر العبادة، ودون مجالس الذكر وخلوات التفكر في ملكوت السماوات والأرض، مما يجب أن يكون ديدن الصائم في شهر رمضان.

إن الإنسان وسط بين الملك والحيوان، فهو بإقباله على مطالب الروح يرتفع عن إنسانيته إلى مصاف الملائكة وبانهماكه في ملذات الجسم دون التزام بحد معقول ينخفض إلى مستوى الحيوان، والصوم في منطق الغزالي إذا أُدى على وجهه الصحيح يرتفع بصاحبه إلى مستوى الأطهار، ممن تخلصوا من رغائب البدن وملذات النفس، وعرفوا أن للروح ملذات أخرى حين تسعد بالتفكير الهادئ، في إسعاد البشرية وهداية الناس، فإذا لم يتيسر هذا ففي سعادة المرء بنفسه ومحاولة ابتعاده عن الشرور ما يكفي، ورمضان فرصة مواتية لهذا التفكير، إذ هو عبادة تستدعي غيرها من العبادات، فالصائم متطهر مصل مزك، وقد يصوم في بعض أيام الحج فيجمع كل العبادات في وقت واحد، وهنا تكون صلته بربه قريبة دانية، وبالتالي تكون صلته بالناس وثيقة هانئة، لأن من يقوم بالفرائض على وجهها الصحيح لابد أن يكون حسن السلوك جميل السيرة، يأخذ بالعفو، ويأمر بالعرف، ويصنع الجميل، ويفسح الصدر لمن يقع في الزلل وتلك صفات الموحدين.

إن رمضان شهر مجاهدة، ومراتب الجهاد تتفاوت وقد أوضحها الغزالي في إسهاب شاف، وله روحانيته الصافية، وذوقه الشفاف، وعقله البصير.

د./ محمد رجب البيومي

تفسير سورة البقرة

قال تعالى: ﴿ألم تر
إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت
فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على
الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون (٢٤٣)
وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم (٢٤٤)
من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا
كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون﴾

الآيات: ٢٤٣ - ٢٤٥

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال الآلوسي: قوله - تعالى - ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ هذه الكلمة قد تذكر لمن تقدم علمه فتكون للتعجب والتقرير والتذكير لمن علم بما يأتي - كالأحبار وأهل التواريخ - وقد تذكر لمن لا يكون كذلك فتكون لتعريفه وتعجيبه، وقد اشتهر في ذلك حتى أجريت مجرى المثل في هذا الباب، بأن شبه من «لم يره الشيء» بحال من رآه في أنه لا ينبغي أن يخفى عليه وأنه ينبغي أن يتعجب منه، ثم أجرى الكلام معه كما يجري مع من رأى، قصدا إلى المبالغة في شهرته وعراقته في التعجب. ثم قال: والرؤية إما بمعنى الإبصار مجازا عن النظر، وفائدة التجوز الحث على الاعتبار، لأن النظر اختياري دون الإدراك الذي بعده. وإما بمعنى الإدراك القلبي متضمنا معنى الوصول والانتهاء ولهذا تعدت - أي الرؤية - بإلى في قوله:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا ﴾(١).

والمعنى: قد علمت أيها الرسول الكريم أو أيها الإنسان العاقل - حال أولئك القوم الذين خرجوا من ديارهم التي ألفوها واستوطنوها، وهم ألوف مؤلفة، وكثرة كاثرة، وما كان خروجهم إلا فرارا وخوفا من الموت الذي سيلاقيهم - إن عاجلا أو آجلا - ومن لم يعلم حالهم فها نحن أولاء نعلمه بها ونحيطه بما جرى لهم عن طريق هذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

والمقصود من هذه الآية الكريمة حض الناس جميعاً على الاعتبار والاتعاظ، وزجرهم عن الفرار من الموت هلعاً وجبناً، وتحريضهم على القتال في سبيل الله، فقد قال الله - تعالى - بعد ذلك:

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ وإفهامهم أن الفرار من الموت لن يؤدي إلا إلى الوقوع فيه.

وقوله: ﴿ وَهُمْ أُلُوفٌ ﴾ جملة حالية من الضمير في ﴿ خَرَجُوا ﴾ و ﴿ أُلُوفٌ ﴾ جمع ألف والتعبير بالوف يفيد أنهم كانوا كثيري العدد، ومن شأن الكثرة أنها تدعوا إلى الشجاعة ولكنهم مع هذه الكثرة قد استولى عليهم الجبن فخرجوا من ديارهم هرباً من الموت.

وقيل إن معنى ﴿ وَهُمْ أُلُوفٌ ﴾ أنهم خرجوا مؤتلفي القلوب، ولم يخرجوا عن افتراق كان منهم، ولا عن تباغض حدث بينهم. والوف على هذا القول جمع آلف مثل قاعد وقعود وشهود. قالوا: والوجه الأول أجدر بالاتباع لأن ورود الموت عليهم وهم كثرة عظيمة يفيد مزيد اعتبار بحالهم، ولأنه هو الظاهر من معنى الآية الكريمة.

وقوله: ﴿ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ أي خرجوا لحذر الموت وخشيته، فقوله: ﴿ حَذَرَ ﴾ منصوب على أنه مفعول لأجله. والجملة الكريمة تشير إلى أن خروجهم كان الباعث عليه الحرص على مطلق حياة، ولو كانت حياة ذل ومهانة، وأنه لم يكن هناك سبب معقول يحملهم على هذا الخروج، ولذا كانت نتيجة ذلك أن عاقبهم الله - تعالى -

(١) تفسير الآلوسي جـ٢ صفحة ١٦٠.

بالموت الذى هربوا منه فقال:

﴿ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾ أى: فقال لهم الله موتوا فماتوا ثم أحياهم بعد ذلك. فجملة:

﴿ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾ معطوفة على مقدر يستدعيه المقام أى، فماتوا ثم أحياهم. وإنما حذف للدلالة على الاستغناء عن ذكره لاستحالة تخلف مراده - تعالى - عن إرادته.

قال صاحب الكشاف: فإن قلت: ما معنى قوله:

﴿ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ﴾ قلت: معناه فأماتهم وإنما جيء به على هذه الصورة للدلالة على أنهم ماتوا ميتة رجل واحد بأمر الله ومشيئته، وتلك ميتة خارجة عن العادة، كأنهم أمروا بشيء فامتثلوا امتثالاً من غير إباء ولا توقف كقوله - تعالى -:

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[٢]

وهذا تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة، وأن الموت إذا لم يكن منه بد، ولم ينفع منه مفر، فأولى أن يكون فى سبيل الله»[٣].

وقال الجمل: «فإن قلت هذا يقتضى أن هؤلاء ماتوا مرتين وهو مناف للمعروف من أن موت الخلق مرة واحدة؟ قلنا فى الجواب: لا منافاة إذ الموت هنا عقوبة مع بقاء الأجل كما فى قوله فى قصة موسى:

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾[٤] وثم موت بانتهاء الأجل، وتلخيصه: أنه - سبحانه - أماتهم قبل آجالهم عقوبة لهم ثم بعثهم إلى بقية آجالهم، وميتة العقوبة بعدها حياة - أى فى الدنيا - بخلاف ميتة الأجل - فلا حياة بعدها فى الدنيا..»[٥].

وبعد هذا البيان لمعنى الآية قد يقال: من هم أولئك القوم الذين خرجوا من ديارهم فراراً من الموت؟ وهل الإماتة والإحياء بالنسبة لهم كانا على سبيل الحقيقة؟

للإجابة على السؤال الأول نقول: لم يرد حديث صحيح عن رسول الله ﷺ يبين لنا فيه من هؤلاء القوم وفى أى زمن كانوا، وإنما أورد بعض المفسرين عن بعض الصحابة والتابعين روايات فيها مقال، وفيها تفصيلات نرى من الخير عدم ذكرها لضعفها. ومن هذه الروايات ما جاء عن ابن عباس أنه قال: كانوا أربعة آلاف خرجوا فراراً من الطاعون، حتى إذا كانوا بموضع كذا أو كذا ماتوا.. ثم أحياهم الله بدعوة دعاها نبيهم[٦].

ومنها أنهم - قوم من بنى إسرائيل - فروا من الجهاد حين أمرهم الله به على لسان نبيهم «حزقيل» وخافوا من الموت فى الجهاد فخرجوا من

---

(٢) ياسين (٨٢).

(٤) البقرة ٥٦.

(٦) تفسير ابن كثير جـ ١ صفحة ٢٩٨ بتلخيص.

(٣) تفسير الكشاف جـ ١ صفحة ٢٩٠.

(٥) حاشية الجمل على الجلالين جـ ١ صفحة ١٩٧. بتصرف يسير.

ديارهم فأماتهم الله ليعرفهم أنه لا ينجيهم من الموت شيء، ثم أحياهم وأمرهم بالجهاد...».

قال القرطبي بعد أن ساق هذه الرواية: وقال ابن عطية: وهذا القصص كله لين الأسانيد وإنما اللازم من الآية أن الله ـ تعالى ـ أخبر نبيه محمد ﷺ إخبارا في عبارة التنبيه والتوقيف عن قوم من البشر خرجوا من ديارهم فرارا من الموت فأماتهم الله ثم أحياهم ليروا هم وكل من جاء من بعدهم أن الإماتة إنما هي بيد الله لا بيد غيره، فلا معنى لخوف خائف ولا لاغترار مغتر. وجعل الله هذه الآية مقدمة بين يدي أمر المؤمنين من أمة محمد ﷺ بالجهاد. وهذا قول الطبري وهو ظاهر وصف الآية»[٧] والذي نراه أن الرواية الثانية التي تقول إنهم قوم من بني إسرائيل فروا من الجهاد حين أمرهم الله به.. معقولة المعنى، ويؤيدها سياق الآيات، لأن الآيات تحض الناس على القتال في سبيل الله، وتسوق لهم قصة هؤلاء القوم لكي يعتبروا ويتعظوا ولا يتخلفوا عن الجهاد الذي هو باب من أبواب الجنة ـ كما قال الإمام علي بن أبي طالب ـ ولأن قوله ـ تعالى ـ:

﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ يشعر بأنهم مع كثرة عددهم قد نكصوا على أعقابهم، وفروا من وجوه أعدائهم وهذا شأن بني إسرائيل في كثير من أدوار تاريخهم وما قاله ابن عطية يشير إليها فهو يقول: وجعل الله هذه الآية مقدمة بين يدي أمر المؤمنين بالجهاد. إلا أنه آثر وصفهم بأنهم قوم من البشر.

وللإجابة عن السؤال الثاني وهو ـ هل الإماتة والإحياء بالنسبة لهم كانا على سبيل الحقيقة ـ نقول: مبلغ علمنا أن المفسرين السابقين مجمعون على أن الموت كان موتاً حقيقياً حسياً لهم، وأن إعادتهم إلى الحياة بعد ذلك كانت إعادة حقيقية حسية.

وقد خالف الأستاذ الإمام محمد عبده إجماع المفسرين هذا فرأى أن المراد بالموت في الآية الموت المعنوي بمعنى أن موت الأمم إنما هو في جبنها وذلتها وأن حياتها إنما تكون في عزتها وحريتها فقد قال ـ رحمه الله ـ ما ملخصه:

«... والمتبادر من السياق أن أولئك القوم خرجوا من ديارهم بسائق الخوف من عدو مهاجم لا من قلتهم، فقد كانوا ألوفاً أي كثيرين وإنما هو الحذر من الموت الذي يولده الجبن في أنفس الجبناء، فيريهم أن الفرار من القتال هو الواقي من الموت وما هو إلا سبب الموت بما يمكن الأعداء من رقاب أهله، قال أبو الطيب:

يرى الجبناء أن الجبن حزم
وتلك خديعة الطبع اللئيم

ثم قال: لقد خرجوا فارين:

﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ أي أماتهم بإمكان العدو منهم.. فمعنى أولئك القوم هو أن العدو نكل بهم فأفنى قوتهم وأزال استقلال أمتهم حتى صارت لا تعد أمة، بأن تفرق شملها، وذهبت جامعتها، فكل ما بقي من أفرادها بقي خاضعا للغالبين ضائعا فيهم، لا وجود له في نفسه، وإنما وجوده تابع لوجود غيره.

(٧) تفسير القرطبي جـ٣ صفحة ٢٢٩.

ومعنى حياتهم هو عود الاستقلال إليهم، ذلك أن من رحمة الله فى البلاء يصيب الناس أنه يكون تأديبا لهم، ومطهرا لنفوسهم مما عرض لها من دنس الأخلاق الذميمة. أشعر الله أولئك القوم بسوء عاقبة الخوف والجبن والفشل والتخاذل بما أذاقهم من مرارتها، فجمعوا كلمتهم، ووثقوا رابطتهم، حتى عادت لهم وحدتهم، فاعتزوا وكثروا حتى خرجوا من ذل العبودية التى كانوا فيها إلى عز الاستقلال فهذا معنى حياة الأمم وموتها»[٨].

فأنت ترى أن الأستاذ الإمام يرى أن الموت والحياة فى الآية معنويات، بمعنى أن موت الأمم فى جبنها وذلتها، وحياتها فى استقلالها وحريتها.

ولعله ـ رحمه الله ـ قد اتجه هذا الاتجاه لأن الحض على القتال فى سبيل الله واضح فى هذه الآيات، ولأنه يرى أن واقع العالم الإسلامى يومئذ وما أصابه من ظلم واستبداد واستلاب للحرية يدعوه إلى أن يحرض المسلمين على القتال فى سبيل حقهم المسلوب، وأن يحذرهم من سوء عاقبة الجبن والخنوع.

ومع أننا لا نشك فى الدوافع الطيبة والبواعث الكريمة التى جعلت الأستاذ الإمام يتجه هذا الاتجاه، إلا أننا لا نتردد فى اختيار ما ذهب إليه المفسرون من أن الموت والحياة فى الآية حسيان حقيقيان، لأنه هو الظاهر من معنى الآية الكريمة، ولأنه يتجه اتجاها أعم من اتجاه الإمام محمد عبده، لأن المفسرين يرون أن الآية واضحة فى إثبات قدرة الله، وفى صحة البعث، وفى الحض على القتال فى سبيل الله.

قال بعض العلماء: قوله ـ تعالى ـ:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا ﴾ الآية.

«كان المشركون يستفتون اليهود فى كثير من الأمور وكانت هذه القصة معلومة لليهود فى أسفارهم وتواريخهم، فنزل القرآن بالإشارة إليها ليرتدع المشركون عما هم فيه من الضلال وإنكار البعث، ويعلموا أن دلائل القدرة على البعث مشهورة، وأن عند اليهود منها مالورجعوا إليهم فيه لعلموا أنه حق لا ريب فيه. وفى ذكر هذه القصة مع ذلك تشجيع للمؤمنين على الجهاد والتعرض للشهادة، وتمهيد لما بعد هذه الآية»[٩].

ثم ختم ـ سبحانه ـ الآية بقوله:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾

أى: إن الله ـ تعالى ـ لصاحب تفضل دائم على الناس حيث أوجدهم بهذه الصورة الحسنة، وخلق لهم عقولا ليهتدوا بها إلى طريق الخير، وسخر لهم الكثير مما فى هذا الكون. فمن الواجب عليهم أن يشكروه وأن يطيعوه، ولكن الذى حدث منهم أن أكثرهم لا يشكرون الله ـ تعالى ـ على ما منحهم من نعم.

---

(٨) راجع تفسير المنار جـ٢ ص ٤٥٧ وما بعدها.

(٩) صفوة البيان لمعانى القرآن ص ٨٠ لفضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف.

وفي قوله :

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ إنصاف للقلة الشاكرة منهم، ومديح لهم على استقامتهم وقوة إيمانهم.

ثم أمر الله - تعالى - عباده بالجهاد في سبيله فقال :

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

والسبيل : الطريق. وسميت المجاهدة سبيلا إلى الله لأن الإنسان يسلكها فيصل إلى ما يرضى الله، ويعلى كلمته. ويعز دينه.

أى، قاتلوا أيها المسلمون في سبيل إعلاء كلمة الله، والدفاع عن دينه، واعلموا أنه - سبحانه - عليم بكل أقوالكم صالحها وطالحها، عليم بكل ما يدور في نفوسكم وخواطركم، وسيجازى المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

فالآية الكريمة تحريض للمؤمنين على القتال من أجل إظهار الدين الحق، وتحذير لهم من القعود عنه، وحث لهم على صدق النية وإخلاص العمل لله، فقد سئل النبي ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، أى ذلك في سبيل الله؟ فقال : «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»(١٠).

ثم أمر الله - تعالى - عباده بأن ينفقوا أموالهم في الأعمال الصالحة التي من أعظمها الجهاد في سبيله فقال - تعالى - :

﴿ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾

قال القرطبي : «القرض : اسم لكل ما يلتمس عليه الجزاء. وأقرض فلان فلانا أى أعطاه ما يتجازاه. واستقرضت من فلان أى طلبت منه القرض فأقرضني. واقترضت منه أى أخذت القرض، وأصل الكلمة القطع ومنه المقراض. وأقرضته أى قطعت له من مالى قطعة يجازى عليها.. ثم قال : والتعبير بالقرض في هذه الآية إنما هو تأنيس وتقريب للناس بما يفهمونه، والله هو الغنى الحميد، لكنه - تعالى - شبه عطاء المؤمن في الدنيا بما يرجو به ثوابه في الآخرة بالقرض كما شبه إعطاء النفوس والأموال في أخذ الجنة بالبيع والشراء..»(١١).

والمعنى : من هذا المؤمن القوى الإيمان الذى يقدم ماله في الجهاد من أجل إعلاء كلمة الله، وفي غير ذلك من وجوه الخير كمعاونة المحتاجين، وسد حاجة البائسين، ومساعدة الأمة الإسلامية بما يفيدها ويعلى من شأنها :

﴿ فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ أى : فيرد الله - تعالى - إلى هذا الباذل المعطى المقرض بدل ما أعطى وبذل وأقرض أمثالاً كثيرة لا يعلم مقدارها إلا الله أكرم الأكرمين. إذ المضاعفة معناها إعطاء الشخص أضعاف أى أمثال ما أعطى وبذل.

والاستفهام في قوله :

---

(١٠) تفسير القرطبي جـ٣ ص ٢٢٩ .

(١١) تفسير القرطبي جـ٣ صفحة ٢٣٩.

﴿ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ ﴾ للحض على البذل والعطاء، وللتهييج على الاتصاف بالصفات الكريمة، حتى لكأن المستفهم لا يدرى من هو الأهل لهذه الصفات ويريد أن يعرف من هو أهل لها.

و ﴿ مَّن ﴾ اسم استفهام مبتدأ، و ﴿ ذَا ﴾ اسم إشارة خبره، والذى وصلته صفة لاسم الإشارة أو بدل منه.

وقوله: ﴿ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ حث للناس على إخلاص النية، وتحرى الحلال فيما ينفقون، لأن الإنسان إذا تصدق بمال حرام، أو قصد بنفقته الرياء أو المباهاة لا يكون عمله متقبلا عند الله، وإنما يتقبل الله العمل ويضاعفه لمن قصد به وجهه، وكان المتصدق به مالاً حلالاً خالصًا من الشبهات. فالله - تعالى - طيب لا يقبل إلا ماكان طيبا.

ثم ختم - سبحانه - الآية بقوله:

﴿ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾.

القبض: ضد البسط يقال: قبضه بيده أى تناوله. وقبض عليه بيده أى أمسكه. ويقال لإمساك اليد عن البذل قبض ومن ذلك قوله - تعالى -:

﴿ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ﴾[12] أى يمتنعون عن الإنفاق.

والبسط معناه المد والتوسعة يقال بسط يده أى: مدها وبسط المكان القوم. وسعهم والمعنى: والله - تعالى - بيده الإعطاء والمنع فهو يسلب تارة ويعطى أخرى، أو يسلب قوما ويعطى آخرين، أو يضيق على بعض ويوسع على بعض حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكمة والمصلحة، وما دام الأمر كذلك فلا تبخلوا بما وسع عليكم كيلا تتبدل أحوالكم من الغنى إلى الفقر، ومن السعة إلى الضيق. وأنتم جميعا سترجعون إليه وحده، وسيجازى - سبحانه - الأسخياء بما يستحقون من كريم الثواب والبخلاء بما هم أهله من شديد العقاب.

فأنت ترى أن فى هذه الآية الكريمة ألوان من الحض على الإنفاق فى وجوه الخير ومن ذلك التعبير بالاستفهام ، لأنه للتنبيه وبعث النفوس إلى التدبير والاستجابة.

ومن ذلك - أيضا - التعبير بقوله:

﴿ مَّن ذَا الَّذِي ﴾ فقد جمع هذا التعبير بين اسم الإشارة والاسم الموصول فى الاستفهام ، ولا يستفهم بتلك الطريقة إلا إذا كان المقام ذا شأن وخطر، وكان المخاطب لعظم قدره من شأنه أن يشار إليه وأن يتحدث عنه ومن ذلك تسميته ما يبذل الباذل قرضا، ولمن هذا القرض إنه لله الذى بيده خزائن السموات والأرض والذى سيرد للباذل أضعاف ما بذل، فكأنه - سبحانه - يقول لنا: إن ما تدفعونه لن يضيع عليكم بل هو قرض منكم لى، وسارده

(12) التوبة (67)

لكم بأضعاف ما دفعتم وأعطيتم. ومن ذلك إخفاء مرات المضاعفة ووصفها بالكثرة في قوله:

﴿ فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ ﴾ أي لا يعلم مقدارها إلا الله.

ومن ذلك التعبير بقوله:

﴿ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ ﴾ لأنه مادام العطاء والمنع من الله، فلماذا يبخل البخلاء ويقتر المقترون؟ إن على الغني أن يستشعر نعمة الله عليه، وأن يتحدث بها بدون رياء وأن ينفق منها في وجوه الخير حتى يزيده الله من فضله، وإلا فعلى قدرة الله أن يسلبها منه، ويحاسبه على بخله حسابا عسيراً.

هذه بعض وجوه المبالغة التي اشتملت عليها الآية لحض الناس على الإنفاق في الجهاد وفي وجوه الخير، ولقد استجاب السلف الصالح لهذه التوجيهات، وحكى لنا التاريخ أمثلة كريمة من سخائهم وبذلهم.

ومن خير الأمثلة على ذلك ما جاء عن عبدالله ابن مسعود قال: لما نزلت:

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا ﴾.

قال أبوالدحداح: يا رسول الله أو إن الله- تعالى- يريد منا القرض؟ قال: «نعم يا أبا الدحداح» قال أرني يدك: فناوله النبي ﷺ يده. فقال أبوالدحداح: فإني أقرضت الله- تعالى- حائطا فيه ستمائة نخلة. ثم جاء يمشي حتى أتى الحائط وأم الدحداح فيه وعياله، فناداها: يا أم الدحداح، قالت: لبيك قال: أخرجي قد أقرضت ربي حائطا فيه ستمائة نخلة»[١٣].

وفي رواية لزيد بن أسلم أن أبا الدحداح قال للنبي ﷺ إن لي حديقتين إحداهما بالسافلة والأخرى بالعالية والله لا أملك غيرهما قد جعلتهما قرضا لله- تعالى- فقال رسول الله- ﷺ: «اجعل إحداهما والأخرى دعها معيشةلك ولعيالك» قال: فأشهدك يا رسول أني قد جعلت خيرهما لله وهو حائط فيه ستمائة نخلة. قال: «إذا يجزيك الله به الجنة» ثم انطلق أبوالدحداح إلى زوجته وهي مع صبيانها بالحديقة تدور تحت النخل فأخبرها بما فعل. فأقبلت على صبيانها تخرج ما في أفواههم وتنفض ما في أكمامهم حتى أفضت إلى الحائط الآخر»[١٤].

وبهذا نرى السلف الصالح قد امتثل ما أمره الله به من إنفاق في سبيله ومن جهاد لإعلاء كلمته فهل آن الأوان للمسلمين أن ينهجوا نهجهم لكي يسعدوا كما سعدوا، وينالوا أشرف حياة وأعزها؟ اللهم خذ بيدنا إلى ما يرضيك.

«يتبع»

---

(١٣) تفسير ابن كثير جـ ١ صفحة٢٩٩.

(١٤) تفسير القرطبي جـ ٣ صفحة ٢٣٧.



فاتحة الكتاب بين تفسيرين

٢

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

وينفرد سيد قطب في تفسيره (في ظلال القرآن) من بين المحدثين بكونه صاحب اتجاه (جمالي)، يستبطن في النص القرآني علاقاته وأنساقه وتصاميمه الإبداعية التي تولد لدى المتلقي إحساساً عارماً بالجمال ثم إدراكاً عارماً لهذا الجمال.. ومن هنا فهو يقدم لتفسيره بمقدمة انطباعية تحدد منطلقاته في فهم الظاهرة القرآنية من زوايا: إحساسه الشاهق الذي يطل منه - قارئاً للقرآن الكريم - على جاهليات الأرض، وتأمله المستغرق لعظمة التصور القرآني الشامل النظيف للوجود، وإدراكه العميق لجمل التناسق الجميل بين حركة الإنسان وحركة الكون، وقدرته الفذة على رؤية الكون من الداخل أكبر في حقيقته وفي تعدد جوانبه، وإيمانه الواعي بتكريم الله للإنسان في كل الزمن التاريخي، ويقينه العيني بحكمة الحركة وحركة الحكمة في كل مظاهر التركيب الكوني، وتطلعه في أول الأمر وآخره إلى ضرورة العودة إلى حمى الله حتى ترشد الحركة المرتبكة، وتستنير القيادة الجاهلة، ويتوافق الإيقاع الإبداعي للإنسان مع منهج الله منشئ الإبداع ومنشئ الإنسان على السواء.

وواضح من هذا المنحنى الانطباعي في مقدمة التفسير أنّ صاحبه فنان يتأمل لوحات جمالية تفيض بإشراق الألوان والأضواء والظلال، ويترقى من هذا التأمل الجمالي إلى نوع من الإخبات الورع الذي يرى جمال الخلق الإلهي في كل آياته ولوحاته، حتى لتحسّ معه بأن الطبيعة التي يجسّدها النصّ القرآني طبيعة مزودة بملايين الألسنة الذاكرة، وملايين الأيدي الملوحة، وملايين الإيحاءات الهاتفة بوحدانية الله وإعجازه في خلقه.

يؤكد ذلك أن سيد قطب في تفسيره يتوفر كثيراً على تأمل ألوان من الغايات الجمالية المحايدة، كالقص القرآني طبيعته ومضامينه وتشكيلاته، وكالتصوير الحسيّ القرآني حركته ولونه وإيقاعاته، وكالبناء الفني القرآني تصميمه ورؤيته وأداته، إلى آخر ما يمكن رصده في هذا الصدد مما يركز عليه في الظلال، حتى ليوشك المتتبع لمساره هناك أن يجزم بأن منطلقه إلى التفسير وفي التفسير كان تجلية روائع الحركة الإبداعية في النصّ القرآني، قبل أن يكون محاولة تجلية الجوانب الروحية والفقهية والعقيدية التي ركّز عليها الغابرون فأضاؤوها إضاءات كافية.

وهذا إنجاز محسوب لسيد قطب بلا جدال، لأننا مطالبون ليس بارتياد الأصقاع المطروقة، وإنما بارتياد الأصقاع المجهولة، ولا يهم خَضَمّ المعاناة التي تُبذل في هذا الفعل الأخير، لأن ضريبة الكشف قد تكون آخر نبضة في القلب، وقد تكون السقوط في المنتصف دون الغاية المأمولة بما لا يقاس!!

وبَدْءاً يقرّر سيد قطب في تفسيره (لسورة الفاتحة) أنها تحتوي على كليات من العقيدة، وكليات من التصور الإسلامي، وكليات من المشاعر والتوجهات، وفي ذلك بعينه ما يشير إلى طرف من حكمة اختيارها للتكرار في كل ركعة، وحكمة بطلان كل صلاة لا تذكر فيها.

وإذا كان الله ـ عز وجل ـ قد قال لنبيه ﷺ في أول آية نزلت من القرآن الكريم:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾(1) فإن استهلال الفاتحة ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ يبدو التزاماً أدبياً أوحى الله به لنبيه ﷺ، كما يبدو إقراراً حراً، ووهلياً بأن الله هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، فإذا أضيف إلى ذلك أنه:

﴿ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ شمل ذلك محوري: (الوجود) و (الفيض على هذا الوجود) ولعل الإيحاء الذي تشعه صفة ﴿ الرَّحْمَٰنِ ﴾ يؤكد وحدانية هذا الفيض، وأنه لا يستطيعه لكل هذا الكون سوى ﴿ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ ﴾ بلا شريك.

ولما كان البدء باسم الله وما ينطوي عليه من توحيده والأدب معه يمثل الكلية الأولى في التصور الإسلامي، فإن استغراق معاني الرحمة وحالاتها ومجالاتها في صفتي:

﴿ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ يمثل الكلية الثانية في هذا التصور، ويقرر كنه العلائق الحميمة بين الله والمخلوقين لله.

ولأن هذا الفيض الرحماني صدور ذاتي عن الوجود الإلهي، فإن التوجه بـ «الحمد» يصبح حتمية ضرورية يتوجه بها إلى خالقه مناطُ هذه الرحمة، ومخلوق هذه الواحدية الخالقة: (الإنسان)، حتى لا يُوصَمّ بالكنود وبطر النعمة وسوء الأدب مع واهب كل هذه الآلاء.

---

(1) العلق.

ومع ذلك، فإن الله ـ تبارك وتعالى ـ يثيب عبده (الحامد) على حمده له، لأن هذا الحمد شهادة صادعة بأن هذا العبد قد وصل في فهمه عن علاقته بربه إلى درجة الشفافية التي يدرك معها بأن الله وحده هو واهب الوجود وآلاء الوجود، ومن حقه على عبده أن يتوجه إليه بالحمد على نعمتيْ الخلق والرعاية .. ومن هنا جاءت صيغة: ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ بكل ما تشعّه من معاني الربوبية المطلقة، والتربية الحادية، ونفي كل الأرباب الآخرين، حتى تستقر في الأرض حقيقة الواحدانية لله، ويتوارى كل ما عداها من فوضى أوهام تعدد الأرباب.

وحين تتكرر صفة ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ فإن ذلك يعد مؤكّداً على عمق التوجه إلى نزع الإنسان من كل جاهلياته الأرضية، وإلى ترشيد موقفه العقيدي في تواصل حميم، لأن جمال هذه العقيدة وكمالها وتناسقها وبساطة الحقيقة الكبيرة التي تمثلها - كما يقول سيد قطب - لا يتجلى للقلب والعقل كما يتجلى من مراجعة ركام الجاهلية من العقائد والتصوّرات، والأساطير والفلسفات، وبخاصة موضوع الحقيقة الإلهية وعلاقتها بالعالم .. عندئذ تبدو العقيدة الإسلامية رحمة، رحمة حقيقية للقلب والعقل، رحمة بما فيها من جمال وبساطة، ووضوح وتناسق، وقرب وأنس، وتجاوب مع الفطرة مباشر عميق.

ولحكمة إلهية فإن المعادلة في الإسلام ليست دُنْيا فقط، وليست آخرة فحسب، وإنما هي عناق بين الدنيا والآخرة .. ولذلك جاء السياق بهذا التدفق الشمولي الواثق: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ ليجسد كلية الاعتقاد بالآخرة، حتى يتكامل محورا اليوم واليوم الآخر، بشرط أن نفهم عن هذا النص المعجز أن التقابل هنا لا يقيم مصادمة بين المحورين بقدر ما يقيم تكاملا بينهما، حتى يخفف من سعار الانحناء على الضرورات الأرضية، ويشيع للذين لم يلحقوا بها نوعا من القرار النفسيّ والعقيدي إلى أنهم بالغوا هذه الآراب في دنياهم الآخرة.

.. (ومن ثم فإن هذه الكلية تعد مفرق الطريق بين العبودية للنزوات والرغائب، والطلاقة الإنسانية اللائقة ببني الإنسان .. بين الخضوع لتصورات الأرض وقيمها وموازينها، والتعلق بالقيم الربانية والاستعلاء على منطق الجاهلية. مفرق الطريق بين الإنسانية في حقيقتها العليا التي أرادها الله الرب لعباده، والصور المشوهة المنحرفة التي لم يقدر لها الكمال) .. وليْت سيد قطب تأمّل إطلاقَ (اليوم) على الآخرة، بكل ما يحمله هذا الإطلاق من جدلية الربط بين الحياتين كأنما هما امتداد لنهار واحد بلا تحديد!!

ثم ترتب السورة على هذه الكليات كلية أخرى، وهي حتمية التوجه إلى من يجب أن (يُعْبد) وحده، وأن (يُستعان) به وحده:

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ فلا وقوع في أسر العبوديات الأرضية، ولا انحناء تحت راية القوى المُجوّفة ولا صدوف عن مواصلة تمتين العلائق بالعبادة والاستعانة، حتى يصبح (العبد) (ربانياً) بلا زّيوف!!

وهنا يعرض موقف المسلم - كما يقول سيد قطب - من القوى الإنسانية، ومن القوى الطبيعية: (فأما القوى الإنسانية - بالقياس إلى المسلم - فهي نوعان: قوة مهتدية تؤمن بالله وتتبع منهج الله.. وهذه يجب أن يؤازرها ويتعاون معها على الخير والحق والصلاح.. وقوة ضالة لا تتصل بالله ولا تتبع منهجه، وهذه يجب أن يحاربها ويكافحها ويغير عليها.. وأما القوى الطبيعية فموقف المسلم منها هو موقف التعرف والصداقة، لا موقف التخوف والعداء، ذلك أن قوة الإنسان وقوة الطبيعة صادرتان عن إرادة الله ومشيئته، محكومتان بإرادة الله ومشيئته متناسقتان متعاونتان في الحركة والاتجاه).

ومتى صار المسلم الحقيقي يعبد ربه حتى يصبح ربانياً ويستعينه حتى يصبح أقوى من كل قوى الأرض، فإنه بحاجة مع هذا الجبروت إلى تسديد توجهاته الفاعلة في اتجاه الحق والخير والجمال، ومن هنا حق له أن يجأر بهذه الابتهالة الواضحة:

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾

لأن هذا التوجه هو التطبيق العملي لمجمل الكليات الأساسية في التصور الإسلامي، وليست الهداية في النهاية سوى هداية فطرة الإنسان إلى ناموس الله الذي ينسق بين حركة الإنسان وحركة الوجود كله في الاتجاه إلى الله رب العالمين.

وكما بدأ سيد قطب تأملاته لسورة الفاتحة بتضوىء دورها ومكانتها في المنظور الإسلامي من خلال إيمائه إلى أن المسلم يردد هذه السورة القصيرة ذات الآيات السبع، سَبْعَ عشْرةَ مرة في كل يوم وليلة على الحد الأدنى، وأكثر من ضعف ذلك إذا هو صلى السنن، وإلى غير حد إذا هو رغب في أن يقف بين يدي ربه متنفلا، غير الفرائض والسنن.. وإيمائه كذلك إلى أن أية صلاة لا تقوم بغير هذه السورة الصغيرة، لما ورد في الصحيحين عن رسول الله ﷺ من حديث عبادة بن الصامت: (لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب).. فإن سيد قطب ينهي تأملاته لسورة الفاتحة بمثل هذه الإيماءات المضيئة لدورها ومكانتها في المنظور الإسلامي كذلك، مشيراً إلى أن هذا التركيز على فضل هذه السورة ذات الآيات السبع، يكشف عن سر من أسرار اختيار السورة ليرددها المؤمن سبع عشرة مرة في كل يوم وليلة، أو ما شاء الله أن يرددها كلما قام يدعو في الصلاة.

ونظن أننا لا نخطئ في هذا المنهج ملامح الإيقاع الجمالي، الذي يتهدى إلى بواطن النص من خلال إشعاعاته الجمالية، بشرط أن نضيف أن هذا الفعل الجمالي يتم في إطار من تسليط مقولات النص القرآني على المضامين الحضارية بلا تخلف، وقد أتاح هذا التوجه النقدي الصوابي لسيد قطب أن يحاكم الحضارات الإنسانية جميعها في ضوء النص القرآني، وأن يحكم عليها بالجرح أو التعديل وفق طبيعة اقترابها أو نفارها من المنهج القرآني وعن المنهج القرآني جميعا، فأرسى في وعي المتلقي يقينا أصوليا بمحورية هذا

المنهج وحتمية دوران كل الحضارات حول هذه المحور الذى يضبطها بقدر ما تسعى هى إلى الاقتراب من وهجه، ويتركها فى أغباش التخبط بقدر ما تنأى هى عن التماس مع فيْضه وتواتره.. وقد حقق هذا الاتجاه الجمالى وأيضا الحضارىّ لتفسير الظلال جدلية الربط بين جمالية التعبير فى النصّ القرآنىّ، وحضارية البَوْح المضمونىّ فى هذا النص القرآنى، أى بين الشكل والمحتوى، فلم تعد - (الجمالية) هنا شكلا فارغا بلا مضمون، ولم يعد المضْمون هنا مقولات شبهْ تقريرية بلا شكل، وإنما انتهت المعادلة بهذه الرؤية النقدية الناقدة إلى جدليّة الرّبْط بين الشكل والمضمون، وإلى تَضْوئ حركة النصّ القرآنى من المنظور الجمالى - أفقاً إبداعيا لا يُطال، وإعجازاً حضارياً لا يُضارع وتشكيلات روحية فاغمة تنضح بشلالات من الضَوْع الإيمانى الذى لايخذل فى إنسانه المسلم إمكان تعاليات الروحية المتواترة بلا حدود ولا سدود!!

بعد وقوفنا مع منهج سيد قطب فى تفسير فاتحة الكتاب نستطيع أن نوازن منهج قديم يمثله (ابن كثير) ويتكئ فيه أساساً على الحسّ اللغوى المبطّن باستشفافات فقهية وعقيدية وهذا المنهج المعاصر الذى يمثله (سيد قطب) ويتكئ فيه أساساً على الحسّ الجمالى المبطّن باستشفافات حضارية وإنسانية.. يمكن أن نجمل أبرز ملامح هذين المنهجين: فابن كثير ينطلق من منطلق لغوى، ويتغيا غايات فقهية وعقيدية وجدلية، ويحاول تفسير القرآن ما أمكن بالقرآن، وبالسنة، وباجتهادات الصحابة والتابعين، ويوطئ لدخوله على السُورة المفسّرة بمدخل لغوى تخالطه رؤية نقلية تضئ مكانة السورة وفضلها الدينى ويتوفر بعد ذلك على التحليل النّصّىْ للسورة فى ضوء ما سبق من أساسيات..

أما سيد قطب فينطلق من منطلق جمالىّ، ويتغيأ هو الآخر غايات إنسانية وحضارية وفكرية، ويعمد إلى ألوان من الإسقاطات التى يسلط فيها إيحاءات النص على الواقع التاريخى بأضلاعه المثلثة: الماضى والحاضر والمستقبل، ولا تخطئ فى تفسيره روح الداعية الذى يوظف كل اقتداره النقدىّ على لمح خصائص الجمال فى النصّ لإقناع القوى المعارضة، وتطويع المشاعر النافرة، مع حرْص حريص على أن يضع النصّ القرآنى فى موقع وسطىّ تقاس به كل المسافات والأشياء والقيم والحضارات والبشر والتواريخ ويظلّ هو قادرا بلا توقف على محاكمتها جميعا، والفصل بين تداخلاتها التى تُضَبِّبُ فى أحيان كثيرة وجْهَ الحقائق، وتنازع الحاكمية فى كثير من القضايا التى قد لا تقرّ لها بمشروعية هذه الحاكمية من الأساس.

من هنا نرى أنه من الصعب أن نفضّل اتجاهاً قديماً على اتجاه حديث، أو اتجاها معاصراً على اتجاه قديم، لأن لكل اتجاه منهما ظروفه التاريخية الحاكمة، ومُعْطياته العقيدية الحميمة، ولكننا فقط نحدد ملامح الحركة وملامح القرار فى كل اتجاه على السواء!!

ويمكن في النهاية أن نؤكد حقيقتين بارزتين: الحقيقة الأولى أنّ التكوين الفكري والحضاري للمفسّر يشكل بالضرورة نوعيّة رؤيته للقضية التفسيرية المطروحة، وينعطف به وبها صوب توّجهات معينة، قد تكون لغوية، وقد تكون جمالية وقد تتّسع لتشمل كل اللحظة الحضارية، وقد تضيق لتتامل مجرد نص في مجرد آمّة.

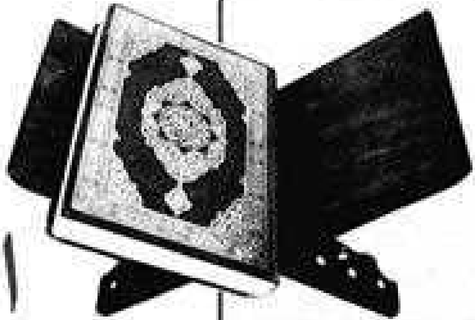
والحقيقة الثانية أن القرآن الكريم حتى في قصار سوره يتيح للفكر المثقّف في كل أجيال التاريخ مساحات متجددة وحافلة بالكنوز، ويُحرِّض بهذه الوضعية المتفردة في كل البشر أروع ملكاتهم، وأعمق اجتهاداتهم وأسْمق طموحاتهم، ومع ذلك كله يظل قابلاً لمزيد من الكشف وقادراً أيضا على مزيد من إثراء المحاولة بعطاءات لا تغيض!!

ومن هنا تتحتم الحركةُ المعاصرةُ نحو تكوين جيل عقيديّ مثقف، يفهم عن قرآنه بحضارية فكرية مدرّبة، ويستطيع من خلال هذا الفهم أن يعكس رؤيته للنص القرآني من المنظور الذي هو مؤهّل له، حتى يمكن في النهاية أن نعطي لهذا القرآن الكريم من اجتهادنا المعاصر ما يجعله ثقافة العالم وليس ثقافتنا وحدها، وإيمان البشرية وليس إيماننا وحده، وبهذا نكون قد بررْنا بديننا وبعصرنا معاً، لأن تبليغ الدعوة برّ حقيقي بحركة الدين، ولأن إنقاذ العصر برٌّ حقيقيٌّ بحركة العصر!!.

وقد آن أنْ نترك مواقع الدفاع غير المسلّح للأسف، إلى مواقع الفتح المسلح الذى يرد علينا كثيراً من حقوقنا المهدورة، ويرد على الإنسانية بعض حقها في أن تتنسّم الهواءَ النقي الذى تريد، وتعتقد الدين الحقيقي الذى تنشد وتتفرس وجه علاقاتٍ حضارية تنبع من قاع اليقين الإيماني، وليس من قاع الافتراس الجاهليّ، وتستقر في النهاية عند قناعات لا يمليها السيفُ الباطشُ، وإنما يمليها الوعْيُ بحقائق الحق والخير والجمال وواحدية المعبود!!

ليس التفسير المنشود إذن هو التفسير الذى يقطع الجسور الواصلة بين النص القرآني وجدَل الواقع الحضاري المعاصر، ولكنه التفسير الذى يخوض بالنصّ القرآني جدل الواقع والحضارة والمعاصرة ويَجْبَه التحدّي الثقافي الآنيّ بتحد أعرض وأعمق، ويتيح للعقائدية المسلمة نوعاً من ممارسة الحركة في اتجاه إحلال البدائل الصوابية، ونوعا آخر من تحصين رعاياها ضد محاولات التفتيت والتذويب والتغريب، وهو أمل ربما يكون أكبر من حجم المرحلة، ولكنه بالتأكيد ليس أكبر من حجم التكليف المنوط بكاهل المسلم، الذى حقق هذا الإنجاز الحلم في مرحلة من مراحل التاريخ والذى نعتقد أنه قادر دائماً على تحقيقه إذا نحن حررناه من سجونه، وآزرناه في صدامة المصيري مع كل قوى القهر والاقتلاع!!

سمات التربية القرآنية



للأستاذ الدكتور/ مصطفى رجب

إن التربية القرآنية للأفراد والجماعات تتضمن منظومة قيمية رفيعة المستوى، تتناغم مفرداتها فى وحدة متسقة، اجتماعيا، ونفسيا، وخلقيا. ومن ثم فإنها تسير فى طريقين متوازيين لا ينفكان أبدا،

أولهما: يبدأ بالتنفير من السلوكيات الشائنة المستهجنة.

والثانى يبدأ بالجذب إلى السلوكيات الرشيدة المستحسنة.

والتربية القرآنية تختلف عن التربية البشرية – مع اتحادهما فى الهدف إلى حد كبير – فى عدة جوانب أهمها:

أولاً: أن التربية القرآنية صياغة إلهية محكمة:

لا تقبل جدلاً، ولا يجرى عليها تغيير. وهناك فرق كبير بين كونها (محكمة) وبين كونها (جامدة) فالتربية التى لا تقبل جدلاً ولاتغييراً لا نستطيع وصفها بأنها جامدة إلا إذا كانت بشرية المصدر وصمم منتجوها على رفض التغيير، فتصبح أطروحاتهم جامدة يلفظها الزمن، ويتجاوزها التطور الإنسانى الحتمى المستمر.

وأما رفض التغيير والجدل لأن منظومة التربية (محكمة) بمعنى أنها صياغة إلهية، فذلك لأنها تحمل فى طياتها من المواصفات مالا ينفك – بالطبيعة – عن صفات البشر الذين هم – بطبيعتهم أيضاً – صناعة وصياغة إلهية.

فالتربية القرآنية بهذه المثابة تتماس مع الخواص النفسية المركوزة فى فطرة البشر، فكأنها – بشكل أو بآخر – صمام أمان للسلوك الإنسانى إذا ما حاول الخروج عن الفطرة (=شروط ومواصفات خلق الإنسان).

ثانياً: أن التربية القرآنية (كاملة) والتربية البشرية (متكاملة):

بمعنى أن التربية القرآنية وحدة واحدة تحمل كل مقومات البقاء والعطاء. ولا توجد بها ثغرة واحدة – منذ وجدت – فهى كاملة بحكم القدرة الإلهية المطلقة التى أوجدتها.

أما التربية البشرية فهي (متكاملة) بمعنى أنها لم تنشأ بوضعها الحالي، وإنما بدأت على هيئة نظريات أخلاقية، ثم تحولت إلى نظريات نفسية: سلوكية ثم عقلية، ثم معرفية. وأصبحت الآراء فيها تتقارب وتتباعد، تلتقي وتفترق، وتتوازى وتتقاطع. ومن ثم فقد اعتراها الاضطراب والتناقض واحتاجت – على مدى رحلتها كعلم – إلى الترقيع والتوفيق والتلفيق من حين لآخر حتى تستطيع الاستمرار.

ثالثاً: التربية القرآنية تستغني بنفسها عن العلوم الأخرى:

ذلك أن القرآن الكريم جاء صالحاً لكل زمان ومكان ومن ثم فإن تشريعاته – بما فيها التربية الإنسانية – لا تحتاج إلى أية مساعدة بشرية، أما التربية البشرية فهي تحتاج إلى نتائج العلوم الأخرى وتستفيد منها، فكلما حدث تغيير في مناهج علم الاجتماع أو علم النفس أو العلوم السياسية أو الاقتصاد والفلسفة، تبع ذلك تطور حتمي في مناهج البحث التربوي، أدى بالتالي إلى تغير في نظريات التربية وافتراضاتها ووسائطها وأساليبها.

رابعاً: التربية القرآنية كلية والتربية البشرية جزئية:

والفرق الجوهري الرابع أن التربية القرآنية (كلية) بمعنى أنها تنظم سلوك الإنسان من حيث هو إنسان ومن هنا جاء وصفها بأنها (محكمة) لا تتشابه ولا تتناقض ولا تحتاج إلى ترقيع واستكمال، فإذا وصف « الإنسان » في القرآن الكريم بصفة من الصفات (ظلوم، جهول، عجول، جاحد ... إلخ) فمعنى ذلك أن كل صفة من تلك الصفات توجد في كل إنسان من جنس البشر بدرجة من الدرجات قد تزيد أو تنقص، فالطبيعة البشرية – في القرآن – واحدة، وبقدر ارتفاع صفات وانخفاض أخرى، ترتسم ملامح الإنسان، وتحدد معالم سلوكه وتتألف صورة شخصيته.

أما التربية البشرية فإنها جزئية، بمعنى أنها اتجهت لتعالج جزءاً واحداً من سلوك الإنسان فعلم النفس التربوي يدرس عقل الإنسان: قدراته وإمكاناته، ومواهبه، ومن ثم فهو يهتم بالذكاء والتحصيل، وما يعتري التحصيل المعرفي للإنسان من معوقات. وينحصر نفسه في هذا المجال، أما علم الصحة النفسية فهو يهتم بالنفس الإنسانية من حيث السواء والاضطراب، فيدرس الهوس والجنون والوسوسة والكذب والصدق وفلتات اللسان وما يتصل بذلك من مشاعر داخلية كالإحساس بالذنب والقهر، تأنيب الضمير.... إلخ

وعلى الرغم من التجاور المعنوي بين (النفس) و(العقل) فإن مجالات البحث في هذين العلمين التربويين متباعدة، ولكل منهما اختباراته ومقاييسه وأساليبه التقويمية الخاصة.. وتبقى مساحة مثل (الخيال) أرضاً مشاعاً بين العلمين!!

هذه التجزئة لا نلمسها في التربية القرآنية ولا نجد لها أثراً لأنها تقوم على (الكليات) لا على (الجزئيات).

خامساً: التربية القرآنية كونية عالمية، والتربية البشرية إقليمية محلية:

وإذا كانت التربية القرآنية مرتبطة بالإنسان من حيث هو إنسان فإنها تتخطى حواجز المكان ولا تخضع للعوامل القومية والجغرافية والأيديولوجية التي تخضع لها نظم التربية البشرية، فالتربية

البشرية تستمد مقوماتها من الدساتير والقوانين والعادات والتقاليد والأعراف بين الناس، وهى عوامل متغيرة من زمان لزمان، ومن مكان لمكان.

ففى الدولة الواحدة إذا انتقل نظام الحكم من الشمولية إلى الديموقراطية لاحظنا تغيراً تابعاً فى نظم التعليم وأهداف التربية، ومناهج الدراسة، وطرق التعليم وأساليب الإدارة.

وهذه العوامل كلها تختلف من دولة إلى أخرى، ومن حضارة إلى حضارة ومن بيئة إلى بيئة، ويكون لكل منها شخصيته الثقافية الخاصة ذات السمات المختلفة عن الأخرى.

أما التربية القرآنية فهى تصلح لكل البشر مهما اختلفت دياناتهم وثقافاتهم. فالتربية القرآنية حين تحرم الحسد والغيرة، والظلم، والسرقة، والكذب، والغش، والخداع، فإنها تستجيب بذلك لما يمكن أن نسميه بـ(مقومات الإنسانية الحقة) بقطع النظر عن أية عوامل أخرى يخضع لها الإنسان موضوع التربية. وإذا تحولت هذه الكليات السلوكية إلى تطبيقات عملية فى الإدارة ونظم التعليم وطرق التدريس ومناهج الدراسة أصبح هذا كله لوناً من الإعجاز التربوى التشريعى الذى لا يدانيه إعجاز.

سادساً: التربية القرآنية لا تعرف العشوائية:

إن تقسيم التربية البشرية - أيا كان مصدرها - إلى تربية مقصودة وتربية غير مقصودة Formal and Non Formal أو شكلية وغير شكلية، يجعل للممارسات التى تتم فى الشارع وعبر جماعات الرفاق وضعية تربوية مقننة معترفاً بها، وهذا ليس وارداً فى مجال التربية القرآنية لأنها تحسم سلفاً مصادر التوجيه السلوكى، ولا تترك الإنسان - موضوع التربية - هدفاً لأنماط سلوكية مقصودة وغير مقصودة تتقاذفه رياحها على غير هدى.

وسائط التربية القرآنية

وتستخدم التربية القرآنية وسائط متعددة فى سبيل تحقيق أهدافها منها:

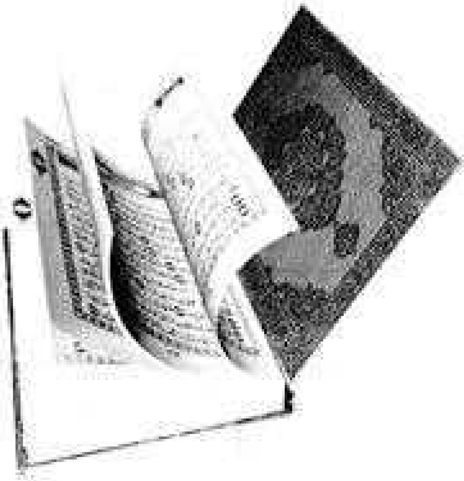
١- **الكلمة**: حيث نجد الكلمة فى السياق القرآنى تؤدى وظيفة نفسية ذات أبعاد متعددة، مثل بعد الترغيب، بعد التنفير، بعد إثارة الفزع، بعد إثارة العطف والحنو، وتتعاون تلك الأبعاد المختلفة للوظيفة النفسية فتفعل فعلها فى شحن النفس بتيارات انفعالية جارفة تقوم بدور فاعل فى تعديل السلوك الإنسانى.

٢- **المثل**: وقد تناولت دراسات متعددة العطاء التربوى للمثل القرآنى وما يفيض به من عوامل تأثير خاصة، قد يكون بعضها من خلال قصة يتضمنها المثل، وقد يكون بعضها من خلال عبارة المثل ذاتها.

٣- **القصة القرآنية**: إن أسلوب القصة من أقوى أساليب التربية تأثيراً، وأسلسها عرضاً، فالإنسان بفطرته ميال إلى حب الاستطلاع وتقصى أخبار الآخرين، ومولع بمتابعة الأحداث والانفعال بها معها ولا شك فى أن أعظم سرد للقصة فى القرآن الكريم، وقد أورد القرآن الكريم أخبار الأمم السابقة بطرق مثيرة للعواطف الخيرة، صارفة عن النوازع الشريرة، داعية إلى التبصر والتأمل والتماس العبرة، ولا شك فى أن قصص القرآن الكريم فيه - من الناحية الفنية - معظم ما اتفق عليه دارسو الآداب من عناصر فنية كالزمن والمكان والأحداث والصراع والأشخاص، وله من الناحية الموضوعية - أهداف كثيرة، لعل الهدف التربوى من أهمها، لما ينضوى تحته من قيم ثمينة، وعطاء سام متجرد للدعاة والمربين والهداة والمصلحين.

من هدى القرآن .. فى شهر القرآن

محاورة بين السادة والأتباع



للأستاذ الدكتور / عبد الحليم حفنى

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ
رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ
اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾
قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ
عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ
تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ
لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا
هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(١).

الموضــــوع

وهو نوع معين من حوار توعيات معينة يصورها أسلوب القرآن الكريم فى جهنم، لينقلها من واقع الحياة الدنيا فى صورة مجسدة محسوسة فى الآخرة، سواء أكانت بين طبقات من الكافرين كهذه المحاورة، أم بين خزنة الجنة ومن فيها من المؤمنين، أو خزنة النار ومن فيها من الكافرين، أم بين الشيطان وبعض أتباعه أم نحو ذلك.

فهذا الحوار ينقل صورة من واقع الحياة الدنيا حين يبسط السادة من أئمة الكفر وزعماء الضلال - وما أكثرهم فى كل مجالات الحياة، وفى كل مراحل البشرية من بدايتها حتى اليوم وسيظلون - حين يبسطون سلطانهم على أتباعهم بما يملكون من وسائل التأثير النفسى والمعيشى والبدنى، ليجروهم إلى الكفر والضلال عن طريق الحق والخير، فيستسلم هؤلاء

(١) سورة سبأ ٣١ - ٣٣.

الأتباع لهم ضعفا أو انخداعا أو طمعا ويظلون فى عماهم أو تجاهلهم للحق والخير، حتى يفاجأوا بانتقالهم إلى دار الحساب فى الآخرة، وحين يمسهم العذاب يدركون مدى بشاعة ما تورطوا فيه تحت تأثير سادتهم وزعمائهم فى الحياة الدنيا، وأن ما هم فيه من عذاب لا توصف فظاعته فى جهنم ليس إلا نتيجة ما تورطوا فيه من الكفر والضلال الذى طالما حذرهم منه رسل الله وبينوا لهم هذه العاقبة التى هم فيها اليوم فكذبوا الرسل وسخروا منهم كما يسخر سادتهم وزعماؤهم.

عندئذ اشتعلت نفوسهم بالنقمة على هؤلاء السادة والزعماء، وأخذوا يصبون عليهم هذه النقمة لومًا وتقريعًا، على أنهم كانوا هم السبب فى صرفهم عن الإيمان بالله الذى كان سيمتعهم بنعيم الجنة فأدوا بهم إلى هول هذا العذاب الذى هم فيه، ولكن السادة يصبون عليهم وابلا من التسفيه والسباب مذكرين إياهم بأنهم دون شك قد عرفوا طريق الحق والخير فى الدنيا واضحة، ولكنهم آثروا الكفر والضلال تحت تأثير إيثارهم السلامة وسيطرة الأطماع والرغبات العاجلة، فى مال أو جاه أو منصب كما هو واقع الحياة الدنيا، مؤثرين ذلك على مغاضبة الرؤساء والزعماء أى مؤثرين غضب الله على غضب سادتهم.

وهذا الأسلوب من إعجاز القرآن، حيث يستطيع تجسيد المعانى النظرية التى يرسلها الله إلى عباده على ألسنة رسله فى أساليب الإرشاد والتحذير والترغيب والتذكير مما سيكون عليه فى الآخرة مآل كل مسلك من مسالك الخير والشر فى الحياة الدنيا، ولكن الرسل أو غيرهم من الدعاة لا يستطيعون أن يلبسوا هذه المعانى النظرية المجردة ثوب التجسيد كأنها محسوسة مشاهدة للعيان، أما أسلوب القرآن فإنه يستطيع أن يعرض هذه المعانى المجردة فى مشاهد مجسدة كأنها مرئية بالعيون، مسموعة بالآذان كهذه الصورة، فهذه المشاهد من الآخرة يسوقها القرآن رمزا، لأنها لم توجد بعد، وإنما هى تصوير لما سيحدث فى الآخرة، وهى لا تعبر عن أشخاص معينين، أو جماعات محددة، وإنما ترمز إلى نوعيات من النماذج المختلفة المسالك فى الحياة.

طرفا الحوار

والمتحاورون فى هذا الحوار طرفان يمثلان صورة متكاملة من صور الحياة

(أ) فأما الطرف الأول فهم المستضعفون الذين استطاع السادة السيطرة عليهم والإمساك بزمام قيادتهم، وهم رمز لعامة الناس الذين يمكن التأثير عليهم، ويمكن أن ينقادوا لمن يؤثر فيهم متقبلين كل ما يلقيه إليهم السادة والزعماء.

(ب) وأما الطرف الثانى فى المحاورة فهم الذين استكبروا، وهم رمز للسادة والرؤساء الذين لهم تأثير فى العامة بأى نوع من المؤثرات، كالسلطان أو الجاه أو المال أو نحو ذلك.

ولا ينبغى أن يفهم من كلمة (عامة الناس) الوصف بالأمية أو الجهل أو السذاجة أو نحو ذلك، فالواقع أن كل نوعية فى المجتمع، وكل مهنة من مهنه، فيها عامة، وفيها خاصة وفيها قيادة ذاتية بخلاف السلطة الحاكمة العامة، فالفلاحون فيهم عامة، وفيهم خاصة، وفيهم قيادات ذاتية، والعمال كذلك، والمثقفون أيضا كذلك، وهكذا فى كل نوعية أو مهنة، ويتميز العامة فى كل نوع بأنهم ليست لهم مزايا خاصة أو تفوق فى شخصياتهم أو تفكيرهم، ولا يهتمون كثيرا بالأمور العامة وليست لهم فيها آراء معينة، بل يغلب

عليهم الانسياق في الاتجاه العام لطائفتهم دون نقد أو اعتراض على ما يأتيهم من جهة أعلى، كما أن الخاصة في كل نوعية أو مهنة يتميزون بأنهم قلة، ولكنهم يتمتعون بقدرات بارزة في تفكيرهم وفي قوة شخصياتهم، وبأن لديهم القدرة على النقد والتمييز غالبا بين الحسن والسيء، فيما يعرض أو يأتي من أي جهة، وهؤلاء يتاح لهم عادة الحصول على مزايا عن العامة سواء في الجاه أو المال أو المنصب والنفوذ، ولكنهم حين يجدون قبضة القيادة أو السلطة من فوقهم مستحكمة يعضون على مالديهم من هذه المزايا، ولا يستخدمون غالبا النقد الذي يملكونه أو لا يجهرون به خوفا على مزاياهم أن تسلب منهم، وبهذا يخلو الجو لقبضة الرياسة والزعامة أن تقول ما تشاء وأن تفعل ما تشاء، بل يكون الخاصة في أغلب الأحيان قدوة للعامة في الطاعة والانقياد، فينجلي الموقف عن طرفين بارزين فقط، هما السادة والزعماء من جهة والأتباع المنقادون من جهة أخرى كما في هذه الصورة التي تبرزها هذه الآيات الكريمة.

العبـــرة

هذا النوع من المحاورات يمس جانبا كبير الأهمية في حياة كل المجتمعات، وهو جانب القيادات وعلاقة الأتباع بها، وما ينبغي أن يكون عليه كل منهما، فأما أهمية القيادات فلأنها في حقيقتها أمر موجود بطبيعته في كل مجتمع، حيث يلحظ علماء الاجتماع أن كل مجتمع، بل حتى جماعات اللعب لدى الأطفال تبرز فيها زعامة وقيادة بصورة تلقائية.

ومن الوجهة الدينية فإن خطورة القيادات تتجلى في أن السادة والقادة في كل العصور كانوا هم العقبة الأساس في وجه الأنبياء والدعاة إلى الإصلاح عامة، فكانوا هم العقبة أمام انتشار الدين ووصوله واضحا إلى نفوس عامة الناس، حيث يحولون بين العامة ومخالطة الأنبياء والدعاة، ويعمدون إلى تشويه ما يقوله الأنبياء ويفعلونه حتى لا يقتدي بهم العامة أو يتأثروا بهم، والقرآن الكريم حافل بما لا يكاد يحصى من هذا القبيل، وذلك أن من أبرز ما تدعو إليه الأديان السماوية المساواة بين الناس، وهذه المساواة أبغض الأشياء إلى نفوس السادة والزعماء، لأنها تهدم سيادتهم وتهدم تسلطهم على الأتباع، بالإضافة إلى اعتبارات أخرى كثيرة يرون الدين فيها من وجهة نظرهم ماسا بسيادتهم وبإطلاق يدهم في جميع الأموال والمزايا ونحو ذلك، ولذلك يتصدون للوقوف في وجه الدين في كل العصور وكل المجتمعات، ويؤكد القرآن الكريم ذلك كثيرا كقوله تعالى:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا
قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾[٢].

والمترفون عادة هم سادة المجتمعات وقادتها.

وأما أهمية الأتباع في نظر الدين فلأنهم بطبيعة الحال هم الأكثرية الحاشدة بالقياس إلى القيادات التي هي قلة فردية، وخطاب الدين موجه دائما إلى الناس عامة، وهؤلاء الأتباع يحملون مسئوليتين جسيمتين كان إخلالهم بهما سببا في عذابهم الذي تصوره هذه الآيات الكريمة، وإحدى المسئوليتين تفريطهم في الكرامة الآدمية التي كرمهم الله بها كقوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾[٣] فكل آدمي له الكرامة،

---

(٢) سورة سبأ ٣٤.

(٣) سورة الإسراء ٧٠.

ولكنهم ضيعوها حين جعلوا أنفسهم مجرد قطيع أعجم يسوقه السادة ويوجهونه إلى حيث يشاءون والمسئولية الأخرى وهي كبرى المسئوليتين أنهم صموا آذانهم عن الحق بعد إذ سمعوه، وأغلقوا عقولهم دونه، بعد إذ فهموه، فلا عذر لهم في انقيادهم وراء سادتهم بعد أن علموا الحق واضحا فرفضوه، أو سمعوا على الأقل دعوة الداعي إلى الحق فلم يحاولوا أن يتبينوه، ولذلك يرد عليهم السادة في جهنم بتسفيه شديد:

﴿ أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ
بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴾

فالذي صرفهم عن اتباع الحق واعتناقه ليس أنه لم يبلغهم، وليس أنهم جهلوه أو لم يفهموه، وإنما جاءهم واضحا وفهموه، ولكن خوفهم وضعفهم أمام السادة هو الذي صرفهم عنه، والقرآن الكريم في موضع آخر يؤكد لهم عدم قبول هذا العذر عند الله في مثل قوله تعالى في سورة النساء:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ
ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ
قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ
جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ
وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾
فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾(١).

فلا عذر عند الله للمستضعفين إلا إذا سدت أمامهم كل السبل، وأعيتهم كل الحيل، وهؤلاء يحملون أيضا المسئولية، ولكن رحمة الله قد تمنحهم العفو عن الجرم بعد إذ ارتكبوه مثل الآخرين، وأسلوب القرآن صريح في الإشارة إلى هذا في تعبير:

﴿ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ﴾ لأن العفو إنما يكون بعد ارتكاب الجرم، ولفظ ﴿ عَسَى ﴾ يفيد احتمال عدم عفو الله عنهم رغم عجزهم عن مقاومة السادة، وفيه إشارة ضمنية إلى أن الأولى عند الله أن يصروا على الجهر بالحق واتباعه ولو كلفهم ذلك حياتهم أو حريتهم، ومن هذا القبيل الحديث الشريف (أفضل الجهاد عند الله كلمة حق عند سلطان جائر).

وأسلوب القرآن يحفل دائما بقمة الدقة في التعبير، ومن ذلك في تعبير:

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾.

فحذف الجواب في ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ ﴾ كما يقول علماء البلاغة للتهويل لتذهب فيه النفس كل مذهب والأصل نحو لو ترى هذا لرأيت عجبا وهولا لا يوصف، وتعبير:

﴿ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ يعني أن السادة والأتباع مشتركون في جريمة الكفر، ولكن كلا منهما يريد إلقاء جريمة التبعية على الآخر، ولفظ «أسروا» يتجه المفسرون إلى ترجيح حمله على أنه من استعمال الأضداد، بمعنى أظهروا الندامة، ولكن الواقع أن التعبير بإسرار الندامة يمثل غاية المراد به، لأن الشيء المكبوت في النفس أشد إيلاما لها وتأثيرا فيها، وهكذا كل انفعالات الإنسان ومشاعره، يخففها التنفيس عنها بإظهارها، ويزيدها عمقا وتأثيرا كتمها وإخفاؤها، كالغضب والحزن يخففهما إظهارهما ومحاولة التعبير عنهما والعكس بالعكس.

ولكن العبرة العامة هي لفت الأنظار إلى خطورة الانقياد الأعمى للزعامات، وتبصير الأتباع قبل فوات الأوان بسوء المصير الذي ينتظرهم حين يسلمون قيادهم بدون بصر لأن أحدا لن يغني عنهم من الله شيئا.

السنة

التساؤل والاختلاف

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ فكري ياسين

إعداد الشيخ / على حامد عبد الرحيم

جاء في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «دعوني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشئ فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شئ فدعوه».

لهذا الحديث سبب، وهو أنه لما نزل قوله تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾[1].

قام النبي ﷺ، فخطب الناس، فقال: «أيها الناس، فرض الله عليكم الحج فحجوا». فقام إليه الأقرع ابن حابس، فقال: أكل عام يارسول الله؟ فسكت حتى كررها مرارا، ثم قال: «لو قلت نعم، لوجبت، ولما استطعتم»[2]، وذكر بقية الحديث، ثم نزل قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾[3] الآية.

وجاء من غير وجه أن آية: «لا تسألوا» إنما نزلت لما أكثروا سؤاله ﷺ عن أشياء كرهها، وأن منها ما كان يسوء السائل جوابه، مثل: هل أبوه في الجنة أو في النار؟ وهل أبوه من نُسب إليه أو غيره؟ ومنها ما كان على وجه التعنت والعبث والاستهزاء، كما كان يفعله المنافقون والمشركون وأهل الكتاب وغيرهم، كقول بعضهم: أين ضلت ناقتي، وكسؤالهم الآيات والاقتراحات، وسؤالهم عما أخفاه الله عن عباده، ولم يطلعهم عليه، كالسؤال عن وقت الساعة، وعن أمر الروح، وسؤالهم عن كثير من الحلال والحرام مما يخشى أن يكون السؤال سببا لنزول التشديد فيه، كالسؤال عن الحج، وهل يجب كل عام؟

(١) آل عمران (٩٧). (٢) أخرجه البخاري ومسلم. (٣) المائدة (١٠١).

ومن ثم غضب النبي ﷺ غضباً شديداً، وصعد المنبر وهو غضبان، وقال للناس: سلوني، فجعلوا يسألونه وهو يجيب، فلما رأى عمر بن الخطاب ما بوجه رسول الله ﷺ من الغضب، جثا على ركبتيه وقال: رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً، لا تفضحنا بسرائرنا واعف عنا. عفا الله عنك، فسرى عنه ﷺ، ثم التفت إلى الحائط فقال: «لم أر كاليوم في الخير والشر، أريت الجنة والنار وراء هذا الحائط».

●●●

أراد النبي ﷺ أن يبين للناس فائدة ترك السؤال عن أشياء لم تقع، وضرر كثرة السؤال، لما فيه غالباً من التعنت، وخشية أن ينزل بسببها وجوب المسئول عنه أو تحريمه، أو أن تقع الإجابة بأمر يستثقل قد يؤدي إلى ترك الامتثال، فتقع المخالفة، فأفهمهم أنه يحمل بهم أن يتركوه بغير سؤال مدة تركه لهم بغير أمر بشيء، ولا نهي عن شيء، وألا يكثروا من الاستفصال عن مواضع لا تفيدهم، ولا من التنقيب عما يفضي بهم إلى الوقوع فيما وقع فيه غيرهم، ثم ذكر لهم سببين جوهريين من أسباب هلاك الأمم السابقة عسى أن يحذروهما، ويتقوا آثارهما الضارة.

فأما السبب الأول، فهو كثرة السؤال عما يعنيهم من غير ضرورة، وقد اختلف في المراد بالذين كانوا قبلهم، فقيل: هم قوم عيسى، سألوه إنزال المائدة، ثم كفروا بها، وقيل: هم قوم صالح، سألوه الناقة، ثم عقروها وكفروا بها، وقيل: هم قوم موسى، سألوه أن يريهم الله جهرة، وأن يبين لهم البقرة التي أمروا بذبحها، فتعنتوا، ولم يبادروا إلى مقتضى اللفظ من ذبح أي بقرة كانت، بل شددوا على أنفسهم بكثرة السؤال عن حال البقرة وصفتها، فشدد الله عليهم بزيادة الأوصاف حتى لم يجدوا متصفاً بها إلا بقرة واحدة فاشتروها بثمن باهظ، وقيل: هم بنو إسرائيل مطلقاً، كانوا يسألون أنبياءهم عن أشياء، فإذا أخبروهم كذبوهم، وقيل: هم قريش، كانوا يسألون النبي ﷺ أن يحول لهم الصفا ذهباً، وأن يبين لهم أنسابهم، فإذا أخبرهم لم يصدقوه وقالوا: ليس الأمر كذلك.

وأكثر العلماء على أن كثرة السؤال المنهي عنها في الآية، هي السؤال عن النوازل والأغلوطات[4] والتوليدات. فقد نهى الشارع عنها، وورد أنه سيكون من الأمة أناس يغالطون فقهاءهم. بمعضل المسائل، وأنهم شرار الأمة. وقال الأوزاعي: إن الله - تعالى - إذا أراد أن يحرم عبده بركة العلم ألقى على لسانه المغاليط، فلقد رأيتهم أقل الناس علماً.

وقيل: المراد كثرة السؤال عن الأشياء كالبحيرة والوصيلة، والسائبة والحام، وعن الآيات، كسؤال قريش أن يجعل الصفا لهم ذهباً، وسؤال اليهود أن ينزل عليهم كتاباً من السماء، ونحو ذلك.

وأما ماثبت في الأحاديث المتعددة وقوع السؤال عنه من الصحابة، فيحتمل أن يكون قبل نزول آية، لاتسألوا، ويحتمل أن النهي في الآية لايتناول مايحتاج إليه مما تقرر حكمه، أو ما لهم بمعرفته حاجة راعة، كالسؤال عن الذبح بالقصب، والسؤال عن وجوب طاعة الأمراء إذا أمروا بغير الطاعة، والسؤال عن أحوال يوم القيامة، وماقبلها من الملاحم والفتن،

---

(4) صعاب المسائل وشدادها.

والأسئلة التي في القرآن، كسؤالهم عن الكلالة والخمر والميسر، والقتال في الشهر الحرام واليتامى والحيض والنساء والصيد، وغير ذلك.

وقال البغوي في شرح السنة: المسائل على وجهين: أحدهما ما كان على وجه التعليم لما يحتاج إليه من أمر الدين، فهو جائز، بل مأمور به. لقوله تعالى:

﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ ﴾(*) الآية، وعلى ذلك تنزل أسئلة الصحابة عن الأنفال والكلالة وغيرهما، وثانيهما ماكان على وجه التعنت والتكلف، وهو المراد في هذا الحديث.

وقد حرر بعض الأئمة هذا الموضوع . فقال ماخلاصته: والتحقيق أن البحث عما لايوجد فيه نص على قسمين: أحدهما أن يبحث عن دخوله في دلالة النص على اختلاف وجوهه، فهذا مطلوب ولا مكروه، بل ربما كان فرضا على من تعين عليه من المجتهدين.

والثاني أن يدقق النظر في وجوه الفروق، فيفرق بين متماثلين بفرق ليس له أثر في الشرع مع وجود وصف الجمع، أو بالعكس، بأن يجمع بين متفرقين بوصف طردي مثلا، فهذا الذي ذمه السلف، وعليه ينطبق حديث ابن مسعود: «هلك المتنطعون»، فرأوا أن فيه تضييع الزمان بما لا طائل تحته، ومثله الإكثار من التفريع على مسألة لا أصل لها في الكتاب، ولا في السنة، ولا في الإجماع، وهي نادرة الوقوع جداً، فيصرف فيها زمانا كان صرفه في غيرها أولى، ولا سيما إن لزم من ذلك إغفال التوسع فيما يكثر وقوعه، وأشد من ذلك البحث عن أمور مغيبة، ورد الشرع بالإيمان بها مع ترك كيفيتها، ومنها مالا يكون له شاهد في عالم الحس، كالسؤال عن وقت الساعة، وعن الروح، وعن مدة هذه الأمة، إلى أمثال ذلك مما لا يُعرف إلا بالنقل الصرف، والكثير منه لم يثبت فيه شئ، فيجب الإيمان به من غير بحث، وأشد من ذلك، ماتوقع كثرة البحث عنه في الشك والحيرة، كحديث أبي هريرة: «ولايزال الناس يتساءلون، حتى يقال: هذا الله خلق الخلق، فمن خلق الله؟».

وقد انقسم العلماء إزاء كثرة السؤال إلى أقسام ثلاثة: فمنهم من سد باب التساؤل، وأحكم إيصاده، حتى قل فهمه وعلمه لحدود ماأنزل الله على رسوله، وصار حامل فقه غير فقيه.

ومنهم من فتح الباب على مصراعيه، وتوسّع في توليد المسائل، وتفريع الفروع، وأسرف في ذلك، واشتغل بتكلف الجواب عنها، وكثرة النقاش فيها، والجدل عليها، حتى نشأ عن ذلك افتراق القلوب، واستقرار الأهواء والشحناء والعداوة والبغضاء فيها.

ومنهم من جعل همّه موجّها إلى البحث عن معاني كتاب الله، ومايفسره من السنن الصحيحة، وكلام الصحابة التابعين لهم بإحسان، وعن سنة رسول الله ﷺ، ومعرفة صحيحها وسقيمها، والتفقه فيها وفهمها، والوقوف على معانيها، ثم معرفة كلام الصحابة والتابعين لهم بإحسان في أنواع العلوم من التفسير والحديث، ومسائل الحلال والحرام، وأصول السنة، والزهد والرقائق وغير ذلك، وهذا هو طريق السلف من فقهاء الأمصار من التابعين

(*) الأنبياء (٧).

فمن بعدهم، حتى حدثت الطائفة الثانية، فعارضتها الطائفة الأولى، فكثر بينهم المراء والجدال، وتولدت البغضاء، وتسمّوا خصوما، وهم أهل دين واحد، والتوسط والاعتدال هو الخير في كل شئ.

وأما السبب الثاني من أسباب هلاك الأمم الماضية، فهو اختلافهم على أنبيائهم، ومعارضتهم لهم، وتكذيبهم لشرائعهم، وخروجهم على وصاياهم، وانحرافهم عن مبادئهم، وإهمالهم العمل بتعاليمهم، والمراد به - على الجملة - كل اختلاف مذموم يؤدى إلى كفر أو بدعة، ويكون سببا في تفرق القلوب، وتباين الأهواء، وتعدُّد الجماعات، ووجود الانقسامات، وتوهين عرى الدين، وإضعاف شوكة الإسلام، كما وقع بين الخوارج قديما، فإنهم كانوا يطعن بعضهم في بعض، ويتبرأ بعضهم من بعض.

وأما الاختلاف في استنباط فروع الدين، ومناظرة أهل العلم على سبيل تحقيق الفائدة، وإظهار الحق، وإعلاء كلمة الله، فغير منهى عنه، بل مامور به، وفضيلته ظاهرة، وقد جرى العمل عليه من عهد الصحابة إلى الآن.

●●●

بعد أن أجمل النبى ﷺ هذين السببين المؤثرين في كيان الأمم ووجودها، أراد أن ينبه الناس على أن الأولى بهم، والأجدى عليهم أن يتركوا التساؤل عما لايعنيهم ولايفيدهم، وأن يشتغلوا بالأهم الذى يحتاجون إليه عاجلا، وأن ينصرفوا عن كل مايعوقهم عن ذلك، وهذا لايكون إلا بالاقتصار على فعل مايطيقونه مما يأمرهم به، واجتناب كل ماينهاهم عنه، وقد أوضح لهم ذلك في عبارتين شاملتين، وجملتين جامعتين: الجملة الأولى قوله ﷺ: «فإذا أمرتكم بشئ، فأتوا منه مااستطعتم» فإنه - كما قال النووى - من قواعد الإسلام المهمة ومن جوامع الكلم التى أعطيها رسول الله ﷺ، ويدخل فيها مالا يحصى من الأحكام، كالصلاة بأنواعها، فإذا عجز عن بعض أركانها، أو بعض شروطها أتى بالباقى، وإذا عجز عن بعض أعضاء الوضوء أو الغسل، غسل الممكن، وإذا وجد بعض مايكفيه من الماء لطهارته، أو لغسل النجاسة، فعل الممكن، وإذا وجبت إزالة منكرات، أو فطرة جماعة من تلزمه نفقتهم، أو نحو ذلك، وأمكنه البعض، فعل الممكن، وإذا وجد مايستر بعض عورته، أو حفظ بعض الفاتحة. اتى بالممكن، وأشباه ذلك كثيرة غير منحصرة، وهى مشهورة فى كتب الفقه.

والجملة الثانية قوله ﷺ: «وإذا نهيتكم عن شئ فدعوه» وهى على إطلاقها في إفادة اجتناب كل منهيّ عنه، فإن وجد عذر يبيحه كاكل الميتة عند الضرورة، وشرب الخمر والتلفظ بكلمة الكفر عند الإكراه، أو نحو ذلك، فهذا ليس منهيا عنه في هذه الحال، كما تدل أيضا على أن اعتناء الشرع بالمنهيات فوق اعتنائه بالمأمورات، لأنه أطلق الاجتناب فى المنهيات ولو مع المشقة في الترك، وقيد في المأمورات بقدر الطاقة.

وصفوة مايقال في هاتين الجملتين: إن من امتثل مآمر به النبى ﷺ، وانتهى عما نهى عنه، وكان مشتغلا بذلك عن غيره، حصلت له النجاة في الدنيا والآخرة، ومن خالف ذلك، واشتغل بخواطره ومايستحسنه وقع فيما حذر منه الرسول من حال أهل الكتاب الذين هلكوا بكثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم، وعدم انقيادهم، وطاعتهم لرسلهم.

صامت الأكوان.. بما فيها الإنسان.. فمتى تصوم المدافع؟!

للأستاذ الدكتور / محمود عمارة

بسم الله الرحمن الرحيم
يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم
الصيام
كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون

* تمهيد :

ها أنتم هؤلاء أيها المؤمنون تنادون من مكان قريب.. إذن فأنتم أحياء لأنه لا ينادى إلا الحى..!

وإذن.. فنعمة الحياة تفرض عليكم أن تتصرفوا تصرف الأحياء.. لتكونوا أهلاً لهذا الشرف العظيم.. وعليكم أن تسألوا أنفسكم.. بم كنا أحياء؟

والجواب: بالإيمان.. الذى اختاره تعالى وصفا لكم:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾(١).

ولن يكون إيمان إلا بثمرته من الطاعة.. التى تتحول فى كيان المسلم طاقة ترفعه إلى أعلى.. حرا طليقا.. كأنما هو الغمامة البيضاء.. المحملة بالغيث.. يحيى الله به الموات..

﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾(٢).

وفى مقدمة الطاعات: الصيام.. هذا الصيام الذى لم يتكرر ذكره فى القرآن الكريم كما تكرر غيره من العبادات من حيث كونه سراً بين العبد وربه.. ومقياس قربه من ساحات رضوانه تعالى.. وإذا كانت

---

(١) الأنفال (٢٤)

(٢) فاطر (١٠)

التقوى غايته.. والجنة جزاءه.. فلن تكون صائما إلا إذا صرت على مستوى أهل الجنة صفاء ونقاء.

الصوم في دستور الحياة

من ملامح المنهج القرآني في الدعوة أنه يأمر.. ثم يعين المأمور على الامتثال تلطفاً به.. وشفقة عليه.. وقد أعان سبحانه المسلم على الامتثال بما قرره من قدم فريضة الصوم التي مارسها الأقدمون وهي قدرة الإنسان في كل زمان.

بل إن الصوم «مادة» أصيلة في دستور الأحياء.. في مملكة النبات.. والحيوان.. قبل الإنسان ومعه: في مملكة النبات [٣].

يقول العلماء: «لأن قدر للأشجار أن تعيش واقفة وتموت واقفة فليس للشجر أن يهبط إلى جحور أو كهوف أو مخابىء، وليس له أن ينكمش أو يلتف على نفسه.

وحين يأتي الخريف، مؤذنا بقرب الشتاء - خاصة في الشمال - حيث تتجمد المياه وتهطل الثلوج، ويلف الصقيع كل شيء، لا يجد الشجر أمامه إلا أن يتخفف حتى يكفيه القليل.. ويعبر قساوة الشتاء.. تتساقط الأوراق، حتى تتعرى الفروع، ويقف الشجر في ثبات لا يريم، ومع عودة الربيع: ينتفض الشجر.. يدفع الحيوية إلى اللحاء والفروع. فيلين اللحاء، وتبزغ البراعم، ثم تتفجر الخضرة والألوان.. وكأن الشجر يقطر بفرح.. بعد صومه الطويل).

وإذا كان الخالق - سبحانه وتعالى - قد جعل لنا من الشجر الأخضر نارا.. فإنه - سبحانه - يجعل منه درسا مفيدا.. ووسيلة إيضاح تكشف عن سر مكنون من أسراره.. يعيننا على أمر الله - تعالى - إعانة تجعل الكون نغما منسجما.. يتحقق به الجمال أروع الجمال.

في مملكة الحيوان

يقولون: كان صوم الحيوانات درسا جديرا بالتأمل.. تبصرة وذكرى، وكان صومها في أغلب الأحيان تعبيرا عن الألم أو الحزن.

فالحصان المريض يمتنع عن الطعام وإذا أصيبت الكلاب بكسر في عظامها تصوم فترة قد تمتد إلى عشرين يوما، ويحملها الوفاء المغروس في جبلتها أن تصوم حزنا على فقد صاحبها، تشاركها العصافير، والحيوانات التي تمسك عن الطعام تعبيرا عن الأسى لما أصابها.

حكمة بالغة

ويلاحظ المربون أن هناك غاية عليا تستهدفها الكائنات من صومها.. وعلى الإنسان أن يستوعبها.. فهو أحق بها وأهلها.

فواقع الإنسان يقول: إن الكثرة سبيل إلى الوجود.. واستمرار هذا الوجود.. وقد يلهينا التكاثر أحيانا حتى نزور المقابر.. فخرا وبطرا.. وقد تسكرنا متعة الطعام والشراب فنحسب ذلك سبيلا إلى القوة والاستمرار.. مع أن الحكمة البازغة من دنيا الحيوان.. والطيور.. تؤكد للإنسان أن الحرمان وأن القلة.. هي السبيل إلى الوجود واستمرار هذا الوجود.. وأننا بالصوم نرقى

---

(٣) راجع مجلة العربي: مارس ١٩٩٣.

وتسعد.. في الوقت الذي يشقينا إدخال الطعام على الطعام!

سفينة الصحراء

يمضي الجمل - سفينة الصحراء - في الهجير أياما وليالي.. فهو يقطع الصحراء - بين الحرارة والجفاف - دون أن يبيت أو يتوقف.

ويمثل سنامه مخزن الشحم الذي يحترق رويدا.. فيمده على المدى الطويل بالحياة.

• في دنيا الأسماك:

إذا قال الشاعر العربي:

كم منزل في الأرض يألفه الفتى
وحنينه أبدا لأول منزل

فإن «أسماك السلمن» محكومة أيضاً وبصورة فريدة.. بهذه القاعدة الفطرية: فهي تحن أيضاً إلى منابتها الأولى ويشتد بها الحنين كلما أرادت أن تضع بيضها.. وبالذات في تلك الأماكن التي وضع آباؤها البيض فيها.. ولكن ما حيلتها وعودتها تكلفها رحلة مضنية قد تبلغ ٦٠٠ ميل حتى تصل إلى مصبات الأنهار بالشمال.. ثم ماذا هي فاعلة أمام الموج العلاب.. في رحلة قد تمتد لأشهر يتربص بها عدوان: صياد البشر.. وصياد الطيور الجارحة؟!

ويغلبها الحنين.. فيشتد إحساسها بالحاجة إلى العودة للوطن الأم في مصبات الأنهار.. والحاجة كما يقولون تفتق الحيلة.. وقد هدتها الحاجة إلى أن تتخذ من الصوم ركوبا إلى تحقيق غايتها، فهي لا تجد وقتا لازدراد الطعام.. وما يترتب عليه من استرخاء تأباه طبيعة الرحلة الطويلة.. إلى جانب ما يحققه الصوم من استهلاك ما تراكم عليها من شحوم.. فتكون أكثر رشاقة وحركة، فتغالب التيار بكفاية.. وتناور الصيادين باقتدار..

﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ ﴾(١).

ومن الحيوانات والحشرات ما لا يطيق الصوم فيهاجر إلى حيث الغذاء وافر.. ومنها من يدخر من يومه لغده.. ومنها من يؤثر النوم فصل الشتاء كله.. حتى إذا جاء الربيع خرجت من جحورها محكومة بالفطرة التي لا تخطيء.. وكأنما تحكي قصة الإنسان.. على تعدد مناهجه ووسائله، وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾(٢).

ولم يكن الصيام مجرد إمساك عن الطعام والشراب.. لكنه كان دواء وشفاء:

أ- كان «أبوقراط» طبيب اليونان يصف الصوم في أحرج لحظات المرض ثم يقول: «كل إنسان منا في داخله طبيب، وما علينا إلا أن نساعده، حتى يؤدي عمله».

ب- وقد وعى المصريون القدماء هذه الحكمة.. فكانوا يصومون ثلاثة أيام من كل شهر ثم تخلصوا بهذا الصوم من كثير من الأمراض المتوطنة، مما حدا بالمؤرخ «هيرودوت» أن يعزو سلامة أبدانهم إلى هذا الصوم.

---

(١) الإسراء (٨٤)

(٢) الأنعام (٣٨)

جـ- وكان «أبيقور» يصوم أربعين يوما لتشحذ قواه العقلية.. وتنشيط طاقة الإبداع فيه.

د- أما سقراط فكان يصوم عشرة أيام كلما أراد أن يحسم قضية خطيرة تعترضه.

إن الطعام أثير لدى الإنسان

فإذا قعدت على الطعام وأنت تشتهيه.. ثم أمسكت عنه وأنت تشتهيه.. كان ذلك هو الدواء الذى لا داء معه.. يشفى جسمك من الأمراض.. ويقى مداركك من الخمول.. فإذا الإنسان على أوفى معانى الصحة النفسية والجسمية بهذا التدريب.. بسلاح الإرادة التى يضبر بها سيدا.

وهكذا.. وبالإرادة الصلبة.. يأخذنا الصوم من أنفسنا الأمارة التى تمرغنا فى التراب.. لنحلق فى الجواء العالية.. ثم نعود إليها أخيراً بطرائف الحكمة.

الا وإن الحياة كما يقول العقاد: بحر هائل فى أحشائه من الدرر واللآلىء آلاف وآلاف فلماذا لا نطرح شباكنا.. بل لماذا بالإرادة لا نغوص فى أعماقه لنستخرج ما قدر لنا منها:

ولن يستطيع الفوز بها إلا طويل النفس! ومادمنا أحياء.. فلابد أن ننسجم مع قانون الحياة.. الحياة المتقلبة: بين صعود وهبوط، وصحة ومرض.. وفقر وغنى.. لابد أن نكون فى وضع الاستعداد دائماً.

يقول العقاد: «الصيام بكل أنواعه وفى كل درجة من درجاته وسيلة من وسائل لا يستغنى عنه أحد فى مزاولات الحياة ولابد لنا منه فى كثير من الأحيان علوا على الجماد المسخر واستقلالا عن تيار الضرورات.

الصيام بجميع درجاته وأنواعه هو أحد وسائل النفس العديدة التى تثوب إلى وجودها، وتستقل بها عما حولها، وأنه إذا ظهر فى بعض جوانبه بمظهر إنكار الذات فهو فى أعمق أعماقه تقرير للذات وإثبات لقيامها بنفسها واستغنائها عما هو خارج عنها، ومن أثبت إرادته، وقرر عزيمته فهو فى الواقع يقرر نفسه ولا ينفيها أو ينكرها».

متى تصوم المدافع

وهكذا صام النبات.. والحيوان.. والإنسان.. فمتى تصوم المدافع؟!!

إن كثيراً من الحكومات اليوم تنفق خمس ميزانياتها على الصحة والتعليم والعمران، ثم ترصد أكثر من نصف ميزانياتها على الأسلحة الفتاكة.. ووسائل الدمار الشامل.

وإذا جعل الله ـ تعالى ـ بأس الكافرين بينهم شديداً.. فذاق بعضهم بأس بعض.. فكيف بالمؤمنين وقد جعلهم الله ـ تعالى:

﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾(٦).

لقد صام الكون.. من حولنا أيها المسلمون المتناحرون.. وصامت المعدة فى كياننا، فمتى تصوم المدافع التى تأكل الأخضر واليابس.

فليكن رمضان فرصة للجلوس حول مائدة المفاوضات.. ولنمسك على الأبرياء حياتهم.. فلا نضيعها.. لنكن كرماء.. فى شهر كريم!

---

(٦) الفتح (٢٩)

إعجاز الكلمة في شهر القرآن

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدي

ارتبط رمضان فى حياة المسلمين بالقرآن، وارتبط القرآن بحياة المسلمين فى كل حين.

وما أن يهل الشهر المبارك حتى ينشط المسلمون جميعاً وكأن قوى كامنة فيهم قد استيقظت بعد رقاد، فتصدح ساحات المساجد والمنازل بآيات الكتاب المُعجز فى الليل والنهار.

وعلاقة المسلمين بالقرآن - فى رأيى - فوق اللغة وفوق التميز الذاتى أو الإحساس بالذات، إنها علاقة تشبه علاقة الكائن الحى بالأكسجين، فالكائن الحى - الزهرة مثلاً - تذبل وتضمحل شيئاً فشيئاً لو أنك حرمتها من الأكسجين.

كما أن علاقة الإنسان بالأكسجين - كما يقول العلماء - أقوى من الغذاء، حيث إن الغذاء لا يفيد الجسم ما لم يتحد بالأكسجين، فلا معنى لغذاء جيد فى جو فاسد ملوث قليل الأكسجين.

بل إن خلايا الجسم تموت إذا قل الأكسجين، ولذلك فإن الطب الرياضى - فى العالم المتمدين - يهيىء صالات مغلقة لإقامة اللاعبين وعن طريق التحكم فى الأكسجين يستطيع أن يصل إلى مستوى لياقة جيدة.. وكذلك أنظمة القهر والقمع، تتفنن وتتقدم لكن إلى الوراء فى فن التعذيب والتنكيل، فتضع المعارضين فى غرف مغلقة معدة علمياً وعن طريق التحكم فى الأكسجين وتقليله عما يحتاجه الجسم فتموت خلايا الجسم فيختل البنيان الجسمى والعصبى والنفسى للإنسان دون تعذيب بدنى تظهر آثاره بالعين المجردة.

أرأيت التقدم إلى الوراء.. والاستخدام المنحط للعلم والتكنولوجيا فى بلاد الزعيم الأوحد؟!!.. أى زعيم، فكلهم زعماء؟!!...

مالنا ولهذا الاستطراد.. فلنبق مع القرآن فى شهر القرآن.. وثمة تعبير نبوى يأسرنى عن علاقة المسلم بالقرآن.

وكل حديثه ﷺ آسر - يقول حبيبى ﷺ: «من حفظ القرآن فقد استدرج النبوة، إلا أنه لا يوحى إليه»(١).. أرأيت إلى هذا التعبير الشفاف الآخذ، ارتقى بك إلى ما فوق حُلم البشرية المجاهدة، العاملة،

(١) فضائل القرآن.

الناصية، إلى مقام النبوة فى رفق ويسر بكلمة واحدة تشى بالمعنى العبقرى الفرد «النبوة» فيداعبك الحلم، وكأن مقام النبوة بين يديك وأنت متربع فوق مقام الصديقية، لو أنك حفظت القرآن أو كنت حافظاً له. أرأيت مقام النبوة العظيم الشاهق السامق، كأنه يصبح قيد المداعبة، تستدرجه أنت بحفظ القرآن!!..

يا لحمق البشرية، بل يا ويل المسلمين إذ تنكبوا طريق القرآن وشريعة رسول الله ﷺ.

منذ الطفولة ونعومة الأظفار، والقرآن الكريم سمير وجليس وأنيس، وشعار وعلاج ومنهج، كما أنه دراسة وحياة ودستور ونظام.

وحفظت، كما حفظ المسلمون حديثاً للنبى ﷺ يرويه عنه سيدنا علىّ - رضى الله عنه وكرم وجهه - يقول: «أما إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: ألا إنها ستكون فتنة.. قيل: فما المخرج منها يا رسول الله: قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولايشبع منه العلماء، ولا يخلق من كثر الرد، ولا تنقضى عجائبه، هو الذى لم تنته الجن إذا سمعته حتى قالوا:

﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾(٢).

من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم»(٣).. أو كما قال رسول الله ﷺ: «وهذا هو الحديث: كل كلمة فيه دستور، وجسر لو أرادت الأمة أن تعبر عليه، وطوق نجاة لو أردنا أن ننجو من الطوفان».. لكن فيه كلمة وقفت حيالها زمناً، وأقول بصدق: مازلت أقف غير جازم بفحواها، وما المراد منها، وما هى العجائب التى يخبؤها القرآن الكريم.

لا تقل لى علوماً وفهوماً سامية، فذلك مسلم واضح، لكنه لا ينضوى بحال تحت (العجائب) بل هو من بديهيات القرآن الكريم، بل إن العلوم والفهوم السامية، هى مجاله وميدانه وعائله، أما العجائب، فما هى؟!.. وكيف أنها لا تنقضى، أى لا تنتهى؟!.

كلها أسئلة تحتاج إلى جواب مقنع، وظلت فى ذهنى حائرة، وأصبح المعنى طلسماً أو قريباً من ذلك، وبقيت على ذلك زمناً حتى يسّر الله لى كتاباً أحسب أنه دلف بى إلى هذا المعنى العجيب وأنه فتح باباً للتأمل فى كتاب الله - تعالى - لا فى النظْم والجُمَل، بل فى الكلمة المفردة، ونحن نعلم أن الخط العثمانى أتى موافقاً للقراءات المتعددة بحيث إنه يوائمها جميعاً ويتسع لها فى حنو معجز، إلا أن موضوع اليوم.. يخرج من هذا النطاق ليفتح مجالاً آخر.

فى هذا العصر اللاهث يجب على المسلمين أن يقرءوا القرآن على مهل ويتأملوا، لا أقول: جُمَله وكلماته، بل أقول: حروفه، فسوف يجدون الأمان والرغد.

وكأنه يؤكد ما رددته زمناً ومازلت أطالب المسلمين به وهو أن يقرءوا القرآن على مهل.

لقد استخدم القرآن كلمات معينة ورسمها رسماً يغاير الرسم الإملائى، أليس ذلك غريباً وعجيباً وملفت للنظر؟!.

---

(٢) الجن (١، ٢).

(٣) الترمذى / باب ما جاء فى فضل القرآن جـ٥ ص١٧٢، حديث رقم ٢٩٠٦.

بل إن قول رسول الله ﷺ : « اقرأوا القرآن، فإن لكم بكل حرف عشر حسنات، لا أقول ﴿ الٓمٓ ﴾ حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف » .. أليس هذا تأكيداً وحثاً على العناية بالحروف؟! .. وأدائها كما ينبغي، فإن لكل حرف ميزانه في الحسنات، يؤجر به المسلم، حين يؤديه كما أمر الله.

ولا يلتفت الذين يستصعبون الأمر ويتهمون معلمي القرآن بأنهم يريدون أن يقصروا القراءة على مجموعة من الناس مثل بعض الكتب قبله، وتلك حجة مزيفة.

أليس فيما نحن بصدده من إعجاز الكلمة، فيه رد على الذين ينادون بكتابة المصحف بالخط الإملائي؟! .. مع أننا نُوكل نياتهم وأهدافهم إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ يسألهم عليها يوم تُبلى السرائر، ويوم تُعرضون لا تخفى منكم خافية.

إن تَمسُّكَ المسلمين بالرسم العثماني ليس من قبيل الجمود الذي يزعمه دعاة الحداثة ـ وما أدراك ما الحداثة ـ في رأيي أن رسم المصحف هو رسم توقيفي من عند الله ـ تعالى ـ مثل نص القرآن تماماً، وإنما نُسبَ إلى سيدنا عثمان تجاوزاً غير قليل، على ملمح أنه أول من جمع القرآن الجمع النهائي، ووزعه على الأمصار.

أما أن يكتب سيدنا عثمان ـ وهو العربي ـ رسماً يخالف ما ألفه وما ورد عنه في كتاباته وفي رسائله العادية .. فلماذا؟!! .. ولو أن سيدنا عثمان اخترعه، كيف لم ترد رواية واحدة ولو ضعيفة على أن أحد الكتبة يومئذ عارضه فيما رآه أو ناقشه، أو استفهم عن سر تغيير ما ألفه الناس من كتابة؟ هذا دليل على أن الخط توقيفي من عند الله ـ سبحانه وتعالى ـ ولذلك لا يجوز تغييره، وملاحظة ذلك أثناء التلاوة والكتابة يؤجر عليها المسلم، لأنها سنة وردت عن رسول الله ﷺ فليلاحظ هذا المعنى. فما سر اختلاف الرسم في بعض الكلمات؟! .. وما دلالته؟! ..

إن هذا الاختلاف معجز؟! .. وإلا فلماذا يحافظ القرآن على كلمة معينة ترد فيه تخالف الرسم الإملائي؟! .. قد نلتمس لذلك الاختلاف معنى، لكننا سوف نبقى في نطاق الشك أو الظن والتخمين، وإلا فكيف ترى كلمة « الليل » في المصحف كله تُكتب هكذا: ﴿ ٱلَّيۡلِ ﴾ بلام واحدة في القرآن كله؟ لماذا، وما السر في ذلك؟ الأعجب من هذا أن تختلف كتابة الكلمة الواحدة، فمرة تُكتب برسم، ومرة أخرى تُكتب برسم آخر، والأشد عجباً أن تتكرر كلمة في المصحف مرات عدة، وتأتي في مرة واحدة برسم مختلف، فهل هذا من عند سيدنا عثمان .. ولماذا؟! ..

ولنضرب لذلك أمثلة توضح الموضوع، ونرجو من المسلم في شهر القرآن أن يتتبعها في هدوء وسكينة وهو يتلو كتاب الله ـ تعالى ـ عسى الله أن يَمُنَّ عليه بسر من أسراره.

فمثلاً: كلمة (الكتاب) وردت في القرآن ٢٥٥ مرة لماذا اختلفت في قوله ـ تعالى ـ :

﴿ لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ ﴾ الرعد ٣٨ .

وقوله تعالى :

﴿ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ﴾ الحجر ٤

وقوله تعالى :

﴿ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ﴾ الكهف ٢٧

وقوله تعالى :

﴿ طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ﴾(٤)

في هذه المواضع الأربعة وردت كتاب بالألف.. وفي باقي القرآن كله وردت بدون ألف هكذا: ﴿ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ ما سر هذا الاختلاف؟!.. أرجو من المسلم أن يتتبع هذه الكلمة لعل الله أن يفتح عليه بمعنى أو بسر يَفُضُّ غوامض هذه التساؤلات.

لقد أورد كتاب: (تأملات في إعجاز الرسم القرآني وإعجاز التلاوة والبيان) لمؤلفه المهندس / محمد شملول.. إحصاء لكثير من الكلمات وكان دقيقاً في إحصائه إلى حد كبير، أما نتائجه وتعليلاته فهي غير مُسلمة وتلك جهد مشكور له بفتح الباب للمسلمين إلى تأمل سوف يؤتي ثماره لبعض عباده بإذن الله تعالى.

وهذا التأمل أسأل الله أن يكون من المسلمين جاداً، وعلى مستوى كتاب الله - تعالى - فإن هذا البحث جدير بأن تعيه القلوب، فأنت تجد مثلاً كلمة: (ساحر) ترد في القرآن الكريم هكذا:

﴿ سَٰحِرٌ ﴾ ثم تختلف في آية فتأتي هكذا:

﴿ سَٰحِرٌ ﴾ في قوله - تعالى -:

﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴾(٥).

والأعجب الذي لا يترك لك وهماً بأن هذا خطأ من الناسخ، أن هذه الكلمة وردت في آية واحدة مرتين مرة بالألف، ومرة بدون ألف.. اقرأ قوله - تعالى - وتدبره في الآية ٦٩ من سورة طه:

﴿ وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴾

وكلمة: (نشاء) وردت في القرآن الكريم (١٨ مرة) ﴿ نَشَآءُ ﴾ بالرسم الإملائي، ووردت مرة واحدة بصورة مختلفة ﴿ نَشَٰٓؤُاْ ﴾ وذلك في قوله - تعالى - في سورة هود الآية ٨٧:

﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ ﴾

ثم تعال تأمل معي إلى آيتين في كتاب الله وردت إحداهما برسم والأخرى برسم مغاير، فلماذا؟!..

تأمل قوله - تعالى - في سورة الأحزاب الآية ٥٣:

﴿ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖ ﴾

فهذه موافقة للرسم الإملائي، وتأمل معها قوله - تعالى - في الآية ٥١ من سورة الشورى:

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ ﴾

ثم لتكن هذه آخر الملاحظات، أدفعك بها إلى التأمل والقراءة على مهل.. انظر إلى كلمة: (إبراهيم) لماذا ترد في سورة البقرة ١٥ مرة برسم ﴿ إِبۡرَٰهِـۧمَ ﴾، ثم ترد في القرآن كله عدا سورة البقرة ﴿ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾.

وأرجو لك رحلة مع أبي الأنبياء في كتاب الله تحصي مواضع ذكره برسم إبراهيم في القرآن كله عدا سورة البقرة وهي (٤٥) مرة.

(٤) النمل (١).

(٥) الذاريات (٥٢).

هلال الصوم

للأستاذ الدكتور / عبدالمنعم عبدالله حسن

على الأفق البعيد سنا يرف ... وأنسام على الدنيا تهف
شعاع من هُدى (رمضان) آت ... وبشرى يوم مقدمه تُزف
فكم باتت نفوس ظامئات ... لنبع فيك هام لايجف
وكم بتنا وفي الأعماق شوق ... وبين ضلوعنا حب يشف
قضينا أشهر الحول ارتقاباً ... ونورك في حنايا القلب طيف
فأشرق يا هلال الصوم إنا ... لكم بتنا شهور العام نهفو
تطيب بك الحياة على مداها ... وكم تحلو بك الدنيا وتصفو
فأبواب من الجنات فاحت ... رياحينا لها عبق وعرف
وباغي الخير يقبل في سرور ... وباغي الشر في حزن يكف
وهديك يملأ الأيام خفقاً ... فيخبو باطل، ويزول حيف
إذا ما الصوم أشرق في نفوس ... تراها عن خطاياها تعف
وتسمو بالهدى فوق المعالي ... وتصفو لايشوب الهُدى زيف
يعف الصائمون عن الدنايا ... فيُحفظ منطق ويُغض طرف
ويسري في قلوبهم ضياء ... يفيض على وجوههم ويطفو
فوارس في نهار الصوم نُبْل ... فما ينتابهم وهن وضعف
فهم في رزقهم نحل دءوب ... وإن يدع الأذان مضوا وخفوا

وهم في ليلهم باتوا قياماً ... يضئ بهم لهذا الليل جوف
تعطر في سنا القرآن هدياً ... وإن دموعهم لله صرف
وهم يستغفرون الله حتى ... يعمهم من الرحمن عطف
هلال الصوم، خلفك ذكريات ... ففي (بدر) لجيش الحق زحف
تجلى النصر فيه، وكان يوماً ... به قد حل بالكفار حتف
هوت في الأرض أسلحة الأعادى ... وحلق في سماء الحق سيف
وفي (رمضان) كم نصر، ونصر ... بجولات لبدر هن ردف
فهذا العاشر الميمون باق ... به دوى على الأعداء قصف
وفوقهم بدوى الأفق ناراً ... وتحتهم بكل الأرض رجف
وخر محطماً سدٌ منيع ... ودك السدَّ إرعاد وعصف
ويوم عبورنا رمز كبير ... وليس يفي به رسمٌ ووصف
هلال الصوم، والقرآن نبع ... وكم يحلو لنا رىٌ ورشف
وآيات الهدى أحلى رياض ... يطيب لنا من الآيات قطف
ترتلها فنغدق بالعطايا ... فكم يحوى من الحسنات حرف
وإن الصوم عانق في امتزاج ... كتاب الله، إنهما لدوف
يفيض تقى، وتقوى الله أمن ... فليس على ذوى الإيمان خوف
هلال الصوم باشهر التآخي ... فكل الصائمين أخٌ وإلف
يعم الخير فيك على البرايا ... فيُكرم سائل ويعز ضيف
وينتشر التراحم والتصافي ... وبين العالمين يسود لطف
إذا صمت ارتقيت ولنت حساً ... فلم يعرف خلاق الصوم عنف
يعلمك الصيام سخاء نفس ... فسخو، والضمير الحىّ عف
وإن فطرت من صام احتساباً ... فإن ثوابك المبرور ضعف
هلال الصوم كم لهجت قلوب ... وكم رُفعت إلى العليا أكف
تناجى بالتسابيح ابتهالا ... وترجو الله، علّ الله يعفو
ويجعل راية الإسلام تعلو ... وإنا أمة الإسلام صف

الصوم وأنواعه

للأستاذ الدكتور/ محمد بدر معبدى

حكمة الصوم

شرع الله - جل جلاله وتباركت آلاؤه - صوم شهر رمضان لنزول القرآن ووقوع ليلة القدر فيه التى هى خير من ألف شهر، فكان رياضة للأجسام وردعا للأنفس وعلاجا لكثير من أدواء النفوس، وطبا ناجعا لما يحل بالمجتمع من الأمراض، وإن نظرة واحدة فى حال الإنسان لترشدك إلى أنه إذا شبع تكالب على الشهوات، وانطلق إلى اللذات واحتال فى جمع المال من حلال أو حرام، لا يعمل الخير إلا مسوقا بقانون، ولا يجتنب الشر إلا رهبة من ذى سلطان، ولكن الصائم إذا جاع ضعفت قوته الحيوانية، وضرب بسهم وافر فى الطيبات الصالحات يكفى الناس شره ويدفع شرور آخرين، يفعل الخير لمحض الخير، ويترك الشر زهدا فى الشر، وليس أصدق من كلام الصادق الأمين ﷺ فى أن الصوم يكبح جماح الشهوات، ويكسر من حدتها يقول ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»[1] أى له وقاية.

ومن رحمة الله - تعالى - أن شرع فى الإنسان الضوابط التى تهذب الغرائز وتعالج أدواءها لتظل الفتنة نائمة والشهوة ساكنة وتبعد هذه الضوابط المسلم عن مغريات الحياة. وكان الصوم واحدا من أنجع السبل النائية بغرائز الإنسان لتبقى فى قرار مكين على مدى شهر كامل بعيدا عن كل حركة تغرى بالإثم أو توقظ الفتنة، وحكمة الصوم مذكورة فى قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[2].

---

(1) أخرجه البخارى ١/٧، والبيهقى ١٨٤٥.

(2) البقرة (١٨٣).

فالتقوى غاية الصوم وثمرته، ولايكون للتقوى ثمرة لصوم، أى صوم، فلابد أن يكون الصوم بعيدا عن اللغو والرفث.

وذلك كما جاء فى الحديث الشريف: «ليس الصيام عن الأكل والشرب إنما الصيام عن اللغو والرفث، وإن الصوم جنة»[3] أى وقاية وساتر للمسلم من النار فى الآخرة يقول عليه الصلاة والسلام: «الصوم جنة أحدكم مالم يخرقها قالوا: وبم يخرقها يا رسول الله؟ قال: بكذب أو غيبة»[4] فالكذب والغيبة يفطران الصائم على حد قول بعض العلماء وكذلك كان من وصايا سيدنا رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل - رضى الله عنه - حينما سأله وقال له: «يا رسول الله دلنى على عمل يقربنى من الجنة ويبعدنى عن النار. قال له الرسول ﷺ: كف عليك هذا وأشار إلى لسانه. قال يا رسول الله: أو إنا مؤاخذون بما نتكلم به ألسنتنا؟ قال: ثكلتك أمك يا معاذ! وهل يكب الناس فى النار على وجوههم - أو قال على مناخرهم - شك من الراوى - إلا حصائد ألسنتهم»[5] فينبغى أن يكون لسان المسلم فى الصيام رطبا بذكر الله وتلاوة القرآن الكريم مبتعدا ومنزها نفسه - وخاصة فى هذا الشهر الفضيل - عن القيل والقال والغيبة والنميمة وإلا فسد الصيام، وصدق من يقول ناهيا المسلمين أن يشغلوا أنفسهم بما يغضب الرحمن فى شهر الصيام.

لا تجعلن رمضان شهر فكاهة
دوما تقضى بالقبيح فنونه
واعلم بأنك لن تكون تصومه
حتى - أخى - تصومه وتصونه

وقد ورد أن الرسول ﷺ «مر على قبرين فأخبر أصحابه بأن صاحبيهما يعذبان فى صغير - أى ذنب صغير - وما يعذبان فى كبير، إن أحدهما كان يمشى بين الناس بالغيبة والنميمة والآخر كان لا يستبرئ من بوله»[6]، ولكى يكون الصوم ساترا للمسلم من الذنوب ينبغى أن يصونه من الوقوع فى الرذائل يقول ﷺ: «الصوم جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنى صائم إنى صائم»[7]، أى أن الصائم مطالب بأن يكف لسانه عن لغو الكلام، ليقوم بدوره فى صنع بيئة مسلمة يحف بها الجلال والكمال وتثمر فيها الفريضة ثمرتها فى نفسه ثم فى مجتمعه، فالصائم مسالم لا يقابل العدوان بمثله مع إخوانه وجيرانه ومجتمعه، بل بتذكير المعتدى بأنه صائم، تذكيرا يكفه عن الأذى، ومن الغريب أن يصوم المسلم عن

(٣) أخرجه البيهقى ٤/ ٢٧٠.

(٤) أخرجه البخارى ٣/ ٣١، ٣٤.

(٥) أخرجه أحمد ٥/ ٢٣١، والبيهقى ٤/ ٢٧٠.

(٦) أخرجه البخارى ١/ ٦٥، ٢/ ١١٩، ١٢٤.

(٧) أخرجه البخارى ٣/ ٣١، ٣٤، مسلم، الصيام ١٦٢، ١٦٣.

الحلال من طعامه وشرابه، ثم لا يكفه الصوم عما حرم عليه أصلا، ومثل هذا الصوم غرم يتحمله الإنسان الذى يعذب نفسه بالجوع ثم ترتد العادة وبالا عليه، ويرتد الصيام سلاحا ضده، ويكون الحاصل لا شيء، ومثل هذا الصائم أيضا ينطبق عليه الحديث الشريف الذى يقول فيه ﷺ : «رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر»(٨).

إن المسلم الذى يدخل أفق الصوم ثم لا يتخلص من هواياته الشخصية من الكذب واللغو وقول الزور والفحشاء فلا داعى إلى صومه البتة، لأنه حينئذ يمارس لونا من تعذيب النفس والجسم لا يرضى به الإسلام ولا يرضى به نبى الإسلام محمد ﷺ.

إن القاعدة التى ينبغى أن ينطلق بها الصائم هى الإيمان بالله حتى يعطى حقوق الصيام كاملة ويقول ﷺ : «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»(٩).

صوم التطوع وأنواعه

وصوم التطوع قربى عظيمة يتقرب بها المسلم إلى الله - تبارك وتعالى - حتى ينال رضاه ومغفرته وهو داخل فى قوله تعالى:

﴿ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ﴾(١٠).

وداخل أيضا فى الحديث الذى رواه ﷺ عن ربه - عز وجل - «ما يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذ بى لأعيذنه»(١١).

ونحاول هنا أن نلخص أنواع التطوع وثواب كل نوع وأقوال الفقهاء التى وردت فى ذلك.

النوع الأول: صوم ستة أيام من شوال

وهو مستحب عند الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان، والشافعى، وأحمد، ومحققى المالكية، وعن مالك أنه يكره صومها خوفاً من اعتقاد وجوبها.

ويستوى أن تصومها بعد رمضان مباشرة، وأن تصومها فى أى جزء من شوال متتابعة أو متفرقة.. غير أن الأفضل أن تكون بعد رمضان مباشرة بفاصل يوم العيد فقط، وأن التتابع وعدمه فى الأفضلية سواء والأصل فى صومها حديث: (من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال فكأنما صام الدّهر)(١٢).

---

(٨) الترغيب والترهيب ١٤٨/٢.

(٩) أخرجه البخارى ١٦/١، ٣٣/٣.

(١٠) البقرة (١٨٤)

(١١) البخارى ١٣١/٨، كتاب الرقاق

(١٢) أخرجه أحمد ومسلم والترمذى، وقال حسن صحيح

النوع الثاني: الصوم في الأشهر الحرم

والأشهر الحرم هي: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب. ووصفت بالحرم لأنها ذات حرمة وقداسة تميزها عن غيرها، لأن القتال كان محرماً فيها في الجاهلية وصدر الإسلام، والأصل فيها قوله تعالى:

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾(١٣).

قال الإمام النووي في زيادات الروضة.

أفضل الأشهر للصوم بعد رمضان الأشهر الحرم: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم ورجب، وأفضلها المحرم، ويلي المحرم في الأفضلية شعبان. فيتضح من هذا أن الصوم في الأشهر الحرم من القربات العظيمة التي يتقرب بها العبد إلى الله - تبارك وتعالى - لعله ينال رضوان الله وغفرانه.

النوع الثالث: صوم رجب

وهو من الأشهر الحرم المرغب في فضلها، ففي سنن أبي داود قال الحافظ مبوباً ما نصه (في صوم الأشهر الحرم عن مجيبة الباهلية عن أبيها أو عمها أنه أتى رسول الله ﷺ ثم انطلق فأتاه بعد سنة وقد تغيرت حاله وهيئته فقال: يا رسول الله أما تعرفني؟ قال: فمن أنت؟ قال: أنا الباهلي الذي جئتك عام الأول فقال ﷺ فما غيرك؟ وقد كنت حسن الهيئة قال ما أكلت طعاماً إلا بليل منذ فارقتك. فقال رسول الله - ﷺ - لم عذبت نفسك؟! ثم قال ﷺ صم شهر الصبر (أي رمضان) ويوماً من كل شهر قال زدني فإن بي قوة.. قال: صم يومين قال: زدني قال: صم ثلاثة أيام من كل شهر قال زدني قال: صم من الحرم واترك قالها ثلاثاً أشار ﷺ بأصابعه الثلاثة ثم أرسله) ولاشك أن رجب داخل في الأشهر الحرم فيستحب صيام بعض أيامه.

وقال ابن حكيم سألت سعيد بن جبير عن صيام رجب وشعبان فقال: «أخبرني ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يصوم حتى نقول إنه لا يفطر ويفطر حتى نقول إنه لا يصوم وما رأيت رسول الله ﷺ يصوم شهراً كاملاً إلا شهر رمضان وما رأيته أكثر صياماً منه في شعبان. ولا يفوتنا هنا أن صيام رجب لا يخرج عن كونه داخلاً في الندب بالصوم فإن السنن الصحيحة مرغبة في صوم الأيام إلا العيدين.

فقد روى الشيخان وغيرهما أن رسول الله ﷺ قال فيما يرويه عن ربه: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به»(١٤).

---

(١٣) التوبة (٣٦)

(١٤) أخرجه الشيخان

النوع الرابع: صوم شعبان

يستحب صومه كله، وإن شهر شعبان شهر اختصه الله بالبركات وهبوط النفحات ولذلك كان يحتفل به الرسول ﷺ أعظم الاحتفال ويؤثره على سائر الشهور بالصيام والقيام. وقد روى الشيخان عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنه ﷺ كان يكثر صوم شعبان حتى يظن أنه من رمضان. عن أنس أنه ﷺ قال: «أفضل الصوم بعد رمضان شعبان لتعظيم رمضان وأفضل الصدقة صدقة في رمضان»[١٥].

(وأن النبي ﷺ لم يكن يصوم من السنة شهراً تاماً إلا شعبان يصله برمضان)[١٦].

النوع الخامس: ليلة النصف من شعبان

لهذه الليلة منزلة عظيمة ومكانة كبيرة فهي من الليالي التي اختصها الله ـ تبارك وتعالى ـ برفع الأعمال إليه وقد تزاحمت الأحاديث في فضل هذه الليلة وإعطائها المنزلة اللائقة بها فقد أخرج البيهقي من رواية أبي بكر الصديق عن النبي ﷺ قال: «ينزل الله إلى السماء الدنيا ليلة النصف من شعبان فيغفر لكل شيء إلا لرجل مشرك أو رجل في قلبه شحناء»[١٧].

كما أخرج البيهقي أيضا عن ثعلبة عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا كانت ليلة النصف من شعبان اطلع الله ـ تعالى ـ إلى خلقه فيغفر للمؤمنين ويملي للكافرين ويدع أهل الحقد بحقدهم حتى يدعوه»[١٨]. وأخرج ابن ماجة من رواية أبي موسى الأشعري بنحو اللفظ الذي أخرجه به البيهقي من رواية معاذ بن جبل قال: (يطلع الله في ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن)[١٩].

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: (قام رسول الله ﷺ من الليل فأطال السجود حتى ظننت أنه قد قبض، فلما رأيت ذلك قمت حتى حركت إبهامه فتحرك فرجعت فلما رفع رأسه من السجود وفرغ من صلاته قال: يا عائشة أو يا حميراء الوجه ظننت أن النبي قد خاس بك (أي قد غدر بك) قالت لا والله يا نبي الله ولكنني ظننت أنك قد قبضت. فقال رسول الله ﷺ: أتدرين أي ليلة هذه؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: هذه ليلة النصف من شعبان يغفر الله فيها للمستغفرين ويرحم المسترحمين ويؤخر أهل الحقد كما هم)[٢٠]. وعن الإمام علي ـ كرم الله وجهه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها، فإن الله ـ تعالى ـ ينزل فيها لغروب الشمس لسماء الدنيا فيقول ألا من مستغفر فأغفر له ألا من مسترزق فأرزقه ألا من مبتل فأعافيه ألا كذا ألا كذا حتى يطلع الفجر»[٢١].

---

(١٥) أخرجه الترمذي والبيهقي.

(١٦) أخرجه أبوداود والنسائي.

(١٧) أخرجه البيهقي

(١٨) أخرجه البيهقي

(١٩) أخرجه ابن ماجة

(٢٠) أخرجه البيهقي ١٣٨٨

(٢١) أخرجه البيهقي ١٣٨٨

النوع السادس: صوم المحرم وعاشوراء

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم»[٢٢].

وكذا يسن صيام عاشوراء. وعاشوراء في الأصل صفة لليلة العاشرة ثم صار علماً على اليوم العاشر من المحرم عند الجمهور، وعاشوراء يوم معظم في الجاهلية والإسلام فكان اليهود بالمدينة يصومونه، وكانت قريش تصومه، وكانوا يعظمونه بكسوة الكعبة فيه، وكان النبي ﷺ يصومه قبل البعثة موافقة لهم، وبعد البعثة، وقبل الهجرة بالوحي، وبعد الهجرة صامه وأمر الناس أن تصومه ورغب فيه. ويستحب أن يضم إليه اليوم التاسع أو الحادي عشر مخالفة لصيام اليهود. قال رسول الله ﷺ: «صوموا يوم عاشوراء وخالفوا فيه اليهود وصوموا يوماً قبله أو يوماً بعده»[٢٣] ويسن التوسعة فيه على الأهل والعيال بدون تبذير.

النوع السابع: صوم تسع من ذي الحجة لغير الحاج:

لحديث «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام يعني الأيام العشر قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله! فقال: ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله، ثم لم يرجع من ذلك بشيء»[٢٤].

النوع الثامن: صوم يوم عرفة

وهو اليوم التاسع من ذي الحجة، ويتأكد صومه لغير الواقفين بعرفة وهم الحجاج لحديث «صوم يوم عرفة يكفر سنتين ماضية ومستقبلة وصوم عاشوراء يكفر سنة ماضية»[٢٥].

النوع التاسع: صوم الإثنين والخميس

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ كان أكثر ما يصوم الإثنين والخميس فقيل له: لم تصوم هذين اليومين يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «إن الأعمال تعرض كل اثنين وخميس فيغفر الله لكل مسلم أو لكل مؤمن إلا المتهاجرين فيقول أخرهما»[٢٦].

النوع العاشر: صوم ثلاثة أيام من كل شهر

لحديث «صيام ثلاثة أيام من كل شهر صيام الدهر وإفطاره» والأفضل أن تكون اليوم الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر عربي.

«أفضل الصيام صيام داود ـ عليه السلام ـ كان يصوم يوماً ويفطر يوماً»[٢٧]. وفقنا الله إلى أداء هذه الطاعات والقربات حتى نظفر برضوانه وغفرانه.

---

(٢٢) أخرجه أحمد ومسلم والأربعة والبيهقي

(٢٣) أخرجه أحمد ١/٢٤١، والبيهقي ٤/٢٨٧.

(٢٤) أخرجه أحمد ١/٢٢٤، والبيهقي ١٧٢٧.

(٢٥) أخرجه أحمد والنسائي وابن ماجه والبيهقي

(٢٦) أخرجه أحمد وابن ماجه

(٢٧) أخرجه البخاري والنسائي

خطبة الجمعة

الإيمان طريق النصر

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصي

الحمد لله - عز وجل - هو الذى يهدى إلى الحق وإلى صراط مستقيم، أشهد أن لا إله إلا الله، جعل للحرية طلابها.. وللعزة أسبابها: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾(١). وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، آمن فأيقن، وجاهد فأتقن، فكان خير المنصورين، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه، وأتباعه وأحبابه أولئك حزب الله، ألا إن حزب الله هم المفلحون.

يا أتباع محمد ﷺ:

هناك من يظن أن الدعوة إلى اتخاذ العقيدة والدين أساساً فى القتال والنضال إنما هى بضاعة يشعود رجل الدين تقديمها بحكم صنعته وحرفته، وهذا ضلال فى التفكير وبهتان فى التصوير، ومن أقرب الدلائل على ذلك أن ضابطاً عراقياً كبيراً أصدر كتاباً جعل عنوانه «الوجيز فى العسكرية الإسرائيلية» وهذا المؤلف هو اللواء الركن محمود شيت خطاب، وقد تحدث فيه حديث الخبير البصير عن أهداف إسرائيل التوسعية، وأنواع قواتها العسكرية من برية وبحرية وجوية، وطرق التدريب والتعبئة، والقتال عندها، وأنواع الأسلحة التى تستوردها أو تصنعها أو تحاول صنعها، ثم تحدث عن واجب الأمة العربية أمام عدوان إسرائيل ونزعتها التوسعية الإجرامية. ومع أن الكتاب بحث عسكرى فنى من رجل

---

(١) العنكبوت (٦٩).

عسكرى متخصص تلمح فيه شواهد اليقين بأن الإيمان الدينى الواعى هو الطريق إلى الفوز والنصر، فالمؤلف يفتتح كتابه بخبر عظيم من القرآن الكريم وهو قول الله - جل جلاله :

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾(٢).

وهو يجعل إهداء الكتاب «إلى المجاهدين الذين سيرفعون راية العرب والمسلمين فوق المسجد الأقصى» وحينما يبلغ المؤلف فصل «الخاتمة» يفتتحه بشعار كريم من كلام رب العالمين، وهو قوله :

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾(٣). وهو فى غياب بحثه الفنى العسكرى لا ينسى ما يعتقده بقلبه وعقله ووجدانه، وما يعتقده كل مؤمن غيور على دينه ووطنه وقومه وأمته، وهو أن العقيدة الإلهية، والإيمان الدينى، وروح الجهاد المقدس، ونزعة الاستشهاد فى سبيل الله، هى مفاتيح العزة والسعادة، فيتلمس المواطن المناسبة تلمساً لكى يترجم عن هذا الاعتقاد بأقوى ما يستطيع وبأعمق ما يحس، كان يقول مثلاً : «يجب أن نقول للشعب العربى : إن النصر لا يكتب إلا للذين يجاهدون بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله» وهو يقرر مؤكداً أن أول أسباب الانتصار على اليهود والصهيونية هو «إعادة النظر فى تربية النشئ العربى، ووضع مناهج تربيتهم على أسس مستمدة من تعاليم الدين الحنيف، وحضارتنا العربية الأصيلة» ومن بين هذه الأسباب أيضاً التعاون مع المسلمين فى كل مكان لإنقاذ فلسطين ثم تأتى آخر صفحة من الكتاب، وفيها يختتمه بقوله : «البشر بدون عقيدة غثاء كغثاء السيل، وللعرب عقيدة سماوية قادتهم إلى النصر، فكانت انتصاراتهم انتصارات عقيدة لا مراء، ولما ضعف العرب صانتهم تلك العقيدة من التفسخ والانحلال، وهذا الأمر لا يصلح آخره إلا بما صلح به أوله : العودة إلى الإسلام بما فيه من تكاليف البذل والتضحية والفداء، وحينئذاك سيقول اليهود عن العرب كما قال أسلافهم من قبل :

﴿ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ﴾(٤).

﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ اللَّهِ ﴾(٥)

إن هذا ليس كلام عالم من علماء الأزهر الشريف، ولكنه كلام ضابط عسكرى برتبة لواء، وتزداد قيمة هذا الكلام جلالة وخطورة حين نتذكر أن الصهيونية تتخذ من دينها المحرف أساساً لتحركاتها ومحاولاتها للقضاء على أهل الدين الحق والعقيدة الباقية والكتاب الإلهى الذى لم يتطرق إليه أدنى تحريف، لم تزد الدهور والعصور إعجازه إلا ضياء وبهاء، ويا عجبا كل العجب من باطل يتوقح ويتبجح، ويتجمع ويتوسع، على حساب حق ضيعه أهلوه واستخف به جاهلوه، فهذه هى الصهيونية تسمى دولتها الآثمة باسم نبيها «إسرائيل»، وتحيى لغتها الدينية «العبرية» بدعوى أنها لغة التوراة والدين اليهودى، وتصف فلسطين بأنها أرض الميعاد لهم استناداً إلى مزاعمهم، وتجعل من أهدافها أن تتجمع حول حائط المبكى لكى تعيد هيكل سليمان وتزيل المسجد الأقصى، وهى تجمع

---

(٢) المائدة (٨٢).

(٣) الأنفال (٦٠).

(٤) المائدة (٢٢).

(٥) الروم (٤-٥).

فلولها من شتى أنحاء العالم وتناديهم باسم اليهودية ويعتبرون أنهم « شعب الله المختار » وأنهم يجب عليهم في شريعتهم ـ كما يزعمون ـ أن يعودوا من المنفى إلى فلسطين لأن البقاء خارجها خروج على الدين، فيالله من حق يضيع بين باطل يتنمر، ويالله لهؤلاء العرب والمسلمين الذين يبدون وكأنهم لا يريدون الانتفاع بعظات أو عبر، وما أنت بمسمع من في القبور.

وهذا هو كتاب « الوجيز في العسكرية الإسرائيلية » يحدثنا بالأدلة والشواهد والنصوص من كلام الأعداء أنفسهم عن سعي اليهود لإحياء الدولة اليهودية من النيل إلى الفرات، ومن شمال الموصل حتى للمدينة المنورة، والتي تشمل تبوك وخيبر وأماكن أخرى حول المدينة: مدينة الرسول العربي محمد ﷺ، وكأنهم بهذا لا يكتفون بإحياء ديانة حرفت وبدلت، بل يحاولون طمس المعالم البادية لدعوة الإسلام ورسالة محمد ﷺ، ويواصلون إحياء العادات الدينية القديمة بينهم حتى في مجال الحرب، فإن إسرائيل مثلا لا تحتفظ في معسكراتها بصفة دائمة بعدد كبير من الجنود، بل تدرب كل أفرادها على السلاح والقتال، ثم يعودون إلى أعمالهم في الزراعة والصناعة والتجارة وغيرها، وعند التعبئة يسارع الجميع بالعودة إلى الخدمة العسكرية فوراً، وتتبع إسرائيل في ذلك طريقة تقول إنها مأخوذة من خطة حربية وضعها الملك سليمان قبل ثلاثة آلاف عام، وتتحدث عنها كتب اليهود الدينية، فتقول: إن سليمان قد بنى قلعة (مجدو) في غرب مدينة (جنين) وتضم القلعة مخازن للطعام والشراب تكفي خمسة آلاف مقاتل، وأماكن صالحة لثلثمائة من عجلة حربية، ولا يقيم في هذه القلعة بصفة دائمة إلا مائة رجل فقط، فإذا ظهرت بوادر الحرب انطلق من القلعة ثلاثون فارساً على خيولهم لجمع الناس في القلعة استعداداً للقتال، وكذلك فعلت إسرائيل الآن،

فعند التعبئة العامة تظهر عبارة رمزية على شاشات السينما والتليفزيون، فيبادر كل مجند احتياطي بترك عمله، ويقف على الطريق العام خارج قريته، وأي سائق مدني أو عسكري يمر عليه إلى المعسكر أو الميدان بمجرد اطلاعه على ما يثبت شخصيته، ولا يحتاج هذا الجندي إلى مجهود في إعداده لأداء واجبه فوراً، لأنه يتدرب كل سنة ثلاثين يوماً بعقيدة دينية صارخة تغرس في نفسه أن هذا واجب ديني مفروض، وبذلك تظل نفسه ممتلئة بما يسمى بالحقد الإسرائيلي المقدس على العرب والمسلمين،

ويؤكد الكتاب العسكري الفني أن الالتجاء إلى هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن لن يحل قضية فلسطين ولن يرد حقوق العرب، ولن يحرر الأرض المغتصبة، وهذا يذكر بمن هتف بقومه منذ سنوات وسنوات فقال:

فيم انتظاركم والحق حقكم
يعدى عليه ليعطى للملاعين
لا تطلبوه احتكاماً في مجامعهم
بل استردوه قسرا في الميادين
والمسلمون جميعاً من ورائكم
بأندونيسيا وباكستان والعين
يا أتباع محمد ﷺ:

لقد استبان الصبح لذي عينين، وقد أجمع العقلاء والبصراء على أنه لا نصر إلا بعقيدة وإيمان، وقد تكرر الجهر بذلك مرات ومرات ولو اكتفينا بترديد القول دون عمل، لما كانت هناك جدوى، ولاتمت فائدة، فليت بارئنا يأخذ بنواصينا إلى العمل بمقتضى ما آمنا به ورددناه، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل، واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون.

الصيام .. والصحة

للدكتور / حسين عباس الأنصاري (*)

مهما فتش العالم عن وسيلة مثلى لحفظ صحة البدن وصحة النفس وصحة المجتمع، فلن يجد إلا نظاما أوحد وضعه رب العباد وخالقهم، وهو صيام شهر كامل في العام.

العلم قرر هذا والطب أثبت ذلك، وقلب المؤمن اطمأن إليه دون حاجة إلى إثبات.

وحينما يضع ربنا ـ سبحانه وتعالى ـ نظاما لبني البشر أو يحدُّ لهم حدودا فإنما يكون ذلك لمصلحتهم أولا وأخيرا، لأن الله غني عن العالمين كما جاء في الحديث القدسي: (... ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم لم يزد ذلك في ملكي شيئا. ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على قلب أفجر رجل منكم لم ينقص ذلك من ملكي شيئا...)(1) وصدق الله حيث أنزل في كتابه:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾(2).

ويقول سبحانه:

﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ ﴾(3).

الصحة البدنية

كل آلة تحتاج إلى فترة راحة وصيانة، وإلا عطبت وتوقفت عن عملها. وجسم الإنسان، ذلك المصنع المتكامل الذي ليس له مثيل منذ خلقت الدنيا بيد القدرة العليا والذي يعمل بطريقة متواصلة ولا يتوقف دقيقة واحدة عن عمله، لابد أن يحتاج إلى صيانة من نوع خاص، حتى يكون متجددا يؤدي عمله على أكمل وجه كما أراد له خالقه.

فهناك المخ وهو مركز التحكم في ذلك المصنع المعجز، وهناك القلب الذي يمد الجسد بالطاقة والغذاء

(*) الكاتب طبيب بوزارة الصحة.

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤ / ٢٤٩، تهذيب ابن عساكر ٧/ ٢٠٦، ٢٠٧.

(2) البقرة (١٨٣).

(3) البقرة (١٨٥).

اللازمين لبقائه في عالم الأحياء، وهناك الجهاز الهضمي والجهاز التنفسي والجهاز الحركي، وعالم الغدد الصماء التي تسيطر على العمليات الحيوية في الجسد.

كل هذه الأجهزة تحتاج إلى فترة راحة من نوع خاص لايحققها إلا الصيام لمدة شهر كامل في العام على الأقل مصداقا لقوله تعالى:

﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(١).

● وكما جاء في الأثر (صوموا تصحوا).

تعالوا بنا لنرى بعض فوائد الصوم وآثاره على الفرد والمجتمع: بالنسبة للجهاز الهضمي الذي يشمل الغدد اللعابية والبلعوم والأمعاء الدقيقة والأمعاء الغليظة فإنه يعمل بطريقة لا إرادية طالما هناك طعام يدخل الجوف، حيث تقوم الغدد اللعابية بإفراز موادها التي تحتوي على الأنزيمات التي تقوم بهضم السكريات والنشويات ويقوم البلعوم بواسطة عضلاته الطولية والعرضية بتوصيل الطعام إلى تجويف المعدة حيث تقوم المعدة بإفراز العصارة المعدية التي تحتوي على المواد التي تعمل على هضم الدهون والبروتينات.

وقبل ذلك تقوم الأسنان بمضغ الطعام وتحويله إلى عجينة يسهل هضمها بما يتبع ذلك من عمل عضلات الفكين وعضلة اللسان.

ثم يأتي دور الأمعاء لامتصاص الغذاء المهضوم وتوصيله إلى تيار الدم الذي يوصله بدوره إلى جميع أجزاء الجسم وتتخلص الأمعاء الدقيقة من بقايا الطعام غير المهضوم بدفعة إلى الأمعاء الغليظة حيث تقوم الأخيرة بالتخلص منه عن طريق الإخراج

أما الطعام المهضوم فإنه يحتاج إلى مجهود الكبد حيث يعمل على تمثيله إلى العناصر التي يحتاج إليها كل جزء في الجسم ويقوم بتخزين الباقي للاستفادة منه عند الحاجة وتساعده في ذلك غدة البنكرياس والغدة الدرقية.

فإذا ماكان الحمل زائدا على هذه الجنود المجندة فإنها لاشك ستُرهق وتشيخ في وقت أسرع ويتعرض الإنسان للعلل والأمراض.

وهناك بعض الأمراض تتحسن مع الصيام تحسنا ملحوظا ومنها على سبيل المثال:

● **مرض ضغط الدم المرتفع وأمراض القلب:**

تتحسن حالة مرضى ضغط الدم أثناء الصيام وكذلك مرضى القلب نتيجة لقلة السوائل في الأوعية الدموية فيقل حجم الدم الدائر فيها وبالتالي يقل الضغط ويقل الإجهاد للقلب المكلف بضخ الدم إلى سائر الجسد، كما يقل ترسب الدهون على جدران الشرايين فتصبح لينة غير متصلبة وغير مقاومة لضخ الدم القادم إليها من القلب فتستريح عضلة القلب وتتحسن أنسجتها ويتجدد نشاطها ويشعر المريض براحة كبيرة ويقل احتياجه للأدوية المخفضة لضغط الدم أو تلك المقوية لعضلة القلب.

● **الأمراض الجلدية**: كثير من الأمراض الجلدية المزمنة تتحسن في شهر رمضان تحسنا ملحوظا، مثل الأكزيما العصبية والحزاز الجلدي ومرض الصدفية وبعض الأمراض الميكروبية، وذلك بفضل النظام الغذائي أثناء شهر الصيام والذي يعطي فرصة للجسم للتخلص من بعض السموم ومسببات التحسس وبسبب تقوية جهاز المناعة بالنفحة الروحية التي يمنحها شهر رمضان للصائمين.

● **مرض البول السكري**: تتحسن حالة مرضى

---

(١) البقرة (١٨٤).

البول السكرى فى شهر رمضان تحسنا ملحوظا وبخاصة من يلتزمون بالسنة النبوية فى صيامهم وإفطارهم، حيث تنخفض نسبة السكر فى الدم، كما أن غدة البنكرياس المعتلة تأخذ قسطا من الراحة تستعيد فيه بعض نشاطها وتقلل من احتياج المريض للدواء الخفض لسكر الدم، كما أن القرح السكرية والإصابات الميكروبية تقل نتيجة لانخفاض السكر المرتفع فى الدم، وكذلك مضاعفات المرض على العينين والجهاز العصبى.

صلاة التراويح

يتميز شهر رمضان المبارك بما يسمى بصلاة التراويح، وصلاة التراويح اسم على مسمى حيث تستروح بها النفس. وينشرح بها الصدر ويصح بها الجسم، ويشعر الفرد من خلالها بقوة رابطة الأخوة الإسلامية وعظمة الدين الإسلامى، حيث يقف الجميع متراصين طالبين رضاء الله وعفوه.

يقف الغنى ملاصقا للفقير، والقوى ملاصقا للضعيف، وصاحب المقام العالى فى الدنيا ملاصقا لرقيق الحال. الكل يتذكر قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(٥).

وقوله ﷺ: «الناس سواسية كأسنان المشط»(٦) حينما يشعر الصائم بهذا الشعور وهو يقف بين إخوانه فى صلاة التراويح تتسامى روحه نحو معرفة حقيقته، فلا يتجبر الكبير ولايهون من شأن نفسه الصغير. فالكل يفتش على مؤهلات التقوى لله فى نفسه مسترجعا قوله تعالى:

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ هذا فقط هو القياس، فكلنا لآدم وآدم من تراب.

﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾(٧)

وصلاة التراويح لها فوائد بدنية جمة، حيث تعمل على تنشيط الدورة الدموية للجسم، مما يساعد على هضم الطعام والتغلب على التلبك المعوى الذى يصيب الأشخاص المكثرين من الطعام فى الإفطار. كما أنها تساعد الجهاز الحركى للجسم ليؤدى أفضل أنواع الرياضة البدنية أثناء الركوع والسجود والقيام وذلك بتنشيط العضلات وتحريك مفاصل الجسم المختلفة وحمايتها من التيبس وصعوبة الحركة، مما يعانى منه كثير من الناس بسبب قلة المشى وكثرة الجلوس أو الوقوف.

والصلاة عموما تعمل على تقليل ضغط الدم داخل الأوردة الدموية وتقوى جدرانها فتجنب الشخص ظهور دوالى الساقين والتى قد ينشأ عنها متاعب كثيرة للمصاب بها من آلام فى الساقين وظهور قرح مزمنة صعبة الالتئام، وكذلك ظهور إكزيما دوالى الساقين والقدمين وهى أيضا يصعب علاجها.

كما أن صلاة التراويح والقيام تعمل على تنشيط المخ حيث يتدفق الدم إليه، بخاصة أثناء السجود عندما يكون مستوى المخ منخفضا عن مستوى القلب

---

(٥) الحجرات (١٣). (٦) ابن عدى ٥/١٠٩٩. (٧) طه (٥٥).

بالنسبة للجاذبية الأرضية، فيتدفق الدم إلى المخ حاملا غاز الأوكسجين والعناصر الغذائية الضرورية لنشاط المخ وأنسجته المختلفة ويخلصه من الرواسب السامة وقد ورد في الحديث الشريف ما يفيد استحسان إطالة السجود حيث أقرب ما يكون المرء من ربه وهو ساجد فيدعو بما شاء، وكلما كثر الدعاء كلما طال زمن السجود وكلما تدفق الدم إلى المخ أكثر وأكثر.

كما أن صلاة التراويح والتهجد تعتمدان أساسا على تلاوة القرآن الكريم وتدبره، وهو أطيب الذكر وأعلاه، في آياته الدروس والعبر ورسم الطريق الصحيح للمسلم في حياته وآخرته:

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾(٨).

ولهذا يتسابق المسلمون الصائمون في كل بقعة من بقاع الأرض في الاجتهاد في تلاوة القرآن والاستماع إليه ودراسته وتدبره:

الصحة النفسية

يشعر الصائم بالقرب من الله - عز وجل - حيث يصوم نهاره ممتنعا عن ملذات الجسد، ويقوم ليله مع القائمين في صلاة التراويح والتهجد، ذاكرا لله - سبحانه وتعالى - ساجدا راكعا يحدوه الأمل في مغفرة الله وفضله، حيث «رمضان إلى رمضان كفارة لما بينهما»(٩) كما جاء في الحديث الشريف وهذا يبعث بالأمل إلى النفس فيجعل الصائم راضيا مطمئنا وهذه من علامات الصحة النفسية.

كما أن الصائم الفقير يتحرر من الشعور بالحقد الطبقي حيث يجد الجميع متعاونا معه في رمضان نظرا لكثرة أعمال البر في هذا الشهر الكريم من إخراج للزكاة، ودفع للصدقات، وإقامة موائد الرحمن حيث يقدم الطعام الجيد للفقراء فيشعرون بالتكافل العظيم بين الصائمين جميعا فتتحسن العلاقات وتزداد روابط الأخوة ويعم الرضى جميع النفوس . نفوس من قدموا الخير، ونفوس من قدم لهم هذا الخير، وهذا يجعل المجتمع الإسلامي يعيش في تناغم تام بين أفراده، وهذه هي قمة الصحة النفسية للفرد والمجتمع.

كما أن الصائم يشعر بقوة الإرادة نظرا لتغلبه على شهوات نفسه التي لم يكن ليصبر عليها في غير رمضان، فيصبح ذا عزيمة قوية، وهذه العزيمة القوية ترفع لديه قوة جهاز المناعة الداخلي فيتغلب على كثير من الآلام والأمراض المزمنة التي تحتاج إلى عزيمة للتغلب عليها.

والصوم يعلم الإنسان الصدق مع النفس، لأنه يستطيع أن يأكل ويشرب دون أن يراه أحد، لكنه موقن بأن الله يراه وهو يمتنع عن ذلك امتثالا لمرضاة الله وليس خشية من أحد فينعكس ذلك عليه في حياته العملية فيؤدي عمله بإتقان مراقبة لله الذي يراه ويطلع على سرائره ويعود ذلك على الآخرين بالخير. والصدق هو من أسمى صفات الجمال للنفس.

ومجتمع أفراده نفوسهم راضية وقلوبهم مطمئنة هو مجتمع سعيد بكل المقاييس.

---

(٨) ص(٢٩).

(٩) الترغيب والترهيب ٦/ ٤٨٣.

إشكاليات التحدى الحضارى

التحدى الحضارى بين مفكرى الإسلام والمستشرقين

ا بجزء ٢ ص ١٠٥٥

للأستاذ الدكتور / محمد إبراهيم الفيومى

ترجع فكرة موضوع التحدى الحضارى بين الإسلام والغرب إلى هم قديم يندرج ضمن الإطار العربى الإسلامى بكل مشاكله وقضاياه.

وكنا نرى مسألة العلاقة بينهما، كما تبدو، دائما كأنها تعبر عن سوء فهم كبير يغلفها ضباب كثيف لأنها لم تطرح من بابها الصحيح على مائدة البحث العلمى، كما أن دراستها لم ترتكز على أسس التفاهم المشترك التى كان ينبغى أن تنهض عليها، الأمر الذى ترتب عليه ضياع الحقيقة وعدم وصولنا إلى نتائج مجلية أو حاسمة.

لذلك كان يساورنا مُعْتَقَد مفاده، أن ثمة طريقاً آخر، أو طريقة أخرى أكثر فائدة بالنسبة لنا جميعاً من ذلك اللغط وذلك الضجيج الذى تبثه أجهزة الإعلام هنا وهناك ولا يلبث أن ينكشف عن سراب.

ولا نظن أن الطريق إلى التاريخ، هو أسلوب العنتريات والمواجهات المكشوفة فى ظل اختلال كامل فى موازين القوى، ليس ذلك هو الذى يقودنا إلى دخول حلبة التاريخ.

لذلك ومن أجل توضيح الصورة القائمة بين مثقفى العرب والاستشراق وإبراز ضرورة التعاون فى وضع أسس علاقات جديدة، نرى أن علينا معالجة سوء التفاهم المشترك وهو ما يسمى بتصفية الجو الفكرى والثقافى بين الجانبين من الضلال الثقافى الذى نُغِص به حلبة الصراع ولن تتحقق تلك التصفية إلا إذا كان للجانب الآخر حق الكلام موضحاً موقفه.

إن النزاهة العلمية تقتضى منا إثبات الرأى، والرأى

الآخر، لكي تتضح قيم التفاهم المشترك حول هذا الصراع الدائر. فنحن لا نخشى آراء الآخرين ولا حتى انتقاداتهم، فلدينا من الثقة الكافية بأنفسنا لخوض الصراع الفكرى حول أهم القضايا التى تخص ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا، وهى كما تبدو لنا فى عدة استفهامات تعكس فى نفس الوقت قضايا التحدى بيننا وبين الاستشراق ومن قضايا التحدى:

● **أولاً: تنابذ الإعلام الغربى بالإسلام والعرب:**

درج الإعلام الغربى والأمريكى على تصوير الإسلام فى صورة مارد لو خرج من قُمْقُمه لهدد التقدم والحضارة والمدنية.

إن العربى فى نظر الغرب جاهل بطبيعته، والمسلم متعصب بطبيعته، فى حين أن المسيحى متسامح بطبيعته، ولا يمكننا أن نتسامح لأننا لسنا أوروبيين.

وهذه الأحكام المسبقة تحولت إلى صفات ثبوتية نهائية تُلْصَق بالآخرين غصباً عنهم ولا فكاك لهم منها. وبالتالى فهى تهدد المجتمع دائماً بالنزيف الداخلى أو شبح الحرب الأهلية.

وتلك هى العقبة الكأداء التى تراكم عليها ثوابت التحدى الحضارى وذلك من اصطناع العرقية الغربية وبقية لوثة استعمارية لم يتخلص الغرب منها ثم حَمَّلتها أكاديمية الاستشراق. ولا صلة لمثقفى العرب فى وقف البث الهجائى الموجه لعالم الإسلام وخاصة أنها قضايا وليدة نزوات الغرب العصبية. وتلك أولى مهام تصفية الجو الثقافى، فهل يتحمل الغرب تبعة إيقاف ذلك النزيف الطافح؟.

إذا كانت التكنولوجيا صنعت تاريخاً للحضارة، حضارة الأدوات، فإن الحكمة وهى التى سَحَتْ بالمفهوم الإنسانى آن لها أن تسجل تاريخها السامى باستقرار السلام بين الشعوب.

إن التاريخ لا يعطى نفسه بسهولة ولن يدخله من أراد دخوله. فى ظل اختلال كامل فى موازين القوى، متخذاً أسلوب المواجهات المكشوفة والأسلحة الفتاكة المدمرة، والذين يندفعون وراء هذا الأسلوب بشكل مباشر أو غير مباشر يبغون تكسير أنفسهم وهذا هو الصراع الحضارى أما أسلوب الحكمة مهما كان طويلاً وشاقاً فهو دائماً طريق السلامة والأبقى. والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها، كما ورد فى الأثر الإسلامى.

● **ثانياً: التهيؤ النفسى فى قبول النقد والنقد الذاتى:**

إذا كانت لنا وجهة نظر فى الغرب وأدواته من الاستشراق. فلماذا لا نحاول أن نعرف رأيهم، هم، فى الموضوع. وما هى ردودهم علينا، وحججهم فى الدفاع عن أنفسهم؟.

إن النزاهة العلمية تقتضى منا إثبات الرأى والرأى المضاد لكى تتضح جوانب المناقشة الصراعية التى فرضها الغرب على الشعوب النامية. وينبغى أن نمتلك الثقة الكافية بأنفسنا لخوض هذا الصراع الفكرى حول أهم القضايا التى تخص ماضينا وحاضرنا، لقد آن الأوان أن نرتفع من مرحلة الصراع الفكرى إلى مرحلة الحوار الحضارى، وأن ننتقل من الموقف الدفاعى والتغنى بالذات أو الهجومى المتطرف إلى موقف المسئولية العقلية والنضج الثقافى.

● **ثالثاً: عدم تكافؤ مستوى الخطابين الإسلامى والغربى:**

إن معركة الخطابات التى تتناظر مع الرجم بالصواريخ ليست على مستوى الكفاية الثقافية بين الجهتين لأن الغرب أقوى من المسلمين وليس

بالضرورة أن تكون الحكمة الصائبة في جانب الأقوى الغالب، إنما يلازمه التخويف والزجر والردع وفرض السيطرة الظالمة وفقدان الحكمة.

ولهذا السبب يبدو على الخطابات الإسلامية طابع الغضب والاحتجاج والاتهام والتشكيك. شأن المغلوب، لا الغالب، والمدروس لا الدارس، أما خطابات الغرب فتبدو باردة هادئة متزنة، وأحياناً متغطرسة ومتعجرفة ـ شأن الغالب ـ فهو المسيطر ليس فقط اقتصادياً وتكنولوجياً، أو سياسياً وعسكرياً. وإنما منهجياً ومعرفياً.

● **رابعًا : تبادل عدم الفهم لثقافة الآخر :**

إن الخطابات الغربية الصادرة عن الغرب، ليست شيئاً واحداً، كما نتوهم، أو كما يشاع أحياناً في بيئاتنا الثقافية العربية أو الإسلامية. فالغرب ليس كتلة واحدة صماء، وإنما هو مشكل من عدة تيارات ثقافية وفكرية وحساسيات عرقية، وسياسات تستبيح حق الشعوب، وسيطرة شائهة الوجه على موازين القوى.

وبالتالي فموقفه ليس واحداً من الإسلام أو العرب، فالخلاف المنهجي يرشح دائماً بموقف نفسي. أو قل إنه مرتبط دائماً بموقف نفسي من الموضوع المدروس، سلباً أو إيجاباً، فإذا ما قلنا ـ على سبيل المثال ـ بأن التخلف العربي يعود إلى عوامل تاريخية واجتماعية واقتصادية، فإن ذلك يعني أنه قابل للتغيير والزوال، وإذا ما قلنا بأنه بنيوي مرتبط بالتركيبة الذهنية للعرب، فإن ذلك يعني أنه خاصية أزلية لا فكاك منها. هكذا نجد أنه تترتب على الرؤيتين نتائج خطيرة.

كذلك فإن خطابات المثقفين العرب إزاء الاستشراق ليست كتلة واحدة منسجمة، وإنما هي مشكلة من عدة اتجاهات متغايرة ومتنوعة، بل ومتناقضة. فليسوا كلهم أعداء للمنهجية العلمية والتفكير المنطقي كما يزعم الرأي العام الغربي أو الأوساط المهيمنة فيه، وإنما ينقسمون آراء شتى واتجاهات مختلفة مثلهم في ذلك مثل بقية البشر. فهم ليسو من صنف والآخرون من صنف آخر. فالإنسان محكوم بالتاريخ والظروف الاجتماعية والاقتصادية، وليس محكوماً بصفات وراثية أو عرقية ثابتة.

* **والسبب في عدم تلاقي الغرب بالشرق حضارياً هو :**

إن الكثير من المثقفين لم يطلعوا بشكل كاف على الثورة المنهجية التي حصلت في الغرب نفسه، كذلك في المقابل لم تفد المنهجية الغربية الجديدة جديداً في مواقف بعض المستشرقين ـ وهو ليس بالقليل ـ في دراستهم للإسلام والعرب، فهل هذا يسمى قصوراً أو تقصيراً؟.

● **خامسًا : تأجيل البحث عن حقيقة الصراع الحضاري :**

إنه من الصعب إجراء مناقشة رزينة وهادئة حول حقيقة التحدي الحضاري في ظل صراع ثقافي وسياسي عسكري محتدم بين الطرفين إلى درجة أنه يصعب قول أي شيء بهدوء أو بموضوعية واتزان، وبالتالي فالبحث عن الحقيقة يبدو عملية شائكة ومحفوفة بالأخطار. وبالتالي فإن تأجيل البحث عن حقيقة الصراع بحجة أن هذا الصراع يعني تأجيله إلى ما لا نهاية، ويعني أيضاً تأجيل البحث العلمي في الساحة العربية إلى ما لا نهاية. وهذا ولا شك يفيد أن التوصل إلى خطاب عربي إسلامي ذكي ومرن ومنفتح، عملية ليست سهلة على الإطلاق.

بقية ١٥٥٥



رشيد رضا ومدرسة الإحياء والتجديد

للدكتور
محمد عمارة

في قرية « القلمون » ، التابعة « لمتصرفية » طرابلس الشام ، ولد « السيد » محمد رشيد رضا [١٢٨٢ - ١٣٥٤ هـ ١٨٦٥ - ١٩٣٥ م] - محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة .. وأسرته « شريفة » النسب ، هاجرت من بغداد ، واستقرت في « القلمون » .. وكانت ولادته في ٢٧ من جمادى الآخرة سنة ١٢٨٢ هـ ١٨ من أكتوبر سنة ١٨٦٥ م .

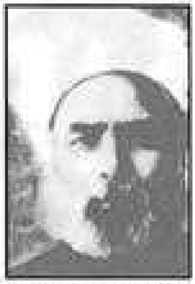
ولقد سلك ، منذ صباه ، طريق التعليم الديني ، فدرس بالمدرسة الوطنية الإسلامية - في طرابلس - ثم درس في بيروت .. وحصّل علوم الإسلام والعربية ، على منهاج شبيه بمنهاج الأزهر الشريف في ذلك التاريخ .

ولقد مال - في تكوينه الفكري والعلمي - إلى علوم « الرواية » و« المنقول » و« المأثورات » .. ثم حدثت له نقلة نوعية بعد أن قرأ كتاب حجة الإسلام أبو حامد الغزالي [٤٥٠ - ٥٠٥ هـ ١٠٥٨ - ١١١١ م] « إحياء علوم الدين » ، فانتقل به هذا الكتاب إلى الزهد والتصوف والتنسك ، وانخرط في سلك مريدي « الطريقة النقشبندية » .. وانخرط في العمل الدعوي ، مشتغلا بالوعظ والإرشاد - في قريته والقرى المجاورة - فتمرس في الخطابة الوعظية .. ثم طمح إلى الكتابة ، فألف كتاباً عن [الحكمة الشرعية] ، ونشر مقالاً مطولاً عن الأخلاق في إحدى الصحف .. وصاغ بعض أفكاره شعراً منظوماً .

وعقب خطبة ألقاها - اتسمت بالجرأة - في أحد المحافل - بحضرة والي « طرابلس » - عين عضوا في « شعبة المعارف » بمتصرفية الولاية العثمانية .

وفي الثامنة والعشرين من عمره [١٣١٠ هـ ١٨٩٢ م] حدث له الانقلاب الأعظم في فكره وتوجهه ، وذلك بعد أن قرأ - في محفوظات والده - بعض أعداد مجلة [العروة الوثقى] - التي أصدرها في باريس [١٣٠١ هـ ١٨٨٤ م]

جمال الدين الأفغاني [١٢٥٤ - ١٣١٤هـ ١٨٣٨ - ١٨٩٧م] والإمام محمد عبده [١٢٦٥ - ١٣٢٣هـ - ١٨٤٩ - ١٩٠٥م] - .. فأخذ - بعد قراءة هذه الأعداد - يبحث عن المجموعة الكاملة لأعداد هذه المجلة - الثمانية عشر - فوجدها في مكتبة أستاذه حسين الجسر [١٢٦١ - ١٣٢٧هـ - ١٨٤٥ - ١٩٠٩م]، فنسخها، وأكب على دراستها، وفقه أسلوبها وأفكارها ومنهاجها ومقاصدها.. فتغيرت بذلك صورة الإسلام في فكره، وتبدلت صورة المسلم النموذجي لديه، وتغيرت أولويات الإصلاح الإسلامي للواقع الذي يعيش فيه المسلمون.. ولقد وصف - هو - هذا الانقلاب الفكري الذي حدث له، فقال: «.. ثم إني رأيت في مخطوطات والدي بعض نسخ [العروة الوثقى]، فكان كل عدد منها كسلك من الكهرباء، اتصل بي فأحدث في نفسي من الهزة والانفعال والحرارة والاشتعال ما قذف بي من طور إلى طور ومن حال إلى حال.. كان الأثر الأعظم لتلك المقالات الإصلاحية الإسلامية، ويليه تأثير المقالات السياسية في المسألة المصرية - [المنشورة بأعداد المجلة] - والذي علمته من نفسي ومن غيري ومن التاريخ: أنه لم يوجد لكلام عربي في هذا العصر ولا في قرون قبله بعض ما كان لها من إصابة موقع الوجدان من القلب، والإقناع من العقل، ولا حد للبلاغة إلا هذا..»(١).



الإمام/ محمد عبده



جمال الدين الأفغاني

لقد نقلته [العروة الوثقى] من زهد «الطريقة النقشبندية» في الدنيا والإصلاح الاجتماعي والسياسي، إلى وسطية الإسلام - التي أحيتها مدرسة الأفغاني ومحمد عبده - والتي توازن بين الروح والجسد، بين الدنيا والآخرة، بين خلاص الفرد وتحرير الأمة، بين عزة الإنسان وإمامة أمته الإسلامية للعالمين.. فتعلم رشيد رضا من هذه المجلة - كما يقول هو - : «أن الإسلام ليس روحانياً أخروياً فقط، بل هو دين روحاني جسماني، أخروي دنيوي، من مقاصده هداية الإنسان إلى السيادة في الأرض بالحق، ليكون خليفة الله في تقرير الحق والعدل.. ولقد أحدث لي هذا الفهم الجديد في الإسلام رأياً فوق الذي كنت أراه في إرشاد المسلمين، فقد كان همي قبل ذلك محصوراً في تصحيح عقائد المسلمين، ونهيهم عن المحرمات، وحثهم على الطاعات، وتزهيدهم في الدنيا.. فتعلقت نفسي بعد ذلك بوجوب إرشاد المسلمين عامة

---

(١) رشيد رضا [تاريخ الأستاذ الإمام] جـ١ ص ٩٩٦، ٣٠٢ . طبعة القاهرة سنة ١٩٣١م.

إلى المدنية، والمحافظة على ملكهم، ومباراة الأمم العزيزة في العلوم والفنون والصناعات، وجميع مقومات الحياة. فطفقت استعد لذلك استعداداً..»[٢].

ومنذ ذلك التاريخ، وكأثر من آثار هذا التحول العميق، تطلع رشيد رضا إلى أن يكون «مريداً» في مدرسة الجامعة الإسلامية - مدرسة الأفغاني ومحمد عبده - الداعية إلى التجديد الإسلامي والإحياء الديني، وتجديد الدنيا بتجديد الدين.. وذلك بدلاً من موقع «المريد» في «الطريقة النقشبندية».. التي يسحب تدينها المريد من الدنيا إلى حد ما، ومن المدنية إلى حد كبير.. فكتب إلى الأفغاني - الذي كان يعيش في الأستانة، حبيس القفص الذهبي للسلطان عبدالحميد [١٢٥٨ - ١٣٣٦هـ ١٨٤٢ - ١٩١٨م] - يثنى عليه ويتطلع للتتلمذ على يديه.

فلما توفي الأفغاني [١٣١٤هـ ١٨٩٧م] عزم رشيد رضا على الهجرة إلى مصر، حيث الإمام محمد عبده، طامحاً إلى أن يكون موقعه من الأستاذ الإمام هو موقع محمد عبده من جمال الدين.. ومدركاً أن مناخ الحرية النسبية في مصر ضروري لتحقيق طموحه الجديد.. وبعبارته: «.. فلقد كنت أعتقد أن استعدادي كله يبقى ضائعا إذا بقيت في سورية، وأنه لا يمكن أن يظهر هذا الاستعداد بالعمل إلا في مصر، لما فيها من الحرية المفقودة في البلاد العثمانية..»[٣].

وحتى يقوم برحلته هذه، ادخر نفقاتها من أجرة تحريره «الحجج والعقود»، ثم تسلل إلى إحدى السفن المتجهة إلى ميناء الإسكندرية، فوصلها مساء الجمعة ٨ من رجب سنة ١٣١٥هـ أول ديسمبر سنة ١٨٩٧م.. وفي اليوم التالي ذهب لزيارة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده.

* * *

المنـــار

ولما كانت أعداد [العروة الوثقى] - الثمانية عشر - هي التي صنعت رشيد رضا «الجديد».. فلقد كانت الرسالة التي نذر لها نفسه، والتي هاجر في سبيلها من وطنه «طرابلس» إلى مصر - التي اتخذها وطناً جديداً - .. كانت الرسالة هي إصدار مجلة [المنار]، لتكون ترجمانا لفكر هذه المدرسة الإصلاحية، التي عشق منهاجها التجديدي.. وذلك حتى تحمل [المنار] هذا المنهاج إلى أقطار عالم الإسلام.. لقد أراد للمنار أن تكون أسلاك الكهرباء التي تهز وتوقظ الأمة، كما صنعت معه هو أعداد مجلة [العروة الوثقى].

وفي لقائه بالأستاذ الإمام - ٦ من شعبان سنة ١٣١٥هـ ٣١ من ديسمبر سنة ١٨٩٧م - تمت دراسة المشروع، مشروع إصدار المجلة -

---

(٢) المصدر السابق. جـ١ ص ٨٤، ٨٥.

(٣) المصدر السابق. جـ١ ص ٩٩٨.

« التى سنبحث فى موضوع مرض الأمة وضعفها، وفى معالجتها بالتربية والتعليم، ونشر الأفكار الصحيحة لمقاومة الجهل والأفكار الفاسدة، كالجبر والخرافات ».

وفى تحديد منهاج المجلة، طلب الأستاذ الإمام من رشيد رضا :

١- أن لا تتحيز لحزب من الأحزاب.

٢- ولا تهتم بالرد على ذام أو منتقد.

٣- ولا تخدم أحداً ممن يسميهم الناس « كبراء ».. تستخدمهم، نعم.. لكنها لا تكون فى خدمتهم!

فوافق رشيد رضا، وعاهد أستاذه - الذى وصف المشروع بأنه « أشرف الأعمال وأفضلها »، معلناً استعداده لمساعدة المجلة بكل جهده.

عاهد رشيد رضا أستاذه فقال :

- « إنى أعاهدكم على أن أكون معكم كالمريد مع أستاذه - على نحو ما يقول الصوفية - ».

وهكذا تمت دراسة المشروع.. وصدرت [المنار] فى ٢٢ من شوال ١٣١٥هـ ١٧ من مارس ١٨٩٨م - أى بعد عام من وفاة جمال الدين الأفغانى - .. صدرت فى صورة صحيفة أسبوعية.. ثم تحولت فى سنتها الثانية إلى مجلة شهرية - لتواصل رسالة [العروة الوثقى].. التى أشرف على فكرها وسياستها الأفغانى.. وكان محمد عبده - رئيس تحريرها - المحرر الأول - .. وها هى [المنار] تصدر، وإشرافها الفكرى لمحمد عبده، ورشيد رضا رئيس تحريرها!

صدرت [المنار] لتكون ديوان فكر المدرسة الإصلاحية، ساعية إلى :

- حمل رسالة مدرسة الإحياء الدينى والتجديد الإسلامى إلى كل أقطار عالم الإسلام.
- وتزكية الخيار الإسلامى الوسطى سبيلا للنهضة الإسلامية والشرقية، رافضة الجمود الذى يقلد، والتبعية التى تقلد الحضارة الغربية.
- وإعادة نشر مقالات [العروة الوثقى].. ومقالات الأستاذ الإمام التى سبق نشرها فى [الوقائع المصرية].
- وديوان تجديد وإبداع الإمام محمد عبده، فى تحرير العقل من قيود التقليد.
- وتنقية العقيدة من شبهات الشرك والبدع والخرافات.
- ونشر المنهاج الجديد فى تفسير القرآن الكريم.
- والدفاع عن الشريعة الإسلامية وعلومها، واللغة العربية وعلومها وفنونها.
- ونشر الفتاوى المعاصرة، التى تفقه الأحكام وتفقه الواقع الجديد، لتعقد القران بين فقه الواقع وفقه الأحكام.
- ولتبصير الأمة بالفروق بين الدين الإلهى وبين العادات والتقاليد والأعراف.
- والدفاع الواعى عن وحدة الأمة، والجامعة الإسلامية، التى هى جنسية الشرقيين على اختلاف قومياتهم ومللهم وأوطانهم.

● والتأييد – البصير.. والناقد – للدولة الإسلامية الجامعة – يومئذ – وهي الدولة العثمانية.. مع الدعوة إلى إصلاح مفاسدها، وتلافي عيوب إدارتها.. وشد أزرها في مواجهة أعدائها.

● والتحذير من تقليد الحضارة الغربية الغازية.. مع الدعوة إلى تعلم علوم الغرب، وخبراته في التقدم.

● والدعوة إلى الإصلاح الاقتصادي، الذي يحرر اقتصاديات المسلمين والشرقيين من النهب الاستعماري الغربي، وذلك ليكون الاقتصاد المتحرر دعامة للاستقلال الحضاري والسياسي.

● ومحاربة التنصير، ومطاردة دعاته وادعاءاته عبر عالم الإسلام.. وتسليح المسلمين بأدوات مقاومة شبهاته ومفترياته.

● والدعوة إلى إقامة الجمعيات والمؤسسات – العلمية.. والخيرية.. والاجتماعية – لتكون جهود الأمة في الإصلاح أفعل وأجدى وأدوم.

● والتأكيد على منهاج التدرج في الإصلاح، لأن صياغة الإنسان صياغة إسلامية، وتكوين صفوة العلماء والمفكرين، وتهيئة الواقع لتقبل المنهاج الإسلامي، لابد فيها من التدرج.

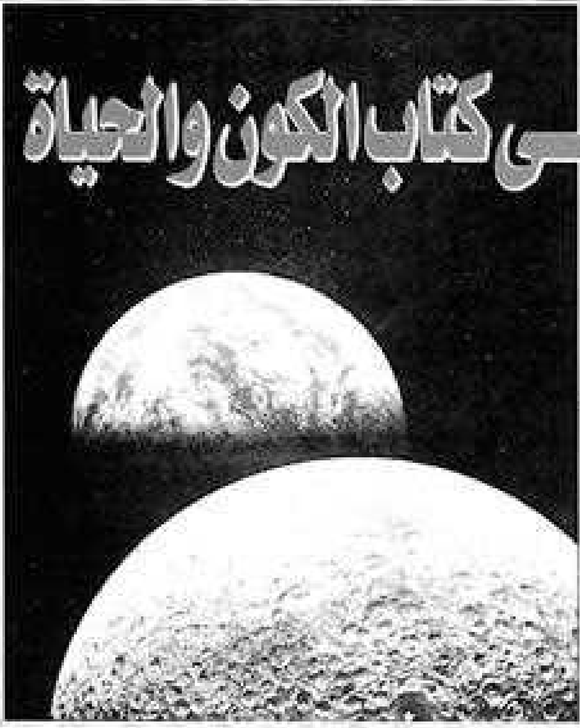
● وإيلاء السياسة – الخاصة بالحكم والدولة – القدر الأقل.. والتركيز على إصلاح مناهج الفكر الإسلامي، وتجديد علوم الشريعة والعربية.. والنهوض بالمؤسسات التي تصنع وتصوغ عقل الأمة.. مع النظر – في السياسة – بمنظار عالمية الإسلام، وعالمية الأمة الإسلامية.

نعم.. صدرت [المنار] لتحمل هذه الرسالة الإصلاحية التجديدية الإحيائية إلى كل أقطار عالم الإسلام.. واستمرت في حملها وإشاعتها نحوا من أربعين عاماً هجرياً [١٣١٥ – ١٣٥٤هـ ١٨٩٨ – ١٩٣٥م] فكانت ديوان النهضة الإسلامية طوال ذلك التاريخ.

ولأنها «ديوان» مدرسة فكرية وليست منبراً يتوقف عطاؤه بوفاة صاحبه.. فلقد عاود الشيخ حسن البنا [١٣٢٤ – ١٣٦٨هـ ١٩٠٦ – ١٩٤٩م] – الذي حضر بعض دروس رشيد رضا – إصدار [المنار] بحجمه.. وشكله.. وتسلسل أعداده ومجلداته وأجزائه – بعد وفاة رشيد رضا – وذلك في غرة جمادى الآخرة سنة ١٣٥٨هـ ١٨ من يوليو سنة ١٩٣٩م.. واستمرت تصدر أربعة عشر شهراً.. بل إن الشيخ البنا، عندما شرع في تفسير القرآن الكريم، بدأ من حيث انتهى رشيد رضا، الذي سبق وبدأ هو أيضاً من حيث انتهى الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده – وهو التفسير الذي اشتهر لنشره في المجلة – بـ[تفسير المنار] –..

***

قراءة إيمانية فى كتاب الكون والحياة



للأستاذ الدكتور
أحمد فؤاد باشا(*)

مواقع النجوم

قال تعالى:

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ۝ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾(1).

يشير القرآن الكريم هنا إلى عظمة السرّ المودع فى مواقع النجوم التى هى مواضعها بالنسبة لبعضها البعض فى السماء، وبالنسبة لمن يراها أو يرصدها من أى مكان فى الكون، ويشمل ذلك ما يفصل بينهما من مسافات شاسعة، بالإضافة إلى تحركاتها المقدَّرة لها فى أفلاكها وعظمة القسم إن كانت وصفا من الله - سبحانه وتعالى - كان تقديرها حق قدرها فوق مقدور البشر، لكن الله - سبحانه وتعالى - ينبهنا إلى أن إدراك بعض جوانب وأسرار هذا القسم العظيم لا يتم إلا بإعمال العقل وتحصيل العلم.

والحديث عن مواقع النجوم من الناحية العلمية يتطلب التعامل مع مسافات فلكية أكبر كثيراً من تلك التى نعتاد قياسها على الأرض بوحدات المتر والكيلو متر. وكان بعض القدماء يقدرون المسافات على أساس عدد الأيام اللازمة لقطع المسافة سيرا على الأقدام أو ركوبا على الخيل أو الجمال. لكن الأمر يختلف عند قياس أبعاد الكواكب والنجوم، حيث اتفق العلماء على وحدة جديدة للقياس هى «السنة الضوئية» أى المسافة التى يقطعها الضوء فى سنة أرضية كاملة (٣٦٥ يوما). وإذا كانت سرعة الضوء من الثوابت الكونية المعروفة وتساوى ثلاثمائة ألف (٣٠٠٠٠٠) كيلومتر فى الثانية، فإنه بعملية حسابية بسيطة تكون السنة الضوئية مساوية لحوالى

(*) الكاتب نائب رئيس جامعة القاهرة.

(1) سورة الواقعة: (٧٥ - ٧٦).

٩,٥ مليون مليون كيلو متر، أي أن السنة الضوئية في حقيقة الأمر وحدة طولية لقياس المسافات الشاسعة في الفضاء الكوني. فبدلاً من أن نقول: إن الشمس هي أقرب النجوم إلينا وتبعد عنا مسافة ١٥٠ مليون كيلو متر، وهذه المسافة يقطعها الضوء في ثمان دقائق وثلث، فإنه يمكن القول بأن المسافة بيننا وبين الشمس تساوي ٨,٣ دقيقة ضوئية.

وعلى هذا الأساس يكون أقرب النجوم إلينا بعد الشمس هو النجم الخافت الذي يسمى (الفاقنطورس) ويبعد عنا مسافة ٤,٤ سنة ضوئية، أي ما يعادل ٤٢ مليون مليون كيلو متر تقريبا.. وهذا يعني أن الناظر إلى نجم (الفاقنطورس) يرى الضوء الذي انبعث منه منذ ٤,٤ سنة بعد أن قطع مسافة ٤٢ مليون مليون كيلو متر تقريبا، أي أن الناظر الآن إلى هذا النجم يراه بحالته التي كان عليها منذ ٤,٤ سنة. فالحاضر هنا على الأرض يكون ماضيا هناك بسبب البعد الشاسع للنجوم.

وإذا كان هذا شيئا يفوق الخيال بالنسبة لنجم «ألفا قنطورس» الذي هو أقرب النجوم إلينا بعد الشمس، فكيف نتخيل مواقع النجوم الأخرى التي تبعد عنا وعن بعضها البعض بلايين السنين الضوئية، ولا نرى منها إلا النذر اليسير في صفحة السماء الصافية. فعلى سبيل المثال هناك نجم الشعرى اليمانية، وهو أسطع النجوم التي نراها في السماء، ولكنه ليس أقربها. يقع هذا النجم على بعد ٩ سنوات ضوئية.

وعندما يمتد البصر ولا يرى شيئا، فإنه يستعين بالمقاريب (أجهزة التلسكوب) المزودة بكاميرات التصوير الفوتوغرافي والإلكتروني، ويستطيع أن يستقبل الضوء غير المرئي المنبعث من مجرات تبعد عنا أكثر من بليون (ألف مليون) سنة ضوئية. ولقد ساعدت المراصد الفلكية حديثا على اكتشاف نجوم ومجرات وأشباه نجوم تبعد عنا أكثر من عشرة بلايين سنة ضوئية، وهذا يعني أن ما نرصده الآن من هذه النجوم قد حدث وتم فعلا منذ بلايين السنين، وأن الله وحده هو العليم بشأنها وحالها اليوم، فلم يكن الإنسان قد وجد بعد على الأرض عندما انبعث الضوء من هذه النجوم منذ عشرة بلايين سنة ضوئية.

ويزداد العقل دهشة عندما يعلم أن كل هذه النجوم تتحرك بسرعات هائلة لا تدركها نظرا لبعدها الهائل عنا. فالشمس – على سبيل المثال – تجري بسرعة ١٩ كيلو متراً في الثانية، وتدور حول نفسها مرة كل ٢٧ يوما في المتوسط، وتجري مع الشمس مجموعتها الشمسية بسرعة فائقة تبلغ ٢٢٠ كيلو متراً في الثانية منتمية لمجرتنا المعروفة باسم «الطريق اللبني» أو «درب التبانة»، وهذه المجرة تدور حول نفسها مرة كل ٢٥٠ مليون سنة. وكل النجوم الأخرى تدور حول نفسها وحول المجرة التي تنتمي إليها، وتتباعد المجرات عن بعضها البعض في فضاء الكون السحيق، وتتغير مواقع النجوم فيها دون أن نشعر بذلك على الأرض، ولا يزال العلم عاجزاً عن كشف الكثير من أسرار هذه المواقع التي أقسم الله بها..

﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾(٢).

---

(٢) سورة الواقعة: (٧٦).

من آيـــات الله في الأنفـــس

لا تقتصر معجزات الخلق الإلهي على نوع أو آخر من المخلوقات التي نراها كل يوم حولنا، بل تمتد إلى الإنسان نفسه، ليكون الدليل قائما بيننا وواضحا تحت أبصارنا في كل حين. فجسم الإنسان الذي نراه كل يوم في أنفسنا أو فيمن هم حولنا من البشر هو بنا «عجيب على أكبر جانب من الدقة وحسن المظهر وجمال التنسيق.

وقد أراد الله - سبحانه وتعالى - أن يلفت أنظارنا إلى هذا البناء الدقيق لنقف على حقيقة واضحة تدلنا على عظمة الخالق وجمال الخلق، فقال تعالى:

﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[3].

وقال:

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾[4].

فإذا اعتبرنا نعمة «اللسان» التي امتن الله بها على الإنسان في صورة استفهام تقريري لكي يعتبر ويتعظ ويتأمل في أسرارها، وذلك في قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴾[5].

نجد أن العلم الحديث قد ساعد على تجلية بعض الجوانب الإعجازية في تركيب اللسان والإحساس بالذوق. فالإنسان يتناول في حياته اليومية عديداً من الأطعمة المختلفة والمشروبات المتنوعة، وهو في تذوقه لها يعتمد على اللسان في الإحساس بالذوق ومعرفة ما إذا كان الطعام أو الشراب به ملح قليل أو كثير، أو أنه حلو بدرجة مقبولة أو شديد الحلاوة.

كما أننا إذا تناولنا أي نوع من الأدوية ندرك على الفور أن هذا الدواء مر أو أنه شديد المرارة. ومعنى هذا أن الإنسان يستطيع عن طريق اللسان أن يميز بين مختلف المواد الموجودة فيما يتناوله من طعام أو شراب، لا من حيث نوعية هذه المواد فقط، بل أيضا من حيث تركيزها في الطعام والشراب.

ويعزى العلماء قدرة اللسان على تذوق المواد والتعرف على خصائصها وتركيزاتها إلى «البراعم الذوقية» المنتشرة على سطح اللسان وجوانبه، ويوجد منها ما يقرب من العشرة الآف برعم تستقر بين خلايا الغشاء المخاطي الذي يغلف اللسان، ويتكون كل برعم ذوقي من مجموعة من «الخلايا الحسية» الخاصة التي تتجمع معها على هيئة المغزل، وتخرج من أطرافها الداخلية «النهايات العصبية» التي تحمل الإحساس إلى المخ.

وهناك أربعة أنواع من الإحساسات بالذوق عند الإنسان، هي: الحلاوة والملوحة والمرارة والحموضة، فهو يستطيع التعرف عليها وإدراك وجودها في سهولة تامة ولا يتم مثل هذا الإحساس إلا إذا كانت المادة المذاقة قابلة للذوبان في الماء، أما المواد غير القابلة للذوبان - كالطباشير مثلا - فإنها تكون عديمة الطعم.

وهكذا فإن المواد التي نتناولها لا نحس بطعمها عند وصولها إلى الفم إلا بعد ذوبانها في اللعاب، لأن النهايات العصبية المرتبطة ببراعم الذوق تتأثر بالتغيرات الكيميائية، ولذلك يطلق على حاسة الذوق أحيانا أنها «حاسة كيميائية».

---

(3) الذاريات: (21). (4) التين: (4). (5) البلد (8، 9).

والواقع أن الأجزاء المختلفة من اللسان لها تخصصات مختلفة فيما يتعلق بإحساسات الذوق، فبراعم الذوق التى تتأثر بالمواد الحلوة توجد بصفة رئيسية عند طرف اللسان ـ وتوجد البراعم التى تتأثر بالملوحة على جانبى اللسان وطرفه، بينما تتركز البراعم الخاصة بالإحساس بالمرارة على السطح العلوى لمؤخرة اللسان، ولذلك فإن الإنسان عندما يتناول قرصا من « الأسبرين » المر مثلا، فإنه لا يحس بمرارته عند ابتلاعه بسرعة، أما إذا تباطأ فى ابتلاعه فسرعان ما يذوب جزء منه فى اللعاب، ويتم الإحساس بهذه المرارة عند وصول القرص إلى نهاية اللسان.

ونجد القرآن الكريم لم يقتصر على ذكر « الذوق المادى » كما فى قوله تعالى:

﴿ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا ﴾(٦)

بل إنه تطرق إلى « الذوق المعنوى » أو المجازى كما فى قوله تعالى:

﴿ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾(٧)

وقوله سبحانه:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾(٨).

من آيات المطر

قال الله تعالى:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾(٩).

تشير هذه الآية الكريمة بأسلوب معجز إلى مراحل تكوين المطر، بدءا من عملية السحاب التى يشير إليها القرآن الكريم فى هذه الآية بكلمة « فتثير »، وهى تعنى أن الرياح التى يرسلها الله ـ سبحانه ـ ويطلقها هى التى تظهر السحاب وتجعله واضحا للعين بعد أن كان بخارا شفافا لا يرى فى الهواء الجوى.

ومن فضل الله على عباده أن جعل دورة تبخير المياه من الأرض والتكثيف فى السحاب مستمرة دون طلب منا، وجعل الرياح مسخرة لأداء هذا الدور بإذنه تعالى، فالريح هى التى تظهر السحاب فعلا بعد خفائه، ثم يبسطه الله بعد ذلك فى السماء كيف يشاء، أى ينشره فى السماء بأحد الأشكال التى توجد عليها السحب المعروفة، وهى السحب البساطية الممتدة كالبساط، أو السحب المتراكمة أو الركامية التى تنمو رأسيا إلى ارتفاع ما بين ١٥ إلى ٢٠ كيلو مترا، ويجعل الله السحاب بعد ذلك كسفا، أى قطعا كبيرة يخرج من خلالها الودق، أى المطر، وعندئذ يستبشر الناس فرحا بهذا المطر.

ومما يلفت النظر فى الآية الكريمة أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ نسب إرسال الرياح، وسوق السحاب لنفسه، فهذان مظهران لإرادته ـ سبحانه ـ يدلان الإنسان مهما أوتى من العلم على أن وراء هذا الكون إلها حكيما قادرا مدبرا.

فتبارك الله أحكم الحاكمين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

(٦) الأعراف: (٢٢). (٧) الأنفال: (٣٥). (٨) العنكبوت: (٥٧). (٩) الروم: (٤٨).

عالمية الأدب الإسلامي في فكر بديع الزمان النورسي

للدكتور/ عبد الحليم عويس

في البداية - على سبيل التخلية - كما يقولون - يدحض النورسي الآداب المادية واللادينية والعنصرية ثم يقوم بعد رفضه لهذه الآداب الأوروبية وفضح أسسها وبيان طبيعة بنائها الفكري وأهدافها اللادينية، وبعد رفضه للتيارات الأدبية التركية وغير التركية في المحيط الإسلامي، والتي تعتمد على التيارات الأوربية وتسعى إلى أن تكون مجرد رشح لها، ومشاورية مثلها، دون غربلة أو تمحيص أومراعاة لطبيعة الإنسان الشرقي المسلم وبيئته مهبط الرسالات السماوية.

بعد هذا كله يصرح النورسي بأنه لابديل للمسلمين - ولا لغير المسلمين - من الأدب الإسلامي القائم على الأسس العقيدية والفكرية والإنسانية الربانية، والسعي إلى أهداف سامية تليق بالإنسان، والذي يعتمد آليات وأجناسا تقوم على الصدق والوضوح والارتفاع بالنفس الإنسانية والوجدان وتهذيبهما وصولا بهما إلى الانسجام مع الكون الذي يسبح كله بحمد الله - سبحانه وتعالى - وإن هذا الأدب الإسلامي الملتزم هو - وحده - الأدب الذي يمثل الإيمان والوجدان اللذين يعدان قلب الحضارات، كما يمثل العلم بمنجزاته المتعددة عقل الحضارات والمادة بثقلها وضغطها تمثل جسد الحضارة - وعلى النقيض من تأثير هذا الأدب الإسلامي، تتوارى وتختفي في عصور الهيام بالمادة وهيمنتها على العقل والوجدان بواعث الإيمان ومظاهره في النفس والمجتمع، ويصبح العقل خادما لأسياده..

وفي ظل فلسفة المادة هذه يتخلى الإيمان والعقل عن دورهما الهام في قيادة النفس والمجتمع، والسيطرة على ميادين الحياة بعدما أضحت الحياة نفسها (مأساة وملهاة) حين أمسكت فلسفة المادة بكل الخيوط، وأضحت مفاهيمها هي التي توجه مسيرة الحياة والأحياء.

وتلك هي معاناة مدنية الغرب التي بدأت تتآكل من داخلها بجرائم الوضاعة والمعصية والكوكايين والهيروين والأيدز[1].

(١) إبراهيم أبو محمد ص٥٦ نشر سوزلر القاهرة ط١ سنة ٢٠٠٢.

وفي مقابل الرؤية المادية الجزئية لرسالة الأدب ـ كانت واقعية الإسلام العظيم ـ وعالميته أيضا ـ حين جمع في منهجه بين الدنيا والآخرة، وعالم الغيب وعالم الشهادة، والمادة والروح، والملك والملكوت، والعقل والقلب، والسيف والقلم، والحرية والانضباط، والفن والأدب، و الالتزام الداخلي.. وهو تكامل لايصلح الوجود الإنساني إلا به، ولاترتقي الحياة وتزدان بدونه، حتى يطغى جانب على آخر، ولايشبع جانب ويجوع آخر، فيتم التركيز على الأدب والفن والوجدان، ويهمل العقل أو المادة.. لكن بهذا التكامل يتوازن الإنسان مع ذاته أولا، مع البيئة من حوله، ومع الوجود كله باعتباره جزءا من هذا الوجود وعنصرا من عناصره المؤثرة فيه والمتأثرة به [٢].

ويلفت بديع الزمان سعيد النورسي نظرنا بشدة إلى هذه الحقيقة فيقول: «إن الذين يبحثون عن كل شيء في المادة عقولهم في عيونهم، والعين لا تبصر المعنويات».. بينما قد يمزج النورسي في رؤيته بين جمال الفكر وروعته، وبين متع الحياة ولذاتها في داخل النفس، وهو الجانب الذي يقوم الأدب الإسلامي بتحقيقه من خلال استخدامه لأجناس الأدب ورؤيته الجمالية والنورانية التي يجمع فيها بين عمق الرؤية الإسلامية وبين شروط الأدب التي لاخلاف حولها.

يقول النورسي: «من أحسن رؤيته حسنت رؤيته وجمل فكره، ومن جمل فكره تمتع بالحياة والتذ بهاء»[٣] والنورسي هنا ـ كما يقول الدكتور كمال أبومحمد ـ قد جمع أبرز القيم الرؤية المعنوية التي يحققها الأدب الصحيح وهي إحسان الرؤية للأشياء، فالأشياء في حد ذاتها مادية، ولكن النظر إليها بعين المسلم والفنان تضفي عليها بعدا آخر، وحسا جديدا، وما كان الوجدان يستشعره ويحس به لولا إحسان الرؤية، وإحسان الرؤية هنا مبعثه النظر إلى فلسفة الأشياء لا إلى الأشياء نفسها، فالصور الجامدة لاتبقى جامدة في تصور الذين ينظرون إليها نظرة تفكر وتأمل، وإنما تبدو من خلفها حكمة عليا، وإرادة تتسم بالدقة والإحكام، وعلم يحيط بالأشياء من كل جانب، ويلحظ الرباط القوي بين السبب والأحجام والكتل والأوزان [٤].

ومن هنا كانت رؤية النورسي لوظيفة الأدب، في إطار إنسانيته وإسلاميته رؤية قادرة على توجيه الأدب وجهة عالمية إيجابية بناءة تقود إلى الخير العام والانسجام الإنساني.

لقد فهم تلامذة بديع الزمان المباشرون من طلاب النور هذا التوظيف النورسي للأدب، فلهذا أشاروا إليه في مقدمتهم لبعض منظومات النورسي (اللوامع) التي تشبه الشعر وتأخذ بعض قوالبه وماهي بالشعر، وماقصد هو أن تكون شعرا وإنما أرادها خواطر تأخذ أجمل ما في الشعر وأجمل ما في النثر.

لقد ذكر تلامذته (صنغور، ومحمد فيضي، وخسرو) أن هذا الديوان المرسوم (باللوامع) لايجري مجرى الدواوين الأخرى على نمط واحد متناولا عددا من المواضيع وذلك لأنه كتب على أسلوب النثر، زد على ذلك أنه لايجنح إلى الخيالات والانطلاق من أحاسيس غير موزونة كما هو في سائر الدواوين، فلا يضم هذا الديوان بين دفتيه إلا ما هو موزون بميزان

---

(٢) المكان السابق.

(٣) الكلمات ص٦٠٦.

(٤) إبراهيم أبومحمد: المرجع السابق ٥٩، ٦٠.

المنطق وحقائق القرآن والإيمان.

ولقد اقتدى أستاذنا واستفاض من نور:

﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ ﴾[٥] فما كان له ميل إلى النظم والشعر ولم يشغل نفسه بهما أبدا وقد تم تأليف هذا الديوان الشبيه بالمنظوم خلال عشرين يوما ومع وروده فطريا وطبعه كما ورد دون أن يطرأ عليه تصحيح أو تشذيب أو تدقيق يجعلنا نراه خارقة من خوارق رسائل النور، فلا نعلم ديوان شعر مثل هذا يسهل قراءاته نثرا دون تكلف.

وفي مقدمة الديوان وتحت عنوان (تنبيه) يؤكد النورسي رؤيته للشعر المنضبط بالآلام فيقول:

ولم أشأ قط تغيير صورة الحقيقة لتوافق هواء القافية نظير التضحية بصافية فداء القافية.

[وهي قصة امرأة تركية طلقها زوجها لتستقيم له القافية] ولأجل هذا فقد ألبست أسمى الحقائق أرذأ الملابس في هذا الكتاب الخالي من القافية والنظم، وذلك:

أولاً: لأنني لا أعلم أفضل من هذا فكنت أحصر فكري في المعنى وحده، دون اللفظ.

ثانيا: أردت أن أبين بهذا الأسلوب نقدي لأولئك الشعراء الذين ينحتون الجسد ليوافق اللباس.

ثالثًا: أردت إشغال النفس أيضا بالحقائق العالية مع انشغال القلب بها في هذا الشهر المبارك شهر رمضان.

وعن الأسلوب الشعري في رسائل النور، يقول شريف ماردين: إن اللهجة الأدبية لبديع الزمان تنطوي على أسلوب إيماني غني بالمجازات، لذا فهذا الأسلوب المغلق الذي يهز المشاعر اكتسب قوة ساحرة.

ويشبه «جميل مريج» رسائل النور بالريح العاصفة أما «سزائي قارافوج» عندما يؤكد على تأثير هذه المؤلفات بإيقاعات كلماتها وأسلوبها يقول: إن رسائل النور هي كليات ثقافة إسلامية وحدها، وهاتان جملتان من رسائل النور: إن الكرة الأرضية مأمورة وموظفة من الفرد الواحد - سبحانه - وهي كالجندي المطيع لله الواحد الأحد فحينما، تستلم الأمر الواحد، الصادر من أمرها الأحد، تهب منتشية بأمر مولاها وتنغمر في جذبات وظيفتها في شوق عارم، وتدور كالمريد المولوي العاشق - عند قيامه للسماع - فتكون وسيلة لحصول المواسم الأربعة.

ثم إن الإيمان قد بصرني بعلم اليقين، إن ما يبدو بنظر الغفلة من الثمرة الوحيدة التي هي فوق شجرة العمر على شكل نعش وجنازة. إنها ليست كذلك، وإنما هي انطلاق من الروح - التي هي أهل للحياة الأبدية ومرشحة للسعادة الأبدية من وكرها القديم إلى حيث آفاق النجوم للسياحة والارتياد[٦].

لقد رفض النورسي أن يكون خياله الشعري خيالا هائما جامحا.

وكان النورسي عندما ألزم نفسه هذا المنهاج في الشعر أو في النثر الفني الذي يتشبه بالشعر - إنما أراد أن يقدم لنا خلاصة رؤيته للأدب الإسلامي الذي يجب أن تكون رسالته عالمية وإنسانية معبرة عن المفاهيم القرآنية وغاياتها.. وكأنه - أيضًا - يقول للشعراء المسلمين: هكذا يجب أن يكون الخيال الإسلامي.. فحتى وهو في قمة جنوحه وعطائه الخيالي يجب أن يستشعر رسالته ومسئوليته.

---

(٥) ياسين (٦٩)

(٦) محسن فالقيشيم: الميزة الشعرية لرسائل النور، المؤتمر العالمي: بديع الزمان سعيد النورسي من ٢٤-٢٦/٩/١٩٩٥، ص٦٨٤ - ٦٨٥

مكانة الشهداء في سبيل الله

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

لايقدم على الشهادة فى سبيل الله إلا كل مؤمن صادق الإيمان، قوى اليقين، متصل بربه - سبحانه وتعالى -

ينظر إلى الدنيا على أنها طريق للآخرة، وأنها فانية ولا بقاء فيها ولا خلود، وينظر إلى الآخرة على أنها دار الخلد والبقاء، ويوقن أن الجهاد فى سبيل الله لايقصر الأجل، وأن الجبن والخوف وعدم الجهاد لايطيل الأجل فلكل نفس ميقات أجل لاتستأخر عنه ساعة ولاتستقدم عنه أخرى.

ومن هنا تبرز قيمة العهد والعقد الذى تم بين الله - تعالى - وبين المؤمنين، إنه عهد يقدم فيه الإنسان المؤمن نفسه وماله فى سبيل الله، قال الله - تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾(١).

وإن هذا الفوز العظيم يستشعره المؤمن قبيل الشهادة فى سبيل الله حيث تتجلى له البشريات، ويشم رائحة الجنة.

عن زيد بن ثابت - رضى الله عنه - قال: بعثنى رسول الله ﷺ يوم أحد لطلب سعد بن الربيع - رضى الله عنه - وقال: «إن رأيته فاقرئه منى السلام، وقل له: يقول لك رسول الله ﷺ كيف تجدك؟» قال: فجعلت أطوف بين القتلى، فوجدته وهو فى آخر رمق وبه سبعون ضربة، مابين طعنة برمح، وضربة بسيف، ورمية بسهم فقلت له: ياسعد إن رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام ويقول لك: أخبرنى كيف تجدك؟

قال: «على رسول الله السلام، وعليك السلام، قل له: يارسول الله أجدنى أجد ريح الجنة، وقل لقومى الأنصار: «لاعذر لكم عند الله إن يخلص إلى رسول الله ﷺ شىء يكرهه وفيكم عين تطرف».

(١) سورة التوبة (١١١).

وفي هذا الحديث إشارة إلى أن الشهيد قبل أن تفيض روحه إلى بارئها يبشر بالجنة ويشم رائحتها كما قال سعد - رضي الله عنه : «أجدني أجد ريح الجنة».

وقد وضح القرآن الكريم مكانة الشهداء، ومنزلة الشهادة في سبيل الله - تعالى - حيث بين أنهم أحياء عند ربهم يرزقون قال سبحانه:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(٢).

وروى في سبب نزول هذه الآية الكريمة:

عن ابن عباس - رضي الله عنهما : قال: قال رسول الله ﷺ : «لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر، ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولاينكلوا عند الحرب، فقال الله سبحانه: أنا أبلغهم عنكم..، فأنزل الله:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ ﴾

الآية، وروى في سبب نزول هذه الآية الكريمة - أيضا - أن جابر بن عبدالله - رضي الله عنه قال - : لقيني رسول الله ﷺ فقال: «ياجابر مالي أراك منكسا مهتما؟ قلت: يارسول الله؛ استشهد أبي وترك عيالاً وعليه دين فقال: ألا أبشرك بما لقي الله - عز وجل - به أباك؟ قلت: بلى يارسول الله، قال: إن الله أحيا أباك، وكلمه كفاحا [أي مواجهة] - وما كلم أحدا قط إلا من وراء حجاب، فقال له: ياعبد الله تمن أعطك قال: يارب أسألك أن تردني إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية، فقال الرب - تبارك وتعالى: إنه سبق مني أنهم إليها لايرجعون، قال يارب فأبلغ من ورائي فأنزل الله:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾(٣).

ولقد وعى سلفنا منزلة الشهادة في سبيل الله، وعرفوا مكانة الشهداء، وكرامتهم عند الله - سبحانه وتعالى - وفي الدار الآخرة، ومن أجل ذلك كانوا يتسابقون على الجهاد ويتشوقون إلى الشهادة في سبيل الله، ويخفون لداعي المعركة، ومنادي الجهاد، فها هو ذا حنظلة بن أبي عامر - رضي الله عنه - لما دخل على زوجته أول ما دخل بها فنودي بالجهاد إلى غزوة «أحد» من ليلته فخرج مسرعا إلى الجهاد، حتى أتاه سهم مفاجىء فاستشهد وبعد انتهاء المعركة قال رسول الله ﷺ :

«لقد رأيت حنظلة بن أبي عامر، تغسله الملائكة بماء المزن، في صحاف الفضة، بين السماء والأرض».

(٢) سورة آل عمران (١٦٩، ١٧٠).

(٣) رواه الترمذي وابن ماجه

فذهب الصحابة إليه وهو في القتلى فوجدوا شعره يقطر ماء، فقالوا لرسول الله ﷺ ذلك فقال:

«اذهبوا إلى زوجته فاسألوها» فذهبوا إليها فقالت: «إنه أعرس بي أول ليلة فقط، ولما سمع الداعي إلى الجهاد خرج مسرعاً وهو جنب» فرجعوا إلى النبي ﷺ فأخبروه فقال: «من أجل ذلك غسلته الملائكة».

وحين يعلم الشهيد مكانته يزداد شوقه إلى الشهادة، وخاصة عندما يبشر بها ويشم رائحة الجنة وهو على ظهر الدنيا.

كما أن أهله حين يعلمون منزلته لايبكون عليه، بل يزداد إيمانهم بما وعد الله - تعالى - به عباده المجاهدين في سبيله.

روى أن حارثة بن سراقة لما استشهد في غزوة بدر أتت أمه وهي بنت البراء إلى رسول الله ﷺ فقالت: يارسول الله ألا تحدثني عن حارثة؟ فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء فقال ﷺ: «يا أم حارثة إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى».

ولايعلم أحد في الدنيا ما أعد للشهيد، إنه لايعلم بمنزلته في الجنة، وإكرام الله - تعالى - له أحد، لايعلم بذلك إلا الله - تعالى - ولايطلع على هذا إلا الشهيد نفسه، عن أنس - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «مامن أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ماعلى الأرض من شيء إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة»(٤).

ومن تكريم الله - تعالى - للشهيد أن الملائكة تظلله، عن جابر بن عبدالله - رضي الله عنهما - قال: جيء بأبي إلى رسول الله ﷺ، قد مثل به، فوضع بين يديه فذهبت أكشف عن وجهه فنهاني قومي، فسمع صوت صائحة، فقيل: ابنة عمرو أو أخت عمرو فقال:

«لم تبكي؟ أولا تبكي، مازالت الملائكة تظله بأجنحتها»(٥).

وأعظم بشرى للشهداء، أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه تمنى الشهادة عدة مرات، وبين ذلك موضحاً أهميتها ومنزلتها حيث قال فيما رواه أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل»(٦).

وواضح أن مقام الرسالة والنبوة أعلى المقامات وأن منزلة خاتم المرسلين عند رب العالمين أعلى المنازل وأنه خير خلق الله، ومع هذا فإنه تمنى أن يغزو ويقتل عدة مرات لما يعلمه من فضل الشهادة في سبيل الله.

ومن أجل هذا كان يحث أصحابه رضوان الله - تعالى - عليهم أجمعين، ويحث المسلمين قاطبة على الجهاد والاستشهاد

---

(٤) أخرجه البخاري ومسلم.

(٥) أخرجه البخاري ومسلم.

(٦) رواه مسلم.

وكان تعبيره النبوي في ذلك بليغاً كل البلاغة، دقيقاً كل الدقة، فما كان أحياناً حين يدعوهم إلى الجهاد أن يقول لهم: «جاهدوا..» بل كان يقول لهم «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض» كما حدث هذا في يوم غزة بدر الكبرى.

عن أنس رضي الله عنه قال: «انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر وجاء المشركون، فقال رسول الله ﷺ:

«لا يقدمن أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه فدنا المشركون، فقال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض» فقال عمير بن الحمام الأنصاري رضي الله عنه: يارسول الله جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: نعم قال: بخ بخ، فقال رسول الله ﷺ: «مايحملك على قول: بخ بخ، قال: لا والله يارسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: «فإنك من أهلها» فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه، إنها لحياة طويلة فرمى بما كان معه من التمرات، ثم قاتلهم حتى قتل»[7].

وهكذا كان الرعيل الأول من المسلمين يتسابقون إلى الجهاد والاستشهاد، لما يعلمون علم اليقين من مكانة ومنزلة الشهداء عند الله - تعالى - فهم يضحون بأغلى مايمتلكون، ويبذلون أرواحهم فداء لدينهم وأوطانهم، والجود بالنفس أغلى وأقصى غاية الجود، إن ديننا يحثنا على الجهاد وعلى إعداد العدة وأن نكون أقوياء حتى تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، وحتى ننصر دين الله فينصرنا الله:

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾[8] وما أحوج أمتنا إلى روح الجهاد والشهادة والبذل والدفاع عن الأقليات الإسلامية، والمستضعفين في الأرض، ومن أحل أن ندرأ عن الإنسانية المعذبة ظلم الظالمين والمستعمرين، والملحدين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون.. وما أحوجنا إلى أن نمضي على قلب رجل واحد، ونكون يدا واحدة، وأمة واحدة، وواضح أن المسلمين في الأرض أكثر عدداً، وأكثر عُدداً، وأكثر أموالاً وأولاداً، وموارد بشرية واقتصادية لو تجمعت وتكاملت وتوحدت لأصبحت أكبر قوة ضاربة على ظهر الأرض إذا ماسرت فيها روح الجهاد والاستشهاد وأقدمت على تحرير أوطانها، ودرء الخطر والإرهاب الذي يتهدد الأوطان، ولايتم ذلك إلا بروح الإيمان الصادق الذي لايتزعزع، والذي يقدم المخلصون فيه على جهاد أعدائهم بروح يتسابقون معها إلى الشهادة في سبيل الله.

(7) رواه مسلم.

(8) الحج (40).

كتاب الشهر

من هو اليهودى؟!

تأليف

د/ عبدالوهاب المسيرى

٣

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

فى تلك الدراسة الجادة العميقة.. أوضح الدكتور عبدالوهاب المسيرى: أن الهوية اليهودية ـ فى تعددها المتعارض، غير المحدود ـ تاريخياً ودينياً لا أساس لها، ولا ثبات، فهى هوية أسطورية، تصنعها الأهواء، وتتطور بها المصالح الطارئة والممتدة عبر الأماكن والأزمان.

وأوضح: أن هذه الضبابية التى تغلف كلمة (يهودى) قد لازمت تلك الكلمة منذ آلاف السنين، على اختلاف فى طبيعة هذا الضباب، وكثافته، وأشكاله، ومصادره، والدوافع إليه.

كما أوضح: أن (الصهيونية) تعد أحدث مصادر هذه الضبابية؛ فقد أرادت أن تنحى جانباً كل مصادر التعدد فى الهوية اليهودية التى سبقت، وأن تصطنع هوية أخرى تمنح اليهود تلاحما وتوافقاً، وتحقق فى الوقت ذاته مقاصدها الاستيطانية الاستعمارية؛ فاخترعت مصدراً جديداً للهوية؛ مفاده: أن الشعب اليهودى ذاته هو مصدر الشرعية والقداسة، ظناً من هؤلاء الصهيونيين أنهم بهذا التفلت يتفادون أسباب التعارض والتباين فأوقعت اليهود فيما أبعد من ذلك وأعمق فى الخلاف.

التناقض بين الرؤية والممارسة

ويلاحظ الدكتور المسيرى: أن الصهيونيين اللادينيين حتى عام ١٩٤٨ كانوا يتحدثون بحرية شديدة عن الشعب اليهودى الواحد. وبالتالى يتحدثون عن الهوية اليهودية الواحدة التى يقضون بها على هذا التعدد المطلق المتنافر، حيث كانت كل جماعة يهودية تمارس تجربتها التاريخية، والدينية، والقومية بمعزل عن الجماعات الأخرى، كما وضح فيما تقدم.

ولكن الصهيونيين الدينيين كانوا قانعين بدورهم الثانوى فى الحركة الصهيونية، ولكنهم كانوا يتحينون الفرصة ليفرضوا تعريفهم القومى الدينى الأرثوذكسى.

ولما أعلن قيام الدولة الصهيونية أعلن باعتبار تلك الدولة دولة يهودية، للشعب اليهودى بأسره، داخل فلسطين وخارجها، وعلى أن يهوديتها هو مصدر شرعية وجودها.

ومن هنا... كانت حتمية الوقوف على تعريف الهوية اليهودية!

الأمر الذى استلزم ظهور التناقضات الكامنة.

ولما أصدرت الدولة الصهيونية قانون (العودة) الذى يعطى كل يهودى الحق فى الهجرة إلى إسرائيل أين كان.. وأتبعته بقانون (المواطنة) الذى يمنح الجنسية الإسرائيلية لكل المهاجرين اليهود.

لما أصدرت هذين القانونين أصدرتهما دون تعريف للهوية اليهودية.

وفى قانون (تسجيل المواطنين) جعلت الهوية تشمل الجنسية، والديانة، والقومية، فالجنسية: إسرائيلى، والديانة: يهودى أو مسلم أو مسيحى. أما القومية: فهى عربى بالنسبة للإسرائيليين العرب المسلمين والمسيحيين، وهى: يهودى بالنسبة للإسرائيليين اليهود.

فكان -بذلك- قيام الدولة الصهيونية منبعاً فياضاً لتفاقم التناقضات التى ظهرت فى شتى مناحى الحياة هناك.

١ ـ وأبرز هذه التناقضات.... ما بدا بين الدينيين واللادينيين من اليهود... بحيث أصبح

من المستحيل تعريف اليهودى الملحد، أو اليهودى القومى، أو اليهودى غير اليهودى.

وقد وضح ذلك التناقض فى موقف (العاهرات)، وتجار (الرقيق الأبيض)، (والقوادين) من أعضاء الجماعات اليهودية الذين تركزوا فى (الأرجنتين)، وكونوا قطاعاً اقتصادياً كبيراً، وجماعة ضغط مؤثرة؛ فقد أصر هؤلاء على انتمائهم وهويتهم اليهودية، فكانت لهم معابدهم الخاصة، وحاخاماتهم الذين يلبون احتياجاتهم الروحية.

٢ ـ ومن هذه التناقضات ذات الخطر الكبير: ما بدا بين (السفارد) و(الإشكناز).

وذلك لأن الممارسة الصهيونية قامت على: أن اليهودى هو اليهودى الأبيض؛ لتتسق مع إطارها الاستعمارى الاستيطانى الغربى... حتى لقد بذل (آرثر روبين) أحد علماء الاجتماع الصهيونى جهداً علمياً فائقاً لإثبات أن اليهودى هو (الإشكناز) وحده، وأن الشرقيين ليسوا يهوداً.

فالتباين بين (الإشكناز)، و(السفارد) تباين عميق، ذو طابع دينى، كما أنه ذو طابع طبقى، وقومى.

وقد وضح هذا التباين من خلال تنوع الأحزاب الإسرائيلية، وبنيتها، وأنماط التصويت فى الانتخابات التى تجرى فى المستوطن الصهيونى.

ومع هجرة اليهود الشرقيين من العالم العربى، والعالم الإسلامى، وغير ذلك من بلاد الشرق... أصبح الشرقيون أغلبية؛ مما ألجأ المؤسسة الحاكمة إلى إخفاء تعريف الهوية اليهودية، والكف عن إطلاق التصريحات العنصرية ضد اليهود (السفارد)، وفى الوقت نفسه... ما زالت الدولة تخضع لتوجه (الإشكناز)، وتحاول القضاء على الأشكال الحضارية التى جاء بها الشرقيون؛ فالنخبة الحاكمة فى إسرائيل -بوجه عام- غربية، وبالدرجة الأولى (إشكنازية).

وهكذا كانت الممارسة الصهيونية نقضاً جذرياً لما قامت عليه الشرعية الصهيونية، التى تزعم أنها حركة الشعب اليهودى بأسره.

٣ ـ ومن تلك التناقضات.... ما كان بين الدينيين من اختلاف، على ما وضح فيما تقدم.

فالأرثوذكس لا يعترفون بيهودية الحاخامات الإصلاحيين، ولا الحاخامات المحافظين، ولا المتهودين على أيدى هؤلاء الحاخامات؛ لعدم التزامهم بما تفرضه الشريعة على المتهود.

٤ ـ ومن تلك التناقضات.... موقف حاخامات الإشكناز والسفارد من يهود الهند المعروفين باسم (بنى إسرائيل)، حيث لم يعترفوا بهم يهوداً؛ لممارستهم الزواج المختلط، وعدم معرفتهم التلمود.

وقد وقفوا هذا الموقف نفسه تجاه يهود (الفلاشاه)، حتى إنهم لم يشجعوا هجرتهم طيلة الأعوام الثلاثين الماضية لأسباب كثيرة، منها عدم معرفتهم التلمود.

٥ ـ ما ينشب من صراع حين يتم التزاوج المختلط بين أحد القرائين أو السامريين، وبين آخر ينتمى إلى الحاخاميين.

وعلى الرغم من حدة هذا الصراع لم تأخذ المؤسسة السياسية موقفاً حاسماً تجاه تلك القضية، وتركتها لتصرف المؤسسة الدينية.

ومع محاولات السلطات الحاكمة إخفاء هذه الصراعات، أو حصرها في دائرة ضيقة... فإنها لم تستطع ذلك -فيما يقرره الدكتور المسيرى معتمداً على ما قدمه من أحداث شبت بين الأفراد والجماعات، والمحاكم المختلفة، ولم تستطع السلطة حسمها - بل اضطرت في الغالب إلى إصدار الوعود تلو الوعود بالبحث عن حل يرضى الجميع... دون جدوى.

ولما ثارت مشكلة الهوية بحدة سنة ١٩٨٨ طرح لها حل صهيوني، معتبراً أن قانون العودة قانون سياسي صهيوني لمن يشاء، وقانون ديني لمن يشاء، ويمكن لكل فريق أن يفسره بالطريقة التي يراها.

ولا ريب في أن مثل تلك الحلول المائعة الغائمة لا تحسم مشكلة، وإن كانت قد تؤجل الصراع بعض الوقت، لتثور من جديد أشد عنفاً، وأعمق بُعداً... مما يتهدد الدولة بالتقويض والانهيار المفاجيء، ويجعل منها هيكلاً أجوف، ينخر السوس في جذوره؛ لأن الهوية اليهودية قضية محورية -وليست هامشية- فالدولة الصهيونية تكتسب شرعيتها -أمام نفسها، وأمام الكثيرين- من ادعائها أنها دولة يهودية!.

الصراع بين الجماعات اليهودية والمستوطن الصهيوني

ومن ادعاء الدولة الصهيونية أنها دولة يهودية تولدت قضية صراعية أخرى، حول تعريف هوية الصهيوني: هل هو اليهودي الذى يهاجر إلى إسرائيل، أم اليهودي الذى يدعم المستوطن الصهيوني، دون أن يهاجر؟!

فالصهيونية ترى أن الهوية اليهودية خارج المستوطن الصهيوني هوية ناقصة مريضة، يجب إلغاؤها... وهذا ما يسمى (نفى الدياسبورا)؛ أى تصفية الجماعات اليهودية، أو استغلالها.

وأعضاء الجماعات اليهودية يرون أن هوياتهم اليهودية ليست مريضة، وإنما هى جديرة بالحفاظ عليها.

١ - وانطلاقاً من المفهوم الصهيوني للهوية اليهودية تتصرف الدولة الصهيونية أحياناً بطريقة لا تخدم صالح أعضاء الجماعات اليهودية، وإنما تخدم مصالحها على حسابهم.

٢ - عندما ينظر يهود العالم -خصوصاً المتدينون منهم- إلى الدولة الصهيونية يكتشفون أن هويتها وهوية سكانها ليست يهودية على الإطلاق.

٣ - كما يكتشفون أن ممارساتها فى علاقاتها بالآخرين لا صلة لها بالأخلاق اليهودية.

٤ - برغم علمنة يهود العالم، وابتعاد المتدينين عن الأرثوذكسية... ظل البعد الدينى أكثر أهمية بالنسبة إليهم من أهميته بالنسبة إلى الإسرائيليين.

٥ - ما زالت الجماعات اليهودية الدينية إما معادية للصهيونية، وإما غير صهيونية، وغير ممثلة فى المنظمة الصهيونية.

فالأزمة التى تعتمل داخل الدولة الصهيونية، وفى صفوف الجماعات اليهودية فى العالم نتيجة لمحاولة تبنى التعريف الدينى أو التعريف اللا دينى الصهيونى للهوية... هذه الأزمة تعد أمراً طبيعياً ومتوقعاً؛ لأن أعضاء هذه الجماعات حين

يستوطنون فلسطين يحملون معهم انتماءاتهم، وتجاربهم التاريخية.. شاءوا أم أبوا.

وحين يتبنون تعريفاً صهيونياً لهويتهم.. تنفجر الأزمة؛ إذ تكتشف أغلبيتهم العظمى أنهم ليسوا يهوداً، أو أن يهوديتهم مشكوك فيها، بل ومرفوضة، كما حدث ليهود الهند، والفلاشاه.

تطورات جديدة في الكيان الصهيوني

وقد أضاف الدكتور المسيرى -فى الطبعة الثانية للكتاب- مبحثين آخرين، رصد فيهما ما جدَّ على الدولة الإسرائيلية في داخلها من صراع نشأ عن العلاقة بين الملتزمين بالفكر الأرثوذكسي، والملتزمين بالفكر الإصلاحي والمحافظ.

وقد تمثل هذا الصراع فيما أطلقه الحاخام الأرثوذكسي الإسرائيلى (تسفى هليبر شتاين) على اليهود الإصلاحيين من أنهم كفرة، أخرجوا أنفسهم عن الدين اليهودي، وأصبحوا خارج السياج المحيط بشعب إسرائيل، وليست لهم حصة في أرض إسرائيل؛ فهم طابور خامس، خطره أكبر من خطر التنازل عن أرض إسرائيل للعرب، حتى إنه يفضل أن يعطى الأرض للعرب على أن يساوم عليها فى علاقته باليهودى الإصلاحي والمحافظ.

١ ـ ويشترك الإصلاحيون والمحافظون فى أنهما يحاولان حل إشكالية الحلول الإلهى فى الشعب اليهودي ومؤسساته القومية، بما يجعل منهم شعباً مقدساً، ملتفاً حول نفسه، يشير إلى ذاته، دون الإشارة إلى شيء خارجه.

وقد كانت هذه المحاولة مقبولة حينما كان اليهود يضطلعون بدور الجماعة الوظيفية التى تعزل نفسها عن المجتمع لتلعب دورها المحايد، ولكن مع ظهور الدولة القومية التى ترى نفسها مطلقاً، لا تقبل مرجعية متجاوزة لها... أصبح من الصعب أن تتعايش نقطتان مطلقتان داخل المجتمع الواحد.

من هنا... حاول أعضاء الجماعات اليهودية التخلص من هذه المشكلة، فتوصلوا إلى صيغة حديثة لليهودية يمكنها التعايش مع الدولة القومية الحديثة المطلقة مع إصرارها على أن يعيد اليهودى صياغة ذاته ورؤيته، حتى يدين لها وحدها بالولاء.

وحاولت اليهودية الإصلاحية والمحافظة حل إشكالية الشعب المقدس عن طريق تبنى الحل الغربي للمشكلة، وهو أن يكون الحلول الإلهى فى نقطة ما فى الطبيعة، أو فى الإنسان، أو فى التاريخ... بحيث يشكل المطلق ركيزة نهائية كامنة في هذه النقطة، وغير متجاوزة لها.

وبذلك... تخلصت من آثار الحلولية الحادة والجامدة التى كانت تدور فى فلكها اليهودية الحاخامية التى عزلت اليهود عن اليهود وعن مجتمعاتهم، وجعلت معتقداتهم الدينية عبئاً، ينوءون بحمله، وجعلت تعايشهم مع المطلق الجديد مستحيلاً.

كما حاول الإصلاحيون تأكيد الجانب العقائدى والأخلاقى،على حساب الجانب الشعائرى؛ فهم يرون أن اليهودية الحاخامية -بشعائرها المرتبطة بالدولة والهيكل- لم يعد لها أية فعالية أو شرعية.

وهكذا... انتهى الأمر بالإصلاحيين إلى خلع النسبية على كل العقائد، ونزع القداسة عن كل شيء، حتى إنهم أنكروا فكرة البعث، والجنة والنار، وأحلوا محلها فكرة خلود الروح.. إلى غير ذلك من الأفكار التي ذكر الدكتور المسيرى طرفاً منها، والتي انتهت بهم إلى رفض الصهيونية، ورفض وعد (بلفور)، وكل المحاولات التي تنطلق من فكرة (الشعب اليهودي).

ولكن ارتباط المصالح الغربية بالصهيونية، فرض على اليهودية الإصلاحية أن تتخلى عن رؤاها، وأن تعود إلى فكرة القومية اليهودية الصهيونية، والأرض المقدسة.

ومع ازدياد النفوذ الصهيوني داخل الإصلاحيين، بدأ الإصلاحيون -من منتصف سبعينيات القرن العشرين- يساهمون في الحركة الصهيونية.

٢ - ومع هذا التوافق بين الإصلاحيين والمحافظين في الجذور الفكرية... وقفت اليهودية المحافظة ضد التيار الإصلاحي؛ فنادوا بأن يكون أي تطوير نابعاً من أعماق الروح اليهودية، لا من خارجها، ورأوا أن الشريعة ملزمة لليهودي؛ فمثُل اليهودي العليا يتم تفسيرها من خلال الشريعة، على أن تظل الشريعة مرنة مرونة كافية، بحيث تترك مجالات للتغيير والتعددية الفكرية التي تجعلها قادرة على مواكبة العصر الحديث.

وبذلك... عادت اليهودية المحافظة إلى واحدة من أهم الطبقات في التركيب الجيولوجي اليهودي، وهي الطبقة الحلولية التي أدت إلى واقع أن الإله لم يتمتع قط بالمركزية التي يتمتع بها داخل الأنساق الدينية التوحيدية؛ فهو يمتزج بالشعب والأرض، ويتساوى معهما، وتميل الكفة -داخل النسق الحلولي بالتدريج- لصالح الشعب، على حساب الإله حتى يصبح الشعب وتراثه مصدر القداسة، لا الإله.

ومن هنا... عرّف المحافظون أهدافهم بأنها الإصرار على وحدة إسرائيل والكاثوليكية العالمية، والإصرار على الحافظ على استمرار التراث اليهودي، والاهتمام بالدراسات اليهودية.

ويلاحظ الدكتور: أن الفكر الصهيوني يشبه -في كثير من الوجوه- فكر اليهودية المحافظة؛ فكلاهما يتبنى مقولات اليهودية الأرثوذكسية الحلولية بعد أن علّمنها كل منهم على طريقته؛ فبينما يؤكد الأرثوذكس الأصول المقدسة الربانية للتراث اليهودي، يرى المحافظون: أنه تراث مقدس.

وبينما يصر الأرثوذكس على مقولة: (إن الدين اليهودي هو القومية اليهودية)... يحاول المحافظون تمويه هذه الحقيقة بالحديث عن الروح المقدسة للشعب، وجعلها مصدر القداسة، بدلاً من الإله.

ويدعم الدكتور هذه الملاحظة بذلك القرار الذي أصدرته الجمعية الأمريكية للحاخامات بانضمام المعابد اليهودية المحافظة إلى المنظمة الصهيونية العالمية بشكل جماعي.

ومن هنا... بدأت اليهودية المحافظة تحقق نجاحاً ملحوظاً في إسرائيل، ثم بدأت محاولات جادة لتوسيع نطاق الحركة، ليشمل التجمع الصهيوني كله.

٣ - وترى اليهودية الأرثوذكسية -وهي اليهودية الحاخامية التلمودية- : أن الإله أوحى إلى موسى

التوراة فوق جبل سيناء؛ فالتوراة كلام الإله، كتبها حرفاً، حرفاً. وعلى الشعب اليهودى اتباع هذا الكتاب المقدس، إلى أن يأتى وحى جديد.

ومع هذا... يلاحظ: أن الأرثوذكس يختلفون -فيما بينهم- حول تحديد أى أجزاء من التوراة هى التى أوحى بها الإله مباشرة، وحول تفسير التوراة، وحول أزلية التشريعات، وعدم أزليتها.

ثم هم يتمسكون بالتعريف الحاخامى لليهودى: بأنه من ولد لأم يهودية، أو تهود على يد حاخام أرثوذكسى.

ويعتقدون اعتقاداً حرفياً بصحة العقائد اليهودية الحلولية، مثل: الإيمان بالعودة الشخصية للماشيّح، وبالعودة إلى فلسطين، وبأن اليهود هم الشعب المختار.

ولذلك... يحاول الأرثوذكس الانفصال عن بقية الفرق اليهودية الأخرى، حتى يمكنهم الحفاظ على جوهر اليهودية الحقيقى.

أى إن الفكر الأرثوذكسى يعادى الصهيونية تماماً. ولكن هذه الأرثوذكسية تمت صهينتها على يد بعض الحاخامات الأرثوذكس خصوصاً بعد سنة ١٩٩٧م.

والمؤسسة الأرثوذكسية فى إسرائيل لا تعترف باليهودية الإصلاحية، ولا باليهودية المحافظة، ولا بحاخاماتها، ولا بالزيجات التى يعقدونها، ولا بمراسيم التهود التى يقومون بها.

ويدعو زعماء اليهودية الإصلاحية: إلى أن تكون المساعدات التى تخصص للمؤسسات الإصلاحية فى إسرائيل متناسبة مع حجم تبرعات اليهود الإصلاحيين، ومع هذا يذهب معظمها فى المؤسسات الأرثوذكسية.

ويؤكدون مركزية الدياسبورا (الجماعات اليهودية خارج فلسطين) مقابل مركزية إسرائيل، كما يحاولون تغليب الجانب الدينى على الجانب القومى.

تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى

وتحت عنوان: (من هو اليهودى عام ١٩٩٨م) قدم الدكتور المسيرى المبحث الثانى المضاف إلى الطبعة الثانية من الكتاب، وفيه استعرض المقصود بكلمة (أصولى) التى أطلقت على الأرثوذكس الذين يرفضون كلاً من الإصلاحيين، والمحافظين، منبهاً إلى أنها استخدمت فى سياقات عديدة، قد يباين بعضها البعض، ومصرحاً بأن الأصولية اليهودية تستخدم فى الخطاب السياسى العربى والغربى للإشارة إلى شكل من أشكال التطرف الدينى المتمثل فى الأرثوذكس، وبأن هذه الأصولية أصبح بمقدورها التحكم فى رياسة الحكومة، وإسقاط الحكومات، وأن أعضاءها يستأثرون بوزارات المستقبل (التعليم - الإسكان - الأراضى - المهاجرين - الأديان).

وأن الأطروحات الأساسية لهذه الأصولية كما يلى:

١ - أن إنشاء دولة إسرائيل هو تجسيد للحلم التوراتى اليهودى القديم - وإن كانت الحركة الصهيونية التى أسهمت فى إنشائها لم تكن حركة دينية، وإنما كانت فكرة سياسية علمانية - فتلك الدولة- وعد دينى يتحقق على يد علمانيين.

٢ - أنه لا يمكن الثقة في الأغيار بأي شكل، وأرض إسرائيل الكبرى هي أرض يهودية، ولا بد للدولة اليهودية أن تعتمد على نفسها وحسب، رغم كل المساعدات الخارجية التي تصب فيها؛ فهم يستقبلون كل هذه المساعدات من الغير، ولكنهم لا يقبلون شيئاً من الموازنات الدولية.

ثم إن هذه المقولات ليست -بالضرورة- مقولات دينية؛ إذ يمكن لأي حزب علماني أن يتبناها؛ فاليمين المؤيد (لنيتنياهو) يضم متدينين قوميين، مثل (حزب المفدال، وشاس، وديجيل هاتوراه) إلى جانب (أحزاب موليديت، وكاخ، وإسرائيل بعالياه، وتسوميت) الصهيونية غير الدينية.

وهذا يلفت النظر إلى أن إطلاق كلمة (أصولية) -بمعنى التطرف الديني- على أصحاب هذه المقولات... لا علاقة له بالواقع؛ فالخاصية الجيولوجية التراكمية لليهود تبرر الشيء ونقيضه.

ومع هيمنة الأرثوذكس على الحكومة الإسرائيلية... بدأ عدد اليهود الإصلاحيين، والمحافظين يتزايد فيها، كما تزايد في أمريكا، حتى أصبح يمثل ٨٥٪ من يهود أمريكا المتدينين.

ومع هذا وذاك : فإن اليهود الملحدين، وكثيراً من المتدينين في أمريكا يصرون على فصل الدين عن الدولة.

أما الملحدون في إسرائيل فلا يكترثون بالدين، ولذلك فهم لا يمانعون في أن يسيطر الأرثوذكس على جميع مناحي الحياة.

من كل ما أدى إلى فقدان الاتزان على مستوى يهود العالم؛ فبينما ترى المنظمة الصهيونية ضرورة فصل الدين عن الدولة. تحاول المؤسسة الأرثوذكسية أن يلعب الدين دوراً أساسياً في الحياة الخاصة والعامة، وأن تقوم هي بتعريف من هو اليهودي. حتى إن تلك المؤسسة لا تعترف بمراسم التهود والزواج التي يجريها حاخامات إصلاحيون أو محافظون؛ مما يعني أن كثيراً من الزيجات التي تمت خارج إسرائيل غير شرعية، وأن الأطفال ثمرة تلك الزيجات غير شرعيين.

فلما نجح هؤلاء في تمرير قانون في (الكنيست) يلغي الاعتراف بهذه الزيجات، غضب الإصلاحيون والمحافظون بشدة، حتى اضطر (نتنياهو) إلى تقرير إقامة لجنة تضم المسئولين من كل التيارات الدينية للنظر في الموضوع، والبحث عن حل يرضي جميع الأطراف.

ولكن هذه اللجنة لم تصل إلى ذلك الحل، حتى قرر رئيس الحركة المحافظة أن رفض المتشددين للتسوية بمنزلة إعلان حرب ضد الشعب اليهودي.

ولما تم انتخاب امرأة من التيار الإصلاحي عضواً في المجلس الديني لمدينة (نتانيا) ثار جنون الأرثوذكس؛ لأن اليهودية الأرثوذكسية لا تقبل اشتراك النساء في صلاة الجماعة في المعبد، ولا تقبل حاخامات إناثاً. فلم يكن أمامها إلا اللجوء إلى المحكمة العليا، لاستصدار أمر يجيز تعيينها، ويؤكد قانونيته، ويأمر وزير الأديان بالمصادقة عليه.

وحتى لا تواجه المحكمة برفض وزير الأديان... اضطر (نتنياهو) إلى الاتفاق مع قيادة (شاس) على إقالة الوزير، على أن يأخذ هو صلاحية وزير

الأديان لمدة ساعة، يوقع بنفسه خلالها على كتاب التعيين، ثم يعيد الوزارة إليه.

ولكن هذا الحل لم يرض الأرثوذكس، فراحوا يهاجمون (نتنياهو)، وقرروا مقاطعة كل مجلس ديني يضم امرأة، أو يضم حاخاماً إصلاحياً أو محافظاً.

وبعد...

فأرى أن الدكتور عبدالوهاب المسيري ما أراد أن يقف المتلقى على هوية اليهودى فحسب، ولا قصد أن يكشف ما يكتنف تلك الهوية من ضباب، وما يلف شيوعها وكثرتها من تناقض وتعارض فحسب كذلك.

وإنما عمل على أن يقدم صورة واضحة المعالم لليهود عبر العصور الممتدة ذات العمق التاريخي، وفي شتى مواقع الأرض.

وكأنى بالدكتور المسيرى يقدم تفسيراً من الواقع الحي لقول الله - تعالى - في وصفهم:

﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾(١).

وقد حرص الدكتور المسيرى -بمنهجه العلمي المحايد- على أن تجمع هذه الصورة بين الانعكاسات التاريخية، والاجتماعية، والسياسية، والدينية، حتى تكون تصويراً صادقاً دقيقاً، يتناسب مع صدق الوصف القرآني ودقته؛ لذلك ترى الدكتور تجشم في سبيل ذلك عناء واضحاً، وبذل جهداً مضنياً، حيث توغل وراء تلك الهوية في أعماق التاريخ، وشرق وراءها وغرب، فتتبع الجماعات اليهودية وتفكيرها، ومعتقداتها، وسلوكياتها في شتى قارات العالم.

وعلى الرغم من محاولة الدكتور تقديم بحثه في الهيئة الميسرة.. نراه قد وقع فريسة التشعب، والتشابه، والتعارض بين تلك الهويات، التي انعكست على فصول الكتاب، ففرضت على المتلقي أن يستصحب الوعي واليقظة مع كل عبارة، حتى يتنبه إلى ما اضطر إليه الدكتور من تكرار يكاد يشمل كل مباحث الكتاب.

ولعل عذر الدكتور المسيرى في ذلك... أنه يتعامل مع هويات عجيبة، تقبل الشيء ونقيضه؛ فلكل منها -في كل موقع- وجود. والأمانة العلمية تقتضي أن لا يغفل الدارس هاجسه قد تضيف إلى الصورة معلماً، أو يلقي على إحدى الزوايا ضوءاً موضحاً، وأنه يقدم تلك الصورة الموسوعية في تلك الصفحات المحدودة.

أياً ما كان الأمر... فإن ما يحصله المتلقى من هذا الكتاب كفيل بأن يبدد أثر ما يصيبه من إرهاق ومشقة، ويعين على ذلك: ما امتازت به عبارة الدكتور من دقة، ووضوح، وصحة.

وأياً ما كان الأمر... فإن الصورة التي يقدمها هذا الكتاب ترينا اليهود كياناً هشاً، متناقضاً مع نفسه ومع غيره، على الرغم مما يحاول أن يتظاهر به أو يعلنه.

---

(١) الحشر (١٤).

بعد القرار الأمريكي بتهويد القدس

ماذا ينتظر العرب والمسلمون؟!

للأستاذ الدكتور/ عبد العظيم المطعني

من أفدح الأخطاء التي يقع فيها الإنسان، أفرادا أو جماعات، أن يتغاضى عن جرائم أعدائه نحوه، أو يهوّن من شأنها، وبخاصة إذا كان هؤلاء الأعداء يظهرون في صورة الصديق؟

وهذا الخطأ يقع فيه العالم العربي والإسلامي في العصر الحديث أمام الولايات المتحدة الأمريكية، خلال النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي، وما يزال الخطأ مستمراً فعلى كثرة ما ارتكبت الإدارات الأمريكية المتتابعة من جرائم نحو العالم العربي و الإسلامي، لم نجد صوتا واحداً يرتفع، ولو مرة واحدة، لمواجهة أمريكا بأخطائها المتعمدة نحونا، بل جرائمها البشعة، التي لم يكد يخلو منها يوم ما من الأيام. فأمريكا ترتكب ما ترتكب من جرائم وحماقات ضد القضايا العربية والإسلامية، ولا تجد منا إلا صمتاً وغضاً للأبصار. والأدهى والأمر أنها تجد منا في كل الأحوال احتراماً و تقديراً، ثم ثناء عطراً على قوة العلاقات بيننا وبينها، وأنها دولة صديقة مخلصة؟؟!

وفي فترة قريبة من الزمن، كنا نعلن صباح مساء أن حل مشكلة، أو مشكلات الشرق الأوسط ٩٩٪ منها بيد أمريكا، أو هي شريك كامل في كل النزاعات التي كان، وما يزال العالم الإسلامي، يعاني منها عناء شديداً. والواقع أن هذا الكلام ما هو إلا خداع منا لأنفسنا، والإنسان - أي إنسان - إذا وصل إلى استمراء خداع نفسه فبطن الأرض أستر له من ظهرها، لأنه لا يستحق الحياة.

إن ترك مواجهة جرائم الصديق العدو تؤدي إلى زيادة تماديه في الإساءة، وإلى استخفافه بمن يسئ هو إليه، وإلى رميه بالغفلة أو إلى وصفه بالبلاهة أو الجبن، أو السفاهة التي لا يميز الموصوف بها بين الإساءة والإحسان وهذا ما تفعله معنا - أعني العرب و المسلمين - أمريكا الآن.

فهي تتعامل مع قضايانا ومصالحنا بمعيار الاستخفاف بنا، وتتعامل مع قضايا غيرنا بمعيار الموضوعية والاحترام، بل بمعيار التعصب إلى أقصى درجة ممكنة.

وحتى لا يكون كلامنا دعاوى بغير دليل. نذكر بعض مواقف أمريكا المزدوجة التي تؤكد

أن ما نقوله واقع ملموس، لا ادعاء قائم على غير دليل.

في سنة ١٩٧١م نشبت حرب الهند بزعامة أنديرا غاندي ضد الباكستان، وكانت روسيا حليفة الهند، وأمريكا حليفة الباكستان. فما الذي حدث من كل من الحليفين تجاه حليفه؟

ساندت روسيا الهند بكل ما استطاعت. أما أمريكا فأخذت تغط في نوم عميق، وأتاحت الفرصة للدب الهندي أن يجثم على صدر الباكستان، وأن تنقسم الباكستان دولتين، ثانيتهما بنجلاديش.

وفي عام ١٩٧٣م نشبت الحرب بين مصر، وبين إسرائيل وكانت روسيا حليفة مصر، وأمريكا حليفة إسرائيل وحقق الجيش المصري البطل في الأيام الأولى للحرب نصراً مذهلاً للعالم كله. ثم ماذا صنع كل من الحليفين تجاه حليفه. نامت روسيا ولم تساند مصر، أما أمريكا فقد جُنّ جنونها، وارتعدت فرائصها، ثم فتحت مخازن أسلحتها لإسرائيل لتستطيع أن توقف الزحف المصري، وقال وزير خارجية أمريكا في ذلك الوقت هنري كيسنجر: لن نسمح للسلاح الروسي أن ينتصر على السلاح الأمريكي في الشرق الأوسط! وأمدت أمريكا إسرائيل بكل ما احتاجت، ووقع عبور جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل وقتذاك، إلى غرب قناة السويس ووجهت خطابا للعالم من الزيتية لتقول أمريكا على لسانها: عبور بعبور، والبادئ أظلم؟!

ونسأل: لماذا اختلف موقف أمريكا في حرب الهند ضد باكستان عن موقفها في حرب مصر ضد إسرائيل؟ هذا هو السؤال. أما الجواب فلا يكاد يخفى على أحد فباكستان مسلمة، فكيف تتحرك أمريكا لحمايتها؟ ومصر دولة عربية مسلمة، فكيف تسمح لها أمريكا بالانتصار على إسرائيل؟

وما يقال عن أمريكا يقال عن روسيا كذلك. لقد نشطت روسيا لمساندة الهند، لأنها تحارب دولة مسلمة ونامت عن مساندة مصر في حربها مع إسرائيل، لأن مصر دولة مسلمة؟

وكلتا الدولتين روسيا وأمريكا تعاديان الاسلام، ولماذا؟ لأنه الإسلام وكفى.

●●●

وكما تجلى العداء الأمريكي السافر ضدنا، تجلى أيضًا في مشكلة تيمور الشرقية مع تيمور الغربية، وهما إقليمان كانا خاضعين لسيادة أندونيسيا، الدولة الإسلامية العريقة، تلك المشكلة، هي بمقاييس الفقه الدولي، ومواثيق هيئة الأمم، مشكلة، داخلية بحتة، من اختصاص أندونيسيا، لكن لما كان أحد طرفي المشكلة، مسلما، والآخر غير مسلم هاجت أمريكا، وأقامت الدنيا ولم تقعدها، لان الطرف المسلم كان متفوقا في المعارك على الطرف غير المسلم. فماذا فعلت أمريكا برياسة بل كلينتون؟ في أربع وعشرين ساعة جندت أمريكا قوات دولية تابعة لهيئة الأمم، وجنودا خاصة، وأسرعت تلك القوات لتأخذ مكانها في بؤرة الأحداث، وتحمي غير المسلم من المسلم، حدث هذا في سرعة مذهلة. هذا بالنسبة للجهود العسكرية.

أما في المجال السياسي، فقد اتخذت أمريكا إجراءات صارمة في التضييق على أندونيسيا نفسها، وجندت ضدها كل المنظمات الفعالة، الخاضعة لهيئة الأمم سياسية ومالية و غيرهما، حتى حققت أهدافها بالطريقة التي تريدها في حسم النزاع.

أما بالنسبة لمشكلات أخرى أحد طرفيها إسلامي والآخر غير إسلامي فقد اختلفت المواقف تماما فقد لزمت أمريكا الصمت أمام ما قامت به روسيا ضد مسلمي الشيشان، في حربها الضروس التي استهدفت أمرين:

● القضاء على المجاهدين الشيشان المطالبين بحقهم في الاستقلال عن الحكم الروسي، كما حدث لغيرهم من شعوب آسيا وغيرها التي كانت خاضعة للاتحاد السوفيتي قبل سقوطه.

● إحكام السيطرة على العاصمة «جروزني» ومع تفاوت القوتين في الكفاءة، لم تحرك جرائم روسيا شعرة واحدة عند أمريكا أو غيرها من القوى الكبرى وإذا سألت عن السبب كان الجواب: هو الإسلام ولو كان الشيشان غير مسلمين لكان لأمريكا شأن آخر.

لا يقال: إن أمريكا وقوات «الناتو» تدخلت لوقف الصراع الذي دار بين مسلمي البوسنة والهرسك، وبين الصرب. فحسمت ذلك الصراع بالقوة المسلحة، والبوسنة و الهرسك مسلمون؟

إن هذا الذي حدث من أمريكا ليس حبا في سواد عيون المسلمين، بل له بواعث أخرى، فحرب الصرب لمسلمي البوسنة، والهرسك دامت قرابة خمس سنوات، وكانت أمريكا وقوى الغرب تتوقع أن ينتصر الصرب على مسلمي البوسنة، ولكن مسلمي البوسنة صمدوا صمودا أذهل أمريكا وحلفاءها، وخشيت أمريكا أحد أمرين كانت تتوقع واحدا منها.

الأمر الأول: أن ينتصر المسلمون على الصرب، وهذا ما لا تسمح به أمريكا، لأن ذلك الانتصار الذي كان متوقعا، كان ـ لو حدث ـ سينسب إلى الإسلام، وتلك هي الطامة الكبرى التي كانت ستعكر صفو أمريكا، وتصيبها في أقتل مقاتلها.

أما الأمر الثاني: فهو استمرار صمود مسلمي البوسنة إلى ما لا نهاية وهذا بدوره كان سيكون له وقع سيئ جدا عند أمريكا، لأنه ـ كذلك ـ كان سينسب الى الإسلام، الذي تضمر له أمريكا محاولة محوه من الوجود، أو تهميش دوره في الحياة. ومنعا لهذه التوقعات، حشدت أمريكا وحلفاؤها بعض قواتها لحسم الصراع، ليقال: إن أمريكا هي التي قضت على تلك المشكلة.

اذن، فلولا يأس أمريكا من هزيمة مسلمي البوسنة ومن انتصار الصرب عليهم، ما تحركت خطوة واحدة نحو ذلك الصراع الطويل. وكأن لسان حالها كان يقول: بيدي أنا انتهى الصراع، لا بيد الإسلام.

ومما يؤكد هذا ـ أعني عداء أمريكا للإسلام ـ أنه بعد أن وضعت الحرب أوزارها، وجاء دور إعادة إعمار ما دمرته الحرب، كانت أمريكا هي الدولة المانحة الوحيدة، التي اشترطت شروطا على مسلمي البوسنة قبل أن تدفع لهم ما تقرر

منحة إياهم، من تلك الشروط أن تخفض حكومة البوسنة تسعين ألفا من جيشها، وحولت المنحة إلى محنة، وكان هدف أمريكا هو إضعاف قدرة البوسنة في المجال العسكري، حتى لا يتكرر ذلك الصمود مرة أخرى؟!

●●●

ولا يقال كذلك إن أمريكا كانت قائدة الحملة العسكرية ضد يوجوسلافيا في اعتداءاتها على ألبانيا بعد توقف الحرب البوسنية بقليل، وألبانيا دولة مسلمة خضعت للغزو الشيوعي ردحا من الزمن،

لأن حملة أمريكا وحلفائها العسكرية لم تكن لحماية مسلمي ألبانيا، وإنما كان سبب تلك الحملة أن يوجوسلافيا كانت من قلاع الشيوعية قبل تفكك الاتحاد السوفيتي، كانت هي العدو اللدود للغرب الرأسمالي، فإذا التهمت يوجوسلافيا دولة ألبانيا كان معنى هذا أن الشيوعية تطل على الغرب من جديد، وبخاصة أن ألبانيا دولة أوروبية لذلك تحركت أمريكا لوقف العدوان. وحماية ألبانيا من الدب الشيوعي، لا يتعارض مع المصالح الغربية لأنها دولة أو دويلة صغيرة، ليس لها وزن في موازين القوى الكبرى.

من هذا يتضح لنا أن ما تقوم به أمريكا سلبا وإيجابا، إنما تقوم لبواعث وأهداف لا صلة لها بإحسان إلى الإسلام أو المسلمين، لأنها تأخذ باليمين ما تعطيه مضطرة بالشمال.

●●●

ما ذكرناه، وهو قليل من كثير، كاف في الكشف عن الحقد الذي تضمره أمريكا ضد الإسلام والمسلمين ولكن إذا عرجنا على مواقف أمريكا من الصراع العربي الإسرائيلي، ولو في الوقت الراهن، تحول الكشف عن نيات أمريكا إلى يقين، تزول الجبال ولا يزول، أن ما تقوم به إسرائيل ضد الشعب الفلسطيني المسلم منذ أكثر من عامين، جرائم لا يحيط بها الوصف، جرائم وحشية بشعة غادرة قذرة، لم يسبق لها مثيل في التاريخ، والعالم كله يقف موقف المتفرج، ولم يقتصر عدم المبالاة على العالم غير الإسلامي، بل العالم الإسلامي ضالع في هذه «اللا مبالاة» من أخمص قدميه حتى «النخاع»، وكل ما يطفو على السطح لقاءات ومشاورات بين القادة العرب، لا ندري ماذا يدور فيها، وليس من الحكمة أن نطلب منهم الإعلان التفصيلي عنها.. وكل ما نتمناه أن يأتي الوقت المناسب، الذي يظهر فيه ما خفي عنا منها، ويكون فيه عزاء لشعوب الأمة من الآلام القاتلة، التي يعاني منها كل فرد فيها.

أما موقف أمريكا بالذات مما تقوم به إسرائيل بقيادة «الفيل الضخم» شارون، فهو موقف عدائي سافر، لا لشعب فلسطين وحده، ولكن للشعوب العربية و الإسلامية جميعا.

فكم من مرة تمنع أمريكا إرسال قوات دولية لحماية الشيوخ والنساء والأطفال في فلسطين من البطش الهمجي الذي يقوم به في كل لحظة جنود الاحتلال.

تجريف، هدم مساكن على من فيها. غارات جوية بالصواريخ و الطائرات القاذفة، أرتال من الدبابات تقصف بمدافعها كل قائم على وجه

الأرض في فلسطين ـ اعتقالات بلا ضوابط، فرض حصار محكم على السكان في بيوتهم ـ حبس الرئيس عرفات. هدم المساجد والمدارس والمنشآت. منع الناس من تأدية صلاة الجمعة. مجازر جماعية بشعة الخ.

ترى، لو كانت هذه الجرائم ترتكب ضد غير المسلمين هل كانت أمريكا تقف مكتوفة الأيدى؟ أم كانت تقيم الدنيا ولا تقعدها.

إن مجرد أوهام عند بوش بأن العراق يملك أسلحة دمار شامل، جعلت «بوش» يلهث كما تلهث (...) للحصول على تأييد أو تحالف دولي لمحو العراق من الوجود؟

أما ما تقوم به إسرائيل فعلا، وترساناتها مليئة بأسلحة الدمار الشامل، فهذا عند بوش عمل برئ مؤيد باسم «الرب» إله إسرائيل. وموقف أمريكا من العراق من أعجب العجب، بوش مصمم على ضرب العراق حتى لو أسفر التفتيش الدولي، عن خلوه من أسلحة الدمار، وحجة بوش حماية جيران صدام من صدام؟

وجيران صدام لم يطلبوا من بوش حمايتهم منه، فبأى مبرر يتشبث بوش بهذه الدعوى الخائبة. وكل العالم يدرك أن «بوش» يهدف من ضربه للعراق أمرين:

- حماية إسرائيل «أمريكا الصغرى».
- ثم الاستيلاء على منابع البترول العربية.

كل هذا ونحن صامتون على مواجهة أمريكا بأخطائها وجرائمها. وهذا ما أغرى «بوش» على التمادى في إظهار عدائه للعرب والمسلمين جميعا. حتى وصل الأمر إلى إصدار قرار من الكونجرس «الأمريكي اليهودى» بجعل القدس عاصمة موحدة لإسرائيل؟! ووقع «بوش» هذا القرار في وضح النهار، غير عابئ بغضب من يغضب، ما دامت أمريكا الصغرى «إسرائيل» راضية وكل خطر في حب إسرائيل يهون؟!

هذا القرار يمثل قمة الاستخفاف بالعالم الاسلامي كله، عربا وغير عرب.

فماذا ينتظر العرب و المسلمون من أمريكا بعد هذا القرار القاضي بتهويد القدس إلى الأبد؟ بوش والكونجرس يعلمون ماذا تعني القدس بالنسبة للعالم الإسلامي.

القدس ليس غزة ولا رام الله ولا جنين، ولا ولا ولا.

القدس هي نبض الحياة عند المسلمين، بمن فيهم شعب فلسطين نفسه.

هذا القرار ينبغي أن ينقلنا فورا من السلبية والبلادة وعدم الإحساس إلى كتلة، واحدة قوية على قلب رجل واحد.

كما ينبغي علينا أن نواجه أمريكا بكل صراحة أننا بدءا من اليوم لسنا كما كنا بالأمس فإما أن تعدل أمريكا عن مواقفها المعادية لنا، الموالية ١٠٠٪ لإسرائيل.

وإلا فإننا سنتحد ـ هذا ما ينبغي أن نقوله لأمريكا. سنقوم فوراً بالخطوات الآتية:

- استدعاء سفرائنا من أمريكا للتشاور
- قطع العلاقات تماما معها إذا لم يحدث تراجع من سياساتها المعمول بها الآن ضدنا.
- سحب رءوس الأموال العربية العاملة في أمريكا.

● إذا تحفظت أمريكا على تلك الأموال تحفظنا على ما لأمريكا من ممتلكات في العالم العربي والإسلامي.

● ترحيل سفراء أمريكا لدينا بصفة أنهم غير مرغوب فيهم.

● وقف ضخ البترول العربي لأمريكا، ووقف التعامل تدريجيا بالدولار الأمريكي وإحلال «اليورو» الأوروبي محله.

وليس هذا إسرافا منا في الخيال، لأنه السلاح الوحيد الفعال الذي نملكه، ولا حرج علينا في استعماله أمام الإصرار العنيد الذي تقوم به أمريكا محونا من الوجود، أو لنكون أرقاء لها لا نملك أن نخالف لها أمرا أو نهيا.

فمنذ سقوط الاتحاد السوفيتي اعتبرتنا أمريكا العدو اللدود لها، وصرح بعض رؤسائها بأن العالم الاسلامي أصبح ـ الآن ـ هو الخطر الوحيد أمام الغرب الرأسمالي وحضارته فإما أن نحتويه وإما أن نقضي عليه والرئيس بوش لا هم له الآن ولا تفكير إلا في القضاء على العالم الإسلامي أو السيطرة الكاملة عليه.

فهل نقف مكتوفي الأيدي مكممي الأفواه أمام هذه النذر الفاجعة.

ونعود فنطالب قادتنا العرب بتنفيذ ما اتخذوه في مؤتمر بيروت في أوائل هذا العام، وهو القرار القاضي بقطع علاقات العرب بأي دولة تنقل سفارتها من تل أبيب إلى القدس.

فقد فعلت أمريكا ما هو أخطر من نقل سفارتها إلى القدس. وذلك في القرار الذي أصدره الكونجرس أخيرا ووقع عليه الرئيس بوش، لأن هذا القرار يؤذن لكل دول الغرب بنقل سفاراتها إلى القدس وليست سفارة أمريكا وحدها، وهذا هو مكمن الخطر الذي لا يستساغ السكوت أمامه.

لذلك كان من الواجب عقد مؤتمر قمة عربي أو عربي إسلامي، لإعلان العرب والمسلمين رفضهم القاطع لهذا القرار الخطير، ويلوح فيه بقطع العلاقات إذا لم يحدث رجوع في السياسة الأمريكية عن مشكلة القدس الشرقية، التي كانت من نصيب فلسطين في قرار التقسيم المتفق عليه دوليا عام ١٩٤٧م يجب أن نتحرك بسرعة قبل وقوع الكارثة الكبرى ومن الخطأ أن ننتظر نقل أمريكا سفارتها من تل أبيب إلى القدس. لأن في هذا التراخي فواتا لفرص النجاح.

إن الأمر جاد للغاية لا هزل فيه. والوقاية خير من العلاج.

وإذا لم نفعل شيئا ذا بال أمام الخطر الأمريكي فإن قصة الثيران الثلاثة التي أكلها الأسد واحدا بعد واحد، بعد أن استعمل أسلوب الخداع معها هذه القصة سوف تتحول من قصة خيالية صاغها الإمام على بن أبي طالب - رضي الله - لمعنى أراد توضيحه، إلى قصة واقعية، لكن الثيران لن تكون ثلاثة في هذه المرة، بل ستكون ثيرانا كثيرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ومرة أخرى، إذا لم يتحرك العرب والمسلمون بعد القرار الأمريكي الأخير، مضموما إليه تنفيذ تهديدها بضرب العراق، فيحق لأمريكا بوش أن تفعل بنا ما تشاء، لأن الأمر كما قال الشاعر.

ومن لم يزد عن حوضه بسلاحه
يُضَرَّس بأنياب ويُوْطأ بمنسم

وكما قال الآخر:

مَنْ يَهُنْ يسهُلِ الهوانُ عليه
ما لجُرحٍ بميْتٍ إيلامُ

جواب الشهيد

(تحية للاستشهاديين الأبطال)

شعر د. محمد عبدالمنعم العربي

وقالوا: لماذا تُفجِّر نفسك؟
لماذا تُبعثر في الجو رمسك؟ (١)
وتترك أنسك؟
وتهجر عرسك؟
وتطفئ شمسك؟

***

لماذا زهدت نعيم الشباب؟
وغضّ الإهاب؟ وعزّ الصحاب؟
وسكنى القباب؟
وحلم (الرباب)؟
لماذا رحلت كضوء الشهاب
كلمح البروق؟ كهدر العباب؟

***

أأنت فتى لا تحب الحياة؟
أأنت امرؤ لا تروم النجاة؟
وتأبى الرفاه؟
وتبغي الوفاة؟
عهدناك فينا سليم الحصاة (٢)!
رقيق الحواشي، عظيم الأناة (٣)!
وسمح العشيّ، كريم الغداة!
تقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة!

***

لماذا لماذا؟ وما سرُّ هذا؟
أجبنا بربك أجبنا بربك!
وعن أمر صحبك!
ومكنون قلبك!

(١) الرمس: القبر.
(٢) الحصاة: العقل والرأي.
(٣) الأناة: الحلم والوقار.

وعنْ همِّ شُغْلِكْ!
وعنْ فيْضِ خبْثِكْ!

***

لأني رأيتُ قطيعَ الذئابِ
وجيشَ الكلابِ، وبومَ الخرابِ
يعيثُ بسهلي! ويجتاحُ حقلي!
يسمِّمُ بئري! ويسرقُ نهري!
يشتِّتُ شملي!
ويطردُ أهلي!
ويهلكُ بالبغي حرثي ونسْلي!
ويغتالُ بالغدرِ أمي وطفلي!

***

لأني رأيتُ الغشومَ الظلومْ
يحطمُ بابي! ويخرقُ غابي!
يمزقُ عرضي! ويحتلُّ أرضي!
ويمحو من الكونِ فرضي ونفلي!
يدنسُ ساحي بأخبثِ غرسِ!
ويملأ أفقي بإفكٍ ورجسِ!
ويسعى حثيثًا ليهدم «قدسي»!
ويجتثُّ جنسي! ويومي وأمسي!

***

لقدْ صنعتهمْ يدُ الآثمينا!
ركيزةَ شرٍّ تعربدُ فينا!

وقدْ سلَّحوهمْ وقدْ جرَّدونا وقدْ مكَّنوهمْ وقدْ كبَّلونا!
بلا ترةٍ(٤) لهمو: قتَّلونا ومن أرضِ آبائنا شرَّدونا!
برابرة روَّعوا الآمنينا وعاثوا فسادًا وخنُّوا حبُّونا!
ألمْ يطئوا مسجدَ المؤمنينا؟!
ألمْ يصرعوا الركَّعَ الساجدينا؟!
أذاقوا الضعافَ عذابًا وهُونا!
ولمْ يرحموا مرضعًا أوْ جنينا!
وشيخًا كبيرًا يئنُّ أنينا!!

***

فهلْ يقبلُ الحرُّ تلكَ المهانهْ؟
وهلْ يرتضي الحرُّ هذي المجانهْ؟
لبئسَ الخيانهْ!.. وبئسَ البطانهْ!
وأينَ الأمانهْ؟
وأينَ الصيانهْ؟

***

سنينَ طوالًا نشدتُ(٥) العدالهْ!
فلمْ ألقَ يا قومُ إلا النذالهْ!
وقدْ خيَّمَ اليأسُ في كلِّ حالهْ!
وأحبطني لؤمُ أهلِ السفالهْ!
فثرتُ أحاربُ جندَ الضلالهْ!

***

بنفسي وروحي بعدَ الحجارهْ!
وما بيدي غيرُها والمرارهْ!
وإلا الفداءُ، وإلا الجسارهْ!

---

(٤) الترة: الثأر.
(٥) نشدتُ: طلبتُ.

وإلا فؤادٌ مللتُ اصطبارَه!

وإلا دمٌ قد نذرتُ انهمارَه!

***

فيا اللهِ لو كُنتَ أنتَ مكاني!

وذقتَ هواني!

وعانيتَ في محنتي ما أعاني!

فهل كُنتَ تقبلُ؟ وهل كُنتَ تبخلُ؟

أما كُنتَ مثلي تفدى وتبذلُ؟؟

أما كُنتَ تفعلُ؟!

بقلبٍ رضيٍّ، ووجهٍ تهلّلْ؟؟

***

سأفعلُ شيئاً قبيل انتقالي

لساحةِ ربِّ الهدى والجلالِ!

سأدركُ ثأراً لأهلي ومالي

وأحيا لمجدِ بلادي علامهْ!

تُبشّرُ بالنصرِ بعدَ القتامهْ[6]

وتهتفُ بالحقِّ حتى القيامهْ!

***

وليس انتحاراً، وليس اغتراراً

سأفدي الديارا، وأمحقُ عارا

أردُّ اعتبارا، وأمحو شنارا

لأجلِ الأسارى، لأجلِ العذارى

سأجعلُ شِلوي[7] نوراً وناراً!!

***

فنوراً لشعبي يُعلي المنارا

وناراً تُبدِّدُ حُلمَ السكارى

وليس انتحاراً وليس انتحاراً..

***

فلسطينُ أمي، فلسطينُ همّي فلسطينُ حُلمي أراه جليّا

سأمضي شهيداً شريفاً قويّا نذيراً وصوتي يدوّي دويّا

***

دمي لن يضيعَ ـ وربّي ـ هباءْ

سيثمرُ عزّاً، سيغدو شفاءْ

سيروي التحرّرَ، يغذو الإباءْ

ويشرعُ للماجدينَ الوفاءْ

***

ولمّا بدأتُ بنفسي أجودْ

وسارَ على الدربِ منّا أسودْ

وحلَّ النكالُ وخابتْ «ثمودْ»

وحقَّ على المجرمينَ الوعيدْ

وجاءَ القصاصُ وعدلٌ أكيدْ

يقولُ الجحودُ ويهذي الكنودْ!

وينفي العدوُّ اللدودُ الحقودْ!

وإنّي على رغمهم للشهيدْ

***

طريقي سديدٌ ورأيي رشيدْ وديني فريدٌ وعزمي مديدْ

كفاحي مجيدٌ وقلبي حديدْ فدائي عتيدٌ وبأسي شديدْ

جزائي خلودٌ وإنّي سعيدْ

وربّي الشهيدُ بأنّي شهيدْ

(٦) القتامة: السواد.

(٧) الشلو: العضو.

النشاط العلمي في إسرائيل

للأستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد

حينما بدأ «هرتزل» مؤسس الصهيونية، دعوته لإقامة دولة لليهود فى فلسطين العربية، لم تدخر الصهيونية العالمية وسعاً فى انتهاج العلم سبيلاً لغزوها، فبادر اليهود الصهيونيون بالتخطيط للنشاط العلمى، وأنشأوا الجامعة العبرية فى القدس عام ١٩١٨، وتلاها إقامة كل من معهد «وايزمان»[١]، ومعهد «التخنيون». وواصلت إسرائيل نهجها العلمى ببناء هيئة الطاقة الذرية عقب قيامها عام ١٩٤٨ بثلاثة أشهر، وأضافت إلى هذه الصروح العلمية جامعتين جديدتين، إحداهما فى تل أبيب، والأخرى فى بار إيلان.

كما شيدت العديد من المعاهد والمراكز العلمية، منها ٦٨ مركزاً للأبحاث المتخصصة فى العلوم الطبيعية، موزعة بين العلوم الزراعية، والأسماك، والصحة، ومصادر المياه، والبترول، والتحليل النفسى، والطقس، وعلوم الفضاء، والطاقة الذرية، و٥٢ مركزاً آخر للبحوث والتطوير فى المجال الصناعى، موزعة على سبعة تخصصات فى صناعة الإلكترونيات، والصناعة، والطب، والملاحة الجوية، ومعدات الإنذار والإشارة، والأجهزة العلمية، وصناعة الطيران. ومن ناحية أخرى ساهمت الهجرة من الاتحاد السوفيتى السابق فى توفير عدد من العلميين اليهود في إسرائيل، فتشير الإحصاءات الإسرائيلية إلى أن عدد اليهود الروس الذين هاجروا إلى إسرائيل منذ عام ١٩٨٩ وحتى نهاية عام ١٩٩٩ يبلغ حوالى ٧٠٠,٠٠٠ يهودى، منهم أكثر من ٧٠ ألفاً من المهندسين، وما يقرب من ٢٠ ألفاً من الأطباء والممرضين، ونحو ٤٠ ألفاً من المدرسين، ومن ثم أدت هذه الموجة من المهاجرين الروس إلى تصاعد رصيد إسرائيل من العلميين والمهندسين، حاملين معهم منظومة من المعارف العلمية، وأسرارها فى مختلف فروع البحوث العلمية، والتطوير التقنى.

ومن هذا المنطلق توفرت لإسرائيل القدرات العلمية لبناء قاعدة علمية راسخة، صارت لها ظهيراً قوياً، وسنداً داعماً للحفاظ على وجودها فى قلب المنطقة العربية.

---

(١) وايزمان هو أستاذ علم الكيمياء اليهودي الذي تسمى المعهد باسمه وهو أول رئيس لإسرائيل.

وفي هذا الإطار حرصت إسرائيل على تقديم نفسها في صورتين مختلفتين إلى الرأى العام الأوروبي والأمريكي، الصورة الأولى بوصفها دولة صغيرة تعيش في محيط عربي معاد، وصورت العرب بأنهم مصدر خطر وتهديد للحضارة الغربية، والصورة الثانية حرصت فيها إسرائيل على تسريب بعض المعلومات عن قدراتها العلمية خاصة في مجال البحوث النووية لتحقيق عدة أهداف، أهمها كسب عطف الرأى العام الأوروبي والأمريكي، وتأييده لمساندة إسرائيل، ولتبرير سياستها العدوانية ضد الشعب الفلسطيني، وأيضاً لردع صانع القرار العربي، وإخافته من القوة النووية الإسرائيلية بصفة خاصة، والقدرات العلمية والتكنولوجية بصفة عامة، حتى لا يفكر العرب في شن حرب ضدها. ومن جهة أخرى حرصت إسرائيل على ربط البحث العلمي بنظام التعليم الذى تطبقه، والنشاط الذى تمارسه المعاهد والمؤسسات العلمية، وأيضاً الجمع بين البحث العلمي الأساسي، والبحث العلمي التطبيقي، كما وضعت المناهج الحديثة لتعليم الرياضيات، والفيزياء، والكيمياء، وعلم الحياة، وأدخلت منهاجاً جديداً لتعليم الحاسب الآلي، الذى ذاع استخدامه في جميع المؤسسات العلمية والتربوية.

والجدير بالذكر أن الجامعات في إسرائيل، تتمتع بحرية أكاديمية واسعة، فلا يستطيع أحد أن يتدخل في مناهجها، ولا في الأسلوب الذى تطبقه، وهي توجه جهودها إلى البحث العلمي بصفة أساسية. كما أن النشاط العلمي في هذه الجامعات يتعلق بعضه بالبحوث العلمية البحتة، إذ تصل هذه البحوث إلى أرفع مستويات البحث العلمي دون تقيد بظروف المجال الذى تجرى فيه، ويترك للباحث اختيار موضوع البحث الأساسي الذى يرغب العمل فيه، وإذا أراد باحث فائق في مجاله - من أى بلد في العالم - الحضور إلى إسرائيل لإجراء بحث ما، مع توفر الإمكانات اللازمة لهذا البحث، فإن الجامعة تنشئ له وحدة جديدة للبحث الأساسي، وبذلك تطلق إسرائيل الحرية للبحث العلمي مهما كان مصدره، تحقيقاً لمبدأ عالمية العلم. وبالإضافة إلى ذلك فإن المؤسسات والمراكز العلمية الإسرائيلية تقوم بتشجيع الموهوبين من صغار العلماء، لتنمية مواهبهم بفتح المجالات المناسبة لممارسة نشاطهم العلمي، حتى لا تتسرب هذه العقول العلمية إلى الخارج. هذا وقد عكفت إسرائيل، منذ قيامها، على توفير العلماء من مختلف التخصصات العلمية بوسيلتين: الأولى: بوضع برنامج لتشجيع هجرة العلماء إلى دولة الكيان الصهيوني، واستغلال فكرة الولاء المزدوج لعلماء اليهود في جميع بلاد العالم لكسب تعاونهم في النشاط العلمي. والثانية بحرصها على التواجد الفعّال في أغلب المؤتمرات العلمية التي تعقد في الخارج، ودعوة العلماء في الخارج لحضور مؤتمراتها للاستفادة من خبراتهم، وآرائهم العلمية، وإغراء البعض منهم للعمل في إسرائيل.

وانطلاقا من حرص إسرائيل على تنمية النشاط العلمي، وضعت خطة لتوفير الحواسب الآلية في المدارس، وبدأ تنفيذها عام ١٩٩٣، بتخصيص حاسوب لكل روضة أطفال إذ يوجد في إسرائيل حوالي ٤٠٠٠ روضة، وتوفير جهاز طرفي لحاسوب لكل عشرة أطفال في المدارس، ويبلغ عدد التلاميذ في إسرائيل حوالي ١,٢ مليون تلميذا. واللافت للنظر أنه في غضون ثلاث سنوات من بدء هذه الخطة تم تدبير أكثر من ٢٥٪ من الحواسب اللازمة، وهي عبارة عن ٣٣٤٠٠ حاسوبا طرفيا، و١١٦٠٠ حاسوبا.

وتشير الإحصاءات الإسرائيلية إلى تصاعد مؤشرات تفوق إسرائيل على العرب - نسبة إلى عدد السكان - عشر مرات في الأفراد العلميين، وأكثر من ثلاثين مرة في الإنفاق على البحث العلمي والتطوير، وأكثر من خمسين مرة في وصلات الإنترنت، ونحو ألف مرة في تسجيل براءات الاختراع. ويجدر ذكره أن إسرائيل تتمتع بمقومات أساسية تشكل منها خصما ثقافيا وعلميا قويا نتناول بعضها فيما يلي:

- تعدد اللغات داخل الكيان الصهيوني، وخاصة اللغة الروسية إذ تسمح بميزة تنافسية ثقافية تتمثل في إمكان الاتصال المباشر مع الجمهوريات الإسلامية المنشقة عن الاتحاد السوفيتي السابق من أجل التعاون العلمي، وتبادل الخبرات العلمية لاسيما أنها تتكلم اللغة الروسية.

- كثرة علماء اليهود في جامعات أمريكا وأوروبا، المشتغلين في مجال علوم الإنسانيات، مثل اللسانيات، وعلم الاجتماع، وعلم الآثار، ووفرة المؤلفات لكثير من رواد الفكر والعلم والثقافة من اليهود، أمثال «إميل دور كايم» مؤسس علم الاجتماع الحديث، و«جاك دريدا» رائد الفكر الفلسفي، و«نعوم تشومسكي» صاحب أكبر مدرسة في علم اللسانيات الحديث.

- توفر رصيد من علاقات التبادل العلمي والثقافي، وقيام إسرائيل بإنشاء العديد من جمعيات الصداقة من اليابان إلى البرازيل، ومن بولندا حتى جنوب إفريقيا.

وما يجب التأكيد عليه أن إسرائيل تحاول التحرش بالثقافة العربية والإسلامية من خلال الإنترنت، فقد أفلحت في بناء شبكة من التحالف العلمي والثقافي، لإثارة الخصومة ضد العرب، والمسلمين، كما تستغل تكنولوجيا المعلومات لتشويه التراث الحضاري العربي والإسلامي، فلا ينسى أحد ما قامت به إسرائيل مؤخراً بتمصير أفلام الإباحية الجنسية العالمية، باستخدام أحدث وسائل المونتاج الإلكتروني الرقمي، فعن طريقه استطاعت إحلال صور أوجه بعض الممثلين المصريين، والممثلات المصريات، محل أوجه الممثلين والممثلات الأصليين الأجانب، وما ذكرناه ما هو إلا مثل لهذا التزييف الرقمي، الذي يعتبر من أخطر أساليب التشويه الثقافي والحضاري.

ونعود مرة أخرى إلى الإحصاءات الإسرائيلية، فتشير إلى أن إسرائيل تحتل المرتبة الثانية بعد الدانمرك في معدل نشر الكتب، وقيامها بحركة ترجمة ضخمة إلى العبرية من الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والأسبانية، والروسية، والبولندية، والعربية، إثراءً للمكتبة العلمية في إسرائيل، كما أن لديها ما يزيد على ١٢٠ متحفا يتم تمويل بعضها من متاحف صديقة في الخارج، خاصة من نيويورك، وترتبط متاحف إسرائيل بشبكة المتاحف اليهودية في معظم العواصم الأوروبية، والمدن الأمريكية برباط وثيق؛ وتذكر أحد التقارير الصادرة من المكتب المركزي للإحصاء الإسرائيلي أن الإنفاق العام على البحث العلمي وتطويره بلغ في عام ٢٠٠٠ حوالي ٢٠ مليون شيكل - أي ما يعادل ٥ ملايين دولار أمريكي - بمعدل نمو سنوي قدره ١٦٪ بالقياس بالعام السابق، بينما بلغت نسبة نصيب الإنفاق القومي على البحوث العلمية ٤,٢٪ من الناتج المحلي الإجمالي الذي بلغ ١٢٠ مليار دولار، وهذه النسبة تتجاوز معدل الإنفاق على البحوث العلمية والتطوير في دولة صناعية متقدمة مثل السويد (٣,٥٪)، وفنلندا (٣,١٪)، واليابان (٣٪). ويجدر ذكره أنه يوجد في إسرائيل، اليوم، نحو ٧٠ شركة خاصة، و٥٠ صندوق استثمار خاص تقوم بضخ ما قيمته ملياري دولار في السنة، على البحث العلمي وتشير بعض المعطيات الإحصائية الإسرائيلية إلى أن حجم الطاقة البشرية العلمية في إسرائيل قد تضاعف عددها، في خلال العقود الثلاثة الأخيرة، أكثر من ٢٠ مرة، إذ أن نسب القوى البشرية المؤهلة في قطاع البحث العلمي الإسرائيلي هي ١٣٥ مهندساً لكل ١٠ آلاف نسمة، بينما في الولايات المتحدة الأمريكية هي ٨٥ مهندساً لكل ١٠ آلاف نسمة، وفي اليابان ٦٥ مهندساً لكل ١٠ آلاف نسمة، كما تصاعد عدد المهندسين والتقنيين في عام ١٩٩٦ إلى نحو ١٨٣ ألف مهندس بنسبة تربو على ٣٪ من إجمالي سكان إسرائيل. ومن الملاحظ أن العلماء اليهود المقيمين في مختلف بلاد العالم يمثلون إحتياطيا إستراتيجيا للنهوض بالنشاط العلمي والتكنولوجي في إسرائيل، كما تأتي هذه الدولة الصهيونية في المرتبة الأولى في مجال نشر المقالات العلمية في الدوريات العلمية الدولية بنسبة ١١٠ مقال لكل ١٠ آلاف نسمة، وهي كما ترى من أعلى نسب النشر في العالم. وفي إطار التعاون الدولي فإن علاقات إسرائيل الدولية على الصعيدين العلمي والتقني تتمثل في ثلاثة محاور أساسية: الأول يتعلق بعقد المؤتمرات والندوات الدولية التي تفسح المجال لتبادل المعلومات، وتطوير الخبرات العلمية والتقنية. والمحور الثاني يتصل بتمويل الأبحاث في إسرائيل من خلال صناديق أبحاث خارجية، يوجد منها حوالي ٣٠٠ صندوق بحث، وعشرات المؤسسات الأجنبية التي تمول برامج

البحث العلمي والتطوير في إسرائيل، والتي تزيد على ٢٠٠٠ مشروع بحثي تبلغ تكلفتها السنوية ٧٠ مليون دولار. أما المحور الثالث فيرتبط بتوقيع الاتفاقيات بينها وبين الدول بما فيها انعقاد الندوات، والمؤتمرات المشتركة، وتطوير برامج بحثية ثنائية، وتأتي على رأس هذه الاتفاقيات «الاتفاقية الإسرائيلية الأمريكية للبحث والتطوير» (AIRD) الموقعة عام ١٩٧٧، و«الاتفاقية الإسرائيلية الكندية للبحث والتطوير» (CIIRDF) الموقعة عام ١٩٩٤، و«الاتفاقية الإسرائيلية البريطانية للتكنولوجيا» (BRITECH) الموقعة عام ١٩٩٩، والاتفاقيات الثنائية في المجال العلمي والتقني مع الهند، وسنغافورة، والصين، واليابان، وكوريا الجنوبية، كما حصلت إسرائيل على عضوية كاملة في البرنامج الأوروبي للبحث العلمي والتطوير. ويرى بعض المحللين في إسرائيل أن ثمة سلبيات عديدة تبدو على الصعيدين العلمي والتقني، منها الإسهام المحدود لهجرة العلماء الروس في النشاط العلمي، فمن بين ١٣٢٥٠ عالماً روسياً وفدوا إلى إسرائيل في الفترة من ١٩٨٩ - ١٩٩٦، نجح منهم فقط ١٥٧ عالماً في الالتحاق بالعمل الأكاديمي في الجامعات الإسرائيلية، بينما فشل ٧٠٠ منهم في الاحتفاظ بوظائفهم التي حصلوا عليها في بداية عملهم. ومن ناحية أخرى فقد أدت هذه الهجرة الروسية إلى تراجع معدلات الإنفاق على البحث العلمي والتطوير في إسرائيل من ٣٪ عام ١٩٩٣ إلى أقل من ١,٨٪ عام ١٩٩٩ بسبب توجيه جزء كبير من الناتج القومي الإجمالي لاستيعاب المهاجرين، وإعادة تأهيلهم، وفوق ذلك فإن ارتباط البعد الأمني بخدمة تطوير العلم في إسرائيل كان له تأثير سلبي على كثير من الشركات التي كانت تستفيد من قاعدة الأبحاث العلمية التي تولى تطويرها النخبة العسكرية الإسرائيلية في فترة الثمانينات، ومن ثم صارت هذه الشركات تواجه صعوبة في تطوير الجيل المقبل من منتجاتها التكنولوجية الفائقة، ناهيك عن تزايد معدلات الهجرة العكسية للعلماء من إسرائيل إلى أوروبا وأمريكا للاستفادة من الإمكانيات العلمية المتاحة لهم هناك.

وفي الختام يمكن القول إن الهدف الذي أبغيه من تناول موضوع «النشاط العلمي في إسرائيل» هو التعريف بما يدور على الصعيد العلمي داخل دولة الكيان الصهيوني، خاصة أن الصراع العربي الإسرائيلي، هو صراع حضاري في الدرجة الأولى، يقتضي وضع إسرائيل تحت مجهر الواقع حتى يمكن رؤيتها في حجمها الطبيعي بدون تهوين، ولا تهويل، وحتى يمكن للعرب بناء استراتيجية شاملة للنهوض بالنشاط العلمي والتقني على الصعيد العربي لمواجهة خصم ثقافي عنيد، يسعى إلى التفوق العلمي، والسبق التقني على العرب كافة.

الصوم في الديانة اليهودية

للدكتور/ محمد حسن عبد الخالق

لقد فرض الله سبحانه وتعالى الصوم على الناس جميعا منذ القدم وكان ملازما لكافة الشرائع السماوية قبل الإسلام.

والصيام في الديانة اليهودية أحد الطقوس التي يمارسها اليهود والتي يعتبرونها جزءا من ديانتهم، وقد أمرتهم التوراة بالصيام من خلال ما جاء على لسان بعض أنبيائهم، أما توراة موسى عليه السلام فلم تذكر شيئا عن الصيام أو الأسباب الموجبة له.

فقد ورد في سفر الخروج، «ومكث موسى في حضرة الرب أربعين يوما وأربعين ليلة، لم يأكل فيها خبزا، ولم يشرب ماء، فدون على اللوحين كلمات العهد، أي الوصايا العشر»[1].

وقد وردت في التوراة كلمتان استخدمهما اليهود للدلالة على معنى الصوم وهما «صوم» و«تعْنيت» بمعنى تذليل النفس، ولم تأت كلمة «صوم» في أسفار موسى الخمسة «تكوين. خروج. للاويين. عدد. تثنية» والصيام الواجب عند اليهود هو صيام يوم كيبور[2] ومدته يوم واحد، كما يجب على كل يهودي ألا يقوم بعمل ما أثناء هذا الصوم، فقد جاء في سفر اللاويين:

«إنكم في اليوم العاشر من الشهر السابع (أيلول سبتمبر) تتذللون ولا تقومون بأي عمل»[3].

ويمتنع اليهود عن الشراب والأكل وارتداء الأحذية لمدة ٢٥ ساعة من غروب الشمس في اليوم السابق حتى غروب الشمس في يوم الصيام

وفي الماضي كان الصائمون يرتدون الخيش ويضعون الرماد على رؤوسهم تعبيرا عن الحزن، وهو أهم الأعياد اليهودية على الإطلاق، ويعتبر

---

(١) سفر الخروج ٣٤ : ٢٨.

(٢) يوم عيد الغفران.

(٣) سفر اللاويين: ١٦/ ٢٩.

أقدس يوم في السنة، ويطلق عليه سبت الأسبات، وكان كبير الكهنة في الماضي يذهب إلى قدس الأقداس، ويتفوه باسم الخالق «يهوه» - كما يعتقدون - والذي يحرم نطقه تماما إلا في هذه المناسبة[٤] ومن ينطقه من اليهود فقد كفر.

وصوم يوم كيبور فقط يعتبر إجباريا بينما أنواع الصيام الأخرى يطلق عليها «تعنيت» بمعنى تذليل، وقد تحدث عنها التلمود.

وهناك أنواع أخرى من الصيام الاختيارى أو المستحب أو الخاص وكذلك الصوم المقنن مثل يوم كيبور، والتاسع من شهر أغسطس وهو يوم حزن بسبب تخريب بيت المقدس وحرق الهيكل الأول والثاني.

وكذلك يوم السابع عشر من تموز بسبب تحطيم حوائط أورشليم.

وهناك يومى الإثنين والخميس من كل أسبوع يستحب فيها الصوم وصوم اليوم الأخير من كل شهر. وهناك من يصوم لذكرى خاصة به كوفاة عزيز لديه[٥].

وقد عرف العرب في زمن الجاهلية هذا النوع من الصيام ومارسوه، وكان يطلق عليه عندهم اسم «الضرس» وهو صَمْت يوم إلى الليل[٦].

وقد يصوم اليهود حزنا على موتاهم «وعندما حارب الفلسطينيون بني إسرائيل على جبل جلبوع... مات شاؤل ورجاله، هب كل المحاربين.. وصاموا سبعة أيام[٧].

وهناك صوم أحلام السوء «تعنيت حلوم» يفرضه اليهودى المتدين على نفسه بعد رؤية حلم سيئ.

وقد فرضت الديانة اليهودية الصوم على الولد بعد بلوغه سن التكليف «برميتسفاه» أى بلوغه الثالثة عشر من عمره. والبنت إذا بلغت سن الحادية عشر من عمرها، والمرأة مالم تكن حائض.

وقد ذكرت التوراة الحيض في سفر اللاويين:

«إذا كانت امرأة لها سيل وكان سيلها دما في لحمها فسبعة أيام تكون في طمثها، وكل من مسها يكون نجساً إلى المساء وفي حالة الولادة فإن المرأة لا تصوم ولا تصلي لمدة سبعة أيام إذا أنجبت ولداً ذكرا بينما إذا أنجبت أنثى فتكون مدة امتناعها عن الصوم والصلاة أربعة عشر يوما» أما حالات الرضاع والنفاس فقد اختلف فيها حاخاماتهم.

والآن وضع المرأة عموما متدن في الشريعة اليهودية التي بين أيديهم، فإن الشريعة تعطى للأب والزوج سلطة منع فرض من فروض الله.

---

(٤) د. عبد الوهاب المسيري: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص٢٧٨.

(٥) السيد محمد عاشور: الصوم في الشريعة اليهودية ص٢١.

(٦) د. على عبد الواحد وافى: بحوث في الإسلام والاجتماع ص١٤٥.

(٧) شاؤل يصبح أول ملك على إسرائيل ١٠٥٠ ق. م.

فإذا نذرت الزوجة صوماً وعلم زوجها بذلك فله أن يمنعها من تنفيذ هذا النذر إذا علم بذلك، وإذا سكت فإن سكوته يعتبر رضا منه، ويمكن لمن نذر منهم أيا كان نوعه أن يتحلل من نذره إذا أفتاه رجل دين له ثقله أو ثلاثة من اليهود العاديين.

وحرم الصوم في اليهودية في الحالات التالية:

(١) أيام السبت، ما عدا السبت الذي يقع فيه يوم كيبور.

(٢) أيام الأعياد.

(٣) الحائض.

(٤) أعفى حاخامات اليهود أنفسهم لاشتغالهم بالبحث الديني من الصيام التطوعي.

وسوف نلقي الضوء على تعنيت استير، أو صوم إستير.

وهناك سفر في التوراة يسمى سفر إستير.

وملخص السفر أن ملك فارس «أحشو يروس» تمردت زوجته عليه، فنصحه مردخاي اليهودي بطردها وإحضار أجمل فتيات المملكة إلى قصر الحريم وأحضر ابنة أخيه «إستير» التي كانت تتمتع بجمال فائق إلى القصر، وراقت في عين الملك.

وكان هامان ثاني شخصية بعد الملك، تجمع في استصدار مرسوم بالقضاء على اليهود بالمملكة. ويعلم مردخاي بالأمر فيبلغ ابنة أخيه إستير بما حدث ويطلب منها التدخل لدى الملك لإنقاذ شعبها.

ويقول السفر: «فلما رأى الملك إستير واقفة في الدار نالت نعمة في عينيه.... فقال الملك لإستير عند شرب الخمر ما هو سؤالك فيعطى لك وما هي طلبتك، إلى نصف المملكة تقضى.. فأجابت إستير وقالت:

إن سؤالي وطلبتي إن نلت نعمة في عيني الملك... أن يعطى سؤالي ويقضى طلبي.

وبعد أن يحضر الملك الوليمة ويشرب الخمر تخبره أنها تطلب رأس هامان ويذهب الملك إلى الحديقة ليفكر وينتهي الأمر بصلب هامان».

«وبعد ذلك أعطى الملك إذنا لليهود أن يجتمعوا ويقفوا لأجل أنفسهم ويهلكوا ويقتلوا ويقوموا بإبادة قوة كل شعب حتى الأطفال والنساء وأن يسلبوا غنيمتهم».

وخرج اليهود حتى أن «كثيرا من شعوب الأرض تهودوا لأن رعب اليهود وقع عليهم».

وأخذ اليهود في الانتقام يساعدهم في ذلك رؤساء البلدان فضرب اليهود جميع أعدائهم ضربة سيف.. ثم قتلوا بعد ذلك ٣٠٠ رجل ثم خمسة وسبعين ألفا (إستير ٩ / ١٦).

ثم استراح اليهود وجعلوا اليوم الخامس عشر من الانتقام يوم فرح يقرأ فيه سفر استير بأكمله في المعابد اليهودية وهو العيد الذي يحتفل فيه اليهود بنجاتهم من مؤامرة هامان

ومن يدري فقد يأتي اليوم الذي يصوم فيه اليهود (صيام شارون) ويمجده صقور وحمائم أمريكا وغربان تل أبيب.

قصة العدد

صنائع المعروف

بقلم / عابر سبيل

جلس الإمام رضي الدين القزويني رئيس الشافعية بالمدرسة النظامية قبيل صلاة العصر بمسجد بغداد، ليؤم الناس كعادته، ثم ينصرف إلى درس الأصول بالنظامية، فوجد رجلا يسعى إليه باكيا مستغفرا، ويقول: إن رئيس الشرطة ببغداد أرسله كي يتوب على يده في المسجد الجامع، وكان رضي الدين يعقد مجلس التوبة عصر كل جمعة، وليس اليوم يوم الجمعة، وهذا ما يعرفه غانم الكرخي رئيس الشرطة، فكيف تعجل بإرسال هذا التائب في غير موعد، وشاهد نفر من المصلين قدوم الرجل إلى الإمام، وسمعوا منه ما يرجوه، فنظر الشيخ رضي الدين إليهم مبتسما، وأجلس الزائر جانبه حتى أذن العصر فنهض للإمامة، ونهض الناس من خلفه - فلما فرغ من الصلاة، تحلق القوم من حوله، فقال لهم ليس اليوم مجلسنا للوعظ، ثم لقاء التائبين، ولكن الله يقبل التوبة عن عباده في كل وقت، وسنسمع قصة هذا الرجل، وإن له لشأنا جعل غانم الكرخي يهتم به، وفي أمثاله عبرة عملية تغني غناء الدرس اللفظي، ثم توجه إلى الزائر فقال له: قل حديثك يا بني..

وكان في الزائر شجاعة وصلابة، على رغم ذلة نفسه، وبكاء عينه، فقال بصوت قوي دوى بالمسجد فسمعه الحاضرون وكأنه واعظ يلقي موعظة، لا مذنب يشرح جريرته، قال الرجل: أنا محمد بن واسط البغدادي، وقد شاء حظي أن انتظم منذ عشرين عاما في عصابة ابن واصل الكردي، لأقطع الطريق مع الشطار، دون أن أحس في عملي ما يشين، لأن جمعنا يقترف هذه المهنة، وكأنها وظيفة معلومة، وفي يوم ما منذ خمسة عشر عاما، وقع في أيدينا غانم الكرخي قبل أن يصبح رئيس الشرطة، وكنت أتولى تفتيش الضحية لأنهب ما معها، فمددت يدي إلى جيب غانم، فرأيت مصحفا شريفا تلمسه كفي، فأخذتني رهبة لا أعهدها من نفسي،

ووقع في خاطري أن كلام الله يتشفع لهذا المنكوب، فوقفت دون حراك، مع أني أزاول هذا الأمر ولم استشعر قط ما شعرت به ساعتئذ، فقلت لأصحابي، انصرفوا عن الرجل، فهو في حمايتي ولن أسلبه شيئا، ونحن نستجيب إذا بسط أحدنا حمايته لأحد، فانصرف قومي، ونظر غانم إلى نظرة الشاكر وسمعته يقول: وما دمت قد احترمت كتاب الله، فلم تزاول قطع الطريق، فقلت له كانت زلات لي لم أحسب حسابها، ولو فارقت القوم تائبا، لبعثوا من يقتلني من شياطينهم كيلا أشي بأماكنهم ومنازل أهليهم، وتركته يمضي، ثم قدمنا بالأمس لكيلا ننهب متجر بغدادي قيل إنه بعيد عن الحرس، فما كدنا نهم بما نريد حتى دهمنا غانم برجاله، وكلهم مسلح مدجج وهم أكثر منا عددا وعُددا، فقبض علينا وساقنا مكبلين بالأغلال، ورأيته ينظر إليّ فاحصا، فعرفني وعرفته، فابتسم ونزع عني القيد وقال: أتذكر قولك إني أخاف الشياطين من أصحابي، لا خوف عليك الآن فستكون في جماعتي بشرطة بغداد، وعليك أن تحلق رأسك، وتغتسل ثم تذهب اليوم إلى المسجد الجامع، فتعلن توبتك، ويأخذ الإمام رضي الدين القزويني عهد الله عليك أن تتطهر من الإثم ولا تعود، ففرحت وكأني ولدت من جديد، وهأنذا قدمت ضارعا أتوسل.

قال رضي الدين وقد أشرق وجهه: إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار، وقد صدق من قال: إن صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وقد سبقت من الرجل صنيعة قدمها لغانم فوقته اليوم وخامة العاقبة، أقول ذلك، لأؤكد معنى مهما، هو أن كثيرا من الناس يظنون أن جزاء المعروف أخروي فقط، ولكن الأيام تثبت أن الجزاء دنيوي وأخروي، لأن عين الله لا تغفل، ولن يذهب العرف بين الله والناس، فالخير لا يعدم جوازيه، وقد شرحت لكم من قبل حديث الصخرة، وهو يؤكد أن الطاعات تفرج الكربات في الحياة الدنيا، قبل أن ينال الطائع ثوابها في الآخرة وأنتم تعلمون!.

قال المذنب، سيدي لا أعلم حديث الصخرة، وأحب أن أسمعه لأزداد يقينا، فقال رضي الدين: هو حديث نبوي مشتهر، ولن أرويه أنا، كيلا أنشيء مجلس وعظ هذا اليوم، لأن المجلس لغيري بعد صلاة المغرب، فلا اعتداء، ولن أحرمك الآن من سماعه، فليتقدم أحد التلاميذ ليرويه، وأشار إلى جار له، فاتخذ سمت المتحدث، وانطلق يقول: روى البخاري عن عبدالله بن عمر – رضي الله عنهما – أن النبي ﷺ قال: «خرج ثلاثة يمشون فأصابهم المطر، فدخلوا غارا في جبل، فانحطت عليهم صخرة، فقال بعضهم لبعض: ادعو الله بأفضل عمل عملتموه، فقال أحدهم: اللهم إني كان لي أبوان شيخان كبيران فكنت أخرج فأرعى، ثم أجيء فأحلبه، فأجيء بالحلاب فآتي به أبويّ فيشربان، ثم أسقي الصبية وأهلي وامرأتي، فاحتبست ليلة، فجئت فإذا هما نائمان، فكرهت أن أوقظهما، والصبية يتضاغون عند رجلي، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهما حتى طلع الفجر، اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا فرجة نرى منها السماء، ففرج الله عنهم، وقال الآخر: اللهم إن

كنت تعلم أني كنت أحب امرأة من بنات عمي كأشدّ ما يحب الرجل النساء، فقالت: لا تنال ذلك مني حتى تعطيني مائة دينار، فسعيت فيها حتى جمعتها، فلما قعدت بين رجليها قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فقمت وتركتها، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، ففرج عنا فرجة، قال: ففرج عنهم الثلثين، قال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أني استأجرت أجيرا بفرق من ذرة، فأعطيته وأبى ذاك أن يأخذ فعمدت إلى ذلك الفرق فزرعته، حتى اشتريت منه بقرا وراعيها، ثم جاء فقال: يا عبدالله أعطني حقي، فقلت: انطلق إلى تلك البقر وراعيها فإنها لك، قال: أتستهزئ بي، فقلت: ما أستهزئ بك، ولكنها لك، اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا، فكشف عنهم».

سمع المذنب حديث الصخرة، فأكب على يد الشيخ الإمام مقبلا، فاستتابه، وردد أقوال التوبة خلفه ورددها الحاضرون، وصادف أن قدم إلى المسجد الإمام أبوالفرج عبدالرحمن الجوزي، والإمام صدر الدين الجخندي، وكلاهما من زملاء رضى الدين في المدرسة النظامية فابتسم ابن الجوزي حين رأى حلقة الدرس، وقال مداعبا رضى الدين: اليوم لي يا شيخنا، وساعظ بعد الغروب، فقال الشيخ، وأنا لم أتحدث، وإنما روى الطالب حديث رسول الله ﷺ لمناسبة ابتدعته، ثم أوجز ما كان من أمر التائب، فتهلل وجه ابن الجوزي، وقال: جزى الله صاحب الشرطة خيرا، فهو لايزال يبعث إلينا بمن يسعد الناس بتوبته النصوح.

فقال رضى الدين: وقد تعمدت أن أسمع القوم حديث الصخرة، لأعلمهم أن جزاء المعروف ليس وقفا على الآخرة وحدها، لكنه يثمر في الدنيا والآخرة معا، وقد صنع هذا التائب معروفا أدرك ثمرته اليوم قبل أن ينتقل إلى جوار ربه، فماذا يرى شيخنا ابن الجوزي؟

قال الشيخ: لقد جئت الآن لاخلو بنفسي، حتى تحين صلاة المغرب، فأؤدي الدرس، ولكني آنس في روحي انطلاقا لا عهد لي به من قبل، لأن فرحتي بتوبة العبد المؤمن، تذهب عني بوادر الكسل، وما قرره الإمام القزويني من أن ثواب المعروف يتحقق في العاجلة والآجلة معا مما لا شك فيه، وقد أحصيت عدة وقائع صحيحة تثبت هذا الرأي القاطع، وسردها الآن متعذر، وسأسجلها في كتاب يتداوله الناس.

قال صدر الدين: ما هذا يا ابن الجوزي، تحضر مجلس التوبة، ويتجمع الناس معتبرين، ويكون لديك من القصص ما يؤكد حقيقة اجتماعية تود أن تذيع بين الناس، ثم تقول إنك ستدون القصص في كتاب، لابد أن نستمع إلى قصة تنهض دليلا جديدا، فهيا، وأسعف يا رجل.

قال رضى الدين: وهاأنذا أرى التلاميذ ينظرون في شوق وارتقاب! فلا تهمل رغبة الجميع يا أخي، وهذه ساعة رضا، ولحظة قبول.

قال ابن الجوزي: لقد جاءني اليوم كتاب «الاعتبار» للأمير أسامة بن منقذ، وهو ممن عرفت وصاحبت، فقرأت فيه مدهشات من الغرائب العجائب، ومنها ما يصلح دليلا على ما يؤكده الإمام القزويني من وقوع المثوبة في الدنيا

مع الآخرة، وسأذكر مما قرأت به هذه النادرة:

قال القاضي أبوبكر بن محمد بن عبدالباقي الأنصاري: بينما كنت أحج بيت الله، وجدت عقدا من اللؤلؤ فشددته في طرف حزامي، وبعد ساعة سمعت إنسانا ينشده في الحرم، وجعل لمن يرده عشرين دينارا، فسألته علامة له، فأخبرني بها، فتسلمه، وقال لي: تجيء إلى منزلي لأدفع إليك الجعل، فقلت: ما لي حاجة إلى مالك، وأنا من الله في خير كثير، فقال: أكان صنيعك لله - عز وجل - قلت: نعم، فقال: استقبل بنا بناء الكعبة، وأمن على دعائي، فاستقبلنا الكعبة، فقال: اللهم اغفر له وارزقني مكافاته، ثم اتفق لي أن سافرت من مكة إلى ديار مصر، فركبت في البحر متوجها إلى المغرب، فوقعت المركب في أيدي الروم، وأخذت أسيرا، فكنت من نصيب بعض القسوس، ولم أزل أخدمه حتى مات، وكان قد أوصى بإطلاقي بعد موته، فحررت، وخرجت من أرض الروم إلى بعض بلاد المغرب، فجلست أكتب على دكان خباز بأجر يومي، وكنت أكتب بخطي ورق الحساب لمن يعاملهم الخباز من أعيان المدينة، فجاءه بعض الوجهاء، وقال للخباز، تتنازل عن هذا الكاتب لأجلي، لأن معرفته بالحساب والخط تعينني على إدارة أملاكي، فوافق الخباز لمنافع يرجوها من الرجل، وانتقلت إلى منزله، فإذا نعمة سابغة، وجاه مديد، فأوقفني على ما يرغب مني، فكنت أؤديه كأحسن ما يكون الأداء حتى اطمأن لي، فلما مضت مدة قال لي: لماذا لا تتزوج، قلت: سيدي، وهل أملك ما آكل به وحدي حتى أضم إليّ زوجة تأتي بأطفال!

فقال: سأتكفل بكل ما تحتاج، فقلت: إذن لا أمتنع، فقال: يا ولدي إن التي ستتزوجها ابنتي وهي دميمة غير مقبولة، قلت: رضيت ما دامت ابنتك، فلما كان بعد أيام قال لي: تهيأ لدخول منزلك، ثم أمر لي بكسوة فاخرة، ودار تعادل داره بهاء وسعة، وذهبت بعد اجتماع القوم للعروس، فوجدتها أجمل فتاة وقعت عليها عيناي، فخرجت هاربا من الدار، فلقيني والدها، وقال: ما شأنك، قلت: ليست هذه الزوجة التي وصفتها وذكرت من عيوبها الكثير، فتبسم وقال: هي زوجتك، وليس لي سواها، وقد قلت لك ذلك لتستقل ما ستراه ابتداء، فإذا اطلعت قنعت.

فلما كان من الغد، جعلت أتأمل ما لديّ من الحلي والجواهر التي حملتها العروس معها، فرأيت من بينها العقد الذي وجدته بمكة من قبل، فعجبت كثيرا، وجاء والدها يزورها، فرأى على شفتي كلاما، فقال: ما خطبك؟ قلت: هذا العقد، رأيته بمكة مفقودا لإنسان مغربي وأعطيته إياه، فقال: أأنت صاحبنا بمكة؟ قلت: نعم، قال: وقد دعوت الله أن يغفر لك ويرزقني مكافاتك، وأنت تؤمن! قال: نعم، قال: أبشر بمغفرة الله، لأن نصف الدعوة تحقق، وسيتحقق النصف الثاني! وقد سلمت إليك مالي وابنتي وهي كل أقاربي، فأصبح كل شيء لك، وأوصيك بها!.

غمر الوجوه سرور مضيء، وقال الإمام القزويني: من أين كنا سنعثر على هذه النادرة، لو لم يقدم شيخنا عبدالرحمن؟

فقال صدر الدين: ومن ببغداد مثل الإمام ابن

الجوزى، فى سعة اطلاعه، وشمول معرفته، على أننى أضيف شيئا صغيرا، فأذكر أن أحمد بن يوسف الكاتب ألف سفرا سماه «المكافأة» ملأه بالأقاصيص الدالة على أن صنائع المعروف تقى مصارع السوء، وقال فى مقدمته ما معناه: إن قصص الكرام المشتهرة، تذكر فعالهم المجيدة، وقلما تشير إلى عقبى هذه الفعال من مكرمات تتحقق لأصحاب الفضل من الناس، فأردت أن أثبت ما لقيه هؤلاء من جميل العقبى فى الحياة، ليكون ذلك دافعا حثيثا للمكرمات! ثم ذكر من القصص الجميلة ما وقع من نفسى موقع الارتياح، وأذكر أنى قرأت كتاب ابن يوسف عدة مرات.

قال ابن الجوزى: وهذا كتاب لم أقرأه، وقد ذكر شيخنا الصدر عن سعة الاطلاع، وشمول المعرفة، فمن الجدير بهذين الوصفين سواه؟ نرجو أن تتكرم بذكر قصة مما علق بذهنك من كتاب المكافأة، فإن النفوس على استعداد وليكن اليوم، يوم الاحتفال بالفضل والفضلاء من ذوى المكارم، وسيرتهم جديرة بالدرس، لأنها تطبق ما يدعو إليه الإسلام من المحامد، فهى درس من أمتع الدروس، هيا يا صدرالدين.

قال الصدر: نقل ابن يوسف عن محمد بن يزيد من أصحاب البريد لعهده، أن ابن طولون قد أطلق من حبسه جماعة من اللصوص ومنهم فتى تظهر عليه ملامح الشراسة، فأراد ابن يزيد أن يثنى من شره بالتى هى أحسن، فهنأه بالسلامة من الحبس، وأوصاه أن يتقى الله فى أموره فلا يشارك بعد الآن فى قطع الطريق، فقال الفتى واسمه مسافر: يا سيدى إن النفس أمارة بالسوء ولن يكون المتاب إلا بتوفيق من الله، قال ابن يزيد: فاستحسنت جوابه، وقلت له: كم يكفيك، إلى منزلك؟ فقال: دينار، فدفعته إليه، وقلت له: إذا حدثتك نفسك بقطع الطريق فلا تطعها، وابعث إلىَّ فسأكفيك، فما مضى شهر حتى اضطربت نواحى البهنسا بتسلط رجل من اللصوص فى جمع حاشد من اتباعه، وكانت لى أموال وأثمان زروع فخرجت لتحصيلها هناك مع جماعة من التجار، وما كدنا نلم بالبهنسا حتى داهمنا اللصوص بأسلحتهم المهددة، وفيهم فتى تأملته فإذا هو مسافر صاحب النصيحة التى وجهتها إليه من قبل، فلما عرفنى أكب على رأسى مقبلا، واحتفى بمن معى من أجلى وقال لأصحابه: أخطأ والله ظنكم، هذا سيدى ولن نزعجه مع جماعته فى شىء، ثم قال لى: أعلم أنك ستلومنى إذ خالفت نصيحتك، ولكن النفس أمارة بالسوء، فاذهب إلى سبيلك مع جماعتك، وأملى أن أراك فى رجوعك من هذا الطريق لأحرسك حتى تصل إلى الأمان! فلما وصلنا إلى اهناس، شاع خبر اللصوص، وجاء المتقلد لها من أصحاب ابن طولون يستطلع الخبر، فأعلمته بشأن مسافر معى، فقال والله: إنه رئيس القوم، وقد بذلت الجهد فى استمالته إلى الرشد فعييت، وأنا أسألك أن تسفر بينى وبينه، فإذا أجاب وأجابت معه عصابته، فإلى سأؤمنه وأكرمه، وأقلده صيانة الأمن فى الإقليم، فرجعت إلى مسافر، ولى أمر فى احتوائه، فقال يا سيدى: أعلم أنك دليل الخير، ثم نهض إلى أصحبه صارخا: من يساعدنى على التوبة،

والالتزام بأدب الدين، فقالوا جميعهم: نحن معك، فسار مسافر وأتباعه من خلفه، وقد وضع في عنقه وأعناقهم الحبال، وقال: ادخل بي في زي الأسرى ليعلم الناس صدق التوبة، وجعلت أتيه فاصر، فلما أتينا إهناس خرج الناس للقائنا في دهشة بالغة لقيادتي نفرا من شياطين الإنس، وعجبت، كيف لشيخ ضعيف مثلي أن يقوم بما أعجز رجال الدولة هناك؟! فاستبشر المتقلد بتوبة من أزعجوه وأقلقوه، ثم طلب مسافر أن يرحل إلى الحج في القافلة تائبا، فاستجبنا له، وعرف ابن طولون الخبر، فقال لي: لم يضع دينارك يا ابن يزيد.

قال الإمام المقريزي: هذه لؤلؤة، ولن تكتفي بها، فعليك بأختها يا صدرالدين.

قال الصدر: لم يحك الإمام ابن الجوزي إلا قصة واحدة، فإن عاد عدت، فصاح ابن الجوزي: بالله إلا استرسلت، فأنا إلى هذه الفرائد أحوج، لأن دروس الوعظ ببغداد لا تجد صداها لدى العامة إلا بهذه الطرائف وسأنقلها عنك.

قال الصدر: ولدي نادرة من هذا الوادي بطلها شرير تاب الله عليه لمناسبة كمناسبة مسافر، وقد عاد النفع بها على من تقدم بحسن الصنيع! إذ ذكر ابن يوسف عمن يسمى بإسماعيل بن ساباط أنه قال: كانت لي دار للخيل أفد إليها بين الحين والحين على ضفاف الصحراء، فقصدتها ذات صباح فرأيت حشدا من العامة ضاقت بهم الأرض على سعتها، ومعهم حارس الأمن، فاستقبلتني امرأة هائجة تلطم وتقول: يا سيدي وحيدي وكافلي يُعرض الساعة للقتل، فالله الله فيّ، وأنا أمه ولا يعولني أحد سواه، فذهبت لحارس الأمن أسأله عن قصته فقال: إنه خنّاق شرير، فقلت بصوت مرتفع: ماحقه غير الإحراق بالنار، وسأكتب فيه للسلطان، فاحبسوه ليأتي الأمر بقتله ففرح الناس، ورفعوا أيديهم بالدعاء لي، وما قلت ذلك إلا لأصرف العامة مخافة أن يحدث الهياج إذا أطلقته فلما صليت العشاء بعثت في استدعاء هذا الخناق، فإذا شاب ظاهر القسوة بادي اللؤم، فقلت له: أما تتقي الله في أمك، وقد كانت بين الموت والحياة وهي تستشفع بي، فقال يا سيدي، أعطيك عهد الله على أن أتوب ولا أعود، فأوصيته بخير، وأمرت من يخرجه من البلد إلى مكان قاص كيلا يهيج عليه أحد.

قال إسماعيل، وقد مرت سنون، وتغيرت أحوالنا، إذ قدم من دار الخلافة من أشخصني إلى بغداد مخفورا لذنوب لم نرتكبها، وحين وصلتُ إلى دار الوزير طالبني بأموال زعم الواشون أني اختلستها من الناس، واشتد في خشونة أرهبتني، ثم نادى رجلا غليظ الطبع أقام على بعض أمره، فقال له: استخرج منه مائة ألف دينار اليوم، وإلا فعذبه حتى يقر، فأيقنت بالهلكة، ولكن صاحبي الذي سرت معه، أخذ ينظر في وجهي ثم سأل عن اسمي، فحين أجبته سكن فوره، وهدأ غضبه، وقال: ألا تعرفني يا سيدي، أنا الخناق الشرير الذي أطلقتني من مصر، والله ما خنقت أحدا بعدها، ولكن الوزير رأى شدة بأسي حين قدمت إلى بغداد فاختارني لاستخرج الأموال بالتعذيب، ثم صحبني إلى حجرته بقصر الوزير، وأخرج صندوقا يحمله غلامان، وقال: في هذا المال ما تكتفي به جميعا

إذا هربنا من بغداد، قلت: وكيف نحمل إذا تنبه الوزير وساق خلفنا من يردنا مقهورين، قال: معك الحق، ثم انكفأنا إلى الوزير فجعل يبكي بين يديه، ويقول: عاشرته بمصر فعرفت أمانته، فقال الوزير: أصدقك لأني لا أعرف فيك ميلا للزائفة إلا عن اقتناع، وقد أعفيته، فاعمل على رجوعه سالما، فكاد الخناق يشق ثوبه من الفرح، وقال لي: أحمد الله فقد قدرت على رد الجميل، وأعددت لي سفرا مريحا مع قافلة ذات شوكة وسلاح، قال ابن الجوزي، لن أترك الصدر حتى يعيرني كتاب المكافأة هذا، فقد أحسست برغبة في استظهاره، فضحك الصدر قائلا: ستكون أعجوبة بين الناس حين يعرفون أن ابن الجوزي يستعير كتابا من الصدر، وهم يعلمون أن عبدالرحمن ما ترك مصنفا دون استيعاب.

فقال ابن الجوزي، سأعلمهم أنك قرأت ما لم نقرأ، ليلتفوا حولك إذ سرت، فنستريح وقتا للقراءة والتصنيف، وتطلع ابن الجوزي إلى الإمام القزويني فقال له: على وجهك كلام يا رضي الدين، وقد جاء دورك، ولابد من طرفة. قال رضي الدين: ألم أذكر حديث الصخرة يا أخي، وحديث رسول الله أشرف الحديث! فقال ابن الجوزي: متى يا رجل؟ قال: قبل أن تجيء!.

فابتسم ابن الجوزي قائلا: لا تهرب، فأحاديث رسول الله ذائعة مشتهرة، نريد أن تأتينا في هذا المنحى بطرفة نعتز بها، وكل الصيد لديك! والتفت ابن الجوزي إلى الطلاب فقال: إنه مجلس نادر يا قوم! لقد أغناكم عن مجلس المغرب، فلا وعظ الليلة لتستجمعوا هذه الفرائد قبل أن تضيع.

ثم صاح برضي الدين: قل يا أخي فقد اشتاقت الآذان، وقد بدأت قائمم.

قال القزويني: جميع ما سمعناه من النوادر يدل على تحقق المكافأة لمسدى الجميل في حياته، ولكن ما سأرويه الآن سيتقدم خطوة تالية فتعطى المكافأة في الحياة أيضا، ولكن لورثة صاحب الصنيع، وهذا ما نطقت به صحائف التاريخ، فقد ذكر الرواة أن أبا عبدالله محمد بن علي بن العباس أبا الخلفاء أتى هشام ابن عبدالملك بالرصافة، فأخر الإذن عليه أياما، حتى شكا لأخيه مسلمة بن عبدالملك فصاح هشام، أتشفع في رجل لو طاوعت شيطاني لقتلته الآن، إنه يحلم بالخلافة ويسمي ابنيه عبدالله وعبدالله، والله لولا انتقاد الناس لسال دمه الآن، فخرج مسلمة إلى أبي عبدالله، وقال له: إني يئست من هشام، وما حملت معي إلا ألفا وثلاثمائة دينار هي لك، وسيصلك غيرها.. مات مسلمة ومات أبوعبدالله، وسهر هارون الرشيد ذات ليلة مع ندمائه، فجرى ذكر هذه الحادثة، فقال الرشيد: والله لا أمكث حتى أجزي أبناء مسلمة ذكورا وإناثا بما يقر عين جدهم في قبره، مكافأة على صنيعه بجدي، ثم أحصى الأبناء فوجدهم أربعين فأعطاهم أربعين ألف دينار لكل واحد ألف..!.

قال ابن الجوزي هذه نادرة النوادر، وجزى الله الحطيئة خيرا حين قال:

من يصنع الخير لا يعدم جوازيه
لا يذهب العرف بين الله والناس

ونهض الأساتذة، فنهض التلاميذ.

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

الآداب الواجبة فى شهر رمضان

● السؤال من السيد على مراد - الباجور: ما هى الآداب الواجبة فى شهر رمضان ؟

●● الجواب :

الغاية من صوم رمضان هى : «تقوى الله» تعالى، وله حكمة وفوائد - عظيمة روحية وجسمية وخلقية واجتماعية فالصوم مطهر للجوارح من فعل المحرمات مهذب للنفوس بالنوازع عن الشبهات مربى خلق الأمانة كابح لجماح الشهوات مقوى للإرادة قامع لفاحش النزوات وللصوم جمال تذوقه الأرواح وللصوم سر تعرفه القلوب وللصوم نفحات ترفع العبد إلى أعلى الدرجات ولكن أى صوم هذا الذى يرفعنا إلى هذه الدرجة ويورثنا هذه الخشية إنه الصوم الذى نعرف حدوده ونلتزم آدابه ونؤدى شروطه روى ابن حبان عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ : «من صام رمضان وعرف حدوده وتحفظ مما ينبغى له ان يتحفظ كفر ما قبله» فيجب على الصائم أن يتأدب بآداب الإسلام فيعمل بما أمر الله ويتجنب ما نهى عنه وأن يكف لسانه عن فضول الكلام وأن يبتعد عن كل ما يثير النزاع بينه وبين غيره وأن يحسن معاملة الناس وأن يبتعد عن إساءتهم وأن يغفر لهم زلاتهم وأن يحسن عشرتهم وأن يكون فعالا للخير بعيدا عن النقائص والشر وأن يصون لسانه عن الغيبة والنميمة وأن تصوم يده فلا تمتد إلى أحد بالإيذاء قال رسول الله ﷺ : «ليس الصيام من الطعام والشراب إنما الصيام من اللغو والرفث» وقال ﷺ : «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه» رواه البخارى.

فجدير بالصائم أن يتحلى بالآداب الإسلامية وأن يجعلها نصب عينيه دائما.

والله سبحانه وتعالى أعلم

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور
أحمد الطيب
مفتى جمهورية مصر العربية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

زكـــاة الفطـــر

● السؤال من السيد محمد عبدالمعبود - المنصورة: ماهو حكم زكاة الفطر وكيف تؤدى؟

●● الجواب :

زكاة الفطر واجبة وتصرف إلى الأصناف الثمانية المذكورة في قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَالْمَسَٰكِينِ وَالْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(1).

مع تقديم الفقراء والمساكين عن غيرهم من باقي الأصناف المذكورة في الآية لأنهم أولى الأصناف ولأنه كان من هديه ﷺ: «تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم» ويجوز إخراج زكاة الفطر من أول يوم من أيام رمضان على ما رآه الشافعية، ويجوز أن تؤدى قبل العيد بيوم أو يومين عند بعض الأئمة، بل يجوز ذلك قبل رمضان.

ولايجوز تأخيرها عن يوم العيد والأفضل إخراجها قبل صلاة العيد لما رواه البخارى ومسلم أن رسول الله ﷺ أمر بزكاة الفطر أن تؤدى قبل خروج الناس للصلاة، قال ابن عباس رضى الله عنهما: «فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات».

والواجب في صدقة الفطر صاع من القمح أو الشعير أو التمر أو الزبيب أو الذرة أو نحو ذلك مما يعتبر غالب قوت البلد، وجوز أبوحنيفة إخراج القيمة وقال: إذا أخرج المزكى من القمح فإنه يجزىء نصف الصاع والمقرر شرعا أن تراعى مصلحة الفقراء والمساكين أولا وأخيرا في

(1) التوبة (٦٠).

إخراج الزكاة ومما لاشك فيه أن إخراج النقود فيه فوائد كثيرة كما أنه أكثر نفعا للمحتاجين ويحقق بذلك مصلحة الفقراء والمساكين أكثر مما لو كان حبوبا.

وعلى ذلك فدار الإفتاء تميل إلى الأخذ برأي الإمام أبي حنيفة في إخراج زكاة الفطر بالنقود بدلا من الحبوب تيسيرا على الفقراء في قضاء حاجاتهم ومطالبهم كما أنها تحدد هذه القيمة كل عام عن كل فرد في الوقت المناسب لذلك.

حبوب منع الحيض

● بعض النساء يسألن: هل يجوز استعمال حبوب منع الحيض لتأخيره حتى انتهاء شهر رمضان علما بأن هذه الحبوب قمنا بتجربتها ولم يحدث منها ضرر؟

●● الجواب:

من الأحكام الثابتة في الشرع أن المسلمة يجب عليها الفطر في رمضان إذا جاءتها الدورة الشهرية.. إذ الفطر هو الأنسب والأوجب في حالات الإعياء والاضطرابات الجسدية التي تصاحب هذه الحالة هذا تخفيف من الله ـ تعالى ـ ورحمة بعباده والإفطار هنا واجب، وما يفعله كثير من النساء من أكل شيء قليل جدا أو شرب بعض السوائل ثم الإمساك بقية اليوم مخالف للشرع، والمطلوب من المرأة أن تفطر بشكل طبيعي ولاحرج ولا لوم عليها، لأنها ستقضي هذه الأيام حسبما جاء في حديث السيدة عائشة رضي الله عنها: [كنا نؤمر بقضاء الصوم ولانؤمر بقضاء الصلاة..]

أما استعمال الحبوب التي تؤخر «الدورة الشهرية» إلى ما بعد رمضان، والتي تتيح للنساء أن يكملن صوم الشهر كله بغير انقطاع فلا بأس منه، ويجوز اللجوء إلى هذه الوسيلة ويصح معها الصوم، ولكن بشرط أن يقرر الأطباء أن استعمال هذه الحبوب لا يترتب عليها ما يضر بصحة المرأة عاجلا أو آجلا، فإن ترتب على استعمالها ضرر فهي ممنوعة، ليس بسبب الصوم أو الفطر في رمضان، ولكن بسبب قاعدة أخرى يحرص عليها الإسلام أشد الحرص وهي تحريم كل ما يضر بصحة الإنسان، ومن المعلوم أن «حفظ الصحة» مقصد ضروري من مقاصد الشريعة في هذا الدين الحنيف.

والله سبحانه وتعالى أعلم

ترسل الاستفتاءات إلى العنوان التالي:

مجلة الأزهر - مدير التحرير - بريد رابعة العدوية - مدينة نصر

كليات القدرة تصحح خواطرنا

للدكتور/ علي أحمد علي

ومعا. بمشيئة الله تعالى. إلى صدر الفقرة الخامسة من العدد الماضي من مجلتنا الطيبة، مجلة الأزهر ص ١٣٠٤. لنقرأ سطورا ثلاثة هي منهج بحثنا في هذا المقال، قلت:

«ولكليات القدرة إعجاز يخصها: فنادرا ما يتكرر في آياتها معنى دون زيادة تخصه، بينما جاءت كل آية منها تحمل قضية أساسية لم ترد في غيرها من أخواتها. ونعرض للأمرين. بمشيئة الله. عز وجل. بقدر ما يسمح به «مقال» اهـ.

وهناك صحبنا الآيتين الكريمتين: الأولى والثانية من آيات كليات القدرة: فكانت الأولى ختاما لوصف الحال المضطربة لنفسية المنافقين، وكانت الثانية في قضية «النسخ»، وبها انتهى المقال الثاني لهذا البحث.

ونمضي ـ في مقالنا هذا ـ مع كليات القدرة: الخمس وثلاثين الباقية لنرى إعجازها إلى جانب ما أحاطت به المسلمين من علم، ليس إلا اللهُ ـ وحده ـ مصدرُه؛ ثم إلى ما شاء الله ـ تعالى ـ مما ادخره في هذه الآيات: وهذه هي الكلية الثالثة تقدم للمسلمين ـ بجلاء سافر ـ ما يتمناه أهلُ الكتاب لهم من كفر بعد إيمان، قال ـ تعالى ـ:

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(١).

وفي الآية تهوين أمرهم على المسلمين؛ فلا ينشغلوا بما في قلوب هذا الصنف من أهل الكتاب من غلٍّ وحسد، فإن أمر الله ـ تعالى ـ بإزهاقهم آت لا ريب فيه، وربنا ـ سبحانه ـ على كل شئ قدير؛ فمضوا

(١) البقرة (١٠٩).

أنفسكم عن الاشتغال بأمرهم، ودعوهم لما في قلوبهم؛ فإنه كفيل بتنغيص حياتهم.

وتحيطنا الكلية الرابعة من كليات القدرة - علمًا بأن «لكل ملة قبلة» هم عليها عاكفون - وقد أرشدكم الله - تعالى - أيها المسلمون - إلى القبلة الحق، فإليها تتجهون، وتسارعون إلى ممارسة الطاعات، وبخاصة: الصلاة أول وقتها؛ فإنما كانت القبلة من أجل الصلاة، وحسابُ الخلق على الله - عز وجل - وهو - وحده - جامعُهم يوم القيامة، فإنه على كل شئ قدير. قال تعالى:

﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٢).

أي أن الله - تعالى - العليم بكل شيء الحكيم في ملكه قد اختار لكم القبلة الحق وصرفكم إليها فالزموها، وليمت غيظًا وحنقًا من كفر من أهل الكتاب، فما هم بضاريتكم من شيء.

ونلاحظ أن الكليات: الثانية والثالثة والرابعة، كُلٌّ جاءت فيمن كفر من أهل الكتاب، وسلط هواه وحقده على المسلمين، وعُنيت كل آية من الثلاث بإبراز لون بعينه من هذه البغضاء، ولا ننسَ أن رسول الله ﷺ قد جرّعهم غُصَصَ بغضائهم هذه في خيبر وقريظة وغيرهما.

و«البعث بعد الموت» هو القضية التي حملتها الكلية الخامسة من كليات القدرة لكن: أي بعث هو...؟

إنه ليس بعث القيامة الشامل الذي يُنفخ له في الصور فيقوم الخلق أجمعون، يستقبلون حشرًا وحسابًا.. لا.

إنه بعث خاص تناول إنسانًا بعينه، قضى الله - عز وجل - عليه أن يموت مائة عام فقط ثم يحيا ليستأنف حياة عُمُرِهِ الذي قدره الله - تعالى - له في الأزل.

وإنما أماته الله - تعالى - تلك المدة لعبرة وتبصرة، وهي عبرة - للأسف - لا يعتبر بها إلا المؤمنون بالله - وحده - الذين يُقرون بقدرته - تعالى - على كل شيء.

وسواء علينا: آمنوا بها أم لم يؤمنوا، فإنها تخنع رقاب الذين طنطنوا وهزأوا بالرسل، وسخروا من إرشاد أنبيائهم إلى البعث بعد الموت لحياة أخرى: إما نعيم أبدًا أو جحيم أبدًا، وقالوا - لرسلهم:

﴿ فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾(٣).

ها هو البعث بعد الموت أوقعه الله - عز وجل - في الحياة الدنيا.

وهذا البعث - بهذا الوضع - كانت له حالات أخر، أوعيت «البقرة» منها خمس حالات(٤)، ولقد يكون في التنزيل العزيز غيرها، وله ميدانه إن شاء الله.

والحالات الخمس بسورة البقرة تناولت «أفرادًا» بأعيانها، أو «جماعات» قضى الله - تعالى - عليها بموت مؤقت عبرة، أو عقوبة، أو عبرة وعقوبة معًا - إلا حالة واحدة منها، أحيا الله - تعالى - فيها قتيلًا قد انتهى عمره؛ ليدل - فقط

(٢) البقرة (١٤٨).

(٣) الدخان (٣٦).

(٤) انظر الآيات الكريمة من البقرة: ٥٥، ٥٦، ٧٢، ٧٣، ٢٤٣، ٢٥٩، ٢٦٠.

– على قائليه فما عاش إلا لحظات الدلالة[٥].

ونعود إلى صاحبنا في كلمته الخامسة:[٦]

لنراه مؤمنا[٧] صالحا خائفا خاشعا لله – عز وجل – قانعا من حياته بأدنى ما يكفيه من لباس وزاد يسوق حماره، وفي إحدى يديه غذاؤه، ها هو يمر على قرية فيستوقفه حالها الكئيب إذ يراها على خراب تام، راكدة بلا حياة ولا أحياء، قد انهار فيها كل ما تُقيمه الحياة من معالم ورواء؛ فهذه قصورها وبيوتها قد سقطت سقوفها على أعمدتها فتداعت بما حملت فاستوت بالأرض، وتلك حقولها جرداء لا تنبع بها خُضرة، ويبست أشجارها، فليس على أغصانها ثمرة، ثم جفاف طوق أرجاءها وأعدمها الحياة.

ولابد كانت يوما مدينة زاهية، مفعمة بالحياة والأحياء والروعة والجمال؛ فإن أعمدة قصورها ومنازلها تحمل من النحت وبراعة الفن النصيب الوافر... ثم ها هي قد فَنيتْ، فتردد – في نفسه وحاله هذا السؤال – تعجبا مما يرى:

﴿ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾...؟

إنه مؤمن بقدرة الله على إحيائها؛ فالله على كل شيء قدير، ولكن نفسه تتشوف إلى معرفة كيف يتم هذا الإحياء..؟

وما أن أطلق لنفسه سجيتها فتساءلتْ هذا السؤال حتى قبض الله – عز وجل – روحه، وأماته، وأمات حماره مائة عام، وأخفاه وحماره وطعامه عن خلق سوف يعمرون القرية بعد حين.

وإذ مضت السنون المائة بعثه الله، وردّ عليه روحه، فقام ينظر حوله – وهو في النهاية من الدهشة لحاله ولما يرى من حوله – وسُئِل:

(كم لبثت) في رقدتك هذه..؟

«قال: لبثت يوما أو بعض يوم».. قد يكون سبب قوله هذا رؤياه طعامه وشرابه لم يفسدا.

فأُجيبَ: (بل لبثت) مَيْتا في رقدتك هذه (مائة عام)، فانظر في أمرك وتدبر فيما حولك واعتبر، وسوف ترى شيئا مما طمحت إليه نفسك سريعا:

انظر إلى طعامك لتعلم أن الذي أثر في حفظه هو الله – تعالى – بقدرته ولطفه، ولو تُرك للأسباب المعروفة لفسد وأنتن وما صلح – بعد – طعاما لبشر، لكنه تعالى حفظه ناضجا صالحا مائة سنة بفصولها وأغيارها الجوية حتى تأكله – أيها المؤمن – هنيئا مريئا مستوعبا للحكمة الربانية.

وهذا حمارك وكنت تود أن ترى كيفية إعادة الخلق، ها هو حمارك أمامك عظاما نخرة، تفرقت أوصالها، فانظر إليه ها هي القدرة الإلهية تأمر فيجتمع بعضها إلى بعض أمامك، ويحل كل جزء منها بمكانه متصلا بما قبله وبعده، وها هو يعلوه اللحم – كما ترى، ثم ها هي الروح تنفخ فيه، فيعود كما كان جسما

---

(٥) الأيتين: ٧٢، ٧٣.

(٦) هي من البقرة الآية رقم: (٢٥٩).

(٧) جرى بعض المفسرين على اعتبار أن الرجل هو (عُزير) والبعض جعله «الخَضِر»، وبالرجوع إلى أسفار العهد القديم لم نجد ذكراً لهذه الواقعة في كلا السفرين، لذا كان أحسن اتجاه في التفسير هو ما رآه مجاهد بن جبير أنه رجل من المؤمنين، وأن القرية المذكورة ليست القدس؛ فلا دليل بين أيدينا يدل على صحة شيء من هذا أو ذاك، وخير ما قيل في ذلك ما سجله مفسر هذه الآية بالتفسير الوسيط إذ قال: لم يرد في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية ما يعين صاحب هذه القصة ولا اسم القرية، لأن العبرة هنا في إحياء موتاها لا في اسمها، و [لا] اسم من مر عليها... قال: ونحن نفوض الأمر – في علمها – وعلم أهلها إلى علام الغيوب – عز وجل – ونسكت عما سكت عنه القرآن الكريم، ولم تشر إليه السنة المطهرة.

وصورة وحركة وصوتا، وهكذا تعرف قدرة الله ـ تعالى ـ على إحياء الموتى، وإحياء هذه القرية، وإحياء الخلق جميعا يوم يبعثون.

وها أنت نفسك قد حييت، وصرت آية للناس دالة بذاتها على قدرة الله ـ تعالى ـ على البعث، يستدل بها المعاصرون لك، والمؤمنون من بعدهم(٨).

وهكذا ازداد المؤمن إيمانا. قال ـ تعالى:

﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٩).

ونصحب كلية القدرة الأخيرة بسورة البقرة، وفيها قوله ـ تعالى:

﴿ لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(١٠).

فالآية الكريمة تعنى ببيان سلطان الله ـ عز وجل ـ على خلقه في السموات والأرض وما بينهما، وعلمه التام بما في نفوس خلقه من خواطر، على ما هي عليه، يقول ـ سبحانه:

﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(١١)

علمٌ بكل شيء، وحساب على كل شيء، ورحمته ـ سبحانه ـ قائمة دائمة، وسعت كل شيء، وهي للذين يتقون، يتجاوز الله ـ تعالى ـ عنهم، ويغفر لهم فضلا، ويعذب الكافرين عدلا.

قال الإمام الخازن ـ في آية البقرة، التي نحن بصدد الحديث عنها شرحا لقوله تعالى: «يحاسبكم به الله» هذا يتناول حديث النفس والخواطر الفاسدة التي ترد على القلب، ولا يتمكن من دفعها، والمؤاخذة بها تجرى مجرى تكليف مالا يطاق. قال: وأجيب عن هذا:

بأن الخواطر الحاصلة على القلب على قسمين:

أ- فمنها ما يوطن الإنسان نفسه عليه، ويعزم على إظهاره إلى الوجود [أي يمارس العمل به] فهذا مما يؤاخذ الإنسان به.

ب- والقسم الثاني: ما يخطر بالبال، ولا يمكن دفعه عن نفسه، لكن يكرهه، ولا يعزم على فعله ولا إظهاره إلى الوجود فهذا معفو عنه بدليل قوله تعالى:

﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾(١٢).

قال ابن كثير ـ في الآية:

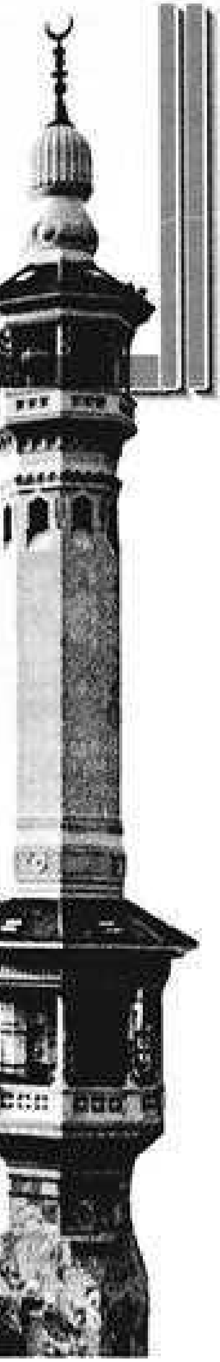
وقد ثبت بما رواه الجماعة في كتبهم الستة من طريق قتادة عن زرارة بن أبي أوفى عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن الله تجاوز لي عن أمتي ما حدثت به أنفسها مالم تكلم أو تعمل به»(١٣).

صدق رسول الله ﷺ.

---

(٨) انظر في الآية التفسير الوسيط ص٤٤١ ـ ٤٤٥.
(٩) البقرة (٢٥٩).
(١٠) البقرة (٢٨٤).
(١١) آل عمران (٢٩).
(١٢) البقرة (٢٨٥).
(١٣) تفسير ابن كثير (٣٣٩/١).



الموعظة الحسنة وأثرها فى إصلاح النفوس

(١)

لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف

النفس الإنسانية هى محور اهتمام رسالات السماء، ومركز انطلاقها، وميدان نشاطها، منذ أن خلق الله أبانا آدم - عليه السلام - إلى أن بعث الله خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبدالله ﷺ.

والرسالات السماوية كلها اعتبرت النفس الإنسانية الصالحة هى الأساس والركيزة لكل إصلاح فى المجتمع الإنسانى، وهى القاعدة المتينة التى يبنى عليها الأمن والأمان، والإخاء والتعاون، والحب والسلام فى المجتمع.

كما اعتبرت الرسالات السماوية النفس الإنسانية المختلة هى التى تثير الفوضى فى النظام الاجتماعى، وهى التى تسبب الخلل والاضطراب، والحقد والكراهية، والبغض والقطيعة فى المجتمع.

يقول الله تعالى:

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾(١).

فالنفس الإنسانية خلقها الله وسواها فى أحسن تقويم:

---

(١) الشمس (٧ - ١٠).

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾[٢]، وبين لها: طريق الهدى والرشاد، وطريق الغواية والضلال، وجعلها مستعدة لتلقى ما يكملها ويصلها، ومنحها القوى الكثيرة المتنوعة التى توصلها إلى حسن المعرفة، والتمييز بين الخير والشر، والنفع والضر، والهدى والضلال، وألهمها وأفهمها معنى الفجور وهو: ما يؤدى إلى الخسران والشقاء، ومعنى التقوى: وهى الإتيان بالأقوال والأفعال التى ترضى الله، وتصون الإنسان، وبيّن لها حالهما، ووضح لها ما ينبغى أن تفعله، وما ينبغى لها أن تتركه من خير أو شر، ومن طاعة أو معصية، بحيث يتميز عندها الرشد من الغى، والطيب من الخبيث.. وقد أفلح وفاز وظفر برضا الله، ونجا من المكروه ومن غضب الله من طهر نفسه من الذنوب والمعاصى، وقد خاب وخسر نفسه وأوقعها فى التهلكة من نقصها وأخفاها، وحال بينها وبين فعل الخير، بسبب ارتكاب الموبقات والشرور.

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: سمعت النبى ﷺ يقرأ:

﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ قال: «اللهم آت نفس تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها»[٣].

فالنفس الإنسانية عندها الاستعداد للصلاح والتقوى، والخوف من الله، وفعل الخير والطاعات، واجتناب المعاصى والمحرمات...، وعندها أيضاً الاستعداد للغواية والضلال، والميل والانحراف، وفعل الشر وارتكاب المعاصى والمحرمات.

وفى الوقت نفسه يقف إبليس وجنوده للنفس البشرية بالمرصاد، يعمل جاهداً على إفسادها وإغوائها، وإبعادها عن الخير، وإغراقها فى الشر، مستغلاً ضعف النفس البشرية أمام هواها، وميلها بل واندفاعها إلى الرغبة فى إشباع غرائزها، ومستخدماً زينة الحياة الدنيا، وحب النفس الإنسانية للشهوات فى تحقيق هدفه وغايته:

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾[٤].

قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾[٥].

عن جابر - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال: «إن إبليس يضع عرشه على الماء ليكون بعيداً عن رجم الناس له بالحوقلة والاستعاذة» ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم

---

(٢) التين (٤).

(٤) آل عمران (١٤).

(٣) أخرجه أحمد ٢٧٦/٤.

(٥) فاطر (٦).

فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا فيقول: ما صنعت شيئاً، ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته. قال: فيدنيه ويقول: نعم أنت»[٦].

وعنه – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء. وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء»[٧].

روى أن النبي ﷺ كان في المسجد وعنده أزواجه، فرحن، فقال لصفية بنت حيي: لا تعجلي حتى أنصرف معك، وكان بيتها في دار أسامة، فخرج النبي ﷺ معها، فلقيه رجلان من الأنصار، فنظر إلى النبي ﷺ ثم أجازا، فقال لهما النبي ﷺ: «تعاليا، إنها صفية بنت حيي»، فقالا: سبحان الله يا رسول الله!، قال: «إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، وإني خشيت أن يلقي في أنفسكما شيئاً»[٨].

والشيطان يظل ملازماً للإنسان لا يفارقه، يوسوس له بالشر، ويغويه بالمعصية، ويحرص على أن يشغله عن أداء العبادات على وجهها الصحيح، عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: «إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان له ضراط «صوت» حتى لا يسمع التأذين، فإذا قضى التأذين أقبل، حتى إذا ثوب بالصلاة، أدبر، حتى إذا قضى التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه «يوسوس له» يقول له: اذكر كذا واذكر كذا مما لم يكن يذكر من قبل، حتى يظل الرجل ما يدري كم صلى».

والإسلام في علاجه للنفس البشرية ابتغاء إصلاحها، وهدايتها إلى الخير، والسير بها على الصراط المستقيم، ينظر إليها من ناحيتين:

الأولى: أن في النفس البشرية فطراً طيبة صالحة، تهفو إلى الخير، وتسعد بفعله، وتسر بإتيانه، وتتقبل النصح والإرشاد، والتوجيه إلى الصواب، وتأس للشر، وتحزن من ارتكابه، وترى في معرفة الحق والاستمساك به والسير على مقتضاه، وجودها وسلامة حياتها، وتعتبر أن التمسك بالفضائل، والالتزام بتطبيقها مع ذاتها ومع الناس هو بلوغ مرتبة الكمال العالية.

الثانية: أن في النفس البشرية – إلى جوار ذلك – ميولاً جانحة إلى الشر – ونزعات طائشة إلى ارتكاب الإثم، تنتحي بها عن الطريق السوي والصراط المستقيم، وتزين لها حب الشهوات والانغماس في اللذات، والغوص بها في مستنقعات الفساد والرذائل، وفعل كل ما يعود عليها بالضرر، ويهوي بها إلى منحدر سحيق.

---

(٦) أحمد ٣/٢١٤.

(٧) أخرجه أحمد ٣/٣٨٣.

(٨) البخاري ٣/٦٥.

وقد أشار النبى ﷺ إلى بعض هذه الطباع بقوله: «يشيب ابن آدم وتشيب معه خصلتان: الحرص وطول الأمل»(٩)، وقوله ﷺ: «شر ما فى الإنسان: جبن هالع، وشح خالع»(١٠).

وخطب ابن الزبير – رضى الله عنهما – على منبر مكة فقال: أيها الناس إن النبى ﷺ كان يقول: «لو أن ابن آدم أعطى وادياً ملآن من ذهب أحب إليه ثانياً، ولو أعطى ثانياً أحب إليه ثالثاً، ولا يسد جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب».

وأول ما يلفت الإسلام نظر المريد إليه. أن الجرى مع الهوى، والانصياع مع رغباته التى لا تنقضى، لن يشبع النفس، ولن يرضى الحق.

والنفس راغبة إذا رغبتها

وإذا ترد إلى قليل تقنع

فالنفس كلما ألفت موطناً لشهوتها أحبت التغيير والانتقال منه إلى موطن آخر.. وهى فى رتعها الدائم، وانحطاطها المتردى، لا تبالى بارتكاب الآثام واقتراف السيئات، ومن ثم حذر القرآن الكريم من اتباع هذه الأهواء المحرمة، يقول الله تعالى:

﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾(١١)

غير أنه لابد وأن نراعى التفريق بين أهواء النفس المحرمة وبين مطالبها المعقولة المقررة المباحة، فإن كثيراً من المتدينين يخلط خلطاً سيئاً بين الأمرين، غير مدرك للعواقب السيئة لهذا الخلط الخطأ.

وذلك أن الإنسان إذا كانت له مطالب من متاع الحياة الدنيا وسعتها التى لا حرج فيها، ورغبات فى الاستمتاع الحلال بزينتها، والحصول على الطيبات من رزق الله، فأفهم خطأ أن هذه المطالب من الرذائل المحظورة والزينة المحرمة، فستكون النتيجة أن يقبل هذا الإنسان على هذه المطالب المحتومة بفكر ونظر ورأى من يستبيح الحرام، ويرتكب المعاصى.. وهو فى الحقيقة ضحية خطأ فى الرأى والتوجيه، وبعد عن الفهم الصحيح لتوجيهات الإسلام، وجهل ببيان ما أحله الله وما حرمه.

ثم يتفاقم الوضع والتصرف بالنسبة لهذا الإنسان، فيرى أنه ما دام قد أصبح سيئاً، وأن الرذيلة قد صارت جزءاً من حياته وسلوكه، وأنه ضائع ضائع، وهالك هالك، فيفعل إذن ما يشاء.. وينتقل من فعل تلك الأفعال إلى ارتكاب منكرات أشد، وفواحش أكبر.

وقد لاحظ القرآن الكريم هذه الناحية.

«يتبع»

ص ١٦١٢

---

(٩) لسان الميزان ٦/٢٦٥.

(١٠) البيهقى ٩/١٧٠.

(١١) ص (٢٦).

دعوة للأدباء

للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

كثيراً ما نسمع عن مصطلح الأدب الملتزم، فتطرب له أرواحنا، وتسعد به نفوسنا، لكننا سرعان ما نفيق على الحقيقة المرة التى تنبئونا عن ندرة ذلك الأدب وسط هذا الكم الهائل من الكلام الغث شعراً كان أو نثراً حينما نستمع إليه كأنك تسمع طبلاً أجوف يصيب رأسك بالدوار ولا يزيد العقل إلا تشويشاً وخبالاً. أقول هذا وديننا الإسلامى الحنيف يحثنا ليل نهار على استخدام كل ما أعطينا من نعم واستثمار كل ما أغدق الله علينا من مواهب ومهارات فى نشر الخير وتوسيع دائرته وجعل الفضائل نسيماً يحيى موات القلوب وعبيراً يغرى الإنسان بشكل عام بالانطلاق فى الحياة يبنيها ويعمرها على أسس واسعة من الحق والخير والجمال.

وحتى لا يضيع الطريق من أقدامنا دعونا نعود إلى النقطة التى بدأنا بها الحديث ألا وهى الإشادة بالأدباء الملتزمين الحريصين على السير فى الطريق المستقيم ينشرون الفضائل ويحبونها بين الناس ويحثونهم على اتباع سبيلها فى مقابلة فئات من الناس يزينون الشر ويجعلون المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، وربما كان لنصيحة يزجيها أديب ملتزم فى شكل قصة أو قصيدة تأثير فى أيام معتادة لكن هذا التأثير يصبح فعالاً وتزداد إيجابيته حينما يصدر عنه فى شهر رمضان المعظم التى يعد بحق مضماراً يتسابق فيه الكل لنيل رضا الرحمن الذى يعود بالنفع العميم على كل بنى الإنسان.

والعمل الذى أضعه بين يدى المتلقى الكريم مقطوعة شعرية ملهمة، آثر صاحبها أن يضعها فى قالب أدبى جذاب كاد يلم بالموضوع المثار من كل أطرافه فى نصح غير مباشر يضع المحاسن والعيوب فى كفتى الميزان ويترك للقارىء المنصف حرية الحكم الذى سيحالفه التوفيق إن اقتنص فرصة الشهر الكريم وأصر على أن يتخذ منه دافعاً وحافزاً تقوى به إرادته وتعلو فيه همته ويشتد عزمه فكلنا يعلم أضرار التدخين الصحية والمادية والاجتماعية التى يعتبر الخوض فيها من نافلة القول ولذا يبدأ شاعرنا بنداء يحس منه سامعه أنه وصمة عار أو لنقل عيب يود لو تخلص منه وتودى بسواه. يقول الشاعر:

يا شـــارب التمبـــاك ما أجـــراك

من ذا الـــــذى فى شـــربه أفتـــاك

وأرى أنه لو قال: «يا شارب الدخان» لكان المعنى أشد وقعاً. وهو فى هذا البيت يلمح ولا يصرح برأى وهو يفتى بحرمة شرب الدخان وهو رأى لانقره ولانعترض عليه وإنما يرجع فيه لأهل الذكر الذين قدموا من أسباب التحريم ما يستشفه القارىء عبر السطور. أما المجوزون فإنهم يقدمون وجهة نظر جديرٍ بنا أن نلتفت إليها فهم يقولون إن الجواز حتى ولو مع الكراهية يوحى بأن فى ديننا فسحة وأنه لم يقيد حرية أتباعه تقييداً مطلقاً يحرمهم من بعض ما يتوهمونه متعة وهو فى حقيقته أذى وضرر وهى النقطة التى ينطلق منها الناظم حيث يطرح السؤال الثانى على مستمعيه ثم يتبعه بثالث لا يجد عنه المتلقى جوابا - إن كان جاداً - إلا أن ينصاع لما يسمع فيقول الشاعر:

أتظن أن شرابه مستعذب
أم هل ترجى أن فيه غذاك

ولأن الشاعر واثق من أن الدخان لا يمثل طعاماً ولا شراباً ولا يسمن ولا يغنى من جوع فإنه ينتقل حثيثاً إلى سؤال معنوى يستنهض فى الآدمى عقله وفكره ثم يجيبه جواباً شافياً لا لبس فيه فيقول:

هل فيه نفع ظاهر لك بالفتى
كلا فلا فيه سوى إيذاك
ومضرة تبدو وخبث روائح
مكروهة تؤذى بها جلساك

وهو فى هذين البيتين يزجر سامعه فينهره عن أن يدخن مؤكداً الضرر الحسى والمعنوى والظاهر والباطن ومنبها إلى أن الفتى الذى يهتم بمظهره وإثبات رجولته أشد الاهتمام، هذا الفتى نفسه يسىء من حيث لا يدرى إلى ذاته حين تنبعث منه روائح كريهة تنفر منه لداته وقرناءه وهو يذكره كذلك فى كلمات قلائل بحديث فذ لرسول الله ﷺ حين قال: «مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما تجد منه ريحا منتنة».

ثم ينبه الناظم سامعه إلى مضار صحية أثبتها الأطباء فلا مجال للجدال فيها تضاف إلى ما سبق فيقول:

وفتور جسم وارتخاء مفاصل
مع ضيق أنفاس وضعف قواك

وهى أمور كثيراً ما كانت سبباً لرفع قضايا فى المحاكم على كبرى شركات التبغ فى أمريكا حيث استطاعت شاكية أن تحصل على مبالغ مالية طائلة نظراً لما تذرعت به من فشل تلك الشركة فى تنبيهها إلى المضار الصحية الخطيرة لتلك العادة المرذولة.

ثم ينتقل بنا الشاعر إلى المضار المالية فيقول:

وضياع مال لا تجد عوضاً له
إلا دخاناً قد حشا أحشاك
ورضيت فيه أن تكون مبذراً
وأخو المبذر لم يكن يحذاك

وهو يذكرنا هنا بقول الله عز وجل:

﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝٢٦ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾(١).

والشاعر فيما قال يذكرني بمنظر لا أنساه ما حييت يريك كيف يتضامن العالم المخلص في إيضاح الحق وتعريف الخلق به. ولهم عليه المنظر كان ذلك في ندوة حضرها فضيلة المرحوم الشيخ إسماعيل صادق العدوي - الذي تحل ذكراه في العشر الأواخر من الشهر الكريم - فقد جادله أحدهم في حرمة السجائر فما كان من الشيخ الجليل إلا أن أخرج من جيبه عملة ورقية وكاد يشعل فيها عود ثقاب ليقنع المجادل أن التدخين ما هو إلا حرق للمال وذره في الهواء هباء منثور.

فرحم الله ذلك الداعية الكبير وأسكنه فسيح جناته.

ثم يعاود شاعرنا مشكوراً الكرة لعله يظفر من سامعيه بآذان مصغية وقلوب واعية فيقول:

فإذا حضرت بمجلس واستنشقوا
من فيك ريحاً يكرهون لقاك
يكفيك ذماً فيه أن جميع من
قد كان يشربه يود فكاك

وهو لعمري محق لو التفت إلى تنفير الرسول ﷺ لا أقول من المدخنين بل من آكل الثوم والبصل غير المطهي وإلزامه له بأن يعتزل مجالس المؤمنين أو مساجدهم فما بالك بمن يشعل السيجارة من أختها، ثم يختم الشاعر بالإشفاق على المدخنين داعياً لهم أن يرفقوا بأنفسهم وأهليهم والأجنة في بطون أمهاتهم وأصدقائهم. فالمدخن لا يؤذي نفسه فقط بل يحرم أخاه من حقه الذي كفله الله له في استنشاق الهواء النقي والمعروف عندنا بالتدخين السلبي فيقول:

فارفق بنفسك واتبع آثار من
أهداك لا من قبد قد أرداك
إن كنت شهماً فاجتنبه ولا تكن
في حبه متتبعاً لهواك
إني نصحتك فاستمع لنصيحتي
ونهيت فاتبع قول من ينهاك
وبذلت قولي مخلصاً لك يا أخي
فعساك تبل ما أقول عساك

وهو هنا يذكرنا بسنة كادت تموت بين المسلمين وهي سنة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي يمكن التعبير عنها بلغة العصر الحديث بأنها النقد الاجتماعي الذي هدفه الأول والأخير هو الإصلاح ابتغاء وجه الله. لقد كانت الأبيات السابقة منبراً دعوياً عظيماً من فيه الشاعر وتراً حساساً فأخرج منه أعذب النغمات التي تبتغيا الصالح العام وتتزيا بثوب الإسلام الفضفاض الذي وسع الدنيا وما فيها وعلى الشاعر والأديب بشكل عام أن يوظف أدبه في خدمة قضايا مجتمعه فلا يجعل منه معول هدم وإنما يكون أداة للبناء ترتقي بالمجتمع إلى آفاق الفضيلة والأمة الرائدة.

---

(١) الإسراء ٢٦، ٢٧.

طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

استغفار ابن مسعود

دخل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – المسجد في آخر الليل فسمع من يقول: «اللهم دعوتني فأجبت، وأمرتني فأطعت، وهذا السحر فاغفر لي».

قال: فاستمعت للصوت فإذا هو عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه – فسألته عن ذلك الدعاء! فقال: إن يعقوب – عليه السلام – أخّر بنيه إلى السحر بقوله:

﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾(1) وقد قال الله – تعالى –: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾(2).

حق النعمة

أن تحسن لباسها، وتنسبها إلى وليها، وتذكر ما تناسى عندك منها.

حقيقة

قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان – رضي الله عنه –: إنما أعطاكم الله الدنيا لتطلبوا بها الآخرة، ولم يعطكموها لتركنوا إليها، وإن الدنيا فانية والآخرة باقية، فلا تبطرنكم الفانية، ولا تشغلنكم عن الباقية.

كيف كان بر ابنك بك؟

قيل لعمر بن ذرّ: كيف كان بر ابنك بك؟

قال: ما مشيت نهارا قط إلا مشى خلفي، ولا ليلا إلا مشى أمامي، ولا رقى سطحا وأنا تحته.

من أنت؟

وقف أعرابي على قوم يسألهم، فقالوا: من أنت؟ قال: إن سوء الاكتساب يمنعني الانتساب.

---

(1) يوسف ٩٨.

(2) آل عمران ١٧.

أنـــواع النــاس

يقول الشاعر:

لا أشـــتكي زمني هذا وأظلمــه
وإنما أشـــتكي من أهل ذا الزمن
هم الذئاب التي تحت الثيــاب فلا
تكن إلى أحـــد منهم بمؤتمن

وقال آخر:

إني بلوت النـاس أطلب منهم
أخا ثقة عند اعتراض الشدائد
فلم أر فيما ساءني غير شامت
ولم أر فيما سرني غير حاسد

أصدق الناس فراسة

أصدق الناس فراسة ثلاثة:

العزيز في قوله لامرأته عن سيدنا يوسف – عليه السلام –:

﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا﴾(٣).

والتي قالت لأبيها عن سيدنا موسى – عليه السلام –:

﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾(٤).

وسيدنا أبوبكر – رضي الله عنه – في الوصية بخلافة سيدنا عمر – رضي الله عنه –.

ما أحسن هذه الكناية

وقفت عجوز على قيس بن سعد، فقالت: أشكو إليك قلة الجرذان، قال: ما أحسن هذه الكناية! املئوا بيتها خبزا ولحما وسمنا وتمرا.

حقـــا

قال الحكماء: إذا أراد الله بعبد خيراً ألهمه الطاعة، وألزمه القناعة، وفقهه في الدين، وعضده باليقين فاكتفى بالكفاف، واكتسى بالعفاف.

دعاء الإفطار

اللهم لك صـمت، وعلى رزقك أفطرت، وعليك توكلت، وبك آمنت، ذهب الظمأ وابتلت العروق، وثبت الأجر، يا واسع الفضل اغفر لي، الحمـد لله الذي أعانني فصـمت، ورزقني فأفطرت، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وأصحابه وسلم.

---

(٣) يوسف ٢١.

(٤) القصص ٢٦.

تأملات في منهج الدعوة الإسلامية

للأستاذ/ أحمد السيد تقي الدين

الدعوة الإسلامية كانت ولازالت الحديث الدائم والشغل الشاغل ليس على مستوى المنظمات والهيئات الإسلامية بل على مستوى الشعوب فالكل يسعى نحو الأفضل وينشد الاقتراب من مستوى الكمال.

فجعني خبر قرأته بإحدى الصحف يقول: إن الدول العربية البترولية تحتفظ في بنوك الولايات المتحدة الأمريكية وحدها بأرصدة تتراوح مابين سبعمائة إلى ألف ومائتين مليار دولار. تحيت الصحيفة وأمسكت بغيرها ففجعت ثانية بتصريح لمسئول في إحدى المنظمات الإسلامية المنتسبة لتلك الدول البترولية يشكو قلة المال اللازم لتمويل نشاط الدعوة الإسلامية.

تذكرت حينها لقاء جمعني بصديق من الأخوة الوافدين الدارسين بجامعة الأزهر، ودار بيننا حديث عن حال الإسلام والمسلمين في بلاده، سألته أولاً: أنت اليوم داعية من دعاة الإسلام في بلادك، أو هكذا ينبغي أن تكون، هل ترى أن الهيئات الإسلامية سواء في بلادك من حيث معايشتك لها أو في العالم من خلال أجهزة الإعلام، هل ترى أن هذه الهيئات الإسلامية تعمل بشكل جيد ينتج ثمرة طيبة؟

قال: بداية أنا لا أعرف من بين الهيئات الإسلامية العاملة في حقل الدعوة الإسلامية غير الأزهر - ورابطة العالم الإسلامي.. صحيح توجد هيئات ومؤسسات أخرى تعمل في مجال الدعوة الإسلامية، ولكن يبقى الأزهر دائما على القمة بما يملكه من رصيد ضخم يتمثل بشكل رئيسي في استضافة الطلاب المسلمين من مختلف دول العالم لتعليمهم مبادىء الدين الإسلامي الحنيف.. يستضيفهم من مرحلة التعليم الإبتدائي حتى الدكتوراه، وهذا بلاشك له مردود قوى عندما يعود هؤلاء إلى بلادهم وقد صاروا حملة للرسالة يبلغونها لذويهم ويبصرونهم بها في بلادهم.

الأزهر ورابطة العالم الإسلامي هما أكثر الجهات التي تقوم بإيفاد الدعاة إلى مختلف بلاد العالم، وإن شئت الدقة إلى معظم بلاد العالم، ولكني سأحصر حديثي معك عن المجتمع الذي أعيش فيه.. المجتمع الإفريقي، وقبل أن أحدثك عن عمل الهيئات الإسلامية أحدثك أولا عن عمل مؤسسات التنصير.

عمل هذه المؤسسات التنصيرية يتميز بالتنظيم الشديد والدقة في تنفيذ المهام، فالبعثة التبشيرية عندما تذهب لدولة ما تقوم أولا بعمل مسح

جغرافى وسكانى وبيئى وطبى لكل أقاليم هذه الدولة، ثم تبدأ فى إعداد مواصفات وشروط ينبغى أن تتوفر فيمن يتم تكليفه بالعمل بالتبشير فى كل قرية مهما كان صغر مساحتها، فهم أولا يجوبون البلاد طولا وعرضا، ثم يضعون خطط العمل ثم يبدأون فى التنفيذ.

فإذا كانت هناك قرية تتفشى فيها الأمراض والأوبئة يتم إعداد فريق من الأطباء فى التخصصات التى تحتاجها هذه القرية الصغيرة، بل ولعلها تكون متناهية فى الصغر وغير واضحة على الخريطة.

أعضاء هذا الفريق الطبى وبكامله منصرون هدفهم الرئيسى تنصير هذه القرية عن بكرة أبيها.. يبدأون عملهم بمخاطبة المرضى بجمل وعبارات من الإنجيل ويطلبون منهم ترديدها زاعمين أنها بداية طريق الشفاء.. يقدمون لهم الأناجيل يطلبون منهم وضعها تحت وسائدهم لأن فيها الشفاء وذلك مع تقديم العلاج الطبى والأدوية بالمجان، فعندما يشفى هؤلاء المرضى الذين يعيشون أصلاً فى مجتمع يؤمن بالسحر تأبى عقولهم أن تصدق أن الأدوية التى تعاطوها هى التى تسببت فى شفائهم، ويعلقون الشفاء بالعبارات والترانيم التى رددوها خلف طاقم العلاج الطبى، وبالكتاب الذى وضعوه تحت الوسادة. وبالتالى ينجح هذا الفريق التنصيرى فى أداء عمله على الوجه الأكمل.

فإذا كانت هناك قرية ما تعانى من الجفاف وندرة الطعام وقلة مياه الشرب، فإن البعثة المركزية للتبشير على الفور تقوم بإعداد فريق عمل من المهندسين المتخصصين فى زراعة الأراضى وحفر آبار المياه، ويصل هذا الفريق ويبدأ العمل بأجهزة ومعدات وإمكانات ضخمة تحمل كلها شعارات التنصير يقرأون عبارات وترانيم وهم يزاولون أعمالهم على مرأى ومسمع من أهل هذه القرية الصغيرة الفقيرة البائسة والناس يراقبونهم ذاهلين مما يفعلون وبعد أيام تتدفق المياه من باطن الأرض لتروى عطش الظامئين وتنساب بين شقوق الأرض الجافة لتعيد إليها وجه الحياة وبعد أشهر قليلة تكتسى تلك الأرض بالخضرة، فيندفع الأهالى يعانقون هؤلاء الذين جرى الخير على أيديهم عندها ينسب هؤلاء المهندسون عملهم إلى ما قرأوه من عبارات وما كتبوه من جمل على أجهزتهم، فيطلب الأهالى معرفة هذه الجمل والعبارات فتكون بداية العمل الحقيقى.

إنهم يعملون بشكل يبدو طبيعيا، غير مفتعل، وينجحون فى عملهم إلى أبعد مدى، وبعد أن يتنصر الناس تبدأ البعثات التبشيرية فى العمل بشكل مباشر فيتدفق رجال الدين وتُشيد الكنائس الضخمة وسط دعم وترحيب شعبى هائل.

سألته: ولكنك لم تجبنى بعد عن سؤالى: ما هو تفهمك لعمل الدعاة المسلمين فى بلادك.

نظر إلى مستنكراً سؤالى وقال: أجب عن سؤالك بنفسك.

عندها تذكرت المليارات العربية الهائلة المودعة بالبنوك الأمريكية لتزيد انتعاش الاقتصاد الأمريكى وقلت فى نفسى أين هذه المليارات؟ ألم يكن الأجدر توجيه ولو مقدار ضئيل منها إلى خدمة الدعوة الإسلامية وما أصدق قول من قال قديما: «أفراقف هناك ونقشر هنا».

بين الصحف و المجلات

إعداد الأستاذ
محمود الفشني

الإعلان وقيم المجتمع

كتب الأستاذ محمد نجار الفارسي في جريدة الوفد معبراً عن رأي ملايين المسلمين وغير المسلمين في الإعلانات التي تخدش الحياء قائلا:

لاشك أن الإعلان ـ ولاسيما في التليفزيون ـ عن المنتج هو أحد دعائم نجاح ترويجه، بل يقوم بالدور الأكبر، لذلك أضحي في عصرنا الراهن علماً يدرس أكاديميا لحساسية الدور الذي يضطلع به، واعتباره حلقة من منظومة الارتقاء الاقتصادي في عالمنا الحديث.

ولا أحب أن أدخل في استطرادات عن دور الإعلان ولكن نحن بصدد هذا الإسفاف المرئي ـ بدعوى الإعلان ـ الذي لطمنا لطمة قوية كادت تخرس وتشل جسدي، وجعل أسئلة كثيرة هاجت كالعاصفة في نفسي: هل هذا الابتذال والغمز واللمز والعري هو الإعلان العلمي الذي يدرس أكاديميا ليرتقي بالاقتصاد الوطني؟ أين ذهبت القيم ـ والدين ـ والرقيب، هذه الفتاة التي تغمض وتفتح في عينيها وتلقي برأسها الى الخلف مع زم شفتيها لتعلن عن منتج، هل أصبح الإعلان لدينا لايهمه سوى جني الأموال ولو كانت على حساب قيم وتقاليد المجتمع؟!

انني لا أشك بأن لهذه الإعلانات المبتذلة خلفية إعلانية أخرى وقد وقع التليفزيون في الفخ دون قصد وأصبح شريكا في الإطاحة بقيم المجتمع، إنني لا أعمم ولكن مايشاهد من أفعال يؤكد ماأقول.

لغتنا الجميلة .. ياتليفزيون يا!!

اما جريدة عقيدتي فقد طالعنا فيها تحت عنوان كلمة لابد منها للأستاذ ممدوح العشري في عددها الصادر في ٢٩/١٠/٢٠٠٢ هذه الكلمة:

كان اهتمام الأجهزة المرئية والمسموعة في الماضي باللغة العربية على أعلى مستوى.. وكانت اختيارات المذيعين

والمذيعات في اللغة العربية من أصعب الامتحانات.. واجتياز هذه الاختبارات كانت تحتاج الى المذيعين والمذيعات السوبر في اللغة العربية.. لذلك كانت الإذاعة والتليفزيون مدرسة تعلمنا منها.. وكان هذا الاهتمام له أسبابه.. فاللغة العربية هي لغة القرآن الكريم.. وهي لغة الضاد التي تجمع العرب.. والمحافظة على هذه اللغة واجب مقدس ديني وقومي.. فهي لسان القرآن.. وهي التي تحافظ على هويتنا أمام عولمة إعلامية ضخمة واردة من الخارج.. تحاول تدمير حضارتنا التاريخية العربية الإسلامية حتى نضيع ونتشتت داخل حضارات أخرى.. فنصبح مسخا لا تاريخ لنا ولاحضارة ولاقومية.. وواجبنا جميعا أن نتكاتف للمحافظة على لغتنا العربية أمام هذه الهجمة.. وعلينا أن نفهم جيداً أن لغتنا العربية من أهم العوامل الأساسية التي تحافظ على منظومتنا العربية والتي من خلالها تظهر قوتنا.. لأنها تجمعنا على قلب رجل واحد.. من هنا فإنني أناشد أجهزة الإعلام المرئية والمسموعة أن تحافظ على لغتنا من خلال برامجها.. واللغة العربية سهلة ويستطيع أن يفهمها الجميع.. وهذه أمانة أحملها لجميع العاملين بالإذاعة والتليفزيون وخاصة التليفزيون لأن الإذاعة لازالت إلى حد كبير تحافظ على اللغة العربية، أما التليفزيون فحدث ولا حرج.. وبدلا من الأوامر التي تطالب المذيعين والمذيعات بالحديث باللغة العامية خاصة في الفضائيات.. كنت أنتظر اهتماماً أكبر بلغتنا الجميلة.. ولا أعلم مغزى هذا القرار الذي أتمنى أن يكون إشاعة.

الإباحية في مناقشة القضايا الجنسية مجاهرة بالمعصية

وفي جريدة اللواء الإسلامي تحليلا لهذا الموضوع من الناحية الشرعية إجابة محمد الشندويلي وزكريا الشناوي وخالد السيد في تحقيق جرئ في عددها الصادر في ٢٤ / ١٠ / ٢٠٠٢ منها

قالت الدكتورة ليلى عبدالمجيد عميدة كلية الإعلام بجامعة ٦ أكتوبر بشكل عام هناك أخلاق إعلامية لابد أن يتبعها الإعلامي فالفضائيات ليس هدفها تقديم ثقافة التجريح أو خدش الحياء.

وأشارت إلى أن ماقدمته قناة دريم هو حرية مفرطة مبالغ فيها وكان ينبغي أن تراعي حق المشاهد وخاصة أننا في دولة لها قيمها الدينية.

ويعتبر الدكتور جمال النجار رئيس قسم الصحافة بكلية البنات جامعة الأزهر أن الإسراف في تناول هذه القضايا بشكل علني فيه إخلال بقيم المجتمع وترويج لعادات ليست من صميم الإسلام وأخلاقياته.

وقد ثبت علميا خطورة مثل هذه العادات المحرمة على عقل وأخلاق الشباب.

ويحذر الدكتور جمال من مقولات تدريس الثقافة الجنسية من خلال قنوات خاصة أو على شاكلة الكتب الجنسية على الأرصفة فليست هذه هي رسالة الإعلام في المجتمع.

وطالب الدكتور النجار في ظل وجود قنوات فضائية مخلة بوجود ميثاق شرف وهدف علمي وتربوي وثقافي تعمل في ظله هذه القنوات.

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم
عادل رفاعي خفاجة

أمن الأمة وضرورة التكامل

تحدثنا في العدد الماضي عن التكامل الاقتصادي بين الشعوب العربية، وأشرنا إلى أهمية الرقي بالمستوى التعليمي والبحثي في كافة مجالات الحياة المختلفة للوصول إلى ذلك التكامل المنشود كخطوة أساسية لإقامة الوحدة الشاملة بين المسلمين تنفيذاً لأمر الله - تعالى - للمؤمنين في غيرما آية أن يتحدوا ولا يتفرقوا قال تعالى:

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾(1).

وقال ﷺ: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً: فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا...»(2).. وقال ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً»(3).

وهو قولٌ صريح في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض وحثهم على التراحم والتعاضد في غير إثم ولا مكروه.

ولعله من الضروري إذا كنا ننشد هذه الوحدة أن نبدأ في توحيد المناهج الدراسية في المدارس والجامعات العربية أو على الأقل تماثلها.. بحيث تكون الشهادات في دولة عربية ما مناظرة لمثيلاتها في الدول العربية الأخرى، وإن كان الاهتمام بالكمّ شيئاً ضرورياً، فإن الاهتمام بالكيْف أكثر ضرورة؛ لذلك يجب الاهتمام بالوسائل التعليمية والتركيز على المناهج التي تُفتّق طاقات التفكير والاستنتاج أي التي تركز على الفهم أكثر من تلك التي تهتم بالحفظ والتلقين.

وهذا يتطلب منا التركيز على:

1) إدخال العلوم الحديثة (التي تتفق مع العصر) في مراحل التعليم المختلفة.

---

(1) آل عمران/ 103.
(2) صحيح مسلم - كتاب الأقضية - حديث رقم 3236.
(3) صحيح مسلم - كتاب البر والصلة - حديث رقم 4684.

٢) الارتقاء بطرق التدريس وتكنولوجيا التعليم.

٣) خفض عدد التلاميذ في الفصل الواحد بحيث يتوافق مع طاقة المدرس الذي يقوم بتلك العملية التعليمية .

٤) الارتقاء بالمستوى المادي للمعلم، لكي يتمكن من التفرغ لأداء تلك الرسالة المقدسة ومواجهة أعباء الحياة دون اللجوء إلى الدروس الخصوصية التي تعد أولى آفات التعليم في بلدنا .

فمن غير المعقول أن تنفق الدولة كل هذه المليارات من الجنيهات على التعليم، وتستمر الشكوى من تدني مستوى الخريجين بصفة عامة .

هذا عن العملية التعليمية، أما عن البحوث العلمية وأعني بها : بحوث المستوى الجامعي وما بعده . . فلدينا والحمد لله في العالم العربي كمٌّ لا بأس به من البحوث في جميع المجالات قام بها نخبة طيبة من العلماء والباحثين، ولكن يبقى لنا أن نقوم بتفعيل هذه الأبحاث بما ينفع هذه الأمة، وأمام أعيننا وملء أسماعنا قول الرسول الكريم :

« اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع »(٤).

بل يجب أن يكون المبدأ الأساسي في اختيار هذه الأبحاث قبل البدء فيها أن تمس حاجة المجتمع .

ومن هنا يجب توفير المناخ المناسب لإجراء تلك البحوث على المستوى عالمي وتحشد لذلك الإمكانات اللازمة من توفير المراجع والمجلات العلمية وإنشاء المعامل ذات المستوى المتقدم وإمدادها بالمواد اللازمة لها بشكل دائم والعمل على تحديثها كلما لزم الأمر ذلك .

فإذا قام كل بلد من بلدان الوطن العربي بإنشاء مركز بحثي متقدم وتم التكامل فيما بين هذه المراكز جميعاً، لكان لها شأن عظيم في البحث عن حلول لجميع المشكلات التي تواجه التنمية والإنتاج في كل المجالات : (الزراعية ـ والصناعية ـ والاقتصادية ـ والطبية ـ والدينية . . إلخ . . .)

رجال الأعمال ومسئولية البدء :

ويا حبذا لو حقق رجال الأعمال خطوة البدء فتقدموا بمشكلاتهم إلى المعاهد البحثية، على أن يقوموا بتمويل تلك الأبحاث بدلاً من الاستعانة بمن يطلق عليهم الخبراء الأجانب، وما يستلزمه ذلك من نفقات باهظة .

ولا شك أن هذه الخطوة الأولى من رجال الأعمال إذا أثمرت ستكون نواة حقيقية لربط تلك المعاهد في بلدان العالم العربي جميعاً، بغرض الاستفادة المتبادلة بينها وبين رجال الأعمال في الوطن العربي، مما يزيد الانتماء إلى وطننا العربي العزيز.

ومن الأعمدة الرئيسية ـ أيضاً ـ لتحقيق تلك الوحدة النهوض بالمستوى الإعلامي أعني النهوض بوسائل الإعلام من : (كتاب ـ جريدة ـ إذاعة ـ تليفزيون ـ « انترنت » دور العرض السينمائية إلخ . . .) بحيث يكون دورها الأول تثقيف المواطن العربي، وزيادة الوعي بين أفراد الأمة

---

(٤) صحيح مسلم ـ كتاب الذكر والدعاء ـ حديث ٢٨٩٩ .

العربية ومناقشة قضايا الأمة بطريقة جيدة بالإضافة للإمتاع الذى يبتغيه القارىء والمشاهد والسامع.

وهذا يتطلب التنسيق بين أجهزة الإعلام فى هذه الدول العربية جميعاً وتبادل الخبرات فيما بينها.

وعلينا أن نضع نصْبَ أعيننا أن هذه الوسائل الإعلامية لو أتيح لها التنسيق الجيد لأدى ذلك إلى زيادة الترابط والانتماء بين شعوب المنطقة، ولا شك أنه إذا نجح الإعلام العربى فى تشكيل رأى موحد لقضايانا المختلفة فإن ذلك سيؤدى إلى قوة الموقف العربى، ونكسب معه مناصرة الأصدقاء.

وعلينا أن نتأمل مواقف من حولنا ونراجع مواقفنا!! . .

نعم . . علينا أن نتأمل الموقف الأوروبى وما وصل إليه من وحدة بلغت حداً من النجاح حتى وصلت إلى وحدة العملة النقدية.

برغم ما لكل شعبٍ من لغةٍ تخصه وتاريخ يختلف عن جيرانه.

وعلينا أن نراجع مواقفنا ـ نحن العرب ـ فبرغم تاريخنا الواحد ولغتنا الواحدة التى نعتز بها وأن ما يجمعنا أكثر كثيراً مما زرعه الاستعمار ليفرقنا ـ وبرغم أن العرب قاموا بإنشاء الجامعة العربية كخطوة على الوحدة قبل أن يفكر الأوروبيون فى إنشاء وحدتهم.

علينا أن نتأمل أنهم يجنون ثمار وحدتهم فى حين أننا مازلنا بعيدين عنها.

وبعد . . فإنه لابد لنا ـ نحن العرب ـ أن نسمو فوق خلافاتنا ويجب أن نتحلى بالإيثار فنؤثر إخواننا على أنفسنا عملاً بقوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾(*)

فإذا كان سعينا للوحدة إرضاءً لله تعالى أصبحنا أمة مؤمنة قوية لايؤثر فيها تغير المصالح.

لابد أن نتكاتف من أجل الجماعة، فيد الله مع الجماعة، لابد أن نعمل بجدٍ ومثابرة وصبر حتى نحقق أمل أمتنا فى إنجاز تلك الوحدة وبناء أعمدتها الراسخة فى عالم أصبحت الغلبة فيه لمن يحوز قصب السبق العلمى.

وأصبحت الدول المتقدمة علمياً تتحكم فى غيرها من الدول النامية لتبقيها فى جهل دائم، بل وتسعى إلى صرفها عن طريق العلم، إذا حاولت ولوجه.

لقد كنا فى عهودٍ سابقة أهلاً للريادة العلمية وإن فى إعادة افتتاح مكتبة الإسكندرية خير دليل على ذلك العصر السالف المجيد.

فإذا كنا أصحاب ريادة علمية فات زمانها، فلا يجب أن نكتفى بالقول « كنا » ولكن وجب علينا البحث والعمل الجاد لاستعادة ذلك المجد العلمى مرة أخرى.

وبذلك نكون قد مهدنا الطريق لأبنائنا والأجيال القادمة لتعيش عيشة حرة كريمة.

نسأل الله التوفيق

عادل خفاجة

(*) الحشر (٩).

وإلى رسائل القراء

الرسالة الأولى من الأستاذ عبدالفتاح آدم علي الطيب يقول فيها:

أستاذنا الكريم / عادل خفاجة

وكل أساتذتنا الكرام فى مجلة الأزهر

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته

شيء عظيم أن تفتحوا أبوابكم لقرائكم، ومريديكم، ومنذ خمسة عشر عاماً وأنا أواظب على اقتناء مجلة الأزهر، ولا أرى الآن إلا أنها فى تطور ملحوظ، وارتقاء لا يُنكر، وشيء عظيم أن نرى قراءكم يتجاوبون معكم مما يثبت تلاقى أحباب مجلة الأزهر فى شتى بقاع الأرض. وهذه أول مرة أشرف فيها بمراسلة المجلة من خلال بابكم الكريم (بين المجلة والقارىء) بعد أن قرأت فى العدد الأخير فتح صدوركم لإسهامات القراء فى مجال الكتابة عن الصحابة رضى الله عنهم، وأطمع فى كرمكم فى قبول إسهامى هذا عن سيدنا (المقداد بن عمرو) رضى الله عنه، وفقكم المولى عز وجل لخدمة الدين ورفع راية التوحيد.

أخوكم / عبدالفتاح آدم على الطيب

موجه التربية الإسلامية واللغة العربية

بإدارة كوم أمبو التعليمية - أسوان

● المحرر: بل نحن نشكر للقارئ الكريم لسرعة الاستجابة

المقداد بن عمرو رضي الله عنه

رجل من خيار صحابة المصطفى ﷺ ومن العظماء الذين صدق فيهم قول ربنا عز وجل:

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾

(الأحزاب ٢٣)

حقاً كان المقداد من هؤلاء الذين لم يسمحوا للشيطان أن يداخل قلوبهم بريبة أو شك أو تبديل، إنه من السابقين فى الإسلام، كان سابع سبعة جاهروا بإسلامهم، متلقين من أذى وضراء قريش ما لا تقوى الجبال على حمله، وكان رجلاً أظهرت المواقف عظمته، وكشفت الأحداث عن شموخه، حتى تمنى عظماء الصحابة أن يقفوا موقفه، يقول عبدالله بن مسعود رضى الله عنه:

«لقد شهدت من المقداد مشهداً، لأن أكون صاحبه أحب إليَّ مما فى الأرض جميعاً»، ويقصد عبدالله مشهد المقداد وموقفه يوم بدر، حين طلب النبى ﷺ المشورة من أصحابه فى شأن هؤلاء الذين أقبلوا بعداوتهم وعددهم وعدتهم، وأراد النبى ﷺ أن يبلو

نفوس أصحابه بهذه المشورة، ويرى استعدادهم لملاقاة أعداء الله، فهمَّ المقداد أن يتكلم بما نطق به الفؤاد، ولكن تكلم أبوبكر الصديق قبله، فاطمأن المقداد، وتكلم عمر الفاروق فازداد المقداد اطمئناناً، ثم تقدم وقال: «يا رسول الله امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون. بل نقول لك: اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا معكما مقاتلون، والذى بعثك بالحق، لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، ولنقاتلن عن يمينك، وعن يسارك، وبين يديك، ومن خلفك حتى يفتح الله لك». فتهلل وجه النبى ﷺ وامتن الله على المقداد بدعاء النبى له، وألهبت كلمات المقداد حماس الصحابة حتى هبَّ سعد زعيم الأنصار - رضى الله عنهم - وقال كلمات كان من بينها: «... فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، والذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، وما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصُبُرٌ فى الحرب صدق فى اللقاء...».

والتقى الجمعان، ولم يزد الفرسان فيهم عن ثلاثة، منهم المقداد بن عمرو، وكان بقية الصحابة إما مشاة أو راكبين إبلاً، وحدث ما حدث فى غزوة بدر مما لا يخفى على أحد.

ومن جوانب عظمة المقداد أنه كان صريحاً مع نفسه إلى أبعد حد، سأله النبى ﷺ: «كيف وجدت الإمارة؟ فأجاب فى صدق: لقد جعلتنى أنظر إلى نفسى كما لو كنت فوق الناس وهم جميعاً دونى، والذى بعثك بالحق لا أتأمرن على اثنين بعد اليوم أبداً.

رضى الله عن المقداد وعن صحابة النبى أجمعين، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه.

إدراك معنى العقيدة

وهذه الكلمة أرسل بها الشيخ / خيرى محمد أبوالروس / كفر الجرايدة بيلا.

يقول فيها:

لابُدَّ للمؤمن الموحد بالله تعالى أن يدرك معنى العقيدة الصحيحة التى هى أصل الدين والتى هى الركن الركين والتى هى أساس الملة.

ولاتُقبل الأعمال والأقوال إلا إذا صدرت عن عقيدة سليمة وصحيحة كما قال - المولى - جل جلاله - «وهو أصدق القائلين».

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾

المائدة الآية رقم ٥

وقال ـ تعالى ـ في قرآنه وهو أصدق القائلين:

﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

الزمر الآية رقم ٦٥

وقد دلَّ كتاب ربِّ العالمين وسنة رسوله الأمين على أن العقيدة الصحيحة تتلخص في الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره فهذه الأمور الستة هي أصول العقيدة الإسلامية الصحيحة. ويتفرع عن هذه الأصول كل ما يجب الإيمان به من أمور الغيب وجميع ما أخبر الله به رسوله سيدنا محمد ﷺ وأدلة هذه الأصول الستة في الكتاب والسنة كثيرة جداً. فمن ذلك ـ قوله ـ سبحانه وتعالى ـ وهو أصدق:

﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾

سورة البقرة الآية رقم ١٧٧

وقوله ـ جل جلاله ـ وهو أصدق القائلين:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾

النساء/ ١٣٦

أما الأحاديث الصحيحة الدالة على هذه الأصول الستة فكثيرة جداً ومن ذلك. الحديث المشهور الذى رواه الإمام مسلم في صحيحه من حديث أمير المؤمنين ـ عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أن جبريل عليه السلام ـ سأل ـ النبى ﷺ عن الإيمان فقال له: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره» وهذه الأصول الستة يتفرع عنها جميع ما يجب على المسلم اعتقاده في حق ـ الله سبحانه وتعالى ـ وفي أمر المعاد وغير ذلك من أمور الغيب.

***

نعتذر للسادة القراء لعدم نشر رسائلهم كاملة، وذلك حرصاً من المجلة على أن يشارك أكبر عدد ممكن من القراء. ونود أن نشير إلى أن للمجلة الحق في اختصار الرسائل وتنقيحها بما يتلاءم وسياسة النشر لديها. كما نقدم اعتذارنا للسادة الذين لم تسمح الظروف بنشر رسائلهم وتواصل نشرها تباعاً.



أنباء العالم الإسلامى

للأستاذ / محمد الشرقاوى

اجتماع مجلس مجمع البحوث الإسلامية

عقد مجلس مجمع البحوث الإسلامية أولى جلساته فى دورته التاسعة والثلاثين يوم الخميس ١٩ من رجب سنة ١٤٢٣هـ الموافق ٢٦ من سبتمبر سنة ٢٠٠٢م وذلك برياسة فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور. محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر ورئيس المجمع وقد ناقش المجلس عددا من الموضوعات وعلى رأسها.

١ـ مؤلفات صادرة باللغة العربية عن الإسلام وقضاياه المختلفة وردت إلى الأزهر من جهات مختلفة لبيان الرأى الشرعى فيما تحتويه وقد عهد المجلس بفحصها إلى عدد من السادة العلماء أعضاء المجلس ومن تلك المؤلفات:

« ودخلنا التشيع سجداء » تأليف / محمد على المتوكل.

« حقيقة الحجاب وحجية الحديث » تأليف / محمد سعيد عشماوى.

كما وافق المجلس ـ بعد الفحص والدراسة ـ على نشر وتداول بعض المؤلفات الصادرة باللغة الإنجليزية عن الإسلام وذلك لبعدها عن التعصب وتشويه صورة الإسلام بما ليس فيه، ومنها: « الإسلام والمسيحية فى العالم المعاصر » تأليف مونتجمرى وات، ترجمة الدكتور عبدالرحمن عبدالله الشيخ.

« عقيدة الشيعة » تأليف محمد رضا المظفر (باللغة الإنجليزية).

ووافق المجلس ـ بعد الفحص والدراسة ـ على حجب وعدم تداول بعض المؤلفات التى تعرض بالإسلام، وتسىء إلى أصوله الثابتة ومنها « الربانى عيسى » تأليف بروس شلتون وهو يسىء

إلى الكتب المقدسة عامة والعقيدة الإسلامية خاصة.

«كنوز الإسلام» تأليف فيصل عبدالحميد شهوان، وفيه اعتداء صارخ على ثوابت العقيدة الإسلامية.

«الله الواحد الحق» تأليف وندى استارك وفيه دعاية يهودية خبيثة ضد الإسلام والمسيحية معا.

وفى مجال التسجيلات المسموعة والمرئية:

وافق المجلس على السماح بتداول بعض التسجيلات التى تتناول موضوعات إسلامية وذلك بعد فحصها من السادة العلماء ومنها:

«بستانى الإسلام» إصدار هيئة الإذاعة البريطانية «B.B.C»، بينما حظر المجلس نشر وتداول بعض تلك الأعمال لمساسها بالعقيدة ومنها شريط بعنوان «أحد اللقاءات الدينية» لكارم السياعى مرشد الطريقة البرهانية.

فى مجال الأعمال المرئية: رفض المجلس - بعد المشاهدة والدراسة - سيناريو عن قصة سيدنا موسى عليه السلام إنتاج شبكة «B.B.C» وذلك لما يحويه من أخطاء صارخة، ونيات خبيثة تسيء إلى الإسلام وقد أوصى المجمع بعدم إخراجه أو عرضه بأية صورة فى مصر وخارجها.

هذا وقد عقدت اللجان العلمية للمجمع أولى جلساتها المختلفة فى دورتها التاسعة والثلاثين:

لجنة بحوث القرآن الكريم

حيث عقدت لجنة بحوث القرآن الكريم جلستها الثلاثين برياسة فضيلة الشيخ محمد الراوى وقد اختارت اللجنة موضوع [أكذوبة تحريف القرآن الكريم] ليكون موضوعها الرئيسى خلال الدورة.

عرض على اللجنة موضوع بعنوان [البرهان على تحريف القرآن] نشر على أحد مواقع الإنترنت وقد ناقشت اللجنة الموضوع وعهدت إلى فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد الطيب مفتى الجمهورية وعضو اللجنة بدراسة الموضوع.

لجنة التعريف بالإسلام

كما عقدت لجنة التعريف بالإسلام جلستها برياسة فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف حيث قررت اختيار بعض الكتب والمصنفات التى تعرف بالإسلام مما كتبه رجال التراث وعلماء الأزهر للنظر فى نشرها.

كما قامت اللجنة بتحديد عدد من الموضوعات التى يكتب فيها للتعريف بالإسلام على ضوء التقارير التى سبق تدارسها فى اللجنة.

لجنة القدس والجهاد والأقليات الإسلامية

كما عقدت لجنة القدس والجهاد والأقليات جلستها برياسة فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف حيث أكدت على أهمية دور الأزهر والهيئات الإسلامية العالمية فى توحيد الصف الإسلامى والعربى ودراسة الموضوعات الخاصة بالقضية الفلسطينية ومتابعة أحوال الأقليات الإسلامية فى البلدان غير الإسلامية، وكذلك ضرورة المساهمة فى حل النزاعات بين الدول والمنظمات الإسلامية من جهة وبين الدول غير الإسلامية من جهة أخرى بالطرق السلمية عن طريق الحوار المفتوح والذى يعكس الصورة المشرقة للإسلام وتعاليمه السامية.

لجنة إحياء التراث الإسلامي

وعقدت لجنة إحياء التراث الإسلامي جلستها برياسة الأستاذ الدكتور عبدالعزيز غنيم حيث رأت اللجنة أن تكون خطة عملها خلال الدورة الجديدة الاستمرار في تحقيق كتب التراث والتي ترى اللجنة جدارتها بالتحقيق والنشر من ذخائر التراث الإسلامي وكنوزه وقررت كذلك اختيار بعض كتب التراث التي تعالج قضايا معاصرة مثارة حاليا على الساحة المحلية والعالمية والعمل على تحقيق هذه الكتب ونشرها.

لجنة العقيدة والفلسفة

وعقدت لجنة العقيدة والفلسفة جلستها برياسة فضيلة الأستاذ الدكتور عوض الله حجازي حيث قررت اللجنة ان تكون خطة عملها خلال هذه الدورة هي: بحث ما يمس العقيدة الإسلامية من تيارات معاصرة وبحث كل ما ينشر في المجلات والصحف ووسائل النشر المختلفة متعلقا بالإسلام والرد عليه.

لجنة السنة والسيرة

كما عقدت لجنة بحوث السنة والسيرة جلستها برياسة الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم حيث قررت النظر في مراجعة موسوعة السنة الخاصة بالحديث والرجال ودراسة تشكيل وتشغيل مركز السنة والسيرة والنظر في تحقيق بعض كتب التراث والنظر في ترشيح بعض بحوث رسائل الماجستير والدكتوراه للطبع والنشر والنظر في طبع ونشر بعض البحوث والكتب الموجزة لعلاج بعض القضايا المعاصرة في ضوء السنة.

لجنة التعاون بين جامعة الأزهر ومجمع البحوث الإسلامية

وعقد لجنة التعاون بين جامعة الأزهر ومجمع البحوث الإسلامية جلستها برياسة الأستاذ الدكتور عبدالرحمن عبدالنبي العدوي حيث قررت أن تكون خطة عمل اللجنة خلال هذه الدورة هي: علاقة التعاون بين المجمع والجامعة في ضوء المادة (١٥) من القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١م مع وضع الضوابط اللازمة والكفيلة بتطبيقها.

ودراسة اقتراح فضيلة الأستاذ الدكتور عبدالرحمن عبدالنبي العدوي بشأن تدريس مادة الحاسوب لطلاب جامعة الأزهر.

ودراسة موضوع تعريب العلوم بالكليات العملية بجامعة الأزهر.

أول مجمع فقهي في الولايات المتحدة الأمريكية

نجح المسلمون في الولايات المتحدة الأمريكية في تأسيس أول مجمع فقهي يضم خمسين من ابرز فقهاء العالم الإسلامي وذلك خلال مؤتمرهم الأول الذي عقد لهذا الغرض.

يهدف المجمع إلى الاجابة عن أي اسئلة فقهية في القضايا المستحدثة ورسم خطة الوجود الإسلامي في أمريكا في ضوء المتغيرات بعد احداث سبتمبر واعداد بحوث فقهية عن ما يتعلق بآمال وآلام الامة عامة والأقلية الإسلامية في الولايات المتحدة خاصة.

وانتخب المؤتمر الدكتور حسين حامد عثمان رئيسا له ويتولى الأمانة العامة للمجمع الدكتور صلاح الصاوي رئيس الجامعة الإسلامية المفتوحة بأمريكا

ونائبان للرئيس هما الدكتور على السالوس والدكتور وهبة الزحيلى وشارك فى عضوية اللجنة الفقهية من مصر كل من الدكتور محمد رأفت عثمان العميد السابق لكلية الشريعة والقانون وعضو مجمع البحوث الإسلامية والدكتور أحمد طه ريان أستاذ الفقه بكلية الشريعة والدكتور يوسف قاسم الأستاذ بحقوق القاهرة وقرر المجمع استخدام كل الوسائل التكنولوجية وفى مقدمتها الدوائر التليفزيونية عبر الأقمار الصناعية للربط بين الراغبين فى السؤال وأى عضو فى المجمع فى الدولة التى يقيم فيها.

مسح ضوئى لمكتبة الأزهر

أعلن فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر أن سمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم ولى عهد دبى وزير الدفاع الإماراتى تكفل بإجراء مسح ضوئى لمكتبة الأزهر، وأن سموه كلف إحدى الشركات المتخصصة لإجراء هذا المسح.

جاء ذلك عقب لقاء سمو ولى العهد أثناء زيارة وكيل الأزهر للإمارات.

أوضح وكيل الأزهر أن مشروع المسح الضوئى لمكتبة الأزهر سيجعل لمكتبة الأزهر موقعا الكترونيا يستفيد منه جميع الباحثين والعلماء وطلاب العلم.

وأضاف: إن تكلفة هذا المشروع تقدر بنحو ٥ ملايين دولار وهذا المشروع هو أحد المشاريع الخيرية والتعليمية التى يتبناها ويرعاها سمو ولى العهد للنهوض برسالة الأزهر ومساعدته على أداء رسالته الإسلامية والإنسانية.

وقال وكيل الأزهر: إن مكتبة الأزهر تحتوى على تسعة آلاف مخطوط نادر و« ٤٢ » ألف مخطوط مكرر ونحو ٢٥٠ ألف كتاب فى مختلف العلوم الشرعية والإنسانية.

البيت الأبيض يرفض انتقاد رجال دين أساءوا للإسلام

رفض المتحدث باسم البيت الأبيض « آرى فلايشر » توجيه نقد مباشر إلى عدد من رجال الدين المسيحى البارزين فى الولايات المتحدة عقب تطاولهم على الإسلام والرسول ﷺ وذلك على الرغم من مشاعر الغضب المتزايد بين المسلمين تجاه هؤلاء الأشخاص وقال « فلاشر » ردا على سؤال بشأن موقف الرئيس بوش من تصريحات ثلاثة من رجال الدين البروتستانت والتى تسىء إلى شخص النبى محمد ﷺ: لقد أعلن الرئيس بوش فى العديد من المناسبات وأثناء زياراته للمساجد ولقاءاته مع الزعماء المسلمين أن الإسلام هو دين سلام وتلك إشارة هامة على انفتاح أمريكا على المسلمين وترحيبها بهم.

قناة أمريكية تتطاول على الرسول ﷺ

استنكرت رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة تطاول البرنامج الأمريكى « هانيتى آند كولمز » الذى تبثه قناة « فوكس » التليفزيونية على شخص رسول الله ﷺ.

وقد أصدر الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركى بيانا أعرب فيه عن استياء الشعوب والأقليات الإسلامية فى العالم من تطاول هذا البرنامج على الإسلام بالإساءة إلى شخص رسول الله ﷺ واتهامه بالكذب والجنون وابتداع الرسالة وأكد البيان أن الافتراء على الإسلام والهجوم على رسوله ﷺ دليل على ازدياد الإقبال عليه.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

الإمام الأكبر يستقبل رئيس جمهورية المالديف

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف فخامة الرئيس / مأمون عبدالقيوم رئيس جمهورية المالديف والوفد المرافق لفخامته، وتأتى هذه الزيارة فى إطار زيارته لجمهورية مصر العربية لحضور افتتاح مكتبة الإسكندرية، وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بالضيف والوفد المرافق وأشاد بعمق العلاقة بين مصر وأزهرها الشريف وجمهورية المالديف.

والأزهر الشريف يقدم كل عون ومساعدة لأبناء العالم الإسلامى وخاصة أبناء المالديف الذين يدرسون بالأزهر الشريف، وقدم رئيس المالديف الشكر لفضيلة الإمام الأكبر على ما يقوم به الأزهر من مجهود فى استقبال أبناء المالديف وتلقيهم العلوم الدينية بالأزهر الشريف وكذا استقبال الأزهر للعلماء الذين يحضرون من المالديف لحضور الدورات التدريبية التى تعقد كل ثلاثة أشهر مع علماء ووعاظ العالم الإسلامى أيضا قدم الشكر على البعثات العالمية من العلماء الذين يحضرون من الأزهر للمالديف لتعليم أبناء المسلمين فى بلادهم، كما أشاد الضيف بمجهودات مصر فى كل المجالات وخاصة افتتاح مكتبة الإسكندرية، واعتبر أن هذا عمل رائع تحت قيادة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية، يجدر بالذكر أن الرئيس المالديفى من خريجى الأزهر الشريف، وقد وجه فخامته الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف لزيارة دولة المالديف على رأس وفد من العلماء لما لتلك الزيارة من أهمية بالغة لدى حكومة وشعب المالديف. حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف.

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

سوار الذهب يطلب تدريس مناهج الأزهر بالسودان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد المشير / عبدالرحمن محمد حسن سوار الذهب رئيس جمهورية السودان الأسبق ونائب رئيس المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة وقد رحب فضيلته بالسيد المشير فى مصر وأزهرها الشريف مؤكدا على عمق العلاقة الطيبة بين مصر والسودان ومن جانبه أكد السيد المشير على أنه يعتبر السودان الجزء الجنوبى لمصر والعلاقة بين البلدين قوية ومتينة وتزداد قوة

وارتباطا كما طلب موافقة الأزهر الشريف على قيام مؤسسة تعليمية تدرس المنهج الأزهرى بالسودان، ويقوم الأزهر بالإشراف على هذه المؤسسة وإمدادها بالمناهج والكتب والمدرسين وتشمل المراحل الدراسية الابتدائية والإعدادية والثانوية والمرحلة الجامعية، وأعرب سيادته أن هذه الخطوة تعبر عن رغبة الكثير من أبناء السودان لتدريس مناهج الأزهر الشريف التى تمتاز بالتوسط والاعتدال والبعد عن المغالاة لأنها تستمد تعاليمها من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر وأبدى الاستعداد التام للوقوف إلى جانب أبناء السودان وتحقيق هذه الرغبة والتعاون من أجل تنفيذها حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف.

الإمام الأكبر يستقبل وفد جامعة داود الفطانى الإسلامية

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفدا من جامعة الشيخ داود الفطانى الإسلامية - بدولة تايلاند برئاسة الشيخ / وان حسن وان إبراهيم، حيث رحب فضيلته بالوفد مؤكدا على أن الأزهر دائما فى خدمة أبناء المسلمين فى كل بلاد العالم ولا يدخر وسعا فى تلبية طلبات المسلمين فى شتى أنحاء المعمورة، وأكد على أن أبواب الأزهر الشريف مفتوحة لطلبات المسلمين فى أى وقت.

شكر الحضور فضيلته على حسن اللقاء وعلى سعة صدر فضيلته، وطلب الحضور تزويدهم بالكتب والمراجع التى تعين الباحثين فى أبحاثهم الجامعية وليستعين بها أبناء تايلاند فى معرفة أمور دينهم، كما قدموا الشكر لفضيلته على تعليم أبناء تايلاند فى الأزهر الشريف، وقد تخرج فى الأزهر أعداد كثيرة من أبناء تايلاند، يكنون للأزهر ولمصر كل محبة واعتزاز وتقدير وقد وافق فضيلته على تلبية طلبهم.

سفير إيران باليونسكو يؤكد على أهمية دور الأزهر

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الدكتور / أحمد جلالى سفير إيران باليونسكو الذى حضر لمصر لحضور حفل افتتاح مكتبة الإسكندرية، حيث رحب فضيلته بالضيف الكريم مشيدا بالأخوة الصادقة التى تجمع بين الشعبين المصرى والإيرانى، ومن جانبه أشاد الضيف بدور الأزهر الشريف ومكانته العلمية والعالمية لدى شعوب العالم أجمع حيث يستقبل الطلاب من معظم دول العالم ليدرس لهم الإسلام الصحيح، وأوضح أنه لشرف عظيم لكل أبناء إيران أن يحظوا بمنح دراسية بالأزهر الشريف، وناشد الضيف فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف القيام بالتنسيق من أجل توحيد الكلمة بين المسلمين والمسيحيين للتصدى لمن يسىء للإسلام والأنبياء، وعلى الإخوة المسيحيين أن يوجهوا كلمات تحث فيها القيادات المسيحية للتصدى لمثل هذه الادعاءات، وقد أوضح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر أن العالم كله مسلمين ومسيحيين ويهود وغيرهم فيهم العقلاء، وفيهم السفهاء، والعقلاء هم الذين يقرأون ويكتبون بدون إثارة للفتن، أما غيرهم فهم يسمعون

ويقرأون ولا يبحثون عن الحقائق، فيكتبون بما لا يعرفون أو بما يسمعون بعيدا عن الحقيقة فالمسائل تحتاج إلى موازنة، وعلينا أن نتفهم الحقائق ونبحث عنها في الكتب والمراجع الأصلية، لتكون كتاباتنا بعيدة عن الجهل، ونكتب من واقع المعرفة، ونحن والحمد لله نرد على تلك الادعاءات والافتراءات التي تثار ضد الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ودون تجريح لأحد، كما طلب الضيف من فضيلة شيخ الأزهر الشريف تنسيق الجهود مع المملكة العربية السعودية لتنظيم الحج من خلال وسائل الإعلام، ويلتزم جميع الحجاج من كل البلاد بأسلوب فيه التعاون حفاظا على أرواح الحجاج وفي نهاية اللقاء شكر الضيف على حسن اللقاء والحفاوة.

سفير موزامبيق يطلب زيادة عدد المنح الدراسية

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير/ دانيال إدوارد موندلان سفير موزمبيق بالقاهرة، رحب فضيلته بالضيف في الأزهر الشريف مؤكدا على أن الأزهر الشريف الذي عمره الآن أكثر من ألف عام يؤدي رسالته في خدمة المسلمين ويفتح أبوابه لطلاب العالم للدراسة به، وبه طلاب من موزمبيق يدرسون بمراحله المختلفة ويقيمون بمدينة البعوث الإسلامية وعددهم عشرون طالبا يتلقون العلوم الدينية والعربية جنبا إلى جنب مع إخوانهم من طلاب العالم ومصر، والأزهر لا يدخر وسعا في تقديم العون والمساعدة لأبناء المسلمين، ومدينة البعوث الإسلامية بها طلاب وطالبات من خمس وتسعين دولة في القاهرة والإسكندرية، وقدم السيد السفير الشكر لمصر وللأزهر الشريف ولشيخه وعلمائه على ما يقدمه للإسلام وللمسلمين في شتى أنحاء العالم ومنهم دولة موزمبيق وطلب الضيف زيادة عدد المنح الدراسية من الأزهر الشريف، كذا فتح الباب أمام تعليم أبناء بلاده اللغة العربية حيث إن موزمبيق عضو في منظمة المؤتمر الإسلامي، وأن تعليم اللغة العربية يساعد على ترجمة الموضوعات في كافة الأنشطة والمجالات التي تخدم دولة موزمبيق، وقد رحب فضيلته بدراسة طلبات السيد السفير تمهيدا لتلبيتها.

الإمام الأكبر يؤكد:

لا يصح أن تعتدي دولة كبرى على أخرى صغرى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد/ بيتر هولينجورث حاكم عام استراليا والوفد المرافق لسيادته، رحب فضيلته بالضيف ومرافقيه في مصر وأزهرها الشريف مشيدا بالعلاقة الطيبة التي تربط مصر ودولة استراليا منذ أمد بعيد، وأوضح فضيلته أن الناس جميعا من أصل واحد وهي الحقيقة التي أكدتها جميع الأديان السماوية، وأن اختلاف العقائد بين الناس لا يمنع التعاون فيما بينهم، ونحن في مصر مسلمين ومسيحيين نعيش إخوة متحابين وكل له عقيدته، ونتزاور في الأعياد وفي المناسبات المختلفة، ونعمل سويا جنبا إلى جنب لتحقيق صالح الوطن، وأنا كشيخ للأزهر لدي رسالة دينية أقوم بها في شرح وتوضيح المفاهيم والأمور الدينية لدى عامة المسلمين في مصر وغيرها، ودراستنا في

الأزهر الشريف تقوم على الاعتدال والتوسط وإعطاء كل ذي حق حقه، ورفض الظلم والاستغلال والاستعباد، واغتصاب الأرض وهدم المنازل وقتل الآمنين، وكان للأزهر الشريف دور بارز ونشط عقب أحداث ١١ سبتمبر المؤلمة، حيث أعلن الأزهر الشريف للعالم كله أن هذه الأحداث هي جرائم بشعة بكل المقاييس الدينية والقانونية والاجتماعية، وقلنا: إن من حق الدولة التي وقع اعتداء على أرضها أن تبحث عن المجرمين وتقدمهم للمحاكمة العادلة عن طريق الهيئات القضائية لتقول كلمتها العادلة فيهم، وقد شهد بذلك السيد الرئيس الأمريكي، وأرسل للأزهر خطاب شكر ودائما نقول: نحن ضد الإرهاب بكل صوره وأشكاله وألوانه، ونحن ضد من يفسر الإرهاب على هواه ونؤكد: أن الإرهاب هو العدوان على الغير واحتلال أرضه وحصاره وقتل النساء والأطفال والشيوخ أما من يدافع عن أرضه وعرضه وكرامته الإنسانية، وحريته ليس إرهابيا ونحن نؤيده ونقف بجانبه حتى يظفر بحريته، ونحن في عصر نالت فيه كل دولة حريتها واستقلالها، ولا يصح أن تعتدى دولة كبرى على أخرى صغرى، ويجب على العالم كله أن ينطق بكلمة الحق ويقف بجانبه ويسانده، وأكرر بأننا نحترم جميع الأديان، ولدينا في الأزهر الشريف لجنة دائمة للحوار تجتمع شهريا، لأننا نؤمن بتعاون الحضارات ولا نؤمن بصدام الحضارات، والعقلاء يؤمنون ويؤيدون تعاون الحضارات فيما بينها، ونحن نأخذ من الحضارات في العالم ما يصلح لنا، وكذلك الحضارات الأخرى تأخذ من حضارتنا ما يناسبها وذلك من أجل بناء حياة جديدة لصالح البشرية من أجل نفعها وليس من أجل ضررها، تنتفع بالماضي وتسلك طريق العدل والكرامة الإنسانية، من أجل مستقبل يبشر بالخير والعدل والسلام ويعود ذلك بالخير على البشرية بدل الحروب والخراب والدمار، ووظيفتنا كرجال دين وحكام أن نعلم ونصحح ونبين المفاهيم حتى يكثر عدد الحكماء عن طريق نشر العدل والفضائل ليزداد الأمان والرخاء، ونحن نؤمن بالتخصص فرجل الدين يتخصص في الأمور الدينية والشرعية، ورجل السياسة له تخصصه ولا يمنع أن تكون المعرفة بجميع الأمور واضحة ونتعاون ونتعلم من بعضنا البعض.

قدم الضيف الشكر لفضيلة الإمام الأكبر على ما سمعه من كلام مفيد، وقال: إنه كان رجل دين قبل أن يعين حاكما عاما لأستراليا منذ عام ولذلك هو يقدر كلام فضيلة الإمام الأكبر بكل احترام وتقدير ورغم أنه رجل سياسة إلا أنه قد انجذب لهذا الحديث في الجوانب الدينية وإعجابه الشديد بسلاسة الحديث، وقد وجد أن الأفكار متطابقة، والتعاليم الدينية واحدة. وقال: إننا في استراليا نفتح الأبواب أمام الحريات والعبادات للجنسيات المختلفة ليمارسوها بكل حرية وقد قام هو وقادة القساوسة بزيارة أماكن تحت رياسة مسيحية ويقوم بالتدريس فيها مسلمون والتعاون معهم قائم على أكمل وجه وفي نهاية اللقاء تمنى فضيلته للضيف إقامة طيبة.

الإمام الأكبر:

شعب مصر أسرة واحدة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيدة الدكتورة / ماريان ماكلير مديرة العلاقات الدولية للكنيسة المشيخية بالولايات المتحدة الأمريكية والوفد المرافق لها يرافقهم الدكتور / صفوت البياضي رئيس الطائفة الإنجيلية بالقاهرة، ومما يذكر أن الكنيسة المشيخية من أكبر الكنائس في الولايات المتحدة الأمريكية التي تؤيد القضية الفلسطينية والشعب العراقي هذا ما جاء على لسان رئيسة الوفد.

ومن جانبه أكد فضيلة الإمام الأكبر على أهمية الجهود الاجتماعية الموفقة للكنيسة المشيخية، كما أعرب فضيلته عن أن شعب مصر يعيش أسرة واحدة مسلمين ومسيحيين لأننا جميعا من أب واحد وأم واحدة هما آدم وحواء - عليهما السلام -، ونحن نتكاتف من أجل نشر السلام والأمان والرخاء والتراحم من أجل الأمة كلها، والأديان السماوية كلها تدعو إلى التسامح والتواصل والتعاون وأن يكون الإنسان أخ للإنسان، كما أعربت رئيسة الوفد عن سعادتها بهذا اللقاء مشيدة بعمق العلاقة والمحبة بين الإنجيليين الذين يهتمون بحب مصر منذ قرن ونصف القرن، كما أشادت بالنموذج الطيب المتسامح الذي يجمع بين المسلمين والمسيحيين في مصر معلنة عن رغبتها في أن يطبق هذا النموذج الطيب في بلادها بالولايات المتحدة الأمريكية التي هي في أمس الحاجة لمثل هذا النموذج الفريد، مشيدة أيضا بزيارة فضيلة الإمام الأكبر لأمريكا والتي أعطتهم غطاء للتسامح والتعايش بين المسلمين والمسيحيين في الشرق، وأوضحت أنها زارت فلسطين وشاهدت الوضع هناك وقالت إنها حقا أوضاع مأساوية وأن الكنيسة المشيخية لها وقفة معروفة في حق تقرير المصير، وأعلنت الكنيسة حق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم وتهتم الكنيسة بالاتجاه السياسي المزعج الذي تتجه إليه حكومتها نحو العراق، لأن الشعب العراقي ظل يعاني من الحصار منذ فترة طويلة، والآن هو يتعرض لهجمة شرسة لم يبدأها العراق وأشادت بجهود فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بتأييده لحقوق المرأة ووضعها في المجتمع، مؤكدة على التعاون بين المسلمين والكنيسة الإنجيلية والكنائس الإنجيلية الأخرى في مصر برئاسة الدكتور / صفوت البياضي قائمة على المحبة والتزاور، ونحن نكن له كل محبة وتقدير واحترام، وأشاد فضيلة الإمام الأكبر بموقف الكنيسة المشيخية المعتدل الحكيم في الولايات المتحدة الأمريكية تجاه القضية الفلسطينية والشعب العراقي.

الإمام الأكبر:

الأديان السماوية كلها ضد العدوان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد / ريتشارد هاس مدير إدارة تخطيط السياسات بالخارجية الأمريكية يرافقه السيد السفير / ديفيد ولش سفير أمريكا بالقاهرة والوفد المرافق.

رحب فضيلته بالسادة الضيوف في مصر وأزهرها الشريف قائلا: إن القيادات الدينية

والأديان السماوية كلها ضد العدوان، فالأديان السماوية تدعو إلى التراحم والتعاون والحب والسلام بين الناس جميعا والعقلاء في كل مكان مهما اختلفت عقائدهم يعرفون ذلك ويدعون إليه، ومن جانبه شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على هذا الحديث الطيب المتزن الحكيم، وأوضح أن زيارته جاءت في إطار جولته للسعودية وقطر والبحرين، لاهتمامه بالسياسات الخارجية بصفة عامة وبالمنطقة العربية بصفة خاصة، وأنه يقدم مشورته لوزير الخارجية الأمريكي، وأعرب عن رغبته في معرفة رأى فضيلة الإمام الأكبر تجاه الموقف بين الفلسطينيين والإسرائيليين، كذا التوتر الذى يسود المنطقة في الموقف من الجانب العراقي، وتأثير ذلك من الناحية الدينية على العالم العربى والعالم الإسلامي مقدرا رأى فضيلته لاحتواء هذا التوتر، وقد أوضح فضيلته بأن حديثه سيكون من منطلق الجانب الدينى وليس من الجانب السياسى، أنا كإنسان أرى أن ما يحدث في الأراضى الفلسطينية من الاعتداءات الإسرائيلية على الفلسطينيين أمر مرفوض، مستحيل أن تستمر الأمور على هذه الطريقة من هدم للمنازل وقتل للأبرياء وتجريف للأراضى وهدم للبنية الأساسية، لا حل بالنسبة للطرفين إلا بوجود قوة دولية رادعة تفصل بينهما وتمنع أى اعتداء من أى جانب من الطرفين، ثم بعد ذلك يجلس الطرفان ويحلوا قضاياهم، وإذا أراد أحد الطرفين بعض المعاونة من المسئولين من دول أخرى فهذا يرجع لهم، واستمرار الموقف على هذا الوضع القائم سيجعل الطرفان خاسرين.

وفيما يخص العراق فأقول للحرب أهوال ليست سهلة وعندما تحل الأمور بالعدل وبالحق وبالطرق القانونية فهذا أفضل، وأرى أن توجيه ضربة عسكرية للعراق أمر لا نوافق عليه، ونحن نقرأ ونسمع أن الحكومة العراقية قد وافقت على دخول المفتشين الدوليين إلى أراضيها للتفتيش فليس هناك داع لضرب العراق، ونحن ضد ضرب المدنيين والعدوان على الأطفال والنساء، والإسلام يمنع ذلك، والرسول ﷺ حينما كان يهيئ جيشا للدفاع كان يوصيهم لا تقتلوا طفلا أو شيخا ولا امرأة ولا تقطعوا شجرا ولا تقلعوا زرعا وما يحدث لإخواننا في فلسطين من قتل ومن هدم لبيوتهم ومحاصرتهم ومحاصرة رئيسهم وعدم تمكينهم من القيام بمعيشتهم حيث أصبحوا في شلل تام وأرضهم مغتصبة، فماذا يفعل من هدم بيته؟ وبعيدا عن السياسة أقول من يتحمل كل هذا؟ إذن لابد من وجود قوة دولية حازمة للفصل بينهما ثم تحل المسائل بعد ذلك وكما قلت دائما إن هناك العقلاء وهناك السفهاء، فيأتي السفهاء يعطلون ما يقول العقلاء، وتظل الأمور هكذا معلقة وتزداد إلى أسوأ، وكما سمعت منكم بأن الرئيس الأمريكي أخذ على عاتقه مسئولية إقامة دولة فلسطينية طبقا لحدود ٦٧ في خلال ثلاث سنوات بشرط تخلى الطرفين عن العنف، إذا كان الأمر كذلك فهذا يحتاج إلى قوة تقوم بالتنفيذ وأكرر أنه لابد من وجود قوة دولية للفصل بينهما، وفي نهاية اللقاء شكر الحضور فضيلة الشيخ الأزهر على ما سمعوه وطلب السيد ريتشارد من فضيلة الإمام الأكبر زيارة أمريكا لشرح وتحديد المفاهيم الإسلامية للشعب الأمريكي، وأنه سيقوم بالتنسيق لهذه الزيارة.

الدورة التدريبية لأئمة ووعاظ العالم العربى

شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف حفل تخريج الدورة التدريبية العالمية لائمة ووعاظ العالم الإسلامى رقم ٥٨ الذين استضافهم الازهر لمدة ثلاثة اشهر بمدينة البعوث الإسلامية تلقوا خلالها العلوم والمعارف والثقافة الإسلامية على أيدى علماء الأزهر الشريف ومن الاساتذة المتخصصين، وعلى راسهم فضيلة شيخ الأزهر وفضيلة وكيل الأزهر وفضيلة رئيس جامعة الأزهر الشريف وقد تحدث احد الائمة فشكر مصر والأزهر الشريف والسادة العلماء على حسن استقبالهم وعلى ما قدمه الأزهر لهم من رعاية وعناية فى جميع النواحى العلمية والصحية والاجتماعية وعلى التزود بالعلم النافع من شيوخ الأزهر وعلمائه.

وقد القى فضيلة الإمام الأكبر كلمة وجههم فيها إلى ان يبينوا للناس شريعة الإسلامة التى تقوم على الحق والعدل واليسر والسماحة، وأن تكون دعوتهم لوجه الله ـ تعالى ـ ولخدمة الدين والأمة وأوصاهم باستمرار التواصل بينهم وبين الأزهر الشريف، وأن يقرأوا كثيرا حتى يستطيعوا أن يردوا على الافكار الخاطئة التى تنشر عن الإسلام والمسلمين، وأن يبلغوا رسالة الإسلام السمحة إلى إخوانهم وأبنائهم وأهلهم، وأن يتعاونوا على البر والتقوى وأن ينبذوا العنف والعدوان، وأن يتحلوا بمكارم الاخلاق، وأن تكون فتاويهم معتدلة وأن ييسروا على الناس أمور دينهم ودنياهم ودعا لهم بالتوفيق والسداد وقال: إن مصر وأزهرها الشريف قلوبها وأبوابها مفتوحة، وتلبى احتياجات المسلمين فى كل مكان من ارض الله، شارك فى هذه الدورة علماء من دول: جامبيا، كوت ديفوار، موريتانيا، أوغندا، الجزائر وعددهم ٢٥ طالبا وفى نهاية الحفل قام بتوزيع شهادات التخرج والكتب الدينية على العلماء، كما أعلن فضيلته عن افتتاح الدورة ٥٩ من العلماء والائمة والدعاة من دول: الصين، والجزائر، بنين، والفلبين، وألبانيا، والكونغو برازفيل وعددهم ٢١ إماما وواعظا. حضر الحفل فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الازهر الشريف، وعدد من سفراء الدول.

الإمام الأكبر يستقبل وفد أبناء الجالية الإسلامية بهونج كونج

استقبل فضيلة الإمام الاكبر وفدا من أعضاء أبناء الجالية الإسلامية بهونج كونج برياسة السيد/ سعد الدين رئيس الاتحاد الباكستانى ورئيس الجمعية الإسلامية الدولية، ودار الحديث حول سبل دعم الصين بالكتب العلمية والمراجع الدينية ليستفيد منها ابناء الجاليات الإسلامية بالصين كذا تمثيل الائمة والوعاظ فى الدورات التدريبية التى يعقدها الأزهر الشريف وكذا زيادة المنح الدراسية لأبناء الصين للدراسة بالأزهر الشريف، وقد وجه فضيلته بتلبية طلباتهم فورا خدمة لمسلمى الصين ومما يذكر أن طلاب الصين الذين يدرسون فى الأزهر الشريف عددهم ٧٢ طالبا.

The ones who closely follow the Messenger, the Prophet, the illiterate one, whom they find written down in their presence in the Tawrah and the Injil, commanding them to beneficence, and forbidding them maleficence.

[Al-A'raf (The Battlements) :157].

It is suffice for him that Jesus (Isa), Maryam's son, gave tiding about him as The Al-Mighty said:

And as Isa, son of Maryam, said, "O Seeds of Isra'il, surely I am the Messenger of Allah to you sincerely (verifying) that which is before me of the Tawrah, and a constant bearer of good tidings of a Messenger who shall come up even after me, whose name is Ahmad" Then, as soon as he came to them with the clear evidences, they said, "This is evident sorcery". [As-Saff (The Ranks) : 6].

In reply to what Jerry Falwell has stated that : Moses has given a good example, Jesus good tiding but Muhammad acted contrary to that, we say that the distinction between the Messengers, concerning love and respect, cannot be said by anyone except by someone who has untrue creed, bad nature, ignore the manifest facts and interested in abusing and contradicting what came in the Heavenly Laws calling for the honoring, love and respect of all the prophets, peace be upon them all.

Allah guides whomsoever He decides to a straight path.

The Islamic Law decisively prohibited distinction between any of the prophets, concerning faith, amicability and respect, and warned whoever does this that he will be among the losers as Allah stated in His Ever-Glorious Qur'an;

Surely the ones who disbelieve in Allah and His Messengers and would make a distinction between Allah and His Messengers, and say, "We believe in some, and disbelieve in some (others)," and would take themselves a way in-between. Those are truly the disbelievers; and We have readied for the disbelievers a degrading torment.

[An-Nisa' (Women) : 150 : 151].

When Muhammad, may the blessing and peace of Allah be upon him, came, he showed respect to the prophets preceding him and forbade being favored or distinguished by his followers as all the prophets came with the same Message involving being loyal to Allah, The Ever-Lasting, in worship and being endowed with the best honorable manners.

Honorable Messengers including Muhammad are the best good-mannered among mankind as they are considered the sun that lit minds and guides to virtues and what benefits man. *They are made of living stars casting their bright light everywhere, although they were but men. They illuminating around as lamps.*

It is suffice for Muhammad that the Heavenly Books, the Old Testament (***Tawrah***) and the New Testament (***Bible***) gave tidings about his coming as Allah said:

them and their messages is considered as an essential pillar of faith. Allah said:

Messengers (who are) constant bearers of good tidings, and constant warners lest mankind should have argument against Allah after the Messengers.

[An-Nisa' (Women) :165].

Moses was praised in many verses as Allah, The Ever-Lasting, said:

And mention in the Book Musa; surely he was ever-faithful and he was a Messenger, a Prophet. [Maryam (Mary) : 51].

And Jesus (Isa), peace be upon him, as well as his mother, Mary, as Allah said:

And We made Maryam's son and his mother a sign, and gave an abode to (both of) them upon a mound, with a (refreshing) residence and a profuse (spring).

[Al-Mu'minun (The Believers) :50].

Islam commanded us to believe in all the Messengers as Allah said:

The Messenger has believed in what has been sent down to him from his Lord, and the believers; everyone (of them) has believed in Allah, and His Angels and His Books, and His Messengers; we make no distinction between any of His Messengers.

[Al-Baqarah (The Cow) : 285].

And recite to them the tiding of the two sons of Adam with the truth as they offered a sacrifice, (and) it was (graciously) accepted of one of them and not (graciously) accepted of the other. One (of them) said "Indeed, I shall definitely kill you". (The other) said, "Surely Allah (graciously) accepts only of the pious. [Al-Ma'idah (The Table) : 27].

Many people, from different ages and lands did not feel satisfaction with their Creator and livelihood for that some of them associated other Gods with Allah.

On contrary to the mindful people, priest, Jerry Falwell ignored these crystal-clear facts when he said that the Prophet Muhammad was a terrorist, upon viewing Muslims' and non-Muslims' books and that he was a man of war not peace. Among the evidences that prove his ignorance and non-objectivity is that if some writers wrote abusive writings about the Prophet Muhammad, there are so many mindful writers, Europeans, Americans and others, who wrote objectively about his true features and aspects. He can read, for example, the book written by the very well known writer, ***La Martin*** in which he praised the Messenger, Muhammad and also, the book written by the American writer, ***Michael Hart*** entitled ***"The hundred immortals and Muhammad is their greatest"***.

Concerning the fourth fact, the Islamic Law, topping all the Divine Laws, honored and respected all the prophets and commanded us to honor, dignify, love and respect them although some with spoiled nature disagreed. Moreover, the Islamic Law praised all the prophets and stated that believing in

And help one another to benignancy and piety, and do not help one another to vice and hostility.

[Al-Ma'idah (The Table) :2].

And He, the Al-Mighty, said:

Allah does not forbid you, (as regards) the ones who have not fought on account of the religion, and have not driven you out of your homes that you should be benign to them, and be equitable towards them; surely Allah loves the equitable ones. [Al-Mumtahanah (The Women Tested) : 8].

War, in the Islamic Law, is not the only solution except for defending soul, money, honor, home, human freedom or dignity as Allah said:

And fight in the way of Allah the ones who fight you, but do not transgress; surely Allah does not love transgressors.

[Al-Baqarah (The Cow) : 190].

If some of the Muslims do not apply these sublime principles, there are other non-Muslims squander and fail to make use of them and base their behavior on injustice not equity, on aggression not peace and on desire not straightness.

As for the third fact, since the creation of man in this universe, there are different kinds of people: the mindful and the foolish, the good and the bad. When there was one family that represented mankind namely, Adam and his wife, one brother killed the other and this is a fact stated in all the Divine Books and in the Ever-Glorious Qur'an as Allah, The Most High, said:

The word ***"Salam"*** or ***"Peace"*** is one of Allah's names and the Prophet Muhammad, may the blessing and peace of Allah be upon him, is the holder of the flag of Peace as he came to all mankind with guidance, mercy and good. He says: ***"I'm nothing but a granted mercy."*** Allah described him saying:

And in no way have We sent you except a mercy to the worlds. [Al-Anbiya' (The Prophets): 107].

"Peace be upon you" is the greeting chosen by the Islamic Creed to its followers. The Messenger of Allah said: ***"Allah made the word peace a greeting to our nation and a tranquility to the people of other religions who live among us."***

Allah's greeting to His bondsmen who believed and did good is Peace as He said:

Their greeting, on the Day when they shall meet Him will be "Peace"! [Al-Ahzab (The Allied Parties) :44].

And the Angels' greeting to the truthful believers is Peace as Allah, The Al-Mighty, said:

And the angels shall enter to them from every gate. "Peace be upon you, for that you endured patiently".

[Ar-Ra'd (Thunder) : 23 : 24].

To sum up, Peace in the Islamic Law which Muhammad came with is the deep-rooted principle and pillar as people's dealings should be based on peace and cooperation and it does not matter to what extent creeds are different as Allah, Glory be to Him, said:

dissemination of peace among people as he called his followers to feel the spirit of peace in their souls and in dealing with others; not to harm or encroach upon. Concerning this, he was saying: ***"Peace is Islam"***, ***"The Muslim is the one who does not harm others"***, ***"Spread Peace among you"*** and ***"Do not ever wish to fight and ask Allah to grant you (good) health"***. He used to invoke Allah a lot saying: ***"O, my Lord, You are The Peace and we draw peace from You. O, Allah, greet us with peace."*** So, the mindful will see that the Messenger's life was built on peace not war and on cooperation in doing good and piety not wrongdoing nor aggression.

In brief, if the virtue of peace were a tangible perceptible thing, it would be a part of his soul, nature, manners and behavior. And that which have been said by the priest ***Jerry Falwell*** that he thought that the Prophet was a terrorist is considered to be a false accusation uttered by someone who does not relate to a sound creed nor a straight nature.

As for the second fact, peace is one of the Islamic principles. The word ***"Islam"*** which is considered the title of this creed is derived from the word ***"Salam"*** meaning peace and they both mean security and tranquility to mankind who relate to one father and one mother as Allah, Glory be to Him, Says:

O you mankind, be pious to your Lord, Who created you of one self, and created from it its spouse, and from the two disseminated many men and women.

[An-Nisa' (Women) : 1].

and invocation saying: ***"O, my Lord, guide my people as they do not know."***

After his migration to Medina and after establishing his strong nation, the Messenger's slogan, concerning his call, was to spread Islam and security. It did not happen that he, may the blessing and peace of Allah be upon him, use his sword or fight except against the aggressors and that all his battles were directed to defend self and money. For example, the Battle of ***Badr*** in which the Messenger achieved victory over his enemies was for the sake of helping the weak Muslims who could not migrate and were wronged by the disbelievers, who came very close to Al-Medina.

As for the Battle of ***Uhud***, the disbelievers were those who came to the superb of Al-Medina to fight Muslims so, Muslims had to fight back to defend their souls and money.

Concerning the Battle of ***Al-Ahzab*** (***The Allied Parties***), the disbelievers and their allied surrounded Al-Medina aiming at harming and killing the Prophet and his followers so, the Prophet and his followers had to defend their land, money and honor. Moreover, the aim behind the ***opening of Mecca*** was to help and support the weak and wronged Muslims. However, the Messenger avoided shedding the blood of his enemies and called for peace. After ***Mecca's Conquest***, he said to its people who caused him a lot of suffering: ***"Go, you are free"***, and he forgave them all.

During his life, the Messenger, may the blessing and peace of Allah be upon him, was the most one caring for the

what he has mentioned, and guide him to the right and make him able to find out the unquestionable truth. ***As for the first fact***, terrorist means the one who transgresses upon others' lives, money, honor, freedom and human dignity. A terrorist is the one who encroaches upon the lives of the peaceful, houses, and livelihood and destroys whatever he faces. Moreover, he is described by being an arrogant who does not accept advice as he walks on Satan's way. Furthermore, he is the one who compels others to injustice and humiliation, coerces others to submission and resorts to all the different means to make them give up their rights, freedom and dignity. These are some of the terrorist's features.

Since his birth till his death, Muhammad, the Messenger of Allah, may the blessing and peace of Allah be upon him, knew nothing about injustice or terrorism as he was a man of peace in his soul, manners, dealings and nature. Before his mission, the Messenger was called, among his people, as the ***truthful*** and ***honest***. Moreover, he was beloved by all whomsoever knew him for his pure soul, beauty of reason and care for disseminating love, amicability and peace. After his mission, the Messenger, stayed at Mecca for 13 years calling people to be loyal to Allah and have good manners.

The Messenger, may the blessing and peace of Allah be upon him, suffered the most bitter means of torture, persecution, terrifying and boycott on the hands of the disbelievers. Nevertheless, he did not resort to sword against the transgressors but he met their wrongdoing and harming with patience, peace

A Message to the one who offended
The Seal of Prophets and Messengers, Muhammad (P.B.U.H)
By: The Grand Imam, Dr. Muhammad Sayyid Tantawy,
The Grand Sheikh of Al-Azhar.

I viewed what has been published in the Egyptian and international mass media, regarding to what was broadcasted in the news channel ***CBS*** in its program ***"60 Minutes"*** on 6/10/2002. The interviewer hosted seven speakers among them was the priest, Jerry Falwell, one of the American Christian Coalition Leaders. After stating each of their opinions in different matters, priest Jerry Falwell resumed talking commenting on the confrontation between Jews and Christians on one side and Muslims on the other side as he said that he thought that the Prophet Muhammad was a terrorist according to what he has read of Muslims' and non-Muslims' writings and that he was a man of war not a man of peace. Then, the interviewer asked the priest saying: "Moses was a good example to Jews and Jesus (Isa) was a good example to Christians so, does Muhammad represent the same to Muslims?" Falwell replied: "Jesus propagated and came with peace but Muhammad did not."

These are some of what has been published in the Egyptian and international mass media concerning what came in CBS news channel and its weekly popular program "***60 Minutes***".

Aiming at answering priest Falwell, I would like to state some facts that might motivate him to apologize, concerning

At the Pre-Islamic period, Arabs were magnifying this month and considering it one of the prohibiting months. When Islam came, its honoring and prohibition increased. Before his mission, the Messenger of Allah was worshipping Allah in that month, at the cave of Hiraa.

Whosoever resorts to the Sunna of the Prophet will find that he, may the prayers and peace of Allah be upon him, stated many traditions, showing the advantages of this month as he indicated the following:

I. Fasting this month is one of the pillars of Islam, and whosoever pays attention to it will be among the winners.

II. In the month of Ramadan the gates of Heavens open and the gates of Hell close as it is related by Ahmad, An-Nasa'y and Al-Bukhary on the authority of Abu Hurayyrah that the Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, said: ***"A blessed month wherein (along its days), Allah prescribes for you the Fast and makes gates of Heavens open, gates of Hell close and Devils fasten. In that month a night that is better than a thousand months. He who would not have of its good and blessing, he would be the true deprive***d."

III. The Messenger of Allah (May the prayers and peace of Allah be upon him) says: ***"Whosoever fasts Ramadan, making no sins and seeking only for Allah's mercy, satisfaction and forgiveness, he will be forgiven of all his previous sins".***

Lastly, Fasting is a secret between a believer and his Lord. Moreover, it is a good chance that we should make use of its advantages to protect ourselves from odious deeds and Hell.

magnify Allah for having guided you and that possibly you would thank (Him).❩

[Al-Baqarah (The Cow): 185].

Concerning the Prophet's Sunna, its obligation is prescribed in many traditions (Hadiths), among them what was related by Al-Bukhary and Muslim on the authority of Ibn Umar, may Allah be satisfied with them both, who said: I heard the Messenger of Allah (May the prayers and peace of Allah be upon him) say: ***"Islam has been built on five [pillars]: testifying that there is no god but Allah and that Muhammad is the Messenger of Allah, performing the prayers ,paying the Zakat, making the pilgrimage to the House, and fasting on Ramadan".***

Allah's wisdom stated that He prefers some people to others and some prophets to others as He, the Al-Mighty, says: **❨Those are the Messengers; We have graced some of them over some others; of them (there are some) to whom Allah spoke, and some He raised in degrees.❩**

[Surat Al-Baqarah (The Cow): 253].

Moreover, Allah, Glory be to Him, preferred some places to others and times to others as He favored and distinguished some days and months with Divine fragrance; whosoever regards them will be one of the winners and whosoever disregards and neglects them will be among the losers. The Messenger of Allah, may the prayers and peace of Allah be upon him, said: ***"Allah distinguished some days with Divine fragrance, so, do your best in worship, because He who shall do righteousness, it may possibly that he will face difficulty no more."***

Ramadan is the most preferred month by Allah, Glory be to Him, so, if people realize how much good, mercy and blessings in it, they will wish all the months of the year be Ramadan.

The Acceptable Fasting (As-Saumul Maqbool)

By: The Grand Imam, Dr. Muhammad Sayyed Tantawi,
The Grand Sheikh of Al-Azhar.

Fasting means *"Refraining"*. For example, it is said that someone fasted from talking which means that he stopped talking. Allah, Glory be to Him, says about Maryam:

﴿Surely I have vowed a fast to the All-Merciful; so I shall never speak today to any human being.﴾.

[Surat Maryam (Mary): 26].

This verse means that she made a vow to stop talking about her son Isa, may the peace of Allah be upon him.

In terms of jurisprudence, Fasting means "refraining from eating, drinking and whatever causes breaking of fast (sins), beginning with clear dawn and ending at sunset with the presence of intention."

Fasting was enjoined on Muslims in the month of Sha'ban, in the second year A.H. Its obligation is prescribed by the Glorious Qur'an, it can be seen clearly in Allah's saying:

﴿O you who have believed, prescribed for you is the Fast, as it was prescribed for (the ones) who were even before you, that possibly you would be pious.﴾

[Surat Al-Baqarah (The Cow):183]

And also

﴿The month of Ramadan (is the month) wherein the Qur'an was sent down: a guidance to mankind, and clear evidences of the guidance and the criterion; so, whosoever of you is present at the month, then he should fast it; and whosoever is sick or on a journey, then a (fixed) number of other days; Allah wills for you ease, and He does not will difficulty for you; and that you should complete the (fixed) number and

The Admonition of Present Ramadan
By: Dr. Ibrahim Al-Assil

This year, Ramadan came involving a great pressing admonition that we have to mention as Allah, the Al-Mighty, says:

﴿And remind; then surely reminding profits the believers.﴾

[Ath-Thariyat (The Winnowers) : 55].

Muslims all over the world are ordained, by Allah's command, to fast Ramadan.This spreading of astonishment unity concerning fasting makes others feel the power of Muslims. What would happen if this unity shed its verdant shadows on Muslims' social and political life for good and made them stand like impenetrable barricade in the face of covetous craving and running after the wealth of the Islamic Nation using all the possible means to crack its unity, defame its Islamic faith and attack its Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, as the two of the American Evangelist group, Pat Robertson and Jerry* Falwell did. What would happen if the Islamic Nation joined ranks and stood against all these evils without weakness or fear of the power of the others? Only by the power of faith and certitude in Allah, the Al-Mighty, Muslims' forefathers won their battles against their enemies not by their equivalence in numbers and accounterments.

﴿And do not feeble, neither grieve; and you are the most exalted, in case you be believers.﴾

[Al-Imran (The Household of Imran) : 139].

In fact, being *"in one boat"*, Muslims have to work together for reaching the shore safely, otherwise, Allah forbids, they will be ruined.

---

*Read (in this section) the most decisive essay, written by the Grand Imam, Dr. Muhammad Sayyed Tantawy, the Grand shiekh of Al – Azhar, refuting the falwell's atrocities .

AL-AZHAR MAGAZINE
Ramadan 1423 A. H.

ENGLISH SECTION
Nov/ Dec 2002

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾
الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

الفهـــرس

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومي

مدير التحرير

الطاهر محمد الطاهر الحامدي

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / الأزهر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

داخل العدد

الاشتراك السنوي

- داخل مصر ——— ١٨ جنيها مصريا
- الدول العربية ——— ٥٠ دولارا أمريكيا
- أوربا وأمريكا ——— ٨٥ دولارا أمريكيا
- اليابان وشرق آسيا ——— ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

☎ ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

افتتاحية العدد

فى عالم النفس

كيف نتغلب على الأحزان

تقابل الفقير المحروم فتجده متأففاً متضجراً، يحمل أكداساً من الغم والشجن وتسمع إليه يفيض في وصف ما ابتلى به من المحن والنوائب، فتبأس لمصابه، وتتفطر لبلواه، وتقابل ثرياً مُترفاً يتقلب في أعطاف النعيم، فتعتقد أنه ناعم البال، هادئ النفس، ولكنك تنصت إليه فتجده ينوء بأعباء ثقيلة من الهم، فله من وساوسه المتلاحقة غيوم داكنة تخيّم على نفسه، فتطرد عنه الصفاء والدعة، وإذ ذاك تعلم أن الحزن ديمقراطى النزعة، يدب إلى الأكواخ المتضائلة، كما يتسلق إلى القصور الشمّاء دون حذر أو مبالاة.

ولكلّ إنسان فى الحياة رغائب ينشدها، وآمالٌ يكدح فى سبيل تحقيقها، فالفقير والغنى معاً يحلمان بحياة غير الحياة التى يواجهانها أمام الناس، وكثيراً ما يسرفان فى الأمل، ويجتهدان فى السعى، وقد يكون الأملُ عزيزاً بعيد المنال، فمهما أحثّا السير وراءهُ فلن يصلا إليه، وهُنا تكون الحسرة اللاذعة، والهمّ الناصب، والحُزن المُقيم.

وكأن القدر ـ والحال كذلك ـ قد جَعَلَ من هموم الأغنياء عزاً للفقراء، فإذا نظر البائس المكدود إلى الغنى المترف فوجده يقاسمه الكدر والضيق، خفف من حزنه، وجفف من دموعه، وهان عليه ما يكابد، وللحُزنِ دواعٍ مختلفة، بل إنها تتناقض فى بعض الأحيان، فقد يفرح زيدٌ لما يبكى له عمرو، ومن هنا اشترك الغنى والفقير في اللوعة برغم اختلاف الآلام والآمال.

وأنت تشاهد المحزونين فتأسى لوجوههم الشاحبة، ورؤوسهم المطرقة، ونفوسهم الكسيرة، وكل إنسان في الحياة قد طاف به وقتٌ كريه أذاقه مرارة اللوعة والأسف، فاكتأب خاطره، ومرّ الطعام الهنيء في حلقه، وغامت الدنيا في وجهه، ولو امتد به الحال على ذلك لضاقت به الحياة ولكن الله لطيف بعباده، يجعل من الضيق سعة، ويُعقب الظلام الدامس بالصباح الوضيء.

وللحزن زواياه المختلفة ولن تعدم فيها زاوية حيوية تدفع إلى العمل المنتج والسعي الدءوب، فكم من نفوس صهرها الحزن والألم فذهبت تتلمس النجاة والخلاص، وحشدت مواهبها للنضال والصيال حتى تفتقت عن عبقريات ملهمة، وإذا الألم يكشف عن نبوغ مقنع وذكاء تكمن جذواته تحت الرماد، واقرأ معى تراجم العباقرة في مختلف الأجيال، فستجد من الألم والحرمان والاضطهاد أسباباً قوية، مهدت لهؤلاء النوابغ سبيل التألق والسطوع ولو خلت حياتهم مما يكدرُ ويؤلمْ، ما سطع عليهم الإلهام في بيان يُرَدّدُ أو اختراع يُفيد!!

ولكن هل استفاد جميع المحزونين من أشجانهم الثائرة؟. فقطفوا الثمرة المشتهاة، وأبرزوا ما استتر لديهم من مكنون المواهب والكفاءات؟. لو كان الأمر كذلك لأصبحت الأحزان أماني غالية يحرص على تحقيقها الناس ولكن السواد الأعظم من المحزونين قد ناءوا تحت أثقالهم المرهقة، وهم في حاجة ماسة إلى بلْسم ناجع يبرئ أدواءهم الناغرة، ولن يكون ذلك إلا بفهم الحياة واستكناه حقائقها الخافية، والنظرة إليها نظرة واقعية، فقد طبع في أذهان كثير من الناس أن صفاء الدنيا وخلوصها من الشوائب أصلٌ ثابتٌ تستقيم عليه الأمور، وأن ما يطرأ من الكوارث والخير شذوذ يخالف القاعدة الأصلية، فحُقّ عليهم أن يجزعوا لغير ما يتوقعون، ولا أدري من أين أتي لهم ذلك، وهم يلمسون النوائب تتزاحم في كل زمان ومكان، حتى ليصح أن يكون الكدرُ طبيعة لازمة للحياة ومتى استقام لأذهاننا هذا الفهم العملي الصحيح، فلنوطن نفوسنا على قبول المكاره والأحداث، فلا نفزع لخطب ملم أو خطر يكرث، ولسنا بذلك ندعو إلى الاستكانة والخضوع، أمام الكوارث الحازبة، بل نعتبر وجودها أمراً طبيعياً فقط، فعلى الإنسان أن يحتاط جهده لنفسه فيسلك السبيل السوي ويأخذ الحذر من المكروه، فإذا دهمه الخطب بعد الحيطة، تقبله راضياً قانعاً، وعلم أنه سُنة لازمة من سُنَنْ الحياة ذات الخير والشر، والإعسار والإيسار.

ومُكلِّف الأيام ضد طباعها
مُتطلبٌ في الماء جذوة نار

وقد يكون من المفيد أن نضرب مثلاً واضحاً، يُرسل بعض الأضواء الكاشفة، فنقول: أنت في الحياة مُعرض للأمراض الجسيمة القاتلة، فعليك أولاً أن تُعنى بالقواعد الصحية

عناية تامة وتجتهد في تطبيقها تطبيقاً واعيا مستنيراً كما لا تنس في الوقت نفسه أن المرض الجسمي سُنّةٌ من سُنَنِ الحياة فأنت معرض له مهما توقيت، بل ربما جاءك من باب خاف لا تفطن إليه، ومن الذي يعصم نفسه من الاصطدام بسيارة أو الوقوع في حفرة مهما أخذ الحذر والانتباه، فإذا أفرغ العاقل جهده في التوقي والحيطة ودهمه المرض بعد ذلك من أحد طرقه فلا يليق به أن يجزع لأمر طبيعي يتوقعه الجميع، بل عليه أن يكافحه بما يستأصله من أفانين الدواء، فإذا قدر الله الشفاء فقد بلغ ما يريد، وإن كانت الأخرة فهذه سُنّة الحياة، فلا يجوز لك أن تسترسل في الهلع المرعب، فتسقط صريع الأسى في حياة يلاحقها الفناء.

وليس المرض أو الموت كل شيء في مصائب الدنيا، فالتاجر الذي يفاجئه السوق، بما يبدد أمواله بعد أن أخذ الأهبة، وصاحب المصنع الذي تلتهمُ النار أدواته لأمر خارج عن إرادته، والتلميذ الذي يكبو في مادة درسها واستوعبها ثم خانته الذاكرة، هؤلاء وأمثالهم يُلغون عقولهم إذا استسلموا لليأس والقنوط، بل عليهم أن يواصلوا السير من جديد، فقد بذلوا أقصى ما يدّخرون من اليقظة والكدح ثم جاءت الريح أخيراً بما لا تشتهي السفن، وحسبهم أن ترتاح ضمائرهم فلا توخزهم بتأنيب مرير.

هذا الفهم البصير قادرٌ على أن ينقذ المحزونين من ظلماتهم الدامسة، فمتى توقع الإنسان الخير والشر معاً، فقد استعد لقبولهما، فلا يخرج عن الاعتدال في هم أو سرور، ثم إن مجال الأسوة فسيحٌ للبائسين، فالمهموم لا يقف وحده في ميدان غائم عبوس، بل يجد حشداً زاخراً من زملائه المتاعبين، ولو سألت كل إنسان عن مآسيه، لتعذّر عليك أن تجد القانع السعيد، ولئن وجدته وتبطّنْتَ دخائل نفسه، ثم وازنْتها بميزان الناس، فستطلع على دقائق مستورة، خفيت عنه لحُسْنِ حظه، فبات بنصيب من السعادة والهدوء، بينما غرق الجميع في طوفان رهيب.

أجل إن ميدان الأسوة فسيح مديد، وما من الناس إلا مَنْ رُزِئَ في نفسه أو ماله أو ذويه، وقد رُويت عن الإسكندر قصة إن فاتها صِدْقُ الواقع، فلن يفوتها مغزى الأسطورة، وإيحاؤها السحري، فقد ذكروا أن الفاتح المقدوني أوصى والدته أن تدعو الناس بعد وفاته ليوم يجتمعون فيه على الطعام والشراب والسرور، ليكون مأتم الإسكندر بهيجاً مرحاً على غير عادة الناس، على ألا يوافيها للعزاء أحدٌ أصابته مصيبة، فيكدر الصفو ويطفئُ الأنس، فلما هلك البطل، ونفذت الأم الوصية، لم تجدْ أحداً أمّ ساحتها، فسألت مندهشة: ما بال الناس تخلّفوا عنا مع ما قدمنا؟. فقيل لها: إنك أمرتِ ألا يوافيك أحدٌ أصابته مصيبة، وكُلُّ الناس مصابون!! فعرفت أن الإسكندر أحسن تعزيتها بما أوصى به. لينحسِرَ عن عينها الغطاء!!.

ولن يغفل المُلتاع ما أعده الله للصابرين من جزاء، فقد بوأهم أحسن الدرجات في مقعد صدق، بل إنه عز شأنه قد جعل من المحن ابتلاء صادقاً يمتحن به المؤمنين المخلصين.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[1].

وفي الأثر أن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ سأل رسول الله ﷺ عن قول الله:

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾[2] قال: فكل سوء عملنا سنُجزى به، فكيف الخلاص يا رسول الله؟. فقال النبي ﷺ: «غفر الله لك يا أبا بكر، ألست تحزن؟. ألست تنصب؟. فهذا ما تُجزون به، وإن ذاك بذاك»[3].

وقد أثبت التحليل النفسي أن أكثر الأمراض العقلية يرجعُ إلى هموم متراكمة، تجمعت شيئاً فشيئاً، ثم اندفعت إلى العقل الباطن تَنْفثُ السموم، وتستدعي إليها غيرها مما ينخرط معها في سلك الشقاء، وفي النهاية تتألَّب على صاحبها المسكين، فتُثْكله صوابه الراشد، وتخرج به عن نطاق العُقلاء، ومن الخير للمحزونين ـ ومأساتهم تلك ـ أن ينفسوا عن صدورهم بالبث والإعلان لمن يثقون في مروءتهم وإخلاصهم، حتى تتبخر رواسبهم المدمرة شيئاً فشيئاً وعلى هؤلاء أن يفسحوا لهم سبيل الإذاعة والتنفيس، وأن يجدوا لهم بعض الأدوية الناجعة في توجيه سديد، أو معونة صادقة، دون سخرية واستهزاء، على ألا يكون المريض شكّاءً مُتباكياً، فاللجاجة وحدها مَرضٌ خبيث يتطلب العلاج، ولكن أين من يرحم المحزون في دنيا تشابكت فيها المطامع، وتدابرت بها العواطف والأهواء.

أناةَ جسمكَ شتَّى حين تطلبهم
فمن لروحك بالنطس المداوينا

د. / محمد رجب البيومي

---

(١) البقرة (١٥٥ ـ ١٥٧).
(٢) النساء (١٢٣).
(٣) أحمد ١١/١.

تفسير سورة البقرة

قال تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا
لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ
هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ
قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا
مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا
إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٢٤٦) وَقَالَ
لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ
قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ
مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ
عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ
يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

الآيات : ٢٤٦ : ٢٤٧

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

ثم ساق القرآن قصة من قصص بنى إسرائيل مع أنبيائهم، فيها العظات والعبر، وملخص هذه القصة : أن قوما من بنى إسرائيل كانوا قد انهزموا أمام أعدائهم هزيمة منكرة جعلتهم يولون الأدبار تاركين ديارهم وأبناءهم، فقالوا لنبى لهم بعد أن ذاقوا مرارة الهزيمة : ابعث لنا ملكا يقودنا للقتال فى سبيل الله، فقال لهم نبيهم بعد أن حذرهم من عاقبة الجبن والكذب :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾

فاعترضوا على هذا الاختيار، ونقصوا من شأن من اختاره الله قائدا لهم، ولكن نبيهم ساق لهم من الحجج التى تدل على صلاحية طالوت لهذا المنصب ما أخرس ألسنتهم.. ثم سار طالوت بجنوده لقتال أعدائه، وفى الطريق قال لمن معه :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾(١).

ثم بعد هذه المخالفة جبن أكثرهم عن قتال أعدائهم وقالوا:

﴿ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ﴾(٢)

ولكن الفئة القليلة المؤمنة منهم استطاعت أن تنتصر على كل عقبة فى طريقها، وأن تقاتل أعداءها بشجاعة وصبر واعتماد على الله، فكانت النتيجة أن انتصرت الفئة القليلة المؤمنة بقيادة طالوت على الفئة الكثيرة الكافرة بقيادة جالوت. هذا تلخيص لتلك القصة العامرة بالعظات، ولعل من الخير قبل أن نبدأ فى تفسير آياتها أن نقرأها بتدبر وتأمل كما صورها القرآن بأسلوبه البليغ المؤثر.

وقوله - تعالى - :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ ﴾

إلخ استئناف ثان بعد قوله قبل ذلك :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ ﴾(٣)

وقد سيق هذا الاستئناف مساق الاستدلال لقوله - تعالى - :

﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾(٤) حتى تتشجع النفوس على الجهاد، وتهون عليها المصاعب فى سبيل حياة العزة والكرامة.

﴿ ٱلْمَلَإِ ﴾ الأشراف من الناس. وهو اسم للجماعة لا واحد له من لفظه. وإنما سمى الأشراف بذلك لأن هيبتهم تملأ الصدور، أو لأنهم يتمالؤون أى يتعاونون فى شئونهم، وأصل الباب الاجتماع بما لا يحتمل المزيد.

والمعنى : كما سبق أن بينا فى قوله :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ ﴾. قد علمت أيها العاقل حال أولئك القوم من بنى إسرائيل

---

(١) البقرة (٢٤٩)

(٢) البقرة (٢٤٩)

(٣) البقرة (٢٤٣)

(٤) البقرة (١٩٠)

الذين كانوا بعد وفاة موسى - عليه السلام - إذ قالوا لنبي لهم أقم لنا أميرا لكي نقاتل معه في سبيل الله. ومن لم يعلم فها نحن أولاء نعلمه بحالهم فعليه أن يعتبر ويتعظ.

فقوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ﴾ بيان للزمن الذي كان يعيش فيه أولئك الملأ من بني إسرائيل والمراد بالنبي الذي قالوا له:

﴿ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾

على الراجح - «شمويل بن حنة» وكان السبب في طلبهم هذا من نبيهم أن العمالقة أتباع جالوت كانوا قد أخرجوهم من ديارهم، وأنزلوا بهم هزائم شديدة، فطلبوا منه ذلك لكي يستردوا مجدهم الضائع، وعزهم المسلوب، على يد هذا القائد المختار من جهة نبيهم.

وفي الإتيان بلفظ هذا النبي بصيغة التنكير إشارة إلى أن محل العبرة ليس هو شخص النبي وإنما المقصود معرفة حال أولئك القوم، وما جرى لهم مع نبيهم من أحداث من شأنها أن تدعو إلى الاعتبار والاتعاظ. وهذه طريقة القرآن في سرد القصص لا يهتم بالأشخاص والأزمان إلا بالقدر الذي يستدعيه المقام. أما الاهتمام الأكبر فيجعله لما اشتملت عليه القصة من وجوه العظات والعبر.

ويبدو أنه كان يتوجس منهم خيفة لأنه أعرف بطبيعتهم، فنراه يقول لهم كما حكى القرآن عنه:

﴿قَالَ هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ﴾

فالاستفهام للتقرير والتحذير. أي إني أتوقع عدم قتالكم إذا فرض عليكم القتال، فراجعوا أنفسكم وقوتكم قبل أن تطلبوا هذا الطلب، لأنه إذا فرض عليكم ثم نكصتم على أعقابكم فإن عاقبتكم ستكون شرا لاشك في ذلك.

وعسى هنا بمعنى التوقع والمقاربة، والجملة استئناف بياني.

قال صاحب الكشاف: والمعنى: هل قاربتم ألا تقاتلوا؟ يعني هل الأمر كما أتوقعه أنكم لا تقاتلون؟ أراد أن يقول: عسيتم ألا تقاتلوا بمعنى أتوقع جبنكم عن القتال فأدخل ﴿هَلۡ﴾ مستفهما عما هو متوقع عنده ومظنون وأراد بالاستفهام التقرير وتثبيت أن المتوقع كائن وأنه صائب في توقعه. وخبر ﴿عَسَيۡتُمۡ﴾: ﴿أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ﴾ والشرط فاصل بينهما»[٥].

ثم حكى القرآن ردهم على نبيهم فقال:

﴿قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ﴾

أي قال الملأ من بني إسرائيل على سبيل الإنكار والتعجب مما قاله نبيهم: وأي صارف يصرفنا عن القتال وحالنا كما ترى؟ إننا قد أخرجنا من ديارنا وحيل بيننا وبين أبنائنا وفلذات قلوبنا فكيف لا نقاتل مع أن الدواعي موجودة، والبواعث متوفرة، والأسباب مهيئة؟ فأنت تراهم في إجابتهم هذه يستنكرون ما توقعه نبيهم

(٥) تفسير الكشاف (١/٢٩١).

منهم، ويجزمون بأن الطريق الوحيد لعزتهم إنما هو القتال وأن هذا الأمر لا مراجعة فيه ولا جدال.

وهكذا شأن الجبناء والمغرورين في كل زمان ومكان يرحبون بالمعارك قبل قدومها فإذا ما جد الجد كذبت أعمالهم أقوالهم، وأعطوا أدبارهم لأعدائهم!

ثم حكى القرآن أن نبيهم كان صادقاً فيما توقعه منهم من جبن وكذب، وأنهم قوم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم فقال - تعالى - :

﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾

أي : فحين فرض عليهم القتال بعد أن ألحوا في طلبه، أعرضوا عنه، ونفروا منه إلا عدداً قليلا منهم فإنه ثبت على الحق، ووفى بعهده.

قال الألوسي: وقوله :

﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾ وهم الذين جاوزوا النهر وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر عدة أهل بدر على ما أخرجه البخاري عن البراء - رضي الله عنه - والقلة إضافية فلا يرد وصف هذا العدد أحيانا بأنه جم غفير[٦].

ثم ختم الله - تعالى - الآية بقوله :

﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ لإفادة الوعيد الشديد لهؤلاء الذين نقضوا عهودهم، ونكصوا عن القتال عندما فرض عليهم، ولكل من يفعل فعلهم، وسار على طريقهم.

أي : والله - تعالى - عليم بالظالمين الذي يظلمون أنفسهم وأمتهم بترك الجهاد، وبترك ما أمرهم الله به بعد أن عاهدوه على عدم الترك.

ثم بين القرآن ما أخبرهم به نبيهم ليحملهم على الطاعة والامتثال فقال - تعالى - :

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾

أي وقال لهم بعد أن أوحى إليه بما يوحى : إن الله - تعالى - وهو العليم الخبير بأحوال عباده قد بعث لكم من أجل مصلحتكم طالوت ليكون ملكاً عليكم، وقائدا لكم في قتالكم لأعدائكم، فأطيعوه واتبعوا ما يأمركم به.

و ﴿ طَالُوتَ ﴾ اسم أعجمي قيل : هو المسمى في التوراة باسم « شاول » وقيل : إن هذا الاسم لقب له من الطول كملكوت من الملك، لأن طالوت كان طويلاً جسيماً.

ولقد كان الذي يقتضيه العقل أن يطيعوا أمر نبيهم، ولكنهم لجوا في جدالهم وطغيانهم وقالوا لنبيهم معترضين على من اختاره الله قائداً لهم :

﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ﴾

﴿ أَنَّىٰ ﴾ أداة استفهام بمعنى كيف، والاستفهام هنا للتعجب من جعل طالوت ملكاً عليهم. أي قالوا لنبيهم منكرين ومتعجبين من اختيار طالوت ملكاً عليهم : كيف يكون له الملك علينا والحال

(٦) تفسير الألوسي (١٦٦/٢).

أننا أحق بالملك منه لأننا أشرف منه نسبا، إذ منا من هو من نسل الملوك أما طالوت فليس من نسلهم، وفضلا عن ذلك فهو لا يملك من المال ما يملكه بعضنا فكيف يكون هذا الشخص ملكا علينا؟

فأنت تراهم - لانعدام المقاييس الصحيحة عندهم - ظنوا أن المؤهلات الحقيقية لاستحقاق الملك والقيادة إنما تكون بالنسب وكثرة المال أما الكفاءة العقلية، والقوة البدنية، والقدرة الشخصية فلا قيمة لها عندهم لانطماس بصيرتهم، وسوء تفكيرهم.

قال بعضهم: «وسبب هذا الاستبعاد أن النبوة كانت مخصوصة بسبط معين من أسباط بني إسرائيل وهو سبط لاوي بن يعقوب، وسبط المملكة بسبط يهوذا، ولم يكن طالوت من أحد هذين السبطين بل من ولد بنيامين» والواو في قوله:

﴿ وَنَحْنُ أَحَقُّ ﴾ للحال، والواو الثانية في قوله: ﴿ وَلَمْ يُؤْتَ ﴾ عاطفة جامعة للجملتين في الحكم(٧).

ثم حكى القرآن ما رد به نبيهم عليهم فقال:

﴿ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

أي قال لهم نبيهم مدللا على أحقية طالوت بالقيادة: إن الله - تعالى - أولا:

﴿ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ ﴾ أي اختاره وفضله عليكم واختياره يجب أن يقابل بالإذعان والتسليم. وثانيا: ﴿ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ ﴾ أي أن الله - تعالى - منحه سعة في العلم والمعرفة والعقل والإحكام في التفكير المستقيم لم يمنحها لكم، وثالثا: في ﴿ الْجِسْمِ ﴾ بأن أعطاه جسما قويا ضخما مهيبا. وهذه الصفات ما وجدت في شخص إلا وكان أهلا للقيادة والريادة وفضلا عن كل ذلك فالملك الملك هو الذي اختاره فكيف تعترضون يا من تدعون أنكم تريدون القتال في سبيل الله؟ لذا نراه - سبحانه - يضيف الملك الحقيقي إليه فيقول:

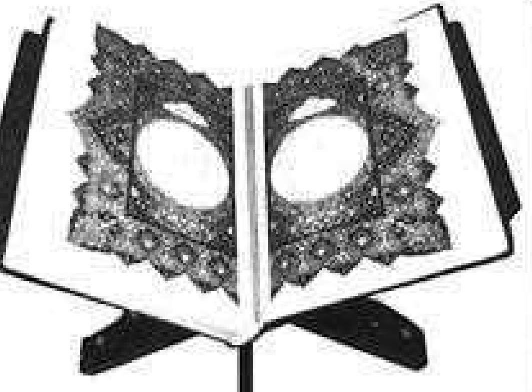
﴿ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ ﴾.

أي: يعطي ملكه لمن يشاء من عباده لحكمة يعلمها. فلا يجوز لأحد أن يعترض على اختياره، ﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ ﴾ الفضل والعطاء ﴿ عَلِيمٌ ﴾.

«يتبع»

***

(٧) حاشية الجمل على الجلالين (٢٠١/١).



من الإعجاز البياني في القرآن الكريم

يوم الناقور

لفضيلة الشيخ / صديق بكر عيطة

قال تعالى في سورة المدثر:

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾[1].

جاءت هذه الآيات الثلاث في سورة المدثر، أوائل مانزل من القرآن الكريم. وفيها إثارة للحس، وإعمال للخيال، في تصور مقدم يوم القيامة، بهوله الفازع، ورهبته القوية التي تذهل الإنسان عن نفسه.

جاءت هذه الآيات، وقبلها قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾[2].

وبعدها جاء قوله تعالى:

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا ۖ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾[3].

---

(١) المدثر (٨-١٠).

(٢) المدثر (١-٧).

(٣) المدثر (١١-١٧).

جاءت هذه الآيات بعد النداء العلوي، الصادر من الله - تعالى - لرسوله ﷺ بإلقاء الدثار، الذي تدثر به، وإلقاء الخوف. والحزن عن كاهله الشريف، والتهيؤ لما سوف يكلفه به الوحي من الدعوة إلى الله العلي القادر، مما يلزم لإتمامه والنجاح في تحصيله التطهر التام وإنكار الذات والصبر على المشاق.

ولما كانت هذه الدعوة المباركة - شأن الدعوات السماوية الكبرى - سوف تقابل عاجلا وآجلا بالإنكار الشديد، والحرب التي لاهوادة فيها، من جانب فئة باغية كافرة، لاترى للحساب على ماقدمت دليلا في مرآة نفسها المظلمة، ولاليوم القيامة علامة واضحة في ضميرها القاحل.. لما كانت هذه الدعوة كذلك - حسبما سبق في علم الله تعالى - كان لابد من هز هذه الضمائر الحربة، والمشاعر الصلدة، بتصوير مقدم هذا اليوم العظيم. تصويرا يحمل من الظلال والألوان مايغمر القلب.. ويوقظ الحس.. ويضعهما في المواجهة الحية أمام هذا الحدث الهائل، وهما مايزالان - بعد - يتنسمان - عبير الحياة، علهما يفيقان من غفوتهما، ويثوبان إلى الطريق.

قلنا كان لابد من تصوير مقدم هذا اليوم.. وذلك قبل أن يدخل النص الكريم في مواجهة مباشرة مع واحد من رموز الشرك والضلال(٤) يصل به إلى قرار سحيق إلى ﴿ سَقَرَ ﴾(٥) التي ﴿ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ۝٢٨ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴾(٦).

فكيف تم تصوير مقدم هذا اليوم؟ وبأي الألوان كان هذا التصوير؟ وما الظلال التي ألقتها هذه الصورة في النفس؟ وما العوامل المؤثرة في بنائها؟ ذلك موضوع محاولتنا مع هذه الآيات.

اهتمت الصورة بإلقاء الضوء على اللحظات المبكرة في وقوع هذا الهول الرهيب الرعيب وهي لحظة النفخ الأول في الصور، حيث ركزت على إطلاق النقرة الأولى، التي تؤذن بانقلاب الأرض لتصير غير الأرض التي تعرفها، وانقلاب حال السماء لتصير غير السماء التي تعهدها. فهاهو ذا الملك الموكل بالناقور(٧)، قد التقم الناقور في فمه، وهاهو ذا قد حنى جبهته، استعدادا للأمر الأعلى(٨) الذي يوشك أن يصدر من لدن الحق - تبارك وتعالى.

فالموقف قد تخطى مرحلة الإعداد والاستعداد، وحددت ساعة الصفر، التي لايعرفها إلا عالم

---

(٤) هو الوليد بن المغيرة المخزومي، وتمت مناقشة صورته ضمن فصل «صور ساخرة».

(٥) المدثر (٢٦). (٦) المدثر (٢٨، ٢٩).

(٧) الناقور: هو القرن الذي ينفخ فيه إيذانا بفناء العالم. جاء في «الجامع لأحكام القرآن»: «الناقور فاعول من النقر، كأنه الذي من شأنه أن ينقر فيه للتصويت، النقر في كلام العرب الصوت.. وهم يقولون: نقر باسم الرجل إذا دعاه، مختصا له بدعائه. وقال مجاهد وغيره: هو كهيئة البوق».

(٨) عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كيف أنعم، وصاحب القرن قد التقم القرن، وحنى جبهته، ينتظر متى يؤمر فينفخ».

الغيب والشهادة وليس هناك إلا أن يصدر الأمر بالنقرة الأولى والحق أن النقر قد لوحظ فيه معنى الدقّ فالنقر له دويّ في الآذان. يقول الشهيد سيد قطب «في ظلال القرآن» : «والنقر في الناقور، هو مايعبر عنه في مواضع أخرى بالنفخ في الصور. ولكن التعبير هنا أشد إيحاء بشدة الصوت ورنينه، كأنه نقر يصوّت ويدوّي، والصوت الذي ينقر الآذان أشد وقعا من الصوت الذي تسمعه الآذان».

فما أن يُنقر في الناقور، إلا ويكون اليوم الشديد العصيب.. الذي لايعرف لحظة من لحظات اليسر والاستقرار. فالأرض أصبحت غير الأرض، والسموات أصبحت غير السموات.. ولم يعد هناك إلا الفزع والرعب، الذي يحيط بالمرء من كل جانب، وأنى توجه.

ولكن ماحقيقة مفهوم اليوم الذي ذكرته الآية المباركة؟!! إنه يوم لا كأيام الدنيا!! وهو غاية مايقال فيه، فلقد نقر في الناقور، وانقلبت الحال، واختلف مفهوم الزمان، كما اختلف معنى المكان.. فلم يعد اليوم هو تلك الفترة التي تدور فيها الكرة الأرضية دورتها في مواجهة قرص الشمس، فهو يوم لايشترك مع يوم الناس الذي تعارفوا عليه إلا في الاسم فقط أما حقيقته.. أما مقداره.. فقد خضعت لمقياس آخر، ليس لنا أن نتعرف عليه، لأنه ليس في مقدورنا أن نتعرف عليه. ويكفي أن نعرف أن معيار الزمن الذي عرفناه، لم يعد له وجود، بمجرد أن نقر في الناقور..!! لكن كل مايمكن أن يعرف عن هذا اليوم أنه:

﴿يَوۡمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٍ﴾[9]

فلا يتخلله يسر، «ولايفصل أمر هذا العسر، بل يدعه مجملا مجهلا يوحي بالاختناق والكرب والضيق..»[10] لتذهب فيه النفس كل مذهب، وينطلق فيه التصور أنى شاء.. وكيفما شاء. وهي طريقة مشهورة في القرآن الكريم عند التعبير عن مثل هذه المعاني الكبيرة، التي لايحتويها فكر بشر ولاتصوره.

وإن من يتصور هذه الصورة الفنية.. يرى أنه لايستطيع أن يحدد فيها لونا بعينه، فلونها أنها لا لون لها، فالصورة تبدأ بصوت رهيب رعيب، بعدها تختلط كل ألوان الموجودات، إذ لا أرض.. ولا سماء.. ولا نجوم.. ولانبات.. ولاماء.. ولاشيء مما تعرف لونه.. كل مافي الصورة ﴿يَوۡمٌ عَسِيرٌ﴾ لايسر فيه، واليوم لا لون له. ولكن هل معنى هذا أنها لاتلقي ظلا على النفس البشرية؟!! كلا.. إنها تلقي عليها ظلا من الخوف والفزع، الذي يقع في الروع عندما يسمع المرء لفظة ﴿فَإِذَا﴾ التي تحمل في طيها بطانة من الوعيد الشديد، والذي يستولي على الإنسان حينما يسمع فجأة، وبلا مقدمات هذا الصوت الذي تصطك منه الآذان، وتنقلب له كل موازين الوجود، وهو لايدري مصدره، ولا يدري من الذي أطلقه، فمصدر هذا الظل المخيف، إنما هو توالي المجهولات بعد الوعيد الشديد الذي تضمنته ﴿فَإِذَا﴾ فمصدر النقر مجهول.. ويومه

---

(٩) المدثر (٩-١٠).

(١٠) سيد قطب «في ظلال القرآن».

مجهول.. ولون الأرض بعدها مجهول.. ولون السماء مجهول.. ومن هذه المجهولات التي تنطلق في الآفاق، لتحيط بالإنسان وتكتنفه في كل أقطار نفسه ومشاعره وتصوراته.. يتكون في النفس ظل هذه الصورة الفنية. ولكل من النفس المؤمنة والنفس الكافرة أن تشعر بما شاء الله لها أن تشعر..!!

وإن من يتأمل هذه الصورة الفنية، يرى أنها بلغت الغاية في القوة والتأثير وذلك للعوامل الآتية:

أولاً: أنها جاءت وسط جو كله شدة، وكله كرب، وكله تبعات جسام، وكله يؤذن بأن هناك شيئاً عظيماً يوشك أن يحدث، سواء على مستوى الوجود كله، أو على مستوى الأفراد. فهاهو ذا رسول الله ﷺ يؤمر في حسم وحزم بالنهوض من رقدته. والاستعداد لمقابلة هذا الأمر الجلل:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ﴾

وهو سوف يقابل بالغلظة والإنكار من فئة كافرة باغية طاغية.. وهاهو ذا أحد نماذج البغي، والطغيان، والوليد بن المغيرة، ومايتهدده به الله - تعالى:

﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ١١ وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ١٢ وَبَنِينَ شُهُودٗا ١٣﴾

وهاهي ذي ﴿سَقَرَ﴾ التي سيصلاها هذا الكفور وأضرابه، وقد جاء في ذكر أوصافها ماجاء

فحينما تأتي صورة النقر في الناقور، ومايتلوها من أحداث جسام وسط هذه الأهوال تكون أشد تأثيرا في النفس وأوقع في الضمير.

ثانيا: اختيار ﴿فَإِذَا﴾ كأداة شرط تفيد التحقق من وقوع الشرط، كما تفيد سرعة ماسيقع بعده: فالنقر في الناقور لامحالة واقع، وسيشعه فورا وبلا إبطاء وقوع هذا اليوم العسير، مما يوحي بهول الموقف وشدته، فضلا عما فيه من إطلاق معنى العسر.. ونفي اليسر. يضاف إلى كل ذلك هذا الربط القوي بين ماقبلها وما بعدها في سلسلة متصلة الحلقات متتابعة الأحداث عن طريق الفاء.

ثالثا: بناء الفعل للمجهول:

﴿نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ مما يوحي بالرهبة والفزع، لأنه نقر قوي يصك الآذان، فجأة ودون أن يعرف مصدره، ودون أن يعرف فاعله. فماهو إلا طلقة قوية، أو صوت رعيب.. وبعده يكون اليوم العسير.. يضاف إلى ذلك تعريف ﴿ٱلنَّاقُورِ﴾ بأل التي للعهد. وهي تلقي في النفس ظلا من الرهبة والرعب، فهو ناقور معروف في الضمير البشري، وإن لم يسبق له ذكر صريح. فهو مسلط على رأس الحياة وقد التقمه صاحبه الموكل به، وحنى عنقه في انتظار لحظة الأمر الإلهي الأعلى. وكل الخلائق يعرفونه، وكأنهم يرونه رأى العين.

ولايظن ظان أن هذه القضايا - ومعظمها يقوم على التحليل اللغوي، في مفاد الألفاظ والعبارات، والتحليل البلاغي الفني للأساليب وجوها الشعوري العام - لايحس معطياتها، أو ينفعل لها إلا من درب

على تحليل العبارة تحليلا يعتمد على الدراسة الفنية المتعمقة. لأن هذه الدراسة لم تكن إلا نتيجة لما كان يحسه العربي عند الاستعمال، فالدراسة والتحليل نتائج، وليست مقدمات. ولعل في هذا مايفسر لانطباعاتنا الأولية التي ترسبت في عقولنا ومشاعرنا وتصوراتنا، في بواكير حياتنا أيام أن كنا نقرأ هذه الآيات ونحن أطفال في الكتاتيب. ومما يؤكد هذه الحقيقة رواية الشهيد سيد قطب عن قصته مع القرآن في كتابه «التصوير الفني في القرآن»، نوردها هنا للاستئناس بها، ولنتبين من خلالها أن شعورنا بروعة الصورة الفنية في القرآن، يسبق دراستنا الفنية المتخصصة، ولايترتب عليها. قال الشهيد -رحمه الله تعالى: «.. ومن تلك الصور الساذجة صورة كانت تتمثل لي كلما قرأت هذه الآية:

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ۝ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ﴾(١١).

ولم أكن أدرك من معاني هذه الآية شيئا - والكلام للشهيد - ولا من مراميها، ولكن صورة كانت تشخص في مخيلتي. صورة رجل، فاغر الفم، متدلي اللسان يلهث ويلهث، ولا أجرؤ على الدنو منه!

وصور من هذه شتى، كانت ترتسم لخيالي الصغير، وكنت ألذ التأمل فيها، وأشتاق قراءة القرآن من أجلها، وأبحث عنها - كلما قرأت - في ثناياه.

تلك أيام - ولايزال الكلام للشهيد - ولقد مضت بذكرياتها الحلوة، وبخيالاتها الساذجة، ثم تلتها أيام، ودخلت المعاهد العلمية، فقرأت تفسير القرآن في كتب التفسير، وسمعت تفسيره من الأساتذة ولكنني لم أجد فيما أقرأ أو أسمع ذلك القرآن اللذيذ الجميل، الذي كنت أجده في الطفولة والصبا.

واأسفاه! لقد طمست كل معالم الجمال فيه، وخلا من اللذة والتشويق.. ترى هما قرآنان؟ أم إنها جناية الطريقة المتبعة في التفسير؟

وعدت إلى القرآن أقرأه في المصحف لا في كتب التفسير. وعدت أجد قرآني الجميل الحبيب، وأجد صوري المشوقة اللذيذة، إنها ليست في سذاجتها التي كانت هناك. لقد تغير فهمي لها فعدت الآن أجد مراميها وأغراضها وأعرف أنها مثل يضرب، لاحادث يقع.

ولكن سحرها مايزال. وجاذبيتها ماتزال والحمدالله. لقد وجدت القرآن!»(١٢)

فالفهم الأولي المؤثر للصورة الفنية في القرآن، لايترتب على الدراسة المتعمقة أو المتخصصة، ولايتوقف عليها، وإنما يسبقها، ولكن تأتي هذه الدراسة لتحلل وتعلل ما استقر في النفس وترسخت صورته في الشعور.

---

(١١) الأعراف (١٧٥، ١٧٦).

(١٢) التصوير الفني في القرآن ص٧، ٨ ط الشروق.

السنة

الحداء

لفضيلة الأستاذ الشيخ / فكري ياسين

إعداد الشيخ / على حامد عبد الرحيم

أخرج البخاري عن أنس بن مالك قال: كان النبي ﷺ في مسير له، فحدا الحادي، فقال النبي ﷺ: «ارفق يا أنجشة - ويحك - بالقوارير»

جرت عادة الإبل أنها إذا سمعت الحداء استهوتها أنغامه، وهزتها ألحانه، وتأثرت به تأثرا تستخف معه الأحمال الثقيلة، وتستقصر في سماعه المسافات الطويلة، وينبعث فيها من النشاط والقوة والشوق والحنين ما يسكرها ويولهها، فتراها حتى ولو طالت عليها البوادي، واعتراها الإعياء والكلال تحت المحامل والأحمال - تمد أعناقها، وتنصب آذانها مصغية إلى صوت الحادي، ومنصتة إلى نغمات الحداء، وهي مسرعة في خطوها وجادة في سيرها، وربما تتلف نفسها من شدة السير وثقل الحمل، وهي لا تشعر، تأثرا بما ملأها من طرب وهيام، كما أنه قد ينشأ عن كثرة اهتزازها، وتلاحق خطواتها ما يزعج الراكب، ويتعبه، وما لا يؤمن معه على النساء والضعفاء من السقوط.

مختارات من مجلة الأزهر - المجلد الحادي والعشرون - ١٣٦٩هـ، ص ٣٩٣

وكان النبي ﷺ في بعض أسفاره، ومعه نساؤه وسواق يسوق بهن ويحدو، يقال له: أنجشة، وكان حسن الصوت، فقال له ﷺ: «أرفق يا أنجشة بالقوارير». وقد سمي النساء قوارير، لضعف عزائمهن، تشبيها لهن بالقوارير من الزجاج في رقتها وضعفها وإسراع الانكسار إليها، والنساء يُشبهن بالقوارير في الرقة واللطافة وضعف البنية، وقيل: شبههن بالقوارير لسرعة انقلابهن عن الرضا، وقلة دوامهن على الوفاء؛ كالقوارير يسرع إليها الكسر، ولاتقبل الجبر.

واختلف في المراد من هذه التسمية على قولين: فأصحهما أن أنجشة كان حسن الصوت، وكان يحدو بهن وينشد شيئا من القريض والرجز، وما فيه تشبيب، فلم يأمن أن يفتنهن، ويقع في قلوبهن حداؤه، فأمره بالكف عن ذلك؛ وهذا هو الأشبه بمقصوده ﷺ، وبمقتضى اللفظ، ومما يدل عليه كلام أبي قلابة المذكور في رواية أخرى، إذ يقول: تكلم رسول الله ﷺ بكلمة لو تكلم بها بعضكم لعبتموها عليه، يريد قوله في تلك الرواية: سوقك بالقوارير.

والقول الثاني: أن المراد من تسمية النساء بالقوارير: الرفق في السير؛ لأن الإبل إذا سمعت الحداء، اشتدت في المشي، واستلذته، فأزعجت الراكب وأتعبته، فنهاه عن ذلك؛ وطلب إليه أن يتلطف في سوقه بهن، كتلطفه في السوق، بالقوارير لو كانت محمولة على الإبل؛ لأن النساء يضعفن عن شدة الحركة، ويخاف عليهن الضرر والسقوط، ولأنه إذا تمهلت المطايا، ومشت رويدا، اطمأن النساء في رحالهن، وأمن مما يصيبهن من أذى ومكروه. وقال أصحاب هذا القول: إن هذا من الاستعارة البديعة، لأن القوارير أسرع شئ تكسيرا، فأفادت الكناية بالقوارير عن النساء من الحظ على الرفق بهن في السير ما لم تفده الحقيقة، فيما لو قال: ارفق بالنساء. قال في الكواكب: هذه استعارة لطيفة بليغة، فلم تعاب؟ ثم قال: ولعل أبا قلابة نظر إلى أن شرط الاستعارة أن يكون وجه الشبه جليا بين الأقوام، وليس بين القارورة والمرأة وجه شبة ظاهر عندهم. والحق أنه كلام في غاية الحسن، والسلامة من العيوب، ولايلزم في الاستعارة أن يكون جلاء وجه الشبه من حيث ذاتهما، بل يكفي الجلاء الحاصل من القرائن، وهو هنا كذلك.

وقيل: إن أبا قلابة قال هذا لأهل العراق، لما كان عندهم من التكلف، ومعارضة الحق بالباطل. وقيل: إن قصده من كلامه أن هذه الاستعارة تحسن من مثل رسول الله ﷺ في البلاغة، ولو صدرت من غيره ممن لا بلاغة له لعبتموها.

الحداء: سوق الإبل بضرب مخصوص من الغناء، وهو من حدا الإبل، وحدا بها: ساقها، والحادي: المتغني عند السوق. ويقال: إن أول من حدا الإبل عبدلمضر بن نزار ابن معد بن عدنان، كان في إبل لمضر، فقصر، فضربه مضر على يده فأوجعه، فجعل يتألم ويقول: يا يداه، يايداه! وكان حسن الصوت، فأسرعت الإبل في السير لما سمعته، فكان ذلك مبدأ الحداء.

وأرفق: من الرفق، وهو اللطف وحسن الصنيع، يقال: رفق به وعليه رفقا، وأرفقه: رفق به ونفعه. وترفق به: رفق، والرفيق: ضد الأخرق.

وأنْجَشَة - بفتح الهمزة، وسكون النون، وفتح الجيم، ووقع في بعض الروايات أنجش بالترخيم- هو غلام أسود للنبي ﷺ، وكان حبشيا يكنى أبا مارية، وذكروه في الصحابة، وذكر أبو عمر في الاستيعاب أنه كان يسوق أو يقود بنساء النبي ﷺ في عام حجة الوداع، وكان حسن الصوت، وكان إذا حدا أعنقت الإبل، وأخرج الطبراني أنه كان ممن نفاهم النبي ﷺ من المخنثين.

ويحك: كلمة ترحم وتوجع، وهو منصوب على المصدرية، وقد ترفع وتضاف، ولا تضاف، يقال: ويح زيد، وويحا له، وويح له. وقال سيبويه: ويل: كلمة تقال لمن وقع في هلكة، وويح: زجر لمن أشرف على الوقوع في هلكة، وقال الفراء: ويل وويح وويس بمعنى، وقيل: ويح: كلمة لمن وقع في هلكة لا يستحقها، فيرثى له، ويترحم عليه، وويل: ضده. وقال بعض أهل اللغة: لا يراد بهذه الألفاظ حقيقة الدعاء، وإنما يراد بها المدح والتعجب وجاء في القاموس أن ويح أصلها وي، فوصلت بحاء مرة، فقيل: ويح، وبلام مرة، فقيل: ويل، وبباء مرة، فقيل: ويب، وبسين مرة، فقيل: ويس.

والقوارير: جمع قارورة، وهي الزجاجة، وسميت بذلك لاستقرار الشراب فيها.

نقل ابن عبد البر الاتفاق على إباحة الحداء، وفي كلام بعض الحنابلة ما يشعر بوجود خلاف فيه، والمانعون له محجوجون بالنصوص الكثيرة المفيدة لمدح الصوت الحسن، ومشروعية الحداء، وذلك مثل قوله تعالى في معرض الامتنان على عباده:

﴿ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ﴾(١)، فقيل إنه هو الصوت الحسن، وقوله:

﴿ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾(٢).

فإنه يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسن؛ ومثل خبر: «ما بعث الله نبياً إلا حسن الصوت»، وخبر أبي موسى الأشعري في معرض المدح: «لقد أعطي مزمارا من مزامير آل داود» ومثل حديث أنس: «أن النبي ﷺ كان يحدى له في السفر، وأن أنجشة كان يحدو بالنساء، والبراء بن مالك كان يحدو بالرجال». وقال أهل العلم: لم يزل الحداء وراء الجمال من عادة العرب في زمان رسول الله ﷺ، وزمان الصحابة - رضي الله عنهم - وما هو إلا أشعار تؤدى بأصوات طيبة، وألحان موزونة، ولم ينقل عن أحد من الصحابة إنكاره، بل ربما كانوا يلتمسون ذلك تارة لتحريك الجمال، وتارة للاستلذاذ، فلا يجوز أن يحرم من حيث إنه كلام مفهوم

---

(١) فاطر (١).

(٢) لقمان (١٩).

مستلذ، مؤدى بأصوات طيبة، وألحان موزونة.

وألحقوا بالحداء في الحكم غناء الحجيج، وهو المشتمل على التشويق إلى حج بيت الله - تعالى - بذكر الكعبة والمقام والحطيم وزمزم وسائر المشاعر الكريمة، والمشاهد العظيمة، ووصف البادية وغيرها، ووصف الثواب على ذلك، والغناء الذى يحرض به أهل الجهاد على الغزو، إذا كان الغرض منه تشجيع النفوس، وتحريك النشاط على القتال، والتمدح بالبسالة والنجدة، وإثارة الهمة والحمية، وغناء الأم لتسكيت ولدها في المهد، والغناء في أوقات السرور إن كان ذلك السرور مباحا، كالغناء في أيام العيد وفي العرس، وفي وقت قدوم الغائب، وفي وقت الوليمة والعقيقة، وعند ولادة المولود، وعند ختانه، وعند حفظه القرآن العزيز.

واستدل بجواز الحداء على جواز غناء الركبان المسمى النصب، وهو ضرب من النشيد بصوت فيه تمطيط، واستدل به قوم على جواز الغناء مطلقا بالألحان التي تشتمل عليه الموسيقى. وقال الماوردي: اختلف فيه، فأباحه قوم مطلقا، وكرهه قوم مطلقا، وكرهه مالك والشافعي في أصح القولين. ونقل عن أبي حنيفة المنع، وكذا أكثر الحنابلة. ونقل ابن طاهر في «كتاب السماع» الجواز عن كثير من الصحابة. وقال ابن عبدالبر: الغناء الممنوع ما فيه تمطيط، وإفساد لوزن الشعر، طلبا للطرب، وخروجا من مذاهب العرب، وإنما وردت الرخصة في الضرب الأول دون ألحان العجم، وهو الضرب الذى لم يزل يرخص فيه البعض من غير نكير، إلا في حالتين: أن يكثر منه جدا، وأن يصحبه ما يمنع منه.

واحتج المبيحون له بأن فيه ترويحا للنفس، فإن فعله صاحبه ليقوى على الطاعة فهو مطيع، وإن فعله ليقوى على المعصية فهو عاص، وإلا فهو مثل التنزه في البستان، والتفرج على المارة.

وقال الغزالي: الغناء اجتمعت فيه معان ينبغي أن يبحث عن أفرادها، ثم عن مجموعها، فإن فيه سماع صوت طيب موزون مفهوم المعنى، محرك للقلب، فالوصف الأعم أنه صوت طيب، ثم الطيب ينقسم إلى الموزون وغيره، والموزون ينقسم إلى المفهوم كالأشعار، وإلى غير المفهوم كأصوات الجمادات، وسائر الحيوانات؛ أما سماع الصوت الطيب من حيث إنه طيب، فلا ينبغي أن يحرم، بل هو حلال بالنص والقياس، ثم أخذ في بيان ذلك، وبيان شروط الإباحة وظروفها، وأوقاتها ودرجاتها وملابساتها، وأطال بما لا يتسع المجال لذكره هنا، فلينظر هناك.

***

المنهج الإسلامى فى الحوار

لفضيلة الشيخ
محمود عبد الغنى عاشور
وكيل الأزهر الشريف

لقد أسس الإسلام منهجا متكاملا للتعامل بين الشعوب والحضارات المختلفة فقد قرر اختلاف الناس، والأجناس وقنن هذا الاختلاف وربط المسلمين مع سائر البشر على اختلاف انتماءاتهم الحضارية برباط من الأخوة الإنسانية النابعة من وحدة الأصل البشرى، وألزم المسلمين بالتعاون والتعايش والتعارف مع غيرهم ونشر الخير بين الجميع ومع الجميع بصرف النظر عن دينه، أو جنسه، أو لونه. فقال سبحانه عز من قائل:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ﴾(١).

فالحوار بالنسبة للمسلمين فريضة واجبة وضرورة شرعية فرسالة الإسلام ودعوته عالمية لا تختص بجنس، أو لون، أو عرق، ولا بلد بعينه، والخطاب القرآني يتوجه فى الكثير من آياته إلى البشر جميعا. يؤكد على الإخاء الإنسانى والتعايش السلمى ويستهدف خير الإنسانية وتقدمها ونمائها. وينطلق هذا من وحدة الأخوة الإنسانية ويتأكد فى قول المولى سبحانه:

﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾(٢).

فالإسلام يفرض التواد والتعارف والعدل مع المختلفين معه فى الدين طالما هم يسالمون المسلمين ويعيشون معهم فى جوار طيب يقول الله ـ تعالى:

---

(١) الحجرات (١٣) (٢) آل عمران (٨٤)

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾(٣)

فالناس جميعا أمام شرع الله سواء، فلم يفرق الإسلام بين مسلم وغير مسلم في مجال المعاملات وبالذات فيما يختص بالعقوبة المترتبة على الجرائم، والقاعدة العظيمة التي نادى بها الإسلام في التعامل مع غير المسلمين في المجتمع الإسلامي هي: «لهم ما لنا وعليهم ما علينا».

ويقول سبحانه في شأن المعاملات التجارية:

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(٤)

فهذا النهي عن أكل أموال الناس بالباطل عام يشمل المسلمين وغير المسلمين.

وإن دينا هذا شأنه يعطي للآخر حقوقا مثل ما لاتباعه، بل إن الآخر له حقوق مقدسة مصونة في مجتمع الإسلام وبين المؤمنين به، لهو دين يدعو إلى الحوار والوصول إلى تفاهم مشترك وتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان فهو يؤكد أن دعوة الأنبياء جميعا واحدة، وأنهم جميعا جاءوا بدعوة التوحيد. ونادوا بالإيمان بالله وبعبادته وحده لا شريك له وإلى الإيمان بوجود الملائكة وبالأنبياء السابقين. ودعوا الناس إلى فعل الخيرات وترك المنكرات واجتناب الشرور والتمسك بالقيم الفاضلة وهذا كله ما تضمنته كلمة «سواء» التي دعا إليها القرآن الكريم في قول الله سبحانه:

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ ﴾(٥).

فمبدأ الحوار مع الآخر قد أمر به القرآن الكريم كما نصت هذه الآية الكريمة على سبيل الوجوب أحيانا إذا كان يتصل بواجب شرعي فيكون من باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وقد يكون على سبيل الندب أحيانا أخرى كوسيلة من وسائل التعرف على الغير ومدخل من مداخل الدعوة إلى الله.

وقد تحقق ذلك فعلا وواقعا في حياة الرسول ﷺ على المستوى النظري الوارد في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. كما تحقق على مستوى التطبيق العملي على يد الرسول ﷺ وبأمره لصحابته.

فعلى المستوى النظري نجد القرآن الكريم يأمرنا بالحوار مع أهل الكتاب وفتح الجسور معهم خلال الحوار الهادف إلى بيان الحق وتوضيحه ودعوتهم إليه حرصا على تحقيق الخير النافع للإنسان كما ورد في الآية السابقة.

وفي مستوى تعليمي من مستويات الحوار يقول لهم:

---

(٣) الممتحنة (٨، ٩)

(٤) البقرة (١٨٨)

(٥) آل عمران (٦٤)

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ ﴾(٦).

ومن المعلوم تاريخيا أن التوراة والإنجيل إنما نزلتا بعد إبراهيم ـ عليه السلام ـ فليس من المتصور عقلا أن يكون عند اليهود علم يقيني عن إبراهيم فيعتقدون صحته أو خطأه فكيف يجادلون في أمر ليس لهم به علم؟

وقال تعالى:

﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴾(٧).

ثم يأمرنا القرآن الكريم بمراعاة المستوى العقلي والحضاري للحوار مع الآخر فليس الهدف منه مجرد إقناع الخصم أو التغلب عليه وإنما هو حوار بالحكمة والموعظة الحسنة، وجدال بالتي هي أحسن وينهى القرآن بأسلوب صريح واضح لا يحتمل التأويل بألا نجادل أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن. وإلا نحمل الإنسان كرها على اعتقاد أمر لا يقوم دليل على صحته ولا برهان على صدقه فلا إكراه في الدين. وروح القرآن الكريم تسري بين آياته على هذا النحو في أسلوب الحوار ومقاصده وأهدافه. ولابد أن يكون ذلك مشمولا ومحروسا بقلب لين هين ولسان رطب عذب الكلمات حتى يؤتي الحوار ثمرته ويصل إلى تحقيق مقاصده ويجسد القرآن الكريم هذا المعنى في خطابه للرسول ﷺ في قوله:

﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ ﴾(٨).

وفي هذا المستوى التعليمي ينبهنا القرآن الكريم إلى قضية على جانب كبير من الأهمية في ترقيق القلوب وترويض العقول. فلا نغمط أصحاب الحقوق حقهم حتى ولو كانوا يدينون بغير ملتنا ذلك أن الحق أحق أن يتبع، وأولى الناس بذلك أصحاب الدعوات والمبادىء فالقرآن الكريم في حديثه عن أهل الكتاب يفرق بين نوعين منهم فإذا كان فيهم الظالم والمكابر والمعاند فإن فيهم أيضا المنصف والعادل وأصحاب المروءة والحريص على الوفاء بالوعد فلا ينبغي أن نصدر حكما عاما يشمل الظالم والعادل والمنصف وصاحب الهوى.

قال تعالى:

﴿ لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ۝١١٣ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾(٩).

---

(٦) آل عمران (٦٥).

(٧) سورة الكافرون.

(٨) آل عمران (١٥٩).

(٩) آل عمران (١١٣، ١١٤).

وقال في آية أخرى:

﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾(١٠)

هذه آيات نتعلم منها معالم المنهج القرآني في الحوار مع الآخر فلانغمطهم حقهم إذا كان لهم حق في ذلك كما قال سبحانه:

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾(١١).

هذه معالم عامة ترشدنا إليها آيات القرآن الكريم لنتخذها مبادىء لحوارنا مع الآخر على مستوى الفكر والكلمة.

أما على المستوى التطبيقي العملي نجد أن حياة الرسول ﷺ كانت المثل والقدوة في رسم معالم هذا المنهج في التعامل مع الآخر نصرانيا كان أو يهوديا أو مجوسيا.

حيث كان ﷺ يوضح في أمره أو نهيه أو فعله المعنى المقصود لأصحابه والهدف المنشود من التعامل مع الآخر والحوار معه ومن الثابت تاريخيا أن أول هجرة للمسلمين من مكة طلبا للحماية وأملا في الجوار الآمن كانت إلى الحبشة وكان ملكها النجاشي نصرانيا وأوضح الرسول ﷺ لصحابته المعنى النبيل الذي اختار الهجرة الى الحبشة على أساسه فقال لصحابته إذهبوا إلى الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد، فإن العدل الذي افتقده المسلمون الأوائل في مكة جعلهم يطلبونه عند النجاشي النصراني هربا من الظلم الذي حاق بهم.

هذا الموقف يعد نموذجا لكيفية التعامل مع الآخر لأن الطرفين كان الحق رائدهما والهدف النبيل غاية لهما.

ومن الثابت تاريخيا أن الرسول ﷺ قد اتخذ له دليلا في هجرته إلى المدينة هو عبد الله بن أريقط ولم يكن مسلما.

وأنه قبل هدية المقوقس عظيم القبط في مصر وكانت هذه الهدية هي «مارية القبطية» ولم يرفض الرسول هذه الهدية بدعوى أنها جاءت من غير مسلم بل تقبلها قبولا حسنا وأوصى بأقباط مصر خيرا.

إذن فالحوار كما أسلفنا إما أن يكون عمليا كما حدث مع الرسول ﷺ وإما أن يكون نظريا كما جاء به القرآن أو حوار يعتمد على التعرف على الثقافات والحضارات الأخرى من خلال الدراسات والبحوث والكتب المعتمدة، ففي الوقت الذي كانت فيه حروب سميت خطأ الحروب الصليبية كان هناك حوار ثقافي لم ينقطع. وقد كانت الأندلس هي حلقة الوصل بين الثقافة الأسلامية والثقافة الغربية وأسهمت إسهاما عظيما في توصيل الحضارة الإسلامية إلى الغرب.

وفقنا الله وإياكم لما فيه خير الإنسانية وسعادتها.

---

(١٠) آل عمران (٧٥).

(١١) المائدة (٨).

الإسلام قضية عادلة في يد محام فاشل! والمدّعون عليه مزورون

١

للأستاذ الدكتور/ عبد العظيم المطعني

شيخنا الجليل الإمام محمد الغزالى -رحمه الله- كان داعية ملهما، امتشق قلمه ولم يغمده فى خدمة الدعوة حتى أتاه اليقين. وقدَّر الله- ونعمَ ما قدَّر- أن تصعد روحه الطاهرة إلى بارئها، وهو يناصر الإسلام ويرد زيف المتطاولين عليه، من الكارهين لما أنزل الله وأن مثواه فى مدينة «النور» مع النبى ﷺ والشهداء والصديقين وحسن أولئك رفيقا.

وكنا -ونحن طلاب صغار- فى الأزهر الشريف، فى الخمسينيات من القرن العشرين الميلادى. كنا شديدى الحرص على سماع خطبه ومحاضراته العامة، وعلى قراءة مقالاته وكتبه، لا يفوتنا منها شيء، حتى فى الأجازات الصيفية حين يعود الكثير منا إلى مسقط رأسه فى القرى، كنا نكلف المقيمين منا فى القاهرة، أن يكتبوا لنا ملخصات وافية عن موضوعات خطبه ومحاضراته، وأن يبعثوا بها إلينا ونحن نائون عن القاهرة. وكان يوم الجمعة من أحب الأيام إلينا للصلاة خلفه وسماع خطبه القيِّمة. وأقسم بالله أن بعضنا كان يسير عدة كيلومترات على قدميه ذاهبا إلى المسجد -أى مسجد- يكون خطيب الجمعة فيه هو الشيخ محمد الغزالى الداعية المخلص، الغزير العلم، الصادق القول، الأدبى الأسلوب، القوى الحجة، الرفيع البيان.



ولم يكن همنا أن نسمعه متحدثا فحسب، بل أن نراه وهو يتحدث، ونرى إشاراته وتوزيع نظرته على جمهور المصلين.

ولذلك كنا نذهب إلى المساجد التى يخطب فيها مبكرين لم يدخلها أحد قبلنا، فنجلس أمام المنبر، حتى لا يكون بيننا وبينه أحد، وكنا نجد متعة روحية، نتخذ منها زاداً لقلوبنا طيلة الأسبوع، لما فى خطبه من غذاء يثلج الصدور، وله

بحة صوت شجية آسرة للأسماع. إنه -رحمه الله- كان حسنة من حسنات القدر الإلهي الحكيم.

وكان له -رحمه الله- عبارات حكيمة، تبدر منه، وهو يخطب أو يحاضر، تبدر منه تلقائيا، ومن تلك العبارات ما نحفظه كما سمعناه منه مباشرة حتى الآن، منها عبارة قالها وهو يخطب فوق منبر مسجد «الثورة» في الزمالك، وكان موضوع الخطبة - فيما أذكر- أن يعامل المسلمون خصومهم بالمثل. قال يخاطب أولئك الخصوم الذين كانوا يناصبون الإسلام العداء في الغرب:

«اعترف لي بحقي في الحياة.. أعترف لك بذلك الحق، أمِّنِّي على حاضري ومستقبلي لا أجدْ باعثا على معاداتك».

ومنها عبارة قالها في ظاهرة الإعراض عن التفقه في الدين.

«لو قرأ المسلمون في فقه دينهم مثلما يقرأون الصحف السيارة، والمجلات، لكانوا في مصاف الأئمة الأربعة الكبار، أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد».

ومنها العبارة التي اخترناها عنوانا لهذا الحديث، وهي:

«الإسلام قضية عادلة، في يد محام فاشل» وهي عبارة ذات مغزى عميق، صادرة عن تجارب مريرة، ناتجة عن أوضاع المسلمين في هذا العصر.

أما العبارة الثانية: «والمدعون عليه مزورون» فقد أضفناها من عندنا، مبالغة في فشل المحامي الذي أُبتلي به الإسلام، ليكون مدافعا عن قضيته وهو عاجز عن الدفاع عنه، مع عدالة القضية وتزوير المتهمين لها.

الشيخ الغزالي قال هذه العبارة منذ زمن وعلى طول هذا الزمن، فإن المحامي عن قضية الإسلام يزداد فشلا يوما بعد يوم، ولم يطرأ على قدراته أي تحسن للأسف الشديد.

والمقصود بـ «المحامي الفاشل» في عبارة الشيخ الغزالي هو العالم الإسلامي كله -عرباً وغير عرب- فهو لايريد فرداً ولا أفراداً معينين، لا علماء ولا أمراء بل يريد الأمة كلها، بكل شرائحها وشعوبها، وأجناسها وبيئاتها.

تُرى: هل كان الشيخ الغزالي مبالغا في هذه العبارة، أو ظالما لأمته، متحاملا عليها؟ أم هو صوَّر الواقع كما هو، بدون «رتوش» ولا «خدوش»؟

وفي التمهيد للحكم على عبارة الشيخ الغزالي نذكر أنه لم يكن «أوحديا» في إدانة العالم الإسلامي في إساءاته للإسلام بوجه عام، فقد سبقه بعض كبار الدعاة إلى إعلان هذه الإدانة: فالإمام جمال الدين الأفغاني له عبارة مأثورة في هذا المجال، قال فيها:

«إن أكبر خدمة يقدمها المسلمون للإسلام، هي أن يبرهنوا للغرب أنهم ليسوا مسلمين».

يريد: أن انتماء المسلمين للإسلام، مع ترك العمل به، إساءة بالغة للإسلام. وقد صدق رحمه الله، فالغرب -الآن- يعزو ضعف المسلمين وتخلفهم للإسلام نفسه؟

وللشيخ محمد عبده -تلميذ جمال الدين الأفغاني- عبارة مأثورة تقرر ما قاله جمال الدين. قالها حين سافر إلى الغرب فرأى النظام الباهر، والعمل الدءوب، والحرص على استثمار المتاح من

الطاقات، ومنها المحافظة على الوقت. تقول تلك العبارة:

«جئت من الشرق، وتركت فيه مسلمين بلا إسلام، وحللت في الغرب، ووجدت فيه إسلاماً بلا مسلمين»؟!

يريد أن الناس فى الشرق ينتسبون إلى الإسلام انتماء اسميا «صوريا» لا واقعيا يبدو على أقوالهم وسلوكياتهم.

أما المجتمع الغربى - وإن لم تكن عقيدته ونظمه إسلامية فعمله وسلوكه فى فقه الدنيا، عمل إسلامى.

والعبارات التى قالها الأئمة الثلاثة شكوى مرة من إعراض المسلمين عن العمل بمبادىء دينهم وتوجيهاته، على المستوى الفردى، والمستوى الجماعى، إلا من عصم الله، حتى صارت أوضاعهم فتنة لغير المسلمين، تدعوهم إلى وصف الإسلام بكل النقائص والعيوب. والسبب هو حال المسلمين، فى عدم انتفاعهم بالإسلام، مع قرب الإسلام منهم، وعليهم يصدق قول الشاعر:

كالعيس فى الصحراء يهلكها الظما

والماء فوق ظهورها محمول

والمعنى الذى أراده جمال الدين فى عبارته مستمد من القرآن الكريم، وهو من دعاء أبى الأنبياء إبراهيم ـ عليه السلام:

﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾(١)

وبعد هذا التمهيد أتوقع موافقة القراء على أن شيخنا الغزالى لم يتجاوز الحقيقة فى عبارته التى ذكرنا من قبل، فجاء تشبيهه للأمة فى خذلانها لدينها بالمحامى الفاشل أو الخائب، الذى لم يستفد فى دفاعه عن قضية الإسلام بقوة عدالة هذه القضية، مضموما إلى عدالتها أن خصومها الذين رفعوا دعاواهم ضدها مزورون كذبة، كما نلمح فى هذا التشبيه البليغ معنى آخر قصده الشيخ - رحمه الله - ليحدد - بكل دقة - ما يريده من عبارته الحكيمة.

فالمحامى طبيعة عمله أن يكون فى ساحات القضاء وسلاحه هو «الكلمة» القائمة على قوة الحجة وقطع البرهان، وغايته هى إلزام العقل وإقناعه بالحق الذى يدافع عنه.

ثم بيان ما فى دعوى الخصوم من زيف وبطلان وليست مهمة «المحامى» هى حمل السلاح المادى من أى نوع كان.

هذا ما كان يتصوره الشيخ الغزالى وهو يصوغ هذه العبارة الحكيمة، فهو إذن لم يرد ضعف الأمة العسكرى فى ميادين القتال؛ لأن الأمة قد يُلتمس لها ألف عذر وعذر فى ترك المواجهة العسكرية، وليس لها مثقال ذرة من عذر فى تركها الدفاع عن الإسلام بوضوح الدليل، وقوة البرهان، لأن وضوح الأدلة، وقوة البراهين أمور هى من صنع الله ـ عز وجل ـ أودعها فى كتابه، وفى قيم دينه ومبادئه ومقاصده، ساحقة لكل باطل، قاهرة لكل عناد ومكابرة.

أما السلاح المادى المعروف فهو من صنع البشر «الأمة» يقوى بقوتها، ويضعف بضعفها، بقدر ما تكون صلتها بالإسلام.

---

(١) الممتحنة (٥).

فالمسلمون لم يصنعوا الإسلام، ولكن الإسلام «صُنع الله» وصانه ـ باعتباره قيما ومبادىء ومقاصد ـ من أى هزيمة تلحق به، أليس هو القائل فى وصف دينه:

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾(٢).

والإظهار هو الانتصار، فليس الإسلام عرضة للهزيمة ولو تصدت له كل النظم والأيديولوجيات أيا كان منزعها. بل هو قادر على دحرها وإظهار ما فيها من «زيوف» فلا يبقى أمامه منها شىء ولو خاصمه من فى الأرض جميعا، وكان بعضهم لبعض ظهيرا.

ضعف الأمة فى مناصرة الإسلام بـ «الكلمة» هو ما كان يعنيه الشيخ الغزالى بعبارته تلك. وإن كان ضعفها فى الدفاع عنه وعن حرماته فى ميادين القتال، لم يغب عنه ـ رحمه الله ـ باعتبار أن هذا الضعف، سمة من سمات فشل الأمة، التى شبهها الشيخ بالمحامى الفاشل.

• • •

وها نحن أولاء نقصر حديثنا على هذا الجانب الذى أراده شيخنا ـ رحمه الله ـ لأن الأمة ليس لها عذر مقبول فى هذا الفشل المتعلق بهذا الجانب.

ونحدد ـ أولاً ـ المجالين اللذين أصاب الأمة الفشل فيهما، فى الدفاع عن الإسلام بالكلمة وتضاعة الدليل، وقوة البرهان. وذانك المجالين هما:

الأول: حسنات للإسلام سلبها خصومه عنه، ونسبوها إلى حضارتهم زوراً وبهتانا مع أن الإسلام هو الذى جاء بها، فى كتاب الله العزيز، وفى سنة رسوله الكريم ﷺ، وفيما انبثق عن هذين المصدرين من قيم ومبادىء، وتوجيهات وإرشادات، فى واقع الإسلام كله:

عقائد، وعبادات، وتشريعات، ومعاملات وأخلاق تنتظم كل أنشطة الحياة الراقية المهذبة.

الثانى: مساوىء وعيوب نسبوها للإسلام، والإسلام برىء منها، براءة الشمس من لون السواد.

فمن محاسن الإسلام الخالدة، التى استلبتها الحضارة الغربية، ونسبتها إلى منجزاتها المعاصرة، تحرير الرقيق، وتقرير الحريات الشخصية، وأن الإنسان ليس له سيد إلا الله ـ عز وجل.

هذا المبدأ أقره الإسلام منذ أكثر من أربعة عشر قرنا، وحين أقر الإسلام هذا المبدأ العظيم لم يكن للغرب، ولا لحضارته وجود. وكان الإسلام حكيما كل الحكمة فى مواجهة هذه الظاهرة البغيضة لأنه واجهها على مراحل، وبالتدريج، فلم تنزل آية، أو آيات، تحرم استمرار «الرق» دفعة واحدة، لأنه لو حدث هذا لوقعت أضراراً جسيمة بمالكى العبيد، حيث كانت هذه الظاهرة تمثل ركنا عظيما فى النظام الاقتصادى، والموارد المالية فى حياة الناس، لذلك هادنها الإسلام فى أول الأمر، ثم أصدر تشريعات على مراحل تعمل على تصفية تلك الظاهرة، شيئا فشيئا، حتى

---

(٢) التوبة (٣٣)، الفتح (٢٨)، الصف (٩).

لأيضار طرف على آخر من ملاك العبيد والإماء، فلم يهملها الإسلام كل الإهمال، ولم يصدر تشريعا دفعة واحدة لاجتثاث هذه الظاهرة من الوجود.

لأنه لو حدث الأول (الإهمال) لأضر بحقوق المملوكين. ولو حدث الثانى (الاجتثاث السريع) لأضر بحقوق مالكى العبيد ولأحدث خللا فظيعا فى الاستقرار الاقتصادى المالى، والمال عصب الحياة كما يقولون.

لم يفعل الإسلام هذا ولا ذاك، لما فى كل منهما من أضرار وإنما نهج نهجا هو العدل كله، والحكمة كلها. الذى فعله الإسلام هو تصريف ما تراكم من هذه الظاهرة، ثم إيصاد الأبواب فى وجوهها ولم يسمح بتجدد أية حالة منها.

● فقد جعل الإسلام لتحرير الرقاب سهما من أسهم الزكاة الثمانية. والزكاة ركن مالى عملى من أركان الإسلام:

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ ﴾(٣).

أى على ولى أمر المسلمين، أن يخصص جزءاً من ثمانية أجزاء، يوظفه فى شراء العبيد من مالكيهم ثم يرسلهم أحراراً.

● جعل عتق الرقاب إحدى صور كفارة القتل الخطأ وتكرر ذلك مرات فى قوله تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ﴾(٤)

جعل عتق الرقاب صورة من صور كفارة الظهار، كما جاء فى قوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ﴾(٥).

● جعل عتق الرقاب احدى صور كفارة اليمين بالله. وفى ذلك نزل قوله تعالى:

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾(٦).

جعل عتق الرقاب من فضائل الأعمال التى تنفع صاحبها فى الدار الآخرة، ترى ذلك فى قوله تعالى:

﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾(٧).

● جعل عتق الرقاب إحدى صور كفارة من أفطر عمداً فى نهار رمضان كما جاء فى حديث الذى واقع أهله وهو صائم(٨).

● إذا وطئ المالك أمته فولدت منه حرّم عليه الإسلام بيعها، وتصبح حرة بعد وفاته.

---

(٣) التوبة (٦٠).
(٤) النساء (٩٢).
(٥) المجادلة (٣).
(٦) المائدة (٨٩).
(٧) البلد (١١-١٣).
(٨) رواه الشيخان.

● حث القرآن القادرين من المسلمين على مساعدة العبيد في تحرير رقابهم من مالكيهم، وذلك في قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾(١).

إلى غير هذا من الإجراءات والمنافذ، التي شرعها لتصفية ظاهرة الرق والاستعباد، والإسلام غير مسئول عن وجود ظاهرة الرق ولا عن نموها وانتشارها، لأنه جاء والظاهرة موجودة بكثرة في الحياة، فرسم المنهج القويم للتخلص منها وإعدامها تماما.

حدث هذا من القرن الأول الهجري السابع الميلادي.

ولم يسمح الإسلام بنشوء حالة واحدة من الرق. لكن ضعف المسلمين -بعد القرون الأولى- لم يمكنهم من منع استمرارها بين الناس بقرار تنفيذي «إداري» حاسم.

أما ما فعلته منظمة الأمم المتحدة فهو المنع بقوة القانون، ولا دخل لها ببعد النظر في تحريم الظاهرة، ولا في سبب تحريمها أصلا، ولا في حكمة التشريع فيها، فهذا كله عمل إسلامي خالص، لم يشاركه فيه أي نظام وضعي، أو نظام له أصل واه بوحي السماء.

وما صنعته منظمة الدول المتحدة انتصار للإسلام على كل الحضارات والأيديولوجيات، وليس قدحا فيه لأن في ذلك اعتراف ضمني من حضارات الغرب بالإسلام وتشريعاته، حيث نادت هذه الحضارات وأقرت ما قرره الإسلام منذ مئات السنين. وكون مفكري الغرب وسياسييه وكتابه ينسبون هذا «الرقي» إلى حضاراتهم فهذه سرقة بالإكراه وسلب لمحاسن الإسلام ومزاياه.

وقد عجزت الأمة «المحامي الفاشل» عن استرداد هذا الحق الإسلامي من مخالب ناهبيه، مع سهولة إجراءات استرداده، وسكتوا عنه تفريطا فيه واستهانة به.

وكان من الممكن إلزام حضارة الغرب، ومجتمعاته بصدق الإسلام وعلو مصدره، لو تحولت الأمة إلى «محام ناجح» وطريق هذا التحول ميسور؛ فالإسلام سلاح لا يهزم من يستعمله بكفاءة وبصيرة. فهزموا وهم قادرون على أن يكونوا منتصرين. وهذا عيب قبيح، وكأنني أقول: إن الشاعر القديم كان يعنيهم بقوله:

ولم أر في عيوب الناس عيبا
كنقص القادرين على التمام

«يتبع»

---

(١) النور (٣٣)

واجبات المسلمين فى غير أوطانهم

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

الإسلام دين عالمى، اشتملت تعاليمه على قوانين السعادة دنيا وأخرى.

وأريد أن أوضح أهم واجبات المسلمين فى خارج أوطانهم، حيث يوجدون فى بلاد غربية أو أجنبية عن بلادهم الإسلامية ويطالعنا فى أولويات واجباتهم أن يكونوا صورة مشرقة لدينهم.

إذ أن غير المسلمين فى المجتمعات الأوروبية والأجنبية لهم نظرتهم لما يأتيه الإنسان تخالف نظرة الإنسان المسلم أو المسلمين فى مجتمعاتهم.

فعلى سبيل المثال، لو أخطأ إنسان فى بلده الإسلامى مثلاً، يقولون فلان بن فلان فعل كذا، ولكنه حين يخطئ، خارج وطنه أو يأتى أمرا غير كريم لا يقولون فلان ولا يعرفون اسمه، ولكن يقولون هذا مسلم، هؤلاء هم المسلمون، فمن أجل ذلك: كان سلوكنا فى أوطان غير إسلامية معبراً عن ديننا وعقيدتنا.

فمن الواجب أن نتمثل الصورة المثلى: فإن الإسلام قد انتشر فى محافل الأرض وأفريقيا لا بالكلام ولا بالوعظ ولا بالإرشاد فحسب وإنما انتشر بالسلوك والقدوة الحسنة.

وتأثير الإنسان الواحد بسلوكه فى مائة شخص، أقوى من تأثير مائة متكلم فى شخص واحد، فمن أجل ذلك، كان علينا أن نكون صورة مشرقة لديننا وعقيدتنا ودستورنا السماوى وهو القرآن وشفيعنا وحبيبنا وقائدنا ورسولنا سيدنا محمد ﷺ.

ولا نتمثل هذه الصورة الكريمة إلا بالسلوك الكريم وبالخلق العظيم الذى حثنا عليه الإسلام والذى دعانا إليه، وطالما ترامت بعض الأخبار فى الصحف أو فى الكتب، أو فى أحاديث الناس فى المجتمعات الأجنبية، وانتشرت دعاوى عن الإسلام لا يقولون إن المسلمين متشددون أو مخالفون لعقيدتهم، ولكن يقولون إن الإسلام دين متشدد، دين دموى، كيف؟ لأنهم شاهدوا بعض ممارسات من بعض أشخاص لا يمثلون الإسلام يحكمون بها على الإسلام.

أبداً العكس صحيح، فالإسلام دين رحمة وجوهر رسالته الرحمة لقد لخص الله - تعالى - وركز وأوجز رسالة سيدنا محمد ﷺ فى كلمة واحد، حينما قال:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾(١).

فكيف يدعى على دين جوهر رسالته الرحمة وما بعث رسوله إلا لينشر الرحمة فى ربوع الدنيا بأسرها، كيف يقال إنه دين متشدد وإنه دين غير حضاري وإنه دين يخالف العلم، وأولى آيات الوحى الإلهى التى صافحت قلب خاتم الأنبياء والمرسلين هى دعوة للعلم والحضارة:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾(٢).

دعوة للعلم والقراءة والحضارة والتقدم، من أجل ذلك كان علينا أن نتمثل فى سلوكنا وفى تصرفاتنا وفى أقوالنا وفى أفعالنا الصورة المثلى لديننا الحنيف حتى لا نظلم هذا الدين وحتى لا يحكم عليه من خلال سلوك البعض ممن أخطأ فيحكم بذلك على الإسلام نفسه ويقال إنه دين غير حضارى أو إنه دين متشدد وإنه دين عنف، وكل هذا لا يمثل الدين فى شىء والعكس هو الصحيح.

فهو الدين الذى دعا إلى التقدم الحضارى وهو الدين الذى قال:

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾(٣).

وهو الدين الذى تنزلت آياته يوم تنزلت، ولم تكن وسائل المواصلات سوى الرواحل والأنعام والدواب فحين قال:

﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٤).

لا كانت السيارة ولا الطائرة ولا الصاروخ، ولكنه قال:

﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٥).

واتضح هذا بعد حين.

وبظل قوله: ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ يتلوها أولادنا وأحفادنا وأحفاد أحفادنا، فيكتشفون الجديد فى الحياة وتطالع عالمنا بالجديد والجديد مصداقا لقول الحق ومصداقا لنبوة أشرف الخلق ﷺ.

إنه ليس دينا دمويا ولا يقر عنفاً ولا إرهاباً ولا قتلاً ولا عدواناً على النفس الإنسانية بأى حال من الأحوال حتى فى القصاص، لقد جعله الإسلام فى يد ولى الأمر حتى لاتكون الحياة فوضى ولننظر إلى رسولنا ﷺ وهو يطوف بالكعبة المشرفة قائلاً «ما أعظمك وما أعظم حرمتك وما أطيبك وما أطيب ريحك، والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك دمه وماله وعرضه»(٦).

وحين ترامى إليه نبأ الصحابى الذى قتل

---

(١) الأنبياء (١٠٧).
(٢) العلق (١).
(٣) فصلت (٥٣).
(٤) النحل (٨).
(٥) النحل (٨).
(٦) اتحاف السادة المتقين ٩/١٧٩، ابن كثير ٧/٣٥٧.

في إحدى السرايا، إنساناً نطق بالشهادة وسأل عنه فقال: ما نطق بها إلا تعوذاً من السيف يارسول الله، فقال: «هل فتشت عن قلبه؟ وماذا تفعل بـ لا إله إلا الله يوم القيامة أقتلته؟ بعد أن قال لا إله إلا الله؟ وظل يقول: وماذا تفعل بـ لا إله إلا الله يوم القيامة؟» حتى قال: وددت أن أمي لم تكن ولدتني بعد[٧].

إنه الدين الذي يصون الدماء، ولو كان أصحابها مشركين قال تعالى:

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾[٨].

إنه دين يحمي الدماء والأموال والأعراض على هذا النحو، دين كانت أولى كلماته اقرأ، دين تلخصت دعوته في الرحمة، كيف ويساء فهمه بهذه الصورة؟!

هذا أول واجبات المسلمين في غير أوطانهم، أن يكونوا صورة مشرقة لدينهم.

أما الواجب الثاني الذي اخترناه من بين هذه الواجبات الكثيرة فهو استقلال شخصية المسلم، ألا يذوب في ركام العادات والتقاليد، ألا يقع فريسة الحضارات والتبعية، فعليه أن يستقل شخصيته، وليس معنى الاستقلال ألا يستفيد من كل ما هو جديد ومفيد. لا، فلنأخذ ما يفيدنا ولنطرح ما يسئ إلينا فالرسول ﷺ نبهنا إلى ذلك.

فليس معنى استقلال الشخصية ألا نأخذ المفيد من المجتمعات البشرية فلنأخذ المفيد، ولنأخذ التقدم الحضاري ولنأخذ بأحدث أسباب التكنولوجيا الحديثة ولكن لا نذوب أخلاقياً ولا عقائدياً ونقع فريسة التقاليد العمياء التي تأسرنا في ضلالها، بل علينا أن نحافظ على أخلاقنا وعلى أبنائنا وعلى بناتنا وعلى هويتنا لأن سيدنا المصطفى ﷺ قال: «لا يكن أحدكم إمعة يقول إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن تتجنبوا إساءتهم»[٩].

هذه هي تعاليم ديننا الحنيف التي تأخذ بأيدينا إلى كل تقدم حضاري وإلى كل جديد، هذه هي تعاليم ديننا الحنيف التي تأخذ بأيدينا إلى كل تقدم حضاري، وألا نذوب وسط عادات ورذائل لا تقع تحت حصر، وألا نقع فريسة التبعية لأي فكر أو حضارة من الحضارات فلدينا من ديننا وحضارتنا ما انتفع به العالم وقبست من نوره الدنيا بأسرها قبل أن تقوم هذه الحضارات.

أما الواجب الثالث على المسلمين في غير أوطانهم من المسلمين، فهو ألا يتنافروا وألا يتخاصموا وألا يختلفوا.

---

(٧) البخاري ٥/١٨٣.

(٨) التوبة (٦)

(٩) مجمع الزوائد ١/١٨٠.

لقد زرت العديد من المراكز الإسلامية في الخارج وكنت أرى، ويا أسفي لما أرى من خصومات واختلافات ولقد كان من الممكن أن يكون المسلمون قوة واحدة في هدوء وسلام.

ولكننا نرى البعض في خلافات وفرقة، بسبب أشياء، ليست فريضة ولا سنة، وأذكر ما قاله أحد الدعاة المخلصين المصلحين، يوم أن اختلف الناس في صلاة التراويح من يقول إنها ثمانية ومن يقول إنها عشرون ووقف وقالوا له أنقذ المسلمين فإنهم يقتتلون، قال: لماذا يكادون يقتتلون؟ قالوا في صلاة التراويح منهم من يريد أن يصليها ثمانية ومنهم من يريد أن يصليها عشرين فقال: فلتصلوها ما شئتم فصلاة التراويح سنة، ولكن وحدة المسلمين فريضة.

إن وحدة الصف أمر واجب علينا فكلنا موحدون والحمد لله، نؤمن بالله ربا وبسيدنا محمد نبياً ورسولاً، لماذا الفرقة والتنافر، لماذا الاختلاف؟ قد نختلف في الرأي، كما اختلف من قبلنا من الصحابة أنفسهم في فهم النصوص، ولقد اختلف الأئمة الكبار العظماء، ولكن كانوا يقولون رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب، وإذا خالف الرأي كلام الله وسنة رسول الله ﷺ، فاضربوا بالقول عرض الحائط! انظروا إلى المسلمين الكبار، وإلى الأئمة العظام، الذين ما سمحوا للخلاف يدب في صفوفهم ولا الخلاف ولا التصدع في البناء الإسلامي، وإنما كانوا مع اختلافهم في الرأي لا يتخاصمون، فالاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية.

ها هو الإمام مالك، حين كلفه الخليفة بأن يقوم بتأليف وتدوين كتاب في السنن والأحكام يكون وسطا ويجمع الناس عليه، وقال له: تجنب شدائد عبدالله بن عمر ورخص ابن عباس وشواذ ابن مسعود، واقصد إلى أواسط العلم ودون كتابه النفيس «الموطأ» وعرضه على شيوخ عصره فوافقوه.

فسماه الموطأ فلما أعجب به الخليفة ورأى فيه الوسطية بأسمى صورها، أراد أن يلزم كل الأقطار الإسلامية به وأن يعلقه في الكعبة، وحين عرض على مالك - وما أحب أن يعرض على أي مؤلف أن يكون كتابه معمولا به في العالم - حين عرض هذا الرأي على مالك خرج إلى الخليفة، وقال له: لا يا أمير المؤمنين، لا ألزم الناس بقولي، فإن أصحاب رسول الله ﷺ اختلفوا في الأمصار الإسلامية وتفرقوا في الأقطار الإسلامية، وعند بعضهم من الأحاديث ما ليس عند الآخر ولبعضهم من الفهم ما ليس عند الآخر، فاترك الناس وما اختاروا ما داموا لم يصادموا نصا من كتاب الله ولا حديثا من أحاديث رسول الله ﷺ.

ثم قال مالك - رحمه الله - مالكا فاترك الناس وما اختاروا مما يناسب عصرهم ومصرهم، ثم قال بالحرف الواحد: (إن اختلاف العلماء رحمة الله بهذه الأمة، كل

ما يرى ما صح به عنده ووكل على هدى، وكل يريد وجه الله) انظروا إلى الدعوة وإلى وحدة الصف.

إننا نعيش الآن عالم الكيانات الكبرى والتكتلات الدولية، فما بال المسلمين يتفرقون في الحياة وما بالهم يتصدع بناؤهم بددا في الحياة، إن الدعوة إلى وحدة الصف أمر هام، إن على الذين يقيمون في غير أوطانهم أن يوحدوا صفوفهم، وأن يكونوا على قلب رجل واحد وأن يعذر بعضهم بعضا، إذا رأى شيئا لا يعجبه ولا يروقه، وأن ندعو بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن نتصافح وأن نتسامح وأن نعفو عن إخواننا فسيدنا المصطفى ﷺ يقول: «إذا كان يوم القيامة ناد مناد، أين الذين أجرهم على الله فلا يقوم إلا من عفا»، فلنعف عن إخواننا، فلنصفح، فلنتسامح، لنستجب لدعوة رسولنا ﷺ «لا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا»[١٠].

إن المسلمين اليوم واجبهم أن يكونوا يدا واحدة، واجبهم أن يشعروا بما يشعر به إخوانهم، وإذا كانت بعض الأقليات تعاني اليوم من سياسة الإبادة والتصفية والتنكيل في كوسوفا وفي غيرها من الأقليات الإسلامية، ولا نريد أن نقول نريد أن ندين ونشجب، ولكن نريد قبل أن تقع الواقعة أن تبحث وكم بعثنا إلى المنظمات الدولية لتقف ولتكن لها وقفة جادة مع أولئك الذين يعيشون في الأرض فسادا، لا نريد أن نكون غثاء كغثاء السيل.

لقد رجا الرسول ﷺ بالقرآن أن يكون أكثر الأمم تابعا يوم القيامة حيث قال: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إليَّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة»،[١١] وقد أصبح أكثر الناس تابعا يوم القيامة، وأصبح المسلمون يمثلون أكثر من خمس سكان العالم، لو توحدت صفوفهم لكانوا أصحاب القرار الضاغط والمؤثر في كل الأرض ولكن يا أسفاه إن تفرقهم وتمزقهم هو الذي جعلهم غثاء كغثاء السيل كما حذرنا رسولنا ﷺ: (يوشك أن تداعى عليكم الأمم، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، قيل: أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: لا، بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من قلوب عدوكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوهن، قيل: وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت)[١٢].

وبالله التوفيق

---

(١٠) فتح الباري ٦/٤٨١، ٤٨٤.

(١١) مسلم ١٣٤، وأحمد ٢/٣٤١، ٤٥١.

(١٢) أحمد ٥/٢٧٨.

إشكاليات التحدى الحضارى (٢)

التحدى الحضارى بين مفكرى الإسلام والمستشرقين

للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى

سادساً : هل يدرس الاستشراق : الشرق : وفق مفاهيم الغرب أو الشرق أو ماذا؟

يرى الغرب : أنه منذ أربعة قرون قام ببلورة المفاهيم الأساسية للبحث، وفى الغرب وحده، تبلورت مفاهيم التاريخ والتجريب والتنمية والتقدم أى كل ما يشكل الميراث الفكرى للإنسان الحديث.. ويرى الغرب أن الشرق لم يساهم فى الميراث الحديث طيلة تلك الفترة وتلك مفخرة يحسبها الغرب لنفسه. لذلك يرى الغرب أن من أغرب الغرائب أن يطلبوا - أى أهل الثقافات المدروسة - من الغرب التراجع عن مفاهيمه وتصوراته ومنهجياته عندما يدرس حضارات الشرق لمجرد إرضاء الشرق.. والأشد غرابة كما يرى الاستشراق : أن يطلب منه تبنى مفاهيم الشرق وتصوراته فى عملية الدراسة، لا ريب فى أن هذه المفاهيم والتصورات ذات قيمة تاريخية عظيمة، بل وعظيمة جداً ولكنها أصبحت الآن من قبل التطور للفكر البشرى، جزءا لا يتجزأ من التراث البشرى العام وهى ذات قيمة تاريخية، فالواقع يجبرنا على الاعتراف بأننا لا نجد للشرق المعاصر أى مساهمة فى بلورة المفاهيم الحديثة والأفكار الأساسية والتأويلات الحديثة للتاريخ والحياة، إنه لم يساهم طيلة القرون الأخيرة بأى شىء منها، ونحن لا نزال ننتظر منه أن ينهض ويقول لنا العكس ويكذب رأينا.

ولكن مادام الشرق فى نظر الاستشراق لم ينجح حتى الآن فى كسر هذه العقدة، عقدة الظنون والاشتباه والضغينة تجاهه والتى تسىء إلى تعاونه الصادق مع الغرب فسوف يظل الخلاف قائما.. لكننا نرى أن الشرق ليس بهذه الصورة القاتمة، إنما الشرق علم وثقافة ومنهج،

وإذا كنا مقبلين على طريق عمل مشترك ومتقابلين على ورقة تحمل صيغة ثقافية مشتركة، فعلينا متآزرين أن نتفق على قواعد منهجية يقوم عليها الحوار المشترك وتكون مرجعية معيارية دون التلويح بالتنابذ والإثارة.

لقد كان الاستشراق أولا أحد الجوانب المتفرعة من عصر التنوير ثم الوضعية والمادية التاريخية الأوروبية، وهو يحمل رؤيته الأوروبية إلى خارج نطاق الغرب للحضارة والتاريخ والسياسة والدين، وللمجتمع والبشر، وقد اعتبر في البداية كعلم واحد متكامل ثم سرعان ما انقسم إلى فروع وتخصصات مستقلة بعضها عن بعض ومتعلقة بمختلف الحضارات الخاصة بالشرق الأفريقي والآسيوي، كل هذه التخصصات راحت تحمل اسم التسميةالعامة: «الاستشراق» وأصبحت هذه التسمية هي القاسم المشترك بينها.

غير أن الاستشراق اتهم من قبل بأنه المساعد والحليف للتغلغل الاستعماري الأوروبي في أرض الإسلام وحاكم الشرق على أصوله ومقاصده ومناهجه ونتائجه وتلك مرحلة خلت حكم فيها الشرق وحاكمه واستبد بآرائه وكان وفق مناهجه، هو، فكيف يطلب من الشرق أن يسلم قيادته مرة ثانية، بل وعليه أن يعلن وصاية الغرب على نفسه، إن الاستشراق من خلال تاريخه في نظر الشرق متهم بأنه كان دائما إما المستكشف الطليعي الذي يسبق الاستعمار ويمهد له الطريق، وإما الحليف والمستشار التقني للتاجر الأوروبي أو للسياسي الأوروبي، أو للمستغل الغربي، إنه أحد المسئولين، إن لم يكن المسئول الأول، عن الشرور التي أصابت الشعوب الشرقية من جراء الاستعمار، غير أن المستشرقين يرون أن هذا الاتهام قد ضخم وبولغ فيه، أما اعتزازهم بالجانب الآخر، وهو الاستكشاف العلمي للحضارات في التاريخ العام للبشرية وقيمة هذه المساهمة، فإن هذه المساهمة وهي من مفاخر الاستشراق ينظر إليها على أنها ساعدت أوروبا على تغلغلها الاقتصادي والسياسي في الشرق الحديث من أجل استعباده واستغلاله وهذا لا ينكر.

ولكن الاستشراق يرى من العدل والإنصاف ألا تعمم هذه الحالات والأحداث الخاصة حتى تشمل الإدانة كل بحوث الاستشراق ومثل هذا التعميم وهو من أخطاء المنهج نتيجة خلط الأمور، إذ من الخطأ والمغالطة في نظر الاستشراق المعاصر أن يكون الباعث الوحيد والأساسي لاهتمام أوروبا بالعالم الشرقي من النواحي التاريخية واللغوية والأدبية كان مرتبطا بالمخططات السياسية والاقتصادية للاستعمار.

ويعترف الاستشراق المعاصر بأخطاء الرعيل الأول من المستشرقين الذين أقاموا في كنف الاستعمار لكنه يرى أنه إذا ما تجاوز الشرق هذا الموقف المغلوط ضد الاستشراق وارتفع مستوى التطور التاريخي للبحث العلمي وابتعد عن الانخراط في المماحكات الجدلية سوف يصبح الجو الثقافي خالصا من المغالطات الثقافية وتحقق المزيد من التقدم والتطور.

أما إذا وقف الطرفان عند قوة الظنون والاشتباه والضغينة تجاه بعضهما ساء الأمر منقلبا.

سابعاً: تجديد مناهج الإسلاميين:

ان تأخر المجتمعات الشرقية منذ بضعة قرون بالقياس إلى المجتمعات الغربية قد أدى إلى عدم تمكنها، حتى وقت قريب، من إنتاج العلماء والباحثين القادرين على انتاج البحث العلمي. اقصد عدم تمكنهم من الاستفادة من تقدم العلم التاريخي وتطبيقه على تاريخهم الخاص بذلك. ومن المعلوم ان تطبيق النقد التاريخي على كل الثقافات والشعوب شئ ضروري ولا يمكن التراجع عنه إنه يمثل حركة التاريخ.

إن دخول الزملاء المسلمين إلى ساحة البحث العلمي مؤخراً سوف يتيح إعادة التوازن هذه وسوف يعين على تقديم صورة مدروسة دراسة علمية واضحة عن تلك المجتمعات المعنية من الداخل لا من الخارج فقط.

ونأمل أن يتم ذلك بروح التعاون والأخوة الصادقة بينهم جميعا وذلك هو الواجب الثقافي.

هناك فرق ولابد أن يكون هناك فرق، بين الطريقة التي يدرس بها المسلم المعاصر تاريخه والطريقة التي يدرس بها المستشرقون، وبعض هذه الاختلافات يعود إلى تعلق بعض المسلمين بالمناهج القديمة لثقافتهم وفقط. وبعضها الآخر يعود إلى بعض العلماء الغربيين وتمسكهم بمناهج معادية لدراسة الدين وبرغم ذلك فإننا نجد أن هؤلاء العلماء قد اختاروا موضوع دراستهم ووجهوا أبحاثهم طبقا لحاجيات البيئات الاجتماعية التي ينتمون إليها وآن الأوان أن يقوم المفكرون الإسلاميون بعبء رسالتهم - وهي مشروع قومي ديني - بتوضيح أنفسهم وشعوبهم وكيفية مواكبة العصر أو ملاحقته.

ثامناً: الدعوة إلى إنشاء علم الاستغراب:

يرى المستشرقون: أن نقطة اللقاء بين المستشرقين والشرقيين تتركز حول تعلم المسلمين المناهج الحديثة في البحث العلمي وهم بذلك يكملون مناهج الاستشراق في البحث وقد يصححونها.

ويرى الإسلاميون: أن نقطة اللقاء بينهم تتركز حول عدم اقحام المناهج المعادية للدين وإن استجاب الاستشراق لذلك كملت حلقات التلاقي.

وإذا كان الإسلاميون يتزعجون من تطفلنا على مجال دراستهم وأنهم أولى بذلك منا فإنه ينبغي أن يعرفوا أيضا أن الاستشراق الأوروبي هو الذي أخذ المبادرة في العصور الحديثة لدراسة تاريخهم الخاص، وأنه لولاه لكانوا عاجزين عن أن يقولوا عن ماضيهم نصف ما يستطيعون قوله اليوم، بطريقتهم الخاصة.

فنحن لا نزال نمتلك حتى الآن الميزة المتفوقة التالية: أننا قادرون على الاهتمام بتاريخ شعوب العالم وليس فقط بتاريخنا الخاص.

بمعنى آخر: فإننا نقدم لدراسة كل من هذه الشعوب حسا تاريخيا عاما ولا يستطيع الشرقيون أن يمتلكوا ما يوازيه ماداموا عاجزين عن توليد علماء الاستغراب، وهكذا يتقاذفون سهام النقد الجدلي عن قوس خاب بارية.

يطرح فرانسيسكو جبرائيل سؤالاً - كثيراً ما يردده الشرقيون على سمع المستشرقين - وهو:

على فرض أن لكم بعض الفضل فى دراسة ماضينا. فماذا تفعلوا بحاضرنا؟

فحاضرنا يطرح عليكم همه ومشكلته منذ الآن فصاعداً ويفتح بيننا وبينكم أزمة أنه يشكل أزمة، فهذا الشرق يريد أن يدخل التاريخ من أوسع أبوابه أنه يريد أن يخرج من هامشيته، وهذا الشرق المنبعث الآن يقف أمامكم بكل مشاكلة وحاجياته ورغبته العميقة فى تذوق ملذات هذا العالم وأطايبه. وهو رغبة لم تشبع بعد كما حصل عندكم فما هى نوعية اهتمامكم به؟ وما هى الوسيلة التى ستستخدمونها لدراسته ومساعدته بعد أن قضى على قمعكم البشع واستعماركم؟

وكيف يمكنكم أن تطمعوا بعد الآن فى كتابة تاريخنا وتحليل مشاعرنا وآمالنا عن طريق منهجيتكم القديمة المصبوغة بالعرقية المركزية الأوروبية؟

ومن المعروف أن هذه المنهجية، أو ذلك التصور هو الذى أتاح لكم أن تعتبروا أوروبا محور التاريخ العالمى ومركزه، هذا مع العلم أنها قد أصبحت الآن فى طريق الانحطاط العرقى تلك التى أخرجت قضية العلاقات الثقافية بين الإسلام والاستشراق عن الموضوعية إلى المناظرة والمساجلات الجدلية.

إن هذه التساؤلات والاحتجاجات الغاضبة تعكس أسلوب الهياج الصارخ والعواطف الغاضبة التى حكمت لغة حوار ذميم وقع فيه الطرفان.. لكن بعد دخول المفكرين الإسلاميين حلبة البحث العلمى. وأصبحت ذاتا فاعلة على مسرح التاريخ وليس فقط ذاتا سلبية منفعلة تدار أمورها من الخارج تستطيع أن تناقش قضاياها والقضايا المشتركة بهدوء وتعقل.

يقول كلود كاهين: إننى أعترف بأن المستشرقين كانوا قد ركزوا اهتمامهم أكثر مما يجب ـ وفى غالب الأحيان ـ على بعض الفترات التاريخية أكثر من غيرها،وهى الفترات التى بدت لهم أكثر إشعاعا وإشراقا من غيرها، وهكذا أهملوا فترات تاريخية أخرى أكثر حداثة من حيث الزمن، وهى لا تقل أهمية من أجل فهم العالم الحديث للشعوب العربية والإسلامية إذا ما نظر إليها من وجهه نظر معينة أو من زاوية أخرى. ولن ينبغى أن لا تقع فى التطرف المعاكس فلا تهتم إلا بالتاريخ الحديث وتهمل القديم. فلكى ننمى الوعى القومى لشعب ما، ولكى تساهم فى انطلاقة ثقافته الجديدة، فإن أفضل وسيلة ليست بالضرورة استخدام تاريخه الحديث وإنما تاريخه القديم والمنسى.

وهذا التحدى يرتهن علاجه بالنظر فى المناهج الجامعية وفتح أقسام علمية تتابع بعمق وبجدارة العلاقات الثقافية بين الإسلام والغرب وعلى الأزهر أن يطور من نفسه ليتحمل عبء تلك الرسالة بمنهج ناضج رشيد ولا أدرى إن قلت: عليه متابعة التواصل الثقافى للشعوب جميعها، هل أكون واهماً؟.

كتاب الشهر

انتشار الإسلام بحد السيف

بين الحقيقة والافتراء

تأليف

د/ نبيل لوقا بباوى

١

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

مازال الخلاف بين المنادين والمفكرين قائماً حول صدق مقولة (التاريخ يعيد نفسه) ولكل أدلته وتعليلاته وتفسيراته.

ولكن ما تردده أجهزة الإعلام الغربية اليوم من صيحات محمومة، وادعاءات صارخة تعتمد على تصريحات زعمائه وقادته لتخويف الشعوب من الإسلام وتنفيرها منه.. حين شعرت أن هناك من هذه الشعوب توجهاً لقبول الإسلام ديناً حضارياً يلائم الفطرة الإنسانية؛ فنهض هؤلاء القادة والزعماء صالحين فى كل مناسبة، يرددون: إن الإسلام يعادى الحضارات، ويدعو إلى الإرهاب، ولا يعرف إلا الحرب؛ مستغلين ـ فى ذلك ـ بعض النصوص القرآنية المبتسرة، مثل قوله تعالى:

﴿ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾(١).

أقول: إن ما تردده أجهزة الإعلام الغربية اليوم من ادعاءات وافتراءات إن هو إلا تأكيد لهذه المقولة؛ إذ هو فى مجمله وتفصيله تكرار لما ادعاه أجدادهم من قبل وما افتروه على الإسلام ـ إزاء مده وانتشاره ـ بين كل الفئات لينفِّروا شعوبهم من الإسلام، ويقدموه إليهم مشوهاً، كريهاً، بغيضاً، مفزعاً.

فما يردده اليوم زعماء أمريكا وأوروبا من أوصاف ينعتون بها الإسلام ليصرفوا شعوبهم عنه من جهة، وليبرروا غزوهم بلاد المسلمين من جهة أخرى، إن هو إلا صدى لما ردده زعماء الغرب فى النصف الثانى من القرن الحادى عشر الميلادى، وما تضمنته خطبة البابا (أربان الثانى) من إثارة الجماهير الأوروبية، وحضهم على النفور لغزو بلاد المسلمين؛ درءاً لما يتهددهم بالإسلام، وفتحاً لآفاق جديدة تشبع حاجاتهم، وتخفف من حدة فقرهم وعوزهم؛ ناسباً تلك الدعوة إلى الرب بترديده عبارة (Deuslo Volt) . أى: الرب يريدها. تلك العبارة التى أصبحت فيما بعد شعاراً يردده الصليبيون، حيث تطورت تلك الحرب ـ بعد نحو قرن ونصف ـ ليصبح اسمها (الحرب الصليبية) بعد أن كانت تحمل اسم (الحملة، والرحلة إلى الأرض المقدسة، والحملة العامة، ومشروع يسوع المسيح)، حتى إن كثيراً من قادة الغرب ومفكريه اليوم يتداعون إلى استئناف حرب صليبية جديدة، يستعيدون بها تسلطهم على بلاد المسلمين.

وما ردده هؤلاء اليوم، وردده أولئك الأسلاف منذ القرن الحادى عشر إن هو إلا صورة لما ردده من ناهضوا الإسلام، منذ بزوغ فجر الإسلام، من مشركين ووثنيين، ويهود، وأروام مسيحيين، وفرس مجوسيين، على الرغم من اختلاف مشاربهم، وتباين مواطنهم، وتنوع مقاصدهم؛ فقد توحدوا جميعاً تحت مقصد واحد، هو القضاء على المد الإسلامى، والاطمئنان على ما حاز كلٌ من سلطة وسلطان.

وإذا كان من بين المنصفين ومحقى الحق فى الطورين الأول والثانى من نهض يدفع تلك المزاعم والمفتريات، سالكاً طريق الحوار والجدل، فإن من بينهم من نهض فى العصر الحديث، يدحض تلك المزاعم، بعد طول أناة وريث، أوقفاه على حقيقة الإسلام التى شاء هؤلاء وأولئك أن يخفوها عن عامة الناس.

---

(١) البقرة (١٩٠).

صوت الواقع أوضح من صوت الفكر

ولعل من أبرز من سعوا وراء الحقيقة الإسلامية من معاصرينا الأستاذ الدكتور نبيل لوقا بباوى الذي تحمل عناء الرجوع الواعي إلى شتى المراجع والمصادر، بعد أن جرد فكره من الغرض المسبق، وخلع عن عقله ركام التعصب الأسود البغيض، وهيأ نفسه لتحمل ما قد ينتظره من إعنات وضيق. ثم قدم خلاصة ما أوصله إليه مسعاه هذا في كتاب قدمه تحت عنوان (انتشار الإسلام بحد السيف بين الحقيقة والافتراء).

أما الدكتور فمما عُرف به نفسه في ظهر كتابه أنه حاصل على الدكتوراه في القانون، ودكتوراه في الاقتصاد، وبعد الدكتوراه في الشريعة الإسلامية، وأنه عضو جماعة الإخاء الديني، وعضو المجالس القومية المتخصصة، وعضو اللجنة الاقتصادية بالحزب الوطني، وأنه أستاذ القانون بكلية الشرطة والحقوق. ورئيس مجلس إدارة مجموعة شركات الباوى.

مما يومىء إلى أن الدكتور ذو فكر علمي متوثب، وأنه ذو حس اجتماعي متطور، وأنه أستاذ قانوني مجتهد، وأنه قد أوتي من المال ما يمنعه من احتمالات الشبهات والشكوك.

وأما الكتاب فيقع في ثنتين وتسعين ومائة صفحة من القطع المتوسط، ويضم خمسة أبواب، تشتمل على خمسة عشر فصلاً، طبع في مطابع الأهرام بمصر، ونشرته دار الباوى للنشر بمصر سنة ٢٠٠٢م.

وحرصاً من الدكتور نبيل - فيما يبدو - على أن يغلق أمام المتلقين باب الجدل الذي لا ينتج سوى الطنطنة، جمع في كتابه بين منهجي التأمل الفكري، ووصف الواقع، حيث رأى أن المنهجين يكفلان له الوقوف على الحقيقة التي عمل على طمسها أعداء النور في أجيال متلاحقة، وقرون متطاولة.

وإذا كان واقع الدكتور نبيل - بشهاداته العلمية، ومكانته الاجتماعية، وممارسته العملية - يحميه من دعوى أنه مأجور، فإن تصريحه الحاسم في مقدمته يقيه من زعم أنه ارتد عن دينه، واعتنق الإسلام؛ فقد قال في مقدمة كتابه: «ورغم أنني قبطي أرثوذكسي أعتز بمسيحيتي، إلا أنني وجدت من واجبي الوطني أن أبين الحقيقة فيما يدعيه بعض المستشرقين الغربيين من أن الإسلام انتشر بحد السيف».

ومن هنا.. سلك الدكتور - في كتابه - نهجاً قد يمتاز به عن غيره، وذلك أنه تناول كل مبحث من وجهتين؛ أولاهما: العرض التاريخي المستقى من مختلف المراجع والمصادر. وثانيهما: تقديم ثمرة رؤيته المتفحصة المتأملة.

هل ينسب إلى المسيحية تعصب الكاثوليك؟!

وفي المقدمة يبدأ الدكتور دراسته باستعراض مجمل لما شب من حروب دامية بين المسيحيين الكاثوليك والمسيحيين البروتستانت إثر قيام الراهب (مارتن لوثر) بإنشاء مذهب (البروتستانتية) بعد أن فاض به الكيل من صكوك الغفران التي كانت تمنح للبعض من أجل جمع الأموال، بعد أن أصبحت تلك الصكوك تجارة رابحة للكهنة؛ مما أضعف الإحساس بالندم الذي يجب أن يشعر به مرتكب الخطيئة، ومما جعل الخطيئة

تبدو أمراً تافهاً، يمكن تسويته ودياً بعد صفقة مع تاجر يتاجر في صكوك الغفران.

لذلك.. قام (لوثر) بثورته الدينية بعد أن تعلم أصول الديانة المسيحية في دير (أوغسطين) بمدينة (فنتبرج) بألمانيا؛ فأصدر (ليو) العاشر البابا الكاثوليكي أمراً بأن تحرق علناً كل مؤلفات (مارتن لوثر) وكتبه في عام ١٥٢٠م، بعد بدء انتشار (البروتستانتية).

ثم صبت ألوان العذاب على معتنقي البروتستانتية؛ فشدت أطراف بعضهم حتى اختلعت، وأحرق بعضهم حتى غدت أجسادهم رماداً، وشوى لحم بعضهم فوق الأعمدة، أو مزقوا إرباً بكماشات ملتهبة، وشنق آخرون فوق الأشجار، وقذف بالكثيرين منهم في غياهب السجون.

وقد ذكر (ول ديورانت) طرفاً من ألوان هذا العذاب في كتابه (قصة الحضارة) في المجلد الثاني عشر.

وأومأ الدكتور إلى أن هذه الحرب التي شنها المسيحيون (الكاثوليك) على المسيحيين (البروتستانت) منذ مطالع القرن السادس عشر لم يخمد أوارها إلى اليوم، فمازالت مشتعلة بين الطائفتين في (أيرلندا).

وتساءل الدكتور: أهذا الذي يصنعه المسيحيون (الكاثوليك) يمكن أن ينسب إلى المسيحية السمحة، أو ينسب إلى المسيحيين جميعاً، أم أنه ينسب إلى أصحابه فقط؟!

ثم سأل بعض المستشرقين الذين يتصيدون أخطاء بعض المسلمين، وينسبونها إلى الإسلام في أصوله، وإلى المسلمين في عمومهم، داعياً إياهم إلى أن يرجعوا إلى ما قاله السيد المسيح في إنجيل لوقا: (إصحاح ٦ آية ٤١):

«أخرج أولاً الخشبة من عينك، وحينئذ تبصر جيداً أن تخرج القذى الذي في عين أخيك».

انتشار الإسلام في عهد الرسول ﷺ

وعقد الدكتور الباب الأول لتتبع بدء الدعوة إلى الإسلام، وكيفية انتشاره في أول أمره؛ فمهد لذلك بالحديث في الفصل الأول عن مولد الرسول ﷺ؛ مستعرضاً في ذلك وصف طبيعة البيئة المكانية التي استقبلت مولد محمد ﷺ وطبيعة البيئة الزمانية كذلك، مشيراً بذلك إلى أن البيئتين ساعدتا على انتشار الإسلام ذلك الانتشار المحدود الذي يلائم طبائع الأشياء مع البدء وما يناسبها.

وقد اعتمد الدكتور في وصف هاتين البيئتين على ما التقت عليه المصادر والمراجع التاريخية والجغرافية العامة والخاصة؛ منبهاً إلى ما ووجهت به الدعوة - منذ لحظة الجهر بها - من صد وكيد وعدوان. اضطر إزاءه الرسول ﷺ إلى الإذن للمسلمين بالهجرة إلى الحبشة مرتين، ثم الهجرة العامة إلى يثرب - التي أصبح اسمها المدينة المنورة - ليواجه هناك مكر اليهود وتدابيرهم، ويضطر هو والمسلمون إلى مواجهات لم تكن في الحسبان.

ففي الفصل الثاني (الدفاع عن الدعوة وموقف اليهود) قدم عجالة تاريخية، تحكي سيرته ﷺ في المدينة بعد أن تتابع وصول المسلمين، واستقر جمعهم في المدينة، وأشار إلى عقد التآخي بين المسلمين - المكيين والمدنيين - وعقد الأمان بين المسلمين واليهود.

ثم خلص من ذلك لتقديم هذين العقدين، وتبيان دورهما في إشاعة الأمن والسلام بين طوائف المدينة الثلاثة؛ طائفة الأنصار، وطائفة المهاجرين، وطائفة اليهود، فذكر:

أن أبرز ما يقوم عليه عقد التحالف بين المهاجرين والأنصار يتمثل في الجمع بين جميع المسلمين على اختلاف قبائلهم في رابطة واحدة، جعلتهم أمة واحدة، يلتزمون فيها بالتعاون فيما بينهم على الباغي والظالم منهم، حتى لو كان والد أحدهم أو ابنه، وتحمل كل طائفة فداء أسيرها بالمعروف والقسط والعدل بين المؤمنين.

وأن أبرز ما يقوم عليه عقد الأمان مع اليهود يتمثل في: تأمين اليهود على حياتهم، ودينهم، وأموالهم، وتساويهم مع المسلمين في المصلحة العامة، والتمتع بما للمسلمين من حقوق، والتخيير الكامل لليهود المقيمين بالمدينة بين البقاء على دينهم وممارسة شعائرهم في حرية تامة، وبين الدخول في الإسلام، إذا رغبوا في ذلك.

وأعقب الدكتور ذلك بتساؤل صارخ: أين هو الإجبار إذن على الدخول في الإسلام؟! وأين هو حد السيف الذي انتشر به الإسلام؟!

واتبع هذين التساؤلين بقوله: لقد كان في مقدور محمد ﷺ أن لا يعطي لليهود حق الاختيار الحر، وكان يستطيع أن يفرض الإسلام بحد السيف؛ لأن عدد المسلمين ـ أنصار أو مهاجرين ـ كان أضعاف عدد اليهود الموجودين في المدينة، ولكن النص القرآني صريح في النهي عن الإجبار على اعتناق الإسلام. وذلك قوله تعالى:

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ ﴾[2]

وما يرد في القرآن لا يجوز للرسول ولا للمسلمين مخالفته.

تداعي القوى لفرض الحرب على محمد ﷺ

١ ـ ووقف الدكتور نبيل مع الرسول ﷺ في المدينة المنورة، بعد أن وضحت العلاقة بين المهاجرين والأنصار من جهة، وبين المسلمين واليهود من جهة أخرى.. وقف الدكتور معه ﷺ في أناة الناقد المحايد البصير أمام أربعة من أبرز الأحداث، فرآه ﷺ في أول مواجهاته مع قوى الشرك المعادية في موقعة بدر ـ وتعد الموقعة الحربية الأولى بينه وبين مشركي مكة ـ محاولة لاسترداد بعض ما اغتصبه القرشيون في مكة من أموال المسلمين ومنازلهم عند مهاجرهم، حيث نهض ﷺ على رأس نحو ثلاثمائة مسلم لاعتراض القافلة التجارية القرشية في طريق عودتها من الشام، فتمكن أبوسفيان من تهريب القافلة بعيداً عن طريق المسلمين، وأرسل إلى قريش مستنجداً، فأرسلوا له جيشاً في نحو ألف مقاتل، أملاً في القضاء على المسلمين، ولكن عقيدة الإيمان منحت المسلمين قوة فوق قوتهم، فتمكنوا بعون الله من هزيمة قريش، وتحقيق أعز نصر وأخطره، فقد ارتفع به شأن المسلمين في نظر القوى المجاورة ـ على اختلاف مشاربها ـ وتضاءلت هيبة قريش، وضعفت شوكة اليهود

(٢) البقرة (٢٥٦)

داخل المدينة . أمام الامتزاج العضوى والمعنوى بين المهاجرين والأنصار.

وانهى الدكتور تأملاته تلك بتقرير صريح حاسم، مفاده : أن معركة بدر لم تكن لنشر الإسلام بحد السيف، بل كانت تعرضاً لقافلة تجار مكة ليأخذ المسلمون جزءاً من أموالهم التى اغتصبها المكيون منهم عند هجرتهم.

٢ - ووقف الدكتور هذه الوقفة الناقدة المتأملة المحايدة مع الرسول ﷺ مرة ثانية فى موقعة أحد، فوجد أن قريشاً بقيادة أبى سفيان أرادوا الثأر لهزيمتهم فى موقعة بدر، واستعادة ما أهدر من هيبتهم، وتأمين طريق تجارتهم إلى الشام، ومحاولة القضاء على الدعوة الإسلامية فى مهدها، قبل أن تشتد قوتها، وتكسب أرضاً جديدة فى شبه الجزيرة العربية.. فأعدوا جيشاً ضخماً بلغ أربعة أضعاف قوة المسلمين، نزل عند جبل أحد بالقرب من المدينة لغزوها، ومهاجمة المسلمين فى بيوته.

وقد بلغ الحقد والكراهية بالقرشيين درجة فاقت كل تصور، حيث اندفعت هند بنت عتبة، زوج أبى سفيان، فبقرت بطن حمزة بن عبدالمطلب حين قتل، وانتزعت قطعة من كبده أخذت تلوكها فى فمها، واندفع وراءها الآخرون يمثلون بجثث المصابين بطريقة وحشية.

ومن هنا.. قرر الدكتور أن موقعة أحد كانت دفعاً لعدوان مهاجم؛ فكانت دفاعاً عن النفس، ودفاعاً عن الدعوة الإسلامية فى الوقت ذاته، وأن محمداً وصحبه ألجئوا إلى الحرب على غير رغبة منهم.

٣ - وتأمل فى أبعاد واقعة الخندق (الأحزاب)، وما واكبها من أحداث، وما لابسها من ظروف.. فلاحظ أن اليهود كانوا هم المحرضين الأساسيين عليها؛ حيث أغروا قريشاً بالتحالف مع قبائل العرب، والانقضاض على محمد ومن معه فى المدينة، وسعوا إلى قبيلتى غطفان وبنى مرة ليتحالفوا مع قريش، ثم دعموا ذلك بتحريض قبائل سليم، وأشجع، وفزارة، وسعد، وأسد؛ لينهضوا مع قريش فى معركتهم مع محمد ﷺ، واتفقوا مع هؤلاء الأحزاب المتحالفين من العرب على أن يقوموا هم بدورهم فى المعركة، فيطبقوا على المسلمين من الجهة الأخرى، فتكون الضربة القاصمة، وبذلك يتحقق للجميع مآربهم ويقضى على القوة الإسلامية والدعوة الإسلامية فى آن واحد.

ولم يكن أمام الرسول ﷺ إلا أن يستجيب لرأى سلمان الفارسى بحفر خندق من الجهة الشمالية لمنع الأحزاب من دخول المدينة.

ولما وجد يهود المدينة - بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة - ضخامة جيش الأحزاب، وأدركوا أن ما أصاب المسلمين فى المدينة من ضوائق مع طول الحصار.. يعنى انتصار الأحزاب، والقضاء الباتر على المسلمين.. عندئذ تنصلوا جميعاً مما كان بينهم وبين محمد ﷺ من عهود ومواثيق، واتصلوا بقيادات الأحزاب لتنسيق عملية الهجوم على المدينة.

ولكن عون الله كان أقوى من تدبيرهم، فأرسل عاصفة شديدة، اقتلعت خيام الأحزاب، وألقت الرعب فى قلوبهم، فقرر أبوسفيان فك الحصار والعودة إلى مكة بجيوشه، فذاع صيت محمد ﷺ والمسلمين بين العرب جميعاً، ورأوا فيما حدث نصراً للإسلام مؤزراً.

وخرج الدكتور نبيل من تأملاته تلك ليقرر أن موقعة الخندق ـ بما حققته من كسب للإسلام ـ لم تكن من تدبير محمد ﷺ وأنه ما قام فيها إلا بتدابير الدفاع عن النفس، والدفاع عن الدعوة الإسلامية.

٤ ـ وختم الدكتور نبيل تأملاته تلك بالنظر في صلح الحديبية، فرأى أن هذا الصلح في ذاته يعلن صراحة أن الإسلام لم ينتشر بحد السيف، وأن محمد ﷺ لا ينطوي على رغبة في الحرب، ولكنه يجنح دائما إلى السلم، حتى تفرض الحرب عليه فرضا.

فقد رأى أن رسول الله ﷺ أراد أن يظهر لعرب الجزيرة تعظيم الحج والعمرة، حتى يعرفوا جوهر الإسلام الذى اعتبر الكعبة المشرفة قبلة الصلاة، فتوجه ومعه ألف وأربعمائة من رجاله إلى مكة لأداء العمرة، وليس للحرب ولا لفرض الإسلام عليهم بالقوة، كما يدعى المدعون.

ولقد كان في مقدوره ﷺ ـ حين منعه القرشيون من دخول مكة ـ أن يدخلها عنوة، ولكنه ﷺ جنح إلى السلم، وأرسل إليهم عثمان ابن عفان رضى الله عنه لمكانته فيهم، حتى يقوم بدور السفارة بينه وبين قريش، ويوضح لهم أنه ما جاء محاربا، فاحتجزوه أسيرا.

وعندما شاع بين المسلمين أن قريشا قتلوا عثمان دعا النبى ﷺ إلى مبايعته على قتال قريش ثأرا لعثمان، فبايعه المسلمون تحت شجرة في الوادى، فلما علمت قريش بذلك أعلنت أن عثمان لم يمس بسوء، وأوفدت رسولاً من قبلها يطلب من محمد ﷺ التصالح مع قريش، وإرجاء العمرة إلى العام القادم، فكان عهد الحديبية الذى أظهر بعد نظر محمد ﷺ وحكمته وحنكته، السياسية، حتى الظهر ـ بمرونته ـ قريشا أمام العرب في هيئة المعتدى الذى يمنع زيارة البيت الحرام وأظهر الإسلام دينا سمحا، وكسب للإسلام مناصرين في كل قبيلة، حتى شعر القرشيون أنه سوف ينتشر، فأسرع كثير من قادة قريش إلى اعتناق الإسلام. ثم ختم الدكتور تأملاته تلك بتساؤله: فأين هو حد السيف في انتشار الإسلام. وإقبال قادة قريش على اعتناقه؟!

وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله

وانتقل الدكتور نبيل مصطحبا تأملاته إلى المدينة المنورة ثانية، لينظر فيما آل إليه عهد الأمان بين محمد ﷺ وبين يهود المدينة فتوقف أمام ما كان من يهود بني قينقاع من نقض عهد السلم مع المسلمين الذى أعطاهم الأمان على شعائرهم وأموالهم، ولهم مثل حقوق المسلمين، وكان من أهم بنوده قيام حلف عسكرى بين المسلمين واليهود لرد الاعتداء على المدينة وأن يشترك الطرفان في نفقات الحرب، شرط أن تكون الحرب مشروعة، وأن يتشاوروا قبل أن يدخل الحرب أى طرف.

ولكن يهود بني قينقاع نقضوا هذا العهد ـ كما نقضه جميع يهود المدينة ـ وأخذوا يثيرون الشكوك حول النبى ﷺ ويطعنون في الإسلام بقيادة شاس بن عدى، وشاس بن قيس، ورافع بن أبي رافع.

وحاولا إثارة الحقد والكراهية ببث الفتن بين الأوس والخزرج، حيث أوعز شاس بن قيس إلى

أحد فتية اليهود فجلس مع جماعة من الأوس والخزرج، وأخذ يذكرهم بما كان بينهم من حروب ونزاع، حتى رفع بعضهم السلاح في وجه البعض الآخر، وكادوا يقتتلون لولا تدخل الرسول ﷺ في الوقت المناسب، فألقوا السلاح، وعادوا إلى بعضهم.

وكانوا دائمي التهجم على الله - سبحانه وتعالى - ، والسخرية من القرآن الكريم والرسول ﷺ ، حتى إن أبا بكر الصديق لم يتمالك نفسه، فضرب وجه فنحاص اليهودي، حين قال له: «والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر، وإنه إلينا لفقير، وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وإنا عنه لأغنياء، ولو كان غنيا عنا ما استقرضنا أموالنا، كما يزعم صاحبكم؛ ينهانا عن الربا ويعطيناه، ولو كان غنيا عنا ما أعطاناه».

وأنهم لعبوا دورا كبيرا في شن الحرب النفسية على المسلمين لهزيمتهم في موقعة أحد للنيل من عزيمة المسلمين، كما قاموا بتحريض قريش على محمد ﷺ ، فكان أبو عفك اليهودي ينشد الشعر طعنا في المسلمين، وتحريضا لقريش عليهم، وقاموا بانتهاك حرمات المسلمات ظنا منهم أنهم في منعة، واستغلالا منهم لجنوح محمد إلى السلام.

لذلك.. كان على الرسول ﷺ أن يؤمن جبهته الداخلية، فيرحل اليهود عن المدينة؛ فلم يكن غرضه ﷺ الحصول على الغنائم، كما يقول بعض المستشرقين، وعلى رأسهم «مرجليوث».

ولو سأل هؤلاء المستشرقون أنفسهم: ما الذي يصنعه أي حاكم في أي دولة متقدمة الآن مع من يعملون على تخريب جبهته الداخلية ويقومون بالتجسس عليه لحساب أعدائه، لما قالوا ما قالوه عن محمد ﷺ ، بل إنه لو قتلهم جميعا - كما رأى بعض الصحابة - لما كان في تصرفه أي تجاوز، فهذا ما تفعله كل الدول المتحضرة في هذا العصر الحديث.



مار جليوث

ولكنه ﷺ وافق على ما طلبه عبدالله بن أبي ابن سلول: أن يغادروا المدينة أحياء إلى منطقة أذرعات في شمال الحجاز، على حدود بلاد الشام، دون أن يمسهم أحد.

يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين

ولما تأمل الدكتور نبيل تصرفات يهود بني النضير مع محمد ﷺ - وهم ممن عاهدوا محمدا على الأمان والتعاون - وجد أنهم تجاهلوا ذلك العهد، وانضموا إلى جبهة مشركي مكة بالعون والمناصرة، ورفضوا الاشتراك مع رسول الله ﷺ في موقعة أحد بحجة أن القتال يدور يوم السبت، وأن العهد ينص على المشاركة في الدفاع عن المدينة، وأحد يقع خارج المدينة، متجاهلين أن موقعة أحد كانت لمنع قريش من دخول المدينة.

ووجد الدكتور أن يهود بني النضير لما علموا بخروج محمد ﷺ في عشرة من كبار الصحابة إلى منطقة قريبة من قباء لدفع دية أسيرين من المسلمين، حاول يهود بني النضير اغتيال الرسول ﷺ بأن يلقي عمرو بن جحاش صخرة عليه من

أعلى جدار، رتبوا أن يجلس بجواره، ولكن الرسول ﷺ فضح مؤامرتهم، وغادر المكان عائدا إلى المدينة، فانكشفت التي تعلن - مع ما يجرى اليوم تحت سمعنا وبصرنا - أن الغدر صناعة يهودية منذ أربعة عشر قرنا.

وقد كان في مقدور الرسول ﷺ - إزاء ذلك كله - أن يقتل جميع بني النضير، ويتخلص من غدرهم ومكرهم. ولكنه ﷺ أنذرهم بالجلاء عن حصونهم خلال عشرة أيام، فرفضوا الإنذار، وأخذوا يستعدون للقتال، فرمموا حصونهم وأقاموا متاريسهم، وأمدوها بالسلاح، وزودوها بمؤن تكفي أشهرا طويلة، فحاصرهم الرسول ﷺ حتى استسلموا ووافقوا على الجلاء عن المدينة، كما شرط عليهم أن يخرجوا بكل شيء يريدون حمله من أملاكهم، على أن لا يحملوا معهم أي سلاح فخرجوا يرقصون ابتهاجا وسرورا بما توصلوا إليه؛ لأنهم يدركون مدى ما حاولوا الكيد به للإسلام والمسلمين.

وقد كان في مقدوره ﷺ ورجاله أن يتخلصوا من جميع بني النضير بالقتل ويريحوا أنفسهم من مكرهم وغدرهم ويغنموا كل أملاكهم ولكن الرسول ﷺ وعدهم بعدم التعرض لهم، وأوفى بوعده..

فما كان داعيا للإسلام بقوة السلاح، ولا كان في مسلكه كارها اليهود، ولا ساعيا وراء مغنم.

وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم

ومن تأمل الدكتور نبيل ما كان من يهود بني قريظة الذين بقوا في حصونهم على حدود المدينة، تبين أنهم لم يهدأ لهم بال وهم يرون الإسلام ينتشر، ويرون أن المدينة كادت تخلص للمسلمين بعد خروج من خانوا العهد من إخوانهم.

وتبين أنهم أخذوا يدعون القبائل المختلفة للنهوض مع قريش في جيش يقضي على محمد وصحبه، واعدين إياهم بمناصرتهم وتأليب المنافقين في داخل المدينة للانقضاض من الداخل على المسلمين، فلا يستطيعون الخلاص، ولا يجدون لهم مهربا.

وتبين أن المسلمين لما حفروا الخندق، وحاصرت جيوش الأحزاب المدينة من الشمال والجنوب، نقض بنو قريظة عهدهم مع محمد ﷺ، فمنعوا عنهم الطعام والمؤن، وظاهروا المشركين، وتعاونوا معهم؛ فجعلوا من أنفسهم عيونا على المسلمين يكشفون عوراتهم للعدو، مكونين مع المنافقين في داخل المدينة جيشا آخر ليضعوا المسلمين بين فكي كماشة.

ولما انقشعت جيوش المشركين، وعادت كل قبيلة أدراجها، كان على محمد أن يعود إلى بني قريظة ليصفي حساباته معهم.

وكان في مقدوره أن يقتلهم جميعا ليتخلص منهم ومن مكائدهم وخياناتهم، ولكنه جنح إلى السلم - كذلك - واستجاب لرغبتهم ووافق على أن يختاروا من شاءوا ليحكم فيهم، فاختاروا بكامل إرادتهم سعد بن معاذ ليحكم بينهم.

وبعد استماع سعد لوجهة نظر اليهود فيما كان، وسماع وجهة نظر المسلمين، حكم سعد بقتل الرجال، وسبي النساء، وتقسيم الأموال.

وبتنفيذ هذا الحكم قضى على شوكة اليهود،

استكمالا لحماية الدولة الإسلامية الناشئة من خيانة اليهود المتواصلة، على نحو ما قدره الواقع، وصوره القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾(٣).

فالتخلص من يهود المدينة لم يكن طمعا في أموالهم، ولا فرضا للإسلام عليهم، ولكنه كان دفاعا عن النفس لتأمين مستقبلهم وحماية للدعوة الإسلامية من مكائد اليهود التي لا تنتهي.

أما يهود خيبر المقيمون في حصونهم المنيعة في مسافة نحو ثمانين ميلا شمالي المدينة، والذين انضم إليهم يهود بني النضير بعد جلائهم عن المدينة، فقد رأى الدكتور نبيل كيف سعوا إلى بني عمهم اليهود من تيماء، وفدك، ووادي القرى للتساهل للإغارة على المدينة والقضاء على الإسلام، وعلى الرسول ﷺ في معقله.

ورأى أن النبي ﷺ عندما علم بذلك قرر معاجلتهم، والتوجه إليهم بقواته، لأن الهجوم خير وسيلة للدفاع عن المدينة.

ورأى كذب ما ادعاه بعض المستشرقين من أمثال «مرجليوث» أن المسلمين لم يهاجموا خيبر إلا رغبة في الحصول على أموالهم؛ لأنهم لو كانوا كذلك لاستولوا على أرضهم، ولما سمحوا لهم بزراعتها.

فالحقيقة التي لا جدال فيها: أن محمدا ﷺ إنما هاجم خيبر لأنها أصبحت أكثر المناطق عداء للرسول، وأشدها خطرا على المسلمين، بعد أن لجأ إليها معظم اليهود الذين أجلوا عن المدينة.

وكانت قوات المسلمين أضعاف قوات خيبر، ومع ذلك نراه ﷺ -بعد انتصاره على الحارث بن أبي زينب زعيم خيبر ورجاله- يرفض أن يستمر في القتال لقتل جميع المقيمين في خيبر، ولكنه وافق على أن يدفعوا الجزية مقابل بقائهم على دينهم، وإقامتهم في منازلهم، وتركهم يمارسون حياتهم، وزراعة أرضهم؛ من كل ما يؤكد أن هذه الموقعة -كذلك- لم تكن لفرض الإسلام بحد السيف، كما يزعم المستشرقون.

ويقرر الدكتور نبيل: أن سماحة الإسلام هي التي جعلته ﷺ يرد إليهم صحائف التوراة التي غنمها المسلمون حين طلبها اليهود لمباشرة عقائدهم الدينية.

وبعد هذه الجولة التأملية فيما كان من يهود المدينة من خيانة ونقض عهود.. امتدت تأملاته لتربط بين اليهود في عصر الرسول ﷺ، واليهود في هذا العصر الحديث؛ مقررا أن خيانة العهد خاصية ينفرد بها اليهود في كل زمان ومكان حتى ليبدو أنها جزء من شخصيتهم، فما كان من اليهود مع المسلمين أيام الرسول ﷺ هو كائن اليوم منهم مع عرب فلسطين.

«يتبـــع»

---

(٣) الأحزاب (٢٦، ٢٧).

العطاء العلمي للحضارة الإسلامية

تأسيس منهجية البحث العلمي

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا(*)

* إن البحث العلمي واحد من أوجه النشاط المعقدة التي يمارسها العلماء باستقصاء منهجي في سبيل زيادة مجموع المعرفة العلمية وتقنياتها، ويطلق على العلم المعني بطرائق وأساليب البحث في العلوم الكونية للوصول إلى الحقيقة العلمية أو البرهنة عليها اسم «علم مناهج البحث» Methodology كما يطلق على منهج البحث في العلوم الكونية التي تبحث في الظواهر الجزئية للكون والحياة اسم «المنهج التجريبي الاستقرائي»، ويقصد به منهج استخراج القاعدة العامة «النظرية العلمية»، أو القانون العلمي من مفردات الوقائع استنادا إلى الملاحظة والتجربة.

وينسب الكثير من المؤرخين وعلماء المناهج الفضل في اكتشاف هذا المنهج إلى العالم الإنجليزي «فرنسيس بيكون» الذي وضع إبان عصر النهضة الأوروبية الحديثة كتابه المشهور «الأورجانون الجديد» ويعني به منهج البحث التجريبي، ليعارض به أرسطو في كتابه «الأورجانون القديم».

* ويشهد استقراء تاريخ الفكر البشري بأن علماء الحضارة الإسلامية كانوا أسبق من الغربيين إلى نقض منطق أرسطو النظري واتباع المنهج التجريبي قبل «بيكون» بعدة قرون. فقد استطاعوا أن يميزوا بين طبيعة الظواهر العقلية الخالصة من جهة، والظواهر المادية الحسية من جهة أخرى، وفطنوا إلى أن الوسيلة أو الأداة التي تستخدم في هذه الظواهر يجب أن تناسب طبيعة كل منها، ويعتبر شيخ الإسلام «ابن تيمية» من أوائل العلماء المسلمين الذين نقدوا منطق أرسطو الصوري، حيث هاجمه بعنف في كتابه «نقض المنطق» ودعا إلى الاستقراء الحسي الذي يصلح للبحث في الظواهر الكونية ويوصل إلى معارف جديدة.

* واتجه علماء الحضارة الإسلامية إلى المنهج التجريبي الاستقرائي عن خبرة ودراية بأصوله وقواعده، وأحرزوا على أساسه تقدما ملموسا في حركة التطوير العلمي والتقني.. فهذا هو الحسن بن

(*) أستاذ الفيزياء بكلية العلوم ونائب رئيس جامعة القاهرة.

الهيثم - على سبيل المثال لا الحصر - يصف ملامح المنهج التجريبي الاستقرائي الذي اتبعه في بحث ظاهرة الإبصار بقوله: «رأينا أن نصرف الاهتمام إلى هذا المعنى بغاية الإمكان، ونخلص العناية به ونوقع الجد في البحث عن حقيقته ونستأنف النظر في مبادئه ومقدماته، ونبتدئ باستقراء الموجودات، وتصفح أحوال المبصرات، وتمييز خواص الجزئيات، ونلتقط باستقراء ما يخص البصر في حال الإبصار، وما هو مطرد لا يتغير، وظاهر لا يشتبه من كيفية الإحساس.. ثم نترقى في البحث والمقاييس على التدريج والترتيب، مع انتقاء المقدمات والتحفظ من الغلط في النتائج، ونجعل غرضنا في جميع ما نستقرئه ونتصفحه استعمال العدل لا اتباع الهوى، ونتحرى في سائر ما نميزه وننتقده طلب الحق لا الميل مع الآراء.. فلعلنا ننتهي بهذه الطريقة إلى الحق الذي به يثلج الصدر، ونصل بالتدريج والتلطف إلى الغاية التي عندها يقع اليقين، ونظفر مع النقد والتحفظ بالحقيقة التي يزول معها الخلاف وتحسم بها مواد الشبهات.. وما نحن، من جميع ذلك، براء مما هو في طبيعة الإنسان من كدر البشرية، ولكننا نجتهد بقدر ما لنا من القوة الإنسانية، ومن الله نستمد العون في جميع الأمور».

ويوضح هذا النص - المقتبس من كتاب «المناظر» لابن الهيثم - بما لا يدع مجالاً للشك أن القواعد العامة التي وضعها ابن الهيثم لمنهج الاستقراء تتميز عن قواعد المنهج البيكوني بأنها ليست مجموعة من التعليمات والإرشادات التي تلتزم ترتيباً محدداً لا ينبغي تجاوزه، مما يضفي عليها قدراً كافياً من المرونة يحول دون جمودها أمام حركة العلم وتطوره، كذلك تعكس عبارات ابن الهيثم كثيراً من خصائص العلم التجريبي ومقومات نجاح البحث العلمي التي افتقدها كل من المنطق الأرسطي والمنهج البيكوني، وتوضح المقارنة أن التجريبية خطوة مقصودة في أسلوب البحث العلمي عند علماء المسلمين.

* من ناحية أخرى، يتضح من القراءة المتأنية للنصوص العلمية في التراث الإسلامي أن الفضل في اكتشاف المنهج العلمي «التجريبي الاستقرائي» لا ينسب إلى عالم إسلامي بعينه، على غرار ما يقال عادة عن منهج أرسطو أو بيكون أو ديكارت، بل إنه يعزى إلى علماء كثيرين مهروا في مختلف فروع العلم. فهذا هو جابر بن حيان يلقي مزيداً من الضوء على خصائص المنهج التجريبي الذي اتبعه، فيؤكد أن «لكل صنعة أساليبها الفنية». ويحذر من الإفراط في الثقة بنتائج تجاربه بالرغم من موضوعيته في البحث العلمي فيقول: «إنا نذكر في هذه الكتب خواص ما رأيناه فقط - دون ما سمعناه أو قيل لنا أو قرأناه - بعد أن امتحناه وجربناه، وما استخرجناه نحن قايسناه على أقوال هؤلاء» ويقول أيضاً: «ليس لأحد أن يدعي بالحق أنه ليس في الغائب إلا مثل ما شاهد، أو في الماضي والمستقبل إلا مثل ما في الآن» ونجد في مؤلفات: الرازي، والبيروني، والبتاني، والبوزجاني، والتيفاشي، والخازني، وابن النفيس، وابن يونس، وغيرهم ما يؤكد إيمانهم بالمنهج الجديد في تحصيل الحقيقة العلمية، وممارستهم لهذا المنهج عن إدراك وفهم دقيق لكل مسلماته وأدواته وخصائصه وغاياته. وفي هذه الحقيقة الهامة يكمن السر والدافع وراء نجاح هذا المنهج ومواكبته لحركة التقدم العلمي التي حثت عليها تعاليم الإسلام الحنيف ومبادئه السامية، متمثلة في آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة التي تكرم العلم والعلماء وتحث على إعمال العقل ومداومة البحث في ملكوت السموات

والأرض، وتحرر التفكير من القيود والأوهام المعوقة للكشف والإبداع وتجارب التنجيم والتنبؤ العشوائي والتعصب للعرق والعرف، وتحذر من الاطمئنان إلى كل ما هو شائع أو موروث من آراء ونظريات ولا شك أن هذا كله أوسع وأشمل مما يعرف بأوهام الكهف والسوق والمسرح والجنس، وهي الأوهام الأربعة المنسوبة لبيكون، والتي كثيراً ما يباهي بها فلاسفة العلم وشراح المنهج العلمي.

* وتدلنا قراءة التراث الإسلامي على أن المسلك الذي اتبعه علماء الأصول وعلماء الحديث في الوصول إلى الصحيح من الوقائع والأخبار، والأقوال قد انسحب على أسلوب التفكير والتجريب في البحث العلمي، فنرى - على سبيل المثال - أن الحسن بن الهيثم يستعمل لفظ «الاعتبار» وهو «لفظ قرآني» ليدل على الاستقراء التجريبي أو الاستنباط العقلي، ويستخدم قياس الشبه في شرحه لتفسير عملية الإبصار وإدراك المرئيات.. كذلك نجد أبا بكر الرازي يستخدم الأصول الثلاثة: الإجماع والاستقراء والقياس في تعامله مع المجهول، فهو يقول: «إنا لما رأينا لهذه الجواهر أفاعيل عجيبة لا تبلغ عقولنا معرفة سببها الكامل لم نر أن نطرح كل شيء لا تدركه ولا تبلغه عقولنا، لأن في ذلك سقوط جل المنافع عنا، بل نضيف إلى ذلك ما أدركناه بالتجارب وشهد لنا الناس به، ولا نحل شيئا من ذلك محل الثقة إلا بعد الامتحان والتجربة له.. ما اجتمع عليه الأطباء وشهد عليه القياس وعضدته التجربة فليكن أمامك».

* ولقد استند علماء الحضارة الإسلامية على اختلاف تخصصاتهم - في ممارستهم للمنهج العلمي - إلى مبادئ أساسية استمدوها من تعاليم دينهم الحنيف ويمكن إيجازها فيما يلي:

١ - عقيدة التوحيد الإسلامي هي نقطة الانطلاق في رؤية الإنسان الصائبة لحقائق الوجود.. قال تعالى:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾(١).

فالله - سبحانه وتعالى - هو الحق المطلق، وهو مصدر كل الحقائق المعرفية الجزئية التي أمرنا بالبحث عنها واستقرائها في عالم الشهادة، باعتبارها مصدراً للثقة واليقين، وليست ظلالاً أو أشباحاً كما نظرت إليها الثقافة اليونانية قال تعالى:

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾(٢).

٢ - الإيمان بوحدانية الله - سبحانه وتعالى - يستلزم بالضرورة العقلية أن يرد الإنسان كل شيء في هذا الوجود إلى الخالق الحكيم الذي أوجد هذا العالم بإرادته المباشرة المطلقة على أعلى درجة من الترتيب والنظام والجمال، وأخضعه لقوانين ثابتة لا يحيد عنها، وحفظ تناسقه وترابطه في توازن محكم بين عوالم الكائنات. وقد شاءت إرادته تعالى أن تبين لنا

(١) العلق (١ - ٥).

(٢) فصلت (٥٣).

من خلال نظام الكون ووحدته اطراد الحوادث والظاهرات كعلاقات سببية لنراقبها وندركها وننتفع بها فى الحياة الواقعية بعد أن نقف على حقيقة سلوكها ونستدل بها فى قدرة الخالق ووحدانيته. والانطلاق فى التفكير العلمى فى إطار المفهوم الإيمانى لمسلمة النظام الكونى يجعل الطريق مفتوحاً دائماً أمام تجدد المنهج العلمى وتطوره بما يتناسب مع مراحل تطور العلوم المختلفة، كما أنه يضفى على النفس الاطمئنان والثقة اللازمين لمواصلة البحث والتأمل، وينقذ العلماء من التخبط فى التيه بلا دليل، كالإحالة على الطبيعة، أو العقل، أو المصادفة، أو ما إلى ذلك من التصورات التى طرحتها الفلسفات الوضعية المتصارعة قديماً وحديثاً وأصابتها بالعجز والعطب. قال تعالى:

﴿مَا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾[٣].

٣- منهج البحث والتفكير يقوم فى المفهوم الاسلامى على التأليف بين العقل والواقع، ويعول فى اكتساب المعرفة على العقل والحواس وباقى الملكات الإدراكية التى وهبها الله للإنسان. وقد حملنا الله - سبحانه وتعالى - مسئولية استخدام وسائل العلم وأدواته فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم، مثل قوله تعالى:

﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٤]

وقوله سبحانه:

﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[٥].

وقوله عز من قائل:

﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾[٦].

* وهكذا نجد أن علماء الحضارة الإسلامية قد تشربوا تعاليم دينهم الحنيف، واصطنعوا لأنفسهم منهجاً علمياً إسلامياً تجاوزوا به حدود الآراء الفلسفية التى تميزت بها علوم الإغريق، وانتقلوا إلى إجراء التجارب واستخلاص النتائج بكل مقومات الباحث المدقق، مدركين أن لمنهجهم الجديد شروطاً وعناصر نظرية وعملية وإيمانية يجب الإلمام بها. وتكشف قراءتنا المتأنية لعلوم التراث الإسلامى عن سبق علماء المسلمين إلى تحديد عناصر المنهج العلمى بما يتفق مع كثير من المسميات والمصطلحات الجديدة التى يتداولها اليوم علماء المنهجية العلمية، مثل أنواع الملاحظة والتجربة «الاستطلاعية، الضابطة، الحاسمة»، ومقومات الفرض العلمى، واستخدام الخيال العلمى فى المماثلة بين الظواهر المختلفة والكشف عن الوحدة التى تربط بين وقائع متناثرة.

---

(٣) الملك: (٣، ٤).

(٤) النحل (٧٨).

(٥) الإسراء (٣٦).

(٦) البلد (٨ : ١٠).

وليس هناك من شك فى أن الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى تعتبر حلقة هامة فى تاريخ العلم والحضارة بما قدمه علماؤها من تأسيس لمنهج علمى سليم ساعد على تطوير معارف جديدة. لكننا فى عالمنا الإسلامى لانزال بحاجة ماسة إلى إعادة قراءة تراثنا بأسلوب العصر ومصطلحاته، ليس فقط من أجل تحديث الثقافة العلمية الإسلامية، بل أيضا من أجل أسلمة طرق التفكير العلمى، طبقا لخصائص التصور الإسلامى ومقوماته.

إن إسلامية المعرفة بعامة، والمعرفة بخاصة، يجب أن تكون من الروافد الأساسية للصحوة الإسلامية المنشودة.

هذا وبالله التوفيق، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين؛

أهم المراجع

(١) مصطفى نظيف، الحسن بن الهيثم ـ بحوثه وكشوفه البصرية. مطبعة نورى بمصر، ١٩٤٢م.

(٢) د. أحمد فؤاد باشا، التراث العلمى للحضارة الإسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة، مطبعة دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣م.

(٣) د. أحمد فؤاد باشا، فلسفة العلوم بنظرة إسلامية، مطبعة المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م.

(٤) د. أحمد فؤاد باشا، أساسيات العلوم المعاصرة فى التراث الإسلامى ـ دراسات تأصيلية، دار الهداية، القاهرة، ١٩٨٧م.

(٥) د. أحمد فؤاد باشا، نحو صياغة إسلامية لنظرية العلم والتقنية، مجلة المسلم المعاصر، العدد ٥٥، ١٩٨٩م.

(٦) د. أحمد فؤاد باشا، فى فقه العلم والحضارة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٩٧م.

(٧) د. أحمد فؤاد باشا، دراسات إسلامية فى الفكر العلمى، دار الهداية، القاهرة، ١٩٩٧م.

(٨) د. أحمد فؤاد باشا، التراث العلمى الإسلامى ـ شىء من الماضى أم زاد للآتى، دار الفكر العربى، القاهرة ٢٠٠٢م.

(٩) المستشار عبدالحليم الجندى، القرآن والمنهج العلمى المعاصر، دار المعارف، ١٩٨٤م.

(١٠) سيد قطب، مقومات التصور الإسلامى، دار الشروق ١٩٨٦م.

ـ خصائص التصور الإسلامى ومقوماته، دار الشروق، ١٩٨٧م.

(11) I.R. Al-Faruqi; Tawhid: Its Implications for thought and Life, International Institute of theIslamic thought, 1402 AH/1982 AC.

(12) J.R Hayes (Editor); The Genius of Arab Civilization, Source of Renaissance, 2nd edition; London 1983.

الأندلسية

للشاعر العربى الكبير الأمير / شكيب أرسلان

فى وقفة له يوم ١٧ من صفر سنة ١٣٤٩هـ أمام معجزات الفن العربى فى قرطبة

لكَ اللهُ إن شئتَ الصَّبوحَ فبكّرِ ** بكأسٍ دهاقٍ من حُميّا التذكُّرِ
وغنِّ على ذكرى الليالي التي خلت ** قصائدَ إن تُنشدْ على الميْتِ يُنشَرِ
فقد تعذبُ الذكرى ولو لفجيعةٍ ** ويشفي أوارَ الصدرِ فرطُ التحسُّرِ
ولولا المراثي والمآقي وراءها ** لأفنى الورى حرُّ الأسى المتسعِّرِ
تَقضَّتْ لُباناتُ الرجالِ من الجوى ** بتذكارِ ماضٍ أو إثارةِ مُضمَرِ
لَعَمرُكَ لا يُرجى لنشأةِ مُقبِلٍ ** ومستقبلٍ من لم يفكرْ بمدبرِ
وما هذه الدنيا سوى متقدِّمٍ ** يُكوِّرُ تجديداً على متأخِّرِ
أدِرْها تردُّ الرشدَ في عقلِ ذاهبٍ ** وتُذهبُ عقلَ الراشدِ المتبصِّرِ
وتُحيي لنا عهداً يصوبُ عِهادُهُ ** منازلَ قلبٍ من هوى الذكرِ مُقفرِ
وكائنةٍ لم يعرفِ الدهرُ أختَها ** ولا حدَّثتْ عن مثلها كتبُ مخبرِ
يكادُ الذي يقرا غريبَ حديثها ** يظنُّ خيالاً أو أحاديثَ مُفترى
يقولون: كانت أمةٌ عربيةٌ ** بأندلسٍ سادتْ بها جمَّ أعصرِ
وقد عَمَرتْ أقطارُ أندلسٍ بهم ** فكم بلدٍ فخمٍ ومصرٍ مُمصَّرِ
وكم أربعٍ خُضرٍ وحرثٍ مُطبقٍ ** وفاكهةٍ رغدٍ وزهرٍ منوّرِ

وكم قائدٍ قرمٍ وجندٍ مدرّبٍ ** وكم سائسٍ فحلٍ، وأمرٍ مدبّرِ
وكم بطلٍ إن ثار نقعٌ رأيتَه ** يبيعُ بأسواقِ المنايا ويشتري
وما شئتَ من علمٍ ورأيٍ وحكمةٍ ** ودرسٍ وتحقيقٍ وقولٍ محرَّرِ
إلى شممٍ جَمٍّ ومجدٍ مؤثَّلٍ ** وفي عزةٍ قعسا ووفرٍ موفَّرِ
نعم، كان فيها من نزارٍ ويعربٍ ** جموعٌ تحيلُ الأرضَ في يومِ محشرِ
فراحتْ كأنْ لم تغنَ بالأمسِ، وانقضى ** لهم كلُّ ركزٍ غيرُ ذكرٍ معطَّرِ
كأنْ لم يكن بين الحجونِ إلى الصفا ** أنيسٌ ولم يسمرْ هناك ويسهرِ
كأنْ لم تكن في أرضِ أندلس لنا ** جحافلُ إنْ تحملْ على الدهرِ يُذعرِ
فماذا الذي أخنى عليها، وما الذي ** رماها بهذا الخسفِ بعد التصدُّرِ؟
إذا أعملَ المرءُ البصيرةَ لم يجدْ ** لها علةً غيرَ الخلافِ المتبّرِ
خلافان: هذا بين قيسٍ ويعربٍ ** مقيمٌ، وهذا بين عُربٍ وبربرِ
ولا شرَّ يحكي شرَّ حربٍ إذا التقتْ ** صناديدُ قيسٍ مع غطاريفِ حميرِ
لعمرُكَ لولا الخلفُ لم يكُ مشرقٌ ** ولا مغربٌ يعصى عليهم ويجتري
لقد عصفتْ في شقةِ الغربِ ريحهم ** فسادتْ، ولكن لم تكنْ ريحَ صرصرِ
فقدْ أَلَّفوا في أرضِها مدنيةً ** ترى الخصمَ في عليائها ليس يمتري
وسوَّوا جميعَ العالمين بعدلهم ** ومَنْ يتمسكْ بالسويةِ يعمُرِ
ولا عارضوا في دينه غيرَ مسلمٍ ** ولا عاملوا أهلَ الكتابِ بمنكرِ
ولا نصبوا ديوانَ تفتيشهم على ** عقائدِ أقوامٍ مجوسٍ وتفتري
ولا أحرقوا بالنارِ مَنْ قيلَ إنه ** على صلةٍ معْ دينه بالتستّرِ
بذلك هاتيك الممالكُ أصبحتْ ** مثالاً قريبًا للعُلى والتحضُّرِ
وقد صار نهرُ الرونِ ثغرَ بلادهم ** وكم صبغوهُ في الجهادِ بأحمرِ
وشكّوا لواهم في ذُرى فرقشنةٍ ** وسلّوا على تربولةٍ كلَّ أبترِ
ودانت لهم صيدُ الجلالقةِ الألى ** بلا منهمُ الرومانُ كلَّ غضنفرِ

ولم يقف البشكنس في وجه زحفهم ** ولا أوطأوا الجرمان ثغرة معور
وإن يك لاقى الغافقي حمامه ** ومحص في يوم البلاط المقدر
فقد لبثت من بعد ذاك جيوشهم ** تعرض دهراً للفزع وتنبري
يقول الألى قد شاهدوا غزواتهم: ** هم العرب فوق الخيل، أم جن عبقر؟
وصقر قريش حين جاء مشرداً ** فأنشب فيهم أي ظفر مظفر
وشاد بهاتيك القواصي إمارة ** لها أجفل المنصور والد جعفر
وخلف أملاكاً سموا وخلائفاً ** أسود عرين منهم كل مخدر
كفى بالإمام الناصر الفذ عاهلاً ** كسا أمة الإسلام حلة مفخر
تقبل أملاك الفرنجة كفه ** ويقصد عالي بابه وفد قيصر
غداة تجلى للخلافة رونق ** به ظهر الإسلام أروع مظهر
وأضحت بها «الزهراء» تميد جموعها ** فيالك من يوم أغر مشهر
تلعثم فيه كل رب فصاحة ** فعيوا سوى قاضي الجماعة منذر
ولا تهمل المستنصر الحكم الذي ** تلاه، ومن يستنصر الله ينصر
غدت قبة الإسلام قرطبة العلى ** وسارقت الزوراء لحظة أزور
وبارى بني العباس فيها أمية ** وجروا على بغداد ذيل التبختر
وكان بها العمران يزخر مثلما ** تلاطم أمواج الخضم المهدر
ولما رأيت المسجد الجامع الذي ** بقرطبة من فوق فوق التصور
عضضت على كفي بكل تواجدي ** وقلت لعيني: اليوم دورك فاهمري
هو الجامع الطامي العباب بوقته ** يحاكي به غماره لج أبحر
ظللت به بين الأساطين سائحاً ** بفكري حتى غاب عني مخضري
تخيلته ـ والذكر يتلى خلاله ـ ** تطير دوي النحل من كل مصدر
تأمل خليلي كم هنا من مهلل ** إلى ربه صلى، وكم من مكبر
وكم أزهرت فيه الوف مصابح ** وكم أوقدت أرطال عود وعنبر
وكم قارئ بالسبع في وسط حلقة، ** وكم خاطب بالسجع من فوقه منبر

وكم عالم يُلقي على الجمع درسه ** وكم واعظ يمرى مدامع مَحجر

وكم ملك ضخم، وكم من خليفة ** هنا كان يجثو عن جبين معفر

تسدُّ فجاج المغربين جيوشه ** ويبدو هنا في ثوب أشعث أغبر

خليلي تأمَّل - كالعرائس تنجلي - ** أساطين قد تحصى بألف وأكثر

أساطينُ من صُمِّ الجماد مواثلٌ ** يذوبُ لها قلبُ الحنيف المفكر

تراها صفوفا قائمات كأنها ** حدائقُ نُصبتْ من جماد مُشجَّر

من العَمَد الأسنى فكلٌّ يتيمة ** لها نسبٌ من مقطع مُتخيَّر

أجادتْ تخيريها قُرومُ أمية ** معادن شتى من فلز ومرمر

تبت دونها زرق الفسوس وأصبحتْ ** لدى الفرى تهزا بالحديد المعصفر

ولكنْ لفضل الفنّ ألقتْ قيادها ** فصالتْ بها الصنّاع صَولة عنتر

فبينا هي الصمُّ الصلادُ إذ انثنتْ ** مقاطعَ جبن أو قوالبَ سُكَّر

عرائسُ للتخريم فوق رءوسها ** أكاليلُ دُرٍّ في قلائد جوهر

ووجِّهْ إلى المحراب طرفك ينسرح ** من الصخر في مثل الطراز المحبَّر

وحدقْ بهاتيك النقوش وزهْوها ** كأنْ فاتها صُنّاعها مُنذ أشهر

وبالقبة العلياء يَبْدُو شعاعها ** بأبلغ من زُهر النجوم وأزهر

لو أن الثريا في سماها تعرضتْ ** لظلتْ تحدّى للثريا وتزدري

أقول لخصم يبخسُ العُربَ حقَّهم: ** أجاحدُ نور الشمس، دُونك فانظُر!

ويا سائحاً يبغي مآثرَ قومه ** ويَنْشُدُها في كل سهل ومَوعر

تطوّفْ فلا تلقاك غيرُ بدائع ** يميلُ لديها كلُّ عطف مخصر

تطلّعْ فلا تلقاك غيرُ روائع ** لها الليثُ يرنو عن لواحظ جُؤذر

خليلي، فما فحصُ السرادق نائياً ** وهذا برأس الطَّوْد حِصنُ المدوَّر

وهذي رسومٌ للمنيف ومؤنس ** وقصر السرور الدارس المتبعثر

وكان هنا قصرُ الدمشق وإنه ** يُطاول عُلْيا بعلبكَ وتدمُر

وزاهرة المنصور لا شك جنةٌ ** تُمَدُّ من الوادي الكبير بكوثر

وسائلْ عن المنصور نجل ابن عامر ** يُجاوبكَ عنه كلّ قوسٍ مُوتّر
غزا في العدى ستا وخمسين غزوةً ** وآضَ بها طُرّاً بنصرٍ مُؤزّر
خليلى، وعرج بالبهور فإنه ** تقطّع عن أمثاله كلُّ أبهر
وهذى التي كانت تسمّى شقندةً ** وتدخلُ في التخطيط ضمن المور
وفيها جرى ذاك العراكُ الذى جرى ** وروّى ثراها بالدم المتفجّر
وقائعُ قيسٍ واليماني، وكلها ** مصائبُ إن تُذكر لنا نتفطّر
وزُرْ ضفةَ الوادى الكبير وسُحْ بها ** وعرّجْ علي الجسر الطويل المقنطر
وهذى الطواحين الشهيرةَ لم تزل ** كأنْ تركوها أمس لم تتغيّر
قصورٌ نبا عنها قصورُ مُشيدٍ ** وعلياء لم تعلمْ مشيدَ مقصّر
وأقنيةٌ تحكي الجنانَ نضارةً ** وأقنيةٌ تجرى على كلّ أخضر
وشُمُّ حصون لا تُعدُّ، ودونها ** مقاصف إن تُذكر نُهزّ ونَسْكر
علي هممٍ دلّتْ لهم وقرائحِ ** ويُعرفُ بالآثار قدرُ المؤثر
فأخنى علي تلك المحاسن كلها ** غرامُهمُ بالانقسام المشطّر
محا الخلفُ من أوضاعهم كلّ نافع ** وصرّحَ من أعمالهمْ كلّ مثمر
ولم يستفيدوا من تقاطع بينهمْ ** سوى عيشِ ذلّ تحتَ نقمة مُوتر
فكلُّ الذى قد شيّدوه بحزمهم ** أضاعوه حقاً بالشقاق المدمّر
ولم يبقَ في هذى الديار لنا سوى ** ممالكِ فكرٍ من حروف وأسطر
ممالكُ لا تقوى عليها كتائبٌ ** ولا سالبٌ تاريخها زحفُ عسكر
إذا حضرت آثارُ قومي، وإن خلوا ** فإني منها في قبيلٍ ومعشر
وأشعر أني في بلادى كأنما ** تخاطبنى الأرواحُ من كل مقبر
وإنى أرى بالعين ما لم أكن أرى ** حقيقته في وصفِ طِرسٍ ومزبر
لعل الذي قد كان منه بوارُنا ** يعودُ علينا خيرَ وعظٍ ومزجر



منار الإحياء والنهضة والتجديد

٢

للدكتور
محمد عمارة

لقد كان رشيد رضا هو «ترجمان» أفكار الأستاذ الإمام.. وقادح زناد اجتهاداته، والمبدع لما في خواطره.. ولقد عبر الشيخ محمد عبده عن هذه الحقيقة عندما قال: «إن الله بعث إليَّ بهذا الشاب ليكون مدداً لحياتي، ومزيداً في عمري. إن في نفسي أموراً كثيرة أريد أن أقولها أو أكتبها للأمة، وقد ابتليت بما شغلني عنها، وهو يقوم ببيانها الآن كما أعتقد وأريد، وإذا ذكرت له موضوعا يكتب فيه، فإنه يكتبه كما أحب، ويقول ما كنت أريد أن أقول، وإذا قلت له شيئا مجملا بسطه بما ارتضيه من البيان والتفصيل، فهو يتم ما بدأت، ويفصّل ما أجملت..»[1]

أما عن (المنار).. فلقد قال الأستاذ الإمام: «إن الحق يظهر في (المنار) عريانا في الغالب، ليس عليه شئ من الحلى والحلل التي تجذب إليه أنظار من لم يألفوا الحق لذاته»!

ولقد قاومت الحكومة العثمانية هذه المجلة عند صدورها، وحرمت على رعاياها تلقيها - كما سبق وصنعت السلطات الإنجليزية مع (العروة الوثقى)! -.. ورد أغلب المصريين الذين أرسلت إليهم أعداده بالبريد - مجانا -.. ردوها إلى رشيد رضا!!.. ولم يبدأ رواجه، وتعلق الناس به إلا بعد خمس سنوات من صدوره!.. فكان استمراره درسا في الصمود والجهاد.. ذلك أن صاحبه قد نظر إليه نظرته إلى أداء الفريضة الإلهية الاجتماعية - فريضة الكفاية - التي يقع الإثم بتخلفها على الأمة جمعاء.. وعن هذه الحقيقة كتب يقول: «إنني لم أنشئ (المنار) ابتغاء ثروة أتأثلها، ولا رتبة من أمير أو سلطان أتجمل بها، ولا جاه عند العامة أو الخاصة أباهي به الأقران، وأباري به أعلياء الشأن، بل لأنه فرض من الفروض يرجى النفع من إقامته، وتأثم الأمة كلها بتركه، فلم أكن أبالي بشئ إلا قول الحق والدعوة إلى الخير، والأمر

---

(١) «الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده» ج٣ ص١٣٥. دراسة وتحقيق: دكتور محمد عمارة طبعة القاهرة سنة ١٩٩٣م

بالمعروف والنهي عن المنكر، فكنت إن أصبت بحسب علمي فسيان رضي الناس أم سخطوا، مدحوا أم ذموا، قبلوا (المنار) أم رفضوا.. »[٢]

لقد صابر الإمام رشيد رضا.. وصمد (المنار).. حتى غدا « ديوان » مدرسة التجديد والإصلاح الاجتماعي، وغدت أعداده دليل عمل النهضة الإسلامية لأكثر من أربعين عاما.. وأخذت أعداده - ولاتزال - يعاد طبعها.. بل وتستخرج من بطونها الكتب والمجلدات في مختلف ميادين الفكر التجديدي والإصلاحي.

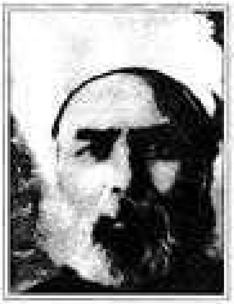
مجلـــة .. ومشـــروع للنهضـــة

ولما كانت هذه المدرسة الفكرية.. التي أصبح (المنار) لسانها - قد تجاوزت نطاق « التجديد الفكري » إلى ميدان « تجديد الواقع »، أي أن مقاصدها كانت « تجديد الدنيا بالدين »، فلقد دعت إلى نهضة حضارية مؤسسة على المرجعية الإسلامية، وذلك في مواجهة الخيار الغربي في التقدم، مع الرفض لخيار الجمود والتقليد للسلف والتراث، ذلك الذي يفتح - بالعجز والقصور - أبواب الواقع الإسلامي لخيار التغريب.

فالأفغاني قد دعا إلى هذا الخيار الحضاري الإسلامي، عندما قال: « إنا معشر المسلمين، إذا لم يؤسس نهوضنا وتمدننا على قواعد



جمال الدين الأفغاني



الإمام محمد عبده

ديننا وقرآننا فلا خير لنا فيه، ولا يمكن التخلص من وصمة انحطاطنا وتأخرنا إلا عن هذا الطريق. وإن ما نراه اليوم من حالة ظاهرة حسنة فينا - من حيث الرقي والأخذ بأسباب التمدن - هو عين التقهقر والانحطاط، لأننا في تمدننا هذا مقلدون للأمم الأوروبية، وهو تقليد يجرنا بطبيعته إلى الإعجاب بالأجانب، والاستكانة لهم، والرضى بسلطانهم علينا، وبذلك تتحول صبغة الإسلام، التي من شأنها رفع راية السلطة والغلب إلى صبغة خمول وضعة واستئناس لحكم الأجنبي.. إن الدين هو قوام الأمم، وبه فلاحها وفيه سر سعادتها، وعليه مدارها.. وهو السبب المفرد لسعادة الإنسان »[٣].

وإلى نفس المرجعية الإسلامية في النهضة دعا محمد عبده فقال: « إن سبيل الدين، لمريد الإصلاح في المسلمين سبيل لا مندوحة عنها، فإن إتيانهم من طرق الأدب والحكمة العارية عن صبغة الدين، يحوجه إلى إنشاء

---

(٢) مقدمة رشيد رضا للطبعة الثانية لمجلدات « المنار » ص٢، ٣ طبعة القاهرة سنة ١٣٢٧هـ.

(٣) « الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني » ص ٣٢٧، ٣٢٨، ١٣١، ١٧٣ دراسة وتحقيق د. محمد عمارة طبعة القاهرة سنة ١٩٦٨م

بناء جديد، ليس عنده من مواده شيء ولا يسهل عليه أن يجد من عماله أحدا وإذا كان الدين كافلا بتهذيب الأخلاق وصلاح الأعمال، وحمل النفوس على طلب السعادة من أبوابها، ولأهله من الثقة فيه ما ليس لهم في غيره وهو حاضر لديهم، والعناء في إرجاعهم إليه أخف من إحداث ما لا إلمام لهم به، فلم العدول عنه إلى غيره؟!!..(٤)

ولقد حمل [المنار] رسالة البلورة لمعالم هذا المشروع الحضارى الإسلامى إلى كل أقطار العالم الإسلامى. «لأن التاريخ قد علمنا أنه لم تقم مدنية فى الأرض من المدنيات التى وعاها وعرفها إلا على أساس.. الدين، حتى مدنيات الأمم الوثنية، كقدماء المصريين والكلدانين واليونانيين وعلمنا القرآن أنه ما من أمة إلا وقد خلا فيها نذير من الله - عز وجل - لهدايتها، فنحن بهذا نرى أن تلك الديانات الوثنية كان لها أصل إلهى، ثم سرت الوثنية إلى أهلها حتى غلبت على أصلها.. وليس للبشر ديانة يحفظ التاريخ أصلها حفظا تاما إلا الديانة الإسلامية.. فاتباع الرسل وهداية الدين أساس كل مدنية لأن الارتقاء المعنوى هو الذى يبعث على الارتقاء المدنى(٥).

وذلك لأن الشريعة الإسلامية جامعة للإصلاح الدينى والسياسى كليهما. «فمن مقومات الإصلاح الدينى: الإصلاح السياسى المدنى، على أن الإصلاحين متلازمان فى الأمة الإسلامية، لا يقوم أحدهما حق القيام إلا بالآخر، والشريعة الإسلامية هادية للإصلاحين، إذ كل خير وصلاح للعباد يتعلق بالمعاش والمعاد قد قرره الإسلام..»(٦).

والاجتهاد هو الشرط الأول لبقاء الشريعة الإسلامية وافية بمتطلبات هذا الاصلاح لأن هذه الشريعة هى خاتمة الشرائع الإلهية وحكمة ذلك أن الله - تعالى - قد أكمل بها الدين الحق، فجعلها جامعة بين مصالح الروح والجسد، ومنح الأمة حق الاجتهاد والاستنباط وبهذين كانت موافقة لمصالح البشر فى كل زمان ومكان»(٧).

● وهذا المشروع النهضوى الإسلامى، المتسلح بالتجديد الدينى، إنما يحارب فى جبهتين:

أ- جبهة الجمود المذهبى عند غلاة المقلدين لأفكار السلف، كما هو الحال عند «حماة تقليد الكتب المدونة فى المذاهب» المتبعة، من سنية وشيعة زيدية وشيعية إمامية وإباضية، وحجتهم أن علوم الشريعة المودعة فى الكتاب والسنة إجمالا وتفصيلا قد انحصرت فيها، فمن لم يأخذ بمذهب منها فليس على ملة الإسلام».

---

(٤) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ج٣ ص ٢٤٨.

(٥) رشيد رضا «تفسير القرآن» ج١ ص ٤٢٩ طبعة دار المعرفة بيروت. بدون تاريخ

(٦) «المنار» مجلد ١ جـ ٣٩ ص ٧٩٥.

(٧) المصدر السابق. مجلد ١٦ جـ ٢ ص ١٠٥

ب- وجهة التقليد للحضارة الغربية، الداعين للانسلاخ عن الموروث، من «دعاة الحضارة العصرية» والنظم المدنية، والقوانين الوضعية، الذين يقولون: إن هذه الشريعة المدونة لاتصلح لهذا الزمان، ولايمكن أن تصلح بها حكومة، ولاتستقيم بها مصالح أمة، فيجب تركها واستبدال قوانين الإفرنج بها، أو استقلال كل قوم وشعب من المسلمين كغيرهم بتشريع جديد يوافق مصالحهم، وإلا كانوا من الهالكين»[٨].

● والتبشير بشمولية الإسلام للدين والدولة.. للشرع والسياسة، لايعنى - كما يفهم المتغربون - الكهانة التى عرفتها أوربا عندما جمعت كنيستها السلطة الزمنية إلى السلطة الدينية.. لأن الإسلام ينكر هذه السلطة الدينية - بهذا المعنى- ويحاربها.. وحتى السلطة الروحية للتصوف -فى التجربة الإسلامية- لم تبلغ ما بلغته كهانة الاكليروس فى التاريخ الأوروبى.. «ولو كان الإسلام شرع هذه السلطة المعروفة فى الملل السابقة عليه، من البوذيين والبراهمة والإسرائيليين والنصارى، أو أجازها، لوجد لها فى المسلمين نظام ورؤساء، ولكن شيئا من ذلك لم يوجد، وإنما وجدت طائفة منهم تصدت للتربية والإرشاد، ثم انقسمت إلى طوائف وجماعات، ولم تكن لهم سلطة على أحد، وإنما يتبعهم من شاء باختياره، ولم يسلموا مع ذلك من رمى الفقهاء لهم بالانحراف عن الدين، ومن تفريق الحكام شملهم، ولذلك لم يكن لهم ظهور إلا حيث يضعف علم الدين وحكمته..»[٩].

● والتميز الإسلامى فى المشروع الحضارى، لايعنى القطيعة مع الحضارات الأخرى، وفى مقدمتها الحضارة الغربية المعاصرة.. وإنما يعنى هذا التميز: الانفتاح الحضارى، والتفاعل الفكرى، واستلهام المشترك الإنسانى فى المعارف والعلوم، مع الاحتفاظ بسمات وقسمات الخصوصية الحضارية الإسلامية.. فنحن فى حاجة إلى التعلم من الغرب علوم التمدن المدنى، لترقية الواقع المادى مع الاحتفاظ بتميزنا فى العقائد والفلسفات والشرائع واللغات والآداب. وفى ميادين الخصوصية الثقافية والحضارية، نحن مدعوون إلى التعلم من الغرب خبرات أممه وشعوبه فى تطوير وترقية خصوصياتها الثقافية والحضارية.. «إننا فى أشد الحاجة إلى الصناعات الإفرنجية، وما تتوقف عليه من العلوم والفنون العملية، وإلى الاعتبار بتاريخهم وأطوار حكوماتهم وجماعاتهم، ولكن يجب أن يقوم باقتباس ذلك جماعات منا يجمعون بينه وبين حفظ مقوماتنا ومشخصاتنا، وأركانها: اللغة. والدين، والشريعة، والآداب فمن فقد شيئا من هذه الأشياء فقد فقد جزءا من نفسه، لايمكن أن يستغنى عنه بمثله من غيره، كما أنه لايستغنى بعقل غيره عن عقله ولابجسم

(٨) المصدر السابق مجلد ٢٩ جـ١، ص٦٦.

(٩) المصدر السابق. مجلد ٥ جـ ٢٢ ص ٧٤٨.

سواء عن جسمه، وإنما تستفيد من العبرة بحالهم، كيف نرقى لغاتنا كما رقوا لغاتهم، وكيف تنشر ديننا كما ينشرون دينهم، وكيف نسهل طرق العلم بشريعتنا وآدابنا كما سهلوا طرق شرائعهم وآدابهم . . »(١٠).

● وإذا كان التقليد للغرب قد جاءنا - ضمن ماجاءنا - بالنزعات القومية العنصرية المتعصبة، التي تمزق وحدة الأمة - التي هي فريضة إسلامية - فإن الجامعة الإسلامية هي إطار الوحدة والانتماء لشعوب الأمة الإسلامية « ذلك أن أكمل الجنسيات وأنفعها للبشر ما كانت أعم وأشمل للطوائف والجمعيات المختلفة في النسب والوطن واللغة والدين والحكومة، بأن يقصد بها الخير للجميع، للمساواة في الحقوق وتمكينهم من الرقي إلى ماأعدتهم له الفطرة البشرية من الكمال الاجتماعي. وإنها لجنسية يتحسر عليها نوابغ الحكماء وهي موجودة في الملة الإسلامية. وإن كان المسلمون من أبعد الناس عنها! . . فالملة الإسلامية تساوي بين المختلفين في الأنساب والأوطان والأديان، وتسمح لمن يحل في حكمها، وهو على دينه أن ينشيء في بلادها محاكم لأهل ملته وأبناء جلدته، فلا تلزمه بأحكامها إلزاما، فإن هو اختار حكمها بنفسه ساوت بينه وبين أقرب الناس من بنيها أو أعلى أفرادها مكانة فيها، فهي تدعو جميع البشر إلى التعارف والتآلف في ظل حمايتها، وإنه لظل ظليل يباح للمستظل به كل شيء إلا محاولة إزالته أو إزالة فائدته للناس، وهي دفع الشر والأذى عنهم، وتقريب الخير منهم مع حفظ حريتهم في أديانهم وأعمالهم . . !!»(١١).

على صفحات [المنار] تم بسط الحديث عن معالم المشروع الحضاري النهضوي، الذي دعت إليه مدرسة الإحياء والتجديد: المرجعية الإسلامية للنهضة . . وشمول الشريعة الإسلامية للإصلاح الديني والإصلاح السياسي كليهما . . وضرورة الاجتهاد والتجديد دونما انغلاق على تجارب السلف، أو قطيعة مع التراث توقع أصحابها في تقليد الحضارة الوافدة والغازية . . والاعتصام بالشرع الإسلامي دون الوقوع في شراك الكهانة والسلطة الدينية - بالمعنى الكنسي الغربي - تلك التي يرفضها الإسلام والتي برئ منها تاريخنا الحضاري . . والانفتاح على الحضارات المختلفة، والتفاعل مع كل المعارف والعلوم التي تمدن الواقع، مع الاحتفاظ بخصوصيتنا الحضارية، وهويتنا الثقافية، وشخصيتنا التي تتميز باللغة والدين والشريعة، والآداب . . والتعلق برابطة الجامعة الإسلامية، التي تستوعب شعوب الأمة وأجناسها ولغاتها وأوطانها ومللها،

---

(١٠) المصدر السابق. مجلد ١٧ جـ ١ ص١٠.

(١١) المصدر السابق . . مجلد ٨ جـ ١٩ ص ٧٨٦، ٧٨٧ «في نصوص» «المنار» رجعنا إلى «فلسفة المشروع الحضاري» الدكتور أحمد جاد طبعة المعهد العالمي للفكر الإسلامي - بأمريكا - سنة ١٩٩٥ م.

حذرا من ضيق التعصب القومي والعصبية الإقليمية.. وغير ذلك من قسمات هذا المشروع النهضوى الذى بشر به هذا التيار.

وإذا كان [المنار] قد اقتصر - أثناء حياة الشيخ محمد عبده - في السياسة وممارساتها ومعاركها وتياراتها، فلقد زادت اهتماماته بهذا الميدان بعد وفاة الأستاذ الإمام (١٣٢٣هـ/١٩٠٥م) فأفاض [المنار] فى معالجة قضايا «الخلافة» و«علاقة العرب بالأتراك» و«المسألة الشرقية» و«التدخل الاستعمارى الغربى فى الشرق العربى والإسلامى»، كما كان له موقف بصير من «الخطر الصهيونى» على فلسطين والوطن العربى.

وفى الممارسة السياسية وجدنا صاحب [المنار] قطبا من أقطاب [حزب اللامركزية] الذى تألف من مجاهدى المشرق العربى لإبراز الكيان العربى فى الإطار العثمانى - وهو الحزب الذى تألف فى القاهرة (١٣٣٠هـ ١٩١٢م) ووجدنا العلاقة الوثيقة بينه وبين حركة الشريف حسين [١٢٧٢ - ١٣٥٠هـ ١٨٥٦ - ١٩٣١م] لتأسيس دولة عربية مستقلة عن العثمانيين، حتى لقد ذهب إلى سوريا عندما أعلن أهلها استقلالها تحت حكم الملك فيصل بن الحسين [١٣٠٠ - ١٣٥٢هـ ١٨٨٣ - ١٩٣٣م] وانتخب رئيسا للمؤتمر السورى فيها، ولم يغادرها إلا عندما أجهض الاحتلال الفرنسى هذا الكيان العربى [١٣٣٨هـ - ١٩٢٠م].

كذلك وجدنا (المنار) وصاحبه من دعاة الإصلاح الدستورى للدولة العثمانية، يزور الشام، ويخطب للإصلاح من فوق منبر الجامع الأموى بدمشق عقب إعلان الدستور العثمانى (١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م)، حتى لقد فجرت خطبه الصراع بين أعداء الإصلاح وأنصاره، الأمر الذى اضطره للعودة إلى مصر.

كما رأينا رحلاته إلى الحجاز، والعراق، والهند، والكويت.. الخ. وثيقة الصلة بالإصلاح السياسى، ممزوجا بالإصلاح والإحياء الدينى.. ناهيك بعلاقاته الوثيقة بالحركة الوهابية والملك عبدالعزيز بن سعود (١٢٩٧ - ١٣٧٢ هـ ١٨٨٠ - ١٩٥٣م)

لقد برز الطابع السياسى فى الدعوة الإصلاحية- على يدى رشيد رضا بعد وفاة الأستاذ الإمام- وأخذت السياسة الدولية بصراعاتها وتوازنات قواها، تجد لها مكانا بارزا على صفحات (المنار).. من الثورة البلشفية.. إلى المسألة الليبية.. مرورا بالهند، ومراكش، والحجاز.. إلخ. ولقد عبر الشيخ رشيد عن هذا التحول فى افتتاحية المجلد الثانى عشر من (المنار)- أى بعد أربع سنوات من وفاة الأستاذ الإمام -فقال: «لقد سالمنا السياسة فساورت ووالبت؟ واسلسنالها فجمعت وتقحمت؛ وكنا نهم بها فى بعض الأحيان، فيصدق بها عنا الأستاذ الإمام ولم تنل منها ما تهواه، إلا بعد أن اصطفاه الله!!..»[١٢].

---

(١٢) «تاريخ الأستاذ الإمام» جـ ١ ص ١٠٢٢.

وبذلك استوى (المنار) ديوان الإصلاح الإسلامي، دينيا وسياسيا على امتداد أربعين عاما من عمر المدرسة الإصلاحية الإسلامية.. وفيها تأسست معالم المشروع النهضوى للشرق الإسلامي، وطالعته الأمة على صفحات (المنار).

وكما كان (المنار) هو الامتداد المتطور لصحافة هذا التيار التجديدى- وخاصة (العروة الوثقى) و(الوقائع المصرية) عندما رأس تحريرها الشيخ محمد عبده- فلقد غدا الشيخ محمد رشيد رضا بعد وفاة الأستاذ الإمام هو إمام هذا التيار الفكرى.. فمنذ السنوات الأخيرة في حياة محمد عبده، كانت قد رسخت في الأذهان حقيقة سلم بها الجميع، وهى: أن مكانة الشيخ رشيد من الأستاذ الإمام هى مكانة الإمام من أستاذه الأفغاني، وأنه هو رأس حركة الإصلاح الدينى من بعده وأبرز تلاميذه العاملين في هذا الميدان.. بل لقد عبر الأستاذ الإمام، تلميحا يشبه التصريح، عن هذه الحقيقة في الأبيات الشعرية التى نظمها وهو على فراش الموت، عندما صور رسالته الإصلاحية ومكان الشيخ رشيد فيها ومنها، وهو مكان «المرشد» في هذا التيار!.. الذى يأمل الإمام منه مواصلة السير على طريق الإصلاح.. عبر عن هذه «الوصية».. وهذا «الأمل».. فقال:

ولست أبالى أن يقال محمدٌ
أبلّ أو اكتظت عليه المآتم

ولكن دينا قد أردت صلاحه
أحاذر أن تقضى عليه العمائم

وللناس آمال يُرجُّون نيلها
إذا متُّ ماتت واضمحلت عزائم

فيارب إن قدّت رُجْعَى قريبة
إلى عالم الأرواح وانفضّ خاتم

فبارك على الإسلام وارزقه مرشدا
رشيدا يضئ النهج والليل قاتم

يماثلنى نطقاً وعلماً وحكمة
ويشبه منى السيف والسيف صارم![13]

ولقد شاء الله أن يحقق آمال الأستاذ الإمام في تلميذه الشيخ رشيد رضا، فتبوأ الرجل قيادة وإمامة المدرسة الإصلاحية بعد وفاة أستاذه.. ومضت «المنار» ساحة وديوانا لمعالم هذا الإصلاح، الذى ارتاد ميدانه جمال الدين الأفغاني. ومثّل فيه محمد عبده أبرز العقول المبدعة في ميادينه الفكرية.. رحمهم الله جميعا. وهيأ لنا منارا جديدا يخلف ويجدد ويطور رسالة «المنار»!

***

(١٣) المصدر السابق جـ ١ ص ١٠٢٦، ١٠٢٧.

بين الأمس واليوم

كيف نصبح خير أمة أخرجت للناس؟

للدكتور/ حمدي فتوح والي

كثيرة هي الأمراض التي تصيب بدن الإنسان فتسقمه، ومازال به حتى تنخر كيانه وتهدمه، وأكثر منها مايصيب فكر الإنسان فيفسده، وما يصيب عقله فيفقده الإدراك، ويحرمه صحة النظر، ودقة الحكم على الأشياء. وصدق القائل:

يقضي على المرء في أيام محنته
حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن

وبرغم خطورة أمراض الفكر والروح، فإن أمراض البدن على ضآلة خطرها، ومحدودية أثرها، تلقى من اهتمام الإنسان أضعاف أضعاف ماتلقاه أمراض الفكر والروح، وذلك دليل آخر، وآفة جديدة من آفات الحكم على الأشياء.

ويكمن خطر الأمراض التي تصيب الفكر، في قدرتها على إصابة العقل بالشلل، وتكبيله بقيود من العجز والقهر والخور، فإذا صاحبها دائم الإحساس بالتبعية، مفتقر إلى من يقوده، دائم القول لمن حوله «أنا مع من؟» لايخطر بباله يوما أن يقول «مَنْ معي؟» إنها حالة من الإحساس بالهوان والدونية عبر عنها نبينا ﷺ عندما وصف صاحبها بالإمعة، وحذر منها أصحابه وكره ﷺ أن تكون صفة لاتباعه فقال محذراً: «لايكن أحدكم إمَّعَة، يقول: إن أحسن الناس أحسنت وإن أساؤا أسأت، ولكن وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساؤا أن تجتنبوا إساءتهم»[1].

إنها غيرة من رسول الله ﷺ على أمته أن تُرى خفيفة الوزن ضائعة الهيبة فاقدة الهوية، مهيضة الجناح وكأني بالمرارة تعتصر قلب رسول الله ﷺ وهو ينظر بعين الغيب فيرى أبناء هذه الأمة اليوم على كثرة عددهم أذلاء، وعلى وفرة أموالهم فقراء. إن أصدق وصف لحالهم هو أنهم كما وصفهم نبينا

(١) مجمع الزوائد ١/ ١٨٠.

ﷺ : «كثير، ولكنهم غثاء كغثاء السيل».(٢) إنهم لم يؤتوا من قلة عددهم ولكن من خفة وزنهم، وغياب وعيهم وهوان أمرهم إنها كثرة لايجمعها هدف، ولايحكمها منهج، ولايضمها كيان وماذا تجدى الكثرة فى أناس فقدوا القدرة على إدراك الغاية من وجودهم، وعجزوا عن إحسان السير فى الأرض، سيراً يحفظ كيانهم، ويصون حقوقهم، ويعلى شأنهم ويؤكد هيبتهم؟

وماذا تجدى ملايين الأصفار إن وضعت على يسار الواحد الصحيح، ولم ترزق القدرة على احتلال مكانها عن يمينه؟

إن الأمة اليوم بحاجة إلى معجزة لتنقل هذا الرقم الصحيح على يسار تلك الأصفار، لكى تغدو بهذا الواحد كيانا يخشى ومقاماً يهاب.

وإن الأمة التى قهرت كسروية الفرس، وقيصرية الروم، وامتدت تنشر أشعة الهداية إلى هضاب أوربا، ومجاهل آسيا، وأدغال أفريقيا، وجبال الهند والصين، هى نفسها الأمة التى قهرت الشرك فى جزيرة العرب، وغسلت منه أدمغة الناس فى شرق العالم وغربه، وشماله وجنوبه وهى نفسها التى استشعرت خطر الصليبية، فأصاخت سمعها للقائد الربانى المسلم عماد الدين زنكى، ومن بعده ولده الشهيد السلطان «نور الدين محمود» هذا الرجل الذى صنع فى بلاطه وبين يديه بطل الإسلام العظيم، الناصر صلاح الدين الأيوبى.

إن الأمة التى صنعت حضارة العالم الحديث بما قدمته إليه من إنجازات، وما أهدته إليه من معارف ونظريات علمته منذ القديم كيف يكون حوار الحضارات. هذا الحوار الذى ازدهر فى الأندلس، واكتمل فى غرناطة، وأثمر فى قرطبة وإشبيلية، وطليطلة و فى صقلية، وجنوب إيطاليا وشمالها، بالإضافة إلى مدارس القيروان، والقاهرة وبغداد والكوفة وبلخ ونيسابور، وسمرقند.

إنها الأمة الوحيدة التى تولى الله -عز وجل- حفظ كتابها، وصيانة شريعتها، وسلامة نصوصها، عندما عجز علماؤها، وضعف أبناؤها، وانفرط عقدها.

ولك أن تتساءل.. ما الغاية من وراء حفظ الكتاب وصيانة الشريعة وسلامة النصوص، إلا لأن الله -سبحانه وتعالى- يدخرها لدور عظيم ستؤديه، ونظام عالمى جديد ستبنيه. فالله لايحفظ شيئا عبثا ولايترك أمر الناس سدى.

﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾(٣).

إن الأمة الإسلامية التى حباها الله سلامة الفطرة، وألوهية المنهج، وصحة المعتقد، وربانية القيادة، مازالت هى المؤهلة للقيادة، والمنتدبة للسيادة، والمفضلة على العالمين بالرغم مما تعانيه من ضعف قوتها، وقلة حيلتها، وهوانها على الناس.

ومن منا لايذكر جيوش الغرب الصليبى، وكيف جاءت غازية باغية، فرجعت منهزمة عسكريا، لكنها عادت بزاد روحى، ومدد حضارى، وفكر جديد.

---

(٢) أحمد ٥/٢٧٨.

(٣) سورة محمد آية ٣٨.

وكلنا يذكر كيف جاء التتار مدمرين مخربين، حتى إذا عاينوا حضارة الإسلام وعايشوها، رأيناهم يذوبون في الكيان الأقوى، والعقيدة الأقوم، عقيدة الإسلام ورأينا منهم صناديد راسخة، وهامات شامخة، انكسرت على أيديهم جحافل الشرك، وعبدة الأوثان، حتى من التتار أنفسهم، ومن هؤلاء القادة: سيف الدين قطز، وركن الدين بيبرس، والمنصور قلاوون وغيرهم.

والذي يلفت النظر ويسترعي الانتباه، أن الأمة الإسلامية قد أدت هذا الدور الحضاري، فهزمت الغرب الصليبي، وسحقت الخطر التتري، بالرغم مما كانت تعانيه يومها من فقر ومجاعات، وتشرذم وصراعات. لكن قوة العقيدة وسلامة الفطرة، وربانية القيادة، كانت دائما أسلحة ماضية في يد المخلصين من أبناء هذه الأمة، فقد استطاع هؤلاء المخلصون تجاوز هذه الانكسارات، والقضاء على تلك الصراعات، عندما نجح صلاح الدين الأيوبي في استثمار انتصارات أستاذه نور الدين محمود على الصليبيين، كما انتهز فرصة النزاع الدائر في مصر بين الوزيرين المتنافسين: شاور، وضرغام، واستطاع أن يحسم النزاع لصالح مستقبل الأمة وسيادتها، وأن يصل إلى مصر فاتحا، ليضع حدا لمهاترات هذين الوزيرين اللذين شغلت بهما مصر في ظل الخليفة الفاطمي العاضد، الذي تحول في أيديهما إلى دمية يحركونها كيف يشاؤون.(٤)

لقد أدرك صلاح الدين الأيوبي بحسه السياسي الملهم أنه لاغنى لمصر عن الشام، ولاغنى للشام عن مصر، وأن المعركة المرتقبة لتحرير بيت المقدس لابد أن تمر من مصر. وأدركت الأمة بحسها الإيماني، إخلاص القيادة وتجردها فهبت من خلفها هادرة قادرة، فاستطاعت برغم جراحها السياسية، أن تذوب تلك الجيوش الجرارة في تيار حضارتها، وأن تصهرها في بوتقة عقيدتها، وأن تضيف مكتسبات الغزاة ومواهبهم إلى تراثها وأصالتها.

وهذا مايجعلنا نستشعر جسامة الجريمة وفداحة الجناية، من فئة من المستغربين، ممن أداروا ظهورهم لمنهج الإسلام القويم، وراحوا يشككون أبناء أمتهم في تراثها العظيم، وقد يمموا وجوههم شطر حضارة الغرب، يرجون من نارها ريا لقلوبهم الظماى وأرواحهم الثكلى ورءوسهم الجوفاء.

ولا أدري ماذا عند أهل الغرب من خير يرجى أو نفع يرام، وهم الذين لم تعرف جباههم لذة السجود لله ولم تخفق قلوبهم بخشيته، رغبة في ثوابه، أو رهبة من عقابه، أو حياء من وجهه الكريم، فآباؤهم عندما تدينوا اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله، وأما أبناؤهم وأحفادهم، فقد ازدروا الأديان جملة، واتخذ كل واحد منهم إلهه هواه. فعبدوا القوة واللذة والشهوة ووسائل الإنتاج. يقول المفكر النمسوي «ليبولد فايس» الذي اعتنق الإسلام: «إن الاتجاه الديني مبني دائما على الاعتقاد بأن هناك قانونا إلهيا مطلقا شاملا، وأننا نحن البشر مطالبون بأن نخضع أنفسنا لمقتضياته. ولكن المدنية الغربية الحديثة لاتقر الحاجة الى خضوع ما إلا لمقتضيات اقتصادية، أو اجتماعية، أو قومية. إن معبودها الحقيقي ليس من نوع روحاني، ولكن الرفاهية.

---

(٤) انظر: الأيوبيون والمماليك. د/قاسم عبده قاسم - دار المعارف- سنة ١٩٩٥ ص ٢٣.

وإن فلسفتها الحقيقية المعاصرة إنما تجد قوة التعبير عن نفسها عن طريق الرغبة في القوة، وكلا هذين موروث عن المدنية الرومانية القديمة».[٥]

استسمح القارئ أن يتوقف معي أمام تلك العبارة: «إنما تجد قوة التعبير عن نفسها عن طريق الرغبة في القوة» ثم انظر الى ما تفعله امريكا بالمستضعفين في العالم، وإصرارها على مواصلة التهديد بالإفناء والتدمير لكل من يخالفها، أو يفكر في العيش مستقلا عن إرادتها أو متحررا عن سلطانها.

الا ما أشقى العالم! وما تعس البشرية! إذا كان كل حظها من العيش، ماتجود به تلك القلوب القاسية، أو مايتبقى من فرائس تلك المخالب الدامية.

وما ظنك بقوم، اجتمع عقلاؤهم، واتفقت آراؤهم، في أعلى المجامع التشريعية لديهم، على إباحة جريمة الشذوذ، واستصدروا لها قانونا ينظم زواج الرجل بالرجل. وهو أمر تعافه البهائم وتنفر منه طباع الحيوانات[٦] وصدق الله العظيم حيث يقول:

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾[٧].

وإذا كان الغرب قد اختار لنفسه هذا المنهج، وارتضى لذويه هذا المصير، انطلاقا من إرثه الروماني الوثني، فعذر هؤلاء القوم انهم لم يعرفوا في أرضهم رسالة ولاشهدت سماؤهم آيات الوحي المقدس.. «وجبريل روّاح بها غداء».

فإذا غلبتهم الوثنية على أمرهم، وصرعتهم ضرباتها القاسية فغدوا عبيد تلك الأهواء، وأسرى تلك الشهوات. فما الذي تملكه نحن من اعذار، وكتاب الله بين أيدينا، وسنة رسول الله ﷺ محفوظة فينا. ورصيد الفطرة الكامن في أعماق الناس يستحثنا، ورصيد التجربة لهذا المنهج على مدى التاريخ الإسلامي يستنهضنا، ولايبقى إلا أن تخرج من حالة الذهول عن الذات، تلك الحالة التي طالت حتى أثارت عجب الدنيا كلها وأن نتقدم للدنيا بهذا المنهج الإلهي الذي يمثله الإسلام في صورته النهائية، كما جاء بها محمد ﷺ منقذين مرشدين، على أن يكون واضحا لدينا جيدا، أن هذا المنهج الإلهي، لايتحقق في الأرض، وفي دنيا الناس بمجرد تنزله من عند الله، ولايتحقق بكلمة «كن» الإلهية مباشرة لحظة تنزله. ولايتحقق بمجرد إبلاغه للناس وبيانه، ولايتحقق بالقهر الإلهي على نحو مايمضي ناموسه في دورة الفلك وسير الكواكب، إنما يتحقق بأن تحمله جماعة من البشر، تؤمن به إيمانا كاملا، وتستقيم عليه -بقدر طاقتها- وتجتهد لتحقيقه في قلوب الآخرين وفي حياتهم كذلك وتجاهد لهذه الغاية بكل ماتملك، مستشعرين معنى قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٨].

---

(٥) الإسلام على مفترق الطرق - محمد أسد - ترجمة عمرو فروخ ص ٣٥.

(٦) انظر تفصيل ذلك في كتاب المرأة والأسرة في الحضارة الغربية الحديثة - محمد عطية خميس - دار الاعتصام ص ١٩٧٩م ص ٣٥ ومابعدها.

(٧) سورة الأعراف آية ٥٨.

(٨) العنكبوت (٦٩)

مواقف
إسلامية

الفاروق عمر رضي الله عنه الحاكم الإنسان

للأستاذ الدكتور / محمود عمارة

مثل الهرمزان بين يدى عمر - رضى الله عنه - لتنفيذ حكم الإعدام فيه.. فطلب منه عمر أن يسلم..

فقال: لا أرغب. قال عمر: إذن.. تضرب بالسيف

فطلب شربة ماء.. قائلا: يا أمير المؤمنين، أنا آمن حتى أشربها؟ قال: نعم.. فرمى بالماء ثم قال: الوفاء.. يا أمير المؤمنين!! فقال عمر: صدقت.. حتى أنظر فى أمرك!

ثم أسلم الهرمزان، فقال له عمر: أسلمت أحسن إسلام.. فلماذا لجأت إلى هذا؟ قال: خشيت أن تقول أسلم خوفا!؟ فقال عمر: إن للفرس عقولا استحقوا بها ما كانوا فيه من ملك.

وإذن.. فقد كانت بذرة الإيمان جاهزة فى قلب القائد الفارسى فلماذا، بالعنف فلماذا نقتل الجنين قبل أن يتخلق؟!!

ولقد أحسن عمر مثوبة الرجل.. فكان خير دعاية للإسلام.. الذى يغزو القلوب لا بمعسول القول.. وإنما بالقدوة التى تمثلها عمر - رضى الله عنه - بوفائه بوعده.. وفى الموقف الحرج..

إن عمر - رضى الله عنه - والذى كان يملك ويحكم لم يفرض رأيه.. صادرا عن روح القرآن القائل:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ ﴾(١)

انه يعرضها.. ولا يفرضها.. إن فى ذلك لعبرة لأهل زمان ذهب فيه الرجال.. وبقى الجدال!!

لقد ذهب الرجال الذين كانوا يجادلون بالحسنى.. بالمنطق الأسنى..

لا يدعون احتكار الحقيقة.. وإنما الحقيقة ملك للجميع.. لا يقابلون التجريح بمثله.. وشعار أحدهم ما يحكيه واحد منهم: أن تفرض إرادتك على الآخرين.. فهذه قوة.

وأن تفرضها على نفسك.. فانت أقوى..

يقول أحدهم:

لا أرد الإهانة بمثلها.. فلا أحد يستطيع أن ينقص من شأنى، ولكنى أنا وحدى الذى أستطيع أن أنقص من شأن نفسى، ومن أراد أن ينقص من كرامتى.. فلن يستطيع، لن يستطيع، لا بالنفاق، ولا بالتهديد، ولو كان عاصفة. فلن أنحنى لها، سأركبها سأطوعها لإرادتى بدل أن تحتوينى وفى هذا الموقف الصعب وقف رئيس الدولة كالطود الأشم.. أمام منطق العدو الماكر.. ولم يجد إلا القيمة.. إلا خلق الوفاء يكسب به الرجل.. الرجل الذى كسبته الدعوة وكسب هو حياته.

إن الناس يستطيعون أن يقتلونا.. لكنهم لا يستطيعون أن يأكلونا.. ربما تسقط.. غدرا.. أو حيلة.. أما أن تسلم نفسك هذا ليأكلك الآخرون وأنت ساكت فلا!!.

لقد كان الفاروق – رضى الله عنه – كالعهد به دائما: رجلا عظيما، فمقياس العظمة أن يكون الرجل أكبر من شهوته، وأن يكون الحق أكبر منه!!.

ولقد كان عمر كذلك.. وفى كل المواقف: رجاعا إلى الحق..

لقد أحرجه سلمان يوما.. وعلى الملأ فى المسجد الجامع لما رأى الخليفة يلبس ثوبين بينما كان نصيب الفرد غيره ثوبا واحدا ولم يتبرم واعتصم بضبط النفس حتى كسب القضية.. وهو هو نفسه الذى تحرجه امرأة جادلته فى شأن المهور.. بينما هو أولا: عمر.. وثانيا هو الخليفة.. لكنه عاد إلى الحق لما ظهر.

وهو فى موقفه هنا مع العدو «الهرمزان» كان فى قمته حين قدر.. لكنه عفا.. فصار عفوه بابا مفتوحا أمام الناس يدخلون منه إلى دين الله أفواجا.

عمر.. مع القاعدة الشعبية

عرفنا تقدير عمر – رضى الله عنه – لأهل الحل والعقد حتى من الأعداء.. فكيف كانت معاملته للقاعدة الشعبية من البسطاء، والأيتام والضعفاء؟

إنه من الصعب على المتأمل النزول إلى أعماق نفس عمر – رضى الله عنه – ومن ثم فهو عاجز عن وصف النفس فى كل أطوارها: فى رضاها.. وغضبها، فى ألمها، وأملها، فإذا تعلق الأمر بنفس عبقرى كعمر – رضى الله عنه – كانت المهمة أصعب.. وكل ما نستطيع أن نفعله.. إنما هو حبات السكر نلتقطها من أفواه النحل!!.

ولكننا ـ وبجهد المقل ـ نحاول الاقتراب من

(١) الأحزاب (٧٢).

الرجل.. لنسدد.. ونقارب.. لنعود من الرحلة المباركة.. بما يفيد.

خرج عمر – رضي الله عنه – في جولة تفتيشية.. وخرج هذه المرة متنكرا.. ثم طرق بابا.. فتفتحت له ربة البيت.. فسلم عليها.. ثم قال: ما بال هؤلاء الصبية يبكون؟ قالت: إنهم جياع وليس عندي ما أطعمهم به. فقال لها: وما هذا الذي توقدين عليه في القدر؟ فقالت: ماء.. وحصى.. ألهيهم به.. حتى يناموا. الله بيننا وبين عمر!! فقال: وما يدري عمر بكم يا أختاه؟!! قالت: عجبا!! يتولى أمرنا ثم يغفل عنا؟!!

من دروس الموقــــف

(١)

خرج رضي الله عنه متنكراً.. لماذا؟

ليرى الأمور على طبيعتها.. وليتوفر عنصر المفاجأة الذي لا يتيح للمهمل فرصة الاستعداد خوفا وطمعا. وهو بذلك يوفر على بيت المال نفقات استقبال المسئول الكبير.. والتي تشكل عبئا على ميزانية الدولة.

(٢)

عندما سمع الحاكم أنات الشعب متمثلة في هؤلاء الصغار.. اتخذ القرار الفوري.. والذي حمى به الصبية من الضياع.. والمرأة من الانحراف.. لأن بكاء الصبية يعني هما كبيرا.. قد يكون: غياب الزوج.. أو مرض الصبي.. أو جوعه..

(٣)

لم تكن النجدة العمرية ملهاة تسكت الصبيان.. ولا تشبعهم.. وإنما كانت غذاء غنيا بعناصر العافية يسري في عروقهم دما.. وتلك هي الخطة السريعة.. إلى جانب خطة طويلة الأمد هي هذا الراتب الشهري.

وقبل هذا.. كان هذا التحقيق السريع.. أو التحقق من أسباب ما رأى وما سمع.. في بيت أغلب الظن أنه بلا عائل..

(٤)

وكان من حيلة المرأة أنها تعاملت مع الظروف القاسية بالحيلة.. بالنار.. والحصى.. والماء.. لكن الجوع كان أعلى صوتا من حيلتها.. فضج البيت بصراخ الصغار ولاحظ من أدبها أنها لم تشتم عمر.. ولكنها تشكو منه فقط.. وحين ترشح صاحب النجدة للخلافة.. كم أسعدها أن يكون هو عمر نفسه.. والذي أعاد بالنجدة ثقة هو أحق بها وأهلها.

وعاد الخليفة إلى بيته.. فحمل دقيقا.. وسمنا.. وعسلا ثم جلس يساعدها في الإعداد والدخان يتخلل من لحيته!. ثم قرر راتبا شهريا للأسرة. ولم يغادر الدار « حتى سمع الأطفال يتضاحكون ».

وقالت له المرأة: جزاك الله خيرا. أنت أولى بهذا الأمر. تعني الخلافة. من عمر!!.

أما بعد:

فقد قالوا: إن عدل السلطان أنفع للرعية من خصب الزمان، ولقد كان الفاروق – رضي الله عنه – ذلك السلطان.. الذي نفع الله به الأمة...

وكما يرسل الله الرياح بشرا بين يدي رحمته.. فقد كان – رضي الله عنه – من حراس الأرض الذين ثبت الله بهم دعائم الدين وأغاظ به الكافرين.

من فقه عمر في تغيير المنكر

مهما كانت مسئولية الحاكم عن ملاحقة الانحراف والتصدى له، فإن ذلك لا يسقط مسئولية المحكوم عن الوقوف إلى جانبه، بالكشف عن المنحرفين، وتقديمهم إلى ساحة القصاص.

قيل لعمر - رضى الله عنه - إن فلانا يتابع الشراب، فكتب إليه: إني أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو إليه المصير.

فلم يزل الرجل يرددها، ويبكى، حتى تاب، وصحت توبته. وبلغت توبته عمر - رضى الله عنه - فقال لمن حوله: هكذا فاصنعوا:

إذا رأيتم الحاكم قد زل: فسددوه، ووفقوه، وادعو الله أن يتوب عليه، ولا تكونوا أعواناً للشيطان عليه.

لا يتناول الحيوان طعاماً يؤذيه.. ولا يأكل من العشب إلا القدر الذى يكفى حاجته ولا يزيد. والنبات أيضاً، لا يمتص من الضوء أكثر من حاجته ولا أقل منها، مقتصراً على ما يكفيه مما يحقق توازنه.

ولكن الإنسان وهو المأمور بالاعتدال.. يتأبى.. فلا يقتصر على ما يفيده، بل يطعم ويشرب مما يحل، ولا يحل.. واضعاً أصابعه في أذنيه فلا يسمع نداء الطب، ولا نداء الفطرة!.

ومن هنا يشرب الخمر.. ضارباً صفحاً من عمره الذى يخربه بهذا الداء العضال، بل إنه لخصيم مبين يحاول فلسفة الشراب الوالغ فيه تسويغا لمواقفه.

قال رجل لإياس بن معاوية: لو أكلت تمراً أتعاقبني؟

قال: لا.

فقال الرجل: لو شربت ماء أتعاقبني؟

قال: لا

فقال: لماذا تعاقبني على نبيذ التمر وهو: تمر، وماء؟!

فقال له إياس: لو رميتك بقبضة من تراب، هل تتألم؟

قال الرجل: لا.

فقال: لو صببت عليك ماء، هل ينكسر عضو لك؟

قال: لا.

فقال إياس القاضي الذكي: لكنني لو مزجتهما، فصنعت منهما قالبا من الطوب، كسرت به رأسك!!

فبهت الذى سأل!!

مسئولية المحكوم

فلندع فلسفة الشاربين الكاذبة، لنرى كيف تعاون المجتمع كله على التصدى للانحراف، كل فيما يخصه.

فماذا في موقف اليوم من دروس؟

الشعب هنا مفتاح العين، يلاحق الانحراف في مظانه.

وها هم أولاء، صحابة رسول الله ينصحون الشارب أولاً بالطرق السلمية، حتى لا يرفعوا أمره إلى الحاكم.

فلما «تابع» الرجل الشرب وأصم أذنيه عن

نصح الناصحين، كان لابد من القبض عليه وتسليمه إلى جهة الاختصاص، وتنتهي مسئولية المحكوم بالإبلاغ.

ثم تبدأ مسئولية الحاكم، بالحساب، ثم العقاب.

وهذا ما فعله عمر - رضي الله عنه - بدأ على الفور يباشر سلطاته فأرسل للرجل هذه الرسالة الرقيقة المؤثرة. ذكره بحمد الله الذي لا يُحمد على مكروه سواه والذي شرع التوبة خروجاً من الأزمة، ثم لقنه درساً في التربية الراشدة حين جمع له بين عنصر الترغيب «غافر الذنب» وعنصر الترهيب «شديد العقاب» مؤكداً له أن المصير في النهاية إليه تعالى وحده.. وعليه أن يستعد للموقف الرهيب.

من ثمرات الحكمة

وقد سألت نفسي: أين «عصا» عمر هنا؟ لماذا لم يضرب هذا الرجل؟

ثم.. ألم يتسور عمر الجدار يوماً وراء شباب يحتسون الخمر ليفاجئهم في عقر دارهم؟

لماذا يتخلى اليوم عن صرامته المعهودة؟!

إنها الحكمة التي تدرس الواقعة، وتضع المذنب في نقطة الضوء، كشفا لكل ملابسات الذنب.

فلما رآه مدمناً، غارقاً إلى الأذقان في شرابه، لم تكن العصا هي الحل الأمثل، وإنما الكلمة البليغة المؤثرة، والآية القرآنية تمسك بخناق الرجل، في محاولة لانتشاله من غفلته.

وإلا.. فإن منازلة المخمور المدمن بالقوة، لن تسفر في النهاية عن توبة نصوح بقدر ما ستؤدي إلى مهاترة فسجن، ثم خروج من السجن إلى الحانة من جديد؟!

إن توحيد العقوبة مع اختلاف الملابسات منهج خاطئ لا يقتلع الداء من جذوره، والحكمة قاضية بالدراسة المستأنية الواصلة إلى قلب المذنب، حتى إذا ظهرت ملامح الداء كان الدواء.

وهذا ما فعله عمر - رضي الله عنه - حين استثنى هذا الشارب من القاعدة العامة، فصحت توبته.

بل إنه أي الرجل الذي كان يردد الآية وكأنما يسمعها لأول مرة، فتحدرت دموعه الصادعة بتوبته الشاهدة بما تفعله الموعظة الحسنة من آثار، وما تحطه من آصار.

منهج في الإصلاح

ولم يشأ عمر - رضي الله عنه - أن يترك الموقف يمر دون أن يتخذ منه معلما بارزا للهداية والإرشاد.

لقد نبه قومه إلى ما يمكن عمله في مثل هذا الموقف:

أ - إذا زل أخوكم، فاعلموا أنه ما زال مع خطئه.. أخاكم.. وتفرض الأخوة عليكم أن تنصحوه لا أن ترجموه.

ب - حولوا وجهته ليسير معكم في الاتجاه الصحيح.. «سددوه».

جـ - ثم «وفقوه» مصاحبين له في رحلة الطهر حتى يستقيم على الخط القاصد.

د ـ ومع دوركم البشرى، اسألوا الله أن يعينه ليستمر مثلكم صالحا.

هـ ـ واعلموا أن الشيطان واقف لكم بالمرصاد، فناظر كيف تعملون حتى يضرب ضربته، فكونوا مع أخيكم ضد عدوكم المشترك: الشيطان.

ولماذا الدرة هذه المرة؟

ونقلب الصفحة لنرى عمر - رضى الله عنه - فى موقف آخر يهوى بالدرة على رأس متذنب آخر، فما هو السر، بل ما هى القصة؟.

سمع عمر سائلا يسأل بعد المغرب، فقال لرجل فى مجلسه: قم عش الرجل.

فقام الرجل، فاصطحب السائل فعشاه.

ثم سمع ابن الخطاب السائل يسأل ثانية. فقال للرجل: ألم أقل لك قم عش الرجل؟

فقال الرجل لابن الخطاب: قد عشيته.

حينئذ نظر عمر فإذا تحت إبط الرجل مخلاة مملؤة خبزاً، فناداه عمر وقال له: لست سائلا، ولكنك تاجر.

ثم أخذ المخلاة ونثرها بين يدى أهل الصدقة، وضربه بالدرة وقال له: لا تعد لمثلها.

إن بين الموقفين فرقا كبيرا:

فقد تسوقك أقدارك فإذا أنت فى مجلس شراب، وقد يغريك رفقاء السوء فتقع فى المستنقع الآسن مكرها، وقد كنت من قبل ملاكاً، وإذن فمن الحكمة إنقاذك برفق، لأن الشخصية حينئذ قابلة للكسر!.

وربما كان فى أعماقك ندم يقض مضجعك، فليستثمر ذلك الشعور فى مساعدتك على النهوض، أما هذا السائل فما باله يستجدى فيما يشبه التحدى؟.

لقد وصل سمعه إلى الحاكم الذى أسرع فأصدر توجيهاته بإطعامه، فاستجاب المأمور فوراً، فماذا بعد الشبع إلا أن يكون تاجراً؟

إنه يتاجر فى كرامته، ومع سبق الترصد والإصرار.

وإذن فلا ينفع فيه إلا العصا:

العبد يقرع بالعصا
والحر تكفيه المقالة

وما أصدق ما قاله الشاعر الحر معبراً عن ذل السؤال. لاسيما إذا كان المسئول لئيما.

فقد سأل أعرابى رجلا موسراً، فلم ينل منه، فقال شعراً:

والله والله مرتين
لحفر بئر بإبرتين
ولكنس مصر بريشتين
وغسل عبدين أسودين
حتى يحولا أبيضين
وحمل ثورين باليدين
ونزع طودين راسبين
ونقل بحرين زاخرين
على صعيد بمنخلين
ولا وقوفى على لئيم
يضيع منه حياء عينى

التكاملية بين الدينى والدنيوى فى الرؤية الإسلامية

للدكتور/ عبد الحليم عويس

نموذج سعيد النورسى

لم يفصل المصلح والمجدد والداعية الإسلامي التركي «بديع الزمان سعيد النورسي» (١٢٩٠ـ١٣٧٩هـ) (١٨٧٣ـ١٩٦٠م) ـ بين ما هو دينيٌّ، وما هو دنيويٌّ، وبين ما هو متصل بالعقيدة (التوحيد ومقتضياته الكونية والعبادية) وما هو عقل متصل بالشريعة وما هو وجدان متصل بالقلب والأدب والفن، وما هو أخلاق ونظرة للإنسان والكون والحياة، فكل دين موصول ومتكامل كما يعلمنا القرآن نفسه. وفي موسوعة رسائل النور، التي كتبها النورسي انطلاقاً من المنهجية القرآنية لا تجد فواصل قاطعة، ولا تجد منهجية مدرسية أو أكاديمية تقدم تلك المعارف أو القضايا عبر سلسلة أو حلقات من الأبواب والفصول والمباحث بل تجد إنسياباً هنا يلتقي مع انسياب هناك، قد يكون التركيز في جانب إبراز عقيدة التوحيد، لكن الاعتماد في تأكيد هذه الرؤية الإيمانية القرآنية النورسية يقوم على حقائق الكون والإنسان.

الأنا الإنسانية التي تمثل مرآة أسماء الله الحسنى ونقطة تجلياتها. ولأن الاعتماد في الرؤية الإيمانية يقوم على أساس هذه النظرة الشمولية غير التقليدية، فإنه بالتالي يعتمد في عرضه على أسلوب لا يمكن أن يكون رياضياً أو علمياً خالياً من الروح والفكر الروحي الموصول بالقلب، وبالكيان كله........!!

وفي الوقت نفسه لا يمكن أن يكون أسلوباً أدبياً بلاغياً إنشائياً حسبُه أن يقرع الأذن، ويحرّك العاطفة، ثم لا يترك أثراً في توجيه الصياغة السلوكية الفردية أو الاجتماعية في الحياة، وكأنه أقربُ إلى الشعر بمفهومه عند أكثر الحداثيين والحداثيين..

ـ إن (الأدب) ـ انطلاقاً من المنهجية القرآنية التي انطلق منها النورسي . . . يجب أن يكون (كالعلم) في انضباطه بالحق، وفي توظيفه توظيفاً يتكامل مع (العقل) ـ أو مع العلم ـ في خدمة الدين والحق والحياة الإنسانية الكريمة اللائقة بإنسانية الإنسان . ولئن كان العقل والعلم يخاطبان جانباً ضرورياً ومهماً في كيان الإنسان، فإن الأدب والوجدانيات يخاطبان كذلك الجانب الآخر المتُمم للحقيقة الإنسانية . .

ـ وقد دفعت حضارة المسلمين في قرونها الأخيرة ثمناً غالياً عندما فقدت التكامل بين الجانبين، وأهملت جانب العقل والعلم ومقتضياتهما، ولسوف تدفع الحضارة المادية (الأورو ـ أمريكية) الحديثة ثمناً باهظاً لإهمالها دور الأدب والوجدان والروح بطريقة أخلاقية توازنية إيجابية إنسانية . .

ـ ولئن كانت المنظومات الحضارية اللائقة بالإنسان والضامنة لسلامة مستقبله الحضاري تقتضي التكامل بين لُغتي العلم والأدب، وبين قضاياهما، وآلياتهما في الحدود المقبولة منهجياً ـ وأهدافهما الوظيفية الإنسانية والكونية والإلهية . . كما ترى الرؤية النورسية التي عبّرت عنها بتفصيل ووضوح رسائل النور . .

ـ لئن كان الأمر كذلك فإن المعرفة الحقّة الصحيحة الكفيلة بتحقيق سعادة جنس الإنسان لن تتحقق ـ كذلك ـ إلا من خلال الترابط والتكامل بين المعرفة الكونية، الشاملة للوعي بالنواميس والعلوم الطبيعية وتسخيرها، والمعرفة الإنسانية المعبرة عن مفردات الكينونة الإنسانية، وكل ما يتعلق بها باطناً وظاهراً، والمعرفة الإلهية التي ترتبط بوجود الله وتوحيده وربوبيته وتجليات أسمائه الحسنى في خلقه وفي كونه . .

ـ ومن حقنا ـ بل من واجبنا ـ أن ننبّه إلى التكاملية في الرؤية النورسية بين العقل والعلم ـ من جانب ـ والأدب والوجدانيات . . من جانب آخر، كما أنه من حقنا أن نشير إلى التكاملية في (نظرية المعرفة النورسية) إلى التكامل بين ما هو كوني يعتمد على العقل والعلم، وإنساني يعتمد على القلب والروح وأدوات الأدب والفنّ، وإلهي مصدره الوحي، يقود الجانبين السابقين إلى تحقيق السعادة الحقة للإنسان الفرد والإنسان المجموع صانع الحضارة، ويمكّن الإنسان من أن يكون إنسانياً وربانياً مترجماً من خلال الأمانة التي عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها، وحملها الإنسان . . (بالأنا) ـ أي بالشعور بالوجود والإرادة، وبالقدرة على تمثل معظم أسماء الله الحسنى في الكون . . كما تمثل المرآة الكائنات التي تظهر أمامها .

ـ وفي ضوء هذا تتعاشق المعارف الثلاث فيما بينها (الكونية والإنسانية والإلهية) كما تتعاشق زوايا مثلث الأضلاع، تقوم قاعدته في أحد طرفيها على المعرفة الكونية، وعلى المعرفة الإنسانية في طرفها الآخر، بينما تعلو قمته (المعرفة الإلهية)[1] . . . ولعلنا ـ من خلال هذه الرؤية التكاملية نعرف موقع الأدب ورسالته في فكر النورسي . . . ونعرف ـ أيضاً ـ طبيعة الرؤية النورسية الشمولية القرآنية .

---

(١) أديب إبراهيم الدباغ: نظرية المعرفة عند النورسي صـ ٧٥ ضمن أعمال المؤتمر العالمي الثالث حول تجديد الفكر الإسلامي في القرن العشرين عند النورسي ط تركيا ١٩٩٦ .

ـ ولكي يتعامل المسلم مع الكون والحياة ـ في الرؤية النورسية ـ لابد له من تحريك طاقاته كلها، أي كيانه كله، أي ملكاته العقلية والروحية والوجدانية. فإنَّ تحريك طاقة العقل وحده بالعلم، أو القلب وحده بالأدب والفن، لن تحقق الرؤية الصحيحة القادرة على النفاذ إلى أعماق الكون، فمن الضروري أن تتحقق الرؤية الشمولية التي لا تمنع اعتماد السببية في شؤون الحياة، ولا تمنع كذلك من نفاذ الرؤية الإيمانية بعيداً عن قفص السببية في محاولة لاختراق الجدران الصلبة للسببية انطلاقاً إلى الأبد اللامحدود، ذلك الذي تسمع قوانين إيقاعه في جنبات الروح والوجدان حيث تعجز السببية عنه وتنكفئ دونه... ولهذا فإن (النورسي) لا يرى في عالم « الشهادة » الكثيف معضلة ما تفقد بصيرته الروحية قدرتها على النفاذ إلى « عالم الغيب » وراء هذا الكون.. بل إن عالم الشهادة يشكل في جسّه لوحة إعجازية خارقة في إعجازيتها، رَسَمتها وأبدعت فيها يد المبدع البارئ القدير جلّ جلاله، غير أنهُ ـ أي عالم الشهادة ـ يظل رمزاً وإيماءً وظلاً يدل، بشخصيته وظله على عالم أجمل وأقدس وأروع، أبديّ لانهائي ينتظر عيون المؤمنين الوالهة الشغوفة بالجمال[٢].

ـ وبقدر ما في نفوسنا من توق وحنين فطري إلى مشاهدة الجمال والأنس به، كذلك فإن الجمال نفسه يبادلنا هذا الشوق، ويطلب لنفسه صفوة من المشاهدين الذواقين الذين يحسنون المشاهدة.

ويوضح (النورسي) هذه العلاقة التبادلية بين الإنسان (المشاهِد) (بكسر الهاء)، وبين إبداع الله في الكون (المشاهَد) (بفتحها) فيقول: « من الحقائق المستقرة الثابتة أنّ كلّ ذي جمال فائق يحب أن يشاهد جماله بنظره وبنظر غيره، وينظر إلى محسناته بالذات وبالواسطة، ويشتاق إلى مرآة فيها جلوة جماله المحبوب، وإلى مشتاق فيه مقاييس درجات حسنه المرغوب فالحسن والجمال يقتضيان الشهود والإشهاد، وهما يقتضيان وجود مستحسنين متنزهين في مناظرهما، ووجود مشتاقين متحيرين في لطائفهما[٣].

ـ وعن هذا الإيمان الذي تؤكده المعرفة، والمعرفة التي يقويها الإيمان، وعن التجاذب بين المشاهد والمشاهَد، وبين ما هو عقلي علمي، وما هو وجداني أدبي ـ يحدثنا أحد طلاب رسائل النور قائلاً: « كنت أحسّ فراغاً كبيراً في نفسي، وفي روحي، وبينما كنت أبحث عن كتاب لأقرأه وجدت رسائل النور التي ما إن قرأتها حتى علمت بأنني لن أستطيع بعد مفارقتها، إذ أحسست بأنها هي التي تسدّ هذه الحاجة القلبية لديّ، لأنني وجدتُ فيها البراهين والأدلة العقلية والإيمانية المنقذة من الشبه العلمية والإيمانية، وتخلصت بذلك من القلق، ومن الضيق الذي كانت الشبهات تحدثه وتولده فيّ. وأدركتُ من هذه الحقائق أن رسائل النور كتبت لإنسان هذا العصر.

ـ وقد أحسست أن إيماني يقوى كلما قرأتها، وهذا أنقذني من السقوط في هوة الضلالة، وأنقذني من العدول عن ديني الجامع لكل جوانب الحق والحقيقة.

---

(٢) أديب الدباغ المرجع السابق صـ ٧٩

(٣) بديع الزمان النورسي ـ المثنوي العربي النوري صـ ٩٢ ط١ ١٤١٥هـ مصر ـ ترجمة إحسان الصالحي نشر دار سوزلر للنشر بالقاهرة

ـ وهما أسس أرقى مدنية ـ وانقذني من أن أكون لقمة سائغة يلتهمها الوحش الأحمر[4].

ـ إننا نرى هنا ـ في أسلوب تلميذ النورسي ـ رشحاً لأسلوب النورسي نفسه، فهو أسلوب علمي أدبي ـ عقلي روحي ووجداني في نسيج واحد.

ـ لقد كان من بديهيات الأمور ـ ولابدّ ـ أن يكون خطاب النورسي عالمياً بطبيعته؛ لأنه مادام قد وهب نفسه لخدمة الكلمة القرآنية والحقيقة القرآنية والبيان القرآني، فلابدّ ـ بالتالي ـ أن يكون خطابه عالمياً.. عالمياً في فكره.. وعالمياً في أسلوبه وأدواته البحثية، وعالمياً في جانبه العقلي العلمي، وعالمياً في خطابه الأدبي وأساليب تعبيراته وتخيلاته الأدبية والفنية..

ـ كان النورسي ينفر من التحزب والفرقية والطرقية، فقد ابتعثه الله ـ كما ابتعث كثيراً من المجددين والمصلحين ـ لينقذ حقيقة إنسانية عالمية وهي الحقيقة الإيمانية.

ـ فحتى لو كان خطابه للأتراك أو للعرب أو للفرس أو الأكراد، فإنه إنما كان يخاطبهم لينبّههم إلى طبيعة رسالتهم التي ارتضوها حين ارتضوا الإسلام ديناً، والقرآن منهجاً، ومحمداً ﷺ نبياً ورسولاً.

ـ إنها الطبيعة العالمية الإنسانية الإسلامية..

ـ أليس الله قد خاطب نبيّه محمداً بقوله:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[5].

وبقوله:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[6]

ـ فعلى المسلمين مهما كانت أجناسهم أو أوطانهم أن يتنبّهوا إلى أنهم حملة الراية بعد أستاذهم ومعلمهم محمد ﷺ وعليهم أن يتنبّهوا إلى أن الأمانة التي ائتمنهم الله عليها، وهي (البلاغ للناس بالقرآن) إنما هي نور للناس جميعاً، إذا آمنوا بها، لا فرق بين أسود وأبيض.. يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[7]

فالمهم ـ لكي يتحقق النور ـ أن يتبعه الناس..!!

ـ وعندما عرض سعيد النورسي ـ من خلال رسائل النور ـ للرؤية القرآنية في حلّ مشكلات العصر الحديث، ولم يعرضها لتحل المشكلات في الدائرة الإسلامية أو التركية أو العربية وحدها، وإنما عرضها لتحلّ ـ من خلالها ـ مشكلات الحضارة الإنسانية كلها..!!

---

(4) بديع الزمان النورسي ـ الشعاعات ـ ص ٩٠ ـ ٩١ ط٢ ١٤١٤هـ مصر ـ ترجمة إحسان الصالحي ـ نشر دار سوزلر للنشر بالقاهرة.

(5) الأنبياء (١٠٧). (6) سبأ (٢٨). (7) المائدة (١٥ ـ ١٦).

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

اطلعنا على الطلب المقدم من الأستاذ / الطاهر محمد أحمد الطاهر - مدير تحرير مجلة الأزهر المقيد برقم ١٣٥٨ لسنة ٢٠٠٢م المتضمن :

● **السؤال : من المواطن ى . ى من القاهرة :- والمرسل على مجلة الأزهر الشريف :-**

حصلت على مبلغ نظير بلوغي سن المعاش مقداره ١٠٠,٠٠٠ جنيه « مائة ألف جنيه » وضعت منه مبلغ ٥٠,٠٠٠ جنيه « خمسين ألف جنيه » لشخصي في البنك لأنني مسئول عن أسرتين. والنصف الباقي ٥٠,٠٠٠ جنيه « خمسون ألف جنيه » قررت أن أقسمه وفقاً للشريعة الإسلامية للذكر مثل حظ الأنثيين ويوضع لكل واحد نصيبه في البنك وللزوجتين كذلك.

فهل لو أعطيت من المبلغ المخصص لي جزءاً ولكن ١٠,٠٠٠ جنيه « عشرة آلاف جنيه » لكل بنت مساهمة في الجهاز هل في هذا وزر أو حرمة حيث إنني لم أعط لأبنائي الذكور مثل البنات واقتصرت على إعطائهن من مبلغ الـ ٥٠,٠٠٠ جنيه الأولى. ويطلب السائل بيان الحكم الشرعي؟

●● **الجواب :**

إن ما يريد أن يقوم به السائل من تقسيم نصف مكافأة نهاية الخدمة على أولاده وزوجتيه على أن يكون للذكر من أولاده مثل حظ الأنثيين فهو جائز شرعاً على ما ذهب إليه الإمام أحمد بن حنبل من جواز تقسيم العطية أو الهبة قسمة الميراث.

وذهب جمهور الفقهاء مالك والشافعي وأبو حنيفة وابن المبارك إلى استحباب المساواة بين الأبناء في العطية بمعنى إعطاء الذكر مثل ما يعطى الأنثى لأن النبي ﷺ قال للبشير بن سعد « سو بينهم »[١] والابن كالبنت في استحقاق برها فكذلك في عطيتها.

(١) البخاري ٣/٢٢٤.

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور
أحمد الطيب
مفتى جمهورية مصر العربية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

ويجوز للشخص أن يفاضل بين أولاده إذا كانت له أسباب ومبررات شرعية تقتضي المفاضلة.

هذا إذا كان الحال كما ورد بالسؤال ومما ذكر يعلم الجواب.

والله سبحانه وتعالى أعلم

الطلاق يقع سواء كانت الزوجة على طهر أو غير طهر

● **السيدة / س.ر.ك.ش أقامت دعوى إبطال إشهار الطلاق المؤرخ فى ٢٨/١٠/١٩٩٩ لأن زوجها طلقها وهى حائض أمام محكمة الجيزة الكلية للأحوال الشخصية أمام الدائرة ١٥ شرعى كلى جنوب. وبجلسة ٢١/١/٢٠٠٢ طلبت المحكمة رأى دار الإفتاء فى هذا الطلاق الذى تم أثناء الحيض وهل هو واقع أم لا؟**

وتطلب الجهة السائلة بيان الحكم الشرعى فى ذلك.

●● **الجواب:**

قال الله تعالى:

﴿ الطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ ﴾(٢).

أى أن الطلاق المشروع يكون مرة يعقبها رجعة، ثم مرة ثانية يعقبها رجعة كذلك ثم أن المطلق بعد ذلك له الخيار، بين أن يمسكها بمعروف، أو يفارقها بإحسان، والطلاق قد يكون سنياً وقد يكون بدعياً.

الطلاق السنى: وهو الموصوف بكونه واقعاً على المنهج الذى عليه سنة التشريع الإسلامى وسنة النبى ﷺ.

والطلاق البدعى: وهو المخالف لسنة النبى ﷺ.

(٢) البقرة (٢٢٩).

ويوصف الطلاق بأنه سني إذا وقع بعد الدخول أو الخلوة الشرعية الصحيحة في طهر ولم يجامع فيه ويكون طلقة واحدة. فإن جاء على غير ذلك وصف بأنه بدعي أي غير موافق للسنة النبوية ويتحقق البدعي إما بالطلاق أثناء الحيض وإما بطلاق تم في طهر جومع فيه وإما بلفظ جاء فيه أكثر من طلقة سواء كان ذلك في حيض أو في طهر.

وهذا عند الجمهور من الفقهاء، ولكن الحنفية يعتبرون طلاق السنة بالنسبة للعدة مرتين إحداهما الأحسن، ويكون بواحدة فقط لا يتجاوزها حتى تنتهي العدة والأخرى الحسن وهو الذي يتكرر فيه ثلاثة أطهار وحجة الحنفية في اعتبار القسم الأخير من السنة أنه ورد في بعض الروايات أن النبي ﷺ قال لابن عمر: «إن من السنة أن تستقبل الطهر استقبالاً، تطلقها لكل طهر تطليقة»(٣).

ولا توصف الزوجة غير المدخول بها بأن طلاقها سني أو بدعي بالنسبة للطهر وإنما يكون من جهة العدة فقط، فإذا ما طلقها واحدة فقط ولو في حيض كان طلاقاً للسنة لأنه يكون بائناً في جميع الحالات أي سواء كانت في حيض أو طهر لأنه بعد الطلاق لا يحل له رجوعها إلا بعقد ومهر جديدين لأنها قد بانت بينونة صغرى عند الفقهاء [المغني ٧ / ٩٨ وما بعدها والاختيار ٣ / ١٧٣] ويتفق الفقهاء على أن من يطلق طلاق البدعة فهو آثم ولكنهم اختلفوا في وقوعه وصحته حيث صححه البعض ولم يعتبره البعض الآخر.

وجمهور الفقهاء يرون وقوع الطلاق البدعي وإن كان مع الإثم، وهو قول أصحاب المذاهب الفقهية الأربعة المشهورة، وهو قول أهل العلم، ولهذا قال ابن المنذر وابن عبد البر لم يخالف في ذلك إلا أهل البدع والضلال [الاختيار ٣ / ١٧٣، ومغني المحتاج ٣ / ٣٠٧، حاشية الدسوقي ٣ / ٣٦١، والمغني ٧ / ٩٩].

والفريق الآخر وهم الشيعة الإمامية وابن تيمية وابن القيم يقولون: إن الطلاق البدعي لا يقع ولا يعتد به شرعاً وحجتهم في ذلك الآثار وأقوال الصحابة والتابعين، فقد سئل عبدالله بن عمر في رجل طلق امرأته وهي حائض فأجاب بأنه لا يعتد به.

كما استدلوا بما روي أن عبدالله بن مسعود كان يقول: «من أتى الأمر على وجهه، فقد بين الله له وإلا فوالله ما لنا طاقة بكل ما تحدثون» المغني ٧ / ١٠٠.

وقال ابن القيم: إن الطلاق البدعي منهي عنه والنهي يقتضي الفساد والحكم بالصحة يقتضي المناقضة لأن الله يحكم بالصحة ونحن نحكم بالفساد والواجب حكم الله لا حكم البشر. المغني (٤ / ٤٤).

والجمهور يستدلون لمذهبهم بما روي من حديث ابن عمر - رضي الله عنه - أنه طلق امرأته وهي حائض فأمره النبي ﷺ بمراجعتها على أن يطلقها إن أراد في طهر لم يقربها فيه وقال له: فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء أي في قوله تعالى:

﴿ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾(٤): أي مستقبلات لعدتهن.

---

(٣) مسلم ٣/١٤.

(٤) الطلاق (١).

والرجعة لا تكون إلا بعد طلاق وما دام النبي ﷺ قد أمر ابن عمر بأن يراجع زوجته فهذا دليل على إقرار النبي ﷺ بوقوع الطلاق من ابن عمر وإن خالف طريق السنة في وقوعه وقد أمره النبي ﷺ أمر ندب لا أمر إيجاب بالمراجعة لالتزام السنة في أمر الطلاق عند أحد الصحابة الذين كانوا دائماً يحرصون ويتلمسون – وبخاصة ابن عمر – طريق السنة التماساً، فالأمر بالمراجعة للإرشاد والندب لا للإلزام والوجوب [المغني ٧ / ١٠٠].

ودار الإفتاء تميل للأخذ بقول جمهور الفقهاء من أن الطلاق يقع ويلحق الزوجة سواء كانت الزوجة على طهر أو غير طهر.

والله سبحانه وتعالى أعلم

استئجار الأرحام حرام

● **السؤال من الأستاذ / أ.أ: يقول : ما موقف الشريعة الإسلامية من أطفال الأنابيب؟ وما الفرق في الحكم بين هذه الحالة وبين استئجار الأرحام؟**

●● **الجواب :**

أولاً : بالنسبة للإنجاب بوضع لقاح الزوج والزوجة خارج الرحم ثم إعادة نقله إلى رحم الزوجة لا مانع منه شرعاً إذا ثبت قطعاً أن البويضة من الزوجة والحيوان المنوي من زوجها وتم تفاعلهما وإخصابهما خارج رحم هذه الزوجة – أنابيب – وأعيدت البويضة ملقحة إلى رحم تلك الزوجة دون استبدال أو خلط بمني إنسان آخر، وكانت هناك ضرورة طبية داعية إلى ذلك كمرض بالزوجة أو الزوج يمنع ذلك، أو أن الزوجة لا تحمل إلا بهذه الوسيلة، وأن يتم ذلك على يد طبيب حاذق مؤتمن في تعامله.

ثانياً : أما استئجار الأرحام فإنه محرم وممنوع شرعاً، وقد صدر قرار مجمع البحوث الإسلامية رقم (١) بجلسته بتاريخ ٢٩ / ٣ / ٢٠٠١ بتحريم تأجير الأرحام. وكذلك أجمع الفقهاء المعاصرون أثناء بحث هذه المسألة (في إحدى ندوات المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية) على حرمتها، لأن هنا طرفاً ثالثاً غير الزوج صاحب النطفة والزوجة صاحبة البويضة، ولا يمكن الجزم مع وجود الطرف الثالث بتحديد الأم الحقيقية لهذا الطفل: فهل الأحق به صاحبة البويضة التي تخلّق منها الطفل وحمل كل خصائصها الوراثية؟ أو الأحق به الأم الحاضنة صاحبة الرحم الذي تم فيه نموه وتطوره وتبدله حتى صار جنيناً مكتملاً؟...

والطفل الذي يأتي بين والدتين لا يدري من أمه على سبيل القطع والتأكد، سيعيش ممزقاً بين انتمائه لهذه وانتمائه لتلك... وهذا من الأسباب التي حملت الفقهاء على أن استئجار الأرحام محرم شرعاً.

وبناءً على ما سبق يتضح :-

أولاً : جواز أطفال الأنابيب بشرط أن يكون الماء من الزوج والبويضة من زوجته. وإعادة البويضة الملقحة مرة أخرى في رحم ذات الزوجة التي أخذت منها البويضة ومع مراعاة بقية الشروط المنوه عنها سابقاً.

ثانياً : تحريم ما يسمى باستئجار الأرحام تحريماً قطعياً للعلل المذكورة سابقاً.

والله سبحانه وتعالى أعلم

خطبة الجمعة

آداب الأعياد

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصي

الحمد لله عز وجل: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾(١).

أشهد أن لا إله إلا الله، يأخذ المنحرفين بالتأديب حتى يردهم عن غيهم وهواهم:

﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾(٢). وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، معلم الخير والبر، وناشر الإيمان والإحسان، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى الطيبين من آل بيته، والمقربين من أهل صحبته، والمؤمنين برسالته ودعوته:

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾(٣).

يا أتباع محمد ﷺ!...

الأعياد أيام معلومة، تمر على الأمة فتتلقاها لقاء خاصاً، لارتباطها بما تحبه وتجله، من ذكريات عزيزة أو عقائد كريمة، فإذا مر بالأمة عيد من هذه الأعياد تحركت عواطفها، وانبعثت مشاعرها،

---

(١) الفتح (٤).
(٢) محمد (١٧).
(٣) الرعد (٢٩).

واحست بهزة تنال عطفها، والتفاضة تشمل حسها ونفسها، ومن طبيعة الأعياد أن تتسم بالفرح والسرور، لأنها تأتي في أعقاب نصر وفوز، وتكون خاتمة لمرحلة من مراحل التوفيق في أمر من أمور الدين أو أمور الدنيا، ولا عيب على المسلم إذا أخذ حظه من الفرح في مواطن البهجة، أو أبدى سروره في مقامات السرور؛ والله – عز وجل – قد جعل السرور من خير الثواب الذي يلقى به عباده يوم الجزاء:

﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾(٤).

ولكن الذي يحسن بالمسلم هو أن يكون قاصداً معتدلاً في فرحه وسروره، فلا يسرف ولا يشتط، بل يتوسط ويقارب، لأنه من الأمة الوسط، وفي القرآن الكريم:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾(٥) أي الذين يكثرون الفرح بزخارف الدنيا. وليذكر المسلم هنا أن عيد الفطر يأتي عقب جهاد هو الصوم، وما يكاد المسلم يأخذ حظه من الراحة والاستجمام حتى يعود إلى جهاده الحسي والروحي، ويستعد لموسم الحج؛ وعيد الأضحى يأتي عقب رحلة الحج التي يبذل فيها المسلم ما يبذل من جهده وجهاده، وما يكاد يعود إلى بلده عقب الحج حتى تطل عليه أضواء عام هجري جديد تدعوه إلى أخذ الأهبة للبدء في مرحلة جديدة من مراحل العمل لخير الذات، وخير الجماعة المسلمة وخير الناس كلهم..

ومعنى هذا أن المسلم من شأنه أن يعمل، فإذا استوفى حظه وجهده من العمل وقف وقفة الراحة والاستجمام، ليأخذ نصيبه من الهدوء والرضى، ثم يعاود العمل، فإذا قطع مرحلة أخذ فترة راحة، ثم عاود العمل. وهكذا يداب المسلم على ذلك دون أن يسرف في العمل فيرهق نفسه أو يزهقها، ودون أن يسرف في فرح فيوهن دعائم التماسك والنضال فيها:

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾(٦).

ومن الشائع لدى العامة أن الأعياد مواسم يعبون فيها من اللهو عبا، ويشربون خلالها من الأهواء بأوفى المكاييل، بلا تحرز من حرام، أو تباعد عن باطل، وهذا ضلال في الاعتقاد، وانحراف في الاتجاه، فما كانت الأعياد في الإسلام إلا واحة فيحاء يجد المسلم عندها وارف الظل وتمير الماء ورقيق الهواء وطهور المتاع. ومن الجدير بالمسلم أن يحسن المزج في الأعياد بين اللهو الطيب والتعبد الحميد، وبين الإقبال على الراحة وعدم الغفلة عن واهب النعم ومصدر الكرم جل جلاله، وليذكر أن رسوله قد قال في هذا المقام: «من أحيا ليلتي الفطر والأضحى لم يمت قلبه يوم تموت القلوب»(٧). وقال الإمام الشافعي: «بلغنا أن الدعاء يستجاب في خمس ليال: أول ليلة في رجب، وليلة نصف شعبان، وليلتي العيد، وليلة الجمعة». وقال سهل التستري عن هذه الأعياد: «إنها أيام يرجى فيها الفضل من الله، فإذا انشغلت فيها بهواك، ومنعت

---

(٤) الإنسان (١١-١٢).

(٦) الإسراء (٢٩).

(٥) القصص (٧٦).

(٧) اتحاف السادة المتقين ٣/٤٦٠، ٥/٢٠٦ مجمع الزوائد.

فيها النفس بالشهوات، فمتى ترجو الفضل والمزيد»؟. ولقد خطب الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز في عيد فطر فقال: «أتدرون ما مخرجكم هذا؟ صمتم ثلاثين يوماً، وقمتم ثلاثين ليلة، ثم خرجتم تسألون ربكم أن يتقبل منكم». ولا شك أن من خرج إلى ربه يرجو ثواب عمله، يكون في خشوع وخضوع، وأدب ووقار، حتى لا يرد الله عمله، وحتى لا يحرمه ثوابه.

ومن الشائع كذلك أن الأعياد فرصة للإسراف في ألوان الطعام وكمياته إلى حد التخمة، من أن دستور المسلم في ذلك هو قول الحق تبارك وتعالى:

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾(٨)

وهذا الحاكم العادل عمر بن عبدالعزيز يعطينا درساً بليغاً في الاقتصاد في الطعام. فقد كان ابن عمه مسلمة بن عبدالملك شرهاً نهماً مسرفاً في الطعام، يجمع الألوان من الأطعمة ويكثر منها في نهم وتوسع، فأراد عمر أن يعطيه درساً، فدعاه إلى بيته مبكراً، وانتظر عمر حتى جاع مسلمة، وأراد أن يستأذن فاستبقاه عمر، وأمر أهل بيته بأن يعدوا ثريد عدس وحده، وأن يعدوا ألواناً شهية أخرى من الطعام فلما امتد الوقت، واشتد الجوع بمسلمة أمر عمر بطعام العدس فأخذ مسلمة يأكل منه في رغبة قوية وشهوة بادية، حتى شبع، ثم أمر عمر بتقديم الألوان الأخرى، فلم يمد إليها مسلمة يداً، فقال له عمر: كل. فأجاب: قد شبعت ولم يبق عندي ميل للطعام. قال عمر: فلماذا السرف في الطعام والتقحم في النار، وهذا يجزى عنه؟. فاعتبر مسلمة بذلك، وأخذ يحمل نفسه على الاقتصاد في الطعام.

ومن آداب الأعياد وملامحها الأساسية الإحسان ومعونة الناس، لأن الأعياد أفراح ومسرات، وخير مسرة هي التي تعم الجميع، والرجل الأصيل يميل إلى الانفراد بما يهمه أو يحزنه، فإذا شملته نعمة أسعده أن يجد الذين حوله يشاركونه فيها، ويقاسمونه بهجتها ومسرتها، ولذلك كان العيدان الرئيسيان في الإسلام يومين من أيام التوسعة على الفقراء والمحتاجين، ففي عيد الفطر يخرج المسلم زكاة الفطر، وفي عيد الأضحى يضحي المسلم بذبيحة يأكل منها، ويهدي إلى أحبائه وأصدقائه، ويحسن منها إلى الذين لا يجدون سعة في هذا اليوم الكريم....

يا أتباع محمد ﷺ !...

فلنتذكر جيداً أنه ليس من آداب الأعياد في شئ زيارة القبور، أو إتيان الفجور، أو شرب الخمور، أو الاختلاط الفاحش بين الرجل والنساء، أو بيات النساء في المقابر، أو تلك المهازل التي يرتكب فيها المتحللون مختلف الآثام والمنكرات، ويصفونها بأنها احتفال أو ابتهاج بالأعياد، فتلك أيام مجيدة مشهودة، مجموع لها الناس، فيجب أن نتنزه عما لا يليق بالعقلاء والفضلاء، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾(٩).

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾(١٠)

---

(٨) الأعراف (٣١). (٩) المائدة (٨٨). (١٠) النحل (١٢٨).

الأسرة من المنظور الإسلامي

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

(١) تنطلق نظرية الإسلام فى بناء الأسرة المسلمة من قاعدة أساسية تشكل فلسفة متكاملة ذات مستويات متعددة.

- مستوى كونها احتمالاً لم يتحقق بعد.
- ومستوى كونها فعلاً يتحقق الآن.
- ومستوى كونها فعلاً قد تحقق.
- ومستوى كونها فعلاً استقر على قاعدة صلبة أو تعرض لرياح القلق والاهتزاز.

(٢) من المنظور الأول: (كون الأسرة احتمالاً لم يتحقق بعد).. يحرص الإسلام على تخير نوعية المرأة التى ستصير زوجة للرجل، وأماً للأبناء، ومصنعاً لتخريج جيل من الشبيبة المسلمة، ونموذجاً لنصف الأمة المسلمة، وفى هذا الصدد يوجه الإسلام إلى ضرورة التريث وضرورة الانتخاب حتى يقوم بناء الأسرة على منطق الحب وليس على منطق الصفقة، ولعل فى حديث النبى ﷺ ما يؤكد هذه الوضعية الراشدة.

« تخيروا لنطفكم فانكحوا الأكفاء وانكحوا إليهم »[١]. « ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله - عز وجل - خيراً له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته وإن غاب عنها حفظته فى نفسها وماله »[٢].

« الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة »[٣] « تزوجوا الودود الولود، فإنى مكاثر بكم الأمم »[٤].. « تنكح المرأة على إحدى خصال: لجمالها ومالها وخلقها ودينها، فعليك بذات الدين والخلق تربت يمينك »[٥].

« أربع من أعطيهن فقد أعطى خير الدنيا والآخرة: لسان ذاكر، وقلب شاكر، وبدن على البلاء صابر، وزوجة لا تبغيه حوبا فى نفسها ولا ماله »[٦].

هذه التوجيهات الراشدة والحاسمة معاً تفرض بالضرورة على المسلم أن يصحح من منظوره فى اختيار شريكة الحياة، وتضعه أمام مرحلة الاختيار فى منطقة الوعى بأن المال عرض وبأن الجمال عارية، وبأن الحسب مقياس ترابى، وبأن الدين وحده هو الأساس الحقيقى

(١) أخرجه ابن ماجة والحاكم.
(٢) أخرجه مسلم.
(٣) أخرجه ابن ماجة.
(٤) أخرجه أبو داود.
(٥) أخرجه أحمد.
(٦) أخرجه الطبرانى والبيهقى.

الذي يمكن أن تقاس به درجة القبول والرفض لأنه هو الأساس الحقيقي الذي يعصم المرأة من أن تصبح شريكة بالمال في حياة تستهدف السكن والحب ودفء العلاقات أو شريكة بالانتماء العائلي في حياة عقيدية يمكن أن يضحي المرء في سبيلها بكل الانتماءات إذا تعارضت مع سمته العقائدي ويبقى الدين وحده جامعاً لا يتعرض للتفتت، وجامعة لا تتعرض للانفكاك.

(٣) ومن المنظور الثاني (كون الأسرة فعلاً يتحقق لحظة القبول) يحرص الإسلام على التعرف الكامل من جانب كل من الشريكين على الآخر، لأن ذلك أدعى إلى تمتين أواصر الحب وأخلق ببناء الهرم الاجتماعي المسلم الصغير على قاعدة الاستبصار وليس على عشوائية الربط بين النقيضين - إن من حق الرجل والمرأة على السواء أن يعرف كلاهما الآخر، وأن يرى كلاهما الآخر في حياطة الأسرة ورعاية المناخ العائلي.. ومن حق الرجل والمرأة على السواء كذلك أن يرضى كلاهما بالآخر، وأن يوافق كلاهما على الآخر حتى تبدأ الرحلة الحياتية بكلمة الحب لتنتهي إلى حب دائم يظلل مسافات الحياة، وقد أقر النبي ﷺ هذه الوضعية الصوابية في حادثة الفتاة المسلمة التي وفدت على عائشة - رضي الله عنها - تشكو إليها أن أباها زوجها من ابن أخيه ليرفع بها خسيسته، وحين يدخل الرسول ﷺ يبعث بمن يستقدم له أباها ويلومه على ما فعل، ويترك للفتاة حرية القبول والرفض.. فتقول الفتاة (يارسول الله قد أجزت ما صنع أبي، ولكن أردت أن أعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شئ).. ليس ذلك فحسب ولكن الإسلام أعطى كلاً من الرجل والمرأة على السواء كذلك حق أن تتعادل كفتاهما في هذا اللقاء، وهو ما عبر عنه المصطلح الإسلامي بالكفاية المادية والكفاية الروحية والكفاية الفكرية فإن ذلك أعون بالضرورة على خلق المناخ الصالح لتبادل الرأي والمشورة وتبادل الحب والنجوى وتبادل البذل والعطاء وليس في هذه النظرة الإسلامية ما يشي بحس طبقي كما يزعم الخابطون ولكنها نظرة موضوعية تضع كل شئ في نصابه الطبيعي حتى لا يفقد أي من الطرفين طبيعة الأرض المشتركة التي يقف فيها إلى جوار صاحبه يبادله العطف والفكر والكدح وتوجيه أمواج الحركة الحياتية في اتجاه شاطئ القرار.

على أن هذه (الكفاية) محكومة بنظرة كل من الطرفين إلى الآخر وسكونه إليه، ولو كانا من نوعيتي تركيب اجتماعي متفاوت في موازين العرف والمال والاجتماع.

(٤) ومن المنظور الثالث (كون الأسرة فعلاً قد تحقق بالفعل) يحرص الإسلام على التزام نوعيات محددة من الحقوق والواجبات فللزوج حقوق على زوجته وعليه واجبات حيالها. وللزوجة حقوق على زوجها وعليها واجبات حياله، وللوالدين جميعاً حقوق على أولادهما وعليهما جميعاً حقوق على أولادهما وعليهما جميعا واجبات حيال هؤلاء الأبناء وللأبناء حقوق على الوالدين وعليهم واجبات حيال هذين الوالدين - ولحكمة ما، لم يترك الإسلام هذه الحقوق وهذه الواجبات سدى استناداً إلى وشائج الدم والحب التي تربط بين أولئك وهؤلاء ولكنه حدد الحقوق والواجبات وحدد نوعية العلاقات بين الجميع في ظل الوفاء بهذه الأطر وفي ظل نقضها جميعاً.

وإن كان الإسلام قد حرص على شئ قبل هذه العلاقات وبعد هذه العلاقات فهو حريص على بر الوالدين حتى في لحظات الانشقاق العقائدي..

صحيح أنه حذر الأبناء من متابعة الآباء في قضية الشرك بالله، والكفر بواهب الحياة ولكنه حذرهم كذلك من التخلي عن أب ضل أو أم حادت، ويكفي أن لا تطيعهما في قضية الشرك، ولتصاحبهما بعد ذلك في الدنيا معروفاً.. إن الحقوق والواجبات تبدأ - في الوجهة الإسلامية - من حسن المعاشرة إلى كفالة الحق المادي والحق المعنوي، إلى تبادل الرأي وطرح الاستبداد، إلى تحديد مناطق النفوذ في البيت، إلى تأصيل دعائم الصون والاحترام في علاقة كل بكل وبهذا يستحيل البيت المسلم إلى جنة خضراء من جهة وإلى مملكة محروسة التخوم من جهة أخرى.

٥ ومن المنظور الرابع (كون الأسرة فعلاً تحقق ثم تعرض بعد للقلق أو بداية الاهتزاز)

يحرص الإسلام على تحكيم العقل وتوطين النفس على مصابرة الخلافات.. وقد مرر علاقة الرجل بالمرأة - مع بداية الانشقاق في جدار الحب بينهما - في مراحل الوعظ الرقيق والهجر اللاذع، والزجر المستأني، فإذا لم تفلح هذه العلاجات الأولية لجأ الطرفان إلى التحكيم فيما بينهما، حكم من أهله وحكم من أهلها، وشرط في الحكمين أن يكونا على نية البناء وليس على نية الهدم.

﴿ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ ﴾(٧).

فإرادة الإصلاح في الحكمين أولية لازمة بينهما فإذا لم تفلح هذه العلاجات كذلك، فإن الإسلام يعطي مساحة زمنية لمراجعة النفس (بعد الطلاق) وبكلمة واحدة أو بملامسة مسترجعة تعود المياه إلى التدفق وتعود إلى الشفاه اليابسة بسمة الحب والاخضرار، وإلا فإن بتر الداء في بواكيره أجدى من تركة ليراكم أعطابه في كل اتجاه.

وهكذا.. يلوح - بلا ادعاء - أن نظرية الإسلام في بناء الأسرة المسلمة تنطلق من قاعدة أساسية تشكل فلسفة متكاملة ذات مستويات متعددة فهو ينظر إليها من مستوى كونها احتمالاً لم يتحقق بعد فيحرص على ضرورة الاختيار والانتقاء.

وهو ينظر إليها من مستوى كونها فعلاً قد تحقق الآن، فيحرص على التعرف والرؤية والرضى. وهو ينظر إليها من مستوى كونها فعلاً قد تحقق بالفعل يحرص على تحديد العلاقة القائمة في رحاب الحق والواجب.

وهو ينظر إليها من مستوى كونها فعلاً تحقق ثم تعرض للاهتزاز، فيحرص على تأجيل كلمة الفصل ومراجعة الذات حتى ينقشع غيم الكراهة الطارئة ويومض في الأعماق فجر الحب والتواصل من جديد.

إن هذه النظرية الإسلامية لا تنهض على جانب عاطفي مبتوت الصلة بتعقيل الأشياء والعلاقات وهي لا تنهض كذلك على جانب عقلي مبتور الوشائج بتنمية عواطف الحب والرحمة، ولكنها تنهض على فلسفة يتعانق فيها الجانب العقلي والجانب العاطفي حتى تستطيع أن تحتفظ في لغط الجدل الوجودي لنفسها بقيمة التوازن الراشد وتظل على الدوام عاملة في مجال التحقق الإنساني بكل ما ينحني عليه هذا التحقق الإنساني من عواطف الخير وخير العواطف وتعقيل كل أولئك في تناغم طبيعي يتواتر على حركة البقاء في انسياب وجودي حميم!!

(٧) النساء (٣٥)

طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

أضحكني وأبكاني

قال أبو الدرداء -رضي الله عنه-: أضحكني ثلاث، وأبكاني ثلاث:

أضحكني: مؤمل الدنيا والموت يطلبه، وغافل ولا يغفل عنه، وضاحك ملء فيه ولا يدري أساخط ربه أم راض.

وأبكاني: هول المطلع، وانقطاع العمل، وموقفي بين يدي الله لا أدري أيأمر بي إلى الجنة أم إلى النار.

يتمنون ما نحن فيه

روى سعيد بن بشر عن أبيه أن عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي، قال حين ثَقُل، وقد رأى غسَّالاً يلوي ثوبا بيده:

وددت لو كنت غسَّالا لا أعيش إلا مما اكتسب يوما بيوم.

فذكر ذلك لأبي حازم، فقال: الحمد لله الذي جعلهم عند الموت يتمنون ما نحن فيه، ولا نتمنى عند الموت ما هم فيه!!

حقيقة

حكى الأصمعي قال: مر أعرابي سائلا. فقلت له: كيف حالك؟ قال: أسأل الناس إلحافا فيعطوني كرها فلا يؤجرون على ما يعطوني، ولا يبارك لي فيما آخذ.

فيم تكذبان؟

نظر رجل إلى اثنين يتحدثان.

فقال: فيم تكذبان؟

فقالا: في مدحك

صفة مالك بن أنس رضي الله عنه

قيل في مالك بن أنس -رضي الله عنه-:

يأبى الجواب فما يراجع هيبة
والسائلون نواكس الأذقان

هديُ التقي، وعز سلطان التقى
فهو المطاع وليس ذا سلطان

حـــق العلـــم

إن عليك في علمك حقا كما أن عليك في مالك حقا:

لا تحدث العلم غير أهله فتجهل، ولا تمنع العلم أهله فتأثم، ولا تحدث بالحكمة عند السفهاء فيكذبوك، ولا تحدث بالباطل عند الحكماء فيمقتوك، ولقد أحسن القائل:

قـالوا نراك طويل الصـمت قلت لهم:
مـا طول صـمتي عن عيّ ولا خـرس
لكنه أحـمـد الأشـيـاء عـاقـبـة
عندي وأيـسـره من منطق شكس
أأنشـر البـز فـيـمن ليس يعـرفـه
أم أنثـر الدر بين العـمي في الغلس

ولقد أحسن صالح بن عبدالقدوس في قوله:

وإذا حـملت إلى سـفـيـه حكمـة
فلقـد حـملت بضـاعـة لا تنفق

الظلم على ثلاثة أوجه

قال بعض الحكماء: الظلم على ثلاثة أوجه، ظلم لايغفره الله، وظلم لايتركه الله، وظلم لايعبأ الله به شيئاً، فأما الظلم الذي لا يغفره الله فهو الشرك بالله، وأما الظلم الذي لا يتركه الله فمظالم العباد بعضهم بعضا، وأما الظلم الذي لا يعبأ الله به فظلم العبد ما بينه وبين الله تعالى.

قالـــوا...

● إن أعظم الحسرات يوم القيامة، حسرة رجل كسب ما لا في غير طاعة الله، فورثه رجل فأنفقه في طاعة الله -سبحانه- فدخل به الجنة، ودخل الأول به النار.

● الدهر يومان: يوم لك ويوم عليك، فإذا كان لك فلا تبطر، وإذا كان عليك فاصبر.

● إذا كنت في إدبار، والموت في إقبال فما أسرع الملتقى.

● إذا أقبلت الدنيا على أحد أعارته محاسن غيره، وإذا أدبرت سلبته محاسن نفسه.

● إذا قدرت على عدوك، فاجعل العفو عنه شكرا للمقدرة عليه.

أعلـم التابعيـن

قال بعض العلماء: كان أعلم التابعين «بالطلاق»: سعيد بن المسيب، «وبالحج»: عطاء، «وبالحلال والحرام»: طاووس، «وبالتفسير»: مجاهد، وأجمعهم لذلك كله: سعيد بن جبير - رضي الله عن الجميع.

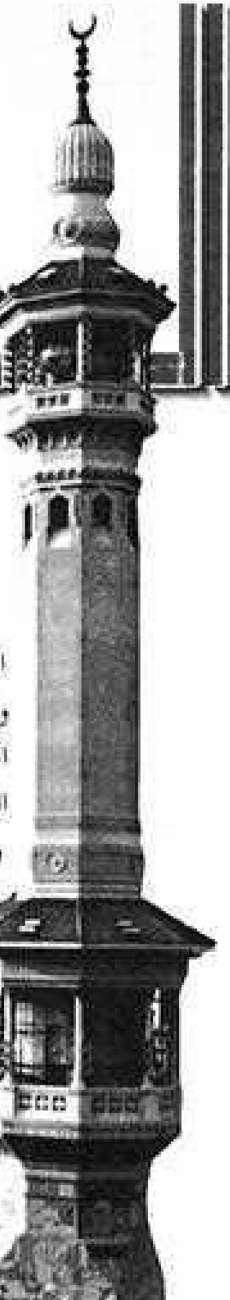
دعـــاء

اللهم افتح مسامع قلبي لذكرك، وارزقني طاعتك وطاعة رسولك، وعملا بكتابك.

الموعظة الحسنة
وأثرها في إصلاح النفوس

٢

لفضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف



لاحظ القرآن الكريم الإنسان الذى يقع ضحية فهم خاطىء لمتاع الحياة الدنيا وزينتها، فأفهم أن الاستمتاع الحلال بمتاع الحياة الدنيا وزينتها، والحصول على الطيبات من رزق الله من الأفعال المذمومة والرذائل المحظورة . فنص القرآن الكريم فى صراحة ووضوح على إباحة الرغائب السليمة للنفس، وترك لها فرصة التوسع الطيب، وعدَّ التدخل بالحظر والتحريم والتضييق على النفس ـ فى هذه الدائرة ـ قرينا لعمل السوء والفحشاء، لأنه موصل إلى عمل السوء والفحشاء، قال الله تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(1) .

أجل: إن حظر الحلال الطيب، قول على الله بلا علم، وهو أخو السوء والفحشاء اللذين يأمر بهما الشيطان.

ويقول الله تعالى:

---

(1) البقرة (١٦٨، ١٦٩).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾(٢).

ويقول الله تعالى:

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾(٣).

عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ؟ فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر أبدا، وقال آخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: «أنتم القوم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله وإني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني: أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني».

وقال ﷺ: «ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة، ولا الآخرة للدنيا، ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه، كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة»(٤).

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام. هل ترك الإسلام هذه النفس الإنسانية التي انحرفت عن الخير ومالت إلى الشر، وتغلبت نزعاتها الطائشة بارتكابها الآثام على فطرتها الصالحة التي تهفو إلى فعل الصالحات؟ هل ترك الإسلام هذه النفس الإنسانية بلا علاج؟؟.

لقد وضع الإسلام في منهجه الإصلاحي علاجا لهذه النفس، حرصا منه على هدايتها إلى الخير وعودتها إلى الطريق المستقيم، ورغبة منه في أن يصرف عنها غواية الشيطان ووساوسه وتحريضه لها على ارتكاب المعاصي والذنوب، ومحافظة منه على سلامتها ونقائها وصفائها الفطري.

يقول الله جل شأنه:

﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾(٥).

لقد أمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ الرسول ﷺ بتذكير الناس بالهدى ودين الحق، بدون إبطاء أو انقطاع أو يأس، وتنبيه النفس البشرية على أن تخضع لتصريف العقل

---

(٢) البقرة (١٧٢).
(٣) الأعراف (٣٢).
(٤) كشف الخفا ٢/٢٣٨.
(٥) الأعلى (٩ : ١٩).

الرشيد، ومنطق الفطرة السليمة، وتذكيرها بالإيمان بالله، والتصديق بما جاءت به الرسالة السماوية، والالتزام بتنفيذ الأخلاق الكريمة التي دعت إليها، وحذّرها من الاستمرار في غيّها، والابتعاد عن الاستماع إلى الموعظة، ومجانبة النصيحة، وبيّن لها جزاء من يستمع إلى الموعظة والنصيحة، وهو: الفوز والفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة، كما بيّن لها عاقبة من يرفض التذكرة، ويصم أذنيه عن النصيحة والموعظة، وهي: الشقاء والتعاسة، ودخول جهنم الذي يلقى في أشد طبقاتها عذاب السعير والحريق. وأوضح لها أن ما يقوله الرسول ﷺ من التذكير والوعظ والنصيحة ليس جديدا بل هو ثابت ومذكور في صحف إبراهيم وموسى - عليهما السلام - التي سبق أن أنزلها الله على هذين النبيين الكريمين.

ويقول سبحانه وتعالى في موضع آخر:

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾(٦).

يدعو الله - تعالى - في هذه الآيات الكريمة - رسوله الكريم ﷺ إلى الاستمرار والدوام في دعوة الناس إلى الحق، وتذكيرهم بالإيمان بالله «بعد أن بيّن الله في الآيات الكريمة التي سبقت هذه الآيات قدرته ووحدانيته، وبعد أن وبّخ هؤلاء المعاندين الرافضين لسماع التذكير والموعظة» فوجّه الخطاب إلى رسوله الكريم: «بأن تُداوم تذكير الناس وتدعوهم إلى الدين الحق، فهذه وظيفتك التي كُلّفت بها، وكِلْ أمرهم بعد ذلك إلى الله، فأنت لست بمجبر لهم أو مُكره إياهم على اتباعك، وإنما أنت عليك البلاغ والتنبيه والوعظ والنصيحة، واتركهم بعد ذلك وشأنهم، ونحن علينا الحساب، لأن الناس جميعا راجعون إلينا يوم القيامة للحساب، فنجازي المحسن ونعاقب المسيء.

ويتابع القرآن الكريم تحديد وظيفة الرسول ﷺ في قوله تعالى:

﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾(٧).

أي نحن - أيها الرسول الكريم - أعلم بما يقوله هؤلاء المشركون في شأنك وفي شأن رسالتك وفي شأن دعوتك، وسنجازيهم على ذلك بما يستحقونه من عقاب، فاستمر أنت في أداء وظيفتك، وهي: التذكير والتبليغ والموعظة، لأن هذه هي مهمتك، واصبر على أقوالهم وأفعالهم وسلوكهم، وبلّغ رسالة ربك دون أن تخشى أحدا سواه، ودون أن تيأس أو يصيبك قنوط، فأنت لست بمسلط عليهم لتجبرهم على اتباعك، وتقهرهم على اتباع الحق، وإنما وظيفتك هي التذكير بهذا

---

(٦) الغاشية (٢١-٢٦).

(٧) ق (٤٥).

القرآن وبما فيه من دعوة إلى الصراط المستقيم، وبما فيه من نصح وإرشاد للإنسان أن يؤمن بالله، ويلتزم بالهدى، ويخشى عذابه، ويخاف وعيده.

وحتى يستمر الرسول ﷺ في أداء وظيفته، وهي: التذكير والتبليغ والموعظة، بصدر رحب وقلب منشرح، حكى سبحانه وتعالى للرسول سلوك الأمم السابقة مع رسلهم، فقال جل شأنه:

﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[8].

هذه الآيات الكريمة فيها أكثر من تسلية للرسول ﷺ، وفيها أمر من الله للرسول بأن يستمر في أداء وظيفته.

والمعنى أن ما سمعته وتسمعه ـ أيها الرسول الكريم ـ من قومك حين تدعوهم إلى الإيمان بالله وطاعته، فيصفونك بأنك: ساحر أو مجنون، ليس جديدا ولا غريبا بالنسبة للرسل.. فإنه ما أتى الأقوام الذين قبل قومك من رسول يدعوهم إلى عبادة الله وطاعته، إلا وقالوا له ـ كما قال قومك في شأنك ـ هو: ساحر أو مجنون.

ثم يضيف الله ـ سبحانه وتعالى ـ إلى هذه التسلية تسلية أخرى، فيقول سبحانه على سبيل الاستفهام التعجبي من أقوالهم وأحوالهم: هل أوصت الأقوام السابقة الأقوام اللاحقة بأن يقولوا لكل رسول يأتيهم من ربهم: أنت ـ أيها الرسول ـ ساحر أو مجنون؟ كلا لم يوص بعضهم بعضا بذلك لأنهم لم يتلاقوا، وإنما تشابهت قلوبهم في المعصية والكفر فاتحدت ألسنتهم في النطق بهذا القول المنكر.

ثم يضيف الله ـ سبحانه وتعالى ـ تسلية ثالثة، فيطلب من الرسول الكريم أن يعرض عن هؤلاء الجاحدين الكافرين، وعن الرد عليهم وجدالهم، وأن يسير في الطريق الذى حدده الله ورسمه له.. وعندما يفعل ذلك فلن يقع عليه لوم أو عتاب على ترك مجادلتهم.

غير أنه يجب عليك أيها الرسول الكريم أن تداوم وتستمر في أداء وظيفتك وهي: التذكير والتبليغ والموعظة مهما تقوّل المتقولون.. فإن التذكير بما أوحيناه إليك من هدايات سامية، وآداب حكيمة، وأخلاق كريمة ينفع المؤمنين ولا ينفع غيرهم من الجاحدين المعاندين..

لقد أكد الله ـ سبحانه وتعالى ـ وظيفة الرسول ﷺ، وهي: التبليغ والموعظة والتذكير.. في أكثر من سورة من سور القرآن الكريم، يقول الله تعالى:

---

(٨) الذاريات (٥٢: ٥٥).

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٩)

عندما أنكر الكافرون أن يكون محمد ﷺ رسولاً لأنه من البشر، والله -في تفكيرهم ومنطقهم- أعظم من أن يرسل رسوله بشراً..

أنزل الله أكثر من آية في القرآن الكريم- منها هذه الآية- مؤكداً أن الرسل جميعا- عليهم الصلاة والسلام- دائما من البشر وأن الله أرسلهم لهداية الناس وإرشادهم إلى الحق، فهم رجال مثلك يا محمد، وقد أوحينا إليهم بما يبلغونه إلى أقوامهم من عبادات وتشريعات، ونصائح وإرشادات، مثل ما أوحينا إليك..

وقد اقتضت حكمة الله أن يكون الرسول من البشر في كل زمان ومكان، فإن كنتم أيها الكافرون في شك من ذلك فاسألوا علماء أهل الكتاب السابقة من اليهود والنصارى، فسيجيبونكم بأن الرسل جميعا كانوا رجالاً من البشر، ولم يكونوا من الملائكة، وقد أرسلهم الله مؤيدين بالمعجزات وبالكتب العظيمة المشتملة على العقائد السليمة، والتشريعات الحكيمة، والأخلاق الكريمة التي تسعد الناس في دينهم ودنياهم..

ثم بينت الآية الكريمة وظيفة الرسول، وبعض الحكم التي من أجلها أنزل الله ـ تعالى ـ القرآن الكريم على الرسول وهي:

- تفسير ما اشتمل عليه القرآن الكريم من آيات خفي معناها على المسلمين بأن يوضح ويفسر لهم ما أجمله القرآن من آيات وتشريعات وأحكام.

- دعوة الناس إلى التفكير والتدبر في آيات القرآن الكريم، والاتعاظ والتذكر بها، والعمل بمقتضاها.

والرسول ﷺ في أدائه لوظيفته التي كلفه الله ـ سبحانه تعالى ـ بها وهي: التبليغ والتذكير والموعظة اتبع الأسلوب والمنهج الذي حدده الله له.

***

---

(٩) النحل (٤٣ : ٤٤).

القدرة... والكون... والمصير

للدكتور/ على أحمد على

من قلب القرآن الكريم جاء قوله تعالى:

﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

[يس - ٨٣]

الكونُ كله ملكٌ له -تعالى- فكما ليس له شريك فى خلقه، له ما شاء فى مُلْكه، مَلِكٌ -سبحانه وتعالى- هذا الكون: سماواته وأرضه... وما فى سماواته وأرضه... وما بين سماواته وأرضه... وما فوق سماواته وماتحت الثرى من أرضه.

كل هذا المُلْك نُصَّ عليه فى التنزيل العزيز إجمالا وتفصيلا، وفى «كليات القدرة» كما فى غيرها من الآيات جاء الذكر الحكيم بهذا الإجمال والتفصيل.

ونحن -المؤمنين- حين نقرأ قوله تعالى:

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾(١).

موقنون أنه -تعالى- مالك لكل السموات والأرض، ومالك للكون كله، غير أن حكمته -تعالى- اقتضت أن ينص على هذه الملكية تفصيلا يزداد به المؤمن إيمانا، ويطبع به على قلوب الجاحدين إلحادا، وهو من فوق ذلك -سبحانه- الشهيد القادر العليم.

ونذكر -بين يدى هذا المقال- قوله -تعالى-:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

[فاطر-١]

● فاطر السموات والأرض: بدأ خلقهما -جميعا- على غير مثال سابق؛ فهو -سبحانه وتعالى- بدعهما، فلم تكن من سماوات ولا أراض قبل أن يخلقا، والكون كله كذلك.

قال ابن عباس: كنت لا أدرى: «ما فاطر السموات والأرض» حتى أتانى أعرابيان يختصمان فى بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتُها، أى أنا ابتدأتها ا هـ القرطبى فى الآية.

● جاعل الملائكة رُسلا: بينه -تعالى- وبين خلقه، يُرْسلُ بها إليهم بما شاء من مقادير، لاتبديل لكلماته، ولامانع لقضائه.

● أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع: زوّدهم -سبحانه وتعالى- بها إلى ما أعطاهم من قُوى يؤدون بها واجبهم كلمح البصر بين السموات..

(١) المائدة (١٢٠).

وبينها وبين الأرض على ما يشاء ربنا -عز وجل.

● يزيد فى الخلق ما يشاء: أى فى خلق الملائكة وغيرهم من آدمى وغيره؛ فليس فى لفظ ﴿ٱلْخَلْقِ﴾ فى الآية دليل على أن (ال) فيها للعهد؛ لينصرف ﴿ٱلْخَلْقِ﴾ إلى مخلوق بعينه، محدود مخصوص، فاعتبارها (ال) الجنسية قائم، وتكون زيادة المولى فى خلقه شاملة لكل مخلوق وللإمام الطبرى -رحمةُ الله عليه- فضلُ السَّبْق لهذا المعنى الجليل؛ إذ قال -بعد أن ذكر الزيادة فى أجنحة الملائكة -وفق ما يريده- عز وجل:

وكذلك (ذلك) فى جميع خلقه، يزيد مايشاء فى خلق ماشاء منه، وينقص ماشاء من خلق ماشاء، له الخلق والأمر، وله القدرة والسلطان:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

فإن يتسع الكونُ فيزداد امتداداً أمرٌ واردٌ لا نقض فيه، بل أن تتبدل الأرضُ والسمواتُ قدرٌ مقرر لاشك فيه، قال -تعالى- فى أحد شئون القيامة:

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾

[إبراهيم ٤٨]

●●●

وتتوالى كليات القدرة تسجل امتلاكه -عز وجل- للكون جملة وتفصيلاً؛ قال -تعالى:

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾

[آل عمران- ١٨٩]

﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ﴾

[المائدة- ١٢٠]

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾

[المائدة - ١٧]

فالسماوات والأرض، وما فى السموات والأرض، وما بين السموات والأرض.. كُلٌّ ملكٌ له - تعالى -:

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾

[الملك- ١]

وخَلْقُهُ -تعالى- منبث فى كل ملكه لا يحصيه إلا هو، منه ما نعلم -مشاهدةً أو إخباراً منه تعالى- ومنه مالانعلم:

فسماء الدنيا مزينة بالنجوم أكداسا ووحدانا، مفعمة بالكواكب وأقمارها أحجاما وأشكالا وفوق متنها سماوات ست عليها من الملائكة والخلق جماعات وأقواما، ثم خَلْقٌ فوقهن، نعلم منه «الكرسى» يعلوه «العرش»[٢].

ثم هو -سبحانه- المالك لما بين السماء والأرض، وما على سطح الأرض إلى ما تحت الثرى.

---

(٢) العرش: الجسم النورانى المرتفع على كل الأجسام المحيط بها، سُمى بالعرش لارتفاعه ا هـ انظر الفتوحات الإلهية ١٤٩/٢، والبيضاوى ٣٥١/١.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴾.

[النساء – ١٢٦]

وكما أحاطت كليات القدرة بالحديث عن ملكه الشامل –جلّ علاه– شاركت آيات أخرى فى الحديث تفصيلا عنه، يقول –سبحانه وتعالى:

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾.

[النمل – ٢٦]

﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾(٢).

[البقرة – ٢٥٥]

﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴾

[طه – ٦]

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴾

[المعارج – ٤٠]

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ﴾

[النحل – ١٢]

﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾

[يس – ٣٩]

وتنتقل بنا كليات القدرة إلى أمر آخر: إلى علاقة ذوات هذا الكون بربها –عز وجل– لتذكر لنا عبادتها لله –سبحانه وتعالى–، وفى وضعها هذا دلالة على ما أشرنا إليه فى صدر هذا البحث من أن كل كلية من كليات القدرة، وردت بالقرآن الكريم لها موضوع يخصها –فيما سيقت له– بجانب ماجاء فيها من أمر أو أمور أخرى؛ فلابد من جديد.

وتسهم – فى بيان هذه العبادة وأنواعها آياتٌ كريمة وأحاديث شريفة أخرى – إلى جانب «كليات القدرة» فتجمع لنا كل أشكال هذه العبادة التى نعلم بعض كيفياتها دون بعض، فمنها (غَيْبٌ) لايعلمه إلا الله – عز سبحانه وجل–:

إذًا، ذواتُ هذا الكون العظيم وأجرامُهُ من: سماء وأرض، وما عَمَرَ السماءَ من خَلْق ومَلَك، ومادَبَّ على الأرض، أو سَبَح فى مائها ببحر أو نَهَر، وما بين السماء والأرض من كوكب وشمس وقمر، وما علا الأرض من نبات وشجر، ومن آمن بالله مخلصا من جن وبَشَر، كل أولئك لله قانتون عابدون، قال – تعالى–:

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾

[التغابن – ١]

---

(٢) لا يؤوده حفظهما: لا يَشُقُّ عليه – سبحانه – حفظهما؛ فهو القادر على كل شىء.

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾(٤).

وتقول الملائكة:

﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾(٥).

[البقرة- ٣٠]

﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴾

[الصافات- ١٦٤ : ١٦٦]

﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾

[الشورى- ٥]

﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ ﴾

[الرعد- ١٣]

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴾

[نهاية الأعراف]

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾

[النور- ٤١]

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴾

[النحل ٤٨]

اى ألم ير هذا الخلق - وفى مقدمته أولئك الماكرون بالسيئات - أنه ما من جسم له ظل كشجرة أو جبل تتمايل ظلاله يمينا وشمالا - أن تمايلهما هو سجودها لله عبادة خاضعة صاغرة.

(عن القرطبي في الآية)

﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾

[ص- ١٧ : ١٩]

وكما نص التنزيل العزيز - في إطار عبادة الكون لله - على كائنات تتعبد لربها، نص كذلك الحديث الشريف على شيء منها، ففى الصحيح برواية مسلم والبخارى عنه ﷺ:

«أن نملة قرصت نبيا من الأنبياء، فأمرَ بقرية النمل فأُحرقتْ، فأوحى اللهُ إليه: أفى أن قرصتك نملة أهلكت أمةً من الأمم تُسبِّح»(٧) اللفظ لمسلم ٧ / ٤٥٢.

وعن أبي الدرداء عنه ﷺ:

---

(٤) الإسراء (٤٤).

(٥) تسبح أي نقول: سبحانك اللهم وبحمدك وننزهك عما لا يليق بك. (من تفسير السيوطي - الجلالين)

(٦) أي نحن الملائكة الصافون أقدامنا في الصلاة - المحلى (الجلالين).

(٧) يرى بعض العلماء انه يكره قتل النمل إلا أن يؤذي... ولكن لا تحرق بالنار. نفس المرجع لِشُرَّاح مسلم ٧/٤٥٣

«... وإن طالب العلم يستغفر له من في السماء والأرض حتى الحيتان في الماء»[8].

وهذا قُبيصة بن المخارق ذهب يطلب علما من رسول الله ﷺ:

«فقال لي: يا قبيصة ما جاء بك؟

قلت: كبرت سني ورق عظمي؛ فأتيتك لتعلمني ما ينفعني الله -عز وجل- به.!

قال: يا قبيصة، ما مررت بحجر ولا شجر ولا مَدَر[9] إلا استغفر لك...».

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«المؤذن يغفر له مدى صوته، ويستغفر له كل رطب ويابس»[10].

●●●

هكذا قدمت لنا الآياتُ: كلياتُ القدرة وغيرُها، والأحاديث الشريفة- بيانا واضحا عن علاقة هذا الكون كله، بربه، فإذا هو (ذلول) لله في طاعته، يتعبد له: بالصلاة والتسبيح، والحمد، والاستغفار، والسجود، مع الدوام على ذلك بالعشي والإشراق وما شذ عن ذلك إلا فريق كبير من الجن والإنس يستكبرون عن عبادة ربهم، وقد ورد فيهم قوله -تعالى-:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾

[غافر- ٦٠]

وجاءت آية الحج جامعة فاصلة في هذه العبادة، وفي المؤمنين والجاحدين، قال -تعالى-:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج- ١٨]

هذا، ونحن البشر على علم بعبادتنا من قيام وركوع وسجود، وغيرها؛ فأما كيفية هذه العبادة في تلك الكائنات فغيب يعلمه الله:

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾

[الجن- ٢٦، ٢٧]

وشاء -سبحانه- أن يُطلع يوسف -على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام- على سجود الشمس والقمر وأحد عشر كوكبا، قال -تعالى- حاكيا عنه قوله لأبيه يعقوب:

﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ﴾

[يوسف- ٤]

فكيف سجدت..؟ أمر يعلمه الله، لم

---

(٨) رواه الترمذي وابن ماجه والدارمي وأحمد، وهو من الصحيح، واللفظ الذي أثبتناه لابن ماجه في سننه ٨١/١ من المقدمة

(٩) المدر: الطين اللزج المتماسك

(١٠) سنن ابن ماجه ٢٤٠/١، ومثله عن ابن عمر- مسند أحمد ١٣٦/٢.

يحدثنا المفسرون عنه ..»... فحسبنا اللفظ، أعني أنها قد سجدت له. قال الإمام الخازن:

«رأى يوسف في منامه كأن أحد عشر كوكبا نزلت من السماء ومعها الشمس والقمر فسجدوا له». ا. هـ

هذا هو الكون، وتلك هي ذراته.. من أدق ذرات الثرى إلى العرش المحيط... لها لله تسبيح وتحميد وصلاة وتمجيد يدور في الفلك كله خشوعا وتقى وإخلاصا وهدى.. فليحذر امرؤ أشركه الله في حكمه فآتاه ملكا أن يدخل فيه الظلم، فينزعه -سبحانه- منه، ويلعنه هذا الفلك بمن فيه حتى ينغلق من تحت قدميه جسر جهنم، ويهوى إلى أسوأ قيعانها بؤسا وشقاء:

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

[آل عمران - ٢٦]

●●●

وتأتي كليات القدرة إلى المصير:

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ﴾(١١).

فيبدأ الكون خلقا آخر:

﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(١٢).

﴿ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(١٣).

﴿ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(١٤)

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(١٥)

وبعد: فهذه كليات القدرة، جمعت فأوعت، وحدثت إجمالاً وتفصيلاً، عن الكون والإنسان نشأة ومصيراً، نسأل الله - تعالى - أن يلهمنا بها وعيا وسلوكاً.

***

(١١) إبراهيم (٤٨).
(١٢) النحل (٧٧).
(١٣) الشورى (٩).
(١٤) هود (٤).
(١٥) العنكبوت (٢٠).

رسالة .. و .. رد

لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان

الرسالة الأولى [في هذا العدد] وردت من القارئ س. ع. ف. من طنطا يقول فيها: تلبّست زوجتي روح شيطانية يهودية زعمت أن عمرها ١٤٠٠ سنة وأن اسمه ميخائيل وأنه جاء إليها بتكليف سحر ليقطع في ذراعها ووسطها وظهرها، والمصيبة أن السحر من أهلها كما تقول.

وقد استطاعت هذه الرُّوح أن تسيطر على عقل زوجتي فأوهمها أنه جاء لمساعدتها على إخراج جان من المنزل وحماية أولادها من أعمال سحرية تعمل لهم من طليقتي السابقة عليها محاولاً بهذا صرف النظر عنه واتهام طليقتي. وقد استجاب الشيخ المعالج لطلبات هذا الجان وقد أصبحت زوجتي وأمست لا تردد إلا اسم طليقتي هذه.

والطامة أني وقعت في المحظور وذهبت بزوجتي إلى راعي كنيسة عن طريق أحد الشمامسة ليصرفه عنها وفعلاً أحضروه في ساحة الكنيسة واعترف انه يضحك عليها ليُبقيه معها، وقال لراعي الكنيسة إنه شيطان رجيم فطلب منه الخروج من جسمها فهدد بقتلها إن أجبر على ذلك فخاف راعي الكنيسة وتركه وأنا يا سيدي في حيرة من أمري لأن زوجتي مثقفة وتعمل بالتعليم لكنها صارت عبدة لهذا الجان وحوّلت البيت إلى ضنك وجحيم لي وللأولاد.

ـ وبداية أوجه للأخ السائل صرخة عتاب « لا همسة » لأني أعرفه جيداً من خلال رسائله السابقة التي كانت تتسم بالعقلانية والتدين والبُعد عن الخرافات لكني أحترم رغبته في عدم كتابة اسمه ولعله استشعر ما تورّط فيه بالنسبة لموضوع الرسالة فلم يشأ أن يعرفه الناس به، خاصة المقربين إليه الذين يعرفونه مثلي وأسأل الأخ (س) ماذا دهاك حتى تنساق بل تنجرف وراء هذه الخرافات وبالنسبة لموضوع السؤال أقول:

ـ جاء في كتاب « بحوث وفتاوى إسلامية في قضايا معاصرة » لفضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق الإمام الأكبر السابق ما خلاصته: « إن

الروح سرها عجيب لا يدرك الإنسان منه إلا قليلا. قال تعالى:

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾(١).

والأرواح لثلاثة أصناف من العوالم: الملائكة والجن والإنس ومعهم الحيوانات والطيور وكل ما يدب ويسعى ويزحف على الأرض.

أما الملائكة فهم خلق معصومون ولا يستطيع أي مخلوق أن يتسلط على أرواحهم ولا أن يستعين بهم. وأما الإنسان فإذا فارقت روحه جسده فلا يعرف مكانها إلا الله -سبحانه وتعالى- وستظل في أماكنها التي لا يعلمها إلا الله إلى يوم البعث والنشور وبناء على ذلك فلا يستطيع أي بشر أن يتسلط على روح الميت ويُحضرها ويتحدث إليها ولكن قد يحدث اتصال بها في الرؤى والأحلام دون أن يتسلط عليها.

وقد صح أن كل واحد من بني آدم له قرين يلازمه من يوم مولده إلى أن يموت، روى مسلم عن النبي ﷺ قال: «ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخاً من نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمه» ثم قال أبوهريرة راوي الحديث: «اقرءوا إن شئتم:

﴿وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾(٢)».

وفي رواية مسلم لهذا الحديث أن الصحابة -رضي الله عنهم- قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: «وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم» أي دخل الإسلام، أو أسلَمُ أنا من أذى القرين، هذا ويمكن لبعض الناس تحضير روح القرين فيقلد صوت قرينه الإنسان وربما تشكل بشكله وقد يكون هذا القرين روح شريرة فيحصل البلاء كما في حالة الأخ السائل لكن القرين في كل الأحوال لا يعلم الغيب، أما الجن فهم أرواح عاقلة مكلفة مجردون من المادة مستترون ولهم قدرة على التشكل، مخلوقون من نار السموم. وقد عرفنا كل ذلك عنهم عن طريق الوحي. وقد سخر الله الجن لسيدنا سليمان ولم يحدث ذلك لغيره، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن عفريتا من الجن تفلت عليَّ البارحة ليقطع عليَّ الصلاة فأمكنني الله منه فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم فذكرت قول أخي سليمان:

﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾(٣)

قال أحد رواة الحديث: فرده الله عن النبي خاسئاً.

هذا.. وتحضير الأرواح -إذا وقع فعلاً- هو استحضار لأرواح الجن وليس لأرواح الملائكة أو البشر ولا يجوز الاعتماد على ما تخبر به هذه الأرواح فقد تكون صادقة وقد تكون كاذبة وهذا هو الغالب وفي كل الأحوال فالجن أو أرواحهم أو

(١) الإسراء (٨٥).
(٢) آل عمران (٣٦).
(٣) ص (٣٥).

القرناء لا يعلمون الغيب. قال تعالى عن جنّ سليمان بعد موته:

﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾(٤).

وقال عزّ من قائل:

﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾(٥)،(٦).

ويقول فضيلة الشيخ عطية صقر رئيس لجنة الفتوى السابق بالأزهر إن التزاوج بين الإنس والجن ممكن حدوثه وقد أثبته الجمهور مستدلين بقوله تعالى لإبليس:

﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾(٧) وما روى أن النبى ﷺ قال: «إذا جامع الرجل امرأته ولم يُسم انطوى الشيطان فى إحليله فيجامع معه»(٨).

ويرد العلماء المثبتون على أدلة المنكرين بأن الجن خلقوا من النار والإنس خلقوا من تراب أو من طين وهذا مانع من التزاوج يردون بأن الذى خلق من نار أبو الجن (إبليس) والذى خلق من تراب أو من طين أبو البشر آدم -عليه السلام- أما ذرية كل منهما فليست مخلوقة مما خُلق منه أبوهما يؤيد ذلك أن الرسول ﷺ أخبر أنه وجد برد لسان الشيطان الذى عرض له فى صلاته لما خنقه لأن برد لسان الشيطان دليل على أنه انتقل من العنصر النارى إلى عنصر آخر(٩).

ويتبين مما نقلناه عن هذين العالمين الكبيرين إمكان اقتران الأرواح الشريرة بالإنسان لكنها ليست أرواح الجن أنفسهم بل أرواح القرناء وأن ما تقوله هذه الأرواح خليط من الصدق والكذب وإن كان أكثره كذبا.

وأضيف أن الذى يقوم بتحضير هذه الأرواح ينبغى أن يكون من الصالحين ومن حملة كتاب الله -تبارك وتعالى- وألا يكون محترفا أى متكسبا بهذا العمل فأغلب هؤلاء من الدجالين الذين لا يؤمَن جانبهم.

وأعيذك يا أخ (س) أن تكون من هؤلاء الذين يتخدعون بالدجالين مهما قالوا. والله أعلم.

والرسالة الثانية من الأخ القارىء أحمد على أحمد معوض من شارع على ريحان شرق السكة الحديد -كوتسيكا بالمعادى- يقول فى رسالته: طالعت فى مجلة الأزهر عدد رجب ١٤٢٣هـ- سبتمبر ٢٠٠٢م خطبة الجمعة لفضيلة الدكتور أحمد الشرباصى وقد ذكر فضيلته وصف البراق الذى ركبه الرسول ﷺ فى الإسراء فقال إنه أبيض اللون وفى فخذيه جناحان يحفز بهما رجليه ويخطو الخطوة فإذا حافره يقع عند نهاية بصره، لكن سيادته لم يذكر الحديث الذى وصف فيه الرسول ﷺ هذا الوصف ولا ذكر رواية من من الصحابة رضوان الله عليهم فى حين أن الحديث

---

(٤) سبأ (١٤). (٥) النمل (٦٥).

(٦) بحوث وفتاوى إسلامية لفضيلة الشيخ جاد الحق الجلد الرابع ص٣٦١ وما بعدها بتصرف واختصار.

(٧) الإسراء (٦٤). (٨) تخريج.

(٩) أحسن الكلام فى الفتاوى والأحكام- المجلد الثانى ص ٢٦٥ ومابعدها بتصرف.

يقول إن البراق دابة، وحدد لونه فقال أبيض، وحدد شكله وصفته، فقال فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه ولم يذكر في الحديث أن له أجنحة أو نحو ذلك فأرجو التوضيح وجزاكم الله خيراً عن الإسلام والمسلمين.

● وبادىء ذي بدء أقول للأخ القارىء إن فضيلة الشيخ الدكتور الشرباصي ذكر حديث البراق ضمن خطبة ولم يذكره في مقام حديث حتى يذكر بلفظه ثم كلمة براق فيها إشارة إلى البرق. وكما يقول شيخنا الغزالي -رحمه الله- أن كلمة براق يشير اشتقاقها إلى البرق.

أما عن وصف البراق فبعض الأحاديث ذكرت أن للبراق جناحين يحفز بهما -أي يدفع بهما- رجليه، وبعضها لم يذكر ذلك لأن حديث البراق روى بعدة طرق فحديث أنس -رضي الله عنه- الذي في البخاري لم يذكر الجناحين ونصه: (عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه. قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس. قال فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء، قال: ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل -عليه السلام- بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل ﷺ: اخترت الفطرة ثم عرج بي إلى السماء... إلخ»[10].

أما الأحاديث التي ذكرت جناحي البراق فمنها حديث الحسن -رضي الله عنه-. قال ابن اسحاق وحُدثت عن الحسن أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما أنا نائم في الحجر إذ جاءني جبريل فهمزني بقدمه فجلست فلم أر شيئا فعدت إلى مضجعي فجاءني الثانية فهمزني بقدمه فجلست فلم أر شيئا فعدت إلى مضجعي فجاءني الثالثة فهمزني بقدمه فجلست فأخذ بعضدي معه فخرج بي إلى باب المسجد فإذا دابة أبيض بين البغل والحمار في فخذيه جناحان يحفز -أي يدفع بهما رجليه- يضع يده عند منتهى طرفه -أي بصره- فحملني عليه ثم خرج معي لا يفوتني ولا أفوته»[11].

وها أنتذا ترى يا أخي أن وجود جناحين في فخذ البراق ثابت في كثير من الروايات ولم يذكر أستاذنا الدكتور الشرباصي ذلك في خطبته (ملامح القوة في الإسراء والمعراج) لأنه لم يكن غرضه منها سرد الروايات بل كان غرضه الإشارة إلى عناصر القوة في هذا الحادث المعجز القوة في الإيمان والقوة في الأخلاق والقوة في العتاد والجهاد وقوة الأوطان والمواطنين على وجه العموم كما صرح فضيلته بذلك كي يتحقق في المسلمين قول ربهم تبارك وتعالى:

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[12].

هذا والله أعلم وبه التوفيق.

---

(10) فتح الباري جـ8 ص632 نقلاً عن موسوعة نضرة النعيم جـ1 ص526 ط دار الوسيلة.

(11) السيرة النبوية لابن هشام الجزء الثاني ص403 دار البيان المكتبة التوفيقية.

(12) الفتح (29).

نقاش صريح:

دفع مفتريات حول السيدة نفيسة رضى الله عنها

للأستاذ الدكتور عبد اللطيف الحسيني

لسيدات البيت النبوى الكريم مكانة مرموقة عند المسلمين، والحديث عنهن لابد أن يكون صحيحا ينقل عن الواقع دون افتئات لذلك كان من العجب أن يتحدث بعض المتطفلين فى إحدى القنوات الفضائية حديثا لا صحة له ولا يرتكز إلى أدنى دليل، فيقول: «إن السيدة نفيسة رضى الله عنها، ليست صاحبة المشهد الموجود فى مسجدها وإنما هى السيدة نفيسة المرادية زوجة مراد بك، وقد غلط العامة فنسبوا الضريح للسيدة نفيسة وشاع هذا الوهم، ثم يعلن أن الأستاذ إحسان عبد القدوس قد قرر ذلك من زمن بعيد. وأنا أعلم أن الأستاذ إحسان عبد القدوس ـ رحمه الله ـ قصاص وروائى ويكتب أحيانا فى السياسة ولا صلة له بالبحوث التاريخية فكيف قرر ذلك ومتى؟ ومضت مدة شهرين وأنا أطيل البحث عن المقال المشار إليه، وأسأل من أتوسم فيه الاطلاع حتى أخبرنى أحد الأساتذة الأجلاء بأن لديه المقال الذى نشره الأستاذ إحسان عبد القدوس إذ احتفظ به منذ قرأه فى مجلة الإثنين بتاريخ ١٠ نوفمبر سنة ١٩٤٧م وقد سارعت بالاطلاع عليه فوجدته يقول:

«إن صاحبة الضريح المعروف باسمها والذى يحج إليه آلاف المصريين يتمسحون بجدرانه ويقرءون الفاتحة أمام الجثمان الطاهر طالبين من صاحبته أن تشفع لهم عند الله. السيدة نفيسة صاحبة هذا الضريح ليست من سلالة النبى محمد كما يظن الكثيرون، ولم تكن فى حياتها من المتفرغات لشئون الدين، ولكنها زوجة مراد بك أحد زعيمى المماليك اللذين حاولا صد نابليون، والتحما مع جيشه فى موقعة إمبابة. هذا ما ذكره الأستاذ إحسان عبد القدوس وقد أخبرنى الأستاذ الفاضل صاحب هذه القصاصة أنها أحدثت استنكارا وقد رد عليها الباحثون فى حينها بما يثبت خطأها الصريح واعتذر الأستاذ إحسان عن خطئه فإذا كان هذا ما وقع فعلا فلماذا يحاول هذا المتحدث على الشاشة أن يعيد الخطأ من جديد؟ وإذا كان يتحدث عن خرافات بعض العامة الخاصة بزيارة الأضرحة والتبرك بها فما صلة السيدة نفيسة بهذه الخرافات حتى يأتى اسمها وتاريخها على لسانه فى حديث ملىء بالأخطاء، وبما أن بعض السامعين للحديث قد يكونون على غير دراية بخطأ المتحدث فأنا أحاول أن أقوم برد حاسم يكشف الزيف الصريح.

تاريخ السيدة نفيسة

ليست حياة السيدة نفيسة - رضي الله - عنها بالمجهولة حتى تفترى عليها الأقاويل ولكن عشرات الكتب التاريخية تحدثت عنها، وندع الكتب الصوفية جانبا الآن ونشير إلى الكتب التاريخية الصادقة ذات النقل العلمي لدى الباحثين فنذكر أن كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان، وكتاب فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي، وكتاب البداية والنهاية لابن كثير، وكتاب الكواكب السيارة لابن الزيات، وكتاب النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى، وكتاب حسن المحاضرة للسيوطي، وكتاب شذرات الذهب لابن العماد، هذه الكتب جميعها افاضت في حديثها فاوضحت كيف نشأت بالمدينة وانتقلت إلى مصر فاستقبلت أحسن استقبال ثم دفنت في قرارها القائم الآن بالحي المشهور باسمها، وبما أن ابن خلكان هو اقدم هؤلاء جميعاً، وكلهم قد ورد مورده واستقى من مائه فإنني أنقل هنا ما قاله في الجزء الخامس ص ٥٦، ط سنة ١٩٤٩ عن الطبعة التي قام بنشرها وتحقيقها شيخنا الأستاذ محمد محيي الدين عبدالحميد.

نص ابن خلكان ببعض التلخيص

دخلت السيدة مصر مع زوجها إسحق بن جعفر الصادق - رضي الله عنه - وهي من النساء الصالحات التقيات ويُروى أن الإمام الشافعي - رضي الله عنه - لما دخل مصر حضر إليها وسمع عليها الحديث وكان للمصريين فيها اعتقاد كبير ولما توفي الإمام الشافعي - رضي الله عنه - أدخلت جنازته إليها، وصلت عليه في دارها وكانت موضع مشهدها اليوم ولم تزل به إلى أن توفيت في رمضان سنة ٢٠٨هـ ولما ماتت عزم زوجها إسحق بن جعفر الصادق على حملها إلى المدينة لتدفن هناك، فسأله المصريون بقاءها عندهم فدفنت في الموضع المعروف الآن بين القاهرة ومصر وقبرها معروف بإجابة الدعاء عنده وهو مجرب - رضي الله عنها - وقد زاد شمس الدين محمد الزيات مؤلف كتاب الكواكب السيارة وهو من علماء القرن التاسع الهجري فقال في ص ٣١ وما بعدها ما ملخصه: «مما لم يذكره ابن خلكان هي السيدة العالية القدر الرئيسة ابنة الإمام الحسن الأنور ابن زيد ابن الإمام الحسن السبط وهناك إجماع على أنها ولدت في مكة ونشأت بالمدينة وكانت لها صحبة بكثير من النساء اللاتي عشن مع الصحابيات أو سمعن عنهن أو تلقين العلم عن طريقهن» وقد قالت خادمتها السيدة زينب بنت يحي المتوج «خدمت عمتي نفيسة أربعين سنة فما رأيتها تنام الليل وكانت تحفظ القرآن وتفسيره»

كلام مؤرخ معاصر

أما الأستاذ أحمد رمزي بك صاحب كتاب «منادمة الماضي» فقد قال عن السيدة نفيسة:

«كان الإمام الشافعي يؤم صفوف الناس في الصلاة بالمسجد العتيق وكانت السيدة نفيسة تحضر صلاته في شهر رمضان وتقف وراء الصفوف لتصلي خلفه وحين انتقل الإمام إلى جوار ربه حزنت مصر جميعها عليه وسارت

جنازته من المسجد العتيق مسجد سيدنا عمرو ابن العاص فمرت بالمنزل الذى كانت تقيم به السيدة نفيسة فصلت عليه ثم سارت جنازته إلى المكان الذى دفن فيه» وقد كانت ذات مال وجاه فاخذت تواسى الناس وتشملهم ببرها وعطفها، وكانت عابدة وزاهدة وقد زار مشهدها الرحالة ابن جبير وتحدث عنها كما زار مشهدها الرحالة ابن بطوطة، وتحدث عنها، وتعرض الأستاذ رمزى إلى بناء مسجدها فذكر ان الولاة تعهدوه بالرعاية حتى جاء السلطان المنصور سيف الدين قلاوون فأنشأ قبة عالية فوق الضريح وعين أشهر علماء مصر للخطابة فى المسجد ابتداء من سنة ٧١٤هـ وحضر الاحتفال به الخليفة المستكفى بالله وكثير من الأمراء.

والد السيدة نفيسة

اما الإمام الحسن بن زيد والد السيدة التى نشأت فى حجره الكريم فقد كان واليا على المدينة من قبل أبى جعفر المنصور وأقام بالولاية مدة خمس سنين ثم غضب عليه المنصور فعزله واستصفى كل شىء له وحبسه فى بغداد فلم يزل محبوسا حتى مات المنصور وولى ابنه المهدى مكانه فأخرجه من محبسه ورد عليه كل شىء ذهب له وكان الحسن عطوفا محسنا يتجاوز عن السيئات، ويعفو عمن هجاه طمعا فى صلاح حال خصومه ومن هؤلاء أبوعاصم الأسلمى فقد قال فى الإمام ما يكره ثم وفد عليه متنكرا فى زى الأعراب فأنشده قصيدة قال فيها:

سـتأتى مدحتى الحسن بن زيد
وتشهد لى بصفين القبور
قبور لم تزل مذ غاب عنها
أبو الحسن تعاديها الدهور
قبور لو بأحمد أو علي
يلوذ مجيرها حمى المجير
هما أبواك من وضعا فضعه
وأنت برفع من رفعا جدير

فتبسم الحسن وقال له: حياك الله، وبسط له رداءه وأجلسه عليه، وأمر له بعشرة آلاف درهم، فهذه السماحة التى بدت من الحسن مع هاجيه وثالبه انتقلت إلى كريمته السيدة نفيسة، وهذا الجود بالمال الكثير ورثته عنه أيضا إذ تحدث أصحاب المناقب عن مآثر خالدة لها فى هذا المضمار وهى بعد هاشمية نبوية علوية.

علم وسلوك

كانت السيدة نفيسة عالمة فقيهة تسأل فى الأمور الدينية فيما يتعلق بالرجال والنساء معا، فتجيب إجابة شافية، وقد كان الوالى يقع فى بعض المظالم فيشتكى إليها الناس فتتعرض له فى موكبه حين يذهب لصلاة الجمعة وقد سعى الساعون عليها فى بيت الخلافة فصودرت أموالها فى مصر وأراد أحد الموسرين أن يعوضها فرفضت رفضا صريحا وقالت: «نحن من معشر لانقبل الهبة والصدقة ولو كانتا فى مظهر المودة الخالصة اتقاء للشبهات» ولما أحست بدنو أجلها بنت

قبرها بيدها في درب السباع وهو مكان المسجد الآن وأخذت تنزل فيه كل يوم وتقرأ جزءا كبيرا من القرآن الكريم، ثم فاضت روحها الكريمة في أوائل شهر رمضان فاجتمع الناس لتشييعها في محفل كبير وتقدم الوالي المشيعين وجعلوا يقرءون القرآن مترحمين.

السيدة نفيسة المرادية

أما السيدة نفيسة المرادية التي ذكر الأستاذ إحسان عبدالقدوس أن الضريح ضريحها فتاريخها معروف، رواه الجبرتي بإفاضة، لأنها كانت زوجة الحاكم مراد بك ومن ثم سميت بالمرادية، وقد لخص الأستاذ محمود الشرقاوي ما كتبه الجبرتي في الجزء الأول من كتابه (مصر في القرن التاسع عشر) وأنقل هنا ما قاله الأستاذ الشرقاوي سكرتير تحرير مجلة الأزهر الأسبق في كتابه القيم حيث قال ص ١٦٦ من الطبعة الأولى ما ملخصه:

« كانت السيدة نفيسة المرادية من جواري الجراكسة وذاع صيتها حينما اختارها مراد بك من الجواري لتكون موضع رعايته الخاصة فأصبحت زوجة حرة وكانت تعرف القراءة والكتابة على غير عادة الجواري في هذا العصر ولما دخل نابليون القاهرة غازيا تحدث الناس بمكانتها لديهم فلم يشأ أن يصادر أموالها ودعا إلى احترام حياتها الخاصة وأهداها ساعة ذهبية ثم لاحظ تعاطفها مع أبناء الشعب المعارضين لسياسته فاضطر إلى مصادرة أموالها واعتقلها وفرض عليها الضرائب الفادحة، وكانت هي الوحيدة التي تعارض زوجها مراد بك فيما يأتي من المظالم الفادحة وخاصة مصادرة أموال المصريين، وقد فرض الفرنسيون على نساء البكوات من الأمراء نصف مليون فرنك فقدمت السيدة نفيسة الساعة الذهبية التي أهداها لها نابليون عند نزوله القاهرة استرضاء لها كي لا تؤلب عليه الجماهير قدمت الساعة كبعض ما فرضه من الغرامة فقدرت بأربعة وعشرين ألف فرنك وقد تأثر نابليون بشخصيتها الجريئة حتى إنه بعث بعد خروجه من مصر وبعد أن أصبح إمبراطوراً إلى قنصل فرنسا بمصر يوصيه أن يبذل جهده في حمايتها من الوالي التركي الذي شاء أن يستصفي أموالها وكان أحمد باشا خورشيد أشد الولاة الأتراك قسوة عليها ولكنها لم تذعن لأمره ووقفت صامدة في وجهه وقد جابهته بقولها: « إن الفرنسيين وهم أعداء البلاد لم يمسوها بسوء فكيف يعاقبها دون جريرة » وقد ذهب إليه عمر مكرم والشيخ السادات والشيخ الأمير للشفاعة في أمرها وخاطبه الشيخ الأمير خطاباً شديداً ونفر من مجلسه غاضباً فتخوف رشيد من ثورة العلماء وأذن للسيدة أن تبقى في منزل الشيخ السادات مكرمة دون أن تحبس في مكان خاص وجاء محمد علي فواصل الاضطهاد واستأصل أموالها فماتت عجوزاً فقيرة بعد أن كانت ملكة مصر وكانت وفاتها في آخر أبريل سنة ١٨١٦ ودفنت في مكان غير معروف للآن. وواضح من سيرتها الكريمة أنها لا تمت بسبب إلى السيدة نفيسة وأن دفنها بالمسجد أسطورة لا ندري كيف اخترعها أو قبلها الأستاذ إحسان عبدالقدوس. إن الحق حق ويجب على الذين يتحدثون عن الفضلاء ألا يرجموا بالغيب وألا يكرروا ما ثبت بطلانه من الأراجيف.

تحريم أكل الميتة وأخواتها في ضوء العلم الحديث

للأستاذ الدكتور / عفيفي محمود عفيفي

التسليم المطلق هو آية صدق الخضوع للدستور: «إفعلْ.. ولا تفعل»، الذي كثيراً ما يصطدم بأهواء النفس البشرية وفي مقدمتها اشتهاء الطعام، وقد تميز الإسلام عن الأديان السابقة بوضع الحدود العامة للمباح وغير المباح فأحل لأتباعه الطيبات وحرم عليهم الخبائث.. ولله فيما حرم علينا حكمة عليا شاء أن تظل بالنسبة لمداركنا مثل جبل الجليد العائم في المحيط: لا يبدو لأنظارنا منه إلا جزء صغير قد لا يتجاوز العشر هو الذي نُعمل عقولنا في دراسته على ضوء معطيات العلم الحديث، أما الأعشار التسعة الباقية - وهي الغائصة تحت السطح.. فتمثل الجانب التعبدي الذي تتوقف أفهامنا أمامه عاجزة، وكل ما نملكه هو الاحتراس من أن ترتطم به سفينة الفكر فتتعطل عن مواصلة رحلتها في بحر المعرفة...

تعريف علمي موجز

● تتصدر الميتة قائمة الخبائث التي حرَّم الله أكلها على الإنسان، ونصَّت عليها آيات قرآنية عديدة أشملها ما جاء في سورة المائدة التي يستهلها الحكيم العليم بقوله:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾(1).

وبمقارنة هذه الآية بنظائرها يتضح أنها تنفرد بذكر خمس محرمات هي: المنخنقة، والموقوذة، والمتردية، والنطيحة، وما أكل السبع وتجمعهن بالميتة طبيعة بيولوجية مشتركة دعت إلى اعتبارهن

(1) المائدة: 3.

أخوات لها، واتخاذهن موضوعاً لدراسة مستقلة تهتم - في المحل الأول - بتوضيح أحد جوانب الحكمة من تحريمها وهو تجنب ما يعود على آكلها من ضرر، قد يعين على فهمه هذا التعريف البيولوجي الموجز:

● **الميتة**: هي ما فارقت روحها جسمها قبل أن يسيل منه الدم، وهي في ذلك تختلف عن الذبيحة وعن صيد البر حيث يكون الإدماء سابقاً لخروج الروح أي سبباً للموت.

● **المنخنقة**: هي التي تحرم من مواصلة التنفس بأن يحبس عنها الأكسجين سواء بسدّ منافذ دخوله جسمها، أو بحبسها هي في مكان غير متجدد الهواء إلى أن ينفد ما به من أكسجين أو يتشبع بهواء زفيرها، وهذا ينطبق أيضاً على الأحياء المائية إذا ركد الماء الذي تعيش فيه أو زاد تركيز الملوثات فيه متجاوزاً حدود الأمان.

● **الموقوذة**: هي المضروبة بأداة غليظة أو ثقيلة وغير حادة بحيث لا تجرح، وبخاصة في المواضع القليلة اللحم حيث يؤدي الضرب إلى احتباس الدم الوريدي الفاسد، وعلامة ذلك حدوث كدمات يكتسب الجلد فيها لوناً أزرق يتحول إلى الطوبي المحروق.

● **المتردية**: التي تسقط من مرتفع وهي لا تحسن الطيران فيرتطم جسمها بسطح صلب، وهذا يؤدي إلى حدوث السكتة (القلبية أو الدماغية)

● **النطيحة**: التي تشرف على الموت بعد معركة مع غريم من ذوات القرن، والنطح أشد صور الوقذ.

● **ما أكل السبع**: السبع هو كل حيوان مفترس (أي يأكل اللحم حياً)، وتندرج تحته أنواع الطيور الكواسر كالصقور، أما ما يأكل الجيفة (لحم الميتة) فليس من السباع ولو كان ذا أنياب، والمقصود بالأكل هنا: الشروع فيه، فإن بدأ فالمقصود توقفه قبل قتل الفريسة.

اجتماع السكتتين والموت الشرعي

إلى وقت قريب كان الطب يعتمد في تشخيص حالات الوفاة على علامات ظاهرة مثل سكون النبض وبرودة الجلد وانعدام الحس والعجز عن الحركة وعن البلع والتنفس، ثم حدث تقدم في هذا المجال واستحدثت معايير تشخيصية دقيقة تعتمد على تحليل رسم نبض القلب Cardiograph، ورسم نشاط العضلات Myograph ونشاط الدماغ (المخ) Cephalo-graph ولكل هذه المعايير أهميتها التشخيصية في الحكم - إكلينيكياً - بوقوع الوفاة (أو النفوق).

● ومهما بلغ علمنا بالأسباب المؤدية إلى الموت فإن سببه المباشر - وهو مفارقة الروح الجسد - سيظل سراً مغلقاً يستعصي فهم كنهه علينا، وغاية ما يمكن لعلم البيولوجيا قوله: إن الموت مقرون بتزامن العجز الوظيفي الشامل لكل أعضاء الجسم مع اجتماع حدوث السكتة القلبية والسكتة الدماغية، بصرف النظر عن الترتيب لأن كلاً منهما تؤدي إلى الأخرى فوراً، فلو كان البدء بالسكتة القلبية لحرمت كل أعضاء الجسم من وصول الدم إليها حاملاً المواد النافعة، ومن مغادرتها بعد غسلها من المواد الضارة، وأسرع الأعضاء تأثراً بهذا الحرمان هو المخ أو الدماغ الذي يتوقف بمجرد توقف القلب وهكذا تجتمع السكتتان؛ ولو كان البدء بالسكتة الدماغية لتوقف الدماغ عن بث الومضات العصبية اللازمة لحفز أي عضو لممارسة وظيفته، وأسرع الأعضاء تأثراً بهذا هو القلب الذي يتوقف فوراً بمجرد توقف الدماغ وهكذا تجتمع السكتتان أيضاً... وأياً ما كانت السكتة

القادمة منهما على أختها فإن اجتماعهما يؤدى فى لحظات إلى العجز الشمولى لكل أعضاء الجسم، وهو الذى يعوّل عليه الطب الشرعى فى الحكم بحدوث الوفاة بالنسبة للإنسان والنفوق بالنسبة للبهائم.

طبيعة فساد لحم الميتة

● أهم ما يستهدفه الطاعم من جسم البهيمة هو لحمها، وأية قطعة لحم تتألف من حزم من الألياف العضلية التى هى فى الحقيقة خلايا حيّة من نوع خاص يؤهلها كبر حجمها وانسياب طولها ومتانة غشائها الحسى أداء مهمتها فى حمل ثقل الجسم وتحريكه.. وهى وظيفة شاقة تحتاج إلى طاقة كبيرة وبخاصة فى الحيوانات البرية الكبيرة الحجم... ولهذا فإن لحوم هذه الحيوانات - وبخاصة القطع الحمراء فى الأفراد الكبيرة السن - تتخللها الشعيرات الدموية بغزارة أكثر من غيرها، وذلك لإمدادها بما يكفيها من المواد الغذائية البانية والمولدة للطاقة ومن الأكسجين اللازم لإطلاق الطاقة منها... وكذلك ليتمكن تيار الدم من غسل هذه الخلايا مما يتولد فيها.. نتيجة لنشاطها الزائد - من مواد ضارة فى مقدمتها البولينا وحمض اللكتيك وثانى أكسيد الكربون.

● وعندما تموت البهيمة يحتبس الدم فى الشعيرات فيتوقف إمداد الخلايا - بما فيها الألياف العضلية بالمواد النافعة كما يتوقف تصريف ما تتولد فيها من المواد الضارة.. ويزداد الأمر سوءاً بفقد أغشية الشعيرات الدموية وأغشية الخلايا قدرتها على التعرف على هوية الجزيئات الملامسة لها، وبهذا تعجز عن التحكم فى مرورها بين الدم والخلايا فى الاتجاه الصحيح الذى يحقق مصلحة الخلية.. ونتيجة لهذه «الفوضى المرورية» يفرغ الدم ما به من مواد ضارة (مصدرها غسل الأنسجة التى سبق المرور عليها).. يفرغها فى الألياف العضلية، فتتراكم فيها وفيما بينها - هذه المخلفات بدرجة متزايدة تصل إلى درجة السُمّيّة Toxicity

● وتمتد الآثار الضارة لتشمل مادة الخلية نفسها، وهى السيتوبلازم المكون من المغذيات الأساسية التى كانت طوال حياة الخلية محصنة ضد الفساد الكيميائى والميكروبى بفعل ما كان يتكون فى تيار الدم الجارى وفى السيتوبلازم من مواد واقية ومضادات للميكروبات يتوقف تكوينها بعد الموت فتتحول مكونات السيتوبلازم من مواد نافعة كغذاء للإنسان إلى مواد لا تصلح إلا غذاء للميكروبات الضارة التى تنمو وتتكاثر بمعدلات رهيبة، وتتزايد إفرازاتها السامة وتسرى فى كل أنسجة جسم الميتة - وفى مقدمتها اللحم، وضررها لا ينفع معه الطهو الذى ثبت أنه يقتل الميكروبات ولكنّه لا يبطل سُمّيّة إفرازاتها.

● وهنا قد يثور سؤال: إذا كان خبث لحم الميتة سببه موتها فلماذا لا يعد من الخبائث أيضاً لحم الذبيحة علماً بأنها - هى أيضاً - تفارقها الروح قبل إعدادها للطعام؟ والجواب عن هذا التساؤل هو: أن السبب المباشر للموت (وهو اجتماع السكتة القلبية مع السكتة الدماغية) فى حالة الذبيحة لا يقع إلا بعد الجرح والإدماء بفترة زمنية يواصل فيها الدم غسل الأنسجة (ومن بينها اللحم) حاملاً أدرانها فى اتجاه مكان قطع الأوردة، كما تظل العضلات قادرة على الاختلاج والتقلص وهذا يعمل على «اعتصار» الشعيرات الدموية التى تتخلل اللحم وتصفيتها من بقايا الدم الوريدى (وهو أول مصادر الفساد)، وبهذا تتم تذكية البهيمة على النحو الذى سيأتى شرحه بعد قليل.

المتخنقة وأخطار نقص الأكسجين

● لا يجهل أحد أن استمرار الحياة متوقف على مواصلة التنفس، ولكن علينا الا ننسى أن التنفس الفعلي إنما هو عملية كيموحيوية تجرى داخل الخلايا، وأنها لا تتم على وجهها الصحيح إلا بالأكسدة الكاملة، لعنصر الكربون (الموجود في جزيئات المواد الغذائية)، أى تحويله إلى ثانى أكسيد الكربون الذى يسر الله على كل الأعضاء سبيل التخلص منه أولاً بأول.

● ولكن فى حالة الاختناق (يرجى مراجعة التعريف فى صدر المقال) تنقص كمية الأكسجين فى هواء الشهيق ويتأخر وصوله إلى الخلايا، وهذا يؤدى إلى وقوع سلسلة من الأحداث المتصاعدة الأخطار هى فى مجملها:

١- تناقص إمكانية استفادة الخلايا من الطاقة الكامنة فيما يدخلها من مواد غذائية نتيجة لتوقف أكسدتها عند مرحلة أول أكسيد الكربون، وهو غاز يصعب على الجسم التخلص منه، بل إنه يلتحم بمجرد تكوينه بمادة هيموجلوبين الدم فتضعف قدرتها على اقتناص الأكسجين من هواء الشهيق، فتزداد حدة الاختناق زيادة مطردة إلى أن تتلاشى إمكانية إطلاق الطاقة.

٢- والخطر الثانى لنقص الأكسجين هو تحلل مادة الخلية (السيتوبلازم) عن طريق الهضم الذاتى Autol-ysis، فقد كشف المجهر الإلكترونى عن أن فى كل خلية عدداً مناسباً من الحويصلات الدقاق (تسمى الـ ليزوزومات Lysosomes) وأثبت علماء بيولوجيا الخلية أن وظيفتها هى هضم المواد الغذائية التى تدخل الخلية كخطوة تمهيدية لإطلاق ما بها من طاقة عن طريق الأكسدة، وقد أودع الله سبحانه - فى أغشية هذه الحويصلات خاصية التعرف على «هوية» ما يلامسها من جزيئات المواد، وبهذا تفرز الحويصلة المختصة ما بداخلها من إنزيم نوعى بالقدر المناسب وفى الوقت المناسب، وتظل الأمور سائرة على الوجه الصحيح مادام إمداد الخلايا بالأكسجين يتم بانتظام.. أما عند الاختناق فإن أغشية الليزوزومات تفقد قدرتها على التحكم فى إطلاق ما بداخلها من إنزيمات، ويلى ذلك انفجارها بصورة جماعية، وبذلك تزيد كمية الإنزيمات فى السيتوبلازم فجأة على ما فيه من مواد غذائية، فلا تجد الإنزيمات الزائدة أمامها ما تهضمه إلا مادة الخلية نفسها، وتكون هذه هى بداية تحلل الجسم بفعل الميكروبات، وبخاصة البكتريا اللاهوائية التى تبدأ مزاولة نشاطها فى تحليل المواد الكربوهيدراتية بعد غياب الأكسجين الذى هو العدو الأكبر لهذه البكتريا.

٣- والخطر الثالث هو تكوين الخمر فى أنسجة جسم البهيمة نتيجة لاستمرار عملية تحليل الكربوهيدرات لا هوائياً إلى آخر مراحلها حيث يتكون الكحول؛ فإذا لم نبادر بإسعافها بالتهوية الجيدة (ثم بتذكيتها قبل موتها) سرت هذه المادة المسكرة فى كل جسمها واجتمعت فى لحمها حرمة الخمر إلى حرمة الميتة.

وباقى الأخوات على أعتاب الموت

● بعد المتخنقة ترد فى الآية الثالثة من سورة المائدة أربع محرمات أُخر: هن الموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع (يرجى مراجعة التعريف فى صدر المقال)... ولحوم هذه البهائم عرضة

للفساد المؤدي إلى التحريم من عدة مصادر نذكر منها:

١ـ احتباس الدم الوريدي في مواضع الكدمات وتخلط ما يسيل من الدم الشرياني في حالة حدوث نزيف داخلي (وقد سبق شرح طبيعة الفساد الناتج عن ذلك).

٢ـ اختلال عمليات الأيض والتمثيل الغذائي، والنتيجة هي حدوث تغيرات كيميائية[٢] في المواد الغذائية الأساسية الموجودة في اللحم، وتحولها من مواد نافعة لآكليها إلى مركبات يصل ضررها إلى درجة السُّمِّية.

٣ـ التلوث الميكروبي وقد سبق التعريف بمصادره الداخلية عند الحديث عن فساد لحم الميتة والمنخنقة، ويضاف هنا المصدر الخارجي، وهو وارد في الحالات الثلاث الأولى من هذه المجموعة إذا حدثت في الجلد تمزقات من أي نوع، بل هو مؤكد في الحالة الرابعة نتيجة لإنشاب السبع مخالبه، وأنيابه في جسم الفريسة، ويزداد التلوث باستمرار تعرضها للعراء.

● والأمر الجدير بالبيان هو أن معظم التغيرات المؤدية إلى فساد اللحم في هذه الحالات الأربع إنما تحدث نتيجة لاختلال التوازن الهرموني المصاحب لحالة المعاناة التي تسيطر على البهيمة، وأوضح مظاهر هذا الاختلال هو الارتفاع المفاجئ والكبير في منسوب هرمون الـ «أدرينالين» الذي أطلق عليه اسم «هرمون الفاءات الثلاث» لارتباط زيادة إفرازه بثلاث ظواهر سلوكية تبدأ بحرف «ف» هي: الفزع، والفرار والفتك.

● هذه الأخطار ـ بالإضافة إلى ما سبق ذكره في حالة المنخنقة ـ هي أهم دواعي فساد لحم البهيمة على النحو الذي سبق توضيحه في حالة الميتة، مع فارق دقيق هو أن الفساد في حالة الميتة يكون قد بلغ غايته التي عندها وجب تحريم لحمها... أما المنخنقة وباقي الأخوات الواقفات على أعتاب الموت فإن الأمل في درء فساد لحومهن مازال قائماً مادامت أنفاس البهيمة تتردد وقلبها ينبض، وذلك بالتذكية التي تمنع عبورها ذلك الخط الدقيق المؤدي إلى دائرة التحريم.

التذكية، ميقاتها وأركانها وآدابها

● التذكية ـ كالتزكية ـ لفظ متعدد وجوه المعنى، والوجه الرئيسي لمعناه: التطهير من الخبث؛ والخبث هنا هو الدم الذي يأتي ذكره بعد الميتة مباشرة في جميع النصوص القرآنية الخاصة بالأطعمة المحرمة، وأشهر هذه النصوص الآية الثالثة من سورة المائدة؛ والذي يتدبر هذه الآية يتبين أن الكلام عن التذكية منصب على خمس محرمات هن: المنخنقة، والموقوذة، والمتردية، والنطيحة، وما أكل السبع، وبالرجوع إلى التعريف العلمي في صدر المقال يتضح أن الحالة الخامسة تحتاج إلى توضيح إضافي: هو أن معظم الحيوانات المفترسة تخاف الإنسان بدليل أنها إذا رأته مقبلاً عليها (وبخاصة إذا كان يحمل سلاحاً) فرّت هاربة تاركة فريستها بين الحياة

---

(٢) أهم هذه التغيرات: الـ «نزمنة» Deamination (بالنسبة للبروتينات) والتزنخ Roncidity (بالنسبة للدهون) والتخمر الكحولي Alcoholic Fermentation (بالنسبة للكربوهيدرات).

والموت . . . وهكذا تبقى الفرصة سانحة لتذكيتها . . أما إذا أجهز عليها الوحش فإن فرصة تذكيتها تنعدم لأنها صارت ميتة مقطوعاً بتحريمها .

● وميقات التذكية هو قبل حدوث السكتة القلبية ولو بدقائق، ويمكن التأكد من صحة الميقات بعلامات محسوسة أسهلها اختباراً : تردد أنفاس البهيمة . . والحرص على دقة الميقات واجب لأن استمرار نبض القلب ضرورى لمنع احتباس الدم، فهذا الاحتباس - يحول دون إمكان أداء التذكية على وجهها الصحيح .

● والركن الأعظم للتذكية هو إراقة دم البهيمة، ولأدائه تجب المبادرة، بقطع أحد أوردتها الرئيسية[٣] على أن يكون ذلك مقروناً (أو مسبوقاً) بذكر اسم الله (ويفضل بصوت مسموع) . . . وقد يسر الله هذا الأمر بأن جعل هذه الأوردة ممتدة في مكان سطحى ظاهر على جانبى الرقبة (تحت الجلد مباشرة) ، ويساعد فى انبثاق الدم منهما تدليك جسم البهيمة بدءاً من موضع القلب وفى اتجاه مكان الجرح إلى أن يتوقف تقاطر الدم، مع الحرص على غسل ما يتجمد أولا بأول كيلا يسد الجرح (وحبذا غسل سائر بدن الذبيحة بعد سلخها) .

● وللتذكية آداب كان نبىّ الإسلام ﷺ يحرص عليها ويوصى صحابته بالالتزام بها ومنها : التلطف فى إبعاد البهيمة عن رفيقاتها، وتحاشى شحذ السكين على مرأى منها (بل ولا على مسمع منها) ؛ وإراحتها على جنبها (والأيمن أفضل) ، وعدم وضع القدم عليها لمنعها من الإفلات، ولا شك فى أن الالتزام بهذه الآداب يوفر للبهيمة من الطمأنينة ما يجعلها تستسلم دون أدنى مقاومة، كما يجنبها أسباب الذعر الذى تتعرض له المتردية والنطيحة وباقى أخواتهما، وفى ذلك محافظة على التوازن الهرمونى الذى أشرنا إليه، وإغلاق لأهم أبواب التلوث الكيميائى لأنسجة الجسم ومنها اللحم .

استثناءان من تحريم الميتة

أولهما : السمك والجراد، وذلك بنص الحديث النبوى الصحيح : « أحل لأمتى ميتتان ودمان : سمك وجراد، وكبد وطحال » .

وهذا الاستثناء ليس إباحة مشروطة بالاضطرار، وإنما هو حل مطلق نابع من طبيعة الحالة المستثناة، وفى الوقت ذاته لا يتعارض مع المبدأ الإسلامى العام وهو : تحريم الخبائث .

● فالسمك - بحكم كونه حيواناً مائياً - لا يستطيع التنفس فى الهواء الجوى، بل إنه يختنق بمجرد خروجه من الماء ولا يلبث أن يموت بعد وقت قصير لا يكفى لمجرد نقله إلى حيث يتم حفظه أو إعداده للأكل . . ومن هنا فلا مفر من أكله ميتاً . . ولا ضرر فى ذلك إذا تم قبل أن يدركه الفساد، ومصدره الأول هنا خارجى (خلافاً لما ذكرناه عن الميتة وأخواتها من حيوانات البر وهو أن فساد لحومها يبدأ من داخل أجسامها وبالأخص من الدم الجارى فى عروقها) .

---

(٣) توصى المستزيد بمراجعة مقال « الذبح والنحر » المنشور فى عدد ذى الحجة ١٤٢٢ من مجلة الأزهر .

● وإباحة أكل السمك ميتاً تنسحب على سائر أنواع الحيوانات البحرية من غير ذوات الرئتين، ويمكن الاستدلال على ذلك من قوله تعالى في سورة فاطر:

﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾(٤).

● وإشادة الله في قرآنه بطراوة لحوم صيد البحر نابعة من علمه - وهو الذي خلقها - بأفضليتها على لحوم صيد البر، وهي أفضلية لا تقتصر على سهولة طهوها ومضغها وهضمها، بل تتجاوز ذلك إلى زيادة محتواها من العناصر المفيدة وفي مقدمتها الفوسفور اللازم لسلامة الأعصاب، واليود اللازم لإتمام عمليات التمثيل الغذائي، يضاف إلى ذلك قلة محتواها من مادة الـ «كولستيرول» المسببة لتصلب الشرايين ومن مادتي البولينا وحمض اللكتيك اللتين تتراكمان في لحوم الماشية نتيجة للجهد العضلي الكبير في تحريك الجسم ضد اتجاه الجاذبية الأرضية، بينما في حالة أحياء البحر تكون قوة دفع الماء إلى أعلى وتياره إلى الأمام عاملاً مهماً في تخفيف العبء عن العضلات، ولهذا فإن لحومها لا يتخللها الدم الذي هو المصدر الرئيسي للتلوث الداخلي في الحيوانات البرية كما عرفنا.

● وإذا كان الحديث النبوي الشريف لم يذكر من الأحياء المائية إلا السمك فذلك لكونه أكثرها تداولاً كطعام، فضلاً عن كونه نموذجاً جيداً لتوضيح الحكمة في الاستثناء من التحريم: ذلك أن شبكة الشعيرات الدموية للسمكة تتمركز في خياشيمها وهي جزء غير مرغوب فيه كطعام، ويسهل نزعه مع الرأس واستبعادهما (وحبذا أن يتم ذلك قبل تعليب الأسماك أو حفظها بالتجميد ونحوه).

● **والميتة الثانية المستثناة من التحريم**: هي الجراد، والمقصود على الأرجح هو تلك الحشرة الكبيرة الأصبعية الشكل التي كثيراً ما نشاهدها تنتقل بين المزروعات قفزاً وبين الحقول طيراناً، ومطعمها طيب فهي لا تأكل إلا المواد النباتية، ومنها أنواع تتجمع موسمياً في أسراب كبيرة العدد، وتطير عابرة البحار أياماً عديدة متصلة إلى أن يغلبها الإعياء فتتساقط وهي بين الحياة والموت، فيجمعها البدو ويأكلونها مشوية، فهي بذلك تسد فجوة نقص البروتين الحيواني في بقاع يندر فيها الكلأ لرعي الماشية، وتكاد تخلو من المسطحات المائية الصالحة لتكاثر الأسماك.. ودم الجرادة لا يتجاوز بضع قطرات تكاد تكون محصورة في أنبوب دقيق ممتد بطول الظهر ينفصل عن الجسم بكل سهولة عند نزع قشرته الخارجية.

● إن في إباحة أكل الأحياء المائية والجراد بعد موتها لدليلاً على رحمة الله بعباده، وقد نوّه القرآن عن بعض جوانبها، ثم كشفت عن المزيد منها سنة نبي الإسلام عندما صرح لأتباعه بما علمه الله الذي أسبغ عليه اثنتين من صفاته هما الرأفة والرحمة، وشهد له بأنه لا ينطق عن الهوى:

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾(٥).

---

(٤) فاطر ١٢.

(٥) النجم ٤.

الشاعر الإسلامي

محمد عبد الرحمن صان الدين في رحاب الله

للأستاذ / أحمد مصطفى حافظ

مثلما ينداح لألاء القمر
في محاق.. ليس يبقي أو يذر
مثلما تصفر أوراق الشجر
كهشيم.. بيد الريح انتشر
مثلما ينفض عقدٌ للدُرر
شع إشراقا.. وولى واندثر
.. هكذا يمضي «صفيي» للحفر
دون ريث أو أناة.. تُنتظر

هكذا شاءت رحمة الله – تعالى – أن تستأثر بالشاعر الإسلامي الكبير محمد عبدالرحمن صان الدين، في صباح يوم الإثنين الموافق الخامس من شعبان – الثاني والعشرين من أكتوبر سنة ٢٠٠١م، بعد رحلة معاناة شديدة، مع المرض الوبيل، الذي ألزمه الفراش لسنوات عديدة، وجعله غير قادر على الحراك إلا بصعوبة بالغة، وهو في أواخر السبعينيات وأوسابها، ولكنه – رغم ذلك – ما اشتكى أمره، بل زاد إيمانا، واسترسالا في إبداع أرق الأشعار، في تمجيد الإسلام، ومناجاة الحياة والناس، بل والطيور أيضا، التي تخيل أن حاله من حالها، حينما لمح بعضا منها في إطلالة له من نافذة غرفته يغلب عليه السكون والصمت العميق، فقال



لم لا تغني يا طيور
لم لا تطيري في البكور؟
مالي أراك قد انطويت
فلا رفيف ولا حبور

ولا يلبث إلا قليلا، ثم يتولى هو الإجابة بنفسه عن هذه التساؤلات التي تضع النقاط على الحروف، بقوله:

الروض صـــوّح أيكه   والماء غاض من الغدير
والجو قد ملكته أســــراب الجوارح والصقور
والعيش تحكمه قوا   نين المخالب والغرور

وفي هذه الأبيات الرمزية، شبه إفصاح عما لاقاه الشاعر، في حياته الحافلة، المفعمة بالإحباط، الأمر الذي دفعه إلى تمزيق ما تجمع لديه من شعره الخاص، في أربعينيات حياته.. وانقطع تماما، بعد ذلك، عن قول الشعر، لفترة طويلة، تقرب من عشرين عاما، كانت كفيلة بإنضاب ينابيعه في مخيلته.. إلا أنه اندفع ذات يوم، فجأة - كما أخبرني - مترنما بالشعر العميق، وكأنه النهر الذي تدفق مزبدا، ليكتسح ما اعترض مجراه، من صخور وجنادل، قائلا:

أالفـــصيح لم أمـــوت بما أعـــاني
وأمـــضي بين تـيــار الزمـــان
وفي قلبــــي أناشــيد عــذاب
وفي الوجـــدان أبكار المعـــاني
وأطمــر تحت أنقاض الليـــالي
عـديم الذكر.. مـجـهـول المكان؟

وكان هذا متوقعا من شاعر موهوب مثله، لازالت ملكة الشعر تهدر في كيانه، وتمور في وجدانه.. وإن بدا «السطح» هادئا، يقول:

وكم في القــــاع من دربتـيـم
خــفيٍّ.. لم تلامـــسـه يدان
كــتــمت روائع الأنغــام دهرا
وقــيـــدت الشـوارد في جناني
وعشت كـمـا يعيش العمـر حيا
حليف الصـمت، مـعـتـقل اللسـان

ويختتم أبيات قصيدته تلك - وهي بعنوان «ساشدو» - بهذا البيت:

أنا في دوحــــة الدنيــــا هزار
وهل يحيــــا الهـزار.. بلا أغـان؟!

ومهما يكن من شيء، فإن الشاعر صان الدين، كان لا يبدع شعرا أو نثرا، إلا من منطلق عقيدته الدينية الراسخة، التي جعلته يجأر بالدعاء والابتهال إلى مولاه، قائلا:

أتغـــفـل كل أخطائي الدمــــوع
ويمــحــوها التبـتل والخشـــوع؟
إذا مــــا الليل ران على الروابي
وغــــاصت في دياجــره الربـوع

●●●

وقد عمل هذا الشاعر، بعد تخرجه في الأزهر الشريف، بالمعاهد الدينية المختلفة، إلى أن استقر به المقام بالقاهرة، ثم أعير للعمل بالكفرة بليبيا، لمدة أربع سنوات، عانى خلالها من آلام الغربة، بعيدا عن أرض الوطن، ففاضت عبراته، مع أبياته التي يقول فيها:

تعج بقلبي ضـــروب الجـوى
ويهـــفــو بروحي حنين النوى
كــأني فطيم - قــبـيل الفطام -
جـــفـــتــه المراضع حـتى ذوى

إلى أن يقول في مخاطبة مصر:

فـأنعم بأرضك يا مـصـر.. حـتى
ولو غــالني منك.. ناب الطوى!

ويحـدث، في أثناء ذلك، أن يقوم أحد الليبيين بزيارة لمصر، ثم يعود بعدها، ليتحدث

مبهورا، عما شاهده فيها، بمسمع من الشاعر، فيثير كوامن أشجانه وحنينه لوطنه، فينطلق قائلا:

يا قـادمـا من أرض مـصـر بلادى
حـيـاك قلب فى الجوانح صاد
فـتـدان منى، قـد فـديتك، إننى
أشـتـاق منك أريج عـرف بلادى!

إلى أن يطلق الزفرة الحارة، المتمثلة فى قوله:

أواه يا مـصـر الحـبـيـبـة إننى
مـذ بنت عنك، حـرمت طول رقـادى
تا الله مـا فـتـر الحنين بمهجتى
كـلا.. ولا أغـفـت عـيـون فـؤادى
هل كنت إلا قطعـة من أرضـهـا
أبداً تحـن لأصلهـا، وتـنـادى

وبعد انتهاء فترة الإعارة، عاد إلى مصر، ثم خرج إلى المعاش، مختارا عام ١٩٨١م، للتخلص من قيود الوظيفة، والتفرغ للإبداع الأدبى، الذى ملك عليه لبه.. والطريف فى الأمر، أنه بدأ فى نشر شعره الإسلامى، لأول مرة فى حياته ينشر فيها شعره، فى مجلة «الأزهر» بصفة خاصة، ومجلات: منبر الإسلام والوعى الإسلامى، ومنار الإسلام، والأمة، والهلال، والجديد، وغيرها من المجلات الإسلامية والثقافية بمصر، والعالم الإسلامى، حينما وجد نفسه، واستطاع أن يلتقط أنفاسه اللاهثة، فى خضم الحياة، والخروج من عزلته الفكرية، وغربته الروحية، التى يصورها بقوله:

إنـى أحـيـا غـريـبـا
وسـط أقـرانـى وقـومـى
ذاهـل عـنـهـم بـحـسـى
حـاضـر فـيـهـم.. بجـسـمـى

وإذا خاطبه أحد فى طول اصطباره، وعمق إيماله، رغم ما يلقى من جحود، أجاب:

مثمر الأشجار يرمى كل آن.. بالرجـام
هل نجا المرموق بين النـاس.. من رمى السهام

إلى أن يقول، بذات القصيدة التى تحمل عنوان «الخير يبتلى»، مع تغيير القافية، كل خمسة أبيات منها:

لكن الأقـدار تحـمى من أعـاصير الغـوائل
وترد الفـضل أضـعـا فا.. إلى أهل الفضائل

ثم يختتم هذه القصيدة، بهذا النداء، أو الرجاء:

يا أولى النعماء كونوا - حيث كنتم - أهل جود
لا تكفوا عن فعال الخير.. حتى.. لكنود
فـزفـيـر الزهر عطر .. هكذا طبع الورود

●●●

وفى قصيدة أخرى له، بعنوان: «خذها كما هى» تتبدى لنا حنكته وخبرته بالحياة، التى ذاق حلوها ومرها طوال عمره المديد «٧٨ عاما»، وكأنه يعزينا - سلفا - عن فقدنا له، حينما اخترمته المنون، فى وقته المعلوم.. ويستهلها بقوله:

الأرض تنبت والحـدائق تثـمـر
والظل بورف، والنـسـائم تخطر
والماء يجرى فى الجداول سلسلا
والمزن يعـقـد فى السـمـاء ويمطر

والأرض - إن حجب الغمام غيائها -

فعيونها بمبرها تتفجر

والليل - إن أرخى السدول - فإنه

يبدى مصابيح النجوم ويقمر

كل هذا جميل، ووصف بديع لدورة الحياة.. ولكنه يمهد به السبيل، لغايته يتوخاها.. ويدخل في صميم الموضوع، حينما يستتلى قائلا:

والرزق للأحياء يأتي غامرا

من حيث لا تدرى، ولا تتدبر

فعلام يا إنسان تركض لاهثا

بين الوعور، بظلمة.. تتعثر

تسطو على أرزاق غيرك عنوة

وتظن أنك بالغنائم أجدر!

ثم ينتهى إلى نتيجة أخرى حتمية، تستشعر وقدها ولواعجها، حينما صدمتنا منيته المباغتة، إذ يقول بعد ذلك:

هل أنت في هذى الحياة مخلد

تحيا على بسط النعيم وتخطر

أم أنت مثل الخلق تخفق برهة

حتى يوافيك الحمام فتقبر؟

ثم يعطينا الأمثلة الحية الواقعية، التي تمثل فلسفة الحياة والموت لديه، بقوله مستطردا:

يا ناقما ماذا تريد من الحيا ة، وأنت فيها قطرة تتبخر؟

أتريدها صفوا كما تهوى فلا تنتابها سحب ولا تتكدر؟

ذاك الذى ما ناله إنس، ولا جن.. له عرض الحياة مسخر

وهكذا تسلس له القافية قيادها، وتتابع الصور، بعفوية ويسر، فيقول مؤكدا على ما يذهب إليه، بثاقب فكره، وسعة خبرته، وتدفقه:

لا الحسن يبقى في نضارة حسنه كلا ولا قبح يظل بنفر

تتقلب الأمواج في بحر الحيا ة، وفي نهاية أمرها.. تتكسر

والصور المتحركة، والخواطر المترابطة في هذه الأبيات، تذكرنا بقول كولردج: «ليست الصورة وحدها - مهما بلغ جمالها، ومهما كانت مطابقتها للواقع، ومهما عبر الشاعر بدقة -.. هى الشيء الوحيد الذى يميز الشاعر الصادق.. وإنما تصبح الصور معيارا للعبقرية الأصلية، حين تشكلها عاطفة سائدة، أو مجموعة من الأفكار، والصور المترابطة، وحينما تتحول منها الكثرة إلى الوحدة، والتتالى إلى لحظة واحدة.. وحينما يضفى الشاعر من روحه حياة إنسانية وفكرية»(١).

وهذا ما تحقق إلى حد كبير لصان الدين في أبيات قصيدته تلك، دون مراء وليس المجال اليوم مجال الدراسة المتعمقة لشاعرية صان الدين، فإن مصيبتنا فيه لم تهدأ بعد، خاص وأن قوله في استقبال الموت، مازال راسخا في الذاكرة، وكأنه كان يتتبعه خطوة خطوة:

---

(١) انظر كتاب «دراسات في الشعر والمسرح» للدكتور مصطفى بدوى ط. دار المعرفة سنة ١٩٦٠ ص٢٧.

يا بـرزخ الأرواح إني قـــادم

كدحا إليك، وقد شددت رحالي

أواه من عــمــر تــسرب من يدي

أواه من وزري ومن أثقــالي

وسفينة الموت المحتم قد دنت

وشراعها المنشور صار حيالي

في غمضة أو شهقة، أغدو بها

في الراحلين.. أجر في أسمالي

إلى أن يخاطب «برزخ الأرواح» بقلق وخشية، وتارجح بين اليأس والرجاء، بقوله:

أترى مقري فيك جدب قـالط

أم أنه.. في روضـــة وظلال

أيكون من فوق الأرائك مضجعي

أم فوق جمر محرق وصلال؟

وأحل في أنس يسكن روعتي

أم في ظلال جـائش الأهوال؟

.. ويلي إذا دنت المنون وقصرت

بي عن صعود المرتقى أعمالي

●●●

وكما يتفق أحيانا نوع من الجلاء البصري أو السمعي، فقد اتفق لشاعرنا نوع من «الجلاء الحدسي» – إن صح التعبير – حينما قال مستشرفا آفاق مرحلة ما بعد الموت، بقوله في إحدى خماسيات ديوانه: «أصداء الحياة»، وكأنه قد عاش تجربة الموت، وهو مازال حيا بين ظهرانينا:

كنت في جـسمي أسـيرا

بيد الأهوال أسـرى

صرت حرا دون قيد

حين فك الله أسرى

كنت لا أدرى فصرت اليوم بالمستور أدرى

والجلى عنى الذى غشّى فؤادى طول عمرى

وإذا أردنا أن نقف على رحلة حياة الشاعر، بإيجاز، أدركنا ذلك، من «خماسيته» التالية:

عشت عمري في طريق الـ عيش.. أمضي في استواء

فوق أرض الناس أقدا مي، ورأسي في السماء

لم أداهن أي جبا ر، لخوف أو رجاء

أو أنافق، لنوال رب جاه أو ثراء

حسب نفسي: ما تأتى من لقيمات.. وماء

إلى أن يقول في خماسية أخرى:

إنني في الأرض أحيا وفق وجداني وديني

كل أقوالي وأفعا لي بوحْي من يقيني

لست أعدو خلف أوها م ورجم بالظنون

أو بريق المال في دنيا التباهي يستبيني

إنني عن كل زيف أو خنى.. أغضي جفوني

وهكذا، يتبين لنا أن شاعرنا صان الدين – رحمه الله – ولد مفطورا على حب الإسلام، وازداد فهما ووعيا بقيمه وآدابه، ونواحي إعجازه، حينما التحق بالأزهر.. فارتشف من

حياضه رحيق الثقافة الإسلامية: نقية صافية، فجاء أدبه، بصفة عامة، و«خماسياته» بصفة خاصة، ترفرف فيها الروح الإسلامية، وينساب فيها عبير الإسلام سيالا متدفقا[2].

هذا بالإضافة إلى أن خماسياته - بجزئيها - تعد عملا فريدا في أدبنا العربي.. فوحدة الوزن، مع فلسفة الإسلام التي تسري في جميع جنباتها - على الرغم من تعدد موضوعاتها - جعلا منها أطول قصيدة في الشعر العربي، قديمه وحديثه. إذ يقع الجزء الأول منها في ٢١٠٤ بيتا، وطبع ونشر بدار المعلمي بالرياض عام ١٩٩٣م[3] أما الجزء الثاني، ويحمل عنوان «أضداء الحياة» فتقع أبياته في ٢٢٠٥ بيتا.

وبقي بعد ذلك من آثار شاعرنا مخطوط ديوانه الذي يحمل عنوان «في بحار الكون»، الذي أودعه الشاعر منذ ست سنوات، بالإدارة العامة للنشر بالهيئة المصرية العامة للكتاب، ولم ير النور بعد.. وعدد قصائده ٦٤ قصيدة، تتغلغل فيها الروح الإيمانية، التي سبح الشاعر بها في بحار الكون[4] ليكشف عن إعجاز الخالق في الخلق، والإبداع في التصوير.

وخير ما نختتم به كلمة اليوم، هو ترديد قول صان الدين، في مناجاة روح طيبة، وروحه هو أيضا:

طيري بآفاق الضياء وحلقي
وإلى ربا الفردوس خفي واسبقي
رفافة كالنور في هالاته
نشوى بغفران الإله المغدق

رحم الله شاعرنا محمد عبدالرحمن صان الدين رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته.

***

(٢) انظر كتاب الدكتور غانم السعيد، الذي يحمل عنوان: القضايا الفكرية والخصائص الفنية في خماسيات صان الدين ط سنة ١٩٩٨ م ص٢٣٧.

(٣) طبع بعنوان: «الإنسان في الميزان».

(٤) انظر كتاب الدكتور غانم «القضايا الفكرية»، سالف الذكر.

أطماع إسرائيل في المياه العربية

للأستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد

لا أبالغ حينما أقول إن أحد أهداف إسرائيل الحيوية هو الوصول إلى أحواض الأنهار العربية، خاصة أنها تعاني من أزمة مياه خطيرة بسبب مواردها المائية المحدودة، وفتحها باب الهجرة اليهودية إليها بموجب قانون العودة مما يضاعف من حدة أزمتها المائية - ولما كانت الهجرة اليهودية تمثل جوهر المشروع الصهيوني، فقد أدرك الصهاينة الأوائل - قبل تحويل الفكرة الصهيونية إلى دولة لليهود - أهمية تأمين موارد المياه اللازمة لها - ومن ثم بدأت طلائع اليهود، في بداية القرن الماضي، تخطط للهجرة إلى فلسطين العربية، وهى تضع مسألة المياه، وضرورة توفيرها، في مقدمة أولوياتها، على أساس أن توفير المياه وتأمينها يعني المزيد من المهاجرين اليهود إلى الأرض المأمولة.

وفي هذا الإطار، بذل كبار اليهود الصهيونيين مع زعماء العالم - أثناء مؤتمر الصلح عام ١٩١٩ - جهودا مضنية لكسب تأييدهم لدعم توسيع رقعة فلسطين لتضم الأراضي التي تجرى فيها وتنبع روافد نهر الأردن، ليتوفر لليهود السيطرة الكاملة على النهر بكامله. ومن هنا تواصلت جهودهم، لوضع أيديهم على مصادر المياه اللازمة لإحياء الكيان اليهودي القادم، ففي عام ١٩٢٦ تمكن قادة اليهود من الحصول على امتياز لمدة ٧٠ عاما من الحكومة البريطانية لاستغلال مياه نهر الأردن، ونهر اليرموك في توليد الطاقة الكهربائية.

وفي هذا السياق، ومنذ عام ١٩٣٨، تم تكليف عدد من خبراء المياه اليهود لإجراء الدراسات والبحوث المائية، التي أكدت نتائجها ضرورة سحب المياه من شمال فلسطين، وتحويلها إلى صحراء النقب لريها وجدير بالذكر أن ثمة عديدا من المشروعات المائية اليهودية،

استطاع خبراء المياه اليهود القيام بها - قبل قيام إسرائيل عام ١٩٤٨ - بهدف استغلال موارد المياه العربية فى فلسطين، نذكر منها مشروع «أيونيدس» عام ١٩٣٠ لاستغلال مياه نهر اليرموك، ونهر الأردن، ومشروع «لاودر - ميلك» عام ١٩٤٤ للاستفادة من مياه نهر الأردن، ومشروع «جيمس هيس» عام ١٩٤٧، وهو امتداد للمشروع السابق. وما كاد يأتى عام ١٩٥١، حتى شرعت إسرائيل فى تنفيذ مخططها لتحويل نهر الأردن، غير أن العرب تصدوا، بقوة لهذه الفكرة الإسرائيلية.

وامتدادا للأطماع الإسرائيلية فى المياه العربية تفاجئنا إسرائيل بإنشاء مشروع «جون كوتون» عام ١٩٥٤ لاستغلال مياه نهر الأردن بهدف إدخال مياه نهر الليطانى فى قائمة تقسيم المياه بين إسرائيل والدول العربية، كما ظهر على الساحة المائية مشروع «جون كوتون»، المعروف باسم «مشروع الحامل القومى» أو «مشروع الناقل القطرى»، وقد تدرج تنفيذه على مراحل ثلاث: الأولى من ١٩٥١ - ١٩٥٣ بهدف تجفيف بحيرة الحولة، والثانية من ١٩٥٣ - ١٩٥٥ بهدف إنشاء القنوات الثلاثة: الشرقية والغربية والشمالية، والثالثة من ١٩٥٥ - ١٩٥٧ بهدف نقل المياه السطحية إلى قنوات نهر الأردن، وتحويل ١٢ مليون متر مكعب من بحيرة الحولة إلى نهر الأردن. وتلا ذلك مشروع «إريك جونستون» بهدف تحويل نهر الأردن عام ١٩٥٦، لكن العرب رفضوا هذا المشروع، فى أول مؤتمر قمة عربى بالقاهرة عام ١٩٦٤ بوصفه سطوا على المياه العربية، واعتداء على المصالح العربية.

وفى عهد حكومة الليكود الإسرائيلية عام١٩٧٧، شرع البروفيسور الإسرائيلى «يوفال نشمان» فى دراسة مشروع مائى باسم «مشروع قناة البحار» لربط البحر الأبيض المتوسط بالبحر الميت من خلال قناة تمتد من خليج حيفا إلى وادى نهر الأردن بالقرب من بيسان. وقد ظل هذا المشروع تحت الدراسة حتى عام ١٩٨٤ حيث جرى تجميده فى ولاية حكومة «شيمون بيريز»، غير أن فكرة هذا المشروع لاتزال تراود أحلام إسرائيل الآن. ولا يفوتنى أن أنوه عن الفترة من يناير إلى مايو عام ١٩٦٣، حينما حاولت إسرائيل ضخ المياه من نهر الأردن لتحويلها لرى صحراء النقب، مما اضطر الدول العربية أن تمنع تدفق رافدين من الروافد المغذية لنهر الأردن، هما نهر الحاصبانى فى لبنان، ونهر بانياس فى سوريا، بتحويل مياههما إلى الجنوب - خلال الأراضى السورية والأردنية - لتعاود الالتقاء بالنهر، جنوب بحيرة طبرية، داخل الأردن. وإزاء ذلك هددت إسرائيل بشن الحرب، وعدم السكوت على مثل هذه التصرفات ويجدر ذكره أنه فى ١٧/٣/١٩٦٥ وجه رئيس الوزراء الإسرائيلى «ليفى اشكول»، حينذاك، تهديدا إلى الدول العربية ضد تحويل الروافد العليا لنهر الأردن، بقوله: «إن أية محاولة لحرمان إسرائيل من المياه، التى فيها حقا قانونيا بموجب «مشروع جونستون» فإنه يعد عملا عدوانيا».

وفى إطار الصراع الإسرائيلى حول المياه، واصلت إسرائيل جهودها لتحويل مياه نهر الأردن، ببناء محطة الرافع القومى فى الجزء الشمالى لبحيرة طبرية لضخ المياه من خلال

الأنابيب، والقنوات إلى تل أبيب، وصحراء النقب. وكان رد الفعل الأردني، هو شق القناة الرئيسية للغور الشرقي في وادي الأردن، باستخدام مياه نهر اليرموك، وبناء سد الملك طلال على نهر الزرقاء. وما يجب التأكيد عليه أنه إذا نظرنا إلى خريطة الموارد المائية الإسرائيلية نجد أن إسرائيل تعتمد على مصادر مائية عديدة تأتي في صدارتها بحيرة طبرية التي تمد إسرائيل بحوالي ٦٦٠ مليون متر مكعب من المياه سنويا، وتمثل هذه الكمية المنسوب السنوي لنهر الأردن الذي تتولى إسرائيل سحبه من هذا النهر إلى هذه البحيرة، مقابل التزام إسرائيل بمد الأردن بـ٥٠ مليون متر مكعب من المياه سنويا بموجب اتفاقية السلام الإسرائيلية الأردنية، ويلي ذلك المياه الجوفية التي تتمثل في خزانين جوفيين: الأول الخزان الجوفي الساحلي، الذي يمتد من جبل الكرمل شمالا حتى قطاع غزة جنوبا، ويوفر لإسرائيل حوالي ٧٠٠ مليون متر مكعب سنويا، والثاني الخزان الجوفي بالضفة الغربية، ويمدها بحوالي ٧٤٠ مليون متر مكعب سنويا، وتحتل مياه السيول المرتبة الأخيرة في خريطة إسرائيل المائية، وتوفر حوالي ٤٠ مليون متر مكعب سنوياً. ومن ناحية أخرى تشكل منابع نهري الحصباني والوزاني، والتي تبلغ حوالي ١٣٨مليون متر مكعب، أكثر من نصف كمية المياه اللبنانية الجنوبية، التي تنساب خارج الحدود في اتجاه إسرائيل، ففي دراسة أعدها «المهندس حسين رمال»، رئيس المصلحة الفنية في الهيئة الوطنية لنهر الليطاني، حول المياه السطحية والجوفية في جنوب لبنان، ذكر فيها أن إجمالي كمية المياه اللبنانية التي تنساب إلى إسرائيل بالسيلان السطحي، والانسياب الجوفي لا تقل عن ٣٤٠ مليون متر مكعب سنويا، وهي توازي تقريبا ما يتبقى للجنوب اللبناني من مياه تبلغ حوالي ٣٦٥ مليون متر مكعب سنويا. وتقسم هذه الدراسة كمية المياه العابرة للحدود في اتجاه إسرائيل إلى قسمين: الأول مياه منسابة سطحية تبلغ حوالي ١٤٥ مليون متر مكعب، والثاني مياه عابرة بالانسياب الجوفي تبلغ حوالي ١٩٥ مليون متر مكعب، ووفقا لهذه الدراسة، فإن كمية المياه التي يفقدها لبنان بالتسرب الجوفي إلى البحر هي ١٧٥ مليون متر مكعب سنوياً، وبذلك تصبح كمية المياه التي يفقدها لبنان من هذه المصادر ٥١٥ مليون متر مكعب، وهي عبارة عن ٣٤٠ مليون متر مكعب، منسابة إلى إسرائيل، و١٧٥ مليون متر مكعب منسابة إلى البحر. وانطلاقا من الأطماع الإسرائيلية في المياه العربية، لا ينسى أحد أنه حينما غزت إسرائيل لبنان عام ١٩٨٢، كان في طليعة أهدافها الوصول إلى نهر الليطاني اللبناني، وبالفعل تمكنت إسرائيل من السيطرة على منطقة بطول ٣٠ كيلو متراً من مجرى النهر، استغلتها لصالح المستوطنين اليهود في شمال إسرائيل، وهذا ما أشار إليه الوفد اللبناني في مؤتمر وزراء الخارجية العرب في مارس ١٩٩٠ بقوله: «إن إسرائيل تستغل مياه الأنهار اللبنانية استغلالا كاملا، فهي تستولي من نهري الحاصباني والوزاني على حوالي ١٤٠ مليون متر مكعب سنويا». ومنذ الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام ١٩٧٨ وحتى مايو ٢٠٠٠، أنشأ

الاحتلال الإسرائيلي، محطة لضخ المياه على نهر الوزاني تغذي بلدة الغجر بمياه الشفه، ومازالت هذه المحطة تعمل بعد تحرير الجنوب اللبناني عام ٢٠٠٠.

وعلى الرغم من انسحاب إسرائيل من الجنوب اللبناني، فإنها لاتزال تطمع في مياه الحصباني ورافده الوزاني، وتهدد - من خلال أبواقها الإعلامية على لسان شارون - بشن حرب على لبنان، في محاولة لمنعه من إقامة محطة على نبع الوزاني، تقوم بضخ مياهه لتغذية ٦٠ قرية وبلدة في الجنوب اللبناني. ومن جهة أخرى فإن إسرائيل تستولي على حوالي ١٠٠ مليون متر مكعب سنويا من مياه نهر اليرموك، الذي يعتبر الرافد الرئيسي لنهر الأردن والفاصل بين إسرائيل والأردن من جهة، وسوريا والأردن من جهة أخرى.

ونظرا لحاجة الأردن إلى مليار متر مكعب من المياه، فقد اتفقت سوريا والأردن على بناء سد على نهر اليرموك، لحجز حوالي ٢٢٠ مليون متر مكعب، بهدف تنظيم الاستفادة من مياهه. ومن المعروف أن مياه بحيرة طبرية التي تشكل ٤٠٪ من احتياجات إسرائيل المائية تأتي من منابع نهر الحصباني في لبنان، ونهري بانياس والدان في سوريا، ولعل أحد أسباب حرب ١٩٦٧، كان الاستيلاء على منابع نهري بانياس والدان في سوريا، خاصة بعد محاولة سوريا تحويل مياه نهر بانياس بعيدا عن إسرائيل ليصب في حوض نهر اليرموك. وما يجب لفت الأنظار إليه أن من أهداف استراتيجية الأمن المائي الإسرائيلي هو محاولة إسرائيل الوصول إلى أحواض الأنهار العربية، بالإضافة إلى سعيها في تحريض دول الجوار غير العربية المسيطرة على منابع الأنهار الكبرى، وإشعارها أن العرب يسيئون استخدام الموارد المائية، ويسرفون في استعمالها، وحرصها على التلويح لهم بورقة الهاجس الأمني في مواجهة الدول العربية المشاركة في أحواض الأنهار، خاصة إذا علمنا أن ما يربو على ٦٦٪ من موارد المياه العربية تأتي من أراض غير عربية، وهذا ما شدد عليه رئيس الوزراء الأسبق «ديفيد بن جوريون» في وصيته بالاهتمام بالبعد الثالث في الصراع العربي الإسرائيلي، والذي يتمثل في دول الجوار الاستراتيجي المشارك في أحواض الأنهار الكبرى مثل تركيا، وأثيوبيا، وأوغندا، وزائير، ورواندا وكينيا. واللافت للانتباه أيضا أن ثمة ورقة أعدها «مركز غزة للحقوق والقانون» تحت عنوان: «المياه في الأراضي الفلسطينية» ذكر فيها أنه في الوقت الذي يحصل فيه المواطن الإسرائيلي على ٣٥٧ كوبا سنويا، فإن المواطن الفلسطيني لايزيد ما يحصل عليه عن ٨٥ كوبا في السنة، وضرب مثالا على ذلك بمستعمرة «كريات أربع» الموجودة في محيط مدينة الخليل، فذكر أن هذه المستعمرة الإسرائيلية يبلغ عدد سكان حوالي خمسة آلاف مواطن، وتحصل يوميا على ستة آلاف متر مكعب من المياه، بينما سكان الخليل الفلسطينيون - والبالغ عددهم حوالي مائة ألف مواطن لا تزيد حصتهم اليومية من المياه على سبعة آلاف متر مكعب، هذا في مجال مياه الشرب، أما في مجال الري والزراعة

فتبلغ نسبة استهلاك الإسرائيليين ٢٢٨ كوبا سنويا، بينما يصل نصيب الفلسطينيين إلى ٥٦٥ كوباً سنويا. وفي هذا السياق أصدرت إسرائيل العديد من الأوامر العسكرية بهدف استنزاف المياه الفلسطينية، نذكر منها الأمر العسكري رقم ٩٢ الذي يخول الحاكم العسكري السلطة المطلقة في تحديد كميات المياه التي يحق للعرب استخدامها، وفرض العقوبات والغرامات على المخالفين لهذا الأمر، وأيضا الأمر العسكري رقم ٩٤٨ الذي يلزم كل مواطن في قطاع غزة الحصول على موافقة الحاكم العسكري في حالة رغبته إقامة أي مشروع يتعلق بالمياه. وفي إطار سعي إسرائيل إلى تأمين مواردها المائية، يذكر أحد الباحثين أن إسرائيل تطمح في أن يوفر لها العالم العربي مصادر جديدة للمياه، خاصة في ظل الوضع المائي في المنطقة، واحتمالات عدم كفاية مواردها المائية في الأعوام القادمة، وأن إسرائيل أعدت العديد من الخطط الجاهزة للاستفادة من المياه العربية على أساس المبادلة بتنفيذ مشروعات زراعية ضخمة في سيناء تعتمد على وسائل الري الحديثة مقابل توصيل مياه النيل إلى صحراء النقب، وإقامة مشروعات زراعية أخرى في الأردن وسوريا ولبنان مقابل الانتفاع بحصة من مياه منابع نهر الأردن، ونهر اليرموك، ونهر بانياس، ونهر الحصباني، ونهر الليطاني، بالإضافة إلى مشروع «أنابيب السلام» لنقل المياه من تركيا إلى إسرائيل.

وفي الختام لا يسعني إلا التأكيد على أن إسرائيل، بسبب أزمتها المائية، تحاول، بوسيلة أو بأخرى، وضع يدها على أي مورد مائي، سواء بالتهديد والوعيد، أو بالسعي لعقد اتفاقيات منفردة مع أي جانب عربي في المنطقة، ومن ثم فهي لا تتوقف عن أطماعها التوسعية في المياه العربية، خاصة بعد إعلانها حالة الطوارىء في مرفق المياه الإسرائيلي منذ عدة سنوات، بهدف تأمين مواردها المائية حتى لو اقتضى الأمر الاستيلاء بالقوة على مصادر مائية جديدة من خارج حدودها. ولم تزل فكرة الانقضاض على المياه اللبنانية أحد أهداف إسرائيل الرئيسية التي لن تتوانى في سبيل تحقيقها، وما مسألة مياه نبع الوزاني[١] ببعيدة. وفي ضوء ذلك أرى أنه من الضروري وضع استراتيجية عربية مشتركة في مجال تنظيم الاستغلال الكامل للمياه العربية، تراعي فيها المصالح العليا للأمة العربية، وحتمية وجود آلية عربية - ولكن تحت إشراف الجامعة العربية - لتنفيذ الحد الأدنى المتفق عليه عربيا، حتى يمكن تحقيق عامل الردع ضد مخاطر السطو على المياه العربية.

---

(١) يبلغ حجم المنسوب المائي لنهر الحصباني ونبع الوزاني حوالي ١٤٠ مليون متر مكعب سنويا تستولي منه إسرائيل على ١٢٣ مليون متر مكعب سنويا، بينما تحصل لبنان فقط على ٧ ملايين متر مكعب سنويا، رغم أن حصتها المتفق عليها هي ٨٠ مليون متر مكعب سنويا وتبتلع إسرائيل هذا الفرق، غير أن لبنان بعد افتتاحه محطة ضخ المياه على نبع الوزاني في ٢٠٠٢/١٠/١٦ سوف يرتفع ما يحصل عليه إلى ٩ ملايين متر مكعب سنويا وهذا هو سبب تهديد إسرائيل بشن حرب على لبنان مؤخرا.

التدابير الوقائية للحد من ظاهرة الطلاق: (٢)

قبل عقد الزواج

للأستاذ الدكتور / محمد الدسوقى

إذا كان كل أمر مهم يحتاج قبل الإقدام عليه إلى التأنى والتروى، والنظر فيه حتى يتم وفق رغبة صادقة وإرادة رشيدة فإن عقد الزواج لأهميته وخطورته وضعت له الشريعة قبل الإقدام عليه بعض القواعد والضوابط، وقاية له من أسباب الشقاق والتفرق بين الزوجين، وحتى يحكم العلاقة بينهما الوئام والمودة والسكن والستر المشترك، وأهم هذه القواعد والضوابط ما يلى:-

أ - حسن الاختيار:

تدعو الشريعة الغراء كلا من الرجل والمرأة إلى الحرص على أن يكون اختيار شريك العمر فى رحلة الحياة مناطه الاعتصام بالدين والخلق، فذلك وحده هو السبيل المستقيم لبناء أسرة قوية لا تعرف التفكك، وأن تعرف الترابط الحميم، والتعاون على الخير والبر..

والنصوص التى تحض على حسن الاختيار، وتحذر من الاهتمام بالأعراض الزائلة دون الحرص على القيم الخالدة كثيرة، ومنها ما روى عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك»[1].

يبين الرسول الكريم فى هذا الحديث تباين الرغبات فى اختيار المرأة زوجة، وأمر بالظفر بذات الدين، وحذر من الزواج بغيرها، فمن يتزوج غير متدينة بسبب مالها أو حسبها أو جمالها فقد عرض نفسه للمذلة والهوان، وهذا ما تشير إليه كلمة «تربت يداك»[2].

---

(١) رواه الشيخان.

(٢) يدل المعنى اللغوى للفعل ترب على التراب والفقر، ويقال ترب المكان: إذا كثر ترابه، وترب فلان: إذا افتقر، ويقال فى الدعاء تربت يداه: خسر أو افتقر «وانظر المعجم الوسيط مادة ترب».

ويتحدث الرسول ﷺ عن صفات المرأة التي ينبغي أن يظفر بها الرجل فيقول: «خير النساء من إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا أقسمت عليها أبرتك وإن غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك»[٣].

والصفات التي اشتمل عليها هذا الحديث، وبها تكون المرأة خير النساء هي: أن تكون في نظر زوجها جميلة، فهي تسره إذا نظر إليها، والجمال أمر نسبي، فرب امرأة تكون في نظر إنسان دميمة تكون بالنسبة لغيره جميلة يأنس إليها، ويسعد بلقائها.

وأن تكون المرأة مع هذا مطيعة لزوجها، فلا تعصى له أمرا اللهم إلا إذا كان معصية، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وأن تعين زوجها على الخير، وأن تكون أمينة على نفسها ومال زوجها وبيته إن غاب عنها.

إن مثل هذه المرأة التي تتوافر فيها هذه الصفات تكون كنزا ينبغي على الرجل أن يظفر به ويحرص عليه.

كذلك حث الرسول ﷺ أن يختار المرء زوجته من بيئة صالحة طاهرة، لأن العرق دساس، قال ﷺ: «تخيروا لنطفكم وانكحوا الأكفاء»[٤].

فالزوجة إذا كانت كريمة العنصر طيبة الأرومة، نشأت في بيئة صالحة فإنها تملأ بيتها بأسباب السعادة، وتبث في أولادها كل خلق حميد، وتجنبهم كل خلق قبيح.

وقد روى أن أبا الأسود الدؤلي «ت: ٦٩هـ» امتن على بنيه باختياره أمهم عفيفة كريمة الخلق، إذ قال لهم: لقد أحسنت إليكم صغارا، وكبارا وقبل أن تولدوا، فقالوا: كيف أحسنت إلينا قبل أن نولد؟ قال: اخترت لكم من الأمهات من لا تسبون[٥] بها، وفي هذا المعنى يقول بعض الشعراء:

وأول إحساني إليكم تخيري

لما جدة الأعراق باد عفافها

وقد حذر ﷺ من نكاح المرأة التي لا تتمتع بالدين والخلق، وإن كانت جميلة، لأنها نشأت في بيئة فاسدة، قال: «إياكم وخضراء الدمن، قالوا: وما خضراء الدمن يا رسول الله؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء»[٦].

إن الزوجة إذا كانت قد نشأت في بيئة فاسدة فإنها لا تكون حميدة الطباع وتبذر في بيتها بذور الفساد، وتزود أهلها للحياة بأسوأ زاد، ولذا كان تحذير الرسول ﷺ من مثل هذه المرأة، لأنها لا تصلح زوجا وأما، ولأنها تسيء إلى بعلها وإلى أولادها.

قال الشاعر:

وأول خبث الماء خبث ترابه

وأول خبث القوم خبث المناكح[٧]

ويستحب أن تكون المرأة مع تمتعها بكل تلك الخلال الطيبة، ولودا، ويعرف ذلك غالبا من أحوال النساء في أهلها كأمها وأختها وخالتها، روى معقل بن يسار أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ

---

(٣) رواه النسائي.

(٤) رواه البخاري.

(٥) المرأة في الشعر الجاهلي للدكتور أحمد الحوفي ص١١٨ط القاهرة.

(٦) رواه الدارقطني.

(٧) انظر عيون الأخبار لابن قتيبة ج٤ ص٢ ط دار الكتب المصرية

فقال: «إني أصبت امرأة ذات جمال وحسب، وإنها لا تلد، أفأتزوجها؟ قال: لا، ثم أتاه الثانية فنهاه، ثم أتاه الثالثة فقال: تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة»[8].

ودعوة الرسول ﷺ إلى الحرص على زواج الولود لا يعني عدم الزواج بغيرها، وأن العقيم قد كتب عليها أن تعيش حياتها بغير بعل، وإنما هي إشارة إلى أن المسلم لا يتزوج استجابة للرغبة الجنسية فحسب، وإنما يتزوج استجابة للفطرة السوية في حب الإنجاب والذرية ولهذا كم فرق العقم بين زوجين على الرغم مما قد يكون بينهما من حب ووئام، فعاطفة الأبوة أو الأمومة تنتصر على كل ما يحول دون إشباعها أو تحقيق أشواقها.

وكما وردت الآثار الكثيرة التي تدعو إلى أن يكون اختيار المرأة مناطه الاعتصام بحبل الله، والتخلق بأخلاق القرآن، وردت آثار كثيرة أيضا تدعو إلى أن يقاس الرجل بهذا المقياس الصحيح، مقياس الإيمان والتقوى، والخلق الكريم، ومن هذه الآثار قول الرسول ﷺ: إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض[9] فهذا الحديث الشريف يوضح للمسلمين أن الرجل إذا كان ذا دين وخلق فهو زوج صالح، فإن لم يزوج لاعتبارات أخرى لا تقيم لها الشريعة وزنا كبيرا كالمال والجاه كان هذا فتنة وضلالاً مبيناً.

ولا يفهمن أحد أن دعوة الإسلام لأن يكون مرجع الاختيار إلى القيم الثابتة والفضائل السامية أن ينبذ المال والجمال وما إليهما، فالمال نعمة والجمال نعمة ولكن الإسلام يجعل الدين والخلق الشرط الأساسي لقيام علاقة زوجية، لأن ما سوى ذلك لا يدوم، ولا يمثل عنصرا جوهريا في الحياة، وقد يكون الحرص عليه على حساب ما يجب أن يكون من الدين والخلق، فتصبح العلاقة بين الزوجين مادية شكلية تفتر أو تنتهي بزوال هذا المتاع الزائل.

الكفاءة بين الزوجين

يقتضي الحديث عن حسن الاختيار وما يتمتع به كل من الزوجين من الدين والخلق ودعوة الرسول ﷺ إلى الحرص على زواج الولود الإشارة إلى موضوع الكفاءة وما صدر عن الفقهاء من آراء فيها، فلهذا الموضوع صلة وثيقة بحسن الاختيار وآثاره في الحياة الزوجية.

والحديث عن الكفاءة لن يعرض لكل أقوال الفقهاء فيها وإنما يشير إلى أهم ما يخدم قضية التوافق بين الزوجين، فيدخل طوعا لهذا في باب التدبير الوقائي قبل العقد.

وتعرف الكفاءة لغة بأنها المماثلة والمساواة، ومن ذلك قول رسول الله ﷺ: «المسلمون تتكافأ دماؤهم» أي تتساوى دماؤهم في الدية والقصاص فلا فرق بين غني وصعلوك، وذوي حسب ومن لا حسب له.

وهذا المعنى اللغوي للكفاءة يلتقي مع أحد معاني الزواج، حيث يقصد به التماثل والتناظر، كما في قوله تعالى:

---

(٨) رواه ابن ماجة.

(٩) رواه أبوداود وابن ماجة.

﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾(١٠)

فأزواجهم في الآية بمعنى أنواعهم أو أشباههم، وقيل للرجل والمرأة زوجان، لأنهما قد تناسبا بعقد الزواج.

وتستعمل الكفاءة لغة – وإن كان استعمالاً مولداً(١١) – بمعنى القدرة على العمل وحسن تصريفه، وأما الكفاءة في اصطلاح الفقهاء فتعني مساواة الرجل للمرأة في أمور مخصوصة يعتبر الاخلال بها مفسدة للحياة الزوجية، أو سببا لأن تعير الزوجة أو أولياؤها بالزوج(١٢).

وينقسم الفقهاء بالنسبة لاعتبار الكفاءة بين الزوجين إلى فريقين:

الأول: يرى أن الكفاءة لا اعتبار لها أصلا في الزواج، فالناس سواسية كأسنان المشط، ولا تفاضل بينهم إلا بالتقوى والعمل الصالح، وإن من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه.

ويمثل الفريق الثاني جمهور الفقهاء الذي اعتبر الكفاءة شرطا في الزواج، وقد رد على الفريق الأول بأن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تتحدث عن المساواة وتبين أن معيار التفاضل هو التقوى تشير إلى أن الناس كافة متساوون في الحقوق والواجبات لا في المنازل والدرجات الدنيوية، فالتفاوت في هذه سنة كونية أومأت إليها بعض الآيات القرآنية ومنها قوله تعالى:

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ﴾(١٣).

فهذه الآية تبين أن الحق – تبارك وتعالى – جعل الناس يعمرون الأرض خلائف، أي جيلا بعد جيل، وقرنا بعد قرن، وأنه سبحانه رفع بعضهم فوق بعض درجات، أي فوت بينهم في المواهب والطاقات والأرزاق، وأن هذا التفاوت للابتلاء والاختبار.

وهؤلاء الفقهاء الذين قالوا بالكفاءة في الزواج قد اختلفوا اختلافا واسع المدى في الأمور التي تعتبر فيها الكفاءة، كما تعددت الروايات التي نقلت عن بعضهم في هذا الموضوع، ولكن أقوالهم مع هذا تلتقي عند التأكيد على أن الدين والخلق والإصلاح والتقوى أساس الكفاءة بين الزوجين، وأن ما سوى هذا من الحرفة والمال والحسب لا يراد بها التفريق بين الناس، والحكم عليهم بأنهم طبقات اجتماعية لكل منهما منزلتها الخاصة، وإنما يراد بها أن يكون بين الزوجين قدر من التقارب في المستوى الاجتماعي والمالي، وحبذا لو تحقق هذا التقارب في السن أيضا، فذلك أنفى للشقاق وأحفظ للمودة وأدعى للوفاق والوئام، وأجدر أن يجعل من الزواج خير علاقة توثق عرى المصاهرة، وتوسع دائرة الأسرة(١٤).

---

(١٠) الصافات (٢٢).

(١١) المولد من الكلام: كل لفظ كان عربي الأصل، ثم تغير في الاستعمال، وهو أيضا اللفظ العربي الذي يستعمله الناس بعد عصر الرواية.

(١٢) انظر أحكام الشريعة في الأحوال الشخصية للشيخ عمر عبدالله ص٢٥٤ ط الإسكندرية.

(١٣) الأنعام (١٦٥) (١٤) انظر الزواج في الشريعة الإسلامية ص١٢٢.

صحيح أن من الناس من تجاوز حد القصد والاعتدال في مفهوم الكفاءة، وكان لهم كما يقول الإمام الصنعاني «للناس في هذه المسألة عجائب لا تدور على دليل من غير الكبرياء والترفع، ولا إله إلا الله كم حرمت المؤمنات النكاح لكبرياء الأولياء واستعظامهم أنفسهم، اللهم إنا نبرأ إليك من شرط ولده الهوى وولده الكبرياء»(١٥)، ولكن سلوك هؤلاء لا يطعن في أن الغاية من الكفاءة وما يعتبر فيها من الأمور هو حماية العلاقة الزوجية وكفالة حياة المودة والاستقرار لها، وأن الفهم الصحيح للكفاءة لا يخرج بها عن الغاية منها، ومن ثم لا يتخذها الناس وسيلة لإحياء النعرات الجاهلية أو الأهواء الطبقية.

وجملة القول إن الفقهاء في حديثهم عن المعاني المعتبرة في الكفاءة لم يكونوا في غفلة عن أن الإسلام دين الأخوة والمساواة، وأن التفاضل بين الناس في هذا الدين مناطه الاعتصام بحبل الله، كما أنهم فيما أفاضوا فيه عن الأمور المعتبرة في الكفاءة كانوا يحرصون أبلغ الحرص على أن يظل عقد الزواج - وهو عقد مؤبد في أصل إنشائه - معبرا تعبيرا صحيحا عن حسن العشرة، وقوة الألفة والمودة بين الزوجين، حتى لا ينتهي هذا العقد إلا بوفاة أحد الطرفين أو كليهما، وهم إلى هذا نظروا إلى أن العلاقة الزوجية ليست علاقة بين فردين فحسب، ولكنها علاقة أيضا بين أسرتين، فهم فيما صدر عنهم توخوا مصلحة الأسرة، وحماية صلة المصاهرة، وراعوا مشاعر المرأة إذا ما تزوجت من دونها منزلة، فهي وإن رضيت به لا تسلم من نظرات النقد والتعيير، فتضيق بحياتها مع هذا الزوج، وتبدأ مرحلة النفور منه وعدم النزول على مقتضى قوامته وسلطانه، فتضطرب الحياة ويسود الشقاق ويقع التفريق.

على أن شرط الكفاءة ليس من شروط صحة العقد، وإنما هو شرط لزوم، وشرط اللزوم يعطي لمن له حق الاعتراض أن يطالب بفسخ العقد، فالعقد بدون هذا الشرط يقع صحيحا نافذا، ولكنه قابل للفسخ، إذ يجوز لولي المرأة أن يرفع الأمر إلى القاضي ليفسخ العقد لعدم الكفاءة، والقاضي يجيبه إلى طلبه بشرط ألا تكون المرأة قد حملت أو ولدت، محافظة على الولد.

الخطـــــبة

للفقهاء في الخطبة حديث ذو شجون، والذي يعنينا من هذا الحديث الجانب الذي يتعلق بالغاية من تشريع الخطبة، وما يحل بها للرجل والمرأة.

وتعرف الخطبة بأنها طلب الرجل يد امرأة معينة للتزوج بها، فإذا أجيبت رغبته بالقبول من المرأة، أو من له النيابة الشرعية عنها تمت الخطبة، فالخطبة لا تأخذ حكم عقد الزواج، وهي ليست إلا طلبا له، أو مرحلة تمهيدية تسبق هذا العقد.

والخطبة لدى جمهور الفقهاء مباحة فمن الفقهاء من يراها مستحبة غير أن رأي الجمهور هو الأرجح والمعول عليه، فليس بلازم أن يسبق كل عقد للزواج خطبة، وذلك إذا كان كل من

---

(١٥) أنظر سبل السلام للصنعاني ج٣ ص١٦٩ط القاهرة.

الرجل والمرأة يعرف أحدهما الآخر معرفة لا تحتاج إلى فرصة للتروى والبحث والفحص وغالبا ما يكون هذا فى داخل الأسرة بمفهومها الواسع بين أبناء الأعمام والعمات والخال والخالات، أو فى التجمعات السكانية المحدودة كالقرى الصغيرة، فأهلها - وإن لم يجمع بينهم نسب أو رحم - يعيشون كأسرة واحدة، يتعاطفون ويتعاونون، ويعرف كل منهم عن غيره ما يغنيه عن السؤال عنه إن رغب فى أن يصهر إليه.

ولا خلاف بين الفقهاء فى أن المرأة فى فترة الخطبة أجنبية عمن تقدم بطلب الزواج منها، ولهذا يحرم عليه أن يختلى بها، أو يسافر وحده معها وإنما يجوز لهما أن يلتقيا فى محضر من أهل المرأة ومحارمها لقاء مهذبا، فيعرف الحل من أخلاق المرأة وعقلها وحسن تصرفها ما يرغبه فيها، كما تعرف المرأة من الرجل ما يدعوها إلى قبوله زوجا ورفيق عشرة وحياة.

أما ما يفعله بعض الناس من إعطاء الخطيبين حرية اللقاء والتنقل وحدهما بحجة أنهما فى حكم الزوجين، وأن هذه الحرية تيسر لهما أن يدرس كل منهما الآخر دراسة وافية خطأ فادح، ويجر إلى مفاسد كثيرة، ويؤدى غالبا إلى عدم إتمام الزواج.

وإذا كان منح الخطيبين حرية اللقاء دون رقيب خطأ فادحا فإن ما يراه بعض الناس من أن رؤية الخاطب لمخطوبته أمر لا يسمح به شرف العائلات ولا الغيرة على الكرامة والعرض[16] خطأ فادح أيضا، ويتعارض مع النصوص التى رويت فى هذا، ومنها ما روى أنه ﷺ قال لبعض الصحابة حينما خطب امرأة: «هل نظرت إليها، فقال: لا، قال: انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما»[17]، أى أن يكون سببا لاستقرار الحياة واستمرارها بينكما.

وللمرأة كما للرجل جواز أن تنظر إلى من تقدم يرغب فى البناء بها، فالنساء شقائق الرجال، لهن حق الاختيار والرضا، ومن وسائل ذلك أن ترى المرأة الرجل الذى جاء خاطبا، وأن تطمئن إلى رجاحة عقله وحسن تصرفه، كما يطمئن هو أيضا إلى هذا.

إن تشريع الخطبة يحقق للمقدمين على الزواج حرية الاختيار، وفرصة التعارف والتآلف، والاطمئنان إلى أن شريك العمر ورفيق الدرب سيكون خير شريك ترجى معه العشرة الطيبة، والحياة الآمنة والسعادة المنشودة.

ولا شك فى أن أسرة تؤسس على القيم الخالدة، قيم الدين والخلق والفضيلة، كما يراعى فى بنائها التقارب بين الزوجين فى المستوى الاجتماعى والثقافى والعمرى، ويتحقق لها قبل عقد الزواج الرؤية الواضحة والرغبة المتبادلة ستكون أسرة سعيدة، يسود حياتها الاطمئنان والأمان، ولا تهب عليها رياح القلق والاضطراب، فلا يعرف الشقاق سبيلا إليها، وتظل العلاقة بين الزوجين، وبينهما وبين الأولاد علاقة ود ورحمة وعطف وحنان ومحبة، ولهذا كان حسن الاختيار، ومرحلة الخطبة تدبيرا وقائيا مهما يحمى الأسرة من التمزق أو التفرق.

---

(١٦) انظر الإسلام عقيدة وشريعة للشيخ محمود شلتوت ص١٦٨ط القاهرة

(١٧) رواه النسائى.

لا تنقضي عجائبه

إعجاز العلم الأعجمي في القرآن الكريم

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدي

تروي كتب السنة حديثا لرسول الله ﷺ يقول فيه: «من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل، فليقرأه على قراءة ابن أم عبد»(١) وفي هذا حث على إحسان القراءة، وتجويد الأداء، وتحري الدقة وكان يعجبه ﷺ من يؤدي الأداء الجيد، وكان يستمع اليه.

أتخيل مسجده ﷺ بالمدينة كخلية نحل لا تهدأ، أصوات القراء تتجاوب فيه ليل نهار.

وذات سحر، أذن(٢) النبي ﷺ لقارىء يشدو سحرا بكتاب الله، فجلس في بيته يستمع إليه، حتى قارب الفجر فخرج فعرف أن القارئ الشادي بالقرآن أبا موسى الأشعري فقال له مانحا إياه وساما لم ينله سواه، قال: «لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود»(٣). فقال أبو موسى - حيث إنه لم يكن يعرف أن رسول الله ﷺ كان يسمعه قال: لو أعلم أنك تسمعني لزينته لك تزيينا وحبرته لك تحبيرا. فالنبي كان يستمع القرآن من أصحابه وهم يشدون به.

وورد - أيضا - أنه كان يطلب من أحدهم أن يقرأ ويسمع هو. عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: إقرأ عليَّ. قلت أقرأ عليك وعليك أنزل؟! قال: إني أحب أن أسمعه من غيري(٤).

(١) سنن ابن ماجة، كتاب المقدمة، فضل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أذن: تسمع.

(٣) صحيح البخاري، فضائل القرآن، باب حُسن الصوت بالقراءة، حديث رقم ٤٦٦٠.

(٤) البخاري، فضائل القرآن، باب البكاء عند قراءة القرآن، حديث رقم ٤٦٦٨.

وكما أن في التلاوة من المصحف تعطير للنظر، وفي التلاوة من الحفظ تحصين للذاكرة. فإن في السماع إعمالاً للفكر، والتأمل لأن السامع لا يشغله شيء عن التفرغ الكامل لما يسمع. وفيه اقتداء برسول الله ﷺ حيث إنه كان يستمع إلى القرآن من صحابته وما هذا البحث إلا نتاج سماع وتأمل، والتأمل مع الإصغاء مطية الإلهام، وأنت ترى من نفسك عجباً، فقد تتلو الآية أو السورة في صلاتك أو قد تسمعها في غدوك أو رواحك وتمر عليها مراً ثم تتلوها نفسها أو تسمعها في ساعة أخرى من ساعاتك، فإذا هي تهزك من الأعماق هزاً، وتملأ كل جوانحك بهجة وضياء وتتفجر في قلبك أنهار من الحكمة والإلهام والهدى لم يكن لك بها عهد وربما تعجب كيف غُيّب عنك هذا الخير. وتوشك أن تقسم وكأنك لم تسمع هذه الآية من قبل وصدق رسول الله ﷺ حيث قال «لا يخلق من كثرة الرد. ولا تنقضي عجائبه».

وما موقف الفاروق عمر بغائب عنك فبعد انتقال الحبيب إلى الرفيق الأعلى فزع الناس حتى قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - من قال إن محمداً قد مات قطعت عنقه. فقام الصديق - رجل المواقف الصعبة - فقال: «أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت». ثم تلى قول الله تعالى:

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ﴾(*)

يقول عمر، والله لكأني أسمع هذه الآية لأول مرة.

فالقرآن كلما قرأته أو سمعته أشرق في قلبك معنى لم يكن يخطر لك وذلك من إعجاز القرآن ومن عجائبه التي لا تنقضي ولو عرفت أن كاتبا كتب كتاباً بعنوان «القلمُ الأعجمي في القرآن مفسراً بالقرآن» والكتاب مؤلف من جزءين، الجزء لا يقل عن ٣٠٠ صفحة. والعجيب في ذلك أن المؤلف لم يؤلف قبل الكتاب شيئا وأظن أنه لم يؤلف بعده، وأنه كتب كتابه بعد تقاعده في ديسمبر ١٩٨٨م وبدأ حياته العملية بإحدى شركات التأمين ثم عمل مترجما بإحدى مؤسسات الأمم المتحدة بجنيف. وبعد أن تقاعد ورجع إلى بلده الإسكندرية. وهو على علم بأكثر من لغة غير العربية خصوصا اللغات القديمة. كان يستمع إلى الآية فيها علم من الأعلام الأعجمية فيرى أن الآية أوردت ترجمة العلم الأعجمي في سياقها وكانت المفاجأة

(*) آل عمران (١٤٤).

أن هذه الترجمة تطرد في القرآن الكريم كله. لا يكاد يخلو علم أعجمي في القرآن من النص على ترجمة معناه في سياق الآية ترجمة دقيقة مطابقة. ولكنك تمر عليها دون أن تفطن لها. لأن العبارة التي تعطيك معنى الاسم الأعجمي كلام من نسيج الآية معناها مطلوب لذات الآية والترجمة إضافة تظنها جاءت عرضًا. وهي دليل العلم والقدرة.

يقول المؤلف: وأما كيف هداني الله إلى موضوع هذا البحث فهي بارقة إلهام ليس لي فيها من فضل، إنما الفضل كله لله - سبحانه وتعالى - ثم يقول: وهو بحث ليس في وجوه إعجاز القرآن، فوجوه إعجاز القرآن بحر لا يدرك ساحله. وإنما هو بحث وجد في وجه من وجوه إعجاز القرآن جديد لم أقع عليه فيما كتبه المفسرون. إنه العلم الأعجمي في القرآن مفسرًا بالقرآن.

والقرآن، بفعل هذا غير مسبوق. لأنه يفسر ما يسفره عن علم وغيره يخطئ، وقد يصيب».. وقبل أن أسرد لك أمثلة من هذا الإعجاز الإلهي أنقل لك بعض حديث المؤلف محمود رؤوف عبدالحميد أبو سعده، عن اللغة العربية وكيف أنها وسعت القرآن بإعجازه حيث ضاقت عنه اللغات الأخرى يقول: «الحق أن اللغة العربية هيئت تهيئة لتلقى القرآن وزينت تزيينا لتليق به. وأنضجت إنضاجا لتكون وعاءه وأحكمت إحكاما لتعبر عنه فما نزل القرآن إلا وقد تهيأ لها هذا كله ضد منطق التاريخ ومنطق الحضارة.

ثم يقول: على أن في [اللغة] العربية خصائص لغوية وبيانية وموسيقية قل أن تجتمع لسواها، إنها لغة الإيجاز البليغ والسلم الموسيقي الكامل، لغة اجتمعت لها كل الحروف، وصحت المخارج لا تدغم في الحلق ولا تتآكل على أطراف اللسان.. لغة غنيت حروفا فغنيت جذورا، لا تعرف اللواصق من رواكب وروادف.

وبعد أن تحدث عن ضعف اللغة وضعف المثقفين وأن الضعف أصبح متبادلا قال: «تلك كبوة حضارية عابرة ليست القاصمة وكم صادف أهل القرآن كلما تنكبوا صراط القرآن كبوات.. ثم يصف هيمنة القرآن على أساطين الكفر واللغة وأنهم رغم كراهتهم للقرآن لم يستطيعوا أن يسبوا القرآن بسوء، بل لو وجدوا في القرآن مغمزا لما عفوا. ولكن القرآن أعجزهم أن ينالوه بسوء. ولو ادعوا عليه العجمة لافتضحوا بين العرب.

وسوف أضرب لك أمثلة من أعلام أوردها القرآن، أورد ترجمتها كما هي في لغاتها الأصلية دون إخلال بالسياق والجمال والروعة والبيان خذ مثلاً كلمة «اسحاق» وهو علم أعجمي، ما معناه؟ هل تعرف أنه في لغته الأصلية «الضحاك» فيورد القرآن هذا التفسير لمعنى الاسم الأعجمي بأسلوب معجز لا تكاد

تلحظه ولا يخل بالعرض المجيد المعجز يقول المؤلف: ولأن النسيج القرآني نسيج محكم بالغ الإيجاز برىء من الحشو والافتعال كل لفظ فيه موزون بميزان، معناه مطلوب لذات معنى الآية واللفظ أو العبارة المفسرة لمعنى الاسم العلم جزء من هذا البيان المتضام المتكامل. أو أداة لتصوير الحدث نفسه لا لتفسير الاسم فلا تفطن إن كنت لا تعرف لغة الاسم لوجه التناسب بين المفسر والمفسر به كما لا تفطن لوجه المشاكلة بين هذا وذاك. كما تجد في تفسير اسم اسحاق بقوله عز وجل:

﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ﴾(٦).

وكأن الملائكة قالت «ضحكت يا أم الضحاك، تسمية من الملائكة للمولود المبشر به. لأنك لا تفطن لوجه التناسب بين «ضحكت» و«اسحاق» لأنك لا تعلم أن معنى «إسحاق» هو «ضحاك» كما قد لا تفطن لوجه المشاكلة في عبارة مثل «أحسنت يا حسن» إن قيلت لك بالإنجليزية أو بأى لغة غير العربية.

لكن هذا الذى لا تلتفت إليه - أى تفسير الاسم العلم - يتواتر في كل علم أعجمي مذكور باسمه أو بكنيته في القرآن الكريم فتتساءل: أمقصود هو، أم غير مقصود أم أنه الإعجاز البياني الذى يؤلف بين الألفاظ والصور على هذا النسق المتناغم المتجانس؟!

ذات مرة كان يسمع المؤلف سورة مريم:

﴿كهيعص ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾(٧).

وكان معنى اسم زكريا في العبرانية «ذاكر الله» فتأمل تلك الترجمة التي جاءت في هذا التجانس الجميل بين زكريا ذاكر الله.

كما ترى ذلك في اسم جبريل فإنه ورد ثلاث مرات بلفظه، ثلاث مرات في الآية ٩٧، ٩٨ من سورة البقرة، وآية ٤ التحريم، وورد في سورة النجم ١-١٠ وسورة التكوير ٩-٢٣ محذوفا لدلالة السياق عليه الذى يدل على معناه في لغته وهو القوى الشديد أو ذو القوة وليس ذلك فحسب بل إن القرآن يصوب ما أخطأت فيه الكتب السابقة حيث إنهم فسروه بأنه عبدالله وليس ذلك بشئ هذه عظمة القرآن وأنت بإزاء عظمة هذا الكتاب المعجز بين أمرين لا ثالث لهما فإما أن تصدق محمداً - ﷺ في دعواه، والوحى، وأنه نبى، أو أن تقول إنه إله، ولكنك إن ألهته معاذ الله - فقد كذبته - تلك هى المعضلة الكبرى أمام خصائص هذا القرآن المعجز وهى بذاتها وجه من وجوه إعجاز القرآن.. ولله الحجة البالغة.

---

(٦) هود (٧١).

(٧) مريم (١).

وَلَا تَفَرَّقُوا

للأستاذ / أحمد السيد تقى الدين

سؤال له وجاهته .. طرحه عدد من الإخوة المسلمين الذين يعيشون خارج نطاق الدول الإسلامية.

السؤال يقول: لماذا لا يتم توحيد مطالع الشهور الهجرية؟

ويجيبون أنفسهم: صحيح أن الفقهاء قديماً وحديثاً أيضاً قالوا: لكل إقليم مطلعه .. ولكن هناك اليوم مصلحة مهمة أو مصالح تتحقق للمسلمين لو أمكن توحيد مطالع الشهور الهجرية، وأعظم هذه المصالح على الإطلاق زرع الأمل فى النفوس بإمكانية توحيد الأمة الإسلامية، خصوصاً وأن وسائل الإعلام الدولية مقروءة ومسموعة ومرئية تتناقل أنباء الخلافات القائمة بين سائر الدول الإسلامية حول تحديد بدايات الشهور الهجرية، بل إن إحدى الصحف نشرت خبراً حول دولة عربية حددت بداية لشهر رمضان، ورفض مالك إحدى الصحف اليومية الاعتراف بهذه البداية وصدرت الصحيفة تحمل تاريخاً هجرياً مغايراً لما اعتمدته الدولة التى تصدر فيها تلك الصحيفة.

والعالم كله يتهكم على المسلمين الذين عجزوا عن وضع تقويم موحد لبدايات الشهور الهجرية المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعقيدتهم، على عكس التقويم الميلادى الذى له صفة الثبات ولا يمكن أن يتغير إلا فى نطاق ضيق جداً معلوما سلفا.

والمشكلة تزداد عمقاً واتساعاً لدى مجتمع الأقليات الإسلامية، فهل يصدق أحد أن أقلية تعيش فى دولة واحدة تختلف فيما بينها حول تحديد مطالع الشهور الهجرية، بل قد يحدث هذا الخلاف بين سكان الحى الواحد، فتجد طائفة من سكانه تصلى صلاة عيد الفطر، وطائفة أخرى من نفس الحى تصلى صلاة العيد فى اليوم التالى، وقد يكون هناك من لايزال صائماً رمضان ولم ير هلال شوال بعد، وكل طائفة منهم تتشبث برأيها وترى أنه هو الصواب، بل قد تحاول كل طائفة فرض رأيها على غيرها من الطوائف بالقوة الأمر الذى تضطر معه الشرطة للتدخل.

ولا يوجد مجال للحديث عن خلافات مذهبية لأن هذه الخلافات تحدث بين أهل مذهب

واحد وهو السنة بمفهومها الواسع فالناس هناك لم يتبحروا في المذاهب، فلم يدرسوا الفقه الحنفي ولا الشافعي، ولا المالكي، ولا الحنبلي والله سبحانه وتعالى- قال في تعليل رسالة نبيه ﷺ :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[1].

والرحمة تتضمن رعاية مصالح العباد ودرء المفاسد عنهم[2].

وطرح الإخوة – وهم عدد من المسلمين المغتربين الذين يعيشون في مدينة أوتاوا الكندية – طرحوا ما يعتبرونه حلاً معقولاً وهو:

- الإسلام بُني على خمس فرائض، وهي:

– شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

– إقام الصلاة «وفيها نولي وجهنا شطر مكة».

– إيتاء الزكاة.

– صوم رمضان.

– حج البيت لمن استطاع إليه سبيلا.

الفريضة الأخيرة، وهي الحج يتحد المسلمون جميعًا في ميقات شهرها، شهر ذي الحجة، لأن الجميع يلتزم برؤية هلال مكة المكرمة والتقويم الهجري في سائر بلاد العالم يلتزم في هذا الشهر بهلال مكة المكرمة.

ألا يعني هذا أن أبناء الأمة جميعًا مطالبون بالالتزام بالرؤية الشرعية التي تتم في بلد الله الحرام وفي شهره الحرام، ماداموا قد التزموا بها لمدة شهر واحد فما المانع إذًا أن يلتزموا بها طوال أشهر السنة، وهناك بالفعل أقليات إسلامية طبقت هذا المفهوم، وهي تلك التي تعيش في بلاد تتجاوز ساعات النهار فيها الـ ٢٠ ساعة وفرصتهم تكون محدودة جدا لرؤية الهلال ولذلك فهم يلتزمون بالرؤية الشرعية لمكة المكرمة ويصومون ويفطرون تبعا لفجر ومغرب مكة ومنهم من يصومون تبعا لرؤية أقرب بلد إسلامي ولكن هذا لا يتجاوز مستوى جماعات داخل الأقليات التي تعيش في الدولة الواحدة.

بمعنى أن هناك من يصوم بالفعل ٢٠ ساعة يوميا، وهناك من لا يصوم أصلا لأنه لا يطيق صيام ٢٠ ساعة يوميا، ولا ترتاح نفسه للصيام وفق رؤية وتوقيت بلد يبعد عنه مئات الآلاف من الأميال، وبالتالي فلابد من تدخل يحفظ للمسلمين في كل مكان فريضتهم.

أخذت أفكر فيما سمعت وقلت لنفسي: ما معنى قول الله تعالى:

﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾[3]

الآية خاصة بتحويل القبلة ولكن هل القبلة مخصصة فقط للصلاة، أي أنها أمر وتوجيه إلهي للأمة بأن تكون مكة هي قبلة الصلاة فقط؟ لا أعتقد هذا بل الذي أراه – في ظل عدم ذكر كلمة الصلاة في الآية – أن المسلمين مأمورون بأن

---

(١) الأنبياء (١٠٧)

(٢) عبدالكريم زيدان، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية صـ ٤٦ ط دار عمر بن الخطاب – الاسكندرية

(٣) البقرة (١٤٤)

يتوجهوا إلى مكة ويجعلوا كعبتها في قلوبهم ويجعلوها حكمًا فيما يشجر بينهم من خلاف سعيًا وراء التوحد وعدم التفرق تنفيذًا لأمر الله عز وجل بألا نتفرق في قوله:

﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾[4]

« والشريعة الإسلامية ما وضعت إلا لتحقيق مصالح العباد في العاجل والآجل ودرء مفاسد أو جلب مصالح »[5].

والفقه الإسلامي ليس إلا وجهًا من وجوه الفهم والتفسير والبيان لنصوص الشريعة وأحكامها وتطبيقًا لمبادئها وقواعدها على جزئيات الوقائع والأحداث حسب الأمكنة والأزمنة ومصالح الناس[6] والمصلحة الآن تقتضي أن يجلس فقهاء الأمة وعلماؤها في الجغرافيا والفلك لدراسة نصوص الكتاب والسنة، والبحث في إمكانية توحيد مطالع الشهور الهجرية وإمكانية ربطها باستطلاع هلال قبلة المسلمين.. مكة المكرمة.

ونحن عندما نطرح مثل هذه القضية للنقاش فإننا لا نبتدع - وقانا الله شر البدع - وإنما نقتدي بسلفنا الصالح - رضي الله عنهم أجمعين - فقد منع سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - المؤلفة قلوبهم نصيبهم من الزكاة، وقد كان لهم فيها حق نص عليه المولى - عز وجل - في كتابه الكريم بقوله:

﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[7]

وقد أثبت الفقهاء أن عمر - رضي الله عنه - لم يخالف القرآن، ولا سنة رسول الله ﷺ في فعله هذا، وإنما كان يتبعهما ويحكم بهما، حيث رأى أن المؤلفة قلوبهم لا يستحقون العطاء إلا إذا كانوا محتاجين إليه.

وذلك ما يمكن أن نطبقه - بعد بحث ودراسة مستفيضة - على الأهلة، وأتساءل: إذا كان هناك من يصر ويتمسك بالتطبيق الحرفي للعبارة الفقهية « لكل إقليم مطلعه » وهو أمر لا نشكك في سلامته، ولكنه كان قديمًا يحقق مصالح الأمة، أما اليوم فهو لا يحققها بعد أن صار العراق إقليمًا، والكويت إقليمًا وقطر إقليمًا، وكذلك البحرين والإمارات وعمان، وقديمًا كانت كلها إقليم واحد له مطلع واحد.

الأمر ليس مجرد تحديد مطالع الشهور وتوحيدها فقط، إنما الأمر يتجاوز هذا بكثير.. إنه وجودنا في عالم لم يعد يعرف إلا لغة القوة، ونحن لن نصبح أبدًا أقوياء إلا إذا سعينا نحو تحقيق الوحدة الإسلامية، والوحدة ليست أبدًا مجرد إلغاء للحدود السياسية كما يتوهم البعض، بل يجب أن تكون رغبة كامنة في القلب.. ونحن إذا نجحنا في توحيد مظاهر حياتنا ماديًا ومعنويًا نكون قد نجحنا في تحقيق الوحدة المنشودة فلنبدأ بتلمس مظاهر وحدتنا من ديننا الحنيف من قواعده التي بُني عليها عسى الله أن يهيء لنا من أمرنا رشدًا.

---

(4) آل عمران (103).

(5) عبدالكريم زيدان، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ص 46، نقلاً عن: قواعد الأحكام للعز بن عبدالسلام (1/9).

(6) المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ص 67. (7) التوبة: (60).

سفينة التقوى والإيمان

للأستاذ / مجدى عبدالحميد بشير

في رياض الأخلاق الحسنة والخلال الطيبة والخصال الكريمة، يبدأ المؤمن المسير بإعمال العقل في معناه الواسع الرحب الذى يجعل من الذهن المتوقد والبصيرة النيرة نبراساً يهتدى به كل ذى لب حائر، ويعدل في حكمه كل حاكم جائر، والعقل هنا يجعل من شكر النعمة أساساً يدفعه للعناية الشديدة والرعاية الأكيدة لكل من ابتُلى بإعاقة ذهنية سلم الله منها الأصحاء. وأما الأساس الذى يلى العقل فهو الدين الحنيف الذى يزداد به شرفاً لكل شريف.

وتكتمل أضلاع مثلث التقدم والازدهار بالعلم النافع المفيد الذى يبنى ويشيد .. وهذا المثلث - أعنى العقل والدين والعلم - لا يمكن فصل أحد أضلاعه عن الآخر خصوصاً إذا كان الهدف الفعلى هو حضارة أمة ومدنية دولة.

وفى دنيا المعالى لابد للمتربص فيها أن يتحلى بخلق هام، اكتسبه من الصيام واتخذه دستوراً له فى التعامل مع الأنام، إنه الحلم الذى نوه بأهميته الجوهرية النبى مُحمّد خير البرية وأزكى البشرية ﷺ .. حين قال ﷺ لأشج عبدالقيس: «إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله.. الحلم والأناة» وصدق ﷺ فيما قال إذ الحلم هو الطريق الفطرى الموصل لأسمى المكارم، وأساسها المتين. ألا وهو الجود والكرم الذى يعد من أسمى أخلاق رسولنا العظيم ﷺ فى رمضان، فقد كان جبريل - عليه السلام - يلقاه فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، وكان ﷺ حينها أجود بالخير من الريح المرسلة.

والكرم والسخاء، طبع أصيل مركوز فى هذه الأمة الرائدة. ولقد ضُرِبَ المثل بحاتم الطائى فى هذا الباب وسجل التاريخ له ولأمثاله صحائف بيضاء من نور ظلت على مدى الأجيال مناراً للمبركات، وقد أوصى الطائى زوجته وصية قليلة الكلمات، عميقة العظات، فقال فى أسلوب خلاب:-

أماوىّ إن المال غاد ورائحٌ ويبقى من المال الأحاديث والذكر

نعم، فالذكر الحسن للإنسان عمر يضاف إلى عمره، وفى سعيه الدءوب وراء المحاسن والمكارم يتوقف المؤمن المحتسب أمام العرف الذى قدمه رسول الله ﷺ لكل مسلم عنقوداً شهى الطعم لذيذ المذاق حينما نزل عليه أمين الوحى جبريل - عليه السلام - بقول الله - عز وجل -: «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين».

فلما استفسر عن معناها أخبره جبريل جواباً من رب الأرض والسماء فقال: «أن تعطى من حرمك وتعفوا عمن ظلمك وتحلم عمن جهل عليك وتحسن إلى من أساء إليك». إنها ببساطة الترقى فى سلم الفضائل من الإسلام إلى الإيمان إلى الإحسان، إنها المعنى الدقيق لقوله - جل وعلا -:

﴿ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ . وإذا كان هذا هو الإطار الذى يفترض أن يعيش فيه من صان أخلاقه فى رمضان فلم يشهد زوراً، ولم يغش فجوراً، وقضى نهاره فى طاعة، وأنفق ليله فى ضراعة منتظراً فى يوم الدين من الصيام والقرآن شفاعة، فإن رمضان يفتح له باب البر على مصراعيه . وليس البر مجرد عبادات شكلية وإنما هو طريق طويل ومنهل عذب، فالبر كما صورته آية البر فى سورة البقرة، إيمان بكل ما للإيمان من حلاوة وطلاوة وبذل للمال وتحصينه بالنفس والنفيس على الرغم من الحب التلقائى الفطرى للحياة والمال حب يدفع صاحبه ويحفزه إلى أن يواسى عماله ونفسه كل محتاج ويأسو بهما جراح المعوزين، ويسد خلة كل محتاج اقتضت مشيئة البارى أن يمتحن فيما هو عصب الحياة وطاقتها المحركة ويلى الإيمان والبذل عبادتى الصلاة والزكاة أو لنقل: إن البذل والعطاء توسط ركنى الإيمان والصلاة تماماً كما توسط ركن الزكاة وهو العبادة المالية بين الصلاة وفضائل الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد، فهل هناك سياحة إيمانية فى عالم الفضيلة أطيب من الإبحار فى موج البِّر على متن سفينة التقوى والإيمان وصولاً إلى شاطئ المحبة والوئام، وابتعاداً عن اللجاج، ونأياً عن الخصام . . ولا يفوت من يعيش أفراح العيد بعد أن صام وقام لله أن يذكر أن الحياة كل الحياة، تدور بين أمدين، إما نعمة يشكر الله على أن اختصه بها، وإما بلية يحمد الله على أن ألهمه الصبر عليها، ويختتم هذا التطواف فى رياض الصالحين وبساتين المفلحين بأن يعى المؤمن يقيناً ويدرك حقاً القانون العام الذى نبه رسول الله ﷺ إليه أم المؤمنين عائشة حين قال: « ما كان الرفق فى شيء إلا زانه، وما نُزع من شيء إلا شانه » . . كما لا ننسى قوله: « إن الله يحب الرفق فى الأمر كله » . . ولا يغيب عن بال دعاء دعاه فقال ﷺ : « اللهم من ولىّ من أمر أمتى شيئاً فَرَفق بهم فارفق به » . . وليس معنى اللين والرفق أبداً التهاون مع النفس بعد انقضاء رمضان، فجهاد النفس والهوى والشيطان والدنيا ومغرياتها، دأب المتقين لا ينفك كل منهم يمارسه فى رمضان وفى كل شهور العام .

أيها الأخ الكريم: إن العيد فرصة طيبة لكنها لا تطيب ولا تهنأ إلا بمصافاة الأهل والإخوان والتودد والتحبب إليهم بالزيارة وصلة الرحم غرساً للألفة وبذراً للوئام، فزارع المعروف وباذل الخير لن يجنى إلا الخير حتى وإن تأخر موسم الحصاد . وفى منظومة جميلة تصور كل تلك المعانى يقول الإمام علىّ ـ كرم الله وجهه ـ:

إن المكارم أخــلاق مطهــرة ... فالعقل أولها والدين ثانيهـا
والعلم ثالثهـا والحلم رابعهـا ... والجود خامسها والعرف ساديها
والبر سابعها والصبر ثامنها ... والشكر تاسعها واللين عاشيها
والنفس تعلم أنى لا أصدقهـا ... ولست أرشد إلا حين أعصيها

فما أبلغ أبيات الإمام، تلك الأبيات العبقرية التى قدمت الفضائل وكأنها طاقات من الفُلّ والياسمين، تُرَصِّع جبين الزمن وتزين صدر الأيام فى لفظ جميل أخاذ يستخدم فيما يستخدم بمهارة منقطعة النظير أمراً نحوياً يكاد ينساه أهل النحو واللغة، ألا وهو (الترخيم) أى حذف الحرف الأخير فى قوله: (ساديها ـ عاشيها) . . وإن شئنا البحث التطبيقى لبعض تلك الشمائل، فلن نجد بحق من يطبقها خيراً من السلف الصالح.

بين الصحف و المجلات

إعداد الأستاذ

محمود الفشني

ضلال أو تضليل: «الإسلام والإرهاب»

كتب الأستاذ فكرى مكرم عبيد فى جريدة الأهرام تحت عنوان قضايا وآراء فى عددها الصادر فى ٢٣/١١/٢٠٠٢ يقول:

مخطئ من يتخيل أن اتهام الإسلام بالإرهاب جاء وليد جهل أو خطأ، بل تدبير آثم، جريمة مكتملة العناصر والأركان، من فعل وقصد جنائيين، أرقتها وخاطت رسومها عقول واعية شريرة رمت إلى هدف ذى شقين، أولهما التخلص من هذا الوزر، وثانيهما إلصاقه بعدو عنيد، تلك هى عقول الصهيونية العالمية.

لسنا نلقى هذا القول على عواهنه، ولا هى اتهامات عاطفية ناشئة عما تعانيه من إسرائيل والإسرائيليين، بل هو الواقع الذى عاشه العالم كما يدل عليه تسلسل الواقع التاريخى وتحليله الموضوعى.

قبل نشأة إسرائيل لم يكن العالم قد سمع بتعبير «الإرهاب» بالمعنى المتعارف عليه حديثا، فهى قامت أول ما قامت على عصابات إرهابية مثل «الهاجاناه» و «إرجون زفاى ليومى» «شيترن» التى بدأت نشاطها بإرهاب الجيش البريطانى عن طريق خطف رجاله وتعليقهم من أرجلهم كالخراف، ثم إلى إرهاب السكان الأصليين العرب الذين كانوا قد قاوموا إغراء الذهب اليهودى ورفضوا بيع أراضيهم بأى ثمن، وكان هذا البيع يتم بأثمان مرتفعة تدفع إلى أصحاب الأرض فى الصباح ويستردونها منهم فى المساء فى ملاهى تل أبيب ومواخيرها، وإزاء رفض وامتناع غالبية العرب عن البيع، عمدت العصابات اليهودية إلى الاستيلاء عليها قوة وعنوة بإرهاب أصحابها تزهيدا لهم فى بلدهم.

سمعنا بعد ذلك عن الإرهاب اليهودى المنظم، فاغتالوا لورد موين الوسيط الإنجليزى فى رائعة النهار فى القاهرة فوق كوبرى الزمالك، ثم اغتيال الكونت برنادوت رئيس لجنة الهدنة السويدى

المسالم، ثم اغتيال داج همرشولد أمين عام الأمم المتحدة، ثم جريمة قتل ليفون في الإسكندرية وما ترتب عليها.

لم يقتصر إرهاب الجماعات اليهودية على غير اليهود، بل شمل أبناء جلدتهم، فكانوا يرهبون ويبتزون أغنياء اليهود وثراتهم، يفرضون عليهم «فردة» مقدرة بنسبة مئوية من رءوس أموالهم، مهددين من يمتنع عن الدفع لا بالقتل فحسب، بل باختطاف أولاده، وحصلوا بهذه الطريقة على مئات الملايين من الدولارات ليستخدموها - بعد نهب نصفها لأنفسهم - في تمويل عمليات الإرهاب المتتالية.

ومن المعروف أن في أمريكا عصابات «المافيا» المكونة من أمريكيين من أصل إيطالي، تنافسها في أنشطتها الإجرامية مافيا اليهود، والمعروف أن للمافيا ما يطلقون عليه العائلات، وهي خمس، يرأس إحداها إرهابي يهودي اسمه كميسكي ينافس بل يبز آل كابوني وديلنجر.

حرص اليهود في ذكائهم الشرير مستخدمين أموالهم وتسلطهم على وسائل الإعلام والدعاية، وحتى ينسى الناس إجرامهم، على أن يلصقوا تهمة الإرهاب بالعرب والمسلمين، مستغلين جهل الأمريكان والأوروبيين بحقيقة الأمور ومستغلين انتفاضة الفلسطينيين في مقاومة الاحتلال، وهي حق شرعي ومشروع سبقهم إليه كل من احتلت بلاده أمثال المقاومة الفرنسية بقيادة ديجول، وحرب تحرير أمريكا بقيادة واشنطن، بنسبة الإرهاب إلى المقاومة الفلسطينية، وهي نسبة كاذبة، فعملوا بمهارة الإجرام على أن يتنصلوا من جرائمهم بإلصاقها بسواهم.

هذا هو الإرهاب اليهودي كما عرفناه وأقمنا عليه الدليل، ومع أسفي للحديث عن أهل «دين سماوي» بهذا المقت والكراهية، لكن ما حيلتي بعد أن أعلن اليهود أنفسهم وأطلقوا على إسرائيل - وهي الدولة التي اغتصبوها سفاحا - أنها الدولة اليهودية Jweish State.

عالمية الإسلام لكل زمان ومكان

في جريدة الجمهورية في عددها الصادر في ٢٤ / ١١ / ٢٠٠٢ نشرت وقائع ندوة عالمية الإسلام لكل زمان ومكان.

تحدث الدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف قائلاً: إن الإسلام به ثوابت ومتغيرات وهذا أمر ليس جديداً، وربما كان حوار النبي ﷺ مع معاذ بن جبل وهو يرسله إلى اليمن هو الدليل الدامغ على ذلك خاصة عندما قال له: «فإن لم تجد في كتاب الله وسنة نبيه؟ فقال معاذ: «أجتهد رأيي ولا آلو» فالثوابت تتضح فيما قاله معاذ في النصوص الصريحة في القرآن والسنة ثم هناك المتغيرات التي تخضع للظروف الطارئة والتي أشار إليها معاذ بقوله: «أجتهد رأيي ولا آلو» فالاجتهاد هو الآلية التي اعتمدها الإسلام لمواجهة كل المتغيرات.

وأضاف: إن المتغيرات لا تتعارض أبداً مع الثوابت فالمرونة في الأحكام لا تتعلق بالثوابت وإنما بالأشياء القابلة للتغيير وهو ما نسميه اجتهاداً كما أن عدم الاجتهاد يعد ذنباً لأن الاجتهاد استخدام العقل وقد جرم القرآن عدم استخدام

العقل بقوله تعالى:

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾(١).

وأشار إلى أن استهداف المسلمين والتآمر عليهم حقيقة لا جدال فيها لكن هناك بعداً غائباً في الموضوع وهو مسئولية المسلمين فيما يحدث لهم فالمسلمون هم المسئول الأول عما يحدث لهم وعليهم أن يعالجوا أسباب التخلف عندهم أولاً ثم يقفوا بعد ذلك في وجه الاستهداف وسوف يكون الأمر سهلاً.

وقال الإعلامي أمين بسيوني رئيس اتحاد الإذاعة والتليفزيون السابق: إن محاولة حماية المجتمعات الإسلامية من التدفق الثقافي المغاير لثقافتنا وهويتنا لا يمكن أن يتحقق بمحاولة منع التدفق الإعلامي والثقافي من كل من حولنا عبر الفضائيات ومن يفكر في ذلك فهو كمن يحاول حجب ضوء الشمس بغربال.

وأضاف أنه ليس أمام العالم الإسلامي لمواجهة الثقافات المغايرة إلا أن يتجه إلى إعادة بناء الإنسان، بناء يحفظ عليه هويته وثقافته ويجعله يختار ما يفيده وينفعه ويرفض ما يضره ولا يضيف إليه شيئاً وبالتالي فإن منطق الاختيار المطلق أو الحرية المطلقة يجب أن يتعامل معه إنسان واع بثقافته وحضارته وقيمه وما ينفعه وما يضره.

وأكد أن الدعوة الإسلامية أصلاً قائمة على منطق الاختيار الحر فهي بلاغ ثم اختيار مطلق:

﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾(٢).

وقال: إن بناء الإنسان هو أصعب ما يواجه الأمم لأنه لا يتحقق من قبل جهة واحدة وإنما تتضافر فيه جهود كثيرة ومتكاملة من الأسرة إلى المدرسة إلى الإعلام إلى الشارع إلى كل ما يلقاه الإنسان ويتعامل معه بشكل يومي فإذا وجد منهجاً إيمانياً في كل ما يراه نشأ مستقيماً ثابتاً لا تهزه الرياح العاتية أما إذا اجتهدت جهة دون جهة فإن ما تبنيه الأسرة مثلاً يفسده الإعلام أو المدرسة أو الشارع فلا يتحقق البناء.

أما الدكتور سوزان القليني مدير مركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة عين شمس فأكدت أن تطوير الخطاب الديني خاصة فيما نتوجه به إلى الغرب يحتاج إلى إعادة تأهيل الدعاة وإعدادهم إعداداً جديداً يتناسب مع الهدف المرجو منهم لأن كل دعوة تعتمد على الداعية فقد تكون الدعوة واضحة وعظيمة وتحمل للناس خيراً كثيراً لكن الذي يقوم بعرضها لا يقدمها بالشكل الذي تستحقه وبالتالي لا يقبل عليها الناس، وقد تكون دعوة لا تقف على حق واضح لكنها تقوم بتزيين لباطلها وإظهاره وكأنه حق فيقبل عليها بعض الناس ومن هنا فلابد من إعادة إعداد الدعاة.

---

(١) الملك (١٠، ١١).

(٢) الكهف (٢٩).

دراسة الغزوات من بدر إلى العراق

فى جريدة الجمهورية كتب الأستاذ عبد اللطيف فايد يوم ١٩ / ١١ / ٢٠٠٢ **يقول**: الغزوات الإسلامية تتطلب من المسلمين دراسة وافية تشمل ظروفها وأحداثها ونتائجها وعوامل النصر فيها، وشخصيات المجاهدين فى معاركها، وارتباطها كلها بالالتزام وتنفيذ أوامر القادة فيها وخاصة فى عهد رسول الله ﷺ فقد يختفى الهدف من أمر من الأمور على منفذيه من الجنود ولكن له فائدة استراتيجية كبيرة يتوقف عليها النصر، فإذا اختل تنفيذ هذا الأمر فإن الهزيمة أو ما يشبهها تنزل بالجيش كله، والدرس معروف من غزوة أحد التى تتطلب وحدها دراسة مستقلة فى هذا الشأن، كذلك دراسة الهدف الذى يجمع هذه الغزوات كلها، وهو هدف دفاعى فى المقام الأول لا يعتدى على الآخرين، ولا ينشر الدين بالسيف، وإنما ينشره بالحكمة والموعظة الحسنة والقدوة فى الأخلاق السلوكية.

وأكثر بلاد الأمة الإسلامية انتشر فيها الإسلام بالقدوة، وهذا واضح فى انتشاره الآن بالبلاد الأوروبية وأمريكا، وقد انتشر فى أفريقيا وآسيا بالأسلوب ذاته عن طريق العلاقات التجارية والنشاط الاقتصادى للأفراد حتى أن كبرى البلاد الإسلامية وهى أندونيسيا لم يرفع فيها سيف لنشر الإسلام، وإنما انتشر فيها إيماناً من أهلها بقيم هذا الدين التى حملها التجار المسلمون إليها، وهى الدولة التى تتعرض للحملات التى تسمى بالتبشيرية لاقتلاع الإسلام منها بالإضافة إلى جهود الاستعمار لتفكيك وحدتها باسم الاستقلال وحريات الشعوب.

كذلك كانت الحملات الإسلامية تهدف إلى رفع الظلم عن المظلومين فيها وتمتع أهلها بالحرية المفقودة فى اختيار الدين أو المذهب الدينى الذى يريدون اعتقاده بالإضافة إلى تأمين الدولة الإسلامية من الإغارات العدوانية، وهذا واضح فى فتح مصر والشام وغزوة تبوك، وهناك هدف آخر وهو استخلاص الحقوق الضائعة خلال الفترة التى سبقت الهجرة من مكة إلى المدينة، وهذا واضح فى الأسباب التى سبقت غزوة بدر، وهو يعطى الدلالة على الحق المشروع فى القتال لاستخلاص ما ضاع بقوة الأعداء.

هناك أيضاً سرية العمل والحفاظ على القوة التى تتمتع بها الدولة واستخدامها فى مواضعها، لأن التجربة أفادت أن استخدام هذه القوة فى العدوان على الآخرين مسلمين أو غير مسلمين لا تفيد الدولة القوية، وإنما تبدد قوتها وتجعلها نهباً للآخرين وهدفاً لعدوانهم وضرب للمسلمين جميعاً، وبخاصة فى فترات ضعفهم وتفكك وحدتهم، والمثل قائم الآن فى العراق الذى دخل معارك مع إيران سالت فيها دماء الطرفين ثمانى سنوات، فلما وضعت الحرب أوزارها بينهما اتجهت العراق لغزو الكويت، فكان ما كان مما يعانى منه شعب العراق حتى الآن، وكان سبب هاتين الحربين حيلة استعمارية لتبديد القوة الإسلامية فى المال والرجال، ودليل ذلك أن أمريكا هى التى دفعت العراق لحرب إيران وكانت تغذيها بالمال والسلاح، ثم هى التى نصبت الفخ للعراق فى ضرب الكويت فوقعت فيه قيادتها، والآن يعانى العراق وتعانى الدول الإسلامية وخاصة فى المنطقة العربية من نتائج ذلك، لأن الدول الإسلامية لا تملك القدرة على رد العدوان الأمريكى على العراق والمتمثل فى الأمم المتحدة التى تتخذها أمريكا ستاراً لأهدافها العدوانية على المسلمين.

بين المجلة .. والقارئ

إعداد وتقديم / عادل رفاعي خفاجة

WWW. alazharonline.org

مشروع سمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم لحفظ مخطوطات الأزهر ونشرها على الإنترنت

تلقيت بمزيد من الاعتزاز والتقدير دعوة سمو الشيخ / محمد بن راشد آل مكتوم ولى عهد دُبى .. وزير الدفاع بدولة الإمارات العربية لحضور المؤتمر الصحفى الخاص بمشروع حفظ مخطوطات مكتبة الأزهر الشريف.

بدأ المؤتمر بكلمة للأستاذ **جمال خلفان الحويرب** المدير العام لشركة الشيخ محمد التكنولوجية WWW Sheikh mohamed.co.ae الذى اوضح الاهتمام البالغ لصاحب السمو ولى عهد دبى بالمخطوطات بصفة عامة وبمخطوطات مكتبة الأزهر الشريف بصفة خاصة لما تضمه من تراث نادر.

وقد ابانت كلمة الأستاذ **جمال الحويرب** عن دراية الرجل بالمخطوطات وأهميتها وأنواعها المختلفة **من حيث كونها كُتِبَت بخط المؤلف، أو بخط أحد تلامذته وسمعها المؤلف، أو تحمل تعليقات من أحد الشيوخ الكبار .. إلخ.**

وفى الواقع فإننى لاحظت أن الرجل محب للتراث عاشق للمخطوطات فجزاه الله خير الجزاء.

ثم جاءت كلمة السيد صاحب الفضيلة الشيخ / أحمد خليفة وكيل الوزارة ورئيس الإدارة المركزية لشئون المكتبات الأزهرية .. الذى افاض فى شرح تاريخ مكتبة الأزهر، فكان مما قاله: «إن الأزهر كان به قديماً نظام الأروقة، والرِواق عبارة عن بناء يسكنه الطلبة من الجنسيات المختلفة، وقد بلغ عدد الأروقة سبعاً وعشرين رواقاً، وكانت هذه الأروقة تضم العديد من الكتب، غير انها لم تكن تخضع لنظام المكتبات الحديثة.

www.sheikhmohammed.co.ae

نقلة حضارية تضع التراث الإسلامى فى متناول الأجيال

وقد تعرضت هذه الكتب للضياع بأيدى الذين لا يعرفون قدرها، الأمر الذى جعل الأستاذ الشيخ/ محمد عبده.. مفتى الديار المصرية آنذاك يفكر فى إنشاء المكتبة الحديثة وتم التنفيذ فى أول المحرم سنة ١٣١٤هـ/١٨٩٧م. وقد تم نقل كتب الأروقة إلى الأماكن التى خصصت لها، وقد لاقى المباشرون للتنفيذ صعوبات فى ترميم الكتب وإصلاحها، ولم يكن بها من كتاب سليم إلا النذر اليسير[1].

بُدئ فى فهرسة الكتب وتبويبها وتسجيلها أثناء تولى الشيخ أبوالوفا المراغى[2] العمل بها.

أما المكتبة فى شكلها الحالى.. فقد بدأ العمل فى إنشاء مبناها الحديث عام ١٩٨٢م، فى عهد الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر السابق تغمده الله برحمته، وتم الافتتاح فى عهد فضيلة الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الحالى أطال الله فى عمره.

وقد تبرع السلطان حسن بلقية.. سلطان بروناى بمبلغ خمسة ملايين دولار خصصت لتحديث المكتبة الأزهرية وإنشاء معهدين لطلاب الأزهر.



وهذا التبرع الذى قدمه سمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم ولى عهد دبى ويبلغ خمسة ملايين دولار أمريكى خصصت جميعاً لمشروع المسح الضوئى لمكتبة الأزهر وتخصيص موقع إليكترونى.

أما المهندس معين مكى - المدير الفنى للمشروع فقد قال كلمة يُستفاد منها ما يلى:

(١) أنه تم استقدام عشر ماسحات ضوئية خاصة بتصوير الوثائق والمخطوطات بتقنية متقدمة

---

(١) يمكن لمن يريد الاستزادة الرجوع إلى: اللمحات الشذية عن المكتبة الأزهرية - بقلم فضيلة الشيخ/ أحمد خليفة - الأزهر - مطبعة المصحف.

(٢) فهو - غفر الله له - الذى قام بهذا المجهود، وعالج فى الحديث عن كل كتاب ذكر شيء من مقدمته، ثم تلاها بذكر طبعاته. إن كانت له أكثر من طبعة، أو كان لم يُطبع وظل مخطوطاً... كان جهداً ليس له إلا الله - سبحانه - الذى نضرع إليه أن يثيب هذا العالم الجليل على ما فعل، فلولا ما قام به من حصر لمقتنيات هذه المكتبة ومشاركة الشيخين حسن حسين ومحمد أحمد الشحات.. عملاً، وإشرافاً، لكانت الخسارة فيها أكثر وأكثر، ولولا إخلاص رافق عملهم جميعاً لما هيأ الله لهذا العمل كل هذا الانتشار الحالى - فليرحمهم الله جميعاً رحمة واسعة.

جداً أنتجت خصيصاً لمكتبة الأزهر الشريف منْ قـبْلْ I.B.M بحيث لا تؤثر على المخطوطات المصورة وتعطى صورة طبق الأصل من المخطوط .

(٢) كذلك مائة جهاز حاسب آلي موزعة بين مكتبة الأزهرالشريف للباحثين وبين الإدارة العامة .

(٣) نظام Rs/6000 Sp2 الذى يقوم بمهام كثيرة منها: حفظ ما يقرب من ستة ملايين صفحة رقمية من المخطوطات.

(٤) برمجيات بحلول عالية الأداء من I.B.M .

(٥) نظام I.B.M ، Web Sphere .

(٦) جهاز I.B.M 3995 C66 Optical Librar-ies Storag .

(٧) جهاز I.B.M 3583 Tape Storag .

وسيتم التنفيذ وفقاً للمراحل التالية:

تركيب الكابلات والتشبيك / تركيب الأجهزة وتصميم الموقع على الإنترنت / تشغيل البرامج / تخزين الصور / المرحلة النهائية . .

ويتم الافتتاح فى كل من دبى والقاهرة ونيويورك ولندن .

.. وعن سؤال عن ضياع بعض المخطوطات: قال الشيخ أحمد خليفة :

بفضل الله ـ تعالى ـ لم يُفْقَد كتاب واحد أو مخطوط منذ تم فهرسة المكتبة أيام الشيخ المراغى، حيث كان عدد المخطوطات بها سبعة آلاف وتسعة مخطوطات، بلغ الآن اثنين وأربعين ألف مخطوط من بينها تسعة آلاف مخطوط نادر لا يوجد إلا فى مكتبة الأزهر فقط .

كما تضم المكتبة الآن ١٢٥ ألف كتاب وجميع هذه الكتب والمخطوطات مثبتة وموجودة بالكامل فى المكتبة كما أنه توجد لدى المكتبة مقتنيات أخرى غير الكتب وهى مثبتة أيضاً فى دفاتر وسجلات خاصة .

مثل : (المزولة، أدوات رصد النجوم، حبة قمح مكتوب عليها سورة لإيلاف قريش بالكامل.. إلخ) .

أما ما تم أثناء الحملة الفرنسية من اختلاس وسرقة لبعض الكتب، فإن ذلك من دأب الاستعماريين الذين نهبوا آثار البلاد التى استعمروها سواء مصر أو غير مصر، وذلك تم قبل التسجيل فى السجلات الخاصة بالمكتبة، وإلا لأمكننا المطالبة بها .

وعن مجلة الأزهر باعتبارها واحدة من أهم ما تحتويه مكتبة الأزهر وما تحويه المجلة من فتاوى كبار العلماء وما قدمته على مدى خمسة وسبعين عاماً دفاعاً عن الإسلام، كان سؤالى عن وضع المجلة من ذلك المشروع، وهل سيتم وضع المجلة بالكامل على الإنترنت أم سيكتفى بالأعداد التى تصدر حديثا؟..

وقد جاءت الإجابة من الأستاذ جمال الحويرب تثلج الصدور، حيث قال :

« إننا ننظر إلى مجلة الأزهر كأفضل المجلات الإسلامية، وسنبدأ فى وضع الأعداد الثلاثة الأخيرة من مجلة الأزهر على موقع WWW. ALAzhar Online. Org .

أما بقية الأعداد الماضية فستأخذ طريقها مع بقية محتويات المكتبة بمشيئة الله ـ تعالى ـ حيث هى جزء من محتويات الموقع الذى يضم: موضوعات إسلامية تهم جميع المسلمين مثل: الفقه، والفتوى، والحضارة الإسلامية، ومجلات الأزهر، ومحاضرات المؤتمرات الأزهرية .

بالإضافة إلى أكثر من اثنين وأربعين ألف مخطوط ومائة وخمس وعشرين ألف كتاب، سيصبح كل هذا الإرث العلمى والكنوز الإسلامية بصيغتها الإليكترونية متوفرة للجميع لأول مرة.. وذلك للتعريف بقيم العالم الإسلامى وسماحة الإسلام وانفتاحه.

ونستخلص من الحديث الذى دار بين الحضور أن:

(١) المشروع ينتهى بإذن الله ـ تعالى ـ بعد سبع سنوات.. ويحمل عنوان: WWW AlAzhar Online. Org.

(٢) المرحلة الأولى للمشروع تنتهى سنة ٢٠٠٣م. مع نهاية الاعتماد المالى الذى يقدر بنحو خمسة ملايين دولار أمريكى هى مقدار التبرع الذى قدمه صاحب السمو ولى عهد دبى لهذا الغرض.

(٣) الدلائل تشير إلى أن اهتمام صاحب السمو بمكتبة الأزهر لن يتوقف عند حد المرحلة الأولى، بل سيستكمل المشروع بإذن الله ـ تعالى ـ حتى النهاية.

(٤) المشروع يتيح الأطلاع على محتويات مكتبة الأزهر بالمجان، باستثناء رسم بسيط للباحثين الذين يودون الاطلاع على المخطوطات.

(٥) سيتم إنشاء شبكة اتصالات داخلية للربط بين المعاهد الأزهرية الرئيسية.

(٦) سيتم اختيار بعض الكتب لترجمتها وبثها بعدة لغات من خلال موقع الأزهر على الشبكة.

***

وكم أتمنى أن يضع القائمون على هذا العمل المتميز فى اعتبارهم ما يلى:

(١) توجيه الدعوة الكريمة لكل مَنْ يحتفظ بمخطوطات إسلامية نادرة كبعض العلماء والأثرياء الذين اقتنوا أو ورثوا مثل هذه المخطوطات ليتقدموا بها إلى الأزهر لضمها إلى المكتبة أو على الأقل لتصويرها وإعادتها لأصحابها مرة أخرى؛ حتى لا تضيع هذه الكنوز مع مرور الزمن من أيدى أحفادٍ قد لا يقدرونها حق قدرها.

(٢) أما عن بث بعض محتويات المكتبة باللغات المختلفة، فإننى أرى واجباً علىَّ وبخاصة أن هذه النصوص ستضم - بالضرورة - فى استشهاداتها الكثير من الآيات القرآنية وأحاديث الرسول الكريم ﷺ أرى واجباً أن أقول: إنه يجب أن يختار لهذا العمل، العالم الأزهرى المتمكن من أمور الدين واللغة المراد الترجمة إليها، والمترجم الكفء الذى يتقن اللغة كأهلها، ولا تغيب عنه أمور الفقه ومصطلحات علوم الدين: كالحديث والتفسير.. إلخ.... ليشكلا معاً فريق عمل للتصدى لترجمةٍ تحمل صحيح الدين فى أفضل صياغة؛ ليشرق بها ديننا الإسلامى الحنيف على العالم الغربى.

ونسأل الله التوفيق والسداد لكل من أسهم فى نشر ذلك الدين القيِّم.

وعلى الله قصد السبيل.

عادل خفاجة

وإلى رسائل القراء:

جاءنا من الأستاذ/ محمد يس عبدالرحيم فتوح - الموجه العام للتربية الدينية واللغة العربية بقنا (سابقا) تعقيب على قصة (وا مثناه) التي نشرت بعدد صفر ١٤٢٣هـ مايو ٢٠٠٢.

وفحوى النقد هو اختلاف الرواية بشأن استدعاء المثنى بأمر عمر بن الخطاب أم بأمر أبي بكر الصديق رضي الله عنه. ونقول للناقد الفاضل : إن الروايات في هذه الناحية وفي غيرها مختلفة وإذا ذهب العقاد إلى رواية فهذا لا يمنع الاعتماد على رواية أخرى، لا سيما والمجال مجال قصة تحليلية وليس مجال نقد تاريخي.

من أعلامنا المنسيين

الأستاذ/ زكي المهندس

على درب الوفاء كانت كلمة القارىء فرج مجاهد عبدالوهاب - من شربين دقهلية - عضو اتحاد الكتاب وعضو نادى القصة، ليذكر القراء بأحد الرواد الأوائل ممن كانت لهم آثار واضحة في حياتنا الأدبية، حيث يقول:

الأستاذ/ زكي المهندس من علماء التربية والتعليم وأحد الرواد الأوائل الذين أسهموا في وضع أسس جديدة للتربية والتعليم منذ عام ١٩٢٥.

ولد في عام ١٨٨٧ وتخرج في كلية دار العلوم ١٩١٠ ثم أتم دراسته بانجلترا كما حصل على دبلوم التربية والآداب وشهادة تخصص في علم النفس كان من أوائل من درسوا بكلية دار العلوم مبادئ التربية والفلسفة ثم اختير وكيلاً ثم عميداً للكلية حتى أحيل إلى المعاش سنة ١٩٤٧.

ألف وترجم وراجع الكثير من الكتب المدرسية ومن أشهرها: « تهذيب البنين » و« أخلاق الفتى » و« النحو المصور » و« رجل القرن العشرين » و« أحلام اليقظة » و« المراهقة » و« رسالة المعلم ».

كما ألف - أيضا - في مجال التربية: « التربية العلمية » و« تاريخ التربية في القرنين السابع عشر والثامن عشر » و« إلى المجد ». هذا إلى جانب البحوث والمقالات العديدة التي نشرت في الصحافة والإذاعة.

تم اختياره عام ١٩٤٦ عضواً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة حيث شارك في كثير من لجان المجمع مثل لجنة الأدب، ولجنة نشر التراث القديم، ولجنة العلوم الفلسفية والاجتماعية، ولجنة تيسير الكتابة.. وغيرها.

أشرف أيضا على مجلة المجمع بعد وفاة الأديب الكبير علي الجارم، وفي سنة ١٩٦٤ تم انتخابه نائبا لرئيس المجمع.

يذكر أيضاً أنه والد الفنان الكبير فؤاد المهندس والإذاعية صفية المهندس.

● **المحرر: ما أجمل الوفاء، وكم هو جميل أن نعترف بفضل وجهود هؤلاء الرواد الذين مهدوا الطريق في شتى صنوف المعرفة، وكم أتمنى أن يتناول القراء الكرام بأقلامهم في كل عدد شخصية من هؤلاء الرواد.**

حقوق المرأة المسلمة.. بقلم غربية منصفة

والرسالة الأخيرة وردت من القارىء أحمد محمد خلف من سمالوط بالمنيا يقول فيها:

ـ يثير خصوم الإسلام كثيراً من الشبهات الباطلة والمضللة حول بعض الأحكام الإسلامية. وقد دأب العلماء على تفنيد هذه المزاعم والأباطيل والرد عليها، وللأسف الشديد فإن بعضاً من أبناء الأمة الإسلامية يؤيدون هذه الدعاوى ويحاولون نشرها وترويجها- وللأسف الشديد -أيضاً- فإنهم يجدون أبواقاً يبثون من خلالها سمومهم وبالرغم من أنها شبهات بالية- عفا عليها الزمن- إلا أنهم لا يجدون في أنفسهم حرجاً ولا خجلاً من كثرة ترديدها وإثارتها وذلك كالشبهات التي تثار حول الحدود في الإسلام وحق المرأة في العمل ونصيب المرأة في الميراث...... إلخ.

ـ وقد سئمت شخصياً من كثرة ما أراه في الصحف والمجلات من أمثال هذه الشبهات والرد عليها وكأنه كما قال الشاعر: [لا حياة لمن تنادي].

ـ وأودُّ أن أذكر في هذا المقال مقتطفات عن حقوق المرأة من مقال نشر باللغة الإنجليزية في مجلة «العالم العربي» بقلم الكاتبة «نورة تويتشل» – Norah Twicthell– في عام ١٩٤٤م تحت عنوان «بلاد العرب» وقد ترجمه إلى اللغة العربية الدكتور / محمد بن منصور أباحسين –جامعة الملك سعود– ونشرت الترجمة بمجلة «الدارة» السعودية –العدد الأول– المحرم ١٤٢٣هـ- السنة الثامنة والعشرون- أقدمه لبني قومي المخدوعين بالحضارة الغربية قبل أن أقدمه لخصوم الإسلام وكما يقول فضيلة الشيخ / الطاهر الحامدي [حتى لا يُروِّجَ لهذه الأباطيل في بني قومي فإن كثيراً منهم إما غِرٌّ ساذج مخدوع بدعايات الغرب وزخرف المدنية الغربية أو صنيعة للقوم تربوا على موائدهم واستأنسوا تحت أقدامهم يروجون لأفكارهم. لا نتهمهم بالعمالة وإن كانوا لا يتنزهون عنها فنحن لا نبغي إلا المحافظة على الشباب الغر الساذج تجلو له الحق ونبيّن له وجه الصواب وأثناء ذلك ومن قبله ومن بعده ندعو بالهداية للجميع][1].

ـ والكاتبة تصف في مقالها بإجمال الرحلة التي قامت بها إلى الجزيرة العربية في النصف الأول من القرن العشرين حيث تقول الكاتبة [في الجزيرة العربية تحتل المرأة منزلة عالية فالمعنى الأصلي لكلمة (حريم) هو (الشرف) أو (الحرمة) إذ تدعى الزوجة (الحرمة عائشة) و(الحرمة فاطمة) وهكذا. والمرأة خارج منزلها محجبة تتسوق وتزور صديقاتها، وتذهب إلى المكان الذي تريد بسلام دون خوف من أن يكشف حجابها أحد].

فهل يعي أحد ممن ينصبون أنفسهم أوصياء على المرأة بدعوى المطالبة بحقوقها وهم إنما يريدونها في الحقيقة سافرة وثائرة على دينها.

---

(١) انظر مقال الشيخ/ الطاهر الحامدي «هامش على كلمة الدكتور أسامة الباز» مجلة «الأزهر» عدد جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ ص٨٩٧، ٨٩٨.

إن الكاتبة الغربية أعطت من يتشدقون بحرية المرأة درساً في هذا الأمر حينما ذكرت معنى كلمة «حريم» على أنها «الشرف» أو «الحرمة» وحينما أثبتت أن حجاب المرأة بجانب أنه يستر عورتها فإنه يكون حجاباً لها أيضاً من الاعتداء. وهؤلاء الأوصياء الذين يرددون كالببغاوات عبارات «زمن الحريم»، «حجاب المرأة تخلف عن ركب المدنية والتطور»... إلخ عليهم أن يروا ما قالته الكاتبة المنصفة، بدلاً من ترديد عبارات يعرف القاصي والداني أنها عبارات مضللة وراءها أغراض أخرى غير الحقوق والحريات.

ـ وعن معاملة الرجل للزوجة ومكانة المرأة في الجزيرة العربية تقول الكاتبة [لا تختلط -أي الزوجة- بأصدقاء زوجها في المناسبات الاجتماعية، ولكنه يحترم ذكاءها ويقدره، ويستشيرها في جميع الأوقات وحينما يسافر الزوج مع زوجته وليس لديهما سوى حمار أو بغل فإن الزوجة تركب والزوج يمشي إلى جانبها، وبعبارة أخرى فالزوج والزوجة في الجزيرة العربية شركاء حقاً. والمرأة في منزلها ملكة.]

ـ وعن فكرة الغربيين عن المرأة الشرقية تقول: [وعلى العموم فإن لدى الغربيين فكرة خاطئة عن وضع المرأة في الشرق، ومع أن وجهة نظرنا الغربية ترى أن حريتهن محدودة، فإنهن في الواقع يعاملن باحترام وفروسية واعتبار].

ـ وقارنت الكاتبة مقارنة منصفة بين العرب والغربيين حين قالت عن العرب [شجعان أشداء، وربما قساة، ولكن فيهم رقة لا توصف فلم أسمع بحالة عنف موجهة ضد امرأة أو طفل، ولا يمكننا أن نقول ذلك في أوروبا وأمريكا].(٢)

ـ بعد ذلك أقول: هذا هو الفضل -في ديننا- وقد شهدت به كاتبة غربية منصفة وكأني بالشاعر الكبير / محمود غنيم وهو يقول:(٣)

يترسمون الغرب حتى يوشكوا
أن يعبدوه عبادة الأصنام
للغرب عادات مسممة، سرت
في الشرق مسرى الداء في الأجسام
لا تأمنوا المستعمرين، فكم لهم
حرب تقنع وجهها بسلام
والشعب إن سلمت له أخلاقه
ولسانه، لم يخش قطع الهام
إني أعيذ الشرق من متمسح
بالأجنبي لقومه هدام

---

(٢) د. محمد عمارة: شبهات وإجابات حول القرآن الكريم. ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. سلسلة: دراسات إسلامية (٧١)، ص٧١.

(٣) انظر قصيدته «قومي بين الشرق والغرب» والمنشورة بمجلة الأزهر عدد جمادى الآخرة ١٤٣٢هـ ص٩١٦.

نعتذر للسادة القراء لعدم نشر رسائلهم كاملة، وذلك حرصاً من المجلة على أن يشارك أكبر عدد ممكن من القراء. ونود أن نشير إلى أن للمجلة الحق في اختصار الرسائل وتنقيحها بما يتلاءم وسياسة النشر لديها. كما نقدم اعتذارنا للسادة الذين لم تسمح الظروف بنشر رسائلهم ونواصل نشرها تباعا بمشيئة الله تعالى.



من أخبار مجمع البحوث الإسلامية

الموافقة على تحديد نسبة الربح مقدماً

صرح فضيلة الشيخ / سيد وفا أبو عجور - الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية- بأن مجلس المجمع قد عقد جلسته الثانية في الدورة التاسعة والثلاثين بتاريخ ٣١/١٠/٢٠٠٢م- برياسة فضيلة الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر ورئيس مجمع البحوث الإسلامية.

وقد استعرض المجلس الكتاب الوارد من أ. د / حسين عباس زكي عضو المجمع ورئيس بنك الشركة المصرفية العربية الدولية بشأن الحكم الشرعي عن المعاملات المصرفية بالبنك، وبعد مناقشة الموضوع ودراسته قرر المجلس:

الموافقة على تحديد نسبة الربح مقدماً بأغلبية الأعضاء -الحاضرين- ماعدا عضو واحد.

عـــــود حميـــــد

عاد السادة العلماء الذين تم إيفادهم من قبَل الأزهر الشريف للقيام بواجب الدعوة ونشر الثقافة الإسلامية في مختلف دول العالم خلال شهر رمضان المعظم وأفاد الأستاذ / توفيق رواش مدير عام الإدارة العامة للبعوث بمجمع البحوث الإسلامية بأن قرار فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بابتعاث العلماء قد شمل عدد (٥٣) عالماً من علماء الأزهر الشريف إلى كل من:

السودان- النرويج- كندا- استراليا- الجابون- فرنسا- فنزويلا- روما- نيوزيلندا- المكسيك- هولندا- سويسرا- المالديف- المجر- بلجيكا- أسبانيا- الدنمارك- البرازيل- جواتيمالا- العراق- فنلندا. وقد عادوا في أول شهر شوال المبارك.

من العطـــاء الإنســانى

وهذه الزهرة نقطفها من بستان العطاء الإنسانى لفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى -شيخ الأزهر الشريف، حيث كفل فضيلته طالبتين يتيمتين من دولة « داغستان » بعد أن فقدتا الأب والأم، وبعد عرض قصتهما على فضيلته أمر على الفور بأن يتم وضعهما على منح الأزهر المخصصة لفضيلته وأن يرعاهما طوال سنوات الدراسة ويكفالتهما على حسابه الخاص.

والطالبتان هما: فالكوفا فاطم محمد، وعمرها عشر سنوات. فالكوفا غازى محمد، وعمرها ثمانى سنوات.

وقد أحست الطالبتان بالأمان وهما تواصلان مسيرة الدراسة بالأزهر الشريف بفضل الله ونعمته.

والمجلة تشكر فضيلة الإمام الأكبر على هذا العطاء الطيب وتسأل الله أن يكون هذا العمل قدوة للموسرين من أهل الفضل.

الأزهــر قبلــة العالــم العلميــة

انتهت أعمال التنسيق للطلاب الوافدين من مختلف دول العالم للالتحاق بجامعة الأزهر الشريف وبلغ عدد الطلاب المتقدمين حوالى (٢٥٠٠) طالب وطالبة وافدين على منح الأزهر وغيرهم.

كما تم الانتهاء خلال شهر نوفمبر الماضى من أعمال امتحانات تحديد المستوى للطلاب المتقدمين من مختلف دول العالم للالتحاق بالمعاهد الأزهرية للعام الدراسى ٢٠٠٢ / ٢٠٠٣ وبلغ عدد الطلاب حوالى ثلاثة آلاف طالب وطالبة.

وأضاف الأستاذ شوقى السبكى مدير عام الإدارة العامة للطلاب الوافدين بأن الإدارة العامة للوافدين انتهت من أعمال تجديد المنح لجميع الطلاب الوافدين.

البحــوث والتأليـف والترجمــة
توافق على تداول عدد من الكتب

صرح فضيلة الشيخ / سيد مصباح مدير عام الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة بأنه تم الموافقة على تداول مجموعة جديدة من الكتب وهى:

- « مدخل إلى الدين الإسلامى » باللغة الألمانية تأليف « ريتشارد هارتمان » أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة برلين.
- « انتشار الإسلام بحد السيف بين الحقيقة والافتراء » تأليف / نبيل لوقا بباوى.
- موسوعة « سنريهم آياتنا فى الآفاق ».
- كتاب « الذين يحبهم الله والذين لا يحبهم ».
- موسوعة « شعيرة الحج ».
- كتاب « كيف تجعل الدعاء سلاحاً خطيراً يغير مجرى حياتك ».
- كتاب « الإسلام ضد الإرهاب ».

طــريق الدعــوة

أصدرت الإدارة العامة للمطبوعات بمجمع البحوث الإسلامية كتاب « طريق الدعوة » لفضيلة الشيخ / محمود عاشور -وكيل الأزهر- أفاد بذلك الأستاذ / فؤاد الشريف مدير عام الإدارة العامة للمطبوعات بمجمع البحوث الإسلامية

أنبـاء عالميـة

مراقبة مساجد ماليزيا بالفيديو

قررت حكومة ماليزيا تسجيل خطب أئمة المساجد الذين ينتقدون الحكومة بالصوت والصورة وتسجيل خطب الأئمة الآخرين بالصوت فقط لمراقبة تحركات المعارضة الإسلامية.

استجواب المسلمين بالولايات المتحدة

أعلنت وزارة العدل الأمريكية أنها سوف تبدأ في تطبيق برنامج يقضي بإخضاع الآلاف من مواطني خمس دول إسلامية يقيمون بالولايات المتحدة إقامة مؤقتة لنظام أخذ البصمات والتصوير والاستجواب فيما وصف بأنه خطوة جديدة تتسم بالتمييز ضد العرب والمسلمين، تعرض وزير العدل الأمريكي «جون آشكروفت» المعروف بتوجهاته اليمينية لموجة انتقادات لاذعة.

فى أوزبكستان السجن للصائمين والمصلين

تأثرت الحرية الدينية والسياسية في «أوزبكستان» الواقعة فى وسط آسيا على الحدود مع أفغانستان بأحداث الحادى عشر من سبتمبر.

فبعد أن كانت حكوماتها حريصة على مر العصور على تجنب الاضطهاد الدينى أو السياسي بدأت فى الدخول إلى دائرة انتهاك حقوق الإنسان. وذكرت «ماتيلدا بوجنر» من منظمة «هيومن رايتس واتش» لحقوق الإنسان -فى طشقند- أن المتدينين من المسلمين يتعرضون للاضطهاد والتعذيب. مضيفة أن «التعذيب منتشر بدرجة كبيرة، إنهم يعاقبون على الصوم والصلاة».

حملة ضد المنظمات الإسلامية فى البوسنة

استأنفت الحكومة البوسنية حملتها الموجهة دولياً ضد المنظمات الخيرية الإسلامية العاملة في بلادها فيما أثار هذا الإجراء استياءً شديداً في صفوف المسلمين المحليين. وذكرت مصادر مطلعة من «سراييفو» أن الشرطة ختمت بالشمع الأحمر مقار كل من مؤسستي «الحرمين» و«الفرقان» الإسلاميتين للإغاثة، إضافة إلى «جمعية الشباب المسلم» البوسنية التى اتهمت بالتطرف الدينى وإقامة ارتباط مع جهات خارجية تسعى إلى نشر الأصولية فى البوسنة- على حد زعم السلطات هناك. وأشارت المصادر إلى أن الحكومة البوسنية تذرعت بقرارها لإغلاق مؤسستي الإغاثة بأنهما تعملان بصورة غير شرعية بسبب عدم وجود ترخيص قانوني لهما للعمل فى البوسنة لكن الحقيقة أنها تنفذ مطالب جهات دولية تعتبر أن صفة الإغاثة هى غطاء لتمرير سعى هذه المنظمات إلى إقامة قواعد أصولية بين المسلمين البوسنيين.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

الإمام الأكبر:

أتمنى أن يحكم العالم العقلاء!

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير / ديفيد ولش سفير الولايات المتحدة بالقاهرة حيث قدم التهنئة لفضيلة الإمام الأكبر بمناسبة حلول شهر رمضان المعظم، والتطلع إلى مزيد من العلاقات الطيبة بين مصر وأزهرها الشريف والولايات المتحدة الأمريكية، كما أبلغ السيد السفير التهنئة لأصحاب الفضيلة علماء الأزهر وقياداته الدينية والعاملين به مؤكداً على أن تلك العلاقات الطيبة تمثل أهمية قصوى لدى أمريكا وتتطلع إلى تقويتها، كما قدم سعادة السفير شكر وتقدير السيد ريتشارد هاس مدير التخطيط للسياسات بالخارجية الأمريكية الذى استقبله فضيلة الإمام الأكبر وقد سعد بهذه الزيارة لما كانت تحتويه من آراء طيبة وحكيمة لفضيلة شيخ الأزهر الشريف، وقد أعلن السيد السفير استعداده شخصياً لتذليل أية عقبات تحول دون سفر السادة علماء الأزهر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وقد شكر فضيلة الإمام الأكبر سعادة السفير على تلك الزيارة مؤكداً أن شريعة الإسلام تحرص على أن يعامل الإنسان معاملة كريمة وقد ظهر ذلك فى خطاب السيد الرئيس / محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية، الذى حيا فيه ذكرى إسحاق رابين لا فى حياته فقط بل بعد مماته، وذلك لمواقفه الإيجابية نحو السير لتحقيق السلام، مما يدل على أن القيادة السياسية فى مصر تتعامل مع المواقف بحكمة وموضوعية، وأتمنى أن يحكم العالم العقلاء ويكثر عددهم ويقل عدد الجهلاء حضر اللقاء فضيلة الشيخ / محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف.

الإمام الأكبر يؤكد:

الدول التي تطالب بإلغاء الإعدام لا تحترم حقوق الإنسان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الدكتور/ ميجل ألفونسو مارتينيز (دبلوماسي كوبي الجنسية) المقرر الخاص للجنة الفرعية لحقوق الإنسان، في إطار جولة يقوم خلالها بزيارة عدد من الدول الإفريقية والآسيوية، يرافقه السيد/ لويس ماريس فيجورو وسفير كوبا بالقاهرة، والسيد/ أرماندو فيرجارا المستشار بالسفارة، رحب فضيلته بالسادة الضيوف في الأزهر الشريف مؤكداً على أن الشرائع السماوية جميعها تكرم الإنسان وتعطيه حقوقه كاملة، لأنه خليفة الله في الأرض، مثل حقه في الحرية وفي طلب العلم وأن يعيش آمنا مطمئناً على ماله وعرضه وكرامته وعلى كل ما يتعلق به من حقوق مستدلا على ذلك بآيات من القرآن الكريم، ومشيراً إلى أنه لا يجوز أن يعتدى عليه أحد بأى صورة من الصور، وشريعة الإسلام اعتبرت أن من يعتدى على إنسان فكأنما اعتدى على البشر جميعاً، فمن حق الإنسان أن يعيش حياته مكرماً وأن يحصل على الضروريات التي يحتاج إليها ليعيش ومن حقه أيضاً الحصول على العمل الشريف الذي يجعله لا يمد يده للغير ليعيش حياة كريمة ويصون نفسه، كما أكد على حق الإنسان في أن يعيش في أمان وأن يعبر عما يراه مناسباً، وفي الوقت نفسه هذا الإنسان عليه واجبات منها عدم الاعتداء على غيره سواء أكان فرداً أم دولة، فلا تحتل دولة أرض دولة أخرى أو تهدم بيوتها أو تصادر أموالها أو تعتدى على أطفالها ونسائها وشيوخها أو تحاصرها اقتصادياً لأنه في هذه الحالة تكون هذه الدولة معتدية وإرهابية، والواجب على الإنسان أن يطيع خالقه ـ عز وجل ـ وأن يعتنق الفضائل وينبذ الرزائل وأن يحترم أباه وأمه، وأن يرعى أبناءه، ويربيهم تربية حسنة وأن يعامل زوجته بالحسنى، وعلى الزوجة أن تصون زوجها وتحافظ عليه وعلى أبنائه، وعلى الإنسان أن يحافظ على جاره وأن يتعاون معه ويساعده على الخير سواء أكان مسلماً أم غير ذلك، وعلى الإنسان أن يكون إيجابياً نحو مجتمعه الذي يعيش فيه، يبنى ولا يهدم، يعمر ولا يخرب يصلح ولا يفسد يؤدى ما عليه من واجبات قبل أن يطلب ما له من حقوق، وأن يكون أمينا في عمله، وبذلك تسعد الدول بأبنائها العقلاء الذين يحافظون على المال العام ويؤدون واجبهم بأمانة فيحولون الأرض الصحراء إلى أرض خضراء.

وقال فضيلته: إن الدول التي تطالب بإلغاء عقوبة الإعدام هي دول لا تحترم حقوق الإنسان ولا تعرف العدل أو الحق لأنها تناقق الظالم وتعتدى على المظلوم.

ومن جانبه شكر الضيف فضيلة الإمام على سماعه لأنه عين الحق وأنه يعرف مكانة فضيلة الإمام الأكبر العالمية قبل أن يراه وسوف يردد ما سمعه حينما يعود لبلاده لأنه كلام مفيد، وسوف يقدم تقريراً عن نتائج زيارته للدول الإفريقية والآسيوية ولقاءاته بزعمائها الدينيين والتي اختتمها بمصر، حيث يلقى الضوء على وجهة النظر الإسلامية، كما قدم الشكر لفضيلة الإمام الأكبر على الحديث عن حقوق الإنسان، لأن الكل يتحدث عن الحقوق متجاهلاً الواجبات، وقال: إنه منذ ثلاثين عاماً وهو يحمل نفس تفكير فضيلة الإمام الأكبر في كل ما قاله، وأن من يأخذ الحقوق ولا يؤدى الواجبات فهو أناني، وقال: إنه مع الشعب الفلسطيني ليسترد حقوقه وأكد على أن الصهيونية مساوية للنازية، كما أعرب السيد السفير عن أن ما سمعه من فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف هو ما تسير عليه حكومة كوبا وهي تناصر الشعب الفلسطيني.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف.

النيجر تطلب زيادة عدد المنح الدراسية

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف معالي الوزير حابي محمد ثالث وزير التعليم الثانوي والعالي والبحث العلمي والتكنولوجي بدولة النيجر يرافقه السيد السفير / إيلامنكسو سفير النيجر بالقاهرة، والسيد / عثمان عبدالقادر مدير التعليم العربي والسيد / عبدالعزيز عيسى مدير عام التعليم والوفد المرافق.

وقد رحب فضيلته بالسادة الضيوف في مصر وأزهرها الشريف مشيداً بعمق العلاقة بين البلدين موضحاً بأن الأزهر الشريف به حوالي ١٢٠ طالباً على منح يدرسون بجانب إخوانهم المصريين، ويقيمون بمدينة البعوث الإسلامية وتقدم لهم كل الإمكانات، وتوفر لهم سبل الراحة، لكي يتفوقوا في دراستهم ثم يعودون إلى بلادهم بالعلم النافع الذي تعلموه ودرسوه في الأزهر الشريف وهي الرسالة التي تحملها الأزهر الشريف منذ مئات السنين.

شكر الوزير فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على ما تقدمه مصر وأزهرها الشريف لأبناء العالم بصفة عامة وما تقدمه لأبناء النيجر بوجه خاص، مشيداً بالدور الرائد والمكانة العالية المرموقة لمصر وأزهرها الشريف حيث إن التعاون المثمر القائم بين البلدين ممتد منذ عام ١٩٦٢م وحتى الآن وهو في تزايد مستمر ومطرد في مجالات شتى مثل التعاون في الزراعة وفي الاقتصاد وفي الطب وفي السياسة، كذا البعثات من الأزهر الشريف التي تصل إلى النيجر كل عام والتي تشمل الأساتذة والدعاة والمنح الدراسية للطلاب،

وأعرب الوزير عن سعادته لمجيئه لمصر وذلك لتوقيع اتفاقية التعاون العلمي المشترك بين النيجر ووزارة التعليم العالي بمصر وزيارته للأزهر الشريف، وقد طلب الوزير من فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر زيادة المنح الدراسية المخصصة لأبناء النيجر، وإقامة دورات تأهيلية لمدرسي اللغة العربية والتربية الإسلامية، وزيادة عدد الأئمة والوعاظ الذى يحضرون إلى الأزهر لحضور الدورات التدريبية مع أئمة ووعاظ العالم الإسلامي والتي تعقد في الأزهر الشريف كل ثلاثة شهور، وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بدراسة كل الطلبات تمهيداً لتلبيتها.

الإمام الأكبر يستقبل مدير المؤسسة الإسلامية للتعليم بأستراليا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الدكتور القاضي / اشفاق أحمد مدير المؤسسة الإسلامية للتعليم والتربية باستراليا، ودار الحديث من جانب الضيف عن أحوال المسلمين في استراليا بصفة عامة، وعن رغبته في الحصول على مساندة الأزهر الشريف للمؤسسة الإسلامية وذلك بإرسال مدرسين مؤهلين يجيدون تدريس اللغة العربية والإنجليزية معاً، وذلك لتعلم أبناء المسلمين في استراليا اللغة العربية لمن لا يعرفها، كذا يعلمون اللغة الإنجليزية لمن لا يتحدث بها، وقد أوضح الضيف أن منهج الأزهر الشريف في التعليم يحتل المكانة المثلى بمقارنته بالمناهج الأخرى وذلك لما يشتمل عليه من اعتدال ووسطية وبُعد عن المغالاة والتشدد، لأن الإسلام يدعو إلى الاعتدال والسماحة واليسر، ومن جانبه أوضح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر أن الأزهر الشريف دائماً يقدم العون والمساعدة لأبناء المسلمين في شتى بقاع الأرض، لأن هذه هي رسالته التي يقوم بها ووعد فضيلته بتلبية طلباته.

الإمام الأكبر يستقبل وفداً إيرانياً

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير / خسرو شاهي سفير دولة إيران بالقاهرة يرافقه سماحة الشيخ / محمد السعيد نعماني مساعد وزير الثقافة الإيراني والمستشار الإعلامي للتقريب بين المذاهب لمجمع آية الله تسخيري بجمهورية إيران، وقد رحب فضيلته بالضيفين في الأزهر الشريف وقد أشاد الضيف بالأزهر الشريف وعلمائه الأجلاء والمواقف التي تحمل في طياتها العقل والرزانة والاعتدال في تناول القضايا الإسلامية الهامة، مما يعطي العالم كله صورة صحيحة للإسلام، كما أبلغ تحيات حكومة وشعب ومشايخ إيران لفضيلة شيخ الأزهر الشريف ولعلمائه، مشيداً بوفد علماء الأزهر الشريف رفيع المستوى الذى زار إيران في العام الماضي برئاسة فضيلة الأستاذ الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف وقد تركت هذه الزيارة آثاراً طيبة في قلوب المسئولين الإيرانيين، ومن جانبه أوضح فضيلة الإمام

الأكبر شيخ الأزهر الشريف أن الحياة علمتنا أن نكون عقلاء في تصرفاتنا وأن نكون معتدلين لأنه في النهاية سيكون النجاح، وعلى أهل الحكمة والاعتدال أن يصبروا وأن يتعاونوا على الخير حتى يكون الرخاء والمحبة بين الناس، ونحن في الأزهر الشريف ندرس العلوم الشرعية والعربية بوسطية واعتدال، وعلى المسلم العاقل ألا يختلف مع زميله في أي مسألة من الأصول، ولكن قد يختلف في بعض الفروع – وخلافات الفروع موجودة منذ القدم – مادام الغرض الوصول إلى الحق والحقيقة وإلى ما يرضى الله ـ عز وجل ـ فيكون خلافا ينتهي بالوفاق، وقد قدم السيد السفير طلباً بتقديم خمس منح دراسية للطلبة المصريين للدراسات العليا بوزارة العلوم والبحوث والتكنولوجيا بالجمهورية الإيرانية.

الإمام الأكبر يستقبل ولي عهد ماليزيا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف نائب السلطان وولي العهد الماليزي فائز الدين بوترا بن سيد سراج جمال الليل، وداتوتن سرى شهيدان بن قاسم كبير وزراء ولاية برليس الماليزية، وفضيلة الشيخ مت يحيى بن حسين مفتي الولاية والسيد عمر عيسى بن صابو عضو المجلس التشريعي بالولاية وحاج رسلي مدير مكتب التنمية بالولاية، وحـاج شكرى سكرتير نائب السلطان، والشيخ عمر بن محمد السقاف مدير المعهد الديني، وقد رحب فضيلته بالوفد الكريم في الأزهر الشريف موضحاً بأن أعداداً كبيرة من أبناء ماليزيا يدرسون في الأزهر الشريف ويمثلون النسبة الكبرى من الطلبة الذين يدرسون في الأزهر من خمس وتسعين دولة من دول العالم، كما أن أبناء ماليزيا الذين درسوا بالأزهر الشريف وتخرجوا فيه بعد حصولهم على الشهادات وبعضهم حصل على الدكتوراه يحتلون المراكز الكبرى في بلدهم ماليزيا، وأوضح أن طلاب ماليزيا يمتازون بحسن الخلق وبالإخلاص في طلب العلم والاستقامة، ونحن نعلم أن دولة ماليزيا الشقيقة على رأس الدول الإسلامية التي تخدم الإسلام وتقدر العلماء، وتفهم الإسلام فهماً صحيحاً وسليماً، وقدم فضيلته التحية والتقدير لجلالة ملك وحكومة وشعب ماليزيا، مؤكداً على أن الأزهر الشريف في خدمة دولة ماليزيا ويقدم كل العون والمساعدة لأبناء ماليزيا والتي تربطنا بهم أقوى الروابط، ومن جانبه شكر نائب السلطان وولي العهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على ما يقدمه الأزهر من دور تعليمي هام لأبناء العالم الإسلامي مشيداً بعمق العلاقات القوية والمتينة والقديمة التي تربط ماليزيا بالأزهر الشريف وأيضاً على الإشراف على المعاهد الدينية في دولة ماليزيا، وقدم الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وذلك لحضور المؤتمر الدولي الذي سيعقد بماليزيا

تحت عنوان [العلماء ورثة الأنبياء]. وقد وعد فضيلته بدراسة الدعوة، كما استقبل فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف الوفد ودار الحديث حول تنسيق التعاون بين الأزهر وماليزيا في مجال التعليم والعلوم والثقافة وأسلوب إشراف الأزهر على المعاهد الدينية بماليزيا.

ويستقبل وفد قضاة باكستان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفداً من قضاة باكستان حيث رحب بهم في الأزهر الشريف وأوضح فضيلته بأن شريعة الإسلام تأمرنا بأن نتحرى العدل في كل شأن من شئون حياتنا مع الأغنياء والفقراء مع الأقرباء ومع الأعداء مشيراً إلى أن شريعة الإسلام تمتاز بالوضوح في عقائدها لأنها تدعو الناس إلى عبادة إله واحد، وتدعو الناس إلى الصلاة والصيام والزكاة والحج وكلها عبادات تطهر النفس الإنسانية، وأن شريعة الإسلام واضحة في معاملاتها حيث يكون التراضي بين الناس وفي حدود ما أحله الله ـ عز وجل ـ وطالما تقوم على الحق والعدل.

وشريعة الإسلام واضحة في نظمها القضائية فهي تجعل لكل جريمة العقوبة التي تناسبها فكلما عظمت الجريمة عظمت العقوبة، والعقوبات ليست ظلماً للناس وإنما هي من أجل أمن المجتمع، وإذا لم تطبق العقوبات على المعتدي، يفسد المجتمع وتضيع الحريات والحقوق، فالعقوبات في الإسلام شرعت من أجل حماية أمن الناس ومن أجل حماية حقوقهم والذين يقولون بإلغاء عقوبة القصاص أو عقوبة الإعدام للقاتل لغيره ظلماً وعدواناً، هؤلاء الذين يزعمون بأنهم يحمون حقوق الإنسان، هم أول من يعتدي على حقوق الإسلام وحقوق الإنسان، لأنهم يحمون حقوق المعتدي، ولا يحمون حقوق المعتدى عليه المظلوم، فأين حقوق أولاده الذين تركهم وأين حقوق زوجته وورثته، فلابد من إقامة العقوبة العادلة على المعتدي وإلا فسد المجتمع وعمه الإضطراب والفوضى.

كما تحدث عن دور الأزهر الشريف منذ أكثر من ألف عام وأنه يؤكد في دراسته على حفظ القرآن الكريم ودراسة السنة النبوية المطهرة، موضحاً بأن الدراسة في الأزهر الشريف تقوم على التوسط والاعتدال وتمتاز شريعة الإسلام بالسماحة واليسر، كما تمتاز الدراسة بالمحافظة على قواعد وأساليب اللغة العربية، وأكد فضيلته على أهمية تعليم اللغة العربية لمن أراد أن يفهم الإسلام فهماً صحيحاً وسليماً حتى يقف على فهم المعاني والألفاظ، لأن الترجمات أحياناً لا تعبر عن الحقيقة تعبيراً تاماً، وقال فضيلته إن الأزهر الشريف على استعداد للتعاون على نشر اللغة العربية لدى الأجيال الجديدة حتى ينشأ جيل عارف للغة العربية وأساليبها وذلك من أجل بيان محاسن الشريعة الإسلامية، وقد أوضح بأنه يوجد بعثة كبيرة من علماء الأزهر في دولة باكستان لتعليم أبناء المسلمين هناك.

ملتقــى الفكــر الإســلامى

ألقى فضيلة الإمام الأكبر محاضرة فى إطار ندوات ملتقى الفكر الإسلامى الذى نظمته وزارة الأوقاف والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، بالاشتراك مع الأزهر الشريف ورياسة الجمهورية طوال شهر رمضان المعظم أمام مسجد الإمام الحسين - رضى الله عنه - حيث حضر علماء الأزهر والأوقاف والطلاب وجماهير المسلمين وكثير من الوزراء والمسئولين.

قال فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف إنه لا سبيل لتحقيق تقدم الأمة ونهضتها إلا من خلال التمسك بكتاب الله - عز وجل - وسنة نبيه ﷺ والتزود بالعلم النافع والمعرفة فى شتى مجالات الحياة حتى تتبوأ الأمة مكانتها بين الأمم وتكون كما أرادها الله:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾(١)، مشيراً إلى ضرورة توحيد صفوف الأمة الإسلامية لمواجهة الأخطار المحدقة بها، مؤكداً على ضرورة أن ينتهز المسلمون فرصة شهر رمضان المعظم الذى خصَّ الله به أمة الإسلام فيشمرون عن ساعد الجد ويؤدون الصيام كما أراده الله - عز وجل - بعزيمة قوية.

كما تحدث فضيلته فى الذكرى الثلاثين لنصر العاشر من رمضان مشيراً إلى أهمية هذا اليوم فى تاريخ مصر والأمة العربية والإسلامية، حيث خرج أبناء مصر وفى طليعتهم أبناء القوات المسلحة ليدكوا حصون الأعداء الظالمين ويستعيدوا الأرض المغتصبة والحقوق السليبة وهم يهتفون الله أكبر بروح معنوية عالية وإيمان عميق - بالله تعالى - مصممين على تحقيق إحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة، وقال فضيلته: ولأن جنودنا استوعبوا الدرس، وبذلوا الجهد والعرق، وأخلصوا لله النية، ولأن الأمة وقفت خلفهم وقفة رجل واحد، فقد منَّ الله علينا بالنصر المبين، واليوم وأمتنا تمر بهذا المنعطف الخطير فى تاريخها، ما أحوجنا إلى استلهام روح العاشر من رمضان واستيعاب الدروس المستفادة منه فى الوقوف بجانب إخواننا فى فلسطين لمدهم بكل ما يحتاجون إليه ونقف إلى جانبهم ونساندهم وندعو لهم ونؤيدهم بكل ألوان التأييد والمساعدة والمعاونة حتى يستردوا أرضهم ومقدساتهم ويحصلوا على حقوقهم وحريتهم كاملة غير منقوصة، وعلينا أن نتمسك بديننا ونوحد صفوفنا حتى ينصرنا الله عز وجل:

﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾(٢)

---

(١) آل عمران (١١٠).

(٢) الحج (٤٠).

1. Islam stated that there is only one religion sent down from Allah to His first Messenger then to the following messengers in other eras to restore its first revealed edition. Allah, the Al-Mighty, says:

﴿He has legislated for you as the religion what He enjoined on Nuh, and that which We have revealed to you, and what We have enjoined on Ibrahim and Musa and Isa (saying) "Keep up the religion, and do not be disunited therein." Greatly (detested) to the associators is that to which you call them. Allah selects to Himself whomsoever He decides, and guides to Himself whosoever turns penitent.﴾ **[Ash-Shura (Counsel): 13]**

2. Religion is a Divine instinct planted by Allah in the human nature as He, Glory be to Him, says:

﴿So set your face upright to the religion, unswervingly upright, the original (innateness) of Allah upon which He originated mankind. There is no exchange for the creation of Allah. That is the most upright religion, but most of mankind do not know.﴾

[Ar-Rum (The Romans): 30]

3. Set the comprehensive mind as a guide that can be referred to, concerning any dispute, under the light of the Divine Revelation.
4. Every dispute arises among people regarding religion, is the result of injustice, negligence of mind and blind imitation as The Ever-Lasting says:

﴿And in no way were they disunited, except ever after knowledge had come to them, being inequitable among themselves.﴾

[Ash-Shura (Counsel) : 14]

5. Islam is the first religion revealed to the Seal of Messengers, Muhammad, may the blessing and peace of Allah be upon him. This religion was sent down to all mankind, by Messengers, to inform them about these facts and to eliminate disputes among them as Allah, The Ever-Lasting, says:

﴿"Do they then (inequitable) seek other than the religion of Allah, and to Him has surrendered whosoever is in the heavens and the earth, willingly and unwillingly, and to Him they shall be returned?﴾ **[Al-Imran (The Householdz of Imran): 83]**

Islam Calls For Unity Of The Religious Creed, As The Origin Of All Religions Is One

By: The Great Scholar Muhammad Farid Wajdi

The call to the religious unity – as all religions are derived from one source but they differed due to addition, omission and distortion that occurred to the first religion – is one of the major human issues that made Islam be perceived as an everlasting continuous religion.

Due to the all-out differences among religions, this call was considered one of the inconceivable matters. For those concerned with social affairs, not acquainted with Islam, it is still seen as one of the far-reached wishes because of the mingling of religions with the national affairs and racial traditions. So, they directed their efforts to isolate them all from the field of material dealings and invalidate their effects in shaping societies in order to achieve public peace and mutual knowledge without being stopped by any obstacles or barriers. However, if those concerned with human affairs looked deeply into the bases on which Islam established its call and the historical facts supporting it, they would realize that it is the fastest mean of gathering nations together compared to any other means.

Concerning this, an oppose may refuse saying that civilized nations today do not pay the least attention to religious matters and if we suppose that they responded to Islam's call and followed one religion, the economic matters might overwhelm them causing them to fight each other. So, he says, what could be the effect of our call aiming at uniting religions in contrary to the fact that it is affected by the social facts?

We answer him saying: "Alright. But do not you see that these nations have realized that wars became odious means and that they have destructive consequences on both the victorious and the defeated? So, would not it be beneficial and serviceable for them and for the whole world if these countries exert their efforts in an approach to spread the idea of one religion among them? Let's consider the bases on which Islam based its call and view the historical facts that support this call.

All organisms are an organized complementary system

All organisms complement each other in their roles on earth and perform their functions with harmony and enthusiasm according to the law of attraction between positive and negative or male and female in all things. Even the relationship between man himself and the universe, even though it is a relationship in which the universe serves man, yet it is not a demeaning relationship but a loving and generous one. For example, the Prophet Muhammad loved the mountain of *Uhud* and the trunk of a certain tree used to bend lovingly towards the Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him.

In any case, things around us are one of three categories: One is like water as it is seen and felt but cannot be held within fingers. In this material type, we cannot resort to imagination but only to science in order to reveal the hidden miracles that indicate the existence of a Great Creator. The second is like air as it is felt but cannot be seen or held. It is partly physical and partly moral. It requires both science and insight to reveal the greatness of the Ever-Merciful. The third type is like light as it can be seen but not sensed. It cannot be held or taken so it requires all the human senses like feelings of heart and soul. This requires clear thinking and great inner vision to realize the greatness of the Ever-Wise.

However, the first thing that can be realized is that this world cannot exist without a Generous Creator that arranges and controls everything. From two perspectives, everything in existence necessitates the presence of an Al-Mighty Creator. As for the first one, all things are made of particles that perform great functions that exceed its limited abilities. This serves to prove the existence of Allah. Concerning the second, every organism lives according to a universal arrangement to maintain a balance between all the organisms. This leads to harmony and understanding resulting from the existence of an All-Knowing Powerful Creator.

The earth and what is above it is an indication of the Great Creator

When we look on earth, we see the animals and we see flights of birds between the earth and the sky that fly across oceans with a computerized memories that do not mistake their way home.

When man meditates deeply, using his conscious mind, on the worlds of birds and animals, he finds that they speak in thousands of distinct sounds and languages. Moreover, he will find three important facts that prove the existence of a one and only God and these are:

Firstly, the fact that these creatures were created and given life. Secondly, the fact that they each have a unique beauty that distinguishes each one from the other. Thirdly, the fact that all these distinct creatures came out of eggs that share the same features. Did all this happen by coincidence? What coincidence could result in this ingenious miracle that can cause distinction between members of the same species?

If we move from talking about the sky, outer space, water, wind and rain and turn our attention to the earth we walk on with our feet and sleep on with our bodies, we may imagine that it is flat, stable and hard. While actually it moves just like the clouds and rotates around just like the hands of a clock. Yet, we find on it hills and mountains that act as huge posts to balance it. What's strange is that when we meditate and think about this world of mountains and deserts we find that the usefulness of the mountains is very confusing to the mind; the rise of mountains from the earth actually slows down the earth's raging movement and decreases the effect of the internal unrest in its core. This helps to avoid destructive earthquakes. So, mountains are actually anchors to help keep the earth steady. In addition, they contain springs, metals and other useful substances mercifully buried within it.

﴾And the mountains as bulwarks?﴿

[An-Naba' (The Tiding) : 7]

﴾And the earth–We have extended it and cast on it anchorages.﴿

[Al-Hijr:19].

making any noise or fault. The sky is full of thousands of lighted lanterns that help people to see their way. They are lighted without oil or electricity and they decorate the sky making it looking so beautiful to any on-looker.

With all the tremendous advances in science, the sky remains a rich field for investigations. What is known so far is so little compared to could be found out. Yet, a lot of signs are clear to whoever looks up at the sky with sense and insight. Moreover, whoever looks up at the sky would realize that the sky and everything in it is controlled and employed to serve in an ordered universe. Who could have such an enormous ability and power but Allah, the One and Only.

When we look at space, we find that it is a panorama of strange wonders. It contains clouds that hang between earth and sky and serve to give the earth water which is the basis for life. Who controls and orders these clouds to pour their water but Allah, The Al-Mighty. And the air that fills the space around us is made up of particles that obey a divine command ; it is breathed in by all the living organisms and it transfers sound, temperature, light and electricity. In addition to many other functions, it is a means of pollinating plants. How did it become so organized and useful?! Look at the rain that the All-Merciful pours on earth to act as a means of revival for all living creatures; plants and animals. How did it become so useful and serving to man?

Are all these gifts only coincidental? How did this coincidence last for millions of years? Or is it actually the creation of an Al-Mighty Creator Who is Merciful and All-Knowing and Who has all the secrets that are known to no one else. He controls the rain and distributes His mercy on the earth and skies.

﴾Have you then seen the water you drink? Is it you who have sent it down from the rainy clouds or are We even The (Ones) Who sent it down? If We had (so) decided, We would have made it biter; so had you only thanked (Us).﴿

[Al-Waqi'ah (The Inevitable Truth) : 68 :70]

**Man and the Universe between Scientific Belief and Superstitious Atheism*

By : Dr. Abdul Halim Owais

Order of the universe indicating a Great Creator

The universe is an open book full of miracles of divine creations that prove the existence of a one and only God having great power and supremacy. There are many Qur'anic verses dealing with the universe and mentioning its different worlds whether seen or unseen, known or unknown.

❮Yet no, I swear by whatever you behold and whatever you do not behold.❯ [Al-Haqqah (The Inevitable Truth) : 38: 39]

❮The no! I swear by the sites of the stars, and surely it is indeed a tremendous oath, if you only knew (it).❯

[Al-Waqi'ah (The Event) : 75 :76]

Many of the verses mention different forms of divine creations ; in plant life, animal life and the world of nature and man.

❮We shall soon show them Our signs in the horizons and in themselves till it is evident to them that it is the Truth. And does it not suffice as to your Lord that He is the Ever-Present Witness over everything?❯ [Fussilat (Expounded) :53].

Moreover, many of the verses discuss the minute details of elements of the universe. In general, we find that the Ever-Glorious Qur'an is full of great verses that draw our attention to this amazing universe in which we live. This allows us to see how it is arranged with great care and order which indicates that this universe belongs to a great Creator who created it with such magnificent precision.

❮The seven heavens and the earth and whosoever in them, is hymn to Him.❯ [Al-Isra' (The Night Journey) : 44].

The sky is the surface of a beautiful painting that indicates the inevitable presence of a Creator and symbolizes His Greatness. The countless heavenly bodies; some of which are a thousand times bigger than our earth and move with the speed of a missile. All of these bodies move in space without colliding with each other or

---

**An article published (In Arabic) at Al-Azhar Magazine.*

Concerning the lessons of interpretation delivered by the Grand Sheikh, Mustafa during his post as the Grand Sheikh of Al-Azhar, he mentioned the texts of the great interpreters like At-Tabary, Az-Zamakhshary, Al-Fakhr Ar-Razy and Imam Muhammad Abdou to compare them with each other moderately to give preponderance to the best. Scholars found out that these lessons require brilliant minds that can perceive and understand them without difficulty.

During his post as the Grand Sheikh of Al-Azhar, Sheikh, Mustafa worked out a regulation to organize the Magazine of Al-Azhar.

He made this Magazine aim at spreading the researches supporting the rules and laws of Islam that abrogate the suspicions of atheism and following the right principles in the methods of research in the Islamic sciences specially and literature, science, arts and sociology generally.

Also, publishing books in different languages related to Islam as well as answering whatever needs to be answered. Moreover, spreading the outstanding topics in the field of religious and social reformation as well as providing readers with information and reports about Al-Azhar's colleges and Institutions and the scientific missions.

The magazine was of many benefits to its readers as it came with every useful, new and important pieces of news.

The great Ustaz Ahmad Hassan Az-Zayyat wrote about him, saying that he took a great part in reforming constitution and fighting for freedom, exerting self and money, seeking no personal gains. Moreover, he participated in culturing mind and soul seeking no fame.

theology and Muslim's true sufism. In order to explain this, the Grand Sheikh of Al-Azhar wrote down many rich chapters concerning the gradual development of the Islamic jurisprudence.

So, he tackled this topic deeply exceeding all the other previous studies. He, may Allah rest his soul, wrote a detailed study regarding the sources of the Islamic legislation, clarifying the stages of its development one by one.

Moreover, he wrote explaining the aspects of agreement and disagreement between the four popular schools. Then he talked mentioning briefly the theme of theology. The aim of the Sheikh Mustafa Abdur-Razeq regarding all his studies about the revelation, religion, Islam, and the Arab philosophers, was to increase the amount of texts to bring them close to the minds of his students.

In fact, one chapter of what he has written about Al-Faraby, Al-Kennedy or Ibn Taymia is considered to be a comprehensive material fits to be a separate book; the ideas of each chapter are rich and brief that result in many other ideas that can be perceived by those concerned with scientific research. All the Sheikh's scientific results need a careful study as they concentrate on the pure cores of the issues of science and philosophy.

They also concentrate on gathering all the different views to be able to distinguish between evil and good in a quiet peaceful atmosphere filled with the spirit of tolerance that criticizes the opposite opinion smoothly. The philosopher's manner of the Sheikh obligated him to appreciate the efforts of his opponents exerted in his study and research to reach his results whatever they are.

Sheikh Mustafa Abdur-Razeq
The former Grand Sheikh of Al-Azhar
By: Dr. Muhammad Rajab Al-Biomi

The delusions of the orientalists about the Islamic philosophy spread as they wrote pages and pages filled with their false opinions. All this urged the Grand Imam ,Mustafa Abdur-Razeq, to face all these false attitudes and refute them in his great book entitled" **An Introduction towards the Islamic philosophy".** It is a comprehensive book of the Islamic philosophy not just an introduction.

This book is of great benefits not only to the students of the Islamic philosophy but it also extends to the students of jurisprudence, monotheism and Sufism. The Grand Sheikh perceived that sciences are based on deep-rooted principles extracted from the Islamic philosophy. This proves that this philosophy is of independent roots that have nothing to do with the Greek's as some of the western writers continued to look down upon this philosophy as they claim that it is a distorted excerption of the Greek philosophy.

Amongst those philosophers is ***Ernest Rennin*** who affirmed in his book entitled **"History of religions"** and **"Articles and lectures"** that the Islamic philosophy is nothing but a weak imitation, in Arabic, of the Greeks that was not understood by the Arabs as Islam, he claimed, does not permit the freedom of thought, etc.

The great Imam proved, undoubtedly, that the Islamic philosophy is not based on the Greek theories embraced by *Ibn Sina, Ibn Rushd, Al-Faraby* and their likes but it can be seen clearly in the principles of the Islamic jurisprudence, scholastic

Day of Islam's Decisive Ones

By : Dr. Ibrahim Al-Assil.

When the Messenger of Allah, may the blessing and peace of Allah be upon him, joined the Highest Companion – without a bequest stating the coming caliph – leaving a great gap among Muslims, *Al-Ansar* (*Aws* and *Khazrag*) rushed to hold a meeting at *Bani Sa'idah's* roofed gallery wishing to nominate *Saad Ibn Ubadah*, the chief of *Al-Khazrag* (the biggest of the two tribes). When *Abu Bakr*, *Umar* and other companions knew about this, they rushed to the *Thaqifah* and *Umar* wanted to begin but *Abu Bakr* told him to keep still. Then *Abu Bakr* talked mentioning the fact of the immigrants' precedence as well as thanking *Al-Ansar* greatly. After that he related the Messenger's saying: "Muslims' leaders have to be from *Quraysh*."

So, people were convinced and satisfied by his opinion and this motivated *Abu Bakr* to address *Umar* saying: " Raise your hand and we will pledge allegiance to you." *Umar* answered: "You are better than me." *Abu Bakr* said: "But you are stronger than me." *Umar* said: "Besides your goodness, my strength will support you." And he took *Abu Bakr's* hand pledging allegiance and people followed. Concerning this, *Ali Ibn Abi Taleb,* may Allah grant him honor, thought that he is the one who deserves to be the leader of Muslims so, he lingered pledging allegiance then he did.

In conclusion, a very dark cloud loomed large on Islam's Nation was removed. Consequently, a flood of faith ran and branched that led to the existence of the true human civilization that is being denied by the west today.

AL-AZHAR MAGAZINE
Shawwal 1423 A. H.

ENGLISH SECTION
Dec. Jan 2002

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾
الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

داخل العدد

الاشتراك السنوى

داخل مصر	١٨ جنيها مصريا
الدول العربية	٥٠ دولارا أمريكيا
أوربا وأمريكا	٨٥ دولارا أمريكيا
اليابان وشرق آسيا	١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة
☎ ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير
أ.د. محمد رجب البيومي

مدير التحرير
الطاهر محمد الطاهر الحامدي

سكرتير التحرير
عادل رفاعي خفاجة

المراسلات باسم
مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / م. نصر
ت: ٢٦٣٨٥٩٩

افتتاحية العدد

الحج ارتقاء خلق

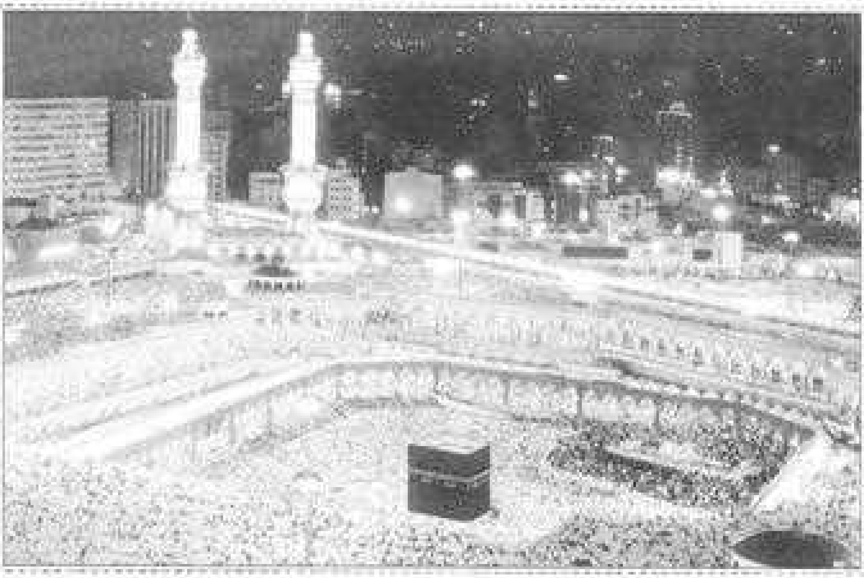
يحتاج الإنسان إلى أن يُروّح عن نفسه برحلة صيفية أو شتوية يترك بها مكان إقامته الدائم نازحا إلى مصيف أو مَشْتى مدة أسبوع أو أسبوعين ليرجعَ إلى مكانه الأول وقد اكسبته الرحلة راحةً سعيدة في تبدّل المكان، ولقاء من لا يعرف من الناس، وكم يطيب له أن يتحدث عند عودته مع معارفه عما شاهد من الجديد في رحلته، حديث المغتبط السعيد، وقد يُوطد العزم على أن يستأنف الكرّة في عامه المقبل، لما آنسَ من تجدّد النشاط، وامتداد النظر إلى ما لم يَرَهُ من قبل، واكتساب الخبرة ذات المهارة النافعة في مزاولة أمور الحياة.

هذه الرحلة التي تحدثت عنها، وأشرتُ إلى بعض ثمارها، رحلةٌ دنيويةٌ خالصة، ليست لها أبعاد روحية ترتفع بصاحبها من ضيق الأرض إلى رحابة السماء، فليسَ بها استشرافٌ إلى عالم علوى يفيضُ بالرحمة، ويكافىء على المعروف، ويفتحُ بابَ الأمل لمن قام جدار اليأس حائلاً دون سعادته! ومع ذلك كله فهي رحلة منتظرة يترقبها بعض الناس في شوق، ويسألُ أحدهم الآخر: أين ستقضي أجازتك السنوية، وكأنه يحدثه عن أمل منشود، ومطمع يحوطه الرجاء.

فإذا انتقلنا من هذه الرحلة المحبوبة المشتهاة إلى رحلة الحج إلى بيت الله الحرام، فإننا ستجد الفرق الشاسع بين الرحلتين فرق ما بين السموات والأرض من أبعاد! إن كل ما يكسبه الراحل في سفره الدنيوى إلى مكان الاصطياف أو المشتى، متحقق منها في رحلة الحج، ولكن وراء ذلك كله تأتى معجزة الإنقاذ فعلاً حين يتأكد صاحب الرحلة أنه سيكسب مغنما هائلا رفيع الدرجات حين يعلمُ أنّ عين الله تحرسه وترعاه، وأن خطواته المخلصة ذات جزاء أخروى يُدّخر له حين لا تُغنى نفس عن نفس شيئا، والأمر يومئذ لله.

أول ما يكسبه الحاج من المغانم، أنه سيتطهر من ذنوبه السالفة، وأنه سيرجع إلى موطنه

...ى وطهارة نفسية



كيوم ولدته أمه، حين يُسلم وجهه لله ملتمساً هُداه، بعيداً عن موبقات الرجس، بريئاً من هواجس الإثم، إنّ لكل إنسان مؤمن نفساً لوّامةً تُحصي عليه سيئاته، وتُجسّد له ما اقترف من السيئات، وكأنه تمثالٌ ناهضٌ بين عينيه يسد عليه منافذ الطريق، ويُحاول أن يتحاشى رؤيته فلا يستطيع، وفي بعض الأديان ما يُسمى بالاعتراف، حين يلجأ المنتسب إلى هذا الدين لكاهن يجلس بين يديه، فيفصح له عن ذات نفسه، ويكشف ما توارى من آثام فادحة قد تبلغ خطورتها مبلغاً يدعو إلى اليأس من النجاة! فإذا أفرغ ما في نفسه اعتقد أنه باعترافه قد تخلى عن آثامه، فاستشعر بعض الهدوء، ولكن دين الإسلام قد جعل البشر سواء إذ لا وساطة بين العبد وربه، فبدل أن يجثو الإنسان أمام شخص مثله يبثّه بلواه، وهو

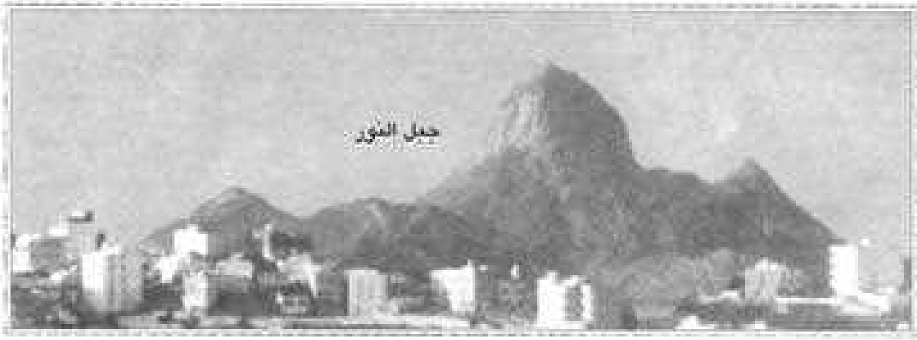
لا يملك من أمر نفسه شيئا، فوق أن يملك منح الغفران لمن اعترف له، بدل ذلك فإن اللجوء إلى بارىء السموات والأرض في مناجاة تائبة تائبة، تحقق هذا الأطمئنان النفسي دون أن يعلم أحد من الناس سر أحد، فإذا كانت هذه المناجاة في موسم الحج، وقد سافر المسلم إلى بيت الله تائبا تائبا، وكلما توجه إلى مشعر من المشاعر دب دبيبُ إيمانه، فصدع بالتلبية والتكبير ثم خلا بنفسه إلى المناجاة الإلهية مستغفرا من ذنبه، مُصمما على التوبة النصوح دون عود إلى المعصية! ففي هذا الجو الروحي الذي لا يُمكن أن تكون السماء أقرب إلى الأرض في موضع سواه تنكشف الهواجس عن صاحب النفس اللوامة شيئا فشيئا، فيحس بنسيم مُنعش يراوح صفحة وجهه، ويدب إلى رئتيه فيشرح صدره! فإذا آنس ذلك كله، أحس أن طوداً ثقيلاً كان يجثم على صدره أخذ يتزحزح شيئا فشيئا، وبمواصلة التضرع خيفة وخشية يتخفف الداعي من أثقاله، حتى إذا انشرح صدره وثب من مكانه طافرا، وقد ارتاح من عبء ثقيل، لأن الله رحيم بعباده، وقد قال في محكم كتابه:

﴿ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ ﴾[1]. هذا الشعور بالراحة النفسية لا يجدهُ أيّ رحّالةٍ في أي مكان من الأرض شرقا وغربا، أقوى ما يكون تحققا، وأوضح ما يتم كائنا إلا في بيت الله، وفي مناسك الحج حين ينتقل من البيت إلى عرفات إلى المزدلفة إلى منى! فإذا رمى الجمرات، فقد طرد عن نفسه هواجس الشيطان، وتهيأ لاستقبال عهد جديد.

ومما يكسبه الحاج حين يطأ بقدمه منازل الوحي الكريم أنه يزداد إيمانا بنبيّه، إذ يرى بعينيه الربوعَ الطاهرة التي مسّها قدمُه الشريف، وكانت مسرحاً لغدواته وروحاته في سبيل نشر الدعوة الإسلامية بين المشركين، فرؤية الصفا الذي صعد عليه الرسول ليبلغ دعوة ربه حين أذن الله له بالجهر بها بعد أن مكثت سرّيةً ثلاث سنوات، ورؤية حراء العظيم الذي كان مجالاً للتأمل النبوي الصامت بعضَ الوقت، حتى نزل الوحي به أول ما نزل، ورؤية عرفات، هذا الجبل الممتد الذي شهدَ حجة الوداع، وبه نطق الرسول أبلغ خطبة حفظت حقوق الإنسان قبل أن يعرفها الغربيون بأكثر من ألف عام، كلّ هذه الأماكن ما ذكرت منها وما لم أذكر تزيد المسلم إيمانا ويقينا، حدثني صديقي المسلم المجري الكبير الأستاذ عبدالكريم جرمانوس أنه أثناء قيامه بشعيرة الحج المبارك قد دُهش دهشا عظيما حين زار جبل حراء، ورأى من صعوبة مرقاه ما جعله يتعجب كيف كان الرسول ﷺ يقطع في هذا المكان الموحش الليالي ذوات العدد وحده دون أنيس، لقد كان الحاج عبدالكريم في قوة

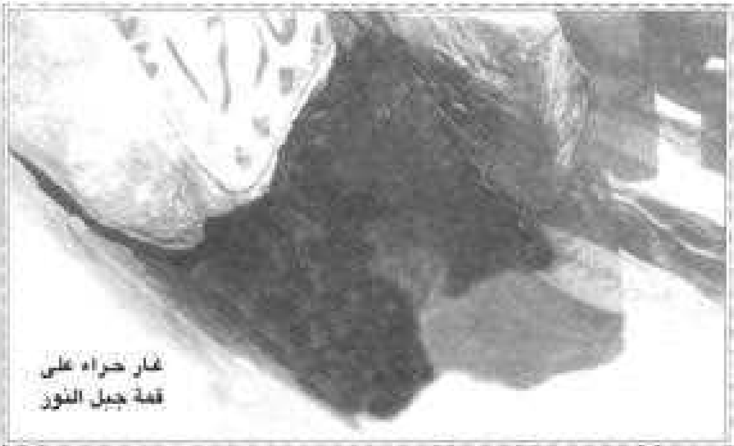
---

(١) غافر [٦٠].



شبابه، وريعان صحته يحاول أن يصعد إلى قمة الجبل حتى يرى الغار بعينيه، فكان يصعد متشجعا ثم يحس التعب المجهد في ارتياد هذا الجبل الشاهق، ويهم بالرجوع حين يسيل عرقه فيشجعه من معه من الشباب، وكل منهم يبذل غاية جهده كيلا يُحرم من رؤية الغار! هذا وقد قدم إلى الجبل راكباً السيارة المريحة فلم يتحمل من قبل عناء الطريق كما كان يتحمله محمد ﷺ حين يخرج من منزله وحيداً بعد أن تُودعه السيدة خديجة وتشد من أزره فلا ينتهي إلى الغار إلا بعد عناء الطريق ليستأنف عناءً أشق وأطول هو عناء الصعود إلى الجبل، والمكان حار، جاف الهواء، وكلما صعد الدكتور جرمانوس درجة ازداد الجفاف وتساقط العرق، ثم بلغ الدكتور موضع الغار بعد خمسة وأربعين دقيقة قطعها في العناء المتواصل، فما كاد ينتهي إلى أربه، حتى سقط إعياءً!! وحتى وجد ثيابه تكاد تُعصر عصرا مما غسلها من العرق! ومعنى ذلك أن رسول الله ﷺ وهو بشرٌ محدود القوة كان مؤيدا ببأس قوى من روح الله! أضف إلى ذلك تلك الوحشة القابضة في ظلام الليل بأكناف الجبل، وهو بانعزاله وتفرّده ملجأ للوحوش، وقد يدبُّ إلى الغار بعض الأفاعي القاتلة فيرهب الإنسان أن يجلس به ساعة واحدة فضلاً عن الليالي ذوات العدد!! إن في رؤية حراء، والصعود إليه ومشاهدة الغار ما يؤكّد صدق هذا النبي المناضل في سبيل ما ألهمه الله إياه من الاعتزال، ولا أنسى قول الدكتور جرمانوس: هذه معجزة لرسول الله ﷺ، لا أدرى لماذا لا يسجلها المؤرخون مع سائر المعجزات! والالتفات إليها كان ثمرةً من ثمار حجٍّ بيت الله الحرام التي قطعها مسلم أوروبي جاءَ من بودابست حيث يعمل أستاذاً للتاريخ في جامعة المجر.

وأكبر كسب للحاج في رحلته الإيمانية هو شعوره الحقيقي بالأخوة الإسلامية الممتدة إلى القارات الخمس، فالمسلم في وطنه الصغير يظن أنه محدود بمواطنيه الذين يألفهم ويألفونه فإذا اتسع تفكيره إلى سواهم فإلى إخوانه في البلاد العربية وحدهم، ولكنه في



غار حراء على
قمة جبل النور

موسم الحج يجد شيئا عجيبا لم يعهده من قبل، يجد المسلمين من شتى بقاع العالم، مختلفي اللغات والألوان والأجناس يجد الأندونيسي والماليزي والصيني والياباني والهندي والباكستاني والإيراني والأفغاني والتركي والألباني والغاني والنيجيري والصومالي والمالديفي والبرناوي.

بل يجد القادم من أمكنة لم يسمع بها من قبل وكلهم متجرد من ثيابه رافع كفيه إلى السماء مبتهلاً مكبرا، هذه الشعوب المختلفة تجد بها الشعور الفردي لكل إنسان منها مكتسحا فرديته الضيقة إلى حيث الفضاء الشامل لأكثر مناحي الكرة الأرضية، وإذ ذاك يشعر المسلم أنه أخو المسلم في كل مكان، وأن أخوته الممتدة هذه قد منحته قوة تدفعه إلى الاتحاد، إذ يجد أن العالم الإسلامي في القارات الخمس هو عالمه الكبير، وأن المسلم بها للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا وكالجسد الواحد إذا اشتكى عضو منه بالمرض تداعى له جميع الأعضاء بالسهر والحمى! هذا النور ينقل الحاج من نفق ضيق إلى فضاء فسيح، وقد شاهدت بعيني من رجع من حجه ليحدثنا عن أحوال إخوانه الحجاج، وقد عرف عنهم ما كان يجهل، لذلك أقول إن الحج هو الخطوة الأولى للتعارف الإسلامي، ولتكوين وحدة إسلامية إن لم تخضع لسياسة واحدة فإن من الواجب أن تخضع لمبادئ مقررة أكدها القرآن وفرضتها الشريعة! والإسلام هو الوطن الحقيقي للمسلم، فليست هذه الحدود الجغرافية المصطنعة بملغية ما يحسّه في أعماقه من أخوته الصادقة لأبناء دينه، وقديما قال الشاعر العربي صادقا:

أبي الإسلام لا أب لي سواه ... إذا افتخروا بقيس أو تميم

وقد عرفنا في تاريخنا المعاصر بلاء القوميات وما جرته على شعوبها من هزائم منكرة تقهقرت بها إلى الوراء مئات السنين، فمتى تفيق!

وأبلغ أثر للحج في نفس المؤمن التائب، أنه بعد عودته الخاشعة، سيُحاسب نفسه حسابا شديدا؛ سيقول في خواطره الصامتة إذا حدثه الشيطان بسوء: أنت اليوم غيرك بالأمس، إنك لا تدري أتعيش لعام قادم أو لا تعيش، ففرصة الحج التي سنحت من قبل قد لا تعود، وعليك أن تحاذر الخطيئة بعد أن تطهرت مما سلف، ومثلما يصير الشاب كهلا، ويحاسب نفسه على هفوات الشباب، كذلك تماما حال الحاج حين يرجع إلى أهله، إنه يحس بفاصل قوي بين حاضره وماضيه، هذا الفاصل يحتم عليه أن يتقدم إلى الأمام لا أن ينحدر للوراء! كما أن نظرة المجتمع إليه بعد عودته غيرها قبل أن يرحل إلى الحج، هذه النظرة تصبح عاملاً مساعدا على التقوى، لأن الحرص على السمعة الخارجية ليس رياءً كما يتوهم بعض الناس، ولكنه مبالغة في التقية، وهذا الحرص لا يُناقض الوازع الداخلي ولكنّه يعمل على تقويته وتأكيده، فهو سلاح آخر يُضاف إلى النازع المستتر المستكن! ولستُ أفترض القول افتراضا، ولكنى أتحدث عن واقع لمسته بين الكثيرين ممن كان الحج حداً فاصلاً في حياتهم بين اتجاهين مختلفين، ولا أنكر أن بعض الناس لا يسعده التوفيق الإلهي فيستمر بعد عودته على سلوكه الأبق، وهؤلاء قلة قليلة تصلح أن تكون استثناء من قاعدة مطردة! والشاذ لا يقاس عليه بحال.

لقد قلت: إن الحج تطهير للنفس، وهو تطهير حقيقي لا اختلاف عليه، وآية ذلك أن ترى بعض الحجاج يُصرون على تكرار الرحلة مهما كانت العوائق، حيث لمسوا في ضلوعهم أشواقًا ملتهبة يريدون إطفاءها برؤية هذه الربوع الطاهرة، وهم يذرفون الدموع أسفا، حين يُحال بينهم وبين ما يريدون لأمور تنظيمية، يفرضها القائمون على التوجيه، ولعل عزاءهم الشافي أنهم يقيمون على العهد، إذ يجتنبون الرذائل، ويتلمسون الصراط القويم.

د./ محمد رجب البيومي

تفسير سورة البقرة

قال تعالى :

﴿ وقال لهم نبيهم إن ءاية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه
سكينة من ربكم وبقية مما ترك ءال موسى وءال هرون
تحمله الملئكة إن في ذلك لأية لكم إن كنتم مؤمنين ٢٤٨
فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب
منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده
فشربوا منه إلا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين ءامنوا معه
قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون
أنهم ملقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن
الله والله مع الصبرين ﴾ الآية : ٢٤٨ : ٢٤٩

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

ثم حكى القرآن أن نبيهم لم يكتف بهذه الدلائل الدالة على صلاحية طالوت للقيادة، وإنما ساق لهم بعد ذلك من العلامات التي تشهد بحقيته بهذا المنصب ما يثبت قلوبهم، ويزيل شكهم ويشرح نفوسهم.

﴿ ٱلتَّابُوتُ ﴾: بوزن فعلوت - من التوب وهو الرجوع، وتاؤه مزيدة لغير التأنيث كجبروت، والمراد به صندوق التوراة وكانوا إذا حاربوا حمله جماعة منهم ويتقدمون به أمام الجيش فيكون ذلك سبب نصرهم. وكان عهدهم به قد طال فذكرهم بمآثره ترغيباً فيه وحملا على الانقياد لطالوت»[1].

﴿ سَكِينَةٌ ﴾: من السكون وهو ثبوت الشيء بعد التحرك: أو من السكن - بالتحريك - وهو كل شيء سكنت إليه النفس وهدأت.

والمعنى: وقال لهم نبيهم ليقنعهم بأن طالوت جدير بالملك ﴿ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ ﴾ أى علامة ملكه وأنه من الله - تعالى -:

﴿ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ ﴾ أى أن يرد عليكم التابوت الذى سلب منكم:

﴿ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ أى فى إتيانه سكون لنفوسكم وطمأنينة لها أو مودع فيه ما تسكنون إليه وهو التوراة:

﴿ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ ﴾ من آثار تعتزون بها، وترون فيها صلة بين ماضيكم وحاضركم وقوله:

﴿ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ حال من التابوت.

قال صاحب الكشاف: قوله:

﴿ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ ﴾

هى رضاض الألواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التوراة. وكان رفعه الله - تعالى - بعد موسى - عليه السلام - فنزلت به الملائكة تحمله وهم ينظرون إليه، فكان ذلك آية لاصطفائه لطالوت.

فإن قلت: من هم ﴿ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ ﴾

قلت: الأنبياء من بنى يعقوب بعدهما، ويجوز أن يراد مما تركه موسى وهارون والآل مقحم لتفخيم شأنهما[2].

وقال ابن كثير: قال ابن عباس: جاءت الملائكة تحمل التابوت بين السماء والأرض حتى وضعته بين يدى طالوت والناس ينظرون[3].

ثم ختم - سبحانه - الآية بقوله:

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

أى: إن فى ذلك الذى أتاكم به طالوت لآية عظيمة وعلامة ظاهرة لكم تدل على أحقية طالوت بالملك والقيادة إن كنتم مؤمنين بآيات الله وبالحق الذى جاء به أنبياؤه.

وبذلك نرى أن القرآن الكريم قد حكى لنا أن هؤلاء القوم من بنى إسرائيل قد جاءهم نبيهم

(1) تفسير القاسمى جـ ٦ ص ٦٤٦.

(2) تفسير الكشاف جـ ١ ص ٢٩٣.

(3) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٣٠١.

بأنصع الحجج، وأوضح الأدلة، وأثبت البراهين التي تؤيده فيما يدعوهم إليه.

ثم بين - سبحانه - ما دار بين طالوت وجنوده فقال:

﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ ﴾

﴿ فَصَلَ ﴾ بمعنى انفصل. قال الزمخشري: فصل عن موضع كذا: إذا انفصل عنه وجاوزه.

وأصله فصل نفسه. ثم كثر: حذف المفعول حتى صار في حكم غير المتعدي كانفصل. وقيل: فصل عن البلد فصولا. ويجوز أن يكون فصله فصلا، وفصل فصولا كوقف وصد ونحوهما والمعنى انفصل عن بلده»[1].

و(النهر) بالفتح والسكون - : المجرى الذي يجري فيه الماء مأخوذ من نهر الأرض بمعنى شقها.

أي: فلما انفصل بهم عن المكان الذي كانوا يقيمون فيه، وتوجهوا معه لقتال جالوت وجنوده، قال لهم: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ ﴾ أي مختبركم وممتحنكم بنهر، وكان طالوت قد سار بهم في أرض قفرة فأصابهم عطش شديد. وفي هذا الابتداء اختبار لعزيمتهم، وامتحان لصبرهم على المتاعب حتى يتميز من يصبر على الحرب ممن لا يصبر، ومن شأن القواد الأقوياء العقلاء أنهم يختبرون جنودهم قبل اقتحام المعارك حتى يكونوا على بينة من أمرهم، ثم بين لهم موضع الاختبار فقال:

﴿ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ﴾

﴿ يَطْعَمْهُ ﴾ أي يذقه من طعم الشيء يطعمه إذا ذاقه مأكولا أو مشروبا.

﴿ غُرْفَةً ﴾ - بالضم - اسم للشيء المغترف وجمعه غراف. وأما الغرفة - بالفتح - فهي اسم للمرة الواحدة من الغرف وقيل: هما لغتان بمعنى واحد.

أي قال لهم طالوت: من شرب من هذا النهر فليس من شيعتي، فعليه أن يتركني ولا يصاحبني في خوض هذه المعركة لأنه ثبت ضعفه وخوره، ومن لم يذقه أصلا فإنه من شيعتي وحزبي الذي سيكون معي في هذه المعركة الخطيرة. ثم أباح لهم أن يغترفوا من النهر غرفة يخففون بها من عطشهم فقال:

﴿ إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ﴾ فإنه لا يخرج بذلك عن كونه مني.

وفي هذه الجملة الكريمة قدم - سبحانه - جواب الشرط على الاستثناء من الشرط فقد قال (ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده) والتأليف المعهود للناس أن يقال:

﴿ وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي ﴾ ولكن الآية الكريمة جاءت بتقديم الجواب على الاستثناء لحكمة بليغة، وهي المسارعة إلى بيان الحكم، وإثبات أن أساس الصلة التي تربطهم بنبيهم أن يمتثلوا أمره وألا يشربوا من النهر، ثم رخص لهم بعد ذلك في الاغتراف باليد غرفة واحدة.

وقد أشار صاحب الكشاف إلى هذا المعنى فقال: فإن قلت: مم استثنى قوله:

---

(1) تفسير الكشاف جـ ١ ص ٢٩٤.

﴿ إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ ﴾؟ قلت: من قوله: ﴿ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي ﴾ والجملة الثانية في حكم المتأخرة إلا أنها قدمت للعناية.. ومعناه: الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع»[٥].

ثم ختم - سبحانه - ما كان من بني إسرائيل نتيجة لهذا الامتحان فقال:

﴿ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾.

أي: فشربوا من النهر حتى امتلأت بطونهم مخالفين بذلك أمر قائدهم في وقت تعظم فيه المخالفة لأنه وقت إقدام على الحرب، إلا عدداً قليلاً منهم فإنهم لم يشربوا إلا كما رخص لهم قائدهم.

وعلى هذا التفسير - الذي قال به جمهور المفسرين - يكون جميع الذين مع طالوت قد شربوا من النهر إلا أن كثيراً منهم قد شربوا حتى امتلأت بطونهم مخالفين أمر قائدهم، وقلة منهم شربت غرفة واحدة وهي التي رخص لهم قائدهم في شربها.

وبعض المفسرين يقسم أتباع طالوت ثلاثة أقسام:

قسم شرب كثيراً مخالفاً أمر طالوت.

وقسم شرب غرفة واحدة بيده كما رخص له قائده.

وقسم لم يشرب أصلا لا قليلاً ولا كثيراً مؤثراً العزيمة على الرخصة وهذا القسم هو الذي اعتمد عليه طالوت اعتماداً كبيراً في تناوله لأعدائه.

وممن ذكر هذا التقسيم من المفسرين الإمام القرطبي فقد قال: «قال ابن عباس: شربوا على قدر يقينهم، فشرب الكفار شرب الهيم[٦]، وبقي بعض المؤمنين لم يشرب شيئاً، وأخذ بعضهم الغرفة، فأما من شرب فلم يرو بل برح به العطش، وأما من ترك الماء فحسنت حاله وكان أجلد ممن أخذ الغرفة»[٧].

ثم بين - سبحانه - ما كان من أتباع طالوت بعد اجتيازهم للنهر معه فقال:

﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ﴾

أي: فلما جاوز طالوت ومن معه النهر وتخطوه، وشاهدوا كثرة جند جالوت، قال بعض الذين مع طالوت لبعض بقلق ووجل: لا قدرة لنا اليوم على محاربة أعدائنا ومقاومتهم فهم أكثر منا عدداً، وأوفر عُدداً.

والضمير ﴿ هُوَ ﴾ في قوله:

﴿ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ﴾ مؤكد للضمير المستكن في جاوز. والقائلون هذا القول هم بعض المؤمنين الذين عبروا معه النهر، ولم يقولوا ذلك هروباً أو نكوصاً عن القتال، وإنما قالوه كمظهر من مظاهر الوجل الذي يعتري بعض النفوس عند الاستعداد للقتال، لأن الذين عصوا الله وخالفوا طالوت بشربهم من النهر جبنوا عن لقاء العدو ولم يسيروا معه لقتالهم. أما المؤمنون الصادقون الذين اتصلت قلوبهم بالله، والذين أذعنوا أنه لا نصر إلا منه ولا اعتماد إلا عليه، فقد حكى القرآن موقفهم المشرف فقال:

---

(٥) تفسير الكشاف جـ ١ ص ٢٩٥.

(٦) الهيم: الإبل التي يصيبها داء فلا تروى من الماء، واحدها: أهيم والأنثى هيماء.

(٧) تفسير القرطبي جـ٣ ص٢٥٤.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾

أي: قال الذين يتيقنون أنهم ملاقو الله يوم القيامة فيحاسبهم على أعمالهم. قالوا مشجعين لإخوانهم الذين تهيبوا قتال أعدائهم: كم من جماعة قليلة بإيمانها وصبرها تغلبت بإذن الله وتيسيره على جماعة كثيرة بسبب كفرها وجبنها وتفككها، والله - تعالى - بعونه وتأييده مع الصابرين.

وعلى هذا التفسير يكون المراد بلقاء الله الحشر إليه بعد الموت، ومجازاة الناس على ما قدموا من عمل، ويكون المراد بالظن اليقين لأن كل مؤمن متيقن بأن البعث حق.

ويجوز أن يكون المراد بلقاء الله قربهم من رضاه يوم القيامة، وإثابتهم على جهادهم بالجنة، وعليه يكون الظن على معناه الحقيقي وهو الاعتقاد الراجح، لأن خواتيم الحياة لا يعلمها كيف تكون سوى علام الغيوب.

و ﴿كَم﴾ في قولهم: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ﴾ خبرية للتكثير، وفي هذا التعبير الذي حكاه القرآن عنهم دليل على قوة إيمانهم وصفاء نفوسهم وثقتهم في نصر الله ثقة لا تحد، لأنهم أتوا بصيغة التكثير حتى لكأنما أن القاعدة العامة هي انتصار الفئة القليلة على الفئة الكثيرة الكافرة.

وفي تعليقهم النصر على إذن الله للإشعار بأنهم لم يعتمدوا على قوتهم وثباتهم وشجاعتهم فحسب وإنما جعلوا اعتمادهم الأكبر على تأييد الله لهم. وهذا شأن العقلاء يبذلون أقصى جهدهم في بلوغ غايتهم مستعينين على ذلك بتأييد الله وتوفيقه.

ورحم الله الإمام القرطبي الذي عاصر دولة الإسلام في الأندلس وهي تسير في طريق الضعف والتدهور فقد قال في ختام تفسيره لهذه الآية: قلت: هكذا يجب علينا أن نفعل؟ لكن الأعمال القبيحة والنيات الفاسدة، منعت من ذلك حتى انكسر العدد الكبير منا أمام اليسير من العدو وكما شاهدناه غير مرة، وذلك بما كسبت أيدينا! وفي البخاري: وقال أبو الدرداء: إنما تقاتلون بأعمالكم. وفي البخاري - أيضاً - أن النبي ﷺ قال: «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم» فالأعمال فاسدة والضعفاء مهملون والصبر قليل، والاعتماد ضعيف، والتقوى زائلة!! قال - تعالى -:

﴿ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾(٨).

وقال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾(٩) وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾(١٠)

وقال: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾(١١).

وقال: ﴿إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾(١٢).

فهذه أسباب النصر وشروطه وهي معدومة عندنا غير موجودة فينا، فإنا لله وإنا إليه راجعون على ما أصابنا وحل بنا»(١٣).

---

(٨) آل عمران (٢٠٠). (٩) المائدة (٢٣). (١٠) النحل (١٢٨).
(١١) الحج (٤٠). (١٢) الأنفال (٤٥). (١٣) تفسير القرطبي جـ ٣ صفحة ٢٥٤.

السنة

الحدود الشرعية

للأستاذ الكبير عبد الرحمن الجزيرى
عضو جماعة كبار العلماء بالأزهر (*)

١

إعداد الشيخ / على حامد عبد الرحيم

عن عائشة رضى الله عنها: «أن قريشا أهمهم شأن المخزومية التى سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ ثم قالوا من يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ؟ فكلمه أسامة. فقال رسول الله ﷺ: «يا أسامة أتشفع فى حد من حدود الله!» ثم قام فاختطب فقال: «إنما هلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد. وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها». رواه البخارى ومسلم وغيرهما.

● تحدث الفقيه الكبير الأستاذ / عبدالرحمن الجزيرى عن الحدود الشرعية حديثا جامعا مستوعبا، وقد رأينا تخفيفا على القارئ أن ننشره فى أربع حلقات لنفعه الجزيل «المحرر».

من مختارات مجلة الأزهر
المجلد التاسع سنة ١٣٥٧هـ

يتعلق بشرح هذا الحديث أمور:

(١) بيان معناه

(٢) بيان الحدود الشرعية وما في معناها وحكمة مشروعيتها

(٣) إذا لم يوجد في الشريعة نص على حكم من الأحكام فماذا يكون العمل؟

(١) معنى هذا الحديث ظاهر، وهو أن امرأة من علية القوم اسمها فاطمة غلبت عليها رذيلة خلقية مرة واحدة في حياتها، وهي سرقة شئ يستوجب إقامة الحد عليها بقطع يدها، فعز على قريش أمرها لما لها من علو المنزلة، ولكنهم كانوا يعلمون شدة استمساك الرسول صلوات الله عليه بإقامة حدود الله وتنفيذها على العظيم والضعيف، والغني والفقير، بنسبة واحدة، فوقفوا بإزاء ذلك حائرين، ولكنهم ظنوا أن أسامة بن زيد يستطيع أن يشفع لها عند رسول الله ﷺ، لأنه كان محبوبا عند الرسول كما كان أبوه زيد من قبل، ولذا كان يلقب بالحب ابن الحب. فأجابهم أسامة إلى طلبهم، ومضى إلى رسول الله وسأله العفو عن السارقة فأنكر عليه الرسول هذه الشفاعة، وقال له: « أتشفع في حد من حدود الله!» أي ما كان يليق بك أن تجرؤ على هذا.

ويظهر من هذا أن أسامة كان يعلم أنه لا تصح الشفاعة في حدود الله بعد أن يصل أمر الجريمة إلى ولي الأمر، ولهذا أنكر عليه النبي ﷺ، ولو كان يجهل الحكم لعلمه إياه. ولعل اعتقاد أسامة في فاطمة المخزومية من كون هذه الخلة ليست عادة لها وأنها زلة قد لا تعود إليها، هو الذي دفعه إلى الشفاعة فيها.

والواقع أن فاطمة هذه قد أصبحت بعد تنفيذ الحد عليها من الصالحات، فلم تؤثر عنها أية رذيلة خلقية بعد.

على أن الرسول صلوات الله عليه لم يقتصر على الإنكار على أسامة، بل جمع الناس وخطب فيهم مبينا لهم أن الاستهانة بمعاقبة الجناة إذا كانوا من العظماء، والتشدد في معاقبة الضعفاء، لا نتيجة له إلا هلاك الأمة وفناؤها، وقد هلك بسببه بعض الأمم الذين خلوا من قبل. وأقسم لهم أنه لا يتأخر عن تنفيذ حدود الله على بنته نفسها. وذلك حق لا ريب فيه، إذ لا معنى لهذا إلا إبطال القانون، والقضاء على العدل والنظام، فلو لم ينفذ القانون على القوي والضعيف بنسبة واحدة كان ذلك تحريضا للقوى على انتهاك حرمات الضعيف، والعدوان عليه وهو آمن من العقاب، فإذا فرض وقوي الضعيف كان من حقه أن ينتقم لنفسه وهو آمن من العقاب، ويعتدى على غيره وهو آمن أيضا، وهلم جرا، وهذا هو عين الفوضى المقوضة لدعائم العمران، الموجبة لهلاك الأمم وفنائها.

ويؤخذ من هذا الحديث أنه لا يحل لحاكم أن يقبل الشفاعة في حد من حدود الله الآتي بيانها، كما لا يحل لأحد أن يشفع عن مجرم في حد وصل الى الحاكم. وهذا مما لا خلاف فيه. أما قبل وصول الأمر الى الحاكم فإن الشفاعة تصح كما يصح العفو، بشرط أن يكون مستحق العقوبة غير معروف بالجرائم، أما إذا كان من المعتادين على إيذاء الناس، أو كان من الأشرار الذين لا يصلحهم العفو، فإنه يجب أن يرفع أمره الى الحاكم ليوقع عليه الحد الذي يزجره عن ارتكاب الجريمة. فإذا سرق شخص من آخر ولم تكن هذه عادة له من

قبل، وظن الشفيع أن العفو عنه لا يغريه، فإن له أن يشفع فيه، وللمعتدى عليه أن يعفو عنه، وإلا فلا يحل له العفو. وقد وردت أحاديث بهذا المعنى. منها ما رواه الدار قطنى «اشفعوا مالم يصل إلى الوالى فإذا وصل إلى الوالى فعفا فلا عفا الله عنه» هذا فى الحدود.

أما فى القصاص فإن الشفاعة فيه تجوز، لأنه حق العبد، وله أن يعفو على أى حال. وأما فى التعزير، فقد قال الفقهاء: إن الشفاعة تحل فيه، ولكن الظاهر المعقول أن عقوبة التعزير إن توقف عليها تأديب الجناة والمحافظة على النظام العام، فإن الشفاعة لا تحل فيه، كما لا يحل للحاكم أن يعفو، وإلا فإن العفو يصح والشفاعة تجوز. وذلك لأن الشريعة الإسلامية مبنية على جلب المصلحة ودرء المفسدة، فعلى الحاكم أن ينظر فى هذا إلى ما فيه المصلحة ودفع المفسدة.

(٢) أما الجواب عن الثانى فهو أن أصل معنى الحد فى اللغة: المنع، ويطلق على العقوبة التى وضعها الشارع لمرتكب الجريمة. وذلك لأنها سبب فى منع مرتكب الجريمة من العودة إليها، وسبب فى منع من له ميل إلى الجريمة عن ارتكابها. وكذلك يطلق على المعاصى، ومنه قوله تعالى:

﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾(١) أى تلك المعاصى التى نهى الله عنها فلا يحل لكم قربانها، ويطلق أيضا على ما حده الله وقدره من أحكام، ومنه قوله تعالى:

﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ﴾(٢).

ونحن الآن بصدد بيان الحدود الشرعية بمعنى العقوبات وما فى معنى الحدود من قصاص وتعزير. فإليك البيان:

إن الشريعة الاسلامية قد قسمت العقوبات إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الحدود. وقد عرف الفقهاء الحد بأنه عقوبة مقدرة حقا لله - تعالى - فمتى علم الحاكم بمجرم استحق عقوبة الحد فإنه يجب عليه التنفيذ ولا يملك العفو. والجرائم التى تستوجب الحد هى: الزنا. ومثله اللواط - على خلاف ستعرفه - السرقة، القذف، شرب الخمر - على خلاف ستعرفه - أما حد الذين يسعون فى الأرض فسادا فلا يخرج عن حد السرقة أو القصاص أو التعزير.

القسم الثانى: القصاص. وهو معاملة الجانى بمثل اعتدائه، فإن القصاص معناه المماثلة، ومنه قص الحديث إذا أتى به على وجهه. ولا يسمى القصاص حدا لأنه حق للعبد له أن يعفو عنه كما يأتى.

القسم الثالث: التعزير. وهو تأديب على ذنب لا حد فيه ولا كفارة له كما ستعرفه بعد. ثم إن المتفق عليه من الحدود ثلاثة: حد الزنا، وإن قال بعضهم إنه لا رجم، حد القذف، حد السرقة. أما حد شرب الخمر فجمهور الأئمة والعلماء على أنه حد. وبعضهم قال إنه من باب التعزير. ومع ذلك فقد اختلفوا فى مقداره.

فالمالكية والحنفية والحنابلة يقولون إنه ثمانون جلدة، لأن عمر قدره بثمانين جلدة، ووافقه عليه الصحابة.

(١) البقرة ١٨٧.

(٢) الطلاق ١.

والشافعية يقولون إنه أربعون جلدة، لأنه هو الثابت عن النبي ﷺ، فقد روى مسلم عن أنس - رضي الله عنه -: «كان النبي يضرب في الخمر بالجريد والنعال أربعين».

ويكفي هذا الحد ولو تكرر منه الشرب، أما ما فعله عمر فقد كان من باب التعزير حيث رأى أن الخمرة قد فشت في بعض الجهات فشدد العقوبة لزجر الشاربين، فالزيادة ليست من الحد، وإنما هي تعزير للإمام أن يفعله.

وقد اختلف العلماء في آلة الضرب: فبعضهم قال: إنهم كانوا يضربون في عهد النبي بالجريد والنعل وأطراف الثياب والأيدي، وعلى هذا فلا يصح الخروج عن هذه الآلات. والجمهور على أنه يصح بهذه الآلات كما يصح بالسوط. وبعضهم يرى أنه لا يصح بالسوط إلا إذا كان الشارب متمردا فاجرا لا يؤثر فيه ضرب اليد أو الجريدة. هذا هو حد الشرب المختلف فيه. فلنرجع الى الكلام في الحدود المتفق عليها:

فأما حد الزنا فقد فرقت الشريعة فيه بين الذي تزوج والذي لم يتزوج، فشددت العقوبة على الأول، لأنه عرف معنى الزوجية، وقدر قيمة العدوان على العرض حق قدره، فكان جزاؤه الإعدام، ولا ريب في أنه جزاء يناسب هذه الجريمة مناسبة تامة؛ لأن العدوان على العرض بهذه الصورة الشنيعة كالعدوان على النفس، بل ربما فضل الغيور قتله على الزنا بحليلته أو محرمه، وكثيراً ما نرى الناس يقتل بعضهم بعضاً من جراء ذلك. ولذا نجد القوانين في كل الشرائع قد رفعت القصاص عن قاتل الزاني بامرأته، لأنها ترى أن هذه الجناية تستوجب قتل مرتكبها.

أما غير المتزوج فقد قدرت له مائة جلدة، لما عرفت من أنه لم يعرف معنى الغيرة على الزوجة، فكان له حق في التخفيف.

ولم يخالف في هذا الحد إلا بعض المعتزلة والخوارج، فإنهم قالوا: إن عقوبة الرجم كانت موجودة في صدر الإسلام ثم نسخت بقوله تعالى:

﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾(٣)

فالزانيان يستحقان الجلد مطلقا سواء كانا محصنين أولا. ولكن دليلهم هذا لا يتم إلا إذا ثبت أن النبي ﷺ لم يرجم أحدا بعد نزول هذه الآية.

ولكن الجمهور قالوا: إن رسول الله قد رجم بعد نزول هذه الآية، بدليل أن أباهريرة حضر الرجم وهو لم يسلم إلا سنة سبع، وسورة النور نزلت سنة ست أو خمس. وقد رجم الخلفاء بعد النبي ﷺ وصرحوا بأن الرجم حد.

وقد نازع هؤلاء بأن الكتاب لا يصح نسخه بالسنة، وأجيب بأن السنة المشهورة تخصص بلا خلاف، وهنا خصصت السنة الزاني بغير المحصن. وهذا الخلاف لا يترتب عليه كبير فائدة عملية، لأن حد الزنا منوط في الواقع

---

(٣) النور: ٢.

بإقرار الزانى، فإذا لم يقر فإنه لا يمكن إثباته عليه بالبينة، لأنه لا يثبت إلا بأربعة شهود يرون الإيلاج بالفعل، وذلك إن لم يكن محالا فهو متعذر. ومن يتتبع أحاديث الرجم الذى وقع فى زمن النبى ﷺ وزمن الخلفاء فإنه يجد أن مرتكب الجريمة هو الذى كان يذهب بنفسه ويعترف بأنه زنى، وكان مع هذا يناقش مناقشة تدل على عدم الرغبة فى توقيع هذه العقوبة. فكانت هذه العقوبة لا تنفذ إلا على من أراد أن يطهر نفسه من هذه الفاحشة، ومن إثم الاعتداء على عرض غيره. على أنه إذا وجد مع امرأة لا زوج لها فإن له أن يدعى أنه تزوجها، وذلك شبهة تدرأ الحد فى بعض المذاهب.

ولعل قائلاً يقول: إن هذا لا يجعل للحد كبير فائدة، لأن إثباته منوط بأربعة شهداء والشهود الذين يعلمون أن من ورائهم حد القذف وهو ثمانون جلدة إذا قصر واحد فى أداء الشهادة، لا يقدمون على الشهادة. وهل ترى أنه إذا وجد الزوج أجنبيا مع امرأته يتركهما على هذه الحالة ويخرج يتلمس الشهود حتى إذا جاءوا وجدوا الرجل قضى وطره، وضاع حق الزوج!

والجواب: أن هذه الجريمة الشنعة والفاحشة المنكرة، لم يقتصر ضررها على الزانية والزانى وحدهما، بل يتعداهما إلى الأسرة بتمامها، فتهدم شرف قوم غافلين لا ذنب لهم، وتعرضهم للمهانة والعار، وتسقطهم عن مرتبتهم المحترمة بين الناس. فحرصا على كرامة الأسر وصيانة لأعراض الناس شددت الشريعة الإسلامية فى إثبات هذه الجريمة كى لا يجرؤ الناس على اتهام بعضهم بعضا بدون مبالاة. وفى الوقت نفسه جعل لها أقصى عقوبة (إذا كان فاعلها محصنا) تقديرا لفظاعتها وإشعارا للناس بأنها تساوى جريمة القتل. وبذلك يزدجر المؤمنون الذين يخافون الله ويخشون غضبه وبطشه، ويحسبون لغيرته على عباده حسابا. فالمؤمن الذى يقرأ قول الله تعالى:

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾(١).

ويعلم أن حد الزنا يساوى حد القتل، فإنه يدرك عظم المسئولية إذا أفلت من عقوبة الزنا. ولهذا ذهب بعض المؤمنين حقا إلى الرسول واعترف بجريمة الزنا الموجبة للقتل لينجو من عذاب الآخرة بالحد الدنيوى.

«يتبع»

***

(١) النساء: ٩٣.

السنة النبوية وهل خدمت

الخدمة الأساسية المطلوبة للسنة النبوية

للمستشار الدكتور/ محمد شوقي الفنجري

مصطلح السنة

السنة لغة هي السيرة حسنة أو قبيحة، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ : «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء. ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»(١).

وفي الاصطلاح الشرعي هي كل ما أثر عن الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أما القول فهي أحاديثه ﷺ التي قالها في مختلف الأغراض والمناسبات كقوله: (لا ضرر ولا ضرار)(٢) وقوله (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى)(٣)، وقوله (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم)(٤)، وقوله (عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله إلي الخير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له)(٥).

وأما الفعل فهو أفعاله التي نقلها إلينا الصحابة مثل وضوئه ﷺ، وأدائه الصلوات الخمس بهيئاتها وأركانها، وكيفية أدائه مناسك الحج.. إلخ.

---

(١) صحيح مسلم.
(٢) متفق عليه.
(٣) متفق عليه.
(٤) صحيح مسلم.
(٥) صحيح مسلم.

وأما التقرير فهو ما أقره ﷺ مما صدر عن بعض أصحابه من أفعال وأقوال: سواء بسكوته وعدم إنكاره، أو بموافقته وإظهار تأييده.. فيعتبر ما صدر عنهم بهذا الإقرار كأنه صدر عن الرسول، ومن قبيل ذلك إقراره في الأعياد على مثل غناء الجاريتين، ومثل لعب الحبشة بالحراب في المسجد، وإقراره لطريقة معاذ بن جبل في القضاء حين بعثه على اليمن إذ قال له (كيف تقضى إذا عرض لك قضاء؟ قال: أقضى بكتاب الله، قال: فإن لم تجد في كتاب الله؟ قال: فبسنة رسول الله ﷺ، قال: فإن لم تجد في سنة رسول الله؟ قال: أجتهد رأيي ولا آلو، فقال: الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضى الله ورسوله)(٦).

منزلة السنة في الإسلام

والسنة النبوية هي أحد مصادر التشريع الإسلامي، إذ هي وحي بمنزلة القرآن لقوله تعالى:

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾(٧)

ويجب العمل بها لقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾(٨)

والسنة تلي القرآن في المرتبة، لأن القرآن هو الأصل، والسنة جاءت شارحة مبينة له. فضلا عن أن القرآن مقطوع به جملة وتفصيلا، بخلاف السنة فمقطوع بها على الجملة لا على التفصيل.

والسنة مع القرآن على وجهين

أولهما: بيان وتفسير ما جاء مجملا في القرآن كبيان كيفية الصلاة وعدد ركعاتها، وتحديد نصاب الزكاة، وكيفية أداء مناسك الحج.... إلخ.

ثانيهما: إضافة أحكام جديدة لم يرد بها نص من القرآن كإثبات الشفعة، وجواز خيار الشرط، وتحريم نكاح المرأة على عمتها أو خالتها وتوريث الجدة.... إلخ.

تدوين السنة

(أ) في عهد الرسول:

في أول عهد الإسلام كان الرسول ﷺ ينهى عن كتابة الحديث مخافة أن يختلط الحديث بالقرآن، فكان يقول: (لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه)(٩). حتى إذا شاع القرآن بين المسلمين وأصبحوا يتلونه آناء الليل وأطراف النهار ويميزونه عن الحديث، سمح الرسول بكتابة الحديث. من ذلك ما روى عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال للرسول: يا رسول الله إني أسمع منك الشيء فأكتبه، قال: نعم قال عبدالله: في الغضب والرضا، قال ﷺ (نعم فإني لا أقول إلا حقا)(١٠).

ولذلك عرف في عهد الرسول ﷺ مدونات أخرجها بعض الصحابة كابن عباس، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وجابر بن عبدالله الأنصاري،

---

(٦) سنن أبي داود.

(٧) النجم (٣-٤).

(٨) النساء (٥٩).

(٩) صحيح مسلم.

(١٠) سنن أبي داود.

وكان أشهرها صحيفة الصادقة لعبد الله بن عمرو ضمت ألف حديث، وقد سماها كذلك بقوله (هذه الصادقة فيها ما سمعته عن رسول الله ﷺ وليس بيني وبينه فيها أحد)(١١) . هذا فضلا عن أنه كان بين الرسول ﷺ وكثير من بطون العرب وطوائف اليهود والنصارى وغيرهم، كتب ومعاهدات مدونة. كما كان الرسول يكتب إلى أمرائه وعماله وقواد جيوشه، وكذا إلى ملوك وأمراء الدول المجاورة، فيما يتعلق بالدعوة إلى الإسلام وبيان أحكامه(١٢) .

غير أن هذه المدونات كانت قليلة ومحدودة الأحاديث، إذ كان الصحابة يؤثرون حفظ الحديث عن كتابته تثبيتا لأنفسهم، وكما عبر أنس بن مالك (كنا نكون عند النبي ﷺ فنسمع منه الحديث، فإذا قمنا تذاكرناه فيما بيننا حتى نحفظه) .

(ب) فى عهد الصحابة والخلفاء الراشدين:

كان همهم الأول، المحافظة على القرآن حيث جمع في عهد الصديق، ونسخ في عهد عثمان وبعث به إلى الآفاق. فلم يحرصوا على تدوين السنة خشية أن يشغل المسلمون بكتابتها ويدعوا القرآن، وهو المصدر الأساسي للتشريع الإسلامي، لا سيما وقد اتفق رأى الصحابة حينئذ بأنه لا ينبغي أن يطلب المرء الحديث إلا بعد قراءة القرآن وحفظه كله أو أكثره، حتى روى أن عمر بن الخطاب فكر في تدوين السنة غير أنه عدل بقوله: (إني كنت أريد أن أكتب السنن، وإني ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتبا، فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله، وإني والله لا أشوب كتاب الله بشيء أبدا)(١٣) .

وبالرغم من ذلك فقد ثبت عن أبي بكر كتابة شيء من السنة، وكذلك عن عمر بن الخطاب، وذلك حين أمنوا حفظ القرآن(١٤) إلا أن ما دون في عهدهم من السنة، كان أيضا محدودا وذلك لشدة ورعهم وتقواهم ودقتهم في الرواية عن الرسول (فالذى يحدث إنما يدخل بين الله وبين عباده) . فكانوا لا يروون الحديث إلا عند الحاجة، وهذا ما يفسر لنا إنكار عمر بن الخطاب على الصحابي أبي هريرة الإكثار من رواية الحديث. كما أنهم حين يروون الحديث كانوا يتحرون الدقة، وهذا ما يفسر لنا رفض عمر رواية للصحابي أبي موسى الأشعرى إلا بعد أن أيده فيها صحابي آخر قائلا له: أما أني لم أتهمك، ولكن خشيت أن يتقول الناس على رسول الله ﷺ(١٥) .

---

(١١) انظر طبقات ابن سعد جزء ٧، ص١٨٩ .

(١٢) انظر مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي، الدكتور محمد حميد الله حيدر ابادي، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة، الطبعة الثانية سنة ١٩٥٨ .

وانظر أيضا سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الملك بن هشام، وبتحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة التجارية بالقاهرة ١٣٥٦/١٩٣٧ .

(١٣) انظر طبقات ابن سعد جزء ٣، ص٢٠٦ .

(١٤) انظر مسند الإمام بن حنبل.

(١٥) انظر الموطأ للإمام مالك جزء ٢، ص٩٦٤ من طبعة عيسى البابي الحلبي بمصر سنة ١٣٧٠هـ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي وانظر أيضا الرسالة للإمام الشافعي ص٤٣٥ من طبعة مصطفى البابي الحلبي الطبعة الأولى ١٣٥٨/١٩٤٠م بتحقيق أحمد محمد شاكر.

(جـ)- في عهد التابعين:

عزف التابعون كالصحابة عن كتابة الحديث في كراريس خشية أن يشتبه بالمصاحف، ولأنهم مثلهم كانوا يفضلون الحفاظ على الحديث بالرواية لا الكتابة، باعتبار أن في الكتابة إضعاف للذاكرة وانصراف عن العمل به مرددين قولهم (لا تكتبوا فتتكلوا) ذاكرين أن أهل الحديث هم الذين يحفظونه بذاكرتهم فيكون جزءا من حديث أنفسهم وفكر قلوبهم وضابط سلوكهم، وذلك لأن الحفظ لا الكتابة هو سبيل التفقه والخشية حتى الرعتهم (استعن بحفظ القرآن والحديث للعمل به)، وأنه ليس العلم ما جمع ودون، ولكن العلم ما حفظ ووعى) وكانوا يفخرون بحفظ الحديث، ويقول الواحد منهم: (ما كتبت حديثاً قط)، وينقل عن عامر الشعبي (١٧-١٠٣هـ) عبارته (ما كتبت سوداء في بيضاء، ولا سمعت من رجل حديثا فأردت أن يعيده علي). وقد عبر عن هذا الأسلوب مؤيدا الإمام الأوزاعي (توفي سنة ١٥٧هـ) بقوله (كان هذا العلم- يعني الحديث- شيئا شريفا إذ كان من أفواه الرجال يتلقونه ويتذاكرونه، فلما صار في الكتب ذهب نوره وصار إلى غير أهله)[١٦].

وقد ازدادت كراهية التابعين للكتابة، عندما اشتهرت آراؤهم الشخصية، فخافوا أن يدونها طلابهم مع الحديث فيدخله الالتباس[١٧].

وبالرغم من ذلك فقد أثر عن بعض التابعين مدونات حديثية أشهرها الصحيفة الصحيحة لهمام بن منبه (٤٠-١٣١هـ) وهي تضم ١٣٨ حديثا نقلا عن الصحابي أبي هريرة، وقد أسماها الصحيحة على مثال الصحيفة الصادقة لعبدالله بن عمرو بن العاص وقد نقلها بتمامها الإمام أحمد في مسنده، كما نقل الإمام البخاري عددا كبيرا من أحاديثها في صحيحه في أبواب شتى.

(د) في عهد عمر بن عبدالعزيز وبداية التدوين الرسمي:

وفي عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز (٩٩-١٠١هـ) بدأ التدوين الرسمي للحديث وقد عبر عن ذلك ابن شهاب الزهري بقوله (أمرنا عمر بن عبدالعزيز بجمع السنن، فكتبناها دفترا دفترا، فبعث إلى كل أرض له عليها سلطان دفترا)[١٨].

وقد كان هذا التدوين الرسمي لأول مرة لسببين:

أولهما: انتشار الإسلام واتساع رقعته وما استتبعه من تفرق الصحابة والتابعين ومجالس العلم، وهو ما عبر عنه الخليفة عمر بن عبدالعزيز في كتبه إلى الأمصار خاصة أهل المدينة (انظروا حديث رسول الله ﷺ فاكتبوه، فإني خفت دروس العلم وذهاب أهله)[١٩].

ثانيهما: ظهور الوضع بسبب الخلافات السياسية والمذهبية، وهو ما عبر عنه ابن شهاب الزهري بقوله (لولا أحاديث تأتينا من قبل المشرق ننكرها لا نعرفها، ما كتبت حديثا، ولا أذنت في كتابته)[٢٠].

---

(١٦) انظر جامع بيان العلم وفضله لأبي عمر يوسف بن عبدالبر، جزء ١ ص٦٨ طبع بمصر الطبعة المنيرية.

(١٧) انظر أصول الحديث، للدكتور محمد عجاج الخطيب، ص٦٦٧ من الطبعة الثانية سنة ١٩٧١ لناشره دار الفكر ببيروت.

(١٨) انظر جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر، المرجع السابق ص٧٦.

(١٩) انظر صحيح البخاري في كتاب العلم، وسنن الدارمي جزء ١ ص١٢٦.

(٢٠) انظر أصول الحديث، للدكتور محمد عجاج الخطيب- مرجع سابق، ص١٧٧.

وقد أعقب ذلك اهتمام العلماء بجمع الأحاديث والتدقيق في تحقيقها حتى روى عن أبي العالية قوله: (كنا نسمع الرواية عن أصحاب رسول الله ﷺ بالبصرة، فلم نرض حتى ركبنا إلى المدينة فسمعناها من أفواههم)[٢١]. وكانوا يتحققون من الرواية فلا يكتفون بالصلاح والأمانة، بل يشترطون الحفظ والضبط والإتقان، ويتشددون في السؤال عن الراوية وسلوكه وأحواله، حتى يقال لهم: أتريدون أن تتزوجوه، وذلك شعورا منهم بقدر المسئولية وهو ما عبروا عنه بقولهم: (الحديث دين فانظروا ممن تأخذون دينكم).

وقد أسفر القرن الهجري الثاني عن ظهور مدونات حديثية في مختلف بلدان العالم الإسلامي، مرتبة أسانيدها في أبواب مع فتاوى الصحابة والتابعين. ومن قبيل ذلك موطأ أنس بن مالك في المدينة (٩٣-١٧٩هـ)، ومصنفات سفيان الثوري بالكوفة (٩٧-١٦١هـ) وعبدالرحمن بن عمرو الأوزاعي بالشام (٨٨-١٥٧هـ)، وعبدالله بن المبارك بخراسان (١١٨-١٨١هـ).... إلخ.

علوم السنة

ولم يمض القرن الثالث الهجري إلا وقد ظهرت المدونات المستقلة في الحديث سواء من حيث الرواية (أي إخراج الأحاديث بأسانيدها)، أو من حيث الدراسة (أي تحقيق الأحاديث من حيث السند ومن حيث المتن).

ويعتبر هذا القرن هو العصر الذهبي لخدمة السنة، حيث وجدنا جهابذة أفذاذا وعلماء عمالقة، أصحاب طاقات ضخمة، يقفون حياتهم كلها على طلب السنة والرحلة من أجل جمعها وتحقيقها. فعرفت الكتب الستة المشهورة وهي:

١- صحيح البخاري (١٩٢-٢٥٦هـ)، والذي أمضى في إعداده ستة عشر عاما، سمع خلالها من نحو ألف شيخ وجمع نحو ٦٠٠٠٠٠ ستمائة ألف حديث، وأخرج منها بعد التحقيق الدقيق بضوابط شديدة التزمها، نحو ٤٦٠٠ أربعة آلاف وستمائة حديثا بغير المكرر ونحو ٩١٠٠ تسعة آلاف ومائة حديث بالمكرر واختلاف الروايات.

٢- صحيح مسلم (٢٠٤/٢٦١هـ)، تضمن بغير المكرر نحو ٤٠٠٠ أربعة آلاف حديث صحيح، وبالمكرر نحو ٧٣٠٠ سبعة آلاف وثلاثمائة حديث، أخرجها بعد التحقيق من بين ٣٠٠٠٠٠ ثلاثمائة ألف حديث مسموعة متحريا في الرجال والمتون.

٣- سنن أبي داود (٢٠٢/٢٧٥هـ) تضمنت نحو ٤٨٠٠ أربعة آلاف وثمانمائة حديث، لم يقتصر فيه على إخراج الصحيح فقط بل منه الصحيح والحسن، وما دون ذلك اختارها من بين ٥٠٠٠٠٠ خمسمائة ألف حديث.

٤- سنن النسائي (٢١٥/٣٠٣هـ)، وهي في مرتبة سنن أبي داود وأقل السنن حديثا ضعيفا.

٥- سنن الترمذي (٢٠٩/٢٧٩هـ)، ويعتبر من أجمع كتب الحديث إذ شمل الصحيح والحسن والضعيف، كما ذكر المنكر وبين وجه إنكاره.

---

(٢١) المرجع السابق، ص١٣١.

٦- سنن ابن ماجة (٢٠٧ / ٢٧٣هـ) وقد ضمه العلماء إلى الكتب الستة لكثرة زياداته، واشتماله على أحاديث لم تخرج في الصحيحين والسنن.

وقد خدمت هذه الكتب بالشرح والتهذيب والاختصار والاستخراج عليها من قبل العلماء الذين جاءوا بعدهم. فعرفت في مجال رواية الحديث الجوامع، والمسانيد، والسنن، والمستدركات، والمستخرجات، والمعاجم، والفهارس... إلخ[٢٢].

وعرفت في مجال تحقيق الحديث علوم الجرح والتعديل، وعلم تاريخ الرواة، وعلم أصول الحديث، وعلم علل الحديث، وعلم أسباب ورود الحديث وعلم الناسخ والمنسوخ من الحديث.... إلخ، حتى لقد أثر عن علماء الحديث قولهم (إن علوم الحديث تشتمل على أنواع كثيرة تبلغ مائة، كل نوع منها علم مستقل، لو أنفق الطالب فيه عمره ما أدرك نهايته)[٢٣].

الموقف اليوم

نخلص مما سبق أن السنة باعتبارها المصدر الثاني للإسلام، قد لقيت عناية واهتماما كبيرا على مر الأجيال سواء من حيث الرواية أو من حيث الدراية. فقد ثبت لنا أن جانبا من الحديث قد دون في عهد الرسول ﷺ وبإذنه ثم دون أكثره في عهد الصحابة والتابعين. ثم تضافرت بعد ذلك جهود علماء المسلمين في خدمة الحديث رواية ودراية، حتى نشأت حول الحديث علوم كثيرة لم يحظ مثلها علم من العلوم.

إلا أن أكثر هذه المؤلفات والتي تعدو الآلاف قد جعلت مهمة الباحث اليوم جد عسيرة. ويزيد الأمر صعوبة أن من الأحاديث ما صحت متونه ولم تصح أسانيده، كما أن منها ما أشكلت متونه وإن سلم من الطعن روايته. كما أنه في مجالات المعاملات مازال يختلط الأمر بين ما قاله الرسول اجتهادا خاصا يحتمل الخطأ كالنهي عن تأبير النخل والفصل في الخصومات، وبين ما قاله رأيا وإرشادا على سبيل الندب لا للتشريع والوجوب كحديث (احفوا الشارب واعفوا اللحى) وبين ما قاله تشريعا ملزما.

وهو الكثير الغالب، وهل هو تشريع خاص مرهون بظروف معينة كحديث (من كان له أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه ولا يكريها)، أم هو تشريع عام يلتزم به جميع المسلمين في جميع العصور والأمكنة كحديث (من ترك ضياعا فإلي وعلي).

وإننا نجد في كتب الفقه في المذاهب المختلفة لاسيما كتب الحنفية فالمالكية فالشافعية مئات من المسائل المخالفة للأحاديث المتفق على صحتها مما ورد بصحيحي البخاري ومسلم ولا يعد أحد منهم مخالفا لأصول الدين[٢٤].

---

(٢٢) انظر تفصيل ذلك في كتاب الحديث النبوي (مصطلحه وكتبه) لفضيلة الشيخ محمد الصباغ، منشورات المكتب الإسلامي ببيروت، طبعة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م

(٢٣) انظر تدريب الراوي لجلال الدين عبدالرحمن ابي بكر السيوطي، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف، مكتبة القاهرة بمصر الطبعة الأولى سنة ١٣٧٩/١٩٥٩، ص١٤.

(٢٤) انظر فتاوى الشيخ رشيد رضا، تحقيق الدكتور/صلاح الدين المنجد، طبعة بيروت ١٣٩٠/١٩٧٠، صفحة ٢٠٧٢

إنه في مجال الوقوف على السنة، يشير جمهور العلماء بالاكتفاء بالصحيحين (صحيح البخارى وصحيح مسلم)، ولكن من المتفق عليه أن الصحيحين لا يحويان كل الأحاديث الصحيحة، فإن في دواوين السنة العديدة الكثير من الصحاح التي لم ترد بصحيح البخارى أو مسلم هذا إلى أنه من المعروف أن صحيحى البخارى ومسلم وإن كانا فيما أورداه هما أصح كتاب بعد كتاب الله، إلا أنهما ليسا معصومين هما ورواتهما من الخطأ ولقد انتقد بعض علماء الحديث كالدارقطني بعض أحاديث الصحيحين وجرحوا بعض رواتها، والأحاديث المنتقدة في البخارى نحو ١١٠ مائة وعشرة منها ما انفرد به ومنها ما أخرجه مسلم أيضا، وما انتقد من أفراد مسلم أكثر مما انتقد من أفراد البخارى[٢٥].

لقد وضع المستشرق فنسنك بالإنجليزية مؤلفه المشهور (مفتاح كنوز السنة)، ونقله إلى العربية الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقي، وذلك للكشف عن الأحاديث النبوية الشريفة المدونة في كتب أربعة عشر اماماً في السّنة وهم البخارى، ومسلم وأبوداود، والنسائي، والترمذي، وابن ماجة، ومالك، وأحمد بن حنبل، والدارمي، وزيد بن علي، وأبوداود الطيالسي، وابن سعد، وابن هشام، والواقدي. وقد كتب السيد رشيد رضا في مقدمة ترجمته (لو وجد بين يدى مثل هذا المفتاح لسائر كتب الحديث، لوفر عليّ أكثر من نصف عمرى الذى انفقته في المراجعة). كما أعقبه فريق من المستشرقين بوضع (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى)، جمعوا فيه كافة الأحاديث النبوية التي وردت بمختلف كتب السنة المعتمدة، ورتبوها حسب الحروف الأبجدية مما يسهل الرجوع إلى أى حديث بمصادره متى عرف أحد ألفاظه، وهو عمل جليل كان أجدى أن يقوم بمثله جماعة من العلماء المسلمين.

وأيا كان الأمر، فإن السلف أحسن الله إليهم، قد قاموا بخدمة السنة وتركوا لنا تراثا ضخما غزيرا يتمثل في ألوف المجلدات سواء في مجال الرواية أو مجال الدراية والمطلوب اليوم الاستفادة من هذا التراث بتيسيره لكل طالب.

المطلوب اليوم

وخلاصة القول: إننا نحتاج اليوم إلى صحيح جامع مانع، يجمع كافة الأحاديث الصحيحة.

كما نرجو في نفس الوقت أن تبوب كافة الأحاديث الصحيحة في تقسيمات علمية عصرية سواء بحسب الموضوعات أو بحسب الحروف الأبجدية، مع اقرانها بشروح مبسطة متفق عليها، وأخرى مفصلة تعرض مختلف الاجتهادات.

كذلك ثمة أمر جوهرى، لم يتم حتى الآن رغم أهميته القصوى، وهو أن ترقم الأحاديث النبوية بحيث يصير لكل منها رقم تعرف به شأن الآيات القرآنية، وذلك تسهيلا للاستفادة والرجوع إليها.

---

(٢٥) انظر فتاوى الشيخ محمد رشيد رضا، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد الطبعة الأولى ١٣٩٠/ ١٩٧٠، الناشر دار الكتاب الجديد بيروت، الجزء الثالث الفتوى رقم ٧٢٩ ص٢٠٢٨.

ومن المعلوم أن ما تقدم لا يتم إلا بعد الاتفاق على كافة الأحاديث الصحيحة سواء من حيث الرواية (السند) أو من حيث الدراية (المتن).

ولا شك أن هذا العمل الجوهرى الذى تطرحه بمختلف أبعاده وضروبه، لا يمكن أن يقوم به فرد، وإنما يوكل إلى لجنة تشكل من أئمة الحديث فى العالم الإسلامى توضع تحت تصرفها كافة الإمكانيات المادية والمعنوية، فهل من دولة إسلامية أو مركز بحوث إسلامى، أو رابطة أو هيئة إسلامية، تتولى هذا المشروع خدمة للمصدر الثانى بعد القرآن، وتيسيرا لنشره وحفظه، وتمكينا للعمل به.

مؤتمرات عالمية

وهذا الذى نعرض له من حيث الحاجة الملحة إلى موسوعة جديدة للسنة النبوية الشريفة تضم الأحاديث الصحيحة التى يمكن الاعتماد عليها والعمل بمقتضاها دون اختلاف أو تضارب أقوال، كان محل توصية أربعة مؤتمرات عالمية حديثة للسيرة والسنة النبوية. وأولها الذى عقد فى إسلام أباد بباكستان سنة ١٩٧٦ وثانيها فى استانبول بتركيا سنة ١٩٧٧ وثالثها فى الدوحة بقطر سنة ١٩٧٩ وآخرها فى القاهرة بمصر ممثلا فى المؤتمر العالمى الرابع للسيرة والسنة النبوية الذى انعقد فى أول نوفمبر سنة ١٩٨٥ فى رحاب الأزهر الشريف وتحت رعاية رئيس جمهورية مصر.

ولقد بدأت فكرة عقد المؤتمرات سالفة الذكر، عندما وجد علماء المسلمين أن الدعوة الإسلامية بصفة عامة والسنة النبوية بصفة خاصة تواجه الكثير من الأخطار، لا سيما من الطوائف الخارجة عن النهج الإسلامى مثل القاديانية والبهائية ومزاعم بعض المستشرقين ومن نحا نحوهم من افتراءات وأضاليل حول السيرة والسنة النبوية.

وقد كانت هذه المؤتمرات العالمية للسيرة والسنة النبوية، مبادرات مدروسة للرد على الأفكار الدخيلة التى تندس بالذات فى مراكز الأقليات الإسلامية بالعالم والبعيدة عن مراكز الدعوة الرئيسية كالأزهر بمصر ورابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة. كما كانت هذه المؤتمرات ردا على من كان يدعو إلى الاكتفاء بالقرآن، متناسيا أن السنة النبوية تشكل عمادا أساسيا للمسلمين فهى الشارحة للقرآن والقضايا التى طرحتها آياته وتشكل المصدر الثانى للتشريع الإسلامى بعد القرآن. كما كانت ردا على من كان يطعن فى الراوى الأول للحديث الصحابى أبوهريرة، توصلا إلى الطعن فى كتب السنة الصحيحة التى أخذت عنه.

وأيا كان الأمر، فقد انتهى المؤتمر العالمى للسيرة والسنة النبوية المنعقد بالقاهرة فى نوفمبر سنة ١٩٨٥، إلى ضرورة تشكيل فريق عمل من كبار المحدثين فى العالم الإسلامى تحت إشراف الأزهر الشريف، تكون مهمته إعداد موسوعة جديدة للحديث النبوى تضم الأحاديث الصحيحة التى يمكن أن يعتمد عليها، مع تبويبها وشرحها على الوجه الذى ييسر الاستفادة منها والعمل بموجبها.

خاتمة وتلخيص

إن القضية كما عانيتها كباحث فى الاقتصاد الإسلامى، ويعانيها كل باحث فى الجوانب الإسلامية الأخرى المتعددة تتلخص فيما يلى:

أولاً: أن صحيحي البخاري ومسلم وهما المرجعان الأساسيان للسنة النبوية ولا يحويان كافة الأحاديث الصحيحة بل لابد من الرجوع إلى مدونات السنة الأخرى من السنن والمسانيد، والمستدركات، والمستخرجات، والمعاجم.. إلخ.

ثانياً: إن السنة باعتبارها المصدر الثاني للإسلام، لقد لقيت عناية واهتماما كبيرا على مر الأجيال سواء من حيث الرواية «السند» أو من حيث الدراية «المتن»، حتى نشأت حول الحديث علوم كثيرة لم يحظ بمثلها علم من العلوم.

إلا أن كثرة هذه المؤلفات التي تعدو الآن الآلاف، قد جعلت مهمة الباحث الإسلامي المتخصص في غير مجال السنة، جد عسيرة. ويزيد الأمر صعوبة أن من الأحاديث ما صحت متونه ولم تصح أسانيده، كما أن منها ما أشكلت متونه وإن سلم من الطعن رواته.

ثالثاً: إننا لم نبذل جهدا كافيا في مجال تيسير الرجوع إلى كنوز السنة، وذلك بفهرستها وتبويبها في تقسيمات علمية عصرية سواء بحسب الموضوعات أو بحسب الحروف الأبجدية مع أقرانها بشروح مبسطة متفق عليها، وأخرى مفصلة تعرض مختلف الاجتهادات.

لقد وضع المستشرق فنسنك بالإنجليزية مؤلفه المشهور «مفتاح كنوز السنة»، ونقله إلى العربية الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقي وذلك للكشف عن الأحاديث النبوية الشريفة المدونة في كتب أربعة عشر إماما في السنة كما أعقبه فريق من المستشرقين بوضع (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي)، جمعوا فيه كافة الأحاديث النبوية التي وردت بمختلف كتب السنة المعتمدة، ورتبوها حسب الحروف الأبجدية مما يسهل الرجوع إلى أي حديث بمصادره متى عرف أحد ألفاظه.

رابعاً: إن ثمة أمرا جوهريا لم يتم حتى الآن رغم أهميته القصوى، وهو أن ترقم الأحاديث النبوية بحيث يصير لكل منها رقم تعرف به شأنها شأن الآيات القرآنية، وذلك تسهيلا للاستفادة والرجوع إليها بيسر.

ومن المعلوم أن مثل ذلك لا يتم إلا بعد الاتفاق على كافة الأحاديث الصحيحة سواء من حيث الرواية أو من حيث الدراية.

خامساً: إن إعداد مرجع جامع مانع للسنة النبوية على الوجه الذي أطرحه بمختلف أبعاده وضروبه لا يمكن أن يقوم به فرد، وإنما يوكل إلى لجنة تشكل من أئمة الحديث في العالم الإسلامي، توضع تحت تصرفها كافة الإمكانيات المادية والمعنوية.

حقا لقد خدمت السنة النبوية في مختلف العصور وبذل في سبيلها أجل وأضنى الجهود، ولكنها اليوم تحتاج إلى خدمة أخرى أجل، هي جماع ما سبق بذله من جهود، وهي في المحصلة اقتطاف ثمرة هذا التراث الخالد العظيم وتيسير الرجوع إليه للخاصة والعامة.

فهل من مجيب؟!

شهر الصيام في امستردام

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدي

الحمد لله على نعمة الإسلام وأكرم بها نعمة، الحمد لله على نعمة الإسلام وأكرم بها نعمة، الحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة.

أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله

عندما تطأ قدمك أوروبا وترى أهلها وشوارعها بعيون مسلم صادق لا تملك نفسك قلباً ولساناً من ترديد هذه الكلمات تتذوقها وتتلذذ بها حتى في ساعات الضعف البشرى وإحساسي بالتفوق الغربي والعجز والتخلف الشرقي كان قلبي يرددها وعقلي يستوعبها وأحس كأنها تحتويني ألوذ بها في غدوى ورواحي. كم كان البرد قارساً ومزعجاً لكني أعجب من حالي كيف أحتمله وأنا القادم من جنوب مصر بل كنت في بعض الأحيان أضيق بما أتدثر به من الملابس الثقيلة كيف؟

الحق أني كنت أغلي من هذا التناقض المزعج الذى يمزق عقلي وأحاول أن أجد له تفسيراً فلا أستطيع. تناقض هنا في هولندا وتناقض هناك في مصر أشاهد في أمستردام وألمس الصدق والأمانة والنظافة والنظام والهدوء نعم نعمة الهدوء، كأنهم يهمسون وهم يتحركون أو كأن أديبنا العملاق أبو العلاء المعرى كان يوجه كلامه إليهم حين أطلق بيته المشهور:

سر إن استطعت في الهواء رويداً

لا اختيالاً على رفات العباد

قالها أبو العلاء وسمعوها واستجابوا لها ولم نسمعها كأن في آذاننا وقرا! لم نعبأ

وأقول بحق إن هؤلاء الناس سمعوها ووعوها، لا أقول حفظوها أو نفذوها ولكني أقول كأنهم خلقوا لها.

كنا نقيم في منزل يقع في شارع السوق يسمونه سوق «١٦»، وحتى تتخيل المكان لن أصف لك وأطيل في الوصف باختصار شديد أقول كأنك في منطقة العتبة وأول شارع الموسكي قلت لرفيقي تخيل لو أننا كنا نقطن في ميدان العتبة هل يمكن أن يسمع أحدنا صاحبه ونحن نتحدث، وهل يمكن أن ننتقل إلى محل إقامتنا ليلا بعد نهاية النهار وانصراف الباعة دون أن نعثر في أكوام القمامة وهل من الممكن أن نتنفس دون أن نستنشق ما يزكم الأنوف...

السوق هنا يتم تركيبه في نهر الشارع تركيباً محكماً كل محل عبارة عن خيمة صممت بعناية.. وحتى تحفظ ما بداخلها مع الوضع في الاعتبار ظروف الطقس السيء وفي المساء في ساعة محددة تماما يتم رفع الخيام ويتم غسل الشارع بالمياه ويفتح لمرور السيارات في ساعة محددة كأنك على موعد لإقلاع طائرة أو تحرك قطار.

دون أن تقصد تتم المقارنة ولابد أن يرتفع ضغط دمك رغما عنك لمجرد أنك إنسان لك عقل مفكر وقلب يدق بل بمجرد أن تهبط من الطائرة وتدلف إلى المطار تدرك أنك إنسان لك قيمة لمجرد أنك إنسان، وأن كل شيء منضبط ونظيف، ولابد أن تسأل نفسك لماذا نحن متخلفون؟ ولماذا هم لا يسلمون؟.

وأبسط شيء للإجابة بل أصدق شيء في الإجابة أن هناك خللاً في الغرب والشرق، خلل في الغرب المتقدم ماديا الصادق في المعاملات التجارية الذي لم يفكر في الذي خلقه لأي شيء خلقه ولماذا خلقه؟

وخلل في الشرق المتخلف ماديا الكاذب المنافق في تعاملاته، الغربي رغم عقله وصدقه بعيد عن الإسلام يرفضه بل يعاديه ويحاربه والشرق مسلم رغم فشله، واستمرائه الفشل والنفاق والتخلف والخمول هذا

التناقض المزعج ذكرني على الفور مقالة العلاء بن الحضرمي مبعوث رسول الله ﷺ للمنذر بن ساوى أمير البحرين حيث قال رضي الله عنه كأنه اخترق ببصيرته حجب السنين والأعوام كأنه يخاطب الإنسان الغربي في صلفه وغروره وعمايته وضلاله قال:

يا منذر إنك عظيم العقل في الدنيا فلا تصغرن عن الآخرة.....» إلى أن يقول: «ولست بعديم عقل ولا رأى، فانظر هل ينبغي لمن لا يكذب في الدنيا ألا تصدقه ومن لا يخون ألا تأمنه ومن لا يخلف ألا تثق به هذا هو النبي الأمي الذي والله لا يستطيع ذو عقل أن يقول ليت ما أمر به ينهى عنه، أوليت ما نهى عنه يأمر به، أوليته زاد في عفوه أو نقص في عقابه إذ كان ذلك على أمنية أهل العقل وفكر أهل النظر.

تذكرت هذه المقولة الواعية المستنيرة وأنا أتجول في أمستردام وأدركت على الفور أننا نحن الكارثة التي حلت بالإسلام فليس للإسلام عيب إلا المسلمين، لم نقدم ديننا كما ينبغي له وكما يتناسب مع قيمه ومثله، قدمناه في أحسن حالاتنا كخطب وميكروفونات، ولم نقدمه كسلوك متميز وسيرة حسنة، وخلق كريم.

وفي كثير من الأحيان كان تقديمنا للإسلام يحمل صفة التشرذم التي يعاني منها المسلمون فقد مزقناه وجعلنا منه إسلاماً سعودياً وآخر مصرياً وآخر شيعياً وهكذا يتعدد دويلات المسلمين مزقنا عالميته وأفقدناه جلاله وشموله، إن الإسلام انتشر في آسيا وبلاد السند والهند عن طريق معاملات التجار الأمناء الصادقين، ولم تقم حرب، فالسلوك والقدوة هما الأساس ولم تقم حرب واحدة في إفريقيا السوداء التي انتشر فيها هيناً ليناً وادعاً عن طريق رجالات التصوف والتجار الصادقين أيضاً، بل إن أوروبا وأمريكا ينتشر فيها الإسلام رغم هزيمة المسلمين الحربية والصلف الغربي، فإن الطريق مفتوح أمام الإسلام ليروى الظمأ الروحي الذي يعاني منه المجتمع الغربي فإن الحياة المادية الخالية من كل قيمة والتي مزقت روابط الأسرة تدفع الناس دفعاً إلى أحضان الإسلام لولا حماقات البعض

وشطحاتهم من المسلمين وحقد الإعلام الغربي وعدائه لكن الإسلام بوحدانيته ومبادئه وتواصله قادم بإذن الله فلم تعد الكنائس تقدم للإنسان الغربي ما يروى ظمأه للدين ويشفي غلته للإيمان ويجب علينا أن نتعامل مع الغرب كأطباء نفسيين يتعاملون مع مرضى لابد من علاجهم مما شوه فطرتهم ومسخهم.

إن ما نراه في شوارع أمستردام يجعلك تسأل سؤالاً مباشراً ـ وأرجو أن يسمعه كل مدعى الحضارة ممن يمارس هذا العمل ويروج للإباحية متستراً أو معلناً بلا حياء أو خجل.

أسأل نفسك ما هو الفارق بين أن تشاهد مجموعة من الحيوانات الأليفة والظريفة ينزو بعضها على بعض في وداعة وانسجام وبين مجموعة من البشر في أى شارع من شوارع أوروبا يتهارشون جنسياً هذا التهارش المقيت ويسمونه حباً هل تجد فارقاً بين الجماعتين؟ كيف بالله؟ ألا توجد وسيلة للتعبير عن الحب غير هذا التهارش القبيح لماذا هم يمارسونه بلا غضاضة أو استهجان.

عجيب أمر هؤلاء الناس كيف هم على هذه الدرجة من الوعي والنظام والأمانة في تعاملاتهم المادية، والتخلف الرديء في الحياة الروحية، وهذا التناقض جعلهم يتناقضون مع أنفسهم في كثير من أحكامهم، والعجيب أن مجموعة القردة المقلدين لهم من بني جلدتنا يرددون معهم هذا التناقض، مثلاً يشنون حملة على زواج الصغيرات - ونحن لا نمانع - بشرط أن يكون الحكم متوازناً لكن العجب أن التليفزيون الهولندى فيما بلغني يوجه نداءاً وتحذيراً إلى أمهات القاصرات بأن يذكرن بناتهن بأخذ الواقي الذكرى معهن حتى لا تعود الإبنة حاملاً لن نكلمهم عن الحلال والحرام فإنه يزعجهم، لكن أسأل جمعيات الدفاع عن المرأة وحقوق الإنسان لماذا تهاجمون زواج القاصرات في البلاد الإسلامية وتجعلونه جريمة؟ ألأنه حلال مسلم؟ ولو أنه تم في الحرام لكان حضارياً مقبولاً ما هذا الخبل أليست الصبية قاصرة في الحالتين؟! إن هذا تشويه للفطرة الإنسانية واتباع للشهوات؛ بل وصل الأمر إلى حد إباحة الزواج مع اتحاد الجنس رجل برجل وأنثى بأنثى! إن هذا تدمير للخلقة السوية

وصدق رسول الله ﷺ حيث قال: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء»[٢].

أى كما تلد البهيمة بهيمة كاملة الأعضاء غير ناقصة، سليمة غير مشوهة ثم يحدث التشوه بفعل الإنسان، لقد عميت البصائر وطمست القلوب، لقد توهم الغرب أنه بهذا المنهج الإباحي وصل إلى غايته. لا، إن ما أسماه حرية وخيل إليه أنه سوف يهنأ بها طويلاً فهو مخدوع. الواقع أن النهاية قريبة وسوف ينهار من الداخل ما لم يتداركه العقلاء منهم وعلينا أن نبادر ونجاهد ونسعى حثيثاً فى عرض الإسلام عرضاً مناسباً للإسلام يخالف واقع المسلمين الآن لقد سيطرت الأنانية على الأفراد فى الغرب وحذف الإنسان الغربى من قاموسه كل غاية أخلاقية أو روحية من حياته وأصبح يستهزىء ويسخر بكل ما ليس ربحاً مادياً أو صفقات تجارية.

يوجد فى أمستردام أكثر من ستين مسجداً قام على إنشاءها وعمارتها جالية هولندية مغربية الأصل وجالية تركية والمساجد تذخر بالمصلين فى رمضان ويتردد فى جنباتها التهليل والتكبير وقراءة القرآن لكنهم جميعاً - أى المسلمين - عمروا هذه المساجد وملؤوها بتشرذمهم واختلافاتهم التافهة واختلافهم الردىء كأن كل منهم صنع له إسلاماً خاصاً، ولذلك قلت فاعليتهم واستعذبوا التشرذم والخلافات البيزنطية العقيمة تسمع أسئلة عقب الدروس تكاد تجزم بأنها لتزجية الفراغ وسوف نعود لهذا فى مقال آخر إن سمحت ظروف النشر.

وعلى المسلمين أن يتركوا هذا التشرذم والانغلاق الخائف المذعور، ويعلموا أنهم حملة رسالة، وأصحاب دين، وأنهم مطالبون بالعمل الجاد مسئولون عن البلاغ، والبلاغ هداية تنبع من سلوك وليست خطباً ولا عبارات محفوظة تزعجك أكثر مما تأخذ بيدك، وتنفرك أكثر مما تهديك وتبلبل أفكارك أكثر مما ترشدك.

---

(٢)البخاري ٢/١٢٥، أبو داود (٤٧١٤، ١٧٦٦)، مسند أحمد ٢/٢٣٣، ٢٧٥، ٢٨٢، ٣٩٣.

مثلاً قام خطيب في أحد المساجد على المنبر تخيل ما الذي يشغله وأراد أن يشرحه للناس هل هو الحل الإسلامي لمشكلات العالم العربي في نظره؟ أبداً؛ أو هو تناول مشكلة تخص بني جلدته من العرب والمسلمين؟ لا، لكن الخطيب أعلن فقال: إذا طلب الرجل زوجته فلابد أن تطيعه وله إرغامها إذا أبت بالإكراه! هل هذا كل ما يشغل بال الشيخ، وتصور أنه يهم جماعة المسلمين؟! إن الرجل بكل بساطة واستهتار حثا التراب على تراث الإسلام كله في العلاقة بين الرجل والمرأة بهذه الكلمة! ألم يجد ما يتحدث فيه عن وجوب الطاعة وأنها تبادلية في البيت للمرأة رأى وللرجل القرار؟ ألم يجد الشيخ في البيت إلا هذا الجانب القبيح يعالجه وبهذا الأسلوب الفج؟ إن هذا يهدم أكثر مما يبني. لقد عرف العلماء البلاغة بأنها مراعاة مقتضى الحال، فهل راعى الشيخ الحال ومقتضاه؟ وكيف تسربت هذه العقلية إلى أوروبا؟ بل كيف أنها لم تتأثر بما حولها ومن حولها إن كانت تريد أن تبلغ الدعوة غضة ندية.

ولا أجد ما أقوله لهذا الخطيب إلا أنني أستأذن رسول الله ﷺ وأستعير منه عبارته لما نزل قوله تعالى:

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾(٣).

فقد جاء أحدهم بخيط أبيض وآخر أسود واستمر يأكل ويشرب وهو ينظر إلى الخيطين علّه يستبين الأبيض من الأسود حتى أوشك النهار أن يبين وكادت الشمس أن تشرق فلما أخبر المصطفى ﷺ بهذا قال كلمة فيها من البلاغة والتعبير النقي الصادق الرحيم المعبر عن اعتساف صاحبنا للأدلة والقياس والفهم المستقيم قال ﷺ له «إنك لعريض القفا».

ظهر صاحبي تعلوه ابتسامة ماكرة فيها من العتاب والرجاء قائلاً: لم تحدثنا عن هولندا! قلت لماذا ترى النصف الفارغ من الكوب يا صاحبي، أليس فيما قلت حديثاً عن هولندا؟ وعلى أي حال لك هذا في اللقاء القادم إن شاء الله.

---

(٣) البقرة (١٨٧)

من المنافع الاقتصادية للحج والعمرة

للأستاذة الدكتورة / زينب صالح الأشوح

بعض الأقلام تنادى بتحجيم الأعداد فى الحج، وتشتد نبرة النداء ويعلو الصوت عندما تنادى بتحجيم العمرة ولاتعدم أن تقدم مزاعم يحسبها الغافل حججا قوية، وأهم هذه المزاعم أن حجم إنفاق المعتمرين يتجاوز المليارات، والاقتصاد المصرى الوطنى فى حاجة إلى هذه المبالغ.

ونحن نسلم بأن الاقتصاد الوطنى فى حاجة ماسة إلى ما هو أقل من هذا.

لكن من حقنا أن نسأل، هل نفقات العمرة هى الوجه الوحيد الذى يمثل الإسراف، أم أن هناك وجوها أخرى كثيرة تمثل سرفا وتبذيرا وإتلافا وتحتاج إلى ترشيد بصورة ماسة. نحن نعتقد أن المسألة خارجة عن التبريرات الاقتصادية، أو عن الدوافع الاقتصادية، إنما هو نوع من تحجيم المساحة الدينية حتى على المستوى الشخصى. وما المسألة الاقتصادية إلا وسيلة لتبرير النقاش وطرح الموضوع.

ومجلة الأزهر تقدم مقال الأستاذة الدكتورة زينب
الأشوح أستاذ الاقتصاد الإسلامى بجامعة
الأزهر يتسم بالرؤية الاقتصادية المستنيرة
لمن يريدون رأى أهل التخصص أو
أهل الذكر ماداموا لا يعلمون.

المجلة

يعتبر الحج إحدى المعجزات التى حظى بها أبو الأنبياء « إبراهيم » عليه السلام. فقد تمكن بأمر من الله وبفضله وبعونه من بناء الكعبة التى أصبحت تمثل بيت الله الحرام فى أرض البشر، كما مكنه الله ـ سبحانه ـ من دعوة جميع البشر لزيارة ذلك البيت المقدس وهو واقف فى مكان محدد بدون الحاجة للانتقال إلى كل فرد من البشر لتبليغهم تلك الدعوة لا على المستوى المكانى (حيث بلغ دعوته من نقطة مكانية محددة) ولا على المستوى الزمنى (حيث لم تتكرر تلك الدعوة للبشر عبر القرون المتتابعة من الزمان)، وذلك مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾(١).

أى ناد فى الناس داعياً لهم إلى الحج إلى البيت الذى أمرناك ببنائه. وقد ذكر أنه قال: يارب كيف أبلغ وصوتى لا ينفذهم؟ فقال: ناد وعلينا البلاغ. فقام من مقامه وقيل على الحجر وقيل على الصفا وقيل على أبى قبيس (جبل مكة) وقال: يا أيها الناس إنَّ ربكم قد اتخذ بيتاً فحجوه. فيقال إنَّ الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض وأسمع من فى الأرحام والأصلاب وأجاب كل شيء سمعه من حجر ومدر وشجر ومن كتب الله أنه يحج إلى يوم القيامة لبيك اللهم لبيك (تفسير ابن كثير).

ونتيجة لتلك الدعوة اللحظية فى المكان والزمان، أصبح كل المسلمين فى حنين دائم إلى رؤية الكعبة والطواف بها والإتيان إليها من سائر الجهات والأقطار، حتى إن كان ذلك بدون سابق رؤية أو تجربة

﴿ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾(٢).

وفى تفسير ابن كثير، قال الله سبحانه: « من الناس » ليختص به المسلمين فقط، فلو قال (أفئدة الناس) بدون « من » التبعيض لازدحم على البيت الحرام فارس والروم واليهود والنصارى وكل الناس.

ويلاحظ أن الحج الذى يعنى قصد البيت الحرام وزيارته عبادة قديمة ظهرت قبل ظهور الإسلام، إلا أنه بعد ظهور الرسالة الإسلامية المحمدية أصبح يأخذ وضعاً أكثر تحديداً فى نطاق المكلف بالقيام به وفى توضيح ما يجب أن يتم من شعائر لإتمامه. وأصبح الحج إلى بيت الله ممثلاً للركن الرابع لدعائم الإسلام الخمسة وذلك كما أوضح الحديث الشريف « بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان »(٣).

وعلى الرغم من ربط أداء فريضة الحج بالاستطاعة، إلا أنه لا يجوز إنكار تلك الفريضة أو الاستهانة بها أو بأدائها حال تحقق تلك الاستطاعة.

---

(١) الحج (٢٧).

(٢) إبراهيم (٣٧).

(٣) صحيح الجامع ٢٨٤٠.

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾[٤].

وتعتبر العمرة عبادة لصيقة بالحج وسُنّة لا يمكن إهمال أدائها لكل مسلم رشيد أثناء رحلة الحج أو في رحلة منفصلة عنه. فكل من الحج والعمرة يمثل دعوة من الله لزيارته ـ سبحانه ـ في بيته الحرام «الحجاج والعُمّار وفد الله، دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم»[٥]. ومما يدل على الأهمية البالغة للعمرة أنها يمكن أن تعدل (حجة) إذا ما تم تأديتها في وقت معين هو شهر رمضان وذلك كما أوضح الحديث الشريف «عمرة في رمضان تعدل حجة»[٦].

ويتضمن الحج والعمرة منفعة مزدوجة مؤكدة يتمثل أحد جانبيها في المنفعة الروحية ويتمثل الجانب الآخر في المنفعة المادية.

فيما يتعلق بالمنفعة الروحية لأداء الحج والعمرة والمداومة عليهما، توطيد الصلة بالله ـ عزّ وجل ـ والشعور بمزيد من الاقتراب النفسي من الخالق مع تدعيم الجانب التفاؤلي للإنسان من خلال الأدعية التي وعد الله سبحانه وتعالى أن تكون مستجابة في مكان الحج الطاهر «الحجاج والعمار وفد الله، دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم».

ومن الثمار الروحية العظيمة للحج والعمرة تكفير ذنوب من يقوم بتأديتهما «أديموا الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد»[٧] ويلاحظ أن الحديث الشريف هنا يتضمن منفعة اقتصادية أيضاً ستتم الإشارة إليها فيما بعد.

كما أن أداء الحج والعمرة والمداومة عليهما يمثلان وسيلة واقية من التخبط في بحور الشرور والغرق في بحور الآثام خاصة إذا ما امتدت بطوفانها إلى غالبية المجتمع وفي نفس الوقت فهما يعتبران علاجاً مقوياً لضعاف النفوس والإرادة أمام إغراءات الحياة ومساعداً لمن يداوم على إقامتهما على النجاح في مقاومة تلك الإغراءات الدنيوية والثبات بمزيد من القوة والجدية على الطريق المستقيم. وتتأكد تلك المعاني والمنافع من قول الرسول ﷺ: «الحج جهاد كل ضعيف»[٨]، وذلك قوله ـ ﷺ: «عبادة في الهرج والفتنة كهجرة إليّ»[٩]. فالمسلم الحريص على إرضاء ربه، يهرع إلى بيت الله من وقت لآخر لائذاً بذلك المكان المقدس الطاهر في محاولة لإعادة شحن (طاقته الروحية) وتقوية نفسه البشرية على اجتياز بحور المفاسد والفتن المحيطة بسلام.

والواقع أن الإنسان الطبيعي هو من يتمتع بتوازن في الجوانب الروحية والمادية المكونة له، بل إن تعاظم الجانب الروحي لديه يتيح له فرصة السمو إلى عالم المثاليات الذي يكسبه حب الله والناس أيضاً حيث إن الهدف الأساسي من خلق الإنسان هو أن يعبد الله:

---

(٤) آل عمران (٩٧).
(٥) صحيح الجامع (٣١٧٣).
(٦) صحيح الجامع (٩٧-٤).
(٧) صحيح الجامع (٢٥٣).
(٨) صحيح الجامع (٣١٧١).
(٩) صحيح الجامع (٣٩٧٤ ـ ١٤٧١).

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(١٠).

ومن ثم، يعتبر الحاج والمعتمر مستهلكاً رشيداً لأنه يوجه جزءاً من نفقاته للوفاء باحتياجاته الروحية -التي تمثل إحدى الحاجات الأساسية لبقائه الإيجابي الفعّال في الحياة - كما أنه ينجح في تعظيم المنفعة التي يحصل عليها من أدائه للحج وللعمرة برضوان ربه والفوز بالجنة الخالدة «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»(١١)، مع التخلص من كثير من الأمراض النفسية والاجتماعية وإعادة الشحن الروحي للبشرية، الذي يساعد أيضاً في التخلص من كثير من الأمراض البدنية أيضاً، والتي غالبا ما ترتبط بالأمراض النفسية. وكل هذا سيساعد على زيادة الإنتاجية والإنتاج لكل حاج ومعتمر مما سيعود على المجتمع ككل بزيادات تراكمية في الإنتاج والدخل لمجموع مواطني المجتمع من هؤلاء الحجاج والمعتمرين وكل من يرتبط اقتصاديا بهم حتى من غير الحجاج والمعتمرين.. كل هذا، بنفقات يسيرة نسبيا وأقل كثيراً مما يتم الحصول عليه من منافع تراكمية متعددة لأداء العبادة المذكورة. ومن هنا نجد أنفسنا متواجدين - تلقائياً - في ميدان المنافع الاقتصادية للحج والعمرة.

وتستقبلنا أول بشرى اقتصادية لكل فرد يحرص على أداء الحج والعمرة والمداومة عليهما وهي وعد - الله سبحانه وتعالى - له بتخليصه من مشكلة الفقر إذا كان يعاني منها حيث يؤكد على ذلك الحديث الشريف الذي سبقت الإشارة إليه وهو «أديموا الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد». ويمكن من ذلك الحديث أن نلتقط درساً آخر مستفاد يكمن بين المعاني والكلمات وهو أن الإنفاق على تلك الرحلات المقدسة لا يمكن أن تتسبب في نقصان ما يمتلك مؤديها من أموال كما هو الحال عند التصدق «ما نقصت صدقة من مال..»(١٢)، بل إن أداء تلك العبادات تعتبر في الواقع وسائل وأسباب لزيادة ما يمتلكه مؤدوها من أموال وغيرها طالما أن أداءها يكون لوجه الله وفي سبيل تدعيم الصلة به - سبحانه - وصدق الله العظيم في وعده الذي جاء بذلك المعنى حيث قال:

﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾(١٣).

ولأن مكة (البلد الحرام) لا توجد فيها زروع ولا أشجار مثمرة لطبيعة أرضها الجدباء، فقد جعل الله - سبحانه وتعالى - رحلات الحج والعمرة وسيلة لجلب الثمرات من كل بلدان العالم (الوافد منها الحجاج والمعتمرون)، وضمن الله - سبحانه وتعالى - استمرارية ذلك الخير على مكة بأن جعل أفئدة الناس من المسلمين تتعلق دائماً بالبيت الحرام ويتوق أصحابها لزيارته على الدوام:

---

(١٠) الذاريات (٥٦).

(١١) صحيح الجامع (٣١٧٠).

(١٢) صحيح الجامع (٥٨٠٩).

(١٣) البقرة (٢٦١).

﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾(١٤).

وبناء على ما تقدم، فإن رحلات الحج والعمرة تعم بفوائدها الأفراد القائمين بها، والبلد والوافدين إليها، كما أن هناك منافع اجتماعية تعود على مجتمعات الحجاج والمعتمرين أيضاً حيث تلك المجتمعات - كغيرها من دول العالم الأخرى - أصبحت تئن وتتوجع من الأمراض الاجتماعية والأخلاقية المتفاقمة التي تهدد أمن تلك المجتمعات واستقرارها الاقتصادى والسياسى والاجتماعى (مثل أمراض الإدمان وسرقة الأموال العامة والبلطجة والقتل اللامبرر حتى لأفراد الأسرة)، فإن الحج والعمرة يساعدان على القضاء على مثل تلك الأمراض التى قد يكون بعض الحجاج أو المعتمرين قد أصيب بها، وذلك يساعد ليس فقط على اتقاء شرورهم وتجنب أذيتهم لمجتمعاتهم، بل إنهم قد يصبحوا دعاة صالحين وفعالين للخير مما يمكن أن يساعد على هداية كثيرين آخرين فى مجتمعات هؤلاء الحجاج والمعتمرين.. فإن الخير ينتشر بين الناس من خلال النصح والإرشاد والرغبة فى الاقتداء والاستفادة من التجارب العلاجية الفعالة لبعض نظرائهم!.

كما أن تخلص حجاج ومعتمرى كل مجتمع (وفقاً لوعد الله - سبحانه - الذى أوضحناه فى الحديث الصحيح السابق الإشارة إليه)، يعنى زيادة دخولهم التى تمثل فى إجمالها - وبدورها - إضافة موجبة إلى الدخل القومى من ناحية، وتخفيفاً لبعض أعباء الدولة والتزاماتها تجاه الفقراء.

وما من شك فى أن تخفيف حدة الفقر والأمراض الاجتماعية سوف يساهم فى التخفيف من حدة الصراعات داخل المجتمع الواحد مما سيساعد - بدوره - على الإقبال على العمل التكسبى والنشاط المهنى المنتج بمزيد من الفعالية والجدية.. والانتعاش، مما ينعكس بدوره على تحسين جديد فى أحوال الأفراد ثم أحوال المجتمع وبالتالى يصبح المجتمع الذى كان أسيراً لحلقات الفقر المفرغة، فى وضع مضاد إيجابى ينقله إلى القدرة على السير فى حركة اقتصادية دائرية إيجابية.

وبتصويب نظرة اقتصادية أكثر تعمقاً لرحلات الحج والعمرة يمكن أن يتضح أن تلك الرحلات يمكن - إذا ما أحسن استغلالها - أن تصبح وسيلة للنهوض بالمجتمع الإسلامى ككل ونقله إلى مصاف الريادة الدولية والدخول بثقل تكتلى أكبر وأقوى فى سوق العالم التنافسية. ففى ظل العولمة والتكتلات الاقتصادية الكبرى والمنذرة بالتهام اقتصاديات الدول الضعيفة، ومع حدوث تلك الحروب البغيضة التى تستهدف المجتمع الإسلامى فى كل بقاع الأرض، تبرز أهمية رحلات الحج والعمرة كملتقى إسلامى ضخم بين المسلمين من جميع جنسيات العالم وبقاعها، حيث يعتبر كل وافد سفيراً لبلاده وممثلاً لها كما تضم

---

(١٤) إبراهيم [٣٧].

كل قافلة من الحجاج والمعتمرين جميع طوائف المجتمع العاملة وغير العاملة أيضا. ويمكن اعتبار ذلك التجمع الإسلامي العالمي الشامل الذي يحدث بصفة دورية - خاصة في فترة الحج - بمثابة تكتل اقتصادي إسلامي (غير منظم)، وبالتالي فإنه على علماء المسلمين الغيورين على هويتهم الدينية والراغبين في بقائهم على أرض التنافسية العالمية المادية التي تقوم على مبدأ البقاء للأقوى وللأكبر، عليهم أن يسخروا كل خبراتهم ومعارفهم في تحويل ذلك التكتل الإسلامي الاقتصادي غير المنظم إلى تكتل اقتصادي منظم يمكن من خلاله خلق نواة اقتصادية إسلامية قوية لتكون بمثابة أساس متين لتنظيم عدة تكتلات اقتصادية إسلامية فعالة بين الدول الإسلامية ويتم تصنيفها وفقاً لتناسق المستويات الاقتصادية والموارد المتاحة والمواقع الجغرافية.. إن ذلك إن تم بالفعل وفقاً لخطط وإجراءات مدروسة جيداً ومتفق عليها من الأطراف الوافد منها الحجاج والمعتمرون يمكن أن يساهم بحق ليس فقط في تحقيق الرواج الاقتصادي في المملكة العربية السعودية (كدولة مضيفة لرحلات الحج والعمرة)، ولكن أيضاً لبقية الدول الوافد منها قوافل الحج والعمرة. ولقد أشار القرآن الكريم إلى تلك المنافع الاقتصادية (الجماعية) ضمناً في بعض آياته حيث يقول الله تعالى:

﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾(١٥).

وهنا يشير تفسير ابن كثير إلى أن المنافع المذكورة تتضمن منافع الآخرة (تكفير الذنوب ودخول الجنة) ومنافع الدنيا (ما يحصل عليه الحجاج من منافع البدن والذبائح والتجارات).

وفي آيات أخرى يقول سبحانه:

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾(١٦).

لقد أجاز القرآن لكل زوار البيت الحرام الجمع بين تحصيل النفع الروحي والنفع الدنيوي. وبلغة عصر العولمة المعاصر، فإنه يمكن تدريب القادر والراغب من الحجاج والمعتمرين على المساهمة في التعاون الاقتصادي الإسلامي الدولي من خلال ذلك اللقاء الدوري العملاق وذلك من خلال عقد الاتفاقيات الاقتصادية وتدعيم وتحسين العلاقات السياسية والدبلوماسية بين الدول الإسلامية وتبادل العملات النقدية المحلية لكل دولة إسلامية من خلال تنشيط حركة تبادل السلع والخدمات المعروضة من كل دولة إسلامية.

(١٥) الحج (٢٨).

(١٦) الحج (٣٢، ٣٣).



من الذى يمكنه أن يمنع مثل هذا الرجل من الاستمتاع بأداء فريضة الحج والعمرة؟!

من خلال الوفود المرسلة من قبلها وذلك من خلال سوق تجارى منظم يتم إلحاقه والعمل به بعد الانتهاء من المراسم التعبدية للحج والعمرة وذلك قياساً على السعى الاقتصادى الذى دعا إليه الإسلام بعد صلاة الجمعة (التى تمثل - بدورها - إحدى صور التجمعات البشرية الإسلامية التعبدية بل والاقتصادية أيضاً ولكن على المستوى المحلى) وذلك كما قال سبحانه:

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾(١٧).

وبذلك يمكن للحج والعمرة المساهمة فى إنعاش سوق السلع والخدمات المعروضة من قبل العالم الإسلامى مع زيادة حركة العملات الإسلامية لبلدانه مما يساعد - بالتالى - على مداواة بعض العملات الإسلامية الهزيلة والتمهيد لخلق عملة إسلامية موحدة وقوية يمكنها الوقوف - بثبات - أمام العملات الشرسة المفترسة مثل الدولار الأمريكى المستخدم كأحد أدوات الهيمنة الرئيسية على العالم مما أدى إلى تفشى ظاهرة (الدولرة)، واليورو الأوروبى الذى يمثل صورة مشرقة لتعاون عدد كبير من دول لا ترتبط لغوياً ولا تتمتع بالروابط الأخوية والروحية لدول العالم الإسلامى، ولكنها بدافع المصلحة والسلوك الاقتصادى الرشيد العقلانى قامت بإنشاء تلك العملة، ونجحت فى التعامل الفعلى بها كوسيلة دفاعية ضد افتراس الدولار، وأيضاً كوسيلة إنمائية لقوتها (التكتلية) الاقتصادية والاجتماعية، وفرض هيمنتها - هى الأخرى - وهويتها الذاتية ككتلة متوحدة المصالح فى عالم التنافسية المفترس.

من كل ما سبق، تتأكد أهمية تنشيط رحلات الحج والعمرة والتوسع فيها باعتبارها وسيلة فعالة للتنمية البشرية، ولتوجيه مزيد من الاهتمام لاستثمار وتنمية الجوانب الاقتصادية الاستراتيجية لتلك الرحلات والتى قد تكمن فيها إحدى وسائل إنقاذ العالم الإسلامى من الفكاك المختلفة - كل هذا، مع مزيد من التخطيط والتنظيم والترشيد العلمى المدروس بدقة والمتناسق بين الدول الإسلامية محل الاهتمام والاعتبار.

---

(١٧) الجمعة (١٠).



نظم الشاعر هذه القصيدة عند أدائه فريضة الحج سنة ١٩٦٨.

للأستاذ/ محمود غنيم

باب النبي وبابه لا يقفل ** إن النبي مدى الزمان مبجّل
المؤمنون بكل أرض إخوةٌ ** وبنصرهم نطقَ الكتابُ المنزلُ
إن كان حاضرُهم تجهَّم حقبةً ** فلهم بفضل الوحدة المستقبَل(1)
سيعود آخرُنا بفضل وقوفنا ** صفًا، كما سار الرعيلُ الأوّل
ويقينُنا في الله خيرُ عتادنا ** وعليه في قهر العدا نتوكّل
وسلاحُنا الماضي وسيلةُ نصرنا ** لسْنا بغير سلاحنا نتوسّلُ
لاتبْسطوا للغرْب، يا قومي، يدًا ** للغرْب طرف في السياسة أحْوَل(2)

---

(1) تجهم: عبس وكشر.

(2) طرف أحول: يكنى به عن النظر غير المستقيم لخداع الشعوب.

إنا لنَشْــــهَــــدُ أهلَ بدرٍ أننا ** في النصـــر أو نيلِ الشـــهــادةِ نأمُلُ

ويقــولُ قــائلُنا لدى اســتشــهــاده : ** يا ليـــتنـي في كلِّ يومٍ أُقـــتَـلُ !

جَــسَــدُ الشــهــيــد إلى جــوارِ الله في ** عَــدْنٍ ، على أيدي الملائك يُحـــمَـلُ

رجلُ العـــروبة من قـــديمٍ في الوغى ** أســـدٌ ، وأنثـــاها لَبـــاةٌ مُــشْـــبِلُ[3]

أســـلافُنا في كل مَلحـــمـــةٍ لهم ** تاريخُ مـــجـــدٍ بالدمـــاءِ مُـــسَجَّلُ

لسْنا بأمـــجـــاد الأوائلِ نكتـــفي ** لكنْ كـــمـــا فـــعل الأوائلُ نفـــعلُ[4]

عن ثالثِ الحـــرمين ندفعُ غُـــصَّـــةً ** دخلتـــهُ كـــالمكروب إذْ يتـــسلَّلُ

وعـــروقُنا تغلي بهنّ دمـــاؤنا ** فكـــأنما في كـــل عـــرقٍ مـــرجَلُ

هُمْ أشـعلوا في المسـجـد الأقصى اللَّظى ** فلْيـــحْـــتـــرقْ بشُـــواظِهـــا مَنْ أشعلوا

شـعبٌ تحامـتْـهُ الشـعـوبُ ، يكاد إنْ ** حـــملتْـــه أرضٌ تحـــتَـــهُ تتـــزلزلُ

مُـــتَـــفَـــوِّقٌ في الخزيات ، مـــعـــوِّقٌ ** رَكْبَ الحـــضـــارة ، للفـــســـاد مُـــمَثِّلُ

خَـــضَـــعَتْ لَهُ مـــالُ العـــالمين بكلِّ مـــا ** يَنْدى الجـــبـــينُ ، كـــأنما هو منهلُ

سلْ أرضَ يثْـــربَ عن يهــودِ قـــريظةٍ ** وبني النضـــيـــر ، يُجِبْكَ كـــيف استُؤصلوا

عـــرفَ اليـــهـــودُ مـــحـــمـــدًا ، فـــأبادهم ** مـــاضٍ لو بمحـــمـــدٍ نتـــمـــثَّلُ ؟

ولســـوف نُسْـــألُ عن تراثِ مُـــحـــمـــدٍ ** مـــاذا يكون جـــوابُنا إذْ نُســـألُ ؟

---

(٣) اللباة: لغة في اللبوة بسكون الباء، وبفتح اللام وكسرها، وقد تهمز، وتضم الباء أيضاً، وفيها اللبة واللب: الأسدة

(٤) تأثر غنيم في هذا البيت بقول أحد القدماء:

لسنا وإن أحسابنا كرمت ** يوماً على الأحساب نتكلُ

نبني كما كانت أوائلنا ** تبني، ونفعل مثلما فعلوا

يامنْ ببيت الله طافوا سبعةً ** وتنسّكوا فيه، وفيه تبتّلوا
أعلمتموا - وقد استُبيحت أرضكم- ** أن الجهادَ من التهجّد أفضل؟
قولوا لقومي: إنّ ذؤبان الفلا ** عبثت بهم فعلامَ قومي عجّلوا؟
اليوم قد دخل العدوُّ بلادنا ** وغداً علينا في المخادع يدخل
إني لأطلقها بمكة صرخةً ** مشبوبةً، في المشرقين تُجلجلُ
حملُ السلاح اليوم صار فريضةً ** والزحفُ للدين الحنيفِ مُكمِّل
من راح يبذُلُ نفسَه أو ماله ** فلدينه ولعرضه ما يبذُل
لاكان منا مَن على أوطانه ** بأعزِّ ما ملكتْ يداه يبخل
لا كان منا مُحْرِمٌ لا يرتدي ** بملابس الميدان إذ يتحلّل
لا كان منا مَنْ بأمٍّ أو أب ** أو طفلةٍ في مهدها يتعلّل
لاكان من أبناء يعرُب من بنى ** ويقول إني عاجزٌ أو أعزل
مَنْ لايغيرُ بمدفع، وذخيرةٍ ** تكفيه فأسٌ إذ يغير ومِعْول
لايعرف العربيُّ معنى اليأس في ** خطب ولا هو في الشدائد يُعول
إن كان يَحْمُلُ في الحروب صمودُه ** فصموده بعد الهزيمة أجمل
إن مرَّ بالعربيِّ يوم عابسٌ ** فأمامه: يومٌ، أغرُّ، محجّل

●●●

مواقف إسلامية

غزوة بني المصطلق.. وتربية الأمة بالأحداث

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

بعد غزوة الأحزاب.. ظهرت قوة المسلمين بهذه الانتصارات المتعاقبة.. على قريش.. ثم على التحالف الباغي بينها وبين القبائل.. إلى جانب ما كان من إجلاء يهود بني النضير.

وتأكد لأعداء الإسلام أن السيف لن يحسم المعركة مع المسلمين. فغيروا خطتهم ولجأوا إلى الحرب النفسية سبيلا إلى النيل من الإسلام والمسلمين. وذلك:

أ- بالتفرقة العنصرية، وإثارة النعرة القبلية.

ب- الإساءة إلى مقام الرسول ﷺ.

جـ- زعزعة الأسرة المسلمة التي هي ركيزة القوة.

وكانت غزوة بني المصطلق مسرحا لهذه الحرب النفسية الماكرة.

نظرة عامة على الغزوة

لم تكن غزوة بني المصطلق ساحة المواجهة كغيرها من الغزوات السابقة. ولكنها كانت معركة من لون آخر.. كشفت للمسلمين أسلحة أخرى في حوزة أعدائهم لا تقل خطرا عن السلاح الأبيض إن لم تكن أشد منه خطرا.

إثارة العصبية القبلية

بعد هزيمة بني المصطلق.. حدث أن أجيرا لعمر بن الخطاب من بني غفار اقتتل مع حليف للخزرج من جهينة. فصرخ الجهني:

يا معشر الأنصار. وصرخ الأجير يا معشر المهاجرين. وبدأت المؤامرة عندما غضب عبدالله بن أبي بن سلول فقال: أو قد فعلوها؟ قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا. والله ليس الأمر إلا كما قيل «سمّن كلبك يأكلك». أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل.

ثم أقبل على من حضره من قومه فقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم: أحللتموهم بلادكم. وقاسمتموهم أموالكم. أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم»[1].

وهكذا تحرك الحقد القديم في قلب ابن سلول.. وبلغ به الغرور حد الاستعلاء على المؤمنين.. بل على شخص الرسول ﷺ. ثم بلغ به الحسد أن أشار على قومه بقطع المعونة الاقتصادية عن المسلمين وفرض العزلة عليهم حتى ينفضوا.. محركا بذلك كله حمية الجاهلية في صدور أتباعه.

موقف الرسول ﷺ

أثرت كلمة ابن سلول في القوم الذين أسرعوا بسيوفهم. وكادوا يقتتلون.. وكل فريق يدعو بدعوى الجاهلية. وأسرع ﷺ فصاح في الناس: «دعوا هذه الكلمة.. إنها منتنة»[2].

واستجاب الناس لرسول الله ﷺ.. لكن تمادى ابن سلول أثار حفيظة المسلمين وعلى رأسهم عمر -رضي الله عنه- والذي اقترح عليه ﷺ أن يقتله جزاء مقالته الآنفة وقال:

«يا رسول الله مُر عباد بن بشر فليقتله وليأتك برأسه».

فرد عليه ﷺ قائلا:

«لا.. فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتلُ أصحابه.. ولكن أذن بالرحيل».

معنى الإذن بالرحيل

مشى الرسول بالناس يومهم ذلك. حتى أمسى. وليلتهم حتى أصبح. وصدر يومهم ذلك. حتى آذتهم الشمس.. ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياما.

لقد كانت الشقة بعيدة.. ووقدة الحر تلسع الوجوه.. ومن ثم فلم يكن هو الوقت المعتاد للسفر.

لكنه ﷺ أراد إسكاتهم عن الخوض فيما لا يفيد.. فرارا بهم من كيد الشيطان.

وكانت لفتة تربوية نبوية شغل بها النفوس عما يفيد.. ليصرفها عما لا يفيد.. لأن النفس لا بد مشغولة بأمر ما.. فإذا لم نشغلها بالحق شغلت بالباطل. وذلك قوله تعالى:

﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ﴾[3].

وما أكثر ما نرى اليوم في صفوف شبابنا.. وكيف ساعدهم الفراغ والزهد في العمل على القيل والقال.. ولو شغلناهم.. لكفيناهم.

الآيات تحسم القضية

ونزل قوله تعالى:

---

(١) راجع السيرة النبوية للندوي ٢٠٢ وما بعدها.

(٢) يونس (٣٢).

(٢) رواه البخاري.

﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١)
اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ (٢) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ
فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٣) ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ
وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ
صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٤)
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ
وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ (٥) سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ
أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ
اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٦) هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ
لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ
خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ
(٧) يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ
مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ
الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٤).

عندما نحقق باللين ما لا نحقق بالشدة

آتت الحكمة النبوية أكلها، حين تكفل عبدالله بن عبدالله بن سلول -وكان مسلما- بعقاب والده المنافق، كان عبدالله هذا من خيرة صحابة رسول الله فلما سمع بما حدث من أبيه تبرأ منه. ثم وقف له على باب المدينة. واستل سيفه. فلما جاء أبوه قال له: والله لا تجوز من هنا حتى يأذن لك رسول الله ﷺ. فإنه العزيز وأنت الذليل. فلما جاء النبي ﷺ. أذن له فخلى سبيله. وكان ابنه قد قال: يا رسول الله: إن أردت قتله فمرني بذلك فأنا والله أحمل إليك رأسه»(٥).

وفي تعليل ذلك يقول الابن:

«والله ما علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني. وإني أخشى أن تأمر غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل أبي يمشي في الناس فأقتله. فأقتل رجلا مؤمنا بكافر فأدخل النار».

فقال ﷺ: «دعه. فلعمري لنحسان صحبته ما دام بين أظهرنا».

ونلمح عاطفة البنوة التي لا تتنكر بحال إلى من كان سببا في وجودها.. وهو الأب.. ولا تقطع الصلة نهائيا.

فعلى رغم أن عبدالله الابن يحتفظ بولائه لدينه الذي رجح على أبيه.. إلا أن وشيجة القربى مازالت تعمل في قلبه.. وها هو ذا يخشى إذا قُتل أبوه بيد غيره أن تدفعه تلك الصلة إلى العدوان.. ثم الكفران.. وإذا قرر الإسلام أن يكون ولاية المسلم لدينه أولا.. فإنه يحتفظ للوالدين بحقهما في البر الذي يبقى موصولا.. وإن بقيا على الكفر.

من ناحية أخرى فقد كان موقف الابن أقوى رد على والد أراد أن يقطع اليد التي امتدت إليه بالإحسان.. ولا يهز الشجرة إلا فرع منها. وهكذا تفعل الحكمة الهادية ما لا تفعله الجيوش الجرارة.

وقد ظهر ذلك فيما روى أن النبي ﷺ قال لعمر ابن الخطاب -رضي الله عنه- بعد أن انكسرت شوكة ابن سلول وضاعت هيبته بين قومه:

«كيف ترى الآن يا عمر؟ أما والله لو قتلته يوم قلت لي اقتله لأرعدت له آنف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته».

---

(٤) المنافقون ١ : ٨.

(٥) صحيح البخاري وابن هشام.

فقال عمر: قد والله علمت لأمر رسول الله أعظم بركة من أمري»[٦].

تأملات في الآيات الكريمة

تركز الآيات الكريمة على كشف خبيئة الطابور الخامس من المنافقين الذين يظهرون خلاف ما يبطنون.. تحذيرا للمسلمين من مكرهم وردعا لهم عن الوقوع في حبالهم.

إنهم يضمرون كفرا اختلط بدمائهم فطبعوا عليه.. فلا رجاء فيهم.. وظلمة القلب بهذا اللون الموغل في النكران حائل بين العقل وبين الفهم والاستنباط.

ومن ثم فقد احتاطوا لأنفسهم حتى لا ينكشفوا، فاتخذوا من الأيمان المؤكدة.. ومن حسن المظهر.. ومعسول الكلام ستارا يحميهم من افتضاح أمرهم.

ومفروض على أمة الإسلام ألا تنخدع بالأيمان ولا بحسن الشارة الخادعة.. فإن الأمر على ما يقول سبحانه:

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ﴾[٧].

سر التشبيه بالخشب المسندة

يتساءل الرازي قائلاً: «لم شبههم بالخشب المسندة لا بغيرها من الأشياء المنتفع بها»؟

ثم أجاب بقوله: لاشتمال هذا التشبيه على فوائد كثيرة لا توجد في الغير:

الأولى: قال في الكشاف: شبهوا في استنادهم وما هم إلا أجرام خالية عن الإيمان والخير بالخشب المسندة إلى الحائط لأن الخشب إذا انتفع بها كان في سقف أو جدار أو غيرهما من مظان الانتفاع.

وما دام متروكا فارغا غير منتفع به أسند إلى الحائط.. فشبهوا به في عدم الانتفاع.

الثانية: الخشب المسندة كانت في الأصل غصنا طريا يصلح لأن يكون من الأشياء المنتفع بها.. ثم تصير غليظة يابسة.. والكافر المنافق كذلك: كان في الأصل صالحا لكذا وكذا.. ثم يخرج عن تلك الصلاحية.

الثالثة: الكفرة من جنس الإنس حطب.. كما قال تعالى:

﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾[٨].

والخشب المسندة حطب أيضا.

الرابعة: أن الخشب المسندة إلى الحائط أحد طرفيها إلى جهة والآخر إلى جهة أخرى.. والمنافقون كذلك.. لأن المنافق أحد طرفيه وهو الباطن إلى جهة أهل الكفر.. والطرف الآخر وهو الظاهر إلى جهة أهل الإسلام.

إذن فلا قيمة لهؤلاء المنافقين.. فلا يغرنك قولهم.. واعلم -والأمة معك- أن هذه الأجسام التي تزحم الأفق لو وضعت على محك الاختبار في ساحة المعركة فهم الجبناء الفارون عند كل صيحة.. ولو لم تكن الصيحة عليهم.

وهم بهذه المواصفات لا يصلحون لعمل.. فلا أمل في أن يكونوا معك.. فمحاولة الاستغفار لهم غير مجدية، مهما استغفرت لهم حرصا منك على هدايتهم.

---

(٦) راجع كتب السيرة (٧) المنافقون (٤) (٨) الجن (١٥)

شـــهادة الواقـــع

والواقع شاهد بهذه الحقيقة مؤكد لها؛ فهم الذين اقترحوا قطع المعونة الاقتصادية عنكم حتى تجوعوا.. وهم الذين تبجحوا فى شخص رئيسهم ابن سلول الذى زعم أنه الأعز وحده.. مع أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

وهكذا ربى الله -تعالى- أمته بالأحداث الحية المباشرة.. ثم يلقنهم دروسا عن أثر الحكمة والسماحة فى صنع المواقف العظيمة.

هذه الحكمة التى تجلت فى موقف الابن من أبيه.. الذى تطوع بقتله فى بيئة كانت العلاقة الأسرية فيها قوية راسخة.. ولكن الإيمان.. جعل البنوة للإيمان.. لا للسيف.

خاتمة

يقول صاحب الظلال:

«ونتنظر مرة إلى الأحداث. ومرة إلى الرجال. ومرة إلى النص القرآنى، فتجد مع السيرة، ومع المنهج التربوى الإلهى، ومع قدر الله العجيب فى تصريف الأمور:

فهذا هو الصف المسلم يندس فيه المنافقون.. ويعيشون فيه -فى حياة الرسول ﷺ- قرابة عشر سنوات.

والرسول ﷺ لا يخرجهم من الصف. ولا يعرفهم الله له بأسمائهم وأعيانهم إلا قبيل وفاته.

وإن كان يعرفهم فى لحن القول. بالالتواء والمداورة. ويعرفهم بسيماهم وما يبدوا فيها من آثار الانفعالات والانطباعات.

ذلك كى لا يكل الله -تعالى- قلوب الناس إلى الناس فالقلوب له وحده. وهو الذى يعلم ما فيها ويحاسب عليه.

فأما الناس فلهم ظاهر الأمر، كى لا يأخذوا الناس بالظنة. وكى لا يقضوا فى أمورهم بالفراسة، وحتى حينما عرف الله نبيه ﷺ بالنفر الذين ظلوا على نفاقهم إلى أواخر حياته، فإنه لم يطردهم من الجماعة، وهم يظهرون الإسلام ويؤدون فرائضه.

إنما عرفهم وعرف بهم واحدا فقط من رجاله هو حذيفة بن اليمان -رضى الله عنه- ولم يشع ذلك بين المسلمين.

حتى إن عمر -رضى الله عنه- كان يأتى حذيفة ليطمئن منه على نفسه أن الرسول ﷺ لم يسمه له من المنافقين؟!!

وكان حذيفة يقول له:

يا عمر: لست منهم. ولا يزيد!!

وكان رسول الله ﷺ قد أمر ألا يصلى على أحد منهم مات بدا. فكان أصحابه يعرفون عندما يرون الرسول لا يصلى على ميت. فلما قبض ﷺ كان حذيفة لا يصلى على من عرف أنه منهم.

وكان عمر لا ينهض للصلاة على ميت حتى ينظر. فإن رأى حذيفة هناك علم أنه ليس من المجموعة. وإلا لم يصل هو الآخر ولم يقل شيئا.

وهكذا كانت تجرى الأحداث -كما يرسمها القدر- لحكمتها ولغايتها. للتربية والعبرة وبناء الأخلاق والنظم والآداب»[٩].

---

(٩) الظلال: سورة المنافقون.

واجب أمتنا في المرحلة الراهنة

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

فى هذا المنعطف الخطير الذى تمر به أمتنا، لا يوجد إنسان على ظهر الأرض إلا ويدين هذا العدوان الوحشى على الشعب الفلسطينى.

وقد أدنت هذا العدوان ودعونا الأمة الإسلامية والعربية والعالم المعاصر بأسره وسائر المنظمات العالمية لردع العدوان الإسرائيلى ودحره، ووقوف الجميع على قلب رجل واحد لمواجهة هذا الظلم والطغيان.

وفى إحدى لقاءاتى فى خطبة الجمعة بالأزهر وضحت الرأى الشرعى فى الأحداث المأساوية التى تمر بها الأرض المحتلة وأن واجب الأمة أن تنهض لردع الظالم ودحره.

وأن الله -تعالى- ينصر الفئة المؤمنة وإن قل عددها وعدتها، فعلينا أن نوثق صلتنا بالله تعالى، ودعوت المجتمع الدولى والمنظمات العالمية وسائر الدول والشعوب للوقوف بجانب الحق، وعندئذ تنادت بعض أصوات تريد الحرب والجهاد.. وتمت خطبة الجمعة وصلاة الجمعة بحمد الله -تعالى- ولكن للأسف الشديد طالعتنا بعض الصحف المعروفة بالإثارة وبعض القنوات الفضائية لتدعى ما ليس صحيحاً، وتصوغ كلاماً كله من صناعة أصحابه ولم يحدث ولا أساس له من الصحة شكلا وموضوعاً.

وكان الواجب على الجميع فى مواجهة الفتن التى تموج بها الساحة من جراء التكتل الصهيونى أن يواجه هذا بوحدة فى الصف واجتماع لكلمة الأمة، وألا ينبرى بعض الناس للافتراء على غيرهم، وبدل أن يصوبوا سهام الافتراء إلى العلماء ودعاة الوحدة والجهاد، يصوبونه إلى العدو الصهيونى إلى أعداء الأمة لكن للأسف فى أيام المحن تظهر معادن الرجال المخلصين، وتظهر أيضاً ضحالة البلهاء والسفهاء ممن يريدون تفريق الأمة وزعزعة الاستقرار.

فحسبنا الله ونعم الوكيل، والله يحكم بعدله بين الجميع فيما قالوه.. لقد قلت قديماً على لسان المسجد الأقصى:

فلا تطلبوا باللين حقاً مضيعاً ... فليس بغير النصر ترعى كراماتى

فيا أمتى إن لم تذودوا وتدفعوا ... فلا كنتمو أهلاً لتلك الرسالات

وإنى أقرر اليوم أن رب العزة -سبحانه وتعالى- وضح لنا حقيقة لا مرية فيها وهى أننا لا نخشى من أعدائنا مهما كان عددهم ومهما كانت عدتهم ومهما كان سبقهم التكنولوجى والعسكرى، فإنهم لا يعجزون الله القادر على كل شيء قال الله -تعالى-:

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾(١)

أى أنهم مهما سبقوا فى التقدم العلمى والتحدى الحضارى، فإنهم لن يعجزوا الله القادر المدبّر وعلينا حين نُقوِّى معنوياتنا بهذه البشرى القرآنية أن نعلم بأنّ الله -تعالى- أمرنا بعدها مباشرة أن نُعدّ العدة لمواجهة أعدائنا حيث قال سبحانه:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾(٢).

وقد وضح الله -تعالى- لنا قانون النصر الذى لا يتخلّف وهو أن ننصر دين الله وتعاليم الإسلام فينصرنا الله سبحانه حيث قال جل شأنه:

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ﴾(٣) وقال سبحانه:

﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾(٤).

وقد ضرب لنا القرآن الكريم أمثلة رائعة للمؤمنين الذين نصرهم الله فى غزوة بدر وكان عدد المسلمين أقل من الكافرين، وبين أن الكثرة لا تغنى عن الإيمان وتوثيق الصلة بالله -تعالى-.

فالتمسك بقانون النصر الإلهى، بنصر دين الله -تعالى- يثمر النصر على العدو فى المعركة المصيرية.

وقد وضح الله -تعالى- موقف رسول الله ﷺ والمؤمنين عندما همّ المشركون بإطلاق الشائعات فى صفوفهم لتضعفهم ،لقد كان موقف الرسول ﷺ والمؤمنين أنهم واجهوا الشائعات المثبّطة والمغرضة بإيمان لا يتزعزع بالله -سبحانه وتعالى- فحين سمعوا أنهم جمّعوا جموعهم قالوا من قلوبهم: حسبنا الله ونعم الوكيل، فكانت النتيجة ما أخبر الله -تعالى- عنه فى قوله سبحانه:

﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾(٥).

إنه لا يصح لإنسان يؤمن بالله، أو يدرك ما تمر به الأمة من محن أن يترك ميدان الجهاد والجد إلى العبث والكيد للناس والافتراء عليهم خاصة علماء الإسلام والدعاة.

إننا فى مرحلة نحتاج فيها إلى وحدة الصف لا إلى التفرقة، فكلنا نواجه عدواً واحداً فهل يليق بنا أن نتفرق، وأن نعادى بعضنا حتى مع

---

(١) الأنفال (٥٩).

(٢) الأنفال (٦٠).

(٣) الحج (٤٠).

(٤) محمد (٧).

(٥) آل عمران (١٧٣ - ١٧٤).

ما قد يدفع البعض من أهواء معينة أو انتماءات خاصة لفكر خاص ما كان يليق بمن عنده بقية من دين أو ضمير أن ينال من مسلم فضلاً عن عالم أو داعية، ثم لمصلحة مَنْ هذا التهريج والافتراء؟!

أليس لمصلحة العدو؟ أليس هذا هو التنازع وأسلوب الإثارة والتشكيك الذي يضعف كيان الأمة والذي حذّر الله -تعالى- منه في قوله سبحانه:

﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾(٦).

إننا نربأ بأصحاب الأقلام الشريفة والقنوات الجادة أن ينحرفوا إلى هذا المنزلق الذي انحرف فيه الذين افتروا الأكاذيب وندعو الجميع إلى وحدة الصف وجمع الكلمة والتعاون أمام العدو الذي جمع أعداده، وعتاده، ولم يتفرق كما تفرق دعاة الخلاف والفرقة والذين لا همّ لهم إلا النّيل من الغير والافتراءات الضالة.

فبدل هذا الافتراء على الدعاة وعلماء الإسلام، كان عليكم أن تجاهدوا الأعداء بأقلامكم وأنفسكم، فقفوا مع الحق، وواجهوا الباطل بدل أن تصنعوا الأباطيل لتهيلوها على دعاة الأمة.

إنني أدعو كل قادر على الجهاد بالنفس أو المال أو اللسان أن يتقدم كما قال رسول الله ﷺ: «جاهدوا المشركين بأنفسكم وأموالكم وألسنتكم»(٧).

إن الذين يفترون الكذب، ويشيعون علينا قالة السوء ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

تركوا قضية القدس وفلسطين، وتركوا قضايا الأقليات، وتركوا مشكلات بلادهم التي لا أول لها ولا آخر وركزوا على ما تبثه قنواتهم من إفك وافتراء وفسوق وعصيان، وعلى ما تكتبه أقلام خبيثة من كذب وزور، ففي إحدى البلاد العربية طالعتنا إحدى القنوات وإحدى الصحف بعدوان على أحد علماء الأزهر الشريف مُدَّعين زُوراً وبهتاناً أكاذيب وافتراءات لم يحدث شيء منها، ولكن حقدهم على مصر وعلى الأزهر وعلى شوامخ العلماء هو الدافع لهم على افتراءاتهم وأباطيلهم.. سبحانك هذا بهتان عظيم!! ونحن إذ ندين العدوان الوحشي على الأرض المحتلة، ندين أولئك العدوانيين الذين يمارسون أسوأ صور الإرهاب الفكري وينطلقون إلى الساحة الإعلامية وقد عبّاهم الحقد وملأ صدورهم، إنهم يريدون إشعال الفتن، وزعزعة الاستقرار، والتشكيك في القيم والرموز ،إنهم عملاء التيارات المشبوهة التي لا همّ لها إلا زعزعة الاستقرار، والتشكيك ومحاولة اقتناص الفرص ليظهروا على الساحة الإعلامية بأية صورة من الصور وبأي شكل من الأشكال.

ونحن نحذّر أمتنا وشباب أمتنا من هؤلاء العابثين والضالين المضلين والذين وظّفوا حرية

(٦) الأنفال (٤٦).

(٧) أحمد ٣/١٢٤، ٢٥١.

الكلمة في العدوان على الناس ومحاولة شحن نفوس الشباب بالتشكيك في وطنه وفي علمائه ورموزه.. ولن ينالوا منا ولا من دين الله، ولا من علماء الإسلام، ولا من مصر الأزهر التي حمت دين الله بأزهرها الشريف أكثر من ألف عام.

إن مصر خاضت أربع حروب وضحت بأكثر من مائة وعشرين ألف شهيد من أجل القدس الشريف وفلسطين، وإن مصر ظلت قبلة العلوم الإسلامية يفد إلى أزهرها الشريف الملايين وستظل ولن يستطيع أعداء الحق أن يطفئوا نور الله بأفواههم، إن إحدى الصحف في بلادنا العربية التي تمثل رمز الإسلام طالعتنا بكاتب يفترى علينا أكاذيب وأباطيل أتعفف عن ذكر الصحيفة والكاتب، وأدع حسابه لله -تعالى- ثم للقانون الدولي الذي يتعامل مع أمثال هؤلاء.

هل هذا يصح؟ ماذا أصاب الناس كتاب عرب ومسلمون يتراشقون بكم من الأقاويل التي لا أساس لها من الصحة، وقنوات فضائية تمطر المجتمعات بالهزل والأفلام الخارجة وتدع قضية القدس وفلسطين، وتنال من العلماء والدعاة بافتراءات تقتنص بعض أكاذيبها ممن يختلقون الإفك والبهتان ما هذا العبث؟ ألم يشعر هؤلاء وأولئك بما تمر به أمتنا الإسلامية والعربية من موقف جاد تجاه العدوان الوحشي على الأرض المحتلة؟!

ألم يشعر هؤلاء وأولئك بما تموج به الساحة العالمية من غضبة عارمة على إسرائيل ومن وراء إسرائيل؟!

ألم يشعر هؤلاء وأولئك بما قدمه شهداء الانتفاضة من عمليات استشهادية؟!

فهل قدموا دعماً للانتفاضة؟ أو خدموا القضية بما قدموه من هزل أو بما افتروه من أكاذيب علينا وعلى غيرنا؟!

ألم يعرفوا أن الجهاد ـ حين تداس أرض الإسلام ـ يصبح فرض عين على الجميع وهذا ما أعلناه أكثر من مرة؟

ألم يعلموا أن واجب الأمة مواجهة عدوان إسرائيل المغتصبة؟ إن إسرائيل مارست أبشع صور الإرهاب والقتل الجماعي، والمقابر الجماعية ودفن الأحياء واقترفت من المجازر البشرية ما يندى له جبين الدنيا والتاريخ.

ألا يجب على هؤلاء وأولئك أن ينهضوا بدعوة الأمة كما دعوناها إلى الجهاد بالنفس والمال، إننا ندعوهم بمنهج الإسلام الذي يقول:

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(٨).

ونقول لهم لا وقت لهذا الشغب الذي لا يستفيد منه إلا الأعداء، ثوبوا إلى رشدكم وتوبوا إلى ربكم، فما نزل بلاء بالأمة إلا بذنب، ولا يكشف إلا بالتوبة، وعلى الله قصد السبيل، وبالله التوفيق.

---

(٨) النحل (١٢٥).



انتشار الإسلام بحد السيف
بين الحقيقة والافتراء

تأليف

د/ نبيل لوقا بباوى

٢

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

بعد تلك المرحلة الأولى من الجولة التأملية المجردة، التى تحمل أعباءها الدكتور نبيل، فصحب الرسول ﷺ منذ مبعثه، مستعرضا ما قام فى وجهه ﷺ من عقبات دبرها المشركون العرب، ثم اشترك فى تدبيرها مع المشركين اليهود المقيمون فى شبه الجزيرة العربية ـ خصوصا فى مدينة يثرب ـ حيث فرضوا عليه المواجهات الحربية، دفعا لأذاهم، ووقاية من تحزبهم وتدابيرهم، فاضطروه ﷺ إلى أن يشتغل عن الدعوة بالمنهج الإسلامى القائم على الموعظة الحسنة، والمجادلة بالتى هى أحسن.

فأوضح الدكتور ـ من هذا الاستعراض ـ أن مانشب من حرب بينه وبين مشركى مكة، وما نشب من حرب بينه وبين الأحزاب العربية، وما نشب من حرب بينه وبين يهود بنى النضير، وبنى قريظة، وبنى قينقاع فى المدينة، وما نشب من حرب بينه وبين يهود خيبر.. لم يكن ﷺ فى أى حرب من تلك الحروب ساعيا للإكراه على الدخول فى الإسلام، ولكنه كان مدافعاً عن النفس، أو مدافعا عن الدولة، أو حامياً الداعين إلى الإسلام بالحسنى من التعدى عليهم، أو حاميا حرمات المسلمين والمسلمات من الانتهاك، مقررا بذلك أنه ﷺ ـ على مدى أكثر من عشرين عاما الأولى ـ لم يكره واحدا على اعتناق الإسلام، ولم يشهر سيفه ليقهر أحدا على الدخول فى الإسلام، وأن الإسلام ـ مع ذلك ـ انتشر فى شتى أرجاء الجزيرة العربية.

التوجه بالدعوة خارج الجزيرة

بعد تلك المرحلة الأولى من الجولة التأملية، انتقل الدكتور نبيل بتأملاته ليصحب الرسول ﷺ بعد أن اطمأن إلى أنه لم يعد بين العرب من يخشى منه عدوانا، ولم يعد من اليهود من يتخفى وراء يهوديته ـ مستغلا عهد الأمان الذى عقده مع محمد ـ ويدبر المكائد للمسلمين، ويسعى لاستعداء الآخرين عليهم.

فكشفت له تأملاته أن محمدا ﷺ ما إن فرغ من تلك الحروب المتوالية التى فرضت عليه من أعداء الحق، حتى نهض يباشر واجبات الدعوة إلى الإسلام فى نطاق الالتزام الإسلامى بعدم الإكراه على الدخول فى الدين، وبالتوسل ـ فى الدعوة ـ بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتى هى أحسن، فلم يكن أمامه إلا بث الرسل المناسبين والرسائل الملائمة إلى من فى مشرق الأرض ومغربها، استجابة لأمر ربه:

﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾[1] فأرسل عمرو بن أمية الضمرى إلى نجاشى الحبشة، ودحية الكلبى إلى عظيم بصرى ـ وكانت خاضعة للدولة البيزنطية ـ وحاطب بن أبى بلتعة إلى المقوقس فى مصر ـ وكانت كذلك تابعة للروم ـ وعبدالله بن حذافة السَّهمى إلى كسرى ملك الفرس، وشجاع بن وهب الأسدى إلى المنذر بن الحارث أمير غسان، وسليط بن عمرو العامرى إلى هوذة بن على أمير اليمامة، والمهاجر بن أمية المخزومى إلى الحارث الحميرى ملك اليمن، وعمرو بن العاص السهمى

---

(١) المدثر (٢).

إلى ملك عُمان، والعلاء الحضرمي إلى المنذر العبدي أمير البحرين.

ومن تأمل الدكتور نبيل في مضامين تلك الرسائل، وما استقبلت به، وما ترتب عليها.. تبين له أمور، من أهمها:

أن جميع الرسائل كتبت بتواضع شديد، يبدي فيها رغبته في اعتناقهم الإسلام بكامل إرادتهم، وعن اقتناع لا تشوبه شائبة إجبار أو إكراه، فكان يخيرهم بين اعتناق الإسلام أو الدخول في تعاهد سلام وذمة مع المسلمين يلزمهم دفع مقابل مالي زهيد (الجزية) عن كل فرد يستطيع حمل السلاح، نظير ما تتحمله الدولة الإسلامية من تأمين لهم ولذويهم، ويعفى منه الصبيان والأطفال، والشيوخ، والنساء، والرهبان، وذوو العاهات، والفقراء، والمساكين.

وأن بعض المرسل إليهم ردوا بطريقة مؤدبة، وبعضهم استجاب واعتنق الإسلام عقب تسلمه الرسالة، وبعضهم ردوا رداً فاحشاً غير مهذب، على الرغم من أنه ﷺ لم يتجاوز في رسائله كلها حدود الحكمة والموعظة الحسنة، دون تهديد أو وعيد.

وإن حالة واحدة هي التي اضطر فيها الرسول ﷺ إلى الحرب. وذلك أن شرحبيل بن عمرو الغساني، أمير مؤتة اعترض الحارث بن عمير الأزدي رسول محمد ﷺ إلى أمير بصرى، فقتله، فاضطر ﷺ إلى تجريد حملة لمعاقبة أمير مؤتة على فعلته الإجرامية.

وأن هذه الرسائل وما لابسها دليل واضح يدفع مزاعم المستشرقين، ويكذب ادعاءهم أن الإسلام لم ينتشر إلا بحد السيف، ويؤكد أن وسيلة الرسول ﷺ في الدعوة إلى الإسلام كانت قائمة على الحكمة والموعظة الحسنة التي انشرحت لها قلوب الكثيرين ممن تسلموا رسائله، ولم يرفض دعوته إلا متعصب، أو حاقد متكبر.

بين السلام والاستسلام

ومن تأملات الدكتور نبيل فيما لابس فتح مكة، وإسلام أهل الطائف تبين أموراً، كان من أبرزها:

أن الرسول ﷺ خرج في السنة السابعة للهجرة ومعه ألفان من المسلمين إلى مكة لأداء العمرة، كما يقضي اتفاق الحديبية في العام السابق، لا يحملون سلاحا سوى السيوف في أغمادها.

وأن أهل قريش خرجوا من مكة ليدخلها المسلمون لمدة ثلاثة أيام، فطاف المسلمون بالكعبة، ثم سعوا بين الصفا والمروة وفي اليوم التالي صعد بلال إلى سقف الكعبة، وأذن لصلاة الظهر، وصلى الرسول ﷺ بالمسلمين، وبعد ثلاثة أيام غادر المسلمون مكة، عائدين إلى المدينة.

وأن هذه العمرة تركت أثرا بالغا في نفوس القرشيين، فكانت سبيلا لدخول كثير من القرشيين في الإسلام، وفي مقدمتهم أشد القرشيين قسوة على المسلمين، مثل خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعثمان بن طلحة الذين توجهوا إلى المدينة، ليعلنوا إسلامهم بإرادتهم الحرة، دون أدنى إكراه، حتى يمكن القول: أن هدنة الحديبية هيأت الفرصة أمام

هؤلاء القرشيين ليفتحوا عيونهم وقلوبهم على حقيقة الإسلام بعيدا عن ضلال التعصب، وعمى الحقد والبغضاء.

وأن إسلام هؤلاء القرشيين فتح الباب لدخول كثير من القبائل العربية في تحالف مع الرسول ﷺ.

وأن كفار قريش نقضوا اتفاق الحديبية فحرضوا بني بكر حلفاءهم على قتال بني خزاعة حلفاء الرسول ﷺ، وأمدوهم بالمال والسلاح والرجال، وسمحوا لهم بانتهاك حرمة مكة التي احتمى فيها بنو خزاعة، وقتل كبيرهم منبه الخزاعي.

وأن عمرو بن سالم الخزاعي توجه إلى المدينة مستنجدا برسول الله ﷺ، وطالبا منه مناصرة قومه المحاصرين بمكة والمحتمين بها، كما يقتضي ما بين خزاعة ومحمد ﷺ من عهد، فلم يكن أمامه ﷺ إلا أن يجمع قواته، ويتجه بها صوب مكة ليعاون حلفاءه.

وأن العباس بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ لما توسط بين محمد وزعماء قريش، وعلى رأسهم أبوسفيان، قبل الرسول ﷺ الوساطة، وجنح إلى السلم، فأجاب أبا سفيان إلى طلباته بأن يدخل المسلمون مكة بدون عنف، وآثر التسامح، ونسيان جرائم الماضي، فهو لما بات لفرض الإسلام بالقوة، ولا للعدوان على القرشيين، ولكن لنجدة حلفائه، والدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة.

وأن حكمة الرسول ﷺ في تعامله مع القرشيين، وعفوه عنهم بدءا ماران على صدور القرشيين من ظلام وحقد، وركام التعصب، فما إن نطق بعبارته السائرة الخازمة « اذهبوا فأنتم الطلقاء » - بما تحمله من كرم خلق، وسماحة نفس، وجنوح إلى السلم - حتى أقدم القرشيون متحمسين على الدخول في الإسلام، فلم يكن للسيف وحده وجود أو أثر في إقدام القرشيين على الدخول في الإسلام.

وأن فتح مكة، ودخول المسلمين البيت الحرام بدون حرب، وإقبال القرشيين على الإسلام كان من أكبر العوامل التي ساعدت على نجاح الدعوة الإسلامية، وإقبال كثير من القبائل العربية على الإسلام؛ لتيقنهم أن عناية إلهية تقف بجانب المسلمين.

وأن حقد بعض القبائل العربية - وهي هوازن، وثقيف، ونصر، وجشم، وسعد - دفعهم إلى التجمع في الطائف تحت قيادة مالك بن عوف النصري، ومعاجلة المسلمين ومهاجمتهم في مكة قبل أن يصيبهم ما أصاب أهل مكة، فنزل بقواته في وادي حنين شرقي مكة، ليصنع كمينا للمسلمين؛ فلما علم الرسول ﷺ بذلك نهض بجيشه مضافا إليه ألفان ممن أسلموا من قريش لمقابلة جيوش المشركين، ودفعهم عن مهاجمة مكة والمسلمين، فلما انتصر المسلمون عليهم فروا مع قائدهم إلى الطائف، فتابعهم الرسول ﷺ وقوات المسلمين، وحاصروا الطائف لمدة شهر تقريباً؛ إرهاباً لهم، حتى لايعودوا لمثلها، ثم فك الحصار، وعاد إلى المدينة.

وقد كان في مقدور الرسول ﷺ أن يطيل الحصار حتى يضطرهم إلى الاستسلام، ولكن لأن غايته كانت رد العدوان فحسب، ولم تكن إكراها على الإسلام، ولا رغبة في الحصول على

الغنائم . . . لم يُدِم الحصار، وعاد أدراجه.

وأن هذا السلوك الحكيم من محمد ﷺ كان دافعا لدخول الكثيرين في الإسلام بكامل إرادتهم، بعد أن لمسوا جنوحه ﷺ إلى السلم رغم ما تحقق له من قوة.

بعد عودة الرسول ﷺ إلى المدينة أدرك أهل الطائف أن جميع القبائل العربية قد أسلمت، ولم يبق على الوثنية سواهم فقرروا الدخول في مفاوضات مع الرسول ﷺ، وأرسلوا إليه عارضين عليه أن يسلموا بشرط أن يترك لهم طاغوتهم (اللات)، فلما رفض إلا الإسلام بدون شروط، استجابوا له، مقررين أن يهدموا طاغوتهم بأيديهم؛ فأرسل معهم عثمان بن أبي العاصي ليعلمهم أمور الدين.

وهذا مما يقرر أن إسلام أهل الطائف وحلفائهم لم يكن لقهر السيف دخلٌ فيه، ولكنهم أسلموا بكامل إرادتهم، ومطلق حريتهم.

فزع الروم من انتشار الإسلام الكاسح

ومن تأمل الدكتور نبيل، والبحث عن الأسباب التي كانت وراء نشوب الحرب بين الروم ومحمد ﷺ، تبين له: أن ذلك بدأ عندما خرجت بعض القبائل العربية من تبعيتهم لهرقل قيصر الروم، ودخلت في الإسلام، فتنبه إلى خطر الإسلام على دولته القائمة على التوسع الاستعماري في بلاد العرب، فقرر التحرك لمواجهة المسلمين، وحشد جيشا كبيرا في بلاد الشام، وذهب به إلى تبوك، حيث انضمت إليه بعض القبائل العربية هناك. فلما علم الرسول بذلك خرج بجيش ضخم من المسلمين لمواجهة الروم قبل أن يصلوا إلى المدينة، فاضطر الروم بقيادة هرقل إلى الانسحاب ليختفوا داخل الحصون في جنوب الشام، فأقام الرسول ﷺ عشرين يوما في تبوك داعيا القبائل المجاورة للشام إلى الإسلام، معتمدا على الخيارات الثلاثة: الإسلام، أو الجزية مع الدخول في الذمة والأمان، أو الحرب.

وأن والي أيلة (يوحنا بن رؤبة) عقد مع الرسول ﷺ عقد أمان، يلتزم المسلمون فيه لهم ولمن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن بحماية أموالهم وأنفسهم، والدفاع عنهم. وتركهم أحرارا يمارسون شعائرهم الدينية في مقابل جزية مقدارها ثلاثمائة دينار كل عام.

وصنع أهل جرباء، وأهل أذرح مثل ماصنعه والي أيلة، فعقدوا مع الرسول ﷺ عقد الذمة والأمان، في مقابل جزية قدرها مائة دينار فقط.

وأن الرسول ﷺ - بتلك المعاهدات والمحالفات - تمكن من تأمين الحدود الفاصلة بين المدينة المنورة وبلاد الشام التي فر إليها الروم وتحصنوا بها . . ولكنه - مع ذلك - أدرك أن دومة الجندل المجاورة للشام مازالت مصدر خطر، يتهدد المسلمين، وأن أميرها أكيدر بن عبدالملك الكندي لا يؤمن غدره وتعاونه مع قيصر ورجاله لمعاودة غزو المدينة، أو التعدي على حلفاء المسلمين، فوجه إليه خالد بن الوليد على رأس قوة من خمسمائة فارس، فلما عاد به أسيرا أعلن إسلامه، وتعهده بأن يكون حليفا للمسلمين، وعونا لهم.

عندئذ اطمأن المسلمون إلى تأمين تلك الجبهة من غارات الروم ومفاجآتهم، فعاد الرسول ﷺ بجيشه إلى المدينة، ليفرغ للدعوة، وتنظيم شئون الدولة الناشئة في أمن وسلام، حيث كانت موقعة

تبوك آخر الوقائع التى اضطر ﷺ إلى خوضها لدفع شرور المعتدين من هنا ومن هناك.

ولو كان الرسول ﷺ يحارب رغبة فى الحرب، أو لنشر الإسلام بالقوة، أو للحصول على الغنائم، لاندفع وراء انتصاراته تلك، ولأغراه انسحاب قيصر الروم مع جيوشه بمواصلة الزحف إلى بلاد الشام، ومحاصرة الجيوش الرومية هناك، ولكنه - وقد دفع المعتدى عن أرضه واطمأن إلى تأمين الدعوة - اكتفى بذلك ليتفرغ للحياة العامة العادية.

الجزية لم تكن عقابا ولا تعسفا

ووقف الدكتور نبيل مع تأملاته الجادة المحايدة أمام مزاعم بعض المستشرقين أن الجزية كانت تُفرض عقابا على من يبقى على دينه ويرفض الدخول فى الإسلام ممن يعاهدهم محمد ﷺ، فخرج من تلك التأملات بعدة حقائق نوجز فى:

أن هؤلاء المستشرقين انساقوا بزعمهم هذا وراء أهوائهم المضللة، فلم يروا الحقيقة فى صورتها الوضيئة؛ فهذه الجزية لم تكن عقوبة تُوقع على من لايدخل الإسلام، ولكنها - فى حقيقتها - ضريبة للمشاركة فى نفقات الجيوش الإسلامية التى تلتزم بالدفاع عنهم بموجب عقد الأمان؛ فليس من المعقول أن تدافع الجيوش الإسلامية عمن تعاهدهم، دون أن يسهموا فى نفقات الجيوش، وليس من العدالة ولا من السماحة أن يجبر غير المسلم على الانضمام إلى الجيش الإسلامى الذى يتحرك لأهداف إسلامية، وهم لايدينون بالإسلام.

يضاف إلى هذا أن المسلم ملزم كذلك بالزكاة لتمويل النفقات العامة فى الدولة الإسلامية، ومن بينها الإنفاق على الجيش الإسلامى.

ولا أدل على ذلك من أن قيمة الجزية لم تكن ثابتة فى كل الأحوال، ولكنها تختلف باختلاف الإمكانات المالية لمن تفرض عليهم، ويرجع فى تقديرها إلى طاقة الدافعين وقدرتهم، بحيث لايرهقون، فى حدود المصلحة العامة للأمة؛ فكانت جزية أهل جرباء وأذرح مائة دينار مراعاة لفقرهم، بينما التزم أهل أيلة بثلاثمائة دينار.

وأنه ﷺ فى عهده مع يهود المدينة اكتفى بالنص على التزام الطرفين - اليهود والمسلمين - بالاشتراك فى نفقات الحرب المشروعة.

ومن هذا الفهم للجزية كتب خالد بن الوليد فى عقد الأمان لغير المسلمين: «إن منعناكم - أى حميناكم - فلنا الجزية، وإلا فلا» ولذلك رأينا أبا عبيدة بن الجراح يأمر نوابه فى مدن الشام برد الجزية لمن أخذت منهم عندما أبلغه نوابه فى الشام أنهم غير قادرين على صد قوات الروم والدفاع عن أهل الذمة، وأمرهم أن يعلنوا ذلك.

وأن الجزية كانت تفرض على كل من يستطيع المشاركة فى الحرب، فلا جزية على طفل، ولا على امرأة، ولا على شيخ مُسِنٍّ، ولا على مريض، ولا على راهب فى صومعته، حتى إنه إذا اشترك غير المسلم مع المسلمين فى الحرب سقطت عنه الجزية، كما نُصَّ على ذلك فى عقود الأمان التى أبرمها الرسول ﷺ وخلفاؤه من بعده.

وقد تنبه بعض المستشرقين لحقيقة الجزية، مثل (آدم ميتز) الذى يقول: «كان أهل الذمة - بحكم ما يتمتعون به من تسامح المسلمين

وحمايتهم لهم - يدفعون الجزية كل حسب قدرته، وكانت هذه الجزية أشبه بضريبة الدفاع الوطني، فكان لا يدفعها إلا الرجال القادرون على حمل السلاح».

يدخلون في دين الله أفواجا

وأن إسلام من أسلم لم يكن خوفا من سيف محمد، ولا فرارا من قيمة الجزية، ولكن جميع من اعتنق الإسلام قد اعتنقه بكامل إرادته الحرة.

وأن جميع المعارك التي فرض على محمد ﷺ أن يخوضها - والتي فرضها على مناوئوه - كانت سبيلا إلى التعرف على الإسلام من قرب، والاقتناع بأنه الدين الأصلح، وأنه مؤيد من قوة عليا؛ حتى إن فتح مكة وإسلام قريش وغيرهم، وفرار قيصر الروم بقواته الأسطورية.. دفع سائر العرب في شبه الجزيرة للدخول في الإسلام أفواجا؛ فما إن وقف العرب في شتى أنحاء الجزيرة العربية على قوة المسلمين، وانتصاراتهم المتوالية في جميع المواقع، حتى سارعت كل قبيلة بإرسال وفد يمثلها إلى المدينة المنورة ليعلن دخول قبيلته في الإسلام، وذلك في أعقاب عودته ﷺ من تبوك في العام التاسع للهجرة سنة ٦٣٠م، حتى سمي هذا العام عام الوفود، وأمر الله - سبحانه وتعالى - على رسوله أمرا إياه بشكره وحمده على ذلك في قوله:

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾(٢).

وهنا.. يتبرى الدكتور نبيل سائلا - في استنكار - أولئك المستشرقين الذين يصرون على زعمهم أن الإسلام انتشر بحد السيف: أين هو انتشار الإسلام بحد السيف في عام الوفود، وها هي الوفود من القبائل على رأسها زعماء القبائل وسادتها يأتون طواعية إلى المدينة المنورة، ويتحملون عبء السفر، رغم وعورة الطرق في ذلك الوقت، وتوجههم فور دخولهم المدينة لمقابلة الرسول ﷺ بإرادتهم الحرة، يعلنون إسلامهم باسم قبائلهم؟!

ثم يسأل المستشرقين..: أيهما أفضل للإنسان: أن يعيش كافرا بأسلوب الجاهلية، أم أن ينضم إلى دين سماوي يهذب السلوك ويعترف بالله واليوم الآخر؟!

فلو أن هؤلاء المستشرقين لم يتبينوا الحقيقة فيما كان قبل عام الوفود، فأي عذر لهم في غفلتهم عن تلك الحقيقة في عام الوفود؟!

الرسالة المحمدية عالمية عامة

ومن تأملات الدكتور نبيل المتأنية المحايدة في حجة الوداع التي ختم بها الرسول ﷺ حياته.. لاحظ أمورا منها: أن كثرة عدد المسلمين الذين صحبوا الرسول ﷺ - وقد تجاوزوا مائة ألف - دليل واضح حاسم على ما وصل إليه انتشار الإسلام في أواخر أيام محمد ﷺ بالإرادة الحرة؛ لأنه لا يتصور أحد أن يتوجه أكثر من مائة ألف مسلم لأداء مناسك الحج بدون إرادتهم.

(٢) النصر.

ومن تأمله في تصدق محمد ﷺ في اليوم السابق لوفاته بكل أمواله التي لم تزد على سبعة دنانير.. لاحظ أن في ذلك أبلغ الرد على من يزعمون أن الغرض الأساسي من معارك الرسول ﷺ هو الحصول على الغنائم؛ فإذا كان دافعه ﷺ إلى الحروب هو الغنائم فأين هي تلك الغنائم التي حصل عليها، وقد مات ولم يترك سوى سلاحه وبغلته وتلك الدنانير السبعة؟!

ومن تأمله فيما آل إليه أمر المجتمع العربي في شبه الجزيرة العربية.. لاحظ أن الرابطة القبلية التي كان يقوم عليها المجتمع – بما تنطوي عليه من عصبية عمياء وصراع دائم – قد ضعفت، وحل محلها رابطة الإسلام؛ حيث زالت الحزازات التي كانت تمزق شملهم، واعتصم الجميع برابطة واحدة، فصار المسلمون أمة واحدة، تنتمي إلى دين واحد، وتأتمر بأمر واحد – سواء كان بطريق مباشر، أو عن طريق الولاة – وتخضع لدستور واحد يكفل المساواة بين الجميع، بعد أن كانوا يدينون لرؤساء متفرقين، كل منهم يسير وفق هواه، فأصبحت جميع القبائل ترى في الإسلام رمز وحدتها.

ومن تأمله فيما زعمه بعض المستشرقين مثل (وليم مور) أن عالمية الرسالة المحمدية لم يذكرها محمد ﷺ نفسه، وأن تفكير الرسول ﷺ كان مقصورا على إسلام القبائل العربية فحسب.. من تأمل الدكتور نبيل في هذا الزعم على ضوء الواقع الحي وجد: أن كلام (وليم مور) يعتمد على التضليل، وخلط الأوراق؛ لأن واقع التاريخ يرفض هذا المنطق؛ ولا أدل على ذلك من أن الرسول ﷺ بعث برسائل كثيرة إلى الملوك والأمراء في خارج الجزيرة العربية يدعوهم فيها إلى الإسلام؛ فأرسل إلى كسرى ملك الفرس، وإلى قيصر إمبراطور الروم، وإلى المقوقس عظيم القبط في مصر، وإلى النجاشي في الحبشة.. إلى غير كل أولئك.

ووجد أن محمدا ﷺ في رسائله تلك – لم يكن مدفوعا بحماسة جوفاء، كما يزعم بعض المستشرقين، مثل (سيرتوماس أرنولد)، ولكنه ﷺ أرسلها استجابة لأمر الله – تعالى – في نحو قوله عز وجل:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾(٣).

وقوله عز شأنه:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٤).

وأن ما زعمه المستشرق (وليم مور) من أن الرسول ﷺ لم يكن يعرف غير الجزيرة العربية فقط، وأنه لذلك لم يفكر في تعميم رسالته ولا عالميتها.. ووجد أن مازعمه هذا المستشرق لا يمت إلى الحقيقة الثابتة بصلة؛ لأن الرسول ﷺ كان دائم الأسفار للتجارة خارج شبه الجزيرة العربية؛ فقد سافر أكثر من مرة مع عمه بتجارته، ثم بتجارة خديجة بنت خويلد لبلاد الشام وهي خاضعة لقيصر الروم، وظل يشتغل بهذه التجارة حتى نزل عليه الوحي.

وأن عالمية الإسلام تظهر واضحة جلية في فرضه على المسلمين جميعا أن يلتزموا بالتسامح مع كل

---

(٣) الفرقان (١).

(٤) سبأ (٢٨).

إنسان - مسلم وغير مسلم - لأن دستور المسلمين يأمرهم بأن ينظروا إلى الإنسان بتقديره كائنا مكرما، أيا كان دينه أو جنسه أو لونه، كما فى قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾(٥)

فلكل إنسان كرامته واحترامه، كما وضح من استجابة الرسول ﷺ لأمر ربه فيما رواه البخارى من أن جنازة مرت على رسول الله ﷺ، فقام لها واقفا، فقيل له: يا رسول الله إنها جنازة يهودى، فقال ﷺ: «أليست نفسا»(٦).

كما تظهر تلك العالمية فى نظرة الإسلام المتحضرة إلى مختلف الأديان، حيث يرى أن الاختلاف من فطرة البشر التى فطر الله الناس عليها جميعا، فترك كل إنسان يختار ما يشاء، حتى لو اختار الكفر؛ لأن كل إنسان يتحمل مسئولية اختياره، وما على الرسول إلا أن يقول الحق، كما فى قوله تعالى:

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾(٧).

وقوله عز وجل:

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾(٨).

فليس على المسلم - ولا له - أن يحاسب الكافر على كفره، أو يعاقب الضال على ضلاله، إنما حساب الجميع عند الله فى الآخرة، كما نص عليه قوله تعالى:

﴿ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾(٩).

ومن هذا المنطلق كان الرسول ﷺ يعامل غير المسلمين من اليهود والنصارى معاملة حسنة، فكان يبرهم ويكرمهم ويحسن إليهم، ويزور مرضاهم، ويتعامل معهم، فيأخذ منهم ويعطيهم، ويقترض منهم، على ما رواه البخارى من أن الرسول ﷺ «مات ودرعه مرهونة عند يهودى فى نفقة عياله»، وقد كان فى وسع محمد ﷺ أن يقترض من أحد أصحابه، ولكنه ﷺ أراد أن يعلم الأمة الإسلامية فيقتدوا به.

ولذلك.. وجدنا المسلم الحقيقى الذى يؤمن بمشيئة الله لا يجبر الناس أن يكونوا كلهم مسلمين؛ لإيمانه أن الله لو شاء ذلك لفعل، كما يصرح به سبحانه وتعالى فى قوله:

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾(١٠).

فأين مزاعم المستشرقين من كل تلك الحقائق والأدلة الواضحة على عالمية الإسلام؟!

---

(٥) الإسراء (٧٠).
(٦) أخرجه البخارى.
(٧) الكهف (٢٩).
(٨) هود (١١٨).
(٩) الحج (٦٨، ٦٩).
(١٠) يونس (٩٩).

إلى أين نتجه ؟

الإسلام هو المنقذ

للدكتور / حمدى فتوح والى

نعلم أن الموجة الغربية المادية طاغية ، وندرك أنها تختلف عن كل الموجات السابقة بخبثها وشراستها ، واستكمال أدواتها وأسلحتها .

ونعلم أن أخطر أسلحتها على الإطلاق هو خواؤنا الفكرى وضعفنا العقدى والروحى ، هذا الخواء الذى هيأ الفرصة لتلك الموجة الخبيثة كى تمتد فى داخلنا وتحتل مساحة واسعة فى رءوس أبنائنا ، مما يشكل نوعاً من الغزو الفكرى ، الذى يثمر تبعية مهينة ، واستذلالاً رخيصاً .

ونحن نعرف أن هناك جهوداً جبارة تبذل منذ قرون لحصر الإسلام فى دائرة الاعتقاد الوجدانى ، والشعائر التعبدية ، وكفّه عن التدخل فى نظام الحياة الواقعية ، ومنعه من الهيمنة الكاملة على كل نشاط واقعى للحياة البشرية كما هى طبيعته ، وكما هى حقيقته ، وكما هى وظيفته . ولكننا برغم علمنا بهذا كله ، وبرغم إدراكنا بمخاطره ، لا نشعر بالخوف على كياننا الروحى ، وتميزنا العقائدى ، لما نعلمه من اتساق منهجنا الإسلامى الإلهى مع حاجات الفطرة الإنسانية التى هى من صنع الله - سبحانه وتعالى - مما يضمن لهذا المنهج حالة من العناق الحميم بينه وبين الفطرة ، فإذا أضفنا إلى ذلك مصادمة المناهج المادية للفطرة ، والتوائها ، واستعصائها على القبول ، أدركنا سر صمود الإسلام أمام عقائد أهل الأرض جميعا على مدى تاريخه كله ، على كثرة ما لاقى من عقائد الأمم المفتوحة من مكائد ومؤامرات ، خرج منها جميعاً بانتصار ساحق وزاد عظيم . ولم تلبث تلك العقائد والنحل أن ذابت ، ودخل أصحابها فى دين الله أفواجاً .

لكننا مع علمنا ذلك ، ويقيننا ، أن الله - سبحانه وتعالى - حافظ دينه ، ومتم نوره ، ندرك على الجانب الآخر أن لله - سبحانه وتعالى - فى كونه أسباباً وضعها لعباده ، بها يتحقق نصرهم ، ويتم تمكينهم ، من أخذ بها سلم ، ومن تركها أهمل وهزم . وهذا العلم بالأسباب ، والأخذ بالنواميس الإلهية ، هو الذى ضمن لسلفنا الكرام هذا الامتداد المبارك على مساحة الأرض كلها ، وما كان لصحة المنهج واستقامته مع الفطرة وحدها أن تنهض بإملائه على الغير ، إذا لم تجد من يؤمن به عقيدة ، ويطبقه شريعة ، ويقيمه نظاماً ، ويحمله إلى عباد الله كامل الملامح ، واضح السمات . حتى

يتسنى لهم الاختيار بينه وبين غيره، من مناهج البشر الأخرى. أما قبل ذلك فإنه لا يعقل أن ينتمي إليه أحد، أو أن يبحث عنه من يتلبسون بغيره من نحل الأرض ومللها، التي صنعت مع أصحابها حالة من المعايشة والألفة، لا يسهل فصلها أو تركها إلا بنوع من إيقاظ العقل وتحريره من سيطرة العادة وسلطان الموروث.. وهذا ما سيجعل سدنة الباطل يحرصون على بقائه، ويقابلون محاولات الإيقاظ والتحرير، بكل ما يملكون من وسائل القمع والإرهاب إبقاء لسلطانهم، وحرصاً على تألههم في الأرض من دون الله، وعند ذلك لا مفر من وقوع صدام بين من يحملون أمانة الله ويبشرون هديه، وبين من يمنعون وصول هذا النور للناس. وهذا ما عناه الإسلام بقانون التدافع القائم على الجهاد في قوله سبحانه:

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[1].

وهو أمر يتطلب من أهل الحق قوة، تصون حقهم، وتفسح الطريق أمامه، لكي يصل إلى عباد الله ثم للناس بعدها أن يختاروا:

﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[2].

أما أن تقوم قوة في الأرض لتحول بين نور الله وبين الناس، فهذا ما ينبغي على أهل الحق أن ينهضوا ليدافعوه:

﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾[3]

وعندئذ تصبح تلك المدافعة فريضة على أهل الحق، وضرورة لكي يصلوا بدين الله إلى الناس:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[4].

وحين يقوم المسلمون بواجبهم تجاه دينهم، إيماناً به، وتطبيقاً لشرائعه، وإقامة لنظامه، سيعظمون في عين ربهم وتقع مهابتهم في قلوب أعدائهم، فينصرون بالرعب كما نصر أسلافهم، ويومها لن نحتاج كثير جهد كي نقنع الدنيا بمنهج الإسلام، لأن الفطرة المركوزة في ضمائر البشر جميعاً تحن له وتنجذب إليه، ولأن الفطرة والمنهج كليهما من صنع حكيم خبير. ويومها لن يملك الغرب بعضلاته وحديده، أن يصاول الإسلام في معركة ميدانها الفطرة، ومجالها الروح، إذ لن يجد له نصيراً من العقل أو القلب، بينما سينساب الإسلام إلى القلوب انسياباً، ويمتد فيها امتداداً، ويتجذر فيها بقوة، ويضرب في تربتها بعمق وسنجد من أهل الغرب أنفسهم جنوداً يسبقوننا إلى حمل تلك الدعوة، والجهاد لتوصيل هذا الدين بعد أن يكونوا هم قد غدوا أصحابه والمنافحين عنه والساعين إلى نشره في العالمين.

---

(١) البقرة (٢٥١).
(٢) الكهف (٢٩).
(٣) سورة البقرة ١٩٣.
(٤) سورة العنكبوت آية ٦٩.

ولن يكون غريباً يوماً أن يخرج من أمريكا من يصنف لنا أحاديث المصطفى ﷺ ويحفظها بأحدث الأجهزة وأدق التقنيات، كما خرج من روسيا من قبل أمثال الإمام البخاري ومسلم والنسائي وغيرهم.

وما بالنا نبعد كثيراً، أفليس الكاتب المسلم الغيور محمد أسد هو نفسه «ليوبولد فايس» النمسوي النصراني من قبل؟ ألم يتحول إلى منافح عن الإسلام، داع إليه، عامل له، مبلغ لتعاليمه مؤمن بمستقبله في كل ما يكتب ويتكلم، وعندما سئل عن أي الجوانب كانت أكثر جذباً له إلى الإسلام قال: «لا أستطيع اليوم أن أقول أي النواحي قد استهوتني أكثر من غيرها، فإن الإسلام على ما يبدو لي، بناء تام الصنعة وكل أجزائه قد صيغت ليتم بعضها بعضاً، ويشد بعضها بعضاً فليس هناك شيء لا حاجة إليه، وليس هنالك نقص في شيء، فنتج عن ذلك كله ائتلاف متزن مرصوص، ولعل هذا الشعور من أن جميع ما في الإسلام من تعاليم وفرائض قد وضعت مواضعها، وهو الذي كان له أقوى الأثر في نفسي»[5].

أما عن رأيه في إنقاذ البشرية مما ارتكست فيه، أو انحدرت إليه فهو لا يرى لها منقذاً في غير الإسلام فيقول: «إن المدنية الغربية لا يمكن أن تكون الوسيلة الصحيحة لإيقاظ العالم الإسلامي من سباته العقلي والاجتماعي، ذلك السبات الذي أدى إلى انحلال مظاهر الدين حتى أصبحت عادة مجردة لا حياة لها، ولا باعث أخلاقياً فيها».

ثم يطرح الرجل سؤالاً نيابة عن المسلمين جميعاً فيقول: «أين يجب على المسلمين إذن أن يبحثوا عن الباعث الروحي والعقلي الذي هم اليوم في أشد الحاجة إليه؟ ثم يقدم هو الجواب قائلاً:

«إن الجواب على ذلك سهل سهولة السؤال عنه، بل إنه متضمن في السؤال نفسه. أن الإسلام ليس اعتقاداً بالجنان فقط، ولكنه فوق ذلك منهاج ظاهر الحدود تمام الظهور للحياة الفردية والاجتماعية».. ثم يضيف الكاتب النمسوي المسلم قائلاً: «وفي هذا العالم المملوء بالآراء الجديدة المتصادمة أو التيارات الثقافية المتعارضة، لا يستطيع الإسلام أن يظل شكلاً أجوف. لقد انقضى نومه السحري الذي دام أجيالاً فيجب أن ينهض أو أن يموت. إن المشكلة التي تواجه المسلمين اليوم هي مشكلة مسافر وصل إلى مفترق طرق. إنه يستطيع أن يظل واقفاً مكانه، ولكن هذا يعني أنه سيموت جوعاً، وهو يستطيع أن يختار الطريقة التي تحمل فوقها هذا العنوان: «نحو المدنية الغربية» ولكنه حينئذ يجب أن يودع ماضيه إلى الأبد، أو أنه يستطيع أن يختار الطريقة التي كتب عليها: «إلى حقيقة الإسلام». إن هذه الطريقة وحدها هي التي تستميل أولئك الذين يعتقدون بماضيهم، وباستطاعتهم التطور نحو مستقبل حي»[6].

---

(٥) من مقدمة كتاب: الإسلام على مفترق الطرق/ محمد أسد صـ ١٥.

(٦) الإسلام على مفترق الطرق صـ٨٥، ٨٦.

هذه الدعوة الهادفة الحارة، التي يحملها إلينا مسلم غربي تؤكد أن الإسلام لا يعرف الحدود الجغرافية، ولا التميز العنصري على أساس الجنس أو اللون أو اللغة، وإنما هو رسالة الله إلى العالمين - رسالة مصدرها الله، وميدانها الأرض ومجالها الإنسان كل الإنسان.

إن عنايتنا بالفكرة الإسلامية، والسعي الدءوب إلى تبليغها وتيسير وسائل نقلها، وتوظيف أحدث التقنيات لنشرها، هو مهمة العقلاء في زماننا هذا، لأنهم بتعبهم في هذا الميدان يكسبون للإسلام كوادر علمية مدربة وجاهزة ويضيفون إلى العقلية الإسلامية أقوى العقليات البشرية، عندما تتوجه إلى الإسلام.

ولنا أن نتصور كم كنا سنحقق من المكاسب في هذا العصر لو كنا مهيئين روحياً وسياسياً وعالمياً لوراثة دول الاتحاد السوفيتي، واحتواء ما خلفته وراءها من عقول مبدعة منتجة. ينتسب معظمهم أو كثير منهم إلى الإسلام - وهذا يعني أن الجهد المبذول معهم لن يكون بقدر الجهد الذي تبذله اليهودية وهي تتقدم لتستميلهم وتستوعبهم، وتهيىء لهم جميع الأسباب. لترث أبناء المسلمين وأحفاد البخاري ومسلم.

تُرى لو كانت الأنظمة القائمة على مقاليد بلاد المسلمين أنظمة عقائدية صادقة، أكان يفلت من يدها هؤلاء العلماء المتميزون في مجالات الذرة والفلك والفضاء والطيران. ويتركونهم ليعرضوا عقولهم لتستأجر بالمال الإسلامي لصالح يهودية وغربية.

إن العالم الغربي أحوج ما يكون إلى تصور رباني يعيد له توازنه النفسي، ويحدد له علائقه بمن حوله ممن يشاركونه سكنى هذا الكوكب، بل هو بحاجة أشد إلى تحديد علاقته بخالقه وخالق هذا الكون، ولن يجد ذلك إلا في الإسلام، ولأن السعي لإدراك تلك الغاية سعي حثيث فطري ومصيري لدى الإنسان، فإنه لن يهدأ حتى يصل إلى هذا التصور الرباني الصحيح كي يهدأ ويستريح. وهذا يعني أن شوق الفطرة البشرية الظامىء إلى الأمان والهدوء والتوازن النفسي سيظل مشبوباً ولن يهدأ أو يستريح حتى يستقر على مرافىء هذا الدين القويم.

﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾(٧).

***

(٧) سورة الروم الآيتان (٤-٥).

حتى نهزم اليأس في واقعنا المعاصر

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

تحدد المعاجم اللغوية اليأس، بكونه قيمة سالبة ترفض الوقوف والمواجهة، وتتدثر بألوان من الانسحاب، والقنوط، ورفض الرجاء، ومخاصمة الأمل، وتخييب التطلع.. فإذا سددت المعاجم اليأس في اتجاه معنى العلم فإن هذا العلم لا يقصد به مطلق المعرفة، ولا ظمأ الطموح إلى فض أية مغاليق، وإنما يقصد به معنى تحديد الدائرة وانتهاء التشوف، فلا تنفذ منه إلى آفاق التطوح واستقراء مطالع الأسرار.

واليائسون الذين نصادفهم في هذه الحياة كثيرون، وأكثر منهم هذه الكلمات التي تتناثر على شفاههم يائسة وقانطة وسوداء، بحيث يلوح هؤلاء، قطيعاً سائماً بلا هدف يحققه، أو مجموعاً تائها بلا قيم تعصمه، أو قبيلاً حائراً بلا مصابيح من الأمل، يمكن أن تبدد ما يتراكم على حياته من ظلمات، وهذا هو حجم القضية المخيف، الذي ينبغي أن يستنفر جهودنا بلا ملال.

ومن العجيب حقا، أن هؤلاء اليائسين يرفعون شعارات الاستسلام واللا جدوى، ويبدون ـ تحت راية الهزيمة ـ كما لو كانوا مستعدين للدفاع عنها حتى الموت، ولو أنهم بذلوا هذا العناء الهائل، تحت راية الإيجاب وليس تحت راية السلب، تعني تحت راية الأمل، وليس تحت راية اليأس، لأمكن أن يصبحوا جنوداً في طليعة المقاتلين من أجل حياتهم وحياة الآخرين، ولأمكن لهم أن يطلوا على العالم، من خلال نوعية من النوافذ المضيئة، وليس من خلال ثقوب من الجدران، التي لا تفضي في النهاية إلى رؤية متكاملة، أو حتى متفائلة.

وليت هؤلاء اليائسين، حين تحصنوا هكذا باليأس الرافض، كانوا رافضين لما في الحياة من حولهم من ركاكة وتسطيح، إذن لتجاوزوا الواقع الهش الذي يعيشونه، إلى واقع يرفض الهشاشة، ويكون الرفض فيه حينذاك تمرداً على كافة الجوانب السالبة، وأيضاً على القعود أو إسلام الحياة لنوع من الرخاوة السهلة، المفضية في النهاية إلى عبث فارغ من المضمون.

ولكن القانطين يحيون في أبد الخمول، ويتوقون إلى حياة مثالية، تعطي بلا معاناة، ومن هنا، فهم يحاولون فلسفة يأسهم الهارب، وتبرير هزائمهم المتوالية، وإدانة الأمل لا اليأس، زاعمين أن الأمل سراب ووهم، وأن اليأس هو منطق العقل، في مواجهة قوانين الأشياء، التي لا

ثابة بمنطق ولا بعقل، وتلك واحدة من أغاليطهم الغليظة!!

إن هؤلاء اليائسين فى حاجة شديدة إلى تعديل سلوكهم الهابط، وتسديد تفكيرهم الركيك، وتسليح ذواتهم بمنطق الحياة، لا بمنطق الموت، ودفعهم إلى مواجهة تجارب الوجود، مرة بعد مرة، ليذوقوا من خلال هذه المواجهات، قساوة الفشل، وحلاوة النجاح، فربما رفعوا - فى النهاية - راية الرفض فى وجه الفشل، وربما نشأ بينهم وبين النجاح، نوع من التجاوب، المفضى إلى استمرارية النجاح.

قد لا ننكر أن بعض هؤلاء اليائسين، ضحايا قصور معين، عن بلوغ غاية معينة، ولكننا لا نستطيع أن ننكر كذلك، أن فى أعماق كل إنسان طاقات لا حدود لها، من القدرة على العمل، ومن القدرة كذلك على التكيف، وتحقيق الذات فى مجال آخر، غير المجال الذى لم تستطع تحقيق ذاتها فيه.. فقد لا يفلح إنسان ما، فى أن يكون طبيبا مثلاً، ولكنه بالتأكيد، مؤهل لكى يكون مهندساً، أو عالم ذرة، أو شاعرا، أو رجل فكر اجتماعي، أو واحداً غير هؤلاء، شيء واحد ينقص الإنسان، هو أن يكتشف نفسه، وأن يعرف طبيعة قدراته، وأن يتوجه إلى ما يجيد، فإن الطريق إلى اكتشاف حقيقة الذات، هو أول الطريق إلى تحقيق نجاحات بلا حدود مع التسليم بأن اكتشاف حقيقة الذات، يحتاج إلى كثير من المعاناة الفاهمة، وإلى توعية من الثقافة الجادة وإلى استمرار المحاولة، حتى يعثر على اتجاهه، الذى يجيد فيه العطاء والابتكار، فإن فعل فقد وجد طريقه، المفضية به إلى حتمية التوفيق، وعبر كثيراً من المزالق، التى قد تصيبه بارتباك الرؤية وضلال الاتجاه، ولعل ذلك بعض حكمة الوحى الالهى فى القرآن الكريم:

﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾(١) فإن الدعوة هنا موجهة إلى قوة الوعى بخالقية الخالق، وأيضاً إلى قوة الوعى بمكامن الطاقة، فى تكوين إنسانية الإنسان!! وبهاتين القوتين، يتوقى الإنسان مزالق اليأس، ويفتح أبواباً لديمومة الرجاء!!

ولأن اليائسين يعيشون فى تلبد نفسى غائم، نتيجة الإحباط المستمر، فهم يشكلون خطراً على البناء الاجتماعى، بما يشيعونه من فلسفات يائسة متشائمة، قد تتسرب ببريقها اللا مسئول، إلى جهل الشباب الطالع، فتنطفئ فى عيونهم بريق الأمل، وتشل فى جوارحهم طاقة العمل، وتوجههم إلى مزيد من عناصر التخلى، واللا مسئولية والهروب.. ومن هنا يستحيل هذا القطيع اليائس، ليس إلى مجرد يأس مغلق على ذاته، وإنما إلى مصدر من مصادر تفريخ الشر، الذى ينقل غلاظة آثاره المدمرة إلى الآخرين، فيصيب الحياة بنوع من السقوط، وتدلى المحاولات، ولعلنا لا نهمل حقيقة أن تقليد التخلى، أكثر شيوعاً من تقليد المواجهة، وهذه

---

(١) الذاريات (٢١)

واحدة من بوائق هذا النمط السلوكي، الجانح إلى صغائر الأمور، والناقل عدواه إلى غيره بلا حدود!!

وقد يخيل إلينا.. أن معاقرة الانحراف تبدأ من هذه المنطلقات، من اليأس الذاتي، أو اليأس الغيري.. الفردي أو الجماعي، التي تندفع كلها في اتجاه تعويض متخيل، أو هروب يظنون أنه يريحهم لحظة هنا ولحظات هناك.

إن رتل الانحرافات ينبعث بعضه من تجارب ذاتية مزلزلة، وينبعث سائره من تجارب غيرية منقولة أو مقلدة، فإدمان المخدر والمسكر، تبتدئ طريقه الوبيلة من إغراءات غيرية، يزين بها طائفة من الجانحين لغيرهم عوالم الغياب واللا وعي، وما تثمره هذه العوالم في زعمهم من رؤى ملونة، وانعتاق يحلق فوق حدود الضرورة الواقعية الغليظة.. حتى في الفكر الأدبي تجد من يؤلف داعياً إلى حتمية المخدر في تشكيل تجربة فنية رائعة، لأن الإبداع - كما يدعي - غياب عن شروط الواقع الضامر، وتدمير لمنطق الأشياء في سوائها الطبيعي.. وحتى في العلاقات بين الجنسين، تجد من يلون للآخرين فعل المخدر والمسكر، وكيف تنقلهم هذه التجربة إلى عوالم من النشوة لا يستطيعونها بغير هذا الفعل.. وهكذا يتواتر مد هذه الظاهرة من مجرد دائرة إلى الانسياح في دوائر بلا حدود.. ولو أننا أحسنا التعامل مع هذه الظاهرة وهؤلاء الجانحين، لعرفنا كيف نؤكد لهم أن الغياب قد يعطي راحة آنية، ولكنه بالتأكيد يعقب تدميراً في كل الأنحاء.. فإن تخدر في لذاذة عارضة عن مواجهة مصيرية فليس معنى ذلك أن المواجهة انتهت إلى حل، وإنما معناها أنني نسيت حلها للحظات فحسب، وأن حجمها في هذه اللحظات قد تنامى وربما تضاعف.. وليتنا نستطيع تفهيم من يظن أن الإبداع غياب، حتمية أن الغياب مشروط بالحضور وليس النقيض، أي أنني أغيب عن الوعي المحدد إلى محاولة استكناه حقائق غير محددة، وليس هذا الغياب الذاهل حتى عن كونه الخاص.. وليتنا نستطيع كذلك تفهيم من يظن أن المخدر مدخل إلى لقاء جنسي مثير، إنه قد يكون كذلك في جولة أو حتى في جولات، ولكنه بالتأكيد يصيب الطاقة كلها في النهاية بالعجز والتشتت وحتمية القصور.. وإذن فلو أننا أحسنا التعامل مع هذه الظاهرة ومع هؤلاء الجانحين، لعرفنا كيف نؤكد لهم أن هذه الإغراءات مدخل إلى دمار ذاتي وجمعي، وأن هوة يأس كوني يمكن أن تكون نهاية رحلة حياة تمثل هذا التسطيح!!

ولعلنا لو تأملنا حقائق الفرق، بين جوهر الوجود الإنساني، وجواهر الوجودات الأخرى لأدركنا أن الوجود الإنساني يمتاز بكونه موقفاً، وعلامة تحول، بينما الأشياء وجود يابس، لا يحقق لذاته أي موقف، ولا يصير إلى غير ما هو على الإطلاق.. وهذا وحده، كفيل بأن يعقد بين الإنسان والمستقبل، صداقة حميمة وجادة.. وبأن يسلحه ضد اليأس، فلا يناله اليأس، حتى في أحلك مآزق التاريخ - تعني: أن الإنسان وحده، يفكر في ذاته، ويستطيع بهذا التفكير في الذات، أن يصير إلى أفضل مما هو بكثير.. أي أنه: على موعد دائم مع المستقبل، لا يبيح

له وأد آماله بمزيد من التشاؤم القانط، واليأس المدمر؛ ولا انتحار البطئ أو السريع إلا إذا كان مستلب الوعي والضمير؟

والإنسان المسلم بالذات، مرشح لفهم هذه القضية، أكثر ممن عداه، لأن الإسلام، لا يخاطب المستقبل الزمني وحده، ولكن يتجاوز حدود الزمن الوجودي، إلى ما وراء الوجود من أزمان.. نعني إلى الزمن الأبقى من الزمن، إن صح هذا التعبير، وهو الزمن الأخروي، فتنفسح بذلك أبعاد الأمل، أمام كل البشر فلا يعقد بهم يأس، ولا يستبد بخطواتهم كلال، نابع من إحساسهم الجارف، بعبثية وجودهم في الوجود.. كما تذهب إلى ذلك، بعض الفلسفات المعاصرة، التي تحاصر شبابنا فيما يشاهدون للأسف، وفيما يقرأون.

والإسلام يتعامل مع هؤلاء اليائسين تعاملاً شجاعاً بلا حدود، فهو يرفضهم، ويتهددهم، ويدينهم إلى حد التكفير.. عاقداً بين يأسهم الحياتي ويأسهم العقيدي، ما يشبه الصلة العضوية.

فالقرآن الكريم يقول:

﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾(٢).

ويقول:

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾(٣).

والإسلام يضع الإنسان في موضعه الطبيعي، على خريطة الواقع، فهو مستهدف للخير والشر، ولليسر والعسر، وللوفرة والفقد.. ومن هنا.. ينبغي أن يكون مؤهلاً للاحتفاظ بإنسانية، في هذه وتلك، حتى لا يفقد ذروة التكريم، الذي منحته إياه السماء.. فالقرآن الكريم يقول:

﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْ ﴾(٤)

ويقول:

﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾(٥)

والإسلام لا يغلق الدائرة على اليائسين مع يأسهم، داعياً إلى شجاعة الصبر، ثم لا شيء.. ولكن يفتح لهم عديداً من نوافذ الأمل، حتى فى أحلك ساعات الظلام.. فالقرآن الكريم يقول:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾(٦).

---

(٢) يوسف (٨٧).

(٣) العنكبوت (٢٣).

(٤) آل عمران (١٤٦).

(٥) البقرة (١٥٥).

(٦) الشورى (٢٨).

ويقول:

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(٧).

ويقول:

﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾(٨).

٧

ومن المؤكد.. أن صوت النبوة ـ فى محاربة اليأس، والتمهيد لحضارة الأمل ـ كان صوتا مكملا للنداءات القرآنية الجليلة، التى طاردت اليأس، ومكنت الأمل، ودعت إلى حياة إنسانية، تتواتر فيها فتوحات الجهد البشرى، وتتوالى فيها انتصارات هذا الجهد بلا حدود.

والرائع.. أن أحاديث النبى ﷺ فى هذا الصدد، تضيء جوانب هذه الظاهرة، من كل الاتجاهات.. فهي تحاول أن تمسح على جراح الشخصية الإنسانية، التى انحرفت عن الجادة، حتى لا تلج هذه الشخصية فى تعشق الجنوح، فعن أنس بن مالك – رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: «كل بنى آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون»(٩).. من هنا: تستيقظ المحاولة فى المتردى ولا يستبد به يأس الانحدار إلى الهاوية.

والنبى ﷺ، يرفض أن يتخلى عن الذى حاول وسقط.. فعن أبى سعيد الخدرى – رضى الله عنه – قال: «أصيب رجل فى عهد رسول الله ﷺ، فى ثمار ابتاعها، فكثر دينه فأفلس فقال رسول الله ﷺ: «تصدقوا عليه»، فتصدق الناس عليه، فلم يبلغ ذلك وفاء دينه، فقال رسول الله ﷺ لغرمائه: خذوا ما وجدتم، وليس لكم إلا ذلك»(١٠)!! فهنا محاولة نبوية لإقالة عثرة العثائر، حتى لا يستبد به يأس مدمر، ولا يرفض المحاولة الشجاعة من جديد.

والنبى ﷺ، يحرض فينا طاقات الفعل الحياتى، حتى لا تفاجأ بالعجز عن هذا الفعل فنسقط فى براثن اليأس والإحباط. فعنه ﷺ أنه قال: «ابن آدم. اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك، وغناك قبل فقرك»(١١) فهنا دعوة إلى الامتلاء، قبل حلول مواعيد الذبول!!

ويلوح النبى ﷺ، بقيمة الإيجاب والفعل فى قوله: «إن قامت الساعة، وبيد أحدكم فسيلة، فاستطاع ألا تقوم حتى يغرسها، فليغرسها، فله بذلك أجره»(١٢) فهنا رفض للتخلى، ورمز لحتمية أن نزرع، حتى ولو تأكدنا أن الرحيل قبل مواسم الحصاد!!

---

(٧) الزمر (٥٣).

(٨) آل عمران (١٣٩ ، ١٤٠).

(٩) ابن ماجة جـ ٢، رقم ٤٢٥١.

(١٠) ابن ماجة رقم ٢٣٥٦.

(١١) فتح البارى ٢٣٥/١١.

(١٢) أحمد ١٩١/٣.

ويحاول ﷺ، أن يلفتنا إلى ما فينا من قدرة على الفعل. وإلى ضآلة المسافة، المنوط بنا قطعها فيقول: «الجنة أقرب إلى أحدكم، من شراك نعله، والنار مثل ذلك»[١٣] وهنا دفع بالإنسان إلى صراط دقيق، قد يميل به هنا، وقد يميل هناك، ولكن المهم أننا نستطيع اجتياز الجنة بيسر إذا أردناها!!

وإذا كانت الحياة، هي أطلع الفعل الإنساني، الذى يقترب به من تحقيق وجوده على السواء.. فإن النبى ﷺ، يهيب بنا، أن نتعشقها، ما دمنا قادرين على الفعل من خلالها، فإن عجزنا.. كان الموت أغدق رحمة، اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لى.. وتوفنى إذا كانت الوفاة خيرا لى.

ولأن النبى ﷺ كان هذا القائد المقاتل، الرافض لكل عناصر الترهل والعجز، فقد كان دعاؤه الأثير: «اللهم إنى أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والهرم، والبخل، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، وضلع الدين، وغلبة الرجال»[١٤].

ويؤسس النبى ﷺ لإنسان تاريخى جدير بإنسانيته وتاريخه معا.. أى جدير بحمل أمانة الفعل الذى ينقل الحياة من مجرد الصيرورة، إلى رشاد التوجه فى هذه الصيرورة. فيقول فى دعائه الحميم: «اللهم لك أسلمت، وبك آمنت وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لى ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت إلهى، لا إله إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك»[١٥].. هنا تستحيل الأشياء إلى مجرد إطار يعيش داخله إنسان هذه الوضعية، ويستحيل هذا الإنسان الكونى إلى زخم عقيدى، يتحرك بالله ويحرك فى اتجاهه كل محاور الأشياء.

ويعمق النبى ﷺ فى خلد المسلم إحساسه بمسؤلية الإنسان المثال، الذى لا يستسلم، لأن مسئوليته تتجاوز السطوح العابرة إلى الدخول فى أبهاء سرائر الأشياء، فيقول ﷺ: «أوصانى ربى بتسع أوصيكم بها: أوصانى بالإخلاص فى السر والعلانية، والعدل فى الرضا والغضب، والقصد فى الغنى والفقر، وأن أعفو عمن ظلمنى، وأعطى من حرمنى، وأصل من قطعنى، وأن يكون صمتى فكرا، ونطقى ذكرا ونظرى عبرا».

وهكذا.. يتردد الصوت النبوى الكريم، بين هدهدة الجراح، وإقالة العثرة، والدعوة إلى الإيجاب والتحريض على الفعل، والتحذير من الجنوح، والاستفادة من الرحلة الحياتية، والتوجه إلى الله بالعياذ من كل ما يُقْعِد ويَشُلُّ، واللياذ به والابتعاد عمن سواه، وديمومة التصدى للعطاء حتى ولو شهروا فى وجوهنا كل خناجر حقدهم الأسود.. وفى ذلك تلويح مضىء، بأن الوجود الإنسانى

---

(١٣) البخارى ١٢٧/٨.

(١٤) البخارى ٢٨/١.

(١٥) البخارى ٨٦/٨.

للأمل، وليس لليأس، ولمزيد من الفعل، وليس لمزيد من الهروب، ولديمومة الرحلة. وليس إلى معالجة الموت قبل الموت، فقد تهدد الإسلام كل من يقترب من هدم الإنسان، لأن هذا الإنسان بنيان الله في الأرض، وملعون من هدم بنيانه!!

وإذا قلنا: إن القرآن الكريم.. يستنقذ الملكة الإنسانية، من مخالب اليأس والقنوط، ويدفعها في اتجاه التحقيق والفعل الإبداعي.. وإذا قلنا كذلك: إن السنة النبوية، ترمي في وعي الإنسان المسلم أنه للإيجاب وليس للسلب، وأن وجوده مساحة لتحقيق التقدم، وليس لتحقيق الدمار.. فإننا نستطيع أن نقول كذلك: إن تاريخ الحركة الإسلامية، كان تصديقاً جدلياً، لهذا الاتجاه القرآني والنبوي.. فالمسلمون في مطالع الدعوة واجهوا ألواناً من الاضطهادات الفادحة، التي كان يمكن أن تقتلع الجذور من ترابها، ولكن أصالة الوعي الإيماني، وفدائية الحركة المسلمة، ربطت على قلب هذا الرعيل الأول، فرفض أن يستسلم لليأس وقاتل كل التحديات الباهظة، واستطاع أن يخرج من مآزق المواجهة، أكثر صميمية، وأرسخ يقيناً بالمستقبل المنشود.

ولقد واجه المسلمون عديداً من الهزائم المادية، في معارك القتال مرة.. وفي ارتداد بعض من آمن مرة أخرى.. وفي اكتشاف عناصر منافقة في صفوفهم مرة ثالثة.. إلى غير ذلك وأولئك من كوارث، كان يمكن أن تصيبهم بنوع من التراجع، أو حتى بنوع من التوقف عن مواصلة الزحف.. ولكن ذلك كله، لم يقعد بهم عن المحاولة المجددة، واستئناف التوجه إلى ضرب معاقل الشرك، والتمكين لحضارة التوحيد.. فكان هذا التحقيق التاريخي المسلم، الذي فرض إيقاعه على الزمن، في شتى العصور، وما يزال.

وما أحوجنا نحن الآن، ونحن نخوض أقصى معارك التحدي، ومحاولات التذويب، أن نسترجع هذا الصمود التاريخي المسلم، حتى نستعيد ذواتنا المفقودة، وحتى نرفض الهزائم الداخلية والهزائم الخارجية كذلك وحتى نمتلك أقدارنا، على أصالة الفعل، وحتى نتعالى على منطق الهروب اليائس من شتى المواجهات، في شتى المجالات!!

ونحن بعد، مطالبون دائماً ببناء حضارة إسلامية، خالية من التهدم الشائه، أو التفلت المغرور.. نحن مطالبون بإصلاح مناهج التربية، فنميل بها إلى شاطئ الفعل، وليس إلى مجرد الثرثرة.. مطالبون بالكف عن الإرهاب، في الفكر، وفي السياسة، وفي الاجتماع.. حتى نستطيع بناء جيل سوي، ينطلق من قناعات مؤمنة، وليس من خوف مشتت.. مطالبون بتنمية روح الجماعة في الأفراد، حتى لا ينغلق كل على ذاته، فيعجز عن تحقيق أي فعل تاريخي، فيصاب بالإحباط والارتباك.. مطالبون بفتح مصحات نفسية شعبية لليائسين، والهاربين، والانسحابيين، حتى لا نتركهم فريسة لهذا السلب المدمر،

فنخسر بهم عناصر، يمكن أن تكون صفا في جيش المواجهة المحتومة.. مطالبون بدفع موجات عارمة، من الاعتزاز بقيمنا.. وتراثنا.. وأصالة انتمائنا العقيدي.. مع الحرص الحريص على أن يتم كل أولئك في غير مصادمة لا مع الحاضر، ولا مع المستقبل، فنحن مؤهلون أكثر من غيرنا للقاء المستقبل بلا هروب.. مطالبون بأن نزرع في وعي الأجيال قيم التطلع إلى الممكن والمتاح، لا إلى قيم المستحيل والخارق، فإن وعي الأجيال بهذه الإمكانية يتيح لها مزيداً من الأمل، ويبعدها عن مزيد من مزالق اليأس، إن الطالب في مراحل الدراسة الأولى ينبغي أن يتوجه إلى المراحل التالية، وليس إلى المرحلة القمة هكذا فجاة.. وكذلك المريض ينبغي أن يتطلع إلى عافية محدودة أولاً ثم إلى تمام العافية آخر الأمر.. وكذلك الزارع.. ينبغي أن يحرص بالأمل بذاره، ثم سنابله، ثم حصاده.. وهكذا في كل قطاعات المجتمع الإسلامي.. لأن التطلع البدئي إلى كمالات غائية قد يصيب صاحبه بنوع من الإحباط المستمر.. وقد فطن علماء التربية الإسلامية إلى هذه الحقائق فأكدوا على عدم إلقاء الغايات في البدايات، وأوصوا بالتدرج العاقل، الذي لا يصيب المتلقي بنوع من تشاؤم اليأس، أو يأس التشاؤم، بلا تبرير..

ولا يظنن ظان أن اليأس قضية فردية تصيب بوبالها آحادا من الناس فحسب، ولكنها قد تصيب المجموع، فتتيبس فيه روح التطلع والطموح قد تصيب المجموع المستعمر فييأس من الخلاص وقد تصيب المجموع الجاهل.

فيتقاعد عن التثقيف.. وقد تصيب المجموع المتخلف فيقنط من طلاب الحضارة.. وقد تصيب المجموع المتفكك فلا يرى مستقبلاً للتلاحم والتوحد.. وقد تصيب المجموع الهازل فيهرب من مسئولية الالتزام.. وقد تصيب المجموع الطاغي فيخاف من زحف العدالة.. وقد تصيب المجموع الفقير فيهرب من مجرد التفكير في الوفرة.. إلى آخر ما هنالك من مستويات التوجه الجمعي في هذا الاتجاه الوبيل.. وإذن فاليأس قضية جمعية كما هو قضية فردية.. وفي هذا تكمن خطورته كظاهرة تصيب فتيبسها بالشلل، وتترك أعطابها في كل ما تلامسه، فإذا هو بوار مخيف!! ولو أننا تعمقنا قليلاً لرأينا كيف أن ظواهر الوجود تعلمنا درس الأمل: فالصغير يكبر، والواحد يتكثر، والقاحل يخضر، وتلك كلها دعوات مفتوحة إلى أمل حميم.

نحن مطالبون إذن بهزيمة اليأس فينا وفي الآخرين.. وبالتمهيد لحضارة أولها يبدأ من الأمل.. وآخرها لا ينتهي بانتهاء كل الآمال - فالإنسان المسلم - كما أراده الله - محاولة مستمرة، ومستقبل يولد من مستقبل، وصيحة رجاء تملأ جوانح الكون بعبق الجنة، حتى وإن كان زفير جهنم يدمدم من حوله في كل اتجاه!!!!

***

رؤية إسلامية للتعددية الفكرية

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

«التعددية» تنوع، مؤسس على «تميز.. وخصوصية».. ولذلك، فهي لا يمكن أن توجد وتتأتى بل ولا حتى تتصور.. إلا في إطار «الوحدة.. والجامع».. ولذلك لا يمكن إطلاق «التعددية» على «التشرذم» و«القطيعة» اللذين لا جامع لآحادهما، ولا على «التمزق» الذي انعدمت العلاقة بين وحداته.. وأيضا لا يمكن إطلاق «التعددية» على «الواحدية» التي لا أجزاء لها.

فبدون الوحدة الجامعة لا يتصور تنوع وخصوصية وتميز، ومن ثم تعددية..

وللتعددية مستويات، يحددها «الجامع.. الرابط» الذي يجمع ويوحد أجزاءها.. بفضل المستوى العالي، مثلا هناك تعددية الحضارات المتميزة، والقوميات المختلفة، المؤسسة على تعدد الشرائع والمناهج والفلسفات واللغات والثقافات، وبينها جميعا جامع الاشتراك في الإنسانية التي لا تمايز فيها ولا اختلاف..

وعلى مستوى كل حضارة من الحضارات، هناك تعددية في المذاهب ومدارس الفكر وفلسفاتها، وتيارات السياسة وتنظيماتها، وقد تكون.. في بعض الحضارات تعددية في القوميات واللغات والأوطان.. مع اجتماعها في رابطة الحضارة الواحدة وجامعتها.

والتعددية، ككل الظواهر والمذاهب الفكرية، لها «وسط - عدل - متوازن»، ولها طرفا «غلو»، أحدهما «إفراط»، والآخر «تفريط» - و«وسطها - العدل - المتوازن» هو الذي يراعي العلاقة بين «التميز.. والتنوع.. والتعدد» وبين «الجامع.. والرابط.. والوحدة»، بينما يمثل التشرذم «غلو القطيعة والتنافر» الذي لا جامع له.. كما تمثل «الوحدة» المنكرة للخصوصية، «غلو القهر» المانع من تميز الفرقاء واختصاصها.

***

وإذا كانت الرؤية الإسلامية قد قصرت «الوحدة»، التي لا تركب فيها ولا تعدد لها على الذات الإلهية وحدها، دون كل المخلوقات والمحدثات والموجودات، في كل ميادين الخلق المادية والحيوانية والإنسانية والفكرية، تلك التي قامت جميعها على التعدد والتزاوج والتركيب والارتفاق.

فإن هذه الرؤية الإسلامية تكون، بهذا الموقف الثابت ـ ثبات الاعتقاد الديني ـ قد جعلت من التعددية في كل الظواهر المخلوقة «سنة» من سنن الله» – سبحانه وتعالى –، في الخلق والمخلوقات جميعا، و«آية» من الآيات التي لا تبديل لها ولا تحويل.

إنها «القانون» الإلهي» و«السنة» الإلهية.. الأزلية الأبدية.. في ميادين الكون المادي، والاجتماع الإنساني، وشئون العمران وميادينه.. وبها تتميز عوالم «الخلق المتعددة عن ذات «الحق» الواحدة. وإذا كانت «الوسطية الجامعة»، في التصور الإسلامي، هي خصيصة من خصائص الأمة الإسلامية

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾(١)

وهي وسطية العدل المتوازن «الوسط العدل».

﴿ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾(٢).. فإن التعددية الموزونة بميزان الإسلام، لابد وأن تكون تميزا لفرقاء يجمعهم جامع الإسلام، وتنوعا لمذاهب وتيارات تظللها جميعا وتحكمها مرجعية التصور الإسلامي الجامع، وخصوصيات متعددة في إطار ثوابت الوحدة الإسلامية.. فوحدة الأمة فيما هو معلوم من الدين بالضرورة – أي فيما يدركه الكافة بالفطرة، دون نظر، وبلا خلاف فيه – هي فريضة إلهية:

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾(٣).

لا تعدد فيها ولا افتراق.. أما فيما هو فروع وموضوعات للاجتهادات، فإن التعددية فيها واردة، بجمع فرقاءها ومدارسها واجتهاداتها وتياراتها الوحدة فيما هو معلوم من الدين بالضرورة من العقيدة والشريعة والمبادئ والأركان.. فنطاق «الوحدة» بمثابة أصل الشجرة الطيبة.. والتعددية هي فروع هذا الأصل لهذه الشجرة الطيبة.. وهذه الفروع – التعددية – لا تكون فروعا حقيقية إلا إذا ارتوت من الأصل – الوحدة – وسرت فيها جميعها روح الأصل ومزاجه وصبغته التي بها يتميز عن الأصول الأخرى للمعتقدات.

بهذا المنظار والمنهاج يكون طريق النظر الإسلامي إلى قضية التعددية.. فيراها قانون التنوع الإسلامي في إطار الوحدة الإسلامية.

***

ولقد أشار القرآن الكريم إلى ميادين حكمت فيها السنة الإلهية بـ«التعددية» في إطار «الوحدة» ففي «القوميات والأجناس» تعددية يتحدث عنها القرآن الكريم باعتبارها «آية» من آيات الله في الاجتماع الإنساني، فيقول:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾(٤)

---

(١) البقرة: ١٤٣.

(٢) رواه الإمام أحمد.

(٣) الأنبياء: ٩٢.

(٤) الروم: ٢٢.

وهي تعددية في إطار «جامع: الإنسان»..

وفي «الشعوب والقبائل» هناك تعددية، تثمر التمايز الذي يدعو القرآن إلى توظيفه في إقامة علاقات «التعارف» بين الفرقاء المتمايزين:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(٥).

فتعددية التمايز إلى شعوب وقبائل، قائمة في إطار «جوامع: التعارف» بين بني الإنسان.. أي التفاعل فيما هو معروف وما هو متعارف عليه.

وفي «الشرائع والمناهج» ومن ثم في «الحضارات»، هناك تعددية يراها القرآن الكريم الأصل الدائم والقاعدة الأبدية، والسنة الإلهية، التي هي الحافز للتنافس في الخيرات، والاستباق في الطيبات، والسبب في التدافع الذي يقوّم ويرشّد مسارات أمم الحضارات على دروب التقدم والارتقاء.. فهي المصدر والباعث على حيوية الإبداع والتجديد الذي لا سبيل إليه إذا غاب التمايز وطمست الخصوصيات بين الحضارات:

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾(٦)

﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾(٧).

فالتعددية هي الحافز على امتحانات وابتلاءات المنافسة والاستباق في ميادين الإبداع والتجديد بين الفرقاء المتمايزين في الشرائع والمناهج والحضارات.

وفي هذا الإطار أيضا، إطار «وحدة الدين» و«تعددية الشرائع» جاء القرآن الكريم بتقرير هذه الحقيقة:

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾(٨).

على حين تتعدد شرائع الأنبياء ومناهج أمم الرسالات، في إطار جامع: الدين الواحد»، وعلى النحو الذي صوره الحديث النبوي الشريف «الأنبياء إخوة لعلّات - [أي أمهات متعددات]، دينهم واحد وأمهاتهم شتى»(٩).

● وفي «رعية» الدولة الإسلامية الأولى - دولة المدينة، على عهد رسول الله ﷺ كانت هناك «تعددية» في إطار «وحدة الأمة» -

---

(٥) الحجرات: ١٣.

(٦) هود: ١١٨، ١١٩.

(٧) المائدة: ٤٨.

(٨) الشورى: ١٣.

(٩) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والإمام أحمد.

تحدث عنها تفصيلا «دستور» تلك الدولة - المسمى فى تراثنا وفى صلب الدستور به «الصحيفة» و«الكتاب»-.. فالقبائل غدت لبنات متعددة.. تحدثت «الصحيفة» عنها وعن أحلافها وحقوقها وواجباتها.. فى إطار «وحدة الأمة».. والمهاجرون والأنصار، مثلوا جوامع فرعية، أشارت إليهم «الصحيفة» فى إطار الجامع الإسلامى الواحد، والأمة الإسلامية الواحدة.. والتعددية بين جماعة المؤمنين وجماعة يهود، تحدثت عنها «الصحيفة».. ونظمت أطر وآفاق تعدديتها فى نطاق جامع الرعية ووحدة الأمة بالمعنى السياسى والدستورى والقانونى.

وعن هذه «التعددية»، وفى إطار «الوحدة» نصت مواد «الدستور» - «الصحيفة».. فقالت: «المؤمنون والمسلمون، من قريش وأهل يثرب، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أمة واحدة من دون الناس». «وإن يهود أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم».

«وإن يهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين. وأن على يهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم. وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة. وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم».

«وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث،، أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله»[10].

ففى إطار جامع الأمة الواحدة، والدولة الواحدة، ذات المرجعية الواحدة، تعددت الانتماءات القبلية والدينية، ونظم الدستور علاقات فرقاء هذا الانتماء.

● بل لقد وسعت «وحدة الأمة الإسلامية» ألوانا من التعددية بلغت تناقضاتها الداخلية حد الصراعات المسلحة، لأن فرقاء هذه التعددية، برغم صراعهم، قد ظلوا على ولائهم «للدولة الواحدة».. فحافظوا على «الجامع السياسى».. وعلى ولائهم «للدين الواحد».. فحافظوا على «الجامع الدينى».. فكان القتال بينهم على «التأويل» لا على «التنزيل».

وكانوا جميعا، رغم القتال، على ولاء لوحدة الدولة ووحدة الدين.. ولقد كانت صراعات الفتنة الكبرى، زمن الراشدين فى هذا الإطار، الذى وسعت فيه «وحدة الأمة» فرقاء هذه الفتنة وذلك الصراع.. فلم يكن اقتتالهم بالمخرج لأى منهم من «الأمة» ولا من «الملة» ولا من «الدولة».

وفى موقعة «صفين» [٣٧ هـ ٦٥٧م]، التى مثلت قمة صراعات تلك الفتنة،

---

(١٠) (مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة) ص ٤-٢٠ تحقيق: محمد حميد الله الحيدر آبادى. طبعة القاهرة سنة ١٩٥٦م.

يتحدث الإمام على بن أبى طالب عن «الجامع الدينى» الموحد لفرقاء القتال، وكذلك عن «جامع الدولة» فيقول: «لقد التقينا، وربنا واحد، ونبينا واحد، ودعوتنا فى الإسلام واحدة، ولا نستزيدهم فى الإيمان بالله والتصديق برسوله ولا يستزيدوننا، والأمر واحد، إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان ونحن منه براء»(١١).

«فالدين واحد» وجامع.. و«الأمر واحد» وجامع.. والخلاف في «دم عثمان» رضى الله عنه، فقط.

كما يرد الإمام على على شبهة الخوارج وتأويلهم الفاسد، الذى كفروا به معاوية وأهل الشام، فيقول: «إننا، والله، ما قاتلنا أهل الشام على ما توهم هؤلاء -[الخوارج]- من التكفير والفراق فى الدين، وما قاتلناهم إلا لنردهم إلى الجماعة - [أى الجماعة السياسية] - وإنهم لإخواننا فى الدين، قبلتنا واحدة، ورأينا أننا على الحق دونهم»(١٢).

ثم يؤكد الإمام علىّ - كرم الله وجهه -، على أن مصادر النزاع هى «شبهات» أثمرها «التأويل»، فهى لا تُخرِج من «أخوّة الإسلام» فيقول: «لقد أصبحنا نقاتل إخواننا فى الإسلام على ما دخل فيه من الزيغ والاعوجاج والشبه والتأويل، فإذا طمعنا فى خصلة يلم الله بها شعثنا، ونتدانى بها إلى البقية فيما بيننا، رغبنا فيها، وأمسكنا عما سواها»(١٣).

وعندما سئل عن رأية فى «آخرة» قتلى الفريقين؟!.. أجاب «وإنى أرجو ألا يقتل أحد نقى قلبه منا ومنهم، إلا أدخله الله الجنة»(١٤).

هكذا وسعت وحدة الملة والدولة التعددية، حتى عندما بلغت الفتنة بين فرقائها درجة الاقتتال.. الأمر الذى لا نعتقد أن له نظيرا خارج منهاج الإسلام!.

***

هكذا انفتحت سبل التعددية واتسعت آفاقها أمام تيارات الفكر الإسلامى، فى إطار «وحدة وجامع التصديق» بما جاء به الدين، مما هو معلوم منه بالضرورة.. فظلل «الجامع الإسلامى» الذى وحد الأمة والعقيدة والحضارة ودار الإسلام.. ظلل التعددية فى اللغات والأقوام.. وفى الثقافات الفرعية... وفى الأوطان والأقاليم المتميزة وفى الفرق الإسلامية السياسية.. وفى المذاهب الفقهية.. وفى التيارات الفكرية.. فازدهرت تعددية الاجتهادات البشرية فى إطار الجامع الثابت الخالد الذى تمثل فيما علم بالضرورة من أصول الدين.

---

(١١) ابن أبى الحديد (شرح نهج البلاغة) ج ١٧ ص ١٤٦ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. طبعة القاهرة سنة ١٩٥٩م.

(١٢) الباقلانى (التمهيد) ص ٢٣٧، ٢٣٨ تحقيق: محمود محمد الخضيرى، د. محمد عبد الهادى أبو ريدة. طبعة القاهرة سنة ١٩٤٧م.

(١٣) (نهج البلاغة) ص ١٤٧، ١٤٨ طبعة دار الشعب القاهرة.

(١٤) الباقلانى (التمهيد) ص ٢٣٧.

مكسيم رودنسون

وكتابه : جاذبية الإسلام

للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومي

حين كتبت كتابي «تأملات في أزمة العقل العربي» وصدر ١٩٨١ وقر في ذهني آنئذ أن المشكلة الأساسية التي وراء أزمة العقل العربي هي غياب «الحوار» الفكري عن متابعة رحلة اللقاء بين العرب والعرب، والعرب والعالم الإسلامي ثم بينهم جميعاً والغرب.

وراعني، في غياب الحوار، افتقادنا إياه على كافة المستويات، فالغرب كما قدمنا يرى أولوية نوذجة الأوروبي وتفوقه، وعنصريته وعرقيته وتلك هي في نظره أولويات أساسية وعليها يبني أهداف الحوار. والشرق موصوم لديه بالدونية وبلادة الذهن والبداوة وعدم التحضر. وعلى هذا التصور تكون ظواهر الأزمة واضحة، وقائمة، يختلف أهل الرأي في تفسيرها من مستشرقين وغيرهم من العرب.

لذلك كانت مسألة التفاهم تحتاج إلى أسس منهجية تطرح عليها القضية من جديد.

من هنا وجدت ثمة محاولة جديدة للحوار تبناها «مكسيم رودنسون» وأنا أطالع كتاب «الاستشراق بين دعاته وخصومه» اختار أبحاثه وترجمها ووحد بين موضوعاته من بين بحوث لكبار المستشرقين وهم:

محمد أركون، مكسيم رودنسون، آلان روبنسون، بيرنارد لويس، فرانسيسكو غابرييلي، كلود كاهين. وقام بإعدادها وترجمتها هاشم صالح. وتحدث عن الدافع الذي دفعه إلى القيام بهذا الجهد العلمي الرائع الذي يتحدث بجدارة عن متابعة ثقافية تعالج هما من هموم دارنا العقلية. ومازلنا ننقسم حول قضية الاستشراق ماله وما عليه. ويرى صاحب الكتاب أن قضية الاستشراق حولها سوء فهم، وخلل في الرؤية، ربما كان مرد ذلك إلى أن المسألة لم تطرح من بابها السليم ولم تركز على الأسس التي ينبغي أن ترتكز عليها وبالتالي فلم نستطع أن نصل إلى نتائج مجدية أو حاسمة.

وكما قلنا سابقاً لا ينبغي أن نظن أن التاريخ يعطي نفسه بسهولة، ولا ريب في أن العثرات والمواجهات المكشوفة في ظل اختلال كامل في موازين القوى هي آخر ما يقودنا إلى دخول حلبة التاريخ. وربما كان أعداء الحوارات العلمية هم الذين يدفعوننا بشكل مباشر أو غير مباشر إلى تلك المناطحة. لذلك يقول الأستاذ هاشم صالح: إنه من أجل توضيح الصورة «رأيت أن من الضروري أن يكون للجهة الأخرى - أي المستشرقين - حق الكلام، لقد آن الأوان للانتقال من الموقف الدفاعي التبجيلي أو الهجومي المتطرف إلى موقف المسئولية العقلية والنضج الثقافي ولذا قمت بعملية اختيار لبعض نصوص المستشرقين وجمعتها بعد أن ترجمتها وقدمت لها وأوضحت حيثياتها وسياقها».

ومما لفت نظري من تلك الأبحاث: محاولة مكسيم رودنسون في تبني رؤية جديدة تتحرى الدقة الموضوعية في تقييم وضع الاستشراق المختص بالدراسات الإسلامية: مكتسباته ومشاكله وما عليها من خلال استعراضه لتاريخ الدراسات المتراكمة لدى الاستشراق عن الشرق والإسلام في الغرب من خلال كتابه: «جاذبية الإسلام».

أزمة اللقاء بين الاستشراق والإسلام في نظر مكسيم رودنسون

١ - مكسيم رودنسون

يعتبر مكسيم رودنسون واحداً من أهم المستعربين إن لم نقل المستشرقين في فرنسا، وقد أصبح على مدار الثلاثين سنة الماضية غنياً عن التعريف بالنسبة للقارىء العربي. فقد ترجمت معظم كتبه إلى لغتنا ودعي إلى مختلف العواصم للمحاضرة في جامعاتنا والالتقاء بمثقفيها إن لم نقل وسياسييها. من أشهر كتبه: الإسلام والرأسمالية «١٩٦٦»، الماركسية والعالم الإسلامي «١٩٧٢» محمد «١٩٧٩» الطبعة الأولى تعود إلى «١٩٦١»، العرب «١٩٧٩»، جاذبية الإسلام «١٩٨٠، ١٩٨٩» هذا بالإضافة إلى مقالات عديدة ومهمة في مختلف المجلات الاختصاصية من فرنسية وإنجليزية. وكنا أخذنا عليه حين كتب عن الرسول مبكراً عدم الموضوعية التاريخية والتطاول المستفز على شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم حين وصفه بـ«النبي المسلح» «على اليهود العزل» ثم بعد رحلة طويلة مع الإسلام والعرب جعلته يعيد النظر فيما كتب ثم أفرغها في كتابه: جاذبية الإسلام.

يعرض مكسيم رودنسون في كتابه: «جاذبية الإسلام» لقضية اللقاء بين الاستشراق والإسلام ومن خلال دراساته إلى تحديد مناط الخلاف - كما يقول الفقهاء - فيعرض للأزمة وظواهرها وقد لخصناها لعرضها وتقويمها وهي ولا شك رؤية جديرة بالنظر إليها من المثقفين العرب وهي كما يراها.

٢ - ظواهر الأزمة:

يحكم عمل المستشرقين نوعان من المناهج ويقعان على طرفي النقيض ويشيران بينهما

أزمة كبرى فى ساحة الاستشراق، أو فى ساحة الدراسات الإسلامية والعربية لديهم.

● هناك نوع من المستشرقين الذين يأخذون بالمناهج العقلية الجديدة التى تتحرى الدراسة الموضوعية والتيارات الجديدة للأفكار ويقفون من الدراسات الإسلامية موقفاً عادلاً منصفاً.

● وهناك نوع آخر منهم يقف عند المناهج العقلية القديمة التى كانت تساير الاستعمار ولم يزل يقف من الدراسات الإسلامية موقفاً عدائياً، وهذا ما يقيم فجوة بين الصنفين من الاستشراق الغربى. ويقف بين تخاصم المنهجين: القدماء والمحدثين من المستشرقين صنف آخر، وهو دخول المتخصصين الذين ينتمون إلى البلاد المدروسة، تلك التى عانت من الاستعمار أشد المعاناة، واشتد سخطها عليه فهم له كارهون، إلى ساحة البحث العلمى الأوروبى لأول مرة بعد استقلال بلادهم وسفر أبنائها إلى الغرب للدراسة. بعضهم جرفتهم أضواء الحضارة الأوروبية ومالوا إليها كل الميل غير عابئين بقضيتهم الوطنية فلم يفرقوا بين مطلبهم العلمى، ومطلبهم الوطنى. وقبلوا مناهج الاستشراق بما له وبما عليه.

وبعض آخر، جرفتهم نزعتهم الرافضة للاستعمار إلى رفضهم مناهج الاستشراق سواء الذى واكب الاستعمار أو الذى لم يواكبه بل رفض كل مكتسب علمى باعتباره من وجهة نظرهم، ملوثاً بالعقلية المركزية الأوروبية والعقلية الاستعمارية. وتحت ضغط تاريخ الاستعمار الأشد حلكة من الليل تشتد الحدة وتشتد الأزمة وتتجمد بنوع من المقاومة العمياء والتحجر العقلى بين الطرفين.

غير أننا نرى - أى مكسيم رودنسون - أن السبب فى عدم التفاهم بين الطرفين يرجع إلى أمور عارضة فى التاريخ السياسى والتاريخ الثقافى، فأصحاب البلاد المدروسة كانوا قد تكونوا علمياً على مناهج الاستشراق القديم، فعمموا كراهيتهم لغطرسة الاستعمار وأحكامه الظالمة على الشعوب وتراثها، ومساعدة الاستشراق القديم له، وتعميم أحكام التاريخ السياسى وهو التخلف والفقر والجهل، على التاريخ الثقافى، وهو غير التاريخ السياسى، إزدهار فكرى ونضوج فلسفى وعلمى وحضارى نراه قد عمم حكمه السياسى ووصفها هى الأخرى بالهمجية والتخلف فخلف لدى الشعوب وأبنائها كرها له وسخطاً عليه.

ومما يحسب للاستشراق الحديث، كما يرى مكسيم رودنسون، أنه هو الذى رفع رايات النقد والمعارضة وأثار الشكوك والشبهات حول منازع الاستشراق القديم ومناهجه ووصفه بأنه غير جدى فى بحوثه وغير جدير بلقبه العلمى، غير أن بعض الدارسين القوميين من البلاد المدروسة كانوا دائماً ينظرون بارتياب كبير تجاه مناهج

الاستشراق ولم يتحروا الدقة فى تمييز مواقف مدارس المستشرقين وهى مواقف ينبغى المكوث عندها بأناة حتى يتميز الخبيث من الطيب. فبعض منهم مازال يحتقر المنهجيات الجديدة والمكتسبات العلمية الجديدة وقد تركتهم عصبيتهم فتزيدهم نفوراً فى مواقفهم، ولا يتريثون حتى يميزوا بين الخبيث والطيب ابتغاء إحقاق الحق فى فرز أعمال المستشرقين قبل أن يسيؤا فهمها ويحتقرونها ويقعون تحت سطوة الأحكام العامة.

٣ - إشكالية المصالحة:

وسط هذه العصبيات الفكرية تجاه دراية الغرب بالإسلام والمواقف المشحونة بالمزايدات الانفعالية من قبل مفكرى الإسلام يقدم «مكسيم رودنسون» وجهة نظره، هدفها التواصل الثقافى بين الغرب والإسلام، التى تقوم على الحوار الفكرى الموضوعى من غير انفعال يشوبه، وهو طريق صعب شقه وسط مصاعب وأشواك بين فعل العرقية الأوروبية ذات التاريخ الاستعمارى الكريه وبين رد فعل القوميين أصحاب البلاد المدروسة الذين يرفضون مناهج الاستشراق رفضاً تاماً أو الذين ارتموا فى حضن الاستشراق، كذلك ينبغى علينا من أجل نجاح الحوار ويأخذ شكله الجدى الموضوعى بين الغرب والإسلام علينا أن نتصافى وتصفى الجو الفكرى من وباء العصبيات وردود الأفعال المتشنجة، إذ هى تعوق أصحابه من التعرف على المكتسب العلمى الذى خلفه المتصفون من المستشرقين الذين أنصفوا أنفسهم ودراستهم واتسمت مواقفهم بالموضوعية.

يضاف إلى ذلك - كما يرى - أن الارتياب الأسود جرف أهل البلاد المدروسة فلم يعد يشككهم فى الاستشراق القديم وحسب بل تجاوزوه إلى «قضية الاستشراق» بينما هم فى الغالب لم يتخلصوا بعد من تأثير المناهج البالية، وكان عليهم أن يتخلصوا منها قبل لينظروا من جديد نظرة إنصاف وعدل وعلى أساسها يكون حكمهم. من هنا يكون الخلاف الواقع ليس حول الأبحاث العلمية بقدر ما هو خلاف حول رؤى استثنائية وأكتب فترات تاريخية استثنائية مازال بعض من المستشرقين غرقى فيها، وفى المقابل نرى خط الدفاع الإسلامى يقود ثورات الغضب فيه ضد الغرب الذين لا يزالون متأثرين بتاريخ الاستعمار الكريه الأسود.

ويرى مكسيم: وهؤلاء هم الذين يقدمون أنفسهم، تجاوزا الناطقين الرسميين باسمه أى باسم شعوب العالم الثالث وبخاصة الشعوب العربية والإسلامية. وهم أحياناً عبارة عن مجرد مغامرين ثقافيين يعرفون كيف يستغلون المنعطف التاريخى المضاد للاستعمار لصالحهم. فى هذا الجو المشحون بالغضب لا نستطيع التعرف على الدعوة الجامعة بين الشهود العدول من الطرفين وتلك هى مشكلة المصالحة.

٤ - منازع الاستشراق في دراسة الإسلام:

إن دراسة النظام الإسلامي مازالت تلقى جدلاً بين المستشرقين فهناك من يدرسه بروح المودة والتعاطف، ولا تزال تلك النزعة متواصلة في أوروبا من قبل علماء ينتمون إلى مختلف الاتجاهات الروحية، بما فيهم العلماء المسيحيون الذين يطبقون العقلانية من أمثال «لويس غارديه»، وجورج قنواتي، هنري لاوست جاك بيرك، فهؤلاء العلماء بسبب تكوينهم العلمي والديني وبسبب تخصصهم ميالون بطبيعة الحال إلى تبني الرؤيا العقدية في نظرتهم لمختلف أنواع الظواهر ويزداد هذا التوجه رسوخاً إذا ما علمنا أن حياتهم الدينية الخاصة هي ذاتها موجهة نحو هيمنة الروحانية الدينية أو حتى الصوفية عليهم. ولكن كما يقول مكسيم رودنسون على الرغم من ذلك فإن الجزء الأكبر من بحوثهم وتحليلاتهم يمكن أن يقبل حتى من قبل الباحثين ذوي التوجه الفكري المختلف تماماً عنهم، أما الشيء الذي تنتقده بشكل أكثر في أعمالهم، فهو محاولتهم نشر وتعميم إشكاليتهم ورؤياهم لكي تشمل الإسلام وظواهر أخرى دينية بالمعنى الحرفي للكلمة، بينما الإسلام نظام مختلف عن النظم الأخرى يتشابه معها في أشياء ويفترق عنها في أكثرها.

ومازالت تلك النزعة سائدة وتشمل قطاعاً واسعاً ومهماً من المستشرقين، وهي وإن كانت تمثل التيار المضاد للاستعمار وللعرقية المركزية. كما تمثل الاتجاهات المسكونية للمسيحيين «الذين يشعرون بالذنب بسبب الأضرار القديمة التي سببوها للمسلمين» أقول - أي رودنسون - إن هذه الموجة السائدة حالياً وهي سيادة الأدبيات التبجيلية الإسلامية حالياً قد جعلت أي نقود للعقائد أو للشعائر الإسلامية «والممارسات الدنيوية للمجتمع الإسلامي» بمثابة السقوط في حمأة الموقف الاستعماري، أي موقف الهيمنة والاحتقار الذي كان سائداً في المرحلة الاستعمارية السابقة. وقد زاد من هذه الظاهرة، ذلك التراجع العلمي عن بعض قضايا إسلامية توصل إليها مستشرقو المرحلة السابقة عن «التاريخ المقدس» الإسلامي وعن كيفية جمع القرآن بالدرجة الأولى كانت تعتبر سابقاً بمثابة المكتسبات النهائية للعلم ولكنها أصبحت الآن عرضة للتشكيك في الغالب وخضعت لتعليقات جديدة وفق مصادر جديدة.

***

الإسلام قضية عادلة في يد محام فاشل! والمدعون عليه مزورون

٢

للأستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعني

رأينا في المقال السابق، كيف فشل المسلمون المعاصرون، الذين شبههم الشيخ محمد الغزالي بالمحامي الفاشل في عجزهم عن الدفاع عن الإسلام رأينا كيف فشلوا في مجال ظاهرة «الرق» والقضاء على هذه الظاهرة على يد الإسلام بما أنزل الله في كتابه العزيز من آيات حكيمات، عالج فيها تلك الظاهرة علاجا حكيما، ثم جاء الغرب في العصر الحديث، وعزا القضاء على ظاهرة «عبودية البشر للبشر» إلى الحضارة الغربية الحديثة، متمثلة في وثيقة حقوق الإنسان، التي أصدرتها منظمة هيئة الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية.

ولم يقف دور خصوم الإسلام عند حد هذه الفرية: فرية أن حضارة أوروبا الحديثة، بعد قيام الثورة الفرنسية، وهي صاحبة هذا الفضل على الإنسانية وليس الإسلام.

لم يقفوا عند هذا الحد، بل إن كثيرا من كتاب الغرب ومفكريه ادعوا أن الإسلام نفسه هو المسئول عن انتشار ظاهرة «الرق» وكون الإنسان أصبح فيها سلعة تباع وتشترى كما تباع الأبقار والحمير والبغال والنعاج والخراف؟

وفشل المسلمون عن إنصاف الإسلام في هذه الظاهرة وصمة عار في تاريخهم الحديث. وإن كان قليل منهم قد أجاد وأحسن في إنصاف الإسلام في هذه الدعوى وغيرها، مثل الأستاذ الدكتور علي عبدالواحد وافي رحمه الإسلام في كتابه القيم «حقوق الإنسان في الإسلام» والأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه المعروف «حقائق الإسلام وأباطيل خصومه».

ومع جودة ما كتباه فإنه لم يقض على ما قرّ في أوهام الناس من تصديق الفرية الأوروبية، التي يناصرها ويروج كثيرون من حملة الأقلام منا - نحن العرب والمسلمين- إما جهلا بالإسلام، وإما تجاهلا وتحاملا عليه، لحاجة في نفس يعقوب.

وأشد ضررا من فشل مسلمي العصر -المحامي الفاشل- في هذا المجال، فشلهم في مجال آخر أوسع نطاقا من ظاهرة «الرق»، وأقوى سلطانا.

إنه مجال عدالة نظام الحكم، أو «الديمقراطية» أوروبا بعد الثورة الفرنسية، التي قضت على استبداد الحكم في الغرب، ممثلا في سلطة رجال الدين في المجال الروحي، وعلى سلطة الملوك والإقطاعيين، والثنائية التي نتجت عنهما:

● رجال الدين يملكون روح الإنسان وقلبه.

● والملوك يملكون جسد الإنسان وعقله وعرقه، هذه الثنائية هي أخطر محنة تعرض لها الإنسان الأوروبي في القرون الوسطى، حتى منتصف القرن الثامن عشر، حين حلت الفلسفة العقلية محل سيطرة النصوص الدينية المحرفة التي كانت تحميها الكنيسة وتباركها، ثم حلت الفلسفة الوضعية المادية على يد أوجست كُنْتْ، ثم تبناها مشعلوا الثورة الفرنسية، وأخرجوها من حيز النظر والفكر المجرد، إلى مجال التنفيذ والتطبيق العملي، ولهذا كان شعارهم الذي يرددونه وهم يواجهون سلطتي رجال الدين والملوك:

أشنقوا آخر ملك، بأمعاء آخر قسيس.

●●●

منذ ذلك الوقت اعتقدت أوروبا الحديثة أن عدالة نظم الحكم أو «الديمقراطية» صناعة أوروبية خالصة، نظريا وعمليا، فقها وتطبيقا، وتدعم دعواها هذه بنظرية جان جاك روسو، التي تقوم على مجرد وَهْم توهمه، وخلاصة نظريته:

إن الفوضى والظلم كانت سائدة في المجتمعات البدائية بين الناس، فالقوى يبطش بالضعيف، والكثير يظلم القليل، ولم تستطع الأديان، حتى الصحيح منها أن تحل هذه المشكلات، فاهتدى الناس إلى أن يختاروا واحدا منهم يسوسهم على نظام يصنعونه هم، ويكون الذي يختارونه هو المسئول عن تطبيقه على كل الناس فإذا انحرف عزلوه، ونصبّوا من هو أصلح منه هذا الوهم هو أصل النظام أو الفكرة «الديمقراطية» في العرف السياسي المعاصر، حتى في المجتمعات العربية والإسلامية. وفي أوروبا يطلقون على نظرية جان جاك روسّو مصطلح:

«إنجيل الثوار» أي الذين قاموا بالثورة منذ أكثر من مائتي سنة بقليل.

وسلمنا نحن -العرب والمسلمين- لأوروبا بصحة هذه الدعوى، وأن «الديمقراطية» هي صناعة أوروبية خالصة. وهي أساس العدالة المطلقة في الحياة!!

كذلك لم يقف الافتراء على الإسلام عند هذا الحد: أنه لم يعرف شيئا عن عدالة نظم الحكم «الديمقراطية» بل أضافوا إلى ذلك أن نظام الحكم في الإسلام نظام شمولي مضطرب، وعزف على هذا الوتر كثير من العلمانيين والحداثيين في البلاد العربية والإسلامية وما يزالون يرددون هذه الافتراءات حتى هذه الآونة، والله -وحده- يعلم ما يحمل هؤلاء في طواياهم من حقد وعناد للإسلام، أو جهل أو جهالة، والرأى العام العربي والإسلامي وقع ضحية لهذه الفرية، وفي الاحتفال بمرور مائتي عام على الثورة الفرنسية من يصف «باريس» بأنها «مدينة النور» هكذا، وممن قال هذا مسئولون كبار في الوطن العربي.

ومن شأن هذا الإجلال «الأعمى» أن يطمس الحقيقة فلا يكاد يراها أو يسمع بها أحد، وخاصة قطاعات الشباب؟

وهذا كله تزوير لا أساس له، فالإسلام هو صاحب الفضل فيما في النظام الديمقراطي من محاسن مع براءته الخلية مما في النظام أو النظم الديمقراطية المعاصرة من مساوىء، وعيوب ترتب عليها خلل جسيم في واقعيات النظم الديمقراطية المعاصرة، في المناهج النظرية، وفي التطبيقات العملية في الشرق والغرب على حد سواء. إلا ما شاء الله له العصمة. وقليل ما هم.

وكما نعلم أن جوهر الديمقراطية هو حكم الشعب للشعب. وهذه العبارة مأخوذة من عبارة اليونان القدماء وهي:

« ديمو- كريت » أي حكم الشعب للشعب. أي أن الشعب هو الذي يحكم نفسه، لا حكما مباشرا، بل بمعونة النواب الذين يختارهم الشعب عن إرادته الحرة المباشرة.

إن ما في النظم الديمقراطية من محاسن قد سبق إليه الإسلام سبقا غير قابل للنزاع والجدل، ولا يقدح في ذلك أن اليونان القدماء قد عرفوا هذا النظام قبل الإسلام، فإن اشراك الشعب في الحكم عند اليونان كان صوريا ومخادعة، فهم كانوا يختارون أفرادا من رؤساء العشائر والطبقات إرضاء لمن يرأسونهم كما يقول الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه « الديمقراطية في الإسلام » مع بذل العطاء لأولئك الرؤساء المختارين، ولم يكن لدى اليونان مبدأ دستوري يحترم العدالة، ويتوخى الوسائل المحققة لها بين جميع الطبقات.

ولما جاء الإسلام كانت نظم الحكم في شبه الجزيرة العربية والأطراف المتاخمة، وفي إمبراطوريتي الفرس والروم ترجع إلى رؤساء القبائل والعشائر في شبه جزيرة العرب.

أما في إمبراطوريتي الفرس والروم فكان الملك وأقرباؤه لا يرون للرعية أية حقوق عليهم. أما هم فلهم على الرعية كل الحقوق، وكانت الشعوب أشبه ما يكونون بعمال السخرة، يقومون بكل الأعمال التي تحقق السعادة لأسيادهم من العائلات الحاكمة.

وكان الناس ينقسمون طبقات عليا ودنيا ومتوسطة فالطبقة العليا التي تستبد بشئون الحياة وهي طبقة الحكام وأسرهم، والطبقة المتوسطة هم القائمون على توفير السعادة للملوك وعائلاتهم.

أما الطبقة الدنيا فهم عامة الشعب الكادحون، الذين يعملون في فلاحة الأرض وما اتصل بها من أنشطة لتدر في قصور ومرافق الحياة للأسر الحاكمة.

وقد أفاض الدكتور علي عبدالواحد وافي في مقدمة كتابه « حقوق الإنسان في الإسلام » في وصف هذه الطبقات ومدى ما أصاب الطبقة الدنيا من أضرار، وانعدام لصفاتهم الإنسانية التي فطرهم الله عليها. وحرمهم منها الأكاسرة والقياصرة والأباطرة. حتى أحيلت حياتهم إلى قهر واضطهاد يذيبان الصخور.

لقد مورس النظام الديمقراطي منذ فجر الإسلام المبكر في حياة صاحب الدعوة ﷺ كما أرسى قواعد ذلك النظام القرآن الكريم ومما هو معروف الآن أن النظم الديمقراطية تقوم على مبدأ هو الأساس الأعظم فيها، وهو مبدأ الشورى في غير مجالات التبليغ عن الله. وفي ذلك قال الله لرسوله الكريم:

﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾(١)

كما وصف الرعيل الاول من المسلمين، وكل من نهج نهجهم من بعدهم فقال:

﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾(٢).

وقرن امتداحه إياهم على تمسكهم بالشورى بثلاثة أمور هي أساس الإيمان والإسلام، وهي:

- الاستجابة لله.
- إقامة الصلاة.
- الإنفاق الواجب (الزكاة) وغير الواجب طاعة لله ورسوله:

« والذين استجابوا لربهم، وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم، ومما رزقناه ينفقون ».

كما كرر القرآن الحث على تحقيق العدالة بين الناس مهما تفاوتت أوضاعهم، حتى لو كانوا خصوما شديدى العداء للمسلمين، ودعا إلى عدم التأثر بالحب او البغض تجاه الخصوم في إصدار الأحكام.

واعتبر اعمال العاطفة أو الهوى ضلالا يستحق صاحبه سوء المصير.

ففي مجال الفصل بين الأفراد أنزل الله الضوابط الصارمة الآتية:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾(٣).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾(٤).

والشنآن هو البغض والكراهية

أما في مجال جماعات الخصوم، المعادين للإسلام، بل المحاربين له فعلا، المتربصين به الدوائر، فقد شدد القرآن في إنصافهم وإعطائهم حقوقهم والأصل في ذلك قوله تعالى:

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا ﴾(٥).

اى لا يحملنكم عداؤهم إياكم أن تظلموهم وتعتدوا عليهم.

اما التطبيق العلمى فى حياة النبى ﷺ فمنه:

- استشارة النبى أصحابه في التصرف في أسرى غزوة بدر، قبل أن ينزل في شأن الأسرى- عموما- حكم في القرآن الكريم.

---

(١) آل عمران (١٥٩).
(٢) الشورى (٣٨)
(٣) النساء (١٣٥).
(٤) المائدة (٨)
(٥) المائدة (٢).

● استشارة النبى أصحابه فى الخروج لملاقاة المشركين خارج المدينة فى غزوة أحد، أو البقاء فيها يدافعون عنها من الداخل.

● العمل برأى أحد الصحابة فى المكان الذى عسكر فيه المسلمون لملاقاة المشركين فى غزوة بدر، وكان هذا الرأى يختلف عن رأى رسول الله ﷺ، لكنه ﷺ عمل به لما رآه أكثر نفعا من الرأى الذى رآه هو ﷺ. عرض الأمر على أصحابه فى التعرض لعير قريش قبل العزم على التصدى لقريش فى غزوة بدر نفسها.

● كثيرة ما كان يقول ﷺ لأصحابه «أشيروا علىّ أيها الناس».

وهذا كان فى غير أمور التبليغ والتشريع، فهما ليسا من مجالات الشورى لقوله عز وجل:

﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ ﴾[٦].

وهكذا سلك أصحابه من بعده، فما كان يستبد بإدارة شئون المسلمين فرد واحد قط.

وقد تجلت ممارسة الديمقراطية عقيب وفاة النبى ﷺ، وبرز الوعى الفطرى بها عند الصحابة -رضوان الله عليهم- فقد هرعوا إلى اختيار وال لشئونهم قبل أن يواروا الجثمان الطاهر فى مثواه الأخير، ولأهمية هذا الاختيار وجثمانه الطاهر مايزال بين أيديهم.

وكان اجتماع سقيفة بنى ساعدة أول عمل ديمقراطى بعد حياة صاحب الرسالة.

وقد برزت فى هذا الاجتماع ثلاث نظريات سياسية:

● أن يكون الخليفة من المهاجرين.

● أن يكون الخليفة من الأنصار.

● أن تكون الخلافة بين المهاجرين والأنصار، أمير من المهاجرين وأمير من الأنصار.

ثم سرعان ما استبعدوا نظرية الانقسام وأجمعوا أن يكون الخليفة واحدا لا اثنين.

كذلك أجمعوا بإرادة حرة على أن يكون الخليفة من المهاجرين.

ثم رشحوا لها ثلاثة من كبار المهاجرين:

أبوبكر وعمرو وأبوعبيدة بن الجراح، الذى وصفه الرسول بأنه «أمين هذه الأمة» لكنه تنازل عن ترشيحه، فبقى الأمر بين أبى بكر وعمر، وأخذ كل منهما يفضل الآخر على نفسه. فانحصر الترشيح فى أبى بكر فأسرع الناس إلى مبايعته، وكان أولهم عمر بن الخطاب -رضى الله عنه.

وكانت مبايعة الصحابة لأبى بكر علنية، لم يتخلف منهم أحد إلا سعد بن عبادة، لأنه كان يرى أنه أحق من غيره بها ولكن لم يبايعه أحد، حتى قدمه الأنصار.

●●●

---

(٦) الحجر (٩٤).

وقد رسم أبوبكر في خطابه للأمة فور اختياره خليفة لرسول الله ﷺ .. حيث بيّن في ذلك الخطاب:

● أنه وُليّ على الأمة وهو فرد منهم وليس له خيرية على أحد منهم:

« إني وليت عليكم ولست بخيركم ».

● إنصاف الضعفاء من ظالميهم الأقوياء « الضعيف فيكم قوى عندي حتى آخذ الحق له، والقوى فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه ».

● وجوب طاعته إذا أطاع هو الله ورسوله، فإذا لم يطع الله ورسوله فلا طاعة له عليهم.

وكان هذا البيان مع سلوكه في إدارة شئون المسلمين وسلوك عمر من بعده. ثم عثمان – رضى الله عنه– والإمام على من بعده، مصدرا لما استقر عليه فقه الإمامة الدستورى الإسلامي.

● إن تعيين الإمام الأعظم (رئيس الدولة) لا يكون إلا بالإرادة الحرة من أبناء الأمة.

● إن الإمام الأعظم هو وكيل فعلى للأمة.

● إن من حق الأمة مراقبة الإمام الأعظم في ممارسته لمهام الإمامة، وهى حراسة الدين، وسياسة الدنيا.

إن من حق الإمامة تقديم النصح للإمام الأعظم.

● إن من حق الأمة عزل الإمام الأعظم إذا ارتكب أخطاء جسيمة، ولم يستجب لنصح الأمة.

وهذا هو ما يسمى في العرف السياسي الوضعي الحديث بـ« نزع الثقة » عن القادة الكبار إذا انحرفوا عن أداء الأمانة أو عجزوا عن تحقيق مصالح الأمة العليا أو جاروا وظلموا ظلما لا يحتمل.

● إذا عزلت الأمة واليا فهى صاحبة الحق وحدها في تنصيب من هو صالح للأمة العظمى (رياسة الدولة).

وهذا هو السند في قولهم: الأمة مصدر السلطات فهل –ياترى– في النظم الديمقراطية الوضعية الحديثة إجراءات أكثر مما ذهب إليه فقهاء الشريعة الإسلامية قديما وحديثا أكثر مما اقره الإسلام في نصوصه التشريعية وتطبيقاته العملية عبر العصور؟

قد يقول قائل: نعم، فليس في ما ذكرت منسوبا إلى نظام الحكم في الإسلام أحزاب ولا معارضة، كما هو معروف في النظم الديمقراطية الوضعية المعاصرة والإجابة على هذا ملخصها في الآتي:

إن المعارضة كانت معروفة حتى في حياة صاحب الرسالة ﷺ، وقد ذكرنا نماذج منها فيما تقدم ونضيف إليه نماذج أخرى من عصر الخلفاء الراشدين –رضوان الله عليهم.

● فبعد وفاة الرسول مباشرة حدثت المعارضة لنظرية انقسام أمر المسلمين إلى خليفتين لما في ذلك من إضرار بمصالح الأمة. كما حدثت المعارضة لجعل الخلافة في الأنصار دون المهاجرين.

وحدثت المعارضة لأبي بكر رضى الله عنه في شأن عزمه على محاربة المرتدين وكان

أشدهم معارضة له عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- ثم حُسم الأمر لما بين لهم أبو بكر -رضي الله عنه- سلامة ما عزم عليه، وذكر لهم في ذلك حديثا عن رسول الله ﷺ وما لبث الصحابة جميعا طويلا حتى أجمعوا على رأى أبي بكر -رضي الله عنه.

كما حدثت المعارضة لأبي بكر لما جعل أسامة بن زيد قائدا لجيش كان قد أعده رسول الله ﷺ لمواجهة الروم، وكان أسامة أصغر سنا (١٨ عاما).

وقد تمسك أبوبكر -رضي الله عنه- بأن رسول الله هو الذي عين أسامة قائدا قبل وفاته فكيف يعزل أبوبكر منْ ولاه رسول الله.. وأنفذ أبوبكر بذلك أمر الرسول بدون خلاف.

فالمعارضة مشروعة في الإسلام، والحجة فيها تقارن بالحجة أما العمل فيكون بالصواب أو الأصوب وهناك فرق واضح بين المعارضة في نظام الإسلام وبين المعارضة في النظم الوضعية الحديثة، فالمعارضة في نظام الإسلام لم يكن فيها أحزاب تبحث العيوب، أو تفتريها إذا لم تجدها بقصد التشهير.

والمعارضة في الإسلام كانت تريد أن تصل إلى ما هو حق وصواب فإذا تبين الحق والصواب فالجميع مؤيدون مناصرون.

فالإسلام هو أبو النظم العادلة، أقر هذه العدالة قبل أن يولد الغرب وحضاراته ومع هذا فإن الحق الأبلج تسلبه أوروبا من الإسلام -ونحن أربابه- ثم تعجز الأمة- المحامي الفاشل- الآن عن الجهر بحق الإسلام، وتسلم وهي مقهورة أو عاجزة لخصومها بشمولية نظام الحكم في الإسلام واضطرابه وعشوائيته.

●●●

هذا الفشل الفكري الأدبي، الذي تسبب فيه «المحامي الفاشل» عن الإسلام «الأمة» أوقع العالم الإسلامي -الآن- في مخالب الغرب الصليبي، ومنح الغرب فرصا ذهبية لفرض الحضارة الغربية المادية على واقع الحياة في الشرق أو الجنوب الإسلامي، الذي بدأه الغرب أو الشمال الصليبي منذ احتلال الهند من قبل الإنجليز عام ١٨٥٧م واحتلالهم مصر عام ١٨٨٢م.

ولكنه الآن دخل مرحلة الفرض بالسلاح الأمريكي الأخضر «الدولار» فإن لم يفلح السلاح الأخضر، فلا مناص من استعمال السلاح الأحمر.. الحرب المسلحة.. وفي إطار هذا الاتجاه أعلن كولن باول وزير خارجية أمريكا مشروع الولايات المتحدة لإجراء إصلاحات ديمقراطية في دول الشرق الأوسط (العرب) تشمل هذه المجالات: السياسية- الاقتصادية- التعليمية- الثقافية- العقائدية.

بالسلاح الأخضر أولا.. وبالسلاح الأحمر ثانيا ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

***

قيم التقدم ومعايير الثقافة العلمية الإسلامية

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا

من يستقرئ التاريخ الإنساني في مساره الطويل، منذ آلاف السنين، منذ كان الإنسان يقدح حجر الصوان لاستخراج الشرر، حتى وصوله إلى تفجير الطاقة من الذرة، واكتشافه أثناء ذلك أن فكرة «التقدم» تعني أن يكون الحاضر أفضل من الماضي، وأن يكون المستقبل أفضل من الحاضر، سوف يجد أن حصاد هذه المسيرة الوعرة لم يكن ليتحقق إلا بعثوره على «كلمة السر» المتمثلة في منهج النظر السليم، سواء في مجال التفكير العلمي، أو في مجال الحياة على نطاقها الواسع. وكان هذا المنهج العلمي الذي دلت عليه تعاليم الإسلام الحنيف بمثابة حجر الزاوية في منظومة القيم التي بنى عليها الإنسان ثقافته ورسمت له خطى التقدم والتطور. فمنها يستبصر آفاق النجاح، وعنها تتفرع أغصان الحضارة. بل إن استمرار حضارة ما أو اندثارها إنما يتوقف على جانب القيم وجانب الأفكار السائدة التي لها قوة التوجيه والدفع إلى الأمام، والتي تحدد العلاقة الوثيقة بين تنمية الإنسان وانتمائه.. إذ النماء والانتماء صنوان، فهما بمثابة السبب ونتيجته. ولطالما أكد علماء التربية على وجود هذه العلاقة الوثيقة بين تنمية الإنسان حضاريا وبين انتمائه فكريا وعقديا. وتدلنا حقائق الواقع المعايش وتجارب الخبرة الإنسانية على أن المجتمع القادر على تحقيق التوافق والانسجام بين حركة الحياة الواقعية وبين النسق الفكري الموجِّه لهذه الحركة هو القادر في ذات الوقت على احتضان الفكرة الصائبة واستثمارها حضاريا بما يحقق الخير والتقدم، سواء كانت هذه الفكرة في مجال العلم أو التقنية أو الاجتماع أو الاقتصاد أو غير ذلك من مجالات النشاط الإنساني.

وهكذا أصبح في حكم المؤكد والثابت أن هناك أعمدة رئيسية يقوم عليها بنيان الحضارة.. ويضاء بها قنديل التقدم، ألا وهي منظومة القيم التي تؤثر في حياة البشر وسلوكياتهم، وتحدد شكل العلاقات الاجتماعية وأنماط التفاعل الإنساني. وهي صمام الأمان داخل التجمعات البشرية. وتمثل هذه القيم أدوات الضبط الاجتماعي ومحركات السلوك، وتفرز آليات الاستقرار والتوازن في المجتمعات البشرية. وإذا تعرضت هذه المنظومة القيمية إلى هزات أو تحولات، أو انتابها نوع من الخلل، تدهورت أحوال البشر وعم الفساد في الأرض، وشعر الناس

بفقدان التوازن وعدم الثقة وضياع الرؤى، وانتابت المجتمعات البشرية حالات من الإحباط والعجز والقلق والتوتر وعدم الرضى، وشاعت بين الناس حالات من التردى والوهن، وسادت الفوضى الأخلاقية والسلوكية، وفقد النظام الاجتماعى قدرته على الاستمرار، وظهرت حالة من «اللامعيارية» يضيع معها الشعور بالإنتماء، ومن ثم تتعطل معها حركة التنمية والنماء، وتظهر أنماط معاكسة من القيم السلبية المتمثلة فى صور التقليد الأعمى والتعاون السلبى والحوار التصادمى (ثقافة العنف) وافتقاد مقومات الدقة والإتقان والأمانة وغيرها.

وإذا كانت القيم السائدة فى مجتمع ما هى جزء لا يتجزأ من ثقافة هذا المجتمع، وهى التى تحدد للإنسان ما يجوز له فعله بالمعلومات التى يجمعها والقوانين العلمية التى يتوصل إليها، مثلما تحدد معايير السلوك فى تعامل الناس مع بعضهم البعض فإن هذا يعنى أن صياغة معنى «الثقافة» ومعاييرها لا تكتمل إلا بوجود قيم الحق والخير والجمال، وفى هذه الحصيلة تكمن القوة الدافعة للفكر الإنسانى بأن يفعل شيئا معينا ويحجم عن فعل شىء آخر. ولو لم يدرك الإنسان – منذ خرج إلى نور التاريخ – أن فكرة «التقدم» وثيقة الارتباط بمدى فهمه لحقائق الكون والحياة بالقدر الذى يتناسب مع ما يكتسبه من خبرات وما يحصله من معارف، وبالصورة التى تلائم قدرته على التكيف مع ما يحيط به من ظروف خلال المرحلة التى يمر بها من تاريخه المحدود فى هذا الوجود، ولو لم يكن مدركا قبل هذا كله دور القيم الإيجابية الفاعلة فى تحقيق أقصى فائدة ممكنة من علومه التى جاءت ثمرة لنشاطات العقل فى مختلف مجالات المعرفة، ولو لم يفطن أيضا بفطرته النقية إلى العلاقة المتبادلة بين العلم والقيم التى لها هى أيضا قوة الدفع نحو الأنفع، وأنها – شأنها شأن النماء والانتماء – بمثابة السبب ونتيجته، لولا هذا كله لتعثرت مسيرة الحضارة، ولضلّ الإنسان طريقه نحو الارتقاء والتطوير واستبصار آفاق النجاح على مراحل تاريخية متعاقبة.

وإلى جانب المنهجية العلمية السليمة فى النظر والتفكير، كعنصر أساسى فى منظومة قيم التقدم، تأتى قيمة «الهدف الأسمى» لمعرفة الحق والحقيقة فى أعماق النفس الإنسانية وفى آفاق الوجود، وللوقوف على طبيعة العلاقة العضوية بين الذات والموضوع أو بين عالم الأفكار وعالم الأشياء. ففى غياب «هدف أسمى» يتجمد عالم الأفكار وعالم الأشياء، ويفقد كل منهما فاعليته الحضارية فى الإفادة من الملكات التى منحها الله – تعالى – للإنسان، والثروات التى سخرها جل وعلا لخدمة الإنسان ومنفعته فى هذا الكون. ومرة أخرى، عندما تختل العلاقة السليمة بين الأفكار والأشياء، أو بين الذات والموضوع، أو بين الإنسان والكون، كما أرادها الله – سبحانه وتعالى – فإن هذا لا يثمر مردودا حضاريا فاعلا يحقق ارتقاء الإنسان فكريا وعمليا. وهذه هى السمة الغالبة للأمم فى عصور التخلف والانحطاط، حيث يكون للناس آذان لا يسمعون بها، وعيون لا يبصرون بها، وقلوب لا يفقهون بها، فيعرضون عن تأمل مشاهد الكون وآياته، ويصبح الاتصال بين الإنسان والأشياء اتصالا

سطحيا، فهو لا يرى من السماء إلا زرقتها، ومن الأرض إلا غبرتها.. وهى حالة لا تؤدى مطلقا إلى إثارة الأسئلة عن الأسباب والعلل، ولا تسفر أبدا عن قضايا ومشكلات تتطلب أحكاما وحلولا.. والتقدم العلمى والتقنى لا يتحقق إلا بمثل هذه الأسئلة والمشكلات.

وتكتسب «قضية القيم» عموما أهمية خاصة في عصرنا بعد أن بدأ تيار «العولمة» يخترق الحدود والخصوصيات من خلال الفضائيات والشبكة الدولية للاتصالات (الإنترنت)، وأصبح الجميع مطالبين على وجه السرعة بتدارس إمكانية التعامل مع هذه العولمة ومواجهة آلتها الطائشة والعمل على ترشيد وجهتها بإعادة التوازن الطبيعى لقطبية الكوكب الذى نعيش عليه من أجل الحفاظ على ماهية الإنسان وإنجازاته الحضارية. وإذا كان الحديث عن الجانب القيمى والأخلاقى قد فرضته خلال العقود الأخيرة مشكلات عديدة أفرزتها ثورة العلوم الفيزيائية والبيولوجية المتطورة، وفجرتها تقنيات المعلومات والاتصال، فعلى قدر ما تضيف هذه العلوم والتقنيات إلى حصيلتنا المعرفية، وتزيد من قدرتنا على التحكم بالأشياء، وتتيح لنا خيارات جديدة على الدوام، نجدها تثير أيضا قضايا جديدة تدور حول ما هو صواب وما هو خطأ. أما المعايير التى تحدد صواب الأمور أو خطأها فإنها تنبع من مصادر متباينة بشأن المبدأ الأخلاقى والموقف القيمى.

عند هذه النقطة تبرز واضحة جلية أهمية الدين فى حياة الإنسان. وتتفق الأديان جميعا على استنادها إلى موقف معين من القيم، ولعلها هى نفسها - أى الأديان - موقف قيمى صريح لأنها تحدد ما ينبغى للإنسان أن يقوم بعمله إزاء هذا الكون.. حيث يكبر الحكم على قيم الأشياء والأعمال بشعور ما يترتب عليها من ثواب، فثمة ما هو أسمى وما هو أدنى، ومتى عرف ذلك التدرج فى المنزلة، كان التزام المؤمن إزاءها بمواقف محددة. ومن شأن هذا التدرج القيمى أن يسلم إلى قيمة أعلى تكون منبع القيم جميعا، ومصدر السلطة والإلزام، وعلى هذا يكون الخلاص أو الفوز فى الدنيا والآخرة مصحوبا بمدى الامتثال للقيم الدينية والأخذ بما تأمر به واجتناب ما تنهى عنه.

ومن فضل الله علينا - نحن أبناء الأمة العربية والإسلامية - أن أمدنا بمنهاج إسلامى قويم، وأمرنا بالسعى فى ظله إلى تحصيل العلم وفهمه ونقده وتمحيصه دون أى قيد، ثم علينا أن نعرضه على قيمنا وحاجاتنا، فيكون لنا من بعد ذلك فيه رأى واختيار، على ضوء ما جاء فى شريعتنا الإسلامية الغراء.

وفى الإسلام، يعتبر الخطاب الإلهى والبيان النبوى هما الفيصل فى الحكم على الحسن والقبيح، وعلى المباح والمحرم، والحسن ما وافق الشرع واستوجب الثواب، والقبيح ما خالف الشرع ويترتب عليه العقاب فى الآخرة.. والله يغفر لمن يشاء.

ولقد قدمت الحضارة الإسلامية نموذجا رائعا لما ينبغى أن تكون عليه العلاقة بين عناصر ثلاثية «القيم والدين والعلم»، فقد نقلت حضارات

الأقدمين وتفاعلت معها – دون مانع من جنس أو لون أو عقيدة – ولخصتها وتمثلتها وطورتها وقدمتها علما عالميا موحدا، وثيق الارتباط بمبادىء الدين والخلق القويم.. واستهداء بقوله سبحانه:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾(١).

ولا يمكن أن نجد مفهوما مقنعا للحقيقة إلا في إطار الثقافة الإسلامية، حيث سمى الله نفسه في القرآن الكريم بالحق، وذلك في مثل قوله تعالى:

﴿ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ﴾(٢).

وقوله:

﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ﴾(٣). ولكن الله –جل وعلا–، بالإضافة إلى أنه الحق، فهو مصدر ما نراه في هذه الدنيا من حق أو حقيقة، لأنه هو الذى خلق بالحق، وهو الذى يقضى بالحق ويهدى به، يقول تعالى:

﴿ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾(٤)، ويقول:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ﴾(٥).

ويقول:

﴿ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾(٦)

ويقول:

﴿ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ ﴾(٧).

وأول سمات الحقيقة في الثقافة الإسلامية هو أن البحث عنها لا يفصل بين النظرية والتطبيق، فلا يعقل أبدا أن تكون الهداية إلى الحقيقة مجرد هداية إلى الفكرة الصائبة وحدها، بل لابد أن تتعدى ذلك فتصبح هداية إلى السلوك السليم أيضا. إذ لا فصل بين النظر والعمل في عرف الإسلام، ولا خير في علم عنده إلا إذا كان معه عمل نافع، فإن البحث عن الحقيقة بمنظور إسلامي لا يمكن أن يكون مجرد بحث معرفي فقط، بل لابد أن يمتزج بالبحث عن قواعد السلوك القويم من الناحية الأخلاقية. وليس من سبيل الصدفة أن توضع كلمة الباطل في مقابل كلمة الحق في المنهج الإسلامي، وذلك لأن الحق في هذا المنهج لا يعني مجرد الصحة أو السلامة في التفكير المنطقي النظري، بل يشير في معناه إلى دائرة أكثر شمولا واتساعا تتداخل بطريقة أو بأخرى مع دائرة الخير. كما أن كلمة الباطل لا تعني فقط الفساد في التفكير، بل تشير في معناها إلى دائرة أكثر شمولا واتساعا تتداخل على نحو أو آخر مع دائرة أخرى هي دائرة الشر.

---

(١) فصلت (٥٣).
(٢) الأنعام (٦٢)
(٣) يونس (٣٢).
(٤) يونس (٥).
(٥) الأنعام (٧٣)
(٦) غافر (٢٠)
(٧) يونس (٣٥).

كذلك يتسم البحث عن الحقيقة في الثقافة الإسلامية بتحديد مركز الإنسان من العالم الذي يعيش فيه. ويشير القرآن الكريم في آيات كثيرة إلى أن الإنسان هو خليفة الله في الأرض، وهو الذي حمل الأمانة بعد أن عرضها الله - تعالى - على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها، وهو الذي سخر الله له ما في السموات وما في الأرض. كما يشير القرآن الكريم في آيات أخرى إلى الوجه الآخر من حقيقة الإنسان وحدوده، ويظهره على أن الكون أكبر منه، وعلى أن مركز الثقل في بحثه عن الحقيقة لا يوجد في عقله ونفسه فقط، بل يوجد أيضا في الكون من حوله، فيقول الله تعالى:

﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴾(٨).

ويقول:

﴿ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٩)

كما يشير القرآن الكريم إلى الأصل الترابي للإنسان وتسويته من مادة قبل أن ينفخ الله فيه من روحه، وذلك في قوله تعالى:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾(١٠).

ومعنى هذا كله أن الصورة الحقيقية للإنسان كما أرادها الله سبحانه وتعالى هي ارتباطه بالعالم، لا ليمثل فيه مجرد جزء منه فقط، بل ليرتبط بتاريخه أيضا، ويكون أهلا للبحث عن الحقيقة وحمل الأمانة.

وعندما غاب هذا الهدف الأسمى للحقيقة وسماتها، كما عرفتها الثقافة الإسلامية، في العلاقة بين الإنسان والكون أو بين العلم والدين، حدث الانفصام بين الفكرة والشيء، ولم تعد للمرء سيطرة فاعلة لا على الأفكار ولا على الأشياء، فهو يلمّ بالأفكار بعض إلمام دون أن يستوعبها، ويمر بظواهر الأشياء دون أن يتصل بكياناتها ليستنطقها.. ومنذ حدث ذلك عند المسلمين أفلت حضارتهم وظهرت شمسها عند أناس غيرهم عرفوا كيف يستنطقون التفاحة قبل أن يفكروا في التهامها.. وعرفوا من خلال ذلك كيف يخلعون على الأفكار وعلى الأشياء في آن معا قيمتها المعرفية وفاعليتها الحضارية.. لكنهم - بتخليهم عن الهدف الأسمى الحقيقي الذي قدمه المنهج الإسلامي الرشيد - إنما يحفرون قبرا لدفن حضارتهم المادية المهددة بالفناء بين لحظة وأخرى.

وهكذا يقودنا تحليل مجرى التاريخ الإنساني وفهم مسيرة التقدم الحضاري على أن معنى «الثقافة» يجب تحديده بحيث تعني رصيد الفاعليات الإنسانية متجلية في السلوك العملي والفعلي والروحي، وأن عناصر «الثقافة الإنسانية» هي العلوم بقوانينها وتقنياتها، والقيم بتأثيرها وتوجيهها، والفكر بتاريخه ومنهجه، والمجتمع الذي تنشأ فيه بنظمه وسلوكياته. ويمكن لثقافتنا الإسلامية أن تقدم ما هو أكثر من عناصرها المادية والفكرية لبناء المجتمع المتوازن الذي يتجه أبناؤه بحمية وحماس إلى الابتكار والإنتاج بعزيمة وإيمان لثقتهم في قدرة هذا المجتمع المتوازن على احتضان الأفكار الصائبة ورعايتها واستثمارها حضاريا.

---

(٨) النازعات (٢٧). (٩) غافر (٥٧). (١٠) الروم (٢٠).

شجاعة العلماء في إسداء النصيحة إلى الخلفاء والأمراء

(١)

لفضيلة الشيخ / فوزي الزفزاف

يقول الله ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾(١).

أي: إنما يخاف الله ـ تعالى ـ ويخشاه، العالمون بما يليق بذاته وصفاته، من تقديس وطاعة، وإخلاص في العبادة.. وكفى بهذه الجملة الكريمة مدحاً للعلماء، وتشريفاً لهم، حيث قصر ـ سبحانه ـ خشيته عليهم.. فالعلماء الصادقون لا يخشون إلا الله، وهذه الخشية من الله جعلتهم لا يهابون أحداً من خلق الله مهما كانت منزلته، ومهما كانت سطوته وقوته وجبروته، ولا يخشون في الحق لومة لائم، وأعطتهم هذه الخشية ثقة في أنفسهم، وعزة في موقفهم، وشجاعة في قول الحق، فنطقوا به ناصحين، وقالوه غير مترددين وجابهوا به الخلفاء والأمراء والحكام غير خائفين..

ومن الخلفاء والولاة والحكام من عرفوا قدر العلماء ومنزلتهم وإخلاصهم في النصيحة فاستمعوا إليهم، وأنصتوا لهم، وأفسحوا صدورهم لما يستمعون، حتى ولو كانت النصيحة موجهة إليهم في صراحة وقسوة.

فقد قدم سليمان بن عبدالملك إلى المدينة وهو يريد مكة، فأرسل إلى أبي حازم فدعاه. فلما دخل عليه قال له سليمان: يا أبا حازم مالنا نكره الموت؟

فقال أبو حازم: لأنكم خربتم آخرتكم وعمّرتم دنياكم، فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب.

فقال سليمان: يا أبا حازم كيف القدوم على الله؟

قال: يا أمير المؤمنين: أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله، وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه.

فبكى سليمان وقال: ليت شعري مالي عند الله؟

---

(١) فاطر (٢٨).

قال أبو حازم: أعرض نفسك على كتاب الله - تعالى - حيث قال:

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾[٢]

قال سليمان: فأين رحمة الله؟

قال: قريب من المحسنين.

ثم قال سليمان: يا أبا حازم أيّ عباد الله أكرم؟

قال: أهل البر والتقوى.

قال: فأيّ الأعمال أفضل؟

قال: أداء الفرائض مع اجتناب المحارم.

قال: فأيّ الكلام أسمع؟

قال: قول الحق عند من تخاف وترجو.

قال: فأيّ المؤمنين أكيس؟

قال: رجل عمل بطاعة الله ودعا الناس إليها.

قال: فأيّ المؤمنين أخسر؟

قال: رجل خطا في هوى أخيه وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره

قال سليمان: ما تقول فيما نحن فيه؟

قال: أو تعفني؟

قال سليمان: لابد فإنها نصيحة تلقيها إليّ.

قال أبو حازم: يا أمير المؤمنين: إن آباءك قهروا الناس بالسيف، وأخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضا منهم، حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة وقد ارتحلوا، فلو شعرت مما قالوا وما قيل لهم؟

فقال له رجل من جلسائه: بئسما قلت!

قال أبو حازم: إن الله قد أخذ الميثاق على العلماء ليُبيّننه للناس ولا يكتمونه.

قال سليمان: وكيف لنا أن نصلح هذا الفساد؟

قال: أن تأخذه من حله فتضعه في حقه.

فقال سليمان: ومَنْ يقدر على ذلك؟

قال: مَنْ يطلب الجنة ويخاف من النار

فقال سليمان: ادع لي.

فقال أبو حازم: اللهم إن كان سليمان وليك فيسّره لخيري الدنيا والآخرة، وإن كان عدوك فخذ بناصيته إلى ما تحب وترضى.

فقال سليمان: أوصني.

فقال: أوصيك وأوجز. عظّم ربك ونزّهه أن يراك حيث نهاك، أو يفقدك حيث أمرك.

● وقال عمر بن عبدالعزيز لأبي حازم: عظني.

فقال أبو حازم: اضطجع ثم اجعل الموت عند رأسك، ثم انظر إلى ما تحب أن يكون فيك تلك الساعة فخذ به الآن، وما تكره فيك تلك الساعة فدعه الآن، فلعل تلك الساعة قريبة.

● قدم هشام بن عبدالملك حاجاً إلى مكة، فلما دخلها قال: ائتوني برجل من الصحابة، فقيل له: يا أمير المؤمنين قد تفانوا، فقال: من التابعين، فأُتي بطاوس اليماني، فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه، ولم يسلم عليه بإمرة المؤمنين ولكن قال: السلام عليك يا هشام، ولم يكنّه، وجلس بإزائه وقال: كيف أنت يا هشام؟

فغضب هشام غضباً شديداً حتى هَمّ بقتله، فقيل له: أنت في حرم الله وحرم رسوله، ولا يمكن ذلك.

فقال هشام: يا طاوس ما الذي حملك على ما صنعت؟

قال طاوس: وما الذي صنعت؟

فازداد هشام غضباً وغيظاً، ثم قال: خلعت

(٢) الانفطار (١٣، ١٤).

تعليك بحاشية بساطي، ولم تقبل يدى، ولم تسلم عليّ بإمرة المؤمنين، ولم تكنني، وجلست بإزائي بغير إذني، وقلت: كيف أنت يا هشام؟

قال طاوس: أما ما فعلت من خلع نعليّ بحاشية بساطك فإني أخلعهما بين يدى رب العزة كل يوم خمس مرات ولا يعاقبني ولا يغضب عليّ، وأما قولك: لم تقبل يدى فإني سمعت أمير المؤمنين على ابن أبي طالب -رضي الله عنه- يقول: لا يحل لرجل أن يقبل يد أحد إلا امرأته من شهوة أو ولده من رحمة، أما قولك: لم تسلم عليّ بإمرة المؤمنين فليس كل الناس راضين بإمرتك فكرهت أن أكذب، وأما قولك: لم تكنني فإن الله - تعالى - سمى أنبياءه وأولياءه فقال: يا يحيى يا عيسى، وكنى أعداءه فقال: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾(٢)، وأما قولك: جلست بإزائي فإني سمعت أمير المؤمنين علياً -رضي الله عنه- يقول: إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار فانظر إلى رجل جالس وحوله قوم قيام.

فقال له هشام: عظني.

فقال طاوس: سمعت من أمير المؤمنين على رضي الله عنه يقول: إن في جهنم حيات كالقلال وعقارب كالبغال تلدغ كل أمير لا يعدل في رعيته. ثم قام وهرب.

● وعن سفيان الثوري -رضي الله عنه- قال: أدخلت على أبي جعفر المنصور بمنى فقال لي: ارفع إلينا حاجتك. فقلت له: اتق الله فقد ملأت الأرض ظلماً وجوراً، قال: فطأطأ رأسه ثم رفعه فقال: ارفع إلينا حاجتك. فقلت: إنما أنزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والأنصار. وأبناؤهم يموتون جوعاً فاتق الله وأوصل حقوقهم. فطأطأ رأسه ثم رفع فقال: ارفع إلينا حاجتك. فقلت: حج عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- فقال لخازنه: كم أنفقت؟ قال: بضعة عشر درهماً، وأرى ههنا أموالاً لا تطيق الجمال حملها. وخرج.

● ودخل ابن أبي شميلة على عبدالملك بن مروان فقال له: تكلم، فقال له: إن الناس لا ينجون في القيامة من غصصها ومرارتها ومعاينة الردى فيها إلا من أرضى الله بسخط نفسه، فبكى عبدالملك.

وقال: لأجعلن هذه الكلمة مثالاً نصب عيني ما عشت.

● ودخل مالك بن دينار على أمير البصرة فقال: أيها الأمير: قرأتُ في بعض الكتب أن الله- تعالى- يقول: ما أحمق من سلطان، وما أجهل ممن عصاني!! ومن أعز ممن اعتز بي؟ أيها الراعي السوء دفعتُ إليك غنماً سماناً صحاحاً فأكلت اللحم ولبست الصوف وتركتها عظاماً تتقعقع، فقال له والي البصرة: أتدرى ما الذى يُجرّئك علينا ويُجنبنا عنك؟ قال: لا، قال: قلة الطمع فينا وترك الإمساك لما في أيدينا.

● وحكي أن أبا بكرة دخل على معاوية فقال: اتق الله يا معاوية، واعلم أنك في كل يوم يخرج عنك، وفي كل ليلة تأتي عليك لا تزداد من الدنيا إلا بعداً ومن الآخرة إلا قرباً، وعلى أثرك طالب لا تفوته وقد نصب لك علماً لا تجوزه، فما أسرع ما تبلغ العلم، وما أوشك ما يلحق بك الطالب، وإنا وما نحن فيه زائل، وفي الذى نحن إليه صائرون باق إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

ما أحوجنا الآن إلى أن نهتدى بهديهم وإلى أن نسلك طريقهم، وإلى أن نتتبع خطاهم.

---

(٢) المسد (١).

طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

أسأل الله - تعالى - من فضله

قال حكيم لابنه: يا بني، أكلت الحنظل، وذقت الصبر، فلم أر شيئًا أمر من الفقر، فإن افتقرت فلا تحدث به الناس كيلا ينقصوك، ولكن اسأل الله - تعالى - من فضله فمن ذا الذي سأل الله فلم يعطه، أو دعاه فلم يجبه، أو تضرع إليه فلم يكشف ما به.

أنا أعرف نفسي

كان يزيد بن المهلب مسافرًا بصحبة ابنه معاوية فمرا بامرأة بدوية فاستضافتهما، وذبحت لهما عنزًا، فلما أكلا، قال يزيد لابنه: ما معك من النفقة؟ قال: مائة دينار فقال: يزيد: أعطها إياها، فقال له ابنه: هذه امرأة فقيرة، يرضيها القليل وهي لا تعرفك، فقال يزيد: إن كان يرضيها القليل فأنا لا يرضيني إلا الكثير، وإن كانت لا تعرفني فأنا أعرف نفسي.

حقا

وما شيء أحب إلى سفيه
إذا سب الكريم من الجواب
متاركة السفيه بلا جواب
أشد على السفيه من الجواب

نصيحة

إذا أشكلت عليك الأمور، وتغير لك وجه الجمهور، فارجع إلى العقلاء وافزع إلى استشارة العلماء، ولا تأنف من الاسترشاد، ولا تستنكف من الاستعداد، فلأن تسأل وتسلم، خير لك من أن تستبد وتندم.

كذب

من قال: إن الشر يطفأ بالشر، فإن كان صادقًا فليوقد نارين، ثم ينظر هل تطفىء إحداهما الأخرى، وإنما يطفىء الخير الشر، كما يطفىء الماء النار.

يا أمير المؤمنين.. تذكرني بالراعي

روى أن بعض وزراء هارون الرشيد، قال له: وقد رآه ينفق أموالا طائلة على العيون والجواسيس: إنك يا أمير المؤمنين تذكرني بالراعي الذي خاف على غنمه من الذئاب فاصطحب كثيرا من الكلاب، ولكنه اضطر بعد ذلك إلى ذبح نصف قطيعه لإطعامها.

حقيقة

النفس تجزع أن تكون فقيرة
والفقر خير من غنى يطغيها
وغنى النفوس هو الكفاف فإن أبت
فجميع ما في الأرض لا يكفيها

قالوا...

المرأة تخاف الرجل الذي يمضي مع غضبه، وتخاف أكثر من الرجل الذي يملك غضبه، وتخاف أكثر من هذا وذاك الرجل الذي يملك غضب الآخرين ويسيطر عليهم وهم غاضبون.

حتى لا يتأذى بها غيري

تزوج بعض الصوفية امرأة سيئة الخلق، فكان يصبر عليها، فقيل له: لم لا تطلقها؟ فقال: أخشى أن يتزوجها من لا يصبر عليها، فيتأذى بها.

أرد بثلاث على ثلاث

سئل قائد لجيش كيف استطعت أن تولد الثقة في نفوس أفراد جيشك؟ فأجاب: كنت أرد بثلاث على ثلاث من قال: لا أقدر، قلت له: حاول، ومن قال: لا أعرف قلت له: تعلم، ومن قال: مستحيل، قلت له: جرب.

فرح.. وحزن

تزوج مغن بنائحة، فسمعها تقول: اللهم أوسع لنا في رزقنا.

فقال لها: إنما الدنيا فرح وحزن، وقد أخذنا بطرفي ذلك، فإن كان فرحاً دعوني وإن كان حزناً دعوك.

يسير الكلام

النفس الذليلة لا تجد ألم الهوان، والنفس الشريفة يؤثر فيها يسير الكلام، وفيه قيل:

من يهن يسهل الهوان عليه
ما لجرح بميت إيلام

دعاء

اللهم بنورك اهتديت، وبفضلك استغنيت، وبك أصبحت وأمسيت، ذنوبي بين يديك، واستغفرك وأتوب إليك فلا حول ولا قوة إلا بك.

من مذكرات عمر بن أبى ربيعة

ذات النطاقين

للأستاذ / محمود محمد شاكر

قال عمر بن أبى ربيعة بعقب حديثه:

.. فوالله لقد جهدنا البلاء - يا أهل مكة - ولقد صبرنا على حصار الحجاج سبعة أشهر أو تزيد في غير حصن ولا منعة. وإن أحدنا ليرى وقد لحقت بطنه بظهره من الجوع والطوى، ولولا بركة تلك العين (يعنى زمزم) لقضينا، وصدق رسول الله ﷺ «إنها مباركة، إنها طعامُ طُعم»، لقد أشبعنا ماؤها كأشد ما تشبع من الطعام، وما ندرى ما يُفعَلُ بنا منذ اليوم. فلقد خذل «ابن الزُّبير» أصحابه خذلانا شديداً، وما من ساعة تمضى حتى يخرج من أهل مكة من يخرج إلى الحجاج في طلب الأمان. ألا شاهتْ وجوه قوم زعموا أن سينصرونه، يحمون «البيت» أن يُلحد فيه، ثم ينكشفون عنه انكشافة كما تتفرق هذه الحمامُ عن مجثمها على الرَّوْع.

وخرجتُ، ومكة كأنها تحت السَّحَر خليّة نحل مما يدوى في أرجائها منْ صوت داعٍ ومكبِّر وقارىء، وصمدت أريد المسجد فأسمع أذان «سعد» مؤذن ابن الزبير فأصلى ركعتى الفجر، فيتقدم ابن الزبير فيصلى بنا أتمَّ صلاة، ثم يستأذن الناس ممن بقى من أصحابه أن يُودِّع أمه «أسماء بنت أبى بكر الصديق» فأنطلق وراءه وما أكادُ أراه مما احتشد الناس في المسجد، وقد ماجوا وماج بهم يتذامرون ويحضّضون ويُحرِّضون، وزاحمت الناس بالمناكب أرجو ألا يفوتني مشهد أسماء تستقبل ولدها وتودِّعه ولقد تعلمُ أنه مقتول لا محالة. فما أكاد أدركهُ إلا وقد انصرف من دارها يريد المسجد، وإذا امرأة ضخْمة عجوز عمياء طُوالة كأن سرْحة في ثيابها، قد أمسكت بعضادتي الباب تصرف وجهها إليه حيثما انتقل، فوالله لكأنها تثبِّتهُ وتُبصرهُ، وقد برقت أسرة وجهها تحت الليل برق العارض المتهلل، ثم تنادى بأرفع صوت وأحنّه وألينه، قد اجتمعت فيه قوة إيمانها وحنينُ قلبها: «يا عبدالله أيا بنى، إني أمك التى حملتك، وإنى احتسبتك فلا تهن ولا تجزع. يا بنى ابذل مُهجة نفسك، ولا تبعد إلا من النار.. يا عبد الله لا تبعد إلا من النار، أستودعك الله يا بُنى!، ثم تدور لتلج الدار فكأنها شراعٌ قد طُوى.

رحمة الله عليكم يا آل أبي بكر، لأنتم أصلبُ الناس أعوادا وألينهم قلوبا. وأحسن الله عزاءك ياذات النطاقين، فلقد تحملت بالصبر حتى لقد أنسيت أنك أمٌ يجزع قلبها أن يهلك عليها ولدُها فينقطع عليه حشاها.

وانصرفتُ عنها بهمّي، أسعى فو الله ما رأيت كاليوم أكسب لعجب وأجدَ لحُزن من أمّ ثكلى يحيا ظاهرُها كأنه سراجٌ يزهر، ويموتُ باطنها كأنه ذُبالةٌ توشكُ أن تنطفيء، وذهبتُ أتلمس الوُجوه وأحزانها، فما أرى وُجومها وقُطوبها وانكسارها ورهقها وصُفرتها إلا ذلة النفس وخضوعها واستكانتها وضعفها وعلتها، وأن المؤمن حين يحضُرُه الهمُ أشعثَ أغبر بردُه إيمانُه - حين يؤمن - أبلج يتوقد، ليكون البُرهان على أنّ الإيمان صيقلُ الحياة الدُّنيا، ينفي خبثها ويجلو صدأها، فإما ركبها من ذلك شيء، عاد عليها بُحادثها ويصقلها حتى يتركها بيضاء نقيّة...

وما بلغتُ المسجد حتى رأيتُ ابن ذات النِّطاقين قائما بين الناس كأنه عمود من طُوله واجتماعه ووثاقة بنائه؛ وحضرته وهو يقول: «أيها الناس، عجّلوا الوقاع، ولا يرعكُم وقع السيوف، وصونوا سيوفكم كما تصونون وجوهكم، فلينظر رجُل كيف يضرب، لا تخطئوا مضاربكم فتكسروها، فإن الرجُل إذا ذهب سلاحه كان أعزلَ أعضبَ يؤخذُ أخذا كما تؤخذ المرأة، ليشغلْ كلّ امرىء قرنه، ولا يُلهينكم السؤالُ عني: أين عبدالله بن الزبير؟ ألا من كان سائلا عني فإني في الرّعيل الأول»... ثم يدفعُ في صدور أهل الشام دفعة عند باب بني شيبة كأنه صاعقة، وكأنه أسد في أجمة، ويحيصُ أصحابُ الحجاج حيصة في منازلهم من الرُّعب، فلقد رأيته يقفُ ما يدنو منه أحد، حتى ظننتُ أنه لا يُقتلُ، حتى إذا كان بين الركن والمقام رُمي بحجر فأصاب وجهه فبلغ منه حتى دمي، وسال دمُه على لحيته، وأرعشت يدُه.. وغشيهُ أصحابُ الحجاج من كلّ ناحية وتغاوروا عليه، وهو يقاتلهم جاثما أشدّ قتال حتى قُتل.

وارحمتا لك يا بنت أبي بكر!! أيّ كبد هي أشدّ لوعة من كبدك! لقد والله رُحمت رحمة إذ كفّ الله منك البصر، لئن لم تكوني تجزعين لموته، لقد كنت جزعت لما مثّلوا به وحزّوا رأسه، ورفعوه على خشبة مُنكسا مصلوبا...

وما كدتُ حتى أقبلتُ أسماء بين يديها كفن قد أعدّته ودخنته، والناسُ ينفرجون عن طريقها في أعينهم البكاء، وفي قلوبهم الحُزنُ والرُّعب، قد انتسفت وجوههم كأنما نُشروا من قُبورهم لساعتهم، وسكنت الأوصالُ، وجالت الأحداقُ في محاجرها وكأنها همّت تخرُج، وتمشي أسماءُ صامدة إلى الخشبة صمدا وكأنها ترى ابنها المصلوب، وكأنها تستروح رائحة دمه، حتى إذا بلغتْهُ - وقد وجم الناس وتعلقت بها أبصارهُم ورجفت بهم قلوبُهم - وقفتْ، وقد وجدت رائحة المسك تحت ظلاله فقالت: «يا بُني طبتَ حيا وميّتا، ولا والله ما أجزعُ

لفراقك يا عبدالله، فمن يكُ قُتل على باطل فقد قتلت على حق، والله لأثنين عليك بعلمي: لقد قتلوك يا بُني مُسلما محرما ظمآن الهواجر مصليا في ليلك ونهارك».

ثم أقبلتْ وجهها السماء ومدت يديها تدعو: «اللهمّ إني قد سلّمته لأمرك فيه ورضيتُ بما قضيت له، فأثبني في عبدالله ثوابَ الشاكرين الصابرين، اللهم ارحم طولَ ذلك القيام في الليل الطويل، وذلك النحيب، وبرّهُ بأبيه وبي».

ووجم الناس وجمة واحدة، وخشعوا خشعة لكأن السماء والأرض صارتا رتقا فما يتنفّسُ من تنفّس إلا من تحت الهمّ والجهد والبلاء، وكانَ مكة بيت قد غُلقت عليه أبوابه لا ينفذُ إليه أحد ولا يبرحه أحد، وكأن الناس قد نزعت أرواحهم وقامت أبدانهم وشخصت أبصارهم، وبدت أسماءُ بينهم وكأن وجهها سراج قد نُصّ على سارية، لايزال يزهر ويتلألأ، ثم تلفتت كأنما تتطلع في وجوه هذه الأبدان الخوالد، وأضاء ثغرها عن ابتسامة، والله لقد بلغتْ من العمر وما سقطت لها سنّ، ومازال ثغرها ترفُ غروبه ثم قالت: «يا بني، لشد ما أحببتم الحياة وآثرتم دنياكم، فخذلتم أخاكم، وفررتم عن مثل مصرعه، يا بني يغفر الله لكم وجزاكم الله عن صاحبكم خيرا».

وأطرقت أسماءُ إطراقة ثم رفعت رأسها تُومئُ إلى الخشبة فوالله لقد رعدت فرائصي حتى تزايلت أوْصالي، وضجّ الناس كأنما تقصّفت أصلابهم، وإذا هي تقول: «ألا مَنْ مُبلغ الحجاج أن المُثلة سبّة للحي وما تضرّ الميّت، ألا من يُبلغ الحجّاج عني أن الشاة إذا ذُبحتْ لم تألم السّلْخ».

وحامتْ أسماءُ وطافت بين الناس وبين هذه الخشبة ساكنة صابرة، لا يُرى إلا بريق وجهها يومضُ كأنه سيف صقيل، ثم طفقت تردّد «يا بني، أما آن لهذا الراكب أن ينزل؟ أما آن لهذا الراكب أن ينزل؟ يا بنيّ ليستأذنْ أحدُكم حجّاجكم هذا أن يدفع إليّ هذه العظام، أدّوا عني، يرحم الله من أدّى عني».

فيجيء الرسول من قبل الحجاج يأبى عليها أن تُدفع إليها عظامُ ابنها المصلوب، ويجيءُ على أثره موكلون قد وكلهم بخشبته يقومون عليها يحرسونها، كأنما خشي أن يحيا ميت قد حُزّ رأسه أن تمسّهُ أمه. فوالله لقد سمعتْ أسماء وخُبّرتْ فما زادت على أن ولّت عنهم كما جاءت ما تقطر من عينيها قطرةُ دمْع، وما تجاوز قوما إلا جاوزتهم كأنهم فسطاط يتقوّض، حتى ولجتْ بابها وغلّقته عليها.

وانطلقتُ أنفضُ الناس بعينيّ، فرأيتُ أخي الحارث (ابن عبدالله بن أبي ربيعة) وابن أبي عتيق (هو عبد الله بن محمد بن عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق) ما في وجهيهما رائحة دم من الحزن والفرق. فقلت: ما هذا أوان جزع، انطلقوا بنا - يرحمكم الله- إلى دارها نواسيها ونترفقُ لها، فوالله لقد تخوّفتُ أن يذهبَ بها الحزن عليه، وإنه لفالقٌ كبدها ما لقيته. ويطرق الباب ابن أبي عتيق. فيجيبُ الصوتُ من

داخل: قد أسمعت قمه. فيقول: أنا ابن أبي عتيق يا أماه. ويؤذن لنا فندخل دارها تخف قلوبنا من الروع والرهبة، ونأخذ مجلسنا عند بنت أبي بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ وزوج حواريه عليه السلام، وكان قد تركنا الدنيا وراءنا وأقبلنا على الآخرة.

استضحكت أسماء حتى بدت نواجذها وقالت: «مرحبا بكم يابني، جئتم من خلل الناس تعزون أمكم في عبد الله. يرحم الله أخاكم لقد كان صواما قواما ما علمت. وكان ابن أبيه الزبير أول رجل سل سيفه في الله، وكان أشبه الناس بأبي بكر.

يا بني، والله لقد حملته على عسرة، والمسلمون يومئذ قليل مستضعفون في الأرض يخافون أن يتخطفهم الناس، ولقد سعيت به جنينا بين بيت أبي بكر وغار ثور بأسفل مكة في هجرة رسول الله ﷺ وصاحبه أبي بكر -رضي الله عنه- آتيهما تحت الليل بما يصلحهما من الطعام؛ ويسكن الطلب عن رسول الله ﷺ، فأتيتهما بسفرتهما وسقائهما ونسيت أن أتخذ لهما عصاما؛ فلما ارتحلا ذهبت أعلق السفرة فإذا ليس لها عصام، فوالله ما أجد ما أعلقهما به، ووالله ما أجد إلا نطاقي وإذا أنا حبلى متم. فيقول أبو بكر: يا أسماء شقيه بالنين، فاشقه فأربط بواحد منهما السقاء وبالآخر السفرة؛ فلذلك ما سماني رسول الله ﷺ «ذات النطاقين» يعني في الجنة وأعود بعبد الله يرتكض في أحشائي. قد احتسبت نطاقي في سبيل الله فوالله ما أجدني احتسبت بني عبد الله اليوم إلا كما احتسبت نطاقي ذا كم. وأعود إلى دار أبي بكر ويأتي نفر من قريش فيهم أبو جهل فوقفوا ببابها، فأخرج إليهم فيقولون: أين أبوك يا بنت أبي بكر؟ فأقول: لا أدري والله أين أبي؛ فيرفع أبو جهل يده -وكان فاحشا خبيثا- فيلطم خدي لطمة يطرح منها قرطي، فتغول بي الأرض الفضاء، فوالله لما لقيت من حجاجكم هذا أهون عندي مما لقيت من لطمة أبي جهل وأنا بعبد الله حامل متم. يا بني إني آخر المهاجرين والمهاجرات، لم يبق على ظهرها بعد عبد الله منهم غيري؛ فلا والله ما حسن أن يجزع من هاجر -وإن شأن الهجرة لشديد- وما حسن أن يجزع من شهد المشاهد مع رسول الله ﷺ، وكيف وقد أربيت على المائة؟

«يا بني جزاكم الله عني وعن أخيكم خيرا، قوموا لشأنكم وذروني وشأني يرحمكم الله».

وودعنا وانصرفنا، ولا والله ما نجد لأسماء في الرجال ضريبا. فأين في النساء؟ ولكنها كانت تصبر صبر المهاجرين الأولين على الجهد والبلاء.

وما كان ضيح خامسة من مقتل ولدها حتى استجابت لدعوة ربها - رضي الله عنها وأرضاها - وهي أم حنت تكتم حنينها، ولكأنه عجل بها موته فقطع نياطها وصدع فؤادها، وقلق كبدها عليه حنينها إليه.

* الرسالة، العدد الممتاز، السنة السابعة سنة ١٩٣٩م.

الأزهر في عيده الألفي

لشاعر الأزهر الأستاذ الدكتور حسن جاد حسن

أرأيت كيف طوى القرون الأزهرُ ** وأدال عمر الدهر وهو معمر؟
مرت عليه الألف لم توهن له ** عزما ولا أوهت قواه الأعصر
وأشاب ناصية الزمان ولم يزل ** وأهابه غض الشباب منضر
الله ناط به الكتاب وهديه ** حفظا، فلا يَبْلى ولا يتغير
وحبا كنانته به فأحلها ** شرفا تطول به السماكَ وتظهر
هرم من الأهرام إلا أنه ** حرم يلم به الحجيج ومشعر
أبدا تشد له الرحال حثيثة ** ويؤم بعد المسجدين ويذكر
يسعون من كل الفجاج ليأخذوا ** ممن يصح القول عنه ويؤثر
لا تغترر يوما بصرح شاده ** وهم على عقل البناة مسيطر
ليس الذى يبني الحجارة مثل من ** يبني العقول النيرات ويعمر
ما شاد بان في الكنانة مثلما ** شاد المعز الفاطمي وجوهر

●●●

يا معهدا عم المشارق نوره ** فمشى على أضوائه المتحير
واستنهض الدنيا فرجع شرقها ** عنه وجاوب غربها المتحضر
ووعى علوم الدين والدنيا معا ** مترتب الخطوات لا يتعثر
وحمى الشريعة وهو حصن كتابها ** وبه يفيض نميرها المتفجر
وتعهد الفصحى فكان لسانها ** وعليه ألوية البلاغة تنشر

كم أطلعت آفــــاقـــه من أنجم ** زهر، وكم تنساب منه أبحــر
من كل ركن في الشريعة ينتمي ** في العلم أفذاذ العقول وبحـر
من كان يلتمس الحقيقة حرة ** فلديه جوهر لبها المتخيرْ
كم في رحاب الأرض من طلابها ** حجوا إليه خاشعين وكبروا
ما ضر لو سلك الشباب سبيله ** في الحق واستهدوا به واستبصروا
طلبوا الهدى من غيره فتطرفوا ** وتخبطوا في الوهم حتى كفّروا
ولو استبانوا الرشد لم يتشددوا ** فالدين أسمح في الأمور وأيسر
علل النفوس خطيرة لكنما ** علل التدين والعقيدة أخطر
من ذا سواه يروض جمع نفوسهم ** بهداه وهو على الرياضة أقدر؟
كم ذا رماه بالتخلف مغرض ** فهل الأصالة رجعة وتأخر؟!
حسبوا الحفاظ على التراث تحجرا ** فهل الحفاظ على التراث تحجر؟
إفك تورط فيه كل مضلل ** لما تولى كبره المستعمر
من لم يؤسس بالقديم جديده ** فجديده واهي الأساس مزوّر

●●●

مرت عليه الحادثات فجازها ** متجلدا حينا، وحينا يزأر
كم قاد ثورات النضال وشبها ** نارا على المستعمرين تُسعر
وجرى زكيا من بواكيه دم ** عبق بأنفاس الخلود معطر
وإذا استضيم الشعب أو ربع الحمى ** صرخت مآذنه وضج المنبر
من أشعل الحرية الحمراء في ** ساحاته نورا ونارا تصهر؟
وملا حمى يجتر لها تاريخه ** غرا بأقلام الخلود تسطر
من بث روح الوعي حرا لم يزل ** بلد البطولات التي لا تقهر؟
إن الموكل بالحنيف وهديه ** أحرى وأخلق بالجهاد وأجدر

●●●

يا أزهر الماضي المجيد تحية ** الند فوح أريجها، والعنبر
غراء يوجبها الوفاء وذمة ** ترعى الحقوق، ومنة لك تشكر
أنا من غراس يديك فرع خميلة ** كرمت منابتها وطاب العنصر
يجرى البيان الحق في أعراقها ** عذبا فتطلع نابهيه، وتثمر
تتفيأ الفصحى ظليل ظلالها ** وغصونها للعبقرية مزهر
ماض عليه من الجلال مهابة ** يعنو لها المختال، والمتجبّر
أني لأذكره فيبهر خاطري ** والمجد حقا ما يروع ويبهر

●●●

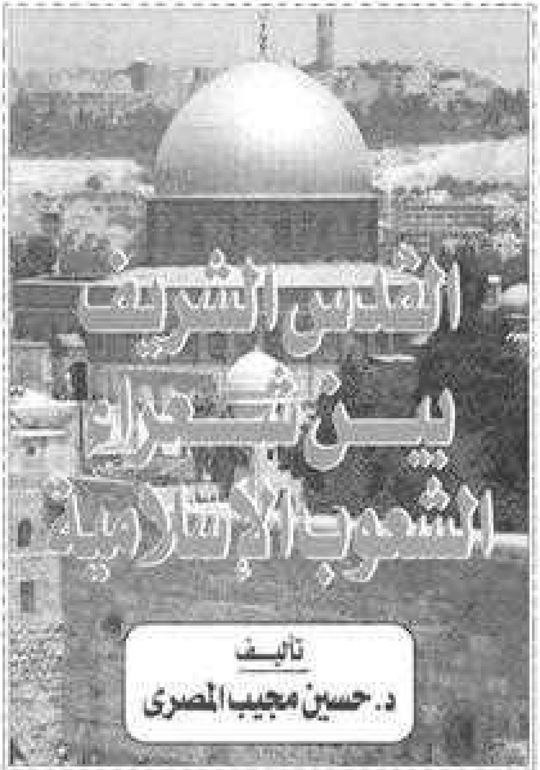
لبيك شيخ الجامعات ومن به ** مصر على الدنيا تتيه وتفخر
كنت السماء ترفعا ومكانة ** طلع الشيوخ بها نجوما تزهر
كانوا ملوكا للملوك وكلهم ** في وجه طغيان الملوك غضنفر
لم يغرهم جاه ولا أزرت بهم ** دنيا ولا استهواهمو ما ينكر
من مد في وجه الخديوى رجله ** زهدا، وضم يديه وهو المقتر؟
من صير الأمراء في سوق الحمى ** سلعا تقوم قبل أن يتأمروا؟
والراسخ الإيمان ليس يخيفه ** من دهره إلا العلي الأكبر
والعلم كان مناهلا يروى الصدى ** ظمآنه منها، وعنها يصدر
حلقاته الغراء حول شيوخه ** هالات أقمار سناها أقمر
كانت خلايا النحل عند دويها ** وبها جناها، والرحيق السكر
وبباحها شتى المذاهب تلتقي ** فالباح حشد والأئمة حضر
تغشى مجالسها الملائك خشعا ** ويحفها مدد السماء النير

وتعمها النفحات من أنفاسها ** وكأنها المسك الفتيق الأنفر
فالعلم قصد الطالبين لذاته ** لا يبتغى جاه به، أو مظهر
يا أزهر الماضي وكم في النفس من ** ذكرى يؤججها أسى وتحسر
عقدت لسانك عجمة ولطالما ** قد كان باللغة الفصيحة يهدر
جيل - لعمرك - مايصحح آية ** حتى غدت منه المنابر تسخر
من أهمل القرآن حفظا تما له ** عيَّ اللسان الأعجمى فيحصر
نفثات أشجان زحمن مشاعرى ** ومن الشجون مقيد ومحرر
أشدو وفي عيني وبين جوانحي ** دمع يجول ومهجة تتفطر
لكنني في عيدك الألفى لا ** أنسى الرجاء فرب كسر يجبر
مهما نظمت لك الوفاء وصغته ** درا فإنى في الوفاء مقصر
يكفيك أنك أنت مصر ومجدها ** يوم الفخار وأن مصر الأزهر

اقرأ فى هدية

عدد شهر ذى الحجة

الجزء الرابع من بهجة النفوس شرح مختصر صحيح البخارى لابن أبى جمرة الأندلسى



عرض وتحليل

دكتور/ عبد الحليم عويس

ـ فى تقدمة بحثه يؤكد المؤلف والأديب الكبير الدكتور حسين مجيب المصرى على أنه لا حاجة إلى دليل قاطع ولا برهان ساطع ندعم به ما نذهب إليه من أن (القدس) أصبحت أمراً ذا بال يشغل المتقين والمتفكرين، فى كل أرض تقول لا إله إلا الله، وبذا جرت الأقلام وفاضت القرائح بعدما فعل الصهاينة من أفاعيل وكان لهم ما لهم من أقاويل خصيصا . . . !!

ـ ولهذا ـ ألزم الكاتب نفسه ـ كما يقول ـ منذ ما يربو على أعوام خمسين بالتعريف بآداب وتواريخ الشعوب الإسلامية، ليعلم قارئ العربية ما لم يكن يعلم من تراثه الإسلامى، مخافة أن يظن بعضهم أن هذا التراث المجيد ليس إلا فى العربية وكفى.

ـ ومع أن عدد الصفحات التى تضمنت (أشعار العرب) حول القدس الشريف أكثير بكثير من الصفحات التى تضمنت شعر غيرهم، إلا أن ما لا يدرك كله، لا يترك جله، وجهد المقل غير القليل، وأن القليل أمارة على الكثير ـ كما يقول المؤلف الفاضل.

ـ وفى البداية ـ وفى نحو (٤٥ صفحة) يقدم الباحث دراسة تحت عنوان (القدس فى تاريخها) . . . لكن يبدو أنه ركز على تاريخها الإسلامى فحسب . . .

ـ وبعد أن يستعرض المؤلف بعض النصوص الواردة فى معاجم البلدان ينتهى إلى أن القدس تقع على خط عرض ٣٥ْ، ٤٦َ، ٤٥ً شمال خط الاستواء، وعلى خط طول ٣٥ْ، ١٣َ، ٢٥ً شرق جرينتش، وهى هضبة غير مستوية تتراوح فى ارتفاعها بين ٢١٣٠ و٢٤٦٩ . أما جوها فهو قارىٌّ صحراوى، والتفاوت كبير فى الحرارة بين ليلها ونهارها، وليس بها أنهار بل تحيط بها عيون، وتندفع من بعضها جداول عند هبوط الأمطار،

وموقعها على هضبة يجعلها في موقع حصين، لأن العدو لا يراها من بعيد بينما تستطيع حاميتها رؤية من يهاجمها . ومن أهم جبالها (جبل الزيتون) وهو من الناحية التاريخية من أهم الجبال المحيطة بتلك المدينة، وجبل موريا أو (جبل بيت المقدس)، وقد ورد اسم هذا الجبل في التوراة في قصة الذبيح الذي قدمه ابراهيم - عليه السلام - قرباناً .

● والقدس القديمة تتألف من اربعة احياء هي : حي المسلمين في الشمال الشرقي، وفي الجنوب الشرقي حي اليهود الفرنجة الروم في الشمال الغربي، وفي الجنوب الغربي حي الارمن، اما الاماكن المقدسة للمسلمين والمسيحين واليهود فاقيم بينها جدران، وثمة أرض واسعة مساحتها ٣٠٠ × ٤٨٠ ثلاثمائة متر في أربعمائة وثمانون متراً على أرض مرتفعة، وهذه ماتسمى بالحرم الشريف، وشوارع القدس ضيقة، والمنازل مبنية بالحجر ولها أقبية .

● واسم هذه المدينة (إيلياء) وهي كلمة سريانية في اللغة السريانية، وينسب إليها احد الانبياء، وهي كذلك اسم (بيت المقدس)، كما يقال إن هذا الاسم هو اسم الخضر - عليه السلام - ومعناه الصديق الاكبر . وقال لنا من له علم بالسريانية ان الرومان هم الذين اطلقوا عليها هذا الاسم عند فتحها . . . (هكذا يقول المؤلف الكبير - رحمه الله) .

● وفي شعبان على رأس ستة عشر شهراً، وقيل على رأس سبعة عشر شهراً حولت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، وقبل ذلك كانت القدس أولى القبلتين .

● وقيل إن سليمان - عليه السلام - هو الذي بنى المسجد في القدس، وكان داود - عليه السلام - شاء أن يبنيه، فأوحى الله - تعالى - إليه : أنّ هذا بيت المقدس وأنك صبغت يدك في الدماء، فلست ببانيه، ولكن ابنك سليمان يبنيه لسلامته من الدماء (وهذا من أكاذيب التوراة!!) .

● وفي العام الثالث عشر للهجرة وهو العام الذي توفي فيه أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - شرع عمر في تجهيز جيوش المسلمين إلى الشام، فحشد جيشاً عظيماً قسمه اقساماً، وجعل على كل قسم منه أميراً عين له البلد الذي يفتحه .

● ومضى عمر - رضي الله عنه - إلى الشام، وقيل إن سبب قدومه الشام أن أبا عبيدة لما حاصر بيت المقدس قال له اهلها أن يصالحهم على صلح أهل مدن الشام وأن يكون من يتولى العقد عمر بن الخطاب فكتبه وقدمه إليهم .

> وبعد أن يستعرض المؤلف تاريخ القدس في العهد الإسلامي مروراً بصلاح الدين وحتى العصر الحديث ومافعله اليهود . . يقول : (إن تلك المدينة الجريحة اقدم الأماكن في التاريخ لها مالها من رفعة المكانة عند

أصحاب الديانات السماوية، ولذا كانت محط نظر الدول التي تحرص على التوسع، وتسعى إلى السيطرة على مناطق الجذب في العالم.

ولا ينسى التاريخ ولن ينسى ما فعل الصهاينة بالعرب من أفاعيل وأهاويل، ونسوق المثل لذلك (مذابح صابرا وشاتيلا) التي قيل فيها إن التقتيل والتذبيح دام فيها أربعين ساعة متوالية، وقُتل فيها أكثر من ثلاثة آلاف شخص، كما قُتل في مسجد الخليل في فجر رمضان من المسلمين من كانوا يؤدون صلاة الفجر.

كما قُتل من قُتل في النفق بالقدس، وذكر الحديث عن تلك البشاعات والشناعات طويل طويل. والقليل أمارة على الكثير. (!!)

***

وإذا كان تاريخ القدس... أو (القدس في تاريخها) - حسب تعبير المؤلف - قد شغل هذا الحيز الممتد إلى ص٥٢ مع أن الكتاب عن (القدس الشريف بين شعراء الشعوب الإسلامية).

- فإن (القدس في الشعر العربي) قد امتد من ص٥٣ وحتى ص١٧٢ - أي أنه استغرق مساحة تزيد على (١٢٠ صفحة) بينما يحتل الموضوع الثاني (القدس في الشعر الفارسي) الصفحات من ١٧٣ - إلى - ١٨٢ - أي عشر صفحات فقط، ويحتل الموضوع الثالث (القدس في الشعر التركي) الصفحات من ١٨٣ - إلى - ١٩٧ - أي ثلاث عشرة صفحة فقط، ويحتل الموضوع الرابع (القدس في الشعر الأردي) مساحة ثلاث وعشرين صفحة (١٩٨ - ٢٢١)...

وبهذا الموضوع ينتهي الكتاب «مؤكداً صدق مؤلفه مع نفسه حين قال في صدره: «وجدت مادة - عن القدس - سخية في الشعر العربي، ولكنها شحيحة في شعر اللغات الأخرى» [ص٥] وهو أمر يوجب استمرارية البحث عن أصداء (القدس) في اللغات الإسلامية الأخرى، بواسطة تلامذة الدكتور حسين مجيب المصري المنتشرين في أقسام اللغات الشرقية في الجامعات المصرية والعربية، وحبذا أن يتمكن بعضهم من ترجمة البحوث التي كتبها أبناء هذه اللغات أنفسهم عن (القدس الشريف)... ولربما وجدت رسائل علمية قدمت في جامعاتهم، وإذا لم يكن ذلك قد تحقق فلا مانع من إعداد رسائل حول (القدس الشريف) في اللغات الإسلامية هذه... كدراسات مستقلة بكل لغة على حدة، أو دراسات تعتمد منهج النقد الأدبي المقارن!!

***

ومع ملحظي الإطالة في الجانب التاريخي والشعر العربي، في مقابل الإيجاز الشديد (اضطراريا لعدم وجود مادة كما اعترف المؤلف الفاضل) في الشعر الفارسيّ والتركي

والأردى... مع هذين الملحظين اللذين خضع لهما المؤلف (اضطرارياً) كما أشرنا... إلا أن المؤلف الكبير - مع ذلك - قد قدم عدداً لا بأس به من نتاج الشعراء في حديثهم الشعرى عن القدس، ويكفى أن نذكر أنه عرض لأشعار أكثر من سبعين شاعراً، منهم أربعة عشر شاعراً غير عربي.

- وكان من أبرز من عرض لأشعارهم من العرب (الأعشى - وامرؤ القيس - والفرزدق - وعمر بن أبي ربيعة - وأبو العلاء المعرى، والعماد الأصفهاني، وابن حسان الأندلسي، والعماد الكاتب، وأحمد شوقي، وخليل مطران، وصالح جودت (وحتّى نزار قباني له شعر في القدس أيضاً...!!!) ومحمود حسن إسماعيل، ومحمد التهامي، وأحمد سويلم، وحسن عبدالله القرشي، ومحمود مفلح، وفاروق جويدة، وعلي هاشم رشيد... وغيرهم.

- أما من الشعراء الفرس والترك والهنود (الأوردية) فقد عرض لأشعار محمد عاكف، ويونس أمره، ويحيى بك، ونفعى، وغالى زادة نديرى، وبازجى أوغلو، ونشاطى، وأسرار ده ده، وسزائى قراقوج، ورمضان آلتين طاش، وعمر لطفى، وطوران قوج، وفيض أحمد فيض، ونبيلة إسحاق إبراهيم. [ولم يقدم المؤلف من الشعر الفارسي إلا شعراً له شخصياً كتبه بالفارسية!!]

● ولم يكن المؤلف مجرد مقدم للأشعار على طريقة (الاختيارات) أو (المختارات) بل كان يقدمها في سياق عرض أدبي، مع قيامه بتحليل بعضها، وبالتعليق عليها، وشرح بعض اللفتات الموجودة فيها والمقتضبة للشرح، بالإضافة إلى جهده غير العادى الذى بذله في الوصول إلى النصوص الخاصة بالقدس من بين قصائد طوال وأشعار كثيرة ربما لا علاقة بموضوعاتها بالقدس.. إلا عرضاً.

وبعض هذه الأشعار كانت الإشارة فيه إلى القدس تلميحاً وتصريحاً.. ومع ذلك نجح الكاتب في اصطياد هذه الإشارات، والقيام بتوضيح دلالاتها الحقيقية المتصلة بالقدس - كما أن الباحث - رحمه الله - التزم السياق التاريخي في تتبع الأشعار المتصلة بالقدس خلال العصور: الجاهلي، ثم الأموى، ثم العباسي.. وحتى العصر الحديث. وبالطبع، فإن لنا أن نتوقع أن يكون صدى الشعر في العصر الحديث (عصر نكبة فلسطين) هو الأكثر، وهو الأقرب إلى الوجدان، لأنه ينطلق من معايشة واقعية مأساوية يعيشها الشعراء، ويعبرون عنها، من موقع الشعور بالعجز والقهر...

- والشعور - كذلك - بالأمل - في تغيير الواقع المأساوى...

● وعندما يورد المؤلف أبيات (شوقي) في القدس، وهي الأبيات التي يقول فيها:

بيت على أرض الهدى وسمائه
الحق حائطه وأس بنائه

الفتح من أعلامه، والطهر من
أوصافه، والقدس من أسمائه
تحنو مناكبه على شعب الهدى
وتطل سدته على سينائه

تراه يعلق على هذه الأبيات الرائعة قائلاً:

هذه أبيات جياد أصابت صفة القدس على الحقيقة لا تجد لها مثيلاً فيما أوردنا من نصوص الشعر القديم ونعنى به التى قيلت فى الإسلام إنه يبدع فى قوله إنها مدينة أقيمت على أرض الهدى وسمائه وفى هذا إشارة لامحة إلى تلك السماء التى عرج فيها سيدنا محمد ﷺ كما فيه إشارة إلى أرضها الطاهرة (ص٦٢) وعندما نقترب مع الزمن إلى الماضى القريب، أى بعد أن استولى الإسرائيليون على القدس نجد الشاعر (حسين عرب) وزير الحج والأوقاف الأسبق بالمملكة العربية السعودية يقول:

القدس يا مسرى النبىّ
ومنارة الحق الأبى
يا أخت مكة والمدينة
فى التراث الطيب
هتف الجهاد بنا إليك
فجاهدى وترقبى
اليوم يوم الثأر من
أعدائنا فتأهبى
المسلمون توافدوا
من مشرق أو مغرب
المسجد الأقصى بنا
ديهم لعزّ المطلب
رايات أحمد أقبلت
تحمى حماك فرحّبى

ـ ونحن نسوق هذه الأبيات.. لا لدلالاتها الرائعة فحسب، بل لأننا فى حاجة إلى هذه الأبيات اليوم... أكثر من أى يوم مضى.

● فمن أجل ألا تضيع (القدس) وأن ينشغل المسلمون عنها، يشعل اليهود حروباً بين أمريكا والعالم الإسلامى، ويدفعونها دفعاً فى عمليات مجنونة لتهاجم شعباً فقيراً أعزل مثل الشعب الأفغانى... وقد يدفعونها ـ وهى كالثور الهائج الأرعن ـ إلى مزيد من الحروب على بلدان أخرى مجاورة ـ فى بحر قزوين وآسيا الإسلامية.. لتكون ـ بحق ـ حرباً صليبية، كما أعلن بوش، وحرباً عالمية على الإسلام كما هى فى حقيقة الأمر... منذ حرب الخليج، ومنذ الإعلان العالمى بالحرب على الإسلام الذى أصدره (المفكر العسكرى ـ وليس الاستراتيجى). (صموئيل هنتنجتون) فى كتابه: صدام الحضارات!!

ـ والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

النشاط التقنى الصناعى فى إسرائيل

للأستاذ
صلاح عبد الرحيم محمد

تدرك إسرائيل، منذ قيامها، أهمية تفوقها التكنولوجي على العرب كافة، لتأمين وجودها قوية، وتحرص، في نفس الوقت، على تعميق «الفجوة التكنولوجية» بينها وبين الدول العربية لصالحها، وتسعى إلى جعل هذا الفارق التقني في طليعة أهدافها القومية التي تحظى من جانب النخبة الحاكمة بمحل الاهتمام الأول. والحقيقة التي لا يمكن تجاهلها أن إسرائيل منذ اغتصابها فلسطين التاريخية، تولي عناية فائقة بدعم جهود البحث والتطوير في مختلف مجالاتها الإنتاجية، بهدف تحقيق تقدم تكنولوجي يكفل لها السيادة، والهيمنة على المنطقة العربية، خاصة أن لدى الكيان الصهيوني العديد من المؤسسات البحثية، والمعاهد العلمية، التي تسهم في النهوض بتكنولوجيا راقية النوعية في مجالات المعلومات، والفضاء، والصناعات العسكرية، والطاقة النووية، ففي مجال تكنولوجيا المعلومات أحرزت إسرائيل نجاحاً باهراً في تأمين مواقع متقدمة لها في معظم فروع هذه التكنولوجيا، فقد تنوعت مجالاتها من البرمجيات التعليمية، وبرمجيات صناعة السياحة، إلى تطبيقات البحث في الإنترنت، والنشر من خلالها. فعلى صعيد شبكة الإنترنت تحتل إسرائيل المرتبة العشرين على المستوى الدولي فيما يتعلق بعدد المواقع الإسرائيلية على الإنترنت (٣٢٣: ٢٥٢ موقع) ويكاد يعادل عدد المواقع الإسرائيلية على الإنترنت، عدد مواقع الدول العربية مجتمعة، ومن جهة أخرى، فإن إسرائيل أولت اهتماماً خاصاً بتطبيقات المعالجة الآلية للغات بواسطة الكمبيوتر، وعلى رأسها اللغة العربية، وتأتي نظم الترجمة الآلية في مقدمة قائمة هذه التطبيقات، فقد تقدمت إسرائيل إلى منظمة الوحدة الأوروبية لتطوير نظم للترجمة الآلية من لغات دول السوق الأوروبية المشتركة إلى اللغة العربية، وجدير بالذكر أن الشركات الإسرائيلية المعنية بتطوير البرامج تحاول عرض خدماتها على الشركات العالمية لتعريب نظمها، وبرامجها، لتأهيلها لاختراق السوق العربية، ومن الأهمية بمكان أن نذكر أن معظم الشركات العالمية الرائدة في مجال تكنولوجيا

المعلومات لها فروع داخل الكيان الإسرائيلي مثل شركة «آي. بي. إم»، رائدة صناعة الشرائح الإلكترونية عالمياً، وشركة «مايكرو سوفت» رائدة تطوير البرمجيات عالمياً، وشركة «جي. تي. إي» وهي من كبرى شركات الاتصالات في العالم. ولاشك أن إسرائيل تستفيد كثيراً من وجود هذه الشركات الرائدة، داخلها، وتسعى إلى خطب ودها لعقد اتفاقات شراكة معها. وفي هذا الإطار ترصد إسرائيل منذ عقد الثمانينات ٤٠٠ مليون دولار سنوياً للإسهام في تأسيس «بدايات شركات Start Ups» في قطاع التكنولوجيا المتقدمة، لتقوم من جانبها، بتمويل برامج «الحاضنات التكنولوجية» التي تساند وتدعم الشركات الوليدة لتأخذ بيدها، أثناء عبورها مرحلة المخاض، وقد شهدت سنة ١٩٩٩ ميلاد ١٥٠٠ شركة جديدة تعمل في مجال التكنولوجيا المتقدمة، أسهمت بدورها في زيادة الاستثمارات إلى حوالي مليار دولار سنويا وتؤكد أحد التقارير أن إسرائيل أصبحت أحد المنافسين البارزين في ميدان التكنولوجيا، فهي تملك ١٧٠ من شركات التكنولوجيا المتطورة، وهي مسجلة في بورصة نيويورك «ناسداك» وقد ارتفعت حصتها فيها في الفترة من ١٩٩٢ – ١٩٩٧ إلى نحو ٣,٥ مليار دولار، وتحتل إسرائيل الآن المرتبة الثانية بعد بريطانيا فيما تمتلك من أسهم في بورصة لندن، كما تشير التقارير إلى ارتفاع الاستثمارات الأجنبية في مجالات التكنولوجيا في إسرائيل، من ٤٠٠ مليون دولار عام ١٩٩٢ إلى ٢,٤ مليار دولار عام ١٩٩٦، وإلى ٣,٧ مليار دولار عام ١٩٩٧. وفي إطار الصادرات التكنولوجية الإسرائيلية، تذكر الإحصاءات أنها زادت إلى نحو ٦٠٪ من إجمالي الصادرات الصناعية عام ١٩٩٨ بالمقارنة بعام ١٩٩١ حيث لم تتجاوز الصادرات التكنولوجية ٢٣٪ من إجمالي الصادرات الصناعية، أو بلغة الأرقام فقد ارتفعت هذه الصادرات التكنولوجية من ٣,٢٥ مليار دولار عام ١٩٩١ إلى نحو ١٠ مليارات دولار عام ١٩٩٨، وارتفعت أيضاً مبيعات البرمجيات وحدها من ٤٥٠ مليون دولار عام ١٩٩٠ إلى نحو ٣ مليارات دولار عام ١٩٩٩. أما بالنسبة لصادرات إسرائيل من المنتجات الالكترونية، فقد تصاعدت من حوالي مليار دولار عام ١٩٨٦ إلى نحو ٦ مليارات دولار عام ١٩٩٩. ومن ثم فقد أفضى النمو في صادرات التكنولوجيا المتطورة الإسرائيلية إلى دعم جهود البحث والتطوير في مختلف مجالات التكنولوجيا بوجه عام، كان من نتيجته تحقيق تطور نوعي، لافت للانتباه، في الناتج التقني في عدة مجالات حيوية، منها مجال الزراعة الذي تستخدم فيه إسرائيل نظام الري بالتنقيط والرش لترشيد استغلال المياه، وحققت أيضا نجاحا ملحوظاً في إدخال الحواسب الآلية لضبط العمليات الزراعية، وتهجين السلالات النباتية والحيوانية لتنمية الثروة الغذائية، بالإضافة إلى استخدام أساليب جديدة لزراعة الصحراء،

ومكافحة الآفات الزراعية، وفي مجال الطب، تعتبر إسرائيل من طليعة الدول التي استخدمت الليزر في العمليات الجراحية، من الثمانينات، وفي علاج سرطان الجلد، كما استخدمت الحواسب في تشخيص الحالات المرضية، وفي مجال البرمجيات نجح «معهد وايزمان» في ابتكار حاسوب إلكتروني باسم «ويزاك» في عام ١٩٥٤، كما قامت شركة «إيليت» بتطوير حاسوب صغير للأغراض العسكرية، وبدأت شركة «إكسنت للبرمجيات» Accent Soft Ware تنتج برنامج «الإنترنت بلكنة» للتجول في شبكة المعلومات بأكثر من ٣٠ لغة عام ١٩٩٢، وقيام شركة «ميرابليس» بابتكار برنامج باسم «أنا أبحث عنك» I Seek You في نهاية عام ١٩٩٦، الذي يسمح لمستخدم الإنترنت بعمل قائمة بعناوين أشخاص، وتوجيه رسالة لأي عضو في القائمة، فور دخوله على الإنترنت والاتصال به كما تتمتع إسرائيل بمكانة متميزة في مجال تأمين شبكات المعلومات، وتأمين المرور خلالها، ومجال معالجة الكلمات المتعددة اللغات، وابتكار المحافظ الالكترونية، لتحويل الأموال إلكترونيا، وفي مجال تكنولوجيا الفضاء يشير البروفيسور «زامير» إلى أن أبحاث الفضاء تتركز في جامعة تل أبيب، خاصة في دائرة الجغرافية الفيزيائية، والعلوم الفلكية، وتجرى دراسة المناخ الجوي، المنخفض في الجامعة العبرية في القدس، بينما يتولى «معهد التخنيون» دراسة الفيزياء

الفلكية وكل مايتعلق بالهندسة الفضائية، وتشغيل الصواريخ، ومن ناحية أخرى فإنه في إطار التعاون الدولي، استطاعت الوكالة الإسرائيلية لاستغلال الفضاء (سالا) أن تبني علاقات وثيقة، من خلال التعاون التقني والأكاديمي، مع كل من وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) ووكالة الفضاء الأوروبية (أيا) والمركز القومي الفرنسي لأبحاث الفضاء (سينس) ومركز الفضاء الألماني الغربي، ووكالة الفضاء اليابانية. ومايجب التأكيد عليه في هذا السياق أن إسرائيل قامت بتطوير برنامج لإطلاق الأقمار الصناعية، مثل القمر الصناعي «أوفيك -١» الذي أطلق في ١٩ / ٩ / ١٩٨٨، و«أوفيك - ٢» الذي اطلق في ٣ / ٤ / ١٩٩٠، و«أوفيك - ٣» الذي أطلق في ٥ / ٤ / ١٩٩٥ ومهمته هي التجسس على المنطقة العربية، و«أوفيك -٤» الذي أطلق في ٢٣ / ١ / ١٩٩٨، ومهمته التجسس على إيران والعراق وسوريا، و«أوفيك -٥» الذي أطلق في ٢٨ / ٥ / ٢٠٠٢ وهو من أقمار التجسس أيضا، كما قامت إسرائيل بإنتاج وتطوير قمر صناعي آخر باسم «عاموس»، أطلقته لأول مرة في نوفمبر ١٩٩٥، ويغطي إرساله المنطقة الممتدة من إيران شرقاً إلى ليبيا غرباً، ومن أوكرانيا شمالاً إلى السودان جنوباً، ويغطي هذا الإرسال أيضاً مصر وسوريا والأردن ولبنان وإسرائيل ومنطقة الخليج، ومهمته بث الإرسال التليفزيوني، والمكالمات الهاتفية، وتغطية المؤتمرات على الهواء مباشرة، ونقل المعلومات

من أجهزة الكمبيوتر، ونقل الخرائط والمخططات المصورة، وفي هذا الإطار طورت إسرائيل الصاروخ «هوك» أرض - جو بتحويله إلى صاروخ مضاد للطائرات، وتطوير ٢٤٠ صاروخ «حوما» المضاد للطائرات، وإنتاج وتطوير الصاروخ «أرو» أي السهم، المضاد للطائرات بمعونة تكنولوجية أمريكية. كما نجحت إسرائيل في تطوير نظام تسليح إشعاعي محمول جواً قادر على اعتراض الصاروخ المعادي وتدميره في الجو، بالإضافة إلى تطوير نظام يعتمد على تزويد «طائرات بدون طيار» بمواد متفجرة، وتوجيهها نحو مواقع الصواريخ المعادية لتدميرها، وتبلغ تكاليف هذا النظام حوالي ٤٠٠ مليون دولار، وتشير الإحصائيات إلى أنه في غضون اثني عشر عاماً أنفقت إسرائيل مايزيد على ١,٣ مليار دولار على تطوير الصاروخ «حيتس» لمطاردة وتعقب الصواريخ المعادية لتدميرها. ويذكر «عوزي روبين» وهو أحد المتخصصين في مجال تكنولوجيا الصناعات العسكرية «أن هناك حوالي ٥٠٠ صاروخ بعيد المدى تهدد إسرائيل في الوقت الحاضر». ويضيف محذراً بقوله: «إنه بعد عدة سنوات قادمة سوف يتزايد هذا التهديد، ويصبح لدى سوريا، وليبيا، والعراق، وإيران حوالي ١١٠٠ صاروخ، يبلغ مداها مابين ٣٠٠ و ٢٠٠٠ كيلو متر» ويواصل «عوزي روبين» حديثه منبها بقوله: «أنه إذا لم يكن هناك نظام رقابة صارمة على العراق، فسوف تمثل أكبر تهديد موجه إلى إسرائيل، خاصة أن العراق يمتلك حوالي ٥٠ صاروخاً من طراز «الحسين» ويضيف محذراً بقوله: إنه مع استمرار «صدام حسين» في الحكم، سوف يسعى العراق إلى تطوير الصواريخ لتصبح بعيدة المدى، وفي هذا تهديد خطير لإسرائيل». ولعل ذلك أحد الأسباب، إلى جانب هدف الهيمنة الأمريكية على المنطقة العربية، التي تكمن خلف الإصرار الأمريكي على ضرب العراق، وتغيير نظام الحكم فيها، بإيعاز من إسرائيل، وبضغط متواصل من اللوبي الصهيوني الأمريكي، أما في مجال تكنولوجيا الطاقة النووية في إسرائيل فيكفي دليلاً على تطويرها ما لدى الكيان الصهيوني من عدة مفاعلات نووية، منها مفاعل «ريشون ليتسيون» الذي أقيم في عام ١٩٥٤، وهو أمريكي الصنع، ومفاعل «ناحال سوريك» الذي أنشيء في عام ١٩٥٧، وهو أيضاً أمريكي الصنع، ومفاعل «ديمونا» الذي بُني عام ١٩٦٥، وهو فرنسي الصنع، ومفاعل «بني روبين» الذي شُيد في عام ١٩٦٥، وهو أمريكي الصنع، وقد سبق هذه المفاعلات النووية الأربعة تشكيل أول لجنة للطاقة النووية في عام ١٩٥٢. وتتوزع الأسلحة النووية التي تنتجها هذه المفاعلات على العديد من المواقع الإسرائيلية على النحو التالي:

- موقع بالميكيم: وهو يقع شمال مفاعل «ناحال سوريك» وهو مخصص لإجراء التجارب على الصواريخ النووية مثل صاروخ «أريحا-٤».

- موقع يوديفات: وهو المكان الذى يتم فيه تجميع الأسلحة النووية وتفكيكها.

- موقع بئر يعقوب: وهو المصنع الذى يجرى فيه بناء صواريخ «اريحا-٣».

- موقع كفار زكريا: وهو عبارة عن قاعدة للصواريخ النووية، وبه ملاجئ لتخزين القنابل النووية الخاصة بقاعدة «تل نوف» الجوية.

- موقع عيلبون: وهو يقع شرق منطقة الجليل، وهو المكان الذى يتم فيه تخزين الأسلحة النووية التكتيكية.

وعلى الرغم من مخطط التعتيم الإسرائيلى حول قدرات إسرائيل النووية، فإن ما كُشف النقاب عنه، فى السنوات القليلة الماضية، هو أن إسرائيل تحتل المرتبة السادسة بالنسبة للدول المنتجة للسلاح النووى، فذكر المعهد الدولى للدراسات الاستراتيجية بلندن، فى أحد تقاريره أن إسرائيل تمتلك مابين ١٠٠ و٢٠٠ رأس نووى، ومن جهة أخرى تسربت أنباء من وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون) تفيد امتلاك إسرائيل نحو ٤٠٠ سلاح نووى متنوعة القدرات، من قنابل تكتيكية ونيتروجينية، وهيدروجينية، وهذا ما أكده الكولونيل المتقاعد فى الجيش الأمريكى «ورنر فارد» فى مقال له بقوله: «إن إسرائيل، كانت عشية حرب ١٩٦٧، تمتلك ١٥ رأساً نووياً، ارتفعت فى بداية الثمانينات إلى ٢٠٠ رأس نووى، وتضاعفت بعد ذلك إلى ٤٠٠ قنبلة نووية مختلفة الأحجام». وفى ضوء ذلك أصبحت إسرائيل فى الحقيقة هى المحتكرة الوحيدة للسلاح النووى فى المنطقة العربية، لايشاركها أحد من الدول العربية فى ذلك، وترتكز سياسة الاحتكار الإسرائيلى للسلاح النووى على ثلاثة ركائز، الأولى رفض إسرائيل الانضمام إلى معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية، والثانية لاتعترف إسرائيل حتى الآن بامتلاك السلاح النووى، والثالثة لاتوافق إسرائيل على وضع منشآتها النووية تحت الرقابة الدولية، وذلك كما نرى خروج من جانب إسرائيل على القانون الدولى، واستثناء من الرقابة الدولية، تساندها فى ذلك الولايات المتحدة الأمريكية.

وفى الختام يمكن القول بأن التقدم التكنولوجى الذى أحرزته إسرائيل فى العديد من المجالات الحيوية التى عرضناها سلفاً كان محصلة تفاعل عاملين رئيسيين: الأول تواجد قاعدة علمية قادرة على الإبداع والابتكار، والثانى تواجد قاعدة صناعية متقدمة مرتبطة بالبحوث التطبيقية القادرة على تحويل الإنجاز العلمى إلى واقع عملى ملموس، ومايجب التأكيد عليه أنه على الرغم من «الفجوة التكنولوجية» التى أفرزها هذا التقدم التقنى فى إسرائيل لصالحها، فلا يجب أن يكون ذلك مبرراً لجلد الذات العربية، وتهويناً من شأنها خاصة أن لدى العرب رصيداً ضخماً من الموارد البشرية، المؤهلة تأهيلاً علمياً وتقنياً ومجموعة متميزة من مؤسسات البحث العلمى والتكنولوجى التى تكفل للأمة العربية احتلال مركز الصدارة فى مختلف ميادين التكنولوجيا الفائقة.

الأطفال .. أضحية أو قرابين

للدكتور / علي أحمد علي

للعدوان على الأطفال: ذبحاً وقرباناً وتضحية، تاريخٌ تبرأ منه السماء، نبت في أحضان الوثنية على هَوى من أساطينها، ضلُّوا بها، وأضلوا، وما كانوا مهتدين في وثنيتهم بأثارةٍ من عِلْمٍ أمين، أو دينٍ راشدٍ حكيم.

ولهذا التاريخ اتجاهان:

(أ) اتجاه اجتماعي: لا صلة له بعقيدة مطلقاً، يندفع فيه الآباء، والأمهات إلى قتل أولادهم ذكوراً أو إناثاً خيفة الجوع أو العار، وكثرت ضحايا هذا اللون بين الأمم الجاهلية، ومنهم العرب، وفي هذا اللون جاء قوله - تعالى - في واحدة من الوصايا:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾

الأنعام - ١٥١

وقال تعالى:

﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾

التكوير ٨، ٩

فكان قتلُ الأطفال عاماً في الذكور، والوأدُ عاماً في البنات، وهو دفْنُهن أحياء، وذلك إمّا مخافة الحاجة والإملاق، وإما خوفاً من السَّبْي والاسترقاق .. قال ابن عباس - رضي الله عنهما: «كانت المرأة في الجاهلية إذا حَمَلَت حفَرَتْ حفرة وتمخضت على رأسها، فإن ولدتْ جارية رمت بها في الحفرة، وردت التراب عليها، وإن ولدت غلاماً حبسته» اهـ. أي لم تئِدْهُ. ولم يكن ذلك عُرْفاً عاماً في كل العرب، والحمد لله.

وممن وأَدَ من الرجال قيس بن عاصم - وله صحبة - رضي الله عنه: جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إني وأدتُ ثماني بنات كُنَّ لي في الجاهلية. قال - عليه الصلاة والسلام: فاعتق عن كل واحدة منهن رقبة»[1].

وكتب ابن الأثير أبو الحسن بن علي بن محمد الجزري - في ترجمته لكَبِيرة - أو كثيرة - بنت سفيان الخزاعية - أو الثقفية، وكانت - رضي الله عنها - من المبايعات. قالت:

قلت: يا رسول الله، إني وأدتُ أربع بنين لي في الجاهلية؟!

قال - عليه الصلاة والسلام: أعتقي أربع رقاب. ا.هـ[2]

(١) القرطبي. المجلد العاشر ص٧٢٦٩ في تفسير آيتي التكوير.

(٢) أسد الغابة. المجلد السابع ص٢٥ نشر الشعب.

كذا «أربع بنين» وتذكير «أربع» في الخبر يرجح أنهن بنات لا بنين؛ فإن الواد كان فيهن، والله أعلم

(ب) وتاريخ ديني: يكشف عن اندفاع آباء وأمهات إلى تقديم أبنائهم وبناتهم طُعْمة للنار، ضحايا لأوثانهم قانعين مغتبطين بتشريع كهانهم هذا الوضع، فَيُغْسَرُ بالطفل والطفلة فوق النار فيسقطان فيها. وفيهم.. وفي ألوان هذا النوع وأشكاله يقول تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾

الأنعام(١٣٧)

والآية واضحة المراد بذكر «المشركين» و«شركاؤهم» و«دينهم» فحديثها يعني هذا البلاء من التعبد الذي يحدثه رؤساء هذه الأديان وكهانهم، وإن شملت عامة قتل البنين والبنات.

قال الفراء والزجاج: شركاؤهم ها هنا هم الذين كانوا يخدمون الأوثان. «أ. هـ»

وفي الحق ان السَّدَنة: أعني خدّام الأوثان أحد طبقات القائمين عليها. وهم جميعا يأمرون هؤلاء الأتباع بتلك المراسيم ويرغبونهم فيها ويخلطون عليهم دينهم فلا يتبينون فيه رشدا ولا صلاحا.

وما كان هذا اللون من الضحايا والقرابين بالأطفال إلا نتاج هذه الوثنية المحضة.

●●●

ولما اشتعلت الفتنة بهذه القرابين عصر الخليل إبراهيم- على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام- أراد- سبحانه- أن يبين للمؤمنين براءة السماء من هذا الخبث، وتلك الجريمة، وطبقا لسنته- تعالى- التي لا تبديل فيها ولا تحويل، كان المنع بـ«حادثة» فريدة.

قال الخليل- عليه السلام- لولده إسماعيل:

﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾

قال إسماعيل- لإدراكه أن رؤيا الأنبياء وحي:

﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾

أي استسلما طائعين أمر الله، وهما موقنان بوجوب الذبح ولا رادّ له ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ أي أنامه على أحد جنبيه وهَمّ بالذبح طاعة لله- تعالى- نزل بيانه- سبحانه بالمنع من الذبح وبالفداء معا، قال تعالى:

﴿وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾

أي قد فعلت ما أريتك إياه في منامك «أ. هـ» فلم يقع ذبح إطلاقا، ولكن هناك فداء تقرّ به عيناك وعينا إسماعيل وعينا والدته:

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾(٣).

---

(٣) الآيات بسورة الصافات ١٠٢-١٠٩.

وعلى نفس الطريقة أعني بـ (حادثة) كان بيانه - سبحانه وتعالى - في براعة السماء من كل عرف أو تقليد فاسد؛ فإنه يأخذ هذا اللون من البيان العملي الذي يُساقُ في حادثة على كيفية تنتهي ببيان فساد هذا العُرْف، وحسبك في ذلك إبطاله- سبحانه وتعالى- للتبني وبيانه حلّ زواج من كان متبنيا - لزوج من كان تبناه.. الخ.

●●●

ولو أردنا أن نمر بأحكام الأبناء وحقهم على الآباء في شريعة السماء لوجدنا الرحمة المصفاة؛ فهم ﴿زينة الحياة الدنيا﴾ الكهف- ٤٦، ينبغي اختيار أحب الأسماء لهم، وتربيتهم على أحسن حال مستطاع، وعدم الدعاء عليهم، قال رسول الله ﷺ لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على خدمكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة إجابة فيستجيب لكم[٤]. أي فيهلك مَنْ دعوتُم عليه مِنْ ولد أو مال.. الخ.

وهل بعد أن أقرت الشريعة إعطاء الولد العاق حقه من الميراث كلمة في هذا المقام؟

أساء ما أساء إلى والديه، وكَفَّ الله- سبحانه- أيديهما عنه؛ فما استطاعا حرمانه من ميراثهما.

●●●

واستوثَنَ فريق من بني إسرائيل، وإنه لفريق كبير[٥]، وقدموا أبناءهم وبناتهم للذبح والنار، وإنها لوثنية عجيبة. وذلك أمر لم يكن يتوقعه مؤمن، فهم:

ذراري الأنبياء- على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام،

وعاشت فيهم شريعة لا تزال مسطورة في «العهد القديم» أعني التوراة المتبادلة بأيديهم،

وعاش إلى جوار الشريعة أنبياء، ظلوا متداركين حتى ولادة المسيح - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام.

فأنّى كان يخطر ببال المؤمن، وفيهم هذه الثلاث أنهم مغرمون بالوثنية، وأنهم اندفعوا إليها أثناء غياب موسى ليتلقى التوراة.

ولم يقص علينا القرآن الكريم أن أحدا من أتباع الأنبياء من قبل موسى آمن مع نبيه ثم ارتد إلا هذا الفريق من بني إسرائيل عبدوا العجل- في غياب موسى- وفيهم نزل «حكم الردة» التي لم تكن في مؤمني الأنبياء من قبل، وكان الحكم قتل المرتدين، قال- تعالى-:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾

البقرة- ٥٤

---

(٤) رواه مسلم وأبو داود وابن خزيمة

(٥) يدل على كثرة هاتان الآيتان الكريمتان من سورة الأعراف.

﴿ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون (١٥٩) وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا أمما﴾

ومن الآيتين نتبين والله أعلم أن نسبة الصلاح إلى الفساد فيهم هي (١: ١١) ذلك أنهم اثنتا عشرة سبطا أمما، منهم أمة واحدة تهدي بالحق وترضى به.

أى: يقوم فريق من الذين لم يرتدوا بقتل المرتدين، ونفذ الحكم.

وسجله العهد القديم فى سفر «الخروج» الإصحاح رقم (٣٢) النصوص: ٢٧-٢٩.

قال موسى: قال الرب إله إسرائيل: «ضعوا كلُّ واحدٍ سيفه على فخذه.. واقتلوا كُلُّ واحدٍ أخاه، وكلُّ واحدٍ صاحبه، وكل واحد قريبه. ففعل بنو لاوى بحسب قول موسى، ووقع من الشعب فى ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل. ا.هـ

ومن الشقه الساقل أن بنى إسرائيل تلصق عبادة العجل ـ فى هذه الفترة ـ بهرون ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، ويكتمون ذكر «السامرى» صانع العجل، ويقع كتبة هذا السفر فى تناقض رهيب؛ فلو كان هرون صانع العجل لكان من عُبّاده. ولقتله موسى قولا واحدا، لكن موسى لم يقتل هرون، ولم يذكر «العهد» أن موسى تقدم لهرون باتهام بالكفر، وبرأ الله هرون، فقد قال لهم ـ وقد هموا بالعجل صناعة وعبادة:

﴿ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ۝٩٠ قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ﴾

طه ـ ٩٠، ٩١

وما الحيلة مع قوم يقتلون أنبياءهم، أفلا يكون يسيراً عليهم تكفيرهم؟!

وما فعلوه مع هرون فعلوه مع «سليمان» على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام ـ فاتهموه بأنه صنع لهم الأوثان ووضعها بأعالى المرتفعات وذبح لها[٦]، ورد الله ـ سبحانه ـ ذلك كله بأبسط عبارة، فقال ـ جل علاه:

﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ ﴾ البقرة ـ ١٠٢.

ويشاء الله أن يقع كاتبو سفر الملوك فيما وقع فيه إخوانهم الذين اتهموا (هرون)، فإذا نفس الكتبة ـ فى نفس السفر يكتبون أن سليمان ـ عليه السلام ـ طلب «يربعام بن ناباط» ليقتله، فقد كان هذا اليربعام وراء الأوثان، بل صنع عجلين من ذهب فيما بعد وفاة سليمان ليصرف بنى إسرائيل عن الاتجاه إلى (بيت الرب) بأورشليم وهرب يربعام يوم طلبه سليمان إلى «شيشق» ملك مصر، وظل بها حتى مات سليمان[٧].

●●●

ولا تنفك الوثنية قائمة فى بنى إسرائيل وما يتبعها من طقوس كذبح الأطفال أو إلقائهم فى النار؛ فهى فى مد وجزر بينهم من بعد موسى حيث قام فيهم «قضاة» يتولون أمرهم، ثم «ملوك» من بعد القضاة، ثم تستمر الوثنية فيهم إلى عهد المسيح على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام.

●●●

انتهى القرن الخامس عشر من قبل الميلاد، ولحق موسى ـ عليه السلام ـ بالرفيق الأعلى، نبيا كريما فى منازل الصديقين والشهداء، وكان هرون ـ عليه السلام ـ قد مات قبله.

---

(٦) راجع العهد القديم الملوك الأول ١١/٤، وما بعدها

(٧) راجع العهد القديم الملوك الأول ١١/٤٠

وعاش بنو إسرائيل من بعدهما وعليهم «يوشع ابن نون» فتى موسى ـ عليه السلام ـ وهو «يشوع ابن نون» في العهد، حتى إذا قضى يوشع تولى الأمر فيهم قضاة إلى أن طلبوا إلى ـ نبي في بني إسرائيل، يذكر «العهد» أنه «صموئيل»[8]. أن يكون لهم ملك، يجمعهم على وحدة جامعة شاملة لكل الأسباط، ذلك أن القضاة لم يكونوا ـ في الواقع ـ أكثر من أبطال ليس لهم من سياسة الحكم نصيب[9]، وفي التنزيل العزيز مصداق ذلك، قال ـ تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾

البقرة: ٢٤٦ ـ ٢٤٧

فكان طالوت أول ملوكهم[10] بأرض كنعان

---

(٨) صموئيل أول ٨/٢٢

(٩) وها هم قضاة بني إسرائيل من بعد يوشع بن نون فتى موسى ـ عليهما السلام:

أ ـ يهوذا بن يوشع (يشوع)، ب ـ عُثْنيئيل بن قناز، جـ ـ أهود بن جيرا، د ـ شمجر بن عناة، هـ ـ جدعون بن يواش، و ـ أبيمالك بن جدعون، ز ـ تولع بن فواة، ح ـ يائير الجلعادي، ط ـ يفتاح بن يائير الجلعادي، ي ـ إبصان من بيت لحم، ك ـ إيلون الزبولوني، ل ـ عَبْدون بن هليل، م ـ شمشون بن منوح، راجع سفر القضاة.

(١٠) وها هم ملوكهم:

أ ـ ملوك الشمال (إسرائيل) من بعد سليمان:

١ ـ يربعام الأول (٩٢٢ ـ ٩٠١ ق. م)، ٢ ـ ناداب بن يربعام (٩٠١ ـ ٩٠٠ ق. م)، ٣ ـ بعشا بن أخيا (٩٠٠ ـ ٨٧٧ ق. م)، ٤ ـ أيله بن بعشا (٨٧٧ ـ ٨٧٦ ق. م)، ٥ ـ زِمْري وفيه غموض مات منتحرا، ٦ ـ عمري (٨٧٦ ـ ٨٤٣ ق. ق)، ٧ ـ أخاب بن عمري (٨٤٢ ـ ٨٢٠ ق م)، ٨ ـ أخزيا بن أخاب (حكم عامين)، ٩ ـ يهورام بن أخاب، ١٠ ـ ياهو، ١١ ـ ياهو أحاز (٨١٥ ـ ٨٠٦ ق م)، ١٢ ـ يهو آش ابنه (٨٠١ ـ ٧٨٦ ق م)، ١٣ ـ يربعام الثاني حكم أربعين سنة، ١٤ ـ زكريا بن يربعام حكم ستة أشهر ثلاه، ١٥ ـ شلوم بن يابيش (٧٤٥) مغتصب عرش زكريا، ١٦ ـ منحيم بن جادي (٧٤٥ ـ ٧٣٦ ق م)، ١٧ ـ فقحيا بن منحيم (٧٣٦ ـ ٧٣٥ ق م)، ١٨ ـ فقح بن رمليا اضطراب في مدة حكمه، ١٩ ـ هوشع بن أيلة (٧٣٢ ـ ٧٢٤ ق م)، ثم سقطت إسرائيل [راجع سفرَيْ الملوك]

ود/محمود بيومي مهران: دراسات في الشرق الأدنى ـ إسرائيل ص ٤٩٥ ـ الخ مطبعة الأمانة

ب ـ ملوك الجنوب (يهوذا) من بعد سليمان

١ ـ رحبعام بن سليمان (٩٢٢ ـ ٩١٧ ق م)، ٢ ـ أبيام بن رحبعام (٩١٥ ـ ٩١٣ ق. م)، ٣ ـ أسا ابن أوخو أبيام (٩١٣ ـ ٨٧٣ ق م)، ٤ ـ يهو شافط بن أسا (٨٧٣ ـ ٨٤٩ ق. م)، ٥ ـ يهورام بن شافط (٨٤٩ ـ ... (٨ سنوات)، ٦ ـ أخزيا بن يهورام (٨٤٣)، ٧ ـ عثليا أم أخزيا (٨٤٣ ـ ٨٣٧ ق م)، ٨ ـ يهْواش (٨٣٧ لمدة أربعين أو ٣٧ عاما)، ٩ ـ أمصيا بن يهواش (٨٠٠ ـ ٧٨٣ ق م)، ١٠ ـ عزريا بن أمصيا (٧٨٣ ـ ٧٤٢ ق م)، ١١ ـ يوثام بن عزريا (٧٤٢ ـ ٧٣٥ ق م)، ١٢ ـ أحاز (٧٣٥ ـ ٧١٥ ق م)، ١٣ ـ حزقيا بن أحاز (٧١٥ ـ ٦٨٧ ق م)، ١٤ ـ منسّى (٦٨٧ ـ ٦٤٢ ق م)، ١٥ ـ آمون بن منسى (٦٤٢ ـ ٦٤٠ ق م)، ١٦ ـ يوشيا بن آمون (٦٤٠ ـ ٦٠٩ ق م)، ١٧ ـ يهو أحاز بن يوشيا حكم ثلاثة أشهر، ١٨ ـ يهوياقيم (٦٠٩ ـ ٥٩٨ ق م)، وقع أسيرا بأيدي البابليين، وعين نبوخذ نصر، ١٩ ـ متنيا عمه حاكما ليهوذا، وأسماه صدقيا، ثم قضي على يهوذا عام ٥٨٦.

التي سموها (إسرائيل) وطالوت هو شاول في العهد القديم، تولى الملك الفترة (١٠٢٠ - ١٠٠٠ ق.م).

وباختصار شديد قويت الدولة هذه في عهد طالوت، ثم داود - عليه السلام - (١٠٠٠ - ٩٦٠ ق.م) من بعده، ثم سليمان عليه السلام - (٩٦٠ - ٩٢٢ ق.م) حتى إذا مات سليمان تقسمت الدولة من بعده إلى (إسرائيل) في الشمال، وإلى (يهوذا في الجنوب).

وضعفت كلتا الدولتين حتى إذا كان عام (٧٢٢ ق.م) قضى «سرجون الآشوري» على إسرائيل في الشمال، ثم قضى «نبوخذ نصر» على «يهوذا» في الجنوب عام (٥٨٦ ق.م) وانتهت الدولة إلى الأبد بمشيئة الله تعالى.

●●●

إن بين يدى القارىء ثبتاً بالقضاة والملوك، بلغ القضاة فيه ثلاثة عشر قاضياً، وبلغ ملوكهم ثمانية وثلاثين ملكاً. يأبى كتبة أسفار القضاة والملوك إلا أن ينصوا على استمرار الوثنية بين بني إسرائيل خاصة طيلة حكم الملوك، اللهم إلا من نذر قليل بين هؤلاء وهؤلاء تمكن فيه بعض القضاة والملوك من كبح جماحها وإخمادها، فما كانت تخمد إلا لأجل قليل، ثم تعود فتبسط نفوذها من جديد، خذ مثلاً هذا النص - باختصار مع الحفاظ التام على اللفظ كما هو:

«وعَبَدَ الشعبُ الربَّ كل أيام يشوع، وكُلَّ أيام الشيوخ الذين طالت أيامهم بعد يشوع الذين رأوا كلَّ عَمَلِ الرب العظيم الذى عَمِلَ لإسرائيل، ومات يشوع... وكل ذلك الجيل أيضا، وقام بعدهم جيل آخر لم يعرف الرب ولا العمل الذى عمل لإسرائيل، وفعلَ بنو إسرائيل الشر.. وعبدوا «البعليم»... وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم وسجدوا لها.. وعبدوا «البعل» و«عشتاروث»... ولقضاتهم لم يسمعوا بل زنَوا وراء آلهة أخرى... وعند موت القاضى كانوا يرجعون ويفسدون أكثر من آبائهم» قضاة - ٢.

ولنترك القضاة إلى ملوكهم من بعد داود وسليمان - عليهما السلام: وقد علمنا انقسام الدولة إلى شطرين: إسرائيل في الشمال، ويهوذا في الجنوب، وكانت «أورشليم» في أرض يهوذا، وهنا نجد كتبة سفرى الملوك يصمون ملوك الشمال جميعا بالوثنية، بينما يندر الملك الوثنى في الجنوب، ولنا في ذلك تعقيب قريب.

سجد بنو إسرائيل للأوثان: ما اصطنعوه منها لأنفسهم، وما كان من أوثان للأوطان من حولهم كما عبدوا أيضا ملوكا لأمم أخرى، مثل: «كوشان رشعتايم» ملك آرام النهرين، و«عجلون» ملك موآب.

وهذه طائفة من أوثانهم تضاف إلى ما تقدم، وشيء مِنْ تَقْدِماتِهم لها:

أدْرَمَّلك، عَنَمَّلك، بعل زبوب، ثيران يصطنعونها بجانب البعل، رفع أوثان على المرتفعات «وسجدوا لجميع جند السماء وعبدوا البعل وعبّروا بنيهم وبناتهم فى النار» ملوك ثان ١٧ / ١٦.

وتبعوا الوثنيين من الممالك المجاورة الذين حرقوا بنيهم بالنار لـ «أدرملك» و «عنملك» ١٧ / ٢١ وكتبوا عن منَسّى ملك يهوذا أنَّهُ: «سجد لكل جند السماء وعبدها... وعبّر ابنه فى النار» ملوك ثان ٢١ / ٤ ؛ ٥.

وفى نص آخر: «وعبّر بنيه فى النار» أخبار الأيام الثانى ٢٣ / ٦ «وذبحوا بنيهم وبناتهم للأوثان، وأهرقوا دما زكيا.. دم بنيهم وبناتهم الذين ذبحوهم لأصنام كنعان»[11] مزامير ١٠٦ ص٩٠٨.

وبعد: فلسنا نشك فى اندفاع كثير إلى الوثنية، وأدائهم لطقوسها. غير أننا ينبغى أن نمسك بتؤدة عن ذكر الكثرة لأشخاص بأعينهم، نظرا لما سَبقُوا إليه من اتهام لهرون وسليمان - عليهما السلام - من ناحية، ولفقدنا لمصادر دقيقة أخرى إسرائيلية يمكن على مادتها عَمَلُ مقارنة ومقابلة تستنتج على ضوء كل منها الوضع الصحيح.

فأما الكثير جداً من عامتهم فقد صحب الوثنية من فجر طويل.. من أيام موسى - عليه السلام - كما مَرَّ، أضف إلى ذلك: أن اهتمام كل ملوك الشمال والجنوب بالحرب فيما بينهما كان فرصة ليعمل بنو إسرائيل ما يريدون فكانت تلك الوثنية التى أورثتهم لعنة الله - تعالى - إلى الأبد، وقضت على الكاهن، واندثر الهيكل، فلا كاهن ولاهيكل لترتفع عنهم اللعنة؛ فهى قابعة لن تزول لقد قضى الله بالحق وأقام شرعة السلام.

***

(١١) انظر فى إلقاء الأبناء فى النار صفحات العهد القديم: ٦١٢ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٣. «وإسرائيل للدكتور محمد بيومى مهران».

الأعياد اليهودية

للدكتور/ محمد حسن عبد الخالق

إذا أردنا إلقاء الضوء على الأعياد اليهودية، والتي تقوم أساسا على التقويم العبرى، سنجد أن التقويم العبرى معقد للغاية، لأن شهور السنة العبرية تتبع الشهور القمرية، والشهور اليهودية مكونة إما من ثلاثين يوما أو تسعة وعشرين يوما، وبذلك تصبح السنة عندهم ٣٤٥ يوما، والفرق بين السنة القمرية والسنة الشمسية أحد عشر يوما، وقد تحايل اليهود على ذلك بإدخال تعديلات معقدة على تقويمهم بحيث يتطابق التقويمان تمام المطابقة مرة كل عشرين عاما، فأقحموا شهرا مدته ثلاثون يوما في كل عام ثالث وسادس وثامن وحادى عشر ورابع عشر وسابع عشر وتاسع عشر من هذه الدورة العشرينية وأسموه آزار الثانى (أواخر فبراير - مارس).

أما السبب الثانى لتعقيد التقويم اليهودى فهو سبب طقوسى بحت، فمثلا لا ينبغى أن يقع عيد الغفران يوم جمعة أو أحد، كذلك لا يجوز أن يكون اليوم السابع من عيد المظال يوم السبت.

وغريب أمر هؤلاء القوم، فقد خالفوا أمم العالم قاطبة فى نظرتهم للكون، الذى يعتقدون أن الله قد خلقه لأجلهم بوصفهم شعب الله المختار وأضفوا القداسة على الأرض والشعب واللغة وكل ما يتعلق بهم فنرى التقويم الإسلامى يبدأ بالهجرة «هجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام وأفضل السلام».

والتقويم المسيحى يبدأ بميلاد المسيح - عليه السلام - وهى أزمان تاريخية معينة، أما التقويم اليهودى فيجعل نقطة بدايته لحظة كونية لا تاريخية، هى خلق العالم، كما أن نهاية التاريخ حسب تصورهم هى عودة المسيح المنتظر اليهودى فى سبت التاريخ.

وقد حدد حاخامات اليهود بدء الخليقة على أساس التواريخ التوراتية التى بين أيديهم بعام ٣٧٦٠ ق.م وبذلك يصبح عام ٢٠٠٢ ميلادية لديهم ٣٧٦٠ + ٢٠٠٢ = ٥٧٦٢م

وقد تصدى حاخامات اليهود لأية محاولة لإدخال بعض التعديلات على التقويم، كى لا يمس يوم السبت لديهم.

وإذا أردنا أن نتحدث عن الأعياد. فكل سبت عيد عند اليهود والسبت بالعبرية «شبات» بمعنى راحة، وقد وردت قدسية هذا اليوم فى مواضع متعددة من العهد القديم فقد ورد فى سفر الخروج:

«اذكر يوم السبت لتقدسه، ستة أيام تعمل وتصنع جميع أعمالك وأما اليوم السابع فهو سبت للرب إلهك» [خروج ٢٠ / ١١]

وورد أيضا فى سفر التثنية :

« احفظ يوم السبت لتقدسه كما أوصاك الرب إلهك » [تثنية ٥ / ١٥].

كما احتل مكانة كبرى فى التلمود، وخصص له باب فى قسم الأعياد كما تحدثوا عنه فى كتب التفسير (المشنا والجمارا) باتساع ويذخر القاموس العبرى بالعديد من أسماء يوم السبت فهناك سبت الخليقة ويقرأ فيه سفر التكوين (أى خلق العالم) والسبت الكبير ويقع قبل عيد الفصح مباشرة.. إلخ وكل مناسبة دينية هناك اسم خاص للسبت الذى يسبقها.

والسبت هو الذى جمعهم طوال الشتات، وكان الرمز الوحيد الذى يذكرهم بيهوديتهم. ولم يكن عند اليهود خطيئة تفوق عدم حفظ شعائر السبت إلا عبادة الأوثان. ويبدأ الاحتفال به بدخوله مساء يوم الجمعة والحقيقة أنه يوم أسبوعى يعقد فيه اللقاءات وتحاك المؤامرات، وهو همزة الوصل قريبة المدى بينهم.

عيد الفصح - عيد الربيع

من الأعياد المهمة لديهم، فهو أول عيد، وقد ورد ذكره فى التوراة، وكلمة « افيف » بالعبرية تعنى الربيع، وأصل معنى الكلمة القديم هو المرور والعبور، وهو إحياء لذكرى نجاة بنى إسرائيل من فرعون ويسمونه أيضا (عيد الفطير) وبالعبرية « حَجْ مَتسوت » لأن طقوسه توجب على اليهود أن يأكلوا فيه الخبز من عجين فطرى لا يدخله الملح ولا الخميرة تذكيرا بأنهم عند فرارهم مع موسى من وجه فرعون لم يكن لديهم الوقت ولا الفراغ للتأنق فى الخبز والانتظار على العجين حتى يختمر.(١)

عيد الغفران

وبالعبرية (يوم كيبور) وهو أهم الأعياد اليهودية على الإطلاق وأقدس يوم فى السنة ويطلق عليه سبت الأسبات.

يصوم اليهود خلاله ليلا ونهارا ولا يقومون بأى شىء، سوى التعبد وقد أضيفت إليه ذكرى انتصار القوات المصرية فى العاشر من رمضان عام ١٣٩٣ هـ الموافق ٥٧٣٣ يهودية.

عيد رأس السنة: وبالعبرية (روش هشانا)

ويحتفل بهذا العيد أول وثانى يوم من شهر تشرى (سبتمبر - أكتوبر) وهو عيد ليس له ذكرى تاريخية، ولكن حاخامات اليهود أضفوا عليه القداسة - وقد ذكر فى « المشنا » أن هذا اليوم هو اليوم الذى بدأ الله فيه خلق العالم، وهو أيضا يوم الحساب السنوى، وهو أول أيام التكفير العشرة التى تنتهى بيوم الغفران، وهناك تقاليد غريبة تتعلق بالأكل والشرب كى يتطهروا من ذنوبهم ويحتفل به يومين على التوالى.

عيد المظال

بالعبرية « السوكوت » ومدته سبعة أيام والمناسبة التاريخية هى إحياء ذكرى خيمة السعف التى آوت أبناء إسرائيل فى العراء.

ويقول موشيه صدوق : أما وقت الحلاقة فقد كانوا يجتهدون لتأجيله حتى يوافق عيد المظال، وفى ذلك اليوم يدخلون به إلى المعبد فى احتفال

---

(١) د.حسن ظاظا، الفكر الدينى الإسرائيلى ٢/٨، ٢١٩.

كبير، ومنذ ذلك الوقت يتانق الولد بالضفائر، بموجبها بسرور ويرى فيها علامة لبلوغه.(٢)

عيـــد الحانوكـــة

في الخامس والعشرين من شهر كسلو العبري الذي يقابل ديسمبر وأيام عيد الحانوكة «عيد التدشين» هي أيام فرح ويستمر العيد ثمانية أيام، والعيد بحكم توقيته يمكن اليهود من الاحتفال بعيد يهودي في نفس الفترة التي يحتفل فيها المسيحيون بعيد الميلاد.

عيد البوريم «عيد النصيب»

وكان الكتاب العرب يسمونه «عيد المسخرة» أو عيد المساخر.. والسبب في ذلك ما يحدث في هذا العيد من مهازل حيث كانوا يسرفون في شرب الخمر والسكر ولبس الأقنعة والملابس التنكرية. وهذا العيد لا يمت بصلة إلى رسول الله موسى ـ عليه السلام ـ ولا إلى شريعته، بل هو احتفال تذكاري متصل بملابسات ممهدة للعودة من السبي البابلي في القرن الخامس ق.م وهو احتفال أشد التصاقا بالسياسة منه بالدين ولهذا فإن هذا الاحتفال يحظى في ظل الصهيونية الحديثة باهتمام خاص.

واسم بوريم جاء من كلمة «بور» في اللغة الفارسية وتعني «قرعة» وجمعها «بوريم» بالعبرية، فقد أقسم الوزير «هامان» أن يقطع دابر اليهود من بلاده وأجرى قرعة لاختيار يوم مذبحة اليهود وأسفرت القرعة عن تحديد يوم الثالث عشر من آذار موعدا لتنفيذ العملية، حتى قامت استير بمهمتها المعروفة.

عيـــد الأســـابيع

بالعبرية (شافوعوت) ومدته يومان ويعتبر عيد الحصاد حيث كان الفلاحون اليهود يأخذون أولى ثمار الحصاد إلى الهيكل والآن يأخذونه إلى الصندوق القومي اليهودي.

وله مناسبة تاريخية راسخة في عقولهم وهي نزول التوراة ـ الوصايا العشر على موسى ـ عليه السلام ـ فوق جبل سيناء.

ويقولون حاشا لله: هو عيد زواج الله بالشعب. يزينون المعابد ويقيمون حفل زفاف للتوراة تماما كأنها عروس تزف إلى الله.

التاســـع من آب

بالعبرية (تيشاع بآب) وهو يوم صوم وحداد عند اليهود في ذكرى سقوط أورشليم وتخريب الهيكل، وتربط التقاليد اليهودية بين هذا التاريخ وكوارث يهودية أخرى يقال إنها وقعت في هذا اليوم مثل خروج اليهود من أسبانيا وغيره.(٣)

عيد الاستقلال: حج هاعتسمئوت

وكما ذكرنا أن بداية أعيادهم هو عيد الفصح وخروجهم من مصر فإن آخر أعيادهم، كما يسموه عيد الاستقلال أي عيد إنشاء الدولة الصهيونية، والمقصود عيد الاحتلال واغتصاب أراضي الغير وأهم مظاهر الاحتفال هو استعراض القوة الغاشمة من أحدث الآليات العسكرية التي تستخدم في قتل الأبرياء من الشعب الفلسطيني الأعزل بمباركة وتمويل أمريكي.

---

(٢) موشيه صدوق: يهودي تيمان - يهود اليمن (مصدر عبري) ص ١١٦.

(٣) موسوعة المفاهيم ص١٢٩

من جرائم اليهود الصهاينة

لفضيلة الشيخ / عبد الخالق نصير
الأمين العام المساعد للثقافة

يعتمد اليهود اليوم على العنصرية والعدوانية بلا شفقة ولا رحمة كما فعل أسلافهم من قبل، ولهم من الجرائم والفظائع ما لا يكاد يحصى، والإرهاب ملازم لليهود منذ قدم التاريخ وهم لا يعرفون معنى السلام والرحمة، فالسلام فى نظرهم يعنى العدوان والقسوة ضد غيرهم والتاريخ يبين لنا ذلك، ولنذكر على سبيل المثال لا الحصر بعضاً من جرائم اليهود حتى نعرف حقيقة أعدائنا الذين هم فى نفس الوقت أعداء العالم كله ويضعون جميع العراقيل أمام السلام فى كل زمان ومكان، يقول التاريخ: (كما جاء فى كتاب الجمعة ـ للشيخ كمال الدين الطائى ط بغداد سنة ١٩٧٥م)

١ – كان أهل قبرص والقيروان يعاملون اليهود بالعطف والرحمة عندما كانوا يسكنون تلك البلاد وذلك فى عهد الإمبراطور (تراجان) عام (١١٧ – ٩٨) ق.م، فتآمر لليهود وثاروا على أهل هذه البلاد، وأخذوا يفتكون بهم بدلاً من أن يقابلوا هذا العطف بالولاء والحب وأبدوا من الهمجية والقسوة ما لا يكاد يصدقه أحد، حيث كانوا يأكلون لحوم قتلاهم، ويشربون دمهم، ويتخذون من أمعائهم أحزمة، ويلتفون بجلودهم، وقد شطروا الكثير منهم من أعلى رؤوسهم إلى أسفل، وأرغموا كثيرين على قتل بعضهم بعضاً، وروى أنهم قتلوا من أهل قبرص (مائتين وأربعين ألفاً)، وقتلوا من أهل ليبيا والقيروان (مائتين وعشرين ألفاً) فأى جرم بعد هذا؟!

٢ – وفى أوائل القرن السابع الميلادى وفى مدينة (أنطاكية) أعلن اليهود العصيان وهجموا على المسيحيين وقتلوا بطريقهم، وحرقوا المنازل، وقتلوا أهلها، فأرسل إليهم القيصر جيشاً لقتلهم وتشريدهم.

٣ – عندما غزا الفرس بلاد الشام عام ٦١٥ م وأسروا من أسروا من النصارى واشترى اليهود عدداً كبيراً منهم يتراوح بين ثمانين وتسعين ألفاً ثم ذبحوهم عن آخرهم وأشعلوا النار فى جميع كنائس النصارى حتى كنيسة القيامة، فالذين يعطفون على اليهود الصهاينة اليوم سيلقون الغدر والتنكيل منهم غداً كما فُعِلَ بأشياعهم من قبل.

٤ – وفى عام (١٣٢١ م) قام اليهود بسرقة أولاد المسيحيين وإلقاء السم فى الآبار فى أواسط فرنسا، فهاج عليهم الفرنسيون وذبحوا منهم جماعة وحرقوا البعض ونفى من بقى منهم خارج فرنسا.

٥ – وفى عهد (لويس التاسع) أصدر أمراً بإلغاء ثلث ما كان لليهود على رعاياه المسيحيين من الدين، تراكم بسبب الربا والاستغلال.

٦ – وفى عهد الملك هنرى الثالث عام (١٢٣٠ م) أصدر أمراً بأن يدفع اليهود إلى خزينة البلاد فى بريطانيا

- ثلث أموالهم بسبب التعامل بالربا والاحتكار ثم نصحهم بترك الربا لتتحسن الأحوال وتنتهى كراهيتهم التى عمت البلاد، ولكنهم لم يستجيبوا للنصائح لأنهم طبعوا على امتصاص أموال الشعوب فقام الإنجليز بالثورة عليهم فى عام ١٢٩٠ م حتى أخرجوا من انجلترا.

٧- وفى ألمانيا تمادى اليهود فى استغلال الشعب والاستيلاء على ثروته إلى أن طردوا من البلاد بحيث لم يبق أحد منهم فى ألمانيا، ثم أذن لهم بالعودة إليها بعد أن ألغت الحكومة - الدين - الذى كان على الشعب بسبب الربا، ثم سيطر اليهود على البلاد اقتصادياً وسياسياً وأصبحوا جواسيس لأعداء ألمانيا فاضطهدهم (النازيون) وقتلوا كثيراً منهم وأبعدوهم عن بلادهم.

٨- وفى أسبانيا - وهى آخر دولة أوربية تعترف بإسرائيل، والتى اقيمت فى عاصمتها (مدريد) - الجولة الأولى من محادثات السلام بين العرب وإسرائيل - قام اليهود بالسيطرة على منابع الثروة وأصبحت الغالبية من أملاك (الأسبان) مرهونة عندهم وتزايد نفوذهم وأوشكوا على القضاء على الشعب الأسبانى وعلى أملاكه بالإذلال والاستغلال، فقام الشعب الأسبانى بالثورة على اليهود وقتلهم وحرق الألوف منهم، وفى عام ١٤٩٢ م تم طرد من بقى من اليهود بعد أن استولت أسبانيا على ثرواتهم.

٩- وعن عبدالله بن مسعود - رضى الله عنه - قال: «قتلت بنو إسرائيل ثلاثمائة نبى من أول النهار، وأقاموا سوقا لبقلهم من آخره» (رواه ابن أبى حاتم).

١٠- وفى الحديث الشريف قال رسول الله ﷺ: «يا أبا عبيدة: قتلت بنو إسرائيل ثلاثة



الطفل الشهيد محمد الدرة



الطفلة الشهيدة إيمان حجو

وأربعين نبياً من أول النهار فى ساعة واحدة، فقام مائة وسبعون رجلاً من بنى إسرائيل يأمرونهم بالمعروف وينهوهم عن المنكر فقتلوهم جميعاً فى آخر النهار من ذلك اليوم» وهم الذين نزل فيهم قول الله:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾

(سورة آل عمران - ٢١) تفسير ابن كثير ج١.

فنسأل الله أن يحفظ المسلمين من جرائمهم وأن ينصرنا عليهم.

﴿ فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

أحكام في الحج

«الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده»

اطلعنا على سؤال القارىء م.ع.س: يطلب بيان رأى شرعى فى بعض الأمور الخاصة بالحج وهى:-

س١: ماهو حكم الذهاب لمنى يوم التروية، وهل هناك دم أو وزر على من لم يحضر يوم التروية؟

س٢: هل يجوز عدم المبيت بمزدلفة للحجاج الأصحاء أم لا؟ وهل هناك دم على من لم يبت بمزدلفة سواء أصحاء أم مرضى أم لا؟ وما هو وقت الانتظار بمزدلفة، هل هو جزء من الليل أم بعد منتصف الليل؟ أم مقدار صلاة المغرب والعشاء وجمع الحصى؟

س٣: ماهو وقت طواف الإفاضة خاصة لأصحاب الأعذار والمرضى والنساء الذين ذهبوا إلى مكة مباشرة ووكلوا غيرهم فى رمى جمرة العقبة الكبرى وهل هناك مخالفة عليهم إذا طافوا طواف الإفاضة قبل منتصف ليلة العيد أم لا؟ وهل يعاد طوافهم مرة أخرى أم لا؟

وماهو الحكم لمن قضوا جزءاً من الليل بمزدلفة وتحركوا قبل منتصف الليل إلى منى، وقاموا برمى جمرة العقبة الكبرى ثم ذهبوا إلى مكة لطواف الإفاضة قبل منتصف الليل حرصا منهم على تجنب الزحام الشديد أثناء الرمى وطواف الإفاضة؟

س٤: متى يبدأ رمى الجمرات أيام التشريق - هل بعد منتصف ليلة ثانى أيام العيد؟ أم بعد صلاة الفجر لليوم التالى؟ أم بعد الزوال فى اليوم الثانى؟ وما الحكم لمن قام برمى الجمرات بعد منتصف ليلة ثانى أيام وليلة ثالث أيام العيد تجنباً للزحام؟

ويطلب السائل الحكم الشرعى فى ذلك؟

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور
أحمد الطيب
مفتى جمهورية مصر العربية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

●● **الجواب** :

ج١ : بالنسبة لحكم الذهاب إلى منى يوم التروية فنفيد بالآتى :-

حكم الذهاب إلى منى يوم التروية - سنة - ومن السنة أن يتوجه في هذا اليوم إلى منى فإن كان الحاج مفرداً أو قارنا ذهب إليه بإحرامه، وإن كان متمتعا أحرم بالحج من الموضع الذى هو موجود به - فإن كان موجوداً بمكة أحرم منها - وإن كان موجوداً في غيرها أحرم من مكانه مادام داخل المواقيت المكانية.

فإن ترك الحاج شيئا من ذلك فقد ترك السنة. ولكن ليس عليه دم، لأن السنة هى ما يثاب المرء على فعلها ولايعاقب على تركها.

ج٢ : بالنسبة للمبيت بالمزدلفة نفيد بالآتى :-

قال تعالى فى كتابه العزيز:

﴿ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ ﴾(١).

وقد سمى هذا المكان بالمزدلفة لقربه من منى وقد سمى بالمشعر الحرام ويسمى أيضاً جمع لاجتماع الناس فيه.

وأما حكم المبيت بالمزدلفة فهو كالآتى :-

يرى الحنابلة : أن المبيت بالمزدلفة واجب لغير أصحاب الأعذار كالرعاة والسقاة، ويرى غيرهم أن المبيت بها ليس واجباً وإنما الواجب هو الوقوف بها لفترة غير محددة.

والمقصود بالوقوف هو الوجود على أية صورة سواء كان واقفاً أو قاعداً أو سائراً أو نائماً.

ويرى المالكية: أن الواجب هو النزول بالمزدلفة ليلاً قبل الفجر بمقدار مايحط رحله وهو سائر من عرفة إلى منى مالم يكن له عذر.

وقال الشافعية : إن الواجب هو الوجود بالمزدلفة فى النصف الثانى من ليلة يوم النحر بعد الوقوف بعرفة. ولايشترط المكث فيها بل يكفى المرور بها.

---

(١) البقرة (١٩٨).

وقال الأحناف: إن الواجب هو الحضور إلى المزدلفة قبل فجر يوم النحر، فلو ترك الحضور بدون عذر لزمه دم، أما إذا كان معذوراً ولم يحضر فلا شىء عليه حينئذ، وافضل مكان للوقوف بالمزدلفة يكون عند المشعر الحرام وهو جبل صغير يسمى قزح.

ج٢ : بالنسبة لطواف الإفاضة نفيد بالآتي:-

أجمع المسلمون على أن طواف الإفاضة ركن من أركان الحج وأن الحاج إذا لم يفعله بطل حجه لقوله تعالى:

﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾[٢].

وقت طواف الإفاضة: يرى الشافعية والحنابلة: أن أول وقت طواف الإفاضة يبدأ من النصف الثانى من ليلة النحر بالنسبة لشهر ذى الحجة ولايجب على الحاج دم إذا اخره عن أيام التشريق وإن كان يكره له ذلك.

ويرى الأحناف: أن وقت طواف الإفاضة من فجر يوم النحر إلى آخر العمر بعد الوقوف بعرفة ويشترط أن يطوف فى أشهر الحج المعلومة وهى شوال. وذو القعدة وذو الحجة. فإذا وقف بعرفة فى شهر ذى الحجة ولم يطف طواف الإفاضة حتى فرغ ذلك الشهر كان عليه أن يطوف فى هذه الأشهر فى سنة أخرى. أما إذا لم يقف بعرفة فى زمنه قبل طواف الإفاضة لم يصح طوافه، وكذا لو سعى أو طاف قبل أشهر الحج فلا يصح طوافه.

ويرى المالكية: أن وقت طواف الإفاضة من فجر يوم النحر ولا بأس بتأخيره إلى أيام التشريق وتعجيله أفضل ويمتد وقته إلى آخر شهر ذى الحجة، فإن أخره عن ذلك لزمه دم وحجه صحيح لأن جميع ذى الحجة عنده من أشهر الحج ويستحب تعجيله بالنسبة للنساء خوفاً من أن تفاجئهن الدورة الشهرية. وكانت السيدة عائشة - رضى الله عنها - تأمر النساء بأداء طواف الإفاضة فى يوم النحر خشية الحيض.

وبناء على ذلك: إذا طاف الحاج طواف الإفاضة قبل النصف الثانى من ليلة العيد وبعد الوقوف بعرفة فلا يصح طوافه؛ لأنه إذا طاف قبل النصف الثانى من ليلة العيد فلا يصح طوافه لطوافه قبل وقته المحدد له شرعاً ويجب عليه الإعادة فى أى يوم من أيام النحر فى هذه السنة أو فى آخر أيام التشريق أو فى آخر يوم فى ذى الحجة. فإن تأخر عن ذلك وفعله لزمه دم عند الإمام مالك لأن «ذى الحجة» عنده من أشهر الحج.

أما بالنسبة لرمى جمرة العقبة الكبرى قبل منتصف ليلة النحر وكذا الطواف طواف الإفاضة قبل منتصف ليلة النحر فالرمى غير صحيح وطوافه غير صحيح أيضا وذلك لوقوعهما قبل وقتهما المحدد لهما شرعاً.

بالنسبة لرمى الجمرات أيام التشريق: رمى الجمرات واجب عند عامة الفقهاء ويلزم بتركه دم ويبدأ رمى الجمرات فى أيام التشريق الثلاثة وهى

---

(٢) الحج (٢٩).

الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من شهر ذي الحجة فيبدأ الرمي في هذه الأيام بعد زوال الشمس إلى الغروب وأجاز بعض الفقهاء رمي الجمار قبل الزوال ولكن بدءاً من الفجر لا قبله.

وقال فضيلة الشيخ عبدالعزيز عيسى في كتابه كيف تعتمر وتحج ص٣٧ ما نصه: (وذلك أن ترمى هذه الجمرات من الزوال إلى الغروب وبعده أيضاً وهو عقب الزوال أفضل لموافقة فعل الرسول ﷺ متى تيسر ذلك دون حرج).

وقال الإمام أبوحنيفة: (أحب إليّ أن لا يرمى الحاج في اليوم الثاني والثالث حتى تزول الشمس فإن رمى قبل ذلك أجزاه):

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[٢].

وقرر الإمام الشافعي أن رمي الجمرات الثلاث في كل يوم من أيام التشريق الثلاثة التي هي عقب يوم النحر ويدخل وقت الرمي بانتصاف ليلة النحر بشرط تقدم الوقوف ويمتد وقته إلى آخر أيام التشريق ولا يلجأ الحاج إلى الرمي قبل الزوال في أيام التشريق الثلاثة إلا للضرورة القصوى. وتجوز الإنابة في رمي الجمرات لغير القادر على ذلك ولأصحاب الأعذار.

فإذا أخر الحاج إلى الليل لوجود عذر يمنعه من الرمي بعد الزوال جاز له ذلك مع الكراهة. أما إذا لم يوجد عذر ضروري ورمى بالليل فالرمي غير صحيح شرعاً لوقوعه في غير وقته المشروع ويلزمه دم وحجه صحيح.

أما بالنسبة لوقت الرمي يوم النحر وهو اليوم العاشر من ذي الحجة فنفيد بالآتي:-

يرى الشافعية والحنابلة أن وقت رمي جمرة العقبة يبدأ بحلول النصف الثاني من ليلة النحر لحديث عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ أرسل أم سلمه ليلة النحر فرمت قبل الفجر وأجمع الفقهاء على أنه لايجوز الرمي قبل منتصف ليلة النحر. وأن الوقت المختار للرمي في يوم النحر من وقت الضحى في يوم العيد أي بعد طلوع الشمس وذلك لقول ابن عباس - رضي الله عنهما - قال رسول الله ﷺ: « لاترموا جمرة العقبة حتى تطلع الشمس » رواه الترمذي وصححه. فإن أخر بعض الحجاج رمي جمرة العقبة إلى آخر النهار من يوم النحر فلا بأس وجاز ذلك.

وإذا كان فيه عذر يمنع الرمي نهاراً جاز تأخير الرمي إلى الليل لحديث ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يسأل يوم النحر بمنى فقال رجل: رميت بعدما أمسيت فقال ﷺ: « لاحرج » أما إذا لم يكن فيه عذر يحمل على تأخير الرمي في نهار يوم النحر فإنه يكره تأخير الرمي إلى الليل.

والله سبحانه وتعالى أعلم

ترسل الاستفتاءات إلى العنوان التالي: مجلة الأزهر - مدير التحرير - بريد رابعة العدوية - مدينة نصر

(٢) البقرة (٢٨٦).

بيت الله الحرام

للأستاذ/ عبد السلام ناصف

يمثل الحرمان الشريفان: البيت الحرام بمكة المكرمة، والمسجد النبوى الشريف بالمدينة المنورة مكان الصدارة في حب المؤمنين لله - تعالى - ولرسوله ﷺ ومامن مؤمن ولامؤمنة كتب الله لهما أداء حج أو عمرة إلا أحسا برضا الله -تعالى- عنهما وحبه لهما.

لذا صار للحرمين الشريفين جلال التعرف إلى الله -عز وجل- ثم رسوله ﷺ ولقد سبق لنا الحديث عن المسجد النبوى الشريف على صفحات هذه المجلة المباركة[1] وآن أن نتحدث عن البيت الحرام، ملاذ التائب وأمان الخائف، وعصمة المستجير.

في هذا البيت وفي رحابه وعلى امتداد مناسكه إلى عرفات يهرع المؤمنون ملبين بالنداء الخالد: «لبيك اللهم لبيك» مؤدين النسك، داعين ربهم أن يظهر دينه، وأن يعلى كلمته، وينصر أمته، فإنه لأكرم بقاع أوت إليها أفئدة المؤمنين والمؤمنات، وفاضت على أرضه همسات تسبيحهم وتهليلهم من عهد عتيق.

جاء بمسند الإمام الشافعي - رضى الله عنه - (أن الملائكة التقت بآدم - عليه السلام - بعد حجه وقالت له: بر نسكك آدم، لقد حججنا قبلك بألفى عام).

هذا هو البيت الحرام.. البيت العتيق..

أول بيت وضع للناس يؤدون فيه عبادتهم على وجهها الصحيح، ولقد حظى البيت من عهد قديم بالتكريم والتقديس وزاد رفعة وقدسية على يدى إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - وجاءه الخلق من كل مكان وفج عميق، وترسخت قدسيته في الإسلام - وزاد مهابة وإجلالاً وتكريماً وتشريفاً.. وطلب من كل حاج أو معتمر أو زائر أن يدعو له كلما دخله بالتكريم والتشريف والإجلال والتعظيم والمهابة فدعى له هذا الدعاء بكل لسان حاج للبيت.

والبيت هو الكعبة نفسها، والحرم ماحولها، ويتسع الحرم فيشمل أرض مكة كلها ثم يتجاوزها من كل جهاتها إلى مسافات بعينها، حددت بعلامات منصوبة حديثاً فالحرم الشريف أوسع من مكة، ومن أحكامه الفقهية ألا يدخله حاج أو معتمر إلا محرماً، فإن دخله غير محرم وجب عليه دم.

١-ولقد شهد الحرم المكى العديد من التوسعات، وأعمال العمارة والترميم اختلفت في الحجم والمساحة والميزانية رغبة في إعماره فقد شهد أكثر من عشر توسعات

منذ كانت سن رسول الله ﷺ خمساً وثلاثين سنة حين شارك بنفسه فى وضع الحجر الأسود فى ثوب يحمله رؤساء وشيوخ القبائل المختلفين ووضعه فى مكانه الحالى فحسم بذلك مابينهم من خلاف.

وحينذاك لم تكن مساحة المسجد تزيد على ٢١٢٦ متراً مربعاً تقريباً، وتلك التوسعة كانت تعرف بتوسعة قريش التى كانت بيوتها تحد مبناه.

توسعة الفاروق عمر - رضى الله عنه سنة ١٧ هـ.

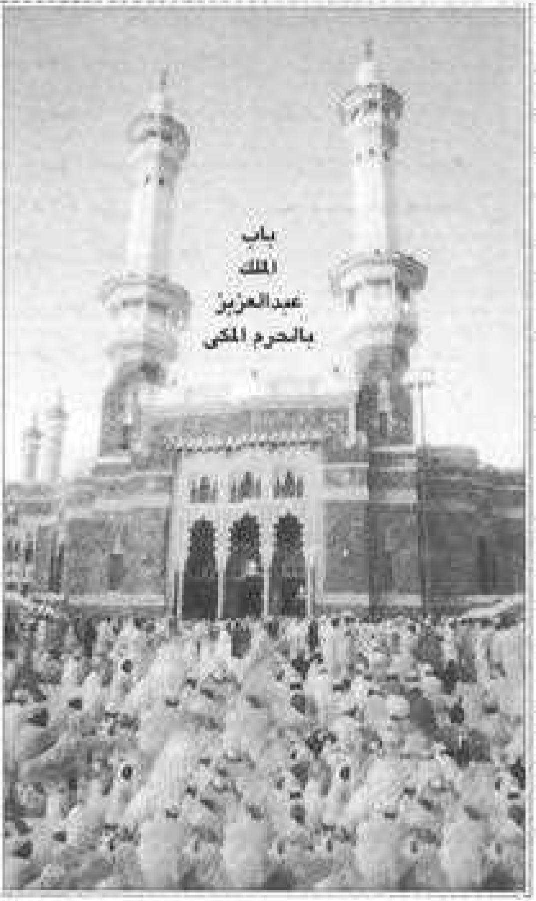
اشترى الخليفة عمر بن الخطاب البيوت التى كانت تحد مبنى المسجد الحرام وهدمها وأضاف أرضها لمساحة المسجد فأصبحت مساحته نحو ٣٦١٣ متراً مربعاً أى أنه - رضى الله - عنه اشترى مساحة تقدر بنحو ١٤٨٧ متراً مربعاً وهذه هى التوسعة الأولى فى عصر الإسلام وفيها تم وضع مقام الخليل إبراهيم - عليه السلام - فى موضعه الحالى.

توسعة الخليفة عثمان بن عفان - رضى الله عنه - سنة ٢٦ هـ.

وفيها أضيفت للحرم الشريف مساحة تقدر بنحو ٨٦٩ متراً مربعاً لتصبح مساحة ٤٤٨٢ متر مربع.

توسعة عبدالله بن الزبير سنة ٦٥هـ.

فقد أضاف عبدالله بن الزبير ٢٩٨٢,٩٦ متر مربع فاتسعت مساحته إلى ٧٤٦٤,٩٦ متر مربع.



توسعة الوليد بن عبدالملك سنة ٩١هـ.

قام الوليد بن عبدالملك بعمل توسعة للمسجد الحرام فأضاف إليه مساحة نحو ٢٨٠٥,٠٤ متر مربع لتصبح مساحة الحرم ١٠٢٧٠ متراً مربعاً.

توسعة الخليفة أبى جعفر المنصور سنة ١٣٧هـ.

قام خليفة المسلمين أبوجعفر المنصور بعمل توسعة للمسجد الحرام، فأضاف مساحة تقدر

بنحو ٥٢٢١ متراً مربعاً لتصير مساحته بعد هذه التوسعة نحواً من ١٥٤٩١ متراً مربعاً.

توسعة الخليفة محمد المهدى سنة ١٦١هـ.

وفيها أضيف للمسجد الحرام مساحة قدرها ١٢٥١٢ متراً مربعاً لتصبح مساحته نحو ٢٨٠٠٣ أمتار مربعة

توسعة المعتضد بالله سنة ٢٨٤هـ.

أضاف المعتضد بالله نحو ١٣٣٩,٣١ متر مربع لتصير مساحة الحرم الشريف ٢٩٣٤٢,٣١ متر مربع.

توسعة الخليفة العباسى المقتدر بالله سنة ٣٠٦هـ.

أمر الخليفة العباسى المقتدر بالله عام ٣٠٦هـ بإضافة مساحة تقدر بنحو ٧١٤,٨٥ متر مربع فصارت مساحة المسجد الحرام نحو ٣٠٠٥٦,١٦ متر مربع.

توسعة الملك عبدالعزيز آل سعود سنة ١٣٧٥هـ.

أما توسعة الملك عبدالعزيز آل سعود فهى التوسعة التي أعطت للمسجد الحرام مايصبو إليه المسلمون من توسعة بعد طول انتظار، فقد وفقه الله - سبحانه وتعالى - فأمر بإضافة نحو ١٣٠١١١,٨٤ متراً مربعاً على ثلاث مراحل نفذها أولاده وأحفاده من بعده ففى عهد المغفور له جلالة الملك فيصل والملك خالد أضحى الحرم على مساحة ١٦٠١٦٨ متراً مربعاً علاوة على التجهيزات الفنية الحديثة.. إلى أن جاءت التوسعة الأخيرة.

توسعة خادم الحرمين الشريفين سنة ١٤٠٩هـ

الملك فهد بن عبدالعزيز - أمد الله فى عمره ومتعه بالصحة والعافية أضاف لمساحة المسجد الحرام مايزيد على ٢٠٦ آلاف متر مربع - ولم تكن الزيادة فى المساحة فقط، وإنما كانت عمراناً وتعميراً وتحديثاً وتطويراً لم يشهده البيت منذ تأسيسه من حيث العمارة والزخرفة وتهيئة وسائل الراحة بأسلوب (تقنى) رفيع المستوى فقد أضاف فى الناحية الغربية من المسجد فى منطقة السوق الصغير بين باب العمرة وباب الملك عبدالعزيز مبنى غاية فى الأناقة والجمال وتحقيق الراحة والهدوء لكل من يدخله على مساحة تقدر بنحو ٧٦ الف متر مربع مكون من ثلاثة طوابق عبارة عن قبو (بدروم) ودور أرضى ودور أول تتسع لنحو ١٩٠ ألف مصل.

إضافة إلى تجهيز عديد من الساحات الخارجية فى الجهة الغربية والجهة الشرقية أمام أبواب المسعى الستة عشر بمساحة إجمالية تزيد على ٥٩ ألف متر مربع تتسع لنحو ١٣٠ ألف مصل فى وقت واحد.

وهو بهذا قد سهل الصلاة لنحو مليون مصل فى وقت واحد خاصة فى أيام شهر رمضان والحج، وقد أضاف للمبنى مئذنتين بارتفاع ٨٩ متراً على نسق المآذن السبعة الأخر، كما أنشأ سلمين كهربيين ليسهل للمصلين الصعود للدور الأول وللسطح من كل جهات المسجد فطاقة السلم الكهربى تحمل أكثر من خمسة عشر ألف مصل فى الساعة الواحدة إذ أضاف سلمين كهربيين للسلالم السبعة المنتشرة حول المسجد.

وقد أنشيء هذا المبنى على ٤٩٢ عاموداً في كل دور من الأدوار الثلاثة إضافة إلى كونها معمدة فوق (خوازيق) مزروعة في الأرض - وقائمة على هيكل خرساني مسلح - وارتفاع القبو ٤,٣٠ متر، وارتفاع الدور الأرضي ٩,٨٠م، والدور الأول ٩,٦٤م ، كما أنشئت ثلاث قباب ترتكز كل منها على أربعة أعمدة خرسانية.

ولقد أمر جلالة الملك خادم الحرمين بإنشاء مصنع لتصنيع الأعمدة والأسقف بالقرب من مكة المكرمة ولعمل الزخارف والحليات والنقوش الرائعة على أعلى مستوى من التقنية الفنية الهندسية الحديثة التي تليق بالمسجد الحرام بواسطة عمالة مدربة بقيادة فنية ماهرة.

الأبـــــواب

استحدثت التوسعة مدخلاً رئيسياً من الجهة الغربية باسم الملك فهد عبارة عن ثلاث فتحات متجاورة - كما استحدثت ثمانية عشر باباً- وقد تم تصنيع الأبواب الخشبية في بريطانيا من خشب الساج بعد معالجته وتجفيفه في أفران خاصة بواسطة الحواسب الآلية لمدة تزيد على ستة أشهر ثم نقلت الأخشاب إلى (برشلونة) في أسبانيا لتصنيعها بطريقة حديثة لايستخدم فيها المسامير وإنما تعتمد على مايعرف في لغة النجارين بالحشو (عاشق ومعشوق) أما الأشكال الهندسية الزخرفية النحاسية المطلية بالذهب فقد أعدت خصيصاً في مدينة (رواه) بفرنسا لتثبيتها على الأبواب.

الطـــاقة الكهربيــــة

يستخدم الحرم طاقة عالية جباره من الكهرباء تستمدها من مصادر ثلاثة :

١- أربع مغذيات رئيسية من كهرباء المنطقة الغربية التي تغذي مكة كلها فوق جبل أبي قبيس وجبل حارة الباب وهي مغذيات دائمة العطاء بسخاء.

٢- مصدر تغذية احتياطي يعتمد على ثماني محطات توليد كهربية تبعد عن الحرم نحو ثلاثة كيلو مترات ونصف الكيلو بطاقة تفوق المصدر الرئيسي.

٣- مصدر تغذية احتياطي يعتمد على البطاريات يتحمل تغذية كهربة الحرم الشريف لنحو ثلاثين دقيقة على الأقل في حال انقطاع التيار الرئيسي والاحتياطي - وذلك في النادر.

التهويـــــة

تعتمد التهوية على أكثر من ألف ونصف مروحة بالسقف ومثلها على الأعمدة إضافة إلى نظام فريد في التبريد (التكييف) المندفع من فوهات سداسية الشكل على قمة الأعمدة في حين تستقبل فتحات دائرية بأسفلها لسحب الهواء الساخن وطرده إلى محطات التبريد العملاقة الموجودة في منطقة (كدى) التي تبعد عن الحرم بنحو أربعة كيلو مترات وتضم أحدث نظم التبريد في العالم كله بطاقة ٤٥ ألف طن من الهواء البارد في الساعة من خلال ٣٢ وحدة تبريد حديثة تنتقل عبر أنابيب عملاقة تحمل الهواء

الساخن لإعادة تبريده بطريقة دائرية- وقد روعي ألا تزعج أصوات الماكينات رواد المسجد الحرام بفنية حديثة متقدمة ومتطورة.

الإنـــارة

جهزت إنارة التوسعة بطريقة حديثة توفر أعلى قدر من الإضاءة وتتناسب مع الشكل المعماري المميز للحرم الشريف فقد زودت بثريات غاية في الأناقة والجمال مستديرة الشكل محلاة بالزخارف النحاسية والذهبية.

الإذاعـــة

تم تنفيذ شبكة إذاعة داخلية تتناسب ومساحة التوسعة وعمارتها - وقد تم دمجها مع شبكة الحرم الحالية بفنية وتقنية حديثة عالية المستوى بكفاءة وعلاوة على أنها تتصل بالإذاعة والتليفزيون السعودي.

الأنفـــاق

لقد استدعت أعمال التوسعة منع مرور السيارات حول الحرم فانشئت الأنفاق تحت الساحات الخارجية بصورة تحجب أصوات السيارات وضجيجها حتى لاتؤذي مشاعر المصلين بالحرم وبالساحات وتأمينا لهم من حوادثها وتسهيلاً لسبل المرور ومنع أي اختناقات مرورية وقد تطلب الأمر عمل أربعة جسور على تلك الأنفاق زيادة لتسهيل المرور الآمن ودورات المياه.

انشئت دورات مياه حديثة ومطورة مكونة من دورين تحت سطح الساحة القبلية بطول المسجد الحرام إضافة إلى دورات أخرى تحد الساحة الشرقية بطول حدها الشمالي مكونة من ثلاثة أدوار تحوي كل منها ١٤٤٠ دورة ألف وأربعمائة وأربعون دورة و١٠٩١ صنبوراً للوضوء، و١٦٢ صنبور مياه للشرب من ماء زمزم المبرد. علاوة على الدورات الثلاثة القديمة، إضافة إلى دورة مخصصة للسيدات قبالة حي القشاشية تجاه الغزة.

وقد تكلف المشروع بدءاً من شراء الأراضي وتعويض ملاك البيوت التي نزعت ملكيتها منهم مبلغاً وقدره ٣,١٧٨,١٨١,٧٧٥ ثلاثة مليارات ومائة وثمانية وسبعين مليونا ومائة وواحد وثمانين ألفاً وسبعمائة وخمسة وسبعين ريالاً سعودياً، خلافا لم تم صرفه على تطوير مناطق منى ومزدلفة وعرفات التي تساعد الحجيج على أداء مناسكهم في يسر وسهولة، ودون عناء تطبيقا لشعار المملكة الذي أطلقه خادم الحرمين الشريفين (خدمة الحاج شرف لنا).

والله سبحانه القائل:

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾[1].

---

(١) البقرة (١٢٥)

فى الحج

للشاعر/ عبد الفتاح سالم

أفق شعرى من السكر   وطف بالبيت والحجر
وخلِّ القلب من شغل   بدنيا خالها يُغرى
تحلى بالتقى دومًا   ترى خيرًا على خير
تجلى الله خالقنا   على الأحباب بالظفر
لذا أحرمت فى خوف   بأكفان كما تدرى
فطف سبعًا وكن وجلًا   وخاطب مالك الأمر
خطاب الصدق منتظرًا   قبول العذر بالنظر
ولبِّ الله فى صدق   يجيبك سابلُ الستر
فزمزم ماؤها يشفى   سقام القلب من غدر
فقد قال الأمين لنا   فزد فى الشرب والطهر
وعجل للصفا سعيًا   وليتك ساعيًا تدرى
فعند المروة الكبرى   يدق القلب فى الصدر
أيا عرفات بارينا   تراءت نسمة الفجر
وراح عدونا يبكى   وينعى نعمة الدهر
رجمناه وقد ولى   حمدنا الله بالنحر
قعدنا نرتجى فضلًا   وحزنا فرحة العُمر
توجهنا إلى طه   وما أحلاه من قدر
هنيئًا سادتى حج   يبدد ظلمة القبر
ويمحو كل معصية   ويغنى كل ذى فقر
ومن كانت وسيلته   بمال الحل والطهر
فإن الله بشره   بكل الفضل والخير
فطوبى للذى لبَّى   وحاز الغنم بالشكر

تأملات فى خلق الإبل

للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

كلما أطلت أشهر الحج المباركة وأخذت مواكب الحجيج تملأ الدنيا بهجة ونورًا وعطرًا روحانيا كلما تذكرت أزمانًا لم يكن يتوفر لمن أراد أداء فريضة العمر إلا وسائل محدودة يصل عن طريقها إلى الرحاب المقدسة، وقفز إلى ذهنى على الفور صورة ذلك المخلوق الجسيم الذى كان عليه ذات يوم العبء الأكبر فى إيصال الناس إلى مكان هو لكل مؤمن مرفأ الروح وطمأنينة النفس وسعادة القلب ويغمرنى إحساس عارم بالأهمية القصوى التى كان يمثلها ذلك الحيوان فى البيئة العربية.

أجل إن الأسطر التالية سيتمحور الحديث فيها حول الإبل وتتناول فى تفصيل غير ممل إن شاء الله بعض الحقائق العلمية التى تدور كلها حول الجمل وكيف أن القدرة الإلهية الباهرة أهلته ليؤدى مهمته فى يسر وسهولة وجعلت منه آية عظمى يلفت ربنا سبحانه وتعالى عباده إليها فيقول:

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾(١).

فالجمل سفينة الصحراء كبير الجسم هائل المنظر ذو حاسة شم قوية. وهو من الحيوانات المجترة التى تمتز بخاصية ربما لا تتوافر إلا للإنسان ألا وهى الحياء والمزاج الذى يكون أحيانا معتدلاً رائقًا ويكون سيئًا فى أحيان أخرى.

إنه يستطيع العمل الدؤوب فى الأرض غير الممهدة والمناطق القاحلة والأجواء الحارة التى يتحملها بصبر وثبات. وهو كذلك من الدواب التى أحل الله - عز وجل - لحومها وألبانها وهو وسيلة النقل الوحيدة تقريبا التى استطاعت قبائل البدو والرحل استئناسها منذ ألفى عام قبل الميلاد وذلك قبل استئناس الكثير من الأنعام. ولقد كان للجمل عظيم الأثر فى مساعدة الأمريكان فى اكتشاف أراضيهم التى تقع وراء المحيط الأطلسى فى الغرب. ترى إذن ما الخصائص التى مكنت الجمال من العمل بجلد من المناخات الجافة والسير لمسافات طويلة حاملة على ظهورها أحمالاً ثقالاً لا طاقة للإنسان بحملها إلا بشق الأنفس، كما أوضح ذلك القرآن الكريم؟ إنها خصائص عديدة جاءت فى كتاب عنوانه «الجمال أو الإبل» لمؤلفين غربيين

(١) الغاشية (١٧).

تجترىء بعضها حتى تعم الفائدة وحتى توفى ذلك المخلوق المهضوم بعض حقه شكرًا لله على سابغ نعمه.

وأولى الخصائص قدرة الإبل الفائقة على اختزان الماء ولها فى ذلك أساليب وطرق منها قلة بولها وجفاف روثها وهى لا تختزن الماء فى سنامها على خلاف المعتقد الشائع بين الناس، إنها تختزن فى سنامها الدهن وتقوم عبر العمليات الهضمية المختلفة بتحويل ذلك الدهن إلى طاقة تستخدمها عند الحاجة إليها. وسر احتفاظ الجمال بالدهن فى سنامها بدلا من توزيعها وتفريقه فى شتى أجزاء جسمها وهو تمكين الصفائح الدموية من الوصول إلى سطح الجلد، الأمر الذى يمكن الجمل من الإحساس بجو لطيف حيث تتبدد الحرارة بسرعة فى هذه الحال. أما تكيفه مع ضوء شمس الصحراء الساطعة فإن حدقتى عينيه بهما من الزوائد التى تقى عينى الإنسان العين وتسمح لكميات ضئيلة ومناسبة من الضوء للوصول لشبكية العين. كما أن لعينى الجمل أيضا أهدابًا طوالاً تصد عنه ما يهب من العواصف الرملية. أما فتحتى الأنف التى هما أشبه شىء بفتحات حصالات النقود الضيقة فبإمكان الجمل إغلاقها لمنع دخول الرمال فيها.. بينما تقوم التجاويف الداخلية للأنف بترطيب الهواء الذى يستنشقه البعير وتبريد الهواء الخارج فى عملية الزفير.. كل ذلك بهدف وحيد هو التقليل من الماء المفقود فى التنفس، أما وبر الجمل فهو يحميه من الحر الزائد إذ تحت ذلك الوبر توجد غدد عرقية لترطيب الجسم عند اللزوم.

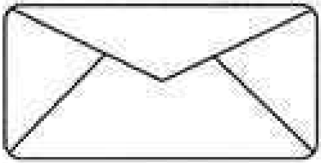
وللجمل قدرة خارقة على تحمل الجفاف فهو يفقد ٤٠٪ من وزنه بسبب الجفاف بينما يمكن أن يموت الإنسان بعد فقدان ١٢٪ فقط من حجمه أما عادات الجمل الغذائية فتمكنه من الصمود فى الأرض التى لا يتوافر فيها إلا الأعشاب الجافة النادرة والقليل من موارد الماء. كما أن أرجل الجمل الطويلة تجعل بمقدوره أن يسير فى مناطق شاسعة، ويتجول بحثا عن الغذاء.

وبث الله فى الجمال من الذكاء ما يجعلها لا تركز فى غذائها على التهام عشب واحد بعينه ومن هنا تكتمل وجبتها الغذائية لتنوع الأعشاب التى تأكلها. كما أنها تمكن العشب نفسه من أن ينمو من جديد أما فم الجمل فيه من القوة ما يستطيع بواسطته مضغ أقوى الجذور النباتية ذات الأشواك الحادة التى لا طاقة لغيره من الحيوانات بمجرد التفكير فيها أما رقبة الجمل الطويلة فتمكنه من الوصول للعشب مهما كان ارتفاع الشجرة الموجود بها ذلك العشب وجهازه الهضمى بارع فى استخلاص الماء من نباتات شح فيها الماء أصلا.

وذاكرة الجملة قوية تنطبع فيها بشدة أماكن توافر الغذاء وآبار الماء وعيونه النزة حتى ولو كانت على بعد أميال عديدة.

أما عن حاسة الشم لدى الجمل فحدث ولا حرج، إنها قوية مرهفة تستقصى منابع الماء وأماكن هطول الأمطار ولو كانت على مسافات بعيدة.. كما تستطيع الجمال التعرف على بعضها البعض ولو على بعد ستة أميال. وللجمل القدرة على السير بسهولة على رمال الصحراء غير الثابتة لأن أقدامه تكون من ظلفين كبيرين ضخمين لكل منهما طرف ناعم يمكنه من حفظ توازنه فوق الرمال الملساء أما الشكل المنحنى لظهر الجمل هو الذى يمكنه من حمل الأعباء الثقال تماما كالدعامة فى المبنى، ويستطيع الجمل أن يحمل أكثر من نصف طن أى ٥٥٠ كيلو جرام وهو حمل ثقيل قد لا تتقبله العقول أو تتصوره ودليل على ذلك أن البدو يعتبرون أن ٦٠٠ رطل هى الحمولة القصوى أو ٣٠٠ رطل إذا كانت المسافة أقصر وهى على أية حال مسألة نسبية.

رسالة .. و .. رد



لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان

● **رسالة من الأخ القارئ «ج.ع» يقول في رسالته:**

أثناء قراءتي للآية رقم ٢٤٧ من سورة البقرة جال بخاطري السؤال التالي:

هل يجب أن يتصف رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء بالبسطة في العلم والجسم أم هذه الصفات فقط للقائد المحارب؟ وجزاكم الله خيراً.

الآية التي يشير إليها الأخ السائل هي قوله تعالى:

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

الآية ٢٤٧ - البقرة

والآية جاءت في سياق قصة الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى الذين قالوا لنبيهم صموئيل أقم لنا أميراً يقودنا في الحرب لنسترد ما سلب منا ونستعيد مجدنا وعزنا بعد أن ذلنا العمالقة واستولوا على تابوت الرب الذي به التوراة وكانوا قد خرجوا من ديارهم وأبنائهم واحتاجوا لقتال العادين عليهم واسترجاع ديارهم واستعدوا للقتال غاية وسعهم وقالوا لنبيهم ما قالوا فأجابهم نبيهم: أخشى إن كتب عليكم القتال أن تعودوا إلى طبيعتكم في الجبن والنكوص على الأعقاب فقالوا له: أي شيء يجعلنا جبناء بعد أن صرنا إلى ما ترى من الاحتلال والاستعباد والطرد من البلاد:

﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[1].

(١) البقرة (٢٤٦).

فقال لهم نبيهم إني قد أقمت لكم بأمر الله، طالوت ملكاً عليكم يقودكم في المعارك فقالوا: كيف يكون له الملك علينا وليس من سلائل النبوة ولا سلائل الملوك وليس من الأغنياء.. فأجابهم أن الله هو الذي اختاره ملكاً وقائداً لما فيه من الاستعداد الفطري للقيادة وسعة العلم وبسطة الجسم وقوة البدن.

وقد بدا لك أخي السائل أن سعة العلم وبسطة الجسم كانا من أسباب اختيار الله - تعالى - لهذا الملك القائد لأن قيادة الجيوش تقتضي العلم بفنون الحرب وقوة البدن لتحمل أعباء الحرب والتصرف فيها كراً وفراً وهجوماً وتراجعاً.

وعليه فليس بلازم أن يكون رئيس الجمهورية أو رئيس الوزراء من ذوي الأجسام الفارهة وإن كان لابد أن يكونا من ذوي العلم الذي يحتاج إليه في تدبير الرعية وسياسة الحكم وقد حكى لنا التاريخ القديم والحديث عن رؤساء جمهوريات ووزراء كانوا فقراء ومن أصحاب الأجسام العادية وقد جاء في القصة نفسها أن داود - عليه السلام- قتل جالوت ملك العمالقة وقائدهم:

﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾[٢].

ولم يكن داود يومئذ ذا قوة جسمية لأنه كما جاء في القصة كان صغير السن ذا جسم عادي وكان راعي غنم وراعي الغنم من صفاته نحالة الجسم لما يبذله من الجري هنا وهناك خلف الغنم وحولها ليلم شعثها ويمنع عنها عاديات الذئاب ولذا وصف الشاعر راعي الغنم بقوله:

دقيق العصا بادي العروق ترى له

عليها إذا ما أجدب الدهر أصبعا

والخلاصة أن بسطة الجسم وقوة البدن ليست شرطاً في الرؤساء والوزراء والساسة لكنها لو وجدت يكون خيراً على اعتبار أن «العقل السليم في الجسم السليم» لكن الشيء المهم في هؤلاء أن يكونوا ذوي عقول راجحة وعلم يعينهم على تدبير شئون الرعية وتسيير أمور الدولة والإقليم الذي يتولون حكمه.

أما المال فليس بلازم على الإطلاق، على أن الرئيس أو الوزير لو كان غنياً يكون ذلك خيراً على اعتبار أن يساره يجعله لا يمد عينيه إلى أموال الدولة أو الرعية ولو كان فقيراً ومتعففاً ونظيف اليد مع العلم الذي ذكرنا لاستوفى كل الخير وحاز كل الفضل.

والله أعلم

---

(٢) البقرة (٢٥١).

الدروس الخصوصية حرام

● والرسالة الثانية من القارىء المدرس مصطفى حسنى مصطفى من التل الكبير بالإسماعيلية يقول في رسالته :

هل الدروس الخصوصية حرام أم حلال ؟ وهل إذا كانت بأجر زهيد تصير مشروعة ؟

وبداية نقول إن هذه الرسالة أثارت قضية شغلت الرأى العام هذه الأيام وكثر الحديث عنها في وسائل الإعلام وسنت الحكومة من التشريعات ما يحدها أو يقضى عليها دون جدوى.

والدروس الخصوصية حرام في حالات منها:

١- إذا كان المدرس لا يؤدى واجبه في الفصل كما ينبغى حتى يلجأ التلاميذ إليه في الدروس الخصوصية لأنهم لا يستفيدون منه في الفصل.

٢- إذا أجبر المدرس التلاميذ على هذه الدروس عن طريق درجات أعمال السنة أو التهديد بالرسوب آخر العام أو ماشاكل ذلك لأنه في هذه الحالة يأخذ الدرس الخصوصي رغم أنفه ومضطر ويكون الأجر حينئذ بسيف الحياء وهو حرام.

٣- إذا صرح أو لمح للتلاميذ بأن عنده مزيداً من المعلومات لا يتسع وقت المدرسة لها لضيق الوقت أو كثرة التلاميذ فيرغب بعضهم في التعرف على هذه المعلومات الزائدة عن طريق الدرس الخصوصي.

وتكون حلالاً فيما عدا هذه الحالات بأن يرغب التلميذ أو ولى أمره في الدرس الخصوصي بلا ضغوط من أى طريق، وأدى المدرس واجبه في الفصل على الوجه الأكمل ولم يألُ جهداً فيه وأدى كذلك واجبه في الدرس الخصوصي فإن ذلك يعتبر أجراً نظير عمل سواء كان الأجر زهيداً أو غير زهيد.

وقد يقول قائل إذا أدى المدرس واجبه في الفصل فلن يحتاج التلميذ إلى درس خصوصي، وأقول إن هذا غير صحيح فالتلاميذ كشأن كل الناس متفاوتون في قدراتهم العقلية وطاقاتهم لكن ذلك يكون بنسبة قليلة لا تشكل ظاهرة على الإطلاق.

أما ما نراه الآن فإن الدروس الخصوصية تزيد على نسبة تسعين في المائة ومعنى هذا أنها ظاهرة خطيرة وليس سببها تخلف بعض التلاميذ عقلياً بل هى بسبب الضغط بل قل الإكراه فهي لذلك حرام قل الأجر أو كثر.

هذا والله أعلم وبه التوفيق

***

حتى لا يصبح الإفتاء مهنة من لا مهنة له

للأستاذ / أحمد السيد تقى الدين

الإفتاء واحد من أدق الأمور المتعلقة بعمل الداعية المسلم، والمسلمون فى كل زمان ومكان لديهم دائما ما يسألون عنه مما يتعلق بفقه المعاملات، وفقه العبادات، وفقه الأحوال الشخصية واليوم لا توجد صحيفة أو مجلة يومية أو أسبوعية أو شهرية إلا وتجدها قد خصصت بابا للإفتاء، وكذلك الحال فى سائر وسائل الإعلام من إذاعة وتليفزيون، بل وعبر شبكات الإنترنت، وبالتليفون أيضاً.

ان يسأل الناس عن أمور دينهم سعياً وراء تطبيق منهج الإسلام فى حياتهم ومعيشتهم أمر جميل جداً، بل هو رائع.

ولا ننكر أن من حق من حفظ كتاب الله - عز وجل - ووعى عن علم ودراسة بآيات الأحكام، ودرس السنة دراسة فهم واستيعاب، مثل هذا يكون من حقه أن يتصدى لتوضيح ما غمض عن الناس من أمور ثابتة فى الكتاب والسنة، على أن يضع نصب عينيه أن الشريعة الإسلامية ما وضعت إلا لتحقيق مصالح العباد، وها هو عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - عندما قيل له: فلان يعاقر الخمر. كتب إليه قائلا: «إنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، غافر الذنب، قابل التوب، شديد العقاب، ذى الطول، لا إله إلا هو إليه المصير».

فلم يزل الرجل يرددها ويبكى حتى تاب وصحت توبته، وعلم عمر بذلك فقال لأصحابه: «هكذا فاصنعوا.. إذا رأيتم أخاكم قد ذل فسددوه ووفقوه، وأدعو الله أن يتوب عليه ولا تكونوا أعوانا للشيطان عليه».

فعمر لم يسارع إلى جلد الرجل وفضحه بل بذل له النصح، وهذا فهم كامل لمقاصد الشريعة الاسلامية التى تهدف أكثر ما تهدف إلى جلب المصالح ودرء المفاسد.

فالفقه الإسلامى يمتاز بمرونته وقابليته للبقاء بسبب وفائه بحاجات الناس

ومصالحهم المشروعة اعتماداً على الفهم والتفسير والبيان لنصوص الشريعة وأحكامها وتطبيقا لمبادئها وقواعدها على جزئيات الوقائع والأحداث حسب الأزمنة والأمكنة ومصالح الناس.

وكل هذا لا يكون إلا بدراسة واعية متعمقة ومقدرة على فهم آيات الأحكام والعلم بالناسخ والمنسوخ بما يؤدى إلى مقدرة واعية من المتصدى للإفتاء على الاجتهاد والقياس والاستنباط فيما لم يرد فيه نص.

هذا هو رأيىَ وأعتقد أن به على الأقل شيئاً من الصواب، خاصة وأن هناك حالياً من يقول بأن الإفتاء حق لكل مسلم يحفظ القرآن أو لديه القدرة على قراءته والرجوع إلى كتب التفسير والحديث والفقه وصاحب هذا الرأى يزعم أن الإفتاء ليس حكراً على من درس دراسة دينية فقط، بحجة أن الرعيل الأول من السلف الصالح لم يدرس كتباً وإنما كان لديه فقط الكتاب والسنة يقيس ويجتهد في إطارهما.

وصاحب هذا الرأى تحديداً لم يدرس أى دراسة دينية، وإنما جاءت دراسته وثقافته كلها عسكرية صرفة، فلما أحيل للتقاعد لم يجد له وظيفة يقوم بها سوى الإفتاء، وصار يحمل لقب شيخ - بين أعضاء أحد الأندية - هذا الشيخ سألته فتاة من منطلق أنه شيخ يتحدث في الدين: أنها مخطوبة لشاب منذ فترة ولم يتزوجا وقد وقعت بينهما أمور لا تتجاوز اللهو والعبث - هكذا قالت - فبماذا أجابها ذلك الشيخ؟

أجابها قائلاً: إنه لا تثريب عليها فيما فعلت وذلك من اللمم! فهل هناك جهل وفساد أكثر من ذلك؟!

واقعة أخرى سمعتها من أبطالها، وهما زوج وزوجة، وكلاهما تجاوز الخمسين من العمر شجر بينهما خلاف فطلق الزوج زوجته ولم يراجعها في شهور العدة، ثم عقد عليها بعقد ومهر جديدين، ولكنها شرطت أن تكون [العصمة] بيدها فوافق الزوج.. ثم وقع بينهما الطلاق الثانى في حياتهما معاً ومرت شهور العدة، فعقد عليها الرجل مرة ثالثة بعقد ومهر جديدين، واحتفظ الزوج بالعصمة في يده، في حين طلبت الزوجة من المأذون أن يجعل العصمة لها في العقد، فما كان منه (المأذون) إلا أن حرر قسيمة زواج لكل منهما جعل العصمة في النسخة الخاصة بالزوج للزوج، والنسخة الخاصة بالزوجة كانت العصمة فيها للزوجة.

ثم قامت الزوجة بتطليق الزوج فلم يعترف الزوج بهذا الطلاق لأنه لم يتنازل عن العصمة وتمسكت الزوجة بقرارها، ووضعوا المشكلة أمام متصدٍ للإفتاء، فأفتاهم بوقوع التطليقات الثلاث وأوعز إليهما بفكرة (المحلل) فوجد الطليقان ضالتهما

فى ابن أخ الزوج الذى وافق على القيام بدور (المحلل) فعقد على طليقة عمه واختفى رافضاً التطليق، فرفع الرجل دعوى على ابن أخيه فخسرها وأسقط فى أيديهما معا.

بالتأكيد هما يتحملان جزءاً كبيراً مما حدث لهما، عندما التمسا الفتوى والمشورة، حيث إنهما لم يلتمساها فى مظانها عند أهلها فضلا الطريق.

وظهر من أفتى بجواز زراعة المخدرات لتصديرها إلى الدول الغير مسلمة. ومؤخراً أفتى أحدهم بأن مشاهدة الأفلام الإباحية مكروه وليس بمحرم.

وغير ذلك من أمور كثيرة لم يرد بشأنها نص صريح كانت مرتعاً لكل ناعق.

هذا لون من ألوان الفتاوى المتعلقة بالحياة اليومية والتى اعتقد أن لها نظيراً فى شتى جوانب الإفتاء فى العقيدة والفقه والمعاملات، فكيف يمكن كبح جماح من عندهم شره للفتوى دون علم؟

الدولة قررت فى القانون (١٠٣) لسنة ١٩٦١ وتعديلاته أن: «مجمع البحوث الإسلامية هو الهيئة العليا للبحوث الإسلامية، وتقوم بالدراسة فى كل ما يتصل بهذه البحوث وتعمل على تجديد الثقافة الإسلامية وتجريدها من الفضول والشوائب وآثار التعصب السياسى والمذهبى وتجليتها فى جوهرها الأصيل الخالص، وتوسيع نطاق العلم بها لكل مستوى وفى كل بيئة، وبيان الرأى فيما يجد من مشكلات مذهبية أو اجتماعية تتعلق بالعقيدة وحمل تبعة الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة».

ولكن المشكلة أن القانون لم يمنع أحداً من أن يتصدى للإفتاء فالباب مفتوح على مصراعيه لمن يريد، والناس دائماً يعجبهم من يحسن الكلام وتنميقه ويحقق لهم مآربهم أياً كانت.

أعتقد أننا وكما نحرص على النصح للناس بضرورة تنظيم النسل من خلال حملات إعلامية ضخمة ينبغى أن نحرص على توعيتهم وإرشادهم فيما يتعلق بالحصول على فتاوى تتفق وصحيح الدين، وحصر الجهات المخولة بإصدار هذه الفتاوى فى هيئات وأفراد بعينهم يختارهم أولو الأمر والاختصاص، وإصدار قانون ينظم هذا الأمر حتى لا يصبح الإفتاء مهنة من لا مهنة له.

***

بين الصحف و المجلات

إعداد الأستاذ
محمود الفشني

● أكد المفكرون الإسلاميون أن العداء الغربي للإسلام أصبح سافرا وغاشما، خاصة بعد أحداث سبتمبر وحذروا من خطورة تصديق القيادات الغربية وخاصة الولايات المتحدة لأكاذيب وافتراءات الإعلام الصهيوني الذي يقلب الحقائق ويشعل نار الصراع الحضاري بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي.

المحرر

الغرب يعادي شريعتنا بالوراثة

في تحقيق عرضته جريدة عقيدتي في ٢٠٠٢/١٢/١٧ يتناول عداء الغرب للشريعة الإسلامية أسبابه ودوافعه.

كانت البداية مع الدكتور جعفر عبدالسلام الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية وأحد المفكرين الإسلاميين الذين زاروا كل الدول الغربية والتقى بمفكريها ورصد أسباب العداء الغربي للإسلام والمسلمين قائلا: يرجع ذلك للعصر الأندلسي ومواجهة أوروبا مع الإسلام والمسلمين وانتشار الإسلام بصورة فائقة والعداء بدأ منذ الحروب الصليبية ودخول الأوربيين في مواجهة مع العثمانيين ثم زاد الكلام في الربع الأخير من القرن العشرين عن صراع الحضارات وأول من روج له المستشرق الأمريكي برنارد لويس وتحذيره للغرب من الإسلام وسرعة انتشار الإسلام وحضارته.

ثم أشار الدكتور محمد أبوليلة رئيس قسم الدراسات الإسلامية باللغة الإنجليزية وهو من علماء الأزهر الذين عاشوا فترة طويلة في الغرب وترجم أمهات الكتب الإسلامية للإنجليزية إلى أن هذا العداء ضد المسلمين والحملة الظالمة على الإسلام ترجع إلى توافد المسلمين على الدول الغربية ونقل الإسلام بصورة عملية إلى الغرب وانتشار الإسلام في أوروبا بصورة كبيرة وازدياد المسلمين المستمر ففي أمريكا أكثر من عشرة ملايين مسلم، و٢٠٠٠ مسجد ومركز إسلامي، كما يوجد ٤ ملايين مسلم في ألمانيا وفي فرنسا ٦ ملايين، ١٦٠٠ مسجد ومركز إسلامي.

وحول أوهام الغربيين قال د. محمد شامة الأستاذ بجامعة الأزهر ومستشار وزير الأوقاف وهو من العلماء الذين ساهموا فى نشر الدعوة فى الغرب حيث قال: إن هذا العداء بدأ منذ ظهور الإسلام وهو مستمر حتى قيام الساعة وذلك خوفهم على مناصبهم وأموالهم وتجارتهم وقد له كتاب (الإسلام قوة الغد العالمية) منذ ١٩٣٩ وشخص عدة عوامل أهمها الموقع الجغرافى للمسلمين والمواد الخام الموجودة فى أرض المسلمين.

وأكد الدكتور محمد السيد الأستاذ بكلية دار العلوم بأن هناك أسبابا تاريخية لهذا العداء، ذلك أن الغرب لم يستطع أن يتخلص من موروثات العقيدة الصليبية التى قامت من أجلها الحروب الصليبية فى العصور الوسطى وفق فكرة محورية فى الحضارة الأوروبية وهى مركزية الحضارة الأوروبية ومحاولة سيطرتها على العالم العربى والإسلامى، لأن الحضارة الإسلامية هى الوحيدة التى تحتوى على عناصر المقاومة بين الحضارات السائدة الآن.

وأشار الدكتور محمد أبوحطب أستاذ اللغة الألمانية بجامعة الأزهر والعميد الأسبق لكلية اللغات والترجمة والذى قضى فترة فى ألمانيا إلى أن هذا العداء تقليدى ويحمل أسبابه فى انتشار الإسلام بصورة سريعة بين شعوب مختلفة العقائد والتقاليد ثم وصول الإســــلام إلى أوروبا عن طريق الأتراك والمسلمين فى الأندلس، وبلاد الشـــمال الأفريقى.

بــــوش متهــــم بالاعتــــداء على حقوق العرب والمسلمين

وفى صفحة آراء وأخبار فى جريدة الأخبار فى عددها الصادر فى ١١ / ١٢ / ٢٠٠٢.

أكدت جماعات حماية الحريات المدنية فى الولايات المتحدة أن الأرقام المخيفة التى كشف عنها التقرير السنوى لمكتب التحقيقات الفيدرالى حول جرائم الكراهية العنصرية ضد العرب والمسلمين فى الولايات المتحدة أقل كثيرا عن الواقع حيث يتغاضى العديد من العرب والمسلمين الذين يتعرضون لهذه الاعتداءات العنصرية عن الإبلاغ عنها.

وكان تقرير مكتب التحقيقات الفيدرالى قد كشف عن أن جرائم الكراهية العنصرية ضد العرب والمسلمين فى الولايات المتحدة قد زادت من ٢٨ جريمة عام ٢٠٠٠ إلى ١٧٠٠ جريمة عام ٢٠٠٢.

وفى الوقت الذى أشادت فيه جمعية «هيومان رايتس ووتش» لحقوق الإنسان فى معرض تعليقها على التقرير بالرئيس بوش وكبار المسئولين فى إدارته على إداناتهم لمثل هذه الحوادث لكنها فى الوقت نفسه اتهمت الرئيس وإدارته بالازدواجية ففى الوقت الذى صدرت عنه هذه الإدانات لجرائم الكراهية العنصرية ضد العرب والمسلمين قام مكتب التحقيقات الفيدرالى ومكتب الهجرة والجنسية باحتجاز والتحقيق مع عشرات الآلاف من العرب والمسلمين الذين يعيشون داخل الولايات المتحدة.

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم
عادل رفاعى خفاجة

النظام ضرورة حضارية

حينما تحرك مترو الأنفاق لأول مرة في مصر، شعرت أن قاطرات المترو تحمل معها ذلك التاريخ التليد وتلك الحضارة المجيدة لمصرنا الحبيبة، لتنقلها سريعا الى المكان اللائق بها بين الدول المتقدمة.

لم يكن هذا مجرد عربات جديدة أو عربات تسير تحت أو فوق سطح الأرض، وإنما كان ذلك الانطباع حين وجدت خطوات الانسان المصرى قد ازدادت ثقة وسرعة ونظاماً.

وهو ما يؤكد أن الانسان المصرى لديه مقدرة عالية للتعامل والتوافق السريع مع كل ماهو عصرى، حيث استوعب ذلك الأسلوب الجديد ونجح بصورة مبهرة!

غير أن هذه الصورة لم تلبث أن تبدلت وتغيرت بعد عدة سنوات وبخاصة فى ساعات الذروة، ليحل محلها صورة يرفضها كل مصرى يحب بلاده، لأنها صورة تفتقد إلى النظام، ذلك أنك إذا أردت اليوم أن تستخدم ذلك المشروع الحضارى الذى نفخر به، فجعت بأمواج من البشر لايحكمها نظام لا حال نزول ولا صعود، وهم لايعرفون ولا يميزون بين باب للصعود وبين آخر للنزول. فجميع الأبواب صعود ونزول فى آن واحد، وهذا أبعد مايكون عن النظام ـ الذى حثنا إسلامنا على اتباعه، وإذا كان من المسلَّم به أن تُترك الفرصة للنازل، ثم بعد ذلك يركب من يشاء، فإن من يخالف ذلك النظام إنما يُظهر نوعاً من الأنانية؛ حين يركب سريعاً دون أن يترك فرصة لنزول غيره وهو فى نفس الوقت

ينسى أنه بعد قليل سيحتاج إلى النزول وإلى فرصة لم يتركها هو لغيره من قبل!!

ولذلك نقول : لماذا لاتحدد الأبواب بألوان وعلامات واضحة من الداخل ومن الخارج وعبارات : (نزول) أو (ممنوع النزول) و(صعود) أو (ممنوع الصعود) مع وضع غرامات مناسبة لمن يصعد أو ينزل من غير الأبواب المخصصة لذلك!! مع موالاة المتابعة حتى يصبح ذلك سلوكاً مطبوعاً لدى الأفراد حتى يعود لذلك المشروع الكبير سمته الحضارية.

ولايخفى عن فطنة القارئ ما للنظام من أثر في الحفاظ على الوقت، بالإضافة الى منع حدوث مشاكل اجتماعية جمة قد تنشأ نتيجة شعور الانسان أن أخاه سلبه حقه، مهما كان هذا الحق بسيطا.

مثال فقدان النظام أيضا :

عند الذهاب للحصول على تذكرة المترو أو القطار، فإنك تجد عشر أياد من عدة اتجاهات مختلفة الكل يود الحصول على تذكرة وينصرف قبل غيره بغض النظر عن هذا الغير، هل جاء قبله أم بعده؟ وهذا لايخرج عن كونه منطق حب الذات، أى : «نفسي وما بعدي الطوفان» والسؤال : لماذا يتفشى بيننا هذا المنطق الأعوج، وعندنا قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾(١)

إن ترك السلوكيات الخاطئة بلا توجيه أو نقد إنما هو بمثابة ترك الفرصة لحب الذات، واللامبالاة لتثمر تلك الثمار البغيضة من فقدان للذوق العام، وترسيخ لقبول الفوضى واستساغتها، والترحيب بها، لتحل محل القيم والأخلاق النبيلة التي يسعى لتحقيقها المصلحون.

وإذا كنا نرصد مثل هذه السلوكيات الخاطئة في مثل :

١ ـ الصعود والهبوط من المترو وسيارات الأوتوبيس والقطارات.

٢ ـ الحصول على تذكرة أمام شباك التذاكر

٣ ـ الحصول على بعض الاحتياجات اليومية التي تحتاج إلى دور مثل : الخبز ...... الخ

وهي أمور لاتحتاج إلا إلى بعض النظام كزيادة منافذ التوزيع مثلاً.

فإننا ـ أيضا ـ نُقرّ بوجود صور مشرقة للنظام في مثل :

١ ـ بعض البنوك : حيث يوجد نظام حفظ «الدور» بالرقم.

٢ ـ الأوتوبيس المكيف : حيث لاتزاحم.

٣ ـ قسم الجوازات بالمطار : حيث يوجد «دور» وتوجد مسافة بينية تقارب

---

(١) الحشر (٩).

المترين بين من يتعامل ضابط المطار معه وبين من يليه وكم هو يسير تنفيذ ذلك الأمر في البنوك، حيث لا يحتاج سوى رسم خط على الأرض على بعد خطوتين لحفظ هذه المسافة البينية بين من يتعامل مع الموظف وبين من يليه. وهو نوع من النظام بالإضافة إلى احترام خصوصيات الانسان، وهي خصوصيات أشار الاسلام الى ضرورة احترامها حيث قال الرسول الكريم: «من نظر في كتاب أخيه بغير إذنه فإنما ينظر في النار»[٢] أي: كأنما ينظر إلى مايوجب عليه النار فأضمره في الكلام، ويرى بعض أهل العلم أنه إنما أراد به الكتاب الذي فيه أمانة أو سر يكره صاحبه أن يطلع عليه أحد»[٣].

وكم هو جميل أن نرى كيف يحافظ الاسلام على حق الانسان في أن تكون له أسرار لايطلع عليها أحد بغير إذن منه، وعلينا - أيضا - أن نتأمل ذلك النظام البديع الذي بثه الله في أرضه وسمائه.

ولنتأمل قوله تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[٤].

أي: كل واحد من الشمس والقمر والنجوم (يجري في الفضاء في فلك خاص به، وفلكه خط سيره على شكل دائري) ولنتأمل - أيضا - قوله تعالى:

﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[٥].

إن هذه الآيات ومثيلاتها في كتاب الله العزيز يجب أن تدفعنا للتفكر في ذلك النظام الذي أراده الله أن يحكم سير هذه الأجرام، لأن لكل واحد منها مسلكا لايتمكن أحدهما من الدخول على الآخر، ولكل واحد وقته، ولايسبقه صاحبه.

ولنتأمل هذا النظام الذي ينتظم أفراد الجماعة في صلواتنا صباح مساء.

وبعد.. فهذا هو إسلامنا يدعونا إلى النظام وإلى كل ماهو نافع وحسن وجميل، وليس أمامنا إلا أن نتلمس كل ماهو إسلامي حتى نفيق من كبوتنا وننتهي من تلال المشاكل التي نعيشها.

وعلى الله قصد السبيل.

عادل خفاجة

---

(٢) سنن ابي داوود/كتاب الصلاة/حديث رقم: ١٢٧.

(٣) راجع عون المعبود شرح سنن ابي داود على الحديث السابق.

(٤) الأنبياء/٣٣.

(٥) يس/٤٠.

والى رسائل القراء :

سعد بن أبى وقاص

● استجابة لرغبات القراء فى تخصيص ركن من هذا الباب يتناول أحد الصحابة أرسل القارىء / حسام جابر محمد / محرم بك / الاسكندرية هذا التعريف بالصحابى الجليل سعد بن أبى وقاص يقول :

أسلم سعد وهو ابن سبع عشرة سنة وقد كان ممن سارعوا إلى الإسلام ويتحدث عن إسلامه ويقول : « رأيت فى المنام قبل أن أسلم كأنى فى ظلمة لا أبصر شيئا إذ أضاء لى قمر فاتبعته فكنت أنظر إلى من سبقنى إلى ذلك القمر فأنظر إلى : زيد بن حارثة وإلى على بن أبى طالب وإلى أبى بكر وكأنى أسألهم : متى انتهيتم إلى هاهنا؟ فيقولون الساعة، وبلغنى أن النبى ﷺ يدعو إلى الإسلام مستخفيا فلقيته فى شعب أجياد وقد صلى العصر، فأسلمت، فما تقدمنى أحد إلا هم » . وقد أخفقت جميع المحاولات لرده وصده عن الإسلام لذا لجأت أمه إلى وسيلة لم يكن أحد يشك فى أنها ستهزم روحه وترده عن الإسلام فقالت له : ما هذا الدين الذى أحدثت؟ لتدعنه أولا آكل ولا أشرب حتى أموت فيتعيرني، فقال لها : والله لو كانت لك ألف نفس، فخرجت نفسا نفسا ما تركت دينى هذا لشىء . فلما رأت هذا الإصرار منه أكلت وشربت فنزل قوله تعالى :

﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾

[لقمان : ١٥]

جهاده: لقد شهد سعد مع النبى ﷺ العديد من الغزوات وقد كان فيها نعم الفارس المغوار بما فيها غزوتى بدر وأحُد وامتد جهاده بعد وفاة النبى ﷺ فقاد جيوش الإسلام فى القادسية ومن بعدها معركة المدائن .

زهده فى الإمارة: لقد قال حيث عرض عليه ابن أخيه هاشم بن عتبة الخلافة وقال له : ياعم هاهنا مائة ألف سيف يرونك أحق الناس بهذا الأمر، فقال : « من المائة ألف سيف أريد سيفاً واحداً له عينان ولسان وشفتان يقول إذا قاتلت، هذا مؤمن وهذا كافر » واعتزل الناس .

من مناقبه ـ رضى الله عنه: أنه أحد العشرة المبشرين بالجنة وأول من رمى بسهم فى سبيل الله وأول من رُمى أيضاً .

والوحيد الذى افتداه الرسول ﷺ بأبويه فقال له يوم أحد [ارم سعد .. فداك أبى وأمى] .

قال على بن أبى طالب : « ما سمعت رسول الله ﷺ يفدى أحدا « بأبويه إلا سعدا » .

(٤) وكان مستجاب الدعوة وقد دعا له النبى ﷺ وقال : [اللهم سدد رميته .. وأجب دعوته] .

وفاته: توفى سعد فى العام الرابع والخمسين للهجرة وهو فى سن جاوز الثمانين فى داره بالعقيق . رحم الله سعد بن أبى وقاص رحمة واسعة .

الابداع القصصى فى القرآن الكريم

● أما القارىء / ناصر مصطفى عبدالحميد مرسى ـ إمام وخطيب بأوقاف الشرقية فيرسل هذه الكلمة عن الابداع القصصى فى القرآن الكريم حيث يقول :

لقد احتلت القصةُ القرآنية مكاناً عظيماً إذ تمثل ابداعاً ويَدُلُّ على ذلك ما جاء فى قول الله عزَّ وجلَّ :

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ﴾ .

آل عمران (٦٢)

يقول فضيلة الدكتور / محمد بكر إسماعيل فى مقاله القيِّم بعنوان « تأملات فى قصص القرآن ـ مقاصد القصص القرآنى وتوجيهاته » الذى نُشر بمجلة منبر الإسلام العبارات التالية : « تحتل القصة مكانةً رفيعةً فى نفوس البشر . . . وذلك لما فيها من شحذ للاذهان ، واستنهاض للهمم . . . وإبراز للمعانى فى أسلوبٍ شيقٍ يتفق مع أهل العصر على اختلاف درجاتهم فى الثقافة والفهم ، سواء كانت القصة منتزعة من الواقع المشاهد أم كانت مستمدة من الخيال ، فهى قريبة المنال سهلة التأثير ، مع قوة فاعليته فى النفوس بما يحدثه من إثارة وتشويق ، هذا هو شأن القصة التى يحكيها الناسُ ويتفننون فى سرد أحداثها ومشاهدها .

أما القصص القرآنىُّ فهو نسيج وحده ، يحملُ فى طياته من العظات والعبر ما يعبر عن الحياة الإنسانية فى ماضيها وحاضرها ومستقبلها ويكشف عما فيها من جوانب مشرقة وأخرى مُعتمة ، تتميز من خلالها أساليب الخير وأساليب الشر ، فهو مرآةٌ تعكس لأهل كل عصر ما وقع فى العصور التى سبقتهم ، وتُجَلّى لهم بوضوح خطر ما هم عليه وخير ما هم فيه من خير وشر تذكيراً وتحذيراً وبلاغاً لكل من أراد أن يتذكر ويعتبر »(١) .

وقد حظيت القصة القرآنية بالعديد من الكتابات نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

١ ـ القرآن ونظرية الفن « محاولة لتأصيل نظرية إسلامية فى الفنون » للأستاذ الدكتور حسين على محمد .

٢ ـ من سمات القرآن الكريم لفضيلة الأستاذ الدكتور عبدالرحمن عبدالحميد على عميد كلية اللغة العربية بالزقازيق .

٣ ـ التعبير بالقصة من بين وجوه الإعجاز لكاتب هذه السطور بمجلة الوعى الإسلامى الكويتية .

٤ ـ التصوير الفنى فى القرآن للأستاذ سيد قطب .

٥ ـ المعجزة والإعجاز فى القرآن الكريم للأستاذ الدكتور سعد الدين السيد صالح .

وهناك العديد والعديد سوى ما ذكرت لأن المقام لا يتسع لذكرها .

واعتقد أن الطريق مازال مفتوحاً أمام الباحثين من الدارسين حول القرآن الكريم وقيمه وبحوره التى لا تنضب .

المحرر : نشكر للقارىء مشاركته فى الباب بهذا الموضوع القيم ، وكنا نود أن يرسل رفق كلمته صورة مما نشر له فى هذا الموضوع تحت عنوان : « التعبير بالقصة من بين وجوه الإعجاز » . ونتمنى له التوفيق .

---

(١) مجلة منبر الإسلام ـ السنة ٥٦ ـ العدد ٢ ـ صفر ١٤١٨ هـ يونيه/يوليو ١٩٩٧م . ص٣٣ .

من إبداعات القراء :

نور على نور

لكل من منّ الله عليه بحفظ القرآن الكريم كتب الشيخ / محمد أحمد العصراني إمام وخطيب بأوقاف القاهرة

قم حيّ أهل العلم والقرآن ... يزهو بلادي.. جنة البلدان
حفظوا كتاب الله.. أسمى غاية ... فالذكر منهم رائع الألحان
ترنو إليهم مغرمًا بقراءة ... وتلاوة كقلائد العقيان
وأراك هيمانًا بحسن أدائهم ... وكأننا في جنة الرضوان
يا فوز من حفظ الكتاب جميعه ... فهداه للعمل العظيم الشان
العلم مفتاح الجنان لأهله ... وهو الأمير على ذوي السلطان
وبذاك أخبرنا النبي محمد ... في قوله المتفرد النوراني
من يطلب العلم الشريف تحفه ... زمر الملائك قاصيًا أو داني
يا صاحب التوحيد زوّ جنودنا ... بالنصر والتمكين والإيمان
يا نعمة الإسلام دومي بيننا ... عزًا يتوّجنا بكل زمان

إعلان الفداء

أما الأستاذ حمدى أبو إسماعيل المدرس بالأزهر فنقدم له هذه الأبيات من قصيدة «إعلان الفداء»

اليوم أعلن أنني ... قد بعت روحي للإله
فالبغي قد عم الربا ... والظلم جاوز منتهاه
والقلب لا يرضى بذل ... فالله للعز اصطفاه

نعتذر للسادة القراء لعدم نشر رسائلهم كاملة، وذلك حرصًا من المجلة على أن يشارك أكبر عدد ممكن من القراء. ونود أن نشير إلى أن للمجلة الحق في اختصار الرسائل وتنقيحها بما يتلاءم وسياسة النشر لديها. كما نقدم اعتذارنا للسادة الذين لم تسمح الظروف بنشر رسائلهم ونواصل نشرها تباعا بمشيئة الله تعالى.



مجمع البحوث يرشح نبيل بباوى لجائزة الدولة التقديرية

● صرح فضيلة الشيخ السيد وفا أبو عجور الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بأن مجلس المجمع قرر فى جلسته الثالثة من الدورة الثانية والثلاثين والمنعقدة بتاريخ ٢٢ من شوال ١٤٢٣هـ الموافق ٢٦ / ١٢ / ٢٠٠٢ ترشيح :

١ـ أ. د / طه أبو كريشة نائب رئيس جامعة الأزهر .. لجائزة الدولة التقديرية فى الآداب .

٢ـ د / نبيل لوقا بباوى لجائزة الدولة التقديرية فى العلوم الاجتماعية .

٣ـ أ. د / أحمد فتحى الزيات لجائزة الدولة التقديرية فى العلوم .

وترشيح كل من :

١ـ أ. د / أحمد كمال أبوالمجد ـ لجائزة مبارك فى العلوم الاجتماعية .

٢ـ د . محمد عمارة مصطفى عمارة لجائزة مبارك فى الآداب .

للأستاذ / محمد الشرقاوى

(١٨٠٠) منحة أزهرية لمسلمى دول العالم

ـ تمت مناقشة وإقرار مشروع منح الوفورات بلجنة الطلاب الوافدين بالأزهر الشريف لعدد « ٤١٤٠ » طالباً وطالبة تم وضعهم على منح الوفورات ممن انطبقت عليهم الشروط الخاصة بهذه المنح .

كما يتم مناقشة مشروع منح الأزهر الشريف لمختلف دول العالم وشمل المشروع « ١٢٤ » دولة وأقلية إسلامية وذلك بمقر وزارة الخارجية لجنة شئون الطلاب الوافدين .

كما أفاد الأستاذ / شوقى السبكى مدير عام الإدارة العامة للوافدين بمجمع البحوث الإسلامية بأن المشروع يتضمن (١٨٠٠) منحة أزهرية وأنه أكبر مشروع منح يقدم لمختلف دول العالم بقاراته الخمس .

ريـــاض الصـــالحين

أصدرت الإدارة العامة للمطبوعات بمجمع البحوث الإسلامية الجزء السابع من كتاب رياض الصالحين شرح وتعليق فضيلة المرحوم الأستاذ الدكتور / الحسينى هاشم وكيل الأزهر الأسبق ضمن سلسلة البحوث الإسلامية.

أفاد بذلك الأستاذ / فؤاد الشريف ـ مدير عام الإدارة العامة للمطبوعات بمجمع البحوث الإسلامية.

منع نشر وتداول ، ودخلنا التشيع سجداً ،.

قررت لجنة البحوث الفقهية بمجمع البحوث الإسلامية التصريح بتداول :

ـ كتاب : « بين مشبع ومقلد أعمى فى الفروع الفقهية » للدكتور / عامر سعيد الزيبارى.

ـ كتاب : « تحفة الطالب والجليس » للأستاذ / عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ.

ـ كما قررت اللجنة منع نشر وتداول كتاب « ودخلنا التشيع سجداً » تأليف / محمد على المتوكل أفاد بذلك الأستاذ / صابر ثعلب مدير الإدارة العامة للمجان والأروقة بمجمع البحوث الإسلامية.

من صور التعصب الصهيونى

تشن المنظمات اليهودية فى فرنسا هذه الأيام حـملة ضارية ضـد رواية بعنوان « حلم عن فلسطين » كتبتها فتاة إيطالية من أصل مصرى فى الخامسة عشر من عمرها تدعى « راندة غازى » وتحكى قصة المعاناة التى يتعرض لها الشعب الفلسطينى على يد جنود الاحتلال الصهيونى.

وكانت هذه الفتاة قد اشتركت بروايتها فى مسابقة لكتب الشباب باللغة الإيطالية وحازت الرواية إعجاباً كبيراً بين الشباب لكن المنظمات اليهودية والتى تملك نفوذاً ساحقاً فى فرنسا وكل أوروبا تقريباً وقفت لها بالمرصاد وطالبت بسحب الرواية من الأسواق ومنع تداولها وعدم وضعها على الإنترنت وذلك بتهمة معاداة السامية.

ومن المثير للدهشة أن هذه الجماعات تطالب الآن بتطبيق قانون حماية النشء الذى صدر فى فرنسا عام ١٩٤٩م والذى يحظر كل أشكال التعبير التى تروج للعنف والكراهية.

ومما يذكر فى هذا الصدد أن المحاكم الفرنسية رفضت أخيراً منع الكتاب الذى نشرته المؤلفة الإيطالية « أوريانا فلاتشى » وتُرجم إلى الفرنسية وهاجمت فيه الإسلام والمسلمين ووصفتهم بأقذع الصفات وطالبت بطردهم من أوروبا.

وكذلك رفضت حظر كتاب آخر لمؤلف فرنسى يدعى « ميشيل هويلبيك » وصف فيه الدين الإسلامى بأنه « أغبى عقيدة عرفها التاريخ » ولم تجد المحكمة الفرنسية فى هذا الكتاب أى نوع من العنصرية والتحريض على الكراهية بل اعتبرتها نوعاً من حرية التعبير وسوف ترينا الأيام المقبلة مدى مصداقية معايير العدالة الفرنسية وموقفها من كتاب الصبية المصرية عندما تتقدم المنظمات اليهودية بدعاوى حظره أمام المحاكم الفرنسية.

تدريس الإسلام على الطريقة الأمريكية

ـ ذكرت صحيفة « النيويورك تايمز » الأمريكية أن وزارة الدفاع الأمريكية تدرس إصدار أمر سرى للقوات الأمريكية للقيام بعمليات سرية للتأثير

على الرأى العام وصناع السياسة فى الدول الصديقة والمحايدة.

ونقلت الصحيفة عن مصادر فى الإدارة الأمريكية أن البرنامج الدعائى يتضمن جهوداً للتأثير على دور المساجد والمراكز والمدارس الإسلامية التى تعتبرها أمريكا مركزاً لتفريخ الناشطين وتعزيز العداء ضد أمريكا خاصة فى الدول العربية والإسلامية وأوروبا ويتضمن البرنامج أيضاً إمكانية إنشاء مدارس مدعومة من الجيش الأمريكى لتدريس الإسلام التى تراه أمريكا معتدلاً.

معاملة لا إنسانية للمهاجرين المسلمين فى أمريكـــا

وجه زعماء مسلمون وجماعات أمريكية للدفاع عن الحريات المدنية انتقادات حادة لسلسلة إجراءات أمريكية بهدف «مكافحة الإرهاب» ـ على حد زعمها ـ وتشمل هذه الإجراءات إخضاع الوافدين من الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وكوريا الشمالية لعمليات تفتيش ذاتى وأخذ بصماتهم ومعاملتهم بشكل لا إنسانى فى مراكز اعتقال.

وقال محامون متخصصون فى الدفاع عن المهاجرين: إن مئات من الرجال والصبية المسلمين يخضعون لعمليات تفتيش بتجريدهم من ملابسهم فى مراكز احتجاز تنخفض فيها درجة الحرارة إلى مستوى التجمد فى «جنوب كاليفورنيا» بعد اعتقالهم بسبب مخالفات روتينية تتعلق بتأشيرات الدخول. وقال المحامون: إن ما بين ألف و ٢٥٠٠ شخص معظمهم من الذكور الإيرانيين وبعضهم لايتجاوز عمره ١٦ عاماً محتجزون فى ظروف غير إنسانية رغم أنهم قدموا أنفسهم بمحض إرادتهم إلى مكاتب الهجرة لتسجيل أسمائهم لدى السلطات المختصة. وذكرت المحامية «سهيلة جنوبى» من لجنة الدفاع عن المهاجرين أنه فى أحد المراكز أمروا بخلع ملابسهم وجرى تفتيشهم وهم عرايا ولم يتم إعطائهم سوى لباس سجن دون أية ملابس داخلية أو قمصان أو جوارب أو أحذية ولم يتم إعطاؤهم أغطية وقالت إنهم يتجمدون» وقال «كايهان شكيب» رئيس اتحاد المحامين الإيرانيين الأمريكيين إن هؤلاء الأشخاص يُحتجزون فى أوضاع غير إنسانية».

وقال إننا لانعرف عددهم ولكنه يقدر على أية حال مابين «١٠٠٠» إلى «٢٥٠٠» شخص معتقلين فى جنوب كاليفورنيا.

الجيش التركى ضد الحجاب

أعلن الجنرال «تونجر جلنتج» السكرتير العام لمجلس الأمن القومى التركى ـ الذى يهيمن عليه الجيش ـ إن المجلس لايرغب فى إثارة قضية الحجاب مرة أخرى.

وأوضح جلنتج فى تصريحات صحفية أن المجلس سيواصل تحذيراته من أى مسعى لرفع الحظر عن الحجاب، وأشار إلى أنه أجرى اتصالات بهذا الشأن مع زعيم حزب العدالة والتنمية الحاكم «رجب طيب أردوغان» ورئيس الوزراء «عبدالله جول» والمح «جلنتج» إلى احتمال إلغاء مدارس الأئمة والخطباء الخاصة بالفتيات، قائلاً: إن بلدنا مثل البلدان الأخرى لاتريد أن تخرج فيها راهبات لأنه لامجال لعملهن.

ـ ألم يعلم الجنرال أن البلدان الأخرى تخرج راهبات!

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

الإمام الأكبر يستقبل وزير التعليم بدولة بروناى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف معالى الوزير / فيهين داتو حاج عبدالعزيز وزير التربية والتعليم بدولة بروناى - دار السلام وسعادة السفير / محرم بن بياه سفير بروناى بالقاهرة والوفد المرافق وذلك فى إطار دعم التعاون بين الأزهر وبروناى فى العملية الدينية والتعليمية وقد رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى الأزهر الشريف موضحا لهم دور الأزهر الشريف فى استقبال طلاب من خمس وتسعين دولة يدرسون بالأزهر الشريف على منح من الأزهر وبجانب إخوانهم الطلبة المصريين وينالون كل رعاية وعون ومساعدة ومنهم طلاب دولة بروناى الشقيقة ومن جانبه قدم الضيف الشكر لفضيلة الإمام الأكبر لما يقدمه الأزهر الشريف من دعم دينى وتعليمى لأبناء دولة بروناى، كما قدم شكر بلاده حكومة وشعبا لفضيلة شيخ الأزهر ولعلماء الأزهر على المجهود الذى يبذل من جانب الأزهر من أجل توضيح المفاهيم الدينية وتبسيطها مشيدا بطلبة بروناى الذين تخرجوا فى الأزهر لأنهم يحتلون مناصب ومراكز هامة فى بلادهم ويشاركون فى عملية التنمية وهم ينقلون ما تعلموه من الأزهر لأبناء بلادهم وأهليهم، وتمنى أن يزور فضيلة شيخ الأزهر الشريف دولة بروناى، وطلب الضيف زيادة المنح الدراسية لأبناء دولة بروناى، ومن جانبه رحب فضيلته بتوفير كافة السبل التى يطلبها الضيف لدعم سبل التعاون بين البلدين.

ويستقبل وزير خارجية سيراليون

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف معالى الوزير / ممادو كوروما وزير الخارجية بدولة سيراليون يرافقه السيد سفير سيراليون بالقاهرة والوفد المرافق، رحب فضيلته بالضيف والوفد المرافق فى الأزهر الشريف وتم مناقشة سبل دعم التعاون بين الأزهر ودولة سيراليون فى المجال الدينى، وأبلغ السيد وزير الخارجية تحيات رئيس جمهورية سيراليون لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ولعلماء الأزهر الشريف لما يقدمونه من مساعدات تعليمية لدولة سيراليون مشيدا بالمنح الدراسية التى يحظى بها أبناء سيراليون للدراسة بالأزهر على منح من الأزهر الشريف مبينا أن حوالى ٧٠٪ من شعب سيراليون مسلمون، وأوضح أن الحروب الأهلية التى تعرضت لها البلاد تركت آثارا

ميسية مما يتطلب دعاة ووعاظا من علماء الأزهر الشريف لدولة سيراليون لتعليم المسلمين وتبصيرهم بأمور دينهم وتوضيح سماحة الإسلام ويسره ووسطيته، كذا طلب الضيف زيادة المنح الدراسية لأبناء سيراليون للدراسة بالأزهر وإمداد سيراليون بالكتب الدينية للنهوض بعملية الإعمار والتنمية، في أعقاب انتهاء الحرب الأهلية، ومن جانبه وعد فضيلة الإمام الأكبر الضيف بدراسة طلباته وتلبيتها.

الإمام الأكبر يؤكد:

نرحب بحوار الحضارات والثقافات والأديان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير/ ميخيل موريتنز الممثل الخاص للاتحاد الأوروبي لدى الشرق الأوسط يرافق سعادة السفير/ أولدنبرج سفير الدانمارك بالقاهرة، والسيد/ كريستيان جورات المستشار السياسي، والسيد المستشار الشخصي والصحفي، والسيد مفوض المفوضين الأوروبيين، رحب فضيلته بالسادة الضيوف في الأزهر الشريف موضحا بأن الناس جميعا من أب واحد وأم واحدة، وقال: إننا نرحب بحوار الحضارات والثقافات والأديان، ومؤكدا على أن الكثير من الناس يعرفون الحق ولا يجهرون به ولا ينتمون إلى الكتيبة التي تناصر الحق بشجاعة وهناك من الناس من يميلون إلى الباطل، ورغم ذلك يوجد من يحب العدل ويكره الظلم وعلينا وعلى المجتمع أن يقف إلى جانب من هم على الحق حتى يظفروا بحقوقهم ليسود الأمن والأمان والرخاء، لأن الأمان يولد الرخاء، أما الإرهاب والظلم والقهر فيولد الخراب، ودائما أقول: إن الاختلاف في العقائد لا يمنع التعاون، فالشرائع السماوية تأمر بالتعاون على الخير ونشر الأمان، وتنهى عن الظلم، والبغي، ولكل إنسان عقيدته والذي يحاسب على العقائد هو الله ـ عز وجل ـ ونحن كبشر يجب أن نتعاون ونساعد الضعيف حتى ينال حقه.

وأوضح فضيلته أن الفرق بين الإسلام وبين الإرهاب كالفرق ما بين السماء والأرض، فمن يدافع عن نفسه وأرضه وحريته وعرضه وماله مستحيل أن يسمى في الشرع أو في العقل إرهابيا، وإنما الإرهابي، هو من يحتل أرض غيره ويقتلع زرعه ويحاصره ويعتدي عليه ويطرده من بيته أو يهدم عليه بيته فهذا هو الإرهابي، وهذا واضح في الشرائع السماوية والعقول الإنسانية، وقال فضيلته: إننا ضد قتل الأبرياء سواء أكانوا أطفالا أم نساء، أم شيوخا، ومن وجهة نظري أن الدولة صاحبة الكلمة يجب عليها أن تحسم القضية الفلسطينية، بأن توجد قوة دولية رادعة ومعها الأسلحة التي تؤدب الخارجين، وبهذا يجد الجانبان أنفسهم أمام الحل الأمثل الذي يناسبهم، وعلى الدول الأعضاء في مجلس الأمن أن يسعوا لذلك حتى تتاح فرص التفاوض.

ومن جانبه أعرب الضيف عن اتفاقه التام مع ما قاله فضيلة شيخ الأزهر الشريف، وأن الاتحاد الأوروبي يسعى في محاولة لإيجاد الحلول المناسبة قبل مضي عام ٢٠٠٥، وهناك من يتحرك من أعضاء مجلس الأمن لمحاولة وضع خريطة تحديد بداية الطريق، وأن تضع الموضوعات تحت المجهر، ولكن قبل ذلك علينا أن نضع حدا للعنف، كما أننا نتمنى أن تكون الأيام القادمة تحمل بشارة توصل الجانبين من فتح وحماس الى اتفاق يوصلنا إلى نتائج أفضل لإيقاف العنف، وأن الفلسطينيين

لهم الحق، ولكن نحن ضد أن يذهب الأفراد إلى المدن الإسرائيلية ويقتلون الآمنين.

وقد أوضح فضيلة شيخ الأزهر الشريف بأننا نعلن في وسائل الإعلام جميعها بأننا ضد قتل الآمنين من الأطفال والنساء، والرجال، ونحن قلوبنا مفتوحة للحوار مع الشرق والغرب والأوروبيين والآسيويين ونحن نتحاور مع كل من يطلب الحوار، ويأتينا رجال من الفاتيكان ومن أوروبا، ومن الشرق، وإنما نتحاور من أجل نصرة المظلوم ومعاونة المحتاج ولتحقيق العدل والاستقرار وهو ما تدعو إليه الشرائع السماوية كلها.

الإمام الأكبر:

غير العقلاء هم الذين يخلطون بين الإسلام وبين الإرهاب

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف اثنين وعشرين سفيرا من مجموعة سفراء الدول الآسيوية بالقاهرة برئاسة الدكتور / وراويت لنباشين سفير مملكة تايلاند بالقاهرة وعميد مجموعة سفراء الدول الآسيوية، رحب فضيلته بالسادة الضيوف في الأزهر الشريف شارحا لهم نظام التعليم بالأزهر الشريف، وموضحا لهم بأن الأزهر الشريف يخصص منحا للطلاب من تسعين دولة من دول العالم يدرسون في الأزهر الشريف وبعد انتهاء دراستهم وحصولهم على الشهادات العليا يعودون إلى بلادهم ويحتلون المراكز العليا، وقد رأينا كثيرا من رؤساء الدول ومن الوزراء والسفراء تخرجوا في الأزهر الشريف وهم رسل الأزهر في بلادهم ينقلون ما تعلموه لأهلهم وذويهم، ويزورون الأزهر الشريف من آن لآخر، وصلة الأزهر الشريف ممتدة مع العديد من الدول منذ أكثر من مائة عام، وقدم فضيلته شرحا لدور الأزهر الشريف بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م، والبيان الذى أعلنه مجمع البحوث الإسلامية، برئاسة شيخ الأزهر الشريف رئيس المجمع والذى أوضح فيه للعالم أجمع بأن ما وقع من عدوان على الآلاف من العاملين الآمنين فى نيويورك من المسلمين وغير المسلمين من قارات مختلفة من نساء ورجال وقتل لهؤلاء الأبرياء على اختلاف جنسياتهم وهم يؤدون عملهم فى وظائفهم إنما هى جريمة بكل المقاييس الدينية والخلقية والإنسانية والقانونية، والأزهر الشريف يرفض هذا العدوان رفضا تاما، كما أوضح البيان بأن على من وقع عليه العدوان أن يبحث عن هؤلاء المجرمين وأن يقدمهم للهيئات القضائية المختصة لتقول كلمتها العادلة فيهم، وقال البيان إنه ليس من حق الدولة التى وقع عليها العدوان أن تعاقب شعبا بأكمله، وجميع الشرائع السماوية والعقول الإنسانية السليمة تمنع العدوان على الآمنين، وقال فضيلته: إن الدراسة فى الأزهر الشريف تقوم على الاعتدال والتوسط والبعد عن التطرف والتعصب، وعدم التدخل فى عقيدة أحد، موضحا بأن العقائد لاتباع ولا تشترى والذى يحاسب على العقائد هو الله ـ عز وجل ـ وأجاب فضيلته عن الأسئلة التى دارت حول الذين يسيئون إلى الإسلام ويخلطون بين الإسلام والإرهاب قائلا: إن غير العقلاء هم الذين يخلطون بين الإسلام والإرهاب مع أن الفرق بين الجهاد فى الإسلام وبين الإرهاب كالفرق بين السماء والأرض، فالجهاد معناه الدفاع عن الوطن وعن الدين وعن الحرية الإنسانية وعن المال وعن العرض وعن الكرامة، وعن اغتصاب

الأرض بالقـوة، وهدم المنازل، وقـتـل الأبرياء من الأطفال والنساء والشيوخ، ومن يدافع عن كل ذلك فهـو مجاهد، وعلى عكس ذلك فـمن يغـتـصب الأرض ويقتل الآمنين ويهدم البيوت ويضيق عليهم الأرزاق فهـو إرهابى، وجـمـيع الأديان والعـقـائد والعقول السليمة تقول ذلك وتقول بأن الدفاع عن المال والعرض والأرض والأنفس واجب مشروع، وفى نهاية اللقاء شكر السادة السفراء فضيلة شيخ الأزهر على الشرح الذى قدمه وعلى الإجابة عن أسئلتهم واستفساراتهم وأنهم يرسلون ما سمعوه من فضيلته لبلادهم حتى تظهر وتتضح صورة الإسلام ومكانته وحتى لا يكون هناك مجال للألسنة التى تتحدث باسم الإسلام وتخلط الأمور.

الإمام الأكبر:

الأمم العاقلة هى التى يتشاور أبناؤها لصالح أمتهم

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السادة أعضاء الدورة التدريبية المؤهلة لشغل وظيفة كبير خبراء وعددهم خمسون عضوا من أنحاء الجمهورية ورافقهم الأستاذ/ حسن أنيس أحمد رئيس المحكمة وعضو المكتب الفنى للمركز القومى للدراسات القضائية وذلك فى إطار حضورهم دورة تدريبية بالمركز القومى للدراسات القضائية.

رحب فضيلته بالسادة الخبراء فى الأزهر الشريف وأوضح بأن رأى ومشورة المتخصصين فى المجالات المختلفة مهم جدا ومطلوب الاستفادة منه حتى تنهض الأمم وترقى، موضحا بأن الأمم العاقلة الرشيدة هى التى يتشاور أبناؤها لصالح ولخدمة أمتهم لأنهم أهل الخبرة والمعرفة، وبخاصة فى هذا الزمن الذى نعيشه، لأن التخصصات أصبحت دقيقة، وأصبح الوضوح سمتها، ومن أجل ذلك فإن الأمم العاقلة هى التى تأخذ بمشورة المتخصصين فى كافة المجالات، والعالم الآن أصبح عالما يسوده التخصص، وكل متخصص فى علم معين هو تلميذ لغيره من المتخصصين فى علوم أخرى، وعلى المتخصصين الاستفادة من بعضهم البعض لخدمة أمتهم ورقيها، كما أوضح فضيلته أن من أسباب الانحراف عن الحق هو عدم الوصول إلى الحقيقة فى أمر من أمور الدنيا عندما نلجأ إلى المعرفة عن طريق غير المتخصصين والقرآن الكريم يقول:

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1].

وأهل الذكر فى كل علم هم المتخصصون فيه وأكد على أن تحديد المفاهيم عند طرح الأسئلة هى من الأمور الهامة للمتخصصين عندما يجيبون عن الأسئلة حتى لا يكون هناك لبس فى فهم الموضوعات وبذلك تحدد الإجابات دون أن يكون هناك مجال للفهم الخاطئ، مؤكدا أن على الإعلاميين أن يتفهموا الأسئلة جيدا، والإجابات من مصادرها حتى تكون الإجابات واضحة للعامة ضاربا الأمثال على معاملات البنوك والمسميات التى يختلط فيها الفهم فيما بين القرض والاستثمار، والوديعة والمضاربة وغيرها من أنواع المعاملات، وكذا تحديد الأرباح موضحا بأن المعاملات بمقاصدها لا بألفاظها وإنما الأعمال بالنيات، والضرورات تقدر بقدرها، وخير من يفهم الأمور فهما سليما هم السادة المتخصصون.

(١) النحل (٤٣).

وأجاب فضيلته عن أسئلة السادة الحضور والتي دارت حول شرح وتوضيح فتوى مجمع البحوث الإسلامية التي صدرت أخيرا بحل أرباح استثمار الأموال في البنوك وتحديد الربح مقدما، كذا أجاب عن أسئلة الحضور حول أحكام التدخين، والزكاة، والختان، والفرق بين الصدقة والزكاة، وحول فريضة الحج الخ الأسئلة التي طرحت وأجاب عنها فضيلته.

وفي نهاية اللقاء شكر الحضور فضيلته على المعلومات القيمة التي سمعوها والتي وضحت أمورا كثيرة مؤكدين بأن تلك المعلومات هي خبرة لهم ويسترشدون بها في عملهم، وقد صححت مفاهيم كثيرة عندهم.

الإمام الأكبر يلتقي برؤساء ومديري عموم المناطق الأزهرية

اجتمع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بالسادة أصحاب الفضيلة رؤساء ومديري عموم المناطق الأزهرية على مستوى الجمهورية، وذلك لدراسة الجوانب والمقومات ذات الصلة بالمسيرة التعليمية حيث أكد فضيلته على الانضباط وعدم المحاباة ومراعاة الضمير واتباع سبل العدل والحق في أعمال الامتحانات الشفوي والتحريري للفصل الدراسي الأول وأكد فضيلته على مراعاة الأسس التي تضمن المتابعة الجادة لسير الدراسة بالمواقع المختلفة، والاطمئنان على مدى التزام هيئة التدريس بالخطة والمنهج حتى تبدأ مواعيد الامتحانات للفصل الدراسي الأول مع مراعاة تجهيز مقار اللجان واختيار أعضاء المراقبة والملاحظة والتصحيح وتقدير الدرجات وكذا مراكز توزيع الأسئلة والكنترولات، واحتياطات التأمين والإجراءات اللازمة طبقا للوائح والقوانين المنظمة لأعمال الامتحانات، وفيما يتعلق بالمعينين الجدد من المدرسين والإداريين والعمال، وأكد على توزيعهم على المعاهد التي تحتاج إلى تخصصاتهم والمعاهد التي بها عجز، وألا يتعارض ذلك مع المصلحة العامة، ومراعاة توزيع العنصر النسائي للصف الأول والثاني والثالث الابتدائي وذلك لتوفير الجو الأسري المناسب لهؤلاء الطلاب والطالبات، وفيما يخص الكتب الدراسية اللازمة للفصل الدراسي الثاني أكد فضيلته على المسئولين أن تكون الكتب في أيدي الطلاب في بدء الدراسة بالفصل الدراسي الثاني، وأكد على أن يستفيد الطلاب والطالبات من الحواسب الآلية والكمبيوتر الموجودة بالمعاهد تذليل كافة السبل لذلك والمناطق التي لم تصلها هذه الأجهزة عليها التقدم بطلبات لتوفير هذه الأجهزة، وبالنسبة للمعاهد التي أضيرت بالزلزال أو غيره أكد على متابعة أعمال الشركات المسند إليها أعمال الترميم لمعرفة حجم الإنجازات التي تمت وسرعة الانتهاء من الأعمال المسندة إليهم حضر الاجتماع فضيلة الشيخ/ عبدالكريم محمد عبدالرحمن الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر وفضيلة الشيخ/ شوقي تويجي رئيس قطاع المعاهد الأزهرية والسادة وكلاء القطاع والمسئولين عن العملية التعليمية والإدارية.

الإمام الأكبر يعلن:

المرحلة الابتدائية هي البديلة عن الكتاتيب

اجتمع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بالسادة أعضاء المجلس الأعلى للآباء والمعلمين حيث تم التصديق على محضر الجلسة السابقة، كما تم التصديق على الموقف المالي لحساب المجلس خلال

الفترة من ١/٧/٢٠٠١ وحتى ٣٠/٦/٢٠٠٢ والمتمثلة في الصرف على الخدمات الطلابية التي قدمتها الإدارة المركزية لرعاية الطلاب من خدمات تعاونية للطلاب استفاد منها ١٨٢٨١ حالة بإجمالي مبلغ مليون وثلاثمائة وستين ألفا وأربعمائة وخمسة وستين ألفا من الجنيهات كذا مجالس الآباء وخصصت لها مبلغ مائتين وتسعين ألفا من الجنيهات لتدعيم الأنشطة الطلابية المختلفة « رياضي اجتماعي وثقافي » وقام المجلس الأعلى للآباء بتدبير مليون جنيه من ميزانيته للإسهام في تزويد بعض المعاهد الأزهرية بأجهزة الحواسب الآلية، وفي مجال بيوت الشباب تم إنشاء العديد من بيوت الشباب الأزهرية في كل من أسوان، والأقصر، وبني سويف، وأسيوط، والسويس، الإسماعيلية، وبورسعيد، والعريش، والإسكندرية، والقاهرة، واستفاد منها أكثر من ستة آلاف طالب وطالبة، وفي مجال رعاية الطلاب ذوي الاحتياجات الخاصة فإن الأزهر يولي اهتماما كبيرا بأبنائه من الطلاب والطالبات ذوي الاحتياجات الخاصة حيث يقدم لهم الخدمات التي تساعدهم على التكيف مع المجتمع من خلال برامج رياضية واجتماعية وثقافية وترويحية وإرشادية بمعرفة المتخصصين واستفاد منها أكثر من ٨٠٠ طالب وطالبة باعتمادات مالية قدرها خمسون ألف جنيه، وفي مجال الاتحادات الطلابية أحد التنظيمات الطلابية التربوية في المعاهد الأزهرية والتي تهدف إلى تدريب الطلاب على الحياة الديمقراطية السليمة من خلال الأنشطة والبرامج التي تعد لهذا الغرض باعتمادات مالية بلغت ثلاثمائة وخمسة وعشرون ألف جنيه لتدعيم الأنشطة الثقافية والاجتماعية والرياضية بالإضافة إلى المؤتمرات والندوات ولقاءات التعارف والمسابقات والرحلات، واستفاد منها حوالي عشرة آلاف طالب وطالبة، كما تم تجهيز قسم داخلي للبنين والبنات المغتربين في كل من الوجه البحري والقبلي وتخدم حوالي ١٠٢٥ طالبا وطالبة وتتمثل في الإقامة والإعاشة وتوفير الحياة الاجتماعية السليمة لهم وممارسة الأنشطة المختلفة، وفي مجال التغذية التي استفاد منها جميع طلاب وطالبات المرحلة الابتدائية بالإضافة إلى طلاب وطالبات المعاهد الإعدادية والثانوية بالمناطق النائية فقد خصصت لهذه الميزانية مبلغ خمسين مليون جنيه بزيادة قدرها ٢٨ مليون جنيه عن العام الماضي، كما ناقش فضيلته إمداد المعاهد بمسجلات لسماع شرائط تسجيل القرآن الكريم في المرحلة الابتدائية بدءا بالصف الأول الابتدائي والتسجيل بصوت المرحوم الشيخ/ محمود خليل الحصري حتى يتعود الأطفال منذ الصغر على القراءة الصحيحة فينشأون على ذلك، وأكد فضيلته على أن المرحلة الابتدائية هي البديلة عن الكتاتيب لحفظ القرآن الكريم وسيتم تنفيذ هذه التجربة أولا على منطقة القاهرة الأزهرية ثم يتم تنفيذها تدريجيا على باقي مناطق الجمهورية في معاهدها الأزهرية علما بأنه قد وزع المصحف المعلم على المعاهد الأزهرية منذ ثلاث سنوات ليتم سماع شرائط القرآن الكريم في طابور الصباح لمدة خمس دقائق.

حضر الاجتماع فضيلة الشيخ الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر وفضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية ورئيس الإدارة المركزية لرعاية الطلاب والسادة وكلاء القطاع والمسئولون عن العملية التعليمية والإدارية.

gloomy well full of evil. So, Allah, The Most High, sent His Messenger, may the blessing and peace of Allah be upon him, in order to eliminate all this and guide people to the most upright path that benefits them all.

For the above mentioned, Islam asserted that man should meditate concerning soul and creatures. Moreover, it motivates people to consider the signs of Allah concerning His creatures and matchless creation. There are dozens of verses stated in the Ever-Glorious Qur'an showing this as Allah, Glory be to Him, says:

﴾And in the earth are signs for the ones having certitude. And in your selves; do you then not behold?﴿

[Ath-Thariyat (The Winnowers) : 20:21]

and He also says:

﴾So let man look into what he was created from; he was created from effusive water, going out between the loins and the breast-bones.﴿ [At-Tariq (The Night Visitant) : 5:7]

In these verses, Allah urges man to look at himself and his origin.

Those (opponents) who claim that Islam resists and opposes science, are ignoring and disregarding the very distinct feature of this religion that it sets mind as a judge differentiating between wrong and right, calls for science in many of its verses and urges people to contemplate and think about everything around them. We answer them saying that such a religion cannot be described or, in order to be more accurate, stained by being resistant to science. Those claiming this not only described by being illogic, but also they completely do know nothing about the topic they are writing about. Allah, The Most Exalted, says:

﴾We shall soon show them Our signs in the horizons and in themselves till it is evident to them that it is the Truth. And does it not suffice as to your Lord that He is The Ever-Present Witness over everything?﴿

[Ash-Shura (Counsel) : 53]

given to them even what involved deriding at creeds and traditions. Whoever thinks about these nations, finds what cannot be perceived by mind; subjugation to illusions and complete belief in delusions and superstitions.

Islam came with its clear evidence to eliminate these dark clouds which have been let down by the delusive (ones) on thinking, contemplating and deducting, so whoever believes in it is like the one who is taken from a dark well to the world of light and sees, by his own eyes, what cannot be effaced by falsifiers and hears, by his own ears, what cannot be hidden by opinionated. Therefore, he accepts the right without hesitation, adheres to it like the drowning (man) does to a straw and work, self-motivated, according to it. Islam's scholars decided on what can be considered a logical consequence for this crucial reformation namely, imitator's belief is unacceptable as imitation in right is similar to imitation in wrong. Islam criticizes imitation and imitators and urges to resort to thinking and be dependent on argument and evidence. Moreover, it does not command anyone what he cannot bear. Islam' clear signs, concerning this, are evident even to the most ignorant. The aim behind this is to make everyone (believes in Islam) feels the responsibility thrown upon his shoulders, so he shall resort to his reason and apply his faculties on deduction in order to protect himself from fossilization of the delusive (ones).

Due to this, Muslims are considered the hardest of nations to be misled by the callers of wrong, everywhere and time, as they are the most adherent to their religion compared to other nations on earth.

The human soul is disposed by nature for thinking in the principle of its source, faculties and destiny. Therefore, if man prevented himself from contemplating and thinking, like in the middle ages, ignorance and blindness would prevail, sciences and arts would be neglected and people would fall in dark

Islam's Call for Contemplation and Thinking

By: The Great Scholar Muhammad Farid Wajdi

At the time when Islam was sent down by the All-Knowing Wise Lord, chiefs of religions on earth have been restricting the power of contemplation and thinking in narrow circles drawn in order not to exceed the silly daily affairs of life. To contemplate or think about the soul, creatures and universe in order to establish a science, deduct wisdom, was considered as matters that do not concern people, as only leaders were those who were allowed to criticize. If they found someone exceeded, according to them, the narrow field of knowledge that common people were allowed to know, they would consider this a violation and would ask him to repent. And if he turned to do this again they would throw him in an overflowing oven or imprison him in a dark well for the rest of his life.

Therefore, Allah sent His Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, to deliver the true religion in order to get people out of darkness to light. This Prophet asks everyone of us to meditate, think and consider, deduct, resort to our minds and to be guided by the help of the mindful seeking more knowledge as Allah, Glory be to Him, says:

﴿And say, "Lord! Increase me in knowledge". ﴾

[Taha :114]

Islam aimed, by this, at achieving one of the most sublime goals; to urge all the faculties of mind to perform their functions and to awaken them from their dullness so, the human character can perfect its elements and acquire a natural immunity against instructions inconsistent with mind and science. Consequently, man shall become hard to be misled by the delusive.

Efforts of the delusive were directed to prohibit, on their people, contemplation, freedom of thought and independent opinions in order to enslave them by delusions and to be able to control their minds. Nations, like those, accepted what was

of taste: sweetness, saltiness, bitterness and acidity so that man can recognize and distinguish between any of them easily. We have realized that the Ever-Glorious Qur'an did not focus on only stating the "material taste" as in:

﴾Then, as soon as they (both) tasted the tree, their shameful parts appeared to them.﴿,

[Al-A`raf (The Battlements) :22]

but it also stated the "moral one" as Allah, Glory be to Him, says:

﴾So, taste the torment for that you have disbelieved﴿

[Al-Anfal (The Spoils) :35]

<u>From the Signs of Rain:</u>

Allah says:

﴾Allah is He Who sends the wind; so they stir up clouds (and) then He outspreads them in the heaven how He decides, and makes them into lumps. Then you see raindrops coming out of the midst of them. So when He makes it alight on whomsoever of His bondmen He decides, (then), only then they are glad at the tidings.﴿

[Ar-Rum (The Romans) : 48]

This honorable verse refers, in an inimitable way, to the stages of rain formation starting at clouds referred to, in this verse by the word **"outspread"** which means that the wind sent by Allah is the cause behind forming clouds and making them apparent to eyes after being an invisible transparent vapor. Due to Allah's mercy, He made the process of water evaporation from earth and condensation in clouds continuous without any request or any interference from man. Moreover, He assigned wind to perform that task.

Furthermore, Allah, in this verse, related sending wind and moving clouds to Himself as they are considered two signs of His Will that indicates that there is a Wise, Able Creator behind the existence of this universe.

means that when we did this, we had done it before 10 billion light-year and that Allah, is the only One Who knows about them as man was not created then; namely, before 10 billion light-year).

From Allah's Signs in the Self:

The features of inimitability of the Divine Creation are not confined to one kind of creatures around us, but they extend to include man himself in order to be an established evident sign before us. For example, man's body is considered a miraculous structure involving accuracy, beauty of appearance and harmony of coordination. Allah, Glory be to Him, decided by this to draw our attention to this magnificent structure in order to be able to acquire more knowledge and awareness of the greatness of the Creator and beauty of creation as He, The Al-Mighty, says:

❬And in your selves; do you then not behold? ❭

[Ath-Thariyat (The Winnowers) : 21]

and

❬Indeed We already created man in the fairest stature.❭

[At-Tin (The Fig): 4]

If we take the tongue as an example of the gifts endowed to man by Allah so as he can consider, learn from and contemplate on the secrets of this blessing as He, The Ever-Lasting, says :

❬Have We not made for him two eyes, and a tongue and two lips?❭,

[Al-Balad (The Land) : 8:9]

we shall find that modern science has been of much help concerning clarifying some of the inimitable features relating to the creation of tongue and its sense (taste). In his daily life, man, though eating so many different kinds of foods and drinking so many of beverages, he is able to distinguish between them efficiently. Actually, there are four types concerning the sense

Faithful Reading Through
The Book Of The Universe And Life.
By: Dr. Ahmad Fu'ad Pasha

Sites of the Stars

﴿Then no! I swear by the sites of the stars, and surely it is indeed a tremendous oath, if you only knew (it) ﴾.
[Al-Waqi'ah (The Event) :75:76]

In this verse, The Ever-Glorious Qur'an refers to the greatness of the secret involved in the sites of stars as well as their predetermined motions in their orbits. It also refers to the great oath made by Allah. Therefore, Allah, The Al-Mighty, draws our attention that perceiving some of the secrets and perspectives of this great oath will not be fulfilled except by practicing reason and acquiring knowledge.

From the scientific perspective, talking about the sites of the stars requires dealing with much more astronomical distances than those we are accustomed to on earth. Scientists have agreed to apply a new unit for measurement which is called "light-year"; the distance crossed by light in a complete earthly year (365 days). So, the nearest star (to earth) after the Sun Star is called the Pale-lighted Star (4.4 light-year or about 42.000.000.000.000 km.). This means that whoever looks at the this star will see the light that was coming out of it 4.4 light-year ago. Consequently, whatever happens here on earth is as past there due to the vast distance of stars. If this is the case with the nearest star, how would it be with the others?

When we cannot see remote stars with our naked eyes, we resort to telescopes provided with photographic and electronic cameras that could receive invisible light (more than billion light-year). Recently, observatories have helped us in discovering so many stars, semi-stars and galaxies that are very far distant from our earth (more than 10 billion light-year). This

and future. It is time to set the stage of the intellectual conflict aside and move to the stage of the intellectual conversation. In other words, we have to move from the defensive attitude, self-praising or extreme attack to a more wise responsible mature attitude.

Third : Non-equivalence between the western and Islamic speeches:

On the cultural level, there is non-equivalence as the west is more powerful than Muslims. However, it is not true that wise opinions be always with the powerful as it is always accompanied by frightening, deterrence, imposing unjust control and loss of wisdom.

For the above-mentioned reasons, Islamic speeches are always full of anger, protest, accusation and doubt as the way with the helpless defeated. On the contrary, west's speeches seem cold, quiet and well-balanced and sometimes arrogant and haughty as the way with the victorious predominant not only economically, technologically, politically and military but also in method and knowledge.

Fourth: Exchange of misunderstanding of the other's culture:

The west is not one entity as we think but it is formed of several cultural and intellectual trends, racial discrimination and policies that encroach upon the rights of others due to excessive use of power. So, its attitude is not the same against Arabs or Islam.

To conclude, the reason behind the non-concurrence, culturally, between the east and west is that many of the educated are not acquainted enough with the methodical revolution that happened in the west. However, the new western methodical revolution did not show anything new in the attitudes of the orientalists regarding their studies for Arabs and Islam. What can we call this; is it a failure or negligence?

First :Abusing Islam and Arabs by the western mass media:

The western and American mass media continue to depict Islam as a devilish giant that would ruin progress, civilization and modernity if released out of its bottle. Arabs, according to their view, are ignorant by nature and Muslims are fanatic by nature while Christians, according to them, are forgivable and tolerant by nature. This means that we cannot be tolerant as long as we are not Europeans. These pre-decided opinions have turned to be absolute, inevitable features attached to others. Consequently, this always threatens society; internal conflicts or civil wars.

This is the actual base on which pillars of cultural challenge were established; the western racism against any other races especially Arabs and Muslims.

Although technology has made history to civilization, namely, civilization of tools, it is the time for wisdom that elevated the human concept to record its sublime history by spreading peace among nations. On one hand, whoever resorts, directly or indirectly, to force or confrontations using lethal weapons aims at nothing but destroying himself. On the other hand, resorting to wisdom, whatever takes long, is the only guaranteed way for peace, safety and survival. "Wisdom is the believers' aim"

Second : Psychological preparation to accept criticism as well as self-criticism:

Why do not we try to know the west's opinions and what are their answers and arguments used in defending themselves?

As said before, the scientific objectivity necessitates proving opinions and their opposites in order to clarify the aspects of the discussion imposed on developing nations by the west. We have to be self-confident so as to be able to go into this intellectual conflict that concerns our past, present

*The cultural challenge between Islam's thinkers and orientalists

By: Dr. Muhammad Ibrahim Al-Fayoumi

The idea of the cultural challenge between Islam and west goes back to an old dilemma falls under the Arab Islamic issue with all its problems and issues. We used to view the relationship between them as a misunderstanding as it was not tackled rightly on the research table. Moreover, its study was not based on mutual bases of understanding that resulted in missing the truth and reaching no decisive results.

There is another way that would be more useful, in order to deal with this issue, other than the noise of mass media based on nothing except baseless matters. We do not think that being rush or resorting to force, especially during the imbalance of powers nowadays, is the opened gate to history. In order to clarify the picture of the Arab cultured and the orientalists and to stress on the necessity of cooperation in setting bases of new relations, we have to handle this mutual misunderstanding; clearing the cultural and ideological atmosphere, on both sides, from the cultural misleading. This will not be achieved except by allowing the other side to express its opinions and points of view freely.

Scientific objectivity necessitates proving our opinions as well as others' in order to show the values of the mutual understanding regarding this conflict. We do not fear others' opinions or even their criticism as we do have enough self-confidence allowing us to handle this intellectual conflict regarding one of the most serious issues that affects our past, present and future. This issue can be represented through the issues of challenge between orientalists and Arab including :

---

* An Article published (in Arabic) at Al-Azhar Magazine.

The Messenger,
The Merciful Leader And The Wise Politician
By : Dr. Ibrahim Al-Assil

Abu Sufyan accompanied both Hakim Ibn Hezam and Budayl Ibn Warqaa' in order to find out what's behind people's gathering close to Mecca. He was astonished due to their huge number, so he turned to Budayl Ibn Warqaa' and said to him: "I have never seen such fire nor army before." Budayl answered him saying: "They are the tribe of Khuza`ah". Abu Sufyan said to him: "No, it can't be. Khuza`ah is less in number and rank than those."

Upon hearing this, Al-`Abbas who was sent by the Messenger, may the blessing and peace of Allah be upon him, to spread despair among the people of Mecca in order not to fight or resist, called Abu Sufyan and stressed on the seriousness of the situation. So, Abu Sufyan immediately asked for his advice. Al-`Abbas suggested that they should go to the Messenger, may the blessing and peace of Allah be upon him, to ask him to guarantee their safety and to reach a settlement with him regarding the conditions of surrender in order to prevent blood-shed and keep their lives. Abu Sufyan accepted Islam. The Messenger, may the blessing and peace of Allah be upon him, rewarded him by sending him as his messenger to the people of Mecca carrying a message saying "Whoever enters the Sacred Mosque is safe, whoever enters Abu Sufyan's house is safe and whoever keeps himself at his house is safe."

Islam's army entered Mecca from all its sides and the Ka`bah was purified from idols and stones. The Messenger, may the blessing and peace of Allah be upon him, addressed the surrendered saying: "O people of Quraysh, what do you think that I am going to do with you?" They replied: "Good, as you are a benign brother and the son of a benign brother." He, the Prophet of mercy, said: **" Go, you are the free."**

AL-AZHAR MAGAZINE
Dhul-Qi'dah 1423 A. H.

ENGLISH SECTION
Jan.Feb. 2003

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah,Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

الفهرس

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير
أ.د. محمد رجب البيومي

مدير التحرير
الطاهر محمد الطاهر الحامدي

سكرتير التحرير
عادل رفاعي خفاجة

المراسلات باسم
مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / إدارة الأزهر
ت: ٢٦٣٨٥٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

داخل العدد

الاشتراك السنوى

- داخل مصر ـــ ١٨ جنيها مصريا
- الدول العربية ـــ ٥٠ دولارا أمريكيا
- أوربا وأمريكا ـــ ٨٥ دولارا أمريكيا
- اليابان وشرق آسيا ـــ ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة
☎ ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

ذو الحجة ١٤٢٢هـ - فبراير ٢٠٠٢م - الجزء الثاني عشر - السنة الخامسة والسبعون

افتتاحية العدد

من زائرات البيت الحـ

حفظ التاريخ أسماءً عزيزة لسيّدات فُضليات كانتْ زيارتُهن لبيت الله في موسم الحج مصدر خير ويُمن، لأنّ الشعور الديني النبيل قد حملهنّ على أن يكنّ ذوات أثر طيب يبقى حديث الأجيال من بعدهن. والمرأةُ إذا كانتْ مؤمنة صادقة الإيمان، ووجدتْ في يدها سعة من الرزق فإن عاطفتها الدينية تدفعها إلى أن تقوم بما يشبع هذه العاطفة برا وفضلا، وبعض الكاتبين من المؤرخين لايروق له أن يتحدث عن هذه المآثر، دون أن يعقب عليها بما يحسبه تحليلاً نفسياً لإرضاء النزعات الشخصية، ومرحباً بهذه النزعات الشخصية إذا أثمرت خيرها في حقل المعروف. فأتت كل لون بهيج، وخير لنا أن نبارك هذا التيار ليكونَ قدوةً دائمة للخالفين عن السالفين من أن نظهر البراعة في تسجيل مبررات لاتملك دليلها الأكيد، إن الواقع المشهود يسجل أن بعض الفضليات قد قمن بمآثر جليلة، أدّتْ إلى خير العامة، وأرسلت الألسنَ بالدعاء، ومن حقّ هؤلاء على التاريخ أن يرصد مافعلنه ابتغاء مرضاة الله، مما تردّد صداه في الصفحات على مر الأعصار.

وواضحٌ أني لا أحاول حصرَ هؤلاء الفضليات، فهذا مالا يقومُ به فرد واحد، أو يستقلّ به كتاب مفرد، ولكني أضرب الأمثلة مما قرأت متذكراً قول القائل.

وإذا فاتــك التفـــات إلى الماضــي فــقــد غــاب عنك وجــه التــأسّي

زوج المهـــــدى

وأولُ ما أذكر من هؤلاء الفضليات الخيزران زوج أمير المؤمنين المهدى الخليفة العباسي، فقد كانت سيدة جليلة القدر في قصر الخلافة أيام المهدى، وكان لها رأيها الحاسم في تصريف كثير من الأمور إذ كان زوجها الخليفة يرجع إليها مستشيراً فمنفذاً ماتوحي به، وقد سجلت في صحيفة أعمالها طرائف زاكيةً من أعمال البر تتجه إلى

...ـرام فى موسم الحج



إنشاء المساجد، ورعاية الأيتام، ثم رأت أن تحج بيت الله الحرام فتهيأ لها من الموكب الحاشد مايناسب قدرها العظيم زوجاً لأمير المؤمنين، وقد حملت من بغداد من طرائف الغذاء والكساء وبدرات المال، ماكان حديث الرائح والغادى فى الموسم المشهود، ثم بدا لها أن تقوم بعمل تاريخى يضمن لها حسن الأحدوثة إذ سألت عن دار الأرقم بن الأرقم المخزومى وهى أول دار اجتمع فيها المسلمون لأداء الصلاة بعيداً عن أنظار المتربصين، وكانت تعلم أن أبا جعفر المنصور اشتراها من حفدة الأرقم بمال كثير بذله فى إرضائهم كى يتنازلوا عنها، ولكنها بقيت على حالها دون عمارة ما فى عهد المنصور، فأرادت أن تحلها المحل اللائق بمنزلتها كأول معهد دينى فى الإسلام فاشترت ماحولها من الدور وأحاطتها بسور متين، وقد كتبت اسمها فى لوحة تسجل مآثرتها، فكان الناس فيما بعد يسمونها دار الخيزران، ثم توالى تجديدها من بعد ذلك.

وحين تركت الخيزران مكة قاصدة المدينة المنورة لزيارة صاحب الروضة الشريفة ﷺ رأت أن تكسو الحجرة الطاهرة بستائر حريرية مرصعة بالألوان الزاهية، وهي أول من كسا الحجرة الشريفة وفرقت كثيرا من الصدقات بهذه المناسبة، وأرضت شعورها الديني بما قامت به في مكة والمدينة من أعمال.

زبيـــدة زوجـــة الرشـــيد

إنّ حديث (عين زبيدة) التي فجرتها السيدة الفاضلة في مكة مما تواتر ذكره، وقد تردّد في كتب التاريخ بأسلوبها التقريري، ولكنّ الأستاذ عبدالله عفيفي مؤلف (المرأة العربية) قد كتب عنه كتابة حيّة كاشفة حين قال في الجزء الثاني من كتاب (المرأة العربية):

«لم يكن لأهل مكة من المناهل إلاّ المسايل يجودها المطر أحياناً، وبعض الآبار التي تفيض آناً وتجف آناً، فإنْ جفاهم الغيث عاماً اشتد البلاء.

أما الحجاج فكانوا يحتملون من قرب الماء مايؤودهم، ويوقر صدورهم، وقد أخذ بقلب السيدة زبيدة ماعلمت في حجها من أن راوية الماء تباع بدينار، وأن الفقير إنما يتبلغ بما يتساقط من قطرات الغنيّ فاعتزمت أن تحفر لآل مكة ولقُصّاد البيت الحرام، نهراً جارياً، يتصل بالماء ومساقط المطر، بالغاً من بعد الشقة، ووعورة الطريق مابلغت مساحتُه:

ولم يسنح بخاطر أحد منذ عهد إسماعيل - صلوات الله عليه - حتى عهد زبيدة مثل هذا الخاطر الوثاب، خاطر إجراء نهر بين شعاب مكة، بل ولم يتمنّه متمنٍ، لأنه أبعد من حدّ التمني، أما زبيدة التي تحكم على خراج الدولة الإسلامية فقد اعتزمت أن تجري هذا النهر مهما بلغت نفقاته.

دعت خازن أموالها وأمرته أن يدعُو العرفاء والمهندسين والعمال من أطراف الأرض، ليحفر النهر فاستعظم خازنها الأمر، ومايستنفد من المال فيه، فقالت له تلك الكلمة الخالدة: اعملْ ولو كلفتك ضربة الفأس ديناراً! فأذعن وساق إلى مكة أهل الكفاية من كل مهندس وعامل، فأخذوا يصلون منابع الماء في شعفات الجبال، ويظاهرون ذلك بما يحتفرون من الآبار، وما يعمقون من المسايل، ثم يغلغلون ذلك منّ أعطاف الصخور تارة وفي أعماق الأرض طورا، حتى ينتهي ذلك إلى النهر الذي احتفروه.

واهمّ ما اعتمدوا عليه عين حنين في جبال «طاد» إلى الشمال من عرفة، وعلى مدى خمسة وثلاثين كيلو مترا من مكة- أعزها الله- ثم ظاهروا ذلك بمجرى آخر، من وادي النعمان، من مسايل جبال كسرى إلى الشرق والجنوب من عرفات على مدى عشرة كيلو مترات منها، وعززوا المجريين بعد ذلك بسبع أقنية تتبعوا فيها مساقط السيل، فسار ذلك

كله في ممر عظيم بين الصخور حتى إذا انتهى إلى «منى» انحدر في خزان عميق نقروه لذلك في الجبل، وسموه (بئر زبيدة) ومن هناك يسير الماء في فرعين، يذهب أحدهما إلى عرفات، وينتهي الآخر إلى مسجد نمرة، ولكيلا يأسن الماء صرف مافضل منه من رى الظماء إلى بركة (ماجن) بالمسفلة، وزرع حولها الزهر والثمر وهذا العمل الخارق في بابه لايحتاج إلى تعليق.

أميــــرات كريمــــات

لاتعنى كتب التاريخ العام كثيراً بتسجيل رحلات الحاجّات والحاجين إلى بيت الله، وبذلك ضاع المفيد الجيد من أخبار هذه الرحلات، ولكن كتب الرحلات قد أنقذت من الضياع مواقف نبيلة لمن تكبدن المشاق في سبيل الله سعياً وإنفاقا وبذلا للمعروف، وقد تحدثت رحلة ابن جبير الأندلسي فيما تحدثت عن ثلاث سيدات كريمات من البيت السلجوقي الشهير قمن بالحج أثناء مقدم ابن جبير، فكشف عن مآثر فاضلة قمن بها عن أريحية ماجدة وتقى عظيمة، هن الملكة خاتون بنت الأمير مسعود السلجوقي، والأميرة أم عز الدين صاحب الموصل، والأميرة ابنة الدقوس صاحب أصبهان، وكلهن صاحبات فضل غامر، ومنافسة كبيرة في أعمال البر، ويقول صاحب الرحلة[1]: «إن شأنهن جميعاً عجيب فيما قمن بسبيله من أعمال الخير».

أما الملكة خاتون فقد كانت في مفتتح شبابها، ولكنها ذات صلاح وإيمان، فقد حرصت على أن تصلي بين القبر والمنبر، ومن فوقها المحفة المانعة لرؤية الناس لصلاتها، والعامة يتزاحمون على مشهدها وجموع الحرس تدفعهم عن ساحتها ثم مشت إلى الجهة الغربية من الروضة المكرمة فقعدت في مكان قيل عنه إنه كان مهبط جبريل - عليه السلام - وأرخي الستر عليها. وقد علمت أن صدر الدين الأصبهاني رئيس الشافعية سيلقي درساً دينياً وعظة خُلقية فانتظرت حتى سمعت الدرس، ويقول ابن جبير عن تأثير هذا الواعظ: «إنه أطار النفوس خشية ورقة وتهافت عليه الأعاجم يعلنون التوبة، وقد طاشت ألبابهم وذهلت عقولهم إلى حديث ممتد يدور هذا المدار، ثم التفت بصاحبتيها وهما تكبرانها سنا، ولهما جلالة وهيبة فتنافسن كلهن في إسداء ما بأيديهن من المال على كثرته، وفرح بهن ذوو الحاجات فرحاً لايحد إذ أعطين مافاق حد الآمال»[2] ولعل الأميرة الشابة كانت أكثرهن هبات، إذ اختصها الرحالة بوصف جيد.

---

(١) الرحلة، طبعة د نصار ص ١٦٧.

(٢) الرحلة ٢٢٤.

ولم تقصر سعادة الحجاج بهن على مكان الحرم الشريف بل تعدى ذلك إلى طريق الرحلة الممتدة من الحجاز إلى الموصل، فاصبهان، حيث لاذ بهن الحجاج خائفين من هجوم قطعة الطريق، وماكان أكثرهم في هذا الحين، حيث تمكن الشيطان من نفوسهم فسول لهم إرهاب من سعوا لبيت الله طائعين، فكان موكب الأميرات بكثرة جنوده، وهيبة حراسه، ويقظة أمنائه ستارا واقيا، وحمى آمناً، وكان ابن جبير ممن ساروا في ركب الأميرات. وقد وصف استقبال الموصليين للأميرة أم عز الدين وصفا باهرا، حيث جللت أعناق الإبل ورقاب الخيل بالحرير الملون والقلائد الثمينة، وجعلت قبة الأميرة مغشاة بسبائك الذهب! «وكان مشهدا أبهت الأبصار، وأحدث الاعتبار ونحن لانحبذ هذا الإغراق المسرف في مظاهر الزينة. ولكننا نتحدث عن أمر وقع، ومشهد سجل، ناقدين مابه من إسراف.

أميـــــرة مغربيـــــة

هي الأميرة الماجدة خُناثة بنت الشيخ بكار المعفرى، زوجة سلطان عصره بالمغرب، اسماعيل بن محمد العلوى المتوفى عام ١١٣٩، وكانت ذات جمال رائع فوقعت من نفس السلطان أجمل موقع، زيادة على اهتمامها بالثقافة الدينية والأدبية معا، مما جعلها موضع الإعجاب والعجب، والغريب أن كتب المغرب قد أسهبت في تاريخ زوجها السلطان العلوى فأفردت كتب كثيرة لترجمة حياته، وتسجيل وقائعه، حيث قام في الملك ستين عاما، وهو أمد طويل اتسع لأعمال حربية، واتساع عمراني كبير، ولكنها لم تكتب عن هذه السيدة المثالية مايشفى الغلّة، وظلتْ سيرتها مطوية حتى ظهر مخطوط للإسحاقى في خزانة القرويين يتحدث عن أمجادها الكثيرة، ومما قاله عن رحلتها إلى الحج ما أنقله عن مجلة «المنهل»: حيث نقلت المجلة عن مخطوط الإسحاقى قوله[٣].

«إنها آثرت أشرافَ ينبع بعطاياها الفاخرة، وهدايا سنية لم يعرفوها من ذى قبل، وكستهم أنواع الثياب الرفيعة، علاوة على المبالغ النقدية الذهبية الباهظة، كما روى عنها أنها أغدقت خيراتها على سائر رجال العلم والفضل بمكة المكرمة ليلة فتح البيت المبارك خصيصاً لها من لدن شريف مكة، الأمر الذى ظلّ أحدوثة يتحدث بها المغرب على الدوام، وقد دفعها حب الخير إلى اقتناء عقار بمكة يقع في أشرف بقعة، بما يناهز الألف مثقال من الذهب؛ حبستها على جماعة من المقرئين والطلبة، وكتبت بذلك حجة للمعنيين بالأمر، وعينت ناظراً يتسهر على ريع الوقف وتوزيعه».

---

(٣) مجلة المنهل ربيع الأول ١٣٦٤هـ ص: ٢٦٢.

وقد أنشد شعراء مكة قصائد كثيرة بهذه المناسبة .

وما نُقلَ عن الإسحاقى فى سطور يحتاج إلى بسط فى عدة صحائف ، وقد قال الزركلى فى الأعلام[1] إنها حجت عام ١١٤٢هـ فعمت الناس بعطاياها حتى بلغ ما انفقته فى حجتها مائة ألف دينار ، كما ذكر أن لها علماً بالفقه والأدب ، وهذا ما جعلها موضع مشورة زوجها السياسية إذ كانت تشاركه على مسرح الأحداث وتبدى من الآراء مايكون موضع الاحتفاء والتنفيذ .

ولا أنسى أن أشير إلى رحلة (أم المحسنين) والدة الخديوى عباس الثانى إلى مكة ، مصاحبة ولدها الخديوى فى موكب حاشد ، فقد كان لها موكب خاص يحفل بسيدات البيت الحاكم من الأميرات والنبيلات ، وبذلت من العطاء ماعناه أحمد شوقى حين قال :

وأمُ أمـيـر النيل فى الركب هالةٌ	من العزّ فى أترابها الخفرات
أقلت علاها فى خباء من القنا	هوادج كالإيوان ذى الشرفات
تحلّ نسـاء المسلمين لـثـاءها	ويبسطن راح الحمد مبتهلات
أخذن بتقواها وسرن بهديها	ومنها علمن البرّ والصدقات
مواكب لم تعهد لغير زبيدة	ببغداد فى الأعياد والجمعات
أعادت حديث الخيزران وعزّها	وما أغدقتْ من أنعم وهبات

إن من الوفاء أن تسجل للفاضلات فضلهن ، إذ قمن به فى أشرف مكان ، فصدرن عن إيمان واثق ، وكرم نبيل ، وما أشرت إليه فى هذا المقال قليل من كثير ، وعلى اللواتى يظهرن الآن فى حفلات التبرج داعيات للخير مظهرياً لاعملياً ، أن يعرفن أن التاريخ لسان صادق ولايسجل غير النافع المثمر ، فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ماينفع الناس فيمكث فى الأرض .

د . / محمد رجب البيومى

---

(١) الأعلام جـ (٢) ص ٣٢٤ .

تفسير سورة البقرة

قال تعالى:

وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

الآيات: ٢٥٠ : ٢٥٢

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

وقوله: ﴿ بَرَزُوا ﴾ أى صاروا إلى براز الأرض وهو ما انكشف منها بحيث يصير كل فريق من المتقاتلين يرى صاحبه، ومنه سميت المبارزة فى الحرب لظهور كل قرن إلى قرنه. أى: وحين برز طالوت ومن معه لقتال جالوت وجنوده، وأصبح الفريقان فى مكان متسع من الأرض بحيث يرى كل فريق خصمه اتجه المؤمنون إلى الله - تعالى- بالدعاء قائلين بإخلاص وخشوع:

﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾ أى: أفض علينا صبرا يعمنا، ويملأ قلوبنا ثقة بنصرك، ويحبس نفوسنا على طاعتك.

قال الإمام الرازى ما ملخصه، الإفراغ: الصب، يقال أفرغت الإناء إذا صببت ما فيه. وقولهم هذا يدل على المبالغة فى طلب الصبر من وجهين:

أحدهما: أنه إذا صب الشيء فى الشيء فقد أثبت فيه بحيث لا يزول عنه وهذا يدل على التأكيد.

والثانى: أن إفراغ الإناء هو إخلاؤه وذلك يكون بصب كل ما فيه، فمعنى:

﴿ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾ أى أصبب علينا أتم صب وأبلغه- حتى تتحقق فينا صفة الصبر كأحسن ما يكون التحقق(١).

أما الدعوة الثانية فقد قالوا فيها- كما حكى القرآن عنهم- ﴿ وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا ﴾ أى هب لنا من كمال القوة والرسوخ عند القتال ما يجعلنا تثبت أمام أعدائنا، ونتمكن من رقابهم دون أن يتمكنوا منا. فهذا الدعاء كناية عن أن يمنحهم- سبحانه- الثبات عند الزحف، وعدم الفرار عند القتال.

وفى قوله:

﴿ وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا ﴾ تعبير بالجزء عن الكل، لأن الأقدام هى التى يكون بها الفرار، فتثبيتها إبعاد عن الفرار، ومتى حصل الثبات كان النصر متوقعا، والصبر متحققا.

ثم ختموا دعاءهم بأن قالوا:

﴿ وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ أى اجعل الغلبة لنا عليهم، لأننا مؤمنون بأنك المعبود المستحق للعبادة وهم يكفرون بذلك.

والمتأمل فى هذه الدعوات الثلاث يراها قد جمعت أسمى ألوان الأدب وحسن الترتيب، فهم قد صدروا دعاءهم بالتوسل بوصف الربوبية فقالوا ﴿ رَبَّنَا ﴾ أى ياخالقنا ويامنشئنا ويامربينا ويامميتنا، وفى ذلك إشعار أنهم يلجأون إلى من بيده وحده النفع والضر، والنصر والهزيمة. ثم افتتحوا دعاءهم بطلب الصبر عند المخاوف لأنه هو عدة القتال الأولى، وركنه الأعلى، إذ به يكون ضبط النفس فلا تفزع، وبه يسكن القلب فلا يجزع. ثم التمسوا منه- سبحانه- أن يثبت أقدامهم عند اللقاء، لأن هذا الثبات هو مظهر الصبر، ووسيلة النصر، وعنوان القوة.

---

(١) تفسير الفخر الرازى جـ٦، صفحة ١٩٩.

ثم ختموا دعاءهم بما هو ثمرة ونتيجة للصبر والثبات وهو النصر على الأعداء.

فماذا كانت نتيجة هذا الدعاء الخاشع الخالص؟ كانت نتيجته النصر المؤزر الذى حكاه القرآن فى قوله: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾.

وأصل الهزم فى اللغة الكسر. ومنه سقاء منهزم أى انثنى بعضه على بعض مع الجفاف. ويقال للسحاب هزيم، لأنه يتشقق بالمطر. والفاء هنا فصيحة أو سببية أى أنهم بسبب دعائهم المخلص، وإيمانهم القوى، واستجابتهم لما أمرهم الله به، استطاعوا أن يكسروا أعداءهم ويهزموهم، وقوله:

﴿ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ أى بتوفيقه وتيسيره وتأييده. والباء إما للاستعانة والسببية وإما للمصاحبة.

ثم قال- تعالى-:

﴿ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ ﴾ أى: وقتل داود بن إيشا- وكان فى جيش طالوت- جالوت الذى كان يقود جيش الكفر، وبقتله مزق أتباعه شر ممزق، ورزق الله طالوت ومن معه النصر والغلبة.

ثم بين- سبحانه- ما منحه لداود من نعم فقال:

﴿ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ﴾

والحكمة المراد بها هنا النبوة، ولم يجتمع الملك والنبوة لأحد قبله فى بنى إسرائيل، وورثه فيهما ابنه سليمان- عليه السلام-.

أى: وأعطى الله- تعالى- عبده داود ملك بنى إسرائيل وأعطاه النبوة التى هى أشرف من الملك زيادة فى ترقيته فى درجات الشرف والكمال، وعلمه- سبحانه- مما يشاء من فنون العلم، ومن أمور الدين والدنيا كمعرفته لغة الطيور، وكلام الدواب، وصناعة آلات الحرب وغير ذلك من ألوان العلوم المختلفة التى لا تحدها إلا مشيئة الله وإرادته.

وفى قوله- تعالى-:

﴿ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ﴾ بعد الإخبار بأنه- سبحانه- آتى داود الحكمة، إشعار بأن الإنسان لا يستغنى عن التعلم سواء أكان نبيا أم لم يكن، لأن داود- عليه السلام- مع حصوله على النبوة لم يستغن عن تعليم الله إياه، وقد أمر الله- تعالى- نبيه محمدا ﷺ أن يلتمس المزيد من العلم فقال:

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾.

ثم بين- سبحانه- بعض مظاهر فضله على عباده فقال:

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾

أى: ولولا أن الله- تعالى- يدفع أهل الباطل بأهل الحق، لفسدت الأرض، وعمها الخراب، لأن أهل الفساد إذا تركوا من غير أن يقاوموا استطارت شرورهم، وتغلبوا على أهل الصلاح والاستقامة، وتعطلت مصالح الناس، وانتشر الفساد فى الأرض.

فلولا فى الجملة الكريمة حرف امتناع لوجود. أى: امتنع فساد الأرض لأجل وجود دفع الناس بعضهم ببعض.

فالجملة الكريمة تأمر الأخيار في كل زمان ومكان أن يقفوا في وجوه الأشرار، وأن يقاوموهم بكل وسيلة من شأنها أن تحول بينهم وبين الفساد والطغيان.

ثم ختم - سبحانه - الآية بقوله:

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾

أي: ولكن الله - تعالى - صاحب فضل عظيم، وإنعام كبير على الناس أجمعين، لأنه وضع لهم هذا التنظيم الحكيم الذي أوجب فيه على المصلحين أن يدافعوا المفسدين، وأن يقاوموهم بالطريقة التي تمنع فسادهم حتى ولو أدى ذلك إلى رفع السلاح في وجوههم، لأن السكوت عن فساد المفسدين سيؤدي إلى العقاب الذي يعمهم ويصيب معهم المصلحين.

ثم ختم - سبحانه - قصة هؤلاء القوم من بني إسرائيل بقوله:

﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾

أي: تلك الآيات التي حدثناك فيها عن قصة أولئك القوم وما جرى لهم هي آيات الله التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، نتلوها عليك يا محمد عن طريق جبريل الأمين تلاوة ملتبسة بالحق الثابت الذي لا يحوم حوله الباطل.

وإنك يا محمد ﴿ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ الذين أرسلهم الله - تعالى -:

﴿ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾

فالإشارة في قوله:

﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ ﴾ إلى الآيات المتلوة من قوله - تعالى -:

﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ إلى آخر القصة.

وقيل إليها وإلى القصة التي قبلها وهي قصة القوم:

﴿ ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ ﴾

وكانت الإشارة للبعيد، لما في ذلك من معنى الاستقصاء للآيات، ولعلو شأنها، وكمال معانيها، والوفاء في مقاصدها.

وأضيفت الآيات إلى الله لأنها جزء من هذا القرآن الذي أنزله - سبحانه - على نبيه محمد ﷺ ليكون هداية للناس، وليحملهم على تدبرها والاعتبار بها لأنها من عند الله الذي شرع لهم ما يسعدهم.

وجعل - سبحانه - تلاوة جبريل للقرآن تلاوة له فقال:

﴿ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۚ ﴾ للإشعار بشرف جبريل، وأنه ما خرج في تلاوته عما أمره الله به، فهو رسوله الأمين إلى رسله المكرمين.

وجملة:

﴿ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ ﴾ في محل نصب حال من الآيات والعامل فيها معنى الإشارة.

وقوله: ﴿ بِٱلۡحَقِّۚ ﴾ في موضع نصب حال من

مفعول تتلوها أى ملتبسة باليقين الذى لا يرتاب فيه عاقل. أو من فاعله أى: تتلوها عليك ملتبسين بالحق والصواب.

وأكد- سبحانه- قوله:

﴿ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ بحرف «إن» وباللام فى «لمن» وبالجملة الإسمية، للرد على من شكك فى صدق رسالته ﷺ ولتسليته عما يقوله الجاحدون فى شأنه.

وبعد: فهذه قصة الملأ من بنى إسرائيل من بعد موسى، وإن فيها لعبرا متعددة، وعظات متنوعة لقوم يعقلون. من العبر التى تؤخذ منها:

١- أن الشعور بالظلم والهوان، والابتلاء بالمحن والهزائم، والوقوع تحت أيدى المعتدى، كل ذلك من شأنه أن يصهر النفوس الحرة الكريمة، وأن يدفعها بقوة إلى الذود عن كرامتها المسلوبة، وعزتها المغصوبة، حتى تنال حقها ممن سلبه منها أو تموت دونه، لأن النفوس الأبية تشعر دائما بأن الموت مع العزة خير من الحياة مع الذلة. يدل على ذلك قوله- تعالى-:

﴿ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ﴾

٢- أن الناس فى كل زمان ومكان، يلجأون- خصوصا عندما تنزل بهم الشدائد إلى من يتوسمون فيهم الخير والصلاح، لكى يرشدوهم إلى ما يأخذ بيدهم إلى طريق السعادة، ولكى يهدوهم إلى أفضل السبل التى تنقذهم مما هم فيه من بلاء، ولكى يختاروا لهم من يقودهم إلى النصر والفلاح. ألا ترى إلى الملأ من بنى إسرائيل كيف لجأوا إلى نبى لهم ليقولوا له بعد أن أصابهم من الذل ما أصابهم:

﴿ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾؟

إنهم لم يلجأوا إلى زعيم من زعمائهم، أو إلى أمير من أمرائهم، وإنما لجأوا إلى نبيهم يبثون إليه شكواهم، ويطلبون منه أن يختار لهم من يقودهم للقتال فى سبيل الله، لأنهم يرون فيه الأمل المرتجى، والعقل السليم، والخلق القويم، والأسوة الحسنة.

٣- أن القائد يجب أن تتوفر فيه صفتان: قوة العقل، وقوة الجسم لأنه متى توفرت فيه هاتان الصفتان استطاع أن يقود أتباعه بنجاح، وأنه قبل أن يلتقى بأعدائه يجب عليه أن يختبر جنده ليعرف مبلغ إيمانهم وقوتهم وطاعتهم وثباتهم وإلا يكلفهم بما لا يستطيعونه حتى يحارب أعداءه وهو على بينة من أمره. انظر إلى طالوت كيف اختبر جنده قبل أن يخوض المعركة بأن قال لهم:

﴿ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ﴾

وهكذا القواد العقلاء يقدمون على حرب أعدائهم وهم على بصيرة من أمرهم.

٤- أن الفئة القليلة المؤمنة كثيرا ما تنتصر على الفئة الكثيرة الكافرة، لأن المؤمنين الصادقين يحملهم إيمانهم على اليقين بلقاء

الله، وعلى التضحية من أجل إعلاء كلمته، وعلى الإقدام الذى يرعب الكافرين، ويخيف الفاسقين، وصدق الله إذ يقول:

﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾

٥- أن هزائم الأمم يمكن إزالتها متى توفر لتلك الأمم القادة العقلاء الأقوياء، والجند الأشداء على أعدائهم، الرحماء فيما بينهم، وأن من شأن المؤمنين حقا أنهم مع مباشرتهم للأسباب، وإحكامهم لكل ما يحتاج إليه القتال، وإحسانهم لكل وسيلة تعينهم على النصر، مع كل ذلك لا يغترون ولا يتطاولون بل يعتمدون على الله- تعالى- اعتمادا تاما، ويتجهون إليه بالضراعة والدعاء ويلتمسون منه النصر على أعدائه وأعدائهم انظر إلى الصفوة المؤمنة من جند طالوت ماذا قالت عندما برزت لجالوت وجنوده، لقد قالت كما حكى القرآن عنها:

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ﴾

٦- أن من سنن الله في خلقه أنه- سبحانه- جعل الحياة صراعا دائما بين الحق والباطل، ونزاعا موصولا بين الأخيار والأشرار، ولولا أن الله- تعالى- يدفع بعض الناس الفاسقين ببعض الناس الصالحين لفسدت الأرض، لأن الفاسقين لو تركوا من غير أن يدافعوا ويقاوموا لنشروا فسوقهم وفجورهم وطغيانهم في الأرض، ولكنه- سبحانه- أعطى لعباده الصالحين من القوة والثبات ما جعلهم يقاومون الظالمين ويعملون على نشر الخير والصلاح بين الناس.

٧- أن القصة الكريمة تصور لنا ما جبل عليه بنو إسرائيل من نقض للعهد وكذب في القول:

﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا﴾

ومن تطاول على أنبيائهم، وعصيان لأوامرهم، واعتراض على توجيهاتهم، وتفضيل للجاه والمال على العقل والعلم:

﴿قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ﴾

ومن خور عند الابتلاء والاختبار، وحماس في ساعة السلم ونكوص في ساعة الجد، تأمل قوله تعالى:

﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾

***

من الإعجاز البياني في القرآن الكريم

أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ

لفضيلة الشيخ / صديق بكر عيطة

قال الله تعالى في سورة «النحل»

أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ
(١) يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ
أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ (٢) خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣) خَلَقَ
ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٤) وَٱلْأَنْعَـٰمَ
خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَـٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ
(٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦)
وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَـٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ
ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٧) وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ
وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨)
وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ
أَجْمَعِينَ (٩) هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ
شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠) يُنۢبِتُ لَكُم
بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَـٰبَ وَمِن كُلِّ
ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١١)
وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ
مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
(١٢) وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ
فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٣) وَهُوَ ٱلَّذِى
سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟
مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ
وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٤)
وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَـٰرًا وَسُبُلًا
لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥) وَعَلَـٰمَـٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ
(١٦) أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٧) وَإِن
تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٨)

[الآيات من ١ : ١٨]

هذه الآيات البينات وردت في مفتتح سورة «النحل» وتسمى أيضا سورة النعم وهي مكية وقد جاءت السورة كلها لتعالج العقيدة بقضاياها الأصلية والفرعية ـ شأن أخواتها المكيات ـ وما يترتب عليها من الإيمان بالموت والحساب، وما يجب في العقيدة الصحيحة من تنزيه الله ـ تبارك وتعالى ـ عما لا يليق به من الشريك والولد..

وقد جاء في سبب نزول هذه الآيات التي معنا، أنه ﷺ، لما أكثر من تهديد الكفار بعذاب الدنيا وعذاب الآخرة، ولم يروا شيئا نسبوه إلى الكذب فأجاب الله ـ تعالى ـ عن هذه الشبهة بقوله تعالى:

﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ ولذا قال رسول الله ﷺ ـ: «بعثت أنا والساعة كهاتين» وأشار بإصبعيه: السبابة والتي تليها، يقول: «إن كادت لتسبقني فسبقتها. وقال ابن عباس: كان بعث النبي ﷺ من أشرط الساعة، وأن جبريل لما مر بأهل السموات مبعوثا إلى محمد ﷺ قالوا: الله أكبر، قد قامت الساعة[1].

وهذه الآيات، ترسم صورة كبيرة لأنعم الله على عباده، بحيث يتأملها الإنسان بكل أطرافها وأبعادها، ليرى فضل الله ـ تعالى ـ وقد أحاط به من كل جوانب حياته بدءاً من إيجاده من عدم.. وحتى آخر لحظات حياته.

هذه الأنعم التي لو تأملها لأدرك من فوره قدرة الله ـ تبارك وتعالى ـ على قيام الساعة، وإنهاء الحياة والأحياء في طرفة عين، وإعادتها للجزاء والحساب مرة أخرى في طرفة عين أيضا، ولتأكدت لديه حقيقة أن الله ـ تعالى ـ هو وحده الجدير بالعبادة، لأنه هو الذي خلق هذه النعم كلهـا.. لا تلك الأصنام التي لا تستطيع أن تخلق شيئا، ولذا ختم هذا الشوط من السورة بقوله تعالى:

﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾

والقرآن الكريم ـ كعادته في معالجة مثل هذه القضايا العقيدية الهامة ـ يلجأ إلى طريقة التصوير، لتكون أبلغ في إقامة الحجة، وأنفى للمعذرة، وأبعد أثرا في النفس، والصورة في هذه المرة لا تقوم على تجسيد المعنوي في صورة محسوسة، أو تصوير أحد مشاهد القيامة، التي لا تزال حتى الآن طي المستقبل، أو حتى بدء قيام الساعة وفساد نظام الكون إيذانا بالانقلاب الهائل، الذي لا يزال علم وقته رهنا بمشيئة الله ـ تبارك وتعالى ـ وإنما قوامها هذه الحياة الحاضرة المعيشة، والمفعمة بأنعم الله التي تحيط بالإنسان من كل جانب ويراها بعينيه ويتقلب بينها ليلا ونهارا، ولا يعيرها انتباها ولذا لم يكن في حاجة إلا إلى أن تذكره بهذه الآيات، وتلفت نظره إليها علّه يزدجر ويرعوي.

فبعد أن تؤكد الآيات على أن قيام الساعة أمر مفروغ منه؛ حيث صدر الأمر الإلهي بذلك، ولم يعد هناك مجال للعجلة في وقوع أحداثها، هذه العجلة التي تنشأ من استهزائهم بخبرها الذي سمعوه من رسول الله ﷺ لأن وقوع أحداثها أمر متروك لمشيئة الحق تعالى:

---

(١) اقرأ تفسير مفاتيح الغيب للرازي، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي.

﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾

بعد ذلك تبدأ الآيات في رسم أنعم الله- تعالى- في نسق عجيب، وترتيب دقيق يعمق الإيمان بقدرته تعالى، التي لا تحدها حدود ويدعو إلى إدامة النظر في هذا الكون الفسيح، الذي تتجلى أبعاده يوما بعد يوم.

في مقدمة هذه الصورة الفنية، تطالعنا سيدة هذه النعم الإلهية على العباد، وهي الملائكة تنزل بالروح من السماء إلى الأرض على من اختارهم الله ليكونوا رسله إلى الناس:

﴿ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ وهي وصية عامة شاملة لكل ألوان الخير. فتوحيد الله تعالى رأس كل نعمة، وأساس كل فضيلة وهو الغاية العظمى وراء خلق هذا الكون بكل ما فيه ومن فيه:

﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾(٢).

هذا هو الإطار العام الذي يلف الصورة من أولها إلى آخرها وهو الذي يشكل مع التعقيب عليها الذي يقول الله فيه:

﴿ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾

المدخل إليها والمخرج منها؛ وبينهما استعراض منسق لأجزاء هذه اللوحة الفنية، التي تبرز بوضوح فضل الله على عباده، ذلك الفضل الذي إن ذهب الإنسان ليعد آثاره عليه فلن يستطيع له عدا:

﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ﴾ .

فالخالق واحد، والمنعم واحد، والذي ربط بين هذه النعم برباط الأسباب التي تؤدي إلى مسبباتها واحد.. كما أن تأمل الصورة على هذا النحو، إنما يقوي روابط الإيمان بالله- تعالى- في النفس، ويدعوها إلى أن ترى وحدانية الله في كل شيء مما تتأمله:

وفي كل شيء له آية

تدل على أنه الواحد

وداخل هذا الإطار العام، تبدأ الآيات في استعراض أنعم الله- تعالى- في شيء من التفصيل، فها نحن أولاء، نرى السموات والأرض وقد خلقهما الله على هذا النحو الذي تتمكن به الأرض من استقبال الإنسان ليكون خليفته فيها، وقد خلقها بالحق الذي لا عبث معه ولا مجال فيه للعشوائية أو المصادفة؛ إنما كل شيء فيها بقدر ومحسوب بميزان دقيق، لا اختلال فيه ولا اعتلال، إنما هي الحكمة والتدبير اللذان يرجعان كل شيء إلى علمه الأزلي، الذي أحاط بكل ما سيدور فيهما منذ نشأتهما وإلى أن يرثهما الله بما فيهما ومن فيهما:

﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾

ثم يخلق الله الإنسان من نطفة، لا تعي شيئا ولا تملك من أمر نفسها قليلا ولا كثيرا، ويمنحه القدرة على أن يعبر عن إرادته التي وهبه إياها، ويستقل بقدرته المحدودة على الفعل والترك:

---

(٢) الذاريات آية رقم ٥٦.

﴿ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ فى خصومته، معاند شديد فى معاندته لجوج جحود ظاهر فى لجاجته وجحوده. «وياللها من نقلة ضخمة بين المبدأ والمصير، بين النطفة الساذجة والإنسان المخاصم المجادل، الذى يخاصم خالقه، فيكفر به ويجادل فى وجوده أو فى وحدانيته، وليس بين مبدئه من نطفة وصيرورته إلى الجدل والخصومة فارق ولامهلة فهكذا بصوره التعبير، ويختصر المسافة بين المبدأ والمصير، لتبدو المفارقة كاملة والنقلة بعيدة، ويقف الإنسان بين مشهدين وعهدين متواجهين: مشهد الإنسان النطفة المهينة الساذجة، مشهد الإنسان الخصيم المبين.. وهو إيجاز مقصود فى التصوير»[٣] ومما توحى به لفظة خصيم، التى وصف بها الإنسان فى هذا المشهد أنه «منازع للخصوم بعد أن كان نطفة قذرة، وجمادا لاحس له ولاحركة»[٤] فبدلا من أن يكون متعاونا مع أخيه رحيما فى معاملته، شاكرا لنعمة ربه عليه، إذا به لجوج.. متكبر.. خصيم.. معاند!!

ها قد أحس الإنسان بكيانه، واطمأن إلى وجوده من خلال رؤيته للسماء التى تظله، والأرض التى تقله، وعقله الذى يربط بينهما برباط واحد هو رباط التكامل والتساند، الذى يؤدى إلى الاستقرار، مما هو من شأنه أن يقرر أن كل شىء فى السموات والأرض، لابد من أن يكون بقدر معلوم وحكمة إلهية بالغة..!! ولذا كان أول شىء يلفت نظره بعد ذلك هذا الحيوان الذى يشاركه وجوده ويساكنه أرضه، ويتحرك معه هنا وهناك: ما علاقته به؟ ولماذا هو بهذه الكيفية التى تشترك معه فى بعض الخصائص وتختلف فى بعضها الآخر؟ هل هو منافس له فى عمارة الكون أو مشارك؟ هل هو صديق له أو خادم؟ وفى إطار هذه التساؤلات، تثور فى الإنسان غريزة البحث والدرس، ليرى فيها سببا من أسباب حياته المستقرة على سطح هذه الأرض، فهذا الحيوان، نعمة كبرى تنطوى فيها كثير من مفردات النعم التى لا غناء له عنها فى مواجهة الحياة:

﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨ ﴾

ياللها من نعم كبرى، لايؤدى حقها من الشكر، ومن يظل طول حياته ساجدا لله رب العالمين وإن طال به المدى!! فهو لم يخلقنا ويتركنا هكذا.. دون أسلحة تتدرع بها فى مواجهة معركة الحياة، وإنما زودنا بكل آلات الاستقرار فى حياتنا! فهذه المخلوقات تحتوى على كثير من مصادر الدفء والنفع العام، كما أن فيها مصادر غذاء الإنسان، الذى لايقوى على الحياة بدونه، ولم ينس أن يزوده بعنصر المتعة والإحساس بالجمال فى حله وترحاله؛ حتى لايلفنا الشقاء والإحساس بمرارة الحياة.

«وهذه اللفتة لها قيمتها فى بيان نظرة القرآن ونظرة الإسلام للحياة ـ هكذا يقول الشهيد سيد قطب ـ فالجمال عنصر أصيل فى هذه النظرة،

---

(٣) سيد قطب «فى ظلال القرآن» جـ٤ ص٢١٦٠ ط الشروق.

(٤) مفاتيح الغيب للفخر الرازى جـ٥ ص٤٧٦ ط دار الغد العربى.

وليست النعمة هي مجرد تلبية الضرورات: من طعام وشراب وركوب، بل تلبية الأشواق الزائدة على الضرورات، تلبية حاسة الجمال ووجدان الفرح والشعور الإنساني المرتفع على ميل الحيوان وحاجة الحيوان»[٥] وما أجمل أن يكون ذيل الآية هكذا:

﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ فهذه النعم كلها إنما خلقت لراحة البشر وفي خدمتهم، وهو ما يعد من مظاهر التكريم الذي قال الله تعالى فيه:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾

فمن تكريم الله لنا أن خلق لنا ما به تستقر حياتنا في السفر والحضر..

﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ وهو ما يترك عقل المسلم مفتوحا لاحتمالات ما يستحدث بعد ذلك وإلى أن تقوم الساعة من مخترعات العلم في وسائل الانتقال؛ حيث إن الإسلام دين يسر وسهولة واستقرار، وهو يقدر كل ما تتفتق عنه أذهان البشر من وسائل تريحهم في حياتهم وتعينهم في الارتقاء بمعيشتهم.

وهنا تلفت الآيات نظر المسلم إلى أن هذه النعم التي أوجدها الله لتكون من أسباب راحته واستقراره لا ينبغي أن تنسيه طلب الهداية من ربه- تبارك وتعالى- في استخدامها حلا وترحالا، وذلك حينما تتشعب به الطرق وتتعدد أمامه المسالك؛ فمنه الفضل وإليه يرجع الأمر كله، والمعصوم من عصمه الله- تعالى-:

﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[٦].

وبعد هذه الوقفة اليسيرة، التي يقفها الإنسان، ليتابع أنعم الله عليه في خلق هذه الحيوانات المختلفة الأشكال والأحجام والمهام.. وبعد أن يضع أمامه أسباب الهداية في طريق حياته، يواصل رحلته الإيمانية في تتبع أجزاء الصورة وتعداد أنعم الله عليه وهو في هذه اللقطة أمامه مشهد الماء ينزل من السماء صافيا عذبا لتتجدد به أسباب الحياة على الأرض، ويستوي في ذلك حياته هو أو حياة ما به تستقر حياته: كالأنعام والخيل والبغال والحمير، فليس هناك ولو للحظة من عمر الزمان غناء عن هذا الماء. إذ بدونه يهلك الزرع والضرع، ويهلك هو تبعا لذلك:

﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝١٠ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾

ثم تعقب الآية على ما عرضته من أنعم الله بهذه الإضاءة السريعة للإفادة مما يراه، وليقوى إيمانه برب هذا الكون مدبره وذلك عن طريق إعمال عقله وفكره، الذي ميزه الله به عن سائر المخلوقات:

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾!!

يتفكرون فيما يرون: من أين جاء وكيف يكون الانتفاع به.. وكيف يرتقي الإنسان به في استخداماته ولا ينتكس، وكيف يعلو به.. في حاضره ومستقبله ولا يدمر به نفسه أو يقضي على آماله:

---

(٥) في ظلال القرآن.

(٦) النحل (٩).

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.

هذا الإنسان الذي امتن الله عليه بهذه النعم التي لا حد لها .. تتقلب حياته بين الحركة والسكون .. واليقظة والنوم .. والعمل والراحة .. مما يفضي به إلى ضرورة أن تكون هناك دواعي التغيير في نمط الحياة: من ليل ونهار .. وضياء وظلام .. وما يتبع ذلك مما به تكون حرية الحركة في كل من الحالين إذا دعته ضرورة حياته إلى شيء من ذلك ومن هنا كانت نعمة التسخير لهذه المتقابلات:

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ﴾

فكل هذه الظواهر الكونية إنما هي أمام أمر الله- تعالى- ذوات تعقل، تأتمر بأمره، وتنتهي بنهيه، وليست مجرد أجرام جامدة، لا تعي شيئا ولا تسمع شيئا ولا تطيع أمرا إنما هي:

﴿ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ﴾ وكعادة العرض القرآني لهذه النعم وبعد كل فوج منها، يعقب بما يلفت النظر إليها ليضعها في مكانها الذي يجب أن تتبوأه من العبرة والموعظة:

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾

يعقلون حكمة الله في كل ذلك، فكل أولئك طرف من حكمة التدبير، وتناسق النواميس في الكون كله، يدركه أصحاب العقول التي تتدبر وتعقل وتدرك ما وراء الظواهر من سنن وقوانين(٧):

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾

أما هذه الأرض، التي يعيش عليها، ويسرح ويمرح على وجهها، فإنها ليست جرما مغلقا، لا فائدة فيه، ولا خير يرجى من باطنه، وإنما هي مفعمة بالخيرات التي لا يعلم إلا الله حقيقتها، فما هو إلا أن يعمل الإنسان فكره وأدواته التي يستحدثها في كل عصر، ليرى فيها من أنعم الله وفضله ما لا يقع تحت حصر، لذا كانت هذه الإشارة السريعة، التي يرى المؤمن المستبصر تحتها ما يغريه بالبحث والدرس والكشف في كل عصر وفي كل ركن من أركانها:

﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾

لم تتحدث الآية هنا عن كل ما فيها أو بعض ما فيها تفصيلا، وإنما أشارت إلى ما فيها من بعيد من مكنون كنوزها، ليقرأها المسلم في كل عصر وإلى أن تقوم الساعة هكذا:

﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ﴾ وكأن الأرض في كل عصر، ومازال بكرا، ولم تفترشها يد إنسان ولم تفض بكارتها آلة من آلاته، ثم تلفت نظره إلى أن يظل ذاكرا ـ ولا ينسى يوما ما أن يد الله رب العالمين هي التي أودعتها هذه الكنوز، التي تصلح له في كل عصر وفي كل مكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها:

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾.

وإلى اللقاء في مقال تال لنتعرف على بقية النعم التي أنعم الله بها على الإنسان وأشارت إليها الآيات

«يتبع»

(٧) سيد قطب في ظلال القرآن جـ٤ ص٢١٦٣.

السنة

الحدود الشرعية

للأستاذ الكبير عبد الرحمن الجزيرى
عضو جماعة كبار العلماء بالأزهر (*)

٢

إعداد الشيخ / على حامد عبد الرحيم

عن عائشة رضى الله عنها: «أن قريشا أهمهم شأن المخزومية التى سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ ثم قالوا من يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ؟ فكلمه أسامة. فقال رسول الله ﷺ: «يا أسامة أتشفع فى حد من حدود الله؟، ثم قام فاختطب فقال: «إنما هلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها». رواه البخارى ومسلم وغيرهما.

(*) تحدث الفقيه الكبير الأستاذ / عبد الرحمن الجزيرى عن الحدود الشرعية حديثا جامعا مستوعبا، وقد رأينا تخفيفا على القارئ أن ننشره فى أربع حلقات لنفعه الجزيل «المحرر».

من مختارات مجلة الأزهر
المجلد التاسع سنة ١٣٥٧هـ

أما حق الزوج فإن الشارع لم يهمله في هذه الحالة، بل جعل له حدا معقولا يدفع عنه أذى الغضب والغيظ من جهة، ويشكك الناس في أمر الزوجة فلا تتأذى أسرتها بشرها من جهة أخرى.

بيان ذلك: أن الأجنبي إذا رمى امرأة عفيفة أو رجلا عفيفا بالزنا ولم يأت بأربعة شهداء كان جزاؤه أن يحد حد القذف «ثمانين جلدة». أما الزوج فإنه إذا ادعى أن امرأته قد زنت فإن الشارع لم يكلفه الإثبات كالأجنبي، إذ لا مصلحة للزوج العاقل في قذف زوجته واتهامها بالزنا جزافا. فإن عار ذلك وإن لم يلحقه هو دائما لإمكانه أن يتخلص منها، ولكنه يلحق أبناءه وبناته، فإن لم يكن له منها أبناء وبنات فإنه يضن بكرامته عن الامتهان بين الناس مؤقتا، ولهذا لم يسو الله - عز وجل - بين الزوج وبين الأجنبي إذا اتهم زوجه، فشرع لهما في هذه الحالة اللعان، وهو أن يقول الزوج أمام القاضي: أشهد بالله أنني صادق فيما رميتها به من الزنا، ويكرر ذلك أربع مرات، ثم يقول بعد ذلك: لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين. وتقول الزوجة: أشهد بالله إنه لكاذب فيما يرميها به من الزنا، وتكرر ذلك أربع مرات، ثم تقول: إن غضب الله عليها إن كان من الصادقين. وبذلك تبين منه مؤبدا. وهذا المعنى يسجل غضب الله ولعنته على الكاذب حقا.

ثم إذا ثبت أن الأجنبي كان معها في خلوة فإن الشارع جعل لها عقوبة على الخلوة بالأجنبي، فأوجب على الحاكم تعزيرهما بالسجن والضرب.

وبهذا تعلم أن حد الزنا في الشريعة الإسلامية قد اشتمل على ثلاثة أمور:

«أحدها» شدة الحيطة في إثباته، لأنه ليس جريمة شخصية بل يتعير بها الأبرياء.

«ثانيها» أنه عقوبة تناسب العدوان على العرض، وهو وإن كان شديدا في بعض النواحي، ولكن هذه الشدة تنبىء بعظم الجريمة عند الله فقط، ومن أفلت منها في الدنيا لصعوبة الإثبات فله في الآخرة سوء الجزاء.

«ثالثها» إذا تعذر الإثبات على الزوج فله في تأديبها طريقان: التعزير على خلوتها بالأجنبي بالسجن ونحوه، وهي المستعملة في القوانين الوضعية الآن، ومسألة اللعان التي ذكرناها.

وفي ذلك من الزجر عن هذه الفاحشة والاحتياط في درئها وتذكير المؤمنين بخطورة أمرها عند الله وتخويفهم من عقابه الدنيوي والأخروي مالا مزيد عليه في الحسن والإبداع. لأن الشريعة الإسلامية حريصة على محو الرذائل الخلقية، والضرب على أيدي العابثين بالأخلاق التي عليها قوام حياة الأمم وسعادتها. حريصة على كرامة الناس وأنسابهم. فلم يبق أمام الأمة إلا أن تستمسك بالصيانة والحياء، ولا تجاهر بالفواحش، وإلا أوشك الله أن يسلط عليها من لا يرحمها.

أما اللواط فإنه من الجرائم الخلقية التي لا تليق بالنوع الإنساني وفطرته التي فطره الله عليها. فاللواط فيه عدوان ظاهر على الإنسانية، وخروج عن سنن الله الطبيعية، ولذا سماه الله فاحشة كالزنا. قال تعالى:

﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾

فمن ارتكب هذا الفعل الشائن فقد اختلفت فيه آراء الأئمة: فمنهم من قال: إنه يعاقب عقوبة الزاني وهي الإعدام إن كان محصنا، أما الموطوء فعقوبته الجلد كالبكر، لأنه لا يتصور فيه إحصان. ومنهم من يقول إن عقاب اللائط من باب التعزير لا من باب الحد، فعلى القاضي أن يحبسه، أو يجلده بما يراه رادعا له عن الجريمة، فإذا تكررت منه ولم يزدجر عزر بالإعدام.

أما حد السرقة فقد بينه الله ـ تعالى ـ بقوله:

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾(٢)

أي اقطعوا اليد اليمنى من كل واحد سرق سواء كان رجلا أو امرأة.

واعلم أن الشريعة الإسلامية قد وضعت قوانين المعاملات وفصلتها أحسن تفصيل، فوضعت نظما للبيع والشراء، والرهن والإجارة، والشركة والشفعة. ووضعت قوانين للاقتصاد والتجارة والزراعة والصناعة. ولم تترك شيئا إلا وضعت له نظاما مبنيا على مصلحة النوع الإنساني، وترقية حاله، ورفع الخصومات من بين الناس، وتوطيد علائق الثقة فيما بينهم، ونزع العداوة والبغضاء من قلوبهم، وحفظ حقوق الضعفاء ورفع الحيف عنهم. وقد أخذ المجتهدون من النصوص التي جاء بها الكتاب الكريم أو السنة الصحيحة ما فيه مصالح الناس التي اقتضتها حادثات الأزمنة المختلفة. فكان للمسلمين أعظم ثروة فقهية يمكنهم أن يجعلوها أصلا لكل قانون صالح ينتفع به المجتمع، وتقوم عليه دعائم العمران، وتسعد به الشعوب والأمم سعادة حقيقية. ومع هذا فإنها لم تضع عقوبات خاصة لمن خالف قوانين المعاملات المالية، بل تركت أمر هذه العقوبات للحاكم ليضع لها ما يناسب كل زمان ومكان. وهذا هو باب التعزير. فقد جعلت الشريعة للحاكم سلطة يضع بها العقوبات التي تليق بمن يخالف أمر الشريعة أو نهيها، بحسب البيئات والأزمنة، وبحسب ما يترتب على مخالفتها من الشر والفساد، ما عدا السرقة فإنها قد وضعت لها الحد الذي سمعته.

ولقائل أن يقول: لماذا عنيت الشريعة الإسلامية بالسرقة دون غيرها من الأنواع المؤذية للمجتمع، فتركت الغاصب والمختلس والخائن، كما تركت الذي ينفق أمواله في

---

(١) الأعراف (٨٠).

(٢) المائدة (٣٨).

الشهوات الضارة، أو في إيذاء المجتمع أو نحو ذلك؟

والجواب: أن الذي جاءت به الشريعة الإسلامية من ذلك هو تقدير العزيز الحكيم، وهو عين الحكمة والصواب.

بيان ذلك: أن السرقة هي أخذ مال الغير خفية من حرز «أي محل محفوظ فيه». ولا ريب أن الذي يقدم على هذا الفعل خطره يطرد في كل زمان ومكان، لأنه لا يبالي في سبيل الوصول إلى غرضه بارتكاب أية جريمة يتوقف عليها الحصول على ما يريد، فهو ينقب الدار، ويكسر القفل، ولا يتأخر عن قتل من يقف في سبيله أو التمثيل به، فهو مهدد للناس في حياتهم وأموالهم وأعراضهم. فإذا لم يضرب على يد السارق من أول الأمر، وإذا لم تشدد عليه العقوبة، كان شره عظيما، وخطره شديدا. وقد عرفتنا الحوادث أن السارقين قد قتلوا أنفسا كثيرة في سبيل وصولهم إلى سرقة المال، واعتدوا على أعراض كثيرة.

أما غير السارق كالخائن والغاصب وغيرهما فإنه يقابل رب المال وجها لوجه، غايته أنه خدعه أو غشه، أو أخذ منه المال بقوته على مرأى من الناس، وكل هؤلاء يمكن اتقاء شرهم والضرب على أيديهم قبل أن يستفحل أمرهم. فلهذا ترك الشارع أمر تأديبهم للحاكم كي يعزرهم بما يراه زاجرا لهم بحسب ما يناسب البيئة ويتفق مع نظام الأمن العام. على أن الحوادث التي من هذا القبيل قد يتفاوت سببها، وقد تكون عظيمة وحقيرة، فيجب أن يترك تقدير عقوبتها للحاكم ليقدر لها ما يناسبها بخلاف السرقة فإنها جناية ترتكب في الخفاء، وآثارها المترتبة عليها لا تختلف غالبا، فهي تهدد الناس في كل زمان ومكان.

ومثل الخيانة والغصب سائر المخالفات المالية، فإنه لا يمكن ضبط عقوبة مطردة لها، لأن آثارها تختلف اختلافا كبيرا. مثلا شخص يبذر ماله في المباحات والزخارف حتى نفد ماله فإن عمله هذا في نظر الشريعة الإسلامية لا يجوز، ولكن ضرره يختلف، فإذا كان في بيئة صالحة مستقيمة بحيث لا يتأثر به أحد كان الضرر مقصورا عليه وحده، أما إذا كان في بيئة سريعة التقليد فإن ضرر عمله يتعداه للغير فيكون قدوة سيئة، ولذا يجب أن يترك تقدير تأديبه للحاكم. ولذا قال بعض الأئمة: إذا بذر ماله في مباح فإن ذلك التبذير لا يوجب الحجر عليه. ولكن الجمهور يقولون: إن التبذير في ذاته يوجب الحجر، والحجر نوع من أنواع التعزير، فإن فيه إعلانا بأن الرجل لا يحسن التصرف، ولا يوثق به في باب الأموال، وذلك توبيخ مستمر لا يرضاه عاقل. أما التبذير في الشهوات المحرمة فإنه يوجب الحجر باتفاق.

وها هنا سؤال معروف، وهو أن قطع اليد فيه إتلاف لعضو من أعضاء الإنسان، وذلك لا يتناسب مع الجريمة إذا كانت يسيرة، فإن أقل ما تقطع فيه اليد عشرة دراهم، فالعقوبة شديدة. وهذا الكلام منشؤه الغفلة عن معنى

الجريمة وعن الآثار الضارة المترتبة عليها، فإنك قد عرفت أن هذه الجريمة من أشد الجرائم خطورة، فإذا فشت السرقة بين الناس فقد هددوا في أموالهم وأعراضهم وأنفسهم كما ذكرنا، وأصبحت حياتهم مريرة لا فائدة منها، فإن السارق كالحيوان المفترس الذى يفتك بكل ما يلاقيه، فجريمته يجب أن تقابل بالقسوة المتناهية كي ينقطع دابرها من بين الناس بتاتا.

فإذا تخيل شخص أن العقوبة شديدة فإنه يجب أن يعلم أن فظاعة الجريمة وآثارها فى المجتمع أشد وأنكى. ثم إن العقوبات لم توضع إلا لزجر فاسدى الأخلاق، وهؤلاء لا ينزجرون بالرفق واللين بدون نزاع. فإذا لم تتمثل أمامهم شدة العقوبة فإنهم لا يزجرون أبدا. ولنا على ذلك أمثلة ملموسة عملية: مثلا: الكوكايين والحشيش قد وضعت لهما الحكومة فى أول الأمر عقوبة خفيفة، فكانت مغرية لضعاف النفوس والأشرار على ارتكاب الفعل لا زاجرة لهم، فلما سنت قوانين صارمة، وأدرك هؤلاء الأشرار خطواتها، كفوا عن تعاطى هذه السموم. وهذه القوانين تقرها الشريعة الإسلامية وتحبذها، لأن للحاكم أن يعزر بما يراه قاطعا للجرائم، سواء كانت مقصورة على الشخص أو تتعداه إلى المجتمع.

وأيضا فقد رأينا فى زمن من الأزمنة اضطراب حبل الأمن فى البلاد المقدسة اضطرابا شديدا، فلما نفذ فيهم حكم الله - تعالى - وقطعت أيدى بعض السارقين، لم تلبث الجريمة أن اختفت وحل محلها الأمن والطمأنينة.

على أن الذى يتأمل فى المثالين المذكورين يدرك أن شدة العقوبة إنما هى فى ظاهر الأمر، أما فى الواقع فهى رحمة بالسارقين فاسدى الأخلاق، فإنها قد زجرتهم فعلا، وأوقفتهم عند حدهم فتركوا هذه الجريمة المؤذية للمجتمع شر إيذاء.

ولعل قائلا يقول: إن النظر الى الجريمة على هذا الوجه يقتضى أن يد السارق تقطع ولو سرق درهما واحدا، فما فائدة تخصيص القطع بعشرة دراهم!

والجواب: أن الشارع أراد أن يجعل سبب القطع ما لا له قيمة فى الجملة، وهو ما يتضرر به صاحبه، فالعشرة دراهم قد تكون قوت أسرة فقيرة يومين، فإذا سرقت منها تضررت، أما ما دون ذلك فإنه لا يوجب القطع لهوانه غالبا، فإذا أفلت من القطع فى هذه الحالة فإنه لا يفلت من التعزير بالسجن أو الضرب حتى لا يعود.

ومثل ذلك ما إذا أراد أن يسرق فنقب الدار أو تسور الجدار ثم منعه من السرقة مانع، فإنه يستحق في هذه الحالة عقوبة التعزير الرادعة له عن العودة. وكذا من أقدم على السرقة ولم تتوفر فيه الشروط التى ذكرها الفقهاء، فإن الشارع يوجب تعزيره كي لا يعود.

ولعل فيما ذكرناه ما يقنع هؤلاء الذى يتخيلون شدة هذه العقوبة، فيدركوا أنها هى عين الرحمة للسارقين وللمجتمع.

هذا وقد ضاق المقام عن تكملة الكلام، فانتظره فى العدد القادم، إن شاء الله،

مواقف إسلامية

فى «اليرموك» المرأة المؤمنة تصنع المستقبل.. ولا تنتظره

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

فى مواجهة الأحداث الكبرى.. وحين يبلغ بك اليأس مداه.. يمكن أن تحدث المعجزة.. ويصبح المستحيل ممكنا.. بشرط واحد هو: أن تعمل.. وأن تكابد.. باذلا أقصى ما تستطيع واضعا روحك على كفك مهرا للمجد المنتظر.

ذلك بأن الذى يريد أن يحصل على أشبال «النمر».. عليه أن يدخل عرينه أولا.. متحملا مسئولية هذا الاقتحام.. وحتى لو فشلت محاولاتك.. فأنت المنتصر فى معركة التحدى، ذلك بأن الجندى إذا حاول الحصول على شىء.. ثم فشل فى اقتناصه.. فإن حاله يكون أفضل منه.. لو أنه لم يفعل شيئا! لأن اليأس يضيع فرصا أخرى لتدارك ما فات.. وذلك أجدى من أن نذرف الدموع غضابا آسفين!!

هذه خواطر تعبر آفاق خيالنا.. ونحن نذكر موقعة «اليرموك» عندما هبت الروم عن بكرة أبيها فى جيش عرمرم سد الأفق كأنه غمامة سوداء.. خرج ليلتهم جيش المسلمين والذى كان يفوق العشرين ألفا بقليل! فماذا حدث؟

التعبئـــة الروحيـــة

من السهولة بمكان أن تضع للمعركة خطة.. ولكن المهم: كـيف.. ومن تضع هذه الخطة موضع التنفيذ؟ قد تكون هناك في خيالك أحلام وردية في نصر مؤزر.. ولكن هذه الأحلام.. سرعان ما تذهب.. حين تدوسها أقدام قوم هم أكثر منك استعدادا وعتادا حين يغلبونك.. تاركين لك الخوف والتمزق تفتاته.. ثم يموت الرجاء بعدما جف الأمل في نصر قريب.

وهذا ما أدركه الصديق ـ رضي الله عنه ـ عندما أحكم الخطة.. ثم شحن رجاله بطاقة إيمانية.. تشد العزائم و لاتسترخي.. عندما يهجم الخطب قوي الإيقاع.. لقد وزع الأدوار بدقة وإخلاص:

«سفيان بن حرب»: يعظ الجند ويحثهم على القتال.

والمقداد بن الأسود يدور على الجند ويقرأ عليهم آيات الجهاد

موقـف القائـد المسلم

وكان أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ يشحن الجند بالطاقة الإيمانية.. لم يهون من أمر اللقاء.. لم يمدهم بالزهو أو بالغرور.. خداعا وتمويها.. ولكنه رضي الله عنه ـ وفي صحبة أمل وثيق في نصر الله والفتح ـ يمدهم بطاقة هي أمضى من كل سلاح.. تعينهم على تجاوز الخطر بنجاح.. عن طريق هذه الرسالة التي وجهها إليهم وهم يستعدون لخوض غمرات المعركة:

تقول الرسالة:

[اجتمعوا، وكونوا جندا واحدا، والقوا جنود المشركين، فأنتم أنصار الله، والله ينصر من ينصره، وخاذل من كفره، ولن يؤتى مثلكم عن قلة، ولكن، من تلقاء الذنوب، فاحترسوا منها].

لقد كان القائد الأعلى صادقا مع نفسه.. ومع الجيش حين كشف النقاب عن سر الهزائم.. وهو الذنوب وأن النصر من عند الله ـ تعالى ـ والذي يمنحه لمن آمن به.. وكان مع غيره في كتلة عصية على الاختراق.. لأن يد الله مع الجماعة.

إنه لم يقلل من خطورة الموقف.. بل كشف عن خطورته فيما وجه إليه من ضرورة الاستعداد.. وصرف النظر عن حظ النفس في إحراز نصر هو في الحقيقة من عند الله ـ تعالى ـ وإذا كان جيش الروم يملأ الأفق.. يختال عجبا وإذا كان الأمر كما يقولون:

إن العصافير لاتغرد فوق نوافذنا.. وإذا كانت لاتقفز في باحة الدار.. وإذا بدا أن الفرع منكسر، فلن ينتج أزهارا.. وإذا كان ظاهر الحال ذلك.. فإن العبرة باليقين في نصر مبين.. ثم بالتصميم على الانتصار.. منطلق من هذه البديهة: إن أية قنبلة لن تلحق الدمار أكثر مما يلحقه به الخوف والتردد؟

إن الموقف عندئذ كان مغلفا بالضباب.. وكانت الرسالة ضوءا كاشفا.. بدت به الأمور واضحة جلية.. ذلك بأن كل شيء يمكن أن تستر عليه.. إلا الحقيقة.. الحقيقة التي يجب أن تكون عارية!

والحقيقة هنا هي: أن الموقف خطير.. والأزمة ليس لها من دون الله كاشفة.. ولكن النصر ممكن

متى كنا مستعدين له، والاستعداد يعني: إعداد القوة.. والبراءة من المعاصي، على أن يكون مفهوما أن النصر من عند الله ـ عز وجل ـ والذى يجيء في أوانه!

جنودنا.. في تصور أعدائنا

في وصف كاشف لطبيعة الجندى المسلم.. قال أحد قواد الروم للقائد الأعلى هناك: [وجدت قوما: رهبانا بالليل.. فرسانا بالنهار.. والله لو سرق فيهم ابن ملكهم.. لقطعوه أو زنى لرجموه]!

ولما سمع القائد ذلك قال آسفا: [لئن كنت صادقا.. لبطن الأرض خير من ظهرها] ويعنى ذلك أن المعركة محسومة سلفا.. وأن لواء النصر معقود للقوى المؤمنة.. من الآن!

وليس هناك أصدق في وصف شجاعة الجندى المؤمن من هذا الذى شهد به العدو! لأن الفضل ما شهدت به الأعداء.

وبــدأت المعركــة

أجل: بدأت «وليمة» الموت! كان «المشير» خالد بن الوليد ـ رضى الله عنه ـ يصدر الناس كلهم عن رأيه.. وبين يدى المعركة قام خالد في الناس خطيبا فأمرهم بالاجتماع ونهاهم عن التفرق والاختلاف، فاجتمع الناس وتصافوا في مواجهة عدوهم.. وقام خالد في الجند خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وقال: إن هذا يوم من أيام الله. لاينبغى فيه الفخر ولا البغى أخلصوا جهادكم وأريدوا الله بعملكم. وإن هذا يوم له ما بعده، لو رددناهم اليوم إلى خندقهم.. فلانزال نردهم وإن هزمونا لانفلح بعدها أبدا فتعالوا فلنتعاور الإمارة ـ نتداول ونتبادل ـ فليكن عليها بعضنا اليوم.. والآخر غدا.. حتى يتأمر كلكم..]

وهكذا كانت طبيعة المشير..

قال لأبى عبيدة: تأخر عن القلب.. إلى وراء الجيش كله حتى إذا رآك المنهزم استحيى منك ورجع إلى القتال.

فقال له أبوعبيدة كما قال له خالد: إنى مشير بأمر: «قل اسمع وأطيع» وهكذا كان القواد الذين حقق الله ـ تعالى ـ بهم النصر، كانوا يستخيرون الله.. فإن ذلك أوثق لدينهم.. ثم يستشيرون البشر.. فإن ذلك أوفق بمصلحتهم.

أبوعبيــدة.. القائــد.. الواعــظ

ولما تراءى الجمعان.. وعظ أبوعبيدة المسلمين فقال: عباد الله: «انصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم».

يامعشر المسلمين: اصبروا.. فإن الصبر منجاة من الكفر. ومرضاة للرب ومدحضة للعار.

ولاتبرحوا مصافكم ولاتخطوا إليهم خطوة ولاتبدأوهم بقتال. وأشرعوا الرماح واستتروا بالدرق «الصلب». والزموا الصمت إلا من ذكر الله في أنفسكم حتى آمركم إن شاء الله تعالى».

ولقد فهم الجند الرسالة.. فهبوا فيما يشبه الاحتجاج على ما في العدو من اعوجاج! أجل.. هبوا على قلب رجل واحد: يقدمون الواجب على الحق.. في شخص هذا الجندى الذى أعلن

اعتذاره عن قبول الغنيمة لأنه ما جاهد لغنيمة.. وإنما هو فقط يرجو الشهادة التي تكفيه شرفا وذكرا.

الموقف على الجبهة المعادية

مشكلة الناس اليوم.. أن إحساسهم حاد بحقوقهم التي يلحون في طلبها.. بينما لايكادون يحسون بالواجب عليهم بنفس القوة مع أنه السبيل القاصد إلى تحقيق آمالهم.. وهكذا كان الجندي الرومي: إنه جاء من أجل الغنيمة.. من أجل الدنيا.. أو جاء مرغما مدفوعا، لقد كان في داخله إحساس قوي بأنه وحيد.. يريد جليسا، عجوز، يريد سندا.. مسافر يريد مودعا أو مرحبا، في مأزق، يريد مخرجا.. مقاتل في غير قضية، لهيف يريد غوثا، عريش يريد جدارا.

وإذن فلم يكن القوم هناك صادقين مع أنفسهم.. بل لم تكن لهم أنفس على الإطلاق.. بعدما تركوها مع دنياهم المؤثرة.

لقد جاء الجند يصيحون بأصوات صاخبة.. وكان الرهبان يتلون الإنجيل.. ويحثون الجند على القتال..

ولربما كان لهم بعض الأثر الوقتي.. ولكن وفي النهاية وعندما تهب العواصف الهوج، تسقط الأشجار الضخام.. بينما الأعشاب من تحت أقدامها تعيش! لأنه.. مهما كان القائد بليغا.. ومهما كانت الموعظة مؤثرة.. فإنها لن تستطيع إقناع القلب الجزوع ولا النفس الهالعة!

ولقد حاول الجيش الروماني أن يجمع شمله المهلهل.. ولقد تجمع الشمل فعلا.. ولكنه كان تجمع العصافير الخائفة.. في أعالي الأشجار.. تاركة الساحة لرواد الحق.. للنسور المحلقة في جو السماء.

وعن هذه النهاية التي لم تشر إليها البداية.. تساءل المنهزمون في «الغرب» عن سر هذا الانتصار، قال هرقل لمن جاءوه منهزمين: أخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم: أليسوا بشرا مثلكم؟! قالوا بلى

قال: فأنتم أكثر أم هم؟ قالوا: بل نحن أكثر منهم أضعافا في كل موطن.. قال: فما بالكم تنهزمون؟ فقال شيخ من عظمائهم: من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار ويوفون بالعهد ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويتصافون بينهم، ومن أجل أنا نشرب الخمر ونزني ونركب الحرام وننقض العهد ونغضب ونظلم ونأمر بالسخط وننهى عما يرضي الله ونفسد في الأرض.

فقال: أنت صدقتني[1]. وفي رواية:

[أتاكم منهم ما لاطاقة لكم به].

دور المرأة في تحقيق النصر

قد يسبق إلى الوهم: أن تحقيق النصر حكر على الرجال.. من دون النساء ومن هنا قيل:

كتب القتل والقتال علينا
وعلى الغانيات جر الذيول

(١) البداية والنهاية لابن كثير جـ٧ ص١٥ـ١٦.

ولكن الحق ان المرأة زاحمت الرجال في ساحات النضال وإذا كانوا يقولون: إن أكثر الثمار نضجا هي ما كانت هناك في أعلى الأشجار.. فإن ذلك لايمنع من وجود ثمار أخرى خلف الأوراق لاتراها العيون! وقد كانت المرأة تلك الثمرة الخفية.. والتي لولاها لما كان هذا النصر المبين! لقد كان للمرأة.. كالرجل - أمل في النصر، ولقد كانت تؤمن في نفس الوقت انه لا أمل.. بلا الم ومن أجل ذلك خاضت المعركة بشجاعة نادرة، لم تكن المرأة تختار «الأحسن».. ولكن الأحسن كان هو الذي يطلبها! وإذا كان الخائف.. هو الذي يخاف قبل الخطر.. والجبان يخاف.. أثناء الخطر.. فإن المؤمن.. وإن المؤمنة لاتخاف لاقبل الخطر ولامن بعده.. وإنما هي على ما قال عزوجل:

﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾(٢).

لقد خرجن من لهب الحرب ذهبا أكثر صفاء.. وأشد تألقا.

صمت القمر

ولم تكن المرأة تتحدث عن نفسها.. وبلائها.. وقيمها التي هي أغلى من كل ما طلعت عليه الشمس. إنها لم تكن تتحدث عن هذه القيم.. لكن القيم هي التي تتحدث عنها شاهدة بأنها: إذا بليت القيم.. فإنها تجددها.. وإذا ابتليت الأمة بالأزمات.. فإنها تسددها وإذا نكبت أنعشتها.. وإذا ذهب ريشها.. كستها! وإذا كان هناك من نساء العالم من مهرت الدنيا.. دينها فزفت الدنيا إليها بالندم.. والألم فإن أسماء بنت يزيد - رضى الله عنها - قد قدمت الدنيا إلى الذين مهرا.. فزفت إليها المعالي.. جزاء من جنس عملها.. مؤكدة أنها لم تكن شرطا من شروط النهضة، يؤثر من الخارج.. ولكنها كانت «ركنا» فيها.. يؤثر من الداخل.

[لقد قاتل نساء المسلمين في هذا اليوم وقتلوا خلقا كثيرا].

لقد ساق خالد - رضى الله عنه - النساء إلى وراء الجيش ومعهن السيوف ثم قال لهن: من رأيتموه موليا - هاربا - فاقتلنه..

وقد نفذت النساء أوامر القائد بدقة وحماس كن يضربن من انهزم من المسلمين بالخشب وبالحجارة ثم يقلن لهم غاضبات عاتبات: [أين تذهبون.. وتدعوننا للعلوج] ويعنى ذلك ثبات المرأة ورحى الحرب دائرة،، وأتونها مستعر..

وفي مقدمة الثابتات كانت خولة بنت ثعلبة والتي كانت تواجه الرجال الهاربين، وعندئذ لايملك الهارب إلا أن يستجمع أطراف شجاعته ثم يكر على العدو من جديد.

وأين من هذه المرأة الأبية.. تلك الزوجة التي كانت تعشق المجوهرات.. والتي كانت تمنى نفسها بعودة زوجها بنفائس المجوهرات في قصور الأعداء.. ثم لم يعد إليها.. أو عاد مفلسا.. ولا يخفى حنين!!

(٢) آل عمران [١٧٣].

فى مجـــال التطـــبيق

لقد كانت الشجاعة الأبية حلية المرأة المؤمنة: أثناء الحرب.. وبعد أن تضع الحرب أوزارها، أما ورحى الحرب دائرة فقد كانت من الشجاعة على أوفى معانيها.

أ ـ فى مواجهة بنى قريظة قالت صفية بنت عبدالمطلب ـ رضى الله عنها: مر بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن.. فقلت: ياحسان: إن هذا اليهودى كما ترى يطيف بالحصن، وإنى والله ما آمنه أن يدل على عوراتنا من وراءنا من اليهود وقد شغل عنا رسول الله ﷺ وأصحابه. فانزل إليه.. فاقتله.

قال: يغفرالله لك يا ابنة عبدالمطلب! والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا؟!

قالت: فلما قال لى ذلك ولم أر عنده شيئا.. احتجزت[٣] ثم أخذت عمودا.. ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود.. حتى قتلته! قالت: فلما فرغت منه رجعت إلى الحصن[٤].

ب ـ أم عمارة: وها هى ذى «أم عمارة» تؤكد كيف كان دور المرأة في تحقيق النصر «ظاهرة» ولم يكن حالة فردية، لقد كانت في أحد تسقى الماء.. ولما اشتد القتال.. حملت السلاح وتركت القداح! لقد حجزت ثوبها على وسطها فتركت على الساحة بصماتها.. وقد جُرحت ثلاثة عشر جرحا.. فما وهنت لما أصابها فى سبيل الله!

وهو موقف.. يشكل رسالة عاجلة إلى المرأة التى تجاهد اليهود تقول لها: لا نامت أعين لم تحافظ على يوم يرجى خيره ويحمينا من الحساب ولا نامت عين لم تحافظ على ساعة من نهار.. ولا على دقيقة من ساعة.. لاوقت للتسويف فلم يجىء من يقول لنا: أنها ضجعة بغير حساب!

جـ ـ أســماء بنت يزيــد وافدة النســاء:

ولقد اشتهرت أسماء بأنها خطيبة النساء.. لكن ذلك لم يضائل من دورها العسكرى المرموق.. وبالذات في معركة اليرموك.. فمن هى أسماء بنت يزيد؟ وماذا نحن قائلون عنها.. وماذا نحن فاعلون تأسيا بها؟ نقول: قد تستغنى الأمة عن لقمة الخبز لكنها أبدا لاتستغنى عن القيم العليا، هذه القيم التى لولاها لفقدت الحياة معناها. غير أنها لن تكون كذلك.. إلا إذا وجدت من يؤمن بها.. مستعدا للموت فى سبيلها.

ولقد كانت «أسماء بنت يزيد» الأنصارية مسكونة بهذه المنظومة من المثل العليا والتى انحدرت إليها من قومها الأنصار علما وفصاحة وشجاعة ثم فداء.. وتضحية.. وإذ يمدح الله ـ تعالى ـ الأنصار بقوله ـ عز وجل:

---

(٣) شددت وسطى.

(٤) يحاول الكاذبين تبرئة حسان ـ رضى الله عنه ـ من تهمة الجبن الذى تصوره من قوله [لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا] يلتمس له العذر بانه كان معتلا يومئذ والحق أن الرجل ليس فى حاجة إلى الدفاع بعد أن نتذكر انه كان الجبهة الإعلامية التى فل الله بها غرور الأعداء، وهذا تخصصه على الجبهة الداخلية أما على الجبهة العسكرية فلا يعيبه انه لايحسن القتال بالسلاح الأبيض لأن العسكرية أيضا تخصصات وقد يكون الجندى «قناصا» يصيد دبابات العدو فى الوقت الذى لايجيد فيه القتال المتلاحم من حيث كان فنا قائما بذاته.

﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾(*) فقد انفقت أسماء مما رزقها الله ـ تعالى ـ هذه القيم الحضارية،، والتي عبرت عنها عمليا.. بسلوكها الفريد.. في السلم والحرب.. على سواء.

أما علمها: فقد روت عن الرسول ﷺ جملة من الأحاديث وروى عنها كوكبة من الرجال.. على نحو كانت به شريانًا من شرايين الأمة.. تدفق بالمعرفة تسري في عروق الأمة عافية وتسعى بين يديها نورا..

وأما فصاحتها: فقد كانت «خطيبة النساء» بشهادة الرسول ﷺ والذي نوه ببيانها.. وبلاغتها على رؤس الصحابة الذين كانوا فرسان البيان..

وإذا كان الأطباء أقدر على تمييز الطبيب من غيره فقد كان الصحابة أقدر على إدراك فصاحتها.. التي زاحمت بها بلاغة الرجال.

أما عن شجاعتها الأدبية:

فقد قالت: [مر بي النبي ﷺ وأنا في جوار أتراب لي فسلم علينا وقال «إياكن وكفران المتنعمين» ودون أترابها جميعا تسأله ﷺ: يارسول الله: وما كفران المتنعمين؟ ثم تسجل في نفس الوقت شهادتها لنفسها حين تقول: «وكنت من أجرئهن على مسائلته» هذه الجرأة التي تنامت مع الأيام.. حتى رشحتها أخيرا لتكون «وافدة النساء» إلى الرسول ﷺ بما تتطلبه هذه السفارة من حكمة وروية.. وثبات ثم عرضت قضيتهن عرضا كانت به «خطيبة النساء» ثم كانت ممن بايع رسول الله ﷺ «بيعة الرضوان» وبهذه المبايعة.. تأكدت شجاعتها التي سلكتها في زمرة الرجال.. الرجال الثائرين الذين التفوا حول الرسول ﷺ يحملون أرواحهم على أكفهم.. فداء للحق الأعزل، وإذا كان للرجولة ما يعبتها على تحمل المواقف الصعبة، فقد كان حضورها وإيمانها في لحظة لايصمد لها إلا الذين صبروا.

ذلك بأنها كانت مؤمنة ومن شأن الأزمات أن تشد عزائم المؤمنين.. الذين يعتبرون الموت أمرا طبيعيا وما كان طبيعيا فلا مفر منه.. ولقد كان شعارها عندئذ:

تأخرت استبقي الحياة فلم أجد
لنفسي حياة غير أن أتقدما

أما عن شجاعتها في ميدان القتال.. فحدث عنها ولاحرج لقد أحيطت ببسالتها الفكرة القائلة:

كتب القتل والقتال علينا
وعلى الغانيات جر الذيول!

ففي معركة «اليرموك».. بدت كفاءتها القتالية: لقد تقدمت حين كان الإقدام مغرما ولم يكن مغنما.. تقدمت والموت الزؤام يطل من كل أفق.

لم يكن حماسها للقتال شرارة لاتكاد

(*) البقرة (٣).

تبرق حتى تنطفىء وإنما كانت إرادة القتال عاثرة في قلبها.. ولم تنكسر إرادتها في الموقف الرهيب.. إلى الحد الذى تراجع فيه بطل كعمرو بن العاص - رضى الله عنه - في مشهد لاترى فيه إلا مخا ساقطا.. ومعصما طائرا وكفا مندثرة لقد حملت سلاحها.. ثم شدت مئزرها ورمت بنفسها في لجة الأهوال.. وماذا كان سلاحها؟ لقد كانت من القوة بحيث اقتلعت عمود خيمتها.. ثم قتلت به تسعة من الروم

وليت شعرى: لو كان الذى قاتلت به مدفعا.. أو صاروخ لكان لهذه البطولة ما يسوغها ولكنه كان «عمودا» من الخشب قلعته بيديها ثم صوبته إلى أعدائها.. الذى تساقطوا بين يديها كأوراق الخريف وتعجبت من سخرية القدر حين يهزم الضعفُ الشريف.. القوة السافلة! وتتساءل في أية مدرسة للتدريب تعلمت فن التصويب؟! وعلى أرض مكشوفة في الوقت الذى يقاتل الرجال اليوم.. والذين يتترسون بقرى محصنة أو من وراء جدر؟!

لقد تحملت أسماء هول الموقف: فقد كان أمامها مجموعة من الخيارات: أن تثبت في مكانها «محلك سر» أو أن تأخذ حركتها إلى الخلف هاربة.. ولكن فضلت الانطلاق إلى الأمام.. لم تتردد، لأن التردد يضيع الفرص السانحة.. وأمام هجمة الخطر لايغنى أن نتألم.. وإنما هو اختيار الحركة التقدمية.. التى تدفع بالأمة إلى قلب مستقبل واعد يناديها.

لقد كان من حولها جرحى من الرجال.. والجثث تغطى بين يديها تلك الرمال العفراء.. ولأنها أنثى.. فقد كان المتوقع أن تبكى.. أن تعزف على أوتار الجراح.. هذا البطل الذى راح.. لكنها خلعت عمود خيمتها.. خلعته.. ولم «تأخذه» جاهزا كما أخذته صفية من قبلها - رضى الله عنهما.

لقد كانت تتمتع بصحة قوية يوم أن كانت تعيش على الفطرة بلا منشطات.. ولامساحيق.. إنها قيمة الشجاعة في أسمى معانيها.. تتمثلها امرأة لم تمنعها أنوثتها من أن تختال.. ثم تفعل ما لايفعله الرجال إنها لم تتحدث عن قيمة الشجاعة حديثا يقال.. أو يكال، إنما هي تصنع هذه القيمة صنعا.. وعلى الطبيعة.. مؤكدة في نفس الوقت طبيعة المؤمن الذى لايأتمر بالأمر فقط يكلف به.. وإنما هو يأتمر أساسا بالأمر أولا، لأنه يحب الأمر، ومن أجل ذلك يهون عليه التكليف.. مهما كان شديداً.

***

من ركائز التضامن الإسلامي

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

قال الله تعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾(١).

في هذه الآية الشريفة، يقرر الإسلام أخوة الإيمان، وأنها لا تتقيد بعلاقة النسب. فإن أخوة النسب تنقسم بمخالفة الدين، ولكن أخوة الدين لاتنقسم بمخالفة النسب وفي الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ «لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تناجشوا وكونوا عباد الله إخوانا»(٢) والتجسس: هو الاستماع لحديث القوم، والتناجش: هو أن تزيد في ثمن السلعة دون رغبة في شرائها لتحريض الغير عليها، وفي رواية أخرى بلفظ مسلم يبين الرسول صلوات الله وسلامه عليه حقوق هذه الأخوة وواجباتها «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ها هنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»(٣).

ومن الواجبات المترتبة على أخوة الإيمان بين المسلمين ما جاء في الآية الشريفة:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾

فالإصلاح بين كل مسلمين أو طائفتين واجب تمليه أخوة الإيمان، وقد مهدت الآية الشريفة طريق الإصلاح بالتزام التقوى، حتى لا يحيد

(١) سورة الحجرات آية (١٠).

(٢) أخرجه البخاري ومسلم.

(٣) رواه مسلم.

المصلحون ولا يحابي بعضهم بعضاً، بل يكون العدل رائدهم والتقوى طريقهم، وبهذا تتحقق الغاية الكريمة وهي رحمة الله بالمؤمنين دنيا وأخرى:

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ ويدعو القرآن الكريم جميع المؤمنين أن يطهروا البيئة الإسلامية من رذائل شتى:

١- منها الرذائل الظاهرة التي تتعلق بالجوارح كالسخرية واللمز والتنابز بالألقاب.

٢- ومنها الرذائل الباطنة التي تتعلق بالمشاعر كالظن.

أما الأولى الظاهرة: فيقول فيها القرآن:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾(٤).

فينهى الله - تعالى - عن سخرية بعض الناس ببعض، فعسى من سخروا منه أن يكون خيرا منهم عند الله - تعالى - في عقيدته وفي عمله وفي باطن أمره. فإن مقاييس الخيرية ليست في المظهر ولا في الشكل، ولكنها فقط في التقوى:

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾(٥) وروى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»(٦).

وإذا نظرنا إلى قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ ﴾.

نرى أنه ورد في سبب نزولها آراء منها: أنها نزلت في وفد بني تميم عندما استهزأوا بفقراء الصحابة أمثال: عمار، وبلال، وخباب، وابن فهيرة، وصهيب، وسلمان، وسالم مولى أبي حذيفة وغيرهم، لما رأوا من رثاثة حالهم.

وقيل: نزلت في سخرية الغني بالفقير، وقيل: في عكرمة بن أبي جهل، فعندما جاء إلى المدينة مسلما كان بعض المسلمين إذا رأوه قالوا ابن فرعون هذه الأمة، فشكا ذلك إلى الرسول صلوات الله وسلامه عليه فنزلت هذه الآية، وقال ابن عباس: نزلت في ثابت بن شماس كان في أذنه وقر فإذا سبقوه إلى مجلس النبي ﷺ أوسعوا له حتى يجلس إلى جنبه ليسمع ما يقول، فأقبل ذات يوم وقد فاتته من صلاة الفجر ركعة مع النبي ﷺ فلما انصرف النبي ﷺ أخذ أصحابه مجالسهم منه فربض كل رجل منهم بمجلسه وعضوا فيه- أي لزموه- فلا يكاد يوسع أحد لأحد حتى يظل الرجل لا يجد مجلسا، فيظل قائما فلما انصرف ثابت من الصلاة تخطى رقاب الناس ويقول: تفسحوا تفسحوا، ففسحوا له حتى انتهى إلى النبي ﷺ وبينه وبينه رجل فقال له: تفسح فقال الرجل: قد وجدت مجلسا فاجلس، فجلس ثابت من خلفه مغضبا ثم قال: من هذا؟ قالوا: فلان، فقال ثابت: ابن فلانة، يعيره بها يعني أما له في الجاهلية فاستحى الرجل فنزلت(٧).

---

(٤) سورة الحجرات آية (١١)

(٥) سورة الحجرات آية (١٣)

(٦) رواه مسلم

(٧) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.

وقد نصت الآية على النساء كذلك وأفردتهن بالذكر في النهي عن السخرية، وذلك لأن السخرية تقع كثيرا منهم «فإنهن خلقن من ضلع أعوج وإن أعوج ما في الضلع أعلاه» ولذا نص عليهم فيقول:

﴿ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ﴾.

وقد جاء في سبب نزولها أن امرأتين من أزواج الرسول ﷺ سخرتا من أم سلمة عندما ربطت خصريها بثوب أبيض وسدلت طرفيها خلفها فكانت تجرها فقال عائشة لحفصة رضي الله عنهما: انظري ما تجر خلفها كأنه لسان كلب، فهذه سخريتها. وقال أنس وابن زيد: نزلت في نساء النبي ﷺ عير ن أم سلمة بالقصر. وقيل: نزلت في عائشة أشارت بيدها: يانبي إنها لقصيرة، تعني صفية بنت حيي - رضي الله عنها - وقال عكرمة عن ابن عباس: إن صفية بنت حيي بن أخطب أتت رسول الله ﷺ فقالت: يارسول الله إن النساء يعيرنني فأنزلت هذه الآية..

وقد نهى الله - تعالى - كذلك عن اللمز (وهو العيب)، ويكون تعبيرا باليد، أو العين أو اللسان أو الإشارة.

وأما الهمز فيكون باللسان. قال تعالى:

﴿ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ ﴾ ويدل هذا التعبير الحكيم على أن المؤمنين نفس واحدة، فلا يليق بهم أن يعيب بعضهم بعضا، وكما لا يعيب المؤمن نفسه لا ينبغي أن يعيب غيره، فالمؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

دون تنابـــــز

ومن الرذائل التي نهى عنها الإسلام: التنابز بالألقاب. قال تعالى:

﴿ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ﴾ قيل إنها نزلت في بني سلمة، قدم رسول الله ﷺ وليس رجلا إلا وله اسمان أو ثلاثة فجعل رسول الله ﷺ يقول: يا فلان، فيقولون: مه يارسول الله إنه يغضب من هذا الاسم، فنزلت الآية، وقال الحسن ومجاهد: كان الرجل يعير بعد إسلامه بكفره كأنه يقول له: يايهودي يانصراني، فنزلت الآية، وقال قتادة: وقول الرجل للرجل يافاسق يامنافق.

قال تعالى:

﴿ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ﴾ يقول ابن زيد أي بئس أن يسمى الرجل كافراً أوزانيا بعد إسلامه وتوبته.. وقيل: من لقب أخاه أو سخر منه فهو فاسق. أما بعض الصفات التي يكون ظاهرها الكراهة، ولكن لا يراد بها العيب حين التحدث بها فلا بأس بها. وقد سئل عبدالله بن المبارك عن الرجل يقول: حميد الطويل، سليمان الأعمش، وحميد الأعرج، ومروان الأصفر، فقال: إذا أردت صفته ولم ترد عيبه فلا بأس به.

وقد ختم الله تعالى الآية الكريمة التي نهى فيها عن تلك الرذائل بتهديد من تسول له نفسه الاسترسال في مثل هذه المعايب بأنه وقع في

الهلاك وأصبح من الظالمين لأنفسهم لارتكابها فقال تعالى:

﴿ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ وإذا كان التنابز بالألقاب مما يعيب المسلم ويمزق ود الصدور، فإن بديله وهو نداء المسلم لأخيه بأحب الأسماء مما يصفي له ود أخيه، يقول عليه الصلاة والسلم: «ثلاث يصفين لك ود أخيك: تسلم عليه إذا لقيته وتوسع له في المجلس وتدعوه بأحب أسمائه إليه»(٨).

ومثال النوع الثاني وهي الرذائل الباطنة التي تتعلق بالقلب والشعور: (ظن السوء) وقد حذر الله – تعالى – من الظن في قوله:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾(٩).

وقد نزلت هذه الآية الكريمة كما قال أبو عبدالله القرطبي في رجلين من أصحاب النبي ﷺ اغتابا رفيقهما، «وذلك أن النبي ﷺ كان إذا سافر ضم الرجل المحتاج إلى الرجلين الموسرين فيخدمهما فضم سلمان إلى رجلين، فتقدم سلمان إلى المنزل فغلبته عيناه فنام، ولم يهيىء لهما شيئا فجاءا فلم يجدا طعاما وإداما فقالا له: انطلق فاطلب لنا من النبي ﷺ طعاما وإداما فذهب فقال له النبي ﷺ: إذهب إلى أسامة بن زيد فقل له إن كان عنده فضل من طعام فليعطك. وكان أسامة خازن النبي ﷺ فذهب إليه فقال أسامة: ما عندي شيء، فرجع إليهما وأخبرهما، فقالا: قد كان عنده ولكنه بخل، ثم بعث سلمان إلى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئا فقالا: لو بعثنا سلمان إلى بئر سميحة– وهي بئر قديمة بالمدينة بها ماء غزير– لغار ماؤها، ثم انطلقا يتجسسان هل عند أسامة شيء فرآهما النبي ﷺ فقال: مالي أرى خضر اللحم في أفواهكما؟ فقالا: يانبي الله والله ما أكلنا في يومنا لحما ولا غيره، فقال: ولكنكما ظللتما تأكلان لحم سلمان وأسامة» فنزلت الآية:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ ﴾.

وجاء في الصحيحين عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»(١٠).. والظن الذي تحذر الآية منه هو: الظن الذي يقوم على اتهام لا أساس له ولا سبب يوجبه.

ومن الرذائل المنهي عنها «التجسس» وهو البحث عما يكون خفيا عن الإنسان كمن يتهم إنسانا بفاحشة أو بشرب الخمر مثلاً دون أن يبدو له ما يقتضي ذلك أو أن تظهر له علامة على تحقيق ظنه، كأن يكون المظنون به من أهل الصلاح والتقوى فإن ظن السوء به حينئذ يكون محرما، هذا بخلاف من عرف واشتهر بين الناس بمخالفة الشرع والمجاهرة بالمعاصي فلا يكون الظن به محرما.

---

(٨) رواه الحاكم والطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان.

(٩) سورة الحجرات آية (١٢).

(١٠) رواه البخاري ومسلم.

هذا ويترتب على الظن التجسس ثم الغيبة، وذلك لأن مجرد التهمة يكون سببا في البحث عما ساور الإنسان من خاطر فيحاول التجسس ليتحقق مما يظنه فينتقل من درجة الظن إلى درجة التجسس ثم يدعوه وقوفه بالتجسس على بعض ما يعلم أو ما لا يعلم إلى غيبة أخيه فينتقل إلى درجة أسوأ وحالة أكبر وهي الغيبة وهكذا،

وينقي الإسلام جو المجتمع على مختلف طبقاته ويوضح كيف يتفاقم الخطر من جراء الظنون السيئة بين الناس بعضهم مع بعض، بل وبين الحاكم والمحكوم، فحين يبتغي الحاكم الريبة في الناس يفسد ذات بينهم، ويوضح الرسول ﷺ خطر الغيبة والتجسس وبين نتائجها السيئة التي لا تقتصر على الآخر فحسب، بل إن المغتابين والمتجسسين ينالون جزاءهم في الدنيا وعقابهم فيها قبل الآخرة، قال ﷺ «يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن اتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته»(١١). ولذلك أدرك سلفنا الصالح خطر التجسس فنهوا عنه وحذروا منه.

فقد كان سلفنا الصالح يدركون خطر التجسس ومدى حرمته، فكانوا يبتعدون عن التجسس وعن تتبع أسرار الناس وحتى ولو ترتب على ذلك إقامة حكم من أحكام الشريعة، أو إقامة حد من حدود الله، قال عبد الرحمن بن عوف: حرست ليلة مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالمدينة إذ تبين لنا سراج في بيت بابه مجاف على قوم لهم أصوات مرتفعة ولغط، فقال عمر: هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف وهما الآن شرب فما ترى؟ قلت: أرى أنا قد أتينا ما نهى الله عنه.. قال تعالى:

﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾ وقد تجسسنا وانصرف عمر وتركهم.

كفـــارة الغيبـــة

ومن الرذائل المنهي عنها الغيبة قال الله – تعالى:

﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ وقد فسر الرسول ﷺ معنى الغيبة: ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله قال «أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذكرك أخاك بما يكره» قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته»(١٢).

وقد رأى رسول الله ﷺ ليلة الإسراء والمعراج صورة محسوسة لأولئك المعتدين المغتابين وكيفية عذابهم، عن أنس بن مالك قال، قال رسول الله ﷺ «لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء ياجبريل؟ قال هؤلاء الذين يأكلون لحم الناس ويقعون في أعراضهم»(١٣). وقد صور

---

(١١) رواه أحمد وأبو داود والترمذي.

(١٢) رواه مسلم

(١٣) رواه أحمد وأبو داود.

القرآن الكريم صاحب الغيبة في هيئة مستقذرة، وصورة تدل على خسة الطبع ودناءة النفس وفساد القلب، قال تعالى:

﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾

فصور الله - تعالى - الغيبة بأكل الميتة لأن الميت لا يعلم بأكل لحمه كما أن الحي لا يعلم بغيبته ممن اغتابها، ولننظر بعد تصوير الرسول ﷺ للغيبة: روى أبوهريرة - رضي الله عنه - أنه حين جاء ماعز إلى النبي ﷺ فشهد على نفسه بالزنا فرجمه الرسول ﷺ فسمع نبي الله رجلين من أصحابه يقول أحدهما للآخر: انظر إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلاب، فسكت عنهما، ثم سار ساعة حتى مر بجيفة حمار شائل برجله فقال: «أين فلان وفلان»؟ فقالا: نحن يارسول الله، قال: «انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار، فقالا: يانبي الله ومن يأكل هذا؟ قال: فما نلتما من عرض أخيكما أشد من الأكل منه، والذي نفسي بيده إنه لفي أنهار الجنة ينغمس فيها»[١٤]!!

وحكم الغيبة: أنها من الكبائر، قال رسول الله ﷺ «دماؤكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام»[١٥]. واتفق العلماء على أنها من الكبائر تجب التوبة إلى الله منها، واختلفت الآراء هل يستحل المغتاب أم لا؟!

١- فقال بعض العلماء: ليس عليه استحلاله، وإنما هي خطيئة بينه وبين ربه، واستدل أصحاب هذا الرأي بأنه لم يأخذ شيئا من ماله، ولا أصاب من بدنه ما ينقصه فليس في ذلك مظلمة يستحلها منه وإنما المظلمة ما يكون في المال والبدن.

٢- وذهبت فرقة أخرى: إلى أن الغيبة مظلمة، وكفارتها الاستغفار لصاحبها الذي اغتابه، واستدلوا على ذلك بما روى عن الحسن: كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته.

٣- وذهبت فرقة ثالثة: إلى أن الغيبة مظلمة، وعلى صاحبها الاستحلال منها، واستدلوا على ذلك بما أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل ألا يكون له دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»[١٦].

والذي نرجحه: هو الرأي الثالث القائل بأن على الذي اغتاب الاستحلال من غيبته لحديث البخاري، فهو يدل على التحليل، وحديث الرسول ﷺ هو الحجة والبيان الصحيح ولأن التحليل كذلك يدل على التعاطف والتراحم وهو من قبيل العفو قال تعالى:

---

(١٤) رواه أبو داود.

(١٥) رواه البخاري ومسلم.

(١٦) رواه أحمد والبخاري.

﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾(١٧).

اللهم إلا إذا ترتب على الاستحلال خطأ شديد، ومخافة أن يجر إلى اندلاع فتنة كبرى فإنه حينئذ يمسك عن الاستحلال حتى يواتيه الوقت الملائم له ويقول بالتوبة والاستغفار لأخيه.

وأما الرأيان الثاني والأول: فنرى أن أصحاب الرأى الأول ينفون الاستحلال متعللين بأنه لم يصب مالاً ولا بدناً فليس فى ذلك مظلمة، والحق: أن إجماع العلماء منعقد على أن على القاذف للمقذوف مظلمة بأخذه بالحد حتى يقيمه عليه، وذلك ليس فى البدن ولا فى المال، فهذا دليل على أن الظلم فى العرض والبدن والمال، وأما الرأى الثانى القائل: أنها مظلمة يستغفر لصاحبها ففيه تناقض لأن قولهم «مظلمة» يثبت ظلامة المظلوم وإذا ثبتت لم يزلها عن الظالم إلا إحلال المظلوم له، وهذه الأحكام سارية فى سائر المظالم. وأما صاحب الهوى والفاسق المعلن فسقه والإمام الجائر فكل هؤلاء لا غيبة فى حقهم فإن من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له، بل إن ذكرهم بما هم عليه يحذر ويكشف عوارهم.

قال رسول الله ﷺ: «اذكروا الفاجر بما فيه كى يحذره الناس»(١٨) وإذا كانت واجبات الأخوة فى الدين تقتضى تكريم المؤمن ونفى كل الرذائل عن دائرة نفسه ومجتمعه، وتحتم احترام المسلم لأخيه، ومساعدته له وعدم التعرض بما يسيئه فى نفسه أو ماله أو عرضه.

إذا كانت هذه وغيرها من أسمى المبادىء لتكريم الإنسان المسلم فإن الله - تعالى - قد وسع دائرة هذه الأخوة فلم يجعل للأسرة الإسلامية حدودا تحدها قرابة أو نسب أو زمان أو مكان أو بيئة أو مجتمع بل أن الإسلام فتح أمام اتباعه آفاق التعارف والتآلف.

واستهدف من وراء جعله لهم شعوبا وقبائل التعارف المثمر الذى يكمل بعضهم بعضا فى إطاره المشرق.

ولم يجعل من اختلافهم فى اللون أو اللغة أو المال أو القوة سببا للتمايز والتعاظم، فنفى أن تكون هذه الأسباب أصولا للتكريم أو قواعد للتعظيم، وإنما جعل المعيار الحقيقى الذى توزن به منازلهم منحصرا فى شىء واحد هو «تقوى الله»..

قال الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(١٩).

---

(١٧) سورة الشورى آية (٤٠)

(١٨) رواه ابن أبى الدنيا وابن عدى والطبرانى

(١٩) سورة الحجرات آية (١٣)

كتاب الشهر

انتشار الإسلام بحد السيف
بين الحقيقة والافتراء

تأليف

د/ نبيل لوقا بباوى

٣

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

بتأملاته المتأنية والمتعقلة.. استعرض الدكتور نبيل لوقا أبرز الأحداث والمعارك التى وقعت فى حياة الرسول محمد ﷺ، بحثا عن دور السيف فى انتشار الإسلام، فما عثر على أى أثر للسيف فى نشر الإسلام، بل وجد السيف مقصوراً على الدفاع عن النفس، أو الدفاع عن الأرض، أو درء التحالف على العدوان، أو مجازاة نقض العهود.

وفى أثناء تلك التأملات التفت الدكتور إلى ما ارتكز عليه بعض المستشرقين فى أمر الجزية، حيث موهوا حقيقتها، وجعلوها وسيلة إكراه على الدخول فى الإسلام، فرأى الدكتور أن الجزية لم تكن وسيلة إكراه، ولا أسلوب عقاب ينزله المسلمون بمن لا يعتنق الإسلام، ولكنها كانت ضريبة دفاع وطنى، تفرض على كل من يستطيع حمل السلاح، إذ سماحة الإسلام وعدالته اقتضت أن لا يفرض على المعاهدين من غير المسلمين الانضمام إلى الجيش الإسلامى، حتى لا يفرض على غير المسلم أن يدافع عن الدعوة الإسلامية، ولكن عليه أن يقدم قدراً من المال يناسب حالته المالية فى مقابل تأمينه، والمحافظة عليه.

ثم التفت إلى دعوى محدودية الإسلام، وزعم أنه مقصور على العرب، فرأى على ضوء تأملاته: أن الأدلة الواقعية والعقلية، والنصوص القرآنية تقرر - فى وضوح وجلاء لا ينكره إلا ضال أو مضلل - عالمية الإسلام وعموميته.

وحروب الردة لم تكن إكراها على الإسلام

وبوفاة الرسول ﷺ، وتولى أبى بكر -رضى الله عنه- خلافة رسول الله ﷺ انتقل الدكتور نبيل بتأملاته إلى ما ووجه به الحاكم الجديد من مشكلات، بحثاً عن الكيفية التى عالج بها تلك المشكلات، فرأى أن أخطر مشكلة فاجأت الصديق كانت مبادرة كثير من القبائل العربية بالارتداد عن الإسلام، أو رفض فريضة الزكاة، أو محاولة الانفصال عن القيادة المركزية فى المدينة المنورة، فلما انتفض الخليفة فى حزم وحسم لمقاومة هذا... عدَّه بعض المستشرقين إكراها من الصديق للناس على الإسلام.

ولكن تأملات الدكتور نبيل فى الأحداث التى وقعت فى شبه الجزيرة العربية بعد وفاة الرسول ﷺ هدته إلى: أن تلك الأحداث كانت متباينة، وإن كانت متفقة فى الخروج على السلطة المركزية فى المدينة، وأن السبب الذى أدى إلى ذلك كله يرجع إلى أن غالبية القبائل العربية لم يمض على دخولها فى الإسلام أكثر من عامين اثنين، لم تستطع فى أثنائهما التخلص من تسلط الزعماء والسادة السابقين، ولم يستطع هؤلاء الزعماء والسادة التخلص من حب السيطرة والتسلط الذى هيمن عليهم أزمانا طويلة، ولم يستطع هؤلاء وأولئك أن يتخلصوا من فكر الجاهلية ومعتقداتها.

وأن بعض القبائل كانت تعتقد أن ارتباطها بالدولة الإسلامية ليس ارتباطا بدولة مركزية، وإنما هو ارتباط بشخص محمد ﷺ، قائم على الإعجاب به، أو على التهيب منه، فلما توفى ﷺ حاولوا الانفصال عن الدولة الأم، والتمرد عليها لتكوين دولة خاصة، حتى إن بعض تلك القبائل - حين علموا بوفاة الرسول ﷺ، وضعف جيش المسلمين الموجود فى المدينة لخروج أسامة بن زيد بقوات المسلمين إلى الشام - طمعوا فى مهاجمة المدينة، وغزوها للتخلص من سلطة قريش.

وأن بعض القبائل - وإسلامها حديث - لم تكن على وعى بحقيقة الزكاة المفروضة على المسلم،

فكانت تظن أن الزكاة دليل تبعية، فبقاء الزكاة مرتبط بمحمد ﷺ ووجوده، فلما توفي الرسول ﷺ خرجوا من تلك التبعية، فطردوا عمال الزكاة الذين كان محمد ﷺ قد عينهم، وأعلنوا رفضهم تقديم الزكاة.

وأن ارتداد بعض القبائل لم يكن عودة إلى الوثنية، ولكنه كان انخداعا في أناس ادّعوا النبوة، وتعصبوا لهم.

فلم يكن أمام أبي بكر - رضي الله عنه - خليفة محمد ﷺ إلا أن يواجه تلك التحركات المتمردة بالحزم الحاسم، ليحافظ على هيبة الدولة، وليقضي على تلك الفتنة في مهدها، من غير هوادة ولا تردد.

فحروب الردة - كما أطلق على تلك الحروب - لم تكن لنشر الإسلام بحد السيف، ولكنها حروب قصد بها الحفاظ على وحدة الدولة الإسلامية، فقد نشبت بسبب تمرد بعض القبائل على الحكومة الجديدة، ونقض بعضها للعهود والمواثيق المبرمة بينها وبين الرسول ﷺ قبل وفاته.

وما صنعه أبوبكر مع هؤلاء المتمردين والمنشقين هو نفسه الذي تصنعه اليوم أي حكومة مركزية في العالم مع من يتمرد عليها، أو يخرج على النظام العام فيها.. فلا صلة لذلك بنشر الإسلام كما يزعم المستشرقون ويتوهمون.

بل إن أبا بكر لو لم يصنع ذلك لكان غير جدير بتولي منصب خليفة محمد ﷺ، ولما استحق أن يختاره المسلمون خليفة لرسول الله ﷺ، ولا استحق أن يبايعه المسلمون على القيام بأعباء الدولة، والحفاظ عليها، والإبقاء على توازنها.

وحرب الفرس والروم

وواصل الدكتور نبيل تأملاته الجادة المتأنية، فالتفت إلى ما حدث بعد أن استعاد الصديق هيبة الدولة، وكبح جماح المتمردين وناقضي العهود والمواثيق، فوجد أن الصديق - رضي الله عنه - لم يكد يستنشق أنسام الاستقرار، ويفرغ لأمر الدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة - حيث بدأ بتشكيل لجنة لجمع القرآن الكريم في مصحف واحد - حتى جاء أحد قواد القبائل العربية في العراق - وهو المثنى بن حارثة الشيباني - ممثلا لقبائل بني بكر، وبني شيبان، وبني محجل، معلنا إسلام تلك القبائل، وطالبا من الصديق مساعدتهم في الخلاص من سيطرة الفرس واستعمارهم إياهم، فلم يستطع أبوبكر إلا تلبية طلبهم، والنهوض لمعاونتهم ومناصرتهم، فأرسل خالد بن الوليد على رأس ألفين من المسلمين إلى العراق، وانضم إليهم ثمانية آلاف من قبائل ربيعة ومضر، وفي البصرة انضم إليهم سائر القبائل العربية التي طلبت الدعم بزعامة سويد بن قطبة، فانتهت المعركة بهزيمة الفرس، وفرار قائدي الجيش الفارسي.

ومع محاولة الفرس استعادة هيبتهم، واسترداد مستعمراتهم... توالت الحرب بين الفرس والمسلمين، وكلما هزم الفرس في موقعة انسحبوا ليتجمعوا من جديد في محاولة لاسترداد هيبتهم، ولكن الهزائم ظلت تلاحقهم، حتى إذا ما تم خضوع بلاد الفرس جميعها لسلطان المسلمين، وظن المسلمون أنهم مقدمون على مرحلة من الاستقرار ليتفرغوا لأمر الدعوة.. فوجئوا بتحرك الروم في الشام بجيش كبير يزيد على مائة ألف مقاتل، ظنا منهم أن

المسلمين قد أرهقتهم حروب الفرس، وأن الفرصة أصبحت مهيأة لهم ليوقعوا بالمسلمين هزيمة يتمكنون بها من الاستيلاء على بلاد العرب وبلاد الفرس معاً، فاضطر أبوبكر لتجميع القوات الإسلامية في جيش واحد، بقيادة خالد بن الوليد، الذى تمكن من إحراز الانتصار الحاسم على القوات الرومية في موقعة اليرموك، فتنفس عرب الشام وعرب العراق أنسام الحرية، ومن لم يدخل في الإسلام منهم دخل في عقود الأمان مع المسلمين التي ضمنت لهم حرية مباشرة عقائدهم الدينية، وكفالة العيش، والتأمين عند العجز والشيخوخة والفقر، حيث أصبحوا من رعايا الدولة الإسلامية، التي التزمت بأن تكون مسئولة عن كل رعاياها.

وعندما توفي الصديق.. حاول الفرس من جديد أن يستعيدوا سلطانهم على ما كان خاصاً لهم من بلاد العرب، فاضطُروا المسلمين ثانية إلى معاودة حربهم، ودفعهم عن بلاد العرب، وحماية من دخلوا في عهدهم وذمتهم من عرب البلاد العراقية، وانضم إلى القوات الإسلامية بعض القبائل العربية النصرانية، حيث كانت معركة القادسية التي انتهت بهزيمة الفرس.

وقد صنع الروم ما صنعه الفرس من معاودة الكرة على المسلمين في بلاد الشام التي أخرجوا منها، ولم يتوقف الفرس والروم عن محاربة المسلمين إلا بسقوط دولتيهما.

ومن تأملات الدكتور نبيل تبين أن انتصار المسلمين في موقعة اليرموك وأجنادين كان وراء احتفال جميع مدن الشام بانتصار المسلمين على الروم، فبعد أن قارنوا بين عدل المسلمين - في تعاملهم، وأسلوب حياتهم الملتزم بالجد والزهد والتقشف - وبين ظلم الروم البيزنطيين في فرض الضرائب الباهظة عليهم، وحياتهم المفعمة بالفساد واللهو.. جنحوا إلى الدخول تحت عباءة الدولة الإسلامية عن اقتناع.

وتبين أن مما سهل على العرب فتح ولايات الدولة الرومانية الشرقية البيزنطية.. ما كان بين أهل هذه الولايات وبين العرب المسلمين من صلة الجنس، وتقارب اللغة، وصلات التجارة.

بينما كانت علاقة هذه الولايات العربية بتلك الدولة الرومانية لا تخرج عن علاقة العبد بالسيد، خصوصاً في ظل الحكم الروماني الجائر الذى يعتمد على العنف، وفرض الضرائب الباهظة التي تثقل كاهل الناس، والذى يغذى الانقسامات الدينية ذات التعصب الأعمى.

فلم يكن أمام أهل تلك الولايات إلا أن يرحبوا بحكم العرب المسلمين الذى خلصهم من الحكم الروماني الجائر، واستبداد الكنيسة البيزنطية في فرض اعتقاداتهم اللاهوتية عليهم بقوة السلاح، على الرغم من مخالفتها لاعتقادات هؤلاء العرب اللاهوتية المسيحية.. في حين وجدوا أن المسلمين يبيحون لغير المسلمين من يهود، ومسيحيين، وزراد شتيين، وصابئة - أن يتدينوا بما يرضيهم وما يرضونه لأنفسهم من دين، ويسمحون لهم أن يمارسوا طقوسهم الدينية بحرية، ويتولون تأمينهم وحمايتهم في مقابل دفع الجزية.

وساعد على الترحيب بالعرب المسلمين.. ما آل إليه أمر الدولة الرومانية في ذلك الوقت من ضعف وانحطاط نتيجة الثورات والفتن التي انتشرت في أواخر عهد (جستنيان) إلى وفاة هرقل.

المصريون بين الروم الكاثوليك والعرب المسلمين

ولم يغب عن الدكتور نبيل أن يرصد - في هذا السياق - موقف الشعب المصرى القبطى المسيحى الأرثوذكسى من الروم البيزنطيين، فرأى كيف كان هذا الشعب يعانى من شدة الفقر، والاضطهاد الدينى في ظل سيطرة الإمبراطورية البيزنطية، حيث كانوا يفرضون عليهم الضرائب الباهظة، ويستولون على المحاصلات الزراعية لإرسالها إلى بيزنطة، وكيف كانوا يبغضون المصريين بسبب عنادهم ورفضهم الدخول في المسيحية الكاثوليكية، وإصرارهم على البقاء على مسيحيتهم الأرثوذكسية.

ودعم رؤيته تلك بذكر الصورة التى رسمها المؤرخ (ملن) في كتابه (تاريخ مصر في عهد الرومان) حيث قال: إنهم فرضوا ضرائب على الرءوس من الأقباط - أى على كل نفس حية - وعلى الحيوانات، والمنازل. وأكثر من ذلك فرضوا ضرائب على الأثاث الموجود داخل المنازل، بالإضافة إلى الضرائب العادية، بل لقد فرضوا ضرائب على الموتى، بحيث لا يدفن ميت، ولا يصرح بدفنه إلا إذا دفع أهله ضريبة الموتى.

ولذلك.. سارع المقوقس حاكم مصر إلى توقيع معاهدة الأمان مع عمرو بن العاص، حيث فر البيزنطيون إلى الإسكندرية، ثم أجبروا على الخروج منها عائدين إلى بلادهم.

وحظى المصريون - مع تلك المعاهدة التى كفلت لهم أمان الإسلام - بتلك الخصوصية التى صرح بها محمد ﷺ في أحاديث عديدة، منها: ما روته أم المؤمنين، أم سلمة - رضى الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال عند وفاته: «الله في قبط مصر، فإنكم ستظهرون عليهم، ويكونون لكم عدة وأعواناً في سبيل الله»[1]، وما روى عن أبى عبدالرحمن الحبلى أن رسول الله ﷺ قال: «فاستوصوا بهم - يعنى قبط مصر - خيراً، فإنهم قوة لكم، وبلاغ إلى عدوكم بإذن الله»[2]، وما روى عن كعب بن مالك الأنصارى، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا فتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً، فإن لهم ذمة ورحماً»[3].

وفى مقابلة هذه الصورة المبهجة قدم الدكتور إجمالاً لصورة المصريين تحت حكم الرومان البيزنطيين، حيث رأى ما أنزله هؤلاء الرومانيون بالمصريين المسيحيين منذ سنة ٦٨م من اضطهاد وتعذيب تشيب لهوله الولدان، فكانوا يلقونهم في النار أحياء، أو يكشطون جلدهم بآلات خاصة، أو يغرقونهم في الزيت المغلى، أو يصلبونهم ورؤوسهم منكسة إلى أسفل ويتركونهم أحياء على الصليب حتى يهلكوا جوعا... إلى غير ذلك من وسائل التعذيب التى صبت على أكثر من مليون مسيحى، والتى ذكر منها الدكتور نبيل طائفة منها، والتى كانت سبباً في تسمية تلك المرحلة (عصر الشهداء).

ولذلك لم يكن غريباً ولا شاذاً أن يتنفس المصريون الصعداء، ويستشعروا الراحة والأمان والحرية في ظل العهد الإسلامى الذى كفل لهم الحياة

---

(١) الطبرانى ١٩/٦١.

(٢) السيوطى (طب ك) عن كعب بن مالك.

(٢) مجمع الزوائد ١٠/٦٣.

الإنسانية الحقة، الخالية من القلق والاضطهاد والخوف، والمعاناة المرهقة.

فالمسيحيون - في مصر - الذين تلقوا أشكال العذاب بكل صنوفه على يد الرومانيين المسيحيين الكاثوليك.. هم أنفسهم الذين أظلهم المسلمون بالحماية والأمان، والحرية العقدية، والفكرية، حيث أصبح لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين، فانطلقوا يمارسون عباداتهم، ويجددون كنائسهم، ويضيفون إليها ما يحتاجونه من كنائس جديدة.

وبلغ التسامح والمساواة الإسلامية أعلى درجاته.. حين ضرب ابنُ عمرو بن العاص ابنَ القبطي بالسوط قائلاً: «أنا ابن الأكرمين»، فلما ذهب أبوه إلى عمر ابن الخطاب في المدينة شاكياً، استدعى الخليفة عمرو ابن العاص وابنه من مصر، وأعطى السوط ابن القبطي، وقال له: «اضرب ابن الأكرمين» ثم استدار إلى عمرو قائلاً: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟!».

ليت كاثوليك باريس أفادوا من سماحة الإسلام

والتفت الدكتور نبيل إلى أن هذه الانتصارات المتوالية لم تخدع المسلمين، فلم يستسلموا لنشوة الانتصارات، ويفرضوا الإسلام على غير المسلمين، ليقينهم أن ذلك يخالف أحد مبادئ الإسلام الأصيلة، فليس في مقدور أى قائد من المسلمين أن يخالف نصوص القرآن في أى زمان، وأى مكان.

وأن الإسلام لم يحاول إفناء أصحاب الديانات الأخرى، أو إرغامهم على الدخول في الإسلام بالإكراه.. على عكس ما صنعته الكنيسة الكاثوليكية - بعد ذلك بزمن طويل - مع البروتستانت، فحينما ظهر المذهب البروتستانتي في أوروبا على يد (مارتن لوثر) قاومت الكنيسة الكاثوليكية أتباع هذا المذهب بكل ما أوتيت من قوة، وعرف تاريخ الاضطهاد بين الكاثوليك والبروتستانت مذابح بشرية رهيبة، من أهمها مذبحة باريس في ٢٤ من أغسطس سنة ١٥٧٢م، حيث استضاف الكاثوليك قادة البروتستانت في باريس للبحث في تسوية تقريب وجهات النظر بين الكاثوليك والبروتستانت، فما كان من الكاثوليك إلا أن سطوا على ضيوفهم البروتستانت في ظلمة الليل وقتلوهم جميعاً، حتى جرت دماؤهم في شوارع باريس، وبدلا من استنكار هذه الجرائم.. انهالت التهاني على (تشارلز) التاسع ملك فرنسا من بابا الفاتيكان، ومن ملوك الدول الكاثوليكية على نجاح هذه المجزرة البشرية.

ولكن المستشرقين يأبون إلا الاستسلام لتعصبهم العنصري الأعمى، ويغمضوا أعينهم عن سماحة المسلمين في تعاملهم مع مخالفيهم في الدين، ويغمضوا أعينهم، ويصموا آذانهم عن غدر الكاثوليك بأهل ملتهم، ووحشية صنيعهم مع من ذهب من المسيحيين مذهباً يخالفهم.

مجتمع السماحة والأمان

ولو أن هؤلاء المستشرقين جردوا أنفسهم من الغرض الجائر، وتخلصوا من التعصب الأعمى... لرأوا أن المجتمع الإسلامي مجتمع يقوم على عقيدة وفكرة أيديولوجية خاصة بها، ينبثق نظمه وأحكامه من هذه العقيدة - أو الفكرة الأيديولوجية - وهي الإسلام. وهذا معنى تسميته بالمجتمع الإسلامي، فهو مجتمع اتخذ الإسلام منهاجا لحياته، ودستورا لحكمه، ومصدراً لتشريعه في كل شئون الحياة.

ومن أهم أسس الإسلام في مجتمعه.. أن يضم هذا المجتمع المسلمين وغير المسلمين، وأن تقوم العلاقة بين عناصر هذا المجتمع - مسلمين وغير مسلمين - على التسامح، والعدالة، والبر، والرحمة، والمحبة... دون أن يكون للاختلاف في الدين، أو في الفكر، أو في المذهب، أو في الجنس، أو في اللون أي أثر في تلك العلاقة، تحت شعار كبير واضح محدد، له مصداقيته:

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾(٤).

وهذه العلاقة التي جعل منها الإسلام حبلاً يعتصم به كل عناصر المجتمع.. تجاوزت النظرية إلى التطبيق العملي، حيث قامت عليها العلاقة بين عناصر المجتمع الإسلامي المختلفة، وبدت واضحة في سلوك عمر بن الخطاب يوم فتح بيت المقدس، حيث شارك أهل الكتاب مآكلهم، ولم يتحرج من أكل ذبائحهم ولا من مصاهرتهم، والتزوج من نسائهم المحصنات، ولا من مخالطتهم والحياة معهم في مودة ورحمة، حتى لقد كان - رضي الله عنه - يسأل الوافدين عليه من الأقاليم عن حال أهل الذمة، خشية أن يكون أحد المسلمين قد أفضى إليهم بأذى، فيقولون له: إنهم يعاملون بمقتضى العهد والعقد الذي بينهم وبين المسلمين.

وقد وضح ذلك بينا في كتب الفقه الإسلامي، فذكر ابن عابدين المتوفى سنة ١٨٣٦م: «إن ظلم الذمي أشد من ظلم المسلم إثماً»، وعلل ذلك بأن ظلم القوي للضعيف أعظم في الإثم.

ولا ريب في أن أمثال هؤلاء الأئمة - فيما قرروه - يترسمون خطى الرسول ﷺ فيما قرره في قوله: «من آذى ذمياً فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله»(٥).

ويتساءل الدكتور نبيل قائلاً: فأي حماية لأصحاب الديانات الأخرى تضارع تلك الحماية؟!

ويواصل مقرراً: تلك هي سماحة الإسلام، تكفل لأصحاب الديانات الأخرى من الحماية ما لم يكفله أي قانون أو مذهب آخر، وهذا يعني: أن لا عبرة بما قد يصدر من بعض المنتسبين للإسلام من ممارسات تخالف ما جاء به الإسلام، فهؤلاء - في ممارساتهم التي تسيء إلى أهل الديانات الأخرى - لا يختلفون عن ذلك الذي ينتسب إلى الإسلام ويمارس من الرذائل ما نهى عنه الإسلام من معاقرة الخمر، وأكل مال الآخرين بالباطل.. إلى غير ذلك من المحرمات الإسلامية.

فالإسلام كما يبرأ من هذه يبرأ من تلك، ولا يصح بأي حال نسبة مثل تلك الممارسات إلى الإسلام، ولا أخذ جمهور المسلمين بها.

ولم يغب عن الدكتور نبيل أن يسلط تأملاته الجادة على ما أصاب الأمة الإسلامية من تمزق في أخريات عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان، فوجد أن السبب في ذلك يرجع إلى ما بثه شياطين الإفك، وجماعة المنافقين من فتن جرّت جمهور المسلمين إلى خلافات سياسية أو مذهبية لا تمت إلى الإسلام بأي صلة.. شغلت الكثيرين منهم عن مواصلة الدعــوة إلى الإســلام بالحكمــة والموعظة

---

(٤) البقرة (٢٥٦).

(٥) أخرجه السيوطي عن ابن مسعود بلفظ: «من آذى ذمياً فأنا خصمه، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة».

الحسنة، والمجادلة بالتى هى أحسن، بل فعلت فعلها فى تقطيع أواصر العلاقات الوثيقة بين المسلمين بعضهم مع بعض. مما أطمع الروم المقيمين بالإسكندرية، فأرسلوا إلى الإمبراطور (قسطنطين بن هرقل) يهونون عليه فتح الإسكندرية، فأرسل جيشاً بيزنطياً استولى على الإسكندرية، ففزع الأقباط الأرثوذكس من ذلك، وخشوا أن يعود الروم بويلاتهم إلى مصر، فيذيقوا فريسة الاضطهاد والانتقام، والقهر الذى طالما عانوا منه، فأرسلوا إلى عثمان بن عفان يستنجدون به، راجين أن ينقذهم من بطش الروم الكاثوليك، فأرسل عمرو بن العاص على رأس جيش استطاع به أن يدحر الروم، ويوقع بهم هزيمة منكرة، اضطرتهم إلى الفرار من الإسكندرية ثانية.

من كل ما يقطع: أن الأقباط الأرثوذكس فى مصر كانت مصلحتهم وأمنهم فى التعايش مع العرب المسلمين، وليس مع الروم المسيحيين الكاثوليك الذين أذاقوهم شتى ألوان العذاب.

وأن المسلمين – بإسلامهم – ما جنحوا إلى الحرب إلا دفاعاً عن النفس، أو عن الأرض، أو عن الدعوة، موقنين أن مبادئ الإسلام وسماحته كفيلة بإغراء الناس على الدخول فيه، دون الحاجة إلى القهر والإكراه بالسيف أو بغير السيف.

أقربهم مودة للذين آمنوا

وبعد... فالكتاب كلمة حق، نطق بها رجل مسيحى أرثوذكسى، على أعلى مستوى ثقافى وفكرى، دفعه اعتزازه بمسيحيته أن يعلنها، فى وقت تداعت القوى السياسية الغربية لتحمل الإسلام وزر أحداث الحادى عشر من سبتمبر سنة ٢٠٠١م، وتوالى صراخ شياطين الفتن من هنا وهناك، تعلن – بكل وسائل الدعاية والإعلان – أن الإسلام دين عنف، يحرض معتنقيه على العنف، حقداً على الحضارة الغربية الحديثة، وبغضاً لها، وتدعم هذه الدعاوى الباطلة بالزعم الاستشراقى القائل: إن الإسلام لم ينتشر إلا بالسيف.

وكأنى بالرجل – وقد بذل هذا الجهد فى النظر والتأمل والبحث والتحليل ليقف على حقيقة الإسلام فى ماضيه وحاضره – تفسيراً لقول الحق تبارك وتعالى:

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾(١).

فاعتزاز النصرانى بمسيحيته، وتمكنه من مبادئها، وإخلاصه نفسه لها، يقيه خطل الجهل، ويمنحه القدرة على البحث عن الحقيقة، والقوة على إحقاق الحق وبسطه، مهما كلفه ذلك من عنت المتعصبين، وكيد الكائدين.

وهذا... الذى يعلنه ذلك الكتاب – فى مضمونه، ومسيرة البحث فيه، والتزام الجدية الحايدة فى نظراته – فلم يدفعه التعصب لأهل ملته إلى التزوير والتزييف والمغالطة التى تسود كتابات الكثرة من المستشرقين، فكان قواماً بالقسط، شهيداً به.

بيد إن النظر الناقد للكتاب يلفتنا إلى بعض الهنات التى أرجوا أن يتلافاها الأستاذ الدكتور فى

---

(١) المائدة (٨٢).

طبعته التالية، إذا اقتنع بها، كي تصح بها عباراته، كما صحت مضامينه.

وكان من أبرز تلك الهنات:

١- كثرة الأخطاء المطبعية والنحوية التي قد تجهد بعض متلقي الكتاب، وتعكس المقصود بالعبارة، مثل عبارة: «وهل كان لأصحاب الديانات الأخرى خيارات في عدم دخول الإسلام أما أن الإسلام يفرض بحد السيف» ص٢٩، ولا ريب أن المقصود (أم)، وليس (أما).

ومثل: «ومنطقة الحجاز بها أهمُّ قريتان، مكة ويثرب» ص٣٤، والمراد: أهمُّ قريتين.

ومثل: «سالمت المسلمين، وتعهدت أن تكون عونا لهم، وأن تقاتل معهم في معاركهم شريطة الا تأخذ الجزية» ص١٣٨، والصواب: شريطة الا تدفع الجزية.

ومثل: «روى ابن أبي شيبة عم جابر بن يزيد» ص ١٣٩، والصواب: روى ابن شيبة عن جابر.

٢- كثرة الأخطاء في أسماء الأعلام مثل: «النعمان بن مقرت» ص١٣٤، ص١٣٦، والصواب: النعمان بن مقرن.

ومثل: «مدينة جولاء» ص١٣٥، والصواب: جلولاء.

ومثل: «عياض بن غنيم» ص١٣٥، والصواب: عياض بن غنم.

ومثل الخطأ في انتماء قاتل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حيث جاء في ص١٣٩: «لقد طعن الخليفة عمر بن الخطاب من أحد الرجال المسيحيين من أهل الذمة... هو أبو لؤلؤة المجوسي»، ولا ريب أن الصواب: من أحد الرجال المجوسيين.

٣- ورد بالكتاب ترتيب الخيارات التي يبذلها المسلمون لأعدائهم على النحو التالي: «إما القتال، أو الإسلام، أو الجزية» ص١٢٨، وتكرر ذلك في مواطن عديدة من الكتاب، مثل ص١٣٤، ص١٣٧، ص١٤٠، ص١٤٧، ص١٥٢، ص١٦١ والصواب أنها: الإسلام أو الجزية أو القتال، على ما رواه الإمام الشيرازي، عن بريدة - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث أميرا على جيش أو سرية قال: «إذا أنت لقيت عدوا من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال، فأيتهن ما أجابوك إليها فاقبل منهم، وكف عنهم: ادعهم إلى الدخول في الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم... وإن أبوا فادعهم إلى إعطاء الجزية، فإن فعلوا فاقبل منهم وكف عنهم، وإن أبوا فاستعن بالله عليهم، ثم قاتلهم»[٧].

وقد علق الإمام الشيرازي على ذلك قائلا: وذلك تنبيه إلى أن المسئولية تحتاج إلى التبليغ أولاً، فتبليغ الدعوة لابد من أن يسبق القتال، مصداقا لقوله تعالى:

﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[٨].

وأيا ما تكن قيمة هذه الهنات، فهي هنات لا تؤثر في قيمة الكتاب وأهميته، ولا تنتقص من إخلاص الدكتور نبيل وحياديته، ولولا حرصي على تخليص الكتاب من الشوائب لأغمضت العين عنها: لأن عين الناقد بصيرة، ولا أملك إلا أن أهنئ الدكتور نبيل على إفادته من عقليته العلمية، وصفاء نفسه، وترفعه على الأغراض العنصرية.. تلك التي قادته إلى هذه النتائج المتجردة عن التعصب الأعمى البغيض، وارتفعت به عن التكبر والمكابرة الضالة.

---

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد رقم (٣).

(٨) الإسراء (١٥).

الأمية الحضارية بين التأصيل العلمي والتضليل التحريفي!!

للدكتور/ عبد الحليم عويس

● في موجات التيه ينقلب الظلام نوراً، والنور ظلاماً، ويصبح المحتلّ صديقاً، والأصيل المنتمي غريباً وشاذا ومحروماً.. إن لم يكن مرفوضاً، وتنقلب المفاهيم والدلالات.

● وكان من أكبر مظاهر التّيه والضياع ما حاوله بعضهم من محاولة الاحتفاء، والاحتفال بالحملة الفرنسية التدميرية على مصر سنة ١٧٩٨م.. والزعم بأنها بداية التحديث والعلمنة والتطور!!.. نعم التحديث بوضع سليمان الحلبي على الخازوق، ونشر الفساد بل والانحلال الرسمي بين سيدات المجتمع، ومداهمة الأزهر بالخيول، وقهر العلماء والوطنيين، وإشاعة الفرقة الطائفية بين أبناء الوطن الواحد.. إلى غير ذلك من صور التدمير الفرنسية المعروفة في كل البلاد التي وقعت فريسة الاحتلال الفرنسي البغيض!!

● وإذا علمنا أن كثيرا من أمراضنا الحضارية المعاصرة، وكثيرا من معاركنا الداخلية بين شرائح المفكرين والمثقفين تعود إلى ضباب الرؤية، وعدم تحديد المصطلحات تحديداً علمياً، ومحاولة كثير من المغتربين عن دين الأمة وحضارتها أن يتلاعبوا بالمصطلحات، وأن يروجوا لها ترويجاً مبتذلاً دون ضبط وتقنين، وأن يقدموا- في كثير من الأحايين. المصطلحات بطريقة تدميرية لا صلة لها بحقيقة المصطلح ولا تأثيره الموضوعي.. إذا علمنا ذلك تأكدَّ لنا أن الجهد الذي سوف نبذله مهما كان كبيراً يستحق أن تضحي في سبيله بالكثير.. وهذا الجهد يتصل بضرورة ضبط المصطلحات ضبطاً معجمياً ومجمعياً معاً.

● لقد أصبحت مصطلحات مثل (النهضة) و(التقدم) و(الحداثة)- أو (التحديث)- أو (العصرية) و(التنوير)- أو (الحضارة)... تستعمل بإسراف من العامة أو المزوِّرين لحضارة

أمتهم من أنصاف المثقفين، وذلك دون ضبط وتحديد، بل ربما استعملوها على غير بابها وفى عكس حقيقتها..

● وقد أصبحت كلمات مثل (التغريب) أو (العلمنة) أو (الكوننة) أو (الأوربة) ومثلها (الأمركة) تساق وكأنها (قيم محايدة) يمكن أن تطبق على كل الناس، شأنها شأن قوانين الجبر والهندسة دون النظر إلى الاعتبارات الخصوصية أو القسمات الحضارية التى ترتبط بكل أمة ارتباط تاريخ ووجود.

- وكل ذلك قد أدخل أمتنا فى نهاية القرن العشرين، وبداية الألفية الثالثة فى مرحلة يمكن أن نسميها التضليل الاصطلاحى والتزوير فى الفقة الحضارى..

●●●

● لقد كان التضليل الاصطلاحى والتزوير فى الفقة الحضارى أو ما يمكن لنا تسميته بقضية (خداع المصطلحات) من أكبر المعابر التى استطاع خصوم عقيدتنا وحضارتنا- أن ينفذوا منها، إلى تضليل مسيرتنا، وتبديد طاقتنا، وإرباك خطواتنا على درب الإقلاع الحضارى.

- ومن العجيب أن هذا التضليل- أو الخداع- يساق هكذا بطريقة تبدو عفوية وتلقائية- وكأنه مسلمة من المسلمات، أو كأنه غير قابل للاعتراض، وليس فى حاجة إلى التحليل والتعميق!!

● وبالطبع فكثيرا ما تكون الصحف اليومية أو المجلات الأسبوعية أو الدورية، أو الكتب- غير العلمية أو الأكاديمية والأجهزة الإعلامية هى المجال الخصب لهذه الجرائم الخداعية الاصطلاحية التى تنفذ إلى عقول الناس- مع اختلاف مستوياتهم الثقافية- ومع انعدام الحصانة الفكرية لدى أكثرهم..!!

- وبعدُ (المجال التاريخى والحضارى) من أهم المجالات التى توجه إليها جهود كبيرة من التضليل والخداع التى يتنفس الناس هواءها، وتزكمهم روائحها فى كل يوم على المستوى الإعلامى والفكرى!!

● وكما ذكرنا سلفاً فإن كلمات مثل (التحديث) و(التقدم) و(التحضر) و(النهضة) و(السلام) تستعمل بامتهان شديد، ودون وعى بحقيقتها، أو فحص دقيق لمدلولاتها الاصطلاحية الدقيقة!!

- وفى جريدة الأهرام القاهرية كتب الأستاذ (غالى شكرى) سلسلة مقالات تحت عنوان: «قرن من التحديث»، مع أن كل ما فى مقالاته لا علاقة له بالتحديث، بل هو ضد التحديث والإقلاع الحضارى الصحيح الذى بحثه وكتب فيه (كلُّ) فلاسفة التاريخ، بدءاً من ابن خلدون، وانتهاءاً بأرنولد توينبى واشبنجلر ومالك بن نبى(!!)..

- إن الكاتب لم يفعل سوى أنه قام بالخداع المصطلحى فوضع مصطلح (التحديث) مكان مصطلح (التغريب) أو مصطلح (العلمنة) أو (الأوربة)...

● وقد بلغ من تضليل الكتاب للجماهير العربية والمصرية أنه أعطى (الحملة الفرنسية على مصر) سنة ١٧٩٨م بقيادة (نابليون بونابرت) حقّ ريادة مرحلة التحديث، مع ما هو معروف من الآثار السلبية (الفاسدة) للحملة الفرنسية حضارياً وأخلاقياً ودينياً على مصر(١)، بل إنها كانت (البوابة) التي أراد بطلها منها فتح الباب للصهيونية كي تستولى على فلسطين.. ولعلهم- لهذا- يكرِّمونها!!

● وكان من قدر الله ولطفه بعقولنا وبالتاريخ أن يصدر الكاتب المصري المعروف الأستاذ (محمد حسنين هيكل) كتابه: (تاريخ المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل) في الأيام نفسها التي كان (غالي شكري) قد كتب فيها سلسلة مقالاته.

● ويثبت الأستاذ هيكل في هذا الكتاب- بالوثائق- أن مشروع إقامة دولة إسرائيل- كحاجز بشرى يمنع العرب من (الإقلاع الحضاري)، وقيادة الحضارة الإسلامية من جديد- إنما تقرر على يد «نابليون» وكانت بالتالي هذه الحملة جزءاً من هذا الهدف، إذ في الاستيلاء على مصر ضرب لطاقة كبرى عربية، واختراق للعرب من قلبهم.. وكل محاولات نابليون (التحديثية - التغريبية) كانت تسير في اتجاه تحقيق أحلامه... المتعانقة مع الأحلام



نابليون



محمد حسنين هيكل

الصهيونية منذ مولد الثورة الفرنسية!!

● وهذا التضليل الذى مارسه (غالى شكرى) فى سلسلة مقالاته المذكورة آنفا، ويمارسه- دائما- كل أنصار التبعية الغربية والعلمانية والمادية.. إنما يمثل نماذج تحتاج إلى رصد وتحليل... في ظل يقظة أصيلة تعى خطورة (المصطلح)، وتقاوم هذه (السطحية الإعلامية) فى استخدام المصطلحات، وهى سطحية قد تكون ساذجة تنبع عن جهل فى أحيان قليلة، وقد تكون خاضعة لانتماء حضارى معاد فى الأعم الأغلب!!

●●●

● والحق أن عرض تاريخنا الإسلامى وتحليله- كانا موضوع غزو مصطلحى كبير، وقد أسقطت عليه مفاهيم ومصطلحات لا تمتّ إليه بصلة.. فمرة نجد مجموعة من الكتاب فى

---

(١) ينظر في هذا: السِّفر الضخم للأستاذ محمد جلال كشك (رحمه الله): «ودخلت الخيل الأزهر» نشر الزهراء للإعلام العربي- القاهرة. فقد كشف حقيقة الدور التخريبي (الصهيونيّ العلماني الماسوني) للحملة الفرنسية على مصر بقيادة نابليون بونابرت ورجاله. وينظر ما كتبته د. ليلى عنان عن الحملة الفرنسية في جزءين من مطبوعات دار الهلال.

عصر المدّ الشيوعي والاشتراكي يخضعون هذا التاريخ- وقائع وتحليلات- لمصطلحات (التفسير الاشتراكي- أو المادي للتاريخ).. لدرجة أن كثيراً من هؤلاء الشيوعيين قد ذهبوا إلى تقسيم الصحابة إلى يسار ويمين، وإلى ثوريين ورجعيين، وإلى اشتراكيين وبرجوازيين!!

- وكان طبيعيا في رأيهم أن يكون الرسول ﷺ زعيم (اليسار) الثوري، ويقف وراءه عليّ ابن أبي طالب، وأبو ذرّ الغفاري، وعمار بن ياسر!!

ولكن الرسول ﷺ في رأيهم- كان مضطراً لأن يهادن أهل اليمين (الرجعيين!!) من أمثال أبي بكر الصديق، وعثمان بن عفان، وعبدالرحمن بن عوف، وأن يحاول قيادة السفينة التي تنتظر الجميع.

وكانت الضرورة تقضي أن يكون هناك حزب لليمين، ولهذا تخيل هؤلاء أن (بني أمية) وعلى رأسهم (عثمان بن عفان) يقفون في موضع قيادة هذا الحزب، كما أضافوا عبدالرحمن بن عوف إلى قيادته..

والأمر كله- كما نرى- مجرد تضليل مصطلحي، وتفسير أيديولوجي، وهو لا يعدو أن يكون إسقاطا لمصطلحات تخضع لشجرة حضارية وتجربة تاريخية وعقدية غير شجرة الحضارة الإسلامية وتجربتها التاريخية والعقدية، وقد أفرزت هذه المصطلحات تأثيرات بيئية وتاريخية وأمراضاً حضارية لا علاقة لها بتجربتنا الحضارية الإسلامية ولا قيمها السائدة.

- بل إنه لا يمكن لبيئة تنفست تعاليم الإسلام أن تفرز هذه القيم مهما كانت أخطاؤها البشرية...

●●●

وإلى جانب هؤلاء الماركسيين والماديين الخاضعين لهذا الانتماء الأيدلوجي الاعتسافي- وُجدت- كذلك- المدرسة العلمانية أو اللا دينية التي تريد إسقاط المصطلحات الليبرالية والرأسمالية على التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية- وقد حاول هؤلاء- بجرأة لا يسندها العلم- مثل إخوانهم الشيوعيين- أن يُسقطوا على حضارتنا مصطلحات مثل (العالمانية، والمجتمع المدني، والليبرالية، والفردية، (والحرية) والديمقراطية بالمعنى الليبرالي الذي لا يلتزم بدين ولا خُلق)، كما حاولوا تشويه التاريخ بعد الراشدين، بحيث يصبح هذا التاريخ ثمرة حركة عقلية مادية (مدنية) لا أثر للوحي الكريم فيها، ولا تربطها صلة بموازين الإسلام، وشريعة الإسلام وأخلاق الإسلام.

- وكل ذلك تضليل اصطلاحي، وتضليل مفاهيمي، وقلب للحقائق، وإخراج لحضارتنا الإسلامية عن طبيعتها، ومحاولة مستميتة لفرض التّيه والضياع الحضاري علينا.. حاضراً ومستقبلاً.

***

رودنسون

ومشروع خطاب التفاهم المشترك إلى المثقفين العرب

للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومي

مدخل المشروع الثقافي.. سؤال

ومن خلال رصد تلك المشكلات ذات النزوات العصبية التي تحكم العلاقة القائمة بين الإسلام والغرب ومن بين الغيوم الملبدة بالتنابز المجافي للحوار الثقافي بينهما، راح «رودنسون» يطرح سؤاله الذي يعبر به عن أمنيته مسهما في تقديم ورقة تصالح تعبر عن وضع معالم جديدة لمرحلة اللقاء الحضاري بين الإسلام والغرب في صيغة علمية جديدة وهو:

كيف يمكن أن نخطط لمستقبل الدراسات المتمحورة حول العالم الإسلامي؟ ما الآمال التي يمكن أن نحلم بها فيما يخص التوجيهات التي تستحق أن تتبع في هذا المجال، والتي يمكنها أن تقدم أكبر خصوبة ممكنة لهذه البحوث؟ سوف أورد فيما يلي رأيي الشخصي، الذي أشعر فعلا أنه نسبي تماما، وأنه ذاتي، فلا أحد يستطيع أن يدعي الموضوعية الكاملة. ولن أخفي على نفسي ولا على الآخرين أنه خاضع بالتأكيد لعوامل ومحدوديات غير ملحوظة مني بسبب العوامل الشخصية أو الجماعية. فأنا أيضا مشروط بأشياء لا واعية قد تخرج عن إرادتي وطاقتي. ووفق تحفظاته التي عبرت عن طبيعة النقص البشري الذي قد يطبع بصماته على المنهج العلمي مهما يتحرى الإنسان الموضوعية، وهي من المسلمات، خطا خطواته نحو صياغة مشروعه الثقافي الذي يحمل معالم منهجه الجديد ليعبر به عن مرحلة جديدة تجمع بين المستشرقين ومثقفي العرب.

فرز جعبة الاستشراق القديم

سوف أقول أولا وقبل كل شيء إنه لا ينبغي أن نرمي في سلة المهملات تلك المكتسبات الضخمة والثمينة التي تجمعت أثناء القرنين الماضيين، ذلك أنه توجد مادة علمية كثيفة ومعلومات غنية جدا جدا. صحيح أنه يمكننا إعادة تفسيرها جزئياً أو كلياً، ولكن خسارتها تعني تراجعا مأساويا للمستوى الثقافي لمجتمعاتنا.

لا ملكية خاصة للعلم

كان «ماركس» يقول: «لا توجد طريق ملكية خاصة للعلم» بمعنى أن الصفة الأساسية للمسار

العلمي، هي أنه يتقدم خطوة وبحذر وأناة ولا يسمح بالقفز إلا بشرط واحد، هو: العودة إلى الوراء فيما بعد من أجل التحقق من صحة المسافة المقطوعة. ينبغي على العالم أن يضع نصب عينيه دائما وأن يغرس في أعماق قلبه وروحه حكمة من حكم أبوقراط، هذه الحكمة التي تمثل بداية العلم الغربي كله، والتي كانت قد ترجمت بكل إيثار وتفضيل من قبل العلماء العرب «الحياة قصيرة والعلم طويل»، والمناسبة سانحة قد تفلت من أيدينا في أي لحظة والنزعة الارتجالية خطرة والتعقل صعب.

جمـــع الوقائـــع والمعطـيات

ولكن ينبغي على المسار العلمي أيضا أن يشتمل على اهتمامات جديدة لم تكن تلعب إلا دوراً صغيراً في الماضي. فمن الضروري عليه أن يتجه نحو التنظير أو أن يمهد له الطريق. وينبغي على هذا التنظير أن يأخذ بعين الاعتبار الإشكاليات العامة الأكثر حداثة.

ينبغي أيضا وبالدرجة نفسها أن ندمج في عملية البحث العلمي تلك المجالات أو الموضوعات التي كانت مهمشة أو محتقرة من قبل التبحر الاستشراقي الكلاسيكي وهي جمع الوقائع والمعطيات.

تحديد المشكلة والتفاهم المشترك حولها

هكذا نجد أنه من الضروري بشكل لازم وحتمي أن نتجاوز المرحلة الصعبة لجمع الوقائع والمعطيات، وأن نتوصل أخيرا إلى صياغة المشكلة أو طرحها على الأقل، فجمع المعطيات متناثر،



رودنسون

شئنا أم أبينا، شعرنا بذلك أم لم نشعر بالأفكار المسبقة غير الواعية للباحث. وهي أفكار يتشربها بشكل لا واع من المجتمع ومن تاريخه الشخصي.

وفي رأيه: أنه لا ينبغي تجاهل منظور هذه المجتمعات للأشياء ولا احتقارها ولا الخضوع لها، وإنما ينبغي تحليل جذورها إلى أقصى حد ممكن من أجل فهم أصوله وهضم العناصر الصالحة فيه وإغناء مسارها. وهذه عبارة عن عملية تفاهم مشترك ليتصالح على أصوله الطرفان.

وتلك خطوة على الطريق، وهي شاقة، ينبغي ألا نخفي عن أنفسنا أن الصعوبات التي تعترض تحقيق هذه الخطوة لوضع ذلك البرنامج المثالي من البحوث ضخمة جدا فمن المؤكد أننا سنصطدم بأنواع عديدة من سوء التفاهم وبشبهات مزعجة جدا في الغالب.

لكن هناك ملاحظة يبدو أن التجربة العلمية تؤكدها وهي تقوي فينا روح الأمل. تقول لنا هذه الملاحظة: إن الناس يعترفون، في نهاية المطاف، بالعمل الجاد الشريف مهما تنكروا له وأساءوا فهمه في البداية. ومن الشاهد أن الباحث الأكثر تعرضا للإشاعات والإهانات يجد دائما مؤيدين له إذا ما بقي مخلصا للقواعد الذهبية للمسار العلمي أو المنهجية العلمية. فهو يساهم في زرع الأفكار واستنباتها، هي التي سوف تتطور يوما ما وتخصب فكرة الخاص بالذات.

من المعروف أن الاختصاصيين الغربيين في الشئون العربية والإسلامية أو في شئون الشعوب والمجتمعات والحضارات الشرقية، وغير الشرقية، أناس ينتمون إلى مجتمع متميز أو ذي امتيازات. كما أنهم ينتمون بشكل عام إلى الطبقات العليا ذات الامتيازات في هذه المجتمعات بالذات. بالطبع لا ينبغي أن نحقد عليهم بسبب ذلك أو نستخلص منهم مكانتهم المتميزة وهي عرض طارئ، ولا تدخل في صميم المنهج ولا تخرج عن كونها نتائج تعسفية. ولكننا لا نستطيع أن نهمل هذه الحقيقة، وإنما ينبغي أن تؤخذ بعين الاعتبار فلا ننساها أبدا.

اهتمام أوروبا بدراسة خصائص الشعوب

ليس هناك شرق مأخوذ ككتلة واحدة. وإنما هناك شعوب وبلدان ومجتمعات وثقافات ذات عدد كبير ومتنوع على وجه الأرض. وبعضها يمتلك خصائص مشتركة (دائمة أو عابرة) وكل دراسة مشتركة لأحد هذه الكيانات أو لبعضها ينبغي أن تكون مبررة عن طريق وجود بعض هذه الخصائص المشتركة خلال فترة معينة. ولكن هذه الخصائص تترك دائما خارجها صفات أخرى تظل خصوصية كمن يضع الدنانير في كيس رث قديم. فلا ينبغي ترك الدنانير لقذارة الكيس أو نترك الدنانير من غير حرز. كذلك لا ينبغي للانتقادات التي وجهناها آنفا إلى الاستشراق القديم أن تنسينا أو تجعلنا نحتقر كل البحوث التي يقوم بها مؤلفون تختلف مع أفكارهم الفلسفية العامة (صريحة كانت أم ضمنية) فماذا تهمنا أفكار شامبليون عن المجتمع إذا كان قد فك لنا رموز اللغة « الهيروغليفية » يكفيه أنه اكتشف هذا الاكتشاف الكبير، ولا يعنينا في شيء أن تكون أفكاره عن المجتمع، تقدمية أم محافظة.

إن الدراسات المتركزة على شعوب وثقافات ومجتمعات المناطق العديدة المشمولة سابقا تحت اسم الشرق سوف تستمر. وسوف يساهم فيها منذ الآن فصاعدا اختصاصيو البلدان أو المناطق المدروسة. ولكن هؤلاء الأخيرين لن يكونوا أكثر تحررا من المستشرقين من تلك العقبات التي تسببها « الأيديولوجيات » أو المشروطيات الاجتماعية الخاصة برؤيتهم للأشياء سواء كان الأمر يتعلق بعوامل خاصة بزمننا أم بعوامل ملازمة لكل فعالية فكرية عبر العصور.

تقييم عمل الاستشراق القديم

توجد هناك بعض الممارسات العلمية في أوروبا وأمريكا، وهي تتركز على دراسة الشعوب والمجتمعات والحضارات واللغات الخاصة بالعالم الإسلامي (أي مجمل الشعوب التي فيها الدين الإسلامي).

إن دراسة هذه الميادين العلمية لم تتم بشكل مثالي ونموذجي عن طريق التعرف عليها أولا، ثم تقسيمها بشكل عقلاني إلى اختصاصات محددة كما هو متوقع، وإنما هي تمت بشكل تاريخي تحت تأثير عوامل متنوعة، وراح كل باحث يتعمق دراسة مجاله الاختصاصي من جهته مع الالتقاء بالآخرين أو دون أن يلتقي بهم. وقد دعيت هذه الممارسات العلمية باسم الاستشراق.

هذا الاستشراق كان يعبر عن الرغبة في توسيع الفلسفية الإنسية (هيومانيزم) أي المذهب

الإنسانى لعصر النهضة. ففى نهاية القرن الثامن عشر، وبداية التاسع عشر أرادوا أن يضيفوا إلى الحضارات النموذجية القديمة التى تستلهمها أوروبا حضارات أخرى. من المعروف أن اليونان وروما كانتا تشكلان هذا النموذج التاريخى القديم الذى كان يعتبر مصدرا للإلهام والتقليد والمرجعية والاستشهاد والمثال الأعلى بالنسبة لكل الأوروبيين.

ولما كانت تلك الفترة «فترة الدراسة العلمية» فإنهم أرادوا التوصل إلى معرفة علمية بتلك الحضارات النموذجية. وقد عزيت هذه الإرادة أو ذلك الطموح فى الغالب وقبل كل شىء إلى التغيير الذى طرأ على العلاقات بين الغرب الأوروبى والشرق الإسلامى، بمعنى: أن الغرب أصبح أقوى من الشرق بكثير. ولكنه ناتج أيضا عن تطور داخلى للعقلية التى غلفتها الحساسية الأوروبية.

ولقد حصل منعطف تاريخى فى الحساسية والاهتمام باتجاه التركيز على ما هو خصوصى، واستكشاف الروح القومية للشعوب، كل فى خصوصيته ووطنه المحلى، إلخ..

بالطبع فإن الشرق كان مدروسا من قبل بل ومنذ وقت طويل ولكنه كان يدرس لأهداف توليفية اجتماعية، أى من أجل البحث فيه عن الإنسان الكونى.. أو أنه كان يتخذ موضوعا للمماحكات الأيديولوجية، وكان أهمها فيما يخص الموضوع الذى أدرسه هنا التخييل المسيحى «القروسطى» المستمر فى هجومه ضد الإسلام (كان الإسلام يشكل التكتل السياسى- الأيديولوجى المعادى) وقد أدى هذا الخط الثانى إلى حماسة غير مفهومة وكان عنادها للإسلام مفضوحا.

ولكن هذا المطمح الجديد لمعرفة الشرق سوف يخدم من قبل تسهيلات أكبر تمكن من الدراسة المباشرة للمصادر الشرقية. فقد كانت القرون الثلاثة: السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر قد جمعت الأعمال التمهيدية بشكل متراكم (كتب النحو العربى، والمعاجم، والنصوص المختارة..) كما تراكمت خلالها مجموعات المخطوطات الشرقية أو العربية فى مكتبات أوروبا (كتلك التى تشكلت بفضل البعثات التى أرسلها كليبر إلى الإمبراطورية العثمانية لهذا الغرض) وقد شهد القرن التاسع عشر تقدم وسائل النقل وتعدد الرحلات التى سهلت العلاقات كثيرا. فى الواقع أن هذه العلاقات لم تكن معدودة فى أى وقت من الأوقات، وذلك فى كل الاتجاهين. نضرب على ذلك مثال، حالة الهولندى «توماس فان ايرب ايربنيوس» الذى ألف كتابا فى النحو العربى فقد استفاد من مساعدة شخص مغربى التقى به بالصدفة بالقرب من باريس عام ١٦١١.

إن تطور العلوم الشرقية فى الغرب يندرج ضمن مسيرة التقدم النوعى للمسار العلمى فى كل المجالات. فالنهضة الأوروبية التى ابتدأت منذ القرن السادس عشر انعكست على كافة المجالات وهذا التقدم أصبح ممكنا بفضل تكاثر المؤسسات التى أقيمت ببطء من قبل المتخصصين وبفضل تخصصها مثل (شبكات البحث التخصصى، مؤسسات العلماء الأكاديمية وجمعياتهم، ثم الجامعات.. إلخ).

تصفية تشكيل الشرق بصيغ عامة

إن الخصائص التي تميزت بها الممارسات العلمية المتجمعة تحت اسم الاستشراق القديم قد تشكلت أيضا طبقا للحاجيات العلمية المرحلة الأولية لهذه الدراسات الاستشراقية أنها ترتكز على المعرفة باللغات القديمة لآسيا (كالعربية، الفارسية، التركية، الأوردو، السنسكريتية، الصينية والخ...) كما ارتكزت على فك المصادر الأولية.

كان العلماء يعتقدون آنذاك أنه لكي نتوصل إلى مرحلة التعليم (أو استنتاج الخلاصات والنتائج العامة) فإنه ينبغي أولا البحث عن المعلومات والوقائع بشكل تفصيلي دقيق إلى أبعد حد وذلك عن طريق العمل الطويل والصعب وكانوا يعتقدون أن الانتقال إلى هذه المرحلة الثانية لا يمكنه أن يتم بشكل يرضيهم إلا بعد أن تتوافر كل الشروط. هذا إذا أمكن الانتقال إليها أصلا في يوم من الأيام[1]. وكان الكثيرون آنذاك يكرسون حياتهم كلها لدراسة ميدان علمي ضيق جدا. وأما أولئك الذين لا يستطيعون القيام بأعباء هذا المثال الأعلى التقشفي للعلم فقد كانوا يكتفون غالبا بأيسر الطرق. كانوا يكتفون غالبا بالأفكار العامة التي تلقوها من الفلسفة ومن الوعي الاجتماعي لعصرهم. وأما البعض الآخر فكانوا يمتلكون أحيانا حدسا عبقريا[2] معزولا. وأما الآخرون فكانوا يستسلمون لتركيب نظريات خيالية لا أساس لها من الصحة بسبب استعجالهم لتجاوز التفاصيل والوقائع ولكن دون أن يكونوا مسلحين لذلك[3]. لم يكونوا مؤهلين للتنظر والتفلسف واستخلاص النتائج العامة، ومع ذلك راحوا يتفلسفون (وهذه العادة لا تزال شائعة حتى اليوم).

وكانت العلوم الإنسانية القادرة آنذاك على التأثير على الأفكار العامة للعلماء المستشرقين هي تلك التي تتمثل بتاريخ الأديان الذي انتشر إلى أوسع مدى بفضل المعركة الجدلية المضادة للمسيحية في القرن الثامن عشر (بفضلها جزئيا) ولكنه انتشر بعمق أكثر وبجدية أكثر في ألمانيا بشكل خاص.

إن مكتسبات ذلك الاستشراق الكلاسيكي القديم كانت ضخمة، ولا نستطيع أن نستعرضها كلها وإنما نحن مضطرون للانتقاء والاختيار. نذكر من بين هذه المكتسبات تلك الكمية من الوثائق الجديدة المتراكمة، كما نذكر تحقيق تلك النصوص القديمة والعديدة بطريقة علمية لم تكن قد حصلت حتى ذلك الوقت كما نذكر مسائل التاريخ الوقائعي (أو الحدثي) والتاريخ الأدبي والترتيب الزمني الصحيح للتواريخ الزمنية المتسلسلة. وكل هذا كان ضروريا كقاعدة

---

(١) انظر كارل ماركس في حكمه العام على الأديان ولو أنه درس الديانات على حدة لعرف خصائص نظام الإسلام.

(٢) انظر نظريات أرنست رينان عن العقل السامي والآري وكان هدفه منها مساندة الاستعمار في إعلان وصايته على الشرق.

(٣) انظر كتاب كارل ماي عن الشرق والعرب والإسلام، حيث قدمها للقارئ الأوروبي على أنها عصارة رحلاته في الشرق بينما هو كما أثبت هينز فول شليجر لم يسافر إلى الشرق أبدا وما كتبه محض خيال.

للانطلاق بقدر الإمكان وإن كان غير كاف بحد ذاته.. إنه يشكل المرحلة الأولى من الدراسة العلمية، لكن ليست الدراسة العلمية كلها. فبعده ينبغي على الدارس أن يحلل ويستنتج ويركب وينظر. لذلك كانت نواقصه قصائر صارخة. نذكر منها على وجه الخصوص:

ظاهرة العرقية المركزية الأوروبية

الرؤيا المثالية للحضارات

كان هناك ترابط لا مفر منه بين الاستشراق وحركة الأفكار العامة للغرب في تلك الفترة. فقد كانوا يعتقدون بأولية النموذج الأوروبي وتفوقه على جميع النماذج الحضارية الأخرى. وكان هذا الاعتقاد يتجلى بكل وضوح في كل الخلاصات الانثربولوجية لتلك الفترة، هذه الخلاصات المتعلقة بالتطور البشري فقد كانوا يعتقدون أن كل خطوط التطور سوف تنتهي في خاتمتها إلى النموذج الأوروبي[1] وكانوا يعتقدون أن هذا النموذج يعلوا على كل شيء؛ في طريق الانحطاط العرقي، تلك التي أخرجت قضية العلاقات الثقافية بين الإسلام والاستشراق عن الموضوعية إلى المناظرة والمساجلات الجدلية.

إن هذه التساؤلات والاحتجاجات الغاضبة تعكس أسلوب الهياج الصارخ والعواطف الغاضبة التي حكمت لغة حوار ذميم وقع فيه الطرفان. لكن بعد دخول المفكرين الإسلاميين حلبة البحث العلمي. وأصبحت ذاتا فاعلة على مسرح التاريخ وليس فقط ذاتا سلبية منفعلة تدار أمورها من الخارج، تستطيع أن تناقش قضاياها والقضايا المشتركة بهدوء وتعقل.

يقول كلود كاهين: إني «أعترف بأن المستشرقين كانوا قد ركزوا اهتمامهم أكثر مما يجب- وفي غالب الأحيان- على بعض الفترات التاريخية أكثر من غيرها، وهي الفترات التي بدت لهم أكثر إشعاعا وإشراقا من غيرها، وهكذا أهملوا فترات تاريخية أخرى أكثر حداثة من حيث الزمن، وهي لا تقل أهمية من أجل فهم العالم الحديث للشعوب العربية والإسلامية إذا ما نظر إليها من وجهه نظر معينة أو من زاوية أخرى. ولن ينبغي أن لا نقع في التطرف المعاكس فلا نهتم إلا بالتاريخ الحديث ونهمل القديم. فلكي ننمي الوعي القومي لشعب ما ولكي نساهم في انطلاقة ثقافته الجديدة فإن أفضل وسيلة ليست بالضرورة استخدام تاريخه الحديث وإنما تاريخه القديم والمنسي.

وهذا التحدي يرتهن علاجه بالنظر في المناهج الجامعية وفتح أقسام علمية تتابع بعمق وبجدارة العلاقات الثقافية بين الإسلام والغرب، وعلى الأزهر أن يطور من نفسه ليتحمل عبء تلك الرسالة بمنهج ناضج رشيد، ولا أدري إن قلت: عليه متابعة التواصل الثقافي للشعوب جميعا، هل أكون واهما؟

---

(١) انظر كتاب «صراع الحضارات» لصموئيل هانتجتون، وقدمنا تعليق عليه في صحيفة الأخبار ١٩٩٧/٩/١٢ وكذلك كتاب «نهاية التاريخ» فوكوياما، وعرضناه هو الآخر في صحيفة الأخبار ١٩٩٧/٨/٢.

المشروع الغربى.. والتعددية فى الحضارات

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

إذا كان، جامع الإيمان، و، موحد المؤمنين، هو، التصديق بما جاء به الرسول ﷺ ،. فإن مظلة هذا، الجامع، وإطار هذا، التصديق، قد اتسع لتعددية أثمرها، التأويل، فيما يجب أو يجوز فيه، التأويل، فإذا ما التزم الفرقاء المتأولون بقواعد التأويل ـ التى قررتها العربية ـ والتى لا تخرجه عن ثوابت، التصديق الجامع،، انفسحت أمامهم آفاق التعددية فى هذا الإطار، الذى يعطى، مذاهب الفكر، طابعها، الإسلامى،، مع ما بينها من فروق وتعددية فى التصورات.

وإذا كان تعريف ابن رشد (٥٢٠ ـ ٥٩٥هـ ١١٢٦ ـ ١١٩٨م) للتأويل يقول، إنه إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية، من غير أن يخل بعادة لسان العرب فى التجوز، من تسمية الشئ بشبيهه، أو بسببه، أو لاحقه، أو مقارنه، أو غير ذلك من الأشياء التى عددت فى تعريف أصناف الكلام المجازى[1] فإن الإمام الغزالى يفصل، لمراتب الوجود، التى تتصورها التأويلات المتعددة، لما أخبر به الصادق،، تفصيلا يجعل للتعددية، النابعة من التأويل، خمسة مذاهب مفتوحة سبلها أمام تصورات العقل المسلم للموجودات التى تحدث عنها الرسول ﷺ ، والتى للتأويل مدخل فى تصورها. فالإيمان قائم عند فرقاء هذه التأويلات والتصورات، لقيام التصديق، وانتفاء، التكذيب، لصاحب الرسالة، عليه الصلاة والسلام ـ لأن، الكفر، هو تكذيب الرسول فى شئ بما جاء به، والإيمان، تصديقه فى جميع ما جاء به.. وحقيقة التصديق، الاعتراف بوجود ما أخبر الرسول ﷺ ، عن وجوده. إلا أن للوجود خمس مراتب:

الوجود الذاتى: وهو الوجود الحقيقى، الثابت خارج الحس والعقل، ولكن يأخذ الحس والعقل عنه صورة، فيسمى أخذه إدراكا.

---

(١) (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال) ص٣٢ دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة القاهرة ١٩٨٣م

والوجود الحسي: الذي يتمثل في القوة الباصرة من العين، مما لا وجود له خارج العين، فيكون موجودا في الحس، ويختص به الحاس، ولا يشاركه غيره، وذلك كما يشاهد النائم، بل كما يشاهد المريض المتيقظ..

والوجود الخيالي: الذي يخترعه الخيال لصور المحسوسات إذا غابت عن الحس، فهو موجود في الدماغ لا في الخارج..

والوجود العقلي: فيما له روح وحقيقة ومعنى..كاليد، مثلا، فإن لها صورة محسوسة ومتخيلة، ولها معنى هو حقيقتها، وهي القدرة على البطش.. التي هي «اليد العقلية»..

والوجود الشبهي: وهو أن لا يكون نفس الشئ موجودا، لا بصورته ولا بحقيقته، لا في الخارج، ولا في الحس، ولا في الخيال، ولا في العقل، ولكن يكون الموجود شيئا آخر يشبهه في خاصة من خواصه وصفة من صفاته.. وكل من نزل قولا من أقوال صاحب الشرعة ﷺ، على درجة من هذه الدرجات فهو من المصدقين، وإنما التكذيب: أن ينفي جميع هذه المعاني، ويزعم أن ما قاله لا معنى له، وإنما هو كذب محض، وغرضه فيما قال التلبيس أو مصلحة الدنيا، وذلك هو الكفر والزندقة ولا يلزم كفر المتأولين ماداموا يلازمون قانون التأويل.. وكيف يلزم الكفر بالتأويل، وما من فريق من أهل الإسلام إلا وهو مضطر إليه؟!»[٢].

هكذا انفتحت سبل التعددية واتسعت آفاقها أمام «تيارات الفكر» الإسلامي، في إطار «وحدة وجامع التصديق» بما جاء به الصادق، عليه الصلاة والسلام!.

وهكذا ظلل «الجامع الإسلامي» الذي وحد الأمة والعقيدة والحضارة ودار الإسلام.. ظلل تعددية في اللغات والأقوام.. وفي الثقافات الفرعية..وفي الأوطان والأقاليم المتميزة.. وفي الفرق السياسية.. وفي المذاهب الفقهية.. وفي التيارات الفكرية والمدارس الفلسفية..وأيضا في الشرائع والحضارات، فازدهرت تعددية الاجتهادات البشرية، في إطار الجامع الثابت الذي تمثل في أصول الإيمان بالله الواحد..واليوم الآخر وخبر الصادق، عليه الصلاة والسلام..

●●●

بل إن «السبل الإسلامية» التي حددها الإسلام، وتميزت بها شريعته، في «حل التناقضات» بين فرقاء التعددية، جاءت طبيعتها وآلياتها ومقاصدها لتكرس قيام هذه «التعددية» عند المستوى الوسطي، الذي لا يذهب بها إلى إلغاء الآخر و«نفيه».. ولا إلى «التشرذم» و«القطيعة» التي لا رابط ولا جامع يوحد بين فرقائها.. فلقد رفض الإسلام

---

(٢) (فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة) ص٤ ـ ٩.

مذهب «الصراع» سبيلا لحل التناقضات بين فرقاء التعددية، لأن «الصراع» غاياته «صرع.. وإفناء.. ونفى» الآخر، ومن ثم فهو يلغى التعددية وينفيها.. هكذا جاء معناه فى الموطن الذى ورد مصطلحه بالقرآن الكريم:

﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ۝ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝ فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴾(٣).

فالصراع غايته إهلاك الآخرين، حتى لا «ترى لهم من باقية»!.. فسلوك سبيله فى حل التناقضات بين الفرقاء ينفى فلسفة التعددية ويلغى وجودها.

وبدلا من «الصراع» سبيلاً لحل التناقضات بين فرقاء التعددية، زكى الإسلام «سبيل التدافع»، الذى لا يبتغيا «نفى الآخر»، وإنما «تعديل موقعه» من «المعايير الإسلامية الجامعة والضابطة والحاكمة».. فهو «حراك» لا «إهلاك» و«تعديل» فى المواقع والمواقف لا «نفى وإلغاء» للآخرين.. وعندما يخاطب الله- سبحانه وتعالى- رسوله ﷺ، فيقول له:

﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۝ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾(٤).

فإنه يعلمنا معالم هذا السبيل.. فالتدافع لا يبتغيا «صرع الآخر وإلغائه»، وإنما تحويل موقفه وموقعه عن «العداوة» التى تجعله من أهل «السيئات»، إلى موقع وموقف «الولى الحميم»، الذى يجعله من أهل «الحسنات»»!.. فيتم «الحراك»، بواسطة «التدافع»، مع بقاء تعددية الفرقاء المتمايزين»!.. بل لقد حدثنا القرآن الكريم عن هذه «السبيل الإسلامية» ـ سبيل «التدافع»، لا «الصراع».. باعتبارها الحافز الذى يدفع الحياة والعمران إلى الأمام دائما وأبدا.. وهذا يعنى اقتران التقدم بالتعددية، إذ بدونها لا تدافع، لأنه مستحيل بدون وجود الفرقاء المتدافعين أبدا؟!

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾(٥)

وعندما أذن الله- سبحانه وتعالى- لرسوله والمؤمنين بالقتال، جاء الحديث عن «التدافع»، لتكون غايات القتال تعديل مواقف المشركين من مواقع الشرك إلى الإيمان، فهى «حراك» لا «نفى وإهلاك».

---

(٣) الحاقة: ٥ ـ ٨.

(٤) فصلت: ٣٤، ٣٥.

(٥) البقرة: ٢٥١.

﴿إِنَّ اللَّهَ
يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾
أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ
لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن
يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ
صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ
كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ
عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ
وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾(٦).

فهي، إذن، سبيل إسلامية واضحة: «التعددية» في إطار «الجامع».. و«التنوع» في إطار «الوحدة» وبغيبة طرف منهما يغيب المعنى وتغيب الحكمة عن الطرف الآخر!

● «فالشرائع» المتعددة، لا تتأتى تعدديتها إلا في إطار «الدين» الواحد، وبالنسبة إليه، وبالمقارنة معه.

● و«الحضارات» المتعددة، لا تتأتى تعدديتها إلا في إطار «المشترك الإنساني العام» المتميز عن الخصوصيات الحضارية..

● والتعددية داخل أية حضارة من الحضارات، لا تتأتى إلا مع وجود المرجعية الواحدة، والجامع الواحد، في هذه الحضارة.. فلو انتفت المرجعية الواحدة.. والموحدة للحضارة.. انتفى معنى «التعدد» في هذه الحضارة أيضا!.. فلا تعددية بدون «استقلال».. وتميز» لحضارات هذا العالم الذي نعيش فيه؟!..

●●●

نظــــرة مقارنـــة

وإذا كانت بضدها تتميز الأشياء.. والشئ يظهر حسنه الضد.. فإن هذا الذي تميزت به الحضارة الإسلامية في الإيمان بالتعددية وتجلى في تطبيقاتها بمختلف الميادين، وعلى كل المستويات، لا تتبدى حقيقته الكاملة، ولا تتألق دلالته العظيمة، إلا إذا قورن.. ولو بإشارات.. لما كانت عليه.. بل ولاتزال.. الحضارة الغربية في هذا الميدان.

● فبالمقارنة، سيتأكد أن الفارق بين الحضارتين، في هذه القضية، ليس مرجعه «التسامح» الذي تحلى به حكام مسلمون، وافتقر إليه حكام غربيون.. إذ «التسامح» في النهاية خلق فردي، لا يثمر قاعدة مطردة على مر تاريخ حضارة من الحضارات وفي مختلف ميادين عمرانها.. بل إن هذا «التسامح» ذاته، هو في جوهره ثمرة.. إن في وجوده أو غيابه ـ لموقف حضاري، ومكون من مكونات الحضارة، التي تغيبه أو تواريه!..

● وبالمقارنة، ستعرف كيف أن الشعب المصري، مثلا عندما تدين «بتوحيد» «آتون» في عصر أخناتون (١٣٧٢ ـ ١٣٥٤ق.م)، اضطهد

---

(٦) الحج: ٣٨ ـ ٤١.

كهنة «آمون» وأتباعه.. فلما انتصر كهنة «آمون» اقتلعوا «توحيد دعوة «أخناتون» من الجذور، وطاردوا أتباعه في كل مكان!.. وكيف أن هذا الشعب المصري عندما تدين بالنصرانية لم يعرف التسامح مع الديانة المصرية القديمة، فمارس الاضطهاد، بل والإبادة مع كهنتها وفلاسفتها ومدارسها ومكتباتها ومتاحفها وأتباعها جميعا.. فلما تدينت الدولة الرومانية ـ الحاكمة ـ بذات الديانة النصرانية (٣١٣م)، ولكن بمذهب متميز عن مذهب المصريين النصارى، لم تعرف التسامح معهم، بل لقد عاشوا حقبة اضطهادهم، وعصر الشهداء الذي تؤرخ به النصرانية المصرية حتى الآن!.

لكن هذا الشعب المصري ذاته.. الذي لم يعرف التسامح الديني في تاريخه القديم.. هو ذاته الذي أصبح مضرب الأمثال في كل بلاد الدنيا على التسامح الديني، عندما تدين بالإسلام؟!.. فعاشت في ظلال إسلامه أكبر الأقليات النصرانية في بلد إسلامي، وازدهرت في حضارته الإسلامية أعرق كنائس النصرانية على الإطلاق، وتعانقت في ثوراته وأفراحه وأتراحه شعارات «الهلال» و«الصليب»!.. بل إن أغلبية هذا الشعب قد ظلت على نصرانيتها، في ظل الحكم الإسلامي، عدة قرون.. ولم تدخل هذه الأغلبية في الإسلام أفواجا إلا عندما عجزت كنيستها عن تلبية حاجاتها الروحية، وبدا لها ـ بالمقارنة مع بساطة عقيدة التوحيد الإسلامية.. تفوق الإسلام في تلبية هذه الحاجات، فاندفعت أفواجها إلى الإسلام، دون ترهيب ولا ترغيب.. ويشهد على هذه الحقيقة بعد وقائع التاريخ أحد علماء النصرانية «كيتاني» فيقول: «إن انتشار الإسلام بين نصارى الكنائس الشرقية إنما كان نتيجة شعور باستياء من السفسطة المذهبية التي جلبتها الروح الهللينية إلى اللاهوت المسيحي. أما الشرق الذي عرف بحبه للأفكار الواضحة البسيطة، فقد كانت الثقافة الهلينية وبالا عليه من الوجهة الدينية، لأنها أحالت تعاليم المسيح البسيطة السامية إلى عقيدة محفوفة بمذاهب عويصة، مليئة بالشكوك والشبهات، فأدى ذلك إلى خلق شعور من اليأس، بل زعزع أصول العقيدة الدينية ذاتها. فلما أهلّت، آخر الأمر، أنباء الوحي الجديد فجأة من الصحراء، لم تعد تلك المسيحية الشرقية قادرة على مقاومة إغراء هذا الدين الجديد. الذي بدد بضربة من ضرباته كل الشكوك التافهة، وقدم مزايا جليلة، إلى جانب مبادئه الواضحة البسيطة التي لا تقبل الجدل. وحينئذ ترك الشرق المسيح وارتمى في أحضان نبي العرب»!

لقد أقبل الناس على الإسلام، الذي رأوه.. كما يقول «مونتيه» «عقلاني الجوهر، بأوسع معاني هذه الكلمة»... أقبلوا عليه دون أية محاولة للإرغام والاضطهاد كما يقول «أرنولد» (١٨٦٤ ـ ١٩٣٠) في كتاب (الدعوة إلى الإسلام)..[٧]

---

(٧) أرنولد (الدعوة إلى الإسلام) ص٨٩، ٩٠، ١٥٥، ٩٨، ٩٩ ترجمة: د. حسن إبراهيم حسن، وعبدالمجيد عابدين، إسماعيل النحراوي، طبعة القاهرة ١٩٧٠م. وانظر كتابنا «الغزو الفكري.. وهم أم حقيقة؟» ص١٥٥ وما بعدها. طبعة القاهرة ١٩٨٩.

ثم تحول جمهور المصريين إلى الإسلام، في ظل «التعددية»، المؤسسة على الحرية والاختيار، وعبر قرون عدة، فكانت التجربة العظمى التي تعلم فيها هذا الشعب التسامح الديني لأول مرة في تاريخه الطويل!..

● وبالمقارنة، سنجد أن دار الإسلام قد تفردت بين أوطان الحضارات ببقاء الديانات، السابقة على الإسلام، جميعها فيها، بعد ظهوره، وفي ظل دولته وحاكمية شريعته، مع ازدهار مدارس لاهوتها كلها، بل لقد تمتعت هذه الديانات كلها، في ظل الإسلام، بالتعددية التي حافظت على علاقاتها، والتي ضبطت وقننت هذه العلاقات السلمية لأول مرة في تاريخها، حيث طوى الإسلام نهائيا صفحة «الحروب الدينية» بين أتباع كل الديانات وكان - تاريخها - المنظم لتعددية المذاهب داخل مختلف الديانات!.. ولم يقف ذلك عند أتباع الديانات الكتابية المعروفة، وإنما شمل ديانات وضعية وشبه وضعية مثل ديانات فارس والهند والصين أدخلها الفقهاء المسلمون في عداد الديانات الكتابية، وقالوا لقد كانت لها كتب فضاعت، أو لعل أمرها كان كذلك؟!..

حدث هذا الإنجاز - في ميدان «التعددية» - بدار الإسلام، وعلى امتداد تاريخه.. في الوقت الذي ضاقت فيه صدور أوربا الوثنية بكل ما هو «آخر» وغير وثني.. فلما تدينت بالنصرانية ضاقت صدورها بكل ما هو غير نصراني.. بل وضاقت حتى بالتعددية المذهبية داخل النصرانية الوحدة.. فـ«شارلمان» (٧٤٢ - ٨١٤م) فرض النصرانية على السكسونيين بحد السيف.. وفي الدانمرك، استأصل الملك «كنوت» الديانة غير المسيحية من بلاده بالقوة والإرهاب.. وفي بروسيا، فرضت جماعة «إخوان السيف» المسيحية على الناس بالسيف والنار.. وفي ليفونيا، فرض فرسان Drdo Frotrum Militiae Christ المسيحية على الشعب قسرا.. وفي جنوب النرويج ذبح الملك «أولاف ترايجفيون» كل من أبى اعتناق المسيحية، أو قطع أيديهم وأرجلهم، ونفاهم وشردهم، حتى انفردت المسيحية بالبلاد.. وفي روسيا، فرض فلاديمير عام ٩٨٨م المسيحية على كل الروس، سادة وعبيدا، أغنياء وفقراء، غداة اعتناقه لها!..ولم يعترف فيها بإمكانية تعدد الأديان إلا في مرسوم صدر عام ١٩٠٥!.. وفي الجبل الأسود - بالبلقان - قاد الأسقف الحاكم «دانيال بيتروفتش» عملية ذبح غير المسيحيين بمن فيهم من المسلمين ليلة عيد الميلاد عام ١٧٠٣م وفي المجر أرغم الملك «شارل روبرت» غير المسيحيين على التنصر أو النفي من البلاد عام ١٣٤٠م وفي أسبانيا - قبل الفتح الإسلامي.. كان المجمع السادس، في طليطلة، قد حرم كل المذاهب غير المذهب الكاثوليكي.. وأقسم الملوك على تنفيذ هذا القانون بالقوة..؟!.

وحيثما امتد نفوذ وحكم الحضارة الغربية، امتد الإنكار للتعددية «فاليعاقبة» في مصر والشرق، اضطهدهم الأرثوذكس الملكانيون، بالقتل والنفي والتشريد.. وقتل «جستنيان الأول» (٥٢٧ ـ ٥٦٥م) مائتي ألف من القبط في مدينة الإسكندرية وحدها، حتى اضطر من نجا من القتل إلى الهرب في الصحراء!.. وفي أنطاكية، حدث نفس القهر والاضطهاد لمعتنقي غير المسيحية، بل وغير مذهب الدولة الرومانية بالذات!.. وفي الحبشة، قضى الملك «سيف أرعد» (١٣٤٢ ـ ١٣٧٠م) بإعدام كل من أبى الدخول في المسيحية أو نفيهم من البلاد.. وصنع مثل ذلك الملك «جون» في الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي!.. ناهيك عن مأساة المسلمين.. وأيضا اليهود.. في الأندلس على يد فرديناندو (١٤٥٢ ـ ١٥١٦م) وإيزابيلا (١٤٥١ ـ ١٥٠٤م)[٨].

وبعد ظهور البروتستانتية كانت إقامة قداس بروتستانتي في بلد كاثوليكي عقوبتها: سجن النساء مدى الحياة، وإرسال الرجال للتجديف حتى الموت، وإعدام الكهنة!.. وكانت المواكب تسير، في ذكرى المذابح الدينية، شكرا لله؟!![٩]

وعندما يحتفل الغرب.. في «برشلونة» ١٩٩٢م بالدورة الأولمبية ـ إحياء لذكرى خمسمائة عام على إبادة المسلمين في الأندلس؟!.. ثم يشيع ذلك بمجزرة إبادتهم في البلقان؟! فإنه يعلمنا أن رفضه للتعددية ليس بالصفحة التي طواها تطور التاريخ؟!..

فـفارق بين حضارة لاتريد للآخر الديني «وجودا» على خريطة أوطانها.. وبين حضارة حافظت وتحافظ على وجود الآخر الديني حفاظها على الشعائر الدينية التي تتقرب بالحفاظ عليها إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ وتنفذ به سنة رسوله ﷺ.. بل لقد تجاوزت في ذلك مستوى الحفاظ على «وجود» الآخر، إلى حيث تستطيع أن تقرأ أسماء أعلام الأقليات الدينية في تراجم وزراء دول الإسلام على مر التاريخ!..

● وإذا كان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ عندما فتحت القدس قد أبى أن يصلي في كنيسة القيامة، كي لا تكون هناك شبهة، لمن يأتي من بعده، بوجود «حق» للمسلمين فيها.. فإن الصليبيين الذين اغتصبوها (٤٩٢هـ ١٠٩٩م) لم يكتفوا بإبادة المسلمين في مذبحة سبحت فيها خيولهم بدماء المسلمين في مسجد عمر؟!.. وإنما حولوا المسجد الأقصى إلى كنيسة.. وإبان سنوات الاغتصاب الصليبي للقدس والأقصى، اشتاقت نفس الأمير المؤرخ أسامة

---

(٨) (الدعوة إلى الإسلام) ص٣٠ ـ ٣٢، ٧٢، ٧٣، ١٢٢ ـ ١٢٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٤١، ١٤٣، ١٥٤ ـ ١٥٦، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٧٤، ٢٧٦.

(٩) وول ديورنت (قصة الحضارة) الطبعة العربية. القاهرة.

ابن منقذ (٤٨٨ ـ ٥٨٤ هـ ١٠٩٥ ـ ١١٨٨م) للصلاة فى الأقصى، فذهب إليه.. بواسطة علاقات كانت له مع بعض الفرسان الصليبيين.. فلما توجه إلى القبلة، ودخل فى الصلاة إذا بمن يحول وجهته عن قبلة الإسلام قسرا.. وكلما عاد إلى قبلة الإسلام أعادوه إلى قبلتهم هم.. فهم لا يعرفون.. وإن عرفوا لا يطيقون.. التعددية حتى فى التوجه إلى رب المشارق والمغارب جميعا؟!(١٠)

● وبالمقارنة، بين الفتح الإسلامى ـ الذى كان يسلك للتعايش مع «الآخرين» طريق «التعددية» وعليها يتأسس التسامح، الذى تقننه الشريعة، لا المرهون بسجايا حاكم من الحكام، أو خلق أمير من الأمراء.. بمقارنة هذا الفتح بما صنعه بونابرت (١٧٦٩ ـ ١٨٢١) ـ نموذج «الحرية.. والإخاء.. والمساواة» الغربية، فى أرقى وأحدث صورها ـ مع المصريين عندما جاءهم طليعة للغزوة الاستعمارية الغربية الحديثة.. نكتشف الفارق بين حضارتين فى هذا الميدان.. فإبان الفتوحات العثمانية فى البلقان ووسط أوربا، صاغ القصص الغربى أسطورة تناقلها الناس أثناء وعقب الحرب بين السلطان العثمانى والأمير المجرى «هنيادى» تقول: إنهم سألوا الأمير المجرى:

– ماذا تصنع لو انتصرت على المسلمين؟

– فقال: أؤسس العقيدة الرومانية الكاثوليكية..

فلما سألوا السلطان العثمانى:

– ماذا تصنع لدينتا لو انتصرت؟

– قال: «أقيم كنيسة إلى جانب كل مسجد، وأدع مطلق الحرية لكل فرد أن يصلى فى أيهما شاء»؟!.(١١)

أما بونابرت الذى لم يتعلم التعددية، ولم يعرفها سبيلا للتعايش مع «الآخر» فلقد رأيناه يسلك إلى التعايش مع المصريين سبيل الكذب عندما ادعى «أن الفرنساوية هم أيضا مسلمين خالصين».. وأنه أكثر من المماليك، يعبد الله– سبحانه وتعالى– ويحترم نبيه محمد والقرآن العظيم..»(١٢) وأنه «محب الملة المحمدية»؟!.(١٣)

فهذا فاتح يمثل حضارة لم تعرف التعددية سبيلا إلى التعايش مع الآخرين.. وذاك فاتح كانت التعددية سبيل حضارته إلى التعايش مع الآخر، داخليا وخارجيا.. وعلى كل المستويات!.

(١٠) أسامة بن منقذ (الاعتبار) ص١٣٤، ١٣٥ تحقيق: فيليب حتى. طبعة جامعة برنستون ١٩٣٠م.

(١١) (الدعوة إلى الإسلام) ص٢٢٣.

(١٢) د.أحمد حسين الصاوى (المعلم يعقوب بين الأسطورة و الحقيقة) ص١٠٦ طبعة القاهرة ١٩٨٦.

(١٣) الجبرتى (عجائب الآثار) تحقيق: حسن محمد جوهر، عمر الدسوقى، السيد إبراهيم سالم. طبعة القاهرة ١٩٦٥م

الإسلام قضية عادلة فى يد محام فاشل!! والمُدَّعُون عليه مُزَوِّرون

٣

للأستاذ الدكتور/ عبد العظيم المطعنى

من المجالات التى فشل المسلمون فيها فى الدفاع عن الإسلام مع ظهور الحق فيها، وزيف شبهات الخصوم، مجال « حقوق الإنسان » وحقوق الإنسان فى الفكر المعاصر مبدأ مقدس، ومغال فيه فى الفكر الغربى إلى أقصى الحدود، ومما هو معروف للعامة والخاصة أن مبدأ تقرير حقوق الإنسان تنسبه أوروبا المعاصرة إلى منجزاتها هى، لا إلى منجزات أية حضارة غير حضارتها الغربية.

وهذا ـ وحده ـ فيه حيف عظيم على الإسلام وحضارته الإنسانية. ذات الجذور العريقة بوحى الله ـ عز وجل ـ، ثم بعقيدة التوحيد.

وسكوت المسلمين عن هذا الادعاء قصور فى واقع الأمة لا يغفر.

وليت الأمر وقف عند هذا الحد، وهو مجرد نسبة « حقوق الإنسان » إلى الحضارة الغربية. ولكنه تجاوز فى التعدى على الإسلام، فاتهموه بأنه لا يعرف شيئا عن حقوق الإنسان، ورموه بالتخلف والرجعية، وبلغ الهجوم على الإسلام فى هذا المجال المدى بعد كوارث ١١ / ٩ / ٢٠٠١ وانضم رجال السياسة فى الغرب، إلى حملة الأقلام فى إلصاق هذه التهم بالإسلام بما لا يخفى على أحد.

ونحن لا ننكر أن جهوداً فردية لعلماء ومفكرين مسلمين تصدت لهذه الافتراءات فى جيلنا هذا، وفى جيل العمالقة السابق على جيلنا.

لا ننكر هذا، ولكن الذى ننكره أن تكون هذه الجهود الفردية كافية.

والذى ننكره انعدام العمل الجماعى للأمة ومؤسساتها ومنظماتها ومواقفها الرسمية فى وجه هذا الهجوم الذى لا يستنكف أحد فى الغرب أن يكون جنديا فيه ولو من وراء ستار.

وقد مرّ على أمتنا عهد قريب كانت لا تقيم أى وزن لأى دفاع عن الإسلام يصدر عن المفكرين والعلماء والأفراد، بل لم يسلم هؤلاء من الأذى أو الوصف بالتزمت والانغلاق والرجعية، حتى وقع الفأس فى الرأس كما يقول المثل. وظهر لساسة الأمة أن الذى كان يردده أولئك الأفذاذ هو حق لا مرية فيه. وقوة وعى لا تزمت.

ولكن بعد فوات الأوان. فقد تجاوزت أوروبا ـ الآن ـ مجرد الأقوال، إلى واقعية الأفعال، ومبادىء حقوق الإنسان أوروبا آخر من تتكلم عنه علماً وتطبيقاً.

أما الإسلام فهو أبوعذرة هذه المنجزات، لم يتقدم عليه نظام وضعي، أو دين سماوي، ولم يتأخر عنه نظام وضعي، أو دين سماوي قط، فهو مسبوق بنظم وضعية، وبرسالات سماوية، لم نر فيها، ولن نجد فيها رعاية لحقوق الإنسان وموضوعية شاملة مثلما وجدنا في الإسلام، ومثلما نجده نحن الآن، ويجده معنا كل منصف من واحات وارفة الظلال، يانعة الثمار، تشمل كل من تحقق له وصف الإنسان، وهو جنين في رحم أمه، أو رضيع أو فطيم إلى آخر يوم من حياته، بل وله حقوق في الإسلام حتى بعد موته يجب الوفاء بها.

إن صلة أوروبا بحقوق الإنسان نظريا عمرها الآن ما يزيد قليلا على نصف القرن.

وقد يغالي فريق فيرجع هذه الصلة إلى أكثر من مائتي سنة بقليل، حيث يؤرخون لها بقيام الثورة الفرنسية.

بيد أن رجوع هذه الصلة إلى صدور وثيقة حقوق الإنسان عام ١٩٤٨ هو الأقرب إلى الصواب أما قبل هذا فلم يكن للغرب صلة إيجابية بمبادىء حقوق الإنسان. ولايملك أحد ذرة من واقع مقبول يجعل للغرب أصالة في مجال حقوق الإنسان، لأن إنسان أوروبا كان موزع الولاء بين سلطتين ظالمتين غاشمتين، تقاسمتا واقع الإنسان الغربي في العصور الوسطى، هما :

● سلطة رجال الكنيسة، وكانت تملك قلب الإنسان وعقله، أو هكذا ينبغي أن يقال.

● وسلطة الملوك التي كانت تملك جسم الإنسان وطاقاته أمام الإنسان نفسه فلم يكن يملك شيئا من شئونه لا في سره ولا في نجواه.

نظام فاجأ الإسلام به الدنيا كلها

بدأت حقوق الإنسان مع بدء الإسلام نفسه، ثم أخذت في مدارج النمو والازدهار مواكبة لنمو الإسلام وازدهاره.

● حقوق الإنسان نزل بها القرآن الكريم على مدى ثلاث وعشرين سنة.

● وحقوق الإنسان أقرتها السنة النبوية على مدى العمر النبوي الشريف.

● وحقوق الإنسان أقرها الفقه الإسلامي الاجتهادي استنباطا من القواعد الكلية الإجمالية من الفاحص الدءوب في مصدري الشريعة (الكتاب والسنة).

هذا، وقد واكب وضع حقوق الإنسان في الإسلام كل الوقائع والأحداث، التي حفل بها العصر النبوي. وكان لوضع حقوق الإنسان في الإسلام مرحلتان :

الأولى : المرحلة التفصيلية في الكتاب والسنة ونعني بها الحقوق التي نزل بها القرآن في بعض الآيات التي لها أسباب نزول، وهي لاتكاد تحصى ثم قضية النبي ﷺ، وفصله بين الخصوم في الوقائع التي رفعت إليه في حياته الشريفة.

المرحلة الثانية : ونعني بها ما ورد في الخطبة الجامعة، التي ألقاها صاحب الرسالة في حجة الوداع، في موسم الحج الأكبر الجامع، وذلك حين الوقوف على عرفات في التاسع مع ذي الحجة في السنة العاشرة بعد الهجرة الشريفة، إن هذه الخطبة هي

والوثيقة الحقوقية لحقوق الإنسان، قبل أكثر من أربعمائة سنة بعد الألف.

فقد أجمل النبي ﷺ أهم وأبرز حقوق الإنسان التي تفرق ذكرها في آيات الكتاب العزيز، والأحاديث النبوية الشريفة هاتان هما المرحلتان اللتان وضع الإسلام فيهما مبادئ، وأسس حقوق الإنسان، ويعتبر ما ورد في المرحلة الإجمالية الثانية (خطبة حجة الوداع) توكيدا وزيادة تقرير وتوصية لما ورد في المرحلة التفصيلية الأولى.

وتتميز حقوق الإنسان في الإسلام بسمتين عظيمتين:

الأولى: باعتبار من هو الإنسان الذي وضع الإسلام حقوقه.

هذا الإنسان في الإسلام هو الإنسان من حيث هو إنسان، دون النظر إلى جنسه أو لونه أو شرفه أو وضاعته، أو غناه أو فقره أو قوته أو ضعفه، أو كونه رئيسا أو مرءوسا فكل من ولدته أمه حيا أحاطه الإسلام بهالة من الحقوق أو الضمانات، التي تهيئ له حياة طيبة كريمة آمنة. ومن هذه الحقوق:

● حرمة دمه، فهو من يوم يولد يكون معصوم الدم. لايجوز لأحد - مهما كان - الاعتداء على دمه فيقتله، فإن قتله عدوانا ظلما، وجب القصاص العادل فيقتل فيه، إلا أن يعفو أولياؤه.

وكذلك لايجوز لأحد الاعتداء على جسده دون القتل، ولا على أحد أطرافه، فإن تعمد ذلك فالإسلام يبيح للمعتدى عليه أن يقتص من المعتدى كما يلزم المعتدى دفع تعويض مناسبا إذا اعتدى على عضو في الجسم عطله عن أداء وظيفته في الحياة

حرية التملك، فلكل إنسان أن يمتلك ما شاء من المقومات المباح امتلاكها.

وله حرية مقدار ما يمتلك دون حد أقصى يقف عنده، مادامت مصادر كسبه مشروعة، وله حرية الاحتفاظ بما يملك، وليس لأحد أن يجبره على إخراج شيء من ملكيته قهرا وإكراها.

● وله التصرف فيما يمتلك بالبيع أو الهبة أو الصدقة.

● حرية الاعتقاد، فليس لأحد، ولو كان رسولاً أو حاكما أن يفرض على إنسان ما عقيدة معينة هو غير مقتنع بها، ولا أن يكرهه على الخروج من عقيدة هو بها مؤمن ومقتنع، مهما كانت باطلة أو يشوبها شيء من البطلان. وحرية الاعتقاد تكرر تقريرها مرات في الذكر الحكيم، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ﴾(١)

وقوله عز وجل:

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾(٢)

وقوله جل شأنه:

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا ﴾(٣).

● حريات القول والعمل، فليس لإنسان أن يحجر على إنسان في قول أو عمل، لكن بشرط أن

---

(١) البقرة (٢٥٦).

(٢) يونس (٩٩).

(٣) الكهف (٢٩).

يكون القول غير آثم، وحتى في هذه الحالة إن تعلق القول بأذى آخرين فمن حقهم رفع الأمر لولي الأمر (القاضي) لزجره وردعه، أما إن القول إثما عاما فأمره إلى الله- عز وجل-، يعني أن عقوبته أخروية.

والعمل مباح لكل إنسان حسب مواهبه وقدراته إلا إذا تعلق بالمحظور شرعا، أو كان ضاراً بحقوق الآخرين. فالعمل يشترط فيه تحقيق نفع العامل -، وهذا حق له-. ثم عدم الإضرار بالناس.

ومن الحقوق الإنسانية التي أقرها الإسلام أن الإنسان لا واسطة بينه وبين الله -عز وجل- ولا سلطان لأحد عليه. وهذا معناه أن الإسلام في وضعه لحقوق الإنسان حرر البشرية جمعاء من الخضوع والإذلال أمام أحد من الخلق وهذا المعنى هو الذي عناه ربعي بن عامر في إجابته على سؤال وجهه إليه هرقل عظيم الروم عن المهمة التي جاء بها الإسلام، فقال ربعي : « جئنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ».

إنها أبلغ عبارة قيلت في وصف الإسلام في مجال حقوق الإنسان. وشرحها يحتاج إلى مجلدات مع وضوحها في نفسها.

وما يتشدق به مفكرو الغرب من أن الحرية والعدل والمساواة مبادىء وضعتها الثورة الفرنسية في حقوق الإنسان. هذا الكلام محض افتراء أو جهل، لأن الإسلام، قبل الثورة الفرنسية باثني عشرة قرنا كان قد أقر هذه المبادىء قولا وعملا، منهجا وسيرة. وتفصيل هذا أمر غير ممكن في هذا المقام، لأن تاريخ الإسلام حافل بأروع الصور، التي حدثت عبر تاريخه الطويل ومما ورد في القرآن في هذا المجال قوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (١)

كان المخاطب في هذه الآية هو « الناس » وليس الذين آمنوا، لأن المبدأ المقرر في الآية مبدأ عام يشمل البشرية كلها مهما اختلفت عقائدهم، إنه مبدأ « المساواة » بين بني آدم، فأصلهم واحد هو آدم وحواء، وهو المراد من قوله « ذكر وأنثى » وبهذا المعيار فلا فضل ولا امتياز لأحد على أحد، لا بقوته، ولا بغناه ولا بجاهه، لأن أباهم واحد، وأمهم واحدة وبذلك ألغى الإسلام كل القيم الأرضية الزائفة التي يتباهى بها فريق على آخر، كما ألغى الفوارق القبلية والشعبية والأسرية، وبين أن هذه الفضائل إنما هي لمجرد التعارف المساعد على تسهيل التعامل بين الناس في شئون الحياة.

أما معيار الفضل والكرامة فهو لا صلة له لا بالكثرة ولا بالقلة، ولا بالنسب ولا في الجاه، وإنما هو « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » والتقوى هي عمران القلب بالايمان، والسلوك الطيب والعمل الصالح. وبهذا علا مقام بلال العبد الحبشي عند الله، ونزل مقام أبي جهل القرشي الرفيع النسب.

والحديث في هذا المجال لايحاط به إلا في موسوعات، أما الإنسان في حضارة الغرب، وحقوق الإنسان التي تدعي أوروبا نسبتها إلي نفسها، فإن الإنسان فيها هو : « الإنسان الأوروبي » وتملك على ذلك عشرات الأدلة « الطازجة ».

---

(١) الحجرات (١٣).

● موقف أوروبا من الصراع البوسني الصربي.

● موقف أوروبا من الصراع الفلسطيني الاسرائيلي.

● موقف أوروبا من تيمور الشرقية وتيمور الغربية.

● موقف أوروبا من العراق وكوريا الشمالية.

● موقف أوروبا من مشكلة الشيشان وروسيا.

اما السمة الثانية لحقوق الإنسان في الإسلام، فهي الموضوعية والثبات، فلا انحياز فيها لفريق ضد فريق، ولا تغيير ولا تبديل فيها ولا إحلال مبدأ بعد رفع مبدأ آخر، جريا مع الهوى، وجريا مع العواطف والمحاباة والدليل نموذج لانجده فى حضارة أوروبا ففى فتح سمرقند فى عهد الخليفة الراشد الخامس عمر بن عبدالعزيز خالف قائد الجيش المسلم الذى فتح سمرقند منهج الإسلام فى عرض الدعوة، وأخضع المدينة للنفوذ الإسلامى، فرفع أهل سمرقند الأمر الى عمر بن عبدالعزيز، فأمر - رضى الله عنه - بتشكيل محكمة ميدان تنظر فى هذه الواقعة، وإذا بالقاضى المسلم يحكم لأهل سمرقند، ويأمر بخروج الجيش المسلم منها. كما قضى بأن تدفع الدولة الإسلامية تعويضات لأهل سمرقند من جراء الأضرار التى لحقت بهم من الفتح غير المستوفى شروط السلامة ويهم الجيش بالخروج، إلا أن أهل سمرقند يعدلون عن شكواهم، ويطالبون ببقاء المسلمين فى بلدتهم لما رأوه فيهم من كرم الأخلاق وحسن العشرة! هل تعرف حضارة أوروبا شيئا صنعته مثلما صنعت حقوق الإنسان فى الإسلام؟

وهل تملك مبادىء حقوق الإنسان فى حضارة أوروبا الحديثة مثالاً واحداً مما تذخر به حقائق الإسلام فى أوثق مصادره:

ففي عصر نزول القرآن سرق أحد سفهاء الأنصار جرابا مملوءا بالدقيق، ثم أودعه عند رجل يهودى. دلت التحريات أن الجراب موجود لدى اليهودى. فلما سئل عنه قال: هذا وديعة لفلان، فانكر السارق انه أودع اليهودى جراب الدقيق، وشهد قومه زوراً على تبرئته وإدانة اليهودى، حتى هم النبى ﷺ أن يدين اليهودى بالسرقة، ولكن الله سارع وأنزل وحيه الأمين بهذه الآيات الحكيمات:

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ
النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾
وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَادِلْ
عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ
خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ
مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ
اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ
عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ
سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا
رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ
وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا
ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾(٥).

(٥) النساء: (١٠٥ - ١١٢).

انظر كيف واجه القرآن هذه الجريمة، التى حاول بعض الناس إلصاقها باليهودى، ليبرأوا قريبا لهم، فنزلت هذه الآيات الثمانى تشير إلى براءة اليهودى مما رمى به ظلما وعدوانا، واليهود كانوا حربا شعواء على الإسلام يحاولون إطفاء نوره، ويتآمرون مع خصومه عليه. لكن الحق هو الحق، وحماية الإنسان، إى إنسان، من الظلم حق مقدس فى الإسلام للمظلوم.

فهل فى حضارة الغرب الحديثة واقعة تماثل هذه الحقيقة فى الإسلام أو تدانيها.

إن الإسلام منهجا وسيرة هو المصدر الأول لمبادىء حقوق الإنسان فى كل زمان ومكان، دون التفرقة بين الناس جميعاً.

إن أمام المسلمين، إن أخلصوا فى نصرة الإسلام، ورد مزاياه المسلوبة إليه، أمامهم أعظم حجة، وأقوى برهان، يفحمون به خصوم الإسلام فى أوروبا الحديثة ولو فعلوا لسدوا كل الطرق أمام الطاعنين فى الإسلام ولألزموهم بأن الإسلام، وليس غيره، هو الذى أعلى شأن الإنسان، وقرر حقوقه، وحرره من كل أشكال العبودية والتبعية لغير الله - عز وجل.

تلك الحجة، التى يجب شهرها فى وجوه الخصوم هى وثيقة حقوق الإنسان التى أصدرتها هيئة الأمم منذ نصف قرن أو يزيد قليلا.

لقد درسنا هذه الوثيقة، وقارنا ما ورد فيها مادة مادة، فوجدناها مستقاة من مبادىء الإسلام وقيمة وشريعته، وقد أرجعنا كل ما ورد فيها إلى أصوله الإسلامية، إلا قليلا خالفت فيه هذه الوثيقة شريعة الإسلام، مثل :

لكل إنسان أن يتزوج من يشاء، مهما كان دينه وعقيدته فهذا «الحق» يتحفظ عليه الإسلام، ولا يسمح به على إطلاقه.

أما فيما تلك فوثيقة حقوق الإنسان الدولية مستوحاة كلها من نصوص الإسلام (الكتاب والسنة) ثم أصول الفقه والفقه.

إذن فإن هيئة الأمم لم تأت بجديد فى مجال حقوق الإنسان لم يقرره الإسلام منذ أكثر من ١٤٠٠ عام، اللهم إلا ما انحرفت فيه هذه الوثيقة، وهو قليل، عن الحقوق الفطرية للإنسان التى قررها الإسلام من قبل.

والمطلوب لتفعيل هذه الوثيقة، أن توصل المواد التى وردت فيها بخصوص حقوق الإنسان إسلاميا بإرجاع كل فكرة فيها إلى النصوص التشريعية الإسلامية وما انبثق عنها من قيم فى الفقه الإسلامى وأصوله ، وأن يضاف إليها ما أغفلت الوثيقة ذكره من مبادىء حقوق الإنسان فى الإسلام، ثم تترجم هذه الأعمال إلى اللغات الحية، وتبث بكل وسائل البث الحديث المنتشرة فى العالم، ليطلع عليها الناس فى كل دولة على أن تتضمن الرسائل إشارات صريحة إلى أن وثيقة حقوق الإنسان الدولية، التى عمرها الآن نصف قرن قد سبق الإسلام الوجود كله وأقرها قبل عصر النهضة الحديثة فى أوروبا وغيرها.

وحبذا لو عقد من أجل ذلك مؤتمر عالمى تعرض فيه هذه الحقائق، ثم يقال لمفكرى الغرب ولخصوم الإسلام، الذين اتهموه بأنه لايعرف شيئا عن حقوق الإنسان. يقال لهم :

إنكم تتباهون بـ«وثيقة حقوق الإنسان الدولية الحديثة، وتدعون أنها عمل مبتكر نشأ وترعرع برعاية العقل الأوروبى الحديث. وهاهو ذا الإسلام قد سبقكم بها منذ ما يزيد على ألف وأربعمائة عام.

ما أشبه الليلة بالبارحة

العيد الحزين

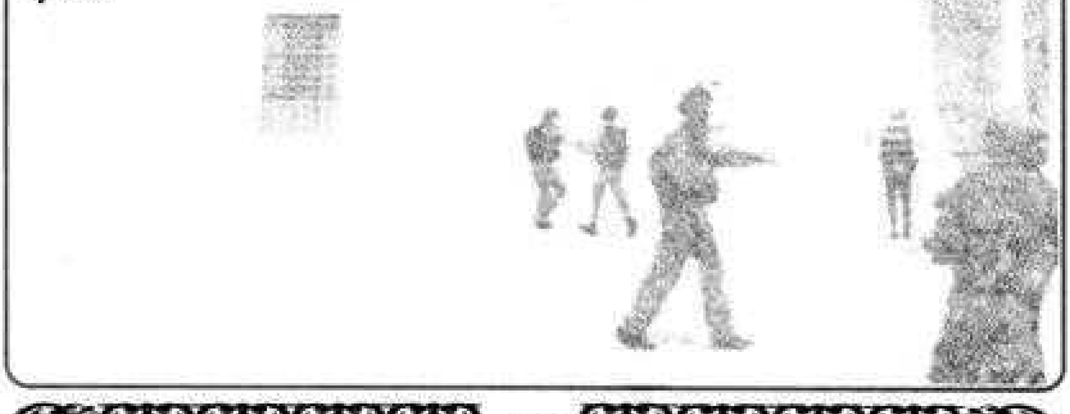
للشاعر الأستاذ/ أحمد مخيمر

عيد وعيد

للشاعر العراقى الأستاذ/ إبراهيم الوائلى

قصيدتان دامعتان قيلتا فى عيد مرّ من قبل على الأمة العربية وهى فى أشد غمرات الحزن.
واليوم يعود العيد، والأمة العربية تعانى من الآلام ما لا قبل لها به والمأساة هى المأساة.
فرأينا أن ننشر هاتين القصيدتين، وهما لشاعر مصرى، وآخر عراقى.

المحرر



العيد الحزين

للشاعر الأستاذ/ أحمد مخيمر

لا عيدَ حتى يتمَّ النصرُ والغَلَبُ ... وتأخذَ الثأرَ من أعدائها العربُ[1]
لا عيدَ.. والشعبُ لم ترقأ مدامعُهُ ... على الضحايا.. ولم يسكنْ به الغضبُ[2]
لا عيدَ.. والمعتدى داستْ جحافلُهُ ... على تراب بلادى.. وهو مغتصبُ[3]
ليس العويلُ الذى فى الريح أسمعُهُ ... إلا صُراخَ أساهُ.. وهو ينتحبُ[4]
يرى وجوهاً غريباتٍ.. تُطالعُهُ ... وأيدياً قاتلاتٍ.. منهُ تقتربُ
وظلُّ ضيمٍ لراياتٍ يُشاهدُها ... عليهِ.. ليستْ إلى التاريخ تنتسبُ[5]
ما خاضَ من ركزوها قبلُ معركةً ... يكونُ فيها لهمْ.. من بعدها الغلبُ
هانتْ.. وهانَ لهمْ فى ظلِّها شرفٌ ... أذلَّهُ أهلُهُ والدهرُ والحقبُ[6]
لا عيدَ يا ولدى.. أمَّا الذين ترى ... فإنهمْ فى يدِ المأساةِ قد لعبوا
لو أنهمْ عرفوا.. لم يطربوا أبداً ... لكنهمْ عندما لم يعرفوا.. طربوا
والجهلُ فيهم سلاحٌ.. ليس يملكُهُ ... إلا العدوُّ.. به لما التقوا ضربوا[7]
فلا تكنْ مثلهمْ.. والدمعُ مُغترفٌ ... والهولُ منتظرٌ.. والموتُ مرتقبُ[8]
ولعبةُ العيدِ.. إنْ تفرحْ بها زمناً ... فالعيدُ يمضى.. وتمضى بعدهُ اللعبُ

---

(١) الغلب: الغلبة والظفر.
(٢) رقأ الدمع: انقطع ولم ينزف.
(٣) الجحافل: جمع جحفل وهو الجيش، والضمير فى «هو» يعود على تراب البلاد.
(٤) الأسى: الحزن، ينتحب: يبكى.
(٥) الضيم: الظلم.
(٦) الحقب: جمع حقبة وهى الفترة من الدهر.
(٧) يقول: إن جهل العرب كان سلاحاً فى يد أعدائهم.
(٨) مغترف: منزوف.

سأشربها.. ولكن سوف يحملها ... إليك.. يومُ انتصارٍ ضخمةٍ عجبُ
يومٌ.. ترى الشعبَ فيه راقصاً فرحاً ... ورافعاً جبهةً.. ذلَّتْ لها النُّوَبُ[9]
لا.. يا بُنَيَّ.. فإسرائيلُ ما بقيتْ ... أسطورةٌ صاغها العُدوانُ والكذِبُ
جزيرةُ البغضِ في بحرٍ يُحيطُ بها ... عاتي الرياحِ.. يموجُ الحقدُ يضطربُ
فليس يُورقُ في قلبٍ لها أملٌ ... وليس يُثمرُ في روحٍ لها أرَبُ[10]
وما لها أبداً ماضٍ نحنُّ لهُ ... ولا غدٌ ترتجيه.. فهو مُحتجبُ
ولن تعيشَ.. وقد سُدَّتْ مسالكُها ... إلى الحياةِ.. فخابَ السعيُ والطلبُ
من يَبْنِ فوقَ فمِ البُركانِ منزلَه ... لم يبقَ من أمنِه فيه له سببُ[11]
فلا يروعْكَ منهم أنهم هجموا ... أو أنهم غدروا.. أو أنهم نهبوا
فما الشجاعةُ فيهم إنْ هُمُ نزلوا ... ولا الشجاعةُ فيهم إنْ هُمُ ركبوا
ولا الإباءُ بموجودٍ إذا ظُلِموا ... ولا الوفاءُ بمأمونٍ إذا صَحِبوا
مُشرَّدون على الأجيالِ مذ وُجِدوا ... فكلُّهم تائهٌ في الأرضِ مُغترِبُ
أخطاؤنا نحنُ.. أعطتْ كلَّ ما أخذوا ... وفُرقةُ الرأيِ جادتْ بالذي كسبوا
ومكَّنتهم من الفجرِ الذي سلكوا ... وأسلمتْ لهمُ الأرضَ التي سلبوا
لكنْ أخطاءَنا ليستْ تدومُ لهم ... فالشعبُ يكشفُها فيمن بها نُكِبوا[12]
وقبضةُ الجيشِ إنْ تضربْ ستسحقُهم ... في حيثما سكنوا.. أو أينما ذهبوا
كأنها جبلٌ من فوقِ أرؤسِهم ... يهوي.. وبحرٌ مخيفُ الموجِ ينقلبُ
لن يُفلتوا منهُ.. واليومُ الأخيرُ لهُ ... تضيءُ من نورِه الأيامُ والحِقَبُ
إنْ كان يشقى ويلقى دونَه تعباً ... فإنما الراحةُ الكبرى لمن تعبوا

---

(٩) النوب: الخطوب والنازلات.

(١٠) الأرب: الغاية المنشودة.

(١١) السبب: الوسيلة والطريقة.

(١٢) نكبوا: أصيبوا.

عيد وعيد

للشاعر العراقى الأستاذ / إبراهيم الوائلى

لكُمُ العيدُ نعيماً وهناء ... ولنا العيدُ جحيماً وشقاء

لكُمُ العيدُ كأنفاس الضُحى ... ألقاً يبسمُ حُسناً وبهاء[1]

ولنا العيدُ ظلاماً دامساً ... لم تُطالعْ فيه للفجر ضياء[2]

لكُمُ العيدُ نشيداً ورؤى ... وأهازيج ولحناً وغناء[3]

ولنا العيدُ حنيناً وأسى ... ومَناحاتٍ وشجواً وبُكاء[4]

لكُمُ العيدُ ابتهاجاً ومُنى ... ضاحكاتٍ وانطلاقاً وازدهاء[5]

ولنا العيدُ قلوباً ذويتْ ... فأذالتها مآقينا دماء[6]

لكُمُ العيدُ قرىً فارهةٌ ... وبيوتاً تملأ النفسَ رجاء[7]

ولنا العيدُ تهاويلُ دُجى ... تبعثُ الرعب صباحاً ومساء[8]

نحنُ ما نحنُ أفي أوطاننا ... نلبس التشريد والذل رداء؟[9]

نحن ما نحنُ أعن تربتنا ... للطريدين غدونا طرداء؟[10]

---

(١) ألقاً: نوراً

(٢) دامساً: حالكاً

(٣) أهازيج: أغاريد.

(٤) شجو: حزن.

(٥) ازدهاء: فرحاً.

(٦) أذالتها: سكبتها، المآقي: العيون.

(٧) فارهة: ناعمة رغدة.

(٨) تهاويل: تصاوير، دجى: ظلام.

(٩) الاستفهام للتحسر.

(١٠) الطريدين: اليهود الذين طردوا من كل موطن.

الطفلات عراها ما عرا — من أذى اليتم ولم تلقى عزاء[11]

والأيامى وسلوا تاريخها — هل أباحت لنا الشمس سناء[12]

هيمن الثكل عليها ومضت — تعبر البيد وتطويها حفاء[13]

هي بالأمس ترى سيدها — حارس البيت كما شاءت وشاء[14]

وهي اليوم تراه شبحا — لثم التربة واشتاق الثواء[15]

كلما نادت به لم تستجب — غير دنيا الفقر للثكل نداء[16]

زمر باتت على مسغبة — تخضد الشوك وتقتات الغثاء[17]

فيتيم أفلت اليتم به — من وحوش ملئوا الليل عواء[18]

وفتاة أسندت راحتها — طفلة تبكي وأما نفساء[19]

ورضيع كلما اشتد به — ألم الجوع احتسى الدمع غذاء[20]

لم يجد في الثدي ـ إذ يلمسه — بيد واهنة ـ إلا دماء[21]

لكم العيد مروجا تزدهي — ونسيما في مجاليها رخاء[22]

ولنا العيد رمالا تلتظي — وأعاصير وشوكا وعراء[23]

لكم العيد تضحون به — ما تشاءون من الضأن فداء[24]

ولنا العيد وما فديته — غير أحرار تفانوا شهداء[25]

---

(١١) عراها: غشيها.

(١٢) الأيامى: فاقدات الأزواج، هل أباحت: لم تترك للشمس ضوءاً.

(١٣) هيمن: سيطر، حفاء: دون أحذية.

(١٤) سيدها: زوجها.

(١٥) لثم: قبل، الثواء: المقام.

(١٦) تستجيب: تلبي.

(١٧) زمر: جماعات، مسغبة: مجاعة.

(١٨) أفلت به: نجا به.

(١٩) نفساء: ذات نفاس بعد الوضع.

(٢٠) احتسى: شرب.

(٢١) واهنة: ضعيفة، دماء: بقية.

(٢٢) مروجاً: حقولا ذات نضرة، رخاء: لينا.

(٢٣) تلتظي: تحترق، أعاصير: رياح شديدة، عراء: فقد المأوى واللباس.

(٢٤) تضحون: تقدمون ضحايا الأنعام.

(٢٥) تفانوا: هلكوا.

كتبوا تاريخَ جيلٍ ثائرٍ ... ما ونى يوماً ولا ارتدَّ وراء(٢٦)
واستجابوا لأمانى وطنٍ ... كافح الظلم وداس الكبرياء(٢٧)
البطولاتُ وما أعظمها ... قد خبرناها رجالا ونساء
والميادينُ وكم قد حجبتْ ... بدخان الثورة الكبرى سماء(٢٨)
قد وُلدنا نحنُ والحربُ معاً ... واحتملناها فلم نشك العياء(٢٩)
وخضدنا شوكة البغى التى ... غرستها «لندنُ» فى الشرق داء(٣٠)
وتسابقنا فلم نخش الردى ... يوم أن ثرنا ولم نحذر فناء
ثورةُ الشرق وما ازدادت لها ... شُعلٌ إلا ليزداد مضاء(٣١)
أيها التاريخُ هذى صفحةٌ ... سوف تطويك خلودا وبقاء
قد كتبناها ولكنْ بدمٍ ... ونشرناها على الدهر لواء(٣٢)
ونضال طال لكن ما رأى ... غيرنا فيه الضحايا الأبرياء(٣٣)
عبر الوحشُ فألفى تربةً ... خصبة المرعى وأفياء وماء(٣٤)
ومضى يكرعُ ما شاء وقد ... كان يشكو فى المتيهات الظماء(٣٥)
وعلى «المانش» يدٌ عاتيةٌ ... كلما أوغل زادته احتماء(٣٦)

---

(٢٦) ونى: استراح.
(٢٧) الكبرياء: هنا كبرياء المحتل الغاصب.
(٢٨) حجبت: غطت، كناية عن اشتداد القتال.
(٢٩) العياء: العجز والضعف.
(٣٠) شوكة البغى (يهود إسرائيل) وقد غرستها لندن لأن الانجليز قد ساعدوا على الاحتلال الصهيونى أيام الانتداب كما أصدر وزير خارجيتهم بلفور أول وعد بالوطن القومى لليهود.
(٣١) مضاء: قوة وعزيمة.
(٣٢) لواء: علماً مرفوعاً.
(٣٣) الضحايا: ما قدمنا من الشهداء.
(٣٤) ألفى: وجد. أفياء: ظلال.
(٣٥) المتيهات: أماكن التيه التى كان حائرا فيها. الظماء: العطش.
(٣٦) المانش: بحر المانش ببريطانيا، وكان الإنجليز هم الحماة لليهود قبل الأمريكان.

يدُ «جنبُول» ويا دُنيا اشهدى … كم أساءت يدُ جنبول وساء[٣٧]
هذه التربة ماذا كابرتْ … منذ أن كانت تقل الدخلاء[٣٨]
صيَّرُوها مِزَقاً خاويةً … وأحالوها عظاماً ودماء[٣٩]
فإذا نحنُ حيارى فزعاً … نستجير البيد والقفر الخلاء[٤٠]
ونرودُ الماء لكنْ ما نرى … غير أوشالٍ فنرتد ظماء[٤١]
أيها العدلُ سلاماً فلقد … صيروا عهدك في الكون هباء[٤٢]
ملأوا العالم رعباً ومضوا … يدعون الحق كذباً ومراء[٤٣]
فإذا «الأمن» خيالٌ كاذبٌ … وطيوف تتجافانا ازدراء[٤٤]
جفَّتِ الأرضُ من الرِّىِّ فيا … خالقَ ذى النبتة أمطرها السماء[٤٥]





(٣٧)جانبول: هو اسم عام لكل انجليزى، اخترعته الصحف الكاريكاتورية هناك.

(٣٨) كابرت: قاست. تقل: تحمل. الدخلاء: المراد اليهود.

(٣٩) مزقا: قطعاً. خاوية: خالية.

(٤٠) نستجير: نطلب الجوار. البيد: الصحارى.

(٤١) نرود: نطلب باحثين. أوشال: بقايا الماء الكدر.

(٤٢) هباء: لا حقيقة له.

(٤٣) مراء: لجاجة وادعاء.

(٤٤) تتجافانا: تبتعد عنا وتتحاشانا.

(٤٥)جفت: نضبت فلا ماء بها. السماء هنا: المطر.

معاداة السامية فى الفكر الصهيونى

للأستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد

يُعتبر العالم النمساوى « شلوتزر » أول من استخدم مصطلح « السامية » فى عام ١٧٨١، وقد آثر رجال الفكر الصهيونى استخدام هذا المصطلح بدلاً من « اليهودية » لأن لفظ « اليهودية » ـ فى نظرهم يحمل دلالات قد لا تلقى قبولاً عند كثير من شعوب أوروبا. أما مصطلح « معاداة السامية » Anti-simitism الذى يعنى « معاداة اضطهاد اليهود »، يطابق تماما مصطلح « اللاسامية » فى معناه، ولم يكن هذا المصطلح معروفا حتى الربع الأخير من القرن التاسع عشر، ويُعَدُّ العالم اليهودى « فيلهالم مار » أول من استخدم هذا المصطلح فى عام ١٨٧٩ بمعنى اضطهاد اليهود من الأغيار (غير اليهود) وما يجب لفت الأنظار إليه ـ فى البداية ـ أن اليهود ليسوا وحدهم ساميين، لأن علماء الأجناس يعتبرون العرب أيضا ساميين، كما أن الغالبية العظمى من يهود اليوم لا تمت إلى الجنس السامى بصلة، لاعتناق أجناس أخرى اليهودية، وللتزاوج من غير اليهود، بعد شتات بنى إسرائيل فى أنحاء الأرض، وقد أدى ذلك، بطبيعة الحال، إلى اختلاط الدماء والأنساب. ويذكر كثير من الأدباء والكتاب الصهيونيين أن « معاداة السامية » ظهرت أول ما ظهرت، فى الكتابات، فى ألمانيا فى أواخر الستينيات من القرن التاسع عشر، فهى لذلك ألمانية المنشأ ويمكن القول أن « موسى هيس » (١٨١٢ – ١٨٧٥) مؤلف كتاب « روما والقدس » هو أحد رواد الفكر الصهيونى، الذى أفلح فى توظيف اللاسامية لمهاجمة اندماج اليهود فى البلاد التى يعيشون فيها، بهدف دفعهم للهجرة إلى فلسطين. أما المفكر اليهودى الصهيونى « ليو بنسكر » (١٨٢١ – ١٨٩١) فقد تناول اللاسامية (معاداة اليهود) فى كتابه « التحرر الذاتى » بوصفها مرضا موروثا ينتقل من الأب إلى الابن، ولا يمكن علاجه، ما لم يتغير اليهود جذريا.

وفى هذا السياق يقول الزعيم الصهيونى اليهودى « حاييم وايزمان » (١٨٧٤ – ١٩٥٢) أول رئيس لإسرائيل : « إن اللاسامية، بالدرجة الأولى، هى مسألة نفسية، باقية، ما دام اليهود موجودين ».

ويرى زعماء الصهيونية الأوائل أن العدو الأول لليهود فى العالم والذى تحاول الصهيونية القضاء عليه يتمثل فى فكرة التنوير اليهودية « الهاسكلاه » التى تدعو إلى اندماج اليهود فى البلاد التى يقيمون فيها، ومصدر خطورة هذه الفكرة أنها تحدُّ من هجرة يهود الشتات إلى فلسطين. واللافت للنظر أن الصهيونية استغلت دعوى « معاداة السامية »

لتحريض يهود الشتات على عدم الاندماج في الشعوب التي يعيشون معها، وحثهم على الهجرة إلى فلسطين. وفي هذا الإطار يقول المفكر الصهيوني «ليو بنسكر» : «إن اليهود بمنزلة الضيوف في كل مكان، وليسوا أصحاب منزل خاص بهم، حيث يسود العداء للسامية العالم كله، وأن الخوف من اليهود صار مرضا نفسيا، يتوارثه الناس، ولا أمل في شفائهم منه». لذلك حرص قادة الفكر الصهيوني على تعظيم الهولوكست (اضطهاد وإبادة اليهود) التي تعرض لها اليهود - بزعمهم - لتربية اليهود وتنشئتهم على الخوف الدائم من الأغيار (غير اليهود)، وتعميق الإحساس بعدم الأمن في ظل وهم تهديد الآخرين لهم بالإضطهاد والإفناء، لتشجيعهم على عدم الاندماج معهم، والهجرة إلى فلسطين. ويجدر الإشارة إلى أن الفكر الصهيوني لا يرفض اندماج اليهود في بلاد الشتات التي يعيشون فيها فحسب، بل يتقبل معطيات اللاسامية، فيقول «هرتزل» في مذكراته : «أنا أتفق مع «نوردو» على معاداة السامية، فهي وحدها القادرة على أن تجعل من اليهود يهودا» ويبدو أن هرتزل يذهب، في رأيه، إلى أن ثمة صلة قوية بين هويته اليهودية ومعاداة السامية حتى إنه كان يرى «أن الهوية» اليهودية تنمو بنمو اللاسامية». ويذكر الزعيم الصهيوني «هرتزل» في كتابه «الدولة اليهودية» :«أن اليهود أينما يعيشون، فهم معرضون للاضطهاد، ففي روسيا تُفرض على القرى اليهودية الضرائب، وفي رومانيا يُحكم على بعض اليهود بالموت، وفي ألمانيا كثيرا ما يتعرض اليهود للضرب المبرح، وفي النمسا يمارس اللاساميون مختلف أساليب الإرهاب ضد اليهود في شتى مناحي الحياة». ويرحب «هرتزل» بمعاداة السامية بدلا من مناهضتها بقوله : «إن المعادين للسامية حلفاء لنا» وهذا يعني أن الزعيم الصهيوني لا يرفض اللاسامية تماما، بل يقبل بعض مظاهرها، ويصور كل من هو معاد للسامية بأنه حليف طبيعي للصهيونية لأنه يدفع بهجرة اليهود من بلاد الشتات إلى حيث يريدون، ولعل ذلك ما يؤكده الصهيوني اليهودي «يافنيلي» بقوله : «إن معاداة السامية خير خالص، لأنها تساعد على هجرة اليهود من الشتات، والعودة إلى فلسطين» ويواصل «هرتزل» تأكيد الدور الحيوي الذي تلعبه أسطورة «معاداة السامية» في تحقيق أهداف المشروع الصهيوني، وكيف يحمل اليهود في نفوسهم نزعة الشعور باضطهاد الأغيار لهم، فيقول في مذكراته : «لقد نمت اللاسامية، وهي تستمر في النمو، وكذلك أنا» وهو بذلك لا يخفي تشجيعه لاستمرار وجود هذه النزعة، ويرى أن تنامي «العداء لليهود» هو تنام للحركة الصهيونية نفسها.

ويؤكد الكاتب اليهودي «هـ. كوهين» في مقال له بعنوان : «صهيون والفكرة القومية اليهودية» علّق فيها على تعاليم هرتزل بقوله : «لقد اعتبر هرتزل معاداة السامية هي القوة الفاعلة التي ينبغي على الصهيونية أن تتعلم كيف تستغلها لمصلحة اليهود، فإن ملامح التاريخ وحقائقه تتجسد في اللاسامية، وكل ما عدا ذلك ثانوي لا قيمة له». وامتدادا لذلك السياق ذكر الكاتب الصهيوني «بن هخت» في كتابه «الغدر» «أن القيادة الصهيونية كانت حريصة على حث، وتشجيع الاضطهاد النازي ضد يهود شرق أوروبا لدفعهم للهجرة إلى

فلسطين وإقامة الدولة اليهودية». ومن هذا المنطلق يقول الزعيم الصهيوني «ناحوم جولدمان» : «إن ضعف تيار معاداة السامية قد يحمل خطرا جديدا على الكيان اليهودي». ويساير هذا الرأى «لبويفغر» أحد أعضاء المؤتمر اليهودى الأمريكي فيقول : «إن مثل هذا الاضطهاد قد يكون بركة، ومن الممكن أن شيئا من اللاسامية قد يكون ضروريا لتعزيز الكيان اليهودى».

ومن جهة أخرى تدرك الصهيونية، منذ البداية، أن روح الحرية، والتسامح الدينى، وتطور الوعى السياسى فى المجتمع الصناعى الحديث، قد يهدد بوضع نهاية لاضطهاد اليهود، وانتهاء معاداة السامية، ومن ثم يهدد بذوبانهم فى الأمم التى يعيشون فيها ثقافة، ولغة، ودينا وجنسا. ومن هنا تسعى الصهيونية بكل ما أوتيت من إمكانات، وقدرة لاستبقاء «مناخ الاضطهاد» ومحاولة تجسيد أسطورته لإيقاف تيار الذوبان لليهود فى الشعوب التى يعيشون معها. لذلك فإن الصهيونية كافأت الصهيونى غير اليهودى «بلفور» فبوأته مكانة متميزة فى التاريخ اليهودى لوعده المشهور بإقامة وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين، وأطلقت اسمه على أحد المزارع الجماعية فى إسرائيل.

وبرغم ما أسداه لورد «بلفور» لليهود من خدمات فإنه لم يَسْلَم من جحود الصهاينة له عندما وصفوه بأنه معاد للسامية، إذ تعتبره ساهما فاعلا فى إصدار «مشروع قانون الأجانب» الذى كان يهدف إلى وضع حد لدخول يهود شرق أوروبا إلى إنجلترا لأنه رأى أن الكوارث التى حلت بانجلترا كان سببها، هجرة الأجانب إليها، خاصة أن غالبيتهم كان من يهود شرق أوروبا. وفى هذا الشأن يذكر لورد «بلفور» وزير خارجية بريطانيا وقتذاك «أن ولاء اليهود للدولة التى يعيشون فيها هو ولاء ضعيف بالمقارنة بولائهم لعرقهم ودياناتهم». والحقيقة التى لاينكرها أحد من قادة الصهيونية، بشهادة التاريخ، أن الاضطهاد الذى يزعم اليهود، ويبالغون أنهم تعرضوا له، أثناء شتاتهم فى الأرض، لم يكن كما يزعمون بسبب نقاء جنسهم، وتميزهم، وامتلاكهم للثروة والنفوذ، ولكن بما ارتكبوه من مخاز فى حق غيرهم، وما اقترفوه من مآس فى حق غيرهم ممن آووهم، واستضافوهم. وتأسيسا على ذلك طردهم الإنجليز من بريطانيا عام ١٢٧٥ وعام ١٧٠٠، وطردوا من فرنسا عام ١٣٠٦، ومن بلجيكا عام ١٣٧٠، ومن النمسا عام ١٤٢٠، ومن هولندا عام ١٤٤٤، ومن أسبانيا عام ١٤٩٢، ومن ليتوانيا عام ١٤٩٥، ومن البرتغال عام ١٤٩٨، ومن إيطاليا عام ١٥٤٠. والحقيقة التى يعرفها اليهود جيدا، بعد عمليات الطرد والملاحقة لهم من هذه البلاد، أنهم لم يجدوا المأوى الدافىء، والملجأ الآمن، والحضن العطوف إلا فى بلاد العرب والمسلمين.

وما يجب لفت الأنظار إليه فى هذا السياق أن اليهود أثناء تواجدهم فى بلاد الشتات، لم يحاولوا، بصدق، التعايش مع شعوبها، بل على خلاف ذلك حرصوا وبشدة على انعزالهم فى «جيتوات» «حارات اليهود»، فكانت أرض جاسان، من محافظة الشرقية فى مصر أول جيتولبنى إسرائيل، وكانت بابل فى العراق، الجيتو الثانى، غير أنهم عقب السبى الرومانى انتشر بينهم الجيتو، وصار لهم فى كل مكان يقيمون فيه

« جيتو » فرضوه على أنفسهم قبل أن يفرضه عليهم الأغيار الذين استضافوهم وآووهم.

وكان هذا الجيتو هو الردم أو الحاجز بينهم وبين غيرهم من غير اليهود، الذى صنعوه بأيديهم، وكان هو السبب فى اهتزاز الثقة فى اليهود، لرفضهم الاندماج مع هذه الشعوب التى أمنتهم بعد خوف، والتى استضافتهم بعد تشتت، وهذا الردم، وهذا الحاجز هو الجيتو الذى ضاعف من إحساس اليهود باضطهاد الغير لهم. وما يلزم التأكيد عليه أن الصهيونية الآن تتاجر بالهولوكست « المحرقة والإبادة النازية لليهود » بحيث بات صناعة رائجة فى الثقافة الأمريكية، فصار الهولوكست المرجع التاريخى الوحيد الذى يتم دراسته فى العديد من كليات وجامعات أمريكا، فتشير استطلاعات الرأى فى الولايات المتحدة الأمريكية أن عدد الأمريكيين الذين يستطيعون الحديث عن المحرقة النازية – المزعومة التى تبالغ الصهيونية فى وصفها – أكبر بكثير من الذين يعرفون ضرب اليابان للأسطول الأمريكى فى « بيرل هاربر » أو القنبلة الذرية الأمريكية على « نجازاكى » و« هيروشيما » فى اليابان، فقد سمحت ١٧ ولاية أمريكية، باستخدام برامج تتعلق بتمجيد وتعظيم أسطورة الهولوكست، كما خصصت عدة كليات وجامعات « كراسى جامعية » لدراسة « المحرقة النازية لليهود »، كما أن الذكرى السنوية للهولوكوست صارت من الأعياد القومية الأمريكية. وقد استغلت الصهيونية أسطورة « الهولوكست »، ووظفتها



حمل شقيقه فرارا من حكم بالإعدام أصدره شارون والصهيونية بدعوى معاداة السامية

بصورة أفضل لتوطيد النفوذ الصهيونى فى الولايات المتحدة الأمريكية، بعد أن رأت فيه سلاحاً فعالاً لدفع تهم النقد عنها. ولكسب عطف الرأى العام، والإدارة الأمريكية ولدعم الكيان الإسرائيلى فى فلسطين المحتلة، وأصبحت دعوى « معاداة السامية » وسيلة للابتزاز المعنوى والمادى للحصول على المزيد من الأموال، وهذا ما يراه العالم من ابتزاز إسرائيلى لألمانيا، وسويسرا، وبولندا للاستيلاء على المزيد من مليارات الدولارات فى شكل تعويضات ومساعدات.

وفى الختام يمكن القول أن الدافع الحقيقى وراء إشهار سلاح معاداة السامية فى وجه كل من يكشف عنصرية الكيان الصهيونى فى فلسطين العربية، ودمويته، وشراسته ضد أصحاب الأرض الحقيقيين، هو المتاجرة بالاضطهاد المزعوم لليهود، ومحاولة تأجيج ناره، وإشعال جذوته لتوحيد الخليط المتنافر من سكان الجيتو الإسرائيلى. فالصهيونية ترى – حتى بعد قيام إسرائيل – أن اضطهاد اليهود فى بلاد الشتات يجب ألا تخبو شعلته لأنه السبيل الأكيد لهجرة اليهود إلى الكيان الصهيونى، وفى نفس الوقت لا تترك الصهيونية

وسيلة إلا استخدمتها لخلق الكراهية بين إسرائيل وجيرانها العرب من ناحية وبينها وبين الفلسطينيين من ناحية أخرى، وهذا ما يشهد عليه التاريخ، من معاداة إسرائيل لكل ما هو عربى، بما ترتكبه جيشها فى الضفة الغربية وقطاع غزة من قتل، واغتيال، ونسف للمنازل، وهدم للبنية التحتية، وتجريف للأرض، وإغلاق للمدن، وحصار للقرى، وتمزيق لوحدة الأرض الفلسطينية، ويتساءل الجميع ألا يبعث ذلك كله إلى بث الكراهية وزرع الحقد فى نفوس أبناء الشعب الفلسطينى الذى تريد إسرائيل سحقه، وإلى إثارة مشاعر العرب والمسلمين؟ لا شك أن إسرائيل تقدم كل يوم الدليل على استحالة ذوبان كيانها الصهيونى فى محيط السلام العربى، بسبب نزعة الشعور المعادى لكل ما هو عربى ولقد وصل الأمر بإسرائيل أن تصف منظمات حماس، والجهاد الإسلامى، وحزب الله، «بالمعاداة الإسلامية الجديدة للسامية» وترى فى الوقت ذاته ما يقوم به أبناء الشعب الفلسطينى من مقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلى بأنه معاداة للسامية، وصورة من صور الإرهاب، والحقيقة التى يجب أن تدركها إسرائيل أن العرب ليسوا خصوماً لليهود، ولكنهم خصومٌ «للصهيونية».







قرر شارون أن هؤلاء الأطفال وغيرهم ممن قتلهم أعداء للسامية وينبغى إعدامهم

أساسيات علوم الأرض فى التراث العربى

للأستاذ الدكتور
أحمد فؤاد باشا

مقدمة:

تشهد الفترة الحالية من عصرنا اهتماما كبيرا بتاريخ العلم وفلسفته، خاصة فيما يتعلق بقضية التأصيل لنشأة العلم وأولوية المنهج العلمى، حيث يدور الجدل بين الباحثين حول الإجابة عن أسئلة أين ومتى وكيف نشأ العلم وتكونت بذرة المنهج العلمى فى فكر الإنسان؟!

وتاريخ العلم والتقنية جزء من التاريخ الإنسانى العام الذى أسهمت فى صنعه جميع الأمم على مر العصور، إنه تاريخ الفكر الذى منحه الله - سبحانه وتعالى - للإنسان لكى يرتقى بعقله ويدرك أهمية المعرفة فى صنع التقدم وفهم حقائق الأشياء. ومن يقرأ تاريخ أى علم من العلوم - بحيدة وموضوعية بعيدا عن مختلف ضروب الهوى والتحيز - يجد أنه وثيق الارتباط فى تقدمه وتعثره بمراحل ازدهار حضارات الإنسان وانحطاطها، منذ عصور الحضارات القديمة، ومرورا بعصر الحضارة العربية الإسلامية، فعصر النهضة الأوروبية الحديثة، وصولاً إلى حضارة التكنولوجيا المعاصرة، كما يجد أن فلسفة العلم معنية بتتبع نمو المشكلات العلمية وتطورها عبر تلك المراحل، ومهتمة بما قدمه العلماء من نظريات أو حلول لتلك المشكلات.. وفق منهج تحليلى مقارن يهدف إلى وضع الحقائق فى نصابها المقبول عقليا والممكن تاريخيا ومنطقيا.

من هنا، فإن الأمانة فى سرد تاريخ أى علم من العلوم تقتضى أن نتتبع مراحل تطوره منذ نشأته، ونقف على كيفية نموه وتدرجه، ونتعرف على ماقام به عظماء رجاله من الأعمال التى أحدثت هذا النمو والتدرج، فذلك كله أدعى إلى حسن تصور الآراء والنظريات المختلفة، فضلا عن أنه الأسلوب الواجب لإيضاح التسلسل الطبيعى للخطوات التى أدت إلى الكشف عن الحقائق العلمية منسوبة إلى أصحابها الشرعيين.

وانطلاقا من هذه المقدمة سوف نعرض للحديث بإيجاز عن أصول بعض العلوم الجيولوجية في كتب التراث العربية لإلقاء الضوء على ماتضمنه هذا التراث من نظريات وآراء وأفكار ذات قيمة معرفية أو منهجية في تاريخ العلم والحضارة، وأن نكشف عن بعض المفاهيم التي تشكل أساسا لكثير من المباحث الجيولوجية التي تعامل اليوم كعلوم تخصصية مستقلة، نظرا لاتساع دائرة البحث في موضوعاتها، وسوف نعتمد في توثيق هذا العرض على بعض النصوص المحققة المنتقاة من أمهات الكتب التراثية.

(أ) علم شكل الأرض (الجيومورفولوجيا)

إذا بدأنا بعلم شكل الأرض فإننا نعرف أن هذا العلم في صورته المعاصرة يهتم بدراسة التضاريس الأرضية المختلفة فوق سطح اليابسة والمغمورة تحت الماء، ويعنى بتتبع أطوارها المتعددة، وتفهم الأسباب والعوامل المؤثرة في تكوينها، وذلك في ضوء مايسمى بالنظرية الجيومورفولوجية، الحديثة التي تقضي بأن تطور أشكال سطح الأرض يعتمد على عوامل عديدة كالتعرية والإرساب والحركات الأرضية وغيرها، وهي عوامل ناتجة عن تأثير قوى البناء والهدم.

والباحث المدقق في كتب التراث العلمي يجد العديد من النصوص التراثية التي تؤكد سبق علماء الحضارة الإسلامية إلى وضع أصول النظرية الجيومورفولوجية الحديثة وصياغة المبادئ والمفاهيم العلمية التي تطور على أساسها مبحث شكل الأرض «الجيومورفولوجيا» وأصبح واحدا من أهم العلوم الجيولوجية المعاصرة.

ونؤكد في البداية أنه كان لدى علماء الحضارة العربية الإسلامية تصور مقبول عن فكرة الجاذبية الأرضية وقوة تأثيرها، وذلك من خلال دراستهم لحركة المقذوفات والسقوط الحر للأجسام. فقد ذكر الهمداني في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) أن الأرض «أشبه بحجر المغناطيس الذي تجذب قواه الحديد من كل جانب» وأوضح البيروني أن الأرض تجذب مافوقها نحو مركزها على استقامة أقطارها.

وتحدث الإمام فخر الدين الرازي عن انجذاب الجسم إلى مجاوره الأبعد.. وهي بداية الطريق إلى تعميم فكرة الجاذبية على جميع الأجسام الموجودة في الكون، وصياغة نيوتن لقانون الجذب العام في القرن السابع عشر الميلادي.

وهاهو أبو الريحان البيروني يحدد لنا مفهوماً أساسيا واضحا في تفكيره عن قوى البناء والهدم، ويقدم أفكارا غير مسبوقة عن تكون الصخور الرسوبية الفتاتية (الحطامية)، وتصنيفها بحسب حجومها إلى الحصى والرمال والتراب، وتفسير الطريقة التي تؤدي إلى استدارة الحبيبات الفتاتية والحصى، وبيان العلاقة بين حجمها وبعد المصدر الذي نشأت منه. وهي موضوعات يعالجها علم الرسوبيات الحديث.

يقول أبو الريحان البيروني في كتابه «تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات

المساكن» الذي أتم تأليفه بمدينة غزنة «كابول حاليا» سنة ٤١٦هـ - ١٠٢٦م:

«ولا نعلم من أحوالها (أى الأرض) إلا مانشاهده من الآثار التى تحتاج فى حصولها إلى مدد طويلة، وإن تناهت فى الطرفين، كالجبال الشامخة المتركبة من الرضراض الملس (أى الحصى الصغار وفتات الحجر) المختلفة الألوان المؤتلفة بالطين والرمل المتحجرين عليها.. فإن من تأمل الأمر من وجهه، وأتاه من بابه، علم أن الرضراض والحصى هى حجارة تتكسر من الجبال بالانصداع والانصدام، ثم يكثر عليها جرى الماء وهبوب الرياح، ويدوم احتكاكها فتبلى، ويأخذ البلى فيها من جهة زواياها وحروفها، حتى يذهب بها فيدملكها (أى يملسها ويدورها)، وأن الفتات التى تتميز عنها هى الرمال ثم التراب. وإن ذلك الرضراض لما اجتمع فى مسايل الأودية حتى انكبست بها، وتخللها الرمال والتراب فانعجنت بها واندفنت فيها وعلتها السيول، فصارت فى القرار والعمق بعد أن كانت من وجه الأرض فوق، تحجرت..

.. وإذا وجدنا جبلا متجبلا من هذه الحجارات الملس - وماأكثره فيما بينها - علمنا أن تكونه على ماوصفناه، وأنه تردد سافلا مرة وعاليا أخرى».

واستطاع أبو بكر الكرجى فى القرن الحادى عشر الميلادى أن يزيد على هذه المفاهيم مايعمق مفهوم توازن الأرض، وفكرة الدورة التضاريسية التى تقول بتطور معالم سطح الأرض بحيث كلما أثرت قوى الرفع البانية على منطقة ما ورفعتها فوق مستوى سطح البحر، فإنها تكتسب طاقة كامنة بفارق الارتفاع عما حولها، مما يسهل لقوة الجاذبية الأرضية أن تنقلها شيئا فشيئا إلى مواقع أقل ارتفاعا منها، مثل قيعان المحيطات، فى محاولة لكى يتساوى بعد قممها عن مركز الأرض، وينتج عن ذلك تطور فى تضاريس الأرض ينتهى معه السطح النهائى بالتعرية إلى سطح منخفض ومستو هو «السهب». وقد نسبت هذه الفكرة إلى «ديفيز» فى القرن التاسع عشر الميلادى، ولكننا نجد مايصحح هذا الإسناد الخاطئ عندما نقرأ للكرجى قبل ذلك بثمانية قرون، مانصه:

«إن فى الأرض حركات دائمة، منها طلب الأبنية للوقوع والانهدام، والميل عن سمت الاستقامة، وكذلك الجبال والتلاع تنهار قليلا قليلا، وتتفتت طلبا للمركز. والأرض الرخوة فى تربتها حركة دائمة، وهى طلب أجزائها الصلابة باعتماد بعضها على بعض. وأعظم هذه الحركات المذكورة انتقال المياه العظيمة، وجريان الأودية القوية من أرض إلى أرض فى الأزمنة الطويلة، فإذا اجتمعت موادها فى ناحية من نواحيها، وارتفعت حتى يعد سطحها من المركز، وساوى ذلك بعد الموضع المحاذى له الذى يقابله، ثم بعد المساواة زاد عليه، تحركت الأرض طلبا للمعادلة المذكورة، فتتغير لذلك عروض البلاد ومطالعها وأنصاف نهارها، ويصير

ذلك سبب انتقال البحار، وظهور عيون وغيض عيون، ولا يكون ذلك دفعة واحدة في ساعة واحدة، بل يكون على التدريج كانتقال العمارات من أرض إلى أرض.

والمتأمل في هذا النص الذي أورده الكرجي في كتابه «إنباط المياه الخفية» لبيان أنواع الحركات الأرضية الدائمة وأثر الجاذبية الأرضية عليها، لابد أن تستوقفه بعض الإشارات العلمية، منها:

١ – قوله: «الأرض الرخوة في تربتها حركة دائمة، وهي طلب أجزائها الصلابة باعتماد بعضها على بعض» مشيرا إلى حركة الأجزاء الترابية الدقيقة لتترابط وهو إدراك مبكر جدا لما عرف حديثا باسم «عمليات مابعد الترسيب» أو «النشأة المتأخرة» Diagenesis، حيث تتحول الرسوبيات الرخوة غير المتماسكة إلى صخور قاسية. وذلك حين تقع تحت وطأة ثقل طبقات أحدث منها تكوينا، فتنضغط وتصبح صخورا كاملة التماسك نتيجة فقدها أثناء الانضغاط كميات كبيرة من المياه المتواجدة بين مسامها، وترتبط بعد فترة طويلة من الزمن بواسطة محاليل وسط الترسيب والمياه الجوفية بملاط (مادة لاحمة) فتتماسك وتقسو.

٢– الإشارة إلى ظاهرة التغير النسبي في مواضع الماء واليابسة من خلال إشارته الى تغير عروض البلاد ومطالعها وأنصاف نهارها تبعا لتغير وضع اليابسة (القارات) ومايرافق ذلك من تغير في موقع البحار ووضعية الخزانات الجوفية «فتظهر عيون وتغيض عيون».

٣– الإشارة إلى مفهوم الزمن الجيولوجي، وتعاقب الأحداث على الأرض منذ أزمنة وعصور طويلة، وأن مايبشنا عن هذه الأحداث من تغيرات في سطح الأرض يحتاج إلى مدد زمنية طويلة.

ويضيف أبو الريحان البيروني مايجعل نظرية تبديل البحر واليابسة أكثر عمقا وأقرب صحة إلى الواقع التاريخي لكوكب الأرض، ويجعل من الاستقراء منهجا تاريخيا يمتد تطبيقه ليشمل الأحداث الجيولوجية القديمة، فيقول عن بادية العرب:

«... وعلى مثله ينتقل البحر إلى البر في أزمنة، إن كانت قبل كون الناس في العالم فغير معلومة، وإن كانت بعده فغير محفوظة، لأن الأخبار تنقطع إذا طال عليها الأمد، وخاصة في الأشياء الكائنة جزءا بعد جزء، بحيث لايفطن لها إلا الخواص.. فهذه بادية العرب وقد كانت بحرا فانكبس، حتى إن آثار ذلك ظاهرة عند حفر الآبار والحياض بها» كما يقول عن أرض الهند:

«.. بل لو تفكرت عند المشاهدة فيها، وفي أحجارها المدملكة حيث يبلغ الحفر: عظيمة بالقرب من الجبال وشدة جريان مياه الأنهار، وأصغر عند التباعد وفتور الجرى، ورمالا عند الركود والاقتراب من المغايض والبحر.. لم تكد تصور أرضهم إلا بحرا في القديم قد انكبس بحمولات السيول».

ونلاحظ هنا أن البيروني يطوع منهجه العلمي تبعا لطبيعة الموضوع، فلا يحصر عملية البحث عن الحقيقة في المشاهدة

والتجربة العملية فقط، على غرار ماعرف وشاع منسوبا إلى فرنسيس بيكون في عصر النهضة الأوروبية الحديثة باسم «المنهج التجريبي»، بل إن رؤيته المنهجية الرائدة تعطي عملية التفكير والاستدلال، إلى جانب الربط التاريخي، الأهمية التي تستحقها عندما يكون موضوع البحث قائما على أحداث تاريخية تفصلها أزمان مديدة، مثل تراجع البحر وانكشاف اليابسة وتبدل مواضعها ومن عجب ألا يفطن فلاسفة العلم إلى هذه المعالجة المنهجية عند البيروني، والتي تعتبر تأصيلا لما يسمى بالمنهج الفرضي - الاستنباطي، أو المنهج العلمي المعاصر.

ويأتي ابن سينا من ناحية أخرى ليدعم هذه الرؤية المميزة للبحث العلمي في عصر الحضارة الإسلامية. فيؤكد على دور الملكات الإدراكية الأخرى، ومنها الحدس، إلى جانب الملاحظة والتجربة والاستقراء، في الوصول إلى الحقيقة العلمية، وهو يرى أن عملية تبادل توزيع الماء واليابسة ذات طابع كوني لاتتوارث فيها التواريخ، وليست - كما قال فلاسفة الإغريق - محصورة في مناطق ضيقة عند السواحل ومصاب الأنهار، فيقول موضحا كل هذا وغيره:

«ونحن نعلم بأقوى حدس أن ناحية الشمال كانت مغمورة بالماء حتى تولدت الجبال، والآن فإن البحار جنوبية، فالبحار متنقلة وليس يجب أن يكون إنتقالها محدودا، بل يجوز فيه وجوه كثيرة».

(ب) علم الأحياء القديمة (البليونتولوجيا)

وإذا انتقلنا إلى علم الأحياء القديمة، نجد أن علماء الحضارة الإسلامية قالوا بنظريات رائدة تحدثت عن طبيعة الحفريات ومدلولاتها العلمية التي يتم على أساسها استنباط التاريخ الجيولوجي ومعرفة تطور الكائنات الحية وتطور البيئات القديمة عبر العصور الجيولوجية المختلفة.

وكان أبو علي الحسين بن سينا في مقدمة الذين أوضحوا بجلاء أن الطبقات الرسوبية تترسب بعضها فوق بعض في البحار، وأثناء ترسب كل طبقة، وهي مازالت لزجة، تدفن بها أجزاء الحيوانات المائية كالأصداف وغيرها، ثم تحدث عملية الجفاف والتحجر لتلك الطبقات وتجري كل هذه العمليات ببطء شديد جدا يستغرق - على حد قوله - «مددا لاتفي التاريخات بحفظ أطرافها».

كذلك كان البيروني هو الآخر رائدا في تناول هذا الموضوع بالبحث المنهجي السليم وكانت آراؤه متفقة مع آراء ابن سينا في أن أصل الحفريات بقايا لكائنات حية نباتية وحيوانية متحجرة، وقد تكونت متزامنة مع تكون طبقات الصخور التي وجدت فيها. لكن ينسب للبيروني أنه أدرك بالملاحظة الدقيقة أمرين مهمين جديرين بالتسجيل:

١ - الأمر الأول يتعلق بأشكال الحفريات، وفيه يقول: «.. بل يخرج منها أحجار إذا كسرت كانت مشتملة على أصداف وودع ومايسمى آذان السمك، إما باقية فيها على

حالها، وإما بالية قد تلاشت وبقى مكانها خلاء «تشكل بشكلها». ويلاحظ أنه أشار إلى ما نعرفه حاليا من أن الحفريات قد تكون عبارة عن الكائن نفسه بجميع أجزائه، أو تكون بقايا الأجزاء الصلبة الهيكلية فقط، وتوجد هذه البقايا بدون أى تغيير في مادتها الأصلية، أو توجد متحجرة بعد استبدال مادتها بمادة أخرى، وقد تكون الحفرية مجرد طابع خاص أو أثر لبقايا الكائن الحي على الصخور التى كان يعيش عليها عندما كانت رخوة لم تتصلب بعد، وعندما تتصلب بمرور الزمن تحتفظ بهذه الطوابع أو هذا الأثر.

٢- والأمر الثانى يتعلق بوجود حفريات برية أيضا، وليست مائية فقط، وفي ذلك يقول: «حمل إلينا من آبار معادن الذهب بزريان عدة حلزونات وجدت في بئر بعد حفر مائة وخمسين ذراعا في مقادير الجوزة، إلا أن قشرها غلاظ جدا حجرية بزيادة خطوط كالحفر في عرض لولبها، وقد خلت من حيوانها وامتلأت بالطين، ثم استحجر بها ذلك الطين.. ولم يحصل من مشاهدة ذلك إلا أن أرض تلك الآبار كانت وجه الأرض مكشوفة وقتا ما، وكان العظم والصغر يلحقها بحسب المكان والماء وكنه طبيعتها»، فإن الحلزونات البحرية تكون أعظم جثة وأغلظ خزفا وأصلب.

إن وجود هذه الحفريات ذات المنشأ البرى، والتى وجدت في البئر على عمق مائة وخمسين ذراعا، استدل بها البيرونى على أن تلك الطبقة التى استخرجت منها كانت على وجه الأرض في الماضى البعيد.، وكان منطقه في هذا الاستدلال مبنيا على الملاحظة، حيث إن وجود تلك الحلزونات ذات المنشأ البرى فيها يدل على البيئة القارية القديمة لمنشأ تلك الطبقة.

وهذا الربط والتوظيف للحفريات في التعرف على البيئة القديمة وخصائصها لم يكونا بالأمر المقبول في الفكر العلمى الغربى قبل نهاية القرن التاسع عشر الميلادى. ولابد أن يكون البيرونى قد قارن بين أنواع شتى من الأصداف لحيوانات تعيش في الحاضر، وبين حلزونات قارية وأخرى بحرية، حتى يستنتج أن الأخيرة تكون أكبر حجما وأكثر غلظة وصلبة كالخزف. وهذا يعنى أن البيرونى كان مدركا لدور الحاضر في فهم عمليات حدثت في الماضى، وهى القاعدة والأساس لنظرية «التواتر» Unifomitarianism المنسوبة في المؤلفات الجيولوجية الحديثة إلى العالم الاسكتلندى جيمس هاتون في عام ١٧٨٥م.

(جـ) علم المعادن والتعدين

يزخر التراث العربى بالكثير من المؤلفات التى تناولت دراسة العديد من المعادن وتعدينها والتنقيب عنها ففى كتاب «المسالك والممالك» تحدث ابن حوقل عن استخراج الرخام من تبريز، والرصاص من فرغانة وكرمان، والكحل من أصفهان، والنفط من باكو، والملح من عبدان، وملح البارود من بخارى، والكبريت من سوريا وفلسطين، والياقوت والزمرد والعقيق من مصر

وخراسان وجنوب شبه الجزيرة العربية. كما تحدث عن مناجم الذهب في العلاقي على مسيرة خمسة عشرة يوما من أسوان. وفي كتاب «أزهار الأفكار في جواهر الأحجار» يقول التيفاشي عن تعدين الزمرد الموجود خلف أسوان بمصر:

«... فيخرج منها الزمرد قطعا صغارا كالحصباء منبثة في تراب المعدن وأخبرني رأس المعدنين بمصر المكلف من قبل السلطان بهذا المعدن أن أول مايظهر من معدن الزمرد شئ يسمونه الطلق.. ثم يحفر فتجد طلقا هشا فيه الزمرد في تربة حمراء لينة.. وربما أصيب العرق منه متصلا فيقطع، وهو جيده. وأما صغيره فإنه يوجد في التراب بالنخل. وذلك أنهم ينخلون التراب ثم يوجد خلاله فيغسل كما يغسل تراب الفضة».

ويعتبر الحسن بن أحمد الهمداني من أفضل الذين كتبوا في علم المعادن والتعدين، فقد سرد في كتاب «الجوهرتين العتيقتين» مناجم الذهب والفضة المعروفة في جزيرة العرب وبلاد الأعاجم وأرض النوبة والحبشة، واهتم بوصف مناجم اليمن وتهامة ونجد، ونقل ماقاله معدنو الفضة من أن ليس بخراسان ولابغيرها كمعدن اليمن، وهو معدن الرضراض في حد نهم (تقع شمال شرقي صنعاء في الطريق إلى مارب) وبمخلاف يام من أرض همدان. وبفضل هذه المعلومات اهتدت بعثة المسح الجيوفيزيائي لمعرفة موارد اليمن المعدنية والبترولية إلى الكشف حديثا عن العديد من المناجم الهامة، وتجرى حاليا دراسة تقديرية لجدواها الاقتصادية، خصوصا بعد التأكد من توافر الزنك والحديد والرصاص، إلى جانب الفضة، بكميات تجارية. وهذا إن دل فإنما يدل على الأهمية المتزايدة للدراسات التراثية في الحياة المعاصرة.

من ناحية أخرى، اعتمد علماء الحضارة العربية الإسلامية على الملاحظة والتجربة في كثير من دراساتهم للمعادن والجواهر والأحجار الكريمة، وفي تمييز دخيلها من أصيلها بحسب لونها وشفافيتها وبريقها وصلابتها وحكاكتها (أو مخدشها) وتشعيرها (أو تشققها) وغير ذلك من الخواص الفيزيائية التي تميز بها المعادن اليوم، وقد حاولوا قياس بعض هذه الخواص وتقديرها كميا، مثل خاصية الوزن النوعي التي عينوها لمواد كثيرة بدقة تطابق التقديرات المعروفة حاليا، ومثل خاصية الصلادة HARDNESS التي تحدد درجة تماسك (صلابة) المعدن وقدرتها على خدش معدن آخر، فقد ذكر التيفاشي من خواص الألماس، أنه يقطع كل حجر يمر عليه، وهو نفسه عسر الانكسار، وذكر أن الياقوت يقطع الحجارة شبيها بالماس، وليس يقطعه شئ غير الماس. وذكر البيروني في كتاب «الجماهر في معرفة الجواهر» أن الماس أصلب الجواهر ويليه الياقوت ثم أشباه الياقوت، وقال: «إنما قدمت ذكر الماس على ماذكر مما بقي من مثمنة الجواهر التي لها الرياسة، أعني اللؤلؤ والزمرد، لأنه فاعل في الياقوت الفاعل فيما

دونه، وغير منفعل بشئ فوقه ولامتأثر، مما دونه.. والمناسبة بينه وبين الياقوت أقرب المناسبات بالرزانة والصلابة وقرب الجوار في المعدن وقهر الغير بالثقب ،القطع. وبهذا يكون البيروني والتيفاشي قد وضعا اللبنة الأولى في فكرة بناء «مقياس موهز» للصلابة Mohs scale ذي الدرجات العشر، ويشغل الألماس والياقوت الدرجتين العاشرة والتاسعة فيه على الترتيب.

مباحث جيولوجية أخرى

هناك مباحث جيولوجية أخرى تجد أساسا لبعض مفاهيمها في ثنايا الكتب التراثية، فقد تحدث الهمداني وابن سينا وإخوان الصفا وغيرهم، عن الطاقة الزلزالية في باطن الأرض ووصفوا ماينتج عنها من آثار متفاوتة الشدة، كما وصفوا بعض أنواعها وسموها «الرياح المحتقنة» ودونوا ملاحظاتهم عن الهزات الزلزالية التي تعرضت لها البلدان العربية والإسلامية خلال القرون الماضية، وهي سجلات يمكن الاسترشاد بها في الدراسات المتعلقة بخرائط التوزيع الزلزالي.

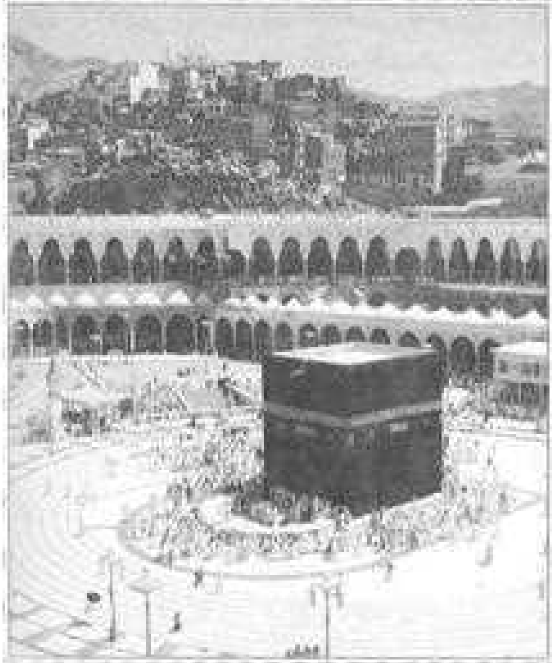
كذلك نجد في مخطوطات التراث العربي معلومات كثيرة عن البحار والمحيطات والأنهار، والظواهر المتعلقة بها، ونجد في مؤلفات لابن وحشية، وإخوان الصفا، وابن سينا، والبيروني، معلومات عن المياه الجوفية والدورة الهيدرولوجية وآلية صعود الماء الجوفي وأنواع الآبار من عادية وارتوازية وقد خصص الكرجي كتابا بعنوان «إنباط المياه الخفية» منفردا بمعلوماته واختصاصه في شرح وتفصيل طرق الاستدلال على الماء الجوفي وهندسة استخراجه.

خاتمة:

لعل فيما قدمناه من عرض موجز لأساسيات بعض العلوم الجيولوجية في التراث العربي مايوضح أهمية هذا التراث في تاريخ العلم والحضارة. ويدفعنا إلى البحث عن المفقود منه وهو كثير جدا، ليحظى من جموع الباحثين - كل في تخصصه - بدراسات تحليلية مفصلة تعود بالعلوم التخصصية المعاصرة إلى جذورها في المجتمع الذي كان شاهدا على ميلادها. ونتعرف على طبيعة الظروف التي سمحت للمفاهيم والأفكار الوليدة أن تنمو وتزدهر، وتصبح بعد ذلك فروعا في شجرة المعرفة، وروافد لا غنى عنها لتغذية الحضارة الإنسانية، فليس ثمة معرفة إنسانية لاتفقد طابعها العلمي متى نسي الناس الظروف التي نشأت في أحضانها، واغفلوا المسائل التي تولت الجواب عليها، وإن تاريخ العلوم لايدلنا فقط على المراحل الزمنية للتغيرات التي شهدها،ولكننا نتعلم منه أيضا أن بعض المشكلات والقضايا العلمية التي تواجهنا الآن ليست جديدة تماما فالأساليب التي عولجت بها هذه القضايا في ظروف مغايرة عبر العصور لن تخلو أبدا مما يمكن أن نفيد منه اليوم أو غدا.

الكعبة المشرفة

للأستاذ / عبد السلام ناصف



ما من مسلم فى هذا الكون إلا ويسمع عن الكعبة المشرفة - وإن لم تسنح له فرصة التطلع إليها والتمتع برؤيتها والنظر إلى بهائها ورونقها - فأنت حين تنظر إليها يتسلل إليك شعور بالمهابة والإكبار وإدراك عميق لمعنى (الله أكبر) وفهم دقيق لقوله تعالى :

﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾[1] وهى من الداخل بهو خال من كل زخرف وكأنها بساطة الفطرة ممثلة فى هيكل التوحيد فى أسمى معانيه يذكرك به الله أكبر « التى رفعها بلال - رضى الله عنه - ذات يوم بجانبها وتدور عيناك إلى ما فى جوارها من زمزم والمقام والحجر والميزاب والكسوة والحزام.

ويقال إن الكعبة المشرفة هى مركز الأرض وهى تسمى بهذا الإسم لتكعيبها وتسمى الطبلة وتسمى البيت المعمور وتسمى بيت الله الحرام.

تاريخ الكعبة

بنيت الكعبة اثنتى عشرة مرة إذا اعتبرنا البناء من الجذور أو البناء الترميمى الشامل فقد كان أول من بناها هم ملائكة الرحمن قبل إعمار الأرض لتصبح مركزا لهذا الكون - وعندما هبط أبو البشرية آدم - عليه السلام - إلى الأرض اتجه إليها وجدّدها وسعد بترميمها ومن بعده جاء شيث - ولده - عليه السلام - فأعاد ترميمها وشرف بتجديد بنائها وظلت على هذا الحال حتى أمر الله نبيه وخليله ببنائها، فالتزم بأمر ربه وبناها مع ولده إسماعيل - عليه السلام - وكانت مستطيلة الشكل طول ضلعها الشرقى

(١) البقرة (١١٥).

نحو اثنين وثلاثين ذراعا، والضلع الغربي نحو واحد وثلاثين ذراعا، في حين أن الضلع الشمالي كان نحو اثنين وعشرين ذراعا، والضلع الجنوبي المقابل نحو عشرين ذراعا، وكان ارتفاعها يومئذ نحو تسعة أذرع وكان لها بابان ملاصقان للأرض، وقد حفر بداخلها حفرة لتكون بمثابة خزانة، وبنى في شمالها عريشًا لغنم ولده إسماعيل - عليه السلام - لازال باقيا حتى اليوم منذ أكثر من أربعة آلاف سنة وهو ما يعرف بحجر إسماعيل، ويعتبر جزءا من الكعبة يلزم الطواف حوله مع كل طواف.

وقد أعاد القرشيون بناءها بعد تصدعها إثر الحريق الذي شب فيها وهو العمل الذي شارك فيه محمد الأمين - صلوات الله وسلامه عليه - قبل بعثته بل كان له دور حكيم ريادي قيادي أرضى جميع الأطراف المختلفة في وضع الحجر الأسود المبارك في وضعه الحالي - ولقد زاد القرشيون في ارتفاعها حتى ثمانية عشر ذراعا ورفعوا بابها عن الأرض من الجهة الشرقية وبنوا لها سلما يوصل إلى سطحها وأحاطوا حجر إسماعيل بسور لحمايته ومن ثم أصبح جزءا من الكعبة.

وأعاد عبدالله بن الزبير - رضي الله عنه - بناءها بشكل مربع ومكعب ولكن على نفس القواعد التي ارتكز عليها الخليل إبراهيم - عليه السلام - ووفقا لرغبة سيد الخلق محمد - صلوات ربي وسلامه عليه - ودعم سقفها بدعائم خشبية لحمل السقف وزاد من ارتفاعه لنحو سبع وعشرين ذراعا.

أما الحجاج بن يوسف الثقفي فقد أعاد بناءها على قواعد القرشيين.

ولما ولي الخلافة السلطان العثماني مراد خان سنة ١٠٤٠ هـ أمر بإعادة بنائها بعدما غمرتها المياه كما أمر بعمل حزام حولها من الذهب الخالص.

وأخيرًا كانت الطفرة السعودية التي اعتنت بكل الأماكن المشرفة فنالت الكعبة المكرمة عناية خاصة إذ أعيد بناؤها على نظم تقنية حديثة من حيث البناء وعمل «المونة» واختيار الحجارة وبقية مواد البناء. إضافة إلى استقدام العمالة الفنية المدربة عالية الخبرة وكانت الكعبة التي نراها اليوم.

وتتكون الكعبة من أجزاء تكمل بعضها البعض في شكل متناسق لتصبح صورة رائعة ترتاح لها العين ويؤمن بها القلب وينشرح لها الصدر وهذه الأجزاء جزء لا يتجزأ منها لكنه يكمل الأجزاء الباقية لتخرج للناس صورة الكعبة المشرفة وهذه الأجزاء هي :

أركـــان الكعبـــة

للكعبة المشرفة أربعة أركان هي :

الركن اليماني، والركن العراقي، والركن الشامي، إضافة إلى الركن الأساسي، وهو ركن الحجر الأسود الذي يبدأ منه الطواف وينتهي عنده - وكلمة الركن تعني الحجر الأسود وكلمة الركنين تعني الحجر الأسود والركن اليماني.

روازن الكعبـــة

هي المناور التي تدخل الضوء إلى داخلها، ولقد كانت أربعة روازن وروزن السلم الموصل إلى سطحها.

وقد ألغاها الملك الأشرف برسباى ليحميها من المطر عام ٨٣٤هـ.

الميــــزاب

وضع عبدالله بن الزبير - رضى الله عنه - ميزابا للكعبة لأول مرة إلا أن الخليفة الأموى الوليد بن عبدالملك - رحمه الله - أبدله بميزاب من صفائح الذهب.

وفى العصر العثمانى جدده السلطان عبدالمجيد عام ١٢٧٣هـ بميزاب جديد من الذهب الخالص - وفى عصر التوسعة الكبرى التى تمت للبيت الحرام جدده خادم الحرمين الشريفين بميزاب أحدث من الذهب الخالص.

حجــــر إســـماعيل

هناك منحنى فى شمال الكعبة محاط بسور رخامى قصير هو حجر إسماعيل، ويسمى الحطيم لأن قريشا حطمته وانقصته من الكعبة عندما أعادت بناءها - وقد رُمم أكثر من خمس وعشرين مرة على يد المصلحين من الخلفاء والأمراء والملوك كان آخرها ترميمة خادم الحرمين الشريفين بعدما كسى بالرخام وهو يرتفع عن سطح الأرض بنحو متر ونصف المتر تقريبا ويلزم الطواف حوله باعتباره جزءا لا يتجزأ من الكعبة عند أى طواف.

الملتــــزم

هو ذلك الحجر الملاصق للحجر الأسود وحتى باب الكعبة - وهو موضع يستجيب الله فيه الدعاء ويستحب أن يلصق الداعى خدَّه وصدره وذراعيه مفتوح الكفين إليه أثناء الدعاء.

المســـــتجار

وهو الجزء الواقع بين الركن اليمانى وموضع الباب المسدود المقابل للملتزم ويسمى ملتزم عجائز قريش.

الحطــــــيم

يطلق الحطيم على حجر إسماعيل - عليه السلام - كما تطلق كلمة الحطيم على المساحة الواقعة بين مقام إبراهيم - عليه السلام - وبئر زمزم وهى التى تتحطم فيه الذنوب.

الحجـــر الأســـود

وهو الحجر الذى يبدأ منه الطواف وينتهى عنده وقد شارك رسول الله - صلوات ربى وسلامه عليه - فى وضعه فى هذا المكان حينما اختلفت القبائل فى أحقية كل منها فى وضعه وهو من يواقيت الجنة ولونه المغمور اليوم يذكرك بلونه الأبيض فى غابر العصور، وهو موضع سكب العبرات ويسنّ تقبيله أو استلامه أو الإشارة إليه إذا ما تعذر تقبيله، وهو يمين الله فى الأرض بمعنى أنه مقام مصافحة العهد مع الله على التوبة - ولسوف يشهد لكل من استلمه أو قبّله ومن فاوضه فقد عاهد الله، والمسح عليه يحط الخطايا وهو ملتقى شفاه الأنبياء والتابعين والصالحين والحجاج والمعتمرين والزوار.

بـــاب الكعبـــة

كان أول من أمر بتصنيع باب للكعبة هو أسد تُبَّع أحد ملوك اليمن السابقين وجعل لها مفتاحا أودعه إلى شيبة، وكان مصنعا من أجود أنواع الأخشاب ومحلّى بآيات قرآنية بارزة إلى أن أمر جلالة الملك

عبدالعزيز - رحمه الله - بإعادة تصنيعه من أخشاب مستوردة وبصفائح من الذهب والفضة مزينا بأسماء الله الحسنى وبعض الآيات القرآنية حتى كانت التوسعة الكبرى حين أمر خادم الحرمين الشريفين بتصنيعه من الذهب الخالص بما يزيد على مائتين وثمانين كيلو جراما مزين بالآيات القرآنية البارزة وله قفل ذهبي أنيق يغلق الباب ويفتح عند الحاجة.

المعجـن

المعجن عبارة عن حفرة بجوار الكعبة من الناحية الشرقية فيها مقام إبراهيم الخليل وقد صلى فيها الأمين محمد ﷺ يوم تم له فتح مكة المكرمة غير أنها سويت بالمطاف بعدما كان يتعثر فيها الطائفون.

الشـاذوران

هي الوزرة التي تقع أسفل الكعبة المشرفة وهي مسنمة الشكل من الرخام تدور حول الكعبة من الجهات الثلاث حيث يكمل حجر إسماعيل - عليه السلام - محيطها والذي يعتبر جزءا من الكعبة يلزم الطواف حوله.

مصـطبة حراسـة الحجـر

شيدت تلك المصطبة بجوار الحجر من جهة باب الكعبة ليعتليها جندي الحراسة الذي ينظم عملية استلام الحجر الأسود أو تقبيله ودرء تدافع الحجاج والمعتمرين أثناء التزاحم.

دعائـم السـقف

للكعبة ثلاثة أعمدة بداخلها تحمل سقفها قطر كل منها نحو ذراع يباعد كل منها عن الآخر نحو مترين وخمس وثلاثين سنتيمترا، وكان عبدالله بن الزبير أول من شيدها وأقامها لحمل السقف حين شيد الشاذوران حماية من الأمطار.

جُـب الكعبـة

هي حفرة تقع على يمين الداخل إلى الكعبة المشرفة جعلها الخليل إبراهيم - عليه السلام - بعمق ثلاثة أذرع لتكون مستودعا لما يهدى إلى الكعبة من علية القوم أو من الناذرين - وقد أزيلت هذه الحفرة حين تحولت الخزانة إلى بني شيبة بن عثمان بن طلحة واستعيض عنها بمشاجب تعلق عليها الهدايا والآثار بداخل الكعبة.

السـدانة والحجـارة

وهي تولي خدمة البيت عامة والكعبة خاصة، وهي في أهل عثمان بن طلحة وفي ولده حتى اليوم بأمر من رسول الله ﷺ إذ قال:

(خذوها يا بني طلحة خالدة تالدة إلى يوم القيامة لا ينزعها منكم إلا ظالم).

المقـام

هو مقام إبراهيم خليل الله - عليه السلام - الذي شيد الكعبة مع ولده، ويحسن أداء ركعتين أمامه باتجاه الكعبة بعد كل طواف، فقد نزل فيه أمر إلهي باتخاذه مصلى، وأثر أقدام الخليل واضحة المعالم بداخله.

تطـييب الكعبـة

تُطيب الكعبة منذ العصر الجاهلي وقد أقره سيدنا رسول الله - صلوات الله عليه وسلامه - وسار على نهجه الخلفاء الراشدون ثم الخلفاء

الأمويون والعباسيون والعثمانيون الذين أولوا الحرمين الشريفين جُلّ اهتمامهم وتتابع الملوك والأمراء والشيوخ على سنة تطييبها حتى يومنا هذا حبا لها وفيها متأسين بالآية الكريمة:

﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾(٢).

الكســـوة

أول من كسا الكعبة المشرفة هو سيدنا إسماعيل - عليه السلام - بكسوة جزئية وكانت توضع فوق بعضها البعض - الجديد فوق القديم إلى عهد تُبّع أحد ملوك اليمن الذى أمر بكسوتها بكسوة كاملة تامة سابلة، وأقر رسول الله ﷺ كسوتها كاملة حيث أمر بكسوتها بعدما احترقت أثناء تبخيرها، وكساها الخلفاء الراشدون بعده بكسوات جديدة توضع فوق القديمة، حتى عام ١٦٠هـ حيث رؤى كسوتها بالكسوة الجديدة ورفع القديمة، وتؤخذ أجزاؤها للتبرك بها. وفى عهد محمد على حاكم مصر شيدت مصر مصنعا خاصا بالكسوة الشريفة بعمالة مدربة واعية مستعينة بأجود أنواع الخيوط الحريرية وحليات زخرفتها المصنعة من الذهب والفضة لتزيينها وتحليتها بالآيات القرآنية. وكانت الكسوة تنقل إلى مكة المكرمة فى موكب شعبى لوضعها على الكعبة المشرفة فى مهرجان شعبى كل عام واستمرت هذه الاحتفالات بالكسوة الشريفة حتى عام ١٣٤٦هـ حين أمر الملك عبدالعزيز آل سعود - رحمه الله - بإنشاء دار خاصة لصناعة الكسوة بمكة المكرمة، ولقد جدده وطوره من بعده جلالة الملك فيصل - رحمه الله - ثم تعهده خادم الحرمين الشريفين فأنشأ لها مصنع الكسوة بمدينة جدة.

ومصنع الكسوة غاية فى التقنية العالية من حيث الدقة فى العمل بأقسامه المتعددة بدءاً من النسيج إلى الصباغة إلى النقش والتطريز والطباعة والتجهيز والتجميع - وهى من النسيج المحكم من الحرير الطبيعى الخالص المحلّى بالآيات القرآنية المكتوبة بأسلاك الذهب الخالص، وتبلغ تكلفتها نحو ما يقرب من سبعة عشر مليون ريال سعودى، فهى تتكون من سبعة عشر ثوبا طول الثوب الواحد نحو أربعة عشر مترا بعرض متر واحد يعمل فى إخراجها نحو مائتين وخمسين عاملا فنيا ماهرا متخصصا متفرغا.

وللكعبة المشرفة ستارة داخلية وستارة أخرى للباب الذهبى.

أبعـــــاد الكعبـــــة

رغم أن الكعبة المشرفة تبدو لناظرها أنها مربعة الشكل ومكعبة إلا أن أبعادها تختلف من ضلع إلى آخر فالضلع بين الحجر الأسود إلى الركن الشمالى نحو ١١,٦٨ متر، والضلع الواقع بين الركن اليمانى إلى الركن الغربى نحو ١٢,٠٤ متر، والضلع الواقع بين الركن الشامى إلى الركن الغربى نحو ٩,٩٠ متر، والضلع الواقع بين ركن الحجر الأسود إلى الركن اليمانى نحو ١٠,٨ متر وأما ارتفاعها فيبلغ نحو ١٢,٩٥ متر بعدما كان عند أول بنائها فى عهد الخليل إبراهيم لا يجاوز ٤,٣٢ متر وفى عهد عبدالله بن الزبير نحو ٨,٦٤ متر.

---

(٢) الحج (٢٦).

شجاعة العلماء في إسداء النصيحة إلى الخلفاء والأمراء (٢)

لفضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف

سجل التاريخ كثيراً من المواقف الشجاعة الجريئة التى وقفها أبطال من علماء الإسلام يتحدون فيها الظلمة والطغاة من الخلفاء والأمراء، والملوك والولاة، ويرفعون راية الحق فى وجوههم فى شجاعة بالغة وجرأة نادرة، فكانوا قمما شامخة فى دنيا البطولة والإيمان، ونماذج فريدة فى إسداء النصيحة للحكام.

من هؤلاء العظماء العالم الجليل، والفقية التقى: سعيد بن جبير، الذى واجه جبروت الحجاج وقسوته، وتعطشه لإراقة وسفك دماء خصومه، وإزهاق أرواح المعارضين لظلمه، الرافضين لبطشه.. واجه ذلك بشجاعة وثبات نادرين، فلم يرهبه طغيان الحجاج، ولم يضعفه جبروته..

فبعد أن قضى الحجاج على ثورة القائد / عبدالرحمن بن الأشعث الذى ثار ومعه أتباعه ـ وفى طليعتهم سيد التابعين سعيد بن جبير ـ ضد طغيان الحجاج، وتفرق جيش الثائرين وفر أغلبهم هاربين، وقبض الحجاج على ناصية الأمر، أصدر أوامره بعقد المحاكمات الدامية لمن قبض عليهم من الثائرين ومنهم سعيد بن جبير.

وكانت محاكمة سعيد بن جبير حدثاً تاريخياً سجل آيات البطولة من عالم مسلم يؤمن بالله وبوعده، ويرى بثبات إيمانه وقوة عقيدته أن من الحتم عليه أن يجابه الطغيان فى جبروته ولا يعنيه ولا يثنيه عن موقفه نهاية ونتيجة محاكمته مهما كانت قاسية أليمة، لأنه يؤمن بأن حياة الذل والهوان، والضعف والاستسلام، والخنوع والخضوع، لا تقاس بالشهادة العالية فى مناضلة الفساد والتشهير بزويه..

وتصدر الحجاج مجلس المحاكمة، وهو منتفخ الأوداج فى جلسته، يملؤه الغرور والكبر، وتسيطر عليه الرغبة الجامحة فى التشفى والانتقام من خصومه، وسأل فى استخفاف:

ما اسمك؟

فسمع سعيد يجيب في صلابة وعزة:

اسمي سعيد بن جبير!!

ولكن الطاغية يتهكم فيقول مبالغاً في استخفافه: بل شقي بن كسير!!

فيندفع سعيد ليجيبه بقوله: أبي كان أعلم باسمي منك!!

وإذ ذاك يتضايق الحجاج فيصيح في تبرم وغيظ: لقد شقيت وشقي أبوك، ويظن أنه بذلك قد قطع الرد على غريمه!

ولكنه يسمعه يجيب: الغيب إنما يعلمه غيرك.

فيستشرى غيظه ويلجأ إلى الوعيد والتهديد، فيصيح: لأبدلنك ناراً تلظى!

وهنا يرده سعيد إلى حقيقته فيقول له في بساطة هادئة: لو علمت أن ذلك لك ما اتخذت إلهاً غيرك!!

وطالت الأسئلة، ولم يصل الحجاج إلى إفحام غريمه كما يريد.. إذن ليسلك مسلكاً آخر يقرب الفريسة من الوقوع في فخها المرصود.... وكان الكلام عن بعض الصحابة آنذاك مجالاً للكيد، ووسيلة للاتهام بمناوأة الدولة، والثورة على سياستها العامة، ولاسيما إذا تطرق الحديث إلى الإمام عليّ كرم الله وجهه.. فأدار الدفة إلى أهل البيت، وسأل سعيداً:

ما قولك في محمد؟ وهو سؤال لا يتطلب روية من عالم بصير كسعيد.

فصاح يقول: نبي الرحمة، إمام الهدى، بعثه الله رحمة للعالمين...

وهنا نفذ الطاغية إلى هدفه فقال: وما رأيك في علي؟ أهو في الجنة أم في النار؟

واستمع الرد فوجد حزماً بالغاً وحيطة تامة في قول سعيد: لو دخلتها وعرفت من فيها لعرفت أهلها.. فأقفل بسداده الحازم باب اللجاجة في وجه أقوى حاقد.

فاستشاط الحجاج غيظاً وصاح: ما قولك في الخلفاء؟

فيأتيه الرد حاسماً: لستُ عليهم بوكيل.

وتوالت الأسئلة من الحجاج، والردود من سعيد، وتطرقت من باب إلى باب.. ومن موضوع إلى موضوع دون أن يزل سعيد بن جبير في رد على تهمة تدع حيثية الإعدام في يد عدوه..

ولما يئس الحجاج في محاولاته قال في سخرية مريرة: أتريد أن أعفو عنك؟

فإذا سعيد يقول في ثقة وإيمان: إن كان العفو فمن الله، وأما أنت فلا تملك عفوا عن إنسان!!

غير أن حمى الانتقام التي سيطرت على الطاغية دفعته صائحاً: اختر أي قتلة تريد أن أقتلك بها؟

فيجيبه سعيد في هدوء الصابر، وإيمان المحتسب: بل اختر يا عدو الله لنفسك، فوالله ما تقتلني اليوم قتلة إلا قُتلت في الآخرة بمثلها!!

ثم تكون الخاتمة الأليمة، فيساق الشهيد إلى المذبحة الحمراء، وكانت آخر دعوة ترددت بها أنفاسه الطاهرة: اللهم لا تسلط الحجاج على أحد بعدي!!

وكأن السماء قد سمعت دعاء المظلوم الشهيد، فمات الحجاج بعد مصرع غريمه بخمس

عشرة ليلة دون أن يريق دماً لإنسان بعد سعيد، وقد أصيب الحجاج بلوثة في عقله بعد أن شاهد رأس الشهيد تتطاير عن جسمه، فلم يذق النوم إلا لماماً، وكان يستيقظ فزعاً وهو يصيح: يا قوم، مالي ولسعيد بن جبير، وكان يتخيل هاتفاً يصلصل في أذنه: أي عدو الله.. فيم قتلت سعيداً!!

لقد استشهد سعيد بن جبير في حومة المجد والكرامة، ليعلّم الناس جميعاً أن الحرية لا تنال إلا بالدماء، وأن الشهادة في سبيل الحق مثوبة رفيعة لا يدركها غير المثاليين من ذوي النفوس الرفيعة والمعدن الأصيل... رحم الله العالم التقي الشهيد سعيد بن جبير، وأنزله مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

●●●

عندما ولي عمر بن عبدالعزيز ـ رضي الله عنه ـ الخلافة لم يبهره المنصب، ولكنه قدّر مسئوليته الضخمة.. فقرر أن يستعين عليها بأهل الخبرة والصلاح وكان من دلائل صلاحه أنه لم يتسبد برأيه ولكنه طلب المشورة من أهلها.. فطلبها من واحد من كبار الزاهدين العلماء.

وكان من رحمة الله بأمة الإسلام أن أتم عليها نعمته: بالحاكم الصالح... والعالم الصادق.. وها هو ذا الحسن ـ رضي الله عنه ـ يستجيب لرغبة الخليفة فيرشده بقوة وصراحة إلى طريق الحق والعدل... ويقدم له النصيحة الخالصة فيما يجب عليه اتباعه... التي نحن في حاجة متجددة إلى مثلها...

فقد كتب عمر بن عبدالعزيز ـ رضي الله عنه ـ لما ولي الخلافة إلى الحسن بن أبي الحسن البصري طالباً منه: أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل. فكتب إليه الحسن البصري ـ رضي الله عنه ـ يقول:

إعلم يا أمير المؤمنين أن الله جعل الإمام العادل قوام كلّ مائل، وقصْد كلّ جائر، وصلاح كل فاسد، وقوة كل ضعيف، ونصفة كل مظلوم، ومفْزع كل ملهوف.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالراعي الشفيق على إبله الرفيق بها، الذي يرتاد لها أطيب المراعي، ويرودها عن مراتع التهلكة، ويحميها من السباع، ويُكنها من أذى الحرّ والقر.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأب الحاني على ولده، يسعى لهم صغاراً، ويعلمهم كباراً، يكتسب لهم في حياته، ويدخر لهم بعد مماته.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة البرة الرفيقة بولدها، حملته كُرها ووضعته كُرها، وربته طفلاً تسهر بسهره، وتسكن بسكونه، تُرضعه تارة وتفطمه أخرى، وتفرح بعافيته وتغتم بشكايته.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين وصيُّ اليتامى، وخازن المساكين، يُربّي صغيرهم، ويمُون «ينفق» كبيرهم.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوارح: تصلح الجوارح بصلاحه وتفسد بفساده.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين هو القائم بين الله وبين عباده، يسمع كلام الله ويسمعهم وينظر إلى الله ويُريهم، وينقاد إلى الله ويقودهم. فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملكك الله ـ عز وجل ـ كعبد

ائتمنه سيده واستحفظه على ماله وعياله، فبدد المال وشرّد العيال، فأفقر أهله وفرق ماله.

واعلم يا أمير المؤمنين أن الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش فكيف إذا أتاها من يليها؟ وأن الله أنزل القصاص حياة لعباده فكيف إذا قتلهم من يقتصّ لهم؟ واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده، وقلة أشياعك عنده، وأنصارك عليه، فتزود له ولما بعده من الفزع الأكبر.

واعلم يا أمير المؤمنين أن لك منزلاً غير منزلك الذي أنت فيه، يطول فيه ثواؤك، ويفارقك أحباؤك، يسلمونك في قعره فريداً وحيداً فتزود له ما يصحبك:

﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) ﴾(١).

واذكر يا أمير المؤمنين:

﴿ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ (٩) وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴾(٢).

فالأسرار ظاهرة، والكتاب

﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾(٣).

فالآن يا أمير المؤمنين وأنت في مهل قبل حلول الأجل، وانقطاع الأمل، لا تحكم يا أمير المؤمنين في عباد الله بحكم الجاهلين، ولا تسلك بهم سبل الظالمين، ولا يسلط المستكبرين على المستضعفين، فإنهم لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، فتبوء بأوزارك وأوزار مع أوزارك، وتحمل أثقالك وأثقالاً مع أثقالك. ولا يغرنك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك، ويأكلون الطيبات في دنياهم بإذهاب طيباتك في آخرتك، ولا تنظرن إلى قدرتك اليوم، ولكن انظر إلى قدرتك غداً وأنت مأسور في حبائل الموت، وموقوف بين يدي الله - تعالى - في مجمع من الملائكة والنبيين والمرسلين، وقد:

﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ﴾(١).

إني يا أمير المؤمنين، وإن لم أبلغ بعظتي ما بلغه أولو النهى من قبلي، فلم آلك «أقصر» شفقة ونصحاً، فأنزل كتابي إليك كمداوي حبيبه يسقيه الأدوية الكريهة لما يرجو له في ذلك من العافية والصحة.

والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

رحم الله الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز، وجزاه خيراً على ورعه وتقواه، فقد عاش المسلمون في ظل ولايته في أمن وأمان، وخير ورخاء.

ورحم الله الحسن بن أبي الحسن البصري الناصح الصادق الأمين، الذي زهد في الدنيا فلم يفتنه مال الحاكم ولا جاهه فأخلص في النصيحة وصدق في المشورة.

البقية في العدد القادم

---

(١) سورة عبس ٣٤ - ٣٦.

(٢) سورة العاديات ٩، ١٠.

(٣) سورة الكهف ٤٩.

(١) طه ١١١.

قصة العدد

دار مؤمنة (*)

للأستاذ / محمد سعيد العريان

« ضلت البشرية إن كان هذا مبلغها من العلم بالله ! » همس بها « زيد » في أذن صحابته فالتفتوا إليه مذعورين يسألونه الصمت والحذر ! هذه بطون قريش جميعاً في عيد لهم عند صنم من أصنام الجاهلية ملبين ضارعين يعظمونه وينحرون له عاكفين عليه. ذلك شأنهم في كل عيد.. وأولئك أربعة نفر من قريش قد اجتمعوا لغير ما اجتمع آباؤهم وأبناؤهم وإخوتهم من سائر قريش، ينظرون إلى القوم في ضجيجهم حافين حول المعبود الأخرس لا يتكلمون، وعلى شفاههم بسمات، وفي أعينهم نظرات يخافتون بها، وفي صدورهم رغبات مكبوتة، لو تأتى لهم لأهووا على هذا المعبود فكبوه على وجهه جذاذاً محطما !

وانتبذ الأصدقاء الأربعة ناحية يتناجون في همس، وإن المكان ليضج بمن فيه بين داع وملب وسائل ومستغفر. وعاد الرجل يقول لصحابته :

« أما والله إنكم لتعلمون ما قومكم على شيء؛ لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم. ما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع؟ يا قوم التمسوا لأنفسكم فإنكم والله ما أنتم على شيء! »

ويؤمن صحابته على ما يقول، ذلك زيد بن عمرو بن نفيل، من بني عدي بن كعب؛ وأولئك أصحابه: ورقة بن نوفل، وعبيد الله بن جحش، وعثمان بن الحارث.

أربعة نفر أضاء الله لهم على حين غفلة وضلال، فسبقوا قومهم إلى التوحيد والإيمان بالله؛ وجلسوا يداولون الرأي بينهم، فأجمعوا أمرهم على أن يتفرقوا في البلدان يسألون أهل العلم ما يعلمون عن دين إبرهيم.

(*) مجلة الرسالة – السنة السابعة – العدد الممتاز سنة ١٩٣٩م.

وأقام زيد بن عمرو بمكة زماناً، معتزلاً قومه وما يعبـــدون من دين الله؛ لا يؤاكلهم ولا يشاربهم، ولا يخشى أن يباديهم بالعيب على ما هم فيه، وحرّم على نفسه ما أحلّوا لأنفسهم من الميتة والدم وما ذُبح على النُّصب.

وعرف القرشيون ما أجمع عليه أمره، فاعتزلوه وخلّوا بينه وبين نفســه، لكنه لم يخلِّ بينهم وبين أنفسهم؛ فإنه ليقصد إلى البيت فيسند ظهره إلى الكعبة يقول: «يا معاشر قريش، والله ما منكم على دين إبراهيم غيري وإنكم لتعبدون مالا يغني عنكم من الله شيئاً. يا معاشر قريش، إنكم لتأتون المنكر، وتقارفون الشر، وتئدون البنت، وتكفرون النعمة. يا معاشر قريش، أيما رجل منكم هم أن يقتل ابنته خشية إملاق فأنا أكفيه مئونتها. يامعاشر قريش... يامعاشر قريش...» فإذا فرغ من دعوته وجّه وجهه لله يقول: «لبيك حقًا حقا، تعبدًا ورقًا، عُذْتُ بما عاذ به إبرهيم. اللّهم لو أني أعلم أيّ الوجوه أحب إليك عبدتُك به، ولكني لا أعلمه...» ثم يسجد على راحته ويقول:

أنفي لك اللّهم عـــان راغمْ

مهـمـا تجشّمني فإني جاشمْ

ولم يزل زيد على ذلك: يذكّر قومه ويعيب عليهم ما يعبدون، حتى ضاقوا به، فأجمعوا على نكايته وتربّصوا به الشر؛ ثم ما زال به عمه (الخطاب ابن نفيل) يؤذيه وينال منه حتى ألجأه إلى (حراء) لائذاً بالله مستجيراً، فوكل به الخطاب شباباً من سفهاء قريش يأخذون عليه الطريق وينالونه بما يكره إن همّ أن يعود إلى مكة، خشية أن يُفسد عليهم دينهم ويتابعه بنوهم. وكانت زوجه فيمن كان من عيون الخطاب عليه، لا يكاد زيد يهم أن يدخل مكة حتى تؤذن به الخطابَ فيقف له؛ ثم يتناوله السفهاء من شبابهم بما يقدرون عليه حتى يعود على وجهه!

رجل فرد في وجه أمة، قد برئ منه أهله، وتمردت عليه زوجه، وتذامر سفهاء الإنس وشياطين الجن على مناهضتــه والوقوف له؛ ولكنه من قوة الإيمان بحيث يغالب مالا غلبة عليه!

وأيّ قوة في الأرض تنال من الرجل يعمر قلبه الإيمان؟..... وأرادوه على أن يلزم مكمنه من الجبل لا يبرح، لا هابطًا إلى الكعبة يسبح الله في البيت الحرام، ولا مصعدًا يلتمس أسباب المعرفة في بلاد الله؛ ولكن صوتاً من وراء الغيب يهتف به، ونوراً يتنوّره على بعد يضيء بين يديه، وإيماناً يعمر قلبه يذلّل ما يتكاءده من عقبات الطريق.

كان يؤمن إيماناً لا شك فيه أن للكون رباً غير ما يعبد الخطاب وبطون قريش، هو رب إبرهيم وموسى؛ فمنذا يهديه الطريق إليه؟

... ووجد زيد غفلة من حراسه فأفلت يقصد قصده، متنقلاً بين الموصل والجزيرة إلى بلاد الشام، يسأل عن دين إبراهيم ويبتغيه، ومضى تتقاذفه البلاد يستطلع أنباءه بين أحبار اليهود ورهبان النصارى؛ فما منهم إلا من يبشره بنبي قد أظلّ زمانه، يبعثه الله بدين إبرهيم في أرض الحجاز!

يا ناقُ سيري عنقًا فسيحاً إن نبياً قد أظلّ زمانه يبعثه الله بالهدى ودين الحق في أرض الحجاز. يا ناقُ هذا سبيلك إلى الوطن النائي يجمع شملك بالأحباب من آل عديّ بن كعب في أرض الهدى والسلام. يا ناقُ هذا فجر يوشك أن ينبثق بالنور فسيري بي إليه أقبس من نوره نوراً لقلبي وسلاماً لروحي. يا ناقُ هذا يومك المأمول تبرق شمسه في حواشي الأفق فابلغيني مأملي قبل الغداة.

ذلك زيد بن عمرو بن نفيل في طريقه إلى مكة يسعى نوره بين يديه إلى أمل يرجوه، فإنه ليحدو بعيره مغتبطاً جذلان أن يعود إلى وطنه ومرتع صباه فيظفر بالحسنيين من لقاء الأهل والولد وصحبة النبي القرشي الذي أظل زمانه؛ وإنه ليغذ السير وفي نفسه شوق ولهفة، وعلى لسانه تسبيح ودعاء!

وانطوى الطريق تحت أخفاف البعير الذي أنضاه السرى وجهد السفر، فلما صار على قرب قريب من أرض الحجاز وأوشك أن ينعم بلقائه الأهل والولد ورؤية النبي الذي قطع مفازة الحياة سعياً إلى لقاه — عدا عليه من عدا من أهل السبيل فصرعه قبل أن يبلغ حيث يريد، فإنه ليقول وهو يلفظ أنفاسه: «اللهم إني أشهدك أني على دين إبرهيم!» يرحمك الله أبا سعيد!

. . . وأشرق الصبح على أرض الحجاز، وفاض النور من غار حراء يغمر بطحاء مكة ويسيل سَيْل العرم فيمحو الظلمات ويدخل منه في كل دار قبس يضيء. وداعبت أشعةُ الصبح الضاحك نافذةَ الدار التي آوت زيد بن عمرو بن نفيل عُمُراً من عمره، ثم هجرها ساعياً إلى الله يبتغي الوسيلة إلى دين الحق، فكان ولده سعيد بن زيد وزوجه فاطمة بنت الخطاب — من السابقين الأولين في الإسلام!

وعاد النور والإشراق إلى الدار التي يُعْزَى إليها أولُ مذكر بدين إبرهيم على حين غفلة وضلال. وكان إيمان سعيد واستجابته لدعوة الحق امتداداً لدعوة أبيه في الجاهلية وصفحةً مشرقة من التاريخ تنضم إلى صفحات!

ثم دار الفلك دورة، وإذا فتى عارمٌ من فتيان قريش يدخل دار سعيد متوشحاً سيفه، وفي عينيه شرٌّ وعلى لسانه وعيد، فما إن رآه سعيد وزوجه حتى سكت القرآنُ وخفت الصوت وانكمش بعضٌ في بعض؛ وأوشكت أن تنقض صاعقة تزلزل أركان الدار المؤمنة.. ياعجبا! ما بال هذا الفتى قد نسي ما جاء له ورَقَّ بعد عُرام وعنف؟ هل كان يقصد إلا هذا الفتى العربيَّ وزوجه، أن ينالهما بأشد الأذى على ما صبَآ وفارقا دين قومهما؟

ها هو ذا في موقفه منهما خاشع الطرف يتلو من صحيفة في يده: «بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿طه ① مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ② إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ③ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَٰوَٰتِ الْعُلَى ④﴾(1)

فما يكاد يفرغ من تلاوته حتى يلتفت إلى خَتَنه سعيد وأخته فاطمة بنت الخطاب يقول: «دُلَّاني على محمد حتى آتيه فأسلم!» ذلك عمر بن الخطاب وتلك دار سعيد بن زيد بن عمرو؛ دخلها دخول الفاتك المتقحم لا تهدأ نفسه إلا أن يريق دما؛ فما احتوته الدار حتى كان عمرُ غير عمر!

إن في بعض الأمكنة لسرًّا يهمس، وتجوى تخافت؛ وإن في هذه الدار...! وجلس سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وعمر بن الخطاب بن نفيل، مجلسهما إلى رسول الله غدوة، فقالا: «يا رسول الله استغفر لزيد بن عمرو!»

قال رسول الله ﷺ: «نعم، فإنه يبعث أمةً وحده!»

رحمة الله عليه

---

(1) طه (1: 4).

كيف نقتلع جذور الثأر؟

للأستاذ الدكتور/ عبد الحليم حفني

كنت طالبا فى السنة النهائية فى الكلية حينما قرأت إعلانا من وزارة الشئون الاجتماعية لمسابقة عن العادات والتقاليد، وما إن وقع بصرى على عادة الأخذ بالثأر بين هذه العادات حتى سيطر عليَّ الشعور بضرورة الإسهام فى الكتابة حولها لعل ما أكتبه يصل إلى آذان المسئولين، وكنت قد نشأت فى بيئة قريبة من قرية (بيت علام) بسوهاج التى تناقلت وسائل إعلام العالم بشاعة أحداثها التى قتل فيها قرابة خمسة وعشرين فى حادث واحد، وكانت أحداث بشتى التى شهدتها فى صباى لا تقل بشاعة إن لم تزد عن أحداث (بيت علام) ومنها أن عائلة واحدة فقدت خلال عام واحد سبعا وعشرين نفسا ذهبوا صرعى فى حوادث الثأر، وظلت نفسى مفعمة بالأسى لما شهدته من قتلى مزقتهم الطلقات النارية، وآخرين غارقين فيما تدفق من دمائهم، فحين وجدت المسابقة هانت عليَّ التضحية بمعظم الوقت الثمين المتبقى على الامتحان، والذى لم يكن له بديل لأحافظ على تقدير يتيح لى أن أحظى بالتعيين بعد التخرج، وكان عليَّ حين عزمت على الكتابة أن أضع نفسى تحت إشراف أستاذ اختارته وزارة الشئون الاجتماعية وهو الدكتور على فؤاد الذى كان عائدا من أمريكا بعد حصوله على الدكتوراه فى علم الاجتماع، وكان يدرس لنا هذه المادة، وكانت آخر محاضرة له قبل لقائى به فى الإشراف مضمونها: انه لا يمكن لأى تشريع أو قانون أن ينجح فى أى مجتمع إلا إذا كان مراعيا لظروف هذا المجتمع وعاداته وتقاليده، وحين التقيت به كان إشرافه موجزا محددا ولكنه عميق، حيث قال: أنا لا أسألك عن وصف عادة الثأر فهذا أمر ميسور، ولكنى أسألك عما تراه لعلاج هذه العادة، قلت: وسائل عديدة، ولكن فى مقدمتها القصاص، وما إن سمع كلمة القصاص حتى زمجر فى غضب قائلا: كيف ونحن فى القرن العشرين تريد أن تعيدنا إلى قتل القاتل وقطع يد السارق وهذا التفكير البدائى؟ ولثقتى فى معلوماتى لم أغضب ولم أتأثر، بل قلت له لنفترض جدلا أن التشريع الإسلامى تشريع بدائى، ولكنى أسألك عن عادة الثأر، هل هى عادة حضارية أم بدائية؟ قال: بل هى طبعا عادة بدائية، قلت: والعادة البدائية كيف تعالج؟ هل بتشريع حضارى أم بتشريع.. ولم يدعنى أكمل كلامى، لأنه عرف أنى أذكره بمحاضرته الأخيرة المشار إليها، فقال: اكتب البحث واعرضه عليَّ..

وحين مضى فى تصفح البحث بدا عليه الاستغراق شيئا فشيئا، وحين استوعب مضمون البحث نظر إلىّ متجهما غاضبا يقول فى انفعال شديد: كيف توجد فى الإسلام هذه الحلول لمشاكلنا ونحن لا ندرى بها؟ فقلت فى هدوء: هذا ليس عيب الإسلام، ولكنها مسئوليتنا نحن أننا لم نحاول معرفة الإسلام.

والموضوع فى عرض سريع موجز هو كما يلى:

أولاً: من التبسيط المخل أن يتصور بعض الناس أن الدافع إلى الثأر فى بيئاته هو مجرد الجهل، أو الغباء، أو النغمة الجديدة وهى تحريض النساء على الثأر أو نحو ذلك، فالحقيقة أن الأمر أخطر وأعمق من ذلك بكثير، فمما يعرفه علماء الاجتماع أن للعادات والتقاليد سلطانا على المجتمعات المحافظة أقوى من سلطان الدين والقانون معا، ويضربون مثالا لذلك بعادة الثأر، حيث يحرص عليها حتى المتدين، وهو يعلم أنها مخالفة للدين، ومخالفة للقانون، ويتحمل متعمدا تبعاتهما رضوخا للعادة المتأصلة. كما أن التعليم لم يكن مانعا من مزاولة الثأر أو التحريض عليه، بل من الغريب أنه كان حافزا ودافعا إلى الثأر، ومن ذلك أننى كنت قد أجريت استفتاء مكتوبا عند كتابة بحث الثأر، وعند جمع نتائجه فوجئت بأن فئة المتعلمين كانت أشد الفئات فى القرية حرصا على الثأر، وقد زالت الغرابة عند تحليل النتائج وتعليلها، حيث إن المتعلمين فى العائلة هم أشدها حرصا على كرامة العائلة، وفى يقينهم أن أخذ الثأر هو من أبرز مظاهر كرامة العائلة، ولا أنسى أن عالما أزهريا شديد التمسك بدينه كان عائدا من الإعارة، فوجد عائلته متورطة فى ثأر، فجمع عائلته وقدم لهم كل ما عاد به من مال فى إعارته ليشتروا به سلاحا استعدادا لأخذ ثأرهم.

كما أن من تأصل عادة الثأر فى أبناء الريف ما تدل عليه هذه المقولة الحكيمة لأحد فلاسفة علم الاجتماع وهى: (تستطيع أن تنتزع شخصا من الريف ولكنك لا تستطيع أن تنتزع الريف من شخص) بمعنى أن الريفى يمكن أن ينتقل إلى أية مدينة أو دولة، ولكن طابع الريف يظل راسخا فى أعماقه، ومن طابع الريف عادة الثأر وخصوصا فى الصعيد، ومن هنا ندرك خطورة التهوين من الأسباب الدافعة إلى الثأر، لأن ذلك يصرفنا عن التفكير فى الحلول السليمة لعلاج هذه العادة الخطيرة، ومن نحو هذا التهوين كان اقتراح أحدهم حلا مضحكا لإنهاء خصومات الصعيد، وقد نشر فى بريد الأهرام، وهو أن يؤتى بطرفى الخصومة، ويعطى كل منهم عصا غليظة، ويوضعون جميعا فى مكان واحد يغلق عليهم، ويتركون يضرب بعضهم بعضا حتى ينهوا خصومتهم بأنفسهم.

ثانياً: الحلول الجذرية فى التشريع الإسلامى تبحث عن مواطن الخطورة فى مشكلة الثأر لتقتلعها من أساسها، ومن أهم مواطن الخطورة:

١- التقاليد فى الثأر تتيح لكل فرد ممن ينتمى إليهم القتيل من عائلته أو بلدته أن يأخذ ثأر هذا القتيل، وهذا الشيوع يمثل خطورة كبيرة واضحة، ولكن التشريع الإسلامى يقضى على هذه الخطورة من جهتين، جهة المطالبة بالثأر، وجهة تنفيذ الثأر، فأما المطالبة بالثأر فيقصرها التشريع الإسلامى على الورثة الشرعيين للقتيل، فالذين

يرثون تركة القتيل هم الذين يرثون المطالبة بالقصاص دون غيرهم، وكل منهم يملك من حق القصاص بمقدار نصيبه فى التركة، وأما تنفيذ القصاص حين يثبت فيجعله التشريع الإسلامى بيد ولى الأمر صاحب السلطة والحكم أو من ينوب عنه وهو القضاء.

٢- من التقاليد فى الثأر اختيار شخص بارز من عائلة القاتل أو عدة أشخاص ليكون قتلهم موجعا لعائلة القاتل، وشفاء لنفوس أهل القتيل كما حدث فى قضية (بيت علام) بسوهاج، ولكن التشريع الإسلامى لا يبيح إطلاقا أن يؤخذ بالجريمة أحد غير القاتل أو القاتلين إذا اشتركوا فى القتل، وفى القرآن الكريم:

﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾(١).

ومن الإسراف فى القتل قتل غير القاتل أو أكثر من القاتل، والسلطان الذى جعله الله لولى الدم هو حق القصاص.

٣- من أهم أسباب عدم نجاح كل القوانين الحالية فى معالجة عادة الثأر أن أهل القتيل يصرون على أن يشعروا مجتمعهم بأنهم أخذوا حقهم بأنفسهم، ولا تعنيهم إطلاقا الأحكام التى تصدر ضد القاتل، وحادث (بيت علام) أوضح مثال لذلك، حيث دبر أهل القتيل جريمتهم بحيث تكون فى ذات اليوم الذى ستنظر فيه القضية فى المحكمة، وقبل أن تنظر، دون أن ينتظروا ماذا سيكون الحكم، لأن الحكم أيا كان لا يعنيهم، وإنما يعنيهم أن يأخذوا حقهم بأيديهم.

وهنا تبدو الحكمة البالغة للتشريع الإسلامى، حيث يؤكد لأهل القتيل أصحاب الحق فى القصاص - أن القصاص حق وملك خاص لهم، يستطيعون أن يطالبوا به، وأن يتنازلوا عنه فى أية مرحلة من مراحل القضية، وأن كل جهات السلطة التى تباشر القضية إنما تعمل لبيان حقهم وإثباته، بل إن التشريع الإسلامى يستثنى حقوق القصاص من قواعد التشريع رغبة فى منع نزيف الدم، وذلك أن الحقوق فى التشريع الإسلامى نوعان، حقوق الله وعقوبتها تسمى الحدود، كحد السرقة وحد الزنا، وحد شرب الخمر، وحين تثبت لا يملك أحد العفو عن الجانى فيها لأنها حق الله، ويقابلها فى القانون الوضعى الحالى الحق الجنائى، ولا يملك أحد العفو عن الجانى لأنه حق المجتمع، والنوع الثانى فى التشريع الإسلامى حقوق العباد كسائر المعاملات المالية بين الناس، وهذه يملك صاحب الحق العفو عن الجانى فيها والتنازل عن حقه فى أية مرحلة من مراحل القضية، ويقابلها فى القانون الوضعى الحالى الحقوق المدنية التى يملك صاحب الحق فيها التنازل عن حقه فى أية مرحلة من مراحل القضية، وكان حق جريمة القتل وهى كبرى الجرائم أن تكون من حقوق الله التى لا يملك أحد العفو فيها عن الجانى، بل هى أولى بذلك مما دونها من الجرائم كالسرقة، ولكن التشريع

---

(١) سورة الإسراء (٣٣)

الإسلامي لا ينظر إلى جريمة القتل من زاوية العقاب، وإنما من زاوية الأثر الاجتماعي الخطير لها، فيستثنيها ويجعلها من حقوق العباد وليست من حقوق الله، أي يجعلها حقا مدنيا وليس حقا جنائيا، والحكمة الواضحة في ذلك أن يشعر أهل القتيل أن العقاب وهو القصاص ملك خاص لهم يستطيعون أن ينفذوه، ويستطيعون أن يتنازلوا عنه، وهذا الشعور يريح نفوسهم ويطفيء جانبا كبيرا من جذوة الغضب لديهم وهو أهم ما في الموقف كله، أن يشعر أصحاب الثأر أن الأمر في أيديهم هم.

ومن هنا كانت الفجوة الشاسعة بين أصحاب الثأر في الصعيد وبين القانون، حيث إن القانون لا يجعل لأصحاب الثأر اعتبارا، ولا يعترف أصلا بأنهم أصحاب حق، لأن جريمة القتل في القانون الحالي حق جنائي، وهو حق المجتمع وليس حق أهل القتيل، فيصر أهل القتيل على أخذ حقهم بأيديهم في صورة الثأر مهما يكن حكم القانون، بينما كانت نظرة التشريع الإسلامي في هذه النقطة فيها مفتاح الحل حيث جعل القصاص حقا مدنيا يملكه أهل القتيل.

ثالثًا: إذا كان أعداء الإسلام ينحون بكل اللوم وكل التشهير عليه بأنه دين العنف وسفك الدماء متخذين من تشريع القصاص مثالا لتشهيرهم فلينظروا كيف أن الإسلام في تشريع القصاص يبذل كل وسيلة مشروعة لإنقاذ حياة القاتل نفسه، مع ضمان حل المشكلة اجتماعيا، وذلك باتباع الخطوات التالية:

١- يجب على القاضي وجوبا ألا يلجأ إلى تنفيذ القصاص حين تثبت الجريمة على القاتل، بل يجب قبل ذلك أن يعرض على ورثة القتيل - وهم وحدهم أصحاب الحق في القصاص - العفو عن القاتل، ويرغبهم في ذلك بكل أنواع الترغيب، فإذا رفضوا العفو وأصروا على القصاص يجب أن يعرض عليهم قبول الدية، وهي مبلغ مالي كبير فيه إغراء ولو لبعض ورثة القتيل. ولا تقل الدية في أدنى تقدير لها عن مائة ألف جنيه، بل مائة ألف دولار، ولا عقبات في تطبيقها، لأنها توزع على كل الذين ينتمي إليهم القاتل ويتعصبون له، ليحولوا بعد ذلك بين أفرادهم والعدوان على أحد، فإذا لم يمكن وزعت الدية على أبناء مهنة القاتل أو نقابته، فالإسلام أول من شرع نظام النقابات المهنية في التاريخ.

٢- إذا أصر ورثة القتيل على القصاص أمر القاضي بتنفيذ القصاص، منعا لنزيف الدم الذي سيراق في دوامة الثأر الذي يدور في حلقة مفرغة لا نهاية لها، ولكن الإسلام يبلغ من حرصه على إنقاذ حياة القاتل أنه إذا عفا ولو صاحب أصغر نصيب من ورثة القتيل أو قبل نصيبه من الدية سقط القصاص، ويخير باقي الورثة بين العفو أو الدية أو لا شيء لهم كما في نص التشريع الإسلامي، والتعليل الرائع لهذا في التشريع الإسلامي أن الحياة أولى من الموت، والذي عفا أو قبل الدية كأنه قرر حياة نصيبه في القاتل، والحياة لا تتجزأ، كما أن الحياة أولى من الموت، فيفضل جانب الحياة على جانب الموت فيسقط القصاص وينجو القاتل من الموت.

٣- من الاحتمالات الغالبة في حوادث القتل أن القاتل يحاول أن يرتكب جريمته في خفاء حتى ينجو من العقاب، ولكن أهل

القتيل وإن جهلوا شخص القاتل حين لا يكون هناك دليل عليه فإنهم يعرفون الشخص أو العائلة التى بينهم وبينها من الخصومة ما يدفعها إلى القتل منهم، وحينئذ يلجأون إلى قتل أى شخص من هذه العائلة إذا لم يتمكنوا ممن يتوقعونه القاتل، والنتيجة أنه مع الجهل بشخصية القاتل يظل خطر الثأر قائما كما هو، وحينئذ يقف القانون الوضعى الحالى عاجزا ولا يملك إلا قيد القضية ضد مجهول، ولكن التشريع الإسلامى يلجأ حينئذ إلى استثناء لا يوجد فى أى قانون فى العالم حرصا على الحياة ومنعا لنزيف الدماء، وهذا الاستثناء هو ما يعرف بالقسامة، وهى نظام جاهلى أبقاه الإسلام التماسا لأية وسيلة تحقن بها الدماء، ومضمونها أن يطلب القاضى من أهل القتيل أن يختاروا خمسين شخصا ممن يثقون فى صدقهم وأمانتهم من أهل القاتل أو من ينتمى إليهم القاتل، ليحلف كل منهم ما قتلته ولا أعلم قاتله، ولا ينتظر عادة أن يتفق خمسون من الموثوق فيهم على باطل أو إخفاء الحقيقة، وحينئذ إما أن يظهر القاتل، وإما أن تطمئن نفوس أهل القتيل إلى أن القاتل ليس من بين هؤلاء المتهمين بالقتل، وفى كلا الحالين لا يلجأون إلى الثأر، بل إن التشريع الإسلامى يقول: فإذا لم يجد أهل القتيل من يثقون فيهم من أهل القاتل سوى عشرين مثلا أو أكثر أو أقل من الخمسين أعيد حلف الأيمان عليهم حتى تبلغ الأيمان خمسين يمينا.

ومن نحو هذا نتبين فى جلاء أن التشريع الإسلامى يقدم النظرة إلى إصلاح المجتمع والمحافظة على الحياة على النظرة إلى العقاب، وصدق الله حيث يقول:

﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾(٢).

حيث لا بديل للقصاص فى وقف نزيف الدم والمحافظة على صلاح المجتمع.

وكما استثنى التشريع الإسلامى جرائم القتل فى بعض جوانبها من قواعد التشريع فإذا أردنا علاجا حقيقيا - وليس مسكنا وقتيا - لعادة الثأر، فإنى اقترح - إذا لم يمكن تطبيق التشريع الإسلامى كاملا - أن تستثنى جرائم القتل التى يخشى أن ينبع منها ثأر فيصاغ لها قانون خاص يسير على نهج التشريع الإسلامى فى الحلول المشار إليها، ثم تشكل فى كل محافظة دائرة قضائية من قضاة ملمين بالثقافة الإسلامية، أو على الأقل ممن تربوا فى الريف ليكونوا أقرب إلى نفسية الفلاحين وأعرف بها، وتحال إلى هذه الدائرة جرائم القتل التى يخشى تحولها إلى ثأر، وتستعين هذه الدائرة بأشخاص معينين يحسنون أسلوب التفاوض مع أهل القتيل، ويعرفون الحلول الاجتماعية، على أن يكون من أهم ما يتضمنه هذا القانون الخاص إبراز أن جريمة القتل حق مدنى يملكه ورثة القتيل ويشرفون عليه من بداية القضية إلى نهايتها، فإذا لم يكن بد من القصاص فيحضره ورثة القتيل وهم أولياء الدم لعل أحدهم عند التنفيذ تأخذه عاطفة دينية أو رحمة بالقاتل فيعفو عنه فينجو من الموت.

---

(٢) سورة البقرة (١٧٩).

خطبة الجمعة

أسلوب الدعوة إلى الله (*)

لفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد الشرباصى

الحمد لله عز وجل، وهب أصفياءه الحكمة، وكتب على نفسه الرحمة: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(١)، أشهد أن لا إله إلا الله، هو وحده العليم بالسرائر، المطلع على خفيات الضمائر: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾(٢) وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، منحة الرحمن، وصفوة الإنسان: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(٣)، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحبابه:

﴿ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾(٤).

يا أتباع محمد ﷺ:

لعل أهم صفة من صفات رسول الله أنه داعية إلى الله، ولذلك خاطبه ربه فى محكم تنزيله بقوله:

(*) ألقيت بالتليفزيون فى ١٣ من جمادى الآخرة سنة ١٣٨٥هـ - ٨ من أكتوبر سنة ١٩٦٥م.

(١) الأعراف (٥٦).

(٢) الملك (١٤).

(٣) القلم (٤).

(٤) فاطر (١٨).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ۝ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾(٥).

هو يشهد بالحق ويحث عليه، وهو يبشر بالخير ويحبب فيه، وهو يحذر من الشر ويباعد عنه، وهو حين يدعو إلى الله بإذن الله، ينير الطريق ويضيء المسالك، ويفتح أمام المهتدين المحسنين أبواب الفضل الإلهي الكبير:

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۝ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾(٦)

ومعنى هذا أن الدعوة إلى الله ليست لعبة يتلهى بها الغر والجاهل، وليست أمراً يحسنه القاصر والغافل، وليست شهوة يندفع إليها كل من عرف قشوراً من الدين، أو أراد تظاهراً بين الناس، وإنما الدعوة إلى الله كالحرم الرباني الزكي، يدخله من تطهر وتدثر بالعقل والعلم والإخلاص والاعتدال على الصراط المستقيم بلا انحراف ولا اعتساف ولا إسراف، ولذلك وكل الله- تبارك وتعالى- هذه المهمة الجليلة في نطاقها العام إلى أنبيائه ورسله ومن ورائهم ورثتهم والأخيار من أتباعهم الراسخين في العلم، البصراء بالحق، الخبراء بطرق الهداية في حذق ورفق، ولذلك قال الله- تعالى- لحبيبه ومصطفاه:

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾(٧).

ولجلال الدعوة إلى الله ودقتها رسم الرحمن الرحيم لرسوله الكريم أصولها وقواعدها، حتى تكون هدياً ونوراً، وخيراً وبراً، تجمع ولا تفرق، وتوحد ولا تمزق، وتبني ولا تهدم، وتعمر ولا تحطم، فقال له:

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾(٨).

وفي هذا النص الإلهي المجيد حدد الخالق سبحانه ثلاثة وسائل للدعوة هي الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن؛ وكأنه أراد أن يكون كل منها لمستوى من المستويات، أو لحالة من الحالات، فالحكمة هي القول العلمي الدقيق البليغ، المشتمل على الحجة المقنعة والبرهان الساطع والدليل الواضح، وكان وسيلة الإقناع بالحكمة تناسب الذين يطيقونها ذهنياً وفكرياً من المتعلمين والمثقفين، والموعظة الحسنة هي الكلام الرقيق اللطيف، الذي يقوي حوافز الخير وعواطف

---

(٥) الأحزاب (٤٥-٤٧).

(٦) المائدة (١٥، ١٦).

(٧) يوسف (١٠٨).

(٨) النحل (١٢٥).

البر ومشاعر الإنسانية الرفيعة التي تعمر دنياها بالمحبة والمودة وحسن المعاملة، وكان هذه الوسيلة تناسب جمهور الناس الذين إذا جاءتهم الموعظة الحسنة اللينة أحيت موات قلوبهم، وذكرتهم بربهم، وحملتهم برقة ولطف على سواء السبيل، ثم تأتى المجادلة بالتى هى أحسن، وهى المحاورة الهادئة الرزينة التى تصور أحسن الطرق للمناقشة، بلا عنف ولا تعنت ولا شطط، وهذه الوسيلة تكون مع المخالف فى الاتجاه أو الاعتقاد، وهكذا أراد الله- جل جلاله- بمن يصلح للدعوة ويقتدر عليها أن يعرف حدودها وقيودها، وأن يلتزم وسائلها الرشيدة من الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن، فلا ينحرف عنها ولا يجور فيها، ولا يجاوزها إلى ادعاء ما ليس له من جموح أو تطاول، بل هو يبين ويوضح ويدلل بأرق الوسائل والطف الأساليب، دون لجاجة أو مهاترة أو عدوان، والله بعد ذلك هو المتصرف فى عباده، المسئول عن هدايتهم، العليم بالطوايا والنوايا:

﴿ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾(٩)، وهو وحده صاحب الحق فى محاسبة الخلق على أعمالهم يوم لقائه، وهو وحده مالك الثواب والعقاب، ولذلك قال:

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾(١٠).

وإذا كان الله - جل جلاله - قد حدد وسائل الدعوة هنا بهذه الأمور التى جعلها بعيدة عن معانى الإكراه والإرغام والعدوان، فقد ذكر لنا فى موطن آخر صورة من صور التطبيق للدعوة المسالمة، فإذا هذه الصورة تبدو وفيها اللين والرفق والرحمة، وذلك حينما أرسل الله موسى وهارون إلى فرعون وقال لهما:

﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾(١١).

وهكذا بدأت المحاورة مع فرعون - وهو فرعون وكفى - بالقول الهادى اللين:

﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾ واختتمت بالسلام والأمان: ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾، ولقد روى التاريخ أن جاهلاً يدعى العلم أراد أن يتظاهر بالدعوة ليرضى غروره أو يستر

---

(٩) الأنفال (٤٣).

(١٠) القلم (٧).

(١١) طه (٤٢:٤٧).

نفضه، فقال لأحد الحاكمين: أيها الأمير، إني سامعك كلاماً شديداً فاحتمله مني، فأجابه قائلاً: لن احتمله منك فلا تقله، فقال الدعي في باب الدعوة: ولم؟، فأجابه: لأن الله- تعالى- أرسل من هو خير منك إلى من هو أسوأ مني، ومع ذلك أمره باللين والتلطف، لقد بعث الله موسى وهارون وهما خير منك بلا نزاع، إلى فرعون وهو أسوأ مني بلا جدال، ومع ذلك أمرهما بقوله:

﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾.

ومن بعد موسى وهارون وغيرهما يقبل شيخ الأنبياء وإمام المرسلين محمد ﷺ فإذا هو القدوة الطيبة والأسوة الحسنة في هذا الباب، فهو الذي قال: «بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا»[١٢]، وحينما طلب منه بعض أصحابه أن يلعن المشركين أبى وقال: «إني لم أبعث لعاناً، وإنما بعثت هادياً ورحمة»[١٣]، ولما طلب منه أن يدعو على المشركين ليهلكوا أبى وقال: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً»[١٤]، وترجم القرآن عن هذه المثالية الرائعة في لين الدعوة ورحمة الداعية فقال للرسول:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[١٥].

وقال:

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[١٦].

وقال:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[١٧].

يا أتباع محمد ﷺ:

يقول سيد الخلق محمد صلوات الله وسلامه عليه: «أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة»[١٨]، أي الشريعة المعتدلة السهلة الميسورة، وعماد هذا الدين الكريم هو الطهارة والصفاء، والمحبة والإخاء، والتناصح بالرفق والرحمة، والدعوة إلى الخير بالحكمة:

﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[١٩].

وسبحان من لو شاء لهدى الناس جميعاً إلى سواء السبيل واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون.

---

(١٢) البخاري ٢٧/١.

(١٣) إتحاف السادة المتقين ١٠٨/٧.

(١٤) مسلم ١٤٢٠/٣.

(١٥) آل عمران (١٥٩).

(١٦) التوبة (١٢٨).

(١٧) الأنبياء (١٠٧).

(١٨) البخاري ١٦/١.

(١٩) يونس (٢٥).

طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

نجونا ورب الكعبة

قال أحد الأعراب لابن عباس: من يحاسب الناس يوم القيامة؟ فقال: يحاسبهم الله - تعالى - فقال الأعرابي: نجونا إذًا ورب الكعبة، فقيل له: وكيف؟

فقال: إن الكريم لا يدقق في الحساب.

من أنت؟

وقف أعرابي على قوم يسألهم فقالوا له: من أنت؟ قال: إن سوء الاكتساب يمنعني الانتساب.

شعر

فلو أنا إذا متنا تُركنا
لكان الموت راحة كل حي
ولكنا إذا متنا بعثنا
لنُسْأل بعدها عن كل شيّ

ليس تأسفي على الدنيا

لما احتضر سلمان الفارسي - رضي الله عنه - تحسر عند موته، فقيل له: علام تأسفك يا أبا عبدالله؟ قال: ليس تأسفي على الدنيا، ولكن رسول الله ﷺ عهد إلينا وقال: «ليكن بُلْغَةُ أحدكم كزاد الراكب» وأخاف أن نكون جاوزنا أمره وحولي هذه الأشياء، وأشار إلى ما يليه، وإذا هو سيف، ودست، وجفنة.

الحنين إلى الوطن

قيل لبعض الحكماء بأي شيء يعرف وفاء الرجل دون تجربة واختبار؟ قال: بحنينه إلى أوطانه وتلهفه على ما مضى من زمانه.

وعن الأصمعي: قال إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل وفاء عهده، فانظر إلى حنينه إلى أوطانه وتشوقه إلى إخوانه، وبكائه على ما مضى من زمانه.

العلم

كتب رجل إلى عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ يسأله عن العلم فأجابه: إن العلم أكثر من أن أكتب به إليك، ولكن إذا استطعت أن تلقى الله كاف اللسان عن أعراض المسلمين، خفيف الظهر من دمائهم، خميص البطن من أموالهم، ملازما لجماعتهم فافعل.

موعظة

كان صالح اللخمي الدمشقي شاعرا وحكيما، وقد ذكر عنه أنه وعظ ابنه مرة فقال: يا بني إذا مر بك يوم وليلة وقد سلم فيهما دينك وجسمك ومالك فأكثر الشكر لله ـ تعالى ـ فكم مسلوب دينُهُ، ومنزوع ملكه، ومهتوك ستره، ومقصوم ظهره في ذلك اليوم وأنت في عافية.

عقل المرء وراء لسانه

عن طاهر الزهري قال: كان رجل يجلس إلى أبي يوسف فيطيل الصمت، فقال له أبويوسف: ألا تتكلم؟ قال: بلى متى يفطر الصائم؟ قال: إذا غابت الشمس، قال: فإن لم تغب إلى نصف الليل؟

فضحك أبويوسف، وقال: أصبت في صمتك، وأخطأت أنا في استدعائي لنطقك.

نصيحة

قال الإمام علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: أحلفوا الظالم ـ إذا أردتم يمينه ـ بأنه بريء من حول الله وقوته؟ فإنه إذا حلف بها كاذبا عوجل، وإذا حلف بالله الذي لا إله إلا هو لم يعاجل؛ لأنه قد وحد الله ـ تعالى ـ.

هل نطحتك أمه

كان للمغيرة بن عبدالله الثقفي وهو على الكوفة «جَدْيٌ» يوضع على مائدته بعد الطعام لا يمسه هو ولا غيره، فقدم أعرابي يوما فأكل لحمه وتعرق عظامه[1]، فقال: يا هذا، أتطالب هذا البائس بذَحْل[2]؟

هل نطحتك أمه! قال: وأبيك؛ إنك لشفيق عليه هل أرضعتك أمه؟

دعاء

اللهم وإنك من الضعف خلقتنا، وعلى الوهن بنيتنا، ومن ماء مهين ابتدأتنا.

فلا حول لنا إلا بقوتك، ولا قوة لنا إلا بعونك.

---

(١) تعرق العظم: أخذ ما عليه من لحم.

(٢) الذحل: الثأر.

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

● أنا سيدة أبلغ من العمر سبعة وعشرين عاماً وزوجي في الثلاثين، بعد زواجنا بمدة وجيزة لا تتعدى الشهر أجريت لى عملية استئصال لأكياس على المبايض ولكبر حجم هذه الأكياس استؤصل معها أحد المبايض وجزء من الآخر مما أدى إلى عدم قدرتي على التبويض.

مولانا يقول:

﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[1].

وعاطفة الأمومة تتملكني ورغبتي في سماع كلمة ماما تقتلني، والحل الوحيد هو زواج زوجي من امرأة أخرى تقوم هي بدورها بإعطائي بويضة تخصب من زوجي وتثبت في رحمي فيكون الطفل ولدى ولبنى حلال عليه... وهذا موضوع سؤالي وفتواى، علماً أنني سمعت أنه في بعض الدول الإسلامية تُجرى مثل هذه العمليات. وهنا يطرح سؤال آخر. هل يجب أن يكون هذا الزواج تاماً أم يتزوجها دون أن يمسها؟ وهل يمكن الزواج عرفياً؟

●● الجواب:

لا يجوز شرعاً أن تستنبت الزوجة في رحمها بويضة من امرأة أخرى مخصبة سواء كانت مخصبة من زوجها أو من غيره، وسواء كانت صاحبة البويضة امرأة أجنبية أو ضرة تشترك معها في الزوج نفسه، ولا يجوز لك أن تستقبلي هذه البويضة الغريبة عنك لتستنبتيها في رحمك ولتلدى طفلاً ينسب إليك...

وقد أجمع الفقهاء المعاصرون أثناء بحث هذه المسألة (في إحدى ندوات المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية) على حرمتها، لأن هناك طرفاً ثالثاً غير الزوج صاحب النطفة والزوجة صاحبة البويضة، ولا يمكن الجزم مع وجود الطرف الثالث بتحديد الأم الحقيقية لهذا الطفل: فهل الأحق به صاحبة البويضة التي تخلق منها

(١) الكهف (٤٦).

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور
أحمد الطيب
مفتى جمهورية مصر العربية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

الطفل وحمل كل خصائصها الوراثية؟ أو الأحق به الأم الحاضنة صاحبة الرحم الذى تم فيه نموه وتطوره وتبدله حتى صار جنينا مكتملاً؟... والطفل الذى يأتى بين والدين لا يدرى من أمه على سبيل القطع والتأكد، وسيعيش ممزقاً بين انتمائه لهذه وانتمائه لتلك... وهذا من الأسباب التى حملت الفقهاء على الفتوى بأن احتضان الزوجة لبويضة ضرتها الملقحة من زوجها ممنوع وغير جائز شرعاً.

وأقول لصاحبة السؤال: إن الخير - كل الخير - فيما أراده الله - تعالى - وقدّره وقضاه، وأنت لا تدرين أين الخير ولا ما هو الأصلح والأنفع لك، ولو أنك اطلعت على الغيب فسوف تختارين ما أنت فيه الآن وتفضلينه على غيره، واعلمى أن الأولاد كما يكونون نعمة يكونون أيضاً نقمة. فاحمدى الله على كل حال ولا تيأسى من رحمة الله، وابحثى عن الجديد فى العلاج و« لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا ».

والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم

حكم تحفيظ الرجل القرآن للمرأة

● السؤال من خالد عبدالله: ما حكم تحفيظ الرجل القرآن للمرأة الأجنبية عن الرجل سواء أكان ذلك فى خلوة أو رجل لمجموعة من السيدات علما بتواجد أماكن لتحفيظ النساء ولكن مواعيدها غير مناسبة لمواعيد هذه المرأة.

●● الجواب:

يجوز شرعاً تحفيظ القرآن وتعليمه من الرجال للنساء عند عدم وجود امرأة تقوم بذلك والأصل فى ذلك قوله ﷺ: « خيركم من تعلم القرآن وعلمه »[٢].

إلا أنه يشترط لذلك أن تكون النساء فى مجموعة أو مجموعات وأن تؤمن الفتنة من الجانبين. فإذا كان التحفيظ والتعليم فى خلوة بين المرأة الأجنبية والرجل فإن ذلك لا يجوز لما فى ذلك من خوف الوقوع فى الفتنة ولقول الرسول

(٢) البخارى ٦/٢٣٦.

ﷺ : «لا يخلون رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما»[3] وقوله ﷺ : «اتقوا الشبهات»[4].

وفي واقعة السؤال: ما دام يوجد أماكن مخصصة لتحفيظ النساء القرآن فعلى المرأة المسئول عنها أن تتعلم القرآن في هذه الأماكن مع مثيلاتها وعليها أن تنظم أوقاتها لتتمكن من ذلك فإن لم تستطع فعليها أن تحضر بعض من تأنس له من صديقاتها إلى منزلها لتكون معها أثناء تعلم القرآن من المحفظ.

ومما سبق يعلم الجواب والله سبحانه وتعالى أعلم.

خطبة الجمعة من الراديو جائزة.. ولكــن بشـــروط

● **العميد / ع.س: نظراً لطبيعة عملنا بالقوات المسلحة توجد أماكن نائية ومتفرقة وأماكن أخرى بها مساجد صغيرة وزوايا للصلاة وقد لا يوجد من يقوم بأداء خطبة الجمعة.**

فهل يجوز للأفراد الاستماع إلى خطبة الجمعة من المذياع ثم يقوم أحد المصلين بإمامة الأفراد لركعتي الجمعة؟

●● **الجواب :**

إذا كان الحال كما ورد بالسؤال من أنه لا يوجد في بعض الأحيان من يقدر على أداء خطبة الجمعة، فإنه بناء على ما ذهب إليه بعض الفقهاء من أن خطبة الجمعة مندوبة أو سنة، فإنه يجوز في مثل هذه الحالات الاستماع إلى الخطبة من الراديو ثم تقام صلاة الجمعة على أن يؤم الأفراد واحد منهم.

ومما ذكر يعلم الجواب.

والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم

لمس المصحف بدون وضوء

● **السؤال من ح.ع: ما حكم الشرع في لمس المصحف بدون وضوء؟ وحكم القراءة فيه أيضا بدون وضوء؟ وإن كنت حافظا لجزء منه هل يجوز لي قراءته بدون وضوء وأنا في المواصلات مثلا؟ وأيضا ما حكم ما سبق بالنسبة للمرأة الحائض؟**

●● **الجواب :**

قال الله تعالى في كتابه العزيز:

﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[5].

لا يجوز شرعاً مس المصحف إلا لمن كان طاهراً من الحدثين جميعاً وهو قول مالك والشافعي وأصحاب الرأي والحنابلة واحتجوا بكتاب النبي ﷺ لعمرو بن حزم: (أن لا يمس القرآن إلا طاهراً) وقال ابن عمر قال النبي ﷺ : (لا تمس القرآن إلا وأنت طاهر)[6].

وقال أبو حنيفة يجوز حمله بعلاقته بدون وضوء ومنع ذلك مالك والشافعي.

(٣) أحمد ٢٢٢/١.

(٤) أبو داود (٣٣٢٩).

(٥) الواقعة (٧٩، ٨٠).

(٦) المستدرك ٤٨٥/٣.

أما بالنسبة للقراءة من المصحف فيجب على القارئ، أن يكون على طهارة تامة من الحدثين الأصغر والأكبر لحديث علي - رضي الله عنه: (رأيت رسول الله ﷺ توضأ ثم قرأ شيئاً من القرآن ثم قال هكذا لمن ليس بجنب فأما الجنب فلا ولا آية).

وإذا كان القارئ، حافظاً للقرآن أو لجزء منه ويتلوه بغير مس للمصحف فلا مانع من ذلك شرعاً.

ولا يجوز للحائض مس المصحف ولا قراءة القرآن حتى تطهر من حيضها. ومما ذكر يعلم الجواب عما جاء بالسؤال إذا كان الحال كما ورد به.

والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم

حكم الأضحية فى الإسلام

● **حكم الأضحية فى الإسلام وهل هى سنة أم فريضة؟**

●● **الجواب :**

الأضحية في الإسلام شرعها الله إحياء لذكرى إبراهيم ـ عليه السلام ـ وتوسعة على الناس يوم العيد كما قال الرسول ﷺ : «إنما هى أيام أكل وشرب وذكر لله عز وجل» رواه مالك فى الموطأ، وهى اسم لما يذبح من الإبل والبقر والغنم يوم النحر وأيام التشريق تقربا إلى الله تعالى. والأصل في مشروعيتها قوله تعالى :

﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾(٧)

وحكمها سنة مؤكدة عن الرسول ﷺ ويكره تركها لمن قدر عليها لما رواه البخارى ومسلم : أن النبى ﷺ ضحى بكبشين أملحين أقرنين، ذبحهما بيده، وسمي وكبر ووضع رجله على صفاحهما.

وللأضحية ثواب عظيم عند الله فقد قال رسول الله ﷺ عندما سأله أصحابه عن الأضاحي : «سنة أبيكم إبراهيم». قالوا فما لنا فيها يا رسول الله قال «بكل شعرة حسنة». قالوا فالصوف يا رسول الله قال «بكل شعرة من الصوف حسنة». رواه البخارى ـ وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : ما عمل آدمي من عمل يوم النحر أحب إلى الله من إهراق الدم إنها لتأتي يوم القيامة بقرونها وأشعارها وأظلافها وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع من الأرض فطيبوا بها نفسا» رواه الترمذي.

والأضحية لا تكون إلا من الإبل والبقر والغنم لقوله تعالى :

﴿ لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ﴾(٨).

فيجزى من الضأن ما له نصف سنة فأكثر ومن المعز ما له سنة ومن البقر ما له سنتان ومن الإبل ما له خمس سنين يستوى فى ذلك الذكر والأنثى ويشترط لصحة الأضحية أن تكون سليمة من

(٧) الكوثر (١، ٢).

(٨) الحج (٣٤).

العيوب والأمراض لقوله ﷺ : « أربع لا يجزن العوراء البين عورها، والمريضة البين مرضها، والعرجاء البين ظلعها، والكسيرة التي لا تنقى ». رواه الترمذي وقال حسن صحيح.

ويشترط لصحتها أيضا أن لا تذبح إلا بعد طلوع الشمس من يوم العيد ويمر من الوقت قدر ما يصلى العيد ويصح بعد ذلك في أي يوم من أيام التشريق الثلاثة في ليل أو نهار ويخرج وقتها بانقضاء هذه الأيام أي بغروب شمس اليوم الرابع للعيد فعن البراء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن أول ما نبدأ به في يومنا - أي يوم العيد - هذا أن نصلي ثم نرجع فننحر، فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا ومن ذبح قبل فإنما هو لحم قدمه لأهله ليس من النسك في شيء رواه البخاري ومسلم. وعنه ﷺ : « من ذبح بعد الصلاة والخطبتين فقد أتم نسكه وأصاب سنة المسلمين » رواه البخاري ومسلم.

والأضحية تجزي عن الشخص وأهل بيته ويجوز الاشتراك فيها إذا كانت من بقر أو إبل فكل منهما يجزي عن سبعة أشخاص بأسرهم فعن جابر قال : نحرنا مع النبي ﷺ بالحديبية بالبدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة » رواه مسلم.

ويسن للمضحي أن يأكل من أضحيته ويهدي الأقارب ويتصدق منها على الفقراء ويدخر منها لقوله ﷺ يوم عيد الأضحى لأصحابه : « كلوا وأطعموا وادخروا » وقال العلماء: الأفضل أن يأكل الثلث ويتصدق بالثلث ويدخر الثلث وليس المقصود تحديد الثلث بالضبط وإنما على وجه التقريب كما يسن لمن يحسن الذبح أن يذبح أضحيته بيده ويقول: باسم الله الله أكبر اللهم هذا عن فلان ويسمي نفسه فإن كان لا يحسن الذبح فليشهده ويحضره فإن النبي ﷺ قال لفاطمة : « يا فاطمة قومي فاشهدي أضحيتك فإنه يغفر لك عند أول قطرة من دمها كل ذنب عملته » وقولي :

﴿ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾(٩)

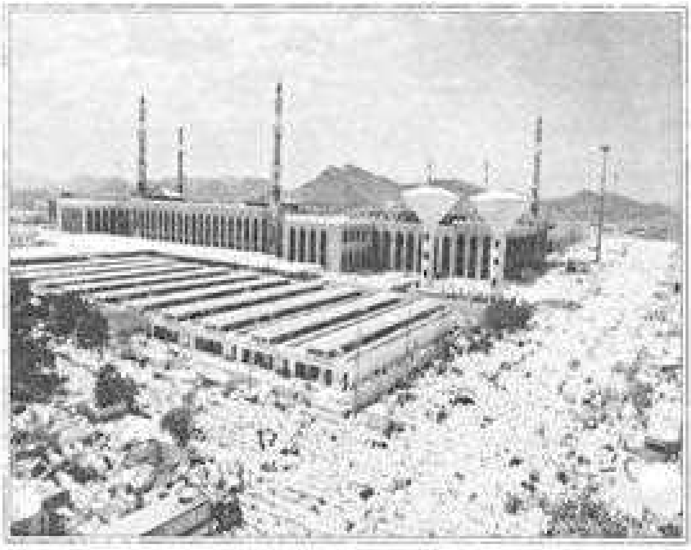
فقال أحد الصحابة : يارسول الله هذا لك ولأهل بيتك خاصة أو للمسلمين عامة؟ قال رسول الله ﷺ « بل للمسلمين عامة » وقال العلماء: يجوز نقل الأضحية من بلد إلى آخر.

وفي واقعة السؤال وبناء على ما سبق : فإن الأضحية شعيرة من شعائر الإسلام وسنة مؤكدة عن الرسول ﷺ وفي إحيائها ثواب عظيم وأجر كبير.

ترسل الاستفتاءات إلى العنوان التالي: مجلة الأزهر - مدير التحرير - بريد رابعة العدوية - مدينة نصر

(٩) الأنعام (١٦٢، ١٦٣)

الحج رحلة إلى الله تعالى



لفضيلة الشيخ / عبد المنصف محمود عبد الفتاح

قال الله تعالى:

﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾

الحج: ٢٧ - ٢٩

في هذه الأيام المباركة، يتوافد المسلمون من كل فج عميق، ويأتون من كل بلد سحيق، إلى بيت الله العتيق، منبع النور الإلهي، ومهبط الوحي المحمدي، وهو أفئدة المؤمنين ومقصد رجاء الموحدين، يفدون إلى أول بيت وضع للناس بمكة المشرفة، محفوفا بالخير والبركة:

﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾(١).

حيث تمتلئ بطاح مكة وتزدحم المناكب حول الكعبة تلبية لأذان أبيهم إبراهيم واستجابة لدعوة العزيز الحكيم، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «لما فرغ إبراهيم - عليه السلام - من بناء البيت، قال: رب قد فرغت، فقال: أذن في الناس

(١) آل عمران: ٩٧.

بالحج، قال: يارب ومايبلغ صوتي؟ قال: أذن وعليَّ البلاغ. قال رب كيف أقول؟ قال: قل يا أيها الناس كتب عليكم الحج، إلى البيت العتيق، فسمعه أهل السماء والأرض، ألا ترى الناس يجيئون من أقصى البلاد يلبون»(٢)

وليس بعجيب أن يسمع الخليل إبراهيم بأذانه الحج من في السموات ومن في الأرض، فالتقدم في الفن والاختراع في العصر الحاضر قد قرب لنا هذا كل التقريب، فإننا نرى أجهزة الإذاعة والتليفزيون تنشر الصور والأصوات على موجات الأثير في جميع أنحاء العالم فيسمعها ويراها البعيد كالقريب، والقاصي كالداني بالاضافة إلى الأجهزة السلكية واللاسلكية كالمسرة والبرق، فمن يشاهد هذا يذعن كل الإذعان بأن ابراهيم - عليه السلام - قد أسمع بأذانه للحج جميع العالمين، مع أن في معجزة إبراهيم تذكيرا بنفخ إسرافيل في الصور لبعث الخلائق من القبور، فيسمعون ويلبون ويقومون أحياء ينظرون قال تعالى:

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾(٣).

إن فريضة الحج: هي رياضة الوجدان على طاعة الرحمن إلى خير البلدان يؤديها الرئيس والمرءوس، والحاكم والمحكوم بإيمان وخضوع وهيبة وخشوع، فطوبى لمن أجاب الداعي، وقام بهذا الواجب المقدس، ليقيم البرهان الساطع والدليل القاطع، على طيب نفسه، وصلابة عوده وقوة قناته، وصلاحيته لخوض غمار الحياة بإرادة قوية، وعزيمة وثابة، فإن مناسك الحج كلها قربات، ومواطن تستجاب فيها الدعوات وتثمر الأعمال الصالحات.. إن هذه الفريضة المقدسة تصور لنا بعض أدوار الآخرة، فالحاج إذا دخل البادية، وسار في الصحراء لا يأكل إلا من زاده، ولايعتمد إلا على استعداده، واغتسال المحرم وتجرده من المخيط ووقوف الجميع بعرفة ما بين مقبول ومخذول، كيوم القيامة فمنهم شقي وسعيد، والإفاضة إلى المزدلفة ودخول البيت الحرام، يشبه دخول دار السلام.

الحج في واقع الأمر رحلة إلى الله - تبارك وتعالى - فيها إنفاق وتجريد، وتطهير وتهذيب، فمن يذهب لأداء فريضة الحج يجب أن يتعود السخاء، والجود والعطاء، من يذهب إلى الحج يجب أن يتجرد من الشهوات وأن يبتعد عن الحرام وأكل الحرام، ويجتنب الآثام، وأن يخلص قلبه وعمله لله - عز وجل - من يذهب للحج يجب أن يتحلى بمكارم الأخلاق، ويترك أساليب النفاق، وأن ينقي قلبه من السوء لإخوانه، وألا يضمر شرا لزملائه وجيرانه، وأن يعامل الناس بما يحب أن يعاملوه به، ويحب لهم من الخير مايحبه لنفسه.. للحج أسرار عظيمة، وفضائل

(٢) رواه الحاكم وصححه، والبيهقي في سننه.

(٣) الزمر: ٦٨.

روحية شريفة، وآثار اجتماعية قدسية، فمن ذلك تنظيم البيت العتيق وعمارته، وزيارة الأرض المقدسة التي احتضنت شرعة الإسلام إلى أن ترعرعت وقويت، وقضت على الشرك والوثنية.. الحج من أفضل العبادات التي يتقرب بها المسلمون إلى خالقهم بارئ النسمات، فتصفو قلوبهم، وتشف نفوسهم في مشارق الفيوضات وترفرف أرواحهم مع نسمات الرضا والنفحات، فيلتقون على المودة وتربط بينهم أواصر المحبة على اختلاف الديار وتباعد الأقطار.

في الحج تتجلى الوحدة الإسلامية في أسمى صورها وأروع مظاهرها حيث يلتقي المسلمون من جميع أنحاء العالم ليوثقوا روابطهم وينظموا جهودهم ويوحدوا صفوفهم للعمل لما فيه خير الأمة الإسلامية وإسعادها والنهوض بها لتتبوأ المكانة اللائقة بها بين الأمم ولتسترد مجدها القديم.. وإن المساواة بين الناس على اختلاف أجناسهم وألسنتهم وألوانهم عربا وعجما حكاما ومحكومين رؤساء ومرءوسين.

في أعمال الحج تنزع من النفوس الجامحة الكبر والخيلاء.. ثم إن الشروع في أداء فريضة الحج يخرج الإنسان من كل مشاغل الحياة وماقيها من أضغان ومنافسات..

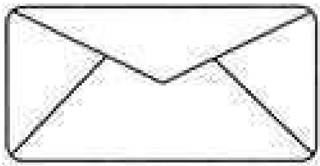
وأول عمل من أعمال الحج: هو الإحرام وفيه إظهار التذلل والخضوع والعبودية وترك الزينة وأسبابها من الملابس الفاخرة، إذ يكتفي الحاج من اللباس بما هو ضروري لم تتناوله يد الصانع بالخياطة ونحوها، وإن التستر بغير المخيط ليذكرنا بحال الطفل ينزل من بطن أمه لايملك من أمره شيئا وإنما اختار الشارع الحكيم هذا النوع من اللباس ليكون أبلغ في الخضوع وأكمل في التسليم للمنعم الكريم رب العرش العظيم..

ثم إن من أهم المنافع التي قصدها الشارع الحكيم بالحج إلى بيت الله الحرام أن اجتماع الجميع بمكة حول البيت ووقوفهم جميعا بعرفة يعتبر اجتماعا عالميا ومؤتمرا دوليا لوضع أسس السعادة والرقي والحضارة للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها فضلا عن تبادل الخبرات والمعارف ودراسة المشكلات ووضع الحلول المناسبة لها بطريقة إيجابية وعملية، وإن الحج تتمثل فيه الديمقراطية التعاونية الإسلامية، كما تتمثل فيه الوحدة الإسلامية الشاملة بكل معانيها.

نعم إن الحج هو المؤتمر الأكبر الذي يضم شتات المسلمين من كل فج عميق يستلهمون منه معاني العزة والقوة، ويشهدون منافع لهم دون غيرهم، منافع عامة ليست خاصة منافع كثيرة تعود عليهم بخيري الدنيا والآخرة، منافع لايقدرها حق قدرها ولايعرف كنهها إلا الله – تبارك وتعالى – والراسخون في العلم.

***

رسالة .. و .. رد



لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان

رسالة هذا العدد وردت من القارىء صالح محمد عطيتو يقول في رسالته :

صليت إماماً بالناس في فجر أحد الأيام وفي آخر القنوت قلت « اللهم ببركة القرآن الكريم وبجاه سيد الأولين والآخرين تقبل منا صلاتنا وركوعنا وسجودنا ودعاءنا » وبعد الصلاة وقف واحد من المصلين وقال هذا كفر هذا شرك ووقف المصلون جميعا ضده ولكن انضم إليه شخص آخر يوافقه ويشجعه ولا استطيع أن أصف لك ماحدث من فوضى وضوضاء وضجيج في المسجد لكن أحد العقلاء تدخل قائلا احتكموا إلى علماء الأزهر الشريف.

فهل يجوز أن نتوسل بسيدنا رسول الله أم لا؟ أفيدونا أفادكم الله.

● وقبل أن أجيب على هذا السؤال أود أن أنبه إلى نقطتين:

الأولى: أن للمساجد حرمة يجب مراعاتها خاصة على المصلين عمار المساجد.

والثانية : أن للإفتاء رجالاً يجب أن يقتصر أمر الفتوى عليهم حتى لايصير الأمر فوضى يتكلم في الدين والفتوى كل من هب ودب فلكل علم أهله الذين يفتون فيه وحدهم فللطب أهله وللهندسة أهلها وللزراعة أهلها ولكل علم وفن أهله فهل يجوز أن يتكلم شيخ أزهري في الطب مثلا وماذا يقال عنه إذا فعل ذلك ولماذا صار الدين وحده هو الكلا المباح لكل إنسان؟!..

ياقوم اتقوا الله ولا تقولوا في دين الله بغير علم، ثم إن الحكم بالكفر والشرك مسألة خطيرة للغاية وإذا رمى شخص شخصاً بالكفر باء بها أحدهما وعلى فرض أن رأى المعترض عليك يا أخ صالح صحيح فما كان ينبغي أن يقوله لك في المسجد بهذه الصورة التي شوشت على المصلين وأحدثت ضجة لامبرر لها، ألم يعلم هذا المعترض أن الرسول ﷺ كان لايجابه المخطىء بخطئه بل يكني ويقول : « ما بال أقوام..» أو مابال قوم فعلوا كذا وكذا ولو كان هذا المعترض على علم كما يدعي، لعلم أن الرسول ﷺ « ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً فإذا كان إثماً كان أبعد الناس عنه ».

وبعد هذه المقدمة التي كان لابد منها أجيب الآن عن الرسالة فأقول :

إن ما قاله الأخ السائل كما جاء في رسالته (اللهم ببركة القرآن الكريم وبجاه سيد الأولين والآخرين تقبل منا صلاتنا وركوعنا وسجودنا ودعاءنا) .

وهذا بلا ريب توسل إلى الله تعالى بالقرآن الكريم وبالنبى ﷺ أن يتقبل الله تعالى من الداعي صلاته ودعاءه، أما القرآن فهو كلام الله القديم قدم قائله ولذا قرر العلماء أن الحلف به كالحلف بالله سبحانه واعتقد أن المعترض لايعارض في هذا، وأما التوسل بالنبى صلوات الله عليه فهذا فيما أظن هو موضع الخلاف بين السائل والمعترض، فهو ومن أخذ عنهم لا يجيزون الخلاف، يقول فضيلة الشيخ عطية صقر في كتابه «أحسن الكلام»[1] : إذا كان المراد بالتوسل أن يدعو الرسول ﷺ للسائل فلا أحد يمارى في جوازه خاصة في حياته فقد طلب الصحابة منه ـ ﷺ ـ الدعاء فدعا لهم وأجيب دعاؤه، روى البخاري عن أنس رضى الله عنه أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ وهو يخطب على المنبر يوم الجمعة وقال يارسول الله : هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا فدعا النبى فنزل المطر مدة أسبوع فقال الأعرابى : تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا فدعا فقال : «اللهم حوالينا ولا علينا» فانزاح السحاب.

وإن كان المراد غير ذلك بأن أريد القسم أو السببية بمعنى أسألك بالله بسبب نبيك أن تفعل كذا فإن أريد بسبب الايمان به وحبه وطاعته فلا غبار عليه لأنه توسل بعمل الداعي : من الايمان والحب والطاعة وإن كان المراد بسبب ذاته أو بسبب منزلته من الله فهذا الذى وقع فيه الخلاف فمنعه ابن تيمية وآخرون قائلين: إن مجرد الجاه لايعطى الشفاعة واستدل الفريق الأول المجيز وهم جمهور العلماء بأدلة منها :

عن عثمان بن حنيف أن ضريراً طلب من النبى أن يدعو الله له بالعافية فأمره أن يتوضأ فيحسن الوضوء ويدعو بقوله: «اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة : يارسول الله إنى توجهت بك إلى ربى في حاجتى هذه ليقضى لى اللهم فشفعه فى .وفى رواية «فإن كان لك حاجة فمثل ذلك» قال عثمان ـ راوى الحديث ـ فوالله ما تفرق بنا المجلس حتى دخل علينا بصيراً كأنه لم يكن به ضر)، وقد روى أن النبى ﷺ علّم أبا بكرا الصديق رضى الله عنه أن يقول : «اللهم إنى أسألك بمحمد نبيك وبإبراهيم خليلك.....» وروى الطبرانى في الكبير والأوسط وابن حبان والحاكم وصححوه عن أنس رضى الله عنه قال لما ماتت فاطمة بنت أسد ـ وهى أم على رضى الله عنهما ـ وكانت ربت النبى ﷺ دخل عليها الرسول ﷺ فجلس عند رأسها وقال : رحمك الله يا أمى بعد أمى وذكر ثناءه عليها وتكفينها في برده وأمره بحفر قبرها فلما بلغوا اللحد حفره ﷺ فاضطجع فيه ثم قال «الله الذى يحيى ويميت وهو حى لايموت اغفر لأمى فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين قبلى فإنك أرحم الراحمين»، وروى

---

(١) المجلد الأول ص ٢٧٦، وما بعدها بتصرف.

البيهقي في دلائل النبوة بإسناد صحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «لما اقترف آدم الخطيئة قال : يارب أسالك بحق محمد إلا ما غفرت لي فقال الله تعالى : ياآدم كيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال : يارب إنك لما خلقتني رفعت رأسي فوجدت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك فقال الله تعالى صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلي وإذا سألتني بحقه غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك».

واختتم هذا الرد بما جاء في البخاري في باب الاستسقاء قال : « ... عن أنس أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا - أي إذا أصابهم القحط استسقى بالعباس بن عبدالمطلب فقال : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال فيسقون »[٢].

وقال ابن حجر العسقلاني في شرحه ان العباس لما استسقى به عمر قال : (اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ولم يكشف إلا بتوبة وقد توجه القوم بي إليك لمكاني من نبيك وهذه أيدينا اليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة فاسقنا بالغيث فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض وعاش الناس) وأخرج الزبير بن بكار في الأنساب من طريق داود بن عطاء عن زيد ابن اسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : استسقى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عام الرمادة بالعباس بن عبدالمطلب فذكر الحديث وفيه (فخطب الناس عمر فقال : إن رسول الله كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد فاقتدوا أيها الناس برسول الله في عمه العباس واتخذوه وسيلة الى الله ففعلوا فما برحوا حتى سقاهم الله)[٣] هذا والله أعلم.

● والرسالة الثانية في هذا العدد من القارئة ثريا ع . م . ع من بني قريش بلبيس - شرقية تقول فيها :

ورثت أنا وأخوتي عشرين قيراطاً أرضاً زراعية من أمنا ضمها أبي إلى خمسة أفدنة يمتلكها نصفها حديقة مثمرة ومنها فدان يصلح للمباني يباع القيراط فيه بثمن فدان ويريد أبي سامحه الله ان يحرمني أنا وأختي الكبرى المعوقة من تركته الكبيرة ويخص بها أخوتي الذكور السبعة وقسم التركة فعلاً على الذكور وسجل لهم في الشهر العقاري وطلب مني أنا وأختي ان نوقع له على إقرار بأنه ليس لنا بعد وفاته إلا ما نأخذه من تركة أمنا وقد اشترى حوالي قيراط في مينا القمح وبنى عليه منزلاً خص به اثنين من الأخوة فهل شرع الله يوافق على هذا، وما رأيكم فيما فعله والدنا سامحه الله علماً بأن خمسة من اخوتي يشغلون مراكز مرموقة وعلى سبيل المثال أحدهم حاصل على دكتوراه من أمريكا وآخر ضابط برئاسة الجمهورية ويملك عمارة اشتراها بربع مليون جنيه وأنا لست حاقدة أو حاسدة بل أتمنى لهم كل خير لكن زوج أختي المعوقة هددها بالطلاق إن لم تحصل على نصيبها لأنه كما يقول رضي بالزواج منها إشفاقاً عليها ورغبة في تركتها من

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري جـ٦.

(٣) المرجع السابق.

أبيها، وزوجي أنا منع أبي وإخوتي من دخول بيتنا ولما أطعت زوجي في ذلك أرسل لي أبي يقول إنه غضبان عليّ فماذا نفعل؟ أفيدونا أفادكم الله.

● لست أدري كيف يفعل والد لأبناء متعلمين يشغلون مناصب مرموقة هذا الفعل ببنتين ضعيفتين فإذا وقع ذلك وهو حرام من غيره من الناس فلا ينبغي أن يحدث منه ولو كان أبناؤه الذكور محتاجين أو مرضى أو معوقين لقلنا إن بعض الفقهاء أجاز ذلك في حالة صغر الابن أو زفافه أو تعليمه لكنه ترك المعوقة وحرمها وأعطى الميراث كله قبل أن يموت للرجال الأصحاء الأشداء فأي جور وظلم وقلب للموازين مثل هذا؟! إن هذا ردة للجاهلية التي تحرم النساء والصغار ويقولون لا نورث إلا من يحمل السيف ويركب الخيل ويدافع عن العشيرة، ألم يسمع هذا الوالد الظالم بقول الرسول ﷺ « .. فاتقوا الله واعدلوا في أولادكم » البخاري ومسلم وقوله صلوات الله عليه « من كانت له أنثى فلم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها أدخله الله الجنة » رواه أبوداود.

إن ما فعله هذا الأب إضرار ببعض الأولاد حرّمه الشرع الشريف وحذر منه رسول الله ﷺ فقد روى النسائي وغيره عن النبي ﷺ أنه قال « الإضرار في الوصية من الكبائر » وجاء في الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن الرجل ليعمل والمرأة بطاعة الله تعالى ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار » ومعنى هذا أن أباك أيتها السائلة لن ينفعه عمل صالح في حياته الطويلة من صلاة وصيام وزكاة يوم القيامة إن كان صلى وصام وزكى إن لم يرجع عن هذا الذنب الكبير الذي ارتكبه ويعط كل ذي حق حقه كما شرع الله تعالى، والعجيب أن أباك لما أطعت زوجك في مقاطعتهم اعتبرك عاقة وأرسل يخبرك أنه غاضب عليك ولم يدر أنه عقك وأختك قبل أن تعقاه.

ثم إن ما فعله هذا الوالد العاق مخالف كل المخالفة لشرع الله تعالى الذي تولى تقسيم المواريث بنفسه ولم يترك ذلك لأحد حتى رسول الله ﷺ وقال في ختام إحدى آيات المواريث:

﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[1].

وما يدريه قد يعيش عمراً طويلاً وقد يموت أبناؤه الذكور قبله وما يدريه قد تبدد هذه الثروة التي خص بها الذكور بسبب المرض أو الكوارث ويصبحون فقراء لأن المقادير بيد الله.

واختتم هذا الرد بتذكير الأب بقول رسول الله ﷺ « سووا بين أولادكم في العطية ولو كنت مؤثرا أحداً لآثرت النساء » مجمع الزوائد ج٤ هدى الله هذا الأب الجائر ورد إليه عقله ودينه حتى يفكر في مآل ابنته المعوقة حين يطلقها زوجها من غير ذنب جنته بل جناه عليها أبوها ورحم الله أبا العلاء حين قال: هذا جناه أبي عليّ وما جنيت على أحد.

هذا وبالله التوفيق وهو تعالى أعلى وأعلم

---

(١) النساء (١١)

إنهم لا يستحون

للأستاذ / أحمد السيد تقى الدين

دعوى خبيثة صدرت من فئة لا دين لها ولا خلاق.. فئة ضالة لا تستحق بحال أن تنسب إلى أبناء هذا الوطن المقاتل دائما دفاعا عن العقيدة.. عن الدين الخالد.

دعوى لا هدف لها إلا بث الوهن، وإضعاف النفوس المؤمنة.. الدعوى الخبيثة تقول: إن الحكومة المصرية قررت حذف آى الذكر الحكيم المتناولة لسيرة بنى إسرائيل من المقررات الدراسية فى مدارس وزارة التربية والتعليم، والمعاهد الأزهرية، تنفيذا لتوجيهات صادرة من دولة أجنبية!!

فى حين أن نظرة فاحصة متأملة لكتب التربية الدينية فى ستينيات وسبعينيات القرن المنصرم، وهى الفترة التى شهدت الصراع العسكرى الصريح بين مصر وإسرائيل، لم تتضمن كتب التربية الدينية فى هذه الفترة سوى قصار السور من جزأى عم وتبارك، وهما جزءان لا يتناولان سيرة بنى إسرائيل، مع أن المنظور السياسى كان يتطلب العكس من أجل شحن النفوس وجعلها فى حالة استنفار دائم لأن المجتمع كله كان يترقب أنباء الحرب فى حين أنه وبعد توقيع اتفاق السلام المصرى الإسرائيلى بدأ تليفزيون جمهورية مصر العربية يذيع وبانتظام أحاديث فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى - رحمه الله - التى تعارف الناس على تسميتها بـ«تفسير الشعراوى» ذلك التفسير الذى أثار ثائرة الحكومة الإسرائيلية وطالبت الحكومة المصرية بإيقاف إذاعته وذلك عندما تناول الشعراوى سيرة بنى إسرائيل فى تفسيره.

فهل استجابت الحكومة المصرية؟ هل توقف تليفزيون جمهورية مصر العربية عن إذاعة تفسير الشعراوى؟

على العكس تماما استمر تليفزيون جمهورية مصر العربية فى إذاعة التفسير، بل وتولت إحدى الصحف القومية الكبرى طباعته وإصداره فى أجزاء بسعر زهيد فى متناول كل فرد، ولازال يصدر حتى يومنا هذا، بل وتعددت طبعات هذا التفسير، وتسابقت دور النشر فى طباعته، بل ويصدر الآن على أشرطة فيديو، وعلى أقراص الكمبيوتر بصوت فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى.

فهل يرى المتخرصون أن تليفزيون جمهورية مصر العربية غير خاضع لسياسة الحكومة المصرية؟!

هل يرى المتخرصون أن المؤسسة الصحفية القومية التى تتولى إصدار تفسير الشعراوى، والتى يصدر قرار تعيين رئيس مجلس إدارتها من رئيس الجمهورية شخصيا.. هل هذه المؤسسة غير ملتزمة بالخطوط العامة لسياسة الحكومة المصرية.

بل ولم تسلم المعاهد الأزهرية من ذات الفرية، فرية حذف آى الذكر الحكيم من المناهج الدراسية، مع أن طلبة المعاهد الأزهرية يحفظون القرآن من المصحف وليس مجرد عدد من السور المطبوعة فى كتاب، إنما من المصحف الذى يتم اختبارهم فيه حفظا وتلاوة وتجويدا، ويصلون إلى مرحلة يتم فيها الاختبار فى المصحف كله ولا يسمح لهم بالانتقال إلى مرحلة دراسية أعلى بغير ذلك.

ليس هذا فقط، إنما ينظم الأزهر، وتنظم وزارة الأوقاف كذلك مسابقات كبرى على مستوى محافظات الجمهورية فى حفظ كتاب الله، فهل يستطيع أن يدعى أى مدع أن هذه المسابقات التى تنظمها هيئات تتبع الحكومة المصرية تتجنب الآيات المتناولة لسيرة بنى إسرائيل؟!

الإجابة: نعم يستطيعون! لماذا؟ لأنهم لا يستحون. ولكن المسلم الحق لا ينساق خلف هذا الكذب والبهتان لأنه يحفظ قول المولى عز وجل:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ﴾[1].

(١) الحجرات (٦).

شهر الصيام في امستردام

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدي

٢

قلت لصاحبي : انتهى لقائي معك بوعد مني أن أحدثك عن هولندا، وهاأنذا مستعينا بالله أشرع في الوفاء بما وعدت قدر استطاعتي فهولندا يا سيدي تقع في شمال أوروبا وهي مجموعة جزر متقاربة تتفاوت في المساحة تقع في بحر الشمال وهي منخفضة عن بلاد أوروبا ولو أنك واقف على حدودها مع بلجيكا ترى بلجيكا مرتفعة يخيل إليك كأنك تقف أمام سور قلعة صلاح الدين.

وأرض هولندا خصبة كثيرة الخيرات ولعلك تعرف أنها تشتهر بنوع من الأبقار تسمى الفريزيان ذات اللبن الوفير ولذلك تشتهر بمنتجات الألبان خصوصا ما ينسب إليها ونعرفه في مصر بالسمن الهولندى ورغم قلة مساحة هولندا إلا أنها استطاعت أن توسع مساحة الأرض الزراعية بردم أجزاء من البحر على عكس الحال عندنا حيث إن شواطئنا تتأكل باستمرار مما يهدد الدلتا ومع هذا لم نفكر جديا في حمايتها بأساليب ناجحة ونظرا لطبيعة البلاد حيث أنها جزر كانت وسيلة المواصلات هي القوارب «والمعديات» ثم أصبحت الأنفاق تحت المياه والجسور الواصلة بين الجزر بعضها ببعض. وتعد هولندا من أشهر بلاد العالم في الأنفاق تحت الماء والجسور وذلك نظرا لطبيعة البلاد.

وعاصمة هولندا أمستردام وتعداد السكان حوالى أربعة عشر مليون نسمة تقريبا يعني أقل من سكان مدينة القاهرة منهم حوالي من ثلاثة إلى

أربعة ملايين من أصول غير هولندية يتوزعون بين أجناس عربية وأخرى غير عربية إسلامية وغير إسلامية ومن أكبر الجاليات العربية المسلمة الهولندية من أصل مغربي أكثر من ربع مليون ثم الأتراك حوالى «١٥٠٠٠٠» ألف ثم الجزائر وتونس ثم المصريين.

والذى يجب أن تعرفه عن هولندا رغم قلة السكان وصغر المساحة إلا أن جرثومة الاستعمار متأصلة فيها، ففى عام ١٦٠٢م تأسس ما يسمى بشركة الهند الشرقية وكانت هولندا من الدول البحرية ذات الشأن ولم تكن نالت وطرها من غنائم ما يسمونه بالعالم الثالث المسكين ومن خلال هذه الشركة وعلى بعد آلاف الأميال وقعت الضحية «أندونيسيا» ذات الثمانين مليونا فى قبضة شركة الهند الشرقية ولم تستطع أن تفلت من قبضة الاستعمار الهولندى إلا فى عام ١٩٤٩م.

وعلى الساحل الشمالى الشرقى من أمريكا الجنوبية تقع جمهورية صغيرة اسمها «سور ينام» وهى شمال البرازيل كذلك وقعت فى قبضة الاستعمار الهولندى ولم تحصل على استقلالها إلا فى عام ١٩٤٥م، وتوجد أقليات كثيرة من الأندونيسيين والسوراناميين إلى جانب بعض جماعات من بلدان مختلفة من أفريقيا السوداء.

ثم اختلست نظرة إلى صاحبى فوجدت الضجر باديا على ملامحه وقبل أن أغير الحديث قال: ما أردت أن تأخذنى إلى التاريخ والجغرافيا! لكن حدثنى عن البشر قلت على الفور رافضا القفز النزق على تضاريس الأرض والبشر: لماذا لا تتعلم الأناة والتريث؟

لماذا تريد أنت أن تقفز إلى الحكايات والناس؟ مع أن فى التاريخ عبرة وفى ثنايا الجغرافيا يتكون البشر.

وأذكر حديثا لحبيبى ﷺ قاله للأشج لما قدم وفد عبد قيس إلى رسول الله ﷺ فأسرعوا إليه غير أن الأشج تأخر عنهم فربط رواحلهم ثم لبس أحسن ثيابه ثم ذهب إلى رسول الله ﷺ فاستحسن منه أناته وتريثه وقال له: «إن فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله».

والحديث برمته أرويه لك كما جاء في البداية والنهاية لابن كثير الجزء الخامس.(١)

تقول هند بنت الوازع أنها سمعت أباها الوازع يقول أتينا رسول الله ﷺ والأشج المنذر بن عامر ـ أو عامر بن المنذر ـ ومعهم رجل مصاب فانتهوا إلى رسول الله ﷺ فلما رأوا رسول الله ﷺ وثبوا من رواحلهم فأتوا رسول الله ﷺ فقبلوا يده، ثم نزل الأشج فعقل راحلته وأخرج عيبته ففتحها فأخرج ثوبين أبيضين من ثيابه فلبسهما، ثم أتى رواحلهم فعقلها فأتى رسول الله ﷺ فقال: «يا أشج أن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والأناة» فقال: يا رسول الله أنا تخلقتهما أو جبلني الله عليهما؟ قال: بل الله جبلك عليهما. قال: الحمد لله الذى جبلني على خلقتين يحبهما الله ورسوله فقال الوازع: يا رسول الله إن معي خالاً لي مصاباً فادع الله له فقال أين هو؟ آتني به قال: فصنعت مثل ما صنع الأشج ألبسته ثوبيه وأتيته فأخذ من ورائه يرفعهما ـ أي ثوبيه ـ حتى رأينا بياض إبطه، ثم ضرب بظهره، فقال: «أخرج عدو الله» فولى وجهه [الرجل] وهو ينظر بنظر رجل صحيح، وروى الحافظ البيهقي من طريق هود بن عبدالله بن سعد أنه سمع جده مزيده العبدى، قال بينما رسول الله ﷺ يحدث أصحابه إذ قال لهم: «سيطلع من ها هنا ركب هم خير أهل الشرق»، فقام عمر فتوجه نحوهما فتلقى ثلاثة عشر راكباً، فقال من القوم؟ فقالوا: من بني عبدالقيس، قال: فما أقدمكم هذه البلاد.. التجارة؟ قالوا: لا، قال أما إن النبي ﷺ قد ذكركم آنفا فقال خيرا، ثم مشوا معه حتى أتوا النبي ﷺ فقال عمر للقوم: هذا صاحبكم الذى تريدون ـ يقصد رسول الله ﷺ فرمى القوم بأنفسهم عن ركائبهم فمنهم من مشى ومنهم من هرول ومنهم من يسعى حتى أتوا رسول الله ﷺ فأخذوا بيده فقبلوها، فتخلف الأشج في الركاب حتى أناخها وجمع متاع القوم ثم جاء يمشي حتى أخذ بيد رسول الله ﷺ فقبلها، فقال النبي ﷺ: «إن فيك خلتين يحبهما الله ورسوله»، قال: جُبلٌ جبلت أم تخلقا مني؟ قال عليه ـ

(١) البداية والنهاية لابن كثير ص٥.

الصلاة والسلام ـ بل جبل، فقال: الحمد لله الذي جبلني على ما يحب الله ورسوله، أهـ والناس متفاوتون في الخصال منهم من جبل عليها مثل الإشج ومنهم من يتطبع بها ولذلك يقول أهل المجاهدة والتصوف من جبل على شيء منها كان محمودا وإلا فهو مأمور بالمجاهدة حتى يصير كذلك وما أدراك ما المجاهدة إنها وسيلة من وسائل أهل التصوف المجاهدين، يمارسونها ويعالجون بها أخلاقهم وأحوالهم للوصول إلى كل خلق سني وقرب من الله ـ تعالى ـ، والحلم والأناة إلى جانب أنهما من السجايا الحميدة التي تزين الرجال، هما خصلتان يحبهما الله ورسوله ولست أدري لماذا نتعامل مع السنة على اعتبار أنها نصوص للحفظ والخطابة ولانتعايش ونعيش بها ونقوم بها سلوكنا، فتلك آفة المسلمين اليوم يثرثرون أكثر مما يعملون ويراءون أكثر مما يخلصون.

قال صاحبي: جزاك الله خيرا أنت ترشدني إلى أحسن الأخلاق.

قلت لصاحبي: للأسف الشديد لم تسمح لنا الظروف بالتوجه إلى مدن خارج العاصمة امستردام كما كنا نود بل كما تخيلنا وجمح بنا الخيال فانطلقنا نجوب أوروبا كلها متمتعين بوحدة أوروبا حيث إنه بعد الوحدة تكفيك تأشيرة لبلدة واحدة لدخول ولايات أوروبا ـ إن صح التعبير ـ وساعتها تتذكر ـ إن كنت نسيت ـ واقعك العربي الممزق، مزقته أطماع الزعامات الهزيلة وجهالة شعوب كسيحة، إنها أمة فقدت حتى الإحساس بالكارثة، وجلست تلهوا في بلاهة وخمول بليد، تنتظر قدرها المدمر، ذكرتني بيتين لابن الرومي يصور فيهما أحدبا قبيحا كان يتشاءم منه، منظره يوحي كأنه صُفع، على قفاه.. ! لم يقاوم، وتبلد، وتكور على نفسه، كأنه ينتظر صفعة أخرى، هذه الصورة الكاريكاتورية الساخرة المؤلمة، قفزت إلى ذهني عن حال أمتنا العربية الآن. يقول ابن الرومي:

قصرت أخادعه وغار قذاله ... فكأنه متوجس أن يُصفع

وكأنما صُفعت قفاه مرة ... وأحس ثانية لها فتجمع(٢)

---

(٢) ديوان ابن الرومي، وانظر أيضاً ابن الرومي حياته من شعره للعقاد.

معذرة لهذه الصورة المضحكة، فكما قال سيدنا عمر بن الخطاب: «شر البلية ما يضحك».

على أى حال لم تتح لنا الظروف إلا للذهاب إلى قرية أو قل ضاحية لا تبعد أكثر من ثمانية عشر (١٨) كيلو مترا تقريبا وأبادر فأحذرك من ظلم المقارنة، وأنها سوف لا تكون في صالحك ولا في صالحي عندما تسمع كلمة قرية فيجمح بك الخيال إلى قرانا وتعمد إلى المقارنة فيجانبك الصواب وتقع في ظلم بين، إذ أنها لا تحمل من القرية إلا الاسم فإنها حديقة أو نموذج «مكيت» لمدينة كاملة أو منتجع فيها كل مقومات المدينة البنك مكتب البريد موقف السيارات محلات على مستوى عال من النظافة ثم الهدوء الساحر الذى يداعب حواسك والنظافة التى أحس معها كأن القرية ترحب بك فحال القرية يجعلك تحس وتلمس بقوة نعمة الهدوء والهمس، وتدرك وتتذوق معنى أن تسكن إلى وسادة وتغمض عينيك وتفتح عقلك لتتأمل ما حولك في هدوء وعمق.

تقع القرية على أحد الشواطىء ترى السفن وقوارب وشباك الصيد وصناديق حمل الأسماك. لكن أبدا لن تجد ذبابة ولا بقايا السمك وبالتالى لا تشم الرائحة غير المحببة هل تصدق هذا؟ أعتقد أنك لن تصدق ـ نظرا لما تعايشه ـ حتى تشاهد بنفسك وهذا من حقك.

قلت لصاحبي وأنا أواصل الحديث أحس أنك مشتاق لأن تستمع إلى الأسئلة التى قلت لك انها لتزجية الفراغ ووعدتك بالحديث عنها لكني أبادر فأحذرك وأحذر نفسى بأن نأخذ الأمر مأخذ التسلية فنقع في نفس الشرك الذى وقعوا فيه حيث إننا لابد أن نأخذ الامر مأخذ الجد وأن نتدبر الأمر بصدق مع النفس ومواجهة لأنفسنا بما يجب علينا أن نعمله حيث إننا كثيراً ما نعمد في إلقاء مواعظنا من السرد التاريخى الذى يفتقد إلى إرادة التغيير واستسلمنا (علماء وجمهوراً) إلى هذا المخدر اللذيذ نتعاطاه معا وأصبح هذا كل همنا من الدين لكني سوف أكتفي بنموذج شاذ وغريب تعاطى الدين

مظهريا وأشتاق إلى الزعامة فلم يجد مكانا يقفز إليه أو فيه إلا التزيي مظهريا باسم الدين مع أن الدين عندنا نحن المسلمين ينبع من داخلك ولما سألت السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن: ما العمل الأخلاقي؟ فأجابت قائلة: إذا عملت عملا وخشيت أن يطلع الناس عليه فتأكد أنه مناف للأخلاق».

وحكى لي رفيق في الرحلة أن شابا قوي البنية مفتول العضلات ألقى عليه سؤالا ما حكم الهجرة إلى بلاد الكفر والإقامة فيها؟ فأجابه الشيخ بما يعتقد أنه صواب ـ وأظن أنه كذلك إلا أن السائل أصر على أن الإقامة ببلاد الكفر حرام فلما قال له الشيخ في أدب: هذا رأيك فاعمل به مادامت مقتنعا لكن الشاب لم يعجبه كلام الشيخ وعمد إلى أساليب غوغائية لا تفيد الحوار وليست من الدين وكل هذا رغم أنه مؤلم وقبيح خصوصا ممن ينتسب إلى الدين لكنه في سبيل الدعوة محتمل ويهون لكن المدمر الذي لا يقبل ولا يطاق أو ثالثة الأثافي كما يقول المثل العربي أنه لما مل الشيخ من حواره مع هذا الإنسان قال له: ما دام هذا رأيك فلماذا أنت هنا أخرج من بلاد الكفر مادامت الإقامة حراما! وكانت الكارثة أن هذا الذي يزعم بأنه داعية وينادي بالحلال والحرام والتشدد يقيم في بلاد الكفر كما زعم ويأخذ إعانة بطالة أي أنه عاطل ويعيش على إعانة من الكافرين كما يسميهم.

قلت لصاحبي: بالله عليك هل هذه نماذج تصلح بأن توصف بأنها سوية أم أنها ضالعة في عالم الإجرام وأن أساس نكبتنا أن أمثال هذه النماذج تتغلغل في المجتمعات الإسلامية في السياسة والاقتصاد والحياة كلها وتتولى مواقع القيادة وصدق رسول الله ﷺ قال: «إذا وُسد الأمر لغير أهله فانتظروا الساعة».

***

الرسالة.. والأحبار

للدكتور / على أحمد على

روى الإمام البخارى ـ رضى الله عنه ـ فى صحيحه عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال:
« لو آمن بى عشرة من اليهود لآمن بى اليهود »(١).
ويبدو أن العشرة فى الحديث الشريف مقصود بها عشرة من أعلامهم الأحبار الرؤساء، وقد ورد ذلك صريحا فى رواية الإمام أحمد ـ رضى الله عنه ـ بمسنده ـ عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ:
« لو آمن بى عشرة من أحبار اليهود لآمن بى كل يهودى على وجه الأرض » ٢/٤٤٦ وبعد:
فلقد أرجو أن يكون حديثى بالعدد الماضى(٢) ـ وقد بسطت فيه القول عن وثنية بنى إسرائيل ـ أن يكون مقدمة موفقة ـ إن شاء الله تعالى ـ بين يدى هذا المقال.

وفى التنزيل العزيز:

﴿ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ ﴾

الصف ـ ١٤

والطائفة الكافرة ـ كما سبق أن أوضحت هى الطائفة الكبرى، ولنا دليل على ذلك قوله تعالى ـ بسورة الأعراف:

﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (١٥٩) وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴾

الأعراف ١٥٩، ١٦٠

فهم اثنتا عشرة أمة، منهم أمة واحدة تهدى بالحق وتعدل به، فأما البقية فهم الذين:

﴿ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾

البقرة ـ ٩٣

وهم أولئك الذين:

﴿ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾

النساء ـ ٥١

---

(١) صحيح البخارى ـ مناقب الأنصار ـ باب: إتيان اليهود النبى ﷺ حين قدم المدينة ـ ط البهية ـ ١٢٩٠ هجرية.
(٢) مجلة الأزهر ـ عدد ذى القعدة ١٤٢٢ ص ١٨١٤.

الجبت: السحر، والطاغوت: الأوثان وبيت الأصنام.

●●●

وهذا الحديث الشريف يقتضينا بيانا يوضح علاقة اليهود بالجزيرة العربية، وأحوالهم - أو بعضها - بها، وعلاقتهم بمن جاوروه من أهلها، وما كان لهم من أهداف في السعي إليها.

لم تكن الجزيرة العربية موطنا أصليا لهؤلاء اليهود، بل طرأوا عليها مثلما طرأ عليها - تماما - شذاذ القراصنة الهنود، وأقاموا جيوبا لهم شرق الجزيرة[3] وكما أفسح العرب - كرما منهم - لهؤلاء القراصنة أفسحوا كذلك لليهود.

فمتى قدم هؤلاء اليهود إلى الجزيرة؟

وهل كان هناك دافع أو أكثر يحثهم على النزوح إلى الجزيرة إلى جانب هذا القدوم؟

فأما عن الدافع أو الدوافع:

فإن ذلك لأمر قد وافق أماني علمائهم إلى جانب، اضطرارهم العنيف إلى الهجرة من وجه مضطهديهم من البابليين والآشوريين على ما سوف نبسطه بقدر ما يسمح به (مقال).

وأما متى قدموا إليها؟

فإنه مما لا شك فيه أن قدومهم إليها - أشتاتا أو جماعات - يمكن رد بدايته إلى ما نزل بكلتا مملكتيهم: «إسرائيل» و«يهودا» من تدمير وأسر وتشريد:

وقع ذلك بمملكة الشمال «إسرائيل» عام (٧٢٢ ق.م) على يدى سرجون الآشورى ووقع مثله بمملكة الجنوب «يهودا» عام (٥٨٦ ق.م) على يدى نبوخذ نصر البابلى[4].

فانطلقوا يطلبون المأوى الآمن إلى جانب العمل المثمر.. دأبهم المالى المنشود.

لم يكن أمامهم خير من الجزيرة العربية، بل ما كانوا يجدون سواها؛ إذ هى فى الجنوب من مقامهم حينئذ، وهو الاتجاه الوحيد الذى خلا تماما من سطوة أعدائهم الذين ساموهم الخسف وسوء العذاب إلى الدرجة التى عبد فيها ملوك منهم ملوكا من بابل وآشور.[5]

ومنذ ذلك الحين ظلوا يردون إلى الجزيرة - كما قلت: أشتاتا أو جماعات - إلى ما بعد عهد المسيح بن مريم - على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام. فكلما نزلت ببقاياهم فى الشمال نازلة هرعوا إلى الجزيرة، فرحلوا إليها - أيضا - عقب «تخريب (تيطس) سنة (٧٠م) لمدينة أورشليم، ثم ما فعله بهم (هادريان) سنة (١٣٥م) وقد دمرها عليهم»[6].

●●●

(٣) انظر د/ على أحمد الخطيب - الشرك فى الجاهلية عقيدة وأدبا ص ٦٩ - ٧١ ط أولى ١٤٢١ هـ دار اللواء للطباعة

(٤) انظر د/ محمد بيومى مهران - دراسات فى الشرق الأدنى القديم - إسرائيل ص ٤٣، ٤٨٤ مطبعة الأمان بلا تاريخ، والعهد القديم - ارميا ٢١/٢.

(٥) انظر مجلة الأزهر - العدد الماضى ذا القعدة ١٤٢٣ ص١٨١٩.

(٦) انظر د/ أحمد محمد النجار - شعراء اليهود فى الجاهلية وصدر الإسلام ص ٣٠ دار النهضة العربية ١٩٧٨.

ولقد كان ـ إلى جانب الفرار دوافع، فى مقدمتها إيمان أحبارهم وصفوة علمائهم بوجوب النزوح إليها ولو لم يصبهم ما أصابهم، فهم على يقين ببشارة التوراة بالنبى الخاتم ﷺ الذى سوف يظهر بها، ويهاجر إلى أرض منها (ذات نخل وماء وتقع بين حرتين) وكانت هذه الصفات تنطبق أو تكاد على أربعة أماكن، هى: تيماء وخيبر وفدك والمدينة (يثرب) فعمروا بهذه الأماكن وشغلوها ـ فعلا ـ بأعداد وفيرة، طبقا لإيمانهم العجيب، بل ـ بدقة ـ لأمانيهم التى نزلت من صدورهم منزلة الإيمان ـ بأن هذا الرسول لابد أن يكون إسرائيليا، فإن النبوة المبعوثة فيهم إسرائيلية محضة من عهد (إسرائيل) يعقوب حتى زكريا فالمسيح عليهم السلام.

ومادام الأمر كذلك، وهذه البقعة مكانه.. فكيف يكون إسرائيليا، وليس بها أحد من بنى إسرائيل..؟! فيجب ـ إذا ـ أن يعمروها، وزكا اجتهادهم أكثر فأكثر فاستنبطوا أن مهجره ـ عليه الصلاة والسلام ـ هو المدينة (يثرب) آنئذ. فأوى إليها منهم: بنوقينقاع وقريظة والنضير، ومن لاذ بهم منهم.

إنهم ينتظرون هذا النبى بصبر مكين فهم يدينون له بأنه القائد الجامع لشتاتهم الذى سيمكنهم من سيادة العالم.

وهبطت تلك القبائل اليهودية (المدينة) يثرب على بقايا يسيرة من عرب (عَبيل) وقبل أن يحل بها الأوس والخزرج بنو (ثعلبة بن عمرو ومُزيقياء الأزدى اليمانى) الذين يسميهم المؤرخون من آن لآخر (بنى قَيْلَةَ) باسم أمهم حتى لا يقع لبس فى (ثعلبة) أبيهم الذى كثرت التسمية باسمه فى اليمن.

ارتحل بنو قيلة إلى اليمن عقب انهيار (سد مارب) حوالى عام (١١٥ ق.م)[٧] واختار غيرهم من اليمانيين مواقع أخرى، وارتحل بنو عمومتهم من الغساسنة إلى أقصى الشمال.

وضاق اليهود ـ وهم الغرباء ـ بهؤلاء العرب الخُلَّص من أصول الجزيرة، وساءهم أن شاركوهم أرض المدينة، وهم الذين يريدونها خالصة لهم، وزيّن لهم سَبْقُهُمْ إلى أرضها قبل هؤلاء النازحين ـ بأكثر من قرنين ـ أنهم أصحابها وأولى بها، ولما كانوا ـ على إحساس تام بأنهم غرباء ـ جاوروا هؤلاء اليمانيين على ضيق مكبوت وحنق أليم تسترهما سياسة رياء إلى حين.. «ورغم أن الأوس والخزرج اتخذوا منازلهم فى (عالية) المدينة و(سافلتها) حسب الفروع منهم والأفخاذ..»[٨] ولم ينازعوا اليهود ما وضعوا أيديهم عليه من أرض المدينة.

لم يدر بخلد هؤلاء العرب أن يبادئوا اليهود بعداء، ولم يخطر لهم ما تكنه صدور القوم لهم من

(٧) راجع محمد مبروك نافع ـ أستاذ التاريخ الإسلامى. كلية دار العلوم جامعة فؤاد الأول ـ تاريخ العرب ـ عصر ما قبل الإسلام ص ٧٥ النهضة المصرية

(٨) يغلب على ظنى أن عالية المدينة هى شرقها، وسافلتها غربها. والله أعلم

بغضاء، فبذلوا لليهود من الود أصفاه، ومن جمال الجوار أكمله إلى الدرجة التي لم يشاحنوهم فيها أسواقهم ولا تجارتهم، ورضوا بالعيش على قلة مما بأيديهم، ومما استطاعوا مزاولته من عمل لا يقوم منافسا لتجارة هؤلاء اليهود(٩).

وما كان ذلك ليردع من حنق بني إسرائيل، أو يستل من سخيمتهم، أو يدفعهم إلى مقارنة أحاسيسهم نحو هؤلاء العرب مما ينالون منهم من ود وحسن جوار، فيفضلون بذلك حسن السلام والوئام على حنق الصدور ومكنون العدوان.

لكن هيهات..

لقد غرهم ما هم عليه من قوة، وما ملكوا من ثروة، وشادوا من ملك فأسفروا عن عداواتهم لجيرانهم لدى أدنى مناوشة قائلين: سيبعث منا نبي نقاتلكم به قتل عاد وإرم.

أي سوف نفنيكم..!

وقد سجل القرآن الكريم عليهم هذا الموقف إذ انقلبوا يحاربون رسول الله ﷺ فقد جاء عربيا صميما لا رابطة بينه وبين بني إسرائيل. وهذا مالم يقبلوه.. قال تعالى:

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ هو القرآن الكريم ﴿ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ من التوراة ﴿ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ ﴾ مجيئه ﷺ:

﴿ يَسْتَفْتِحُونَ ﴾ أي يستنصرون به:

﴿ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ هم العرب المشركون في هذا الزمن:

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ ﴾ من الحق ببعثته ـ عليه الصلاة والسلام:

﴿ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾(١٠)

ويبدو أن تكرار اليهود لهذا الاستفتاح بالنبي الإسرائيلي باعث اليقظة والقوة فيهم ترك شيئا من القلق في نفوس بني قيلة من الأوس والخزرج معا، إذ يرون هذا الاستفتاح لايزال يقوى عند اليهود، فلو كان مجرد أماني لأصابها الفتور بطول هذا الزمن، لكن إيمانهم بهذا النبي الكريم المنتظر لايزال يزداد ـ في نفوسهم ـ شدة ورسوخا.. والعرب ـ إلى جانب ذلك ـ يقدرون في اليهود أنهم (أهل كتاب)، وبأيديهم أثارة من علم ليس للعرب.. إذًا فهم جادون..!!!

---

(٩) تقسيم العرب الجماعة من الناس من أعلاها عددا إلى أصغرها: فأكبرها الشعب، يليه القبيلة، فالفصيلة، فالعمارة، فالبطن ثم الفخذ.
انظر اللسان مادة: ف خ ذ.

(١٠) البقرة - ٨٩. وانظر تفسيرها لدى ابن كثير غيره.
وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه. فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور وداود بن سلمة: يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونحن أهل شرك وتخبروننا بأنه مبعوث وتصفونه بصفته. فقال سلام بن مشكم أخو بني النضير: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكر لكم. فأنزل الله ـ تعالى ـ في ذلك الآية.
السيرة النبوية لابن كثير ١/١٢٤ ط عيسى البابي الحلبي سنة ١٣٨٤.

وهذا الحادث التالى يفسر لنا شيئا من هذا القلق العربى، كما يفسر ـ بجانبه ـ انشراحا وغبطة بالنبى العربى محمد ﷺ أزاح من نفوس هؤلاء العرب ما كان بها من ضيق.

وقع هذا الحادث قبل هجرته ﷺ بنحو ثلاث سنين حين كان يلتقى بالقبائل القادمة إلى مكة فى موسم الحج يعرض عليها الإسلام، فالتقى عند العقبة بهذه الصفوة من الخزرج قال ابن كثير:

«فبينا هو عند العقبة لقى رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا..

قال لهم: من أنتم..؟ قالوا: نفر من الخزرج. قال: أمن موالى يهود؟ قالوا: نعم.

قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا: بلى.

فجلسوا معه فدعاهم إلى الله، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن.

... فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر ودعاهم إلى الله. قال بعضهم لبعض:

يا قوم تعلمون ـ والله ـ إنه النبى الذى توعدكم به يهود، فلا يسبقنكم إليه فأجابوه فيما دعاهم إليه، بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام.. ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم قد آمنوا وصدقوا»[11] وتبع ذلك انتشار الإسلام بالمدينة.

وكان جرحا لم يندمل فى صدور بنى إسرائيل.

●●●

قلت: وما كان حسن الجوار من الأوس والخزرج إبان حياتهم الأولى، إلى جوار بنى إسرائيل، ليستل سخيمة هؤلاء اليهود، فما لبثوا أن أسفروا عن عداوتهم، وبسط زعماء اليهود ألسنتهم فى مكارم العرب، ثم استطالوا فى إهانتهم إلى أن نالوا من أعراضهم فكانت تلك «الحالقة» ولم يجد بنو قيلة بدا من حربهم مستعينين ـ عليهم ـ ببنى عمومتهم من الغساسنة، فأنزلوا باليهود ضربات موجعة ألزمتهم ـ فى النهاية بتوقيع (معاهدة حلف وحسن جوار) عاش بعدها اليهود يجترون حسرتهم، لكنهم لم ييأسوا؛ فانقلبوا يخططون لضرب الوحدة بين بنى قيلة.

صحيح أن المعاهدة أطلقت للأوس والخزرج حرية اقتصادية واسعة بما أتاحته لهم من سعة الحركة فى النشاط التجارى والزراعى كانوا محتجبين عنه.. غير أن بنى إسرائيل ـ من جانبهم ـ لم يرضوا عن هذا الوضع، وإذا كانوا لن يستطيعوا أن يمتشقوا السلاح مرة أخرى، فلا أقل من نصر آخر بسوء يلقونه بين جيرانهم. فما كان منهم إلا أن تظاهروا بالعداء بعضهم لبعض، وانقسموا إلى فريقين:

فريق أوى إلى الخزرج يطلب حمايته ومناصرته ضد بنى جلدته من اليهود، وآخر أوى إلى الأوس لنفس الهدف.. وما هى إلا أعوام حتى اشتعلت الحرب.. لا بين اليهود، ولكن بين بنى أم واحدة، وفسد الود بين الأوس والخزرج، وتناصل الرحم،

---

(11) نفس المصدر ٢/١٧٦.

ووقعت بينهما حرب يوم (سُمَير) وظلت تشتعل حتى يوم (بعاث) قرب مبعثه ـ ﷺ . . ولولا الإسلام ما التأمت لهم وحدة إلى يوم الدين[12] .

على أن الواقع يبين ويسجل أن اليهود لم ينعموا بحرية وأمن مثلما نعموا بهما إذ نزحوا إلى الجزيرة حيث ارتبعوا منها ما كان أخصب مرعى، وأوفر تجارة، وأسرع ربحا في إطار من الأمن والسكينة لم يدر لهم بخلد، لكنهم أنكروا الجميل وعضوا اليد التي امتدت إليهم بالإحسان، واشتدت عداوتهم واشتعلت نيرانها بعروبة الرسول ﷺ الذي كان دينه ـ ولازال ـ للناس أجمعين، لا يستأثر به العرب دون غيرهم، فتعاونوا إبان رسالته ﷺ مع كل من ناوأه وعاداه من وثنيّ قريش إلى المنافقين.

لقد كان من الممكن أن يبوءوا بربح عظيم ومنزلة سامية لو أنهم قابلوا الإحسان بالإحسان، فأسلموا ووضعوا أيديهم في يدي النبي ﷺ لاسيما وقد تأثروا بالعرب وأثروا فيهم علما ودينا[13] ومن قبل ذلك وبعده هم على علم بأن الله يفعل ما يريد ويختار ماشاء وقد اختار أن يكون النبي ﷺ عربيا، وأعلمهم بصفاته ﷺ وصدق رسالته[14]، لكن غلب ما فيهم من سوء وحسد على ما كان أمامهم من خير ومجد فأبوا إلا أن يضيعوه، وما كان يرد كيدهم إلا مجازاتهم بالسوء سوءا، وهذا ما فعله رسوله ﷺ إبان حياته، ثم أوصى به على فراش موته ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقال:

(لا يبقين دينان في جزيرة العرب)[15]

فأجلاهم عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ منها جميعا.

●●●

ولنقترب ـ بعد ـ من حديث رسول الله ﷺ في اليهود العشرة فنقول: بلغت قبائل اليهود نيفا وعشرين قبيلة عاشت بين العرب، وحمل بعضها أسماء عربية، وقد برز منها في صراعهم ضد الإسلام ثلاثة: قينقاع وقريظة والنضير، وبلغت آطامهم (حصونهم وصياصيهم) تسعا وخمسين أطما[16] ولاشك أن زيادة الحصون على عدد القبائل يُنْبِيء عن مدى ما يعدون من قوة لإرهاب العرب، وشاء ـ سبحانه وتعالى ـ أن يذلهم ويذل

---

(12) راجع د/ محمد العيد الخطراوي ـ شعر الحرب في الجاهلية عند الأوس والخزرج ص17، 18 مؤسسة علوم القرآن ـ دار القلم دمشق ـ بيروت ط أولى 1400هـ.

(13) انظر د/ علي أحمد الخطيب ـ الصيام من البداية حتى الإسلام 173 ـ 209، 251 ـ 253 مجمع البحوث الإسلامية ـ سلسلة البحوث الإسلامية مطابع الأزهر الشريف 1416 هـ ود/ النجار ـ مرجع سابق ص 40، 45.

(14) انظر تفسير الآية الكريمة 89 من البقرة، وانظر الحاشية رقم (10).

(15) موطأ مالك ـ رضي الله عنه ـ 4/232 ط الاستقامة نشر المكتبة التجارية 1379 هـ.

(16) راجع للإمام نور الدين السمهودي المصري ـ وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى 1/165 وما بعدها نشر النمنكاني ـ مطبعة السعادة ـ مصر 1373.

مناصريهم من المشركين والمنافقين ـ قال تعالى :

﴿ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ۝ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾

الأحزاب ـ ٢٦، ٢٧

وها هي قبائلهم ـ بعد الثلاث المتقدم ذكرها :

٤ـ بنو أنيف، وهم حي من قبيلة بَلِيّ العربية، كانوا يسكنون قباء بالمدينة المنورة.

٥ـ بنو القصيص، كانوا بقباء مجاورين لبني أنيف.

٦ـ بنو هدْل، وكانوا يسكنون حرة بني قريظة مجاورين لهم.

٧ـ بنو عمرو، وكانوا يسكنون ـ أيضا ـ مع بني قريظة.

٨ـ بنو مريد ٩ـ بنو معاوية ١٠ـ بنو ماسكة

١١ـ بنو مُحَمّم ١٢ـ بنو زعوراء ١٣ـ بنو زيد اللات

١٤ـ بنو حجر ١٥ـ بنو ثعلبة. وكان بنو حجر وبنو ثعلبة يسكنون (زُهرة) وهي من أعظم قرى المدينة

١٦ـ يهود الحوانية : موضع قرب (أحد) شمالي المدينة.

١٧ـ بنو عكرة ١٨ـ بنو مراية ١٩ـ يهود راتج ٢٠ـ يهود يثرب.

٢١ـ بنو ناغضة : أصلهم من اليمن وسكنوا شعب بني حرام(١٧).

وإذ أحطنا علما بما شاء الله ـ تعالى ـ من أمر يهود وعلاقتهم بالجزيرة العربية، نسأل :

ما المقصود بـ « عشرة من اليهود » في هذا الحديث الشريف من قول رسول الله ﷺ ..؟

أمطلق عشرة من اليهود..؟ أم عشرة أحبار بأعيانهم..؟ وعلى افتراض أي الاحتمالين فالمقصود أن يسلموا في حياته ﷺ .

قبل أن نجيب عن السؤالين يجب أن نستبعد من هذه العشرة :

أـ من أسلم من اليهود نفاقا، ورسول الله ﷺ أعلم بنفاقهم، فإن الله ـ تعالى أخبر رسوله بأسماء المنافقين، ورسول الله ﷺ يريد إيمانا صحيحا لا دَخَل فيه ـ لذا نلغي في إطار هذا الاستبعاد كلا من :

سعد بن حنيف، وزيد بن اللُّصيت، ونعمان ابن أوفى، وعثمان بن أوفى، ورافع بن حُريملة، ورفاعة بن زيد بن التابوت، وسلسلة بن برهام، وكنانة بن صوريا، فأولئك هم المنافقون الأحبار من اليهود الذين أسلموا تقية(١٨).

---

(١٧) راجع د/ الشطراوي ص ٣٩ ـ ٤١.

(١٨) ابن كثير ـ السيرة ٢/٣٤٩.

ب- كذلك نستبعد من العشرة من أسلم من اليهود، وحسن إسلامه لكنه لم يكن حبرا أو كان امرأة، فقد:

١- روى البخاري - في صحيحه عن سليمان بن حرب: حدثنا حماد - وهو ابن زيد - عن ثابت، عن أنس - رضي الله عنه - قال: «كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: أسلم، فنظر إلى أبيه - وهو عنده - فقال له: أطعْ أبا القاسم ﷺ فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار».

قال ابن حجر: إن ابن بشكوال ذكر أن صاحب «العتبية» حكى عن زياد بن شبطون[19] أن اسم هذا الغلام: عبد القدوس. قال: وهو غريب ما وجدته عند غيره[20].

والحديث واضح في صحة إسلام هذا الصبي بقوله ﷺ: الحمد لله الذي أنقذه من النار.

٢- كذلك ليس من العشرة رهط من اليهود أسلموا وحسن إسلامهم، منهم - على ما رصده أهل السيرة:

يامين بن عُمَير - وهو في أسد الغابة: «يامين بن يامين» أي ابن عمير، وأبوسعد بن وهب، أو ابن أبي وهب - كما نص عليه في «أسد الغابة»، أسلم يوم قريظة، وفي «أسد» أيضًا: أسد بن عبيد القرظي، وثعلبة بن سعية، وأسيد بن سعية.

قال ابن إسحاق: «ثعلبة بن سعية، وأسيد بن سعيه وأسد بن عبيد، وهم من بني هَدْل، وليسوا من بني قريظة ولا النضير، هم بنو عم القوم، أسلموا تلك الليلة التي نزلت في غدها بنو قريظة على حكم سعد بن معاذ - رضي الله عنهم[21].

٣- وامرأتان هما: السيدة أم المؤمنين: صفية بنت حيي بن أخطب، من بني النضير بن النحام بن تانحوم من سبط لاوي بن يعقوب عليه السلام، ثم من ولد هرون بن عمران أخي موسى - عليهم السلام -. كانت تعتبر سيدة قريظة والنضير.. كانت من سبي خيبر، اصطفاها رسول الله ﷺ، وحجبها وأعتقها وتزوجها، وقسم لها، وكانت من عاقلة النساء، توفيت في خلافة معاوية - رضي الله عنهما، ودفنت بالبقيع.[22]

والسيدة خَلْدَة - أو خالدة - بنت الحارث عمة عبدالله بن سلام، أسلمت وحسن إسلامها - رضي الله عنهم.[23]

أولئك جميع من تأكد لأصحاب السير إسلامهم، ويبلغ مجموعهم كلهم - رجالا ونساء وصبيانا ثمانية،

---

(١٩) هو زياد بن عبدالرحمن اللخمي شبطون - بتقديم الموحدة على الطاء على الصحيح - وكان تلميذ الإمام مالك، أول من أدخل مذهب مالك إلى الجزيرة الأندلسية، وكانوا يتفقهون قبله على الأوزاعي وغيره - انظر تاريخ الإسلام للذهبي - حرف الزاي ترجمة رقم ٩٥ - وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي وفيات سنة ثلاث وتسعين ومائة.

(٢٠) ابن حجر - فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٧٦/٣.

(٢١) السيرة النبوية لابن كثير ٨٨/١، ١١٤، ٢٨٧ - ١٧٦/٣ وفي بعض الأسماء خلاف يسير.

(٢٢) ابن الأثير - أسد الغابة - ١٦٩/٧ كتاب النساء.

(٢٣) نفس المرجع ٧٨/٧.

إذا أضيف إليهم الحبران الجليلان: مخيريق وعبدالله بن سلام - رضي الله عنهما لبلغ العدد عشرة. أسلموا في حياته ﷺ ولو كان المطلوب (مطلق عشرة) لكان فيهم الكفاية ولتحقق إيمان اليهود جميعاً، فأما إذا كان الواقع غير ذلك، فإن فيه دلالة على أن المراد عشرة من أحبارهم، كما جاء ذلك صريحاً في رواية ابن حنبل - رضي الله عنه.

ثم المراد: عشرة أحبار يؤمنون برسالته - ﷺ - إبان حياته - عليه الصلاة والسلام - لا على مطلق الزمن أو امتداده، وإلا «فقد آمن به من اليهود أكثر من عشرة أضعافاً مضاعفة كما نقل العلامة أبو الحسن نور الدين محمد بن عبدالهادي السندي - في حاشيته المختصرة على متن الإمام البخاري - رضي الله عنهما[٢٤].

وإلى ما ذهب إليه الإمام السندي جنح العلامة الإمام ابن حجر في شرحه للحديث. قال رحمه الله: في رواية الإسماعيلي [أي للحديث]: «لم يبق يهودي إلا أسلم»، وكذا أخرجه أبو سعيد في «شرف المصطفى» وزاد - في آخره: قال كعب: «هم الذين سماهم الله في سورة المائدة، فعلى هذا فالمراد عشرة مختصة. اهـ ابن حجر

أي عشرة أفراد بأعيانهم، من الأحبار ذكرهم - رحمه الله - بأسمائهم وأسباطهم - عدا من أسلم منهم من قبل، وهما اثنان: عبدالله بن سلام، ومخيريق وكان من بني ثعلبة بن الفِطْيَوْن - الذي قال لقومه - يوم أحد: والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق.. فأخذ سيفه وعدته، وقال: إن أصبت فمالي لمحمد، ثم غدا إلى رسول الله - ﷺ فقاتل معه حتى قتل، فقال رسول الله - ﷺ: مخيريق خير يهود[٢٥]. وجعل رسول الله ﷺ أمواله وقفاً لله بالمدينة، قال محمد بن كعب القرظي: وكانت أول وقف بالمدينة[٢٦].

وهذا تحديد ابن حجر للعشرة المقدمين عنده قال:

من بني النضير: أبوياسر بن أخطب، وأخوه حيي ابن أخطب، وكعب بن الأشرف ورافع بن أبي الحقيق.

ومن بني قينقاع: عبدالله بن حنيف، وفنحاص، ورفاعة بن زيد.

ومن بني قريظة: الزبير بن باطيا، وكعب بن أسد، وشمويل بن زيد.

قال: فهؤلاء لم يثبت إسلام أحد منهم، وكان كل منهم رئيساً في اليهود، ولو أسلم لاتبعه جماعة منهم. اهـ[٢٧].

●●●

وبعد

فقد مس رسول الله ﷺ حقيقة نفسية كامنة وشاملة لأهل الكتاب جميعاً، في هذا الحديث الشريف هي انقياد عامة أهل الكتاب للأحبار والرهبان، دون نظر فيما يُمْلُون عليهم حتى لقد ذهبوا - والعياذ بالله - إلى اعتقاد العصمة فيهم دون الأنبياء. نسأله - تعالى - التوفيق.

---

(٢٤) حاشية السندي على صحيح البخاري ٢/ ٢٩٤.

(٢٥) السيرة النبوية لابن كثير ٣/ ٧٢.

(٢٦) نفس المرجع ٣/ ٧٢، ٧٣.

(٢٧) ابن حجر - فتح الباري ٧/ ٢٩٤.

من نتائج «الهجرة إلى الحبشة»

حُسْنُ الجِوار وصِدقُ الحِوار

«بين المسيحيّة والإسلام»

للشيخ/ عبد الخالق عطية نصير
الأمين العام المساعد للثقافة الإسلامية

منذ سنوات معدودات وجدت عدة دعوات، من المسئولين، وعلماء الدين، بعقد كثير من المؤتمرات للحوار بين المسيحية والإسلام أو ما يسمى بحوار الأديان لكى يعيش المسلمون والمسيحيون وغيرهم فى سلام وأمان وفى عالم واحد للجميع، عن طريق الحوار وحسن الجوار، والاعتراف بالآخر، واحترام الحرية الدينية، وهى دعوات طيبة للتعايش السلمى بين الجميع، إذا صدقت النية، وظهر ذلك على أرض الواقع، نظرا لأننا نرى يوميا دمارا لا حوارا، ممن فى يدهم القوة الغاشمة المدمرة، من اليهود الصهاينة أو المسيحيين المتعصبين المولعين بإبادة الآخرين من المسلمين بما يسمى بالتطهير العرقى، أو من المجوس الذين يحرقون الأحياء من المسلمين ويحرقون مساجدهم وبيوتهم.

والإسلام هو الدين الوحيد الذى ضرب المثل الأعلى فى التعايش السلمى والدعوة إلى حسن الحوار، وصدق الحوار مع الآخرين من أصحاب الديانات المختلفة، وطبق ذلك بصدق على أرض الواقع منذ أكثر من أربعة عشر قرنا، بصورة لم يسبق لها مثيل، ومن ذلك على سبيل المثال ما فعله رسول الله ﷺ مع وفد نصارى نجران. فقد سمح لهم بدخول مسجده وأن يصلوا فيه صلاتهم وينالوا حريتهم الدينية، على أكمل وجه ومكنهم ﷺ من الصلاة بحضرة المسلمين فيه، «قال ابن إسحاق وفد على رسول الله ﷺ وفد نصارى نجران بالمدينة، فحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير قال: «لما قدم وفد نجران على رسول الله ﷺ دخلوا عليه مسجده بعد العصر، فحانت صلاتهم فقاموا يصلون فى مسجده ﷺ فأراد الناس منعهم، فقال رسول الله ﷺ: دَعُوهُمْ «أى اتركوهم يصلون» ـ فصلوا صلاتهم..» [زاد المعاد لابن القيم جـ٣ ط٢ ـ ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م] ص٣٨ ـ ومن أعظم نتائج «الهجرة إلى الحبشة» ـ تحقيق الأمن والسلام بين المسلمين والمسيحيين على أعلى مستوى من حسن الحوار وصدق الحوار، وأمن الديار، الذى استقر بين مكة والمدينة وبين الحبشة التى وصفت بأرض الصدق على أطهر لسان هو لسان الصادق الأمين ﷺ فقد خشى أن يفتن المسلمون عن دينهم بسبب سوء العذاب من المشركين، وبفراسة النبوة اختار لهم مكانا آمنا يأمنون فيه على أنفسهم ودينهم، فأشار عليهم أن يهاجروا إلى الحبشة، وقال لهم ﷺ: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد، وهى أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجا ومخرجا مما أنتم فيه!»

وخرج الفوج الأول من المسلمين المهاجرين إلى الحبشة وعددهم أحد عشر رجلا وأربع نساء، وفيهم عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ وزوجته السيدة رقية بنت رسول الله ﷺ وفيهم ـ أيضا ـ ابن عم السيدة خديجة ـ رضى الله عنها ـ «الزبير بن العوام» وكانت الحبشة ـ على دين عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ «دين النصرانية» وكان ملكها النجاشى ـ نصرانيا ـ صادقاً عادلاً ـ لا يظلم عنده أحدٌ ـ كما وصفه بذلك رسول الله ﷺ ولما وصل المهاجرون إلى أرض الحبشة ـ أحسن النجاشى لقاءهم، وأكرم نزلهم، فوجدوا الأمن والطمأنينة وحسن الجوار ـ وسعادة الاستقرار، وأرسلوا جماعة منهم ليبشروا رسول الله ﷺ ويخبروه بذلك، ويعرضوا على المسلمين المعذبين فى مكة ليهاجروا معهم إلى الحبشة، فهاجر الفوج الثانى من الصحابة إليها وعددهم ثمانون رجلا ـ تقريبا ـ علاوة على ما كان معهم من الأطفال والنساء، وعاشوا هناك معززين مكرمين.

والسياسة الماكرة والإعلام الكاذب جاء لتشويه سمعة الإسلام والمسلمين. عند ملك الحبشة لإعادة المهاجرين وتسليمهم لقريش ليستمروا فى تعذيبهم، ـ كل ذلك جاء بمؤامرة من المشركين بإرسال سفيرين خطيرين بحملان الهدايا إلى النجاشى وأصحابه لإقناعهم بأسلوب ماكر بتسليم المهاجرين إلى الحبشة، وإعادتهم إلى مكة ـ وهما: ـ «عمرو بن العاص، وعبدالله بن أبى ربيعة» وتحدثا بأسلوب كاذب وحوار مضلل مع أصحاب النجاشى ليشيروا عليه بإرسال المهاجرين وتسليمهم لهما قالاً: «إن ناسا من سفهائنا، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا دين الملك، وجاءوا بدين مبتدع، لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد أرسلنا

أشراف قومهم إلى الملك ليردهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يرسلهم معنا من غير أن يكلمهم. وخافا إن سمع «النجاشي» كلام المسلمين ألا يسلمهم، فوعدهما أصحاب النجاشي بالمساعدة على ما يريدان.. « ثم إنهما حضرا عند النجاشي فأعلماه ما قالاه، فأشار عليه أصحابه بتسليم المسلمين إليهما، فغضب «النجاشي» من ذلك وقال: «لا والله، لا أسلم قوما جاوروني ونزلوا بلادي، واختاروني على من سواي، حتى أدعوهم وأسألهم عما يقول هذان، فإن كانا صادقين، سلمتهم إليهما وإن كانوا على غير ما يقول هذان منعتهم وأحسنت جوارهم».

[وهذا النص من تاريخ الكامل لابن الأثير]

ثم أرسل النجاشي إلى أصحاب النبي ﷺ فحضروا وقد أجمعوا على صدق النجاشي فيما ساءه وسره، وهذا يدل على الصدق في القول والإخلاص في قول الحق ولو كان مراً.

● صدق الحوار وجودة العرض الثقافي بين النجاشي والمسلمين على أرض الحبشة:

وكان المتحدث الرسمي للمسلمين: جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه - وبدأ الحوار: قال لهم النجاشي: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا دين أحد من الملل؟» فقال جعفر: أيها الملك «كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوى منا الضعيف.. حتى بعث الله إلينا رسولا منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا لتوحيد الله، وألا نشرك به شيئا، ونخلع ما كنا نعبد من الأصنام، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وأمرنا بالصلاة والصيام.....» [المرجع السابق، وسيرة ابن هشام] و[السيرة الحلبية]

وهذا أسلوب في حسن العرض لرذائل الكفر وحسن العرض لفضائل الإسلام، وبعد أن ذكر له أمور الإسلام - قال: فآمنا به، وصدقناه، وحرمنا ما حرم علينا، وحللنا ما أحل لنا، فتعدى علينا قومنا، فعذبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان، فلما قهرونا وظلمونا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك» ،هذا أسلوب دبلوماسي إسلامي رائع.

فقال النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله شيء؟. قال جعفر: - «نعم» وقرأ عليه من أول «سورة مريم» - فبكى النجاشي وبكى معه أساقفته[١] وقال النجاشي: «إن هذا والذي جاء به عيسى، يخرج من مشكاة واحدة!.. [صور من حياة الرسول - أرض الحرم الشريف لأمين دويدار].

ثم قال النجاشي لعمرو بن العاص وصاحبه: انطلقا، فوالله لا أسلمهم إليكما أبدا.. « فقال عمرو للنجاشي: «إن هؤلاء يقولون في عيسى بن مريم - قولا عظيما!.. « فسأل النجاشي المسلمين عن قولهم في

---

(١) ويتحدث القرآن الكريم عن أن النصارى هم أقرب الناس مودة للمؤمنين وأنهم يبكون عند سماع القرآن لمعرفة الحق قال تعالى ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾

سورة المائدة الآية ٨٢، ٨٣

المسيح ـ عليه السلام ـ فقال جعفر: تقول فيه الذى جاءنا به نبينا «هو عبدالله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول» فأخذ النجاشى عودا من الأرض وقال: «ما عدا عيسى ما قلت هذا العود!..» أى هو كما قلت، ثم قال للمسلمين: «اذهبوا فأنتم آمنون.. ما أحب أن لى جبلا من ذهب وأننى آذيت رجلا منكم..» ورفض هدية قريش وردها [المرجع السابق]

ووجد المسلمون من النجاشى ملك الحبشة كل عناية ورعاية وعاشوا بها آمنين وظلوا مقيمين بها نحو أحد عشر عاما ـ ماعدا عثمان بن عفان فقد رجع إلى مكة مع زوجته السيدة رقية بنت رسول الله ﷺ وبعد ذلك، عاد المسلمون إلى المدينة المنورة بعد هجرة النبى ﷺ إليها، فى السنة السابعة من الهجرة بعد أن تم بين النبى وبين قريش «صلح الحديبية»، وهكذا نرى أن حسن الجوار وصدق الجوار والمحبة والمودة بين المسلمين والنصارى على أرض الحبشة، كل ذلك يرشد الناس إلى مكان الثراء الروحى من التراث الذى يتحلى بالحوار والمحبة والرحمة التى ينعم بها العالم كله تحت ظل قوله تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾(٢) وفى أحضان صلة الرحم الناس تحت راية قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾(٣).

صدق الله العظيم وصلى الله عليه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وانتصر الحوار الصادق والحوار الحسن ـ الحب والإخلاص والمودة بين المسلمين، والنصارى ووقف المسلمون معهم ضد أعدائهم حتى تحقق النصر لهم، وازدادت علاقة الحب الخالص والوفاء والمودة، بين النبى ﷺ وبين النجاشى وطلب منه النبى الكريم أن يزوجه «أم حبيبة» ـ رضى الله عنها ـ وكانت من المهاجرات إلى الحبشة مع زوجها «عبدالله بن جحش» الذى تنصر ومات هناك فوافق النجاشى وجعل مهرها أربعمائة دينار مكرمة له ونيابة عنه، ودعاه النبى ﷺ إلى الإسلام برسالة كرسائله إلى الملوك والرؤساء، فكان النجاشى أول من أسلم وبعث إلى النبى وفدا يحمل إليه كل معانى الحب والإخلاص، وقام النبى ﷺ بخدمة الوفد بنفسه، ليرد الكرم والتحية ويكافىء هؤلاء الذين أكرموا المسلمين فى بلادهم، ولما قيل له تكفيك هذه الخدمة يا رسول الله، قال: «إنهم كانوا لأصحابى مُكرمين، وإنى أحب أن أكافئهم، وحين توفى النجاشى، قال ﷺ «توفى اليوم رجل صالح، فقوموا فصلوا على أخيكم «أصحمة» وهذا اسمه. أما النجاشى فلقب لملك الحبشة، وصلى بهم رسول الله ﷺ صلاة الغائب، وهكذا كان حب العدل ورعاية الحق وحسن الجوار وصدق الحوار ـ سببا فى حماية الأقلية الإسلامية التى هاجرت إلى الحبشة.

والله ولى التوفيق

---

(٢) الأنبياء (١٠٧)

(٣) النساء (١)

بدون عنوان

للدكتور/ محمد حسن عبد الخالق

تلعب القوة دوراً بارزاً فى هذا العالم الذى تتشابك فيه كافة الأطراف بين تهديد ووعيد واتفاق وتحد، ومفارقات عديدة تحكمها الظروف الدولية وتخطط لها الصهيونية العالمية.

وإذا استعرضنا الحالة التى نحن عليها الآن والحشود الأمريكية والبريطانية وحلفائهما، نشعر وكأننا على أعتاب حرب عالمية نووية ثالثة، تهدد بانفجار الكرة الأرضية، كل هذه الحشود وكل هذه المليارات لتغيير نظام الحكم فى إحدى دول العالم الثالث، « العراق » وإذا سألنا عن السبب، أجابوا: لأنها تملك أسلحة دمار شامل، وهى بهذا على رأس قائمة محور الشر، وقد رأينا فى البداية أفغانستان وما لحق بها والآن العراق ثم من يا ترى بعد ذلك.

باختصار إنها دولة مواجهة تمثل بالنسبة لأمريكا خطورة على الكيان الصهيونى، والذى لابد أن يكون له اليد الطولى فى المنطقة.

ونعود إلى الوراء قليلاً، (فقد انعقد فى تل أبيب فى أواخر يناير ١٩٩٤ أول مؤتمر دولى لعلوم الذرة شارك فيه علماء من ٢٦ دولة وكان أغلب المشتركين من دول العالم الغربى وإفريقيا الجنوبية والصين والهند. وقد ذكرت المصادر الإسرائيلية أن هذه هى المرة الأولى التى وافق فيه أعضاء اللجنة الأوروبية لعلوم الذرة على الاجتماع فى إسرائيل، رغم أن إسرائيل لم توقع حتى الآن على وثيقة منع انتشار الأسلحة الذرية وماضية فى برنامجها النووى).

ألم تعلم أمريكا عن برنامج إسرائيل النووى، والعدد الهائل للرؤوس النووية القادرة على نسف المنطقة بأسرها.

وتشاء الأقدار أن تفصح كوريا الشمالية عن امتلاكها للسلاح النووى وأنها ماضية فى تطويره، وأمريكا تهدد شفويا فقط، العراق ينفى وكوريا تعترف، فرق التفتيش تجوب العراق طولاً وعرضاً دون جدوى، وأمريكا تصر على ضرب العراق وتدميره على من فيه، أما لغة التحدى فى شبه الجزيرة الكورية فقد أجبرت أمريكا على التراجع، بل أن كوريا استثمرت الموقف وابتزتها بمساعدات نفطية واقتصادية، بل وطلبت منها معاهدات خطية أمنية بعدم الاعتداء. ويبدو أن الحوار مع الكبار له قواعده وكما أن الحوار مع

الصغار له قواعده أيضا. وانكشف القناع عن وجه أمريكا.

وترى المظاهرات في العالم أجمع التي تندد بالحرب على العراق، وسواء أكان الدافع إنسانيا أم اقتصاديا. فالحرب وبال على المنطقة بأسرها، وسوف يتأثر بها سلبا كثير من دول العالم. والمشكلة العراقية تتصدر اهتمامات العالم أجمع. وقد غطت على مايجرى في الأرض الفلسطينية المحتلة، ذلك مقصود في حد ذاته وقد دفع هذا الوضع إلى التنسيق الأمريكي الإسرائيلي لتصفية كوادر المقاومة الفلسطينية وبث الخوف والهلع في نفوس الفلسطينيين، تمهيدا لقتل القضية برمتها، والصراع القادم هو صراع على الطاقة ممثلا في البترول، ثم المياه، ويملك العراق ثاني أكبر احتياطي للنفط في العالم بعد المملكة العربية السعودية وخافت الدول المستوردة للنفط من حدوث أزمة بترولية مما سيعرضها لخسائر فادحة خاصة بعد مشكلة فنزويلا وانخفاض معدلات ضخ النفط بسبب إضراب عماله.

وتتصدر الأوبك دائرة الضوء، وتعلن عن زيادة إنتاجها اليومي لإعادة الاستقرار إلى أسواق النفط العالمية. فقد كنا أول من حرص على دفء العالم الغربي بتعويض النقص في الطاقة إنها شهامة وسماحة العرب. لأن ارتفاع أسعار النفط سيؤدي إلى تراجع معدلات النمو في الدول المستوردة.

أما الفلسطينيون فلا ينقصهم إلا رغيف الخبز وخيمة إيواء والشعور بالأمان!

والحقيقة المؤلمة أننا كعرب لم ننجح في إدارة الصراع العربي الصهيوني سياسيا، والسياسة هي فن إدارة مصالح الدولة وتعظيم مكاسبها.. إننا ننتظر الفعل من الآخر وبعدها نتبنى سياسة رد الفعل، وينتظر الفلسطينيون على أحر من الجمر نتائج الانتخابات الإسرائيلية، ويدعون الله ألا يفوز الليكود الشاروني الذي أذاقهم صنوف العذاب. حتى أن (دعاة السلام) في إسرائيل هددوا بانتخاب الحرب ليأسهم من سياسات الليكود الدموية. ولكن فرصة حزب العمل في الفوز ضئيلة أمام الليكود، وماذا فعل حزب العمل حين كان على رأس السلطة.

وتحية إلى الشعب الفلسطيني، الشعب الوحيد في العالم الذي يرزح تحت نير الاحتلال.

ولكن: ألم يحن الوقت بعد كي تتفق كافة الفصائل الفلسطينية على استراتيجية واحدة وشاملة، فلابد من التلاحم بين النضال والسياسة. والهدف ليس الأماني، ولكن كافة ماتتفق عليه القوى الفلسطينية، كما أن كثرة التصريحات أدت إلى تعقيد الوضع السياسي وشاء قدرنا أن يصبح مستقبل العملية السلمية في يد رجل واحد هو «شارون» ووسيط واحد هو «بوش» والرجلان وجهان لعملة واحدة.

إن السياسات العربية على مدى ربع قرن هي التي أوصلتنا إلى ما نحن عليه ولابد من إيجاد سقف عربي يحمي آمال هذه الأمة، وحتى وإن اختلفت أشكال أعمدته، ولو كان هذا السقف موحدا لما حدثت حرب الخليج ولا كنا وصلنا إلى ما نحن عليه، يمتلك العالم العربي الإسلامي ثروات طائلة بترولية وغير بترولية، ويمتلك ثروة لاتقدر في العقول البشرية هذه الأمة التي قال عنها المولى عز وجل:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾(١).

---

(١) آل عمران (١١٠).

دعوة للحياة

للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

منذ شهر مضى ودعنا عاماً ميلادياً وبعد شهر نستقبل عاماً هجرياً جديداً نأمل فيه الخير والبر والتوفيق. وهكذا تمضى الحياة بحلوها ومرها بين وداع واستقبال وموت وميلاد. وهى حقيقة تذكرنا نحن المؤمنين بسنة إلهية لاتتبدل او تتغير مغزاها أن أنفاس الإنسان معدودة وخطواته معدودة، وأن العبد بين مخافتين بين ماض لايدرى ما الله قاض فيه وحاضر يرجو فيه الخير. وتعد ورقة النبات خير مثل حيى يبين لنا ذلك المثل ويمكن التفكير فيه لنرى إبداع الخالق العظيم. فأوراق الشجر صفحات حوت من أسرار الخليقة وألغاز الحياة ماهو جديد لكل من حباهم الله عقولاً تدبر ويستنتجوا ما أودع البارى فيها من عجائب ومعجزات تجعل الإنسان يهتف من أعماقه بتوحيد الخالق وتفرده عز وجل بالبقاء السرمدى والعبودية الخالصة وأن ما دونه من كائنات ماض لا محالة.

فأوراق كل النباتات الخضراء تعتبر عاملاً أساسياً فى مسيرة الحياة على سطح الأرض والسبب هو ما يسميه العلماء «التمثيل الضوئى» فماذا يحدث ياترى فى التمثيل الكلوروفيلى؟ الذى يحدث ببساطه ودون دخول فى تفاصيل علمية معقدة هو أن ورقة النبات تقوم بامتصاص وتخزين ثانى أكسيد الكربون من الجو ودمجه مع الماء وضوء الشمس لتنتج من ذلك كله عناصر ضرورية لحياة النبات وكل الكائنات من إنسان وحيوان وغيرها فهى تأخذ ثانى أكسيد الكربون الخارج من زفير الإنسان فتعطيه الأكسجين اللازم لكل أشكال الحياة على سطح الأرض إضافة الى الطعام المتمثل فى الجلوكوز للنبات. وواضح إذن كم هو أمر جوهرى اعتمادنا نحن البشر على استنشاق ذلك الأوكسجين الذى هو ثمار حياتنا والمنفعة متبادلة كما ترى بين عالم النبات وكل الكائنات بقدرة الخالق الرازق الذى يريد لصنعته على تنوعها وثرائها أن تعيش فى تفاعل يستفيد كل منها من الآخر ويفيد.

فإذا سألت عن زمن حدوث التمثيل الضوئى أو النتح ووقته لعلمنا أنه يحدث من الربيع حتى الخريف. وعندما يقترب الشتاء فيقصر النهار وتقل فترات سطوع الشمس ويطول الليل وتقل كمية الضوء ويزداد الظلام يكون ذلك كله هو الشفرة التى توحى إلى النبات وإلى أوراقه على وجه الخصوص بأمر الله أن تغلق مصانعها وتتوقف عن

عملها ومن ثم تبدأ الأوراق بالهام من ربها – عز وجل – في الاستعداد لبدء دورة الحياة من جديد وتبدأ هذه المرحلة بأن تتشكل في ورقة النبات طبقة تنفصل عن الورقة فأين تتشكل هذه الطبقة؟ إنها تتكون من قاع جذر النبات وذلك عندما تبدأ الورقة فى التخلق في الربيع لكنها تظل كامنة دون أن تلعب دوراً فعالاً قبل أوائل أيام الخريف الباكرة التى تحذر أوراق النبات من قدوم برد الشتاء القارس . ورغم أن ذلك الجزء من ورقة النبات يعرف بالطبقة المنفصلة إلا أنها تتركب فى حقيقة الأمر من طبقتين مختلفتين كل منهما عن الأخرى بل تتميز كل واحدة منهما أنها تتركب من أنسجة شديدة التخصص فى وظيفتها . فاعجب معى لقدرة الصانع الحكيم الذى يخلق فى شيء ضعيف واحد المتناقضات والمتكاملات وأفصل القول فأقول إن الطبقة الأولى تتركب من خلايا تأخذ فى التقلص والضعف شيئاً فشيئاً لتشكل بالتدريج المكان الذى تسقط منه الورقة الذابلة . وتحت هذا النسيج الذى تنتهى عنده حياة الورقة تتخلق طبقة أخرى من الخلايا التى تقوى وتصلب شيئاً فشيئاً لتكون ورقة رقيقة وعريضة جوهرها ولبها مادة شبه فلينية فما فائدة هذه المادة للنبات؟ فرضان محددان ولكن قبل الخوض فيهما انظر بعين بصيرتك إلى يد الله الحانية التى تعمل فى الخفاء وتستنهض عقول العلماء وألبابهم أن تفكروا وكونوا كالنساك فى محاريبهم ونعود الى الفرضين، أما الأول : فهو أنها - أعنى المادة الفلينية - تقوم بتضميد ما بالنبات من جروح أو ندوب يبقى أثرها على غصن الشجرة نتيجة لسقوط الورقة منه وهى حينما تأسو تلك الجراح فهى تحمى الفرع وتقيه من أن تهاجمه الحشرات البكتريا الضارة . أما الغرض الثاني للمادة الفلينية : فهو إيجاد فلينات صغيرة تسد الثغرات المفتوحة بالأنابيب الشعرية للنباتات التى تمددت بفعل حرارة الصيف وأغلقت ما يمكن أن نطلق عليه شبكة الصرف الصحى ونظام تصريف المياه داخل النبات فمنعت وصول الماء بشكل صحيح إلى بقية أجزاء النبات ، وكلما شح امتصاص الأوراق للماء من الجذور كلما اضمحلت قدرة الأوراق على تجديد الكلوروفيل أو المادة الخضراء وبالتالى تذوى الأوراق وتذبل وبذهاب المادة الخضراء يبرز للوجود مركبان كيميائيان ملونان ترى أين كان هذان المركبان؟ ومرة أخرى إنظر الى قدرة الله لقد كان هذان المركبان كامنين مختبئين داخل الورقة طيلة الصيف فبالقدرة الخلاق العظيم وبعد فإن علماء النبات غير قادرين بالضبط على شرح وتفسير الدور الذى يمكن أن تقوم به أوراق الخريف وتساقطها فى تشكيل ورقة النبات لكنهم يجزمون أن الطاقة الكيميائية التى مهمتها تلوين أوراق النبات لاتؤدى فائدة واحدة للنبات بل أكثر من فائدة ويقولون إنه ربما كانت هذه طريقة لحفظ حياة ورقة النبات وعندما تكون الورقة مترعة بالمادة الخضراء فإنها تقوم بتكوين الأوكسجين اللازم لبقاء الحياة مستمرة أما عندما يعلوها الذبول وتأخذ ألوان الخريف فى الزحف عليها فليس معنى ذلك أنها تموت أو تضيع وقتها سدى إنها فى حقيقة الأمر بإلهام من الله – عز وجل – تقوم بإيجاد وتشكيل صورة أكثر حيوية للحياة إنها صورة من الجمال الأخاذ والبريق الخلاب ذلك الجمال هو جمال الروح .

بين الصحف و المجلات

إعداد الأستاذ
محمود الفشني

المستشرقون

يغالطون فى المنهج الإسلامى ويلوون النصوص

مازالت الدراسات الاستشراقية الأولى والكتابات الغربية عن الإسلام مصدر الفهم الأساسي للإسلام لدى الدارسين والمثقفين وصانعي القرار بالغرب.

ومن هؤلاء قلة من المستشرقين غير المحايدين قد أساءوا إلى الإسلام وغالطوا فيه ويعتبر المستشرق الألماني « تيودور نولدكه » واحداً من أهم من أرسى في كتابه الشهير « تاريخ القرآن » أخطاء جسيمة تنف الرسالة المحمدية وتشكك في الإسلام كدين وانتقلت هذه الأخطاء إلى ما أتى بعده من الكتابات وكأنها مسلمات يسير عليها الباحثون وينطلقون منها، ولكن للأسف هناك من يقرأ لهؤلاء ويثني عليهم دون أن يقرأوا نصوصهم.

من هنا كان اختيارنا لما نشر في جريدة الجمهورية في عددها الصادر في ٢٣ / ١ / ٢٠٠٣ حيث قدمت رسالة دكتوراة للباحث محمد حسين المدرس بكلية أصول الدين بعنوان « شبهات حول العقيدة الإسلامية » دراسات تحليلية نقدية وقد أتت الدراسة في وقت يشتد فيه الهجوم على الإسلام والمسلمين بطريقة شرسة حتى أصبح كل من أراد أن يحقق لنفسه شهرة فعليه بمهاجمة الإسلام والقرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم.

ولكن ما جاء بالدراسة يمثل رداً علمياً على بعض ما يقال أو قيل على المستوى الأكاديمي والمستوى العام خاصة أنه يجيد اللغة الألمانية فترجمها للألمانية رداً على المستشرق « تيودور الألماني ».

فإذا أضفنا أن الكتابات الاستشراقية لم تكن لها آثارها المعيبة في الغرب فقط بل نضحت هذه الكتابات على كثير من المفكرين العرب ونحوا نحوها واتخذوا من أخطاء تيودور نولدكه منطلقات فكرية كان لها ما لها من زعزعة في الحركة الثقافية العربية وخلقت ألواناً من الصراعات والتحزبات بشأن كثير من

الموضوعات التي تتناولها الدراسة فإننا ندرك جانبا آخر من جوانب الأهمية لهذه الدراسة، وهو ما أجابت عنه الدراسة وأظهرت به عقلية تولدكه التي تحاول نفي النبوة عن الرسول وبالتالي إنكار نبوته وأن الإسلام هو الدين الخاتم وإدعى نولدكه بأن الوحي الذي كان يتلقاه النبي ما هو إلا صوت داخلي للنبي نتيجة مرض نفسي أحدثه دخوله في خلوة طويلة تفاعلت بداخله أثناءها أفكار أهل الكتاب وبالطبع هو أمر لا يثبت أمام أبسط قواعد البحث العلمي لأنه كيف يأتي النبي بقرآن له خصائص معينة لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله.

أمركة الدين الإسلامي

وفي جريدة الأسبوع في عددها الصادر في ١٣ يناير سنة ٢٠٠٣ كتب الأستاذ مصطفى بكرى رئيس تحريرها في تقرير أشار فيه إلى أن الإدارة الأمريكية انتهت من إعداد مشروع لتطوير الخطاب الديني وأعلنوا إنه مشروع الشراكة من أجل الديموقراطية والتنمية وقد أفادت المعلومات بأنه قد تم تشكيل لجنة داخل الخارجية الأمريكية أطلقوا عليها لجنة تطوير الخطاب الديني في الدول العربية والإسلامية وتشير المعلومات إلى أن تقرير اللجنة أكد أهمية أن يتم التركيز على تقليل الاهتمام بالجانب الديني في الحياة الاجتماعية العامة وأن يبرز الدور الديني كمعيار ثانوي في أساليب الحياة الاجتماعية للمواطنين وأن الإدارة الأمريكية ستبلغ الدول الإسلامية بكل ما يجب تنفيذه في هذا المجال.

ويرى التقرير أن إحدى الوسائل الأساسية للقضاء على الجانب الديني يجب أن تتضمن إغراق الشعوب العربية والإسلامية بأنماط مختلفة من الحياة العصرية الغربية.

ويركز التقرير بأن مشكلة البطالة والفقر في مصر هما أساس اللجوء إلى الدين.

وربطو زيادة المعونة الأمريكية بهذا التطوير الديني وتوصلوا إلى نتيجة مفادها أن الدعاة المصريين ورجال الدين المصريين هما الأكثر شهرة وتأثيراً على العالم الإسلامي ويرى المشروع أن خطة تطوير الخطاب الديني في مصر سيجرى تنفيذها من خلال دورات تدريبية مكثفة وهذه الدورات ستنعقد بين القاهرة وواشنطن.

وعن دور المسجد فقد حاز على اهتمام كبير في إطار خطة تطوير الخطاب الديني بحيث يتحول المسجد إلى مؤسسة اجتماعية بها حدائق للأطفال والسيدات وملاعب رياضية بدلاً من كونه أداة للتحريض وبث الكراهية.

ويحث هذا التقرير على الاختلاط بين الرجل والمرأة داخل هذه المؤسسة الاجتماعية «المسجد» وتمارس فيه المرأة حقها الطبيعي في ممارسة النشاط السياسي والاجتماعي وتقترح الخطة أن يتم إلغاء مقررات التربية الدينية وأما ما يتعلق بالقرآن الكريم أو أحاديث الرسول «صلى الله عليه وسلم» ترى الخطة بأن التلاميذ أحرار في تعلمها بعيد عن المدرسة ويقولون إن الإرهاب وتصعيد موجات التطرف أساسه التنشئة التمييزية بين الطلاب في المدارس.

وتركز الخطة على الدعاة الجدد بطريقتها هى وترى أن الدور الخارجي للأزهر سيجرى بالاتفاق بين أمريكا ومصر وأن هذه البرامج ستكون بمثابة برامج عمل يتم تنفيذها سنوياً.

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم
عادل رفاعي خفاجة

الإعلام الإسلامي ضرورة

لقد ابتُلي الإسلام والمسلمون بأعداء حملوا لواء التشهير ونشر المفتريات والأباطيل، فقديماً رُمي الإسلام بأنه دين يفرق بين الابن وأبيه، ثم رُمي بأنه دين انتشر بحد السيف، وقالوا: إنه دين يدعو إلى الرق.. ومن هذه المفتريات أيضاً قولهم: إنه دين يميز بين الرجل والمرأة!!..

فإذا ما انبرى رجال الإسلام ينافحون عن دينهم ويدفعون عنه أذى المغرضين، يجد الحاقدون ضالتهم في رمي الإسلام والمسلمين بالإرهاب!!..

إنها الحرب الدائمة بين الخير والشر، وإن الواجب على الإعلام في الأمة الإسلامية أن يتقدمه رجال على علم عميق بالإسلام وشرعه وروحه الداعية للإنصاف، التي تمنع منعاً باتاً أن يعتدي المسلمون على غيرهم ممن لم يتقدم إليهم بأذى.

يقول الله تعالى:

﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾(١).

وعليهم أن يبرزوا في جلاء مدى حماية الإسلام لأبناء أمته «مسلمين وغير مسلمين»؛ فإن دماء غير المسلمين من أبناء الأمة في عنق الدولة، تُسأل عنها وتُحاسب عليها.

قال رسول الله ﷺ:

«لايزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يُصب دماً حراماً»(٢).

ويعني ذلك أن الجماعة الإسلامية المحققة لإسلامها الممارسة

---

(١) البقرة: ١٩٠.

(٢) صحيح البخاري حديث رقم ٦٨٦٢ - كتاب الديات -

له، يجب ألا يقع بين صفوفها قتل، فإن وقع، فلا يكون إلا قتلاً خطأ، لا عمد فيه ولا تربص.

وعلى هذا يُربي الإسلام أبناءه على هذه المبادئ التي تدرك نحن في عصرنا هذا أن الخبثاء من غير المسلمين ومن المسلمين أيضاً يتلاعبون بها.

فيجب على رجال الإسلام أن يكون لهم دورهم في صد هذه الهجمات الفكرية وإبراز هذه الصورة المشرقة لديننا الحنيف وتصحيح كل ما ينشر من أخطاء ومُفتريات عن الإسلام، ويجب أن يصاحب ذلك نشر الصورة السمحة الحقيقية لديننا العظيم، على أن يكون ذلك في ميدان يأتي النشر فيه بالثمرة المرجوة في نفوس هؤلاء الذين يحاولون ربط الإسلام بالإرهاب كشراء صفحات من الصحف العالمية مثل: الـ Newsweek والـ Times وغيرها.

والسبيل إلى نشر الإسلام وتبصير العالم بصورته المشرقة، لن يكون إلا بالعمل الدءوب والبحث العلمي الجاد.

ومن هذه الخطوات: الحوار الحضاري، وذلك بعقد المؤتمرات العالمية التي يحضرها المستشرقون، واتخاذ خطوات عملية في هذا السبيل، كتوجيه الدعوة إلى شخصيات غربية بعينها تتسم بالاتزان العلمي السليم، ليتحدثوا عن الإسلام بإنصاف.. بالإضافة إلى إجراء الحوار بين هؤلاء المستشرقين وبين المثقفين من الأمة الإسلامية في الشرق والغرب، كلٌ يدلي بدلوه، لإظهار الصورة الصحيحة لدينه والبحث عن النقاط التي تجمع بين الأديان، وما أكثرها.. فإن ذلك كفيل بإزالة سوء الفهم وتصحيح الصورة، وكشف هؤلاء الذين يصرون على وصف الإسلام والمسلمين بالرجعية والتخلف، بل والإرهاب.

وقد قام الأزهر الشريف بتجربة رائدة، وذلك بإنشاء لجنة حوار الأديان، فيا حبذا لو تم ترجمة نتائج حوار هذه اللجنة إلى عدة لغات، على أن ينبري لهذا الهدف النبيل فريق عمل يضم خيرة المترجمين وكبار رجال الدين، وبث هذه الترجمات على شبكات الإنترنت، بكل وسائل الإعلام المتاحة، كي تعُم الفائدة على الجميع.

ويجب أن تنهض الدول الإسلامية الغنية لهذا الهدف النبيل وهو واجب ليس على الدول الغنية فحسب، بل هو واجب - أيضاً - على أثرياء المسلمين كافة.

وفي تجربة AL-Azhar on line - التي أمر سمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم ولي عهد دبي بتنفيذها - القدوة الحسنة لمن يريد أن يقتدي ويشارك في تقديم صورة الإسلام في أبهى ما يكون.

وكم أسعدتني كلمة الشيخ جمال خلفات، حين نقل عن سمو ولي العهد قوله: **«إنني أخدم الأزهر، لأن الأزهر يخدم الإسلام»**.

لذلك فإنني أدعو الله أن يَمُنَّ على الإسلام بكثير من أمثاله الذين يجندون طاقاتهم وأموالهم في سبيل الدفاع عن كلمة الحق..

وبعد: فإن الدين الإسلامي جاء ليدعو إلى السلام.. يقول الله - تعالى -:

﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا ﴾[٣].

وجاء ليدعو إلى الوفاء بالعهود والمواثيق. يقول الله - تعالى -:

---

(٣) الأنفال: ٦١.

﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾.
الإسراء: ٣٤

كما جاء لينشر الأمان.

وهذا قول رسولنا ﷺ: «ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم». أخرجه الترمذى

ومعنى هذا عند أهل العلم أن من أعطى الأمان من المسلمين، فهو ملزم لهم جميعاً، ولو كان من رقيق المسلمين.

وعن أم هانىء أنها قالت: «أجرت رجلين من أحمائى» (الأحماء أقارب الزوج) فقال رسول الله ﷺ: «قد أمنا من أمنت». أخرجه الترمذى

قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن صحيح والعمل على هذا عند أهل العلم، أجازوا أمان المرأة».

أقول: إذا كان هذا بعض ما يقدمه إسلامنا، منهجاً للحياة، وهو قليل من كثير.

فكيف يتصور أحد أن يكون معتنقوه ممن يحبون الاعتداء على الآخرين؟!.. ناهيك عن التفكير فى قتل النفس التى حرم الله قتلها إلا بالحق؟!..

اللهم إلا إذا كان وصم الإسلام بالإرهاب، سياسة اتخذها مسئولو الغرب منطلقاً للهجوم على الإسلام!!..

فلله الأمر من قبل ومن بعد...

نسأل الله العظيم أن يلهمنا رشدنا.

عادل خفاجة

وإلى رسائل القراء

مفتاح البحث القرآنى

ورد من القارئ/ زغلول عبد الحليم عبد الله كلمة عن البحث القرآنى نقدم موجزاً لها حيث يقول:

«.. ولما كان الاجتهاد الفكرى فريضة، والمجتهد إذ يعمل فكره للوصول إلى ما يظن أنه حكم الله، لا يعمل مطلق الفكر الذى لا قيود له ولا حدود، بل يعمل فكره مراع لحدود الله ومقيد بما أوصى الله به إلى رسوله ﷺ وقد تعددت وقائع الاجتهاد من الصحابة فى حضرة رسول الله ﷺ وفى غيبته، فكان يقرهم إذا ما أصابوا، وينكر عليهم إذا أخطأوا.

هذا... ومن الضرورى للباحث فى القرآن الكريم بصفة خاصة، أن يجرد نفسه عن الهوى ويخلصها من التحيز حتى يمكنه أن يدرك الحقيقة، لأن البحث فى القرآن الكريم عبادة من أجل العبادات لو خلصت فيه النية لابتغاء الخير والحق. والنية هى (الإرادة المتوجهة نحو الفعل، ابتغاء رضاء الله ـ تعالى ـ وامتثالا لحكمه، وهى عمل قلبى محض لا دخل للسان فيه).

وباختصار شديد... فإن مفتاح البحث القرآنى (**إخلاص النية وسلامة القصد**).

من أعلامنا المنسيين

الشاعر الأزهرى «إبراهيم الدباغ»

وجاءت كلمة الوفاء من القارئ: فرج مجاهد عبد الوهاب يخص بها الأديب إبراهيم الدباغ يقول:

قال الأديب الكبير محمود تيمور عن الدباغ: «كان الدباغ ذلق اللسان، عذب الكلام فكه الروح، وكان آية عصره فى قوة الذاكرة، وحضور البديهة، وسعة الاطلاع».

وقال عنه الشاعر الناقد عادل الغضبان: «وشعر الدباغ هو شعر القوة والعنفوان لما اجتمع لصاحبه فيه من أدوات البيان شأنه فيه شأن كبار الشعراء فى هذا العصر ممن تمرس على نهج الأقدمين...».

هو إبراهيم مصطفى عبد القادر الدباغ ولد فى مدينة يافا بفلسطين سنة ١٨٨٠م وبعد أن تلقى فيها قسطاً من التعليم رحل إلى القاهرة والتحق بالأزهر الشريف عام ١٨٩٣ وكان من شيوخه الإمام محمد عبده، والشيخ سليم البشرى، والشيخ سيد المرصفى.. وغيرهم من أعلام الأزهر الشامخة. وكان من زملائه فى الدراسة الشعراء ولى الدين يكن، وأحمد محرم، وأحمد نسيم، وأسهم بعد تخرجه فى تحرير عدد من الصحف والمجلات، كما كان ينشر أعماله فى الأهرام، والمؤيد، واللواء. كما أنشأ سنة ١٩٠٤م جريدة «الإنسانية» بعد أن آثر البقاء فى مصر.

وفى سنة ١٩٢٦ انطفأ نور بصره ولكن ذلك لم يوقفه عن أداء رسالته الوطنية حتى أطلق عليه الأصدقاء رهين الأحباس، وفولتير القاهرة، وكان ذلك عن حق فقد ترك ثروة ضخمة فى الشعر والنثر نشر بعضها وقام ابن أخيه الأديب الشاعر مصطفى درويش الدباغ بنشرها وتمثلت فى ثلاثة كتب نثرية تحوى نظراته فى الحياة والناس، ونقده للشعراء والكتاب الذين عاصروه، وخواطره الاجتماعية والفلسفية، وهى بالترتيب: «حديث الصومعة» و«فى ظلال الحرية» و«شهد وعلقم». أما فى الشعر فقد نشر قسما منه فى حياته فى ديوان الطليعة من جزءين، ثم نشر ابن أخيه القسم الآخر، وشعر الدباغ تناول الجوانب الذاتية من مدح لشيوخه، ورثاء لأحبائه الذين فقدهم، كما تناول الموضوعات الوطنية والسياسية والاجتماعية، ولم ينسه فقد بصره محنة بلاده فلسطين التى ألهمته الكثير من القصائد، ونستطيع القول أنه توزعت عاطفته بين فلسطين بلده الأول ومصر بلده الثانى، وقد أطرى الشعراء والكتاب شعره ونوهوا بأدبه، وأشادوا بفنه، فقد قدم الشاعر الكبير خليل مطران الجزء الثانى من شعره وقال: «هل يوجد فى الأقطار العربية من لم يردد اسم الشيخ إبراهيم الدباغ، ولم يرو له بيتا من شعره، أو طرفة من النثر شائقة».

من إبداعات القراء

مولاى

يارب جئتك صادق الدعوات
وبرئت من ذنبى ومن سقطاتى

يا غافر الذنب العظيم وليس لى
إلاك ينجينى من الظلمات

يا قبلتى أنى ذهبت وغايتى
فى هذه الدنيا وبعد مماتى

مولاى وحدك لا سواك وسيدى
ولغير وجهك ما وهبت حياتى

يا أيها المغرور بالدنيا وما
فيها من الآمال والشهوات

دنياك شائنةٌ وأنت تريدها
صفواً من الأكدار والعثرات

هيهات يا مسكين تُخلص وُدَّها
لك أو لغيرك فى سوى لحظات

لا يخدعنك زيفها وبريقُها
ليست تورثنا سوى الحسرات

دعها لأخرى لا يزول نعيمُها
كُتبت لأهل الذكر والصلوات

فبحب ربك والثبات على التُّقى
تحظى بقرب الله فى الجنات

مصطفى أبو الغيط - قرية بلجاى ـ مركز المنصورة

موكب الحجيج

لبى الحجيج بأصدق النغمات
وتجردوا من رَبقة اللذات

وتوحدوا بملابس قد ميزت
وتوجهوا للبيت فى إخبات

وعلا ضجيج بالدعاء وبالبكا
فى فرحة لإجابة الدعوات

وهناك فى خير البلاد تبدلت
أوزارهم فيضاً من الحسنات

هذى البقاع وقد تجلى نورها
عطراً كريح المسك فى الجنات

وهناك قد وقف الحجيج وكلهم
قلب يناجى الله فى عرفات

لكم التحية والمثوبة والرضا
والفوز عند الله بالجنات

شعر / جابر عبد العليم مصطفى - دار السلام ـ سوهاج



أنباء العالم الإسلامي

للأستاذ / محمد الشرقاوى

لا حوادث ولا إصابات.. لحجاجنا بالسعودية

توقعت مصادر تعمل فى خدمة ضيوف الرحمن أن يصل عدد الحجاج القادمين من الخارج إلى مليون و٣٠٠ ألف بينما يصل عدد حجاج الداخل إلى المليون..

أوضحت المصادر أن سبب ارتفاع نسبة حجاج الخارج هذا العام يعود للطقس الجيد المتوقع فى مناطق المشاعر المقدسة بمنى وعرفات والمزدلفة ومكة المكرمة التى تبلغ درجة الحرارة بها ٣٢ درجة.

وأكد اللواء ماجد إبراهيم مساعد وزير الداخلية رئيس بعثة حجاج القرعة أن جميع الحجاج المصريين فى مكة والمدينة وجدة بخير وبحالة صحية جيدة وأن مانشرته صحيفة عكاظ السعودية عن إصابة ١٨ منهم فى حادث مرورى بمكة المكرمة غير صحيح لأن الحادث وقع لثمانية عشر مصرياً من العمالة الموسمية بالسعودية وأنهم جميعا غادروا المستشفى بعد تلقى العلاج ماعدا واحدا مازال يتلقى العلاج لإصابته بكسر فى الترقوة."

الجمهورية ٢٨ / ١ / ٢٠٠٣

المغرب تدعو لتصحيح الصورة السلبية للعرب

دعا نبيل بن عبدالله وزير الاتصال المغربى المتحدث باسم الحكومة المغربية إلى تصحيح الصورة السلبية حول العرب والمسلمين والتى تربطهم بالتخلف والإرهاب.

وقال الوزير المغربي في افتتاح أعمال الملتقي الأول للإعلاميين المغاربة بالرباط أن المنطقة العربية تغلي والصوت العربي يكاد يختنق خلف أسوار الحصار الإعلامي الغربي الذي يطوق القضايا العربية ويفرض منطق القوة على قوة المنطق.

وطالب الإعلام المغاربي والعربي برفع صوت الحق ودعوة المجتمع الدولي وهيئاته إلى تحمل مسئولياتهم في رفع التهم الملصقة ظلما بالعالم العربي والإسلامي وفي مواجهة إرهاب الدولة الذي تمارسه إسرائيل في حق الشعب الفلسطيني والتصدي لخيار الحرب الذي تقوده أمريكا وبريطانيا ضد الشعب العراقي وتذكير العالم بأن المقاومة حق وواجب ولا رابط بينها وبين الإرهاب.

شارك في الملتقى الإعلامي المغربي الأول حوالي ستين من القيادات الإعلامية بدول المغرب العربي الخمس وناقش على مدى ثلاثة أيام موضوعات تتناول دور الإعلام ومسئولية الإعلاميين المغاربة في بناء اتحاد المغرب العربي والإعلام المغاربي بين الواقع والآفاق.

مباحثات بين شطري قبرص

عقد جلافكوس كلاريديس رئيس قبرص «القبارصة اليونانيون» اجتماعا مع رؤوف دنكتاش رئيس جمهورية قبرص الشمالية.

وكان دنكتاش قد اجتمع في وقت سابق مع بشار ياقيش وزير خارجية تركيا.

أشار دنكتاش عقب المقابلة مع ياقيش إلى أن مباحثات الجانبين كانت جيدة ولا يوجد أي اختلاف في وجهات نظر الجانبين حول المبادئ المتعلقة بالقضية الوطنية للقبارصة الأتراك.

ومن ناحية أخرى أوضح دنكتاش أن إدارة القبارصة الأتراك يجب عليها أن تنظر بشكل إيجابي إلى الاقتراح الخاص بإجراء بعض التغييرات في الخطة المقدمة ويجب ألا تحاول أن تجعل القبارصة الأتراك يقبلون جمهورية قبرص بشكل غير مباشر.

خطة فيدرالية أمريكية لمراقبة المساجد

أصدر روبرت مولر رئيس مكتب التحقيقات الفيدرالي الأمريكي قراراً برسم خرائط ديموجرافية لجميع المساجد في الولايات المتحدة بهدف تكثيف عمليات البحث عن الإرهابيين.

ذكرت مصادر أمريكية أن خطة مراقبة المساجد تتضمن وضع أجهزة تنصت بداخلها.

أعرب إبراهيم هوبر المتحدث باسم مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية عن استيائه من القرار ووصفه أنه يثير الشكوك الأمريكية تجاه الجاليات الإسلامية.

وزير الدفاع الهندي يهدد بإزالة باكستان من خريطة العالم..!!

قال وزير الدفاع الهندي جورج فرنانديز إنه سيتم ازالة باكستان من على خريطة العالم إذا اقدمت على شن هجوم نووي ضد الهند.

وقال ان باكستان إذا أرادت البقاء فعليها التوقف عن التلويح باستخدام الأسلحة النووية ضد بلادنا!!

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

الإمام الأكبر يستقبل رئيس وزراء ماليزيا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف الدكتور مهاتير محمد رئيس وزراء دولة ماليزيا والوفد المرافق له، حيث أعرب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف عن ترحيب الأزهر الشريف بسيادته وضيوفه الكرام، وأوضح أن صلة الأزهر الشريف بدولة ماليزيا قديمة وعميقة منذ أكثر من خمسين عاما، وأن الآلاف من طلبة وطالبات ماليزيا يدرسون بالأزهر الشريف وقد تخرج فيه أعداد كثيرة ومنهم من يشغل مناصب عليا بدولة ماليزيا الشقيقة. وشرح فضيلته نظام الدراسة بالأزهر الشريف الذى يهتم بحفظ القرآن الكريم إلى جانب دراسة العلوم الأخرى الشرعية واللغوية والثقافية والرياضية، والدراسة بالأزهر الشريف تمتاز بالاعتدال والتوسط وبعيدة كل البعد عن التطرف والتعصب والعنصرية، وإلى جانب الدراسة الأزهرية يدرس الأزهر الشريف جميع المواد الأخرى التى تدرس فى مدارس التربية والتعليم، وجامعة الأزهر بها أكثر من سبعين كلية بالقاهرة وبمعظم محافظات الجمهورية، وفيها الكليات الأصيلة مثل كلية الشريعة وكلية اللغة العربية، وكلية أصول الدين، وكلية الدراسات الإسلامية، وكلية الدعوة، إلى جانب الكليات الأخرى كالشريعة والقانون والطب والهندسة، وطب الأسنان والزراعة والتربية الرياضية، واللغات والترجمة جميع التخصصات موجودة بكليات جامعة الأزهر للبنين وللبنات.

وقد أثنى فضيلته على طلبة وطالبات ماليزيا من الناحية الخلقية ومن الناحية العلمية، حيث يمتازون بالأخلاق الطيبة الحميدة، ويقبلون على العلم إقبالا طيبا ومنهم من حصل على الدراسات العليا من الأزهر الشريف.

وقال فضيلته: إننا نقبل الطلاب الذين يأتون عن الطريق الدبلوماسى أى عن طريق السفارة، وهم يتعلمون بجوار إخوانهم من الطلاب المصريين ويقيمون فى مدينة البعوث الإسلامية،

على منح من الأزهر الشريف ويلقون كل وسائل الرعاية الاجتماعية والصحية، حيث إنه يوجد لدينا فى مدن البعوث طلاب من ٩٦ دولة منهم البنين ومنهم البنات، وتوجد مدينة خاصة بالبنات ويلقون المحافظة والرعاية الكاملة أيضا.

ومن جانبه أشاد الضيف بما تقدمه مصر وأزهرها الشريف للطلاب وطالبات ماليزيا للتعليم بالأزهر الشريف لأن التعليم فى الأزهر الشريف يحتل بالنسبة لطلبة ماليزيا الدور الهام والأساسى لأنهم يحفظون القرآن الكريم ويعرفون تفسيره ويحفظون الأحاديث النبوية الشريفة وعلوم الشريعة واللغة، ومن أجل ذلك حينما يعودون يجدون العمل فى ماليزيا ويحتلون أرقى وأعلى المناصب، والأزهر الشريف وقف بجانب دولة ماليزيا أثناء الاحتلال وهذا دور عظيم لايمكن ان ننساه أبدا، وأبدى الضيف سعادته الغامرة بزيارته لمصر وأزهرها الشريف، وأكد سيادته على قبول الطلاب الماليزيين الذين يحضرون عن طريق السفارة، أما الذين يأتون على حسابهم الخاص فهؤلاء حينما يعودون إلى ماليزيا لايكونون على المستوى المطلوب ولايتم تعيينهم فى المناصب الهامة بل قد لايجدون عملا ويكونون عبئا على الدولة.

وقدم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف المصحف الشريف، وكتاب الأزهر فى ألف عام باللغة العربية والإنجليزية وأبحاث مؤتمر هذا هو الإسلام هدية للضيف، وشكر الضيف حسن اللقاء والحفاوة البالغة التى قوبل بها ووجه الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف لزيارة دولة ماليزيا فى الصيف القادم، وقد وعد فضيلته بدراستها تمهيدا لتلبيتها.

حضر اللقاء فضيلة الدكتور محمود زقزوق وزير الأوقاف ورئيس بعثة الشرف وقيادات وعلماء الأزهر الشريف، وقد دعاه فضيلة الإمام الأكبر لإلقاء محاضرة لطلاب مدينة البعوث الإسلامية من دولة ماليزيا وغيرها من الدول وكانت المحاضر بعنوان: **(الإتحاد الإسلامى فى مواجهة التحديات والتهديدات)**.

وتحدث فيها عن ان من يطبق تعاليم الإسلام هو الذى يسعى للعلم ولقوة الإسلام والمسلمين وتساءل عن المهانة التى يعيشها الإسلام والمسلمون وهل الدنيا للكبار، والآخرة للمسلمين؟ ولم يفعل المسلمون ذلك والنبى لم يفعل ذلك؟ والإسلام دين واحد، ليس إسلاما سنيا وشيعيا وغيرهما؟ من طوائف يكفرون بعضهم بعضا (الأحزاب فى ماليزيا يكفر بعضهم بعضا، من لم يصوت لهذا أو لذاك) ويرجع ذلك إلى التشرذم وعدم الاهتمام بأمر الإسلام ذاته، ومن أجل ذلك المسلمون اليوم متشرذمون يقاتل بعضهم بعضا ويدمرون أنفسهم ويدمرون صورة الإسلام، وقد لجأ بعض المسلمين إلى العنف والإرهاب، فهل استفاد المسلمون من ذلك؟ أعداء الإسلام وجدوا فى ذلك سبيلا للعدوان على المسلمين والانتقام من المسلمين، وقد ضاع الطريق من المسلمين (ضلوا الطريق). ويتساءل المرء: هل نحن على الطريق المستقيم؟ إننا نبتعد كثيرا عن الإسلام ولابد ان نعود مرة أخرى إلى القرآن الكريم والسنة الصحيحة، الإسلام دين السلام تحيتنا السلام، فهل هى كلمة خاوية؟ لابد

أن تحقق السلام مع أنفسنا ثم مع غيرنا وأهل الأديان والحضارات الأخرى، هناك من يرتدى زيا معينا ليكون مسلما، القرآن الكريم يعلمنا أن من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فهو مسلم، قد نتنازع، ولكن لابد أن نبقى أخوة، وقال : لم يكن للمسلمين حدود أو تفرقة، وأصبحنا شيعا كل يهتم بمجتمعه بدلا من الاهتمام بالإسلام لقد أصبح المسلمون دمى يلعب بها الآخرون، وعلينا أن نتعرف على أخطائنا وعيوبنا، وأول ذلك التشرذم أن البعض يتجنب الصغائر ويرتكب أفحش الكبائر، لقد ضاع منا الهدف وانهمكنا في الشكليات، لقد تجاهلنا جوهر الدين، بالعدل والسلام تكون الأمة أقوى، أسباب سوء الفهم أننا أصبحنا متخلفين وجرينا وراء العنف لننتقم، علينا أن نطور أنفسنا ليحترمنا الغير ويحترم ديننا ثم ختم بقول الله تعالى:

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾(١).

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾(٢).

حضر الندوة فضيلة الدكتور محمود زقزوق وزير الأوقاف ورئيس بعثة الشرف، وفضيلة الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الشريف، والأستاذ الدكتور محمود شبخون نائب رئيس جامعة الأزهر الشريف، والسادة النواب، والسادة سفراء الدول الإسلامية، وفضيلة الشيخ سيد وفا الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية وفضيلة الشيخ شوقى نويجى رئيس قطاع المعاهد الأزهرية، وعلماء الأزهر الشريف ورجال الصحافة والإعلام.

الإمام الأكبر يستقبل وزير خارجية عمان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف معالي وزير الخارجية العماني / يوسف بن علوى يرافقه سفير سلطنة عمان بالقاهرة حيث رحب فضيلته بهما مشيداً بالدور الذى تنتهجه سلطنة عمان تجاه القضايا الإسلامية والعربية، وأن السلطنة تبنى ولاتهدم تعمر ولاتخرب، ولاتتدخل فى شئون غيرها من الدول، ولها مواقف قوية وسديدة، وأن السلطنة تتقدم وترقى، وتطرق الحديث إلى التعليم الأزهرى منذ مراحله التمهيدية وحتى الجامعة؛ حيث شرح فضيلته نظام التعليم في الأزهر الشريف وفى جامعته العريقة، مؤكدا على أن رسالة الأزهر الشريف الأساسية هى حفظ القرآن الكريم وتفسيره تفسيرا صحيحا بعيدا عن المغالاة والتعصب والعنصرية، وأكد على أن الأصول الإسلامية ثابتة وتهدف إلى إرساء قيم الخير والسلام بين البشر، ومناهج الأزهر الشريف تمتاز بالوسطية والاعتدال، وتلقين النشئ المبادئ الصحيحة السمحة للإسلام، كما يدرس الأزهر الشريف العلوم الشرعية والعربية والثقافية، واللغات والحاسب الآلي.

---

(١) البقرة (٢٠١).

(٢) الرعد (١١).

كما تطرق الحديث حول تحديد الربح مقدما في حالة أن يكون البنك وكيلا عن المودعين في استثمار أموالهم وبتراضي الطرفين وهي الفتوى التي بحثها مجمع البحوث الإسلامية.

وأوضح فضيلته أن كل حالة لها فتواها تدرس على حدة فليست كل المعاملات حلال وليست كل المعاملات حرام، وأكد على أن التعامل بالربا حرام حرام حرام.

وقد أشاد الضيف بهذا اللقاء المثمر وبدور الأزهر الهام في تعليم أبناء المسلمين في شتى أنحاء العالم أمور دينهم بيسر وسهولة ووضوح، كما تطرق الحديث حول مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الأخير وكان تحت عنوان [هذا هو الإسلام] والذي عقد بالأزهر الشريف والذي أظهر صورة الإسلام الصحيحة وظهر ذلك جليا في الأبحاث التي قدمت في هذا المؤتمر وتم مناقشتها وأوضح فضيلة الإمام الأكبر أن الأبحاث تم طبعها في مجلدين كبيرين وقامت العلاقات العامة بمكتب شيخ الأزهر الشريف بتوزيعها على السفارات في القاهرة وعلى السادة الأعضاء الذين شاركوا في المؤتمر من خارج مصر، ومن مصر أيضا، وإلى الهيئات والمؤسسات التي تستفيد من هذه الأبحاث، وناقش وزير الخارجية إمكان إعداد مناهج تعليمية مثل مناهج الأزهر تدرس بالمدارس في الدول الإسلامية بشرف عليها الأزهر الشريف للتأكيد على الثوابت الدينية التي تحث على الفضيلة ومكارم الأخلاق من مصادرها الأصلية.

ويستقبل وفدا من مدرسي البوسنة

- استقبل فضيلة الإمام الأكبر وفداً من مدرسي مدارس دولة البوسنة الذين يتلقون دورة تدريبية بمركز اللغة العربية بجامعة القاهرة وعددهم (٤٠) دارسا، وقد رحب بهم فضيلته في مصر وأزهرها الشريف وتحدث إليهم عن فضل العلم وتعلم اللغة العربية وبخاصة لدى المسلمين الناطقين بغير اللغة العربية مما يعينهم على فهم شريعة الإسلام فهما سليما وصحيحا، كما أوضح أنه رغم اختلاف الفقهاء في بعض الفروع إلا أنهم متفقون على أنه لا خلاف ولا اجتهاد مع النص، وكل من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فهو مسلم، وأنه لا خلاف على الأصول، والدين الإسلامي دين يسر وهو واضح وضوح الشمس، وأنه يواكب التطورات التي تحدث، والأزهر الشريف يقوم بتدريس المواد الشرعية والعربية إلى جانب المواد الثقافية واللغات، ويساير متطلبات العصر مع التأكيد على حفظ القرآن الكريم، والدراسة تمتاز بالوسطية والاعتدال والبعد عن المغالاة في الأقوال والأفعال.

وأجاب فضيلته عن أسئلة الحضور والتي دارت حول تفسير بعض آيات القرآن الكريم، وحول النقاب والحجاب للمرأة المسلمة، والزواج من الأقارب، وآيات التحريم في القرآن الكريم، وشرح العلاقة بين الخالق والمخلوق، وعلاقة المسلمين بغير المسلمين من أصحاب الملل الأخرى، موضحا بأن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، وأن

الإسلام يمد يده بالسلام لكل من يمد إليه يد بالسلام.

ثم التقى الوفد بفضيلة الشيخ/ على أبو الحسن الأمين العام المساعد للدعوة الإسلامية ورئيس لجنة الفتوى بالأزهر الشريف والذى قام بدوره بالرد على العديد من الأسئلة والاستفسارات الدينية، والرخص التى رخص بها الإسلام مثل المسح على الخفين، وقصر الصلاة فى السفر، والجمع فى الصلاة، والفطر للصائم إلى غير ذلك من الأسئلة التى طرحها الوفد.

الإمام الأكبر يستقبل مبعوثا من الخارجية الألمانية

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الدكتور السفير جونز مولاك مفوض الحوار الأوروبى الإسلامى بوزارة الخارجية الألمانية والوفد المرافق، رحب فضيلته بالوفد فى الأزهر الشريف مشيدا بالعلاقات الطيبة بين الأزهر الشريف وألمانيا وأنها قديمة، وأن كثيرا من علماء الأزهر الشريف تلقوا دراستهم العليا فى ألمانيا، وأن موقف ألمانيا واضح تجاه القضية الفلسطينية والعراقية، وأوضح بأن الأزهر يرحب بالحوار دائما، ويوجد بالأزهر الشريف لجنة للحوار، وأن طلاب العالم الإسلامى يدرسون على منح من الأزهر ويقيمون بمدن البعوث الإسلامية يتلقون العلم النافع إلى جانب إخوانهم فى مصر. ومن جانبه شكر الضيف فضيلته على حسن الاستقبال وعلى المعلومات التى سمعها، وأشاد بدور الأزهر ومكانته العالمية فى العالم كله وخاصة فى دولة ألمانيا، وقال: إن الأزهر الشريف جامعة كبيرة تقدم العلم والقيم الإسلامية المعتدلة، وأن زيارته جاءت لتدعيم الحوار مع العالم الإسلامى. وقد أجاب فضيلة الإمام الأكبر عن سؤال حول مفاتيح السلام التى يملكها الأزهر الشريف لدى مسلمى العالم أجمع وقال فضيلته: إن المفتاح ليس فى يد الأزهر الشريف وحده ولكن لابد من أن تتكاتف المفاتيح جميعها والأزهر يوضح ويبين التعاليم السمحة المعتدلة للإسلام ولا يتدخل فى شئون الشعوب أو الديانات. وحول سؤال عما يحدث فى فلسطين والعراق أوضح فضيلته أن وجهة نظره الشخصية هى أن يجلس الأطراف المعنية ويتناقشوا فيما بينهم، ولابد من إيجاد قوة دولية للفصل بين الجانبين بحزم وقوة حتى يمكن إعطاء الفرصة للوصول إلى الحل، وأثناء ذلك من يعتدى من الطرفين على الآخر على هذه القوة أن تقوم بردعه وإذا كان الشعب الفلسطينى يصد العدوان عليه بالحجارة رغم تفوق الجانب الآخر بما يملكه من الأسلحة الحديثة، فكيف تعتدل الموازين؟ وإذا أرادت أمريكا أن تحسم هذا النزاع فهى قادرة، والأزهر الشريف عقب أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م كانت له وجهة نظر سباقة تجاه هذا الفعل الأثيم، وأعلنه الأزهر للعالم أجمع، لأن وظيفتنا توضيح الأمور الدينية، وليس لدينا خلاف حول العقائد، لأن لكل إنسان عقيدته، ولا إكراه على العقائد والعقلاء فى العالم، والشرائع السماوية، الكل يعلم أن العدل فضيلة، والظلم رذيلة، والصدق فضيلة والكذب رذيلة وإذا كان الغرب لا يسمع المفاهيم الصحيحة للإسلام من الأزهر

ويلجأ إلى السماع ممن لا يفهم الإسلام فهذا عائد إليه وإلى وسائل الاعلام المغلوطة، وأن أمريكا والغرب حينما احتضنا الإرهابيين الذين صدرت ضدهم أحكام والفارين من العدالة، وكان ذلك تحت مسمى حقوق الإنسان فهذا الامر بسبب الخلل، وعلى وسائل الاعلام أن تبين صورة الإسلام الصحيحة من الأزهر الشريف، ونحن لا نقصر في هذا ولكن أين السامعين، وأنتم تسمعون من الإرهابيين ولا تسمعون من الأزهر الشريف، وقد حضر إلى الأزهر آلاف من الاعلاميين والصحفيين من كل دول العالم وشرحنا وبينا ووضحنا وعليهم أن يعلنوا ذلك في بلادهم ودراستنا في الأزهر تقوم على الاعتدال والتوسط ونعتبر الناس جميعا إخوة وجدوا من أب واحد وأم واحدة وعلينا أن نتعاون ونتبادل المنافع فيما بيننا، ونحن نمد يدنا بالسلام إلى كل من يمد يده لنا بالسلام، ولكن إذا اعتدى عليّ أحد أو أخذ أرضي بالقوة فيجب علي أن أدافع عن أرضي وعرضي وديني، وفي نهاية اللقاء شكر الضيف لفضيلة الإمام هذا الحديث الطيب وأنه هو الحق بعينه، وأعلن أنه استفاد منه، وأن حديثه شيق ومفيد موضحاً بأن ألمانيا ضد الحرب على العراق، وضد الاعتداء على الشعب الفلسطيني، ثم التقى الوفد برئيس لجنة الحوار بالأزهر الشريف.

الإمام الأكبر يستقبل سفير كازاخستان

استقبل فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر السيد السفير/ بغداد أمر ييف سفير جمهورية كازاخستان بالقاهرة بمناسبة توليه العمل كسفير لبلاده في القاهرة، رحب فضيلته بالضيف في مصر وأزهرها الشريف متمنيا له إقامة طيبة في بلده الثاني مصر، وقال: إن الأزهر الشريف في خدمة أبناء المسلمين ولايدخرون وسعاً في تقديم العون والمساعدة لهم، ونحن نتعاون من أجل خدمة ديننا والمسلمين في كل مكان وهذا واجبنا، ويدرس في الأزهر الشريف طلاب من كازاخستان يدرسون على منح من الأزهر مع الطلبة المصريين ومع طلاب من ٩٥ دولة من دول العالم يقيمون في مدن البعوث الاسلامية، ونوفر لهم سبل المعيشة، والأزهر على استعداد لاستقبال المزيد من أبناء كازخستان للدراسة به، ومن جانبه أشاد الضيف بوجوده في الأزهر الشريف في بدء عمله، وقد آثر أن يكون لقاءه بعلماء الأزهر الشريف وعلى رأسهم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وذلك لما تكنه دولته من تقدير وإعزاز لمصر ولأزهرها الشريف، وقال نحن شعب مسلم وتعداد الدولة ١٥ مليونا نسبة المسلمين ٦٥٪ والباقي من الروس ذوي الملل المختلفة، وقد اختيرت كازاخستان كمركز إسلامي، ويوجد جامعة باسم نور مبارك بنيت على نفقة مصر، وقد طلب السيد السفير مشاركة الأزهر الشريف في المؤتمر الخاص بحوار الحضارات والذي تنظمه الدولة وأوضح أن الرئيس نور رئيس الدولة كان له دور بارز في التصدي لحملات التشهير ضد الإسلام وقام بزيارة الولايات المتحدة الأمريكية بعد أحداث سبتمبر لتوضيح صورة الإسلام الصحيحة، ووجه الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر لزيارة كازاخستان بناء على رغبة رئيس الجمهورية.

ويستقبل وكيل الأمين العام للأمم المتحدة

استقبل فضيلة الإمام الاكبر شيخ الأزهر الشريف الدكتورة ثريا أحمد عبيد وكيل الأمين العام للأمم المتحدة والمدير التنفيذى لصندوق الأمم المتحدة للسكان، وهي أول سيدة عربية مسلمة تتبوأ ذلك المنصب الرفيع بالأمم المتحدة وهى سعودية الجنسية، يرافقها الدكتور فيصل عبدالقادر محمد الممثل المقيم بصندوق الأمم المتحدة للسكان بجمهورية مصر العربية رحب فضيلته بها فى الأزهر الشريف مشيدا بالجهود الذى تبذله لخدمة البشرية، ومؤكدا على أن الأزهر الشريف على استعداد لتقديم العون لخدمة الأسر والمرأة والطفل فى زمن كثرت فيه المشاكل، وأشار فضيلته إلى أن الأزهر الشريف يسير على نهج التربية الإسلامية من المرحلة التمهيدية وحتى الانتهاء من المرحلة الجامعية مؤكدا على أن حفظ القرآن له الأولوية منذ المرحلة الأولى فى التعليم إلى جانب دراسة المواد الشرعية والعربية والثقافية واللغات والكمبيوتر، وأوضح فضيلته أن تنظيم الأسرة جائز شرعا ما دام الزوجان متفقين على ذلك، وهناك حالات يرجع فيها إلى رأى الطبيب المعالج وتحديد فترات الحمل طبقا لما يراه ولكل حالة ما يناسبها، ونحن نحترم رأى الأطباء من توجيهات وإرشادات، وقال: نحن فى زمن التخصص وفى زمن يسوده العلم، وبدأ الوعى يزداد لدى الناس ولدى العامة فى مصر وقد وضحت الأمور بصورة جلية.

ومن جانبها شكرت الضيفة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على ما سمعته من آراء بناءة وسعدت بهذا اللقاء الذى استهلته بزيارة الأزهر الشريف وشيخه العالم الفاضل مؤكدة على دور الأزهر الشريف الذى وصل صداه الى دول أوروبا وامريكا فى الأمور الدينية التى توضح صورة الإسلام الصحيحة وكذا دور الأزهر فى دعم قضايا الصحة والأسرة والطفل فى إطار مشروع الحكومة القومى للدراسات السكانية، وأن كثيرا من الكتب قد ترجمت إلى لغات مختلفة فى هذا الخصوص ومنها ما يخص الشباب ورعايتهم فى ظل السلوك السوى، وقضايا السكان عموما، وفى نهاية اللقاء قدمت الشكر والتقدير للازهر وشيخه وعلمائه وخطباء المساجد لتناولهم الموضوعات التى تدور حول مشكلة الاسرة وما يقدمونه من شرح وإرشاد وتوعية وحلول حضر اللقاء الأستاذ الدكتور/ جمال ابو السرور عميد كلية الطب السابق، ومدير المركز الإسلامى للدرسات السكانية بالأزهر الشريف.

الإمام الأكبر يستقبل وفداً من ماليزيا

استقبل فضيلة الإمام الاكبر شيخ الأزهر الشريف وفد ولاية سراوك الماليزية برئاسة حاج عدنان حاج ساتيم وزير الزراعة ومدير مؤسسة سراواك، رحب فضيلته بالوفد الماليزى مشيداً بعمق العلاقة بين الأزهر وماليزيا فى مجال التعليم منذ زمن بعيد حيث إن الآلاف من طلاب ماليزيا يدرسون فى الأزهر الشريف ويعودون إلى بلادهم ليقوموا بتعليم ابنائهم وإخوانهم فى ماليزيا وكثير منهم يحتل المناصب العليا، وهذا واجب الأزهر

تجاه أبناء العالم الإسلامي وأشاد فضيلته بطلبة ماليزيا وأنهم يمتازون بحسن الخلق والسلوك والمثابرة في طلب العلم، وقد أكد فضيلته على أهمية تدريس اللغة العربية للنشء الماليزي في مرحلة التعليم الأساسية والذي من شأنه معرفة قراءة القرآن وفهم معانيه وهو أمر لاغنى عنه لفهم الدين الصحيح بوضوح، وشرح فضيلته نظام الدراسة في الأزهر الشريف.

شكر الضيف فضيلته على حسن اللقاء والشرح الوافي الذي أفاده كثيرا وقدم شكر بلاده حكومة وشعباً على دور الأزهر الهام للمسلمين وقال إن سكان ماليزيا يبلغ تعدادهم ٢٢ مليون نسمة نسبة المسلمين ٦٠٪ منهم، والدين الرسمي للدولة هو الإسلام وهذا منصوص عليه في الدستور، وقال: إن الدولة أخذت على عاتقها تدريس اللغة العربية منذ العام الماضي للمراحل الابتدائية ليكون ذلك معينا لهم في فهم معاني القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

الدورة التدريبية لأئمة العالم الإسلامي

شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف حفل تخريج علماء الدورة التدريبية العالمية التاسعة والخمسين لأئمة ووعاظ العالم الإسلامي لعدد واحد وعشرين عالماً من دول: الصين، الجزائر، الفلبين، بنين، ألبانيا، الكنغو برازافيل ولمدة ثلاثة أشهر اعتباراً من ١ / ١١ / ٢٠٠٢، حيث تلقوا خلالها العلوم والمعارف الإسلامية المتنوعة والتدريب على الفتوى من العلماء المتخصصين من الأزهر وجامعته العريقة وعلى رأسهم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف، وقد ألقى فضيلته كلمة هنا فيها الخريجين، وحثهم على مواصلة القراءة والاهتمام بمتابعة حفظ وقراءة القرآن الكريم، وحثهم على نقل ماتعلموه لأبناء بلادهم في سهولة ويسر بعيداً عن المغالاة والتشدد، وأن يظهروا يسر الإسلام وسماحته، وعليهم أن يتحلوا بمكارم الأخلاق وأن يكونوا قدوة سلوكية طيبة حتى يقتدى بهم إخوانهم وأبناؤهم في بلادهم، وأن تكون دعوتهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن تكون خالصة لوجه الله- عز وجل- ولخدمة دينهم ووطنهم، وأن يكونوا على صلة وتواصل بالأزهر الشريف ويذكروه ويذكروا مصر بالخير والعرفان، داعيا لهم بدوام السداد والتوفيق في رسالتهم التي هي رسالة الأنبياء، ثم قام فضيلته بتوزيع شهادات التخرج ومكتبة إسلامية تحوى أمهات الكتب لتكون مرجعا لهم، كما افتتح فضيلته أعمال الدورة التدريبية العالمية رقم ستين لعدد ثلاثة وعشرين عالما من دول: الجزائر، الكاميرون، تنزانيا، ماليزيا، المالديف، والتي تبدأ بمدينة البعوث الإسلامية اعتباراً من ١ / ٢ / ٢٠٠٣.

حضر الحفل فضيلة الشيخ عبدالكريم محمد عبدالرحمن الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر الشريف وفضيلة الشيخ / السيد وفا أبو عجور الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية وفضيلة الشيخ / علي أبوالحسن الأمين العام المساعد للدعوة الإسلامية ورئيس لجنة الفتوى بالأزهر الشريف، وفضيلة الشيخ / عبدالخالق نصير الأمين العام المساعد للثقافة الإسلامية بالأزهر الشريف

Strange expressions such as " Political Islam theory after the 11th of September" have existed. We would like to assert that Islam is a perfect religion fits all ages ; a religion that does not force or coerce anybody to embrace it. Moreover, we don't fear loosing it as Allah, Glory be to Him, is The one Who can preserve it as He says:

﴿Surely We, even We, have been sending down the Remembrance and surely We are indeed Preservers of it ﴾
[Al-Hijr(Thamûd's Habitation): 9].

Their thinking led them to carry out a study on the Arab world made by a selected group of the foreign and Arab professors who were taught in their countries. The pretext aim of this study is to help the others and the result was "Hell covered by superficial mercy". What concerns us in this study is woman's status. According to their reports, woman's status is very degraded as she lives under circumstances of extreme injustice symbolized in circumcision, not practicing her rights to elect and can be the second, third or fourth wife, etc. to reply, the truthful Islamic religion gives woman all her due rights.

It is war without quarters as efforts and bargains are stuck in order to allow U.S.A to get the support of the European countries to adopt the American points of views in order to be able to impose its prospective.

In conclusion, we should join ranks and fill the gaps among us after we have left the arena for Zionism to practice its filthy acts against others. It is stated in their distorted Tawrah that those who plant with tears, harvest with joy. It seems that Sharon's generation understood it as "the Palestinian women's tears shed on their children."

it began its second stage namely the Idea of " Evil Axis" that involves two Islamic countries in addition to North Korea.

This indicates that the American administration succeeded in making use of the event and attaching the consequences to Islam and Muslims. It is worth mentioning to indicate that the American aim is not to establish democracy but to change regimes and to found those who can accept Islam, regime and rule, according to the American way and what benefits its policy. Moreover, I would like to refer to the poisonous Zionist Jewish pens that regard whoever dares to uncover any of the Israeli extreme injustice aspects as anti-Semitist while we are the descendants of Sam, the son of Nuh "Noah" peace of Allah be upon him. They managed to snatch a French law forbids and commits whoever dares to say a word committing them or questions their lies and fabrications and he shall be put to trial and even jailed.

From the religious perspectives, Israeli rabbis are behind all different kinds of crimes committed against the non-Jewish rich people. They put themselves at the service of the Israeli army violating all the religious commands and prohibitions. Their religious opinions are always ready. Consequently, the minds of West are under the Jewish control for their possession of mass media and their means of brain-washing.

Jewish rabbis had planted the hatred of all the other nations in the minds of their people as other nations, according to them, are nothing but pagans. So, they issued religious decrees stating that Allah's chosen people should not be related by marriage to those pagans and that they should consider them a threat : being related to those pagans is considered an unsacred marriage.

*Islamic Nations Won't Be Reshaped By The USA

By: Dr. Muhammad Hassan Abdul-khaliq

All nations experience moments of winning and others of loss, however, life goes on, generations follow and we forget or pretend to forget owing to life's problems and events. Only history records and truly depicts what had happened without interference from any body whatever tries to falsify facts or legalize his criminal acts whatever resorts to flexible terms that have no specific meaning such as "Fighting Terrorism", "Protective Shield" or even " Anti-Semitism". What had been recorded by history is manifest to all people. It has become obviously, that we are witnessing and living in a stage of one pole, namely, "Who is with us and who is against us?"

A harmful thing might turn to be beneficial". The 11th of September, 2001 event, despite our Arab Islamic nations, rejection, on all levels, to this criminal act – no one up till now has been declared to commit it and it seems that investigations will not come to an end - that shook the feelings of the whole world, US seized the opportunity to impose its sovereignty on the whole world. USA' first experiment was the Muslim Afghanistan – it is only the beginning – and it seems that the 11th of September event has left its effect on the American and international level.

The current question is:

Does USA seek revenge? And from whom?

If it means Al-Qa'idah and Talban (The Afghani organizations), it has already achieved its revenge in Afghanistan. US does not have one aim but it has next ones as

* An Article published (in Arabic) at Al-Azhar Magazine.

As stated in the verse, the principle of communication with others is obligatory; if it is related to legal duties and it is preferable; if it is a means of getting acquainted with others and disseminating the call of Allah.

Qur'an commands us to consider the intellectual and cultural level when communicating and arguing with others as the aim of communication is not just to convince or overcome the opponent but it is arguing with wisdom and fair admonition, as well as disputing with them in the fairest way. Aims of communication will not be achieved except through a tender heart and sweet tongue as stated in the Book of Allah (while addressing the Messenger):

﴾So, it was by (some) mercy from Allah that you have been lenient with them; and if you have been stern (and) harsh of heart, they would indeed have broken away from round about you; so be clement towards them, and ask forgiveness for them, and take counsel of them in the command.﴿

[Al-Imran (The Household of Imran) :159].

To conclude, the Ever-Glorious Qur'an differentiates between two kinds concerning the population of the Book as they contain the unjust, stubborn and unreasonable contender in addition to the just, and those who fulfill their promises, so we should not issue a general verdict that involves both. Allah, Glory be to Him, revealed:

﴾They are not (all) equal; of the population of the Book is an upright nation, (who) recite the signs of Allah at various times of night, as they prostrate themselves (to Him). They believe in Allah and the Last Day, and command beneficence and forbid maleficence, and vie swiftly charitable deeds; and those are of the righteous.﴿

[Al-Imran (The Household of Imran) :113-114].

Those are some general features that are stated in the verses of Qur'an to be bases for our communication with others.

Islam obligates amicability, getting acquainted even with those who disagree with it as long as they live in peace with Muslims as Allah, The Al-Mighty, says:

❨Allah does not forbid you, (as regards) the ones who have not fought you on account of the religion, and have not driven you out of your homes that you should be benign to them, and be equitable towards them; surely Allah loves the equitable ones. Surely Allah only forbids you as to the ones who have fought you on account of the religion, and driven you out of your homes, and backed (others) in driving you out, that you should patronize them; and whatsoever patronizes them, then those are the ones who are unjust.❩

[Al-Mumtahanah (The Woman Tested): 8-9]

All people are equal, as Islam does not make any distinction between the Muslim and the non-Muslim especially in the field of dealings as in penalties of crimes. Islam's great rule of how to deal with the non-Muslims can be summarized in ***"Muslims and non-Muslims are to be treated equally."***

Such religion, that gives rights to others the same as to its followers even their rights are inviolable and sacred among the Islamic Community, is a religion calling for communication, mutual understanding and cooperating on benignancy and piety, not on vice and hostility. It is a religion that stresses that all the prophets' calls are but one and that they all came with the call of monotheism. They called for believing in Allah and worshipping only Him as well as believing in the existence of angels and earlier prophets. Moreover, they called for doing good, leaving odious deeds, avoiding evil matters and sticking to morals and values. All this is involved in the word ***"level"*** stated in the Ever-Glorious Qur'an:

❨Say "O population of the Book come to a level word between us and you, that we worship none except Allah.❩

[Al-Imran (The Household of Imran) 64].

Method of Communication
In Islam
By: The honorable sheikh,
Mahmoud Abdul-Ghany Ashour,
Al-Azhar Deputy.

A perfect method of dealings and communication is established by Islam. It decides distinction among people and races and sets rules for this distinction. It also connects Muslims to other mankind despite their different cultural belongings with ties of human brotherhood emanating from the unity of the human origin. Furthermore, it obligates Muslims to cooperate, coexist and get acquainted with others. In addition, it commands them to spread good among all people regardless of their religions, races and colors. Allah, The Ever-Truthful, revealed:

❪O you mankind, surely We created you of a male and a female, and We have made you races and tribes that you may get mutually acquainted. Surely the most honorable among you in the Providence of Allah are the most pious; surely Allah is Ever-Knowing, Ever-Cognizant.❫ [Al-Hujurat (The Apartments) : 13]

Communication is considered an obligatory duty and legal necessity for Muslims as the message of Islam is a universal one that is not restricted to one race, color, country, etc. Qur'an, in most of its verses, addresses all mankind. Qur'an emphasizes human brotherhood and peaceful coexistence and it aims at spreading good, progress and prosperity. This brotherhood among humanity is stated in Allah's Ever-Glorious Book:

❪Say, "We have believed in Allah, and in whatever has been sent down on us, and whatever was sent down on Ibrâhîm and Ismâ`îl and Ishâq and Ya`qûb, and the Grandsons and in whatever was brought to Mûsâ and Îsâ and the Prophets, from their Lord; we make no distinction between any of them and to Him we are Muslims."❫ [Al-Imran (The Household of Imran) : 84]

while performing the rites of pilgrimage saying: "I wonder how the Messenger of Allah was spending nights and nights in that deserted, remote cave. When I was young in age and enjoying health, I was trying to climb to the top of that mount to see that cave with my own eyes. My friends and I were doing our best to reach that cave and whenever I feel tired and exhausted, they encourage me to continue. Although we were company, we witnessed a great difficulty in our journey. So, how did Muhammad bear such journey?" This question is an answer in itself. In other words, Muhammad was only a human but the difference is that he was supported by Allah. Jermanous added: "Why does not history record this among the other miraculous deeds of the Messenger?"

The greatest benefit one can obtain during this journey of faith is one's true feelings concerning Islamic brotherhood that extends to cover all the five continents. At pilgrimage, one finds something he has never seen before as he sees people from many races and colors and speaking different languages and each of them is wearing clothes similar to the others; there is no fancy clothes. So, one can say that pilgrimage is the first step toward mutual Islamic acquaintance and establishing Islamic unity. Islam is the real home for all Muslims as the Arab poet once said:

Islam is my father   I have no father but it.

Pilgrimage has a deep effect concerning the repentant i.e. he shall observe his future deeds and shall bear in his mind that if he commits any sin, he may not have the chance to repent again. Similarly, the case applies to the one who returns to his home after performing pilgrimage as he feels the difference whether in his new look to himself or others' looks to him. In brief, pilgrimage is considered a stage of transition between one's past and one's present and even future.

there is no mediation between man and his Lord. Ironically, man kneels before a man just like him in order to grant him forgiveness for his previous sins. However, when man resorts to the Creator of the earth and heaven in a kind of secret talk involving and repentance, he feels spiritual tranquility and without letting anybody into his secrets. When a Muslim travels to Allah's Sacred House while repenting and regretting and whenever he goes to perform one of the rites of pilgrimage, his heart shall beat strongly out of true faith and his tongue shall never stop glorifying and invoking Allah. In addition, man will seclude himself to supplicate Allah asking for His forgiveness and wishing that He would accept his true repentance. In such a spiritual atmosphere, man will feel a refreshing breeze on his face entering into his lungs and expanding his breast. Furthermore, he will feel as if a heavy mountain that was lying heavily on his chest was removed, so he will feel like a winner. Allah is Compassionate towards His bondsmen as He, Glory be to Him, revealed:

﴾Invoke Me and I will respond to you.﴿ [Surat Ghafir (The Forgiver) : 60].

That feeling of spiritual relief cannot be obtained at any place else other than the House of Allah and while performing the rites of pilgrimage. After this, one is now ready to start a new era of his life.

Among the other benefits that the pilgrim can get when he reaches the place where the Glorious-Qur'an was revealed, is the increase of faith in the Prophet. The pilgrim sees the sacred spots on which the Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, had trodden as well as the spots that witnessed his efforts in disseminating the Islamic Call among the disbelievers.

The Magarian professor of history at Magar University Abdul-Kireem Jermanous, who embraced Islam talks to us describing his great amazement when he saw the *Mount* of *Hira'*

Pilgrimage Is Moral Elevation And Spiritual Purification

By: Dr. Muhammad Rajab Al-Biomi

Man needs to entertain and relieve himself with a journey by which he leaves his permanent place of residence and goes to a place for a weak or two where he can spend summer or winter. And after that, he returns to his residence after enjoying changing of sights and meeting people whom he did not see before. He wishes nothing more than talking about his journey with his acquaintances. Moreover, he may do it again in the next year.

That journey I have been talking about and explaining its fruits and benefits is a mere worldly journey which does not have any spiritual dimensions elevating man from the narrowness of earth to the broadness of heaven. So, if we move from this desired journey to the journey of pilgrimage (to the Sacred House), we shall realize the extreme difference between the two. All that the one on a journey can get is available in pilgrimage in addition to the miracle of salvation. One will realize that Allah guards and watches him and that there is a reward waiting for him in the Hereafter.

The first benefit that the pilgrim can obtain is purification from his previous sins. He will return to his home newly born. There (at the Sacred Land) man surrenders his face to Allah asking for His guidance away from odious matters and evil thoughts. In some religions, there is what we call "**Chair of Confession**" where those believing in such religions go and sit to a priest in order to make their confessions and reveal their hidden sins that may, in many cases, lead to being despondent of the mercy of Allah. After making one's confession, one would think that his sins are forgiven, so he will feel ease and comfort. In contrary, Islam is a religion that treats all people equally as,

Memories of Pilgrimage

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

Allah has bestowed favors upon me with a minor pilgrimage and pilgrimage at two different times of the last year (1422 A.H.). When performing the first, Saudi newspapers and TV channels were celebrating, like a wedding, the embracement of the Italian Ambassador in Saudi Arabia, Turcowato Cardilli, of Islam. His embracement is considered as a sweeping reply to the offensive attack launched against Islam and its civilization by the Italian Prime Minister, Perlisconi.

As for the second, namely, pilgrimage where souls of Muslims all over the world strive for performing the rites of pilgrimage, seeing the honorable Ka'bah and performing prayers as they could at the Ancient House in a kind of respond to the call of the father of the prophets, Ibrahim (Abraham), may the peace of Allah be upon him, saying:

﴾Our Lord, surely I have made (some) of my offspring to dwell in a valley that is not under cultivation at Your Inviolable House. Our Lord, that they may keep up the prayer, so make heart-sights of mankind yearn towards them and provide them with products, that possibly they would thank (You).﴿ [Ibrahim (Ibraham) :37]

I was astonished to see this huge number of Muslims who came to perform the rites of pilgrimage. Rightly mentioned, the more Islam is criticized or attacked, the more Muslims stick and adhere to it like those who whenever stormy wind blows aiming at taking their clothes away their sticking to it increases.

My advice to those who hate and attack Islam would be, to ask the Muslim Turcowato Cardilli about the reasons behind his embracing Islam; perhaps Allah, the Most High, will guide them too.

AL-AZHAR MAGAZINE
Dhul-Hijjah 1423 A. H.

ENGLISH SECTION
Feb./ Mar.. 2003

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾
الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

الفهرس السنوى لعام ١٤٢٣هـ

المحرم

صفر

ربيع الأول

ربيع الآخر

جمادى الأولى

جمادى الآخرة

رجب

شعبان

رمضان

شوال

ذو القعدة

ذو الحجـــة